كتاب
المواعظ والاعتبار
بذكر الخطط والآثار

المعروف بالخطط المقريزيّة

تأليف

تقيّ الدّين أبي العبّاس أحمد بن علي المقريزي
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

الجزء الأوّل

طبعة جديدة بالأوفست

دار صادر
بيروت

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى عرّف وفهم وعلم الانسان مالم يكن يعلم وأسبغ على عباده نعما باطنة وظاهره ووالى عليهم من مزيد آلائه مننا متظافرة متواتره وبثهم فى ارضه حينا يتقلبون واستخلفهم فى ماله فهم به يتنعمون وهدى قوما الى اقتناص شوارد المعارف والعلوم وشوقهم للتفنن فى مسارح التدبر والركض بميادين الفهوم وأرشد قوما الى الانقطاع من دون الخلق اليه ووفقهم للاعتماد فى كل امر عليه وصرف آخرين عن كل مكرمة وفضيله وقيض لهم قرناء قادوهم الى كل ذميمة من الاخلاق ورذيله وطبع على قلوب اخرين فلا يكادون يفقهون قولا وثبطهم عن سبل الخيرات فما استطاعوا قوة ولا حولا ثم حكم على الكل بالفناء ونقلهم جميعا من دار التمحيص والابتلاء الى برزخ البيود والبلاء وسيحشرهم اجمعين الى دار الجزاء ليوفى كل عامل منهم عمله ويسأله عما اعطاه وخوّله وعن موقفه بين يديه سبحانه وما اعدّله لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون احمده سبحانه حمد من علم أنه الله لا يعبد الا اياه ولا خالق للخلق سواه حمدا يقتضى المزيد من النعماء ويوالى المنن بتجدد الالاء وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله ونبيه وخليله سيد البشر وأفضل من مضى وغبر الجامع لمحاسن الاخلاق والسير والمستحق لاسم الكمال على الاطلاق من البشر الذى كان نبيا وآدم بين الماء والطين ورقم اسمه من الازل فى عليين ثم تنقل من الاصلاب الفاخرة الزكيه الى الارحام الطاهرة المرضيه حتى بعثه الله عزوجل الى الخلائق اجمعين وختم به الانبياء والمرسلين وأعطاه مالم يعط أحدا من العالمين وعلى آله وصحابته والتابعين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين * وبعد فان علم التاريخ من اجل العلوم قدرا وأشرفها عند العقلاء مكانة وخطرا لما يحويه من المواعظ والانذار بالرحيل الى الآخرة عن هذه الدار والاطلاع على مكارم الاخلاق ليقتدى بها واستعلام مذامّ الفعال ليرغب عنها اولوا النهى لاجرم ان كانت الانفس الفاضلة به رامقه والهمم العالية اليه مائلة وله عاشقه وقد صنف فيه الائمة كثيرا وضمن الاجلة كتبهم منه شيأ كبيرا وكانت مصر هى مسقط راسى وملعب اترابى ومجمع ناسى ومغنى عشيرتى وحامتى وموطن خاصتى وعامتى وجؤجؤى الذى ربى جناحى فى وكره وعش مأربى فلا تهوى الانفس غير ذكره لازلت مذ شذوت العلم وآتانى ربى الفطانة والفهم ارغب فى معرفة اخبارها وأحب الاشراف على الاغتراف من آبارها وأهوى مسائلة الركبان عن سكان ديارها

فقد

فقيدت بخطى فى الاعوام الكثيرة وجمعت من ذلك فوائد قل ما يجمعها كتاب او يحويها العزتها وغرابتها اهاب الاانها ليست بمرتبة على مثال ولا مهذبة بطريقة مانسج على منوال فأردت أن الخص منها انباء ما بديار مصر من الآثار الباقيه عن الامم الماضية والقرون الخاليه وما بقى بفسطاط مصر من المعاهد غير ما كاد يفنيه البلى والقدم ولم يبق الا ان يمحو رسمها الفناء والعدم واذكر ما بمدينة القاهره من آثار القصور الزاهره وما اشتملت عليه من الخطط والاصقاع وحوته من المبانى البديعة الاوضاع مع التعريف بحال من اسس ذلك من أعيان الاماثل والتنويه بذكر الذى شادها من سراة الاعاظم والافاضل وأنثر خلال ذلك نكتا لطيفه وحكما بديعة شريفه من غير اطالة ولا اكثار ولا اجحاف مخل بالغرض ولا اختصار بل وسط بين الطرفين وطريق بين بين فلهذا سميته (كتاب المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار) وانى لارجو أن يحظى ان شاء الله تعالى عند الملوك ولا ينبو عنه طباع العامى والصعلوك ويجله العالم المنتهى ويعجب به الطالب المبتدى وترضاه خلائق العابد الناسك ولا يمجه سمع الخليع الفاتك ويتخذه اهل البطالة والرفاهية سمرا ويعده اولوا الرأى والتدبير موعظة وعبرا يستدلون به على عظيم قدرة الله تعالى فى تبديل الابدال ويعرفون به عجائب صنع ربنا سبحانه من تنقل الامور الى حال بعد حال فان كنت احسنت فيما جمعت وأصبت فى الذى صنعت ووضعت فذلك من عميم منن الله تعالى وجزيل فضله وعظيم انعمه علىّ وجليل طوله وان أنا اسأت فيما فعلت واخطأت اذ وضعت فما اجدر الانسان بالاساءة والعيوب اذا لم يعصمه ويحفظه علام الغيوب

وما أبرئ نفسى انى بشر * اسهو وأخطئ مالم يحمنى قدر
ولا ترى عذرا اولى بذى زلل * من أن يقول مقرا انى بشر

فليسبل الناظر فى هذا التأليف على مؤلفه ذيل ستره ان مرت به هفوه وليغض تجاوزا وصفحا ان وقف منه على كبوة او نبوه فأى جواد وان عنق ما يكبو وأى عضب مهند لا يكل ولا ينبو لاسيما والخاطر بالافكار مشغول والعزم لالتواء الامور وتعسرها فاتر محلول والذهن من خطوب هذا الزمن القطوب كليل والقلب لتوالى المحن وتواتر الاحن عليل

يعاندنى دهرى كأنى عدوه * وفى كل يوم بالكريهة يلقانى
فان رمت شيأ جاءنى منه ضده * وان راق لى يوما تكدر فى الثانى

اللهم غفرا ما هذا من التبرم بالقضاء ولا التضجر بالمقدور بل أنه سقم ونفثة مصدور يستروح ان ابدى التوجع والانين ويجد خفا من ثقله اذا باح بالشكوى والحنين

ولو نظروا بين الجوانح والحشا * رأوا من كتاب الحب فى كبدى سطرا
ولو جربوا ما قد لقيت من الهوى * اذا عذرونى أو جعلت لهم عذرا

والله اسأل أن يحلى هذا الكتاب بالقبول عند الجلة والعلماء كما اعوذ به من تطرق ايدى الحساد اليه والجهلاء وأن يهدينى فيه وفيما سواه من الاقوال والافعال الى سواء السبيل انه حسبنا ونعم الوكيل وفيه جلت قدرته لى سلو من كل حادث وعليه عز وجل اتوكل فى جميع الحوادث لا اله الا هو ولا معبود سواه

(ذكر الرؤس الثمانيه)

اعلم أن عادة القدماء من المعلمين قد جرت أن يأتوا بالرؤس الثمانية قبل افتتاح كل كتاب وهى الغرض والعنوان والمنفعة والمرتبة وصحة الكتاب ومن أى صناعة هو وكم فيه من اجزاء وأى انحاء التعاليم المستعملة فيه فنقول (أما الغرض) فى هذا التاليف فانه جمع ما تفرق من اخبار أرض مصر وأحوال سكانها كى يلتئم من مجموعها معرفة جمل اخبار اقليم مصر وهى التى اذا حصلت فى ذهن انسان اقتدر على أن يخبر فى كل وقت بما كان فى ارض مصر من الآثار الباقية والبايدة ويقص احوال من ابتدأها ومن حلها وكيف كانت مصاير امورهم وما يتصل بذلك على سبيل الاتباع لها بحسب ما تحصل به الفائدة الكلية بذلك الاثر (وأما عنوان هذا الكتاب) اعنى الذى وسمته به فانى لما فحصت عن اخبار مصر وجدتها مختلطة متفرقة فلم يتهيأ لى اذ جمعتها أن أجعل وضعها مرتبا على السنين لعدم ضبط وقت كل حادثه لاسيما فى الاعصر الخالية ولا أن اضعها على اسماء الناس

لعلل اخر تظهر عند تصفح هذا التأليف فلهذا فرّقتها فى ذكر الخطط والآثار فاحتوى كل فصل منها على ما يلائمه ويشاكله وصار بهذا الاعتبار قد جمع ما تفرّق وتبدّد من أخبار مصر ولم اتحاش من تكرار الخبر اذا احتجت اليه بطريقة يستحسنها الاريب ولا يستهجنها الفطن الاديب كى يستغنى مطالع كل فصل بما فيه عما فى غيره من الفصول فلذلك سميته (كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار * (وأما منفعة هذا الكتاب) فان الامر فيها يتبين من الغرض فى وضعه ومن عنوانه أعنى أن منفعته هى أن يشرف المرء فى زمن قصير على ما كان فى ارض مصر من الحوادث والتغييرات فى الازمنة المتطاولة والاعوام الكثيرة فتتهذب بتدبر ذلك نفسه وترتاض اخلاقه فيحب الخير ويفعله ويكره الشر ويتجنبه ويعرف فناء الدنيا فيحظى بالاعراض عنها والاقبال على ما يبقى (وأما مرتبة هذا الكتاب) فانه من جلة أحد قسمى العلم اللذين هما العقلى والنقلى فينبغى أن يتفرغ لمطالعته وتدبر مواعظه بعد اتقان ما تجب معرفته من العلوم النقلية والعقلية فانه يحصل بتدبره لمن ازال الله اكنة قلبه وغشاوة بصره نتيجة العلم بما صار اليه أبناء جنسه بعد التخوّل فى الاموال والجنود من الفناء والبيود فاذا مرتبته بعد معرفة اقسام العلوم العقلية والنقلية ليعرف منه كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبل (وأما واضع هذا الكتاب ومرتبه) فاسمه احمد بن على بن عبد القادر بن محمد ويعرف بالمقريزى رحمه الله تعالى ولد بالقاهرة المعزية من ديار مصر بعد سنة ستين وسبعمائة من سنى الهجرة المحمدية ورتبته من العلوم ما يدل عليه هذا الكتاب وغيره مما جمعه وألفه (وأما من أى علم هذا الكتاب) فانه من علم الاخبار وبها عرفت شرائع الله تعالى التى شرعها وحفظت سنن انبيائه ورسله ودوّن هداهم الذى يقتدى به من وفقه الله تعالى الى عبادته وهداه الى طاعته وحفظه من مخالفته وبها نقلت اخبار من مضى من الملوك والفراعنة وكيف حل بهم سخط الله تعالى لما اتوا ما نهوا عنه وبها اقتدر الخليقة من ابناء البشر على معرفة ما دوّنوه من العلوم والصنائع وتأتى لهم علم ما غاب عنهم من الاقطار الشاسعة والامصار النائية وغير ذلك مما لا ينكر فضله ولكل امّة من امم العرب والعجم على تباين آرائهم واختلاف عقائدهم اخبار عندهم معروفة مشهورة ذائعة بينهم ولكل مصر من الامصار المعمورة حوادث قد مرّت به يعرفها علماء ذلك المصر فى كل عصر ولو استقصيت ما صنف علماء العرب والعجم فى ذلك لتجاوز حد الكثرة وعجزت القدرة البشرية عن حصره (وأما أجزاء هذا الكتاب فانها سبعة) * اولها يشتمل على جمل من اخبار أرض مصر وأحوال نيلها وخراجها وجبالها * وثانيها يشتمل على كثير من مدنها واجناس اهلها * وثالثها يشتمل على اخبار فسطاط مصر ومن ملكها * ورابعها يشتمل على أخبار القاهرة وخلفائها وما كان لهم من الآثار * وخامسها يشتمل على ذكر ما أدركت عليه القاهرة وظواهرها من الاحوال * وسادسها يشتمل على ذكر قلعة الجبل وملوكها * وسابعها يشتمل على ذكر الاسباب التى نشأ عنها خراب اقليم مصر * وقد تضمن كل جزء من هذه الاجزاء السبعة عدة اقسام * وأما أى انحاء التعاليم التى قصدت فى هذا الكتاب) فانى سلكت فيه ثلاثة انحاء وهى النقل من الكتب المصنفة فى العلوم والرواية عمن ادركت من شيخة العلم وجلة الناس والمشاهدة لما عاينته ورأيته * فأما النقل من دواوين العلماء التى صنفوها فى انواع العلوم فأنى اعزو كل نقل الى الكتاب الذى نقلته منه لاخلص من عهدته وأبرأ من جريرته فكثيرا ممن ضمنى واياه العصر واشتمل علينا المصر صار لقلة اشرافه على العلوم وقصور باعه فى معرفة علوم التاريخ وجهل مقالات الناس يهجم بالانكار على ما لا يعرفه ولو أنصف اعلم أن العجز من قبله وليس ما تضمنه هذا الكتاب من العلم الذى يقطع عليه ولا يحتاج فى الشريعة اليه وحسب العالم أن يعلم ما قيل فى ذلك ويقف عليه * وأما الرواية عمن ادركت من الجلة والمشايخ فأنى فى الغالب والاكثر اصرح باسم من حدثنى الا ان لا يحتاج الى تعيينه أوأكون قد أنسيته وقل ما يتفق مثل ذلك * وأما ما شاهدته فأنى ارجو أن اكون ولله الحمد غير متهم ولا ظنين * وقد قلت فى هذه الروس الثمانية ما فيه قنع وكفاية ولم يبق الا أن اشرع فيما قصدت وعزمى أن اجعل الكلام فى كل خط من الاخطاط وفى كل اثر من الآثار على حدة ليكون العلم بما يشتمل عليه من الاخبار أجمع واكثر فائدة واسهل تناولا والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وفوق كل ذى علم عليم

(فصل) أوّل من رتب خطط مصر وآثارها وذكر أسبابها فى ديوان جمعه أبو عمر محمد بن يوسف الكندى ثم كتب

بعده

بعده القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى كتابه المنعوت بالمختار فى ذكر الخطط والآثار ومات فى سنة سبع وخمسين واربعمائة قبل سنى الشدة فدثر أكثر ما ذكراه ولم يبق الا يلع وموضع بلقع بساحل بمصر من سنى الشدة المستنصرية من سنة سبع وخمسين الى سنة اربع وستين واربعمائة من الغلاء والوباء فمات اهلها وخربت ديارها وتغيرت احوالها واستولى الخراب على عمل فوق من الطرفين بجانبى الفسطاط الغربى والشرقى فأما الغربى فمن قنطرة بنى وائل حيث الوراقات الآن قريبا من باب القنطرة خارج مدينة مصر الى الشرف المعروف الآن بالرصد وانت مار الى القرافة الكبرى واما الشرقى فمن طرف بركة الحبش التى تلى القرافة الى نحو جامع احمد بن طولون ثم دخل امير الجيوش بدر الجمالى مصر فى سنة ست وستين واربعمائة وهذه المواضع خاوية على عروشها خالية من سكانها وأنيسها قد أبادهم الوباء والتباب وشتتهم الموت والخراب ولم يبق بمصر الا بقايا من الناس كانهم اموات قد اصفرت وجوههم وتغيرت سحنهم من غلاء الاسعار وكثرة الخوف من العسكرية وفساد طوائف العبيد والملحية ولم يجد من يزرع الاراضى هذا والطرقات قد انقطعت بحرا وبرا الا بخفارة وكلفة كثيرة وصارت القاهرة أيضا يبابا داثرة فأباح للناس من العسكرية والملحية والارمن وكل من وصلت قدرته الى عمارة أن يعمر ماشاء فى القاهرة مما خلا من دور الفسطاط بموت اهلها فأخذ الناس فى هدم المساكن ونحوها بمصر وعمروا بها فى القاهرة وكان هذا أول وقت اختط الناس فيه بالقاهرة ثم كان المنبه بعد القضاعى على الخطط والتعريف بها تلميذه أبو عبد الله محمد بن بركات النحوى فى تاليف لطيف نبه فيه الافضل أبا القاسم شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى على مواضع قد اغتصبت وتملكت بعد ما كانت احباسا ثم كتب الشريف محمد بن اسعد الجوانى كتاب النقط بعجم ما اشكل من الخطط نبه فيه على معالم قد جهلت وآثار قد دثرت وآخر من كتب فى ذلك القاضى تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج كتاب ايعاظ المتأمل وايقاظ المتغفل فى الخطط بين فيه جملا من احوال مصر وخططها الى اعوام بضع وعشرين وسبعمائة قد دثرت بعده معظم ذلك فى وباء سنة تسع وأربعين وسبعمائة ثم فى وباء سنة احدى وستين ثم فى غلاء سنة ست وسبعين وسبعمائة وكتب القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر كتاب الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة ففتح فيه بابا كانت الحاجة داعية اليه ثم تزايدت العمارة من بعده فى الايام الناصرية محمد بن قلاوون بالقاهرة وظواهرها الى ان كادت تضيق على اهلها حتى حل بها وباء سنة تسع واربعين وسنة احدى وستين ثم غلاء سنة ست وسبعين فخربت بها عدة اماكن فلما كانت الحوادث والمحن من سنة ست وثمانمائة شمل الخراب القاهرة ومصر وعامة الاقليم وسأورد من ذكر الخطط ما تصل اليه قدرتى ان شاء الله تعالى

(ذكر طرف من هيئة الافلاك)

اعلم انه لما كانت مصر قطعة من الارض تعين قبل التعريف بموقعها من الارض وتبيين موضع الارض من الفلك ان اذكر طرفا من هيئة الافلاك ثم اذكر صورة الارض وموضع الاقاليم منها واذكر محل مصر من الارض وموضعها من الاقاليم واذكر حدودها واشتقاقها وفضائلها وعجائبها وكنوزها وأخلاق اهلها واذكر نيلها وخلجانها وكورها ومبلغ خراجها وغير ذلك مما يتعلق بها قبل الشروع فى ذكر خطط مصر والقاهرة فأقول علم النجوم ثلاثة اقسام الاول معرفة تركيب الافلاك وكمية الكواكب واقسام البروج وأبعادها وعظمها وحركتها ويقال لهذا القسم علم الهيئة والقسم الثانى علم الزيج وعلم التقويم والقسم الثالث معرفة كيفية الاستدلال بدوران الفلك وطوالع البروج على الحوادث قبل كونها ويسمى هذا القسم علم الاحكام والغرض هنا ايراد نبذ من علم الهيئة تكون توطئة لما يأتى ذكره * اعلم أن الكواكب اجسام كريات والذى ادرك منها الحكماء بالرصد ألف كوكب وتسعة وعشرون كوكبا وهى على قسمين سيارة وثابتة فالسيارة سبعة وهى زحل والمشترى والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر وقد نظمت فى بيت واحد وهو

زحل شرى مريخه من شمسه * فتزاهرت بعطارد الاقمار

ويقال لهذه السبعة الخنس وقيل انها التى عناها الله تعالى بقوله فلا اقسم بالخنس الجوارى الكنس والتى عناها الله تعالى بقوله فالمدبرات أمرا وقيل لها الخنس لاستقامتها فى سيرها ورجوعها وقيل لها الكنس لانها تجرى فى البروج ثم تكنس أى تستتر كما يكنس الظبى وقيل الكنس والخنس منها خمسة وهى ما سوى الشمس

والقمر سميت بذلك من الانخناس وهو الانقباض وفى الحديث الشيطان يوسوس للعبد فاذا ذكر الله خنس أى انقبض ورجع فيكون الخنس على هذا فى الكواكب بمعنى الرجوع وسميت بالكنس من قولهم كنس الظبى اذا دخل الكناس وهو مقره فالكنس على هذا فى الكواكب بمعنى اختفائها تحت ضوء الشمس ويقال لهذه الكواكب المتحيرة لانها ترجع أحيانا عن سمت مسيرها بالحركة الشرقية وتتبع الغربية فى رأى العين فيكون هذا الارتداد لها شبه التحير وهذه الاسماء التى لهذه الكواكب يقال انها مشتقة من صفاتها فزحل مشتق من زحل فلان اذا أبطأ سمى بذلك لبطء سيره وقيل للزحل والزحل الحقد وهو بزعمهم يدل على ذلك ويقال انه المراد فى قوله تعالى والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب والمشترى سمى بذلك لحسنه كانه اشترى الحسن لنفسه وقيل لانه نجم الشراء والبيع ودليل الربح والمال فى قولهم والمريخ مأخوذ من المرخ وهو شجر يحتك بعض اغصانه ببعض فيورى نارا سمى بذلك لاحمراره وقيل المريخ سهم لا ريش له اذا رمى به لا يستوى فى ممره وكذا المريخ فيه التواء كثير فى سيره ودلالته بزعمهم تشبه ذلك والشمس لما كانت واسطة بين ثلاثة كواكب علوية لانهم من فوقها وثلاثة سفلية لانهم من تحتها سميت بذلك لان الواسطة التى فى المخنقة تسمى شمسة والزهرة من الزاهر وهو الابيض النير من كل شئ وعطارد هو النافذ فى كل الامور ولذلك يقال له أيضا الكاتب فانه كثير التصرف مع ما يقارنه ويلابسه من الكواكب والقمر مأخوذ من القمرة وهى البياض والاقمر الابيض ويقال لزحل كيوان وللمشترى تير والبرجيس أيضا وللمريخ بهرام وللشمس مهر وللزهرة اياهيد وسدحت أيضا ولعطارد هرمس وللقمر ماه وقد جمعت فى بيت واحد وهو هذا

لازلت تبقى وترقى للعلى ابدا * مادام للسبعة الافلاك احكام

مهر وماه وكيوان وتير معا * وهرمس وأياهيد وبهرام

ويقال لما عدا هذه الكواكب السبعة من بقية نجوم السماء الكواكب الثابتة سميت بذلك لثباتها فى الفلك بموضع واحد وقيل لبطء حركتها فانها تقطع الفلك بزعمهم بعد كل ستة وثلاثين ألف سنة شمسية مرة واحدة * ولكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة فلك من الافلاك يخصه والافلاك اجسام كريات مشفات بعضها فى جوف بعض وهى تسعة اقربها الينا فلك القمر وبعده فلك عطارد ثم بعده فلك الزهرة وبعده فلك الشمس وفوقه فلك المريخ ثم فلك المشترى وفوقه فلك زحل ثم فلك الثوابت وفيه كل كوكب يرى فى السماء سوى السبعة السيارة ومن فوق فلك الثوابت الفلك المحيط وهو الفلك التاسع ويسمى الاطلس وفلك الافلاك وفلك الكل وقد اختلف فى الافلاك فقيل هى السموات وقيل بل السموات غيرها وقيل بل هى كرية وقيل غير ذلك وقيل الفلك الثامن هو الكرسى والفلك التاسع هو العرش وقيل غير ذلك وهذا الفلك التاسع دائم الدوران كالدولاب ويدور فى كل اربعة وعشرين ساعة مستوية دورة واحدة ودورانه يكون ابدا من المشرق الى المغرب ويدور بدورانه جميع الافلاك الثمانية وما حوته من الكواكب دورانا حركته قسرية لادارة التاسع لها وعن حركة التاسع المذكور يكون الليل والنهار فالنهار مدة بقاء الشمس فوق افق الارض والليل مدة غيبوبة الشمس تحت افق الارض وفلك الكواكب الثابتة مقسوم باثنى عشر قسما كحز البطيخة كل قسم منها يقال له برج وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وكل برج من هذه البروج الاثنى عشر ينقسم ثلاثين قسما يقال لكل قسم منها درجة وكل درجة من هذه الثلاثين مقسومة ستين قسما يقال لكل قسم منها دقيقة وكل دقيقة من هذه الستين مقسومة ستين قسما يقال لكل قسم منها ثانية وهكذا الى الثوالث والروابع والخوامس الى الثوانى عشر وما فوقها من الاجزاء وكل ثلاثة بروج تسمى فصلا فالزمان على ذلك اربعة فصول وهى الربيع والصيف والخريف والشتاء * وجهات الاقطار اربعة الشرق والغرب والشمال والجنوب * والاركان اربعة النار والهواء والماء والتراب * والطبائع اربعة الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة * والاخلاط اربعة الصفراء والسوداء والبلغم والدم * والرياح اربعة الصبا والدبور والشمال والجنوب * فالبروج منها ثلاثة ربيعية صاعدة فى الشمال زائدة النهار على الليل وهى الحمل والثور والجوزا وثلاثة صيفية هابطة فى الشمال آخذة الليل من النهار وهى السرطان والاسد

والسنبله وثلاثة خريفية هابطة فى الجنوب زائدة الليل على النهار وهى الميزان والعقرب والقوس وثلاثة شتوية صاعدة فى الجنوب آخذة النهار من الليل وهى الجدى والدلو والحوت * والفلك المحيط كما تقدم دائم الدوران كالدولاب يدور أبدا من المشرق الى المغرب فوق الارض ومن المغرب الى المشرق تحتها فيكون دائما نصف الفلك وهو ستة بروج بمائة وثمانين درجة فوق الارض ونصفه الآخر وهو ستة بروج بمائة وثمانين درجة تحت الارض وكلما طلعت من أفق المشرق درجة من درجات الفلك التى عدتها ثلثمائة وستون درجة غرب نظيرها فى أفق المغرب من البرج السابع فلا يزال دائما ستة بروج طلوعها بالنهار وستة بروج طلوعها بالليل * والافق عبارة عن الحد الفاصل من الارض بين المرئى والخفى من السماء والفلك يدور على قطبين شمالى وجنوبى كما يدور الحق على قطبى المخروطة ويقسم الفلك خط من دائرة تقسمه نصفين متساوين بعدهما من كلا القطبين سواء ونسمى هذه الدائرة دائرة معدل النهار فهى تقاطع فلك البروج ودائرة فلك البروج تقاطع دائرة معدل النهار ويميل نصفها الى الجانب الشمالى بقدر أربع وعشرين درجة تقريبا وهذا النصف فيه قسمة البروج الستة الشمالية وهى من أول الحمل الى آخر السنبلة ويميل نصفها الثانى عنها الى الجنوب بمثل ذلك وفيه قسمة البروج الستة الجنوبية وهى من أول برج الميزان الى آخر برج الحوت وموضع تقاطع هاتين الدائرتين اعنى دائرة معدل النهار ودائرة فلك البروج من الجانبين هما نقطتا الاعتدالين اعنى رأس الحمل ورأس الميزان ومدار الشمس والقمر وسائر النجوم على محاذاة دائرة فلك البروج دون دائرة معدل النهار وتمر الشمس على دائرة معدل النهار عند حلولها بنقطتى الاعتدالين فقط لانهما موضع تقاطع الدائرتين وهذا هو خط الاستواء الذى لا يختلف فيه الزمان بزيادة الليل على النهار ولا النهار على الليل لان ميل الشمس عنه الى كلا الجانبين الشمالى والجنوبى سواء فالشمس تدور الفلك وتقطع الاثنى عشر برجا فى مدة ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم بالتقريب وهذه هى مدة السنة الشمسية وتقيم فى كل برج ثلاثين يوما وكسرا من يوم وتكون ابدا بالنهار ظاهرة فوق الارض وبالليل بخلاف ذلك واذا حلت فى البروج الستة الشمالية التى هى الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبلة فانها تكون مرتفعة فى الهواء قريبة من سمت رؤسنا وذلك زمن فصل الربيع وفصل الصيف واذا حلت فى البروج الجنوبية وهى الميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت كان فصل الخريف وفصل الشتاء وانحطت الشمس وبعدت عن سمت الرؤس وزعم وهب بن منبه أن أول ما خلق الله تعالى من الازمنة الاربعة الشتاء فجعله باردا رطبا وخلق الربيع فجعله حارا رطبا وخلق الصيف فجعله حارا يابسا وخلق الخريف فجعله باردا يابسا وأول الفصول عند أهل زماننا الربيع ويكون فصل الربيع عندما تنتقل الشمس من برج الحوت وقد اختلف القدماء فى البداية من الفصول فمنهم من اختار فصل الربيع وخيره أول السنة ومنهم من اختار تقديم الانقلاب الصيفى ومنهم من اختار تقديم الاعتدال الخريفى ومنهم من اختار تقديم الانقلاب الشتوى فاذا حلت أول جزء من برج الحمل استوى الليل والنهار واعتدل الزمان وانصرف الشتاء ودخل الربيع وطاب الهواء وهب النسيم وذاب الثلج وسالت الاودية ومدت الانهار فيما عدا مصر ونبت العشب وطال الزرع ونما الحشيش وتلألأ الزهر وأورق الشجر وتفتح النور واخضر وجه الارض ونتجت البهائم ودرت الضروع وأخرجت الارض زخرفها وازينت وصارت كصبية شابة قد تزينت للناظرين ولله در القائل وهو الحافظ جمال الدين يوسف بن احمد اليعمرى رحمه الله تعالى

واستنشقوا لهوا الربيع فانه * نعم النسيم وعنده ألطاف
يغذى الجسوم نسيمه وكأنه * روح حواها جوهر شفاف

وقال ابن قتيبة ومن ذلك الربيع يذهب الناس الى انه الفصل الذى يتبع الشتاء ويأتى فيه النور والورد ولا يعرفون الربيع غيره والعرب تختلف فى ذلك فمنهم من يجعل الربيع الفصل الذى تدرك فيه الثمار وهو الخريف وفصل الشتاء بعده ثم فصل الصيف بعد الشتاء وهو الوقت الذى تدعوه العامة الربيع ثم فصل القيظ وهو الذى تدعوه العامة الصيف ومن العرب من يسمى الفصل الذى يعتدل وتدرك فيه الثمار وهو الخريف الربيع الاول ويسمى الفصل الذى يتلوه الشتاء ويأتى فيه الكمأة والنور الربيع الثانى وكلهم مجتمعون على أن الربيع هو الخريف فاذا حلت الشمس آخر برج الجوزاء وأول برج السرطان تناهى طول النهار وقصر الليل وابتدأ نقص النهار وزيادة

الليل وانصرم فصل الربيع ودخل فصل الصيف واشتد الحر وحمي الهواء وهبت السمائم ونقصت المياه الا بعصر ويبس العشب واستحكم الحب وأدرك حصاد الغلال ونضجت الثمار وسمنت البهائم واشتدت قوة الابدان ودرت أخلاف النعم وصارت الارض كانها عروس فاذا بلغت آخر برج السنبلة وأول برج الميزان تساوى الليل والنهار مرة ثانية وأخذ الليل فى الزيادة والنهار فى النقصان وانصرم فصل الصيف ودخل فصل الخريف فبرد الهواء وهبت الرياح وتغير الزمان وجفت الانهار وغارت العيون واصفر ورق الشجر وصرمت الثمار ودرست البيادر واختزن الحب واقتنى العشب واغبر وجه الارض الا بعصر وهزلت البهائم وماتت الهوام وانجحرت الحشرات وانصرف الطير والوحش يريد البلاد الدافئة وأخذ الناس يخزنون القوت للشتاء وصارت الدنيا كأنها امرأة كهلة قد أدبرت وأخذ شبابها يولى ولله در القائل وهو الامام عز الدين أبو الحسن أحمد بن علي ابن معقل الازدى المهلبي الحمصي حيث يقول

لله فصل الخريف المستلذ به * برد الهواء لقد أبدى لنا عجبا
اهدى الى الارض من اوراقه ذهبا * والارض من شأنها أن تهدى الذهبا

وقال أيضا

لله فصل الخريف فصلا * رقت حواشيه فهو رائق
فالماء يجرى من قلب سال * والدمع يبدو بوجه عاشق
فبرد هذا ولون هذا * يلذه ذائق ووامق

وقال أيضا

اتى فصل الخريف بكل طيب * وحسن معجب قلبا وعينا
ارانا الدوح مصفرا نضارا * وصافى الماء مبيضا لجينا
فأحسن كل احسان الينا * وانعم كل انعام علينا

وقال آخر يذم الخريف

خذ فى التدثر فى الخريف فانه * مستوبل ونسيمه خطاف
يجرى مع الاجسام جرى حياتها * كصديقها ومن الصديق يخاف

وقال آخر

ناعا بافصل الخريف وعائبا * عن فضله فى ذمه لزمانه
لاشئ ألطف منه عندى موقعا * ابدا يعرى الغصن من قصانه
وتراه يفرش تحته أثوابه * فاعجب لرأفته وفرط حنانه
وألذ ساعات الوصال اذا دنا * وقت الرحيل وحان حين اوانه

فاذا حلت الشمس آخر برج القوس وأول برج الجدى تناهى طول الليل وقصر النهار وأخذ النهار فى الزيادة والليل فى النقصان وانصرم فصل الخريف وحل فصل الشتاء واشتد البرد وخشن الهواء وتساقط ورق الشجر ومات اكثر النبات وغارت الحيوانات فى جوف الارض وضعف قوى الابدان وعرى وجه الارض من الزينة ونشأت الغيوم وكثرت الانداء وأظلم الجو وكلح وجه الارض الا بعصر وامتنع الناس من التصرف وصارت الدنيا كانها عجوز هرمة قد دنا منها الموت فاذا بلغت آخر برج الحوت وأول برج الحمل عاد الزمان كما كان عام أول وهذا دأبه ذلك تقدير العزيز العليم وتدبير الخبير الحكيم لا اله الا هو وقد شبه بطليموس فصل الربيع بزمان الطفولية وفصل الصيف بالشباب والخريف بالكهولة والشتاء بالشيخوخة وعن حركة الشمس وتنقلها فى البروج الاثنى عشر المذكورة تكون ازمان السنة وأوقات اليوم من الليل والنهار وساعاتهما وعن حركة القمر فى البروج الاثنى عشر تكون الشهور القمرية والسنة القمرية فالقمر يدور البروج الاثنى عشر ويقطع الفلك كله فى مدة ثمانية وعشرين يوما وبعض يوم ويقيم فى كل برج يومين وثلث يوم بالتقريب ويقيم فى كل منزلة من منازل القمر الثمانية والعشرين منزلة يوما وليلة فيظهر عند اهلاله من ناحية الغرب بعد غروب جرم الشمس ويزيد نوره فى كل ليلة قدر نصف سبع حتى يكمل نوره ويتجلى فى ليلة الرابع عشر من اهلاله ثم يأخذ من الليلة الخامسة عشر

فى النقصان فينتقص من نوره فى كل ليلة نصف سبع كما بدا الى أن يمحق نوره فى آخر الثمانية وعشرين يوما من اهلاله ويمر فى هذه المدة منذ يفارق الشمس ويبدو فى ناحية الغرب ويستمر الى أن يجامعها بثمانية وعشرين منزلة وهى السرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعوا والسماك والغفر والزبانا والاكليل والقلب والشوله والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية والفرع المقدم والفرع المؤخر وبطن الحوت * ولحساب ذلك كتب موضوعة وفيما ذكر كفاية والله يعلم وانتم لاتعلمون

(ذكر صورة الارض وموضع الاقاليم منها)

ولما تقدم فى الافلاك من القول ما يتبين به لمن ألهمه الله تعالى كيف تكون الحركة التى بها الليل والنهار وتركب الشهور والاعوام منهما جاز حينئذ الكلام على الارض فأقول * الجهات من حيث هى ست الشرق وهو حيث تطلع الشمس والقمر وسائر الكواكب فى كل قطر من الافق والغرب وهو حيث تغرب والشمال وهو حيث مدار الجدى والفرقدين والجنوب وهو حيث مدار سهيل والفوق وهو مما يلى السماء والتحت وهو مما يلى مركز الارض * والارض جسم مستدير كالكرة وقيل ليست بكرية الشكل وهى واقفة فى الهواء بجميع جبالها وبحارها وعامرها وغامرها والهواء محيط بها من جميع جهاتها كالمخ فى جوف البيضة وبعدها من السماء متساو من جميع الجهات واسفل الارض ما تحقيقه هو عمق باطنها مما يلى مركزها من أى جانب كان ذهب الجمهور الى أن الارض كالكرة موضوعة فى جوف الفلك كالمخ فى البيضة وأنها فى الوسط وبعدها فى الفلك من جميع الجهات على التساوى وزعم هشام بن الحكم أن تحت الارض جسما من شأنه الارتفاع وهو المانع للارض من الانحدار وهو ليس محتاجا الى ما يعمده لانه ليس يطلب الانحدار بل الارتفاع وقال ان الله تعالى وقفها بلا عماد وقال ديمقراطس انها تقوم على الماء وقد حصر الماء تحتها حتى لا يجد مخرجا فيضطر الى الانتقال وقال آخر هى واقفة على الوسط على مقدار واحد من كل جانب والفلك يجذبها من كل وجه فلذلك لا تميل الى ناحية من الفلك دون ناحية لان قوة الاجزاء متكافئة وذلك كحجر المغناطيس فى جذبه الحديد فان الفلك بالطبع مغناطيس الارض فهو يجذبها فهى واقفة فى الوسط وسبب وقوفها فى الوسط سرعة تدبير الفلك ودفعه اياها من كل جهة الى الوسط كما اذا وضعت ترابا فى قارورة وأدرتها بقوة فان التراب يقوم فى الوسط وقال محمد بن احمد الخوارزمى الارض فى وسط السماء والوسط هو السفلى بالحقيقة وهى مدورة مضرسة من جهة الجبال البارزة والوهاد الغائرة وذلك لا يخرجها عن الكرية اذا اعتبرت جملتها لان مقادير الجبال وان شمخت يسيرة بالقياس الى كرة الارض فان الكرة التى قطرها ذراع أو ذراعان مثلا اذا نتأ منها شئ او غار فيها لا يخرجها عن الكرية ولا هذه التضاريس لاحاطة الماء بها من جميع جوانبها وغمرها بحيث لا يظهر منها شئ فحينئذ تبطل الحكمة المؤدية المودعة فى المعادن والنبات والحيوان فسبحان من لا يعلم أسرار حكمه الا هو * وأما سطحها الظاهر المماس للهواء من جميع الجهات فانه فوق والهواء فوق الارض يحيط بها ويجذبها من سائر الجهات وفوق الهواء الافلاك المذكورة فيما تقدم واحدا فوق آخر الى الفلك التاسع الذى هو أعلى الافلاك ونهاية المخلوقات بأسرها وقد اختلف فيما وراء ذلك فقيل خلاء وقيل ملاء وقيل لا خلاء ولا ملاء وكل موضع يقف فيه الانسان من سطح الارض فان رأسه ابدا يكون مما يلى السماء الى فوق ورجلاه ابدا تكون اسفل مما يلى مركز الارض وهو دائما يرى من السماء نصفها ويستر عنه النصف الآخر حدبة الارض وكلما انتقل من موضع الى آخر ظهر له من السماء بقدر ما خفى عنه * والارض غامرة بالماء كعنبة طافية فوق الماء قد انحسر عنها نحو النصف وانغمر النصف الآخر فى الارض وصار المنكشف من الارض نصفين كأنما قسم بخط مسامت لخط معدل النهار يمر تحت دائرته وجميع البلاد التى على هذا الخط لا عرض لها البتة والقطبان غير مرتفعين فيها ويكونان هنالك على دائرة الافق من الجانبين وكلما بعد موضع بلد عن هذا الخط الى ناحية الشمال قدر درجة ارتفع القطب الشمالى الذى هو الجدى على اهل ذلك البلد درجة وانخفض القطب الجنوبى الذى هو سهيل درجة وهكذا ما زاد ويكون الامر فيما بعد من البلاد الواقعة فى ناحية الجنوب كذلك من ارتفاع القطب الجنوبى وانحطاط القطب الشمالى وبهذا عرف عرض البلدان وصار عرض

البلد عبارة عن ميل دائرة معدل النهار عن سمت رؤس اهله وارتفاع القطب عليهم وهو أيضا بعد ما بين سمت رؤس اهل ذلك البلد وسمت رؤس اهل بلد لا عرض له فأما ما انكشف من الارض مما يلى الجنوب من خط الاستواء فانه خراب والنصف الآخر الذى يلى الشمال من خط الاستواء فهو الربع العامر وهو المسكون من الارض وخط الاستواء لا وجود له فى الخارج وانما هو فرض بوهمنا أنه خط ابتداؤه من المشرق الى المغرب تحت مدار رأس الحمل وسمى بذلك من اجل أن النهار والليل هنالك ابدا سواء لا يزيد ولا ينقص أحدهما عن الآخر شيأ البتة فى سائر أوقات السنة كلها ونقطتا هذا الخط ملازمتان للافق احداهما على مدار سهيل فى ناحية الجنوب والاخرى مما يلى الجدى فى ناحية الشمال * والعمارة من المشرق الى المغرب مائة وثمانون درجة من الجنوب الى الشمال من خط اريس الى بنات نعش ثمان واربعون درجة وهو مقدار ميل الشمس مرتين وخلف خط أريس وهو مقدار ستة عشر درجة وجملة معمور الارض نحو من سبعين درجة لاعتدال مسير الشمس فى هذا الوسط ومرورها على ما وراء الحمل والميزان مرتين فى السنة وأما الشمال والجنوب فالشمس لا تحاذيهما الا مرة واحدة ولان اوج الشمس مرتين فى جهة الشمال كانت العمارة فيه لارتفاعها وانتفاء ضرر قوتها غير ساكنة ولان حضيضها فى الجنوب عدمت العمارة هنالك * وقد اختلف الناس فى مسافة الارض فقيل مسافتها خمسمائة عام ثلث عمران وثلث خراب وثلث بحار وقيل المعمور من الارض مائة وعشرون سنة تسعون لياجوج وماجوج واثنا عشر السودان وثمانية للروم وثلاثة للعرب وسبعة لسائر الامم وقيل الدنيا سبعة اجزاء ستة ليأجوج ومأجوج وواحد لسائر الناس وقيل الارض خمسمائة عام البحار ثلثمائة ومائة خراب ومائة عمران وقيل الارض اربعة وعشرون ألف فرسخ للسودان اثنا عشر ألف وللروم ثمانية آلاف ولفارس ثلاثة آلاف وللعرب ألف * وعن وهب بن منبه ما العمارة من الدنيا فى الخراب الا كفسطاط فى الصحراء وقال ازدشير بن تابك الارض اربعة اجزاء جزء منها للترك وجزء للعرب وجزء للفرس وجزء للسودان وقيل الاقاليم سبعة والاطراف اربعة والنواحى خمسة واربعون والمداين عشرة آلاف والرساتيق مائتا ألف وستة وخمسون ألفا وقيل المدن والحصون أحد وعشرون ألفا وستمائة مدينة وحصن ففى الاقليم الاول ثلاثة آلاف ومائة مدينة كبيرة وفى الثانى ألفان وسبعمائة وثلاثة عشر مدينة وقرية كبيرة وفى الثالث ثلاثة آلاف وتسع وسبعون مدينة وقرية وفى الرابع وهو بابل ألفان وتسعمائة وأربع وسبعون مدينة وفى الخامس ثلاثة آلاف مدينة وست مدائن وفى السادس ثلاثة آلاف واربعمائة وثمان مدن وفى السابع ثلاثة آلاف وثلاثمائة مدينة فى الجزائر وقال الخوارزمى قطر الارض سبعة آلاف فرسخ وهو نصف سدس الارض والجبال والمفاوز والبحار والباقى خراب يباب لا نبات فيه ولا حيوان وقيل المعمور من الارض مثل طائر رأسه الصين والجناح الايمن الهند والسند والجناح الايسر الخزر وصدره مكة والعراق والشام ومصر وذنبه الغرب * وقيل قطر الارض سبعة آلاف وأربعمائة واربعة عشر ميلا ودورها عشرون ألف ميل واربعمائة ميل وذلك جميع ما احاطت به من بر وبحر * وقال أبو زيد أحمد بن سهل البلخى طول الارض من اقصى المشرق الى اقصى المغرب نحو أربعمائة مرحلة وعرضها من حيث العمران الذى من جهة الشمال وهو مساكن يأجوج ومأجوج الى حيث العمران الذى من جهة الجنوب وهو مساكن السودان مائتان وعشرون مرحلة وما بين برارى يأجوج ومأجوج الى البحر المحيط فى الشمال وما بين برارى السودان والبحر المحيط فى الجنوب خراب ليس فيه عمارة ويقال أن مسافة ذلك خمسة آلاف فرسخ وهذه اقوال لا دليل على صدقها * والطريق فى معرفة مساحة الارض أنا لو سرنا على خط نصف النهار من الجنوب الى الشمال بقدر ميل دائرة معدل النهار عن سمت رؤسنا الى الجنوب درجة من درج الفلك التى هى جزء من ثلاثمائة وستين جزأ وارتفع القطب علينا درجة نظير تلك الدرجة فانا نعلم انا قد قطعنا من محيط جرم الارض جزأ من ثلاثمائة وستين جزأ وهو نظير ذلك الجزء من الفلك فلو قسنا من ابتداء مسيرنا الى انتهاء مكاننا الذى وصلنا اليه حيث ارتفع القطب علينا درجة فانا نجد حقيقة الدرجة الواحدة من الفلك قد قطعت من الارض ستة وخمسين ميلا وثلثى ميل عنها خمسة وعشرون فرسخا فاذا ضربنا مساحة الدرجة الواحدة وهو ما ذكر من الاميال فى ثلاثمائة وستين خرج من الضرب عشرون ألفا وأربعمائة ميل وذلك مساحة دور الارض فاذا قسمنا هذه الاميال التى هى مساحة دور الارض

على

على ثلاثة وسبع خرج من القسمة ستة آلاف وأربعمائة وأربعون ميلا وهى مساحة قطر الارض فلو ضربنا هذا القطر فى مبلغ دور الارض لبلغت مساحة بسط الارض بالتكسير مائة ألف ألف واثنين وثلاثين ألف ألف وستمائة ألف ميل بالتقريب فعلى هذا مساحة ربع الارض المسكون بالتكسير ثلاثة وثلاثون ألف ألف ميل ومائة وخمسون ألف ميل وعرض المسكون من هذا الربع بقدر بعد مدار السرطان عن القطب وهو خمسة وخمسون جزءا وسدس جزء وهذا هو سدس الارض وانتهاؤه الى جزيرة تولى فى برطانية وهى آخر المعمور من الشمال وهو من الاميال ثلاثة آلاف وسبعمائة وأربعة وستون ميلا فاذا ضربنا هذا السدس الذى هو مساحة عرض الارض فى النصف وهو مقدار الطول كان للمعمور من الشمال قدر نصف سدس الارض واما الطول فانه يقل لتضايق اقسام كرة الارض ومقداره مثل خمس الدور وهو بالتقريب اربعة آلاف وثمانون ميلا وفى الربع المسكون من الارض سبعة أبحر كبار وفى كل بحر منها عدة جزائر وفيه خمسة عشر بحيرة منها ملح وعذب وفيه مائتا جبل طوال ومائتا نهر وأربعون نهرا طوالا وتشتمل على سبعة اقاليم تحتوى على سبعة عشر ألف مدينة كبيرة * وقال فى كتاب هروشيوس لما استقامت طاعة يوليس الملقب قيصر الملك فى عامة الدنيا تخير أربعة من الفلاسفة سماهم فأمرهم أن يأخذوا له وصف حدود الدنيا وعدة بحارها وكورها ارباعا فولى أحدهم أخذ وصف جزء المشرق وولى آخر أخذ وصف جزء المغرب وولى الثالث أخذ وصف جزء الشمال وولى الرابع أخذ وصف جزء الجنوب فتمت كتابة الجميع على ايديهم فى نحو من ثلاثين سنة فكانت جملة البحار المسماة فى الدنيا تسعة وعشرين بحرا قد سموها منها بجزء الشرق ثمانية وبجزء الغرب ثمانية وبجزء الشمال أحد عشر وبجزء الجنوب اثنان وعدة الجزائر المعروفة الامهات احدى وسبعون جزيرة منها فى الشرق ثمان وفى الغرب ست عشرة وفى جهة الشمال احدى وثلاثون وفى جهة الجنوب ست عشرة وعدة الجبال الكبار المعروفة فى جميع الدنيا ستة وثلاثون وهى أمهات الجبال وقد سموها فيما فسروه منها فى جهة الشرق سبعة وفى جهة الغرب خمسة عشر وفى الشمال اثنا عشر وفى الجنوب اثنان والبلدان الكبار ثلاثة وستون منها فى المشرق سبعة وفى المغرب خمسة وعشرون وفى الشمال تسعة عشر وفى الجنوب اثنا عشر وقد سموها والكور الكبار المعروفة تسع ومائتان منها فى المشرق خمس وسبعون وفى المغرب ست وستون وفى الشمال ست وفى الجنوب اثنان وستون والانهار الكبار المعروفة فى جميع الدنيا ستة وخمسون منها لجزء الشرق سبعة عشر ولجزء الغرب ثلاثة عشر ولجزء الشمال تسعة عشر ولجزء الجنوب سبعة والاقاليم السبعة كل اقليم منها كانه بساط مفروش قد مد طوله من الشرق الى الغرب وعرضه من الشمال الى الجنوب وهذه الاقاليم مختلفة الطول والعرض فالاقليم الاول منها يمر وسطه بالمواضع التى طول نهارها الاطول ثلاثة عشر ساعة والسابع منها يمر وسطه بالمواضع التى طول نهارها الاطول ست عشر ساعة لان ما حاذى حد الاقليم الاول الى نحو الجنوب يشتمل عليه البحر ولا عمارة فيه وما حاذى الاقليم السابع الى الشمال لا يعلم فيه عمارة فجعل طول الاقاليم السبعة من الشرق الى الغرب مسافة اثنتى عشرة ساعة من دور الفلك وصارت عروضها تتفاضل نصف ساعة من ساعات النهار الاطول فأطولها وأعرضها الاقليم الاول وطوله من المشرق الى المغرب نحو ثلاثة آلاف فرسخ وعرضه من الشمال الى الجنوب مائة وخمسون فرسخا وأقصرها طولا وعرضا الاقليم السابع وطوله من الشرق الى الغرب ألف وخمسمائة فرسخ وعرضه من الشمال الى الجنوب نحو من سبعين فرسخا وبقية الاقاليم الخمسة فيما بين ذلك وهذه الاقاليم خطوط متوهمة لا وجود لها فى الخارج وضعها القدماء الذين جالوا فى الارض ليقفوا على حقيقة حدودها ويتيقنوا مواضع البلدان منها ويعرفوا طرق مسالكها هذا حال الربع المسكون وأما الثلاثة الارباع الباقية فانها خراب فجهة الشمال واقعة تحت مدار الجدى قد أفرط هنالك البرد وصارت ستة اشهر ليلا مستمرا وهى مدة الشتاء عندهم لا يعرف فيها نهار ويظلم الهواء ظلمة شديدة وتجمد المياه لقوة البرد فلا يكون هنالك نبات ولا حيوان ويقابل هذه الجهة الشمالية ناحية الجنوب حيث مدار سهيل فيكون النهار ستة اشهر بغير ليل وهى مدة الصيف عندهم فيحمى الهواء ويصير سموما محرقا يهلك بشدة حره الحيوان والنبات فلا يمكن سلوكه ولا السكنى فيه وأما ناحية الغرب فيمنع البحر المحيط من السلوك فيه لتلاطم امواجه وشدة ظلماته وناحية الشرق تمنع من سلوكه الجبال الشامخة وصار الناس اجمعهم قد انحصروا فى الربع المسكون من الارض

ولا علم لاحد منهم بالارض أى بالثلاثة الارباع الباقية والارض كلها بجميع ما عليها من الجبال والبحار نسبتها الى الفلك كنقطة فى دائرة وقد اعتبرت حدود الاقاليم السبعة بساعات النهار وذلك أن الشمس اذا حلت برأس الحمل تساوى طول النهار والليل فى سائر الاقاليم كلها فاذا انتقلت فى درجات برج الحمل والثور والجوزاء اختلفت ساعات نهار كل اقليم فاذا بلغت آخر الجوزاء وأول برج السرطان بلغ طول النهار فى وسط الاقليم الاول ثلاث عشرة ساعة سواء وصارت فى وسط الاقليم الثانى ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة وفى وسط الاقليم الثالث اربع عشرة ساعة وفى وسط الاقليم الرابع اربع عشرة ساعة ونصف ساعة وفى وسط الاقليم الخامس خمس عشرة ساعة وفى وسط الاقليم السادس خمس عشرة ساعة ونصف ساعة وفى وسط الاقليم السابع ست عشرة ساعة سواء وما زاد على ذلك الى عرض تسعين درجة يصير نهارا كله * ومعنى طول البلد هو بعدها من اقصى العمارة فى الغرب وعرضها هو بعدها عن خط الاستواء وخط الاستواء كما تقدم هو الموضع الذى يكون فيه الليل والنهار طول الزمان سواء فكل بلد على هذا الخط لا عرض له وكل بلد فى اقصى الغرب لا طول له ومن اقصى الغرب الى اقصى الشرق مائة وثمانون درجة وكل بلد يكون طوله تسعين درجة فانه فى وسط ما بين الشرق والغرب وكل بلد كان طوله اقل من تسعين درجة فانه اقرب الى الغرب وأبعد من الشرق وما كان طوله من البلاد اكثر من تسعين درجة فانه أبعد عن الغرب واقرب الى الشرق * وقد ذكر القدماء أن العالم السفلى مقسوم سبعة اقسام كل قسم يقال له اقليم فأقليم الهند لزحل واقليم بابل للمشترى واقليم الترك للمريخ واقليم الروم للشمس واقليم مصر لعطارد واقليم الصين للقمر * وقال قوم الحمل والمشترى لبابل والجدى وعطارد للهند والاسد والمريخ للترك والميزان والشمس للروم ثم صارت السنة على اثنى عشر برجا فالحمل ومثلاه للمشرق والثور ومثلاه للجنوب والجوزاء ومثلاها للمغرب والسرطان ومثلاه للشمال قالوا وفى كل اقليم مدينتان عظيمتان بحسب بين كل كوكب الاقليم الشمس واقليم القمر فانه ليس فى كل اقليم منهما سوى مدينة واحدة عظيمة وجميع مدائن الاقاليم السبعة وحصونها أحد وعشرون ألف مدينة وستمائة مدينة وحصن بقدر دقائق درج الفلك وقال هرمس اذا جعلت هذه الدقائق روابع كانت اناس هذه الاقاليم واذا مات أحد ولد نظيره ويقال أن عدد مدن الاقليم الاول من مطلع الشمس وقراها ثلاثة آلاف ومائة مدينة وقرية كبيرة وأن فى الثانى ألفان وسبعمائة وثلاث عشرة مدينة وقرية كبيرة وفى الثالث ثلاثة آلاف وتسع وسبعون وفى الرابع وهو بابل ألفان وتسعمائة وأربع وسبعون وفى الخامس ثلاثة آلاف وست مدن وفى السادس ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمان مدن وفى السابع ثلاثة آلاف وثلاثمائة مدينة وقرية كبيرة فى الجزائر * فالاقليم الاول يمر وسطه بالمواضع التى طول نهارها الاطول ثلاث عشرة ساعة ويرتفع القطب الشمالى فيها عن الافق ست عشرة درجة وثلثا درجة وهو العرض وانتهاء عرض هذا الاقليم من حيث يكون طول النهار الاطول فيه ثلاث عشرة ساعة وربع ساعة وارتفاع القطب الشمالى وهو العرض عشرون درجة ونصف درجة وهو مسافة اربعمائة واربعين ميلا وابتداؤه من أقصى بلاد الصين فيمر فيها الى ما يلى الجنوب ويمر بسواحل الهند ثم بلاد السند ويمر فى البحر على جزيرة العرب وارض اليمن ويقطع بحر القلزم فيمر ببلاد الحبشة ويقطع نيل مصر الى بلاد الحبشة ومدينة دنقلة من ارض النوبة ويمر فى ارض المغرب على جنوب بلاد البربر الى نحو البحر المحيط وفى هذا الاقليم عشرون جبلا فيها ما طوله من عشرين فرسخا الى ألف فرسخ وفيه ثلاثون نهرا طويلا منها ما طوله ألف فرسخ الى عشرين فرسخا وفيه خمسون مدينة كبيرة وعامة اهل هذا الاقليم سود الالوان ولهذا الاقليم من البروج الحمل والقوس وله من الكواكب السيارة المشترى وهو مع فرط حرارته كثير المياه كثير المروج وزرع اهله الذرة والارز الأن الاعتدال عندهم معدوم فلا يثمر عندهم كرم ولا حنطة والبقر عندهم كثير لكثرة المروج وفى مشرقه البحر الخارج وراء خط الاستوا بثلاث عشرة درجة وفى مغربه النيل وبحر الغرب ومن هذا الاقليم يأتى نيل مصر وشرقيهم معمور بالبحر الشرقى الذى هو بحر الهند واليمن * والاقليم الثانى حيث يكون طول النهار الاطول ثلاث عشرة ساعة ونصف ويرتفع القطب الشمالى فيه قدر أربعة وعشرين جزأ وعشر جزء وعرضه من حد الاقليم الاول الى حيث يكون النهار الاطول ثلاث عشرة ساعة ونصف وربع ساعة وارتفاع القطب الشمالى وهو العرض سبعة وعشرون درجة ونصف درجة ومساحة هذا الاقليم أربعمائة ميل

ويبتدئ من بلاد الشرق مارا ببلاد الصين الى بلاد الهند والسند ثم يلتقي البحر الاخضر وبحر البصرة ويقطع جزيرة العرب فى أرض نجد وتهامة فيدخل فى هذا الاقليم اليمامة والبحران وهجر ومكة والمدينة والطائف وأرض الحجاز ويقطع بحر القلزم فيمر بصعيد مصر الاعلى ويقطع النيل فيصير فيه مدينة قوص واخميم واسنى وأنصنا واسوان ويمر فى ارض المغرب على وسط بلاد أفريقية فيمر على بلاد البربر الى البحر فى المغرب وفى هذا الاقليم سبعة عشر جبلا وسبعة عشر نهرا طوالا واربعمائة وخمسون مدينة كبيرة وألوان اهل هذا الاقليم ما بين السمرة والسواد وله من البروج الجدى ومن السيارة زحل ويسكن هذا الاقليم الرحالة ففى المغرب منهم حداله وصنهاجه ولمتونه ومسوفه ويتصل بهم رحالة مصر من الواح وفى هذا الاقليم يكون نخل وفيه مكة والمدينة ومن السماوة من اهل العراق الى رحالة الترك * والاقليم الثالث وسطه حيث يكون طول النهار الاطول اربع عشرة ساعة وارتفاع القطب وهو العرض ثلاثون درجة ونصف وخمس درجة وعرض هذا الاقليم من حد الاقليم الثانى الى حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة وربع ساعة وارتفاع القطب وهو العرض ثلاث وثلاثون درجة ومسافته ثلاثمائة وخمسون ميلا ويبتدئ من الشرق فيمر بشمال الصين وبلاد الهند وفيه مدينة الهندهار ثم بشمال السند وبلاد كابل وكرمان وسجستان الى سواحل بحر البصرة وفيه اصطخر وسابور وشيراز وسيراف ويمر بالاهواز والعراق والبصرة وواسط وبغداد والكوفة والانبار وهيت ويمر ببلاد الشام الى سلمية وصور وعكا ودمشق وطبرية وقيسارية وبيت المقدس وعسقلان وغزة ومدين والقلزم ويقطع اسفل ارض مصر من شمال انصنا الى فسطاط مصر وسواحل البحر وفيه الفيوم والاسكندرية والعرما وتنيس ودمياط ويمر ببلاد برقة الى افريقية فيدخل فيه القيروان وينتهى فى البحر الى الغرب وبهذا الاقليم ثلاث وثلاثون جبلا كبارا واثنان وعشرون نهرا طوالا ومائة وثمانية وعشرون مدينة واهله سمر الالوان وله من البروج العقرب ومن السيارة الزهره وفى هذا الاقليم العمائر المتواصلة من أوله الى آخره اه * والاقليم الرابع وسطه حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة ونصف ساعة وارتفاع القطب الشمالى وهو العرض ست وثلاثون درجة وخمس درجة وحد هذا الاقليم من حد الاقليم الثالث الى حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة ونصف وربع ساعة والعرض تسعا وعشرين درجة وثلث درجة ومسافة هذا الاقليم ثلاثمائة ميل ويبتدئ من الشرق فيمر ببلاد البيت وخراسان وخجند وفرغانه وسمرقند وبخارى وهراه ومرو والرود وسرخس وطوس ونيسابور وجرجان وقومس وطبرستان وقزوين والديلم والرى واصفهان وهمذان ونهاوند ودينور والموصل ونصيبين وآمد وراس العين وشميساط والرقة ويمر ببلاد الشام فيدخل فيه بالس ومسبج وملطية وحلب وانطاكيه وطرابلس والصيصة وحماه وصيدا وطرسوس وعمورية واللاذقية ويقطع بحر الشام على جزيرة قبرس ورودس ويمر ببلاد طنجه فينتهى الى بحر المغرب وفى هذا الاقليم خمسة وعشرون جبلا كبارا وخمسة وعشرون نهرا طوالا ومائتا مدينة واثنتا عشرة مدينة وألوان اهله ما بين السمرة والبياض وله من البروج الجوزاء ومن السيارة عطارد وفيه البحر الرومى من مغربه الى القسطنطينية ومن هذا الاقليم ظهرت الانبياء والرسل صلوات الله عليهم اجمعين ومنه انتشر الحكماء والعلماء فانه وسط الاقاليم ثلاثة جنوبية وثلاثة شمالية وهو فى قسم الشمس وبعده فى الفضيلة الاقليم الثالث والخامس فانهما على جنبيه وبقية الاقاليم منحطة اهلوها ناقصون ومنحطون عن الفضيلة لسماجة صورهم وتوحش اخلاقهم كالزنج والحبشة واكثر امم الاقليم الاول والثانى والسادس والسابع ياجوج وماجوج والتغرغز والصقالبة ونحوهم * والاقليم الخامس وسطه حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة وارتفاع القطب الشمالى وهو العرض احدى واربعون درجة وثلث درجة وابتداؤه من نهاية عرض الاقليم الرابع الى حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة ونصف ساعة والعرض ثلاثا واربعين درجة ومسافته خمسون ومائتا ميل ويبتدئ من المشرق الى بلاد يأجوج ومأجوج ويمر بشمال خراسان وفيه خوارزم واسبيجاب واذربيجان وبردعه وسجستان وأردن وخلاط ويمر على بلاد الروم الى رومية الكبرى والاندلس حتى ينتهى الى البحر الذى فى المغرب وفى هذا الاقليم من الجبال الطوال ثلاثون جبلا ومن الانهار الكبار خمسة عشر نهرا ومن المدائن الكبار مائتا مدينة واكثر أهله بيض الالوان وله من البروج الدلو ومن السيارة القمر * والاقليم السادس وسطه حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة ونصف ساعة وارتفاع القطب الشمالى وهو العرض خمسا

وار بعين درجة وخمسى درجة وابتداؤه من حد نهاية عرض الاقليم الخامس الى حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة ونصف وربع ساعة والعرض سبعا وأربعين درجة وربع درجة ومسافة هذا الاقليم مائتا ميل وعشرة اميال ويبتدئ من المشرق فيمر بمساكن الترك من ابجرخير والتغرغر الى بلاد الخزر من شمال بحرها ثم على اللان والشرير وارض برجان والقسطنطينية وشمال الاندلس الى البحر المحيط الغربى وفى هذا الاقليم من الجبال الطوال اثنان وعشرون جبلا ومن الانهار الطوال اثنان وثلاثون نهرا ومن المدن الكبار تسعون مدينة واكثر أهل هذا الاقليم ألوانهم ما بين الشقرة والبياض وله من البروج السرطان ومن السيارة المريخ * والاقليم السابع وسطه حيث يكون النهار الاطول ست عشرة ساعة سواء وارتفاع القطب الشمالى وهو العرض ثمانيا واربعين درجة وثلثى درجة وابتداء هذا الاقليم من حد نهاية الاقليم السادس الى حيث يكون النهار الاطول ست عشرة ساعة وربع ساعة والعرض خمسين درجة ونصف درجة ومسافته مائة وخمسة وثمانون ميلا فتبين أن ما بين أول حد الاقليم الاول وآخر حد الاقليم السابع ثلاث ساعات ونصف وأن ارتفاع القطب الشمالى ثمانية وثلاثون درجة تكون من الاميال ألفين ومائة واربعين ميلا ويبتدئ الاقليم السابع من المشرق على بلاد يأجوج ومأجوج ويمر ببلاد الترك على سواحل بحر جرجان مما يلى الشمال ويقطع بحر الروم على بلاد جرجان والصقالبة الى أن ينتهى الى البحر المحيط فى المغرب وبهذا الاقليم عشرة جبال طوال واربعون نهرا طوالا واثنتان وعشرون مدينة كبيرة وأهله شقر الالوان وله من البروج الميزان ومن السيارة الشمس وفى كل اقليم من هذه الاقاليم السبعة امم مختلفة الالسن والالوان وغير ذلك من الطبائع والاخلاق والآراء والديانات والمذاهب والعقائد والاعمال والصنائع والعادات والعبادات لا يشبه بعضهم بعضا وكذلك الحيوانات والمعادن والنبات مختلفة فى الشكل والطعم واللون والريح بحسب اختلاف اهوية البلدان وتربة البقاع وعذوبة المياه وملوحتها على ما اقتضته طوالع كل بلد من البروج على افقه وممر الكواكب على مسامتة البقاع من الارض ومطارح شعاعاتها على المواضع كما هو مقرر فى مواضعه من كتب الحكمة ليتدبر أولو النهى ويعتبر ذوو الحجى بتدبير الله فى خلقه وتقديره لما يشاء وفعله لما يريد لا اله الا هو ومع ذلك فأن الربع المسكون من الارض على تفاوت اقطاره مقسوم بين سبع امم كبار وهم الصين والهند والسودان والبربر والروم والترك والفرس فجنوب مشرق الارض فى يد الصين وشماله فى يد الترك ووسط جنوب الارض فى يد الهند وفى وسط شمال الارض الروم وفى جنوب مغرب الارض السودان وفى شمال مغرب الارض البربر وكانت الفرس فى وسط هذه الممالك قد أحاطت بهم الامم الست

* (ذكر محل مصر من الارض وموضعها من الاقسام السبعة) *

واذ يسر الله سبحانه بذكر جمل احوال الارض ومعرفة ما فى كل اقليم من اقاليم الارض فلنذكر محل مصر من ذلك فنقول ديار مصر بعضها واقع فى الاقليم الثانى وبعضها واقع فى الاقليم الثالث فما كان منها فى الصعيد الاعلى كقوص واخميم واسنى وأنصنا واسوان فان ذلك واقع فى اقسام الاقليم الثانى وما كان من ديار مصر فى جهة الشمال من انصنا وهو الصعيد الادنى من سيوط الى فسطاط مصر والفيوم والقاهره والاسكندرية والفرما وتنيس ودمياط فان ذلك من اقسام الاقليم الثالث وطول مدينة مصر الفسطاط والقاهره وهو بعدهما من أول العمارة فى جهة المغرب خمس وخمسون درجة والعرض وهو البعد من خط الاستواء ثلاثون درجة وطول النهار الاطول اربع عشرة ساعة وغاية ارتفاع الشمس فى الفلك بها ثلاث وثمانون درجة وثلث وربع درجة وفسطاط مصر مع القاهرة من مكة شرفها الله تعالى واقعان فى الربع الجنوبى الشرقى والصعيد الاعلى اشد تشريقا لبعده عن مدينة الفسطاط بأيام عديدة فى جهة الجنوب فيكون على ذلك مقابلا لمكة من غربيها ومصر لا يتوصل اليها الا من مفازة ففى شرقيها بحر القلزم من وراء الجبل الشرقى وفى غربيها صحراء المغرب وفى جنوبها مفازة النوبة والحبشة وفى شمالها البحر الشامى والرمال التى فيما بين بحر الروم وبحر القلزم وبين مصر وبغداد على ما ذكره ابن جرداذبه فى كتاب الممالك والمسالك ألف وسبعمائة وعشرة اميال يكون خمسمائة وسبعين فرسخا ومائة وبضعا وأربعين بريدا وبين مصر والشام اعنى دمشق ثلاثمائة وخمسة وستون ميلا تكون من الفراسخ مائة واحدى وعشرين فرسخا وثلثى فرسخ عنها ثلاثون بريدا وكسر وقال ابن جرداذبه ارض الحبشة

والسودان

والسودان مسيرة سبع سنين وأرض مصر جزء واحد من ستين جزأ من أرض السودان وارض السودان جزء واحد من الارض كلها وفى كتاب هردوشيش بلد مصر الادنى شرقه فلسطين وغربه ارض لبيسه وارض مصر الاعلى تمتد الى ناحية الشرق وحده فى الشمال خليج الغرب وفى الجنوب البحر المحيط وفى الغرب مصر الادنى وفى الشرق بحر القلزم وفيه من الاجناس ثمانية وعشرون جنسا

(ذكر حدود مصر وجهاتها)

اعلم أن التحديد هو صفة المحدود على ما هو عليه والحد هو نهاية الشئ والحدود تكثر وتقل بحسب المحدود والجهات التى تحدّ بها المساكن والبقاع اربع جهات وهى جهة الشمال التى هى اشارة الى موضع قطب الفلك الشمالى المعروف من كواكبه الجدى والفرقدان ويقابل جهة الشمال الجهة الجنوبية والجنوب عبارة عن موضع قطب الفلك الجنوبى الذى يقرب منه سهيل وما يتبعه من كواكب السفينة والجهة الثالثة جهة المشرق وهو مشرق الشمس فى الاعتدالين اللذين هما رأس الحمل أول فصل الربيع ورأس الميزان أول فصل الخريف والجهة الرابعة جهة المغرب وهو مغرب الشمس فى الاعتدالين المذكورين فهذه الجهات الاربع ثابتة بثبوت الفلك غير متغيرة بتغير الاوقات وبها تحدّ الاراضى ونحوها من المساكن وبها يهتدى الناس فى اسفارهم وبها يستخرجون سمت محاريبهم فالمشرق والمغرب معروفان والشمال والجنوب جهتان مقاطعتان لجهتى المشرق والمغرب على تربيع الفلك فالخط المار بنقطتى الشمال والجنوب يسمى خط نصف النهار وهو مقاطع للخط المار بنقطتى المشرق والمغرب المسمى بخط الاستواء على زوايا قائمة وأبعاد ما بين هذين الخطين متساوية فالمستقبل للجنوب يكون أبدا مستدبر الشمال ويصير المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره وهذه الجهات الاربع هى التى ينسب اليها ما يحدّ من البلاد والاراضى والدور الا أن اهل مصر يستعملون فى تحديدهم بدلا من الجهة الجنوبية لفظة القبلية فيقولون الحدّ القبلى ينتهى الى كذا ولا يقولون الحدّ الجنوبى وكذلك يقولون الحدّ البحرى ينتهى الى كذا ويريدون بالبحرى الحدّ الشمالى وقد يقع فى هاتين الجهتين الغلط فى بعض البلاد وذلك أن البلاد التى توافق عروضها عرض مكة اذا كانت اطوالها اقل من طول مكة فان القبلة تكون فى هذه البلاد نفس الشرق بخلاف التى توافق عروضها عرض مكة الا أن اطوالها اطول من طول مكة فان القبلة فى هذه البلاد تكون نفس الغرب فمن حدّد فى شئ من هذه البلاد ارضا أو مسكنا بحدود أربعة فانه يصير حدّان منها حدّا واحدا وكذلك جهة البحر لما جعلوها قبالة جهة القبلة وحدّدوا ما بينهما من الاراضى والدور بما يسامتها منه فانهم أيضا ربما غلطوا وذلك أن القبلة والبحر يكونان فى بعض البلاد فى جهة واحدة فاذا عرفت ذلك فاعلم أن ارض مصر لها حدّ يأخذ من بحر الروم من الاسكندرية وزعم قوم من برقه فى البر حتى ينتهى الى ظهر الواحات ويمتدّ الى بلد النوبة ثم يعطف على حدود النوبة فى حدّ اسوان على حدّ أرض البجة فى قبلى اسوان حتى ينتهى الى بحر القلزم ثم يمتدّ على بحر القلزم ويجاوز القلزم الى طور سينا ويعطف على تيه بنى اسرائيل مارا الى بحر الروم فى الجفار خلف العريش ورفح ويرجع الى الساحل مارّا على بحر الروم الى الاسكندرية ويتصل بالحدّ الذى قدمت ذكره من نواحى برقه وقال أبو الصلت امية بن عبد العزيز فى رسالته المصرية ارض مصر بأسرها واقعة فى المعمورة فى قسمى الاقليم الثانى والاقليم الثالث ومعظمها فى الثالث وحكى المعتنون باخبارها وتواريخها أن حدّها فى الطول من مدينة برقة التى فى جنوب البحر الرومى الى ايلة من ساحل الخليج الخارج من بحر الحبشة والزنج والهند والصين ومسافة ذلك قريب من اربعين يوما وحدّها فى العرض من مدينة اسوان وما سامتها من الصعيد الاعلى المتاخم لارض النوبة الى رشيد وما حاذاها من مساقط النيل فى البحر الرومى ومسافة ذلك قريب من ثلاثين يوما ويكتنفها فى العرض الى منتهاها جبلان أحدهما فى الضفة الشرقية من النيل وهو المقطم والآخر فى الضفة الغربية منه والنيل متسرب فيما بينهما وهما جبلان أجردان غير شامخين يتقاربان جدا فى وضعهما من لدن اسوان الى أن ينتهيا الى الفسطاط ثم يتسع ما بينهما وينفرج قليلا ويأخذ المقطم منهما مشرقا والآخر مغربا على وراب فى مأخذيهما وتفريج فى مسلكيهما فتتسع ارض مصر من الفسطاط الى ساحل البحر الرومى الذى عليه الفرماء وتنيس ودمياط ورشيد والاسكندرية فهنالك تنقطع فى عرضها الذى هو مسافة ما بين اوغلها فى الجنوب وأوغلها فى الشمال واذا انظرنا بالطريق البرهانية فى مقدار

هذه المسافة من الاميال لم تبلغ ثلاثين ميلا بل تنقص عنها نقصانا ماله قدر وذلك لان فضل ما بين عرض مدينة اسوان التي هي اوغلها في الجنوب وعرض مدينة تنيس التي هي اوغلها في الشمال تسعة اجزاء ونحو سدس جزء وليس بين طوليها فضل له قدر يعتد به وينوب ذلك نحو خمسمائة وعشرين ميلا بالتقريب وذلك مسافة عشرين يوما أو قريب منها وفي هذه المدة من الزمان تقطع السفار ما بين البلدين بالسير المعتدل أو أكثر من ذلك لما في الطريق من التعويج وعدم الاستقامة وقال القضاعي الذي يقع عليه اسم مصر من العريش الى آخر لوبيه ومراقيه وفي آخر أرض مراقيه تلتقي ارض انطابلس وهي برقة ومن العريش فصاعدا يكون ذلك مسيرة اربعين ليلة وهو ساحل كله على البحر الرومي وهو بحري ارض مصر وهو مهب الشمال منها الى القبلة شيأ ما فاذا بلغت آخر أرض مراقية عدت ذات الشمال واستقبلت الجنوب وتسير في الرمل وانت متوجه الى القبلة يكون الرمل من مصبه عن يمينك الى أفريقية وعن يسارك من ارض مصر الى أرض الفيوم منها وأرض الواحات الاربعة فذلك غربي مصر وهو ما استقبلته منه ثم تعوج من آخر أرض الوحات وتستقبل المشرق سائرا الى النيل تسير ثماني مراحل الى النيل ثم على النيل فصاعدا وهي آخر أرض الاسلام هنالك ويليها بلاد النوبة ثم يقطع النيل فتأخذ من اسوان في المشرق منكبا عن بلد اسوان الى عيذاب ساحل البحر الحجازي من اسوان الى عيذاب خمس عشرة مرحلة وذلك كله قبلي ارض مصر ومهب الجنوب منها ثم يقطع البحر الملح من عيذاب الى ارض الحجاز فينزل الحوراء أول ارض مصر وهي متصلة باعراض مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا البحر المحدود هو بحر القلزم وهو داخل في ارض مصر بشرقيه وغربيه وبحريه فالشرقي منه ارض الحوراء وطنبه والنبك وارض مدين وارض ايلة فصاعدا الى المقطم بمصر والغربي منه ساحل عيذاب الى بحر النعام الى المقطم والبحري منه مدينة القلزم وجبل الطور ومن القلزم الى الفرماء مسيرة يوم وليلة وهو الحاجز فيما بين البحرين بحر الحجاز وبحر الروم وهذا كله شرقي ارض مصر من الحوراء الى العريش وهو مهب الصبا منها فهذا المحدود من ارض مصر وما كان بعد هذا من الحد الغربي من فتوح اهل مصر وثغورهم من البرقة الى الاندلس

(ذكر بحر القلزم)

القلازم الدواهي والمضايقة ومنه بحر القلزم لانه مضيق بين جبال ولما كانت ارض مصر منحصرة بين بحرين هما بحر القلزم من شرقيها وبحر الروم من شماليها وكان بحر القلزم داخلا في ارض مصر كما تقدم صار من شرط هذا الكتاب التعريف به فنقول هذا البحر انما عرف في ناحية ديار مصر بالقلزم لانه كان بساحله الغربي في شرقي ارض مصر مدينة تسمى القلزم وقد خربت كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر قرى مصر ومدنها فسمي هذا البحر باسم تلك المدينة وقيل له بحر القلزم على الاضافة ويقال له بالعبرانية ثم تسوب وهذا البحر انما هو خليج يخرج من البحر الكبير المحيط بالارض الذي يقال له بحر اقيانس ويعرف أيضا ببحر الظلمات لتكاثف البخار المتصاعد منه وضعف الشمس عن حله فيغلظ وتشتد الظلمة ويعظم موج هذا البحر وتكثر اهواله ولم يوقف من خبره الا على ما عرف من بعض سواحله وما قرب من جزائره وفي جانب هذا البحر الغربي الذي يخرج منه البحر الرومي الآتي ذكره ان شاء الله الجزائر الخالدات وهي فيما يقال ست جزائر يسكنها قوم متوحشون وفي جانب هذا البحر الشرقي مما يلي الصين ست جزائر أيضا تعرف بجزائر السيلي نزلها بعض العلويين في أول الاسلام خوفا على انفسهم من القتل ويخرج من هذا المحيط ستة ابحر أعظمها اثنان وهما اللذان عناهما الله تعالى بقوله مرج البحرين يلتقيان وقوله وجعل بين البحرين حاجزا فأحدهما من جهة الشرق والآخر من جهة الغرب فالخارج من جهة الشرق يقال له البحر الصيني والبحر الهندي والبحر الفارسي والبحر اليمني والبحر الحبشي بحسب ما يمر عليه من البلدان وأما الخارج من الغرب فيقال له البحر الرومي فأما البحر الهندي الخارج من جهة الشرق فأن مبدأ خروجه من مشرق الصين وراء خط الاستواء بثلاثة عشر درجة ويجري الى ناحية الغرب فيمر على بلاد الصين وبلاد الهند الى مدينة كنبانه والى التعبر من بلاد كران فاذا صار الى بلاد كران ينقسم هنالك قسمين أحدهما يسمى بحر فارس والآخر يسمى بحر اليمن فيخرج بحر اليمن من ركن جبل خارج في البحر يسمى هذا الركن رأس الجمجمة فيمتد من هنالك الى مدينة ظفار ويسير الى المشحر وساحل بلاد حضرموت الى عدن والى باب المندب وطول هذا البحر الهندي ثمانية

آلاف ميل فى عرض ألف وسبعمائة ميل عند بعض المواضع وربما ضاق عن هذا القدر من العرض فاذا انتهى الى باب المندب يخرج الى بحر القلزم والمندب جبل طوله اثنا عشر ميلا وسعة فوهته قدر ما يرى الرجل الآخر من البر تجاهه فاذا فارق باب المندب مر فى جهة الشمال بساحلى زبيد والحرون الى عثر وكانت عثر مقر الملك فى القديم ويمر من هنالك على حلى الى عسفان والنمار وهى فرضة المدينة النبوية على الحال بها افضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام ومنها على ما يقابل الجحفة حيث يسمى اليوم رابغ الى الحوراء ومدين وايلة والطور وفاران ومدينة القلزم فاذا وصل الى القلزم انعطف من جهة الجنوب ومر الى القصير وهى فرضة قوص ومن القصير الى عيذاب وهى فرضة التحية ويمتد من عيذاب الى بلاد الزيلع وهو ساحل بلاد الحبشة ويتصل ببربر وطول هذا البحر ألف وخمسمائة ميل وعرضه من أربعمائة ميل الى ما دونها وهو بحر كريه المنظر والرائحة وفى هذا البحر مصب دجلة والفرات وعلى اطرافه بلاد السند وبلاد اليمن كانها جزائر احاط بها الماء من جهاتها الثلاث وهو نهر ردع مهران كردع البحر الرومى لنيل مصر وفيه فيما بين مدينة القلزم ومدينة ايلة مكان يعرف بمدينة فاران وعندها جبل لا يكاد ينجو منه مركب لشدة اختلاف الريح وقوة مرها من بين شعبتى جبلين وهى بركة سعتها ستة اميال تعرف ببركة الغرندل يقال أن فرعون غرق فيها فاذا هبت ريح الجنوب لا يمكن سلوك هذه البركة ويقال أن الغرندل اسم صنم كان فى القديم هنالك قد وضع ليحبس من خرج من ارض مصر مغاضبا للملك أو فارا منه وأن موسى عليه السلام لما خرج ببنى اسرائيل من مصر وسار بهم مشرقا امره الله سبحانه وتعالى أن ينزل تجاه هذا الصنم فلما بلغ ذلك فرعون ظن أن الصنم قد حبس موسى ومن معه ومنعهم من المسير كما يعهدونه منه فخرج بجنوده فى طلب موسى وقومه ليأخذهم بزعمه فكان من غرقه ما قصه الله تعالى وسيرد خبر موسى عليه السلام عند ذكر كنيسة دموه من هذا الكتاب فى ذكر كنائس اليهود وفى بحر القلزم هذا خمس عشرة جزيرة منها أربع عامرات وهى جزيرة دهلك وجزيرة سواكن وجزيرة النعمان وجزيرة السامرى ويخرج من هذا البحر خلجان خليج لطيف ببلاد الهند المتصلة بالبحر الاعظم وخليج يحول بين بلاد السودان وبلاد اليمن عرض دقاقه نحو من فرسخين ويقرب هذا البحر من البحر الرومى فى اعمال بلاد الشام وديار مصر حتى يكون بينهما نحو يوم

(ذكر البحر الرومى)

ولما كانت عدة بلاد من ارض مصر مطلة على البحر الرومى كمدينة الاسكندرية ودمياط وتنيس والفرماء والعريش وغير ذلك وكان حد أرض مصر ينتهى فى الجهة الشمالية الى هذا البحر وهو نهاية مصب النيل حسن التعريف بشئ من اخباره وقد تقدم أن مخرج البحر الرومى هذا من جهة الغرب وهو يخرج فى الاقليم الرابع بين الاندلس والغرب سائرا الى القسطنطينية ويقال أن اسكندر الجبار حفره وأجراه من البحر المحيط الغربى وأن جزيرة الاندلس وبلاد البربر كانت أرضا واحدة يسكنها البربر والاشبان فكان بعضهم يغير على بعض الى أن ملك اسكندر الجبار بن سلقوس بن داعريقس بن دوبان فرغب اليه الاشبان فى أن يجعل بينهم وبين البربر خليجا من البحر يكن به احتراز كل طائفة عن الاخرى فخرقا فا طوله ثمانية عشر ميلا فى عرض اثنى عشر ميلا وبنى بجانبيه سكرين وعقد بينهما قنطرة يجاز عليها وجعل عندها حرسا يمنعون البربر من الجواز عليها الا باذن وكان قاموس البحر أعلى من ارض هذا الزقاق فطما الماء حتى غطى السكرين مع القنطرة وساق بين يديه بلادا كثيرة وطغى على عدة بلاد ويقال أن المسافرين فى هذا الزقاق بالبحر يخبرون أن المراكب فى بعض الاوقات يتوقف سيرها مع وجود الريح فيجدون المانع لها كونها قد سلكت بين شرافات السور وبين حائطين ثم عظم هذا الزقاق فى الطول والعرض حتى صار بحرا عرضه ثمانية عشر ميلا ويذكرون أن البحر اذا جزرترى القنطرة حينئذ وهذا الخبر أظنه غير صحيح فان أخبار هذا البحر وكونه بسواحل مصر لم يزل ذكره فى الدهر الاول قبل اسكندر بزمان طويل فاما أن يكون ذلك قد كان فى أول الدهر مما عمله بعض الاوائل وأما أن يكون خبرا واهيا والافزمان اسكندر حادث بعد كون هذا البحر والله اعلم * وهذا الزقاق صعب السلوك شديد الهول متلاطم الامواج واذا خرج البحر من هذا الزقاق مر مشرقا فى بلاد البربر وشمال الغرب الاقصى الى وسط بلاد المغرب على افريقة وبرقة والاسكندرية وشمال التيه وارض فلسطين والسواحل من بلاد الشام ثم يعطف

من هنالك الى العلايا وانطاكية الى ظهر بلاد القسطنطينية حتى ينتهي الى البحر المحيط الذى خرج منه وطول هذا البحر خمسة آلاف ميل وقيل ستة آلاف ميل وعرضه من سبعمائة ميل الى ثلاثمائة ميل وفيه مائة وسبعون جزيرة عامرة فيها امم كثيرة معروفة الا انه ليس من شرط هذا الكتاب منها صقلية وصورقه واقريطش وقبالة البحر الهندى من جهة المغرب بحر خارج من المحيط فى مغرب بلاد الزنج ينتهي الى قريب من جبل القمر وفيه مصب النيل المار على بلاد الحبشة وفى اسفله جزائر الخالدات التى هى منتهى الطول فى المغرب ويقابل البحر الشامى من ناحية المشرق بحر جرجان وقيل انه يتصل بالبحر المحيط من بين جبال شامخة وبحر الصقلب بحر يخرج من جهة المغرب بين الاقليم السادس والاقليم السابع وهو متسع وفيه جزائر كثيرة ومنها جزيرة الاندلس الا انها تتصل بالبر الكبير وهو جبل كالذراع يتصل بهذا البر عند برسلونه ولهم بحر يعرف يأجوج ومأجوج غزير وفيه عجائب الا انه ليس من شرط هذا الكتاب ذكرها ويقال ان مسافة هذا البر الرومى نحو أربعة اشهر وقال أبو الريحان محمد بن احمد البيرونى فى كتاب تحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافات المساكن وقد كان حرض بعض ملوك الفرس فى بعض استيلائهم على مصر على أن يحفروا ما بين البحرين القلزم والرومى ويرفعوا من بينهما البرزخ وكان أولهم شاسيس بن طراطس الملك ثم من بعده دارنوش الملك فلم يتمكن لهم ذلك لارتفاع ماء القلزم على ارض مصر فلما كانت دولة اليونانيين جاء بطليموس الثالث ففعل ذلك على يد أرسمدس بحيث يحصل الغرض بلا ضرر فلما كانت دولة الروم القياصرة طموه منعا لمن يصل اليهم من اعدائهم وذكر بعض اصحاب السير من الفلاسفة أن ما بين الاسكندرية وبلادها وبين القسطنطينية كان فى قديم الزمان ارضا تنبت الجميز وكانت مسكونة وخمة وكان اهلها من اليونانية وأن الاسكندر خرق اليها البحر فغلب على تلك الارض وكان بها فيما يزعمون الطائر الذى يقال له ققنس وهو طائر حسن الصوت واذا حان موته زاد حسن صوته قبل ذلك بسبعة ايام حتى لا يمكن أحد يسمع صوته لانه يغلب على قلبه من حسن صوته ما يميت السامع وأنه يدركه قبل موته بأيام طرب عظيم وسرور فلا يهدأ من الصياح وزعموا أن عامل الموسيقى من الفلاسفة أراد أن يسمع صوت ققنس فى تلك الحال فخشى ان هجم عليه أن يقتله حسن صوته فسد اذنيه سدا محكما ثم قرب اليه فجعل يفتح من اذنيه شيأ بعد شئ حتى استكمل فتح الاذنين فى ثلاثة ايام يريد أن يتوصل الى سماعه رتبة بعد رتبة فلا يبلغه حسنه فى أول مرة فيأتى عليه وزعموا أن ذلك الطائر هلك ولم يبق منه ولا من فراخه شئ بسبب هجوم ماء البحر عليه وعلى رهطه بالليل فى الاوكار فلم يبق له بقية ويقال ان بعض الفلاسفة اراد ملك من الملوك قتله فأعطاه قدحا فيه سم ليشربه فأعلمه بذلك فظهر منه مسرة وفرح فقال له ما هذا أيها الحكيم فقال هل اعجز أن اكون مثل ققنس

(ذكر اشتقاق مصر ومعناها وتعداد أسمائها)

ويقال كان اسمها فى الدهر الاول قبل الطوفان جزله ثم سميت مصر وقد اختلف اهل العلم فى المعنى الذى من اجله سميت هذه الارض بمصر فقال قوم سميت بمصر ابن مركابيل بن دوابيل بن عرباب بن آدم وهو مصر الاول وقيل بل سميت بمصر الثانى وهو مصرام بن نقراوش الجبار بن مصريم الاول وبه سمى مصر بن بنصر بن حام بعد الطوفان وقيل بل سميت بمصر الثالث وهو مصر بن بنصر بن حام بن نوح وهو اسم اعجمى لا ينصرف وقال آخرون هى اسم عربى مشتق فأما من ذهب الى أن مصر اسم اعجمى فانه استدل بما رواه اهل العلم بالاخبار من نزول مصر بن بنصر بهذه الارض وقسمها بين اولاده فعرفت به اه وذكر الحسن بن احمد الهمدانى أن مصر ابن حام وهو مصريم وقيل أن بنصر بن هرمس بن هردوس جد الاسكندر قال ونكح لوما بنت حام بنت شاويل ابن يافث بن نوح فولدت له بوقير وقبط أبا القبط قبط مصر ومن ههنا أن مصر بن حام وانما هو مصر بن هرمس ابن هردش بن بيطون بن روى بن ليطى بن يونان وبه سميت مصر فهى معدونية وذكر أبو الحسن المسعودى فى كتاب أخبار الزمان أن بنى آدم لما تحاسدوا وبغى عليهم بنو قابيل بن آدم ركب نقراوس الجبار ابن مصريم ابن مركابيل بن دوابيل بن عرباب بن آدم عليه السلام فى نيف وسبعين راكبا من بنى عرباب جبابرة كلهم يطلبون موضعا من الارض يقطنون فيه فرارا من بنى ابيهم فلم يزالوا يمشون حتى وصلوا الى النيل فأطالوا المشى عليه فلما رأوا سعة البلد فيه وحسنه اعجبهم وقالوا هذه بلد زرع وعمارة فأقطنوا فيه واستوطنوا وبنوا فيه الابنية

الحكمة والصنائع العجيبة وبنى نقراوس مصر وسماها باسم ابيه مصريم وكان نقراوس جبارا له قوة وكان مع ذلك عالما وله اثمر الجن فى هلاك بنى ابيه ولم يزل مطاعا وقد كان وقع اليه من العلوم التى كان زواميل علمها لآدم عليه السلام ماقهر به الجبابرة الذين كانوا قبله وملوكهم ثم امر حين ملك ببناء مدينة فى موضع خمئته فقطعوا له الصخور من الجبال وأثاروا معادن الرصاص وبنوا مدينة سماها امسوس وأقاموا فيها أعلاما طول كل علم منها مائة ذراع وزرعوا وعمروا الارض ثم امرهم ببناء المدائن والقرى وأسكن كل ناحية من الارض من رأى ثم حفروا النيل حتى أجروا ماءه اليهم ولم يكن قبل ذلك معتدل الجرى انما كان ينبطح ويتفرق فى الارض حتى يتوجه الى النوبة فهندسوه وساقوا منه انهارا الى مواضع كثيرة من مدنهم التى بنوها وساقوا منه نهرا الى مدينتهم امسوس يجرى فى وسطها ثم سميت مصر بعد الطوفان بمصر بن بنصر بن حام بن نوح وذلك أن قليمون الكاهن خرج من مصر ولحق بنوح عليه السلام وآمن به هو وأهله وولده وتلامذته وركب معه فى السفينة وزوج ابنته من بنصر بن حام بن نوح فلما خرج نوح من السفينة وقسم الارض بين اولاده وكانت ابنته قليمون قد ولدت لبنصر ولدا سماه مصرايم فقال قليمون لنوح ابعث معى يانبى الله ابنى حتى امضى به بلدى واظهره على كنوزى وأوقفه على علومه ورموزه فأنفذه معه فى جماعة من اهل بيته وكان غلاما مراهقا فلما قرب من مصر بنى له عريشا من اغصان الشجر وستره بحشيش الارض ثم بنى له بعد ذلك فى هذا الموضع مدينة وسماها درسان اى باب الجنة فزرعوا وغرسوا الاشجار والاجنة من درسان الى البحر فصارت هنالك زروع وأجنة وعمارة وكان الذى مع مصرايم جبابرة فقطعوا الصخور وبنوا المعالم والمصانع وأقاموا فى أرغد عيش ويقال ان اهل مصر أقاموا عليهم مصرايم بن بنصر ملكا فى ايام تالغ بن عامر بن شالخ ابن أرفخشد بن سام بن نوح فملك مصر وهى مدينة منيعة على النيل وسماها باسمه ويقال أن مصرايم غرس الاشجار بيده وكانت ثمارها عظيمة بحيث يشق الاترجة نصفين فيحمل على البعير نصفها وكان القثاء فى طول أربعة عشر شبرا ويقال انه أول من صنع السفن بالنيل وان أول سفينة كانت ثلثمائة ذراع طولا فى عرض مائة ذراع ويقال أن مصرايم نكح امرأة من بنى الكهنة فولدت له ولدا فسماه قبطيم ونكح قبطيم بعد سبعين سنة من عمره امرأة ولدت له أربعة نفر قبطيم واشمون وأتريب وصا فكثروا وعمروا الارض وبورك لهم فيها وقيل أنه كان عدد من وصل معهم ثلاثين رجلا فبنوا مدينة سموها نافة ومعنى نافة ثلاثون بلغتهم وهى منف وكشف اصحاب قليمون الكاهن عن كنوز مصر وعلومهم وأثاروا المعادن وعلموهم علم الطلسمات ووضعوا لهم علم الصنعة وبنوا على غير البحر مدنا منها رقودة مكان الاسكندرية ولما حضر مصرايم الوفاة عهد الى ابنه قبطيم وكان قد قسم ارض مصر بين بنيه فجعل لقبطيم من قفط الى اسوان ولاشمون من اشمون الى منف ولاتريب الحوف كله ولصا من ناحية صا البحرية الى قرب برقة وقال لاخيه فارق لك من برقة الى الغرب فهو صاحب افريقية واولاد الافارق وامر كل واحد من بنيه أن يبنى لنفسه مدينة فى موضعه وامرهم عند موته أن يحفروا له فى الارض سربا وان يفرشوه بالمرمر الابيض ويجعلوا فيه جسده ويدفنوا معه جميع مافى خزائنه من الذهب والجوهر ويزبروا عليه اسماء الله تعالى المانعة من اخذه فحفروا له سربا طوله مائة وخمسون ذراعا وجعلوا فى وسطه مجلسا مصفحا بصفائح الذهب وجعلوا اربعة ابواب على كل باب منها تمثال من ذهب عليه تاج مرصع بالجوهر وهو جالس على كرسى من ذهب قوائمه من زبرجد وزبروا فى صدر كل تمثال آيات مانعة وجعلوا جسده فى جدمرمر مصفح بالذهب وزبروا على مجلسه مات مصرايم بن بنصر ابن حام بن نوح بعد سبعمائة عام مضت من ايام الطوفان ولم يعبد الاصنام اذلا هرم ولا اسقام ولا حزن ولا اهتمام وحصنه باسماء الله العظام ولايصل اليه الاملاك ولاته سبعة ملوك تدين بدين الملك الديان ويؤمن بالمبعوث بالفرقان الداعى الى الايمان آخر الزمان وجعلوا معه فى ذلك المجلس ألف قطعة من الزبرجد المخروط وألف تمثال من الجوهر النفيس وألف برنية مملوءة من الدر الفاخر والصنعة الالاهية والعقاقير والطلسمات العجيبة وسبائك الذهب وسقفوا ذلك بالصخور وهالوا فوقها الرمال بين جبلين وولى ابنه قبطيم الملك قال أبو محمد عبد الملك بن هشام فى كتاب التحائف أن عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود أخى عاد ابن عامر ابن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام واسم عبد شمس هذا عامر وعرف بعبد شمس لانه أول من عبد

من هنا الى قوله وقال ابو القاسم ساقطة من كثير من النسخ فلعلها من زيادة من اطلع على الكتاب

الشمس وقيل له أيضا سبا لانه أوّل من سبا وهو سبا الاكبر ابو حمير وكهلان ملك بعد أبيه يشجب بأرض اليمن جمع بنى قحطان وبنى هود عليه السلام وحثهم على الغزو ثم سار بهم الى ارض بابل ففتحها وقتل من كان بها من الثوار حتى بلغ ارض ارمينية وملك ارض بنى يافث بن نوح وأراد أن يعبر من هنالك الى الشام وأرض الجزيرة فقيل له ليس لك مجاز غير الرجوع فى طريقك فبنى قنطرة على البحر وجاز عليها الى الشام فأخذ تلك الاراضى الى الدرب ولم يكن خلف الدرب اذذاك أحد ثم نهض يريد بلاد العرب فنزل على النيل وجمع اهل مشورته وقال لهم انى رأيت أن أبنى مصرا الى حدّ بين هذين البحرين يعنى بحر الروم وبحر القلزم فيكون فاصلا بين الشرق والغرب فقالوا انعم الرأى أيها الملك فبنى مدينة سماها مصر وولى عليها ابنه بابليون ومضى الى بنى حام بن نوح وهم نزول فى البراى الى بجوية ويعموينة القبط فاوقع بجميع تلك الطوائف وسبى ذراريهم كما فعل ببلاد الشرق فقيل له من اجل ذلك سبا ثم عاد الى مصر ومضى فيها الى الشام يريد الحجاز وأوصى ابنه بابليون عند رحيله اهـ

الاقل لبابليون والقول حكمة * ملكت زمام الشرق والغرب فاجمل
وخذ لبنى حام من الامر وسطه * فان صدفوا يوما عن الحق فاقبل
وان جنحوا بالقول للرفق طاعة * يريدون وجه الحق والعدل فاعدل
ولا تظهرن الرأى فى البأس يعبروا * عليك به واجعله ضربة فيصل
ولا تأخذن المال فى غير حقه * وان جاء لاتدنيه نحولك وابذل
وداوى ذوى الاحقاد بالسيف انه * متى يلق منك العزم ذو الحقد يجمل
وجد لذوى الاحساب لينا وشدة * ولاتك جبار أعليهم وأجمل
وكن لسؤال الناس غوثا ورحمة * ومن يك ذا عرف من الناس يسأل
واياك والسفر القريب فانه * سيغنى بما يوليه فى كل منهل

ثم عاد الى اليمن وبنى سدمارب وهو سد فيه سبعون نهرا ويصل اليه السيل من مسيرة ثلاثة اشهر فى مثلها ثم مات عن خمسمائة سنة وقام من بعده ابنه حمير بن سبا فعتا بنو حام على بابليون وأرادوا تخريب مصر فاستدعى أخاه حمير لينجده عليهم فقدم عليه مصر ومضى الى بلاد المغرب فأقام بها مائة عام يبنى المدائن ويتخذ المصانع فمات بابليون بن سبا بمصر وولى بعده ابنه امرئ القيس بابليون ثم مات حمير بن سبا عن اربعمائة سنة وخمس واربعين سنة منها فى الملك اربعمائة سنة وأقام من بعده ويل بن حمير ثم مات فقام من بعده ابنه سلينيك بن وائل الذى يقال له مقعقع الجد وقد افترق ملك حمير فحارب الثوار وسار الى الشام فلقيه عمرو بن امرئ القيس بن بابليون بن سبا بالرملة وقد ملك بعد ابيه وقدم له هدية فأقره على مصر حتى قدم عليه ابراهيم الخليل عليه السلام ووهبه هاجر *

وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم فى كتاب فتوح مصر وأخبارها عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال كان لنوح عليه السلام أربعة من الولد سام وحام ويافث ويحطون وأن نوحا رغب الى الله عز وجل وسأله أن يرزقه الاجابة فى ولده وذريته حين تكاملوا بالنماء والبركة فوعده ذلك فنادى نوح ولده وهم نيام عند السحر فنادى ساما فأجابه يسعى وصاح سام فى ولده فلم يجبه أحد منهم الا ابنه أرفخشد فانطلق به معه حتى أتياه فوضع نوح يمينه على سام وشماله على أرفخشد بن سام وسأل الله عز وجل أن يبارك فى سام افضل البركة وأن يجعل الملك والنبوّة فى ولد أرفخشد ثم نادى حاما وتلفت يمينا وشمالا فلم يجبه ولم يقم اليه هو ولا أحد من ولده فدعا الله عز وجل نوح أن يجعل ولده أذلاء وأن يجعلهم عبيد الولد سام وكان مصر بن بنصر بن حام نائما الى جنب جده فلما سمع دعاء نوح على جده وولده قام يسعى الى نوح وقال يا جدى قد أجبتك اذ لم يجبك جدى ولا أحد من ولده فاجعل لى دعوة من دعائك ففرح نوح ووضع يده على رأسه وقال اللهم انه قد اجاب دعوتى فبارك فيه وفى ذريته وأسكنه الارض المباركة التى هى أم البلاد وغوث العباد التى نهرها افضل انهار الدنيا واجعل فيها أفضل البركات وسخر له ولولده الارض وذللها لهم وقوّهم عليها ثم دعا ابنه يافث فلم يجبه أحد من ولده فدعا الله عليهم أن يجعلهم شرار الخلق وعاش سام مباركا الى أن مات وعاش ابنه أرفخشد بن سام مباركا حتى مات وكان الملك الذى يحبه الله والنبوّة والبركة فى ولد أرفخشد بن سام وكان اكبر ولد حام

كنعان

كنعان بن حام وهو الذي حمل به في الرحم في الفلك فدعا عليه نوح فخرج أسود وكان في ولده الملك والجبروت والجفاء وهو أبو السودان والحبش كلهم وابنه الثاني كوش بن حام وهو أبو السند والهند وابنه الثالث قوط بن حام وهو أبو البربر وابنه الاصغر الرابع بنصر بن حام وهو أبو القبط كلهم فولد بنصر بن حام أربعة مصر بن بنصر وهو أكبرهم والذي دعا له نوح بما دعا له وفارق بن بنصر وماح بن بنصر وقيل ولد مصر أربعة قفط بن مصر وأشمن بن مصر واتريب ابن مصر وصا بن مصر وعن أبي لهيعة وعبد الله بن خالد أول من سكن مصر بنصر بن حام بن نوح عليه السلام بعد أن اغرق الله تعالى قومه وأول مدينة عمرت بمصر منف فسكنها بنصر بولده وهم ثلاثون نفسا منهم أربعة اولاد له قد بلغوا وتزوجوا وهم مصر وفارق وياح وماح وكان مصر أكبرهم فبنوا امصر وكان اقامتهم قبل ذلك بسفح المقطم ونقروا هنالك منازل كثيرة وكان نوح عليه السلام قد دعا لمصر أن يسكنه الله الارض الطيبة المباركة التي هي أم البلاد وغوث العباد ونهرها افضل الانهار ويجعل له فيها افضل البركات ويسخر له الارض ولولده ويذللها لهم ويقويهم عليها فسأله عنها فوصفها له وأخبره بها قالوا وكان مصر بن بنصر مع نوح في السفينة لما دعا له وكان بنصر بن حام قد كبر وضعف فساق ولده مصر وجميع اخوته الى مصر فنزلوها وبذلك سميت مصر فلما اقر قرار بمصر وبنيه بمصر قال لمصر اخوته فارق وماح وياح بنوا بنصر قد علمنا أنك اكبرنا وأفضلنا وأن هذه الارض التي اسكنك اباها جدك نوح ونحن نضيق عليك أرضك وذلك حين كثر ولده وأولادهم ونحن نطلب اليك البركة التي جعلها فيك جدنا نوح أن تبارك لنا في ارض نلحق بها ونسكنها وتكون لنا ولاولادنا فقال نعم عليكم بأقرب البلاد الي ولا تباعدوا مني فان لي في بلادي مسيرة شهر من أربعة وجوه أحوزها لنفسي فتكون لي ولولدي ولاولادهم فحاز مصر ابن بنصر لنفسه ما بين الشجرتين التي بالعريش الى اسوان طولا ومن برقة الى ايلة عرضا وحاز فارق لنفسه ما بين برقة الى أفريقية وكان ولده الافارقة ولذلك سميت افريقية وذلك مسيرة شهر وحاز ماح ما بين الشجرتين من منتهى حد مصر الى الجزيرة مسيرة شهر وهو أبو قبط الشام وحاز ياح ما وراء الجزيرة كلها ما بين البحر الى الشرق مسيرة شهر وهو أبو قبط العراق ثم توفي بنصر بن حام ودفن في موضع دير ابي هرميس غربي الاهرام فهي أول مقبرة قبر فيها بأرض مصر وكثر أولاد مصر وكان الاكابر منهم قفط واتريب واشمن وصا والقبط من ولد مصر هذا ويقال أن قبط أخو قفط وهو بلسانهم قفطيم وقبطيم ومصرايم قال ثم أن بنصر بن حام توفي واستخلف ابنه مصر وحاز كل واحد من اخوة مصر قطعة من الارض لنفسه سوى ارض مصر التي حازها لنفسه ولولده فلما كثر ولد مصر واولاد اولادهم قطع مصر لكل واحد من ولده قطيعة يحوزها لنفسه ولولده وقسم لهم هذا النيل فقطع لابنه قفط موضع قفط فسكنها وبه سميت قفط قفطا وما فوقها الى اسوان وما دونها الى اشمون في الشرق والغرب وقطع لاشمن من اشمون فما دونها الى منف في الشرق والغرب فسكن اشمن اشمون فسميت به وقطع لاتريب ما بين منف الى صا فسكن اتريب فسميت به وقطع لصا ما بين صا الى البحر فسكن صا فسميت به فكانت مصر كلها على أربعة اجزاء جزءين بالصعيد وجزءين بأسفل الارض قال البكري ومصر مؤنثة قال تعالى أليس لي ملك مصر وقال ادخلوا مصر وقال عامر بن ابي واثلة الكناني لمعاوية أما عمرو بن العاص فأقطعته مصر وأما قوله سبحانه اهبطوا مصرا فانه اراد مصرا من الامصار وقرأ سليم الاعمش اهبطوا مصر وقال هي مصر التي عليها سليم بن علي فلم يجزها وقال القضاعي وكان بنصر بن حام قد كبر وضعف فساق ولده مصر وجميع اخوته الى مصر فنزلوها وبذلك سميت مصر وهو اسم لا ينصرف في المعرفة لانه اسم مذكر سميت به هذه المدينة فاجتمع فيها التأنيث والتعريف فمنعاها الصرف ثم قيل لكل مدينة عظيمة يطرقها السفار مصر فاذا اريد مصر من الامصار صرف لزوال احدى العلتين وهي التعريف وأما قوله تعالى اخبارا عن موسى عليه السلام اهبطوا مصرا فأن لكم ما سألتم فانه مصروف في قراءة سائر القراء وفي قراءة الحسن والاعمش غير مصروف فمن صرفها فله وجهان أحدهما انه اراد اهبطوا مصرا من الامصار لانهم كانوا يومئذ في التيه والآخر أنه اراد مصر هذه بعينها وصرفها لانه جعل مصرا أسماء للبلد وهو مذكر واسم سمي به مذكر فلم يمنعه الصرف وأما من لم يصرفه فانه اراد بمصر هذه المدينة وكذلك قوله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام أدخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقول فرعون أليس لي ملك مصر انما اراد به مصر هذه فاما المصر في كلام العرب فهو الحد بين الارضين ويقال ان اهل هجر يقولون اشتريت الدار بمصورها أي بحدودها وقال الجاحظ

في كتاب مدح مصر انما سميت مصر بمصر لمصير الناس اليها واجتماعهم بها كما سمى مصيرا الجوف مصيرا ومصرا لانا لمصير الطعام اليه قال وجمع المصر من البلدان أمصار وجمع مصير الطعام مصران وليس لمصر هذه جمع لانها واحدة قال وقال الاخطل همت بالاسلام ثم توقفت عنه قيل ولم ذلك قال اتيت امرأة لي وأنا جائع فقلت أطعميني شيأ فقالت يا جارية ضعي لابي مالك مصيرا في النار ففعلت فاستعجلتها بالطعام فقالت يا جارية ابن مصيرا أبي مالك قالت في النار قال فتطيرت وهممت بأن اسلم فتوقفت وقال الجوهري في كتاب الصحاح مصر هي المدينة المعروفة تذكر وتؤنث عن ابن السراج والمصران الكوفة والبصرة وقال ابن خالويه في كتاب ليس أحد فسر لنا لم سميت مصر مقدونية قديما الا في اللسان العبراني قال مقدونية مغيث وانما سميت مصر لما سكنها بنصر بن حام وتزعم الروم أن بلاد مقدونية جميعا وقف على الكنيسة العظمى التي بالقسطنطينية ويسمون بلاد مقدونية الاوصفية وهي عندهم الاسكندرية وما يضاف اليها وهي مصر كلها بأسرها الا الصعيد الاعلى ويقال لمصر ام خنور وتفسيره النعمة والمصر الفرق بين الشيئين قال الشاعر يصف الله تعالى

وجاعل الشمس مصرا لا خفاء به * بين النهار وبين الليل قد فصلا

هذا البيت قاله عدي بن زيد العبادي ويروى لامية بن الصلت الثقفي وهو من ابيات أولها

اسمع حديثا كما يوما تحدثه * عن ظهر غيب اذا ما سائل سألا
كيف بدا ثم رب الله نعمته * فيها وعلمنا آياته الاولا
كانت رياح وسيل ذو كرانية * وظلمة لم تدع فتقا ولا خللا
فأمر الظلمة السوداء فانكشفت * وعزل الماء عما كان قد شغلا
وبسط الارض بسطا ثم قدرها * تحت السماء سواميل ومانقلا
وجاعل الشمس مصرا لا خفاء به * بين النهار وبين الليل قد فصلا
وفي السماء مصابيح تضيء لنا * ما ان تكلفنا زيتا ولا فتلا
قضى لستة ايام من خليقته * وكان آخر شيء صور الرجلا
فاخذ الله من طين فصوره * لما رأى أنه قد تم واعتدلا
دعاه آدم صوتا فاستجاب له * فنفخ الروح في الجسم الذي جبلا
ثمة اورثه الفردوس يسكنها * وزوجه ضلعة من جنبه جعلا
لم ينهه ربه عن غير واحدة * من شجر طيب ان شم أو أكلا
وكانت الحية الرقشاء اذ خلقت * كما ترى ناقة في الخلق او جملا
فلامها الله اذ أطغت خليفته * طول الليالي ولم يجعل لها اجلا
تمشي على بطنها في الارض ما عمرت * والترب تأكله حزنا وان سهلا

وقال الحافظ أبو الخطاب مجد الدين عمر بن دحية ومصر أخصب بلاد الله وسماها الله بمصر وهي هذه دون غيرها باجماع القراء على ترك صرفها وهي اسم لا ينصرف في معرفة لانه اسم مذكر سميت به هذه المدينة واجتمع فيه التأنيث والتعريف فمنعاه الصرف وهي عندنا مشتقة من مصرت الشاة اذا أخذت من ضرعها اللبن فسميت مصر لكثرة ما فيها من الخير مما ليس في غيرها فلا يخلو ساكنها من خير يدر عليه منها كالشاة التي ينتفع بلبنها وصوفها وولادتها وقال ابن الاعرابي المصر الوعاء ويقال للمعا المصير وجمعه مصران ومصارين وكذلك هي خزائن الارض قال أبو نضرة الغفاري من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصر خزائن الارض كلها ألا ترى الى قول يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فأغاثه الله بمصر يومئذ وخزائنها كل حاضر وباد ذكره الحوفي في تفسيره وقال البكري أم خنور بفتح أوله وتشديد ثانيه وبالراء المهملة اسم لمصر وقال أرطاه بن شهبة قال ذبيان ذودوا عن دمائكم * ولا تكونوا كقوم أم خنور يقول لا تكونوا أذلاء ينالكم من اراد ويأخذ منكم من حب كما يمتار مصر وهي أم خنور قال كراع أم خنور النعمة ولذلك سميت مصر أم خنور لكثرة خيرها وقال علي بن حمزة سميت أم خنور لانها يساق اليها

القصار الاعمار ويقال للضبع خنور وخنوز بالراء والزاى وقال ابن قتيبة فى غرائب الحديث ومصر الحد واهل هجر يكتبون فى شروطهم اشترى فلان الدار بمصورها كلها أى بحدودها وقال عدى بن زيد

وجاعل الشمس مصر الاخفاء به * بين النهار وبين الليل قد فصلا

أى حدا

(ذكر طرف من فضائل مصر)

ولمصر فضائل كثيرة منها ان الله عز وجل ذكرها فى كتابه العزيز بضعا وعشرين مرة تارة بصريح الذكر وتارة ايماء * قال تعالى اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم قال أبو محمد عبد الحق بن عطية فى تفسيره وجمهور الناس يقرؤن مصرا بالتنوين وهو خط المصاحف الا ما حكى عن بعض مصاحف عثمان رضى الله عنه وقال مجاهد وغيره من صرفها اراد مصرا من الامصار غير معين واستدلوا بما اقتضاه القرآن من امرهم بدخول القرية وبما تظاهرت به الرواية أنهم سكنوا الشام بعد التيه وقالت طائفة ممن صرفها اراد مصر فرعون بعينها واستدلوا بما فى القرآن ان الله تعالى اورث بنى اسرائيل ديار فرعون وآثاره وأجازوا صرفها قال الاخفش لخفتها وشبهها بهند ودعد وسيبويه لا يجيز هذا وقال غير الاخفش اراد المكان فصرف وقرأ الحسن وابان بن تغلب وغيرهما اهبطوا مصر بترك الصرف وكذلك هى فى مصحف أبى بن كعب وقال هى مصر فرعون قال الاعمش هى مصر التى عليها صالح بن على وقال اشهب قال لى مالك هى عندى مصر قريتك مسكن فرعون قال تعالى ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره عن فرقد السبخى قال خرج يوسف عليه السلام يتلقى يعقوب عليه السلام وركب اهل مصر مع يوسف وكانوا يعظمونه فلما دنا أحدهما من صاحبه وكان يعقوب يمشى وهو يتوكأ على رجل من ولده يقال له يهوذا فنظر يعقوب الى الخيل والى الناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه قال يعقوب عليه السلام عليك يا ذاهب الاحزان عنى * هكذا قال يا ذاهب الاحزان عنى وقال تعالى وأوحينا الى موسى واخيه أن تبوّآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة قال الطبرى عن ابن عباس وغيره كانت بنوا اسرائيل تخاف فرعون فأمروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد يصلون فيها قال قتادة وذلك حين منعهم فرعون الصلاة فأمروا أن يجعلوا مساجدهم فى بيوتهم وأن يوجهوا نحو القبلة وعن مجاهد بيوتكم قبلة قال نحو الكعبة حين خاف موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا فى الكنائس الجامعة فأمروا أن يجعلوا فى بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سرا وعن مجاهد فى قوله أن تبوّآ لقومكما بمصر بيوتا قال مصر الاسكندرية * وقال تعالى مخبرا عن فرعون انه قال أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى افلا تبصرون قال ابن عبد الحكم وأبو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس وغيرهما عن ابى رهم السماعى انه قال فى قوله تعالى أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى قال ولم يكن يومئذ فى الارض ملك اعظم من ملك مصر وكان جميع اهل الارضين يحتاجون الى مصر وأما الانهار فكانت قناطر وجسورا بتقدير وتدبير حتى أن الماء يجرى من تحت منازلها وأفنيتها فيحبسونه كيف شاؤا فهذا ما ذكره الله سبحانه فى مصر من آى الكتاب العزيز بصريح الذكر (وأما) ما وقعت اليها الاشارة فيه من الايات فعدة * قال تعالى ولقد بوّأنا بنى اسرائيل مبوّأ صدق وقال تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قال ابن عباس وسعيد بن المسيب ووهب بن منبه هى مصر وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن ابيه هى الاسكندرية وقال تعالى فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم وقال تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين قال ابن يونس فى قول الله سبحانه فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم قال أبو رهم كانت الجنات بحافتى النيل من أوله الى آخره من الجانبين ما بين اسوان الى رشيد وسبعة خلج خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج سردوس وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى متصلة لا ينقطع منها شئ عن شئ وزروع ما بين الجبلين كله من أول مصر الى آخرها مما يبلغه الماء وكان جميع ارض مصر كلها تروى يومئذ من ستة عشر ذراعا لما قدروا من قناطرها وجسورها قال والمقام الكريم المنابر كان بها ألف منبر وقال مجاهد وسعيد بن جبير المقام الكريم المنابر وقال قتادة ومقام كريم أى حسن ونعمة كانوا فيها فاكهين

ناعمين قال أى والله أخرجه الله من جنانه وعيونه وزروعه حتى ورطه فى البحر وقال سعيد بن كثير بن عفير كنا
بقبة الهواء عند المأمون لما قدم مصر فقال لنا ما أدرى ما أعجب فرعون من مصر حيث يقول أليس لى ملك مصر
فقلت اقول يا امير المؤمنين فقال قل يا سعيد فقلت ان الذى ترى بقية مدمر لان الله عز وجل يقول ودمرنا
ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون قال صدقت ثم أمسك وقال تعالى ونريد أن نمن على الذين
استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان
وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وقال تعالى مخبرا عن فرعون انه قال يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين
فى الارض وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه
وما كانوا يعرشون وقال تعالى مخبرا عن قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض يعنى ارض مصر
وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام انه قال اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم وروى ابن يونس
عن أبى نضرة الغفارى رضى الله عنه قال مصر خزائن الارض كلها وسلطانها سلطان الارض كلها ألا ترى الى
قول يوسف عليه السلام لملك مصر اجعلنى على خزائن الارض ففعل فاغيث بمصر وخزائنها يومئذ كل حاضر
وباد من جميع الارض وقال تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث يشاء فكان ليوسف
بسلطانه بمصر جميع سلطان الارض كلها لحاجتهم اليه والى ما تحت يديه وقال تعالى مخبرا عن موسى عليه
السلام انه قال ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على
اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وقال تعالى عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم
فى الارض فينظر كيف تعملون وقال تعالى وقال فرعون ذرونى اقتل موسى وليدع ربه انى اخاف أن يبدل
دينكم او أن يظهر فى الارض الفساد يعنى ارض مصر وقال تعالى ان فرعون علا فى الارض يعنى ارض مصر
وقال تعالى حكاية عن بعض اخوة يوسف عليه السلام فلن ابرح الارض يعنى ارض مصر وقال تعالى أن تريد الا
أن تكون جبارا فى الارض يعنى ارض مصر قال ابن عباس رضى الله عنه سميت مصر بالارض كلها فى عشرة
مواضع من القران فهذا ما يحضرنى مما ذكرت فيه مصر من آى كتاب الله العزيز * وقد جاء فى فضل مصر أحاديث
روى عبد الله بن لهيعة من حديث عمرو بن العاص انه قال حدثنى عمر أمير المؤمنين رضى الله عنه انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا فتح الله عليكم بعدى مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد
الارض قال أبو بكر رضى الله عنه ولم ذلك يا رسول الله قال لانهم فى رباط الى يوم القيامة وعن عمرو بن الحمق
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكون فتنة اسلم الناس فيها أو خير الناس فيها الجند العربى قال فلذلك
قدمت عليكم مصر وعن تبيع بن عامر الكلاعى قال اقبلت من الصائفة فلقيت أبا موسى الاشعرى رضى
الله عنه فقال لى من اين انت فقلت من اهل مصر قال من الجند العربى فقلت نعم قال الجند الضعيف قال قلت
اهو الضعيف قال نعم قال أما انه ما كادهم أحد الا كفاهم الله مؤنته اذهب الى معاذ بن جبل حتى يحدثك
قال فذهبت الى معاذ بن جبل فقال لى ما قال لك الشيخ فاخبرته فقال لى وأى شئ تذهب به الى بلادك أحسن من
هذا الحديث اكتبت فى أسفل ألواحك فلما رجعت الى معاذ أخبرنى أن بذلك اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروى ابن وهب من حديث صفوان بن عسال قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فتح الله بابا للتوبة
فى الغرب عرضه سبعون عاما لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه وروى ابن لهيعة من حديث عمرو بن
العاص حدثنى عمر امير المؤمنين رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل
سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم منكم صهرا وذمة وروى ابن وهب قال اخبرنى حرملة
ابن عمران التجيبى عن عبد الرحمن بن شماسة المهرى قال سمعت أبا ذر رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول انكم ستفتحون ارضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما
فاذا رأيتم رجلان يقتتلان فى موضع لبنة فاخرجوا منها قال فمر بربيعة وعبد الرحمن ابنى شرحبيل يتنازعان
فى موضع لبنة فخرج منها وفى رواية ستفتحون مصر وهى ارض يسمى فيها القيراط فاذا فتحتموها فأحسنوا الى
اهلها فان لهم ذمة ورحما أو قال ذمة وصهرا الحديث ورواه مالك والليث وزاد فاستوصوا بالقبط خيرا اخرجه
مسلم فى الصحيح عن أبى الطاهر عن ابن وهب قال ابن شهاب وكان يقال ان أم اسماعيل منهم قال الليث بن سعد

قلت

قلت لابن شهاب ما رحمهم قال ان أم اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله عليهما منهم وقال محمد بن اسحاق قلت
للزهري ما الرحم التي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت هاجر أم اسماعيل منهم وروى ابن
لهيعة من حديث ابي سالم الجيشاني أن بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره أنه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول انكم ستكونون اجنادا وان خير أجنادكم اهل الغرب منكم فاتقوا الله في القبط
لا تأكلوهم أكل الخضر وعن مسلم بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استوصوا بالقبط خيرا فانكم
ستجدونهم نعم الاعوان على قتال العدو وعن يزيد بن ابي حبيب أن ابا سلمة ابن عبد الرحمن حدثه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اوصى عند وفاته أن تخرج اليهود من جزيرة العرب وقال الله الله في قبط مصر فانكم ستظهرون
عليهم ويكونون لكم عدة واعوانا في سبيل الله وروى ابن وهب عن موسى بن ايوب الغافقي عن رجل من الزند
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض فاغمي عليه ثم افاق فقال استوصوا بالادم الجعد ثم اغمي عليه الثانية
ثم افاق فقال مثل ذلك ثم اغمي عليه الثالثة فقال مثل ذلك فقال القوم لو سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الادم الجعد فافاق فسألوه فقال قبط مصر فانهم اخوال واصهار وهم اعوانكم على عدوكم واعوانكم على
دينكم قالوا كيف يكونون اعواننا على ديننا يا رسول الله قال يكفونكم اعمال الدنيا وتتفرغون للعبادة فالراضي
بما يؤتى اليهم كالفاعل بهم والكاره لما يؤتى اليهم من الظلم كالمتنزه عنهم وعن عمرو بن حريث وابي عبد الرحمن
الحبلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم ستقدمون على قوم جعد رؤسهم فاستوصوا بهم خيرا فانهم قوة لكم
وبلاغ الى عدوكم باذن الله يعني قبط مصر وعن ابن لهيعة حدثني مولى عفرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الله الله في اهل المدرة السوداء السحم الجعاد فان لهم نسبا وصهرا قال عمرو مولى عفرة صهرهم أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم تسرى فيهم ونسبهم ان ام اسماعيل عليه السلام منهم قال ابن وهب فاخبرني ابن لهيعة
ان ام اسماعيل هاجر من ام العرب قرية كانت امام الفرما من مصر وقال مروان القصاص صاهر الى القبط من
الانبياء ثلاثة ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام تسرى هاجر ويوسف تزوج بنت صاحب عين شمس ورسول
الله صلى الله عليه وسلم تسرى مارية وقال يزيد بن ابي حبيب قرية هاجر باق التي عندها ام دنين وقال هشام
العرب تقول هاجر وآجر فيبدلون من الهاء الالف كما قالوا هراق الماء وأراق الماء ونحوه وعن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال الامصار سبعة * فالمدينة مصر والشأم مصر ومصر مصر والجزيرة والبحرين
والبصرة والكوفة وقال مكحول اول الارض خرابا ارمينية ثم مصر وقال عبد الله بن عمرو قبطة مصر اكرم
الاعاجم كلها واسمحهم يدا وافضلهم عنصرا وأقربهم رحما بالعرب عامة وبقريش خاصة ومن اراد أن يذكر
الفردوس او ينظر الى مثلها في الدنيا فلينظر الى ارض مصر حين يخضر زرعها وتنور ثمارها وقال كعب الاحبار
من اراد أن ينظر الى شبه الجنة فلينظر الى مصر اذا اخرفت وفي رواية اذا ازهرت *(ومن فضائل مصر)*
انه كان من اهلها السحرة وقد آمنوا جميعا في ساعة واحدة ولا يعلم جماعة اسلمت في ساعة واحدة اكثر من جماعة
القبط وكانوا في قول يزيد بن ابي حبيب وغيره اثنى عشر ساحرا رؤساء تحت يد كل ساحر منهم عشرون عريفا تحت
يد كل عريف منهم ألف من السحرة فكان جميع السحرة مائتي الف واربعين الفا ومائتين واثنين وخمسين انسانا
بالرؤساء والعرفاء فلما عاينوا ما عاينوا أيقنوا أن ذلك من السماء وأن السحر لا يقوم لامر الله فخر الرؤساء
الاثنا عشر عند ذلك سجدا فاتبعهم العرفاء واتبع العرفاء من بقي وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون
قال تبيع كانوا من اصحاب موسى عليه السلام ولم يفتتن منهم احد مع من افتتن من بني اسرائيل في عبادة العجل
قال تبيع ما آمن جماعة قط في ساعة واحدة مثل جماعة القبط وقال كعب الاحبار مثل قبط مصر كالغيضة كلما
قطعت نبتت حتى يخرب الله عز وجل بهم وبصناعتهم جزائر الروم وقال عبد الله بن عمرو خلقت الدنيا على خمس
صور على صورة الطير برأسه وصدره وجناحيه وذنبه فالرأس مكة والمدينة واليمن والصدر الشأم ومصر
والجناح الايمن العراق وخلف العراق امة يقال لها واق وخلف واق امة يقال لها واق واق وخلف ذلك من
من الامم مالا يعلمه الا الله عز وجل والجناح الايسر السند وخلف السند الهند وخلف الهند امة يقال لها ناسك
وخلف ناسك امة يقال لها منسك وخلف ذلك من الامم مالا يعلمه الا الله عز وجل والذنب من ذات الحمام الى
مغرب الشمس وشر ما في الطير الذنب وقال الجاحظ الامصار عشرة * الصناعة بالبصرة * والفصاحة بالكوفة

والتخنيث ببغداد * والعى بالرى * والجفا بنيسابور * والحسن بهراة * والطرمدة بسمرقند * والمروءة ببلخ والتجارة بمصر * والبخل بمرو الطرمدة كلام ليس له فعل وعن يحيى بن داخر الحافرى انه سمع عمرو بن العاص يقول فى خطبته واعلموا انكم فى رباط الى يوم القيامة لكثرة الاعداء حولكم ولاشراف قلوبهم اليكم والى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية وعن عبد الرحمن بن غنم الاشعرى انه قدم من الشأم الى عبد الله بن عمرو بن العاص فقال ما اقدمك الى بلادنا قال كنت تحدثنى ان مصر أسرع الارض خرابا ثم اراك قد اتخذت منها وبنيت فيها القصور واطمأننت فيها قال ان مصر قد أوفت خرابها حطمها بخت نصر فلم يدع فيها الا السباع والضباع فهى اليوم اطيب الارضين ترابا وأبعدها خرابا ولا يزال فيها بركة ما دام فى شئ من الارض بركة ويقال مصر متوسطة الدنيا قد سلمت من حر الاقليم الاول والثانى ومن برد الاقليم السادس والسابع ووقعت فى الاقليم الثالث فطاب هواها وضعف حرها وخف بردها وسلم أهلها من مشاتى الاهواز * ومصايف عمان * وصواعق تهامة * ودماميل الجزيرة * وجرب اليمن وطواعين الشأم * وبرسام العراق * وعقارب عسكر مكرم * وطحال البحرين * وحمى خيبر * وأمنوا من غارات الترك * وجيوش الروم * وهجوم العرب * ومكايد الديلم * وسرايا القرامطة * ونزف الانهار * وقحط الامطار وبها ثمانون كورة ما فيها كورة الا وبها طرائف وعجائب من انواع البر والابنية والطعام والشراب والفاكهة وسائر ما تنتفع به الناس وتدخره الملوك يعرف بكل كورة وجهاتها وينسب كل لون الى كورة فصعيدها ارض حجازية حره حر العراق وينبت النخل والاراك والقرظ والدوم والعشر واسفل ارضها شامى يمطر مطر الشأم وينبت ثمار الشأم من الكروم والزيتون واللوز والتين والجوز وسائر الفواكه والبقول والرياحين ويقع به الثلج والبرد * وكورة الاسكندرية ولوبية ومراقية برارى وجبال وغياض تنبت الزيتون والاعناب وهى بلاد ابل وماشية وعسل ولبن وفى كل كورة من كور مصر مدينة فى كل مدينة منها آثار كريمة من الابنية والصخور والرخام والعجائب وفى نيلها السفن التى تحمل السفينة الواحدة منها ما يحمله خمسمائة بعير وكل قرية من قرى مصر تصلح أن تكون مدينة يؤيد ذلك قول الله سبحانه وتعالى وابعث فى المدائن حاشرين ويعمل بمصر معامل كالتنانير يعمل بها البيض بصنعة يوقد عليه فيحاكى نار الطبيعة فى حضانة الدجاجة لبيضها ويخرج من تلك المعامل الفراريج وهى معظم دجاج مصر ولا يتم عمل هذا بغير مصر وقال عمر بن ميمون خرج موسى عليه السلام ببنى اسرائيل فلما اصبح فرعون امر بشاة فأتى بها فأمر بها أن تذبح ثم قال لا يفرغ من سلخها حتى يجتمع عندى خمس مائة ألف من القبط فاجتمعوا اليه فقال لهم فرعون ان هؤلاء لشرذمة قليلون وكان اصحاب موسى عليه السلام ستمائة ألف وسبعين ألفا ووصف بعضهم مصر فقال ثلاثة اشهر لؤلؤة بيضاء وثلاثة اشهر مسكة سوداء وثلاثة اشهر زمردة خضراء وثلاثة اشهر سبيكة ذهب حمراء فأما اللؤلؤة البيضاء فان مصر فى اشهر ابيب ومسرى وتوت يركبها الماء فترى الدنيا بيضاء وضياعها على روابى وتلال مثل الكواكب قد احيطت بها المياه من كل وجه فلا سبيل الى قرية من قراها الا فى الزوارق واما المسكة السوداء فان فى اشهر بابه وهاتور وكيهك ينكشف الماء عن الارض فتصير أرضا سوداء وفى هذه الاشهر تقع الزراعات وأما الزمردة الخضراء فان فى اشهر طوبه وامشير وبرمهات يكثر نبات الارض وربيعها فتصير خضراء كأنها زمردة وأما السبيكة الحمراء فان فى اشهر برمودة وبشنس وبؤنة يورد العشب ويبلغ الزرع الحصاد فيكون كالسبيكة التى من الذهب منظرا ومنفعة * وسأل بعض الخلفاء الليث بن سعد عن الوقت الذى تطيب فيه مصر فقال اذا غاض ماؤها وارتفع وباها وجف ثراها وأمكن مرعاها * وقال آخر نيلها عجب وأرضها ذهب وخيرها جلب * وملكها سلب ومالها رغب وفى أهلها صخب وطاعتهم رهب وسلامهم شغب * وحربهم حرب * وهى لمن غلب * وقال آخر مصر من سادات القرى ورؤساء المدن * وقال زيد بن اسلم فى قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل هى مصر ان لم يصبها مطر أزكت وان اصابها مطر اضعفت قاله المسعودى فى تاريخه ويقال لما خلق الله آدم عليه السلام مثل له الدنيا شرقها وغربها وسهلها وجبالها وانهارها وبحارها وبناءها وخرابها ومن يسكنها من الامم ومن يملكها من الملوك فلما رأى مصر ارضا سهلة ذات نهر جار مادته من الجنة تنحدر فيه البركة ورأى جبلا من جبالها مكسوا نورا لا يخلو من نظر الرب اليه بالرحمة فى سفحه اشجار مثمرة وفروعها فى الجنة تسقى بماء الرحمة فدعا آدم عليه السلام فى النيل

بالبركة ودعا فى ارض مصر بالرحمة والبر والتقوى وبارك فى نيلها وجبلها سبع مرات وقال يا أيها الجبل المرحوم سفحك جنة وتربتك مسكة يدفن فيها غراس الجنة ارض حافظة مطيعة رحيمة لا خلتك يا مصر بركة ولا زال بك حفظ ولا زال منك ملك وعز يا ارض مصر فيك الخبايا والكنوز ولك البر والثروة وسال نهرك عسلا كثر الله زرعك ودر ضرعك وزكى نباتك وعظمت بركتك وخصبت ولا زال فيك خير ما لم تتجبرى وتتكبرى او تخونى فاذا فعلت ذلك عداك شر ثم يغور خيرك فكان آدم اول من دعا لها بالرحمة والخصب والرأفة والبركة * وعن ابن عباس ان نوحا عليه السلام دعا لمصر بن بيصر بن حام فقال اللهم انه قد أجاب دعوتى فبارك فيه وفى ذريته وأسكنه الارض المباركة التى هى أم البلاد وغوث العباد التى نهرها أفضل انهار الدنيا واجعل فيها افضل البركات وسخر له ولولده الارض وذللها لهم وقوهم عليها * وقال كعب الاحبار لولا رغبتى فى بيت المقدس لما سكنت الا مصر فقيل له لم فقال لانها بلد معافاة من الفتن ومن ارادها بسوء أكبه الله على وجهه وهو بلد مبارك لاهله فيه وقال ابن وهب اخبرنى يحيى بن ايوب عن خالد بن يزيد عن ابن ابى هلال ان كعب الاحبار كان يقول انى لاحب مصر واهلها لان مصر بلد معافاة واهلها اصحاب عافية وهم بذلك مفارقون ويقال ان فى بعض الكتب الالاهية مصر خزائن الارض كلها فمن ارادها بسوء قصمه الله تعالى * وقال عمرو بن العاص ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة يعنى اذا جمع الخراج مع الامارة * وقال احمد بن مدبر تحتاج مصر الى ثمانية وعشرين الف الف فدان وانما يعمر منها الف الف فدان وقد كشفت ارض مصر فوجدت غامرها اضعاف عامرها ولو اشتغل السلطان بعمارتها لوفت له بخراج الدنيا وقال بعضهم ان خراج العراق لم يكن قط اوفر منه فى ايام عمر ابن عبد العزيز فانه بلغ الف الف درهم وسبعة عشر الف الف درهم ولم تكن مصر قط اقل من خراجها فى ايام عمرو بن العاص وانه بلغ اثنى عشر الف الف دينار وكانت الشامات باربعة عشر الف الف سوى الثغور * ومن فضائل مصر أنه ولد بها من الانبياء موسى وهارون ويوشع عليهم السلام ويقال ان عيسى بن مريم صلوات الله عليه أخذ على سفح الجبل المقطم وهو سائر الى الشام فالتفت الى امه وقال يا اماه هذه مقبرة امة محمد صلى الله عليه وسلم ويذكر أنه ولد فى قرية اهناس من نواحى صعيد مصر وانه كانت به نخلة يقال انها النخلة المذكورة فى القرآن بقوله سبحانه وتعالى وهزى اليك بجذع النخلة وهذا القول وهم فانه لا خلاف بين علماء الاخبار من أهل الكتاب ومن يعتمد عليه من علماء المسلمين ان عيسى صلوات الله عليه ولد بقرية بيت لحم من بيت المقدس ودخل مصر من الانبياء ابراهيم خليل الرحمن وقد ذكر خبر ذلك عند ذكر خليج القاهرة من هذا الكتاب ودخلها أيضا يعقوب ويوسف والاسباط وقد ذكر ذلك فى خبر الفيوم ودخلها ارميا وكان من أهلها مؤمن آل فرعون الذى اثنى عليه الله جل جلاله فى القرآن ويقال انه ابن فرعون لصلبه وأظنه انه غير صحيح وكان منها جلساء فرعون الذين أبان الله فضيلة عقلهم بحسن مشورتهم فى امر موسى وهارون عليهما السلام لما استشارهم فرعون فى امرهما فقال تعالى قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا ارجه واخاه وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم واين هذا من قول اصحاب النمرود فى ابراهيم صلوات الله عليه حيث اشاروا بقتله قال تعالى حكاية عنهم قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين * ومن اهل مصر امرأة فرعون التى مدحها الله تعالى فى كتابه العزيز بقوله وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين ومن اهلها ماشطة بنت فرعون وآمنت بموسى عليه السلام فمشطها فرعون بامشاط الحديد كما يمشط الكتان وهى ثابتة على ايمانها بالله * وقال صاعد اللغوى فى كتاب طبقات الامم ان جميع العلوم التى ظهرت قبل الطوفان انما صدرت عن هرمس الاول الساكن بصعيد مصر الاعلى وهو أول من تكلم فى الجواهر العلوية والحركات النجومية وهو أول من ابتنى الهياكل ومجد الله فيها واول من نظر فى علم الطب وألف لاهل زمانه قصائد موزونة فى الاشياء الارضية والسماوية وقالوا انه اول من انذر بالطوفان ورأى ان آفة سماوية تصيب الارض من الماء او النار فخاف ذهاب العلم واندراس الصنائع فبنى الاهرام والبرابى التى فى صعيد مصر الاعلى وصور فيها جميع الصنائع والآلات ورسم فيها صفات العلوم حرصا على تخليدها لمن بعده وخيفة أن يذهب رسمها من العالم وهرمس هذا هو ادريس عليه السلام وقال أبو محمد الحسن بن اسماعيل بن

الفرات فى اخبار مصر ان الخضر جاز البحر مع موسى عليه السلام وكان مقدما عنده وكان بمصر من الحكماء
جماعة ممن عمرت الدنيا بكلامهم وحكمهم وتدبيرهم وكان من علومهم علم الطب وعلم النجوم وعلم المساحة
وعلم الهندسة وعلم الكيمياء وعلم الطلسمات ويقال كانت مصر فى الزمن الاول يسير اليها طلاب العلوم لتزكو
عقولهم وتجود أذهانهم ويتميز عندهم الذكاء وتدق الفطنة * ومن فضائل مصر انها تميرا هل الحرمين وتوسع عليهم
ومصر فرضة الدنيا يحمل خيرها الى ما سواها فساحلها بمدينة القلزم يحمل منه الى الحرمين واليمن والهند
والصين وعمان والسند والشحر وساحلها من جهة تنيس ودمياط والفرما فرضة بلاد الروم والافرنج وسواحل
الشام والثغور الى حدود العراق وثغر اسكندرية فرضة اقريطش وصقلية وبلاد المغرب ومن جهة الصعيد
يحمل الى بلاد الغرب والنوبة والبجه والحبشة والحجاز واليمن وبمصر عدة من الثغور المعدة للرباط فى سبيل الله
تعالى وهى البراس ورشيد والاسكندرية وذات الحمام والبحيرة واخنا ودمياط وشطا وتنيس والاشتوم والفرما
والورادة والعريش واسوان وقوص والواحات فيغزى من هذه الثغور الروم والفرنج والبربر والنوبة والحبشة
والسودان وبمصر عدة مشاهد وكثير من المساجد وبها النيل والاهرام والبرابى والاديار والكنائس
واهلها يستغنون بها عن كل بلد حتى انه لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور لاستغنى اهلها بما فيها عن جميع
البلاد وبمصر دهن البلسان الذى عظمت منفعته وصارت ملوك الارض تطلبه من مصر وتعتنى به وملوك
النصرانية تترامى على طلبه والنصارى كافة تعتقد تعظيمه وترى انه لا يتم تنصير نصرانى الا بوضع شئ من دهن
البلسان فى ماء المعمودية عند تغطيسه فيها وبها السقنقور ومنافعه لا تنكر وبها النمس والعرس ولهما فى اكل
الثعابين فضيلة لا تنكر فقد قيل لولا العرس والنمس لما سكنت مصر من كثرة الثعابين وبها السمكة الرعادة
ونفعها فى البرء من الحمى اذا علقت على المحموم عجيب وبمصر حطب السنط ولا نظير له فى معناه فلو وقد منه تحت
قدر يوما كاملا لما بقى منه رماد وهو مع ذلك صلب الكسر سريع الاشتعال بطىء الخمود ويقال انه ابنوس غيرته
بقعة مصر فصار أحمر وبها الافيون عصارة الخشخاش ولا يجهل منافعه الا جاهل وبها البنج وهو ثمر قدر
اللوز الاخضر كان من محاسن مصر الا انه انقطع قبل سنة سبعمائة من الهجرة وبها الاترج قال أبو داود
صاحب السنن فى كتاب الزكاة شبرت قثاءة بمصر ثلاثة عشر شبرا ورأيت اترجة على بعير قطعتين وصيرت مثل
عدلين قال المسعودى فى التاريخ والاترج المدور حمل من ارض الهند بعد الثلاثمائة من سنى الهجرة وزرع بعمان
ثم نقل منها الى البصرة والعراق والشام حتى كثر فى دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغور الشامية وفى انطاكية
وسواحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يعهد ولا يعرف فعدمت منه الاراهج الحمراء الطيبة واللون الحسن
الذى كان فيه بارض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة وخاصية البلد وفى مصر معدن الزمرد ومعدن النفط والشب
والبرام ومقاطع الرخام ويقال كان بمصر من المعادن ثلاثون معدنا وأهل مصر يأكلون صيد بحر الروم
وصيد بحر اليمن طريا الان بين البحرين مسافة ما بين مدينة القلزم والفرما وذلك يوم وليلة وهو الحاجز المذكور
فى القرآن قال تعالى وجعل بين البحرين حاجزا قيل هما بحر الروم وبحر القلزم وقال تعالى مرج البحرين يلتقيان
بينهما برزخ لا يبغيان قال بعض المفسرين البرزخ ما بين القلزم والفرما ومن محاسن مصر انه يوجد بها
فى كل شهر من شهور السنة القبطية صنف من المأكول والمشموم دون ما عداه من بقية الشهور فيقال رطب
توت ورمان بابه وموزها تور وسمك كيهك وماء طوبه وخروف امشير ولبن برمهات وورد برموده ونبق بشنس
وتين بؤنه وعسل أبيب وعنب مسرى * ومنها ان صيفها خريف لكثرة فواكهه وشتاءها ربيع لما يكون
بمصر حينئذ من القرظ والكتان ومن محاسنها ان الذى يتقطع من الفواكه فى سائر البلدان ايام الشتاء يوجد
حينئذ بمصر ومنها ان أهل مصر لا يحتاجون فى حر الصيف الى استعمال الخيش والدخول فى جوف الارض
كما يعانيه أهل بغداد ولا يحتاجون فى برد الشتاء الى لبس الفرو والاصطلاء بالنار الذى لا يستغنى عنه أهل الشام
كما انهم أيضا فى الصيف غير محتاجين الى استعمال الثلج ويقال زبرجد مصر وقباطى مصر وحمير مصر
وثعابين مصر ومنافعها فى الدرياق جليلة ومن فضائل مصر ان الرخامة التى فى الحجر من الكعبة من مصر
بعث بها محمد بن طريف مولى العباس بن محمد فى سنة احدى واربعين ومائتين مع رخامة اخرى خضراء هدية
للحجر فجعلت احدى الرخامتين على سطح مدر الكعبة وهما من احسن الرخام فى المسجد خضرة وكان المتولى

عليهما

عليهما عبد الله بن محمد بن داود ذرعها ذراع وثلاث اصابع قاله الفاكهي في اخبار مكة * ومن فضائل مصر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرى من اهلها وولد له صلى الله عليه وسلم من نساء مصر ولم يولد له ولد من غير نساء العرب الا من نساء مصر * قال ابن عبد الحكم لما كانت سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية بعث الى الملوك فمضى حاطب بن ابي بلتعة بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى الاسكندرية وجد المقوقس في مجلس مشرف على البحر فركب البحر فلما حاذى مجلسه اشار بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصبعيه فلما رآه امر بالكتاب فقبض وأمر به فأوصل اليه فلما قرأ الكتاب قال ما منعه ان كان نبيا أن يدعو علي فيسلط علي فقال له حاطب ما منع عيسى بن مريم أن يدعو على من ابى عليه ان يفعل به ويفعل فوجم ساعة ثم استعادها فأعادها عليه حاطب فسكت فقال له حاطب انه قد كان قبلك رجل زعم انه الرب الاعلى فانتقم الله به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا تعتبر بك وان لك دينا لن تدعه الا لما هو خير منه وهو الاسلام الكافي الله به فقد ما سواه وما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك اهل التوراة الى الانجيل ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به * ثم قرأ الكتاب فاذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام فأسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) فلما قرأه اخذه فجعله في حق من عاج وختم عليه * وعن ابان بن صالح قال ارسل المقوقس الى حاطب ليلة وليس عنده احد الا الترجمان فقال له ألا تخبرني عن امور اسألك عنها فاني اعلم ان صاحبك قد تخيرك حين بعثك قلت لا تسألني عن شيء الا صدقتك قال الى ما يدعو محمد قال الى ان تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتخلع ما سواه ويأمر بالصلاة قال فكم تصلون قال خمس صلوات في اليوم والليلة وصيام شهر رمضان وحج البيت والوفاء بالعهد وينهى عن اكل الميتة والدم قال من اتباعه قال الفتيان من قومه وغيرهم قال وهل يقبل قوله قال نعم قال صفه لي قال فوصفته بصفة من صفته ولم آت عليها قال قد بقيت اشياء لم ار لك ذكرتها في عينيه حمرة قلما تفارقه وبين كتفيه خاتم النبوة يركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزي بالتمرات والكسر لا يبالي من لاقى من عم ولا ابن عم قلت هذه صفته قال قد كنت اعلم ان نبيا بقي وقد كنت اظن ان مخرجه الشام وهناك كانت تخرج الانبياء من قبله فأراه قد خرج في ارض العرب في ارض جهد وبؤس والقبط لا تطاوعني في اتباعه ولا احب أن تعلم بمحاورتي اياك وسيظهر على البلاد وينزل اصحابه من بعده بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما ههنا وأنا لا اذكر للقبط من هذا حرفا فارجع الى صاحبك قال ثم دعى كاتبا يكتب بالعربية فكتب (لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو اليه وقد علمت ان نبيا قد بقي وقد كنت اظن ان نبيا يخرج بالشام وقد اكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وبكسوة واهديت اليك بغلة لتركبها والسلام) * وعن عبد الرحمن بن عبد القاري قال لما مضى حاطب بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل المقوقس الكتاب واكرم حاطبا واحسن نزله ثم سرحه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له كسوة وبغلة بسرجها وجاريتين احداهما ام ابراهيم ووهب الاخرى لجهم بن قيس العبدري فهي ام زكريا بن جهم الذي كان خليفة عمرو بن العاص على مصر ويقال بل وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة الانصاري ويقال بل لدحية بن خليفة الكلبي وقيل بل لحسان بن ثابت * وعن يزيد بن ابي حبيب أن المقوقس لما اتاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمه الى صدره وقال هذا زمان يخرج فيه النبي الذي نجد نعته وصفته في كتاب الله تعالى وانا لنجد صفته انه لا يجمع بين اختين في ملك يمين ولا نكاح وانه يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة وان جلساءه المساكين وان خاتم النبوة بين كتفيه ثم دعا رجلا عاقلا ثم لم يدع بمصر احسن ولا اجمل من مارية واختها وهما من اهل حفن بفتح اوله وسكون ثانيه ثم نون بعده من كورة انصنا فبعث بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له بغلة شهباء وحمارا اشهب وثيابا من قباطي مصر وعسلا من عسل بنها وبعث اليه بمال صدقة ويقال ان المقوقس اهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع جوار وقيل جاريتين وبغلة اسمها الدلدل وحمارا اسمه يعفور وقباوألف مثقال

ذهبا وعشرين ثوبا من قباطي مصر وخصيا يسمى مابور ويقال انه ابن عم مارية وفرسا يقال له الكزاز وقدحا من زجاج وعسلا من عسل بنها فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم ودعا فيه بالبركة وقال ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه فان المقوقس قال خيرا واكرم حاطب ابن ابي بلتعة وقارب الامر ولم يسلم * وقال ابن سعد اخبرنا محمد بن عمر الواقدي ابو يعقوب ابن محمد بن ابي صعصعة عن عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي صعصعة قال اهدى المقوقس صاحب الاسكندرية الى النبي صلى الله عليه وسلم في سنة سبع من الهجرة مارية واختها سيرين وألف مثقال ذهبا وعشرين ثوبا وبغلته الدلدل وحماره عفيرا وخصيا يقال له مابور فعرض حاطب على مارية الاسلام فأسلمت هي واختها ثم اسلم الخصي بعد وكان الذي بعثه المقوقس مع مارية اسمه ابن عبد الله القبطي مولى بني عشار قال ابن عبد الحكم وامر رسوله أن ينظر من جلساؤه وينظر الى ظهره هل يرى شامة كبيرة ذات شعر ففعل ذلك الرسول فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم اليه الاختين والدابتين والعسل والثياب وأعلمه ان ذلك كله هدية فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدية وكان لا يردها من احد من الناس قال فلما نظر الى مارية واختها اعجبتاه وكره ان يجمع بينهما وكانت احداهما تشبه الاخرى فقال اللهم اختر لنبيك فاختار الله له مارية وذلك انه لما قال لهما اشهدا ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فبادرت مارية فتشهدت وآمنت قبل اختها ومكثت اختها ساعة ثم تشهدت وآمنت فوهب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختها لمسلمة بن محمد الانصاري وقال بعضهم بل وهبها لدحية بن خليفة الكلبي * وعن يزيد بن ابي حبيب عن عبد الرحمن بن شماسة المهري عن عبد الله بن عمر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام ابراهيم ام ولده القبطية فوجد عندها نسيبا لها كان قدم معها من مصر وكان كثيرا ما يدخل عليها فوقع في نفسه شيء فرجع فلقيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعرف ذلك في وجهه فسأله فاخبره فاخذ عمر السيف ثم دخل على مارية وقريبها عندها فأهوى اليه بالسيف فلما رأى ذلك كشف عن نفسه وكان مجبوبا ليس بين رجليه شيء فلما رآه عمر رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جبريل اتاني فاخبرني ان الله عز وجل قد برأها وقريبها وان في بطنها غلاما مني وانه اشبه الخلق بي وأمرني ان اسميه ابرهيم وكناني بأبي ابرهيم * وقال الزهري عن انس لما ولدت ام ابراهيم ابراهيم كانه وقع في نفس النبي صلى الله عليه وسلم منه شيء حتى جاءه جبريل فقال السلام عليك يا ابا ابراهيم ويقال ان المقوقس بعث معها بخصي كان يأوي اليها وقيل ان المقوقس اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم جواري منهن ام ابراهيم وواحدة وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي جهم بن حذيفة وواحدة وهبها لحسان بن ثابت فولدت مارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم وكان احب الناس اليه حتى مات فوجد به وكان سنه يوم مات ستة عشر شهرا وكانت البغلة والحمار أحب دوابه اليه وسمى البغلة الدلدل وسمى الحمار يعفورا وأعجبه العسل فدعا في عسل بنها بالبركة وبقيت تلك الثياب حتى كفن في بعضها صلى الله عليه وسلم وكان اسم اخت مارية قيصر وقيل بل كان اسمها سيرين وقيل حنة * وكلم الحسن بن علي معوية بن ابي سفيان في ان يضع الجزية عن جميع قرية ام ابراهيم لحرمتها ففعل ووضع الخراج عنهم فلم يكن على احد منهم خراج وكان جميع اهل القرية من اهلها وأقربائها فانقطعوا * ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو بقي ابراهيم ما تركت قبطيا الا وضعت عنه الجزية وماتت مارية في محرم سنة خمس عشرة بالمدينة وقال ابن وهب اخبرني يحيى بن ايوب وابن لهيعة عن عقيل عن الزهري عن يعقوب بن عبد الله بن المغيرة بن الاخنس عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال دخل ابليس العراق فقضى حاجته منها ثم دخل الشام فطردوه حتى دخل جبل شاق ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط عبقريه حديث صحيح غريب وقد عاب بعضهم مصر فقال محاسنها مجلوبة اليها حتى العناصر الاربعة الماء وهو في النيل مجلوب من الجنوب والتراب مجلوب في حمل الماء والا فهي رمل محض لا تنبت الزرع والنار لا يوجد بها شجرها والهواء لا يهب بها الا من احد البحرين اما من الرومي واما من القلزم وقد زاد هذا في تحامله * وقال كعب الاحبار الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب ارمينية ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الجزيرة والكوفة آمنة من الخراب حتى تكون الملحمة

* (ذكر العجائب التي كانت بمصر من الطلسمات والبرابي ونحو ذلك) *

ذكر في كتاب عجائب الحكايات وغرائب الماجريات انه كان بمصر حجر من جمع كفيه عليه تقيأ جميع ما في جوفه

قال

قال القضاعى ذكر الجاحظ وغيره أن عجائب الدنيا ثلاثون اعجوبة منها بسائر الدنيا عشر اعجوبات وهى مسجد دمشق وكنيسة الرها وقنطرة سنجر وقصر غمدان وكنيسة رومية وصنم الزيتون وايوان كسرى بالمدائن وبيت الريح بتدمر والخورنق والسدير بالحيرة والثلاثة الاحجار ببعلبك وذكر انها بيت المشترى والزهره وانه كان لكل كوكب من السبعة بيت فيها فتهدمت (ومنها بمصر عشرون اعجوبة) فمن ذلك الهرمان وهما اطول بناء وأعجبه ليس على وجه الدنيا بناء باليد حجر على حجر أطول منهما واذا رأيتهما ظننت انهما جبلان موضوعان ولذلك قال بعض من رآهما ليس من شئ الا وانا ارحمه من الدهر الا الهرمين فانى لأرحم الدهر منهما * ومن ذلك صنم الهرمين وهو بلهوية ويقال بلهيت ويقال انه طلسم للرمل لئلا يغلب على ابليز الجيزه * ومن ذلك بربا سمنود وهو من اعاجيبها وذكر عن ابى عمرو الكندى انه قال رأيته وقد خزن فيه بعض عمالها قرظا فرأيت الجمل اذا دنا من بابه بحمله واراد ان يدخله سقط كل دبيب فى القرظ لم يدخل منه شئ الى البربا ثم خرب عند الخمسين والثلثمائه * ومن ذلك بربا اخميم عجب من العجائب بما فيه من الصور واعاجيب وصور الملوك الذين يملكون مصر وكان ذو النون الاخميمى يقرأ البرابى فرأى فيها حكما عظيمة فأفسد أكثرها * ومن ذلك بربا دندره وهو بربا عجيب فيه ثمانون ومائة كوة تدخل الشمس كل يوم من كوة منها ثم الثانية حتى تنتهى الى آخرها ثم تكرّ راجعة الى موضع بدائها * ومن ذلك حائط العجوز من العريش الى اسوان يحيط بأرض مصر شرقا وغربا * ومن ذلك الاسكندرية وما فيها من العجائب فمن عجائبها المنارة والسوارى والملعب الذى كانوا يجتمعون فيه فى يوم من السنة ثم يرمون بكرة فلا تقع فى حجر احد الا ملك مصر وحضر عيدا من أعيادهم عمرو بن العاص فوقعت الكرة فى حجره فملك البلد بعد ذلك فى الاسلام ثم يحضر هذا الملعب ألف ألف من الناس فلا يكون فيهم احد الا وهو ينظر فى وجه صاحبه ثم ان قرئ كتاب سمعوه جميعا او لعب نوع من انواع اللعب رأوه عن آخرهم لا يتطاولون فيه بأكثر من المراتب العالية والسفلية * ومن عجائبها المسلتان وهما جبلان قائمان على سرطانات نحاس فى اركانها كل ركن على سرطان فلو أراد مريد أن يدخل تحتهما شيأ حتى يعبره من جانبه الآخر لفعل * ومن عجائبها عمودا الاعيا وهما عمودان ملقيان وراء كل عمود منهما جبل حصبا كصبر الجمار بقبل المعيى اتعب النصب بسبع حصيات حتى يلتقى على احدهما ثم يرمى وراءه السبع ويقوم ولا يلتفت ويمضى لطيته فكأنما يحمل حملا لا يحس بشئ من تعبه ومن عجائبها القبة الخضراء وهى اعجب قبة ملبسة نحاسا كأنه الذهب الابريز لا يبليه القدم ولا يخلقه الدهر * ومن عجائبها منية عقبة وقصر فارس وكنيسة اسفل الارض ثم هى مدينة على مدينة ليس على وجه الارض مدينة بهذه الصفة سواها ويقال انها ارم ذات العماد سميت بذلك لان عمدها ورخامها من البدنجنا والاصطنيدس المخطط طولا وعرضا * ومن عجائب مصر أيضا الجبال التى هى بصعيدها على نيلها وهى ثلاثة اجبل فمنها جبل الكهف ويقال الكف ومنها الطيلمون ومنها جبل زما جيز الساحرة يقال ان فيه حلقة من الجبل ظاهرة مشرفة على النيل لا يصل اليها احد يلوح فيها خط مخلوق باسمك اللهم * ومن عجائبها شعب البوقيرات بناحية اشمون من ارض الصعيد وهو شعب فى جبل فيه صدع تأتيه البوقيرات فى يوم من السنة كان معروفا فتعرض انفسها على الصدع فكلما ادخل بوقير منها منقاره فى الصدع مضى لسبيله فلا يزال يفعل ذلك حتى يلتقى الصدع على بوقير منها فيحبسه وتمضى كلها ولا يزال ذلك الذى يحبسه متعلقا حتى يتساقط ويتلاشى * ومن عجائبها عين شمس وهى هيكل الشمس وبها العمودان اللذان لم ير أعجب منهما ولا من شأنهما طولهما فى السماء نحو من خمسين ذراعا وهما محمولان على وجه الارض وفيهما صورة انسان على دابة وعلى رأسهما شبه الصومعتين من نحاس فاذا جاء النيل قطر من رأسهما ماء وتستبينه وتراه منهما واضحا ينبع حتى يجرى فى اسفلهما فينبت فى اصلهما العوسج وغيره واذا حلت الشمس دقيقة من الجدى وهو اقصر يوم فى السنه انتهت الى الجنوبى منهما فطلعت عليه على قمة رأسه وهى منتهى الميلين وخط الاستواء فى الواسطة منهما ثم خطرت بينهما ذاهبة وجائية سائر السنة كذا يقول اهل العلم بذلك * ومن عجائبها منف وعجائبها وأصنامها وأبنيتها ودفائنها وكنوزها وما يذكر فيها اكثر من ان يحصى من آثار الملوك والحكماء والانبياء لا يدفع ذلك * ومن عجائبها الفرما وهى اكثر عجائبا واكثر آثارا * ومن عجائبها الفيوم * ومن عجائبها نيلها ومن عجائبها الحجر المعروف بحجر الخل يطفو على الخل ويسبح فيه كأنه سمكة

وكان يوجد بها حجر اذا أمسكه الانسان بكلتا يديه تقايأ كل شئ فى بطنه وكان بها خرزة تجعلها المرأة على حقوها فلا تحبل وكان بها حجر يوضع على حرف التنور فيتساقط خبزه وكان يوجد بصعيدها حجارة رخوة تكسر فتتقد كالمصابيح * ومن عجائبها حوض كان بدلالات تدور من حجارة يركب فيها الواحد والاربعة ويحركون الماء بشئ فيعبرون من جانب الى جانب لا يعلم من عمله فأخذه كافور الاخشيدى الى مصر فنظر اليه ثم اخرج من الماء فالقى فى البر وكان فى اسفله كتابة لا يدرى ماهى ثم بطل * ومن عجائبها ان بصعيدها ضيعة تعرف بدشى فيها سنطة اذا تهددت بالقطع تذبل وتجتمع وتضمر فيقال لها قد عفونا عنك وتركناك فتتراجع والمشهور وهو الموجود الآن سنطة فى الصعيد اذا نزلت اليد عليها ذبلت واذا رفعت عنها تراجعت وقد حملت الى مصر وشوهدت وبها نوع من الخشب يرسب فى الماء كالابنوس وبها الخشب السنط الذى يوقد منه القدر الكبيرة فى الزمن الطويل فلا يوجد له رماد * وذكر ابن نصر المصرى انه كان على باب القصر الكبير الذى يقال له باب الريحان عند الكنيسة المعلقة صنم من نحاس على خلقة الجمل وعليه رجل راكب عليه عمامة متنكب قوسا عربية وفى رجليه نعلان كانت الروم والقبط وغيرهم اذا تظالموا بينهم واعتدى بعضهم على بعض تجاروا اليه حتى يقفوا بين يدى ذلك الجمل فيقول المظلوم للظالم انصفنى قبل ان يخرج هذا الراكب الجمل فيأخذ الحق لى منك شئت ام ابيت يعنون بالراكب النبى محمدا صلى الله عليه وسلم فلما قدم عمرو بن العاص غيبت الروم ذلك الجمل لئلا يكون شاهدا عليهم قال ابن لهيعه بلغنى ان تلك الصورة فى ذلك الموضع قد أتى الآن عليها سنين لا يدرى من عملها * قال القضاعى فهذه عشرون اعجوبة من جملتها ما يتضمن عدة عجائب فلو بسطت لجاء منها عدد كثير ويقال ليس من بلد فيه شئ غريب الا وفى مصر مثله او شبيه به * ثم تفضل مصر على البلدان بعجائبها التى ليست فى بلد سواها وفى كتاب تحفة الالباب انه كان بمصر بيت تحت الارض فيه رهبان من النصارى وفى البيت سرير صغير من خشب تحت صبى ميت ملفوف فى نطع اديم مشدود بحبل وعلى السرير مثل الباطية فيها انبوب من نحاس فيه فتيل اذا اشتعل الفتيل بالنار وصار سراجا خرج من ذلك الانبوب الزيت الصافى الحسن الفائق حتى تمتلئ تلك الباطية وينطفئ السراج بكثرة الزيت فاذا انطفأ لم يخرج من الدهن شئ فاذا اخرج الصبى الميت من تحت السرير لم يخرج من الزيت شئ والباطية يرفعها الانسان فلا يرى تحتها شيئا ولا موضعا فيه ثقب واولئك الرهبان يتعيشون من ذلك الزيت يشتريه الناس منهم فينتفعون به * وقال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه عديم الملك ابن نقطريم كان جبار الايطاق عظيم الخلق فأمر بقطع الصخور ليعمل هرما كما عمل الاولون وكان فى وقته الملكان اللذان اهبطا من السماء وكانا فى بئر يقال له افتاره وكانا يعلمان اهل مصر السحر وكان يقال ان الملك عديم بن البودشير استكثر من علمهما ثم انتقلا الى بابل واهل مصر من القبط يقولون انهما شيطانان يقال لهما مهله وبهاله وليس هما الملكين والملكان ببابل فى بئر هنالك يغشاها السحرة الى ان تقوم الساعة ومن ذلك الوقت عبدت الاصنام وقال قوم كان الشيطان يظهر وينصبها لهم وقال قوم اول من نصبها بدوره واول صنم اقامه صنم الشمس وقال آخرون بل النمرود الاول امر الملوك بنصبها وعبادتها وعديم اول من صلب وذلك ان امرأة زنت برجل من اهل الصناعات وكان لها زوج من اصحاب الملك فأمر بصلبهما على منارين وجعل ظهر كل واحد منهما الى ظهر الآخر وزبر على المنارين اسمهما وما فعلاه وتاريخ الوقت الذى عمل ذلك بهما فيه فانتهى الناس عن الزنى وبنى اربع مداين وأودعها صنوفا كثيرة من عجائب الاعمال والطلسمات وكنز فيها كنوزا كثيرة وعمل فى الشرق منارا وأقام على رأسه صنما موجها الى الشرق مادا يديه يمنع دواب البحر والرمال ان تتجاوز حده وزبر فى صدره تاريخ الوقت الذى نصبه فيه ويقال ان هذا المنار قائم الى وقتنا هذا ولولا هذا لغلب الماء الملح من البحر الشرقى على ارض مصر وعمل على النيل قنطرة فى اول بلد النوبة ونصب عليها اربعة اصنام موجهة الى اربع جهات الدنيا فى يدى كل واحد من الاصنام حربتان يضرب بهما اذا أتاهم آت من تلك الجهة فلم تزل بحالها الى ان هدمها فرعون موسى عليه السلام وعمل البربا على باب النوبة وهو هنالك الى وقتنا هذا وعمل فى احدى المداين الاربع التى ذكرناها حوضا من صوان اسود مملوء ماء لا ينقص طول الدهر ولا يتغير ماؤه لانه اجتلب اليه من رطوبة الهواء وكان اهل تلك الناحية واهل تلك المدينة يشربون منه ولا ينقص ماؤه وعمل ذلك لبعدهم عن النيل وذكر بعض كهنة القبط ان ذلك الماء ثم لقربه من البحر الملح فان الشمس ترفع بحرها بخار البحر فينحصر

من ذلك

من ذلك البخار جزأ بالهندسة او بالسحر وتجعله يحط ذلك فى ذلك الموضع بالجوهر مثل الطل وتمده بالهواء فلا ينقص بذلك ماؤه على الدهر ولو شرب منه العالم وعمل قدحا لطيفا على مثل هذا العمل وأهداه حوميل الملك الى اسكندر اليونانى وملكهم عديم مائة واربعين سنة ومات وهو ابن سبعمائة وثلاثين سنة ودفن فى احدى المدائن ذات العجائب وقيل فى صحراء قفط * وذكر بعض القبط أن ناووس عديم عمل فى صحراء قفط على وجه الارض تحت قبة عظيمة من زجاج اخضر براق معقود على رأسها كرة من ذهب عليها طائر من ذهب موشح بجوهر منشور الجناحين يمنع من الدخول الى القبة وكان قطرها مائة ذراع فى مثلها وجعل جسده فى وسطها على سرير من ذهب مشبك وهو مكشوف الوجه وعليه ثياب منسوجة بالذهب المغروز بالجوهر المنظوم وطول القبة اربعون ذراعا وجعل فى القبة مائة وسبعين مصحفا من مصاحف الحكمة وسبع موائد بأوانيها منها مائدة من در رمانى احمر واوانيها منها ومائدة من ذهب قلمونى اوانيها منها ومائدة من حجر الشمس المضىء بآنيتها وهو الزبرجد الذى اذا نظرت اليه الافاعى سالت اعينها ومائدة من كبريت احمر مدبر بآنيتها ومائدة من ملح ابيض مدبر براق بآنيتها ومائدة من زيبق معقود وجعل فى القبة جواهر كثيرة وبرابى صنعة مدبرة وحوله سبعة اسياف وأتراس من حديد أبيض مدبر وتماثيل افراس من ذهب عليها سروج من ذهب وسبعة توابيت من دنانير عليها صورته وجعل معه من اصناف العقاقير والسمومات والادوية فى برابى من حجارة وقد ذكر من رأى هذه القبة أنهم أقاموا اياما فما قدروا على الوصول اليها وانهم اذا قصدوها وكانوا امنها على ثمانية اذرع دارت القبة عن ايمانهم أو عن شمائلهم * ومن العجب ما ذكروه انهم كانوا يحاذون آزاجها ازجا ازجا فلا يرون غير الصورة التى يرونها من الازج الآخر على معنى واحد وذكروا انهم رأوا وجه الملك قدر ذراع ونصف بالكبير ولحيته كبيرة مكشوفة وقدروا طول بدنه عشرة اذرع وزيادة وذكر هؤلاء الذين رأوها انهم خرجوا الحاجة فوجدوها اتفاقا وانهم سألوا اهل قفط عنها فلم يجدوا احدا يعرفها سوى شيخ منهم وأوصى عديم الملك ابنه شداب بن عديم ان ينصب فى كل حيز من احياز ولايته منارا ويزبر عليه اسمه فانحدر الى الاشمونين وعمل منارا بها وزبر عليها اسمه وعمل بها ملاعب وعمل فى صحرائها منارا اقام عليه صنما برأسين على اسم كوكبين كانا مقترنين فى الوقت الذى خرج فيه الى اتريب وبنى فيها قبة عظيمة مرتفعة على عمد وأساطين بعضها فوق بعض وعلى رأسها صنما صغيرا من ذهب وعمل هيكلا للكواكب ومضى الى حيز صا فعمل فيه منارا على رأسه مرآة من اخلاط تورى الاقاليم ورجع وعمل شداب بن عديم هيكل ارمنت وأقام فيه اصناما باسماء الكواكب من جميع المعادن وزينه باحسن الزينة ونقشه بالجواهر والزجاج الملون وكساه الوشى والديباج وعمل فى المدائن الداخلة من انصنا هيكلا وأقام فيه باتريب وهيكلا شرقى الاسكندرية وأقام صنما من صوان اسود باسم زحل على عبرة النيل من الجانب الغربى وبنى فى الجانب الشرقى مداين فى احداها صورة صنم قائم وله احليل اذا أتاه المعقود والمسحور ومن لا ينتشر ذكره فمسحه بكلتى يديه انتشر ذكره وقوى على الباه وفى احداها بقرة لها ضرعان كبيران اذا انعقد لبن امرأة اتتها ومسحتها بيديها فانه يدر لبنها وجمع التماسيح بطلسم عمله بناحية اسيوط فكانت تنصب من النيل الى اخميم انصبابا فيقتلها ويستعملها جلودا فى السفن وغيرها * وعمل منقاوس الملك بيتا تدور به تماثيل بجميع العلل وكتب على رأس كل تمثال ما يصلح من العلاج فانتفع الناس بها زمانا الى ان افسدها بعض الملوك وعمل صورة امرأة متبسمة لا يراها مهموم الا زال همه ونسيه فكان الناس يتناوبونها ويطوفون حولها ثم عبدوها من جملة ما عبدوه بعد ذلك * وعمل تمثالا من صفر مذهب بجناحين لا يمر به زان ولا زانية الا كشف عورته بيده وكان الناس يمتحنون به الزناة فامتنعوا من الزنا فرقا منه فلما ملك كلكن عشقت حظية عنده رجلا من خدمه وخافت ان تمتحن بذلك الصنم فأخذت فى ذكر الزوانى مع الملك وأكثرت من سبهن وذمهن فذكر كلكن ذلك الصنم وما فيه من المنافع فقالت صدق الملك غير أن منقاوس لم يصب فى امره لانه اتعب نفسه وحكماءه فيما جعله لاصلاح العامة دون نفسه وكان حكم هذا ان ينصب فى دار الملك حيث يكون نساؤه وجواريه فان اقترفت احداهن ذنبا علم بها فيكون رادعا لهن متى عرض بقلوبهن شىء من الشهوة فقال كلكن صدقت وظن ان هذا منها نصح فأمر بنزع الصنم من موضعه ونقله الى داره فبطل عمله وعملت المرأة ما كانت همت به * وبنى هيكلا على جبل القصير للسخرة فكانوا لا يطلقون الرياح للمراكب المقلعة الا

بضريبة يأخذونها منهم للملك * وبنى مناوس بن منقاوس فى صحرا الغرب مدينة بالقرب من مدينة السحرة تعرف بقنطرة ذات عجائب وجعل بوسطها قبة عليها كالسحابة تمطر شتاء وصيفا مطرا خفيفا وتحت القبة مطهرة فيها ماء اخضر يداوى به من كل داء فيبرئه وعمل فى شرقيها بربا لطيفا له اربعة ابواب لكل باب عضادتان فى كل عضادة صورة وجه يخاطب كل واحد منهما صاحبه بما يحدث فى يومه فمن دخل البربا على غير طهارة نفخا فى وجهه فأصابه رعدة فظيعة لا تفارقه حتى يموت وكانوا يقولون ان فى وسطه مهبط النور فى صورة العمود من اعتنقه لم يحتجب عن نظره شئ من الروحانية وسمع كلامهم ورأى ما يعملون وعلى كل باب من أبواب هذه المدينة صورة راهب فى يده مصحف فيه علم من العلوم فمن احب معرفة ذلك العلم اتى تلك الصورة فمسحها بيديه وأمرّهما على صدره فيثبت ذلك العلم فى صدره ويقال ان هاتين المدينتين بنيتا على اسم هرمس وهو عطارد وأنهما بحالهما (وحكى عن رجل انه اتى عبد العزيز بن مروان وهو أمير مصر فعرّفه انه تاه فى صحراء الشرق فوقع على مدينة خراب فيها شجرة تحمل كل صنف من الفاكهة وأنه اكل منها وتزود فقال له رجل من القبط هذه احدى مدينتى هرمس وفيها كنوز كثيرة فوجه عبد العزيز معه جماعة معهم ماء وزاد فأقاموا يطوفون تلك الصحارى شهرا فلم يقفوا لها على اثر * وعملت ام ميلاطس الملك بركة عظيمة فى صحراء الغرب وجعلت فى وسطها عمودا طوله ثلاثون ذراعا وفى اعلاه قصعة من حجارة يفور منها الماء فلا ينقص ابدا وجعلت حول البركة اصناما من حجارة ملونة على صور الحيوانات من الوحش والطير والبهائم فكان كل جنس يأتى الى صورته ويألفها فيؤخذ باليد وينتفع به * وعملت لابنها متنزها لانه كان يحب الصيد فجعلت فيه مجالس مركبة على اساطين من مرمر مصفح بالذهب مرصع بالجوهر والزجاج الملون وزخرفته بالتصاوير العجيبة والنقوش فكان الماء يطلع من فورات وينصب الى انهار قد صفحت بالفضة تجرى الى حدائق فيها بديع الفروشات وقد أقيم حولها تماثيل تصفر بانواع اللغات وأرخت على المجالس ستورا من ديباج واختارت لابنها من حسان بنات عمه وبنات الملوك وازوجته وحولته الى هذه الجنة وبنت حول الجنة مجالس للوزراء والكهنة وأشراف اهل الصناعات فكانوا يرفعون اليه جميع ما يعملونه فاذا فرغوا من اعمالهم حمل اليهم الطعام والشراب وكان ميلاطس تقلد الملك بعد ابيه مرقوه وهو صبى وكانت امه مدبرة الملك وهى حازمة مجربة فأجرت الامور على ما كانت عليه فى حياة ابيه واحسنت وعدلت فى الرعية ووضعت عنهم بعض الخراج وكانت ايامه سعيدة كلها فى الخصب الكثير والسعة للناس والعدل وكان له يوم يخرج فيه الى الصيد ويرجع الى جنته فيأمر لكل من معه بالجوائز والاطعمة ويجلس للنظر يوما فى مصالح الناس وقضاء حوائجهم ويخلو يوما بنسائه وكان ملكه ثلاث عشرة سنة وجذم فمات * وعمل فرسون بن قيلمون بن اتريب منارا على بحر القلزم وعلى رأسه مرآة تجتذب بها المراكب الى شاطئ البحر فلا يمكنها ان تبرح الا ان تعشر فاذا عشرت سترت المرآة حتى تجوز المراكب وأقام فرسون مائتى سنة وستين سنة وعمل لنفسه ناووسا خلف الجبل الاسود الشرقى فى وسطه قبة حولها اثنا عشر بيتا فى كل بيت اعجوبة لا تشبه الاخرى وزبر عليها اسمه ومدة ملكه * وكان مرقونس الملك حكيما محبا للنجوم والعلوم والحكمة فعمل فى ايامه درهما اذا ابتاع به صاحبه شيأ اشترط ان يزن له ما يبتاعه منه بوزن الدرهم ولا يطلب عليه زيادة فيغتر البائع بذلك ويقبل الشرط فاذا تم ذلك بينهما وقع فى وزن الدرهم ارطال كثيرة تساوى عشرة اضعافه وكان اذا احب أن يدخل فى وزنه اضعاف تلك الارطال دخل وقد وجد هذا الدرهم فى كنوزهم ثم فى خزائن بنى امية وكان الناس يتعجبون منه ووجدوا دراهم اخر قيل انها عملت فى وقته ايضا فيكون الدرهم منها فى ميزان الرجل فاذا اراد أن يبتاع حاجة اخذ ذلك الدرهم وقبله وقال اذكر العهد وابتاع به ما اراد فاذا اخذ السلعة ومضى الى بيته وجد الدرهم قد سبقه الى منزله ويجد البائع موضع ذلك الدرهم ورقة آس او قرطاسا او مثل ذلك بدور الدرهم وفى وقته عملت الآنية الزجاج التى توزن فاذا ملئت ماء او غيره ثم وزنت لم تزد عن وزنها الاول شيأ وعمل فى وقته الآنية التى اذا جعل فيها الماء صار خمرا فى لونه ورائحته وفعله وقد وجد من هذه الآنية باطفيح فى امارة هارون بن خمارويه بن احمد بن طولون شربة جزع بعروة زرقاء ببياض وكان الذى وجدها ابو الحسن الصائغ الخراسانى هو ونفر معه فأكلوا على شاطئ النيل وشربوا بها الماء فوجدوه خمرا فسكروا منه وقاموا ليرقصوا فوقعت الشربة فانكسرت عدة قطع فاغتم الرجل وجاء بها الى هارون فاسف عليها وقال لو كانت صحيحة لاشتريتها

ببعض ملكى * واما الآلية النحاسية التى تجعل الماء خمرا فانها منسوبة الى قلوبطرة بنت بطليموس ملكة الاسكندرية فكثير وفى وقته عملت الصور الحيثية من الضفادع والخنافس والذباب والعقارب وسائر الحشرات وكانت اذا جعلت فى موضع اجتمع اليها ذلك الجنس ولا يقدر على مفارقة تلك الصورة حتى يقتل وكانه يعمل اعماله كلها بصور درج الفلك واسمائها وطوالعها فيتم له من ذلك ما يريده * وعمل فى صحراء الغرب ملعبا من زجاج ملون فى وسطه قبة من زجاج اخضر صافى اللون فاذا طلعت عليها الشمس ألقت شعاعها على مواضع بعيدة وعمل فى جوانبه الاربعة اربعة مجالس عالية من زجاج كل مجلس لون ونقش عليها بغير لونها طلسمات عجيبة ونقوشات غريبة وصورا بديعة كل ذلك من زجاج مطلق يشف وكان يقيم فى هذا الملعب الايام وعمل له ثلاثة اعياد فى كل سنة فكان الناس يحجون اليه فى كل عيد ويذبحون له ويقيمون فيه سبعة ايام ولم يزل هذا الملعب تقصده الامم فانه لم يكن له نظير ولا عمل فى العالم مثله الى ان هدمه بعض الملوك لعجزه عن عمل مثله * وكانت ام مرقونس ابنة ملك النوبة وكان ابوها يعبد الكوكب الذى يقال له السها ويسميه الها سألت ابنها ان يعمل لها هيكلا يفردها به فعمله وصفحه بالذهب والفضة وأقام فيه صنما وأرخى عليه الستور الحرير فكانت تدخل اليه بجواريها وحشمها وتسجد له فى كل يوم ثلاث مرات وعملت لكل شهر عيدا تقرب له قرابين وتبخره ليله ونهاره ونصبت له كاهنا من النوبة يقوم به ويقرب له ويبخره ولم تزل بابنها حتى سجد له ودعى الى عبادته فلما رأى الكاهن الامر فى عبادة الكواكب قد تم واحكم من جهة الملك احب ان يكون لكوكب السها مثالا فى الارض على صورة حيوان يتعبد له فأقام يعمل الحيلة فى ذلك الى ان اتفق ان العقبان كثرت بمصر وأضرت بالناس فأحضر الملك هذا الكاهن وسأله عن سبب كثرتها فقال ان الهك ارسلها لتعمل لها نظيرا ليسجد له فقال مرقونس ان كان يرضيه ذلك فأنا فاعله فقال ان ذلك رضاه فأمر بعمل عقاب طوله ذراعان فى عرض ذراع من ذهب مسبوك وعمل عينيه من ياقوتتين وعمل له وشاحين من لؤلؤ منظوم على انابيب جوهر أخضر وفى منقاره درة معلقة وسروله بالدر الاحمر وأقامه على قاعدة من فضة منقوشة قد ركبت على قائمة زجاج ازرق وجعله فى ازج عن يمين الهيكل وألقى عليه ستور الحرير وجعل له دخنة من جميع الافاويه والصموغ وقرب له عجلا اسود وبكارة الفراريج وباكورة الفواكه والرياحين فلما تمت له سبعة ايام دعاهم الى السجود اليه فأجابه الناس ولم يزل الكاهن يجهد نفسه فى عبادة العقاب وعمل له عيدا فلما تم لذلك اربعون يوما نطق الشيطان من جوفه * وكان اول ما دعاهم اليه ان يبخر له فى انصاف الشهور بالمندل ويرش الهيكل بالخمر العتيقة التى تؤخذ من رؤس الخوابى وعرفهم انه قد ازال عنهم العقبان وضررها وكذلك يفعل فى غيرها مما يخافون فسر الكاهن بذلك وتوجه الى ام الملك يعرفها ذلك فسارت الى الهيكل وسمعت كلام العقاب فسرها ذلك واعظمته وبلغ الملك فركب الى الهيكل حتى خاطبه وامره ونهاه فسجد له وأقام له سدنة وأمر أن يزين باصناف الزينة وكان مرقونس يقوم بهذا الهيكل ويسجد لتلك الصورة ويسألها عما يريد فتخبره * وعمل من الكيمياء ما لم يعمله احد من الملوك فيقال انه دفن فى صحراء الغرب خمسمائة دفين * ويقال انه عمل على باب مدينة صا عمودا عليه صنم فى صورة امرأة جالسة وفى يدها مرآة تنظر اليها وكان العليل يأتى الى هذه المرأة وينظر فيها او ينظر له احد فيها فان كان يموت من علته تلك رؤى ميتا وان كان يعيش رآه حيا وينظر فيها ايضا للمسافر فان رأوه مقبلا بوجهه علموا انه راجع وان رأوه موليا علموا انه يتمادى فى سفره وان كان مريضا او ميتا رأوه كذلك فى المرآة * وعمل بالاسكندرية صورة راهب جالس على قاعدة وعلى رأسه كالبرنس وفى يده كالعكاز فاذا مر به تاجر جعل بين يديه شيأ من المال على قدر بضاعته فان تجاوزه ولو عن بعد من غير أن يضع بين يديه المال لم يقدر على الجواز وثبت قائما مكانه فكان يجتمع من ذلك مال عظيم يفرق فى الزمنى والضعفا والفقرا * وعمل فى زمنه كل اعجوبة ظريفة وامر ان يزبر اسمه عليها وعلى كل علم وكل طلسم وكل صنم * وعمل لنفسه ناووسا فى داخل الارض عند جبل يقال له سدام وعمل تحته ازجا يقال ان طوله مائة ذراع وارتفاعه ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وصفحه بالمرمر والزجاج الملون وسقفه بالحجارة وعمل فيه دائرة مساطب مبلطة بزجاج على كل مسطبة اعجوبة وفى وسط الازج دكة من زجاج على كل ركن من اركانها صورة تمنع الدنو اليها وبين كل صورتين منارة عليها حجر مضىء وفى وسط الدكة حوض من ذهب فيه جسده بعد ما ضمده بالادوية الماسكة ونقل اليه ذخائره من الذهب والجوهر وغيره وسد باب الازج

الصخور والرصاص وهيل عليها الرمال وكان ملكه ثلاثا وسبعين سنة وعمره مائتين واربعين سنة وكان جميلاً
ذا وفرة حسنة فتنسكت نساؤه ولزمن الهيكل من بعده وملك بعده ابنه ايساد ثم صا بن ايساد وقيل صا بن
مرقونس اخو ايساد فعمل مرآة فى مدينة منف ترى الاوقات التى تخصب فيها مصر وتجدب وبنى بداخل
الواحات مدينة ونصب قرب البحر أعلاما كثيرة * وعمل خلف المقطم صنما يقال له صنم الحيلة فكان كل من تعذر
عليه امر يأتيه ويبخره فيتيسر ذلك الامر له وجعل بحافة البحر الملح منارا يعلم منه امر البحر وما يحدث فيه من
اقصى ما يصل اليه البصر على مسيرة ايام وهو اول من اتخذها ويقال انه بنى اكثر مدينة منف وكل بنيان
عظيم بالاسكندرية * ولما ملك بدارس بن صا الاحياز كلها بعد ابيه وصفا له ملك مصر بنى فى غربى مدينة منف
بيتا عظيما لكوكب الزهرة وأقام فيه صنما عظيما من لازورد مذهب وتوجه بذهب يلوح بزرقة وسوره
بسوارين من زبرجد أخضر وكان الصنم فى صورة امرأة لها ضفيرتان من ذهب اسود مدبر وفى رجليها
خلخالان من حجر احمر شفاف ونعلان من ذهب وبيدها قضيب مرجان وهى تشير بسبابتها كأنها مسلمة على من فى
الهيكل وجعل بحذائها تمثال بقرة ذات قرنين وضرعين من نحاس احمر مموه بذهب موشحة بحجر اللازورد ووجه
البقرة تجاه وجه الزهرة وبينهما مطهرة من اخلاط الاجساد على عمود رخام مجزع وفى المطهرة ماء مدبر
يستشفى به من كل داء وفرش الهيكل بحشيشة الزهرة يبدلونها فى كل سبعة ايام وجعل فى الهيكل كراسى للكهنة
قد صفحت بالذهب والفضة وقرب لهذا الصنم ألف رأس من الضأن والمعز والوحش والطير وكان يحضر يوم
الزهرة ويطوف به وفرش الهيكل وستره وجعل فيه تحت قبة صورة رجل راكب على فرس له جناحان ومعه حربة
فى سنانها رأس انسان معلق ولم يزل هذا الهيكل الى ان هدمه بخت نصر فى ايام ماليق بن تدارس وكان
موحدا على دين قبطيم ومصرايم خرج فى جيش عظيم فى البر والبحر فغزا البربر وأرض افريقية وبلاد الاندلس
وارض الافرنج الى البحر وعمل فى البحر اعلاما زبر عليها اسمه ومسيره ورجع فهابه ملوك الارض وكان فى غربى
مصر مدينة يقال لها قرسيده بها قوم قد ملكوا عليهم امرأة ساحرة فغزاهم فلم ينل منهم قصدا ورجع فأرادت
ملكتهم افساد مصر فعملت من سحرها وامرت فألقى فى النيل ففاض الماء على المزارع حتى افسدها وكثرت
التماسيح والضفادع وفشت الامراض فى الناس وانبثت فيهم الثعابين والعقارب فاحضر ماليق الكهنة
والحكماء فى دار حكمتهم وألزمهم بالنظر لذلك فنظروا فى نجومهم فرأوا ان هذه الآفة اتتهم من ناحية الغرب
وان امرأة عملته وألقته فى النيل فعلموا حينئذ أنه من فعل تلك الساحرة واجتهدوا فى دفع ذلك بما عندهم من
العلم حتى انكشف عنهم الماء الفاسد وهلكت الدواب المضرة وجهزوا قائدا فى جيش الى المدينة فلم يجدوا بها غير
رجل واحد فأخذوا من الاموال والجواهر والاصنام ما لا يحصى * فمن ذلك صورة كاهن من زبرجد اخضر
على قائمة من حجر الاسباديم وصورة روحانى من ذهب رأسه من جوهر أحمر وله جناحان من درو فى يده مصحف
فيه كثير من علومهم فى دفتين مرصعتين بجوهر ومطهرة من ياقوت ازرق على قاعدة زجاج اخضر فيها ماء لدفع
الاسقام وفرس من فضة اذا عزم عليه بعزائمه ودخن بدخنته وركبه احد طار به فأحضر ذلك وغيره من عجائب
السحرة وأصنامهم والاموال والجواهر الى مصر ومعهم الرجل فسأله الملك عن أعجب اعمالهم قال قصدهم
بعض ملوك البربر بجمع كثيف وتخاييل هائلة فأغلق اهل مدينتنا حصنهم ولجوا الى الاصنام فأتى الكاهن الى
بركة عظيمة بعيدة القعر كانوا يشربون منها فجلس على حافتها وأحاط رؤساء الكهنة بها واخذ يزمزم على الماء حتى
فار وخرج من وسطه نار فى وسطها وجه كدارة الشمس لها ضوء فخر الجماعة لها سجودا وتلك الصورة تعظم حتى
صعدت وخرقت القبة وسمع منها قد كفيتم شر عدوكم فقاموا واذا بعدوهم قد هلك وسائر من معه وذلك ان صورة
الشمس التى ظهرت من الماء مرت فصاحت عليهم صيحة هلكوا بها * ولما ملك كلكن مصر بعد أبيه خربيا
كان النمرود فى وقته فاتصل بنمرود خبر حكمته وسحره فاستزاره ووجه اليه ان يلقاه وكان النمرود يسكن سواد
العراق وغلب على كثير من الامم فأقبل كلكن على اربعة افراس تحملها اجنحة قد أحاطت به كالنار وحوله
صور هائلة فدخل بها وهو متوشح بثعبان ومحزم ببعضه وذلك التنين فاغر فاه ومعه قضيب آس اخضر كلما حرك
التنين رأسه ضربه بالقضيب فلما رأى النمرود ذلك هاله واعترف له بجليل الحكم * وتقول القبط ان كلكن
كان يرتفع فيجلس على الهرم الغربى فى قبة تلوح على رأسه وكان اهل البلد اذا دهمهم امر اجتمعوا حول الهرم

ويقولون انه ربما اقام على رأس الهرم اياما لا يأكل ولا يشرب ثم انه استتر مدة حتى توهموا انه هلك فطمع الملوك فى مصر وقصدها ملك من المغرب يقال له سادوم فى جيش عظيم الى ان بلغ وادى هيبب فأقبل كلكن وجللهم من سحره بشئ كالغمام شديد الحرارة وهم تحته اياما لا يدرون اين يتوجهون ثم ارتفع وصار بمصر يعرّفهم ما عمل وأمرهم فخرجوا فاذا بالقوم ودوابهم قد ماتوا فهابه جميع الكهنة وصوّروه فى سائر الهيا كل وبنى هيكلا لزحل من صوان اسود فى ناحية الغرب وجعل له عيدا * (وفى ايام دارم بن الريان) وهو الفرعون الرابع الذى يقال له عند القبط دريموش ظهر معدن فضة على ثلاثة ايام من النيل فاثاروا منه شيأ عظيما وعمل صنما على اسم القمر لان طالعه كان برج السرطان ونصبه على القصر الرخام الذى بناه ابوه فى شرقىّ النيل ونصب حوله اصناما كلها من الفضة وألبسها الحرير الاحمر وعمل للصنم عيدا كلما دخل برج السرطان ولما ولى اكسايس الملك بعد أبيه معدان بن معاديوس بن دارم بن دريوس وهو الفرعون السادس اقام اعلاما كثيرة حول منف وجعل عليها اساطين يمشى من بعضها الى بعض وعمل برقودة وصا ومدائن الصعيد واسفل الارض أعلاما ومنائر للوقود وطلسمات كثيرة وعمل كودة من فضة ونقش عليها صورة الكواكب ودهنها بالدهن الصينىّ وأقامها على منار فى وسط منف وعمل فى هيكل ابيه روحانى زحل من ذهب اسود مدبر وعمل فى وقته ميزانا يعتبر به الناس كفتاه من ذهب وعلاقته من فضة وسلاسله من ذهب فكان معلقا فى هيكل الشمس وكتب على احدى كفتيه حق والاخرى باطل وتحته فصوص قد نقش عليها اسماء الكواكب فيدخل الظالم والمظلوم يأخذ كل منهما فصا من تلك الفصوص ويسمى عليه ما يريده ويجعل احد الفصين فى كفة والآخر فى كفة فتثقل كفة الظالم وترتفع كفة المظلوم ومن أراد سفرا أخذ فصين وذكر على أحدهما اسم السفر وعلى الآخر الاقامة وجعل كل واحد فى كفة فان ثقلا جميعا ولم يرتفع أحدهما على الآخر لم يسافر وان ارتفعا سافر وان ارتفع أحدهما أخر السفر ثم سافر وكذا من عليه دين ومن له غائب أو ينظر فى صلاح أمره وفساده * ويقال ان بخت نصر لما دخل الى مصر حمل هذا الميزان معه فيما حمل الى بابل وجعله فى بيت من بيوت النار وعمل فى ايامه تنورا أيضا يشوى فيه من غير نار ويطبخ فيه بغير نار وسكينا تنصب فاذا رآها شئ من البهائم أقبل حتى يذبح نفسه بها وعمل ماء يستحيل نارا وزجاجا يستحيل هواء وشيأ من النيرنجيات والنواميس * (واما البرابى) فذكر ابن وصيف شاه أن سوريد الذى بنى الاهرام هو الذى بنى البرابى كلها وعمل فيها الكنوز وزبر عليها علوما ووكل بها روحانية تحفظها ممن يقصدها وقال فى كتاب الفهرست وبمصر أبنية يقال لها البرابى من الحجارة العظيمة الكبيرة وهى على اشكال مختلفة وفيها مواضع الصحن والسحق والحل والعقد والتقطير تدل على انها عملت لصناعة الكيمياء وفى هذه الابنية نقوش وكتابات لا يدرى ماهى وقد أصيبت تحت الارض فيها هذه العلوم مكتوبة فى التوز وهى صفائح الذهب والنحاس وفى الحجارة * وذكر الحسن بن احمد الهمدانى أن برابى مصر تنسب الى براب بن الدرمسيل بن محويل بن خنوخ بن قار بن آدم عليه السلام * وذكر ابو الريحان محمد بن احمد البرونى فى كتاب الاشارات الباقية عن القرون الخالية أن كنيسة فى بعض قرى مصر قد شاهدها الموثوق بقولهم المأخوذ برأيهم المأمون من جهتهم الرواية عنهم فيها سرداب ينزل اليه بنيف وعشرين مرقاة وفيه سرير تحته رجل وصبىّ مشدودين فى نطع وفوقه ثور رخام فى جوفه باطية زجاج يدخلها قنينة من نحاس فى جوفها فتيلة كأن توقد فيصب فيها زيت فلا يلبث الا ان تمتلئ الباطية الزجاج زيتا وتفيض الى الثور الرخام فينفق على تلك الكنيسة وقناديلها * وذكر الجهانىّ أنه صار اليه من وثق به ورفع الباطية عن الثور وأفرغ الزيت من الباطية والثور جميعا وأطفأ النار وأعادها جميعا الا الزيت فانه صبّ زيتا من عنده وأبدله فتيلة اخرى وأشعلها فالبث الزيت ان فاض الى الباطية الزجاج ثم فاض الى الثور الرخام من غير مدد ولا عنصر * وذكر الجهانىّ انه اذا اخرج الميت من تحت السرير انطفأت النار ولم يفض الزيت * وذكر عن اهل القرية أن المرأة المتوهمة فى نفسها حملا تحمل ذلك الصبىّ وتضعه فى حجرها فيتحرك ولدها فى البطن ان كان الحمل حقيقة أو تيأس ان لم تحس بحركة * قال المؤلف رحمه الله أخبرنى داود بن رزق الله بن عبد الله وكانت له سياحات كثيرة بأراضى مصر ومعرفة احوالها أنه عبر فى مغارة كبيرة يقال لها مغارة شقلقيل بالوجه القبلى فاذا فيها كوم عظيم من سند روس وانه غطاه ومضى فاذا شئ كثير الى الغاية من السمك وجميعها ملفوفة بثياب كأنها قد كفنت بعد الموت وانه أخذ منها سمكة وقشها

فاذا فيها دينار عليه كتابة لا يحسن قراءتها وانه صار يأخذها سمكة سمكة ويخرج من فم كل واحدة دينارا حتى اجتمع له من ذلك عدة دنانير وانه أخذ تلك الدنانير ورجع ليخرج حتى جاء الى الكوم السندروس واذا به ارتفع حتى سدّ عليه الموضع فعاد الى السمك وأعاد الدنانير الى مواضعها وخرج فاذا السندروس كما كان اولا بحيث يتجاوزه ويخرج فعاد وأخذ الدنانير ومشى يخرج بها فاذا السندروس قد ارتفع حتى سدّ عليه الموضع فعاد الى السمك وأعاد الدنانير الى موضعها وخرج فاذا السندروس على حاله كما كان اولا بحيث يتجاوزه ويخرج وأنه كرّر أخذ الدنانير واعادتها مرارا والحال على ما ذكر حتى خشي الهلاك فتركها وخرج فلما كان مدّة سكن موضعها فرأى حجرا في جدار وقد قوّر ووضع حجر آخر فحاول الحجر الآخر حتى رفعه فاذا تحته ستة دنانير من تلك الدنانير التي وجدها في افواه السمك فأخذ منها واحدا وترك البقية في موضعها وأعاد الحجر على الحجر وقدّر الله بعد ذلك أنه ركب النيل ليعدّى من البرّ الشرقيّ الى البرّ الغربيّ قال فلما توسط البحر واذا بالاسماك تثب من الماء وتلقي انفسها في المركب حتى كدنا نغرق من كثرتها فصاح الركاب خوفا من الهلاك قال فتذكرت الدينار الذي معي وانّ هذا ربما كان بسببه فأخرجته من جيبي وألقيته في الماء فتواثبت الاسماك من المركب وألقت نفسها في الماء حتى لم يبق منها شيء * قلت واخبرني قديما بعض من لا اتّهمه أنه ظفر بطلسم من هذا المعنى وانه عنده وأراد أن يريني السمك يثب من الماء فلم يقدر لي أن أرى ذلك قال ابن عبد الحكم لما أغرق الله آل فرعون بقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من اشراف اهلها احد ولم يبق بها الا العبيد والاجراء والنساء فاتفق من بمصر من النساء أن يولين منهم أحدا وأجمع رأيهنّ أن يولين امرأة منهنّ يقال لها دلوكة بنت زبا وكان لها عقل ومعرفة وتجارب وكانت في شرف منهنّ وموضع وهي يومئذ بنت مائة وستين سنة فملكوها فخافت أن يتناولها الملوك فجمعت نساء الاشراف وقالت لهنّ انّ بلادنا لم يكن يطمع فيها أحد ولا يمدّ عينه اليها وقد هلك اكابرنا وأشرافنا وذهب السحرة الذين كنا نقوى بهم وقد رأيت أن أبني حصنا احدق به جميع بلادنا فأضع عليه المحارس من كل ناحية فانا لا نأمن أن يطمع فينا الناس فبنت جدارا أحاطت به على جميع أرض مصر كلها المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجا يجري فيه الماء وأقامت القناطر والترع وجعلت فيه محارس ومسالح على كل ثلاثة اميال محرس ومسلحة وفيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل وجعلت في كل محرس رجالا وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم ان يحرسوا بالاجراس فاذا أتاهم آت يخافونه ضرب بعضهم الى بعض الاجراس فأتاهم الخبر من اى وجه كان في ساعة واحدة فنظروا في ذلك فمنعت بذلك مصر ممن ارادها وفرغت من بنائه في ستة اشهر وهو الجدار الذي يقال له جدار العجوز بمصر وقد بقيت بالصعيد منه بقايا كثيرة قال المسعودي وقيل انما بنته خوفا على ولدها وكان كثير القنص فخافت عليه سباع البرّ والبحر واغتيال من جاور أرضهم من الملوك والبوادي فحوّطت الحائط من التماسيح وغيرها وقد قيل غير ما وصفنا فملكتهم ثلاثين سنة في قول قال المؤلف رحمه الله قد بقي من حائط العجوز هذا في بلاد الصعيد بقايا أخبرني الشيخ المعمر محمد بن المسعودي انه سار في بلاد الصعيد على حائط العجوز ومعه رفقة فاقتلع أحدهم منه لبنة فاذا هي كبيرة جدا تخالف المعهود الآن من اللبن في المقدار فتناولها القوم واحدا بعد واحد يتأملونها وبيناهم في رؤيتها اذ سقطت الى الارض فانفلقت عن حبة فول في غاية الكبر الذي يتعجب منه لعدم مثله في زماننا فقشروا ما عليها فوجدوها سالمة من السوس والعيب كأنها قريبة عهد بحصادها لم يتغير فيها شيء ألبتة فأكلها الجماعة قطعة قطعة وكأنها انما خبئت لهم من الزمن القديم والاعصر الخالية انه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها * قال ابن عبد الحكم وكان ثم عجوز ساحرة يقال لها تدورة وكانت السحرة تعظمها وتقدّمها في علمهم وسحرهم فبعثت اليها دلوكة ابنة زبا انا قد احتجنا الى سحرك وفزعنا اليك ولا نأمن أن يطمع فينا الملوك فاعملي لنا شيئا نغلب به من حولنا فقد كان فرعون يحتاج اليك فكيف وقد ذهب اكابرنا يعني في الغرق مع فرعون موسى وبقي أقلنا فعملت بربا من حجارة في وسط مدينة منف وجعلت لها أربعة ابواب كل باب منها الى جهة القبلة والبحر والغرب والشرق وصوّرت فيه صور الخيل والبغال والحمير والسفن والرجال وقالت لهم قد عملت لكم عملا يهلك به كل من أرادكم من كل جهة تؤتون منها برّا أو بحرا وهذا يغنيكم عن الحصن ويقطع عنكم مؤنة من أتاكم من كل جهة فانهم ان كانوا في البرّ على خيل او بغال أو ابل أو في سفن او رجالة تحركت هذه الصور من جهتهم التي يأتون

منها فعلتم بالصور من شئ اصابهم ذلك فى انفسهم على ما تفعلون بهم فلما بلغ الملوك حولهم أن امرهم قد صار الى ولاية النساء طمعوا فيهم وتوجهوا اليهم فلما دنوا من عمل مصر تحركت تلك الصور التى فى البربا فطفقوا الا يهيجون تلك الصور بشئ ولا يفعلون بها شيأ الا اصاب ذلك الجيش الذى كان اقبل اليهم مثله ان كان خيلا فما فعلوا بتلك الخيل المصورة فى البربا من قطع رؤسها اوسوقها اوفقء عيونها اوبقر بطونها اثر مثل ذلك بالخيل التى ارادتهم وان كانت سفنا أو رجالة فمثل ذلك وكانوا أعلم الناس بالسحر وأقواهم عليه وانتشر ذلك فتبادرهم الناس وكان نساء اهل مصر حين غرق فرعون وقومه ولم يبق الا العبيد والاجراء لم يصبرن عن الرجال فطفقت المرأة تعتق عبدها وتتزوجه وتتزوج الاخرى اجيرها وشرطن على الرجال أن لا يفعلوا شيأ الا باذنهن فاجابوهن فى ذلك فكان امر النساء على الرجال قال يزيد بن ابى حبيب ان نساء القبط على ذلك الى اليوم اتباعا لمن مضى منهم لا يبيع احدهم ولا يشترى الا قال استأمر امرأتى فملكتهم دلوكة بنت زبا عشرين سنة تدبر أمرهم بمصر حتى بلغ صبى من ابناء اكابرهم واشرافهم يقال له دركون بن بلوطس فملكوه عليهم فلم تزل مصر ممتنعة بتدبير تلك العجوز نحوا من اربعمائة سنة وكلما انهدم من ذلك البربا الذى صور فيه الصور لم يقدر أحد على اصلاحه الا تلك العجوز وولدها وولد ولدها وكانوا اهل بيت لا يعرف ذلك غيرهم فانقطع اهل ذلك البيت وانهدم من البربا موضع فى زمان لقاس بن مرينوس فلم يقدر أحد على اصلاحه ومعرفة عمله وبقى على حاله وانقطع ما كان يقهرون به الناس وبقوا كغيرهم الا أن الجمع كثير والمال عندهم فلما قدم بخت نصر بيت المقدس وظهر على بنى اسرائيل وسباهم وخرج بهم الى ارض بابل قصد مصر وخرب مدائنها وقراها وسبى جميع اهلها ولم يترك بها شيأ حتى بقيت مصر اربعين سنة خرابا ليس فيها ساكن يجرى نيلها ويذهب لا ينتفع به ثم رد أهل مصر اليها بعد أربعين سنة فعمروها ولم تزل مقهورة من يومئذ * وقال بعض الحكماء رأيت البرابى وأخذت أتأملها فوجدتها مستحكمة على جميع اشكال الفلك والذى ظهر لى أنه لم يعملها حكيم واحد بل تولى عملها قوم بعد قوم حتى تكاملت فى دور كامل وهو ستة وثلاثون الف سنة شمسية لان مثل هذه الاعمال لا تعمل الا بالارصاد ولا يتكامل رصد المجموع فى اقل من هذه المدة المذكورة وكانوا يجعلون الكتاب حفرا ونقرا فى الصخور ونقشا فى الحجارة وحلقة مركبة فى البنيان وربما كان الكتاب هو الحفر اذا كان متضمنا لامر جسيم او عهد الامر عظيم او موعظة يرتجى نفعها او احياء شرف يريدون تخليد ذكره وقد كتب غير المصريين كذلك كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مارب وعلى ركن المستقر وعلى الابلق الفرد وعلى باب الرها وكانوا يعمدون الى الاماكن الشريفة والمواضع المذكورة فيضعون الخط فى ابعد المواضع من الدثور وأمنعها من الدروس وأحذر أن يراها من مر بها ولا ينسى على طول الدهر * وقال المسعودى واتخذت دلوكة بمصر البرابى والصور وأحكمت آلات السحر وجعلت فى البرابى صور من يرد من كل ناحية ودوابهم ابلا كانت او خيلا وصورت فيها من يرد من البحر فى المراكب من بحر الغرب والشام وجمعت فى هذه البرابى العظيمة المشيدة البنيان اسرار الطبيعة وخواص الاحجار والنباتات والحيوانات وجعلت ذلك فى اوقات فلكية واتصالها بالمؤثرات العلوية وكانوا اذا ورد اليهم جيش من نحو الحجاز واليمن عورت تلك الصور التى فى البربا من الابل وغيرها فيتعور ما فى ذلك الجيش وينقطع عنهم ناسه وحيوانه واذا كان الجيش من نحو الشام فعل فى تلك الصور التى من تلك الجهة التى أقبل منها جيش الشام ما فعل بما وصفنا فيحدث فى ذلك الجيش من الافات فى ناسه وحيوانه ما صنع فى تلك الصور التى من تلك الجهة وكذلك من ورد من جيوش الغرب ومن ورد فى البحر من رومية والشام وغير ذلك من الممالك فهابهم الملوك والامم ومنعوا ناحيتهم من عدوهم واتصل ملكهم بتدبير هذه العجوز واتقانها الزم اقطار المملكة واحكامها السياسة * (وقد تكلم من سلف وخلف فى هذه الخواص واسرار الطبيعة التى كانت ببلاد مصر وهذا الخبر من فعل العجوز مستفيض لا يشكون فيه والبرابى بمصر من صعيدها وغيره باقية الى هذا الوقت وفيها انواع الصور مما اذا صورت فى بعض الاشياء احدثت افعالا على حسب ما رسمت له وصنعت من اجله على حسب قولهم فى الطبائع والله اعلم بكيفية ذلك (قال) وأخبرنى غير واحد من بلاد اخميم من صعيد مصر عن ابى الفيض ذى النون بن ابراهيم المصرى الاخميمى الزاهد وكان حكيما وكانت له طريقة يأتيها ونحلة يعضدها وكان ممن يقرأ على اخبار هذه البرابى وامتحن كثيرا مما صور فيها

ورسم عليها من الكتابة والصور قال رأيت فى بعض البرابى كتابا تدبرته فاذا هو احذر العبيد المعتقين والاحداث والجند المتعبدين والنبط المستعربين ورأيت فى بعضها كتابا تدبرته فاذا فيه يقدر المقدر والقضاء يضحك وفى آخره كتابة تثبتها فى ذلك العلم فوجدتها

تدبر بالنجوم ولست تدرى * ورب النجم يفعل ما يريد

قال وكانت هذه الامة التى اتخذت هذه البرابى لهجة بالنظر فى احكام النجوم من المواظبين على معرفة اسرار الطبيعة وكان عندها مما دلت عليه احكام النجوم أن طوفانا سيكون فى الارض ولم يقطع على ذلك الطوفان ما هو أنار تأتى على الارض فتحرق ما عليها او ماء يغرقها او سيف يبيد أهلها نخافت دثور العلوم وفنائها بفناء اهلها فاتخذت هذه البرابى ورسمت فيها علومها من الصور والتماثيل والكتابة وجعلت بنيانها نوعين طينا وحجارة وفرزت ما بنى بالطين مما بنى بالحجارة وقالت ان كان هذا الطوفان نارا استحجر ما بنى بالطين وان كان الطوفان الوارد ماء أذهب ما بنينا بالطين ويبقى ما بنى بالحجارة وان كان الطوفان سيفا بقى كل من النوعين مما هو من الطين وما هو من الحجر وهذا ما قيل والله أعلم انه كان قبل الطوفان وان الطوفان الذى كانوا يرقبونه ولم يعينوه أنار هو أم ماء أم سيف كان سيفا اتى على جميع اهل مصر من لمة غشيتها او ملك نزل عليها فأباد أهلها ومنهم من رأى أن ذلك الطوفان كان وباء عم اهلها ومصداق ذلك ما يوجد ببلاد تنيس من التلال المتقذرة من الناس من صغير وكبير وذكر وانثى كالجبال العظام وهى المعروفة ببلاد تنيس من ارض مصر بذات الكوم وما يوجد ببلاد مصر وصعيدها من الناس المنكبين بعضهم على بعض فى الكهوف والغيران والنواويس ومواضع كثيرة من الارض لا يدرى من اى الامم هم فلا النصارى تخبر عنهم انهم من اسلافهم ولا اليهود تقول انهم من اوائلهم ولا المسلمون يدرون من هؤلاء ولا تاريخ ينبىء عن حالهم وعليهم اثوابهم وكثيرا ما يوجد فى تلك البرابى والجبال من حليتهم * والبرابى ببلاد مصر بنيان قائم عجيب كالبربا التى بأخميم والتى بسمنود وغير ذلك

(ذكر الدفائن والكنوز التى تسميها اهل مصر المطالب)

الاصل فى جواز تتبع الدفائن ما رواه ابو عمرو بن عبد البر والبيهقى فى الدلائل من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف مر بقبر أبى رغال فقال هذا قبر ابى رغال وهو ابو ثقيف كان اذا هلك قوم صاح فى الحرم فمنعه الله فلما خرج من الحرم رماه بقارعه وآية ذلك أنه دفن معه عمود من ذهب فابتدر المسلمون قبره فنبشوه واستخرجوا العمود منه ومن حديث عبد الله بن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين خرجنا معه الى الطائف فمررنا بقبر فقال هذا قبر أبى رغال وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج اصابته النقمة التى اصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك انه دفن معه عصا من ذهب ان نبشتم عليه اصبتموه معه فابتدره الناس فأخرجوا العصا الذى كان معه * وبمصر كنوز يوسف عليه السلام وكنوز الملوك من قبله والملوك من بعده لانه كان يكنز ما يفضل عن النفقات والمؤن لنوائب الدهر وهو قول الله عز وجل فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ويقال ان علم الكنوز فى كنيسة القسطنطينية نقلت اليها من طليطلة ويقال ان الروم لما خرجت من الشام ومصر اكتنزت كثيرا من اموالها فى مواضع اعدتها لذلك وكتبت كتبا بأعلام مواضعها وطرق الوصول اليها واودعت هذه الكتب قسطنطينية ومنها يستفاد معرفة ذلك وقيل ان الروم لم تكتب وانما ظفرت بكتب معالم كنوز من ملك قبلها من اليونانيين والكلدانيين والقبط فلما خرجوا من مصر والشام حملوا تلك الكتب معهم وجعلوها فى الكنيسة وقيل انه لا يعطى من ذلك احد حتى يخدم الكنيسة مدة فيدفع اليه ورقة تكون حظه قال المسعودى ولمصر اخبار عجيبة من الدفائن والبنيان وما يوجد فى الدفائن من ذخائر الملوك التى استودعوها الارض وغيرهم من الامم ممن سكن تلك الارض وتدعى بالمطالب الى هذه الغاية وقد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا * (فمن اخبارها) ما ذكره يحيى بن بكير قال كان عبد العزيز بن مروان عاملا على مصر لاخيه عبد الملك ابن مروان فأتاه رجل متنصح فسأله عن نصحه فقال بالقبة الفلانية كنز عظيم قال عبد العزيز وما مصداق ذلك قال هو أن يظهر لنا بلاط من المرمر والرخام عند يسير من الحفر ثم ينتهى بنا الحفر الى باب من الصفر تحته عمود من الذهب على اعلاه ديك عيناه ياقوتتان تساويان ملك الدنيا وجناحاه مضرجان بالياقوت والزمرد ورأسه على صفائح من الذهب على اعلى ذلك العمود فأمر له عبد العزيز بنفقة لاجرة من يحفر من الرجال

فى ذلك ويعمل فيه وكان هنالك تل عظيم فاحتفروا حفيرة عظيمة فى الارض والدلائل المقدم ذكرها من الرخام والمرمر تظهر فازداد عبد العزيز حرصا على ذلك وأوسع فى النفقة واكثر من الرجالة ثم انتهوا فى حفرهم الى ظهور رأس الديك فبرق عند ظهوره لمعان عظيم لما فى عينيه من الياقوت ثم بان جناحاه ثم بانت قوائمه وظهر حول العمود عمود من البنيان بأنواع الحجارة والرخام وقناطر مقنطرة وطاقات على ابواب معقودة ولاحت منها تماثيل وصور اشخاص من انواع الصور الذهب وأجربة من الاحجار قد أطبق عليها أغطيتها وسبكت فركب عبد العزيز بن مروان حتى أشرف على الموضع فنظر الى ماظهر من ذلك فأسرع بعضهم ووضع قدمه على درجة من نحاس ينتهى الى ماهنالك فلما استقرت قدماه على المرقاة ظهر سيفان عاديان عن يمين الدرجة وشمالها فالتقيا على الرجل فلم يدرك حتى جزآه قطعا وهوى جسمه سفلا فلما استقر جسمه على بعض الدرج اهتز العمود وصفر الديك صفيرا عجيبا اسمع من كان بالبعد من هنالك وحرك جناحيه وظهرت من تحته اصوات عجيبة قد عملت بالكواكب والحركات اذا مال وقع على بعض تلك الدرج شئ او ماسها شئ انقلبت فتهاوى من هنالك من الرجال الى اسفل تلك الحفرة وكان فيها من يحفر ويعمل وينقل التراب وينظر ويحوّل ويأمر وينهى نحو ألف رجل فهلكوا جميعا فخرج عبد العزيز وقال هذا ردم عجيب الامر ممنوع النيل نعوذ بالله منه واحر جماعة من الناس فطرحوا ما اخرج من هنالك من التراب على من هلك من الناس فكان الموضع قبرا لهم * قال المسعودى وقد كان جماعة من اهل الدفائن والمطالب ومن قد اعتنى وأغرى بحفر الحفائر وطلب الكنوز وذخائر الملوك والامم السالفة المستودعة بطن الارض ببلاد مصر قد وقع اليهم كتاب ببعض الاقلام السالفة فيه وصف موضع ببلاد مصر على اذرع يسيرة من بعض الاهرام بأن فيه مطلبا عجيبا فأخبروا الاخشيد محمد بن طغج بذلك فأمرهم بحفره وأباحهم استعمال الحيلة فى اخراجه فحفروا حفرا عظيما الى ان انتهوا الى ازج واقباء وحجارة مجوفة فى صخرة منقور فيها تماثيل قائمة على ارجلها من الخشب قد طلى بالاطلية المانعة من سرعة البلاء وتفرق الاجزاء والصور مختلفة فيها صور شيوخ وشبان ونساء وأطفال اعينهم من انواع الجواهر كالياقوت والزمرد والزبرجد والفيروزج ومنها ما وجوهها ذهب وفضة فكسر بعض تلك التماثيل فوجدوا فى اجوافها رمما بالية واجساما فانية والى جانب كل تمثال منها نوع من الابنية كالبرابى وغيرها من المرمر والرخام وفيه من الطلى الذى قد طلى منه ذلك الميت الموضوع فى التماثيل الخشب والطلاء دواء مسحوق واخلاط معمولة لا رائحة لها فجعل منه على النار شئ ففاح منه ريح طيبة مختلفة لا تعرف فى نوع من انواع الطيب وقد جعل كل تمثال من الخشب على صورة ما فيه من الناس على اختلاف اسنانهم ومقادير أعمارهم وتباين صورهم وبازاء كل تمثال تمثال من الحجر المرمر أو من الرخام الاخضر على هيئة الصنم على حسب عباداتهم للتماثيل والصور عليها انواع من الكتابات لم يقف احد على استخراجها من اهل الملل وزعم قوم من اهل الدراية ان لذلك القلم منذ فقد من ارض مصر أربعة آلاف سنة وفيما ذكرناه دلالة على ان هؤلاء ليسوا بيهود ولا نصارى ولم يؤدّهم الحفر الا لما ذكرناه من هذه التماثيل وكان ذلك فى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وقد كان من سلف وخلف من ولاة مصر من احمد بن طولون وغيره الى هذا الوقت وهو سنة ثنتين وثلاثين وثلثمائة لهم اخبار عجيبة فيما استخرج فى ايامهم من الدفائن والاموال والجواهر وما اصيب فى هذه المطالب من القبور وقد أتينا على ذكرها فيما تقدم من تصنيفنا * (وركب) احمد بن طولون يوما الى الاهرام فأتاه الحجاب بقوم عليهم ثياب صوف ومعهم المساحى والمعاول فسألهم عن ما يعملون فقالوا نحن قوم نطلب المطالب فقال لهم لا تخرجوا بعدها الا بمشورتى او رجل من قبلى وأخبروه أن فى سمت الاهرام مطلبا قد عجزوا عنه فضم اليهم الرافقى وتقدم الى عامل الجيزة فى اعانتهم بالرجال والنفقات وانصرف فأقاموا مدّة يعملون حتى ظهر لهم فركب احمد بن طولون اليهم وهم يحفرون فكشفوا عن حوض مملوء دنانير وعليه غطاء مكتوب عليه بالبربطية فأحضر من قرأه فاذا فيه انا فلان بن فلان الملك الذى ميز الذهب من غشه ودنسه فمن اراد أن يعلم فضل ملكى على ملكه فلينظر الى فضل عيار دينارى على عيار ديناره فان مخلص الذهب من الغش مخلص فى حياته وبعد وفاته فقال احمد ابن طولون الحمد لله ان ما نبهتنى عليه هذه الكتابة احب الىّ من المال ثم أمر لكل من القوم المطالبية بمائتى دينار منه ولكل من الصناع بخمسة دنانير بعد توفية اجرة عمله وللرافقى بثلثمائة دينار ولنسيم الخادم بألف

دينار وحمل باقي الدنانير فوجدها اجود من كل عيار وشدد من حينئذ في العيار بمصر حتى صار عيار ديناره الذي عرف بالاحمدي اجود عيار وكان لا يطلي الا به

(ذكر هلاك اموال اهل مصر)

قال الله عز وجل وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد اجيبت دعوتكما هذا دعاء من موسى عليه السلام على فرعون وقومه من اهل مصر لكفرهم أن يهلك الله اموالهم قال الزجاج طمس الشئ اذهابه عن صورته * عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وعن محمد بن كعب القرظي انهما قالا صارت اموال اهل مصر ودراهمهم حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وأثلاثا وأنصافا فلم يبق معدن الا طمس الله عليه فلم ينتفع به احد بعدهم وقال قتادة بلغنا ان اموالهم وزروعهم صارت حجارة وقال مجاهد وعطية اهلكها الله تعالى حتى لا ترى يقال عين مطموسة اي ذاهبة وطمس الموضع اذا عفا ودرس وقال ابن زيد صارت دنانيرهم ودراهمهم وفرشهم وكل شئ لهم حجارة وقال محمد بن كعب وكان الرجل منهم يكون مع اهله وفراشه وقد صارا حجرين قال وقد سألني عمر بن عبد العزيز فذكرت ذلك فدعا بخريطة اصيبت بمصر فأخرج منها الفواكه والدراهم والدنانير وانها لحجارة وقال محمد بن شهاب الزهري دخلت على عمر بن عبد العزيز فقال يا غلام ائتني بالخريطة فجاء بخريطة نثر ما فيها فاذا فيها دراهم ودنانير وتمر وجوز وعدس وفول فقال كل يا ابن شهاب فأهويت فاذا هو حجارة فقلت ما هذا يا امير المؤمنين قال هذا مما اصاب عبد العزيز بن مروان في مصر اذ كان عليها واليا وهو مما طمس الله عليه من اموالهم وقال المضارب بن عبد الله الشامي اخبرني من رأى النخلة بمصر مصروعة وانها لحجر ولقد رأيت ناسا كثيرا قياما وقعودا في اعمالهم لو رأيتهم ما شككت فيهم قبل ان تدنو منهم أنهم اناس وانهم لحجارة ولقد رأيت الرجل من رقيقهم وانه لحارث على ثورين وانه وثوريه لحجارة ونقل وهب بن موسى في قصص الانبياء أن فرعون لما هلك وقومه وآمنت بنو اسرائيل بعا تلته ندب موسى عليه السلام من نقبائه الاثني عشر نقيبين احدهما كالب بن موقيا والآخر يوشع بن نون مع كل واحد من سبطه اثنا عشر ألفا وأرسلهما الى مصر وقد خلت من حاميها الغرق اهلها مع فرعون فأخذوا دخائر فرعون وكنوزه وعادوا الى موسى فذلك توريثهم أرض مصر يعني قول الله عز وجل عن قوم فرعون فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها قوما آخرين وقوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها يعني ارض مصر أورثناها بني اسرائيل لانهم هم المستضعفون الذين كانوا فيها بدليل قوله تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض * قال جامعه ومؤلفه رحمه الله تعالى أخبرني داود بن رزق بن عبد الله وكانت له سياحات كثيرة بأرض مصر أنه عبر الى واد بالقرب من القلمون بالوجه القبلي فرأى فيه مقاتات كثيرة ما بين بطيخ وقثاء وتفاح وكلها حجارة وكان قد أخبرني قديما بعض الاعيان أنه شاهد في سفره الى البلاد من أرض مصر بطيخا كثيرا كله حجارة وكذلك البطيخ من الصيف الذي يقال له العبدلي

(ذكر اخلاق اهل مصر وطبائعهم وأمزجتهم)

قال ابو الحسن علي بن رضوان الطبيب مصر اسم فيما نقلت الرواة يدل على احد اولاد نوح النبي عليه السلام فانهم ذكروا أن مصر هذا نزل بهذه الارض فأنسل فيها وعمرها فسميت باسمه والذي يدل عليه هذا الاسم اليوم هو الارض التي يفض عليها النيل ويحيط بها حدود أربعة وهي أن الشمس تشرق على أقصى العمارة بالشرق قبل ان تغيب عن آخر العمارة بالغرب بثلاث ساعات وثلثي ساعة فيجب من ذلك أن تكون هذه الارض في النصف الغربي من الربع العامر والنصف الغربي من الربع العامر على ما قال أبقراط وبطلميوس اقل حرارة واكثر رطوبة من النصف الشرقي لانه قسم كوكب القمر والنصف الشرقي في قسم كوكب الشمس وذلك ان الشمس تشرق على النصف الشرقي قبل شروقها على النصف الغربي والقمر يهل على النصف الغربي قبل النصف الشرقي وقد زعم قوم من القدماء أن ارض مصر في وسط الربع من المعمور من الارض بالطبع فأما بالقياس فعلى ما ذكرنا من انها في النصف الغربي والحد الثالث هو أن اول بعد هذه الارض عن خط الاستواء

في جهة الجنوب اسوان وبعدها عن خط الاستواء اثنان وعشرون درجة ونصف فالشمس تسامت رؤس اهلها مرتين في السنة عند كونها في آخر الجوزاء اوفي اول السرطان وفي هذين الوقتين لا يكون للقائم باسوان نصف النهار ظل اصلا فالحرارة واليبس والاحراق غالب على مزاجها لان الشمس تنشف رطوباتها ولذلك صارت ألوانهم سودا وشعورهم جعدة لاحتراق ارضهم والحد الرابع هو أن آخر بعد أرض مصر عن خط الاستواء في جهة الشمال طرف بحر الروم وعليه من أرض مصر بلدان كثيرة كالاسكندرية ورشيد ودمياط وتنيس والفرما وبعد دمياط عن خط الاستواء في الشمال احد وثلاثون جزأ وثلث وهذا البعد هو آخر الاقليم الثالث وأول الاقليم الرابع فالشمس لا تبعد عنهم كل البعد ولا تقرب منهم كل القرب فالغالب عليهم الاعتدال مع ميل يسير الى الحرارة فان الموضع المعتدل على الصحة من البلدان العامرة وهو أول وسط الاقليم الرابع وأيضا فمجاورة دمياط للبحر واحاطته بها تجعلها معتدلة بين الحر والبرد خارجة عن الاعتدال الى الرطوبة فيكون الغالب عليها المزاج الرطب الذي ليس بحار ولا بارد ولذلك صارت ألوانهم سمرا وأخلاقهم سهلة وشعورهم سبطة واذا كان اول مصر من جهة الجنوب الغالب عليه الاحتراق وآخرها من جهة الشمال الغالب عليها الاعتدال مع ميل يسير نحو الحرارة فما بين هذين الموضعين من أرض مصر الغالب عليه الحرارة وتكون قوة حرارته بقدر بعده من اسوان وقربه من بحر الروم ومن أجل هذا قال أبقراط وجالينوس ان المزاج الغالب على ارض مصر الحرارة قال وجبل لوقا في مشرق هذه الارض يعوق عنها ريح الصبا فانه لم يوجد بفسطاط مصر صبا خالصة لكن متى هبت الصبا عندهم هبت نكبا بين المشرق والشمال او المشرق والجنوب وهذه الرياح يابسة مانعة من العفن وقد عدمت اهل مصر هذه الفضيلة ومن اجل ذلك صارت المواضع التي تهب فيها ريح الصبا من أرض مصر أحسن حالا من غيرها كالاسكندرية وتنيس ويعوق أيضا هذا الجبل اشراق الشمس على أرض مصر واذا كانت على الافق فيكون زمان لبث الشعاع على هذه الارض أقل من الطبيعي ومثل هذه الحال سبب لركود الهواء وغلظه وأرض مصر أرض كثيرة الحيوان والنبات جدا لا تكاد تجد فيها موضعا خاليا من الحيوان والنبات وهي أرض متخلخلة فانك تراها عند انصراف النيل بمنزلة الحمأة فاذا حلت الحرارة ما فيها من الرطوبة تشققت شقوقا عظاما والمواضع الكثيرة الحيوان والنبات أرض كثيرة العفونة وقد اجتمع على أرض مصر حرارة مزاجها وكثرة ما فيها من الحيوان والنبات فأوجب ذلك احتراقها وسواد طينها فصارت أرضا سوداء وما قرب منها من الجبل سبخ اما بورقي اومالح ويظهر من أرض مصر بالعشيات بخار أسود أو أغبر وخاصة في ايام الصيف وأرض مصر ذات اجزاء كثيرة ويختص كل جزء منها بشئ دون غيره وعلة ذلك ضيق عرضها واشتمال طولها على عرض الاقليم الثاني والثالث فان الصعيد فيه من النخل والسنط وآجام القصب والبردي ومواضع احراق الفحم وغير ذلك شئ كثير والفيوم فيه من النقائع وآجام القصب ومواضع تعطين الكتان شئ كثير وأسفل أرض مصر فيه من النبات انواع كثيرة كالقلقاس والموز وغير ذلك وبالجملة فكل بقعة من أرض مصر لها اشياء تختص بها وتنفصل عن غيرها قال والنيل يرطب يبس الصيف والخريف فقد استبان أن المزاج الغالب على أرض مصر الحرارة والرطوبة الفضلية وانها ذات اجزاء كثيرة وأن هواءها وماءها رديئان وقد بين الاوائل أن المواضع الكثيرة العفن يتحلل منها في الهواء فضول كثيرة لا تدعه يستقر على حال لاختلاف تصعدها وقد كان استبان أن هواء أرض مصر يسرع اليه التغير لان الشمس لا يثبت على أرض مصر شعاعها المدة الطبيعية فمن اجل هذين كثر اختلاف هواء أرض مصر فصار يوجد في اليوم الواحد على حالات مختلفة مرة حر ومرة برد ومرة يابس واخرى رطب ومرة متحرك واخرى ساكن ومرة الشمس صاحية ومرة قد سترها الغيم وبالجملة هواء مصر كثير الاختلاف غير لازم لطريقة واحدة فيصير من اجل ذلك في الاوعية والعروق من اخلاط البدن لا يلزم حدا واحدا وأيضا فان ما يتحلل كل يوم من البخار الرطب بأرض مصر يعوقه اختلاف الهواء وقلة سمك الجبال وكثرة حرارة الارض عن الاجتماع في الجو فاذا برد الهواء ببرد الليل انحدر هذا البخار على وجه الارض فيتولد عنه الضباب الذي يحدث عنه الطل والندا وربما تحلل هذا البخار بالتحلل الخفي فاذا تحلل كل يوم ما كان اجتمع من البخار في اليوم الذي قبله فمن أجل هذا لا يجتمع الغيم الممطر بأرض مصر

الا فى الندرة وظاهر أيضا أنّ أرض مصر يترطب هواؤها فى كل يوم بما يترقى اليه من البخار الرطب وما يتحلل (وقد قال) بعض الناس انّ الضباب يتكون من استحالة الهواء الى طبيعة الماء فاذا انضاف هذا الى ما قلناه كان ازيد فى بيان سرعة تغير الهواء بأرض مصر وكثرة العفونة فيها وقد استبان أنّ أرض مصر كثيرة الاختلاف كثيرة الرطوبة الفضلية التى يسرع اليها العفن (والعلة القصوى فى جميع ذلك هو أن أخص الاوقات بالجفاف فى الارض كلها يكثر فيه بمصر الرطوبة لانها تترطب فى الصيف والخريف بمدّ النيل وفيضه وهذا بخلاف ما عليه البلدان الاخر * وقد علمنا أبقراط أنّ رطوبة الصيف والخريف فضلية أعنى خارجة عن المجرى الطبيعى كرطوبة المطر الحادث فى الصيف ومن أجل هذه قلنا ان رطوبة مصر فضلية وذلك أن الحرارة واليبس هو بالحقيقة مزاج مصر الطبيعى وانما عرض له ما اخرجه عن اليبس الى الرطوبة الفضلية بمدّ النيل فى الصيف والخريف ولذلك كثرت العفونات بهذه الارض فهذا هو السبب الاعظم فى أن صارت أرض مصر على ما هى عليه من سخافة الارض وكثرة العفن ورداءة الماء والهواء الأ أن هذه الاشياء لا تحدث فى ابدان المصريين استحالة محسوسة اذا جرت على عادتها من اجل الف المصريين لهذه الحال ومشاكلة ابدانهم لها فان كل ما يتولد بأرض مصر من الحيوان والنبات مشابه لما عليه مصر فى سخافة الابدان وضعف القوى وكثرة التغير وسرعة الوقوع فى الامراض وقصر المدة كالحنطة بمصر فانها وشيكة الزوال سريع اليها العفن فى المدة اليسيرة ولا مطعن أن أبدان الناس وغيرهم تخالف ما عليه الحنطة من سرعة الاستحالة وكيف لا يكون الامر كذلك وأبدانهم مبنية من هذه الاشياء فحال ما يتولد بأرض مصر من النبات والحيوان فى السخافة وكثرة الفضول والعفن وسرعة الوقوع فى الامراض كحال سخافة أرضها وعفنها وفضولها وسرعة استحالتها لان النسبة واحدة ولذلك أمكن حياة الحيوان فيها ونبات النبات بها فان هذه الاشياء من حيث ناسبتها ولم تبعد من مشاكلتها أمكن حياتها (فاما) الاشياء الغريبة فانها اذا دخلت الى مصر تغيرت فى أول لقائها لهذا الهواء حتى اذا استقرت وألفت الهواء واستمرت عليه صحت مشاكلة لارض مصر * قال وأما جنس ما يؤكل ويشرب بأرض مصر فانّ الغلات سريعة التغير سخيفة متخلخلة تفسد فى الزمان اليسير كالحنطة والشعير والعدس والحمص والباقلاء والجلبان فانّ هذه تسوّس فى المدة القليلة ليس لشئ من الاغذية التى تعمل منها الذاذة ما لنظيره فى البلدان الاخر وذلك أنّ الخبز المعمول من الحنطة بمصر متى لبث يوما واحدا بليلته لا يؤكل وان اكل لم يوجد له لذاذة ولا تماسك لبعضه ببعض ولا يوجد فيه علوكة ولكنه يتكرج فى الزمان اليسير وكذلك الدقيق وهذا خلاف اخبار البلدان الاخر وكذلك الحال فى جميع غلات مصر وفواكهها وما يعمل فيها فانها وشيكة الزوال سريعة الاستحالة والتغير فأما ما يحمل من هذه الى مصر فظاهر أنّ مزاجها يتبدل باختلاف الهواء عليها ويستحيل عما كانت عليه الى مشاكلة ارض مصر الا انّ ما كان حديثا قريب العهد بالسفر فقد بقيت فيه من جودته بقايا صالحة فهذا حال الغلات (وأما) الحيوان الذى يأكله الناس فالبلدى منه مزاجه مشاكل لمزاج الناس بهذه الاراضى فى السخافة وسرعة الاستحالة فهو على هذا ملايم لطبائعهم والمجلوب كالكباش البرقية فالسفر يحدث فى ابدانها تحللا ويبسا واخلاطا لا تشاكل اخلاط المصريين ولهذا اذا دخلت مصر مرض اكثرها فاذا استقرت زمانا صالحا تبدل مزاجها ووافق مزاج المصريين (وأهل مصر) يشرب الجمهور منهم من ماء النيل وقد قلنا فى ماء النيل ما فيه كفاية وبعضهم يشرب مياه الآبار وهى قريبة من مشاكلتهم والمياه المخزونة فقل من يشربها بأرض مصر وأجود الاشربة عندهم الشمسى لانّ العسل الذى فيه يحفظ قوته ولا يدعه يتغير بسرعة والزمان الذى يعمل فيه خالص الحر فهو ينضجه والزبيب الذى يعمل منه مجلوب من بلاد أجود هواء (وأما الخمر) فقل من يعتصرها الا ويلقى معها عسلا وهى معتصرة من كرومهم فتكون مشاكلة لهم ولهذا صاروا يختارون الشمسى عليها وما عدا الشمسى والخمر من الشراب بأرض مصر فردىء لا خير فيه لسرعة استحالته من فساد مادته النبيذ التمرى والمطبوخ والمزر المعمول من الحنطة * وأغذية اهل مصر مختلفة فانّ اهل الصعيد يغتذون كثيرا بتمر النخل والحلاوة المعمولة من قصب السكر ويحملونها الى الفسطاط وغيرها فتباع هناك وتؤكل وأهل اسفل الارض يغتذون كثيرا بالقلقاس والجلبان ويحملون ذلك الى مدينة الفسطاط وغيرها فتباع هناك وتؤكل وكثير من اهل مصر يكثرون اكل

السمك طريا وما لحا وكثيرا يكثرون اكل الالبان وما يعمل منها وعند فلاحيهم نوع من الخبز يدعى كعكا يعمل من جريش الحنطة ويجفف وهوا كثرا كلهم السنة كلها وبالجملة فكل قوم منهم قد اعتنت ابدانهم من اشياء بأعيانها وألفتها ونشأت عليها الا أن الغالب على أهل مصر الاغذية الرديئة وليست تغير مزاجهم ما دامت جارية على العادة وهذا أيضا مما يؤكد امرهم في السخافة وسرعة الوقوع في الامراض وأهل الريف اكثر حركة ورياضة من أهل المدن ولذلك هم أصح ابدانا لان الرياضة تصلب أعضاءهم وتقويها وأهل الصعيد اخلاطهم أرق واكثر دخانية وتخلخلا وسخافة لشدة حرارة أرضهم من أسفل الارض وأهل أسفل الارض بمصر اكثر استفراغ فضولهم بالبراز والبول لفتور حرارة ارضهم واستعمالهم للاشياء الباردة والغليظة كالقلقاس (واما اخلاط المصريين فبعضها شبيه ببعض لان قوى النفس تابعة لمزاج البدن وابدانهم سخيفة سريعة التغير قليلة الصبر والجلد وكذلك اخلاقهم يغلب عليها الاستحالة والتنقل من شيء الى شيء والدعة والجبن والقنوط والشح وقلة الصبر والرغبة في العلم وسرعة الخوف والحسد والنميمة والكذب والسعي الى السلطان وذم الناس وبالجملة فيغلب عليهم الشرور الدنية التي تكون من دناءة الانفس وليس هذه الشرور عامة فيهم ولكنها موجودة في اكثرهم ومنهم من خصه الله بالفضل وحسن الخلق وبرأه من الشرور ومن أجل توليد أرض مصر الجبن والشرور الدنيئة في النفس لم تسكنها الاسد واذا دخلت ذلت ولم تتناسل وكلابها اقل جراءة من كلاب غيرها من البلدان وكذلك سائر ما فيها اضعف من نظيره في البلدان الاخر ما خلا ما كان منها في طبعه ملايمة لهذه الحال كالحمار والارنب * وقال ان جالينوس يرى أن فصل الربيع طبيعته الاعتدال ويناقض من ظن أنه حار رطب ومن شأن هذا الفصل أن تصح فيه الابدان ويجود هضمها وتنتشر الحرارة الغريزية فيه ويصفو الروح الحيواني لاعتدال الهواء وصفائه ومساواة ليله لنهاره وغلبة الدم والهواء المعتدل هو الذي لا يحس فيه ببرد ظاهر ولا حر ولا رطوبة ولا يبس ويكون في نفسه صافيا نقيا فيقوى فيه الروح الحيواني لهذا السبب وتصح الابدان ويكثر نشاط الحيوان وتنمو الاشياء وتزيد وتتوالد واذا طلبنا بأرض مصر مثل هذا الهواء لم نجده في وقت من السنة الا في امشير وبرمهات وبرمودة وبشنس عندما تكون الشمس في النصف الاخير من الدلو والحوت والحمل والثور فانا نجد بمصر في هذا الزمان اياما معتدلة نقية صافية لا يحس فيها بحر ظاهر ولا برد ولا رطوبة ولا يبوسة وتكون الشمس فيها نقية من الغيوم والهواء ساكنا لا يتحرك الا أن يكون ذلك في برمودة وبشنس فانه يحتاج الى أن تهب ريح الشمال ليعتدل ببردها حر الشمس وفي هذا الزمان تكثر حركة الحيوان وسفاده وتحسن اصواته وتورق الاشجار ويعقد الزهر وتقوى القوة المولدة ويغلب كيموس الدم وهذا الفصل في ارض مصر يتقدم زمانه الطبيعي بمقدار ما ينقص عن آخره وعلة ذلك قوة حرارة هذه الارض وقد يعرض في اول هذا الفصل ايام شديدة البرد وذلك في امشير اذا هبت ريح الشمال وكانت الشمس غير نقية من الغيوم وعلة ذلك دخول فصل الربيع في فصل الشتاء فاذا هبت ريح الشمال برد ببردها الهواء فأعادته بعد الاعتدال الى البرد ولكثرة ما يصعد من الارض في هذا الزمان من البخار الرطب يرطب الهواء ويعود الى حاله في فصل الشتاء وربما برد الهواء من هبوب رياح اخر فان ريح الجنوب التي هي اشد الرياح حرارة اذا هبت في هذا الزمان اكتسبت برودة من الارض والماء الذين قد بردهما هواء الشتاء فاذا مرت بشيء بردته ببرودتها العرضية حتى اذا دام هبوبها اياما كثيرة متوالية عادت الى حرارتها وأسخنت الهواء وأحدثت فيه يبسا والدليل على ان برد رياح الجنوب التي تعرفها المصريون بالمريسي يتولد من برد مياه مصر وأرضها لا بشيء طبيعي لها أنه لا يجتمع في الجو في ايام هبوبها الضباب الذي يجتمع من تحليل الحرارة للبخار الرطب بالنهار وجمع البرودة له بالليل فحرارة ريح الجنوب تفرق البرودة عن جمعه وتبدده في الهواء واذا دام هبوب هذه الريح أسخنت الماء والارض وعادت الى طبيعتها في الحرارة واذا كان فصل الربيع يتقدم زمانه الطبيعي ويختلف هذا الاختلاف والهواء في الاصل بمصر يختلف بكثرة استحالته وما يرقى اليه من البخار فما ظنك بغيره من الفصول ولذلك كثرت فيه الرياح وأخر الاطباء فيه سقي الادوية المسهلة الى أن يستقر أمره في شمس الحمل مع الثور ثم يدخل فصل الصيف في آخر بشنس وبؤنة وابيب وبعض مسرى عندما تكون الشمس في الجوزاء والسرطان والاسد وبعض السنبلة فيشتد الحر واليبس في هذا الزمان وتجف الغلات وتنضج الثمار ويجتمع من اكلها في الابدان كيموسات رديئة واذا نزلت الشمس في السرطان

أخذ النيل فى الزيادة والفيض على أرض مصر فيتغير مزاج الصيف الطبيعى بكثرة مايترقى الى الهواء من بخار الماء ويوجد فى اول هذا الفصل عند ماتكون الشمس فى الجوزاء ايام يشاكل هواؤها هواء الربيع عند ماتكون الشمس مستورة بالغيوم اوتكون الريح الشمال هابة ولهذا يغلط كثير من الاطباء ويسقى الادوية المسهلة فى هذا الزمان لظنه أن فصل الربيع لم يخرج الامن كان منهم احذق فهو يختار ما كان من هذه الايام اسكن حرارة والاكثر لا يشعرون ألبتة بهذه الحال * وفى آخر الصيف يكون فيض النيل فظاهر أن هذا الفصل يتقدم دخوله الزمان الطبيعى بقدر مايتقدم آخره وانه كثير الاضطراب بكثرة مايرقى اليه من بخار الارض فلولا استمرار ابدانهم على هذا الاختلاف ومشاكلتهم لهذه الحال لحدثت فيهم الامراض التى ذكرا بقراط انها تحدث اذا كان الصيف رطبا * ثم يدخل فصل الخريف وطبيعته يابسة من النصف الاخير من مسرى ثم توت وبابة وبعض ايام هاتور وتكون الشمس فى آخر السنبلة والميزان والعقرب فتكمل زيادة النيل فى اول هذا الفصل ويطلق على الارضين فيطبق ارض مصر ويرتفع منه فى الجو بخار كثير فينتقل مزاج الخريف عن اليبس الى الرطوبة حتى انه ربما وقع فيه الامطار وكثرة الغيم فى الجو ويوجد فى هذا الفصل ايام شديدة الحر لانها على الحقيقة ضعيفة فاذا نقى الجو من البخار الرطب عادت الى طبيعتها من الحرارة وفيه أيضا ايام شديدة الشبه بأيام الربيع تكون عند مايساوى الليل النهار ويرطب الماء يبس الهواء ويشتد فى هذا الفصل اضطراب الهواء بكثرة مايرتقى اليه من البخار الرطب فيكون مرة حارا واخرى باردا ومرة يابسا واكثر أوقاته يغلب عليه الرطوبة فلا يزال كذلك يتمزج حتى يغلب عليه رطوبة الماء فى آخر الامر ويصاد فى ايام الخريف من النيل اسماك كثيرة جدا يولدا كلها فى الابدان اخلاطا لزجة وكثيرا مايستحيل الى الصفرا اذا صادفت فى البدن خلطا صفراويا فمن اجل ذلك يضطرب مافى الابدان من الروح الحيوانى وتهيج الاخلاط ويفسد الهضم فى البطون والاوعية والعروق ويتولد من ذلك كيموسات رديئة كثيرة الاخلاط بعضها مرة صفراء وبعضها مرة سوداء وبعضها بلغم لزج وبعضها خلط خام وبعضها مرة محترقة وكثير منها يتركب من هذه الاشياء فتشير الامراض حتى اذا انصرف النيل فى آخر الخريف وانكشفت الارض وبرد الهواء وكثرت الاسماك واحتقن البخار وكثر مايرتفع به من الارض من العفونة واستحكم عند ذلك وجود العفن تزايدت الامراض ولولا الف أهل مصر لهذه الاشياء لكان مايحدث فيهم من الامراض اكثر من ذلك ثم يدخل فصل الشتاء وطبيعته باردة رطبة من النصف الآخر من هاتور ثم كيهك وطوبة وذلك عند ماتكون الشمس فى القوس والجدى وبعض الدلو وذلك اقل من ثلاثة اشهر والعلة فى ذلك قوة حرارة ارض مصر وكون الابدان مضطربة وتنكشف الارض فى اول هذا الفصل وتحرث وتعفن بالجملة لكثرة مايلقى فيها من البزور ومافيها من ازبال الحيوان وفضولها ولانها سخيفة وهى كالحمأة فى هذا الزمان فيتولد فيها من انواع الفار والدود والنبات والعشب وغير ذلك مالا يحصى كثرة ويتحلل منها فى الجو أبخرة كثيرة حتى يصير الضباب بالغدوات ساترا للابصار عن الالوان القريبة ويصاد أيضا من الاسماك المحبوسة فى المياه المخزونة شئ كثير وقد داخلها العفن لقلة حركتها فيولدا كلها فى الابدان فضولا كثيرة لزجة شديدة الاستعداد للعفن فتقوى الامراض فى اول هذا الفصل حتى اذا اشتد البرد وقوى الهضم فى الابدان واستقر الهواء على شئ واحد وعادت الحرارة الغريزية الى داخل وتطبقت الارض بالنبات وسكنت عفونتها صحت عند ذلك الابدان وهذا يكون فى آخر كيهك اوفى طوبة فقد استبان أن الفصول بارض مصر كثيرة الاختلاف وأن اردأ أقوات السنة عندهم واكثرها امراضا هو آخر الخريف واول الشتاء وذلك فى شهر هاتور وكيهك فاذا اختلاف الفصول مشاكل لما عليه ارضهم من الرداءة فضرة الفصول اذا بالابدان فى ارض مصر اقل منها فى البلدان الاخر اذا اختلفت هذا الاختلاف واستبان ايضا أن السبب الاول فى ذلك هو مد النيل فى ايام الصيف وتطبيقه الارض فى ايام الخريف بخلاف ماعليه مياه الانهار فى العمارة كلها فانها انما تمتد فى اخص الاوقات بالرطوبة وهو الشتاء والربيع * قال وقد استبان مما تقدم أن الرطوبة الفضلية بأرض مصر كثيرة وظاهر أن امراضهم البلادية تكون من نوع هذه الرطوبة فانى انا قلما رأيت امراضهم البلدية تكون من نوع هذه كلها الايشوبها فى اول امرها البلغم والخلط الخام والامراض كلها تحدث عندهم فى الاوقات كلها كما قال ابقراط واكثر امراضهم هى الفضلية اعنى العفنة من اخلاط صفراوية وبلغمية على مايشاكل مزاج

ارضهم وماذكرناه فيما تقدم يوجب حدوث الامراض كثيرا الا ان مشاكلة هذه بعضها بعضا واتفاقها فى سنة واحدة تمنع من أن تكون فى انفسها ممرضة متى لزمت العادة فأما اذا خرجت عن عادتها فهى تحدث مرضا وخروجها عن عادتها بمصر هو الذى اعدته اختلافا ممرضا الا الاختلاف الموجود فيها على الدائم والنيل ليس يحدث فى الابدان كل سنة مرضا ولكنه اذا أفرطت زيادته ودام مدة تزيد على العادة كان ذلك سببا لحدوث المرض الوافد فان قيل اذا كانت ابدان الناس بأرض مصر من السخافة على ماذكرت فلعلها فى مرض دائم فالجواب انا لسنا نبالى بهذا كيف كان لان المرض هو مايضر بالفعل ضررا محسوسا من غير توسط فمن اجل ذلك ليس ابدان المصريين فى مرض دائم ولكنها كثيرة الاستعداد نحو الامراض قال أما امراض مصر البلدية فقد ذكرنا من امرها مافيه كفاية وظهر ان اكثرها الامراض الفضلية التى يشوبها صفراء وخام على ان باقى الامراض تحدث عندهم بسرعة وقرب وخاصة فى آخر الخريف واول الشتاء *

وأما الامراض الوافدة ومعنى المرض الوافد هو مايعم خلقا كثيرا فى بلد واحد وزمان واحد ومنه نوع يقال له الموتان وهو الذى يكثر معه الموت وحدوث الامراض الوافدة تكون عن اسباب كثيرة يجتمع فى اجناس اربعة وهى تغير كيفية الهواء وتغير كيفية الماء وتغير كيفية الاغذية وتغير كيفية الاحداث النفسانية فالهواء تغير كيفيته على ضربين احدهما تغيره الذى جرت به العادة وهذا لا يحدث مرضا وافدا وليس تغيرا ممرضا والثانى التغير الخارج عن مجرى العادة وهذا هو الذى يحدث المرض الوافد وكذلك الحال فى الاجناس الباقية وخروج تغير الهواء عن عادته يكون اما بأن يسخن اكثر أو يبرد أو يرطب او يجفف أو يخالطه حال عفنة والحالة العفنة اما أن تكون قريبة او بعيدة فان ابقراط وجالينوس يقولان انه ليس يمنع مانع من أن يحدث ببلد اليونانيين مرض واحد عن عفونة اجتمعت فى بلاد الحبشة وتراقت الى الجو وانحدرت على اليونانيين فأحدثت فيهم المرض الوافد وقد يتغير أيضا مزاج الهواء عن العادة بأن يصل وفد كثير قد أنهك ابدانهم طول السفر وساءت اخلاطهم فيخالط الهواء منها شئ كثير ويقع الاعداء فى الناس ويظهر المرض الوافد والماء أيضا قد يحدث المرض الوافد اما بأن يفرط مقداره فى الزيادة او النقصان او يخالطه حال عفنة ويضطر الناس الى شربه ويعفن به أيضا الهواء المحيط بأبدانهم وهذه الحال تخالطه اما قريبا او بعيدا بمنزلة ما يمر فى جريانه بموضع جرب قد اجتمع فيه من جيف الموتى شئ كثير أو بمياه تقاطع عفنة فيجرها معه ويخالط جسمه والاغذية تحدث المرض الوافد اما اذا لحقها اليرقان وارتفعت اسعارها واضطر الناس الى اكلها واما اذا اكثر الناس منها فى وقت واحد كالذى يكون فى الاعياد فيكثر فيهم التخم ويمرضون مرضا متشابها واما من قبيل فساد مرعى الحيوان الذى يؤكل او فساد الماء الذى يشرب والاحداث النفسانية تحدث المرض الوافد متى حدث فى الناس خوف عام من بعض الملوك فيطول سهرهم وتفكرهم فى الخلاص منه وفى وقوع البلاء فيسوء هضمهم وتتغير حرارتهم الغريزية وربما اضطروا الى حركة عنيفة فى هذه الحال او يتوقعوا قحط بعض السنين فيكثرون الحركة والاجتهاد فى ادخار الاشياء ويشتد غمهم بما سيحدث فجميع هذه الاشياء تحدث فى ابدان الناس المرض الوافد متى كان المتعرض لها خلق كثير فى بلد واحد ووقت واحد وظاهر أنه اذا كثر فى وقت واحد المرضى بمدينة واحدة ارتفع من ابدانهم بخار كثير فيتغير مزاج الهواء فاذا صادف بدنا مستعدا امرضه وان كان صاحبه لم يتعرض لما يتعرض اليه الناس فالامراض الوافدة بمصر تحدث اما عن فساد لم تجر به العادة يعرض الهواء سواء كان مادة فساده من أرض مصر أو من البلاد التى تجاورها كالسودان والحجاز والشام وبرقة او يعرض للنيل بأن تفرط زيادته فتكثر زيادة الرطوبة والعفن او تقل زيادته جدا فيجف الهواء عن مقدار العادة ويضطر الناس الى شرب مياه رديئة او يخالطه عفونة تحدث عن جرب يكون بأرض مصر أو ببلاد السودان أو غيرها يموت فيها خلق كثير ويرتفع بخار جيفهم فى الهواء فيعفنه ويتصل عفنه اليهم أو بسيل الماء ويحمل معه العفن او يغلو السعر أو يلحق الغلات آفة او يدخل على الكباش ونحوها مضرة او يلحق الناس خوف عام او قنوط وكل واحد من هذه الاسباب يحدث فى ارض مصر مرضا وافدا يكون قوته بمقدار قوة السبب المحدث له وان كان اكثر من سبب واحد كان ذلك المرض أشد واقوى وأسرع فى القتل * قال فمزاج ارض مصر حار رطب بالرطوبة الفضلية وما قرب من الجنوب بارض مصر كان اسخن وأقل عفنا فى ماء النيل

مما كان منها فى الشمال ولاسيما من كان فى شمال الفسطاط مثل أهل الشمور فان طباعهم اغلظ والبله عليهم اغلب وذلك انهم يستعملون اغذية غليظة جدا ويشربون من الماء الردى * وأما اسكندرية وتنيس وامثال هذه فقربها من البحر وسكون الحرارة والبرد عنهم وظهور الصبا فيهم مما يصلح امرهم ويرق طباعهم ويرفع هممهم ولا يعرض لهم ما يعرض لاهل الشمور من غلظ الطبع والجمادية واحاطة البحر بمدينة تنيس توجب غلبة الرطوبة عليها وما يسر اخلاق أهلها قال انه لما كانت ارض مصر وجميع ما فيها سخيفة الاجسام سريعا اليها التغير والعفن وجب على الطبيب أن يختار من الاغذية والادوية ما كان قريب العهد حديثا لان قوته تعد باقية عليه لم تغير كل التغير وأن يجعل علاجه ملايما لما عليه الابدان بأرض مصر ويجتهد فى أن يجعل ذلك الى الجهة المضادة أميل قليلا ويتجنب الادوية القوية الاسهال وكل ماله قوة مفرطة وان نكاية هذه الابدان سريعة سيما وابدان المصريين سريعة الوقوع فى النكايات ويختار ما يكون من الادوية المسهلة وغيرها ألين قوة حتى لا يكون على طبيعة المصريين منها كلفة ولا يلحق ابدانهم مضرة ولا يقدم على الادوية الموجودة فى كتب اطباء اليونانيين والفرس فان اكثرها عملت لابدان قوية البنية عظيمة الاخلاط وهذه الاشياء قلما توجد بمصر فلذلك يجب على الطبيب أن يتوقف فى اعطاء هذه الادوية للمرضى ويختار ألينها وينقص عن مقدار شرباتها ويبدل كثيرا منها بما يقوم مقامه ويكون ألين منه فيتخذ السكنجبين السكرى فى مقام العسلى والجلاب بدلا من ماء العسل واعلم ان هواء مصر يعمل فى المعجونات وسائر الادوية ضعفا فى قوتها فأعمار الادوية المفردة والمركبة المعجون منها وغير المعجون بمصر اقصر من اعمارها فى غير مصر فيحتاج الطبيب بمصر الى تقدير ذلك وتمييزه حتى لا يشتبه عليه شئ مما يحتاج اليه واذا لم يكتف فى تنقية البدن بالدواء المسهل دفعة واحدة فلا بأس باعادته بعد أيام فان ذلك احمد من ايراد الدواء الشديد القوة فى دفعة واحدة قال ولكون ارض مصر تولد فى الاجسام سخافة وسرعة قبول للمرض وجب أن تكون الابدان على الهيئة الفاضلة بأرض مصر قليلة جدا فأما الابدان الباقية فكثيرة وأن تكون الصحة التامة عندهم على الامر الاكثر فى القريبة من الهيئة الفاضلة والطريق الاولى التى تدبر بها الابدان ان فى الهيئة الفاضلة يحتاج فيها بأرض مصر الى أن يدبر الهواء والغذاء والماء وسائر الاشياء تدبيرا يصير به فى غاية الاعتدال ولان الهضم كثيرا ما يسوء بأرض مصر وكذلك الروح الحيوانى فيجب صرف العناية الى مراعاة امر القلب والدماغ والكبد والمعدة والعروق وسائر الاعضاء الباطنة فى تجويد الهضم واصلاح امر الروح الحيوانى وتنظيف الاوساخ الاخة وقال فى شرح كتاب الاربع لبطلميوس وأما سائر اجزاء الربع الذى يميل الى وسط جميع الارض المسكونة اعنى بلاد برقة وسواحل البحر من مربوط الى الاسكندرية ورشيد ودمياط وتنيس والفرما وأسفل الارض بمصر ونواحى مدينة منف ومدينة الفسطاط وما يلى شرقى النيل من صعيد مصر والفيوم الى اعلى الصعيد مما فى غرب النيل وارض الواحات وارض النوبة والبجة والارض التى على البحر فى شرقى بلاد النوبة والحبشة فان هذه البلاد موضوعة فى الزاوية التى تؤثر فى جميع الربع الموضوع فيما بين الدبور والجنوب وهى من جملة النصف الغربى من الربع المعمور والكواكب الخمسة المتحيرة تشترك فى تدبيرها فصار اهلها محبين لله ويعظمون الجن ويحبون النوح ويدفنون موتاهم فى الارض ويخفونهم ويستعملون سننا مختلفة وعادات وآراء شتى لميلهم الى الاسرار التى تدعو كل طائفة منهم الى امر من الامور الخفية فيعتقده ويوافقه جماعة ومن اجل هذه الاسرار كان المستخرج للعلوم الدقيقة كالهندسة والنجوم وغيرها فى الزمان الاول اهل مصر ومنهم تفرقت فى العالم واذا ساسهم غيرهم كانوا اذلاء والغالب عليهم الجبن والاستخذاء فى الكلام واذا ساسوا غيرهم كانت انفسهم طيبة وهممهم كثيرة ورجالهم يتخذون نساء كثيرة وكذلك نساؤهم يتخذن عدة رجال وهم منهمكون فى الجماع ورجالهم كثيرو النسل ونساؤهم سريعات الحمل وكثير من ذكرانهم تكون انفسهم ضعيفة مؤنثة * وقال أبو الصلت وأما سكان ارض مصر فأخلاط من الناس مختلفوا الاصناف والاجناس من قبط وروم وعرب واكراد وديلم وحبشان وغير ذلك من الاصناف الا أن جمهورهم قبط قالوا والسبب فى اختلاطهم تداول المالكين لها والمتغلبين عليها من العمالقة واليونانيين والروم وغيرهم فلهذا اختلطت انسابهم واقتصروا من التعريف بأنفسهم على الاشارة الى مواضعهم والانتماء الى مساقط هم فيها وحكى انهم كانوا فى الزمن السالف عبادا اصنام ومدبرى هيا كل

الى

الى أن ظهر دين النصرانية وغلب على ارض مصر فتنصروا وبقوا على ذلك الى أن فتحها المسلمون فأسلم بعضهم وبقي بعضهم على دين النصرانية وأما اخلاقهم فالغالب عليها اتباع الشهوات والانهماك في اللذات والاشتغال بالترهات والتصديق بالمحالات وضعف المرائر والعزمات ولهم خبرة بالكيد والمكر وفيهم بالفطرة قوة على التلطف فيه وهداية اليه لما في اخلاقهم من الملق والبشاشة التي أربوا فيها على من تقدم وتأخر وخصوا بالافراط فيها دون جميع الامم حتى صار أمرهم في ذلك مشهورا والمثل بهم مضروبا وفي خبثهم ومكرهم يقول أبو نواس

محضتكم يا أهل مصر نصيحتي * الا فخذوا من ناصح بنصيب

رماكم أمير المؤمنين بحية * أكول لحيات البلاد شروب

فان يك باق أفك فرعون فيكم * فان عصا موسى بكف خصيب

قال مؤلفه رحمه الله تعالى وقد مر لي قديما ان منطقة الجوزاء تسامت رؤس اهل مصر فلذلك يتحدثون بالاشياء قبل كونها ويخبرون بما يكون وينذرون بالامور المستقبلة ولهم في هذا الباب اخبار مشهورة (قال ابن الطوير وقد ذكر استيلاء الفرنج على مدينة صور فعاد الحفظ والحراسة على مدينة عسقلان فما زالت محمية بالابدال المجردة اليها من العساكر والاساطيل والدولة تضعف اولا فأولا باختلاف الآراء فثقلت على الاجناد وكبر امرها عندهم واشتغلوا عنها فضايقها الفرنج حتى اخذوها في سنة ثمان واربعين وخمسمائة ولقد سمعت رجلا قبل ذلك بسنين يحدث بهذه الامور ويقول في سنة ثمان تؤخذ عسقلان بالامان * ومن هذا الباب واقعة الكنائس التي للنصارى وذلك انه لما كان يوم الجمعة تاسع شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين وسبعمائة والناس في صلاة الجمعة كانما نودي في اقليم مصر كله من قوص الى الاسكندرية بهدم الكنائس فهدم في تلك الساعة بهذه المسافة الكبيرة عدد كثير من الكنائس كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر كنائس النصارى ومن هذا الباب واقعة ألدمر وذلك انه خرج الامير ألدمر امير جندار يريد الحج من القاهرة في سنة ثلاثين وسبعمائة وكانت فتنة بمكة قتل فيها ألدمر يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة فاشيع في هذا اليوم بعينه في القاهرة ومصر وقلعة الجبل بأن وقعة كانت بمكة قتل فيها الدمر فطار هذا الخبر في ريف مصر واشتهر ولم يكترث الملك الناصر محمد بن قلاون بهذا الخبر فلما قدم المبشرون على العادة اخبروا بالواقعة وقتل الامير سيف الدين ألدمر في ذلك اليوم الذي كانت الاشاعة فيه بالقاهرة قال جامع السيرة الناصرية كنت مع الامير علم الدين الخازن في الغربية وقد خرج اليها كاشفا فلما صليت انا وهو صلاة الجمعة وعدنا الى البيت قدم بعض غلمانه من القاهرة فأخبرنا انه اشيع بأن فتنة كانت بمكة قتل فيها جماعة من الاجناد وقتل فيها الامير الدمر أمير جندار فقال له الامير علم الدين هل حضر احد من الحجاز بهذا الخبر قال لا فقال ويحك الناس ما تحضر من منى بمكة الا ثالث يوم بعد عيد النحر فكيف سمعتم هذا الخبر الذي لا يسمعه عاقل فقال قد استفيض ذلك وكان الامر كما اشيع (ووقع لي في شهر رمضان من شهور سنة احدى وتسعين وسبعمائة اني مررت في الشارع بين القصرين بالقاهرة بعد العتمة فاذا العامة تتحدث بأن الملك الظاهر برقوق خرج من سجنه بالكرك واجتمع عليه الناس فضبطت ذلك فكان اليوم الذي خرج فيه من السجن وفي هذا الباب من هذا كثير * (ومن اخلاق أهل مصر قلة الغيرة وكفاك ما قصه الله سبحانه وتعالى من خبر يوسف عليه السلام ومراودة امرأة العزيز له عن نفسه وشهادة شاهد من أهلها عليها بما بين لزوجها منها السوء فلم يعاقبها على ذلك بسوى قوله استغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين * وقال ابن عبد الحكم وكان نساء أهل مصر حين غرق من غرق منهم مع فرعون ولم يبق الا العبيد والاجراء لم يصبروا عن الرجال فطفقت المرأة تعتق عبدها وتتزوجه وتتزوج الاخرى اجيرها وشرطن على الرجال أن لا يفعلوا شيأ الا باذنهن فأجابوهن الى ذلك فكان امر النساء على الرجال فحدثني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب ان نساء القبط على ذلك الى اليوم اتباعا لمن مضى منهم لا يبيع احدهم ولا يشتري الا قال أستأمر امرأتي وقال ان فرعون لما غرق ومعه اشراف مصر لم يبق من الرجال من يصلح للمملكة فعد الناس في مراتبهم بنت الملك ملكة وبنت الوزير وزيرة وبنت الوالي وبنت الحاكم على هذا الحكم وكذلك بنات القواد والاجناد فاستولت النساء على المملكة مدة سنين وتزوجن بالعبيد واشترطن عليهم ان الحكم والتصرف لهن فاستمر ذلك مدة من الزمان ولهذا صارت الوان أهل مصر سمرا من اجل انهم اولاد العبيد السود الذين نكحوا نساء القبط بعد الغرق واستولدوهن

وأخبرني الامير الفاضل الثقة ناصر الدين محمد بن محمد بن الغرابيلي الكركي رحمه الله تعالى انه منذ سكن مصر يجد من نفسه رياضة في اخلاقه وترخصا لاهله ولينا ورقة طبع من قلة الغيرة وممالم نزل نسمعه دائما بين الناس ان شرب ماء النيل ينسي الغريب وطنه * ومن اخلاق أهل مصر الاعراض عن النظر في العواقب (فلا تجدهم يدخرون عندهم زادا كما هي عادة غيرهم من سكان البلدان بل يتناولون اغذية كل يوم من الاسواق بكرة وعشيا ومن اخلاقهم الانهماك في الشهوات والامعان من الملاذ وكثرة الاستهتار وعدم المبالاة قال لي شيخنا الاستاذ أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله تعالى أهل مصر كأنما فرغوا من الحساب وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سأل كعب الاحبار عن طبائع البلدان واخلاق سكانها فقال ان الله تعالى لما خلق الاشياء جعل كل شئ لشئ فقال العقل انا لاحق بالشام فقالت الفتنة وانا معك وقال الخصب أنا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك وقال الشقاء أنا لاحق بالبادية فقالت الصحة وأنا معك * ويقال لما خلق الله الخلق خلق معهم عشرة اخلاق الايمان والحيا والنجدة والفتنة والكبر والنفاق والغنى والفقر والذل والشقاء فقال الايمان أنا لاحق باليمن فقال الحياء وأنا معك وقالت النجدة أنا لاحقة بالشام فقالت الفتنة وأنا معك وقال الكبر أنا لاحق بالعراق فقال النفاق وأنا معك وقال الغنى أنا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك وقال الفقر أنا لاحق بالبادية فقال الشقاء وأنا معك وعن ابن عباس رضي الله عنهما المكر عشرة اجزا تسعة منها في القبط وواحد في سائر الناس ويقال اربعة لا تعرف في اربعة السخاء في الروم والوفاء في الترك والشجاعة في القبط والعمر في الزنج * ووصف ابن العربية أهل مصر فقال عبيد لمن غلب أكيس الناس صغارا وأجهلهم كبارا (وقال المسعودي) لما فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغير ذلك كتب الى حكيم من حكماء العصر انا اناس عرب قد فتح الله علينا البلاد ونريد ان نتبوأ الارض ونسكن البلاد والامصار فصف لي المدن وأهويتها ومساكنها وما تؤثره الترب والاهوية في سكانها فكتب اليه وأما ارض مصر فأرض قوراء غوراء ديار الفراعنة ومساكن الجبابرة ذمها اكثر من مدحها هواؤها كدر وحرها زائد وشرها مائد تكدر الالوان والفطن وتركب الاحن وهي معدن الذهب والجوهر ومغارس الغلات غير أنها تسمن الابدان وتسود الانسان وتنمو فيها الاعمار وفي أهلها مكر ورياء وخبث ودهاء وخديعة وهي بلدة مكسب ليست بلدة مسكن لترادف فتنها واتصال شرورها وقال عمر بن شبه ذكر ابن عبيدة في كتاب اخبار البصرة عن كعب الاحبار خير نساء على وجه الارض نساء أهل البصرة الا ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من نساء قريش وشر نساء على وجه الارض نساء أهل مصر وقال عبد الله بن عمرو لما اهبط ابليس وضع قدمه بالبصرة وفرخ بمصر وقال كعب الاحبار ومصر ارض نجسة كالمرأة العاذل يطهرها النيل كل عام * وقال معاوية بن أبي سفيان وجدت أهل مصر ثلاثة اصناف فثلث ناس وثلث يشبه الناس وثلث لا ناس فأما الثلث الذين هم الناس فالعرب والثلث الذين يشبهون الناس فالموالي والثلث الذين لا ناس المسالمة يعني القبط

(ذكر شئ من فضائل النيل)

اخرج مسلم من حديث أنس رضي الله عنه في حديث المعراج أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم رفعت لي سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قلت ماذا يا جبريل قال هذه سدرة المنتهى واذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات وفي التوراة وخلق فردوسا في عدن وجعل الانسان فيه واخرج منه نهران فقسمهما اربعة اجزاء جيحون المحيط بأرض حويلا وسيحون المحيط بأرض كوش وهو نيل مصر ودجلة الاخذ الى العراق والفرات * وروى ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال نيل مصر سيد الانهار سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب فاذا اراد الله أن يجري نيل مصر أمر كل نهر أن يمده فمدته الانهار بمائها وفجر الله له الارض عيونا فأجرته الى ما اراد الله عز وجل فاذا انتهت جريته اوحى الى كل ماء أن يرجع الى عنصره وعن يزيد بن ابي حبيب ان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سأل كعب الاحبار هل تجد لهذا النيل في كتاب الله خبرا قال اي والذي فلق البحر لموسى اني لاجده في كتاب الله ان الله يوحي اليه في كل عام مرتين يوحي اليه عند جريته ان الله يأمرك أن تجري فيجري ما كتب الله له ثم يوحي اليه بعد ذلك يا نيل عد حميدا وعن كعب الاحبار أنه قال اربعة انهار من الجنة وضعها الله

في

فى الدنيا النيل نهر العسل فى الجنة والفرات نهر الخمر فى الجنة وسيحان نهر الماء فى الجنة وجيحان نهر اللبن فى الجنة وقال المسعودى نهر النيل من سادات الانهار وأشراف البحار لانه يخرج من الجنة على ما ورد به خبر الشريعة وقد قال ان النيل اذا زاد غاضت له الانهار والاعين والآبار واذا غاض زادت فزيادته من غيضها وغيضه من زيادتها وليس فى انهار الدنيا نهر يسمى بحرا غير نيل مصر لكبره واستبحاره * وقال ابن قتيبة فى كتاب غريب الحديث وفى حديثه عليه السلام نهران مؤمنان ونهران كافران أما المؤمنان فالنيل والفرات وأما الكافران فدجلة ونهر بلخ انما جعل النيل والفرات مؤمنين على التشبيه لانهما يفيضان على الارض ويسقيان الحرث والشجر بلا تعب فى ذلك ولا مؤنة وجعل دجلة ونهر بلخ كافرين لانهما لا يفيضان على الارض ولا يسقيان الاشيا قليلا وذلك القليل بتعب ومؤنة فهذان فى الخير والنفع كالمؤمنين وهذان فى قلة الخير والنفع كالكافرين

(ذكر مخرج النيل وانبعاثه)

اعلم ان البحر المحيط بالمعمور اذا خرج منه نهر الهند افترق قطعا كما تقدم وكان منه قطعة تسمى بحر الزنج وهى مما يلى بلاد اليمن وبحر بربر وفى هذه القطعة عدة جزائر منها جزيرة القمر بضم القاف واسكان الميم وراء مهملة ويقال لهذه الجزيرة أيضا جزيرة ملاى وطولها اربعة اشهر فى عرض عشرين يوما الى أقل من ذلك وهذه الجزيرة تحاذى جزيرة سرنديب وفيها عدة بلاد كثيرة منها قرية واليها ينسب الطائر القمرى ويقال ان بهذه الجزيرة خشب ينحت من الخشبة ساق طوله ستون ذراعا يجذف على ظهره مائة وستون رجلا وان هذه الجزيرة ضاقت بأهلها فبنوا على الساحل محلات يسكنونها فى سفح جبل يعرف بهم يقال له جبل القمر * واعلم ان الجبال كلها متشعبة من الجبل المستدير بغالب معمور الارض وهو المسمى بجبل قاف وهو أم الجبال كلها تتشعب منه فيتصل فى موضع وينقطع فى آخر وهو كالدائرة لا يعرف له اول اذ كان كالحلقة المستديرة لا يعرف طرفاها وان لم يكن استدارة كرية ولكنها استدارة احاطة وزعم قوم ان امهات الجبال جبلان خرج أحدهما من البحر المحيط فى المغرب آخذا جنوبا وخرج الآخر من البحر الرومى آخذا شمالا حتى تلاقيا عند السد وسموا الجنوبى قاف وسموا الشمالى قافونا والاظهر انه جبل واحد ومحيط بغالب بسيط المعمور وانه هو الذى يسمى بجبل قاف فيعرف بذلك فى الجنوب ويعرف فى الشمال بجبل قافونا ومبدأ هذا الجبل المحيط من كتف السد آخذا من وراء صنم الخط المشجوج الى شعبته الخارجة منه المعمول بها باب الصين أخذا على غربى صين الصين ثم ينعطف على جنوبه مستقيما فى نهاية الشرق على جانب البحر المحيط مع الفرجة المنفرجة بينه وبين البحر الهندى الداخلة ثم ينقطع عند مخرج البحر الهندى المحيط مع خط الاستواء حيث الطول مائة وسبعون درجة ثم يتصل من شعبة البحر الهندى الملاقى لشعبة المحيط الخارجة الى بحر الظلمات من الشرق بجنوب كثير من وراء مخرج البحر الهندى فى الجنوب وتبقى الظلمات من هاتين الشعبتين شعبة المحيط الجائية على جنوب الظلمات شرقا مغربا ومخرج البحر الهندى الجائية على الظلمات حتى تتلاقى الشعبتان عند مخرج هذا الجبل كتفصيل السراويل ثم ينفرج برأس البحرين شعبتان على مبدأ هذا الجبل ويبقى الجبل بينهما كأنه خارج من نفس الماء ومبدأ هذا الجبل هنا وراء قبة ارين عن شرقيها وبعده منها خمس عشرة درجة ويقال لهذا الجبل فى اوله المجرد ثم تمتد حتى تنتهى فى القسم الغربى الى طوله الى خمس وستين درجة من اول المغرب وهنالك يتشعب من الجبل المذكور جبل القمر وينصب منه النيل وبه احجار براقة كالفضة تتلألأ تسمى ضحكة الباهت كل من نظرها ضحك والتصق بها حتى يموت ويسمى مغناطيس الناس ويتشعب منه شعب تسمى اسيفى اهله كالوحوش ثم ينفرج منه فرجة ويمر منه شعب الى نهاية المغرب فى البحر المحيط يسمى جبل وحشية به سباع لها قرون طوال لا تطاق وينعطف دون تلك الفرجة من جبل قاف شعاب منها شعبتان الى خط الاستواء يكتنفان مجرى النيل من الشرق والغرب فالشرقى يعرف بجبل قاقول وينقطع عند خط الاستواء والغربى يعرف بادمرية يجرى عليه نيل السودان المسمى ببحر الدمادم وينقطع تلقاء مجالات الحبشة ما بين مدينة سفرة وحمى وراء هذه الشعبة يمتد منه شعبة هى الام من الموضع المعروف فيه الجبل بأسيفى المذكور الى خط الاستواء حيث الطول هنالك عشرون درجة ويعرف هنالك بجبل كرسقابه وبه وحوش ضارية ثم ينتهى الى البحر المحيط وينقطع دونه بفرجة وذلك وراء التكرور وعند مدينة قلتبورا ووراء هذا الجبل سودان يقال لهم تمتم يأكلون الناس ثم تتصل الام من ساحل

البحر الشامي في شماله شرقي رومية الكبرى مسامتا للشعبة المسماة ادمدمه المنقطعة بين سمعرة وحمى لا يكاد يخطوها حيث الطول خمس وثلاثون درجة ويقع منشأ اتصال هذه الام على عرض خمسين درجة وكذلك تقع شعبها الآخذة في الجنوب على عرض خمسين درجة عند آخرها ما بين سردانة و بالنسية وتتناهى وصلة هذه الام الى البحر المحيط في نهاية الشمال قبالة جزيرة بركانية وتبقى سوسية داخل الجبل ثم تمتد هذه الام بعد انقطاع اطيف و ينعطف انعطاف خرجة البحر المحيط في المغرب على الصقلب المسماة بحر الانفلشين ممتدا الى غاية المشرق و يسمى هنالك بجبل قاقونا ويبقى وراءه البحر جامدا لشدة البرد ثم ينعطف من الشمال الى المشرق جنوبا بتغريب الى كتف السد الشمالي فيتلاقى هنالك الطرفان وبينهما في الفرجة المنفرجة سوّى ذو القرنين بين الصدفين وفي جودة القمر ثلاثة انهار أحدها في شرقيها من قنطورا ومعلا وثانيها في غربيها ينصب من جبل قدم آدم على مدينة سبا ويأخذ مارا على مدينة فردرا وينجر هنالك بحيرة في جنوبها مدينة كما حيث محل السودان الذين يأكلون الناس وثالثها في غربيها ايضا ويخرج من الجبل المشبه ماء محدودب الذيل يطوف بمدينة دهما فتبقى مدينة دهما في جزيرة بينهما يكون هو محيطا بها شرقا وجنوبا وغربا و يصير لذلك كالجزيرة ويتصل شمالها بالبحر الهندي وتقع مدينة قواره في غربيه حيث يصب في البحر الهندي * ومن جبل القمر يخرج نهر النيل وقد كان يتبدد على وجه الارض فلما قدم نقراوش الجدار بن مصريم الاول بن مركابيل بن دوابيل ابن عرباب ابن آدم عليه السلام الى ارض مصر ومعه عدة من بني عرباب واستوطنوها وبنوا بها مدينة امسوس وغيرها من المداين حفروا النيل حتى اجروا ماءه اليهم ولم يكن قبل ذلك معتدل الجرى بل ينبطح ويتفرق في الارض حتى وجه الى النوبة الملك نقراوش فهندسوه وساقوا منه انهارا الى مواضع كثيرة من مدنهم التي بنوها وساقوا منه نهرا الى مدينة امسوس ثم لما خربت ارض مصر بالطوفان وكانت ايام البودشير بن قفط بن مصر بن بيصر بن حام ابن نوح عليه السلام عدل جانبي النيل تعديلا ثانيا بعدما اتلفه الطوفان * قال الاستاذ ابراهيم ابن وصيف شاه فالملك البودشير وتجبروهو أول من تكهن وعمل بالسحر واحتجب عن العيون وقد كانت اعمامه اشمن واتريب وصا ملوكا على احيازهم الا انه قهرهم بجبروته وقوته فكان الذكر له كما تجبر ابوه على من قبله لانه كان اكبرهم وكذلك اغضوا عنه فيقال انه ارسل هرمس الكاهن المصري الى جبل القمر الذي يخرج النيل من تحته حتى عمل هنالك التماثيل النحاس وعدل البطيحة التي ينصب فيها ماء النيل ويقال انه الذي عدل جانبي النيل وقد كان يفيض وربما انقطع في مواضع وهذا القصر الذي فيه تماثيل النحاس يشتمل على خمس وثمانين صورة جعلها هرمس جامعة لما يخرج من ماء النيل بمعاقد ومصاب مدورة وقنوات يجرى فيها الماء وينصب اليها اذا خرج من تحت جبل القمر حتى يدخل من تلك الصور ويخرج من حلوقها وجعل لها قياسا معلوما بمقاطع واذرع مقدرة وجعل ما يخرج من هذه الصور من الماء ينصب الى الانهار ثم يصير منها الى بطيحتين ويخرج منهما حتى ينتهي الى البطيحة الجامعة للماء الذي يخرج من تحت الجبل وعمل لتلك الصور مقادير من الماء الذي يكون معه الصلاح بأرض مصر وينتفع به أهلها دون الفساد وذلك الانتهاء المصلح ثمانية عشر ذراعا بالذراع الذي مقداره اثنان وثلاثون اصبعا وما فضل عن ذلك عدل عن يمين تلك الصور وشمالها الى مسارب يخرج ويصب في رمال وغياض لا ينتفع بها من خلف خط الاستواء ولولا ذلك لغرّق ماء النيل البلدان التي يمر عليها * قال وكان الوليد بن درمع العمليقي قد خرج في جيش كثيف يتنقل في البلدان و يقهر ملوكها ليسكن ما يوافقه منها فلما صار الى الشام انتهى اليه خبر مصر وعظم قدرها وان امرها قد صار الى النساء وباد ملوكها فوجه غلاما له يقال له عون الى مصر وسار اليها بعده واستباح أهلها وأخذ الاموال وقتل جماعة من كهنتها ثم سنح له أن يخرج ليقف على مصب النيل فيعرف ما بحافتيه من الامم فأقام ثلاث سنين يستعد لخروجه وخرج في جيش عظيم فلم يمر بأمة الا اباده وامر على امم السودان وجاوزهم ومرّ على ارض الذهب فرأى فيها قضبانا نابتة من ذهب ولم يزل يسير حتى بلغ البطيحة التي ينصب ماء النيل فيها من الانهار التي تخرج من تحت جبل القمر وسار حتى بلغ هيكل الشمس وتجاوزه حتى بلغ جبل القمر وهو جبل عال وانما سمي جبل القمر لان القمر لا يطلع عليه لانه خارج من تحت خط الاستواء ونظر الى النيل يخرج من تحته فيمرّ في طرايق وأنهار دقاق حتى ينتهي الى حظيرتين ثم يخرج منهما في نهرين حتى ينتهي الى حظيرة اخرى فاذا جاوز خط الاستواء مدّته

عين

عين تخرج من ناحية نهر مكران بالهند وتلك العين أيضا تخرج من تحت جبل القمر الى ذلك الوجه ويقال ان نهر مكران مثل النيل يزيد وينقص وفيه التماسيح والاسماك التى مثل اسماك النيل ووجد الوليد بن دومع القصر الذى فيه التماثيل النحاس التى عملها هرمس الاوّل فى وقت البودشير بن قنطريم بن قبطيم ابن مصرايم وقد ذكر قوم من اهل الاثر أن الانهار الاربعة تخرج من اصل واحد من قبة فى ارض الذهب التى من وراء البحر المظلم وهى سيحون وجيحون والفرات والنيل وأن تلك الارض من ارض الجنة وأن تلك القبة من زبرجد وأنها قبل ان تسلك البحر المظلم احلى من العسل وأطيب رايحة من الكافور وممن جاء بهذا رجل من ولد العيص بن اسحاق ابن ابراهيم عليهما السلام وصل الى تلك القبة وقطع البحر المظلم وكان يقال له حايد وقال آخرون تنقسم هذه الانهار على اثنين وسبعين قسما حذاء اثنين وسبعين لسانا للامم وقال آخرون هذه الانهار من ثلوج تتكاثف ويذيبها الحرّ فتسيل الى هذه الانهار وتسقى من عليها لما يريد الله عزوجل من تدبير خلقه قالوا ولما بلغ الوليد جبل القمر رأى جبلا عاليا فعمل حيلة الى ان صعد اليه ليرى ما خلفه فأشرف على البحر الاسود الزفتى المنتن ونظر الى النيل يجرى عليه كالانهار الدقاق فأتته من ذلك البحر روائح منتنة هلك كثير من اصحابه من اجلها فأسرع النزول بعد أن كاد يهلك * وذكر قوم انهم لم يروا هنالك شمسا ولا قمرا الا نورا أحمر كنور الشمس عند غيابها وأما ما ذكر عن حايد وقطعه البحر المظلم ماشيا عليه لا يلصق بقدمه منه شئ وكان فيما يذكر نبيا واوتى حكمة وانه سأل الله تعالى ان يريه منتهى النيل فأعطاه قوة على ذلك فيقال انه اقام يمشى عليه ثلاثين سنة فى عمران وعشرين سنة فى خراب قالوا وأقام الوليد فى غيبته اربعين سنة وعاد ودخل منف وأقام بمصر فاستعبد أهلها واستباح حريمهم واموالهم وملكهم مائة وعشرين سنة فأبغضوه وسئموه الى ان ركب فى بعض ايامه متصيدا فألقاه فرسه فى وهدة فقتله واستراح الناس منه

وقال قدامة بن جعفر فى كتاب الخراج انبعاث النيل من جبل القمر وراء خط الاستواء من عين تجرى منها عشرة انهار كل خمسة منها تصب الى بطيحة ثم يخرج من كل بطيحة نهران وتجرى الانهار الاربعة الى بطيحة كبيرة فى الاقليم الاوّل ومن هذه البطيحة يخرج نهر النيل وقال فى كتاب نزهة المشتاق الى اختراق الآفاق ان هذه البحيرة تسمى بحيرة كورى منسوبة لطائفة من السودان يسكنون حولها متوحشين يأكلون من وقع اليهم من الناس ومن هذه البحيرة يخرج لهم نهر غانة وبحر الحبشة فاذا خرج النيل منها يشق بلاد كورى وبلاد ينه وهم طائفة من السودان بين كانم والنوبة فاذا بلغ دنقلة مدينة النوبة عطف من غربيها وانحدر الى الاقليم الثانى فيكون على شطيه عمارة النوبة وفيه هنالك جزائر متسعة عامرة بالمدن والقرى ثم يشرق الى الجنادل * وقال المسعودى رحمه الله تعالى رأيت فى كتاب جعفر النيل مصورا ظاهرا من تحت جبل القمر ومنبعه ومبدأ ظهوره من اثنى عشرة عينا فتصب تلك المياه الى بحيرتين هنالك كالبطائح ثم يجتمع الماء منهما جاريا فيمرّ برمال هنالك وجبال ويخرق ارض السودان فيما يلى بلاد الزنج فيتشعب منه خليج يصب فى بحر الزنج ويجرى على وجه الارض تسعمائة فرسخ وقيل ألف فرسخ فى عامر وغامر من عمران وخراب حتى يأتى اسوان من صعيد مصر * وقال فى كتاب هردسوس نهر النيل مخرجه من ريف بحر القلزم ثم يميل الى ناحية الغرب فيصير فى وسطه جزيرة وآخر ذلك يميل الى ناحية الشمال فيسقى ارض مصر وقيل ان مخرجه من عين فيما يجاوز الجبل ثم يغيب فى الرمال ثم يخرج غير بعيد فيصير له محبس عظيم ثم يساير البحر المحيط على قفار الحبشة ثم يميل على اليسار الى ارض مصر فيحق ما يظن بهذا النهر أنه عظيم اذ كان مجراه على ما حكيناه قال ونهر النيل وهو الذى يسمى باون مخرجه خفى ولكن ظاهر اقباله من ارض الحبشة ويصير له هنالك محبس عظيم مجراه اليه مائتا ميل وذكر مخرجه حتى ينتهى الى البحر قال وكثيرا ما يوجد فى نهر النيل التماسيح واقبال النيل من ارض الحبشة ليس يختلف فيه أحد وعدّة امياله من مخرجه المعروف الى موقفه مائة الف وتسعون الفا وتسعمائة وثلاثون ميلا وماء النيل عكر مل عذب وفى انتهى والنيل اذا وصل الى الجنادل كان عندا انتهاء مراكب النوبة انحدارا ومراكب الصعيد اقلاعا وهنالك حجارة مضرسة لا مرور للمراكب عليها الا فى ايام زيادة النيل ثم يأخذ على الشمال فيكون على شرقيه اسوان من الصعيد الاعلى ويمرّ بين جبلين يكتنفان اعمال مصر أحدهما شرقى والآخر غربى حتى يأتى مدينة فسطاط مصر فتكون فى بره الشرقى فاذا تجاوز فسطاط مصر بمسافة يوم صار فرقتين فرقة تمر

حتى تصب فى بحر الروم عند دمياط وتسمى هذه الفرقة بحر الشرق والفرقة الاخرى هى عمود النيل ومعظمه يقال لها بحر الغرب تمر حتى تصب فى بحر الروم ايضا عند رشيد وكانت مدينة كبيرة فى قديم الزمان * ويقال ان مسافة النيل من منبعه الى ان يصب فى البحر عند رشيد سبعمائة وثمانية واربعون فرسخا وانه يجرى فى الخراب اربعة اشهر وفى بلاد السودان شهرين وفى بلاد الاسلام مسافة شهر * وذهب بعضهم الى ان زيادة ماء النيل انما تكون بسبب المد الذى يكون فى البحر فاذا فاض ماؤه تراجع النيل وفاض على الاراضى ووضع فى ذلك كتابا حاصله ان حركة البحر التى يقال لها المد والجزر توجد فى كل يوم وليلة مرتين وفى كل شهر قمرى مرتين وفى كل سنة مرتين * فالمد والجزر اليومى تابع لقرص القمر ويخرج الشعاع عنه من جنبتى جرم الماء فاذا كان القمر وسط السماء كان البحر فى غاية المد وكذا اذا كان القمر فى وتد الارض فاذا بزغ القمر طالعا من الشرق اوغرب كان الجزر والمد الشهرى يكون عند استقبال القمر للشمس فى نصف الشهر ويقال له الامتلاء ايضا عند الاجتماع ويقال له السرار والجزر يكون ايضا فى وقتين عند تربيع القمر للشمس فى سابع الشهر وفى ثانى عشريه * والمد السنوى يكون ايضا فى وقتين احدهما عند حلول الشمس آخر برج السنبلة والآخر عند حلول الشمس بآخر برج الحوت فان اتفق ان يكون ذلك فى وقت الامتلاء اوالاجتماع فانه حينئذ يجتمع الامتلاآن الشهرى والسنوى ويكون عند ذلك البحر فى غاية الفيض لاسيما ان وقع الاجتماع اوالامتلاء فى وسط السماء ووقع مع النيرين اومع احدهما احد الكواكب السيارة فانه يعظم الفيض فان وقع كوكب فصاعدا مع احد النيرين تزايد عظم الفيض وكانت زيادة النيل تلك السنة عظيمة جدا وزاد أيضا نهر مهران. فان كان الاجتماع اوالامتلاء زائلا عن وسط السماء وليس مع احد النيرين كوكب فان النيل ونهر مهران لايبلغان غاية زيادتهما لعدم الانوار التى تثير المياه ويكون بمصر فى السنة الغلا والجزر السنوى يكون عند حلول الشمس برأسى الجدى والسرطان فأما المد اليومى الدافع من البحر المحيط فانه لاينتهى فى البحر الخارج من المحيط اكثر من درجة واحدة فلكية ومساحتها من الارض نحو من ستين ميلا ثم ينصرف وانصرافه هو الجزر وكذلك الاودية اذا كانت الارض وهدة والمد الشهرى ينتهى الى اقاصى البحار وهو يمسكها حتى لاتنصب فى البحر المحيط وحيث ينتهى المد الشهرى فهنالك منتهى ذلك البحر وطرفه واما المد السنوى فانه يزيد فى البحار الخارجة عن البحر المحيط زيادة بينة ومن هذه الزيادة تكون زيادة النيل وامتلاؤه وامتلاء نهر مهران والديبل والذى ببلاد السند (قال ولما جاء ارسطو الى مصر مع الاسكندر ورأى مصب النيل وعلم ان من المحال ان يكون النيل فى اسوان وادمن الاودية وكلما اسحل اتسع حتى ان عرضه فى اسفل ديار مصر لينتهى الى مائة ميل عند غاية الفيض وله افواه كثيرة شارعة فى البحر تسع كل مايهبط من الميزان فى ذلك الصنع فرأى محالا ان يكون الوادى بحيث يضيق اسفله عن حمل ما يأتى به اعلاه مع ضيق اعلاه وسعة اسفله فلما رأى ذلك قال ان رياحا تستقبل جرية الماء وتردعه فيفيض لذلك وقال الاسكندر ان من المحال ان يكون الريح يردع الماء السائل فى الوادى حتى يفيض اكثر من مائة ميل ولو كانت الريح تفعل ذلك لكان الماء ينفلت من اسفل الوادى ويسيل الى البحر لان البحر لايمسك الا اعلاه ولكن الرياح تقذف الرمل فى افواه تلك الشوارع التى تفضى الى البحر فيعتر بها شبه الردم فيفيض قال واغفل ان الرمل جسم متخلخل فالماء يتخلله وينفذه سائلا الى البحر مع ان الرمل لم يعتل اعتلاء يظهر للحس والماء سائل فى كل حين على حلق تنيس ودمياط وحلق رشيد وحلق الاسكندرية ففطنوا الاستحالة كونه سائلا عن سيل حامل ونسبوا توقفه الى الريح والرمل وهم استقصوا الهواء واستقصوا الارض واغفلوا الاستقصاء الثالث الذى هو الماء لانهم لم يعرفوا حركة البحر السنوية لانها لاتبلغ الغاية الا فى ثلاثة اشهر فلا يظهر مقدار صعودها فى كل يوم للحس ولذلك وضع امير مصر المقياس بديار مصر * قال والمد كله واحد وهو أن القمر يقابل الماء كما تقابل الشمس الارض فنور القمر اذا قابل كرة الارض محنها كما تسخن الشمس الهواء المحيط فيعترى الهواء المحيط بالماء بعض تسخين يذيب الماء فيفيض وينمى بخاصته كالمرآة المحرقة الملهبة للجو حتى تحرق القطنة الموضوعة بين المرآة والشمس فهذا امثاله فى المقابلة ومثاله فى السرار كون الزجاجة المملوءة ماء يلقى الشعاع الى حلقها فتحترق القطنة ايضا فالقمر جسم نورى باكتسابه ذلك من الشمس فاذا حال بين الشمس والارض خرج عن جانبى الماء شعاع نافذ يمر مع جنبى الماء فيسخن ما قابله فينمو والماء جسم شفاف عن جانبيه

يخرج

يخرج الشعاع كما يخرج عن جانبي الزجاجة فيحدث لها نور يسخن الهواء الذى يحيط بالزجاجة او بالارض فيقترف الماء شبه تسخين ينمى به ويزيد وذلك قبالة القرص وقبالة مخرج الشعاع من قبالة وتد القمر فهذا هو المد دائما ويستدير باستدارة الفلك وتدويره افلاك القمر وتدوير فلك القمر للقمر والمد الشهرى هو أن يقابل القمر الشمس او يستتر تحتها لانه ليس الا كون القمر قبالة الشمس لكونه فى تربيع الشمس اضعف وفى المقابلة اقوى وكذلك اذا قابلها على وسط كرة الارض بحيث تكون الحركة اشد والاكتناف للماء والارض اعم فذلك هو المد السنوى

(فصل فى الرد على من اعتقد ان النيل من سيل يفيض)

أما العامة فليس عندهم ما يجيء على وجه الارض انه سيل ومن تفطن الى عظمه واتساعه فى اسفله وضيقه فى اعلاه ولم ينظر الى ماء ولا ارض ولا هواء نسب ذلك الى الخيال المحض كما فعل صاحب كتاب المسالك والممالك الذى زعم ان الماء يسافر من كل ارض ويوطن الى النيل تحت الارض فيمده لان النيل انما يفيض فى الخريف والعيون والآبار فى ذلك الوقت يقل ماؤها والنيل يكثر فرأوا كثرة وقلة فأضافوا احدهما الى الآخر بالخيال ومما يدل على انه ليس عن سيل يفيض ان السيل يكون فى غير وقت فيض البحر ولا يفيض النيل لكون البحر فى الجزر فيصل السيل ويمر نحو البحر فلا يردعه رادع (ومنها ان فيض النيل على تدريج مدة ثلاثة اشهر من حلول الشمس رأس السرطان الى حلولها بآخر برج السنبلة والناس يحسبون به قبل فيضه بمدة شهرين ولعامل مصر فى وسط النيل مقياس موضوع وهو سارية فيها خطوط يسمونها اذرعا يعلم بها مقدار صعوده فى كل يوم (ومنها ان فيضه ابدا فى وقت واحد فلو كان بالسيل لاختلف بعض الاختلاف (ومنها انه قد يجيء السيل فى غير هذا الوقت فلا يفيض (ومنها ان الحذاق بمصر اذا رأوا الحر يزيد علموا أن النيل سيزيد لان شدة الحر تذيب الهواء فيذوب الماء ولا يكون الا عن زيادة كوكب ودنونور ومنها أن موضع مصبه من اسوان انما هو واد من الاودية وما اسفل اتسع حتى يكون عرض اتساعه نحوا من مائة ميل واسوان هو منتهى بلوغ الردع فما ظنك بسيل مسيره نصف شهر لان نسبة بين مصب اعلاه واسفله كيف كان يكون اعلاه لو كان امتلاء اسفله عن السيل ومنها ان اهل اسوان انما يرقبون بلوغ الردع اليهم مراقبة ويحافظون عليه بالنهار محافظة فاذا جن الليل اخذوا حقة خزف فوضعوا فيها مصباحا ثم يضعونه على حجر معد عندهم لذلك وجعلوا يرقبونه فاذا طفيء المصباح بطفو الماء عليه علموا ان الردع قد وصل غايته المعهودة عندهم بأخذه فى الجزر فيكتبوا بذلك الى امير مصر يعلموه ان الردع قد وصل غايته المعهودة عندهم وانهم قد اخذوا بقسطهم من الشرب فحينئذ يأمر بكسر الاسداد التى على افواه قرص المشارب فيفيض الماء على ارض مصر دفعة واحدة (ومنها أن جميع تلك المشارب تسد عند ابتداء النيل بالخشب والتراب ليجتمع ما يسيل من الماء العذب فى النيل ويكثر ويعم جميع ارضهم ويمنع بجملته دخول الماء الملح عليه فلو كان سيلا ما احتاج الى ذلك ولفتحت له افواه قرص المشارب عند ابتداء ظهوره (ومنها ان الخلجان اذا اسدت ولم يكن لها رادع من البحر كان السيل من جنبه الى البحر اذ أسفل النيل اوسع وأخفض من اعلاه (ومنها ان ماء البحر يصعد اكثر من عشرين ميلا فى حلق رشيد وتنيس ودمياط كما يفعل فى سائر الاودية التى تدخل المد والجزر فلو كان النيل خاليا من الماء العذب وصل البحر من اسوان الى منتهى بلوغ الردع لان الماء يطلب بطبعه ما انخفض من الارض وان يكون فى صفحة كرة مستوية الخطوط الخارجة من النقطة الى المحيط متساوية (ومنها انها اذا فتحت تلك الاسداد وكسرت الخلج وفاض النيل على بطائح ارض مصر شعر بذلك اهل اسوان للحين وقالوا فى هذه الساعة كسرت الخلج وفاض ماء النيل على ارض مصر لان ذلك يتبين لهم بتحول الماء دفعة فلو كان سيلا وهم على اعلى المصب لقالوا قد ارتفع المطر عن الارض التى يسيل منها السيل (ومنها ان قسيمه الذى يمر ببلاد الحبشة المنبعث واياه من جبل القمر لا يفيض كمدة فيض النيل ثلاثة اشهر ولا يقيم على وجه الارض مدة مقامه لكنه اذا كثر فيه السيل غمر جوانبه على قدر انبساطها واذا انصبت مادته ارتدع عليه فلو كان فيض النيل عن السيل وهما من شعب واحد لكان شأنهما واحدا ولا نقول ان فيض النيل بسبب فيض البحر فقط اذ لولا كونه سيل ماء لما دخل ردع البحر اليه ولكان شاطئ ديار مصر كسائر السواحل المجاورة له ولولا السيل السائل فيه لردمه البحر اذ عادة البحر ردم السواحل وانما دخل

الشك على اهل مصر فى ايام النيل لانهم لم يشاهدوا منشأه ولا عاينوا مبدأه من جبل القمر لانه فى موضع لا ساكن عليه ولا تحققوا المد السنوى الرادع له فلم يتحققوا شيأ من امره لانه بعيد من اذهان العامة ان يعلموا ان ماء البحر يعظم فى ايام الصيف لان المعهود عندهم فى البحران يعظم فى ايام الشتاء وطمو البحر فى الشتاء انما يكون عن الرياح الهابة عليه من احد جانبيه فيفيض ويخرج الى الجانب الآخر الا ما كان من البحر المحيط فانه يتحرك ابدا من داخل البحر الى البر وهو أن المحيط يطلب بطبعه ان يكون على وجه الارض والارض ليست بسيطة فهى تمانعه بما فيها من التركيب فهو يطلب ابدا ان يعلوها ويركبها ببردها قال والسبب فى عظم المد والجزر كثرة الاشعة فاذا زاحمت الشمس والقمر الكواكب السيارة عظم فيض البحر واذا عظم فيض البحر فاضت الانهار وكذلك اذا نهض القمر لمقابلة احد السيارة ارتفع البخار وصعد الى كورة الزمهرير ونزل المطر فاذا فارق القمر الكواكب ارتفع المطر لكثرة التحليل كما يكون فى نصف النهار عند توسط الشمس لرؤس الخلق وكما يكون عند حلول الكواكب الكبيرة على وسط خط ارين والله تعالى اعلم بالصواب

قال مؤلفه رحمه الله تعالى الذى تحصل من هذا القول ان النيل مخرجه من جبل القمر وان زيادته انما هى من فيض البحر عند المد فاما كون مخرجه من جبل القمر فمسلم اذ لا نزاع فى ذلك وأما كون زيادته لا تكون الا من ردع البحر له بما حصل فيه من المد فليس كذلك نعم توالى هبوب الرياح الشمالية على وفور الزيادة وردع البحر له اعانة على الزيادة ومن تامل النيل علم ان سيلا سال فيه ولا بد فانه لا يزال ايام الشتاء واوائل فصل الربيع ماؤه صافيا من الكدرة فاذا فرغت ايام زيادته وكان فى غاية نقصه تغير طعمه ومال لونه الى الخضرة وصار بحيث اذا وضع فى اناء رسب منه شبه اجزاء صغيرة من طحلب وسبب ذلك ان البطيحة التى فى اعالى الجنوب تردها الفيلة ونحوها من الوحوش حتى يتغير ماؤها فاذا كثرت امطار الجنوب فى فصل الصيف وعظمت السيول الهابطة فى هذه البطيحة فاض منها ما تغير من الماء وجرى الى ارض مصر فيقال عند ذلك توحم النيل ولا يزال الماء كذلك حتى يعقبه ماء متغير ويزاد عكره بزيادة الماء فاذا وضع منه ايام الزيادة شئ فى اناء رسب بأسفله طين لم يعهد فيه قبل ايام الزيادة وهذا الطين هو الذى تحمله السيول التى تنصب فى النيل حتى تكون زيادته منها وفيه يكون الزرع بعد هبوط النيل والا فارض مصر سبخة لا تنبت ولا ينبت منها الا ما مر عليه ماء النيل وركد منه هذا الطين وقوله ان السيل يكون فى غير وقت فيض البحر ولا يفيض النيل لكون البحر فى الجزر فيصل السيل ويمر نحو البحر فلا يردعه رادع غير مسلم وان العادة ان السيول التى عليها زيادة ماء النيل لا تكون الا عن غزارة الامطار ببلاد الجنوب وامطار الجنوب لا تكون الا فى ايام الصيف ولم يعهد قط زيادة النيل فى الشتاء وأول دليل على ان كون زيادته عن سيل يسيل فيه انما يزيد بتدريج على قدر ما يهبط فيه من السيول وانما استدلاله بصب النيل فى اسوان واتساعه اسفل الارض فانما ذلك لانه يصب من علو فى منخرق بين جبلين يقال لهما الجنادل وينبطح فى الارض حتى يصب فى البحر فاتساعه حيث لا يجد حاجزا يحجزه عن الانبساط وأما قوله ان الاسداد اذا كثرت فاض الماء على الارض دفعة فليس كذلك بل يصير الماء عند كسر كل سد من الاسداد فى خليج ثم يفتح ترع من الخليج الى بناء على جانبيه من الاراضى حتى يروى فمن تلك الاراضى ما يروى سريعا ومنها ما يروى بعد ايام ومنها ما لا يروى لعلوه واما قوله ان جميع تلك المشارب تستد عند ابتداء صعود النيل ليجتمع ما يسيل من الماء فى النيل ويكثر فيعم جميع ارضهم ويمنع بجملته دخول الماء الملح عليه فغير مسلم ان تكون السداد كما ذكر بل اراضى مصر اقسام كثيرة منها عال لا يصل اليه الماء الا من زيادة كثيرة ومنها منخفض يروى من يسير الزيادة والاراضى متفاوتة فى الارتفاع والانخفاض تفاوتا كثيرا ولذلك احتيج فى بلاد الصعيد الى حفر الترع وفى اسفل الارض الى عمل الجسور حتى يحبس الماء ليروى اهل النواحى على قدر حاجتهم اليه عند الاحتياج والا فهو يزيد اولا فى غير سقى الاراضى حتى اذا اجتمع من زيادته المقدار الذى هو كفاية الاراضى فى وقت خلو الاراضى من الغلال وذلك غالبا فى اثناء شهر مسرى فتح سد الخليج حتى يجرى فيه الماء الى حد معلوم ووقف حتى يروى ما تحت ذلك الحد الذى وقف عنده الماء من الارض ثم فتح ذلك الحد فى يوم النيروز حتى يجرى الى حد آخر ويقف عنده حتى يروى ما تحت هذا الحد الثانى من الاراضى ثم يفتح هذا الحد فى يوم عيد الصليب بعد النوروز بسبعة عشر يوما حتى يجرى الماء ويقف على حد ثالث حتى يروى ما تحت هذا الحد من الاراضى

ثم

ثم يفتح هذا الحد فيجرى الماء ويروى ماهنالك من الاراضى ويصب فى البحر الملح هذا هو الحال فى سدود أراضى مصر وقوله ان ماء البحر يصعد أكثر من عشرين ميلا فى حلق رشيد وتنيس ودمياط فلو كان خاليا من الماء العذب لوصل البحر من اسوان الى منتهى بلوغ الردع فنقول هذا قول من لم يعرف أرض مصر فان النيل عند مصبه بأعالى اسوان يكون أعلى منه عند كونه أسفل الارض بقامات عديدة فاذا فاض ماء البحر حبسه أن يتدافع هو وماء النيل وربما غلب ماء البحر ماء النيل فى أيام نقصان النيل حتى يملح ماء النيل فيما بين دمياط وفارس كور وأما فى أيام زيادة النيل فانى شاهدت مصب النيل فى البحر من دمياط وكل منهما يدافع الآخر فلا يطيقه حتى صار امتمانعين عبرة لمن اعتبر وقوله ان الاسداد اذا فتحت علم أهل اسوان بذلك فى الحال غير مسلم بل لم نزل نشاهد النيل فى الاعوام الكثيرة اذا فتح منه خليج أو انقطع مقطع فأغرق ماؤه أراضى كثيرة لا يظهر النقص فيه الا فيما قرب من ذلك الموضع ومابرح المفرد يخرج من قوص ببشارة وفاء النيل وقد أوفى عندهم ستة عشر ذراعا فلا يوفى ذلك المقياس بمصر الا بعد ثلاثة أيام ونحوها وأما قوله ان ما كان من النيل يمر ببلاد الحبشة يخالفه فليس كذلك بل الزيادة فى النيل أيام زيادته تكون ببلاد النوبة وماوراءها فى الجنوب كما تكون فى أرض مصر ولا فرق بينهما الا فى شيئين أحدهما انه فى أرض مصر يجرى فى حدود وهنالك يتبدد على الاراضى والثانى أن زيادته تعتبر بالقياس فى أرض مصر وهنالك لا يمكن قياسه لتبدده ومن عرف أخبار مصر علم أن زيادة ماء النيل تكون عن امطار الجنوب * ويقال ان النيل ينصب من عشرة انهار من جبل القمر المتقدم ذكره كل خمسة انهار من شعبة ثم تتبحر تلك الانهار العشرة فى بحرين كل خمسة انهار تتبحر بحيرة بذاتها ثم يخرج من البحيرة الشرقية بحر لطيف يأخذ شرقا على جبل قاقولى ويمتد الى مدن هنالك ثم يصب فى البحر الهندى ويخرج من البحيرتين ستة انهار من كل بحيرة ثلاثة انهار وتجتمع الانهار الستة فى بحيرة متسعة تسمى البطيحة وفيها جبل يفرق الماء نصفين يخرج أحدهما من غرب البطيحة وهو نيل السودان ويصير نهرا يسمى بحر الدمادم ويأخذ مغربا ما بين سمغرة وغانة على جنوبى سمغرة وشمالى غانة ثم ينعطف هنالك منه فرقة ترجع جنوبا الى غانة ثم تمر على مدينة برنسه وتأخذ تحت جبل فى جنوبها خارج خط الاستواء الى زفيلة ثم تتبحر فى بحيرة هنالك وتستمر الفرقة الثانية مغربة الى بلاد مالى والتكرور حتى تنصب فى البحر المحيط شمالى مدينة قلبتو ويخرج النصف الآخر متشاملا آخذا على الشمال الى شرقى مدينة حما ثم يتشعب منه هنالك شعبة تأخذ شرقا الى مدينة سحرت ثم ترجع جنوبا ثم تعطف شرقا بجنوب الى مدينة سحرتة ثم الى مدينة مركه وينتهى الى خط الاستواء حيث الطول خمس وستون درجة ويتبحر هنالك بحيرة ويسمى عمود النيل من قبالة تلك الشعبة شرقى مدينة شمى متشاملا آخذا على أطراف بلاد الحبشة ثم يتشامل على بلاد السودان الى مدينة دنقلة حتى يرمى على الجنادل الى اسوان وينحدر وهو يشق بلاد الصعيد الى مدينة فسطاط مصر ويمر حتى يصب فى البحر الشامى وقد استفاض ببلاد السودان أن النيل ينحدر من جبال سود يبين على بعد كأن عليها الغمام ثم يتفرق نهرين يصب أحدهما فى البحر المحيط الى جهة بحر الظلمة الجنوبى والآخر يتصل الى مصر حتى يصب فى البحر الشامى ويقال انه فى الجنوب يتفرق سبعة أنهار تدخل فى صحراء منقطعة ثم تجتمع الانهار السبعة وتخرج من تلك الصحراء نهرا واحدا فى بلاد السودان

(ذكر مقاييس النيل وزيادته)

قال ابن عبد الحكم أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام ووضع مقياسا بمنف ثم وضعت العجوز دلوكة ابنة زبا وهى صاحبة حائط العجوز مقياسا بانصنا وهو صغير الذرع ومقياسا باخميم ووضع عبد العزيز بن مروان مقياسا بحلوان وهو صغير ووضع أسامة بن زيد التنوخى فى خلافة الوليد مقياسا بالجزيرة وهو أكبرها قال يحيى بن بكير أدركت القياس يقيس فى مقياس منف ويدخل بزيادته الى الفسطاط * وقال القضاعى كان أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام وبنى مقياسا بمنف وهو أول مقياس وضعه عليه السلام وقيل ان النيل كان يقاس بمصر بأرض علوة الى أن بنى مقياس منف وان القبط كانت تقيس عليه الى أن بطل ومن بعده دلوكة العجوز بنت مقياسا بانصنا وهو صغير الذرع وآخر باخميم وهى التى بنت الحائط المحيط بمصر وقيل انهم كانوا يقيسون الماء قبل أن يوضع المقياس بالرصاصة فلم يزل المقياس فيما مضى قبل الفتح بقيسارية الاكسية

ومعالمه هناك الى أن ابتنى المسلمون بين الحصن والبحر أبنيتهم الباقية الآن وكان للروم أيضا مقياس بالقصر خلف الباب يمنة من دخل منه فى داخل الزقاق اثره قائم الى اليوم وقد بنى عليه وحواليه * ثم بنى عمرو بن العاص عند فتحه مصر مقياسا باسوان ثم بنى بموضع يقال له دندرة ثم بنى فى أيام معاوية مقياس بانصنا فلم يزل يقاس عليه الى أن بنى عبد العزيز بن مروان مقياسا بحلوان وكانت منزله وكان هذا المقياس صغير الذرع فأما المقياس القديم الذى بنى فى الجزيرة فالذى وضعه أسامة بن زيد وقيل انه كسر فيه ألفى اوقية وهو الذى بنى بيت المال بمصر ثم كتب أسامة بن زيد التنوخى عامل خراج مصر لسليمان بن عبد الملك ببطلانه فكتب اليه سليمان بأن يبنى مقياسا فى الجزيرة فبناه فى سنة سبع وتسعين ثم بنى المتوكل فيها مقياسا فى أول سنة سبع وأربعين ومائتين فى ولاية يزيد بن عبد الله التركى على مصر وهو المقياس الكبير المعروف بالجديد وأمر بأن يعزل النصارى عن قياسه فجعل يزيد بن عبد الله التركى على المقياس أبا الرداد المعلم واسمه عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى الرداد المؤذن كان يقول القمى أصله بالبصرة قدم مصر وحدث بها وجعل على قياس النيل وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب خراج مصر يومئذ سبعة دنانير فى كل شهر فلم يزل المقياس من ذلك الوقت فى يد أبى الرداد وولده الى اليوم وتوفى أبو الرداد سنة ست وستين ومائتين * ثم ركب أحمد بن طولون سنة تسع وخمسين ومائتين ومعه أبو أيوب صاحب خراجه وبكار بن قتيبة القاضى فنظر الى المقياس وأمر باصلاحه وقدر له ألف دينار فعمر وبنى الحارث فى الصناعة مقياسا واثره باق لا يعتمد عليه * وقال ابن عبد الحكم ولما فتح عمرو بن العاص مصر أتى أهلها الى عمرو حين دخل بؤنة من اشهر العجم فقالوا له أيها الامير ان لنيلنا هذا سنة لا يجرى الا بها فقال لهم وما ذاك قالوا انه اذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر من ابويها فأرضينا ابويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب افضل ما يكون ثم ألقيناها فى النيل فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون فى الاسلام وان الاسلام يهدم ما كان قبله فأقاموا بؤنة وابيب ومسرى وهو لا يجرى قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء فلما رأى عمرو ذلك كتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بذلك فكتب اليه عمر أن قد اصبت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وقد بعثت اليك ببطاقة فألقها فى داخل النيل اذا اتاك كتابى فلما قدم الكتاب الى عمرو فتح البطاقة فاذا فيها من عبد الله أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجر وان كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك فألقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها لانه لا يقوم بمصلحتهم فيها الا النيل واصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعا فى ليلة وقطع تلك السنة السوء عن أهل مصر * وذكر بعضهم أن جاحلا الصدفى هو الذى جاء ببطاقة عمر رضى الله عنه الى النيل حين توقف فجرى باذن الله تعالى وقال يزيد بن أبى حبيب ان موسى عليه السلام دعا على آل فرعون فحبس الله عنهم النيل حتى أرادوا الجلاء فطلبوا الى موسى أن يدعو الله فدعا الله رجاء أن يؤمنوا وذلك ليلة الصليب فاصبحوا وقد أجراه الله فى تلك الساعة ستة عشر ذراعا فاستجاب الله بطوله لعمر بن الخطاب كما استجاب لنبيه موسى عليه السلام قال القضاعى ووجدت فى رسالة منسوبة الى الحسن بن محمد بن عبد المنعم قال لما فتحت العرب مصر عرف عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ما يلقى أهلها من الغلاء عند وقوف النيل عن حده فى مقياس لهم فضلا عن تقاصره وان فرط الاستشعار يدعوهم الى الاحتكار وان الاحتكار يدعو الى تصاعد الاسعار بغير قحط فكتب عمر الى عمرو يسأله عن شرح الحال فاجابه انى وجدت ما تروى به مصر حتى لا يقحط أهلها أربعة عشر ذراعا والحد الذى يروى منه سائرها حتى يفضل عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ستة عشر ذراعا والنهايتان المخوفتان فى الزيادة والنقصان وهما الظمأ والاستبحار اثنا عشر ذراعا فى النقصان وثمانية عشر ذراعا فى الزيادة هذا والبلد فى ذلك الوقت محفور الانهار معقود الجسور عند ما تسلموه من القبط وخميرة العمارة فيه فاستشار أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه عليا رضى الله عنه فى ذلك فأمره أن يكتب اليه أن يبنى مقياسا وأن ينقص ذراعين من اثنى عشر ذراعا وأن يقر ما بعدها على الاصل وأن ينقص من كل ذراع بعد الستة عشر ذراعا اصبعين ففعل ذلك وبناه بحلوان فاجتمع له بذلك كل ما أراد من حل الارجاف وزوال ما منه كان يخاف بأن جعل الاثنى عشر ذراعا أربع عشرة لان كل ذراع أربع وعشرون اصبعا فجعلها ثمانيا وعشرين من أولها الى الاثنى عشر

ذراعا يكون مبلغ الزيادة على الاثنى عشر ثمانيا وأربعين اصبعا وهى الذراعان وجعل الاربع عشرة ست عشرة والست عشرة ثمانى عشرة والثمانى عشرة عشرين * قال القضاعى وفى هذا الحساب نظر فى وقت الزيادة فساد الانهار وانتقاض الاحوال وشاهد ذلك أن المقاييس القديمة الصعيدية من أولها الى آخرها أربع وعشرون اصبعا كل ذراع والمقاييس الاسلامية على ماذكر منها المقياس الذى بناه اسامة بن زيد التنوخى بالجزيرة وهو الذى هدمه الماء وبنى المأمون آخر باسفل الارض بالبروذات وبنى المتوكل آخر بالجزيرة وهو الذى يقاس عليه الماء الآن وقد تقدم ذكره * قال ابن عفير عن القبط المتقدمين اذا كان الماء فى اثنى عشر يوما من مسرى اثنتى عشرة ذراعا فهى سنة ماء والا فالماء ناقص واذا تم ست عشرة ذراعا قبل النوروز فالماء يتم فاعلم ذلك وقال أبو الصلت وأما النيل وينبوعه فهو من وراء خط الاستواء من جبل هناك يعرف بجبل القمر فانه يبتدئ فى التزايد فى شهر ابيب والمصريون يقولون اذا دخل ابيب كان للماء دبيب وعند ما تشتد فى التزايد يتغير جميع كيفياته ويفسد والسبب فى ذلك مروره بنقائع مياه آجنة يخالطها فيحتملها معه الى غير ذلك مما يحتمله فاذا بلغ الماء خمسة عشر ذراعا وزاد من السادس عشر اصبعا واحدا كسر الخليج ولكسره يوم معدود ومقام مشهود ومجتمع خاص يحضره العام والخاص فاذا كسر فتحت الترع وهى فوهات الخلجان ففاض الماء وساح وغمر القيعان والبطاح وانضم الناس الى اعالى اماكنهم من الضياع والمنازل وهى على آكام وربا لا ينتهى الماء اليها ولا يتسلط السيل عليها فتعود أرض مصر بأسرها عند ذلك بحرا غامرا لما بين جبليها يثما يبلغ الحد المحدود فى مشيئة الله عز وجل وأكثر ذلك يحوم حول ثمانى عشرة ذراعا ثم يأخذ عائدا فى صبه الى مجرى النيل ومسربه فينضب اولا عما كان من الارض عاليا ويصير فيما كان منها متطامنا فيترك كل قرارة كالدرهم ويغادر كل ملقة كالبرد المسهم وقال القاضى ابو الحسن على بن محمد الماوردى فى كتاب الاحكام السلطانية وأما الذراع السوداء فهى اطول من ذراع الدور بأصبع وثلثى اصبع واول من وضعها امير المؤمنين هارون الرشيد قدرها بذراع خادم اسود كان على رأسه قائما وهى التى تتعامل الناس بها فى ذرع البز والتجارة والابنية وقياس نيل مصر * واكثر ما وجد فى القياس من النقصان سنة سبع وتسعين ومائة وجد فى المقياس تسعة اذرع وأحد وعشرون اصبعا واقل ما وجد منه سنة خمس وستين ومائة فانه وجد فيه ذراع واحد وعشر أصابع وأكثر ما بلغ فى الزيادة سنة تسع وتسعين ومائة فانه بلغ ثمانية عشر ذراعا وتسعة عشر اصبعا وأقل ما كان فى سنة ست وخمسين وثلثمائة الهلالية فانه بلغ اثنى عشر ذراعا وتسع عشرة اصبعا وهى أيام كافور الاخشيدى * والمقياس عمود رخام ابيض مثمن فى موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه اليه وهذا العمود مفصل على اثنين وعشرين ذراعا كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قسما متساوية تعرف بالاصابع ماعدا الاثنى عشر ذراعا الاولى فانها مفصلة على ثمان وعشرين اصبعا كل ذراع * وقال المسعودى قالت الهند زيادة النيل ونقصانه بالسيول ونحن نعرف ذلك بتوالى الانواء وكثرة الامطار * وقالت الروم لم يزد قط ولم ينقص وانما زيادته ونقصانه من عيون كثرت واتصلت * وقالت القبط زيادته ونقصانه من عيون فى شاطئه يراها من سافر ولحق بأعاليه وقيل لم يزد قط وانما زيادته بريح الشمال اذا كثرت واتصلت تحبسه فيفيض على وجه الارض وقال قوم سبب زيادته هبوب ريح تسمى ريح الملتن وذلك انها تحمل السحاب الماطر من خلف خط الاستواء فيمطر ببلاد السودان والحبشة والنوبة فيأتى مدده الى أرض مصر بزيادة النيل ومع ذلك فان البحر الملح يقف ماؤه على وجه النيل فيتوقف حتى يروى البلاد وفى ذلك يقول

فاسمع فللسامع اعلى يدا * عندى وأسمى من يد المحسن * فالنيل ذو فضل ولكنه * الشكر فى ذلك للملتن

ويبتدئ النيل بالتنفس والزيادة بقية بؤنة وهو حزيران وابيب وهو تموز ومسرى وهو آب فاذا كان الماء زائدا زاد شهر توت كله وهو ايلول الى انقضائه فاذا انتهت الزيادة الى الذراع الثامن عشر ففيه تمام الخراج وخصب الارض وهو ضار بالبهائم لعدم الرعى والكلأ * وأتم الزيادات كلها العامة النفع للبلد كله سبعة عشر ذراعا وفى ذلك كفايتها ورى جميع ارضها واذا زاد على ذلك وبلغ ثمانية عشر ذراعا وغلقها استبحر من أرض مصر الربع وفى ذلك ضرر لبعض الضياع لما ذكرنا من الاستبحار واذا كانت الزيادة على ثمانية عشر ذراعا كانت العاقبة فى انصرافه حدوث وباء واكثر الزيادات ثمان عشرة ذراعا * وقد بلغ فى خلافة عمر بن عبد العزيز

اثنى عشر ذراعا ومساحة الذراع الى أن يبلغ اثنتى عشرة ذراعا ثمان وعشرون اصبعا ومن اثنتى عشرة ذراعا الى ما فوق ذلك يكون الذراع أربعا وعشرين اصبعا وأقل ما يبقى فى قاع المقياس من الماء ثلاثة أذرع وفى تلك السنة يكون الماء قليلا والاذرع التى يستسقى عليها بمصر هى ذراعان تسميان منكرا ونكيرا وهى الذراع الثالث عشر والذراع الرابع عشر فاذا انصرف الماء عن هذين الذراعين وزيادة نصف ذراع من الخمس عشرة استسقى الناس بمصر فكان الضرر الشامل لكل البلدان واذا تم خمس عشرة ودخل فى ست عشرة ذراعا كان فيه صلاح لبعض الناس ولا يستسقى فيه وكان ذلك نقصا من خراج السلطان والنبيذ يتخذ بمصر من ماء طوبة وهو كانون الثانى بعد الغطاس وهو لعشرة تمضى من طوبة وأصفى ما يكون ماء النيل فى ذلك الوقت وأهل مصر يفتخرون بصفاء ماء النيل فى هذا الوقت وفيه يخزن الماء أهل تنيس ودمياط وتونة وسائر قرى البحيرة * وقد كانت مصر كلها تروى من ست عشرة ذراعا غامرها وعامرها لما أحكموا من جسورها وبناء قناطرها وتنقية خلجانها وكان الماء اذا بلغ فى زيادته تسع أذرع دخل خليج المنهى وخليج الفيوم وخليج سردوس وخليج سخا * قال والمعمول عليه فى وقتنا هذا وهو سنة خمس وأربعين وثلثمائة انه ان زاد على الستة عشر ذراعا او نقص عنها نقص من خراج السلطان وقد تغير فى زماننا هذا عامة ما تقدم ذكره لفساد حال الجسور والترع والخلجان وقانونه اليوم انه يزيد فى القيظ اذا حلت الشمس برج السرطان والاسد والسنبلة حين تنقص عامة الانهار التى فى المعمور ولذلك قيل ان الانهار تمده بمائها عند غيضها فتكون زيادته وتبتدئ الزيادة من خامس بؤنة وتظهر فى ثانى عشره وأول دفعه فى الثانى من ابيب وتنتهى زيادته فى ثامن بابه ويأخذ فى النقصان من العشرين منه فتكون مدة زيادته من ابتدائها الى أن ينقص ثلاثة اشهر وخمسة وعشرين يوما وهى ابيب ومسرى وتوت وعشرون يوما من بابه ومدة مكثه بعد انتهاء زيادته اثنا عشر يوما ثم يأخذ فى النقصان * ومن

قوله فتكون مدة زيادته الخ هو غير موافق لما قبله بل مقتضى ما ذكره من التفصيل قبله أن مدة الزيادة من ابتدائها الى أن ينقص أربعة اشهر وخمسة عشر يوما فليتأمل اه مصححه

العادة أن ينادى عليه دائما فى اليوم السابع والعشرين من بؤنة بعد ما يؤخذ قاعه وهو ما بقى من الماء القديم فى ثالث عشر بؤنة ويفتح الخليج الكبير اذا أكمل الماء ستة عشر ذراعا وأدركت الناس يقولون نعوذ بالله من اصبع من عشرين وكنا نعهد الماء اذا بلغ أصابع من عشرين ذراعا فاض ماء النيل وغرق الضياع والبساتين وفارت البلاليع وها نحن فى زمن منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة اذا بلغ الماء فى سنة اصبعا من عشرين لا يعم الارض كلها لما قد فسد من الجسور وكان الى ما بعد الخمسمائة من الهجرة قانون النيل ستة عشر ذراعا فى مقياس الجزيرة وهى فى الحقيقة ثمانية عشر ذراعا وكانوا يقولون اذا زاد على ذلك ذراعا واحدة زاد خراج مصر مائة الف دينار لما يروى من الاراضى العالية فان بلغ ثمانية عشر ذراعا كانت الغاية القصوى فان الثمانية عشر ذراعا فى مقياس الجزيرة اثنان وعشرون ذراعا فى الصعيد الاعلى فان زاد على الثمانية عشر ذراعا واحدا نقص من الخراج مائة الف دينار لما يستبحر من الارض المنخفضة * قال ابن ميسر فى حوادث سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وفيها بلغت زيادة ماء النيل تسعة عشر ذراعا وأربعة أصابع وبلغ الماء الباب الجديد أول الشارع خارج القاهرة وكان الناس يتوجهون الى القاهرة من مصر من ناحية المقابر فلما بلغ الخليفة الحافظ لدين الله أبا الميمون عبد المجيد بن محمد أن الماء وصل الى الباب الجديد أظهر الحزن والانقطاع فدخل اليه بعض خواصه وسأله عن السبب فاخرج له كتابا فاذا فيه اذا وصل الماء الباب الجديد انتقل الامام عبد المجيد ثم قال هذا الكتاب الذى تعلم منه أحوالنا وأحوال دولتنا وما يأتى بعدها فمرض الحافظ فى آخر هذه السنة ومات فى أول سنة أربع وأربعين وخمسمائة * وقال القاضى الفاضل فى متجددات سنة ست وسبعين وخمسمائة وفى يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر ربيع الاول وهو السادس عشر من مسرى وفى النيل على ستة عشر ذراعا وهو الوفاء ولا يعرف وفاؤه بهذا التاريخ فى زمن متقدم وهذا أيضا مما تغير فيه قانون النيل فى زماننا فانه صار يوفى فى أوائل مسرى ولقد كان الوفاء فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة فى اليوم التاسع والعشرين من ابيب قبل مسرى بيوم وهذا من أعجب ما يؤرخ فى زيادات النيل واتفق أن فى الحادى عشر من جمادى الاولى سنة تسع وسبعمائة وفى النيل وكان ذلك اليوم التاسع عشر من بابه بعد النوروز بتسعة وأربعين يوما قال وفى تاسع عشره يعنى شوال سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة كسر بحر ابى المنجى وباشر الملك العزيز عثمان كسره وزاد النيل فيه اصبعا وهى الاصبع الثامنة عشرة من ثمان عشرة ذراعا وهذا الحد يسمى عند أهل

مصر اللجة الكبرى فانظر كيف يسمى القاضى الفاضل هذا القدر اللجة الكبرى وانه والعياذ بالله لو بلغ ماء النيل فى سنة هذا القدر فقط لحل بالبلاد غلاء يخاف منه أن يهلك فيه الناس وماذاك الا لما اهمل من عمل الجسور ويحصل لاهل مصر بوفاء النيل ست عشرة ذراعا فرح عظيم فان ذلك كان قانون الرى فى القديم واستمر ذلك الى يومنا هذا ويتخذ ذلك اليوم عيدا يركب فيه السلطان بعساكره وينزل فى المراكب لتخليق المقياس * وقد ذكرنا ما كان فى الدولة الفاطمية من الاهتمام بفتح الخليج عند ذكر مناظر اللؤلؤة وقال بعض المفسرين رحمهم الله تعالى ان يوم الوفا هو اليوم الذى وعد فرعون موسى عليه السلام بالاجتماع فى قوله تعالى قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى وقد جرت العادة ان اجتماع الناس للتخليق يكون فى هذا الوقت * ومن احسن السياسات فى امر النداء على النيل ما حكاه الفقيه ابن زولاق فى سيرة العزيز لدين الله قال وفى هذا الشهر يعنى شوال سنة اثنتين وستين وثلثمائة منع المعز لدين الله من النداء بزيادة النيل وان لا يكتب بذلك الا اليه والى القائد جوهر فلما تم اباح النداء يعنى لما تم ست عشرة ذراعا وكسر الخليج فتأمّل ما أبدع هذه السياسة فانّ الناس دائما اذا توقف النيل فى أيام زيادته أو زاد قليلا يقلقون ويحدّثون انفسهم بعدم طلوع النيل فيقبضون ايديهم على الغلال ويمتنعون من بيعها رجاء ارتفاع السعر ويجتهد من عنده مال فى خزن الغلة اما لطلب السعر أو لطلب إدّخار قوت عياله فيحدث بهذا الغلاء فان زاد الماء انحلّ السعر والا كان الجدب والقحط ففى كتمان الزيادة عن العامّة اعظم فائدة وأجل عائدة وقال المسبّحى فى تاريخ مصر وخرج امر صاحب القصر الى ابن حيران بتحرير ما يستفتح به القياسون كلامهم اذا نادوا على النيل فقال نعم لا تحصى من خزائن الله لا تفنى زاد الله فى النيل المبارك كذا ومن عادة نيل مصر اذا كان عند ابتداء زيادته اخضرّ ماؤه فتقول عامّة اهل مصر قد توحم النيل ويرون أن الشرب منه حينئذ مضر ويقال فى سبب اخضراره ان الوحوش سيما الفيلة ترد البطيحات التى فى أعالى النيل وتستنقع فيها مع كثرة عددها الشدّة الحرّ هناك فيتغير ماء تلك البطيحات فاذا وقع المطر فى الجهة الجنوبيه فى أوقاته عندهم تكاثرت السيول حينئذ فى البطيحات فخرج ما كان فيها من الماء الذى قد تغير ومرّ الى مصر وجاء عقيبه الماء الجديد وهو الزيادة بمصر وحينئذ يكون الماء محمرّا لما يخالطه من الطين الذى تأتى به السيول فاذا تناهت زيادته غشى أرض مصر فتصير القرى التى فى الاقاليم فوق التلال والروابى وقد أحاط بها الماء فلا يتوصل اليها الا فى المراكب او من فوق الجسور الممتدّة التى يصرف عليها ذا عمات كما ينبغى ربع الخراج ليحفظ عند ذلك ماء النيل حتى ينتهى رىّ كل مكان الى الحدّ المحتاج اليه فاذا تكامل رىّ ناحية من النواحى قطع اهلها الجسور المحيطة بها من أمكنة معروفة عند خولة البلاد ومشايخها فى اوقات محدودة لا تتقدم ولا تتأخر عن أوقاتها المعتادة على حسب ما يشهد به قوانين كل ناحية من النواحى فتروى كل جهة مما يليها مع ما يجتمع فيها من الماء المختص ولولا اتقان ما هنالك من الجسور وحفر الترع والخلجان لقل الانتفاع بماء النيل كما قد جرى فى زماننا هذا وقد حكى أنه كان يرصد لعمارة جسور أراضى مصر فى كل سنة ثلث الخراج لعنايتهم فى القديم بها من أجل أنه يترتب على عمارتها رىّ البلاد الذى به مصالح العباد وستقف ان شاء الله تعالى عن قريب على ما كان من اعمال القدماء ومن بعدهم فى ذلك وكان للمقياس فى الدولة الفاطمية رسوم الكنس مجارى الماء خمسون دينارا فى كل سنة تطلق لابن ابى الرداد

(ذكر الجسر الذى كان يعبر عليه فى النيل)

اعلم انه كان فى النيل جسر من سفن فيما بين الفسطاط والجزيرة يعرف اليوم بالروضة وكان فيما بين الجزيرة والجيزة أيضا جسر فى كل جسر منها ثلاثون سفينة

(ذكر ما قيل فى ماء النيل من مدح وذم)

قال الرئيس ابو علىّ ابن سيناء عفا الله عنه وقوم يفرطون فى مدح النيل افراطا شديدا ويجمعون محامده فى أربعة بعد منبعه وطيب مسلكه وغمورته وأخذه الى الشمال عن الجنوب فأخذه الى الشمال عن الجنوب ملاذف لما يجرى فيه من المياه وأما غمورته فيشاركه فيها غيره قال فأفضل المياه مياه العيون ولا كل العيون ولكن مياه العيون الحرّة الارض التى لا يغلب على تربتها شئ من الاحوال والكيفيات الغريبة اوتكون حجريه

فتكون اولى بأن لاتعفن عفونة الارضية لكن التى هى من طينة حرة خير من الجرية ولا كل عين حرة بل التى هى مع ذلك جارية ولا كل جارية بل الجارية المكشوفة للشمس والرياح وان هذا مما يكسب الجارية فضيلة وأما الراكدة فربما اكتسبت بالكشف رداءة لاتكسبها بالغور والستر * واعلم أن المياه التى تكون طيبة المسيل خير من التى تجرى على الاحجار فان الطين ينقى الماء ويأخذ منه الممزوجات الغريبة ويروقه والحجارة لا تفعل ذلك لكنه يجب أن يكون طين مسيله حر الاحمأة ولا سبخة ولا غير ذلك فان اتفق ان كان هذا الماء غمرا شديد الجرية يحيل بكثرة مايخالطه الى طبيعته فان كان يأخذ الى الشمس فى جريانه فيجرى الى المشرق وخصوصا الى الصيفى منه فهو أفضل لاسيما اذا بعد جدا من مبدائه ثم ما يتوجه الى الشمال والمتوجه الى المغرب والجنوب ردىء خصوصا عند هبوب ريح الجنوب والذى ينحدر من مواضع عالية مع سائر الفضل افضل وما كان بهذه الصفة كان عذبا يخيل انه حلو ولا يحتمل الخمر اذا مزج به منه الا قليلا وكان خفيف الوزن سريع البرد والتسخين لتخلخله باردا فى الشتاء حارا فى الصيف لا يغلب عليه طعم ألبتة ولا رائحة ويكون سريع الانحدار من الشراسيف سريع الهرى مايهرى فيه وطبخ مايطبخ فيه قال الرئيس علاء الدين على بن ابى الحرم بن نفيس فى شرح القانون هذه المحامد التى ذكرها ليست علامات للحمد بل هى من الاشياء الموجبة لكونه محمودا وأحد هذه الاربعة بعد منبعه وقد بينا أن ذلك يوجب لطافة الماء بسبب كثرة حركته واعلم أن منبع النيل من جبل يقال له جبل القمر وهذا الجبل وراء خط الاستواء بأحدى عشرة درجة وثلاثين دقيقة فاؤه اعظم دائرة فى الارض بثلاثمائة درجة وستين وابتداء هذا الجبل من السادسة والاربعين درجة وثلاثين دقيقة من اول العمارة من جهة المغرب وآخره عند آخر احدى وستين درجة وخمسين دقيقة فيكون امتداد هذا الجبل مقدار خمس عشرة درجة وعشرين دقيقة مما به اعظم دائرة فى الارض ثلثمائة وستون درجة ويخرج من هذا الجبل عشرة انهار من اعين فيه ترمى كل خمسة منها الى بحيرة عظيمة مدورة واحدى هاتين البحيرتين مركزها حيث البعد من ابتداء العمارة بالمغرب خمسون درجة والبعد من خط الاستواء فى الجنوب سبع درج واحدى وثلاثون دقيقة ومركز الثانية حيث البعد عن اول العمارة بالمغرب سبع وخمسون درجة وحيث البعد من خط الاستواء فى الجنوب سبع درج واحدى وثلاثون دقيقة وهاتان البحيرتان متساويتان وقطر كل واحدة منهما مقدار خمس درج ويخرج من كل واحدة من البحيرتين اربعة انهار ترمى الى بحيرة صغيرة مدورة فى الاقليم الاول بعد مركزها عن اول العمارة بالمغرب ثلاث وخمسون درجة وثلاثون دقيقة وعن خط الاستواء من الشمال درجتان من الاقليم الاول ومقدار قطرها درجتان ويصب كل واحد من الانهار الثمانية فى بحيرة وفى هذه البحيرة نهر واحد وهو نيل مصر ويمر ببلاد النوبة نهر آخر ابتداؤه من غير مركزها على خط الاستواء كبيرة مستديرة مقدار قطرها ثلاث درج وبعد مركزها من اول العمارة بالمغرب ثلاث واربعون درجة ويلقى نهر هذه العين لنهر النيل حيث البعد من اول العمارة بالمغرب ثلاث واربعون دقيقة واذا تعدى النيل مدينة مصر الى بلد يقال له شطنوف يفرق هنالك الى نهرين يرميان الى البحر المالح احدهما يعرف ببحر رشيد ومنه يكون خليج الاسكندرية وثانيهما يعرف ببحر دمياط وهذا البحر اذا وصل الى المنصورة يفرع منه نهر يعرف ببحر اشمون يرمى الى بحيرة هنالك وباقيه يرمى الى البحر المالح عند دمياط وزيادة النيل هى من امطار كثيرة ببلاد الحبشة والله اعلم (واعلم أن الموزون من الدستورات المتنجة من حال الماء فان الاخف فى اكثر الاحوال افضل فهذا ما ذكره الرئيس ابن سيناء من صفات المياه الفاضلة واعتبر ما قاله تجد ذلك قد اجتمع فى ماء النيل * فأوله أن ماء النيل عين تمر على اراضى حرة ولا يغلب على تربه ما يمر به شئ من الاحوال والكيفيات الرديئة كمعادن النفط والشب والاملاح والكباريت ونحوها بل يمر على الاراضى التى تنبت الذهب بدليل مايظهر فى الشطوط من قراضات الذهب وقد عانى جماعة تصويل الذهب من الرمل المأخوذ من شطوط النيل فربحوا منه مالا وفضيلة كون الذهب فى المال لا تنكر * الثانى أن النيل فى جريانه ابدا مكشوف للشمس والرياح * الثالث أن طينه من طين مسيل مياه مجتمعة من امطار تمر على اراضى حرة ويظهر لك ذلك من عطرية روائح الطين اذا نديته بماء * الرابع غمورة ماء النيل وشدة جريته التى تكاد تقصف العمد اذا اعترضتها وتدفع الاثقال العظيمة اذا عارضتها * الخامس بعد مبدا خروجه من مصبه فى البحر المالح وقد تقدم

من

من طول مسافته مالا يجده فى نهر غيره من انهار المعمور * السادس انحداره من علو فان الجنوب مرتفع عن الشمال لاسيما اذا صار الى الجنادل انحط من اعلى جبل مرتفع الى وادى مصر * وذكر ابن قتيبة فى كتاب غريب الحديث من حديث جرير بن عبد الله البجلى حين سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن منزله بيلنسة فذكره الى أن قال وماؤنا يمتنع ان يجرى من علو فقال النبى صلى الله عليه وسلم خير الماء السنم اى ما كان ظاهرا على وجه الارض والسنم الماء على وجه الارض وكل شئ علا شيأ فقد تسنمه مأخوذ من سنام البعير اعلوه وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى ومزاجه من تسنيم اى يمزج بما ينزل من علو * السابع أنه يمر من الجنوب الى الشمال فتستقبله ريح الشمال الطيبة دائما * الثامن خفته فى الوزن وقد اعتبر ذلك غير مرة مع غيره من المياه تخف عنها فى الوزن * التاسع عذوبة طعمه وحسن اثره فى هضم الغذاء واحداره عن المعدة بحيث انه يحدث بعد شربه جشاء وهذه صفات ان كنت ممن مارس العلم الطبيعى وعرف الطب فانه يعظم عندك قدر ماء النيل وتبين لك غزارة نفعه وكثرة محاسنه * ويقال ان ذا القرنين كتب كتابا فيه ما شاهده من عجائب الدنيا فضمنه كل اعجوبة ثم قال فى آخره وليس ذلك بعجب بل العجب نيل مصر وقال بعض الحكماء لولا ما جعل الله فى نيل مصر من حكمة الزيادة فى زمن الصيف على التدريج حتى يتكامل رى البلاد وهبوط الماء عنها عند بدء الزراعة لفسد اقليم مصر وتعذر سكناه لانه ليس فيه امطار كافية ولا عيون جارية تعم ارضه الا بعض اقليم الفيوم ولله در القائل

واها لهذا النيل اى عجيبة * بكر بمثل حديثها لا يسمع
يلقى الثرى فى العام وهو مسلم * حتى اذا ما مل عاد يودع
مستقبل مثل الهلال فدهره * ابدا يزيد كما يريد ويرجع

وقال آخر

كأن النيل ذو فهم ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتى حين حاجتهم اليه * ويمضى حين يستغنون عنه

وقال تميم بن المعتمر

يوم لنا بالنيل مختصر * ولكل يوم مسرة قصر
والسفن تجرى كالخيول بنا * صعدا وجيش الماء منحدر
وكأنما امواجه عكن * وكأنما داراته سرر

وقال ايضا

اما ترى الرعد بكى واشتكى * والبرق قد أومض واستضحكا
فاشرب على غيم بصنع الدجى * يضحك وجه الارض لما بكى
وانظر لماء النيل فى مده * كأنما صندل او مسكا

وقال آخر

والله مجرى النيل منه اذا الصبا * ارينا به من برها عسكرا مجرا
بشط بنهر السمهرية ذبلا * وموج بنهر البيض هندية بترا
اذا مرحا كى الورد غضا وان صفا * حكى ماءه لونا ولو بعده مرا

وقال ابو الحسن محمد بن الوزير فى تدريج زيادة النيل وعظم منفعته

ارى ابدا كثيرا من قليل * وبدرا فى الحقيقة من هلال
فلا تعجب فكل خليج ماء * بمصر مسبب بخليج مال
زيادة اصبع فى كل يوم * زيادة اذرع فى حسن حال

وقال الشهاب احمد بن فضل الله العمرى

بمصر فضل باهر * لعيشها الرغد النضر
فى سفح روض يلتقى * ماء الحياة والخضر

وقال ابن قلاقس

انظر الى الشمس فوق النيل غاربة * وانظر لما بعدها من حمرة الشفق
غابت وألقت شعاعا منه يخلفها * كأنما احترقت بالماء فى الغرق
وللهلال فهاوافى لينقدها * فى اثرها زورق قد صيغ من ورق

وقال بشر الملك ابن المنجم

يارب سامية فى الجو قت بها * امد طرفى فى ارض من الافق
حيث الغشمية فى التمثيل معتزل * اذا رآها جبان مات للفرق
للشمس غاربة للغرب ذاهبة * بالنيل مصفرة من هجمة الغسق
وللهلال انعطاف كالسنان بدا * من سورة الطعن لا من دمة الشفق

وقال القاضى الفاضل رحمة الله تعالى عليه وأما النيل فقد ملأ البقاع وانتقل من الاصبع الى الذراع فكأنما غار على الارض فغطاها وأغار عليها فاستقعدها وما تخطاها فما يوجد بمصر قاطع طريق سواه ولا مرغوب مرهوب الا اياه * ونيل مصر مخالف فى جريه لغالب الانهار فانه يجرى من الجنوب الى الشمال وغيره ليس كذلك الانهران فانهما يجريان كما يجرى النيل وهما نهر مكران بالسند ونهر الاريط وهو الذى يعرف اليوم بنهر العاصى فى حماه احد مدائن الشام * وقد عاب ماء النيل قوم قال ابو بكر ابن وحشية فى كتاب الفلاحة النبطية وأما ماء النيل فمخرجه من جبال وراء بلاد السودان يقال لها جبال القمر وحلاوته وزيادته يدلان على موقعه من الشمس أنها احرقته لا كل الاحراق بل أسخنته اسخانا طويلا لينا لا تزعجه الحرارة ولا تقوى عليه بحيث تبدد أجزاءه الرطبة وتبقى اجزاءه الراسخة بل يعتدل عليه فصار ماؤه لذلك حلوا جدا وصار كثرة شربه يعفن البدن ويحدث البثور والدماميل والقروح وصار أهل مصر الشاربون منه دمويين محتاجين الى استفراغ الدم عن ابدانهم فى كل مدة قصيرة فمن كان عالما منهم بالطبيعة فهو يحسن مداراة نفسه حتى يدفع عن جسمه ضرر ماء النيل والا فهو يقع فيما ذكرنا من العفونات وانتشار البثر والدماميل وذلك أن هذا الماء ناقص البرد عن سائر المياه قد صير له الطبخ قواما هو أثخن من قوام الماء فصار اذا خالط الطعام فى الابدان كثر فيها الفضول الردية العفنة فيحدث من ذلك ماذكرناه ودواء اهل مصر الذى يدفع عنهم ضرر ماء النيل ادمان شرب ربوب الفاكهة الحامضة القابضة وأخذ الادوية المستفرغة للفضول ولو زادت حرارة الشمس على ماء النيل وطال طبخها له لصار مالحا بمنزلة ماء البحار الراكدة التى لا حركة لها الا وقت جزر البحر وهبوب الرياح وهو أوفق للزروع والمنابت من الحيوان وقال ابن رضوان والنيل يمر بأمم كثيرة من السودان ثم يصير الى أرض مصر وقد غسل ما فى بلاد السودان من العفونات والاوساخ ويشق مارا بوسط أرض مصر من الجنوب الى الشمال الى أن يصب فى بحر الروم ومبدأ زيادته فى فصل الصيف وتنتهى زيادته فى فصل الخريف ويرتقى فى الجو منه فى اوقات مده رطوبات كثيرة بالتحلل الخفى فيرطب ذلك يبس الصيف والخريف واذا امد النهر فاض على أرض مصر فغسل ما فيها من الاوساخ نحو جيف الحيوانات وأزبالها وفضول الآجام والنبات ومياه النقاع واحدر جميع ذلك معه وخالطه من تراب هذه الارض وطينها مقدار كثير من اجل سخافتها وباض فيه من السمك الذى تربى فيه وفى مياه النقائع ومن قبل ذلك تراه فى اول مدة يخضر لونه بكثرة ما يخالطه من مياه النقائع العفنة التى قد اجتمع فيها العرمض والطحلب واخضر لونها من عفنها ثم يتعكر حتى يصير آخر أمره مثل الحمأة واذا صفا اجتمع منه فى الاناء طين كثير ورطوبة لزجة لها سهوكة ورائحة منكرة وهذا من اوكد الاشياء فى ظهور رداءة هذا الماء وعفنه وقد بين بقراط وجالينوس أن أسرع المياه الى العفن ما لطفته الشمس بمياه الامطار ومن شأن هذا الماء أن يصل الى أرض مصر وهو فى الغاية من اللطافة من شدة حرارة بلاد السودان فاذا اختلط به عفونات أرض مصر زاد ذلك فى استحالته ولذلك يتولد منه من انواع السمك شئ كثير جدا فان فضول الحيوانات والنبات وعفونة هذا الماء وبيض السمك يصير جميعها موادا فى تكون هذه الاسماك كما قال ارسطاليس فى كتاب الحيوان وذلك شئ ظاهر للحس فان كل شئ يتعفن يتولد من عفونته الحيوان ولهذا صار ما يتولد من الدود والفأر والثعابين والعقارب والزنابير والذباب وغيرها بأرض مصر كثيرا فقد استبان أن المزاج الغالب على أرض مصر الحرارة

والرطوبة الفضلية وانها ذات اجزاء كثيرة وان هواءها وماءها رديان وربما انقطع النيل فى آخر الربيع واول الصيف من جهة الفسطاط فيعفن بكثرة ما يلقى فيه الى ان يبلغ عفنه الى أن يصير له رايحة منكرة محسوسة وظاهر أن هذا الماء اذا صار على هذه الحالة غير مزاج الناس تغيرا محسوسا وينبغى أن يستقى ماء النيل من الموضع الذى فيه جريه أشد والعفونة فيه أقل ويصفى كل انسان هذا الماء بحسب ما يوافق مزاجه أما المحرورون فى ايام الصيف فبالطباشير والطين الارمنى والمغرة والنبق المرضوض والزعرور المرضوض والخل وأما المبرودون فى ايام الشتاء فباللوز المر وداخل نوى المشمش والصعتر والشب وينبغى أن ينظف ما روق ويشرب وان شئت أن تصفيه بأن تجعله فى آنية الخزف والفخار والجلود وما يصل من ذلك بالرشح وان شئت طبخته بالنار وجعلته فى هواء الليل حتى يروق ثم تلطف منه ما روق واستعملته * واذا ظهرت فيه كيفيات رديات فاطبخه بالنار ثم برده تحت السماء فى برودة الليل وصفه بأخلاط الادوية التى ذكرتها وأجود ما تخذ هذا الماء أن يصفى مرارا وذلك بأن يسخنه او يطبخه ثم يبرده فى هواء الليل ويلطف ما روق منه فتصفيه أيضا ببعض الادوية ثم تأخذ ما روق فتجعله فى آنية تصل فى برد الليل وتأخذ الرشح فتشربه واجعل آنية هذا الماء فى الصيف الخزف والفخار المعمولين فى طوبة والظروف الجرية والقرب ونحوها مما يبرد وفى الشتاء الانية الزجاج والمدهون وما يعمل فى الصيف من الفخار والخزف ويكون موضعه فى الصيف تحت الاسراب وفى مخاريق ريح الشمال وفى الشتاء بالمواضع الحارة ويبرد فى الصيف بأن يخلط معه ماء الورد ويؤخذ خرقة نظيفة ويشد فيها طباشير وبزر رجلة او خشخاش ابيض أو طين ارمنى أو مغرة ويلقى فيه كما يأخذ من بردها ولا يخالطه جسمها وتغسل ظروفه فى الصيف بالخزف المدقوق وبدقيق الشعير والباقلاء والصندل وفى الشتاء بالاشنان والسعد ويبخر بالمصطكى والعود وأردأ ما يكون ماء النيل بمصر عند فيضه وعند وقوف حركته فعند ذلك ينبغى ان يطبخ ويبالغ فى تصفيته بقلوب نوى المشمش وسائر ما يقطع لزوجته وأجود ما يكون فى طوبة عند تكامل البرد ومن اجل هذا عرفت المصريون بالتجربة أن ماء طوبة اجود المياه حتى صار كثير منهم يخزنه فى القوارير الزجاج والصينى ويشربه السنة كلها ويزعم انه لا يتغير وصاروا أيضا لا يصفونه فى هذا الزمان لظنهم أنه على غاية الخلاص وأما أنت فلا تسكن الى ذلك وصفه على اى حالة كان فالماء المخزون لا بد أن يتغير فهذا ما عندى من ذم ماء النيل وحاصله أن الماء تتغير كيفيته بما يرد عليه لا أن ذاته ردية فلا يهولنك ما تسمع فما الامر الا ما قلت لك واذا كان الضرر بحسب ما تغير من كيفيته لا من كميته فقد عرفت ما تعالجه به كى يزول ما يخالطه من الكيفيات الردية والله الموفق بمنه وكرمه

(ذكر عجائب النيل)

ومن عجائب النيل فرس البحر قال عبد الله بن احمد بن سليم الاسوانى فى كتاب اخبار النوبة ومسافة ما بين دنقلة الى اول بلد علوة اكثر مما بين دنقلة واسوان وفى ذلك من القرى والضياع والجزائر والمواشى والنخل والشجر والمقل والزرع والكرم اضعاف ما فى الجانب الذى يلى أرض الاسلام * وفى هذه الاماكن جزائر عظام مسيرة ايام فيها الحيات والوحوش والسباع ومفاوز يخاف فيها العطش وماء النيل ينعطف من هذه النواحى الى مطلع الشمس والى مغربها مسافة ايام حتى يصير الصعيد كالمنحدر وهى الناحية التى تبلغ العطوف من النيل الى المعدن المعروف بالشنكة وهى بلد معروف بشنقير ومنه يخرج القمرى وفرس البحر يكثر فى هذا الموضع * وحدثنى سيمون صاحب عهد علوة أنه أحصى فى جزيرة سبعين دابة منها وهى من دواب الشطوط فى خلق الفرس فى غلظ الجاموس قصيرة القوائم لها خف وهى فى ألوان الخيل بأعراف وآذان صغار كآذان الخيل وأعناقها كذلك وأذنابها مثل اذناب الجواميس ولها خرطوم عريض يظن الناظر اليها أن عليها مخلاة لها صهيل وأنياب لا يقوم حذاءها تمساح وتعترض المراكب عند الغضب فتغرقها ورعيها فى البر العشب وجلدها فيه متانة عظيمة يتخذ منه دبابيس انتهى * وهو كفرس البر الا انه اكبر عرفا وذنبا وأحسن لونا وحافره مشقوق كحافر البقر وجثته أكبر من الحمار بقليل وهو يأكل التمساح أكلا ذريعا ويقوى عليه قوة ظاهرة وربما خرج من الماء ونزا على فرس البر فيتولد بينهما فرس فى غاية الحسن * واتفق أن بعض الناس نزل على طرف النيل ومعه حجرة نخرج من الماء فرس أدهم عليه نقط بيض فنزا على الحجرة فحملت منه وولدت مهرا

عجيب الصورة فطمع فى مهر آخر فجاء بالحجرة والمهر الى ذلك الموضع فخرج الفرس من الماء وشم المهر ساعة ثم وثب الى الماء ومعه المهر فصار الرجل يتعهد ذلك المكان كثيرا فلم يعد الفرس ولا المهر اليه * (قال المسعودى) وفى نيل مصر وأرضها عجائب كثيرة من الحيوانات فن ذلك السمك المعروف بالرعاد والواحدة نحو الذراع اذا وقعت فى شبكة الصياد ارتعدت يده وعضده فيعلم بوقوعها فيبادر الى أخذها واخراجها من شبكته ولو أمسكها بخشب أو قصب فعلت ذلك وقد ذكرها جالينوس وانها ان جعلت على رأس من به صداع شديد أو شقيقة وهى فى الحياة هدأ من ساعته قال ابن البيطار عن جالينوس هو الحيوان البحرى الذى يحدث الخدر وزعم قوم انه اذا ادنى من رأس من يشتكى الصداع سكن صداعه وان أدنى من مقعدة من انقلبت مقعدته اصلحها ولكن انا جربت الامرين جميعا فلم أجده يفعل ولا واحدا منهما فاذكرت انى ادنيته من رأس المصدوع والحيوان ما هو حى لانى ظننت انه على هذه الحال يكون دواء يمكن أن يسكن الصداع بمنزلة الادوية فوجدته ينفع ما دام حيا قال ديسقوريدوس هو سمكة بحرية مخدرة اذا وضعت على الرأس الذى عرض له الصداع المزمن سكن شدة وجعه واذا احتمله ذو المقعدة التى تبرز الى خارج اصلحها وقال بولس الزيت الذى يطبخ فيه يسكن اوجاع المفاصل الحريفة اذا دهنت به قال ابن البيطار رأيت بساحل مدينة مالقة من بلاد الاندلس سمكة عريضة لون ظاهرها لون رعاد مصر سواء وباطنها أبيض وفعلها فى تخدير ماسكها كفعل رعاد مصر أو اشد الا انها لا تؤكل ألبتة وقال بعضهم اذا علقت المرأة شيأ من الرعاد عليها لم يطق زوجها البعد عنها وكذلك ان علق منها الرجل عليه لم تكد المرأة ان تفارقه * والسقنقور وهو صنف يتولد من السمك والتمساح فلا يشاكل السمك لان له يدين ورجلين ولا يشاكل التمساح لان ذنبه أجرد أملس عريض غير مضرس وذنب التمساح محفف مضرس ويتعالج بشحم السقنقور للجماع ولا يكون بمكان الا فى النيل وفى نهر مهران من أرض الهند ولقد بلغنى أن أقوا ماشووها وأكلوا منها فماتوا كلهم فى ساعة واحدة * والسقنقور قال ابن سيناء هو ورن يصاد من نيل مصر يقولون انه من نسل التمساح وأجود ما يصطاد فى الربيع وقال آخر انه فرخ التمساح فاذا خرج من البيض فما قصد الماء صار تمساحا وما قصد الرمل صار سقنقورا وقال ابن البيطار هو جنس من الجراد يجفف فى الخريف اذا شرب منه وزن درهمين من الموضع الذى يلى كلاه بشراب انهض الجماع وهو شديد الشبه بالورن يوجد بالرمال التى تلى نيل مصر فى نواحى صعيدها وهو مما يسعى فى البر ويدخل فى الماء يعنى النيل ولهذا قيل له الورن المائى لشبهه به ولدخوله فى الماء وهو يتولد من ذكر وانثى ويوجد للذكر خصيتان كخصيتى الديك فى خلقهما وموضعهما وانثاه تبيض فوق العشرين بيضة وتدفنها فى الرمل وللذكر من السقنقور احليلان وللانثى فرجان والسقنقور يعض الانسان ويطلب الماء فان وجده دخل فيه وان لم يجده بال وتمرغ فى بوله واذا فعل ذلك مات المعضوض لوقته وسلم السقنقور فان اتفق ان سبق المعضوض الى الماء فدخله قبل دخول السقنقور الماء وتمرغه فى بوله مات السقنقور لوقته وسلم المعضوض والافضل الذكر منه والابلغ فى نفع الباه بل هو المخصوص بذلك دون الانثى والمختار من أعضائه ما يلى اصل ذنبه ومحاذى سرته والوقت الذى يصاد فيه الربيع فانه يكون فيه هائجا للسفاد فيكون فى هذا الوقت ابلغ نفعا فاذا أخذ ذكى فى يوم صيده فانه ان ترك حيا زال شحمه وهزل لحمه وضعف فعله ثم يقطع رأسه وطرف ذنبه من غير استئصال ويشق جوفه طولا ويلقى ما فيه الا كلاه وكيسه فاذا نظف حشى ملحا وخيط الشق وعلق منكوسا فى ظل معتدل الهواء حتى يجف ويؤمن فساده ثم يرفع فى اناء متخرقة للهواء كالسلال المضفورة من قضبان شجر الصفصاف والخوص ونحوه الى وقت الحاجة ولحمه طريا حار رطب والمجفف أشد حرارة وأقل رطوبة ولا يوافق استعماله من مزاجه حار يابس وانما يوافق ذوى الامزجة الباردة الرطبة وخاصة لحمه وشحمه انهاض شهوة الجماع ويهيج الشبق ويقوى الانعاظ وينفع امراض العصب الباردة وخاصة ما يلى سرته ويحاذى ذنبه وينفع مفردا ومركبا واستعماله مفردا أبلغ والمقدار منه بعد تجفيفه من مثقال الى ثلاثة مثاقيل بحسب السن والمزاج والبلد والوقت الحاضر يسحق ويذاب بشراب أو ماء العسل او نقيع الزبيب او يذر على صفرة بيض الدجاج النيمرشت ويحسى وكذلك يفعل بلحمه اذا أخذ منه من درهم الى درهمين وذر على صفرة البيض بمفرده او مع مثله بزر جرجير مسحوق ولا يوجد السقنقور الا فى بلاد الفيوم خاصة واكثر صيده فى الاربعينات اذا اشتد البرد وخرج

من

من الماء الى البرّ فحينئذ يصاد * وقال المسعودى والفرس الذى يكون فى نيل مصر اذا خرج من الماء وانتهى وطؤه الى بعض المواضع من الارض علم اهل مصر أنّ النيل يزيد الى ذلك الموضع بعينه غير زائد عليه ولا مقصر عنه لا يتخلف ذلك عندهم لطول العادات والتجارب وفى ظهوره من الماء ضرر بأرباب الارض والغلات لرعيه الزرع وذلك أنه يظهر من الماء فى الليل فينتهى الى موضع من الزرع ثم يولى عائدا الى الماء فيرعى فى حال رجوعه من الموضع الذى انتهى اليه مسيره ولا يرعى من ذلك الذى قد رعاه شيأ فى ممرّه واذا رعى ورد الماء وشرب ثم قذف ما فى جوفه فى مواضع شتى فينبت ذلك مرّة ثانية واذا كثر ذلك من فعله واتصل ضرره بأرباب الضياع طرحوا له من الترمس فى الموضع الذى يعرف خروجه منه مكاكى كثيرة مبدرا مبسوطا فيأكله ثم يعود الى الماء فاذا شرب منه ربا الترمس فى جوفه وانتفخ فينشق جوفه منه ويموت ويطفو على الماء ويقذف به الى الساحل والموضع الذى يرى فيه لا يرى به تمساح وهو على صورة الفرس الا انّ حوافره وذنبه بخلاف ذلك وجبهته واسعة * وقال المسبحى انّ الصنف المعروف بالبلطى من اصناف السمك اوّل ما عرف بنيل مصر فى ايام الخليفة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله ولم يكن يعرف قبله فى النيل وظهر فى ايامه أيضا سمك يعرف باللبيس وانما سمى باللبيس لانه يشبه البورى الذى بالبحر الملح فالتبس به وغالب الظنّ انها من اسماك البحر الملح دخلت فى الحلو * ومن حيوان البحر التمساح قال ابن البيطار التمساح حيوان معروف يكون فى الانهار الكبار وفى النيل كثيرا ويوجد فى نهر مهران وقد يوجد فى بلاد السودان وهو الورن النيلى * وقال بن زهران كل حيوان يحرّك فكه الاسفل اذا اكل ما خلا التمساح فانه يحرّك فكه الاعلى دون الاسفل وشحم التمساح اذا عجن بالسمن وجعل فيه فتيلة واسرج فى نهر أو أجمة لم ينعق ضفادعها مادامت تقد وان طيف بجلد تمساح حول قرية ثم علق على سطح دهليز لم يقع البرد فى تلك القرية واذا عض التمساح انسانا فوضع على العضة شحم التمساح برأ من ساعته وان لطخ بشحمه جبهة كبش نطاح نفر كل كبش يناطحه وهرب منه ومرارته يكتحل بها للبياض فى العين فيذهبه وكبده يبخر بها المجنون فيبرأ وزبل التمساح يزيل البياض من العين الحديث والقديم وان قلعت عيناه وهو حىّ وعلقت على من به جذام أوقفه ولم يزد عليه شئ وان علق شئ من التى بالجانب الايمن على رجل زاد فى جماعه وعينه اليمنى لمن يشتكى عينه اليمنى وعينه اليسرى لمن يشتكى عينه اليسرى وشحمه اذا اذيب بدهن ورد نفع من وجع الصلب والكليتين وزاد فى الباه واذا أخذ دم التمساح وخلط به هليلج واملج وطلى به على الوضح أذهبه وغير لونه واذا طلى به على الجبهة والصدغين نفع من وجع الشقيقة واذا اكل لحمه اسفيدباجا سمن البدن النحيف وشحمه اذا اقطر بعد أن يذاب فى الاذن الوجعة نفعها وان أدمن تقطيره فى الاذن نفع من الصمم واذا دهن به صاحب حمى الربع سكنت عنه ولحمه ردىء الكيموس وقال المسعودى وكذلك التمساح آفته من دويبة تكون فى سواحل النيل وجزائره وهو أنّ التمساح لا دبر له وما يأكله يتكوّن فى بطنه دودا فاذا اذاه ذلك خرج الى البرّ فاستلقى على قفاه فاغرا فاه فينقض اليه طير الماء وقد اعتاد ذلك منه فيأكل ما يظهر من جوفه من ذلك الدود العظيم وتكون تلك الدويبة قد كمنت فى الرمل فتثب الى حلقه وتصير الى جوفه وتخرج فيخبط بنفسه الى الارض ويطلب قعر النيل حتى تأتى الدويبة على حشو جوفه ثم تخرق جوفه وتخرج وربما قتل نفسه قبل أن تخرج فتخرج بعد موته وهذه الدويبة تكون نحو الذراع على صورة ابن عرس ذات قوائم شتى ومخالب ويقال ان بجبال فسطاط مصر طلسم معمول بها وكان التمساح لا يستطيع القرب حوله بل كان اذا بلغ حدوده انقلب واستلقى على ظهره فيعبث به الصبيان الى أن يجاوز نهاية المدينة ثم يعود مستويا ويعود الى طباعه ثم ان هذا الطلسم كسر فبطل فعله ويقال ان التمساح يبيض كبيض الاوز وربما تولد فيه جرادين صغار ثم تكبر حتى يبلغ طولها عشرة اذرع وتزداد طولا كلما عمرت والتمساح يرتعش ستين مرّة فى حركة واحدة ومحل واحد وسنه اليسرى نافعة للنافض

* (ذكر طرف من تقدمة المعرفة بحال النيل فى كل سنة) *

قال ابن رضوان فى شرح الاربع وقد يحتاج امر النيل الى شروط منها أن تكون الامطار متوالية فى نواحى الجنوب قبل مدّه وفى وقت مدّه ولذلك وجب ان يكون النيل متى كانت الزهرة وعطارد مقترنين فى مدخل الصيف كثير الزيادة لرطوبة الهواء ومتى كان المريخ او بعض المنازل فى ناحية الجنوب فى مدخل الربيع

او الصيف كان قليلا لقلة الامطار فى تلك الناحية ومنها أن تكون الرياح شمالية لتوقف جريه فأما الجنوبية فانها تسرع انحداره ولا تدعه يلبث فاذا علمت ما يكون فى ناحية الجنوب من كثرة الامطار او قلتها وفى ناحية مصر من هبوب الرياح فى فصلى الربيع والصيف فقد علمت حال النيل كيف يكون وتعلم من حاله ما يعرض بمصر من الخصب والجدب وقال ابو سامر ابن يونس المنجم عن بطليموس اذا أردت أن تعلم مقدار النيل فى الزيادة والنقصان فانظر حين تحل الشمس برج السرطان الى الزهرة وعطارد والقمر فان كانت احوالها جيدة وهى برية من النحوس فالنيل يمتد ويبلغ الحاجة به وان كانت احوالها بخلاف ذلك وهى ضعيفة فانكس القول فان ضعف بعضها وصلح البعض توسط الحال فى النيل والضابط أن قوة الثلاثة تدل على تمام النيل وضعفها على توسطه واتحاسها او احتراقها أو وقوعها فى بعدها الابعد من الارض على النقص وانه قليل جدا الا أن احتراق الزهرة فى برج الاسد يستنزل الماء من الجنوب وقال ابو معشر ينظر عند انتقال الشمس الى برج السرطان للزهرة وعطارد والقمر فان كانت فى سيرها الاكبر فان زيادة النيل عظيمة وان كانت فى سيرها الاوسط فاعرف كم اكثر مسيرها وكم اقله وانسبه بحسب ما تراه وان كانت بطيئة السير فزيادة النيل قليلة وان اختلف مسير هذه الثلاثة فكان بعضها فى مسيره الاكبر وبعضها بطىء السير فغلب اقواها وامزج الدلالة وقل بحسب ذلك * وقالت القبط ينظر أول يوم من شهر برمودة ما الذى يوافقه من ايام الشهر العربى فما كان من الايام فزد عليه خمسة وثمانين فما بلغ خذ سدسه فانه يكون عدد مبلغ النيل من الاذرع فى تلك السنة قالوا ومن المعتبر أيضا فى امر النيل أن تنظر اليوم الذى تفطر فيه النصارى اليعاقبة بمصر وما بقى من الشهر العربى فزد عليها اربعا وثلاثين فما بلغ أسقطه اثنى عشر فان بقى بعد ذلك الاسقاط من العدد زيادة على اثنى عشر فهو زيادة النيل من الاذرع فى تلك السنة مع الاثنى عشر وان بقى اثنى عشر فهى سنة رديئة قالوا واذا كان العاشر من الشهر العربى موافقا لشهر أبيب والقمر فى برج العقرب فان كان مقارنا لقلب العقرب كان النيل مقصرا والا فهو جيد قالوا وينظر اول يوم من بؤنة فان هبت الريح شمالا فى بكرة النهار كان النيل عاليا وان هبت وسط النهار فانه متوسط وان هبت آخر النهار كان نيلا قاصرا وان لم تهب لم يطلع تلك السنة وقيل يعتبر هكذا اول خميس من بؤنة * ومن المعتبر الذى جربته أنا سنين وأخبرنى بعض شيوخنا أنه جربه وأخبره به من جربه فصح أن ينظر اول يوم من مسرى كم مبلغ النيل فزد عليه ثمانية اذرع فما بلغ فهو زيادة النيل فى تلك السنة ومما اشتهر عند اهل مصر وجربته ايضا فصح أن يؤخذ قبل عيد ميكائيل بيوم فى وقت الظهر من الطين الذى مر عليه ماء النيل قطعة زنتها ستة عشر درهما سواء وترفع فى اناء مغطى الى بكرة يوم عيد ميكائيل وتوزن فما زاد على وزنها من الخراريب كان مبلغ النيل فى تلك السنة بقدر عدد ذلك الخراريب لكل خروبة ذراع ومن ذلك أخذ شىء من دقيق القمح وعجنه بماء النيل فى اناء فخار وقد عمل من طين مر عليه النيل وتركه مغطى طول ليلة عيد ميكائيل فاذا وجد بكرة يوم العيد قد اختمر بنفسه كان النيل تاما وافيا وان وجده لم يختمر دل على قصور هذا النيل ثم ينظرون مع ذلك بكرة يوم عيد ميكائيل الى الهواء فان هبت طيابا فهو نيل كبير وان هبت غير طياب فهو نيل مقصر لاسيما ان هبت مريسيا فانه يكون نيلا كاف والشان عندهم انما هو فى دلالة العلامات الثلاث على شىء واحد فأما اذا اختلف فالحكم لا يكاد يصح * وقال ابو الريحان محمد بن احمد البيرونى فى كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية وذكر اصحاب التجارب أنه اذا تقدم فعمد الى لوح وزرع عليه من كل زرع ونبات حتى اذا كانت الليلة الخامسة والعشرون من شهر تموز أحد شهور الروم وهى آخر أيام الباحور ثم وضع اللوح بارزا لطلوع الكواكب وغروبها لا يحول بينه وبين السماء شىء فان كل ما لا يزكو فى تلك السنة من الزروع يصبح اصفر وما يصلح ريعه منها يبقى أخضر وكذلك كانت القبط تفعل ذلك وقد جربت انا على ما أفادنيه بعض الكتاب انه اذا حصل مطر ولو قل فى شهر بابة ينظر ما ذلك اليوم من الشهر القبطى فانه يبلغ سعر الويبة القمح تلك السنة من الدراهم بعدد ما مضى من ايام شهر بابة وأول ما جربت هذا انه وقع مطر فى بابة يوم الخميس الخامس عشر منها فبيعت الويبة تلك السنة بخمسة عشر درهما

* (ذكر عيد الشهيد) *

ومما كان يعمل بمصر عيد الشهيد وكان من انزه فرج مصر وهو اليوم الثامن من بشنس احد شهور القبط

ويزعمون أن النيل بمصر لا يزيد فى كل سنة حتى يلقى النصارى فيه تابوتا من خشب فيه اصبع من اصابع اسلافهم الموتى ويكون ذلك اليوم عيدا ترحل اليه النصارى من جميع القرى ويركبون فيه الخيل ويلعبون عليها ويخرج عامة اهل القاهرة ومصر على اختلاف طبقاتهم وينصبون الخيم على شطوط النيل وفى الجزائر ولا يبقى مغن ولا مغنية ولا صاحب لهو ولا رب ملعوب ولا بغى ولا مخنث ولا ماجن ولا خليع ولا فاتك ولا فاسق الا ويخرج لهذا العيد فيجتمع عالم عظيم لا يحصيهم الا خالقهم وتصرف اموال لا تنحصر ويتجاهر هنالك بما لا يحتمل من المعاصى والفسوق وتثور فتن وتقتل اناس ويباع من الخمر خاصة فى ذلك اليوم بما ينيف على مائة ألف درهم فضة عنها خمسة آلاف دينار ذهبا وباع نصرانى فى يوم واحد بأثنى عشر ألف درهم فضة من الخمر وكان اجتماع الناس لعيد الشهيد دائما بناحية شبرى من ضواحى القاهرة وكان اعتماد فلاحى شبرى دائما فى وفاء الخراج على ما يبيعونه من الخمر فى عيد الشهيد ولم يزل الحال على ما ذكر من الاجتماع كذلك الى أن كانت سنة اثنتين وسبعمائة والسلطان يومئذ بديار مصر الملك الناصر محمد بن قلاون والقائم بتدبير الدولة الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وهو يومئذ استادار السلطان والامير سيف الدين سلار نائب السلطنة بديار مصر فقام الامير بيبرس فى ابطال ذلك قياما عظيما وكان اليه امور ديار مصر هو والامير سلار والناصر تحت حجرهما لا يقدر على شبع بطنه الامن تحت ايديهما فتقدم امر الامير بيبرس أن لا يرمى اصبع فى النيل ولا يعمل له عيد وندب الحجاب ووالى القاهرة لمنع الناس من الاجتماع بشبرى على عادتهم وخرج البريد الى سائر أعمال مصر ومعهم الكتب الى الولاة باجهار النداء واعلانه فى الاقاليم بأن لا يخرج احد من النصارى ولا يحضر لعمل عيد الشهيد فشق ذلك على اقباط مصر كلهم من اظهر الاسلام منهم وزعم أنه مسلم ومن هو باق على نصرانيته ومشى بعضهم الى بعض وكان منهم رجل يعرف بالتاج بن سعيد الدولة يعانى الكتابة وهو يومئذ فى خدمة الامير بيبرس وقد احتوى على عقله واستولى على جميع اموره كما هى عادة ملوك مصر وامرائها من الاتراك فى الانقياد لكتابهم من القبط سواء منهم من أسر الكفر ومن جهر به * ومازال الاقباط بالتاج الى أن تحدث مع مخدومه الامير بيبرس فى ذلك وخيل له من تلف مال الخراج اذا بطل هذا العيد فان اكثر خراج شبرا انما يحصل من ذلك وقال له متى لم يعمل العيد لم يطلع النيل ابدا ويخرب اقليم مصر لعدم طلوع النيل ونحو ذلك من هتف القول وتحيق المكر فثبت الله الامير بيبرس وقواه حتى اعرض عن جميع ما زخرفه من القول واستمر على منع عمل العيد وقال للتاج ان كان النيل لا يطلع الا بهذا الاصبع فلا يطلع وان كان الله سبحانه هو المتصرف فيه فنكذب النصارى فبطل العيد من تلك السنة ولم يزل منقطعا الى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وعمر الملك الناصر محمد بن قلاون الجسر فى بحر النيل ليرمى قوة التيار عن بر القاهرة الى ناحية الجيزة كما ذكر فى موضعه من هذا الكتاب فطاب الامير يلبغا اليحياوى والامير الطنبغا الماردينى من السلطان أن يخرجا الى الصيد ويغيبا مدة فلم تطب نفسه بذلك لشدة غرامه بهما وتهتكه فى محبتهما وأراد صرفهما عن السفر فقال لهما نحن نعيد عمل عيد الشهيد فيكون تفرجكما عليه أنزه من خروجكما الى الصيد وكان قد قرب اوان وقت عيد الشهيد فرضيا منه بذلك وأشيع فى الاقليم اعادة عمل عيد الشهيد فلما كان اليوم الذى كانت العادة بعمله فيه ركب الامراء النيل فى الشخاتير بغير حراريق واجتمع الناس من كل جهة وبرز أرباب الغناء وأصحاب اللهو والخلاعة فركبوا النيل وتجاهروا بما كانت عادتهم المجاهرة به من انواع المنكرات وتوسع الامراء فى تنوع الاطعمة والحلاوات وغيرها توسعا خرجوا فيه عن الحد فى الكثرة البالغة وعم الناس منهم ما لا يمكن وصفه لكثرته واستمروا على ذلك ثلاثة ايام وكانت مدة انقطاع عمل عيد الشهيد منذ أبطله الامير بيبرس الى أن أعاده الملك الناصر ستا وثلاثين سنة واستمر عمله فى كل سنة بعد ذلك الى أن كانت سنة خمس وخمسين وسبعمائة تحرك المسلمون على النصارى وعملت اوراق بما قد وقف من اراضى مصر على كنائس النصارى وديارتهم وألزم كتاب الامراء بتحرير ذلك وحمل الاوراق الى ديوان الاحباس فلما تحررت الاوراق اشتملت على خمسة وعشرين ألف فدان كلها موقوفة على الديارات والكنائس فعرضت على امراء الدولة القائمين بتدبير الدولة فى ايام الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاون وهم الامير شيخو العمرى والامير صرغتمش والامير طاز فتقرر الحال على أن ينعم بذلك على الامراء زيادة على اقطاعاتهم وألزم النصارى بما يلزمهم من الصغار وهدمت لهم عدة كنائس كما هو مذكور فى موضعه من هذا الكتاب

عند ذكر الكنائس فلما كان العشر الاخير من شهر رجب من السنة المذكورة خرج الحاجب والامير علاء الدين علي بن الكوراني والي القاهرة الى ناحية شبرا الخيام من ضواحي مصر فهدمت كنيسة النصارى وأخذمنها اصبع الشهيد في صندوق واحضر الى الملك الصالح واحرق بين يديه في الميدان وذري رماده في البحر حتى لا يأخذه النصارى فبطل عيد الشهيد من يومئذ الى هذا العهد ولله الحمد والمنة

(ذكر الخلجان التي شقت من النيل)

اعلم أن النيل اذا انتهت زيادته فتحت منه خلجان وترع يتخرق الماء فيها يمينا وشمالا الى البلاد البعيدة عن مجرى النيل واكثر الخلجان والترع والجسور والاخوار بالوجه البحري وأما الوجه القبلي وهو بلاد الصعيد فان ذلك قليل فيه وقد ذهبت معالمه ودرست رسومه من هنالك والمشهور من الخلجان خليج منجا * وخليج منف وخليج المنهى وخليج اشموم طناح وخليج سردوس وخليج الاسكندرية وخليج دمياط وخليج القاهرة وبحر أبي المنجا والخليج الناصري ظاهر القاهرة * قال ابن عبد الحكم عن ابي رهم السماعي قال كانت مصر ذات قناطر وجسور بتقدير وتدبير حتى ان الماء ليجري تحت منازلها وافنيتها فيحبسونه كيف شاؤا ويرسلونه كيف شاؤا فذلك قوله تعالى عما حكى عن قول فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون ولم يكن يومئذ في الارض ملك اعظم من ملك مصر وكانت الجنات بحافتي النيل من اوله الى آخره في الجانبين معا جميعا ما بين اسوان الى رشيد وسبع خلج خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى وخليج سردوس جنات متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء والزرع ما بين الجبلين من اول مصر الى آخرها مما يبلغه الماء (وكان جميع ارض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا لما قدروا ودبروا من قناطرها وخلجها وجسورها فذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم قال والمقام الكريم المنابر كان بها ألف منبر (خليج سخا) وخليج سخا حفره ندارس بن صا ابن قبطيم بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح وهو أحد ملوك القبط القدماء الذين ملكوا مصر في الدهر الاول * قال ابن وصيف شاه ندارس الملك اول من ملك الاحياز كلها بعد أبيه صا وصفا له ملك مصر وكان ندارس محتنكا مجربا ذا أيد وقوة ومعرفة بالامور فأظهر العدل وأقام الهياكل وأهلها قياما حسنا ودبر جميع الاحياز ويقال انه الذي حفر خليج سخا وارتفع مال البلد على يده مائة ألف ألف دينار وخمسين ألف ألف دينار وقصده بعض عمالقة الشام فخرج اليه واستباحه ودخل فلسطين وقتل بها خلقا وسبى بعض حكمائها وأسكنهم مصر وهابته الملوك وعلى رأس ثلاثين من ملكه طمع السودان من الزنج والنوبة في ارضه وعاثوا وافسدوا فجمع الجيوش من اعمال مصر وأعد المراكب ووجه قائدا يقال له فلوطس في ثلثمائة ألف وقائدا آخر في مثلها ووجه في النيل ثلثمائة سفينة في كل سفينة كاهن يعمل اعجوبة من العجائب ثم خرج في جيوش كثيرة فلقي جمع السودان وكانوا في زهاء ألف ألف فهزمهم وقتل اكثرهم ابرح قتل وأسر منهم خلقا وتبعتهم جيوشه حتى وصلوا الى ارض الفيلة من بلاد الزنج فأخذوا منها عدة ومن النمور والوحوش وساقوها الى مصر فذللها وعمل على حدود بلده منارا وزبر عليه مسيره وظفره والوقت الذي سار فيه ومات بمصر فدفن في ناووس نقل اليه شيأ كثيرا من اصناف الكواكب ومن الذهب والجوهر والصيغة والتماثيل وزبر عليه اسمه وتاريخ هلاكه وجعل عليه طلسمات تمنع منه وعهد الى ابنه ماليق بن ندارس (خليج سردوس) حفره هامان قال ابن وصيف شاه طلما بن قومس الملك جلس على سرير الملك وحاز جميع ما كان في خزائنهم وهو الذي تذكر القبط أنه فرعون موسى * فأما أهل الاثر فيزعمون أنه الوليد ابن مصعب وانه من العمالقة وذكروا ان الفراعنة سبعة وكان طلما فيما حكى عنه قصيرا طويل اللحية اشهل العينين صغير العين اليسرى في جبينه شامة وكان اعرج وزعم قوم انه من القبط ونسب أهل بيته مشهور عندهم وذكر آخرون انه دخل منف على اتان عليها نطرون جاء ليبيعه وكانوا اقد اضطربوا في تولية الملك فرضوا أن يملكوا عليهم اول من يطرأ من الناس فلما رأوه ملكوه عليهم ولما جلس في الملك بذل الاموال وقرب من اطاعه وقتل من خالفه فاعتدل امره واستخلف هامان وكان يقرب منه في نسبه وأثار بعض الكنوز وصرفها في بناء المدائن والعمارات وحفر خلجانا كثيرة ويقال انه الذي حفر خليج سردوس وكان كلما عرجه الى قرية من قرى الحوف حمل اليه أهلها مالا حتى اجتمع من ذلك مال كثير فأمر برده على أهله * وقال ابن عبد الحكم

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ان فرعون استعمل هامان على حفر خليج سردوس فلما ابتدأ حفره أتاه أهل كل قرية يسألونه أن يجرى الخليج تحت قريتهم ويعطونه مالا قال وكان يذهب به الى هذه القرية من نحو الشرق ثم يردّه الى قرية من نحو دبر القبلة ثم يردّه الى قرية فى الغرب ثم يردّه الى أهل قرية فى القبلة ويأخذ من أهل كل قرية مالا حتى اجتمع له من ذلك مائة ألف دينار فأتى بذلك يحمله الى فرعون فسأله عن ذلك فأخبره بما فعل فى حفره فقال له فرعون ويحك انه ينبغى للسيد أن يعطف على عباده ويفيض عليهم ولا يرغب فيما بأيديهم ردّ على أهل كل قرية ما أخذت منهم فردّه كله على أهله قال فلا يعلم بمصر خليج اكثر انعطافا منه لما فعل هامان فى حفره وكان هامان نبطيا (خليج الاسكندرية) قال ابن عبد الحكم ويقال ان الذى بنى منارة الاسكندرية فلطرة الملكة وهى التى ساقت خليجها حتى ادخلته الاسكندرية ولم يكن يدخلها الماء كان يعدل من قرية يقال لها كساقبالة الكريون فحفرته حتى ادخلته الاسكندرية وهى التى بلطت قاعته وقال الكندى ان الحارث بن مسكين قاضى مصر حفر خليج الاسكندرية وقال الاسعد بن مماتى فى كتاب قوانين الدواوين خليج الاسكندرية عليه عدّة ترع وطوله من فم الخليج ثلاثون ألف قصبة وستمائة قصبة وعرضه من قصبتين ونصف الى ثلاث قصبات ونصف ومقام الماء فيه بالنسبة الى النيل فان كان مقصرا قصرت مدّة اقامته فيه وان كان عاليا أقام فيه ما يزيد على شهرين * ورأيت جماعة من أهل الخبرة وذوى المعرفة يقولون انه اذا عملت من قبالة منية تتيج الى تتيج زلاقة استقر الماء فيه صيفا وشتاء ورأيت البحيرة جميعها وحوف ودمسيس والكفور الشاسعة وقد زرعت عليه القصب والقلقاس والنيلة وأنواع زراعة الصيفى وجرى مجرى بحر الشرق والمحلة وتضاعفت عليه البلاد وعظم ارتفاعها واقامة هذه الزلاقة ممكنة لوجود الحجارة فى ربوة والطوب فى البحيرة وانهم قدروا ما يحتاج اليه فوجدوه يناهز عشرة آلاف دينار ويقال انه كان الماء فيه جاريا طول السنة وكان السمك فيه غاية من الكثرة بحيث تصيده الاطفال بالخرق فضمنه بعض الولاة بمال ومنع الناس من صيده فعدم منه السمك ولم يربعد ذلك فيه سمكة فصار يخرج بالشباك (خليج الفيوم والمنهى) مما حفره نبى الله يوسف الصديق عليه السلام عندما عمر الفيوم كما هو مذكور فى خبر الفيوم من هذا الكتاب وهو مشتق من النيل لا ينقطع جريه أبدا واذا قابل النيل ناحية دورة سريام التى تعرف اليوم بدورة الشريف يعنى ابن يغلن النائب فى الايام الظاهرية بيبرس تشعبت منه فى غربيه شعبة تسمى المنهل تستقل نهرا يصل الى الفيوم وهو الآن عرف ببحر يوسف وهو نهر لا ينقطع جريانه فى جميع السنة فيسقى الفيوم عامّة سقيا دائما ثم يتجزفضل مائه فى بحيرة هناك ومن العجب انه ينقطع ماؤه من فوهته ثم يكون له بال دون المكان المندى ثم يجرى جريا ضعيفا دون مكان البلل ثم يستقل نهرا جاريا لا يقطع الا بالسفن ويتشعب منه انهار وينقسم قسمايم الفيوم يسقى قراه ومزارعه وبساتينه وعامّة اماكنه والله أعلم (خليج القاهرة) هذا الخليج بظاهر القاهرة من جانبها الغربى فيما بينها وبين المقس عرف فى اول الاسلام بخليج امير المؤمنين وتسميه العامّة اليوم الخليج الحاكمى وبخليج اللولوة وهو خليج قديم أول من حفره طوطيس بن ماليا أحد ملوك مصر الذين سكنوا مدينة منف وهو الذى قدم ابراهيم الخليل صلوات الله عليه فى ايامه الى مصر وأخذ منه امرأته سارة وأخدمها هاجر أم اسماعيل صلوات الله عليهما فلما اخرجها ابراهيم هى وابنها اسماعيل الى مكة بعثت الى طوطيس تعرّفه انها بمكان جدب وتستغيثه فأمر بحفر هذا الخليج وبعث اليها فيه بالسفن تحمل الحنطة وغيرها الى جدّة فأحيا بلد الحجاز ثم ان اندرومانوس الذى يعرف بايليا أحد ملوك الروم بعد الاسكندر بن فلبس المقدونى جدّد حفر هذا الخليج وسارت فيه السفن وذلك قبل الهجرة النبوية بنيف واربعمائة سنة ثم ان عمرو بن العاص رضى الله عنه جدد حفره لما فتح مصر واقام فى حفره ستة اشهر وجرت فيه السفن بحمل الميرة الى الحجاز فسمى خليج امير المؤمنين يعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانه هو الذى اشار بحفره ولم تزل تجرى فيه السفن من فسطاط مصر الى مدينة القلزم التى كانت على حافة البحر الشرقى حيث الموضع الذى يعرف اليوم على البحر بالسويس وكان يصب ماء النيل فى البحر من عند مدينة القلزم الى أن أمر الخليفة أبو جعفر المنصور بطمه فى سنة خمس ومائة فطم وبقى منه ما هو موجود الآن وسيأتى الكلام عليه مبسوطا ان شاء الله تعالى عند ذكر ظواهر القاهرة من هذا الكتاب (بحر أبى المنجا) هذا الخليج تسميه العامّة بحر أبى المنجا الذى حفره الافضل بن امير الجيوش

فى سنة ست وخمس مائة وكان على حفره أبو المنجا بن شعيا اليهودى فعرف به وقد ذكر خبر هذا الخليج عند ذكر مناظر الخلفاء ومواضع نزههم من هذا الكتاب (الخليج الناصرى) هذا الخليج فى ظاهر المقس حفره الناصر محمد بن قلاون فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وقد ذكر فى موضعه من هذا الكتاب

(ذكر ما كانت عليه ارض مصر فى الزمن الاول)

قال المسعودى وقد كانت ارض مصر على ما زعم أهل الخبرة والعناية بأخبار شأن العالم يركب ارضها ماء النيل وينبسط على بلاد الصعيد الى أسفل الارض وموضع الفسطاط فى وقتنا هذا وكان بدء ذلك من موضع يعرف بالجنادل بين اسوان والنوبة الى أن عرض لذلك موانع من انتقال الماء وجريانه وما يتصل من النوبة بتياره من موضع الى موضع فنضب الماء عن بعض المواضع من بلاد مصر وسكن الناس بلاد مصر ولم يزل الماء ينضب عن ارضها قليلا قليلا حتى امتلأت ارض مصر من المدن والعمائر وطرقوا الماء وحفروا له الخلجان وعقدوا فى وجهه المسنيات الى أن خفى ذلك على ساكنيها الآن طول الزمان ذهب بمعرفة اول سكناهم كيف كان انتهى قلت ومما ذكر أرسطاليس فى كتاب الآثار العلوية ان ارض مصر كان النيل ينبسط عليها فيطبقها كأنها بحر ولم يزل الماء ينضب عنها وييبس ما علا منها اولا فأولا ويسكن الى أن امتلأت بالمدن والقرى والناس ويقال ان الناس كانوا قبل سكنى مدينة منف يسكنون بسفح الجبل المقطم فى منازل كثيرة نقروها وهى المغاير التى فى الجبل المقابل لمنف من قبلى المقطم فى الجبل المتصل بدير القصير الذى يعرف بدير البغل المطل على ناحية طرى ومن وقف عند اهرام نهيا رأى المغائر فى الشرق وبينهما النيل ومن صعد من طرا الى الجبل وسار فيه دخلها وهى مغاير متسعة وفيها مغائر تنفذ الى القلزم تسع المغارة منها أهل مدينة واذا دخلها أحد ولم يهتد على ما يدله على المخرج هلك فى تحيره ويقال كانت مصر جرداء لا نبات بها فاقطعها متوشلح بن اخنوخ بن برد بن مهلاييل بن قينان ابن انوس بن شيث بن آدم لطائفة من اولاده فلما نزلوها وجدوا نيلها قد سد ما بين الجبلين فنضب الماء عن ارض زروعها فأخرجت الارض بركاتها ثم بعد زمان اخذها عنقام الاول بن عرباب ابن آدم بالغلبة ونسل بها خلقا عظيما وجهز لقتال اولاد برد سبعين ألف مقاتل وحفر من البحر الى الجبل نهرا عرضه اربعون قصبة ليمنع من يأتيه فأتاه بنو برد فلم يجدوا اليه سبيلا ففزعوا الى الله تعالى فبعث على ارض مصر نارا

(ذكر اعمال الديار المصرية وكورها)

اعلم ان ارض مصر كانت فى الزمن الاول الغابر مائة وثلاثا وخمسين كورة فى كل كورة مدينة وثلثمائة وخمس وستون كورة فلما عمرت ارض مصر بعد بخت نصر صارت على خمس وثمانين كورة ثم تناقصت حتى جاء الاسلام وفيها اربعون عامرة بجميع قراها لا تنقص شيأ ثم استقرت ارض مصر كلها فى الجملة على قسمين الوجه القبلى وهو ما كان فى جهة الجنوب من مدينة مصر والوجه البحرى وهو ما كان فى شمال مدينة مصر * وقد قسمت الارض جميعها قبليها وبحريها على ستة وعشرين عملا وهى الشرقية والمرتاحية والدقهلية والابوانية وثغر دمياط * الوجه البحرى جزيرة قويسنا والغربية والسمنودية والدنجاوية والمنوفية والستراوية وفوه والمزاحمتين وجزيرة بنى نصر والبحيرة واسكندرية وضواحيها وحوف دمسيس * والوجه القبلى الجيزة والاطفيحية والبوصيرية والفيومية والبهنساوية والاشمونين والمنفلوطية والاسيوطية والاخميمية والقوصية وهى أيضا ثلاثون كورة وهى كورة الفيوم وفيها مائة وست وخمسون قرية ويقال انها كانت ثلثمائة وستين قرية وكورة منف ووسيم خمس وخمسون قرية وكورة الشرقية وتعرف بالاطفيحية سبع عشرة قرية وقرى اهناس ومنها ثمانى قرى وكورتا دلاص وبوصير ست قرى وكورة اهناس خمس وتسعون قرية سوى الكفور وكورة البهنسا مائة وعشرون قرية وكورة الفشن سبع وثلاثون قرية وكورة طحا سبع وثلاثون قرية وحوز سنودة ثمان قرى وكورة الاشمونين مائة وثلاث وثلاثون قرية وكورة أسفل انصنا احدى عشرة قرية وكورة سيوط سبع وثلاثون قرية وكورة شطب ثمان قرى وكورة اعلا انصنا ثنتا عشرة قرية وكورة قهقوه سبع وثلاثون قرية وكورة اخميم والدير ثلاث وستون قرية وكورة السبابة والواحات ثلاث وستون قرية سوى الكفور وكورة هو عشرون قرية وكورة فاو ثمان قرى وكورة قنا سبع قرى وكورة دندرة عشر قرى وكورة قفط ثنتان وعشرون قرية وكورة الاقصر خمس قرى وكورة اسنا خمس قرى وكورة أرمنت سبع قرى وكورة

اسوان

اسوان سبع قرى فجميع قرى الصعيد ألف وثلاث واربعون قرية سوى المنى والكفور فى ثلاثين كورة * كورة أسفل الارض الحوف الشرقى خمس وستون قرية كورة اتريب مائة وثمان قرى سوى المنى والكفور كورة بنو سبع وثمانون قرية سوى المنى والكفور كورة تمامائة وخمسون قرية سوى المنى والكفور كورة بسطة تسع وثلاثون قرية كورة طرابية ثمان وعشرون قرية منها السدير والهامة وفاقوس كورة هربيط ثمان عشرة قرية سوى المنى والكفور كورة صا وابليل ست واربعون قرية منها سنهور والفرما والعريش فجميع قرى الحوف الشرقى خمسمائة وتسع وعشرون قرية سوى المنى فى سبع كور بطن الريف كورتا دمسيس ومنوف مائة واربع قرى سوى المنى والكفور كورة تاطورة منوف اثنتان وسبعون قرية سوى المنى والكفور كورة سخا مائة وخمس عشرة قرية كورة بيده والافراحون ثلاث وعشرون قرية سوى المنى والكفور كوره الدشرود أربع وعشرون قرية كورة نقرا اثنتا عشرة قرية سوى المنى كورة بيا وبوصير ثمان وثمانون قرية سوى المنى والكفور كورة سمنود مائة وثمان وعشرون قرية سوى المنى والكفور كورة نوسا احدى وعشرون قرية سوى المنى كورة الاوسية اربعون قرية سوى المنى كورة النجوم اربعون قرية سوى المنى تنيس ودمياط ثلاث عشرة قرية سوى المنى وهى شئ كثير * الاسكندرية الحوف الغربى كورة صا ثلاث وسبعون قرية سوى المنى والكفور كورة شباس اثنان وعشرون قرية سوى المنى والكفور كورة البدقون ثلاث وأربعون قرية سوى المنا والكفور حيز البدقون تسع وعشرون قرية سوى المنا والكفور الشراك والقرى كورة ترنوط ثمان قرى كورة خربتا اثنان وستون قرية سوى المنا والكفور كورة قرطسا اثنان وعشرون قرية سوى المنا والكفور كورتا مصيل والمليدس تسع وأربعون قرية سوى المنا كورتا اخنور ورشيد سبع عشرة قرية البحيرا والحصص بالاسكندرية والكرومات والبعل ومريوط ومدينة الاسكندرية ولوبية ومراقبه مائة وأربع وعشرون قرية سوى المنى فالحوف الغربى أربعمائة وتسع وأربعون قرية سوى المنى فى ثلاث عشرة كورة قال المسبحى فى تاريخه تصير قرى مصر أسفل الارض الفا وأربعمائة وتسعا وثلاثين قرية ويكون جميع ذلك بالصعيد وأسفل الارض ألفين وثلثمائة وخمسا وتسعين قرية * وقال القاضى أبو عبد الله محمد ابن سلامة القضاعى أرض مصر قسمين فمن ذلك صعيدها وهو ما يلى مهب الجنوب منها وأسفل ارضها وهو ما يلى مهب الشمال منها فقسم الصعيد على ثمان وعشرين كورة فمن ذلك كورة الفيوم كلها وكورتا منف ووسيم وكورة الشرقية وكورتا دلاص وأبوصير وكورة اهناس وكورتا الفشن والبهنسا وكورة طحا وحيز نوده وكورة بويط وكورتا الاشمونين وأسفل انصنا وأعلاها وشطب قوص قام وكورة سيوط وكورة قهقوه وكورتا اخميم والدير وابشاية وكورة هو وأقناو فاو ودندرة وكورة قفط والاقصر وكورة اسنا وارمنت وكورة اسوان فهذه كور الصعيد ومن ذلك كور اسفل الارض وهى خمس وعشرون كورة وفى نسخة ثلاث وثلاثون كورة وفى نسخة ثمان وثلاثون كورة فمن ذلك كور الحوف الشرقى كورتا اتريب وعين شمس وكورتا بنى ونمى وكورتا بسطه وطرابية وكورة هربيط وكورة صا وابليل وكورة الفرما والعريش والجفار ومن ذلك كور بطن الريف من أسفل الارض كورة بيا وبوصير وكورتا سمنود وبوسا وكورتا الاوسية والنجوم وكوره دقهله وكورتا تنيس ودمياط ومنها كورة الجزيرة من أسفل الارض وكورة دمسيس ومنوف وكورة طوه ومنوف وكورة سخا وبيدة والافراحون وكورة مقين وديصا وكورة البشرود * ومن ذلك كور الحوف الغربى كورة صا وكورة شباس وكورة البدقون وحيزها وكورة الخيس والشراك وكورة خربتا وكورة قرطسا ومصيل والمليدس وكورتا اخنا والبحيرة ورشيد وكورة الاسكندرية وكورة مريوط وكورة لوبيه ومراقية * ومن كور القبلة كرى الحجاز وهى كورة الطور وفاران وكورة راية والقلزم وكورة ايله وحيزها ومدين وحيزها والعونيد والحوراء وحيزها ثم كورة بدا وشغب * وذكر من له معرفة بالخراج وأمر الديوان انه وقف على جريدة عتيقة بخط ابن عيسى بن نسطور ابن شغا الكاتب القبطى المعروف بالبولس متولى خراج مصر للدولة الاخشيدية يشتمل على ذكر كور مصر وقراها الى سنة خمس وأربعين وثلثمائة ان قرى مصر بالصعيدين وأسفل الارض ألفان وثلثمائة وخمس وتسعون قرية منها بالصعيد تسعمائة وست وخمسون قرية وبأسفل الارض ألف وأربعمائة وتسع وثلاثون قرية وهذا عددها فى الوقت الذى جردت فيه الجرايد المذكورة وقد تغيرت بعد ذلك بخراب ما خرب منها * وقال

ابن عبد الحكم عن الليث بن سعد رضى الله عنه لما ولى الوليد بن رفاعة مصر خرج ليحصى عدة أهلها وينظر فى تعديل الخراج عليهم فأقام فى ذلك ستة أشهر بالصعيد حتى بلغ اسوان ومعه جماعة من الكتاب والاعوان يكفونه ذلك بجد وتشمير وثلاثة أشهر باسفل الارض وأحصوا من القرى اكثر من عشرة آلاف قرية فلم يحصر فى أصغر قرية منها أقل من خمسمائة جمجمة من الرجال الذين تفرض عليهم الجزية يكون جملة ذلك خمسة آلاف ألف رجل والذى استقر عليه الحال فى دولة الناصر محمد بن قلاون ان الوجه القبلى ستة اعمال وهى من قوص وهو أجلها ومنه اسوان وغرب قوله وعمل اخميم وعمل سيوط وعمل منفلوط وعمل الاشمونين وبها الطحاوية وعمل البهنساوية الغربى وهو عبارة عن قرى على غربى المنهى المار الى الفيوم وعمل الفيوم وعمل اطفيح وعمل الجيزة * والوجه البحرى ستة اعمال عمل البحيرا وهو متصل البر بالاسكندرية وبرقة وعمل الغربية جزيرة واحدة يشتمل عليها ما بين البحرين وهما البحر المار مسكبه عند دمياط ويسمى الشرقى والبحر الثانى مسكبه عند رشيد ويسمى الغربى والمنوفية ومنها ابيار وجزيرة بنى نصر وعمل قليوب وعمل الشرقية وعمل اسموم طناح ومنها الدقهلية والمرتاحية وهناك موقع ثغر البرلس وثغر رشيد والمنصورة وفى هذا الوجه الاسكندرية ودمياط ولا عمل لهما * واما الواحات فمنقطعة وراء الوجه القبلى مغاربة لم تعد فى الولايات ولا فى الاعمال ولا يحكم عليها والى السلطان وانما يحكم عليها من قبل مقطعها والله تعالى أعلم

ذكر ما كان يعمل فى اراضى مصر من حفر الترع وعمارة الجسور ونحو ذلك من أجل ضبط ماء النيل وتصريفه فى اوقاته

قال ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبى حبيب وكانت فريضة مصر بحفر خليجها واقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع جزائرها مائة ألف وعشرين ألفا معهم المساحى والطوريات والاداة يعتقبون ذلك لا يدعونه شتاء ولا صيفا * وعن أبى قبيل قال زعم بعض مشايخ أهل مصر أن الذى كان يعمل به بمصر على عهد ملوكها انهم كانوا يقرون القرى فى ايدى أهلها كل قرية بكراء معلوم لا ينقص عنهم الا فى كل أربع سنين من اجل الظمأ وتنقل اليسار فاذا مضت أربع سنين نقض ذلك وعدل تعديلا جديدا فيرفق بمن استحق الرفق ويزاد على من احتمل الزيادة ولا يحمل عليهم من ذلك ما يشق عليهم فاذا جبى الخراج وجمع كان للملك من ذلك الربع خالصا لنفسه يصنع به ما يريد والربع الثانى لجنده ومن يقوى به على حربه وجباية خراجه ودفع عدوه والربع الثالث فى مصلحة الارض وما تحتاج اليه من جسورها وحفر خلجها وبناء قناطرها والقوة للزارعين على زرعهم وعمارة أرضهم والربع الرابع يخرج منه ربع ما يصيب كل قرية من خراجها فيدفن ذلك لنائبة تنزل او جائحة باهل القرية فكانوا على ذلك والذى يدفن فى كل قرية من خراجها هى كنوز فرعون التى يتحدث الناس بها انها ستظهر فيطلبها الذين يتتبعون الكنوز * وذكر ان بعض فراعنة مصر جبى خراج مصر اثنين وسبعين ألف ألف دينار وان من عمارته انه ارسل ويبة قمح الى أسفل الارض والى الصعيد فى وقت تنظيف الارض والترع من العمارة فلم يوجد لها أرض فارغة تزرع فيها وذكر انه كان عند تناهى العمارة يرسل باربع ويبات برسيم الى الصعيد والى أسفل الارض والى أى كورة فان وجد لها موضعا خاليا فزرعت فيه ضرب عنق صاحب الكورة وكانت مصر يومئذ عمارتها متصلة أربعين فرسخا فى مثلها والفرسخ ثلاثة اميال والبريد أربعة فراسخ فتكون عشرة برد فى مثلها ولم تزل الفراعنة تسلك هذا المسلك الى أيام فرعون موسى فانه عمرها عدلا وسماحة وتتابع الظمأ ثلاث سنين فى أيامه فترك لاهل مصر خراج ثلاث سنين وأنفق على نفسه وعساكره من خزائنه ولما كان فى السنة الرابعة اضعف الخراج واستمر فاعتاض ما انفق * وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى عمرو بن العاص رضى الله عنه ان اسئل المقوقس عن مصر من اين تأتى عمارتها وخرابها فسأله عمرو فقال له المقوقس عمارتها وخرابها من وجوه خمسة ان يستخرج خراجها فى ابان واحد عند فراغ أهلها من زروعهم ويرفع خراجها فى ابان واحد عند فراغ أهلها من عصر كرومهم ويحفر فى كل سنة خلجانها وتسد ترعها وجسورها ولا يقبل مطل أهلها يريد البغى فاذا فعل هذا فيها عمرت وان عمل فيها بخلافه خربت * وعن زيد ابن أسلم عن أبيه قال لما استبطأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن العاص رضى الله عنه فى الخراج كتب اليه ان ابعث الى رجلا من أهل مصر فبعث اليه رجلا قديما من القبطة فاستخبره عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن

مصر وخراجها قبل الاسلام فقال يا أمير المؤمنين … ان لا يؤخذ منها شئ الا بعد عمارتها وعاملك لا ينظر الى العمارة وانما يأخذ ما ظهر له كأنه لا يريدها الا لعام واحد فعرف عمر رضى الله عنه ما قال وقبل من عمرو ما كان يعتذر به * وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه للمقوقس انت وليت مصر فبم تكون عمارتها فقال بخصال ان تحفر خلجانها وتسد جسورها وترعها ولا يؤخذ خراجها الا من غلتها ولا يقبل مطل أهلها ويوفى لهم بالشروط ويدر الارزاق على العمال لئلا يرتشوا ويرتفع عن أهلها المعاون والهدايا ليكون قوة لهم فبذلك تعمر ويرجى خراجها * ويقال ان ملوك مصر من القبط كانوا يقسمون الخراج أربعة اقسام قسم لخاصة الملك وقسم لارزاق الجند وقسم لمصالح الارض وقسم يدخر لحادثة تحدث فينفق فيها * ولما ولى عبيد الله ابن الحبحاب خراج مصر لهشام بن عبد الملك خرج بنفسه فمسح ارض مصر كلها عامرها وغامرها مما يركبه النيل فوجد فيها مائة ألف ألف فدان والباقى استبحر وتلف واعتبر مدة الحرث فوجدها ستين يوما والحراث يحرث خمسين فدانا وكانت محتاجة الى أربعمائة ألف وثمانين ألف حراث

* (ذكر مقدار خراج مصر فى الزمن الاول) *

قال ابن وصيف شاه وكان منقاوس قسم خراج البلاد أرباعا فربع للملك خاصة يعمل فيه ما يريد وربع ينفق فى مصالح الارض وما تحتاج اليه من عمل الجسور وحفر الخلج وتقوية أهلها على العمارة وربع يدفن لحادثة تحدث أو نازلة تنزل وربع للجند وكان خراج البلد ذلك الوقت مائة ألف ألف وثلاثة آلاف الف دينار وقسمها على مائة وثلاث كور بعدة الآلاف ويقال ان كل دينار عشرة مثاقيل من مثاقيلنا الاسلامية وهى اليوم خمس وثمانون كورة أسفل الارض خمس وأربعون كورة والصعيد أربعون كورة وفى كل كورة كاهن يدبرها وصاحب حرب وارتفع مال البلد على يد ندارس بن صا مائة ألف ألف دينار وخمسين الف الف دينار وفى ايام كلكن بن خربتا بن ماليق بن ندارس مائة الف الف دينار وبضعة عشر ألف ألف دينار ولما زالت دولة القبط الاولى من مصر وملكها العمالقة أختل أمرها وكان فرعون الاول يجبيها تسعين ألف ألف دينار يخرج من ذلك عشرة آلاف ألف دينار لمصالح البلد وعشرة آلاف ألف دينار لمصالح الناس من أولاد الملوك وأهل التعفف وعشرة آلاف ألف دينار لاولياء الامر والجند والكتاب وعشرة آلاف ألف دينار لصالح فرعون ويكنزون لفرعون خمسين ألف ألف دينار * وبلغ خراج مصر فى أيام الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف عليه السلام سبعة وتسعين ألف ألف دينار فاحب ان يتمه مائة ألف ألف دينار فأمر بوجوه العمارات واصلاح جسور البلد والزيادة فى استنباط الارض حتى بلغ ذلك وزاد عليه * وقال ابن دحية وجبيت مصر فى أيام الفراعنة فبلغت تسعين ألف ألف دينار بالدينار الفرعونى وهو ثلاثة مثاقيل من مثقالنا المعروف الآن بمصر الذى هو أربعة وعشرون قيراطا كل قيراط ثلاث حبات من قمح فيكون بحساب ذلك مائتى ألف ألف وسبعين ألف ألف دينار مصرية وذكر الشريف الحرانى انه وجد فى بعض البرابى بالصعيد مكتوبا باللغة الصعيدية مما نقل بالعربية مبلغ ما كان يستخرج لفرعون يوسف عليه السلام وهو الريان بن الوليد من أموال مصر بحق الخراج مما يوجبه الخراج وسائر وجوه الجبايات لسنة واحدة على العدل والانصاف والرسوم الجارية من غير تأول ولا اصطهاد ولا مشاحة على عظيم فضل كان فى يد المؤدى لرسمه وبعد وضع ما يجب وضعه لحوادث الزمان نظرا للعاملين وتقوية لحالهم من العين أربعة وعشرون ألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار وذكر ما فيه كما فى خبر الحسن بن على الاسدى * وقال الحسن بن على الاسدى اخبرنى أبى قال وجدت فى كتاب قبطى باللغة الصعيدية مما نقل الى اللغة العربية ان مبلغ ما كان يستخرج لفرعون مصر بحق الخراج الذى يوجد وسائر وجوه الجبايات لسنة كاملة على العدل والانصاف والرسوم الجارية من غير اصطهاد ولا مناقشة على عظيم فضل كان فى يد المؤدى لرسمه وبعد وضع ما يجب وضعه لحوادث الزمان رفقا بالمعاملين وتقوية لهم من العين أربعة وعشرين ألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار من جهات مصر وذلك ما يصرف فى عمارة البلاد لحفر الخلج واتقان الجسور وسد الترع واصلاح السبل والسامة ثم فى تقوية من يحتاج التقوية من غير رجوع عليه بها لاقامة العوامل والتوسعة فى البذار وغير ذلك وثمن الآلات واجرة من يستعان به من الاجراء لحمل الاصناف وسائر نفقات تطريق أراضيهم من العين ثمانمائة ألف دينار ولما يصرف فى ارزاق الاولياء الموسومين بالسلاح وحملته والغلمان واشياعهم مع ألف كاتب موسومين

بالدواوين سوى اتباعهم من الخزان ومن يجرى مجراهم وعدتهم مائة ألف وأحد عشر ألف رجل من العين ثمانية آلاف ألف دينار ولما يصرف فى الارامل والايتام فرضا لهم من بيت المال وان كانوا غير محتاجين اليه حتى لا تخلو آمالهم من بر يصل اليهم من العين اربعمائة ألف دينار ولما يصرف فى كهنة برابيهم وأئمتهم وسائر بيوت صلواتهم من العين مائة ألف دينار ولما يصرف فى الصدقات وينادى فى الناس برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة فاحضر فلا يرد عنده ذلك أحد والامناء جلوس فاذا رؤى رجل لم تجر عادته بذلك افرد بعد قبض ما يقبضه حتى اذا فرق المال واجتمع من هذه الطائفة عدة دخل امناء فرعون اليه وهنوه بتفرقة المال ودعوا له بالبقا والسلامة وأنهوا حال الطائفة المذكورة فيأمر بتغيير شعثها بالحمام واللباس وبمد الاسمطة ويأكلون ويشربون ثم يستعلم من كل واحد سبب فاقته فان كان من آفة الزمان ردّ عليه مثل ما كان واكثر وان كان عن سوء رأى وضعف تدبير ضمه الى من يشرف عليه ويقوم بالامر الذى يصلح له من العين مائتا ألف دينار فذلك جملة ما تبين وفصل فى هذه الجهات المذكورة من العين تسعة آلاف ألف وثمانمائة ألف دينار ويحصل بعد ذلك ما يتسلمه فرعون فى بيوت أمواله عدة لنوائب الدهر وحادثات الزمان من العين أربعة عشر ألف ألف دينار وستمائة ألف دينار وقيل لبعضهم متى عقدت مصر تسعين ألف ألف دينار قال فى الوقت الذى ارسل فرعون بويبة قمح الى اسفل الارض والى الصعيد فلم يجد لها موضعا تبذر فيه لشغل جميع البلاد بالعمارة

* (ذكر ما عمله المسلمون عند فتح مصر فى الخراج وما كان من أمر مصر فى ذلك مع القبط) *

قال زهير بن معاوية حدثنا سهيل عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت العراق درهمها وقفيزها ومنعت الشام مدها ودينارها ومنعت مصر أردبها وعدتم من حيث بدأتم قال أبو عبيد قد اخبر صلى الله عليه وسلم بما لم يكن وهو فى علم الله كائن فخرج لفظه على لفظ الماضى لانه ماض فى علم الله وفى اعلامه بهذا قبل وقوعه ما دل على اثبات نبوته ودل على رضاه من عمر رضى الله عنه ما وظفه على الكفرة من الخراج فى الامصار * وفى تفسير المنع وجهان * أحدهما انه علم انهم سيسلمون ويسقط عنهم ما وظف عليهم فصاروا مانعين باسلامهم ما وظف عليهم يدل عليه قوله وعدتم من حيث بدأتم * وقيل معناه انهم يرجعون عن الطاعة والاول احسن * وقال ابن عبد الحكم عن عبد الله بن لهيعة لما فتح عمرو بن العاص مصر صولح على جميع من فيها من الرجال من القبط ممن راهق الحلم الى ما فوق ذلك ليس فيهم امرأة ولا صبى ولا شيخ على دينارين دينارين فأحصوا ذلك فبلغت عدتهم ثمانية آلاف ألف وعن هشام بن أبى رقية اللخمى ان عمرو بن العاص لما فتح مصر قال لقبط مصر ان من كتمنى كنزا عنده فقدرت عليه قتلته وان قبطيا من أرض الصعيد يقال له بطرس ذكر لعمرو ان عنده كنزا فارسل اليه فسأله فأنكر وجحد فحبسه فى السجن وعمرو يسأل عنه هل تسمعونه يسأل عن أحد فقالوا لا انما سمعناه يسأل عن راهب فى الطور فأرسل عمرو الى بطرس فنزع خاتمه ثم كتب الى ذلك الراهب ان ابعث الى بما عندك وختمه بخاتمه فجاء الرسول بقلة شامية مختومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها مالكم تحت الفسقية الكبيرة فأرسل عمرو الى الفسقية فحبس عنها الماء ثم قلع البلاط الذى تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين اردبا ذهبا مصريا مضروبة فضرب عمرو رأسه عند باب المسجد فاخرج القبط كنوزهم شفقا ان يبغى على أحد منهم فيقتل كما قتل بطرس * وعن يزيد بن أبى حبيب ان عمرو بن العاص استحل مال قبطى من قبط مصر لانه استقر عنده انه يظهر الروم على عورات المسلمين ويكتب اليهم بذلك فاستخرج منه بضعا وخمسين أردبا دنانير قال ابن عبد الحكم وكان عمرو بن العاص رضى الله عنه يبعث الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالجزية بعد حبس ما كان يحتاج اليه وكانت فريضة مصر لحفر خلجها واقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع جزائرها مائة ألف وعشرين ألفا معهم الطور والمساحى والاداة يعتقبون ذلك لا يدعون ذلك صيفا ولا شتاء ثم كتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان تختم فى رقاب أهل الذمة بالرصاص ويظهروا مناطقهم ويجزوا نواصيهم ويركبوا على الاكف عرضا ولا يضربوا الجزية الا على من جرت عليه الموسى ولا يضربوا على النساء ولا على الولدان ولا تدعهم يتشبهون بالمسلمين فى ملبوسهم * وعن يزيد بن أسلم ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب الى امراء الاجناد ان لا يضربوا الجزية الا على من جرت عليه الموسى وجزيتهم أربعون درهما على أهل الورق وأربعة دنانير على أهل الذهب وعليهم من ارزاق المسلمين من الحنطة والزيت مدان من حنطة وثلاثة

اقساط من زيت فى كل شهر لكل انسان من أهل الشام والجزيرة وودك وعسل لا ادرى كم هو ومن كان من أهل مصر فأردب فى كل شهر لكل انسان ولا أدرى كم الودك والعسل وعليهم من البز الكسوة التى يكسوها أمير المؤمنين الناس ويضيفون من نزل بهم من أهل الاسلام ثلاثة أيام وعلى أهل العراق خمسة عشر صاعا لكل انسان ولا ادرى كم لهم من الودك وكان لا يضرب الجزية على النساء والصبيان وكان يختم فى اعناق رجال أهل الجزية وكانت ويبة عمر فى ولاية عمرو بن العاص ستة امداد قال وكان عمرو بن العاص لما استوثق له الامراء أقر قبطها على جباية الروم فكانت جبايتهم بالتعديل اذا عمرت القرية وكثر أهلها زيد عليهم وان قل أهلها وخربت نقصوا فيجتمع عرافوا كل قرية وامراءها ورؤساء أهلها فيتناظرون فى العمارة والخراب حتى اذا أقروا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة الى الكور ثم اجتمعوا هم ورؤساء القرى فوزعوا ذلك على احتمال القرى وسعة المزارع ثم يجتمع كل قرية بقسمهم فيجمعون قسمهم وخراج كل قرية وما فيها من الارض العامرة فيبتدئون ويخرجون من الارض فدادين لكنائسهم وحماماتهم ومعدياتهم من جملة الارض ثم يخرج منها عدد الضيافة للمسلمين ونزول السلطان فاذا فرغوا نظروا الى ما فى كل قرية من الصناع والاجراء فقسموا عليهم بقدر احتمالهم فان كانت فيهم جالية قسموا عليها بقدر احتمالها وقلما كانت تكون الا للرجل الشاب أو المتزوج ثم ينظرون ما بقى من الخراج فيقسمونه بينهم على عدد الارض ثم يقسمون ذلك بين من يريد الزرع منهم على قدر طاقتهم فان عجز أحد منهم وشكا ضعفا عن زرع أرضه وزعوا ما عجز عنه على ذوى الاحتمال وان كان منهم من يريد الزيادة اعطى ما عجز عنه أهل الضعف فان تشاحوا قسموا ذلك على عدتهم وكانت قسمتهم على قراريط الدنانير أربعة وعشرين قيراطا يقسمون الارض على ذلك ولذلك روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا وجعل لكل فدان عليهم نصف أردب قمح وويبتين من شعير الا القرط فلم يكن عليه ضريبة والويبة ستة امداد وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأخذ ممن صالحه من المعاهدين ما سمى على نفسه لا يضع من ذلك شيأ ولا يزيد عليه ومن نزل منهم على الجزية ولم يسم شيأ يؤديه نظر عمر فى امره فاذا احتاجوا خفف عنهم وان استغنوا زاد عليهم بقدر استغنائهم * وقال هشام ابن ابى رقية اللخمى قدم صاحب اخنا على عمرو بن العاص رضى الله عنه فقال له اخبرنا ما على أحدنا من الجزية فنصبر لها فقال عمرو وهو يشير الى ركن كنيسة لو أعطيتنى من الارض الى السقف ما أخبرتك ما عليك انما انتم خزانة لنا ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم ومن ذهب الى هذا الحديث ذهب الى ان مصر فتحت عنوة * وعن يزيد بن ابى حبيب قال قال عمر بن عبد العزيز ايما ذمى أسلم فان اسلامه يحرز له نفسه وماله وما كان من أرض فانها من فىء الله على المسلمين وايما قوم صالحوا على جزية يعطونها فمن أسلم منهم كانت داره وارضه لبقيتهم * وقال الليث كتب الى يحيى بن سعيد أن ما باع القبط فى جزيتهم وما يؤخذون به من الحق الذى عليهم من عبد أو وليدة او بعير أو بقرة اودابة فان ذلك جائز عليهم فمن ابتاعه منهم فهو غير مردود عليهم ان أيسروا وما أكروا من أرضهم فجائز كراؤه الا ان يكون يضر بالجزية التى عليهم فلعل الارض ان ترد عليهم ان اضرت بجزيتهم وان كان فضلا بعد الجزية فانا نرى كراءها جائزا لمن يكراها منهم قال يحيى فنحن نقول الجزية جزيتان جزية على رؤس الرجال وجزية جملة تكون على أهل القرية يؤخذ بها اهل القرية فمن هلك من اهل القرية التى عليهم جزية مسماة على القرية ليست على رؤس الرجال فانا نرى أن من هلك من أهل القرية ممن لا ولد له ولا وارث ان أرضه ترجع الى قريته فى جملة ما عليهم من الجزية ومن هلك ممن جزيته على رؤس الرجال ولم يدع وارثا فان أرضه للمسلمين وقال الليث عن عمر بن عبد العزيز الجزية على الرؤس وليست على الارضين يريد أهل الذمة * وكتب عمر بن عبد العزيز الى حيان بن شريح أن يجعل جزية موتى القبط على احيائهم وهذا يدل على أن عمر كان يرى أن ارض مصر فتحت عنوة وان الجزية انما هى على القرى فمن مات من اهل القرى كانت تلك الجزية ثابتة عليهم وان موت من مات منهم لا يضع عنهم من الجزية شيأ قال ويحتمل أن تكون مصر فتحت بصلح فذلك الصلح ثابت على من بقى منهم وان موت من مات منهم لا يضع عنهم مما صالحوا عليه شيأ * قال الليث وضع عمر بن عبد العزيز الجزية على من أسلم من اهل الذمة من اهل مصر وألحق فى الديوان صلح من أسلم منهم فى عشائر من اسلموا على يديه وكانت تؤخذ قبل ذلك ممن أسلم وأول من اخذ الجزية ممن أسلم من اهل الذمة الحجاج بن يوسف ثم كتب عبد الملك بن مروان الى

عبد العزيز بن مروان ان يضع الجزية على من اسلم من اهل الذمة فكلمه ابن حجيرة فى ذلك فقال اعيذك بالله ايها الامير أن تكون اول من سنّ ذلك بمصر فوالله ان اهل الذمة ليتحملون جزية من ترهب منهم فكيف نضعها على من أسلم منهم فتركهم عند ذلك * وكتب عمر بن عبد العزيز الى حيان بن شريح أن تضع الجزية عمن اسلم من اهل الذمة فان الله تبارك وتعالى قال فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وقال قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون * وكتب حيان بن شريح الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الاسلام قد أضر بالجزية حتى سلفت من الحارث بن ثابتة عشرين ألف دينارا تممت بها عطاء اهل الديوان فان رأى امير المؤمنين ان يامر بقضائها فعل * فكتب اليه عمر اما بعد فقد بلغنى كتابك وقد وليتك جند مصر وانا عارف بضعفك وقد أمرت رسولى بضربك على رأسك عشرين سوطا فضع الجزية عن من اسلم قبح الله رأيك فان الله انما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ولم يبعثه جابيا ولعمرى لعمر أشقى من أن يدخل الناس كلهم الاسلام على يديه قال ولما استبطأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخراج من قبل عمرو ابن العاص كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر امير المؤمنين الى عمرو بن العاص سلام الله عليك فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو اما بعد فانى فكرت فى امرك والذى انت عليه فاذا ارضك ارض واسعة عريضة رفيعة وقد أعطى الله أهلها عددا وجلدا وقوّة فى برّ وبحر وأنها قد عالجتها الفراعنة وعملوا فيها عملا محكما مع شدّة عتوّهم وكفرهم فعجبت من ذلك وأعجب مما عجبت انها لا تؤدّى نصف ما كانت تؤدّيه من الخراج قبل ذلك على غير قحوط ولا جدب ولقد اكثرت فى مكاتبتك فى الذى على ارضك من الخراج وظننت أن ذلك سيأتينا على غير نزر ورجوت أن تفيق فترفع الىّ ذلك فاذا أنت تأتينى بمعاريض تعبأ بها لا توافق الذى فى نفسى لست قابلا منك دون الذى كانت تؤخذ به من الخراج قبل ذلك ولست أدرى مع ذلك ما الذى نفرك من كتابى وقبضك فلئن كنت مجرّبا كافيا صحيحا ان البراءة لنافعة وان كنت مضيعا نطعا ان الامر لعلى غير ما تحدّث به نفسك وقد تركت ان ابتلى ذلك منك فى العام الماضى رجاء أن تفيق فترفع الىّ ذلك وقد علمت انه لم يمنعك من ذلك الا أن عمالك عمال السوء وما توالس عليك وتلفف اتخذوك كهفا وعندى باذن الله دواء فيه شفاء عما أسألك فيه فلا تجزع ابا عبد الله أن يؤخذ منك الحق وتعطاه فان النهر يخرج الدرّ والحق أبلج ودعنى وما عنه تلجلج فانه قد برح الخفا والسلام * فكتب اليه عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص سلام الله عليك فانى احمد الله الذى لا اله الا هو اما بعد فقد بلغنى كتاب أمير المؤمنين فى الذى استبطأنى فيه من الخراج والذى ذكر فيها من عمل الفراعنة قبلى واعجابه من خراجها على ايديهم ونقص ذلك منها مذ كان الاسلام ولعمرى للخراج يومئذ أوفر واكثر والارض اعمر لانهم كانوا على كفرهم وعتوّهم أرغب فى عمارة أرضهم منا مذ كان الاسلام وذكرت ان النهر يخرج الدر فحلبتها حلبا قطع درها واكثرت فى كتابك وانبت وعرضت وتربت وعلمت أن ذلك عن شئ تخفيه على غير خبر فجئت لعمرى بالمقطعات المقذعات ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رصين صارم بليغ صادق ولقد عملنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن بعده فكنا بحمد الله مؤدّين لامانتنا حافظين لما عظم الله من حق ائمتنا نرى غير ذلك قبيحا والعمل به شينا فتعرف ذلك لنا وتصدّق فيه قيلنا معاذ الله من تلك الطعم ومن شرّ الشيم والاجتراء على كل مأثم فأمض عملك فان الله قد نزهنى عن تلك الطعم الدنية والرغبة فيها بعد كتابك الذى لم تستبق فيه عرضا ولم تكرم فيه اخا والله يا ابن الخطاب لانا حين يراد ذلك منى أشدّ غضبا لنفسى ولها انزاها واكراما وما عملت من عمل ارى عليه فيه متعلقا ولكنى حفظت ما لم تحفظ ولو كنت من يهود يثرب ما زدت يغفر الله لك ولنا وسكت عن اشياء كنت بها عالما وكان اللسان بها منى ذلولا ولكن الله عظم من حقك ما لا يجهل * فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه من عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص سلام عليك فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو اما بعد فانى قد عجبت من كثرة كتبى اليك فى ابطائك بالخراج وكتابك الىّ بثنيات الطرق وقد علمت انى لست أرضى منك الا بالحق البين ولم اقدّمك الى مصر أجعلها لك طعمة ولا لقومك ولكنى وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن سياستك فاذا اتاك كتابى هذا فاحمل الخراج فانما هو فىء المسلمين وعندى من قد تعلم قوم محصورون والسلام *

فكتب اليه عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص سلام عليك فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو اما بعد فقد أتانى كتاب امير المؤمنين يستبطئنى فى الخراج ويزعم انى أحيد عن الحق وأنكث عن الطريق وانى والله ما ارغب عن صالح ما تعلم ولكن اهل الارض استنظرونى الى ان تدرك غلتهم فنظرت للمسلمين فكان الرفق بهم خيرا من أن نخرق بهم فيصيروا الى بيع مالا غنى بهم عنه والسلام * وقال الليث بن سعد رضى الله عنه جباها عمرو بن العاص رضى الله عنه اثنى عشر ألف ألف دينار وجباها المقوقس قبله لسنة عشرين ألف ألف دينار فعند ذلك كتب اليه عمر بن الخطاب بما كتب وجباها عبد الله بن سعد بن سرح حين استعمله عثمان رضى الله عنه على مصر أربعة عشر ألف ألف دينار فقال عثمان لعمرو بن العاص بعد ما عزله عن مصر يا ابا عبد الله درت اللقحة بأكثر من درها الاول قال أضررتم بولدها فقال ذلك ان لم يمت الفصيل * وكتب معاوية بن ابى سفيان الى وردان وكان قد ولى خراج مصر أن زد على كل رجل من القبط قيراطا فكتب اليه وردان كيف نزيد عليهم وفى عهدهم أن لا يزاد عليهم شئ فعزله معاوية وقيل فى عزل وردان غير ذلك * وقال ابن لهيعة كان الديوان فى زمان معاوية أربعين ألفا وكان منهم اربعة آلاف فى مائتين مائتين فأعطى مسلمة بن مخلد أهل الديوان عطياتهم وعطيات عيالهم وارزاقهم ونوائب البلاد من الجسور وأرزاق الكتبة وحملان القمح الى الحجاز ثم بعث الى معاوية بستمائة ألف دينار فضل * وقال ابن عفير فلما نهضت الابل لقيهم برح بن كسحل المهرى فقال ما هذا اما بال مالنا يخرج من بلادنا ردوه فردوه حتى وقف على باب المسجد فقال أخذتم عطياتكم وأرزاقكم وعطاء عيالكم ونوائبكم قالوا نعم قال لا بارك الله لهم فيه خذوه فساروا به * وقال بعضهم جبى عمرو بن العاص عشرة آلاف دينار فكتب اليه عمر بن الخطاب بعجزه ويقول له جباية الروم عشرون ألف ألف دينار فلما كان العام المقبل جباه عمرو اثنى عشر ألف ألف دينار * وقال ابن لهيعة جبى عمرو بن العاص الاسكندرية الجزية ستمائة ألف دينار لانه وجد فيها ثلاثمائة ألف من اهل الذمة فرض عليهم دينارين دينارين والله تعالى أعلم

(ذكر انتقاض القبط وما كان من الاحداث فى ذلك)

خرج الامام ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال كيف أنتم اذا لم تجبوا دينارا ولا درهما قالوا وكيف نرى ذلك كائنا يا اباهريرة قال اى والذى نفس أبى هريرة بيده عن قول الصادق المصدوق قالوا عم ذلك قال تنتهك ذمة الله وذمة رسوله فيشد الله عز وجل قلوب اهل الذمة فيمنعون ما فى أيديهم قال ابو عمرو محمد بن يوسف الكندى فى كتاب امراء مصر وفى امرة الحر بن يوسف أمير مصر كتب عبد الله بن الحبحاب صاحب خراجها الى هشام بن عبد الملك بأن ارض مصر تحتمل الزيادة فزاد على كل دينار قيراطا فانتقضت كورة تنو ديمى وقربيط وطرابيه وعامة الحوف الشرقى فبعث اليهم الحر بأهل الديوان فحاربوهم فقتل منهم بشر كثير وذلك اول انتقاض القبط بمصر وكان انتقاضهم فى سنة سبع ومائة ورابط الحر بن يوسف بدمياط ثلاثة أشهر ثم انتقض اهل الصعيد وحارب القبط عمالهم فى سنة احدى وعشرين ومائة فبعث اليهم حنظلة بن صفوان أمير مصر اهل الديوان فقتلوا من القبط ناسا كثيرا وظفر بهم وخرج بحيش رجل من القبط فى سمنود فبعث اليه بعبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير امير مصر فقتل بحيش فى كثير من اصحابه وذلك فى سنة اثنين وثلاثين ومائة وخالفت القبط برشيد فبعث اليهم مروان بن محمد الجعدى لما دخل مصر فارا من بنى العباس بعثمان بن ابى قسعة فهزمهم وخرج القبط على يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابى صفرة أمير مصر بناحية سخا ونابذوا العمال وأخرجوهم وذلك فى سنة خمسين ومائة وصاروا الى شبرا سنباط وانضم اليهم اهل البشرود والاريسية والنجوم فأتى الخبر يزيد بن حاتم فعقد لنصر بن حبيب المهلبى على أهل الديوان ووجوه مصر فخرجوا اليهم فبيتهم القبط وقتلوا من المسلمين فألقى المسلمون النار فى عسكر القبط وانصرف المسلمون الى مصر منهزمين وفى ولاية موسى بن على بن رباح على مصر خرج القبط ببلهيب فى سنة ست وخمسين ومائة فخرج اليهم عسكر فهزمهم ثم انتقضوا مع من انتقض فى سنة ست عشرة ومائتين فأوقع بهم الافشين فى ناحية البشرود حتى نزلوا على حكم أمير المؤمنين عبد الله المأمون فحكم فيهم بقتل الرجال وبيع النساء والاطفال فبيعوا وسبى أكثرهم ومن حينئذ أذل الله القبط فى جميع أرض مصر وخذل شوكتهم فلم

يقدر أحد منهم على الخروج ولا القيام على السلطان وغلب المسلمون على القرى فعاد القبط من بعد ذلك الى كيد الاسلام وأهله باعمال الحيلة واستعمال المكر وتمكنوا من النكاية بوضع أيديهم فى كتاب الخراج وكان للمسلمين فيهم وقائع يأتى خبرها فى موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

* (ذكر نزول العرب بريف مصر واتخاذهم الزرع معاشا وما كان فى نزولهم من الاحداث) *

قال الكندى وفى ولاية الوليد بن رفاعة الفهمى على مصر نقلت قيس الى مصر فى سنة تسع ومائة ولم يكن بها أحد منهم قبل ذلك الا ما كان من فهم وعدوان فوفد ابن الحبحاب على هشام بن عبد الملك فسأله أن ينقل الى مصر منهم ابياتا فأذن له هشام فى لحاق ثلاثة آلاف منهم وتحويل ديوانهم الى مصر على أن لا ينزلهم بالفسطاط فعرض لهم ابن الحبحاب وقدم بهم فانزلهم الحوف الشرقى وفرقهم فيه ويقال ان عبيد الله بن الحبحاب لما ولاه هشام بن عبد الملك مصر قال ما أرى لقيس فيها حظا الا لناس من جديلة وهم فهم وعدوان فكتب الى هشام ان أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قد شرف هذا الحى من قيس ونعشهم ورفع من ذكرهم وانى قدمت مصر ولم أر لهم حظا الا ابياتا من فهم وفيها كور ليس فيها أحد وليس يضر بأهلها نزولهم معهم ولا يكسر ذلك خراجا وهى بلبيس فان رأى أمير المؤمنين أن ينزلها هذا الحى من قيس فليفعل فكتب اليه هشام انت وذاك فبعث الى البادية فقدم عليه مائة أهل بيت من بنى نصر ومائة أهل بيت من بنى سليم فأنزلهم بلبيس وأمرهم بالزرع ونظر الى الصدقة من العشور فصرفها اليهم فاشتروا ابلا فكانوا يحملون الطعام الى القلزم وكان الرجل يصيب فى الشهر العشرة دنانير واكثر ثم أمرهم باشتراء الخيول فجعل الرجل يشترى المهر فلا يمكث الاشهرا حتى يركب وليس عليهم مؤونة فى علف ابلهم ولا خيلهم لجودة مرعاهم فلما بلغ ذلك عامة قومهم تحملوا اليهم فوصل اليهم خمسمائة أهل بيت من البادية فكانوا على مثل ذلك فأقاموا سنة فأتاهم نحو من خمسمائة أهل بيت فصار ببلبيس ألف وخمسمائة اهل بيت من قيس حتى اذا كان زمن مروان بن محمد وولى الحوثرة بن سهيل الباهلى مصر مالت اليه قيس فمات مروان وبها ثلاثة آلاف اهل بيت ثم توالدوا وقدم عليهم من البادية من قدم * وفى سنة ثمان وسبعين ومائة كشف اسحاق بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس أمير مصر أمر الخراج وزاد على المزارعين زيادة أجحفت بهم فخرج عليه اهل الحوف وعسكروا فبعث اليهم الجيوش وحاربهم فقتل من الجيش جماعة فكتب الى أمير المؤمنين هارون الرشيد يخبره بذلك فعقد لهرثمة بن اعين فى جيش عظيم وبعث به الى مصر فنزل الحوف وتلقاه أهله بالطاعة وأذعنوا بأداء الخراج فقبل هرثمة منهم واستخرج خراجه كله ثم ان اهل الحوف خرجوا على الليث بن الفضل البيودى أمير مصر وذلك انه بعث بمساح يمسحون عليهم أراضى زرعهم فانتقصوا من القصبة اصابع فتظلم الناس الى الليث فلم يسمع منهم فعسكروا وساروا الى الفسطاط فخرج اليهم الليث فى أربعة آلاف من جند مصر فى شعبان سنة ست وثمانين ومائة فالتقى معهم فى رمضان فانهزم عنه الجند فى ثانى عشره وبقى فى نحو المائتين فحمل بمن معه على اهل الحوف فهزمهم حتى بلغ بهم غيفة وكان التقاؤهم على أرض جب عميرة وبعث الليث الى الفسطاط بثمانين رأسا من رؤس القيسية ورجع الى الفسطاط وعاد اهل الحوف الى منازلهم ومنعوا الخراج فخرج ليث الى أمير المؤمنين هارون الرشيد فى محرم سنة سبع وثمانين ومائة وسأله أن يبعث معه بالجيوش فانه لا يقدر على استخراج الخراج من اهل الحوف الا بجيش يبعث معه وكان محفوظ بن سليم بباب الرشيد فرفع محفوظ الى الرشيد يضمن له خراج مصر عن آخره بلا سوط ولا عصا فولاه الخراج وصرف ليث بن الفضل عن صلات مصر وخراجها وفى ولاية الحسين بن جميل امتنع اهل الحوف من اداء الخراج فبعث امير المؤمنين هارون الرشيد يحيى بن معاذ فى امرهم فنزل بلبيس فى شوال سنة احدى وتسعين ومائة وصرف الحسين بن جميل عن امارة مصر فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين ومائة وولى مالك بن دلهم وفرغ يحيى بن معاذ من امر الحوف وقدم الفسطاط فى جمادى الآخرة فورد عليه كتاب الرشيد يأمره بالخروج اليه فكتب الى اهل الحوف ان اقدموا حتى أوصى بكم مالك بن دلهم وأدخل بينكم وبينه فى أمر خراجكم فدخل كل رئيس منهم من اليمانية والقيسية وقد أعد لهم القيود فأمر بالابواب فأخذت ثم دعا بالحديد فقيدهم وتوجه بهم للنصف من رجب منها * وفى امارة عيسى بن يزيد الجلودى على مصر ظلم صالح ابن شيرزاد عامل الخراج الناس وزاد عليهم فى خراجهم فانتقض أهل اسفل الارض وعسكروا فبعث

عيسى بابنه محمد فى جيش لقتالهم فنزل ببلبيس وحاربهم فنجا من المعركة بنفسه ولم ينج أحد من اصحابه وذلك فى صفر سنة اربع عشرة ومائتين فعزل عيسى عن مصر وولى عمير بن الوليد التميمى فاستعد لحرب اهل الحوف وسار فى جيوشه فى ربيع الآخر فزحفوا عليه واقتتلوا فقتل من اهل الحوف جمع وانهزموا فتبعهم عمير فى طائفة من اصحابه فعطف عليه كمين لاهل الحوف فقتلوه لست عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر فولى عيسى الجلودى ثانيا وسار اليهم فلقيهم بمنية مطر فكانت بينهم وقعة آلت الى أن انهزم منهم الى الفسطاط واحرق ما ثقل عليه من رحله وخندق على الفسطاط وذلك فى رجب وقدم ابو اسحاق بن الرشيد من العراق فنزل الحوف وأرسل الى أهله فامتنعوا من طاعته فقاتلهم فى شعبان ودخل وقد ظفر بعدة من وجوههم الى الفسطاط فى شوال ثم عاد الى العراق فى المحرم سنة خمس عشرة ومائتين بجمع من الاسارى فلما كان فى جمادى الاولى سنة ست عشرة ومائتين انتقض أسفل الارض بأسره عرب البلاد وقبطها وأخرجوا العمال وخلعوا الطاعة لسوء سيرة عمال السلطان فيهم فكانت بينهم وبين عساكر الفسطاط حروب امتدت الى أن قدم الخليفة عبد الله أمير المؤمنين المأمون الى مصر لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين فسخط على عيسى بن منصور الرافقى وكان على امارة مصر وأمر بحل لوائه وأخذه بلباس البياض عقوبة له وقال لم يكن هذا الحدث العظيم الا عن فعلك وفعل عمالك حملتم الناس ما لا يطيقون وكتمتنى الخبر حتى تفاقم الامر واضطرب البلد * ثم عقد المأمون على جيش بعث به الى الصعيد وارتحل هو الى سخا وبعث بالافشين الى القبط وقد خلعوا الطاعة فأوقع بهم فى ناحية البشرود وحصرهم حتى نزلوا على حكم امير المؤمنين فحكم فيهم المأمون بقتل الرجال وبيع النساء والاطفال فسبى اكثرهم وتتبع المأمون كل من يومى اليه بخلاف فقتل ناسا كثيرا ورجع الى الفسطاط فى صفر ومضى الى حلوان وعاد فارتحل لثمان عشرة خلت من صفر وكان مقامه بالفسطاط وسخا وحلوان تسعة واربعين يوما وكان خراج مصر قد بلغ فى ايام المأمون على حكم الانصاف فى الجباية اربعة آلاف ألف دينار ومائتى ألف دينار وسبعة وخمسين ألف دينار * ويقال ان المأمون لما سار فى قرى مصر كان يبنى له بكل قرية دكة يضرب عليها سرادقه والعساكر من حوله وكان يقيم فى القرية يوما وليلة فمر بقرية يقال لها طاء النمل فلم يدخلها لحقارتها فلما تجاوزها خرجت اليه عجوز تعرف بمارية القبطية صاحبة القرية وهى تصيح فظنها المأمون مستغيثة متظلمة فوقف لها وكان لا يمشى أبدا الا والتراجمة بين يديه من كل جنس فذكروا له ان القبطية قالت يا أمير المؤمنين نزلت فى كل ضيعة وتجاوزت ضيعتى والقبط تعيرنى بذلك وانا اسأل أمير المؤمنين ان يشرفنى بحلوله فى ضيعتى ليكون لى الشرف ولعقبى ولا تشمت الاعداء بى وبكت بكاء كثيرا فرق لها المأمون وثنى عنان فرسه اليها ونزل فجاء ولدها الى صاحب المطبخ وسأله كم تحتاج من الغنم والدجاج والفراخ والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفاكهة والعلوفة وغير ذلك مما جرت به عادته فأحضر جميع ذلك اليه بزيادة وكان مع المأمون اخوه المعتصم وابنه العباس وأولاد أخيه الواثق والمتوكل ويحيى بن اكثم والقاضى أحمد بن داود فأحضرت لكل واحد منهم ما يخصه على انفراده ولم تكل أحدا منهم ولا من القواد الى غيره ثم أحضرت للمأمون من فاخر الطعام ولذيذه شيأ كثيرا حتى انه استعظم ذلك فلما اصبح وقد عزم على الرحيل حضرت اليه ومعها عشر وصائف مع كل وصيفة طبق فلما عاينها المأمون من بعد قال لمن حضر قد جاءتكم القبطية بهدية الريف الكامخ والصحناة والصبر فلما وضعت ذلك بين يديه اذا فى كل طبق كيس من ذهب فاستحسن ذلك وأمرها باعادته فقالت لا والله لا أفعل فتأمل الذهب فاذا به ضرب عام واحد كله فقال هذا والله اعجب ربما يعجز بيت مالنا عن مثل ذلك فقالت يا أمير المؤمنين لا تكسر قلوبنا ولا تحتقر بنا فقال ان فى بعض ما صنعت لكفاية ولا نحب التثقيل عليك فردى مالك بارك الله فيك فأخذت قطعة من الارض وقالت يا أمير المؤمنين هذا واشارت الى الذهب من هذا واشارت الى الطينة التى تناولتها من الارض ثم من عدلك يا أمير المؤمنين وعندى من هذا شئ كثير فأمر به فأخذ منها وأقطعها عدة ضياع وأعطاها من قريتها طاء النمل مائتى فدان بغير خراج وانصرف متعجبا من كبر مروءتها وسعة حالها

ذكر قبالات اراضى مصر بعد ما فشا الاسلام فى القبط ونزول العرب فى القرى وما كان من ذلك الى الروك الاخير الناصرى

وكان من خبر أراضي مصر بعد نزول العرب بأريافها واستيطانهم واهمالهم فيها واتخاذهم الزرع معاشا وكسبا وانقياد جمهور القبط الى اظهار الاسلام واختلاط أنسابهم بأنساب المسلمين لنكاحهم المسلمات أن متولى خراج مصر كان يجلس في جامع عمرو بن العاص من الفسطاط في الوقت الذي تتهيأ فيه قبالة الاراضي وقد اجتمع الناس من القرى والمدن فيقوم رجل ينادي على البلاد صفقات صفقات وكتاب الخراج بين يدي متولى الخراج يكتبون ما ينتهي اليه مبالغ الكور والصفقات على من يتقبلها من الناس وكانت البلاد يتقبلها متقبلوها بالاربع سنين لاجل الظمأ والاستبحار وغير ذلك فاذا انقضى هذا الامر خرج كل من كان تقبل أرضا وضمنها الى ناحيته فيتولى زراعتها واصلاح جسورها وسائر وجوه اعمالها بنفسه وأهله ومن ينتدبه لذلك ويحمل ما عليه من الخراج في ابانه على اقساط ويحسب له من مبلغ قبالته وضمانه لتلك الاراضي ما ينفقه على عمارة جسورها وسد ترعها وحفر خلجها بضريبة مقدرة في ديوان الخراج ويتأخر من مبلغ الخراج في كل سنة في جهات الضمان والمتقبلين بقايا لما تأخر من مال الخراج البواقي وكانت الولاة تشدد في طلب ذلك مرة وتسامح به مرة فاذا مضى من الزمان ثلاثون سنة حولوا السنة وراكوا البلاد كلها وعدلوها تعديلا جديدا فزيد فيما يحتمل الزيادة من غير ضمان البلاد ونقص فيما يحتاج الى التنقيص منها ولم يزل ذلك يعمل في جامع عمرو بن العاص الى ان عمر أحمد بن طولون جامعه وصار العسكر منزلا لامراء مصر فنقل الديوان الى جامع أحمد بن طولون ثم نقل ايام العزيز بالله نزار الى دار الوزير يعقوب بن كلس فلما مات الوزير نقل الديوان الى القصر بالقاهرة واستمر به مدة الدولة الفاطمية ثم نقل منه بعدها وسأتلوا عليك من نبأ ذلك ما يتضح به ما ذكرت قال ابن ذولاق في كتاب اخبار الماردانيين كتاب مصر وحضر أبو الحسن وهب بن اسماعيل مجلس ابي بكر بن علي الماردانى في المسجد الجامع وهو يعقد الضياع فقال له أبو بكر الساعة آمر بالنداء على صفقة تأخذها شركة بيني وبينك فنودى على صفقة فقال أبو بكر اعقدوها على أبي الحسن فعقدت عليه وتحملها فأفضلت له اربعين ألف دينار فاستنض عشرين ألف دينار ولم يدر ما يعمل فيها الى ان اجتمع مع أبي يعقوب كاتب أبي بكر ليتحدثا فقال أبو يعقوب رأيت الشيخ يعني أبا بكر الماردانى في اليوم مشغول القلب اراد جمع مال وقد عجز عنه فقال له أبو الحسن عندي نحو عشرين ألف دينار فقال جئني بها فأنفذها اليه وجاءه خطه بالمبلغ فاتفق ان مضى أبو الحسن الى أبي بكر الماردانى فقال له تلك الصفقة قد غلقت ما عليها وفضل اربعون ألف دينار وقد حصل عندي عشرون ألف دينار حملتها الى ابي يعقوب وأرسلت في استخراج الباقي فاحمله فقال الماردانى ما هذا العجز انما قلت لك تكون بيني وبينك خوفا من تفريطك وانما اردت حفظ المال عليك ثم امر أبا يعقوب أن يرد عليه ما دفعه اليه وقال لابي الحسن رد عليه خطه فقبض ما دفعه الى أبي يعقوب وبلغ خراج مصر في السنة التي دخل فيها جوهر القائد ثلاثة الاف ألف دينار واربعمائة ألف دينار ونيفا وقال في كتاب سيرة المعز لدين الله معد ولست عشرة بقيت من المحرم سنة ثلاث وستين وثلثمائة قلد المعز لدين الله الخراج ووجوه الاموال وغير ذلك يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن وجلسا في هذا اليوم في دار الامارة في جامع ابن طولون للنداء على الضياع وسائر وجوه الاموال وحضر الناس للقبالات وطلبوا البقايا من الاموال مما على المالكين والمتقبلين والعمال وقال جامع سيرة الوزير الناصر للدين الحسن بن علي البازوري واراد أن يعرف قدر ارتفاع الدولة وما عليها من النفقات ليقايس بينهما فتقدم الى اصحاب الدواوين بأن يعمل كل منهم ارتفاع ما يجري في ديوانه وما عليه من النفقات فعمل ذلك وسلمه الى متولى ديوان المجلس وهو زمام الدواوين فنظم عليه عملا جامعا وأحضره اياه فرأى ارتفاع الدولة ألفي ألف دينار منها الشام ألف ألف دينار ونفقاته بازاء ارتفاعه ومنها الريف وباقي الدولة ألف ألف دينار يقف منها عن معلول ومنكسر على موتى وهراب ومفقود مائتا ألف دينار ويبقى ثمانمائة ألف دينار يصرف منها للرجال عن واجباتهم وكساويهم ثلثمائة ألف دينار وعن ثمن غلة للقصور مائة ألف دينار وعن نفقات القصور مائتا ألف دينار وعن عمائر وما يقام للضيوف الواصلين من الملوك وغيرهم مائة ألف دينار ويبقى بعد ذلك مائة ألف دينار حاصلة يحملها كل سنة الى بيت المال المصون فحظى بذلك عند سلطانه وخف على قلبه قال وانتهى ارتفاع الارض السفلى الى ما لا نسبة له من ارتفاعها الاول يعني بعد موت البازوري وحدوث الفتن وهو قبل سني هذه الفتن يعني في ايام البازوري ستمائة ألف دينار

كانت تحمل فى دفعتين فى السنة فى مستهل رجب ثلاثمائة الف دينار وفى مستهل المحرّم ثلثمائة ألف دينار فاتضع الارتفاع وعظمت الواجبات وقال ابن ميسرة وأمر الافضل بن أمير الجيوش بعمل تقدير ارتفاع ديار مصر فجاء خمسة آلاف ألف دينار وكان متحصل الاهراء ألف ألف اردب وقال الامير جمال الدين والملك موسى بن المأمون البطائحى فى تاريخه من حوادث سنة احدى وخمسمائة ثم رأى القائد أبو عبد الله محمد بن فاتك البطائحى من اختلال احوال الرجال العسكرية والمقطعين وتضررهم من كون اقطاعاتهم قد خس ارتفاعها وساءت احوالهم لقلة المتحصل منها وان اقطاعات الامراء قد تضاعف ارتفاعها وازدادت عن غيرها وان فى كل ناحية من الفواضل للديوان جملة تجىء بالعسف وبتردد الرسل من الديوان الشريف بسببها فخاطب الافضل ابن أمير الجيوش فى أن يحل الاقطاعات جميعها ويروكها وعرّفه ان المصلحة فى ذلك تعود على المقطعين والديوان لانّ الديوان يتحصل له من هذه الفواضل جملة يحصل بها بلاد مقورة فأجاب الى ذلك وحل جميع الاقطاعات وراكها وأخذ كل من الاقوياء والمميزين يتضررون ويذكرون ان لهم بساتين واملاكا ومعاصر فى نواحيهم فقال لهم من كان له ملك فهو باق عليه لا يدخل فى الاقطاع وهو محكم ان شاء باعه وان شاء آجره فلما حلت الاقطاعات أمر الضعفاء من الاجناد أن يتزايدوا فيها فوقعت الزيادة فى اقطاعات الاقوياء الى أن انتهت الى مبلغ معلوم وكتبت السجلات بأنها باقية فى ايديهم الى مدة ثلاثين سنة لا يقبل عليهم فيها زائد وأحضر الاقوياء وقال لهم ما تكرهون من الاقطاعات التى كانت بيد الاجناد فقالوا كثرة غيرها وقلة متحصلها وخرابها وقلة الساكن بها فقال لهم ابذلوا فى كل ناحية ما تحمله وتقوى رغبتكم فيه ولا تنظروا فى العبرة الاولى فعند ذلك طابت نفوسهم وتزايدوا فيها الى أن بلغت الى الحدّ الذى رغب كل منهم فيه فأقطعوا به وكتب لهم السجلات على الحكم المتقدّم فشملت المصلحة الفريقين وطابت نفوسهم وحصل للديوان بلاد مقورة بما كان مفرّقا فى الاقطاعات بما مبلغه خمسون ألف دينار * وقال فى حوادث سنة خمس عشرة وخمسمائة وكان قد تقدّم أمر الاجل المأمون بعمل حساب الدولة من الهلالى والخراجى وجعل نظمه على جملتين احداهما الى سنة عشر وخمسمائة الهلالية الخراجية والجملة الثانية الى آخر سنة خمس عشرة وخمسمائة هلالية وما يوافقها من الخراجية فعقدت على جملة كثيرة من العين والاصناف وشرحت بأسماء اربابها وتعيين بلادها فلما حضرت أمر بكتب سجل يتضمن المسامحة بالبواقى الى آخر سنة عشر وخمسمائة ونسخته بعد التصدير ولما انتهى الينا حال المعاملين والضمناء والمتصرفين وما فى جهاتهم من بقايا معاملاتهم انعمنا بما تضمنه هذا السجل من المسامحة قصدا فى استخلاص ضامن طالت غفلته وخربت ذمّته وانقاذ عامل اجحف به من الديوان طلبه وتوفير الرغبة على عمارتها وجريها فيها على قديم عادتها ولما كان ذلك من جميل الاحدوثة التى لم نسبق اليها ولا شاركنا ملك فيها اقتضت الحال ايرادها فى هذا الكتاب وايداعها هذا الباب لما اطلعنا عليه مما انتهت اليه احوال الضمناء والمعاملين بالمملكة من الاختلال وتجمد البقايا فى جهاتهم والاموال عطفنا عليهم برأفة ورحمة وطالعنا المقام الاشرف النبوى بالتفصيل من امورهم والجملة واستخرجنا الامر العالى بوضع ذلك فى الحال وانشأ السجلات الكريمة مقصورة على ذكر هذا الاحسان وتنفيذها الى جميع البلدان ليقرأ على رؤس الاشهاد بسائر البلاد ومبلغ ما انتهت اليه هذه المسامحة الى حين ختم هذا السجل من العين ألفا ألف وسبعمائة ألف وعشرون ألفا وسبعمائة وسبعة وستون دينارا ونصف وثلث وثلثان وربع قيراط ومن الفضة النقرة اربعة دراهم ومن الورق سبعة وستون ألفا وخمسة دراهم ونصف وسدس درهم ومن الغلة ثلاثة آلاف ألف وثمان مائة ألف وعشرة آلاف ومائتان وتسعة وثلاثون اردبا وثمن ونصف سدس وثلثى قيراط ومن العناب ربع اردب ومن ورق الصباغ ألفان وأربعمائة وثلاثة ارادب ونصف ومن زريعة الوسمة عشرة ارادب وربع ومن الصباغ ألف واربعمائة وثمانون قنطارا ورطل ونصف ومن الفوة اربعمائة وسبعون رطلا ومن الشب تسعمائة وثلاثة عشر قنطارا ونصف ومن الحديد خمسمائة رطل واحد وثلاثون رطلا ومن الزفت ألف وثلثمائة وثلاثة ارطال وربع وسدس ومن القطران تسعة عشر رطلا وثلث ومن الثياب الحلبى ثلاثة اثواب ومن المنازر مائة مئزر صوف ومن الغرابيل مائة وسبعون غربالا ومن الاغنام مائتا ألف وخمسة وثلاثون ألفا وثلثمائة وخمسة ارؤس ومن البسر ثلثمائة وثلاثة عشر قنطارا وثمانية وثلاثون رطلا ومن السجيل ثلاثمائة ألف

وخمسة وسبعون ألفا وخمسمائة وخمسون باعا ومن الجريد اربعمائة ألف وثمانية وثلاثون ألفا وسبعمائة وثلاثة وخمسون جريدة ومن السلب ألف واربعمائة وثلاثة وعشرون سلبة ومن الاطراف ستة آلاف وسبعمائة وثلاثة اطراف ومن الملح ألفان وسبعمائة وثلاثة وتسعون اردبا وثلث ومن الاشنان أحد عشر اردبا ومن الرمان ألفا حبة ومن العسل النحل خمسمائة واحد واربعون قنطارا وسدس ومن الشهد اثنان وثلاثون زيرا وقادوسا واحدا ومن الشمع اربعمائة واربعون رطلا ومن الخلايا ثلاثة آلاف واربعمائة وخليتان ومن عسل القصب مائة وثمانية وثلاثون قنطارا ومن الابقار اثنان وعشرون ألفا ومائة واربعة وستون رأسا ومن الدواب اربعة وسبعون رأسا ومن السمن ألفان وتسعمائة وستة وتسعون مطرا وسدس وثمن ومن الجبن ثلثمائة وعشرون رطلا ومن الصوف اربعة آلاف ومائة وثلاثة وعشرون جزة ومن الشعر ستة آلاف وخمسون رطلا وربع ومن بيوت الشعر بيتان وفصل ذلك بجهاته ومعاملاته قال ولما انتهى الى المأمون مايعتمد فى الدواوين من قبول الزيادات وفسخ عقود الضمانات وانتزاعها ممن كابد فيها المشقة والتعب وتسليمها الى باذل الزيادة من غير كلفة ولا نصب انكر ذلك ومنع من ارتكابه ونهى عن الولوج فى بابه وخرج امره باعفاء الكافة اجمعين والضمناء والمعاملين من قبول الزيادة فيما يتصرفون فيه ويستولون عليه ماداموا مغلقين وبأقساطهم قائمين وتضمن ذلك منشور قرئ فى الجامعين الازهر بالقاهرة والعتيق بمصر وديوانى المجلس والخاص الامر بين السعيدين ونسخته بعد التصدير * ولما انتهى الى حضرتنا مايعتمد فى الدواوين ويقصده جماعة من المتصرفين والمستخدمين من تضمين الابواب والرباع والبساتين والحمامات والقياسر والمساكن وغير ذلك من الضمانات للراغبين فيها ممن تستمر معاملته ولا تنكر طريقته فما هو الا أن يحضر من يزيد عليه فى ضمانه حتى قد نقض عليه حكم الضمان وقبل ما يبذل من الزيادة كائنا من كان وقبضت يد الضامن الاول عن التصرف ومكن الضامن الثانى من التصرف من غير رعاية للعقد على الضامن الاول ولا تحرز فى فسخه الذى لا يبيحه الشرع ولا يتأول انكرنا ذلك على معتمديه وذممنا من قصدنا عليه ومرتكبيه اذ كان للحق مجانبا وعن مذهب الصواب ذاهبا وعرضنا ذلك بالمواقف المقدسة المطهرة ضاعف الله انوارها واعلى ابدا منارها واستخرجنا الاوامر المطاعة فى كتب هذا المنشور الى سائر الاعمال بأنه اى أحد من الناس ضمن ضمانا من باب اوربع او بستان اوناحية اوكفر وكان لاقساط ضمانه مؤديا ولما يلزمه من ذلك مبديا وللحق متبعا فان ضمانه باق فى يده لا تقبل زيادة عليه مدة ضمانه على العقد المعقود عملا بالواجب والنظام المحمود واتباعا لما امر الله تعالى به فى كتابه المجيد اذ يقول جل من قائل يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود الى أن تنقضى مدة الضمان ويزول حكمها ويذهب وضعها ورسمها حملا على قضية الواجب وسننها واعتمادا على حكم الشريعة التى ما ضل من اهتدى بفرائضها وسننها فأما من ضمن ضمانا ولم يقم بما يجب عليه فيه وأصر على المدافعة والمغالطة التى لا يعتمدها الا كل ذميم الطباع سفيه فذلك الذى فسخ حكم ضمانه بنقضه الشروط المشروطة عليه وحكمه حكم من اذا زيد عليه فى ضمانه نقل عنه واخرج من يديه لانه الذى بدأ بالفسخ وأوجد السبيل اليه فليعتمد كافة ارباب الدواوين وجميع المتصرفين والمستخدمين العمل بما تضمنه هذا المنشور وامتثال المأمور وحمل هؤلاء الضمناء والمعاملين على ما نص فيه والحذر من تجاوزه وتعديه بعد ثبوته فى ديوانى المجلس والخاص الامر بين السعيدين وبحيث يثبت مثله ان شاء الله تعالى قال ووصلته المكاتبة من الوالى والمشارف ومن كان ندب صحبته لكشف الاراضى والسواقى ومساحتها متضمنة ما اظهره الكشف واوضحته المساحة على من بيده السواقى وهم عدة كثيرة ومن جملتها ساقية مساحتها ثلثمائة وستون فدانا تشتمل على النخل والكرم وقصب السكر بمدينة اسنا خراجها فى السنة عشرة دنانير وما يجرى فى الاعمال هذا المجرى وانهم وضعوا ايد الديوان على جميعها وطلبوا من ارباب السواقى ما يدل على ما بأيديهم فذكروا أنها انتقلت اليهم ولم يظهروا ما يدل عليها وقد سيروا املاكها الى الباب تحت الحوطة ليخرج الامر بما يعتمد عليه فى امرهم وعند وصولهم اوقع الترسيم عليهم الى أن يقوموا بما يجب من الخراج عن هذه السواقى فان الاملاك بجملتها لا تقوم بما يجب عليها فوقف المذكورون للمأمون فى يوم جلوسه للمظالم فأمر بحضورهم بين يديه وتقدم الى القاضى جلال الملك أبو الحجاج يوسف بن أبى ايوب المغربى وهو يومئذ قاضى القضاة لمحاكمتهم فجرى له معهم

مفاوضة اوجبت الحق عليهم وألزمهم بالقيام بما يستغرق اموالهم واملاكهم فحصل من تضررهم ما اوجب العاطفة عليهم واخذهم بالخراج من بعد وأن يضرب عما تقدم صفحا وكتب منشور نسخته قد علم الكافة ما تراه من افاضة سحب العدل عليهم والاحسان والنظر في مصالح كل قاص منهم ودان وانا لا ندع ضررا يتوجه الى أحد من الرعية الا حسمناه ولا نعلم صلاحا يعود نفعه عليه الا قوينا سببه ووصلناه حسب ما يتعين على رعاة الامم وعملا بالواجب في البعيد والامم وسلوكا لمحجة الدولة الفاطمية خلد الله ملكها القوية واستمرارا على قضاياها وسجاياها الكريمة ولما كثرى النظر في مصالح الرعايا امرا واجبا ونصرف الى سياستهم عزما ماضيا ورأيا ثاقبا كذلك نرى النظر في امور الدواوين واستيفاء حقوقها المصروفة الى حماية البيضة والمحاماة عن الدين وجهاد الكفرة والملحدين ليكون ما نراعيه وننظر فيه جاريا على سنن الواجب محروسا من الخلل باذن الله من جميع الجوانب * ومن الله نستمد مواد التوفيق في الحل والعقد * ونسأله الارشاد الى سواء السبيل والقصد وما توفيقنا الا بالله عليه نتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل * وكان القاضي الرشيد بن الزبير ايام مشارفته الصعيد الاعلى قد طالع المجلس الافضلي بحال ارباب الاملاك هناك وانهم قد استضافوا الى اماكنهم من املاك الدواوين اراضي اغتصبوها ومواضع مجاورة لاملاكهم تعدوا عليها وخلطوها بها وحازوها ورسم له كشفها وتطم المشاريح بها وارتجاعها للديوان وان يعتمد في ذلك ما يوجبه حكم العدل المثبت في كل قطر ومكان وبآخر ذلك سيرنا من الباب من يكشف ذلك على حقيقته وانهائه على طيته فاعتمدوا ما امروا به من الكشف في هذه الاملاك ووردت المطالعة منهم بأنهم التمسوا ممن بيده ملك اوساقية ما يشهد بصحة ملكه ومبلغ فدنه وذكر حدوده فلم يحضر أحد منهم كتابا ولا أوضح جوابا وأصدروا الى الديوان المشاريح بما كشفوه وأوضحوه فوجدوا التعدي فيه ظاهرا وباب الحيف والظلم غير متقاصر والشرع يوجب وضع اليد على ما هذه حاله ومطالبة صاحبه بريعه واستغلاله لاسيما وليس بيده كتاب يشهد بصحة الملك رأسا ولا يستند في ذلك الى حجة اذخرها احترازا عن مجاهدة سبيله واحتراسا ولكن نحكم بما نراه من المصلحة للرعية والعدل الذي اقمنا مناره واحيينا معالمه وآثاره مع الرغبة في عمارة البلاد ومصالح احوالها واستنباط الارضين الدائرة وانشاء الغروس واقامة السواقي بها امرنا بكتب هذا المنشور وتلاوته بأعمال الصعيد الاعلى باقرار جميع الاملاك والارضين والسواقي بايدي اربابها الآن من غير انتزاع شيء منها ولا ارتجاعه وأن يقرر عليها من الخراج ما يجب تقريره ويشهد الديوان على امثالهم بمثله احسانا اليهم لم نزل نتابع مثله ونواليه وانعاما ما برحنا نعيده عليهم ونبديه وقد أنعمنا وتجاوزنا عما سلف ونهينا من يستأنف وسامحنا من خرج عن التعدي الى المألوف وجرينا على سنننا في العفو والمعروف وجعلناها توبة تمحو زلة الجماعة الجانين ومن عاد من الكافة اجمعين فلينتقم الله منه وطولب بمستأنفه وأمسه وبرئت الذمة من ماله ونفسه وتضاعفت عليه الغرامة والعقوبة وسدت في وجهه أبواب الشفاعة والسلامة وقد فسحنا مع ذلك لكل من يرغب في عمارة ارض حلفاء دائرة وادارة بئر مهجورة معطلة في أن يسلم اليه ذلك ويقاس عليه ولا يؤخذ منه خراج الا في السنة الرابعة من تسليمه اياه وان يكون المقرر على كل فدان ما توجبه زراعته لمثله خراجا مؤبدا وأمرا مؤكدا فليعتمد ذلك النواب وحكام البلاد ومن جرت العادة بحضوره عقد مجلس واحضار جميع ارباب الاملاك والسواقي واشعارهم ما شملهم من هذا الاحسان الذي تجاوز آمالهم في احابتهم الى ما كانوا يسألون فيه وتقرير ما يجب على الاملاك المذكورة من الخراج على الوضع الذي مثلناه ويجيز الديوان تقريره ويرضاه مع تضمين الاراضي الدائرة والآبار المعطلة لمن يرغب في ضمانها وتطم المشاريح بذلك واصدارها الى الديوان ليخلد فيه على حكم امثالها بعد ثبوت هذا المنشور بحيث يثبت مثله قال ولما سرت هذه المصالح الى جميع أهل هذه الاعمال حصل الاجتهاد في تحصيل مال الديوان وعمارة البلاد * واعلم انه لم يكن في الدولة الفاطمية بديار مصر ولا فيما مضى قبلها من دول أمراء مصر لعساكر البلاد اقطاعات بمعنى ما عليه الحال اليوم في اجناد الدولة التركية وانما كانت البلاد تضمن بقبالات معروفة لمن شاء من الامراء والاجناد والوجوه وأهل النواحي من العرب والقبط وغيرهم لا يعرف هذه الابدة التي يقال لها اليوم الفلاحة ويسمى المزارع المقيم بالبلد فلاحا قرارا فيصير عبدا قنا لمن اقطع تلك الناحية الا انه لا يرجو قط ان يباع ولا ان يعتق بل هو قن ما بقي ومن ولد له كذلك بل كان من اختار زراعة أرض يقبلها كما تقدم وحمل ما عليه لبيت المال فاذا اصار مال

الخراج بالديوان انفق فى طوائف العسكر من الخزائن وكان مع ذلك اذا انحط ماء النيل عن الاراضى وتعلقت نواحى مصر باصناف الزراعات ندب من الحضرة من فيه نباهة وخرج معه عدول يوثق بهم وكانت لهم معرفة بعلم الخراج وكثيرا ما كان هذا الكاتب من النصارى الاقباط و يخرج الى كل ناحية من ذكرنا فيحررون مساحة ماشمله الرى من الاراضى بما لعله باراو شرق ويكتب بذلك مكلفات واضحة بالفدن والقطائع على جميع الاصناف المزروعة و يحضر الى دواوين الباب فاذا مضى من السنة القبطية أربعة اشهر ندب من الاجناد من عرف بالحماسة وقوة البطش وعين معه من الكتاب العدول من قد اشتهر بالامانة وكاتب من نصارى القبط غير من خرج عند المساحة وساروا الى كل ناحية كذلك فاستخرج مباشروا كل بلد ثلث ماوجب من مال الخراج على ماشهدت به المكلفات فاذا احضر هذا الثلث صرف فى واجبات العساكر وهكذا العمل فى استخراج كل قسط طول الزمان من كل سنة وكانت تبقى فى جهات الضمان والمتقبلين جملة بواق وكانت بلاد مصر اذ ذاك تقبل بعين وغلة واصناف وقد عرف ذلك من نسخة المسموح الذى تضمن ترك البواقى فى ايام الخليفة الآمر بأحكام الله ووزارة المامون البطائحى ورأيت بخط الاسعد بن مهذب بن زكريا بن مماتى الكاتب المصرى سألت القاضى الفاضل عبد الرحيم كم كانت عدة العساكر فى عرض ديوان الجيش لما كان سيدنا يتولى ذلك فى أيام رزيك ابن الصالح فقال أربعين ألف فارس ونيفا وثلاثين ألف راجل من السودان وقال أبو عمرو عثمان النابلسى فى كتاب حسن السريرة فى اتخاذ الحصن بالجزيرة ان ضرغاما لما ثار على شاور وفر شاور الى السلطان نور الدين محمود بن زنكى بدمشق يستنجد به على ضرغام و بعده بأنه يكون نائبا عنه بمصر ويحمل اليه الخراج انشأ لنور الدين عزما لم يكن فجهز ألف فارس وقدم عليهم اسد الدين شيركوه وأمره بالتوجه فأبى وقال لا امضى أبدا فان هلاكى ومن معى وسوء ما سمعه السلطان معلوم من هنا وكيف امضى بالف فارس الى اقليم فيه عشرة آلاف فارس ومائة سپهبد فيها عشرة آلاف مقاتل وأربعون الف عبد وقوم مستوطنون فى اوطانهم فرأيت حوائجهم ونحن نأتيهم من تعب السفر بهذه العدة القليلة قال ثم اجابه بعد ذلك هذا اعزك الله بعد ما كانت عساكر أحمد بن طولون ماستراه فى ذكر القطائع ان شاء الله تعالى ثم ما كان من عساكر الامير أبى بكر محمد بن طغج الاخشيد وهى على ما حكاه غير واحد منهم ابن خلكان انها كانت اربعمائة ألف ولما انقضت دولة الفاطميين بدخول الغز من بلاد الشام واستولى صلاح الدين يوسف بن ايوب على مملكة مصر تغير الحال بعض التغير لا كله * قال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة فى ثامن المحرم خرجت الاوامر الصلاحية بركوب العساكر قديمها وجديدها بعد أن اندر حاضرها وغائبها وتوافى وصولها وتكامل سلاحها وخيولها فحضر فى هذا اليوم جموع شهد كل من علا سنه وقرطس ظنه ان ملكا من ملوك الاسلام لم يحز مثلها وشاهدت رسل الروم والفرنج ما أرغم انوف الكفرة ولم يتكامل اجتياز العساكر موكبا بعد موكب وطلبا بعد طلب والطلب بلغة الغز هو الامير المقدم الذى له علم معقود وبوق مضروب وعدة من مائتى فارس الى مائة فارس الى سبعين فارسا الى ان انقضى النهار ودخل الليل وعاد ولم يكمل عرضهم وكانت العدة الحاضرة مائة وسبعة وأربعين طلبا والغائب منها عشرون طلبا وتقدير العدة بناهز أربعة عشر ألف فارس اكثرها طواشية والطواشى من رزقه من سبعمائة الى ألف الى مائة وعشرين وما بين ذلك وله برك من عشرة رؤس الى مادونها ما بين فرس و برذون و بغل و جمل وله غلام يحمل سلاحه وقراغلامية تتمة الجملة قال وفى هذه السفرة عرض العربان الخدامين فكانت عدتهم سبعة آلاف فارس واستقرت عدتهم على ألف وثلثمائة فارس لا غير وأخذ بهذا الحكم عشر الواجب وكان اصله ألف ألف دينار على حكم الاعتداد الذى يتأصل ولا يتحصل وكاف التغالبة ذلك فامتغصوا ولوحوا بالتحيز الى الفرنج * وقال فى متجددات شهر رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة استمر انتصاب السلطان صلاح الدين فى هذه السنة للنظر فى أمور الاقطاعات ومعرفة عبرها والنقص منها والزيادة فيها واثبات المحروم وزيادة المشكور الى ان استقرت العدة على ثمانية آلاف وستمائة وأربعين فارسا امراء مائة وأحد عشر أميرا طواشية ستة آلاف وتسعمائة وستة وسبعون قراغلامية ألف وخمسمائة وثلاثة وخمسون والمستقر لهم من المال ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف وسبعون الفا وخمسمائة دينار وذلك خارج عن المحلولين من الاجناد الموسومين بالحوالة على العشر وعن عدة العربان المقطعين بالشرقية والبحيرة وعن الكنانيين والمصريين والفقهاء

والقضاة

والقضاة والصوفية وعما يجرى بالديوان ولا يقصر عن ألف ألف دينار * وقال فى متجددات سنة خمس وثمانين وخمسمائة اوراق بما استقر عليه عبر البلاد من اسكندرية الى عيذاب الى آخر الرابع والعشرين من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة خارجا عن الثغور وابواب الاموال الديوانية والاحكار والحبس ومنفلوط ومنقباط وعدة نواح اوردت اسماءها ولم يعين لها فى الديوان عبرة من جملة أربعة آلاف ألف وستمائة ألف وثلاثة وخمسين ألفا وتسعة عشر دينارا بعد ما يجرى فى الديوان العادلى السعيد وغيره عن الشرقية والمرتاحية والدقهلية وبوش وغير ذلك وهو ألف ألف ومائة ألف وتسعون ألفا وتسعمائة وثلاثة وعشرون دينارا (تفصيل ذلك) الديوان العادلى سبعمائة ألف وثمانية وعشرون ألفا ومائتان وثمانية واربعون دينارا الامراء والاجناد المرسوم بابقاء اقطاعاتهم بالاعمال المذكورة مائة ألف وثمانية وخمسون ألفا ومائتان وثلاثة دنانير ديوان السور المبارك والاشراف ثلاثة عشر الفا وثمانمائة وأربعة دنانير العربان مائتا ألف واربعة وثلاثون ألفا ومائتان وستة وتسعون دينارا الكنانية خمسة وعشرون ألفا وأربعمائة واثناعشر دينارا القضاة والشيوخ سبعة آلاف واربعمائة وثلاثة دنانير القيمارية والصالحية والاجناد المصريون اثناعشر ألفا وخمسمائة وأربعة دنانير الغزاة والعساقلة المركزة بدمياط وتنيس وغيرهم عشرة آلاف وسبعمائة وخمسة وعشرون دينارا البارز ثلاثة آلاف ألف واربعمائة ألف واثنان وستون ألفا وخمسة وتسعون دينارا (الوجه البحرى) ألف ألف ومائة ألف واحد وخمسون الفا وستمائة وثلاثة وخمسون دينارا (تفصيله) ضواحى ثغر الاسكندرية ثمانمائة ألف ومائة وثمانية وثلاثون دينارا ثغر رشيد ألف دينار البحيرة مائة ألف وخمسة عشر ألفا وخمسمائة وستة وسبعون دينارا حوف رمسيس اثنان وتسعون ألفا وأربعمائة وثلاثة دنانير فوه والمزاحمتين عشرة آلاف ومائة وخمسة وعشرون دينارا النبراوية خمسة عشر ألفا وثلثمائة وخمسة دنانير جزيرة بنى نصر مائة ألف واثناعشر ألفا وستمائة وستة واربعون دينارا جزيرة قوسنيا مائة الف وثلاثون الفا وخمسمائة واثنان وتسعون دينارا الغربية ستمائة الف واربعة وسبعون الفا وستمائة وخمسة دنانير السمنودية مائتا الف وخمسة واربعون الفا واربعمائة وتسعة وسبعون دينارا الدنجاوية ستة واربعون ألفا ومائتان واربعة وسبعون دينارا المنوفية مائة الف وثمانية وأربعون الفا وثلثمائة وسبعة وأربعون دينارا (الوجه القبلى) ألف ألف وستمائة الف وعشرة آلاف واربعمائة واحد واربعون دينارا (تفصيل ذلك) الجيزة مائة ألف وثلاثة وخمسون الفا ومائتان وأربعة دنانير الاطفيحية تسعة وخمسون الفا وسبعمائة وثمانية وعشرون دينارا البوصيرية ستون الفا واربعمائة وستة وستون دينارا الفيومية مائة الف واثنان وخمسون الفا وستمائة وأربعة وثلاثون دينارا البهنسية ثلثمائة ألف واثنان وخمسون ألفا وستمائة وأربعة وثلاثون دينارا الواحات الداخلة والخارجتين وواح البهنسا خمسة وعشرون ألف دينار الاشمونين مائة ألف وسبعة وأربعون الفا وسبعمائة واثنان وثلاثون دينارا السيوطية خارجا عن منفلوط ومنقباط اثنان وسبعون ألفا وخمسمائة وأربعة دنانير الاخميمية مائة ألف وثمانية آلاف وثمانمائة واثناعشر دينارا الاعمال القوصية ثلثمائة ألف واثنان وستون ألفا وخمسمائة دينار ثغر اسوان خمسة وعشرون ألف دينار ثغر عيذاب يجرى فى غير هذا الديوان * وقال فى متجددات سنة ثمان وثمانين وخمسمائة والذى انعقد عليه ارتفاع الديوان السلطانى ثلثمائة ألف وأربعة وخمسون ألفا وأربعة واربعون دينارا والذى يميز زائد الارتفاع لسنة سبع وثمانين وخمسمائة على ارتفاع سنة ست وثمانين اثنان وعشرون ألفا واربعمائة وخمسة وأربعون دينارا والذى انساق من البواقى للسنة المذكورة أحد وثلاثون ألفا وستمائة واثنان وعشرون دينارا والذى اشتمل عليه متحصل ديوان الخاص الملكى الناصرى بالديار المصرية لسنة سبع وثمانين وخمسمائة ثلثمائة ألف واربعة وخمسون الفا وأربعمائة واربعة وخمسون دينارا ونصف وثلث وثمن

* (ذكر الروك الاخير الناصرى) *

وكان الجندى اقطاعه بمفرده وله تسع واحد من عشرين ألف درهم الى ثلاثين وفيهم من اقطاعه خمسة عشر ألفا واقلهم عشرة آلاف وذلك سوى الضيافة وبلغ خمسة آلاف درهم فى الاقطاع الثقيل وكان الجندى يخرج الى السكان بطوالة خيل ويخرج مقدم الحلقة كامير عشرة وتكون مضافته اذا نزل حوله واكثرهم يأكل على سماطه

ولا يمكن الامير أن يأكل الا وجميع اجناده معه ويأخذ غلمان اجناده كل يوم الطعام من مطبخه واذا رأى نارا توقد سأل عنها فيقال ان فلانا اشتهى كذا فيغضب ممن لا يأكل عنده ومع ذلك كانت اشكالهم بشعة وملابسهم غير حائلة فلما افضت السلطنة الى المنصور لاجين رالئ البلاد وذلك ان أرض مصر كانت أربعة وعشرين قيراطا فيختص السلطان منها بأربعة قراريط و يختص الاجناد بعشرة قراريط ويختص الامراء بعشرة قراريط وكان الامراء يأخذون كثيرا من اقطاعات الاجناد فلا يصل الى الاجناد منها شئ ويصير ذلك الاقطاع فى دواوين الامراء ويحتمى بها قطاع الطريق وتثور بها الفتن و يقوم بها الهوشات ويمنع منها الحقوق والمقررات الديوانية وتصير مأكلة لاعوان الامراء ومستخدميهم ومضرة على أهل البلاد التى تجاورها فأبطل السلطان ذلك ورد تلك الاقطاعات على اربابها وأخرجها بأسرها من دواوين الامراء وأول ما بدأ به ديوان الامير سيف الدين منكوتمر نائب السلطنة فأخرج منه ما كان فيه من هذه الاقطاعات وكان يتحصل له منها مائة الف أردب غلة فى كل سنة واقتدى به جميع الامراء واخرجوا ما فى اقطاعاتهم من ذلك فبطلت الحمايات وجعل السلطان فى هذا الروك للامراء والاجناد أحد عشر قيراطا وأفرد تسعة قراريط ليخدم بها عسكرا ويقطعهم اياها ثم رتب اوراقا بكفية الامراء والاجناد بعشرة قراريط ووفر قيراطا لزيادة من عساه يطلب زيادة لقلة متحصل اقطاعه وأفرد لخاص السلطان عدة اعمال جليلة وأفرد للنائب منكوتمر لتفرقة المثالات فى تابعيه فتنكرت قلوب الامراء حتى كان من المنصور لاجين ونائبه منكوتمر ما كان فلما كانت الايام الناصرية رالئ الناصر محمد البلاد قال جامع السيرة الناصرية وفى سنة خمس عشرة وسبعمائة اختار السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ان يروك الديار المصرية وان يبطل منها مكوسا كثيرة ويفضل لخاص مملكته شيأ كثيرا من اراضى مصر وكان سبب ذلك انه اعتبر كثيرا من اخباز المماليك والحاشية الذين كانوا الا الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير والامير سلار وسائر المماليك البرجية فاذا هى ما بين ألف دينار الى ثمانمائة دينار وخشى من قطع اخباز المذكورين فولد له الرأى مع القاضى فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش ان يروك ديار مصر ويقرر اقطاعات مما يختار و يكتب بها مثالات سلطانية فتقدم الفخر ناظر الجيش فعمل أوراقا بما عليه عبر النواحى ومساحتها وعين السلطان لكل اقليم من أقاليم ديار مصر اناسا وكتب مرسوما للامير بدر الدين جنكل بن البابا ان يخرج لناحية الغربية ومعه اعزل الحاجب ومن الكتاب المكين بن قروينه وان يخرج الامير عز الدين ايدمر الخطيرى الى ناحية الشرقية ومعه الامير ايتمش المحمدى ومن الكتاب امين الدولة ابن قرموط وان يخرج الامير بلبان الصرخدى والقليجى وابن طرنطاى و بيبرس الجدار الى ناحية المنوفية والبحيرة وان يخرج البليلى والمرتينى الى الوجه القبلى وندب معهم كتابا ومستوفين وقياسين فساروا الى حيث ذكر فكان كل منهم اذا نزل بأول عمله طلب مشايخ كل بلد ودلاءها وعدولها وقضاتها وسجلاتها التى بأيدى مقطعيها وفحص عن متحصلها من عين وغلة واصناف ومقدار ما تحتوى عليه من الفدن ومزروعها وبورها وما فيها من ترايب وبواق وغرس ومستبحر وعبرة الناحية وما عليها لمقطعيها من غلة ودجاج وخراف وبرسيم وكشك وكعك وغير ذلك من الضيافة فاذا حرر ذلك كله ابتدأ بقياس تلك الناحية وضبط بالعدول والقياسين وقاضى العمل ما يظهر بالقياس الصحيح وطلب مكلفات تلك القرية وغنداقها وفضل ما فيها من الخاص السلطانى و بلاد الامراء واقطاعات الاجناد والرزق حتى ينتهى الى آخر عمله ثم حضر وا بعد خمسة وسبعين يوما وقد تحرر فى الاوراق المحضرة حال جميع ضياع أرض مصر ومساحتها وعبرة أراضيها وما يتحصل عن كل قرية من عين وغلة وصنف فطلب السلطان الفخر ناظر الجيش والتقى الاسعد بن أمين الملك المعروف بكاتب سرلغى وسائر مستوفى الدولة وألزمهم بعمل اوراق تشتمل على بلاد الخاص السلطانى التى عينها لهم وعلى اقطاعات الامراء وأضاف على عبرة كل بلد ما كان على فلاحيها من ضيافة لمقطعيها واضاف الى العبرة ما فى الاقطاع من الجوالى وكتب مثالات للاجناد باقطاعات على هذا الحكم فاعتمد منها بما كان يصرف فى كلف حمل الغلال من النواحى الى ساحل القاهرة وما كان عليها من المكس وابطل السلطان عدة مكوس منها مكس ساحل الغلة وكان حمل متحصل الديوان وعليه اقطاعات الامراء والاجناد ويتحصل منه فى السنة أربعة آلاف ألف وستمائة ألف درهم وعليه اربعمائة مقطع لكل منهم من عشرة آلاف الى ثلاثة آلاف ولكل من الامراء من اربعين ألفا الى عشرة آلاف وكانت جهة عظيمة لها متحصل كثير جدا وينال القبط

منها

منها منافع كثيرة لا تحصى ويحل بالناس من ذلك بلاء شديد وتعب عظيم من المغارم والظلم فان مظالمها كانت تتعدد ما بين نواتية تسرق وكيالين تبخس وشادين وكتاب يريد كل منهم شيأ وكان مقرر الاردب درهمين للسلطان ويلحقه نصف درهم غير ما ينهب ويسرق وكان لهذه الجهة مكان يعرف بخص الكيالة فى ساحل بولاق يجلس فيه شاد وستون متعمما ما بين كتاب ومستوفين وناظر وثلاثون جنديا مباشرون ولا يمكن احدا من الناس أن يبيع قدحا من غلة فى سائر النواحى بل تحمل الغلات حتى تباع فى خص الكيالة ببولاق ومما ابطل أيضا نصف السمسرة وهو عبارة عن أن من باع شيأ من الاشياء فانه يعطى أجرة الدلال على ما تقرر من قديم عن كل مائة درهم درهمين فلما ولى ناصر الدين الشيخى الوزارة قرر على كل دلال من دلالته درهما من كل درهمين فصار الدلال يعمل معدله ويجتهد حتى ينال عادته وتصير الغرامة على البائع فيتضرر الناس من ذلك واوذوا فلم يغاثوا حتى ابطل ذلك السلطان ومما ابطل رسوم الولاية وكانت جهة تتعلق بالولاة والمقدمين فيجبيها المذكورون من عرفاء الاسواق وبيوت الفواحش ولهذه الجهة ضامن وتحت يده عدة صبيان وعليها جند مستقطعون وامراء وغيرهم وكانت تشتمل على ظلم شنيع وفساد قبيح وهتك قوم مستورين وهجم بيوت اكثر الناس ومما ابطل مقرر الحوائص والبغال من المدينة وسائر أعمال مصر كلها من الوجه القبلى والبحرى فكان على كل من الولاة والمقدمين مقرر يحمل فى كل قسط من أقساط السنة الى بيت المال عن ثمن حياصة ثلثمائة درهم وعن ثمن بغل خمسمائة درهم وعلى هذه الجهة عدة مقطعين ويفضل منها ما يحمل وكان يصيب الناس من هذه الجهة ما لا يوصف ويحل بهم من عسف الرقاصين ما يهون معه الموت ومن ذلك مقرر السجون وهو عبارة عما يؤخذ من كل من يسجن فللسجان على حكم المقرر ستة دراهم سوى كلف اخرى وعلى هذه الجهة عدة مقطعين ويرغب فيها الضمان ويتزايدون فى مبلغ ضمانها لكثرة ما يتحصل منها فانه كان لو تخاصم رجل مع امرأته او ابنه رفعه الوالى الى السجن فبمجرد ما يدخل السجن ولو لم يقم به الا لحظة واحدة اخذ منه المقرر وكذلك كان على سجن القضاة أيضا * (ومن ذلك مقرر طرح الفراريج) ولها ضمان عدة فى سائر نواحى أرض مصر يطرحون على الناس الفراريج فيمر بضعفاء الناس من ذلك بلاء عظيم وتقاسى الارامل من العسف والظلم شيأ كثيرا وكان على هذه الجهة عدة مقطعين ولا يمكن احدا من الناس فى جميع الاقاليم أن يشترى فروجا فما فوقه الا من الضامن ومن عثر عليه أنه اشترى أو باع فروجا من سوى الضامن جاءه الموت من كل مكان وما هو بميت * (ومن ذلك مقرر الفرسان) وهو عبارة عما يجبيه ولاة النواحى من سائر البلاد فلا يؤخذ درهم مقرر حتى يغرم عليه صاحبه درهمين ويقاسى الناس فيه اهوالا صعبة * (ومن ذلك مقرر الاقصاب والمعاصر) وهو ما يجبى من مزارعى قصب السكر ومن المعاصر ورجال المعاصر * (ومن ذلك مقرر رسوم الافراح) ويجبى من سائر النواحى ولهذه الجهة عدة ضمان ولا يعرف لهذه الجهة اصل البتة وانما يجبى بضرائب ينال الناس فيها مع المقرر غرامات وروعات * (ومن ذلك حماية المراكب) وهى عبارة عما يؤخذ من كل مركب بتقرير معين يعرف بمقرر الحماية وكانت هذه الجهة اشد ما ظلم به الناس فيؤخذ من كل من ركب البحر للسفر حتى من السؤال والمكدين * (ومن ذلك حقوق القينات) وهو عبارة عما يجمع من الفواحش والمنكرات فيجبيه مهتار الطشتخاناه السلطانية من اوباش الناس * (ومن ذلك شد الزعماء) وهى جهة مفردة وحقوق السودان وكشف المراكب ومقرر ما على كل جارية اوعبد حين نزولهم بالخانات لعمل الفاحشة فيؤخذ من كل ذكر وانثى مقرر معين ومتوفر الجراريف وهو ما يجبى من سائر النواحى فيحمل ذلك مهندسوا البلاد الى بيت المال باعانة الولاة لهم فى تحصيل ذلك وعلى هذه الجهة عدة مقطعين من الجند ومقرر المشاعلية وهو عبارة عما يؤخذ عن كسح الافنية وحمل ما يخرج منها من الوسخ الى الكيمان فكان اذا امتلأ سراب جامع اومدرسة اومسمط اوتربة اومنزل من منازل سائر الناس لا يمكنه ولو بلغ من العظمة ما عسى أن يبلغ التعرض لذلك حتى يأتيه ضامن الجهة ويقاوله على كسح ذلك بما يريد وكان من عادة الضامن الاشطاط فى السوم وطلب اضعاف القيمة فان لم يرض رب المنزل بما طلب الضامن والا تركه وانصرف فلا يقدر على مقاساة ترك الوسخ ويضطر الى سؤاله ثانيا فيعظم تحكمه ويشتد باسه الى أن يرضيه بما يختار حتى يتمكن من كسح فنائه ورفع ما هنالك من الاقذار * (ومن ذلك ابطال المباشرين من النواحى) وكانت بلاد مصر كلها من الوجهين القبلى-

والبحرى مامن بلد صغير وكبير الا وفيه عدة من كتاب وشاد ونحو ذلك فأبطل السلطان المباشرين وتقدم منعهم من مباشرة النواحى الامن بلد فيها مال السلطان فقط فأراح الله سبحانه الخلق بابطال هذه الجهات من بلاء لا يقدر قدره ولا يمكن وصفه * ولما ابطل السلطان هذه الجهات وفرغ من تعيين الاقطاعات للامراء والاجناد افرز لخاص السلطان من بلاد ارض مصر عدة نواح مما كان فى اقطاعات البرجية وهى الجيزة واعمالها وهو والكوم الاحمر ومنفلوط والمرج والخصوص وغير ذلك مما بلغ عشرة قراريط من الاقليم وصار لاقطاعات الامراء والاجناد وغيرهم أربعة عشر قيراطا ومكر الاقباط فيما أمكنهم المكر فيه فبدؤا بأن اضعفوا عسكر مصر ففرقوا الاقطاع الواحد فى عدة جهات فصار بعض الجبى فى الصعيد وبعضه فى الشرقية وبعضه فى الغربية اتعابا للجندى وتكثيرا للكلفة وأفردوا جوالى الذمة من الخاص وفرقوها فى البلاد التى اقطعت للامراء والاجناد فان النصارى كانوا مجتمعين فى ديوان واحد كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى فصار نصارى كل بلد يدفعون جاليتهم الى مقطع تلك الضيعة فاتسع مجال النصارى وصاروا يتنقلون فى القرى ولا يدفعون من جزيتهم الا ما يريدون فقل متحصل هذه الجهة بعد كثرته وافردوا ما بقى من جهات المكوس برسم الحوائج خاناه التى تصرف للسماط ليتناولوا ذلك ويوردوا منه ما شاؤا ثم يتولوا صرف ما يحصل منه فى جهات تستهلك بالاكل وصارت جهات المكوس مما يتحدث فيه الوزير وشاد الدواوين * ثم نظر السلطان فيما كان بيد الاميرين بيبرس الجاشنكير وسلار نائب السلطنة من البلاد فأخذ ما كان باسم كل منهما وباسم حواشيه ولم يدع من ذلك شيأ مما كانوا اقدوقفوه حتى حله وجعل الجميع اقطاعات واعتد فى سائر الاقطاعات بما كان يستهديه المقطع من فلاحه فحسب ذلك وأقامه من جملة عبرة الاقطاع وأبطل الهدية فلم يتهيأ له الفراغ من ذلك الى آخر السنة فلما أهل المحرم من سنة ست عشرة وسبعمائة وقد نظمت الحسبانات على ثلث مغل سنة خمس عشرة جلس السلطان فى الايوان الذى استجده بقلعة الجبل وقد تقدم لسائر نقباء الاجناد على لسان نقيب الجيش بالحضور باجنادهم وجعل للعرض فى كل يوم أميرين من الامراء المقدمين بمضافيهما فكان الامير مقدم الالف يقف ومعه مضافوه وناظر الجيش يستدعيهم من تقدمة ذلك الامير باسمائهم على قدر منازلهم فيقدم نقيب الجيش الواحد بعد الواحد من يد نقيبه الى ما بين يدى السلطان فاذا امثل بحضرته سأله السلطان بنفسه من غير واسطة عن اسمه وأصله وجنسه ووقت حضوره الى ديار مصر ومع من قدم والى من صار من الامراء وغيرهم وعن مشاهده التى حضرها فى الغزو وعما يعرفه من صناعة الحرب وغير ذلك من الاستقصاء فاذا انتهى استفهامه اياه ناوله بيده مثالا من غير تأمل بحسب ما قسم الله له فلم يمر به فى مدة العرض احد الا وقد عرفه وأشار الى الامراء بذكر شئ من خبره هذا وقد تقدم الى سائر الامراء بأمرهم بأن يحضروا الى الايوان عند العرض ولا يعارض احد منهم السلطان فى شئ يفعله فكانوا يحضرون وهم سكوت لا يتكلم احد منهم خوفا من مخالفة السلطان لما يقوله وأخذ السلطان فى مواربة الامراء فما أثنوا على احد فى مجلس العرض الا وأعطاه السلطان مثالا باقطاع ردىء فلما علموا ذلك أمسكوا عن الكلام معه جملة وانفرد بالاستبداد بأموره دونهم فما عرف منه أنه قدم اليه احد الا وسأله ان كان مملوكا عمن اقدمه من التجار وسائر ما تقدم وان كان شيخا فعن أصله وسنه وكم مصاف حضرها حتى أتى على الجميع وأفرد المشايخ العاجزين فلم يعطهم اقطاعات وجعل لكل منهم مرتبا يقوم به فانتهى العرض فى طول المحرم وتوفر كثير من مثالات الاجناد فبلغ عدة مائتى مثال ثم أخذ فى عرض أطباق المماليك السلطانية ووفر من جوامكهم كثيرا وقطع عدة رواتب من رواتبهم وعوضهم عن ذلك اقطاعات وجعل جهة مكس قطيا لضعفاء الاجناد ممن قطع خبزه فجعل لكل منهم فى السنة ثلاثة آلاف درهم * وكان لبيبرس وسلار الجوكندار تعلقات كثيرة فى بيت المال وفى الاعمال كالجيزة والاسكندرية من متجر وحمايات فارتجع ذلك وأبطله وما شابهه وأضاف ما لم يقطعه الى ديوان الخاص ومما أمر به فى مدة العرض أن لا يرد أحد مثالا أخذه من السلطان ولو استقله ولا يشفع أمير فى جندى وان من خالف ذلك ضرب وحبس ونفى وقطع خبزه فعظمت مهابة السلطان وقويت حرمته ولم يجسر أحد أن يرد عليه مثالا اخذه من السلطان ولا استطاع امير أن يتكلم لاحد وصار كثير ممن كان اقطاعه مثلا الف دينار الى اقطاع مائتى دينار ونحوها وكثير ممن كان اقطاعه قليلا الى اقطاع معتبر فانه كان يعطى المثال

من غير تأمل كيف ماوقعت يده عليه وقدر الله سبحانه وتعالى أن السلطان كان من جملة صبيان مطبخه رجل مضحك يهزل بحضرته فيضحك منه ويعجب به ولا يعترض فيما يقول من السخف فجلس السلطان فى بعض ايام العرض فى البستان بقلعة الجبل وعنده الخاصة من الامراء فدخل هذا المضحك وأخذ فى السخرية على عادته ليضحك السلطان الى أن قال وجدت بعض اجناد الروك الناصرى وهو راكب الاكديش وخرجه خلفه ورمحه فوق كتفه يقصد بهذا السخرية والطعن فغضب السلطان غضبا شديدا وصاح خذوه وعروه ثيابه فتبادره الاعوان وجروه برجله ونزعوا ثيابه وربطوه فى الساقية مع القواديس واكثروا من ضرب الابقار حتى اسرعت بدوران الساقية فصار المسكين يتقلب مع القواديس ويغطس فى الماء تارة ويرقى اخرى ثم ينتكس والماء يمر عليه مقدار ساعة الى أن انقطع حسه وأشرف على الهلاك واشتد رعب الامراء لما رأوا من قوة غضب السلطان ثم تقدم الامير طغاى الدوادار فى طائفة من الامراء الخاصكية واعتذروا عن هذا المسكين بأنه لم يرد الا أن يضحك السلطان من كلامه ولم يقصد عيب الاجناد ولا انتقاصهم ونحو هذا من القول الى أن أمر بحله فاذا ليس فيه حركة فسحب ورسم السلطان بأنه ان كان حيا لا يبيت بديار مصر فأخرج من وقته منفيا وحمد الله كل من الامراء على ماوفقه من السكوت عن الكلام فى حال العرض ومازال الامر بمصر على مارسمه الملك الناصر فى هذا الروك الى أن زالت دولة بنى قلاون بالملك الظاهر برقوق فى شهر رمضان سنة اربع وثمانين وسبعمائة فأبقى الامر على ذلك الا أن اشياء منه اخذت تتلاشى قليلا قليلا الى ان كانت الحوادث والمحن فى سنة ست وثمانمائة حيث حدث من انواع التغيرات وتنوع الظلم مالم يخطر ببال أحد وسيمر بك جمل من ذلك عند ذكر أسباب خراب اقليم مصر ان شاء الله تعالى وكانت لاراضى مصر تقاو مخلدة فى نواحيها وهى على قسمين تقاو سلطانية وتقاو بلدية فالتقاوى السلطانية وضعها الملوك فى النواحى وكان الامير أو الجندى عند مايستقر على الاقطاع يقبض ماله من التقاوى السلطانية فاذا اخرج عنه طولب بها فلما كان الروك الناصرى خلدت تقاوى كل ناحية بها وضبطت فى الديوان السلطانى فبلغت جملتها مائة الف وستين ألف أردب سوى التقاوى البلدية

(ذكر الديوان)

قال أقضى القضاة ابو الحسن الماوردى الديوان محفوظ بحفظ ماتعلق بحقوق السلطنة من الاعمال والاموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال وفى تسميته ديوانا وجهان احدهما أن كسرى اطلع ذات يوم على كتاب ديوانه فرآهم يحسبون مع انفسهم فقال ديوانه اى مجانين فسمى موضعهم بهذا الاسم ثم حذفت الهاء عند كثرة الاستعمال تخفيفا للاسم فقيل ديوان والثانى أن الديوان اسم بالفارسية للشياطين فسمى الكتاب باسمهم لحذقهم بالامور ووقوفهم على الجلى والخفى وجمعهم لما شذ وتفرق واطلاعهم على ماقرب وبعد ثم سمى مكان جلوسهم باسمهم فقيل ديوان انتهى واعلم أن كتابة الديوان على ثلاثة أقسام كتابة الجيوش وكتابة الخراج وكتابة الانشاء والمكاتبات ولابد لكل دولة من استعمال هذه الاقسام الثلاثة وقد افرد العلماء فى كتابة الخراج وفى كتابة الانشاآت عدة مصنفات ولم أر أحدا جمع شيأ فى كتابة الجيوش والعساكر وكانت كتابة الدواوين فى صدر الاسلام أن يجعل مايكتب فيه صحفا مدرجة فلما انقضت ايام بنى أمية وقام عبد الله بن محمد ابو العباس السفاح استوزر خالد بن برمك بعد أبى سلمة حفص بن سليمان الخلال فجعل الدفاتر فى الدواوين من الجلود وكتب فيها وترك الدروج الى أن تصرف جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك فى الامور أيام الرشيد فاتخذ الكاغد وتداوله الناس من بعده الى اليوم * وذكر ابو النمر الوراق قال حدثنى ابو حازم القاضى قال قال لى ابو الحسن بن المدبر لو عمرت مصر كلها لوفت بأعمال الدنيا وقال ان أرض مصر مساحتها للزراعة ثمانية وعشرون ألف ألف فدان وانما المعمور منها ألف ألف فدان قال وقال لى ابن المدبر انه كان يتقلد ديوان المشرق وديوان المغرب قال ولم أبت قط ليلة من الليالى حتى أنهيه ولا بقيته وتقلدت مصر فكنت ربما نمت وقد بقى على شئ من العمل فاستتمه اذا اصبحت

(ذكر ديوان العساكر والجيوش)

يقال ان اول من وضع ديوان الجند بخيلهم كيهراسف أحد ملوك الطبقة الثانية من الفرس وان كيقباذ قبله

كان قد أخذ العشر من الغلات وصرفه فى ارزاق جنده وأما فى الاسلام فأخرجه البخارى ومسلم من حديث حذيفة رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم اكتبوا لى من تلفظ بالاسلام من الناس فكتبنا له ألفا وخمسمائة رجل الحديث ذكره البخارى فى باب كتابة الامام الناس وللبخارى من حديث عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى اكتتبت فى غزوة كذا وكذا وامرأتى حاجة قال ارجع فاحجج مع امرأتك وقال عمرو بن منبه عن معمر عن قتادة قال آخر ما أتى به النبى صلى الله عليه وسلم ثمانمائة ألف درهم من البحرين فما قام من مجلسه حتى أمضاه ولم يكن للنبى صلى الله عليه وسلم بيت مال ولا لأبى بكر وأول من اتخذ بيت مال عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال ابن شهاب عمر اول من دوّن الدواوين وروى ابن سعد عن عائشة رضى الله عنها قالت قسم أبى الفىء عام اول فأعطى الحر عشرة والمملوك عشرة والمرأة عشرة وأمتها عشرة ثم قسم العام الثانى فأعطاهم عشرين عشرين فقيل ان سببه أن أباهريرة رضى الله عنه قدم على عمر رضى الله عنه بمال من البحرين فقال له عمر ماذا جئت به فقال خمسمائة ألف درهم فاستكثره عمر وقال أتدرى ماتقول قال نعم مائة ألف خمس مرّات فقال عمر أطيب هو قال لا أدرى فصعد عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس قد جاءنا مال كثير فان شئتم كلنا لكم كيلا وان شئتم عددنا لكم عدّا فقام اليه رجل فقال ياامير المؤمنين قد رأيت الاعاجم يدوّنون ديوانا لهم فدوّن أنت ديوانا فدوّن عمر * وقيل بل سببه أن عمر بعث بعثا وعنده الهرمزان فقال لعمر هذا بعث قد أعطيت اهله الاموال فان تخلف منهم رجل من اين يعلم صاحبك به فأثبت لهم ديوانا فسأله عن الديوان حتى فسره له فاستشار المسلمين فى تدوين الدواوين فقال له على بن ابى طالب تقسم كل سنة مااجتمع عندك من المال ولا تمسك منه شيأ وقال عثمان رضى الله عنه أرى مالا كثيرا يسع الناس فان لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الامر وقال خالد بن الوليد رضى الله عنه قد كنت بالشام فرأيت ملوكها دوّنوا ديوانا وجندوا جنودا فدوّن ديوانا وجند جنودا فأخذ بقوله ودعا عقيل بن أبى طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا كتاب قريش فقال اكتبوا الناس على منازلهم فبدؤا ببنى هاشم وكتبوهم ثم اتبعوهم اولاد أبى بكر وقومه ثم عمر وقومه وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة ثم رفعوا ذلك الى عمر رضى الله عنه فلما نظر فيه قال لا ولكن ابدؤا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقرب فالاقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله فشكره العباس رضى الله عنه على ذلك وقال وصلت رحمك وقد اختلف فى السنة التى فرض فيها عمر رضى الله عنه الاعطية ودوّن الدواوين فقال الكلبى فى سنة خمس عشرة وحكى ابن سعد عن عمر الواقدى أنه جعل ذلك فى سنة عشرين قال الزهرى وكان ذلك فى المحرم سنة عشرين من الهجرة وقيل لما فتح الله على المسلمين القادسية وقدمت على عمر رضى الله عنه الفتوح من الشام جمع المسلمين وقال مايحل للوالى من هذا المال فقالوا جميعا أما الخاصة فقوته وقوت عياله لاوكس ولا شطط وكسوته وكسوتهم للشتاء والصيف ودابتان الى جهاده وحوائجه وحملانه الى حجته وعمرته والقسم بالسوية وأن يعطى اهل البلاء على قدر بلائهم ويرم امور الناس بعد ويتعاهدهم فى الشدائد والنوازل حتى تنكشف ويبدأ بأهل الفىء ثم يجوزهم الى كل مغلوب مابلغ الفىء وقال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما لما افتتحت القادسية وصالح من صالح من اهل السواد وافتتحت دمشق وصالح اهل الشام قال عمر رضى الله عنه للناس اجتمعوا فاحضرونى علمكم فيما افاء الله على اهل القادسية واهل الشام فاجتمع رأى على وعمر رضى الله عنهما أن يأخذوه من قبل القرآن فقالوا ماأفاء الله على رسوله من اهل القرى يعنى من الخمس فلله وللرسول يعنى من الله الامر وعلى الرسول القسم ولذى القربى واليتامى والمساكين ثم فسروا ذلك بالآية الاخرى التى تليها للفقراء المهاجرين الآية فأخذوا اربعة الاخماس على ماقسم عليه الخمس فيمن بدئ به وثنى وثلث وأربعة أخماس لمن أفاء الله عليه المغنم ثم استشهدوا على ذلك بقوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه الآية من تلك الطبقات الثلاث وأربعة أخماس لمن افاء الله عليه فقسم الاخماس على ذلك فاجتمع على ذلك عمر وعلى وعمل به المسلمون بعد ذلك فبدأ بالمهاجرين ثم الانصار ثم التابعين الذين شهدوا معهم وأعانوهم ثم فرض الاعطية من الجزا على من صالح اودعا الى الصلح من جرابة فردّه عليهم بالمعروف وليس فى الجزا أخماس الجزا لمن منع الذمة ووفى لهم ممن ولى ذلك منهم ولمن لحق بهم

قوله وقال الضحاك الخ لاتخلو هذه العبارة عن نظر اه

فاعانهم

فأعانهم باسوة الآن يواسوا بفضله عن طيب انفس منهم من لم ينل مثل الذى نالوا وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال عمر رضى الله عنه انى مجند المسلمين على الاعطية ومدونهم ومتحرى الحق فقال عبد الرحمن بن عوف وعثمان وعلى رضى الله عنهم ابدأ بنفسك قال لا أبدأ الا بعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الاقرب فالاقرب منهم من رسول الله ففرض للعباس وبدأ به ثم فرض لاهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ثم فرض لمن بعد بدر الى الحديبية أربعة آلاف اربعة آلاف ثم فرض لمن بعد الحديبية الى أن اقلع ابو بكر رضى الله عنه عن اهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ودخل فى ذلك من شهد الفتح وقاتل عن أبى بكر ومن ولى الايام قبل القادسية كل هؤلاء على ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ثم فرض لاهل القادسية وأهل الشام اصحاب اليرموك ألفين ألفين وفرض لاهل البلاد النازح منهم ألفين وخمسمائة ألفين وخمسمائة فقيل له لو ألحقت أهل القادسية بأهل الايام فقال لم اكن لالحقهم بدرجة من لم يدركوا لاها الله اذن وقيل له قد سويتهم على بعد دارهم بمن قد قربت داره وقاتل عن فنائه فقال هم كانوا أحق بالزيادة لانهم كانوا ردء الحقوق وشجى للعدو وايم الله ما سويتهم حتى استطبتهم فهلا قال المهاجرون مثل قولهم حين سوينا بين السابقين من المهاجرين وبين الانصار وقد كانت نصرة الانصار بفنائهم وهاجر اليهم المهاجرون من بعد وفرض للروادف الذين ردفوا بعد افتتاح القادسية واليرموك بعد الفتح ثلثمائة ثلثمائة سوى كل طبقة فى العطاء ليس بينهم تفاضل قويهم وضعيفهم عربيهم واعجميهم فى طبقاتهم سواء حتى اذا حوى اهل الامصار من حووا من سباياهم وردفت المربع من الروادف فرض لهم على خمسين ومائتين وفرض لمن ردف من الروادف الخمس على مائتين فكان آخر من فرض له عمر رضى الله عنه اهل هجر على مائتين ومات عمر على ذلك وأدخل فى أهل بدر أربعة من غير اهل بدر الحسن والحسين وأباذر وسلمان وقال ابو سلمة فرض عمر للعباس على خمسة وعشرين ألفا وقال الزهرى على اثنى عشر ألفا وجعل نساء اهل بدر الى الحديبية على اربعمائة اربعمائة ونساء من بعد ذلك الى الايام قبل القادسية على ثلثمائة ثلثمائة ثم نساء اهل القادسية على مائتين مائتين ثم سوى بين النساء بعد ذلك وجعل للصبيان من اهل بدر وغيرهم مائة مائة ثم دعا ستين مسكينا فأطعمهم خبزا بملح فأحصوا ما اكلوه فوجدوه يخرج من جريبين ففرض لكل انسان يقوم بالامر له ولعياله جريبين جريبين فى كل شهر مسلمهم وكافرهم وفرض لازواج النبى صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف عشرة آلاف الا من جرى عليه البيع فقالت امهات المؤمنين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضلنا عليهن فى القسمة ولكن كان يسوى بيننا فسو بيننا فجعلهن على عشرة آلاف عشرة آلاف وفضل عائشة رضى الله عنها بألفين فأبت فقال لفضل منزلتك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا اخذتها فشأنك وكان الناس اعشارا فكانت العرفاء ثلاثة آلاف عريف كل عريف على عشرة ورزق الخيل على اعرافها فما زالوا كذلك حتى اختطت الكوفة والبصرة فغيرت العرفاء والاعشار وجعلت اسباعا وجعل مائة عريف على كل مائة ألف درهم عريف وكانت كل عرافة من القادسية خاصة ثلاثة واربعين رجلا وثلاثا واربعين امرأة وخمسين من العيال لهم مائة ألف درهم وكل عرافة من أهل الايام عشرين رجلا على ثلاثة آلاف وعشرين امرأة ولكل عيل مائة على مائة ألف درهم وكل عرافة من الرادفة الاولى ستين رجلا وستين امرأة واربعين من العيال ممن كان رجالهم الحقوا على ألف وخمسمائة على مائة ألف درهم وكان العطاء يدفع الى امراء الاسباع واصحاب الرايات والرايات على ايادى العرب فيدفعونه الى العرفاء والنقباء والامناء فيدفعونه الى أهله فى دورهم فمات عمر رضى الله عنه والامر على ذلك وقد عزم قبل موته أن يجعل العطاء اربعة آلاف اربعة آلاف وقال لقد هممت أن أجعل العطاء اربعة آلاف اربعة آلاف ألف يخلفها الرجل فى أهله وألف يتزودها معه فى سفره وألف يتجهز بها وألف يترفق بها فمات وهو فى ارتياد ذلك قبل أن يفعل وكان يقرى البعوث على قدر المسافة ان كان بعيدا فسنة وان كان دون ذلك فستة اشهر فاذا اخل الرجل بثغره نزعت عمامته واقيم فى مسجد حيه فقيل هذا فلان قد أخل وقال سيف بن عمر أول عطاء أخذ سنة خمس عشرة وكان عمرو بن العاص رضى الله عنه يبعث من مصر الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالجزية بعد حبس ما كان يحتاج اليه فلما استخلف عثمان رضى الله عنه لثلاث مضين من المحرم سنة اربع وعشرين زاد الناس مائة وكان اول من زاد ورفد أهل الامصار وهو اول من رفدهم وصنع فيهم الصنائع فاستن به الخلفاء فى الزيادة وكان عمر قد فرض لكل نفس منفوسة من اهل الفىء فى رمضان

درهما فى كل يوم وفرض لامهات المؤمنين درهمين فقيل له لو صنعت لهم به طعاما فجمعتهم عليه فقال اشبعوا الناس فى بيوتهم فأقر عثمان رضى الله عنه ذلك وزاد فوضع لهم طعام رمضان وقال هو للمتعبد الذى يتخلف فى المسجد ولابن السبيل وللمعترين بالناس فى رمضان فاقتدى به الخلفاء من بعده * وكان بمصر فى خلافة معاوية بن أبى سفيان اربعون ألفا وكان منهم اربعة آلاف فى مائتين مائتين وكان انما يحمل الى معاوية ستمائة ألف دينار عن فضل اعطيات الجند وما يصرف الى الناس وكان معاوية قد جعل على كل قبيلة من قبائل العرب بمصر رجلا يصبح كل يوم فيدور على المجالس فيقول هل ولد الليلة فيكم مولود وهل نزل بكم نازل فيقال ولد لفلان غلام ولفلان جارية فيكتب اسماءهم ويقال نزل بهم رجل من أهل كذا بعياله فيسميه وعياله فاذا فرغ من القبيل اتى الديوان حتى يثبت ذلك واعطى مسلمة بن مخلد الانصارى امير مصر اهل الديوان اعطياتهم واعطيات عيالهم وارزاقهم ونوائبهم ونوائب البلاد من الجسور وأرزاق الكتبة وحملان القمح الى الحجاز وبعث الى معاوية ستمائة الف دينار فضلا واول تدوين كان بمصر على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه ثم دون عبد العزيز بن مروان تدوينا ثانيا ودون قرة بن شريك التدوين الثالث ثم دون بشر بن صفوان تدوينا رابعا ثم لم يكن بعد تدوين بشر شئ له ذكر الا ما كان من الحاق قيس بالديوان فى خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان فلما انقرضت دولة بنى امية وغلبت المسودة بنو العباس احدثوا اشياء حتى اذا مات عبد الله المأمون بن هرون الرشيد لسبع خلون من رجب سنة ثمانى عشرة ومائتين وبويع اخوه المعتصم أبو اسحاق محمد بن هرون كتب الى كندر بن نصر الصفدى امير مصر يامره باسقاط من فى ديوان مصر من العرب وقطع العطاء عنهم ففعل ذلك وكان مروان بن محمد الجعدى آخر خلائف بنى أمية قطع عن أهل مصر العطاء سنة ثم كتب اليهم كتابا يعتذر فيه انى انما حبست عنكم العطاء فى السنة الماضية لعدو حضرنى فاحتجت الى المال وقد وجهت اليكم بعطاء السنة الماضية وعطاء هذه السنة فكلوه هنيأ مريأ وأعوذ بالله أن أكون أنا الذى يجرى الله قطع العطاء على يديه ولما قطع كندر عطاء أهل مصر خرج يحيى بن الوزير الجروى فى جمع من لخم وجذام وقال له هذا امر لا يقوم فينا افضل منه لانا منعنا حقنا وفيئنا فاجتمع اليه نحو خمسمائة رجل ومات كندر فى ربيع الآخر سنة تسع عشرة ومائتين وولى ابنه المظفر مصر من بعده فسار الى يحيى وقاتله فى بحيرة تنيس وأخذه اسيرا فانقرضت دولة العرب من مصر وصار جندها العجم والموالى من عهد المعتصم الى أن ولى الامير ابو العباس احمد ابن طولون مصر فاستكثر من العبيد وبلغت عدتهم زيادة على أربعة وعشرين ألف غلام تركى وأربعين ألف اسود وسبعة آلاف حر مرتزق ثم استجد ابنه الامير ابو الجيش خمارويه بعده عدة من شناترة حوف مصر فلما كانت امارة الامير ابى بكر محمد بن طغج الاخشيد على مصر بلغت عدة عساكره بمصر والشام اربعمائة ألف تشتمل على عدة طوائف ثم ان الاستاذ أبا المسك كافورا الاخشيدى استجد عدة من السودان فى ايام تحكمه بمصر فلما تغلب الامام المعز لدين الله ابو تميم معد الفاطمى على مصر صارت عساكرها ما بين كتامة وزويلة ونحوها من طوائف البربر وفيهم الروم والصقالبة وهم فى العدد كما قيل * ومنهم معد * ولم تكن جيوشه تعد * ولا لما اوتيه كان حد * من كل ما يسعد فيه جد * وحتى قيل انه لم يطأ الارض بعد جيش الاسكندر بن فيلبش المقدونى اكثر عددا من جيوش المعز فلما قام فى الخلافة بمصر من بعده ابنه العزيز بالله ابو منصور نزار استخدم الديلم والاتراك واختص بهم * وذكر الامير المختار عبد الملك المسبحى فى تاريخه أن خزانة الخاص حملها لما خرج العزيز الى الشام عشرون ألف جمل خارجا عن خزائن القواد واكابر الدولة * وذكر ابن ميسر فى تاريخه أن عبيد السيدة أم المستنصر بالله ابى تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله ابى الحسن على بن الحاكم بامر الله ابى على منصور بن العزيز بالله خاصة كانت عدتهم خمسين ألف عبد سوى طوائف العسكر ورأيت بخط الاسعد بن مماتى ان عدة الجيوش بمصر فى ايام رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك كانت أربعين ألف فارس وستة وثلاثين ألف راجل وزاد غيره وعشرة شوانى بحرية فيها عشرة آلاف مقاتل وهذا عند انقراض الدولة الفاطمية فلما زالت دولتهم على يد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب أزال جند مصر من العبيد السود والامراء المصريين والعربان والارمن وغيرهم واستجد عسكرا من الاكراد والاتراك خاصة وبلغت عدة عساكره بمصر اثنى عشر ألف فارس لا غير فلما مات افترقت من بعده ولم يبق بمصر مع ابنه الملك

العزيز

العزيز عثمان سوى ثمانية آلاف فارس وخمسمائة فارس الا أن فيهم من له عشرة اتباع وفيهم من له عشرون وفيهم من له اكثر من ذلك الى مائة تبع لرجل واحد من الجند فكانوا اذا ركبوا ظاهر القاهرة يزيدون على مائتي ألف ثم لم يزالوا فى افتراق واختلاف حتى زالت دولتهم بقيام عبيدهم المماليك الاتراك فخذوا واحذو مواليهم بنى ايوب واقتصروا على الاتراك دوشى من الاكراد واستجدوا من المماليك التى تجلب من بلاد الترك شيأ كثيرا حتى يقال ان عدة مماليك الملك المنصور قلاون كانت سبعة آلاف مملوك ويقال اثنى عشر ألفا وكانت عدة مماليك ولده الاشرف خليل بن قلاون اثنى عشر ألف مملوك ثم لم تبلغ بعد ذلك قريبا من هذا الى ان زالت دولة بنى قلاون فى شهر رمضان سنة اربع وثمانين وسبعمائة بالملك الظاهر برقوق فاخذ فى محو المماليك الاشرفية وانشأ لنفسه دولة من المماليك الجركسية بلغت عدتهم ما بين مشترى ومستخدم اربعة آلاف او تزيد قليلا فلما قام من بعده ابنه الناصر فرج افترقوا واختلفوا فلم يقتل حتى هلك كثير منهم بالقتل وغيره وعساكر مصر فى الدولة التركية على قسمين اجناد الحلقة والمماليك السلطانية واكثر ما كانت اجناد الحلقة فى ايام الناصر محمد بن قلاون فانها بلغت على ما رايته فى جرائد ديوان الجيش بأوراق الروك الناصرى اربعة وعشرين ألف فارس ثم ما زالت تنقص حتى صارت اليوم مع قلة عدتها سواء منها الالف والواحد فانها لا تنفع ولا تدفع واما المماليك فانها اليوم قليل عددها بحيث لو جمعت اجناد الحلقة مع المماليك السلطانية لا تكاد أن تبلغ خمسة آلاف فارس يصلح منها الان يباشر القتال ألف او دونها وهى اليوم قسمان اجناد الحلقة والمماليك السلطانية والمماليك السلطانية ثلاثة اقسام ظاهرية وناصرية ومؤيدية والمؤيدية ما بين حكمية ونوروزية ومن استجده المؤيد وانى خوفى لكثير أن يكون الحال بعد الملك المؤيد أبى النصر شيخ خلد الله ملكه يتلاشى الى أن يؤيد الله الملك بابنه الامير صارم الدين ابراهيم شد الله به ازره فانه فتح من البلاد الرومية ما لا ملكه أحد من ملوك مصر فى الدولة الاسلامية قبله * والشبل فى المخبر مثل الاسد * وابن السرى اذا سرى اسراهما * ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده * بأبه اقتدى عدى فى الكرم * ومن يشابه أبه فما ظلم * ان الاصول عليها ينبت الشجر * ثم لما ملك الاشرف برسباى صارت المماليك سبع طوائف ظاهرية وناصرية ومؤيدية ونوروزية وحكمية وططرية واشرفية كل طائفة منها مباينة لجميعها فلذلك اضمحلت شوكتهم وانكسرت حدتهم وأمنت على السلطان غائلتهم ولم يخف ثورتهم لتفرقهم وان كانوا مجتمعين وتباينهم وان كانوا فى الظاهر متفقين واعلم انه كانت عادة الخلفاء من بنى امية وبنى العباس والفاطميين من لدن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن تجبى اموال الخراج ثم تفرق من الديوان فى الامراء او العمال والاجناد على قدر رتبهم وبحسب مقاديرهم وكان يقال لذلك فى صدر الاسلام العطاء وما زال الامر على ذلك الى أن كانت دولة العجم فغير هذا الرسم وفرقت الاراضى اقطاعات على الجند واول من عرف انه فرق الاقطاعات على الجند نظام الملك ابو على الحسن بن على بن اسحاق بن العباس الطوسى وزير البرشلان ابن داود بن ميكال بن سلجوق ثم وزر ابنه ملكشاه بن البرشلان وذلك ان مملكته اتسعت فرأى أن يسلم الى كل مقطع قرية او اكثر او اقل على قدر اقطاعه لانه رأى ان فى تسليم الاراضى الى المقطعين عمارتها الاعتناء مقطعيها بأمرها بخلاف ما اذا شمل جميع اعمال المملكة ديوان واحد فان الخرق يتسع ويدخل الخلل فى البلاد ففعل نظام الملك ذلك وعمرت به البلاد وكثرت الغلات واقتدى بفعله من جاء بعده من الملوك من اعوام بضع وثمانين واربعمائة الى يومنا هذا وكانت الخلفاء ترزق من بيت المال فذكر عطاء بن السائب فى حديث ان أبا بكر رضى الله عنه لما استخلف فرض له كل يوم شطر شاة وما يكسى به الرأس والبطن وذكر عن حميد بن هلال انه فرض له بردان اذا اخلقهما وضعهما وأخذ مثلهما وظهره اذا سافر ونفقته على أهله كما كان ينفق قبل أن يستخلف وذكر ابن الاثير فى تاريخه ان الذى فرضوا له ستة آلاف درهم فى السنة وفرض لعمر بن الخطاب رضى الله عنه لما استخلف ما يصلحه ويصلح عياله بالمعروف وقال له على رضى الله عنه ليس لك غيره فقال القوم القول ما قال على يأخذ قوته وفرض عمر لمعوية بن ابى سفيان على عمله فى الشام عشرة الاف دينار فى السنة وقيل بل رزقه ألف دينار وهو اشبه

(ذكر القطائع والاقطاعات)

يقال اقتطع طائفة من الشئ اخذها والقطيعة ما اقتطعه منه وأقطعنى اياها اذن لى فى اقتطاعها واستقطعه اياها

سأله أن يقطعه اياها وأقطعه نهرا وأرضا اباح له ذلك وقد أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتألف على الاسلام قوما وأقطع الخلفاء من بعده من رأوا فى اقطاعه صلاحا * روى ابن ابى نجيح عن عمرو بن شعيب عن ابيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع أناسا من مزينة او جهينة ارضا فلم يعمروها فجاء قوم فعمروها فخاصمهم الجهنيون او المزنيون الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال عمر لو كانت منى اومن ابى بكر لرددتها ولكنها قطيعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال من كانت له ارض ثم تركها ثلاث سنين لا يعمرها فعمرها قوم آخرون فهم أحق بها * وقال هشام بن عروة عن أبيه اقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير أرضا فيها نخل من اموال بنى النضير وذكر انها ارض يقال لها الجرف * وذكر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أقطع العقيق أجمع الناس حتى جازت قطيعة عروة فقال ابن الزبير المستقطعون فند اليوم فان يك فيه خير فتحت قدمى قال خوات ابن جبير أقطعنيه فأقطعه اياه وقال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة اقطع أبابكر وأقطع عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وقال اشعث بن سوار عن حبيب بن أبى ثابت عن صلت المكى عن أبى رافع قال اعطى النبى صلى الله عليه وسلم قوما ارضا فعجزوا عن عمارتها فباعوها فى زمن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بثمانية آلاف دينار او بثمانمائة الف درهم فوضعوا اموالهم عند على بن أبى طالب رضى الله عنه فلما اخذوها وجدوها ناقصة فقالوا هذا ناقص قال احسبوا زكاته قال فحسبوا زكاته فوجدوه وافيا فقال احسبتم أن امسك مالا ولا ازكيه وقد سأل تميم الدارى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقطعه عيون البلد الذى كان منه بالشام قبل فتحه ففعل وسأله أبو ثعلبة الخشنى أن يقطعه ارضا كانت بيد الروم فأعجبه ذلك وقال ألا تسمعون ما يقول فقال والذى بعثك بالحق ليفتحن عليك فكتب له بذلك كتابا وقال ثابت بن سعد عن أبيه عن جده ان الابيض بن حمال استقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملح مارب فأقطعه فقال الاقرع بن حابس التميمى يارسول الله انى وردت هذا الملح فى الجاهلية وهو بأرض ليس فيها ملح من ورده أخذه وهو مثل الماء العذب بالارض فاستقال الابيض فقال قد أقلتك على أن تجعله منى صدقة فقال النبى صلى الله عليه وسلم هو منك صدقة وهو مثل الماء العذب من ورده اخذه وقال كثير بن عبد الله بن عوف المزنى عن أبيه عن جده اقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلال بن الحارث المعادن القبلية جلسيها وغوريها وقال مالك عن ربيعة عن قوم من علمائهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقطع بلال بن الحرث المزنى معادن بناحية الفرع * وعن ربيعة عن الحرث بن بلال عن أبيه بلال بن الحرث ان النبى صلى الله عليه وسلم اقطعه العقيق اجمع وعن حماد بن سلمة عن أبى مكين عن أبى عكرمة مولى بلال بن الحرث قال أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا ارضا فيها جبل معدن فباع بنو بلال عمر بن عبد العزيز ارضا منها فظهر فيها معدن او قال معدنان فقالوا انما بعناك ارض حرث ولم نبعك المعادن وجاؤا بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم لهم فى جريدة فقبلها عمر وفتح ومسح بها عينيه وقال لقيمه انظر ما خرج منها وما انفقت فقاصهم بالنفقة ورد عليهم الفضل واصطفى عمر بن الخطاب رضى الله عنه من ارض السواد أموال كسرى وأهل بيته وما هرب عنه اربابه او هلكوا فكان مبلغ غلته تسعة آلاف ألف درهم كان يصرفها فى مصالح المسلمين ولم يقطع شيأ منها ثم ان عثمان رضى الله عنه اقطعها لانه رأى اقطاعها اوفر لغلتها من تعطيلها وشرط على من اقطعها أن يأخذ منه حق الفىء فكان مبلغ غلته خمسين ألف ألف درهم فكان منها صلاته وعطاياه ثم تناقلها الخلفاء بعده فلما كان عام الجماجم سنة اثنتين وثمانين فى فتنة عبد الرحمن بن الاشعث احرق الديوان وأخذ كل قوم ما يليهم وأقطع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ابن سندر منية الاصبغ فحازها لنفسه ألف فدان وقال وكيع عن سفيان عن جابر الجعفى عن عامر لم يقطع ابو بكر ولا عمر ولا على رضى الله عنهم واول من اقطع القطائع عثمان رضى الله عنه وبيعت الارضون فى خلافة عثمان قال الليث بن سعد ولم يبلغنا ان عمر بن الخطاب اقطع أحدا من الناس شيأ من ارض مصر الا ابن سندر فانه اقطعه ارض منية الاصبغ فلم تزل له حتى مات فاشتراها الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان من ورثته فليس بمصر قطيعة اقدم منها ولا أفضل وقال الاعمش عن ابراهيم بن المهاجر عن موسى بن طلحة قال اقطع عثمان رضى الله عنه عبد الله بن مسعود النهرين وعمار بن ياسر اسنسا واقطع خبابا وصهيبا واقطع سعد بن أبى وقاص قرية هرمز وكان عبد الله ابن مسعود وسعد يعطيان ارضهما بالثلث والربع * وقال سيف بن عمر عن عمرو بن محمد عن عامر

قال

قال اقطع الزبير وخباب وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وابن هبار زمان عثمان فان يكن عثمان اخطأ فالذين قبلوا منه الخطأ اخطأوا وهم الذين اخذنا عنهم ديننا واقطع عمر بن الخطاب رضى الله عنه طلحة وجرير ابن عبد الله والربيل بن عمرو واقطع أبا مفرز دار النبل فى عدّة ممن أخذنا عنه وانما القطائع على وجه النفل من خمس ما أفاء الله وكتب عمر رضى الله عنه الى عثمان بن حنيف مع جرير بن عبد الله البجلى أما بعد فأقطع جرير ابن عبد الله قدر ما يقوّته لا وكس ولا شطط فكتب عثمان الى عمر ان جريرا اقدم علىّ بكتاب منك تقطعه ما يقوّته فكرهت أن أمضى ذلك حتى اراجعك فيه فكتب اليه صدق جرير فأنفذ ذلك وقد أحسنت فى مؤامرتى وأقطع أبو موسى الاشعرى وأقطع على بن أبى طالب رحبة كردوس بن هانى وأقطع سويد بن غفلة الجعفى قال سيف عن ثابت بن هريمة عن سويد بن غفلة قال استقطعت عليا فقال اكتب هذا ما أقطع على سويدا ارض الدوابة ما بين كذا الى كذا ما شاء الله وذكر أبو القسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ما اقطعه معاوية بن أبى سفيان ومن بعده من الخلفاء من دور مصر فلورد شيأ كثيرا * وقد كان خلفاء بنى امية وخلفاء بنى العباس يقطعون الاراضى من ارض مصر النفر من خواصهم لا كما هو الحال اليوم بل يكون مال خراج ارض مصر يصرف منه اعطية الجند وسائر الكلف ويحمل ما يفضل الى بيت المال وما اقطع من الاراضى فانه بيد من اقطعه وأما منذ كانت ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب الى يومنا هذا فان اراضى مصر كلها صارت تقطع للسلطان وأمرائه وأجناده * وارض مصر اليوم على سبعة اقسام قسم يجرى فى ديوان السلطان وهذا القسم ثلاثة اقسام منه ما يجرى فى ديوان الخاص ومنه ما يجرى فى الديوان المفرد وقسم من أراضى مصر قد اقطع للامراء والاجناد وقد ذكر تفصيل ذلك عند ذكر الروك الناصرى وقسم ثالث جعل وقفا محبسا على الجوامع والمدارس والخوانك وعلى جهات البر وعلى ذرارى واقفى تلك الاراضى وعتقائهم وقسم رابع يقال له الاحباس يجرى فيه اراض بأيدى قوم يأكلونها اماعن قيامهم بمصالح مسجد أو جامع واما تكون لهم لا فى مقابلة عمل * وقسم خامس قد صار ملكا يباع ويشترى ويورث ويوهب لكونه اشترى من بيت المال * وقسم سادس لا يزرع للعجز عن زراعته فترعاه المواشى او ينبت الحطب ونحوه * وقسم سابع لا يشمله ماء النيل فهو قفر وهذا القسم منه مالم يزل كذلك منذ عرفت احوال الخليقة ومنه ما كان عامرا فى الدهر الاول ثم خرب وسائر هذه الاقسام مذكورة اخبارها فى هذا الكتاب تجدها أن أنت تأمّلته ان شاء الله تعالى وقال أبو عبد الله القاسم بن سلام فى كتاب الاموال فى الكلام على حديث معمر عن عبد الله بن طاوس عن أبيه طاوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عادى الارض لله ولرسوله ثم هى لكم قلت ما معنى ذلك قال تكون اقطاعا هذا الخبر أصل فى الاقطاع والعادى كل ارض كان لها سكان فانقرضوا أى فصارت خرابا فان حكمها الى الامام قال وأما الارض التى جعلها النبى صلى الله عليه وسلم لبعض الناس وهى عامرة لها أهل فأعطاء الامام يكون على وجه النفل ومن ذلك ما أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم تميما الدارى فانه اعطاه ارضا بالشام من قبل أن يفتح الشام وقبل ان يملكها المسلمون فجعلها له نفلا من اموال أهل الحرب اذا ظهر عليهم كما فعل نائبه نفيلة لما وهبها الشيبانى قبل افتتاح الحيرة فامضاها له خالد بن الوليد رضى الله عنه وكذلك امضى عمر بن الخطاب رضى الله عنه لتميم الدارى لما فتحت فلسطين ما كان النبى صلى الله عليه وسلم نفله انتهى فقد خرج أبو عبد الله هذه العطية المعلقة مخرج النفل الذى ينفله الامام بعض المقاتلة * وقال أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى فى الاحكام السلطانية والاقطاع ضربان اقطاع استغلال واقطاع تمليك والثانى ينقسم الى موات وعامر والثانى ضربان أحدهما ما يتعين مالكه ولا نظر للسلطان فيه الا بتلك الارض فى حق لبيت المال اذا كانت فى دار الاسلام فان كانت فى دار الحرب حيث لم يثبت للمسلمين عليها يد فأراد الامام أن يقطعها ليملكها المقطع عند الظفر بها فانه يجوز فقد سأل تميم الدارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيه عيون البلد الذى كان منه قبل ان يفتح الشام ففعل وسأله أبو ثعلبة الخشنى أن يقطعه ارضا كانت بيد الروم فأعجبه ذلك وقال ألا تسمعون ما يقول هذا فقال والذى بعثك بالحق ليفتحن عليك فكتب له بذلك كذا قال الماوردى وهكذا لو استوهب أحد من الامام مالا فى دار الحرب وهو على ملك أهلها أو استوهبه شيأ من سبيها أو ذراريها ليكون احق به اذا فتحت جاز وصحت العطية منه مع الجهالة بها لتعلقها بالامور العامة * وقد روى الشعبى ان خزيمة بن اوس الطائى قال للنبى صلى الله عليه

وسلم ان فتح الله عليك الحيرة فأعطنى بنت نفيلة فلما أراد خالد صلح أهل الحيرة قال له خزيمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطانى بنت نفيلة فلا تدخلها فى صلحك فشهد له بشر بن سعد ومحمد بن مسلمة فاستثناها من الصلح ودفعها الى خزيمة فاشتريت بألف درهم وكانت عجزت وحالت عما عهد منها فقيل له قد ارخصتها وكان أهلها يدفعون لك اضعاف ماسألت فقال ما كنت اظن ان عددا يكون اكثر من ألف قال الماوردى واذا صح الاقطاع والتمليك على هذا الوجه نظر حال الفتح فان كان صلحا خلصت الارض لمقطعها وكانت خارجة عن حكم الصلح بالاقطاع السابق وان كان الفتح عنوة كان المقطع والمستوهب احق بما استقطعه واستوهبه من الغانمين ونظر فى الغانمين فان كانوا اعلموا بالاقطاع أو الهبة قبل الفتح فليس لهم المطالبة بعوض وان لم يعلموا حتى فتحوا عاوضهم الامام بمايستطيب نفوسهم من غير ذلك من الغنائم وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى لا يلزم الامام استطابة نفوسهم منه ولا من غيره من الغنائم اذا رأى المصلحة فى ذلك

(ذكر ديوان الخراج والاموال)

يقال لكتابة الخراج قلم التصريف وأول مادون هذا الديوان فى الاسلام بدمشق والعراق على ما كان عليه قبل الاسلام وكان ديوان الشام بالرومية وديوان العراق بالفارسية وديوان مصر بالقبطية فنقلت دواوين هذه الامصار الى العربية والذى نقل ديوان مصر من القبطية الى العربية عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر فى خلافة الوليد بن عبد الملك سنة سبع وثمانين ونسخها بالعربية وصرف اثناش عن الديوان وجعل عليه ابن يربوع الفزارى من أهل حمص وأول من نقل الدواوين من الفارسية الى العربية الوليد بن هشام بن مخزوم ابن سليمان بن ذكوان وتوفى سنة اثنتين وعشرين ومائتين والاكثرون على ان الذى نقل ديوان العراق الى العربية صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج وكان مولى لبنى سعد وهو يومئذ صاحب دواوين العراق وذلك بعد سنة ثمانين وسبب ذلك ان صالح بن عبد الرحمن هذا كان أبوه من سبى سجستان ومهر صالح فى الكتابة وكتب لزادان فروخ كاتب الحجاج بن يوسف الثقفى وخط بين يديه بالفارسية والعربية فخف على قلب الحجاج فخاف من زادان وقال له انت الذى رقيتنى حتى وصلت الى الامير واراه قد استخفنى ولا آمن أن يقدمنى عليك فتسقط منزلتك فقال زادان لا تظن ذلك هو أحوج الى منى اليه لانه لا يجد من يكفيه حسابه غيرى فقال صالح والله لو شئت ان احول الحساب الى العربية لحولته قال فحول منه اسطرا حتى أرى ففعل فقال له تمارض فتمارض فبعث اليه الحجاج بطبيبه فشق ذلك على زادان وأمره ان لا يظهر للحجاج فاتفق عقيب ذلك ان زادان قتل فى فتنة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وهو خارج من موضع كان فيه الى منزله فاستكتب الحجاج بعده صالحا فأعلم الحجاج بما جرى له مع زادان فى نقل الديوان فأعجبه ذلك وعزم عليه فى امضائه فنقله من الفارسية الى العربية وشق ذلك على الفرس وبذلوا له مائة ألف درهم على أن لا يظهر النقل فأبى عليهم فقال له مروان شاه بن زادان فروخ قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسية وكان عبد الحميد بن يحيى يقول لله در صالح ما اعظم منته على الكتاب وأما ديوان الشام فان الذى نقله من الرومية الى العربية أبو ثابت سليمان بن سعد كاتب الرسائل واختلف فى وقت نقله فقيل نقل فى خلافة عبد الملك بن مروان وقيل فى خلافة هشام بن عبد الملك وكان الذى يكتب على ديوان الشام سرجون بن منصور النصرانى فى أيام معاوية بن أبى سفيان ثم كتب بعده ابنه منصور ابن سرجون

(ذكر خراج مصر فى الاسلام)

اول من جبى خراج مصر فى الاسلام عمرو بن العاص رضى الله عنه فكانت جبايته اثنى عشر ألف ألف دينار بفريضة دينارين دينارين من كل رجل ثم جبى عبد الله بن سعد بن أبى سرح مصر أربعة عشر ألف ألف دينار فقال عثمان بن عفان رضى الله عنه لعمرو بن العاص يا أبا عبد الله درت اللقحة باكثر من درها الاول فقال اضررتم بولدها وهذا الذى جباه عمرو وثم عبد الله انما هو من الجماجم خاصة دون الخراج وانحط خراج مصر بعدهما لتمو الفساد مع الزمان وسريان الخراب فى اكثر الارض ووقوع الحروب فلم يجبها بنو امية وخلفاء بنى العباس الادون الثلاثة آلاف ألف ماخلا أيام هشام بن عبد الملك فانه وصى عبيد الله بن الحبحاب عامل مصر بالعمارة

فقال

فيقال انه لم يظهر من خراج مصر بعد تناقصه كثرة الا فى وقتين * أحدهما فى خلافة هشام بن عبد الملك عند ما ولى الخراج عبيد الله بن الحبحاب فخرج بنفسه ومسح العامر من أراضى مصر والغامر مما يركبه ماء النيل فوجد قانون ذلك ثلاثين ألف ألف فدان سوى ارتفاع الجرف ووسخ الارض فراكها كلها وعدّلها غاية التعديل فعقدت معه أربعة آلاف ألف دينار هذا والسعر راخ والبلد بغير مكس ولا ضريبة وفى سنة سبع ومائة لاوّل أيام هشام بن عبد الملك وظف ابن الحبحاب بمصر طبقات معلومة منسوبة فى الدواوين ولم تزل الى ما بعد ذهاب بنى امية ومبلغها ألف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار وثمانمائة وسبعة وثلاثون دينارا منها على كور الصعيد ألف ألف واربعمائة دينار وعشرون دينارا ونصف والباقى على كور اسفل الارض ويقال ان اسامة بن زيد جباها فى خلافة سليمان بن عبد الملك مبلغ اثنى عشر ألف ألف دينار * والوقت الثانى فى امارة أحمد بن طولون لما تسلم أرض مصر من أحمد بن محمد بن مدبر وقد خربت أرض مصر حتى بقى خراجها ثمانمائة ألف ألف دينار فاستقصى أحمد بن طولون فى العمارة وبالغ فيها فعقدت معه أربعة آلاف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار وجباها ابنه الامير أبو الجيش خمارويه بن أحمد اربعة آلاف ألف دينار مع رخاء الاسعار ايامئذ فانه ربما بيع فى الايام الطولونية القمح كل عشرة أرادب بدينار * وذكر ابن خرداديه ان خراج مصر فى ايام فرعون كان ستة وتسعين ألف ألف دينار وان ابن الحبحاب جباها الفى ألف وسبعمائة الف وثلاثة وعشرين الفا وثمانمائة وتسعة وثلاثين دينارا وهذا وهم منه فان هذا القدر هو ما حمله الى بيت المال بدمشق بعد أعطية أهل مصر وكلفها قال وحمل منها موسى بن عيسى الهاشمى ألفى ألف ومائة ألف وثمانين ألف دينار يعنى بعد العطاء والمؤن وسائر الكلف قال وكان خراج مصر اذا بلغ النيل سبع عشرة ذراعا وعشر اصابع أربعة آلاف ألف دينار ومائتى ألف وسبعة وخمسين ألف دينار والمقبوض عن الفدان دينارين فى خلافة المامون وغيره وبلغ خراج مصر فى أيام الامير أبى بكر محمد بن طغج الاخشيد الفى ألف دينار سوى ضياعه التى كانت ملكا له والاخشيد أوّل من عمل الرواتب بمصر وكان كاتبه ابن كلا قد عمل تقديرا بجز فيه المرتب عن الارتفاع مائتى ألف دينار فقال له الاخشيد كيف نعمل قال حط من الجرايات والارزاق فليس هؤلاء اولى من الواجب فقال غدا تجيئنى وندبر هذا فلما اتاه من الغد قال له الاخشيد قد فكرت فيما قلت فاذا اصحاب الرواتب الضعفاء وفيهم المستورون وأبناء النعم ولست آخذ هذا النقص الا منك فقال ابن كلا سبحان الله فقال تسبيحا وما زال به الاخشيد حتى أخذ خطه بالقيام بذلك فعوتب على ما صنعه فقال يا قوم اسمعوا ايش كان يعمل جاءه أحمد بن محمد بن الماردانى فقال له ما بينى وبين السلطان معاملة ولا للاخشيد علىّ طريق وهذه هدية عشرة آلاف دينار للاخشيد وألف دينار لك فجاءنى وقال لك قبل ابن الماردانى مطالبة فقلت لا فقال هذه ألف دينار قد جاءتك على وجه الماء فاعطانى ألفا وأخذ عشرة آلاف دينار واهدى الىّ محمد بن علىّ الماردانى فى وقت عشرين ألف دينار على يده فاستقللتها فلما اجتمعنا عاتبته فقال لى ارسلت اليك مائة ألف دينار ولابن كلا كاتبك عشرين ألف دينار فأخذ المائة واعطانى العشرين الفا فذكرت قول محمد بن علىّ له فقال ما ارد هذا حفظت لك المائة ألف لوقت حاجتك تريدها خذها وانا اعلم انك تتلفها * (وبلغت الرواتب) فى ايام كافور الاخشيدى خمسمائة ألف دينار فى السنة لارباب النعم والمستورين واجناس الناس ليس فيهم أحد من الجيش ولا من الحاشية ولا من المتصرّفين فى الاعمال فحسن له علىّ بن صالح الروذبادى الكاتب ان يوفر من مال الرواتب شيأ ينتقصه من ارزاق الناس فساعة جلس يعمل حكه جبينه فحكه بقلمه والحكاك يزيد به الى ان قطع العمل وقام لما به فعولج حينئذ بالحديد حتى مات فى رمضان سنة سبع وأربعين وثلثمائة وهذه موعظة من الله لمن توسط للناس بالسوء قال تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله * ولما مات كافور نزلت محن شديدة كثيرة بمصر من الغلاء والفناء والفتن فاتضع خراجها الى ان قدم جوهر القائد من بلاد المغرب بعساكر مولاه المعز لدين الله أبى تميم معدّ فجبى الخراج لسنة ثمان وخمسين وثلثمائة ثلاثة آلاف ألف دينار واربعمائة ألف دينار ونيفا وأمر الوزير الناصر للدين أبو الحسين عبد الرحمن اليازورى وزير مصر فى خلافة المستنصر بالله بن الظاهر ان يعمل قدر ارتفاع الدولة وما عليها من النفقات فعمل ارباب كل ديوان ارتفاعه وما عليه وسلم الجميع لمتولى ديوان المجلس وهو زمام الدواوين فنظم عليه عملا جامعا وأتاه به فوجد ارتفاع

الدولة ألفى ألف دينار منها الشام ألف الف دينار ونفقاته بازاء ارتفاعه والريف وباقى الدولة ألف ألف دينار * قال القاضى أبو الحسن فى كتاب المنهاج فى علم الخراج وقفت على مقايسة عملت لامير الجيوش بدر الجمالى حين قدم مصر فى ايام الخليفة المستنصر وغلب على امرها وقهر من كان بها من المفسدين شرح فيها ان الذى اشتمل عليه الارتفاع فى الهلالى لسنة ثلاث وثمانين واربعمائة وفى الخراجى على ما يقتضيه الديوان فيه مما كان جاريا فى الاعمال المصرية من الخراج وما يجرى معه والمضمون والمقطع والمورد بغيره والحلول بالقاهرة ومصر وضواحيهما وناحيتى الشرقية والغربية من أسفل الارض واعمالها وتنيس ودمياط واعمالهما والاسكندرية والبحيرة والاعمال الصعيدية العالية والدانية وواحات وعيذاب لسنة ثمانين واربعمائة الخراجية على الرسوم المصرية وما كان من الاعمال الشامية التى اولها من حد الشجرتين وهو أول الاعمال الفلسطينية والاعمال الطرابلسية ولسنة ثمان وسبعين وأربعمائة الخراجية على ما استقرت عليه الجملة عينا ثلاثة آلاف ألف ومائة ألف دينار وان الذى استقر عليه جملة ما كان يتأدى فى سنة ست وستين وأربعمائة الهلالية قبل نظر أمير الجيوش الموافقة لسنة ثلاث وستين واربعمائة الخراجية فكان مبلغها الفى ألف وثمانمائة ألف دينار وكان الزائد للسنة الجيوشية عما قبلها ثلثمائة ألف دينار مما اعرب عنه حسن العمارة وشمول العدل وكان نظم هذه المقايسة سنة ثلاث وثمانين واربعمائة * وذكر ابن ميسر ان الافضل بن أمير الجيوش أمر بعمل تقدير ارتفاع ديار مصر فجاء خمسة آلاف ألف دينار * وذكر القاضى الفاضل فى مياوماته ان عبرة البلاد من اسكندرية الى عيذاب لسنة خمس وثمانين وخمسمائة خارجا عن الثغور وارباب الاموال الديوانية وعدة نواح اربعة آلاف الف وستمائة الف وثلاثة وخمسين الفا وتسعة وعشرين دينارا ثم تقاصرت الى ان جباها القاضى الموفق أبو الكرم بن معصوم العاصمى التنيسى عينا خالصا الى بيت المال بعد المؤن والكلف ألف ألف دينار ومائتى ألف دينار الى آخر سنة اربعين وخمسمائة ثم بعده لم يجبها هذه الجباية أحد حتى انقرضت الدولة الفاطمية * وسبب اتضاع خراج مصر بعد ما بلغ مع الروم فى آخر سنة ملكوا قبل فتح مصر عشرين ألف ألف دينار أن الملوك لم تسمح نفوسهم بما كان ينفق فى كلف عمارة الارض فانها تحتاج ان ينفق عليها ما بين ربع متحصلها الى ثلثه وآخر ما اعتبر حال ارض مصر فوجد مدة حرثها ستين يوما ومساحة ارضها مائة ألف ألف وثمانين الف الف فدان يزرع منها فى مباشرة ابن مدبر أربعة وعشرون ألف ألف فدان وانه لا يتم خراجها حتى يكون فيها اربعمائة ألف وثمانون ألف حراث يلزمون العمل فيها دائما فاذا اقيم بها هذا القدر من العمال فى الارض تمت عمارتها وكمل خراجها وآخر ما كان بها مائة ألف وعشرون ألف مزارع فى الصعيد سبعون ألفا وفى أسفل الارض خمسون ألفا وقد تغير الآن جميع ما كان بها من الاوضاع القديمة واختلت اختلالا فاحشا

(ذكر اصناف اراضى مصر واقسام زراعتها)

اعلم ان اراضى مصر عدة اصناف اعلاها قيمة وأوفاها سعرا وأعلاها قطيعة الباق وهو أثر القرط والمقاثى فانه يصلح لزراعة القمح وبعد الباق رى الشراقى وهو الارض التى ظمئت فى الخالية فلما رويت فى الآتية وصارت مستريحة من الزرع وزرعت أنجب زرعها والبرايب وهو أثر القمح والشعير وسعرها دون الباق لضعف الارض بزراعة هذين الصنفين فتى زرعت على اثر أحدهما لم ينجب كنجابة الباق والبرايب صالح لزراعة القرط والقطانى والمقاثى فان الارض تستريح بزراعة هذه الاصناف وتصير فى القابل ارض باق والسقماهية اثر الكتان فان زرعت قمحا خسر والشتونية اثر مارى وبار فى السنة الماضية وهو دون الشراقى والسلايح ما روى وبار فحرث وتعطل وهو مثل رى الشراقى فان زرعه يكون ناجبا والنقا كل ارض خلت من اثر ما زرع فيها ولم يبق بها شاغل عن قبول ما يزرع فيها من اصناف الزراعات والوسخ كل ارض استحكم وسخها ولم يقدر الزراعون على ازاحته كله منها بل حرثوا وزرعوا فيها فجاء زرعها مختلطا بالحلفاء ونحوها والغالب كل ارض حصل فيها نبات شغلها عن قبول الزراعة ومنع كثرته من زراعتها وصارت مراعى والخرس كل ارض فسدت بما استحكم فيها من موانع قبول الزرع وكانت بها مراع وهو أشد من الوسخ الغالب واذا ادمن على ازالة ما فيها من الموانع تهيأ صلاحها والشراقى كل ارض لم يصل اليها الماء اما لقصور ماء النيل أو علو الارض أو سد طريق الماء عنها أو غير ذلك

والمستبحر

والمستبحر كل ارض وطيئة حصل بها الماء ولم يجد مصرفا حتى فات اوان الزرع وهو باق فى الارض والسباخ كل ارض غلب عليها الملح حتى ملحت ولم ينتفع بها فى زراعة الحبوب وربما زرعت مالم يستحكم السباخ فيها غير الحبوب كالهليون والباذنجان ويزرع فيها القصب الفارسى * ومما لا غنى لاراضى مصر عنه الجسور وهى على قسمين سلطانية وبلدية فالجسور السلطانية هى العامة النفع فى حفظ النيل على البلاد كافة الى حين يستغنى عنه ولها رسوم موظفة على الاعمال الشرقية والاعمال الغربية وكانت فى القديم تعمل من أموال النواحى ويتولى عملها مستقبلو الاراضى ويعتد لهم بما صرف عليها مما عليهم من قبالات الاراضى ثم صار بعد ذلك يستخرج برسم عملها من هذين العملين مال بايدى المستخدمين من الديوان ويصرف عليها ويفضل من المال بقية تحمل الى بيت المال ثم صار يتولى ذلك اعيان امراء الدولة الى أن حدثت الحوادث فى ايام الناصر فرج فصار يجبى من البلاد مال عظيم ولا يصرف منه شئ البتة بل يرفع الى السلطان ويتفرق كثير منه بايدى الاعوان ويسخر أهل البلاد فى عمل الجسور فيجيء الخلل كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى عند ذكر اسباب الخراب * وأما الجسور البلدية فانها عبارة عما يخص نفعها ناحية دون ناحية ويتولى اقامتها المقطعون والفلاحون من اصل مال الناحية ومحل الجسور السلطانية من القرى محل سور المدينة الذى يتعين على السلطان الاهتمام بعمارته وكفاية الرعية امره ومحل الجسور البلدية محل الدور التى من داخل السور فيلزم صاحب كل دار أن يصلحها ويزيل ضررها ومن العادة أن المقطع اذا انفصل وكان قد انفق شيأ من مال اقطاعه فى اقامة جسر لاجل عمارة السنة التى انتقل الاقطاع عنه فيها فان له أن يستعيد من المقطع الثانى نظير ما انفقه من مال سنته فى عمارة سنة غيره * واصلح مازرع القمح فى اثر الباق والشراقى وكان يزرع بالصعيد القمح على اثر القمح لكثرة الطرح وربما زرع هناك على اثر الكتان والشعير ويزرع القمح من نصف شهر بابه الى آخر هتور وهذا فى العوالى من الارض التى تخرج بدريا وأما البحائر المتأخرة فيمتد وقت الزرع فيها الى آخر كيهك ومقدار ما يحتاج اليه الفدان الواحد من بذر القمح يختلف بحسب قوة الارض وضعفها ورقتها وتوسطها وما يزرع فى اللوق وما يزرع فى الحرث واكثر البذر من اردب الى خمس ويبات وأربع ويبات أيضا ويوجد فى الصعيد اراض تحتمل دون هذا وفى حوف رمسيس اراض يكفى الفدان منها نحو الويبتين ويدرك الزرع بمصر فى بشنس وهو نيسان ويختلف ما يخرج من فدان القمح بحسب الاراضى فيرمى من اردبين الى عشرين اردبا وقال ابو بكر بن وحشية فى كتاب الفلاحة وذكر أن فى مصر اذا زرعوا يخرج من المد ثلثمائة مد والعلة فى ذلك حرارة هواء بلادهم مع سمن أرضهم وكثرة كدورة ماء النيل * ولما كان فى سنة ست وثمانمائة انحسر الماء عن قطعة أرض من بركة الفيوم التى يقال لها اليوم بحر يوسف فزرعت وجاء زرعها عجيبا رمى الفدان منها أحدا وسبعين اردبا من شعير بكيل الفيوم وأردبها تسع ويبات وكانت قطيعة فدان القمح ببلاد الصعيد فى ايام الفاطمية ثلاثة أرادب فلما مسحت البلاد فى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة تقرر على كل فدان اردبان ونصف ثم صار يؤخذ اردبان عن الفدان وأما أراضى اسفل الارض فيؤخذ عنها عين لا غلة * ويزرع الشعير فى أثر القمح وغيره فى الارض التى غرقت وهى رطبة ويتقدم زراعته على زراعة القمح بأيام وكذلك حصاده فانه يحصد قبل القمح ويحتاج الفدان منه أن يبذر فيه بحسب الارض ويخرج اكثر من القمح ويكون ادراكه فى برموده وهو أدار * ويزرع الفول فى الحرث اثر البرايب من اول شهر بابه ويؤكل وهو أخضر فى شهر كيهك ويحتاج الفدان من البذر منه الى ثلاث ويبات ونحوها ويدرك فى برموده ويتحصل من فدانه ما بين عشرين اردبا الى مادون ذلك * ويزرع العدس والحمص من هتور الى كيهك والجلبان لا يزرع الا فى أرق الاراضى حرثا من الارض العالية ويزرع تلويقا فى الاراضى الخرس ويبذر فى كل فدان من الحمص من اردب الى ثمان ويبات ومن الجلبان من اردب الى أربع ويبات ومن العدس من ويبتين الى مادونهما وتدرك هذه الاصناف فى برموده ويتحصل من فدان الحمص من أربعة ارادب الى عشرة ومن الجلبان من عشرة ارادب الى مادونها والعدس من عشرين اردبا فما دونها * وأنجب ما يكون الكتان اذا زرع فى البرش ويحتاج أن يسبخ بتراب سباخ وهو اذا طال رقد ويقلع قضبانا ويسمى حينئذ اسلافا وينشر فى موضعه حتى يجف فاذا جف حل وهدر وعزل جوزه فيخرج منه بزر الكتان ويستخرج منه الزيت

الحار ويزرع الكتان فى شهر هتور ويحتاج الفدان أن يبذر فيه من البزر ما بين اردب وثلث الى مادون ذلك ويدرك فى شهر برموده ويخرج من الفدان ما بين ثلاثين شدة الى مادون ذلك ومن البزر من ستة أرادب الى مادونها وكانت قطيعة الفدان منه فى القديم بأرض الصعيد من خمسة دنانير الى ثلاثة وفى دلاص ثلاثة عشر دينارا * وفيما عدا ذلك ثلاثة دنانير * ويزرع القرط عند أخذ ماء النيل فى النقصان ولا ينبغى تأخير زرعه الى أوان هبوب الريح الجنوبية التى يقال لها المريسية وأول ما يبذر فى شهر بابه وربما زرع بعد النوروز والحراثى منه يزرع فى كيهك وطوبه ويزرع أحيانا فى هتور ويبذر فى كل فدان من ويبتين ونصف الى ما حولها ويدرك الاخضر منه فى آخر شهر كيهك ويدرك الحراثى فى طوبه وأمشير ويتحصل من الفدان الحراثى ما بين اردبين الى أربع ويبات * ويزرع البصل والثوم من شهر هتور الى نصف كيهك ويبذر فى فدان البصل من نصف وربع ويبة الى ويبة والثوم من مائة حزمة الى مائة وخمسين حزمة ويدرك ذلك فى برموده والبصل الذى يخرج ليزرع زريعة فانه يزرع من اول كيهك الى العاشر من طوبه ويخرج من زريعته عشرة ارادب من الفدان ويدرك فى بشنس * ويزرع الترمس فى طوبه وزريعته لكل فدان اردب ويدرك فى برموده ويتحصل من الفدان ما بين عشرين اردبا الى مادونها وهذه هى الاصناف الشتوية * (وأما الاصناف الصيفية) فان البطيخ واللوبيا يزرعان من نصف برمهات الى نصف برموده * ويزرع فى الفدان قدحان ويدرك فى بشنس * ويزرع السمسم فى برموده وزريعته ربع ويبة للفدان ويدرك فى أبيب ومسرى ويتحصل من الفدان ما بين اردب الى ستة ارادب * ويزرع القطن فى برموده وزريعته أربع ويبات حب للفدان ويدرك فى توت فيخرج من الفدان من ثمانية قناطير بالجروى الى مادونها * ويزرع قصب السكر من نصف برمهات فى اثر الباق والبرش وتبرش ارضه سبع سكك وأنجبه ما تكامل له ثلاث عزقات قبل انقضاء شهر بشنس ومقدار زريعته ثمن فدان وما حوله لكل فدان ويحتاج القصب الى أرض جيدة دمثة قد شملها الرى وعلاها ماء النيل وقلع ما بها من الحلفاء ونظفت ثم برشت بالمقلقلات وهى محاريث كبار ستة وجوه وتجرف حتى تمهد ثم تبرش ستة وجوه اخرى وتجرف ومعنى البرش الحرث فاذا اصلحت الارض وطابت ونعمت وصارت ترابا ناعما وتساوت بالتجريف شقت حينئذ بالمقلقلات ويرمى فيها القصب قطعتين قطعة مثناة وقطعة مفردة بعد أن تجعل الارض أحواضا وتفرز لها جداول يصل الماء منها الى الاحواض ويكون طول كل قطعة من القصب ثلاثة أنابيب كوامل وبعض انبوبة من اعلى القطعة وبعض اخرى من أسفلها ويختار ما قصرت انابيبه وكثرت كعوبه من القصب ويقال لهذا الفعل النصب فاذا كمل نصب القصب اعيد التراب عليه ولا بد فى النصب أن تكون القطعة ملقاة لا قائمة ثم يسقى من حين نصبه فى اول فصل الربيع لكل سبعة ايام مرة فاذا نبت القصب وصار أوراقا ظاهرة نبتت معه الحلفاء والبقلة الحمقاء التى يسميها اهل مصر الرجلة فعند ذلك تعزق أرضه ومعنى العزاق أن تنكش أرض القصب وينظف ما نبت مع القصب ولا يزال يتعاهد ذلك حتى يغزر القصب ويقوى ويتكاثف فيقال عند ذلك طرد القصب عزاقه فانه لا يمكن عزاق الارض ولا يكون هذا حتى يبرز الانبوب منه ومجموع ما يسقى بالقادوس ثمانية وعشرون ماء والعادة أن الذى ينصب من الاقصاب على كل مجال بحرانى أى مجاور للبحر اذا كانت مزاحة الغلة بالابقار الجياد مع قرب رشا الآبار ثمانية أفدنة ويحتاج الى ثمانية ارؤس بقر فان كانت الآبار بعيدة عن مجرى النيل لا يمكن حينئذ أن يقوم المجال بأكثر من ستة أفدنة الى أربعة فاذا اطلع النيل وارتفع سقى القصب عند ذلك ماء الراحة وصفة ذلك أن يقطع عليه من جانب جسر يكون قد أدير عليه ليقيه من الغرق عند ارتفاع النيل بالزيادة فيدخل الماء من ثلمه فى ذلك الجسر حتى يعلو على أرض القصب نحو شبر ثم يسد عنه الماء حتى لا يصل اليه ويترك الماء فوق الارض قدر ساعتين أو ثلاث الى أن يسخن ثم يصرف من جانب آخر حتى ينضب كله ويجدد عليه ماء آخر كذلك فيتعاهد ما ذكرنا مرارا فى أيام متفرقة بقدر معلوم ثم يفطم بعد ذلك فاذا عمل ما قلناه وفى القصب حقه فان نقص عن ذلك حصل فيه الخلل ولا بد للقصب من القطران قبل أن يحلو حتى لا يسوس ويكسر القصب فى كيهك ولا بد من حرق آثار القصب بالنار ثم سقيه وعزقه كما تقدم فينبت قصبا يقال له الخلفة ويسمى الاول الرأس وقنود الخلفة أجود غالبا من قنود الرأس ووقت ادراك الرأس فى طوبه والخلفة فى نصف هتور وغاية ادارة معاصر القصب الى النوروز ويحصل من الفدان ما بين

أربعين ابلوجة قند الى ثمانين أبلوجة والابلوجة تسع قنطارا فما حوله * ويزرع القلقاس مع القصب ولكل فدان عشرة قناطير قلقاس جروية ويدرك فى هتور * ويزرع الباذنجان فى برمهات وبرموده وبشنس وبؤونة ويدرك من بؤونة الى مسرى * وتزرع النيلة من بشنس والزريعة للفدان ويبة ويدرك من أبيب * ويزرع الفجل طول السنة وزريعة الفدان من قدح واحد الى قدحين * ويزرع اللفت فى أبيب وزريعة الفدان قدح واحد ويدرك بعد أربعين يوما * ويزرع الخس فى طوبه شتلا ويؤكل بعد شهرين * ويزرع الكرنب فى توت شتلا ويدرك فى هتور * ويغرس الكرم فى امشير نقلا وتحويلا * ويغرس التين والتفاح فى أمشير * ويقلم التوت فى برمهات * ويغرس ويبل اللوز والخوخ والمشمش فى ماء طوبة ثلاثة ايام وهى قضبان ثم يغرس ويحوّل شجرها فى طوبة * ويزرع نوى التمر يتحول ودايا فينقل * ويدفن بصل النرجس فى مسرى * ويزرع الياسمين فى أيام النسىء وفى أمشير * ويزرع المرسين فى طوبه وامشير غرسا * ويزرع الريحان فى برموده * ويزرع حب المنثور فى أيام النيل * ويزرع الموز الشتوى فى طوبة والصيفى فى أمشير * ويحوّل الخيارشنبر فى برمهات * وتقلم الكروم على ريح الشمال الى ليال من برمهات حتى تخرج العين منها * وتقلم الاشجار فى طوبه وامشير الا السدر وهو شجر النبق فانه يقلم فى برموده * وتسقى الاشجار فى طوبة ماء واحدا ويسمونه ماء الحياة وتسقى فى أمشير ثانيا عند خروج الزهر وتسقى فى برمهات ماءين آخرين الى أن ينعقد الثمر وتسقى فى بشنس ثلاث مياه وتسقى فى بؤونة وأبيب ومسرى ماء فى كل سبعة أيام وتسقى فى توت وبابة مرّة واحدة تغريقا من ماء النيل وتسقى فى هتور من ماء النيل بتغريق المساطب ويسقى البعلى من الكروم فى هتور من ماء النيل مرّة واحدة تغريقا * وجميع أراضى مصر تقاس بالفدان وهو عبارة عن أربعمائة قصبة حاكمية طولا فى عرض قصبة واحدة والقصبة ستة اذرع وثلثا ذراع بذراع القماش وخمسة اذرع بذراع النجار تقريبا وقال القاضى ابو الحسن فى كتاب المنهاج خراج مصر قد ضرب على قصبة فى المساحة اصطلح عليها زرع المزارع على حكمها وتكسير الفدان اربعمائة قصبة لانه عشرون قصبة طولا فى عشرين قصبة عرضا وقصبة المساحة تعرف بالحاكمية وهى تقارب خمسة اذرع بالنجارى

(ذكر أقسام مال مصر)

اعلم أن مال مصر فى زمننا ينقسم قسمين أحدهما يقال له خراجى والآخر يقال له هلالى فالمال الخراجى مايؤخذ مسانهة من الاراضى التى تزرع حبوبا ونخلا وعنبا وفاكهة ومايؤخذ من الفلاحين هدية مثل الغنم والدجاج والكشك وغيره من طرف الريف * والمال الهلالى عدّة ابواب كلها أحدثها ولاة السوء شيأ بعد شئ وأصل ذلك فى الاسلام أن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بلغه أن تجارا من المسلمين يأتون أرض الهند فيأخذون منهم العشر فكتب الى ابى موسى الاشعرى وهو على البصرة أن خذ من كل تاجر يمرّ بك من المسلمين من كل مائتى درهم خمسة دراهم وخذ من كل تاجر من تجار العهد يعنى اهل الذمة من كل عشرين درهما درهما ومن تجار الحرب من كل عشرة دراهم درهما وقيل لابن عمر كان عمر يأخذ من المسلمين العشر قال لا ونهى عمر بن عبد العزيز عن ذلك وكتب ضعوا عن الناس هذه المكوس فليس بالمكس ولكنه البخس * وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتاه ناس من اهل الشام فقالوا أصبنا دواب وأموالا فخذ منها صدقة تطهرنا بها فقال كيف أفعل مالم يفعل من كان قبلى وشاور فقال على بن ابى طالب رضى الله عنه لا بأس به ان لم يأخذه من بعدك فأخذ عن العبد عشرة دراهم وكذلك عن الفرس وعن الهجين ثمانية وعن البرذون والبغل خمسة * واوّل من وضع على الحوانيت الخراج فى الاسلام أمير المؤمنين ابو عبد الله محمد بن ابى جعفر المنصور فى سنة سبع وستين ومائة وولى ذلك سعيد الحرسى * واوّل من احدث مالا سوى مال الخراج بمصر احمد بن محمد بن مدبر لما ولى خراج مصر بعد سنة خمسين ومائتين فانه كان من دهاة الناس وشياطين الكتاب فابتدع فى مصر بدعا صارت مستمرّة من بعده لاتنقض فأحاط بالنطرون وحجر عليه بعد ما كان مباحا لجميع الناس وقرّر على الكلأ الذى ترعاه البهائم مالا سماه المراعى وقرّر على مايطعم الله من البحر مالا وسماه المصايد الى غير ذلك فانقسم حينئذ مال مصر الى خراجى وهلالى وكان الهلالى يعرف فى زمنه وما بعده بالمرافق والمعاون فلما ولى الامير ابو العباس احمد بن طولون امارة مصر وأضاف اليه امير المؤمنين المعتمد على الله

الخراج والثغور الشامية رغب وتنزه عن أدناس المعاون والمرافق وكتب باسقاطها فى جميع أعماله وكانت تبلغ بمصر خاصة مائة ألف دينار فى كل سنة وله فى ذلك خبر فيه اكبر معتبر قد ذكرته عند ذكر أخبار الجامع الطولونى من هذا الكتاب ثم اعيدت الاموال الهلالية فى اثناء الدولة الفاطمية عند ما ضعفت وصارت تعرف بالمكوس فلما استبد السلطان الناصر صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن ايوب بملك مصر أمر باسقاط مكوس مصر والقاهرة فكتب عنه القاضى الفاضل مرسوما بذلك وكان جملة ذلك فى كل سنة مائة ألف دينار تفصيلها مكس البهار وعمالته ثلاثة وثلاثون ألفا وثلثمائة وأربعة وستون دينارا مكس البضائع والقوافل وعمالتها تسعة آلاف وثلثمائة وخمسون دينارا منفلت الصناعة عن مكس البز الوارد اليها والنحاس والقزدير والمرجان والفاضلات خمسة آلاف ومائة وثلاثة وتسعون دينارا الصادر عن الصناعة بمصر ستة آلاف وستمائة وستة وستون دينارا سمسرة التمر ثلثمائة دينار الفندق بالمنية عن مكس البضائع ثمانمائة دينار وستة وخمسون دينارا رسوم دار القند ثلاثة آلاف ومائة وثمانية دنانير رسوم الخشب الطويل والملح ستمائة وستة وسبعون دينارا رسوم العلب المنسوبة الى بلبيس والبورى مائة دينار رسوم التفتيش بالصناعة عن البهار وغيره مائتان وسبعة عشر دينارا خمة أرمنت عن الوارد اليها سبعة وستون دينارا فندق القطن ألفا دينار سوق الغنم بالقاهرة ومصر والسمسرة وعبور الاغنام بالجيزة ثلاثة آلاف وثلثمائة واحد عشر دينارا عبور الاغنام والكتان والابقار بباب القنطرة ألف ومائتا دينار واجب ما ورد من الكتان الحطب الى الصناعة مائتا دينار رسوم واجب الغلات كالحبوب الواردة الى الصناعة والمقس والمنية والجسر والتبانين ومفالت جزيرة الذهب وطموه ومنبر الدرج ستة آلاف دينار مكس ما يرد الى الصناعة من الاغنام ستة وثلاثون دينارا الاغنام البيتوتية اثنا عشر دينارا العرصة والسرسناوى بالجيزة ومكس الاغنام مائة وتسعون دينارا منفلت الفيوم عما يرد من الكتان من القبلة ومن البضائع الواردة من الفيوم وغيره أربعة آلاف ومائة وستون دينارا مكس الورق المجلوب الى الصناعة ورسم التفتيش مائتا دينار الحصة بساحل الغلة والاقوات والرسائل سبعمائة وثمانية وستون دينارا دار التفاح والرطب بمصر والعرصة بالقاهرة ألف وسبعمائة دينار رسم ابن المليجى مائتا دينار دار الجبن ألف دينار مشارفة الخزائن مائتان وأربعون دينارا واجب الحلى الوارد من الوجه البحرى والقطن ألف وعشرون دينارا رسم سمسرة الصفا ألف ومائتا دينار منفلت الصعيد مائة وأحد وستون دينارا خاتم الشرب والديبقى ألف وخمسمائة دينار مكس الصوف مائتا دينار نصف الموردة بساحل المقس أربعة عشر دينارا دكة السمسار ثلثمائة وخمسون دينارا منفلت العريف بالصناعة وحملة البهار والبضائع مائتان وستة عشر دينارا الحلفاء الواردة من القبلة مائة وخمسة وثلاثون دينارا الوقد والسرقين والطم بدار التفاح ومنفلت القبلة بالتبانين والجسر خمسة وثلاثون دينارا رسوم الصفا والحراء ورسوم دار الكتان ستون دينارا حماية الغلات بالمقس ودار الجبن مائة وأربعون دينار الحلفاء الواردة على الجسر ومعدية المقياس مائة دينار خمس البرنية بالجيزة عشرون دينارا تل التعريف بالصناعة ثمانية وعشرون دينارا منفلت الغلات بمعدية جزيرة الذهب عشرة دنانير رسوم الحمام بساحل الغلة خمسمائة وأربعة وثلاثون دينارا واجب الحناء الواردة فى البر ثمانمائة دينار واجب الحلفاء والقصاب ثلاثة وستون دينارا مكس ما يرد من البضائع الى المنية مائة وأربعة وثمانون دينارا مسلخة شطنوف والبرانية مائتا دينار سوق السكر بين خمسون دينارا رسوم خمة الجملى بالشارع وسوق وردان تسعة عشر دينارا واجب الفحم الوارد الى القاهرة عشرة دنانير معدية الجسر بالجيزة مائة وعشرون دينارا خمة البقرى أربعون دينارا الخمة بدار الدباغة تسعة عشر دينارا سمسرة الجبس الجيوشى ثلثمائة واثنا عشر دينارا دكان الدهن ومعصرة الشيرج والخل بالقاهرة خمسمائة دينار الخل الحامض وما معه أربعمائة دينار بيوت الغزل والمصطبة ثلثمائة وخمسون دينارا ذبائح الابقار ألف دينار سوق السمك بالقاهرة ومصر ألف ومائتا دينار رسوم الدلالة ثلثمائة دينار سمسرة الكتان ثلثمائة دينار رسوم حماية الصناعتين أربعمائة دينار مربعة العسل مائتان واثنان وثلاثون دينارا معادى جزيرة الذهب وغيرها ثلثمائة دينار خاتم الشمع بالقاهرة ثلاثة وستون دينارا زريبة الذبيحة سبعمائة دينار معدية المقياس وانبابة مائتا دينار حمولة السلجم ثلثمائة وثلاثون دينارا دكة الدباغ ثمانمائة دينار سوق الرقيق خمسمائة دينار معمل الطبرى

مائتان

مائتان وأربعون دينارا سوق منبوبة مائة وأربعة وستون دينارا ذبائح الضأن بالجيزة ورسوم ساحل السنط عشرة دنانير نخ السمك خمسة دنانير تنور الشوى مائة دينار نصف الرطل من مطابخ السكر مائة وخمسة وثلاثون دينارا سوق الدواب بالقاهرة ومصر أربعمائة دينار سوق الجمال مائتان وخمسون دينارا قبان الحناء ثلاثون دينارا واجب طاقات الادم ستة وثلاثون دينارا منفلت الحمام بالشاشين ثلاثة وثلاثون دينارا انولة القصار أربعون دينارا بيوت الفروج ثلاثون دينارا الشعر والطارات أربعة دنانير رسوم الصبغ والحرير ثمانمائة وأربعة وثلاثون دينارا وزن الطفل مائة وأربعون دينارا معمل المزر أربعة وثمانون دينارا الفاخور بمصر والقاهرة مائتان وستة وثلاثون دينارا * وذكر ابن ابى طى أن الذى أسقطه السلطان صلاح الدين والذى سامح به لعدة سنين آخرها سنة أربع وستين وخمسمائة مبلغه عن نيف ألف ألف دينار وألفى ألف اردب سامح بذلك وأبطله من الدواوين وأسقطه عن المعاملين فلما ولى السلطان الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف أعاد المكوس وزاد فى شناعتها قال القاضى الفاضل فى متجددات سنة تسعين وخمسمائة وكان قد تتابع فى شعبان اهل مصر والقاهرة فى اظهار المنكرات وترك الانكار لها واباحة اهل الامر والنهى لها وتفاحش الامر فيها الى أن غلا سعر العنب لكثرة من يعصره واقيمت طاحون بحارة المحمودية لطحن حشيش المزر وافردت برسمه وحميت بيوت المزر واقيمت عليها الضرائب الثقيلة فمنها ما انتهى أمره فى كل يوم الى ستة عشر دينارا ومنع المزر البيوتى ليتوفر الشراء من البيوت المحمية وحملت اوانى الخمر على رؤس الاشهاد وفى الاسواق من غير منكر وظهر من عاجل عقوبة الله عز وجل وقوف زيادة النيل عن معتادها وزيادة سعر الغلة فى وقت ميسورها * وقال فى متجددات سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وآل الامر الى وقوف وظيفة الدار العزيزية من خبز ولحم الى أن يحمل فى بعض الاوقات لا كلها البعض ما يتبلغ به من خبز وكثر ضجيجهم وشكواهم فلم يسمع ووقف الحال فيما ينفق فى دار السلطان وفيما يصرف الى عياله وفيما يقتات به اولاده وما يغصب من أربابه وأفضى هذا الى غلاء الاسعار فان المتعيشين من ارباب الدكاكين يزيدون فى أسعار المأكولات العامة بمقدار ما يؤخذ منهم للدار السلطانية فأفضى ذلك الى النظر فى المكاسب الخبيثة وضمن المزر والخمر باثنى عشر ألف دينار وفسح فى اظهار منكره والاعلان به والبيع له فى القاعات والحوانيت مع قرب استهلال رجب وما استطاع احد من العامة الانكار لا باليد ولا باللسان وصار هذا السحت مما ينفرد السلطان به لنفقته وطعامه وانتقل مال الثغور ومال الجوالى الحل الطيب الى أن يصير حوالات لمن لا يبالى من اين أخذ المال ولا يفرق بين الحرام والحلال وفى شهر رمضان غلا سعر الاعناب لكثرة العصير منها وتظاهر به أربابه لتحكير تضمينه السلطانى واستيفاء رسمه بأيدى مستخدميه وبلغ ضمانه سبعة عشر الف دينار وحصل منه شئ حمل اليه فبلغنى أنه صنع به آلات الشراب ذهبيات وفضيات وكثر اجتماع النساء والرجال فى شهر رمضان لاسيما على الخليج لما فتح وعلى مصر لما زاد الماء وتلقى فيه النيل بمعاص نسأل الله أن لا يؤاخذنا بها وأن لا يعاقبنا عليها بجراءة أهلها * وقال جامع السيرة التركية ولما استقل الملك المعز عز الدين أيبك التركمانى الصالحى بمملكة مصر فى سنة خمسين وستمائة بعد انقراض دولة بنى ايوب استوزر شخصا من نظار الدواوين يعرف بشرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزى احد كتاب الاقباط وكان قد أظهر الاسلام من ايام الملك الكامل وترقى فى خدمة الكتابة فقرر فى وزارته اموالا على التجار وذوى اليسار وأرباب العقار ورتب مكوسا وضمانات سموها حقوقا ومعاملات ولما ولى الملك المظفر سيف الدين قطز مملكة مصر بعد خلعه الملك المنصور على بن المعز أيبك احدث عند سفره الذى قتل فيه مظالم كثيرة لاجل جمع المال وصرفه فى الحركة لقتال جموع التتر منها تصقيع الاملاك وتقويمها وزكاتها وأحدث على كل انسان دينارا يؤخذ منه وأخذ ثلث التركات الاهلية فبلغ ذلك ستمائة الف دينار فى كل سنة فلما قتل قطز وجلس الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بعده على سرير الملك بقلعة الجبل ابطل ذلك جميعه وكتب به مساميح قرئت على المنابر ثم أبطل ضمان المزر وجهاته فى سنة اثنتين وستين وستمائة وكتب وهو بالشام الى الامير عز الدين الحلى نائب السلطنة بمصر أن يبطل بيوت المزر ويعفى آثاره ويخرب بيوته ويكسر مواعينه ويسقط ارتفاعه من الديوان فان بعض الصالحين تحدث معى فى ذلك وقال القمح الذى جعله الله تعالى قوتا للعالم يداس بالارجل وقد تقربت الى الله تعالى بابطاله ومن ترك شيأ لله عوضه

خيرا منه ومن كان له على هذه الجهة شئ يعوّضه الله من المال الحلال فأبطل الحلى ذلك وعوّض المقطعين عليه بدله وفي سنة ثلاث وستين أبطل حراسة النهار بالقاهرة ومصر وكانت جملة مستكثرة وكتب بذلك توقيعا وأبطل من أعمال الدقهلية والمرتاحية عن رسوم الولاية أربعة وعشرين ألف دينار وفي خامس عشرى شهر رمضان سنة اثنتين وستين وستمائة قرئ بجامع مصر مكتوب بابطال ماقرّر على رسوم ولاية مصر من الرسوم وهي مائة ألف درهم مصرية فبطل ذلك وابطل ضمان الحشيش من دياره مصر كلها في سنة خمس وستين وستمائة وأمر باراقة الخمور وابطال المنكرات وتعفية بيوت المسكرات ومنع الخانات والخواطئ بجميع اقطار مملكة مصر والشام فطهرت من ذلك البقاع ولما وردت المراسيم بذلك على القاضى ناصر الدين احمد بن المنير قال

ليس لابليس عندنا أرب * غير بلاد الامير مأواه
حرمته الخمر والحشيش معا * حرمتا ماؤه ومرعاه

وقال الاديب الفاضل ابو الحسين الجزار

قد عطل الكوب من حبابه * واخلى الثغر من رضابه
وأصبح الشيخ وهو يبكى * على الذى فات من شبابه

وفي تاسع جمادى الآخرة سنة ست وستين وستمائة أمر الملك الظاهر بيبرس باراقة الخمور وابطال الفساد ومنع النساء الخواطئ من التعرض للبغاء من جميع القاهرة ومصر وسائر الاعمال المصرية فتطهرت أرض مصر من هذا المنكر ونهبت الخانات التي كانت معدة لذلك وسلب اهلها جميع ما كان لهم ونفي بعضهم وحبست النساء حتى يتزوجن وكتب الى جميع البلاد بمثل ذلك وحط المال المقرر على البغايا من الديوان وعوّض الحاشية من جهات حل بنظيره وفي سابع عشر ذى الحجة سنة تسع وستين وستمائة اريقت الخمور وأبطل ضمانها وكان كل يوم ألف دينار وكتب توقيع بذلك قرئ على المنابر وافتتح سنة سبعين باراقة الخمور والتشدد في ازالة المنكرات وكان يوما مشهودا بالقاهرة وبلغه في سنة اربع وسبعين عن الطواشي شجاع الدين عنبر المعروف بصدر الباز وكان قد تمكن منه تمكنا كثيرا أنه يشرب الخمر فشنقه تحت قلعة الجبل * ولما ولى الملك المنصور سيف الدين قلاون الالفى مملكة مصر أبطل زكاة الدولة وهو ما كان يؤخذ من الرجل عن زكاة ماله أبدا ولو عدم منه واذا مات يؤخذ من ورثته وابطل ما كان يجبى من اهل اقليم مصر كله اذا حضر مبشر بفتح حصن او نحوه فيؤخذ من الناس بالقاهرة ومصر على قدر طبقاتهم ويجتمع من ذلك مال كثير وأبطل ما كان يجبى من اهل الذمة وهو دينار سوى الجالية برسم نفقة الاجناد في كل سنة وأبطل مقرّر جباية الدينار من التجار عند سفر العسكر والغزاة وكان يؤخذ من جميع تجار القاهرة ومصر من كل تاجر دينار وابطل ما كان يجبى عند وفاء النيل مما يعمل به شوى وحلوى وفاكهة في المقياس وجعل مصرف ذلك من بيت المال وأبطل اشياء كثيرة من هذا النمط * وابطل الملك الناصر محمد بن قلاون عدة جهات قد ذكرت في الروك الناصرى وآخر ما ادركنا ابطاله ضمان الاغانى وضمان القراريط في سنة ثمان وسبعين وسبعمائة على يد الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون * فأما ضمان الاغانى فكان بلاء عظيما وهو عبارة عن أخذ مال من النساء البغايا فلو خرجت اجل امرأة في مصر تريد البغاء حتى نزلت اسمها عند الضامنة وقامت بما يلزمها لما قدر أكبر أهل مصر على منعها من عمل الفاحشة وكان على النساء اذا تنفسن او عرّس امرأة او خضبت امرأة يدها بحناء او أراد أحد أن يعمل فرحا لا بدّ من مال يتقرر تأخذه الضامنة ومن فعل فرحا بأغان او نفس امرأته من غير اذن الضامنة حل به بلاء لا يوصف * وأما ضمان القراريط فانه كان يؤخذ من كل من باع ملكا عن كل الف درهم عشرون درهما وكان متحصل هاتين الجهتين مالا كثيرا جدّا * وأبطل الملك الظاهر برقوق ما كان يؤخذ من اهل البرلس وشورى وبلطيم شبه الجالية في كل سنة ستين الف درهم وأبطل ما كان على القمح من مكس يؤخذ من الفقراء بثغر دمياط ممن يبتاع من اردبين فما دونهما وأبطل ما كان يؤخذ مكسا من معمل الفروج بالنحريرية والاعمال الغربية وأبطل ما كان يؤخذ تقدمة لمن يسرح الى العباسة من الخيل والجمال والغنم وغير ذلك وأبطل ما كان يؤخذ على الدريس والحلفاء بباب النصر خارج القاهرة وأبطل ضمان الاغانى بمنية ابن خصيب بأعمال الاشمونين وبزفتا بالاعمال الغربية

وابطل

وأبطل الابقار التي كانت ترمى بالوجه البحرى عند فراغ الجسور وأبطل الامير يلبغا السالمي لما ولى استادار السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق في سنة احدى وثمانمائة تعريف الغلال بمنية ابن خصيب وضمان العرصة بها وأخصاص الغسالين وكانت من المظالم القبيحة وأبطل من القاهرة ضمان بحيرة البقر ثم اعاده القبط من بعده * وقد بقيت الى الآن من المكوس بقايا أخبرنى الامير الوزير المشير الاستادار يلبغا السالمي في ايام وزارته أن جهات المكوس بديار مصر تبلغ في كل يوم بضعا وسبعين ألف درهم وانه اعتبرها فلم يجدها تصرف في شئ من مصالح الدولة بل انما هي منافع للقبط وحواشيهم وكان قد عزم على ابطال المكوس فلم يمهل * (والمال الهلالى) عبارة عما يستأدى مشاهرة كأجر الاملاك المسقفة من الآدر والحوانيت والحمامات والافران والطواحين وعداد الغنم والجهة الهوائية المضمونة والمحلولة وعد بعض الكتاب احكار البيوت وريع البساتين التي تستخرج اجرها مشاهرة ومصايد السمك ومعاصر الشيرج والزيت في المال الهلالى * ومن اصطلاح كتاب مصر القدماء أن تورد جزية اهل الذمة من اليهود والنصارى قلما واحدا مستقلا بذاته بعد الهلالى وقبل الخراجى وذلك انها تستأدى مسانهة وكانوا يرون وجوبها مشاهرة وفائدته فيمن أسلم اومات أثناء الحول فانهم كانوا يلزمونه بقدر ما مضى من السنة قبل اسلامه أو وفاته فلذلك أوردت فيما بين الهلالى والخراجى * وكانوا في الاقطاعات الجيشية يجرونها مجرى المال الهلالى عند خروج اقطاع من يقطع ودخول آخر على ذلك الاقطاع فانها كانت تستخرج على حكم الشهور الهلالية لا الشمسية بحيث لو تحلها مقطع في غرة السنة على العادة في ذلك وخرج الاقطاع عنه في اثناء السنة بوفاة أو نقلة الى غيره استحق منها نظير ما مضى من شهور السنة الى حين انتقال الاقطاع عنه لا على حكم ما استحق من المغل ويستحق المتصل من استقبال تاريخ منشوره كعادة النقود والمتخلل بينهما من المدة مستحق ذلك الديوان فيرد من جملة المحلولات من الاقطاعات وكان من ابواب الهلالى جهات تسمى المعاملات وهي الزكاة والمواريث والثغور والمتجر والشب والنطرون والجبس الجيوشى ودار الضرب ودار العيار والجاموس وأبقار الجيس والاغنام والغروس والبساتين والاحكار والرباع والمراكب وما يستأدى من الذمة غير الجوالى وساحل السنط والخراج والقرظ ومقرر الجسور وموظف الاتبان ومقرر القصب ومقرر البريد ومقرر البسط وعشر العرق وغير ذلك من جهات المكوس فأما الجزية وتعرف في زمننا بالجوالى فانها تستخرج سلفا وتعجيلا في غرة السنة وكان يتحصل منها مال كثير فيما مضى * قال القاضى الفاضل في متجددات الحوادث الذى انعقد عليه ارتفاع الجوالى لسنة سبع وثمانين وخمسمائة مائة الف وثلاثون الف دينار وأما في وقتنا هذا فان الجوالى قلت جدا لكثرة اظهار النصارى للاسلام في الحوادث التي مرت بهم ولما استبد السلطان الملك المؤيد شيخ بملك مصر بعد الخليفة العباس بن محمد امير المؤمنين المستعين بالله ولى رجلا لجباية الجوالى فكثر الاستقصاء عن الذمة والكد في الاستخراج منهم فبلغت الجوالى في سنة ست عشرة وثمانمائة احد عشر الف دينار وأربعمائة دينار سوى ما غرم للاعوان وهو قدر كثير * وأما المراعى وهو الكلأ المطلق المباح الذى أنبته الله تعالى لرعى دواب بنى آدم فأول من ادخلها الديوان بمصر احمد بن مدبر لما ولى الخراج وصيرلذلك ديوانا وعاملا جلدا يحظر على الناس أن يتبايعوا المراعى أو يشتروها الامن جهته وادركنا المراعى ببلاد الصعيد مما يضاف الى الاقطاعات فيأخذ الامير ممن يرعى دوابه في أرض بلده الكتيح في كل سنة مالا عن كل رأس فيجبى من صاحب الماشية بعدد أنعامه فلما اختل امر الصعيد في الحوادث الكائنة منذ سنة ست وثمانمائة تلاشى الامر في ذلك وكانت العادة القديمة أن يندب للمراعى مشد وشهود وكاتب فيعدون المواشى ويستخرجون من اربابها عن كل رأس شيأ ولا يكون ذلك الا بعد هبوط النيل ونبات الكلأ واستهلاكه للمرعى * وأما المصايد فهى ما اطعم الله سبحانه وتعالى من صيد البحر وأول من ادخلها الديوان أيضا ابن مدبر وصيرلها ديوانا واحتشم من ذكر المصايد وشناعة القول فيها فأمر أن يكتب في الديوان خراج مضارب الاوتاد ومغارس الشباك فاستمر ذلك وكان يندب لمباشرتها مشد وشهود وكاتب الى عدة جهات مثل خليج الاسكندرية وبحيرة الاسكندرية وبحيرة نسترو وثغر دمياط وجنادل ثغر اسوان وغير ذلك من البرك والبحيرات فيخرجون عند هبوط النيل ورجوع الماء من المزارع الى بحر النيل بعد ما تكون افواه الترع قد سكرت وأبواب القناطر قد سدت عند انتهاء زيادة النيل كيما يتراجع

الماء ويتكاثف مما يلي المزارع ثم تنصب شباك وتصرف المياه فيأتي السمك وقد اندفع مع الماء الجاري فتصده الشباك عن الانحدار مع الماء ويجتمع فيها فيخرج الى البر ويوضع على الخاخ ويملح ويوضع فى الامطار فاذا استوى بيع وقيل له الملوحة والصير ولا يكون ذلك الا فيما كان من السمك فى قدر الاصبع فما دونه ويسمون هذا الصنف اذا كان طريا البسارية فتؤكل مشوية ومقلية ويصاد من بحيرة نسترو وبحيرة تنيس وبحيرة الاسكندرية اسماك تعرف بالبورى وقيل لها ذلك لانها كانت تصاد عند قرية من قرى تنيس يقال لها بورة وقد خربت والنسبة اليها البورى ونسب اليها جماعة من الناس منهم بنو البورى وقيل لهذا السمك البورى اضافة الى القرية المذكورة وقد بطل فى زمننا اليوم أمر هذه المصايد الا من بحيرة نسترو بالبراس وبحيرة تنيس بدمياط فقط وهاتان البحيرتان تجريان فى ديوان الخاص وهما مضمنتان وما يخرج منهما من البورى وغيره من انواع السمك فللسلطان لا يقدر أحد أن يتعرض لصيد شئ منه الا أن يكون من صياديهما القائمين بالضمان وما عدا هاتين البحيرتين من البرك والاملاق والخلجان فليست للسلطان وأما بحيرة اسكندرية فقد جفت وثغر اسوان فقد خرج عن يد السلطنة وتغلب عليه اولاد الكفرة وثم برك بأيدى اقوام كبركة الفيل بيد أولاد الملك الظاهر بيبرس وبركة الرطلي بيد أولاد الامير بكتمر الحاجب وغير ذلك فان أسماكها مضمنة لهم يبيعونها ومع ذلك لا يمنع أحد الصيد منها * وأما بحر النيل فما صيد منه يحمل الى دار السمك بالقاهرة فيباع ويؤخذ منه مكس السلطان الا أن الامير جمال الدين يوسف الاستادار زاد فيما كان يؤخذ من الصيادين مكسا ومن حينئذ قل السمك بالقاهرة وغلا سعره وقال ابو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس فى تاريخ مصر ان صنما كان بالاسكندرية يقال له شراحيل على حشفة من حشاف البحر مستقبلا باصبع من كفه قسطنطينية لا يدرى اكان مما عمله سليمان النبى ام عمله الاسكندر فكانت الحيتان تدور بالاسكندرية وتصاد عنده فيما زعموا قال زيد ابن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم اخبرنى ابى عن ابيه انه انبطح على بطنه ومد يديه ورجليه فكان طوله طول قدم الصنم فكتب رجل يقال له أسامة بن زيد كان عاملا على مصر للوليد بن عبد الملك امير المؤمنين ان عندنا بالاسكندرية صنما يقال له شراحيل من نحاس وقد غلت علينا الفلوس فان رأى أمير المؤمنين أن ينزله ويضربه فلوسا فعل وان رأى غير ذلك فليكتب الى من امره فكتب اليه لا تنزله حتى أبعث اليك ضمناء يحضرونه فبعث اليه رجالا امناء حتى انزل من الحشفة فوجدوا عينيه ياقوتتين حمراوين ليس لهما قيمة فضربه فلوسا فانطلقت الحيتان فلم ترجع الى ماهنالك * وأما الزكاة فان السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب اول من جباها بمصر قال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة ثالث عشر ربيع الآخر فرقت الزكوات بعد ما جمعت على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والغارمين بعد أن رفع الى بيت المال السهام الاربعة وهى سهام العاملين والمؤلفة وفى سبيل الله وفى الرقاب وقررت لهم فريضة واستودى على الاموال والبضائع وعلى ما يقرر عليه من المواشى والنخل والخضراوات قال والذى انعقد عليه ارتفاع الجوالى لسنة سبع وثمانين وخمسمائة ثلاثون ألف دينار والزائد فى معاملة الزكاة ودار الضرب لسنتى ست وسبع وثمانين وخمسمائة احد وعشرون ألف دينار وثمانمائة وأحد وستون دينارا وقال فى سنة ثمان وثمانين واستخدم ابن حمدان فى ديوان الزكاة وكتب خطه بما مبلغه اثنان وخمسون الف دينار لسنة واحدة من مال الزكاة وجعل الطواشى قراغش الشاد فى هذا المال وأن لا يتصرف فيه بل يكون فى صندوق مودعا للمهمات التى يؤمر بها ولما قدم ابن عنين الشاعر من عند الملك العزيز سيف الاسلام طغتكين بن نجم الدين ايوب بن شادى ملك اليمن الى مصر وقد أجزل صلته عندما وفد عليه وفارقه وقد أثرى ثراء كثيرا قبض ارباب ديوان الزكاة بمصر على ما قدم به من المتجر وطالبوه بزكاة ما معه وكان ذلك فى ايام الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شادى فقال

ما كل من يتسمى بالعزيز لها * أهل ولا كل برق سحبه غدقه
بين العزيزين فرق فى فعالهما * هذا يعطى وهذا يأخذ الصدقة

ثم ان العزيز كشف عما يستأدى من الزكاة فانه انتهى اليه فيها اقوال شنيعة منها انه أخذ من رجل فقير يبيع الملح فى قفة على رأسه زكاة عما فى القفة وأنه بيع جمل بخمسة دنانير ذهب فأخذ زكاتها خمسة دراهم فأمر بتفويض

امرها

امرها الى ارباب الاموال ومن وجب عليه حق ثم لما كانت سلطنة الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل ابى بكر بن أيوب اخرج من زكاة الاموال التى كانت تجبى من الناس سهمى الفقراء والمساكين وأمر بصرفهما فى مصارفهما الشرعية ورتب من جملة هذين السهمين معاليم للفقهاء والصلحاء واهل الخير تجرى عليهم فاستحسن ذلك من فعله وحمله الى ديوان الزكاة قبل منه ومن لم يحمل لايتعرض اليه فبخل الاغنياء بزكاة اموالهم حتى تضرر الفقراء والمساكين وأخذ السعاة يبذلون فى ضمانها الاموال لتعود الى ما كانت عليه فولى النظر فى ديوان الزكاة القاضى الاسعد شرف الدين ابو المكارم أسعد بن مهذب بن مماتى فاستخرج الزكاة من أربابها ثم ضمنت بمال كثير وعاد الامر فيها الى ما كان عليه من العسف والجور وكانت أعوان متولى الزكاة تخرج الى منية ابن خصيب واخميم وقوص لكشف أحوال المسافرين من التجار والحجاج وغيرهم فيبحثون عن جميع مامعهم ويدخلون أيديهم اوساط الرجال خشية أن يكون معهم مال ويحلفون الجميع بالايمان الحرجة على ما بأيديهم وما عندهم غيرما وجدوه وتقوم طائفة من مردة هذه الاعوان وبأيديهم المسال الطوال ذوات الانصبة فيصعدون الى المراكب ويجسون بمسالهم جميع مافيها من الاحمال والغرائر مخافة أن يكون فيها شئ من بضاعة اومال فيبالغون فى البحث والاستقصاء بحيث يقبح ويستشنع فعلهم ويقف الحجاج بين يدى هؤلاء الاعوان مواقف خزى ومهانة لما يصدر منهم عند تفتيش اوساطهم وغرائر أزوادهم ويحل بهم من العسف وسوء المعاملة مالا يوصف وكذلك يفعل فى جميع أرض مصر منذ عهد السلطان صلاح الدين ابن أيوب * وأما الثغور فهى دمياط وتنيس ورشيد وعيذاب واسوان والاسكندرية وهى أعظمها قدرا فانه كان فيها عدة جهات منها الخمس والمتجر فالخمس مايستأدى من تجار الروم الواردين فى البحر عما معهم من البضائع للمتجر بمقتضى ماصولحوا عليه وربما بلغ مايستخرج منهم ماقيمته مائة دينار ومائتان وخمسة وثلاثون دينارا وربما انحط عن عشرين دينارا ويسمى كلاهما خمسا ومن أجناس الروم من يؤخذ منهم العشر ولذلك ضرائب مقررة وقال القاضى الفاضل والحاصل من خمس الاسكندرية فى سنة سبع وثمانين وخمسمائة ثمانية وعشرون ألف دينار وستمائة وثلاثة عشر دينارا والمتجر عبارة عما يبتاع للديوان من بضائع تدعو اليها الحاجة ويقتضيه طلب الفائدة * قال جامع سيرة الوزير اليازورى وقصر النيل بمصر فى سنة أربع وأربعين وأربعمائة ولم يكن فى مخازن الغلات شئ فاشتدت المسغبة بمصر وكان لخلو المخازن سبب أوجب ذلك وهو أن الوزير الناصر للدين لما اضيف اليه القضاء فى أيام ابى البركات الوزير كان يبتاع للسلطان فى كل سنة غلة بمائة ألف درهم ويجعل متجرا فمثل القاضى بحضرة الخليفة المستنصر بالله وعرفه أن المتجر الذى يقام بالغلة فيه أوفى مضرة على المسلمين وربما انحط السعر عن مشتراها فلا يمكن بيعها فتعفن فى المخازن وتتلف وانه يقيم متجرا لا كلفة فيه على الناس ويفيد اضعاف فائدة الغلة ولا يخشى عليه من تغيره فى المخازن ولا انحطاط سعره وهو الخشب والصابون والحديد والرصاص والعسل وما أشبه ذلك فأمضى السلطان له مارآه واستمر ذلك ودام الرخاء على الناس فوسعوا فيه مدة سنين ثم عمل الملوك بعد ذلك ديوانا للمتجر وآخر من عمله الظاهر برقوق * وأما الشب فان معادنه بالصعيد وكانت عادة الديوان الانفاق فى تحصيل القنطار منه بالليثى يبلغ ثلاثين درهما وكانت العربان تحضره من معادنه الى ساحل اخميم وسيوط والبهنسا ليحمل الى الاسكندرية ايام النيل فى الخليج ويشترى بالقنطار الليثى ويباع بالقنطار الجروى فيباع منه على تجار الروم قدر اثنى عشر ألف قنطار بالجروى بسعر أربعة دنانير كل قنطار الى ستة دنانير ويباع منه بمصر على اللبوديين والصباغين نحو الثمانين قنطارا بالجروى سعر ستة دنانير ونصف القنطار ولا يقدر أحد على ابتياعه من العربان ولا غيرهم فان عثر على أحد أنه اشترى منه شيأ أوباعه سوى الديوان نكل به واستهلك ماوجد معه منه وقد بطل هذا * (وأما النطرون) فيوجد فى البر الغربى من أرض مصر بناحية الطرانة وهو أحمر وأخضر ويوجد منه بالفاقوسة شئ دون مايوجد فى الطرانة وهو أيضا مما حظر عليه ابن مدبر من الاشياء التى كانت مباحة وجعله فى ديوان السلطان وكان من بعده على ذلك الى اليوم وقد كان الرسم فيه بالديوان أن يحمل منه فى كل سنة عشرة آلاف قنطار ويعطى الضمان منها فى كل سنة قدر ثلاثين قنطارا يتسلمونها من الطرانة فتباع فى مصر بالقنطار المصرى وفى بحر الشرق والصعيد بالجروى وفى دمياط بالليثى قال القاضى الفاضل وباب النطرون كان مضمونا الى آخر سنة

خمس وثمانين وخمسمائة بمبلغ خمسة عشر ألفا وخمسمائة دينار وحصل منه فى سنة ست وثمانين مبلغ سبعة آلاف وثمانمائة دينار وأدركنا النطرون اقطاعا لعدّة أجناد * فلما تولى الامير محمود بن على الاستادارية وصار مدبر الدولة فى أيام الظاهر برقوق حاز النطرون وجعل له مكانا لا يباع فى غيره وهو الى الآن على ذلك * (وأما الحبس الجيوشى) فكان فى البرّين الشرقىّ والغربىّ ففى الشرقىّ بهتين والاميرية والمنية وكانت تسجل هذه النواحى بعين وفى الغربىّ سفط ونهيا ووسيم وهذه النواحى حبسها أمير الجيوش بدر الجمالى على عقبه هى والبساتين ظاهر باب الفتوح فلما مات وطال العهد استأجرها الوزراء بأجرة يسيرة طلبا للفائدة ثم ادخلت فى الديوان قال ابن المأمون فى تاريخه وجميع البساتين المختصة بالورثة الجيوشية مع البلاد التى لهم لم تزل فى مدّة ايام الوزير المأمون البطائحى بأيديهم لم تخرج عنهم بضمان ولا بغيره فلما توفى الخليفة الآمر بأحكام الله وجلس ابو علىّ بن الافضل بن امير الجيوش فى الوزارة أعاد الجميع الى الملاك لكون نصيبه فى ذلك الاوفر فلما قتل واستبدّ الخليفة الحافظ لدين الله امر بالقبض على جميع الاملاك وحلّ الاحباس المختصة بأمير الجيوش فلم يزل يأنس به لانه غلام الافضل والوزير فى ذلك الوقت وعز الملك غلام الاوحد بن امير الجيوش يتلطفان ويراجعان الخليفة مع الكتب التى أظهرها الورثة وعليها خطوط الخلفاء الى أن أبقاها عليهم ولم يخرجها عنهم ثم ارتفعت الحوطة عنها فى سنة سبع وعشرين وخمسمائة للديوان الحافظىّ ولما خدم الخطير والمرتضى فى سنة احدى وثلاثين وخمسمائة فى وزارة رضوان بن ولخشى أعاد البساتين خاصة دون البلاد على الورثة بحكم ما آل أمرها اليه من الاختلال ونقص الارتفاع ولما انقرض عقب أمير الجيوش ولم يبق منه سوى امرأة كبيرة أفتى فقهاء ذلك العصر ببطلان الحبس فقبضت النواحى وصارت من جملة الاموال السلطانية فمنها ماهو اليوم فى الديوان السلطانىّ ومنها ما صار وقفا ورزقا أحباسية وغير ذلك * (وأما دار الضرب) فكان بالقاهرة دار الضرب وبالاسكندرية دار الضرب وبقوص دار الضرب ولا يتولى عيار دار الضرب الا قاضى القضاة أو من يستخلفه ثم رذلت فى زمننا حتى صار يليها مسالمة فسقة اليهود المصريين على الفسق مع ادّعائهم الاسلام وكان يجتهد فى خلاص الذهب وتحرير عياره الى أن افسد الناصر فرج ذلك بعمل الدنانير الناصرية فجاءت غير خالصة وكانت بمصر المعاملة بالورق فأبطلها الملك الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب فى سنة بضع وعشرين وضرب الدرهم المدوّر الذى يقال له الكاملىّ وجعل فيه من النحاس قدر الثلث ومن الفضة الثلثين ولم يزل يضرب بالقاهرة الى أن اكثر الامير محمود الاستادار من ضرب الفلوس بالقاهرة والاسكندرية فبطلت الدراهم من مصر وصارت معاملة اهلها الى اليوم بالفلوس وبها يقوّم الذهب وسائر المبيعات وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى عند ذكر اسباب خراب مصر وكانت دار الضرب يحصل منها للسلطان مال كثير فقلّ فى زماننا لقلة الاموال ودار الضرب اليوم جارية فى ديوان الخاص * (وأما دار العيار) فكانت مكانا يحتاط فيه للرعية وتصلح موازينهم ومكاييلهم به ويحصل منها السلطان مال وجعلها السلطان صلاح الدين من جملة اوقاف سور القاهرة وقد ذكرت فى خطط القاهرة من هذا الكتاب * (وأما الاحكار) فانها اجرة مقرّرة على ساحات بمصر والقاهرة فمنها ما صار دورا للسكنى ومنها ما انشئ بساتين وكانت تلك الاجر من جملة الاموال السلطانية وقد بطل ذلك من ديوان السلطان وصارت احكار مصر والقاهرة وما بينهما اوقافا على جهات متعدّدة * (وأما الغروس) فكانت فى الغربية فقط عدّة أراض يؤخذ منها شبه الحكر عن كل فدان مقرّر معلوم وقد بطل ذلك من الديوان * (وأما مقرّر الجسور) فكان على كل ناحية تقرير بعدّة قطع معلومة يجبى منها عن كل قطعة عشرة دنانير لتصرف فى عمل الجسور فيفضل منها مال كثير يحمل الى بيت المال وقد بطل هذا أيضا وجدّد الناصر فرج على الجسور حوادث قد ذكرت فى اسباب الخراب * (وأما موظف الاتبان) فكان جميع تبن أرض مصر على ثلاثة أقسام قسم للديوان وقسم للمقطع وقسم للفلاح فيجبى التبن على هذا الحكم من سائر الاقاليم ويؤخذ فى التبن عن كل مائة حمل أربعة دنانير وسدس دينار فيحصل من ذلك مال كثير وقد بطل هذا أيضا من الديوان * (وأما الخراج) فانه كان فى البهنساوية وسفط ريشين والاشمونين والاسيوطية والاخميمية والقوصية اشجار لا تحصى من سنط لها حرّاس يحمونها حتى يعمل منها مراكب الاسطول فلا يقطع منها الا ما تدعو الحاجة اليه وكان فيها ما تبلغ قيمة العود الواحد منه مائة دينار * وكان يستخرج من هذه النواحى مال يقال له رسم

الخراج

الخراج ويحتج فى جبايته بانه نظير ما تقطعه اهل النواحى وتنتفع به من اخشاب السنط فى عمائرها ومقرّر آخر كان يجبى منهم يعرف بمقرّر السنط فيصرف من هذا المقرّر أجرة قطع الخشب وحزه بضريبة عن كل مائة حمل دينار وعلى المستخدمين فى ذلك أن لا يقطعوا من السنط ما يصلح لعمل مراكب الاسطول لكنهم انما يقطعون الاطراف التى ينتفع بها فى الوقود فقط ويقال لهذا الذى يقطع حطب النار فيباع على التجار منه كل مائة حمل بأربعة دنانير ويكتب على ايديهم زنة ما بيع عليهم فاذا وردت المراكب بالحطب الى ساحل مصر اعتبرت عليهم وقوبل ما فيها بما عين فى الرسالة الواردة واستخرج الثمن على ما فى الرسالة وكانت العادة أنه لا يباع مما فى البهنسا الا ما فضل عن احتياج المصالح السلطانية وقد بطل هذا جميعه واستولت الايدى على تلك الاشجار فلم يبق منها شئ البتة ونسى هذا من الديوان *(وأما القرظ) فانه ثمر شجر السنط وكان لا يتصرّف فيه الا الديوان ومتى وجد منه مع أحد شئ اشتراه من غير الديوان نكل به واستهلك ما وجد معه منه فاذا اجتمع مال القرظ أقيم منه مراكب تباع ويؤخذ من ثمنها الربع عند ما تصل الى ساحل مصر بعد ما تقوّم أو ينادى عليها وكان فيها حيف كبير وقد بطل ذلك * (وأما ما يستأدى من اهل الذمّة) فانه كان يؤخذ منهم عما يردونه ويصدرونه معهم من البضائع فى مصر والاسكندرية واخميم خاصة دون بقية البلاد ضرائب مقرّرة فى الديوان وقد بطل ذلك أيضا *(وأما مقرّر الجاموس ومقرّر بقر الخيس ومقرّر الاغنام) فانه كان للسلطان من هذه الاصناف شئ كثير جدا فيؤخذ من الجاموس للدايون على كل رأس من الراتب فى نظير ما يتحصل منه فى كل سنة من خمسة دنانير الى ثلاثة دنانير ومن اللاحق بحق النصف من الراتب وأقل ما تنتج كل مائة خمسون الى غير ذلك من ضرائب مقرّرة على الجاموس وعلى أبقار الخيس وعلى الغنم البيض والغنم الشعارى وعلى النحل وقد بطل ذلك جميعه لقلة مال السلطان واعراضه عن العمارة وأسبابها وتعاطى أسباب الخراب *(وأما المواريث) فانها فى الدولة الفاطمية لم تكن كما هى اليوم من أجل أنّ مذهبهم توريث ذوى الارحام وأنّ البنت اذا انفردت استحقت المال بأجمعه فلما انقضت أيامهم واستولت الايوبية ثم الدولة التركية صار من جملة اموال السلطان مال المواريث الحشرية وهى التى يستحقها بيت المال عند عدم الوارث فتعدل فيها الوزارة مرّة وتظلم اخرى (وأما المكوس) فقد تقدّم حدوثها وما كان من الملوك فيها والذى بقى منها الى الآن بديار مصر يلى أمره الوزير وفى الحقيقة انما هو نفع للاقباط يتخوّلون فيه بغير حق وقد تضاعفت المكوس فى زمننا عما كنا نعهده منذ عهد تحدّث الامير جمال الدين يوسف الاستادار فى الاموال السلطانية كما ذكر فى اسباب الخراب *(وأما البراطيل) وهى الاموال التى تؤخذ من ولاة البلاد ومحتسبيها وقضاتها وعمالها فأوّل من عمل ذلك بمصر الصالح بن رزيك فى ولاة النواحى فقط ثم بطل وعمل فى ايام العزيز بن صلاح الدين أحيانا وعمله الامير شيخون فى الولاة فقط ثم أفحش فيه الظاهر برقوق كما يأتى فى أسباب الخراب (وأما الحمايات والمستأجرات) فشئ حدث فى أيام الناصر فرج وصار لذلك ديوان ومباشرون وعمل مثل ذلك الامراء وهو من أعظم اسباب الخراب كما يذكر فى موضعه ان شاء الله تعالى

(ذكر الاهرام)

اعلم أنّ الاهرام كانت بأرض مصر كثيرة جدا منها بناحية بوصير شئ كثير بعضها كبار وبعضها صغار وبعضها طين ولبن واكثرها حجر وبعضها مدرج واكثرها مخروط املس وقد كان منها بالجيزة تجاه مدينة مصر عدّة كثيرة كلها صغار هدمت فى ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب على يد قراقوش وبنى بها قلعة الجبل والسور المحيط بالقاهرة ومصر والقناطر التى بالجيزة وأعظم الاهرام الثلاثة التى هى اليوم قائمة تجاه مصر وقد اختلف الناس فى وقت بنائها واسم بانيها والسبب فى بنائها وقالوا فى ذلك اقوالا متباينة اكثرها غير صحيح وسأقص عليك من نبأ ذلك ما يشفى ويكفى ان شاء الله تعالى * قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب فى أخبار مصر وعجائبها فى اخبار سوريد بن سهلوق بن سرياق بن تومدون بن بدرسان بن هوصال أحد ملوك مصر قبل الطوفان الذين كانوا يسكنون فى مدينة أمسوس الآتى ذكرها عند ذكر مدائن مصر من هذا الكتاب وهو الذى بنى الهرمين العظيمين بمصر المنسوبين الى شدّاد بن عاد والقبط تنكر أن تكون العادية دخلت بلادهم لقوّة سحرهم وسبب بناء الهرمين أنه كان قبل الطوفان بثلثمائة سنة قد رأى سوريد فى منامه

كأنّ الارض انقلبت بأهلها وكأنّ الناس قد هربوا على وجوههم وكأنّ الكواكب تتساقط ويصدم بعضها بعضا بأصوات هائلة فغمه ذلك ولم يذكره لاحد وعلم أنه سيحدث في العالم أمر عظيم ثم رأى بعد ذلك بايام كأن الكواكب الثابتة نزلت الى الارض في صور طيور بيض وكأنها تختطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين وكأن الجبلين قد انطبقا عليهم وكأن الكواكب المنيرة مظلمة مكسوفة فانتبه مرعوبا مذعورا ودخل الى هيكل الشمس وتضرّع ومرّغ خدّيه على التراب وبكى فلما اصبح جمع رؤساء الكهنة من جميع أعمال مصر وكانوا مائة وثلاثين كاهنا فخلا بهم وحدّثهم ما رآه اوّلا وآخرا فأوّلوه بأمر عظيم يحدث في العالم فقال عظيم الكهان ويقال له اقليمون انّ أحلام الملوك لا تجرى على محال لعظم أقدارهم وأنا أخبر الملك برؤيا رأيتها منذ سنة ولم اذكرها لاحد من الناس رأيت كأني قاعد مع الملك على وسط المنار الذى بامسوس وكأنّ الفلك قد انحط من موضعه حتى قارب رؤسنا وكان علينا كالقبة المحيطة بنا وكأن الملك قد رفع يديه نحو السماء وكواكبها قد خالطتها في صور شتى مختلفة الاشكال وكأنّ الناس قد جفلوا الى قصر الملك وهم يستغيثون به وكأنّ الملك قد رفع يديه حتى بلغتا رأسه وامرني أن افعل كما فعل ونحن على وجل شديد اذ رأينا منها موضعا قد انفتح وخرج منه نور مضيء وطلعت علينا منه الشمس وكأنا استغثنا بالشمس فخاطبتنا ان الفلك سيعود الى موضعه فانتبهت مرعوبا ثم نمت فرأيت كأن مدينة أمسوس قد انقلبت بأهلها والاصنام تهوى على رؤسها وكأن اناسا نزلوا من السماء بأيديهم مقامع من حديد يضربون الناس بها فقلت لهم ولم تفعلون بالناس كذا قالوا لانهم كفروا بالههم قلت فما بقى لهم من خلاص قالوا نعم من أراد الخلاص فليلحق بصاحب السفينة فانتبهت مرعوبا فقال الملك خذوا الارتفاع للكواكب وانظروا هل من حادث فبلغوا غايتهم في استقصاء ذلك وأخبروا بأمر الطوفان وبعده بالنار التى تخرج من برج الاسد تحرق العالم فقال الملك انظروا هل تلحق هذه الآفة بلادنا فقالوا نعم تاتى في الطوفان على أكثره ويلحقه خراب يقيم عدّة سنين قال فانظروا هل يعود عامرا كما كان او يبقى مغمورا بالماء دائما قالوا بل تعود البلاد كما كانت وتعمر قال ثم ماذا قالوا يقصدها ملك يقتل اهلها ويغنم مالها قال ثم ماذا قالوا يقصدها قوم مشوّهون من ناحية جبل النيل ويملكون اكثرها قال ثم ماذا قالوا ينقطع نيلها وتخلو من اهلها فأمر عند ذلك بعمل الاهرام وأن يعمل لها مسارب يدخل منها النيل الى مكان بعينه ثم يفيض الى مواضع من أرض الغرب وأرض الصعيد وملأها طلسمات وعجائب واموالا وأصناما وأجساد ملوكهم وأمر الكهان فزبروا عليها جميع ما قالته الحكماء وزبر فيها وفى سقوفها وحيطانها واسطواناتها جميع العلوم الغامضة التى يدّعيها اهل مصر وصوّر فيها صور الكواكب كلها وزبر عليها اسماء العقاقير ومنافعها ومضارها وعلم الطلسمات وعلم الحساب والهندسة وجميع علومهم مفسرا لمن يعرف كتابتهم ولغتهم * ولما شرع في بنائها أمر بقطع الاسطوانات العظيمة ونشر البلاط الهائل واستخراج الرصاص من أرض المغرب واحضار الصخور من ناحية اسوان فبنى بها أساس الاهرام الثلاثة الشرقىّ والغربىّ والملوّن وكانت لهم صحائف وعليها كتابة اذا قطع الحجر وتم احكامه وضعوا عليه تلك الصحائف وضربوه فيبعد بتلك الضربة قدر مائة سهم ثم يعاودون ذلك حتى يصل الحجر الى الاهرام وكانوا يمدّون البلاطة ويجعلون في ثقب بوسطها قطبا من حديد قائما ثم يركبون عليها بلاطة اخرى مثقوبة الوسط ويدخلون القطب فيها ثم يذاب الرصاص ويصب في القطب حول البلاطة بهندام واتقان الى أن كملت وجعل لها ابوابا تحت الارض بأربعين ذراعا فأما باب الهرم الشرقىّ فانه من الناحية الشرقية على مقدار مائة ذراع من وسط حائط الهرم وأما باب الهرم الغربىّ فانه من الناحية الغربية على مقدار مائة ذراع من وسط الحائط وأما باب الهرم الملوّن فانه من الناحية الجنوبية على مقدار مائة ذراع من وسط الحائط فاذا حفر بعد هذا القياس وصل الى باب الازج المبنىّ ويدخل الى باب الهرم وجعل ارتفاع كل واحد من الاهرام في الهواء مائة ذراع بالذراع الملكىّ وهو بذراعهم خمسمائة ذراع بذراعنا الآن وجعل طول كل واحد من جميع جهاته مائة ذراع بذراعهم ثم هندسها من كل جانب حتى تحدّدت أعاليها من آخر طولها على ثمانية اذرع بذراعنا وكان ابتداء بنائها في طالع سعيد اجتمعوا عليه وتخيروه فلما فرغت كساها ديباجا ملوّنا من فوقها الى أسفلها وعمل لها عيدا حضره اهل مملكته بأجمعهم ثم عمل في الهرم الغربىّ ثلاثين مخزنا من حجارة صوّان ملوّن وملئت بالاموال الجمة والآلات والتماثيل المعمولة من

الجواهر النفيسة وآلات الحديد الفاخر من السلاح الذى لا يصدأ والزجاج الذى ينطوى ولا ينكسر والطلسمات الغريبة واصناف العقاقير المفردة والمؤلفة والسموم القاتلة وعمل فى الهرم الشرقى أصناف القباب الفلكية والكواكب وما عمله اجداده من التماثيل والدخن التى يتقرب بها الى الكواكب ومصاحفها وكون الكواكب الثابتة وما يحدث فى ادوارها وقتا وقتا وما عمل لها من التواريخ والحوادث التى مضت والاوقات التى ينتظر فيها ما يحدث وكل من يلى مصر الى آخر الزمان وجعل فيها المطاهر التى فيها المياه المدبرة وما أشبه ذلك وجعل فى الهرم الملون اجساد الكهنة فى توابيت من صوان اسود ومع كل كاهن مصحف فيه عجائب صناعاته وأعماله وسيرته وما عمل فى وقته وما كان وما يكون من اول الزمان الى آخره وجعل فى الحيطان من كل جانب أصناما تعمل بأيديها جميع الصنائع على مراتبها وأقدارها وصفة كل صنعة وعلاجها وما يصلح لها ولم يترك علما من العلوم حتى زبره ورسمه وجعل فيها اموال الكواكب التى اهديت الى الكواكب وأموال الكهنة وهو شئ عظيم لا يحصى وجعل لكل هرم منها خادما فخادم الهرم الغربى صنم من حجارة صوان مجزع وهو واقف ومعه شبه حربة وعلى رأسه حية قد تطوق بها من قرب منه وثبت اليه وطوقت على عنقه وقتلته ثم تعود الى مكانها وجعل خادم الهرم الشرقى صنما من جزع أسود مجزع بأسود وأبيض له عينان مفتوحتان براقتان وهو جالس على كرسى ومعه حربة اذا نظر أحد اليه سمع من جهته صوتا يفزع منه فيخر على وجهه ولا يبرح حتى يموت وجعل خادم الهرم الملون صنما من حجر البهت على قاعدة منه من نظر اليه جذبه حتى يلتصق به فلا يفارقه حتى يموت فلما فرغ من ذلك حصن الاهرام بالارواح الروحانية وذبح لها الذبائح لتمنع عن انفسها من ارادها الا من عمل لها اعمال الوصول اليها * وذكر القبط فى كتبهم أن عليها منقوشا تفسيره بالعربية انا سوريد الملك بنيت هذه الاهرام فى وقت كذا وكذا وأتممت بناءها فى ست سنين فمن اتى بعدى وزعم انه ملك مثلى فليهدمها فى ستمائة سنة وقد علم أن الهدم ايسر من البنيان وانى كسوتها عند فراغها بالديباج فليكسها بالحصر فنظروا فوجدوا انه لا يقوم بهدمها شئ من الازمان الطوال * وحكى القبط فى كتبهم أن روحانية الهرم الشمالى غلام امرد أصفر اللون عريان فى فمه انياب كبار وروحانية الهرم الجنوبى امرأة عريانة بادية الفرج حسناء فى فمها انياب كبار تستهوى الانسان اذا رأته وتضحك له حتى يدنو منها فتسلبه عقله وروحانية الهرم الملون شيخ فى يده مجمرة من مجامر الكنائس يبخر بها وقد رأى غير واحد من الناس هذه الروحانيات مرارا وهى تطوف حول الاهرام وقت القائلة وعند غروب الشمس قال ولما مات سوريد دفن فى الهرم ومعه امواله وكنوزه وقالت القبط ان سوريد هو الذى بنى البرابى وأودع فيها كنوزا وزبر عليها علوما ووكل بها روحانيات تحفظها ممن يقصدها قال وأما الاهرام الدهشورية فيقال ان شدات بن عديم هو الذى بناها من الحجارة التى كانت قد قطعت فى زمن أبيه وشدات هذا يزعم بعض الناس انه شداد بن عاد وقال من انكر أن يكون العادية دخلت مصرا انما غلطوا باسم شدات ابن عديم فقالوا شداد بن عاد لكثرة ما يجرى على السنتهم شداد بن عاد وقلة ما يجرى على السنتهم شدات بن عديم والا فما قدر أحد من الملوك يدخل مصر ولا قوى على أهلها غير بخت نصر والله أعلم * وذكر أبو الحسن المسعودى فى كتابه اخبار الزمان ومن اباده الحدثان ان الخليفة عبد الله المامون بن هارون الرشيد لما قدم مصر وأتى على الاهرام احب أن يهدم احدها ليعلم ما فيها فقيل له انك لا تقدر على ذلك فقال لا بد من فتح شئ منه ففتحت له الثلمة المفتوحة الآن بنار توقد وخل يرش ومعاول وحدادين يعملون فيها حتى انفق عليها اموالا عظيمة فوجدوا عرض الحائط قريبا من عشرين ذراعا فلما انتهوا الى آخر الحائط وجدوا خلف الثقب مطهرة خضراء فيها ذهب مضروب وزن كل دينار أوقية وكان عددها ألف دينار فجعل المامون يتعجب من ذلك الذهب ومن جودته ثم أمر بجملة ما انفق على الثلمة فوجدوا الذهب الذى أصابوه لا يزيد على ما انفقوه ولا ينقص فعجب من معرفتهم بمقدار ما ينفق عليه ومن تركهم ما يوازيه فى الموضع عجبا عظيما وقيل ان المطهرة التى وجد فيها الذهب كانت من زبرجد فأمر المامون بحملها الى خزانته وكان آخر ما عمل من عجائب مصر واقام الناس سنين يقصدونه وينزلون فيه الزلاقة التى فيه فمنهم من يسلم ومنهم من يهلك فاتفق عشرون من الاحداث على دخوله وأعدوا لذلك ما يحتاجون من طعام وشراب وحبال وشمع ونحوه ونزلوا فى الزلاقة فرأوا فيها من الخفاش ما يكون كالعقبان يضرب وجوههم ثم انهم أدلوا أحدهم بالحبال فانطبق عليه المكان وحاولوا جذبه حتى اعياهم فسمعوا صوتا

اربعهم فغشى عليهم ثم قاموا وخرجوا من الهرم فبيناهم جلوس يتعجبون مما وقع لهم اذ اخرجت الارض صاحبهم
حيا من بين ايديهم يتكلم بكلام لم يعرفوه ثم سقط ميتا فحملوه ومضوا به فأخذهم الخفراء واتوا بهم الى الوالى فحدثوه
خبرهم ثم سألوا عن الكلام الذى قال صاحبهم قبل موته فقيل لهم معناه هذا جزاء من طلب ماليس له وكان الذى
فسر لهم معناه بعض أهل الصعيد * وقال على بن رضوان الطبيب فكرت فى بناء الاهرام فأوجب علم الهندسة
العملية ورفع الثقيل الى فوق أن يكون القوم هندسوا سطحا مربعا ونحتوا الحجارة ذكرا وانثى ورصوها بالجبس
البحرى الى أن ارتفع البناء مقدارا ما يمكن رفع الثقيل وكانوا كلما صعدوا ضموا البناء حتى يكون السطح الموازى
للمربع الاسفل مربعا أصغر من المربع السفلانى ثم عملوا فى السطح المربع الفوقانى مربعا أصغر بمقدار ما بقى
فى الحاشية ما يمكن رفع الثقيل اليه وكلما رفعوا حجرا مهندما رصوه اليه ذكرا وانثى الى أن ارتفع مقدارا مثل المقدار
الاول ولم يزالوا يفعلون ذلك الى أن بلغوا غاية لا يمكنهم بعدها أن يفعلوا ذلك فقطعوا الارتفاع ونحتوا الجوانب
البارزة التى فرضوها لرفع الثقيل ونزلوا فى النحت من فوق الى اسفل وصار الجميع هرما واحدا * وقياس الهرم
الاول بالذراع التى تقاس بها اليوم الابنية بمصر كل حاشية منه اربعمائة ذراع يكون بالذراع السوداء التى طول
كل ذراع منها أربعة وعشرون اصبعا خمسمائة ذراع وذلك أن قاعدته مربع متساوى الاضلاع والزوايا ضلعان
منهما على خط نصف النهار وضلعان على خط المشرق والمغرب وكل ضلع بالذراع السوداء خمسمائة ذراع
والخط المنحدر على استقامة من رأس الهرم الى نصف ضلع المربع اربعمائة وسبعون ذراعا يكون اذا تمم
ايضا خمسمائة ذراع وأحيط بالهرم اربع مثلثات ومربع كل مثلث منها متساوى الساقين كل ساق منه اذا تمم
خمسمائة وستون ذراعا والمثلثات الاربعة تجتمع رؤسها عند نقطة واحدة وهى رأس الهرم اذا تمم فيلزم أن
يكون عموده اربعمائة وثلاثين ذراعا وعلى هذا العمود مركز اثقاله ويكون تكسير كل مثلث من مثلثاته
مائة وخمسة وعشرين ألف ذراع اذا اجتمع تكاسيرها كان مبلغ تكسير سطح هذا الهرم خمسمائة ألف ذراع
بالسوداء وما احسب على وجه الارض بناء اعظم منه ولا احسن هندسة ولا اطول والله أعلم * وقد فتح المأمون
نقبا من هذا الهرم فوجد فيه زلاقة تصعد الى بيت مربع مكعب ووجد فى سطحه قبر رخام وهو باق فيه الى اليوم
ولم يقدر أحد يحطه وبذلك اخبر جالينوس انها قبور وقال فى آخر الخامسة من تدبير الصحة بهذا اللفظ وهم يسمون
من كان فى هذا السن الهرم وهو اسم مشتق من الاهرام التى هم اليها صائرون عن قريب وقال الحوقلى فى صفة
مصر وبها الهرمان اللذان ليس على وجه الارض لهما نظير فى ملك مسلم ولا كافر ولا عمل ولا يعمل لهما وقرأ بعض
بنى العباس على أحدهما انى قد بنيتهما فمن كان يدعى قوة فى ملكه فليهدمهما فالهدم ايسر من البنيان فهم بذلك
وأظنه المأمون أو المعتصم فاذا خراج مصر لا يقوم به يومئذ وكان خراجها على عهده بالانصاف فى الجباية وتوخى
الرفق بالرعية والمعدلة اذا بلغ النيل سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع اربعة آلاف ألف ومائتى ألف وسبعة وخمسين
ألف دينار والمقبوض على الفدان دينارين فأعرض عن ذلك ولم يعد فيه شيأ * وفى حد الفسطاط فى غربى
النيل ابنية عظام يكثر عددها مفترشة فى سائر الصعيد تدعى الاهرام وليست كالهرمين اللذين تجاه الفسطاط
وعلى فرسخين منها ارتفاع كل واحد منهما اربعمائة ذراع وعرضه كارتفاعه مبنى بحجارة الكدان التى سمك الحجر
وطوله وعرضه من العشر اذرع الى الثمان بحسب ما دعت الحاجة الى وضعه فى زيادته ونقصه وأوجبته
الهندسة عندهم لانهما كلما ارتفعا فى البناء ضاقا حتى يصير اعلاهما من كل واحد منهما مثل مبرك جمل وقد ملئت
حيطانهما بالكتابة اليونانية وقد ذكر قوم انهما قبران وليس كذلك وانما حمل صاحبهما على عملهما انه قضى
بالطوفان انه يهلك جميع ما على وجه الارض الا ما حصن فى مثلهما فخزن ذخائره وأمواله فيهما واتى الطوفان
ثم نضب فصار ما كان فيهما الى بيصر بن مصرايم بن حام بن نوح وقد خزن فيهما بعض الملوك المتأخرين وجعلهما
هراء والله أعلم * وقال أبو يعقوب محمد بن اسحاق النديم الوراق فى كتاب الفهرست وقد ذكر هرمس البابلى قد
اختلف فى أمره فقيل انه كان أحد السدنة السبعة الذين رتبوا لحفظ البيوت السبعة وانه كان لترتيب عطارد
وباسمه سمى فان عطارد باللغة الكلدانية هرمس وقيل انه انتقل الى أرض مصر بأسباب وانه ملكها وكان له
أولاد منهم طاوصا وأشمن واتريب وقفط وانه كان حكيم زمانه وانه لما توفى دفن فى البناء الذى يعرف بمدينة مصر
بأبى هرميس ويعرفه العامة بالهرمين فان أحدهما قبره والآخر قبر زوجته وقيل قبر ابنه الذى خلفه بعد موته

وهذه البنية يعني الاهرام طولها بالذراع الهاشمي اربعمائة ذراع وثمانون ذراعا على مساحة أربعمائة وثمانين ذراعا ثم ينخرط البناء فاذا حصل الانسان في رأسه كان مقدار سطحه أربعين ذراعا هذا بالهندسة وفي وسط هذا السطح قبة لطيفة في وسطها شبيهة بالمقبرة وعند رأس ذلك القبر صخرتان في نهاية النظافة والحسن وكثرة التلون وعلى كل واحدة منهما شخصان من حجارة صورة ذكر وانثى وقد تلاقيا بوجهيهما وبيد الذكر لوح من حجارة فيه كتابة وبيد الانثى مرآة والرف ذهب نقشه نقاش وبين الصخرتين برنية من حجارة على رأسها غطاء ذهب فاما اقلع فاذا فيها شبيه بالقار بغير رائحة قديس وفيها حقة ذهب فنزع رأسها فاذا فيها دم عبيط ساعة قرعه الهواء جمد كما يجمد الدم وجف وعلى القبور اغطية حجارة فلما اقلعت اذا رجل نائم على قفاه على نهاية الصحة والجفاف بين الخلقة ظاهر الشعور والى جنبه امرأة على هيئته قال وذلك السطح منقر نحو قامة كما يدور مثل المسمار ذات آزاج من حجارة فيها صور وتماثيل مطروحة وقائمة وغير ذلك من الآلة التي لا تعرف أشكالها * وقال العلامة موفق الدين عبد اللطيف بن أبي العز يوسف بن أبي البركات محمد بن علي بن سعد البغدادي المعروف بابن المطحن في سيرته وجاء رجل جاهل عجمي تخيل الى الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف أن الهرم الصغير تحته مطلب فاخرج اليه الحجارين واكثر العسكر وأخذوا في هدمه واقاموا على ذلك شهورا ثم تركوه عن عجز وخسران مبين في المال والعقل ومن يرى حجارة الهرم يقول انه قد استوصل الهرم ومن يرى الهرم لا يجد به الا نشعثا يسيرا وقد أشرفت على الحجارين فقلت لمقدمهم هل تقدرون على اعادته فقال لو بذل لنا السلطان عن كل حجر ألف دينار لم يمكنا ذلك * وقال أبو الحسن المسعودي في مروج الذهب وأما الاهرام فطولها عظيم وبنيانها عجيب عليها انواع من الكتابات باقلام الامم السالفة والممالك الداثرة لا يدرى ما تلك الكتابة ولا المراد بها وقد قال من عني بتقديرذرعها ان مقدار ارتفاع الهرم الكبير ذهابا في الجو نحو أربعمائة ذراع أو اكثر وكلما صعد دق ذلك والعرض نحو ما وصفنا وعليها من الرسوم علوم وخواص وسحر وأسرار الطبيعة وان من تلك الكتابة مكتوبا انا بنيناها فمن يدعي موازاتنا في الملك وبلوغ القدرة وانتهاء أمر السلطان فليهدمها وليزل رسمها فان الهدم أيسر من البناء والتفريق اسهل من التأليف * وقد ذكر ان بعض ملوك الاسلام شرع يهدم بعضها فاذا خراج مصر لا يفي بقلعها وهي من الحجر والرخام وأنها قبور الملوك وكان الملك منهم اذا مات وضع في حوض من حجارة ويسمى بمصر والشام الجرون واطبق عليه ثم بني من الهرم على مقدار ما يريدون من ارتفاع الاساس ثم يحمل الحوض ويوضع وسط الهرم ثم يقنطر عليه البنيان ثم يرفعون البناء على المقدار الذي يرونه ويجعل باب الهرم تحت الهرم ثم يحفر له طريق في الارض ويعقد أزج طوله تحت الارض مائة ذراع أو اكثر ولكل هرم من هذه الاهرام باب مدخله على ما وصفت قال وكان القوم يبنون الهرم من هذه الاهرام مدرجا ذا مراق كالدرج فاذا فرغوا نحتوه من فوق الى أسفل فهذه كانت جبلتهم وكانوا مع ذلك لهم قوة وصبر وطاعة * وقال في كتاب البنية والاشراف والهرمان اللذان في الجانب الغربي من فسطاط مصر هما من عجائب بنيان العالم كل واحد منهما اربعمائة ذراع في سمك مثل ذلك مبنيان بالحجر العظيم على الرياح الاربع كل ركن من اركانهما يقابل ريحا منها فأعظمها فيهما تأثيرا ريح الجنوب وهي المريسي وأحد هذين الهرمين قبر اغاذيمون والآخر قبر هرمس وبينهما نحو ألف سنة وأغاذيمون المتقدم وكان سكان مصر وهم الاقباط يعتقدون نبوتهما قبل ظهور النصرانية فيهم على ما يوجبه رأي الصابئين في النبوات لا على طريق الوحي بل هم عندهم نفوس طاهرة صفت وتهذبت من ادناس هذا العالم فاتحدت بهم مواد علوية فأخبروا عن الكائنات قبل كونها وعن سرائر العالم وغير ذلك وفي العرب من اليمانية من يرى انهما قبر شداد ابن عاد وغيره من ملوكهم السالفة الذين غلبوا على بلاد مصر في قديم الدهر وهم العرب العاربة من العماليق وغيرهم وهي عند من ذكرنا من الصابئين قبور أجساد طاهرة * وذكر أبو زيد البلخي انه وجد مكتوبا على الاهرام بكتابتهم خط فعرب فاذا هو بني هذان الهرمان والنسر الواقع في السرطان فحسبوا من ذلك الوقت الى الهجرة النبوية فاذا هو ست وثلاثون ألف سنة شمسية مرتين يكون اثنين وسبعين ألف سنة شمسية * وقال الهمداني في كتاب الاكليل لم يوجد مما كان تحت الماء وقت الغرق من القرى قرية فيها بقية سوى نهاوند وجدت كما هي اليوم لم تتغير واهرام الصعيد من أرض مصر * وذكر أبو محمد عبد الله بن عبد الرحيم القيسي

فى كتاب تحفة الالباب ان الاهرام مربعة الجملة مثلثة الوجوه وعددها ثمانية عشر هرما فى مقابلة مصر الفسطاط
ثلاثة اهرام اكبرها دوره الفا ذراع فى كل وجه خمسمائة ذراع وعلوه خمسمائة ذراع وكل حجر من حجارتهما ثلاثون
ذراعا فى غلظ عشرة اذرع قد احكم الصاقه ونحته ومنها عند مدينة فرعون يوسف هرم اعظم واكبر دوره ثلاثة
آلاف ذراع وعلوه سبعمائة من حجارة كل حجر خمسون ذراعا وعند مدينة فرعون موسى اهرام اكبر واعظم
وهرم آخر يعرف بهرم مدون كانه جبل وهو خمس طبقات وفتح المامون الهرم الكبير الذى تجاه الفسطاط قال
وقد دخلت فى داخله فرأيت قبة مربعة الاسفل مدورة الاعلى كبيرة فى وسطها بئر عمقها عشرة اذرع وهى مربعة
ينزل الانسان فيها فيجد فى كل وجه من تربيع البئر بابا يفضى الى دار كبيرة فيها موتى من بنى آدم عليهم
اكفان كثيرة اكثر من مائة ثوب على كل واحد قد بليت بطول الزمان واسودت واجسامهم مثلنا ليسوا طوالا
ولم يسقط من اجسامهم ولا من شعورهم شئ وليس فيهم شيخ ولا من شعره ابيض واجسادهم قوية لا يقدر
الانسان أن يزيل عضوا من أعضائهم البتة ولكنهم خفوا حتى صاروا كالغثا لطول الزمان وفى تلك البئر أربعة
من الدور مملوءة باجساد الموتى وفيها خفاش كثير وكانوا يدفنون أيضا جميع الحيوان فى الرمال ولقد وجدت ثيابا
ملفوفة كثيرا مقدار جرمها اكثر من ذراع وقد احترقت تلك الثياب من القدم فازلت الثياب الى أن ظهرت خرق
صحاح قوية بيض من كتان أمثال العصائب فيها أعلام من الحرير الاحمر وفى داخلها هدهد ميت لم يتناثر من
ريشه ولا من جسده شئ كأنه قد مات الآن * وفى القبة التى فى الهرم باب يفضى الى علو الهرم وليس فيه درج
عرضه نحو خمسة اشبار يقال انه صعد فيها فى زمان المامون فأفضوا الى قبة صغيرة فيها صورة آدمى من حجر أخضر
كالدهنج فاخرجت الى المامون فاذا هى مطبقة فلما فتحت وجد فيها جسد آدمى عليه درع من ذهب مزين
بأنواع الجواهر وعلى صدره نصل سيف لا قيمة له وعند رأسه حجر ياقوت أحمر كبيضة الدجاجة يضئ كلهب النار
فأخذه المامون * وقد رأيت الصنم الذى اخرج منه ذلك الميت ملقى عند باب دار الملك بمصر فى سنة احدى
عشرة وخمسمائة * وقال القاضى الجليل أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى روى على بن الحسن بن خلف
ابن قديد عن يحيى بن عثمان بن صالح عن محمد بن على بن صخر التميمى قال حدثنى رجل من عجم مصر من قرية
من قراها تدعى قفط وكان عالما بأمور مصر وأحوالها وطالبا لكتبها القديمة ومعادنها قال وجدنا فى كتبنا القديمة
قال وأما الاهرام فان قوما احتفروا قبرا فى دير أبى هرميس فوجدوا فيه ميتا فى اكفانه وعلى صدره قرطاس
ملفوف فى خرق فاستخرجوه من الخرق فرأوا كتابا لا يعرفونه وكان الكتاب بالقبطية الاولى فطلبوا من يقرأه لهم
فلم يقدروا عليه فقيل لهم ان بدير القلمون من أرض الفيوم راهبا يقرأه فخرجوا اليه وقد ظنوا انه فى الصومعة
فقرأه لهم وكان فيه كتب هذا الكتاب فى اول سنة من ملك ديقلطيانس الملك وانا استنسخناه من كتاب نسخ
فى اول سنة من ملك فيلبش الملك وان فيلبش استنسخه من صحيفة من ذهب فرق كاتبها حرفا حرفا وكان من
الكتاب الاول ترجمه له اخوان من القبط يقال لاحدهما ابلو والآخر ثاوان الملك فيلبش سألهما عن سبب
معرفتهما بما جهله الناس من قراءته فذكرا انهما من ولد رجل من أهل مصر الاول لم ينج من الطوفان من أهل مصر
أحد غيره وكان سبب نجاته انه اتى نوحا عليه السلام فآمن به ولم يأته من أهل مصر غيره فحمله معه فى السفينة فلما
نضب ماء الطوفان أتى مصر ومعه نفر من ولد حام بن نوح وكان بها حتى هلك فورث ولده علم كتاب أهل مصر الاول
فورثناه عنه كابرا عن كابر وكان تاريخه الذى مضى الى أن استنسخه فيلبش ألفا وثلثمائة واثنين وسبعين سنة وان
الذى استنسخه فى صحيفة من ذهب فرق كاتبها حرفا حرفا على ما وجده فيلبش وان تاريخه الى أن استنسخه ألف
وسبعمائة سنة وخمس وثمانون سنة * وكان الكتاب المنسوخ انا نظرنا فيما تدل عليه النجوم فرأينا أن آفة
نازلة من السماء وخارجة من الارض فلما بان لنا الكون نظرنا ما هو فوجدناه ماء مفسدا للارض وحيوانها ونباتها
فلما تم اليقين من ذلك عندنا قلنا للملك سوريد بن سهلوق مر ببناء افروشات وقبر لك وقبر لاهل بيتك فبنى لهم الهرم
الشرقى وبنى لاخيه هوجيت الهرم الغربى وبنى لابنه هوجيت الهرم الملون وبنيت افروشات فى أسفل مصر
واعلاها فكتبنا فى حيطانها علم غامض أمر النجوم وعللها والصنعة والهندسة والطب وغير ذلك مما ينفع ويضر
ملخصا مفسرا لمن عرف كلامنا وكتابتنا وان هذه الآفة نازلة باقطار العالم وذلك عند نزول قلب الاسد فى اول
دقيقة من رأس السرطان ويكون الكوكب عند نزوله اياها فى هذه المواضع من الفلك الشمس والقمر فى اول

دقيقة من رأس الحمل وقورويس فى درجة وثمان وعشرين دقيقة من الحمل وراويس فى الحوت فى تسع وعشرين درجة وثمان وعشرين دقيقة وآويس فى الحوت فى تسع وعشرين درجة وثلاث دقائق وأفرديطس فى الحوت فى ثمان وعشرين درجة ودقائق وهرمس فى الحوت فى سبع وعشرين ودقائق والجوزهر فى الميزان واوج القمر فى الاسد فى خمس درجات ودقائق * ثم نظرنا هل يكون بعد هذه الآفة كون مضر بالعالم فأصبنا الكواكب تدل على أن آفة نازلة من السماء الى الارض وانها ضد الآفة الاولى وهى نار محرقة اقطار العالم ثم نظرنا متى يكون هذا الكون المضر فرأيناه يكون عند حلول قلب الاسد فى آخر دقيقة من الدرجة الخامسة عشر من الاسد ويكون ايليس معه فى دقيقة واحدة متصلا بقورويس من تثليث ازامى ويكون راويس مشترى فى اول الاسد فى آخر احتراقه ومعه آويس فى دقيقة ويكون سايس فى الدلو مقابلا لايليس الشمس ومعه الذنب فى اثنتين وعشرين ويكون كسوف شديد له مكث يوازى القمر ويكون هرمس عطارد فى بعده الابعد أما مهامة بلين أما افرد وبطن فللاستقامة وأما هرمس فللرجعة * قال الملك فهل عندكم من خبر توقفونا عليه غير هاتين الآفتين قالوا اذا قطع قلب الاسد ثلثى سدس ادواره لم يبق من حيوان الارض متحرك الا تلف فاذا استتم ادواره تحللت عقد الفلك وسقط على الارض قال لهم واى يوم فيه انحلال الفلك قالوا اليوم الثانى من بدو حركة الفلك فهذا ما كان فى القرطاس * فلما مات الملك سوريد بن سهلوق دفن فى الهرم الشرقى ودفن هوجيت فى الهرم الغربى ودفن كورس فى الهرم الذى اسفله من حجارة اسوان واعلاه كدان * ولهذه الاهرام ابواب فى ازج تحت الارض طول كل ازج مائة وخمسون ذراعا * فأما باب الهرم الشرقى فمن الناحية البحرية وأما باب ازج الهرم المؤزر فمن الناحية القبلية * وفى الاهرام من الذهب وحجارة الزمرذ ما لا يحتمله الوصف * وان مترجم هذا الكتاب من القبطى الى العربى اجمل التاريخين الى اول يوم من توت وهو يوم الاحد طلوع شمسه سنة خمس وعشرين ومائتين من سنى العرب فبلغت اربعة آلاف وثلثمائة واحدى وعشرين سنة لسنى الشمس ثم نظر كم مضى للطوفان الى يومه هذا فوجده ألفا وسبعمائة واحدى وأربعين سنة وتسعة وخمسين يوما وثلاث عشرة ساعة وأربعة اخماس ساعة وتسعة وخمسين جزأ من أربعمائة جزء من ساعة فألقاها من الجملة فبقى معه ثلثمائة وتسع وتسعون سنة ومائتان وخمسة ايام وعشر ساعات وأحد وعشرون جزءا من أربعمائة جزء من ساعة فعلم أن هذا الكتاب المؤرخ كتب قبل الطوفان بهذه السنين والايام والساعات والكسر من الساعة * وأما الهرم الذى بدير أبى هرميس فانه قبر قرياس وكان فارس اهل مصر وكان يعد بألف فارس فاذا لقيهم لم يقدروا به وانهزموا وانه مات فجزع الملك عليه جزعا بلغ منه واكتأبت لموته الرعية فدفنوه بدير هرميس وبنوا عليه الهرم مدرجا وكان طينه الذى بنى به مع الحجارة من الفيوم وهذا معروف اذا نظر الى طينه لم يعرف له معدن الا بالفيوم وليس يعرف وسيم له شبه من المعاين * وأما قبر الملك صاحب قرياس هذا فانه الهرم الكبير من الاهرام التى فى بحرى دير أبى هرميس وعلى بابه لوح كدان مكتوب فيه باللازورد طول اللوح ذراعان فى ذراع وكله مملوء كتبا مثل كتب البرابى يصعد الى باب الهرم بدرج بعضها صحيح لم ينخرم وفى هذا الهرم ذخائر صاحبه من الذهب وحجارة الزمرذ وانما سد بابه حجارة سقطت من اعاليه ومن وقف عليه رءاه بينا * وقال ابن عفير عن اشياخه ان جياد بن مياد بن شمر بن شداد بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ملك الاسكندرية وكانت تسمى ارم ذات العماد فطال ملكه وبلغ ثلثمائة سنة وهو الذى سار وبنى الاهرام وزبر فيها انا جياد بن مياد بن شمر بن شداد الشاد بزراعة الواد المؤيد الاوتاد الجامع الصخر فى البلاد المجند الاجناد الناصب العماد الكنز الكثاد تخرجه امة امم نبيها حاد آية ذلك اذا غشى بلد البلاد سبعة ملوك اجناس السواد تاريخ هذا الزبر ألف سنة وأربعمائة سنة عداد * وقال ابن عفير وابن عبد الحكم وفى زمان شداد ابن عاد بنيت الاهرام فيما ذكر بعض المحدثين ولم نجد عند احد من اهل العلم من اهل مصر معرفة فى الاهرام ولا خبر ثبت * وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ما أحسب الاهرام بنيت الا قبل الطوفان لانها لو بنيت بعده لكان علمها عند الناس * وقال عبد الله بن شبرمة الجرهمى لما نزلت العماليق أرض مصر حين أخرجها جرهم من مكة بنت الاهرام واتخذت لها المصانع وبنت فيها العجائب ولم تزل بمصر حتى أخرجها الملك بن دعر الخزاعى * وقال محمد بن عبد الحكم كان من وراء الاهرام الى المغرب أربعمائة مدينة سوى القرى من مصر الى

المغرب في غربي الاهرام * وقال ابن عفير ولم يزل مشايخنا من اهل مصر يقولون الاهرام بناها شداد بن عاد وهو الذي بني المغار وجند الاجناد فالمغار والاجناد هي الدفائن وكانوا يقولون بالرجعة واذا مات احدهم دفن معه ماله كائنا ما كان وان كان صانعا دفن معه آلة صنعته وكانت الصابئة تحج الى الاهرام * وقال ابو الريحان البيروني في كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية والفرس والمجوس تنكر الطوفان وأقر به بعض الفرس لكنهم قالوا كان بالشام والمغرب منه شيء في زمان طمهورث ولكنه لم يعم العمران كله ولم يتجاوز عقبة حلوان ولم يبلغ ممالك الشرق وان اهل المغرب لما انذر به حكماؤهم بنوا ابنية كالهرمين بمصر ليدخلوها عند الآفة وان آثار ماء الطوفان وتأثيرات الامواج كانت بينة على أنصاف الهرمين لم تتجاوزهما انتهى ويقال ان الطوفان لما انضب ماؤه لم يوجد تحت الماء قرية سوى نهاوند وجدت كما هي واهرام مصر وبرابيها وهي التي بناها هرميس الاول الذي تسميه العرب ادريس وكان قد الهمه الله علم النجوم فدلته على أنه سينزل بالارض آفة وانه سيبقى بقية من العالم يحتاجون فيها الى علم فبنى هو وأهل عصره الاهرام والبرابي وكتب علمه فيها * وقال ابو الصلت الاندلسي في رسالته وقد ذكر أخلاق اهل مصر الا انه يظهر من امرهم انه كان فيهم طائفة من ذوي المعارف والعلوم وخصوصا علم الهندسة والنجوم ويدل على ذلك ما خلفوه من الصنائع البديعة المعجزة كالاهرام والبرابي فانها من الآثار التي حيرت الاذهان الثاقبة واستعجزت الافكار الراجحة وتركت لها شغلا بالتعجب منها والتفكر فيها وفي مثلها يقول ابو العلاء احمد بن سليمان المعري من قصيدته التي يرثي بها اباه

تضل العقول الهبرزيات رشدها * ولا يسلم الرأي القويم من الافن
وقد كان ارباب الفصاحة كلما * رأوا حسنا عدوه من صنعة الجن

وأي شيء أعجب وأغرب بعد مقدورات الله عز وجل ومصنوعاته من القدرة على بناء جسم جسيم من اعظم الحجارة مربع القاعدة مخروط الشكل ارتفاع عموده ثلثمائة ذراع وتسعة عشر ذراعا يحيط به اربعة سطوح مثلثات متساويات الاضلاع طول كل ضلع منها أربعمائة ذراع وستون وهو مع العظم من احكام الصنعة واتقان الهندام وحسن التقدير بحيث لم يتأثر الى هلم جرا بعصف الرياح وهطل السحاب وزعزعة الزلازل وهذه صفة كل واحد من الهرمين المحاذيين للفسطاط من الجانب الغربي على ما شاهدناه منهما وقد ذكرت عجائب مصر وان ما على وجه الارض بنية الا وانا أرثي لها من الليل والنهار الا الهرمان فأنا أرثي لليل والنهار منهما وهذان الهرمان لهما اشراف على أرض مصر واطلال على بطائحها واصعاد في جوفها وهما اللذان أراد أبو الطيب المتنبي بقوله شعر

اين الذي الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن سكانها * حينا ويدركها الفناء فتتبع

واتفق يوما انا خرجنا اليهما فلما طفنا بهما واستدرنا حولهما كثر التعجب منهما فقال بعضنا

بعيشك هل ابصرت اعجب منظرا * على طول ما ابصرت من هرمي مصر
أنافا عنانا للسماء وأشرفا * على الجو اشراف السماك او النسر
وقد وافيا نشزا من الارض عاليا * كأنهما نهدان قاما على صدر

وزعم قوم ان الاهرام قبور ملوك عظام آثروا أن يتميزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم كما تميزوا عنهم في حياتهم وتوخوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخي العصور * ولما وصل الخليفة المأمون الى مصر أمر بنقبها فنقب أحد الهرمين المحاذيين للفسطاط بعد جهد شديد وعناء طويل فوجدوا داخله مهاوي ومراقي يهول امرها ويعسر السلوك فيها ووجدوا في اعلاها بيتا مكعبا طول كل ضلع من أضلاعه نحو من ثمانية اذرع وفي وسطه حوض رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يجدوا فيه غير رمة بالية قد أتت عليها العصور الخالية فعند ذلك أمر المأمون بالكف عن نقب ما سواه ويقال ان النفقة على نقبه كانت عظيمة والمؤنة شديدة * ومن الناس من زعم أن هرمس الاول المدعو بالمثلث بالنبوة والملك والحكمة وهو الذي تسميه العبرانيون خنوخ بن يرد بن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم عليه السلام وهو ادريس عليه السلام استدل من احوال الكواكب على كون الطوفان يعم الارض فأكثر من بنيان الاهرام وايداعها الاموال وصحائف العلوم وما يشفق عليه من

الذهاب

الذهاب والدروس حفظا لها واحتياطا عليها ويقال ان الذى بناها ملك اسمه سوريد بن سهلوق بن سرياق وقال آخرون ان الذى بنى الهرمين المحاذيين للفسطاط شداد بن عاد لرؤيا رآها والقبط تنكر دخول العمالقة بلاد مصر وتحقق أن بانيهما سوريد لرؤيا رءاها وهى أن آفة تنزل من السماء وهى الطوفان وقالوا انه بناهما فى مدة ستة اشهر وغشاهما بالديباج الملون وكتب عليهما قد بنيناهما فى ستة أشهر قل لمن يأتى من بعدنا يهدمهما فى ستمائة سنة فالهدم ايسر من البنيان وكسوناهما الديباج الملون فلكسهما حصرا فالحصر أهون من الديباج ورأينا سطوح كل واحد من هذين الهرمين مخطوطة من أعلاها الى أسفلها بسطور متضايقة متوازية من كتابة بانيها لا تعرف اليوم أحرفها ولا تفهم معانيها وبالجملة الامر فيها عجيب حتى ان غاية الوصف لها والاغراق فى العبارة عنها وعن حقيقة الموصوف منها بخلاف ما قاله على بن العباس الرومى وان تباعد الموصوفان وتباين المقصودان اذ يقول

اذا ما وصفت امرأ لامرئ * فلا تغل فى وصفه واقصد
فانك ان تغل تغل الظنو * ن فيه الى الغرض الابعد
فيصغر من حيث عظمته * لفضل المغيب على المشهد

ويقال ان المأمون أمر من صعد الهرم الكبير أن يدلى حبلا فكان طوله ألف ذراع بالذراع الملكى وهو ذراع وخمسان وتربيعه أربعمائة ذراع فى مثلها وكان صعوده فى ثلاث ساعات من النهار وانه وجد مقدار رأس الهرم قدر مبرك ثمانية جمال * ويقال انه وجد على المقبور فى الهرم حلة قد بليت ولم يبق منها سوى سلوكها من الذهب وأن ثخانة الطلاء الذى عليه قدر شبر من مر وصبر * ويقال انه وجد فى موضع من هذا الهرم ايوان فى صدره ثلاثة ابواب على ثلاثة بيوت طول كل باب منها عشرة اذرع فى عرض خمسة اذرع من رخام منحوت محكم الهندام وعلى صفحاته خط أزرق لم يحسنوا قراءته وانهم أقاموا ثلاثة أيام يعملون الحيلة فى فتح هذه الابواب الى أن رأوا أمامها على عشرة اذرع منها ثلاثة أعمدة من مرمر وفى كل عمود خرق فى طوله وفى وسط الخرق صورة طائر ففى الاول من هذه العمد صورة حمام من حجر أخضر وفى الاوسط صورة بازى من حجر أصفر وفى العمود الثالث صورة ديك من حجر أحمر فحركوا البازى فتحرك الباب الاول الذى فى مقابلته فرفعوا البازى قليلا فارتفع الباب وكان بحيث لا يرفعه مائة رجل من عظمه فرفعوا التمثالين الآخرين فارتفع البابان الآخران فدخلوا الى البيت الاوسط فوجدوا فيه ثلاثة سرر من حجارة شفافة مضيئة وعليها ثلاثة من الاموات على كل ميت ثلاث حلل وعند رأسه مصحف بخط مجهول ووجدوا فى البيت الآخر عدة رفوف من حجارة عليها أسفاط من حجارة فيها أوان من الذهب عجيبة الصنعة مرصعة بأنواع الجواهر ووجدوا فى البيت الثالث عدة رفوف من حجارة عليها أسفاط من حجارة فيها آلات الحرب وعدد السلاح فقيس منها سيف فكان طوله سبعة أشبار وكل درع من تلك الدروع اثنا عشر شبرا فأمر المأمون بحمل ما وجد فى البيوت وأمر فحطت العمد فانطبقت الابواب كما كانت * ويقال كانت عدة الاهرام ثمانية عشر هرما منها تجاه مدينة الفسطاط ثلاثة اكبرها دوره ألفا ذراع وهو مربع فى كل وجه من وجوهه الاربعة خمسمائة ذراع ويقال ان المأمون لما فتحه وجد فيه حوضا من حجر مغطى بلوح من رخام وهو مملوء بالذهب وعلى اللوح مكتوب بقلم عرب فكان انا عمرنا هذا الهرم فى ألف يوم وأبحنا لمن يهدمه فى ألف سنة والهدم أسهل من العمارة وكسوناه جميعه بالديباج وأبحنا لمن يكسوه الحصر والحصر ايسر من الديباج وجعلنا فى كل جهة من جهاته مالا بقدر ما يصرف على الوصول اليه فأمر المأمون أن يحسب ما صرف على النقب فبلغ قدر ما وجد فى الحوض من غير زيادة ولا نقص * ويقال انه وجد فيه صورة آدمى من حجر أخضر كالدهنج فيها طبق كالدواة ففتح فاذا فيه جسد آدمى عليه درع من ذهب مزين بأنواع الجواهر وعلى صدره نصل سيف لا قيمة له وعند رأسه حجر من ياقوت أحمر فى قدر بيضة الدجاجة فأخذه المأمون وقال هذا خير من خراج الذهب * وذكر بعض مؤرخى مصر أن هذا الصنم الاخضر الذى وجدت الرمة فيه لم يزل معلقا عند دار الملك بمدينة مصر الى سنة احدى عشرة وستمائة من سنى الهجرة * وكان عند مدينة فرعون هرمان وعند ميدوم هرم وهذا آخرها * وفى سنة تسع وسبعين وخمسمائة من سنى الهجرة ظهر بتربة بوصير من ناحية الجيزة بيت هرميس ففتحه القاضى ابن الشهرزورى

وأخذ منه اشياء من جملتها كباش وقرود وضفادع من حجر بازهر وقوارير من دهنج وأصنام من نحاس * وقال ابن جرداويه من عجيب البنيان أن الهرمين بمصر سمك كل واحد منهما أربعمائة ذراع وكلما ارتفع دق وهما من رخام ومرمر والطول أربعمائة ذراع فى عرض أربعمائة ذراع مكتوب عليهما بالمسند كل سحر وكل عجيب من الطب ومكتوب عليهما انى بنيتهما فمن يدعى قوة فى ملكه فليهدمهما فان الهدم أيسر من البناء فاعتبر ذلك فاذا خراج الدنيا لايفى بهدمهما * وقال فى كتاب عجائب البنيان عن الاهرام قد انفردت مصر بهذه الاشكال فليس لها بغيرها تمثال يظنهما الناظر للديار المصرية نهدين ويحسبهما القابل أن مكارم اهلها قد أعدتهما للتكرم ابلوجين تراهما العين على بعد المسافة واذا حدثت عن عجائبهما يظن انه حديث خرافه وقد اكثر الناس فى ذكر الاهرام ووصفها ومساحتها وهى كثيرة العدد جدا وكلها بابر الجيزة على سمت مصر القديمة تمتد نحوا من مسافة ثلاثة أيام وفى بوصير منها شئ كثير وبعضها كبار وبعضها صغار وبعضها طين وبعضها لبن واكثرها حجر وبعضها مدرج واكثرها مخروط أملس * وقد كان منها بالجيزة عدد كثير كلها صغار هدمت فى زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب على يد الطواشى بهاء الدين قراقوش اخذ حجارتها وبنى بها القناطر فى الجيزة وقد بقى من هذه الاهرام المهدومة تلها * وأما الاهرام المتحدث عنها فهى ثلاثة اهرام موضوعة على خط مستقيم بالجيزة قبالة الفسطاط وبينها مسافات كثيرة وزوايا متقابلة نحو الشرق واثنان عظيمان جدا فى قدر واحد وهما متقاربان ومبنيان بالحجارة البيض وأما الثالث فصغير عنهما نحو الربع لكنه مبنى بحجارة الصوان الاحمر المنقط الشديد القوة والصلابة ولا يكاد يؤثر فيه الحديد الا فى الزمان الطويل وتجده صغيرا بالقياس الى ذينك فاذا أتيت اليه وافردته بالنظر هالك مرآه وحير النظر فى تأمله * وقد سلك فى بناء الاهرام طريق عجيب من الشكل والاتقان ولذلك صبرت على ممر الايام لا بل على ممرها صبر الزمان فانك اذا تأملتها وجدت الاذهان الشريفة قد استهلكت فيها والعقول الصافية قد افرغت عليها مجهودها والانفس النيرة قد أفاضت عليها أشرف ما عندها والملكات الهندسية قد أخرجتها الى الفعل مثالا فى غاية امكانها حتى انها تكاد تحدث عن قوة قومها وتخبر عن سيرتهم وتنطق عن علومهم واذهانهم وتترجم عن سيرهم وأخبارهم وذلك أن وضعها على شكل مخروط ويبتدئ من قاعدة مربعة وينتهى الى نقطة * ومن خواص الشكل المخروط أن مركز ثقله فى وسطه يتساند على نفسه ويتواقع على ذاته ويتحامل بعضه على بعض وليس له جهة اخرى يتساقط عليها * ومن عجيب وضعه أنه شكل مربع قد قوبل بزواياه مهاب الرياح الاربع فان الريح تنكسر سورتها عند مسامتتها الزاوية وليست كذلك عندما تلقى السطح * وذكر المساح أن قاعدة كل من الهرمين العظيمين أربعمائة ذراع بالذراع السوداء وينقطع المخروط فى أعلاه عند سطح مساحته عشرة اذرع فى مثلها وذكر أن بعض الرماة رمى سهما فى قطر أحدهما وفى سمكه فسقط السهم دون نصف المسافة وذكر أن ذرع سطحها أحد عشر ذراعا بذراع اليد وفى أحد هذين الهرمين مدخل يلجه الناس يفضى بهم الى مسالك ضيقة وأسراب متنافذة وآبار ومهالك وغير ذلك على ما يحكيه من يلجه وان اناسا كثيرين لهم غرام به وتخيل فيه فيتوغلون فى أعماقه ولا بد أن ينتهوا الى ما يعجزون عن سلوكه * وأما المسلوك المطروق كثيرا فزلاقة تفضى الى أعلاه فيوجد فيه بيت مربع فيه ناوس من حجر وهذا المدخل ليس هو الباب فى اصل البناء وانما هو منقوب نقبا صادف اتفاقا وذكر ان المامون فتحه * وحكى من دخله وصعد الى البيت الذى فى أعلاه فلما نزلوا حدثوا بعظيم ما شاهدوه وانه مملوء بالخفافيش وأبو الهاو تعظم فيه حتى تكون قدر الحمام وفيه طاقات وروازن نحو أعلاه كأنها عملت مسالك للريح ومنافذ للضوء بحجارة جافية طول الحجر منها من عشرة اذرع الى عشرين ذراعا وسمكه من ذراعين الى ثلاثة اذرع وعرضه نحو ذلك * والعجب كل العجب من وضع الحجر على الحجر بهندام ليس فى الامكان أصح منه بحيث لا تجد بينهما مدخل ابرة ولا خلل شعرة وبينهما طين لونه الزرقة لا يدرى ما هو ولا صفته وعلى تلك الحجارة كتابات بالقلم القديم المجهول الذى لم يوجد بديار مصر من يزعم أنه سمع من يعرفه وهذه الكتابات كثيرة جدا حتى لو نقل ما عليها الى صحف لكانت قدر عشرة آلاف صحيفة وقرأت فى بعض كتب الصابئة القديمة أن أحد هذين الهرمين قبر أغاديمون والآخر قبر هرمس ويزعمون أنهما بيتان عظيمان وان أغاديمون أقدم وأعظم وانه كان يحج اليهما ويهدى اليهما من أقطار البلاد * وكان

الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب المستقل بالملك بعد أبيه سوّل له جهلة أصحابه أن يهدم هذه الاهرام فبدأ بالصغير الاحمر فأخرج اليه النقابين والحجارين وجماعة من امراء دولته وعظماء مملكته وأمرهم بهدمه فخيموا عنده وحشروا الرجال والصناع ووفروا عليهم النفقات وأقاموا نحو ثمانية أشهر بخيلهم ورجلهم يهدمون كل يوم بعد الجهد واستفراغ بذل الوسع الحجر والحجرين فقوم من فوق يدفعونه بالاسافين وقوم من أسفل يجذبونه بالقلوس والاشطان فاذا سقط سمع له وجبة عظيمة من مسافة بعيدة حتى ترجف الجبال وتزلزل الارض ويغوص فى الرمل فيتعبون تعبا آخر حتى يخرجوه ويضربون فيه بالاسافين بعد ما يثقبون لها موضعا ويثبتونها فيه فيتقطع قطعا وتسحب كل قطعة على العجل حتى يلقى فى ذيل الجبل وهى مسافة قريبة فلما طال ثواؤهم ونفدت نفقاتهم وتضاعف نصبهم ووهت عزائمهم كفوا محسورين لم ينالوا بغية بل شوهوا الهرم وأبانوا عن عجز وفشل وكان ذلك فى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ومع ذلك فان الرائى لحجارة الهرم يظنّ أنه قد استؤصل فاذا عاين الهرم ظنّ أنه لم يهدم منه شئ وانما سقط بعض جانب منه وحين ما شوهدت المشقة التى يجدونها فى هدم كل حجر سئل مقدّم الحجارين فقيل له لو بذل لكم السلطان ألف دينار على أن تردّوا حجرا واحدا الى مكانه وهندامه هل كان يمكنكم فأقسم بالله انهم ليعجزون عنه ولو بذل لهم أضعاف ذلك * وبازاء الاهرام مغاير كثيرة العدد كبيرة المقدار عميقة الاغوار لعلّ الفارس يدخلها برمحه ويتخللها يوما اجمع ولا ينهيها لكبرها وسعتها وبعدها ويظهر من حالها انها مقاطع لحجارة الاهرام * وأما مقاطع حجارة الهرم الاحمر فيقال انها بالقلزم وباسوان وعند هذه الاهرام آثار أبنية جبارة ومغاير كثيرة منقبة وقلما ترى من ذلك شيأ الا وترى عليه كتابات بهذا القلم المجهول ولله در الفقيه عمارة اليمنى حيث يقول

خليلىّ ما تحت السماء بنية * تماثل فى اتقانها هرمى مصر
بناء يخاف الدهر منه وكلّ ما * على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر
تنزه طرفى فى بديع بنائها * ولم يتنزه فى المراد بها فكرى

اخذ هذا من قول بعض الحكماء كل شئ يخشى عليه من الدهر الا الاهرام فانه يخشى على الدهر منها وقال عبد الوهاب بن حسن بن جعفر بن الحاجب ومات فى سنة سبع وثمانين وثلثمائة

انظر الى الهرمين اذ برزا * للعين فى علو وفى صعد
وكأنما الارض العريضة قد * ظمئت لطول حرارة الكبد
حسرت عن الثديين بارزة * تدعو الاله لفرقة الولد
فأجابها بالنيل يشبعها * ريا وينقذها من الكمد
لكرامة المولى المقيم بها * خير الانام مقوّم الاود

وقال سيف الدين بن جبارة

لله اىّ عجيبة وغريبة * فى صنعة الاهرام للالباب
اخفت عن الاسماع قصة اهلها * ونضت عن الابداع كل نقاب
فكأنما هى كالخيام مقامة * من غير ما عمد ولا اطناب

وقال آخر

انظر الى الهرمين واسمع منهما * ما يرويان عن الزمان الغابر
وانظر الى سرّ الليالى فيهما * نظرا بعين القلب لا بالناظر
لو ينطقان لخبّرانا بالذى * فعل الزمان بأوّل وبآخر
واذا هما بديا لعينى ناظر * وصفا له اذنى جواد عاثر

وقال الامام ابو العباس احمد بن يوسف التيفاشى

الست ترى الاهرام دام بناؤها * ويفنى لدينا العالم الانس والجن
كأن رحى الافلاك اكوارها على * قواعدها الاهرام والعالم الطحن

وقال

قد كان للماضين من * سكان مصرهم * فالفضل عنهم فضلة * والعلم فيهم علم
ثم انقضت أعلامهم * وعلمهم واحتطموا * وانظر تراها ظاهرا * بادعليها الهرم

وقال

خليلى لاباق على الحدثان * من الاول الباقى فيحدث ثانى
الى هرمى مصر تناهت قوى الورى * وقد هرمت فى دهرها الهرمان
فلا تعجبا أن قد هرمت فانما * رمانى بفقدان الشباب زمانى
وعوجا بقرطاجنة فانظرا بها * جنايتى العادين تنتحبان
وايوان كسرى فانظراه فانه * يخبركما بالصدق كل اوان
فلا تحسبا أن الفناء يخصنى * ألا كل مافوق البسيطة فانى

ووجدت بخط الشيخ شهاب الدين احمد بن يحيى بن ابى حجلة التلمسانى أنشدنى القاضى فخر الدين عبد الوهاب المصرى لنفسه فى الاهرام سنة خمس وخمسين وسبعمائة وأجاد

أمبانى الاهرام كم من واعظ * صدع القلوب ولم يفه بلسانه
اذكرنى قولا تقادم عهده * اين الذى الهرمان من بنيانه
هن الجبال الشامخات تكاد أن * تمتد فوق الارض عن كيوانه
لو أن كسرى جالس فى سفحها * لاجل مجلسه على ايوانه
ثبتت على حر الزمان وبرده * مددا ولم تأسف على حدثانه
والشمس فى احراقها والريح عند * هبوبها والسيل فى جريانه
هل عابد قد خصها بعبادة * فبانى الاهرام من اوثانه
أو قائل يقضى برجعى نفسه * من بعد فرقته الى جثمانه
فاختارها لكنوزه ولجسمه * قبرا ليأمن من أذى طوفانه
اوانها للسائرات مراصد * يختار راصدها اعز مكانه
اوانها وصفت شؤون كواكب * احكام فرس الدهر أو يونانه
اوانهم نقشوا على حيطانها * علما يحار الفكر فى تبيانه
فى قلب رائيها العلم نقشها * فكر بعض عليه طرف بنانه

(ذكر الصنم الذى يقال له ابو الهول)

هذا الصنم بين الهرمين عرف اولا بيلهيب وتقول اهل مصر اليوم ابو الهول * قال القضاعى صنم الهرمين وهو بلهويه صنم كبير من حجارة فيما بين الهرمين لا يظهر منه سوى رأسه فقط تسميه العامة بابى الهول ويقال بلهيب ويقال انه طلسم للرمل لئلا يغلب على ابليز الجيزة * وقال فى كتاب عجائب البنيان وعند الاهرام رأس وعنق بارزة من الارض فى غاية العظم تسميه الناس أبا الهول ويزعمون أن جثته مدفونة تحت الارض ويقتضى القياس بالنسبة الى رأسه أن يكون طوله سبعين ذراعا فصاعدا وفى وجهه حمرة ودهان يلمع عليه رونق الطراوة وهو حسن الصورة مقبولها عليه مسحة بهاء وجمال كانه يضحك تبسما * وسئل بعض الفضلاء عن عجيب ماراى فقال تناسب وجه ابى الهول فان أعضاء وجهه كالانف والعين والاذن متناسبة كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة فان انف الطفل مثلا مناسب له وهو حسن به حتى لو كان ذلك الانف لرجل كان مشوها وكذلك انف الرجل لو كان لصبى لتشوهت صورته وعلى هذا سائر الاعضاء فكل عضو ينبغى أن يكون على مقدار ماهيته بالقياس الى الصورة وعلى نسبتها والعجب من مصوره كيف قدر أن يحفظ التناسب للاعضاء مع عظمها وانه ليس فى أعمال الطبيعة ما يحاكيه * ويقابله فى بر مصر قريبا من دار الملك صنم عظيم الخلقة والهيئة متناسب الاعضاء كما وصف وفى حجره مولود وعلى رأسه ماجور الجميع صوان مانع يزعم الناس أنه امرأة وانها سرية ابى الهول المذكور وهى بدرب منسوب اليها ويقال لو وضع على رأس ابى الهول خيط ومد الى سريته لكان على رأسها مستقيما ويقال ان ابا الهول طلسم الرمل يمنعه عن

النيل وان السرية طلسم الماء يمنعه عن مصر * وقال ابن المتوج زقاق الصنم هو الزقاق الشارع أوله باول السوق الكبير بجوار درب عمار ويعرف الصنم بسرية فرعون وذكر أنه طلسم النيل لئلا يغلب على البلد وقيل ان بلهيب الذى عند الاهرام يقابله وان ظهر بلهيب الى الرمل وظهر هذا الى النيل وكل منهما مستقبل الشرق وقد نزل فى سنة احدى عشرة وسبعمائة امير يعرف بيلاط فى نفر من الحجارين والقطاعين وكسروا الصنم المعروف بالسرية وقطعوه أعتابا وقواعد ظنا أن يكون تحته مال فلم يوجد سوى أعتاب من حجر عظيمة فحفر تحتها الى الماء فلم يوجد شئ وجعل من حجره قواعد تحتانية للعمد الصوّان التى بالجامع المستجد بظاهر مصر المعروف بالجامع الجديد الناصرى وأزيل عين هذا الصنم من مكانه والله اعلم * وفى زمننا كان شخص يعرف بالشيخ محمد صائم الدهر من جملة صوفية الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء قام فى نحو من سنة ثمانين وسبعمائة لتغيير اشياء من المنكرات وسار الى الاهرام وشوّه وجه ابى الهول وشعثه فهو على ذلك الى اليوم ومن حينئذ غلب الرمل على أراض كثيرة من الجيزة واهل تلك النواحى يرون أن سبب غلبة الرمل على الاراضى فساد وجه أبى الهول ولله عاقبة الامور وما أحسن قول ظافر الحداد

تأمّل هيئة الهرمين واعجب * وبينهما ابو الهول العجيب
كعماريتين على رحيل * بمحبوبين بينهما رقيب
وماء النيل تحتهما دموع * وصوت الريح عندهما نحيب
وظاهر سجن يوسف مثل صب * تخلف فهو محزون كئيب

ويقال ان اتريب بن قبط بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح أوصى أخاه صا عند موته أن يحمله فى سفينة ويدفنه بجزيرة فى وسط البحر فلما مات فعل ذلك من غير أن يعلم به اهل مصر فاتهمه الناس بقتل اتريب وحاربوه تسع سنين فلما مضى من حربهم خمس سنين مضى بهم حتى أوقفهم على قبر اتريب فحفروه فلم يجدوا به شيأ وقد نقلته الشياطين الى موضع أبى الهول ودفنته هنالك بجانب قبر أبيه وجده بيصر فازدادوا له تهمة وعادوا الى مدينة منف وتحاربوا فأتاهم ابليس فدلهم على قبر اتريب حيث نقله فأخرجوه من قبره ووضعوه على سرير فتكلم لهم الشيطان على لسانه حتى افتتنوا به وسجدوا له وعبدوه فيما عبدوا من الاصنام وقتلوا صا ودفنوه على شاطئ النيل فكان النيل اذا زاد لا يعلو قبره فافتتن به طائفة وقالوا قد قتل صا ظلما وصاروا يسجدون لقبره كما يسجدوا لتلك لاتريب فعمد آخرون الى حجر فنحتوه على صورة اشموم وكان يقال له ابو الهول ونصبوه بين الهرمين وجعلوا يسجدون له فصار أهل مصر ثلاث فرق ولم تزل الصابئة تعظم أبا الهول وتقرب له الديكة البيض وتبخره بالصندروس

(ذكر الجبال)

اعلم ان أرض مصر بأسرها محصورة بين جبلين آخذين من الجنوب الى الشمال قليلى الارتفاع وأحدهما أعظم من الآخر والاعظم منهما هو الجبل الشرقى المعروف بجبل لوقا والغربى جبل صغير وبعضه غير متصل ببعض والمسافة بينهما تضيق فى بعض المواضع وتتسع فى بعضها وأوسع ما يكون باسفل أرض مصر وهذان الجبلان اقرعان لا ينبت فيهما نبات كما يكون فى جبال البلدان الاخر وعلة ذلك انهما بورقيان مالحان لان قوة طين مصر تجذب منهما الرطوبات الموافقة فى التكوين ولان قوة الحرارة تحلل منهما الجوهر اللطيف العذب وكذلك مياه الآبار منهما مالحة وهذان الجبلان يجففان ما يدفن فيهما فان أرض مصر بالطبع قليلة الامطار * وجبل لوقا فى مشرق أرض مصر يعوق عنها ريح الصبا فعدمت مصر هذا الريح ويعوق أيضا اشراق الشمس على أرض مصر اذا كانت على الافق وتتعدد اسماء هذين الجبلين بحسب مواضعهما من الاقليم فيطل على الفسطاط وعلى القاهرة الجبل المقطم

(ذكر الجبل المقطم)

اعلم أن الجبل المقطم اوله من الشرق من الصين حيث البحر المحيط ويمر على بلاد الططر حتى يأتى فرغانة الى جبال البتم الممتد بها نهر السغد الى أن يصل الجبل الى جيحون فيقطعه ويمضى فى وسطه بين شعبتين منه وكأنه قطع ثم فى وسطه ويستمر الجبل الى الجورجان ويأخذ على الطالقان الى أعمال مرو والرود الى طوس فيكون جميع مدن طوس فيه ويتصل به جبال أصبهان وشيراز الى أن يصل الى البحر الهندى وينعطف هذا الجبل ويمتد الى شهرزور فيمر على

الدجلة ويتصل بجبل الجودى موقف سفينة نوح عليه السلام فى الطوفان ولايزال هذا الجبل مستمرا من أعمال آمد وميافارقين حتى يمر بثغور حلب فيسمى هناك جبل اللكام الى أن يتعدى الثغور فيسمى بهرا حتى يجاوز حمص فيسمى لبنان ثم يمتد على الشام حتى ينتهى الى بحر القلزم من جهة ويتصل من الجهة الاخرى ويسمى المقطم ثم يتشعب ويتصل اواخر شعبه بنهاية الغرب ويقال انه عرف بمقطم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام * وجبل المقطم يمر على جانبى النيل الى النوبة ويعبر من فوق الفيوم فيتصل بالغرب الى أرض مقراوة ويمضى مغربا الى سجلماسة ومنها الى البحر المحيط مسيرة خمسة اشهر * وقال ابراهيم بن وصيف شاه وذكر مجىء مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح الى أرض مصر وكشف اصحاب اقليمون الكاهن عن كنوز مصر وعلومهم التى هى بخط البرابى وآثارهم والمعادن من الذهب والزبرجد والفيروزج وغير ذلك ووصفوا لهم عمل الصنعة يعنى الكيمياء فجعل مصرايم امرها الى رجل من اهل بيته يقال له مقيطام الحكيم فكان يعمل الكيمياء فى الجبل الشرقى فسمى به المقطم من أجل أن مقيطام الحكيم كان يعمل فيه الكيمياء واختصر من اسمه وبقى ما يدل عليه فقيل له جبل المقطم يعنى جبل مقيطام الحكيم وقال البكرى رحمة الله تعالى عليه المقطم بضم اوله وفتح ثانيه وتشديد الطاء المهملة وفتحها جبل متصل بمصر يوارون فيه موتاهم وقال القضاعى المقطم ذكر أبو عبد الله اليمنى ان هذا الجبل نسب الى المقطم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح وكان عبدا صالحا فانفرد بعبادة الله عز وجل فيه فسمى الجبل باسمه وليس هذا بصحيح لانه لايعرف لمصر ولد اسمه المقطم * والذى ذكره العلماء أن المقطم مأخوذ من القطم وهو القطع فكأنه لما كان منقطع الشجر والنبات سمى مقطما ذكر ذلك على بن الحسن الهناءى الدوسى المنبوذ بكراع وغيره * وروى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم عن الليث بن سعد رضى الله عنه قال سال المقوقس عمرو بن العاص رضى الله عنه أن يبيعه سفح الجبل المقطم بسبعين ألف دينار وفى نسخة بعشرين ألف دينار فعجب عمرو من ذلك وقال أكتب بذلك الى أمير المؤمنين فكتب بذلك الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب اليه عمر سله لم أعطاك به ما أعطاك وهى لاتزرع ولايستنبط بها ماء فسأله فقال انا لنجد صفتها فى الكتب أن فيها غراس الجنة فكتب بذلك الى عمر فكتب اليه انا لانعلم غراس الجنة الا المؤمنين فاقبر فيها من مات قبلك من المؤمنين ولاتبعه بشئ فكان اول من قبر فيها رجلا من المعافر يقال له عامر فقيل عمرت فقال المقوقس لعمرو وماذلك وما على هذا عاهدتنا فقطع لهم الحد الذى بين المقبرة وبينهم * وذكر عمر بن ابى عمر الكندى فى فضائل مصر أن عمرو بن العاص رضى الله عنه سار فى سفح الجبل المقطم ومعه المقوقس فقال له ما لجبلكم هذا أقرع ليس به نبات كجبال الشام فلو شققنا فى أسفله نهرا من النيل وغرسناه نخلا فقال المقوقس وجدنا فى الكتب انه كان اكثر الجبال اشجارا ونباتا وفاكهة وكان منزل المقطم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام فلما كانت الليلة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام اوحى الله الى الجبال انى مكلم نبيا من انبيائى على جبل منكم فسمت الجبال كلها وتشامخت الا جبل بيت المقدس فانه هبط وتصاغر فأوحى الله اليه لم فعلت ذلك وهو به أخبر فقال اعظاما واجلالا لك يارب قال فأمر الله سبحانه الجبال أن يحبوه كل جبل بما عليه من النبت فجاد له المقطم بكل ما عليه من النبت حتى بقى كما ترى فأوحى الله اليه انى معوضك على فعلك بشجر الجنة أو غراس الجنة فكتب بذلك عمرو بن العاص رضى الله عنه الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه انى لا أعلم شجر الجنة غير المؤمنين فاجعله لهم مقبرة ففعل فغضب المقوقس من ذلك وقال لعمرو ما على هذا صالحتنى فقطع له عمر قطيعا نحو الحبش تدفن فيه النصارى قال وروى أن موسى عليه السلام سجد فسجد معه كل شجرة من المقطم الى طرا * وروى أنه مكتوب واذا فتح مقدسى بريد وادى مسجد موسى عليه السلام بالمقطم عند مقطع الحجارة فان موسى عليه السلام كان يناجى ربه بذلك الوادى * وروى أسد بن موسى قال شهدت جنازة مع موسى بن لهيعة فجلسنا حوله فرفع رأسه فنظر الى الجبل فقال ان عيسى ابن مريم عليه السلام مر بسفح هذا الجبل وعليه جبة صوف وقد شد وسطه بشريط وامه الى جانبه فالتفت اليها وقال يا امه هذه مقبرة امة محمد صلى الله عليه وسلم وروى عبد الله بن لهيعة عن عياش بن عباس أن كعب الاحبار رضى الله عنه سأل رجلا يريد مصر فقال له أهد لى تربة من سفح مقطمها فأتاه منه بجراب فلما حضرت كعبا الوفاة امر به فجعل فى لحده تحت جنبه * وروى عن كعب انه سئل عن جبل مصر فقال انه لمقدس ما بين القصير الى

اليحموم قال ابن لهيعة والمقطم مابين القصير الى مقطع الحجارة ومابعد ذلك فن اليحموم وفى هذا الجبل حجر الجوهر وشئ من الفولاذ وهو يمتد الى اقاصى بلاد السودان

*(الجبل الاحمر)

هذا الجبل مطل على القاهرة من شرقيها الشمالى ويعرف باليحموم قال القضاعى اليحاميم هى الجبال المتفرقة المطلة على القاهرة من جانبها الشرقى وجبابها وتنتهى هذه الجبال الى بعض طرق الجب وقيل لها اليحاميم لاختلاف ألوانها واليحموم فى كلام العرب الاسود المظلم * وقال ابن عبد الحكم عن سعى بن عبيد انه لما قدم مصر وأهل مصر قد اتخذوا مصلى بحذاء ساقية أبى عون التى فى العسكر فقال مالهم وضعوا مصلاهم فى الجبل الملعون وتركوا الجبل المقدس يعنى المقطم * وقال ابن عبد الظاهر الجبل الاحمر ذكر القضاعى أن اليحموم هو الجبل المطل على القاهرة ولا أرى جبلا يطل على القاهرة غيره * وقال البكرى اليحموم بفتح اوله واسكان ثانيه قال الحربى اليحموم جبل بمصر * وروى من طريق أبى قبيل عن عبد الله بن عمرو أنه سأل كعبا عن المقطم الملعون قال ليس بملعون ولكنه مقدس من القصير الى اليحموم * وذكر البكرى أيضا أن عابدا بالباء الموحدة والدال المهملة على وزن فاعل جبل بمصر قبل المقطم

(جبل يشكر)

هذا الجبل فيما بين القاهرة ومصر عليه الجامع الطولونى قال القضاعى جبل يشكر هو يشكر بن جديلة من لخم وهو الذى عليه جامع ابن طولون ويشكر بن جديلة قبيلة من قبائل العرب اختطت عند الفتح بهذا الجبل فعرف بجبل يشكر لذلك * قال ابن عبد الظاهر وجامع ابن طولون على جبل يشكر وهو مكان مشهور باجابة الدعاء ومكان مبارك وقيل ان موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات وكان هذا الجبل يشرف على النيل وليس بينه وبين النيل شئ وكان يشرف على البركتين اعنى بركة الفيل والبركة التى تعرف اليوم ببركة قارون وعلى هذا الجبل كانت تنصب المجانيق التى تجرب قبل ارسالها الى الثغور *(الكبش) هو جبل بجوار يشكر كان قديما يشرف على النيل من غربيه ثم لما اختط المسلمون مدينة الفسطاط بعد فتح أرض مصر صار الكبش من جملة خطة الحمراء القصوى وسمى الكبش *(الشرف) اسم لثلاثة مواضع فاثنان منها فيما بين القاهرة ومصر وواحد فيما بين بركة الحبش وفسطاط مصر فاما الذى بظاهر القاهرة فأحدهما عليه الآن قلعة الجبل وهو من جملة الجبل المقطم والآخر فيما بين الجامع الطولونى ومصر فيشرف غربيه على جهة الخليج الكبير ويصير فيما بين كوم الجارح وخط الجامع الطولونى وكان من خطة تجيب ثم صار من جملة العسكر وأما الشرف الثالث فيعرف اليوم بالرصد وهو يشرف على راشدة وكان يقال للشرف سند والسند ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح ويقال فلان سند أى معتمد

(ذكر الرصد)

هذا المكان شرف يطل من غربيه على راشدة ومن قبليه على بركة الحبش فيحسبه من رآه من جهة راشدة جبلا وهو من شرقيه سهل يتوصل اليه من القرافة بغير ارتقاء ولا صعود وهو محاذ للشرف الذى كان من جملة العسكر والشرف الذى يعرف اليوم بالكبش وكان يقال له قديما الجرف ثم عرف بالرصد من أجل أن الافضل أبا القاسم شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى أقام فوقه كرة لرصد الكواكب فعرف من حينئذ بالرصد قال فى كتاب عمل الرصد وحمل الى الافضل شاهنشاه بن امير الجيوش بدر من الشام تقاويم لما يستأنف من السنين لاستقبال سنة خمسمائة من سنى الهجرة قبل مائة تقويم اونحوها وكان منجمو الحضرة يومئذ ابن الحلبى وابن الهيثمى وسهلون وغيرهم يطلق لهم الجارى فى كل شهر والرسوم والكسوة على عمل التقويم فى كل سنة وكان كل منهم يجتهد فى حسابه وما تصل قدرته اليه فاذا كان فى غرة السنة حمل كل منهم تقويمه فيقابل بينها وبين التقويمات المحضرة من الشام فيوجد بينها اختلاف كثير فانكر ذلك فلما كان غرة ثلاث عشرة وخمسمائة عند احضار التقاويم على العادة جمع المنجمين والحساب واهل العلم وسألهم عن السبب فى الخلف بين التقاويم فقالوا الشامى يحسب ويعمل على رأى الزيج المهجور المأمونى ونحن نعمل على رأى الزيج الحاكمى لقرب عهده وبين المتقدم والمتأخر تفاوت وخلف وقد اجمع القدماء أن القريب العهد أصح من المتقدم لتنقل الكواكب وتغير الحساب وتحدثوا فى معنى ذلك بما هو مذكور فى موضعه وأشاروا عليه بعمل رصد

مستجد يصح به الحساب ويخرج به المعور والتفاوت وتحصل به المنفعة العظيمة والفائدة الجليلة والسمعة الشريفة والذكر الباقى فقال من يتولى ذلك فقال صاحب دسته ومشيره الشيخ الاجل ابو الحسن بن أبى أسامة هذا القاضى ابن أبى العيش الطرابلسى المهندس العالم الفاضل وكان ابن أبى العيش صهره زوج ابنته وهو شيخ كبير السن والقدر كثير المال وساعده على ذلك القائد أبو عبد الله الذى تقلد الوزارة بعد الافضل ودعى بالمأمون بن البطائحى فاستصوب الافضل ذلك وقال مروه يهتم بذلك ويستدعى ما يحتاج اليه فكان أول ما بدأ به لما حصل ذلك أن مدح نفسه وكان الافضل غيورا على كل شئ أشد ما عليه من يفتخر أو يلبس ثيابا مذكورة ثم قال هذه الآلات عظيمة وخطرها جسيم ولا كل أحد يقوم عليها ولا يحسنها وأكثر الكلام والتوسعة وقال يحتاج أن الذى يتولى ذلك يعتمد معه الانعام والاكرام لتطيب نفسه للمباشرة وينشرح صدره ويقدح خاطره لما يعمل فى حقه فضجر الافضل من ذلك وقال لقد أكثر فى مدح نفسه ولدده وما يعاملنا بعد لا حاجة الى معاملته فأشار القائد بن البطائحى وقال هنا من يبلغ الغرض بأسهل مأخذ وأقرب وقت وأسرعه وألطف معنى ابو سعيد بن قرقة الطبيب متولى خزائن السلاح والسروج والصناعات وغير ذلك فأحضره للوقت فاتفق له من الحديث الحسن السهل وما سبب عمل الآلات ومن ابتدأها من الاول وذكر القدماء فى العلم ومن رصد منهم واحدا واحدا الى آخرهم شرحا مستوفيا كأنه يحفظه ظاهرا او يقرأه من كتاب فأعجب الافضل والحاضرين وقال اى شئ تحتاج فقال ما أحتاج كبير أمر والامور سهلة وكل ما أحتاجه فى خزائن السلطان خلد الله ملكه النحاس والرصاص والآلات وكل ما أحتاج أستدعيه اولا اولا الا النفقات وأجرة الصناع فيه ولا هاغيرى فأعجب به وقال يطلق له جار لنفسه فقال أنا مستخدم فى عدة خدم بجوارى تكفينى فأنا مملوك الدولة ما أحتاج الى جار واذا بلغت الغرض وأنهيت الاشغال فهو المقصود وكان قيل للافضل هذا الرصد يحتاج الى اموال عظيمة فقال كم تقول يحتاج اليه فقال ما ينفق عليه الامثل ما ينفق على مسجد أو مستنظر فرجع يكرر عليه القول فقال هاتوا ورقة فكتب فيها المملوك يقبل الارض وينهى دعت الحاجة الى خروج الامر العالى الى دار الوكالة باطلاق مائتى قنطار من النحاس التجر وثمانين قنطارا من النحاس القضيب الاندلسى وأربعين قنطارا من النحاس الاحمر ومن الرصاص ألف قنطار ومن الحطب ومن الحديد والفولاذ من الصناعة ما لعله يحتاج اليه ومن الاخشاب ومن النفقة مائة دينار على يد شاهد ينفق عليه فاذا فرغت أستدعى غيرها واختار موضعا يصلح الرصد فيه ويكون العمل والصناعة فيه ومباشرة السلطان فيما يتوقف عليه وما يستأمر فيه فاستصوب الافضل جميع ذلك وأراد أن يخلع عليه فقال القائد هذا فيما بعد اذا شوهدت أعماله فخدم من اول الحال الى آخرها ولم يحصل له الدرهم الفرد لانه كان يستحى أن يطلب وهو مستخدم عندهم وكانوا بأجمعهم يؤملون طول المدة والبقاء فقتل الافضل ثانى سنة وتغيرت الاحوال ثم انهم اختاروا للرصد مسجد التنور فوق المقطم فوجدوه بعيدا عن الحوائج فأجمعوا على سطح الجرف بالمسجد المعروف بالفيلة الكبير وكان قد صرف على المسجد خاصة ستة آلاف دينار فحفروا فى مسجد الفيلة نقرا فى الجبل مكان الصهريج الآن فعمل فيه قالب الحلقة الكبيرة وقطرها عشرة اذرع ودورها ثلاثون ذراعا وهندموه وحرروه أياما وعمل حوله عشر هرج على كل هرجة منفاخان وفى كل هرجة أحد عشر قنطارا نحاسا وأقل وأكثر والجميع مائة قنطار وكسر قسموها على الهرج وطرح فيها النار من العصر ونفخوا الى الثانية من النهار وحضر الافضل بكرة وجلس على كرسى فلما تهيأت الهرج ودارت أمر الافضل بفتحها وقد وقف على كل هرجة رجل وأمروا بفتحها فى لحظة ففتحت وسال النحاس كالماء الى القالب وكان قد بقى فيه بعض النداوة فلما استقر به النحاس بحرارته تقعقع المكان الندى فلم تتم الحلقة ولما بردت وكشف عنها اذ هى تامة ما خلا المكان الندى فضجر الافضل وضاق صدره ورمى الصناع بكيس فيه ألف درهم وغضب وركب فلاطفه ابن قرقة وقال مثل هذه الآلة العظيمة التى ما سمع قط بمثلها لو أعيد سبكها عشر مرات حتى تصح ما كان كثيرا فقال له الافضل اهتم فى اعادتها فسبكت وصحت ولم يحضر الافضل فى المرة الثانية ففرح بصحتها وعملت ورفعت الى سطح مسجد الفيلة وأحضر لها جميع صناع النحاس وعمل لها بركار خشب من السنديان وهو بركار عجيب وبنى فى وسط الحلقة مسطبة حجارة منقبة لرجل البركار وهو قائم مثل عروس الطاحون وفيه

ساعد مثل ناف الطاحون وقد لبس بالحديد والجميع سند بان جيد وطرف الساعد مهما العدة فنون تارة لتصحيح وجه الحلقة وتارة لتعديل الاجناب وتارة للخطوط والحزوز وأقام في التصحيح فيها وأخذ زوائدها بالمبارد مدة طويلة وجماعة الصناع والمهندسين وأرباب هذا العلم حاضرون واستدعى لهم خيمة عظيمة ضربت على الجميع وعقد تحت الحلقة اقباء وثيقة وأرادوا اقامتها على سطح مسجد الفيلة فلم يتهيأ لهم فانهم وجدوا المشرق لاول بروز الشمس مسدودا فاتفقوا على نقلها الى المسجد الجيوشي مجاور الانطاكي المعروف أيضا بالرصد وكان الافضل بناه ألطف من جامع الفيلة ولم يكمل فلما صار برسم الرصد كمل فحضر الافضل في نقل الحلقة من جامع الفيلة الى المسجد الجيوشي وقد احضرت الصوارى الطوال العظام والسرياقات والمنجنيقات من الاسكندرية وغيرها وجمعت الاسطولية ورجال السودان وبعض اصحاب الركاب والجند حتى ادلوه وحملوه على العجل الى مسجد الرصد الجيوشي وثاني يوم حضروا بأجمعهم حتى رفعوه الى السطح وكملوه وأقاموا الحلقة وجعلوا تحت أكتافها عمودين من رخام سبكوهما بالرصاص من أسفلهما وأعلاهما حتى لا يرتخي ثقل النحاس وجعل في الوسط عمود رخام وبأعلاه قطب العضادة مسبوك بالنحاس الكثير لتدور عليه العضادة وعملت من نحاس فما تمارست ولا دارت فعملوها من خشب ساج وقطبها واطرافها من نحاس صفائح لخف الدوران ثم رصدوا بها الشمس بعد كلفة وكانت الحلقة ترخي الدرجة والدقائق كل وقت للثقل فعمل عمود من نحاس فوق عمود الرخام ليمسك رخوها وغلبوا بعد ذلك فكانت تختلف لشدة ما كانوا يحزرونها بالشواقيل وعضادة الخشب وتردد اليها الافضل مع كبر سنه وهو يرتعش والقائد يحمله الى فوق ويقعد زمانا من التعب لا يتكلم ويده ترتعش فرصد واقدامه وفي خلال ذلك قتل الافضل ليلة عيد الفطر سنة خمس عشرة وخمسمائة وقيل للافضل عن ابن قرقة انه اسرف في كبر الحلقة وعظم مقدارها فقال له الافضل لو اختصرت منها كان أهون فقال وحق نعمتك لو أمكنني أن أعمل حلقة تكون رجلها الواحدة على الاهرام والاخرى على التنور فعلت فكلما كبرت الآلة صح التحرير وأين هذا في العالم العلوي ثم اكثروا عليه فعمل حلقة دونها في الموضع المهندم بالطوب الاحمر تحت المسجد الجيوشي كان قطرها أقل من سبعة اذرع ودورها نحو احد وعشرين ذراعا فلما كملت قتل الافضل ولم ينفق من مال السلطان في الاجرة والمؤن وما لا بد منه سوى نحو مائة وستين دينارا فلما تمت الوزارة للمأمون البطائحي أحب أن يكملها ويقال له الرصد المأموني المصحح كما قيل للاول الرصد المأموني الممتحن فأخرج الامر بنقل الرصد الى باب النصر بالقاهرة فنقل على الطريقة الاولى بالعتالين والاسطولية وطوائف الرجال وكان يدفع لهم كل يوم برسم الغداء جملة دراهم فلما صار فوق العجل مضوا به على الخندق من وراء الفتح على المشاهد الى مسجد الذخيرة من ظاهر القاهرة وتعبوا في دخوله من باب النصر تعبا عظيما لخوفهم أن يصدم فيتغير فنصبوا الصوارى على عقد باب النصر من داخل الباب وتكاثر الرجال في جذب المياحين من أسفل ومن فوق حتى وصل الى السطح الكبير ثم نقلوه من السطح الكبير الى السطح الفوقاني وأوقفوا له العمد كما تقدم ذكره ورصدوا بالحلقة الكبرى كما رصدوا بها على سطح الجرف فصح لهم ما أرادوا من حال الشمس فقط ثم اهتموا بعمل ذات حلق يكون قطرها خمسة اذرع وسبكت في فندق بالمطوفية من القاهرة وكان الامر فيها سهلا عندما لحقهم من العناء العظيم في الحلقة الكبيرة والحلقة الوسطى وتجرد المأمون لعملها والحث فيها وكان ابن قرقة يحضر كل يوم دفعتين ويحضر أبو جعفر بن حسنداى وابو البركات بن ابي الليث صاحب الديوان وبيده الحل والعقد فقال له المأمون اطلع اليهم كل يوم واي شئ طلبوه وقع لهم به من غير مؤامرة وكان قصده ما أطمعوه فيه من أن يقال الرصد المأموني المصحح فلو أراد الله أن يبقى المأمون قليلا كان كمل جميع رصد الكواكب لكنه قبض عليه ليلة السبت ثالث شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة وكان من جملة ما عدد من ذنوبه عمل الرصد المذكور والاجتهاد فيه وقيل أطمعته نفسه في الخلافة بكونه سماه الرصد المأموني ونسبه الى نفسه ولم ينسبه الى الخليفة الآمر بأحكام الله وأما العامة والغوغاء فكانوا يقولون أرادوا أن يخاطبوا زحل وأرادوا أن يعلموا الغيب وقال اخرون منهم عمل هذا للسحر ونحو ذلك من الشناعات فلما قبض على المأمون بطل وأنكر الخليفة على عمله فلم يجسر أحد أن يذكره وأمر فكسر وحمل الى المناخات وهرب المستخدمون ومن كان فيه من الخاص وكان فيه من المهندسين

رسم خدمته وملازمته فى كل يوم بحيث لا يتأخر منهم أحد الشيخ ابو جعفر بن حسنداى والقاضى بن ابى العيش والخطيب ابو الحسن على بن سليمان بن ايوب والشيخ ابو النجا بن سند الساعاتى الاسكندرانى المهندس وابو محمد عبد الكريم الصقلى المهندس وغيرهم من الحساب والمنجمين كابن الحلبى وابن الهيثى وابى نصر تلميذ سهلون وابن دياب والقلعى وجماعة يحضرون كل يوم الى ضحوة النهار فيحضر صاحب الديوان ابن أبى الليث وكان ابن حسنداى ربما تأخر فى بعض الايام فانه كان امرأ عظيما صاحب كبرياء وهيبة وفى كل يوم يبعث المأمون من يتفقد الجماعة ويطالعه بمن غاب منهم لانه كان كثير التفقد للامور كلها وله غمازون واصحاب أخبار لا تنام ولا يكاد يفوته شئ من احوال الخاصة والعامة بمصر والقاهرة ومن يتحدث وجعل فى كل بلد من الاعمال من يأتيه بسائر أخبارها وانا أدركت هذا الموضع الذى يعرف اليوم بالرصد حيث جامع الفيلة عامرا فيه عدة مساكن ومساجد وبه اناس مقيمون دائما وقد خرب ماهنالك وصار لا انيس به وكان الملك الناصر محمد بن قلاون قد أنشأ فيه سواقى لنقل الماء من اماكن قد حفر لها خليج من البحر بجوار رباط الآثار النبوية فاذا صار الماء فى سفح هذا الجرف المسمى بالرصد نقل بسواق هنالك قد انشئت الى أن يصير الى القلعة فمات ولم يكمل ما أراده من ذلك كما ذكر فى أخبار قلعة الجبل من هذا الكتاب ومازال موضع هذا الرصد منتزها لاهل مصر ويقال ان المعز لدين الله معد لما قدم من بلاد المغرب الى القاهرة لم يعجبه مكانها وقال للقائد جوهر فاتك بناء القاهرة على النيل فهلا كنت بنيتها على الجرف يعنى هذا المكان ويقال ان اللحم علق بالقاهرة فتغير بعد يوم وليلة وعلق بقلعة الجبل فتغير بعد يومين وليلتين وعلق فى موضع الرصد فلم يتغير ثلاثة ايام ولياليها لطيب هوائه ولله در القائل

يا ليلة عاش مسرورى بها * ومات من يحسدنا بالكمد
وبت بالمعشوق فى المشتهى * وبات من يرقبنا بالرصد

* (ذكر مدائن أرض مصر) *

قال ابن سيده مدن بالمكان أقام والمدينة الحصن يبنى فى اسطمة الارض مشتق من ذلك والجمع مدائن ومدن ومن هنا حكم ابو الحسن فيما حكى الفارسى عنه أن مدينة فعيلة وقال العلامة اثير الدين ابو حيان المدينة معروفة مشتقة من مدن فهى فعيلة ومن ذهب الى انها مفعلة من دان فقوله ضعيف لاجماع العرب على الهمز فى جمعها فانهم قالوا مدائن بالهمز ولا يحفظ مداين بالياء ولا ضرورة تدعو الى انها مفعلة من دان ويقطع بأنها فعيلة جمعهم لها على فعل فانهم قالوا مدن كما قالوا صحف فى صحيفة واعلم أن مدائن مصر كثيرة منها ما دثر وجهل اسمه ورسمه ومنها ما عرف اسمه وبقى رسمه ومنها ما هو عامر * وأول مدينة عرف اسمها فى أرض مصر مدينة امسوس وقد محا الطوفان رسمها ولها أخبار معروفة وبها كان ملك مصر قبل الطوفان ثم صارت مدينة مصر بعد الطوفان مدينة منف وكان بها ملك القبط والفراعنة الى أن خربها بخت نصر فلما قدم الاسكندر بن فيلبش المقدونى من مملكة الروم عمر مدينة الاسكندرية عمارة جديدة وصارت دار المملكة بمصر الى أن قدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين وفتح أرض مصر فاختط فسطاط مصر وصارت مدينة مصر الى أن قدم جوهر القائد من الغرب بعساكر المعز لدين الله أبى تميم معد وملك مصر واختط القاهرة فصارت دار المملكة بمصر الى أن زالت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب فبنى قلعة الجبل وصارت القاهرة مدينة مصر الى يومنا هذا * وفى أرض مصر عدة مدائن ليست دار ملك وهى مدينة الفيوم ومدينة دلاص ومدينة اهناس ومدينة البهنسا ومدينة القيس ومدينة طحا ومدينة الاشمونين ومدينة انصنا ومدينة قوص ومدينة سيوط ومدينة فاو ومدينة اخميم ومدينة البلينا ومدينة هو ومدينة قنا ومدينة دندره ومدينة قفط ومدينة الاقصر ومدينة اسنا ومدينة أرمنت ومدينة ادفو وثغر اسوان وادركناه مدينة هذه مدائن الوجه القبلى وكان اهل مصر يسمون من سكن من القبط بالصعيد المريس ومن سكن منهم أسفل الارض يسمونه البيما وفى الوجه البحرى مدينة نوب من الحوف الشرقى بأسفل الارض ومدينة عين شمس ومدينة اتريب ومدينة تنوا ومن قراها ناحية زنكلون ومدينة تمى ومدينة بسطه ويعرف اليوم موضعها بتل بسطه ومدينة قربيط ومدينة البتنون ومدينة منوف ومدينة طره ومدينة منوف

يضا ومدينة سخا ومدينة الاوسة وهى دميره ومدينة تيدة ومدينة الافراحون ومن جملة قراها نشا
ومدينة بقيره ومدينة بنا ومدينة شبراساط ومدينة سمنود ومدينة نوسا ومدينة سبتى ومدينة النجوم
وقد غلب على مدينة النجوم الرمال والسباخ ويعرف اليوم منها قرية أدكو على ساحل البحر بين اسكندرية ورشيد
ومدينة تنيس ومدينة دمياط ومدينة الفرما ومدينة العريش ومدينة صا ومدينة برنوطو مدينة قرطسا
ومدينة أخنو ومدينة رشيد ومدينة مريوط ومدينة لوبية ومراقية وليس بعد لوبية ومراقية الا أرض
انطابلس وهى برية وفى كور القبلة مدينة فاران ومدينة القلزم ومدينة رايه ومدينة ايله ومدينة مدين
واكثر هذه المدائن قد خرب ومنها ماله أخبار معروفة وقد استحدث فى الاسلام بعض مدائن وسيأتى من
أخبار ذلك ان شاء الله ما يكفى * وديار مصر اليوم وجهان قبلى وبحرى جملتهما خمس عشرة ولاية * فالوجه
القبلى اكبرهما وهو تسعة أعمال عمل قوص وهو اجلها ومنه اسوان وغرب قولة واسوان حد المملكة
من الجنوب وعمل أخميم وعمل سيوط وعمل منفلوط وعمل الاشمونين وبها الطحاوية وعمل البهنسا وعمل الفيوم
وعمل اطفيح وعمل الجيزة * والوجه البحرى ستة أعمال عمل البحيرة وهو متصل البر بالاسكندرية وبرقة وعمل
الغربية وهى جزيرة واحدة يشتمل عليها ما بين البحرين بحر دمياط وبحر رشيد والمنوفية ومنها ابيار التى تسمى
جزيرة بنى نصر وعمل قليوب وعمل الشرقية وعمل اشموم طناح ومنها الدقهلية والمرتاحية وهنا موضع ثغر
البرلس وثغر رشيد والمنصورة وفى هذا الوجه الاسكندرية ودمياط وهما مدينتان لا عمل لهما * وذكر
ابو الحسن المسعودى فى كتاب أخبار الزمان أن الكوكة وهى امة من اهل ايلة ملكوا الارض وقسموا الصعيد على
ثمانين كورة وجعلوه اربعة أقسام وكان عدد مدن مصر الداخلة فى كورها ثلاثين مدينة فيها جميع العجائب
والكور مثل اخميم وقفط وقوص والفيوم ويقال ان مصر بن بيصر قسم الارض بين اولاده فأعطى ولده ا
أشمون من حد بلده الى رأس البحر الى دمياط وأعطى ولده انصنا من حد أنصنا الى الجنادل وأعطى لولده صا
من صا أسفل الارض الى الاسكندرية وأعطى لولده منوف وسط الارض السفلى منف وما حولها وأعطى لولده
قفط غربى الصعيد الى الجنادل وأعطى لولده اتريب شرقى الارض الى البرية برية فاران وأعطى لبناته الثلاثة
وهن الفرما وسريام وبدورة بقاعا من أرض مصر محددة فيما بين اخوتهن

(ذكر مدينة أمسوس وعجائبها وملوكها)

قال الاستاذ ابرهيم بن وصيف شاه الكاتب فى كتاب أخبار مصر وعجائبها وكانت مصر القديمة اسمها
أمسوس وأول من ملك أرض مصر نقراوش الجبار بن مصرايم ومعنى نقراوش ملك قومه الاول ابن مركاييل
ابن دوابيل بن عرياب بن آدم عليه السلام ركب فى نيف وسبعين راكبا من بنى عرياب جبابرة كلهم يطلبون موضعا
يقطنون فيه فرارا من بنى أبيهم عند ما بغى بعضهم على بعض وتحاسدوا وبغى عليهم بنو قابيل بن آدم فلم يزالوا
يمشون حتى وصلوا الى النيل فلما راوا سعة البلد فيه وحسنه اعجبهم فأقاموا فيه وبنوا الابنية المحكمة وبنى
نقراوش مصر وسماها باسم أبيه مصرايم ثم تركها وأمر ببناء مدينة سماها أمسوس وقال ابن وصيف شاه وكان
قد وقع اليه علم ذلك من العلوم التى تعلمها دوابيل من آدم عليه السلام فبنى الاعلام وأقام الاساطين وعمل
المصانع واستخرج المعادن ووضع الطلسمات وشق الانهار وبنى المدائن فكل علم جليل كان فى ايدى
المصريين انما هو من فضل علم نقراوش واصحابه كان ذلك مرموزا على الحجارة ففسره قليمون الكاهن الذى
ركب مع نوح عليه السلام فى السفينة ونقراوش هو الذى بنى مدينة أمسوس وعمل بها عجائب كثيرة منها طائر
يصفر كل يوم عند طلوع الشمس مرتين وعند غروبها مرتين فيستدلون بصفيره على ما يكون من الحوادث حتى
يتهيأون لها ومنها صنم من حجر أسود فى وسط المدينة تجاهه صنم مثله اذا دخل الى المدينة سارق لا يقدر أن
يزول حتى يسلك بينهما فاذا دخل بينهما اطبقا عليه فيؤخذ وعمل صورة من نحاس على منار عال لا يزال عليها
سحاب يطلع فكل من استمطرها أمطرت عليه ما شاء وعمل على حد البلاد أصناما من نحاس مجوفة وملأها
كبريتا ووكل بها روحانية النار فكانت اذا قصدهم قاصد ارسلت تلك الاصنام من أفواهها نارا احرقته وعمل
فوق جبل بطرس منارا يفور بالماء ويسقى ما حوله من المزارع ولم تزل هذه الآثار حتى أزالها الطوفان
ويقال انه هو الذى أصلح مجرى النيل وكان قبله يتفرق بين الجبلين وانه وجه الى بلاد النوبة جماعة هندسوه

وشقوا نهرا عظيما منه بنوا عليه المدن وغرسوا الغروس وأحب أن يعرف مخرج النيل فسار حتى بلغ خلف خط الاستواء ووقف على البحر الاسود الزفتى ورأى النيل يجرى على البحر مثل الخيوط حتى يدخل تحت جبل القمر ويخرج منه الى بطائح ويقال انه هو الذى عمل التماثيل التى هنالك وعاد الى أمسوس وقسم البلاد بين أولاده فجعل لابنه الاكبر واسمه نقاوش الجانب الغربى ولابنه شورب الجانب الشرقى وبنى لابنه الاصغر واسمه مصرايم مدينة برسان وأسكنه فيها وأقام ملكا على مصر مائة وثمانين سنة ولما مات لطخ جسده بأدوية ماسكة وجعل فى تابوت من ذهب وعمل له ناوس مصفح بالذهب ووضع فيه ومعه كنوز واكسير وأوان من ذهب لا يحصى ذلك لكثرته وزبروا على الناوس تاريخ موته وأقاموا عليه طلسما يمنعه من الحشرات المفسدة * وملك بعده ابنه نقاوش بن نقراوش وكان كأبيه فى علم الكهانة والطلسمات وهو أول من عمل بمصر هيكلا وجعل فيه صور الكواكب السبعة وكتب على هيكل كل كوكب منافعه ومضاره وألبسها كلها الثياب الفاخرة وأقام لها خدمة وسدنة وخرج من أمسوس مغربا حتى بلغ البحر المحيط وأقام عليه أساطين على رؤسها أصنام تسرج عيونها فى الليل ومضى على بلاد السودان الى النيل وأمر ببناء حائط على جنب النيل وعمل له ابوابا يخرج منها الماء وبنى فى صحراء الغرب خلف الواحات ثلاث مدن على أساطين مشرفات من حجارة ملونة شفافة وفى كل مدينة عدة خزائن من الحكمة وفى احداها صنم للشمس على صورة انسان وجسد طائر من ذهب وعيناه من جوهر أصفر وهو جالس على سرير من مغناطيس وفى يده مصحف العلوم وفى احداها صنم رأسه رأس انسان بجسد طائر ومعه صورة امرأة جالسة قد عملت من زئبق معقود لها ذؤابتان فى يدها مرآة وعلى رأسها صورة كوكب وقد رفعت المرآة بيدها الى وجهها وفى احداها مطهرة فيها سبعة ألوان من سائل يرد اليها ولا يغير بعضها الون بعض وفى بعضها صورة شيخ جالس قد عمل من الفيروزج وبين يديه صبية جلوس كلهم من عقيق وفى بعضها صورة هرمس يعنى عطارد وهو ينظر الى مائدة بين يديه من نوشادر على قوائم من كبريت أحمر وفى وسطها صحفة من جوهر وجعل فيها صورة عقاب من زبرجد أخضر وعيناه من ياقوت أصفر وبين يديه حية زرقاء من فضة قد لوت ذنبها على رجليه ورفعت رأسها كأنها تنفخ عليه وجعل فيها صفة المريخ وهو راكب على فرس وفى يده سيف مسلول من حديد أخضر وجعل فيها عمودا من جوهر أحمر وعليه قبة من ذهب فيها صورة المشترى وجعل فيها قبة من آنك على أربعة أعمدة من جزع أزرق وفى سقفها صورة الشمس والقمر متحاذيين فى صورة رجل وامرأة يتحادثان وجعل فيها قبة من كبريت احمر فيها صورة الزهرة على هيئة امرأة ممسكة بضفائرها وتحتها رجل من زبرجد أخضر فى يده كتاب فيه علم من علومهم كأنه يقرأ فيه عليها وجعل فى بقية الخزائن من كنوز الاموال والجواهر والحلى واكسير الصنعة وصنوف الادوية والسموم القاتلة مالا يحصى كثرة وجعل على باب كل مدينة طلسما يمنع من دخولها وأنفذ لها مسارب تحت الارض ينفذ بعضها الى بعض طول كل سرب ثلاثة اميال وبنى أيضا مدينة بأرض مصر اسمها حليمة وعمل فيها جنة صفح حيطانها بالجواهر الملونة بالذهب وغرس فيها اصناف الاشجار واجرى تحتها الانهار وغرس فيها شجرة مولدة تطعم سائر الفواكه وعمل فيها قبة من رخام أحمر على رأسها صنم يدور مع الشمس ووكل بها شياطين اذا خرج أحد من بيته فى الليل هلك وأقام بها أساطين زبر عليها جميع العلوم وصور العقاقير ومنافعها ومضارها وجعل لهذه المدينة مسارب تتصل بمسارب تلك المدن الثلاث بين كل سرب منها وبين هذه المدينة عشرون ميلا فلم تزل هذه المدائن حتى افسدها الطوفان ولما مات بعد مائة وتسع سنين من ملكه على مصر جعل فى ناوس مطلسم ودفن فيه * وملك بعده أخوه مصرام بن نقراوش الجبار بن مصرايم ويقال به سميت مصر وكان حكيما فعمل هيكلا للشمس من مرمر مموه بذهب احمر وفى وسطه فرس من جوهر أزرق عليه صورة الشمس من ذهب أحمر وعلى رأسه قنديل من الزجاج فيه حجر مدبر يضىء اكثر من السراج ثم انه ذلل الاسد وركبها وسار الى البحر المحيط وجعل فى وسطه قلعة بيضاء عليها صنم للشمس وزبر عليه اسمه وصفته وعمل صنما من نحاس زبر عليه أنا مصرام الجبار كاشف الاسرار الغالب القهار وضعت الطلسمات الصادقة وأقمت الصور الناطقة ونصبت الاعلام الهائلة على البحار السائلة ليعلم من بعدى انه لا يملك أحد أشد من ايدى وعاد الى أمسوس واحتجب عن الناس ثلاثين سنة واستخلف رجلا يقال له عيقام من ولد عرياب بن

آدم

آدم وكان كاهنا ساحرا فلما مضت المدة أحب أهل مصر أن يروه فجمعهم عيقام بعد ما أعلم مصرام فظهر لهم في أعلى مجلس مزين بأصناف الزينة في صورة هائلة ملأت قلوبهم رعبا فخرّوا له ساجدين ودعوا له ثم أحضر اليهم الطعام فأكلوا وشربوا وأمرهم بالرجوع الى مواضعهم ولم يروه بعدها * فملك بعده خليفته عيقام وقد حكى عنه اهل مصر حكايات لا تصدّقها العقول ويقال انّ ادريس عليه السلام رفع في أيامه وانه رأى في علمه كون الطوفان فبنى خلف خط الاستواء في سفح جبل القمر قصرا من نحاس وجعل فيه خمسة وثمانين تمثالا من نحاس يخرج ماء النيل من حلوقها ويصب في بطحاء تنتهي الى مصر وسار اليه من أمسوس فشاهد حكمة بنيانه وزخرفة حيطانه وما فيها من النقوش من صور الافلاك وغيرها وكان قصرا تسرج فيه المصابيح وتنصب فيه الموائد وعليها من كل الاطعمة الفاخرة في الاواني النفيسة مالوا كل منها عسكر لما نقصت ذرة ولا يعرف من عملها ولا من وضعها وفي وسط القصر بركة من ماء جامد الظاهر وترى حركته من وراء ما جمد منه فأعجب بما رأى وعاد الى امسوس واستخلف ابنه عرياق وقلده الملك وأوصاه وعاد الى ذلك القصر وأقام به حتى هلك والى عيقام هذا يعزى مصحف القبط الذي فيه تواريخهم وجميع ما يجري في آخر الزمان * فقام من بعده ابنه عرياق ويقال أرياق بن عيقام ويقال له الاثيم فعمل أعمالا عجيبة منها شجرة صفراء لها أغصان من حديد بخطاطيف اذا قرب الظالم منها أخذته تلك الخطاطيف ولا تفارقه حتى يقرّ بظلمه ويخرج منه لخصمه ومنها صنم من كدان اسود سماه عبد زحل كانوا يتحاكمون اليه فمن زاغ عن الحق ثبت في مكانه ولم يقدر على الخروج منه حتى ينصف خصمه من نفسه ولو أقام سنة ومن كانت له حاجة قام ليلا ونظر الى الكوكب وتضرّع وذكر اسم عرياق فاذا اصبح وجد حاجته على بابه وعمل شجرة من حديد ذات أغصان ولطخها بدواء مدبر فكانت تجلب كل صنف من الدواب والسباع والوحوش اليها حتى تمكن من صيدها وكان اذا غضب على اهل أقليم سلط عليهم الوحوش والسباع وتارة يجعل ماءهم من الايداق ويقال ان هاروت وماروت كانا في زمانه وانه بنى جنة عظيمة واغتصب النساء الحسان واسكنهنّ فيها فعملت عليه امرأة منهنّ وسمته فهلك * وملك بعده لوجيم بن نقاوش ويقال بل هو من بني نقراوش الجبار ويعرف بلوجيم الفتى وهو الذي اخذ الملك من عرياق بن عيقام الكاهن وردّه لبني نقراوش بعد ما خرج منهم بلا حرب ولا قتل وكان عالما بالكهانة والطلسمات فعمل أعمالا عجيبة منها أن الغداف والغراب كثر في ايامه وأتلف الزرع فعمل أربع منارات في جوانب مدينة أمسوس الاربعة وعلى كل منارة صورة غراب في فمه حية قد التوت عليه فنفرت عنهم الطيور المضرّة من حينئذ ولم تقربهم حتى زالت المنارات بالطوفان وكان حسن السيرة منصفا للرعية عادلا مقربا للكهنة ولما مات دفن في ناوس ومعه كنوزه وعمل عليه طلسم يمنعه * وملك بعده ابنه خصليم وكان فاضلا عالما كاهنا فعمل اعمالا عجيبة وهو أوّل من عمل مقياسا لزيادة ماء النيل بأن جمع أرباب العلوم والهندسة فقدّروا بيتا من رخام على حافة النيل وفي وسطه بركة صغيرة من نحاس فيها ماء موزون وعليها من جانبيها عقابان من نحاس احدهما ذكر والآخر انثى فاذا كان اول الشهر الذي يزيد فيه النيل فتح هذا البيت وجمع الكهان فيه بين يديه وزمزم الكهان بكلامهم حتى يصفر أحد العقابين فان صفر الذكر كان الماء تاما وان صفرت الانثى كان الماء ناقصا فيستعدّون عند ذلك لغلاء الاسعار بما يصلحون به شأنهم وهو الذي بنى القنطرة ببلاد النوبة على النيل ولما مات جعل في ناوس ومعه كنوزه وعمل عليه طلسم * وملك بعده ابنه هوصال ويقال يوصال ومعناه خادم الزهرة ويقال سومال بن لوجيم الملك النقراوشي من بني نقراوش الجبار ويقال ان نوحا عليه السلام ولد في ايامه وكان فاضلا كاهنا عالما بالسحر والطلسمات فعمل عجائب منها أنه بنى مدينة عمل في وسطها صنما للشمس يدور بدورانها ويبيت مغربا ويصبح مشرقا وعمل سربا تحت النيل فشق الارض وخرج منه متنكرا حتى بلغ مدينة بابل وكشف أعمال الملوك وكان نوح عليه السلام في زمانه وولد له عشرون ولدا فجعل مع كل ولد منهم قطرا وهو رأس الكهنة وأقام في الملك مائة وسبع عشرة سنة ثم لزم الهياكل وأقام اولاده على حالهم كل منهم في قسمه الذي أعطاه اياه أبوه مدة سبع سنين * ثم اجتمعوا على واحد منهم وملكوه عليهم وكان اسمه تدرشان وقيل تدرسان فلما ملك نفى جميع اخوته الى المدائن الداخلة في الغرب واقتصر على امرأة من بنات عمه وكانت ساحرة وعمل له قصرا من خشب منقوشا فيه صورة الكواكب وبسطه بأحسن الفرش وحمله على الماء وصار

يجلس فيه فبينما هو فيه ذات يوم اذ هبت ريح شديدة اضطرب منها الماء فانقلب القصر وتكسر فغرق هو ومن كان معه فى القصر * وملك بعده أخوه نمرود الجبار ويقال شمرود بن هوصال فأحسن السيرة وأنصف الرعية وبسط العدل وجمع اخوته وفرّق عليهم كنوز أخيهم فسرّ الناس به وطلب امرأة أخيه الساحرة ففرّت منه بابنها الى مدينة ببلاد الصعيد وامتنعت عليه بسحرها وأقامت مدّة واجتمع السحرة الى ابنها وكان اسمه توميدون وحملوه على طلب الملك فسار وخرج اليه شمرود واخوته فاقتتلوا قتالا عظيما كان فيه الظفر لتوميدون فقتله * وملك من بعده فقام توميدون بن تدرسان بالملك فى مدينة أمسوس وكان عالما فاضلا فتقوّى بسحر أمه وعملت له أعمالا عجيبة منها قبة من زجاج على هيئة الكرة تدور بدوران الفلك وصوّرت فيها صور الكواكب فكانوا يعرفون بها أسرار الطبائع وعلوم العالم فلما ماتت امه الساحرة بعد ستين سنة من ملكه طلى جسدها بما يدفع عنه النتن والحشرات ودفنت تحت صنم القمر ويقال انها كانت بعد موتها يسمع من عندها صوت بعض الارواح وتخبرهم بعجائب وتجيب عما تسأل عنه ولما مات توميدون بعد مائة سنة من ملكه عمل له صورة من زجاج مقسومة نصفين وأدخل فيها بعد ماطلى بالادوية المانعة من النتن وأطبقت الصورة عليه حتى التحمت واقيم فى هيكل الاصنام ودفنت كنوزه عنده وصار يعمل له فى كل سنة عيد * وملك بعده ابنه شرياق ويقال له سرياق بن توميدون بن تدرسان بن هوصال وكان كأبيه فى علم الكهانة والسحر والطلسمات فعمل أعمالا عجيبة منها على باب مدينة أمسوس هيئة بطة من نحاس قائمة على اسطوانة اذا دخل غريب من ناحية من النواحى صفقت بجناحيها وصرخت فيؤخذ ذلك الغريب ويكشف أمره حتى يعرف فيما قدم وشق من النيل نهرا يمرّ الى مدائن الغرب وبنى عليه أعلاما ومدنا ومنتزهات وسار ملك من بنى فرانى بن آدم ويقال من بنى صوابيتى بن آدم خرج من ناحية العراق فى أيامه وغلب على بلاد الشام وقصد مصر ليأخذ ملكها فقيل له انك لاتقدر عليها لسحر أهلها فتنكر ودخل فى جماعة من خواصه ليكشف حال اهل مصر فلما وصل الى اوّل حدّ مصر حبسه الموكلون بذلك الحد هو ومن معه حتى يأمر الملك فيهم بأمره وبعثوا اليه بصفتهم وكان قد رأى فى منامه كأنه على منار عال وكأن طائرا عظيما انقض عليه ليخطفه فحاد عنه حتى كاد يسقط من المنار فجاوزه الطائر وسلم منه فانتبه مذعورا وقص رؤياه على كبير الكهنة فقال يطلبك ملك ولا يقدر عليك ونظر فى نجومه فرأى الملك الذى يطلب ملكه قد دخل الى مصر وكان ذلك هو الوقت الذى قدم عليه فيه الرسل بصفات الذين وصلوا الى حد مصر فأمر باحضارهم اليه بعد ما يطاف بهم على عجائب مصر كلها ليروها فأوثقوهم وساروا بهم وأوقفوهم على عجائب أرض مصر ومافيها من الطلسمات حتى بلغوا الى الاسكندرية ثم الى أمسوس ثم الى الجنة التى عملها مصرام وكان الملك شرياق مقيما بها فعند ماوصلوا اليها أظهرت السحرة التماثيل العجيبة فدخلوا عليه وحوله الكهنة وبين يديه نار لايصل اليه احد حتى يخوضها فمن كان بريأ لم تضرّه ومن كان يريد بالملك سوءا او أضمر له مكروها أخذته النار فشق القوم فى وسط النار واحدا بعد واحد من غير أن تضرّهم حتى انتهى الامر الى ملك العراق فعند ما دنا من النار أخذته بحجزها فولى هاربا فاتبعوه حتى أخذوه وأوقفوه بين يدى شرياق فلم يزل به حتى اعترف فامر بصلبه فصلب على الحصن الذى أخذ منه ونودى عليه هذا اجزاء من طلب مالا يصل اليه وعفا عن الباقين فساروا من مصر وتحدثوا بما رأوه من العجائب فانقطع طمع ملوك الارض عن طلب ملك مصر ومات شرياق بعد ما ملك مصر مائة وثلاثين سنة فجعل فى ناوس ومعه امواله وطلسم يحفظه ممن يقصده * وملك بعده ابنه شهلوق وكان عالما بالكهانة والطلسمات فقسم ماء النيل موزونا يصرف الى كل ناحية قسطها ورتب الدولة وعمل بيت نار وهو أول من عبد النار وعمل بأمسوس عجائب منها شجرة على أعلى الجبال تقسم بها الرياح التى تمنع من أراد مصر بأذى أو فساد من جنىّ أو انسىّ أو سبع او طائر وعمل بالمدينة قبة مركبة على سبعة أركان ولها سبعة ابواب على كل ركن باب وفى وسط القبة قبة من صفر وفى أعلاها صور الكواكب السبعة وتحت القبة قبة اخرى معلقة على سبع أساطين وعلى الباب الاوّل من القبة أسد ولبوة من صفر وهما رابضان كان يذبح لهما جروا أسود ويبخرهما بشعره وعلى الباب الثانى ثور وبقرة يذبح لهما عجلا ويبخرهما بشعره وعلى الباب الثالث خنزير وخنزيرة يذبح لهما خنوصا ويبخرهما بشعره وعلى الباب الرابع كبش وشاة يذبح لهما سخلة ويبخرهما بشعرها وعلى الباب الخامس ثعلب وثعلبة يذبح لهما فرخ

ثعلب ويبخرهما بشعره وعلى الباب السادس عقاب واثناه يذبح لهما فرخ عقاب ويبخرهما بريشه وعلى الباب السابع نسر واثناه يذبح لهما فرخ نسر ويبخرهما بريشه ويلطخ كلا منهما بدم ماذبح له وتحرق سائر القرابين ويوضع رمادها تحت عتبات ابواب القبة وجعل لهذه القبة سدنة يشعلون المصابيح ليلا ونهارا وقسم الناس بمصر سبع مراتب لكل مرتبة منهم باب من ابواب تلك القبة فكان الخصم اذا تقدم الى شئ من تلك الصور وكان ظالما فانه يلتصق بها ولا يتخلص منها حتى يخرج من الحق الذى عليه الذكر للذكر والانثى للانثى فيعرفون بذلك الظالم من المظلوم ولم تزل هذه القبة بأمسوس حتى أزالها الطوفان ويقال انه رأى أباه فى النوم وهو يأمره أن ينطلق الى جبل وصفه له من جبال مصر فان فيه كوة صفتها كذا على بابها أفعى لها رأسان اذا اقبل اليها كشرت فى وجهه فخذ معك طائرين صغيرين ذكرا وانثى فاذبحهما الها وألقمها اياهما فانها تأخذ برأسيهما وتنحى بهما الى سرب فاذا غابت ادخل الكوة تجد فيها امرأة عظيمة من نور حار يابس فانها تسطع لك وتحس بحرارتها فلا تدن منها تحترق ولكن اقعد حذاءها وسلم عليها فانها تخاطبك فافهم ما تقول لك واعمل به فانك تشرف بذلك وتدلك على كنوز جدك مصرام فانها حافظة لها فلما انتبه عمل ما امره ابوه فلما اقعد بجانب المرأة وسلم قالت له أتعرفنى قال لا قالت أنا صورة النار المعبودة فى الامم الخالية وقد أردت أن تحيى ذكرى وتجدد لى بيتا تقد لى فيه نارا دائمة بقدر واحد وتتخذ لها عيدا فى كل سنة تحضره أنت وقومك فانك تتخذ بذلك عندى يدا ايلك بها شرفا الى شرفك وملكا الى ملكك وأمنع عنك من يطلبك بسوء وأدلك على كنوز جدك مصرام فضمن لها أن يفعل كل ما أمرته به فدلته على الكنوز التى تحت المدائن المعلقة وعلمته كيف يصير اليها وكيف يحترس من الارواح الموكلة بها وما يحميه منها ثم قال لها كيف لى بأن أراك فى وقت آخر قالت لا تعد فان الافعى لا تمكنك ولكن بخر فى بيتك بكذا فانى آتيك فسر بذلك وغابت عنه وخرج ففعل ما أمرته به من عمل بيت النار وأخذ كنوز مصرام ولما مات جعل فى ناوس ومعه سائر امواله وكنوزه وجعل عليه طلسم يحفظه ممن يقصده * وملك بعده ابنه سوريد وكان حكيما فاضلا وهو أول من جبى الخراج بمصر وأول من امر بالانفاق على المرضى والزمنى من خزائنه وأول من سن رقعة الصباح وعمل أعمالا عجيبة منها مرآة من أخلاط كان ينظر فيها الى الاقاليم فيعرف فيها ما حدث من الحوادث وما يخصب منها وما يجدب وأقام هذه المرآة فى وسط مدينة أمسوس وكانت من نحاس وعمل فى أمسوس صورة امرأة جالسة فى حجرها صبى ترضعه وكانت المرأة من نساء مصر اذا أصابتها علة فى موضع من جسمها أتت هذه الصورة ومسحت ذلك الموضع من جسدها بمثل ذلك الموضع من الصورة فتزول عنها العلة وان قل لبنها مسحت ثديها بثدى الصورة فيغزر لبنها وان قل حيضها مسحت فرجها بفرج الصورة فيكثر حيضها وان كثر دمها مسحت أسفل ركبها بمثل ذلك من الصورة وان عسرت ولادة امرأة مسحت رأس الصبى الذى فى حجر الصورة فتضع حملها وان أرادت التحبب الى زوجها مسحت وجهها وتقول افعل لى كذا وكذا فاذا وضعت الزانية يدها عليها ارتعدت حتى تتوب ولم تزل هذه الصورة الى أن أزالها الطوفان وفى كتب القبط انها وجدت بعد الطوفان وأن اكثر الناس عبدوها وعمل سوريد صنما من أخلاط كثيرة فكان من أصابته علة فى موضع من جسده غسل ذلك الموضع من الصنم بماء وشرب الماء فانه يبرأ وسوريد هذا هو الذى بنى الهرمين العظيمين بمصر المنسوبين الى شداد بن عاد والقبط تنكر أن تكون العادية دخلت بلادهم لقوة سحرهم ولما مات سوريد دفن فى الهرم ومعه كنوزه ويقال انه كان قبل الطوفان بثلثمائة سنة وانه ملك مائة سنة وتسعين سنة * فملك بعده ابنه هرجيب وكان كأبيه حكيما فاضلا فى علم السحر والطلسمات فعمل أعمالا عجيبة واستخرج معادن كثيرة واظهر علم الكيمياء وبنى اهرام دهشور وحمل اليها اموالا عظيمة وجواهر نفيسة وعقاقير وسمومات وجعل عليها روحانيات تحفظها وشج رجل رجلا فأمر بقطع اصابعه وسرق رجل مالا فملك المسروق له رق السارق ولما مات دفن فى الهرم ومعه جميع امواله وذخائره * وملك بعده ابنه مناوس ويقال منقاوس وكان كأبيه فى الحكمة الا انه كان جبارا فاسقا سفاكا للدماء ينتزع النساء من ازواجهن ويبيح ذلك لخواصه وعمل أعمالا عجيبة واستخرج كنوزا وبنى قصورا من ذهب وفضة وأجرى فيها الانهار وجعل حصباءها من اصناف الجواهر النفيسة وسلط رجلا جبارا اسمه قرناس على الناس ووجهه لمحاربة الامم الغربية فقتل منهم خلائق ولما مات دفن فى بعض قصوره ومعه امواله وعمل عليه طلسم يحفظه ويمنعه من كل طالب

* وملك بعده ابنه افروس وكان كأبيه فى العلم والحكمة ولما ملك أظهر العدل وأحسن السيرة ورد النساء اللاتى غصبن فى ايام أبيه على ازواجهن وعمل قبة طولها خمسون ذراعا فى عرض مائة ذراع وركب فى جوانبها طيورا من صفر تصفر بأصوات مختلفة مطربة لا تفتر ساعة وعمل فى وسط مدينة أمسوس منارا عليه راس انسان من صفر كلما مضى من النهار أو الليل ساعة صاح صيحة يعلم من سمعها بمضى ساعة وعمل منارا عليه قبة من صفر مذهب ولطخها بالطوخات فاذا غربت الشمس فى كل ليلة اشتعلت القبة نورا تضىء له مدينة أمسوس طول الليل حتى يصير مثل النهار لا تطفئها الرياح ولا الامطار فاذا طلع النهار خمد ضوءها وأهدى لبعض ملوك بابل مدهنا من زبرجد قطره خمسة اشبار ويقال انه وجد بعد الطوفان وعمل فى الجبل الشرقى صنما عظيما قائما على قاعدة وهو مصبوغ مصفر بالذهب ووجهه الى الشمس يدور معها حتى تغرب ثم يدور ليلا حتى يحاذى المشرق مع الفجر فاذا اشرقت الشمس استقبلها بوجهه وبنى بصحراء الغرب مدنا كثيرة وأودعها كنوزا عظيمة ونكح ثلثمائة امرأة ولم يولد له ولد فان الله تعالى كان قد أعقم الارحام لما يريد من اهلاك العالم بالطوفان ووقع الموت فى الناس والبهائم ولما مات وضع فى ناوس بالجبل الشرقى ومعه امواله وطلسم عليه * وملك بعده ارمالينوس فعمل أعمالا عجيبة وبنى مدنا ومصانع وجدد الطلسمات وكان له ابن عم يسمى فرعان وكان جبارا فأبعده وجعله على جيش سار به عنه فقهر ملوكا وقتل امما عظيمة وغنم اموالا كثيرة وعاد فشغفت به امرأة من نساء الملك ومازالت به حتى اجتمع بها وتآلفا وأقاما على ذلك مدة فخافا الملك أن يفطن بهما فعملت المرأة لارمالينوس سما فى شرابه هلك منه * وملك بعده ابن عمه فرعان بن مشور فلم ينازعه احد لشجاعته وسياسته ولم تطل اعوامه حتى رأى قليمون الكاهن كأن طيورا بيضا قد نزلت من السماء وهى تقول من أراد النجاة فليلحق بصاحب السفينة وكان عندهم علم بحدوث الطوفان من أيام سوريد وبنائه الاهرام لاجل ذلك واتخذ الناس سراديب تحت الارض مصفحة بالزجاج قد حبست الرياح فيها بتدبير وعمل منها فرعان لنفسه ولاهله عدة فما كذب أن جمع اهله وولده وتلاميذه ولحق بنوح عليه السلام وآمن به وأقام معه حتى ركب فى السفينة وجاء الطوفان فى ايام فرعان فأغرق أرض مصر كلها وخرب عمائرها وأزال تلك المعالم كلها وأقام الماء عليها ستة اشهر ووصل الى أنصاف الهرمين العظيمين وسيأتى خبر ذلك ان شاء الله تعالى عند ذكر محن مصر من هذا الكتاب ويقال ان فرعان كان عاتيا متجبرا يغصب الاموال والنساء وانه كتب الى الدرشيل بن لحويل ببابل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام وانه استخف بالكهنة والهياكل ففسدت فى أيامه أرض مصر ونقص الزرع واجدبت النواحى لانهماكه فى ضلاله وظلمه واقباله على لهوه ولعبه وان الناس اقتدوا به ففشا ظلم بعضهم لبعض وانه لما اقبل الطوفان وسحت الامطار قام سكران يريد الهرب الى الهرم فتخلخلت الارض به وطلب الابواب فخانته رجلاه وسقط يخور حتى هلك وهلك من دخل الاسراب بالغم والله تعالى أعلم

* (ذكر مدينة منف وملوكها) *

هذه المدينة كانت فى غربى النيل على مسافة اثنى عشر ميلا من مدينة فسطاط مصر وهى اول مدينة عمرت بأرض مصر بعد الطوفان وصارت دار المملكة بعد مدينة امسوس التى تقدم ذكرها الى أن اخربها بخت نصر وقد ذكرها الله تعالى فى كتابه العزيز بقوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها قال الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى كتاب جامع البيان فى تفسير القرءان عن السدى أنه قال كان موسى عليه السلام حين كبر يركب مراكب فرعون ويلبس مثل ما يلبس وكان انما يدعى ابن فرعون ثم ان فرعون ركب مركبا وليس عنده موسى فلما جاء موسى عليه السلام قيل له ان فرعون قد ركب فركب فى اثره فأدركه المقيل فى أرض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد تغلقت اسواقها وليس فى طرقها أحد وهى التى يقول الله جل ذكره ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها وقال ابن عبد الحكم عن عبد الله بن لهيعة اول من سكن بمصر بعد أن أغرق الله قوم نوح عليه السلام بيصر بن حام بن نوح فسكن منف وهى اول مدينة عمرت بعد الطوفان هو وولده وهم ثلاثون نفسا منهم أربعة اولاد قد بلغوا وتزوجوا وهم مصر وفارق وماج وياح بنو بيصر وكان مصر اكبرهم فبذلك سميت مافه ومافه بلسان القبط ثلاثون وكانت اقامتهم قبل ذلك بسفح المقطم ونقروا هنالك منازل كثيرة وقال ابن خرداذبه فى كتاب المسالك والممالك ومدينة منف هى مدينة فرعون التى كان ينزلها واتخذ لها

سبعين بابا من حديد وجعل حيطان المدينة من الحديد والصفر وفيها كانت الانهار تجرى من تحت سريره وهى أربعة ويروى أن مدينة منف كانت قناطر وجسورا بتدبير وتقدير حتى ان الماء ليجرى تحت منازلها وأفنيتها فيحبسونه كيف شاؤا ويرسلونه كيف شاؤا فذلك قوله تعالى حكاية عن فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى افلا تبصرون وكان بها كثير من الاصنام لم تزل قائمة الى أن سقطت فيما سقط من الاصنام فى الساعة التى أشار فيها النبى صلى الله عليه وسلم الى الاصنام يوم فتح مكة بقضيب فى يده وهو يطوف حولها ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فما أشار الى صنم منها فى وجهه الا وقع لقفاه ولا أشار لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقى منها صنم الا وقع وفى تلك الساعة سقطت أصنام الارض من الشرق الى الغرب وبقى اصحابها متحيرين لا يعلمون لها سببا اوجب سقوطها وبقيت أصنام مدينة منف ساقطة من ساعته وفيها الصنمان الكبيران المجاوران للبيت الاخضر الذى كان به صنم العزيز وكان من ذهب وعيناه ياقوتتان لا يقدر على مثلهما ثم قطعت الاصنام والبيت الاخضر من بعد سنة ستمائة * ويقال كانت منف ثلاثين ميلا طولا فى عشرين ميلا عرضا وان بعض بنى يافث بن نوح عمل فى ايام مصرايم آلة تحمل الماء حتى تلقيه على اعلى سور مدينة منف وذلك انه جعلها درجا مجوفة كلما وصل الماء الى درجة امتلأت الاخرى حتى يصعد الماء الى أعلى السور ثم ينحط فيدخل جميع بيوت المدينة ثم يخرج من موضع الى خارج المدينة * وكان بمنف بيت من الصوّان الاخضر المانع الذى لا يعمل فيه الحديد قطعة واحدة وفيه صور منقوشة وكتابة وعلى وجه بابه صور حيات ناشرة صدورها لو اجتمع ألوف من الناس على تحريكه ما قدروا لعظمه وثقله والصابئة تقول انه بيت القمر وكان هذا البيت من جملة سبعة بيوت كانت بمنف للكواكب السبعة وهذا البيت الاخضر هدمه الامير سيف الدين شيخون العمرى بعد سنة خمسين وسبعمائة ومنه شئ فى خانقاهه وجامعه الذى بخط الصليبة خارج القاهرة وقال ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن القيسى فى كتابه تحفة الالباب ورأيت فى قصر فرعون موسى بيتا كبيرا من صخرة واحدة اخضر كالآس فيه صورة الافلاك والنجوم لم نر عجبا احسن منه * وقال ابو الصلت امية بن عبد العزيز الاندلسى وكانت دار الملك بمصر فى قديم الدهر مدينة منف وهى فى غربى النيل على مسافة اثنى عشر ميلا من الفسطاط فلما بنى الاسكندر مدينة الاسكندرية رغب الناس فى عمارتها فكانت دار العلم ومقر الحكمة الى أن فتحها المسلمون فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه واختط عمرو بن العاص مدينته المعروفة بالفسطاط فانتشر أهل مصر وغيرهم من العرب والعجم الى سكناها فصارت قاعدة ديار مصر ومركزها الى وقتنا هذا * وقال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب وقد ذكر أخبار مدينة أمسوس وخراب عمائرأرض مصر بطوفان نوح عليه السلام ونمانزل الماء كان اول من ملك مصر بعد الطوفان بيصر بن حام بن نوح وكان معه ثلاثون من الجبابرة من اهله وولده فاجتمعوا وبنوا مدينة منف ونزلوا بها وكان قليمون الكاهن الذى تقدّم ذكره فى خبر مدينة أمسوس من جملتهم وكان قد زوّج ابنته بيصر المذكور وجاءت معه الى مصر وولدت منه ولدا اسمه مصرايم فلما مات بيصر دفن فى موضع دير أبى هرميس ويقال دير أبى هرميس غربى الاهرام ويقال انها اوّل مقبرة دفن بها بأرض مصر وكان موته بعد ألف وثمانمائة وست سنين مضت من وقت الطوفان وقال غيره ثم بنى مصرايم مدينة سماها باسمه فجاءه رجل من بنى يافث فعمل له سورا قائما وصنع له درجا وأجرى الماء الى أن بقى يصعد الى أعلى السور بحكمة اتقنها ثم ينزل ذلك الماء من اعلى السور الى المدينة فينتفع به فيها بغير مشقة ولا كلفة ثم يخرج من ناحية أخرى وكتب على السور هذه صنعة من يموت لا صنعة من يدوم * وملك بعد بيصر ابنه مصرايم (ويقال له مصر) بن بيصر فأظهره قليمون الكاهن على كنوز مصر وعلمه قراءة خطهم وأطلعه على حكمهم وبنى مصرايم المدن وشق الانهار وغرس الاشجار وبنى مدينة عظيمة سماها درسان وهى العريش ونكح امرأة من اولاد الكهنة فولدت له ابنا سماه قفطيم وبنى مدينة رقودة مكان الاسكندرية ولما مات مصرايم جعل له سرب طوله مائة وخمسون ذراعا وبسط بالمرمر الابيض وعمل فى وسطه مجلس مصفح بصفائح الذهب وله أربعة ابواب على كل باب تمثال من ذهب على رأسه تاج من ذهب وهو جالس على كرسى من ذهب قوائمه من زبرجد ونقش فى صدر كل تمثال آيات مانعة وحبسوا جسده فى جسد من زبرجد أخضر شبه تابوت طوله اربعون ذراعا فى فيه ومعه جميع ما كان فى خزائنه من ذهب وفضة وجوهر

منها ألف قطعة من زبرجد مخروط وألف تمثال من جوهر نفيس وألف برنية من ذهب مملوءة درا نفيسا وألف آنية من ذهب وعدة سبائك من فضة وعمل عليه طلسم مانع من الوصول اليه وزبروا عليه مات مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح بعد ألفين وسمائة عام وقيل بعد سبعمائة سنة مضت من الطوفان ولم يعبد الاصنام فصار الى جنة لاهرم فيها ولاسقم ولاهم ولاحزن وكتب اسم الله الاعظم عليه حتى لا يصل اليه احد الا ملك يأتى فى آخر الزمان يدين بدين الملك الديان ويؤمن بالبعث والفرقان والنبى الداعى الى الايمان فى آخر الزمان وسقفوا فوق السرب بالصخور العظام وهالوا عليه الرمال حتى سدوا بين جبلين متقابلين * ويقال كان مصر بن بيصر مع جده أبيه نوح عليه السلام فى السفينة فدعا له أن يسكنه الله الارض الطيبة المباركة التى هى أم البلاد وغوث العباد ونهرها أفضل الانهار ويجعل له فيها افضل البركات ويسخر له الارض ولولده ويذللها ويقويهم عليها فسأله عنها فوصفها له وأخبره بها وكان بيصر بن حام قد كبر وضعف فساقه ولده مصرايم وجميع اخوته الى مصر فنزلوها وبذلك سميت مصر * وملك بعده ابنه قبطيم (ويقال له قفط) بن مصرايم وهو اول من عمل العجائب بعد الطوفان فاستخرج المعادن وشق الانهار ونصب الاعلام والمنارات وعمل الطلسمات * ويقال ان مصرايم لما مات اختلف اولاده من بعده وكان قفط اصغرهم فاجتمعوا عند الاهرام ورضوا بأن من غلب منهم أخاه أخذ الملك فحارب اشموم واتريب فغلب اتريب ثم تحارب صا هو وأشموم فغلب اشموم ثم تحارب قفط وصا فغلب قفط فأخذ قفط الملك بعد ابيه وأطاعه اخوته وسكن مدينة منف دار مملكة أبيه وتزوج امرأة ولدت له اربعة اولادهم قفطريم وأشمون واتريب وصا فتناسلوا وكثروا وعمروا البلاد ثم انه قسم الارض بين اولاده الاربعة عند وفاته فجعل لولده قفطريم من اسوان الى قفط وجعل لولده أشمون من مدينة قفط الى مدينة منف وجعل لولده اتريب الجرف كله وجعل لولده صا من ناحية البحيرة الى الغرب وجعل أمرهم الى قفطريم وامر كل واحد منهم أن يبنى لنفسه مدينة فى حيزه وجعل لنفسه سربا تحت الجبل الكبير وصفحه بالمرمر وعمل فيه منافذ للريح فصارت تنخرق فيه بدوى عظيم وأقام فى السرب رؤسا من نحاس مطلية تضىء كالسرج ليلا ونهارا ولما مات وضع جسده بهذا السرب فى جرن من ذهب بعد ما البس ثيابا منسوجة بالدر والمرجان واقيم عند رأسه عمود من مرمر عليه جوهرة تضىء وعمل حول الجرن توابيت من حجارة ملونة حولها مصاحف الحكمة ووضعت عنده امواله وكنوزه وذخائره وزبروا عليه كما زبروا على ابيه وانتقل كل من اولاده الى حيزه فانتقل صا بأهله وأولاده وسكن مدينة صا الآتى ذكرها * ويقال كانت البلبلة فى ايام قفط وانه ألهمه الله تعالى اللغة القبطية وانه أقام ملكا اربعمائة وثمانين سنة ومات فدفن بأرض الواحات وملك بعده أخوه اشمن بن مصر وقيل بل اسكن فى حياته ابنه قفطريم فى حيزه فشرع فى العمارة وكان جبارا عظيم الخلقة فأثار من المعادن مالم يثره أحد قبله وبنى مدينة دندرة وعمل فى جبل قفط منارا عاليا يرى منه البحر الشرقى ووجد هنالك معادن من الزئبق وعمل البركة التى سماها صيادة الطير وهلك عاد بالريح فى آخر ايامه وفى ايامه اثارت الشياطين الاصنام التى أغرقها الطوفان فعبدت وأقام ملكا اربعمائة وثمانين سنة ومات * وذكر ابن عبد الحكم بعد مصر بن بيصر قفط ابن مصر وأن الذى ملك بعد قفط اخوه اشمن ثم اتريب بن مصر ثم صا بن مصر ثم ابنه تدراس بن صا ثم ابنه ماليق ابن تدراس ثم ابنه حزايا بن ماليق ثم ابنه كلكلى بن حزايا ويقال ان أشمن لما ملك بعد أخيه سار اليه شداد ابن هداد بن شداد بن عاد وملك أرض مصر وهدم مبانيها وبنى أهراما ومضى الى موضع الاسكندرية فبناها وأقام دهرا ثم خرجت العادية من أرض مصر فعاد اشمن الى ملكه وانه ملك بعده أخوه صا ثم ملك بعد صا ابنه تدراس وفى ايامه بعث الله صالحا الى ثمود ومات * فملك ابنه ماليق البودسير وكان من الجبابرة العظام عمل أعمالا عظيمة منها منار فوقه قبة لها أربعة اركان فى كل ركن كوة يخرج منها فى يوم معلوم عندهم من كل سنة دخان ملتف فى ألوان شتى يستدلون بكل لون على شئ فان خرج الدخان اخضر دل على العمارة والخصب فى تلك السنة وان خرج ابيض دل على الجدب وقلة الخير وان خرج احمر دل على الحروب وقصد الاعداء وان خرج اصفر دل على النيران وآفات تحدث من الملك وان خرج اسود دل على الامطار والسيول وفساد بعض الارض وان خرج مختلطا دل على كثرة الظلم وبغى الناس بعضهم على بعض وعمل شجرة من نحاس تجذب سائر الوحوش حتى تصل اليها فلا تستطيع الحركة الى أن تؤخذ فشبع اهل مصر من لحوم الوحوش واتفق أن غرابا نقر عين صبى

من اولاد الكهنة فقلعها فعمل شجرة من نحاس عليها غراب منشور الجناحين وفى منقاره حية وعلى ظهره اسطر فكانت الغربان تقع على هذه الشجرة ولا تبرح حتى تموت وكانت الرمال قد كثرت فى ايامه على أرض مصر من ناحية الغرب فعمل صنما من صوّان اسود على قاعدة منه وفوق كتفه قفة فيها مسحاة ونقش على وجهه وصدره وذراعيه كتابة وجعل وجهه الى الغرب فانكشفت الرمال ورجعت بها الرياح الى ورائها وصارت تلالا عالية وبعث بهرمس الحكيم الى جبل القمر الذى يخرج منه النيل فعمل تماثيل النحاس وعدّل جانبى النيل وكان قبله يفيض فى مواضع وينقطع فى مواضع وسار مغرّبا لينظر ماوراء ذلك فوقع على أرض واسعة يتخرق فيها الماء والاشجار فبنى فيها منتزهات وأقام بها وحوّل اليها عدّة من أهله فعمروا تلك النواحى حتى صارت أرض الغرب كلها معمورة ثم خالطتهم البربر وجرت بينهم حروب كثيرة افنتهم فخربت تلك البلاد ولم يبق منها الا الواحات ثم ان البودسير احتجب عن الناس وصار يبرز وجهه من مقعده فى النادر وربما خاطبهم من حيث لا يرونه * وذكر ابو الحسن المسعودى فى كتاب أخبار الزمان أن اوّل من تحقق بالكهانة وغير الدين وعبد الكواكب البودسير وتزعم القبط أن الكواكب كانت تخاطبه وأن له عجائب كثيرة منها انه استتر عن الناس عدّة سنين من ملكه وكان يظهر لهم وقتا بعد وقت مرّة فى كل سنة وهو حلول الشمس فى برج الحمل ويدخل الناس اليه فيخاطبهم وهم يرونه فيأمرهم وينهاهم ويحذرهم مخالفة امره ثم بنيت له قبة من فضة مطلية بذهب فصار يجلس فى اعلاها وله وجه عظيم فيخاطبهم *(فلما مات ملك بعده ابنه ارقليمون) وكان كاهنا ساحرا فعمل أعمالا عظيمة منها أنه كان يجلس فى السحاب فيرونه فى صورة انسان عظيم وأقام مدّة على ذلك ثم انه غاب عن اهل مصر وصاروا بغير ملك ثم رأوا صورة بحذاء جرم الشمس عند حلولها اوّل برج الحمل فامرهم أن يقلدوا الملك عديم بن قفطيم وأعلمهم أنه ما بقى يعود اليهم * (فولوا عليهم عديم بن قفطيم) وكان جبارا عظيما وهو اوّل من صلب بمصر وذلك أن امرأة ورجلا زنيا فصلبهما وجعل ظهر كل منهما لظهر الآخر وبنى اربع مدائن أودعها كنوزا عظيمة وجعل عليها طلسمات وعدّة عجائب وعمل منارا على البحر الشرقى وعليه صنم الى الشرق حتى لا يغلب البحر على أرض مصر وعمل قنطرة على النيل فى ارض النوبة وأقام ملكا مائة واربعين سنة ومات وعمره سبعمائة وثلاثون سنة *(وملك بعده ابنه شدّات بن عديم) وهو الذى تسميه العامة شدّاد بن عاد وكان عالما كاهنا ساحرا ويقال انه هو الذى بنى الاهرام الدهشورية وعمل أعمالا عظيمة وطلسمات عجيبة وبنى فى الجانب الشرقى مدائن وفى ايامه بنيت قوص وغزا الحبشة وسباهم وأقام ملكا تسعين سنة وهو اوّل من اتخذ الجوارح وصاد بها وولد الكلاب السلوقية وعمل فى بركة سيوط تماسيح منصوبة تنصب اليها التماسيح من النيل انصبابا فيقتلها ويعلق جلودها فى السفن واتفق أنه طرد صيدا فكبا به فرسه فى وهدة فهلك وكان قد غضب على بعض خدمه فرماه من جبل عال فتقطع فرأى أنه يصيبه مثل ذلك ولما هلك وضع فى ناوس ودفنت معه امواله وعمل عليه طلسم يمنعه ممن يقصده وكتب عليه لا ينبغى لذى القدرة أن يخرج عن الواجب ولا يفعل ما لا يجوز له فعله فيجازى بعمله هذا ناوس بن شدّات بن عديم فعل ما لا يحلّ له فعله فكوفئ عليه بمثله *(وملك بعده ابنه منقاوش وكان حكيما فاضلا كاهنا عمل أعمالا عجيبة وبنى اشياء معجبة منها انه عمل هيكلا لصور الكواكب على ثمانية فراسخ من منف وكنز من الاموال ما لا يحصى وفتح عليه من المعادن ما لم يفتح به على غيره وسار فى الجنوب يوما ثم سار مغرّبا يوما وبعض آخر فانتهى فى اليوم الثالث الى جبل اسود فعمل تحته أسرابا ومغاير ودفن فيها امواله وزبر عليها حتى انه من كثرتها يقال انه دفن حمل اثنى عشر ألف عجلة ذهبا وجواهر وأقام اربع سنين يرسل فى كل سنة عجلا كثيرة يدفنها وبقيت آثار العجل ترى فيما بين منف والمغرب زمانا طويلا وبنى هيكلا للقمر ويقال انه هو الذى بنى مدينة منف لبناته وكنّ ثلاثين بنتا وانه ألزم الناس بعمل الكيمياء فكانوا لا يفترون عن عملها ليلا ولا نهارا حتى اجتمع عنده مال عظيم وجوهر كثير وهو الذى بنى مدينة عين شمس وقسم خراج مصر أرباعا جعل الربع للملك والربع للجند والربع ينفق فى مصالح الارض والربع الرابع يدفن لحادثة تحدث وهو الذى قسم أرض مصر على مائة وثلاثين كورة وأقام ملكا احدى وتسعين سنة ومات *(فملك بعده ابنه عديم بن منقاوش) وكان جبارا لا يطاق وفى ايامه كان نزول الملكين اللذين يعلمان الناس السحر والقبط تزعم انهما نزلا بأرض مصر ثم نقلا الى بابل *(ثم ملك بعده أخوه مناوش بن منقاوش وكان عالما كاهنا

فاضلا بنى مواضع كثيرة فى الجبال والصحارى وكنز فيها كنوزا عظيمة وأقام عليها أعلاما وبنى فى صحراء الغرب مدينة وأقام لها منارا وكنز حولها كنوزا عظيمة وجعل فيها شجرة تطلع كل لون من الفاكهة وهو أوّل من عبد البقر بمصر وكان يطلب الحكمة ويستخرج كتبها وكذا كان كل من ملك منهم يجتهد فى أن يعمل له غريبة من الاعمال لم تعمل لمن كان قبله وتثبت فى كتبهم وتزبر على الحجارة * (ولما مات ملك بعده ابنه هرميس) وكان قليل الحكمة فلم يعمل شيأ مما عمله آباؤه ومات وقد أقام احدى عشرة سنة * (فملك بعده اشمون بن قبطيم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح وكان حيزه من اشمون الى منف فى الغرب وحيزه فى الشرق الى حدّ البحر الملح مما يحاذى برقة وهو آخر حدّ مصر ومن بلاد الصعيد الى حدود اخميم وكانت منزله بمدينة الاشمونين وكان طولها اثنى عشر ميلا فى مثلها وبنى فى شرقىّ النيل مدينة انصنا وبنى بها قصرا عظيما واتخذ بها أبنية وملاعب وعجائب كثيرة وبنى مدينة طهراطيس وهو أوّل من لعب بالكرة والصولجان ويقال انه بنى مدنا كثيرة عمل فيها عجائب منها مدينة فى سفح الجبل لها أربعة ابواب من كل ناحية باب فعلى الباب الشرقىّ صورة عقاب وعلى الباب الغربىّ صورة ثور وعلى الباب الشمالىّ صورة أسد وعلى الباب الجنوبىّ صورة كلب وفى هذه الصور روحانيات تنطق فاذا اقدم غريب لا يقدر على الدخول اليها الا باذن الموكلين بها ودفن تحت كل شكل من هذه الاشكال الاربعة صنفا من الكنوز وغرس فى هذه المدينة شجرة مولدة تثمر كل لون من الفاكهة ونصب منارا طوله ثمانون ذراعا فوقه قبة تتلوّن كل يوم لونا حتى تمضى سبعة ايام ثم تعود الى اللون الاول فكانت تلك المدينة تكسى من تلك الالوان شعاعا مثل لونها واجرى حول المنار ماء شقه من النيل وجعل فيه سمكا من كل لون وأقام حول المدينة طلسمات فى هيئة اناس رؤسها كالقردة وأسكن هذه المدينة السحرة نعرفت بمدينة السحرة وكانوا يعملون فيها أصناف السحر وبنى بالقرب منها مدينة عرفت بذات العجائب وبنى مجالس مصفحة بزجاج ملوّن فى وسط النيل وبنى سربا تحت الارض من الاشمونين الى انصنا وقيل انه هو الذى بنى مدينة عين شمس وانه ملك ثمانمائة سنة وان قوم عاد انتزعوا منه الملك بعد ستمائة سنة وأقاموا بمصر تسعين سنة فأصابهم وباء خرجوا منه الى المدينة بطريق الحجاز الى وادى القرى فعاد أشمون بعد خروج العادية الى ملك مصر وهو اوّل من عمل النوروز بمصر وفى زمانه بنيت مدينة البهنسا ولما مات جعل له ناوس فى آخر حدّ الاشمونين ودفن فيه ومعه كنوزه العظيمة وعجائبه الكثيرة منها ألف برنية من العقاقير المدبرة لفنون الاعمال وزبروا على ناوسه اسمه ونسبه وجعل عليه طلسم يمنعه ممن يقصده * (وملك بعده ابنه صا) ثم بعد صا ابنه تدراس * (وقيل ملك مناقيوش) وكان شجاعا فاضلا فاستأنف العمارة وبنى القرى ونصب الاعلام وعمل العجائب الهائلة وبنى مدائن منها مدينة اخميم وحوّل الكهنة اليها وأقام ملكا نيفا وأربعين سنة ومات فدفن فى الهرم الشرقىّ ومعه كنوزه * (وملك بعده ابنه وقد اختلف فى اسمه وكان فاضلا حازما معظما عند أهل مصر وهو أوّل من عمل المارستان وأوّل من عمل الميدان للرياضة وفى ايامه بنيت مدينة سنتريه فى صحراء الواحات ثم ان نساءه تغايرن عليه فقتلته احداهن بسكين فدفن فى ناوس ومعه امواله وعمل عليه طلسم يحفظه * (وملك بعده ابنه مرقوره) وكان حكيما كاهنا وهو أوّل من ذلل السباع وركبها وبنى المدن وعمر الهيا كل وأقام الاصنام ولما مات جعل له ناوس فى صحراء الغرب ودفن معه ماله * (وملك بعده ابنه بلاطس) وكان صبيا فدبرت امّه أمر الملك وكانت حازمة فأجرت الامور على أحسن ما يكون وأظهرت العدل ووضعت عن الناس الخراج فأحبوها ولما كبر ابنها أحب الصيد فعملت له امّه أعمالا عجيبة وأقام ملكا ثلاث عشرة سنة وجذر فمات وانتقل الملك الى أعمامه * فملك بعده اتريب بن قبطيم بن مصرايم وهو الثالث عشر من ملوك مصر بعد الطوفان وهو الذى بنى مدينة اتريب وعاش خمسمائة سنة منها مدّة ملكه ثلثمائة وستون سنة ويقال ان النيل وقف فى أيام اتريب مائة واربعين سنة حتى اكلت البهائم بأرض مصر ولم يبق بها بهيمة ورؤى اتريب ماشيا وهو يبسط يديه ويقبضهما من الجوع ومات عامّة اهل مصر جوعا ثم اغيثوا بعد ذلك وكثر الرخاء ودام مدّة مائتى سنة وبيع كل أردب بدانق وأقل ولما مات اتهم اخوه صا بقتله وحاربه اهل مصر تسع سنين وقتلوه * (فملكت بعده ابنته تدروة) وكانت كاهنة ساحرة فساست الملك احسن سياسة ودبرت الملك أجود تدبير وعملت طلسمات عجيبة منها طلسم منع الوحش والطير أن يشرب من النيل حتى مات اكثرها عطشا

ووقعت فى زمانه اصيحة ارتجت لها الارض فهلكت *(وملك بعدها أخوها قليمون بن اتريب) وكان حكيما فاضلا فبنى البنيان وعمل الطلسمات وفى أيامه بنيت مدينة تنيس الاولى وبنيت مدينة دمياط وأقام ملكا تسعين سنة ومات فدفن فى ناوس *(وملك بعده ابنه فرسون) وكان فاضلا كاهنا بنى المدائن وجدد الهياكل وكان حدثا فقصده بعض ملوك حمير فى جموع عظيمة فخرج اليهم واقيه بمدينة ايليا وقاتله قتالا شديدا حتى تفانى من الفريقين معظمهما وأظهر المصريون اشياء من سحرهم فانهزم الحميرى فى طائفة يسيرة وقتل فرسون عامة اصحابه وأخذ ما كان معهم وعاد ظافرا الى مدينة منف وعمل منارا على بحر القلزم فى رأسه مرآة تجذب المراكب الى الساحل حتى يؤخذ منها ما هو مقرر عليها من المال وأقام ملكا مائتى سنة وستين سنة ومات فدفن فى ناوس خلف الجبل الاسود الشرقى وعمل فيه قبة تحتوى على اثنى عشر بيتا فى كل بيت اعجوبة ودفن معه ماله وعمل عليه طلسم يحفظه *(وملك بعده نحو أربعة وصار الملك الى صا بن قبطيم) وكان اصغر ولد أبيه وأحبهم اليه *(ولما مات ملك بعده نوبية الكاهنة) وكانت ساحرة فكانت تجلس على سرير من نار فاذا تحاكم اليها أحد وكان صادقا شق تلك النار من غير أن تضره وان كان كاذبا أخذته تلك النار وكانت تتصور كل يوم فى صور كثيرة الاشكال ثم بنت قصرا واحتجبت فيه وجعلت فى سوره أنابيب من نحاس مجوفة وكتبت على كل أنبوب فنا من الفنون التى يتحاكم الناس بها اليها فكان من أتاها فى محاكمة وقف عند الانبوب الذى فيه محاكمته وتكلم بما يريده وسأل عنه بصوت خفى فاذا فرغ جعل اذنه فى الانبوب فيأتيه منه جواب ما سأل ولم يزل هذا القصر والانابيب حتى أتلفه بخت نصر *(وملك بعدها مرقونس) وكان فاضلا حكيما وكانت امه بنت ملك النوبة فعملت عجائب وصنع فى أيامه كل غريبة وملك ثلاثا وسبعين سنة ومات وعمره مائتان وأربعون سنة *(فملك بعده ابنه ايساد وهو ابن خمس وأربعين سنة) وكان جبارا طماح العين فانتزى امرأة أبيه وانكشف أمره معها وكان اكبر همه اللهو واللعب فجمع كل ملهٍ فى مملكته ورفض العلوم وأهمل أمر الهياكل والكهنة وترك النظر فى أحوال الناس وبنى قصورا على النيل ليتنزه فيها وأتلف اكثر الاموال فى اللعب فكرهه الناس وكرههم الى أن سموه فمات عن مائة وعشرين سنة *(وملك بعده ابنه صا) ويقال ان صا هو ابن مرقونس وهو أخو ايساد ولما ملك سكن منف ووعد الناس بخير وملك الاحياز كلها وعمل بها عجائب وطلسمات ورد الكهنة الى مراتبهم ونفى الملهين وأهل الشر ونصب العقاب الذى عمله أبوه وشرف هيكله ودعا اليه وبنى بداخل الواحات مدينة ونصب قرب البحر أعلاما كثيرة وجعل على الاطراف اصحاب أخبار يرفعون اليه ما يجرى فى حدودهم وعمل على حافتى النيل منابر يوقد عليها اذا حزبهم أمر أو قصدهم أحد وجعل بحافة بحر الملح منارا يعلم به أمر البحر ويقال انه بنى اكثر مدينة منف وكل بنيان عظيم بالاسكندرية وكان لما ملك البلد بأسره جمع الحكماء ونظر فى النجوم وكان بها حاذقا فرأى أن مصر لابد أن تغرق من نيلها وانها تخرب على يد رجل يأتى من ناحية الشام فجمع كل فاعل بمصر وبنى مدينة فى الواح الاقصى وقصده ملك الافرنجة وملك منه مدينة منف وقدم معه ألف مركب وهدم اكثر الاسكندرية ودخل الى النيل من رشيد حتى أخذ منف وفر منه صا الى المدائن الداخلة وتحصن بها من عدوه فامتنعت بالطلسمات أياما كثيرة ثم كانت العاقبة له وعاد عدوه منهزما ورجع الى منف فتتبع الكهنة وقتل منهم كثيرا وأقام ملكا سبعا وستين سنة وعاش مائة وسبعين سنة *(وملك ابنه تدراس واستولى على الاحياز كلها وصفا له الوقت وملك مصر وكان محتنكا مجربا ذا أيد وقوة ومعرفة بالامور فأظهر العدل وأقام الهياكل واهلها قياما حسنا وبنى بيتا للزهرة وحفر خليج سخا وحارب بعض عمالقة الشام ودخل الى فلسطين وقتل بها خلقا وسبى بعض اهلها الى مصر وغزا السودان من الزنج والحبشة ووجه فى النيل بثلثمائة سفينة فلقى السودان وكانوا زهاء ألف ألف فهزمهم وقتل اكثرهم وأسر منهم خلقا كثيرا وساق الفيلة والنمور الى مصر وعمل على حدود بلده منارات زبر عليها اسمه ومسيره وظفره وفى أيامه بعث الله نبيه صالحا الى ثمود ويقال انه هو الذى انزل النوبة حيث هى وذلك أنه لما أوغل فى أرض الحبشة وقتل امم السودان وجد فيهم امة تقرأ صحف آدم وشيث وادريس فمن عليها وأنزلها على نحو من شهر من أرض مصر فسموا النوبة ومات بمنف *(فملك بعده ابنه ماليق) وكان عاقلا كريما حسن الصورة مجربا مخالفا لابيه وأهل مصر فى عبادة الكواكب والبقر ويقال انه كان موحدا على دين أجداده

قبطيم ومصرايم وكانت القبط تذمه لذلك وأمر الناس باتخاذ كل فاره من الخيل واقتنى السلاح وأكثر الاسفار
وانشأ في بحر المغرب مائتى سفينة وخرج في جيش عظيم في البر والبحر وأتى البربر فهزمهم واستاصل اكثرهم
وبلغ أفريقية وسار الى الاندلس يريد الافرنجة فلم يمر بامة الا أبادها فحشد له ملك الافرنجة وحاربه شهرا ثم طلب
صلحه وأهدى اليه فسار عنه ودوخ الامم المتصلة بالبحر الاخضر والقبط تذكر أنه رأى سبعين أعجوبة وعمل
أعمالا على البحر وزبر عليها اسمه ومسيره وخرب مدن البربر ورجع فتلقاه اهل مصر بأصناف الرياحين وأنواع
اللهو وفرشت له الطرقات فهابه الملوك وحملوا اليه الهدايا ومازال موحدا حتى مات *(فملك بعده ابنه حزابا)
وكان لينا سهل الخلق قد عرفه ابوه التوحيد ونهاه عن عبادة الاصنام فرجع عن ذلك بعده الى دين قومه وغزا
الهند والسودان بعدما عمل مائة سفينة على شكل سفن الهند وتجهز وحمل معه امرأته ووجوه اصحابه
واستخلف ابنه كلكلى على مصر وكان صبيا وجعل معه وزيرا كاهنا فمر على ساحل اليمن وعاث في مدائنه وبلغ
سرنديب وأوقع بأهلها وبلغ جزيرة بين الهند والصين فأذعن له اهلها وتنقل في تلك الجزائر سنين فيقال انه
أقام في سفره سبع عشرة سنة ورجع غانما فهابه الملوك وبنى عدة هياكل وأقام بها الاصنام للكواكب
ثم غزا نواحى الشام فأطاعه اهله ورجع فغزا النوبة والسودان وضرب عليهم خراجا يحملونه اليه ورفع أقدار
الكهنة ومصاحفهم وكان يرى أن هذا الظفر بمعونة الكواكب له ومات وقد ملك خمسا وسبعين سنة
*فقام ابنه كلكلى) وعقد له بالاسكندرية فأقام بها اشهرا ثم قدم الى منف وكان أصنامبا فسر به اهل مصر
وكان يحب الحكمة واظهار العجائب ويقرب اهلها ويجيزهم وعمل الكيمياء وخزن اموالا عظيمة بصحارى الغرب
وهو أول من أظهر علم الكيمياء بمصر وكان علمها مكتوما وكان من تقدمه من الملوك امر وابترك صنعتها
فعملها كلكلى وملأ دور الحكمة منها حتى لم يكن الذهب في زمن بمصر اكثر منه في وقته ولا الخراج لانه كان مائة
ألف ألف وبضعة عشر ألف ألف مثقال فاستغنوا عن اثارة المعادن وعمل أيضا من الحجارة الملونة التي تشف
شيأ كثيرا وعمل من الفيروزج وغيره اشياء واخترع امورا تخرج عن حد العقل حتى سمى حكيم الملوك وغلب
جميع الكهنة في علومهم وكان يخبرهم بما يغيب عنهم وكان نمرود ابراهيم عليه السلام في وقته فاتصل بنمرود خبر
حكمته وسحره فاستزاره وكان النمرود جبارا مشوه الخلق يسكن السواد من العراق وآتاه الله قوة وقدرة
وبطشا فغلب على كثير من الامم فتقول القبط ان النمرود لما استزار كلكلى وجه اليه أن يلقاه بموضع كذا فسار
الى الموضع على أربعة أفراس تحمله ذوات أجنحة وقد أحاط به نور كالنار وحوله صور هائلة وقد خيل بها وهو
متوشح بثعبان متحزم ببعضه وقد فغر فاه وهو يضربه بقضيب آس فلما رآه النمرود هاله وأقر له بجليل الحكمة
وسأله أن يكون ظهيرا له ويقال انه كان يرتفع ويجلس على الهرم الغربى في قبة تلوح على رأسه فاذا دهم اهل
البلد امر اجتمعوا حول الهرم فيقيم اياما لا يأكل ولا يشرب ثم استتر مدة حتى توهموا أنه هلك فطمع فيه
الملوك وقصده ملك من الغرب في جيش عظيم حتى قدم وادى هبيب فأقبل حتى جللهم من سحره بشئ كالغمام
شديد الحر فأقاموا تحته أياما متحيرين ثم طار الى مصر وأمرهم بالخروج الى الجيش فوجدوهم قد ماتوا هم
ودوابهم فهابه الكهنة مهابة لم يهابوها أحدا قبله وعمر طويلا وغاب فلم يعلم خبره *وقال ابن عبد الحكم ان كلكلى
ابن حزابا ملكهم نحو مائة سنة ثم مات ولا ولد له *(فملك أخوه ماليا بن حزابا قال ابن وصيف شاه وقام اخوه
ماليا) وكان شرها كثير الاكل والشرب منفردا بالرفاهية غير ناظر في شئ من الحكمة وجعل أمر البلد الى وزيره
واشتغل بالنساء وكان له من النساء ثمانون امرأة فهجم عليه ابنه طوطيس وهو سكران فقتله وقتل امرأة
كانت عنده *(وملك بعده ابنه طوطيس) ويقال انه عمرو بن امرئ القيس بن بابليون بن حمير بن سبا بن يشجب بن
يعرب بن قحطان ويقال الوليد بن الريان وانه أحد فراعنة مصر من ولد دان بن فهلوج بن امراز بن أشود بن سام
ابن نوح وقيل فراعنة مصر من ولد عملاق الاول بن لاود بن سام بن نوح وكان جبارا جريأ شديد الباس مهابا
والقبط تزعم أنه اول الفراعنة بمصر وهو فرعون ابراهيم عليه السلام ويقال ان الفراعنة سبعة هو اولهم وحفر
نهرا في شرقى مصر بسفح الجبل حتى ينتهى الى مرفا السفن في البحر الملح وكان يحمل الى هاجر أم اسماعيل
التى أعطاها ابراهيم عليه السلام الحنطة وأصناف الغلات فتصل الى جدة فأحيى بلد الحجاز مدة ويقال ان كل
ما حليت به الكعبة في ذلك العصر مما أهداه ملك مصر واكثره ما حمل الى الحجاز سمته العرب من جرهم

الصادوق * وفى كتاب هروشيش أن سلطان المصريين فى زمن ابراهيم الخليل عليه السلام كان بأيدى قوم يدعون بنى فاليق بن دارش ودام ملكهم بمصر مائة وعشرين سنة وقال ابن اسحق عن بعضهم ان فراعنة مصر من ولد دان بن فهلوج بن امراز بن اشود بن سام بن نوح قال والمشهور أنهم من العماليق منهم الريان بن الوليد ويقال الوليد بن الريان فرعون يوسف والوليد بن مصعب فرعون موسى ومنهم سنان بن علوان قال ابن وصيف شاه وانما قيل له فرعون لانه اكثر القتل ولم يرزق غير ابنة وكانت عاقلة نخافت لكثرة قتله الناس فقتلته بسم وله فى الملك مائة وسبعون سنة * (وملكت بعده جورياق) فوعدت الناس بالاحسان وجمعت الاموال وقدمت الكهنة واهل الحكمة ورؤساء السحرة ورفعت أقدارهم وجددت الهيا كل وصار من لم يرضها الى مدينة اتريب وملكوا رجلا من ولد اتريب وقد تقدم خبره فى الاسكندرية وجورياق أول امرأة ملكت مصر من ولد نوح عليه السلام وماتت * (فملكت بعدها ابنة عمها زلفى بنت مامون) وكانت عذراء عاقلة فوعدت الناس بالجميل وقام عليها أيمن الاتريبى واستنصر بملك العمالقة فسير معه قائدا فأخرجت اليه جيشا فالتقوا بالعريش واقتتلوا حتى فنى منهم كثير من الناس ثم انهزم اصحاب زلفى الى منف وهم فى أقفيتهم فخرجت زلفى الى الصعيد ونزلت الاشمونين فكان بينها وبين عساكر العمالقة حروب انهزموا فيها وخرجوا عن منف بعد ما عاثوا فيها وعدوا الى الجرف فامتنعوا به وصارت مصر بينهم نصفين ثم ان زلفى عاودت الحرب فاستمرت ثلاثة اشهر حتى انهزمت الى قوص وأيمن خلفها فلما أيقنت انها تؤخذ سمت نفسها فهلكت وقال ابن عبد الحكم ثم توفى طوطيس بن ماليا فاستخلفت ابنته جورياق ابنة طوطيس ولم يكن له ولد غيرها ثم توفيت جورياق فاستخلفت ابنة عمها زلفى ابنة مامون بن ماليا فعمرت دهرا طويلا وكثروا ونموا وملؤا أرض مصر كلها فطمعت فيهم العمالقة فغزاهم الوليد بن دومع فقاتلهم قتالا عظيما ثم رضوا أن يملكوه عليهم فملكهم نحوا من مائة سنة فطغى وتكبر وأظهر الفاحشة فسلط الله عليه سبعا فافترسه واكل لحمه * والذى ملك مصر من الفراعنة خمسة * وملك ايمن وتجبر وقتل خلقا ممن حاربه وكان الوليد بن دومع العمليقى قد خرج فى جيش كثيف فبعث غلاما يقال له فرعون الى مصر ففتحها ثم قدم بعده واستباح اهل مصر وأخذ أموالهم ثم خرج ليقف على مصب النيل فرأى جبل القمر وأقام فى غيبته أربعين سنة ورجع الى مصر وقد خالفه فرعون وفر منه فاستعبد اهل مصر وملكهم مائة وعشرين سنة حتى هلك * (وملك ابنه الريان بن الوليد بن دومع) أحد العمالقة وكان أقوى اهل الارض فى زمانه وأعظمهم ملكا * والعمالقة ولد عمليق بن لاود بن سام بن نوح وهو فرعون يوسف عليه السلام والقبط تسميه نهراوش وقيل فرعون يوسف اسمه الريان بن الوليد بن ليث بن فاران ابن عمرو بن عمليق بن بلقع بن عابر بن اشليخا بن لود بن سام بن نوح وقيل فرعون يوسف هو جد فرعون موسى ابو أبيه واسمه برخو وكان عظيم الخلق جميل الوجه عاقلا فوعد الناس الجميل وأسقط عنهم الخراج لثلاث سنين وفرق المال فيهم * وملك رجلا من اهل بيته يقال له اطفين وهو الذى يقال له العزيز وكان عاقلا أديبا مستعملا للعدل والعمارة فأمر أن ينصب له سرير من فضة فى قصر الملك يجلس عليه ويخرج وجميع الكتاب والوزراء بين يديه فكفى نهراوش ما خلف ستره وقام بجميع اموره وخلاه للذاته فأقام على قصفه مدة والبلد عامر فقصده رجل من العمالقة وسار الى مصر فى جيوشه فخرج اليه وقاتله وهزمه وسار خلفه ودخل الشام وعاث هنالك فهابته الملوك ولاطفته وقيل انه بلغ الموصل وضرب على اهل الشام خراجا وخرج اغزو بلاد المغرب فى تسعمائة ألف ومر بأرض البربر وجلا كثيرا منهم ومر الى البحر الاخضر وسار الى الجنوب فقدم النوبة وعاد الى مدينة منف وكان من خبر يوسف معه ما ذكر عند ذكر الفيوم * (وملك بعده ابنه دريموش) ويقال له دارم بن الريان وهو الفرعون الرابع فخالف سنة أبيه وكان يوسف خليفته فيقبل منه تارة ويخالفه تارة وظهر فى أيامه معدن فضة فأثار منه شيأ عظيما وفى أيامه مات يوسف عليه السلام فاستوزر بعده رجلا حمله على أذى الناس وأخذ اموالهم فبلغ ذلك منهم مبلغا عظيما ثم زاد فى التجرى حتى اقتلع كل امرأة جميلة بمدينة منف من اهلها فكان لا يسمع بامرأة حسناء فى موضع الا وجه اليها فحملت اليه فاضطرب الناس وشنعوا عليه وعطلوا الصنائع والاعمال والاسواق فعدا عليهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وزاد الامر حتى اجتمعوا على خلعه فبرز لهم وأسقط عنهم خراج ثلاث سنين وانفق فيهم مالا فسكتوا وفى أيامه ثار القبط على بنى اسرائيل وطلبوا

من الوزير أن يخرجهم من مصر فما زال بهم حتى أمسكوا وبلغ الملك ذلك وكان قد خرج الى الصعيد فتوعد أهل مصر فشغبوا عليه وحشدوا له فحاربوه فقتل منهم خلقا كثيرا وظفر بمن بقي فقتلهم وصلبهم على حافتي النيل وعاد الى أعظم ما كان عليه من أخذ الاموال والنساء واستخدام أشراف القبط وبنى اسرائيل فأجمع الكل على ذمّه فركب النيل للنزهة وثار به ريح عاصف فغرق فلم يوجد الا بناحية شطنوف وقيل فيما بين طرا وحلوان * (فقدّم الوزير ابنه معاديوس) وكان صبيا ويقال له معدان فأسقط عن الناس ما أسقطه ابوه من الخراج ووعد بالاحسان فاستقام له الامر وردّ نساء الناس وهو خامس الفراعنة وحدث فى زمانه طوفان مصر وكثر بنوا اسرائيل وعابوا الاصنام فأفردوا ناحية عن البلد بحيث لا يختلط بهم غيرهم وأقطعوا موضعا فى قبلى منف فاجتمعوا فيه وبنوا فيه معبدا وغلب بعض الكنعانيين على الشام ومنع من الضريبة التى كانت على اهل الشام لملك مصر فاجتمع الناس الى معدان وحثوه على المسير لحربه فامتنع من المسير ولزم الهيكل فزعموا أنه قام فى هيكل زحل للعبادة فتجلى له زحل وخاطبه وقال له قد جعلتك ربا على أهل بلدك وحبوتك بالقدرة عليهم وعلى غيرهم وسأرفعك الىّ فلا تخل من ذكرى فعظم عند نفسه وتجبر وأمر الناس أن يسموه ربا وترفع عن أن ينظر فى شئ من امر الملك وجعل عليه ابنه اكسامس * (فقام ابنه اكسامس فى الملك) ويقال كاسم بن معدان فرتب الناس مراتب وقسم الكور والاعمال وأمر باستنباط العمارات واظهار الصناعات ووسع على الناس فى أرزاقهم وأمر بتنظيف الهياكل وتجديد لباسها وأوانيها وزاد فى القرابين وهو الذى يقال له كاشم بن معدان ابن دارم بن الريان بن الوليد بن دومع العمليقى وهو سادس الفراعنة وسموا فراعنة بفرعان الاول فصار اسما لكل من تجبر وعلا أمره فطال ملكه وأقام أعلاما كثيرة حول منف وعمل مدنا كثيرة ومنابر للوقودات وطلسمات وأقام سبع سنين بأجل امر فلما مات وزير أبيه استخلف رجلا من اهل بيت المملكة يقال له ظلما ابن قومس وكان شجاعا ساحرا كاهنا كاتبا حكيما متصرفا فى كل فنّ وكانت نفسه تنازعه الملك فأصلح أمر الملك وبنى مدنا من الجانبين ورأى فى نجومه أنه سيكون حدث فبنى بناحية رقودة والصعيد ملاعب ومصانع وشكا اليه القبط من الاسرائيليين فقال هم عبيدكم فأذلوهم من حينئذ وخرج الى ناحية البربر فعاث وقتل وسبى وفى ايامه بنيت منارة الاسكندرية وهاج البحر الملح فغرق كثيرا من القرى والجنان والمصانع ومات اكسامس وكان ملكه احدى وثلاثين سنة منها احدى عشرة سنة يدبر أمره ظلما فلما مات اضطرب الناس واتهموا ظلما أنه سمه فقام * وولى لاطيس بن اكسامس) وكان جريأ معجبا صلفا فامر ونهى وألزم الناس أعمالهم وقال أنا مستقيم ما استقمتم وان ملتم عن الواجب ملت عنكم وحط جماعة عن مراتبهم وصرف ظلما عن خلافته واستخلف غيره وأنفذ ظلما الى الصعيد فى جماعة من الاسرائيليين وجدّد بناء الهياكل وبنى القرى وأثار معادن كثيرة وكنز فى صحراء الشرق عدّة كنوز وكان يحب الحكمة ثم تجبر وعلا أمره وأمر أن لا يجلس احد فى مجلسه ولا فى قصر الملك لا كاهن ولا غيره بل يقومون على أرجلهم حتى يمضوا وزاد فى أذى الناس والعنف بهم ومنع فضول ما بأيديهم وقصرهم على القوت وجمع اموالهم وطلب النساء وانتزع كثيرا منهنّ وفعل اكثر مما فعله من تقدّم قبله واستعبد بنى اسرائيل وقتل جماعة من الكهنة فأبغضه الخاص والعام وثار ظلما بالصعيد وكاتب وجوه الناس فكتب لاطيس بصرفه عن العمل فامتنع وحارب عساكره وزحف حتى دخل منف * ظلما بن قومس فرعون موسى يقال ان اسمه الوليد بن مصعب بن اراهون بن الهلوت بن قاران بن عمرو ابن عمليق بن بلقع بن عابر بن اشليخا بن لود بن سام بن نوح وانه من العمالقة وكان قصيرا طويل اللحية أشهل العين اليمنى صغير العين اليسرى اعرج وزعم قوم انه من القبط وان نسبه ونسب اهل بيته مشهور عندهم وقيل غير ذلك وكان من خبره ما ذكرنا فى كنيسة دموه وقال ابن عبد الحكم ولما أغرق الله فرعون بقيت مصر بعد غرقه ليس فيها من أشراف اهلها احد ولم يبق الا العبيد والاجراء والنساء فأعظم أشراف من بمصر من النساء أن يولين منهم احدا وأجمع رأيهنّ أن يولين امرأة يقال لها دلوكة * (فملكت دلوكة ابنة زبا) ويقال دلوكة بنت قاران وكان لها عقل وتجارب ومعرفة وكانت فى شرف منهنّ وهى يومئذ بنت مائة وستين سنة فبنت جدارا حصنت به مصر من الاعداء وكان من حدّ زيج الى افريقية الى الواحات الى بلد النوبة على كل موضع منه حرس قيام ليلهم ونهارهم يقدون النار وقودا لا يطفأ أبدا أحاطت به على جميع أرض مصر كلها

في ستة أشهر وهو حائط العجوز وفي ايامها بنت تدورة الساحرة البرابي في وسط منف فملكتهم دلوكة عشرين سنة حتى بلغ صبي من أبناء اكابرهم يقال له * دركون بن بلاطس ثم مات واستخلف ابنه تودست ثم توفي تودست بن دركون فاستخلف أدقاش فلم يملك الاثلاث سنين حتى مات فاستخلف أخوه مرينا بن مرينوس ثم توفي فاستخلف استادس بن مرينا فطغى وتكبر وسفك الدم وأظهر الفاحشة فخلعوه وقتلوه وبايعوا رجلا من أشرافهم يقال له بلطوس بن ميناكيل فملكهم أربعين سنة ثم توفي فقام ابنه مالوس ثم توفي مالوس فاستخلف أخوه ميناكيل بن بلطوس بن ميناكيل فملكهم زمانا ثم توفي واستخلف ابنه نوله بن ميناكيل فملكهم مائة وعشرين سنة وهو الاعرج الذي سبى ملك بيت المقدس وقدم به الى مصر وكان قد تمكن وطغى وبلغ مبلغا لم يبلغه احد ممن قبله بعد فرعون فصرعته دابته فمات وقيل له الاعرج لانه لما غزا اهل بيت المقدس ونهبهم وسبى ملكهم يوشيا بن أمون بن منشا بن حزقيا هم أن يصعد على كرسي نبي الله سليمان بن داود وكان بلولب لا يمكن أحدا أن يصعد عليه الا برجليه جميعا فصعد برجل واحدة وهي اليمنى فدار اللولب على ساقه الاخرى فاندقت فلم يزل يخمع بها الى أن مات فلذلك سمي الاعرج * فاستخلف مرينوس بن نولة فملكهم زمانا ثم توفي واستخلف ابنه قرقورة فملكهم ستين سنة ثم توفي واستخلف أخوه نقاس بن مرينوس وانهدم البربا في زمنه فلم يقدر أحد على اصلاحه ثم توفي نقاس واستخلف ابنه قوميس بن نقاس فملكهم دهرا وحاربه بخت نصر وقتله وخرب مدينة منف وغيرها من المدائن وسبى اهل مصر ولم يترك بها أحدا حتى بقيت أرض مصر أربعين سنة خرابا ليس فيها ساكن * وذكر في ترجمة كتاب هروشيش الاندلسي في وصف الدول والحروب أن فيما بين غرق فرعون موسى الى مائة وسبع سنين كان بمصر ملك يسمى نوشردس كان يقتل الغرباء والاضياف ويذبحهم لاوثانه ويجعل دماءهم قربانا لها وأن بعد غرق فرعون الى ثلثمائة وثمان وعشرين سنة كان بمصر ملك يسمى بروبه وكان عظيم المملكة قوي السلطان أخذ بالحرب اكثر نواحي الجنوب برا وبحرا وهو أول من حارب الروم الذين قيل لهم بعد ذلك الغوط وكان قد أرسل اليهم يدعوهم الى طاعته ويخوفهم حربه فاجابوه ليس من الرأي المحمود للملك الغني محاربة قوم فقراء لكثرة نوازل الحروب واختلاف حوادثها بالظفر والهلاك وانا لا ننتظر مجيئك بل نسرع لغارتك وأتبعوا قولهم عملا وخرج فرعون اليهم فخرجوا مسرعين اليه وهزموا جيوشه ونهبوا عساكره واموله وعدده وجميع ذخائره ومضوا فنهبوا أرض مصر حتى كادوا يغلبون عليها لولا وحول عرضت لهم منعتهم مما خلفها ثم انصرفوا الى بلاد الشام بحروب متصلة حتى أذلوا اهلها وجعلوهم يؤدون اليهم المغارم وأقاموا محاربين لمن خالفهم في غزوتهم خمس عشرة سنة ولم ينصرفوا الى بلادهم حتى اتتهم من نسائهم من يقلن لهم اما أن تنصرفوا واما أن تتخذ الازواج ونطلب النسل من عند المجاورين لنا فعند ذلك انصرفوا الى بلادهم وقد امتلأت ايديهم اموالا وأوقارا جمة وقد خلفوا وراءهم ذكرا مفزعا ويقال ان ملوك مدين ملكوا مصر خمسمائة عام بعد غرق فرعون وهلاك دلوكة حتى اخرجهم منها نبي الله سليمان بن داود فعاد الملك بعدهم الى القبط وان جالوت ابن بالوت لما قتله داود سار ابنه جالوت بن جالوت الى مصر وبها ملوك مدين فأزاله ملك مصر بالجانب الغربي فأقام بها مدة ثم سار الى بلاد الغرب ويقال ان القبط ملكوا مصر بعد دلوكة وانها مدة ستمائة سنة وعشرين سنة وعدتهم سبعة وعشرون ملكا اولهم دبوسة ولبطاو ومدته ثمان وسبعون سنة وقيل ثمان وثمانون سنة ثم ملك بعده سمانادوس ستا وعشرين سنة وقام بعده سوماناس مدة مائة سنة ثم ملك مفغراس أربع سنين ثم ملك اماناقوناس تسع سنين ثم اسحوريس ست سنين ثم فسيناخس تسع سنين ثم فسوسانس خمسا وثلاثين سنة ثم ملك سسوناخوسيس احدى وعشرين سنة ثم ملك اساليون خمس عشرة سنة ثم طافالونيس ثلاث عشرة سنة ثم نطافاناسطلس خمسا وعشرين سنة ثم اساراثون تسع سنين ثم ملك فسامرس عشر سنين ثم اوفاينواس أربعا وأربعين سنة ثم ساباقور ثنتي عشرة سنة ثم سخس الحبشي ثنتي عشرة سنة ثم طراحوش الحبشي عشرين سنة ثم امراس الحبشي ثنتي عشرة سنة ثم استطافنياس سبع سنين ثم باخفاسوس ست سنين ثم باخوثمان سنين ثم فساماطيقوش أربعا وأربعين سنة ثم بحنوقا ست سنين ثم فسامرتاس سبع عشرة سنة ثم وافرس خمسا وعشرين سنة ثم أماسلس اثنتين وأربعين سنة * وملك بعد هولاء

مصر خمسة ملوك من ملوك بابل وهم امرطيوش ست سنين ثم مافرطاس سبع سنين ثم اوخرس اثنتى عشرة سنة ثم فساموت مدة سنتين ثم ملك موتاطوس سبع سنين * ثم ملك ثلاثة ملوك من اثوروهم الجرامقة الذين ملكوا الموصل والجزيرة وهم نافاطانبوش ثلاث عشرة سنة ثم طوس سبع سنين ثم نافاطانيناس ثمان عشرة سنة * ثم انتقل ملك مصر منهم الى الاسكندر بن فيلبش اليونانى وهذه اسماء رومية ولعلها او بعضها متداخل فيما تقدم ذكره ممن ملك بعد دلوكة وبين بخت نصر وبين الطوفان ألفا سنة وثلثمائة وست وخمسون سنة واشهر ويجتمع من حساب ماوقع فى التوراة أن بين الطوفان وبين خراب بيت المقدس على يد بخت نصر من السنين ألفا وستمائة وأربعا وثمانين سنة وهذا خلاف مانقله المسعودى والله تعالى أعلم بالصواب

(ذكر مدينة الاسكندرية)

هذه المدينة من اعظم مدائن الدنيا وأقدمها وضعا وقد بنيت غير مرة فأول مابنيت بعد كون الطوفان فى زمان مصرايم بن بيصر بن نوح وكان يقال لها اذ ذاك مدينة رقودة ثم بنيت بعد ذلك مرتين فلما كان فى ايام اليونانيين جددها الاسكندر بن فيلبش المقدونى الذى قهر دارا وملك ممالك الفرس بعد تخريب بخت نصر مدينة منف بمائة وعشرين سنة شمسية فعرفت به ومنذ جددها الاسكندر المذكور انتقل تخت المملكة من مدينة منف الى الاسكندرية فصارت دار المملكة بديار مصر ولم تزل على ذلك حتى ظهر دين الاسلام وقدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين وفتح الحصن والاسكندرية وصارت ديار مصر أرض اسلام فانتقل تخت الملك حينئذ من الاسكندرية الى فسطاط مصر وصار الفسطاط من بعد الاسكندرية دار مملكة ديار مصر * وسأقص عليك من أخبار الاسكندرية ماوصل اليه علمى ان شاء الله تعالى *(ذكر أبو الحسن المسعودى فى كتاب اخبار الزمان أن الكوكة وهى امة فى غابر الدهر من اهل ايلة ملكوا الارض وقسموها على ثلاثين كورة واربعة أقسام كل قسم عمل وبنوا فى كل عمل مدينة بها ملك يجلس على منبر من ذهب وله بربا وهى بيت الحكمة وله هيكل على اسم كوكب فيه اصنام من ذهب وجعلوا الاسكندرية واسمها رقودة خمس عشرة كورة وجعلوا فيها كبار الكهنة ونصبوا فى هيا كلها من أصنام الذهب اكثر مما نصبوا فى غيرها فكان مابها مائتا صنم من ذهب وقسموا الصعيد ثمانين كورة على أربعة اقسام وثلاثين مدينة فيها جميع العجائب * وذكر بطليموس فى كتاب الاقاليم ووصف الجزائر والبحار والمدن أن مدينة الاسكندرية لبرج الاسد ودليلها المريخ وساعاتها اربع عشرة ساعة وطولها ستون درجة ونصف درجة يكون ذلك أربع ساعات مستوية وثلث عشر ساعة * وقال ابن وصيف شاه فى ذكر أخبار مصرايم بن بيصر بن نوح وعلمهم ايضا عمل الطلسمات وكانت تخرج من البحر دواب تفسد زرعهم وجنانهم وبنيانهم فعملوا لها الطلسمات فغابت ولم تعد وبنوا على غير البحر مدنا منها مدينة رقودة مكان الاسكندرية وجعلوا فى وسطها قبة على أساطين من نحاس مذهب والقبة مذهبة ونصبوا فوقها مرآة من اخلاط شتى قطرها خمسة أشبار وارتفاع القبة مائة ذراع فكانوا اذا قصدهم قاصد من الامم التى حولهم فان كان مما يهمهم وكان من البحر عملوا لتلك المرآة عملا فألقت شعاعها على ذلك الشئ فأحرقته فلم تزل الى أن غلب البحر عليها ويقال ان الاسكندر انما عمل المنارة تشبيها بها وكان عليها أيضا مرآة يرى فيها من يقصدهم من بلاد الروم فاحتال عليهم بعض ملوكهم ووجه اليها من أزالها وكانت من زجاج مدبر * قال وذكر بعض القبط أن رجلا من بنى الكهنة الذين قتلهم ايساد ملك مصر صار الى ملك كان فى بلاد الافرنجة فذكر له كثرة كنوز مصر وعجائبها وضمن له أن يوصله الى ملكها واموالها ويرفع عنه أذى طلسماتها حتى يبلغ جميع مايريد فلما اتصل بصاحب مرقونس أخى ايساد وهو ملك مصر يومئذ أن صاحب بلاد الافرنجة يتجهز اليه عمد الى جبل بين البحر الملح وشرقى النيل فأصعد اليه اكثر كنوزه وبنى عليها قبابا مصفحة بالرصاص وظهر صاحب بلاد الافرنجة فى ألف مركب فكان لا يمر بشئ من أعلام مصر ومنازلها الا هدمه وكسر الاصنام بمعونة ذلك الكاهن حتى اتى الاسكندرية الاولى فعاث فيها وفيما حولها وهدم اكثر معالمها الى أن دخل النيل من ناحية رشيد وصعد الى منف واهل النواحى يحاربونه وهو ينهب مامر به ويقتل ماقدر عليه الى أن طلب المدائن الداخلة

لاخذ كنوزها فوجدها ممتنعة بالطلسمات الشداد والمياه العميقة والخنادق والشداخات فأقام عليها أياما كثيرة فلم يمكنه الوصول اليها وغضب على الكاهن فقتله من أجل أن جماعة من اصحابه هلكوا فاجتمع اهل النواحى وقتلوا من اصحابه الذين بالمراكب خلقا وأحرقوا بعض المراكب وقام اهل مصر بسحرهم وتهاويلهم فأتت رياح اغرقت أكثر مراكبه حتى نجا بنفسه وقد خرج فعاد الناس الى منازلهم وقراهم ورجع الملك صا الى مدينة منف وأقام بها وتجهز لغزو بلدان الروم وبعث اليها وخرّب الجزائر فهابته الملوك وتتبع الكهنة فقتل منهم خلقا كثيرا وأقام ملكا سبعا وستين سنة ومات وعمره مائة وسبعون سنة ودفن بمنف فى وسطها تحت الارض ومعه الاموال والجواهر والتماثيل والطلسمات كما فعل آباؤه منها أربعة آلاف مثقال ذهبا على صور حيوانات برّية وبحرية وتمثال عقاب من حجر أخضر وتمثال تنين من ذهب وزبروا عليها اسمه وغلبته الملوك وسيرته وعهد الى ابنه تدراس قال ولما جلست جورياق ابنة طوطيس اوّل فراعنة مصر وهو فرعون ابراهيم الخليل عليه السلام على سرير الملك بعد قتلها لأبيها وعدت الناس بالاحسان وأخذت فى جمع الاموال فاجتمع لها ما لم يجتمع لملك وقدمت الكهنة واهل الحكمة ورؤساء السحرة ورفعت أقدارهم وأمرت بتجديد الهيا كل وصار من لم يرضها الى مدينة اتريب وملكوا عليهم رجلا من ولد اتريب يقال له ايداخس فعقد على رأسه تاجا واجتمع اليه جماعة فأنفذت اليه جيشا فهزموه وقتلوا اكثر أصحابه فهرب الى الشام وبها الكنعانيون فاستغاث بملكهم فجهزه بجيش عظيم ففتحت جورياق الخزائن وفرّقت الاموال وقوّت السحرة فعملوا أعمالهم وتقدّم ايداخس بجيوش الكنعانيين وعليها قائد منهم يقال له جيرون فلما نزلوا أرض مصر بعثت ظئرا لها من عقلاء النساء الى القائد سرّا عن ايداخس تعرّفه رغبتها فى تزوّجه وانها لا تختار أحدا من اهل بيتها وأنه ان قتل ايداخس تزوّجت به وسلمته ملك مصر ففرح بذلك وسمّ ايداخس بسمّ أنفذته اليه فقتله وبعثت اليه بعد قتل ايداخس أنه لا يجوز أن أتزوّجك حتى يظهر قومك فى بلدى وتبنى لى مدينة عجيبة وكان افتخارهم حينئذ بالبنيان وأقامة الاعلام وعمل العجائب وقالت انتقل من موضعك الى غربىّ بلدى فثم آثار لنا كثيرة فاقتف تلك الاعمال وابن عليها ففعل وبنى مدينة فى صحراء الغرب يقال لها قيدومة وأجرى اليها من النيل نهرا وغرس حولها غروسا كثيرة وأقام بها منارا عاليا فوقه منظر مصفح بالذهب والفضة والزجاج والرخام وهى تمدّه بالاموال وتكاتب صاحبه عنه وتماديه وهو لا يعلم فلما فرغ منها قالت له انّ لنا مدينة اخرى حصينة كانت لاوائلنا وقد خربت منها أمكنة وتشعث حصنها فامض اليها واعمل فى اصلاحها حتى أنتقل انا الى هذه المدينة التى بنيتها فاذا فرغت من اصلاح تلك المدينة فأنفذ الىّ جيشك حتى اصير اليك وأبعد عن مدينتى وأهل بيتى فانى اكره أن تدخل علىّ بالقرب منهم فمضى وجدّ فى عمل الاسكندرية الثانية * وأهل التاريخ يذكرون أنّ الذى قصدها الوليد بن دومع العمليقى ثانى الفراعنة وكان سبب قصدها أنه كان به علة فوجه الى الاقطار ليحمل اليه من مائها حتى يرى ما يلائمه فوجه الى مملكة مصر غلاما فوقف على كثرة خيراتها وحمل اليه من مائها وألطافها وعاد اليه فعرّفه حال مصر فسار اليها فى جيش كثيف وكاتب الملكة يخطبها لنفسه فأجابته وشرطت عليه أن يبنى لها مدينة يظهر فيها ايده وقوّته ويجعلها لها مهرا فأجابها وشق مصر الى ناحية الغرب فبعثت اليه أصناف الرياحين والفواكه وخلقت وجوه الدواب فمضى الى الاسكندرية وقد خربت بعد خروج العادية منها فنقل ما كان من حجارتها ومعالمها وعمدها ووضع أساس مدينة عظيمة وبعث اليها مائة ألف فاعل وأقام فى بنائها مدّة وأنفق جميع ما كان معه من المال وكلما بنى شيأ خرج من البحر دواب فتقلعه فاذا اصبح لم يجد من البناء شيأ فاهتم لذلك وكانت جورياق قد أنفذت اليه ألف رأس من المعز اللبون يستعمل ألبانها فى مطبخه وكانت مع راع تثق به يرعاها هنالك فكان اذا أراد أن ينصرف عند المساء خرجت اليه من البحر جارية حسناء فتتوق نفسه اليها فاذا كلمها شرطت عليه أن تصارعه فان صرعها كانت له وان صرعته أخذت من المعز رأسين فكانت طول الايام تصرعه وتأخذ الغنم حتى أخذت اكثر من نصفها وتغير باقيها لشغله بحبّ الجارية عن رعيها ونحل جسمه فرّبه صاحبه وسأله عن حاله فأخبره الخبر فخوّفه من سطوته فلبس ثياب الراعى وتولى رعى الغنم يومه الى المساء فخرجت اليه الجارية وشرطت عليه الشرط فأجابها وصارعها فصرعها وشدّها فقالت ان كان ولا بدّ من أخذى فسلمنى لصاحبى الاوّل فانه ألطف بى وقد عذبته مدّة فردّها اليه وقال له سلها عن هذا البنيان الذى

تبنيه ويزال من ليلته من يفعل ذلك وهل فى ثباته من حيلة فسألها الراعى عن ذلك فقالت انّ دواب البحر التى تنزع بنيانكم فقال فهل من حيلة قالت نعم تعملون توابيت من زجاج كثيف بأغطية وتجعلون فيها أقواما يحسنون التصوير ويكون معهم صحف وأنقاش وزاد يكفيهم أياما وتحمل التوابيت فى المراكب بعدما تشدّ بالحبال فاذا توسطوا الماء أمروا المصوّرين أن يصوّروا جميع ما يمرّ بهم ثم ترفع تلك التوابيت فاذا وقفتم على تلك الصور فاعملوا لها أشباها من صفر أو حجارة او رصاص وانصبوها قدّام البنيان الذى تبنونه من جانب البحر فانّ تلك الدواب اذا خرجت ورأت صورها هربت ولم تعد فعرّف الراعى صاحبه ذلك ففعله وتمّ البنيان وبنى المدينة * وقال قوم انّ صاحب البناء والغنم هو جيرون كان قصدهم قبل الوليد وانما اتاهم الوليد بعد جورياق وقهرهم وملك مصر * وذكروا أن الاموال التى كانت مع جيرون نفدت كلها فى تلك المدينة ولم تتم فأمر الراعى أن يخبر الجارية فقالت انّ فى المدينة التى خربت ملعبا مستديرا حوله سبعة عمد على رؤسها تماثيل من صفر قيام فقرّب لكل تمثال منها ثورا سمينا والطخ العمود الذى تحته من دم الثور وبخره بشعر من ذنبه وشئ من نحاتة قرونه وأظلافه وقل له هذا قربانك فأطلق لى ما عندك ثم قس من كل عمود الى الجهة التى يتوجه اليها وجه التمثال مائة ذراع واحفر عند امتلاء القمر واستقامة زحل فانك تنتهى بعد خمسين ذراعا الى بلاطة عظيمة فلطخها بمرارة الثور واقلعها فانك تنزل الى سرب طوله خمسون ذراعا فى آخره خزانة مقفلة ومفتاح القفل تحت عتبة الباب فخذه والطخ الباب ببقية المرارة ودم الثور وبخره بنحاتة قرونه وأظلافه وشعر ذنبه وادخل فانه يستقبلك صنم فى عنقه لوح من صفر مكتوب فيه جميع ما فى الخزانة فخذ ما شئت ولا تعترض ميتا تجده ولا ما عليه وكذلك كل عمود وتمثاله فانك تجد مثل تلك الخزانة وهذه نواويس سبعة من الملوك وكنوزهم فلما سمع ذلك سرّ به وامتثله فوجد ما لا يدرك وصفه ووجد من العجائب شيأ كثيرا فتمّ بناء المدينة وبلغ ذلك جورياق فساءها وكانت قد أرادت اتعابه واهلاكه بالحيلة ويقال انه وجد فيما وجد درجا من ذهب مختوما فيه مكحلة زبرجد فيها ذرور اخضر ومعها عرق احمر من اكتحل من ذلك الذرور بالعرق وكان اشيب عاد شابا واسودّ شعره وأضاء بصره حتى يدرك الروحانيين ووجد تمثالا من ذهب اذا ظهر عميت السماء وأمطرت ومثال غراب من حجر اذا سئل عن شئ صوّت وأجاب عنه ووجد فى كل خزانة عشر اعجوبات * فلما فرغ من بناء المدينة وجه الى جورياق يحثها على القدوم اليه فحملت اليه فرشا فاخرا ليبسطه فى المجلس الذى يجلس فيه وقالت له اقسم جيشك أثلاثا فأنفذ الىّ ثلثه حتى اذا بلغت ثلث الطريق فأنفذ الثلث الآخر فاذا جزت نصف الطريق فأنفذ الثلث الباقى ليكونوا من وراءى لئلا يرانى احد اذا دخلت عليك ولا يكون عندك الا صبية تثق بهم يخدمونك فانى اوافيك فى جوار تكفيك الخدمة ولا احتشمهنّ ففعل وأقامت تحمل الجهاز اليه والاموال حتى علم بمسيرها فوجه اليها ثلث جيشه فعملت لهم الاطعمة والاشربة المسمومة وأنزلهم جواريها وحشمها وقدّموا اليهم الاطعمة والاشربة والطيب وأنواع اللهو فلم يصبح منهم احد حيا وسارت فلقيها الثلث الآخر ففعلت به مثل ذلك وهى توجه اليه انها انفذت جيشه الى قصرها وتمالكتهما يحفظونهما وسارت حتى دخلت عليه هى وظئرها وجواريها فنفخت ظئرها فى وجهه نفخة بهت اليها ورشت عليه ما كان معها فارتعدت أعضاؤه وقال من ظنّ أنه يغلب النساء فقد كذبته نفسه وغلبته النساء ثم انها فصدت عروقه وقالت دماء الملوك شفاء وأخذت رأسه ووجهت به الى قصرها ونصبته عليه وحوّلت تلك الاموال الى مدينة منف وبنت منارا بالاسكندرية وزبرت عليه اسمها واسمه وما فعلت به وتاريخ الوقت فلما بلغ خبرها الملوك هابوها وأطاعوها وهادوها وعملت بمصر عجائب كثيرة وبنت على حدّ مصر من ناحية النوبة حصنا وقنطرة يجرى ماء النيل من تحتها واعتلت فقلدت ابنة عمها زالفى بنت مامون وماتت * وقال ابن خرداذبه روى أنّ الاسكندرية بنيت فى ثلثمائة سنة وأنّ اهلها مكثوا سبعين سنة لا يمشون فيها بالنهار الا بخرق سود مخافة على أبصارهم من شدّة بياض حيطانها ومنارتها العجيبة على سرطان زجاج فى البحر وانه كان فيها سوى اهلها ستمائة ألف من اليهود خول لاهلها * وقال ابن وصيف شاه وكانت العمارة ممتدّة فى رمال رشيد والاسكندرية الى برقة فكان الرجل يسير فى أرض مصر فلا يحتاج الى زاد لكثرة الفواكه والخيرات ولا يسير الا فى ظلال تستره من حرّ الشمس وعمل الملك صا بن قبطيم فى تلك الصحارى قصورا وغرس فيها غروسا وساق اليها من النيل أنهارا فكان يسلك من الجانب الغربى الى حدّ

الغرب فى عمارة متصلة فلما انقرض اولئك القوم بقيت آثارهم فى تلك الصحارى وخربت تلك المنازل وباد أهلها ولا يزال من دخل تلك الصحارى يحكى ما رآه فيها من الآثار والعجائب * وقال ابن عبد الحكم وكان الذى بنى الاسكندرية وأسس بناءها ذو القرنين الرومى واسمه الاسكندر وبه سميت الاسكندرية وهو أول من عمل لوشى وكان أبوه اول القياصرة وقيل انه رجل من اهل مصر اسمه مرزبا بن مرزبه اليونانى من ولد يونان بن يافث بن نوح صلى الله عليه وسلم وقيل كان من أهل لوبية كورة من كور مصر الغربية وقال ابن لهيعة وأهلها روم ويقال هو رجل من حمير قال تبع

قد كان ذو القرنين جدى مسلما * ملكا تدين له الملوك بمشهد
بلغ المغارب والمشارق يبتغى * أسباب علم من حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها * فى عين ذى خلب وثأط حرمد

ويروى قد كان ذو القرنين قبلى مسلما وحدثنى عثمان بن صالح حدثنى عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم عن سعد بن مسعود التجيبى عن شيخين من قومه قالا كنا بالاسكندرية فاستطلنا يومنا فقلنا لو انطلقنا الى عقبة بن عامر نتحدث عنده فانطلقنا اليه فوجدناه جالسا فى داره فأخبرناه انا استطلنا يومنا فقال وأنا مثل ذلك انما خرجت حين استطلته ثم أقبل علينا فقال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أخدمه فاذا أنا برجال من اهل الكتاب معهم مصاحف او كتب فقالوا استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرفت اليه فأخبرته بمكانهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالى ولهم يسألونى عما لا أدرى انما أنا عبد لا أعلم الا ما علمنى ربى ثم قال ابغنى وضوءا فتوضأ ثم قام الى مسجد بيته فركع ركعتين فلم ينصرف حتى عرفت السرور فى وجهه والبشر ثم انصرف فقال أدخلهم ومن وجدت بالباب من اصحابى فأدخلته قال فأدخلتهم فلما وقفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم ان شئتم أخبرتكم عما أردتم أن تسألونى قبل أن تتكلموا وان احببتم تكلمتم وأخبرتكم قالوا بلى أخبرنا قبل أن نتكلم قال احببتم أن تسألونى عن ذى القرنين وسأخبركم عما تجدونه مكتوبا عندكم ان اول امره انه غلام من الروم اعطى ملكا فسار حتى أتى ساحل البحر من أرض مصر فابتنى عنده مدينة يقال لها الاسكندرية فلما فرغ من بنائها أتاه ملك فعرج به حتى استقله فرفعه فقال انظر ما تحتك فقال أرى مدينتى وأرى مدائن معها ثم عرج به فقال انظر فقال قد اختلطت مدينتى مع المدائن فلا اعرفها ثم زاد فقال انظر فقال أرى مدينتى وحدها ولا ارى غيرها قال له الملك انما تلك الارض كلها والذى ترى يحيط بها هو البحر وانما أراد ربك أن يريك الارض وقد جعل لك سلطانا فيها سوف يعلم الجاهل ويثبت العالم فسار حتى بلغ مغرب الشمس ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس ثم أتى السدين وهما جبلان لينان يزلق عنهما كل شئ فبنى السد ثم جاز يأجوج ومأجوج فوجد قوما وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج ثم قطعهم فوجد امة قصارا يقاتلون القوم الذين وجوههم وجوه الكلاب ووجد أمة من الغرانيق يقاتلون القوم القصار ثم مضى فوجد أمة من الحيات تلتقم الحية منها الصخرة العظيمة ثم افضى الى البحر المدير بالارض فقالوا نشهد أن امره هكذا كما ذكرت وانا نجده هكذا فى كتابنا * وعن خالد بن معدان الكلاعى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين فقال ملك مسح الارض من تحتها بالاسباب قال خالد وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا أما رضيتم أن تسموا بالانبياء حتى تسميتم بالملائكة * وقال قتادة عن الحسن كان ذو القرنين ملكا وكان رجلا صالحا قال وانما سمى ذا القرنين لان عليا رضى الله عنه سئل عن ذى القرنين فقال لم يكن ملكا ولا نبيا ولكن كان عبدا صالحا أحب الله فأحبه الله ونصح لله فنصحه الله بعثه الله عز وجل الى قومه فضربوه على قرنيه فمات فسمى ذا القرنين ويقال انما سمى ذا القرنين لانه جاوز قرنى الشمس من المغرب والمشرق ويقال انما سمى ذا القرنين لانه كان له غديرتان من شعر رأسه يطافيهما وقيل بل كان له قرنان صغيران تواريهما العمامة * وعن ابن شهاب انما سمى ذا القرنين لانه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرن الشمس من مشرقها * وعن عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال كان اول شأن الاسكندرية أن فرعون اتخذ بها مصانع ومجالس وكان اول من عمرها وبنى فيها فلم تزل على بنائه ومصانعه ثم تداولها ملوك مصر بعده فبنت دلوكة بنت زبا منارة الاسكندرية ومنارة بوقير بعد فرعون فلما ظهر سليمان بن داود عليهما السلام على الارض اتخذ بها مجلسا

وبنى فيها مسجدا ثم ان ذا القرنين ملكها فهدم ما كان من بناء الملوك والفراعنة وغيرهم الابناء سليمان لم يهدمه ولم يغيره واصلح ما كان رث منه وأقر المنارة على حالها ثم بنى الاسكندرية من أولها بناء يشبه بعضه بعضا ثم تداولها الملوك بعده من الروم وغيرهم ليس من ملك الا يكون له بها بناء يضعه بالاسكندرية يعرف به وينسب اليه * قال ابن لهيعة وبلغنى أنه وجد بالاسكندرية حجر مكتوب فيه أنا شداد بن عاد وأنا الذى نصب العماد وحيد الاحياد وشد بذراعه الواد بنيتهن اذلا شيب ولا موت واذ الحجارة فى اللين مثل الطين وفى رواية وكنزت فى البحر كنزا على اثنى عشر ذراعا لن يخرجه أحد حتى تخرجه أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن لهيعة والاحياد كالمغار وقال ابو على القالى فى كتاب الامالى وأنشد ابن الاعرابى وغيره

تسألنى عن السنين كم لى * فقلت لو عمرت عمر الحسل * او عمر نوح زمن الفطحل
لو أننى اوتيت علم الحكل * وعشت دهرا زمن الفطحل * لكنت رهن هرم اوقتل

وفى رواية

علم سليمان كلام النمل * ايام كان الصخر مثل الوحل

وقال آخر زمن الفطحل اذ السلام رطاب * وعندهم ان زمن الفطحل زمان كان بعد الطوفان عظم فيه الخصب وحسنت احوال اهله وقال بعضهم زمن الفطحل زمن لم يخلف بعد وقوله علم الحكل الحكل ما لا يسمع صوته من الحيوان وهذا الرجز لرؤبة بن العجاج بن روبة بن لبيد بن صخر بن كثيف بن حي بن بكر بن ربيعة بن سعد ابن مالك بن زيد مناه بن تميم وذلك أنه ورد ماء لعكل فرأى فتاة فأعجبته فخطبها فقالت أرى سنا فهل من مال قال نعم قطعة من ابل قالت فهل من ورق قال لا قالت يا آل عكل اكبرا واعمارا فقال روبة

لما ازدرت قدرى وقلت ابلى * تألفت واتصلت بعكل * خطى وهزت رأسها تستبلى
تسألنى عن السنين كم لى * فقلت لو عمرت عمر الحسل * او عمر نوح زمن الفطحل
والصخر مبتل كطين الوحل

وفى رواية

لو اننى اوتيت علم الحكل * علم سليمان كلام النمل

وسألت أبا بكر بن دريد عن زمن الفطحل فقال تزعم العرب أنه زمان كانت فيه الحجارة رطبة * قال ابن عبد الحكم ويقال ان الذى بنى الاسكندرية شداد بن عاد والله أعلم * وكانت الاسكندرية ثلاث مدن بعضها الى جنب بعض منيعة وهى موضع المنارة وما والاها والاسكندرية وهى موضع قصبة الاسكندرية اليوم ونقيطة وكان على كل واحدة منهن سور وسور من خلف ذلك على الثلاث مدن يحيط بهن جميعا وقيل كان على الاسكندرية سبعة حصون منيعة وسبعة خنادق قال وان ذا القرنين لما بنى الاسكندرية رخمها بالرخام الابيض جدرها وأرضها فكان لباسهم فيها السواد والحمرة فمن قبل ذلك لبس الرهبان السواد من نصوع بياض الرخام ولم يكونوا يسرجون فيها بالليل من بياض الرخام واذا كان القمر أدخل الرجل الذى يخيط بالليل فى ضوء القمر مع بياض الرخام الخيط فى ثقب الابرة * ويقال بنيت الاسكندرية فى ثلثمائة سنة وسكنت ثلثمائة سنة وخربت ثلثمائة سنة ولقد مكثت سبعين سنة ما يدخلها أحد الا وعلى بصره خرقة سوداء من بياض جصها وبلاطها ولقد مكثت سبعين سنة ما يستسرج فيها قال وكانت الاسكندرية بيضاء تضىء بالليل والنهار وكانوا اذا غربت الشمس لم يخرج احد من بيته ومن خرج اختطف وكان منهم راع يرعى على شاطئ البحر فكان يخرج من البحر شئ فيأخذ من غنمه فكمن له الراعى فى موضع حتى خرج فاذا جارية قد نفشت شعرها ومانعته عن نفسها فقوى عليها فذهب بها الى منزله فأنست به فرأتهم لا يخرجون بعد غروب الشمس فسألتهم فقالوا من خرج منا اختطف فهيأت لهم الطلسمات فكانت اول من وضع الطلسمات بمصر فى الاسكندرية وقيل كان الرخام قد سخر لهم حتى يكون من بكرة النهار كالعجين فاذا انتصف النهار اشتد * وقال المسعودى ذكر جماعة من اهل العلم أن الاسكندر المقدونى لما استقام ملكه فى بلاده وسار حتى يختار أرضا صحيحة الهواء والتربة والماء حتى انتهى الى موضع الاسكندرية فأصاب فيها اثر بنيان وعمدا كثيرة من الرخام وفى وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند وهو القلم الاول من أقلام حمير وملوك عاد أنا شداد بن عاد شددت بساعدى الواد وقطعت عظيم

العماد

العماد وشوامخ الجبال والاطواد وبنيت ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وأردت أن آبنى هنا مدينة كارم وأنقل اليها كل ذى قدم وكرم من جميع العشائر والامم وذلك اذ لا خوف ولا هرم ولا اهتمام ولا سقم فأصابنى ما اعجلنى وعما أردت قطعنى ومع وقوعه طال همى وشجنى وقل نومى وسكنى فارتحلت بالامس عن دارى لا لقهر ملك جبار ولا لخوف جيش جرار ولا عن رغبة ولا عن صغار ولكن لتمام المقدار وانقطاع الآثار وسلطان العزيز الجبار فمن رأى اثرى وعرف خبرى وطول عمرى ونفاد بصرى وشدة حذرى فلا يغتر بالدنيا بعدى فانها غرارة غدارة تأخذ منه ما تعطى وتسترجع منه ما توتى وكلام كثير يرى فناء الدنيا ويمنع من الاغترار بها والسكون اليها * فنزل الاسكندر مفكرا يتدبر هذا الكلام ويعتبره ثم بعث يحشر الصناع من البلاد وخط الاساس وجعل طولها وعرضها أميالا وجمع اليها العمد والرخام وأتته المراكب فيها انواع الرخام وانواع المرمر والاحجار من جزيرة صقلية وبلاد افريقية واقريطش واقاصى بحر الروم مما يلى مصبه بحر اقيانوس وحمل اليه أيضا من جزيرة رودس وأمر الفعلة والصناع أن يدوروا بما رسم لهم من أساس سور المدينة وجعل على كل قطعة من الارض خشبة قائمة وجعل من الخشبة الى الخشبة حبالا منوطة بعضها ببعض وأوصل جميع ذلك بعمود من الرخام وكان أمام مضربه وعلق على العمود جرسا عظيما مصوتا وأمر الناس والقوام على البنائين والفعلة والصناع انهم اذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت الحبال وقد علق على كل قطعة منها جرسا صغيرا حرصوا على أن يضعوا أساس المدينة دفعة واحدة من سائر أقطارها وأحب الاسكندر أن يجعل ذلك فى وقت يختاره وطالع سعد فحرك الاسكندر رأسه وأخذته نعسة فى حال ارتقابه الوقت المحمود فجاء غراب فجلس على حبل الجرس الكبير الذى فوق العمود فحركه وخرج صوت الجرس وتحركت الحبال وخفق ما عليها من الاجراس الصغار وكان ذلك معمولا بحركات هندسية وحيل حكمية فلما رأى الصناع تلك الحبال قد تحركت وسمعوا الاصوات وضعوا الاساس دفعة واحدة وارتفع الضجيج بالتحميد والتقديس فاستيقظ الاسكندر من رقدته وسأل عن الخبر فأخبر بذلك فأعجب وقال أردت امرا وأراد الله غيره ويأبى الله الا ما يريد أردت طول بقائها وأراد الله سرعة فنائها وخرابها وتداول الملوك اياها وان الاسكندر لما أحكم بناءها وثبت أساسها وجن الليل عليهم خرجت دواب البحر فأتت على جميع البنيان فقال الاسكندر حين أصبح هذا بدء الخراب فى عمارتها وتحقق مراد البارى سبحانه من زوالها فتطير من فعل الدواب فلم تزل البناة فى كل يوم تبنى وتحكم ويوكل من يمنع الدواب اذا خرجت من البحر فيصبحون وقد خرجت وخربت البنيان فقلق الاسكندر لذلك وراعه ما رأى من البحر فأقبل يفكر ما الذى يصنع وأى حيلة تنفع فى ذلك حتى تدفع الاذية عن المدينة فسنحت له الحيلة عند خلوته بنفسه وايراده الامور واصدارها فلما اصبح دعا الصناع فاتخذوا له تابوتا من الخشب طوله عشرة اذرع فى عرض خمسة اذرع وجعلت فيه جامات من الزجاج قد أحاط بها خشب التابوت باستدارتها وقد أمسك ذلك بالقار والزفت وغيره من الاطلية الدافعة للماء حذرا من دخول الماء الى التابوت وقد جعل فيها مواضع للحبال ودخل الاسكندر فى التابوت ورجلان من كتابه ممن له علم باتقان التصوير وأمر أن تسد عليه الابواب وأن تطلى بما ذكرنا من الاطلية وأمر بمركبين عظيمين فأخرجا الى لجة البحر وعلق فى التابوت من اسفله مثقلات الرصاص والحديد والحجارة لتهوى بالتابوت سفلا وجعل التابوت بين المركبين وألصقهما بخشب بينهما لئلا يفترقا وشد حبال التابوت الى المركبين وطول حباله فغاص التابوت حتى انتهى الى قرار البحر فنظروا الى دواب البحر وحيوانه من ذلك الزجاج الشفاف فى صفاء ماء البحر فاذا بصور الشياطين على مثال الناس وفيهم من له مثل رؤس السباع وفى أيديهم الفوس مع بعضهم وفى ايدى بعضهم المناشير والمقامع يحكون بذلك صناع المدينة والفعلة وما فى أيديهم من آلات البناء فأثبت الاسكندر ومن معه تلك الصور وحكوها بالتصوير فى القراطيس على اختلاف انواعها وتشوه خلقها وقدودها ثم حرك الحبال فلما أحس بذلك من فى المركبين جذبوا الحبال واخرجوا التابوت فخرج الاسكندر وأمر صناع الحديد والنحاس والحجارة فعملوا تماثيل تلك الدواب على ما صور فلما فرغوا منها وضعت على العمد بشاطئ البحر ثم أمرهم فبنوا فلما جن الليل ظهرت الدواب والآفات من البحر فنظرت الى صورها على العمد مقابلة الى البحر فرجعت ولم تعد بعد ذلك فبنيت الاسكندرية وشيدت وأمر الاسكندر أن يكتب على ابوابها هذه الاسكندرية أردت أن

أبنيها على الفلاح والنجاح واليمن والسعادة والسرور والثبات فى الدهور ولم يرد البارى عزوجل ملك السموات والارض ومفنى الامم أن يثبتها كذلك فبنيتها وأحكمت بنيانها وشيدت سورها وآتانى الله عزوجل من كل شئ علما وحكمة وسهل لى وجوه الاسباب فلم يتعذر على فى العالم شئ مما أردته ولا امتنع عنى شئ مما طلبته لطفا من الله عزوجل وصنعا لى وصلاحا لعباده من اهل عصرى والحمد لله رب العالمين لا اله الا هو رب كل شئ ورسم بعد هذه الكتابة كل ما يحدث ببلده من الاحداث بعده فى مستقبل الزمان من الآفات والعمران والخراب وما يؤول أمرها اليه الى وقت دثور العالم *(وكان بناء الاسكندرية طبقات وتحتها قناطر مقنطرة عليها دور المدينة يسير تحتها الفارس وبيده رمح لا تضيق به حتى يدور جميع تلك الآزاج والقناطر التى تحت المدينة وقد عمل لتلك العقود والآزاج مخاريق ومتنفسات للضياء ومنافذ للهواء وقد كانت الاسكندرية تضىء بالليل بغير مصباح لشدة بياض الرخام والمرمر وكانت اسواقها وشوارعها وأزقتها مقنطرة كلها لا يصيب اهلها شئ من المطر وكان عليها سبعة اسوار من انواع الحجارة المختلفة الالوان بينها خنادق وبين كل خندق وسور فصول وربما تعلق فى المدينة شقاق الحرير الاخضر لاختطاف بياض الرخام أبصار الناس لشدة بياضه فلما أحكم بناءها وسكنها أهلها كانت آفات البحر وسكانه على ما زعم الاخباريون من المصريين والاسكندريين تختطف بالليل اهل المدينة فيصبحون وقد فقد منهم العدد الكثير فلما علم بذلك الاسكندر اتخذ الطلسمات على اعمدة هنالك تدعى المسال وهى باقية الى هذه الغاية كل واحد من هذه الاعمدة على هيئة السروة وطول كل واحد منها ثمانون ذراعا على عمد من نحاس وجعل تحتها صورا وأشكالا وكتابة * قال مؤلفه رحمه الله فيما تقدم من حكاية ابن وصيف شاه ما يتبين به وهم ما نقله المسعودى من أن الاسكندر هو الذى عمل التابوت حتى صور أشكال حيوانات البحر فان ابن وصيف شاه اعرف بأخبار أهل مصر وكذلك ما ذكره المسعودى من أن المسال من عمل الاسكندر وهم أيضا بل هذه المسال هى المنار التى كان ينور عليها والأعلام التى كانت ملوك مصر القدماء تنصبها وهى من أعمال ملوك القبط الاول ومن أعمال الفراعنة الذين ملكوا مصر من قديم الزمان

(ذكر الاسكندر)

هو الاسكندر بن فليبش بن آمنته (ويقال آمنتاس) بن هركلش (ويقال هرقول) الجبار الذى هو ابن الاسكندر الاعظم ولى ابوه فليبش الملك فى بلد مجدونية (ويقال مقدونية) خمسا وعشرين سنة استنبط فيها ضروبا من المكر وابتدع انواعا من الشر تقدم فيها كل من ولى الملك بها قبله * وكان فى اول امره قد جعله أخوه الاسكندر رهينة عند أمير من الروم فأقام عنده ثلاث سنين وكان فيلسوفا فتعلم عنده ضروب الفلسفة فلما قتل أخوه الاسكندر اجتمع الناس على تولية فليبش فولوه أميرا فقام فى السلطان مقاما عظيما فحارب الروم وغلب عليهم ومضى الى البرية فقتل بها من الناس آلافا وغلب على مدائن فاجتمع له جمع لا يقاد وجيش لا يرام فأذل جميع الروم وذهبت عينه فى بعض الحروب وغمر البلدان والمدائن عمارة وهدما وسبيا واتهابا ثم حشد جميع اهل بلد الروم وعبى عسكرا فيه مائتا ألف راجل وخمسون ألف فارس سوى من كان فيه من اصحابه المقدونيين ومن غيرهم من اجناس اليونانيين يريد غزو الفرس * فبيناهو يجمع هذا الجمع نظر فى تزويج ابنة له يقال لها قلوبطره من ختنه أخى امرأته وخال ولده الاسكندر وجلس قبل العرس بيومين يحدث قواده اذ سئل عن اى الموتات احق أن يتمناها الانسان فقال الواجب على الرجل القوى الظافر المجرب يريد نفسه أن لا يتمنى الموت الا بالسيف فجأة لئلا يعذبه المرض وتحلل قوته الاوجاع فعجل له ما تمنى فى ذلك العرس وذلك أنه حضر لعبا كان على الخيل بين ولده الاسكندر وختنه الاسكندر فبينما هو فى ذلك غافلا أحد أحداث الروم بطعنة فقتله بها ثائرا بأبيه عندما تمكن منه منفردا فولى الاسكندر الملك بعد أبيه فليبش وكان اول شئ اظهر فيه قوته وعزمه فى بلد الروم وكانوا قد خرجوا عن طاعة المقدونيين الى طاعة الفرس فدرسهم واستأصلهم وخرب مدنهم وجعلهم سبيا مبيعا وجعل سائر بلادهم وكورهم تؤدى اليه الخراج ثم قتل جميع أختانه واكثر أقاربه فى وقت تعبيته لمحاربة الفرس وكان جميع عسكره اثنين وعشرين ألف فارس وستين ألف راجل وكانت مراكبه خمسمائة مركب وثمانين مركبا فحرك بهذه العدة كبار ملوك الدنيا وسار الى الاسكندرية

ودخل بيت المقدس وقرّب فيه لله تعالى قربانا وخرج يريد محاربة دارا وكان فى عسكر دارا ملك الفرس فى اول ملاقاته اياه ستمائة ألف مقاتل فغلبه الاسكندر وكانت اذ ذاك على الفرس وقعة شنعاء ونكبة دهياء قتل فيها منهم عدد لا يحصى ولم يقتل من عسكر الاسكندر الامائة وعشرون فارسا وتسعون راجلا * ومضى الاسكندر ففتح مدائن وانتهب ما فيها فبلغه أنّ دارا قد عبي وأقبل نحوه بجمع عظيم فخاف أن يلحقه فى ضيق الجبال التى كان فيها فقطع نحوا من مائة ميل فى سرعة عجيبة حتى بلغ مدينة طرسوس وكاد يهلك لفرط البرد حتى انقبض عصبه فلاقاه دارا فى ثلثمائة الف راجل ومائة الف فارس فلما التقى الجمعان كاد الاسكندر يفرّ لكثرة ما كان فيه دارا وقلة ما كان فيه ووقع القتال بينهما وباشر القواد الحرب بأنفسهم وتنازل الابطال واختلف الطعن والضرب وضاق الفضاء بأهله فباشر كلا الملكين الحرب بأنفسهما دارا والاسكندر وكان الاسكندر اكمل اهل زمانه فروسية واشجعهم وأقواهم جسما فباشرا حتى جرحا جميعا وتمادى الحرب بينهما حتى انهزم دارا ونزلت الوقيعة بالفرس فقتل من راجلهم نحو من ثمانين ألفا ومن فرسانهم نحو من عشرة آلاف وأسر منهم نحو من اربعين ألفا ولم يسقط من عسكر الاسكندر الامائتان وثلاثون راجلا ومائة وخمسون فارسا فانتهب الاسكندر جميع عسكر الفرس وأصاب فيه من الذهب والفضة والامتعة الشريفة ما لا يحصى كثرة وأصيب من جملة الاسارى أم دارا وزوجته واخته وابنتاه فطلب دارا من الاسكندر فديتهن بنصف ملكه فلم يجبه الى ذلك فعبى دارا مرّة ثالثة وحشد الفرس عن آخرهم واستجاش بكل من قدر عليه من الامم فبعث الاسكندر قائدا فى أسطول للغارة على بلد الفرس ومضى الاسكندر الى الشام فتلقاه هنالك ملوك الدنيا خاضعين له فعفا عن بعض ونفى بعضا وقتل بعضا ومضى الى احراز طرسوس وكانت مدينة زاهرة قديمة عظيمة الشان وأهلها قد وثقوا بعون اهل أفريقية لهم لصهر كان بينهم فحاصرهم فيها حتى افتتحها ومضى منها الى رودس والى مصر فانتهب الجميع وبنى مدينة الاسكندرية بأرض مصر وقال هروشيوش وله فى بنيانها أخبار طويلة وسياسات كرهنا تطويل كتابنا بها * ثم انّ دارا لما يئس من مصالحته أقبل فى أربعمائة ألف راجل ومائة ألف فارس فتلقى الاسكندر مقبلا من ناحية مصر فى أعمال مدينة طرسوس فكانت بينهما معركة عجيبة شنيعة اجتهادا من الروم على ما كانوا اخبروه واعتادوا من الغلبة والظفر واجتهادا من الفرس بالتوطين على الهلاك وتفضيل الموت على الرق والعبودية فقلما يحكى عن معركة كان القتل فيها اكثر منه فى تلك المعركة فلما نظر دارا الى أصحابه يتغلب عليهم ويهزمون عزم على استعجال الموت فى تلك الحرب بالمباشرة لها بنفسه والصبر حتى يقتل معترضا للقتل فلاطف به بعض قواده حتى سلوه فانهزم وذهبت قوّة الفرس وعزهم وذل بعدها سلطانهم وصار بلد المشرق كله فى طاعة الروم وانقطع ملك الفرس مدة أربعمائة عام وخمسين عاما واشتغل الاسكندر بتحصيل ما أصاب فى عسكر الفرس والنظر فيه وقسمته على عسكره ثلاثين يوما ثم مضى الى مدينة الفرس التى كانت رأس مملكتهم والتى اجتمعت فيها اموال الدنيا ونعمها فهدمها ونهب ما فيها فبلغه عن دارا أنه صار عند قوم مكبلا فى كبول من فضة فتهيأ وخرج فى ستة آلاف فوجده بالطريق مجروحا جراحات كثيرة فلم يلبث أن هلك منها فأظهر الاسكندر الحزن عليه والمرثية له وأمر بدفنه فى مقابر الملوك من اهل مملكته وكان فى أمر هذه الثلاث معارك عبرة لمن اعتبر ووعظ لمن اتعظ اذ قتل فيها من اهل مملكة واحدة نحو من خمسة عشر ألف ألف بين راكب وراجل من اهل بلد آسيا وهى العراق وقد كان قتل من اهل تلك المملكة قبل ذلك بنحو من ستين سنة نحو تسعة عشر ألف ألف الى ألف ألف ما بين راكب وراجل من اهل بلد العراق والشام وطرسوس ومصر وجزيرة رودس وجميع البلدان الذين دوّخهم الاسكندر أجمعين وكان سلطان الدنيا مقسوما بين قوّاده بعد ما زلزل بدواهيه العظيمة العالم كله وعمّ اهله بعضا بالمنايا الفظيعة وبعضا بالتوطين عليها والمباشرة لا هوالها وأوصى عند وفاته أن يلقب كل قائم فى اليونانيين بعده ببطلميوس تهويلا للاعداء لانّ معناه الحربى فهذا هو الصحيح من خبر الاسكندر فلا يلتفت الى ما خالفه * ويقال انه كان أشقر أزرق وهو أول من سمر بالليل وكان له قوم يضحكونه ويحكون له الخرافات يريد بذلك حفظ ملكه وحراسة نفسه لا اللذة وبه اقتدى الملوك فى السمر واتخاذ المضحكين والمخرّفين

(ذكر تاريخ الاسكندر)

قال ابو الريحان محمد بن احمد البيروني تاريخ الاسكندر اليوناني الذي يلقبه بعضهم بذي القرنين على سني الروم
وعليه عمل اكثر الامم لما خرج من بلاد يونان وهو ابن ست وعشرين سنة لقتال دارا ملك الفرس * ولما ورد بيت
المقدس أمر اليهود بترك تاريخ داود وموسى عليهما السلام والتحول الى تاريخه فأجابوه وانتقلوا الى تاريخه
واستعملوه فيما يحتاجون اليه بعد أن عملوه من السنة السادسة والعشرين لميلاده وهو اول وقت تحركه ليتموا
ألف سنة من لدن موسى عليه السلام وبقوا معتصمين بهذا التاريخ ومستعملين له وعليه عمل اليونانيين
وكانوا قبله يؤرخون بخروج يونان بن نورس عن بابل الى المغرب * وأول تاريخ الاسكندر يوم الاثنين اول
تشرين الاول وموافقه اليوم الرابع من بابه ومبادي الايام عندهم من وقت طلوع الشمس الى وقت غروبها والى
أن يصبح الصباح وتطلع الشمس فقد كمل يوم بليلته ومبادي الشهور ترجع الى عدد واحد له نظم يجري عليه
دائما وعدد شهور سنتهم اثنا عشر شهرا يخالف بعضها بعضا في العدد وهذه أسماؤها وعدد أيام كل شهر منها
(تشرين الاول) أحد وثلاثون يوما (تشرين الثاني) ثلاثون يوما (كانون الاول) أحد وثلاثون يوما (كانون
الثاني) أحد وثلاثون يوما (شباط) ثمانية وعشرون يوما وربع (آذار) أحد وثلاثون يوما (نيسان) ثلاثون
يوما (ايار) أحد وثلاثون يوما (حزيران) ثلاثون يوما (تموز) أحد وثلاثون يوما (آب) أحد وثلاثون
يوما (أيلول) ثلاثون يوما فسبعة أشهر كل شهر منها أحد وثلاثون يوما وأربعة أشهر كل شهر منها ثلاثون يوما
وشهر واحد ثمانية وعشرون يوما وربع يوم وذلك انهم جعلوا شباط كل ثلاث سنين متواليات ثمانية وعشرين
يوما وجعلوه في السنة الرابعة تسعة وعشرين يوما فيكون عدد أيام سنتهم ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع
يوم ويجعلون السنة الرابعة ثلثمائة وستة وستين يوما ويسمونها السنة الكبيسة وانما زادوا الربع في كل
سنة ليقرب عدد أيام سنتهم من عدد أيام السنة الشمسية حتى تبقى امورهم على نظام واحد فتكون شهور
البرد وشهور الحر وأوان الزرع واقاح الشجر وجني الثمر في وقت معلوم من السنة لا يتغير وقت شئ من ذلك
البتة وكان ابتداء الكبيس في السنة الثالثة من ملك الاسكندر وبين يوم الاثنين اول يوم من تاريخ الاسكندر
هذا وبين يوم الخميس اول شهر المحرم من السنة التي هاجر نبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله صلى
الله عليه وسلم من مكة الى المدينة تسعمائة سنة وثلاث وثلاثون سنة ومائة وخمسة وخمسون يوما وبينه وبين
يوم الجمعة اول يوم من الطوفان ألفا سنة وسبعمائة سنة واثنتان وتسعون سنة ومائة وثلاثة وتسعون يوما
وبين ابتداء ملك بخت نصر وبين اول تاريخ الاسكندر أربعمائة وخمس وثلاثون سنة شمسية ومائتا يوم
وثمانية وثلاثون يوما * وقال ابو بكر احمد بن علي بن قيس بن وحشية في كتاب الفلاحة النبطية الشهر المسمى
تموز فيما ذكر القبط بحسب ما وجدت في كتبهم اسم رجل كانت له قصة عجيبة طويلة وهو أنه دعا ملكا الى عبادة
الكواكب السبعة والبروج الاثنى عشر وان الملك قتله وعاش بعد القتلة ثم قتله قتلات بعد ذلك قبيحة وفي كلها
يعيش ثم مات في آخرها وان شهورهم هذه كل واحد منها اسم رجل فاضل عالم كان في القديم من النبط الذين
كانوا مكان اقليم بابل قبل الكسدانيين وذلك أن تموز هذا ليس من الكسدانيين ولا الكنعانيين ولا العبرانيين
ولا الجرامقة وانما هو من الحزناسيين الاولين ولذلك يقولون في كل شهورهم انها اسماء رجال مضوا وان تشرين
الاول وتشرين الثاني اسما أخوين كانا فاضلين في العلوم وكذلك كان كانون الاول وكانون الثاني وان شباط
اسم رجل نكح ألف امرأة أبكارا كلهن ولم ينسل نسلا ولا ولد ولدا فجعلوه في آخر الشهور لنقصانه عن النسل
فصار النقصان من العدد فيه والصابئون من البابليين والحزناسيين جميعا الى وقتنا هذا ينوحون ويبكون على
تموز في الشهر المسمى تموز في عيد لهم فيه منسوب الى تموز ويعددون تعديدا عظيما وخاصة النساء فانهن يقمن
ههنا جميعا وينحن ويبكين على تموز ويهذين في أمره هذيانا طويلا وليس عندهم علم من أمره اكثر من أن يقولوا
هكذا وجدنا اسلافنا ينوحون ويبكون على تموز في هذا العيد المنسوب الى تموز والنصارى تذكر أنهم يعملونه
لرجل يسمى جورجيس أحد حواري عيسى عليه السلام دعا ملكا من الملوك الى دين النصرانية فعذبه الملك بتلك
القتلات فلا أدري وقع الى النصارى قصة تموز فأبدلوا مكانها اسم جورجيس وخالفوا الصابئين في الوقت لان
الصابئين يعملون ذكران تموز اول يوم من شهر تموز والنصارى يعملون لجورجيس في آخر نيسان ويقال ان
بعض ملوك رومية زاد في شهور الروم كانون الثاني وشباط فان شهورهم كانت الى زمانه عشرة اشهر كل شهر

ستة

ستة وثلاثون يوما * ويقال ان فوفيوس اول من ملك مدينة رومية وانه اقام ملكا ثلاثا واربعين سنة وزاد كانون الثانى وشباط فى شهور الروم بحكم انها كانت الى ذلك الزمان عشرة اشهر كل شهر ستة وثلاثون يوما وكان سبب نقص شباط يومين وقوع غارة فى ايام فيطن رئيس جيش الروم مع خلف وحروب بينه وبين فربوريوس آلت الى نصرة فيطن واخذه مملكة الروم وامر بفربوريوس فنودى عليه اعيامر ديا وتفسيره اخرج يا شباط ثم غرق فى البحر وسموا شهر شباط فربوريوس ليكون تذكارا سوء له فان هذا الفعل كان فى يومى التاسع والعشرين والثلاثين من شباط فنقصوهما من شباط وزادوهما فى تموز وكانون الثانى فجعلوا كل شهر منهما احدا وثلاثين يوما ثم بعد زمان جاء ملك آخر فقال لا يحسن أن يكون شباط فى وسط السنة فنقله الى آخرها ولم يزل الروم من ذلك الوقت يتطيرون من شباط

ذكر الفرق بين الاسكندر وذى القرنين وانهما رجلان

اعلم أن التحقيق عند علماء الاخبار أن ذا القرنين الذى ذكره الله فى كتابه العزيز فقال ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا الآيات عربى قد كثر ذكره فى أشعار العرب وأن اسمه الصعب بن ذى مراثد بن الحارث الرائش بن الهمال ذى سدد بن عاد ذى منح بن عامر الملطاط ابن سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام وانه ملك من ملوك حمير وهم العرب العاربة ويقال لهم ايضا العرب العرباء وكان ذو القرنين تبعا متوجا ولما ولى الملك تجبر ثم تواضع لله واجتمع بالخضر وقد غلط من ظن أن الاسكندر بن فيلبش هو ذو القرنين الذى بنى السد فان لفظة ذو عربية وذو القرنين من ألقاب العرب ملوك اليمن وذاك رومى يونانى قال ابو جعفر الطبرى وكان الخضر فى ايام افريدون الملك بن الضحاك فى قول عامة علماء اهل الكتاب الاول وقبل موسى بن عمران عليه السلام وقيل انه كان على مقدمة ذى القرنين الاكبر الذى كان على أيام ابراهيم الخليل عليه السلام وان الخضر بلغ مع ذى القرنين أيام مسيره فى البلاد نهر الحياة فشرب من مائه وهو لا يعلم به ذو القرنين ولا من معه فخلد وهو حى عندهم الى الآن وقال آخرون ان ذا القرنين الذى كان على عهد ابراهيم الخليل عليه السلام هو افريدون بن الضحاك وعلى مقدمته كان الخضر * وقال ابو محمد عبد الملك بن هشام فى كتاب التيجان فى معرفة ملوك الزمان بعد ما ذكر نسب ذى القرنين الذى ذكرناه وكان تبعا متوجا لما ولى الملك تجبر ثم تواضع واجتمع بالخضر ببيت المقدس وسار معه مشارق الارض ومغاربها وأوتى من كل شئ سببا كما اخبر الله تعالى وبنى السد على يأجوج ومأجوج ومات بالعراق * وأما الاسكندر فانه يونانى ويعرف بالاسكندر المجدونى (ويقال المقدونى) سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن ذى القرنين ممن كان فقال من حمير وهو الصعب بن ذى مراثد الذى مكنه الله تعالى فى الارض وآتاه من كل شئ سببا فبلغ قرنى الشمس ورأس الارض وبنى السد على يأجوج ومأجوج قيل له فالاسكندر قال كان رجلا صالحا روميا حكيما بنى على البحر فى افريقية منارا وأخذ أرض رومة وأتى بحر الغرب وأكثر عمل الآثار فى الغرب من المصانع والمدن * وسئل كعب الاحبار عن ذى القرنين فقال الصحيح عندنا من أحبارنا وأسلافنا أنه من حمير وانه الصعب بن ذى مراثد والاسكندر كان رجلا من يونان من ولد عيصو بن اسحق بن ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليهما ورجال الاسكندر أدركوا المسيح ابن مريم منهم جالينوس وأرسطاطاليس * وقال الهمدانى فى كتاب الانساب وولد كهلان بن سبأ زيدا فولد زيد عريبا ومالكا وغالبا وعميكرب وقال الهيثم عميكرب بن سبأ أخو حمير وكهلان فولد عميكرب أبا مالك فدرحا ومهيليل ابنى عميكرب وولد غالب جنادة بن غالب وقد ملك بعد مهيليل بن عميكرب بن سبأ وولد عريب عمرا فولد عمرو زيدا والهميسع ويكنى أبا الصعب وهو ذو القرنين الاول وهو المساح والبناء وفيه يقول النعمان بن بشير

فمن ذا يعادد نا من الناس معشرا * كراما فذو القرنين منا وحاتم

وفيه يقول الحارثى

سموا لنا واحدا منكم فنعرفه * فى الجاهلية لاسم الملك محتملا
كالتبعين وذى القرنين يقبله * اهل الحجى فأحق القول ما قبلا

وفيه يقول ابن ابى ذئب الخزاعى

ومنا الذى بالخافقين تغربا * واصعد فى كل البلاد وصوّبا
فقد نال قرن الشمس شرقا ومغربا * وفى ردم يأجوج بنى ثم نصبا
وذلك ذو القرنين تفخر حمير * بعسكر قيل ليس يحصى فيحسبا

قال الهمدانى وعلماء همدان تقول ذو القرنين الصعب بن مالك بن الحارث الاعلى بن ربيعة بن الجبار بن مالك وفى ذى القرنين اقاويل كثيرة وقال الامام فخر الدين الرازى فى كتاب تفسير القرآن الكريم ومما يعترض به على من قال ان الاسكندر هو ذو القرنين أن معلم الاسكندر كان ارسطاطاليس بأمره يأتمر وبنهيه ينتهى واعتقاد ارسطاطاليس مشهور وذو القرنين نبى فكيف يقتدى نبى بأمر كافر فى هذا اشكال * وقال الجاحظ فى كتاب الحيوان ان ذا القرنين كانت أمه آدمية وابوه من الملائكة ولذلك لما سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا ينادى رجلا ياذا القرنين قال افرغتم من اسماء الانبياء فارتفعتم الى اسماء الملائكة وروى المختار ابن ابى عبيد ان عليا رضى الله عنه كان اذا ذكر ذا القرنين قال ذلك الملك الامرط والله اعلم

* (ذكر من ولى الملك بالاسكندرية بعد الاسكندر) *

قال فى كتاب هروشيوش ان الاسكندر ملك الدنيا اثنتى عشرة سنة فكانت الدنيا ماسورة بين يديه طول ولايته فلما مات تركها بين يدى قواده المستخلفين تحته فكان مثله معهم كمثل الاسد الذى ألقى صيده بين يدى اشباله فتقاتلت عليه تلك الاشبال بعده وذلك انهم اقتسموا البلاد فصارت مصر وافريقية كلها وبلاد الغرب الى قائده وصاحب خيله الذى ولى مكانه وهو بطلميوس بن لاوى ويقال بطلميوس بن ارنبا المنطقى وذكر بقية ممالك القواد من اقصى بلاد الهند الى آخر بلاد المغرب ثم قال فثارت بينهم حروب وسببها رسالة كانت خرجت من عند الاسكندر بأن يرجع جميع الغرباء المنفيين الى بلادهم ويسقط عنهم الرق والعبودية فاستثقل ذلك ملك بلاد الروم اذخاف أن يكون الغرباء والمنفيون اذا رجعوا الى بلدانهم ومواطنهم يطلبون النقمة لانفسهم فكان هذا الامر سبب خروجهم عن طاعة سلطان الجدونيين * وقال غيره وبطلميوس هذا سبى بنى معدّ بعد ما غزا فلسطين ثم اطلقهم وحباهم بآنية جوهر وضعت فى بيت المقدس وملك عشرين سنة وقال غيره ولى اربعين سنة وقيل ثمانيا وثلاثين سنة وقيل ان اسمه فيلدلفوس وهو محب الاب وكان مجدونيا وهو الذى غنم اليهود ونقل كثيرا منهم الى مصر وفى زمانه كان زينون الفيلسوف وكان هذا الملك فيلسوفا وأقبل برديقا أحد قواد الاسكندر الى مصر بعسكر عظيم وجيش عرمرم فتفرق سلطان مجدونية على قسمين ثم ان بطلميوس جمع عساكر مصر وافريقية ولاقى برديقا فهزمه وأصاب عسكره ثم قتله وأصاب ما كان معه وحارب عدة من قواد الاسكندر * وقال غيره وكان بطلميوس هذا حكيما عالما شابا مدبرا وهو أول من اقتنى البزاة ولعب بها وضراها وكان من قبله من الملوك لا يلعب بها * ولما مات ملك الاسكندرية بعده بطلميوس الثانى واسمه فيلوذوفوس ويقال له محب الاخ وكانت مدة ملكه ثمانيا وثلاثين سنة وهو الذى أطلق اليهود الذين كانوا مأسورين بأرض مصر وردّ الاوانى المقدسة على عزير النبى وهو الذى تخير السبعين مترجما من علماء اليهود الذين ترجموا كتب التوراة والانبياء من اللسان العبرانى الى اللسان الرومى اليونانى واللاطينى وكان فيلسوفا منجما ومات فولى بعده ابنه بطلميوس اوراخيطس المعروف بمحب الاب ستا وعشرين سنة * ثم ولى بعده أخوه بطلميوس فيلوبطور سبع عشرة سنة وهو الذى قتل من اليهود نحوا من ستين ألفا وتغلب عليهم ويقال انه صاحب علم الفلك والنجوم وكتاب المجسطى * ثم ملك بعده ابنه بطلميوس أسفانيش محب الام أربعا وعشرين سنة * ثم ولى بعده ابنه بطلميوس فلوناطره وهو الصانع خمسا وثلاثين سنة وهو الذى غلب ملك الشام وحمل اليهود انواع البلاء والعذاب * ثم ملك الاسكندرية بعده ابنه بطلميوس ابرياطيش وهو الاسكندرانى تسعا وعشرين سنة وفى زمانه غلب الرومانيون على الاندلس واحترقت مدينة قرطاجنة بالنار وأقامت النار فيها سبعة عشر يوما فهدمت وحوّلت أساساتها حتى صار رخام أسوارها غبارا وذلك الى تسعمائة سنة من وقت بنيانها وبيع جميع اهلها رقيقا الا قليلا من خيارهم وأشرافهم وكان المتولى لتخريبها قواد رومة * ثم ولى بعده ابنه بطلميوس شوطار الذى يقال له الحديد سبع عشرة سنة وكان قبيح السيرة تزوج باخته ثم فارقها على أقبح حال مما تزوجها عليه فى خبر له ثم تزوج ربيبته التى كانت بنت

أخته ثم زوجها من ابنه المولود له من اخته وكثرت فواحشه حتى نفاه اهل الاسكندرية ثمات منفيا * وولى أخوه بطليموس الاسكندر وهو الجوال عشر سنين * ثم ولى بعده ابنه بطليموس ديونيشيش ثمانيا وثلاثين سنة وفى زمانه غلب قائد الرومانيين على بيت المقدس وجعل اليهود يؤدون اليه الجزية * وظهرت فى ذلك الزمان علامات فى السماء مهولة منها انه ظهر فى السماء بناحية مطلع الشمس من مدينة رومة مما يلى ناحية الجنوب نار ملتهبة عظيمة وكسر قوم خبزا فى صنع لهم فانفجر من الخبز دم سائل ونزل بمدينة رومة مدة سبعة ايام متوالية برد كان يوجد فى داخله حجارة وشقاف وانفتحت الارض فصار فيها غور عظيم وخرج منه لهب اشتعل حتى ظنوه بلغ السماء ونظر أهل رومة يومئذ الى عمود من الارض الى السماء لونه لون الذهب وكان من عظمه تكاد الشمس أن تغيب منه * ثم ولى الاسكندرية بعده كلوباطرة سنتين فدامت مملكة الاسكندرية وهى الدولة المجدونية الى اوّل ملوك قيصر الذى هو أوّل ملوك الرومانيين مائتين واحدى وثمانين سنة فبعث قيصر قائدين بعساكر كثيرة لفتح مصر فتزوج أحدهما كلوباطرة ابنة ديونيشيش الملقب بطليموس وقتل القائد الآخر وخالف قيصر فسار اليه قيصر بنفسه وجرت امور آلت الى فتح الاسكندرية بعد حروب واستولى قيصر على مملكة مصر وقتل كلوباطرة وولديها وقتل القائد الذى تزوجها ويقال بل سمت نفسها عندما تيقنت غلبة قيصر لها ويقال انها كانت ذات حزم ومعرفة وتدبير وانها حفرت خليج الاسكندرية وأجرت فيه الماء من مصر وبنت بالاسكندرية أبنية عجيبة منها هيكل زحل وعملت فيه صنما من نحاس اسود وكان اهل مصر والاسكندرية يعملون له عيدا فى اليوم الثانى والعشرين من هتور ويحج اليه اليونانيون من سائر الاقطار ويذبحون له ذبائح لاتحصى كثرة فلما ظهرت ملة النصارى فى الاسكندرية جعلوا هيكل زحل كنيسة ولم تزل الى أن هدمها جيوش المعز لدين الله عند قدومهم من المغرب الى أرض مصر فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة من سنى الهجرة النبوية * ويقال ان كلوباطرة هى التى بنت حائط العجوز بمصر ويشبه أن يكون هذا غير صحيح ويقال انها بنت مقياسا بمدينة اخميم ومقياسا آخر بأنصنا ويقال كانت مدة ملكها ثلاثين سنة وليس بصحيح وبموت كلوباطرة انقطعت مملكة مصر وصارت تحت يد ملوك الروم من اهل مدينة رومة ثم تحت يد ملوك الروم من اهل قسطنطينية فلم تزل تحت أيديهم يولون فيها من قبلهم من شاءوا فيصير الى الاسكندرية ويقيم بها الى أن قدم عمرو بن العاص بالمسلمين وفتح الله على يده الحصن والاسكندرية وجميع أرض مصر ويقال معنى كلوباطرة الباكية فكان جميع المدة التى ما بين ذهاب دولة البطالسة من الاسكندرية وقدوم عمرو بن العاص الى مصر وفتحها ستمائة سنة وبضعا وسبعين سنة وفى خلال هذه المدة قوى جانب ملوك الفرس على القياصرة وملكوا منهم بلاد الشام واستولوا على أرض مصر والاسكندرية فى أيام كسرى أبرويز بن هرمز فبعث قائدا الى مصر وملك الاسكندرية وقتل الروم وأقاموا بالاسكندرية مدة عشر سنين فلما استبد هرقل بمملكة الروم وخرج من القسطنطينية لجمع الاموال من سائر مملكته اخذ حماه ودمشق وسار الى بيت المقدس وقد خربها الفرس فأمر ببنائها وسار منها الى أرض مصر ودخل الاسكندرية وقتل من بها من الفرس وأقام بها بطريقا ثم عاد الى قسطنطينية فاستمرت مصر بعده تحت ايالة الروم حتى ملكها المسلمون ويقال ان كل بناء بمصر من آجر فهو للفرس وما فيها من بناء حجر فهو للروم والله أعلم

(ذكر منارة الاسكندرية)

قال المسعودى فأما منارة الاسكندرية فذهب الاكثرون من المصريين والاسكندرانيين ممن عنى بأخبار بلدهم أن الاسكندر بن فيلبش المقدونى هو الذى بناها ومنهم من رأى أن دلوكة الملكة بنتها وجعلتها مرقبا لمن يرد من العدو الى بلدهم ومن الناس من رأى أن العاشر من فراعنة مصر هو الذى بناها ومنهم من رأى أن الذى بنى مدينة رومة هو الذى بنى مدينة الاسكندرية ومنارتها والاهرام بمصر وانما اضيفت الاسكندرية الى الاسكندر لشهرته باستيلائه على الاكثر من ممالك العالم فشهرت به وذكروا فى ذلك أخبارا كثيرة يستدلون بها على ما قالوا والاسكندر لم يطرقه فى هذا البحر عدو ولا هاب ملكا يرد اليه فى بلاده ويغزوه فى داره فيكون هو الذى جعلها مرقبا وان الذى بناها جعلها على كرسى من الزجاج على هيئة السرطان فى جوف البحر وعلى طرف اللسان الذى هو داخل فى البحر من البر وجعل على أعلاها تماثيل من النحاس وغيره منها تمثال قد أشار بسبابته من يده

اليمنى نحو الشمس اينما كانت من الفلك واذا علت فى الفلك فأصبعه يشير بها نحوها فاذا انخفضت صارت يده سفلا تدور معها حيث دارت ومنها تمثال يشير بيده الى البحر اذا صار العدو منه على نحو من ليلة فاذا دنا وجاز أن يرى بالبصر لقرب المسافة سمع لذلك التمثال صوت هائل يسمع من مسيرة ميلين او ثلاثة فيعلم اهل المدينة أن العدو قد دنا منهم فيرمقونه بأبصارهم ومنها تمثال كلما مضى من الليل او النهار ساعة سمعوا له صوتا بخلاف ما صوت فى الساعة التى قبلها وصوته مطرب * وقد كان ملك الروم فى ملك الوليد بن عبد الملك بن مروان أنفذ خادما من خواص خدمه ذا رأى ودهاء فجاء مستأمنا الى بعض الثغور فورد بآلة حسنة ومعه جماعة فجاء الى الوليد فأخبره أنه من خواص الملك وانه أراد قتله لموجدة وحال بلغته عنه لم يكن لها اصل وانه استوحش ورغب فى الاسلام فأسلم على يد الوليد وتقرب من قلبه وتنصح اليه فى دفائن استخرجها له من بلاد دمشق وغيرها من الشام بكتب كانت معه فيها صفات تلك الدفائن فلما صارت الى الوليد تلك الاموال والجواهر شرهت نفسه واستحكم طمعه فقال له الخادم يا أمير المؤمنين ان ههنا اموالا وجواهر ودفائن للملوك فسأله الوليد عن الخبر فقال تحت منارة الاسكندرية اموال ملوك الارض وذلك أن الاسكندر احتوى على الاموال والجواهر التى كانت لشداد بن عاد وملوك مصر فبنى لها ازجا تحت الارض وقنطر لها الاقباء والقناطر والسراديب وأودعها تلك الذخائر من العين والورق والجوهر وبنى فوق ذلك هذه المنارة وكان طولها فى الهواء ألف ذراع والمرآة فى علوه والديادبة جلوس حوله فاذا نظروا الى العدو فى البحر فى ضوء تلك المرآة صوتوا لمن قرب منهم ونشروا أعلاما فيراها من بعد منهم فتحذر الناس وتنذر البلد فلا يكون للعدو عليهم سبيل فبعث الوليد مع الخادم بجيش واناس من ثقاته وخواصه فهدم نصف المنارة من اعلاها وازيلت المرآة فضج الناس من هذا وعلموا انها مكيدة وحيلة فى امرها فلما علم الخادم استفاضة ذلك وانه سينم الى الوليد وانه قد بلغ ما يحتاج اليه هرب فى الليل فى مركب كان قد أعده وواطأ على ذلك فتمت حيلته وبقيت المنارة على ما ذكرنا الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان حوالى منارة الاسكندرية فى البحر مغاص يخرج منه قطع من الجوهر يتخذ منه فصوص للخواتم انواعا من الجواهر يقال ان ذلك من آلات اتخذها الاسكندر للشراب فلما مات كسرتها أمه ورمت بها فى تلك المواضع من البحر ومنهم من رأى أن الاسكندر اتخذ ذلك النوع من الجواهر وغرقه حول المنارة لكيلا تخلو من الناس حولها الان من شأن الجوهر أن يكون مطلوبا أبدا فى كل عصر ويقال ان هذه المنارة انما جعلت المرآة فى اعلاها لان ملوك الروم بعد الاسكندر كانت تحارب ملوك مصر والاسكندرية فجعل من كان بالاسكندرية من الملوك تلك المرآة ترى من يرد فى البحر من عدوهم وكان من يدخلها يتيه فيها الا أن يكون عارفا بالدخول والخروج فيها لكثرة بيوتها وطبقاتها وممراتها وقد ذكر أن المغاربة حين وافوا فى خلافة المقتدر فى جيش صاحب المغرب دخل جماعة منهم على خيولهم الى المنارة فتاهوا فيها وفى طرق تؤول الى مهاو تهوى الى السرطان الزجاج وفيه مخارق الى البحر فتهورت دوابهم وفقد منهم عدد كثير وعلم بهم بعد ذلك وقيل ان تهورهم كان على كرسى لها قدامها وفى المنارة مسجد فى هذا الوقت يرابط فيه مطوعة المصريين وغيرهم وفى سنة سبع وسبعين وسبعمائة سقط راس المنارة من زلزلة ويقال ان منارة الاسكندرية كانت مبنية بحجارة مهندمة مضببة برصاص على قناطر من الزجاج وتلك القناطر على ظهر سرطان وكان فى المنارة ثلثمائة بيت بعضها فوق بعض وكانت الدابة تصعد بحملها الى سائر البيوت من داخل المنارة ولهذه البيوت طاقات تشرف على البحر وكان على الجانب الشرقى من المنارة كتابة عربت فاذا هى بنت هذه المنظرة قريبا بنت مريبوس اليونانية لرصد الكواكب * وقال ابن وصيف شاه وقد ذكر أخبار مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح وبنوا على البحر مدنا منها رقودة مكان الاسكندرية وجعلوا فى وسطها قبة على أساطين من نحاس مذهب والقبة مذهبة ونصبوا فوقها منارة عليها مرءاة من اخلاط شتى قطرها خمسة اشبار وكان ارتفاع القبة مائة ذراع فكانوا اذا قصدهم قاصد من الامم التى حولهم فان كان مما يهمهم او من البحر عملوا لتلك المرءاة عملا فألقت شعاعها على ذلك الشئ فأحرقته فلم تزل على حالها الى أن غلب عليها البحر فنسفها ويقال ان الاسكندر انما عمل المنار الذى كان شبيها بها وقد كان ايضا عليه مرآة يرى فيها من يقصدهم من بلاد الروم فاحتال بعض ملوك الروم فوجه من أزالها وكانت من زجاج مدبر * وقال المسعودى فى كتاب التنبيه والاشراف وقد كان وزير المتوكل عبيد الله بن

يحيى بن خاقان لما أمر المستعين بنفيه الى برقة فى سنة ثمان وأربعين ومائتين صار الى الاسكندرية من بلاد مصر فرأى حمرة الشمس على علو المنارة التى بها وقت المغيب فقدر أنه يلزمه أن لا يفطر اذا كان صائما وتغرب الشمس من جميع أقطار الارض فأمر انسانا أن يصعد الى اعلى منارة الاسكندرية ومعه حجر وأن يتأمل موضع سقوط الشمس فاذا سقطت رمى بالحجر ففعل الرجل ذلك فوصل الحجر الى قرار الارض بعد صلاة العشاء الآخرة فجعل افطاره بعد صلاة العشاء الآخرة فيما بعد اذا صام فى مثل ذلك الوقت وكان عند رجوعه الى سر من رآى لا يفطر الا بعد عشاء الآخرة وعنده أن هذا فرضه وان الوقتين متساويان وهذا غاية ما يكون من قلة العلم بالفرض ومجارى الشرق والغرب وقد ذكر ارسطاطاليس فى كتاب الآثار العلوية أن بناحية المشرق الصيفى جبلا شامخا جدا وان من علامة ارتفاعه أن الشمس لا تغيب عنه الى ثلاث ساعات من الليل وتشرق عليه قبل الصبح بثلاث ساعات * ومنارة الاسكندرية أحد بنيان العالم العجيب بناها بعض البطالسة ملوك اليونانيين بعد وفاة الاسكندر بن فيلبش الملك لما كان بينهم وبين ملوك رومة من الحروب فى البر والبحر فجعلوا هذه المنارة مرقبا فى أعاليها مرآة عظيمة من نوع الاحجار المشفة ليشاهد منها مراكب البحر اذا اقبلت من رومة على مسافة تعجز الابصار عن ادراكها فكانوا يراعون ذلك فى تلك المرآة فيستعدون لهم قبل ورودهم وطول المنارة فى هذا الوقت على التقريب مائتان وثلاثون ذراعا وكان طولها قديما نحوا من أربعمائة ذراع فهدمت على طول الازمان وترادف الزلازل والامطار لان بلد الاسكندرية تمطر وليس سبيلها سبيل فسطاط مصر اذ كان الاغلب عليها أن لا تمطر الا اليسير وبناؤها ثلاثة اشكال فقريب من النصف وأكثر من الثلث مربع الشكل بناؤه بأحجار بيض يكون نحوا من مائة ذراع وعشرة أذرع على التقريب ثم من بعد ذلك مثمن الشكل مبنى بالحجر والجص نحو من نيف وستين ذراعا وحواليه فضاء يدور فيه الانسان وأعلاها مدور * وكان احمد بن طولون رمّ شيأ منها وجعل فى اعلاه قبة من الخشب ليصعد اليها من داخلها وهى مبسوطة موربة بغير درج وفى الجهة الشمالية من المنارة كتابة برصاص مدفون بقلم يونانى طول كل حرف ذراع فى عرض شبر ومقدارها على جهة الارض نحو من مائة ذراع وماء البحر قد بلغ اصلها وقد كان تهدم احد اركانها الغربية مما يلى البحر فبناها ابو الجيش خماريه بن احمد بن طولون وبينها وبين مدينة الاسكندرية فى هذا الوقت نحو من ميل وهى على طرف لسان من الارض قد ركب البحر جنبتيه وهى مبنية على فم مينا الاسكندرية وليس بالمينا القديم لان القديم فى المدينة العتيقة لا ترسى فيه المراكب لبعده عن العمران والمينا هو الموضع الذى ترسى فيه مراكب البحر * وأهل الاسكندرية يخبرون عن اسلافهم انهم شاهدوا بين المنارة وبين البحر نحوا مما بين المدينة والمنارة فى هذا الوقت فغلب عليه ماء البحر فى المدة اليسيرة وان ذلك فى زيادة قال وتهدم فى شهر رمضان سنة اربع وأربعين وثلثمائة نحو من ثلاثين ذراعا من اعاليها بالزلزلة التى كانت ببلاد مصر وكثير من بلاد الشام والمغرب فى ساعة واحدة على ما وردت به علينا الاخبار المتواترة ونحن بفسطاط مصر وكانت عظيمة جدا مهولة فظيعة اقامت نحو نصف ساعة زمانية وذلك لنصف يوم السبت لثمان عشرة ليلة خلت من هذا الشهر وهو الخامس من كانون الآخر والتاسع من طوبة وكان لهذه المنارة مجمع فى يوم خميس العدس يخرج سائر أهل الاسكندرية الى المنارة من مساكنهم بمآكلهم ولا بد أن يكون فيها عدس فيفتح باب المنار ويدخله الناس فنهم من يذكر الله ومنهم من يصلى ومنهم من يلهو ولا يزالون الى نصف النهار ثم ينصرفون ومن ذلك اليوم يحترس على البحر من هجوم العدو * وكان فى المنارة قوم مرتبون لوقود النار طول الليل فيقصد ركاب السفن تلك النار على بعد فاذا رأى اهل المنار ما يريبهم اشعلوا النار من جهة المدينة فاذا رآها الحرس ضربوا الابواق والاجراس فيتحرك عند ذلك الناس لمحاربة العدو * ويقال ان المنار كان بعيدا عن البحر فلما كان فى أيام قسطنطين بن قسطنطين هاج البحر وغرق مواضع كثيرة وكنائس عديدة بمدينة الاسكندرية ولم يزل يغلب عليها بعد ذلك ويأخذ منها شيأ بعد شئ * وذكر بعضهم أنه قاسه فكان مائتى ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعا وهى ثلاث طبقات الطبقة الاولى مربعة وهى مائة واحدى وعشرون ذراعا ونصف ذراع والطبقة الثانية مثمنة وهى احدى وثمانون ذراعا ونصف ذراع والطبقة الثالثة مدورة وهى احدى وثلاثون ذراعا ونصف ذراع * وذكر ابن جبير فى رحلته أن منار الاسكندرية يظهر على ازيد من سبعين ميلا وانه ذرع احد جوانبه الاربعة

فى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة فأناف على خمسين ذراعا وان طول المنار أزيد من مائة وخمسين قامة وفى اعلاه مسجد يتبرك الناس بالصلاة فيه * وقال ابن عبد الحكم ويقال ان الذى بنى منار الاسكندرية كلو باطرة الملكة وهى التى ساقت خليجها حتى أدخلته الاسكندرية ولم يكن يبلغها انما كان يعدل من قرية يقال لها كسا قبالة الكريون لحفرته حتى ادخلته الاسكندرية وهى التى بلطت قاعه * ولما استولى احمد بن طولون على الاسكندرية بنى فى أعلى المنار قبة من خشب فأخذتها الرياح وفى أيام الظاهر بيبرس تداعى بعض اركان المنار وسقط فأمر ببناء ما انهدم منه فى سنة ثلاث وسبعين وستمائة وبنى مكان هذا القبة مسجدا وهدم فى ذى الحجة سنة اثنتين وسبعمائة عند حدوث الزلزلة ثم بنى فى شهور سنة ثلاث وسبعمائة على يد الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وهو باق الى يومنا هذا ولله در الوجيه الدروى حيث يقول فى منار الاسكندرية

وسامية الارجاء تهدى أخا السرى * ضياء اذا ما حندس الليل أظلما
لبست بها بردا من الانس صافيا * فكان بتذكار الاحبة معلما
وقد ظللتنى من ذراها بقبة * ألاحظ فيها من صحابى انجما
تخيل أن البحر تحتى غمامة * وأنى قد خيمت فى كبد السما

وقال ابن قلاقس من ابيات

ومنزل جاوز الجوزاء مرتقيا * كأنما فيه للنسرين اوكار
راسى القرارة سامى الفرع فى يده * للنون والنور أخبار واخبار
اطلقت فيه عنان النظم فاطردت * خيل لها فى بديع الشعر مضمار

وقال الوزير أبو عبد الله محمد بن الحسن بن عبد ربه

لله در منار اسكندرية كم * يسمو اليه على بعد من الحدق
من شامخ الانف فى عرنينه شمم * كأنه باهت فى دارة الافق
للمنشآت الجوارى عند رؤيته * كموقع النوم فى أجفان ذى أرق

وقال عمر بن ابى عمر الكندى فى فضائل مصر ذكر اهل العلم أن المنارة كانت فى وسط الاسكندرية حتى غلب عليها البحر فصارت فى جوفه ألا ترى الابنية والاساسات فى البحر الى الآن عيانا * وقال عبد الله بن عمرو عجائب الدنيا أربعة مرآة كانت معلقة بمنارة الاسكندرية فكان يجلس الجالس تحتها فيرى من بالقسطنطينية وبينهما عرض البحر وذكر الثلاثة

(ذكر الملعب الذى كان بالاسكندرية وغيره من العجائب)

قال القضاعى ومن عجائب مصر الاسكندرية وما بها من العجائب فمن عجائبها المنارة والسوارى والملعب الذى كانوا يجتمعون فيه فى يوم من السنة ثم يرمون بأكرة فلا تقع فى حجر أحد الا ملك مصر وحضر عيدا من أعيادهم عمرو بن العاص فوقعت الاكرة فى حجره فملك البلد بعد ذلك فى الاسلام ثم حضر هذا الملعب ألف ألف من الناس فلا يكون فيهم أحد الا وهو ينظر فى وجه صاحبه ثم ان قرئ كتاب سمعوه جميعا ولعب لون من اللعب رأوه عن آخرهم لا يتظالمون فيه باكثر من مراتب العلية والسفلية * وقال ابن عبد الحكم فلما كانت سنة ثمان عشرة من الهجرة وقدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الجابية خلا به عمرو بن العاص واستأذنه فى المسير الى مصر وكان عمرو قد دخل فى الجاهلية مصر وعرف طرقها ورأى كثرة ما فيها وكان سبب دخوله اياها أنه قدم الى بيت المقدس لتجارة فى نفر من قريش فاذا هم بشماس من شمامسة الروم من اهل الاسكندرية قدم للصلاة فى بيت المقدس فخرج فى بعض جبالها يسيح وكان عمرو يرعى ابله وابل اصحابه وكانت رعية الابل نوبا بينهم فبينا عمرو يرعى ابله اذ مر به ذلك الشماس وقد أصابه عطش شديد فى يوم شديد الحر فوقف على عمرو فاستسقاه فسقاه عمرو من قربة له فشرب حتى روى ونام الشماس مكانه وكانت الى جنب الشماس حيث نام حفرة فخرجت منها حية عظيمة فبصر بها عمرو فنزع لها بسهم فقتلها فلما استيقظ الشماس نظر الى حية عظيمة قد انجاه الله منها فقال لعمرو ماهذه فأخبره عمرو انه رماها فقتلها فأقبل الى عمرو فقبل رأسه وقال قد أحيانى الله بك مرتين مرة من شدة العطش ومرة من هذه الحية فما اقدمك هذه البلاد قال قدمت مع اصحاب لى نطلب الفضل فى تجارتنا فقال له

الشماس وكم تراك ترجو أن تصيب فى تجارتك قال رجاءى أن اصيب ما اشترى به بعيرا فانى لا املك الا بعيرين فآمل أن اصيب بعيرا آخر فتكون ثلاثة أبعرة فقال له الشماس ارأيت دية احدكم بينكم كم هى قال مائة من الابل فقال له الشماس لسنا اصحاب ابل انما نحن اصحاب دنانير قال تكون ألف دينار فقال له الشماس انى رجل غريب فى هذه البلاد وانما قدمت أصلى فى كنيسة بيت المقدس وأسيح فى هذه الجبال شهرا جعلت ذلك نذرا على نفسى وقد قضيت ذلك وأنا اريد الرجوع الى بلادى فهل لك أن تتبعنى الى بلادى ولك على عهد الله وميثاقه أن أعطيك ديتين لان الله عز وجل احيانى بك مرتين فقال له عمرو اين بلادك قال مصر فى مدينة يقال لها الاسكندرية فقال له عمرو لا أعرفها ولم ادخلها قط فقال له الشماس لو دخلتها لعلمت انك لم تدخل قط مثلها فقال له عمرو وتفى لى بما تقول ولى عليك بذلك العهد والميثاق فقال له الشماس نعم لك والله على العهد والميثاق أن افى لك وأن أردك الى اصحابك فقال له عمرو وكم يكون مكثى فى ذلك قال شهرا تنطلق معى ذاهبا عشرا وتقيم عندنا عشرا وترجع فى عشر ولك على أن أحفظك ذاهبا وأن أبعث معك من يحفظك راجعا فقال له عمرو أنظرنى حتى اشاور أصحابى فى ذلك فانطلق عمرو الى اصحابه فأخبرهم بما عاهد عليه الشماس وقال لهم تقيمون على حتى ارجع اليكم ولكم على العهد أن أعطيكم شطر ذلك على أن يصحبنى رجل منكم آنس به فقالوا نعم وبعثوا معه رجلا منهم فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس حتى انتهوا الى مصر فرأى عمرو من عمارتها وكثرة اهلها وما بها من الاموال والخير ما أعجبه فقال عمرو للشماس ما رأيت مثل ذلك ومضى الى الاسكندرية فنظر عمرو الى كثرة ما فيها من الاموال والعمارة وجودة بنائها وكثرة اهلها فازداد عجبا ووافق دخول عمرو الاسكندرية عيدا فيها عظيما يجتمع فيه ملوكهم وأشرافهم ولهم كرة من ذهب مكللة يترامى بها ملوكهم وهم يتلقونها بأكمامهم وفيما اختبروا من تلك الكرة على ما وصفها من مضى منهم انها من وقعت الكرة فى كمه واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم

* فلما قدم عمرو الاسكندرية اكرمه الشماس الاكرام كله وكساه ثوب ديباج ألبسه اياه وجلس عمرو والشماس مع الناس فى ذلك المجلس حيث يترامون بالكرة وهم يتلقونها بأكمامهم فرمى بها رجل منهم فأقبلت تهوى حتى وقعت فى كم عمرو فعجبوا من ذلك وقالوا ما كذبتنا هذه الكرة قط الا هذه المرة أترى هذا الاعرابى يملكنا هذا ما لا يكون أبدا وان ذلك الشماس مشى فى اهل الاسكندرية وأعلمهم أن عمرا أحياه مرتين وانه قد ضمن له ألفى دينار وسألهم أن يجمعوا ذلك له فيما بينهم ففعلوا ودفعوها الى عمرو فانطلق عمرو وصاحبه وبعث معهما الشماس دليلا ورسولا وزودهما وأكرمهما حتى رجع هو وصاحبه الى اصحابهما فبذلك عرف عمرو مدخل مصر ومخرجها ورأى منها ما علم انها أفضل البلاد وأكثرها اموالا فلما رجع عمرو الى اصحابه دفع اليهم فيما بينهم ألف دينار وأمسك لنفسه ألفا قال عمرو وكان اول مال اعتقدته وتأثلته

(ذكر عمود السوارى)

هذا العمود حجر أحمر منقط وهو من الصوان المانع كان حوله نحو أربعمائة عمود كسرها قراجا والى الاسكندرية فى ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب ورماها بشاطئ البحر ليوعر على العدو سلوكه اذا قدموا ويذكر أن هذا العمود من جملة أعمدة كانت تحمل رواق ارسطاطاليس الذى كان يدرس به الحكمة وانه كان دار علم وفيه خزانة كتب أحرقها عمرو بن العاص باشارة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويقال ان ارتفاع هذا العمود سبعون ذراعا وقطره خمسة اذرع وذكر بعضهم أن طوله بقاعدتيه اثنان وستون ذراعا وسدس ذراع وهو على نشز طوله ثلاثة وعشرون ذراعا ونصف ذراع فجملة ذلك خمسة وثمانون ذراعا وثلثا ذراع وطول قاعدته السفلى اثنا عشر ذراعا وطول القاعدة العليا سبعة اذرع ونصف * قال المسعودى وفى الجانب الغربى من صعيد مصر جبل رخام عظيم كانت الاوائل تقطع منه العمد وغيرها وكانوا يحملون ما عملوا بعد النقر فاما العمد والقواعد والرؤس التى يسميها اهل مصر الاسوانية ومنها حجارة الطواحين فتلك نقرها الاولون قبل حدوث النصرانية بمئين من السنين ومنها العمد التى بالاسكندرية والعمود بها الضخم الكبير لا يعلم بالعالم عمود مثله وقد رأيت فى جبل اسوان أخا هذا العمود وقد هندس ونقر ولم يفصل من الجبل ولم يحمل ما ظهر منه وانما كانوا ينتظرون به أن يفصل من الجبل ثم يحمل الى حيث يريد القوم انتهى * وكان بالاسكندرية من العمد العظام وأنواع الحجارة والرخام الذى لا تقل القطعة منه الا بألوف من الناس وقد علقت بين السماء والارض على فوق

المائة ذراع وفوق رؤس أساطين دائر الاسطوانة ما بين الخمسة عشر ذراعا الى العشرين ذراعا والحجر فوقه عشرة اذرع فى عشرة اذرع فى سمك عشرة اذرع بغرائب الالوان * وكان بالاسكندرية قصر عظيم لا نظير له فى معمور الارض على ربوة عظيمة بازاء باب البلد طوله خمسمائة ذراع وعرضه على النصف من ذلك وبابه من اعظم بناء واتقنه كل عضادة منه حجر واحد وعتبته حجر واحد وكان فيه نحو مائة اسطوانة وبازائه اسطوانة عظيمة لم يسمع بمثلها غلظها ستة وثلاثون شبرا وعلوها بحيث لا يدرك أعلاها قاذف حجر وعليها رأس محكم الصناعة يدل على انه كان فوق ذلك بناء وتحتها قاعدة حجر أحمر محكم الصناعة عرض كل ضلع منه عشرون شبرا فى ارتفاع ثمانية اشبار والاسطوانة منزلة فى عمود من حديد قد خرقت به الارض فاذا اشتدت الرياح رأيتها تتحرك وربما وضع تحتها الحجارة فطحنتها لشدة حركتها وكانت هذه الاسطوانة احدى عجائب الدنيا وقد زعم قوم انها مما عمله الجن لسليمان بن داود عليهما السلام كما هى عادتهم فى نسبة كل ما يستعظمون عمله الى انه من صنيع الجن وليس كذلك بل كانت مما عمله القدماء من اهل مصر * وكان فى وسطه قبة ومن حولها أساطين وعلى الجميع قبة من حجر واحد رخام ابيض كأحسن ما أنت راء من الصنائع * ويقال ان بعض ملوك مصر دخل الاسكندرية فأعجبه هذا القصر وأراد أن يبنى مثله فجمع الصناع والمهندسين ليقيموا له قصرا عظيما على هيئته فما منهم الا من اعترف بعجزه عن مثله الا شيخا منهم فانه التزم أن يصنع مثله فسر الملك ذلك وأذن له فى طلب ما يحتاج اليه من المؤن والآلات والرجال فقال ائتونى بثورين مطيقين وعجلة كبيرة فلما أتى بذلك مضى الى المقابر القديمة وحفر منها قبرا أخرج منه جمجمة عظيمة رفعها عدة من الرجال على العجلة فما جرها الثوران مع قوتهما الا بعد جهد وعناء فلما وقف بها بين يدى الملك قال أصلح الله سيدنا ان أتيتنى بقوم رؤسهم مثل هذا الرأس عملت لك مثل هذا القصر فتيقن الملك عند ذلك عجز أهل زمانه عن اقامة مثل ذلك القصر * وقد ذكر أنه كان بالاسكندرية ضرس انسان عند قصاب يزن به اللحم زنته ثمانية ارطال * ويقال ان عمود السوارى الموجود الآن خارج مدينة الاسكندرية أحد سبعة أعمدة أتى بأحدها البتون بن مرة العادى وهو يحمله تحت ابطه من جبل بريم الاحمر قبلى اسوان الى الاسكندرية فانكسر ضلعه لانه كان ضعيف القوى فى قومه فشق ذلك على يعمر بن شداد بن عاد وقال ليتنى فديته بنصف ملكى وجاء بعمود آخر جحدر بن سنان الثمودى وكان قويا فحمله من اسوان تحت ابطه وجاء بقية رجالهم كل رجل بعمود فأقام العمد السبعة الجارود بن قطن المؤتفكى وكان بناءها بعد أن اختاروا لها طالعا سعيدا كما هى عادتهم فى عامة أعمالهم وقد ذكر غير واحد أن الصخور فى القديم من الدهر كانت تلين فعمل منها أعمدة ناعط ومارب وبينون ومآثر اليمن وأعمدة دمشق ومصر ومدين وتدمر وان كل شئ كان يتكلم قال أمية بن ابى الصلت

واذهم لا لبوس لهم عراة * واذ صخر السلام لهم رطاب

وقال قوم عمود السوارى من جملة أعمدة كانت تحمل رواقا يقال له بيت الحكمة وذلك حيث انتهت علوم اهل الغرب الى خمس فرق وهم اصحاب الرواق هذا وأصحاب الاسطوانة وكانوا ببعلبك واصحاب المظال وهم بانطاكية واصحاب البرابى وكانوا بصعيد مصر والمشاؤون وكانوا بمقدونية وكانى بمن قل علمه ينكر على ايراد هذا الفصل ويراه من قبيل المحال ومما وضعه القصاص ويجزم بكذبه فلا يوحشنك حكايتى له واسمع قول الله تعالى عن عاد قوم هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة اى طولا وعظم جسم قال عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعا وهذه الزيادة كانت على خلق آبائهم وقيل على خلق قوم نوح وقال وهب بن منبه كان رأس أحدهم مثل قبة عظيمة وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم وروى شهر بن حوشب عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال ان كان الرجل من قوم عاد ليحمل المصراعين لو اجتمع عليه خمسمائة من هذه الامة لم يطيقوه وان كان أحدهم ليغمز بقدمه الارض فيدخل فيها وروى عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافرى عن ابن حجيرة قال استظل سبعون رجلا من قوم موسى عليه السلام فى قحف رجل من العماليق وعن زيد بن أسلم بلغنى أن الضبعة وأولادها ربضن فى حجاج عين رجل من العماليق وقال تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد قال المبرد وقولها يعنى الخنساء رفيع العماد انما تريد الطول يقال رجل معمد يريد طويلا ومنه قوله تعالى ارم ذات

العماد أي الطوال وقال البغوي سموا ذات العماد لانهم كانوا اهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي ورواية عطاء عن ابن عباس وقال بعضهم سموا ذات العماد لطول قاماتهم قال ابن عباس يعني طولهم مثل العماد قال مقاتل كان طول أحدهم اثني عشر ذراعا وفي كشاف الزمخشري لم يخلق مثلها مثل عاد في البلاد عظم أجرام وقوة كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحي فيهلكهم وقد ذكر غير واحد أنه وجد في خلافة المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد كنز بمصر فيه ضلع انسان طوله أربعة عشر شبرا في عرض ثلاثة اشبار * واعلم أن أعين بني آدم ضيقة وقد نشأت نفوسهم في محل صغير فاذا حدث القوم بما يتجاوز مقدار عقولهم أو مبلغ أجسامهم مما ليس له عندهم اصل يقيسونه عليه الا ما يشاهدونه أو يألفونه عجلوا الى الارتياب فيه وسارعوا الى الشك في الخبر عنه الا من كان معه علم وفهم فانه يفحص عما يبلغه من ذلك حتى يجد دليلا على قبوله أو رده وكيف يرد مثل هذه الاخبار وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلق الله آدم طوله ستون ذراعا في السماء ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن وذكر محمد ابن عبد الرحيم بن سليمان بن ربيع القيسي الغرناطي في كتاب تحفة الالباب قال نقل الشعبي في كتاب سير الملوك أن الضحاك بن علوان لما هرب منه لام بن عامر الى ناحية الشمال أرسل في طلبه أميرين مع كل أمير طائفة من الجبارين خرج أحدهما قاصدا الى بلغار والآخر الى باشقرد فأقام اولئك الجبارون في أرض بلغار وفي باشقرد قال الاقليشي وقد رأيت صورهم في باشقرد ورأيت قبورهم بها فكان مما رأيته ثنية أحدهم طولها أربعة اشبار وعرضها شبران وقد كان عندي في باشقرد نصف اصل الثنية أخرجت لي من فكه الاسفل فكان عرضها شبرا ووزنها ألف مثقال ومائتا مثقال انا وزنتها بيدي وهي الآن في داري في باشقرد وكان دور فك ذلك العادي سبعة عشر ذراعا وفي بيت بعض أصحابي في باشقرد عضد أحدهم طوله ثمانية وعشرون ذراعا وأضلاعه كل ضلع عرضه ثلاثة اشبار وأكثر كاللوح الرخام وأخرج الي نصف رسغ يد أحدهم فكنت لا أقدر أن ارفعه بيد واحدة حتى ارفعه بيدي جميعا قال ولقد رأيت في بلد بلغار سنة ثلاثين وخمسمائة من نسل العاديين رجلا طوالا كان طوله اكثر من سبعة اذرع وكان يسمى دنقي وكان يأخذ الفرس تحت ابطه كما يأخذ الانسان الطفل الصغير وكان اذا وقع القتال بتلك الناحية يقاتل بشجرة من شجر البلوط يمسكها كالعصا في يده لو ضرب بها الفيل قتله وكان خيرا متواضعا كلما التقاني سلم علي ورحب بي واكرمني وكان رأسي لا يصل الى حقوه وكان له اخت على طوله رأيتها في بلغار مرارا عدة قال لي القاضي يعقوب بن النعمان يعني قاضي بلغار ان هذه المرأة الطويلة العادية قتلت زوجها وكان اسمه آدم وكان من أقوى اهل بلغار ضمته الى صدرها فكسرت اضلاعه فمات من ساعته قال ولم يكن في بلغار حمام تسعهم الا حمام واحدة واسعة الابواب انتهى * وقد حدثني الحافظ ابو عبد الله محمد بن احمد بن محمد الفريابي عن أبيه أنه شاهد قبرا احتفر بمدينة قرطاجنة من افريقية فاذا جثة رجل قد عظم رأسه كثور بن عظيمين ووجد معه لوح مكتوب بالقلم المسند وهو قلم عاد وحروفه مقطعة ما نصه انا كوش بن كنعان ابن الملوك من آل عاد ملكت بهذه الارض ألف مدينة وبنيت بها على ألف بكر وركبت من الخيل العتاق سبعة آلاف حمر وصفر وشهب وبيض ودهم ثم لم يغن عني ذلك شيأ وجاءني صائح فصاح بي صيحة أخرجتني من الدنيا فمن كان عاقلا ممن جاء بعدي فليعتبر بي وأنشد

يا واقفا يرعى السهى * برسم ربع قد وهى
قف واستمع ثم اعتبر * ان كنت من اهل النهى
بالامس كنا فوقها * واليوم صرنا تحتها
لكل حد غاية * ولكل امر منتهى

قال فأمر السلطان ابو بكر بن يحيى الحفصي صاحب تونس بطمه فطم القبر قال مؤلفه رحمه الله تعالى وأنا أدركت شيأ من ذلك وهو أنه ترافع في بعض الايام طائفة من الحجارين الى السلطان الملك الظاهر برقوق أعوام بضع وتسعين وسبعمائة وقد اختلفوا على مال وجد ومحصل القصة وهو أنهم كانوا يقطعون الحجارة من مغار فيما يلي قلعة الجبل من بحريها فانكشف لهم حجر أسود عليه كتابة فاجتمعوا على قطع ما بين يدي هذا الحجر طمعا في وجود مال فانتهى بهم القطع الى عمود عظيم قائم في قلب الجبل فلما جلتهم أقبلوا بمعاولهم عليه حتى تكسر قطعا فاذا

هو مجوف وانسان قائم على قدميه بطوله وتناثر لهم من جهة رأسه دنانير كثيرة فاقتسموها وتنافسوا فى قسمتها واختلفوا حتى اشتهر أمرهم وترافعوا الى السلطان فبعث من كشف المغار فوجد الحجر والعمود وقد تكسر فاخذ منهم ماوجد بأيديهم من الدنانير ولم يجد من يعرف ماقد كتب على الحجر وتسامع الناس بالخبر فأقبلوا الى المغار وعبثوا برمّة الميت فأخبرنى من شاهد سنا من اسنان هذا الميت انها سوداء بقدر الباذنجانة وان عظم ساقه فيما بين قدمه الى ركبته خمسة اذرع فيجئ هذا من حساب طوله عشرين ذراعا وأزيد ودماغ سن واحدة من اسنانه فى قدر الباذنجانة ماهو الا كالقبة الكبيرة وأخبرنى السيد الشريف قاضى القضاة بدمشق شهاب الدين احمد بن على بن ابراهيم الحسينى المعروف بابن عدنان وبابن أبى الجن انه وقف فى سنة أربع عشرة وثمانمائة بمقبرة باب الصغير من دمشق على قبر ليدفن فيه ميت لهم فلما تهيأ القبر ولم يبق الا أن يدلى فيه الميت انخسف وخرج من الخسف ذباب كثير كبار زرق الالوان حتى كادت تظلهم فنزل الحفار فى الخسف فاذا قبر طوله اثنان وعشرون ذراعا وفيه بطوله ميت قد صار كالرماد وأخبرنى أيضا انه شاهد بهذه المقبرة ضرس انسان وله ثلاث شعب وقد سقطت منه قطعة وهو فى قدر البطيخة وانه وزن بحضرته فبلغ رطلين وتسع اواق بالرطل الشامى وان القطعة التى انكسرت منه نحو اوقيتين بالشامى فيكون على هذا زنة هذا الضرس نحو اثنى عشر رطلا بالمصرى والله تعالى أعلم

(ذكر طرف مما قيل فى الاسكندرية)

قال ابو عمرو الكندى أجمع الناس انه ليس فى الدنيا مدينة على ثلاث طبقات غير الاسكندرية ولما دخل عبد العزيز بن مروان الاسكندرية سأل رجلا من علماء الروم عنها وعن عدد أهلها فقال والله أيها الامير ما أدرك علم هذا أحد من الملوك والذى أخبرك كم كان فيها من اليهود فان ملك الروم أمر باحصائهم فكانوا اسمائة ألف قال فما هذا الخراب الذى فى اطرافها قال بلغنى عن بعض ملوك فارس حين ملكوا مصر انه أمر بفرض دينار على كل محتلم لعمران الاسكندرية فأتاه كبراء أهلها وعلماؤهم وقالوا أيها الملك لا تتعب فان الاسكندرية أقام الاسكندر على بنائها ثلثمائة سنة وعمرت ثلثمائة سنة وانها لخراب منذ ثلثمائة سنة ولقد أقام أهلها سبعين سنة لا يمشون فيها نهارا الا بخرق سود فى أيديهم خوفا على أبصارهم من شدة بياضها * ومن فضائلها ما قاله بعض المفسرين من أهل العلم انها المدينة التى وصفها الله عز وجل فى كتابه العزيز فقال ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وقال احمد بن صالح قال لى سفيان بن عيينة يا مصرى أين تسكن قلت أسكن الفسطاط فقال أتأتى الاسكندرية قلت نعم قال تلك كنانة الله يجعل فيها خيار سهامه * وقال عبد الله بن مرزوق الصدفى لما نعى لى ابن عمى خالد بن يزيد وكان قد توفى بالاسكندرية لقينى موسى بن على بن رباح وعبد الله بن لهيعة والليث ابن سعد متفرقين كلهم يقول أليس مات بالاسكندرية فأقول نعم فيقولون هو حى عند الله يرزق ويجرى عليه اجر رباطه ما أقامت الدنيا وله اجر شهيد حتى يحشر على ذلك وقال الذين ينظرون فى الاهوية والبلدان وترتب الاقاليم والامصار انه لم تطل أعمار الناس فى بلد من البلدان طولها بمريوط من كورة الاسكندرية ووادى فرغانة وقال الحسن بن صفوان وأما الاسكندرية وتنيس وأمثالهما فقربها من البحر وسكون الحرارة والبرد عندهم وظهور ريح الصبا فيهم مما يصلح أمرهم ويرق طباعهم ويرفع هممهم وليس يعرض لهم ما يعرض لاهل اليشمون من غلظ الطبع والجمارية وقد وصف أهل الاسكندرية بالبخل قال جلال الدين بن مكرم بن أبى الحسن بن احمد الخزرجى ملك الحفاظ

نزيل سكندرية ليس يقرى * بغير الماء اونعت السوارى
ويتحف حين يكرم بالهواء الـ * ـملاتن والاشارة للمنار
وذكر البحر والامواج فيه * ووصف مراكب الروم الكبار
فلا يطمع نزيلهم بخبز * فما فيها لذاك الحرف قارى

وقال احمد بن خرداذبه من الفسطاط الى ذوات الساحل أربعة وعشرون ميلا ثم الى مريوط ثلاثون ميلا ثم الى كوم شريك ثلاثون ميلا ثم الى كريون أربعة وعشرون ميلا ثم الى الاسكندرية أربعة وعشرون ميلا وقال آخر وطريق الاسكندرية اذا نضب ماء النيل يأخذ بين المدائن والضياع وذلك اذا أخذت من شطنوف الى

سبك العبيد فهو منزل فيه منية لطيفة وبينهما اثنا عشر سقسا ومن سبك الى مدينة منوف وهى كبيرة فيها حمامات وأسواق وبها قوم فيهم يسار ووجوه من الناس وبينهما ستة عشر سقسا ومن منوف الى محلة صرد وفيها منبر وحمام وفنادق وسوق صالح ستة عشر سقسا ومن محلة صرد الى سخا وهى مدينة كبيرة ذات حمامات وأسواق وعمل واسع واقليم جليل له عامل بعسكر وجند وبه الكتان الكثير وزيت الفجل وقموح عظيمة ستة عشر سقسا ومن سخا الى شبركيه وهى مدينة كبيرة بها جامع واسواق ستة عشر سقسا ومن شبركيه الى مسير وهى مدينة بها جامع واسواق ستة عشر سقسا ومن مسير الى سنهور وهى مدينة ذات اقليم كبير وبها حمامات وأسواق وعمل كبير ستة عشر سقسا ومن سنهور الى النخوم وهى اقليم وبها حمامات وفنادق وأسواق ستة عشر سقسا ومن النخوم الى نسترو وكانت مدينة عظيمة حسنة على بحيرة البشمون عشرون سقسا ومن نسترو الى البرلس وهى مدينة كثيرة الصيد فى البحيرة وبها حمامات عشر سقسات ومن البرلس الى اخنا وهى حصن على شط بحر الملح عشر سقسات ومن اخنا الى رشيد وهى مدينة على النيل ومنها يصب النيل فى البحر من فوهة تعرف بالاشتوم وهى المدخل ثلاثون سقسا وكان بها أسواق صالحة وحمام وبها النخيل وضريبة على ما يحمل من الاسكندرية * وهذا الطريق الآخذ من شطنوف الى رشيد ربما امتنع سلوكه عند زيادة النيل والثياب المنسوجة بالاسكندرية لا نظير لها وتحمل الى أقطار الارض وفى ثياب الاسكندرية ما يباع الكتان منه اذا عمل ثيابا يقال لها الشرب كل زنة درهم بدرهم فضة وما يدخل فى الطرز فيباع بنظير وزنه مرات عديدة

(ذكر فتح الاسكندرية)

قال أبو عمرو الكندى لما حاز المسلمون الحصن بما فيه أجمع عمرو على المسير الى الاسكندرية فسار اليها فى ربيع الاول سنة عشرين وقال غيره بل سار فى جمادى الآخرة منها * وذكر سيف بن عمر أن عمرو بن العاص بعث الى الاسكندرية وهو على عين شمس عوف بن مالك فنزل عليها وبعث يقول لاهلها ان شئتم أن تنزلوا فلكم الامان فقالوا نعم فراسلهم وتربصوا أهل عين شمس وسار المسلمون من بين ذلك * وقال ابن عبد الحكم ويقال ان المقوقس انما صالح عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية حاصر اهلها ثلاثة اشهر وألح عليهم فخافوه وسأله المقوقس الصلح عنهم كما صالحه على القبط على أن يستنظر رأى الملك فحدثنا يزيد بن أبى حبيب ان المقوقس الرومى الذى كان ملكا على مصر صالح عمرو بن العاص على أن يسير من أراد من الروم المسير ويقر من أراد من الروم على أمر قد سماه فبلغ ذلك هرقل ملك الروم فسخط أشد السخط وأنكر أشد الانكار وبعث الجيوش فأغلقوا أبواب الاسكندرية وآذنوا عمرا بالحرب فخرج اليه المقوقس فقال أسألك ثلاثا قال ماهن قال لا تبذل للروم ما بذلت لى فانى قد نصحت لهم فاستغشونى ولا تنقض القبط فان النقض لم يأت من قبلهم وأن تأمر بى اذا مت فادفنى فى بحنس فقال عمرو هذه أهونهن علينا قال فخرج عمرو بالمسلمين حين أمكنهم الخروج وخرج معه جماعة من رؤساء القبط وقد أصلحوا لهم الطرق وأقاموا لهم الجسور والاسواق وصارت لهم القبط أعوانا على ما أرادوا من قتال الروم وسمعت بذلك الروم فاستعدت واستجاشت وقدمت عليهم مراكب من أرض الروم فيها جمع عظيم من الروم بالعدة والسلاح فخرج اليهم عمرو من الفسطاط متوجها الى الاسكندرية فلم يرمنهم أحدا حتى بلغ مريوط فلقى فيها طائفة من الروم فقاتلهم قتالا خفيفا فهزمهم الله ومضى عمرو بمن معه حتى لقى جمع الروم بكوم شريك فاقتتلوا ثلاثة أيام ثم فتح الله على المسلمين وولى الروم أكتافهم * ويقال بل أرسل عمرو بن العاص شريك بن سمى فى آثارهم فأدركهم عند الكوم الذى يقال له كوم شريك فهزمهم وكان على مقدمة عمرو وعمرو بمريوط فالجأوه الى الكوم فاعتصم به وأحاطت به الروم فلما رأى ذلك شريك بن سمى أمر ابا ناعمة مالك بن ناعمة الصدفى وهو صاحب الفرس الاشقر الذى يقال له أشقر صدف وكان لا يجارى سرعة فانحط عليهم من الكوم وطلبته الروم فلم تدركه حتى أتى عمرا فأخبره فأقبل عمرو متوجها وسمعت به الروم فانصرفت ثم التقوا بسلطيس فاقتتلوا قتالا شديدا ثم هزمهم الله تعالى ثم التقوا بالكريون فاقتتلوا بها بضعة عشر يوما وكان عبد الله بن عمرو على المقدمة وحامل اللواء يومئذ وردان مولى عمرو فأصابت عبد الله بن عمرو جراحات كثيرة فقال ياوردان لو تقهقرت قليلا نصيب الروح فقال وردان الروح تريد الروح امامك وليس خلفك فتقدم عبد الله فجاءه رسول أبيه يسأله عن جراحه فقال

أقول لها اذا جشأت وجاشت * رويدك تحمدى أو تستريحى

وهذا البيت لعمرو ابن الاطنابة وهو أن رجلا من بنى النجار كان مجاورا لمعاذ بن النعمان فقتل فقال معاذ لا أقتل به الا عمرو ابن الاطنابة وهو يومئذ أشرف الخزرج فقال عمرو

ألا من مبلغ الاكفاء عنى * وقد تهدى النصيحة للنصيح
بأنكم وما تزجون شطرى * من القول المرغى والصريح
سيقدم بعضكم عجلا عليه * وما أثر اللسان الى الجروح
أبت لى عفتى وأبى بلائى * وأخذى الحمد بالثمن الربيح
واعطائى على المكروه مالى * واقدامى على البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى
لادفع عن مآثر صالحات * وأحمى بعد عن عرض صحيح
بذى شطب كلون الملح صاف * ونفس لم تقر على القبيح

الشطب سعف النخل الاخضر الواحدة شطبة وجشأت ارتفعت من حزن اوفزع وجاشت دارت للغثيان وقيل هما بمعنى ارتفع والمشيح البارد المنكمش * فرجع الرسول الى عمرو فأخبره بما قال فقال عمرو هوابنى حقا وصلى عمرو يومئذ صلاة الخوف ثم فتح الله للمسلمين وقتل منهم المسلمون مقتلة عظيمة واتبعوهم حتى بلغوا الاسكندرية فتحصن بها الروم وكان عليها حصون متينة لاترام حصن دون حصن فنزل المسلمون ومعهم رؤساء القبط يمدونهم بما احتاجوا اليه من الاطعمة والعلوفة فأقاموا اشهرين ثم تحول فخرجت عليه خيل من ناحية البحيرة مستترة بالحصن فواقعوه فقتل يومئذ من المسلمين اثناعشر رجلا ورسل ملك الروم تختلف الى الاسكندرية فى المراكب بمادة الروم * وكان ملك الروم يقول لئن ظهرت العرب على الاسكندرية ففى ذلك انقطاع الروم وهلاكهم لانه ليس للروم كنائس أعظم من كنائس الاسكندرية وانما كان عيد الروم حين غلبت العرب على الشام بالاسكندرية فقال الملك لئن غلبونا على الاسكندرية هلكت الروم وانقطع ملكها فأمر بجهازه ومصلحته لخروجه الى الاسكندرية حتى يباشر قتالها بنفسه فلما فرغ من جهازه صرعه الله عز وجل فأماته وكفى المسلمين مؤنته وكان موته فى سنة تسع عشرة فكسر الله بموته شوكة الروم فرجع جمع كثير ممن كان قد توجه * وقال الليث مات هرقل فى سنة عشرين وفيها فتحت قيسارية الشام قال واستأسدت العرب عند ذلك وألحت بالقتال على اهل الاسكندرية فقاتلوهم قتالا شديدا وخرج طرف من الروم من باب حصن الاسكندرية فحملوا على الناس فقتلوا رجلا من مهرة واحتزوا رأسه ومضوا به فجعل المهريون يتغضبون ويقولون لاندفنه الا برأسه فقال عمرو تتغضبون كأنكم تتغضبون على من يبالى بغضبكم احملوا على القوم اذا خرجوا فاقتلوا منهم رجلا ثم ارموا برأسه يرمونكم برأس صاحبكم فخرجت الروم اليهم فاقتتلوا فقتل من الروم رجل من بطارقتهم فاحتزوا رأسه ورموا به الروم فرمت الروم برأس المهرى اليهم فقال دونكم الآن فادفنوا صاحبكم * وكان عمرو يقول ثلاث قبائل من مصر أما مهرة فقوم يقتلون ولا يقتلون وأما عافق فقوم يقتلون ولا يقتلون وأما بلى فأكثرها رجلا صحب النبى صلى الله عليه وسلم وأفضلها فارسا وقال رجل لعمرو لو جعلت المنجنيق ورميتهم به لهدم حائطهم فقال عمرو تستطيع أن يغنى مقامك من الصف وقيل له ان العدو قد غشوك ونحن نخاف على رايطة يريدون امر أنه فقال اذا يتخذوا ارياطا كثيرة * ولما استحر القتال بارز رجل من الروم مسلمة بن مخلد فصرعه الرومى وألقاه عن فرسه وهوى اليه ليقتله حتى حماه رجل من اصحابه وكان مسلمة لا يقاوم ولكنها مقادير ففرحت بذلك الروم وشق على المسلمين وغضب عمرو بن العاص لذلك وكان مسلمة كثير اللحم ثقيل البدن فقال عمرو عند ذلك ما بال الرجل الستة الذى يشبه النساء يتعرض مداخل الرجال ويتشبه بهم فغضب من ذلك مسلمة ولم يراجعه ثم اشتد القتال حتى اقتحموا حصن الاسكندرية فقاتلهم العرب فى الحصن ثم جاشت عليهم الروم حتى أخرجوهم جميعا من الحصن الا اربعة نفر تفرقوا فى الحصن وأغلقوا عليهم باب الحصن أحدهم عمرو بن العاص والآخر مسلمة ولم نحفظ الآخرين وحالوا بينهم وبين اصحابهم ولا يدرى الروم من هم فلما رأى ذلك عمرو بن العاص وأصحابه التجأوا الى ديماس من حماماتهم فدخلوا فيه فاحترزوا به فأمروا روميا أن يكلمهم بالعربية فقال لهم انكم قد صرتم بأيدينا

اسارى فاستأسروا ولا تقتلوا أنفسكم فامتنعوا عليه ثم قال لهم ان فى ايدى اصحابكم منا رجالا أسروهم ونحن نعطيكم العهود نفادى بكم أصحابنا ولا نقتلكم فأبوا عليه فلما رأى ذلك الرومى منهم قال لهم هل لكم الى خصلة وهى نصف فان غلب صاحبنا صاحبكم استأسرتم لنا وأمكنتمونا من أنفسكم وان غلب صاحبكم صاحبنا خلينا سبيلكم الى اصحابكم فرضوا بذلك وتعاهدوا عليه وعمرو ومسلمة وصاحبهما فى الحصن فى الديماس فتداعوا الى البراز فبرز رجل من الروم وقد وثقت الروم بنجدته وشدته وقالوا يبرز رجل منكم لصاحبنا فأراد عمرو أن يبرز فمنعه مسلمة وقال ما هذا تخطئ مرتين تشذ من اصحابك وأنت امير وانما قوامهم بك وقلوبهم معلقة نحوك لا يدرون ما أمرك ولا ترضى حتى تبارز وتتعرض للقتل فان قتلت كان ذلك بلاء على أصحابك مكانك وانا كفيك ان شاء الله تعالى فقال عمرو دونك فربما فرّجها الله بك فبرز مسلمة للرومى فتجاولا ساعة ثم اعانه الله عليه فقتله فكبّر مسلمة وأصحابه ووفى لهم الروم بما عاهدوهم عليه ففتحوا لهم باب الحصن فخرجوا ولا يدرى الروم أن أمير القوم فيهم حتى بلغهم بعد ذلك فأسفوا على ذلك وأكلوا أيديهم تغيظا على ما فاتهم فلما خرجوا استحيى عمرو مما كان قال لمسلمة حين غضب فقال عمرو عند ذلك استغفر لى ما كنت قلت لك فاستغفر له وقال عمرو ما أفحشت قط الا ثلاث مرار مرتين فى الجاهلية وهذه الثالثة وما منهن مرة الا وقد ندمت وما استحييت من واحدة منهن أشد مما استحييت مما قلت لك ووالله انى لارجو أن لا أعود الى الرابعة ما بقيت قال وأقام عمرو محاصر الاسكندرية أشهرا فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ما أبطؤا بالفتح الا لما أحدثوا وكتب الى عمرو بن العاص أما بعد فقد عجبت لابطائكم عن فتح مصر انكم تقاتلونهم منذ سنين وما ذاك الا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم فان الله تبارك وتعالى لا ينصر قوما الا بصدق نياتهم وقد كنت وجهت اليك أربعة نفر وأعلمتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما كنت أعرف الا أن يكونوا غيرهم ما غير غيرهم فاذا أتاك كتابى هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورغبهم فى الصبر والنية وقدم اولئك الاربعة فى صدور الناس ومر الناس جميعا أن يكونوا لهم صدمة واحدة كصدمة رجل واحد وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فانها ساعة تنزل الرحمة ووقت الاجابة وليعج الناس الى الله ويسألوه النصر على عدوهم فلما أتى عمرو بن العاص رضى الله عنه الكتاب جمع الناس وقرأ عليهم كتاب عمر رضى الله عنه ثم دعا اولئك النفر فقدمهم أمام الناس وأمر الناس أن يتطهروا ويصلوا ركعتين ثم يرغبوا الى الله تعالى ويسألوه النصر ففعلوا ففتح الله عليهم * ويقال ان عمرو بن العاص استشار مسلمة فقال أشر علىّ فى قتال هؤلاء فقال له مسلمة أرى أن تنظر الى رجل له معرفة وتجارب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعقد له على الناس فيكون هو الذى يباشر القتال ويكفيكه فقال عمرو من ذلك قال عبادة بن الصامت فدعاه عمرو فأتاه وهو راكب على فرسه فلما دنا منه أراد النزول فقال له عمرو عزمت عليك ان نزلت ناولنى سنان رمحك فناوله اياه فنزع عمرو عمامته عن رأسه وعقده له وولاه قتال الروم فتقدم عبادة مكانه فصادف الروم وقاتلهم ففتح الله على يديه الاسكندرية من يومهم ذلك وكان حصار الاسكندرية بعد موت هرقل تسعة أشهر وخمسة أشهر قبل ذلك وفتحت يوم الجمعة لمستهل المحرم سنة احدى وعشرين وقال ابو عمرو الكندى وحاصر عمرو الاسكندرية ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة وهو الفتح الاول ويقال بل فتحها عمرو لمستهل المحرم سنة احدى وعشرين * قال القضاعى عن الليث أقام عمرو بالاسكندرية فى حصارها وفتحها ستة أشهر ثم انتقل الى الفسطاط فاتخذها دارا فى ذى القعدة * وقال ابن عبد الحكم فلما هزم الله تعالى الروم وفتح الاسكندرية هرب الروم فى البر والبحر فخلف عمرو بالاسكندرية ألف رجل من أصحابه ومضى ومن معه فى طلب من هرب من الروم فى البر فرجع من كان هرب من الروم فى البحر الى الاسكندرية فقتلوا من كان فيها من المسلمين الا من هرب منهم وبلغ ذلك عمرا فكرّ راجعا ففتحها وأقام بها وكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان الله قد فتح علينا الاسكندرية بغير عقد ولا عهد فكتب اليه عمر رضى الله عنه يقبح رأيه ويأمره أن لا يجاوزها قال ابن لهيعة وهو فتح الاسكندرية الثانى وكان سبب فتحها هذا أن رجلا يقال له ابن بسامة كان بوّابا فسأل عمرا أن يؤمّنه على نفسه وأرضه وأهل بيته ويفتح له الباب فأجابه عمرو الى ذلك ففتح له ابن بسامة الباب فدخل عمرو وقتل من المسلمين من حين كان من أمر الاسكندرية ما كان الى أن فتحت اثنان

وعشرون رجلا و بعث عمرو بن العاص معاوية بن خديج وافدا الى عمر بن الخطاب بشيرا له بالفتح فقال له معاوية ألا تكتب معي فقال له عمرو وما أصنع بالكتاب ألست رجلا عربيا تبلغ الرسالة وما رأيت وحضرت * فلما قدم على عمر أخبره بفتح الاسكندرية فخر عمر ساجدا وقال الحمد لله وقال معاوية بن خديج بعثني عمرو بن العاص الى عمر رضي الله عنه بفتح الاسكندرية فقدمت المدينة في الظهيرة فأنخت راحلتي بباب المسجد ثم دخلت المسجد فبينا أنا قاعد فيه اذ خرجت جارية من منزل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرأتني شاحبا عليّ ثياب السفر فأتتني وقالت من أنت فقلت أنا معاوية بن خديج رسول عمرو بن العاص فانصرفت عني ثم أقبلت تشتد أسمع حفيف ازارها على ساقها حتى دنت مني ثم قالت قم فأجب أمير المؤمنين يدعوك فتبعتها فلما دخلت فاذا بعمر يتناول رداءه باحدى يديه ويشد ازاره بالأخرى فقال ما عندك فقلت خيرا يا أمير المؤمنين فتح الله الاسكندرية فخرج معي الى المسجد فقال للمؤذن أذن في الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس ثم قال لي قم فاخبر أصحابك فقمت فأخبرتهم ثم صلى ودخل منزله واستقبل القبلة فدعا بدعوات ثم جلس فقال يا جارية هل من طعام فأتت بخبز وزيت فقال كل فأكلت حياء ثم قال كل فان المسافر يحب الطعام فلو كنت آكلا لأكلت معك فأصبت على حياء ثم قال يا جارية هل من تمر فأتت بتمر في طبق فقال كل فأكلت على حياء ثم قال ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد قال قلت أمير المؤمنين قائل قال بئس ما قلت أو بئس ما ظننت لئن نمت النهار لأضيعن الرعية ولئن نمت الليل لأضيعن نفسي فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية * ثم كتب عمرو بن العاص بعد ذلك الى عمر بن الخطاب أما بعد فاني فتحت مدينة لا أصف ما فيها غير أني أصبت فيها اربعة آلاف بنية بأربعة آلاف حمام وأربعين ألف يهودي عليهم الجزية وأربعمائة ملهى للملوك وعن أبي قبيل ان عمرا لما فتح الاسكندرية وجد فيها اثني عشر ألف بقال يبيعون البقل الاخضر وترحل من الاسكندرية في الليلة التي دخلها عمرو وفي الليلة التي خافوا فيها دخول عمرو سبعون ألف يهودي * وكان بالاسكندرية فيما أحصي من الحمامات اثنا عشر ألف ديماس أصغر ديماس منها يسع ألف مجلس كل مجلس يسع جماعة نفر وكان عدة من بالاسكندرية من الروم مائتي ألف رجل فلحق بأرض الروم اهل القوة وركبوا السفن وكان بها مائة مركب من المراكب الكبار فحمل فيها ثلاثون ألفا مع ما قدروا عليه من المال والمتاع والاهل وبقي من بقي من الأسارى من بلغ الخراج فأحصي يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان فاختلف الناس على عمرو في قسمها فكان اكثر الناس يريدون قسمها فقال عمرو لا أقدر على قسمها حتى اكتب الى أمير المؤمنين فكتب اليه يعلمه بفتحها وشأنها و يعلمه أن المسلمين طلبوا قسمها فكتب اليه عمر لا تقسمها وذرها يكون خراجها فيئا للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم فأقرها عمرو وأحصى أهلها وفرض عليهم الخراج فكانت مصر صلحا كلها بفريضة دينارين على كل رجل لا يزاد على أحد منهم في جزية رأسه اكثر من دينارين الا أنه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الارض والزرع الا الاسكندرية فانهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من وليهم لان الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ولم يكن لهم صلح ولا ذمة * وقد كانت قرى من قرى مصر قاتلت فسبوا منها قرية يقال لها بلهيب وقرية يقال لها الخيس وقرية يقال لها سلطيس فوقع سباياهم بالمدينة وغيرها فردهم عمر ابن الخطاب الى قراهم وصيرهم وجماعة القبط اهل ذمة * وعن يزيد بن أبي حبيب ان عمرا سبى اهل بلهيب وسلطيس وقرطيا وسخا فتفرقوا وبلغ اولهم المدينة حين نقضوا ثم كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بردهم فرد من وجد منهم وفي رواية ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب في اهل سلطيس خاصة من كان منهم في أيديكم فخيروه بين الاسلام فان أسلم فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم وان اختار دينه فخلوا بينه و بين قريته فكان البلهيبي خير يومئذ فاختار الاسلام * وفي رواية ان اهل سلطيس وصا وبلهيب ظاهروا الروم على المسلمين في جمع كان لهم فلما ظهر عليهم المسلمون استحلوهم وقالوا هؤلاء لنا فيء مع الاسكندرية فكتب عمرو الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر أن تجعل الاسكندرية وهؤلاء الثلاث قريات ذمة للمسلمين وتضرب عليهم الخراج ويكون خراجهم وما صالح عليه القبط قوة للمسلمين على عدوهم ولا يجعلون فيئا ولا عبيدا ففعل ذلك * ويقال انما ردهم عمر رضي الله عنه لعهد كان تقدم لهم وقال ابن لهيعة جبي عمرو جزية الاسكندرية ستمائة ألف دينار لانه وجد ثلثمائة ألف من أهل الذمة فقدر عليهم دينارين دينارين فبلغت ذلك وقيل كانت جزية الاسكندرية

ثمانية عشر ألف دينار فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك بلغت ستة وثلاثين ألف دينار ويقال ان عمرو ابن العاص استبقى اهل الاسكندرية فلم يقتل ولم يسب بل جعلهم ذمة كأهل النوبة

(ذكر ما كان من فعل المسلمين بالاسكندرية وانتقاض الروم)

قال ابن عبد الحكم فأما الاسكندرية فلم يكن بها خطط وانما كانت أخائذ من أخذ منزلا نزل فيه هو وبنو ابيه وان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية أقبل هو وعبادة بن الصامت حتى علوا الكوم الذى فيه مسجد عمرو ابن العاص فقال معاوية بن خديج ننزل فنزل عمرو القصر ونزل أبوذر منزلا كان غربى المصلى الذى عند مسجد عمرو مما يلى البحر وقد انهدم ونزل معاوية بن خديج فوق التل وضرب عبادة بن الصامت خباء فلم يزل فيه حتى خرج من الاسكندرية ويقال ان أبا الدرداء كان معه والله أعلم قال فلما استقامت لهم البلاد قطع عمرو بن العاص من أصحابه لرباط الاسكندرية ربع الناس وربعا فى السواحل والنصف مقيمون معه وكان يصير بالاسكندرية خاصة الربع فى الصيف بقدر ستة أشهر ويعقب بعدهم شاتية ستة أشهر وكان لكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من أصحابه واتخذوا فيه أخائذ * وعن يزيد بن أبى حبيب أن المسلمين لما سكنوا الاسكندرية فى رباطهم ثم قفلوا ثم غزوا ابتدروا فكان الرجل منهم يأتى المنزل الذى كان فيه صاحبه قبل ذلك فيبتدره فيسكنه فلما غزوا قال عمرو انى أخاف أن تخربوا المنازل اذا كنتم تتعاورونها فلما كان عند الكريون قال لهم سيروا على بركة الله فمن ركز منكم رمحه فى دار فهى له ولبنى ابيه فكان الرجل يدخل الدار فيركز رمحه فى منزل منها ثم يأتى الآخر فيركز رمحه فى بعض بيوت الدار فكانت الدار تكون لقبيلتين وثلاث وكانوا يسكنونها حتى اذا قفلوا سكنها الروم وعليهم مرمتها وكان يزيد بن أبى حبيب يقول لا يحل من كرائها شئ ولا يبعها ولا يورث منها شئ انما كانت لهم يسكنونها فى رباطهم * وعن يزيد بن أبى حبيب ان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبناءها مفروغا منها هم أن يسكنها وقال مساكن قد كفيناها فكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستأذنه فى ذلك فسأل عمر الرسول هل يحول بينى وبين المسلمين ماء قال نعم يا أمير المؤمنين اذا جرى النيل فكتب عمر الى عمرو انى لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلا يحول الماء بينى وبينهم شتاء ولا صيفا فتحول عمرو بن العاص الى الفسطاط قال وكتب عمر بن الخطاب الى سعد بن أبى وقاص وهو نازل بمدائن كسرى والى عامله بالبصرة والى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندرية أن لا تجعلوا بينى وبينكم ماء متى ما أردت أن أركب اليكم راحلتى حتى أقدم عليكم قدمت فتحول سعد بن أبى وقاص من مدائن كسرى الى الكوفة وتحول صاحب البصرة من المكان الذى كان فيه فنزل البصرة وتحول عمرو ابن العاص من الاسكندرية الى الفسطاط وكان عمر بن الخطاب يبعث فى كل سنة غازية من اهل المدينة ترابط بالاسكندرية وكان على الولاة لا يغفلها ويكثف مرابطها ولا يأمن الروم عليها * وكتب عثمان رضى الله عنه الى عبد الله بن سعد بن أبى سرح قد علمت كيف كان هم أمير المؤمنين بالاسكندرية وقد نقضت الروم مرتين فألزم الاسكندرية مرابطها ثم أجر عليهم ارزاقهم وأعقب بينهم فى كل ستة أشهر قال وكانت الاسكندرية انتقضت وجاءت الروم عليهم منويل الخصى فى المراكب حتى أرسوا بالاسكندرية فأجابهم من بها من الروم ولم يكن المقوقس تحرك ولا نكث وقد كان عثمان رضى الله عنه عزل عمرو بن العاص وولى عبد الله ابن سعد بن أبى سرح فلما نزلت الروم سال اهل مصر عثمان أن يقر عمرا حتى يفرغ من قتال الروم فان له معرفة بالحرب وهيبة فى العدو ففعل وكان على الاسكندرية سورها فحلف عمرو بن العاص لئن أظفره الله عليهم ليهدمن سورها حتى يكون مثل بيت الزانية يؤتى من كل مكان فخرج اليهم عمرو فى البر والبحر فضوى الى المقوقس من أطاعه من القبط وأما الروم فلم يطعه منهم أحد فقال خارجة بن حذافة لعمرو ناهضهم قبل أن يكثر مددهم فلا آمن أن تنتقض مصر كلها فقال عمرو لا ولكن أدعهم حتى يسيروا الى فانهم يصيبون من مروا به فيخزى الله بعضهم ببعض فخرجوا من الاسكندرية ومعهم من نقض من اهل القرى فجعلوا ينزلون القرية فيشربون خمورها ويأكلون أطعمتها وينتهبون ما مروا به فلم يتعرض لهم عمرو حتى بلغوا نقيوس فلقوهم فى البر والبحر فبدأت الروم القبط فرموا بالنشاب فى الماء رميا شديدا حتى أصابت النشاب يومئذ فرس عمرو فى لبته وهو فى البر فعقر فنزل عنه عمرو ثم خرجوا من البحر فاجتمعوا هم والذين فى البر فنضحوا المسلمين بالنشاب فاستأخر المسلمون عنهم

شيأ وحملوا على المسلمين حملة ولى المسلمون منها وانهزم شريك بن سمى في خيله وكانت الروم قد جعلت صفوفا خلف
صفوف وبرز يومئذ بطريق ممن جاء من ارض الروم على فرس له عليه سلاح مذهب فدعا الى البراز فبرز اليه رجل
من زبيد يقال له حومل يكنى أبا مذحج فاقتتلا طويلا برمحين يتطاردان ثم ألقى البطريق الرمح وأخذ السيف
فألقى حومل رمحه وأخذ سيفه وكان يعرف بالنجدة فجعل عمرو يصيح أبا مذحج فيجيبه لبيك والناس على شاطئ
النيل في البر على تعبيتهم وصفوفهم فتجاولا ساعة بالسيف ثم حمل عليه البطريق فاحتمله وكان نحيفا فاخترط
حومل خنجرا كان في منطقته اوفي ذراعه فضرب به نحر العلج اوترقوته فأثبته ووقع عليه فأخذ سلبه ثم مات
حومل بعد ذلك بأيام رحمه الله فرئى عمرو يحمل سريره بين عمودى نعشه حتى دفنه بالمقطم ثم شد المسلمون عليهم
فكانت هزيمتهم فطلبهم المسلمون حتى ألحقوهم بالاسكندرية ففتح الله عليهم وقتل منويل الخصى وقتلهم عمرو
حتى أمعن في مدينتهم فكلم في ذلك فأمر برفع السيف عنهم وبنى في ذلك الموضع الذى رفع فيه السيف مسجدا
وهو المسجد الذى بالاسكندرية الذى يقال له مسجد الرحمة سمى بذلك لرفع عمرو السيف هنالك وهدم سورها
كله وجمع ما أصاب منهم فجاءه اهل تلك القرى ممن لم يكن نقض فقالوا قد كنا على صلحنا وقد مر علينا هؤلاء
اللصوص فأخذوا متاعنا ودوابنا وهو قائم في يديك فرد عليهم عمرو ما كان لهم من متاع عرفوه وأقاموا عليه
البينة وقال بعضهم لعمرو ما حل لك ما صنعت بنا كان لنا أن تقاتل عنا لانا في ذمتك ولم ننقض فأما من نقض
فأبعده الله فندم عمرو وقال ياليتني كنت لقيتهم حين خرجوا من الاسكندرية وكان سبب نقض الاسكندرية
هذا أن ظلما صاحب اخنا قدم على عمرو فقال أخبرنا ما على أحدنا من الجزية فنصبر لها فقال عمرو وهو
يشير الى ركن كنيسة لو أعطيتني من الركن الى السقف ما أخبرتك انما أنتم خزانة لنا ان كثر علينا كثرنا عليكم
وان خفف عنا خففنا عنكم فغضب صاحب اخنا وخرج الى الروم فقدم بهم فهزمهم الله تعالى وأسر فأتى به
الى عمرو فقال له الناس اقتله فقال لا بل انطلق فجئنا بجيش آخر وسوره وتوجه وكساه برنس أرجوان
فرضى باداء الجزية فقيل له لو أتيت ملك الروم فقال لو أتيته لقتلني وقال قتلت اصحابي وعن أبي قبيل أن عتبة
ابن أبي سفيان عقد لعلقمة القطيفي على الاسكندرية وبعث معه اثنى عشر ألفا فكتب علقمة الى معاوية
ابن أبي سفيان يشكو عتبة حين غرربه وبمن معه فكتب اليه معاوية انى قد أمددتك بعشرة آلاف من اهل الشام
وبخمسة آلاف من اهل المدينة فكان في الاسكندرية سبعة وعشرون ألفا وفي رواية أن علقمة بن يزيد كان
على الاسكندرية ومعه اثنا عشر ألفا فكتب الى معاوية انك خلفتني بالاسكندرية وليس معى الا اثنا عشر ألفا
ما يكاد بعضنا يرى بعضا من القلة فكتب اليه معاوية انى قد أمددتك بعبد الله بن مطيع في أربعة آلاف
من اهل المدينة وأمرت معن بن يزيد السلمى أن يكون بالرملة في أربعة آلاف ممسكين بأعنة خيولهم
متى بلغهم عنك فزع يعبروا اليك قال ابن لهيعة وقد كان عمرو بن العاص يقول ولاية مصر جامعة تعدل
الخلافة * وكان عمرو حين توجه الى الاسكندرية خرب القرية التى تعرف اليوم بخربة وردان * واختلف
علينا السبب الذى خربت له فحدثنا سعيد بن عفير أن عمرا لما توجه الى نقيوس لقتال الروم عدل وردان لقضاء
حاجته عند الصبح فاختطفه اهل الخربة فغيبوه ففقده عمرو وسأل عنه وقفا أثره فوجدوه في بعض دورهم
فأمر باخرابها واخراجهم منها وقيل كان اهل الخربة رهبانا كلهم فغدروا بقوم من ساقة عمرو فقتلوهم
بعد أن بلغ عمرو الكريون فأقام عمرو ووجه اليهم وردان فقتلهم وخربها فهى خراب الى اليوم وقيل كان
اهل الخربة اهل تويت وخبت فارسل عمرو الى أرضهم فأخذ له منها جراب فيه تراب من ترابها فكلمهم
فلم يجيبوه الى شئ فامر باخراجهم ثم أمر بالتراب ففرش تحت مصلاه ثم قعد عليه ثم دعاهم فكلمهم فأجابوه
الى ما أحب ثم أمر بالتراب فرفع ثم دعاهم فلم يجيبوه الى شئ فعل ذلك مرارا فلما رأى عمرو ذلك قال هذه بلدة
لا يصلح أن توطا فأمر باخرابها فلما هزم الله الروم أراد عثمان رضى الله عنه أن يكون عمرو بن العاص
على الحرب وعبد الله بن سعد على الخراج فقال عمرو انا اذا كماسك البقرة بقرنيها وآخر يحلبها فأبى عمرو وكان فتح
عمرو هذا عنوة قسرا في خلافة عثمان سنة خمس وعشرين وبينه وبين الفتح الاول أربع سنين وقال الليث كان
فتح الاسكندرية الاول سنة اثنتين وعشرين وكان فتحها الآخر سنة خمس وعشرين وأقامت الجيش ٣
من السماء يقاتلون الناس سبع سنين بعد أن فتحت مصر مما يفتحون عليهم من تلك المياه والغياض قال ثم غزا

٣ قوله وأقامت الخ هكذ
في الاصول التي بيدي وانظر
ما معنى هذه العبارة فانها
لا تخلو عن سقط او تحريف
فاحش وكذا قوله قبلها
باسطر اهل تويت وخبت
فانه بعد المراجعة لم يفهم له
معنى ولعله محرف عن برنة
وجبت ومعناهما الحذاقة
بالامر والمكر وحرر اه

عبد الله بن سعد بن ابى سرح ذا الصوارى فى سنة أربع وثلاثين وكان من حديث هذه الغزوة ان عبد الله
ابن سعد لما نزل ذوالصوارى أنزل نصف الناس مع بسر بن ارطاة فى البرّ فلما مضوا أتى آت الى عبد الله
ابن سعد فقال ما كنت فاعلا حين ينزل بك ابن هرقل فى ألف مركب فافعله الساعة وكانت مراكب المسلمين
مائتى مركب ونيفا فقام عبد الله بن سعد بين ظهرانى الناس فقال بلغنى أن ابن هرقل قد أقبل اليكم فى ألف
مركب فأشيروا علىّ فما كلمه رجل من المسلمين فجلس قليلا لترجع اليهم أفئدتهم ثم قام الثانية فكلمهم فما كلمه
أحد فجلس ثم قام الثالثة فقال انه لم يبق شئ فأشيروا علىّ فقام رجل من اهل المدينة كان متطوّعا مع عبد الله
ابن سعد فقال أيها الامير ان الله جلّ ثناؤه يقول كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين
فقال عبد الله اركبوا فركبوا وانما فى كل مركب نصف شحنته لانه قد خرج النصف الآخر الى البرّ مع بسر
فلقوهم فاقتتلوا بالنبل والنشاب وتأخر ابن هرقل لئلا تصيبه الهزيمة وجعلت القوارب تختلف اليه بالاخبار
فقال مافعلوا قالوا قد اقتتلوا بالنبل والنشاب فقال غلبت الروم ثم أتوه فقال مافعلوا قالوا قد نفد النبل والنشاب
فهم يرمون بالحجارة فقال غلبت الروم ثم أتوه فقال مافعلوا قالوا قد نفدت الحجارة وربطوا المراكب بعضها ببعض
يقتتلون بالسيوف قال غلبت الروم وكانت السفن اذ ذاك تقرن بالسلاسل عند القتال قال فقرن مركب عبد الله
يومئذ وهو الامير بمركب من مراكب العدوّ فكان مركب العدوّ يجترّ مركب عبد الله اليهم فقام علقمة بن يزيد
القطيفى وكان مع عبد الله بن سعد فى المركب فضرب السلسلة بسيفه فقطعها فسأل عبد الله امرأته بعد ذلك
بسيسة ابنة حمزة بن يشرح وكانت مع عبد الله يومئذ وكان الناس يغزون بنسائهم فى المراكب من رأيت أشدّ قتالا
قالت علقمة صاحب السلسلة وكان عبد الله قد خطب بسيسة الى ابيها فقال له ان علقمة قد خطبها وله علىّ فيها
رأى فان تركها أفعل فكلم عبد الله علقمة فتركها فتزوّجها عبد الله بن سعد ثم هلك عنها عبد الله فتزوّجها بعده
علقمة بن يزيد ثم هلك عنها علقمة فتزوّجها بعده كريب بن أبرهة وماتت تحته وقيل مشت الروم الى قسطنطين
ابن هرقل فى سنة خمس وثلاثين فقالوا أنترك الاسكندرية فى أيدى العرب وهى مدينتنا الكبرى فقال
ما أصنع بكم ماتقدرون أن تمالكوا ساعة اذا لقيتم العرب قالوا اخرج على اناموت فتبايعوا على ذلك فخرج
فى ألف مركب يريد الاسكندرية فسار فى أيام غالبة الرياح فبعث الله عليهم ريحا فغرقتهم الا قسطنطين فانه
نجا بمركبه فألقته الريح بصقلية فسألوه عن أمره فأخبرهم فقالوا شتت النصرانية وأفنيت رجالها ولو دخلت
العرب علينا لم نجد من يردّهم فقال خرجنا مقتدرين فأصابنا هذا فصنعوا له الحمام ودخلوا عليه فقال
ويلكم يذهب رجالكم وتقتلون ملككم قالوا كانه غرق معهم ثم قتلوه وخلوا من كان معه فى المركب
قال ابو عمرو الكندىّ وانما سميت غزوة ذى الصوارى لكثرة صوارى المراكب واجتماعها

(ذكر بحيرة الاسكندرية)

قال ابن عبد الحكم كانت بحيرة الاسكندرية كروما كلها لامرأة المقوقس فكانت تأخذ خراجها منهم الخمر
بفريضة عليهم فكثر الخمر عليها حتى ضاقت به ذرعا فقالت لا حاجة لى فى الخمر أعطونى دنانير فقالوا ليس عندنا
فأرسلت اليهم الماء فغرّقتها فصارت بحيرة يصاد فيها الحيتان حتى إستخرجها الخلفاء من بنى العباس فسدّوا
جسورها وزرعوها ثم صارت بحيرة طولها اقلاع يوم فى عرض يوم ويصير اليها الماء من اشتوم فى البحر الرومى
ويخرج منها الى بحيرة دونها فى خليج عليه مدينتان احداهما الحدية والاخرى اتكو وهى كثيرة المقاثى والنخل
وكلها فى الرمل ويصب فى هذه البحيرة خليج من النيل يسمى الحافر طوله نصف يوم اقلاعا وهو كثير الطير والسمك
والعشب وكان السمك يوجد بهذه البحيرة فى الاسكندرية غاية فى الكثرة يباع بأقل القيم وأبخس الاثمان
ثم انقطع الماء عن هذه البحيرة منذ

(ذكر خليج الاسكندرية)

يقال ان كلوباطرة الملكة هى التى ساقت خليج الاسكندرية حتى ادخلته اليها ولم يكن يبلغها الماء فحفرته حتى
ادخلته الاسكندرية وبلطت قاعه بالرخام من اوله الى آخره ولم يزل يوجد ذلك فيه وقال ابو الحسن المخزومى
فى كتاب المنهاج أما خليج الاسكندرية فانه من فوهة الخليج الى ترعة بودرة ليس على شئ منها سدّ بومخرج محلة

سُتولـا اسينة اورين محلة فرنو محلة حسن منية طراد وتعرف بالقاعة محلة نصر ومسروق فأما ترعة لقانة فانها
تفتح بعد سبعة أيام من توت والترعة الجديدة تفتح فى السادس عشر من توت وترعة بودرة تفتح بعد سبعة أيام من
توت وترعة بو يحيى وترعة بو السحما وترعة القهوقية ليس على شئ من ذلك سد وترعة الشرالـ تفتح بعد سبعة
أيام من توت وترعة بوخراشة وترعة البربيط يشرب منها ديسو وسمخراط وشبرنوبه ومنية حماد وسنادة وبعض
محلة مارية وترعة فيشة بلخا تفتح فى ثانى عشر توت وجرت العادة أن تفتح فى النوروز ترعة بو يط ومقطع سمديسة
يفتح فى الثانى والعشرين من توت ومقطع ياطس يفتح فى تاسع عشر توت ولما سد المقطع المذكور عملت بعد ذلك
ترعة تروى الصفقة القبلية منها فتفتح فى يوم النوروز ولما استحدثت ترعة افلاقة وخرجت فى ارض ياطس جرت
العادة اذا رويت الصفقة القبلية من افلاقة تطلق الترعة المذكورة على القسم البحرى من ياطس الى أن يروى
وترعة القارورة محدثة وترعة بفوها تفتح فى ثانى عشر توت وترعة افلاقة تفتح فى عاشر توت وترعة اسكنيدة تفتح
فى سادس توت * تراع بحر دمنهور تفتح فى العشرين من مسرى الى سادس توت و يروى منها بعض طاموس
و بعض كنيسة الغيط وبعض قرطسا ودمنهور * ترعة القواديس منها تشرب شبرا النخلة وكوم التلول وتراع شبرا
النخلة تفتح على أعاليها من اول توت وترعة بسطرى تفتح فى خامس عشر مسرى وترعة مسيد تفتح فى ثامن توت
وترعة سنتويه تفتح فى ثامن عشر توت و بحر دمشويه يفتح فى العشرين من مسرى ومنه تشرب منية رزقون
وسفط كرداسة ودمشويه ومحلة الشيخ ومصيل وترعة دمشويه تفتح فى تاسع توت ويقيم الماء عليها
سبعة عشر يوما وتفتح الى محلة الشيخ ومصيل يقيم الماء عليها ثلاثين يوما و يسد بعد ذلك على دمشويه
سبعة أيام وعلى سفط ومنية رزقون ترعة برسيق كانت تفتح فى اول توت * محلة برسيق ليس عليها سد * محلة
الكروم تفتح فى ثامن توت ومنها تشرب عدة أماكن وهى محلة الكروم وكفورها وهى دنيسة وكوم الولائد
وكوم الصخرة وديرامس والصفاصف وما يخرج عن كفورها وهى تلمسا والجلمون من حقوق محلة كيل ومنها
تشرب الجهة الغربية * شبرابار ليس عليها سد وترعة قافلة كانت تفتح فى ثامن توت وليس عليها الآن سد وترعة
بلقطار وكفورها كانت تفتح فى تاسع توت وليس عليها الآن سد * ترعة الراهب ليس عليها سد وترعة دسونس
المقاريضى تسقى الحلفاية وتفتح فى ثامن توت وكذلك ترعة مرحنا والملعقية وترعة نيلامة و بيشاى وآخر تراع
الجيجة وترعة الكريون تفتح فى ثامن توت وترعة السلقون كانت تفتح فى سادس توت وليس عليها الآن سد وترعة
ارمياخ تفتح فى ثانى عشر توت وترعة ابلوق تفتح فى سادس توت وأما جون رمسيس فان بحر رمسيس كان
يضرب السد فيه على تراع رمسيس من اول النيل الى سابع عشر توت والذى يشرب من السد المذكور من
النواحى والكفور رمسيس ومحلة جعفر وفليشان وبعض أبنية البعيدى و بعض خربتا وبعض البلكوس وبعض
بواين وبعض محلة وافد والبيضاء و بعض طيلاس ثم يفتح سد دكدولة وهو محدث يقيم الماء عليه عشرة أيام
وتشرب منه دكدولة ومحلة معن ومنية أسامى و بعض صيفية ثم يقطع سد القطامى وهو محدث ومنه يشرب
بعض جنبويه و بليانة البحرية والسرة وأبو حمار والبهوط ثم يقطع سد رسونس وأبو دينار وترعة طيرينة
فيشرب منه دنسال وطلموس يقيم الماء عليها ستة أيام ومنه تشرب منية عطية وسلطيس * وأما بحر دمنهور فانه
يسد على سلطيس الى سابع عشر توت ومنه تشرب ساطيس وزهرا و بعض طابوس و بعض قرطسا وبعض كنيسة
الغيط ودمنهور ثم يقطع سد ندية وهو محدث فيقيم ثمانية أيام ومنه تشرب ندية ودقرس والعميرية والدسرين
ثم يفتح و يسد على محلة خفض ومحلة كيل ومحلة نمير ثم يقطع سد سلطيس وهو محدث فيقيم عشرة أيام
بعد اختلاط الماء بين بحر دمنهور ورمسيس ثم يقطع جسر ملولة ومنه تشرب تروجة وأرسيس والمراسى وغابة
الاعساس وبعض سمرو ومحلة نمير ويبقى هنالك الى انقضاء النيل * وأما ترعة طيرينة فهى محدثة واذا رويت
طيرينة تطلق على دسونس أم دينار ثم تقطع على طاموس بمقدار ريها ثم تطلق فى النيل العالى على ارض قراقس
ويطلق الماء على قرطسا وكنيسة الغيط وخليج الطيرينة اذا خرج الماء منه يسقى منه فى اول النيل الى أن يضرب
جسر شبراوسيم فيسقى منه شبراوسيم وبعض البلكوس وحفيرة الزعفرانى و بعض بواين ومسجد غانم والصواف
وكوم شريك ومنية مغين وتل القطامى ومحلة وافد ثم يقطع جسر دليجة ومنه يشرب بعض خربتا و بعض فليشان
و بعض بواين والبيضاء ودنست وتلبانة الابراج وتل بقا والحدين واليهودية والنسوم وابو صمادة والحصن

وقلاوة بنى عبيد وطوخ دخاية ودرشاوسقرا ودليجة ولحة وطيبة ثم يقطع على منية وزراقة الجسر والمحزون وبعض حيارس وافزيم وابو سمار وأم الضروع * خليج ابن زلوم ويعرف بخليج ابن ظلوم وسد مخرج التعيدى لا يفتح الى عشرة أيام من توت ومنه يشرب بشابور وكنيسة مبارك وبعض سرسيقة وبعض دموشة ومنية يزيد وحوض الماصلى وحصة سلمون وبعض سنيت وبعض التعيدى وبعض فلبشان ثم يفتح فيشرب منه أمليط وبعض انباى وبعض كنيسة عبد الملك وبعض أرمنية وميسنا وبعض محلة عبيد وسفط خالد وبرنامة وشبرانوبة وكيمان شراس وبعض دمشوه وتقام الحراس على جسر سفط ويشرب من خليج الاسكندرية وما يفيض منه اهل الباطن واهل البحيرة فى فجاج وأودية فيكون ذلك الماء صلة وهم قبيل من دنانة والرحانة وبنى يزان وقبائل البربر ويزرعون عليه فيستوفى منهم الخراج وبين مشارق الفرما من ناحية جوجير وفاقوس وبين آخر ما يشرب من خليج الاسكندرية مسيرة شهر كان عامرا كله فى محاول ومعقود الى ما بعد الخمسين وثلثمائة من سنى الهجرة وقد خرب معظم ذلك * وقال ابو بكر الطرطوسى عمن حدثه من مشايخ البحر انه قال شاهدت الاسكندرية والصيد فى الخليج مطلق للرعية والسمك فيه يطفو الماء به كثرة حتى تصيده الاطفال بالخرق ثم حجره الوالى ومنع الناس من صيده فذهب حتى كاد لا يرى فيه الا الواحدة بعد الواحدة الى يومنا هذا * وقال ابو عمرو الكندى فى كتاب الموالى عن الحارث بن مسكين انه تقلد قضاء مصر من قبل أمير المؤمنين الواثق بالله فى سنة تسع وثلاثين ومائتين فذكر سيرته وقال وحفر خليج الاسكندرية وورد الكتاب بصرفه فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين ومائتين * وقال جامع السيرة الطولونية وفى ربيع الاول سنة تسع وخمسين ومائتين أمر أحمد بن طولون بحفر خليج الاسكندرية * وقال المسعودى وقد كان النيل انقطع عن بلاد الاسكندرية قبل سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وقد كان الاسكندر بنى الاسكندرية على هذا الخليج من النيل وكان عليها معظم ماء النيل فكان يسقى الاسكندرية وبلاد مريوط وكانت بلاد مريوط فى نهاية العمارة والجنان المتصلة بارض برقة وكانت السفن تجرى فى النيل وتتصل بأسواق الاسكندرية وقد بلط ارض خليجها فى المدينة بالاحجار والمرمر وانقطع الماء عنها العوارض سدت خليجها ومنعت الناس دخوله فصار شربهم من الآبار وصار النيل على يوم منهم * وذكر المسبحى أن الحاكم بأمر الله أبا منصور بن العزيز أطلق لحفر خليج الاسكندرية فى سنة أربع وأربعمائة خمسة عشر ألف دينار لحفره كله وفى سنة اثنتين وستين وستمائة بعث الملك الظاهر بيبرس الامير علياً امير جاندار لحفر خليج الاسكندرية وقد امتلأت فوهته بالطين وقل الماء فى الاسكندرية فابتدأ بالحفر من التعيدى وأنشأ هناك مسجدا وتولى مباشرة هذا الحفر المعلم تعاسيف ناظر الدواوين ثم بعث السلطان فى سنة أربع وستين وستمائة لحفر هذا الخليج الامير علم الدين سنجر المسرورى ثم سار بعامة الامراء والاجناد وباشر الحفر بنفسه وعمل فيه الامراء وجميع الناس الى أن زالت الرمال التى كانت على الساحل بين التعيدى وفم الخليج ثم عدى الى بازنبار وغرق مراكب هناك وبنى عليها بالحجارة فلما تم الغرض عاد الى قلعة الجبل ثم تعطل استمرار جريان الماء فيه بطول السنة وصار يحفر ويسر يعا بعد شهرين او نحوهما من دخول الماء اليه واحتاج اهل الاسكندرية فى طول السنة الى الشرب من الصهاريج التى يخزن فيها الماء الى أن كانت سنة عشر وسبعمائة فقدم الامير بدر الدين بكتوت الخزندارى المعروف بأمير شكار متولى الاسكندرية الى قلعة الجبل وحسن للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاون حفره وذكر له ما فى ذلك من المنافع اولها حمل الغلال وأصناف المتجر الى الاسكندرية فى المراكب وفى ذلك توفير للكاف وزيادة فى مال الديوان وثانيها عمارة ما على حافتى الخليج من الاراضى بانشاء الضياع والسواقى فينمو الخراج بهذا نموا كثيرا وثالثها انتفاع الناس به فى عمارة بساتينهم وشرب مائه دائما فأعجب السلطان ذلك وندب الامير بدر الدين محمد بن كندغدى بن الوزيرى مع بكتوت لعمله وتقدم الى جميع امراء الدولة باخراج مباشريهم لاحضار رجال النواحى الجارية فى اقطاعاتهم للعمل للحفير وكتب لولاة الاعمال بالوقوف فى العمل فاجتمع من النواحى نحو الاربعين ألف رجل جمعت فى نحو العشرين يوما ووقع العمل فى شهر رجب من السنة المذكورة وأفرد لكل اهل ناحية قطعة يحفرونها حتى كمل فجاء قياس الحفر من فم بحر النيل الى ناحية شنبار ثمانية آلاف قصبة حاكمية ومن شنبار الى الاسكندرية مثلها وكان الخليج الاصلى يدخل الماء اليه من حد شنبار فجعل فم هذا البحر يرمى عليه وعمل عمقه ست قصبات

فى عرض ثمانى قصبات فلما انتهوا الى حد الخليج الاول حفر أيضا على نظير الخليج المستجد فصارا بحرا واحدا وركبت عليه السدود والقناطر ووجد فى الخليج الاول عند حفره من الرصاص المبنى تحت الصهاريج شئ كثير جدا فلم يتعرض السلطان لشئ منه وأنعم به على الامير بكتوت وعظمت المشقة فى حفر هذا الخليج فان الذى تجاوز البحر منه غلب عليه الماء فصارت الرجال تغطس فيه وترفع الطين من أسفله ثم كثرا الماء فركبت السواقى حتى نزحته الا أن عظيم النفع به سهل جميع ذلك فان السفن جرت فيه طول السنة واستغنى اهل الاسكندرية عن شرب ماء الصهاريج وبادر الناس للعمارة على جانبى الخليج فلم يمض غير قليل حتى استجد عليه ما يزيد على مائة ألف فدان زرعت بعدما كانت سباخا وما ينيف على ستمائة ساقية برسم القلقاس والنيلة والسمسم وفوق الاربعين ضيعة وأزيد من ألف غيط بالاسكندرية وعمرت منه عدة بلاد كثيرة وتحول عالم عظيم الى سكنى ما استجد عليه * وفيه ولما فرغ العمل فى الخليج شرع الامير بكتوت فى عمل جسر من ماله فان الناس كانوا فى وقت هيجان البحر يجدون مشقة عظيمة لغلبة الماء على أراضى السباخ فأقام ثلاثة أشهر حتى بنى رصيفا دك أساسه بالحجر والرصاص وأعلاه بالحجر والكلس وعمل فيه ثلاثين قنطرة وأنشأ خانا ينزله الناس ورتب فيه الخفراء ووقف على مصالحه رزقة فبلغ مصروفه نحو الستين ألف دينار مصرية سوى ما أخذ من الحجارة التى بعضها من قصر قديم كان خارج الاسكندرية وسوى ما وجده من الرصاص فى سرب بأسفل هذا القصر ينتهى بمن يمشى فيه الى قريب البحر وسوى ما أنعم به عليه من الرصاص الموجود بالخليج ولم يزل الخليج فيه الماء طول السنة الى ما بعد سنة سبعين وسبعمائة فانقطع الماء منه وصار الماء لا يدخل اليه الا فى أيام زيادة ماء النيل فقط ثم يجف عند نقصه فتلف من أجل هذا أكثر بساتين الاسكندرية وخربت وتلاشى كثير من القرى التى كانت على هذا الخليج * وسبب انقطاع الماء عنه غلبة الروم على الاشتوم الذى كان يعبر منه ماء بحر الملح الى بحيرة الاسكندرية حتى جفت وصار الرمل تلقيه الرياح فى الخليج فانطم فمه وعلا قاعه وقصد من أدركناه من ملوك مصر حفر هذا الخليج غير مرة فلم يتهيأ ذلك الى أن كانت سلطنة الملك الاشرف برسباى فندب لحفره الامير جرباش الكريمى المعروف بعاشق فتوجه اليه وجمع له من قدر عليه من رجال النواحى فبلغت عدتهم ثمانمائة وخمسة وسبعين رجلا ابتدؤا فى حفره من حادى عشر جمادى الاولى سنة ست وعشرين وثمانمائة الى حادى عشر شعبان لتمام تسعين يوما فانتهى عملهم ومشى الماء فى الخليج حتى انتهى الى حده من مدينة الاسكندرية وجرت فيه السفن فسر الناس به سرورا كبيرا وجبى ما انفق على العمال فى الحفر من أرباب النواحى التى على الخليج ومن أرباب البساتين بالاسكندرية ولم يكن فى حفره كبير شناعة مما جرت به عادة الولاة فى مثل ذلك ولله الحمد وعند ما انتهى قدم الامير جرباش الى قلعة الجبل فخلع السلطان عليه وشكره ثم عمله حاجب الحجاب فلم يستمر ذلك الا قليلا حتى انطم بالرمل وتعذر سلوك الخليج بالمراكب الا فى أيام النيل فقط

(ذكر جمل حوادث الاسكندرية)

وفى سنة تسع وتسعين ومائة عظمت الحروب بديار مصر بين المطلب بن عبد الله الخزاعى أمير مصر وبين عبد العزيز بن الوزير الجروى الثائر بتنيس فعقد المطلب على الاسكندرية لمحمد بن هبيرة بن هاشم بن خديج فاستخلف محمد خاله عمر بن عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج الذى يقال له عمر بن ملاك ثم عزله المطلب بعد ثلاثة أشهر بأخيه الفضل بن عبد الله بن مالك وكانت بالاسكندرية مراكب الاندلسيين قد قفلوا من غزوهم وكان سبب قدوم هذه المراكب ما جرى لاهل قرطبة بوقعة الربض مع الحكم بن هشام فى سنة اثنتين وثمانين ومائة فأخرج جماعة منهم فوصلوا الى ثغر الاسكندرية زيادة على عشرة آلاف وكان سبب ثورتهم أن قصابا من الاسكندرية رمى وجه رجل منهم بكرش فأنفوا من ذلك وصاروا الى ما صاروا اليه وذلك لما نزلوا رمل الاسكندرية ليبتاعوا ما يصلحهم وكذلك كانوا على الزمان وكانت الامراء لا تبيحهم دخول الاسكندرية انما كان الناس يخرجون اليهم فيبايعونهم فلما عزل عمر بن ملاك كتب اليه عبد العزيز الجروى يأمره بالوثوب على الاسكندرية والدعاء له بها فبعث عمر بن ملاك الى الاندلسيين فدعاهم الى القيام معه فى اخراج الفضل عنها فساروا معه وأخرج الفضل ودعا للجروى فوثب اهل الاسكندرية على الاندلسيين وأخرجوهم وردوا الفضل وقتل من الاندلسيين نفر وانهزم الباقون الى مراكبهم فعزل المطلب أخاه وولى عليها

اسحاق

اسحاق بن أبرهة بن الصباح فى شهر رمضان سنة تسع وتسعين ثم عزله بأبى ذكر بن جنادة المعافرى فلما اقتتل السرى بن الحكم هو والمطلب بن عبد الله وغلب السرى على مصر وثب عمر بن ملاك على أبى ذكر وأخرجه من الاسكندرية ودعا للجروى وأقبل الاندلسيون اليه فأفسدوا فأمرهم بالخروج الى مراكبهم فشق ذلك عليهم وظهرت بالاسكندرية طائفة يسمون بالصوفية يامرون بالمعروف ويعارضون السلطان فى اموره فترأس عليهم رجل منهم يقال له ابو عبد الرحمن الصوفى فصاروا مع الاندلسيين يدا واحدة واعتضدوا بلخم وكانت لخم اعز من فى ناحية الاسكندرية فخوصم ابو عبد الرحمن الصوفى الى عمر بن ملاك فى امرأة فقضى على أبى عبد الرحمن فوجد فى نفسه من ذلك وخرج الى الاندلسيين فألف بينهم وبين لخم ورجا اهل الاندلس أن يدركوا ثارا من عمر بن ملاك فساروا الى عمر بن ملاك وهم زهاء عشرة آلاف فحصروه فى قصره وخشى أن القصر لا يمنعه منهم وخاف أن يدخلوا عليه عنوة فيفضح فى حرمه فاغتسل وتحنط وتكفن وأمر أهله أن يدلوه اليهم فدلى فأخذته السيوف فقتل ثم ولى أخوه محمد بن عبد الله الذى يلقب جيوس فقتل ثم ولى عليهم عبد الله البطال ابن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج فقتل ثم ولى عليهم أخوه ابو هبيرة الحارث فقتل ثم ولى عليهم خديج بن عبد الواحد فقتل وانصرف القوم وذلك فى ذى القعدة ثم فسد ما بين لخم والاندلسيين عند مقتل ابن ملاك واقتتلوا فانهزمت لخم فظفر الاندلسيون بالاسكندرية فى ذى الحجة فولوها أبا عبد الرحمن الصوفى فبلغ من الفساد والنهب والقتل ما لم يسمع بمثله فعزله الاندلسيون وولوا رجلا منهم يعرف بالكنانى ثم حاربت بنو مدلج الاندلسيين فظفر بهم الاندلسيون ونفروهم عن البلاد فلم يقدر بنو مدلج على الرجوع الى ارض الاسكندرية حتى طلب السرى من الاندلسيين أن يردوهم فأذنوا لهم حينئذ ورجعوا وكان ابو قبيل يقول أنا على الاسكندرية من أربعين مركبا مسلمين وليسوا بمسلمين تأتى فى آخر الصيف أخوف منى عليها من الروم فيقال له ما هذه الاربعون مركبا فى هذا الخلق لو كانت نيرانا تضطرم فيقول اسكت ويلك منها وممن فيها يكون خراب الاسكندرية وما حولها وبلغ عبد العزيز الجروى قتل ابن ملاك فسار فى خمسين ألفا حتى نزل على حصن الاسكندرية وحصرها حتى أجهد من فيها فبلغه أن السرى بن الحكم بعث الى تنيس بعثا فكر راجعا فى المحرم سنة احدى ومائتين فدعا الاندلسيون للسرى ثم لما خلع اهل مصر المأمون ودعوا لابرهيم بن المهدى وقام الجروى بذلك سار الى الاسكندرية وحصر الاندلسيين حتى دخلها صلحا ودعى له بها ثم سار عنها الى الفسطاط فحارب السرى وقتل ابنه ثم انصرف فسار الاندلسيون بعامل الجروى وأخرجوه من الاسكندرية وخلعوا الجروى ودعوا للسرى فسار اليهم الجروى فى شهر رمضان سنة ثلاث ومائتين فعارضته القبط بسخا وأمدتهم بنو مدلج وهم فى نحو من مائتى ألف فهزمهم وبعث بجيوشه الى الاسكندرية فحاصروها وكانت بين السرى وبين اهل الصعيد حروب ثم ان الجروى سار الى الاسكندرية سيره الرابع وحاصرها ونصب عليها المجانيق سبعة أشهر من اول شعبان سنة أربع ومائتين الى سلخ صفر سنة خمس فأصاب الجروى فلقة من حجر منجنيقه فمات سلخ صفر سنة خمس ومائتين وقام من بعده ابنه على فلم تزل الفتن بالاندلسيين فى الاسكندرية متصلة الى أن قدم عبد الله بن طاهر الى مصر من قبل أمير المؤمنين المأمون وأخرج عبيد الله بن السرى من مصر وسار الى الاسكندرية فى قواد العجم من اهل خراسان مستهل صفر سنة اثنتى عشرة ومائتين فحاصرها بضع عشرة ليلة حتى خرج اليه اهلها بأمان وصالحه الاندلسيون على أن يسيرهم من الاسكندرية حيث أحبوا على أن لا يخرجوا فى مراكبهم أحدا من اهل مصر ولا عبدا ولا آبقا فان فعلوا فقد حلت له دماؤهم ونكث عهدهم وتوجهوا فبعث ابن طاهر من يفتش عليهم مراكبهم فوجدوا فيها جمعا من الذين اشترط عليهم أن لا يخرجوهم فأمر باحراق مراكبهم فسألوه أن يردهم الى شرطهم ففعل وساروا الى جزيرة اقريطش وملكوها وكان الامير معهم ابو حفص عمر بن عيسى ثم ملكها ولده من بعده وعمرها الاندلسيون الى أن غزاها الروم سنة خمس وأربعين وثلثمائة وملكوها بعد حصار طويل وولى على الاسكندرية الياس بن أسد بن سامان ورجع الى الفسطاط فى جمادى الآخرة ثم سار الى العراق ولما انتقض أسفل الارض فى جمادى الاولى سنة ست عشرة ومائتين وحاربهم الافشين ومعه عيسى بن منصور الرافقى أمير مصر وبعث عبد الله بن يزيد بن مزيد الشيبانى الى الغربية فانهزم الى الاسكندرية واستحاشت عليه بنو مدلج وحصروه فى شوال فسار الافشين وأوقع بمن

فى طريقه حتى قدم الاسكندرية فى جنوده فلقيته طائفة من بنى مدلج فهزمهم مرتين واسر منهم وقتل ودخل الاسكندرية لعشر بقين من ذى الحجة ففر منه رؤساؤها وكان عليها معاوية بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن ابن معاوية بن خديج فأصلح أمرها ثم خرج الى اهل البشرود فامتنعوا عليه حتى قدم المأمون الى مصر فصار الى البشرود والافشين قد أوقع بالقبط بها كما تقدم ذكره * ولما ولى ابراهيم بن احمد بن محمد بن الاغلب افريقية فى سنة احدى وستين ومائتين حسنت سيرته فكانت القوافل والتجار تسير فى الطرق وهى آمنة وبنى الحصون والمحارس على ساحل البحر حتى كانت توقد النار من مدينة سبتة الى الاسكندرية فيصل الخبر منها الى الاسكندرية فى ليلة واحدة وبينهما مسيرة أشهر * وفى سنة اثنتين وثلثمائة دخل حباسة فى جيوش افريقية الى الاسكندرية فى المحرم ومعه مائة ألف او زيادة عليها وقدمت الجيوش من المشرق مدد التكين أمير مصر وسار حباسة من الاسكندرية ونودى بالنفير فى الفسطاط لعشر بقين من جمادى الآخرة فلم يتخلف عن الخروج الى الجيزة أحد من الخاصة والعامة الا من عجز عن الحركة لمرض أو عذر وأتاهم حباسة فلقوه وهزموه ثم دار عليهم فقتل من اهل مصر نحوا من عشرة آلاف ونهض حباسة الى أفريقية وأقاموا بمصر مضطربين فأقبل مونس الخادم من العراق فى رمضان بجيوش كثيرة فصرف تكين فى ذى القعدة وولى ذكاء الاعور فى صفر سنة ثلاث وثلثمائة فخرج فى جيوشه الى الاسكندرية وتتبع كل من يومأ اليه بمكاتبة صاحب افريقية فسجن منهم وقتل كثيرا وجلا اهل لوبية ومراقية الى الاسكندرية فى شوّال سنة أربع وثلثمائة خوفا من صاحب برقة * وفى سنة سبع وثلثمائة سارت مقدّمة المهدىّ عبيد الله من افريقية مع ابنه أبى القاسم الى لوبية فهرب اهل الاسكندرية وجلوا عنها وخرج منها مظفر بن ذكاء الاعور فى جيشه ودخلت اليها العساكر يوم الجمعة لثمان خلون من صفر وفرّ أهل القوّة من الفسطاط الى الشأم فخرج ذكاء أمير مصر الى الجيزة وعسكر بها ثم مرض ومات على مصافه بالجيزة فى ربيع الاوّل فولى تكين بعده ولايته الثانية من قبل المقتدر ونزل الجيزة وأقبلت مراكب صاحب افريقية الى الاسكندرية عليها سليمان الخادم فقدم ثمل الخادم صاحب مراكب طرسوس فالتقيا برشيد فى شوّال فاقتتلا فبعث الله ريحا على مراكب سليمان ألقتها الى البر فتكسر اكثرها وأخذ من فيها أخذا باليد وقتل اكثرهم وأسر من بقى وسيقوا الى الفسطاط فقتل منهم نحو سبعمائة رجل وسار أبو القاسم ابن المهدى من الاسكندرية الى الفيوم وملك جزيرة الاشمونين والفيوم وأزال عنها جند مصر فمضى ثمل الخادم فى مراكبه الى الاسكندرية فقاتل من بها من اهل افريقية فظفر بهم ونقل اهل الاسكندرية الى رشيد وعاد الى الفسطاط ومضى فى مراكبه الى اللاهون ولحقته العساكر فدخلوا الى الفيوم فى صفر سنة سبع وثلثمائة فخرج ابو القاسم بن المهدى الى برقة ولم يكن بينهما قتال ورجعت العساكر الى الفسطاط ومازالت الاسكندرية وأعمالها فى اضطراب الى أن قدمت جيوش المعز لدين الله مع القائد جوهر فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة فملكتها ومابرحت الى أن قام بها نزار بن المستنصر وكان من أمره ماقد ذكر عند ذكر خزائن القصر * وفى سنة ثنتى عشرة وستمائة اجتمع بالاسكندرية ثلاثة آلاف من تجار الفرنج وقدمت بطسة الى المينا فيها من ملوك الفرنج ملكان فهموا أن يثوروا ويقتلوا اهل البلد ويملكوها فتوجه الملك العادل ابو بكر بن ايوب اليها وقبض على التجار المذكورين وعلى من بالبطسة واستصفى أموالهم وسجنهم وسجن الملكين وجرت خطوب حتى أطلق السلطان نساءهم وعاد الى القاهرة * وفى سنة أربع وخمسين وخمسمائة بنى الملك الصالح طلائع بن رزيك على بلبيس حصنا من لبن * وفى سنة اثنتين وستين وخمسمائة كانت وقعة البابين بين الوزير شاور وأسد الدين شيركوه فانهزم عسكر شيركوه ومضى منهم طائفة الى الاسكندرية ثم كانت لشيركوه على شاور فانهزم منه الى القاهرة ومضى شيركوه الى الاسكندرية فخرج اليه اهل الثغر وفيهم نجم الدين محمد بن مصال والى الثغر وقاضيه الاشرف بن الحباب وناظره القاضى الرشيد بن الزبير وسرّوا بقدومه وسلموه المدينة ثم سار منها يريد بلاد الصعيد واستخلف ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب على الثغر فى ألف فارس فنزل عليه شاور ومعه مرى ملك الفرنج فقام معه اهل الثغر واستعدّوا لقتال شاور فكان ماأخرجوه أربعة وعشرين ألف فرس فوعدهم شاور أن يضع عنهم المكوس والواجبات ويعطيهم الخمس اذا سلموه صلاح الدين فأبوا ذلك وألحوا فى قتاله فحصرهم حتى قلّ الطعام عندهم فتوجه اليهم شيركوه وقد حشد من العربان جموعا كثيرة فبعث اليه

شاور و بذل له خمسة آلاف دينار على أن يرجع الى الشأم فأجابه الى ذلك وفتحت المدينة وخرج صلاح الدين الى مرى ملك الفرنج وجلس معه فمازال به شاور أن يسلمه صلاح الدين فلم يوافقه بل سيره الى عمه شيركوه من البحر على عكا بمن معه الى دمشق ودخل شاور الى الاسكندرية فى سابع عشر شوّال فاستتر ابن مصال وفرّ الى الشأم وقبض على ابن الحباب وعوقب حتى فداه أهله بمال جزيل ولم يقدر على ابن الزبير وخرج الى رشيد هذا وقد امتنع الفقيه ابو الطاهر بن عوف وجماعة كثيرة بالمنار فوقف عليهم شاور فقال له ابن عوف أعذرنا يا أمير الجيوش وسامحنا بما فعلناه فعفا عنهم وولى القاضى الاشرف أبا القاسم عبد الرحمن بن منصور بن نجا ناظرا على الاموال وخرج ومعه مرى ملك الفرنج الى القاهرة ثم توجه مرى الى بلاده * وفى سنة احدى وسبعين وستمائة ورد الخبر بحركة الفرنج الى ثغور مصر فاهتم الملك الظاهر بيبرس بأمر الشوانى ونصب على أسوار الاسكندرية نحو مائة منجنيق * وفى يوم الخميس خامس شهر رجب سنة سبع وعشرين خرج بعض تجار الفرنج الى ظاهر باب البحر حيث تجتمع العامّة للفرجة وتعرّض الى صبىّ أمرد يراوده عن نفسه فأنكر ذلك بعض من هناك من المسلمين وقال هذا ما يحل فأخذ الفرنجى خفا كان بيده وضرب به على وجهه فصاح بالناس فأتوه فقام الفرنج مع صاحبهم واتسع الخرق الى أن ركب متولى الثغر وأغلق أبواب المدينة وطلب من أثار الفتنة ففرّوا وعاد الى داره وترك الابواب مغلقة وكان بظاهر المدينة خلق كثير قد توجهوا على عادتهم فى حوائجهم فحيل بينهم وبين بيوتهم وجاء الليل وهم قيام على الابواب يضجون ويصيحون بغضى أعيان البلد الى المتولى ومازالوا به حتى فتح لهم فدخلوا مبادرين وهم يزدحمون فمات منهم زيادة على عشرة أنفس وتلفت أعضاء جماعة وذهب من عمائم الناس ومناديلهم وغير ذلك شئ كثير وعظم البكاء والصراخ طول الليل فلما كان من الغد ركب الوالى لكشف أحوال الناس فتكاثروا عليه ورجموه فانهزم منهم الى داره فتبعوه وقاتلوه فقاتلهم من أعلى الدار حتى سفكت بينهما دماء كثيرة وأحرقوا بابه ونهبوا دورا بجانبه فكتب يستنجد والى دمنهور ومن حوله من العربان فأتوه واحتاطوا بالمدينة وسرّح الطائر الى السلطان بخروج اهل الاسكندرية عن الطاعة فاشتدّ غضبه وخشى من اطلاقهم الامراء المسجونين وبعث الى القضاة فجمعهم واستفتاهم فى قتالهم فكتبوا بما يجب وخرج اليهم الوزير مغلطاى الجمالىّ وطوغان شاذ الدواوين وأيدمر أمير جندار وعدّة من المماليك السلطانية وناظر الخاص ومع الوزير تذكرة باراقة دماء اهل الفساد ومصادرة جماعة وأخذ أموال اهل البلد والقبض على الاسلحة المعدّة بها للغزاة وامساك القاضى والشهود وحمل الامراء المسجونين الى القاهرة فساروا فى عاشره وقدموا الثغر بعد ثلاثة أيام ونزل الوزير بالخيس وفرض على الناس خمسمائة ألف دينار مصرية وأحضر قاضى القضاة عماد الدين ونائبه فى الحديد وأنكر عليهما كونهما شهرا النداء فى البلد بالغزاة فى سبيل الله فأنكرا وقوع هذا منهما وأنهما لم يكن فى قدرتهما ردّ السواد الأعظم فضرب نائبه ابن الشيبى ضربا مبرّحا وألزمه بحمل ستمائة ألف درهم وألزم القاضى بخمسمائة ألف درهم وكان قد رسم بشنقه فتلطف فى مكاتبة السلطان واعتذر عنه وبرّأه حتى عفا عنه وتتبع العامّة فوسط منهم ثلاثين رجلا فى يوم الجمعة ثالث عشره فتسارع الناس الى دورهم من الخوف فذهبت عدّة عمائم واشتدّ الخوف مدّة عشرين يوما وكتب السلطان تتوالى بالايقاع بأهل الثغر وأخذ أموالهم والوزير يحسن فى الجواب الى أن جهز الامراء المسجونين وسار من الثغر وقد استعرض ما به من السلاح فوجد ستة آلاف عدّة كاملة جعلها جميعها فى قاعة وختم عليها وبلغت الجباية من الناس ما ينيف على مائتين وستين ألف دينار فكانت هذه من المحن العظيمة والحوادث الشنيعة ولله الامر من قبل ومن بعد

* (ذكر مدينة اتريب) *

هذه المدينة بناها اتريب بن قبطيم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام قال ابن وصيف شاه وكان اتريب قد انتقل الى حيزه بعد موت أبيه قبطيم وهى المدينة التى كان ابوه بناها له وكان طولها اثنى عشر ميلا وابها اثنا عشر بابا وجعل فى شارعها الاعظم ثلاث قباب عالية على أعمدة بعضها فوق بعض منها قبة فى وسط المدينة وقبتان فى طرفيها وجعل على كل قبة مرقبا كبيرا وفى كل ناحية منها ملعبا ومجالس ومنتزهات تشرق وشق فى غربيها نهرا وعقد عليه قناطر وجعل من فوقها المجالس متصلة وحولها المنازل تدور بالخليج متصلة بالقناطر على رياض

مزروعة من خلفها الجنان والبساتين وعلى كل باب من الابواب اعجوبة من تماثيل وأصنام متحركة وأصنام تمنع من يؤذى وجعل فى داخل كل باب صورة شيطانين من صفر فاذا قصدها أحد من اهل الخير قهقه الشيطان الذى عن يمنة الباب وان كان من اهل الشر بكى الشيطان الذى عن يسرة الباب وجعل فى كل منتزه منها من الوحش الآلف والطيور المغردة كل مستحسن وفوق قباب المدينة صورا تصفر اذا هبت الرياح ونصب مرآة ترى البلاد البعيدة وبنى حذاءها فى الشرق مدينة وجعل فيها ملاعب وأصناما بارزة فى صور مختلفة وفى وسطها بركة اذا مر بها الطير سقط عليها فلا يبرح حتى يؤخذ وجعل لها حصنا باثنى عشر بابا على كل باب تمثال يعمل اعجوبة وعمل حواليها جنانا وجعل بالقرب منها فى ناحية الشرق مجلسا منقوشا على ثمانى أساطين وفوقه قبة عليها طائر منشور الجناحين يصفر فى كل يوم ثلاث تصفيرات بكرة ونصف النهار وعند غروب الشمس وأقام فيها أصناما وعجائب كثيرة وبنى مدنا كثيرة وأقام فيها رجلا يقال له برسان يعمل الكيمياء وضرب منها دنانير فى كل دينار سبعة مثاقيل عليها صورته وعاش اتريب ملكا ثلثمائة وستين سنة وبلغ من العمر خمسمائة سنة وعمل له ناوس فى جبل بالشرق حفر له تحته سرب بطن بالزجاج والمرمر وجعل على سرير من ذهب مرصع وحملت اليه ذخائره وجعلوا على بابه صورة تنين لا يدنو منه أحد الا أهلكه وسوّوا عليه الرمال وزبروا عليه اسمه وتاريخ وقته * وقال ابن الكندى أربع كور بمصر ليس على وجه الارض أفضل منها ولا تحت السماء لهن نظير * كورة الفيوم * وكورة اتريب * وكورة سمنود * وكورة الصنا * وكورة اتريب من جملة كور أسفل الارض وهى مائة وثمانى قرى وكان يقال مدائن السحرة من ديار مصر سبع وهى أرمنت * وبيا * وبوصير * وانصنا * وصان * واتريب * وصا

* (ذكر مدينة تنيس) *

تنيس بكسر التاء المنقوطة باثنتين من فوقها وكسر النون المشددة وياء آخر الحروف وسين مهملة بلدة من بلاد مصر فى وسط الماء وهى من كورة الخليج سميت بتنيس بن حام بن نوح ويقال بناها قليمون من ولد اتريب بن قبطيم أحد ملوك القبط فى القديم * قال ابن وصيف شاه وملكت بعد اتريب ابنته فدبرت الملك وساسته بأيد وقوة خمسا وثلاثين سنة وماتت فقام بالملك من بعدها ابن أختها قليمون الملك فرد الوزراء الى مراتبهم وأقام الكهان على مواضعهم ولم يخرج الامر عن رأيهم وجد فى العمارات وطلب الحكم * وفى أيامه بنيت تنيس الاولى التى غرقها البحر وكان بينه وبينها شئ كثير وحولها الزرع والشجر والكروم وقرى ومعاصر للخمر وعمارة لم يكن أحسن منها فأمر الملك أن يبنى له فى وسطها مجالس وينصب له عليها قباب وتزين بأحسن الزينة والنقوش وأمر بفرشها واصلاحها وكان اذا بدا النيل يجرى انتقل الملك اليها فأقام بها الى النوروز ورجع وكان للملك بها أمناء يقسمون المياه ويعطون كل قرية قسطها وكان على تلك القرى حصن يدور بقناطر وكان كل ملك يأتى يأمر بعمارتها والزيادة فيها ويجعلها له منتزها * ويقال ان الجنتين اللتين ذكرهما الله تعالى فى كتابه العزيز اذ يقول واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل الآيات كانتا للاخوين من بيت الملك أقطعهما ذلك الموضع فأحسنا عمارته وهندسته وبنيانه وكان الملك يتنزه فيهما ويؤتى منهما بغرائب الفواكه والبقول ويعمل له من الاطعمة والاشربة ما يستطيبه فعجب بذلك المكان أحد الاخوين وكان كثير الضيافة والصدقة ففرق ماله فى وجوه البر وكان الآخر ممسكا يسخر من أخيه اذا فرق ماله وكلما باع من قسمه شيأ اشتراه منه حتى بقى لا يملك شيأ وصارت تلك الجنة لاخيه واحتاج الى سؤاله فانتهره وطرده وعيره بالتبذير وقال قد كنت أنصحك بصيانة مالك فلم تفعل ونفعنى امساكى فصرت اكثر منك مالا وولدا وولى عنه مسرورا بماله وجنته فأمر الله تعالى البحر فركب تلك القرى وغرقها جميعها فأقبل صاحبها يولول ويدعو بالثبور ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا قال الله جل جلاله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله * وفى زمان قليمون الملك بنيت دمياط وملك قليمون تسعين سنة وعمل لنفسه ناوسا فى الجبل الشرقى وحول اليه الاموال والجواهر وسائر الذخائر وجعل من داخله تماثيل تدور بلوالب فى أيديها سيوف من دخل قطعته وجعل عن يمينه ويساره اسدين من نحاس مذهب بلوالب من أتاه حطماه وزبر عليه هذا قبر قليمون بن اتريب بن قبطيم بن مصر عمر

دهرا وأتاه الموت فما استطاع له دفعا فمن وصل اليه فلا يسلبه ما عليه وليأخذ من بين يديه * ويقال ان تنيس أخ لدمياط وقال المسعودى فى كتاب مروج الذهب وغيره تنيس كانت أرضا لم يكن بمصر مثلها استواء وطيب تربة وكانت جنانا ونخلا وكرما وشجرا ومزارع وكانت فيها مجار على ارتفاع من الارض ولم ير الناس بلدا أحسن من هذه الارض ولا أحسن اتصالا من جنانها وكرومها ولم يكن بمصر كورة يقال انها تشبهها الا الفيوم وكان الماء منحدرا اليها لا ينقطع عنها صيفا ولا شتاء يسقون جنانهم اذا شاؤا وكذلك زروعهم وسائره يصب الى البحر من جميع خلجانه ومن الموضع المعروف بالاشتوم وقد كان بين البحر وبين هذه الارض مسيرة يوم وكان فيما بين العريش وجزيرة قبرس طريق مسلوك الى قبرس تسلكه الدواب يبسا ولم يكن بين العريش وجزيرة قبرس فى البحر سير طويل حتى علا الماء الطريق الذى كان بين العريش وقبرس فلما مضت لدقاطيانوس من ملكه مائتان واحدى وخمسون سنة هجم الماء من البحر على بعض المواضع التى تسمى اليوم بحيرة تنيس فأغرقه وصار يزيد فى كل عام حتى أغرقها بأجمعها فما كان من القرى التى فى قرارها غرق وأما الذى كان منها على ارتفاع من الارض فبقى منه تونه وبورا وغير ذلك مما هو باق الى هذا الوقت والماء محيط بها وكان اهل القرى التى فى هذه البحيرة ينقلون موتاهم الى تنيس فدفنوهم واحدا بعد واحد وكان استحكام غرق هذه الارض بأجمعها قبل أن تفتح مصر بمائة سنة قال وقد كان لملك من الملوك التى كانت دارها الفرما مع اركون من أراكنة البلينا وما اتصل بها من الارض حروب عملت فيها خنادق وخلجان فتحت من النيل الى البحر يمتنع بها كل واحد من الآخر وكان ذلك داعيا لتشعب الماء من النيل واستيلائه على هذه الارض * وقال فى كتاب اخبار الزمان وكانت تنيس عظيمة لها مائة باب وقال ابن بطلان تنيس بلد صغير على جزيرة فى وسط البحر ميله الى الجنوب عن وسط الاقليم الرابع خمس درج وأرضه سبخة وهواؤه مختلف وشرب اهله من مياه مخزونة فى صهاريج تملأ فى كل سنة عند عذوبة مياه البحر بدخول ماء النيل اليها وجميع حاجاتها مجلوبة اليها فى المراكب واكثر أغذية اهلها السمك والجبن وألبان البقر فان ضمان الجبن السلطانى سبعمائة دينار حسابا عن كل ألف قالب دينار ونصف وضمان السمك عشرة آلاف دينار وأخلاق اهلها سهلة منقادة وطبائعهم مائلة الى الرطوبة والانوثة قال ابو السرى الطبيب انه كان يولد بها فى كل سنة مائتا مخنث وهم يحبون النظافة والدماثة والغناء واللذة وأكثرهم يبيتون سكارى وهم قليلو الرياضة لضيق البلد وأبدانهم ممتلئة الاخلاط وحصل بها مرض يقال له الفواق التنيسى أقام بأهلها ثلاثين سنة * وقال جامع تاريخ دمياط وكان على تنيس رجل يقال له ابو ثور من العرب المتنصرة فلما فتحت دمياط سار اليها المسلمون فبرز اليهم نحو عشرين ألفا من العرب المتنصرة والقبط والروم فكانت بينهم حروب آلت الى وقوع أبى ثور فى ايدى المسلمين وانهزام أصحابه فدخل المسلمون البلد وبنوا كنيستها جامعا وقسموا الغنائم وساروا الى الفرما فلم تزل تنيس بيد المسلمين الى أن كانت امرة بشر بن صفوان الكلبى على مصر من قبل يزيد بن عبد الملك فى شهر رمضان سنة احدى ومائة فنزل الروم تنيس فقتل مزاحم بن مسلمة المرادى اميرها فى جمع من الموالى وفيهم يقول الشاعر

الم تربع فيخبرك الرجال * بما لاقى بتنيس الموالى

وكانت تنيس مدينة كبيرة وفيها آثار كثيرة للاوائل وكان اهلها مياسير أصحاب ثراء واكثرهم حاكة وبها يحاك ثياب الشروب التى لا يصنع مثلها فى الدنيا وكان يصنع فيها للخليفة ثوب يقال له البدنة لا يدخل فيه من الغزل سداء ولحمة غير أوقيتين وينسج باقيه بالذهب بصناعة محكمة لا تحوج الى تفصيل ولا خياطة تبلغ قيمته ألف دينار وليس فى الدنيا طراز ثوب كتان يبلغ الثوب منه وهو ساذج بغير ذهب مائة دينار عينا غير طراز تنيس ودمياط وكان النيل اذا اطلق يشرب منه من بشارق الفرما من ناحية جرجير وفاقوس من خليج تنيس فكانت من اجل مدن مصر وان كانت شطا ودبقو ودميرة وتونة وما قاربها من تلك الجزائر يعمل بها الرفيع فليس ذلك يقارب التنيسى والدمياطى وكان الحمل منها الى ما بعد سنة ستين وثلثمائة يبلغ من عشرين ألف دينار الى ثلاثين ألف دينار لجهاز العراق فلما تولى الوزير يعقوب بن كلس تدبير المال استأصل ذلك بالنوائب وكان يسكن بمدينة تنيس ودمياط نصارى تحت الذمة وكان اهل تنيس يصيدون السمانى وغير ذلك من الطير على ابواب دورهم والسمانى طائر يخرج من البحر فيقع فى تلك الشباك وكانت السفن تركب من تنيس الى الفرما

وهى على ساحل البحر * ولما مات هرون الرشيد وقام من بعده ابنه محمد الامين وأراد الغدر والنكث
بالمأمون كان على مصر حاتم بن هرثمة بن اعين من قبل الامين فلما ثار عليه اهل تنو ونمى بعث اليهم السرى بن
الحكم وعبد العزيز بن الوزير الجروى فغلبا بعد الثمانية من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ثم ولى الامير جابر
ابن الاشعث الطائى مصر وصرف حاتم بن هرثمة وكان جابر لينا فلما تباعد ما بين محمد الامين وبين أخيه عبد الله
المأمون وخلع محمد أخاه من ولاية العهد وترك الدعاء له على المنابر وعهد الى ابنه موسى ولقبه بالشديد ودعى له
تكلم الجند بمصر بينهم فى خلع محمد غضبا للمأمون فبعث اليهم جابر ينهاهم عن ذلك ويخوفهم عواقب الفتن
وأقبل السرى بن الحكم يدعو الناس الى خلع محمد وكان ممن دخل الى مصر فى أيام الرشيد من جند
الليث بن الفضل وكان خاملا فارتفع ذكره بقيامه فى خلع محمد الامين * وكتب المأمون الى أشراف مصر يدعوهم
الى القيام بدعوته فأجابوه وبايعوا المأمون فى رجب سنة ست وتسعين ومائة ووثبوا بجابر فأخرجوه وولوا عباد
ابن محمد فبلغ ذلك محمدا الامين فكتب الى رؤساء الحوف بولاية ربيعة بن قيس الجرشى وكان رئيس قيس
الحوف فانقاد أهل الحوف كلهم معه يمنها وقيسها وأظهروا دعوة الامين وخلع المأمون وساروا الى الفسطاط
لمحاربة اهلها واقتتلوا فكانت بينهما قتلى ثم انصرفوا وعادوا مرارا الى الحرب فعقد عباد بن محمد لعبد العزيز
الجروى وسيره فى جيش ليحارب القوم فى دارهم فخرج فى ذى القعدة سنة سبع وتسعين ومائة وحاربهم
بعمريط فانهزم الجروى ومضى فى قومه من لخم وجذام الى فاقوس فقال له قومه لم لا تدعو لنفسك فأنت بدون
هؤلاء الذين غلبوا على الارض فمضى فيهم الى تنيس فنزلها ثم بعث بعماله يجبون الخراج من أسفل الارض فبعث
ربيعة بن قيس يمنعه من الجباية وسار أهل الحوف فى المحرم سنة ثمان وتسعين الى الفسطاط فاقتتلوا وقتل جمع
من الفريقين وبلغ اهل الحوف قتل الامين فتفرقوا وولى امرة مصر مطلب بن عبد الله الخزاعى من قبل المأمون
ودخلها فى ربيع الاول وولى عبد العزيز الجروى شرطته ثم عزله وعقد له على حرب أسفل الارض ثم صرف
المطلب وولى العباس بن موسى بن عيسى فى شوال فولى عبد العزيز الشرطة فلما ثار الجند وأعادوا المطلب فى
المحرم سنة تسع وتسعين هرب الجروى الى تنيس وأقبل العباس بن موسى بن عيسى من مكة الى الحوف فنزل
ببلبيس ودعا قيسا الى نصرته ثم مضى الى الجروى بتنيس فأشار عليه أن ينزل دار قيس فرجع الى بلبيس فى
جمادى الآخرة وبها مات مسموما فى طعام دسه اليه المطلب على يد قيس فدان أهل الاحواف للمطلب وبايعوه
وساروا الى جب عميرة وسالموه عندما لقوه وبعث الى الجروى يأمره بالشخوص الى الفسطاط فامتنع من
ذلك وسار فى مراكبه حتى نزل شطنوف فبعث اليه المطلب السرى بن الحكم فى جمع من الجند يسألونه الصلح
فأجابهم اليه ثم اجتهد فى الغدر بهم فتيقظوا له فمضى راجعا الى بنا فاتبعوه وحاربوه ثم عاد فدعاهم الى الصلح
ولاطف السرى فخرج اليه فى زلاج وخرج الجروى فى مثله فالتقيا فى وسط النيل مقابل سندفا وقد أعد
الجروى فى باطن زلاجه الحبال وأمر اصحابه بسندفا اذا لصق بزلاج السرى أن يجروا الحبال اليهم فلصق
الجروى بزلاج السرى فربطه فى زلاجه وجر الحبال وأسر السرى ومضى به الى تنيس فسجنه بها وذلك فى
جمادى الاولى ثم كر الجروى وقاتل فلقيه جموع المطلب بسفط سليط فى رجب فظفر ولما عزل عمر بن ملاك
عن الاسكندرية ثار بالاندلسيين ودعا للجروى فأقبل عبد الله بن موسى بن عيسى الى مصر طالبا بدم أخيه
العباس فى المحرم سنة مائتين فنزل على عبد العزيز الجروى فسار معه فى جيوش كثيرة العدد فى البر والبحر حتى
نزل الجيزة فخرج اليه المطلب فى اهل مصر فحاربوه فى صفر فرجع الجروى الى شرقيون ومضى عبد الله بن
موسى الى الحجاز وظهر المطلب على أن أبا حرملة فرجا الاسود هو الذى كاتب عبد الله بن موسى وحرضه على
المسير فطلبه ففر الى الجروى وجد المطلب فى أمر الجروى فأخرج الجروى السرى بن الحكم من السجن
وعاهده وعاقده على أن يثور بالمطلب ويخلعه فعاهده السرى على ذلك فأطلقه وألقى الى اهل مصر أن كتابا ورد
بولايته فاستقبله الجند من اهل خراسان وعقدوا له عليهم وامتنع المصريون من ولايته فنزل داره بالحمراء وأمده
قيس بجمع منهم وحارب المصريين فهزمهم وقتل منهم فطلب المطلب منه الامان فأمنه وخرج من مصر واستبد
السرى بن الحكم بأمر مصر فى مستهل شهر رمضان * فلما قتل الاندلسيون عمر بن ملاك بالاسكندرية سار اليها
الجروى فى خمسين ألفا فبعث السرى الى تنيس بعثا فكر الجروى راجعا الى تنيس فى محرم سنة احدى

وما ئتين

ومائتين فلما ثار الجند بالسرى في شهر ربيع الاول وبايعوا سليمان بن غالب قام عباد بن محمد عليه وخلعه وقام بالامر على بن حمزة بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس في مستهل شعبان فامتنع عباد أن يبايعه ولحق بالجروى ثم لحق به أيضا سليمان بن غالب فكان معه وعاد السرى الى ولاية مصر في شعبان وقوى سلطانه فلما كان في المحرم سنة اثنتين ومائتين ورد كتاب المأمون اليه يأمره بالبيعة لولى عهده على بن موسى الرضى فبويع له بمصر وقام في فساد ذلك ابراهيم بن المهدى ببغداد وكتب الى وجوه الجند بمصر يأمرهم بخلع المأمون وولى عهده وبالوثوب على السرى فقام بذلك الحارث بن زرعة بن محرّم بالفسطاط وعبد العزيز بن الوزير الجروى بأسفل الارض ومسلمة بن عبد الملك الطحاوى الازدى بالصعيد وخالفوا السرى ودعوا الى ابراهيم بن المهدى وعقدوا على ذلك الامر لعبد العزيز بن عبد الرحمن الازدى فحاربه السرى وظفر به في صفر ولحق كل من كره بيعة على الرضى بالجروى لمنعته بتنيس وشدة سلطانه فسار الى الاسكندرية وملكها ودعى له بها وبلاد الصعيد ثم سار في جمع كبير لمحاربة السرى واستعد كل منهما لصاحبه بأعظم ما قدر عليه فبعث اليه السرى ابنه ميمونا فالتقيا بشطنوف فقتل ميمون في جمادى الاولى سنة ثلاث ومائتين وأقبل الجروى في مراكبه الى الفسطاط ليحرقها فخرج اليه اهل المسجد وسألوه الكف فانصرف عنها وحارب الاسكندرية غير مرة وقتل بها من حجر أصابه من منجنيقه في آخر صفر سنة خمس ومائتين ومات السرى بعده بثلاثة اشهر في آخر جمادى الاولى وقام بعد الجروى ابنه على بن عبد العزيز الجروى فحارب أبا نصر محمد بن السرى امير مصر بعد أبيه بشطنوف ثم التقيا بدمنهور فيقال ان القتلى بينهما يومئذ كانوا سبعة آلاف وانهزم ابن السرى الى الفسطاط فتبعته مراكب ابن الجروى ثم عادت فدخل ابو حرملة فرج بينهما حتى اصطلحا ومات ابن السرى في شعبان سنة ست ومائتين فولى بعده أخوه عبيد الله بن السرى فكف عن ابن الجروى وبعث المأمون مخلد بن يزيد بن مزيد الشيبانى الى مصر في جيش من ربيعة فامتنع عبيد الله ابن السرى من التسليم له ومانعه فاقتتلوا وانضم على بن الجروى الى خالد بن يزيد وأقام له الانزال وأعانه وسار حتى نزل على خندق عبيد الله بن السرى فاقتتلا في شهر ربيع الاول سنة سبع ومائتين وجرت بينهم حروب بعد ذلك آلت الى ترفع خالد الى أرض الحوف فكره ذلك ابن الجروى ومكر به حتى اخرجه من عمله الى غربى النيل فنزل نهيا وانصرف ابن الجروى الى تنيس فصار خالد في ضر وجهد وعسكر له ابن السرى في شهر رمضان وأسره وأخرجه من مصر الى مكة في البحر وبعث المأمون بولاية عبيد الله بن السرى على ما في يده وهو فسطاط مصر وصعيدها وغربيها وبولاية على بن عبد العزيز الجروى تنيس مع الحوف الشرقى وضمنه خراجه وأقبل ابن الجروى على استخراج خراجه من أهل الحوف فمانعوه وكتبوا الى ابن السرى يستمدونه عليه فأمدهم بأخيه فالتقيا بكورة بنا في بلقينة فاقتتلوا في صفر سنة تسع ومائتين وامتدت الحروب بينهما الى أثناء ربيع الاول وهم متنصفون فانصرف ابن الجروى فيمن معه الى دمياط فسار ابن السرى الى محلة شريقون ونهبها وبعث الى تنيس ودمياط فملكهما ولحق ابن الجروى بالفرما وسار منها الى العريش فنزل فيما بينها وبين غزة ثم عاد وأغار على الفرما في جمادى الآخرة نفر أصحاب ابن السرى من تنيس وسار ابن الجروى الى شطنوف فخرج اليه ابن السرى واقتتلا فكانت لابن الجروى في اول النهار ثم اتاه كمين ابن السرى فانهزم وذلك في رجب فمضى الى العريش وسار ابن السرى الى تنيس ودمياط ثم أقبل ابن الجروى في المحرم سنة عشر ومائتين وملك تنيس ودمياط بغير قتال فبعث اليه ابن السرى البعوث فحاربهم فبينماهم في ذلك اذ قدم عبد الله بن طاهر فتلقاه ابن الجروى بالاموال والانزال وانضم اليه ونزل معه بلبيس فامتنع ابن السرى ودافع ابن طاهر فتراخى له وبعث فجبى المال ونزل زفتا وبعث الى شطنوف عيسى الجلودى على جسر عقده من زفتا وجعل ابن الجروى على سفنه التى جاءته من الشام لمعرفته بالحرب فهزم مراكب ابن السرى في المحرم سنة احدى عشرة وصالح ابن طاهر عبيد الله بن السرى في صفر وخلع عليه وأجازه بعشرة آلاف دينار وأقره بالخروج الى المأمون فسكنت فتن مصر بعبد الله بن طاهر * وفى سنة سبع وسبعين وثلثمائة ولدت بتنيس معزى جديا له قرون عدة ورأسه مع صدره وبدنه ومقدمه بصوف أبيض ومؤخره بشعر أسود وذنبه ذنب شاة وولدت امرأة سخلة لها رأس مدوّر ولها يدان ورجلان وذنب ولثلاث بقين من ذى الحجة من هذه السنة حدث بتنيس رعد وبرق وريح

شديدة وسواد عظيم فى الجو ثم ظهر وقت السحر فى السماء عمود نار احمرّت منه السماء والارض أشد حمرة وخرج غبار ودخان يأخذ بالانفاس فلم يزل الى الرابعة من النهار حتى ظهرت الشمس ولم يزل كذلك خمسة ايام * وفى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة حضر عند قاضى تنيس أبى محمد عبد الله بن أبى الريس رجل وامرأة فطالبت المرأة الرجل بفرض واجب عليه فقال الرجل تزوجت بها منذ خمسة ايام فوجدت لها ما للرجال وما للنساء فبعث اليها القاضى امرأة لتشرف عليها فأخبرت أن لها فوق القبل ذكرا بخصيتين والفرج تحتها والذكر أقلف وانها رائعة الحسن فطلقها الزوج * قال ابو عمرو الكندى حدثنى ابو نصر أحمد بن علىّ قال حدثنى يس بن عبد الاحد قال سمعت أبى يقول لما دخل عبد الله بن طاهر مصر كنت فيمن دخل عليه فقال حدثنا عبد الله بن لهيعة عن أبى قبيل عن سبيع قال يا أهل مصر كيف بكم اذا كان فى بلدكم فتن فوليكم فيها الاعرج ثم الاصفر ثم الامرد ثم يأتى رجل من ولد الحسين لا يدفع ولا يمنع تبلغ راياته البحر الاخضر يملأها عدلا فقلت كان ذلك كانت الفتنة فوليها السرى وهو الاعرج والاصفر ابنه ابو النصر والامرد عبيد الله بن السرى وأنت عبد الله بن طاهر بن الحسين ثم ان عبد الله بن طاهر سار الى الاسكندرية وأصلح امرها وأخرج ابن الجروى الى العراق ثم قدم به الافشين الى مصر فى ذى الحجة سنة خمس عشرة وقد أمر الافشين أن يطالبه بالاموال التى عنده فان دفعها اليه والا قتله فطالبه ولم يدفع اليه شيأ فقدمه بعد الاضحى بثلاث فقتله * وفى جمادى الآخرة سنة تسع عشرة ومائتين ثار يحيى بن الوزير فى تنيس فخرج اليه المظفر بن كندر أمير مصر فقاتله فى بحيرة تنيس وأسره وتفرق عنه اصحابه * وفى سنة تسع وثلاثين ومائتين أمر المتوكل ببناء حصن على البحر بتنيس فتولى عمارته عنبسة بن اسحاق أمير مصر وأنفق فيه وفى حصن دمياط والفرما مالا عظيما وفى سنة تسع وأربعين ومائتين عذبت بحيرة تنيس صيفا وشتاء ثم عادت ملحا صيفا وشتاء وكانت قبل ذلك تقيم ستة أشهر عذبة وستة أشهر مالحة وفى سنة ثمان وأربعين وثلثمائة وصلت مراكب من صقلية فنهبوا مدينة تنيس وفى سنة ثمان وسبعين وثلثمائة صيد بأشتوم تنيس حوت طوله ثمانية وعشرون ذراعا ونصف من ذلك طول رأسه تسعة أذرع ودائر بطنه مع ظهره خمسة عشر ذراعا وفتحة فمه تسعة وعشرون شبرا وعرض ذنبه خمسة أذرع ونصف وله يدان يجذف بهما طول كل يد ثلاثة أذرع وهو أملس أغبر غليظ الجلد مخطط البطن ببياض وسواد ولسانه أحمر وفيه خمل كالريش طوله نحو الذراع يعمل منه امساط شبه الذبل وله عينان كعينى البقر فأمر أمير تنيس أبو اسحاق بن لوبة به فشق بطنه وملح بمائة اردب ملح ورفع فكه الاعلى بعود خشب طويل وكان الرجل يدخل الى جوفه بقفاف الملح وهو قائم غير منحن وحمل الى القصر حتى رآه العزيز بالله وفى ليلة الجمعة ثامن عشر ربيع الاول سنة تسع وسبعين وثلثمائة شاهد اهل تنيس تسعة أعمدة من نار تلتهب فى آفاق السماء من ناحية الشمال فخرج الناس الى ظاهر البلد يدعون الله تعالى حتى اصبحوا فخبت تلك النيران وفيها صيد ببحيرة تنيس حوت طوله ذراع ونصفه الاعلى فيه رأس وعينان وعنق وصدر على صورة أسد ويداه فى صدره بمخالبه ونصفه الادنى صورة حوت بغير قشر فحمل الى القاهرة وفى سنة سبع وتسعين وثلثمائة ولدت جارية بتنيس برأسين أحدهما بوجه أبيض مستدير والآخر بوجه أسمر فيه سهولة فى كل وجه عينان فكانت ترضعهما وكلاهما مركب على عنق واحد فى جسد واحد بيدين ورجلين وفرج ودبر فحملت الى العزيز حتى رآها ووهب لامها جملة من المال ثم عادت الى تنيس وماتت بعد شهور وفى سنة احدى وسبعين وخمسمائة وصل الى تنيس من شوانى صقلية نحو أربعين مركبا فحصروها يومين وأقلعوا ثم وصل اليها من صقلية أيضا فى سنة ثلاث وسبعين نحو أربعين مركبا فقاتلوا اهل تنيس حتى ملكوها وكان محمد بن اسحق صاحب الاسطول قد حيل بينه وبين مراكبه فتحيز فى طائفة من المسلمين الى مصلى تنيس فلما اجنهم الليل هجم بمن معه البلد على الفرنج وهم فى غفلة فأخذ منهم مائة وعشرين فقطع رؤسهم فأصبح الفرنج الى المصلى وقاتلوا من بها من المسلمين فقتل من المسلمين نحو السبعين وسار من بقى منهم الى دمياط فمال الفرنج على تنيس وألقوا فيها النار فأحرقوها وساروا وقد امتلأت ايديهم بالغنائم والاسرى الى جهة الاسكندرية بعد ما أقاموا بتنيس أربعة أيام ثم لما كانت سنة ست وسبعين وخمسمائة نزل فرنج عسقلان فى عشر حراريق على أعمال تنيس وعليها رجل منهم يقال له المعز فأسر جماعة وكان على مصر الملك العادل من قبل أخيه الملك الناصر صلاح الدين يوسف عند ما سار الى بلاد الشام ثم مضى المعز وعاد فأسر ونهب فثار به المسلمون وقاتلوه فظفرهم

الله به وقبضوا عليه وقطعوا يديه ورجليه وصلبوه * وفى سنة سبع وسبعين وخمسمائة انتدب السلطان لعمارة قلعة تنيس وتجديد الآلات بها عندما اشتد خوف اهل تنيس من الاقامة بها فقدر لعمارة سورها القديم على أساساته الباقية مبلغ ثلاثة آلاف دينار عن ثمن اصناف وآجر * وفى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة كتب باخلاء تنيس ونقل اهلها الى دمياط فأخليت فى صفر من الذرارى والاثقال ولم يبق بها سوى المقاتلة فى قلعتها * وفى شوّال من سنة اربع وعشرين وستمائة امر الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن ايوب بهدم مدينة تنيس وكانت من المدن الجليلة تعمل بها الثياب السرية وتصنع بها كسوة الكعبة * قال الفاكهى فى كتاب أخبار مكة ورأيت كسوة مما يلى الركن الغربى يعنى من الكعبة مكتوبا عليها مما أمر به السرى بن الحكم وعبد العزيز بن الوزير الجروى بأمر الفضل بن سهل ذى الرياستين وطاهر بن الحسين سنة سبع وتسعين ومائة ورأيت شقة من قباطى مصر فى وسطها الا انهم كتبوا فى أركان البيت بخط دقيق أسود مما أمر به أمير المؤمنين المأمون سنة ست ومائتين ورأيت كسوة من كسا المهدى مكتوبا عليها بسم الله بركة من الله لعبد الله المهدى محمد أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر به اسمعيل بن ابراهيم أن يصنع فى طراز تنيس على يد الحكم بن عبيدة سنة اثنتين وستين ومائة ورأيت كسوة من قباطى مصر مكتوبا عليها بسم الله بركة من الله مما أمر به عبد الله المهدى محمد أمير المؤمنين أصلحه الله محمد بن سليمان أن يصنع فى طراز تنيس كسوة الكعبة على يد الخطاب بن مسلمة عامله سنة تسع وخمسين ومائة * قال المسبحى فى حوادث سنة أربع وثمانين وثلثمائة وفى ذى القعدة ورد يحيى بن اليمان من تنيس ودمياط والفرما بهديته وهى أسفاط وتخوت وصناديق مال وخيل وبغال وحمير وثلاث مظال وكسوتان للكعبة * وفى ذى الحجة سنة اثنتين وأربعمائة وردت هدية تنيس الواردة فى كل سنة منها خمس نوق مزينة ومائة رأس من الخيل بسروجها ولجمها وتجافيف وصناعات عدة وثلاث قباب ديبقية بمراتبها ومخرقات وبنود وماجرى الرسم بحمله من المتاع والمال والبز ولما قدم الحاكم استدعت أخته السيدة سيدة الملك الى عامل تنيس عن الحاكم بأن يحمل مالا كان اجتمع قبله ويعجل توجيهه وقيل انه كان ألف ألف دينار وألفى ألف درهم اجتمعت من ارتفاع البلد لثلاث سنين وأمره الحاكم بتركها عنده فحمل ذلك اليها وبه استعانت على مادبرت * وفى سنة خمس عشرة وأربعمائة ورد الخبر على الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله أبى هاشم على بن الحاكم بأمر الله أن السودان وغيرهم ثاروا بتنيس وطلبوا أرزاقهم وضيقوا على العامل حتى هرب وانهم عاثوا فى البلد وأفسدوا ومدّوا أيديهم الى الناس وقطعوا الطرقات وأخذوا من المودع ألفا وخمسمائة دينار فقام الجرجراى وقعد وقال كيف يفعل هذا بخزانة السلطان وسا.نا فعل هذا بتنيس أو بيت المال وسير خمسين فارسا للقبض على الجناة ومازالت تنيس مدينة عامرة ليس بأرض مصر مدينة أحسن منها ولا أحصن من عمارتها الى أن خربها الملك الكامل محمد بن العادل ابى بكر بن ايوب فى سنة اربع وعشرين وستمائة فاستمرت خرابا ولم يبق منها الا رسومها فى وسط البحيرة وكان من جملة كورة تنيس بورا ومنها وايوان وشطا وبحيرتها الآن يصاد منها السمك وهى قليلة العمق يسار فيها بالعادى وتلتقى السفينتان هذه صاعدة وهذه نازلة بريح واحدة وقلع كل واحدة منهما مملوء بالريح سيرهما فى السرعة مستو بوسط البحيرة عدة جزائر تعرف اليوم بالعزب جمع عزبة بضم العين المهملة وزاى ثم باء موحدة سكنها طائفة من الصيادين وفى بعضها ملاحات يؤخذ منها ملح عذب لذيذ ملوحته وماؤها ملح وقد يحلو أيام النيل * (تونة) * وكان من جملة عمل مدينة تنيس قرية يقال لها تونة يعمل بها طراز تنيس ويصنع بها من جملة الطراز كسوة الكعبة أحيانا * قال الفاكهى ورايت أيضا كسوة لهرون الرشيد من قباطى مصر مكتوبا عليها بسم الله بركة من الله للخليفة الرشيد عبد الله هرون أمير المؤمنين أكرمه الله مما أمر به الفضل بن الربيع أن يعمل فى طراز تونة سنة تسعين ومائة * (سمناى) * قرية من قرى تنيس غلبت عليها بحيرة تنيس فصارت جزيرة فلما كان فى شهر ربيع الاوّل سنة سبع وثلاثين وثمانمائة كشف عن حجارة وآجر بها فاذا عضادات زجاج كثيرة مكتوب على بعضها اسم الامام المعز لدين الله وعلى بعضها اسم الامام العزيز بالله نزار ومنها ما عليه اسم الامام الحاكم بأمر الله ومنها ما عليه اسم الامام الظاهر لاعزاز دين الله ومنها ما عليه اسم المستنصر وهو اكثرها أخبرنى بذلك من شاهده ورآه * (بورا) * كانت فيما بين تنيس ودمياط واليها ينسب السمك الذى يقال له البورى واليها ينسب

أيضا بنو البوري الذين كانوا بالقاهرة والاسكندرية * وفي سنة عشر وستمائة وصل العدو اليها بشوانيه وسباها فقدمت اليها القطائع التي كانت على رشيد فسار عنها العدو * (القيس) * بفتح القاف وبعدها سين مهملة بلد ينسب اليها الثياب القيسية آثارها الى اليوم باقية على البحر الملح فيما بين السوادة والورادة وبعدها من مدينة الفرما قريب من ستة برد في البر وهنالك تل عظيم من رمل خارج في البحر الشامي يقطع الفرنج عنده الطريق على المارة وبالقرب من التل سباخ ينبت فيه ملح يحمله العربان الى غزة والرملة وبقرب هذا السباخ آبار يزرع عندها مقاثي لعربان تلك البوادي

(* ذكر مدينة صا *)

قال ابن وصيف شاه ولما قسم قبطيم بن مصرايم الارض بين أشمون واتريب وقفط وصا انتقل كل واحد الى قسمه وحيزه فخرج صا بأهله وولده وحشمه الى حيزه وهو بلد البحيرة والاسكندرية حتى انتهى الى برقة ونزل مدينة صا قبل أن تبنى الاسكندرية وكان صا أصغر ولد أبيه وأحبهم اليه فلما ملك حيزه أمر بالنظر في العمارات وبناء المدائن والبلدان والهياكل واظهار العجائب كما صنع اخوته وطلب الزيادة في ذلك * وقال مرهون الهندي صاحب بانه فبنى من حد صا الى حد لوبية ومراقية على البحر أعلاما وجعل على رؤس تلك الاعلام مراءى من اخلاط شتى فكان منها ما يمنع من دواب البحر وأذاها ومنها ما اذا قصدهم عدو من الجزائر وأصابها الشمس ألقت شعاعا على مراكبهم فأحرقتها ومنها ما يرى المدائن التي تحاذيهم من عدوة البحر وما يعمله اهلها ومنها ما ينظر فيها الى اقليم مصر فيعلم منه ما يخصب وما يجدب في كل سنة وجعل فيها حمامات تقد من نفسها وجعل مستشرفات ومنتزهات وكان ينزل كل يوم منها في موضع بمن يخصه من خدمه وحشمه وجعل حواليها بساتين وسرح فيها الطيور المغردة والوحش المستأمن والانهار المطردة والرياض المونقة وجعل شرفات قصوره من حجارة ملونة تلمع اذا أصابتها الشمس فينتشر شعاعها على ما حولها ولم يدع شيأ من آلة النعمة والرفاهية الا استعمله فكانت العمارة ممتدة في رمال رشيد ورمال الاسكندرية الى برقة وكان الرجل يسافر في أرض مصر لا يحتاج الى زاد لكثرة الفواكه والخيرات ولا يسير الا في ظلال تستره من الشمس وعمل في تلك الصحارى قصورا وغرس فيها غروسا وساق اليها من النيل أنهارا فكان يسلك من الجانب الغربي الى حد الغرب في عمارة متصلة فلما انقرض أولئك القوم بقيت آثارهم في تلك الصحارى وخربت تلك المنازل وباد أهلها ولا يزال من دخل تلك الصحارى يحكي ما رآه فيها من الآثار والعجائب * قال مؤلفه رحمه الله حدثني الثقة عمن دخل مدينة صا ومشى في خرابها فاذا هو بلبنة طولها أربعة أشبار فتناولها وأخذ يتأملها ثم كسرها فاذا فيها سنبلة قدر شبر وافر كأنها كما حصدت وفركها بيده فخرج منها قمح أبيض كبار حبه جدا في قدر حب اللوبيا فأكله كله فلم يجد فيه تغيرا ودخل آخر اليها قبيل سنة تسعين وسبعمائة وأخذ منها لبنة طولها ذراع ونصف في عرض ذراع فكسرها فاذا فيها سنبلة قمح ثخن كل قمحة منها في مقدار ما يكون أكبر من الحمص فلم يطق كسره الا بعد ما رضه بالحجارة رضا ووجد بصا صنم لطيف طول اصبع فاتفق انه ألقي في خابية ماء فصار خمرا وكان ذلك عند رجل من تنيس فصلحت حاله من بيعه ذلك الخمر فطلبه الامير الاوحد متولي تنيس وما زال به حتى أخذ الصنم منه

* (رمل الغرابي) *

اعلم أن هذا الرمل ممتد في الارض ويسميه بعضهم الرمل الهبير وطوله من وراء جبل طي الى أن يتصل مشرقا بالبحر ويمضي من وراء جبل طي الى أرض مصر ثم الى بلد النوبة ويمتد الى البحر المحيط مسيرة خمسة أشهر ومنه عرق يضرب من القادسية الى البحرين فيعبر البحرين فيمر على مشارق خورستان وفارس الى أن يرد سجستان ويمر مشرقا الى مرو آخذا على جيحون في برية خوارزم ويأخذ في بلاد الخلخية الى الصين والبحر المحيط في جهة الشرق وهو على ما وصفته وسقته من المحيط بالمشرق الى المحيط بالمغرب وفيه جبال عظام لا ترتقى وبعضه في أرض سهلة ينتقل من مكان الى مكان ومنه اصفر لين اللمس وأحمر وأزرق سماوي وأسود حالك وأكحل مشبع كالنيل وأبيض كالثلج ومنه ما يحكي الغبار نعومة ومنه خشن جريش اللمس وزعم بعضهم أن رمل الغرابي

ومايتصل به من حدّ العريش الى أرض العباسة حادث * وذكر فى سبب كونه خبر فيه معتبر وهو أن شدّاد بن هدّاد بن شدّاد بن عاد أحد الملوك العادية قدم الى مصر وغلب بكثرة جيوشه اشمون بن مصر بن بيصر بن حام ابن نوح ملك مصر وهدم مابناه هو وآباؤه وبنى لنفسه اهراما ونصب أعلاما زبر عليها الطلسمات واختط موضع الاسكندرية وأقام هنالك دهرا الى أن نزل به وبقومه وباء فخرجوا من أرض مصر الى جهة وادى القرى فيما بين المدينة النبوية وارض الشام وعمروا الملاعب والمصانع لحبس المياه التى تجتمع من الامطار والسيول فكان سعة كل مصنع ميلا فى ميل وغرسوا النخل وغيره وزرعوا أصناف الزراعات فيما بين رابة وأيلة الى البحر الغربى وامتدّت منازلهم من الدثنة الى العريش والجفار فى أرض سهلة ذات عيون تجرى وأشجار مثمرة وزروع كثيرة فأقاموا بهذه الارض دهرا طويلا حتى عثوا وبغوا وتجبروا وطغوا وقالوا نحن الاكثرون قوّة الاشدّون الاغلبون فسلط الله عليهم الريح فأهلكتهم ونسفت مصانعهم وديارهم حتى سحلتها رملا فماتراه من هذه الرمال التى بأرض الجفار مابين العباسة حيث المنزلة التى تعرف اليوم بالصالحية الى العريش من رمل مصانع العادية وسحالة صخورهم لما اهلكهم الله بالريح ودمّرهم تدميرا واياك وانكار ذلك لغرابته فى القرءان الكريم مايشهد لصحته قال تعالى وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ماتذر من شئ أتت عليه الاجعلته كالرميم اى كالشئ الهالك البالى وقيل الرميم نبات الارض اذا يبس وديس وقيل الورق الجاف المتحطم مثل الهشيم والرميم الخلق البالى من كل شئ * (مراقية) * مدينة مراقية كورة من كور مصر الغربية وهى آخر حدّ أرض مصر وفى آخر أرض مراقية تلقى أرض انطابلس وهى برقة وبعدها من مدينة سنتريه نحو من بريدين وكان قطرا كبيرا به نخل كثير ومزارع وبه عيون جارية وبها الى اليوم بقية وثمرها جيد الى الغاية وزرعها اذا بذر ينبت من الحبة الواحدة من القمح مائة سنبلة وأقل ماتنبت تسعون سنبلة وكذلك الارز بها فانه جيد زاكٍ وبها الى اليوم بساتين متعددة وكانت مراقية فى القديم من الزمان سكنها البربر الذين نفاهم داود عليه السلام من ارض فلسطين فنزلها منهم خلائق ومنها تفرّقت البربر فنزلت زناتة ومغيلة وضريسة الجبال ونزلت لواتة أرض برقة ونزلت هوّارة طرابلس المغرب ثم انتشرت البربر الى السوس فلما كان فى شوّال سنة أربع وثلثمائة من سنى الهجرة المحمدية جلى اهل لوبية ومراقية الى الاسكندرية خوفا من صاحب برقة ولم تزل فى اختلال الى أن تلاشت فى زمننا وبها بعد ذلك بقية جيدة * (كوم شريك) * هذا المكان بالقرب من الاسكندرية له ذكر فى الاخبار عرف بشريك بن سمى بن عبد يغوث بن جزء المرادى القطيفى من الصحابة رضى الله عنهم وكان على مقدمة عمرو بن العاص فى فتح الاسكندرية الثانى فعندما كثرت جمائع الروم انحاز شريك الى هذا الكوم بأصحابه ودافع الروم حتى ادركه عمرو وكوم شريك هذا من جملة حوف رمسيس * (غيفة) * قرية تقارب مدينة بلبيس من الفسطاط اليها مرحلتان كانت منزلة قافلة الحاج ويقال ان صواع الملك الذى فقد من مدينة مصر وجد فى رحال اخوة يوسف عليه السلام بغيفة هذه * (سمنود) * كان بها بربا عليه هيئة درقة فيها كتابة حكى ابن زولاق عن أبى القاسم مأمون العدل انه نسخ الكتابة فى قرطاس وصوّره على درقة قال فما كنت أستقبل به أحدا الا ولى هاربا وكان بها أيضا تماثيل وصور من يملك مصر فيهم قوم عليهم شاشيات وبأيديهم الحراب وعليهم مكتوب هؤلاء يملكون مدينة مصر

* (ذكر مدينة بلبيس) *

وسميت فى التوراة أرض جاشان وفيها نزل يعقوب لما قدم على ولده يوسف عليهما السلام فأنزله بأرض جاشان وهى بلبيس الى العلاقة من أجل مواشيهم قال ابن سعيد بلبيس واليها يصل حكمه الى الورادة وهى آخر حدّ مصر واليها تنتهى المعاملة بفضة السواد ويصير الناس يتعاملون بالفلوس بعدها الى العريش وهى أوّل الشام وقيل هى آخر مصر * وقال ابو عبيد البكرى بلبيس بفتح اوّله واسكان ثانيه بعده باء مثل الاولى مفتوحة أيضا وياء ساكنة وسين مهملة وهو موضع قريب مصر معروف وذكر ابن خرداذبه فى كتاب المسالك والممالك أن بين بلبيس ومدينة فسطاط مصر أربعة وعشرين ميلا * وذكر الواقدى أن المقوقس زوّج ابنته ارمانوسة من قسطنطين بن هرقل وجهزها بأموالها وجواريها وغلمانها وحشمها لتسير اليه حتى يبنى عليها فى مدينة قيسارية وهم محاصرون لها فخرجت الى بلبيس وأقامت بها وبعثت حاجبها الكبير فى ألفى فارس

الى الفرما ليحفظ الطريق ولايدع أحدا من الروم ولاغيرهم يعبر الى مصر وبعث المقوقس رسله الى اطراف بلاده مما يلى الشام أن لايتركوا أحدا يدخل أرض مصر مخافة أن يتحدثوا بغلبة المسلمين على الشام فيدخل الرعب فى قلوب عساكره فلما قدم عمر بن الخطاب الجابية وسار عمرو بن العاص الى مصر نزل على بلبيس وبها أرمانوسة ابنة المقوقس فقاتل من بها وقتل منهم زهاء ألف فارس وأسر ثلاثة آلاف وانهزم من بقى الى المقوقس وأخذت ارمانوسة وجميع مالها وسائر ما كان للقبط فى بلبيس فأحب عمرو ملاطفة المقوقس فسير اليه ابنته أرمانوسة مكرمة فى جميع مالها مع قيس بن أبى العاص السهمى فسر بقدومها ثم سار عمرو الى القصر ولم تزل من مدائن مصر الكبار حتى نزل عليها امرى ملك الفرنج وأخذها عنوة بعد حصار طويل وقتل منها آلافا ولها أخبار كثيرة وقد خربت منذ عهد الحوادث بديار مصر بعد سنة ست وثمانمائة بعدما ادركناها وبها عمارة كثيرة وفيها عدة بساتين وأهلها اصحاب يسار ونعم سنية

(ذكر بلد الورادة)

الورادة من جملة الجفار قال عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه فى كتاب المسالك والممالك وصفة الطريق والارض من الرملة الى اردود اثنا عشر ميلا ثم الى غزة عشرون ميلا ثم الى العريش أربعة وعشرون ميلا فى رمل ثم الى الورادة ثمانية عشر ميلا ثم الى الغريب عشرون ميلا ثم الى الفرما أربعة وعشرون ميلا قال الخليفة المأمون

للملك كان بالمبدا ن أقصر منه بالفرما   غريب فى قرى مصر يقاسى الهم والسدما

ثم الى جرير ثلاثون ميلا ثم الى القاصرة أربعة وعشرون ميلا ثم الى مسجد قضاعة ثمانية عشر ميلا ثم الى بلبيس أحد وعشرون ميلا ثم الى فسطاط مدينة مصر أربعة وعشرون ميلا *وقال جامع تاريخ دمياط ولما افتتح المسلمون الفرما بعدما افتتحوا دمياط وتنيس ساروا الى البقارة فأسلم من بها وساروا منها الى الورادة فدخل اهلها فى الاسلام وماحولها الى عسقلان *وقال القاضى الفاضل فى متجددات شهر المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة وصباحنا الورادة فبتنا على ميناء الورادة ودخلنا الورادة فرأيت تاريخ منارة جامعها سنة ثمان وأربعمائة واسم الحاكم بأمر الله عليها والورادة من جملة الجفار ويقال أخذ اسمها من الورود ولم يزل جامعها عامرا تقام به الجمعة الى مابعد السبعمائة وبلد الورادة القديمة فى شرقى المنزلة التى يقال لها اليوم الصالحية وبها آثار عمائر ونخل قليل *(الصالحية)* هذه البلدة اختطها الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل محمد بن العادل ابى بكر بن ايوب بن شادى بأرض السباخ والعلاقة فى اول الرمل الذى بين مصر والشام وأنشأ بها قصورا وجامعا وسوقا لتكون منزلة العساكر اذا خرجوا من الرمل وذلك فى سنة أربع واربعين وستمائة

(ذكر مدينة ايلة)

ذكر ابن حبيب أن اثال بضم اوله ثم ثاء مثلثة وادى ايلة وايلة بفتح اوله على وزن فعلة مدينة على شاطئ البحر فيما بين مصر ومكة سميت بأيلة بنت مدين بن ابراهيم عليه السلام وايلة اول حد الحجاز وقد كانت مدينة جليلة القدر على ساحل البحر الملح بها التجارة الكثيرة واهلها اخلاط من الناس وكانت حد مملكة الروم فى الزمن الغابر وعلى ميل منها باب معقود لقيصر قد كان فيه مسلحته يأخذون المكس وبين ايلة والقدس ست مراحل والطور الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام على يوم وليلة من ايلة وكانت فى الاسلام منزلا لبنى أمية واكثرهم موالى عثمان بن عفان وكانوا سقاة الحاج وكان بها علم كثير وآداب ومتاجر وأسواق عامرة وكانت كثيرة النخل والزروع وعقبة ايلة لايصعد اليها من هو راكب وأصلحها فائق مولى خمارويه بن احمد بن طولون وسوى طريقها ورم ما استرم منها وكان بأيلة مساجد عديدة وبها كثير من اليهود ويزعمون أن عندهم برد النبى صلى الله عليه وسلم وأنه بعثه اليهم امانا وكانوا يخرجونه رداء عدنيا ملفوفا فى الثياب قد أبرز منه قدر شبر فقط ويقال ان ايلة هى القرية التى ذكرها الله تعالى فى كتابه حيث قال واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لايسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون وقد اختلف فى تعيين هذه القرية فقال ابن عباس رضى الله عنهما وعكرمة والسدى هى ايلة وعن ابن عباس أيضا انها مدينة بين ايلة والطور وعن الزهرى انها طبرية وقال قتادة وزيد بن أسلم هى ساحل من سواحل الشام بين مدين وعينونة

يقال لها معناة وسئل الحسين بن الفضل هل تجد في كتاب الله الحلال لا يأتيك الا قوتا والحرام يأتيك جزافا قال نعم في قصة ايلة اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم * وكان من خبر أهل القرية انهم كانوا من بني اسرائيل وقد حرم الله عليهم العمل في يوم السبت فزين لهم ابليس الحيلة وقال انما نهيتم عن أخذ الحيتان يوم السبت فاتخذوا الحياض فكانوا يسوقون الحيتان اليها يوم الجمعة فتبقى فيها فلا يمكنها الخروج منها لقلة الماء فيأخذونها يوم الاحد وقيل كان الرجل يأخذ خيطا ويضع فيه وهقة ويلقيه في ذنب الحوت وهو بتحريك الهاء واسكانها حبل كالطول ويجعل في الطرف الآخر من الخيط وتدا ويتركه كذلك الى يوم الاحد ثم تطرق الناس حين رأوا من صنع هذا لا يبتلى حتى كثر الصيد للحيتان ومشى به في الاسواق وأعلن الفسقة بصيده فقامت طائفة من بني اسرائيل وجاهرت بالنهي واعتزلت وقالت لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا ان للناس لشأنا فعلوا على الجدار فاذا هم قردة قد خلوا عليهم فعرفت القردة أنسابها من الانس فجعلت تأتيهم فتشم ثيابهم وتبكي فيقول الناهون للقردة ألم ننهكم فتقول برأسها نعم قال قتادة فصارت الشباب قردة والشيوخ خنازير فما نجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم وقيل ان ذلك كان في زمن نبي الله داود عليه السلام وقيل ان ايلة اصلها أيليا ليه وقد وقع ذكرها في التوراة كذلك وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني دكالة من البربر بطن من المصامدة وقالت طائفة ان دكالة ولد ايلة ويقال ايل الذي سميت به عقبة ايلة وأخوانهم من دغفل بن ايلة وانهم يعزون الى البربر ويقولون نحن من ربيعة الفرس وفي ذلك خلاف عظيم * وذكر المسعودي أن يوشع بن نون عليه السلام حارب السميدع بن هزبر بن مالك العمليقي ملك الشام ببلد أيلة نحو مدين وقتله واحتوى على ملكه وفي ذلك يقول عون بن سعيد الجرهمي

ألم تر أن العملقي بن هرمز * بأيلة أمسى لحمه قد تمزعا
تداعت عليه من يهود جحافل * ثمانون ألفا حاسرين ودرعا

وهي أبيات كثيرة وقال ابن اسحاق فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك أتاه يحنة بن روبة صاحب ايلة فصالحه وأعطاه الجزية وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية وكتب لهم كتابا فهو عندهم وكتب ليحنة بن روبة بسم الله الرحمن الرحيم هذا امنة من الله ومحمد النبي رسوله ليحنة بن روبة وأهل ايلة أساقفهم وسائرهم في البر والبحر لهم ذمة الله وذمة النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه طيب لمن أخذه من الناس وانه لا يحل أن يمنعوا ماء يريدونه ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر هذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك في سنة تسع من الهجرة ولم تزل مدينة ايلة عامرة آهلة * وفي سنة خمس عشرة واربعمائة طرق عبد الله بن ادريس الجعفري ايلة ومعه بعض بني الجراح ونهبها وأخذ منها ثلاثة آلاف دينار وعدة غلال وسبى النساء والاطفال ثم انه صرف عن ولاية وادي القرى فسارت اليه سرية من القاهرة لمحاربته * قال القاضي الفاضل وفي سنة ست وستين وخمسمائة انشا الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب مراكب مفصلة وحملها على الجمال وسار بها من القاهرة في عسكر كبير لمحاربة قلعة ايلة وكانت قد ملكها الفرنج وامتنعوا بها فنازلها في ربيع الاول وأقام المراكب وأصلحها وطرحها في البحر وشحنها بالمقاتلة والاسلحة وقاتل قلعة ايلة في البر والبحر حتى فتحها في العشرين من شهر ربيع الآخر وقتل من بها من الفرنج وأسرهم وأسكن بها جماعة من ثقاته وقواهم بما يحتاجون اليه من سلاح وغيره وعاد الى القاهرة في آخر جمادى الاولى * وفي سنة سبع وسبعين وصل كتاب النائب بقلعة ايلة ان المراكب على تحفظ وخوف شديد من الفرنج ثم وصل الابرنس لعنه الله الى ايلة وربط العقبة وسير عسكره الى ناحية تبوك وربط جانب الشام لخوفه من عسكر يطلبه من الشام أو مصر فلما كان في شعبان من السنة المذكورة كثر المطر بالجبل المقابل للقلعة بأيلة حتى صارت به مياه استغنى بها اهل القلعة عن ورود العين مدة شهرين وتأثرت بيوت القلعة لتتابع المطر ووهت لضعف اساسها فتداركها اصحابها وأصلحوها * وذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثان الكوكة وهم أمة لهم أربعة ملوك ملكوا أرض ايلة والحجاز وبنى كل واحد منهم مدينة سماها باسمه وجعلوا سائر الارض خيمات وقسموها على ثلاثين كورة

وجعلوها أربعة أعمال لكل عمل ملك يجلس على منبر ذهب فى مدينته وعمل بربا وهى بيت الحكمة وعمل هيكلا لاخذ الكواكب وجعل فيه أصناما من ذهب كل صنم له مرتبة وكانت الاسكندرية واسمها رقودة فجعلوا لها خمس عشرة كورة وجعلوا فيها كبار الكهنة ونصبوا فى هيا كلها من أصنام الذهب اكثر مما فى غيرها وكان فيها مائتا صنم من ذهب وقسموا الصعيد على ثمانين كورة وجعلوه أربعة أقسام وكان عدد مدن اهل مصر الداخلة فى كورها ثلاثين مدينة فيها العجائب وقيل ان حمير الاكبر واسمه العرنجج بن سبأ الاكبر واسمه عامر ويعرف بعبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان لما ملك بعد أبيه جمع جيوشه وسار يطأ الامم ويدوس الممالك كما فعل أبوه فأمعن فى المشرق حتى أبعد يأجوج ومأجوج الى مطلع الشمس ثم قفل نحو المغرب فجاءه قبائل من اهل اليمن من بنى هود بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح يشكون من ثمود بن عاثر بن ارم بن سام بن نوح ومانزل بهم من ظلمهم فأمر برفعهم من أرض اليمن وأنزلهم ايلة فعمروها من ايلة الى ذات الاصال الى اطراف جبل نجد فقطعت ثمود هنالك الصخور ونحتوا من الجبال البيوت وتكبروا وطغوا فبعث الله فيهم صالحا نبيا ورسولا فكذبوه وسألوه أن يخرج لهم ناقة من صخرة فأخرجها لهم فعقروها فأهلكهم الله بالصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين * وقد ذكر أن موسى عليه السلام سار ببنى اسرائيل بعد موت أخيه هرون الى أرض اولاد العيص وهى التى تعرف بجبال السراة جنب بلد الشوبك ثم مر فيها الى ايلة وتوجه بعد أيام الى برية باب حيث بلاد الكرك حتى حارب تلك الامم وكان الى جانب ايلة مدينة يقال لها عصيون جليلة عظيمة *(مربوط)* كورة من كور الاسكندرية كانت لشدة بياضها لايكادون يبين فيها دخول الليل الابعد وقت وكان الناس يمشون فيها وفى أيديهم خرق سود خوفا على أبصارهم ومن شدة بياضها لبس الرهبان السواد وكانت بلاد مربوط فى نهاية العمارة والجنان المتصلة بأرض برقة وهى اليوم من قرى الاسكندرية يزرع بها الفواكه وغيرها وقد وقفها الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير على جهات بر بالجامع الحاكمى من القاهرة وبها جامع عمر فى سنة ست وستين وستمائة ثم استأجرها الملك المؤيد شيخ المحمودى فى سنة احدى وعشرين وثمانمائة وجدد عمارة بستانها وقد خرب لترداد عرب لبدة وبرقة اليه فاستمرت فى ديوان السلطان *(وادى هبيب)* هذا الوادى بالجانب الغربى من أرض مصر فيما بين مربوط والفيوم يجلب منه الملح والنطرون عرف بهبيب بن محمد بن معقل بن الواقعة بن حزام بن عفان الغفارى أحد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد فتح مكة وروى عنه ابو تميم الجيشانى وأسلم مولى تجيب وسعيد بن عبد الرحمن الغفارى وكان قد اعتزل عند فتنة عثمان رضى الله عنه بهذا الوادى فعرف به وكان يقول لايفرق بين قضاء دين رمضان ويجمع بين الصلاتين فى السفر ويقال لهذا الوادى أيضا وادى الملوك ووادى النطرون وبرية شهاب وبرية الاسقيط وميزان القلوب وكان به مائة دير للنصارى وبقى به سبعة ديورة وقد ذكرت عند ذكر الاديار من هذا الكتاب وهو واد كثير الفوائد فيه النطرون ويتحصل منه مال كثير وفيه الملح الاندرانى والملح السلطانى وهو على هيئة ألواح الرخام وفيه الوكت والكحل الاسود ومعمل الزجاج وفيه الماسكة وهو طين أصفر فى داخل حجر أسود يحك فى الماء ويشرب لوجع المعدة وفيه البردى لعمل الحصر وفيه عين الغراب وهو ماء فى هيئة البركة وطولها نحو خمسة عشر ذراعا فى عرض خمسة أذرع فى مغار بالجبل لايعلم من اين يأتى ولا الى اين يذهب وهو حلو رائق * ويذكر أنه خرج منه سبعون ألف راهب بيد كل واحد عكاز فتلقوا عمرو بن العاص بالطرانة مرجعه من الاسكندرية يطلبون أمانه لهم على أنفسهم واديارهم فكتب لهم بذلك أمانا بقى عندهم وكتب لهم أيضا بجراية الوجه البحرى فاستمرت بأيديهم وان جرايتهم جاءت فى سنة زيادة على خمسة آلاف اردب وهى الآن لاتبلغ مائة اردب

(ذكر مدينة مدين)

اعلم أن مدين امة شعيب هم بنو مديان بن ابراهيم عليه السلام وامهم قنطوراء ابنة يقطان الكنعانية ولدت له ثمانية من الولد تناسلت منهم امم ومدين على بحر القلزم تحاذى تبوك على نحو ست مراحل وهى اكبر من تبوك وبها البئر التى استقى منها موسى لسائمة شعيب وعمل عليها بيت * قال الفراء مدين اسم بلد وقطر وقيل اسم قبيلة سميت باسم ابيها مدين ويقال له مديان بن ابراهيم قاله مقاتل وغيره والجمهور على أن مدين اعجمى وقيل

عربى

عربي فان كان عربيا فانه يحتمل أن يكون فعيلا من مدن بالمكان أقام به وهو بناء نادر وقيل مهمل اومفعلا من دان فتصحيحه شاذ وهو ممنوع الصرف على كل حال سواء كان اسم الارض اواسم القبيلة عجميا اوعربيا * وقال المسعودي قد تنازع اهل الشرائع في قوم شعيب بن نوفل بن رعويل بن مر بن عيقا بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وكان لسانه العربية فمنهم من رأى انهم من العرب الداثرة والامم البائدة وبعض من ذكرنا من الاجيال الخالية ومنهم من رأى انهم من ولد المحصن بن جندل بن يعصب بن مدين بن ابراهيم الخليل وأن شعيبا أخوهم في النسب وقد كانوا عدة ملوك تفرقوا في ممالك متصلة فمنهم المسمى بأبجد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت وهم على ماذكرنا بنو المحصن بن جندل وأحرف الجمل هي أسماء هؤلاء الملوك وهي الاثنان والعشرون حرفا التي عليها حساب الجمل وقد قيل في هذه الحروف غير ماذكرنا من الوجوه فكان أبجد ملك مكة وما يليها من الحجاز وكان هوز وحطى ملكين ببلاد وج وهي الطائف وما اتصل بذلك من أرض نجد وكلمن وسعفص وقرشت ملوك بمدين وقيل ببلاد مصر وكان كلمن على ملك مدين ومن الناس من رأى انه كان ملك جميع من سمينا مشاعا متصلا على ماذكرنا وان عذاب يوم الظلة كان في ملك كلمن منهم وان شعيبا دعاهم فكذبوه وعدهم بعذاب يوم الظلة ففتح عليهم باب من السماء من نار ونجا شعيب بمن آمن معه الى الموضع المعروف بأيلة وهي غيضة نحو مدين فلما أحس القوم بالبلاء واشتد عليهم الحر وأيقنوا بالهلاك طلبوا شعيبا ومن آمن معه وقد أظلتهم سحابة بيضاء طيبة النسيم والهواء لايجدون فيها ألم العذاب فأخرجوا شعيبا ومن آمن معه من مواضعهم وأزالوهم عن أماكنهم وتوهموا أن ذلك ينجيهم مما نزل بهم فجعلها الله عليهم نارا فاتت عليهم فرثت جارية بنت كلمن أباها وكانت بالحجاز فقالت

كلمن هدم ركني * هلكه وسط المحله

سيد القوم أتاه الحتف نارا وسط ظله

كونت نارا فأضحت * دار قومي مضمحله

وقال المنتصر بن المنذر المديني

الا ياشعيب قد نطقت مقالة * أبدت بها عمرا وحيي بني عمرو

هم ملكوا أرض الحجاز بأوجه * كمثل شعاع الشمس في صورة البدر

وهم قطنوا البيت الحرام وزينوا * قطورا وفازوا بالمكارم والفخر

ملوك بني حطى وسعفص ذي الندى * وهوز أرباب الثنية والحجر

قال المسعودي ولهؤلاء الملوك أخبار عجيبة من حروب وسير وكيفية تغلبهم على هذه الممالك وتملكهم عليها وابادتهم من كان فيها قبلهم من الامم وقيل ان الايكة المذكورة في قوله عز وجل ولقد كذب اصحاب الايكة المرسلين وفي قوله سبحانه وتعالى وان كان أصحاب الأيكة لظالمين فانتقمنا منهم هي مدين وقيل من ساحل البحر الى مدين وقيل هي غيضة نحو مدين وقيل بل اصحاب الأيكة الذين بعث اليهم شعيب كانوا بتبوك بين الحجر وأول الشام ولم يكن شعيب منهم وانما كان من مدين وقال أبو عبيد البكري الأيكة المذكورة في كتاب الله تعالى التي كانت منازل قوم شعيب روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فيها روايتان احداهما ان الأيكة من مدين الى شعيب والرواية الثانية انها من ساحل البحر الى مدين وكان شجرهم المقل والأيكة عند أهل اللغة الشجر الملتف وكانوا اصحاب شجر ملتف وقال قوم الأيكة الغيضة وليكة اسم البلد وما حولها كما قيل مكة وبكة وقال ابو جعفر النحاس ولا يعلم ليكة اسم البلد وقال ابن قتيبة وكان بعضهم يزعم ان بكة هو موضع المسجد وما حولها مكة كما فرق بين الأيكة وليكة فقيل الأيكة الغيضة وليكة البلد حولها * وقال البكري مدين بلد بالشام معلوم تلقاء غزة وهو المذكور في كتاب الله تعالى وهذا وهم بل مدين من أرض مصر وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى مدينة مدين أميرهم زيد بن حارثة رضي الله عنه فأصاب سبيا من اهل مينا قال ابن اسحق ومينا هي السواحل فبيعوا وفرق بين الامهات والاولاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون فقال مالهم فأخبر خبرهم فقال لاتبيعوهم الاجميعا ومدين من منازل جذام بن عدي بن الحارث ابن مرة بن اددين زيد بن عمرو بن عزيب بن زيد بن كهلان وشعيب النبي المبعوث الى أهل مدين أحد بني وائل

ابن جذام * وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لوفد جذام مرحبا بقوم شعيب وأصهار موسى ولا تقوم الساعة حتى يتزوج فيكم المسيح ويولد له وقال محمد بن سهل الاحول مدين من اعراض المدينة مثل فدك والفرع ورهاط * قال مؤلفه رحمه الله تعالى وكان بأرض مدين عدة مدائن كثيرة قد باد أهلها وخربت وبقي منها الى يومنا هذا وهو سنة خمس وعشرين وثمانمائة نحو الاربعين مدينة قائمة منها ما يعرف اسمه ومنها ما قد جهل اسمه فما يعرف اسمه فيما بين أرض الحجاز وبلاد فلسطين وديار مصر ست عشرة مدينة منها في ناحية فلسطين عشر مدائن وهي الخلصة والسنيطة والمدرة والمنية والاعوج والخويرق والبيرين والماءين والسبع والمعاق وأعظم هذه المدائن العشر الخلصة والسنيطة وكثيرا ما تنقل حجارتها الى غزة ويبنى بها هنالك ومن مدائن مدين بناحية بحر القلزم والطور مدينة فاران ومدينة الرقة ومدينة القلزم ومدينة ايلة ومدينة مدين وبمدينة مدين الى الآن آثار عجيبة وعمد عظيمة * ووجد في مدينة الاعوج أعوام بضع وستين وسبعمائة جب بقلعتها بعيد المهوى يبلغ عمقه نحو مائة ذراع وبقاعه عدة أسفار على رفوف حمل منها سفر طوله ذراعان وأزيد قد غلف بلوحين من خشب وكتابته بالقلم المسند طول الالف واللام نحو شبر فوجد ببلاد الكرك من قرأه فاذا هو سفر من عشرة أسفار قد ابتدأه بحمد الله ثم قال خروج موسى من أرض مصر الى بلاد مدين وملوك بني مدين فيما بعد شعيب فذكر لموسى عليه السلام عدة أسماء منها اسمه بالعربية موسى بن عمران وبالعبرانية موشى وبالفارسية داران وبالقبطية هروسيس وذكر أنه تزوج ابنة شعيب وانه أقام بمدين ثماني حجج ثم قال لابن شعيب قد أتممت لك شرطك وسأزيدك سنتين فضلا مني

(بقية خبر مدينة مدين)

قال وخرج موسى متوجها الى مصر والملك يومئذ على مدين ابجد قال وقوي أمر ابجد فطغى حتى ملك الحجاز واليمن وكان له خمسة اولاد هم هوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت فأقام ابجد ملكا باليمن مائة سنة ومات وقد استخلف من بعده ابنه كلمن باليمن وجعل ابنه هوز على الحجاز وابنه حطى على أرض مصر وابنه سعفص على الجزيرة وبلادها حيث الموصل وحران الى أرض العراق وابنه قرشت على العراق ومشارقها من خراسان وكان قرشت هو الجبار فيهم وكان سعفص وهوز وكلمن اهل عدل وحلم وكان حطى صاحب بطش وجرأة وكان بنو اسرائيل اذ ذاك بالشام فلم يملك أولاد ابجد أرض الشام ولا احتووا عليها وكانت مدة ملكهم نحوا من مائة وخمسين سنة فتم لهم بدولة أبيهم ابجد ثلثمائة سنة وأزيد ثم ملك بعدهم على بني اسرائيل روزيت بن هوز وعرزيت بن حطى بن ابجد نحو سبع سنين ثم خرجت الدولة عن أولاد ابجد وأقام هذا الكتاب عندهم زمانا ثم أعادوه الى الجب من قلعة الاعوج حدثني بهذا الخبر الحافظ المتقن الضابط ابو عبد الله محمد ابن احمد بن محمد بن عبد الرحمن الغرياني التونسي المالكي قال حدثني به شتر بن غنيم العامري شيخ لقيته بارض فلسطين أنه شاهد الكتاب المذكور وهو شاب وحفظ منه ما تقدم ذكره وقيل ان مالك بن دعر بن حجر بن جديلة بن لخم كان له أربعة وعشرون ولدا ذكرا فكثرت اولادهم حتى بنوا المدائن والقرى والحصون وعمروا بلاد مدين كلها وغلبوا على بلاد الشام ومصر والحجاز وغيرها خمسمائة سنة وقيل انما كان استيلاء ملوك مدين على مصر خمسمائة سنة بعد غرق فرعون موسى وهلاك دلوكة بنت زفان حتى أخرجهم منها نبي الله سليمان بن داود فعاد الملك الى القبط بعدهم

(ذكر مدينة فاران)

هذه المدينة بساحل بحر القلزم وهي من مدن العماليق على تل بين جبلين وفي الجبلين نقوب كثيرة لا تحصى مملوءة أمواتا ومن هنالك الى بحر القلزم مرحلة واحدة ويقال له هنالك ساحل بحر فاران وهو البحر الذي أغرق الله فيه فرعون وبين مدينة فاران والتيه مرحلتان ويذكر أن فاران اسم لجبال مكة وقيل اسم لجبال الحجاز وهي التي ذكرت في التوراة والتحقيق أن فاران والطور كورتان من كور مصر القبلية وهي غير فاران المذكورة في التوراة وقيل ان فاران بن عمرو بن عمليق هو الذي نسب اليه جبال الحرم فقيل جبال فاران وبعضهم يقول جبال فران وكانت مدينة فاران من جملة مدائن مدين الى اليوم وبها نخل كثير مثمر اكلت من ثمره وبها نهر عظيم وهي خراب يمر بها العربان

ذكر

(ذكر أرض الجفار)

اعلم أن الجفار اسم لخمس مدائن وهى الفرما والبقارة والورادة والعريش ورفح والجفار كله رمل وسمى بالجفار لشدة المشى فيه على الناس والدواب من كثرة رمله وبعد مراحله والجفار تجفر فيه الابل فاتخذ له هذا الاسم كما قيل للجبل الذى يجرّ به البعير هجار والذى يحجر به حجار والذى يعقل به عقال والذى يبطن به بطان والذى يخطم به خطام والذى يزم به زمام واشتقت البقارة من البقر والورادة من الورد والعريش أخذ من العرش وقيل ان رفح اسم جبل * وكان يسكن الجفار فى القديم خذام بن العريان ويقال ان أرض الجفار كانت فى الدهر الاول والزمن الغابر متصلة العمارة كثيرة البركات مشهورة بالخيرات لكثرة زراعة أهلها الزعفران والعصفر وقصب السكر وكان ماؤها غزيرا عذبا ثم صار بها نخل يحدق بها من كل النواحى الى أن دمرها الله تدميرا فصارت الى اليوم ذات رمل عظيم يسلك فيه الى العريش والى رفح كله قفر نعرف بقعته برمل الغرابى قليل الماء عديم المرعى لا أنيس به فسبحان محيل الاحوال

(ذكر صعيد مصر)

الصعيد المرتفع من الارض وقيل الارض المرتفعة من الارض المنخفضة وقيل مالم يخالطه رمل ولا سبخة وقيل هو وجه الارض وقيل الارض الطيبة وقيل هو كل تراب طيب وتسمية هذه الجهة من أرض مصر بهذا الاسم انما حدث فى الاسلام سماها العرب بذلك لانها جهة مرتفعة عما دونها من ارض مصر ولذلك يقال فيها أعلى الارض ولانها أرض ليس فيها رمل ولا سباخ بل كلها أرض طيبة مباركة ويقال للصعيد ايضا الوجه القبلى * قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه ولما حضرت مصرايم الوفاة عهد الى ابنه قبطيم وكان قد قسم أرض مصر بين بنيه فجعل لقبطيم من بلد قفط الى اسوان ولاشمون من بلد اشمون الى منف ولاتريب الحوف كله ولصا من ناحية صا البحيرة الى قرب برقة وقال لاخيه فارق لك من برقة الى الغرب فهو صاحب افريقية وولده الافارق وأمر كل واحد من بنيه أن يبنى لنفسه مدينة فى موضعه * وقال ابن عبد الحكم فلما كثر ولد مصر واولاد اولادهم قطع مصر لكل واحد منهم قطعة يحوزها لنفسه ولولده وقسم لهم هذا النيل فقطع لابنه قفط موضع قفط فسكنها وبه سميت قفط قفطا ومافوقها الى أسوان وما دونها الى اشمون فى الشرق والغرب وقطع لاشمون من اشمون فما دونها فى الشرق والغرب الى منف فسكن اشمون اشمون فسميت به وقطع لاتريب ما بين منف الى صا فسكن اتريب فسميت به وقطع لصا ما بين صا الى البحر فسكن صا فسميت به فكانت مصر كلها على أربعة أجزاء جزءين بالصعيد وجزءين بأسفل الارض * وقال أبو الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر الادفوى فى كتاب الطالع السعيد فى تاريخ الصعيد مسافة اقليم الصعيد الاعلى مسيرة اثنى عشر يوما بسير الجمال وعرضه ثلاث ساعات واكثر بحسب الاماكن العامرة ويتصل عرضه فى الكورة الشرقية بالبحر الملح وأراضى البجة وفى الغربية بالواح وهى كورتان شرقية وغربية والنيل بينهما فاصل وأول الشرقية من مرج بنى هميم المتصلة أرضها بأراضى جرجا من عمل اخميم وآخرها من قبلى الهو ويليها اول أراضى النوبة وفى هذه الكورة قوص وقفط وفوص واول الكورة الغربية برديس تتصل أرضها بأرض جرجا وفى هذه الكورة الغربية سمهود وآخر الكورة الغربية اسوان وبجانبه اكثر النخل من الجانبين تكون مساحة الاراضى التى فيها النخل والبساتين تقارب عشرين ألف فدان والمستولى على اقليم الصعيد المشترى * ويقال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أرادب تمرا فغصبها بعض الولاة فلم تحمل فى ذلك العام ولا تمرة واحدة وكانت هذه النخلة فى الجانب الغربى ويبيع منها فى الغلاء كل ويبة بدينار ويقال لما صورت الدنيا لامير المؤمنين هرون بن محمد الرشيد لم يستحسن الا كورة سيوط من صعيد مصر فانها ثلاثون ألف فدان فى استواء من الارض لو وقعت فيها قطرة ماء لانتشرت فى جميعها * وبالصعيد بقايا سحر قديم * حكى الامير طقطبا والى قوص فى ايام الناصر محمد بن قلاون قال أمسكت امرأة ساحرة فقلت لها اريد أن أبصر شيأ من سحرك فقالت أجود عملى أن أسحر العقرب على اسم شخص بعينه فلابد أن تقع عليه وتصيبه سمها فقلت لها فقلت أرينى هذا واقصدينى بسحرك فأخذت عقربا وعملت ما أحبت ثم أرسلت العقرب فتبعنى وأنا أتنحى عنه وهو يقصدنى فجلست على تخت وضعته على بركة ماء فأقبل العقرب الى ذلك الماء وأخذ فى التوصل الى فلم يطق ذلك فمر الى الحائط وصعد فيه وأنا أشاهده حتى وصل الى السقف

ومرّ فيه الى أن صار فوقى وألقى نفسه صوبى وسعى نحوى حتى قرب منى فضربته فقتلته ثم قتلت الساحرة أيضا

* وأرض الصعيد كثيرة المواشى من الضأن وغير ذلك لكثرة نتاجه حتى ان الرأس الواحد من نعاج الضأن يتوالد عنه فى عشر سنين ألف وأربع وعشرون رأسا وذلك بتقدير السلامة وأن تلد كلها اناثا تلد مرة واحدة فى كل سنة ولا تلد فى كل بطن غير رأس واحد والا فان ولدت فى السنة مرتين وكان فى كل بطن رأسان تضاعف العدد وتأمل حساب ماقلناه تجده صحيحا وقد شوهد كثيرا أن من أغنام الصعيد مايلد فى السنة ثلاث مرات ويلد فى البطن الواحد ثلاثة أرؤس * وكانت الكثرة والغلبة ببلاد الصعيد لست قبائل وهم بنو هلال وبلى وجهينة وقريش ولواته وبنو كلاب وكان ينزل مع هؤلاء عدة قبائل سواهم من الانصار ومن مزينة وبنى دراج وبنى كلاب وثعلبة وجذام * وبلغ من عمارة الصعيد أن الرجل فى ايام الناصر محمد بن قلاون ومابعدها كان يمر من القاهرة الى اسوان فلا يحتاج الى نفقة بل يجد بكل بلد وناحية عدة دور للضيافة اذا دخل دارا منها أحضر لدابته علفها ولجىء له بما يليق به من الاكل ونحوه وآل أمره الآن الى أن لايجد الرجل أحدا فيما بين القاهرة واسوان يضيفه لضيق الحال ثم تلاشى أمر بلاد الصعيد منذ سنة الشراقى فى ايام الاشرف شعبان ابن حسين بن محمد بن قلاون سنة ست وسبعين وسبعمائة وتزايد تلاشيه فى ايام الظاهر برقوق لجور الولاة ولم يزل فى ادبار الى أن كانت سنة ست وثمانمائة وشرقت مصر بقصور مدّ النيل فدهى اهل الصعيد من ذلك بمالا يوصف حتى انه مات من مدينة قوص سبعة عشر الف انسان ومات من مدينة سيوط أحد عشر ألف انسان ممن غسل وكفن ومن مدينة هو خمسة عشر ألف انسان وذلك كله سوى الطرحى على الطرقات ومن لايعرف من الغرباء ونحوهم ثم دمر فى ايام المؤيد شيخ فلم يبق منه الا رسوم تبذل الولاة الجهد فى محوها نسأل الله حسن الخاتمة

(ذكر الجنادل ولمع من أخبار أرض النوبة)

الجندل ما يقل الرجل من الحجارة وقيل هو الحجر كله الواحدة جندلة والجندل الجنادل قال سيبويه وقالوا جندل يعنون الجنادل وصرفوه لنقصان البناء عما لا ينصرف وأرض جندلة ذات جندل وقيل الجندل المكان الغليظ فيه حجارة ومكان جندل كثير الجندل * قال عبدالله بن احمد بن سليم الاسوانى فى كتاب أخبار النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل * واول بلد النوبة قرية تعرف بالقصر من اسوان اليها خمسة اميال وآخر حصن للمسلمين جزيرة تعرف ببلاق بينها وبين قرية النوبة ميل وهو ساحل بلد النوبة ومن اسوان الى هذا الموضع جنادل كثيرة الحجر لاتسلكها المراكب الا بالحيلة ودلالة من يخبر بذلك من الصيادين الذين يصيدون هنالك لان هذه الجنادل متقطعة وشعاب معترضة فى النيل ولانصبابه فيها خرير عظيم ودوى يسمع من بعد وبهذه القرية مسلحة وباب الى بلد النوبة ومنها الى الجنادل الاولى من بلد النوبة عشر مراحل وهى الناحية التى يتصرف فيها المسلمون ولهم فيها قرب املاك ويتجرون فى أعلاها وفيها جماعة من المسلمين قاطنون لايفصح أحدهم بالعربية وشجرها كثير وهى ناحية ضيقة شظفة كثيرة الجبال وما تخرج عن النيل وقراها منسطرة على شاطئه وشجرها النخل والمقل وأعلاها اوسع من أدناها وفى أعلاها الكروم والنيل لايروى مزارعها لارتفاع أرضها وزرعها الفدان والفدانان والثلاثة على أعناق البقر بالدواليب والقمح عندهم قليل والشعير اكثر والسلت ويعتقبون الارض لضيقها فيزرعونها فى الصيف بعد تطريتها بالزبل والتراب الدخن والذرة والجاورس والسمسم واللوبيا وفى هذه الناحية نجراش مدينة المريس وقلعة ابريم وقلعة اخرى دونها وبها مينا تعرف بأذواء ينسب اليها لقمان الحكيم وذو النون وبها بربا عجيب ولهذه الناحية وال من قبل عظيم النوبة يعرف بصاحب الجبل من أجل ولايتهم لقربه من أرض الاسلام ومن يخرج الى بلد النوبة من المسلمين فعاملته معه فى تجارة أوهدية اليه او الى مولاه يقبل الجميع ويكافئ عليه بالرقيق ولا يطلق لاحد الصعود الى مولاه لا لمسلم ولا لغيره * واوّل الجنادل من بلد النوبة قرية تعرف بتقوى هى ساحل واليها تنتهى مراكب النوبة المصعدة من القصر اوّل بلدهم ولا تتجاوزها المراكب ولا يطلق لاحد من المسلمين ولا من غيرهم الصعود منها الا باذن من صاحب جبلهم ومنها الى المقس الاعلى ست مراحل وهى جنادل كلها وشر ناحية رأيتها لهم لصعوبتها وضيقها ومشقة مسالكها أما بحرها فجنادل وجبال معترضة فيه حتى ان النيل ينصب من شعاب ويضيق فى مواضع حتى يكون سعة ما بين

الجانبين

الجانبين خمسين ذراعا وبرّها مجاوب ضيقة وجبال شاهقة وطرقات ضيقة حتى لا يمكن الراكب أن يصعد منها والراجل الضعيف يعجز عن سلوكها ورمال فى غربها وشرقها وهذه الجبال حصنهم واليها يفزع اهل الناحية التى قبلها المتصلة بأرض الاسلام وفى جزائرها نخل يسير وزرع حقير وأكثر اكلهم السمك ويدهنون بشحمه وهى من أرض مريس وصاحب الجبل واليهم والمسلحة بالمقس الاعلى صاحبها من قبل كبيرهم شديد الضبط لها حتى انّ عظيمهم اذا صار بها وقف به المسلحى وأوهم أنه يفتش عليه حتى يجد الطريق الى ولده ووزيره فمن دونهما ولا يجوز هاد ينار ولا درهم اذ كانوا انما يبايعون بذلك الادون الجنادل مع المسلمين ومافوق ذلك لا بيع بينهم ولا شراء وانما هى معاوضة بالرقيق والمواشى والجبال والحديد والحبوب ولا يطلق لاحد أن يجوزها الا باذن الملك ومن خالف كان جزاؤه القتل كائنا من كان وبهذا الاحتياط تنكتم أخبارهم حتى انّ العسكر منهم يهجم على البلد الى البادية وغيرهم فلا يعلمون به والسنباد الذى يخرط به الجوهر يخرج من النيل فى هذه المواضع يغطس عليه فيوجد جسمه باردا مخالفا للحجارة فاذا أشكل عليه نفخ فيه بالفم فيعرق ومن هذه المسلحة الى قرية تعرف بساى جنادل أيضا وهى آخر كرسيهم ولهم فيها أسقف وفيها ربا ثم ناحية سقلودا وتفسيرها السبع ولاة وهى أشبه الارض بالارض المتاخمة لارض الاسلام فى السعة والضيق فى مواضع والنخل والكرم والزرع وشجر المقل وفيها شئ من شجر القطن ويعمل منه ثياب وخشنة وبها شجر الزيتون وواليها من قبل كبيرهم وتحت يده ولاة يتصرفون وفيها قلعة تعرف بأصطنون وهى اول الجنادل الثلاثة وهى أشد الجنادل صعوبة لان فيها جبلا معترضا من الشرق الى الغرب فى النيل والماء ينصب من ثلاثة أبواب وربما رجع الى بابين عند انحساره شديد الخرير عجيب المنظر يتحدر الماء عليه من علو الجبل وقبله فرش حجارة فى النيل نحو ثلاثة برد الى قرية تعرف بيستو وهى آخر قرى مريس واول بلد مقرة ومن هذا الموضع الى حد المسلمين لسانهم مريسى وهى آخر عمل مملكهم ثم ناحية بقون وتفسيرها العجب وهى عند اسمها حسنا ومارأيت على النيل أوسع منها وقدرت أنّ سعة النيل فيها من الشرق الى الغرب مسيرة خمس مراحل الجزائر تقطعه والانهار منه تجرى بينها على أرض منخفضة وقرى متصلة وعمارة حسنة بأبرجة حمام ومواش وأنعام واكثر ميرة مدينتهم منها وطيورها النقيط والنوبى والببغا وغير ذلك من الطيور الحسان واكثر نزهة كبيرهم فى هذه الناحية * قال وكنت معه فى بعض الاوقات فكان سيرنا فى ظل شجر من الحافتين فى الخلجان الضيقة وقيل انّ التمساح لا يضر هنالك ورأيتهم يعبرون اكثر هذه الانهار سباحة ثم سفد بقل وهى ناحية ضيقة شبيهة بأول بلادهم الا أنّ فيها جزائر حسانا وفيها دون المرحلتين نحو ثلاثين قرية بالابنية الحسان والكنائس والاديار والنخل الكثير والكروم والبساتين والزرع ومروج بكار فيها ابل وجمال صهب مؤبلة للنتاج وكبيرهم يكثر الدخول اليها لان طرفها القبلى يحاذى دنقلة مدينتهم ومن مدينة دنقلة دار المملكة الى اسوان خمسون مرحلة وذكر صفتها ثم قال انهم يسقفون مجالسهم بخشب السنط وبخشب الساج الذى يأتى به النيل فى وقت الزيادة سقالات منحوتة لا يدرى من أين تاتى ولقد رأيت على بعضها علامة غريبة ومسافة ما بين دنقلة الى اول بلد علوة اكثر مما بينها وبين اسوان وفى ذلك من القرى والضياع والجزائر والمواشى والنخل والشجر والمقل والزرع والكرم أضعاف ما فى الجانب الذى يلى أرض الاسلام وفى هذه الاماكن جزائر عظام مسيرة أيام فيها الجبال والوحش والسباع ومفاوز يخاف فيها العطش والنيل ينعطف من هذه النواحى الى مطلع الشمس والى مغربها مسيرة أيام حتى يصير المصعد كالمنحدر وهى الناحية التى تبلغ العطوف من النيل الى المعدن المعروف بالشنكة وهو بلد يعرف بشنقير ومنه خروج العمرى وتغلب على هذه الناحية الى أن كان من أمره ما كان وفرس البحر يكثر فى هذه المواضع ومن هذا الموضع طرق الى سواكن وباضع ودهلك وجزائر البحر ومنها عبر من نجا من بنى أمية عند هربهم الى النوبة وفيها خلق من البجة يعرفون بالزنافج انتقلوا الى النوبة قديما وقطنوا هنالك وهم على حدتهم فى الرعى واللغة لا يخالطون النوبة ولا يسكنون قراهم وعليهم وال من قبل النوبة

***

(ذكر تشعب النيل من بلاد علوة ومن يسكن عليه من الامم)

***

اعلم أنّ النوبة والمقرة جنسان بلسانين كلاهما على النيل فالنوبة هم المريس المجاورون لارض الاسلام وبين اوّل بلدهم وبين اسوان خمسة اميال ويقال انّ سلها جد النوبة ومقرى جد المقرة من اليمن وقيل النوبة ومقرى من

حمير وأكثر أهل الانساب على انهم جميعا من ولد حام بن نوح وكان بين النوبة والمقرة حروب قبل النصرانية وأول أرض المقرة قرية تعرف بنافة على مرحلة من اسوان ومدينة ملكهم يقال لها نجراش على أقل من عشر مراحل من اسوان ويقال ان موسى صلوات الله عليه غزاهم قبل مبعثه فى أيام فرعون فأخرب نافة وكانوا صابئة يعبدون الكواكب وينصبون التماثيل لها ثم تنصروا جميعا النوبة والمقرة ومدينة دنقلة هى دار مملكتهم واول بلاد علوة قرى فى الشرق على شاطئ النيل تعرف بالابواب ولهذه الناحية وال من قبل صاحب علوة يعرف بالرحراح * والنيل يتشعب من هذه الناحية على سبعة أنهار فنها نهر يأتى من ناحية المشرق كدر الماء يجف فى الصيف حتى يسكن بطنه فاذا كان وقت زيادة النيل نبع فيه الماء وزادت البرك التى فيه وأقبل المطر والسيول فى سائر البلد فوقعت الزيادة فى النيل وقيل ان آخر هذا النهر عين عظيمة تأتى من جبل قال مؤرخ النوبة وحدثنى سيمون صاحب عهد بلد علوة أنه يوجد فى بطن هذا النهر حوت لا قشر له ليس هو من جنس ما فى النيل يحفر عليه قامة وأكثر حتى يخرج وهو كبير وعليه جنس مولد بين العلوة والبجة يقال لهم الديجيون وجنس يقال لهم بازة يأتى من عندهم طير يعرف بحمام بازين وبعد هؤلاء اول بلاد الحبشة ثم النيل الابيض وهو نهر يأتى من ناحية الغرب شديد البياض مثل اللبن قال وقد سألت من طرق بلاد السودان من المغاربة عن النيل الذى عندهم وعن لونه فذكر أنه يخرج من جبال الرمل أو جبل الرمل وانه يجتمع فى بلد السودان فى برك عظام ثم ينصب الى ما لا يعرف وانه ليس بأبيض فاما أن يكون اكتسب ذلك اللون مما يمر عليه أو من نهر آخر ينصب اليه وعليه أجناس من جانبيه ثم النيل الاخضر وهو نهر يأتى من القبلة مما يلى الشرق شديد الخضرة صافى اللون جدا يرى ما فى قعره من السمك وطعمه مخالف لطعم النيل يعطش الشارب منه بسرعة وحيتان الجميع واحدة غير أن الطعم مختلف ويأتى فيه وقت الزيادة خشب الساج والبقم والغثاء وخشب له رائحة كرائحة اللبان وخشب غليظ ينحت ويعمل منه مقدام وعلى شاطئه ينبت هذا الخشب أيضا وقيل انه وجد فيه عود البخور قال وقد رأيت على بعض سقالات الساج المنحوتة التى تأتى فيه وقت الزيادة علامة غريبة ويجتمع هذان النهران الابيض والاخضر عند مدينة متملك بلد علوة ويبقيان على ألوانهما قريبا من مرحلة ثم يختلطان بعد ذلك وبينهما أمواج كبار عظيمة بتلاطمهما قال وأخبرنى من نقل النيل الابيض وصبه فى النيل الاخضر فبقى فيه مثل اللبن ساعة قبل أن يختلطا وبين هذين النهرين جزيرة لا يعرف لها غاية وكذلك لا يعرف لهذين النهرين نهاية فأولهما يعرف عرضه ثم يتسع فيصير مسافة شهر ثم لا تدرك سعتهما لخوف من يسكنهما بعضهم من بعض لان فيهما أجناسا كثيرة وخلقا عظيما قال وبلغنى أن بعض متملكى بلد علوة سار فيها يريد أقصاها فلم يأت عليه بعد سنين وان فى طرفها القبلى جنسا يسكنون ودوابهم فى بيوت تحت الارض مثل السراديب بالنهار من شدة حر الشمس ويسرحون فى الليل وفيهم قوم عراة والانهار الاربعة الباقية تأتى أيضا من القبلة مما يلى الشرق أيضا فى وقت واحد ولا يعرف لها نهاية ايضا وهى دون النهرين الابيض والاخضر فى العرض وكثرة الخلجان الجزائر وجميع الانهار الاربعة تنصب فى الاخضر وكذلك الاول الذى قدمت ذكره ثم يجتمع مع الابيض وكلها مسكونة عامرة مسلوك فيها بالسفن وغيرها وأحد هذه الاربعة يأتى مرة من بلاد الحبشة قال ولقد اكثرت السؤال عنها واستكشفتها من قوم عن قوم فما وجدت مخبرا يقول انه وقف على نهاية جميع هذه الانهار والذى انتهى اليه علم من عرفنى عن آخرين الى خراب وانه يأتى فى وقت الزيادة فى هذه الانهار آلة مراكب وأبواب وغير ذلك فيدل على عمارة بعد الخراب فاما الزيادة فيجمعون انها من الامطار مع مادة تأتى من ذاتها والدليل على ذلك النهر الذى يجف ويسكن بطنه ثم ينبع وقت الزيادة ومن عجائبه أن زيادته فى أنهار مجتمعة وسائر النواحى والبلدان فى مصر وما يليها والصعيد واسوان وبلد النوبة وعلوة وما وراء ذلك فى زمان واحد واكثر ما وقف عليه من هذه الزيادة أنه ربما وجدت مثلا باسوان ولا توجد بقوص ثم تاتى بعد فاذا كثرت الامطار عندهم واتصلت السيول علم أنها سنة رى واذا قصرت الامطار علم أنها سنة ظمأ قال وأما من طرق بلاد الزنج فانهم أخبرونى عن مسيرهم فى بحر الصين الى بلاد الزنج بالريح الشمالى مساحلين للجانب الشرقى من جزيرة مصر حتى ينتهوا الى موضع يعرف برأس حفرى وهو عندهم آخر جزيرة مصر فينظرون كوكبا يهتدون به فيقصدون الغرب ثم يعودون الى البحرى ويصير الشمال فى وجوههم حتى يأتوا الى قبيلة من بلاد الزنج وهى مدينة متملكهم

وتصير قبلتهم للصلاة الى جدّة قال وبعض الانهار الاربعة يأتى من بلاد الزنج لانه يأتى فيه الخشب الزنجى وسوبة مدينة العلوى شرقى الجزيرة الكبرى التى بين البحرين الابيض والاخضر فى الطرف الشمالى منها عند مجتمعهما وشرقيها النهر الذى يجف ويسكن بطنه وفيها ابنية حسان ودور واسعة وكنائس كثيرة الذهب وبساتين ولها رباط فيه جماعة من المسلمين ومتملك علوة اكثر مالا من متملك المقرة وأعظم جيشا وعنده من الخيل ما ليس عند المقرى وبلده أخصب وأوسع والنخل والكرم عندهم يسير واكثر حبوبهم الذرة البيضاء التى مثل الارز منها خبزهم ومزرهم واللحم عندهم كثير لكثرة المواشى والمروج الواسعة العظيمة السعة حتى انه لا يوصل الى الجبل الا فى ايام وعندهم خيل عتاق وجمال صهب عراب ودينهم النصرانية يعاقبة وأساقفتهم من قبل صاحب الاسكندرية كالنوبة وكتبهم بالرومية يفسرونها بلسانهم وهم أقل فهما من النوبة وملكهم يسترق من شاء من رعيته بجرم وبغير جرم ولا ينكرون ذلك عليه بل يسجدون له ولا يعصون أمره على المكروه الواقع بهم وينادون الملك يعيش فليكن أمره وهو يتتوج بالذهب والذهب كثير فى بلده * ومما فى بلده من العجائب أنّ فى الجزيرة الكبرى التى بين البحرين جنسا يعرف بالكرنينا لهم أرض واسعة مزروعة من النيل والمطر فاذا كان وقت الزرع خرج كل واحد منهم بما عنده من البذر واختط على مقدار ما معه وزرع فى أربعة أركان الخطة يسيرا وجعل البذر فى وسط الخطة وشيأ من المزر وانصرف عنه فاذا اصبح وجد ما اختط قد زرع وشرب المزر فاذا كان وقت الحصاد حصد يسيرا منه ووضعه فى موضع أراده ومعه مزر وينصرف فيجد الزرع قد حصد بأسره وجرّن فاذا أراد دراسه وتذريته فعل به كذلك وربما أراد أحدهم أن ينقى زرعه من الحشيش فيلفظ بقلع شئ من الزرع فيصبح وقد قلع جميع الزرع وهذه الناحية التى فيها ما ذكرته بلدان واسعة مسيرة شهرين فى شهرين يزرع جميعها فى وقت واحد وميرة بلد علوة ومتملكهم من هذه الناحية فيوجهون المراكب فتوسق وربما وقع بينهم حرب * قال وهذه الحكاية صحيحة معروفة مشهورة عند جميع النوبة والعلوة وكل من يطرق ذلك البلد من تجار المسلمين لا يشكون فيه ولا يرتابون به ولولا أنّ اشتهاره وانتشاره مما لا يجوز التواطؤ على مثله لما ذكرت شيأ منه لشناعته فأما اهل الناحية فيزعمون أن الجنّ تفعل ذلك وانها تظهر لبعضهم وتخدمهم بجعارة يطاعون لهم بها وتعمل لهم عجائب وانّ السحاب يطيعهم * قال ومن عجائب ما حدّثنى به متملك المقرة للنوبة انهم يمطرون فى الجبال ويلتقطون منه للوقت سمكا على وجه الارض وسألتهم عن جنسه فذكروا أنه صغير القدر بأذناب حمر قال وقد رأيت جماعة وأجناسا ممن تقدّم ذكرا كثرهم يعترفون بالبارى سبحانه وتعالى ويتقرّبون اليه بالشمس والقمر والكواكب ومنهم من لا يعرف البارى ويعبد الشمس والنار ومنهم من يعبد كل ما استحسنه من شجرة أو بهيمة وذكر انه رأى رجلا فى مجلس عظيم المقرة سأله عن بلده فقال مسافته الى النيل ثلاثة أهلة وسأله عن دينه فقال ربى وربك الله ورب الملك ورب الناس كلهم واحد وانه قال له فأين يكون قال فى السماء وحده وقال انه اذا أبطأ عنهم المطر اوأصابهم الوباء أووقع بدوابهم آفة صعدوا الجبل ودعوا الله فيجابون للوقت وتقضى حاجتهم قبل أن ينزلوا وسأله هل أرسل فيكم رسول قال لا فذكر له بعثة موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه وما أيدوا به من المعجزات فقال اذا كانوا فعلوا هذا فقد صدقوا ثم قال قد صدّقتهم ان كانوا فعلوا * قال مؤلفه رحمه الله وقد غلب أولاد كنز الدولة على النوبة وملكوها من سنة   وبنى بدنقلة جامع يأوى اليه الغرباء واعلم أن على ضفة النيل أيضا الكانم وملكها مسلم وبينه وبين بلاد مالى مسافة بعيدة جدّا وقاعدة ملكه بلدة اسمها حيمى واول مملكته من جهة مصر بلدة اسمها زرلا وآخرها طولا بلدة يقال لها كاكا وبينهما نحو ثلاثة أشهر وهم يتلثمون وملكهم محتجب لا يرى الا يومى العيدين بكرة وعند العصر وطول السنة لا يكلمه أحد الا من وراء حجاب وغالب عيشهم الارز وهو ينبت من غير بذر وعندهم القمح والذرة والتين والليمون والباذنجان واللفت والرطب ويتعاملون بقماش ينسج عندهم اسمه دندى طول كل ثوب عشرة أذرع يشترون به من ربع ذراع فأكثر ويتعاملون أيضا بالودع والخرز والنحاس المكسر والورق وجميع ذلك بسعر ذلك القماش وفى جنوبها شعارى وصحارى فيها أشخاص متوحشة كالغيول قريبة من شكل الآدمى لا يلحقها الفارس تؤذى الناس ويظهر فى الليل أيضا شبه نار تضىء فاذا مشى أحد ليلحقها بعدت عنه ولو جرى اليها لا يصل اليها بل لا تزال أمامه فاذا رماها بحجر فأصابها تشظى منها شرر وتعظم عندهم اليقطينة حتى تصنع منها مراكب يعبر فيها

فى النيل * وهذه البلاد بين افريقية وبرقة ممتدة فى الجنوب الى سمت الغرب الاوسط وهى بلاد قحط وشظف وسوء مزاج واوّل من بث بها الاسلام الهادى العثمانى ادّعى انه من ولد عثمان بن عفان رضى الله عنه وصارت بعده لليزنيين من بنى سيف بن ذى يزن وهم على مذهب الامام مالك بن أنس رحمه الله والعدل قائم بينهم وهم يابسون فى الدين لا يلينون وبنوا بمدينة مصر مدرسة للمالكية عرفت بمدرسة ابن زشيق فى سنى أربعين وستمائة وصارت وفودهم تنزل بها وسيرد ذكرها فى المدارس ان شاء الله تعالى

(ذكر البجه ويقال انهم من البربر)

اعلم أنّ أوّل بلد البجه من قرية تعرف بالخربة معدن الزمرّذ فى صحراء قوص وبين هذا الموضع وبين قوص نحو من ثلاث مراحل وذكر الجاحظ انه ليس فى الدنيا معدن للزمرّذ غير هذا الموضع وهو يوجد فى مغاير بعيدة مظلمة يدخل اليها بالمصابيح وبحبال يستدل بها على الرجوع خوف الضلال ويحفر عليه بالمعاول فيوجد فى وسط الحجارة وحوله غشيم دونه فى الصبغ والجوهر وآخر بلاد البجه أوّل بلاد الحبشة وهم فى بطن هذه الجزيرة أعنى جزيرة مصر الى سيف البحر الملح مما يلى جزائر سواكن وباضع ودهلك وهم بادية يتبعون الكلأ حيثما كان الرعى بأخبية من جلود وأنسابهم من جهة النساء ولكل بطن منهم رئيس وليس عليهم متملك ولا لهم دين وهم يورثون ابن البنت وابن الاخت دون ولد الصلب ويقولون انّ ولادة ابن الاخت وابن البنت اصح فانه ان كان من زوجها أو من غيره فهو ولدها على كل حال وكان لهم قديما رئيس يرجع جميع رؤسائهم الى حكمه يسكن قرية تعرف بهجر هى أقصى جزيرة البجه ويركبون النجب الصهب وتنتج عندهم وكذلك الجمال العراب كثيرة عندهم أيضا والمواشى من البقر والغنم والضأن غاية فى الكثرة عندهم وبقرهم حسان ملمعة بقرون عظام ومنها جمّ وكباشهم كذلك ممثرة وا لها ألبان وغذاؤهم اللحم وشرب اللبن وأكلهم للحبّ قليل وفيهم من يأكله وأبدانهم صحاح وبطونهم خماص وألوانهم مشرقة الصفرة ولهم سرعة فى الجرى يباينون بها الناس وكذلك جمالهم شديدة العدو صبورة عليه وعلى العطش يسابقون عليها الخيل ويقاتلون عليها وتدور بهم كما يشتهون ويقطعون عليها من البلاد ما يتفاوت ذكره ويتطاردون عليها فى الحرب فيرمى الواحد منهم الحربة فان وقعت فى الرمية طار اليها الجمل فأخذها صاحبها وان وقعت فى الارض ضرب الجمل بجرانه الارض فأخذها صاحبها ونبغ منهم فى بعض الاوقات رجل يعرف بكلاز شديد مقدام وله جمل ما سمع بمثله فى السرعة وكان أعور وصاحبه كذلك التزم لقومه انه يشرف على مصلى مصر يوم العيد وقد قرب العيد قربا لا يكون للبلوغ اليها فى مثله حقيقة فوفى بذلك وأشرف على المقطم وضربت الخيل خلفه فلم يلحق وهذا هو الذى أوجب أن يكون فى السفح طليعة يوم العيد وكان الطولونية وغيرهم من أمراء مصر يوقفون فى سفح الجبل المقطم مما يلى الموضع المعروف بالحبش جيشا كثيفا مراعيا للناس حتى ينصرفوا من عيدهم فى كل عيد وهم أصحاب ذمّة فاذا غدر أحدهم رفع المغدور به ثوبا على حربة وقال هذا عرش فلان يعنى ابا الغادر فتصير سبة عليه الى أن يترضاه وهم يبالغون فى الضيافة فاذا طرق أحدهم الضيف ذبح له فاذا تجاوز ثلاثة نفر نحر لهم من أقرب الانعام اليه سواء كانت له أو لغيره وان لم يكن شئ نحر راحلة الضيف وعوّضه ما هو خير منها وسلاحهم الحراب السباعية مقدار طول الحديدة ثلاثة اذرع والعود أربعة اذرع وبذلك سميت سباعية والحديدة فى عرض السيف لا يخرجونها من أيديهم الا فى بعض الاوقات لانّ فى آخر العود شيأ شبيها بالفلكة يمنع خروجها عن أيديهم وصناع هذه الحراب نساء فى موضع لا يختلط بهنّ رجل الا المشترى منهنّ فاذا ولدت احداهنّ من الطارقين لهنّ جارية استحيتها وان ولدت غلاما قتلته ويقلن انّ الرجال بلاء وحرب ودرقهم من جلود البقر مشعرة ودرق مقلوبة تعرف بالاكسومة من جلود الجواميس وكذلك الدهلكية ومن دابة فى البحر وقسيهم عربية كبار غلاظ من السدر والشوحط يرمون عليها بنبل مسموم وهذا السم يعمل من عروق شجر الغلف يطبخ على النار حتى يصير مثل الغرا فاذا أرادوا تجربته شرط أحدهم جسده وسيل الدم ثم شممه هذا السم فاذا تراجع الدم علم انه جيد ومسح الدم لئلا يرجع الى جسمه فيقتله فاذا أصاب الانسان قتل لوقته ولو مثل شرطة الحجام وليس له عمل فى غير الجرح والدم وان شرب منه لم يضرّ وبلدانهم كلها معادن وكلما تصاعدت كانت أجود ذهبا وأكثر وفيها معادن الفضة والنحاس والحديد والرصاص وحجر المغنيطيس والمرقشيتا والجمست والزمرّذ وحجارة شطبا فاذا بلت الشطبة منها بزيت وقدت

مثل الفتيلة وغير ذلك مما شغلهم طلب معادن الذهب عما سواه والبجه لا تتعرض لعمل شيء من هذه المعادن وفى أوديتهم شجر المقل والاهليلج والاذخر والشيح والسنا والحنظل وشجر البان وغير ذلك وبأقصى بلدهم النخل وشجر الكرم والرياحين وغير ذلك مما لم يزرعه أحد وبها سائر الوحش من السباع والفيلة والنمور والفهود والقردة وعناق الارض والزباد ودابة تشبه الغزال حسنة المنظر لها قرنان على لون الذهب قليلة البقاء اذا صيدت ومن الطيور الببغا والنقيط والنوبى والقمارى ودجاج الحبش وحمام بازين وغير ذلك وليس منهم رجل الا منزوع البيضة اليمنى وأما النساء فمقطوع أشفار فروجهن وانه يلتحم حتى يشق عنه للمتزوج بمقدار ذكر الرجل ثم قل هذا الفعل عندهم وقيل ان السبب فى ذلك أن ملكا من الملوك حاربهم قديما ثم صالحهم وشرط عليهم قطع ثدى من يولد لهم من النساء وقطع ذكور من يولد من الرجال أراد بذلك قطع النسل منهم فوفوا بالشرط وقلبوا المعنى فى أن جعلوا قطع الثدى للرجال والفروج للنساء وفيهم جنس يقلعون ثناياهم ويقولون لا نتشبه بالحمير وفيهم جنس آخر فى آخر بلاد البجه يقال لهم البازه نساء جميعهم يتسمون باسم واحد وكذلك الرجال فطرقهم فى وقت رجل مسلم له جمال فدعا بعضهم بعضا وقالوا هذا الله قد نزل من السماء وهو جالس تحت الشجرة فجعلوا ينظرون اليه من بعد * وتعظم الحيات ببلدهم وتكثر أصنافها ورئيت حية فى غدير ماء قد أخرجت ذنبها والتفت على امرأة وردت فقتلتها فرؤى شحمها قد خرج من دبرها من شدة الضغطة وبها حية ليس لها رأس وطرفاها سواء منقشة ليست بالكبيرة اذا مشى الانسان على أثرها مات واذا قتلت وأمسك القاتل ما قتلها به من عود أو حربة فى يده ولم يلقه من ساعته مات وقتلت حية منها بخشبة فانشقت الخشبة واذا تأمل هذه الحية أحد وهى ميتة أو حية أصابه ضررها وفى البجه شر وتسرع اليه ولهم فى الاسلام وقبله اذية على شرق صعيد مصر خربوا هنالك قرى عديدة وكانت فراعنة مصر تغزوهم وتوادعهم أحيانا لحاجتهم الى المعادن وكذلك الروم لما أن ملكوا مصر ولهم فى المعادن آثار مشهورة وكان أصحابهم بها وقد فتحت مصر * قال عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الحكم وتجمع لعبد الله بن سعد بن أبى سرح فى انصرافه من النوبة على شاطئ النيل البجه فسأل عن شأنهم فأخبر أن ليس لهم ملك يرجعون اليه فهان عليه أمرهم وتركهم فلم يكن لهم عقد ولا صلح وكان أول من هادنهم عبيد الله بن الحبحاب السلولى ويذكر أنه وجد فى كتاب ابن الحبحاب لهم ثلثمائة بكر فى كل عام حين ينزلون الريف مجتازين تجارا غير مقيمين على أن لا يقتلوا مسلما ولا ذميا فان قتلوه فلا عهد لهم ولا يؤوا عبيد المسلمين وان يردوا آبقيهم اذا وقعوا اليهم ويقال انهم كانوا يؤاخذون بهذا وبكل شاة أخذها البجاوى فعليه أربعة دنانير وللبقرة عشرة وكان وكيلهم مقيما بالريف رهينة بيد المسلمين ثم كثر المسلمون فى المعدن فخالطوهم وتزوجوا فيهم وأسلم كثير من الجنس المعروف بالحدارب اسلاما ضعيفا وهم شوكة القوم ووجوههم وهم مما يلى مصر من اول حدهم الى العلاقى وعيذاب المعبر منه الى جدة وما وراء ذلك ومنهم جنس آخر يعرفون بالزنافج هم أكثر عددا من الحدارب غير أنهم تبع لهم وخفراؤهم يحموهم ويحبونهم المواشى ولكل رئيس من الحدارب قوم من الزنافج فى جملته فهم كالعبيد يتوارثونهم بعد أن كانت الزنافج قديما أظهر عليهم ثم كثرت اذيتهم على المسلمين وكان ولاة اسوان من العراق فرفع الى أمير المؤمنين المأمون خبرهم فأخرج اليهم عبد الله بن الجهم فكانت له معهم وقائع ثم وادعهم وكتب بينه وبين كنون رئيسهم الكبير الذى يكون بقريتهم هجر المقدم ذكرها كتابا نسخته هذا كتاب كتبه عبد الله بن الجهم مولى أمير المؤمنين صاحب جيش الغزاة عامل الامير أبى اسحق بن امير المؤمنين الرشيد أبقاه الله فى شهر ربيع الاول سنة ست عشرة ومائتين لكنون بن عبد العزيز عظيم البجه بأسوان انك سألتنى وطلبت الى أن اؤمنك وأهل بلدك من البجه وأعقد لك ولهم أمانا على وعلى جميع المسلمين فأجبتك الى أن عقدت لك وعلى جميع المسلمين أمانا ما استقمت واستقاموا على ما أعطيتنى وشرطت لى فى كتابى هذا وذلك أن يكون سهل بلدك وجبلها من منتهى حد اسوان من أرض مصر الى حد ما بين دهلك وباضع ملكا للمأمون عبد الله بن هرون أمير المؤمنين أعزه الله تعالى وأنت وجميع أهل بلدك عبيد لامير المؤمنين الا انك تكون فى بلدك ملكا على ما أنت عليه فى البجه وعلى أن تؤدى اليه الخراج فى كل عام على ما كان عليه سلف البجه وذلك مائة من الابل أو ثلثمائة دينار وازنة داخلة فى بيت المال والخيار فى ذلك لامير المؤمنين ولولاته وليس لك أن تخرم شيأ عليك من الخراج وعلى أن كل أحد منكم ان ذكر محمدا رسول الله صلى

الله عليه وسلم او كتاب الله أو دينه بما لا ينبغي أن يذكره به أو قتل أحدا من المسلمين حرّا أو عبدا فقد برئت منه الذمّة ذمّة الله وذمّة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمّة أمير المؤمنين أعزه الله وذمة جماعة المسلمين وحلّ دمه كما يحلّ دم اهل الحرب وذراريهم وعلى أنّ أحدا منكم ان أعان المحاربين على أهل الاسلام بمال أو دلّه على عورة من عورات المسلمين أو أثر لعزتهم فقد نقض ذمّة عهده وحلّ دمه وعلى أنّ أحدا منكم ان قتل أحدا من المسلمين عمدا او سهوا اوخطأ حرّا اوعبدا او واحدا من أهل ذمة المسلمين او اصاب لاحد من المسلمين أو أهل ذمّتهم مالا ببلد البجه أو ببلاد الاسلام أو ببلاد النوبة أو في شئ من البلدان برّا أو بحرا فعليه في قتل المسلم عشر ديات وفي قتل العبد المسلم عشر قيم وفي قتل الذمي عشر ديات من دياتهم وفي كل مال أصبتموه للمسلمين وأهل الذمّة عشرة اضعافه وان دخل أحد من المسلمين بلاد البجه تاجرا أو مقيما أو مجتازا أو حاجا فهو آمن فيكم كأحدكم حتى يخرج من بلادكم ولا تؤوا أحدا من آبق المسلمين فان اتاكم آت فعليكم أن تردوه الى المسلمين وعلى أن تردوا أموال المسلمين اذا صارت في بلادكم بلا مؤنة تلزمهم في ذلك وعلى انكم ان نزلتم ريف صعيد مصر لتجارة أو مجتازين لا تظهرون سلاحا ولا تدخلون المدائن والقرى بحال ولا تمنعوا أحدا من المسلمين الدخول في بلادكم والتجارة فيها برّا ولا بحرا ولا تخيفوا السبيل ولا تقطعوا الطريق على أحد من المسلمين ولا اهل الذمّة ولا تسرقوا لمسلم ولا ذمي مالا وعلى أن لا تهدموا شيأ من المساجد التي ابتناها المسلمون بصيحة وهجر وسائر بلادكم طولا وعرضا فان فعلتم ذلك فلا عهد لكم ولا ذمّة وعلى أن كنون بن عبد العزيز يقيم بريف صعيد مصر وكيلا يفي للمسلمين بما شرط لهم من دفع الخراج وردّ ما أصابه البجه للمسلمين من دم ومال وعلى أن أحدا من البجه لا يعترض حدّ القصر الى قرية يقال لها قبان من بلد النوبة حدّا لا عمدة عقد عبد الله بن الجهم مولى أمير المؤمنين لكنون بن عبد العزيز كبير البجه الامان على ما سمينا وشرطنا في كتابنا هذا وعلى أن يوافي به أمير المؤمنين فان زاغ كنون او عاث فلا عهد له ولا ذمّة وعلى كنون أن يدخل عمال أمير المؤمنين بلاد البجه لقبض صدقات من أسلم من البجه وعلى كنون الوفاء بما شرط لعبد الله بن الجهم وأخذ بذلك عهد الله عليه باعظم ما أخذ على خلقه من الوفاء والميثاق ولكنون بن عبد العزيز ولجميع البجه عهد الله وميثاقه وذمّة أمير المؤمنين وذمّة الامير أبي اسحاق بن أمير المؤمنين الرشيد وذمّة عبد الله بن الجهم وذمّة المسلمين بالوفاء بما اعطاه عبد الله بن الجهم ما وفى كنون بن عبد العزيز بجميع ما شرط عليه فان غير كنون أو بدّل أحد من البجه فذمّة الله جلّ اسمه وذمّة أمير المؤمنين وذمّة الامير أبي اسحاق بن امير المؤمنين الرشيد وذمّة عبد الله بن الجهم وذمّة المسلمين بريئة منهم وترجم جميع ما في هذا الكتاب حرفا حرفا زكريا بن صالح المخزومي من سكان جدّة وعبد الله بن اسمعيل القرشي ثم نسق جماعة من شهود اسوان فأقام البجه على ذلك برهة ثم عادوا الى غزو الريف من صعيد مصر وكثر الضجيج منهم الى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله فندب لحربهم محمد بن عبد الله القمي فسأل أن يختار من الرجال من أحبّ ولم يرغب الى الكثرة لصعوبة المسالك فخرج اليهم من مصر في عدّة قليلة ورجال منتخبة وسارت المراكب في البحر فاجتمع البجه لهم في عدد كثير عظيم قد ركبوا الابل فهاب المسلمون ذلك فشغلهم بكتاب طويل كتبه في طومار ولفه بثوب فاجتمعوا لقراءته فحمل عليهم وفي أعناق الخيل الاجراس فنفرت الجمال بالبجه ولم تثبت لصلصلة الاجراس فركب المسلمون أقفيتهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وقتل كبيرهم فقام من بعده ابن اخيه وبعث يطلب الهدنة فصالحهم على أن يطأ بساط أمير المؤمنين فسار الى بغداد وقدم على المتوكل بسرّ من رأى في سنة احدى وأربعين ومائتين فصولح على أداء الاداوة والبقط واشترط عليهم أن لا يمنعوا المسلمين من العمل في المعدن وأقام القمي باسوان مدّة وترك في خزائنها ما كان معه من السلاح وآلة الغزو فلم تزل الولاة تأخذ منه حتى لم يبقوا منه شيأ فلما كثر المسلمون في المعادن واختلطوا بالبجه قلّ شرّهم وظهر التبر لكثرة طلابه وتسامع الناس به فوفدوا من البلدان وقدم عليهم ابو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد العمري بعد محاربته النوبة في سنة خمس وخمسين ومائتين ومعه ربيعة وجهينة وغيرهم من العرب فكثرت بهم العمارة في البجه حتى صارت الرواحل التي تحمل الميرة اليهم من اسوان ستين ألف راحلة غير الجلاب التي تحمل من القلزم الى عيذاب ومالت البجه الى ربيعة وتزوّجوا اليهم وقيل انّ كهان البجه قبل اسلام من أسلم منهم ذكرت عن معبودهم الطاعة لربيعة ولكنون معافهم على ذلك فلما قتل العمري واستولت ربيعة على الجزائر والاهم على ذلك البجه

فاخرجت

فأخرجت من خالفها من العرب وتصاهروا الى رؤساء البجه وبذلك كف ضررهم عن المسلمين والبجه الداخلة فى صحراء بلد علوة مما يلى البحر الملح الى أول الحبشة ورحالهم فى الظعن والمواشى واتباع الرعى والمعيشة والمراكب والسلاح كحال الحدارب الا أن الحدارب أشجع وأهدى من الداخلة على كفرهم من عبادة الشيطان والاقتداء بكهانهم ولكل بطن كاهن يضرب له قبة من أدم معبدهم فيها فاذا أرادوا استخباره عما يحتاجون اليه تعرى ودخل الى القبة مستدبرا ويخرج اليهم وبه اثر جنون وصرع يقول الشيطان يقرئكم السلام ويقول لكم ارحلوا عن هذه الحلة فان الرهط الفلانى يقع بكم وسألتم عن الغزو الى بلد كذا فسيروا فانكم تظفرون وتغنمون كذا وكذا والجمال التى تأخذونها من موضع كذا هى لى والجارية الفلانية التى تجدونها فى الخباء الفلانى والغنم التى من صفتها كذا ونحو هذا القول فيزعمون انه يصدقهم فى أكثر من ذلك فاذا غنموا أخرجوا من الغنيمة ماذكر ودفعوه الى الكاهن يتموله ويحرمون ألبان نوقها على من لم يقبل فاذا أرادوا الرحيل حمل الكاهن هذه القبة على جمل مفرد فيزعمون أن ذلك الجمل لا يثور الا بجهد وكذلك سيره ويتصبب عرقا والخيمة فارغة لاشئ فيها وقد بقى فى الحدارب جماعة على هذا المذهب ومنهم من يتمسك بذلك مع اسلامه * قال مؤرخ النوبة ومنه لخصت ما تقدم ذكره وقد قرأت فى خطبة الاجناس لامير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه ذكر البجه والكجة ويقول عنهم شديد كلبهم قليل سلبهم فالبجه كذلك وأما الكجة فلا أعرفهم انتهى ماذكره عبد الله بن احمد مؤرخ النوبة * وقال أبو الحسن المسعودى فأما البجه فانها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر وتشعبوا فرقا وملكوا عليهم ملكا وفى أرضهم معادن الذهب وهو التبر ومعادن الزمرذ وتتصل سراياهم ومناسرهم على النجب الى بلاد النوبة فيغزون ويسبون وقد كانت النوبة قبل ذلك أشد من البجه الى أن قوى الاسلام وظهر وسكن جماعة من المسلمين معدن الذهب وبلاد العلاقى وعيذاب وسكن فى تلك الديار خلق من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان فاشتدت شوكتهم وتزوجوا من البجه فقويت البجه ثم صاهرها قوم من ربيعة فقويت ربيعة بالبجه على من ناواها وجاورها من قحطان وغيرهم ممن سكن تلك الديار وصاحب المعدن فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بشر بن مروان بن اسحاق بن ربيعة يركب فى ثلاثة آلاف ألف من ربيعة وأحلافها من مصر واليمن وثلاثين ألف حراب على النجب من البجه فى الجحف التحاوية وهم الحدارب وهم مسلمون من بين سائر البجه والداخلة من البجه كفار يعبدون صنما لهم والبجه المالكة لمعدن الزمرذ يتصل ديارها بالعلاقى وهو معدن الذهب وبين العلاقى والنيل خمس عشرة مرحلة وأقرب العمارة اليه مدينة اسوان وبجزيرة سواكن أقل من ميل فى ميل وبينها وبين البحر الحبشى بحر قصير يخاض وأهلها طائفة من البجه تسمى الخاسة وهم مسلمون ولهم بها ملك * وقال الهمدانى نكح كنعان بن حام أرتيب بنت شاويل ابن ترس بن يافث فولدت له حقا والاساود ونوبة وقران والزنج والزغاوة وأجناس السودان وقيل البجه من ولد حام بن نوح وقيل من ولد كوش بن كنعان بن حام وقيل البجه قبيلة من الحبش اصحاب أخبية من شعر وألوانهم أشد سوادا من الحبشة يتزيون بزى العرب وليس لهم مدن ولا قرى ولا مزارع ومعيشتهم مما ينقل اليهم من أرض الحبشة وأرض مصر والنوبة وكانت البجه تعبد الاصنام ثم أسلموا فى امارة عبد الله بن سعد ابن ابى سرح وفيهم كرم وسماحة وهم قبائل وأفخاذ لكل فخذ رئيس وهم أهل نجعة وطعامهم اللحم واللبن فقط

(ذكر مدينة اسوان)

اسوان من قولهم أسى الرجل يأسى أسى اذا حزن ورجل اسيان واسوان اى حزين واسوان فى آخر بلاد الصعيد وهى ثغر من ثغور الاقليم يفصل بين النوبة وأرض مصر وكانت كثيرة الحنطة وغيرها من الحبوب والفواكه والخضراوات والبقول وكانت كثيرة الحيوان من الابل والبقر والغنم ولحمانها هنالك غاية فى الطيب والسمن وكانت أسعارها أبدا رخيصة وبها تجارات وبضائع تحمل منها الى بلاد النوبة ولا يتصل باسوان من شرقها بلد اسلامى وفى جنوبها جبل به معدن الزمرذ وهو فى برية منقطعة عن العمارة وعلى خمسة عشر يوما من اسوان معدن الذهب ويتصل باسوان من غربيها الواحات ويسلك من اسوان الى عيذاب ويتوصل من عيذاب الى الحجاز والى اليمن والهند * قال المسعودى ومدينة اسوان يسكنها خلق من العرب من قحطان

ونزار بن ربيعة ومضر وخلق كثير من قريش وا كثرهم من الحجاز والبلد كثير النخل خصيب كثير الخير تودع النواة في الارض فتنبت نخلة ويؤكل من ثمرها بعد سنتين ولمن باسوان ضياع كثيرة داخلة بأرض النوبة يؤدون خراجها الى ملك النوبة وابتعت هذه الضياع من النوبة في صدر الاسلام في دولة بني امية وبني العباس وقد كان ملك النوبة استعدى المأمون حين دخل مصر على هؤلاء القوم بوفد وفدهم الى الفسطاط ذكروا عنه أن اناسا من أهل مملكته وعبيده باعوا ضياعا من ضياعهم ممن جاورهم من أهل اسوان وانها ضياعه والقوم عبيد لا املاك لهم وانما تملكهم على هذه الضياع تملك العبيد العامرين فيها فجعل المأمون أمرهم الى الحاكم بمدينة اسوان ومن بها من أهل العلم والشيوخ وعلم من ابتاع هذه الضياع من أهل اسوان انه استنزع من أيديهم فاحتالوا على ملك النوبة بأن يقدموا الى من ابتيع منهم من النوبة انهم اذا حضروا وحضرة الحاكم أن لا يقروا لملكهم بالعبودية وأن يقولوا سبيلنا معاشر النوبة سبيلكم مع ملككم يجب علينا طاعته وترك مخالفته فان كنتم انتم عبيدا لملككم واموالكم له فنحن كذلك فلما جمع الحاكم بينهم وبين صاحب الملك أتوا بهذا الكلام للحاكم ونحوه مما اوقفوهم عليه من هذا المعنى فمضى البيع لعدم اقرارهم بالرق لملكهم الى هذا الوقت وتوارث الناس تلك الضياع بأرض النوبة من بلاد مريس وصار النوبة اهل مملكة هذا الملك نوعين من وصفنا احرار غير عبيد والنوع الآخر من اهل مملكته عبيد وهم من سكن النوبة في غير هذه البلاد المجاورة لاسوان وهي بلاد مريس *

قال واما النوبة فافترقت فرقتين فرقة في شرق النيل وغربه فأناخت على شاطئه واتصلت ديارها بديار القبط من أرض صعيد مصر واتسعت مساكن النوبة على شاطئ النيل مصعدة ولحقوا بقريب من أعاليه وبنوا دار مملكة وهي مدينة عظيمة تدعى دنقلة والفرقة الاخرى من النوبة يقال لها علوة وبنوا مدينة عظيمة سموها سرقته والبلد المتصل مملكته بأرض اسوان يعرف بمريس واليه تضاف الريح المريسية وعمل هذا الملك متصل بأعمال مصر من أرض الصعيد ومدينة اسوان قال وفي الجانب الشرقي من صعيد مصر جبل رخام عظيم كانت الاوائل تقطع منه العمد وغيرها فأما العمد والقواعد والرؤس التي يسميها أهل مصر الاسوانية ومنها حجارة الطواحين فتلك نقرها الاولون قبل حدوث النصرانية بمئين من السنين ومنها العمد التي بالاسكندرية *

وفي ذي الحجة سنة أربع وأربعين وثلثمائة أغار ملك النوبة على اسوان وقتل جماعة من المسلمين فخرج اليه محمد بن عبد الله الخازن على عسكر مصر من قبل أونوجور بن الاخشيد في محرم سنة خمس وأربعين فساروا في البر والبحر وبعثوا بعدة من النوبة اسروهم فضربت أعناقهم بعد ما أوقع بملك النوبة وسار الخازن حتى فتح مدينة ابريم وسبى أهلها وقدم الى مصر في نصف جمادى الاولى سنة خمس واربعين بمائة وخمسين أسيرا وعدة رؤس *

وقال القاضي الفاضل ان متحصل ثغر اسوان في سنة خمس وثمانين وخمسمائة بلغ خمسة وعشرين ألف دينار وقال الكمال جعفر الادفوي وكان باسوان ثمانون رسولا من رسل الشرع وتحصل من اسوان في سنة واحدة ثلاثون الف اردب تمرا وأخبرنا من وقف على مكتوب كان فيه أربعون شريفا خاصة وان مكتوبا آخر رأى فيه ستين شريفا يفادون من عداهم قال ووقفت أنا على مكتوب فيه نحو من أربعين مؤرخ بما بعد العشرين وستمائة من الهجرة * وكان بثغر اسوان بنو الكنز من ربيعة امراء ممدوحون مقصودون صنع لهم الفاضل الشديد أبو الحسن بن عرام سيرة ذكر فيها مناقبهم وأسماء من مدحهم ومن ورد عليهم ولما أرسل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب جيشا الى كنز الدولة وأصحابه ترحلوا عن البلاد فدخلوا بيوتهم فوجدوا بها قصائد من مدحهم منها قصيدة أبي محمد الحسن بن الزبير قال فيها

ويحمده ان خانه الدهر أوسطا * اناس اذا ما أنجد الذل اتهموا

أجاروا فما تحت الكواكب خائف * وجادوا فما فوق البسيطة معدم

وانه أجازه عليها بألف دينار ووقف عليه ساقية تساوي ألف دينار وكان باسوان رجال من العسكر مستعدون بالاسلحة لحفظ الثغر من هجوم النوبة والسودان عليه فلما زالت الدولة الفاطمية اهمل ذلك فسار ملك النوبة في عشرة آلاف ونزل تجاه اسوان في جزيرة وأسر من كان فيها من المسلمين ثم تلاشى بعد ذلك أمر الثغر واستولى عليه اولاد الكنز من بعد سنة تسعين وسبعمائة فأفسدوا فسادا كبيرا وكانت لهم مع ولاة اسوان عدة حروب الى أن كانت المحن منذ سنة ست وثمانمائة وخرب اقليم الصعيد فارتفعت يد السلطنة عن ثغر اسوان ولم يبق

للساطان

للسلطان فى مدينة اسوان وال واتضع حاله عدة سنين ثم زحفت هوّارة فى محرّم سنة خمس عشرة وثمانمائة الى اسوان وحاربت اولاد الكنز وهزموهم وقتلوا كثيرا من الناس وسبوا ماهنالك من النساء والاولاد واسترقوا الجميع وهدموا سور مدينة اسوان ومضوا بالسبى وقد تركوها خرابا يبابا لاسكن بها فاستمرّت على ذلك بعد ما كانت بحيث يقول عنها عبد الله بن احمد بن سليم الاسوانى فى كتاب أخبار النوبة ان أبا عبد الرحمن عبد الله بن عبد الحميد العمرى لما غلب على المعدن كتب الى اسوان يسأل التجار الخروج اليه بالجهاز من طريق المعدن فخرج اليه رجل يعرف بعثمان بن حنظلة التميمى فى ألف راحلة فيها الجهاز والبرّ * وذكر أنّ العمرى لما عاد الى بلاد البجه بعد حروبه للنوبة كثرت العمارة حتى صارت الرواحل التى تحمل الميرة اليهم من اسوان ستين ألف راحلة غير الجلاب التى تحمل من القلزم الى عيذاب قال ومما شاهده جماعة من شيوخنا الثقات باسوان بقرية تدعى اساشى هى من اسوان على مرحلتين ونصف انهم رأوا شرقها من جانب النيل قرية بسور وخارج بابها جميزة وناس يدخلون ويخرجون فاذا عبروا الى الموضع لم يجدوا شيأ وهذا يكون فى الشتاء دون الصيف قبل طلوع الشمس والناس مجمعون على رؤيتها وصحة هذا الخبر وكان بها انواع من التمر وأنواع من الرطب منها نوع من الرطب أشدّ ما يكون من خضرة السلق وأمر هارون الرشيد أن يجمع له من ألوان تمر اسوان من كل صنف تمرة واحدة فجمع له ويبة ولا يعرف فى الدنيا بسر يتمر قبل أن يصير رطبا الا باسوان

(ذكر بلاق)

بلاق أجلّ حصن للمسلمين وهى جزيرة تقرب من الجنادل محيط بها النيل فيها بلد كبير يسكنه خلق كثير من الناس وبها نخل عظيم ومنبر فى جامع واليها تنتهى سفن النوبة وسفن المسلمين من اسوان وبينها وبين القرية التى تعرف بالقصر وهى اوّل بلد النوبة ميل واحد وبينها وبين اسوان أربعة اميال ومن اسوان الى هذا الموضع جنادل فى البحر لاتسلكها المراكب الا بالحيلة ودلالة من يخبر ذلك من الصيادين الذين يصيدون هنالك وبالقصر مسلحة وباب الى بلد النوبة

(ذكر حائط العجوز)

هذا الحائط كان حصنا للارض مصر يحدق بجميعها وكان فيه محارس ومسالح ومن ورائه خليج يجرى فيه الماء معقود عليه القناطر عملته دلوكة بنت زبا وقد وهى وتلاشى ولم يبق منه الا يسير فى شط النيل الشرقى ينتهى الى اسوان قال ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم فى كتاب فتوح مصر فبقيت مصر بعد غرقهم يعنى فرعون وجنوده وليس فيها من أشراف أهلها أحد ولم يبق بها الا العبيد والاجراء والنساء فأعظم أشراف من بمصر من النساء أن يولين منهم أحدا وأجمع رأيهن أن يولين امرأة منهنّ يقال لها دلوكة بنت زبا وكان لها عقل ومعرفة وتجارب وكانت فى شرف منهنّ وموضع وهى يومئذ بنت مائة سنة وستين سنة فملكوها فخافت أن يتناولها ملوك الارض فجمعت نساء الاشراف فقالت لهنّ انّ بلادنا لم يكن يطمع فيها أحد ولا يمدّ عينه اليها وقد هلك اكابرنا وأشرافنا وذهب السحرة الذين كنا نقوى بهم وقد رأيت أن أبنى حصنا أحدق به جميع بلادنا فأضع عليه المحارس من كل ناحية فانا لانأمن من أن يطمع فينا الناس فبنت جدارا أحاطت به على جميع أرض مصر كلها المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجا يجرى فيه الماء وأقامت القناطر والترع وجعلت فيه محارس ومسالح على كل ثلاثة اميال محرس ومسلحة وفيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل وجعلت فى كل محرس رجالا وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم أن يحرسوا بالاجراس فاذا أتاهم أحد يخافونه ضرب بعضهم الى بعض بالاجراس فأتاهم الخبر من اى جهة كانت فى ساعة واحدة فنظروا فى ذلك فمنعت بذلك مصر ممن أرادها وفرغت من بنائه فى ستة أشهر وهو الجدار الذى يقال له جدار العجوز بمصر وقد بقيت بالصعيد منه بقايا كبيرة والله أعلم

(ذكر البقط)

البقط ما يقبض من سبى النوبة فى كل عام ويحمل الى مصر ضريبة عليهم فان كانت هذه الكلمة عربية فهى اما من قولهم فى الارض بقط من بقل وعشب أى نبذ من مرعى فيكون معناه على هذا نبذة من المال أو

يكون من قولهم ان في بني تميم بقطا من ربيعة اى فرقة أو قطعة فيكون معناه على هذا فرقة من المال أو قطعة منه ومنه بقط الارض فرقة منها وبقط الشئ فرّقه والبقط أن تعطى الجنة على الثلث أو الربع والبقط أيضا ما سقط من التمر اذا قطع فأخطأ المخرف فيكون معناه على هذا بعض ما في أيدي النوبة وكان يؤخذ منهم في قرية يقال لها القصر مسافتها من اسوان خمسة اميال فيما بين بلد بلاق وبلد النوبة وكان القصر فرضة لقوص واوّل ما تقرّر هذا البقط على النوبة في امارة عمرو بن العاص لما بعث عبد الله بن سعد بن أبي سرح بعد فتح مصر الى النوبة سنة عشرين وقيل سنة احدى وعشرين في عشرين ألفا فمكث بها زمانا فكتب اليه عمرو يأمره بالرجوع اليه فلما مات عمرو رضي الله عنه نقض النوبة الصلح الذي جرى بينهم وبين عبد الله بن سعد وكثرت سراياهم الى الصعيد فأخربوا وأفسدوا فغزاهم مرّة ثانية عبد الله بن سعد بن أبي سرح وهو على امارة مصر في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة احدى وثلاثين وحصرهم بمدينة دنقلة حصارا شديدا ورماهم بالمنجنيق ولم تكن النوبة تعرفه وخسف بهم كنيستهم بحجر فبهرهم ذلك وطلب ملكهم واسمه قليدوروث الصلح وخرج الى عبد الله وأبدى ضعفا ومسكنة وتواضعا فتلقاه عبد الله ورفعه وقرّبه ثم قرّر الصلح معه على ثلثمائة وستين رأسا في كل سنة ووعده عبد الله بحبوب يهديها اليه لما شكا له قلة الطعام ببلده وكتب لهم كتابا نسخته بعد البسملة عهد من الامير عبد الله بن سعد بن أبي سرح لعظيم النوبة ولجميع أهل مملكته عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة من حدّ أرض اسوان الى حدّ أرض علوة أنّ عبد الله بن سعد جعل لهم أمانا وهدنة جارية بينهم وبين المسلمين ممن جاورهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين واهل الذمّة انكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد النبيّ صلى الله عليه وسلم أن لا نحاربكم ولا ننصب لكم حربا ولا نغزوكم ما أقمتم على الشرائط التي بيننا وبينكم على أن تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه وعليكم حفظ من نزل بلدكم أو يطرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم وان عليكم ردّ كل آبق خرج اليكم من عبيد المسلمين حتى تردّوه الى أرض الاسلام ولا تستولوا عليه ولا تمنعوا منه ولا تتعرّضوا لمسلم قصده وحاوره الى أن ينصرف عنه وعليكم حفظ المسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ولا تمنعوا منه مصليا وعليكم كنسه واسراجه وتكرمته وعليكم في كل سنة ثلثمائة وستون رأسا تدفعونها الى امام المسلمين من أوسط رقيق بلادكم غير المعيب يكون فيها ذكران واناث ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم تدفعون ذلك الى والى اسوان وليس على مسلم دفع عدوّ عرض لكم ولا منعه عنكم من حدّ أرض علوة الى أرض اسوان فان انتم آويتم عبد المسلم أو قتلتم مسلما أو معاهدا أو تعرّضتم للمسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم أو منعتم شيأ من الثلثمائة رأس والستين رأسا فقد برئت منكم هذه الهدنة والامان وعدنا نحن وأنتم على سواء حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين علينا بذلك عهد الله وميثاقه وذمّته وذمّة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ولنا عليكم بذلك أعظم ما تدينون به من ذمّة المسيح وذمّة الحواريين وذمّة من تعظمونه من أهل دينكم وملتكم الله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك كتبه عمرو بن شرحبيل في رمضان سنة احدى وثلاثين * وكانت النوبة دفعت الى عمرو بن العاص ما صولحوا عليه من البقط قبل نكثهم وأهدوا الى عمرو أربعين رأسا من الرقيق فلم يقبلها وردّ الهدية الى كبير البقط ويقال له سمقوس فاشترى له بذلك جهازا وخمرا ووجهه اليه وبعث اليهم عبد الله بن سعد ما وعدهم به من الحبوب قمحا وشعيرا وعدسا وثيابا وخيلا ثم تطاول الرسم على ذلك فصار رسما يأخذونه عند دفع البقط في كل سنة وصارت الاربعون رأسا التي أهديت الى عمرو يأخذها والى مصر وعن أبي خليفة حميد بن هشام البحتري أن الذي صولح عليه النوبة ثلثمائة وستون رأسا لفيء المسلمين ولصاحب مصر اربعون رأسا ويدفع اليهم ألف اردب قمحا ولرسله ثلثمائة اردب ومن الشعير كذلك ومن الخمر ألف اقنيز للملك ولرسله ثلثمائة اقنيز وفرسين من نتاج خيل الامارة ومن أصناف الثياب مائة ثوب ومن القباطي أربعة أثواب للملك ولرسله ثلاثة ومن البقطرية ثمانية أثواب ومن المعلمة خمسة أثواب وجبة مجملة للملك ومن قمص ابي بقطر عشرة أثواب ومن أحاص عشرة أثواب وهي ثياب غلاظ قال ابو خليفة ليس في كتاب عبد الله بن وهب ولا في كتاب الواقدي تسمية ينتهي اليها وانما أخذت التسمية من أبي زكريا قال أبو زكريا سمعت والدي عمرو بن صالح يقول هذا الخبر فحفظت منه ما وقفت عليه وقال حضرت مجلس الامير عبد الله بن طاهر وهو على مصر فقال

انت

أنت عثمان بن صالح الذى وجهنا اليك فى كتاب بقط النوبة قلت نعم فأقبل على محفوظ بن سليمان فقال ما أعجب أمر هذه البلدة وجهنا اليهم نطلب علما من علومهم والى هذا الشيخ فما شافهنا أحد منهم فقلت أصلح الله الامير ان الذى طلبت من خبر النوبة عندى قد حفظه شيوخ عن الشيوخ الذين حضروا هنالك والهدنة والصلح الذى جرى بين عبد الله بن سعد وبين النوبة ثم حدثته عن أخبارهم كما سمعت فأنكر عطية الخمر فقلت قد أنكرها عبد العزيز بن مروان وكان هذا المجلس بفسطاط مصر سنة احدى عشرة ومائتين بعد أن تم الصلح بينه وبين عبد الله بن السرى بن الحكم التميمى الامير كان قبله قال عثمان بن صالح فوجه الامير الى الديوان بظهر المسجد الجامع بمصر فاستخرج منه خبر النوبة فوجده كما ذكرت فسره ذلك * وعن مالك بن انس انه كان يرى أن أرض النوبة الى حد علوة صلح وكان لا يجيز شراء رقيقهم وكان أصحابه مثل عبد الله بن عبد الحكم وعبد الله ابن وهب والليث بن سعد ويزيد بن أبى حبيب وغيرهم من فقهاء مصر يرون خلاف ذلك قال الليث بن سعد نحن أعرف بأرض النوبة من الامام مالك بن انس انما صولحوا على أن لا نغزوهم ولا نمنع منهم عدوا فانما استرقه متملكهم أو غزا بعضهم بعضا فشراؤه جائز وما استرقه بغاة المسلمين وسراقهم فغير جائز وكان عند جماعة منهم جوار نوبيات لفرشهم ولم يزل النوبة يؤدون البقط فى كل سنة ويدفع اليهم ما تقدم ذكره الى أيام أمير المؤمنين المعتصم بالله أبى اسحاق بن الرشيد وكبير النوبة يومئذ زكرياء بن بحنس وكانت النوبة ربما عجزت عن دفع البقط فشنت الغارة عليهم ولاة المسلمين القريبون من بلادهم ويمنع من اخراج الجهاز اليهم فأنكر فيرقى ولد كبيرهم زكرياء على أبيه بذله الطاعة لغيره واستعجزه فيما يدفع فقال له ابوه فما تشاء قال عصيانهم ومحاربتهم قال ابوه هذا شئ رواه السلف من آبائنا صوابا وأخشى أن يفضى هذا الامر اليك فتقدم على محاربة المسلمين غير أنى أوجهك الى ملكهم رسولا فأنت ترى حالنا وحالهم فان رأيت لنا بهم طاقة حاربناهم على خبرة والا سألته الاحسان الينا فشخص فيرقى الى بغداد وكانت البلدان تزين له ويسير على المدن وانحدر بانحداره رئيس البجه باسبابه ولقيا المعتصم فنظرا الى ما بهرهما من حال العراق فى كثرة الجيوش وعظم العمارة مع ما شاهداه فى طريقهما فقرب المعتصم فيرقى وأدناه وأحسن اليه احسانا تاما وقبل هديته وكافأه بأضعافها وقال له تمن ما شئت فسأله فى اطلاق المحبوسين فأجابه الى ذلك وكبر فى عين المعتصم ووهب له الدار التى نزلها بالعراق وأمر أن يشترى له فى كل منزل من طريقه دار تكون لرسلهم فانه امتنع من دخول دار لاحد فى طريقه فأخذ له بمصر دار بالجيزة واخرى ببنى وائل وأجرى لهم فى ديوان مصر سبعمائة دينار وفرسا وسرجا ولجاما وسيفا محلى وثوبا منقلا وعمامة من الخز وقميص شرب ورداء شرب وثيابا للرسل غير محدودة عند وصول البقط الى مصر ولهم حملان وخلع على المتولى لقبض البقط وعليهم رسوم معلومة لقابض البقط والمتصرفين معه وما يهدى اليهم بعد ذلك فغير محدود وهو عندهم هدية يجازون عليها ونظر المعتصم الى ما كان يدفعه المسلمون فوجده اكثر من البقط وأنكر عطية الخمر وأجرى الحبوب والثياب التى تقدم ذكرها وقرر دفع البقط بعد انقضاء كل ثلاث سنين وكتب لهم كتابا بذلك بقى فى يد النوبة وادعى النوبى على قوم من اهل اسوان انهم اشتروا أملاكا من عبيده فأمر المعتصم بالنظر فى ذلك فأحضر والى البلد والمختار للحكم فيه التابعين من النوبة وسألاهم عما ادعاه صاحبهم من بيعهم فأنكروا ذلك وقالوا نحن رعية فزال ما ادعاه وطلب أشياء غير ذلك من ازالة المسلحة المعروفة بالقصر عن موضعها الى الحد الذى بينهم وبين المسلمين لان المسلحة على أرضهم فلم يجبه الى ذلك ولم يزل الرسم جاريا بدفع البقط على هذا التقرير ويدفع اليهم ما أجراه المعتصم الى أن قدمت الدولة الفاطمية الى مصر ذكر ذلك مؤرخ النوبة وقال أبو الحسن المسعودى والبقط هو ما يقبض من السبى فى كل سنة ويحمل الى مصر ضريبة عليهم وهو ثلثمائة رأس وخمسة وستون رأسا لبيت المال بشرط الهدنة بين النوبة والمسلمين وللامير بمصر غير ما ذكرنا أربعون رأسا ولخليفته المقيم باسوان وهو المتولى لقبض البقط عشرون رأسا وللحاكم المقيم باسوان الذى يحضر مع أمير اسوان قبض البقط خمسة أروس ولاثنى عشر شاهدا عدولا من أهل اسوان يحضرون مع الحاكم لقبض البقط اثنا عشر رأسا من السبى على حسب ما جرى به الرسم فى صدر الاسلام فى بدء ايقاع الهدنة بين المسلمين والنوبة وقال البلاذرى فى كتاب الفتوح ان المقرر على النوبة اربعمائة رأس يأخذون بها طعاما اى غلة وألزمهم أمير المؤمنين المهدى محمد بن أبى جعفر المنصور ثلثمائة وستين رأسا وزرافة

وفي سنة أربع وسبعين وستمائة كثر خبث داود متملك النوبة وأقبل الى أن قرب من مدينة اسوان وحرق
عدة سواق بعد ما أفسد بعيذاب فمضى اليه والى قوص فلم يدركه وقبض على صاحب الخيل فى عدة من النوبة
وحملهم الى السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى بقلعة الجبل فوسطهم وقدم سكندة ابن اخت متملك
النوبة متظلما من خاله داود فجرد السلطان معه الامير شمس الدين آق سنقر الفارقانى الاستادار والامير عز
الدين ايبك الافرم وامير جاندار فى جماعة كثيرة من العسكر ومن أجناد الولايات وعربان الوجه القبلى
والزراقين والرماة ورجال الحراريق فساروا فى اول شعبان من القاهرة حتى وصلوا الى أرض النوبة فخرجوا
الى لقائهم على النجب بأيديهم الحراب وعليهم دكادك سود فاقتتل الفريقان قتالا كبيرا انهزم فيه النوبة وأغار
الافرم على قلعة الدر وقتل وسبى واوغل الفارقانى فى أرض النوبة برا وبحرا يقتل ويأسر فحاز من المواشى
مالا يعد ونزل بجزيرة ميكائيل برأس الجنادل ونفر المراكب من الجنادل ففر النوبة الى الجزائر وكتب لقمر
الدولة نائب داود متملك النوبة أمانا فخاف لسكندة على الطاعة واحضر رجال المريس ومن فر وخاض الافرم
الى برح فى الماء وحصره حتى أخذه وقتل به مائتين واسر اخا لداود فهرب داود والعسكر فى أثره مدة ثلاثة
أيام وهم يقتلون ويأسرون حتى أذعن القوم وأسرت ام داود وأخته ولم يقدر على داود فتقرر سكندة عوضه
وقرر على نفسه القطيعة فى كل سنة ثلاث فيلة وثلاث زرافات وخمس فهود من اناثها ومائة نجيب أصهب
وأربعمائة رأس من البقر المنتجة على أن تكون بلاد النوبة نصفين نصفها للسلطان ونصفها لعمارة البلاد
وحفظها ما خلا بلاد الجنادل فانها كلها للسلطان لقربها من اسوان وهى نحو الربع من بلاد النوبة وأن يحمل
مابها من التمر والقطن والحقوق الجارية بها العادة من قديم الزمان وأن يقوموا بالجزية ما بقوا على النصرانية
فيدفع كل بالغ منهم فى السنة دينارا عينا وكتب نسخة يمين بذلك حلف عليها الملك سكندة ونسخة يمين اخرى
حلفت عليها الرعية وخرب الاميران كنائس النوبة وأخذا ما فيها وقبض على نحو عشرين اميرا من امراء النوبة
وأفرج عمن كان بأيدى النوبة من أهل اسوان وعيذاب من المسلمين فى أسرهم وألبس سكندة تاج الملك وأقعد
على سرير المملكة بعد ما حلف والتزم أن يحمل جميع مال داود ولكل من قتل وأسر من مال ودواب الى
السلطان مع البقط القديم وهو أربعمائة رأس من الرقيق فى كل سنة وزرافة من ذلك ما كان للخليفة
ثلثمائة وستون رأسا ولنائبه بمصر أربعون رأسا على أن يطلق لهم اذا وصلوا بالبقط تاما من القمح ألف اردب
لمتملكهم وثلثمائة أردب لرسله

* (ذكر صحراء عيذاب) *

اعلم أن حجاج مصر والمغرب أقاموا زيادة على مائتى سنة لا يتوجهون الى مكة شرفها الله تعالى الا من صحراء
عيذاب يركبون النيل من ساحل مدينة مصر الفسطاط الى قوص ثم يركبون الابل من قوص ويعبرون هذه
الصحراء الى عيذاب ثم يركبون البحر فى الجلاب الى جدة ساحل مكة وكذلك تجار الهند واليمن والحبشة يردون
فى البحر الى عيذاب ثم يسلكون هذه الصحراء الى قوص ومنها يردون مدينة مصر فكانت هذه الصحراء لا تزال
عامرة آهلة بما يصدر ويرد من قوافل التجار والحجاج حتى ان كانت أحمال البهار كالقرفة والفلفل ونحو ذلك
لتوجد ملقاة بها والقفول صاعدة وهابطة لا يعترض لها أحد الى أن يأخذها صاحبها فلم تزل مسلكا للحجاج فى
ذهابهم وايابهم زيادة على مائتى سنة من أعوام بضع وخمسين وأربعمائة الى أعوام بضع وستين وستمائة
وذلك منذ كانت الشدة العظمى فى أيام الخليفة المستنصر بالله أبى تميم معد بن الظاهر وانقطاع الحج فى البر
الى أن كسا السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الكعبة وعمل لها مفتاحا ثم اخرج
قافلة الحاج من البر فى سنة ست وستين وستمائة فقل سلوك الحاج لهذه الصحراء واستمرت بضائع
التجار تحمل من عيذاب الى قوص حتى بطل ذلك بعد سنة ستين وسبعمائة وتلاشى امر قوص من حينئذ
وهذه الصحراء مسافتها من قوص الى عيذاب سبعة عشر يوما ويفقد فيها الماء ثلاثة أيام متوالية وتارة يفقد
أربعة أيام وعيذاب مدينة على ساحل بحر جدة وهى غير مسورة وأكثر بيوتها أخصاص وكانت من أعظم
مراسى الدنيا بسبب أن مراكب الهند واليمن تحط فيها البضائع وتقلع منها مع مراكب الحجاج الصادرة والواردة
فلما انقطع ورود مراكب الهند واليمن اليها صارت المرسى العظيمة عدن من بلاد اليمن الى أن كانت اعوام بضع

وعشرين

وعشرين وثمانمائة فصارت جدة أعظم مراسي الدنيا وكذلك هرمز فانها مرسى جليل وعيذاب فى صحراء لانبات فيها وكل مايؤكل بها مجلوب اليها حتى الماء وكان لاهلها من الحجاج والتجار فوائد لا تحصى وكان لهم على كل حمل يحملونه للحجاج ضريبة مقررة وكانوا يكارون الحجاج الجلاب التى تحملهم فى البحر الى جدة ومن جدة الى عيذاب فيجتمع لهم من ذلك مال عظيم ولم يكن فى اهل عيذاب الامن له جلبة فاكثر على قدر يساره وفى بحر عيذاب مغاص اللؤلؤ فى جزائر قريبة منها تخرج اليه الغواصون فى وقت معين من كل سنة فى الزوارق حتى يوافوه بتلك الجزائر فيقيمون هنالك أياما ثم يعودون بما قسم لهم من الحظ والمغاص فيها قريب القعر وعيش اهل عيذاب عيش البهائم وهم أقرب الى الوحش فى أخلاقهم من الانس وكان الحجاج يجدون فى ركوبهم الجلاب على البحر اهوالا عظيمة لان الرياح تلقيهم فى الغالب بمراس فى صحارى بعيدة مما يلى الجنوب فينزل اليهم التجار من جبالهم فيكارونهم الجمال ويسلكون بهم على غير ماء فربما هلك اكثرهم عطشا وأخذ التجار ما كان معهم ومنهم من يضل ويهلك عطشا والذى يسلم منهم يدخل الى عيذاب كانه نشر من كفن ندا استحالت هيآتهم وتغيرت صفاتهم وا كثر هلاك الحجاج بهذه المراسي ومنهم من يساعده الريح فتحطه بمرسى عيذاب وهو الاقل وجلباتهم التى تحمل الحجاج فى البحر لايستعمل فيها مسمار البتة انما يخيط خشبها بالقنبار وهو متخذ من شجر النارجيل ويخللونها بدسر من عيدان النخل ثم يسقونها بسمن اودهن الخروع اودهن القرش وهو حوت عظيم فى البحر يبتلع الغرقى وقلاع هذه الجلاب من خوص شجر المقل ولاهل عيذاب فى الحجاج أحكام الطواغيت فانهم يبالغون فى شحن الجلبة بالناس حتى يبقى بعضهم فوق بعض حرصا على الاجرة ولا يبالون بما يصيب الناس فى البحر بل يقولون دائما علينا بالالواح وعلى الحجاج بالارواح وأهل عيذاب من البجاة ولهم ملك منهم وبها وال من قبل سلطان مصر وأدركت قاضيها عندنا بالقاهرة أسود اللون والبجاة قوم لادين لهم ولا عقل ورجالهم ونساؤهم أبدا عراة وعلى عوراتهم خرق وكثير منهم لايسترون عوراتهم وعيذاب حرها شديد بسموم محرق

(ذكر مدينة الاقصر)

هذه المدينة من مدائن الصعيد العظيمة يقال ان اهلها المريس ومنها الحمير المريسية

(ذكر البلينا)

هذه وذكر الكمال الادفوى أنه وقع بين اهل البلاد ووالى قوص فتوجهوا الى القاهرة وصرفوه وولى غيره وطلع الخطيب بالمناصحته وكان اقطاعه ارمنت فلما وصل اليها أضافه اهلها بستين منسفا من طعام اللبن فقال للخطيب فى بلادكم مثل هذا فقال الخطيب وحلوى فلما وصل الى اخميم تقدم الخطيب الى البلينا فعندما وصل الوالى اليها أخرجوا له ستين منسفا حلوى وستين منسفا شواء قال وبعض الحكام بها فى عيد من الاعياد امتدحه من اهلها خمسة وعشرون شاعرا وفيها من لايرضى بمدح القاضى وفيها من تقصر رتبته عن ذلك قال وكان فيها عدة مسابك للسكر ويوصف أهلها بالمكارم

(ذكر سمهود)

هذه المدينة بالجانب الغربى من النيل قال الادفوى كان بسمهود سبعة عشر حجرا لاعتصار قصب السكر ويقال ان الفار لايدخل قصبها

(ذكر ارجنوس)

هذه المدينة من جملة عمل البهنسا بها كنيسة بظاهرها فيها بئر يقال لها بئر سيرس صغيرة لها عيد يعمل فى اليوم الخامس والعشرين من بشنس أحد شهور القبط فيفور بها الماء عند مضى ست ساعات من النهار حتى يطفو ثم يعود الى ما كان عليه ويستدل النصارى على زيادة النيل فى كل سنة بقدر ماعلا الماء من الارض فيزعمون أن الامر فى النيل وزيادته يكون موافقا لذلك

(ذكر ابويط)

هذه المدينة أيضا من جملة البهنساوية كان بها منارة محكمة البناء اذا هزها الرجل تحركت يمينا وشمالا فيرى

ميلها ارؤية ظاهرة بانتقال ظلها عن موضعه

(ذكر ملوى)

هذه المدينة بالجانب الغربى من النيل وأرضها معروفة بزراعة قصب السكر وكان بها عدة أحجار لاعتصاره وآخر من كان بها اولاد فضيل بلغت زراعتهم فى ايام الناصر محمد بن قلاون ألفا وخمسمائة فدان من القصب فى كل سنة فأوقع النشو ناظر الخاص الحوطة على موجودهم فى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة فوجد من جملة مالهم أربعة عشر ألف قنطار من القند حملها الى دار القند بمصر سوى العسل وألزمهم بحمل ثمانية آلاف قنطار بعد ذلك وافرج عنهم فوجد والهم حاصلا لم يهتد له النشو فيه عشرة آلاف قنطار قند سوى مالهم من عبيد وغلال وغير ذلك

(ذكر مدينة انصنا)

اعلم أن مدينة انصنا احدى مدائن صعيد مصر القديمة وفيها عدة عجائب منها الملعب ويقال انه كان مقياس النيل وانه من بناء دلوكة أحد من ملك مصر وكان كالطيلسان وفى دائره عمد على عدة أيام السنة الشمسية كلها من الصوان الاحمر الماتع ومسافة ما بين كل عمودين مقدار خطوة انسان وكان ماء النيل يدخل الى هذا الملعب من فوهة عند زيادة الماء فاذا بلغ ماء النيل الحد الذى كان اذ ذاك يحصل منه رى أرض مصر وكفايتها جلس الملك عند ذلك فى مشرف له وصعد القوم من خواصه الى رؤس الاعمدة المذكورة فيتعادون عليها ما بين ذاهب وآت ويتساقطون من الاعمدة الى الملعب وهو ممتلئ بالماء قال ابو عبيد البكرى أنصنا بفتح اوله واسكان ثانيه بعده صاد مهملة مكسورة ونون وألف كورة من كور مصر معروفة منها كانت سرية النبى صلى الله عليه وسلم ام ابنه ابراهيم من قرية يقال لها حفن من قرى هذه الكورة ويقال ان سحرة فرعون كانوا منها وانه جلبهم منها يوم الموعد للقاء موسى عليه السلام ويقال ان التمساح لا يضر بساحل أنصنا لطلاسم وضعت بها وانه اذا حاذى برها انقلب على ظهره حتى يجاوزها ويقال ان الذى بنى مدينة أنصنا اشمون ابن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح وهى واقعة فى شرقى النيل وكانت حسنة البساتين والمتنزهات كثيرة الثمار والفواكه وهى الآن خراب وقال ابو حنيفة الدينورى ولا ينبت البنج الا بأنصنا وهو عود ينشر منه الواح للسفن وربما أرعفت ناشرها ويباع اللوح منها بخمسين دينارا ونحوها واذا شد لوح منها بلوح وطرح فى الماء سنة ايام صار لوحا واحدا وكان لانصنا سور عتيق هدمه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وحمل على كل مركب منحدر فى النيل جزأ من حمل صخره الى القاهرة فنقل بأسره اليها

(ذكر القيس)

اعلم أن القيس من البلاد التى تجاور مدينة البهنسا وكان يقال القيس والبهنسا قال ابن عبد الحكم بعث عمرو بن العاص قيس بن الحارث الى الصعيد فسار حتى اتى القيس فنزل بها فسميت به وقال ابن يونس قيس ابن الحارث المرادى ثم الكعبى شهد فتح مصر يروى عن عمر بن الخطاب وكان يفتى الناس فى زمانه روى عنه سويد بن قيس وقيل شديد بن قيس بن ثعلبة وروى عنه عسكر بن سوادة وهو الذى فتح القرية بصعيد مصر المعروفة بالقيس فنسبت اليه وقال ابن الكندى ولهم ثياب الصوف واكسية المرعز وليس هى بالدنيا الا بمصر وذكر بعض أهل مصر أن معاوية بن أبى سفيان لما كبر كان لا يدفأ فاجمعوا أنه لا يدفيه الا الا كسية تعمل بمصر من صوفها المرعز العسلى العين المصبوغ فعمل له منها عدد فما احتاج منها الا الى واحد ولهم طراز القيس والبهنسا فى الستور والمضارب يعرفون به ومنه طراز أهل الدنيا *وظهر بها بالقرب من البهنسا سرب فى أيام السلطان الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب فأمر متولى البهنساوية بكشفه فجمع له اهل المعرفة بالعوم والغطاس فكانوا ما ينيف على مائتى رجل مافيهم الا من نزل السرب فلم يجد له قرارا ولا جوانب فأمر بعمل مركب طويل رقيق بحيث يمكن ادخاله من رأس السرب وشحنه بالازواد والرجال وركب فيه حبالا مربوطة فى خوازيق عند رأس السرب وحمل مع الرجال آلات يعرفون بها أوقات الليل والنهار وعدة شموع وغيرها مما تستخرج به النار وتشعل به وأمرهم أن يسلكوا بالمركب فى السرب حتى ينفد نصف ما معهم من

الزاد فساروا بالمركب فى ظلمة وهم يرخون الحبال ولا يجدون لما هم سائرون فيه من الماء جوانب فما زالوا حتى قلت ازوادهم فأبطلوا حركة المركب بالمجاذيف الى داخل السرب وجرّوا الحبال ليرجعوا الى حيث دخلوا حتى انتهوا الى رأس السرب فكانت مدة غيبتهم فى السرب ستة أيام أربعة منها دخولا الى جوفه وتطواف جوانبه ويومان رجوعا الى رأس السرب ولم يقفوا فى هذه المدة على نهاية السرب فكتب بذلك الامير علاء الدين الطنبغا والى البهنسا الى الملك الكامل فتعجب عجبا كثيرا واشتغل عن ذلك بمحاربة الفرنج على دمياط فلما رحلوا عن دمياط وعادوا الى القاهرة خرج بعد ذلك حتى شاهد السرب المذكور

(ذكر دروط بلهاسة)

اعلم أنّ دروط وهى بفتح الدال المهملة وضم الراء وسكون الواو وطاء اسم لثلاث قرى دروط أشموم من الاشمونين ودروط سربان من الاشمونين أيضا ودروط بلهاسة من ناحية البهنسا بالصعيد وبها جامع انشأه زياد ابن المغيرة بن زياد بن عمرو العتكى ومات فى المحرّم سنة احدى وتسعين ومائة فدفن به وقال فيه الشاعر

حلف الجود حلفة برّ فيها * ما برا الله واحدا كزياد
كان غيثا لمصر اذ كان حيا * وأمانا من السنين الشداد

ومات اخوه ابراهيم بن المغيرة سنة سبع وتسعين ومائة فقال الشاعر فيه

ابن المغيرة ابراهيم من ذهب * يزداد حسنا على طول الدهارير
لو كان يملك ما فى الارض عجله * الى العفاة ولم يهمم بتأخير

ومات احمد بن زياد بن المغيرة فى المحرّم سنة ست وثلاثين ومائتين فقال الشاعر فيه

احمد مات ماجدا مفقودا * ولقد كان احمد محمودا
ورث المجد عن أب ثم عمّ * مثله ليس بعده موجودا

(ذكر سكر)

هى من الاطفيحية تجاهها وادبه الى وقتنا هذا شكل جمل من الحجر كأكبر ما يرى من الجمال وأحسنها هيئة وهو قائم على أربعة وقد استقبل بوجهه المشرق وعلى فخذه الايمن كتابة بقلمهم وهى أحرف مقطعة فى ثلاثة اسطر ثم على نحو مائة وخمسين خطوة منه جمل آخر مثله سواء ووجهه الى وجه الجمل الاول وليس عليه كتابة وفيما بين الجملين المذكورين هيئة أعدال قد ملئت فماشاعدتها أربعون زكيبة موضوعة بالارض عشرين تجاه عشرين وجميعها من حجارة ولا يشك من رآها انها أحمال قماش وبعد مائة وخمسين خطوة منها جمل ثالث على هيئة الجملين المذكورين وهو أيضا قائم وظهره الى ظهر الجمل الثانى ووجهه الى الجبل وهناك آخر الوادى وليس على هذا الجمل أيضا كتابة أخبرنى بذلك من لا اتهم روايته

(ذكر منية الخصيب)

هذه المدينة تنسب الى الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر من قبل أمير المؤمنين هارون الرشيد

(ذكر منية الناسك)

هى بلدة من جملة الاطفيحية عرفت بالناسك أخى الوزير بهرام الارمنى فى أيام الخليفة الحافظ لدين الله أبى الميمون عبد المجيد بن محمد ولى من قبل أخيه مدينة قوص سنة تسع وعشرين وخمسمائة وولاية قوص يومئذ أجل ولايات مصر فجار على المسلمين واشتد عسفه واذاه لهم فعندما وصل الخبر بقيام رضوان بن ولخشى على بهرام وهزيمته منه وتقلده الوزارة بعده ثار أهل قوص بالناسك فى جمادى الآخرة سنة احدى وثلاثين وخمسمائة وقتلوه وربطوا كلبا ميتا فى رجله وسحبوه حتى ألقوه على مزبلة وكان نصرانيا

(ذكر الجيزة)

قال ابن سيده الجيزة الناحية والجانب وجمعها جيز وجيز والجيز جانب الوادى وقد يقال فيه الجيزة واعلم أنّ الجيزة اسم لقرية كبيرة جليلة البنيان على النيل من جانبه الغربى تجاه مدينة فسطاط مصر لها فى كل يوم أحد اسوق عظيم يجيء اليه من النواحى أصناف كثيرة جدا ويجتمع فيه عالم عظيم وبها عدة مساجد جامعة * وقد روى

الحافظ أبو بكر بن ثابت الخطيب من حديث نبيط بن شريط قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيزة روضة من رياض الجنة ومصر خزائن الله فى أرضه ويقال ان مسجد التوبة الذى بالجيزة كان فيه تابوت موسى عليه السلام الذى قذفته أمه فيه بالنيل وبها النخلة التى أرضعت مريم تحتها عيسى فلم يثمر غيرها * وقال ابن عبد الحكم عن يزيد بن ابى حبيب فاستحبت همدان ومن والاها الجيزة فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما يعلمه بما صنع الله للمسلمين وما فتح عليهم وما فعلوا فى خططهم وما استحبت همدان من النزول بالجيزة فكتب اليه عمر يحمد الله على ما كان من ذلك ويقول له كيف رضيت أن تفرق اصحابك لم يكن ينبغى لك أن ترضى لاحد من اصحابك أن يكون بينك وبينهم بحر ولا تدرى ما يفجأهم فلعلك لا تقدر على غياثهم حين ينزل بهم ما تكره فاجمعهم اليك فان أبوا عليك وأعجبهم موضعهم بالجيزة وأحبوا ما هنالك فابن عليهم من فىء المسلمين حصنا فعرض عليهم عمرو ذلك فأبوا وأعجبهم موضعهم بالجيزة ومن والاهم على ذلك من رهطهم يافع وغيرها وأحبوا ما هنالك فبنى لهم عمرو بن العاص الحصن فى الجيزة فى سنة احدى وعشرين وفرغ من بنائه فى سنة اثنتين وعشرين ويقال ان عمرو بن العاص لما سال اهل الجيزة أن ينضموا الى الفسطاط قالوا مقدم قدمناه فى سبيل الله ما كنا لنرحل منه الى غيره فنزلت يافع الجيزة فيها مبرح بن شهاب وهمدان وذو أصبح فيهم ابو شمر بن ابرهة وطائفة من الحجر * وقال القضاعى ولما رجع عمرو بن العاص من الاسكندرية ونزل الفسطاط جعل طائفة من جيشه بالجيزة خوفا من عدو يغشاهم من تلك الناحية فجعل فيها آل ذى اصبح من حميرهم كثير ويافع ابن زيد من رعين وجعل فيها همدان وجعل فيها طائفة من الازد بنى الحجر بن الهنو بن الازد وطائفة من الحبشة وديوانهم فى الازد فلما استقر عمرو فى الفسطاط أمر الذين خلفهم بالجيزة أن ينضموا اليه فكرهوا ذلك وقالوا هذا مقدم قدمناه فى سبيل الله وأقمنا به ما كنا بالذين نرغب عنه ونحن به منذ أشهر فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما بذلك يخبره أن همدان وآل ذى اصبح ويافعا ومن كان معهم احبوا المقام بالجيزة فكتب اليه كيف رضيت أن تفرق عنك اصحابك وتجعل بينك وبينهم بحرا لا تدرى ما يفجأهم فلعلك لا تقدر على غياثهم فاجمعهم اليك ولا تفرقهم فان أبوا وأعجبهم مكانهم فابن عليهم حصنا من فىء المسلمين فجمعهم عمرو واخبرهم بكتاب عمر فامتنعوا من الخروج من الجيزة فأمر عمرو ببناء الحصن عليهم فكرهوا ذلك وقالوا الاحصن احصن لنا من سيوفنا وكرهت ذلك همدان ويافع فأقرع عمرو بينهم فوقعت القرعة على يافع فبنى فيهم الحصن فى سنة احدى وعشرين وفرغ من بنائه فى سنة اثنتين وعشرين وأمرهم عمرو بالخطط بها فاختط ذو اصبح من حمير من الشرق ومضوا الى الغرب حتى بلغوا أرض الحرث والزرع وكرهوا أن يبنى الحصن فيهم واختط يافع ابن الحرث من رعين بوسط الجيزة وبنى الحصن فى خططهم وخرجت طائفة منهم عن الحصن انفة منه واختطت بكيل بن جشم من نوف من همدان فى مهب الجنوب من الجيزة فى شرقيها واختطت حاشد بن جشم بن نوف فى مهب الشمال من الجيزة فى غربيها واختطت الجباوية بنو عامر بن بكيل فى قبلى الجيزة واختطت بنو حجر بن ارحب بن بكيل فى قبلى الجيزة واختط بنو كعب بن مالك بن الحجر بن الهنو بن الازد فيما بين بكيل ويافع والحبشة اختطوا على الشارع الاعظم والمسجد الجامع بالجيزة بناه محمد بن عبد الله الخازن فى المحرم سنة خمسين وثلثمائة بأمر الامير على بن الاخشيد فتقدم كافور الى الخازن ببنائه وعمل له مستغلا وكان الناس قبل ذلك بالجيزة يصلون الجمعة فى مسجد همدان وهو مسجد مراحق بن عامر بن بكيل كان يجمع فيه الجمعة فى الجيزة وشارف بناء هذا الجامع مع الخازن ابو الحسن بن ابى جعفر الطحاوى واحتاجوا الى عمد للجامع فمضى الخازن فى الليل الى كنيسة بأعمال الجيزة فقلع عمدها ونصب بدلها أركانا وحمل العمد الى الجامع فترك ابو الحسن بن الطحاوى الصلاة فيه مذ ذاك تورعا قال المسبحى وقد كان ابن الطحاوى يصلى فى جامع الفسطاط العتيق وبعض عمده وأكثرها ورخامه من كنائس الاسكندرية وأرياف مصر وبعضه بناه قرة بن شريك عامل الوليد بن عبد الملك ويقال ان بالجيزة قبر كعب الاحبار وانه كان بها أحجار ورخام قد صورت فيها التماسيح فكانت لا تظهر فيما يلى البلد من النيل مقدار ثلاثة اميال علوا وسفلا وفى سنة اربع وعشرين وسبعمائة منع الملك الناصر محمد بن قلاون الوزير أن يتعرض الى شئ مما يتحصل من مال الجيزة فصار جميعه يحمل اليه

ذكر

قال القضاعي سجن يوسف عليه السلام ببوصير من عمل الجيزة أجمع أهل المعرفة من اهل مصر على صحة هذا المكان وفيه أثر نبيين أحدهما يوسف سجن به المدة التي ذكر أن مبلغها سبع سنين وكان الوحي ينزل عليه فيه وسطح السجن موضع معروف باجابة الدعاء يذكر أن كافور الاخشيدي سأل أبا بكر بن الحداد عن موضع معروف باجابة الدعاء ليدعو فيه فأشار عليه بالدعاء على سطح السجن والنبي الآخر موسى عليه السلام وقد بنى على اثره مسجد هناك يعرف بمسجد موسى اخبرنا ابو الحسن علي بن ابراهيم الشرفي بالشرف قال حدثنا ابو محمد عبد الله بن الورد وكان قد هلكت اخته وورث منها مورثا وكنا نسمع عليه دائما وكان لسجن يوسف وقت يمضي الناس اليه يتفرجون فقال لنا يوما يا اصحابنا هذا اوان السجن ونريد أن نذهب اليه وأخرج عشرة دنانير فناولها الاصحابه وقال لهم ما اشتهيتموه فاشتروه فمضى اصحاب الحديث واشتروا ما أرادوا وعدينا يوم احد الجيزة كانا وبتنا في مسجد همدان فلما كان الصباح مشينا حتى جئنا الى مسجد موسى وهو الذي في السهل ومنه يطلع الى السجن وبينه وبين السجن تل عظيم من الرمل فقال الشيخ من يحملني ويطلع بي الى هذا السجن حتى احدثه بحديث لا احدثه لاحد بعده حتى تفارق روحي الدنيا قال الشرفي فأخذت الشيخ وحملته حتى صرت في أعلاه فنزل وقال معك ورقة قلت لا قال أبصر لي بلاطة فأخذ فحمة وكتب حدثني يحيى بن ايوب عن يحيى بن بكير عن زيد بن اسلم بن يسار عن ابن عباس قال ان جبريل اتى الى يوسف في هذا السجن في هذا البيت المظلم فقال له يوسف من أنت الذي مذ دخلت السجن ما رأيت أحسن وجها منك فقال له أنا جبريل فبكى يوسف فقال ما يبكيك يا نبي الله فقال ايش يعمل جبريل في مقام المذنبين فقال أما علمت أن الله تعالى يطهر البقاع بالانبياء والله لقد طهر الله بك السجن وما حوله فما اقام الى آخر النهار حتى أخرج من السجن قال القضاعي سقط بين يحيى وزيد رجل وقال الفقيه ابو محمد أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي وذكر سجن يوسف لو سافر الرجل من العراق ليصلي فيه وينظر اليه لما عنفته في سفره وقال الفقيه ابو اسحق المروزي لو سافر الرجل من العراق لينظر اليه ما عنفته * وذكر المسبحي في حوادث شهر ربيع الاول سنة خمس عشرة وأربعمائة أن العامة والسوقة طافت الاسواق بمصر بالطبول والبوقات يجمعون من التجار وأرباب الاسواق ما ينفقونه في مضيهم الى سجن يوسف فقال لهم التجار شغلنا بعدم الاقوات يمنعنا من هذا وكان قد اشتد الغلاء وأنهوا حالهم الى الحضرة المطهرة يعني أمير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله أبا الحسن علي بن الحاكم بأمر الله فرسم لنائب الدولة أبي طاهر بن كافي متولي الشرطة السفلى الترسيم على التجار حتى يدفعوا اليهم ما جرت به رسومهم ورسم لهم بالخروج الى سجن يوسف ووعدوا أن يطلق لهم من الحضرة ضعف ما أطلق لهم في السنة الماضية من الهبة فخرجوا وفي يوم السبت لتسع خلون من جمادى الاولى ركب القائد الاجل عز الدولة وسناها معضاد الخادم الاسود في سائر الاتراك ووجوه القواد وشق البلد ونزل الى الصناعة التي بالجسر بمن معه ثم خرج من هناك وعدى في سائر عساكره الى الجيزة حتى رتب لامير المؤمنين عساكر تكون معه مقيمة هناك لحفظه لانه عدى يوم الاثنين لاحدى عشرة خلت منه في أربع عشاريات وأربع عشرة بغلة من بغال النقل وفي جميع من معه من خاصته وحرمه الى سجن يوسف عليه السلام وأقام هناك يومين وليلتين الى أن عاد الرمادية الخارجون الى السجن بالتماثيل والمضاحك والحكايات والسماجات فضحك منهم واستظرفهم وعاد الى قصره بكرة يوم الاربعاء لثلاث عشرة خلت منه وأقام أهل الاسواق نحو الاسبوعين يطرقون الشوارع بالخيال والسماجات والتماثيل ويطلعون الى القاهرة بذلك ليشاهدهم أمير المؤمنين ويعودون ومعهم سجل قد كتب لهم أن لا يعارض أحد منهم في ذهابه وعوده وأن يعتمد اكرامهم وصيانتهم ولم يزالوا على ذلك الى أن تكامل جميعهم وكان دخولهم من سجن يوسف يوم السبت لاربع عشرة بقيت من جمادى الاولى وشقوا الشوارع بالحكايات والسماجات والتماثيل فتعطل الناس في ذلك اليوم عن أشغالهم ومعايشهم واجتمع في الاسواق خلق كثير لنظرهم وظل الناس اكثر هذا اليوم على ذلك وأطلق لجميعهم ثمانية آلاف درهم وكانوا اثنى عشر سوقا ونزلوا مسرورين وبخارج مدينة الجيزة موضع يعرف بأبي هريرة فيظن من لا علم له أنه ابو هريرة الصحابي وليس كذلك بل هو منسوب الى ابن ابنته

(ذكر قرية ترسا)

قال القضاعي وذكر أن القاسم بن عبيد الله بن الحبحاب عامل هشام بن عبد الملك على خراج مصر بنى في الجيزة قرية تعرف بترسا والقاسم هذا خرج الى مصر وولى خلافة عن أبيه عبيد الله بن الحبحاب السلولى على الخراج في خلافة هشام بن عبد الملك ثم أمّره هشام على خراج مصر حين خرج ابوه الى امارة افريقية في سنة ست عشرة ومائة فلم يزل الى سنة أربع وعشرين ومائة فنزع عن مصر وجمع لحفص بن الوليد عربها وعجمها فصار يلي الخراج والصلاة معا وبترسا هذه كانت وقعة هرون بن محمد الجعدي

(ذكر منية اندونة)

هي احدى قرى الجيزة عرفت بأندونة كاتب احمد المدايني الذي كان يتقلد ضياع موسى بن بغا التي بمصر فقبض احمد بن طولون على اندونة هذا وكان نصرانيا فأخذ منه خمسين ألف دينار

(ذكر وسيم)

قال ابن عبد الحكم وخرج عبد الله بن عبد الملك بن مروان امير مصر الى وسيم وكانت لرجل من القبط فسأل عبد الله أن يأتيه الى منزله ويجعل له مائة ألف دينار فخرج اليه عبد الله بن عبد الملك وقيل انما خرج عبد الله الى قرية ابي النمرس مع رجل من الكتاب يقال له ابن حنظلة فأتى عبد الله العزل وولاية قرة بن شريك وهو هنالك فلما بلغه ذلك قام ليلبس سراويله فلبسه منكوسا وقيل ان عبد الله لما بلغه العزل ردّ المال على صاحبه وقال قد عزلنا وكان عبد الله قد ركب معه الى المعدّية وعدّى اصحابه قبله وتأخر فورد الكتاب بعزله فقال صاحب المال والله لا بدّ أن تشرّف منزلى وتكون ضيفى وتأكل طعامى ووالله لا عاد لى شئ من ذلك ولا ادعك منصرفا فعدّى معه

(ذكر منية عقبة)

هذه القرية بالجيزة عرفت بعقبة بن عامر الجهنى رضي الله عنه * قال ابن عبد الحكم كتب عقبة بن عامر الى معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنهما يسأله ارضا يسترفق فيها عند قرية عقبة فكتب له معاوية بألف ذراع في ألف ذراع فقال له مولى له كان عنده انظر أصلحك الله أرضا صالحة فقال عقبة ليس لنا ذلك ان في عهدهم شروطا ستة منها أن لا يؤخذ من ارضهم شئ ولا من نسائهم ولا من اولادهم ولا يزاد عليهم ويدفع عنهم موضع الخوف من عدوّهم وأنا شاهد لهم بذلك وفي رواية كتب عقبة الى معاوية يسأله نقيعا في قرية يبنى فيه منازل ومساكن فأمر له معاوية بألف ذراع في ألف ذراع فقال له مواليه ومن كان عنده انظر الى أرض تعجبك فاختط فيها وابتن فقال انه ليس لنا ذلك لهم في عهدهم ستة شروط منها أن لا يؤخذ من ارضهم شئ ولا يزاد عليهم ولا يكلفوا غير طاقتهم ولا تؤخذ ذراريهم وأن يقاتل عنهم عدوّهم من ورائهم قال ابو سعيد بن يونس وهذه الارض التي اقتطعها عقبة هي المنية المعروفة بمنية عقبة في جيزة فسطاط مصر * (عقبة بن عامر بن عيسى بن عمرو بن عدى بن عمرو بن رفاعة بن مودوعة بن عدى بن غنم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة كذا نسبه ابو عمرو الكندى وقال الحافظ ابو عمر بن عبد البر عقبة بن عامر بن حسن الجهنى من جهينة بن زيد بن مسود ابن اسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وقد اختلف في هذا النسب يكنى أبا حماد وقيل أبا أسد وقيل أبا عمرو وقيل أبا سعاد وقيل أبا الاسود وقال خليفة بن خياط وقتل ابو عامر عقبة بن عامر الجهنى يوم النهروان شهيدا وذلك سنة ثمان وثلثين وهذا غلط منه وفي كتابه بعد وفي سنة ثمان وخمسين توفى عقبة بن عامر الجهنى قال سكن عقبة بن عامر مصر وكان واليا عليها وابتنى بها دارا وتوفى في آخر خلافة معاوية روى عنه من الصحابة جابر وابن عباس وابو امامة ومسلمة بن مخلد وأما رواته من التابعين فكثير وقال الكندى ثم وليها عقبة بن عامر من قبل معاوية وجمع له صلاتها وخراجها فجعل على شرطته حمادا وكان عقبة قارئا فقيها فرضيا شاعرا له الهجرة والصحبة السابقة وكان صاحب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء الذي يقودها في الاسفار وكان صرف عقبة عن مصر بمسلمة بن مخلد لعشر بقين من ربيع الاوّل سنة أربعين فكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر وقال ابن يونس توفى بمصر سنة ثمان وخمسين ودفن في مقبرتها بالمقطم وكان يخضب بالسواد رحمه الله

(ذكر حلوان)

يقال انها تنسب الى حلوان بن بابليون بن عمرو بن امرئ القيس ملك مصر بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان حلوان هذا بالشام على مقدمة أبرهة ذى المنار أحد التبابعة * قال ابن عبد الحكم وكان الطاعون قد وقع بالفسطاط فخرج عبد العزيز بن مروان من الفسطاط فنزل بحلوان داخلا فى الصحراء فى موضع منها يقال له ابو قرقورة وهو رأس العين التى احتفرها عبد العزيز بن مروان وساقها الى نخيله التى غرسها بحلوان فكان ابن خديج يرسل الى عبد العزيز فى كل يوم بخبر ما يحدث فى البلد من موت وغيره فأرسل اليه ذات يوم رسولا فأتاه فقال له عبد العزيز ما اسمك فقال ابو طالب فثقل ذلك على عبد العزيز وغاظه فقال له عبد العزيز أسألك عن اسمك فتقول ابو طالب ما اسمك فقال مدرك فتفاءل بذلك ومرض فى مخرجه ذلك ومات هنالك فحمل فى البحر يراد به الفسطاط حتى تغير فأنزل فى بعض خصوص ساحل مريس فغسل فيه وأخرجت من هنالك جنازته وخرج معه بالمجامر فيها العود لما كان قد تغير من ريحه وأوصى عبد العزيز أن يمر بجنازته اذا مات على منزل جناب بن مرثد ابن زيد بن هانئ الرعينى صاحب حرسه وكان صديقا له وقد توفى قبل عبد العزيز فمر بجنازته على باب جناب وقد خرج عيال جناب ولبسن السواد ووقفن على الباب صائحات ثم اتبعنه الى المقبرة وكان لنصيب من عبد العزيز ناحية فقدم عليه فى مرضه فاذن له فلما رأى شدة مرضه انشأ يقول

ونزور سيدنا وسيد غيرنا * ليت التشكى كان بالعوّاد

لو كان يقبل فدية لفديته * بالمصطفى من طارفى وتلادى

فلما سمع صوته فتح عينيه وأمر له بألف دينار واستبشر بذلك آل عبد العزيز وفرحوا به ثم مات * وقال الكندى ووقع الطاعون بمصر فى سنة سبعين فخرج عبد العزيز بن مروان منها الى الشرقية متبديا فنزل حلوان فأعجبته فاتخذها وسكنها وجعل بها الحرس والاعوان والشرط فكان عليهم جناب بن مرثد بحلوان وبنى عبد العزيز بحلوان الدور والمساجد وعمرها احسن عمارة وأحكمها وغرس نخلها وكرمها فقال ابن قيس الرقيات

سقيا لحلوان ذى الكروم وما * صنف من تينه ومن عنبه

نخل مواقير بالفناء من البـ * ـرنى يهتز ثم فى سربه

اسود سكانه الحمام فما * ينفك غربانه على رطبه

ولما غرس عبد العزيز نخل حلوان وأطعم دخلها والجند معه فجعل يطوف فيه ويقف على غروسه ومساقيه فقال يزيد بن عروة الجلى ألا قلت أيها الامير كما قال العبد الصالح ماشاء الله لا قوة الا بالله فقال أذكرتنى شكرا ياغلام قل لابن ناس يزيد فى عطائه عشرة دنانير * (عبد العزيز) بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الاموى أبو الاصبغ امه ليلى ابنة زبان بن الاصبغ الكندى روى عن أبى هريرة وعقبة بن عامر الجهنى وروى عنه على بن رباح وبحير بن داخرة وعبد الله بن مالك الخولانى وكعب ابن علقمة ووثقه النسائى وابن سعد ولما سار أبوه مروان الى مصر بعثه فى جيش الى ايلة ليدخل مصر من تلك الناحية فبعث اليه ابن جحدم أمير مصر بجيش عليهم زهير بن قيس البلوى فلقى عبد العزيز ببصاق وهى سطح عقبة ايلة فقاتله فانهزم زهير ومن معه فلما غلب مروان على مصر فى جمادى الآخرة سنة خمس وستين جعل صلاتها وخراجها الى ابنه عبد العزيز بعدما اقام بمصر شهرين فقال عبد العزيز يا امير المؤمنين كيف المقام ببلد ليس به أحد من بنى أبى فقال له مروان يا بنى عمهم باحسانك يكونوا كلهم بنى أبيك واجعل وجهك طلقا تصف لك مودتهم وأوقع الى كل رئيس منهم انه خاصتك دون غيره يكن لك عينا على غيره وينقاد قومه اليك وقد جعلت معك أخاك بشرا مؤنسا وجعلت لك موسى بن نصير وزيرا ومشيرا وما عليك يا بنى أن تكون أميرا بأقصى الارض أليس ذلك احسن من اغلاق بابك وخمولك فى منزلك وأوصاه عند مخرجه من مصر الى الشام فقال اوصيك بتقوى الله فى سر أمرك وعلانيته فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأوصيك أن لا تجعل لداعى الله عليك سبيلا فان المؤذن يدعو الى فريضة افترضها الله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وأوصيك أن لا تعد الناس موعدا الا أنفذته لهم وان حملته على الاسنة وأوصيك أن لا تعجل فى شئ من

الحكم حتى تستشير فان الله لو أغنى احدا عن ذلك لاغنى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن ذلك بالوحى الذى يأتيه قال الله عز وجل وشاورهم فى الامر * وخرج مروان من مصر لهلال رجب سنة خمس وستين فوليها عبد العزيز على صلاتها وخراجها وتوفى مروان لهلال رمضان وبويع ابنه عبد الملك بن مروان فأقرّ أخاه عبد العزيز ووفد على عبد الملك فى سنة سبع وستين وجعل على الحرس والخيل والاعوان جناب بن مرثد الرعينى فاشتدّ سلطانه وكان الرجل اذا أغلظ لعبد العزيز وخرج تناوله جناب ومن معه فضربوه وحبسوه وعبد العزيز أول من عرّف بمصر فى سنة احدى وسبعين قال يزيد بن ابى حبيب اول من أحدث القعود يوم عرفة فى المسجد بعد العصر عبد العزيز بن مروان * وفى سنة اثنتين وسبعين صرف بعث البحر الى مكة لقتال عبد الله بن الزبير وجعل عليهم مالك بن شرحبيل الخولانى وهم ثلاثة آلاف رجل فيهم عبد الرحمن بن بحنس مولى ابن ابزى وهو الذى قتل ابن الزبير وخرج الى الاسكندرية فى سنة أربع وسبعين ووفد على أخيه عبد الملك فى سنة خمس وسبعين وهدم جامع الفسطاط كله وزاد فيه من جوانبه كلها فى سنة سبع وسبعين وأمر بضرب الدنانير المنقوشة وقال ابن عفير كان لعبد العزيز ألف جفنة كل يوم تنصب حول داره وكانت له مائة جفنة يطاف بها على القبائل تحمل على العجل وكتب عبد الملك اليه أن ينزل له عن ولاية العهد ليعهد الى الوليد وسليمان فأبى ذلك وكتب اليه ان يكن لك ولد فلنا اولاد ويقضى الله مايشاء فغضب عبد الملك فبعث اليه عبد العزيز بعلى بن رباح يترضاه فلما قدم على عبد الملك استعطفه على أخيه فشكا عبد الملك وقال فرّق الله بينى وبينه فلم يزل به علىّ حتى رضى فقدم على عبد العزيز فأخبره عن عبد الملك وعن حاله ثم أخبره بدعوته فقال افعل أنا والله مفارقه والله مادعا دعوة قط الا أجيبت وكان عبد العزيز يقول قدمت مصر فى امرة مسلمة بن مخلد فتمنيت بها ثلاث أمانى فأدركتها تمنيت ولاية مصر وأن أجمع بين امرأتى مسلمة ويحجبنى قيس بن كليب حاجبه فتوفى مسلمة وقدم مصر فوليها وحجبه قيس وتزوج امرأتى مسلمة وتوفى ابنه الاصبغ بن عبد العزيز لتسع بقين من ربيع الآخر سنة ست وثمانين فمرض عبد العزيز وتوفى ليلة الاثنين لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة ست وثمانين فحمل فى النيل من حلوان الى الفسطاط فدفن بها * وقال ابن أبى مليكة رأيت عبد العزيز بن مروان حين حضره الموت يقول ألا ليتنى لم أك شيأ مذكورا ألا ليتنى كنابتة من الارض او كراعى ابل فى طرف الحجاز ولما مات لم يوجد له مال ناض الا سبعة آلاف دينار وحلوان والقيسارية وثياب بعضها مرقوع وخيل ورقيق وكانت ولايته على مصر عشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوما ولم يلها فى الاسلام قبله اطول ولاية منه * وكان بحلوان فى النيل معدية من صوّان تعدى بالخيل تحمل فيها الناس وغيرهم من البرّ الشرقىّ بحلوان الى البرّ الغربىّ فلما كان وهذا من الاسرار التى فى الخليقة فان جميع الاجسام المعدنية كالحديد والنحاس والفضة والرصاص والذهب والقصدير اذا عمل من شئ منها اناء يسع من الماء اكثر من وزنه فانه يعوم على وجه الماء ويحمل مايمكنه ولا يغرق ومابرح المسافرون فى بحر الهند اذا أظلم عليهم الليل ولم يروا مايهديهم من الكواكب الى معرفة الجهات يحملون حديدة مجوّفة على شكل سمكة ويبالغون فى ترقيقها جهد المقدرة ثم يعمل فى فم السمكة شئ من مغناطيس جيدا ويحك فيها بالمغناطيس فان السمكة اذا وضعت فى الماء دارت واستقبلت القطب الجنوبىّ بفمها واستدبرت القطب الشمالىّ وهذا أيضا من أسرار الخليقة فاذا عرفوا جهتى الجنوب والشمال تبين منهما المشرق والمغرب فان من استقبل الجنوب فقد استدبر الشمال وصار المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره فاذا تحددت الجهات الاربع عرفوا مواقع البلاد بها فيقصدون حينئذ جهة الناحية التى يريدونها

* (ذكر مدينة العريش) *

العريش مدينة فيما بين أرض فلسطين واقليم مصر وهى مدينة قديمة من جملة المدائن التى اختطت بعد الطوفان * قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه عن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام وكان غلاما مرفها فلما قرب من مصر بنى له عريشا من أغصان الشجر وستره بحشيش الارض ثم بنى له بعد ذلك فى هذا الموضع مدينة وسماها درسان اى باب الجنة فزرعوا وغرسوا الاشجار والجنان من درسان الى البحر فكانت كلها زروعا وجنانا وعمارة * وقال آخر انما سميت بذلك لان بيصر بن حام بن نوح تحمل فى ولده وهم اربعة ومعهم

اولادهم

اولادهم فكانوا ثلاثين ما بين ذكر وانثى وقدم ابنه مصر بن بيصر أمامه نحو أرض مصر حتى خرج من حدّ الشام فتاهوا وسقط مصر فى موضع العريش وقد اشتدّ تعبه ونام فرأى قائلا يبشره بحصوله فى أرض ذات خير ودر وملك وفخر فانتبه فزعا فاذا عليه عريش من اطراف الشجر وحوله عيون ماء فحمد الله وسأله أن يجمعه بأبيه واخوته وأن يبارك له فى أرضه فاستجيب له وقادهم الله اليه فنزلوا فى العريش وأقاموا به فأخرج الله لهم من البحر دوابّ ما بين خيل وحمر وبقر وغنم وابل فساقوها حتى أتوا موضع مدينة منف فنزلوه وبنوا فيه قرية سميت بالقبطية مافة يعنى قرية ثلاثين فنمت ذرية بيصر حتى عمروا الارض وزرعوا وكثرت مواشيهم وظهرت لهم المعادن فكان الرجل منهم يستخرج القطعة من الزبرجد يعمل منها مائدة كبيرة ويخرج من الذهب ما تكون القطعة منه مثل الاسطوانة وكالبعير الرابض * وقال ابن سعيد عن البيهقى كان دخول اخوة يوسف وابويه عليهم السلام عليه بمدينة العريش وهى اول أرض مصر لانه خرج الى تلقيهم حتى نزل المدينة بطرف سلطانه وكان له هنالك عرش وهو سرير السلطنة فأجلس أبويه عليه وكانت تلك المدينة تسمى فى القديم بمدينة العرش لذلك ثم سمتها العامّة مدينة العريش فغلب ذلك عليها ويقال انه كان ليوسف عليه السلام حرس فى اطراف أرض مصر من جميع جوانبها فلما أصاب الشام القحط وسارت اخوة يوسف لتمتار من مصر أقاموا بالعريش وكتب صاحب الحرس الى يوسف ان اولاد يعقوب الكنعانى يريدون البلد لقحط نزل بهم فعمل اخوة يوسف عند ذلك عرشا يستظلون به من الشمس حتى يعود الجواب فسمى الموضع العريش وكتب يوسف بالاذن لهم فكان من شأنهم ما قد ذكر فى موضعه ويقال للعرش ألج فهذا كما ترى وابن وصيف شاه اعرف بأخبار مصر * وفى سنة خمس عشرة وأربعمائة طرق عبد الله بن ادريس الجعفرى العريش بمعاونة بنى الجرّاح وأحرقها وأخذ جميع ما فيها * وقال القاضى الفاضل وفى جمادى الآخرة سنة سبع وسبعين وخمسمائة ورد الخبر بأنّ نخل العريش قطع الفرنج اكثره وحملوا جذوعه الى بلادهم وملئت منه ولم يجدوا لمخاطبا على ذلك ونقل عن ابن عبد الحكم أنّ الجفار بأجمعه كان أيام فرعون موسى فى غاية العمارة بالمياه والقرى والسكان وأنّ قول الله تعالى ودمّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون عن هذه المواضع وأنّ العمارة كانت متصلة منه الى اليمن ولذلك سميت العريش عريشا وقيل انها نهاية التخوم من الشام وانّ اليه كان ينتهى رعاة ابراهيم الخليل عليه السلام بمواشيه وانه عليه السلام اتخذ به عريشا كان يجلس فيه حتى تحلب مواشيه بين يديه فسمى العريش من أجل ذلك وقيل انّ مالك بن دعر بن حجر بن جديلة بن لخم كان له أربعة وعشرون ولدا منهم العريش بن مالك وبه سميت العريش لانه نزل بها وبناها مدينة وعن كعب الاحبار أنّ بالعريش قبور عشرة انبياء

(ذكر مدينة الفرماء)

قال البكرى الفرماء بفتح اوّله وثانيه ممدود على وزن فعلاء وقد يقصر مدينة تلقاء مصر وقال ابن خالويه فى كتاب ليس الفرما هذه سميت بأخى الاسكندر كان يسمى الفرما وكان كافرا وهى قرية أم اسمعيل بن ابراهيم انتهى ويقال اسمه الفرما بن فيلقوس ويقال فيه ابن فليس ويقال بليس وكانت الفرما على شط بحيرة تنيس وكانت مدينة خصباء وبها قبر جالينوس الحكيم وبنى بها المتوكل على الله حصنا على البحر تولى بناءه عنبسة بن اسحاق أمير مصر فى سنة تسع وثلاثين ومائتين عندما بنى حصن دمياط وحصن تنيس وأنفق فيها مالا عظيما ولما فتح عمرو بن العاص عين شمس أنفذ الى الفرماء أبرهة بن الصباح فصالحه اهلها على خمسمائة دينار هرقلية وأربعمائة ناقة وألف رأس من الغنم فرحل عنهم الى البقارة * وفى سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة نزل الروم عليها فنفر الناس اليهم وقتلوا منهم رجلين ثم نزلوا فى جمادى الاولى سنة تسع وأربعين وثلثمائة فخرج اليهم المسلمون وأخذوا منهم مركبا وقتلوا من فيه وأسروا عشرة * وقال اليعقوبى الفرما اوّل مدن مصر من جهة الشمال وبها أخلاط من الناس وبينها وبين البحر الاخضر ثلاثة اميال * وقال ابن الكندى ومنها الفرما وهى اكثر عجائب وأقدم آثارا ويذكر أهل مصر أنه كان منها طريق الى جزيرة قبرس فى البرّ فغلب عليها البحر ويقولون انه كان فيما غلب عليه البحر مقطع الرخام الابلق وانّ مقطع الابيض بلوية * وقال يحيى بن عثمان كنت ارابط فى الفرما وكان بينها وبين البحر قريب من يوم يخرج الناس والمرابطون فى أخصاص على الساحل ثم علا البحر على ذلك كله

وقال ابن قديد وجه ابن المدبر وكان بتنيس الى الفرما فى هدم ابواب من حجارة شرقى الحصن احتاج أن يعمل منها جيرا فلما قلع منها حجرا أو حجران خرج اهل الفرما بالسلاح فمنعوا من قلعها وقالوا هذه الابواب التى قال الله فيها على لسان يعقوب عليه السلام يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة والفرما بها النخل العجيب الذى يثمر حين ينقطع البسر والرطب من سائر الدنيا فيبتدئ هذا الرطب من حين يلد النخل فى الكوانين فلا ينقطع أربعة اشهر حتى يجىء البلح فى الربيع وهذا لا يوجد فى بلد من البلدان لا بالبصرة ولا بالحجاز ولا باليمن ولا بغيرها من البلدان ويكون فى هذا البسر ما وزن البسرة الواحدة فوق العشرين درهما وفيه ما طول البسرة نحو الشبر والفتر * وقال ابن المأمون البطايحى فى حوادث سنة تسع وخمسمائة ووصلت النجابون من والى الشرقية تخبر بأن بغدوين ملك الفرنج وصل الى أعمال الفرما فسير الافضل بن أمير الجيوش للوقت الى والى الشرقية بأن يسير المركزية والمقطعين بها وسير الراجل من العطوفية وأن يسير الوالى بنفسه بعد أن يتقدم الى العربان بأسرهم بأن يكونوا فى الطوالع ويطاردوا الفرنج ويشارفوهم بالليل قبل وصول العساكر اليهم فاعتمد ذلك ثم أمر باخراج الخيام وتجهيز الاصحاب والحواشى فلما تواصلت العساكر وتقدمها العربان وطاردوا الفرنج وعلم بغدوين ملك الفرنج أن العساكر متواصلة اليه وتحقق أن الاقامة لا تمكنه امر أصحابه بالنهب والتخريب والاحراق وهدم المساجد فأحرق جامعها ومساجدها وجميع البلد وعزم على الرحيل فاخذه الله سبحانه وتعالى وعجل بنفسه الى النار فكتم اصحابه موته وساروا بعد أن شقوا بطن بغدوين وملأوه ملحا حتى بقى الى بلاده فدفنوه بها وأما العساكر الاسلامية فانهم شنوا الغارات على بلاد العدو وعادوا بعد أن خيموا على ظاهر عسقلان وكتب الى الامير ظهير الدين طغدكين صاحب دمشق بأن يتوجه الى بلاد الفرنج فسار الى عسقلان وحملت اليه الضيافات وطولع بخبر وصوله فأمر بحمل الخيام وعدة وافرة من الخيل والكسوات والبنود والاعلام وسيف ذهب ومنطقة ذهب وطوق ذهب وبدلة طقم وخيمة كبيرة مكملة ومرتبة ملوكية وفرشها وجميع آلاتها وما تحتاج اليه من آلات الفضة وسير برسم شمس الخواص وهو مقدم كبير خلعة مذهبة ومنطقة ذهب وسيف وسير برسم المميزين من الواصلين خلع وسيوف وسلم ذلك بثبت لاحد الحجاب وسير معه فراشان برسم الخيام وأمر بضرب الخيمة الكبيرة وفرشها وأن يركب والى عسقلان وظهير الدين وشمس الخواص وجميع الامراء الواصلين والمقيمين بعسقلان الى باب الخيمة ويقبلوه ثم الى بساطها والمرتبة المنصوبة ثم يجلس الوالى وظهير الدين وشمس الخواص والمقدمون ويقف الناس بأجمعهم اجلالا وتعظيما ويخلع على الامير ظهير الدين وشمس الخواص وتشد المناطق فى أوساطهما ويقلدا بالسيوف ويخلع بعدهما على المميزين ثم يسير ظهير الدين والمقدمون بالتشريف والاعلام والرايات المسيرة اليهم الى أن يصلوا الى الخيام التى ضربت لهم فاذا كان كل يوم يركب الوالى والاميران والمقدمون والعساكر الى الخيمة الملوكية ويتفاوضون فيما يجب من تدبير العساكر فامتثل ذلك وتواصلت الغارات على بلاد العدو وأسروا وقتلوا فسيرت اليهم الخلع ثانيا وجعل لشمس الخواص خاصة فى هذه السفرة عشرة آلاف دينار وتسلم ظهير الدين الخيمة الكبيرة بما فيها وكان تقدير ما حصل له ولاصحابه ثلاثين ألف دينار وبلغ المنفق فى هذه النوبة وعلى ذهاب بغدوين وهلاكه مائة ألف دينار * وفى شهر رجب سنة خمس وأربعين وخمسمائة نزل الفرنج على الفرما فى جمع كبير وأحرقوها ونهبوا أهلها وآخر أمرها أن الوزير شاور خربها لما خرج منها متوليا ملهم اخو الضرغام فى سنة فاستمرت خرابا لم تعمر بعد ذلك وكان بالفرما والبقارة والورادة عرب من جذام يقال لهم القاطع وهو جرى بن عوف بن مالك بن شنوءة بن بديل بن جشم بن جذام منهم عبد العزيز بن الوزير بن صابى بن مالك ابن عامر بن عدى بن حرش بن بقر بن نصر بن القاطع مات فى صفر سنة خمس ومائتين وللسروى والجروى هنا أخبار كثيرة نبهنا عليها فى كتاب عقد جواهر الاسفاط فى أخبار مدينة الفسطاط وقال ابن الكندى وبها مجمع البحرين وهو البرزخ الذى ذكره الله عز وجل فقال مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وقال وجعل بين البحرين حاجزا وهما بحر الروم وبحر الصين والحاجز بينهما مسيرة ليلة ما بين القلزم والفرما وليس يتقاربان فى بلد من البلدان أقرب منهما بهذا الموضع وبينهما فى السفر مسيرة شهور

(ذكر مدينة القلزم)

القلزم

القلزم بضم القاف وسكون اللام وضم الزاى وميم بلدة كانت على ساحل بحر اليمن فى أقصاه من جهة مصر وهى كورة من كور مصر واليها ينسب بحر القلزم وبالقرب منها غرق فرعون وبينها وبين مدينة مصر ثلاثة أيام وقد خربت ويعرف اليوم موضعها بالسويس تجاه عجرود ولم يكن بالقلزم ماء ولا شجر ولا زرع وانما يحمل الماء اليها من آبار بعيدة وكان بها فرضة مصر والشام ومنها تحمل الحمولات الى الحجاز واليمن ولم يكن بين القلزم وفاران قرية ولا مدينة وهى نخل يسير فيه صياد والسمك وكذلك من فاران وجيلان الى ايلة قال ابن الطوير والبلد المعروف بالقلزم اكثرها باق الى اليوم ويراها الراكب السائر من مصر الى الحجاز وكانت فى القديم ساحلا من سواحل الديار المصرية ورأيت شيأ من حسابه من جهة مستخدميه فى حواصل القصر وما ينفق على واليه وقاضيه وداعيه وخطيبه والاجناد المركزين به لحفظه وقربه وجامعه ومساجده وكان مسكونا مأهولا * قال المسبحى فى حوادث سنة سبع وثمانين وثلثمائة وفى شهر رمضان سامح أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله اهل مدينة القلزم مما كان يؤخذ من مكوس المراكب وقال ابن خرداذبه عن التجار فيركبون فى البحر الغربى ويخرجون بالفرماء ويحملون تجاراتهم على الظهر الى القلزم وبينهما خمسة وعشرون فرسخا ثم يركبون البحر الشرقى من القلزم الى تجار جدة ثم يمضون الى السند والهند والصين ومن القلزم ينزل الناس فى برية وصحراء ست مراحل الى ايلة ويتزودون من الماء لهذه المراحل الست ويقال ان بين القلزم وبحر الروم ثلاث مراحل وان ما بينهما هو البرزخ الذى ذكره تعالى بقوله بينهما برزخ لا يبغيان

*(التيه)

هو أرض بالقرب من ايلة بينهما عقبة لا يكاد الراكب يصعدها لصعوبتها الا أنها مهدت فى زمان خمارويه بن احمد بن طولون ويسير الراكب مرحلتين فى محض التيه هذا حتى يوافى ساحل بحر فاران حيث كانت مدينة فاران وهنالك غرق فرعون والتيه مقدار أربعين فرسخا فى مثلها وفيه تاه بنو اسرائيل أربعين سنة لم يدخلوا مدينة ولا أووا الى بيت ولا بدلوا ثوبا وفيه مات موسى عليه السلام ويقال ان طول التيه نحو من ستة أيام واتفق أن المماليك البحرية لما خرجوا من القاهرة هاربين فى سنة اثنتين وخمسين وستمائة مرّ طائفة منهم بالتيه فتاهوا فيه خمسة أيام ثم تراءى لهم فى اليوم السادس سواد على بعد فقصدوه فاذا مدينة عظيمة لها سور وأبواب كلها من رخام أخضر فدخلوا بها وطافوا بها فاذا هى قد غلب عليها الرمل حتى طم أسواقها ودورها ووجدوا بها أوانى وملابس وكانوا اذا تناولوا منها شيأ تناثر من طول البلى ووجدوا فى صينية بعض البزازين تسعة دنانير ذهبا عليها صورة غزال وكتابة عبرانية وحفروا موضعا فاذا حجر على صهريج ماء فشربوا منه ماء أبرد من الثلج ثم خرجوا ومشوا ليلة فاذا بطائفة من العربان فحملوهم الى مدينة الكرك فدفعوا الدنانير لبعض الصيارفة فاذا عليها أنها ضربت فى أيام موسى عليه السلام ودفع لهم فى كل دينار مائة درهم وقيل لهم ان هذه المدينة الخضراء من مدن بنى اسرائيل ولها طوفان رمل يزيد تارة وينقص اخرى لا يراها الا تائه والله أعلم

(ذكر مدينة دمياط)

اعلم أن دمياط كورة من كور أرض مصر بينها وبين تنيس اثنا عشر فرسخا ويقال سميت بدمياط من ولد أشمن بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ويقال ان ادريس عليه السلام كان اول ما أنزل عليه ذو القوة والجبروت أنا الله مدين المدائن الفلك بأمرى وصنعى أجمع بين العذب والملح والنار والثلج وذلك بقدرتى ومكنون على الدال والميم والالف والطاء قبلهم بالسريانية دمياط فتكون دمياط كلمة سريانية اصلها دمط اى القدرة اشارة الى مجمع العذب والملح وقال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه دمياط بلد قديم بنى فى زمن قليمون ابن اتريب بن قبطيم بن مصرايم على اسم غلام كانت امه ساحرة لقليمون * ولما قدم المسلمون الى أرض مصر كان على دمياط رجل من اخوال المقوقس يقال له الهاموك فلما افتتح عمرو بن العاص مصر امتنع الهاموك بدمياط واستعد للحرب فأنفذ اليه عمرو بن العاص المقداد بن الاسود فى طائفة من المسلمين فحاربهم الهاموك وقتل ابنه فى الحرب فعاد الى دمياط وجمع اليه اصحابه فاستشارهم فى أمره وكان عنده حكيم قد حضر الشورى فقال أيها الملك ان جوهر العقل لا قيمة له وما استغنى به أحد الا هداه الى سبيل الفوز والنجاة من الهلاك وهؤلاء

العرب من بدء أمرهم لم ترد لهم راية وقد فتحوا البلاد وأذلوا العباد ومالاحد عليهم قدرة ولسنا بأشد من جيوش الشام ولا أعز وأمنع وان القوم قد أيدوا بالنصر والظفر والرأى أن تعقد مع القوم صلحا تنال به الامن وحقن الدماء وصيانة الحرم فما أنت بأكثر رجالا من المقوقس فلم يعبأ الهاموك بقوله وغضب منه فقتله وكان له ابن عارف عاقل وله دار ملاصقة للسور فخرج الى المسلمين فى الليل ودلهم على عورات البلد فاستولى المسلمون عليها وتمكنوا منها وبرز الهاموك للحرب فلم يشعر بالمسلمين الا وهم يكبرون على سور البلد وقد ملكوه فعندما رأى شطا ابن الهاموك المسلمين فوق السور لحق بالمسلمين ومعه عدة من اصحابه ففت ذلك فى عضد أبيه واستأمن للمقداد فتسلم المسلمون دمياط واستخلف المقداد عليها وسير بخبر الفتح الى عمرو بن العاص وخرج شطا وقد أسلم الى البرلس والدميرة وأشموم طناح فحشد اهل تلك النواحى وقدم بهم مددا للمسلمين وعونا لهم على عدوهم وسار بهم مع المسلمين لفتح تنيس فبرز لاهلها وقاتلهم قتالا شديدا حتى قتل رحمه الله فى المعركة شهيدا بعدما نكى فيهم وقتل منهم فحمل من المعركة ودفن فى مكانه المعروف به خارج دمياط وكان قتله فى ليلة الجمعة النصف من شعبان فلذلك صارت هذه الليلة من كل سنة موسما يجتمع الناس فيها من النواحى عند شطا ويحيونها وهم على ذلك الى اليوم ومازالت دمياط بيد المسلمين الى أن نزل عليها الروم فى سنة تسعين من الهجرة فأسروا خالد بن كيسان وكان على البحر هناك وسيروه الى ملك الروم فأنفذه الى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك من أجل الهدنة التى كانت بينه وبين الروم فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك نازل الروم دمياط فى ثلثمائة وستين مركبا فقتلوا وسبوا وذلك فى سنة احدى وعشرين ومائة ولما كانت الفتنة بين الاخوين محمد الامين وعبد الله المأمون وكانت الفتن بأرض مصر طمع الروم فى البلاد ونازلوا دمياط فى أعوام بضع ومائتين ثم لما كانت خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله وأمير مصر يومئذ عنبسة بن اسحاق نزل الروم دمياط يوم عرفة من سنة ثمان وثلاثين ومائتين فملكوها ومافيها وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين وسبوا النساء والاطفال وأهل الذمة فنفر اليهم عنبسة بن اسحاق يوم النحر فى جيشه ونفر كثير من الناس اليهم فلم يدركوهم ومضى الروم الى تنيس فأقاموا بأشتومها فلم يتبعهم عنبسة فقال يحيى بن الفضيل للمتوكل

أترضى بأن يوطا حريمك عنوة * وأن يستباح المسلمون ويحربوا
حمارا أتى دمياط والروم وثب * بتنيس رأى العين منه وأقرب
مقيمون بالاشتوم يبغون مثل ما * أصابوه من دمياط والحرب ترتب
فما رام من دمياط شبرا ولا درى * من العجز ما يأتى وما يتجنب
فلا تنسنا انا بدار مضيعة * بمصر وان الدين قد كاد يذهب

فأمر المتوكل ببناء حصن دمياط فابتدئ فى بنائه يوم الاثنين لثلاث خلون من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وأنشأ من حينئذ الاسطول بمصر فلما كان فى سنة سبع طرق الروم دمياط فى نحو مائتى مركب فأقاموا يعبثون فى السواحل شهرا وهم يقتلون ويأسرون وكانت للمسلمين معهم معارك ثم لما كانت الفتن بعد موت كافور الاخشيدى طرق الروم دمياط لعشر خلون من رجب سنة سبع وخمسين وثلثمائة فى بضع وعشرين مركبا فقتلوا وأسروا مائة وخمسين من المسلمين * وفى سنة ثمان وأربعمائة ظهر بدمياط سمكة عظيمة طولها مائتان وستون ذراعا وعرضها مائة ذراع وكانت حمير الملح تدخل فى جوفها موسوقة فتفرغ وتخرج ووقف خمسة رجال فى تحفها ومعهم المجاريف يجرفون الشحم ويناولونه الناس وأقام اهل تلك النواحى مدة طويلة يأكلون من لحمها وفى ايام الخليفة الفائز بنصر الله عيسى والوزير حينئذ الصالح طلائع بن رزيك نزل على دمياط نحو ستين مركبا فى جمادى الآخرة سنة خمسين وخمسمائة بعث بها الوجيز بن رجار صاحب صقلية فماثوا وقتلوا ونزلوا تنيس ورشيد والاسكندرية فأكثروا فيها الفساد ثم كانت خلافة العاضد لدين الله فى وزارة شاور بن مجير السعدى الوزارة الثانية عندما حضر ملك الفرنج مرى الى القاهرة وحصرها وقرر على اهلها المال واحترقت مدينة الفسطاط فنزل على تنيس وأشموم ومنية غمر وصاحب أسطول الفرنج فى عشرين شونة فقتل وأسر وسبى وفى وزارة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب للعاضد وصل الفرنج الى دمياط فى شهر ربيع الاول سنة خمس وستين وخمسمائة وهم فيما يزيد على ألف ومائتى

مركب فخرجت العساكر من القاهرة وقد بلغت النفقة عليهم زيادة على خمسمائة ألف وخمسين ألف دينار فأقامت الحرب مدة خمسة وخمسين يوما وكانت صعبة شديدة واتهم في هذه النوبة عدة من أعيان المصريين بممالأة الفرنج ومكاتبتهم وقبض عليهم الملك الناصر وقتلهم وكان سبب هذه النوبة أن الغز لما قدموا الى مصر من الشام صحبة أسد الدين شيركوه تحرك الفرنج لغزو ديار مصر خشية من تمكن الغز بها فاستمدوا اخوانهم اهل صقلية فأمدوهم بالاموال والسلاح وبعثوا اليهم بعدة وافرة فساروا بالدبابات والمجانيق ونزلوا على دمياط في صفر وهم في العدة التي ذكرنا من المراكب وأحاطوا بها بحرا وبرا فبعث السلطان بابن أخيه تقي الدين عمرو وأتبعه بالامير شهاب الدين الحارمي في العساكر الى دمياط وأمدهما بالاموال والميرة والسلاح واشتد الامر على أهل دمياط وهم ثابتون على محاربة الفرنج فسير صلاح الدين الى نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام يستنجده ويعلمه بأنه لا يمكنه الخروج من القاهرة الى لقاء الفرنج خوفا من قيام المصريين عليه فجهز اليه العساكر شيأ بعد شيء وخرج نور الدين من دمشق بنفسه الى بلاد الفرنج التي بالساحل وأغار عليها واستباحها فبلغ ذلك الفرنج وهم على دمياط فخافوا على بلادهم من نور الدين أن تمكن منها فرحلوا عن دمياط في الخامس والعشرين من ربيع الاول بعد ما غرق لهم نحو الثلثمائة مركب وقلت رجالهم بفناء وقع فيهم وأحرقوا ما ثقل عليهم حمله من المنجنيقات وغيرها وكان صلاح الدين يقول ما رأيت أكرم من العاضد ارسل الي مدة مقام الفرنج على دمياط ألف ألف دينار سوى ما أرسله الي من الثياب وغيرها * وفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة رتبت المقاتلة على البرجين وشدت مراكب الى السلسلة ليقاتل عليها ويدافع عن الدخول من بين البرجين ورم شعث سور المدينة وسدت ثلمه وأتقنت السلسلة التي بين البرجين فبلغت النفقة على ذلك ألف ألف دينار واعتبر السور فكان قياسه أربعة آلاف وستمائة وثلاثين ذراعا * وفي سنة ثمان وثمانين وخمسمائة أمر السلطان بقطع أشجار بساتين دمياط وحفر خندقها وعمل جسر عند سلسلة البرج * وفي سنة خمس عشرة وستمائة كانت واقعة دمياط العظمى وكان سبب هذه الواقعة أن الفرنج في سنة أربع عشرة وستمائة تتابعت امدادهم من رومية الكبرى مقر البابا ومن غيرها من بلاد الفرنج وساروا الى مدينة عكا فاجتمع بها عدة من ملوك الفرنج وتعاقدوا على قصد القدس وأخذه من أيدي المسلمين فصاروا بعكا في جمع عظيم وبلغ ذلك الملك ابابكر بن ايوب فخرج من مصر في العساكر الى الرملة فبرز الفرنج من عكا في جموع عظيمة فسار العادل الى بيسان فقصده الفرنج فخافهم لكثرتهم وقلة عسكره فأخذ على عقبة فيق يريد دمشق وكان اهل بيسان وما حولها قد اطمأنوا لنزول السلطان هنالك فأقاموا في اماكنهم وما هو الا أن سار السلطان واذا بالفرنج قد وضعوا السيف في الناس ونهبوا البلاد فحازوا من اموال المسلمين مالا يحصى كثرة وأخذوا بيسان وبانياس وسائر القرى التي هنالك وأقاموا ثلاثة ايام ثم عادوا الى مرج عكا بالغنائم والسبي وهلك من المسلمين خلق كثير فاستراح الفرنج بالمرج أياما ثم عادوا ثانيا ونهبوا صيدا والشقيف وعادوا الى مرج عكا فأقاموا به وكان ذلك كله فيما بين النصف من شهر رمضان وعيد الفطر والملك العادل مقيم بمرج الصفر وقد سير ابنه المعظم عيسى بعسكر الى نابلس لمنع الفرنج من طروقها والوصول الى بيت المقدس فنازل الفرنج قلعة الطور سبعة عشر يوما ثم عادوا الى عكا وعزموا على قصد الديار المصرية فركبوا بجموعهم البحر وساروا الى دمياط في صفر فنزلوا عليها يوم الثلاثاء رابع ربيع الاول سنة خمس عشرة وستمائة الموافق لثامن حزيران وهم نحو السبعين ألف فارس وأربعمائة ألف راجل فخيموا اتجاه دمياط في البر الغربي وحفروا على عسكرهم خندقا وأقاموا عليه سورا وشرعوا في قتال برج دمياط فانه كان برجا منيعا فيه سلاسل من حديد غلاظ تمد على النيل لتمنع المراكب الواصلة في البحر الملح من الدخول الى ديار مصر في النيل وذلك أن النيل اذا انتهى الى فسطاط مصر مر عليه في ناحية الشمال الى شطنوف فاذا صار الى شطنوف انقسم قسمين أحدهما يمر في الشمال الى رشيد فيصب في البحر الملح والشطر الآخر يمر من شطنوف الى جوجر ثم يتفرق من عند جوجر فرقتين فرقة تمر الى أشموم فتصب في بحيرة تنيس وفرقة تمر من جوجر الى دمياط فتصب في البحر الملح هنالك وتصير هذه الفرقة من النيل فاصلة بين مدينة دمياط والبر الغربي وهذا البر الغربي من دمياط يعرف بجزيرة دمياط يحيط بها ماء النيل والبحر الملح وفي مدة اقامة الفرنج بهذا البر الغربي عملوا الآلات والمراسي وأقاموا ابراجا يزحفون بها

فى المراكب الى برج السلسلة ليملكوه فانهم اذا ملكوه تمكنوا من العبور فى النيل الى القاهرة ومصر وكان هذا البرج مشحونا بالمقاتلة فتحيل الفرنج عليه وعملوا برجا من الصوارى على بسطة كبيرة وأقلعوا بها حتى أسندوها اليه وقاتلوا من به حتى أخذوه فبلغ نزول الفرنج على دمياط الملك الكامل وكان يخلف أباه الملك العادل على ديار مصر فخرج بمن معه من العساكر فى ثالث يوم من وقوع الطائر بخبر نزول الفرنج لخمس خلون منه وامر والى الغربية بجمع العربان وسار فى جمع كبير وخرج الاسطول فأقام تحت دمياط ونزل السلطان بمن معه من العساكر بمنزلة العادلية قرب دمياط وامتدت عساكره الى دمياط لتمنع الفرنج من السور والقتال مستمر والبرج ممتنع مدة أربعة أشهر والعادل يسير العساكر من البلاد الشامية شيأ بعد شئ حتى تكاملت عند الملك الكامل واهتم الملك لنزول الفرنج على دمياط واشتد خوفه فرحل من مرج الصفر الى عالقين فنزل به المرض ومات فى سابع جمادى الآخرة فكتم الملك المعظم عيسى موته وحمله فى محفة وجعل عنده خادما وطبيبا راكبا الى جانب المحفة والشرابدار يصلح الشراب ويحمله الى الخادم فيشربه ويوهم الناس أن السلطان شربه الى أن دخلوا به الى قلعة دمشق وصارت اليها الخزائن والبيوتات فأعلن بموته وتسلم ابنه الملك المعظم جميع ما كان معه ودفنه بالقلعة ثم نقله الى مدرسة العادلية بدمشق وبلغ الملك الكامل موت أبيه وهو بمنزلة العادلية قرب دمياط فاستقل بمملكة ديار مصر واشتد الفرنج وألحوا فى القتال حتى استولوا على برج السلسلة وقطعوا السلاسل المتصلة به لتجوز مراكبهم فى بحر النيل وتمكنوا من البلاد فنصب الملك الكامل بدل السلاسل جسرا عظيما لمنع الفرنج من عبور النيل فقاتلت الفرنج عليه قتالا شديدا الى أن قطعوه وكان قد أنفق على البرج والجسر ما ينيف على سبعين ألف دينار وكان الكامل يركب فى كل يوم عدة مرار من العادلية الى دمياط لتدبير الامور واعمال الحيلة فى مكايدة الفرنج فأمر الملك الكامل أن يفرق عدة من المراكب فى النيل حتى تمنع الفرنج من سلوك النيل فعمد الفرنج الى خليج هناك يعرف بالازرق كان النيل يجرى فيه قديما فحفروه وعمقوا حفره وأجروا فيه الماء الى البحر الملح وأصعدوا مراكبهم فيه الى بورة على أرض جيزة دمياط مقابل المنزلة التى بها السلطان ليقاتلوه من هناك فلما صاروا فى بورة جاؤه وقاتلوه فى الماء وزحفوا اليه عدة مرار فلم يظفروا منه بطائل ولم يتغير على أهل دمياط شئ لان الميرة والامداد متصلة اليهم والنيل يحجز بينهم وبين الفرنج وأبواب المدينة مفتحة وليس عليها من الحصر ضيق ولا ضرر والعربان تتخطف الفرنج فى كل ليلة بحيث امتنعوا من الرقاد خوفا من غاراتهم فلما قوى طمع العرب فى الفرنج حتى صاروا يخطفونهم نهارا ويأخذون الخيم بمن فيها أكمن الفرنج لهم عدة كمناء وقتلوا منهم خلقا كثيرا وأدرك الناس الشتاء وهاج البحر على مخيم المسلمين وغرقهم فعظم البلاء وتزايد الغم وألح الفرنج فى القتال وكادوا أن يملكوا فبعث الله ريحا قطعت مراسى مرمة الفرنج وكانت من عجائب الدنيا فمرت الى بر المسلمين فأخذوها فاذا هى مصفحة بالحديد لا تعمل فيها النار ومساحتها خمسمائة ذراع فكسروها فاذا فيها مسامير زنة الواحد منها خمسة وعشرون رطلا وبعث الكامل الى الآفاق سبعين رسولا يستنجد أهل الاسلام لنصرة المسلمين ويخوفهم من غلبة الفرنج على مصر فساروا فى شوال وأتته النجدات من حماه وحلب وبينا الناس فى ذلك اذ طمع الامير عماد الدين احمد بن الامير سيف الدين أبى الحسين على بن احمد الهكارى المعروف بابن المشطوب فى الملك الكامل عندما بلغه موت الملك العادل وكان له لفيف ينقادون اليه ويطيعونه وكان أميرا كبيرا مقدما عظيما فى الاكراد الهكارية وافر الحرمة عند الملوك معدودا بينهم مثل واحد منهم وكان مع ذلك عالى الهمة غزير الجود واسع الكرم شجاعا أبى النفس تهابه الملوك وله الوقائع المشهورة وهو من امراء دولة صلاح الدين يوسف فاتفق مع جماعة من الجند والاكراد على خلع الملك الكامل واقامة أخيه الملك الفائز ابراهيم ليصير له الحكم ووافقه الامير عز الدين الحميدى والامير أسد الدين الهكارى والامير مجاهد الدين وجماعة من الامراء فلما بلغ ذلك الملك الكامل دخل عليهم وهم مجتمعون والمصحف بين أيديهم ليحلفوا للفائز فلما رأوه انفضوا فخشى على نفسه فخرج فاتفق وصول الصاحب صفى الدين بن شكر من آمد الى الملك الكامل فانه كان استدعاه بعد موت أبيه فتلقاه وأكرمه وذكر له ما هو فيه فضمن له تحصيل المال فلما كان فى الليل ركب الملك الكامل وتوجه من العادلية فى جريدة الى أشموم طناح فنزلها وأصبح العسكر بغير سلطان فركب كل منهم هواه ولم يعطف الاخ على أخيه وتركوا أثقالهم

وخيامهم

وخيامهم واموالهم وأسلحتهم ولحقوا بالسلطان فبادر الفرنج فى الصباح الى مدينة دمياط ونزلوا البر الشرقى يوم الثلاثاء سادس عشر ذى القعدة بغير منازع ولا مدافع وأخذوا ما كان فى عسكر المسلمين وكان شيأ لا يحيط به الوصف وداخل السلطان وهم عظيم وكاد أن يفارق البلاد فانه تخيل من جميع من معه واشتد طمع الفرنج فى أرض مصر كلها وظنوا أنهم قد ملكوها الا أن الله سبحانه وتعالى أغاث المسلمين وثبت السلطان ووافاه أخوه الملك المعظم بأشموم طناح فاشتد به أزره وقوى جأشه وأطلعه على ما كان من ابن المشطوب فوعده بازاحة ما يكره ثم ان المعظم ركب الى خيمة ابن المشطوب واستدعاه للركوب معه ومسايرته فاستمهله حتى يلبس خفيه وثياب الركوب فلم يمهله وأعجله فركب معه وسايره حتى خرج به من العسكر الكاملى ثم قال له يا عماد الدين هذه البلاد لك وأشتهى أن تهبها لنا وأعطاه نفقة وسلمه الى جماعة من أصحابه يثق بهم وقال لهم أخرجوه من الرمل ولا تفارقوه حتى يخرج من الشام فلم يسع ابن المشطوب الا امتثال ما قال المعظم لانه معه بمفرده ولا قدرة له على الممانعة فساروا به الى حماه ثم مضى منها الى المشرق ولما شيع الملك المعظم ابن المشطوب رجع الى الملك الكامل وأمر أخاه الفائز ابرهيم أن يسير الى ملوك الشام فى رسالة عن أخيه الملك الكامل لاستدعائهم الى قتال الفرنج فمضى الى دمشق وخرج منها الى حماه فمات بها مسموما على ما قيل فثبت للملك الكامل أمر الملك وسكن روعه هذا والفرنج قد أحاطوا بدمياط برا وبحرا وأحدقوا وضيقوا على اهلها ومنعوا القوت من الوصول اليهم وحفروا على عسكرهم المحيط بدمياط خندقا وبنوا عليه سورا واهل دمياط يقاتلونهم أشد القتال ويمانعونهم وقد غلت عندهم الاسعار لقلة الاقوات ثم ان المعظم فارق الملك الكامل وسار الى بلاد الشام وأقام الكامل لمحاربة الفرنج وانتدب شمائل أحد الجاندارية فى الركاب للدخول الى دمياط فكان يسبح فى الماء ويصل الى اهل دمياط فيعدهم بوصول النجدات فحظى بذلك عند الكامل وتقرب منه حتى عمله والى القاهرة واليه تنسب خزانة شمائل بالقاهرة فلم يزل الحال على ذلك الى أن دخلت سنة ست عشرة فجهز الملك المنصور محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن ايوب صاحب حماه ابنه المظفر تقى الدين محمودا الى مصر نجدة لخاله الملك الكامل على الفرنج فى جيش كثيف فوصل الى العسكر وتلقاه الملك الكامل وأنزله فى ميمنة العسكر منزلة أبيه وجده عند السلطان صلاح الدين يوسف فألح الفرنج فى القتال وكان بدمياط نحو العشرين الف مقاتل فنهكتهم الامراض وغلت عندهم الاسعار حتى بلغت بيضة الدجاجة عندهم عدة دنانير * قال الحافظ عبد العظيم المنذرى سمعت الشيخ أبا الحسن على بن فضل يقول كان لبعض بنى خيار بقرة فذبحوها وباعوها فى الحصار فجاءت ثمانمائة دينار وقال فى المعجم المترجم سمعت الامير أبا بكر بن حسن بن خسويام يقول كنت بدمياط فى حصار العدو بها فبيع السكر بها بمائة وأربعين دينارا الرطل والدجاجة بثلاثين دينارا قال واشتريت ثلاث دجاجات بتسعين دينارا والراوية بأربعين درهما والقبر يحفر بأربعين مثقالا وأخذت أختى جملا فشقت جوفه وملأته دجاجا وفاكهة وبقلا وغير ذلك وخاطته ورمته فى البحر وكتبت الى تقول قد فعلت كذا فاذا رأيتم جملا ميتا فخذوه فوقع لنا بالليل فأخذناه وكان فيه ما يساوى جملة ففرقته على الناس ثم عمل بعد ذلك ثلاثة جمال على هيئته ففطن لها الفرنج فأخذوها وامتلأت مساكنهم وطرقات البلد من الموتى وعدمت الاقوات وصار السكر كعزة الياقوت وفقدت اللحوم فلم يقدر عليها بوجه وآلت بهم الحال الى أن لم يبق بها سوى قليل من القمح والشعير فقط فتسور الفرنج وأخذوا منه البلد فى يوم الثلاثاء لخمس بقين من شعبان وكانت مدة الحصار ستة عشر شهرا واثنين وعشرين يوما ولما أخذوا البلد وضعوا السيف فى الناس فتجاوزوا الحد فى القتل وأسرفوا فى مقدار القتلى وبلغ ذلك السلطان فرحل بعد أخذ دمياط بيومين ونزل قبالة طلخا على رأس بحر اشموم ورأس بحر دمياط وحيز فى المنزلة التى صار يقال لها المنصورة وحصن الفرنج اسوار دمياط وجعلوا الجامع كنيسة وبثوا سراياهم فى القرى فقتلوا ونهبوا وسير السلطان الكتب الى الآفاق ليستحث الناس على الحضور لدفع الفرنج عن ملك مصر وشرع العسكر فى بناء الدور والفنادق والحمامات والاسواق بمنزلة المنصورة وجهز الفرنج من اسروه من المسلمين فى البحر الى عكا وخرجوا من دمياط ونازلوا السلطان تجاه المنصورة وصار بينهم وبينه بحر اشموم وبحر دمياط وكان الفرنج فى مائتى الف راجل وعشرة آلاف فارس فقدم المسلمون شوانيهم أمام المنصورة وعدتها مائة قطعة واجتمع الناس من القاهرة ومصر وسائر النواحى من اسوان الى القاهرة ووصل الامير حسام الدين يونس والفقيه

تقى الدين ابو الطاهر محمد بن الحسن بن عبد الرحمن المحلى فأخرجا الناس من القاهرة ومصر ونودى بالنفير العام وخرج الامير علاء الدين جلدك وجمال الدين ابن صيرم لجمع الناس فيما بين القاهرة الى آخر الحوف الشرقى فاجتمع عالم لا يقع عليه حصر وأنزل السلطان على ناحية شارمساح ألف فارس فى آلاف من العربان ليحولوا بين الفرنج ودمياط وسارت الشوانى ومعها حراقة كبيرة على رأس بحر المحلة وعليها الامير بدر الدين بن حسون فانقطعت الميرة عن الفرنج من البر والبحر وسارت عساكر المسلمين من الشرق والشام الى الديار المصرية وكان قد خرج الفرنج من داخل البحر لمدد الفرنج على دمياط فقدم منهم امم لا تحصى يريدون التوغل فى أرض مصر فلما تكاملوا بدمياط خرجوا منها فى حدّهم وحديدهم ونزلوا تجاه الملك الكامل كما تقدم فقدمت النجدات يقدمها الملك الاشرف موسى بن العادل وعلى ساقتها الملك المعظم عيسى فتلقاهم الملك الكامل وأنزلهم عنده بالمنصورة فى ثالث عشرى جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وتتابع مجىء الملوك حتى بلغت عدة فرسان المسلمين نحو أربعين ألف فارس فحاربوا الفرنج فى البر والبحر وأخذوا منهم ست شوانى وجلاسة وبطسة وأسروا من الفرنج ألفين ومائتين ثم ظفر المسلمون بثلاث قطائع اخر فتضعضع الفرنج لذلك وضاق بهم المقام فبعثوا يطلبون الصلح فقدم عند مجىء رسلهم اهل الاسكندرية فى ثمانية آلاف مقاتل وكان الذى طلب الفرنج القدس وعسقلان وطبرية وجبلة واللاذقية وسائر ما فتحه السلطان صلاح الدين يوسف من الساحل ليرحلوا عن ديار مصر فبذل المسلمون لهم سائر ما ذكر من البلاد خلا مدينة الكرك والشوبك فامتنع الفرنج من الصلح وقالوا لابد من أخذهم الكرك والشوبك ومبلغ ثلثمائة ألف دينار عوضا عما خربه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق من أسوار القدس وكان المعظم لما مات أبوه العادل واستولى الفرنج على دمياط ونازلوا الملك الكامل قبالة المنصورة خاف أن يصل منهم فى البحر من يأخذ القدس ويتحصنوا به فأمر بتخريب أسواره وكانت أسواره وأبراجه فى غاية العظمة والمنعة فأتى الهدم على جميعها ما خلا برج داود وانتقل اكثر الناس من القدس ولم يبق به الا القليل ونقل المعظم ما كان بالقدس من الاسلحة والآلات فامتنع المسلمون من اجابة الفرنج الى ذلك وقاتلوهم وعبر جماعة من المسلمين فى بحر المحلة الى الارض التى عليها الفرنج وحفروا مكانا عظيما فى النيل وكان فى قوة الزيادة فركب الماء اكثر تلك الارض وصار حائلا بين الفرنج ومدينة دمياط وانحصروا فلم يبق لهم سوى طريق ضيقة فأمر السلطان للوقت بنصب الجسور عند أشموم طناح فعبرت العساكر عليها وملكت الطريق التى يسلكها الفرنج الى دمياط اذا أرادوا الوصول اليها فاضطربوا وضاقت عليهم الارض واتفق مع ذلك وصول مرمّة عظيمة للفرنج فى البحر حولها عدّة حراقات تحميها وقد ملئت كلها بالميرة والاسلحة فقاتلتهم شوانى المسلمين وظفرها الله بهم فأخذها المسلمون وعندما علم الفرنج ذلك ايقنوا بالهلاك وصار المسلمون يرمونهم بالنشاب ويحملون على اطرافهم فهدموا حينئذ خيامهم ومجانيقهم وألقوا فيها النار وهموا بالزحف على المسلمين ومقاتلتهم ليخلصوا الى دمياط فحال بينهم وبين ذلك كثرة الوحل والمياه الراكبة على الارض وخشوا من الاقامة لقلة أقواتهم فذلوا وسألوا الامان على أن يتركوا دمياط للمسلمين فاستشار السلطان فى ذلك فاختلف الناس عليه فمنهم من امتنع من تأمين الفرنج ورأى أن يؤخذوا عنوة ومنهم من جنح الى اعطائهم الامان خوفا ممن وراءهم من الفرنج فى الجزائر وغيرها ثم اتفقوا على الامان وأن يعطى كل من الفريقين رهائن فتقرر ذلك فى تاسع شهر رجب سنة ثمان عشرة وسير الفرنج عشرين ملكا رهنا عند الملك الكامل وبعث الملك الكامل بابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب وجماعة من الامراء الى الفرنج وجلس السلطان مجلسا عظيما لقدوم ملوك الفرنج وقد وقف اخوته وأهل بيته بين يديه وصار فى أبهة وناموس مهاب وخرج قسوس الفرنج ورهبانهم الى دمياط فسلموها للمسلمين فى تاسع عشره وكان يوم تسليمها يوما عظيما وعندما تسلم المسلمون دمياط وصارت بأيديهم قدمت نجدة فى البحر للفرنج فكان من جميل صنع الله تأخرها حتى ملكت دمياط بأيدى المسلمين فانها لو قدمت قبل ذلك لقوى بها الفرنج فاتّ المسلمين وجدوا مدينة دمياط قد حصنها الفرنج وصارت بحيث لا ترام ولما تم الامر بعث الفرنج بولد السلطان وأمرائه اليه وسير اليهم السلطان من كان عنده من الملوك فى الرهن وتقررت الهدنة بين الفرنج والمسلمين مدة ثمانى سنين وكان مما وقع الصلح عليه أن كلا من المسلمين والفرنج يطلق ما عنده من الاسرى وحلف السلطان واخوته وحلفت ملوك الفرنج وتفرق الناس الى بلادهم ودخل الملك الكامل الى

دمياط

دمياط باخوته وعساكره وكان يوم دخوله اليها من الايام المذكورة ورحل الفرنج الى بلادهم وعاد السلطان الى مقرّ ملكه وأطلقت الاسرى من ديار مصر وكان فيهم من له من ايام السلطان صلاح الدين يوسف وسارت ملوك الشام بعساكرها الى بلادها وعمت بشارة أخذ المسلمين مدينة دمياط من الفرنج سائر الآفاق فان التتر كانوا قد استولوا على ممالك المشرق فأشرف الفرنج على أخذ ديار مصر من ايدى المسلمين وكانت مدّة نزول الفرنج على دمياط الى أن أقلعوا عنها سائرين الى بلادهم ثلاث سنين وأربعة أشهر وتسعة عشر يوما منها مدّة استيلائهم على مدينة دمياط سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرون يوما فلما كان فى سنة ست وأربعين وستمائة حدث بالسلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل محمد ورم فى مأبضه تكون منه ناصور فتح وعسر برؤه فمرض من ذلك وانضاف اليه قرحة فى الصدر فلزم الفراش الا أن علوّ همته اقتضى مسيره من ديار مصر الى الشام فسار فى محفة ونزل بقلعة دمشق فورد عليه رسول الامبرطور ملك الفرنج الالمانية بجزيرة صقلية فى هيئة تاجر وأخبره سرّا بأن بواش الذى يقال له رواد فرنس عازم على المسير الى أرض مصر وأخذها فسار السلطان من دمشق وهو مريض فى محفة ونزل بأشموم طناح فى المحرّم سنة سبع وأربعين وجمع فى مدينة دمياط من الاقوات والازواد والاسلحة وآلات القتال شيأ كثيرا خوفا أن يجرى على دمياط ما جرى فى أيام ابيه فأخذت بغير ذلك ولما نزل السلطان بأشموم كتب الى الامير حسام الدين ابى على بن أبى على الهدبانى نائبه بديار مصر أن يجهز الاسطول من صناعة مصر فشرع فى الاهتمام بذلك وشحن الاسطول بالرجال والسلاح وسائر ما يحتاج اليه وسيره شيأ بعد شئ وجهز السلطان الامير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ ومعه الامراء والعساكر فنزل بجيزة دمياط من برّها الغربى وصار النيل بينه وبينها فلما كان فى الساعة الثانية من نهار الجمعة لتسع بقين من صفر وردت مراكب الفرنج البحريين وفيها جموعهم العظيمة وقد انضم اليهم فرنج الساحل وأرسوا بازاء المسلمين وبعث ملكهم الى السلطان كتابا نصه أما بعد فانه لم يخف عليك انى أمين الامة العيسوية كما انه لا يخفى علىّ انك أمين الامة المحمدية وغير خاف عليك أن عندنا أهل جزائر الاندلس وما يحملونه الينا من الاموال والهدايا ونحن نسوقهم سوق البقر ونقتل منهم الرجال ونرمّل النساء ونستأسر البنات والصبيان ونخلى منهم الديار وأنا قد أبديت لك ما فيه الكفاية وبذلت لك النصح الى النهاية فلو حلفت لى بكل الايمان وأدخلت علىّ الاقساء والرهبان وحملت قدامى الشمع طاعة للصلبان لكنت واصلا اليك وقاتلك فى أعز البقاع اليك فاما أن تكون البلاد لى فيا هدية حصلت فى يدى واما أن تكون البلاد لك والغلبة علىّ فيدك العليا ممتدّة الىّ وقد عرفتك وحذرتك من عساكر حضرت فى طاعتى تملأ السهل والجبل وعددهم كعدد الحصى وهم مرسلون اليك بأسياف القضاء فلما قرئ الكتاب على السلطان وقد اشتدّ به المرض بكى واسترجع فكتب القاضى بهاء الدين زهير بن محمد الجواب بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه أجمعين أما بعد فانه وصل كتابك وأنت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك فنحن أرباب السيوف وما قتل منا فرد الا جددناه ولا بغى علينا باغ الا دمرناه ولو رأت عينك أيها المغرور حدّ سيوفنا وعظم حروبنا وفتحنا منكم الحصون والسواحل وتخريبنا ديار الاواخر منكم والاوائل لكان لك أن تعض على أناملك بالندم ولا بدّ أن تزل بك القدم فى يوم أوّله لنا وآخره عليك فهنالك تسيء الظنون وسيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون فاذا قرأت كتابى هذا فتكون فيه على أوّل سورة النحل أتى أمر الله فلا تستعجلوه وتكون على آخر سورة ص ولتعلمن نبأه بعد حين ونعود الى قول الله تعالى وهو أصدق القائلين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقول الحكماء ان الباغى له مصرع وبغيك يصرعك والى البلاء يقلبك والسلام * وفى يوم السبت ورد الفرنج وضربوا خيامهم فى اكثر البلاد التى فيها عساكر المسلمين وكانت خيمة الملك رواد فرنس حمراء فناوشهم المسلمون القتال واستشهد يومئذ الامير نجم الدين يوسف بن شيخ الاسلام والامير صارم الدين ازبك الوزيرى فلما أمسى الليل رحل الامير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ بعساكر المسلمين جبنا وصلفا وسار بهم فى برّ دمياط وسار الى جهة أشموم طناح نخاف من كان فى مدينة دمياط وخرجوا منها على وجوههم فى الليل لا يلتفتون الى شئ وتركوا المدينة خالية من الناس ولحقوا بالعسكر فى أشموم وهم حفاة عرايا جياع حيارى بمن معهم من النساء والاولاد ومرّوا هاربين الى القاهرة فأخذ منهم قطاع الطريق ما عليهم من الثياب

وتركوهم عرايا فشنعت القالة على الامير فخر الدين من كل أحد وعدّ جميع ما نزل بالمسلمين من البلاء بسبب هزيمته فان دمياط كانت مشحونة بالمقاتلة والازواد العظيمة والاسلحة وغيرها خوفا أن يصيبها فى هذه المدّة ما أصابها فى أيام الكامل فانه ما أتى عليها ذاك الا من قلة الاقوات بها ومع ذلك امتنعت من الفرنج اكثر من سنة حتى فنى اهلها كما تقدم ولكن الله يفعل ما يريد ولما أصبح الفرنج يوم الاحد لتسع بقين من صفر قصدوا دمياط فاذا ابواب المدينة مفتحة ولا أحد يدفع عنها فظنوا أنّ ذلك مكيدة وتمهلوا حتى ظهر لهم خلوّها فدخلوا اليها من غير مانع ولا مدافع واستولوا على ما بها من الاسلحة العظيمة وآلات الحرب والاقوات الخارجة عن الحدّ فى الكثرة والاموال والامتعة صفوا بغير كلفة فأصيب الاسلام والمسلمون ببلاء لولا لطف الله لمحى اسم الاسلام ورسمه بالكلية وانزعج الناس فى القاهرة ومصر انزعاجا عظيما لما نزل بالمسلمين مع شدّة مرض السلطان وعدم حركته وأما السلطان فانه اشتدّ حنقه على الامير فخر الدين وقال أما قدرت أنت والعساكر أن تقفوا ساعة بين يدى الفرنج وأقام عليه القيامة لكن الوقت لم يكن يسع غير الصبر والاغضاء وغضب على الكنانيين الذين كانوا بدمياط ووبخهم فقالوا اما نعمل اذا كانت عساكر السلطان بأجمعهم وأمراؤه هربوا وأحرقوا الزردخاناه كيف لا نهرب نحن فأمر بشنقهم لكونهم خرجوا من دمياط بغير اذن وكانت عدّة من شنق من الامراء الكنانية زيادة على خمسين أميرا فى ساعة واحدة ومن جملتهم أمير جسيم له ابن جميل سأل أن يشنق قبل ابنه فأمر السلطان أن يشنق ابنه قبله فشنق الابن ثم الاب ويقال انّ شنق هؤلاء كان بفتوى الفقهاء فخاف جماعة من الامراء وهموا بالقيام على السلطان فأشار عليهم الامير فخر الدين بن شيخ الشيوخ بأن السلطان على خطة فان مات فقد كفيتم أمره والا فهو بين أيديكم وأخذ السلطان فى اصلاح سور المنصورة وانتقل اليها لخمس بقين من صفر وجعل الستائر على السور وقدمت الشوانى الى تجاه المنصورة وفيها العدد الكاملة وشرع العسكر فى تجديد الابنية هناك وقدم من العربان وأهل النواحى ومن المطوّعة خلق لا يحصى عددهم وأخذوا فى الاغارة على الفرنج فملأ الفرنج اسوار مدينة دمياط بالمقاتلة والآلات فلما كان اول ربيع الاوّل قدم الى القاهرة من اسرى الفرنج الذين تخطفهم العربان ستة وثلاثون منهم فارسان وفى خامس ربيع الآخر ورد منهم تسعة وثلاثون وفى سابعه ورد اثنان وعشرون أسيرا وفى سادس عشره ورد خمسة وأربعون اسيرا منهم ثلاثة خيالة وفى ثامن عشر جمادى الاولى ورد خمسون أسيرا هذا ومرض السلطان يتزايد وقواه تتناقص حتى أيس الاطباء منه وفى ثالث عشر رجب قدم الى القاهرة سبعة وأربعون أسيرا وأحد عشر فارسا وظفر المسلمون بمسطح للفرنج فى البحر فيه مقاتلة بالقرب من نستراوة فلما كانت ليلة الاحد لاربع عشرة مضت من شعبان مات الملك الصالح بالمنصورة فلم يظهر موته وحمل فى تابوت الى قلعة الروضة وقام بأمر العسكر الامير فخر الدين بن شيخ الشيوخ فانّ شجرة الدر زوجة السلطان لما مات أحضرت الامير فخر الدين والطواشى جمال الدين محسنا واليه أمر المماليك البحرية والحاشية وأعلمتهما بموته فكتما ذلك خوفا من الفرنج لانهم كانوا قد أشرفوا على تملك ديار مصر فقام الامير فخر الدين بالتدبير وسيروا الى الملك المعظم توران شاه وهو بحصن كيفا الفارس اقطاى لاحضاره وأخذ الامير فخر الدين فى تحليف العسكر للملك الصالح وابنه الملك المعظم بولاية العهد من بعده وللامير فخر الدين بأتابكية العسكر والقيام بأمر الملك حتى حلفهم كلهم بالمنصورة وبالقاهرة فى دار الوزارة عند الامير حسام الدين بن أبى علىّ فى يوم الخميس لاثنتى عشرة بقيت من شعبان وكانت العلامات تخرج من الدهاليز السلطانية بالمنصورة الى القاهرة بخط خادم يقال له سهيل لا يشك من رآها انها خط السلطان ومشى ذلك على الامير حسام الدين بالقاهرة ولم يتفوّه أحد بموت السلطان الى أن كان يوم الاثنين لثمان بقين من شعبان ورد الامر الى القاهرة بدعاء الخطباء فى الجمعة الثانية للملك المعظم بعد الدعاء للسلطان وأن ينقش اسمه على السكة فلما علم الفرنج بموت السلطان خرجوا من دمياط بفارسهم وراجلهم وشوانيهم تحاذيهم فى البحر حتى نزلوا فارسكور يوم الخميس لخمس بقين من شعبان فورد فى يوم الجمعة من الغد كتاب الى القاهرة من العسكر أوله انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وفيه مواعظ بليغة بالحث على الجهاد فقرئ على منبر جامع القاهرة وقد جمع الناس لسماعه فارتجت القاهرة ومصر وظواهرهما بالبكاء والعويل وأيقن الناس باستيلاء الفرنج على البلاد لخلوّ الوقت من ملك يقوم بالامر لكنهم لم يهنوا

وخرجوا

وخرجوا من القاهرة ومصر وسائر الاعمال فاجتمع عالم عظيم فلما كان يوم الثلاثاء اول شهر رمضان اقتتل المسلمون والفرنج فاستشهد العلائى أمير مجلس وجماعة ونزل الفرنج شارمساح وفى يوم الاثنين سابعه نزلوا البرمون فاضطرب الناس وزلزلوا زلزالا شديدا لقربهم من العسكر وفى يوم الاحد ثالث عشره وصلوا تجاه المنصورة وصار بينهم وبين المسلمين بحر أشموم وخندقوا عليهم وأداروا على خندقهم سورا ستروه بكثير من الستائر ونصبوا المجانيق ليرموا بها على المسلمين وصارت شوانيهم بازائهم فى بحر النيل وشوانى المسلمين بازاء المنصورة والتحم القتال برا وبحرا وفى سادس عشره نفر الى المسلمين ستة خيالة أخبروا بمضايقة الفرنج وفى يوم عيد الفطر أسروا من الفرنج كندا من أقارب الملك وأبلى عوام المسلمين فى قتال الفرنج بلاء كبيرا وأنكوهم نكاية عظيمة وصاروا يقتلون منهم فى كل وقت ويأسرون ويلقون أنفسهم فى الماء ويعبرون فيه الى الجانب الذى فيه الفرنج ويتحيلون فى اختطاف الفرنج بكل حيلة ولا يهابون الموت حتى ان انسانا قور بطيخة وجعلها على رأسه وغطس فى الماء حتى حاذى الفرنج فظنه بعضهم بطيخة ونزل حتى يأخذها فخطفه وأتى به الى المسلمين وفى يوم الاربعاء سابع شوال أخذ المسلمون شونة للفرنج فيها كند ومائتا رجل وفى يوم الخميس النصف منه ركب الفرنج الى بر المسلمين واقتتلوا فقتل منهم أربعون فارسا وسير فى عدة الى القاهرة بسبعة وستين أسيرا منهم ثلاثة من أكابر الدوادارية وفى يوم الخميس ثانى عشريه احرقت للفرنج مرمة عظيمة فى البحر واستظهر المسلمون عليهم وكان بحر أشموم فيه مخايض فدل بعض من لا دين له ممن يظهر الاسلام الفرنج عليها فركبوا سحر يوم الثلاثاء خامس ذى القعدة أو رابعه ولم يشعر المسلمون بهم الا وقد هجموا على العسكر وكان الامير فخر الدين قد عبر الى الحمام فأتاه الصريخ بأن الفرنج قد هجموا على العسكر فركب دهشا غير معتد ولا محتفظ وساق ليأمر الامراء والاجناد بالركوب فى طائفة من مماليكه فلقيه عدة من الفرنج الدوادارية وحملوا عليه ففر أصحابه وأتته طعنة فى جنبه وأخذته السيوف من كل جانب حتى لحق بالله عز وجل وفى الحال غدت مماليكه فى طائفة الى داره وكسروا صناديقه وخزائنه ونهبوا امواله وخيوله وساق الفرنج عند مقتل الامير فخر الدين الى المنصورة ففر المسلمون خوفا منهم وتفرقوا يمنة ويسرة وكادت الكسرة أن تكون وتمحو الفرنج كلمة الاسلام من أرض مصر ووصل الملك رواد فرنس الى باب قصر السلطان ولم يبق الا أن يملكه فأذن الله تعالى أن طائفة المماليك من البحرية والجمدارية الذين استجدهم الملك الصالح ومن جملتهم بيبرس البندقدارى حملوا على الفرنج حملة صدقوا فيها اللقاء حتى أزاحوهم عن مواقفهم وأبلوا فى مكافحتهم بالسيوف والدبابيس فانهزموا وبلغت عدة من قتل من فرسان الفرنج الخيالة فى هذه النوبة ألفا وخمسمائة فارس وأما الرجالة فانها كانت وصلت الى الجسر لتعدى فلو تراخى الامر حتى صاروا مع المسلمين لاعضل الداء على أن هذه الواقعة كانت بين الازقة والدروب ولولا ضيق المجال لما أفلت من الفرنج أحد فنجا من بقى منهم وضربوا عليهم سورا وحفروا خندقا وصارت طائفة منهم فى البر الشرقى ومعظمهم فى الجزيرة المتصلة بدمياط وكانت البطاقة عند الكسرة سرحت على جناح الطائر الى القاهرة فانزعج الناس انزعاجا عظيما ووردت السوقة وبعض العسكر ولم تغلق ابواب القاهرة ليلة الاربعاء وفى يوم الاربعاء سقط الطائر بالبشارة بهزيمة الفرنج وعدة من قتل منهم فزينت القاهرة وضربت البشائر بقلعة الجبل وسار المعظم توران شاه الى دمشق فدخلها يوم السبت آخر شهر رمضان واستولى على من بها ولاربع مضين من شوال سقط الطائر بوصوله الى دمشق فضربت البشائر فى العسكر بالمنصورة وفى قلعة الجبل وسار من دمشق لثلاث بقين منه فتواترت الاخبار بقدومه وخرج الامير حسام الدين بن أبى على الى لقائه فوافاه بالصالحية لاربع عشرة بقيت من ذى القعدة ومن يومئذ أعلن بموت الملك الصالح بعدما كان قبل ذلك لا ينطق أحد بموته البتة بل الامور على حالها والدهليز السلطانى بحاله والسماط على العادة وشجرة الدر أم خليل زوجة السلطان تدبر الامور وتقول السلطان مريض ما اليه وصول ثم سار من الصالحية فتلقاه الامراء والمماليك واستقر بقصر السلطنة من المنصورة يوم الثلاثاء تاسع عشر ذى القعدة وفى اثناء هذه المدة عمل المسلمون مراكب وحملوها على الجمال الى بحر المحلة وألقوها فيه وشحنوها بالمقاتلة فعندما حاذت مراكب الفرنج بحر المحلة وتلك المراكب فيه مكمنة خرجت عليهم ووقع الحرب بينهما وقدم الاسطول الاسلامى من جهة المنصورة وأحاط بالفرنج فظفر باثنين وخمسين مركبا للفرنج وقتل

وأسر منهم نحو ألف رجل فانقطعت الميرة عن الفرنج واشتد عندهم الغلاء وصاروا محصورين فلما كان اول يوم من ذى الحجة أخذ الفرنج من المراكب التى فى بحر المحلة سبع حراريق وفر من كان فيها من المسلمين وفى يوم عرفة برزت الشوانى الاسلامية الى مراكب قدمت للفرنج فيها ميرة فأخذت منها اثنين وثلاثين مركبا منها تسع شوانى فوهنت قوة الفرنج وتزايد الغلاء عندهم وشرعوا فى طلب الهدنة من المسلمين على أن يسلموا دمياط ويأخذوا بدلا منها القدس وبعض بلاد الساحل فلم يجابوا الى ذلك فلما كان اليوم السابع والعشرون من ذى الحجة أحرق الفرنج اخشابهم كلها وأتلفوا مراكبهم يريدون التحصن بدمياط ورحلوا فى ليلة الاربعاء لثلاث مضين من المحرم سنة ثمان وأربعين وستمائة الى دمياط وأخذت مراكبهم فى الانحدار قبالتهم فركب المسلمون أقفيتهم بعدما عدوا الى برهم وطلع الفجر من يوم الاربعاء وقد أحاط المسلمون بالفرنج وقتلوا وأسروا منهم كثيرا حتى قيل ان عدد من قتل من الفرسان على فارسكور يزيد على عشرة آلاف وأسر من الخيالة والرجالة والصناع والسوقة ما يناهز مائة ألف ونهب من المال والذخائر والخيول والبغال مالا يحصى وانحاز الملك روادفرنس واكابر الفرنج الى تل ووقفوا مستسلمين وسألوا الامان فأمنهم الطواشى جمال الدين محسن الصالحى ونزلوا على أمانه وأحيط بهم وسيقوا الى المنصورة فقيد روادفرنس واعتقل فى الدار التى كان ينزل فيها القاضى فخر الدين ابراهيم بن لقمان كاتب الانشاء ووكل به الطواشى صبيح المعظمى واعتقل معه أخوه ورتب له راتب يحمل اليه فى كل يوم ورسم الملك المعظم لسيف الدين يوسف بن الطورى أحد من وصل صحبته من الشرق أن يتولى قتل الاسرى فكان يخرج منهم كل ليلة ثلثمائة رجل ويقتلهم ويلقيهم فى البحر حتى فنوا * ولما قبض على الملك روادفرنس رحل الملك المعظم من المنصورة ونزل بالدهليز السلطانى على فارسكور وعمل له برجا من خشب وتراخى فى قصد دمياط وكتب بخطه الى الامير جمال الدين بن يغمور نائبه بدمشق وولده توران شاه الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن وما النصر الا من عند الله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وأما بنعمة ربك فحدث وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها نبشر المجلس السامى الجمالى بل نبشر المسلمين كافة بما من الله به على المسلمين من الظفر بعدو الدين فانه كان قد استكمل أمره واستحكم شره ويئس العباد من البلاد والاهل والاولاد فنودوا ولا تيأسوا من روح الله ولما كان يوم الاثنين مستهل السنة المباركة وهى سنة ثمان وأربعين وستمائة تمم الله على الاسلام بركتها فتحنا الخزائن وبذلنا الاموال وفرقنا السلاح وجمعنا العربان والمطوعة وخلقا لا يعلمهم الا الله جاؤا من كل فج عميق ومكان سحيق فلما رأى العدو ذلك أرسل يطلب الصلح على ما وقع الاتفاق بينهم وبين الملك الكامل فأبينا ولما كانت ليلة الاربعاء تركوا خيامهم وأموالهم وأثقالهم وقصدوا دمياط هاربين فسرنا فى آثارهم طالبين ومازال السيف يعمل فى أدبارهم عامة الليل وقد حل بهم الخزى والويل فلما اصبحنا يوم الاربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفا غير من ألقى نفسه فى اللجج وأما الاسرى فحدث عن البحر ولا حرج والتجأ الفرنسيس الى المنية وطلب الامان فأمناه وأخذناه وأكرمناه وسلمناه دمياط بعون الله تعالى وقوته وجلاله وعظمته وبعث مع الكتاب غفارة الملك فرنسيس فلبسها الامير جمال الدين بن يغمور وهى اشكرلاط احمر بفرو سنجاب فقال الشيخ نجم الدين بن اسرائيل

ان غفارة الفرنسيس جاءت * فهى حقا لسيد الامراء
كبياض القرطاس لونا ولكن * صبغتها سيوفنا بالدماء

وقال آخر

أسيد أملاك الزمان بأسرهم * تنجزت من نصر الاله وعوده
فلا زال مولانا يبيح حمى العدى * ويلبس أثواب الملوك عبيده

وأخذ الملك المعظم يهدد زوجة أبيه شجرة الدر ويطالبها بمال أبيه فخافته وكاتبت مماليك الملك الصالح تحرضهم عليه وكان المعظم لما وصل اليه الفارس أقطاى الى حصن كيفا وعده أن يعطيه امرة فلم يف له بها وأعرض مع ذلك عن مماليك أبيه واطرح امراءه وصرف الامير حسام الدين بن أبى على عن نيابة السلطنة وأحضره الى العسكر ولم يعبأ به وأبعد غلمان أبيه واختص بمن وصل معه من المشرق وجعلهم فى الوظائف السلطانية فجعل الطواشى مسرورا خادمه استادارا وعمل صبيحا وكان عبدا حبشيا فحلا خازنداره وأمر أن

تكون

تكون له عصا من ذهب وأعطاه مالا جزيلا واقطاعات جليلة وكان اذا سكر جمع الشمع وضرب رؤسها بالسيف حتى تنقطع ويقول هكذا افعل بالبحرية فانه كان فيه هرج وخفة واحتجب على العكوف بملاذه فنفرت منه النفوس وبقي كذلك الى يوم الاثنين تاسع عشرى المحرم وقد جلس على السماط فتقدم اليه أحد المماليك البحرية وضربه بسيف قطع اصابع يديه ففر الى البرج فاقتحموا عليه وسيوفهم مصلتة فصعد أعلى البرج الخشب فرموه بالنشاب وأطلقوا النار في البرج فألقى نفسه ومر الى البحر وهو يقول ما أريد ملككم دعوني أرجع الى الحصن يا مسلمين ما فيكم من يصطنعني ويجيرني وسائر العساكر بالسيوف واقفة فلم يجبه أحد والنشاب يأخذه من كل ناحية وأدركوه فقطع بالسيوف ومات حريقا غريقا قتيلا في يوم الاثنين المذكور وترك على الشط ثلاثة أيام ثم دفن ولما قتل الملك المعظم اتفق أهل الدولة على اقامة شجرة الدر والدة خليل في مملكة مصر وأن يكون مقدم العسكر الامير عز الدين أيبك التركماني الصالحي وحلف الكل على ذلك وسيروا اليها عز الدين الرومي فقدم عليها في قلعة الجبل وأعلمها بما اتفق فرضيت به وكتبت على التواقيع علامتها وهي والدة خليل وخطب لها على المنابر بمصر والقاهرة وجرى الحديث مع الملك روادفرنس في تسليم دمياط وتولى مفاوضته في ذلك الامير حسام الدين بن أبي علي الهدباني فأجاب الى تسليمها وأن يخلى عنه بعد محاورات وسير الى الفرنج بدمياط يأمرهم بتسليمها الى المسلمين فسلموها بعد جهد جهيد من كثرة المراجعات في يوم الجمعة ثالث صفر ورفع العلم السلطاني على سورها وأعلن فيها بكلمة الاسلام وشهادة الحق بعد ما اقامت بيد الفرنج احد عشر شهرا وسبعة أيام وأفرج عن الملك روادفرنس وعن أخيه وزوجته ومن بقي من اصحابه الى البر الغربي وركبوا البحر من الغد وهو يوم السبت رابع صفر وأقلعوا الى عكا * وفي هذه النوبة يقول الوزير جمال الدين يحيى بن مطروح

قل للفرنسيس اذا جئته * مقال نصح عن قؤول نصيح
آجرك الله على ما جرى * من قبل عباد يسوع المسيح
أتيت مصر تبتغي ملكها * تحسب أن الزمر يا طبل ريح
فساقك الحين الى ادهم * ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل اصحابك اودعتهم * بحسن تدبيرك بطن الضريح
خمسون ألفا لا يرى منهم * الا قتيل أو اسير جريح
وفقك الله لامثالها * لعل عيسى منكم يستريح
ان كان باباكم بذا راضيا * فرب غش قد أتى من نصيح
قل لهم ان أضمروا عودة * لاخذ ثار اولقصد صحيح
دار ابن لقمان على حالها * والقيد باق والطواشي صبيح

وقدر الله أن الفرنسيس هذا بعد خلاصه من هذه الواقعة جمع عدة جموع وقصد تونس فقال شاب من اهلها يقال له احمد بن اسمعيل الزيات

يا فرنسيس هذه أخت مصر * فتأهب لما اليه تصير
لك فيها دار ابن لقمان قبر * وطواشيك منكر ونكير

فكان هذا فالا حسنا فانه مات وهو على محاصرة تونس ولما تسلم الامراء دمياط وردت البشرى الى القاهرة فضربت البشائر وزينت القاهرة ومصر فقدمت العساكر من دمياط يوم الخميس تاسع صفر فلما كان في سلطنة الاشرف موسى بن الملك المسعود أقسيس بن الملك الكامل والملك المعز عز الدين التركماني وكثر الاختلاف بمصر واستولى الملك الناصر يوسف بن العزيز على دمشق اتفق أرباب الدولة بمصر وهم المماليك البحرية على تخريب مدينة دمياط خوفا من مسير الفرنج اليها مرة اخرى فسيروا اليها الحجارين والفعلة فوقع الهدم في أسوارها يوم الاثنين الثامن عشر من شعبان سنة ثمان وأربعين وستمائة حتى خربت كلها ومحيت آثارها ولم يبق منها سوى الجامع وصار في قبليها أخصاص على النيل سكنها الناس الضعفاء وسموها المنشية وهذا السور هو الذي بناه أمير المؤمنين المتوكل على الله كما تقدم ذكره فلما استبد الملك الظاهر بيبرس البندقداري

الصالحى بمملكة مصر بعد قتل الملك المظفر قطز اخرج من مصر عدة من الحجارين فى سنة تسع وخمسين وستمائة لردم فم بحر دمياط فمضوا وقطعوا كثيرا من القرابيص وألقوها فى بحر النيل الذى ينصب من شمال دمياط فى البحر الملح حتى ضاق وتعذر دخول المراكب منه الى دمياط وهو الى اليوم على ذلك لا تقدر مراكب البحر الكبار أن تدخل منه وانما ينقل ما فيها من البضائع فى مراكب نيلية تعرف عند أهل دمياط بالجروم واحدها جرم وتصير مراكب بحر الملح واقفة بآخر البحر قريبا من ملتقى البحرين ويزعم اهل دمياط الآن أن سبب امتناع دخول مراكب البحر جبل فى فم البحر أو رمل يتربى هنالك وهذا قول باطل حملهم عليه ما يجدونه من تلاف المراكب اذا هجمت على هذا المكان وجهلهم باحوال الوجود وما مر من الوقائع والى يومنا هذا يخاف على المراكب عند ورودها فم البحر وكثيرا ما تتلف فيه * وقد سرت اليه حتى شاهدته ورأيته من أعجب ما يراه الانسان * وأما دمياط الآن فانها حدثت بعد تخريب مدينة دمياط وعمل هنالك أخصاص وما برحت تزداد الى أن صارت بلدة كبيرة ذات أسواق وحمامات وجوامع ومدارس ومساجد ودورها تشرف على النيل الاعظم ومن ورائها البساتين وهى أحسن بلاد الله منظرا * وقد أخبرنى الامير الوزير المشير الاستادار يلبغا السالمى رحمه الله أنه لم ير فى البلاد التى سلكها من سمرقند الى مصر أحسن من دمياط هذه فظننت أنه يغلو فى مدحها الى أن شاهدتها فاذا هى أحسن بلد وأنزهه * وفيها أقول

سقى عهد دمياط وحياه من عهد * فقد زادنى ذكراه وجدا على وجد
ولا زالت الانواء تسقى سحابها * ديارا حكت من حسنها جنة الخلد
فيا حسن هاتيك الديار وطيبها * فكم قد حوت حسنا يجل عن العد
فلله أنهار تحف بروضها * لكالمرهف المصقول اوصفحة الخد
وبشنينها الريان يحكى متيما * تبدل من وصل الاحبة بالصد
فقام على رجليه فى الدمع غارقا * يراعى نجوم الليل من وحشة الفقد
وظل على الاقدام تحسب انه * لطول انتظار من حبيب على وعد
ولا سيما تلك النواعير انها * تجدد حزن الواله المدنف الفرد
اطارحها شجوى وصارت كانما * تطارح شكواها بمثل الذى أبدى
فقد خلتها الافلاك فيها نجومها * تدور بمحض النفع منها وبالسعد
وفى البرك الغراء باحسن نوفر * حلا وغدا بالزهو يسطو على الورد
سماء من البلور فيها كواكب * عجيبة صبغ اللون محكمة النضد
وفى شاطئ النيل المقدس نزهة * نعيد شباب الشيب فى عيشه الرغد
وتنشى رياحا تطرد الهم والاسى * وتنشى ليالى الوصل من طيبها عندى
وفى مرج البحرين جم عجائب * تلوح وتبدو من قريب ومن بعد
كأن التقاء النيل بالبحر اذ غدا * مليكان سارا فى الجحافل من جند
وقد نزلا للحرب واحتدم اللقا * ولا طعن الا بالمثقفة الملد
فظلا كما باتا وما برحا كما * هما من جليل الخطب فى اعظم الجهد
فكم قد مضى لى من افانين لذة * بشاطئها العذب الشهى لذى الورد
وكم قد نعمنا فى البساتين برهة * بعيش هنىء فى أمان وفى سعد
وفى البرزخ المأنوس كم لى خلوة * وعند شطا عن أعين العلم الفرد
هنالك ترى عين البصيرة ما ترى * من الفضل والافضال والخير والمجد
فيارب هيئ لى بفضلك عودة * ومن بها فى غير بلوى ولا جهد

وبدمياط حيث كانت المدينة التى هدمت جامع من اجل مساجد المسلمين تسميه العامة مسجد فتح وهو المسجد الذى أسسه المسلمون عند فتح دمياط اول ما فتح الله أرض مصر على يد عمرو بن العاص وعلى بابه مكتوب بالقلم الكوفى انه عمر بعد سنة خمسمائة من الهجرة وفيه عدة من عمد الرخام منها ما يعز وجود مثله وانما عرف

بجامع فتح لنزول شخص يقال له فاتح بمقالت العامّة جامع فتح وانما هو فاتح بن عثمان الاسمر التكروري قدم من مراكش الى دمياط على قدم التجريد وسقى بها الماء فى الاسواق احتسابا من غير أن يتناول من احد شيأ ونزل فى ظاهر الثغر ولزم الصلاة مع الجماعة وترك الناس جميعا ثم أقام بناحية تونة من بحيرة تنيس وهى خراب نحو سبع سنين ورمّ مسجدها ثم انتقل من تونة الى جامع دمياط وأقام فى وكر بأسفل المنارة من غير أن يخالط أحدا الا اذا اقيمت الصلاة خرج وصلى فاذا سلم الامام عاد الى وكره فان عارضه أحد بحديث كلمه وهو قائم بعد انصرافه من الصلاة وكانت حاله أبدا اتصالا فى انفصال وقربا فى ابتعاد وانسا فى نفار وحج فكان يفارق اصحابه عند الرحيل فلا يرونه الا وقت النزول ويكون سيره منفردا عنهم لا يكلم أحدا الى أن عاد الى دمياط فأخذ فى ترميم الجامع وتنظيفه بنفسه حتى نقى ما كان فيه من الوطواط بسقوفه وساق الماء الى صهاريجه وبلط صحنه وسبك سطحه بالجبس وأقام فيه وكان قبل ذلك من حين خربت دمياط لا يفتح الا فى يوم الجمعة فقط فرتب فيه اماما راتبا يصلى الخمس وسكن فى بيت الخطابة وواظب على اقامة الاوراد به وجعل فيه قرّاء يتلون القرءان بكرة وأصيلا وقرّر فيه رجلا يقرأ ميعادا يذكر الناس ويعلمهم وكان يقول لو علمت بدمياط مكانا أفضل من الجامع لاقمت به ولو علمت فى الارض بلدا يكون فيه الفقير أخمل من دمياط لرحلت اليه وأقمت به وكان اذا ورد عليه أحد من الفقراء ولا يجد ما يطعمه باع من لباسه ما يضيفه به وكان يبيت ويصبح وليس له معلوم ولا ما يقع عليه العين او تسمعه الاذن وكان يؤثر فى السرّ الفقراء والارامل ولا يسأل أحدا شيأ ولا يقبل غالبا واذا قبل ما يفتح الله عليه آثر به وكان يبذل جهده فى كتم حاله والله تعالى يظهر خيره وبركته من غير قصد منه لذلك وعرفت له عدّة كرامات وكان سلوكه على طريق السلف من التمسك بالكتاب والسنة والنفور عن الفتنة وترك الدعاوى واطراحها وستر حاله والتحفظ فى اقواله وأفعاله وكان لا يرافق أحدا فى الليل ولا يعلم أحد يوم صومه من يوم فطره ويجعل دائما قول ان شاء الله تعالى مكان قول غيره والله ثم انّ الشيخ عبد العزيز الدميرىّ أشار عليه بالنكاح وقال له النكاح من السنة فتزوّج فى آخر عمره بامرأتين لم يدخل على واحدة منهما نهارا البتة ولا أكل عندهما ولا شرب قط وكان ليله ظرفا للعبادة لكنه يأتى اليهما أحيانا وينقطع أحيانا لاستغراق زمنه كله فى القيام بوظائف العبادات وايثار الخلوة وكان خواص خدمه لا يعلمون بصومه من فطره وانما يحمل اليه ما يأكل ويوضع عنده بالخلوة فلا يرى قط آكلا وكان يحب الفقر ويؤثر حال المسكنة ويتطارح على الخمول والجفا ويتواضع مع الفقراء ويتعاظم على العظماء والاغنياء وكان يقرأ فى المصحف ويطالع الكتب ولم يره أحد يخط بيده شيأ وكانت تلاوته للقرءان بخشوع وتدبر ولم يعمل له سجادة قط ولا أخذ على أحد عهدا ولا لبس طاقية ولا قال انا شيخ ولا أنا فقير ومتى قال فى كلامه انا تفطن لما وقع منه واستعاذ بالله من قول انا ولا حضر قط سماعا ولا أنكر على من يحضره وكان سلوكه صلاحا من غير اصلاح ويبالغ فى الترفع على ابناء الدنيا ويترامى على الفقراء ويقدّم لهم الاكل ولم يقدّم لغنىّ اكلا البتة واذا اجتمع عنده الناس قدّم الفقير على الغنىّ واذا مضى الفقير من عنده سار معه وشيعه عدّة خطوات وهو حاف بغير نعل ووقف على قدميه ينظره حتى يتوارى عنه ومن كان من الفقراء يشار اليه بمشيخة جلس بين يديه بأدب مع امامته وتقدمه فى الطريق ويقول ما أقول لاحد افعل او لا تفعل من أراد السلوك يكفيه أن ينظر الى أفعاله فان من لم يتسلك بنظره لا يتسلك بسمعه وقال له شخص من خواصه يا سيدى ادع الله لنا أن يفتح علينا فنحن فقراء فقال ان أردتم فتح الله فلا تبقوا فى البيت شيأ ثم اطلبوا فتح الله بعد ذلك فقد جاء لا تسأل الله ولك خاتم من حديد ومن كلامه الفقير بحال البكر اذا سأل زالت بكارته وسأله بعض خواصه أن يدعو له بسعة وشكا له الضيق فقال انا ما أدعو لك بسعة بل اطلب لك الافضل والاكمل وكان مع اشتغاله بالعبادة واستغراق اوقاته فيها لا يغفل عن صاحبه ولا ينسى حاجته حتى يقضيها ويلازم الوفاء لاصحابه ويحسن معاشرتهم ويعرف احوال الناس على طبقاتهم ويعظم العلم ويكرم الايتام ويشفق على الضعفاء والارامل ويبذل شفاعته فى قضاء حوائج الخاص والعام من غير أن يملّ ولا يتبرّم بكثرة ذلك ويكثر من الايثار فى السرّ ولا يمسك لنفسه شيأ ويستقلّ ما منه مع كثرة احسانه ويستكثر ما يدفع اليه وان كان يسيرا ويكافئ عليه باحسن منه ولم يصحب قط اميرا ولا وزيرا بل كان فى سلوكه وطريقه يرفع فى تواضع ويعز مع مسكنة وقرب فى ابتعاد واتصال فى انفصال وزهد فى الدنيا واهلها وكان اكبر من خبره

ومن دعائه لنفسه ولمن يسأل له الدعاء اللهم بعدنا عن الدنيا وأهلها وبعدها عنا ومازال على ذلك الى أن مات آخر ليلة أسفر صباحها عن الثامن من شهر ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وستمائة وترك ولدين ليس لهما قوت ليلة وعليه مبلغ ألفي درهم دينا ودفن بجوار الجامع وقبره يزار الى يومنا هذا

(ذكر شطا)

شطا مدينة عند تنيس ودمياط واليها تنسب الثياب الشطوية ويقال انها عرفت بشطا بن الهاموك وكان ابوه خال المقوقس وكان على دمياط فلما فتح الله الحصن على يد عمرو بن العاص واستولى على أرض مصر جهز بعثا لفتح دمياط فنازلوها الى أن ملكوا سور المدينة فخرج شطا في ألفين من اصحابه ولحق بالمسلمين وقد كان قبل ذلك يحب الخير ويميل الى مايسمعه من سيرة اهل الاسلام ولما ملك المسلمون دمياط امتنع عليهم صاحب تنيس فخرج شطا الى البرلس والدميرة واشموم طناح يستنجد لجمع الناس لقتال اهل تنيس وسار بهم مع من كان بدمياط من المسلمين ومن قدم مددا من عند عمرو بن العاص الى قتال اهل تنيس فالتقى الفريقان وأبلى شطا منهم بلاء حسنا وقتل من أبطال تنيس اثنى عشر رجلا واستشهد في ليلة الجمعة النصف من شعبان سنة احدى وعشرين من الهجرة فقبر حيث هو الآن خارج دمياط وبنى على قبره وصار الناس يجتمعون هناك في ليلة النصف من شعبان كل عام ويغدون للحضور من القرى وهم على ذلك الى يومنا هذا وكانت تعمل كسوة الكعبة بشطا قال الفاكهي ورأيت فيها كسوة من كسا أمير المؤمنين هرون الرشيد من قباطي مصر مكتوبا عليها بسم الله بركة من الله لعبد الله هرون أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر الفضل بن الربيع مولى أمير المؤمنين بصنعته في طراز شطا كسوة الكعبة سنة احدى وتسعين ومائة * ومن المواضع المشهورة بدمياط *(البرزخ)* وهو مسجد بحيرة دمياط تسميه العامة البرزخ ولا اعرف مستندهم في ذلك وشاهدت فيه عجبا وهو أن به منارة كبيرة مبنية من الآجر اذا هزها أحد اهتزت فلما صعدت أعلاها حيث يقف المؤذنون وحركتها رأيت ظلها قد تحرك بتحريكي لها ويوجد حول هذا المسجد رمم أموات يشبه أن تكون ممن استشهد في وقائع الفرنج والله يعلم وأنتم لاتعلمون *(ديبق)* قرية من قرى دمياط ينسب اليها الثياب المثقلة والعمائم الشرب الملونة والديبقي العلم المذهب وكانت العمائم الشرب المذهبة تعمل بها ويكون طول كل عمامة منها مائة ذراع وفيها رقمات منسوجة بالذهب فتبلغ العمامة من الذهب خمسمائة دينار سوى الحرير والغزل وحدثت هذه العمائم وغيرها في أيام العزيز بالله بن المعز سنة خمس وستين وثلثمائة الى أن مات في شعبان سنة ست وثمانين وثلثمائة *(النحريرية)* قرية من الاعمال الغربية أسس حكرها الامير شمس الدين سنقر السعدى نقيب الجيش في ايام الناصر محمد بن قلاون وبالغ في عمارتها فبلغت في ايامه عشرة آلاف درهم فضة ثم خرج عنها فعمرت للسلطان واتسع امرها حتى أنشئ فيها زيادة على ثلاثين بستانا ووصل حكرها الكثرة سكانها الى ألف درهم فضة لكل فدان وصارت بلدا كبير العمل يبلغ في السنة مابين خراجي وهلالي ثلثمائة ألف درهم فضة عنها خمسة عشر ألف دينار ذهبا ومات سنقر هذا في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة واليه تنسب المدرسة السعدية بخط حدرة البقر خارج باب زويلة *(جزيرة بنى نصر)* منسوبة الى بنى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن وذلك أن بنى حماس بن ظالم بن جعيل بن عمرو بن درهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن كانت لهم شوكة شديدة بأرض مصر وكثروا حتى ملؤا أسفل الارض وغلبوا عليها حتى قويت عليهم قبيلة من البربر تعرف بلواتة ولواتة تزعم انها من قيس فأجلت بنى نصر وأسكنتها الجدار فصاروا اهل قرى في مكان عرف بهم وسط النيل وهى جزيرة بنى نصر هذه

(ذكر الطريق فيما بين مدينة مصر ودمشق)

اعلم أن البريد أول من رتب دوابه الملك دارا بن بهمن بن كيبشتاسف بن كيهراسف أحد ملوك الفرس وأما في الاسلام فأول من أقام البريد أمير المؤمنين المهدى محمد بن أبي جعفر المنصور أقامه فيما بين مكة والمدينة واليمن وجعله بغالا وابلا وذلك في سنة ست وستين ومائة وأصل هذه الكلمة بريد ذنب فان دارا أقام في سكك البريد دواب محذوفة الاذناب سميت بريد ذنب ثم عربت وحذف منها نصفها الاخير فقيل بريد وهذا الدرب

الذى يسلكه العساكر والتجار وغيرهم من القاهرة على الرمل الى مدينة غزة ليس هو الدرب الذى يسلك فى القديم من مصر الى الشام ولم يحدث هذا الدرب الذى يسلك فيه من الرمل الآن الا بعد الخمسمائة من سنى الهجرة عندما انقرضت الدولة الفاطمية وكان الدرب اولا قبل استيلاء الفرنج على سواحل البلاد الشامية غير هذا قال أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه فى كتاب المسالك والممالك وصفة الارض والطريق من دمشق الى الكسوة اثنا عشر ميلا ثم الى جاسم أربعة وعشرون ميلا ثم الى فيق أربعة وعشرون ميلا ثم الى طبرية مدينة الاردن ستة اميال ومن طبرية الى اللجون عشرون ميلا ثم الى القلنسوة عشرون ميلا ثم الى الرملة مدينة فلسطين أربعة وعشرون ميلا والطريق من الرملة الى أزدود اثنا عشر ميلا ثم الى غزة عشرون ميلا ثم الى العريش أربعة وعشرون ميلا فى رمل ثم الى الورادة ثمانية عشر ميلا ثم الى أم العرب عشرون ميلا ثم الى الفرما أربعة وعشرون ميلا ثم الى جرير ثلاثون ميلا ثم الى القاصرة أربعة وعشرون ميلا ثم الى مسجد قضاعة ثمانية عشر ميلا ثم الى بلبيس احد وعشرون ميلا ثم الى الفسطاط مدينة مصر أربعة وعشرون ميلا فهذا كما ترى انما كان الدرب المسلوك من مصر الى دمشق على غير ما هو الآن فيسلك من بلبيس الى الفرما فى البلاد التى تعرف اليوم ببلاد السباخ من الحوف ويسلك من الفرما وهى بالقرب من قطية الى أم العرب وهى بلاد خراب على البحر فيما بين قطية والورادة ويقصدها قوم من الناس ويحفرون فى كمانها فيجدون دراهم من فضة خالصة ثقيلة الوزن كبيرة المقدار ويسلك من أم العرب الى الورادة وكانت بلدة فى غير موضعها الآن قد ذكرت فى هذا الكتاب فلما خرج الفرنج من بحر القسطنطينية فى سنة تسعين وأربعمائة لاخذ البلاد من أيدى المسلمين وأخذ بغدوين الشوبك وعمره فى سنة تسع وخمسمائة وكان قد خرب من تقادم السنين وأغار على العريش وهو يومئذ عامر بطل السفر حينئذ من مصر الى الشام وصار يسلك على طريق البر مع العرب مخافة الفرنج الى أن استنقذ السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب بيت المقدس من ايدى الفرنج فى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة واكثر من الايقاع بالفرنج وافتتح منهم عدة بلاد بالساحل وصار يسلك هذا الدرب على الرمل فسلكه المسافرون من حينئذ الى أن ولى ملك مصر الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل محمد بن العادل ابى بكر ابن ايوب فأنشأ بأرض السباخ على طرف الرمل بلدة عرفت الى اليوم بالصالحية وذلك فى سنة اربع وأربعين وستمائة وصار ينزل بها ويقيم فيها ونزل بها من بعده الملوك فلما ملك مصر الملك الظاهر بيبرس البندقدارى رتب البريد فى سائر الطرقات حتى صار الخبر يصل من قلعة الجبل الى دمشق فى أربعة ايام ويعود فى مثلها فصارت أخبار الممالك ترد اليه فى كل جمعة مرتين ويتحكم فى سائر ممالكه بالعزل والولاية وهو مقيم بالقلعة وأنفق فى ذلك مالا عظيما حتى تم ترتيبه وكان ذلك فى سنة تسع وخمسين وستمائة ومازال أمر البريد مستمرا فيما بين القاهرة ودمشق يوجد بكل مركز من مراكزه عدة من الخيول المعدة للركوب وتعرف بخيل البريد وعندها عدة سواس وللخيل رجال يعرفون بالسواقين واحدهم سواق يركب مع من رسم بركوبه خيل البريد ليسوق له فرسه ويخدمه مدة مسيره ولا يركب أحد خيل البريد الا بمرسوم سلطانى فتارة يمنع الناس من ركوبه الا من اشتد به السلطان لمهماته وتارة يركبه من يريد السفر من الاعيان بمرسوم سلطانى وكانت طرق الشام عامرة يوجد بها عند كل بريد ما يحتاج اليه المسافر من زاد وعلف وغيره ولكثرة ما كان فيه من الامن ادركنا المرأة تسافر من القاهرة الى الشام بمفردها راكبة أو ماشية لا تحمل زادا ولا ماء فلما أخذ تيمورلنك دمشق وسبى اهلها وحرقها فى سنة ثلاث وثمانمائة خربت مراكز البريد واشتغل اهل الدولة بما نزل بالبلاد من المحن ومادهوا به من كثرة الفتن عن اقامة البريد فاختل بانقطاعه طريق الشام خللا فاحشا والامر على ذلك الى وقتنا هذا وهو سنة ثمان عشرة وثمانمائة

(ذكر مدينة حطين)

هذه المدينة آثارها الى اليوم باقية فيما بين حبوة والعاقولة بأرض العاقولة فيما بين قطية والعريش تجاهها بميل ماء عذب تسميه العرب ابا العروق وهو شرقيها وهذه المدينة تنسب الى حطين ويقال حطى بن الملك ابى جاد المدينى واهل قطية اليوم يسمون تلك الارض ببلاد حطين والجفر وملك حطين هذا أرض مصر بعد موت أبيه وكان صاحب حرب وبطش وكان ينزل بقلعة فى جبال الاردن قريبا من طبرية واليه تنسب قرية حطين التى بها

الآن قبر شعيب بالقرب من صفد

﴿ذكر مدينة الرقة﴾

هذه المدينة من جملة مدائن مدين فيما بين بحر القلزم وجبل الطور كان بها عند ما خرج موسى عليه السلام بنى اسرائيل من مصر قوم من لخم آل فرعون يعبدون البقر واياهم عنى الله بقوله تعالى وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم الآية قال قتادة أولئك القوم من لخم وكانوا نزولا بالرقة وقيل كانت أصنامهم تماثيل البقر ولهذا أخرج لهم السامرى عجلا وآثار هذه المدينة باقية الى اليوم فيما بقى من مدينة فاران والقلزم ومدين وأيلة تمر بها الاعراب

﴿ذكر عين شمس﴾

وكان يقال لها فى القديم رعمساس وكانت عين شمس هيكلا يحج الناس اليه ويقصدونه من أقطار الارض فى جملة ما كان يحج اليه من الهياكل التى كانت فى قديم الدهر ويقال ان الصابئة أخذت هذه الهياكل عن عاد وثمود ويزعمون انه عن شيث بن آدم وعن هرمس الاول وهو ادريس وان ادريس هو أول من تكلم فى الجواهر العلوية والحركات النجومية وبنى الهياكل ومجد الله فيها ويقال ان الهياكل كانت عدتها فى الزمن الغابر اثنى عشر هيكلا وهى هيكل العلة الاولى وهيكل العقل وهيكل السياسة وهيكل الصورة وهيكل النفس وكانت هذه الهياكل الخمسة مستديرات والهيكل السادس هيكل زحل وهو مسدس وبعده هيكل المشترى وهو مثلث ثم هيكل المريخ وهو مربع وهيكل الشمس وهو أيضا مربع وهيكل الزهرة وهو مثلث مستطيل وهيكل عطارد مثلث فى جوف مربع مستطيل وهيكل القمر مثمن وعللوا اعبادتهم للهياكل بأن قالوا لما كان صانع العالم مقدسا عن صفات الحدوث وجب العجز عن ادراك جلاله وتعين أن يتقرب اليه عباده بالمقربين لديه وهم الروحانيون ليشفعوا لهم ويكونوا وسايط لهم عنده وعنوا بالروحانيين الملائكة وزعموا أنها المدبرات للكواكب السبعة السيارة فى أفلاكها وهى هياكلها وانه لا بد لكل روحانى من هيكل ولا بد لكل هيكل من فلك وأن نسبة الروحانى الى الهيكل نسبة الروح الى الجسد وزعموا أنه لا بد من رؤية المتوسط بين العباد وبين بارئهم حتى يتوجه اليه العبد بنفسه ويستفيد منه ففزعوا الى الهياكل التى هى السيارات فعرفوا بيوتها من الفلك وعرفوا مطالعها ومغاربها واتصالاتها وما لها من الايام والليالى والساعات والاشخاص والصور والاقاليم وغير ذلك مما هو معروف فى موضعه من العلم الرياضى وسموا هذه السبعة السيارة أربابا وآلهة وسموا الشمس اله الآلهة ورب الارباب وزعموا أنها المفيضة على السبعة انوارها والمظهرة فيها آثارها فكانوا يتقربون الى الهياكل تقربا الى الروحانيين لتقربهم الى البارى لزعمهم أن الهياكل أبدان الروحانيين وكل من تقرب الى شخص فقد تقرب الى روحه وكانوا يصلون لكل كوكب يوما يزعمون أنه رب ذلك اليوم وكانت صلاتهم فى ثلاثة أوقات الاولى عند طلوع الشمس والثانية عند استوائها فى الفلك والثالثة عند غروبها فيصلون لزحل يوم السبت وللمشترى يوم الاحد وللمريخ يوم الاثنين وللشمس يوم الثلاثاء وللزهرة يوم الاربعاء ولعطارد يوم الخميس وللقمر يوم الجمعة ويقال انه كان ببلخ هيكل بناه منوجهر على اسم القمر لتعارض به الكعبة فكانت الفرس تحجه وتكسوه الحرير وكان اسمه نوبهر فلما تمجست الفرس عملته بيت نار وقيل للموكل بسدانته برمك يعنى والى مكة وانتهت البرمكة الى جد خالد جد جعفر بن يحيى بن خالد فأسلم على يد هشام بن عبد الملك وسماه عبد الله وخرب هذا الهيكل قيس بن الهيثم فى أول خلافة معاوية سنة احدى وأربعين وكان بناء عظيما حوله اروقة وثلثمائة وستون مقصورة لسكن خدامه وكان بصنعاء قصر غمدان من بناء الضحاك وكان هيكل الزهرة وهدم فى خلافة عثمان بن عفان وكان بالاندلس فى الجبل الفارق بين جزيرة الاندلس والارض الكبيرة هيكل المشترى من بناء كلوبطرة بنت بطلموس وكان بفرغانة بيت يقال له كاوسان هيكل للشمس بناه بعض ملوك فارس الاول خربه المعتصم وقد اختلف فيمن بنى هيكل عين شمس وسأقص من أخباره ما لم أره مجموعا فى كتاب * قال ابن وصيف شاه وقد كان الملك منقاوس اذا ركب عملوا بين يديه التخاييل العجيبة فيجتمع الناس ويعجبون من أعمالهم وأمر أن يبنى له هيكل للعبادة يكون له

خصوصا ويجعل فيه قبة فيها صورة الشمس والكواكب وجعل حولها أصناما وعجائب فكان الملك يركب اليه ويقيم فيه سبعة أيام وجعل فيه عمودين زبر عليهما تاريخ الوقت الذى عمله فيه وهما باقيان الى اليوم وهو الموضع الذى يقال له عين شمس ونقل الى عين شمس كنوزا وجواهر وطلسمات وعقاقير وعجائب ودفنها بها وبنواحيها وأقام ملكا احدى وتسعين سنة ومات من الطاعون وقيل من سم وعمل له ناوس فى صحراء الغرب وقيل فى غربى قوص ودفن معه مصاحف الحكمة والصنعة وتماثيل الذهب والجوهر ومن الذهب المضروب شئ كثير ودفن معه تمثال روحانى الشمس من ذهب يلمع وله جناحان من زبرجد وصنم على صورة امرأته وكان يحبها فلما ماتت أمر أن تعمل صورتها فى الهياكل كلها وعمل صورتها من ذهب بذؤابتين سوداوين وعليها حلة من جواهر منظومة وهى جالسة على كرسى وكان يجعلها بين يديه فى كل موضع يجلس فيه يتسلى بذلك عنها فدفنت هذه الصورة معه تحت رجليه كأنها تخاطبه * وقال الحكيم الفاضل أحمد بن خليفة فى كتاب عيون الانباء فى طبقات الاطباء واشتاق فيثاغورس الى الاجتماع بالكهنة الذين كانوا بمصر فورد على اهل مدينة الشمس المعروفة فى زماننا بعين شمس فقبلوه قبولا كريها وامتحنوه زمانا فلم يجدوا عليه نقصا ولا تقصيرا فوجهوا به الى كهنة منف كى يبالغوا فى امتحانه فقبلوه على كراهة واستقصوا امتحانه فلم يجدوا عليه معيبا ولا أصابوا له عثرة فبعثوا به الى أهل ديوسوس ليمتحنوه فلم يجدوا عليه طريقا ولا الى ادحاضه سبيلا ففرضوا عليه فرائض صعبة كيما يمتنع من قبولها فيدحضوه ويحرموه طلبته مخالفة لفرائض اليونانيين فقبل ذلك وقام به فاشتد اعجابهم به وفشا بمصر ورعه حتى بلغ ذكره الى اماسيس ملك مصر فأعطاه سلطانا على ضحايا الرب وعلى سائر قرابينهم ولم يعط ذلك لغريب قط ويقال انه كان للكواكب السبعة السيارة هياكل تحج الناس اليها من سائر أقطار الدنيا وضعها القدماء فجعلوا على اسم كل كوكب هيكلا فى ناحية من نواحى الارض وزعموا أن البيت الاول هو الكعبة وانه مما اوصى ادريس الذى يسمونه هرمس الاول المثلث أن يحج اليه وزعموا أنه منسوب لزحل والبيت الثانى بيت المريخ وكان بمدينة صور من الساحل الشامى والبيت الثالث للمشترى وكان بدمشق بناه جيرون بن سعد بن عاد وموضعه الآن جامع بنى امية والبيت الرابع بيت الشمس بمصر ويقال انه من بناء هرشيك أحد ملوك الطبقة الاولى من ملوك الفرس وهو المسمى بعين شمس والبيت الخامس بيت الزهرة وكان بمنبج والبيت السادس بيت عطارد وهو بصيدا من ساحل البحر الشامى والبيت السابع بيت القمر وكان بحران ويقال انه قلعتها ويسمى المدور ولم يزل عامرا الى أن خربه التتر ويقال انه كان هو هيكل الصابئة الاعظم * وقال شافع بن على فى كتاب عجائب البلدان وعين شمس مدينة صغيرة تشاهد سورها محدقا بها مهدوما ويظهر من أمرها انها كانت بيت عبادة وفيها من الاصنام الهائلة العظيمة الشكل من نحيت الحجارة ما يكون طول الصنم بقدر ثلاثين ذراعا واعضاؤه على تلك النسبة من العظم وكل هذه الاصنام قائمة على قواعد وبعضها قاعد على نصبات عجيبة واتقانات محكمة وباب المدينة موجود الى الآن وعلى معظم تلك الحجارة تصاوير على شكل الانسان وغيره من الحيوان وكتابة كثيرة بالقلم المجهول وقلما ترى حجرا خلا عن كتابة او نقش او صورة وفى هذه المدينة المسلتان المشهورتان وتسميان مسلتى فرعون وصفة المسلة قاعدة مربعة طولها عشرة أذرع فى مثلها عرضا فى نحوها سمكا قد وضعت على أساس ثابت فى الارض ثم أقيم عليها عمود مثلث مخروط ينيف طوله على مائة ذراع يبتدئ من القاعدة ببسطة قطرها خمسة اذرع وينتهى الى نقطة وقد لبس رأسها بقلنسوة نحاس الى نحو ثلاثة اذرع منها كالقمع وقد تزنجر بالمطر وطول المدة واخضر وسال من خضرته على بسيط المسلة وكلها عليها كتابات بذلك القلم وكانت المسلتان قائمتين ثم خربت احداهما وانصدعت من نصفها لعظم الثقل وأخذ النحاس من رأسها ثم ان حولها من الاصنام شيأ كثيرا لا يحصى عدده على نصف تلك العظمى أو يليها وقلما يوجد فى هذه المسال الصغار ما هو قطعة واحدة بل فصوصها بعضها على بعض وقد تهدم اكثرها وانما بقيت قواعدها * وقال محمد بن ابراهيم الجزرى فى تاريخه وفى رابع شهر رمضان يعنى من سنة ست وخمسين وستمائة وقعت احدى مسلتى فرعون التى بأراضى المطرية من ضواحى القاهرة فوجدوا داخلها مائتى قنطار من نحاس وأخذ من رأسها عشرة آلاف دينار * ويقال ان عين شمس بناها الوليد بن دومع من الملوك العماليق وقيل بناها الريان بن الوليد وكانت سرير ملكه والفرس تزعم أن هرشيك بناها * ويقال طول العمودين مائة ذراع وقيل

أربعة وثمانون ذراعا وقيل خمسون ذراعا ويقال ان بخت نصر هو الذي خرب عين شمس لما دخل الى مصر وقال
القضاعي وعين شمس وهي هيكل الشمس بها العمودان اللذان لم ير أعجب منهما ولا من شأنهما طولهما في السماء
نحو من خمسين ذراعا وهما محمولان على وجه الارض وبينهما صورة انسان على دابة وعلى رأسهما شبه
الصومعتين من نحاس فاذا جاء النيل قطر من رأسيهما ماتستبينه وتراه منهما واضحا ينبع حتى يجري من
أسافلهما فينبت في اصلهما العوسج وغيره واذا دخلت الشمس دقيقة من الجدي وهو أقصر يوم في السنة
انتهت الى الجنوبي منهما فطلعت عليه على قمة رأسه ثم اذا دخلت دقيقة من السرطان وهو أطول يوم في
السنة انتهت الى الشمالي منهما فطلعت على قمة رأسه وهما منتهى الميلين وخط الاستواء في الواسطة منهما
ثم خطرت بينهما ذاهبة وجائية سائر السنة كذا يقول أهل العلم بذلك * وقال ابن سعيد في كتاب المغرب
وكانت عين شمس في قديم الزمان عظيمة الطول والعرض متصلة البناء بمصر القديمة حيث مدينة الفسطاط
الآن ولما قدم عمرو بن العاص نازل عين شمس وكان جمع القوم حتى فتحها * وقال جامع السيرة الطولونية
كان بعين شمس صنم بمقدار الرجل المعتدل الخلق من كذان أبيض محكم الصنعة يتخيل من استعرضه أنه ناطق
فوصف لاحمد بن طولون فاشتاق الى تأمله فنهاه ندوسة عنه وقال ماراه وال قط الا عزل فركب اليه وكان هذا
في سنة ثمان وخمسين ومائتين وتأمله ثم دعا بالقطاعين وأمرهم باجتثاثه من الارض ولم يترك منه شيأ ثم قال
لندوسة خازنه يا ندوسة من صرف منا صاحبه فقال أنت أيها الامير وعاش بعدها احمد اثنتي عشرة سنة اميرا *
وبنى العزيز بالله نزار بن المعز قصورا بعين شمس * وقال أبو عبيد البكري عين شمس بفتح الشين واسكان ثانيه
بعده سين مهملة عين ماء معروفة قال محمد بن حبيب عين شمس حيث بنى فرعون الصرح وزعم قوم أن عين
شمس الى هذا الماء اضيف واول من سمى هذا الاسم سبا بن يشجب وذكر الكلبي أن شمسا الذي تسموا به صنم
قديم وقال ابن خرداذيه واسطوانتين بعين شمس من أرض مصر ومن بقايا أساطين كانت هنالك في رأس كل
اسطوانة طوق من نحاس يقطر من احداهما ماء من تحت الطوق الى نصف الاسطوانة لا يجاوزه ولا ينقطع
قطره ليلا ولا نهارا فموضعه من الاسطوانة أخضر رطب ولا يصل الماء الى الارض وهو من بناء اوسهنك *
وذكر محمد بن عبد الرحيم في كتاب تحفة الالباب أن هذا المنار مربع علوه مائة ذراع قطعة واحدة محدد
الرأس على قاعدة من حجر وعلى رأس المنار غشاء من صفر كالذهب فيه صورة انسان على كرسي قد استقبل
المشرق ويخرج من تحت ذلك الغشاء الصفر ماء يسيل مقدار عشرة اذرع وقد نبت منه شئ كالطحلب فلا يبرح
لمعان الماء على تلك الخضرة أبدا صيفا وشتاء لا ينقطع ولا يصل الى الارض منه شئ وبعين شمس نبت يزرع
كالقضبان يسمى البلسم يتخذ منه دهن البلسان لا يعرف بمكان من الارض الا هنالك وتؤكل لحى هذه
القضبان فيكون له طعم وفيه حرارة وحرافة لذيذة وبناحية المطرية من حاضرة عين شمس البلسان وهو شجر
قصار يسقى من ماء بئر هنالك وهذه البئر تعظمها النصارى وتقصدها وتغتسل بمائها وتستشفي به ويخرج
لاعتصار البلسان اوان ادراكه من قبل السلطان من يتولى ذلك ويحفظه ويحمل الى الخزانة السلطانية ثم ينقل
منه الى قلاع الشام والمارستانات لمعالجة المبرودين ولا يؤخذ منه شئ الا من خزانة السلطان بعد أخذ مرسوم
بذلك وللملوك النصارى من الحبشة والروم والفرنج فيه غلو عظيم وهم يتهادونه من صاحب مصر ويرون أنهم
لا يصح عندهم لاحد أن يتنصر الا أن ينغمس في ماء المعمودية ويعتقدون انه لا بد أن يكون في ماء المعمودية
شئ من دهن البلسان ويسمونه الميرون وكان في القديم اذا وصل من الشام خبر انتهى الى صاحب عين شمس
ثم يرد من عين شمس الى الحصن الذي عرف بقصر الشمع حيث الآن مدينة مصر ثم يرد من الحصن الى مدينة
منف حيث كانت منف تخت الملك وسبب تعظيم النصارى لدهن البلسان ماذكره في كتاب السنكسار وهو
يشتمل على أخبار النصارى أن المسيح لما خرجت به امه ومعهما يوسف النجار من بيت المقدس فرارا من
هيرودس ملك اليهود نزلت به اول موضع من أرض مصر مدينة بسطة في رابع عشري بشنس فلم يقبلهم أهلها
فنزلوا بظاهرها وأقاموا أياما ثم ساروا الى مدينة سمنود وعدوا النيل الى الغربية ومشوا الى مدينة الاشمونين
وكان بأعلاها اذ ذاك شكل فرس من نحاس قائم على أربعة أعمدة فاذا قدم اليها غريب صهل فجاؤا
ونظروا في أمر القادم فعندما وصلت مريم بالمسيح عليه السلام الى المدينة سقط الفرس المذكور وتكسر

قد خلت به أمه وظهرت له عليه السلام فى الاشمونين آية وهو أن خمسة جمال محملة زاحمتهم فى مرورهم فصرخ فيها المسيح فى الاشمونين فصارت حجارة ثم انهم ساروا من الاشمونين وأقاموا بقرية تسمى فيلس مدة أيام ثم مضوا الى مدينة تسمى قس وقام وهى التى يقال لها اليوم القوصية فنطق الشيطان من أجواف الاصنام التى بها وقال ان امرأة أتت ومعها ولدها يريدون أن يخربوا بيوت معابدكم فخرج اليهم مائة رجل بسلاحهم وطردوهم عن المدينة فمضوا الى ناحية ميرة فى غربى القوصية ونزلوا فى الموضع الذى يعرف اليوم بدير المحرق وأقاموا به ستة أشهر وأياما فرأى يوسف النجار فى منامه قائلا يخبره بموت هيرودس ويامره أن يرجع بالمسيح الى القدس فعادوا من ميرة حتى نزلوا حيث الموضع الذى يعرف اليوم فى مدينة مصر بقصر الشمع وأقاموا بمغارة تعرف اليوم بكنيسة بوسرجة ثم خرجوا منها الى عين شمس فاستراحوا هنالك بجوار ماء فغسلت مريم من ذلك الماء ثياب المسيح وقد اتسخت وصبت غسالتها تلك الاراضى فأنبت الله هنالك البلسان وكان اذ ذاك بالاردن فانقطع من هنالك وبقى بهذه الارض وغمرت هذه البئر التى هى الآن موجودة هنالك على ذلك الماء الذى غسلت منه مريم وبلغنى أنها الى الآن اذا اعتبرت يوجد ماؤها عينا جارية فى أسفلها فهذا سبب تعظيم النصارى لهذه البئر وللبلسان فانه انما سقى منها والله أعلم

(المنصورة)

هذه البلدة على رأس بحر أشموم تجاه ناحية طلخا بناها السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى سنة ست عشرة وستمائة عندما ملك الفرنج مدينة دمياط فنزل فى موضع هذه البلدة وخيم به وبنى قصرا لسكناه وأمر من معه من الامراء والعساكر بالبناء فبنى هنالك عدة دور ونصبت الاسواق وأدار عليها سورا مما يلى البحر وستره بالآلات الحربية والستائر وتسمى هذه المنزلة المدينة المنصورة ولم يزل بها حتى استرجع مدينة دمياط كما تقدم ذكره عند ذكر مدينة دمياط من كتابنا هذا فصارت مدينة كبيرة بها الحمامات والفنادق والاسواق ولما استنقذ الملك الكامل دمياط من الفرنج ورحل الفرنج الى بلادهم جلس بقصره فى المنصورة وبين يديه اخوته الملك المعظم عيسى صاحب دمشق والملك الاشرف موسى صاحب بلاد الشرق وغيرهما من أهله وخواصه فامر الملك الاشرف جاريته فغنت على عودها

ولما طغى فرعون عكا وقومه * وجاء الى مصر ليفسد فى الارض
أتى نحوهم موسى وفى يده العصا * فأغرقهم فى اليم بعضا على بعض

فطرب الاشرف وقال لها بالله كررى فشق ذلك على الملك الكامل وأسكتها وقال لجاريته غنى أنت فأخذت العود وغنت

أيا أهل دين الكفر قوموا لتنظروا * لما قد جرى فى وقتنا وتجددا
أعباد عيسى ان عيسى وحزبه * وموسى جميعا ينصران محمدا

وهذا البيت من قصيدة لشرف الدين بن جبارة أولها (أبى الوجد الا أن أبيت مسهدا) فأعجب ذلك الملك الكامل وأمر لكل من الجاريتين بخمسمائة دينار فنهض القاضى الصدر الاجل الرئيس هبة الله بن محاسن قاضى غزة وكان من جملة الجلساء على قدميه وأنشد يقول

هنيأ فان السعد جاء مخلدا * وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا
حبانا اله الخلق فتحا لنا بدا * مبينا وانعاما وعزا مؤبدا
تهلل وجه الارض بعد قطوبه * وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا
ولما طغى البحر الخضم بأهله الطـ * ـغاة وأضحى بالمراكب مزبدا
أقام لهذا الدين من سل عزمه * صقيلا كما سل الحسام المهندا
فلم ينج الا كل شلو مجدل * ثوى منهم او من تراه مقيدا
ونادى لسان الكون فى الارض رافعا * عقيرته فى الخافقين ومنشدا
أعباد عيسى ان عيسى وحزبه * وموسى جميعا ينصران محمدا

فكانت هذه الليلة بالمنصورة من أحسن ليلة مرت للملك من الملوك وكان عند انشاده يشير اذا قال عيسى الى

عيسى المعظم واذا قال موسى الى موسى الاشرف واذا قال محمد الى السلطان الملك الكامل وقد قيل ان الذى أنشد هذه الابيات انما هو راجح الحلى الشاعر

* (العباسة) *

هذه القرية فيما بين بلبيس والصالحية من أرض السدير لم يزل منتزها لملوك مصر وبها ولد العباس بن أحمد بن طولون فسماه لذلك أبوه العباس وولد بها أيضا الملك الامجد تقى الدين عباس بن العادل أبى بكر بن ايوب وكان الملك الكامل محمد بن العادل يقيم بها كثيرا ويقول هذه تعلو مصر اذا أقمت بها أصطاد الطير من السماء والسمك من الماء والوحش من الفضاء ويصل الخبز من قلعة الجبل الى بها فى قلعتى وهو سخن وبنى بها آدرا ومناظر وبساتين وبنى امراؤه بها أيضا عدة مساكن فى البساتين ولم تزل العباسة على ذلك حتى أنشأ الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل المنزلة الصالحية فتلاشى حينئذ أمر العباسة وخربت المناظر فى سلطنة الملك المعز أيبك فلما كانت سلطنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس مر على السدير وهو فم الوادى فأعجب به وبنى فى موضع اختاره منه قرية سماها الظاهرية وأنشأ بها جامعا وذلك فى سنة ست وستين وستمائة * وسميت بالعباسة بنت أحمد بن طولون فانها خرجت الى هذا الموضع مودعة لبنت أخيها قطر الندى بنت خمارويه ابن احمد بن طولون لما حملت الى المعتضد وضربت هنالك فساطيطها ثم بنت قرية فسميت باسمها

* (ذكر مدينة قفط بصعيد مصر) *

هذه المدينة عرفت بقفطريم بن قبطيم بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام وكانت فى الدهر الاول مدينة الاقاليم وانما ابتدا خرابها بعد الاربعمائة من تاريخ الهجرة النبوية وآخر ما كان فيها بعد السبعمائة من سنى الهجرة أربعون مسبكا للسكر وست معاصر للقصب ويقال كان فيها قباب بأعالى دورها وكانت اشارة من ملك من أهلها عشرة آلاف دينار أن يجعل فى داره قبة وبالقرب منها معدن الزمرذ ولم يبطل الا من قريب فان قفطريم ولى الملك بعد أبيه قبطيم قال ابن وصيف شاه كان اكبر ولد أبيه وكان جبارا عظيم الخلق وهو الذى وضع أساسات الاهرام الدهشورية وغيرها وهو الذى بنى مدينة دندرة ومدينة الاصنام وهلكت عاد بالريح فى آخر أيامه وأثار من المعادن مالم يثره غيره وكان يتخذ من الذهب مثل حجر الرحى ومن الزبرجد مثل الاسطوانة ومن الاسباد شم فى صحراء الغرب كالقلة وعمل من العجائب شيأ كثيرا وبنى منارا عاليا على جبل قفط يرى منه البحر الشرقى ووجد هنالك معدن زئبق فعمل منه تمثالا كالعمود لا ينحل ولا يذوب وعمل البركة التى سماها صيادة الطير اذا مر عليها طائر سقط فيها ولم يقدر على الحركة حتى يؤخذ وهذه البركة يقال انها هنالك الى الآن وأما المنار فسقط وعمل عجائب كثيرة وفى أيامه أثار عبادة الاصنام التى كان الطوفان غرقها وزين الشيطان أمرها وعبادتها ويقال انه بنى المدائن الداخلة وعمل فيها عجائب وبنى غربى النيل وخلف الواحات الداخلة مدنا عمل فيها عجائب كثيرة ووكل بها الروحانيين الذين يمنعون منها فما يستطيع أحد أن يدنو اليها ولا يدخلها الا أن يعمل قرابين لاولئك الروحانيين وأقام قفطريم ملكا أربعمائة وثمانين سنة واكثر العجائب عملت فى وقته ووقت ابنه البودسير ولذلك كان الصعيد اكثر عجائب من أسفل لان حيز قفطريم فيه ولما حضر قفطريم الوفاة عمل ناوسا فى الجبل الغربى قرب مدينة الكهان فى سرب تحت الارض معقود على آزاج الى الارض ونقر تحت الجبل دارا واسعة وجعل دورها خزائن منقورة وفى سقفها مسارب للرياح وبلط السرب وجميع الدار بالمرمر وجعل فى وسط الدار مجلسا على ثمانية اركان مصفحا بالزجاج الملون المسبوك وجعل فى سقفه جواهر تسرج وجعل فى كل ركن من اركان المجلس تمثالا من الذهب بيده كالبوق الذى يبوق به وتحت القبة دكة مصفحة بذهب ولها حواف من زبرجد وفوق الدكة فرش من حرير وجعل عليها جسده بعد أن لطخ بالادوية المجففة ووضع فى جانبه آلات كافور وسدلت عليه ثياب منسوجة بالذهب ووجهه مكشوف وعلى رأسه تاج مكلل وعن جوانب الدكة أربعة تماثيل مجوفات من زجاج مسبوك فى صور النساء بأيديهن مراوح من ذهب وعلى صدره من فوق الثياب سيف فاخر قائمته من زبرجد وجعل فى تلك الخزائن من الذخائر وسبائك الذهب والتيجان والجوهر وبرابى الحكم وأصناف العقاقير والطلسمات ومصاحف العلوم مالا يحصى كثرة وجعل على

باب المجلس ديكامن ذهب على قاعدة من زجاج أخضر منشورا لجناحين مزبورا عليه آيات مانعة وجعل على كل مدخل أزج صورتين من نحاس بأيديهما سيفان وقدامهما بلاطة تحتها لوالب من وطئها ضرباه باسيافهما فقتلاه وفى سقف كل أزج كرة وعليها الطوخ مدبر بسرج فيقد طول الزمان وسدّ باب الازج بالاساطين المرصصة ورصوا على سقفه البلاط العظام وردموا فوقها الرمال وزبروا على باب الازج هذا المدخل الى جسد الملك المعظم المهيب الكريم الشديد قفطريم ذى الايد والفخر والغلبة والقهر أفل نجمه وبقى ذكره وعلمه فلا يصل أحد اليه ولا يقدر بحيلة عليه وذلك بعد سبعمائة وسبعين ودورات مضت من السنين * وقال المسعودى ومعدن الزمرّذ فى عمل الصعيد الاعلى من مدينة قفط ومنها يخرج الى هذا المعدن والموضع الذى هو فيه يعرف بالخربة وهى مفازة وجبال والبجه تحمى هذا المكان المعروف بالخربة واليها يؤدّى الخفارات من برد الى حفر الزمرّذ ووجدت جماعة من صعيد مصر من ذوى الدراية ممن اتصلت معرفته بهذا المعدن وعرف هذا النوع من الجوهر يخبرون أنه يكثر ويقل فى فصول السنة فيكثر فى قوّة موادّ الهواء وهبوب نوع من الرياح الاربع وتقوى الخضرة فيه والشعاع النورى فى أوائل الشهر والزيادة فى نور القمر وبين الموضع المعروف بالخربة الذى فيه معدن الزمرّذ وبين ما اتصل من العمارة وقرب منه من الديار مسيرة سبعة أيام وهى قفط وقوص وغيرهما من صعيد مصر وقوص راكبة النيل وبين النيل وقفط نحو من ميلين * ولمدينتى قفط وقوص أخبار عجيبة فى بدء عمارتهما وما كان فى أيام القبط من أخبارهما الا أن مدينة قفط فى هذا الوقت متداعية للخراب وقوص أعمر والناس فيها اكثر وكان بقفط بربا موكل بها روحانى فى صورة جارية سوداء تحمل صبيا أسود صغيرا حكى أنها ربيت بها مرارا ومعدن الزمرّذ فى البرّ المتصل باسوان وكان له ديوان فيه شهود وكتاب وينفق على العمال به وتنال لهم المؤن لحفره واستخراج الزمرّذ منه وهو فى جبال مرملة يحفر فيه وربما سقط على الجماعة به فماتوا وكان يجمع ما يخرج منه ويحمل الى الفسطاط ومنه يحمل الى البلاد وقد كان الناس يسيرون من قوص الى معدن الزمرّذ فى ثمانية أيام بالسير المعتدل وكانت البجاه تنزل حوله وقريبا منه لاجل القيام بحفره وحفظه وهذا المعدن فى الجبل الآخذ على شرقى النيل فى بحرى قطعة عظيمة من هذا الجبل تسمى اقرشندة وليس هناك من الجبال أعلى منها وهو فى منقطع من البرّ لا عمارة عنده ولا حوله ولا قريبا منه والماء عنه مسيرة نصف يوم اوأزيد وهو ما يتحصل من المطر ويعرف بغدير اعين يكثر بكثرة المطر ويقل بقلته وهذا المعدن فى صدر مفازة طويلة فى حجر أبيض يستخرج منه الزمرّذ وهذا الحجر الابيض ثلاثة انواع أحدها يقال له طلق كافورى والثانى يقال له طلق فضى والثالث يقال له حجر جروى ويضرب فى هذه الحجارة حتى يخرج الزمرّذ وهو كالعريق فيه وأنواعه الريانى وهو أقل من القليل لا يخرج الا فى النادر واذا استخرج ألقى فى الزيت الحار ثم يحط فى قطن ويصرّ ذلك القطن فى خرق خام أو نحوها وكان الاحتراز على هذا المعدن كثيرا جدّا ويفتش الفعلة عند الخروج منه كل يوم حتى تفتش عوراتهم ومع ذلك فيختلسون منه بصناعات لهم فى ذلك ولم يزل هذا المعدن يستخرج منه الزمرّذ الى أن ابطل العمل منه الوزير الصاحب علم الدين عبد الله بن زنبور فى أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون فى سنة بضع وستين وسبعمائة * وفى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة كانت فتنة كبيرة بمدينة قفط سببها أن داعيا من بنى عبد القوى ادّعى أنه داود بن العاضد فاجتمع الناس عليه فبعث السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب أخاه الملك العادل أبا بكر بن أيوب على جيش فقتل من أهل قفط نحو ثلاثة آلاف وصلبهم على شجر ظاهر قفط بعمائمهم وطيالستهم

(ذكر مدينة دندرة)

هى احدى مدن الصعيد الاعلى القديمة بناها قفطريم بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام وكان فيها بربا عظيمة فيها مائة وثمانون كوّة تدخل الشمس فى كل يوم من كوّة حتى تأتى على آخرها ثم تكرّ راجعة الى حيث بدأت وكانت روحانيتها الموكلة بها تظهر فى هيئة انسان له رأس أسد بقرنين وكان بها أيضا شجرة تعرف بشجرة العباس متوسطة وأوراقها خضر مستديرة اذا قال الانسان عندها يا شجرة العباس جاءك الفاس تجتمع أوراقها وتحزن لوقتها ثم تعود كما كانت وبين دندرة وبين قوص بريد واحد وكانت بربا دندرة أعظم من بربا اخميم

(ذكر الواحات الداخلة)

الواحات منقطعة وراء الوجه القبلي في مغاربه ولا تعدّ في الولايات ولا في الاعمال ولا يحكم عليها من قبل السلطان وال وانما يحكم عليها من قبل مقطعها * وبلاد الواحات بين مصر والاسكندرية والصعيد والنوبة والحبشة بعضها داخل ببعض وهو بلد قائم بنفسه غير متصل بغيره ولا يفتقر الى سواه وأرضها شبية وزاجية وعيون حامضة الطعم تستعمل كاستعمال الخل وعيون مختلفة الطعوم من الحامض والقابض والمالح ولكل نوع منها خاصية ومنفعة وهي على قسمين واحات داخلة وواحات خارجة جملتها أربع واحات ويقال انّ الواحات ولد واحو يلابن كوش بن كنعان بن حام بن نوح وانّ أخر سبا بن كوش أبو الحبش وأبو شنبا بن كوش أبو زغاوة وابو شفعيا بن كوش ابو الحبش الرمرم * قال ابن وصيف شاه ويقال انّ قفطريم بنى المدائن الداخلة وعمل فيها عجائب منها الماء القائم كالعمود لا ينحلّ ولا يذوب والبركة التي تسمى فلسطين اى صيادة الطير اذا مرّ عليها الطير سقط فيها ولم يمكنه الخروج منها حتى يؤخذ وعمل أيضا عمودا من نحاس عليه صورة طائر اذا قرب الاسد أو الحيات اوغيرها من الاشياء المضرة من تلك المدينة صفر تصفيرا عاليا فترجع تلك الدواب هاربة وعمل على أربعة ابواب هذه المدينة أربعة أصنام من نحاس لا يقرب منها غريب الا القى عليه النوم والسبات فينام عندها ولا يبرح حتى يأتيه اهل المدينة وينفخون في وجهه ليقوم وان لم يفعلوا ذلك لا يزال نائما عند الاصنام حتى يهلك وعمل منار الطيفا من زجاج ملوّن على قاعدة من نحاس وعمل على رأس المنار صورة صنم من أخلاط كثيرة وفي يده كالقوس كانه يرمي عنها فان عاينه غريب وقف في موضعه ولم يبرح حتى ينحيه اهل المدينة وكان ذلك الصنم يتوجه الى مهب الرياح الاربع من نفسه وقيل ان هذا الصنم على حاله الى الآن وانّ الناس تحاموا تلك المدينة على كثرة ما فيها من الكنوز والعجائب الظاهرة خوفا من ذلك الصنم أن تقع عين انسان عليه فلا يزال قائما حتى يتلف وكان بعض الملوك عمل على قلعه فما أمكنه وهلك لذلك خلق كثير ويقال انه عمل في بعض المدائن الداخلة مرءاة يرى فيها جميع ما يسأل الانسان عنه وبنى غربيّ النيل وخلف الواحات الداخلة مدنا عمل فيها عجائب كثيرة ووكل الروحانيين بها الذين يمنعون منها فما يستطيع أحد أن يدنوا اليها ولا يدخلها أو يعمل قرابين أولئك الروحانيين فيصل اليها حينئذ ويأخذ من كنوزها ما أحب من غير مشقة ولا ضرر وبنى الملك صا بن الساد وقيل صا بن مرقونس بداخل الواحات مدينة وغرس حولها نخلا كثيرا وكان يسكن منف وملك الاحياز كلها وعمل عجائب وطلسمات وردّ الكهنة الى مراتبهم ونفى الملهيين وأهل الشرّ ممن كان يصحب الساد بن مرقونس وجعل على أطراف مصر أصحاب أخبار يرفعون اليه ما يجري في حدودهم وعمل على غربيّ النيل منار يوقد عليها اذا حزبهم امر أو قصدهم قاصد وكان لما ملك البلد بأسره جمع الحكماء اليه ونظر في نجومه وكان بها حاذقا فرأى أن بلده لا بدّ أن تغرق بالطوفان من نيلها ورأى أنها تخرب على يد رجل يأتي من ناحية الشام فجمع كل فاعل بمصر وبنى في الواح الاقصى مدينة جعل طول حصنها في الارتفاع خمسين ذراعا وأودعها جميع الحكم والاموال وهي المدينة التي وقع عليها موسى بن نصير في زمن بني امية لما قدم من المغرب فلما دخل مصر أخذ على الواح الاقصى وكان عنده علم منها فأقام سبعة أيام يسير في رمال بين الغرب والجنوب فظهرت له مدينة عليها حصن وأبواب من حديد فلم يمكنه فتح الابواب وكان اذا صعد اليها الرجال وعلوا الحصن وأشرفوا على المدينة ألقوا أنفسهم فيها فلما أعياه أمرها مضى وهلك من أصحابه عدّة قال وفي تلك الصحاري كانت منتزهات القوم ومدنهم العجيبة وكنوزهم الا أنّ الرمال غلبت عليها ولم يبق يملك ملك الا وقد عمل للرمل طلسما لدفعه ففسدت طلسماتها لقدم الزمان قال ولا ينبغي لاحد أن ينكر كثرة بنيانهم ولا مدائنهم ولا ما نصبوه من الاعلام العظام فقد كان للقوم بطش لم يكن لغيرهم وانّ آثارهم لبينة مثل الاهرام والاعلام والاسكندرية وما في صحاري الشرق والجبال المنحوتة التي جعلوا كنوزهم فيها والاودية المنحوتة ومثل ما بالصعيد من البرابي وما نقشوه عليها من حكمتهم فلو تعاطى جميع ملوك الارض أن يبنوا مثل الهرمين ما تهيأ لهم وكذلك أن ينقشوا بربا لطال بهم الامد ولم يمكنهم * وحكى عن قوم من البنائين في ضياع الغرب أنّ عاملا عندهم عنف بهم ففرّوا في صحراء الغرب ومعهم زاد الى أن تنصلح أحوالهم ويرجعوا فلما كانوا على مسيرة يوم وبعض آخر قدموا الى سفح جبل فوجدوا عيرا أهليا قد خرج من بعض الشعاب فتبعه بعضهم فانتهى الى مساكن وأشجار ونخل ومياه تطرد وقوم هنالك

يرعون ولهم مساكن وكلمهم وأعجب بهم فجاء الى أصحابه وقدم بهم على أولئك القوم فسألوهم عن حالهم فأخبروهم وأقاموا عندهم حتى صلحت احوالهم وخرجوا ليأتوا بأهاليهم ومواشيهم ويقيموا عندهم فساروا مدة وهم لا يعرفون الطريق ولا يتأتى لهم العود فأسفوا على ما فاتهم * وضل آخرون عن الطريق فى الغرب فوقعوا على مدينة عامرة كثيرة الناس والمواشى والنخل والشجر فأضافوهم وأطعموهم وسقوهم وباتوا فى طاحونة فسكروا من الشراب وناموا فلم ينتبهوا الا من حر الشمس فاذا هم فى مدينة خراب ليس فيها أحد فخافوا وخرجوا وظلوا يومهم سائرين الى المساء فظهرت لهم مدينة أكبر من الاولى وأعمر وأكثر اهلا وشجرا ومواشى فأنسوا بهم وأخبروهم بخبر المدينة الاولى فجعلوا يعجبون منهم ويضحكون وانطلقوا بهم الى وليمة لبعض أهل المدينة فأكلوا وشربوا وغنوا بهم حتى سكروا فلما كان من الغد انتبهوا فاذا هم فى مدينة عظيمة ليس فيها أحد وحولها نخل قد تساقط ثمره وتكدس فخرجوا وهم يجدون ريح الشراب ومبادى الخمار فساروا يوما الى المساء واذا راع يرعى غنما فسألوه عن الطريق فدلهم فساروا بعض يوم من الغد فوصلوا مدينة الاشمونين بالصعيد قال وهذه مدائن القوم الداخلة القديمة قد غلب عليها الجان ومنها ما سترته عن العيون فلا ينظر اليها أحد وقال ان البودسير بن قفطريم بن قبطيم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام فى ايامه بنيت بصحراء الغرب منابر ومنتزهات وحول اليها جماعة من اهل بيته فعمروا تلك النواحى وبنوا فيها حتى صارت أرض الغرب عامرة كلها وأقامت على ذلك مدة كثيرة فخالطهم البربر ونكحوا منهم ثم تحاسدوا فكانت بينهم حروب خربت فيها تلك الجهات وبادت الا بقية منازل تسمى الواحات

(ذكر مدينة سنترية)

ومدينة سنترية من جملة الواحات بناها مناقيوش بانى مدينة اخميم كان أحد ملوك القبط القدماء قال ابن وصيف شاه وكان فى حزم أبيه وحنكته تعظم فى أعين أهل مصر وهو أول من عمل الميدان وأمر أصحابه برياضة انفسهم فيه وأول من عمل المارستان لعلاج المرضى والزمنى وأودعه العقاقير ورتب فيه الاطباء وأجرى عليهم ما يسعهم وأقام الامناء على ذلك وصنع لنفسه عيدا فكان الناس يجتمعون اليه فيه وسماه عيد الملك فى يوم من السنة فيأكلون ويشربون سبعة ايام وهو مشرف عليهم من مجلس على عمد قد طوقت بالذهب وألبست فاخر الثياب المنسوجة بالذهب وعليه قبة مصفحة من داخل بالرخام والزجاج والذهب وفى ايامه بنيت سنترية فى صحراء الواحات عملها من حجر أبيض مربعة وفى كل حائط باب فى وسطه شارع الى حائط محاذ له وجعل فى كل شارع يمنة ويسرة أبوابا تنتهى طرقاتها الى داخل المدينة وفى وسط المدينة ملعب يدور به من كل ناحية سبع درج وعليه قبة من خشب مدهون على عمد عظيمة من رخام وفى وسطه منار من رخام عليه صنم من صوان أسود يدور مع الشمس بدورانها وبسائر نواحى القبة صور معلقة تصفر وتصيح بلغات مختلفة فكان الملك يجلس على الدرجة العالية من الملعب وحوله بنوه وأقاربه وأبناء الملوك وعلى الدرجة الثانية رؤساء الكهنة والوزراء وعلى الثالثة رؤسا الجيش وعلى الرابعة الفلاسفة والمنجمون والاطباء وأرباب العلوم وعلى الخامسة اصحاب العمارات وعلى السادسة اصحاب المهن وعلى السابعة العامة فيقال لكل صنف منهم انظروا الى من دونكم ولا تنظروا الى من فوقكم لا تلحقونهم وهذا ضرب من التأديب وقتلته امرأته بسكين فمات وكان ملكه ستين سنة وسنترية الآن بلد صغير يسكنه نحو ستمائة رجل من البربر يعرفون سيوة ولغتهم تعرف بالسيوية تقرب من لغة زناتة وبها حدائق نخل وأشجار من زيتون وتين وغير ذلك وكرم كثير وبها الآن نحو العشرين عينا تسيح بماء عذب ومسافتها من الاسكندرية أحد عشر يوما ومن جيزة مصر أربعة عشر يوما وهى قرية يصيب أهلها الحمى كثيرا وثمرها غاية فى الجودة وتعبث الجن بأهلها كثيرا وتختطف من انفرد منهم وتسمع الناس بها عزيف الجن

(ذكر الواحات الخارجة)

بناها أحد ملوك القبط الاول ويقال له البودسير بن قفطيم بن قبطيم بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام قال ابن وصيف شاه وأراد البودسير أن يسير مغربا بالنظر الى ما هنالك فوقع على أرض واسعة متخرقة

بالمياه والعيون كثيرة العشب فبنى فيها منابر ومنتزهات وأقام فيها جماعة من اهل بيته فعمروا تلك النواحى وبنوا فيها حتى صارت أرض الغرب عمارة كلها وأقامت كذلك مدة كثيرة وخالطهم البربر فنكح بعضهم من بعض ثم انهم تحاسدوا وبغى بعضهم على بعض فكانت بينهم حروب فخرب ذلك البلد وباد أهله الا بقية منازل تسمى الواحات * وقال المسعودى وأما بلاد الواحات فهى بين بلاد مصر والاسكندرية وصعيد مصر والغرب وأرض الاحابش من النوبة وغيرهم وبها أرض شبية وزاجية وعيون حامضة وغير ذلك من الطعوم وصاحب الواحات فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة عبد الملك بن مروان وهو رجل من لواتة الا انه مروانى المذهب ويركب فى آلاف من الناس خيلا ونجبا وبينه وبين الاحابش نحو من ستة ايام وكذلك بينه وبين سائر ماذكرنا من العمائر هذا المقدار من المسافة وفى أرضه خواص وعجائب وهو بلد قائم بنفسه غير متصل بغيره ولا يفتقر اليه ويحمل من أرضه التمر والزبيب والعناب * وحدثنى وكيل ابى الشيخ المعز حسام الدين عمرو ابن محمد بن زنكى الشهرزورى أنه سمع ببلاد الواحات أن فيها شجرة نارنج يقطف منها فى سنة واحدة أربعة عشر ألف حبة نارنج صفراء سوى ما تناثر وسوى ما هو أخضر فلم أصدق ذلك لغرابته وقت حتى شاهدت الشجرة المذكورة فاذا هى كاعظم ما يكون من شجر الجيز بمصر واكبر وسألت مستوفى البلد عنها فأحضر الى جرائد حسباناته وتصفحها حتى أوقفنى على أن منها فى سنة كذا قطف من النارنجة الفلانية اربعة عشر ألف حبة نارنج مستوية صفراء سوى ما بقى عليها من الاخضر وسوى ما تناثر منها وهو صغير * وبالواحات الشب الابيض بواد تجاه مدينة ادفو كان فى زمن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر وفى زمن ابنه الصالح نجم الدين ايوب على مقطعى الواحات حمل ألف قنطار شب أبيض فى كل سنة الى القاهرة ويطلق لهم فى نظير ذلك جوالى الواحات ثم أهمل هذا فبطل * وفى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة سار ملك النوبة فى جيش عظيم الى الواحات فأوقع بأهلها وقتل منها وأسر كثيرا

(ذكر مدينة قوص)

اعلم أن قوص أعظم مدائن الصعيد وهى على النيل بنيت بعد قفط فى أيام ملك من ملوك القبط الاول يقال له سدان بن عديم بن البودسير بن قفطريم قيل سميت باسم قوص بن قفط بن أخيم بن سيفاف بن اشمن بن مصر قال ابن وصيف شاه سدان بن عديم هو الذى بنى الاهرام الدهشورية من الحجارة التى قطعت فى زمان أبيه وعمل مصاحف النير نجات وهيكل أرمنت وعمل فى المدائن الداخلة من أنصنا هيكلا وأقام فيه فى اتريب وهيكلا فى شرقى الاسكندرية وبنى فى الجانب الشرقى مدائن وفى ايامه بنيت قوص العالية وأسكن فيها قوما من اهل الحكمة وأهل الصناعات وكانت الحبش والسودان قد عاثوا فى بلده فأخرج لهم ابنه منقاوش فى جيش عظيم فقتل منهم وسبى واستعبد الذين سباهم وصار ذلك سنة لهم واقتطع معدن الذهب من ارضهم وأقام ذلك السبى يعملون فيه ويحملون الذهب اليه وهو أول من أحب الصيد واتخذ الجوارح وولد الكلاب السلوقية من الذئاب والكلاب الاهلية وعمل من العجائب والطلسمات لكل فن مالا يحصى كثرة * وقال الادفوى فى تاريخ الصعيد وقوص بجانب قفط حكى بعض المؤرخين انها شرعت فى العمارة وشرعت قفط فى الخراب من سنة اربعمائة قيل انه حضر مرة قاضى قوص فخرج من اسوان اربعمائة راكب بغلة الى لقائه * وفى شهر رمضان سنة اثنتين وستين وستمائة احضر الى الملك الظاهر بيبرس فلوس وجدت مدفونة بقوص فأخذ منها فلس فاذا على أحد وجهيه صورة ملك واقف وفى يده اليمنى ميزان وفى اليسرى سيف وعلى الوجه الآخر رأس فيه اذن كبيرة وعين مفتوحة وبدائر الفلس كتابة فقرأها راهب يونانى فكان تاريخه الى وقت قراءته ألفين وثلثمائة سنة وفيه انا غلبات الملك ميزان العدل والكرم فى يمينى لمن اطاع والسيف فى يسارى لمن عصى وفى الوجه الآخر انا غلبات الملك اذنى مفتوحة لسماع المظلوم وعينى مفتوحة أنظر بها مصالح ملكى وقوص كثيرة العقارب والسام أبرص وبها صنف من العقارب القتالات حتى انه كان يقال بها اكلة العقرب لانه كان لا يرجى لمن لسعته حياة واجتمع بها مرة فى يوم صائف على حائط الجامع سبعون سام أبرص صفا واحدا وكان الواحد من اهلها اذا مشى فى الصيف ليلا خارج داره يأخذ باحدى يديه مسرجة تضىء له وبالاخرى مشك من حديد يشك به العقارب ثم انها تلاشت بعد سنة ثمانمائة فلما كانت الحوادث والمحن مات بها سبعة عشر

ألف انسان فى سنة ست وثمانمائة وكانت من العمارة بحيث انه تعطل منها فى شراقى البلاد سنة ست وسبعين وسبعمائة مائة وخمسون مغلقا والمغلق عندهم بستان من عشرين فدانا فصاعدا وله ساقية بأربعة وجوه وذلك سوى ما تعطل مما هو دون ذلك وهو كثير جدا

(ذكر مدينة اسنا)

قال الادفوى وذكر أن اسنا فى سنة حصل منها أربعون ألف اردب تمر واثنا عشر ألف اردب زبيب واسنا تشتمل على ما يقارب ثلاثة عشر ألف منزل وقيل انه كان بها فى وقت سبعون شاعرا

(ذكر مدينة ادفو)

ومدينة ادفو يقال بالدال المهملة ويقال أيضا بالتاء المثناة من فوق قال الادفوى أخبرنى الخطيب العدل ابو بكر خطيب ادفو أن جمارة طرحت ثلاثة شماريخ فى كل شمروخ تمرة واحدة وانه قلع الجمارة بأصلها ووزنها فجاءت خمسة وعشرين درهما كلها بجريدها وخشبها وذلك بأدفو ولما كان بعد سنة سبعمائة حفر صناع الطوب فظهرت صورة شخص من حجر شكل امرأة متربعة على كرسى وعليها مثال شبكة وفى ظهرها لوح مكتوب بالقلم اليونانى رأيتها على هذه الحالة فى مدينة ادفو

(اهناس)

هى كورة من كور الصعيد يقال ان عيسى ابن مريم عليه السلام ولد بها وان نخلة مريم عليها السلام التى ذكرت فى قوله تعالى وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا لم تزل بها الى آخر أيام بنى امية والذى عليه الجماهرة أن عيسى عليه السلام انما ولد بقرية بيت لحم من مدينة بيت المقدس وباهناس شجر البنج

(ذكر مدينة البهنسا)

هذه المدينة فى جهة الغرب من النيل بها تعمل الستور البهنسية وينسج المطرز والمقاطع السلطانية والمضارب الكبار والثياب المحبرة وكان يعمل بها من الستور ما يبلغ طول الستر الواحد ثلاثين ذراعا وقيمة الزوج مائتا مثقال ذهب واذا صنع بها شئ من الستور والاكسية والثياب من الصوف او القطن فلا بد أن يكون فيها اسم المتخذ له مكتوبا على ذلك مضوا جيلا بعد جيل * وقبط مصر مجمعون على أن المسيح وامه مريم كانا بالبهنسا ثم انتقلا عنها الى القدس * وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى عن المسيح وامه وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين الربوة البهنسا وهذه المدينة بناها ملك من القبط يقال له مناوش بن منقاوش * قال ابن وصيف شاه واستخلف مناوش الملك فطلب الحكمة مثل أبيه واستخرج كتبها واكرم اهلها وبذل فيهم الجوائز وطلب الاغراب فى عمل العجائب وكان كل من ملوكهم يجهد جهده فى أن يعمل له غريبة من الاعمال لم تعمل لمن كان قبله وثبت فى كتبهم وزبر على الحجارة فى تواريخهم وهو أول من عبد البقر من اهل مصر وكان السبب فى ذلك أنه اعتل علة يئس منه فيها فرأى فى منامه صورة روحانى عظيم يقول له انه لا يخرجك من علتك الا عبادتك البقر لان الطالع كان وقت حلول ابك صورة ثور بقرنين ففعل ذلك وأمر بأخذ ثور أبلق حسن الصورة وعمل له مجلسا فى قصره وسقفه بقبة مذهبة فكان يبخره ويطيب موضعه ووكل به سادنا يقوم به ويكنس تحته ويعبده سرا من اهل مملكته فبرأ من علته وهو أول من عمل العجل فى علته فكان يركب عليها البيوت من فوقها قباب الخشب وعمل ذلك من أحب من نسائه وخدمه الى المواضع والمنتزهات وكان البقر يجره فاذا مر بمكان نزهة اقام فيه واذا مر بمكان خراب أمر بعمارته فيقال انه نظر الى ثور من البقر الذى يجر عجلته أبلق حسن الشية فأمر بترفيهه وسوقه بين يديه اعجابا به وجعل عليه جلا من ديباج فلما كان فى يوم وقد خلا فى موضع صار اليه وقد انفرد عن عبيده وخدمه والثور قائم اذ خاطبه الثور وقال له لو رفهنى الملك عن السير معه وجعلنى فى هيكل وعبدنى وأمر أهل مملكته بعبادتى كفيته جميع ما يريد وعاونته على أمره وقويته فى مملكته وأزلت عنه جميع علله فارتاع لذلك وأمر بالثور فغسل وطيب وأدخل فى هيكل وأمر بعبادته فأقام ذلك الثور يعبد مدة وصار فيه آية وهو أنه لا يبول ولا يروث ولا يأكل الا الاطراف وورق القصب الاخضر فى كل شهر مرة فافتتن الناس به

وصار ذلك أصلا لعبادة البقر وبنى مواضع كنز فيها كنوزا وأقام عليها أعلاما وبنى فى صحراء الغرب مدينة يقال لها ديماس وأقام فيها منارا ودفن حولها كنوزا ويقال ان هذه المدينة قائمة وان قوما جازوا بها من نواحى الغرب وقد ضلوا الطريق فسمعوا بها عزيف الجن ورأوا ضوأ يتراءى بها وفى بعض كتبهم أن ذلك الثور بعد مدة من عبادتهم له أمرهم أن يعملوا صورته من ذهب أجوف ويؤخذ من رأسه شعرات ومن ذنبه ومن نحاتة قرونه وأظلافه ويجعل فى التمثال المذكور وعرّفهم أنه يلحق بعالمه وأمرهم أن يجعلوا جسده فى جرن من حجر أحمر ويدفن فى الهيكل وينصب تمثاله عليه وزحل فى شرفه والشمس تنظر اليه من تثليث القمر زائد النور وينقش على التمثال علامات الكواكب السبعة ففعلوا ذلك وكللوه بجميع الاصناف من الجواهر وجعلوا عينيه جزعتين وغرسوا فى الهيكل عليه شجرة بعد مادفنوه فى الجرن الاحمر وبنوا منارا طوله ثمانون ذراعا على رأسه قبة تتلون كل يوم لونا حتى تمضى سبعة أيام ثم تعود الى اللون الاول وكسوا الهيكل ألوان الثياب وشقوا نهرا من النيل الى الهيكل وجعل حوله طلسمات رؤسها رؤس القرود على أبدان الناس كل واحد منها لدفع مضرّة وجلب منفعة وأقام عند الهيكل أربعة اصنام على أربعة أبواب ودفن تحت كل صنم صنفا من الكنوز وكتب عليها قربانها وبخورها واسكنها الشجرة فكانت تعرف بمدينة الشجرة ومنها كانت اصناف الشجر تخرج وهو أول من عمل النيروز بمصر وفى زمانه بنيت البهنسا وأقام بها اسطوانات وجعل فيما فوقها مجلسا من زجاج أصفر عليه قبة مذهبة اذا طلعت الشمس ألقت شعاعها على المدينة ويقال انه ملكهم ثمانمائة وثلاثين سنة ودفن فى أحد الاهرام الصغار القبلية وقيل فى غربى الاشمونين ودفن معه من المال والجوهر والعجائب شئ كثير وأصناف الكواكب السبعة التى برى الدفين والحية وألف سرج ذهبا وفضة وعشرة آلاف جام وغضار من ذهب وفضة وزجاج وألف عقاقير لفنون الاعمال وزبروا عليه اسمه ومدة ملكه ووقت موته * وفى سنة اربع وثلاثين وسبعمائة ظهر بالاشمونين فى واد بين جبلين فساقى مربعة مملوءة ماء عذبا صافيا فمشى شخص على حافتها طول يوم وليلة فلم يبلغ آخرها ويقال انها من عمل سوريد بانى الاهرام لتكون عدة لما كانوا قد توقعوه من حدوث طوفان نارى فردم هذا الوادى بعد ذلك خوفا من تلاف الناس * يقول الشيخ الامام محمد بن احمد الغريانى حدثنى على بن حسن بن خالد الشعرى ثلاث مرات لم يختلف قوله على فيها قال حدثنى رجل من فزارة الساكنين بكورة البهنسا قال خرجت أنا ورجل رفيق لى نرتاد البلاد ونطلب الرزق فى الارض وذلك بعد سنة عشر وثمانمائة فقطعنا الجبل الغربى من ناحية البهنسا وسرنا متوكلين على الله تعالى فأقمنا أياما ونحن نمشى ما بين الغرب والجنوب فوقعنا فى واد كثير الشجر والنبات والماء والكلا ليس فيه أنيس وهو واد واسع فى الطول والعرض نحو يوم فى الطول ويوم فى العرض كله أعين وبساتين نخل وزيتون كثير الابل والمعز والذئب والضبع به كثير والابل به متوحشة وكذلك المعز قد صارت به وحشية بعد أن كانت آنسة به وليس بالوادى لا رائح ولا غاد من الناس قال فأخبرنى أنهما أقاما بالوادى نحوا من شهرين او ثلاثة وانهما رأيا فى وسط الوادى مدينة حصينة منيعة عالية السور شامخة القصور فاذا تقربا من سورها سمعا ضجيجا عظيما وأصواتا مهولة مخوفة ورأيا دخانا يرتفع الى جو السماء حتى يغطى سور المدينة وجميع ما فيها وان تلك الابل الوحشية عدت على رواحلهما الانسية فآذتها وقتلتها فتحيل عند ذلك الرجلان الفزاريان بحيل وفتلا حبالا وأشراكا شبكا من ليف النخل وقيدا تلك الابل الوحشية وفتلا خوصا وضفرا قفافا من الخوص لزادهما وملآها تمرا وزلالا من تلك الابل الوحشية مكان رواحلهما عوضا عنها وركباها متوجهين نحو الشرق وحملا معهما من الجريد أعنى جريد النخل ما يعرفان به الطريق التى بينهما وبينها ويجعلان ذلك أمارات لمرورهما اليها فكانا كلما مرّا على شرف جعلا عليه جريدتين علما حتى وصلا الى الجبل الغربى من مصر فنزلا الى البهنسا فعرفا قومهما وتحملا بأهاليهما فلما علوا سطح الجبل الغربى وجدا كل ما فرقاه من جريد النخل على رؤس الآكام مجتمعا فى مكان واحد فى أعلى الجبل فرجعا عند ذلك لاهاليهما ومن معهم الى أرض البهنسا وهذا ما حدثنى به والله أعلم

(ذكر مدينة الاشمونين)

كانت من أعظم مدن الصعيد يقال انها من بناء اشمون بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام * وقال

بن

ابن وصيف شاه كان اشمون اعدل ولد أبيه وأرغبهم فى صنعة تبقى ويبقى ذكرها وهو الذى بنى المجالس المصفحة بالزجاج الملوّن وسط النيل وتقول القبط انه بنى سربا تحت الارض من الاشمونين الى انصنا تحت النيل وقيل انه حفره وعمله لبناته لانهنّ كنّ يمضين الى هيكل الشمس وكان هذا السرب مبلط الارض والحيطان والسقف بالزجاج الثخين الملوّن وقيل انّ اشمون كان اطول اخوته ملكا وقال اهل الاثر انه ملك ثمانمائة سنة وانّ قوم عاد انتزعوا منه الملك بعد ستمائة من ملكه وأقاموا تسعين سنة واستولوا على البلد فانتقلوا الى الدثينة من طريق الحجاز الى وادى القرى فعمروها واتخذوا بها المنازل والمصانع وسلط الله عليهم الذر فأهلكهم وعاد ملك مصر الى اشموم ويقال انه عمل على باب الاشمونين اوزة من نحاس فكان الغريب اذا جاء ليدخل المدينة صاحت الاوزة وصفقت بجناحيها فيعلم به فان أحبوا منعوه وان أحبوا تركوه وكثرت الحيات فى وقته فكانوا يصيدونها ويعملون من لحومها أدوية وترياقات ثم ساقوها بسحرهم الى وادى الحيات فى جبال لوبية ومراقية فسجنوها هنالك * وقال فى كتاب هروشيش انّ اشمون بن قبط اول ملوك المصريين وانه كان فى زمان شاروح بن راغو بن فالغ ابن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح وان سنى الدنيا صارت الى زمان شاروح ألفين وتسعمائة وخمس سنين يكون ذلك بعد الطوفان بستمائة وثلاث وستين سنة وبها كانت فرهة الخيل والبغال والحمير وكان يعمل بها فرش القرمز الذى يشبه الارمنى وكان ينزل بأرض الاشمونين عدّة بطون من بنى جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وكانوا بادية اصحاب شوكة وكان معهم بنو مسلمة بن عبد الملك بن مروان حلفاء لهم ومعهم بطن آخر يقال لهم بنو عسكر يقال انّ أباهم كان مولى لعبد الملك بن مروان ويزعمون انهم من بنى امية صلبية وكان معهم أيضا حلفاء لهم بنو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ينزلون أرض دلجة عند اشمون

(ذكر مدينة اخميم) *

ضبطها البكرى بكسر الهمزة واسكان الخاء ثم ميم وياء وميم على بناء افعيل وهى فى الجانب الشرقىّ من النيل والذى بناها مناقيوش أحد ملوك القبط الاول * قال ابن وصيف شاه كان جلدا محتكما فاستأنف العمارة وبنى القرى ونصب الاعلام وجمع الحكم ومصاحف الملوك والحكماء وعمل العجائب وبنى لنفسه مدينة انفرد بها وعمل عليها حصنا ونصب عليه أربعة اعلام فى كل ركن من اركانه علم وبين تلك الاعلام ثمانون صنما من نحاس وأخلاط فى أيديها السلاح وزبر على صدرها آياتها وكان بمنف رجل من اولاد الكهنة من اعلم الناس بالسحر وأبصرهم بأخذ التماسيح والسباع وكان يعلم الغلمان السحر فاذا حذقوا علم غيرهم فأمر الملك أن يبنى له مدينة ويحوّل اليها وهى اخميم فملكهم مناقيوش نيفا وأربعين سنة ومات فدفن فى الهرم المحاذى لاطفيح ومعه شئ كثير من المال والجوهر والآنية والتماثيل وزبر عليه اسمه والوقت الذى هلك فيه قال وذكر اهل اخميم أن رجلا أتى من الشرق وكان يلزم البربا ويأتى اليه كل يوم بخور وخلوق فيبخر ويطيب صورة فى عضادة الباب فيجد تحتها دينارا فيأخذه وينصرف ففعل ذلك مدّة حتى وشى به غلام له الى عامل البلد فقبض عليه فبذل مالا وخرج عن البلد * وكانت بربا اخميم من أعجب البرابى واعظمها قد بنيت لخزن برّهم فانهم قضوا على اهل مصر بالطوفان قبل وقته بقرائن لكنهم اختلفوا فيه فقال بعضهم تكون نار فتحرق ما على جميع وجه الارض وقال آخرون بل يكون ماء فعملوا هذه البرابى قبل الطوفان وكان فى هذه البربا صور الملوك الذين يملكون مصر وكانت مبنية بحجر المرمر وطول كل حجر منها خمسة اذرع فى سمك ذراعين وهى سبعة دهاليز سقوفها حجارة طول الحجر منها ثمانية عشر ذراعا فى عرض خمسة اذرع مدهونة باللازورد وغيره من الاصباغ التى يحسبها الناظر كانما فرغ الدهان منها الآن لجدتها وكان كل دهليز منها على اسم كوكب من الكواكب السبعة السيارة وجدران هذه الدهاليز منقوشة بصور مختلفة الهيآت والمقادير فيها رموز علوم القبط من الكيمياء والسيمياء والطلسمات والطب والنجوم والهندسة وغير ذلك أودعوها تلك الصور * وذكر ابن جبير فى رحلته أنّ طول هذه البربا مائتان وعشرون ذراعا وسعتها مائة وسبعون ذراعا وأنها قائمة على أربعين سارية سوى الحيطان دور كل سارية خمسون شبرا وبين كل ساريتين ثلاثون شبرا ورؤسها فى نهاية العظم كلها منقشة من اسفلها الى أعلاها ومن رأس كل سارية الى الاخرى لوح عظيم من الحجر المنحوت فيها ما ذرعه ستة وخمسون شبرا طولا فى عرض عشرة اشبار وارتفاع ثمانية اشبار وسطحها من ألواح الحجارة كانها فرش واحد فيه التصاوير البديعة

والاصبغة الغريبة كهيئة الطيور والآدميين وغير ذلك فى داخلها وخارجها وعرض حائط البربا ثمانية عشر شبرا من حجارة مرصوصة كذا قاسها ابن جبير فى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ويقال ان ذا النون عرف منها علم الكيمياء وما زالت هذه البربا قائمة الى سنة ثمانين وسبعمائة فخربها رجل من أهل اخميم يعرف بالخطيب كمال الدين بن بكر الخطيب علم الدين على ونال منها مالا فلم تطل حياته ومات ومن حينئذ تلاشى أمر اخميم الى أن خربت وقد ذكر جماعة أن بربا اخميم كانت فى هيئة غلام أمرد عريان وان قوما دخلوها مرة فتبعهم وأخذ يضربهم ضربا وجيعا حتى خرجوا هاربين وحكى مثل ذلك عمن دخل الاهرام أيضا * وقد حكى أن رجلا ألصق على صورة من بربا اخميم شمعة فكان اذا تركها فى موضع التجأت العقارب اليها واذا وضع الشمعة فى تابوت اجتمعت العقارب حوله ويقال انه كان فى بربا اخميم شيطان قائم على رجل واحدة وله يد واحدة وقد رفعها الى الهواء وفى جبهته وحواليه كتابة وله احليل ظاهر ملتصق بالحائط وكان يذكر أن من احتال حتى يثقب على ذلك الاحليل حتى يخرجه من غير أن ينكسر ويعلقه على وسطه فانه لا يزال منعظا الى أن ينزعه ويجامع ما أحب ولا يفتر مادام معلقا عليه وان بعض من ولى اخميم اقتلعه فوجد منه شيأ عجيبا من ذلك وكانت الانطاع تجلب من اخميم وبها تعمل ويقال انه كان بها اثنا عشر ألف عريف على السحرة وكان بها شجر البنج ويقال ان الذى بنى بربا اخميم اسمه دومريا وانه جعل هذه البربا مثلا للامم الآتية بعده وكتب فيها تواريخ الامم والاجيال ومفاخرهم التى يفتخرون بها وصور فيها الانبياء والحكماء وكتب فيها من يأتى من الملوك الى آخر الدهر وكان بناؤه اياها والنسر برأس الحمل والنسر يقيم عندهم فى كل برج ثلاثة آلاف سنة قال والنسر فى زماننا بآخر باب برج الجدى فيكون على ذلك لهذه البربا منذ بنيت نحو الثلاثين ألف سنة * وذكر ابو عبد الله محمد بن عبد الرحيم القيسى فى كتاب تحفة الالباب أن هذه البربا مربعة من حجارة منحوتة ولها أربعة ابواب يفضى كل باب الى بيت له اربعة ابواب كلها مظلمة ويصعد منها الى بيوت كالغرف على قدرها

(ذكر مدينة العقاب)

قال المسعودى مدينة العقاب غربى اهرام ابوصير بالجيزة على مسيرة خمسة ايام بلياليها للراكب المجد وقد عور طريقها وعمى المسلك اليها والسمت الذى يؤدى نحوها وفيها عجائب البنيان والجواهر والاموال * وقال ابن وصيف شاه وكان الوليد بن دومع العمليقى قد خرج فى جيش كثيف يتنقل فى البلدان ويقهر ملوكها فلما صار بالشام وجه غلاما له يقال له عون فسار الى مصر وفتحها ثم سار فتلقاه عون ودخل مصر فاستباح اهلها ثم سنح له أن يقف على مصب النيل فخرج فى جيش كثيف واستخلف عونا على مصر وأقام فى غيبته أربعين سنة وان عونا بعد سبع سنين من مسيره تجبر وادعى أنه الملك وانكر أن يكون غلام الوليد وانما هو أخوه وغلب بالسحر وسبى الحرائر فمال الناس اليه ولم يدع امرأة من بنات ملوك مصر الا نكحها ولا مالا الا اخذه وقتل صاحبه وهو مع ذلك يكرم الكهنة ويعظم الهيا كل فاتفق انه رأى الوليد فى منامه وهو يقول له من أمرك أن تتسمى باسم الملك وقد علمت أنه من فعل ذلك استحق القتل ونكحت بنات الملوك وأخذت الاموال بغير واجب ثم أمر بقدر ملئت زيتا وأحميت حتى غلت ونزع ثيابه ليلقيه فيها فأتاه عقاب فاختطفه وحلق به فى الجو وجعله فى هوة على رأس جبل فسقط الى واد فيه حمأة منتنة فانتبه مرعوبا وقص ذلك على كهنته فقالوا نحن نخلصك منه بأن تعمل عقابا وتعبده فانه الذى خلصك فى نومك فقال أشهد لقد قال لى اعرف لى هذا المقام ولا تنسه فعمل عقابا من ذهب وجعل عينيه جوهرتين ووشحه بالجوهر وعمل له هيكلا لطيفا وأرخى عليه ستور الحرير وأقبلوا على تبخيره وقربانه حتى نطق لهم فأقبل عون على عبادته ودعا الناس الى ذلك فأجابوه ثم أمر فجمع له كل صانع بمصر وأخرج اصحابه الى صحراء الغرب لطلب أرض سهلة حسنة الاستواء يدخل اليها من مواضع صعبة وجبال وعرة بحيث تقرب من مغيض الماء التى هى اليوم الفيوم وكانت مغيضا لماء النيل حتى اصلحها يوسف عليه السلام ليجرى الماء منها الى المدينة فخرجوا وأقاموا شهرا يطوفون حتى وجدوا بغيته فلم يبق بمصر فاعل ولا مهندس ولا أحد له بصر بالبناء وقطع الصخور ونحتها الاوجه اليها وأنفذ ألف رجل من الجيش وسبعمائة ساحر لمعاونتهم وانفذ معهم الآلات والازواد على العجل وطريق هذه العجل الى الفيوم فى صحراء الغرب واضحة من خلف الاهرام فلما تكامل له ما أراد من نحت الحجارة خطوا المدينة فرسخين فى مثلهما وحفروا فى

الوسط بئرا جعلوا فيها تمثال خنزير من نحاس بأخلاط ونصبوه على قاعدة نحاس ووجهه الى الشرق وذلك بطالع بيت زحل واستقامته وسلامته وكان في شرفه وذبحوا خنزيرا ولطخوا التمثال بدمه في وجهه وبخروه بشيء من شعره وحشوا جوفه بدمه وشعره وعظامه ولحمه ومرارته وجعلوا في اذنيه من مرارته وحرقوا بقية الخنزير وجعلوا رماده في قلة من نحاس بين يدي التمثال ونقشوه بآيات زحل ثم شقوا في البئر من الجهات الاربع في كل جهة سربا الى حيطان المدينة وعملوا على أفواهها منافس تجذب الهواء وسدوا البئر وعقدوا فيها قبة على عمد مرتفعة على حيطان المدينة وجعلوا فيها شوارع يتصل كل شارع بباب من ابواب المدينة وفصلوها بالطرقات والمنازل وجعلوا حول القبة تماثيل فرسان من نحاس بأيديها حراب ووجوهها تجاه الابواب وجعلوا أساس المدينة من حجر أسود فوقه حجر أحمر عليه حجر أصفر من فوقه حجر أخضر وفوق الجميع حجر ابيض يشف وكلها مبنية بالرصاص المصبوب بين الحجارة وفي قلوبها اعمدة من حديد على بناء الاهرام وجعلوا طول حصنها ستين ذراعا في عرض عشرين وعلى رأس كل باب حصن بأعلاه عقاب كبير من صفر وأخلاط قد نشر جناحيه وهو أجوف وعلى كل ركن فارس بيده حربة ووجهه الى خارج المدينة وساق الماء الى الباب الشرقي ينحدر في صبه الى الباب الغربي ويخرج الى صهاريج وكذلك من الباب الجنوبي الى الشمالي وقرب للعقاب عقبانا ذكورا واجتلب الرياح الى أفواه التماثيل فصار يسمع لها اصوات هائلة ووكل بها ارواحا تمنع الداخل اليها الا أن يكون من اهلها ونصب العقاب الذي يتعبد له تحت القبة في وسط المدينة على قاعدة بأربعة اركان على كل ركن وجه شيطان وجعلها على عمود يديرها فكان العقاب يدور الى الجهات فيقيم في كل جهة ربع السنة فلما تم ذلك نقل اليها المدينة الاموال والجواهر التي بمصر من عهد الملوك والتماثيل والحكم وتراب الفضة والعقاقير والسلاح وحول اليها كبار السحرة والكهنة وأصحاب الصنائع والتجار وقسم المساكن بينهم فلا يختلط اهل صناعة بسواهم وعمل بها ربضا لاصحاب المهن والزراعة وعقد على تلك الانهار قناطر يمشى عليها الداخل الى المدينة وجعل الماء يدور حول الربض ونصب عليها أعلاما وحرسا ثم غرس وراء ذلك مما يتصل بالبرية النخل والكرم وجميع اصناف الشجر على أقسام مقسومة ومن وراء ذلك كله مزارع الغلات من كل جهة كل ذلك خوفا من الوليد * قال وبين هذه المدينة وبين منف ثلاثة ايام وكان يقيم فيها ويخرج اليها ثم يعود الى منف وكان لها أربعة أعياد في السنة وهي الاوقات التي يتحول العقاب فيها فلما تم لعون ذلك اطمأن قلبه الى أن وافى اليه كتاب الوليد من النوبة يأمره بحمل الازواد ونصب الاسواق فوجه اليه في البر والبحر بما أراد وحول اهله ومن اصطفاه من بنات الملوك والكبراء الى المدينة فلما قرب الوليد خرج اليها وتحصن فيها واستخلف على منف فقدم الوليد وقد سمع ما فعله عون فغضب وهم أن يبعث اليه جيشا فعرف بخبر المدينة ومنعتها وخبر السحرة فكتب اليه أن يقدم عليه ويحذره عاقبة التخلف فأجابه ما على الملك مني مؤنة ولا تعرض ولا عيب في بلده لاني عبده وأناله رده في هذا المكان من كل عدو يأتيه من الغرب ولا اقدر على المسير اليه لخوفي منه فليقرني الملك بحالي كأحد عماله وأوجه اليه ما يلزمني من خراجه وهداياه وبعث اليه بأموال جليلة وجوهر نفيس فكف عنه وأقام الوليد بمصر حتى مات

(ذكر مدينة الفيوم)

اعلم أن موضع الفيوم كان مغيض ماء النيل فلما ولي السيد يوسف الصديق عليه السلام تدبير أمور مصر عمرها * قال ابن وصيف شاه ثم ملك الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف والقبط تسميه نهراوش فجلس على سرير الملك وكان عظيم الخلق جميل الوجه عاقلا متمكنا فوعد بالجميل وأسقط عن الناس خراج ثلاث سنين وفرق المال في الخاص والعام وملك على البلد رجلا من اهل بيته يقال له أطفين وهو الذي يسميه اهل الاثر العزيز فأمر أن ينصب له في قصر الملك سرير من فضة يجلس عليه ويغدو فيه ويروح الى باب الملك ويخرج العمال والكتاب بين يديه فكفى نهراوش ما خلف ستره وقام بجميع اموره وخلاه للذته فانغمس نهراوش في لهوه ولم ينظر في عمل ولا ظهر للناس حينا والبلد عامر وهو لا يسأل عن شيء وعمل له مجالس من زجاج ملون وحولها ماء فيه أسماك مفرطة وبلور ملون فكان اذا وقعت عليه الشمس ظهر له شعاع عجيب وعملت له عدة منتزهات على عدد ايام السنة فكان كل يوم في موضع منها وعمل له في كل موضع من الآنية والفرش ما ليس لغيره فاتصل بملوك

النواحى تشاغله بلذته وتدبير أطفين فسار ملك من العماليق يقال له ابو قابوس عاكر بن يحوم الى مصر ونزل على
حدودها فجهز اليه العزيز جيشا عليه قائد يقال له بريانس فأقام يحاربه ثلاث سنين فظفر به العمليق وقتله
وهدم الاعلام والمصانع وقوى طمعه فى البلد فاجتمع الناس الى قصر الملك واستغاثوا فخرج اليهم وعرض
جيوشه وخرج فى ستمائة ألف مقاتل سوى الاتباع فالتقوا من وراء الحوف وكان بينهما قتال شديد فانهزم
العمليق وتبعه نهراوش الى حد الشام وقتل خلقا من اصحابه وأفسد زروعهم وأشجارهم وحرق وصلب
ونصب أعلاما على الاماكن التى وصلها وزبر عليها انى لمن تجاوز هذا المكان بالمرصاد وقيل انه بلغ الموصل
وضرب على اهل الشام خراجا وبنى عند العريش مدينة لطيفة وشحنها بالرجال ورجع الى مصر فحشد من جميع
الاعمال جنودا واستعد لغزو ملك الغرب وخرج فى سبعمائة ألف فمر بأرض البربر واجلى كثيرا منهم وجهز قائدا
فى السفن من ناحية رقودة الى جزائر بنى يافث فعاث فيها وخرج من ناحية أرض البربر فقتل وصالح بعضهم على
مال حملوه اليه ومضى الى افريقية وقرطاجنة فصالحوه على مال ومر حتى بلغ مصب البحر الاخضر الى بحر الروم
وهو موضع اصنام النحاس فأقام هنالك صنما زبر عليه اسمه وتاريخ خروجه وضرب على اهل تلك النواحى
الخراج وعدى الى الارض الكبيرة وسار الى الاندلس فحاربه ملكها اياما ثم صالحه على مال وأن يمنع من يغزو
مصر من ناحيته وانصرف على غير البحر مشرقا فى بلاد البربر فلم يمر بأمة الا ودخلت فى طاعته ومر فى الجنوب
فقتل خلقا وبعث قائدا الى مدينة على البحر الاسود فخرج اليه ملكها وذكر له حال الريان ومصالحة الملوك له
فقال ما بلغنا أحد قط وسأله القائد عن البحر هل ركبه احد قط فقال ما يقدر أحد على ركوبه وربما اظله غمام
فلا يرى اياما وقدم الريان فحملوا الهدايا اليه وفاكهة اكثرها الموز وحجارة سوداء اذا جعلت فى الماء صارت
بيضاء ثم سار الملك على امم السودان الى مملكة الدمدم الذين ياكلون الناس فخرجوا اليه عراة فهزمهم
وظفر بهم ومر على البحر المظلم فغشيهم منه غمام فرجع شمالا حتى انتهى الى تمثال من حجر أحمر يومئ بيده ارجعوا
وعلى صدره مزبور ماوراءى أحد فسار الى مدينة النحاس فلم يصل اليها ومضى الى الوادى المظلم فكانوا
يسمعون منه جلبة عظيمة ولا يرون أحدا لشدة ظلمته وسار الى وادى الرمل فرأى على معبره أصناما عليها اسماء
الملوك فأقام عليه صنما زبر عليه اسمه فلما أتى الرمل جاز عليه الى الخراب المتصل بالبحر الاسود فرأى سباعا
يزأر بعضها على بعض فحكم أنه لا مذهب له من ورائها فرجع وعدى وادى الرمل ومر بأرض العقارب فهلك
بعض اصحابه ودفعوا عن انفسهم أذاها بالرقى وجازها الى مدينة الحكماء وتعرف بمدينة الكند ففروا منه الى
جبل فأقام عليه اياما حتى كاد يهلك جيشه عطشا فنزل اليه من الجبل رجل من أفاضل الحكماء وقد لبس
شعره جسده فقال للملك اين تريد أيها المغرور الممدود له فى الاجل المرزوق فوق الكفاية أتعبت نفسك وجيشك
ألا اجترأت بما تملكه واتكلت على خالقك وربحت الراحة وتركت العناء والغرر بهذا الخلق فعجب من قوله وسأله
عن الماء فدله عليه وسأله عن موضعهم فقال موضع لا يصل اليه أحد ولا بلغه قبلك أحد فقال ما عيشك قال
من اصول النبات نقنع به ويكفينا اليسير قال فمن اين تشربون قال من الامطار والثلوج قال فلم هربتم منا قال
زهادة فى مخالطتكم والافلاس لنا مما تخافكم عليه قال فكيف بكم اذا حميت الشمس قال نأوى الى غيران تحت
هذا الجبل قال فهل لكم فى مال اخلفه لكم قال انما يريد المال اهل الترف ونحن لا نستعمل منه شيأ استغنينا
عنه بما قد اكتفينا به وعندنا منه مالو رأيته لاحتقرت ما عندك قال فأرنيه فانطلق بنفر من أصحابه الى أرض
فى سفح جبلهم فيها قضبان ذهب نابتة وأراهم واديا لهم فى حافتيه حجارة زبرجد وفيروز فأمر نهراوش أصحابه
أن يحملوا من كبار تلك الحجارة ففعلوا ورأى الحكيم جماعة الملك يصلون الى صنم يحملونه معهم فسأل الملك
أن لا يقيم بأرضهم وخوفه من عبادة الاصنام فودعه وسار فلم يمر بأمة الا اثر فيها حتى بلغ النوبة فصالحهم على
مال وأقام على دنقلة صنما وزبر عليه اسمه ومسيره وسار يريد مدينة منف فكان اهل كل مدينة من مدائن مصر
يتلقونه بالفرح والسرور والرياحين والطيب الى أن بلغ منف فخرج اهلها اليه مع العزيز بأصناف الرياحين
والطيب وكان العزيز قد بنى له مجلسا من زجاج ملون وفرشه بأحسن فرش وغرس حوله الاشجار والرياحين
وجعل فيه بحرة من زجاج سماوى وفى أرضه شبه السمك من زجاج أبيض فنزل الملك فيه وأقام الناس
ياكلون ويشربون اياما كثيرة وتفقد جيشه ففقد منهم سبعين ألفا ووجد فيهم ممن اسره نيفا وخمسين ألفا فكانت

مدة غيبته عن مصر فى مسيره هذا احدى عشرة سنة فلما بلغ الملوك قدومه هابوه واشتد بأسه وتجبر وبنى فى الجانب الشرقى قصورا من رخام ونصب عليها أعلاما وأمر بالعمارة واصلاح الجسور واستنباط الاراضى حتى زاد الخراج على مائة ألف ألف دينار ودخل الى البلد فى أيامه غلام من اهل الشام احتال عليه اخوته وباعوه وكانت قوافل الشام تعرس بناحية الموقف اليوم فوقف الغلام ونودى عليه وهو * يوسف الصديق ابن يعقوب بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم وسلامه فاشتراه اطفين ليهديه الى الملك فلما أتى به قصره رأته امرأته زليخا وهى ابنة عمه فقالت اتركه لنا نربيه لينفعنا وكان من أمرها ما قصه الله تعالى فى القرءان فكانت تكتم حبه حتى غلبت فخلت به وتزينت له وعرفته أنها تحبه وانه ان واتاها على ما تريده منه حبته بمال عظيم فامتنع من ذلك ورأت أن تغلبه فما زالت تعاركه وهو ممتنع منها الى أن وافى زوجها وراءه وهو هارب منها وكان العزيز عنينا لا يأتى النساء فجعل يوسف يعتذر اليه وقالت انى كنت نائمة فأتانى يراودنى عن نفسى وتبين من شاهد أهلها أن الامر من قبل امرأته فقال ليوسف أعرض عن هذا اى عن اعتذارك وقال لها استغفرى لذنبك وقد كان خبر أطفين والغلام بلغ الملك وكان نهراوش عاود العكوف على اللهو والاحتجاب عن الناس واتصل خبر زليخا ويوسف بنساء الخاصة فعيرنها بذلك فدعت جماعة منهن وصنعت لهن طعاما وشرابا وعملت مجلسين مذهبين وفرشتهما بديباج أصفر مذهب وأرخت عليهما ستور الديباج وأمرت المواشط بتزيين يوسف واخراجه من المجلس الذى يحاذى المجلس الذى كانت مع النسوة فيه وكان المجلس محاذيا للشمس فأخذته المواشط ونظمن شعره بأصناف الجواهر وألبسنه ثوب ديباج أصفر قد نسج بدارات حمر مذهبة فيها اطيار صغار خضر مبطن ببطانة خضراء ومن تحته غلالة حمراء وعلى رأسه تاج قد نظم بالدر والجوهر وأخرجن من تحت التاج أطراف شعره على جبهته ورددن ذوائبه على صدره وجعلن جبهته مكشوفة والتاج محيط بها وفى اذنيه قرطى جوهر ومن خلف طوق القباء شعر مسبل بين كتفيه منظوم مشبك بالذهب والجوهر وفى عنقه طوق منظوم بذهب مشدد بجوهر أحمر ودر فاخر وفى وسطه منطقة ذهب فيها الواب جوهر ملون ولها معاليق منظومة وألبسنه خفين أبيضين منقوشين بأخضر على نقوش ذهب وجعلن للقباء الذى عليه وشاحين وافراوز يحيط بأسفله وكميه من جوهر أخضر وعقربن صدغيه على خديه وكحلن عينيه ودفعن اليه مذبة شعرها أخضر فلما فرغ النساء من طعامهن وشربن أقداحا قدمت اليهن سكاكين قبضهن من جوهر ليقطعن بها الفاكهة فيقال انهن اخذن اترجا وهن يقطعنه اذ قالت لهن قد بلغنى حديثكن فى امرى مع عبدى فقلن لها الامر كما بلغك لانك اعلى قدرا من هذا ومثلك يرتفع عن اولاد الملوك لحسنك وشرفك فكيف ترضين بغلامك فقالت لم يبلغكن الصدق ولا هو عندى بهذا وأومأت الى المواشط أن يخرجن يوسف فرفعن الستور عن المجاس الذى يحاذى مجلسها وبرزمنه يوسف محاذيا بوجهه الشمس فأشرق المجلس وما فيه من وجه يوسف وأقبل بالمذبة وهن يرمقنه فوقف على رأس زليخا يذب عنها فاشتغل النساء برؤيته وجعلن يقطعن ايديهن موضع الفاكهة التى كانت معهن ولا يعين الكلام ذهولا منهن بما رأين من حسن يوسف فقالت لهن زليخا ما لكن قد اشتغلتن عن خطابى بالنظر الى عبدى فقلن معاذ الله ما هذا عبدك ان هذا الا ملك كريم ولم يبق منهن امرأة الا حاضت وأنزلت شهوة من محبته فقالت زليخا عند ذلك فهذا الذى لمتننى فيه فقلن ما ينبغى لاحد أن يلومك فى هذا ومن لامك فقد ظلمك فدونكه قالت قد فعلت فأبى على فخاطبنه لى فكانت كل واحدة منهن تخاطبه وتدعوه سرا الى نفسها وتبتذل له وهو يمتنع عليها فاذا يئست منه أن يجيبها لنفسها خاطبته من جهة زليخا وقالت مولاتك تحبك وأنت تكرهها ما ينبغى أن تخالفها فقال مالى بذلك حاجة فلما رأين ذلك اجمعن على أخذه غصبا فقالت زليخا لا يجوز هذا لكنه ان لم يفعل لامنعنه اللذات ولاسجننه وأنتزع جميع ما اعطيته فقال يوسف رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه فأقسمت بالهها وكان صنما من زبرجد أخضر باسم عطارد انه ان لم يفعل لتعجلن له ذلك ثم أمرت بنزع ثيابه وألبسته الصوف وسألت العزيز حبسه ليزول ما قذفها به فأمر به فحبس ورأى الملك فى منامه كان آتيا أتاه فقال له ان فلانا وفلانا قد عزما على قتلك يريد صاحبى طعامه وشرابه فلما أصبح قررهما فاعترفا له وقيل اعترف أحدهما وانكر الآخر فأمر بحبسهما وكان اسم صاحب الطعام راسان واسم صاحب الشراب مرطس وكان يوسف عليه السلام وهو فى السجن رؤفا بمن فيه ويعدهم

الفرج فأخبره صاحبا طعام الملك وشرابه برؤياهما التي قصها الله في كتابه فوقع كما قصه يوسف ورأى الملك البقرات والسنابل فعرّفه الساقي خبر يوسف فمضى اليه وقصها عليه فلما عاد الى الملك قال جيؤني به فقال يوسف ما أخرج او يكشف أمر النسوة اللاتي من اجلهن حبست فكشف عن ذلك فاعترفت زليخا بالقصة ووجه اليه فأخرج وغسل من درن السجن وألبس ما يليق بالدخول على الملوك فلما رآه امتلأ قلبه من حبه واكباره وسأله عن الرؤيا ففسرها كما قال الله تعالى فقال الملك ومن يقوم لي بذلك قال انا فخلع عليه خلع الملوك وألبسه تاجا وأمر أن يطاف به وركب الجيش معه وتردّد الى قصر الملك وجلس على سرير العزيز واستخلفه الملك على ملكه مكانه * ويقال ان العزيز اطفين كان قد مات فزوجه امرأته وقال لها يوسف هذا اصلح مما أردت فقالت اعذرني ان زوجي كان عنينا ولم ترك امرأة الاصبا قلبها اليك من حسنك وجاءت سنو خصب في مصر فجمع يوسف الغلال وخزنها وأكثرمنها فلما جاءت سنو الجدب بدأ النيل في النقصان وكان ينقص كل سنة اكثر من التي قبلها فقحط البلد حتى بيع القمح بالمال والجوهر والدواب والثياب والآنية والعقار وكاد أهل مصر يرحلون عنها لولا تدبير يوسف وقحط الشام أيضا وكان من مجيء اخوة يوسف ما قصه الله تعالى ووجه الى أبيه فحمل الى مصر وجميع اهله وخرج في وجوه اهل مصر فتلقاه وأدخله على الملك وكان يعقوب مهابا فأعظمه الملك وسأله عن سنه وصناعته وعبادته فقال سني عشرون ومائة سنة وأما صناعتي فلنا غنم ترعى ننتفع بها وأعبد رب العالمين الذي خلقك وخلقني وهو اله آبائي والهك واله كل شئ وكان في مجلس الملك كاهن جليل القدر فقال للملك اني اخاف أن يكون خراب مصر على يد ولد هذا فقال له الملك فأني لنا خبره فقال الكاهن ليعقوب أرني الهك ايها الشيخ قال الهي اعظم من أن يرى قال فانا نرى آلهتنا قال ان آلهتكم من ذهب وفضة وحجارة وجوهر ونحاس وخشب مما يعمله بنو آدم وهم عبيد الهي لا اله الا هو العزيز الحكيم قال الكاهن ان كل شئ لا تراه العيون ليس بشئ فغضب يعقوب وكذبه وقال ان الله شئ لا كالاشياء وهو خالق كل شئ لا اله الا هو قال فصفه لنا قال انما يوصف المخلوق لكنه خالق واحد قديم مدبر أزلي يرى ولا يرى وقام يعقوب مغضبا فأجلسه الملك وأمر الكاهن فكف عنه فقال الكاهن انا نجد في كتبنا أن خراب مصر يجري على ايدي هؤلاء فقال الملك هذا يكون في ايامنا قال لا ولا الى مدة كثيرة والصواب أن يقتله الملك ولا يبقى من ذريته أحدا فقال الملك ان كان الامر كما تقول فلا يمكننا أن ندفعه ولا نقدر على قتل هؤلاء وأنزل يعقوب ومن معه بوادي السدير الى أن مات فحمل الى قرية ابراهيم عليه السلام ودفن عنده ويقال ان نهراوش الملك آمن وكتم ايمانه خوفا من فساد أمره وأقام ملكا مائة وعشرين سنة وفي وقته عمل يوسف الفيوم فان اهل مصر كانوا وشوا به الى الملك وقالوا قد كبر ونقص نفعه فاختبره فقال له اني وهبت هذه الناحية لابنتي وكانت مغايض للماء فدبرها لها فعمل لها يوسف واحتال للمياه حتى اخرجها وقلع اوحالها وساق المنهى وبنى اللاهون وجعل الماء فيها مقسوما موزونا وفرغ منها في شهور أربعة فعجبوا من حكمته * ويقال انه أوّل من هندس بمصر ومات نهراوش فخلف ابنه درمجوش وسمته اهل الاثر دارم بن الريان وهو الفرعون الرابع عندهم فخالف سنة أبيه وكان يوسف خليفته فقبل منه بعضا وخالفه في البعض فمات يوسف في ايامه وله مائة وعشرون سنة فكفن وجعل في تابوت من رخام ودفن في الجانب الغربي فأخصب ونقص الشرقي فحوّل اليه فأخصب ونقص الغربي فاتفقوا على أن يجعلوه في الشرقي عاما وفي الغربي عاما ثم حدث لهم من الرأي أن يجعلوا له حلقا وثاقا ويشدّوا التابوت في وسط النيل فأخصب الجانبان كلاهما * وقال ابن عبد الحكم فملكهم الريان بن الوليد بن دومع وهو صاحب يوسف النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى الملك رؤياه التي رأى وعبرها يوسف أرسل اليه الملك فأخرجه من السجن قال ابن عباس رضي الله عنهما فأتاه الرسول فقال ألق عنك ثياب السجن والبس ثيابا جددا وقم الى الملك فدعا له اهل السجن وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة فلما أتاه رأى غلاما حدثا فقال أيعلم هذا رؤياي ولا تعلمها السحرة والكهنة وأقعده قدامه وقال له لا تخف قال فلما استنطقه وسأله عظم في عينيه وجعل اليه امره فدفع اليه خاتمه وولاه ما خلف بابه وألبسه طوقا من ذهب وثياب حرير وأعطاه دابة مسرجة مزينة كدابة الملك وضرب بالطبل بمصر ان يوسف خليفة الملك * وعن عكرمة أن فرعون قال ليوسف قد سلطتك على مصر غير أني اريد أن أجعل كرسي اطول من كرسيك بأربع اصابع قال يوسف نعم وأجلسه

على

على السرير ودخل الملك بيته مع نسائه وفوض امر مصر كلها اليه فبسبب عبارة رؤيا الملك ملك يوسف مصر
* وعن الليث بن سعد قال حدثنى مشيخة لنا قالوا اشتد الجوع على اهل مصر فاشتروا الطعام بالذهب حتى
لم يجدوا ذهبا فاشتروا بالفضة حتى لم يجدوا فضة فاشتروا باغنامهم حتى لم يجدوا اغنما فلم يزل يبيعهم الطعام حتى
لم يبق لهم فضة ولا ذهب ولا شاة ولا بقرة فى تلك السنين فأتوه فى الثالثة فقالوا لم يبق لنا الا انفسنا وأهلونا
وأرضونا فاشترى يوسف ارضهم كلها الفرعون ثم أعطاهم يوسف طعاما يزرعونه على أن لفرعون الخمس ويقال
فى خبر بناء يوسف عليه السلام مدينة الفيوم أنه لما وزر لفرعون ثلاثين سنة عزله فقال لم عزلتنى فقال لم اعزلك
لريبة ولا انسى بركتك ولكن آبائى عهدوا الى أن لا يتولى لنا وزيرا اكثر من ثلاثين سنة وانا نخشى أن يتأصل
الوزير حتى يدبر على الملك فقال له يوسف قد علمت نصحى لك حتى صيرت ديار مصر كلها ملكا لك فأقطعنى ارضا
تكون لقوتى وقوت اهلى وعشيرتى فقال له فرعون اختر حيث شئت فمشى يوسف فى قفار الارض حتى رأى
رض الفيوم وفيها جبل حائل بين النيل وبينها فوزن ماء النيل حتى رأى أن قاعها يركبه النيل فخرق خرقا فى ذلك
الجبل وساق الماء فيه الى الفيوم فسقى الارض وعمل فى جوانب الماء ثلثمائة وستين قرية على عدد ايام السنة
وشحنها بالغلال والاقوات التى ازدرعها فكان اذا نقص النيل ووقع الجوع بأرض مصر باع كل يوم ما جمعه فى
قرية من قرى الفيوم حتى ملك مصر لنفسه كما جمعها للملك فعظم شان يوسف وكثر ماله فردّه الملك بعد مدة الى
وزارته وتوفى وهو وزير فأوصى بخروج جثته الى الارض المقدسة فخرج بها هارون بن افرايم بن يوسف فى
مائة ألف من بنى اسرائيل فهزمته الجبابرة فيما بين مصر والشام وهلك اكثر من معه وعاد بمن بقى معه الى مصر
فأقاموا بها حتى بعث الله موسى بن عمران عليه السلام الى فرعون رسولا فخرج ببنى اسرائيل من مصر ومعه
جثة يوسف عليه السلام وفى ذلك الزمان استنبطت الفيوم وقيل كان سبب ذلك أنّ يوسف عليه السلام لما ملك
مصر وعظمت منزلته من فرعون وجاوز سنه مائة سنة قال وزراء الملك له انّ يوسف قلّ علمه وتغير عقله ونفدت
حكمته فعنفهم فرعون وردّ عليهم مقالتهم وأساء اللفظ لهم فكفوا ثم عاودوه بذلك القول بعد سنين فقال لهم
هلموا ماشئتم من اىّ شئ أختبره به وكان بلد الفيوم يومئذ يدعى الجوبة وانما كانت لمصالة ماء الصعيد وفضوله
فاجتمع رأيهم على أن تكون هى المحنة التى يمتحنون بها يوسف فقالوا لفرعون سل يوسف أن يصرف ماء الجوبة
عنها ويخرجه منها فتزداد بلدا الى بلدك وخراجا الى خراجك فدعا يوسف فقال تعلم مكان ابنتى فلانة منى وقد رأيت
اذا بلغت أن أطلب لها بلدا وانى لم اصب لها الا الجوبة وذلك انه بلد بعيد قريب لا يرى بوجه من الوجوه الا من
غابة او صحراء وكذلك ليست هى تؤتى من ناحية من النواحى من مصر الا من مفازة وصحراء فالفيوم وسط
مصر كمثل مصر فى وسط البلاد لانّ مصر لا تؤتى من ناحية من النواحى الا من صحراء أو مفازة قال وقد اقطعتها
اياها فلا تتركن وجها ولا نظرا الا بلغته فقال يوسف نعم ايها الملك متى أردت ذلك فابعث الىّ فانى ان شاء
الله فاعل ذلك قال ان احبه الىّ وأرفعه اعجله فأوحى الى يوسف أن تحفر ثلاثة خلج خليجا من اعلى الصعيد من
موضع كذا الى موضع كذا وخليجا شرقيا من موضع كذا الى موضع كذا وخليجا غربيا من موضع كذا الى
موضع كذا فوضع يوسف العمال فحفر خليج المنهى من أعلى اشمون الى اللاهون وأمر البنائين أن يحفروا
اللاهون وحفر خليج الفيوم وهو الخليج الشرقىّ وحفر خليجا بقرية يقال لها بنهمت من قرى الفيوم وهو
الخليج الغربىّ فخرج ماؤها من الخليج الشرقىّ فصب فى النيل وخرج من الخليج الغربىّ فصب فى صحراء بنهمت
الى الغرب فلم يبق فى الجوبة ماء ثم أدخلها الفعلة فقطع ما كان فيها من القصب والطرفاء وأخرجه منها وكان ذلك
ابتداء جرى النيل وقد صارت ارض الجوبة نقية برية وارتفع ماء النيل فدخل فى رأس المنهى فجرى فيه حتى
انتهى الى اللاهون فقطعه الى الفيوم فدخل خليجها فسقاها فصارت لجة من النيل وخرج اليها الملك ووزراؤه
وكان هذا كله فى سبعين يوما فلما نظر اليها الملك قال لوزرائه اولئك هذا عمل الف يوم فسميت الفيوم وأقامت
تزرع كما تزرع غوائط مصر قال وقد سمعت فى استخراج الفيوم غير هذا أنّ يوسف عليه السلام ملك مصر وهو
ابن ثلاثين فأقام يدبرها أربعين سنة فقال اهل مصر قد كبر يوسف واختلف رأيه فعزلوه وقالوا اختر لنفسك
من الموات أرضا نقطعها لك وتصلحها وتعمل رأيك فيها فان رأينا من رأيك وحسن تدبيرك ما نعلم انك فى
زيادة من عقلك رددناك الى ملكك فاعترض البرية فى نواحى مصر فاختار موضع الفيوم فأعطيها فشق اليها الخليج

المنهى من النيل حتى ادخله الفيوم كلها وفرغ من حفر ذلك كله فى سنة * قال يزيد بن ابى حبيب وبلغنا انه انما
عمل ذلك بالوحى وقوى على ذلك بكثرة الفعلة والاعوان فنظروا فاذا الذى احياه يوسف من الفيوم لا يعلمون له
بمصر كلها مثلا ولا نظيرا فقالوا ما كان يوسف قط افضل عقلا ولا رأيا ولا تدبيرا منه اليوم فردوا اليه الملك فأقام
ستين سنة اخرى تمام مائة سنة حتى مات وهو ابن ثلاثين ومائة سنة قال ثم بلغ يوسف قول وزراء الملك
وانه انما كان ذلك على المحنة منهم له فقال للملك عندى من الحكمة والتدبير غير ما رأيت فقال له الملك وماذاك
قال أنزل الفيوم من كل كورة من كور مصر أهل بيت وآمر اهل كل بيت أن يبنوا لانفسهم قرية وكانت قرى
الفيوم على عدد كور مصر فاذا فرغوا من بناء قراهم صيرت لكل قرية من الماء بقدر ما اصيرلها من الارض
لا يكون فى ذلك زيادة ولا نقص وأصير لكل قرية شربا فى زمان لا ينالهم الماء الا فيه واصير مطاطئا للمرتفع
ومرتفعا للمطاطئ بأوقات من الساعات فى الليل والنهار واصير لها قبضات فلا يقصر با حد دون حقه ولا يزداد
فوق قدره فقال له فرعون هذا من ملكوت السماء قال نعم فبدأ يوسف فأمر ببنيان القرى وحد لها حدودا
وكانت اول قرية عمرت بالفيوم قرية يقال لها سانه وهى القرية التى كانت تنزلها بنت فرعون ثم أمر بحفر الخليج
وبنيان القناطر فلما فرغوا من ذلك استقبل وزن الارض ووزن الماء ومن يومئذ حدثت الهندسة ولم يكن
الناس يعرفونها قبل ذلك وكان اول من قاس النيل بمصر يوسف ووضع مقياسا بمنف * قال جامعه وفى التوراة
ان فرعون ألزم بنى اسرائيل البناء وضرب اللبن فبنوا له عدة مدن محصنة منها فيثوم وعرمسيس قال الشارح هى
الفيوم وحوف رمسيس وفى زمان الريان بن الوليد دخل يعقوب عليه السلام وولده مصر وهم ثلاثة وسبعون
نفسا ما بين رجل وامرأة فأنزلهم يوسف ما بين عين شمس الى الفرما وهى أرض ريفية برية وكان يعقوب لما دنا
من مصر أرسل يهودا الى يوسف فخرج اليه يوسف فلقيه فالتزمه وبكى فلما دخل يعقوب على فرعون كلمه
وكان يعقوب شيخا كبيرا حليما حسن الوجه واللحية جهير الصوت فقال له فرعون ايها الشيخ كم اتى عليك
قال عشرون ومائة وكان بها من ساحر فرعون قد وصف صفة يعقوب ويوسف وموسى صلوات الله عليهم فى كتبه
واخبر أن خراب مصر وهلاك اهلها يكون على ايديهم ووضع البربايات وصفات من تخرب مصر على يديه
فلما رأى يعقوب قام الى مجلسه فكان اول ما سأله عنه أن قال من تعبد أيها الشيخ قال له يعقوب اعبد الله اله
كل شئ فقال فكيف تعبد من لا ترى قال يعقوب انه أعظم وأجل من أن يراه أحد قال فنحن نرى آلهتنا قال
يعقوب ان آلهتكم من عمل ايدى بنى آدم من يموت ويبلى وان الهى لاعظم وارفع وهو أقرب الينا من حبل الوريد
فنظر بهمن الى فرعون فقال هذا الذى يكون هلاك بلادنا على يديه قال فرعون أفى ايامنا اوفى ايام غيرنا قال
ليس فى ايامك ولا ايام بنيك قال الملك فهل تجد هذا فيما قضى به الهكم قال نعم قال فكيف تقدر أن تقيل من يريد
الهه هلاك قومه على يديه فلا يعبأ بهذا الكلام * وعن كعب أن يعقوب عاش فى ارض مصر ست عشرة
سنة فلما حضرته الوفاة قال ليوسف لا تدفنى بمصر فاذا مت فاحملونى فادفنونى فى مغارة جبل جيرون وجيرون
مسجد ابراهيم الخليل عليه السلام وبينه وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلا قال فلما مات لطخوه بمر وصبر وجعلوه
فى تابوت من ساج فكانوا يفعلون به ذلك اربعين يوما حتى كلم يوسف فرعون فأعلمه أن أباه قد مات وانه سأله
أن يقبره فى ارض كنعان فأذن له وخرج معه أشراف اهل مصر حتى دفنه وانصرف وقيل قبر يعقوب بمصر
فأقام بها نحوا من ثلاث سنين ثم حمل الى بيت المقدس وأوصاهم بذلك عند موته قال ثم مات الريان بن الوليد
فملكهم من بعده ابنه دارم بن الريان وفى زمانه توفى يوسف عليه السلام فلما حضرته الوفاة قال انكم ستخرجون
من ارض مصر الى ارض آبائكم فاحملوا عظامى معكم فمات فجعلوه فى تابوت ودفنوه فى احد جانبى النيل
فأخصب الجانب الذى كان فيه وأجدب الجانب الآخر فحولوه الى الجانب الآخر فأخصب الجانب الذى
حولوه اليه وأجدب الآخر فلما رأوا ذلك جمعوا عظامه فجعلوها فى صندوق من حديد وجعلوا فيه سلسلة
وأقاموا عمودا على شاطئ النيل وجعلوا فى اصله سكة من حديد وجعلوا السلسلة فى السكة وألقوا الصندوق
فى وسط النيل فأخصب الجانبان جميعا * وكان سبب حمل عظام يوسف من مصر الى الشام أن سارة ابنة أسر بن
يعقوب عمرت حتى صارت عجوزا كبيرة ذاهبة البصر فلما سرى موسى عليه السلام ببنى اسرائيل غشيتهم
ضبابة حالت بينهم وبين الطريق أن يبصروه وقيل اوحى الى موسى ان تعبر الا ومعك عظام يوسف قال ومن يدرى أين

موضعها قالوا عجوز كبيرة ذاهبة البصر تركناها فى الديار فرجع موسى فلما سمعت حسه قالت ما ردك قال أمرت أن احمل عظام يوسف قالت ما كنتم لتعبروا الا وأنا معكم قال دليني على عظام يوسف فدلته عليها فأخذ عظام يوسف معه الى التيه *(يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم)* خليل الرحمن صلوات الله عليهم أحد الاسباط الاثنى عشر ولد بأرض كنعان من بلاد الشام ورأى الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين وعمره سبع عشرة سنة وكاد اخوته على ذلك وباعوه من قوم مدنيين فساروا به الى مصر وباعوه لقائد فرعون فأقام فى منزله اثنى عشر شهرا ثم راودته امرأة العزيز عن نفسه فاعتصم وكذبت عليه الى أن حبس ومكث فى السجن عشر سنين وقيل غير ذلك فلم يزل فى السجن الى أن رأى الساقى والخباز ذينك المنامين وفسر لهما يوسف وخرجا فأنسى الساقى يوسف سنتين الى أن رأى الملك البقر والسنابل فذكره وأتاه فقص عليه الرؤيا وعبرها فأخرج من السجن وله حينئذ ثلاثون سنة فاستوزره الملك ومن ذلك الوقت الى أن صار يعقوب الى مصر تسع سنين منها سبع سنين من سنى الشبع وسنتان من سنى الجوع وكان ليعقوب فى السنة التى صار فيها الى مصر مائة سنة وثلاثون سنة وكان اهل بيته حينئذ سبعين نفسا ومنذ سار الى مصر الى أن ولد موسى عليه السلام مائة وثلاثون سنة اخرى فلما مضى له بمصر سبع عشرة سنة توفى وعمره مائة وسبع وأربعون سنة فخاف الاسباط حينئذ مقابلة يوسف اياهم فقالوا ان أباك اوصى أن تغفر ذنب اخوتك فانك وهم عبيد الله اله أبيك فبكى يوسف وقال لهم لا تحتاجون الى ذلك ووعدهم بخير تممه لهم ومات يوسف وله مائة سنة وعشر سنين والله أعلم

(ذكر ماقيل فى الفيوم وخلجانها وضياعها)

قال اليعقوبى كان يقال فى متقدم الايام مصر والفيوم لجلالة الفيوم وكثرة عمارتها وبها القمح الموصوف وبها يعمل الخيش * وحكى المسعودى أن معنى الفيوم ألف يوم * قال القضاعى الفيوم وهى مدينة دبرها يوسف النبى عليه السلام بالوحى وكانت ثلثمائة وستين ضيعة تمير كل ضيعة منها مصر يوما واحدا فكانت تمير مصر السنة وكانت تروى من اثنى عشر ذراعا ولا يستبحر ما زاد على ذلك فان يوسف عليه السلام اتخذ لهم مجرى ورتبه ليدوم لهم دخول الماء فيه وقومه بالحجارة المنضدة وبنى به اللاهون * وقال ابن رضوان الفيوم يخزن فيه ماء النيل ويزرع عليه مرات فى السنة حتى انك ترى هذا الماء اذا خلى يغير لون النيل وطعمه واكثر ما تحسن هذه الحالة فى البحيرة التى تكون فى أيام القيظ سفط ونهيا وصاعدا الى ما يلى الفيوم وهذه حالة تزيد فى رداءة اهل المدينة يعنى مصر ولاسيما اذا هبت ريح الجنوب فان الفيوم فى جنوب مدينة مصر على مسافة بعيدة من أرضها وقال القاضى السعيد ابو الحسن على بن القاضى المؤتمن بقية الدولة ابى عمرو عثمان بن يوسف القرشى المخزومى فى كتاب المنهاج فى علم الخراج وهذه الاعمال من أحسن الاشياء تدبيرا وأوسعها أرضا وأجودها قطرا وانما غلب على بعضها الخراب لخلوها من أهلها واستيلاء الرمل على كثير من أرضها وقد وقفت على دستور عمله ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر بن الحسن بن اسحاق لذكر خلجان الاعمال المذكورة وما عليها من الضياع وقد أوردته ههنا وان كان منه ما قد دثر ومنه ما تغيرت اسماؤه ومنه ما جهلت مواضعه بالدثور ولكن أوردته ليعلم منه حال العامر الآن ويستقصى به من له رغبة فى عمارة ما يقدر عليه من الغامر وفى ايراده مصلحة ليعلم شرب كل موضع ونسخته *(دستور)* على ما اوضحه الكشف من حال الخلج الامهات بمدينة الفيوم ومالها من المواضع وشرب كل ضيعة منها ورسمها فى السد والفتح والتعديل والتحرير وزمان ذلك عمل فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة تبتدئ بعون الله وحسن توفيقه بذكر حال البحر الاعظم الذى منه هذه الخلج فنذكر ماذكرته التى صلاحه بصلاحها *(خليج الفيوم الاعظم)* يصل الماء الى هذا الخليج من البحر الصغير المعروف بالمنهى ذى الحجر اليوسفى وفوقه هذا البحر عند الجبل المعروف بكرسى الساحرة من أعمال الاشمونين ومنه شرب بعض الضياع الاشمونية والقيسية والاهناسية وعلى جانبيه ضياع كثيرة شربها منه وشرب كروم ماله كروم منها قال *(الحجر اليوسفى)* والحجر اليوسفى جدار مبنى بالطوب والجير المعروف عند المتقدمين بالصاروج وهو الجير والزيت وبناؤه من جهة الشمال الى الجنوب ويتصل من نهايته من الجنوب بجدار بناؤه مثل بنائه على استقامة من الغرب الى الشرق ويحصره

ميلان منه فى نهايته وطوله مائتا ذراع بذراع العمل ويتصل بهذا الجدار على طول ثمانين ذراعا منه من جهة الغرب نهاية الجدار الاعظم من الجنوب وفائدة بناء الجدار الاعظم ردّ الماء اذا انتهى الى حدود اثنتى عشرة ذراعا الى مدينة الفيوم وطول ما يتصل منه الجدار الذى من جهة الغرب الى الشرق ثم يتصل بالميل ثم ينخفض من حدود هذا الميل الى ميل مثله يقابله من جهة الشمال خمسون ذراعا وبعد ما بين هذين الميلين وهو المنخفض مائة ذراع وعشرة اذرع ومقدار المنخفض منه أربعة أذرع وهذا المنخفض هو الذى يسدّ بجسر من حشيش يسمى لبشا وعرض ما يجرى عليه الماء وهو موضع اللبش وما قابله الى جهة الشرق أربعون ذراعا وعليه مسك اللبش الثانى ويتصل بهذا الميل الى جهة الشمال ما طوله ثلثمائة واثنان وسبعون ذراعا ثم يتصل به على نهاية هذا الطول جدار يمرّ على استقامته الى الجرم مبنى بالحجر طوله على استقامته الى جهة الشرق مائة ذراع ثم ينخفض أيضا من حيث يتصل بهذا الجدار ما طوله عشرون ذراعا وقدر المنخفض منه ذراعان وهذا المنخفض أيضا يسدّ بجسر حشيش يسمى اللكبد وطول بقية الجدار الى نهايته من جهة الشمال مائة وستة وثلاثون ذراعا وقبالة هذا بطوله منه مبلط وفيه قناطر مبنية بالحجر كانت قديما تردّ الماء الى الفيوم من الخليج القديم الذى عنده السدود اليوم وكان عليها أبواب وعدّتها عشر قناطر قديمة فيكون جميع ذرع الجدار الاعظم من نهايته سبعمائة واثنين وسبعين ذراعا بذراع العمل دون الجدار المعترض من الغرب الى الشرق ويمرّ هذا الجدار الاعظم من كلتا جهتيه جميعا حتى يتصل بالجبل فتوجد آثاره فى القيظ مرورا على غير استقامة وعرضه مختلف وكلما انتهى الى سطحه قلّ عرضه وعرض أعلاه مع الظاهر من اسفله جميعا ستة عشر ذراعا وفيه منافس يخرج منها الماء وهى برابخ زجاج ملوّنة بشبه المينا وأزرق وسليمانى وهو من العجائب الحسنة فى عظم البناء واتقانه لانه من الابنية اللاحقة بمنارة الاسكندرية وبناء الاهرام فمن معجزته أن النيل يمرّ عليه من عهد يوسف عليه السلام الى هذه الغاية وما تغير عن مستقرّه ويدخل الماء من هذا البحر فى هذا الزمان الى مدينة الفيوم من خليجها الاعظم ما بين أرض الضيعتين المعروفتين بدمونة واللاهون ومنه شرب هاتين الضيعتين وغيرهما سيحا ومنه شرب كرومها بالدواليب على أعناق البقر وان قصر النيل عن الصعود الى سوادها سقيت منه على أعناق البقر وزرعت وينتهى فى الخليج الاعظم الى خليج يعرف بخليج الاواسى وليس عليه رسم فى سدّ ولا فتح ولا تعديل وينتهى الى الضيعة المعروفة ببياض فيملأ بركها وغيرها من البرك وللبرك مقاسم يصل الى كل مقسم منها لغايته ومقدار شرب ما عليه وينتهى الى الضيعة المعروفة بالاوسية الكبرى فمنه شربها من مقسمين لها وبرسمها باب ومنه يشرب نخلها وشجرها وعلى هذا الحدّ طاحونة تعمل بالماء ثم ينتهى الى ثلاثة مقاسم آخرها الضيعة المعروفة بمرطينة منها مقسم لها ومقسم لقبالات عدّة والمقسم الثالث يسقى أحد احياء النخل وبهذا الحى سواق وبساتين قد خربت وجميز دائر به وكان بها بيوت فى اقنية النخل ثم ينتهى الى حوثان على صفة الاول ثم ينتهى الى الضيعة المعروفة بالجوبة فيملأ بركها وينتهى الى ثلاثة مقاسم فى صف وفوقها خليج معطل ويشرب من هذه المقاسم عدّة ضياع ثم ينتهى الماء من هذا الخليج الى البطس وهو نهايته وعلى الخليج الاعظم بعد هذا أبالير يشرب منه من افواه لها سيحا فاذا انصب ماء النيل نصب على افواهها برسم صيد السمك شباك ثم ينتهى الخليج الاعظم على يمنة من يريد الفيوم الى خليج يعرف *(بخليج سمسطوس)* منه شرب سمسطوس وغيرها وابالير كثيرة تجاوز الصحراء من المشرق منه ومن قبليه وهى ما بين هذا الخليج وخليج الاواسى ثم ينتهى الخليج الاعظم ايضا الى *(خليج ذهالة)* ومنه شرب عدّة ضياع وعليه يزرع الارز وغيره ثم ينتهى الخليج الاعظم الى ثلاث خلج ثم ينتهى الى *(خليج بنطاوة)* وبهذا الخليج ثلاثة أبواب قديمة يوسفية سعة كل باب منها ذراعان بذراع العمل ويمرّ فيه الماء وينتهى أيضا الى بابين يوسفيين ورسم هذا الخليج أن يسدّ هو وسائر المطاطية على استقبال عشر تخلو من هاتور الى سلخه ويفتح على استقبال كيهك الى عشر تبقى منه ثم يسدّ الى عشر تخلو من طوبة ثم يفتح ليلة الغطاس الى سلخ طوبة ثم يسدّ على استقبال أمشير الى عشرة تبقى منه ثم يفتح لعشر تبقى منه الى عشر تخلو من برمهات ثم يفتح الى عشر تخلو من برمودة ثم يعدل فى موضعه وقد خرب ما على بحريه من الضياع ويشرب منه عدّة ضياع ولهذا الخليج مغيض معمول تحت الجبل بقبو يخرج منه الماء فى زمان تكاثره ثم ينتهى الخليج الاعظم الى *(خليج دله)* وهو من المطاطية وحكمه فى السدّ والفتح والتعديل والتحسين كما تقدّم وهو

على

على يسرة من بريد المدينة وله بابان بوسفيان مبنيان بالجرسعة كل منهما ذراعان وربع ومنه شرب عدة ضياع إمهات وغيرها وفى وسطه مفيض لزمان الاستبحار يفتح فيفيض الماء الى البركة العظمى وفى أقصى هذه البركة أيضا مفيض له أبواب يقال انها كانت من حديد فاذا ازادت فتحت الابواب فيمضى الماء الى الغرب وقيل انه يمر الى سنترية وكان على هذين الخليجين بساتين وكروم كثيرة تشرب على أعناق البقر وينتهى الخليج الاعظم الى *(خليج المجنونة)* سمى بذلك لعظم مايصير اليه من الماء وحكمه فى السد وغيره على ماذكر ومنه شرب ضياع كثيرة وبه تدار طواحين واليه تصير مصالات مياه الضياع القبلية والى بركة فى أقصى مدينة الفيوم تجاور الجبل المعروف بأبى قطران ويلقى ما ينصب من مصالات الضياع البحرية فيها وهى البركة العظمى ثم ينتهى الخليج الاعظم الى *(خليج تلاله)* وله بابان بوسفيان متينان مبنيان بالجرسعة كل منهما ذراعان وثلثا ذراع وليس فيه رسم سد ولافتح ولا تعديل ولا تحيز الا فى تقصير النيل فانه يحيز بحشيش ومنه شرب طوائف المدينة وعدة أراض وضياع وفيه فوهة خليج البطاش الذى اليه مفاضل المياه وفيه ابواب تسد حتى يصعد الماء الى أراض مرتفعة بقدر معلوم واذا احدث بالسد حدث يفسده كانت النفقة عليه من الضياع التى تشرب منه بقدر استحقاقها ثم ينتهى الخليج الاعظم الى خلجان من جانبيه فى قبليه وبحريه ثم ينتهى الى *(خليج سموه)* وهو على يمنة من بريد مدينة الفيوم وهو من المطاطنة وله بابان بوسفيان سعة كل منهما ذراعان ونصف وحكمه حكم ماتقدم ومنه شرب طوائف كثيرة وعدة ضياع وينتهى الى اربعة مقاسم بأبواب والى خلجان تسقى ضياعا كثيرة منها *(خليج تدود)* فيه عين حلوة فاذا اسد هذا الخليج سقى منها أراضى ماجاورها وظهرت هذه العين لما عدم الماء وحفر هذا الموضع ليعمل بئرا فظهرت منه هذه العين فاكتفى بها ثم ينتهى الخليج الاعظم الى خلجان بها شاذروانات ومقاسم قديمة بوسفية وبها أبواب بوسفية بها رسوم فى السد والفتح يشرب منها ضياع كثيرة ورسم الترع أن يسد جميعها على استقبال عشرة ايام تخلو من هاتور الى سلخه وتفتح على استقبال كيهك مدة عشرين يوما وتسد لعشر تبقى منه الى الغطاس وتفتح يوم الغطاس الى سلخ طوبة وتسد على استقبال امشير عشرين يوما ثم تفتح لعشر تبقى منه الى عشرين من برمهات وتفتح عشرة ايام تخلو من برمودة ثم تعدل فيهم بعمارتها ولهم فى التعديل قسم تعطى منه كل ناحية شربها بالعدل بقوانين معروفة عندهم وقد اختصرت أسماء الضياع التى ذكرها لخراب اكثرها الآن والله أعلم

(ذكر فتح الفيوم ومبلغ خراجها ومافيها من المرافق)

قال ابن عبد الحكم فلما تم الفتح للمسلمين بعث عمرو بن العاص جرائد الخيل الى القرى التى حولها فأقامت الفيوم سنة لايعلم المسلمون بمكانها حتى أتاهم رجل فذكرها لهم فأرسل عمرو معه ربيعة بن حبيش بن عرفطة الصدفى فلما سلكوا فى المجابة لم يروا شيأ فهموا بالانصراف فقالوا لا تعجلوا سيروا فان كان قد كذب فما أقدركم على ماأردتم فلم يسيروا الا قليلا حتى طلع لهم سواد الفيوم فهجموا عليها فلم يكن عندهم قتال وألقوا بأيديهم قال ويقال بل خرج مالك بن ناعمة الصدفى وهو صاحب الاشقر على فرسه ينفض المجابة ولا علم له بما خلفها من الفيوم فلما رأى سوادها رجع الى عمرو فأخبره بذلك قال ويقال بل بعث عمرو بن العاص قيس بن الحارث الى الصعيد فسار حتى أتى القيس فنزل بها وبه سميت القيس فراث على عمرو خبره فقال ربيعة بن حبيش كفيت فركب فرسه فأجاز عليه البحر وكانت انثى فأتاه بالخبر ويقال انه أجاز من ناحية الشرقية حتى انتهى الى الفيوم وكان يقال لفرسه الاعمى والله أعلم * وقال ابن الكندى فى كتاب فضائل مصر ومنها كورة الفيوم وهى ثلثمائة وستون قرية دبرت على عدد ايام السنة لاتنقص عن الرى فان قصر النيل فى سنة من السنين مار بلد مصر كل يوم قرية وليس فى الدنيا مابنى بالوحى غير هذه الكورة ولا بالدنيا بلد أنفس منه ولا احصب ولا اكثر خيرا ولا أغزر أنهارا ولو قايسنا بأنهار الفيوم أنهار البصرة ودمشق لكان لنا بذلك الفضل ولقد عد جماعة من أهل العقل والمعرفة مرافق الفيوم وخيرها فاذا هى لا تحصى فتركوا ذلك وعدوا مافيها من المباح مما ليس عليه ملك لاحد من مسلم ولا معاهد يستعين به القوى والضعيف فاذا هو فوق السبعين صنفا * وقال ابن زولاق فى كتاب الدلائل على امراء مصر للكندى وعقدت لكافور الاخشيدى الفيوم فى هذه السنة يعنى سنة ست وخمسين وثلثمائة ستمائة ألف دينار ونيفا وعشرين ألف دينار * وقال القاضى الفاضل

فى كتاب متجددات الحوادث ومن خطه نقلت ان الفيوم بلغت فى سنة خمس وثمانين وخمسمائة مبلغ مائة ألف واثنين وخمسين ألف دينار وسبعمائة وثلاثة دنانير وقال البكرى والفيوم معروف هنالك بغل فى كل يوم ألفى مثقال ذهبا

*(مدينة النحريرية)

كانت أرضا مقطعة لعشرة من أجناد الحلقة من جملتهم شمس الدين سنقر السعدى فأخذ قطعة من أراضى زراعتها وجعلها اصطبلا لدوابه وخيله فشكاه شركاؤه الى السلطان الملك المنصور قلاون فسأله عن ذلك فقال اريد أن أجعله جامعا تقام فيه الخطبة فأذن له السلطان فى ذلك فابتدأ عمارته فى اخريات سنة ثلاث وثمانين وستمائة حتى كمل فى سنة خمس وثمانين فعمل له السلطان منبرا واقيمت به الجمعة واستمرت الى يومنا هذا وانشأ السعدى حوانيت حول الجامع فلم تزل بيده حتى مات وورثها ابناه عزالدين خليل وركن الدين عمر فباعاها بعد مدة للامير شيخو العمرى فجعلها مما وقفه على الخانكاه والجامع اللذين انشأهما بخط صليبة جامع ابن طولون خارج القاهرة فعمرت هذه الارض بعمارة الجامع وسكنها الناس فصارت مدينة من مدائن أراضى مصر بحيث بلغت اموال القرازين فيها وترقى سنقر السعدى فى الخدم حتى صار من الامراء وولى نقيب المماليك السلطانية وأنشأ المدرسة السعدية خارج القاهرة قريبا من حدرة البقر فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل فى سنة خمس عشرة وسبعمائة وبنى أيضا رباطا للنساء وكان شديد الرغبة فى العمائر محبا للزراعة كثير المال ظاهر الغنى ثم انه اخرج الى طرابلس وبها مات سنة ثمان وعشرين وسبعمائة

(ذكر تاريخ الخليقة)

اعلم انه لما كانت الحوادث لابد من ضبطها وكان لا يضبط ما بين العصور وبين ازمنة الحوادث الا بالتاريخ المستعمل العام الذى لا ينكره الجماعة او اكثرها وذلك أن التاريخ المجمع عليه لا يكون الا من حادث عظيم يملأ ذكره الاسماع وكانت زيادة ماء النيل ونقصانه انما يعتبرهما أهل مصر ويحسبون أيامهما بأشهر القبط وكذلك خراج أراضى مصر انما يحسبون اوقاته بذلك وهكذا زراعات الاراضى انما يعتمدون فى اوقاتها أيام الاشهر القبطية عادة وسلكوا فيها سبيل اسلافهم واقتفوا مناهج قدمائهم ومابرح الناس من قديم الدهر أسراء العوايد احتيج فى هذا الكتاب الى ايراد جملة من تاريخ الخليقة لتعيين موقع تاريخ القبط منها فان بذكر ذلك يتم الغرض فأقول التاريخ عبارة عن يوم ينسب اليه ما يأتى بعده ويقال أيضا التاريخ عبارة عن مدة معلومة تعد من اول زمن مفروض لتعرف بها الاوقات المحدودة ولا غنى عن التاريخ فى جميع الاحوال الدنيوية والامور الدينية ولكل امة من امم البشر تاريخ تحتاج اليه فى معاملاتها وفى معرفة أزمنتها تنفرد به دون غيرها من بقية الامم وأول الاوائل القديمة وأشهرها هو كون مبدأ البشر ولاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس فى كيفيته وسياقة التاريخ منه خلاف لا يجوز مثله فى التواريخ وكل ما تتعلق معرفته ببدء الخلق وأحوال القرون السالفة فانه مختلط بتزويرات وأساطير لبعد العهد وعجز المعتنى به عن حفظه وقد قال الله سبحانه وتعالى ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله فالاولى أن لا يقبل من ذلك الا ما يشهد به كتاب أنزل من عند الله يعتمد على صحته لم يرد فيه نسخ ولا طرقه تبديل أو خبر ينقله الثقات واذا نظرنا فى التاريخ وجدنا فيه بين الامم خلافا كثيرا وسأتلو عليك من ذلك ما لا اظنك تجده مجموعا فى كتاب واقدم بين يدى هذا القول ما قيل فى مدة بقاء الدنيا

(ذكر ما قيل فى مدة ايام الدنيا ماضيها وباقيها)

اعلم أن الناس قد اختلفوا قديما وحديثا فى هذه المسألة فقال قوم من القدماء الاول بالاكوار والادوار وهم الدهرية وهؤلاء هم القائلون بعود العوالم كلها على ما كانت عليه بعد ألوف من السنين معدودة وهم فى ذلك غالطون من جهة طول أدوار النجوم وذلك أنهم وجدوا قوما من الهند والفرس قد عملوا أدوار النجوم ليصححوا بها فى كل وقت مواضع الكواكب فظنوا أن العدد المشترك لجميعها هو عدد سنى العالم أو أيام العالم وانه كلما مضى

ذلك العدد عادت الاشياء الى حالها الاول وقد وقع فى هذا الظن ناس كثير مثل ابى معشر وغيره وتبع هؤلاء خلق وانت تقف على فساد هذا الظن ان كنت تخبر من العدد شيأ وذلك انك اذا طلبت عدداً مشتركا بعده أعداد معلومة فانك تقدر أن تضع لكل زيج أياما معلومة كالذى وضعه الهند والفرس فهؤلاء حيث جهلوا صورة الحال فى هذه الادوار ظنوا انها عدد أيام العالم فتفطن ترشد وعند هؤلاء أن الدور هو أخذ الكواكب من نقطة وهى سائرة حتى تعود الى تلك النقطة وأن الكور هو استئناف الكواكب فى ادوارها سيرا آخر الى أن تعود الى مواضعها مرة بعد اخرى وزعم اهل هذه المقالة أن الادوار منحصرة فى أنواع خمسة * الاول أدوار الكواكب السيارة فى أفلاك تداويرها * الثانى أدوار مراكز أفلاك التداوير فى أفلاكها الحاملة * الثالث أدوار أفلاكها الحالة فى فلك البروج * الرابع أدوار الكواكب الثابتة فى فلك البروج * الخامس ادوار الفلك المحيط بالكل حول الاركان الاربعة وهذه الادوار المذكورة منها ما يكون فى كل زمان طويل مرة واحدة ومنها ما يكون فى كل زمان قصير مرة واحدة فأقصر هذه الادوار أدوار الفلك المحيط بالكل حول الاركان الاربعة فانه يدور فى كل أربع وعشرين ساعة دورة واحدة وباقى الادوار يكون فى أزمنة اخر أطول من هذه لاحاجة بنا فى هذه المسألة الى ذكرها قالوا وأدوار الكواكب الثابتة فى فلك البروج تكون فى كل ستة وثلاثين ألف سنة شمسية مرة واحدة وحينئذ تنتقل اوجات الكواكب وجوزهراتها الى مواضع حضيضها ونوبهراتها وبالعكس فيوجب ذلك عندهم عود العوالم كلها الى ما كانت عليه من الاحوال فى الزمان والمكان والاشخاص والاوضاع بحيث لا يخالف ذرة واحدة وهم مع ذلك مختلفون فى كمية ما مضى من ايام العالم وما بقى فقال البراهمة من الهند فى ذلك قولا غريبا وهو ما حكاه عنهم الاستاذ ابو الريحان محمد بن احمد البيرونى فى كتاب القانون المسعودى انهم يسمون الطبيعة باسم ملك يقال له براهيم ويزعمون انه محدث محصور الموت بين مبدأ وانتهاء عمره كعمرها مائة سنة برهموية كل سنة منها ثلثمائة وستون يوما زمان النهار منها بقدر مدة دوران الافلاك والكواكب لاثارة الكون والفساد وهذه المدة بقدر ما بين كل اجتماعين للكواكب السبعة فى اول برج الحمل باوجاتها وجوزهراتها ومقدارها أربعة آلاف ألف سنة وثلثمائة ألف ألف سنة وعشرون ألف ألف سنة شمسية وهو زمان اثنى عشر ألف دورة للكواكب الثابتة على أن زمان الدورة الواحدة ثلثمائة ألف سنة وستون ألف سنة شمسية واسم هذا النهار بلغتهم الكلبة وزمان الليل عندهم كزمان النهار وفى الليل تسكن المتحركات وتستريح الطبيعة من اثارة الكون والفساد ثم يثور فى مبدأ اليوم الثانى بالحركة والتكوين فيكون زمان اليوم بليلته من سنى الناس ثمانية آلاف ألف سنة وستمائة ألف ألف سنة وأربعين ألف ألف سنة فاذا ضربنا ذلك فى ثلثمائة وستين تبلغ سنو أيام السنة البرهموية ثلاثة آلاف ألف ألف ألف سنة وعشرة آلاف ألف ألف سنة وأربعمائة ألف ألف سنة شمسية فاذا ضربناها فى مائة يبلغ عمر الملك الطبيعى البرهموى من سنى الناس ثلثمائة الف الف الف الف سنة وأحد عشر الف الف الف سنة واربعين الف الف سنة شمسية فاذا تمت هذه السنون بطل العالم عن الحركة والتكوين ماشاء الله ثم يستأنف من جديد على الوضع المذكور وقسموا زمان النهار المذكور الى تسع وعشرين قطعة سموا كل أربع عشرة قطعة منها نوبا وسموا الخمس عشرة قطعة الباقية فصولا وجعلوا كل نوبة محصورة بين فصلين وكل فصل محصورا بين نوبتين وقدموا زمان الفصل على النوبة الى تمام المدة وزمان الفصل هو خمسا الدور والدور جزء من ألف جزء من المدة فاذا قسمنا المدة على ألف تحصل زمان الدور أربعة آلاف الف سنة وثلثمائة ألف سنة وعشرين الف سنة وخمساه اعنى زمان الفصل الف الف سنة وسبعمائة الف سنة وثمانية وعشرون ألف سنة وزمان النوبة عندهم احد وسبعون دورا مقدارها من السنين ثلثمائة ألف ألف سنة وستة آلاف الف سنة وسبعمائة ألف سنة وعشرون ألف سنة وقد قسموا الدور أيضا بأربع قطع اولها أعظمها وهى مدة الفصل المذكور وثانيها ثلاثة ارباع الفصل ومدتها ألف ألف سنة ومائتا ألف سنة وستة وتسعون ألف سنة وثالثها نصف الفصل ومدته ثمانمائة ألف سنة وأربعة وستون ألف سنة ورابعها ربع الفصل وهو عشر الدور المذكور ومدته أربعمائة ألف سنة واثنان وثلاثون ألف سنة ولكل واحد من هذه القطع الاربع اسم يعرف به فاسم القطعة الرابعة عندهم كلكال لانهم يزعمون انهم فى زمانها وان الذى مضى من عمر الملك

الطبيعى على زعم حكيمهم الاعظم المسمى عندهم برهمكوت ثمان سنين وخمسة اشهر وأربعة ايام ونحن الآن فى نهار اليوم الخامس من الشهر السادس من السنة التاسعة ومضى من النهار الخامس ست نوب وسبعة فصول وسبعة وعشرون دورا من النوبة السابعة وثلاث قطع من الدور المذكور أعنى تسعة اعشاره ومضى من القطعة الرابعة أعنى من اول كلكال الى هلالة شككال عظيم ملوكهم الواقع فى آخر سنة ثمان وثمانين وثلثمائة للاسكندر ثلاثة آلاف سنة ومائة سنة وتسع وسبعون سنة وقال انما عرفنا هذا الزمان من علم الهى وقع الينا من عظماء انبيائنا المتألهين برواياتهم جيلا بعد جيل على ممر الدهور والازمان وزعموا أن فى مبدأ كل دور أو فصل أو قطعة أو نوبة تتجدد أزمنة العوالم وتنتقل من حال الى حال وأن الماضى من اول كلكال الى شككال ثلاثة آلاف ومائة وتسع وسبعون سنة والماضى من النهار المذكور الى آخر سنة ثمان وثمانين وثلثمائة للاسكندر ألف ألف الف سنة وتسعمائة ألف ألف سنة واثنان وسبعون ألف ألف سنة وتسعمائة ألف سنة وسبعة وأربعون ألف سنة ومائة سنة وسبع وسبعون سنة فيكون الماضى من عمر الملك الطبيعى الى آخر هذه السنة ستة وعشرين ألف ألف ألف الف سنة وثلثمائة ألف ألف ألف سنة وخمسة عشر ألف ألف ألف سنة وسبعمائة ألف الف سنة واثنين وثلاثين ألف ألف سنة وتسعمائة ألف سنة وسبعة وأربعين ألف سنة ومائة سنة وتسعا وسبعين سنة فاذا زدنا عليها الباقى من تاريخ الاسكندر بعد نقصان السنين المذكورة منه تحصل الماضى من عمر الملك بالوقت المفروض والله أعلم بحقيقة ذلك وقال الخطا والايغر فى ذلك قولا أعجب من قول الهند وأغرب على مانقلته من زيج أدوار الانوار وقد تخلص هذا القول من كتب أهل الصين وذلك انهم جعلوا مبادى سنيهم مبنية على ثلاثة أدوار الاول يعرف بالعشرى مدته عشر سنين لكل سنة منها اسم يعرف به والثانى يعرف بالدور الاثنى عشرى وهو أشهرها خصوصا فى بلاد الترك يسمون سنيه بأسماء حيوانات بلغتى الخطا والايغر والثالث مركب من الدورين جميعا ومدته ستون سنة وبه يؤرخون سنى العالم وأيامه ويقوم عندهم مقام ايام الاسبوع عند العرب وغيرها واسم كل سنة منها مركب من اسميها فى الدورين جميعا وكذلك كل يوم من أيام السنة ولهذا الدور ثلاثة أسماء وهى شانكون وجونكون وخاون ويصير بحسبها مرة أعظم ومرة اوسط ومرة أصغر فيقال دور شانكون الاعظم ودور جونكون الاوسط ودور خاون الاصغر وبهذه الادوار يعتبرون سنى العالم وأيامه وجملتها مائة وثمانون سنة ثم تدور الادوار الثلاثة عليها مرة أخرى واتفق وقوع مبدأ الدور الاعظم فى الشهر الاول من سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ليزدجرد واسمها بلغتهم كادره وبلغة العرب سنة الفار وكان دخول اول فروردين هذه السنة من سنى العرب يوم الخميس وهو بلغتهم سن جن ومن هذا اليوم وعلى هذا التاريخ تترتب مبادى سنيهم وأيامهم فى الماضى والمستقبل وشهورهم اثنا عشر شهرا لكل شهر منها اسم بلغة الخطا وبلغة الايغر لاحاجة بنا هنا الى ذكرها ويقسمون اليوم الاول بليلته اثنى عشر قسما كل قسم منها يقال له جاغ وكل جاغ ثمانية أقسام كل قسم منها يقال له كه ويقسمون اليوم بليلته أيضا عشرة آلاف فنك وكل فنك منها مائة مياو فيصيب كل جاغ ثمانمائة وثلاثة وثلاثين فنكا وثلث فنك وكل كه مائة وأربعة أفنالك وسدس فنك وينسبون كل جاغ الى صورة من الصور الاثنى عشرة ومبدأ اليوم بليلته عندهم من نصف الليل وفى منتصف جاغ كسكو يتغير أول النهار وآخره بحسب الطول والقصر من قبل أن كل جاغ ساعتان مستويتان وفى منتصف النهار منتصف جاغ يوند وهم يكبسون فى كل ثلاث سنين قمرية شهرا واحدا يسمونه سيون ليحفظوا بالكبس مبادى سنى الشمس فى زمان واحد من سنة اخرى ويكبسون احد عشر شهرا فى كل ثلاثين سنة قمرية ولا يقع عندهم شهر الكبس فى موضع واحد بعينه من السنة بل يقع فى كل موضع منها وكل شهر عدة ايامه اما ثلاثون يوما او تسعة وعشرون يوما ولا يمكن عندهم اكثر من ثلاثة أشهر متوالية تامة ولا اكثر من شهرين ناقصين ومبادى شهورهم يوم الاجتماع ان وقع اجتماع النيرين نهارا فان وقع الاجتماع ليلا كان اول الشهر فى اليوم الذى بعد الاجتماع وزمان السنة الشمسية بحسب ارصادهم ثلثمائة وخمسة وستون يوما وألفان وأربعمائة وستة وثلاثون فنكا والسنة أربعة وعشرون قسما كل قسم منها خمسة عشر يوما وألفان ومائة وأربعة وثمانون فنكا وخمسة اسداس فنك ولكل قسم من هذه الاقسام اسم وكل ستة أقسام منها فصل من فصول السنة فاسم اول قسم من فصولها الحن واوله أبدا حيث تكون الشمس فى ست عشرة درجة من

برج الدلو وهكذا اوائل كل فصل انما تكون فى حدود اواسط البروج الثابتة وكان بعد مدخل الحن من اول الدور الستينى فى السنة المذكورة احد عشر يوما وسبعة آلاف وستمائة وستين فنكا واسم مدخله بى خاين وكان بعد دخول السنة الفارسية المذكورة بنحو عشرين يوما ويبعد مدخله عن اول الدور فى كل سنة بقدر فضل سنة الشمس على سنة الدور وهو خمسة ايام وأربعة وعشرون فنكا فان زادت الايام على ستين يوما كان الباقى بعد الحن فى تلك السنة عن اول الدور الستينى ويتفاضل البعد بينهما فى كل سنة بقدر فضل سنة الشمس على سنة القمر التى هى ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وثلاثة آلاف وستمائة واثنان وسبعون فنكا ومقدار الفضل بينهما عشرة ايام وثمانية آلاف وسبعمائة وأربعة وستون فنكا فان زادت الايام على زمان الشهر القمرى الاوسط الذى هو تسعة وعشرون يوما وخمسة آلاف وثمانمائة وستة افنالث نقص منها هذا العدد واحتسب بالباقى فاذا عرفت هذا من حسابهم فاعلم أن عمر العالم عندهم ثلثمائة ألف ون وستون الف ون كل ون عشرة آلاف سنة مضى من ذلك الى اول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ليزدجرد وهى دور شانكون الاعظم ثمانية آلاف ون وثمانمائة ون وثلاثة وستون ونا وتسعة آلاف وسبعمائة وأربعون سنة فتكون المدة العظمى على هذا ثلاثة آلاف ألف ألف ألف ألف سنة وستمائة ألف ألف ألف ألف سنة بهذه الصورة ٣٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠ والماضى منها الى السنة المذكورة ثمانية وثمانون ألف ألف سنة وستمائة ألف سنة وتسعة وثلاثون ألف سنة وسبعمائة سنة وأربعون سنة بهذه الصورة ٨٨٦٣٩٧٤٠ ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله وانما ذكرت طرفا من حساب سنى البراهمة وطرفا من حساب سنى الخطا والايغر المستخرج من حساب الصين ليعلم المنصف أن ذلك لم يضعه حكماؤهم عبثا ولا مرتا جدع قصير انفه وكم من جاهل بالتعاليم اذا سمع اقوالهم فى مدة سنى العالم يبادر الى تكذيبهم من غير علم بدليلهم عليه وطريق الحق أن يتوقف فيما لا يعلمه حتى يتبين أحد طرفيه فيرجحه على الآخر والله يعلم وأنتم لا تعلمون * وقال أصحاب السندهند ومعناه الدهر الداهر ان الكواكب وأوجاتها وجوزهراتها تجتمع كلها فى اول برج الحمل عند كل أربعة آلاف ألف ألف سنة وثلثمائة ألف الف سنة وعشرين ألف ألف سنة شمسية وهذه مدة سنى العالم قالوا واذا اجتمعت برأس الحمل فسدت المكونات الثلاث التى يحوى بها عالم الكون والفساد المعبر عنه بالحياة الدنيا وهذه المكونات هى المعدن والنبات والحيوان فاذا فسدت بقى العالم السفلى خرابا دهرا طويلا الى أن تتفرق الكواكب والاوجات والجوزهرات فى بروج الفلك فاذا تفرقت فيها بدأ الكون بعد الفساد فعادت احوال العالم السفلى الى الامر الاول وهذا يكون عودا بعد بدء الى غير نهاية قالوا ولكل واحد من الكواكب والاوجات والجوزهرات عدة أدوار فى هذه المدة يدل كل دور منها على شئ من المكونات كما هو مذكور فى كتبهم مما لا حاجة بنا هنا الى ذكره وهذا القول منتزع من قول البراهمة الذى تقدم ذكره * وقال اصحاب الهازروان من قدماء الهند ان كل ثلثمائة ألف سنة وستين ألف سنة شمسية يهلك العالم بأسره ويبقى مثل هذه المدة ثم يعود بعينه ويعقبه البدل وهكذا ابدا يكون الحال لا الى نهاية قالوا ومضى من ايام العالم المذكورة الى طوفان نوح عليه السلام مائة ألف وثمانون ألف سنة شمسية ومضى من الطوفان الى سنة الهجرة المحمدية ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاث وعشرون سنة وأربعة اشهر وأيام وبقى من سنى العالم حتى يبتدئ ويفنى مائة ألف وبضع وسبعون ألف سنة شمسية اولها تاريخ الهجرة الذى يؤرخ به اهل الاسلام * وقال اصحاب الازجهير مدة العالم التى تجتمع فيها الكواكب برأس الحمل هى وأوجاتها وجوزهراتها جزء من الف جزء من مدة السندهند وهذا أيضا منتزع من قول البراهمة * وقال ابو معشر وابن نوبخت ان بعض الفرس يرى أن عمر الدنيا اثنا عشر الف سنة بعدة البروج لكل برج ألف سنة فكان ابتداء أمر الدنيا فى اول الف الحمل لان الحمل والثور والجوزاء تسمى أشرف الشرف وينسب الى الحمل الفصل وفيها تكون الشمس فى شرفها وعلوها وطول نهارها ولذلك الدنيا كانت الى ثلاثة آلاف سنة علوية روحانية طاهرة ولان السرطان والاسد والسنبلة منتقصة فان الشمس تنحط من علوها فى اول دقيقة من السرطان وكان قدر الدنيا وأبنائها منحطا فى الثلاثة آلاف الثانية ولان الميزان اهبط الهبوط وبئر الآبار وضد البرج الذى فيه شرف الشمس دل على انه اصابت الدنيا واكتسب اهلها المعصية والميزان والعقرب والقوس اذا نزلتها الشمس لم تزدد الا انحطاطا والايام الا انقصانا

فلذلك دلت على البلايا والضيق والشدة والشر وحيث تبلغ الآلاف الى اول الجدى الذى فيه اوّل ارتفاع الشمس واشرافها على شرفها وفيه تزداد الايام طولا والدلو والحوت اللذان تزداد الشمس فيهما صعودا حتى تصل لشرفها فيدل على ظهور الخير وضعف الشرّ وثبات الدين والعقل والعمل بالحق والعدل ومعرفة فضل العلم والادب فى تلك الثلاثة الآلاف سنة وما يكون فى ذلك فعلى قدر صاحب الالف والمائة والعشرة وعلى حسب اتفاق الكواكب فى اول سلطان صاحب الالف فلا يزال ذلك فى زيادة حتى يعود أمر الدنيا فى آخرها الى مثل ما كان عليه ابتداؤها وهى فى ألف الحمل وكلما تقارب آخر كل ألف من هذه الالوف اشتد الزمان وكثرت البلايا لانّ اواخر البرج فى حدود النحوس وكذلك فى آخر المئين والعشرات فعلى هذا الانقضاء للدنيا اذا كان الزمان يعود الى الحمل كما بدا أول مرّة وزعموا أن ابتداء الخلق بالتحرك كان والشمس فى ابتداء المسير فدار الفلك وجرت المياه وهبت الرياح واتقدت النيران وتحرك سائر الخلائق بما هم عليه من خير وشرّ والطالع تلك الساعة تسع عشرة درجة من برج السرطان وفيه المشترى وفى البيت الرابع الذى هو بيت العافية وهو برج الميزان زحل وكان الذنب فى القوس والمرّيخ والجدى والزهرة وعطارد فى الحوت ووسط السماء برج الحمل وفى اوّل دقيقة منه الشمس وكان القمر فى الثور وفى بيت السعادة وكان الرأس فى برج الجوزاء وهو بيت الشقاء وفى تلك الدقيقة من الساعة كان استقبال أمر الدنيا فكان خيرها وشرّها وانحطاطها وارتفاعها وسائر ما فيها على قدر مجارى البروج والنجوم وولاية اصحاب الالوف وغير ذلك من احوالها ولانّ المشترى كان فى السرطان فى شرفه وزحل فى الميزان فى شرفه والمرّيخ والشمس والقمر فى اشرافها دلت على كائنة جليلة فكان نشو العالم وانبرز زحل فتولى الالف هو والميزان وكان المشترى فى الطالع مقبولا وكذلك جميع الكواكب كانت مقبولة فدل على نماء العالم وحسن نشوه وكان زحل هو المستولى والعالى فى الفلك والبرج طويل المطالع فطالت أعمار تلك الالف وقويت أبدانهم وكثرت مياههم وكون الميزان تحت الارض دل على خفاء اوّل حدوث العالم وعلى أنّ أهل ذلك الزمان ينظرون فى عمارة الارضين وتشييد البنيان ثم ولى الالف الثانى العقرب والمريخ وكان فى الطالع المرّيخ فدل على القتل فى ذلك الالف وسفك الدماء والسبى والظلم والجور والخوف والهمّ والاحزان والفساد وجور الملوك وولى الالف الثالث القوس وشاركه عطارد والزهرة بطلوعهما وكان الذنب فى القوس فدل المشترى على النجدة فى تلك الالف والشدّة والجلد والبأس والرياسة والعدل وتقسيم الملوك الدنيا وسفك الدماء بسبب ذلك ودلت الزهرة على ظهور بيوت العبادة وعلى الانبياء ودل عطارد على ظهور العقل والادب والكلام وكون البرج مجسدا دل على انقلاب الخير والشرّ فى تلك الالف مرّات وعلى ظهور ألوان من آيات الحق والعدل والجور ثم ولى الالف الرابع الجدى وكان فيه المرّيخ فدل على ما كان فى تلك الالف من اهراق الدماء ودلت الشمس على ظهور الخير والعلم ومعرفة الله تعالى وعبادته وطاعته وطاعة انبيائه والرغبة فى الدين مع الشجاعة والجلد وكون البرج منقلبا هو والبرج الذى فيه الشمس دل على انقلاب ذلك فى آخرها وظهور الشرّ والتفرّق والقسم والقتل وسفك الدماء والغصب فى أصناف كثيرة وتحوّل ذلك وتلوّنه وكون الجدى منحطا دل على أنه يظهر فى آخر تلك الالف الحسن الشبيه بصفة زحل والمريخ وانقطاع العظماء والحكماء وبوارهم وارتفاع السفلة وخراب العامر وعمارة الخراب وكثرة تلوّن الاشياء وولى الالف الخامس الدلو بطلوع القمر وكان القمر فى الثور فدل الدلو لبرودته وعسره على سقوط العظماء وعطلة امرهم وارتفاع السفلة والعبيد ومحمدة البخلاء وظهور الجيش الاسود والسواد وعلى كثرة التفتيش والتفكر وظهور الكلام فى الاديان ومحبة الخصومات وكون القمر فى شرفه يدل على قهر الملوك وظهور ولاة الحق ونفاذ الخير وظهور بيوت العبادة والكف عن الدماء والراحة والسعادة فى العامة وثبات ما يكون من العدل والخير وطول المدّة فيه وكون البرج مائيا يدل على كثرة الامطار والغرق وآفة من البرد يهلك فيها الكثير ويلى الالف السادس برج الحوت بطلوع المشترى والرأس فيدل على المحمدة فى الناس عامة وعلى الصلاح والخير والسرور وذهاب الشرّ وحسن العيش ولكل واحد من الكواكب ولاية ألف سنة فصار عطارد خاتما فى برج السنبلة وزعم ابن نوبخت أنّ من يوم سارت الشمس الى تمام خمس وعشرين من ملك انوشروان ثلاثة آلاف وثمانمائة وسبع وستون سنة وذلك فى ألف الجدى وتدبير الشمس ومنه

الى

الى اليوم الاول من الهجرة سبع وثمانون سنة شمسية وستة وعشرون يوما ومن الهجرة الى قيام يزدجرد تسع سنين وثلثمائة وسبعة وثلاثون يوما فذلك الجميع الى أن قام يزدجرد ثلاثة آلاف وتسعمائة وست وستون سنة * وقال ابو معشر وزعم قوم من الفرس أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة بعدة الكواكب السبعة * وزعم ابو معشر أن عمر الدنيا ثلثمائة ألف سنة وستون ألف سنة وأن الطوفان كان فى النصف من ذلك على رأس مائة ألف وثمانين ألف سنة * وقال قوم عمر الدنيا تسعة آلاف سنة لكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة ألف سنة وللرأس ألف سنة وللذنب ألف سنة وشرها ألف الذنب وان الاعمار طالت فى تدبير آلاف الثلاثة العلوية وقصرت فى آلاف الكواكب السفلية وقال قوم عمر الدنيا تسعة عشر ألف سنة بعدد البروج الاثنى عشر لكل برج ألف سنة وبعدد الكواكب السبعة السيارة لكل كوكب ألف سنة وقال قوم عمر الدنيا احد وعشرون ألف سنة بزيادة ألف للرأس وألف للذنب وقال قوم عمر الدنيا ثمانية وسبعون ألف سنة فى تدبير برج الحمل اثناعشر ألف سنة وفى تدبير برج الثور احد عشر ألف سنة وفى تدبير الجوزاء عشرة آلاف سنة فكانت الاعمار فى هذا الربع اطول والزمان أجد ثم تدبير الربع الثانى مدة أربعة وعشرين ألف سنة فتكون الاعمار دون ما كانت فى الربع الاول وتدبير الربع الثالث خمسة عشر ألف سنة وتدبير الربع الرابع ستة آلاف سنة وقال قوم كانت المدة من آدم الى الطوفان الفين وثمانين سنة واربعة اشهر وخمسة عشر يوما ومن الطوفان الى ابراهيم عليه السلام تسعمائة واثنين وأربعين سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما فذلك ثلاثة آلاف ومائتان وثلاث وعشرون سنة وقال قوم من اليهود عمر الدنيا سبعون ألف سنة منحصرة فى ألف جيل ولفقوا ذلك من قول موسى عليه السلام فى صلاته ان الجيل سبعون سنة ومن قوله فى الزبور ان ابراهيم عليه السلام قطع معه الله تعالى عهد البقاء البشر ألف جيل فجاء من ذلك أن مدة الدنيا سبعون ألف سنة واستظهروا لقولهم هذا بما فى التوراة من قوله واعلم أن الله الهك هو القادر المهيمن الحافظ العهد والفضل لمحبيه وحافظى وصاياه لالف جيل * وذكر ابو الحسن على بن الحسين المسعودى فى كتاب أخبار الزمان عن الاوائل انهم قالوا كان فى الارض ثمان وعشرون امة ذات ارواح وأيد وبطش وصور مختلفات بعدد منازل القمر لكل منزلة امة منفردة تعرف بها تلك الامة ويزعمون أن تلك الامم كانت الكواكب الثابتة تدبرها وكانوا يعبدونها ويقال لما خلق الله تعالى البروج الاثنى عشر قسم دوامها فى سلطانها فجعل للحمل اثنى عشر ألف عام وللثور أحد عشر ألف عام وللجوزاء عشرة آلاف عام وللسرطان تسعة آلاف عام وللاسد ثمانية آلاف عام وللسنبلة سبعة آلاف عام وللميزان ستة آلاف عام وللعقرب خمسة آلاف عام وللقوس أربعة آلاف عام وللجدى ثلاثة آلاف عام وللدلو ألفى عام وللحوت ألف عام فصار الجميع ثمانية وسبعين ألف عام فلم يكن فى عالم الحمل والثور والجوزاء حيوان وذلك ثلاثة وثلاثون ألف عام فلما كان عالم السرطان تكونت دواب الماء وهوام الارض فلما كان عالم الاسد تكونت ذوات الاربع من الوحش والبهائم وذلك بعد تسعة آلاف عام من خلق دواب الماء والهوام فلما كان عالم السنبلة تكون الانسانان الاولان وهما أدمانوس وحنوانوس وذلك لتمام سبعة عشر ألف عام لخلق دواب الماء وهوام الارض ولتمام ثمانية آلاف عام من خلق ذوات الاربع وخلقت الارض فى عالم الميزان ويقال بل خلقت الارض اولا وأقامت خالية ثلاثة وثلاثين ألف عام ليس فيها حيوان ولا عالم روحانى ثم خلق الله تعالى هوام الماء ودواب الارض وما بعد ذلك على ما تقدم ذكره فلما تم أربعة وعشرون ألف عام لخلق دواب الماء وهوام الارض ولتمام خمسة عشر ألف عام من خلق ذوات الاربع ولتتمة سبعة آلاف عام من لدن تكون الانسانين خلقت الطيور ويقال ان مدة مقام الانسانين ونسلهما فى الارض مائة ألف وثلاثة وثلاثون ألف عام منها لزحل ستة وخمسون ألف عام وللمشترى أربعة وأربعون ألف عام وللمريخ ثلاثة وثلاثون ألف عام ويقال ان الامم المخلوقات قبل آدم هى كانت الجبلة الاولى وهى ثمان وعشرون امة بازاء منازل القمر خلقت من امزجة مختلفة اصلها الماء والهواء والارض والنار فتباين خلقها فمنها امة خلقت طوالا زرقا ذوات اجنحة كلامهم قرقعة على صفة الاسود ومنها امة أبدانهم أبدان الاسود ورؤسهم رؤس الطير لهم شعور وآذان طوال وكلامهم دوى ومنها امة لها وجهان وجه أمامها ووجه خلفها ولها أرجل كثيرة وكلامهم

كلام الطير ومنها امة ضعيفة فى صور الكلاب لها أذناب وكلامهم همهمة لا يعرف ومنها امة تشبه بنى آدم أفواههم فى صدورهم يصفرون اذا تكلموا تصفيرا ومنها امة يشبهون نصف انسان لهم عين واحدة ورجل يقفزون بها قفزا ويصيحون كصياح الطير ومنها امة لها وجوه كوجوه الناس وأصلاب كأصلاب السلاحف فى رؤسهم قرون طوال لا يفهم كلامهم ومنها امة مدورة الوجوه لهم شعور بيض وأذناب كأذناب البقر ورؤسهم فى صدورهم لهم شعور وثدى وهم اناث كلهن ليس فيهن ذكر يلقحن من الريح ويلدن امثالهن ولهن اصوات مطربة يجتمع اليهن كثير من هذه الامم لحسن اصواتهن ومنها امة على خلق بنى آدم سود وجوههم ورؤسهم كرؤس الغربان ومنها امة فى خلق الهوام والحشرات الا انها عظيمة الاجسام تأكل وتشرب مثل الانعام ومنها امة كوجوه دواب البحر لها أنياب كأنياب الخنازير وآذان طوال ويقال ان هذه الثمانية والعشرين امة تناكحت فصارت مائة وعشرين امة * وسئل أمير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه هل كان فى الارض خلق قبل آدم يعبدون الله تعالى فقال نعم خلق الله الارض وخلق فيها الجن يسبحون الله ويقدسونه لا يفترون وكانوا يطيرون الى السماء ويلقون الملائكة ويسلمون عليهم ويستعلمون منهم خبر ما فى السماء ثم ان طائفة منهم تمردت وعتت عن أمر ربها وبغت فى الارض بغير الحق وعدا بعضهم على بعض وجحدوا الربوبية وكفروا بالله وعبدوا ماسواه وتغايروا على الملك حتى سفكوا الدماء وأظهروا فى الارض الفساد وكثر تقاتلهم وعلا بعضهم على بعض وأقام المطيعون لله تعالى على دينهم وكان ابليس من الطائفة المطيعة لله والمسبحين له وكان يصعد الى السماء فلا يحجب عنها لحسن طاعته وروى أن الجن كانت تفترق على احدى وعشرين قبيلة وأن بعد خمسة آلاف سنة ملكوا عليهم ملكا يقال له شملال بن ارس ثم افترقوا فملكوا عليهم خمسة ملوك وأقاموا على ذلك دهرا طويلا ثم اغار بعضهم على بعض وتحاسدوا فكانت بينهم وقائع كثيرة فأهبط الله تعالى اليهم ابليس وكان اسمه بالعربية الحارث وكنيته ابو مرة ومعه عدد كثير من الملائكة فهزمهم وقتلهم وصار ابليس ملكا على وجه الارض فتكبر وطغى وكان من امتناعه من السجود لآدم ما كان فأهبطه الله تعالى الى الارض فسكن البحر وجعل عرشه على الماء فألقيت عليه شهوة الجماع وجعل لقاحه لقاح الطير وبيضه ويقال ان قبائل الجن من الشياطين خمس وثلاثون قبيلة خمس عشرة قبيلة تطير فى الهواء وعشر قبائل مع لهب النار وثلاثون قبيلة يسترقون السمع من السماء ولكل قبيلة ملك موكل بدفع شرها ومنهم صنف من السعالى يتصورون فى صور النساء الحسان ويتزوجن برجال الانس ويلدن منهم ومنهم صنف على صور الحيات اذا قتل أحد منهم واحدة هلك من وقته فان كانت صغيرة هلك ولده او عزيز عنده * وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال ان الكلاب من الجن فاذا رأوكم تأكلون فألقوا اليهم من طعامكم فان لهم انفسا يعنى انهم يأخذون بالعين وقد روى ان الارض كانت معمورة بأمم كثيرة منهم الطم والرم والجن والبن والحسن والبسن وان الله تعالى لما خلق السماء عمرها بالملائكة ولما خلق الله الارض عمرها بالجن فعاثوا وسفكوا الدماء فأنزل الله اليهم جندا من الملائكة فأتوا على اكثرهم قتلا وأسرا فكان ممن اسر ابليس وكان اسمه عزازيل فلما صعد به الى السماء أخذ نفسه بالاجتهاد فى العبادة والطاعة رجاء أن يتوب الله عليه فلما لم يجد ذلك عليه شيأ خامر الملائكة القنوط فأراد الله أن يظهر لهم خبث طويته وفساد نيته نخلق آدم فامتحنه بالسجود له ليظهر للملائكة تكبره وابانة ما خفى عنهم من مكتوم أنبائه والى عمارة الارض قبل آدم ممن أفسد فيها أشار بقوله تعالى حكاية عن الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء يعنون كما فعل بها من قبل والله أعلم بمراده وقال ابو بكر بن احمد بن على بن وحشية فى كتاب الفلاحة انه عرب هذا الكتاب ونقله من لسان الكلدانيين الى اللغة العربية وانه وجده من وضع ثلاثة حكماء قدماء وهم صغريت وسوساد وفوقاى ابتدأه الاول وكان ظهوره فى الالف السابعة من سبعة آلاف سنى زحل وهى الالف التى يشاركه فيها زحل القمر وتممه الثانى وكان ظهوره فى آخر هذه الالف وأكمله الثالث وكان ظهوره بعد مضى أربعة آلاف سنة من دور الشمس الذى هو سبعة آلاف سنة وانه نظر الى ما بين زمان الاول والثالث فكان ثمانية عشر الف سنة شمسية وبعض الالف التاسعة عشر وقد اختلف أهل الاسلام فى هذه المسألة أيضا فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال الدنيا جمعة من جمع الآخرة واليوم ألف سنة فذلك سبعة آلاف سنة وروى سفيان عن

الاعمش

الاعمش عن أبي صالح قال قال كعب الاحبار الدنيا ستة آلاف سنة * وعن وهب بن منبه أنه قال قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمائة سنة انى لاعرف كل زمان منها ومن فيه من الانبياء فقيل له فكم الدنيا قال ستة آلاف سنة وروى عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أجلكم فى أجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وفى حديث أبى هريرة الحقب ثمانون عاما اليوم منها سدس الدنيا والحقب هنا بكسر الحاء وضمها * قال ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمدانى فى كتاب الاكليل وكأن الدنيا جزء من أربعة آلاف وسبعمائة وثلاثة وعشرين جزأ وثلث جزء من الحقب على أن السنة القمرية ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وخمس وسدس يوم فاذا كانت الدنيا ستة آلاف سنة واليوم ألف سنة تكون سنين قمرية ستة آلاف ألف سنة فاذا جعلناه جزأ وضربناه فى أجزاء الحقب وهى اربعة آلاف وسبعمائة سنة وثلاث وعشرون وثلث خرج من السنين ثمانية وعشرون ألف ألف ألف وثلثمائة ألف ألف وأربعون ألف ألف واذا كانت جمعة من جمع الآخرة زدنا مع هذا العدد مثل سدسه وهذا عدد الحقب * وقال ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى الصواب من القول ما دل على صحته الخبر الوارد فذكر قوله عليه السلام اجلكم فى اجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وقوله عليه السلام بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وقوله عليه السلام بعثت أنا والساعة جميعا ان كادت لتسبقنى قال فمعلوم ان كان اليوم اوله طلوع الشمس وآخره غروب الشمس وكان صحيحا عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله أجلكم فى أجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وقوله بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وكان قدر ما بين اوسط اوقات صلاة العصر وذلك اذا صار ظل كل شئ مثليه على التحرى انما يكون قدر نصف سبع اليوم يزيد قليلا او ينقص قليلا وكذلك فضل ما بين الوسطى والسبابة انما يكون نحوا من ذلك وكان صحيحا مع ذلك قوله عليه السلام لن يعجز الله أن يؤخر هذه الامة نصف يوم يعنى نصف اليوم الذى مقداره ألف سنة فأولى القولين اللذين أحدهما عن ابن عباس والآخر عن كعب قول ابن عباس ان الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف واذا كان كذلك وكان قد جاء عنه عليه السلام أن الباقى من ذلك فى حياته نصف يوم وذلك خمسمائة عام اذا كان ذلك نصف يوم من الايام التى قدر الواحد منها الف عام كان معلوما أن الماضى من الدنيا الى وقت قوله عليه السلام ستة آلاف سنة وخمسمائة سنة او نحو ذلك وقد جاء عنه عليه السلام خبر يدل على صحة قول من قال ان الدنيا كلها ستة آلاف سنة لو كان صحيحا لم يعد القول به الى غيره وهو حديث ابى هريرة يرفعه الحقب ثمانون عاما اليوم منها سدس الدنيا فتبين من هذا الخبر أن الدنيا كلها ستة آلاف سنة وذلك انه حيث كان اليوم الذى هو من ايام الآخرة مقداره الف سنة من سنى الدنيا وكان اليوم الواحد من ذلك سدس الدنيا كان معلوما أن جميعها ستة ايام من ايام الآخرة وذلك ستة آلاف سنة وقال ابو القاسم السهيلى وقد مضت الخمسمائة من وفاته صلى الله عليه وسلم الى اليوم بنيف عليها وليس فى قوله لن يعجز الله أن يؤخر هذه الامة نصف يوم ما ينفى الزيادة على النصف ولا فى قوله بعثت انا والساعة كهاتين ما يقطع به على صحة تأويله يعنى الطبرى فقد نقل فى تأويله غير هذا وهو أنه ليس بينه وبين الساعة نبى ولا شرعة غير شرعته مع التقريب لحينها كما قال تعالى اقتربت الساعة وقال أتى أمر الله فلا تستعجلوه ولكن اذا قلنا انه عليه السلام انما بعث فى الالف الآخر بعد ما مضت منه سنون ونظرنا الى الحروف المقطعة فى أوائل السور وجدناها أربعة عشر حرفا يجمعها قولك * (الم يسطع نص حق كره) * ثم تأخذ العدد على حساب أبى جاد فيجىء تسعمائة وثلاثة ولم يسم الله تعالى اوائل السور الا هذه الحروف فليس يبعد أن يكون من بعض مقتضياتها وبعض فوائدها الاشارة الى هذا العدد من السنين لما قدمناه من حديث الالف السابع الذى بعث عليه السلام فيه غير أن الحساب يحتمل أن يكون من مبعثه او من وفاته او من هجرته وكل قريب بعضه من بعض فقد جاء أشراطها ولكن لا تأتيكم الا بغتة وقد روى أنه عليه السلام قال ان احسنت امتى فبقاؤها يوم من ايام الآخرة وذلك ألف سنة وان أساءت فنصف يوم ففى الحديث تتميم للحديث المتقدم وبيان له اذ قد انقضت الخمسمائة والامة باقية وقال شاذان البلخى المنجم مدة ملة الاسلام ثلثمائة وعشر سنين وقد ظهر كذب قوله ولله الحمد وقال ابو معشر يظهر بعد المائة والخمسين من سنى الهجرة

اختلاف كثير وقال حراس ان المنجمين اخبروا كسرى انوشروان بملك العرب وظهور النبوة فيهم وأن دليلهم الزهرة وهي في شرفها والزهرة دليل العرب فتكون مدة ملك نبوتهم ألفا وستين سنة ولان طالع القران الدال على ذلك برج الميزان والزهرة صاحبته في شرفها قال وسأل كسرى وزيره بزرجمهر عن ذلك فأعلمه أن الملك يخرج من فارس وينتقل الى العرب وتكون ولادة القائم بامرة العرب لخمس وأربعين سنة من وقت القران وأن العرب تملك المشرق والمغرب من أجل أن المشترى دليل فارس قد قبل تدبير الزهرة دليل العرب والقران قد انتقل من المثلثة الهوائية الى المثلثة المائية والى برج العقرب منها وهو دليل العرب أيضا وهذه الادلة تقتضى بقاء الملة الاسلامية بقدر دور الزهرة وهو ألف وستون سنة شمسية - وقال نفيل الرومي وكان في ايام بني امية تبقى ملة الاسلام بقدر مدة القران الكبيرة وهي تسعمائة وستون سنة شمسية فاذا عاد القران بعد هذه المدة الى برج العقرب كما كان في ابتداء الملة وتغير وضع تشكيل الفلك عن هيئته في الابتداء فحينئذ يفتر العمل ويتجدد ما يوجب خلاف الظن * قال واتفقوا على أن خراب العالم يكون باستيلاء الماء والنار حتى تهلك المكونات بأسرها وذلك اذا قطع قلب الاسد أربعا وعشرين درجة من برج الاسد الذي هو حد المريخ بعد تسعمائة وستين سنة شمسية من قران الملة ويقال ان ملك زابلستان وهي غزنة بعث الى عبد الله أمير المؤمنين المأمون بحكيم اسمه دوبان في جملة هدية فأعجب به المأمون وساله عن مدة ملك بني العباس فاخبره بخروج الملك عن عقبه واتصاله في عقب أخيه وأن العجم تغلبهم على الخلافة فيتغلب الديلم أولا ثم يسوء حالهم حتى يظهر الترك من شمال المشرق فيملكون الفرات والروم والشام وقال يعقوب بن اسحاق الكندي مدة ملة الاسلام ستمائة وثلاث وتسعون سنة * وقال الفقيه الحافظ ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم وأما اختلاف الناس في التاريخ فان اليهود يقولون أربعة آلاف سنة والنصارى يقولون الدنيا خمسة آلاف سنة وأما نحن يعني اهل الاسلام فلا نقطع على علم عدد معروف عندنا ومن ادعى في ذلك سبعة آلاف سنة او اكثر أو اقل فقد قال مالم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لفظة تصح بل صح عنه عليه السلام خلافه بل نقطع على أن للدنيا امدا لا يعلمه الا الله تعالى قال الله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنتم في الامم قبلكم الا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود والشعرة السوداء في الثور الابيض وهذه نسبة من تدبرها وعرف مقدار عدد أهل الاسلام ونسبة ما بأيديهم من معمور الارض وانه الاكثر علم أن للدنيا امدا لا يعلمه الا الله تعالى وكذلك قوله عليه السلام بعثت أنا والساعة كهاتين وضم اصبعيه المقدستين السبابة والوسطى وقد جاء النص بأن الساعة لا يعلم متى تكون الا الله تعالى لا احد سواه فصح أنه صلى الله عليه وسلم انما عنى شدة القرب لا فضل السبابة على السباحة اذ لو أراد ذلك لاخذت نسبة ما بين الاصبعين ونسب من طول الاصبع فكان يعلم بذلك متى تقوم الساعة وهذا باطل وأيضا فكان تكون نسبته صلى الله عليه وسلم ايانا الى من قبلنا بأننا كالشعرة في الثور كذبا ومعاذ الله من ذلك فصح أنه عليه السلام انما أراد شدة القرب وله صلى الله عليه وسلم منذ بعث أربعمائة عام ونيف والله تعالى اعلم بما بقي للدنيا فاذا كان هذا العدد العظيم لا نسبة له عند ما سلف لقلته وتفاهته بالاضافة الى ما مضى فهو الذي قاله صلى الله عليه وسلم من اننا فيمن مضى كالشعرة في الثور او الرقة في ذراع الحمار وقد رأيت بخط الامير ابي محمد عبد الله بن الناصر قال حدثني محمد بن معاوية القرشي أنه رأى بالهند بلدا له اثنتان وسبعون ألف سنة وقد وجد محمود بن سبكتكين بالهند مدينة يؤرخون بأربعمائة ألف سنة قال ابو محمد الا أن لكل ذلك أولا ولا بد ونهاية لم يكن شئ من العالم موجودا قبله ولله الامر من قبل ومن بعد والله أعلم

---

* (ذكر التواريخ التي كانت للامم قبل تاريخ القبط) *

التاريخ كلمة فارسية أصلها ماروز ثم عرب * قال محمد بن احمد بن محمد بن يوسف البلخي في كتاب مفاتيح العلوم وهو كتاب جليل القدر وهذا اشتقاق بعيد لولا أن الرواية جاءت به وقال قدامة بن جعفر في كتاب الخراج تاريخ كل شئ آخره وهو في الوقت غايته يقال فلان تاريخ قومه اي اليه ينتهي شرفهم ويقال ورخت الكتاب توريخا وأرخته تأريخا اللغة الاولى لتميم والثانية لقيس ولكل أهل ملة تاريخ فكانت الامم تؤرخ أولا بتاريخ

الخليقة

الخليقة وهو ابتداء كون النسل من آدم عليه السلام ثم أرخت بالطوفان وأرخت ببخت نصر وأرخت بفيلبش وأرخت بالاسكندر ثم بأغشطش ثم بانطيس ثم بدقلطيانوس وبه تؤرخ القبط ثم لم يكن بعد تاريخ القبط الا تاريخ الهجرة ثم تاريخ يزدجرد فهذه تواريخ الامم المشهورة وللناس تواريخ أخر قد انقطع ذكرها * فأما تاريخ الخليقة ويقال له ابتداء كون النسل وبعضهم يقول بدو التحرك فان لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس فى كيفيته وسياقة التاريخ منه خلافا كثيرا قال المجوس والفرس عمر العالم اثنا عشر ألف عام على عدد بروج الفلك وشهور السنة وزعموا أن زرادست صاحب شريعتهم قال ان الماضى من الدنيا الى وقت ظهوره ثلاثة آلاف سنة مكبوسة الارباع وبين ظهور زرادست واوّل تاريخ الاسكندر ثلاثة آلاف ومائتا سنة وثمان وخمسون سنة واذا حسبنا من اول يوم كيومرت الذى هو عندهم الانسان الاوّل وجمعنا مدّة كل من ملك بعده فانّ الملك ملصق فيهم غير منقطع عنهم كان العدد منه الى الاسكندر ثلاثة آلاف وثلثمائة وأربعا وخمسين سنة فاذا لم يتفق التفصيل مع الجملة وقال قوم الثلاثة الآلاف الماضية انما هى من خلق كيومرت فانه مضى قبله ألف سنة والفلك فيها واقف غير متحرك والطبائع غير مستحيلة والامّهات غير متمازجة والكون والفساد غير موجود فيها والارض غير عامرة فلما تحرك الفلك حدث الانسان الاوّل فى معدن النهار وتولد الحيوان وتوالد وتناسل الانس فكثروا وامتزجت أجزاء العناصر للكون والفساد فعمرت الدنيا وانتظم العالم * وقال اليهود الماضى من آدم الى الاسكندر ثلاثة آلاف واربعمائة وثمان وأربعون سنة وقال النصارى المدّة بينهما خمسة آلاف ومائة وثمانون سنة وزعموا أن اليهود نقصوها ليقع خروج عيسى ابن مريم عليه السلام فى الالف الرابع وسط السبعة آلاف التى هى مقدار العالم عندهم حتى تخالف ذلك الوقت الذى سبقت البشارة من الانبياء الذين كانوا بعد موسى بن عمران عليه السلام بولادة المسيح عيسى واذا جمع ما فى التوراة التى بيد اليهود من المدّة التى بين ادم عليه السلام وبين الطوفان كانت ألفا وستمائة وستا وخمسين سنة وعند النصارى فى انجيلهم ألفان ومائتا سنة واثنتان وأربعون سنة وتزعم اليهود أن توراتهم بعيدة عن التخاليط وتزعم النصارى أن توراة السبعين التى هى بأيديهم لم يقع فيها تحريف ولا تبديل وتقول اليهود فيها خلاف ذلك وتقول السامرية بأنّ توراتهم هى الحق وما عداها باطل وليس فى اختلافهم ما يزيل الشك بل يقوّى الجهالة له وهذا الاختلاف بعينه بين النصارى أيضا فى الانجيل وذلك أنّ له عند النصارى أربع نسخ مجموعة فى مصحف واحد أحدها انجيل متى والثانى لمارقوس والثالث للوقا والرابع ليوحنا قد ألف كل من هؤلاء الاربعة انجيلا على حسب دعوته فى بلاده وهى مختلفة اختلافا كثيرا حتى فى صفات المسيح عليه السلام وأيام دعوته ووقت الصلب بزعمهم وفى نسبه أيضا وهذا الاختلاف لا يحتمل مثله ومع هذا فعند كل من اصحاب مرقيون وأصحاب ابن ديصان انجيل يخالف بعضه هذه الاناجيل ولاصحاب مانى انجيل على حدة يخالف ما عليه النصارى من اوله الى آخره ويزعمون أنه هو الصحيح وما عداه باطل ولهم أيضا انجيل يسمى انجيل السبعين ينسب الى تلامس والنصارى وغيرهم ينكرونه واذا كان الامر من الاختلاف بين اهل الكتاب كما قد رأيته ولم يكن للقياس والرأى مدخل فى تمييز حق ذلك من باطله امتنع الوقوف على حقيقة ذلك من قبلهم ولم يعوّل على شئ من اقوالهم فيه وأما غير أهل الكتاب فانهم ايضا مختلفون فى ذلك * قال أسوش بين خلق آدم وبين ليلة الجمعة اوّل الطوفان ألفا سنة ومائتا سنة وست وعشرون سنة وثلاثة وعشرون يوما وأربع ساعات وقال ماشاء واسمه منشا ابن اثرى منجم المنصور والمأمون فى كتاب القرانات اول قران وقع بين زحل والمشترى فى بدء التحرك يعنى ابتداء النسل من آدم كان على مضى خمسمائة وتسع سنين وشهرين وأربعة وعشرين يوما مضت من ألف المريخ فوقع القران فى برج الثور من المثلثة الارضية على سبع درج واثنتين وأربعين دقيقة وكان انتقال الممرّ من برج الميزان ومثلثته الهوائية الى برج العقرب ومثلثته المائية بعد ذلك بالفى سنة واربعمائة سنة واثنتى عشرة سنة وستة اشهر وستة وعشرين يوما ووقع الطوفان فى الشهر الخامس من السنة الاولى من القران الثانى من قرانات هذه المثلثة المائية وكان بين وقت القران الاوّل الكائن فى بدء التحرك وبين الشهر الذى كان فيه الطوفان ألفان وأربعمائة و ثلاث وعشرون سنة وستة أشهر واثنا عشر يوما قال وفى كل سبعة آلاف سنة وسنتين وعشرة اشهر وستة ايام يرجع القران الى موضعه من برج الثور الذى كان

فى بدء التحرك وهذا القول اعزك الله هو الذى اشتهر حتى ظن كثير من الملل أن مدة بقاء الدنيا سبعة آلاف سنة فلا تغتر به وتنبه الى أصله تجده اوهى من بيت العنكبوت فاطرحه وقيل كان بين آدم وبين الطوفان ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وثلاثون سنة وقيل كانت بينهما مدة ألفين ومائتين وست وخمسين سنة وقيل ألفان وثمانون سنة * وأما تاريخ الطوفان فانه يتلو تاريخ الخليقة وفيه من الاختلاف مالا يطمع فى حقيقته من اجل الاختلاف فيما بين آدم وبينه وفيما بينه وبين تاريخ الاسكندر فان اليهود عندهم أن بين الطوفان وبين الاسكندر ألفا وسبعمائة واثنين وتسعين سنة وعند النصارى بينهما ألفا سنة وتسعمائة وثمان وثلاثون سنة والفرس وسائر المجوس والكلدانيون أهل بابل والهند واهل الصين وأصناف الامم المشرقية ينكرون الطوفان وأقر به بعض الفرس لكنهم قالوا لم يكن الطوفان بسوى الشام والمغرب ولم يعم العمران كله ولا غرق الا بعض الناس ولم يتجاوز عقبة حلوان ولا بلغ الى ممالك المشرق قالوا ووقع فى زمان طمهورث وان اهل المغرب لما انذر حكماؤهم بالطوفان اتخذوا المبانى العظيمة كالهرمين بمصر ونحوهما ليدخلوا فيها عند حدوثه ولما بلغ طمهورث الانذار بالطوفان قبل كونه بمائتين واحدى وثلاثين سنة أمر باختيار مواضع فى مملكته صحيحة الهواء والتربة فوجد ذلك بأصبهان فأمر بتجليد العلوم ودفنها فيها فى أسلم المواضع ويشهد لهذا ما وجد بعد الثلثمائة من سنى الهجرة فى جى من مدينة اصبهان من التلال التى انشقت عن بيوت مملوءة أعدالا عدة كثيرة قد ملئت من لحاء الشجر التى تلبس بها القسى وتسمى التوز مكتوبة بكتابة لم يدر أحد ماهى وأما المنجمون فانهم صححوا هذه السنين من القران الاول من قرانات العلويين زحل والمشترى التى اثبت علماء أهل بابل والكلدانيين مثلها اذ كان الطوفان ظهوره من ناحيتهم فان السفينة استقرت على الجودى وهو غير بعيد من تلك النواحى قالوا وكان هذا القران قبل الطوفان بمائتين وعشرين سنة ومائة وثمانية ايام واعتنوا بامرها وصححوا ما بعدها فوجدوا ما بين الطوفان وبين اول ملك بخت نصر الاول ألفى سنة وستمائة وأربع سنين وبين بخت نصر هذا وبين الاسكندر اربعمائة وست وثلاثون سنة وعلى ذلك بنى ابو معشر أوساط الكواكب فى زيجه وقال كان الطوفان عند اجتماع الكواكب فى آخر برج الحوت وأول برج الحمل وكان بين وقت الطوفان وبين تاريخ الاسكندر قدر ألفى سنة وسبعمائة وتسعين سنة مكبوسة وسبعة أشهر وستة وعشرين يوما وبينه وبين يوم الخميس اول المحرم من السنة الاولى من سنى الهجرة النبوية ألف ألف يوم وثلثمائة ألف يوم وتسعة وخمسون ألف يوم وتسعمائة يوم وثلاثة وسبعون يوما يكون من السنين الفارسية المصرية ثلاثة آلاف سنة وسبعمائة سنة وخمسا وعشرين سنة وثلثمائة يوم وثمانية وأربعين يوما ومنهم من يرى أن الطوفان كان يوم الجمعة وعند أبى معشر أنه كان يوم الخميس ولما تقرر عنده الجملة المذكورة وخرجت له المدة التى تسمى أدوار الكواكب وهى بزعمهم ثلثمائة ألف وستون ألف سنة شمسية وأولها متقدم على وقت الطوفان بمائة الف وثمانين الف سنة شمسية حكم بأن الطوفان كان فى مائة ألف وثمانين ألف سنة وسيكون فيما بعد كذلك ومثل هذا لا يقبل الا بحجة او من معصوم * وأما تاريخ بخت نصر فانه على سنى القبط وعليه يعمل فى استخراج مواضع الكواكب من كتاب المجسطى ثم أدوار قالليس واول ادواره فى سنة ثمانى عشرة وأربعمائة لبخت نصر وكل دور منها ست وسبعون سنة شمسية وكان قالليس من جملة اصحاب التعاليم وبخت نصر هذا ليس هو الذى خرب بيت المقدس وانما هو آخر كان قبل بخت نصر مخرب بيت المقدس بمائة وثلاث واربعين سنة وهو اسم فارسى اصله بخت برسى ومعناه كثير البكاء والانين ويقال له بالعبرانية نصار وقيل تفسيره عطارد وهو ينطق وذلك لحبيبه على الحكمة وتغريب اهلها ثم عرب فقيل بخت نصر * وأما تاريخ فيلبش فانه على سنى القبط وكثيرا ما يستعمل هذا التاريخ من موت الاسكندر البناء المقدونى وكلا الامرين سواء فان القائم بعد البناء هو فيلبش فسواء كان من موت الاول او من قيام الآخر فان الحالة المؤرخة هى كالفصل المشترك بينهما وفيلبش هذا هو ابو الاسكندر المقدونى ويعرف هذا التاريخ بتاريخ الاسكندرانيين وعليه بنى تاون الاسكندرانى فى تاريخه المعروف بالقانون والله أعلم * وأما تاريخ الاسكندر فانه على سنى الروم وعليه يعمل اكثر الامم الى وقتنا هذا من اهل الشام واهل بلاد الروم واهل المغرب والاندلس والفرنج واليهود وقد تقدم الكلام عليه عند ذكر الاسكندرية من هذا الكتاب * وأما

تاريخ اغشطش فانه لا يعرف اليوم احد يستعمله وأغشطش هذا هو أول القياصرة ومعنى قيصر بالرومية شق عنه فان اغشطش هذا الماجملت به امه ماتت فى المخاض فشق بطنها حتى أخرج منه فقيل قيصر وبه يلقب من بعده من ملوك الروم ويزعم النصارى أن المسيح عليه السلام ولد لاربعين سنة من ملكه وفى هذا القول نظر فانه لا يصح عند سياقة السنين والتواريخ بل يجىء تعديل ولادته عليه السلام فى السنة السابعة عشر من ملكه * وأما تاريخ انطينس فان بطليموس صحح الكواكب الثابتة فى كتابه المعروف بالمجسطى لاول ملكه على الروم وسنو هذا التاريخ رومية

(ذكر تاريخ القبط)

اعلم أن السنة الشمسية عبارة عن عود الشمس فى فلك البروج اذا تحركت على خلاف حركة الكل الى اى نقطة فرضت ابتداء حركتها وذلك انها تستوفى الازمنة الاربعة التى هى الربيع والصيف والخريف والشتاء وتحوز طبائعها الاربع وتنتهى الى حيث بدأت وفى هذه المدة يستوفى القمر اثنتى عشرة عودة واقل من نصف عودة ويستهل اثنتى عشرة مرة فجعلت المدة التى فيها عودات القمر الاثنتا عشرة فى فلك البروج سنة للقمر على جهة الاصطلاح وأسقط الكسر الذى هو أحد عشر يوما بالتقريب فصارت السنة على قسمين سنة شمسية وسنة قمرية وجميع من على وجه الارض من الامم أخذوا تواريخ سنيهم من مسير الشمس والقمر فالآخذون بسير الشمس خمس امم هم اليونانيون والسريانيون والقبط والروم والفرس والآخذون بسير القمر خمس امم هم الهند والعرب واليهود والنصارى والمسلمون * فأهل قسطنطينية والاسكندرية وسائر الروم والسريانيون والكلدانيون واهل مصر ومن يعمل برأى المعتضد أخذوا بالسنة الشمسية التى هى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم بالتقريب وصيروا السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما وألحقوا الارباع بها فى كل اربع سنين يوما حتى انجبرت السنة وسموا تلك السنة كبيسة لانكباس الارباع فيها * وأما قبط مصر القدماء فانهم كانوا يتركون الارباع حتى يجتمع منها ايام سنة تامة وذلك فى كل ألف واربعمائة وستين سنة ثم يكبسونها سنة واحدة ويتفقون حينئذ فى اول تلك السنة مع اهل الاسكندرية وقسطنطينية * وأما الفرس فانهم جعلوا السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما من غير كبس حتى اجتمع لهم من ربع اليوم فى مائة وعشرين سنة ايام شهر تام ومن خمس الساعة الذى يتبع ربع اليوم عندهم يوم واحد فألحقوا الشهر التام بها فى كل مائة وست عشرة سنة واقتفى اثرهم فى هذا اهل خوارزم القدماء والصفد ومن دان بدين فارس وكانت الملوك البيشدادية منهم وهم الذين ملكوا الدنيا بحذافيرها يعملون السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما كل شهر منها ثلاثون يوما سواء وكانوا يكبسون السنة كل ست سنين بيوم ويسمونها كبيسة وكل مائة وعشرين سنة بشهرين احدهما بسبب خمسة الايام والثانى بسبب ربع اليوم وكانوا يعظمون تلك السنة ويسمونها المباركة * وأما قدماء القبط واهل فارس فى الاسلام وأهل خوارزم والصفد فتركوا الكسور أعنى الربع وما يتبعه اصلا *

وأما العبرانيون وجميع بنى اسرائيل والصابئون والحرانيون فانهم اخذوا السنة من مسير الشمس وشهورها من مسير القمر لتكون أعيادهم وصيامهم على حساب قمرى وتكون مع ذلك حافظة لاوقاتها من السنة فكبسوا كل تسع عشرة سنة قمرية بسبعة اشهر ووافقهم النصارى فى صومهم وبعض أعيادهم لان مدار أمرهم على نسخ اليهود وخالفوهم فى الشهور الى مذهب الروم والسريانيين وكانت العرب فى جاهليتها تنظر الى فضل ما بين سنتهم وسنة القمر وهو عشرة أيام واحدى وعشرون ساعة وخمس ساعة فيلحقون ذلك بها شهرا كلما تم منها ما يستوفى ايام شهر ولكنهم كانوا يعملون على انه عشرة ايام وعشرون ساعة وكان يتولى ذلك النسأة من بنى كنانة المعروفون بالقلامس واحدهم قلمس وهو البحر الغزير وهو ابو ثمامة جنادة بن عوف بن امية بن قلع وأول من فعل ذلك منهم حذيفة بن عبد فقيم وآخر من فعله ابو ثمامة وأخذ العرب الكبس من اليهود قبل مجىء دين الاسلام بنحو المائتى سنة وكانوا يكبسون فى كل أربع وعشرين سنة تسعة اشهر حتى تبقى اشهر السنة ثابتة مع الازمنة على حالة واحدة لا تتأخر عن اوقاتها ولا تتقدم الى أن حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى عليه انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة

ما حرّم الله فيحلوا ما حرّم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين فخطب صلى الله عليه وسلم وقال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فبطل النسىء وزالت شهور العرب عما كانت عليه وصارت اسماؤها غير دالة على معانيها * وأما اهل الهند فانهم يستعملون رؤية الاهلة فى شهورهم ويكبسون كل تسعمائة سنة وسبعين يوما بشهر قمرى ويجعلون ابتداء تاريخهم اتفاق اجتماع فى اوّل دقيقة من برج مّا واكثر طلبهم لهذا الاجتماع أن يتفق فى احدى نقطتى الاعتدالين ويسمون السنة الكبيسة بذمات فهذه آراء الخليقة فى السنة * وأما اليوم فانه عبارة عن عود الشمس بدوران الكل الى دائرة قد فرضت وقد اختلف فيه فجعله العرب من غروب الشمس الى غروبها من الغد ومن أجل أنّ شهور العرب مبنية على مسير القمر وأوائلها مقيدة برؤية الهلال والهلال يرى لدن غروب الشمس صارت الليلة عندهم قبل النهار وعند الفرس والروم اليوم بليلته من طلوع الشمس بارزة من افق المشرق الى وقت طلوعها من الغد فصار النهار عندهم قبل الليل واحتجوا على قولهم بأنّ النور وجود والظلمة عدم والحركة تغلب على السكون لانها وجود لا عدم وحياة لا موت والسماء افضل من الارض والعامل الشاب أصح والماء الجارى لا يقبل عفونة كالراكد واحتج الآخرون بأن الظلمة أقدم من النور والنور طارئ عليها فالاقدم يبدأ به وغلبوا السكون على الحركة باضافة الراحة والدعة اليه وقالوا الحركة انما هى الحاجة والضرورة والتعب تنتجه الحركة والسكون اذا دام فى الاستقصاآت مدة لم يولد فسادا فاذا دامت الحركة فى الاستقصاآت واستحكمت افسدت وذلك كالزلازل والعواصف والامواج وشبهها وعند أصحاب التنجيم أن اليوم بليلته من موافاة الشمس فلك نصف النهار الى موافاتها اياه فى الغد وذلك من وقت الظهر الى وقت الظهر وبنوا على ذلك حساب أزياجهم وبعضهم ابتدأ باليوم من نصف الليل وهو صاحب زيج شهرياران الشاه وهذا هو حدّ اليوم على الاطلاق اذا اشترط الليلة فى التركيب فأما على التفصيل فاليوم بانفراده والنهار بمعنى واحد وهو من طلوع جرم الشمس الى غروب جرمها والليل خلاف ذلك وعكسه وحدّ بعضهم اوّل النهار بطلوع الفجر وآخره بغروب الشمس لقوله تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل وقال هذان الحدان هما طرفا النهار وعورض بأنّ الآية انما فيها بيان طرفى الصوم لا تعريف اوّل النهار وبأن الشفق من جهة المغرب نظير الفجر من جهة المشرق وهما متساويان فى العلة فلو كان طلوع الفجر أوّل النهار لكان غروب الشفق آخره وقد التزم ذلك بعض الشيعة فاذا تقرر ذلك فنقول تاريخ القبط يعرف عند نصارى مصر الآن بتاريخ الشهداء ويسميه بعضهم تاريخ دقلطيانوس

(ذكر دقلطيانوس الذى يعرف تاريخ القبط به)

اعلم أنّ دقلطيانوس هذا أحد ملوك الروم المعروفين بالقياصرة ملك فى منتصف سنة خمس وتسعين وخمسمائة من سنى الاسكندر وكان من غير بيت الملك فلما ملك تجبر وامتدّ ملكه الى مدائن الاكاسرة ومدينة بابل فاستخلف ابنه على مملكة رومة واتخذ تخت ملكه بمدينة انطاكية وجعل لنفسه بلاد الشام ومصر الى أقصى المغرب فلما كان فى السنة التاسعة عشر من ملكه وقيل الثانية عشر خالف عليه اهل مصر والاسكندرية فبعث اليهم وقتل منهم خلقا كثيرا وأوقع بالنصارى فاستباح دماءهم وغلق كنائسهم ومنع من دين النصارى وحمل الناس على عبادة الاصنام وبالغ فى الاسراف فى قتل النصارى وأقام ملكا احدى وعشرين سنة وهلك بعد علل صعبة دوّد منها بدنه وسقطت اسنانه وهو آخر من عبد الاصنام من ملوك الروم وكل من ملك بعده فانما كان على دين النصرانية فان الذى ملك بعده ابنه سنة واحدة وقيل اكثر من ذلك ثم ملك قسطنطين الاكبر فأظهر دين النصرانية ونشره فى الارض ويقال ان رجلا ثار بمصر يقال له اجله وخرج عن طاعة الروم فسار اليه دقلطيانوس وحصر الاسكندرية دار الملك يومئذ ثمانية أشهر حتى اخذ أجله وقتله وعمّ أرض مصر كلها بالسبى والقتل وبعث قائده فحارب سابور ملك فارس وقتل اكثر عسكره وهزمه وأسر امرأته واخوته وأثخن فى بلاده وعاد بأسرى كثيرة من رجال فارس ثم أوقع بعامة بلاد رومة فاكثر فى قتلهم وسبيهم فكانت ايامه شنعة قتل فيها من أصناف الامم وهدم من بيوت العبادات ما لا يدخل تحت حصر وكانت واقعته بالنصارى

هى الشدّة العاشرة وهى أشنع شدائدهم وأطولها لانها دامت عليهم مدّة عشر سنين لا يفتر يوما واحدا يحرق فيها كنائسهم ويعذب رجالهم ويطلب من استتر منهم او هرب ليقتل يريد بذلك قطع اثر النصارى وابطال دين النصرانية من الارض فلهذا اتخذوا ابتداء ملك دقلطيانوس تاريخا وكان ابتداء ملكه يوم الجمعة وبينه وبين يوم الاثنين اول يوم من توت وهو أوّل ايام ملك الاسكندر بن فيلبش المقدونى خمسمائة وأربع وتسعون سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة أيام وبين يوم الجمعة اوّل يوم من تاريخ دقلطيانوس وبين يوم الخميس اوّل يوم من سنة الهجرة النبوية ثلثمائة وثمان وثلاثون سنة قمرية وتسعة وثلاثون يوما وجعلوا شهور السنة القبطية اثنى عشر شهرا كل شهر منها عدده ثلاثون يوما سواء فاذا تمت الاشهر الاثنا عشر أتبعوها بخمسة أيام زيادة على عدد أيامها وسموا هذه الخمسة الايام ابو عمنا وتعرف اليوم بأيام النسىء فيكون الحال فى النسىء على ذلك ثلاث سنين متواليات فاذا كان فى السنة الرابعة جعلوا النسىء ستة ايام فتكون سنوهم ثلاث سنين متواليات كل سنة ثلثمائة وخمسة وستون يوما والرابعة يصير عددها ثلثمائة وستة وستين يوما ويرجع حكم سنتهم الى حكم سنة اليونانيين بأن تصير سنتهم الوسطى ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم الا أن الكبس يختلف فاذا كان كبس القبط فى سنة كان كبس اليونانيين فى السنة الداخلة *(واسماء شهور القبط)* توت بابه هتور كيهك طوبه أمشير برمهات برموده بشنس بؤونه أبيب مسرى فهذه اثنا عشر شهرا كل شهر منها عدده ثلاثون يوما واذا كانت عدّة شهر مسرى وهو الشهر الثانى عشر زادوا أيام النسىء بعد ذلك وعملوا النوروز أوّل يوم من شهر توت

(ذكر اسابيع الايام)

اعلم أن القدماء من الفرس والصفد وقبط مصر الاول لم يكونوا يستعملون الاسابيع من الايام فى الشهور وأوّل من استعملها أهل الجانب الغربى من الارض لاسيما أهل الشام وما حواليه من اجل ظهور الانبياء عليهم السلام فيما هنالك واخبارهم عن الاسبوع الاوّل وبدء العالم فيه وانّ الله خلق السموات والارض فى ستة ايام من الاسبوع ثم انتشر ذلك منهم فى سائر الامم واستعملته العرب العاربة بسبب تجاور ديارهم وديار أهل الشام فانهم كانوا قبل تحوّلهم الى اليمن ببابل وعندهم أخبار نوح عليه السلام ثم بعث الله تعالى اليهم هودا ثم صالحا عليهما السلام وانزل فيهم ابراهيم خليل الرحمن ابنه اسمعيل عليهما السلام فتعرّب اسمعيل وكانت القبط الاول تستعمل اسماء الايام الثلاثين من كل شهر فتجعل لكل يوم منها اسما كما هو العمل فى تاريخ الفرس ومازالت القبط على هذا الى أن ملك مصر اغشطش بن يوحس فأراد أن يحملهم على كبس السنين ليوافقوا الروم أبدا فيها فوجدوا الباقى حينئذ الى تمام السنة الكبيسة الكبرى خمس سنين فانتظر حتى مضى من ملكه خمس سنين ثم حملهم على كبس الشهور فى كل اربع سنين يوم كما تفعل الروم فترك القبط من حينئذ استعمال اسماء الايام الثلاثين لاحتياجهم فى يوم الكبس الى اسم يخصه وانقرض بعد ذلك مستعملو اسماء الايام الثلاثين من اهل مصر والعارفون بها ولم يبق لها ذكر يعرف فى العالم بين الناس بل دثرت كما دثر غيرها من اسماء الرسوم القديمة والعادات الاول سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكانت اسماء شهور القبط فى الزمن القديم توت بوونى اتور سواق طوبى ماكير فامينوت برموتى باحون باونى افيعى ابيقا وكل شهر منها ثلاثون يوما ولكل يوم اسم يخصه ثم أحدث بعض رؤساء القبط بعد استعمالهم الكبس الاسماء التى هى اليوم متداولة بين الناس بمصر الآن من الناس من يسمى كيهك كياك ويقول فى برمهات برمهوط وفى بشنس بشانس وفى مسرى ماسورى ومن الناس من يسمى الخمسة الايام الزائدة ايام النسىء ومنهم من يسميها ابو عمنا ومعنى ذلك الشهر الصغير وهى كما تقدم تلحق فى آخر مسرى وفيه يزاد اليوم الكبيس فيكون ابو عمنا ستة ايام حينئذ ويسمون السنة الكبيسة النقط ومعناه العلامة ومن خرافات القبط أنّ شهورهم هى شهور سنى نوح وشيث وآدم منذ ابتداء العالم وانها لم تزل على ذلك الى أن خرج موسى ببنى اسرائيل من مصر فعملوا اوّل سنتهم خامس عشر نيسان كما أمروا به فى التوراة الى أن نقل الاسكندر رأس سنتهم الى اوّل تشرين وكذلك المصريون نقل بعض ملوكهم اوّل سنتهم الى اوّل يوم من ملكه فصار أوّل توت عندهم يتقدم اوّل يوم

خلق فيه العالم بمائتين وثمانية ايام اولها يوم الثلاثاء وآخرها يوم السبت وكان توت اوله فى ذلك الوقت يوم الاحد وهو أول يوم خلق الله فيه العالم الذى يقال له الآن تاسع عشرى برمهات وذلك أن اول من ملك على الارض بعد الطوفان نمرود بن كنعان بن حام بن نوح فعمر بابل وهو أبو الكلدانيين وملك بنو مصرايم ابن حام بن نوح عليه السلام منش فبنى منف بمصر على النيل وسماها باسم جده مصرايم وهو ثانى ملك ملك على الارض وهذان الملكان استعملا تاريخ جدهما نوح عليه السلام واستن بسنتهم من جاء بعدهم حتى تغيرت كما تقدم

(ذكر أعياد القبط من النصارى بديار مصر)

روى يونس عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال اجتنبوا أعياد اليهود والنصارى فان السخط ينزل عليهم فى مجامعهم ولا تتعلموا رطانتهم فتخلقوا ببعض خلقهم * وعن ابن عباس فى قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما قال اعياد المشركين فقيل له اوما هذا فى الشهادة بالزور فقال لا انما آية شهادة الزور ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا * اعلم أن نصارى مصر من القبط ينتحلون مذهب اليعقوبية كما تقدم ذكره وأعيادهم الآن التى هى مشهورة بديار مصر أربعة عشر عيدا فى كل سنة من سنيهم القبطية منها سبعة أعيادا يسمونها أعيادا كبارا وسبعة يسمونها أعيادا صغارا * فالاعياد الكبار عندهم عيد البشارة وعيد الزيتونة وعيد الفصح وعيد خميس الاربعين وعيد الخميس وعيد الميلاد وعيد الغطاس * والاعياد الصغار عيد الختان وعيد الاربعين وخميس العهد وسبت النور وأحد الحدود والتجلى وعيد الصليب ولهم مواسم أخر ليست هى عندهم من الاعياد الشرعية لكنها عندهم من المواسم العادية وهو يوم النوروز وسأذكر من خبر هذه الاعياد ما لا تجده مجموعا فى غير هذا الكتاب على ما استخرجته من كتب النصارى وتواريخ اهل الاسلام * عيد البشارة هذا العيد عيد النصارى أصله بشارة جبريل مريم بميلاد المسيح عليهما السلام وهم يسمون جبريل غبريال ويقولون مارت مريم ويسمون المسيح ياشوع وربما قالوا السيد يشوع وهذا العيد تعمله نصارى مصر فى اليوم التاسع والعشرين من شهر برمهات * عيد الزيتونة * ويعرف عندهم بعيد الشعانين ومعناه التسبيح ويكون فى سابع أحد من صومهم وسنتهم فى عيد الشعانين أن يخرجوا سعف النخل من الكنيسة ويرون أنه يوم ركوب المسيح العنو وهو الحمار فى القدس ودخوله الى صهيون وهو راكب والناس بين يديه يسبحون وهو يأمر بالمعروف ويحث على عمل الخير وينهى عن المنكر ويباعد عنه وكان عيد الشعانين من مواسم النصارى بمصر التى تزين فيها كنائسهم فلما كان لعشر خلون من شهر رجب سنة ثمان وسبعين وثلثمائة كان عيد الشعانين فمنع الحاكم بأمر الله ابو على منصور بن العزيز بالله النصارى من تزيين كنائسهم وحملهم الخوص على ما كانت عادتهم وقبض على عدة ممن وجد معه شيأ من ذلك وأمر بالقبض على ما هو محبس على الكنائس من الاملاك وأدخلها فى الديوان وكتب لسائر الاعمال بذلك وأحرقت عدة من صلبانهم على باب الجامع العتيق والشرطة * عيد الفصح * هذا العيد عندهم هو العيد الكبير ويزعمون أن المسيح عليه السلام لما تمالأ اليهود عليه واجتمعوا على تصليبه وقتله قبضوا عليه وأحضروه الى خشبة ليصلب عليها فصلب على خشبة عليها لصان وعندنا وهو الحق أن الله تعالى رفعه اليه ولم يصلب ولم يقتل وأن الذى صلب على الخشبة مع اللصين غير المسيح ألقى الله عليه شبه المسيح قالوا واقتسم الجند ثيابه وغشى الارض ظلمة من الساعة السادسة من النهار الى الساعة التاسعة من يوم الجمعة خامس عشر هلال نيسان للعبرانيين وتاسع عشرى برمهات وخامس عشرى آذار سنة ودفن الشبيه آخر النهار بقبر وأطبق عليه حجر عظيم وختم عليه رؤساء اليهود وأقاموا عليه الحرس بكرة يوم السبت كيلا يسرق فزعموا أن المقبور قام من القبر ليلة الاحد سحرا ومضى بطرس ويوحنا التلميذان الى القبر واذا الثياب التى كانت على المقبور بغير ميت وعلى القبر ملائكة الله بثياب بيض فأخبرهما بقيام المقبور من القبر قالوا وفى عشية يوم الاحد هذا دخل المسيح على تلاميذه وسلم عليهم وأكل معهم وكلمهم وأوصاهم وأمرهم بأمور قد تضمنها انجيلهم وهذا العيد عندهم بعد عيد الصلبوت

بثلاثة ايام *(خميس الاربعين)* ويعرف عند أهل الشام بالمسلاق ويقال له أيضا عيد الصعود وهو الثانى والاربعون من الفطر ويزعمون أنّ المسيح عليه السلام بعد أربعين يوما من قيامته خرج الى بيت عينا والتلاميذ معه فرفع يديه وبارك عليهم وصعد الى السماء وذلك عندنا كماله ثلاثا وثلاثين سنة وثلاثة اشهر فرجع التلامذة الى اوراسليم يعنى بيت المقدس وقد وعدهم باشتهار أمرهم وغير ذلك مما هو معروف عندهم فهذا اعتقادهم فى كيفية رفع المسيح ومن أصدق من الله حديثا *(عيد الخميس)* وهو العنصرة ويعملونه بعد خمسين يوما من يوم القيام وزعموا أن بعد عشرة ايام من الصعود وخمسين يوما من قيامة المسيح اجتمع التلاميذ فى علية صهيون فتجلى لهم روح القدس فى شبه ألسنة من نار فامتلأوا من روح القدس وتكلموا بجميع الالسن وظهرت على ايديهم آيات كثيرة فعاداهم اليهود وحبسوهم فنجاهم الله منهم وخرجوا من السجن فساروا فى الارض متفرّقين يدعون الناس الى دين المسيح *(عيد الميلاد)* يزعمون أنه اليوم الذى ولد فيه المسيح وهو يوم الاثنين فيحيون عشية ليلة الميلاد وسنتهم فيه كثرة الوقود بالكنائس وتزينها ويعملونه بمصر فى التاسع والعشرين من كيهك ولم يزل بديار مصر من المواسم المشهورة فكان يفرّق فيه ايام الدولة الفاطمية على ارباب الرسوم من الاستادين المحنكين والامراء المطوّقين وسائر الموالى من الكتاب وغيرهم الجامات من الحلاوة القاهرية والمثارد التى فيها السميذ وقربات الجلاب وطافير الزلابية والسمك المعروف بالبورى *ومن رسم النصارى فى الميلاد اللعب بالنار * ومن أحسن ماقيل

ما اللعب بالنار فى الميلاد من سفه * وانما فيه للاسلام مقصود
فقيه بهت النصارى انّ ربهم * عيسى ابن مريم مخلوق ومولود

وأدركنا الميلاد بالقاهرة ومصر وسائر اقاليم مصر موسما جليلا يباع فيه من الشموع المزهرة بالاصباغ المليحة والتماثيل البديعة بأموال لا تنحصر فلا يبقى أحد من الناس اعلاهم وادناهم حتى يشترى من ذلك لاولاده وأهله وكانوا يسمونها الفوانيس واحدها فانوس ويعلقون منها فى الاسواق بالحوانيت شيأ يخرج عن الحدّ فى الكثرة والملاحة ويتنافس الناس فى المغالات فى اثمانها حتى لقد أدركت شمعة عملت فبلغ مصروفها ألف درهم وخمسمائة درهم فضة عنها يومئذ ما ينيف على سبعين مثقالا من الذهب واعرف السؤال فى الطرقات أيام هذه المواسم وهم يسألون الله أن يتصدّق عليهم بفانوس فيشترى لهم من صغار الفوانيس ما يبلغ ثمنه الدرهم وما حوله ثم لما اختلت امور مصر كان من جملة ما بطل من عوايد الترف عمل الفوانيس فى الميلاد الا قليلا *(الغطاس)* ويعمل بمصر فى اليوم الحادى عشر من شهر طوبه وأصله عند النصارى أنّ يحيى بن زكرياء عليهما السلام المعروف عندهم بيوحنا المعمدانى عمد المسيح اى غسله فى بحيرة الاردن وعندما خرج المسيح عليه السلام من الماء اتصل به روح القدس فصار النصارى لذلك يغمسون اولادهم فى الماء فى هذا اليوم وينزلون فيه بأجمعهم ولا يكون ذلك الا فى شدّة البرد ويسمونه يوم الغطاس وكان له بمصر موسم عظيم الى الغاية * قال المسعودى ولليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها لا ينام الناس فيها وهى ليلة الحادى عشر من طوبه ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلثمائة ليلة الغطاس بمصر والاخشيد محمد بن طغج أمير مصر فى داره المعروفة بالمختار فى الجزيرة الراكبة للنيل والنيل يطيف بها وقد أمر فأسرج فى جانب الجزيرة وجانب الفسطاط ألف مشعل غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل والشمع وقد حضر بشاطئ النيل فى تلك الليلة آلاف من الناس من المسلمين ومن النصارى منهم فى الزواريق ومنهم فى الدور الدانية من النيل ومنهم على سائر الشطوط لا يتناكرون كل ما يمكنهم اظهاره من المآكل والمشارب والملابس وآلات الذهب والفضة والجوهر والملاهى والعزف والقصف وهى أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب ويغطس اكثرهم فى النيل ويزعمون أنّ ذلك أمان من المرض ونشرة للداء * وقال المسبحى فى تاريخه من حوادث سنة سبع وستين وثلثمائة منع النصارى من اظهار ما كانوا يفعلونه فى الغطاس من الاجتماع ونزول الماء واظهار الملاهى ونودى أن من عمل ذلك نفى من الحضرة وقال فى سنة ثمان وثمانين وثلثمائة كان الغطاس فضربت الخيام والمضارب والاسرّة فى عدّة مواضع على شاطئ النيل ونصبت اسرّة للرئيس فهد بن ابراهيم النصرانى كاتب الاستاد برجوان وأوقدت له الشموع والمشاعل وحضر المغنون والملهون وجلس مع اهله يشرب الى أن كان

وقت الغطاس فغطس وانصرف * وقال فى سنة احدى واربعمائة وفى ثامن عشرى جمادى الاولى وهو عاشر طوبه منع النصارى من الغطاس فلم يغطس احد منهم فى البحر وقال فى حوادث سنة خمس عشرة وأربعمائة وفى ليلة الاربعاء رابع ذى القعدة كان غطاس النصارى فجرى الرسم من الناس فى شراء الفواكه والضأن وغيره ونزل أمير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله لقصر جده العزيز بالله فى مصر لنظر الغطاس ومعه الحرم ونودى أن لا يختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم فى البحر فى النيل وضرب بدر الدولة الخادم الاسود متولى الشرطتين خيمة عند الجسر وجلس فيها وأمر امير المؤمنين بأن توقد النار والمشاعل فى الليل وكان وقيدا كثيرا وحضر الرهبان والقسوس بالصلبان والنيران فقسسوا هنالك طويلا الى أن غطسوا * وقال ابن المأمون فى تاريخه من حوادث سنة سبع عشرة وخمسمائة وذكر الغطاس ففرق اهل الدولة ما جرت به العادة لاهل الرسوم من الاترج والنارنج والليمون فى المراكب وأطنان القصب والبورى بحسب الرسوم المقررة بالديوان لكل واحد * (الختان) * يعمل فى سادس شهر بؤونه ويزعمون أن المسيح ختن فى هذا اليوم وهو الثامن من الميلاد والقبط من دون النصارى تختتن بخلاف غيرهم * (الاربعون) * وهو عندهم دخول المسيح الهيكل ويزعمون أن سمعان الكاهن دخل بالمسيح مع امه وبارك عليه ويعمل فى ثامن شهر أمشير * (خميس العهد) * ويعمل قبل الفصح بثلاثة أيام وسنتهم فيه أن يملؤا اناء من ماء ويزمزمون عليه ثم يغسل للتبرك به ارجل سائر النصارى ويزعمون أن المسيح فعل هذا بتلامذته فى مثل هذا اليوم كى يعلمهم التواضع ثم أخذ عليهم العهد أن لا يتفرقوا وأن يتواضع بعضهم لبعض وعوام اهل مصر فى وقتنا يقولون خميس العدس من أجل أن النصارى تطبخ فيه العدس المصفى ويقول اهل الشام خميس الارز وخميس البيض ويقول اهل الاندلس خميس ابريل وابريل اسم شهر من شهورهم وكان فى الدولة الفاطمية تضرب فى خميس العدس هذا خمسمائة دينار فتعمل خراريب تفرق فى اهل الدولة برسوم مفردة كما ذكر فى أخبار القصر من القاهرة عند ذكر دار الضرب من هذا الكتاب وأدركنا خميس العدس هذا فى القاهرة ومصر وأعمالها من جملة المواسم العظيمة فيباع فى اسواق القاهرة من البيض المصبوغ عدة ألوان ما يتجاوز حد الكثرة فيقامر به العبيد والصبيان والغوغاء وينتدب لذلك من جهة المحتسب من يردعهم فى بعض الاحيان ويهادى النصارى بعضهم بعضا ويهدون الى المسلمين أنواع السمك المنوع مع العدس المصفى والبيض وقد بطل ذلك لما حل بالناس وبقيت منه بقية * (سبت النور) * وهو قبل الفصح بيوم ويزعمون أن النور يظهر على قبر المسيح بزعمهم فى هذا اليوم بكنيسة القمامة من القدس فتشعل مصابيح الكنيسة كلها وقد وقف اهل الفحص والتفتيش على أن هذا من جملة مخاريق النصارى لصناعة يعملونها وكان بمصر هذا اليوم من جملة المواسم ويكون ثالث يوم من خميس العدس ومن توابعه * (حد الحدود) * وهو بعد الفصح بثمانية ايام فيعمل اول احد بعد الفطر لان الاحاد قبله مشغولة بالصوم وفيه يجددون الآلات والاثاث واللباس ويأخذون فى المعاملات والامور الدنيوية والمعاش * (عيد التجلى) * يعمل فى ثالث عشر شهر مسرى يزعمون أن المسيح تجلى لتلاميذه بعد مارفع وتمنوا عليه أن يحضر لهم ايلياء وموسى عليهما السلام فأحضرهما اليهم بمصلى بيت المقدس ثم صعد الى السماء وتركهم * (عيد الصليب) * ويعمل فى اليوم السابع عشر من شهر توت وهو من الاعياد المحدثة وسببه ظهور الصليب بزعمهم على يد هيلانة ام قسطنطين وله خبر طويل عندهم ملخصه ما أنت تراه * (ذكر قسطنطين) * وقسطنطين هذا هو ابن قسطنطش بن ولطنوش بن ارشميوش بن دقبون بن كاوديش بن عايش بن كتيبان اعسب الاعظم الملقب قيصر وهو أول من ثبت دين النصرانية وأمر بقطع الاوثان وهدمها كلها وبنيان البيع وآمن من الملوك بالمسيح وكانت امه هيلانة من مدينة الرها فنشأ بها مع أمه وتعلم العلوم ولم يزل فى غاية من الظفر والسعادة معانا منصورا على كل من حاربه وكان فى اول أمره على دين المجوس شديدا على النصارى ما قتا لدينهم وكان سبب رجوعه عن ذلك الى دين النصرانية انه ابتلى بجذام ظهر عليه فاغتم لذلك غما شديدا وجمع الحذاق من الاطباء فاتفقوا على ادوية دبروها له وأوجبوا أن يستنقع بعد أخذ تلك الادوية فى صهريج مملوء من دماء اطفال رضع ساعة يسيل منهم فتقدم أمره بجمع جملة من اطفال الناس وأمر بذبحهم فى صهريج ليستنقع فى دمائهم وهى طرية فجمعت الاطفال لذلك وبرز ليمضى فيهم ما تقدم به من ذبحهم فسمع ضجيج النساء اللاتى أخذ

أولادهنّ فرجهنّ وأمر فدفع لكل واحدة ابنها وقال احتمال علتى اولى بى وأوجب من هلاك هذه العدّة العظيمة من البشر فانصرف النساء بأولادهنّ وقد سررن سرورا كثيرا فلما صار من الليل الى مضجعه رأى فى منامه شيخا يقول له انك رحمت الاطفال وامّهاتهم ورأيت احتمال علتك اولى من ذبحهم فقد رحمك الله ووهبك السلامة من علتك فابعث الى رجل من اهل الايمان يدعى شلبشقر قد فرّ خوفا منك وقف عند ما يأمرك به والتزم ما يحضك عليه تتم لك العافية فانتبه مذعورا وبعث فى طلب شلبشقر الاسقف فأتى به اليه وهو يظنّ أنه يريد قتله لما عهده من غلظته على النصارى ومقته لدينهم فعندما رءاه تلقاه بالبشر وأعلمه بما رءاه فى منامه فقص عليه دين النصرانية وكانت له معه أخبار طويلة مذكورة عندهم فبعث قسطنطين فى جمع الاساقفة المنفيين والمسيرين والتزم دين النصرانية وشفاه الله من الجذام فأيد الديانة واعلن بالايمان بدين المسيح وبيناهو فى ذلك اذ توقع وثوب أهل رومة عليه وايقاعهم به فخرج عنها وبنى مدينة قسطنطينية بنيانا جليلا فعرفت به وسكنها فصارت موضع تخت الملك من عهده وقد كان النصارى من لدن زمان يرون الملك الذى قبل الحواريين ومن بعده ممن ملك رومة فى كل وقت يقتلون ويحبسون ويشرّدون بالنفى فلما سكن قسطنطين مدينة قسطنطينية جمع الى نفسه أهل المسيح وقوّى وجرههم وأذل عباد الاوثان فشق ذلك على أهل رومة وخلعوا طاعته وقدّموا عليهم ملكا فأهمه ذلك ومرّت له معهم عدّة أخبار مذكورة فى تاريخ رومة ثم انه خرج من قسطنطينية يريد رومة وقد استعدّ والحربه فلما قاربهم اذعنوا له والتزموا طاعته فدخلها فأقام الى أن رجع لحرب الفرس وخرج اليهم فقهرهم ودانت له اكثر ممالك الدنيا فلما كان فى عشرين سنة من دولته خرجت الفرس على بعض اطرافه فغزاهم وأخرجهم عن بلاده ورأى فى منامه كأن بنودا شبه الصليب قد رفعت وقائلا يقول له ان اردت أن تظفر بمن خالفك فاجعل هذه العلامات على جميع بركك وسككك فلما انتبه أمر بتجهيز امه هيلانة الى بيت المقدس فى طلب آثار المسيح عليه السلام وبناء الكنائس واقامة شعائر النصرانية فسارت الى بيت المقدس وبنت الكنائس فيقال ان الاسقف مقاريوس دلها على الخشبة التى زعموا أن المسيح صلب عليها وقد قص عليها ما عمل به اليهود فحفرت فاذا قبر وثلاث خشبات على شكل الصليب فزعموا انهم ألقوا الثلاث خشبات على ميت واحدة بعد واحدة فقام حيا عند ما وضعت عليه الخشبة الثالثة منها فاتخذوا ذلك اليوم عيدا وسموه عيد الصليب وكان فى اليوم الرابع عشر من ايلول والسابع عشر من توت وذلك بعد ولادة المسيح بثلثمائة وثمان وعشرين سنة وجعلت هيلانة لخشبات الصليب غلافا من ذهب وبنت كنيسة القمامة ببيت المقدس على قبر المسيح بزعمهم وكانت لها مع اليهود أخبار كثيرة قد ذكرت عندهم ثم انصرفت بالصليب معها الى ابنها ومازال قسطنطين على ممالك الروم الى أن مات بعد أربع وعشرين سنة من ولايته فقام من بعده بممالك الروم ابنه قسطنطين الاصغر وقد كان لعيد الصليب بمصر موسم عظيم يخرج الناس فيه الى بنى وائل بظاهر فسطاط مصر ويتظاهرون فى ذلك اليوم بالمنكرات من انواع المحرّمات ويمرّ لهم فيه ما يتجاوز الحدّ فلما قدمت الدولة الفاطمية الى ديار مصر وبنوا القاهرة واستوطنوها وكانت خلافة امير المؤمنين العزيز بالله أمر فى رابع شهر رجب فى سنة احدى وثمانين وثلثمائة وهو يوم الصليب فمنع الناس من الخروج الى بنى وائل وضبط الطرق والدروب ثم لما كان عيد الصليب فى اليوم الرابع عشر من شهر رجب سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة خرج الناس فيه الى بنى وائل وجروا على عادتهم فى الاجتماع واللهو وفى صفر سنة اثنتين وأربعمائة قرئ فى سابعه سجل بالجامع العتيق وفى الطرقات كتب عن الحاكم بأمر الله يشتمل على منع النصارى من الاجتماع على عمل عيد الصليب وأن لا يظهروا بزينتهم فيه ولا يقربوا كنائسهم وأن يمنعوا منها ثم بطل ذلك حتى لم يكد يعرف اليوم بديار مصر البتة * (النيروز) * هو أوّل السنة القبطية بمصر وهو أوّل يوم من توت وسنتهم فيه اشعال النيران والتراش بالماء وكان من مواسم لهو المصريين قديما وحديثا قال وهب بردت النار فى الليلة التى القى فيها ابراهيم وفى صبيحتها على الارض كلها فلم ينتفع بها احد فى الدنيا تلك الليلة وذلك الصباح فمن اجل ذلك بات الناس على النار فى تلك الليلة التى رمى فيها ابراهيم عليه السلام ووثبوا عليها وتبخروا بها وسموا تلك الليلة نيروزا والنيروز فى اللسان السريانى العيد وسئل ابن عباس عن النيروز لم اتخذوه عيدا فقال انه اول السنة المستانفة وآخر السنة المنقطعة فكانوا يستحبون أن يقدموا فيه على ملوكهم بالطرف والهدايا فاتخذته الاعاجم سنة قال الحافظ ابو القاسم على بن

عساكر فى تاريخ دمشق من طريق ابن عباس رضى الله عنهما قال ان فرعون لما قال للملأ من قومه ان هذا الساحر عليم قالوا له ابعث الى السحرة فقال فرعون لموسى يا موسى اجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت فتجتمع انت وهرون وتجتمع السحرة فقال موسى موعدكم يوم الزينة قال ووافق ذلك يوم السبت فى اول يوم من السنة وهو يوم النيروز وفى رواية ان السحرة قالوا لفرعون ايها الملك واعد الرجل فقال قد واعدته يوم الزينة وهو عيدكم الاكبر ووافق ذلك يوم السبت فخرج الناس لذلك اليوم قال والنوروز اول سنة الفرس وهو الرابع عشر من آذار وفى شهر برمهات ويقال اول من احدثه جمشيد من ملوك الفرس وانه ملك الاقاليم السبعة فلما كمل ملكه ولم يبق له عدو اتخذ ذلك اليوم عيدا وسماه نوروزا فى اليوم الجديد وقيل ان سليمان بن داود عليهما السلام اول من وضعه فى اليوم الذى رجع اليه فيه خاتمه وقيل هو اليوم الذى شفى فيه ايوب عليه السلام وقال الله سبحانه وتعالى له اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فجعل ذلك اليوم عيدا وسنوا فيه رش الماء ويقال كان بالشام سبط من بنى اسرائيل اصابهم الطاعون فخرجوا الى العراق فبلغ ملك العجم خبرهم فأمر أن تبنى عليهم حظيرة يجعلون فيها فلما صاروا فيها ماتوا وكانوا أربعة آلاف رجل ثم ان الله تعالى اوحى الى نبى ذلك الزمان ارأيت بلاد كذا وكذا فخاربهم بسبط بنى فلان فقال يارب كيف احاربهم وقد ماتوا فأوحى الله اليه انى احييهم لك فأمطرهم الله ليلة من الليالى فى الحظيرة فأصبحوا أحياء فهم الذين قال الله فيهم ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم فرفع أمرهم الى ملك فارس فقال تبركوا بهذا اليوم وليصب بعضكم على بعض الماء فكان ذلك اليوم يوم النوروز فصارت سنة الى اليوم وسئل الخليفة المأمون عن رش الماء فى النوروز فقال قول الله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم هؤلاء قوم اجدبوا تقول مات فلان هزالا فغيثوا فى هذا اليوم برشة من مطر فعاشوا فأخصب بلدهم فلما احياهم الله بالغيث والغيث يسمى الحيا جعلوا صب الماء فى مثل هذا اليوم سنة يتبركون بها الى يومنا هذا * وقد روى ان الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف قوم من بنى اسرائيل فروا من الطاعون وقيل أمروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتل فى الجهاد فخرجوا من ديارهم فرارا من ذلك فأماتهم الله ليعرفهم انه لا ينجيهم من الموت شئ ثم احياهم على يد حزقيل احد أنبياء بنى اسرائيل فى خبر طويل قد ذكره اهل التفسير * وقال على بن حمزة الاصفهانى فى كتاب اعياد الفرس ان اول من اتخذ النيروز جمشيد ويقال جمشاد أحد ملوك الفرس الاول ومعنى النوروز اليوم الجديد والنوروز عند الفرس يكون يوم الاعتدال الربيعى كما أن المهرجان اول الاعتدال الخريفى ويزعمون أن النوروز أقدم من المهرجان فيقولون ان المهرجان كان فى ايام افريدون وانه اول من عمله لما قتل الضحاك وهو بيوراسب فجعل يوم قتله عيدا سماه المهرجان وكان حدوثه بعد النوروز بألفى سنة وعشرين سنة * وقال ابن وصيف شاه فى ذكر مناوش بن منقاوش أحد ملوك القبط فى الدهر القديم وهو أول من عمل النوروز بمصر فكانوا يقيمون سبعة أيام يأكلون ويشربون اكراما للكواكب * وقال ابن رضوان ولما كان النيل هو السبب الاعظم فى عمارة أرض مصر رأى المصريون القدماء وخاصة الذين كانوا فى عهد قلديانوس الملك أن يجعلوا اول السنة فى اول الخريف عند استكمال النيل الحاجة فى الامر الاكثر فجعلوا اول شهورهم توت ثم بابه ثم هاتور وعلى هذا الولاء بحسب المشهور من ترتيب هذه الشهور * وقال ابن زولاق وفى هذه السنة يعنى سنة ثلاث وستين وثلثمائة منع امير المؤمنين المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النوروز فى السكك ومن صب الماء يوم النوروز * وقال فى سنة اربع وستين وفى يوم النوروز زاد اللعب بالماء ووقود النيران وطاف اهل الاسواق وعملوا فيه وخرجوا الى القاهرة بلعبهم ولعبوا ثلاثة أيام وأظهروا السماجات والحلى فى الاسواق ثم أمر المعز بالنداء بالكف وأن لا توقد نار ولا يصب ماء واخذ قوم فحبسوا وأخذ قوم فطيف بهم على الجمال * وقال ابن المامون فى تاريخه وحل موسم النوروز فى اليوم التاسع من رجب سنة سبع عشرة وخمسمائة ووصلت الكسوة المختصة بالنوروز من الطراز وثغر الاسكندرية مع ما تبعها من الآلات المذهبة والحريرى والسوادج وأطلق جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية والعين والورق وجميع الاصناف المختصة بالموسم على اختلافها بتفصيلها واسماء اربابها واصناف النوروز البطيخ والرمان وعناقيد الموز وأفراد

البسر واقفاص التمر القوصى واقفاص السفرجل وبكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج ومن لحم الضأن ومن لحم البقر من كل لون بكلة مع خبز مارق قال وأحضر كاتب الدفتر الحسابات بما جرت به العادة من اطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها فى يوم النوروز وغير ذلك من جميع الاصناف وهو أربعة آلاف دينار ذهبا وخمسة عشر الف درهم فضة والكسوات عدة كثيرة من شقق ديبقية مذهبات وحريريات ومعاجر وعصائب نسائيات ملونات وسقولاد مذهب وحريرى ومسفع وفوط ديبقية حريرية فأما العين والورق والكسوات فذلك لا يخرج عمن تحوزه القصور ودار الوزارة والشيوخ والاصحاب والحواشى والمستخدمين ورؤساء العشاريات وبحاريها ولم يكن لاحد من الامراء على اختلاف درجاتهم فى ذلك نصيب * وأما الاصناف من البطيخ والرمان والبسر والموز والسفرجل والعناب والهرائس على اختلافها فيشمل ذلك جميع من تقدم ذكرهم ويشركهم فيه جميع الامراء أرباب الاطواق والانصاف وغيرهم من الاماثل والاعيان ممن له جاه ورسم فى الدولة * وقال القاضى الفاضل فى متجددات سنة أربع وثمانين وخمسمائة يوم الثلاثاء رابع عشر رجب يوم النوروز القبطى " وهو مستهل "توت وتوت اول سنتهم وقد كان بمصر فى الايام الماضية والدولة الخالية من مواسم بطالاتهم ومواقيت ضلالاتهم فكانت المنكرات ظاهرة فيه والفواحش صريحة فيه ويركب فيه أمير موسوم بأمير النوروز ومعه جمع كثير ويتسلط على الناس فى طلب رسم رتبه ويرسم على دور الاكابر بالجمل الكبار ويكتب مناشير ويندب مرسمين كل ذلك يخرج مخرج الطير ويقنع بالميسور من الهبات ويجتمع المغنون والفاسقات تحت قصر اللؤلؤة بحيث يشاهدهم الخليفة وبأيديهم الملاهى وترتفع الاصوات ويشرب الخمر والمزر شربا ظاهرا بينهم وفى الطرقات ويتراش الناس بالماء وبالماء والخمر وبالماء ممزوجا بالاقذار وان غلط مستور وخرج من بيته لقيه من يرشه ويفسد ثيابه ويستخف بحرمته فاما أن يفدى نفسه واما أن يفضح ولم يجر الحال على هذا ولكن قد رش الماء فى الحارات وقد أحيى المنكرات فى الدور أرباب الخسارات * وقال فى متجددات سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وجرى الامر فى النوروز على العادة من رش الماء واستجد فيه هذا العام التراجم بالبيض والتصافع بالانطاع وانقطع الناس عن التصرف ومن ظفر به فى الطريق رش بمياه نجسة وخرق به ومازال يوم النوروز يعمل فيه ماذكر من التراش بالماء والتصافع بالجلود وغيرها الى أن كانت أعوام بضع وثمانين وسبعمائة وأمر الدولة بديار مصر وتدبيرها الى الامير الكبير برقوق قبل أن يجلس على سرير الملك ويتسمى بالسلطان فمنع من لعب النوروز وهدد من لعبه بالعقوبة فانكف الناس عن اللعب فى القاهرة وصاروا يعملون شيأ من ذلك فى الحلجان والبرك ونحوها من مواضع التنزه بعد ما كانت أسواق القاهرة تتعطل فى يوم النوروز من البيع والشراء ويتعاطى الناس فيه من اللهو واللعب ما يخرجون عن حد الحياء والحشمة الى الغاية من الفجور والعهور وقلما انقضى يوم نوروز الا وقتل فيه قتيل او اكثر ولم يبق الآن للناس من الفراغ ما يقتضى ذلك ولا من الرفه والبطر ما يوجب لهم عمله وما أحسن قول بعضهم

كيف ابتهاجك بالنوروز ياسكنى * وكل ما فيه يحكينى وأحكيه
فتارة كلهيب النار فى كبدى * وتارة كتوالى دمعتى فيه

* (وقال آخر) *

نورز الناس ونورزت ولكن بدموعى
وذكت نارهم والنار ما بين ضلوعى

* (وقال آخر) *

ولما أتى النوروز يا غاية المنى * وأنت على الاعراض والهجر والصد
بعثت بنار الشوق ليلا الى الحشا * فنورزت صبحا بالدموع على الخد

ذكر ما يوافق ايام الشهور القبطية من الاعمال فى الزراعات وزيادة النيل وغير ذلك على ما نقله اهل مصر عن قدمائهم واعتمدوا عليه فى امورهم

اعلم أن المصريين القدماء اعتمدوا فى تاريخهم السنة الشمسية كما تقدم ذكره ليصير الزمان محفوظا وأعمالهم واقعة فى أوقات معلومة من كل سنة لا يتغير وقت عمل من أعمالهم بتقديم ولا تأخير البتة * (توت) بالقبطى هو ايلول وكانت عادة مصر مذ عهد فراعنتها فى استخراج خراجها وجباية أموالها انه لا يستتم استيفاء الخراج من أهلها الا عند تمام الماء وافتراشه على سائر أرضها ويقع اتمامه فى شهر توت فاذا كان كذلك وربما كانت زيادة عن ذلك أطلق الماء فى جميع نواحيها من ترعها ثم لا يزال يترجح فى الزيادة والنقصان حتى يفرغ توت وفى اوله يكون يوم النوروز ورابعه أول ايلول وسابعه يلقط الزيتون وثانى عشره يطلع الفجر بالصرفة وسابع عشره عيد الصليب فيشرط البلسان ويستخرج دهنه و يفتح ما يتأخر من الابحر والترع وترتب المدامسة لحفظ الجسور وفى ثامن عشره تنقل الشمس الى برج الميزان فيدخل فصل الخريف وفى خامس عشريه يطلع الفجر بالعوّا ويكبر صغار السمك وفى هذا الشهر يعم ماء النيل أراضى مصر وفيه تسجل النواحى وتسترفع السجلات والقوانين وتطلق التقاوى من الغلال لتخضير الاراضى وفيه يدرك الرمان والبسر والرطب والزيتون والقطن والسفرجل وفيه يكون هبوب ريح الشمال أقوى من هبوب ريح الجنوب وهبوب الصبا أقوى من الدبور وكان قدماء المصريين لا ينصبون فيه أساسا وفيه يكثر بمصر العنب الشتوى وتبذر المحمضات * (بابه) فى اوله يحصد الارز ويزرع الفول والبرسيم وسائر الحبوب التى لا تشق لها الارض وفى رابعه اول تشرين الاول وفى ثامنه طلوع الفجر بالسماك وهو نهاية زيادة النيل وابتداء نقصه وقد لا يتم الماء فيه فيعجز بعض الارض عن أن يركبها الماء فيكون من ذلك نقص الخراج عن الكمال وفى تاسعه يكون مجىء الكراكى الى ارض مصر وفى عاشره يزرع الكتان وفى ثانى عشره يكون ابتداء شق الارض بصعيد مصر لبذر القمح والشعير وفى ثامن عشره تنقل الشمس الى برج العقرب و يقطع الخشب وفى تاسع عشره يكون ابتداء نقص ماء النيل ويكثر البعوض وفى حادى عشريه يطلع الفجر بالغفر * وفى هذا الشهر تصرف المياه عن الاراضى ويخرج المزارعون لتخضير الاراضى فيبدؤن ببذر زراعة القرط ثم بزراعة الغلة البدرية اوّلا فأوّلا وفيه يستخرج دهن الآس ودهن النيلوفر ويدرك التمر والزبيب والسمسم والقلقاس وفيه يكثر صغار السمك و يقل كباره ويسمن الراى والابرميس من السمك خاصة وتستحكم حلاوة الرمان ويكون فيه أطيب منه فى سائر الشهور التى يكون فيها ويضع الضان والمعز والبقر الخيسية وفيه يملح السمك المعروف بالبورى و يهزل الضأن والمعز والبقر ولا تطيب لحومها وتدرك المحمضات وفيه يجب كتابة التذاكر بالاعمال القوصية وفيه يغرس المنثور ويزرع السلجم * (هاتور) فى خامسه يكون اول تشرين الثانى و يطلع الفجر بالزبانا فى رابعه وفى سادسه يزرع الخشخاش وفى سابعه يصرف ماء النيل عن اراضى الكتان ويبذر فى النصف منه وبعد تمام شهر يسبخ وفى ثامنه أوان المطر الوسمى وفى حادى عشره تهب ريح الجنوب وفى خامس عشره تبرد المياه بمصر وفى سابع عشره يطلع الفجر بالاكليل وفى ثامن عشره تحل الشمس برج القوس وفى تاسع عشره يغلق البحر الملح وفى سابع عشريه تهب الرياح اللواقح * وفى هذا الشهر يلبس اهل مصر الصوف من سابعه وفيه يكسر ما يحتاج اليه من قصب السكر برسم المعاصر وبراح الغلة فى جميع ما يحتاج اليه فيها ويهتم بعلف أبقارها وجمالها بعد بيع شارفها وعاجزها والتعويض عنه بغيره وأفراد الاتبان برسم وقود القنود وترتيب القواصمة لعمل الاباليج والقواديس والامطار برسم القنود والاعسال وفيه يدرك البنفسج والنيلوفر والمنثور ومن البقولات الاسباناخ والبلسان واختار قدماء المصريين فى هاتور نصب الاساسات وزرع القمح وأطيب حملان السنة حمله وفيه يكثر العنب الذى كان يحمل من قوص * (كيهك) اوله الاربعينات بمصر ويدخل الطير وكره وفى سادسه بشارة مريم بحمل عيسى عليهما السلام وفى سابعه اول كانون الاول وفى عاشره آخر الليالى البلق وأولها اول هاتور وفى حادى عشره اول الليالى السود ويدخل النمل الاجحرة وفى ثالث عشره يطلع الفجر بالشولة وتظهر البراغيث ويسخن باطن الارض وفى سادس عشره يسقط ورق الشجر وفى سابع عشره تنقل الشمس الى برج الجدى فيدخل فصل الشتاء ويزرع الهليون وفى حادى عشريه يكون آخر الليالى البلق وفى ثانى عشريه عيد البشارة وفى ثالث عشريه تزرع الحلبة والترمس وفى سادس عشريه يطلع الفجر بالنعائم وفى ثامن عشريه يبيض النعام وفى تاسع عشريه الميلاد * وفى هذا الشهر يزرع الخيار بعد

اغراق ارضه وفيه يتكامل بذر القمح والشعير والبرسيم الحراثى وفيه يستخرج خراج البرسيم بالوجه
القبلي وفيه ترتب حراس الطير وفيه كسر قصب السكر واعتصاره واستخدام الطباخين لطبخ القنود وفيه
يكون ادراك النرجس والمحمضات والفول الاخضر والكرنب والجزر والكراث الابيض واللفت وفيه يقل
هبوب ريح الشمال ويكثر هبوب ريح الجنوب وفيه يجود الجداء ويكون أطيب منها فى جميع الشهور التى يكون
فيها وفيه يزرع اكثر حبوب الحرث ولا يزرع بعده فى شئ من ارض مصر غير السمسم والمقاثى والقطن
* (طوبه) فى ثالثه ابتداء زراعة الحمص والجلبان والعدس وفى سادسه اوّل كانون الثانى وفى تاسعه
يطلع الفجر بالبلدة وعاشره صوم الغطاس وحادى عشره الغطاس وفى ثانى عشره يشتد البرد وفى رابع عشره
يرتفع الوباء بمصر ويغرس النخل وفى سابع عشره تحل الشمس اول برج الدلو ويكثر الندى ويكون
ابتداء غرس الاشجار وفى العشرين منه يكون آخر الليالى السود وحادى عشريه الليالى البلق الثانية
وفى ثانى عشريه يطلع الفجر بسعد الذابح وفى ثالث عشريه تهب الرياح الباردة وفى رابع عشريه تفرخ جوارح
الطير وفى خامس عشريه يكون نتاج الابل المحمودة وفى سابع عشريه يصفو ماء النيل وفى ثامن عشريه يتكامل
ادراك القرط * وفى هذا الشهر تقلم الكروم وينظف زرع الغلة من اللبسان وغيره وينظف زرع الكتان
من الفجل وغيره وفيه تبرش الاراضى اوّل سكة برسم الصيافى والمقاثى والقطن والسمسم وينتهى برشها فى اوّل
امشير وفيه تسقى ارض القلقاس والقصب وتشق الجسور فى آخره وفيه تستخرج أراضى الخرس ويكسر القصب
الراس بعد افراز ما يحتاج اليه من الزريعة وهو لكل فدان طين قيراط طيب قصب راس وفيه يهتم بعمارة
السواقى وحفر الآبار وابتياع الابقار وفيه يظهر اللوز الاخضر والنبق والهليون وفيه أيضا يكون هبوب
ريح الجنوب اكثر من هبوب الشمال وهبوب الصبا اكثر من هبوب الدبور وفيه يكون الباقلا الاخضر والجزر
أطيب منهما فى غيره وفيه يتناهى ماء النيل فى صفائه ويخزن فلا يتغير فى أوانيه ولو طال لبثه فيها وفيه تطيب
لحوم الضأن أطيب منها فى سائر الشهور وفيه تربط الخيول والبغال على القرط من اجل ربيعها وبطوبه يطالب
الناس بافتتاح الخراج ومحاسبة المتقبلين على الثمن من السجلات من جميع ما بأيديهم من الحلول والمعقود
* (امشير) فى اوّله تختلف الرياح وفى خامسه يطلع الفجر بسعد بلع وفى سادسه يكون اوّل شباط وفى تاسعه
يجرى الماء فى العود وحادى عشره اوّل جمرة باردة وسادس عشره تحل الشمس بأوّل برج الحوت وفى سابع
عشره يخرج النمل من الاجحرة وفى ثامن عشره يطلع الفجر بسعد السعود وفى العشرين منه ثانى جمرة فاترة
وفى ثالث عشريه تقلم الكروم وخامس عشريه يفرخ النحل وسابع عشريه ثالث جمرة حامية ويورق الشجر
وهو آخر غرسها وفى آخره يكون آخر الليالى البلق * وفى هذا الشهر يقلع السلجم ويستخرج خراجه وفيه يثنى
برش الصيافى وتبرش ايضا ثالث سكة وفيه يعمل مقاطع الجسور وتمسح الاراضى ويرقد البيض فى المعامل
اربعة أشهر آخرها بشنس وفيه يكون ريح الشمال اكثر الرياح هبوبا وفيه ينبغى أن تعمل اوانى الخزف للماء
لتستعمل فيه طول السنة فان ما عمل فيه من أوانى الخزف يبرّد الماء فى الصيف اكثر من تبريد ما يعمل
فى غيره من الشهور وفيه يتكامل غرس الشجر وتقليم الكروم وفيه يدرك النبق واللوز الاخضر ويكثر البنفسج
والمنثور * ويقال أمشير يقول للزرع سير ويلحق بالطويل القصير وفيه يقل البرد ويهب الهواء الذى فيه
سخونة ما وفى امشير يؤخذ الناس فيه باتمام ربع الخراج من السجلات * (برمهات) اوّل يوم منه يطلع الفجر
بالاخبية وفى خامسه يحضن دود القز وسادسه يزرع السمسم وثانى عشره يقلع الكتان ورابع عشره يكون اوّل
الاعجاز ويطلع الفجر بالفرغ المقدم وفى سادس عشره تفتح الحيات أعينها وفى سابع عشره تنتقل الشمس
الى برج الحمل وهو أوّل فصل الربيع ورأس سنة الجند ورأس سنة العالم وفى العشرين منه يكون آخر
الاعجاز وثانى عشريه نتاج الخيل المحمودة وثالث عشريه يظهر الذباب الازرق وخامس عشريه تظهر هوام
الارض وسابع عشريه يطلع الفجر بالفرغ المؤخر وفى آخره يتفرق السحاب * وفى هذا الشهر تجرى المراكب
السفرية فى البحر الملح الى ديار مصر من المغرب والروم ويهتم فيه بتجريد الاجناد الى الثغور كالاسكندرية ودمياط
وتنيس ورشيد وفيه كانت تجهز الاساطيل ومراكب الشوانى لحفظ الثغور وفيه زرع المقاثى والصيفى
ويدرك الفول والعدس ويقلع الكتان وتزرع اقصاب السكر فى الارض المبروشة المختارة لذلك البعيدة العهد

عن الزراعة ويأخذ المقشرون فى تنظيف الارض المزروعة من القش فى وقت الزراعة ويأخذ القطاعون فى قطع الزريعة ويأخذ المزارعون فى رمى قطع القصب وفيه يؤخذ فى تحصيل النطرون وحمله من وادى هبيت الى الشونة السلطانية وفيه يكون ريح الشمال اكثر الرياح هبوبا وفيه تزهر الاشجار وينعقد اكثر ثمارها وفيه يكون اللبن الرائب اطيب منه فى جميع الشهور التى يعمل فيها وفى برمهات يطالب الناس بالربع الثانى والثمن من الخراج * (برموده) فى سادسه اول نيسان وفى عاشره يطلع الفجر بالرشاء وفى ثانى عشره يقلع الفجل وفى سابع عشره تحل الشمس اول برج الثور وفى ثالث عشريه يطلع الفجر بالشرطين وهو رأس الحمل وأول منازل القمر وفيه ابتداء كسار الفول وحصاد القمح وهو ختام الزرع * وفى هذا الشهر يهتم بقطع خشب السنط من الحراج الذى كان بمصر فى القديم أيام الدولة الفاطمية والايوبية ويجر الى السواحل لتيسر حمله فى زمن النيل الى ساحل مصر ليعمل شوانى واحطابا برسم الوقود فى المطابخ السلطانية وفيه يكثر الورد ويزرع الخيار شنبر والملوخيا والباذنجان وفيه يقطف اوائل عسل النحل وينفض بزر الكتان واحسن ما يكون الورد فيه من جميع زمانه وفيه يظهر البطن الاول من الجميز وفيه تقع المساحة على اسفل الاعمال ويطالب الناس باغلاق نصف الخراج من سجلاتهم ويحصد بدرى الزرع * (بشنس) فى خامسه تكثر الفاكهة وسادسه اول ايار وفيه طلوع الفجر بالبطين وثامنه عيد الشهيد وتاسعه انفتاح البحر المالح ورابع عشره يزرع الارز وثامن عشره تحل الشمس اول برج الجوزاء وفيه يطيب الحصاد وفى تاسع عشره يطلع الفجر بالثريا وفيه زراعة الارز والسمسم ورابع عشريه يكون عيد البلسان بالمطرية ويزعمون انه اليوم الذى دخلت فيه مريم الى مصر * وفى هذا الشهر يكون دراس الغلة وهدار الكتان ونفض البزر والتقاوى والاتبان وحملها وفيه زراعة البلسان وتقليمه وسقيه وتكريم أراضيه من بؤونة الى آخر هاتور واستخراج دهنه بعد شرطه فى نصف توت وان كان فى اوله فهو أصلح الى آخر هاتور وصلاح أيامه أيام الندى ويقيم فى الندى سنة كاملة الى أن يشرب اعكاره وأوساخه ويطبخ الدهن فى الفصل الربيعى فى شهر برمهات فيعمل لكل رطل مصرى أربعة وأربعون رطلا من مائة فيحصل منه قدر عشرين درهما وما حولها من الدهن * وفى هذا الشهر اكثر ما يهب من الرياح الشمالية وفيه يدرك التفاح القاسمى ويبتدى فيه التفاح المسكى والبطيخ العبدلى ويقال انه اول ما عرف بمصر عند ما قدم اليها عبد الله بن طاهر بعد المائتين من سنى الهجرة فنسب اليه وقيل له العبدلى وفيه أيضا يبتدئ البطيخ الجربى والمشمش والخوخ الزهرى ويجنى الورد الابيض وفيه تقرر المساحة ويطالب الناس بما يضاف الى المساحة من أبواب وجوه المال كالصرف والجهبذة وحق المراعى والقرط والكتان على رسوم كل ناحية ويستخرج فيه اتمام الربع مما تقررت عليه العقود والمساحة ويطلق الحصاد لجميع الناس * (بؤونه) فى ثانيه يطلع الفجر بالدبران وفى خامسه يتنفس النيل وفى تاسعه أوان قطف النحل وفى حادى عشره تهب رياح السموم وفى ثانى عشره عيد ميكائيل فيؤخذ قاع النيل وفى ثالث عشره يشتد الحر وفى خامس عشره يطلع الفجر بالهنعة وفى عشريه تحل الشمس اول برج السرطان وهو أول فصل الصيف وفى سابع عشريه ينادى على النيل بما زاده من الاصابع وفى ثامن عشريه يطلع الفجر بالهنعة * وفى هذا الشهر تسفر المراكب لاحضار الغلال والتبن والقنود والاعسال وغير ذلك من الاعمال القوصية ونواحى الوجه البحرى وفيه يقطف عسل النحل وتخرص الكروم ويستخرج زكاتها وفيه يندى الكتان ويقلب أربعة اوجه فى بؤونة وأبيب وفيه زراعة النيلة بالصعيد الاعلى وتحصد بعد مائة يوم ثم تترك وتحصد فى كل مائة يوم حصدة ويحصل فى اول كيهك وطوبه وأمشير وبرمهات ويطلع فى برمودة وتحصد فى عشرة أيام من أبيب وتقيم فى الارض الجيدة ثلاث سنين وتسقى كل عشرة أيام دفعتين وثانى سنة ثلاث دفعات وثالث سنة أربع دفعات وفى هذا الشهر يكون التين الفيومى والخوخ الزهرى والكمثرى والقراصيا والقثاء والبلح والحصرم ويبتدئ ادراك العصفر وفيه يدخل بعض العنب ويطيب التوت الاسود ويقطف جمهور العسل فتكون رياحه قليلة والتين يكون فيه أطيب منه فى سائر الشهور وفيه يطلع النخل وفيه يستخرج تمام نصف الخراج مما بقى بعد المساحة * (أبيب) فى سابعه اول تموز وفى عاشره آخر قطع الخشب وفى حادى عشره يطلع الفجر بالذراع وثانى عشره ابتداء تعطين الكتان وفى خامس عشره يقل ماء الآبار وتدرك الفواكه ويموت الدود وفى حادى

عشريه

عشر يه تحل الشمس بأول برج الاسد و تذهب البراغيث و يبرد باطن الارض وتهيج أوجاع العين وفى خامس عشريه يطلع الفجر بالنثرة وفى سادس عشريه تطلع الشعرى العبور اليمانية * وفى هذا الشهر اكثر ما يهب من الرياح الشمال ويكثر فيه العنب ويجود وفيه يطيب التين المقرون بمجيء العنب ويتغير البطيخ العبدلى وتقل حلاوته وتكثر الكمثرى السكرية ويطيب البلح وفيه يقطف بقايا عسل النحل وتقوى زيادة ماء النيل فيقال فى أبيب يدب الماء دبيب وفيه ينقع الكتان بالمبلات ويباع برسيم البذر برسم زراعة القرط والكتان وفيه تدرك ثمرة العنب ويحصد القرطم وفيه تستتم ثلاثة ارباع الخراج * (مسرى) فى سابعه يطلع الفجر بالطرف وفى ثامنه اول آب وفى حادى عشره يجمع القطن وفى رابع عشره يحمى الماء ولا يبرد وفى سابع عشره استكمال الثمار وفى عشريه يطلع الفجر بالجبهة وفى حادى عشريه تحل الشمس برج السنبلة وفى ثالث عشريه يتغير طعم الفاكهة لغلبة ماء النيل على الارض وفى خامس عشريه يكون آخر السموم وفى تاسع عشريه يطلع سهيل بمصر * وفى هذا الشهر يكون وفاء النيل ستة عشر ذراعا فى غالب السنين حتى قيل ان لم يوف النيل فى مسرى فانتظره فى السنة الاخرى وفيه يجرى ماء النيل فى خليج الاسكندرية ويسافر فيه المراكب بالغلال والبهار والسكر وسائر أصناف المتاجر وفيه يكثر البسر وكانوا يخرصون النخل ويخرجون زكاة الثمار فى هذا الشهر عندما كانت الزكوات يجبيها السلطان من الرعية واكثر ما يهب فى هذا الشهر ريح الشمال وفيه يعصر قبط مصر الخمر ويعمل الخل من العنب وفيه يدرك الموز وأطيب ما يكون الموز بمصر فى هذا الشهر وفيه يدرك الليمون التفاحى وكان من جملة أصناف الليمون بأرض مصر ليمون يقال له التفاحى يؤكل بغير سكر لقلة حمضه ولذة طعمه وفيه يكون ابتداء ادراك الرمان واذا انقضت أيام مسرى ابتدأت ايام النسىء ففى اولها ابتداء هيج النعام وفى رابعها يطلع الفجر بالخراتان وفى مسرى يغلق الفلاحون خراج أراضى زراعاتهم وكانوا يؤخرون البقايا على دق الكتان فى مسرى وأبيب لان الكتان يبل فى توت ويدق فى بابه

(ذكر تحويل السنة الخراجية القبطية الى السنة الهلالية العربية)

وكيف عمل ذلك فى الاسلام قد تقدم فيما سلف من هذا الكتاب التعريف بالسنة الشمسية والسنة القمرية وما للامم فى كبس السنين من الآراء فلما جاء الله تعالى بالاسلام تحرز المسلمون من كبس السنين خشية الوقوع فى النسيء الذى قال الله سبحانه وتعالى فيه انما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا ثم لما رأوا تداخل السنين القمرية فى السنين الشمسية اسقطوا عند رأس كل اثنتين وثلاثين سنة قمرية سنة وسموا ذلك الازدلاق لان لكل ثلاث وثلاثين سنة قمرية اثنتين وثلاثين سنة شمسية بالتقريب وسأتلو عليك من نبا ذلك ما لم أره مجموعا * قال ابو الحسين عبد الله بن احمد بن ابى طاهر فى كتاب أخبار امير المؤمنين المعتضد بالله ابى العباس احمد بن ابى احمد طلحة الموفق ابن المتوكل ومنه نقلت وخرج أمر المعتضد فى ذى الحجة سنة احدى وثمانين ومائتين بتصيير النوروز لاحدى عشرة ليلة خلت من حزيران رأفة بالرعية وايثارا لارفاقها وقالوا خرج التوقيع فى المحرم سنة اثنتين وثمانين ومائتين بانشاء الكتب الى جميع العمال فى النواحى والامصار بترك افتتاح الخراج فى النوروز الفارسى الذى يقع يوم الجمعة لاحدى عشرة ليلة خلت من صفر وأن يجعل ما يفتتح من خراج سنة اثنتين وثمانين ومائتين يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الآخر من هذه السنة وهو اليوم الحادى عشر من حزيران ويسمى هذا النوروز المعتضدى ترفيها لاهل الخراج ونظرا لهم ونسخة التوقيع الخارج فى تصيير افتتاح الخراج فى حزيران (أما بعد) فان الله لما خول أمير المؤمنين للعمل الذى احله به من امور عباده وبلاده رأى أن من حق الله عليه أن لا يكلفها الا ما به العدل والانصاف لها والسيرة القاصدة وأن يتولى لها اصلاح امورها ويستقرئ السير والمعاملات التى كانت تعامل بها ويقر منها ما اوجب الحق اقراره ويزيل ما اوجب ازالته غير مستكثر لها كثير ما يسقطه العدل ولا مستقل لها قليل ما يلزمه اياها الجور وقد وفق الله أمير المؤمنين لما يرجو أن يكون لحق الله فيه قاضيا ولنصيبها من العدل موازيا وبالله يستعين امير المؤمنين على حفظ ما استرعاه منها وحياطة ما قلده من امورها وهو خير موفق ومعين وان أبا القاسم عبيد الله رفع الى أمير المؤمنين فيما أمر أمير المؤمنين به من رد النوروز الذى يفتتح به الخراج بالعراق والمشرق وما يتصل بهما ويجرى مجراهما من الوقت

الذى صار فيه من الزمان الى الوقت الذى كان عليه متقدما مع ما أمر به فى مستقبل السنين من الكبس حتى يصير العدل عاما فى الزمان كله باقيا على غابر الدهر ومر الايام مؤامرة أمير المؤمنين فأمر بتسجيلها لك فى آخر كتابه مع ما وقع به فيها التمثيله فافعل ذلك ان شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة سنة احدى وثمانين ومائتين * نسخة المؤامرة أنهيت الى امير المؤمنين أن مما انعم الله به على رعيته ورزقها اياه من رأفته وحسن نظره واقامته عليها من عدله وانصافه ورفعه عنها فى خلافته من الظلم الشامل ما كان الاقصى والادنى والصغير والكبير والمسلم والذمى فيه سواء ما حررته من نقل كتب الخراج عن السنة التى كانت تنسب اليها من سنى الهجرة الى السنة التى فيها تدرك الغلات ويستخرج المال وان ذلك ما كان بعض اهل الجهل حاوله وبعض المتغلبين استعمله من تثبيت الخراج على اهله ومطالبتهم به قبل وقت الزراعة واعناتهم بذكر سنة من السنتين اللتين ينسب الخراج لاحداهما وتدرك الغلات ويقع الاستخراج فى الأخرى منهما فى حساب شهور الفرس التى عليها يجرى العمل فى الخراج بالسواد وما يليه والاهواز وفارس والجبل وما يتصل به من جميع نواحى المشرق وما يضاف اليه اذا كان عمل الشأم والجزيرة والموصل يجرى على حساب شهور الروم الموافقة للازمنة فليست تختلف اوقاتها مع الكبيسة المستعملة فيها والعمل فى خراج مصر وما والاها على شهور القبط الموافقة لشهور الروم وكانت من شهور الفرس قد خالفت موافقها من الزمان بما ترك من الكبس منذ أزال الله ملك فارس وفتح للمسلمين بلادهم فصار النوروز الذى كان الخراج يفتتح فيه بالعراق والمشرق قد تقدم فى ترك الكبس شهرين وصار ابينه وبين ادراك الغلة فأمر أمير المؤمنين بما جبل الله عليه رأيه فى التوصل الى كل ما عاد بصلاح رعيته وحسما للاسباب المؤدية الى اعناتها بتأخير النوروز الذى يقع فى شهور سنة اثنتين وثمانين ومائتين من سنى الهجرة عن الوقت الذى يتفق فيه أيام سنة الفرس وهو يوم الجمعة لاحدى عشرة تخلو من صفر مثل عدة أيام الشهرين من شهور الفرس التى ترك كبسها وهى ستون يوما حتى يكون نوروز السنة واقعا يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين ومائتين وهو الحادى عشر من حزيران وهو يتصل بهما ويجرى مجراهما وينسب ويضاف اليهما وبسائر أعمالهم وبما يعمله اصحاب الحساب من التقويمات وجميع الاعمال وما يعده الفرس من شهورهم الى شهوره الكبيسة الاول والاخر ثم يكبس بعد ذلك فى كل اربع سنين من سنى الفرس ولا يقع تفاوت بينه وبينها على مرور الايام وليكن ابدا واقعا فى حزيران وغير خارج عنه وأن يلغى ذكر كل سنة من أربع سنين تنسب الى الخراج بالعراق وفى المشرق والمغرب وسائر النواحى والآفاق اذ كان مقدار سنى أيام الهجرة والسنة الجامعة للازمنة التى تتكامل فيها الغلات وأن يخرج التوقيع بذلك لتنشأ الكتب به من ديوان الرسائل الى ولاة المعاون والاحكام وتقرأ على المنابر ويحمل أصحاب المعاون الرعية عليه وتأخذها بامتثال ما أمر به أمير المؤمنين وسنة الحكام فى ديوان حكمهم لتمثيل الضمان والمقاطعين ذلك على حسبه وأستطلع رأى امير المؤمنين فى ذلك فرأى امير المؤمنين فى ذلك موفق ان شاء الله تعالى وتكتب نسخة التوقيع بتنفيذ ذلك ان شاء الله تعالى وكتب فى شهر ذى الحجة سنة احدى وثمانين ومائتين * قال وكان السبب فى نقل الخراج الى حزيران فى أيام المعتضد ما حدثنى به ابو احمد يحيى بن على بن يحيى المنجم القديم قال كنت أحدث امير المؤمنين المعتضد فذكرت خبر المتوكل فى تأخير النوروز فاستحسنه وقال لى كيف كان ذلك قلت حدثنى ابى قال دخل المتوكل قبل تأخير النوروز بعض بساتينه الخاصة التى كانت فى يدى وهو متوكئ على يحادثنى وينظر الى ما أحدث فى ذلك البستان فمر بزرع فرآه اخضر فقال يا على ان الزرع اخضر بعد ما أدرك وقد استأمرنى عبيد الله بن يحيى فى استفتاح الخراج فكيف كانت الفرس تستفتح الخراج فى النوروز والزرع لم يدرك بعد قال فقلت له ليس يجرى الامر اليوم على ما كان يجرى عليه فى أيام الفرس ولا النوروز فى هذه الايام فى وقته الذى كان فى أيامها قال وكيف ذلك فقلت لانها كانت تكبس فى كل مائة وعشرين سنة شهرا وكان النوروز اذا تقدم شهرا وصار فى خمس من حزيران كبست ذلك الشهر فصار فى خمس من ايار وأسقطت شهرا وردته الى خمس من حزيران فكان لا يتجاوز هذا فلما تقلد العراق خالد بن عبد الله القسرى وحضر الوقت الذى تكبس فيه الفرس منعها من ذلك وقال هذا من النسىء الذى نهى الله عنه فقال انما النسىء زيادة فى الكفر وأنا لا أطلقه حتى أستأمر فيه امير المؤمنين فبذلوا على ذلك مالا جليلا فامتنع عليهم

من

من قبوله وكتب الى هشام بن عبد الملك يعرّفه ذلك ويستأمره ويعلمه انه من النسيء الذى نهى الله عنه فأمر بمنعهم من ذلك فلما امتنعوا من الكبس تقدّم النوروز تقدّما شديدا حتى صار يقع فى نيسان والزرع أخضر فقال له المتوكل فاعمل لهذا يا علىّ عملا تردّ النوروز فيه الى وقته الذى كان يقع فيه فى ايام الفرس وعرّف بذلك عبيد الله ابن يحيى وأدّ اليه رسالة منى فى أن يجعل استفتاح الخراج فيه قال فصرت الى ابى الحسن عبيد الله بن يحيى وعرّفته ما جرى بينى وبين المتوكل وأدّيت اليه رسالته فقال لى يا ابا الحسن قدو الله فرّجت عنى وعن الناس وعملت عملا كثيرا يعظم ثوابك عليه وكسبت لامير المؤمنين اجرا وشكرا فأحسن الله جزاءك فمثلك من يجالس الخلفاء وأحب أن يتقدّم بالعمل الذى أمر به المتوكل وينفذه الىّ حتى اجرى الامر عليه واتقدم فى كتب الكتب باستفتاح الخراج قال فرجعت وحرّرت الحساب فوجدت النوروز لم يكن يتقدم فى ايام الفرس اكثر من شهر يتقدم من خمس تخلو من حزيران فيصير فى خمسة ايام تخلو من ايار فتكبس سنتها وتردّه الى خمسة ايام من حزيران وأنفذته الى عبيد الله بن يحيى فأمر أن يستفتح الخراج فى خمس من حزيران وتقدم الى ابراهيم ابن العباس فى أن ينشئ كتابا عن أمير المؤمنين فى ذلك ينفذ نسخته الى النواحى فعمل ابراهيم بن العباس كتابه المشهور فى أيدى الناس * قال ابو احمد فقال لى المعتضد يا يحيى هذا والله فعل حسن وينبغى أن يعمل به فقلت ما احد أولى بفعل الحسن واحياء السنن الشريفة من سيدنا ومولانا أمير المؤمنين لما جمعه الله فيه من المحاسن ووهبه له من الفضائل فدعا بعبيد الله بن سليمان وقال له اسمع من يحيى ما يخبرك به وأمض الامر فى استفتاح الخراج عليه قال فصرت مع عبيد الله بن سليمان الى الديوان وعرّفته الخبر فأحب تأخيره عن ذلك لئلا يجرى الامر المجرى الاول بعينه فجعله فى احد عشر من حزيران واستأمر المعتضد فى ذلك فأمضاه فقلت فى ذلك شعرا انشدته للمعتضد فى هذا المعنى

يوم نوروزك يوم * واحد لا يتأخر
من حزيران يوافى * أبدا فى احد عشر

قال وأخبرنى بعض مشايخ الكتّاب قال وكانت الخلفاء تؤخر النوروز عن وقته عشرين يوما واقل واكثر ليكون ذلك سببا لتأخير افتتاح الخراج على اهله * وأما المهرجان فلم تكن تؤخره عن وقته يوما واحدا فكان اول من قدمه عن وقته يوم المعتمد بمدينة السلام فى سنة خمس وستين ومائتين وأمر المعتضد بتأخير النوروز عن وقته ستين يوما وقال ابو الريحان محمد بن احمد البيرونىّ فى كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية ومنه نقلت ما ذكر ابن أبى طاهر وزاد ونفذت الكتب الى الآفاق يعنى عن المتوكل فى محرّم سنة ثلاث واربعين ومائتين وقتل المتوكل ولم يتم له ما دبر واستتر الامر حتى قام المعتضد فاحتذى ما فعله المتوكل فى تاخير النوروز غير أنه نظر فاذا المتوكل اخذ ما بين سنته وبين اول تاريخ يزدجرد فأخذ المعتضد ما بين سنته وبين السنة التى زال فيها ملك الفرس بهلاك يزدجرد ظنا أن اهمالهم أمر الكبس من ذلك الوقت فوجده مائتى سنة وثلاثا وأربعين سنة حصتها من الارباع ستون يوما وكسر فزاد ذلك على النوروز فى سنة وجعله منتهى تلك الايام وهو من خرداد ماه فى تلك السنة وكان يوم الاربعاء ويوافقه اليوم الحادى عشر من حزيران ثم وضع النوروز على شهور الروم لتكبس شهوره اذا كبست الروم شهورها وقال القاضى السعيد ثقة الثقات ذو الرياستين أبو الحسن علىّ بن القاضى المؤتمن ثقة الدولة أبى عمرو عثمان بن يوسف المخزومى فى كتاب المنهاج فى علم الخراج والسنة الخراجية مركبة على حكم السنة الشمسية لانّ السنة الشمسية ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم ورتب المصريون سنتهم على ذلك ليكون أداء الخراج عند ادراك الغلات من كل سنة ووافقها السنة القبطية لانّ أيام شهورها ثلثمائة وستون يوما ويتبعها خمسة ايام النسيء وربع يوم بعد تقضى مسرى وفى كل أربع سنين تكون أيام النسيء ستة أيام لينجبر الكسر ويسمون تلك السنة كبيسة وفى كل ثلاث وثلاثين سنة تسقط سنة فيحتاج الى نقلها لاجل الفصل بين السنين الشمسية والسنين الهلالية لانّ السنة الشمسية ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم والسنة الهلالية ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وكسر ولما كان كذلك احتيج الى استعمال النقل الذى تطابق به احدى السنتين الأخرى وقد قال ابو الحسن علىّ بن الحسن الكاتب رحمه الله عهدت جباية أموال الخراج فى سنين قبل سنة احدى وأربعين ومائتين من خلافة أمير المؤمنين

المتوكل على الله رحمة الله عليه تجري كل سنة في السنة التي بعدها بسبب تاخر الشهور الشمسية عن الشهور القمرية في كل سنة احد عشر يوما وربع يوم وزيادة الكسر عليه فلما دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائتين كان قد انقضى من السنين التي قبلها ثلاث وثلاثون سنة اولهن سنة ثمان ومائتين من خلافة أمير المؤمنين المأمون رحمة الله عليه واجتمع من هذا المتأخر فيها أيام سنة شمسية كاملة وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وزيادة الكسر وبها ادراك الغلات وثمار سنة احدى وأربعين ومائتين في صفر سنة اثنتين وأربعين ومائتين وأمر أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمة الله عليه بالغاء ذكر سنة احدى وأربعين ومائتين اذ كانت قد انقضت ونسب الخراج الى سنة اثنتين وأربعين ومائتين فجرت الاعمال على ذلك سنة بعد سنة الى أن انقضت ثلاث وثلاثون سنة آخرهن انقضاء سنة أربع وسبعين ومائتين فلم ينبه كتاب أمير المؤمنين المعتمد على الله رحمة الله عليه على ذلك اذ كان رؤساؤهم في ذلك الوقت اسماعيل بن بلبل وبني الفرات ولم يكونوا عملوا في ديوان الخراج والضياع في خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمة الله عليه ولا كانت اسنانهم اسنانا بلغت معرفتهم معها هذا النقل بل كان مولد احمد بن محمد بن الفرات قبل هذه السنة بخمس سنين ومولد علي أخيه فيها وكان اسماعيل بن بلبل يتعلم في مجلس لم يبلغ أن ينسخ فلما تقلدت لناصر الدين أبي احمد طلحة الموفق رحمه الله أعمال الضياع بقزوين ونواحيها لسنة ست وسبعين ومائتين وكان مقيما بأذربيجان وخلفته بالجبل جرادة بن محمد واحمد بن محمد كاتبه واحتجت الى رفع جماعتي اليه ترجمتها بجماعة سنة ست وسبعين ومائتين التي أدركت غلاتها وثمارها في سنة سبع وسبعين ومائتين ووجب الغاء ذكر سنة ست وسبعين ومائتين فلما وقفا على هذه الترجمة انكراها وسألاني عن السبب فيها فشرحت لهما واكدت ذلك بأن عرفتهما اني قد استخرجت حساب السنين الشمسية والسنين القمرية من القرآن الكريم بعد ما عرضته على اصحاب التفسير فذكروا انه لم يأت فيه شيء من الاثر فكان ذلك اوكد في لطف استخراجي وهو أن الله تعالى قال في سورة الكهف ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا فلم أجد احدا من المفسرين عرف معنى قوله وازدادوا تسعا وانما خاطب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بكلام العرب وما تعرفه من الحساب فمعنى هذه التسع أن الثلثمائة كانت شمسية بحساب العجم ومن كان لا يعرف السنين القمرية فاذا أضيف الى الثلثمائة القمرية زيادة التسع كانت سنين شمسية صحيحة فاستحسناه فلما انصرف جرادة مع الناصر لدين الله الى مدينة السلام وتوفي الناصر رحمه الله وتقلد القاسم عبيد الله بن سليمان كتابة أمير المؤمنين المعتضد بالله أجرى له جرادة ذكر هذا النقل وشرح له سببه تقربا اليه وطعنا على أبي القاسم عبيد الله في تأخيره اياه فلما وقف المعتضد على ذلك تقدم الى أبي القاسم بانشاء الكتب بنقل سنة ثمان وسبعين الى سنة تسع وسبعين ومائتين وكان هذا النقل بعد أربع سنين من وجوبه ثم مضت السنون سنة بعد سنة الى أن انقضت الآن ثلاث وثلاثون سنة اولاهن السنة التي كان النقل وجب فيها وهي سنة خمس وسبعين ومائتين وآخرتهن انقضاء سنة سبع وثلثمائة وقد تهيأ ادراك الغلات والثمار في صدر سنة ثمان وثلثمائة ونسبته اليها وقد عملت نسخة هذا النقل نسختها تحت هذا الموضع ليوقف عليها وقد كان اصحاب الدواوين في أيام المتوكل لما نقل سنة احدى وأربعين ومائتين الى سنة اثنتين واربعين ومائتين جبوا الجوالي والصدقات لسنتي احدى واثنتين وأربعين ومائتين في وقت واحد لان الجوالي بسر من رآى ومدينة السلام وقصب المدن المشهورة كانت تجبى على شهور الاهلة وما كان من جماجم اهل القرى في الخراج والضياع والصدقات والمستغلات كان يجبى على شهور الشمس وفي ثلاث وثلاثين سنة اجتمعت أيام سنة شمسية كاملة فألزم اهل الذمة خاصة بالجوالي ورفعها العمال في حساباتهم فمن لم يرفعها ألزموه بجوالي السنة الزائدة فأحفظ انه اجتمع من ذلك الوف دراهم ثم جددت الكتب الى العمال بأن تكون حساباتهم الجوالي على شهور الاهلة تجري الامر على ذلك قال القاضي ابو الحسن وقد كان النقل اغفل في الديار المصرية حتى كانت سنة تسع وتسعين واربعمائة الهلالية تجري مع سنة سبع وتسعين الخراجية فنقلت سنة سبع وتسعين واربعمائة الى سنة احدى وخمسمائة هكذا رأيت في تعليقات أبي رحمه الله وآخر ما نقلت السنة في وقتنا هذا سنة خمس وستين وخمسمائة الى سنة سبع وستين وخمسمائة الهلالية فتطابقت السنتان وذلك اني لما قلت للقاضي الفاضل ابي علي

عبد الرحيم

عبد الرحيم بن على البيسانى انه قد آن نقل السنة فانشأ سجلا بنقلها نسخ الدواوين وحمل الامر على حكمه وما برح الملوك والوزراء يعتنون بنقل السنين فى احيانها * وقال ابو الحسين هلال بن المحسن الصابى حدثنى ابو على قال لما أراد الوزير ابو محمد المهلبى نقل سنة خمس وثلثمائة الهلالية امر أبا اسحاق والدى وغيره من كتابه فى الخراج والرسائل بانشاء كتاب عن المطيع لله فى هذا المعنى فكتب كل منهم وكتب والدى الكتاب الموجود فى رسائله وعرضت النسخ على الوزير فاختاره منها وتقدم بأن يكتب الى اصحاب الاطراف وقال لابى الفرج بن ابى هشام خليفته اكتب الى العمال بذلك كتبا محققة وانسخ فى اواخرها هذا الكتاب السلطانى فغاظ أبا الفرج وقوع التفضيل والاختيار لكتاب والدى وقد كان عمل نسخة اطرحت فى جملة ما اطرح وكتب قد رأينا نقل سنة خمسين الى احدى وخمسين فاعمل على ذلك ولم ينسخ الكتاب السلطانى وعرف الوزير ما كتب به ابو الفرج فقال له لماذا اغفلت نسخ الكتاب السلطانى فى آخر الكتب الى العمال واثباته فى الديوان فأجاب جوابا علل فيه فقال له يا أبا الفرج ما تركت ذلك الا حسدا لابى اسحاق وهو والله فى هذا الفن اكتب اهل زمانه فأعد الآن الكتب وانسخ الكتاب فى اواخرها قال القاضى ابو الحسن وأنا اذكر بمشيئة الله نسخة الكتاب الذى أشار اليه ابو الحسن على بن الحسن الكاتب وكتاب أبى اسحاق وكتاب القاضى الفاضل ليستبين للناظر طريق نقل السنين الخراجية الى السنين الهلالية فاذا قاربت الموافقة وحسنت فيها المطابقة فالكتاب الفاضلى اكثر مجازا وأعظم اعجازا ولا يخفى على المتأمل قدر ما اورد فيه من البلاغة كما لا يخفى على العارف قدر ما تضمنه كتاب الصابى من الصناعة * نسخة الكتاب الذى أشار اليه ابو الحسن الكاتب * ان أولى ما صرف اليه أمير المؤمنين عنايته وأعمل فيه فكره ورويته وشغل فيه تفقده ورعايته أمر الفىء الذى خصه الله به وألزمه جمعه وتوفيره وحياطته وتكثيره وجعله عماد الدين وقوام أمر المسلمين وفيما يصرف منه الى اعطيات الاولياء والجنود ومن يستعان به لتحصين البيضة والذب عن الحريم وحج البيت وجهاد العدو وسد الثغور وأمن السبيل وحقن الدماء واصلاح ذات البين وأمير المؤمنين يسأل الله تعالى راغبا اليه ومتوكلا عليه أن يحسن عونه على ما حمله منه ويديم توفيقه بما أرضاه وارشاده الى أن يقضى عنه وله وقد نظر امير المؤمنين فيما كان يجرى عليه أمر جباية هذا الفىء فى خلافة آبائه الراشدين صلوات الله عليهم فوجده على حسب ما كان يدرك من الغلات والثمار فى كل سنة اولا اولا على مجارى شهور سنى الشمس فى النجوم التى يحل مال كل صنف منها فيها ووجد شهور السنة الشمسية تتأخر عن شهور السنة الهلالية أحد عشر يوما وربعا وزيادة عليه ويكون ادراك الغلات والثمار فى كل سنة بحسب تأخرها فلا تزال السنون تمضى على ذلك سنة بعد سنة حتى تنقضى منها ثلاث وثلاثون سنة وتكون عدة الايام المتأخرة منها أيام سنة شمسية كاملة وهى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وزيادة عليه فحينئذ يتهيأ بمشيئة الله تعالى وقدرته ادراك الغلات التى تجرى عليها الضرائب والطسوق فى استقبال المحرم من سنى الاهلة ويجب مع ذلك الغاء السنة الخارجة اذا كانت قد انقضت ونسبتها الى السنة التى أدركت الغلات والثمار فيها لانه وجد ذلك قد كان وقع فى أيام أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمة الله عليه عند انقضاء ثلاث وثلاثين سنة آخرهن سنة احدى وأربعين ومائتين فجرت المكاتبات والحسبانات وسائر الاعمال بعد ذلك سنة بعد سنة الى أن مضت ثلاث وثلاثون سنة آخرهن انقضاء سنة أربع وسبعين ومائتين ووجب انشاء الكتب بالغاء ذكر سنة أربع وسبعين ومائتين ونسبتها الى سنة خمس وسبعين ومائتين فذهب ذلك على كتاب أمير المؤمنين المعتمد على الله وتأخر الامر أربع سنين الى أن أمر أمير المؤمنين المعتضد بالله رحمة الله عليه فى سنة سبع وسبعين ومائتين بنقل خراج سنة ثمان وسبعين الى سنة تسع وسبعين ومائتين فجرى الامر على ذلك الى أن انقضت فى هذا الوقت ثلاث وثلاثون سنة اولاهن السنة التى كان يجب نقلها فيها وهى سنة خمس وسبعين ومائتين وآخرهن انقضاء شهور خراج سنة سبع وثلثمائة ووجب افتتاح خراج ما يجرى على الضرائب والطسوق فى اولها وان من صواب التدبير واستقامة الاعمال واستعمال ما يخف على الرعية معاملتها به نقل سنة الخراج سنة سبع وثلثمائة الى سنة ثمان وثلثمائة فرأى أمير المؤمنين لما يلزمه نفسه ويؤاخذها به من العناية بهذا الفىء وحياطة اسبابه واجرائها مجاريها وسلوك سبيل آبائه الراشدين رحمة الله عليهم اجمعين فيها أن يكتب اليك والى سائر

العمال فى النواحى بالعمل على ذلك وأن يكون ما يصدر اليكم من الكتب وتصدرونه منكم وتجرى عليه أعمالكم ورفوعكم وحسباناتكم وسائر مناظراتكم على هذا النقل فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين واعمل به مستشعرا فيه وفى كل مضنة تقوى الله وطاعته ومستعملا عليه ثقات الاعوان وكفاتهم ومشرفا عليهم ومقوما لهم واكتب بما يكون منك فى ذلك ان شاء الله تعالى * (نسخة ابى اسحاق الصابى) * أما بعد فان أمير المؤمنين لا زال مجتهدا فى مصالح المسلمين وباعثا لهم على مراشد الدنيا والدين ومهيأ لهم احسن الاختيار فيما يوردون ويصدرون وأصوب الرأى فيما يبرمون وينقضون فلا يلوح له خلة داخلة على امورهم الا سدها وتلافاها ولا حال عائدة بحظ عليهم الا اعتمدها وأتاها ولا سنة عادلة الا أخذهم باقامة رسمها وامضاء حكمها والاقتداء بالسلف الصالح فى العمل بها والاتباع لها واذا اعرض من ذلك ما تعلمه الخاصة بوفور ألبابها وتجهله العامة بقصور أفهامها وكانت اوامره فيه خارجة اليك والى امثالك من أعيان رجاله وأماثل عماله الذين يكتفون بالاشارة ويجتزون بيسير الابانة والعبارة لم يدع أن يبلغ من تخليص اللفظ وايضاح المعنى الى الحد الذى يلحق المتأخر بالمتقدم ويجمع بين العالم والمتعلم ولا سيما اذا كان ذلك فيما يتعلق بمعاملات الرعية ومن لا يعرف الا الظواهر الجلية دون البواطن الخفية ولا يسهل عليه الانتقال عن العادات المتكررة الى الرسوم المتغيرة ليكون القول بالمشروح لمن برز فى المعرفة مذكرا ولمن تأخر فيها مبصرا ولانه ليس من الحق أن تمنع هذه الطبقة من برد اليقين فى صدورها ولا أن يقتصر على اللمعة الدالة فى مخاطبة جمهورها حتى اذا استوت الاقدام بطوائف الناس فى فهم ما أمر وا به وفقه ما دعوا اليه وصاروا على حكمه سواء لا يعترضهم شك الشاكين ولا استرابة المسترييبن اطمأنت قلوبهم وانشرحت صدورهم وسقط الخلاف بينهم واستمر الاتفاق بهم واستيقنوا أنهم مؤسسون على استقامة من المنهاج ومحروسون من حوائز الزيغ والاعوجاج فكان الانقياد منهم وهم دارون عالمون لا مقلدون مسلمون وطائعون مختارون لا مكرهون ولا مجبرون وأمير المؤمنين يستمد الله تعالى فى جميع أغراضه ومراميه ومطالبه ومغازيه مادة من صنعه يقف بها على سنن الصلاح ويفتح له ابواب النجاح وينهضه بما اهله لحمله من الاعباء التى لا يدعى الاستقلال بها الا بتوفيقه ومعونته ولا يتوجه فيها الا بدلالته وهدايته وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل يرى أن اولى الاقوال أن يكون سدادا واحرى الافعال أن يكون رشادا ما وجد له فى السابق من حكم الله اصول وقواعد وفى النص من كتابه آيات وشواهد وكان منصبا بالامة الى قوام من دين أو دنيا ووفاق فى آخرة اواولى فذلك هو البناء الذى يثبت ويعلو والغرس الذى ينبت ويزكو والسعى الذى تنجح مباديه وهواديه وتبهج عواقبه وتواليه وتستنير سبله لسالكيها وتوردهم موارد السعود فى مقاصدهم فيها غير ضالين ولا عادلين ولا منحرفين ولا زائلين وقد جعل الله عز وجل لعباده من هذه الافلاك الدائرة والنجوم السائرة فيما تتقلب عليه من اتصال وافتراق ويتعاقب عليها من اختلاف واتفاق منافع تظهر فى كرور الشهور والاعوام ومرور الليالى والايام وتفاوت الضياء والظلام واعتدال المسالك والاوطان وتغاير الفصول والازمان ونشو النبات والحيوان مما ليس فى نظام ذلك خلل ولا فى صنعه زلل بل هو منوط بعضه ببعض ومحوط من كل ثلمة ونقض قال الله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق وقال جل من قائل الم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير وقال تعالى والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم وقال عزت قدرته والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ففضل الله تعالى بهذه الآيات بين الشمس والقمر وأنبأنا فى الباهر من حكمه والمعجز من كلامه أن لكل منهما طريقا سخر فيها وطبيعة جبل عليها وأن تلك المباينة والمخالفة فى المسير يؤديان الى موافقة وملازمة فى التدبير فمن هنالك زادت السنة الشمسية فصارت ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربعا بالتقريب المعمول عليه وهى المدة التى تقطع الشمس فيها الفلك مرة واحدة ونقصت الهلالية فصارت ثلثمائة واربعة وخمسين يوما وهى المدة التى يجامع القمر فيها الشمس اثنتى عشرة مرة واحتيج اذا انساق هذا الفضل الى استعمال النقل الذى يطابق احدى السنتين بالاخرى اذا افترقتا ويدانى بينهما اذا تفاوتتا ومازالت الامم السالفة تكبس زيادات السنين على افتنان من طرقها ومذاهبها وفى كتاب الله عز وجل شهادة بذلك اذ يقول فى قصة اهل الكهف ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة

سنين

سنين وازدادوا تسعا فكانت هذه الزيادة بأن الفضل فى السنين المذكورة على تقريب التقريب فأما الفرس فانهم اجروا معاملاتهم على السنة المعتدلة التى شهورها اثنا عشر شهرا وأيامها ثلثمائة وستون يوما ولقبوا الشهور باثنى عشر لقبا وسموا أيام الشهر منها بثلاثين اسما وأفردوا الخمسة الايام الزائدة وسموها المسترقة وكبسوا الربع فى كل مائة وعشرين سنة شهرا فلما انقرض ملكهم بطل فى كبس هذا الربع تدبيرهم وزال نوروزهم عن سنته وانفرج ما بينه وبين حقيقة وقته انفراجا هو زائد لا يقف ودائر لا ينقطع حتى ان موضوعهم فى النوروز أن يقع فى مدخل الصيف وسينتهى الى أن يقع فى مدخل الشتاء ويتجاوز ذلك وموضوعهم فى المهرجان أن يقع فى مدخل الشتاء وينتهى الى أن يقع فى مدخل الصيف ويتجاوز وأما الروم فكانوا اتقن منهم حكمة وأبعد نظرا فى العاقبة لانهم رتبوا شهور السنة على ارصاد شهروها وأنواء عرفوها وفضوا الخمسة الايام على الشهور وساقوها على الدهور وكبسوا الربع فى كل أربع سنين يوما ورسموا أن يكون الى شباط مضافا فقربوا ما بعده غيرهم وسهلوا على الناس أن يقتفوا اثرهم لاجرم ان المعتضد بالله رحمه الله على اصولهم بنى ولمثالهم احتذى فى تصييره نوروزه اليوم الحادى عشر من حزيران حتى سلم مما لحق النواريز فى سالف الازمان وتلافوا الامر فى عجز سنى الهلال عن سنى الشمس بأن جبروها بالكبس. فكلما اجتمع من فصول سنى الشمس وما بقى تمام شهر جعلوا السنة الهلالية يتفق ذلك فيها ثلاثة عشر هلالا فربما تم الشهر الثالث عشر فى ثلاث سنين وربما تم فى سنتين بحسب ما يوجبه الحساب فتصير سنتا الشمس والهلال عندهم متقاربتين ابدا لا يتباعد ما بينهما وأما العرب فان الله تعالى فضلها على الامم الماضية وورثها ثمرات مشاقها المتعبة وأجرى شهر صيامها ومواقيت أعيادها وزكاة اهل ملتها وجزية اهل ذمتها على السنة الهلالية وتعبدها فيها برؤية الاهلة ارادة منه أن تكون مناهجها واضحة وأعلامها لائحة فيتكافأ فى معرفة الغرض ودخول الوقت الخاص منها والعام والناقص الفقه والتام والانثى والذكر والصغير والكبير والاكبر فصاروا حينئذ يحسبون فى سنة الشمس حاصل الغلات المقسومة وخراج الارض الممسوحة ويجبون فى سنة الهلال الجوالى، والصدقات والارباء والمقاطعات والمستغلات وسائر ما يجرى على المشاهرات وحدث من التداخل بين السنين ما لو استمر لقبح جدا وازداد بعدا اذ كانت الجباية الخراجية فى السنة التى ينتهى اليها تنسب الى الشمسية والى ما قبلها فوجب مع هذا أن تطرح تلك السنة وتلغى ويتجاوز الى ما بعدها ويتخطى ولم يجز لهم أن يعتدوا بمخالفتهم فى كبس السنة الهلالية بشهر ثالث عشر ولانهم لو فعلوا ذلك لزحزحت الاشهر الحرم عن موافقها وازيحت المناسك عن حقائقها ونقصت الجباية فى سنى الاهلة القبطية بقسط ما استغرقه الكبس منها فانتظروا بذلك الفضل الى أن تتم السنة وأوجب الحساب المقرب أن يكون كل اثنتين وثلاثين سنة شمسية ثلاثا وثلاثين هلالية فنقلوا المتقدمة الى المتاخرة نقلا لا يتجاوز الشمسية وكانت هذه الكافة فى دنياهم مستسهلة مع تلك النعمة فى دينهم وقد رأى أمير المؤمنين نقل سنة خمسين وثلثمائة الخراجية الى سنة احدى وخمسين وثلثمائة الهلالية جمعا بينهما ولزوما لتلك السنة فيهما فاعمل بما ورد به امر أمير المؤمنين عليك وتضمنه كتابه هذا اليك ومر الكتاب قبلك أن يحتذوا رسمه فيما يكتبون به الى عمال نواحيك ويخلدونه فى الدواوين من ذكورهم ورفوعهم ويعدونه من خروج الاموال وينظمونه فى الدواوين والاعمال ويثبتون عليه الجماعات والحسبانات ويوعزون بكتبه من الروزنامجات والبرآت وليكن المنسوب من ذلك الى سنة خمسين وثلثمائة التى وقع النقل اليها وأقم فى نفوس من بحضرتك من اصناف الجند والرعية واهل الملة والذمة أن هذا النقل لا يغير لهم رسما ولا يلحق بهم ثلما ولا يعود على قابضى العطاء بنقصان ما استحقوا قبضه ولا على مؤدى حق بيت المال باغضاء عما وجب أداؤه فان قرائح اكثرهم فقيرة الى افهام أمير المؤمنين الذى اثر أن تزاح فيه العلة ويسد به سهم الخلة اذ كان هذا الشأن لا يتجدد الا فى المدد الطوال التى فى مثلها يحتاج الى تعريف الناسى وأجب بما يكون منك جوابا يحسن موقعه لك ان شاء الله تعالى * وقال ابن المأمون فى تاريخه من حوادث سنة احدى وخمسمائة وأول ما تحدث فيه نقل السنة الشمسية الى العربية وكان قد حصل بينهما تفاوت أربع سنين فتحدث القائد ابو عبد الله محمد بن فاتك البطائحى مع الافضل بن أمير الجيوش فى ذلك فأجاب اليه وخرج أمره الى الشيخ أبى القاسم بن الصيرفى بانشاء سجل به فأنشأ ما نسخته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى ارتضى أمير المؤمنين امينه فى أرضه وخليفته وألهمه أن يعم بحسن

التدبير عبيده وخليقته ووفقه لمصالح يستمد أسبابها ويفتح بحسن نظره أبوابها واورثه مقام آبائه الراشدين الذين اختصهم بشرف المفخر وجعل اعتقاد موالاتهم سبب النجاة في الحشر وعناهم بقوله يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وأعلى منار سلطانه بمدبر افلاك دولته ومبيد أعداء مملكته واشرف من نصب للجند علما وراية ووقف على مصلحة البرية نظره ورايه وأرشد بهدايته الالباب الحائرة وأذهب بعدلته الاحكام الجائرة السيد الاجل الافضل ونتمم النعوت بالدعاء للذي كمل تدبيره نظام الصلاح وتممه وسدد تقريره الامور في كل ما قصده ويممه ونبه في السياسة على ما اهمله من سبقه وأغفله من تقدمه وتتبع احوال المملكة فلم يدع مشكلا الا اوضحه وبين الواجب فيه ولا خللا الا اصلحه وبادر بتلافيه ولا مهملا الا استعمله على ما يوافق الصواب ولا ينافيه ايثار العمارة الاعمال وقصد المايقضى بتوفير الاموال وتوخيا لما عاد بضروب لاستغلال واعتناء برجال الدولة العلوية واجنادها واهتماما بمصالحهم التي ضعفت قواهم عن ارتيادها ورعاية لمن ضمنه اقطار المملكة من الرعايا وحملا لهم على اعدل السنن وأفضل القضايا يحمده امير المؤمنين على ما اعانه عليه من حسن النظر للأمة وادخره لايامه من الفضائل التي صفت بها ملابس النعمة ووفقه لما يعود على الكافة بشمول الانتفاع حتى صار استبدال الحقوق بواجبات الشريعة الواضحة الادلة واستيفاؤها بمقتضى المعدلة فيما يجرى على احكام الخراج وأوضاع الاهلة ويرغب اليه بالصلوة على محمد الذي ميزه بالحكمة وفصل الخطاب وبين به ما استبهم من سبل الصواب وانزل عليه في محكم الكتاب هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه ابينا أمير المؤمنين علي بن ابى طالب كافيه فيما اعضل لما عدم المساعد وواقيه بنفسه لما تخاذل الكف والساعد وعلى الائمة من ذريتهما العاملين برضى الله تعالى فيما يقولون ويفعلون والذين يهدون بالحق وبه يعدلون وان أولى ما اولاه امير المؤمنين حظا وافيا من تفقده وأسهم له جزأ وافرا من كريم تعهده ونظر اليه بعين اهتمامه واختصه بالقسم الاجزل من استمالة امر الاموال التي يستعان بها على سد الخلل وبرجائها يستدفع ما يطرق من الحادث الجلل وبوفورها تستثبت شؤون المملكة وتستقيم احوال الدول وباستخراجها على حكم العدل الشامل ووصمة انصاف المعامل تكون العمارة التي هي اصل زيادتها ومادة كثرتها وغزارتها ولما كانت جباياتها على حكمين احدهما يجئ هلاليا وذلك ما لا يدخله عارض ولا اشكال ولا ابهام ولا يحتاج فيه الى ايضاح ولا افهام لأن شهور الهلال يشترك في معرفتها الامير والمقصر ويستوى في الفهم بها المتقدم في العلم والمتأخر اذ كان الناس آلفين لازمنة متعبداتهم السنين مما يحفظ لهم نظام مرسومهم والآخر يجئ خراجيا ويثبت بنسبته الى الخراج لانها تضبط اوقات ما يجرى ذلك لاجله من النيل المبارك والزراعة وتحفظ احيانه دون السنة الهلالية وتحرس أوضاعه ولا يستقل بمعرفته الامن باشره وعرف موارده ومصادره فوجب أن يقصر على السنة الخراجية النظر ويفعل فيها ما تعظم به الفائدة ويحسن فيه الاثر ويعتمد في ايضاح امرها وتقديم حكمها على ما تحلى به التواريخ وتزين به السير ويكون ذلك شاهد المساعى السيد الاجل الافضل الذى لا يزال ساهرا ليله في حياطة الهاجعين شاهرا سيفه في حماية الوادعين مطلعا للدولة بدور السعادة وشموسها مذللا لها صعب الحوادث وشموسها ناطقة تارة بأن امة هو راعيها قد فضل الله سائسها واسعد مسوسها وهذا حين التبصير والارشاد وأوان التبيين للغرض والمراد لتتساوى العامة والخاصة في علمه وتسعهم الفائدة في معرفة حكمه وتحقق المنفعة لهم فيما يمنع من تداخل السنين واستقبالها وتتيقن المعدلة عليهم فيما يؤمن من المضار التي يحتاج الى استدراكها ومعلوم أن ايام السنة الخراجية وهى السنة الشمسية بخلاف السنة الهلالية لان ايام السنة الخراجية من استقبال النوروز الى آخر النسىء ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وأيام السنة الهلالية لاستقبال المحرم الى آخر ذى الحجة ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما والخلاف في كل سنة بالتقريب احد عشر يوما وفي كل ثلاث وثلاثين سنة سنة واحدة على حكم التقريب ويقتضيه ما تقدم من الترتيب فاذا اتفق أن يكون اول الهلالية موافقا لمدخل السنة الخراجية وكانت نسبتهما واحدة استمر اتفاق التسمية فيهما وبقى ذلك جاريا عليهما ولم يزل الامتداخلين لكون مدخل الخراجية في اثناء شهور الهلالية الى انقضاء ثلاث وثلاثين سنة فاذا انقضت هذه المدة بطلت المداخلة وخلت السنة

الهلالية من نوروز يكون فيها وبحكم ذلك بطل اتفاق التسمية ويكون التفاوت سنة واحدة للعلة المقدم ذكرها ومن اين يستمر بينهما ائتلاف او يعدم لهما اختلاف ام كيف يعتقد ذلك أحد من البشر والله تعالى يقول لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر فقد وضح دليل التباعد بما جاء منصوصا فى الكتاب وظهر برهانه بما اقتضاه موجب الحساب فيحتاج بحكم ذلك الى نقل السنة الشمسية الى التى تليها لتكون موافقة للهلالية وجارية معها وفائدة النقل أن لا تخلو السنة الهلالية من مال خاص ينسب الى السنة الموافقة لها الان وواجبات العسكرية على عظمها واتساعها وأرزاق المرتزقة على اختلاف أجناسها واوضاعها جارية على أحكام الهلالية غير معدول بها عن ذلك فى حال من الاحوال والمحافظة على ثمرة ارتفاعها متعينة ومنفعة العناية بما تجرى عليه واضحة مبينة ولما اهلت سنة احدى وخمسمائة ودخلت فيها سنة تسع وتسعين وأربعمائة الخراجية الموافقة لسنة احدى وخمسمائة الهلالية كان فى ذلك من التباين والتعارض والتفاوت والتنافر بحكم اهمال النقل فيما تقدم ما صارت السنة الهلالية الحاضرة لا يجبى خراج ما يوافقها فيها ولا تدرك غلات السنة المجرى مالها عليها الا فى السنة التى تليها فهى تستهل وتنقضى وليس لها فى الخراجى ارتفاع والاعمال تطيف بالزراعة ولا حظ لها فى ذلك ولا انتفاع وهذه الحال المضرة بها على بيت المال غير خفية والاذية فيها للرجال المقطعين بادية وأسباب لحوقها اياهم مستمرة متمادية ولاسيما من وقع له باثبات وانعم عليه بزيادات فانهم يتعجلون الاستقبال ويتأجلون الاستغلال ومتى لم تنقل هذه السنة الخراجية كانت متداخلة بين سنين هلالية وهى موافقة لغيرها وما لها يجرى على سنة تجرى بينهما الان مدخلها فى اليوم العاشر من المحرم سنة احدى وخمسمائة وانقضاؤها فى العشرين من المحرم سنة اثنتين وخمسمائة وهى متداخلة بين هاتين السنتين وما لهما يجرى على سنة احدى وخمسمائة والحال فى ذلك لا ينتهى الى أمد ولا يزال الفساد يتزايد طول الابد وقد رأى أمير المؤمنين وبالله توفيقه ما خرج به أمره الى السيد الاجل الافضل الذى نبه على هذا الامر وكشف غامضه وأزال بحسن توصله تنافيه وتناقضه أن يوعز الى ديوان الانشاء بكتب هذا السجل مضمنا ما رآه ودبره مودعا انفاذ ما أحكمه وقرره من نقل سنة تسع وتسعين وأربعمائة الى سنة احدى وخمسمائة لتكون موافقة لها ويجرى عليها مالها ويكون ما يستأدونه من اقطاعاتهم ويستخرجونه من واجباتهم جاريا على نظام محروس ونطاق محيط غير منحوس وشاهدا بنصيب موفى غير منقوص ويتضح ما أبهم اشكاله التعمية ويزول الاستكراه فى اختلاف التسمية ويستمر الوفاق بين السنين الهلالية والخراجية الى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة وينسب مال الخراج والمقاسمات وما يستغل ويجبى من الاقطاعات مما كان جاريا على ذكر سنة تسع وتسعين وأربعمائة الى سنة احدى وخمسمائة وتجرى الاضافة اليها مجرى ما يرتفع من الهلالى فيها لتكون سنة احدى من هذه مشتملة على ما يخصها من مالها وعلى مال السنة الخراجية بما يشرح من انتقالها وكذلك نقل سنة تسع وتسعين وأربعمائة الخراجية الثابتة بالقسمية الى سنة احدى وخمسمائة المشار اليها ويكون مالها جاريا عليها فليعتمد ذلك فى الدواوين بالحضرة وفى سائر اعمال الدولة قاصيها ودانيها وفارسها وشاميها وليتنبه كافة الكتاب والمستخدمين وجميع العمال والمتصرفين الى اقتفاء هذا السنن واتباعه وليحذروا الخروج عن أحكامه المقررة وأوضاعه وليبادروا الى امتثال المرسوم فيه وليحذروا من تجاوزه وتعديه ولينسخ فى دواوين الاموال والجيوش المنصورة وليخلد بعد ذلك فى بيوت المال المعمورة وكتب فى محرم سنة احدى وخمسمائة * وقال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة ومن خطه نقلت * مستهل المحرم نسخ منشور بنقل السنة الخراجية الى السنة الهلالية والمطابقة بين اسميهما لموافقة الشهور العربية للشهور القبطية وخلو سنة سبع من نوروز فنقلت سنة خمس وستين وخمسمائة الخراجية الى هذه السنة وكان آخر نقل نقلته هذه السنة فى الايام الافضلية فان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة وسنة تسع وتسعين الخراجيتين نقلتا الى سنة احدى وخمسمائة الخراجية وسبب هذا الانفراج بينهما زيادة عدد السنة الشمسية على عدد الهلالية احد عشر يوما واغفال النقل فى سنة ثلاث وثلاثين فى أيام الوزير الافضل رضوان بن ولخشى وانسحب ذيل هذه الزيادة وتداخل السنين بعضها فى بعض الى أن صار التفاوت بينهما سنتين فى هذه السنة فنقلت وهو انتقال لا يتعدى التسمية ولا يتجاوز اللفظ ولا ينقص

مالالديوان ولاالمقطع وانما يقصد به ازالة الالباس وحل الاشكال * وقال القاضى ابو الحسين ونسخة الكتاب الذى انشاه القاضى الفاضل خرجت الاوامر الملكية الناصرية زادالله فى اعلائها بابداع هذا المنشور انا نؤثر من حسن النظر ما يؤثر أحسن الخبر ولا ينصرف بنا الفكر عما تحلى به السير وتجلى به الغير ولا تزال خواطرنا تعتلى فتطلع الدرارى وتغوص فتخرج الدرر وان اولى ما استحدثت به البصائر وحرست فيه المصائر كل أمر يصحح المعاملات ويشرحها ويطلق عقولهم من عقول الاشكال ويسرحها ولما وجب نقل السنة الخراجية والمطابقة بينها وبين الهلالية لانفراجهما بسنتين وموافقة الشهور الخراجية والهلالية فى هذه السنة مطالع المستهلين امضينا هذه السنة الخالية فى هذه السنة الآتية واستخرنا الله تعالى فى نقل سنتى خمس وست وستين وخمسمائة الى سنة سبع وستين وخمسمائة التى سميت بهذا النقل هلالية خراجية نفيا للامور المشتبهة والتسمية المموهة وتنزيها لسنى الاسلام عن التكبيس ولتاريخه عن ملابسة التلبيس واعلاما بالوفاق الذى استشعرته آباؤها وبنوها واعلانا باتباعه عناية بعوايد السلف التى خلفوها للخلف وبنوها وفى ذلك ما تحمد به العواقب وتنفسح به المذاهب وتتيسر به المطالب ويزول به الاشكال ويؤمن به الاختلال وينحسم به الغلط فى الحساب ويؤلف بين السنين المختلفة الانساب ويحفظ على القمر معاملته ويبعد عن التاريخ مغالطته ويقرب على الكاتب محاولته ويصرف عن نعمة الله هجنة كونها مقدمة فى التسنية مؤخرة فى التسمية وعن معاملة بيت المال وصمة كونها معذوقة بالمطل وقد بالغت فى التوفية لان من أعطى فى سنة سبع وستين وخمسمائة استحقاق سنة خمس فلاريب أنه قد مطل بحكم السمع وان كان قد انجز بحكم الشرع فتوسم هذه السنة المباركة بالهلالية الخراجية وترفع الحسبانات بهذا الوضع ويعمل فى التقريرات والتسجيلات على هذا فليفعل فى ذلك ما يقضى بارتاج هذا الانفراج وجبر هذا الصدع وليعلم فى الدواوين علمه ولينفذ فيها حكمه بعد ثبوته الى حيث يثبت مثله ان شاء الله تعالى *(وأما تاريخ العرب) فانه لم يزل فى الجاهلية والاسلام يعمل بشهور الاهلة وعدة شهور السنة عندهم اثنا عشر شهرا الا انهم اختلفوا فى اسمائها فكانت العرب العاربة تسميها ناتق ونقيل وطليق واسخ وأنخ وحلك وكسح وزاهر ونوط وحرف وبغش فناتق هو المحرم ونقيل هو صفر وهكذا ما بعده على سرد الشهور وكانت ثمود تسميها موجب وموجر ومورد وملزم ومصدر وهوبر وهوبل وموها وديمر ودابر وحيقل ومسبل فموجب هو المحرم وموجر صفر الا انهم كانوا يبدؤن بالشهور من ديمر وهو شهر رمضان فيكون أول شهور السنة عندهم ثم كانت العرب تسميها بأسماء أخر وهى مؤتمر وناجر وخوان وصوان وحنتم وزبا والاصم وعادل ونايق ووعل وهواع وبرك ومعنى المؤتمر أنه يأتمر بكل شئ مما تأتى به السنة من اقضيتها وناجر من النجر وهو شدة الحر وخوان فعال من الخيانة وصوان بكسر الصاد وضمها فعال من الصيانة والزبا الداهية العظيمة المتكاثفة سمى بذلك لكثرة القتال فيه ومنهم من يقول بعد صوان الزبا وبعد الزبا بائدة وبعد بائدة الاصم ثم واغل وباطل وعادل ورنه وبرك فالبائد من القتال اذ كان فيه يبيد كثير من الناس وجرى المثل بذلك فقيل العجب كل العجب بين جمادى ورجب وكانوا يستعجلون فيه ويتوخون بلوغ النار والغارات قبل رجب فانه شهر حرام ويقولون له الاصم لانهم كانوا يكفون فيه عن القتال فلا يسمع فيه صوت سلاح والواغل الداخل على شرب ولم يدعوه وذلك لانه تهجم على شهر رمضان وكان يكثر فى شهر رمضان شربهم الخمر لان الذى يتلوه هى شهور الحج وباطل هو مكيال الخمر سمى به لافراطهم فيه فى الشرب وكثرة استعمالهم لذلك المكيال وأما العادل فهو من العدل لانه من أشهر الحج وكانوا يشتغلون فيه عن الباطل وأما الزبا فلان الانعام كانت تزب فيه لقرب النحر وأما برك فهو لبروك الابل اذا احضرت المنحر وقد روى انهم كانوا يسمون المحرم مؤتمر وصفر ناجر وربيع الاول نصار وربيع الآخر خوان وجمادى الاولى حنتن وجمادى الآخرة الرنة ورجب الاصم وهو شهر مضر وكانت العرب تصومه فى الجاهلية وكانت تمتار فيه وتميراهلها وكان يأمن بعضهم بعضا فيه ويخرجون الى الاسفار ولا يخافون وشعبان عادل ورمضان ناتق وشوال واغل وذو القعدة هواع وذو الحجة برك ويقال فيه أيضا بروك وكانوا يسمونه الميمون ثم سمت العرب أشهرها بالمحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجمادى الاولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذى القعدة وذى الحجة

واسموا

واشتقوا اسماءها من امور اتفق وقوعها عند تسميتها فالمحرم كانوا يحرمون فيها القتال وصفر كانت تصفر فيه بيوتهم لخروجهم الى الغزو وشهرا ربيع كانا زمن الربيع وشهرا جمادى كانا يجمد فيهما الماء لشدة البرد ورجب الوسط وشعبان يشعب فيه القتال ورمضان من الرمضاء لانه كان يأتى فيه القيظ وشوال تشيل فيه الابل أذنابها وذو القعدة لقعودهم فى دورهم وذو الحجة لانه شهر الحج وأنت اذا تأملت اشتقاق اسماء شهور الجاهلية اولا ثم اشتقاقها ثانيا تبين لك أن بين التسميتين زمانا طويلا فان صفر فى احدهما هو صميم الحروب وفى الآخر رمضان ولا يمكن ذلك فى وقت واحد او وقتين متقاربين وكانت العرب اولا تستعمل هذه الشهور على نحو ما يستعمله اهل الاسلام اما بطريق الهى اولان العرب لم يكن لها دراية بمراعاة حساب حركات النيرين فاحتاجت الى استعمال مبادى الشهور لرؤية الاهلة وجعلت زمان الشهر بحسب ما يقع بين كل هلالين فربما كان بعض الشهور تاما أعنى ثلاثين يوما وربما كان ناقصا اعنى تسعة وعشرين يوما وربما كانت اشهر متوالية تامة اكثرها اربعة وهذا نادر وربما كانت اشهر متوالية ناقصة اكثرها ثلاثة وكان يقع حج العرب فى ازمنة السنة كلها وهو أبدا عاشر ذى الحجة من عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فاذا انقضى موسم الحج تفرقت العرب طالبة أماكنها واقام أهل مكة بها فلم يزالوا على ذلك دهرا طويلا الى أن غيروا دين ابراهيم واسماعيل فأحبوا أن يتوسعوا فى معيشتهم ويجعلوا حجهم فى وقت ادراك شغلهم من الادم والجلود والثمار ونحوها وأن يثبت ذلك على حالة واحدة فى أطيب الازمنة وأخصبها فتعلموا كبس الشهور من اليهود الذين نزلوا يثرب من عهد شمويل نبى بنى اسرائيل وعملوا النسىء قبل الهجرة بنحو مائتى سنة وكان الذى يلى النسىء يقال له القلمس يعنى الشريف وقد اختلف فى اول من أنسأ الشهور منهم فقيل القلمس هو عدى بن زيد وقيل القلمس هو سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة وانه قال أرى شهور الاهلة ثلثمائة وأربعة وخمسين يوما وأرى شهور العجم ثلثمائة وخمسة وستين يوما فبيننا وبينهم احد عشر يوما ففى كل ثلاث سنين ثلاثة وثلاثون يوما ففى كل ثلاث سنين شهر وكان اذا جاءت ثلاث سنين قدم الحج فى ذى القعدة فاذا جاءت ثلاث سنين أخر فى المحرم وكانت العرب اذا حجت قلدت الابل النعال وألبستها الجلال وأشعرتها فلا يتعرض لها أحد الا خثعم وكان النسىء فى بنى كنانة ثم فى بنى ثعلبة بن مالك بن كنانة وكان الذى يلى ذلك منهم ابو ثمامة المالكى ثم من بنى فقيم وبنو فقيم هم النساة وهو ينسئ الشهور وكان يقوم على باب الكعبة فيقول ان الهتكم العزى قد أنسأت صفر الاول وكان يحله عاما ويحرمه عاما وكان اتباعهم على ذلك غطفان وهوازن وسليم وتميم وآخر النساة جنادة بن عوف بن امية بن قلع بن عباد بن حذيفة بن عبد بن فقيم وقيل القلمس هو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة ثم توارث ذلك منه بنوه من بعده حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام ابو ثمامة جنادة وكانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت اليه فأحل لهم من الشهور وحرم فأحلوا ما أحل وحرموا ما حرم وكان اذا اراد أن ينسئ منها شيأ أحل المحرم فأحلوه وحرم مكانه صفر فحرموه ليواطئوا عدة الاربعة فاذا أرادوا الهدى اجتمعوا اليه فقال اللهم انى لا احاب ولا اعاب فى امرى والامر لما قضيت اللهم انى قد أحللت دماء المحلين من طى وخثعم فاقتلوهم حيث ثقفتموهم اى ظفرتم بهم اللهم انى قد أحللت أحد الصفرين الصفر الاول وأنسأت الآخر من العام المقبل وانما احل دم طى وخثعم لانهم كانوا يعدون على الناس فى الشهر الحرام من بين جميع العرب * وقيل اول من انسأ سرير بن ثعلبة وانقرض فانسأ من بعده ابن اخيه القلمس واسمه عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن كنانة ثم صار النسىء فى ولده وكان آخرهم ابو ثمامة جنادة وقيل عوف بن امية بن قلع عن ابيه امية بن قلع عن جده قلع بن عباد عن جد أبيه عباد بن حذيفة عن جد جده حذيفة بن عبد بن فقيم وكان يقال لحذيفة القلمس وهو أول من أنسأ الشهور على العرب فأحل منها ما أحل وحرم ما حرم ثم كان بعد عوف المذكور ولده ابو ثمامة جنادة بن عوف وعليه قام الاسلام وكان أبعدهم ذكرا وأطولهم أمدا يقال انه انسأ أربعين سنة ولهم يقول عمير بن قيس جذل الطعان يفتخر

وأى الناس لم يسبق بوتر * واى الناس لم يعلك لجاما

ألسنا الناسئين على معد * شهور الحل نجعلها حراما

وقال آخر

اتزعم انى من فقيم بن مالك * لعمرى لقد غيرت ما كنت اعلم
لهم ناسئ يمشون تحت لوائه * يحل اذا شاء الشهور ويحرم

وقيل كانت العرب تكبس فى كل اربع وعشرين سنة قمرية بتسعة اشهر فكانت شهورهم ثابتة مع الازمنة جارية على سنن واحد لا تتاخر عن أوقاتها ولا تتقدم وكان النسئ الاول للمحرم فسمى صفر باسمه وشهر ربيع الاول باسم صفر ثم والوا بين اسماء الشهور فكان النسئ الثانى بصفر فسمى الذى كان يتلوه بصفر أيضا وكذلك حتى دار النسئ فى الشهور الاثنى عشر وعاد الى المحرم فأعادوا فعلهم الاول وكانوا يعدون ادوار النسئ ويحدون بها الازمنة فيقولون قد دارت السنون من لدن زمان كذا الى زمان كذا كذا وكذا دورة فان ظهر لهم مع ذلك تقدم شهر عن فصله من الفصول الاربعة لما يجتمع من كسور سنة الشمس بقية فضل ما بينها وبين سنة القمر الذى ألحقوه بها كبسوها كبسا ثانيا وكان يظهر لهم ذلك بطلوع منازل القمر وسقوطها حتى هاجر النبى صلى الله عليه وسلم وكانت نوبة النسئ بلغت شعبان فسمى محرما وشهر رمضان صفر وقيل ان الناسئ الاول نسأ المحرم وجعله كبسا وأخر المحرم الى صفر وصفر الى ربيع الاول وكذا بقية الشهور فوقع لهم فى تلك السنة عاشر المحرم وجعل تلك السنة ثلاثة عشر شهرا ونقل الحج بعد كل ثلاث سنين شهرا فمضى على ذلك مائتان وعشر سنين وكان انقضاؤها سنة حجة الوداع وكان وقوع الحج فى السنة التاسعة من الهجرة عاشر ذى القعدة وهى السنة التى حج فيها ابو بكر الصديق رضى الله عنه بالناس ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السنة العاشرة حجة الوداع لوقوع الحج فيها عاشر ذى الحجة كما كان فى عهد ابراهيم واسماعيل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى حجته هذه ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض يعنى رجوع الحج والشهور الى الوضع وأنزل الله تعالى ابطال النسئ بقوله تعالى انما النسئ زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم فبطل ما أحدثته الجاهلية من النسئ واستمر وقوع الحج والصوم برؤية الاهلة ولله الحمد * وكانت العرب لها تواريخ معروفة عندها قد بادت فمما كانت تؤرخ به ان كنانة أرخت من موت كعب بن لؤى حتى كان عام الفيل فأرخوا به وهو عام مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بين كعب بن لؤى والفيل خمسمائة وعشرون سنة وكان بين الفيل وبين الفجار أربعون سنة ثم عدوا من الفجار الى وفاة هشام بن المغيرة فكان ست سنين ثم عدوا من وفاة هشام بن المغيرة الى بنيان الكعبة فكان تسع سنين ثم كان بين بنائها وبين هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سنة ثم وقع التاريخ من الهجرة النبوية فعن سعيد بن المسيب قال جمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الناس فسألهم من اى يوم يكتب التاريخ فقال على بن ابى طالب من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك أرض الشرك ففعله عمر وعن سهل بن سعد الساعدى قال اخطأ الناس فى العدد ما عدوا من مبعثه ولا من وفاته انما عدوا من مقدمه المدينة وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان التاريخ من السنة التى قدم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقال قرة بن خالد عن محمد كان عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه عامل جاء من اليمن فقال لعمر أما تؤرخون تكتبون فى سنة كذا وكذا من شهر كذا وكذا فأراد عمر والناس أن يكتبوا من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا من عند وفاته ثم أرادوا أن يكون ذلك من الهجرة ثم قالوا من اى شهر فأرادوا أن يكون من رمضان ثم بدا لهم فقالوا من المحرم وقال ميمون بن مهران رفع الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه صك محله شعبان فقال اى شعبان هو أشعبان الذى نحن فيه او الآتى ثم جمع وجوه الصحابة فقال ان الاموال قد كثرت وما قسمنا منها غير موقت فكيف التوصل الى ما يضبط به ذلك فقالوا يجب أن يعرف ذلك من رسوم الفرس فعندها استحضر عمر رضى الله عنه الهرمزان وسأله عن ذلك فقال ان لنا حسابا نسميه ماه روز معناه حساب الشهور والايام فعربوا الكلمة وقالوا مؤرخ ثم جعلوه اسم التاريخ واستعملوه ثم طلبوا وقتا يجعلونه اولا لتاريخ دولة الاسلام فاتفقوا على أن يكون المبدأ من سنة الهجرة وكانت الهجرة النبوية من مكة الى المدينة وقد تصرم من شهور السنة وأيامها المحرم وصفر وأيام من ربيع الاول فلما عزموا على تأسيس الهجرة رجعوا القهقرى ثمانية وستين يوما وجعلوا التاريخ من اول محرم هذه السنة ثم احصوا من اول يوم فى المحرم الى آخر عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان عشر سنين وشهرين وأما اذا

حسب عمره المقدس من الهجرة حقيقة فيكون قد عاش صلى الله عليه وسلم بعدها تسع سنين وأحد عشر شهرا واثنين وعشرين يوما وكان بين مولده صلى الله عليه وسلم وبين مولد المسيح عليه السلام خمسمائة وثمان وسبعون سنة تنقص شهرين وثمانية ايام وابتداء تاريخ الهجرة يوم الخميس اول شهر الله المحرم وبينه وبين الطوفان ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وثلاثون سنة وعشرة اشهر واثنان وعشرون يوما على ما عرفنا من الخلاف فى ذلك وبينه وبين تاريخ الاسكندر بن فيلبش المقدوني الرومى تسعمائة واحدى وستون سنة قمرية وأربعة وخمسون يوما تكون من السنين الشمسية تسعمائة واثنتين وثلاثين سنة ومائتين وتسعة وثمانين يوما عنها تسعة اشهر وتسعة عشر يوما وبينه وبين تاريخ القبط ثلثمائة وسبع وثلاثون سنة وتسعة وثلاثون يوما * وقال ابن ماشاالله ان انتقال المرمن المثلثة الهوائية التى هى برج الجوزاء دولتها الى برج السرطان ومثلثته المائية التى كانت دولة الاسلام فيها عند تمام ستة آلاف وثلثمائة وخمس وأربعين سنة وثلاثة أشهر وعشرين يوما من وقت القران الاول الواقع فى بدء التحرك يعنى خلق آدم عليه السلام وان القران من هذه المثلثة وقع فى أربع درج ودقيقة واحدة من برج العقرب وهو قران الملة الاسلامية قال وفى السنة الثانية من هذا القران ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بين دخول الشمس برج الحمل فى هذه السنة وبين اول يوم من سنة الهجرة سنون فارسية عدتها احدى وخمسون سنة وثلاثة أشهر وثمانية ايام وست عشرة ساعة فكان من وقت الطوفان الى وقت قران الملة ثلاثة آلاف وتسعمائة واثنتا عشرة سنة وستة اشهر وأربعة عشر يوما * وزعمت اليهود أن من آدم عليه السلام الى سنة الهجرة أربعة آلاف واثنتين واربعين سنة وثلاثة اشهر * وزعمت النصارى أن بينهما خمسة آلاف وتسعمائة وتسعين سنة وثلاثة اشهر * وزعمت المجوس اعنى الفرس أن بينهما اربعة آلاف ومائة واثنتين وثمانين سنة وعشرة اشهر وتسعة عشر يوما وقد عرفت أن شهور تاريخ الهجرة قمرية وأيام كل سنة منها عدتها ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وخمس وسدس يوم وجميع الاحكام الشرعية مبنية على رؤية الهلال عند جميع فرق الاسلام ماعدا الشيعة فان الاحكام مبنية عندهم على عمل شهور السنة بالحساب على ماستراه فى ذكر القاهرة وخلفائها ثم لما احتاج منجمو الاسلام الى استخراج ما لابد منه من معرفة الاهلة وسمت القبلة وغير ذلك بنوا أزياجهم على التاريخ العربى وجعلوا اشهور السنة العربية شهرا كاملا وشهرا ناقصا وابتدؤا بالمحرم اقتداء بالصحابة رضى الله عنهم فجعلوا المحرم ثلاثين يوما وصفر تسعة وعشرين يوما وربيعا الاول ثلاثين يوما وربيعا الآخر تسعة وعشرين يوما وجمادى الاولى ثلاثين يوما وجمادى الآخرة تسعة وعشرين يوما ورجب ثلاثين يوما وشعبان تسعة وعشرين يوما ورمضان ثلاثين يوما وشوالا تسعة وعشرين يوما وذا القعدة ثلاثين يوما وذا الحجة تسعة وعشرين يوما وزادوا من أجل كسر اليوم الذى هو خمس وسدس يوما فى ذى الحجة اذا صار هذا الكسر اكثر من نصف يوم فيكون شهر ذى الحجة فى تلك السنة ثلاثين يوما ويسمون تلك السنة كبيسة ويصير عددها ثلثمائة وخمسة وخمسين يوما ويجتمع فى كل ثلاثين من الكبس احد عشر يوما والله أعلم * وأما تاريخ الفرس ويعرف ايضا بتاريخ يزدجرد فانه من ابتداء تملك يزدجرد بن شهريار بن كسرى ابرويز ارخ به الفرس من أجل أن يزدجرد قام فى المملكة بعد ما تبدد ملك فارس واستولى عليه النساء والمتغلبون وهو أيضا آخر ملوك فارس وبقتله تمزق ملكهم واول هذا التاريخ يوم الثلاثاء وبينه وبين تاريخ الهجرة تسع سنين وثلثمائة وثمانية وثلاثون يوما وايام سنة هذا التاريخ تنقص عن السنة الشمسية ربع يوم فيكون فى كل مائة وعشرين سنة شهرا واحدا ولهم فى كبس السنة آراء ليس هذا موضع ايرادها وعلى هذا التاريخ يعتمد فى زمننا اهل العراق وبلاد العجم ولله عاقبة الامور

قوله وقال ابن الخ هكذا هذه العبارة فى جميع النسخ التى بيدى ولا تخلو عن تحريف ظاهر ككثير من عبارات هذا الكتاب ولا يعلم الغيب الا الله اهـ

(ذكر فسطاط مصر)

قال الجوهرى الفسطاط بيت من شعر قال ومنه فسطاط مدينة مصر اعلم أن فسطاط مصر اختط فى الاسلام بعد ما فتحت أرض مصر وصارت دار اسلام وقد كانت بيد الروم والقبط وهم نصارى ملكانية ويعقوبية ومبانية وحين اختط المسلمون الفسطاط انتقل كرسى المملكة من مدينة الاسكندرية بعد ما كانت منزل الملك ودار الامارة زيادة على تسعمائة سنة وصار من حينئذ الفسطاط دار امارة ينزل به امراء مصر فلم يزل على

ذلك حتى بنى العسكر بظاهر الفسطاط فنزل فيه امراء مصر وسكنوه وربما سكن بعضهم الفسطاط فلما أنشأ الامير ابو العباس أحمد بن طولون القطائع بجانب العسكر سكن فيها واتخذها الامراء من بعده منزلا الى أن انقرضت دولة بنى طولون فصار امراء مصر من بعد ذلك ينزلون بالعسكر خارج الفسطاط ومازالوا على ذلك حتى قدمت عساكر الامام المعز لدين الله أبى تميم معد الفاطمى مع كاتبه جوهر القائد فبنى القاهرة وصارت خلافة واستمر سكنى الرعية بالفسطاط وبلغ من وفور العمارة وكثرة الخلائق ما أربى على عامة مدن المعمور حاشا بغداد ومازال على ذلك حتى تغلب الفرنج على سواحل البلاد الشامية ونزل مرى ملك الفرنج بجموعه الكثيرة على بركة الحبش يريد الاستيلاء على مملكة مصر وأخذ الفسطاط والقاهرة فعجز الوزير شاور ابن مجير السعدى عن حفظ البلدين معا فأمر الناس باخلاء مدينة الفسطاط واللحاق بالقاهرة للامتناع من الفرنج وكانت القاهرة اذ ذاك من الحصانة والامتناع بحيث لا ترام فارتحل الناس من الفسطاط وساروا باسرهم الى القاهرة وأمر شاور فألقى العبيد النار فى الفسطاط فلم تزل به بضعا وخمسين يوما حتى احترقت اكثر مساكنه فلما رحل مرى عن القاهرة واستولى شيركوه على الوزارة تراجع الناس الى الفسطاط ورموا بعض شعثه ولم يزل فى نقص وخراب الى يومنا هذا وقد صار الفسطاط يعرف فى زمننا بمدينة مصر والله اعلم

(ذكر ما كان عليه موضع الفسطاط قبل الاسلام الى أن اختطه المسلمون مدينة)

اعلم أن موضع الفسطاط الذى يقال له اليوم مدينة مصر كان فضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقى الذى يعرف بالجبل المقطم ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف اليوم بعضه بقصر الشمع وبالمعلقة ينزل به شحنة الروم المتولى على مصر من قبل القياصرة ملوك الروم عند مسيره من مدينة الاسكندرية ويقيم فيه ماشاء ثم يعود الى دار الامارة ومنزل الملك من الاسكندرية وكان هذا الحصن مطلا على النيل وتصل السفن فى النيل الى بابه الغربى الذى كان يعرف بباب الحديد ومنه ركب المقوقس فى السفن فى النيل من بابه الغربى حين غلبه المسلمون على الحصن المذكور وصار فيه الى الجزيرة التى تجاه الحصن وهى التى تعرف اليوم بالروضة قبالة مصر وكان مقياس النيل بجانب الحصن * وقال ابن المتوج وعمود المقياس موجود فى زقاق مسجد ابن النعمان قلت وهو باق الى يومنا هذا أعنى سنة عشرين وثمانمائة وكان هذا الحصن لا يزال مشحونا بالمقاتلة وسيرد فى هذا الكتاب خبره ان شاء الله تعالى وكان بجوار هذا الحصن من بحريه وهى الجهة الشمالية أشجار وكروم صار موضعها الجامع العتيق وفيما بين الحصن والجبل عدة كنائس وديارات للنصارى فى الموضع الذى يعرف اليوم براشدة وبجانب الحصن فيما بين الكروم التى كانت بجانبه وبين الجرف الذى يعرف اليوم بجبل يشكر حيث جامع ابن طولون والكبش عدة كنائس وديارات للنصارى فى الموضع الذى كان يعرف فى اوائل الاسلام بالحمراء وعرف الآن بخط قناطر السباع والسبع سقايات وبقى بالحمراء عدة من الديارات الى أن هدمت فى سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاون على ماذكر فى هذا الكتاب عند ذكر كنائس النصارى فلما افتتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية الفتح الاول نزل بجوار هذا الحصن واختط الجامع المعروف بالجامع العتيق وبجامع عمرو بن العاص واختطت قبائل العرب من حوله فصارت مدينة عرفت بالفسطاط ونزل الناس بها فانحسر بعد الفتح بأعوام ماء النيل عن ارض تجاه الحصن والجامع العتيق فصار المسلمون يوقفون هنالك دوابهم ثم اختطوا فيه المساكن شيأ بعد شئ وصار ساحل البلد حيث الموضع الذى يقال له اليوم فى مصر المعاريج مارا الى الكوم الذى على يسرة الداخل من باب مصر بحد الكبارة وفى موضع هذا الكوم كانت الدور المطلة على النيل ويمر الساحل من باب مصر المذكور الى حيث بستان ابن كيسان الذى يعرف اليوم ببستان الطواشى فى اول مراغة مصر وجميع الاماكن التى تعرف اليوم بمراغة مصر وبالجرف الى الخليج عرضا ومن حيث قنطرة السد الى سوق المعاريج طولا كان غامر ابماء النيل الى أن انحسر عنه ماء النيل بعد سنة ستمائة من سنى الهجرة فصار رملة ثم اختط فيه الامراء مما يلى النيل آدر اعندما عمر الملك الصالح نجم الدين أيوب قلعة الروضة واختط بعضه شونا الى أن أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون جامعه المعروف بالجامع

الجديد

الجديد الناصري ظاهر مصر فعمر ما حوله وقد كان عند فتح مصر سائر المواضع التى من منشأة المهرانى الى بركة الحبش طولا ومن ساحل النيل بموردة الحلفاء وتجاه الجامع الجديد الى سوق المعاريج وما على سمته الى تجاه المشهد الذى يقال له مشهد الراس وتسميه العامة اليوم مشهد زين العابدين كلها بحرا لا يحول بين الحصن والجامع وما على سمتهما الى الحمراء الدنيا التى منها اليوم خط قناطر السباع وبين جزيرة مصر التى تعرف اليوم بالروضة شئ سوى ماء النيل وجميع ما فى هذه المواضع من الابنية انكشف عنه النيل قليلا قليلا واختط على ما يتبين لك فى هذا الكتاب

(ذكر الحصن الذى يعرف بقصر الشمع)

اعلم أن هذا القصر احدث بعد خراب مصر على يد بخت نصر وقد اختلف فى الوقت الذى بنى فيه ومن أنشأه من الملوك فذكر الواقدى أن الذى بناه اسمه الريان بن الوليد بن ارسلاوس وكان هذا القصر يوقد عليه الشمع فى رأس كل شهر وذلك انه اذا حلت الشمس فى برج من البروج اوقد فى تلك الليلة الشمع على رأس ذلك القصر فيعلم الناس بوقود الشمع أن الشمس انتقلت من البرج الذى كانت فيه الى برج آخر غيره ولم يزل القصر على حاله الى أن خربت مصر زمن بخت نصر بن نيروز الكلدانى فأقام خرابا خمسمائة سنة ولم يبق منه الا اثره فقط فلما غلب الروم على مصر وملكوها من أيدى اليونانيين ولى مصر من قبلهم رجل يقال له ارجاليس بن مقراطيس فبنى القصر على ما وجد من اساسه وقال ابن سعيد وصارت مصر والشام بعد بخت نصر فى مملكة الفرس فوليها منهم كشرجوش الفارسى بانى قصر الشمع وبعده طخارست الطويل الولاية وتوالت بعده نواب الفرس الى ظهور الاسكندر وقال غيره ان الذى بناه طخشاشت احد ملوك الفرس عندما سار لمحاربة اهل مصر فلما غلب قسطوملك مصر الذى يعرف بفرعون سابان وفر منه الى مقدونية غلب على ملك مصر واستولى عليها وبنى للفرس قصرا وجعل فيه بيت نار على شاطئ النيل الشرقى وعرف بقصر الشمع لانه كان له باب يقال له باب الشمع وجعل فى القصر بيت نار وهو باق * وقال ابن عبد الحكم عن الليث بن سعد وكانت الفرس قد أسست بناء الحصن الذى يقال له باب اليون وهو الحصن الذى بفسطاط مصر اليوم فلما انكشفت جموع فارس عن الروم وأخرجتهم الروم من الشام اتمت بناء ذلك الحصن وأقامت به فلم تزل مصر فى ملك الروم حتى فتحها الله تعالى على المسلمين قال وكان ابو الاسود نصر بن عبد الجبار يقولها بالميم يعنى باب اليوم ويقال انما سمى كذا لانهم كانوا يقولون من يقاتل اليوم * وقال القضاعى ذكر الحصن المعروف بقصر الشمع يقال ان فارس لما ظهرت على الروم وملكت عليهم الشام وملكت مصر بدأت ببناء هذا القصر وبنت فيه هيكلا لبيت النار ولم يتم بناؤه على ايديهم الى أن ظهرت الروم عليهم فتممت بناءه وحصنته ولم تزل فيه الى حين الفتح وهيكل النار هو القبة المعروفة اليوم بقبة الدخان وبحضرتها مسجد معلق احدثه المسلمون * وقال ابو عبيد البكرى باب اليون بمصر ان كان عربيا فانه مثل يوم ويوح مما فاؤه ياء وعينه واو وقد يجوز أن يكون فعلا من ين وهو اسم موضع على مذهب ابى الحسن فى فعل من البيع بوع قال وليست الالف واللام فيه للتعريف فعلى هذا يجب أن تثبت فى الرسم وقال ابو صخر

وحلوا بها مى ارضنا وتبدلوا * بمكة باب اليون والربط بالعصب

والرواية فى شعر كثير عزة فى قوله

جرى بين باب اليون والعصب دونه * رياح اشفت بالنقى واشمت

بالباء وبفتح النون غير مجرور للعجمة على أن همزته مقطوعة وصلها للضرورة وقال الحازمى باب البون بالباء اسم مدينة مصر فتحها المسلمون وسموها الفسطاط وقال عبد الملك بن هشام بابليون المنسوب اليه مصر هو بابليون ابن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وان من ولده عمرو بن امرئ القيس بن بابليون بن سبا وهو الملك على مصر لما قدم اليها ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه والقبط تسمى عمرا هذا طوطيس ومن ولده حلوان بن بابليون بن عمرو بن امرئ القيس وبه سميت حلوان * وقال القاضى القضاعى فى ظاهر الفسطاط القصر المعروف بباب ليون بالشرف ليون اسم بلد مصر بلغة السودان والروم وقد بقيت من بنائه بقية مبنية بالحجارة

على طرف الجبل بالشرف وعليه اليوم مسجد قال المؤلف فهذا كما ترى صريح فى أن قصر باب اليون غير قصر الشمع فان قصر الشمع فى داخل الفسطاط وقصر باب اليون هذا عند القضاعى على الجبل المعروف بالشرف والشرف خارج الفسطاط وهو خلاف ما قاله ابن عبد الحكم فى كتاب فتوح مصر والله اعلم * ويقال ان فى زمن ناحور بن شاروع وهو الثامن عشر من آدم ملك مصر رجل اسمه افطوطس مدة اثنتين وثلاثين سنة وانه اول من اظهر علم الحساب والسحر وحمل كتب ذلك من بلاد الكلدانيين الى مصر وفى ذلك الزمان بنيت بابليون على بحر النيل بمصر وذلك لتمام ثلاثة آلاف وثلثمائة وتسعين للعالم وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب وأما فسطاط مصر فان مبانيها كانت فى القديم متصلة بمبانى مدينة عين شمس وجاء الاسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن وعليه نزل عمرو بن العاص وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب اليه وهذا وهم من ابن سعيد فان فسطاط عمرو انما كان مضروبا عند درب حمام شمول بخط الجامع هكذا هو بخط الشريف محمد بن أسعد الجوانى النسابة وهو أقعد بخطط مصر وأعرف من ابن سعيد وأما موضع الجامع فكان كروما وجنانا وحاز موضعه قيسبة التجيبى ثم تصدق به على المسلمين فعمل المسجد وستقف على هذا ان شاء الله تعالى فى ذكر جامع عمرو عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب * وقال ابن المتوج خط قصر الشمع هذا الخط يعرف بقصر الشمع وفيه قصر الروم وفيه ازقة ودروب قال وكنيسة المعلقة بمصر بباب القصر وهو قصر الروم * وقال ابن عبد الحكم وأقر عمرو بن العاص القصر لم يقسمه ووقفه * وقال ابو عمرو الكندى فى كتاب الامراء وقد ذكر قيام على بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن ابى طالب وطروق المسجد فى امارة يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابى صفرة على مصر وورد كتاب ابى جعفر المنصور على يزيد بن حاتم يأمره بالتحول من العسكر الى الفسطاط وأن يجعل الديوان فى كنائس القصر وذلك فى سنة ست وأربعين ومائة والله اعلم

(ذكر حصار المسلمين للقصر وفتح مصر)

اختلف الناس فى فتح مصر فقال محمد بن اسحق وابو معشر ومحمد بن عمر الواقدى ويزيد بن ابى حبيب وابو عمرو الكندى فتحت سنة عشرين وقال سيف بن عمر فتحت سنة ست عشرة وقيل فتحت سنة ست وعشرين وقيل سنة احدى وعشرين وقيل سنة اثنتين وعشرين والاول اصح وأشهر * قال ابن عبد الحكم لما قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الجابية قام اليه عمرو بن العاص فخلا به فقال يا امير المؤمنين ائذن لى أن اسير الى مصر وحرضه عليها وقال انك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم وهى اكثر الارض اموالا وأعجز عن القتال والحرب فتخوف عمر بن الخطاب وكره ذلك فلم يزل عمرو يعظم امرها عند عمر بن الخطاب ويخبره بحالها ويهوّن عليه فتحها حتى ركن لذلك فعقد له على اربعة آلاف رجل كلهم من عك ويقال بل ثلاثة آلاف وخمسمائة وقال له عمر سر وأنا مستخير الله فى مسيرك وسيأتيك كتابى سريعا ان شاء الله تعالى فان ادركك كتابى آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها او شيأ من ارضها فانصرف وان أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابى فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره فسار عمرو بن العاص من جوف الليل ولم يشعر به احد من الناس واستخار عمر الله فكانه تخوف على المسلمين فى وجههم ذلك فكتب الى عمرو بن العاص أن ينصرف بمن معه من المسلمين فأدرك عمرا الكتاب اذ هو برفح فتخوف عمرو ان هو اخذ الكتاب وفتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد اليه عمر فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه وسار كما هو حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش فسأل عنها فقيل انها من مصر فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين فقال عمرو لمن معه ألستم تعلمون أن هذه القرية من مصر قالوا بلى قال فان امير المؤمنين عهد الى وأمرنى ان لحقنى كتابه ولم ادخل ارض مصر أن ارجع ولم يلحقنى كتابه حتى دخلنا أرض مصر فسيروا وامضوا على بركة الله ويقال بل كان عمرو بفلسطين فتقدم عمرو بأصحابه الى مصر بغير اذن فكتب فيه الى عمر رضى الله عنه فكتب اليه عمر وهو دون العريش فحبس الكتاب فلم يقرأه حتى بلغ العريش فقرأه فاذا فيه من عمر بن الخطاب الى العاصى ابن العاصى أما بعد فانك سرت الى مصر ومن

معك

معك وبها جموع الروم وانما معك نفر يسير ولعمرى لو ثكل بك ما سرت بهم فان لم تكن بلغت مصر فارجع فقال عمرو الحمد لله أية ارض هذه قالوا من مصر فتقدم كما هو ويقال بل كان عمرو فى جنده على قيسارية مع من كان بها من اجناد المسلمين وعمر بن الخطاب رضى الله عنه اذ ذاك بالجابية فكتب سرا فاستأذن أن يسير الى مصر وأمر أصحابه فتنحوا كالقوم الذين يريدون أن يتنحوا من منزل الى منزل قريب ثم سار بهم ليلا فلما فقده امراء الاجناد استنكروا الذى فعل ورأوا أن قد غدر فرفعوا ذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر الى العاصى ابن العاصى أما بعد فانك قد غررت بمن معك فان ادركك كتابى ولم تدخل مصر فارجع وان ادركك وقد دخلت فامض واعلم أنى ممدك * ويقال ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب الى عمرو بن العاص بعد ما فتح الشام أن اندب الناس الى المسير معك الى مصر فمن خف معك فسر به وبعث به مع شريك بن عبدة فندبهم عمرو فأسرعوا الى الخروج مع عمرو ثم ان عثمان بن عفان رضى الله عنه دخل على عمر بن الخطاب فقال عمر كتبت الى عمرو بن العاص يسير الى مصر من الشام فقال عثمان يا أمير المؤمنين ان عمرا لجرىء وفيه اقدام وحب للامارة فأخشى أن يخرج فى غير ثقة ولا جماعة فيعرض المسلمين للهلكة رجاء فرصة لا يدرى تكون ام لا فندم عمر على كتابه الى عمرو واشفق مما قال عثمان فكتب اليه ان أدركك كتابى قبل أن تدخل الى مصر فارجع الى موضعك وان كنت دخلت فامض لوجهك فلما بلغ المقوقس قدوم عمرو بن العاص الى مصر توجه الى موضع الفسطاط فكان يجهز على عمرو الجيوش وكان على القصر رجل من الروم يقال له الاعيرج واليا عليه وكان تحت يد المقوقس وأقبل عمرو حتى اذا كان بجبل الجلال نفرت معه راشدة وقبائل من لخم فتوجه عمرو حتى اذا كان بالعريش ادركه النحر فضحى عن اصحابه يومئذ بكبش وتقدم فكان اول موضع قوتل فيه الفرما قاتله الروم قتالا شديدا نحوا من شهر ثم فتح الله عليه وكان عبد الله بن سعد على ميمنة عمرو منذ توجه من قيسارية الى أن فرغ من حربه وكان بالاسكندرية أسقف للقبط يقال له ابو ميامين فلما بلغه قدوم عمرو الى مصر كتب الى القبط يعلمهم أنه لا يكون للروم دولة وان ملكهم قد انقطع ويأمرهم بتلقى عمرو فيقال ان القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو أعوانا ثم توجه عمرو لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى نزل القواصر فسمع رجل من لخم نفرا من القبط يقول بعضهم لبعض ألا تعجبون من هؤلاء القوم يقدمون على جموع الروم وانما هم فى قلة من الناس فأجابه رجل منهم فقال ان هؤلاء القوم لا يتوجهون الى احد الا ظهروا عليه حتى يقتلوا خيرهم وتقدم عمرو لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى اتى بلبيس فقاتلوه بها نحوا من الشهر حتى فتح الله عليه ثم مضى لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى اتى ام دنين فقاتلوه بها قتالا شديدا وأبطأ عليه الفتح فكتب الى عمر يستمده فأمده بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف وقيل بل امده باثنى عشر ألفا فوصلوا اليه أرسالا يتبع بعضهم بعضا فكان فيهم اربعة آلاف عليهم اربعة الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وقيل ان الرابع خارجة بن حذافة دون مسلمة ثم احاط المسلمون بالحصن واميره يومئذ المندقور الذى يقال له الاعيرج من قبل المقوقس بن قرقت اليونانى وكان المقوقس ينزل الاسكندرية وهو فى سلطان هرقل غير أنه كان حاضر الحصن حين حاصره المسلمون فقاتل عمرو بن العاص من بالحصن وجاء رجل الى عمرو فقال اندب معى خيلا حتى آتى من ورائهم عند القتال فأخرج معه خمسمائة فارس عليهم خارجة بن حذافة فى قول فساروا من وراء الجبل حتى دخلوا مغار بنى وائل قبل الصبح وكانت الروم قد خندقوا خندقا وجعلوا له ابوابا وبثوا فى افنيتها حسك الحديد فالتقى القوم حين اصبحوا وخرج خارجة من ورائهم فانهزموا حتى دخلوا الحصن وكانوا قد خندقوا حوله فنزل عمرو على الحصن وقاتلهم قتالا شديدا يصبحهم ويمسيهم وقيل انه لما أبطأ الفتح على عمرو كتب الى عمر بن الخطاب يستمده ويعلمه بذلك فأمده بأربعة آلاف رجل على كل الف رجل منهم مقام الالف الزبير بن العوام والمقداد ابن عمرو وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وقيل بل خارجة بن حذافة لا يعدون مسلمة وقال عمر اعلم أن معك اثنى عشر الفا ولا تغلب اثنا عشر الفا من قلة وقيل قدم الزبير فى اثنى عشر الفا وان عمرا لما قدم من الشام كان فى عدة قليلة فكان يفرق اصحابه ليرى العدو أنهم اكثر مما هم فلما انتهى الى الخندق نادوه أن قد رأينا ما صنعت وانما معك من اصحابك كذا وكذا فلم يخطئوا برجل واحد فأقام عمرو على ذلك اياما يغدو فى السحر فيصف اصحابه على افواه الخندق عليهم السلاح فبينا هو على ذلك اذ جاءه خبر الزبير بن العوام انه قدم

في اثني عشر ألفا فتلقاه عمرو ثم اقبلا يسيران ثم لم يلبث الزبير أن ركب ثم طاف بالخندق ثم فرّق الرجال حول الخندق والح عمرو على القصر ووضع عليه المنجنيق ودخل عمرو الى صاحب الحصن فتناظرا في شيء مما هم فيه فقال عمرو اخرج وأستشير أصحابي وقد كان صاحب الحصن اوصى الذي على الباب اذا مرّ به عمرو أن يلقي عليه صخرة فيقتله فمرّ عمرو وهو يريد الخروج برجل من العرب فقال له قد دخلت فانظر كيف تخرج فرجع عمرو الى صاحب الحصن فقال له اني اريد أن آتيك بنفر من اصحابي حتى يسمعوا منك مثل الذي سمعت فقال العلج في نفسه قتل جماعة احب اليّ من قتل واحد وأرسل الى الذي كان امره بما امره به من قتل عمرو أن لا يتعرّض له رجاء أن يأتيه بأصحابه فيقتلهم فخرج عمرو وعبادة بن الصامت في ناحية يصلي وفرسه عنده فرآه قوم من الروم فخرجوا اليه وعليهم حلية وبزة فلما دنوا منه سلم من صلاته ووثب على فرسه ثم حمل عليهم فلما رأوه ولوا راجعين فاتبعهم فجعلوا يلقون مناطقهم ومتاعهم ليشغلوه بذلك عن طلبهم وهو لا يلتفت اليه حتى دخلوا الحصن ورمي عبادة من فوق الحصن بالحجارة فرجع ولم يتعرّض لشيء مما طرحوا من متاعهم حتى رجع الى موضعه الذي كان به فاستقبل الصلاة وخرج الروم الى متاعهم يجمعونه فلما ابطأ الفتح على عمرو قال الزبير اني اهب الله نفسي ارجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين فوضع سلما الى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد فأمرهم اذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعا فما شعروا الا والزبير على رأس الحصن يكبر ومعه السيف وتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفا من أن ينكسر وكبر الزبير فكبرت الناس معه وأجابهم المسلمون من خارج فلم يشك اهل الحصن أن العرب قد اقتحموا جميعا فهربوا وعمد الزبير وأصحابه الى باب الحصن ففتحوه واقتحم المسلمون الحصن فخاف المقوقس على نفسه ومن معه فحينئذ سأل عمرو بن العاص الصلح ودعاه اليه على أن يفرض للعرب على القبط دينارين على كل رجل منهم فأجابه عمرو الى ذلك وكان مكثهم على باب القصر حتى فتحوه سبعة اشهر قال وقد سمعت في فتح القصر وجها آخر هو أن المسلمين لما حصروا باب اليون كان به جماعة من الروم واكابر القبط ورؤسائهم وعليهم المقوقس فقاتلوهم شهرا فلما رأى القوم الجدّ من العرب على فتحه والحرص ورأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه خافوا أن يظهروا عليهم فتنحى المقوقس وجماعة من اكابر القبط وخرجوا من باب القصر القبلي ودونهم جماعة يقاتلون العرب فلحقوا بالجزيرة موضع الصناعة اليوم وأمروا بقطع الجسر وذلك في جري النيل ويقال ان الاعيرج تخلف في الحصن بعد المقوقس وقيل خرج معهم فلما خاف فتح الحصن ركب هو وأهل القوّة والشرف وكانت سفنهم ملصقة بالحصن ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة فأرسل المقوقس الى عمرو انكم قوم قد ولجتم في بلادنا وألححتم على قتالنا وطال مقامكم في ارضنا وانما انتم عصبة يسيرة وقد أظلتكم الروم وجهزوا اليكم ومعهم من العدّة والسلاح وقد أحاط بكم هذا النيل وانما انتم اسارى في ايدينا فابعثوا الينا رجالا منكم نسمع من كلامهم فلعله أن يأتي الامر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب وينقطع عنا وعنكم القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه ولعلكم أن تندموا ان كان الامر مخالفا لطلبتكم ورجائكم فابعثوا الينا رجالا من اصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شيء فلما اتت عمرو ابن العاص رسل المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس فقال لاصحابه اترون أنهم يقتلون الرسل ويستحلون ذلك في دينهم وانما اراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين فردّ عليهم عمرو مع رسله انه ليس بيني وبينكم الا احدى ثلاث خصال اما ان دخلتم في الاسلام فكنتم اخواننا وكان لكم مالنا وان ابيتم فأعطيتم الجزية عن يد وانتم صاغرون واما ان جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين فلما جاءت رسل المقوقس اليه قال كيف رأيتم هؤلاء قالوا رأينا قوما الموت احب الى احدهم من الحياة والتواضع احب الى احدهم من الرفعة ليس لاحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة انما جلوسهم على التراب واكلهم على ركبهم واميرهم كواحد منهم ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد منهم من العبد واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم احد يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون في صلاتهم فقال عند ذلك المقوقس والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لازالوها وما يقوى على قتال هؤلاء احد ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبوا بعد اليوم اذا امكنتهم الارض وقووا

على الخروج من موضعهم فردّ اليهم المقوقس رسله ابعثوا الينا رسلا منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم الى ما عساه أن يكون فيه صلاح لنا ولكم فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت وكان طوله عشرة اشبار وأمره أن يكون متكلم القوم ولا يجيبهم الى شئ دعوه اليه الا احدى هذه الثلاث خصال فان امير المؤمنين قد تقدم الىّ فى ذلك وأمرنى أن لا اقبل شيأ سوى خصلة من هذه الثلاث خصال وكان عبادة اسود فلما ركبوا السفن الى المقوقس ودخلوا عليه تقدم عبادة فهابه المقوقس لسواده وقال نحّوا عنى هذا الاسود وقدموا غيره يكلمنى فقالوا جميعا ان هذا الاسود افضلنا رأيا وعلما وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا وانما نرجع جميعا الى قوله ورأيه وقد أمره الامير دوننا بما امره وأمرنا أن لا نخالف رأيه وقوله قال وكيف رضيتم أن يكون هذا الاسود افضلكم وانما ينبغى أن يكون هو دونكم قالوا كلا انه وان كان اسود كما ترى فانه من افضلنا موضعا وافضلنا سابقة وعقلا ورأيا وليس ينكر السواد فينا فقال المقوقس لعبادة تقدم يا اسود وكلمنى برفق فانى اهاب سوادك وان اشتدّ كلامك علىّ ازددت لك هيبة فتقدم عليه عبادة فقال قد سمعت مقالتك وان فيمن خلفت من اصحابى ألف رجل اسود كلهم اشد سوادا منى وافظع منظرا ولو رأيتهم لكنت اهيب لهم منك لى وأنا قد وليت وأدبر شبابى وانى مع ذلك بحمد الله ما اهاب مائة رجل من عدوّى لو استقبلونى جميعا وكذلك اصحابى وذلك انما رغبتنا وهمتنا الجهاد فى الله واتباع رضوانه وليس غزونا عدوّنا ممن حارب الله لرغبة فى دنيا ولا طلب للاستكثار منها الا أن الله عز وجل قد أحل لنا ذلك وجعل ما غنمنا من ذلك حلالا وما يبالى احدنا ان كان له قنطار من ذهب ام كان لا يملك الا درهما لان غاية احدنا من الدنيا اكلة يأكلها يسدّ بها جوعه لليله ونهاره وشملة يلتحفها فان كان احدنا لا يملك الا ذلك كفاه وان كان له قنطار من ذهب انفقه فى طاعة الله واقتصر على هذا الذى بيده ويبلغه ما كان فى الدنيا لان نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاءها ليس برخاء انما النعيم والرخاء فى الآخرة وبذلك امرنا الله وامرنا به نبينا وعهد الينا أن لا تكون همة احدنا من الدنيا الا ما يمسك جوعته ويستر عورته وتكون همته وشغله فى رضوانه وجهاد عدوّه فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط لقد هبت منظره وان قوله لاهيب عندى من منظره ان هذا واصحابه اخرجهم الله لخراب الارض ما اظن ملكهم الا سيغلب على الارض كلها ثم اقبل المقوقس على عبادة بن الصامت فقال له ايها الرجل الصالح قد سمعت مقالتك وما ذكرت عنك وعن اصحابك ولعمرى ما بلغتم ما بلغتم الا بما ذكرت وما ظهرتم على من ظهرتم عليه الا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها وقد توجه الينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده قوم معروفون بالنجدة والشدة ما يبالى احدهم من لقى ولا من قاتل وانا لنعلم انكم لن تقدروا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم وقد اقمتم بين اظهرنا اشهرا وانتم فى ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بين ايديكم ونحن تطيب انفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ولاميركم مائة دينار ولخليفتكم ألف دينار فتقبضونها وتنصرفون الى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوام لكم به فقال عبادة بن الصامت يا هذا لا تغرّن نفسك ولا اصحابك أما ما تخوّفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم فلعمرى ما هذا بالذى تخوّفنا به ولا بالذى يكسرنا عما نحن فيه وان كان ما قلتم حقا فذلك والله ارغب ما يكون فى قتالهم وأشد لحرصنا عليهم لان ذلك اعذر لنا عند ربنا اذا قدمنا عليه ان قتلنا من آخرنا كان امكن لنا فى رضوانه وجنته وما شئ أقر لاعيننا ولا احب لنا من ذلك وانا منكم حينئذ لعلى احدى الحسنيين اما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا ان ظفرنا بكم او غنيمة الآخرة ان ظفرتم بنا ولانها احب الخصلتين الينا بعد الاجتهاد منا وان الله عز وجل قال لنا فى كتابه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وما منا رجل الا وهو يدعو ربه صباحا ومساء أن يرزقه الشهادة وأن لا يردّه الى بلده ولا الى ارضه ولا الى اهله وولده وليس لاحد منا همّ فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده وانما همنا ما أمامنا وأما قولك انا فى ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن فى أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما اردنا منها لانفسنا اكثر مما نحن عليه فانظر الذى تريد فبينه لنا فليس بيننا وبينك خصلة نقبلها منك ولا نجيبك اليها الا خصلة من ثلاث فاختر ايتها شئت ولا تطمع نفسك فى الباطل بذلك امرنى

الامير بها امره امير المؤمنين وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل الينا اما ان اجبتم الى الاسلام الذى هو الدين القيم الذى لا يقبل الله غيره وهو دين انبيائه ورسله وملائكته امرنا الله تعالى أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه فان فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا وكان اخانا فى دين الله فان قبلت ذلك انت واصحابك فقد سعدتم فى الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولم نستحل اذاكم ولا التعرض لكم وان ابيتم الا الجزية فأدوا الينا الجزية عن يد وانتم صاغرون وان نعاملكم على شئ نرضى به نحن وانتم فى كل عام ابدا ما بقينا وبقيتم ونقاتل عنكم من ناواكم وعرض لكم فى شئ من ارضكم ودمائكم وأموالكم ونقوم بذلك عنكم اذ كنتم فى ذمتنا وكان لكم به عهد علينا وان ابيتم فليس بيننا وبينكم الا المحاكمة بالسيف حتى نموت من آخرنا او نصيب ما نريد منكم هذا ديننا الذى ندين الله تعالى به ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره فانظروا لانفسكم فقال المقوقس هذا ما لا يكون ابدا ما تريدون الا أن تتخذونا عبيدا ما كانت الدنيا فقال له عبادة هو ذاك فاختر لنفسك ما شئت فقال المقوقس افلا تجيبونا الى خصلة غير هذه الثلاث خصال فرفع عبادة يديه الى السماء فقال لا ورب هذه السماء ورب هذه الارض ورب كل شئ ما لكم عندنا خصلة غيرها فاختاروا لانفسكم فالتفت المقوقس عند ذلك الى اصحابه فقال قد فرغ القوم فما ترون فقالوا او يرضى احد بهذا الذل أما ما ارادوا من دخولنا فى دينهم فهذا لا يكون ابدا أن نترك دين المسيح ابن مريم وندخل فى دين غيره لا نعرفه وأما ما ارادوا أن يسبونا ويجعلونا عبيدا فالموت أيسر من ذلك لو رضوا منا أن نضعف لهم ما اعطيناهم مرارا كان أهون علينا فقال المقوقس لعبادة قد أبى القوم فما ترى فراجع صاحبك على أن نعطيكم فى مرتكم هذه ما تمنيتم وتنصرفون فقال عبادة وأصحابه لا فقال المقوقس عند ذلك أطيعونى واجيبوا القوم الى خصلة من هذه الثلاث فوالله ما لكم بهم طاقة ولئن لم تجيبوا اليها طائعين لتجيبنهم الى ما هو أعظم كارهين فقالوا وأى خصلة نجيبهم اليها قال اذا اخبركم أما دخولكم فى غير دينكم فلا آمركم به وأما قتالهم فأنا اعلم انكم لن تقووا عليهم ولن تصبروا صبرهم ولا بد من الثالثة قالوا فنكون لهم عبيدا ابدا قال نعم تكونون عبيدا مسلطين فى بلادكم آمنين على انفسكم واموالكم وذراريكم خير لكم من أن تموتوا من آخركم وتكونوا عبيدا تباعوا وتمزقوا فى البلاد مستعبدين ابدا انتم واهليكم وذراريكم قالوا فالموت اهون علينا وامروا بقطع الجسر من الفسطاط وبالجزيرة وبالقصر من جمع القبط والروم كثير فألح المسلمون عند ذلك بالقتال على من بالقصر حتى ظفروا بهم وأمكن الله منهم فقتل منهم خلق كثير واسر من اسر وانحازت السفن كلها الى الجزيرة وصار المسلمون يراقبونهم وقد أحدق بهم الماء من كل وجه لا يقدرون على أن ينفذوا نحو الصعيد ولا الى غير ذلك من المدن والقرى والمقوقس يقول لاصحابه ألم اعلمكم واخافه عليكم ما تنتظرون فوالله لتجيبنهم الى ما ارادوا طوعا او لتجيبنهم الى ما هو اعظم منه كرها فأطيعونى من قبل أن تندموا فلما رأوا منهم ما رأوا وقال لهم المقوقس ما قال اذعنوا بالجزية ورضوا بذلك على صلح يكون بينهم يعرفونه وأرسل المقوقس الى عمرو بن العاص انى لم ازل حريصا على اجابتكم الى خصلة من تلك الخصال التى ارسلت الى بها فأبى على من حضرنى من الروم والقبط فلم يكن لى أن افتات عليهم فى اموالهم وقد عرفوا نصحى لهم وحبى صلاحهم ورجعوا الى قولى فأعطنى امانا اجتمع انا وأنت انا فى نفر من أصحابى وأنت فى نفر من اصحابك فان استقام الامر بيننا تم ذلك جميعا وان لم يتم رجعنا الى ما كنا عليه فاستشار عمرو أصحابه فى ذلك فقالوا لا نجيبهم الى شئ من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا وتصير الارض كلها لنا فيأ وغنيمة كما صار لنا القصر وما فيه فقال عمرو قد علمتم ما عهد الى امير المؤمنين فى عهده فان اجابوا الى خصلة من الخصال الثلاث التى عهد الى فيها اجبتهم اليها وقبلت منهم مع ما قد حال هذا الماء بيننا وبين ما نريد من قتالهم فاجتمعوا على عهد بينهم واصطلحوا على أن يفرض لهم على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط دينارين دينارين عن كل نفس شريفهم ووضيعهم ممن بلغ منهم الحلم ليس على الشيخ الفانى ولا على الصغير الذى لم يبلغ الحلم ولا على النساء شئ وعلى أن للمسلمين عليهم النزل بجماعتهم حيث نزلوا ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو اكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة ايام مفترضة عليهم وأن لهم ارضهم وأموالهم لا تعرض لهم فى شئ منها فشرط ذلك كله على القبط خاصة وأحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم الجزية وفرض

عليهم

عليهم الديناران رفع ذلك عرفاؤهم بالايمان المؤكدة فكان جميع من احصى يومئذ بمصر أعلاها وأسفلها من جميع القبط فيما احصوا وكتبوا ورفعوا اكثر من ستة آلاف ألف نفس فكانت فريضتهم يومئذ اثنى عشر ألف ألف دينار فى كل سنة * وقال ابن لهيعة عن يحيى بن ميمون الحضرمى لما فتح عمرو مصر صالح عن جميع من فيها من الرجال من القبط ممن راهق الحلم الى ما فوق ذلك ليس فيهم امرأة ولا شيخ ولا صبى فأحصوا بذلك على دينارين دينارين فبلغت عدتهم ثمانية آلاف ألف قال وشرط المقوقس للروم أن يخيروا فمن احب منهم أن يقيم على مثل هذا أقام على ذلك لازما له مفترضا عليه ممن اقام بالاسكندرية وما حولها من ارض مصر كلها ومن اراد الخروج منها الى ارض الروم خرج وعلى أن للمقوقس الخيار فى الروم خاصة حتى يكتب الى ملك الروم ويعلمه ما فعل فان قبل ذلك ورضيه جاز عليهم والا كانوا جميعا على ما كانوا عليه وكتبوا به كتابا وكتب المقوقس الى ملك الروم كتابا يعلمه بالامر كله فكتب اليه ملك الروم يقبح رأيه ويعجزه ويرد عليه ما فعل ويقول فى كتابه انما اتاك من العرب اثنا عشر ألفا وبمصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى فان كان القبط كرهوا القتال وأحبوا أداء الجزية الى العرب واختاروهم علينا فان عندك بمصر من الروم وبالاسكندرية ومن معك اكثر من مائة ألف معهم العدة والقوة والعرب وحالهم وضعفهم على ما قد رأيت فعجزت عن قتالهم ورضيت أن تكون انت ومن معك من الروم فى حال القبط اذلاء فقاتلهم انت ومن معك من الروم حتى تموت او تظهر عليهم فانهم فيكم على قدر كثرتكم وقوتكم وعلى قدر قلتهم وضعفهم كاكلة ناهضهم القتال ولا يكن لك رأى غير ذلك وكتب ملك الروم بمثل ذلك كتابا الى جماعة الروم فقال المقوقس لما اتاه كتاب ملك الروم والله اعلم انهم على قلتهم وضعفهم اقوى وأشد منا على قوتنا وكثرتنا ان الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا وذلك انهم قوم الموت احب الى احدهم من الحياة يقاتل الرجل منهم وهو مستقبل يتمنى أن لا يرجع الى اهله ولا بلده ولا ولده ويرون أن لهم اجرا عظيما فيمن قتلوه منا ويقولون انهم ان قتلوا دخلوا الجنة وليس لهم رغبة فى الدنيا ولا لذة الا قدر بلغة العيش من الطعام واللباس ونحن قوم نكره الموت ونحب الحياة ولذتها فكيف نستقيم نحن وهؤلاء وكيف صبرنا معهم واعلموا معشر الروم والله انى لا أخرج مما دخلت فيه ولا صالحت العرب عليه وانى لاعلم انكم سترجعون غدا الى قولى ورأيى وتتمنون أن لو كنتم أطعتمونى وذلك انى قد عاينت ورأيت وعرفت ما لم يعاين الملك ولم يره ولم يعرفه أما يرضى احدكم أن يكون آمنا فى دهره على نفسه وماله وولده بدينارين فى السنة ثم أقبل المقوقس الى عمرو فقال له ان الملك قد كره ما فعلت وعجزنى وكتب الى والى جماعة الروم أن لا نرضى بمصالحتك وأمرهم بقتالك حتى يظفروا بك أو تظفر بهم ولم اكن لاخرج مما دخلت فيه وعاقدتك عليه وانما سلطانى على نفسى ومن أطاعنى وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم ولم يأت من قبلهم نقض وأنا متم لك على نفسى والقبط متمون لك على الصلح الذى صالحتهم عليه وعاقدتهم وأما الروم فأنا منهم برىء وأنا أطلب اليك أن تعطينى ثلاث خصال لا تنقض بالقبط وأدخلنى معهم وألزمنى ما لزمهم وقد اجتمعت كلمتى وكلمتهم على ما عاقدتك عليه فهم متمون لك على ما تحب وأما الثانية ان سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم فيأ وعبيدا فانهم اهل ذلك لانى نصحتهم فاستغشونى ونظرت لهم فاتهمونى وأما الثالثة أطلب اليك ان انا مت أن تأمرهم أن يدفنونى بجسر الاسكندرية فأنعم له عمرو بذلك وأجابه الى ما طلب على أن يضمنوا له الجسرين جميعا ويقيموا لهم الانزال والضيافة والاسواق والجسور ما بين الفسطاط الى الاسكندرية ففعلوا وصارت لهم القبط أعوانا كما جاء فى الحديث وقال ابن وهب فى حديثه عن عبد الرحمن بن شريح فسار عمرو بمن معه حتى نزل على الحصن فحاصرهم حتى سألوه أن يسير منهم بضعة عشر أهل بيت ويفتحوا له الحصن ففعل ذلك ففرض عليهم عمرو لكل رجل من أصحابه دينارا وجبة وبرنسا وعمامة وخفين وسألوه أن يأذن لهم أن يهيؤا له ولاصحابه صنيعا ففعل وأمر عمرو أصحابه فتهيؤا ولبسوا البرود ثم اقبلوا فلما فرغوا من طعامهم سألهم عمرو كم أنفقتم قالوا عشرين ألف دينار قال عمرو لا حاجة لنا بصنيعكم بعد اليوم ادوا الينا عشرين ألف دينار فجاءه النفر من القبط فاستأذنوه الى قراهم وأهليهم فقال لهم عمرو كيف رأيتم أمرنا قالوا لم نر الا حسنا فقال الرجل الذى قال فى المرة الاولى انكم لن تزالوا تظهرون على كل من لقيتم حتى تقتلوا خيركم رجلا فغضب عمرو وأمر به فطلب اليه أصحابه وأخبروه

انه لايدرى مايقول حتى خلصوه فلما بلغ عمرا قتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرسل فى طلب ذلك القبطى * فوجدوه قد هلك فعجب عمرو من قوله ويقال ان عمرو بن العاص قال فلما طعن عمر بن الخطاب قلت هو ما قال القبطى * فلما حدثت انه انما قتله ابو لؤلؤة رجل نصرانى * قلت لم يعن هذا انما عنى من قتله المسلمون فلما قتل عثمان عرفت أن ما قال الرجل حق فلما فرغ القبط من صنيعهم أمر عمرو بن العاص بطعام فصنع لهم وأمرهم أن يحضروا لذلك فصنع لهم الثريد والعراق وأمر أصحابه بلباس الاكسية واشتمال الصماء والقعود على الركب فلما حضرت الروم وضعوا كراسى الديباج فجلسوا عليها وجلست العرب الى جوانبهم فجعل الرجل من العرب يلتقم اللقمة العظيمة من الثريد وينهش من ذلك اللحم فيتطاير على من الى جنبه من الروم فبشعت الروم ذلك وقالت أين اولئك الذين كانوا أتونا قبل فقيل لهم اولئك أصحاب المشورة وهؤلاء أصحاب الحرب * وقال الكندى * وذكر يزيد بن أبى حبيب أن عدد الجيش الذين كانوا مع عمرو بن العاص خمسة عشر ألفا وخمسمائة وذكر عبد الرحمن بن سعيد بن مقلاص أن الذين جرت سهمانهم فى الحصن من المسلمين اثناعشر ألفا وثلثمائة بعد من أصيب منهم فى الحصار بالقتل والموت ويقال ان الذين قتلوا فى هذا الحصار من المسلمين دفنوا فى اصل الحصن * وذكر القضاعى * أن مصر فتحت يوم الجمعة مستهل * المحرم سنة عشرين وقيل فتحت سنة ست عشرة وهو قول الواقدى * وقيل فتحت والاسكندرية سنة خمس وعشرين والاكثر على انها فتحت قبل عام الرمادة وكانت الرمادة فى آخر سنة سبع عشرة وأول ثمان عشرة

(ذكر ما قيل فى مصر هل فتحت بصلح او عنوة)

وقد اختلف فى فتح مصر فقال قوم فتحت صلحا وقال آخرون انما فتحت عنوة فأما الذين قالوا كان فتح مصر بصلح فان حسين بن شفى قال لما فتح عمرو بن العاص الاسكندرية بقى من الاسارى بها ممن بلغ الخراج وأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان فاختلف الناس على عمرو فى قسمهم فكان اكثر المسلمين يريد قسمها فقال عمرو لا أقدر على قسمها حتى اكتب الى أمير المؤمنين فكتب اليه يعلمه بفتحها وشأنها وأن المسلمين طلبوا قسمها فكتب اليه عمر رضى الله عنه لاتقسمها وذرهم يكون خراجهم فيأ للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم فأقرها عمرو وأحصى اهلها وفرض عليهم الخراج فكانت مصر كلها صلحا بفريضة دينارين دينارين الا انه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الارض والزرع الا الاسكندرية فانهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من وليهم لان الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ولم يكن لهم صلح ولا ذمة * وقال الليث عن يزيد بن أبى حبيب مصر كلها صلح الا الاسكندرية فانها فتحت عنوة * وقال عبد الله بن أبى جعفر حدثنى رجل ممن أدرك عمرو ابن العاص قال للقبط عهد عند فلان وعهد عند فلان فسمى ثلاثة نفر وفى رواية ان عهد أهل مصر كان عند كبرائهم وفى رواية سألت شيخا من القدماء عن فتح مصر قلت له فان ناسا يذكرون أنه لم يكن لهم عهد فقال ما يبالى أن لا يصلى من قال انه ليس لهم عهد فقلت فهل كان لهم كتاب فقال نعم كتب ثلاثة كتاب عند طلما صاحب اخنا وكتاب عند قزمان صاحب رشيد وكتاب عند يحنس صاحب البرلس قلت كيف كان صلحهم قال دينارين على كل انسان جزية وأرزاق المسلمين قلت فتعلم ما كان من الشروط قال نعم ستة شروط لا يخرجون من ديارهم ولا تنزع نساؤهم ولا كفورهم ولا أراضيهم ولا يزاد عليهم * وقال يزيد بن أبى حبيب عن أبى جمعة مولى عقبة قال كتب عقبة بن عامر الى معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه يسأله ارضا يسترفق بها عند قرية عقبة فكتب له معاوية بألف ذراع فى ألف ذراع فقال له مولى له كان عنده انظر اصلحك الله أرضا صالحة فقال له عقبة ليس لنا ذلك ان فى عهدهم شروطا ستة لا يؤخذ من أنفسهم شئ ولا من نسائهم ولا من أولادهم ولا يزاد عليهم ويدفع عنهم موضع الخوف من عدوهم وانا شاهد لهم بذلك * وعن يزيد بن أبى حبيب عن عوف بن حطان انه كان لقريات من مصر منهن أم دنين و بلهيت عهد وان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما سمع بذلك كتب الى عمرو يأمره أن يخيرهم فان دخلوا فى الاسلام فذاك وان كرهوا فارددهم الى قراهم * وقال يحيى بن أيوب وخالد بن حميد ففتح الله أرض مصر كلها بصلح غير الاسكندرية وثلاث قريات ظاهرت الروم على المسلمين سلطيس ومصيل و بلهيت فانه كان للروم جمع ظاهروا الروم على المسلمين فلما ظهر عليها المسلمون استحلوها وقالوا هؤلاء لنا فىء مع الاسكندرية فكتب

عمرو

عمرو بن العاص بذلك الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب اليه عمر أن يجعل الاسكندرية وهؤلاء الثلاث قريات ذمة للمسلمين ويضربون عليهم الخراج ويكون خراجهم وما صالح عليه القبط كله قوة للمسلمين لا يجعلون فيأ ولا عبيدا ففعلوا ذلك الى اليوم * وقال آخرون بل فتحت مصر عنوة بلا عهد ولا عقد قال سفيان بن وهب الخولانى لما افتتحنا مصر بغير عهد ولا عقد قام الزبير بن العوام فقال اقسمها يا عمرو بن العاص فقال عمرو والله لا أقسمها فقال الزبير والله لنقسمنها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال عمرو والله لا أقسمها حتى أكتب الى أمير المؤمنين فكتب الى عمر فكتب اليه عمر أقرها حتى يغزو منها حبل الحبلة وصولح الزبير على شئ أرضى به وقال ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة ان مصر فتحت عنوة وعن عبد الرحمن بن زياد بن انعم قال سمعت أشياخنا يقولون ان مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد منهم ابى يحدثنا عن أبيه وكان فيمن شهد فتح مصر وعن أبى الاسود عن عروة ان مصر فتحت عنوة وعن عمرو بن العاص انه قال لقد قعدت مقعدى هذا وما لاحد من قبط مصر علىّ عهد ولا عقد الا اهل انطابلس كان لهم عهد يوفى به ان شئت قتلت وان شئت خمست وان شئت بعت وعن ربيعة بن أبى عبد الرحمن أن عمرو بن العاص فتح مصر بغير عهد ولا عقد وأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حبس درها وضرعها أن يخرج منه شئ نظرا للاسلام وأهله * وعن زيد بن أسلم قال كان تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه وبين أحد ممن عاهده فلم يوجد فيه لاهل مصر عهد فمن أسلم منهم اقامه ومن أقام منهم قوّمه وكتب حيان بن شريح الى عمر بن عبد العزيز يساله أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم فسأل عمر عراك ابن مالك فقال عراك ما سمعت لهم بعهد ولا عقد وانما أخذوا عنوة بمنزلة العبيد فكتب عمر الى حيان أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم وقال يحيى بن عبد الله بن بكير خرج أبو سلمة بن عبد الرحمن يريد الاسكندرية فى سفينة فاحتاج الى رجل يجذف فسخر رجلا من القبط فكلم فى ذلك فقال انما هم بمنزلة العبيد ان احتجنا اليهم وقال ابن لهيعة عن الصلت بن ابى عاصم انه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز الى حيان بن شريح ان مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد وعن عبيد الله بن أبى جعفر أن كاتب حيان حدثه انه احتيج الى خشب لصناعة الجزيرة فكتب حيان الى عمر بن عبد العزيز يذكر ذلك له وانه وجد خشبا عند بعض اهل الذمة وانه كره أن يأخذها منهم حتى يعلمه فكتب اليه عمر خذها منهم بقيمة عدل فانى لم أجد لاهل مصر عهدا أفى لهم به وقال عمر ابن عبد العزيز لسالم أنت تقول ليس لاهل مصر عهد قال نعم وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان عمرو ابن العاص كتب الى عمر بن الخطاب فى رهبان يترهبون بمصر فيموت أحدهم وليس له وارث فكتب اليه عمر أن من كان منهم له عقب فادفع ميراثه الى عقبه فان لم يكن له عقب فاجعل ماله فى بيت مال المسلمين فان ولاءه للمسلمين * وقال ابن شهاب كان فتح مصر بعضها بعهد وذمة وبعضها عنوة فجعلها عمر بن الخطاب رضى الله عنه جميعها ذمة وحملهم على ذلك فمضى ذلك فيهم الى اليوم واشترى الليث بن سعد شيأ من أرض مصر لانه كان يحدث عن يزيد بن أبى حبيب ان مصر صلح وكان مالك بن أنس ينكر على الليث ذلك وانكر عليه أيضا عبد الله ابن لهيعة ونافع بن يزيد لان مصر عندهم كانت عنوة

* (ذكر من شهد فتح مصر من الصحابة رضى الله عنهم) *

قال ابن عبد الحكم وكان من حفظ من الذين شهدوا فتح مصر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم وممن لم يكن له برسول الله صلى الله عليه وسلم صحبة الزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص وعمرو ابن العاص وكان أمير القوم وعبد الله بن عمرو وخارجة بن حذافة العدوى وعبد الله بن عمر بن الخطاب وقيس بن ابى العاص السهمى والمقداد بن الاسود وعبد الله بن أبى سعد بن أبى سرح العامرى ونافع بن عبد قيس الفهرى ويقال بل هو عقبة بن نافع وأبو عبد الرحمن يزيد بن أنيس الفهرى وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عبدة وعبد الرحمن وربيعة ابنا شرحبيل بن حسنة ووردان مولى عمرو بن العاص وكان حامل لواء عمرو بن العاص وقد اختلف فى سعد بن أبى وقاص فقيل انما دخلها بعد الفتح وشهد الفتح من الانصار عبادة بن الصامت وقد شهد بدرا وبيعة العقبة ومحمد بن مسلمة الانصارى وقد شهد بدرا وهو الذى بعثه عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مصر فقاسم عمرو بن العاص ماله وهو أحد من كان صعد الحصن مع الزبير بن

العوام ومسلمة بن مخلد الانصاري" يقال له صحبة وأبو أيوب خالد بن زيد الانصاري" وابو الدرداء عويمر بن عامر وقيل عويمر بن زيد ومن أحياء القبائل ابو نصرة جميل بن نصرة الغفاري" وأبو ذر جندب بن جنادة الغفاري" وشهد الفتح مع عمرو بن العاص وهبيب بن معقل واليه ينسب وادي هبيب الذي بالمغرب وعبد الله بن الحارث ابن جزء الزبيدي" وكعب بن ضبة العبسي" ويقال كعب بن يسار بن ضبة وعقبة بن عامر الجهني" وهو كان رسول عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص حين كتب اليه يامره أن يرجع ان لم يكن دخل ارض مصر وابو زمعة البلوي" وبرح بن حسكل ويقال برح بن عسكر وشهد فتح مصر واختط بها وجنادة بن أبي أمية الازدي" وسفيان ابن وهب الخولاني" وله صحبة ومعاوية بن خديج الكندي" وهو كان رسول عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب بفتح الاسكندرية وقد اختلف فيه فقال قوم له صحبة وقال آخرون ليست له صحبة وعامر مولى جمل الذي يقال له عامر جمل شهد الفتح وهو مملوك وعمار بن ياسر ولكن دخل بعد الفتح في أيام عثمان وجهه اليها في بعض اموره قال ابن عبد الحكم منهم من اختط بالبلد فذكرنا خطته ومنهم من لم يذكر له خطة قال فاختط عمرو بن العاص داره التي عند باب المسجد بينهما الطريق وداره الأخرى اللاصقة الى جنبها وفيها دفن عبد الله بن عمرو فيما زعم بعض مشايخ البلد لحدث كان يومئذ في البلد والحمام الذي يقال له حمام الفار وانما قيل له حمام الفار لان حمامات الروم كانت ديماسات كبارا فلما بنى هذا الحمام ورأوا صغره قالوا من يدخل هذا هذا حمام الفار

*(ذكر السبب في تسمية مدينة مصر بالفسطاط)

قال ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبي حبيب ان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبناءها مفروغا منها هم أن يسكنها وقال مساكن قد كفيناها فكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستأذنه في ذلك فسأل عمر الرسول هل يحول بيني و بين المسلمين ماء قال نعم يا أمير المؤمنين اذا جرى النيل فكتب عمر الى عمرو انى لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلا يحول الماء بيني و بينهم في شتاء ولا صيف فتحول عمرو من الاسكندرية الى الفسطاط قال وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى سعد بن أبي وقاص وهو نازل بمدائن كسرى والى عامله بالبصرة والى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندرية أن لا تجعلوا بيني وبينكم ماء متى أردت أن اركب اليكم راحلتي حتى أقدم عليكم قدمت فتحول سعد من مدائن كسرى الى الكوفة وتحول صاحب البصرة من المكان الذي كان فيه فنزل البصرة وتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية الى الفسطاط قال وانما سميت الفسطاط لان عمرو بن العاص لما أراد التوجه الى الاسكندرية لقتال من بها من الروم أمر بنزع فسطاطه فاذا فيه يمام قد فرخ فقال عمرو لقد تحرم منا بمتحرم فأمر به فأقر كما هو وأوصى به صاحب القصر فلما قفل المسلمون من الاسكندرية قالوا أين تنزل قالوا الفسطاط لفسطاط عمرو الذي كان خلفه وكان مضروبا في موضع الدار التي تعرف اليوم بدار الحصار عند دار عمرو الصغيرة * قال الشريف محمد بن اسعد الجواني" كان فسطاط عمرو عند درب حمام شمول بخط الجامع وقال ابن قتيبة في كتاب غريب الحديث في حديث النبي" صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالجماعة فان يد الله على الفسطاط يرويه سويد بن عبد العزيز عن النعمان بن المنذر عن مكحول عن أبي هريرة عن النبي" صلى الله عليه وسلم والفسطاط المدينة وكل مدينة فسطاط ولذلك قيل لمصر فسطاط وقال البكري" الفسطاط بضم أوله وكسره واسكان ثانيه اسم لمصر ويقال فسطاط وبسطاط قال المطرزي وفصطاط وفستاط و بكسر اوائل جميعها فهي عشر لغات وقال ابن قتيبة كل مدينة فسطاط وذكر حديث عليكم بالجماعة فان يد الله على الفسطاط وأخبرني ابو حاتم عن الاصمعي" أنه قال حدثني رجل من بني تميم قال قرأت في كتاب رجل من قريش هذا ما اشترى فلان بن فلان من عجلان مولى زياد اشترى منه خمسمائة جريب حيال الفسطاط يريد البصرة ومنه قول الشعبي" في الآبق اذا أخذ في الفسطاط عشرة واذا اخذ خارجا عن الفسطاط أربعون وأراد أن يد الله على اهل الامصار وأن من شذ عنهم وفارقهم في الرأى فقد خرج عن يد الله وفي ذلك آثار والله أعلم

(ذكر الخطط التي كانت بمدينة الفسطاط)

اعلم أن الخطط التي كانت بمدينة فسطاط مصر بمنزلة الحارات التي هي اليوم بالقاهرة فقيل لتلك في مصر خطة

وقيل

وقيل لها فى القاهرة حارة * قال القضاعى ولما رجع عمرو من الاسكندرية ونزل موضع فسطاطه انضمت القبائل بعضها الى بعض وتنافسوا فى المواضع فولى عمرو على الخطط معاوية بن خديج التجيبى وشريك بن سمى الغطيفى وعمرو بن قحزم الخولانى وحيويل بن ناشرة المغافرى وكانوا هم الذين انزلوا الناس وفصلوا بين القبائل وذلك فى سنة احدى وعشرين * (خطة اهل الراية) اهل الراية جماعة من قريش والانصار وخزاعة واسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة وثقيف ودوس وعبس بن بغيض وحرش من بنى كنانة وليث بن بكر والعتقاء منهم الا أن منزل العتقاء فى غير الراية وانما سموا اهل الراية ونسبت الخطة اليهم لانهم جماعة لم يكن لكل بطن منهم من العدد ما ينفرد بدعوة من الديوان فكره كل بطن منهم أن يدعى باسم قبيلة غير قبيلته فجعل لهم عمرو بن العاص راية ولم ينسبها الى أحد فقال يكون موقفكم تحتها فكانت لهم كالنسب الجامع وكان ديوانهم عليها وكان اجتماع هذه القبائل لما عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاية بينهم وهذه الخطة محيطة بالجامع من جميع جوانبه ابتدؤا من المصف الذى كانوا عليه فى حصارهم الحصن وهو باب الحصن الذى يقال له باب الشمع ثم مضوا بخطتهم الى حمام الفار وشرعوا بغربيها الى النيل فاذا بلغت الى النحاسين فالجانبان لاهل الراية الى باب المسجد الجامع المعروف بباب الوراقين ثم يسلك على حمام شمول وفى هذه الخطة زقاق القناديل الى تربة عفان الى سوق الحمام الى باب القصر الذى بدأنا بذكره * (خطة مهرة) بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ابن مالك بن حمير * وخطة مهرة هذه قبلى خطة الراية واختطت مهرة أيضا على سفح الجبل الذى يقال له جبل يشكر مما يلى الخندق الى شرقى العسكر الى جنان بنى مسكين ومن جملة خطة مهرة الموضع الذى يعرف اليوم بمساطب الطباخ واسمه حمد ويقال ان الخطة التى لهم قبلى الراية كانت حوزا لهم يربطون فيها خيلهم اذا رجعوا الى الجمعة ثم انقطعوا اليها وتركوا منازلهم بيشكر * (خطة تجيب) وتجيب هم بنو عدى وسعد ابنى الاشرس بن شبيب بن السكن بن الاشرس بن كندة فمن كان من ولد عدى وسعد يقال لهم تجيب وتجيب أمهم وهذه الخطة تلى خطة مهرة وفيها درب المصوصة آخره حائط من الحصن الشرقى * (وخطط لخم فى موضعين) فمنها خطة لخم بن عدى بن مرة بن ادد ومن خالطها من جذام فابتدأت لخم بخطتها من الذى انتهت اليه خطة الراية وأصعدت ذات الشمال وفى هذه الخطة سوق بربر وشارعه مختلط فيما بين لخم والراية ولهم خطتان أخريان احداهما منسوبة الى بنى رية بن عمرو بن الحارث بن وائل بن راشدة من لخم وأولها شرقى الكنيسة المعروفة بكابيل التى عند خليج بنى وائل وهذا الموضع اليوم وراقات يعمل فيها الورق بالقرب من باب القنطرة خارج مصر والخطة الثانية خطة راشدة بن أدب بن جزيلة من لخم وهى متاخمة للخطة التى قبلها وفى هذه الخطة جامع راشدة وجنان كهمس بن معمر الذى عرف بالمادرانى ثم عرف بجنان الامير تميم وهو اليوم يقال له المعشوق بجوار الآثار النبوية ولهم مواضع مع اللفيف وخطط أيضا بالحمراء * (خطط اللفيف) انما سموا بذلك لالتفاف بعضهم ببعض وسبب ذلك أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية أخبر أن مراكب الروم قد توجهت الى الاسكندرية لقتال المسلمين فبعث عمرو بعمرو بن جمالة الازدى الحجرى ليأتيه بالخبر فمضى واسرعت هذه القبائل التى تدعى اللفيف وتعاقدوا على اللحاق به واستأذنوا عمرو بن العاص فى ذلك فأذن لهم وهم جمع كثير فلما رآهم عمرو بن جمالة استكثرهم وقال تالله ما رأيت قوما قد سدّوا الافق مثلكم وانكم كما قال الله تعالى فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا فبذلك سموا من يومئذ اللفيف وسألوا عمرو بن العاص أن يفرد لهم دعوة فامتنعت عشائرهم من ذلك فقالوا لعمرو فانا نجتمع فى المنزل حيث كنا فأجابهم الى ذلك فكانوا مجتمعين فى المنزل متفرقين فى الديوان اذا دعى كل بطن منهم انضم الى بنى أبيه قال قتادة ومجاهد والضحاك بن مزاحم فى قوله جئنا بكم لفيفا قال جميعا وكان عامتهم من الازد من الحجر ومن غسان ومن شجاعة والتف بهم نفر من جذام ولخم والزحاف وتنوخ من قضاعة فهم مجتمعون فى المنزل متفرقون فى الديوان وهذه الخطة اولها مما يلى الراية سالكا ذات الشمال الى نقاشى البلاط وفيها دار ابن عشرات الى نحو من سوق وردان * (خطط اهل الظاهر) انما سمى هذا المنزل بالظاهر لان القبائل التى نزلته كانت بالاسكندرية ثم قفلت بعد قفول عمرو بن العاص وبعد أن اختط الناس خططهم فخاصمت الى عمرو فقال لهم معاوية بن خديج وكان ممن يتولى الخطط يومئذ ارى لكم أن تظهروا على اهل هذه القبائل فتتخذوا منزلا فسمى الظاهر بذلك وكانت القبائل التى نزلت الظاهر

العتقاء وهم جماع من القبائل كانوا يقطعون على ايام النبيّ صلى الله عليه وسلم فبعث اليهم فأتى بهم أسرى
فأعتقهم فقيل لهم العتقاء وديوانهم مع اهل الراية وخطتهم بالظاهر متوسطة فيه وكان فيهم طوائف من الازد
وفهم وأوّل هذه الخطة من شرقيّ خطة لخم وتتصل بموضع العسكر ومن هذه الخطة سويقة العراقيين وعرفت
بذلك لان زيادا لما ولاه معاوية بن أبي سفيان البصرة غرّب جماعة من الازد الى مصر وبها مسلمة بن مخلد
فى سنة ثلاث وخمسين فنزل منهم هنا نحو من مائة وثلاثين فقيل لموضعهم من خطة الظاهر سويقة العراقيين
*(خطط غافق) هو غافق بن الحارث بن عك بن عدثان بن عبد الله بن الازد وهذه الخطة تلى خطة لخم الى
خطة الظاهر بجوار درب الاعلام *(خطط الصدف) واسمه مالك بن سهل بن عمرو بن قيس بن حمير ودعوتهم
مع كندة *(خطط الفارسيين) واستبدّ بخطة خولان من حضر فتح مصر من الفارسيين وهم بقايا جند باذان
عامل كسرى على اليمن قبل الاسلام اسلموا بالشأم ورغبوا فى الجهاد فنفروا مع عمرو بن العاص الى مصر
فاختطوا بها وأخذوا فى سفح الجبل الذى يقال له جبل باب البون وهذا الجبل اليوم شرقيّ من وراء خطة جامع
ابن طولون تعرف أرضه بالارض الصفراء وهى من جملة العسكر *(خطة مذحج) بالحاء قبل الجيم وهو مالك بن
مرّة بن ادد بن زيد بن كهلان *(خطة غطيف) بن مراد *(خطة وعلان) بن قرن بن ناجية بن مراد وكلهم من
مذحج فاختطت وعلان من الزقاق الذى فيه الصنم المعروف بسرية فرعون وهذا الزقاق أوّله باب السوق الكبير
واختطت ايضا بخولان ثم انفردت وعلان بخططها مقابل المسجد المعروف بالدينوريّ واسندت الى خولان
وهذه الخطة اليوم كيمان تطلّ على قبر القاضى بكار *(خطة يحصب) بن مالك بن اسلم بن زيد بن غوث وهذه
الخطة موضعها كيمان وهى تتصل بالشرف الذى يعرف اليوم بالرصد المطلّ على راشدة *(خطة رعين) بن زيد
ابن سهل *(خطة ذى الكلاع) بن شرحبيل بن سعد من حمير * (خطة المغافر) بن يعفر بن مرّة بن أدد وهذه
الخطة من الرصد الى سقاية بن طولون وهى القناطر التى تطلّ على عفصة وتفصل بين القرافتين والقناطر للمغافر
ولهم الى مصلى خولان والى الكوم المشرف على المصلى (خطة سبا وخطة الرحبة) بن زرعة بن كعب (خطة
السلف بن سعد) فيما بين الكوم المطلّ على القاضى بكار و بين المغافر (خطة بنى وائل) بن زيد مناة بن افصى بن
اياس بن حرام بن جذام بن عدىّ وهى من سفح الشرف المعروف بالرصد الى خطة خولان (خطة القبض)
بالتحريك بن مرثد وهى بجانب خطة بنى وائل الى نحو بركة الحبش قال وكان سبب نزول بنى وائل والقبض وريّة
وراشدة والفارسيين هذه المواضع انهم كانوا فى طوالع عمرو بن العاص فنزلوا فى مقدمة الناس وحازوا هذه
المواضع قبل الفتح *(خطط الحمراوات الثلاث) قال الكنديّ وكانت الحمراء على ثلاثة بنو نبه وروبيل
والازرق وكانوا ممن سار مع عمرو بن العاص من الشام الى مصر من عجم الشأم ممن كان رغب فى الاسلام
من قبل اليرموك ومن اهل قيسارية وغيرهم وقال القضاعيّ وانما قيل الحمرا لنزول الروم بها وهى خطط بلىّ
ابن عمرو بن الحاف بن قضاعة وفهم وعدوان و بعض الازد وهم ثراد و بنى بحر و بنى سلامان ويشكر بن لخم
وهذيل بن مدركة بن الياس بن مضر وبنى نبه و بنى الازرق وهم من الروم و بنى روبيل وكان يهوديا فاسلم
* فأوّل ذلك الحمراء الدنيا خطة بلىّ بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ومنها خطة ثراد من الازد وخطة فهم بن عمرو
ابن قيس عيلان ومنها خطة بنى بحر بن سوادة من الازد * ومن ذلك الحمراء الوسطى منها خطة بنى نبه وهم قوم
من الروم حضر الفتح منهم مائة رجل ومنها خطة هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ومنها خطة بنى سلامان
من الازد ومنها خطة عدوان * ومن ذلك الحمراء القصوى وهى خطة بنى الازرق وكان روميا حضر الفتح منهم
أربعمائة وخطة بنى روبيل وكان يهوديا فأسلم وحضر الفتح منهم ألف رجل وخطة بنى يشكر بن جزيلة بن لخم
وكانت منازل يشكر مفترقة فى الجبل فدثرت قديما وعادت صحراء حتى جاءت المسوّدة يعنى جيوش بنى العباس
فعمروها وهى الآن خراب * وقال ابن المتوّج الحمراوات ثلاث اولى ووسطى وقصوى فأمّا الاولى فتجمع جامع
الاور وعقبة العدّاسين وسوق وردان وخطة الزبير الى نقاشى البلاط طولا وعرضا على قدر ذلك وأمّا الوسطى
فمن درب نقاشى البلاط الى درب معانى طولا وعرضا على قدره وأمّا القصوى فمن درب معانى الى القناطر
الظاهرية يعنى قناطر السباع وهى حدّ ولاية مصر من القاهرة وكانت هذه الحمراوات جلّ عمارة مصر فى زمن
الروم فاذا الحمراء الاولى والوسطى هما الآن خراب وموضعهما فيما بين سوق المعاريج وحمام طن من شرقيهما

الى مايقابل المراغة فى الشرق وأما الحمراء الدنيا فهى الآن تعرف بخط قناطر السباع و بخط السبع سقايات وبحكر الخليلى وحكر أقبغا والكوم حيث الأسرى ومنها أيضا خط الكبش وخط الجامع الطولونى والعسكر ومنها حدرة ابن قميحة الى حيث قنطرة السد و بستان الطواشى ومافى شرقيه الى مشهد الرأس المعروف بزين العابدين وسيأتى لذلك مزيد بيان ان شاء الله تعالى عند ذكر العسكر وكانت مدينة الفسطاط على قسمين هما عمل فوق وعمل أسفل * فعمل فوق له طرفان غربى وشرقى فالغربى من شاطئ النيل فى الجهة القبلية وأنت مار فى الشرف المعروف اليوم بالرصد الى القرافة الكبرى والشرقى من القرافة الكبرى الى العسكر * وعمل أسفل ماعدا ذلك الى حد القاهرة

(ذكر امراء الفسطاط من حين فتحت مصر الى أن بنى العسكر)

اعلم أن عدة من ولى مصر من الامراء فى الاسلام منذ فتحت وسكن الفسطاط الى أن بنى العسكر تسعة وعشرون أميرا فى مدة مائة وثلاث عشرة سنة وسبعة أشهر أولها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة النبوية وهو يوم فتح مصر وآخرها سلخ شهر رجب سنة ثلاث وثلاثين ومائة آخر ولاية صالح بن على بن عبد الله ابن عباس على مصر وأول ولاية أبى عون عبد الملك وهو أول من سكن العسكر من أمراء مصر * واول أمراء الفسطاط بعد الفتح على ماذكر الكندى وغيره (عمرو بن العاص) بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو ابن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك أبو عبد الله كان تاجرا فى الجاهلية وكان يختلف بتجارته الى مصر وهى الادم والعطر ثم ضرب الدهر ضربانه حتى فتح المسلمون الشأم فخلا بعمر بن الخطاب رضى الله عنه فاستأذنه فى المسير الى مصر فسار فى سنة تسع عشرة وأتى الحصن فحاصره سبعة أشهر الى أن فتحه فى يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين وقيل كان فتح مصر فى ثانى عشر بؤنة سنة سبع وخمسين وثلثمائة لدقلطيانوس فعلى هذا يكون فتح مصر فى سنة تسع عشرة من الهجرة وتحرير ذلك أن الذى بين يوم الجمعة اول يوم من ملك دقلطيانوس و بين يوم الخميس اول سنة الهجرة ثمان وثلاثون وثلثمائة سنة فارسية وتسعة وثلاثون يوما فاذا ألغينا ذلك من تاريخ مصر فى ثانى عشر بؤنة سنة سبع وخمسين وثلثمائة بقى ثمان عشرة سنة وثمانية أشهر وثلاثة أيام وهذه سنون شمسية عنها من سنى القمر تسع عشرة سنة وشهر وثلاثة عشر يوما فيكون ذلك فى ثالث عشر ربيع الاول سنة عشرين فلعل الوهم وقع فى الشهر القبطى وحاز الحصن بمافيه وسار الى الاسكندرية فى ربيع الاول منها فحاصرها ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة وهو الفتح الاول ويقال بل فتحها مستهل سنة احدى وعشرين ثم سار عنها الى برقة فافتتحها عنوة فى سنة اثنتين وعشرين وقيل فى سنة ثلاث وعشرين وقدم على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قدمتين استخلف فى احداهما زكريا بن جهم العبدرى وفى الثانية ابنه عبد الله وتوفى عمر رضى الله عنه فى ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وبويع أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضى الله عنه فوفد عليه عمرو وسأله عزل عبد الله بن سعد بن أبى سرح عن صعيد مصر وكان عمر ولاه الصعيد فامتنع من ذلك عثمان وعقد لعبد الله بن سعد على مصر كلها فكانت ولاية عمرو على مصر صلاتها وخراجها منذ افتتحها الى أن صرف عنها أربع سنين وأشهرا *(عبد الله بن سعد) بن ابى سرح واسمه الحسام ابن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ولى من قبل أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه فجاءه الكتاب بالفيوم فجعل لاهل اطواف جعلا فقدموا به الفسطاط ثم ان منويل الخصى سار الى الاسكندرية فى سنة أربع وعشرين فسأل اهل مصر عثمان أن يرد عمرو بن العاص لمحاربته فرده واليا على الاسكندرية فحارب الروم بها حتى افتتحها وعبد الله بن سعد مقيم بالفسطاط حتى فتحت الاسكندرية الفتح الثانى عنوة فى سنة خمس وعشرين ثم جمع لعبد الله بن سعد أمر مصر صلاتها وخراجها ومكث أميرا مدة ولاية عثمان رضى الله عنه كلها محمودا فى ولايته وغزا ثلاث غزوات كلها لها شأن غزا افريقية سنة سبع وعشرين وقتل ملكها جرجير وغزا غزوة الاساود حتى بلغ دنقلة فى سنة احدى وثلاثين وغزا ذا الصوارى فى سنة أربع وثلاثين فلقيهم قسطنطين بن هرقل فى ألف مركب وقيل فى سبعمائة مركب والمسلمون فى مائتى مركب فهزم الله الروم وانما سميت غزوة ذى الصوارى لكثرة صوارى المراكب واجتماعها ووفد على عثمان

حين تكلم الناس بالطعن على عثمان واستخلف عقبة بن عامر الجهنى وقيل السائب بن هشام العامرى وجعل على خراجها سليمان بن عتر التجيبى وكان ذلك سنة خمس وثلاثين فى رجب * (محمد بن ابى حذيفة) بن عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف أمّر فى شوّال سنة خمس وثلاثين على عقبة بن عامر خليفة عبد الله ابن سعد فأخرجه من الفسطاط ودعا الى خلع عثمان واسعر البلاد وحرّض على عثمان بكل شرّ يقدر عليه فاعتزله شيعة عثمان ونابذوه وهم معاوية بن خديج وخارجة بن حذافة وبسر بن اوطاة ومسلمة بن مخلد فى جمع كثير وبعثوا الى عثمان بامرهم وبصنيع ابن ابى حذيفة فبعث سعد بن ابى وقاص ليصلح أمرهم فخرج اليه جماعة فقلبوا عليه فسطاطه وشجوه وسبوه فركب وعاد راجعا ودعا عليهم واقبل عبد الله بن سعد فمنعوه أن يدخل فانصرف الى عسقلان وقتل عثمان رضى الله عنه وابن سعد بعسقلان ثم أجمع ابن ابى حذيفة على بعث جيش الى عثمان فجهز اليه ستمائة رجل عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوى ثم قتل عثمان فى ذى الحجة منها فثار شيعة عثمان بمصر وعقدوا لمعاوية بن خديج وبايعوه على الطلب بدم عثمان وساروا الى الصعيد فبعث اليهم ابن ابى حذيفة خيلا فهزمت ومضى ابن خديج الى برقة ثم رجع الى الاسكندرية فبعث اليه ابن ابى حذيفة بجيش آخر فاقتتلوا بخربتا فى اول شهر رمضان سنة ست وثلاثين فانهزم الجيش وأقامت شيعة عثمان بخربتا وقدم معاوية بن ابى سفيان يريد الفسطاط فنزل سلمنت فى شوّال فخرج اليه ابن ابى حذيفة فى اهل مصر فمنعوه ثم اتفقا على أن يجعلا رهنا ويتركا الحرب فاستخلف ابن ابى حذيفة على مصر الحكم بن الصلت وخرج فى الرهن هو وابن عديس وعدة من قتلة عثمان فلما بلغوا لدا سجنهم معاوية بها وسار الى دمشق فهربوا من السجن وتبعهم أمير فلسطين فقتلهم فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين * (قيس بن سعد) بن عبادة الانصارى ولاه أمير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه لما بلغه مصاب ابن ابى حذيفة وجمع له الخراج والصلاة فدخل مصر مستهل ربيع الاول سنة سبع وثلاثين فاستمال الخارجية بخربتا شيعة عثمان وبعث اليهم أعطياتهم ووفد عليه وفدهم فأكرمهم وكان من ذوى الرأى فجهد عمرو بن العاص ومعاوية بن ابى سفيان على أن يخرجاه من مصر ليغلبا على أمرها فانها كانت من جيش على رضى الله عنه فامتنع منهما بالدهاء والمكايدة فلم يقدرا على مصر حتى كاد معاوية قيسا من قبل على رضى الله عنه فأشاع أن قيسا من شيعته وأنه يبعث اليه بالكتب والنصيحة سرّا فسمع ذلك جواسيس على رضى الله عنه ومازال به محمد بن أبى بكر وعبد الله بن جعفر حتى كتب الى قيس بن سعد يأمره بالقدوم اليه فوليها الى أن عزل أربعة أشهر وخمسة أيام وصرف لخمس خلون من رجب سنة سبع وثلاثين فوليها * (الاشتر مالك بن الحارث) بن خالد النخعى من قبل أمير المؤمنين على بن ابى طالب فلما قدم القلزم شرب عسلا فمات فبلغ ذلك عمرا ومعاوية فقال عمرو ان لله جنودا من عسل * ثم وليها (محمد بن ابى بكر الصديق) من قبل على رضى الله عنه وجمع له صلاتها وخراجها فدخلها للنصف من رمضان سنة سبع وثلاثين فهدم دور شيعة عثمان ونهب اموالهم وسجن ذراريهم فنصبوا له الحرب ثم صالحهم على أن يسيرهم الى معاوية فلحقوا بمعاوية بالشأم فبعث معاوية عمرو بن العاص فى جيوش اهل الشأم الى الفسطاط وتغيب ابن أبى بكر فظفر به معاوية بن خديج فقتله ثم جعله فى جيفة حمار ميت وأحرقه بالنار لاربع عشرة خلت من صفر سنة ثمان وثلاثين فكانت ولايته خمسة اشهر * ثم وليها (عمرو بن العاص) ولايته الثانية من قبل معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه فاستقبل بولايته شهر ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين وجعل اليه الصلاة والخراج جميعا وجعلت مصر له طعمة بعد عطاء جندها والنفقة فى مصلحتها ثم خرج عمرو للحكومة واستخلف على مصر ابنه عبد الله وقيل بل خارجة بن حذافة ورجع الى مصر وتعاقد بنو لحم عبد الرحمن وقيس ويزيد على قتل على ومعاوية وعمرو وتواعدوا ليلة من رمضان سنة أربعين فمضى كل منهم الى صاحبه وكان يزيد هو صاحب عمرو فعرضت لعمرو علة منعته من حضور المسجد فصلى خارجة بالناس فشدّ عليه يزيد فضربه حتى قتله فدخل به على عمرو فقال أما والله ما أردت غيرك يا عمرو قال عمرو ولكن الله أراد خارجة ولله در القائل

وليتها اذ فدت عمرا بخارجة * فدت عليا بمن شاءت من البشر

وعقد عمرو لشريك بن سمى على غزو لواتة من البربر فغزاهم فى سنة أربعين وصالحهم ثم انتقضوا فبعث اليهم عقبة بن نافع فى سنة احدى وأربعين فغزاهم حتى هزمهم وعقد لعقبة أيضا على غزو هوارة وعقد لشريك

ابن

ابن سمى على غزو لبدة فغزواهما فى سنة ثلاث وأربعين فقفلا وعمرو شديد الدنف فى مرض موته وتوفى ليلة الفطر فغسله عبد الله بن عمرو وأخرجه الى المصلى وصلى عليه فلم يبق احد شهد العيد الا صلى عليه ثم صلى بالناس صلاة العيد وكان ابوه استخلفه وخلف عمرو بن العاص سبعين بهارا دنانير والبهار جلد ثور ومبلغه اردبان بالمصرى فلما حضرته الوفاة أخرجه وقال من يأخذه بما فيه فأبى ولداه أخذه وقالا حتى ترد الى كل ذى حق حقه فقال والله ما أجمع بين اثنين منهم فبلغ معاوية فقال نحن نأخذه بما فيه * ثم وليها (عتبة بن أبى سفيان) من قبل أخيه معاوية بن ابى سفيان على صلاتها فقدم فى ذى القعدة سنة ثلاث واربعين وأقام شهرا ثم وفد على أخيه واستخلف عبد الله بن قيس بن الحارث وكان فيه شدة فكره الناس ولايته وامتنعوا منها فبلغ ذلك عتبة فرجع الى مصر وصعد المنبر فقال يا اهل مصر قد كنتم تعذرون ببعض المنع منكم لبعض الجور عليكم وقد وليكم من اذا قال فعل فان أبيتم درأكم بيده فان ابيتم درأكم بسيفه ثم رجا فى الاخير ما أدرك فى الاول ان البيعة شائعة لنا عليكم السمع ولكم علينا العدل وأينا غدر فلا ذمة له عند صاحبه فناداه المصريون من جنبات المسجد سمعا سمعا فناداهم عدلا عدلا ثم نزل ثم جمع له معاوية الصلات والخراج وعقد عتبة لعلقمة بن يزيد على الاسكندرية فى اثنى عشر ألفا من اهل الديوان تكون لها رابطة ثم خرج اليها مرابطا فى ذى الحجة سنة اربع واربعين فمات بها واستخلف على مصر عقبة بن عامر الجهنى فكانت ولايته ستة أشهر * ثم وليها (عقبة بن عامر) بن عبس الجهنى من قبل معاوية وجعل له صلاتها وخراجها وكان قارئا فقيها مفرضا شاعرا له الهجرة والصحبة والسابقة ثم وفد مسلمة بن مخلد الانصارى على معاوية فولاه مصر وأمره أن يكتم ذلك عن عقبة بن عامر وجعل عقبة على البحر وأمره أن يسير الى رودس فقدم مسلمة فلم يعلم بامارته وخرج مع عقبة الى الاسكندرية فلما توجه سائرا استوى مسلمة على سرير امارته فبلغ ذلك عقبة فقال اخلعا وغربة وكان صرفه لعشر بقين من ربيع الاول سنة سبع وأربعين وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر * فولى (مسلمة بن مخلد) بن صامت بن نيار الانصارى من قبل معاوية وجمع له الصلات والخراج والغزو فانتظمت غزواته فى البر والبحر وفى امارته نزلت الروم البرلس فى سنة ثلاث وخمسين فاستشهد يومئذ وردان مولى عمرو بن العاص فى جمع من المسلمين وهدم ما كان عمرو ابن العاص بناه من المسجد وبناه وأمر بابتناء منارات المساجد كلها الا خولان وتجيب وخرج الى الاسكندرية فى سنة ستين واستخلف عابس بن سعيد ومات معاوية بن ابى سفيان فى رجب منها واستخلف ابنه يزيد بن معاوية فأقر مسلمة وكتب اليه بأخذ البيعة فبايعه الجند الا عبد الله بن عمرو بن العاص فدعا عابس بالنار ليحرق عليه بابه فحينئذ بايع ليزيد وقدم مسلمة من الاسكندرية فجمع لعابس مع الشرط القضاء فى سنة احدى وستين وقال مجاهد صليت خلف مسلمة بن مخلد فقرأ سورة البقرة فما ترك ألفا ولا واوا وقال ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد كان مسلمة بن مخلد يصلى بنا فيقوم فى الظهر فربما قرأ الرجل البقرة وتوفى مسلمة وهو وال لخمس بقين من رجب سنة اثنتين وستين فكانت ولايته خمس عشرة سنة وأربعة أشهر واستخلف عابس بن سعيد * ثم وليها (سعيد بن يزيد) بن علقمة بن يزيد بن عوف الازدى من أهل فلسطين فقدم مستهل رمضان سنة اثنتين وستين فتلقاه عمرو بن قحزم الخولانى فقال يغفر الله لامير المؤمنين أما كان فينا مائة شاب كلهم مثلك يولى علينا أحدهم ولم تزل أهل مصر على الشنا ن له والاعراض عنه والتكبر عليه حتى توفى يزيد بن معاوية ودعا عبد الله بن الزبير رضى الله عنه الى نفسه فقامت الخوارج الذين بمصر وأظهروا دعوته وسار منهم اليه فبعث لعبد الرحمن بن جحدم فقدم واعتزل سعيدا فكانت ولايته سنتين غير شهر * ثم وليها (عبد الرحمن بن عتبة) بن جحدم من قبل عبد الله بن الزبير فدخل فى شعبان سنة اربع وستين فى جمع كثير من الخوارج فأظهروا التحكيم ودعوا اليه فاستعظم الجند ذلك وبايعه الناس على غل فى قلوب شيعة بنى امية ثم بويع مروان بن الحكم بالخلافة فى اهل الشام وأهل مصر معه فى الباطن فسار اليها وبعث ابنه عبد العزيز فى جيش الى ايلة ليدخل مصر من هنالك وأجمع ابن جحدم على حربه وحفر الخندق فى شهر وهو الذى فى شرقى القرافة وقدم مروان فحاربه ابن جحدم وقتل بينهما كثير من الناس ثم اصطلحا ودخل مروان لعشر من جمادى الاولى سنة خمس وستين فكانت مدة ابن جحدم تسعة اشهر ووضع مروان العطاء فبايعه الناس الا نفرا من المغافر قالوا لا نخلع بيعة ابن الزبير فضرب أعناقهم وكانوا ثمانين رجلا وذلك للنصف من جمادى الآخرة ويومئذ مات عبد الله بن عمرو بن العاص

فلم يستطع أن يخرج بجنازته الى المقبرة لشغب الجند على مروان وجعل مروان صلات مصر وخراجها الى ابنه عبد العزيز وسار وقد اقام بها شهرين لهلال رمضان (عبد العزيز بن مروان) بن الحكم بن ابى العاص ابو الاصبغ ولى من قبل ابيه اهلال رجب سنة خمس وستين على الصلات والخراج ومات ابوه وبويع من بعده عبد الملك بن مروان فأقر أخاه عبد العزيز ووقع الطاعون بمصر سنة سبعين فخرج عبد العزيز منها ونزل حلوان فاتخذها دارا وسكنها وجعل بها الاعوان وبنى بها الدور والمساجد وعمرها احسن عمارة وغرس نخلها وكرمها وعرّف بمصر وهو أول من عرّف بها فى سنة احدى وسبعين وجهز البعث فى البحر لقتال ابن الزبير فى سنة اثنتين وسبعين ثم مات لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة ست وثمانين فكانت ولايته عشرين سنة وعشرة اشهر وثلاثة عشر يوما فولى (عبد الله بن عبد الملك) بن مروان من قبل ابيه على صلاتها وخراجها فدخل يوم الاثنين لاحدى عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وهو ابن تسع وعشرين سنة وقد تقدم اليه ابوه أن يقتفى آثار عمه عبد العزيز فاستبدل بالعمال وبالاصحاب ومات عبد الملك وبويع ابنه الوليد بن عبد الملك فأقر أخاه عبد الله وامر عبد الله فنسخت دواوين مصر بالعربية وكانت بالقبطية وفى ولايته غلت الاسعار فتشاءم الناس به وهى اول شدة رأوها بمصر وكان يرتشى ثم وفد على أخيه فى صفر سنة ثمان وثمانين واستخلف عبد الرحمن بن عمرو بن قحزم الخولانى وأهل مصر فى شدة عظيمة ورفع سقف المسجد الجامع فى سنة تسع وثمانين ثم صرف فكانت ولايته ثلاث سنين وعشرة اشهر * فولى (قرة بن شريك) بن مرثد بن الحرث العبسى للوليد بن عبد الملك على صلات مصر وخراجها فقدمها يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول سنة تسعين وخرج عبد الله بن عبد الملك من مصر بكل ما ملكه فأحيط به فى الاردن وأخذ سائر ما معه وحمل الى أخيه وأمر الوليد بهدم ما بناه عبد العزيز فى المسجد فهدم اول سنة اثنتين وتسعين وبنى واستنبط قرة بن شريك بركة الحبش من الموات وأحياها وغرس فيها القصب فقيل لها اصطبل قرة واصطبل القاش ثم مات وهو وال لليلة الخميس لست بقين من ربيع الاول سنة ست وتسعين واستخلف على الجند والخراج عبد الملك بن رفاعة فكانت ولايته ست سنين واياما * ثم ولى (عبد الملك بن رفاعة) بن خالد بن ثابت الفهمى من قبل الوليد ابن عبد الملك على صلاتها وتوفى الوليد واستخلف سليمان بن عبد الملك فأقر ابن رفاعة وتوفى سليمان وبويع عمر بن عبد العزيز فعزل ابن رفاعة فكانت ولايته ثلاث سنين * ثم ولى (ايوب بن شرحبيل) بن اكسوم بن ابرهة ابن الصباح من قبل عمر بن عبد العزيز على صلاتها فى ربيع الاول سنة تسع وتسعين فورد كتاب امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بالزيادة فى اعطيات الناس عامة وحرمت الخمر وكسرت وعطلت حاناتها وقسم للغارمين بخمسة وعشرين ألف دينار ونزعت مواريث القبط عن الكور واستعمل المسلمون عليها ومنع الناس الحمامات وتوفى عمر بن عبد العزيز واستخلف يزيد بن عبد الملك فأقر أيوب على الصلات الى أن مات لاحدى عشرة وقيل لسبع عشرة خلت من رمضان سنة احدى ومائة فكانت ولايته سنتين ونصفا * فولى (بشر بن صفوان) الكلبى من قبل يزيد بن عبد الملك قدمها لسبع عشرة خلت من رمضان سنة احدى ومائة وفى امرته نزل الروم تنيس ثم ولاه يزيد على افريقية فخرج اليها فى شوال سنة اثنتين ومائة واستخلف اخاه حنظلة * فولى (حنظلة ابن صفوان) باستخلاف أخيه فأقره يزيد بن عبد الملك وخرج الى الاسكندرية فى سنة ثلاث ومائة واستخلف عقبة بن مسلمة التجيبى وكتب يزيد بن عبد الملك فى سنة اربع ومائة بكسر الاصنام والتماثيل فكسرت كلها ومحيت التماثيل ومات يزيد بن عبد الملك وبويع هشام بن عبد الملك فصرف حنظلة فى شوال سنة خمس ومائة فكانت ولايته ثلاث سنين * وولى (محمد بن عبد الملك بن مروان) بن الحكم من قبل اخيه هشام بن عبد الملك على الصلات فدخل مصر لاحدى عشرة خلت من شوال سنة خمس ومائة ووقع وباء شديد بمصر فترفع محمد الى الصعيد هاربا من الوباء اياما ثم قدم وخرج عن مصر لم يلها الا نحوا من شهر وانصرف الى الاردن * فولى (الحر بن يوسف) بن يحيى بن الحكم من قبل هشام بن عبد الملك على صلاتها فدخل لثلاث خلون من ذى الحجة سنة خمس ومائة وفى امرته كان اول انتقاض القبط فى سنة سبع ومائة ورابط بدمياط ثلاثة اشهر ثم وفد الى هشام بن عبد الملك فاستخلف حفص بن الوليد وقدم فى ذى القعدة من سنة سبع وانكشف النيل عن الارض فبنى فيها وصرف فى ذى القعدة سنة ثمان ومائة باستعفائه لمغاضبة كانت بينه وبين عبيد الله

ابن

ابن الحبحاب متولى خراج مصر فكانت ولايته ثلاث سنين سواء * وولى (حفص بن الوليد) بن سيف بن عبد الله من قبل هشام بن عبد الملك ثم صرف بعد جمعتين يوم الاضحى بشكوى ابن الحبحاب منه وقيل صرف سلخ ثمان ومائة * فولى (عبد الملك بن رفاعة) ثانيا على الصلات فقدم من الشام عليلا لثنتى عشرة بقيت من المحرم سنة تسع ومائة وكان اخوه الوليد يخلفه من اول المحرم وقيل بل ولى اول المحرم ومات للنصف منه وكانت ولايته خمس عشرة ليلة * ثم ولى اخوه (الوليد بن رفاعة) باستخلاف اخيه فأقره هشام بن عبد الملك على الصلات وفى ولايته نقلت قيس الى مصر ولم يكن بها احد منهم وخرج وهيب اليحصبى شاردا فى سنة سبع عشرة ومائة من اجل أن الوليد اذن للنصارى فى ابتناء كنيسة بومنا بالحمراء وتوفى وهو وال اول جمادى الآخرة سنة سبع عشرة واستخلف عبد الرحمن بن خالد فكانت امرته تسع سنين وخمسة اشهر * فولى (عبد الرحمن ابن خالد) بن مسافر الفهمى ابو الوليد من قبل هشام بن عبد الملك على صلاتها وفى امرته نزل الروم على تروجة فحاصروها ثم اقتتلوا فأسروا فصرفه هشام فكانت ولايته سبعة اشهر * وولى (حنظلة بن صفوان ثانيا) فقدم لخمس خلون من المحرم سنة تسع ومائة فانتقض القبط وحاربهم فى سنة احدى وعشرين ومائة وقدم رأس زيد بن على الى مصر فى سنة اثنتين وعشرين ومائة ثم ولاه هشام افريقية فاستخلف حفص بن الوليد بامرة هشام وخرج لسبع خلون من ربيع الآخر سنة اربع وعشرين ومائة فكانت ولايته هذه خمس سنين وثلاثة اشهر * وولى (حفص بن الوليد) الحضرمى ثانيا باستخلاف حنظلة له على صلاتها فأقره هشام بن عبد الملك الى ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة اربع وعشرين فجمع له الصلات والخراج جميعا واستسقى بالناس وخطب ودعا ثم صلى بهم ومات هشام بن عبد الملك واستخلف من بعده الوليد بن يزيد فاقر حفصا على الصلات والخراج ثم صرف عن الخراج بعيسى بن ابى عطاء لسبع بقين من شوال سنة خمس وعشرين ومائة وانفرد بالصلات ووفد على الوليد بن يزيد واستخلف عقبة بن نعيم الرعينى وقتل الوليد بن يزيد وحفص بالشام وبويع يزيد بن الوليد بن عبد الملك فأمر حفصا باللحاق بجنده وأمره على ثلاثين ألفا وفرض الفروض وبعث بيعة اهل مصر الى يزيد بن الوليد ثم توفى يزيد وبويع ابراهيم بن الوليد وخلعه مروان بن محمد الجعدى فكتب حفص يستعفيه من ولاية مصر فأعفاه مروان فكانت ولاية حفص هذه ثلاث سنين الا اشهرا * وولى (حسان بن عتاهية) بن عبد الرحمن التجيبى وهو بالشام فكتب الى خير بن نعيم باستخلافه فسلم حفص الى خير ثم قدم حسان لثنتى عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة على الصلات وعيسى بن ابى عطاء على الخراج فأسقط حسان فروض حفص كلها فوثبوا به وقالوا لا نرضى الا بحفص وركبوا الى المسجد ودعوا الى خلع مروان وحصروا حسان فى داره وقالوا له اخرج عنا فانك لا تقيم معنا ببلد وأخرجوا عيسى بن ابى عطاء صاحب الخراج وذلك فى آخر جمادى الآخرة وأقاموا حفصا فكانت ولاية حسان ستة عشر يوما * فولى (حفص بن الوليد) الثالثة كرها اخذه قواد الفروض بذلك فأقام على مصر رجب وشعبان ولحق حسان بمروان وقدم حنظلة بن صفوان من افريقية وقد أخرجه اهلها فنزل الجيزة وكتب مروان بولايته على مصر فامتنع المصريون من ولاية حنظلة وأظهروا الخلع وأخرجوا حنظلة الى الحوف الشرقى ومنعوه من المقام بالفسطاط وهرب ثابت بن نعيم من فلسطين يريد الفسطاط فحاربوه وهزموه وسكت مروان عن مصر بقية سنة سبع وعشرين ومائة ثم عزل حفصا مستهل سنة ثمان وعشرين * وولى (الحوثرة بن سهيل) بن العجلان الباهلى فسار اليها فى آلاف وقدم أول المحرم وقد اجتمع الجند على منعه فأبى عليهم حفص فخافوا حوثرة وسألوه الامان فأمنهم ونزل ظاهر الفسطاط وقد اطمأنوا اليه فخرج اليه حفص ووجوه الجند فقبض عليهم وقيدهم فانهزم الجند ودخل معه عيسى بن ابى عطاء على الخراج لثنتى عشرة خلت من المحرم وبعث فى طلب رؤساء الفتنة فجمعوا اليه وضرب أعناقهم وقتل حفص بن الوليد ثم صرف فى جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين ومائة وبعثه مروان الى العراق فقتل واستخلف على مصر حسان بن عتاهية وقيل ابا الجراح بشر بن اوس وخرج لعشر خلون من رجب وكانت ولايته ثلاث سنين وستة اشهر * ثم ولى (المغيرة بن عبيد الله) بن المغيرة الفزارى على الصلات من قبل مروان فقدم لست بقين من رجب سنة احدى وثلاثين وخرج الى الاسكندرية واستخلف ابا الجراح الحرشى وتوفى لثنتى عشرة خلت من جمادى الاولى

سنة اثنتين وثلاثين ومائة فكانت ولايته عشرة اشهر واستخلف ابنه الوليد بن المغيرة ثم صرف الوليد في النصف من جمادى الآخرة * وولي (عبد الملك بن مروان) بن موسى بن نصير من قبل مروان على الصلات والخراج وكان واليا على الخراج قبل أن يولى الصلات في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة فأمر باتخاذ المنابر في الكور ولم تكن قبله وانما كانت ولاة الكور يخطبون على العصى الى جانب القبلة وخرج القبط فحاربهم وقتل كثيرا منهم وخالف عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان على مروان واجتمع عليه جمع من قيس في الحوف الشرقي فبعث اليهم عبد الملك بجيش فلم يكن حرب وسار مروان بن محمد الى مصر منهزما من بني العباس فقدم يوم الثلاثاء لثمان بقين من شوال سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقد سوّد اهل الحوف الشرقي واهل الاسكندرية واهل الصعيد واسوان فعزم مروان على تعدية النيل وأحرق دار آل مروان المذهبة ثم رحل الى الجيزة وخرق الجسرين وبعث بجيش الى الاسكندرية فاقتتلوا بالكريون وخالفت القبط برشيد فبعث اليهم وهزمهم وبعث الى الصعيد فقدم صالح بن علي بن عبد الله بن عباس في طلب مروان هو وأبو عون عبد الملك ابن يزيد يوم الثلاثاء للنصف من ذي الحجة فأدرك صالح مروان ببوصير من الجيزة بعد ما استخلف على الفسطاط معاوية بن بحيرة بن ريسان فحارب مروان حتى قتل ببوصير يوم الجمعة لسبع بقين من ذي الحجة ودخل صالح الى الفسطاط يوم الاحد لثمان خلون من المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وبعث برأس مروان الى العراق وانقضت ايام بني امية * فولي (صالح بن علي) بن عبد الله بن عباس ولي من قبل امير المؤمنين ابي العباس عبد الله بن محمد السفاح فاستقبل بولايته المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وبعث بوفد اهل مصر الى ابي العباس السفاح ببيعة اهل مصر وأسر عبد الملك بن موسى بن نصير وجماعة وقتل كثيرا من شيعة بني امية وحمل طائفة منهم الى العراق فقتلوا بقلنسوة من أرض فلسطين وأمر للناس بأعطياتهم للمقاتلة والعيال وقسمت الصدقات على اليتامى والمساكين وزاد صالح في المسجد وورد عليه كتاب امير المؤمنين السفاح بامارته على فلسطين والاستخلاف على مصر فاستخلف اباعون مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين وسار ومعه عبد الملك بن نصير ملزما وعدة من اهل مصر صحابة لامير المؤمنين وأقطع الذين سوّدوا قطائع منها منية بولاق وقرى اهناس وغيرها ثم من بعد صالح بن علي سكن امراء مصر العسكر وأول من سكنه ابو عون والله تعالى اعلم

(ذكر العسكر الذي بني بظاهر مدينة فسطاط مصر)

اعلم أن موضع العسكر قد كان يعرف في صدر الاسلام بالحمراء القصوى وقد تقدم أن الحمراء القصوى كانت خطة بني الازرق وبني رويبل وبني يشكر بن جزيلة ثم دثرت هذه الخطط بعد العمارة بتلك القبائل حتى صارت صحراء فلما قدم مروان بن محمد آخر خلفاء بني امية الى مصر منهزما من بني العباس نزلت عساكر صالح بن علي وابي عون عبد الملك بن يزيد في هذه الصحراء حيث جبل يشكر حتى ملؤا الفضاء وأمر ابو عون اصحابه بالبناء فيه فبنوا وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائة فلما خرج صالح بن علي من مصر خرب اكثر ما بني فيه الى زمن موسى بن عيسى الهاشمي فابتنى فيه دارا أنزل فيها حشمه وعبيده وعمر الناس ثم ولي السري بن الحكم فاذن للناس في البناء فابتنوا فيه وصار مملوكا بأيديهم واتصل بناؤه ببناء الفسطاط وبنيت فيه دار الامارة ومسجد جامع عرف بجامع العسكر ثم عرف بجامع ساحل الغلة وعملت الشرطة ايضا في العسكر وقيل لها الشرطة العليا والى جانبها بنى احمد بن طولون جامعه الموجود الآن وسمي من حينئذ ذلك الفضاء بالعسكر وصار أمراء مصر اذا ولوا ينزلون به من بعد ابي عون فقال الناس من يومئذ كنا بالعسكر وخرجنا الى العسكر وكتب من العسكر وصار مدينة ذات محال واسواق ودور عظيمة وفيه بنى احمد بن طولون مارستانه فأنفق عليه وعلى مستغله ستين ألف دينار وكان بالقرب من بركة قارون التي صارت كيمانا وبعضها بركة على يسرة من سار من حدرة ابن قميحة يريد قنطرة السد وعلى بركة قارون هذه كانت جنان بني مسكين وبني كافور الاخشيدي دارا أنفق عليها مائة ألف دينار وسكنها في رجب سنة ست وأربعين وثلثمائة وانتقل منها بعد أيام لوباء وقع في غلمانه من بخار البركة وعظمت العمارة في العسكر جدا الى أن قدم احمد بن طولون من العراق الى مصر فنزل بدار الامارة من العسكر وكان لها باب الى جامع العسكر وينزلها الامراء منذ بناها صالح بن علي بعد قتله مروان

ومازال بها احمد بن طولون الى أن بنى القصر والميدان بالقطائع فتحوّل من العسكر وسكن قصره بالقطائع فلما ولى ابو الجيش خمارويه بن احمد بن طولون بعد أبيه جعل دار الامارة دوان الخراج ثم فرقت حجرا بعدد خول محمد ابن سليمان الكاتب الى مصر وزوال دولة بنى طولون فسكن محمد بن سليمان بدار الامارة فى العسكر عند المصلى القديم وكان المصلى القديم حيث الكوم المطل الآن على قبر القاضى بكار ومازالت الامراء تنزل بالعسكر الى أن قدم القائد جوهر من المغرب وبنى القاهرة المعزية ولما بنى أحمد بن طولون القطائع اتصلت مبانيها بالعسكر وبنى جامعه على جبل يشكر فعمر ماهنالك عمارة عظيمة تخرج عن الحد فى الكثرة وقدم جوهر القائد بعساكر مولاه المعز لدين الله فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة والعسكر عامر الا انه منذ بنيت القطائع هجر اسم العسكر وصار يقال مدينة الفسطاط والقطائع وربما قيل والعسكر أحيانا فلما خرب محمد بن سليمان قصر ابن طولون وميدانه بقى فى القطائع مساكن جليلة حيث كان العسكر وأنزل المعز لدين الله عمه أبا على فى دار الامارة فلم يزل اهلها بها الى أن خربت القطائع فى الشدة العظمى التى كانت فى خلافة المستنصر أعوام بضع وخمسين وأربعمائة فيقال انه كان هنالك زيادة على مائة ألف دار سوى البساتين وما هذا ببعيد فان ذلك كان ما بين سفح الشرف الذى عليه الآن قلعة الجبل وبين ساحل مصر القديم حيث الآن الكبارة خارج مصر وما على سمتها الى كوم الجارح ومن كوم الجارح الى جامع ابن طولون وخط قناطر السباع وخط السبع سقايات الى قنطرة السد ومراغة مصر الى المعاريج بمصر والى كوم الجارح ففى هذه المواضع كان العسكر والقطائع ويخص العسكر من ذلك ما بين قناطر السباع وحدرة ابن قميحة الى كوم الجارح حيث الفضاء الذى يتوسط ما بين قنطرة السد وبين سور القرافة الذى يعرف بباب المجدم فهذا هو العسكر ولما استولى الخراب فى المحنة أمر ببناء حائط يستر الخراب عن نظر الخليفة اذا سار من القاهرة الى مصر فيما بين العسكر والقطائع وبين الطريق وأمر ببناء حائط آخر عند جامع ابن طولون فلما كان فى خلافة الآمر بأحكام الله ابى على منصور ابن المستعلى أمر وزيره ابو عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالاجل المأمون بن البطايحى فنودى مدة ثلاثة ايام فى القاهرة ومصر بأن من كان له دار فى الخراب اومكان فليعمره ومن عجز عن عمارته يبيعه او يؤجره من غير نقل شئ من أنقاضه ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له ولا حكر يلزمه وأباح تعميرجميع ذلك بغير طلب حق وكان سبب هذا النداء أنه لما قدم أمير الجيوش بدر الجمالى فى آخر الشدة العظمى وقام بعمارة اقليم مصر أخذ الناس فى نقل ما كان بالقطائع والعسكر من أنقاض المساكن حتى أتى على معظم ما هنالك الهدم فصار موحشا يخرب ما بين القاهرة ومصر من المساكن ولم يبق هنالك الا بعض البساتين فلما نادى الوزير المأمون عمر الناس ما كان من ذلك مما يلى القاهرة من جهة المشهد النفيسى الى ظاهر باب زويلة كما يرد خبر ذلك فى موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ونقلت أنقاض العسكر كما تقدم فصار هذا الفضاء الذى يتوصل اليه من مشهد السيدة نفيسة ومن الجامع الطولونى ومن قنطرة السد ومن باب المجدم فى سور القرافة ويسلك فى هذا الفضاء الى كوم الجارح ولم يبق الآن من العسكر ما هو عامر سوى جبل يشكر الذى عليه جامع ابن طولون وما حوله من الكبش وحدرة ابن قميحة الى خط السبع سقايات وخط قناطر السباع الى جامع ابن طولون وأما سوق الجامع من قبليه وما وراء ذلك الى المشهد النفيسى والى القبيبات والرميلة تحت القلعة فانما هو من القطائع كما ستقف عليه عند ذكر القطائع وعند ذكر هذه الخطط ان شاء الله تعالى وطالما سلكت هذا الفضاء الذى بين جامع ابن طولون وكوم الجارح حيث كان العسكر وتذكرت ما كان هنالك من الدور الجليلة والمنازل العظيمة والمساجد والاسواق والحمامات والبساتين والبركة البديعة والمارستان العجيب وكيف بادت حتى لم يبق لشئ منها اثر البتة فأنشدت اقول

وبادوا فلا مخبر عنهم * وماتوا جميعا وهذا الخبر
فمن كان ذا عبرة فليكن * فطينا ففى من مضى معتبر
وكان لهم اثر صالح * فأين هم ثم اين الاثر

وسيأتى لذلك مزيد بيان عند ذكر القطائع وعند ذكر خط قناطر السباع وغيره من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

(ذكر من نزل العسكر من امراء مصر من حين بني الى أن بنيت القطائع)

اعلم أن امراء مصر ما برحوا ينزلون فسطاط مصر منذ اختط بعد الفتح الى أن بنى ابو عون العسكر فصارت امراء مصر من عهد أبي عون انما ينزلون بالعسكر وما برحوا على ذلك الى أن أنشأ الامير أبو العباس احمد بن طولون القصر والميدان والقطائع فتحول من العسكر الى القصر وسكن فيه وسكنه الامراء من اولاده بعده الى أن زالت دولتهم فسكن الامراء بعد ذلك العسكر الى أن زالت دولة الاخشيدية بقدوم جوهر القائد من المغرب * وأول من سكن العسكر من امراء مصر (ابو عون) عبد الملك بن يزيد من أهل جرجان ولي صلات مصر وخراجها باستخلاف صالح بن علي له في مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائة ووقع الوباء بمصر فهرب ابو عون الى يشكر واستخلف صاحب شرطته عكرمة بن عبد الله بن عمرو بن قحزم وخرج الى دمياط في سنة خمس وثلاثين ومائة واستخلف عكرمة وجعل على الخراج عطاء بن شرحبيل وخرج القبط بسمنود فبعث اليهم وقتلهم وورد الكتاب بولاية صالح بن علي على مصر وفلسطين والمغرب جمعت له ووردت الجيوش من قبل أمير المؤمنين السفاح لغزو المغرب فولي (صالح بن علي) الثانية على الصلات والخراج فدخل لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ومائة فأقر عكرمة على شرطة الفسطاط وجعل على شرطته بالعسكر يزيد بن هانى الكندي وولى أبا عون جيوش المغرب وقدم أمامه دعاة لاهل افريقية وخرج ابو عون في جمادى الآخرة وجهزت المراكب من الاسكندرية الى برقة فمات السفاح في ذي الحجة واستخلف ابو جعفر عبد الله بن محمد المنصور فأقر صالحا وكتب الى ابي عون بالرجوع ورد الدعاة وقد بلغوا اشبرت وبلغ ابو عون برقة فأقام بها احد عشر يوما ثم عاد الى مصر في جيشه فجهزه صالح الى فلسطين لحربه فغلب وسير الى مصر ثلاثة آلاف رأس ثم خرج صالح الى فلسطين واستخلف ابنه الفضل فبلغ بلبيس ورجع ثم خرج لاربع خلون من رمضان سنة سبع وثلاثين فلقي أبا عون بالفرما فأمره على مصر صلاتها وخراجها ومضى فدخل ابو عون الفسطاط لاربع بقين من رمضان فولي *(ابو عون)* ولايته الثانية من قبل صالح بن علي ثم أفرده ابو جعفر بولايتها وقدم ابو جعفر بيت المقدس وكتب الى أبي عون بأن يستخلف على مصر ويخرج اليه فاستخلف عكرمة على الصلات وعطاء على الخراج وخرج للنصف من ربيع الاول سنة احدى وأربعين ومائة فلما صار الى أبي جعفر ببيت المقدس بعث ابو جعفر موسى بن كعب فكانت ولاية ابي عون هذه ثلاث سنين وستة اشهر فوليها (موسى ابن كعب) بن عيينة ابن عائشة ابو عيينة من تميم من قبل ابي جعفر المنصور وكان احد نقباء بني العباس فدخلها لاربع عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة احدى وأربعين ومائة على صلاتها وخراجها ونزل العسكر وبها الناس من الجند يغدون ويروحون اليه كما كانوا يفعلون بالامراء قبله فانتهوا عنه حتى لم يكن أحد يلزم بابه وكان قد اتهم في خراسان بأمر أبي مسلم فأمر به أسد بن عبد الله البجلي والي خراسان فألجم بلجام ثم كسرت اسنانه فكان يقول بمصر كانت لنا اسنان وليس عندنا خبز فلما جاء الخبز ذهبت الاسنان وكتب اليه ابو جعفر اني عزلتك من غير سخطة ولكن بلغني أن غلاما يقتل بمصر يقال له موسى فكرهت أن تكونه فكان ذلك موسى بن مصعب زمن المهدي كما يأتي ان شاء الله تعالى فولي موسى بن كعب سبعة اشهر وصرف في ذي القعدة واستخلف على الجند ابن خاله ابن حبيب وعلى الخراج نوفل بن الفرات وخرج لست بقين منه فولي (محمد بن الاشعث) ابن عقبة الخزاعي من قبل أبي جعفر على الصلات والخراج وقدم لخمس خلون من ذي الحجة سنة احدى وأربعين ومائة وبعث ابو جعفر الى نوفل بن الفرات أن اعرض على محمد بن الاشعث ضمان خراج مصر فان ضمنه فأشهد عليه واشخص الي وان ابى فاعمل على الخراج فعرض عليه ذلك فأبى فانتقل نوفل الدواوين فافتقد ابن الاشعث الناس فقيل له هم عند صاحب الخراج فندم على تسليمه وعقد على جيش بعث به الى المغرب لحربه فانهزم وخرج ابن الاشعث يوم الاضحى سنة اثنتين وأربعين وتوجه الى الاسكندرية واستخلف محمد ابن معاوية بن بحير بن رسان صاحب شرطته ثم صرف ابن الاشعث فكانت ولايته سنة وشهرا وولي (حميد ابن قحطبة) بن شبيب بن خالد بن سعدان الطائي من قبل أبي جعفر على الصلات والخراج فدخل في عشرين ألفا من الجند لخمس خلون من رمضان سنة ثلاث وأربعين ومائة ثم قدم عسكر آخر في شوال وقدم علي بن محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن داعية لابيه وعمه فدس اليه حميد فتغيب فكتب بذلك الى ابي جعفر فصرفه

في ذي القعدة وخرج لثمان بقين من ذي القعدة سنة أربع وأربعين فولى (يزيد بن حاتم) بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة من قبل أبي جعفر على الصلات والخراج فقدم على البريد للنصف من ذي القعدة فاستخلف على الخراج معاوية بن مروان بن موسى بن نصير وفي امرته ظهرت دعوة بني الحسن بن علي بمصر وتكلم بها الناس وبايع كثير منهم لعلي بن محمد بن عبد الله وطرق المسجد لعشر خلون من شوال سنة خمس وأربعين كما يذكر في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ثم قدمت الخطباء برأس ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي في ذي الحجة فنصبت في المسجد وورد كتاب أبي جعفر بأمر يزيد بن حاتم بالتحول من العسكر الى الفسطاط وأن يجعل الديوان في كنائس القصر وذلك في سنة ست وأربعين ومائة من أجل ليلة المسجد ومنع يزيد أهل مصر من الحج سنة خمس وأربعين فلم يحج أحد منهم ولا من اهل الشام لما كان بالحجاز من الاضطراب بامر بني حسن ثم حج يزيد في سنة سبع وأربعين واستخلف عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج صاحب شرطته وبعث جيشا لغزو الحبشة من أجل خارجي ظهر هنالك فظفر به الجيش وقدم رأسه في عدة رؤس فحملت الى بغداد وضم يزيد برقة الى عمل مصر وهو أول من ضمها الى مصر وذلك في سنة ثمان وأربعين وخرج القبط بسخا في سنة خمسين ومائة فبعث اليهم جيشا فبيتته القبط ورجع منهزما فصرفه ابو جعفر في ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين ومائة فكانت ولايته سبع سنين وأربعة أشهر وولي (عبد الله بن عبد الرحمن) بن معاوية بن خديج من قبل ابي جعفر على الصلات لثنتي عشرة بقيت من ربيع الآخر وهو اول من خطب بالسواد وخرج الى ابي جعفر لعشر بقين من رمضان سنة أربع وخمسين ومائة واستخلف أخاه محمدا ورجع في آخرها ومات وهو وال مستهل صفر سنة خمس وخمسين ومائة واستخلف أخاه محمدا فكانت ولايته سنتين وشهرين فولى (محمد بن عبد الرحمن) بن معاوية بن خديج باستخلاف أخيه فأقره ابو جعفر على الصلات ومات وهو وال للنصف من شوال فكانت ولايته ثمانية اشهر ونصفا واستخلف موسى بن علي فولى (موسى بن علي) بن رباح باستخلاف محمد بن خديج فأقره ابو جعفر على الصلات وخرج القبط ببيب في سنة ست وخمسين فبعث اليهم وهزمهم وكان يروح الى المسجد ماشيا وصاحب شرطته بين يديه يحمل الحربة واذا أقام صاحب الشرطة الحدود يقول له ارحم أهل البلاد فيقول أيها الامير مايصلح الناس الا مايفعل بهم وكان يحدث فيكتب الناس عنه ومات ابو جعفر لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وبويع ابنه محمد المهدي فأقر موسى بن علي الى سابع عشر ذي الحجة سنة احدى وستين ومائة فكانت ولايته ست سنين وشهرين وولي (عيسى بن لقمان) بن محمد الجمحي من قبل المهدي على الصلات والخراج فقدم لثلاث عشرة بقيت من ذي الحجة سنة احدى وستين ومائة وصرف لثنتي عشرة بقيت من جمادى الاولى سنة اثنتين وستين ومائة فوليها اربعة أشهر ثم ولي (واضح مولى ابي جعفر) من قبل المهدي على الصلات والخراج فدخل لست بقين من جمادى الاولى وصرف في رمضان فولي (منصور بن يزيد) بن منصور الرعيني وهو ابن خال المهدي على الصلات فقدم لاحدى عشرة خلت من رمضان سنة اثنتين وستين ومائة وصرف للنصف من ذي الحجة فكان مقامه شهرين وثلاثة ايام ثم ولي (يحيى بن داود) أبو صالح من اهل خراسان من قبل المهدي على الصلات والخراج فقدم في ذي الحجة وكان ابوه تركيا وهو من أشد الناس وأعظمهم هيبة وأقدمهم على الدم واكثرهم عقوبة فمنع من غلق الدروب بالليل ومن غلق الحوانيت حتى جعلوا عليها شرائح القصب لمنع الكلاب ومنع حراس الحمامات أن يجلسوا فيها وقال من ضاع له شيء فعلي اداؤه وكان الرجل يدخل الحمام فيضع ثيابه ويقول يا أبا صالح احرسها فكانت الامور على هذا مدة ولايته وأمر الاشراف والفقهاء وأهل النوبات بلبس القلانس الطوال والدخول بها على السلطان يوم الاثنين والخميس بلا اردية وكان ابو جعفر المنصور اذا ذكره قال هو رجل يخافني ولا يخاف الله فولي الى المحرم سنة اربع وستين وقدم *(سالم بن سوادة) التميمي من قبل المهدي على الصلات ومعه ابو قطيعة اسماعيل بن ابراهيم على الخراج لثنتي عشرة خلت من المحرم ثم ولي (ابراهيم بن صالح) بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل المهدي على الصلات والخراج فقدم لاحدى عشرة خلت من المحرم سنة خمس وستين وابتنى دارا عظيمة بالموقف من العسكر وخرج دحية بن المصعب بن الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان بالصعيد ونابذ ودعا الى نفسه بالخلافة فتراخى عنه

ابراهيم ولم يحفل بأمره حتى ملك عامة الصعيد فسخط المهدى لذلك وعزله عزلا قبيحا لسبع خلون من
ذى الحجة سنة سبع وستين فوليها ثلاث سنين ثم ولى (موسى بن مصعب) بن الربيع من أهل الموصل على
الصلات والخراج من قبل المهدى فقدم لسبع خلون من ذى الحجة المذكور فرد ابراهيم وأخذ منه وممن عمل
له ثلثمائة ألف دينار ثم سيره الى بغداد وشدد موسى فى استخراج الخراج وزاد على كل فدان ضعف ما يقبل به
وارتشى فى الاحكام وجعل خرجا على أهل الاسواق وعلى الدواب فكرهه الجند ونابذوه وثارت قيس واليمانية
وكاتبوا اهل الفسطاط فاتفقوا عليه وبعث بجيش الى قتال دحية بالصعيد وخرج فى جند مصر كلهم لقتال
أهل الحوف فلما التقوا انهزم عنه اهل مصر بأجمعهم وأسلموه فقتل من غير أن يتكلم أحد من أهل مصر لتسع
خلون من شوال سنة ثمان وستين ومائة فكانت ولايته عشرة اشهر وكان ظالما غاشما سمعه الليث بن سعد يقرأ
فى خطبته انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فقال الليث اللهم لا تمقتنا ثم ولى (عسامة بن عمرو)
باستخلاف موسى بن مصعب وبعث الى دحية جيشا مع اخيه بكار بن عمرو فحارب يوسف بن نصير وهو على جيش
دحية فتطاعنا ووضع يوسف الرمح فى خاصرة بكار ووضع بكار الرمح فى خاصرة يوسف فقتلا معا ورجع الجيشان
منهزمين وذلك فى ذى الحجة وصرف عسامة لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة بكتاب ورد عليه من الفضل
ابن صالح بانه ولى مصر وقد استخلفه فخلعه الى سلخ المحرم سنة تسع وستين ومائة ثم قدم (الفضل بن
صالح) بن على بن عبد الله بن عباس سلخ المحرم المذكور فى جيوش الشام ومات المهدى فى المحرم هذا وبويع
موسى الهادى فأقر الفضل وقدم مصر يضطرب من اهل الحوف ومن خروج دحية فان الناس كانوا قد
كاتبوه ودعوه فسير العساكر حتى هزم دحية وأسر وسيق الى الفسطاط فضربت عنقه وصلب فى جمادى
الآخرة سنة تسع وستين فكان الفضل يقول أنا اولى الناس بولاية مصر لقيامى فى امر دحية وقد عجز عنه
غيرى فعزل وندم على قتل دحية والفضل هو الذى بنى الجامع بالعسكر فى سنة تسع وستين فكانوا
يجمعون فيه ثم ولى (على بن سليمان) بن على بن عبد الله بن عباس من قبل الهادى على الصلات والخراج
فدخل فى سنة تسع وستين ومائة ومات الهادى للنصف من ربيع الاول سنة سبعين ومائة وبويع هرون بن
محمد الرشيد فأقر على بن سليمان وأظهر فى ولايته الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومنع الملاهى والخمور وهدم
الكنائس المحدثة بمصر وبذل له فى تركها خمسون ألف دينار فامتنع وكان كثير الصدقة فى الليل وأظهر أنه تصلح له
الخلافة وطمع فيها فسخط عليه هرون الرشيد وعزله لاربع بقين من ربيع الاول سنة احدى وسبعين ومائة
ثم ولى (موسى بن عيسى) بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلات
فاذن للنصارى فى بنيان الكنائس التى هدمها على بن سليمان فبنيت بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة ثم
صرف لاربع عشرة خلت من رمضان سنة اثنتين وسبعين ومائة فكانت ولايته سنة وخمسة اشهر ونصفا
ثم ولى (مسلمة بن يحيى) بن قرة بن عبيد الله البجلى من أهل جرجان من قبل الرشيد على الصلات ثم صرف
فى شعبان سنة ثلاث وسبعين فوليها احد عشر شهرا ثم ولى (محمد بن زهير) الازدى على الصلات والخراج
لخمس خلون من شعبان فبادر الجند لعمر بن غيلان صاحب الخراج فلم يدفع عنه فصرف بعد خمسة اشهر فى سلخ
ذى الحجة سنة ثلاث وسبعين ومائة فولى (داود بن يزيد) بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابى صفرة وقدم
هو وابراهيم بن صالح بن على فولى داود الصلات وبعث بابراهيم لاخراج الجند الذين ثاروا من مصر فدخل
لاربع عشرة خلت من المحرم سنة اربع وسبعين ومائة فاخرجت الجند العديدة الى المشرق والمغرب فى عالم
كثير فساروا فى البحر فأسرتهم الروم وصرف لست خلون من المحرم سنة خمس وسبعين فكانت ولايته سنة
ونصف شهر ثم ولى (موسى بن عيسى) بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس على الصلات والخراج من
قبل الرشيد فدخل لسبع خلون من صفر سنة خمس وسبعين وصرف لليلتين بقيتا من صفر سنة ست وسبعين
ومائة فولى سنة واحدة ثم ولى (ابراهيم بن صالح) بن على بن عبد الله بن عباس ثانيا من قبل الرشيد فكتب
الى عسامة بن عمرو فاستخلفه ثم قدم نصر بن كلثوم خليفته على الخراج مستهل ربيع الاول وتوفى
عسامة لسبع بقين من ربيع الآخر فقدم روح بن روح بن زنباع خليفة لابراهيم على الصلات والخراج ثم
قدم ابراهيم للنصف من جمادى الاولى وتوفى وهو وال لثلاث خلون من شعبان فكان مقامه بمصر شهرين

وثمانية

وثمانية عشر يوما وقام بالامر بعده ابنه صالح بن ابراهيم مع صاحب شرطته خالد بن يزيد ثم ولى (عبد الله ابن المسيب) بن زهير بن عمرو الضبى من قبل الرشيد على الصلات لاحدى عشرة بقيت من رمضان سنة ست وسبعين ومائة وصرف فى رجب سنة سبع وسبعين ومائة فولى (اسحاق بن سليمان) بن على بن عبد الله ابن عباس من قبل الرشيد على الصلات والخراج مستهل رجب فكشف أمر الخراج وزاد على المزارعين زيادة أجحفت بهم فخرج عليه أهل الحوف فحاربهم فقتل كثير من اصحابه فكتب الى الرشيد بذلك فعقد لهرثمة بن اعين فى جيش عظيم وبعث به فنزل الحوف فتلقاه اهله بالطاعة وأذعنوا فقبل منهم واستخرج الخراج كله فكان صرف اسحق فى رجب سنة ثمان وسبعين ومائه فولى (هرثمة بن اعين) من قبل الرشيد على الصلات والخراج لليلتين خلتا من شعبان ثم سار الى افريقية لثنتى عشرة خلت من شوال فأقام بمصر شهرين ونصفا ثم ولى (عبد الملك بن صالح) بن على بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلات والخراج فلم يدخل مصر واستخلف عبد الله بن المسيب بن زهير الضبى وصرف فى سلخ سنة ثمان وسبعين ومائة فولى (عبيد الله بن المهدى) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلات والخراج فى يوم الاثنين لثنتى عشرة خلت من المحرم سنة تسع وسبعين ومائة فاستخلف ابن المسيب ثم قدم لاحدى عشرة خلت من ربيع الاول وصرف فى شهر رمضان فولى تسعة اشهر وخرج من مصر لليلتين خلتا من شوال فاعاد الرشيد (موسى بن عيسى) وولاه مرة ثالثة على الصلات فقدم ابنه يحيى بن موسى خليفة له لثلاث خلون من رمضان ثم قدم اخر ذى القعدة وصرف فى جمادى الآخرة سنة ثمانين ومائة فولى الرشيد (عبيد الله ابن المهدى) ثانيا على الصلات فقدم داود بن حباش خليفة له لسبع خلون من جمادى الآخرة ثم قدم لاربع خلون من شعبان وصرف لثلاث خلون من رمضان سنة احدى وثمانين ومائة فولى (اسماعيل ابن صالح) بن على بن عبد الله بن عباس على الصلات لسبع خلون من رمضان فاستخلف عون بن وهب الخزاعى ثم قدم لخمس بقين منه قال ابن عفير ما رأيت على هذه الاعواد أخطب من اسماعيل بن صالح ثم صرف فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين ومائة فولى (اسمعيل بن عيسى) بن موسى بن محمد بن على ابن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلات فقدم لاربع عشرة بقيت من جمادى الآخرة وصرف فى رمضان فولى (الليث بن الفضل) البيوردى من اهل بيورد على الصلات والخراج وقدم لخمس خلون من شوال ثم خرج الى الرشيد لسبع بقين من رمضان سنة ثلاث وثمانين ومائة بالمال والهدايا واستخلف أخاه الفضل بن على ثم عاد فى آخر السنة وخرج ثانيا بالمال لتسع بقين من رمضان سنة خمس وثمانين واستخلف هاشم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج وقدم لاربع عشرة خلت من المحرم سنة ست وثمانين فكان كلما غلق خراج سنة وفرغ من حسابها خرج بالمال الى امير المؤمنين هرون الرشيد ومعه الحساب ثم خرج عليه اهل الحوف وساروا الى الفسطاط فخرج اليهم فى أربعة آلاف ليومين بقيا من شعبان سنة ست وثمانين ومائة واستخلف عبد الرحمن بن موسى بن على بن رباح على الجند والخراج فواقع اهل الحوف وانهزم عنه الجند فبقى فى نحو المائتين فحمل بهم وهزم القوم من أرض الجب الى غيفة وبعث الى الفسطاط بثمانين رأسا وقدم فرجع اهل الحوف ومنعوا الخراج فخرج ليث الى الرشيد وسأله أن يبعث معه بالجيوش فانه لا يقدر على استخراج الخراج من أهل الاحواف الا بجيش فرفع محفوظ بن سليمان انه يضمن خراج مصر عن آخره بغير سوط ولا عصا فولاه الرشيد الخراج وصرف ليثا عن الصلات والخراج وبعث احمد بن اسحق على الصلات مع محفوظ وكانت ولاية ليث اربع سنين وسبعة اشهر فولى (احمد بن اسمعيل) بن على بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلات والخراج وقدم لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين ثم صرف لثمان عشرة خلت من شعبان سنة تسع وثمانين فولى سنتين وشهرا ونصفا ثم ولى (عبيد الله بن محمد) بن ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس على الصلات واستخلف لهيعة بن عيسى بن لهيعة الحضرمى ثم قدم للنصف من شوال وصرف لاحدى عشرة بقيت من شعبان سنة تسعين ومائة وخرج واستخلف هاشم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج فولى (الحسين بن جميل) من قبل الرشيد على الصلات وقدم لعشر خلون من رمضان ثم جمع له الخراج مع الصلات فى رجب سنة احدى وتسعين وخرج اهل الحوف وامتنعوا من

قوله اخاه الفضل بن على هكذا فى النسخ التى بيدى ولعله اباه الفضل الخ تأمل اهـ مصححه

اداء الخراج وخرج ابو النداء بأيلة فى نحو ألف رجل فقطع الطريق بايلة وشعيب ومدين وأغار على بعض قرى الشام وضوى اليه من جذام جماعة فبلغ من النهب والقتل مبلغا عظيما فبعث الرشيد من بغداد جيشا لذلك وبعث الحسين بن جميل من مصر عبد العزيز بن الوزير بن صابى الجروى فى عسكر فالتقى العسكران بأيلة فظفر عبد العزيز بأبى النداء وسار جيش الرشيد الى بلبيس فى شوّال سنة احدى وتسعين ومائة فأذعن أهل الحوف بالخراج وصرف ابن جميل لثنتى عشرة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين ومائة فولى (مالك بن دلهم) بن عمير الكلبى على الصلات والخراج وقدم لسبع بقين من ربيع الآخر وفرغ يحيى بن معاذ أمير جيش الرشيد من أمر الحوف وقدم الفسطاط لعشر بقين من جمادى الآخرة فكتب الى اهل الاحواف أن اقدموا حتى اوصى بكم مالك بن دلهم فدخل الرؤساء من اليمانية والقيسية فأخذت عليهم الابواب وقيدوا وسار بهم للنصف من رجب وصرف مالك لاربع خلت من صفر سنة ثلاث وتسعين ومائة فولى (الحسن بن التختاح) بن التختكان على الصلات والخراج فاستخلف العلاء بن عاصم الخولانى وقدم لثلاث خلون من ربيع الاول ثم مات الرشيد واستخلف ابنه محمد الامين فثار الجند بمصر ووقعت فتنة عظيمة قتل فيها عدة وسير الحسن مال مصر فوثب اهل الرملة وأخذوه وبلغ الحسن عزله فسار من طريق الحجاز لفساد طريق الشام لثمان بقين من ربيع الاول سنة اربع وتسعين ومائة واستخلف عوف بن وهب على الصلات ومحمد بن زياد بن طبق القيسى على الخراج فولى (حاتم بن هرثمة) بن اعين من قبل الامين على الصلات والخراج وقدم فى ألف من الابناء فنزل بلبيس فصالحه أهل الاحواف على خراجهم وثار عليه اهل تنو وتمى وعسكروا فبعث اليهم جيشا فانهزموا ودخل حاتم الى الفسطاط ومعه نحو مائة من الرهائن لاربع خلون من شوّال وصرف فى جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين ومائة فولى (جابر بن الاشعث) بن يحيى الطائى من قبل الامين على الصلات والخراج لخمس بقين من جمادى الآخرة وكان لينا فلما حدثت فتنة الامين والمامون قام السرى بن الحكم غضبا للمامون ودعا الناس الى خلع الامين فاجابوه وبايعوا المامون لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وأخرجوا جابر بن الاشعث وكانت ولايته سنة فولى (عباد بن محمد) بن حيان ابو نصر من قبل المامون على الصلات والخراج لثمان خلون من رجب بكتاب هرثمة بن اعين وكان وكيله على ضياعه بمصر فى الثامن من رجب سنة ست وتسعين فبلغ الامين ما كان بمصر فكتب الى ربيعة بن قيس بن الزبير الجرشى رئيس قيس الحوف بولاية مصر وكتب الى جماعة بمعاونته فقاموا ببيعة الامين وخلعوا المامون وساروا لمحاربة اهل الفسطاط بخندق عباد وكانت حروب فقتل الامين وصرف عباد فى صفر سنة ثمان وتسعين ومائة فكانت ولايته سنة وسبعة اشهر فولى (المطلب بن عبد الله) بن مالك الخزاعى من قبل المامون على الصلات والخراج فدخل من مكة للنصف من ربيع الاول فكانت فى ايامه حروب وصرف فى شوّال بعد سبعة اشهر فولى (العباس بن موسى) بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس من قبل المامون على الصلات والخراج فقدم ابنه عبد الله ومعه الحسين بن عبيد بن لوط الانصارى فى آخر شوّال فسجنا المطلب فثار الجند مرارا فنعهم الانصارى اعطياتهم وتهددهم وتحامل على الرعية وعسفها وتهدد الجميع فثاروا واخرجوا المطلب من الحبس وأقاموه لاربع عشرة خلت من المحرّم سنة تسع وتسعين ومائة وأقبل العباس فنزل بلبيس ودعا قيسا الى نصرته ومضى الى الجروى بتنيس ثم عاد فمات فى بلبيس لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة ويقال ان المطلب دس اليه سما فى طعامه فمات منه وكانت حروب وفتن فكانت ولاية المطلب هذه سنة وثمانية اشهر ثم ولى (السرى بن الحكم) بن يوسف من قوم الزط ومن اهل بلخ باجماع الجند عليه عند قيامه على المطلب فى مستهل رمضان سنة مائتين ثم ولى (سليمان بن غالب) بن جبريل البجلى على الصلات والخراج بمبايعة الجند له لاربع خلون من ربيع الاول سنة احدى ومائتين فكانت حروب ثم صرف بعد خمسة اشهر واعيد (السرى بن الحكم) ثانيا من قبل المامون على الصلات والخراج فذمت ولايته وأخرجه الجند من الحبس لثنتى عشرة خلت من شعبان وتتبع من حاربه وقوى امره ومات وهو وال لانسلاخ جمادى الاولى سنة خمس ومائتين فكانت ولايته هذه ثلاث سنين وتسعة أشهر وثمانية عشر يوما فولى ابنه (محمد ابن السرى) ابو نصر اول جمادى الآخرة على الصلات والخراج وكان الجروى قد غلب على أسفل الارض

فجرت بينهما حروب ثم مات لثمان خلون من شعبان سنة ست ومائتين وكانت ولايته اربعة عشر شهرا ثم ولى (عبيد الله بن السرى) بن الحكم بمبايعة الجند لتسع خلون من شعبان على الصلات والخراج فكانت بينه وبين الجروى حروب الى أن قدم عبد الله بن طاهر وأذعن له عبيد الله فى آخر صفر سنة احدى عشرة ومائتين فولى (عبد الله بن طاهر) بن الحسين بن مصعب من قبل المامون على الصلات والخراج فدخل يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من ربيع الاوّل سنة احدى عشرة ومائتين وأقام فى معسكره حتى خرج عبيد الله بن السرى الى بغداد للنصف من جمادى الاولى ثم سار الى الاسكندرية مستهلّ صفر سنة اثنتى عشرة واستخلف عيسى بن يزيد الجلودى فحصرها بضع عشرة ليلة ورجع فى جمادى الآخرة وأمر بالزيادة فى الجامع العتيق فزيد فيه مثله وركب النيل متوجها الى العراق لخمس بقين من رجب وكان مقامه بمصر واليا سبعة عشر شهرا وعشرة ايام ثم ولى (عيسى بن يزيد) الجلودى باستخلاف ابن طاهر على صلاتها الى سابع عشر ذى القعدة سنة ثلاث عشرة فصرف ابن طاهر وولى الامير ابو اسحق بن هرون الرشيد مصر فأقرّ عيسى على الصلات فقط وجعل على الخراج صالح بن شيرازاد فظلم الناس وزاد عليهم فى خراجهم فانتقض أهل اسفل الارض وعسكروا فبعث عيسى بابنه محمد فى جيش فحاربوه فانهزم وقتل اصحابه فى صفر سنة اربع عشرة فولى (عمير بن الوليد) التميمى باستخلاف ابى اسحاق بن الرشيد على الصلات لسبع عشرة خلت من صفر وخرج ومعه عيسى الجلودى لقتال اهل الحوف فى ربيع الآخر واستخلف ابنه محمد بن عمير فاقتتلوا وكانت بينهم معارك قتل فيها عمير لست عشرة خلت من ربيع الآخر فكانت مدّة امرته ستين يوما فولى (عيسى الجلودى) ثانيا لابى اسحاق على الصلات فحارب اهل الحوف بمنية مطر ثم انهزم فى رجب وأقبل ابو اسحاق الى مصر فى اربعة آلاف من اتراكه فقاتل أهل الحوف فى شعبان ودخل الى مدينة الفسطاط لثمان بقين منه وقتل اكابر الحوف ثم خرج الى الشام غرّة المحرّم سنة خمس عشرة ومائتين فى اتراكه ومعه جمع من الاسارى فى ضر وجهد شديد وولى على مصر (عبدويه بن جبلة) من الابناء على الصلات فخرج ناس بالحوف فى شعبان فبعث اليهم وحاربهم حتى ظفر بهم ثم قدم الافشين حيدر بن كاوس الصفدى الى مصر لثلاث خلون من ذى الحجة ومعه على ابن عبد العزيز الجروى لاخذ ماله فلم يدفع اليه شيأ فقتله وصرف عبدويه وخرج الى برقة (وولى عيسى بن منصور) بن موسى بن عيسى الرافعى فولى من قبل ابى اسحاق اوّل سنة ست عشرة على الصلات فانتقضت اسفل الارض عربها وقبطها فى جمادى الاولى وأخرجوا العمال لسوء سيرتهم وخلعوا الطاعة فقدم الافشين من برقة للنصف من جمادى الآخرة ثم خرج هو وعيسى فى شوّال فأوقعا بالقوم وأسرا منهم وقتلا ومضى الافشين ورجع عيسى فسار الافشين الى الحوف وقتل جماعتهم وكانت حروب الى أن قدم امير المومنين عبد الله المأمون لعشر خلون من المحرّم سنة سبع عشرة ومائتين فسخط على عيسى وحلّ لواءه فأخذه بلباس البياض ونسب الحدث اليه والى عماله وسيّر الجيوش وأوقع بأهل الفساد وسبى القبط وقتل مقاتلتهم ثم رحل لثمان عشرة خلت من صفر بعد تسعة وأربعين يوما وولى (كيدر) وهو نصر بن عبد الله ابو مالك الصفدى فورد كتاب المأمون عليه بأخذ الناس بالمحنة فى جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة والقاضى بمصر يومئذ هارون بن عبد الله الزهرى فأجاب وأجاب الشهود ومن وقف منهم سقطت شهادته وأخذ بها القضاة والمحدثون والمؤذنون فكانوا على ذلك من سنة ثمان عشرة الى سنة اثنتين وثلاثين ومات المأمون فى رجب سنة ثمان عشرة وبويع ابو اسحق المعتصم فورد كتابه على كيدر ببيعته ويأمره باسقاط من فى الديوان من العرب وقطع العطاء عنهم ففعل ذلك فخرج يحيى بن الوزير الجروى فى جمع من لخم وجذام ومات كيدر فى ربيع الآخر سنة تسع عشرة ومائتين فولى ابنه (المظفر بن كيدر) باستخلاف ابيه وخرج الى يحيى بن وزير وقاتله وأسره فى جمادى الآخرة ثم صرفت مصر الى ابى جعفر اشناس فدعى له بها وصرف مظفر فى شعبان فولى (موسى بن ابى العباس) ثابت من قبل اشناس على الصلات مستهلّ شهر رمضان سنة تسع عشرة وصرف فى ربيع الآخر سنة اربع وعشرين ومائتين فكانت ولايته اربع سنين وسبعة اشهر فولى (مالك بن كيدر) بن عبد الله الصفدى من قبل اشناس على الصلات وقدم لسبع بقين من ربيع الآخر وصرف لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة ست وعشرين فولى سنتين وأحد عشر يوما وتوفى لعشر خلون من شعبان سنة ثلاث وثلاثين

ومائتين فولى (علي بن يحيى) الارمني من قبل اشناس على صلاتها وقدم لسبع خلون من ربيع الآخر
سنة ست وعشرين ومائتين ومات المعتصم في ربيع الاول سنة سبع وعشرين وبويع الواثق بالله فأقره
الى سابع ذى الحجة سنة ثمان وعشرين ومائتين فكانت ولايته سنتين وثلاثة اشهر ثم ولى (عيسى
ابن منصور) الثانية من قبل اشناس على صلاتها فدخل لسبع خلون من المحرم سنة تسع وعشرين ومائتين
ومات اشناس سنة ثلاثين وجعل مكانه ايتاخ فأقر عيسى ومات الواثق وبويع المتوكل فصرف عيسى للنصف
من ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وقدم على بن مهرويه خليفة هرثمة بن النضر ثم مات عيسى
فى قبة الهواء بعد عزله لاحدى عشرة خلت من ربيع الآخر فولى (هرثمة بن نضر) الجبلي من اهل
الجبل لايتاخ على الصلات وقدم لست خلون من رجب سنة ثلاث وثلاثين ومائتين فورد كتاب المتوكل بترك
الجدال فى القرءان لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة اربع وثلاثين ومائتين ومات هرثمة وهو وال لسبع
بقين من رجب سنة اربع واستخلف ابنه حاتم بن هرثمة فولى (حاتم بن هرثمة) بن النضر باستخلاف
ابيه له على الصلات وصرف لست خلون من رمضان فولى (على بن يحيى) بن الارمني الثانية من قبل ايتاخ
على الصلات لست خلون من رمضان وصرف ايتاخ فى المحرم سنة خمس وثلاثين واستصفيت امواله بمصر
وترك الدعاء له ودعى للمنتصر مكانه وصرف على فى ذى الحجة منها فولى (اسحق بن يحيى) بن معاذ بن مسلم
الجبلي من قبل المنتصر ولى عهد أبيه المتوكل على الله على الصلات والخراج فقدم لاحدى عشرة خلت من
ذى الحجة فورد كتاب المتوكل والمنتصر باخراج الطالبيين من مصر الى العراق فأخرجوا ومات اسحق بعد
عزله اول ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين ومائتين فولى (خوط عبد الواحد بن يحيى) بن منصور بن طلحة
ابن زريق من قبل المنتصر على الصلات والخراج فقدم لتسع بقين من ذى القعدة سنة ست وثلاثين ومائتين
وصرف عن الخراج لتسع خلون من صفر سنة سبع وثلاثين وأقر على الصلات ثم صرف سلخ صفر سنة ثمان
وثلاثين بخليفته عنبسة على الصلات والشركة فى الخراج مستهل ربيع الاول فولى (عنبسة بن اسحق)
ابن شمر بن عبس ابو جابر من قبل المنتصر على الصلات وشريكا لاحمد بن خالد الصريفينى صاحب الخراج فقدم
لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائتين واخذ العمال برد المظالم وأقامهم للناس وأنصف منهم
وأظهر من العدل مالم يسمع بمثله فى زمانه وكان يروح ماشيا الى المسجد الجامع من العسكر وكان ينادى فى شهر
رمضان السحور وكان يرمى بمذهب الخوارج وفى ولايته نزل الروم دمياط وملكوها وما فيها وقتلوا بها جمعا
كثيرا من الناس وسبوا النساء والاطفال فنفر اليهم يوم النحر من سنة ثمان وثلاثين فى جيشه وكثير من الناس
فلم يدركهم واضيف له الخراج مع الصلات ثم صرف عن الخراج اول جمادى الآخرة سنة احدى واربعين
وأفرد بالصلات وورد الكتاب بالدعاء للفتح بن خاقان فى ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين فدعا له وعنبسة هذا
آخر من ولى مصر من العرب وآخر أمير صلى بالناس فى المسجد الجامع وصرف اول رجب منها فقدم العباس بن
عبد الله بن دينار خليفة يزيد بن عبد الله بولاية يزيد وكانت ولاية عنبسة اربع سنين وأربعة اشهر وخرج الى
العراق فى رمضان سنة اربع واربعين فولى (يزيد بن عبد الله) بن دينار أبو خالد من الموالى ولاه المنتصر على
الصلات فقدم لعشر بقين من رجب سنة اثنتين وأربعين فأخرج المؤنثين من مصر وضربهم وطاف بهم ومنع
من النداء على الجنائز وضرب فيه وخرج الى دمياط مرابطا فى المحرم سنة خمس وأربعين ورجع فى ربيع الاول
فبلغه نزول الروم الفرما فرجع اليها فلم يلقهم وعطل الرهان وباع الخيل التى تتخذ للسلطان فلم تجر الى سنة تسع
وأربعين وتتبع الروافض وحملهم الى العراق وبنى مقياس النيل فى سنة سبع وأربعين وجرت على العلويين
فى ولايته شدائد ومات المتوكل فى شوال وبويع ابنه محمد المنتصر ومات الفتح بن خاقان فأقر المنتصر يزيد على مصر
ثم مات المنتصر فى ربيع الاول سنة ثمان واربعين وبويع المستعين فورد كتابه بالاستسقاء لقحط كان بالعراق
فاستسقوا لسبع عشرة خلت من ذى القعدة واستسقى اهل الآفاق فى يوم واحد وخلع المستعين فى المحرم سنة
اثنتين وخمسين وبويع المعتز فخرج جابر بن الوليد بأرض الاسكندرية وكانت هنالك حروب ابتدأت من ربيع الآخر
فقدم مزاحم بن خاقان من العراق معينا ليزيد فى جيش كثيف لثلاث عشرة بقيت من رجب فواقعهم حتى ظفر
بهم ثم صرف يزيد وكانت مدته عشر سنين وسبعة اشهر وعشرة ايام فولى (مزاحم بن خاقان) بن

عرطوج ابو الفوارس التركى لثلاث خلون من ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين ومائتين على الصلات من قبل المعتز وخرج الى الحوف فأوقع باهله وعاد ثم خرج الى الجيزة فسار الى تروجة فأوقع بأهلها وأسر عدة من اهل البلاد وقتل كثيرا وسار الى الفيوم فطاش سيفه وكثر ايقاعه بسكان النواحى وعاد وولى الشرطة ارجوز فمنع النساء من الحمامات والمقابر وسجن المؤنثين والنوائح ومنع من الجهر بالبسملة فى الصلاة بالجامع فى رجب سنة ثلاث وخمسين ولم يزل اهل مصر على الجهر بها فى الجامع منذ الاسلام الى أن منع منها ارجوز واخذ اهل الجامع بتمام الصفوف ووكل بذلك رجلا من العجم يقوم بالسوط من مؤخر المسجد وأمر أهل الحلق بالتحول الى القبلة قبل اقامة الصلاة ومنع من المساند التى يستند اليها ومن الحصر التى كانت للمجالس فى الجامع وأمر أن تصلى التراويح فى رمضان خمس تراويح ولم يزل اهل مصر يصلونها ستا الى شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين ومنع من التثويب وأمر بالاذان يوم الجمعة فى مؤخر المسجد وأن يغلس بصلاة الصبح ونهى أن يشق ثوب على ميت اويسود وجه اويحلق شعر أو تصيح امرأة وعاقب فى ذلك وشدد فيه ثم مات مزاحم لخمس مضين من المحرم سنة اربع وخمسين فاستخلف ابنه (احمد بن مزاحم) فولى باستخلاف ابيه على الصلات الى أن مات لسبع خلون من ربيع الآخر فكانت ولايته شهرين ويوما فاستخلف (ارجوز بن اولع طرخان التركى) على الصلات فولى خمسة اشهر ونصفا وخرج اول ذى القعدة بعد أن صرف بأحمد بن طولون فى شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين واليه كان امر البلد جميعه من ايام مزاحم وفى ايام ابنه احمد أيضا والله تعالى اعلم

(ذكر القطائع ودولة بنى طولون)

اعلم أن القطائع قد زالت آثارها ولم يبق لها رسم يعرف وكان موضعها من قبة الهواء التى صار مكانها قلعة الجبل الى جامع ابن طولون وهذا اشبه أن يكون طول القطائع وأما عرضها فانه من اول الرميلة تحت القلعة الى الموضع الذى يعرف اليوم بالارض الصفراء عند مشهد الرأس الذى يقال له الآن زين العابدين وكانت مساحة القطائع ميلا فى ميل فقبة الهواء كانت فى سطح الجرف الذى عليه قلعة الجبل وتحت قبة الهواء قصر ابن طولون وموضع هذا القصر الميدان السلطانى تحت القلعة والرميلة التى تحت القلعة مكان سوق الخيل والحمير والجمال كانت بستانا ويجاورها الميدان فى الموضع الذى يعرف اليوم بالقبيبات فيصير الميدان فيما بين القصر والجامع الذى انشأه احمد بن طولون وبحذاء الجامع دار الامارة فى جهته القبلية ولها باب من جدار الجامع يخرج منه الى المقصورة المحيطة بمصلى الامير الى جوار المحراب وهنالك أيضا دار الحرم والقطائع عدة قطع تسكن فيها عبيد ابن طولون وعساكره وغلمانه وكل قطيعة لطائفة فيقال قطيعة السودان وقطيعة الروم وقطيعة الفراشين ونحو ذلك فكانت كل قطيعة لسكنى جماعة بمنزلة الحارات التى بالقاهرة وكان ابتداء عمارة هذه القطائع وسببها أن أمير المؤمنين المعتصم بالله أبا اسحق محمد بن هارون الرشيد لما اختص بالاتراك ووضع من العرب وأخرجهم من الديوان وأسقط اسماءهم ومنعهم العطاء وجعل الاتراك انصار دولته وأعلام دعوته كان من عظمت عنده منزلته قلده الاعمال الجليلة الخارجة عن الحضرة فيستخلف على ذلك العمل الذى تقلده من يقوم بامره ويحمل اليه ماله ويدعى له على منابره كما يدعى للخليفة وكانت مصر عندهم بهذه السبيل وقصد المعتصم ومن بعده من الخلفاء بذلك العمل مع الاتراك محاكاة مافعله الرشيد بعبد الملك بن صالح والمأمون بطاهر بن الحسين ففعل المعتصم مثل ذلك بالاتراك فقلد اشناس وقلد الواثق ايتاخ وقلد المتوكل نقا ووصيف وقلد المهتدى ماجور وغيرهم ممن ذكرنا من أعمال الاقاليم ماقد تضمنته كتب التاريخ فتقلد باكباك مصر وطلب من يخلفه عليها وكان احمد بن طولون قد مات ابوه فى سنة اربعين ومائتين ولاحمد عشرون سنة منذ ولد من جارية كانت تدعى قاسم وكان مولده فى سنة عشرين ومائتين وولدت أيضا أخاه موسى وحبسية وسمانة وكان طولون من الطغرغر مما حمله نوح بن أسد عامل بخارى الى المأمون فيما كان موظفا عليه من المال والرقيق والبراذين وغير ذلك فى كل سنة وذلك فى سنة مائتين فنشأ احمد بن طولون نشأ جميلا غير نشء اولاد العجم فوصف بعلو الهمة وحسن الادب والذهاب بنفسه عما كان يترامى اليه اهل طبقته وطلب الحديث واحب الغزو وخرج الى طرسوس

مرّات ولقي المحدّثين وسمع منهم وكتب العلم وصحب الزهاد وأهل الورع فتأدّب بآدابهم وظهر فضله فاشتهر عند الاولياء وتميز على الاتراك وصار في عداد من يوثق به ويؤتمن على الاموال والاسرار فزوّجه ماجور ابنته وهي أم ابنه العباس وابنته فاطمة ثم انه سأل الوزير عبيد الله بن يحيى أن يكتب له برزقه على الثغر فأجابه وخرج الى طرسوس فأقام بها وشق على امه مفارقته فكاتبته بما اقلقه فلما قفل الناس الى سرّ من رأى سار معهم الى لقاء امه وكان في القافلة نحو خمسمائة رجل والخليفة اذ ذاك المستعين بالله احمد بن المعتصم وكان قد أنفذ خادما الى بلاد الروم لعمل اشياء نفيسة فلما عاد بها وهي وقر بغل الى طرسوس خرج مع القافلة وكان من رسم الغزاة أن يسيروا متفرقين فطرق الاعراب بعض سوادهم وجاء الصائح فبدر احمد بن طولون لقتالهم وتبعوه فوضع السيف في الاعراب ورمى بنفسه فيهم حتى استنقذ منهم جميع ما أخذوه وفرّوا منه وكان من جملة ما استنقذ من الاعراب البغل المحمل بمتاع الخليفة فعظم احمد بما فعل عند الخادم وكبر في اعين القافلة فلما وصلوا الى العراق وشاهد المستعين ما احضره الخادم اعجب به وعرّفه الخادم خروج الاعراب وأخذهم البغل بما عليه وما كان من صنع احمد بن طولون فأمر له بألف دينار وسلم عليه مع الخادم وامره أن يعرّفه به اذا دخل مع المسلمين ففعل ذلك وتوالت عليه صلات الخليفة حتى حسنت حاله ووهبه جارية اسمها مياس استولدها ابنه خمارويه في النصف من المحرم سنة خمسين ومائتين فلما خلع المستعين وبويع المعتز اخرج المستعين الى واسط واختار الاتراك احمد بن طولون أن يكون معه فسلم اليه ومضى به فأحسن عشرته وأطلق له التنزه والصيد وخشي أن يلحقه منه احتشام فألزمه كاتبه احمد بن محمد الواسطي وهو اذ ذاك غلام حسن الشاهد حاضر النادرة فأنس به المستعين ثم ان قبيحة ام المعتز كتبت الى احمد بن طولون بقتل المستعين وقلدته واسط فامتنع من ذلك وكتب الى الاتراك يخبرهم بأنه لا يقتل خليفة له في رقبته بيعة فزاد محله عند الاتراك بذلك ووجهوا سعيدا الحاجب وكتبوا الى ابن طولون بتسليم المستعين له فسلمه منه وقتله وواراه ابن طولون وعاد الى سرّ من رأى وقد تقلد باكباك مصر وطلب من يوجهه اليها فذكر له احمد بن طولون فقلده خلافته وضم اليه جيشا وسار الى مصر فدخلها يوم الاربعاء لسبع بقين من شهر رمضان سنة اربع وخمسين ومائتين متقلدا للقصبة دون غيرها من الاعمال الخارجة عنها كالاسكندرية ونحوها ودخل معه احمد بن محمد الواسطي وجلس الناس لرؤيته فسأل بعضهم غلام ابي قبيل صاحب الملاحم وكان مكفوفا عما يجده في كتبهم فقال هذا رجل نجد صفته كذا وكذا وانه يتقلد الملك هو وولده قريبا من اربعين سنة فما تمّ كلامه حتى اقبل احمد بن طولون واذا هو على النعت الذي قال * ولما تسلم احمد بن طولون مصر كان على الخراج احمد بن محمد بن المدبر وهو من دهاة الناس وشياطين الكتّاب فأهدى الى احمد بن طولون هدايا قيمتها عشرة آلاف دينار بعد ما خرج الى لقائه هو وشقير الخادم غلام قبيحة ام المعتز وهو يتقلد البريد فرأى ابن طولون بين يدي ابن المدبر مائة غلام من الغور قد انتخبهم وصيرهم عدة وجمالا وكان لهم خلق حسن وطول اجسام وباس شديد وعليهم اقبية ومناطق ثقال عراض وبأيديهم مقارع غلاظ على طرف كل مقرعة مقمعة من فضة وكانوا يقفون بين يديه في حافتي مجلسه اذا جلس فاذا ركب ركبوا بين يديه فيصير له بهم هيبة عظيمة في صدور الناس فلما بعث ابن المدبر بهديته الى ابن طولون ردّها عليه فقال ابن المدبر انّ هذه لهمة عظيمة من كانت هذه همته لا يؤمن على طرف من الاطراف فخافه وكره مقامه بمصر معه وسار الى شقير الخادم صاحب البريد واتفقا على مكاتبة الخليفة بازالة ابن طولون فلم يكن غير أيام حتى بعث ابن طولون الى ابن المدبر يقول له قد كنت اعزك الله أهديت لنا هدية وقع الغنى عنها ولم يجز أن يغتنم مالك كثره الله فرددتها توفيرا عليك ونحب أن تجعل العوض منها الغلمان الذين رأيتهم بين يديك فأنا اليهم احوج منك فقال ابن المدبر لما بلغته الرسالة هذه اخرى اعظم مما تقدم قد ظهرت من هذا الرجل اذ كان يردّ الاعراض والاموال ويستهدي الرجال ويشاحّ عليهم ولم يجد بدّا من أن بعثهم اليه فتحوّلت هيبة ابن المدبر الى ابن طولون ونقصت مهابة ابن المدبر بمفارقة الغلمان مجلسه فكتب ابن المدبر فيه الى الحضرة يغري به ويحرّض على عزله فبلغ ذلك ابن طولون فكتم في نفسه ولم يبده واتفق موت المعتز في رجب سنة خمس وخمسين وقيام المهتدي بالله محمد بن الواثق وقتل باكباك ورد جميع ما كان بيده الى ماجور التركي حمو ابن طولون فكتب اليه تسلم من نفسك لنفسك وزاده الاعمال الخارجة عن قصبة مصر وكتب الى اسحق بن دينار وهو يتقلد الاسكندرية

ان

أن يسلمها الا احمد بن طولون فعظمت لذلك منزلته وكثر قلق ابن المدبر وغمه ودعته ضرورة الخوف من ابن طولون الى ملاطفته والتقرب من خاطره وخرج ابن طولون الى الاسكندرية وتسلمها من اسحق بن دينار وأقره عليها وكان احمد بن عيسى بن شيخ الشيباني يتقلد جندي فلسطين والاردن فلما مات وثب ابنه على الاعمال واستبدّ بها فبعث ابن المدبر سبعمائة الف وخمسين الف دينار حملا من مال مصر الى بغداد فقبض ابن شيخ عليها وفرّقها فى اصحابه وكانت الامور قد اضطربت ببغداد فطمع ابن شيخ فى التغلب على الشامات واشيع انه يريد مصر فلما قتل المهتدى فى رجب سنة ست وخمسين وبويع المعتمد بالله احمد بن المتوكل لم يدع ابن شيخ له ولا بايع هو ولا اصحابه فبعث اليه بتقليد ارمينية زيادة على ما معه من بلاد الشام وفسح له فى الاستخلاف عليها والاقامة على عمله فدعا حينئذ للمعتمد وكتب الى ابن طولون أن يتاهب لحرب ابن شيخ وأن يزيد فى عدته وكتب لابن المدبر أن يطلق له من المال ما يريد فعرض ابن طولون الرجال وأثبت من يصلح واشترى العبيد من الروم والسودان وعمل سائر ما يحتاج اليه وخرج فى تجمل كبير وجيش عظيم وبعث الى ابن شيخ يدعوه الى طاعة الخليفة وردّ ما أخذ من المال فأجاب بجواب قبيح فسار لست خلون من جمادى الآخرة واستخلف اخاه موسى بن طولون على مصر ثم رجع من الطريق بكتاب ورد عليه من العراق ودخل الفسطاط فى شعبان وقدم من العراق ماجور التركى لمحاربة ابن شيخ فلقيه اصحاب ابن شيخ وعليهم ابنه فانهزموا منه وقتل الابن واستولى ماجور على دمشق ولحق ابن شيخ بنواحى ارمينية وتقلد ماجور أعمال الشام كله وصار أحمد بن طولون من كثرة العبيد والرجال والآلات بحال يضيق به داره ولا يتسع له فركب الى سفح الجبل فى شعبان وامر بحرث قبور اليهود والنصارى واختط موضعها فبنى القصر والميدان وتقدّم الى اصحابه وغلمانه وأتباعه أن يختطوا لانفسهم حوله فاختطوا وبنوا حتى اتصل البناء لعمارة الفسطاط ثم قطعت القطائع وسميت كل قطيعة باسم من سكنها فكانت للنوبة قطيعة مفردة تعرف بهم وللروم قطيعة مفردة تعرف بهم وللفراشين قطيعة مفردة تعرف بهم ولكل صنف من الغلمان قطيعة مفردة تعرف بهم وبنى القوّاد مواضع متفرقة فعمرت القطائع عمارة حسنة وتفرقت فيها السكك والازقة وبنيت فيها المساجد الحسان والطواحين والحمامات والافران وسميت اسواقها فقيل سوق العيارين وكان يجمع العطارين والبزازين وسوق الفاميين ويجمع الجزارين والبقالين والشوايين فكان فى دكاكين الفاميين جميع ما فى دكاكين نظرائهم فى المدينة وأكثر وأحسن وسوق الطباخين ويجمع الصيارف والخبازين والحلوانيين ولكل من الباعة سوق حسن عامر فصارت القطائع مدينة كبيرة اعمر وأحسن من الشام وبنى ابن طولون قصره ووسعه وحسنه وجعل له ميدانا كبيرا يضرب فيه بالصوالجة فسمى القصر كله الميدان وكان كل من أراد الخروج من صغير وكبير اذا سئل عن ذهابه يقول الى الميدان وعمل للميدان ابوابا لكل باب اسم وهى باب الميدان ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش وباب الصوالجة وباب الخاصة ولا يدخل منه الا خاصة ابن طولون وباب الجبل لانه مما يلى جبل المقطم وباب الحرم ولا يدخل منه الا خادم خصى او حرمة وباب الدرمون لانه كان يجلس عنده حاجب اسود عظيم الخلقة يتقلد جنايات الغلمان السودان الرجالة فقط يقال له الدرمون وباب دعناج لانه كان يجلس عنده حاجب يقال له دعناج وباب الساج لانه عمل من خشب الساج وباب الصلاة لانه كان فى الشارع الاعظم ومنه يتوصل الى جامع ابن طولون وعرف هذا الباب ايضا باب السباع لانه كان عليه صورة سبعين من جبس وكان الطريق الذى يخرج منه ابن طولون وهو الذى يعرج منه الى القصر طريقا واسعا فقطعه بحائط وعمل فيه ثلاثة ابواب كاكبر ما يكون من الابواب وكانت متصلة بعضها ببعض واحدا بجانب الآخر وكان ابن طولون اذا ركب يخرج معه عسكر متكاثف الخروج على ترتيب حسن بغير زحمة ثم يخرج ابن طولون من الباب الاوسط من الابواب الثلاثة بمفرده من غير أن يختلط به احد من الناس وكانت الابواب المذكورة تفتح كلها فى يوم العيد أو يوم عرض الجيش او يوم صدقة وما عدا هذه الايام لا تفتح الا بترتيب فى اوقات معروفة وكان القصر له مجلس يشرف منه ابن طولون يوم العرض ويوم الصدقة لينظر من اعلاه من يدخل ويخرج وكان الناس يدخلون من باب الصوالجة ويخرجون من باب السباع وكان على باب السباع مجلس يشرف منه ابن طولون ليلة العيد على القطائع ليرى حركات الغلمان وتأهبهم وتصرفهم فى حوائجهم فاذا رأى فى حال احد منهم نقصا او خللا امر له بما يتسع به ويزيد فى تجمله وكان يشرف منه ايضا

على البحر وعلى باب مدينة الفسطاط وما يلى ذلك فكان منتزها حسنا وبنى الجامع فعرف بالجامع الجديد وبنى العين والسقاية بالمغافر وبنى تنور فرعون فوق الجبل واتسعت احواله وكثرت اصطبلاته وكراعه وعظم صيته فخافه ماجور وكتب فيه الى الحضرة يغرى به وكتب فيه ابن المدبر وشقير الخادم وكانت لابن طولون اعين وأصحاب أخبار يطالعونه بسائر ما يحدث فلما بلغه ذلك تلطف اصحاب الاخبار له ببغداد عند الوزير حتى سير الى ابن طولون بكتب ابن المدبر وكتب شقير من غير أن يعلما بذلك فاذا فيها ان احمد بن طولون عزم على التغلب على مصر والعصيان بها فكتم خبر الكتب ومازال بشقير حتى مات وكتب الى الحضرة يسأل صرف ابن المدبر عن الخراج وتقليده هلالا فأجيب الى ذلك وقبض على ابن المدبر وحبسه وكانت له معه امور آلت الى خروج ابن المدبر عن مصر وتقلد ابن طولون خراج مصر مع المعونة والثغور الشامية فأسقط المعاون والمرافق وكانت بمصر خاصة فى كل سنة مائة ألف دينار فأظفره الله عقيب ذلك بكنز فيه الف الف دينار بنى منه المارستان وخرج الى الشام وقد تقلدها فتسلم دمشق وحمص ونازل انطاكية حتى اخذها وكانت صدقاته على اهل المسكنة والستر وعلى الضعفاء والفقراء وأهل التجمل متواترة وكان راتبه لذلك فى كل شهر ألفى دينار سوى ما يطرأ عليه من النذور وصدقات الشكر على تجديد النعم وسوى مطابخه التى اقيمت فى كل يوم للصدقات فى داره وغيرها يذبح فيها البقر والكباش ويغرف للناس فى القدور الفخار والقصاع على كل قدر أو قصعة لكل مسكين اربعة ارغفة فى اثنين منها فالوذج والاثنان الآخران على القدر وكانت تعمل فى داره وينادى من احب أن يحضر دار الامير فليحضر وتفتح الابواب ويدخل الناس الميدان وابن طولون فى المجلس الذى تقدم ذكره ينظر الى المساكين ويتأمل فرحهم بما يأكلون ويحملون فيسره ذلك ويحمد الله على نعمته ولقد قال له مرة ابراهيم ابن قراطغان وكان على صدقاته ايد الله الامير انا نقف فى المواضع التى تفرق فيها الصدقة فتخرج لنا الكف الناعمة المخضوبة نقشا والمعصم الرائع فيه الحديدة والكف فيها الخاتم فقال يا هذا كل من مد يده اليك فأعطه فهذه هى الطبقة المستورة التى ذكرها الله سبحانه وتعالى فى كتابه فقال يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف فاحذر أن تردّ يدا امتدت اليك وأعط كل من يطلب منك فلما مات احمد بن طولون وقام من بعده ابنه خمارويه أقبل على قصر أبيه وزاد فيه وأخذ الميدان الذى كان لابيه فجعله كله بستانا وزرع فيه انواع الرياحين وأصناف الشجر ونقل اليه الودى اللطيف الذى ينال ثمره القائم ومنه ما يتناوله الجالس من اصناف خيار النخل وحمل اليه كل صنف من الشجر المطعم العجيب وأنواع الورد وزرع فيه الزعفران وكسا اجسام النخل نحاسا مذهبا حسن الصنعة وجعل بين النحاس وأجساد النخل مزاريب الرصاص وأجرى فيها الماء المدبر فكان يخرج من تضاعيف قائم النخل عيون الماء فتنحدر الى فساقى معمولة ويفيض منها الماء الى مجار تسقى سائر البستان وغرس فيه من الريحان المزروع على نقوش معمولة وكتابات مكتوبة يتعاهدها البستانى بالمقراض حتى لا تزيد ورقة على ورقة وزرع فيه النيلوفر الاحمر والازرق والاصفر والجنوى العجيب وأهدى اليه من خراسان وغيرها كل اصل عجيب وطعموا له شجر المشمش باللوز واشباه ذلك من كل ما يستظرف ويستحسن وبنى فيه برجا من خشب الساج المنقوش بالنقر النافذ ليقوم مقام الاقفاص وزوّقه بأصناف الاصباغ وبلط ارضه وجعل فى تضاعيفه انهارا لطافا جداولها يجرى فيها الماء مدبرا من السواقى التى تدور على الآبار العذبة ويسقى منها الاشجار وغيرها وسرّح فى هذا البرج من اصناف القمارى والدباسى والنوبيات وكل طائر مستحسن حسن الصوت فكانت الطير تشرب وتغتسل من تلك الانهار الجارية فى البرج وجعل فيه اوكارا فى قواديس لطيفة ممكنة فى جوف الحيطان لتفرخ الطيور فيها وعارض لها فيه عيدانا ممكنة فى جوانبه لتقف عليها اذا تطايرت حتى يجاوب بعضها بعضا بالصياح وسرّح فى البستان من الطير العجيب كالطواويس ودجاج الحبش ونحوها شيأ كثيرا وعمل فى داره مجلسا برواقه سماه بيت الذهب طلى حيطانه كلها بالذهب المجاول باللازورد المعمول فى احسن نقش وأظرف تفصيل وجعل فيه على مقدار قامة ونصف صورا فى حيطانه بارزة من خشب معمول على صورته وصور حظاياه والمغنيات اللاتى تغنينه بأحسن تصوير وابهج تزويق وجعل على رؤسهن الاكاليل من الذهب الخالص الابريز الرزين والكوادن المرصعة بأصناف الجواهر وفى آذانها الاجراس الثقال الوزن المحكمة الصنعة وهى مسمرة فى الحيطان ولونت

اجسامها بأصناف اشباه الثياب من الاصباغ العجيبة فكان هذا البيت من اعجب مبانى الدنيا وجعل بين يدى هذا البيت فسقية مقدرة وملأها زئبقا وذلك انه شكا الى طبيبه كثرة السهر فأشار عليه بالتغميز فأنف من ذلك وقال لا اقدر على وضع يد أحد على فقال له تأمر بعمل بركة من زئبق فعمل بركة يقال انها خمسون ذراعا طولا فى خمسين ذراعا عرضا وملأها من الزئبق فأنفق فى ذلك اموالا عظيمة وجعل فى اركان البركة سككا من الفضة الخالصة وجعل فى السكك زنانير من حرير محكمة الصنعة فى حلق من الفضة وعمل فرشا من ادم يحشى بالريح حتى ينتفخ فيحكم حينئذ شده ويلقى على تلك البركة الزئبق وتشد زنانير الحرير التى فى حلق الفضة بسكك الفضة وينام على هذا الفرش فلا يزال الفرش يرتج ويتحرك بحركة الزئبق مادام عليه وكانت هذه البركة من اعظم ما سمع به من الهمم الملوكية فكان يرى لها فى الليالى المقمرة منظر عجيب اذا تألف نور القمر بنور الزئبق ولقد أقام الناس بعد خراب القصر مدة يحفرون لاخذ الزئبق من شقوق البركة وما عرف ملك قط تقدم خمارويه فى عمل مثل هذه البركة وبنى ايضا فى القصر قبة تضاهى قبة الهواء سماها الدكة فكانت احسن شئ بنى وجعل لها الستر التى تقى الحر والبرد فتسبل اذا شاء وترفع اذا احب وفرش ارضها بالفرش السرية وعمل لكل فصل فرشا يليق به وكان كثيرا ما يجلس فى هذه القبة ليشرف منها على جميع ما فى داره من البستان وغيره ويرى الصحراء والنيل والجبل وجميع المدينة وبنى ميدانا آخر أكبر من ميدان ابيه وكان احمد بن طولون قد اتخذ حجرة بقربه فيها رجال سماهم بالمكبرين عدتهم اثنا عشر رجلا يبيت منهم فى كل ليلة اربعة يتعاقبون الليل نوبا يكبرون ويسبحون ويحمدون ويهللون ويقرؤن القرآن تطريبا بألحان ويتوسلون بقصائد زهدية ويؤذنون اوقات الاذان فلما ولى خمارويه اقرهم على حالهم وأجراهم على رسمهم وكان يجلس للشرب مع حظاياه فى الليل وقيناته تغنيه فاذا سمع اصوات هؤلاء يذكرون الله والقدح فى يده وضعه بالارض وأسكت مغنياته وذكر الله معهم ابدا حتى يسكت القوم لا يضجره ذلك ولا يغيظه أن قطع عليه ما كان فيه من لذته بالسماع وبنى ايضا فى داره دار السباع عمل فيها بيوتا بآزاج كل بيت يسع سبعا ولبوته وعلى تلك البيوت ابواب تفتح من اعلاها بحركات ولكل بيت منها طاق صغير يدخل منه الرجل الموكل بخدمة ذلك البيت يفرشه بالزبل وفى جانب كل بيت حوض من رخام بميزاب من نحاس يصب فيه الماء وبين يدى هذه البيوت قاعة فسيحة متسعة فيها رمل مفروش بها وفى جانبها حوض كبير من رخام يصب فيه ماء من ميزاب كبير فاذا أراد سائس سبع من تلك السباع تنظيف بيته او وضع وظيفة اللحم التى لغذائه رفع الباب بحيلة من اعلى البيت وصاح بالسبع فيخرج الى القاعة المذكورة ويرد الباب ثم ينزل الى البيت من الطاق فيكنس الزبل ويبدل الرمل بغيره مما هو نظيف ويضع الوظيفة من اللحم فى مكان معد لذلك بعد ما يخلص ما فيه من الغدد ويقطعه لهما ويغسل الحوض ويملأه ماء ثم يخرج ويرفع الباب من اعلاه وقد عرف السبع ذلك فحال ما يرفع السائس باب البيت دخل اليه الاسد فأكل ما هيئ له من اللحم حتى يستوفيه ويشرب من الماء كفايته فكانت هذه مملوءة من السباع ولهم اوقات يفتح فيها سائر بيوت السباع فتخرج الى القاعة وتمشى فيها وتمرح وتلعب ويهارش بعضها بعضا فتقيم يوما كاملا الى العشى فيصيح بها السوّاس فيدخل كل سبع الى بيته لا يتخطاه الى غيره وكان من جملة هذه السباع سبع ازرق العينين يقال له زريق قد انس بخمارويه وصار مطلقا فى الدار لا يؤذى احدا ويقام له بوظيفته من الغذاء فى كل يوم فاذا نصبت مائدة خمارويه اقبل زريق معها وربض بين يديه فرمى اليه بيده الدجاجة بعد الدجاجة والفضلة الصالحة من الجدى ونحو ذلك مما على المائدة فيتفكه به وكانت له لبوة لم تستأنس كما انس فكانت مقصورة فى بيت ولها وقت معروف يجتمع معها فيه فاذا نام خمارويه جاء زريق ليحرسه فان كان قد نام على سرير ربض بين يدى السرير وجعل يراعيه مادام نائما وان كان انما نام على الارض بقى قريبا منه وتفطن لمن يدخل ويقصد خمارويه لا يغفل عن ذلك لحظة واحدة وكان على ذلك دهره قد ألف ذلك ودرب عليه وكان فى عنقه طوق من ذهب فلا يقدر أحد أن يدنو من خمارويه مادام نائما لمراعاة زريق له وحراسته اياه حتى اذا شاء الله انفاذ قضائه فى خمارويه كان بدمشق وزريق غائب عنه بمصر ليعلم انه لا يغنى حذر من قدر وبنى ايضا دار الحرم ونقل اليها امهات اولاد ابيه مع اولادهن وجعل معهن المعزولات من امهات اولاده وافرد لكل واحدة حجرة واسعة نزل فى كل حجرة منها بعد زوال دولتهم قائد جليل فوسعته وفضل عنه منها شئ وأقام

لكل حجرة من الانزال والوظائف الواسعة ما كان يفضل عن اهلها منه شئ كثير فكان الخدم الموكلون بالحرم من الطباخين وغيرهم يفضل لكل منهم مع كثرة عددهم بعد التوسع فى قوته الزلة الكبيرة والتى فيها العدة من الدجاج فمنها ما قلع فخذها ومنها ما قد تشعب صدرها ومن الفراخ مثل ذلك مع القطع الكبار من الجدى ولحوم الضأن والعدة من ألوان عديدة والقطع الصالحة من الفالوذج والكثير من اللوزينج والقطائف والهرائس من العصيدة التى تعرف اليوم فى وقتنا هذا بالمامونية وأشباه ذلك مع الارغفة الكبار واشتهر بمصر بيعهم لذلك وعرفوا به فكان الناس يتناولونهم لذلك واكثر ما تباع الزلة الكبيرة منها بدرهمين ومنها ما يباع بدرهم فكان كثير من الناس يتفكهون من هذه الزلات وكان شىء موجودا فى كل وقت لكثرته واتساعه بحيث ان الرجل اذا طرقه ضيف خرج من فوره الى باب دار الحرم فيجد ما يشتريه ليتجمل به لضيفه مما لا يقدر على عمل مثله ولا يتهيأ له من اللحوم والفراخ والدجاج والحلوى مثل ذلك واتسعت ايضا اصطبلات خمارويه فعمل لكل صنف من الدواب اصطبلا مفردا فكان للخيل الخاص اصطبل مفرد والدواب الغلمان اصطبلات عدة ولبغال القباب اصطبلات ولبغال النقل غير بغال القباب اصطبلات وللنجائب والبخاتى اصطبلات لكل صنف اصطبل مفرد للاتساع فى المواضع والتفنن فى الاثقال وعمل للنمور دارا مفردة وللفهود دارا مفردة وللفيلة دارا وللزرافات دارا كل ذلك سوى الاصطبلات التى بالجيزة فانه كان له فى عدة ضياع من الجيزة اصطبلات مثل نهيا ووسيم وسفط وطهرمس وغيرها وكانت هذه الضياع لا تزرع الا القرط برسم الدواب وكان للخليفة ايضا بمصر اصطبلات سوى ما ذكر تنتج فيها الخيل لحلبة السباق وللرباط فى سبيل الله تعالى برسم الغزو وكان لكل دار من الدور المذكورة ولكل اصطبل وكلاء لهم الرزق السنى والوظائف الكثيرة والاموال المتسعة وبلغ رزق الجيش فى ايام خمارويه تسعمائة ألف دينار فى كل سنة وقام مطبخه المعروف بمطبخ العامة بثلاثة وعشرين ألف دينار فى كل شهر سوى ما هو موظف لجواريه وأرزاق من يخدمهن ويتصرف فى حوائجهن وكان قد اتخذ لنفسه من ولد الحوف وشناترة الضياع قوما معروفين بالشجاعة والباس لهم خلق عظيم تام وعظم اجسام وأدر عليهم الارزاق ووسع لهم فى العطاء وشغلهم عما كانوا فيه من قطع الطريق واذية الناس بخدمته والبسهم الاقبية وجواشن الديباج وصاغ لهم المناطق العراض الثقال وقلدهم السيوف المحلاة يضعونها على اكتافهم فاذا مشوا بين يديه وموكبه على ترتيبه ومضت اصناف العسكر وطوائفه تلاهم السودان وعدتهم ألف اسود لهم درق من حديد محكم الصنعة وعليهم اقبية سود وعمائم سود فيخالهم الناظر اليهم بحرا أسود يسير لسواد الوانهم وسواد ثيابهم ويصير لبريق درقهم وحلى سيوفهم والبيض التى تلمع على رؤسهم من تحت العمائم زى بهج فاذا مضى السودان قدم خمارويه وقد انفرد عن موكبه وصار بينه وبين الموكب نحو نصف غلوة سهم والمختارة تحف به وكان تام الظهر ويركب فرسا تاما فيصير كالكوكب اذا اقبل لا يخفى على احد كانه قطعة جبل فى وسط المختارة وكان مهابا ذا سطوة وقد وقع فى قلوب الكافة انه متى اشار اليه احد باصبعه او تكلم او قرب منه لحقه مكروه عظيم فكان اذا اقبل كما ذكرنا لا يسمع من احد كلمة ولا سعلة ولا عطسة ولا نحنحة البتة كانما على رؤسهم الطير وكان يتقلد فى يوم العيد سيفا بحمائل ولا يزال يتفرج ويتنزه ويخرج الى مواضع لم يكن ابوه يهش اليها كالاهرام ومدينة العقاب ونحو ذلك لاجل الصيد فانه كان مشغوفا به لا يكاد يسمع بسبع الا قصده ومعه رجال عليهم لبود فيدخلون الى الاسد ويتناولونه بأيديهم من غابه عنوة وهو سليم فيضعونه فى اقفاص من خشب محكمة الصنعة يسع الواحد منها السبع وهو قائم فاذا قدم خمارويه من الصيد سار القفص وفيه السبع بين يديه وكانت حلبة السباق فى ايامهم تقوم مقام الاعياد لكثرة الزينة وركوب سائر الغلمان والعساكر على كثرتهم بالسلاح التام والعدد الكاملة فيجلس الناس لمشاهدة ذلك كما يجلسون فى الاعياد وتطلق الخيل من غايتها فتمر متفاوتة يقدم بعضها بعضا حتى يتم السبق قال القضاعى المنظر بناه احمد بن طولون فى ولايته لعرض الخيل وكان عرض الخيل من عجائب الاسلام الاربعة التى منها هذا العرض ورمضان بمكة والعيد كان بطرسوس والجمعة ببغداد فبقى من هذه الاربعة شهر رمضان بمكة والجمعة ببغداد وذهبت اثنتان قال كاتبه وقد ذهبت الجمعة ببغداد ايضا بعد القضاعى بقتل هولاكو للخليفة المستعصم وزوال شعائر الاسلام من العراق وبقيت مكة شرفها

الله تعالى وليس فى شهر رمضان الآن بها ما يقال فيه انه من عجائب الاسلام ولما تكامل عز خمارويه وانتهى أمره بدا يسترجع منه الدهر ما اعطاه فأول ما طرقه موت حظيته بوران التى من اجلها بنى بيت الذهب وصوّر فيه صورتها وصورته كما تقدم وكان يرى أن الدنيا لا تطيب له الا ببقائها وبنظره اليها وتمتعه بها فكدّر موتها عيشه وانكسر انكسارا بان عليه ثم انه اخذ فى تجهيز ابنته فجهزها جهازا ضاهى به نعم الخلافة فلم يبق خطيرة ولا طرفة من كل لون وجنس الا حمله معها فكان من جملته دكة اربع قطع من ذهب عليها قبة من ذهب مشبك فى كل عين من التشبيك قرط معلق فيه حبة جوهر لا يعرف لها قيمة ومائة هون من ذهب * قال القضاعى وعقد المعتضد النكاح على ابنته يعنى ابنة خمارويه قطر الندى فحملها ابو الجيش خمارويه مع عبد الله بن الجصاص وحمل معها ما لم ير مثله ولا يسمع به ولما دخل اليه ابن الجصاص يودّعه قال له خمارويه هل بقى بينى وبينك حساب فقال لا فقال انظر حسابك فقال كسر بقى من الجهاز فقال أحضروه فاخرج ربع طومار فيه ست ذكر النفقة فاذا هى اربعمائة ألف دينار قال محمد بن على المادرانى فنظرت فى الطومار فاذا فيه وألف تكة الثمن عنها عشرة آلاف دينار فأطلق له الكل * قال القضاعى وانما ذكرت هذا الخبر لنستدل به على اشياء منها سعة نفس ابى الجيش ومنها كثرة ما كان يملكه ابن الجصاص حتى انه قال كسر بقى من الجهاز وهو أربعمائة ألف دينار لو لم يقتضه ذلك لم يذكره ومنها ميسور ذلك الزمان لما طلب فيه ألف تكة من اثمان عشرة دنانير قدر عليها فى ايسر وقت وبأهون سعى ولو طلب اليوم خمسون لم يقدر عليها قال كاتبه ولا يعرف اليوم فى اسواق القاهرة ومصر تكة بعشرة دنانير اذا طلبت توجد فى الحال ولا بعد شهر الا أن يعتنى بعملها فتعمل ولما فرغ خمارويه من جهاز ابنته امر فبنى لها على رأس كل مرحلة تنزل بها قصر فيما بين مصر وبغداد وأخرج معها اخاه شيبان بن احمد بن طولون فى جماعة مع ابن الجصاص فكانوا يسيرون بها سير الطفل فى المهد فاذا وافت المنزل وجدت قصرا قد فرش فيه جميع ما يحتاج اليه وعلقت فيه الستور وأعدّ فيه كل ما يصلح لمثلها فى حال الاقامة فكانت فى مسيرها من مصر الى بغداد على بعد الشقة كانها فى قصر ابيها تنتقل من مجلس الى مجلس حتى قدمت بغداد أوّل المحرم سنة اثنتين وثمانين ومائتين فزفت على الخليفة المعتضد وبعد ذلك قتل خمارويه بدمشق وكانت مدّة بنى طولون بمصر سبعا وثلاثين سنة وستة اشهر واثنين وعشرين يوما وولى منهم خمسة امراء اوّلهم (احمد بن طولون) ولى مصر من قبل المعتز على صلاتها فدخل يوم الخميس لسبع بقين من شهر رمضان سنة اربع وخمسين ومائتين وخرج بغا الاصغر وهو احمد بن محمد بن عبد الله بن طباطبا فيما بين برقة والاسكندرية فى جمادى الاولى سنة خمس وخمسين وسار الى الصعيد فقتل فى الحرب وحمل رأسه الى الفسطاط لاحدى عشرة بقيت من شعبان وخرج ابن الصوفى العلوى وهو ابراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن ابى طالب ودخل اسنا فى ذى القعدة فنهب وقتل فبعث اليه ابن طولون جيشا فهزم الجيش فى ربيع الاوّل سنة ست وخمسين فبعث بجيش آخر فواقعه باخميم فى ربيع الآخر فانهزم ابن الصوفى الى الواح فأقام به وخرج احمد بن طولون يريد حرب عيسى بن الشيخ ثم عاد فابتدأ فى بناء الميدان وقدم العباس وخمارويه ابنا احمد بن طولون من العراق على طريق مكة سنة سبع وخمسين وورد كتاب ماجور بتسلم احمد بن طولون الاعمال الخارجة عن يده من أرض مصر فتسلم الاسكندرية وخرج اليها لثمان خلون من شهر رمضان واستخلف طفج صاحب الشرط ثم قدم لاربع عشرة بقيت من شوّال وسخط على اخيه موسى وأمره بلباس البياض وخرج الى الاسكندرية ثانيا لثمان بقين من شعبان سنة تسع وخمسين واستخلف ابنه العباس وقدم لثمان خلون من شوّال وأمر ببناء المسجد الجامع على الجبل فى صفر سنة تسع وخمسين وبناء المارستان للمرضى وورد كتاب المعتمد يستحثه فى حمل الاموال فكتب اليه لست اطيق ذلك والخراج بيد غيرى فأنفذ المعتمد نفيسا الخادم بتقليد احمد بن طولون الخراج وبولايته على الثغور الشامية فاقرّ ابا ايوب احمد بن محمد بن شجاع على الخراج خليفة له عليه وعقد لطخشى بن بلبرد على الثغور فخرج فى جمادى الاولى سنة اربع وستين وتقدّم ابو احمد الموفق الى موسى بن بغا فى صرف احمد بن طولون وتقليدها ماجور التركى والى دمشق فكتب اليه بذلك فتوقف لعجزه عن مقاومة ابن طولون فخرج موسى بن بغا ونزل الرقة فبلغ ابن طولون انه سائر اليه فابتدأ فى بناء الحصن بالجزيرة ليكون معقلا لماله وحرمه فى سنة ثلاث وستين واجتهد فى عمل المراكب الحربية وأطافها بالجزيرة فأقام موسى بالرقة عشرة اشهر واضطربت اموره ومات فى صفر سنة

اربع وستين ومات ماجور بدمشق واستخلف ابنه علي بن ماجور فحرك ذلك احمد بن طولون على المسير وكتب الى ابن ماجور انه سائر اليه وأمره باقامة الانزال والميرة فأجاب بجواب حسن وشكا اهل مصر الى ابن طولون ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة بجنده وسودانه فأمر ببناء المسجد الجامع بجبل يشكر فابتدأ بنيانه في سنة أربع وتم في سنة ست وستين ومائتين وخرج في جيوشه لثمان بقين من شعبان سنة أربع وستين واستخلف ابنه العباس وضم اليه احمد بن محمد الواسطي مدبرا ووزيرا فبلغ الرملة وتلقاه محمد بن رافع واليها وأقام له بها الدعوة فأقره ومضى الى دمشق فتلقاه علي بن ماجور وأقام له بها الدعوة فأقام بها حتى استوثق له امرها ومضى الى حمص فتسلمها وبعث الى سيما الطويل وهو بانطاكية يأمره بالدعاء له فأبى فسار اليه في جيش عظيم وحاصره ورماه بالمجانيق حتى دخلها في المحرم سنة خمس وستين فقتل سيما واستباح امواله ورجاله ومضى الى طرسوس فدخلها في ربيع الاول فضاقت به وغلا السعر بها فنابذه اهلها فقاتلهم وأمر أصحابه أن ينهزموا عن اهل طرسوس ليبلغ طاغية الروم فيعلم أن جيوش ابن طولون مع كثرتها وشدتها لم تقم لاهل طرسوس فانهزموا وخرج عنهم واستخلف عليها الخشني فورد الخبر عليه بأن ابنه العباس قد خالف عليه فازعجه ذلك وسار لخلاف العباس وقيد الواسطي وخرج بطائفته الى الجيزة لثمان خلون من شعبان سنة خمس وستين ومائتين فعسكر بها واستخلف أخاه ربيعة بن احمد وأظهر أنه يريد الاسكندرية وسار الى برقة فقدم احمد بن طولون من الشام لاربع خلون من رمضان فأنفذ القاضي بكار بن قتيبة في نفر بكتابه الى العباس فساروا اليه ببرقة فأبى أن يرجع وعاد بكار في اول ذي الحجة ومضى العباس يريد افريقية في جمادى الاولى سنة ست وستين فنهب لبدة وقتل من اهلها عدة وضجت نساؤهم فاجتمع عليه جيش ابن الاغلب والاباضية فقاتلهم بنفسه وحسن بلاؤه يومئذ وقال

لله دري اذ أعدو على فرسي * الى الهياج ونار الحرب تستعر
وفي يدي صارم افري الرؤس به * في حده الموت لا يبقي ولا يذر
ان كنت سائلة عني وعن خبري * فها أنا الليث والصمصامة الذكر
من آل طولون اصلي ان سألت فما * فوقي لمفتخر بالجود مفتخر
لو كنت شاهدة كري بلبدة اذ * بالسيف اضرب والهامات تبتدر
اذا لعاينت مني ما تبادره * عني الاحاديث والانباء والخبر

وقتل يومئذ صناديد عسكره ووجوه أصحابه ونهبت امواله وفر الى برقة في ضر وعقد احمد بن طولون على جيش وبعث به الى برقة في رمضان سنة سبع وستين ثم خرج بنفسه في عسكر عظيم يقال انه بلغ مائة ألف لثنتي عشرة خلت من ربيع الاول سنة ثمان وستين فاقام بالاسكندرية وفر اليه احمد بن محمد الواسطي من عند العباس فصغر عنده أمر العباس فعقد على جيش سيره الى برقة فواقعوا اصحاب العباس وهزموهم وقتلوا منهم كثيرا وأدركوا العباس لاربع خلون من رجب وعاد احمد الى الفسطاط لثلاث عشرة خلت منه وقدم العباس والاسرى في شوال ثم اخرجوا اول ذي القعدة وقد بنيت لهم دكة عالية فضربوا وألقوا من اعلاها ثم بعث بلؤلؤ في جيش الى الشام فخالف على احمد ومال مع الموفق وصار اليه فخرج احمد واستخلف ابنه خمارويه في صفر سنة تسع وستين فنزل دمشق ومعه ابنه العباس مقيدا فخالف عليه اهل طرسوس فخرج يريد محاربتهم ثم توقف لورود كتاب المعتمد عليه أنه قادم عليه ليلتجئ اليه فخرج كالمتصيد من بغداد وتوجه نحو الرقة فبلغ أبا احمد الموفق مسيره وهو محارب لصاحب الزنج فعمل عليه حتى عاد الى سامرا ووكل به جماعة وعقد لاسحق بن كنداج الخزري على مصر فبلغ ذلك ابن طولون فرجع الى دمشق وأحضر القضاة والفقهاء من الاعمال وكتب الى مصر كتابا قرئ على الناس بأن أبا احمد الموفق نكث بيعة المعتمد وأسره في دار أحمد بن الخصيب وان المعتمد قد صار من ذلك الى ما لا يجوز ذكره وانه بكى بكاء شديدا فلما خطب الخطيب يوم الجمعة ذكر ما نيل من المعتمد وقال اللهم فاكفه من حصره وظلمه وخرج من مصر بكار بن قتيبة وجماعة الى دمشق وقد حضر أهل الشامات والثغور فأمر ابن طولون بكتاب فيه خلع الموفق من ولاية العهد لمخالفة المعتمد وحصره اياه وكتب فيه ان ابا احمد الموفق خلع الطاعة وبرئ من الذمة فوجب جهاده على الامة وشهد على ذلك جميع من حضر الا بكار بن قتيبة

وآخرين

وآخرين وقال بكار لم يصح عندي ما فعله ابو أحمد ولم اعلمه وامتنع من الشهادة والخلع وكان ذلك لاحدى عشرة خلت من ذي القعدة فبلغ ذلك الموفق فكتب الى عماله بلعن احمد بن طولون على المنابر فلعن عليها بما صيغته اللهم العنه لعنا يفل حده ويتعس جده واجعله مثلا للغابرين انك لا تصلح عمل المفسدين ومضى احمد الى طرسوس فنازلها وكان البرد شديدا ثم رحل عنها الى أذنة وسار الى المصيصة فنزلت به علة الموت فأعد السير يريد مصر حتى بلغ الفرما فركب النيل الى الفسطاط فدخل لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة سبعين فأوقف بكار بن قتيبة وبعث به الى السجن وتزايدت به العلة حتى مات ليلة الاحد لعشر خلون من ذي القعدة سنة سبعين ومائتين فلما بلغ المعتمد موته اشتد وجده وجزعه عليه وقال يرثيه

الى الله اشكو اسى * عراني كوقع الاسل * على رجل اروع * يرى منه فضل الوجل
شهاب خبا وقده * وعارض غيث افل * شكت دولتي فقده * وكان بزين الدول

فقام بعده ابنه (ابو الجيش خمارويه) بن احمد بن طولون وبايعه الجند يوم الاحد لعشر خلون من ذي القعدة فأمر بقتل اخيه العباس لامتناعه من مبايعته وعقد لابي عبد الله احمد الواسطي على جيش الى الشام لست خلون من ذي الحجة وعقد لسعد الاعسر على جيش آخر وبعث بمراكب في البحر لتقيم على السواحل الشامية فنزل الواسطي فلسطين وهو خائف من خمارويه أن يوقع به لانه كان اشار عليه بقتل اخيه العباس فكتب الى ابي احمد الموفق يصغر امر خمارويه ويحرضه على المسير اليه فأقبل من بغداد وانضم اليه اسحق بن كنداج ومحمد بن ابي الساج ونزل الرقة فتسلم قنسرين والعواصم وسار الى شيزر فقاتل اصحاب خمارويه وهزمهم ودخل دمشق فخرج خمارويه في جيش عظيم لعشر خلون من صفر سنة احدى وسبعين فالتقى مع احمد بن الموفق بنهر ابي بطرس المعروف بالطواحين من ارض فلسطين واقتتلا فانهزم اصحاب خمارويه وكان في سبعين ألفا وابن الموفق في نحو أربعة آلاف واحتوى على عسكر خمارويه بما فيه ومضى خمارويه الى الفسطاط وأقبل كمين له عليه سعد الاعسر ولم يعلم بهزيمة خمارويه فحارب ابن الموفق حتى ازاله عن المعسكر وهزمه اثني عشر ميلا ومضى الى دمشق فلم يفتح له ودخل خمارويه الى الفسطاط لثلاث خلون من ربيع الاول وسار سعد الاعسر والواسطي فملكا دمشق وخرج خمارويه من مصر لسبع بقين من رمضان فوصل الى فلسطين ثم عاد لاثنتي عشرة بقيت من شوال ثم خرج في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين فقتل سعدا الاعسر ودخل دمشق لسبع خلون من المحرم سنة ثلاث وسبعين وسار لقتال ابن كنداج فكانت على خمارويه فانهزم اصحابه وثبت هو في طائفة فهزم ابن كنداج واتبعه حتى بلغ اصحابه سر من رأى ثم اصطلحا وتظاهرا واقبل الى خمارويه فأقام في عسكره ودعا له في اعماله التي بيده وكاتب خمارويه أبا احمد الموفق في الصلح فأجابه الى ذلك وكتب له بذلك كتابا فورد عليه به فائق الخادم الى مصر في رجب ذكر فيه أن المعتمد والموفق وابنه كتبوه بأيديهم وبولاية خمارويه وولده ثلاثين سنة على مصر والشامات ثم قدم خمارويه سلخ رجب فأمر بالدعاء لابي احمد الموفق وترك الدعاء عليه وجعل على المظالم بمصر محمد بن عبدة بن حرب وبلغه مسير محمد بن ابي الساج الى أعماله فخرج اليه في ذي القعدة ولقيه بثنية العقاب من دمشق فانهزم اصحاب خمارويه وثبت هو فحاربه حتى هزمه أقبح هزيمة وعاد الى مصر فدخلها لست بقين من جمادى الآخرة سنة ست وسبعين ثم خرج الى الاسكندرية لاربع خلون من شوال وورد الخبر أنه دعي له بطرسوس في جمادى الآخرة سنة سبع وسبعين وخرج الى الشام لسبع عشرة من ذي القعدة ومات الموفق في سنة ثمان وسبعين ثم مات المعتمد في رجب سنة تسع وسبعين وبويع المعتضد ابو العباس احمد بن الموفق فبعث اليه خمارويه بالهدايا وقدم من الشام لست خلون من ربيع الاول سنة ثمانين فورد كتاب المعتضد بولاية خمارويه على مصر هو وولده ثلاثين سنة من الفرات الى برقة وجعل له الصلات والخراج والقضاء وجميع الاعمال على أن يحمل في كل عام مائتي ألف دينار عما مضى وثلثمائة الف للمستقبل ثم قدم رسول المعتضد بالخلع وهي اثنتا عشرة خلعة وسيف وتاج ووشاح مع خادم في رمضان وعقد المعتضد نكاح قطر الندى بنت خمارويه في سنة احدى وثمانين وفيها خرج خمارويه الى نزهته ببربوط في شعبان ومضى الى الصعيد فبلغ سيوط ثم رجع من الشرق الى الفسطاط اول ذي القعدة وخرج الى الشام لثمان خلون من شعبان سنة اثنتين وثمانين فأقام بمنية الاصبغ ومنية مطر ثم رحل حتى اتى دمشق فقتل بها على فراشه ذبحه جواريه

وخدمه وحمل فى صندوق الى مصر وكان لدخول تابوته يوم عظيم واستقبله جواريه وجوارى غلمانه ونساء قواده ونساء القطائع بالصياح وما يصنع فى المآتم وخرج الغلمان وقد حلوا أقبيتهم وفيهم من سوّد ثيابه وشققها وكانت فى البلد ضجة عظيمة وصرخة تتعتع القلوب حتى دفن وكانت مدّته اثنتى عشرة سنة وثمانية عشر يوما ثم ولى (ابو العساكر جيش بن خمارويه) بن احمد بن طولون لليلة بقيت من ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين بدمشق فسارا الى مصر واشتمل على امور انكرت عليه فاستوحش من عظماء الجند وتنكر لهم فخافوه ودأبوا فى الفساد فخرج متنزها الى منية الاصبغ ففرّ جماعة من عظماء الدولة الى المعتضد وخلعه احمد بن طغان وكان على الثغر وخلعه طغج بن جف بدمشق فوثب جيش على عمه مضر بن احمد بن طولون فقتله فوثب عليه الجيش وخلعوه وجمعوا الفقهاء والقضاة فتبرّأ من بيعته وحللهم منها وكان خلعه لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين فولى ستة اشهر واثنى عشر يوما ومات فى السجن بعد أيام ثم ولى (أبو موسى هرون ابن خمارويه) يوم خلع جيش فقام طائفة من الجند وكاتبوا ربيعة بن احمد بن طولون وكان بالاسكندرية ودعوه ووعدوه بالقيام معه فجمع جمعا كثيرا من اهل البحيرة ومن البربر وغيرهم وسار حتى نزل ظاهر فسطاط مصر فخذله القوم وخرج اليه القوّاد فقاتلوه وأسروه لاحدى عشرة ليلة خلت من شعبان سنة اربع وثمانين وضرب ألف سوط ومائتى سوط فمات ومات المعتضد فى ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وبويع ابنه محمد المكتفى بالله وخرج القرمطى بالشام فى سنة تسعين فخرج القوّاد من مصر وحاربوه فهزمهم وبعث المكتفى محمد بن سليمان الكاتب فنزل حمص وبعث بالمراكب من الثغر الى سواحل مصر وأقبل الى فلسطين فخرج هارون يوم التروية سنة احدى وتسعين وسير المراكب الحربية فالتقوا بمراكب محمد بن سليمان فى تنيس فغلبوا وملك اصحاب محمد بن سليمان تنيس ودمياط فسار هرون الى العباسة ومعه اهله وأعمامه فى ضيق وجهد فتفرّق عنه كثير من اصحابه وبقى فى نفر يسير وهو متشاغل باللهو فأجمع عماه شيبان وعدى ابنا احمد بن طولون على قتله فدخلا عليه وهو ثمل فقتلاه ليلة الاحد لاحدى عشرة بقيت من صفر سنة اثنتين وتسعين وسنه يومئذ اثنان وعشرون سنة فكانت ولايته ثمان سنين وثمانية اشهر وأياما ثم ولى (شيبان بن احمد بن طولون) ابو المواقيت لعشر بقين من صفر فرجع الى الفسطاط وبلغ طغج بن جف وغيره من القوّاد قتل هرون فأنكروه وخالفوا على شيبان وبعثوا الى محمد بن سليمان فأمنهم وحركوه على المسير الى مصر فسار حتى نزل العباسة فلقيه طغج فى ناس من القوّاد كثير فساروا به الى الفسطاط وأقبل اليهم عامّة اصحاب شيبان فخاف حينئذ شيبان وطلب الامان فأمنه محمد بن سليمان وخرج اليه لليلة خلت من ربيع الاوّل سنة اثنتين وتسعين ومائتين وكانت ولايته اثنى عشر يوما ودخل محمد بن سليمان يوم الخميس اول ربيع الاوّل فألقى النار فى القطائع ونهب اصحابه الفسطاط وكسروا السجون وأخرجوا من فيها وهجموا الدور واستباحوا الحريم وهتكوا الرعية وافتضوا الابكار وساقوا النساء وفعلوا كل قبيح من اخراج الناس من دورهم وغير ذلك وأخرج ولد أحمد بن طولون وهم عشرون انسانا واخرج قوّادهم فلم يبق بمصر منهم احد يذكر وخلت منهم الديار وعفت منهم الآثار وتعطلت منهم المنازل وحل بهم الذل بعد العز والتطريد والتشريد بعد اجتماع الشمل ونضرة الملك ومساعدة الايام ثم سيق اصحاب شيبان الى محمد بن سليمان وهو راكب فذبحوا بين يديه كما تذبح الشياه وقتل من السودان سكان القطائع خلقا كثيرا فقال احمد بن محمد الحبيشى

الحمد لله اقرارا بما وهبا * قد لمّ بالامن شعب الحق فانشعبا
الله اصدق هذا الفتح لا كذب * فسوء عاقبة المثوى لمن كذبا
فتح به فتح الدنيا محمدها * وفرّج الظلم والاظلام والكربا
لاريب رب هياج يقتضى دعة * وفى القصاص حياة تذهب الريبا
رمى الامام به عذراء غادره * فافتض عذرتها بالسيف واقتضبا
محمد بن سليمان اعزهم * نفسا واكرمهم فى الذاهبين أبا
سرى بأسد الشرى لولم يروا بشرا * اضحى عرينهم الخطى لا القضبا
جم الفضاء على اليحموم حين اتوا * مثل الزبا يتحون الزبية الذأبا

ايها علوت على الايام مرتبة * اباعلى ترى من دونها الرتبا
لما اطال بنو طولون خطبتهم * من الخطوب وعافت منهم الخطبا
هارت بهارون من ذكراك بقعته * وشيب الرعب شيبانا وقد رعبا
وكم ترى لهم من جنة انف * ومن نعيم جنى من غدرهم عطبا
فأصبحوا الاترى الامساكنهم * كانها من زمان غابر ذهبا

وقال احمد بن يعقوب

ان كنت تسال عن جلالة ملكهم * فارتع وعج بمرابع الميدان
وانظر الى تلك القصور وماحوت * واسرح بزهرة ذلك البستان
وان اعتبرت ففيه ايضا عبرة * تنبيك كيف تصرّف العصران
ياقتل هرون اجتثثت اصولهم * واشبت رأس اميرهم شيبان
لم يغن عنكم بأس قيس اذا غدا * فى جحفل لجب ولا غسان
وعديه البطل الكمىّ وخزرج * لم ينصرا بأخيهما عدنان
زفت الى آل النبوّة والهدى * وتعزقت عن شيعة الشيطان

وقال اسمعيل بن ابى هاشم

قف وقفة بقباب باب الساج * والقصر ذى الشرفات والابراج
وربوع قوم ازعجوا عن دارهم * بعد الاقامة ايما ازعاج
كانوا مصابيحا لدى ظلم الدجى * يسرى بها السارون فى الادلاج
وكأن اوجههم اذا ابصرتها * من فضة بيضاء اومن عاج
كانوا ليوثا لايرام حماهم * فى كل ملحمة وكل هياج
فانظر الى آثارهم تلق لهم * علما بكل ثنية وفجاج
وعليهم ماعشت لاادع البكا * مع كل ذى نظر وطرف ساجى

وقال سعيد القاص

تجرى دمعه مابين سحر الى نحر * ولم يجر حتى اسلمته يد الصبر
وبات وقيذا للذى خامر الحشا * يئن كما أنّ الاسير من الاسر
وهل يستطيع الصبر من كان ذا اسى * يبيت على جمر ويضحى على جمر
تتابع أحداث يضيعن صبره * وغدر من الايام والدهر ذو غدر
اصاب على رغم الانوف وجدعها * ذوى الدين والدنيا بقاصمة الظهر
طوى زينة الدنيا ومصباح اهلها * بفقد بنى طولون والانجم الزهر
وفقد بنى طولون فى كل موطن * أمرّ على الاسلام فقدا من القطر
فبادوا وأضحوا بعد عز ومنعة * احاديث لاتخفى على كل ذى حجر
وكان ابو العباس احمد ماجدا * جميل المحيا لا يبيت على وتر
كأن ليالى الدهر كانت لحسنها * واشرافها فى عصره ليلة القدر
يدل على فضل ابن طولون همة * محلقة بين السماكين والغفر
فان كنت تبغى شاهدا ذا عدالة * يخبر عنه بالجلىّ من الامر
فبالجبل الغربىّ خطة يشكر * له مسجد يغنى عن المنطق الهذر
يدل ذوى الالباب أن بناءه * وبانيه لا بالضنين ولا الغمر
بناه بآجرّ وساج وعرعر * وبالمرمر المسنون والجص والصخر
بعيد مدى الاقطار سام بناؤه * وثيق المبانى من عقود ومن جدر
فسيح رحاب يحصر الطرف دونه * رقيق نسيم طيب العرف والنشر

وتنور فرعون الذى فوق قلة * على جبل عال على شاهق وعر
بنى مسجدا فيه يروق بناؤه * ويهدى به فى الليل ان ضل من يسرى
تخال سنا قنديله وضياءه * سهيلا اذا مالاح فى الليل للسفر
وعين معين الشرب عين زكية * وعين اجاج للرواة وللطهر
كأن وفود النيل فى جنباتها * تروح وتغدو بين مد الى جزر
فأرك بها مستنبطا لمعينها * من الارض من بطن عميق الى ظهر
بناء لوان الجن جاءت بمثله * لقيل لقد جاءت بمستفظع نكر
يمر على ارض المغافر كلها * وشعبان والاحمور والحى من بشر
قبائل لانوء السحاب يمدها * ولا النيل يرويها ولا جدول يجرى
ولا تنس مارستانه واتساعه * وتوسعة الارزاق للحول والشهر
ومافيه من قوامه وكفاته * ورفقتهم بالمعتفين ذوى الفقر
فللميت المقبور حسن جهازه * وللحى رفق فى علاج وفى جبر
وان جئت رأس الجسر فانظر تأملا * الى الحصن اوفاعبر اليه على الجسر
ترى أثرا لم يبق من يستطيعه * من الناس فى بدو البلاد ولا حضر
مآثر لا تبلى وان باد أهلها * ومجد يؤدى وارثيه الى الفخر
لقد ضمن القبر المقدر ذرعه * اجل اذا ماقيس من قبتى حجر
وقام ابو الجيش ابنه بعد موته * كما قام ليث الغاب فى الاسل السمر
اتته المنايا وهو فى أمن داره * فأصبح مسلوبا من النهى والامر
كذاك الليالى من اعارته بهجة * فيالك من ناب حديد ومن ظفر
وورث هرون ابنه تاج ملكه * كذاك ابو الاشبال ذو الناب والهصر
وقد كان جيش قبله فى محله * ولكن جيشا كان مستقصر العمر
نام بأمر الملك هارون مدة * على كظظ من ضيق باع ومن حصر
ومازال حتى زال والدهر كاشح * عقاربه من كل ناحية تسرى
تذكرتهم لما مضوا فتتابعوا * كما ارفض سلك من جمان ومن شذر
فمن يبك شيأ ضاع من بعد أهله * لفقدهم فليبك حزنا على مصر
ليبك بنى طولون اذ بان عصرهم * فبورك من دهر وبورك من عصر

وقال ايضا

من لم يرالهدم للميدان لم يره * تبارك الله ماأعلى واقدره
لوان عين الذى انشاه تبصره * والحادثات تعاديه لاكبره
كانت عيون الورى تعشو لهيبته * اذا اضاف اليه الملك عسكره
أين الملوك التى كانت تحل به * واين من كان بالانفاذ دبره
واين من كان يحميه ويحرسه * من كل ليث يهاب الليث منظره
صاح الزمان بمن فيه ففرقهم * وحط ريب البلى فيه فدعثره
وأخلق الدهر منه حسن جدته * مثل الكتاب محا العصران اسطره
دكت مناظره واجتث جوسقه * كانما الخسف فاجاه فدمره
اوهب اعصار نار فى جوانبه * فعاد معروفه للعين منكره
كم كان يأوى اليه فى مقاصره * احوى اغن غضيض الطرف احوره
كم كان فيه لهم من مشرب غدق * فعب صرف الردى فيه فكدره
اين ابن طولون بانيه وساكنه * اماته الملك الاعلى فأقبره

ما أوضح الامر لو صحت لنا فكر * طوبى لمن خصه رشد فذكره

وقال احمد بن اسحق الجفر

واذا ما اردت اعجوبة الدهر تراها فانظر الى الميدان

تنظر البين والهموم وانوا عا توالت به من الاشجان

يعلم العالم المبصر أن الدهر فيما يراه ذو ألوان

اين ما فيه من نعيم ومن عيش رخىّ ونضرة وحسان

اين ذاك المسك الذى ديف بالعنبر بحتا وعلّ بالزعفران

اين ذاك الخز المضاعف والوشى وما استخلصوا من الكتان

اين تلك القيان تشدو على العرس بما استحسنوا من الالحان

حوز الدهر آل طولون فى هوّة تقر مسكونها غيردان

واعاض الميدان من بعد أهليه ذئابا تعوى بتلك المغانى

ثم امر الحسين بن احمد المادرانى متولى خراج مصر بهدم الديوان فابتدئ فى هدمه فى شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائتين وبيعت أنقاضه ودثر كانه لم يكن * فقال محمد بن طسويه

وكان الميدان ثكلى اصيبت * بحبيب قد ضاع ليلة عرس

تتغشى الرياح منه محلا * كان للصون فى ستور الدمقس

وبفرش الاضريج والبسط الديباج فى نعمة وفى لين لمس

ووجوه من الوجوه حسان * وخدود مثل اللآلئ ملس

كل نجلاء كالغزال ونجلا * ورداح من بين حور واعس

آل طولون كنتم زينة الارض فأضحى الجديد أهدام لبس

وقال ابن ابى هاشم

يا منزلا لبنى طولون قد دثرا * سقاك صرف الغوادى القطر والمطرا

يا منزلا صرت اجفوه وأهجره * وكان يعدل عندى السمع والبصرا

بالله عندك علم من احبتنا * ام هل سمعت لهم من بعدنا خبرا

وقال

ألا فاسأل الميدان ثم اسأل الجبل * عن الملك الماضى ابن طولون ما فعل

وعن ابنه العباس ان كنت سائلا * وأين ابو الجيش الفصافصة البطل

وجيش وهارون الذى قام بعده * وشيبان بالامس الذى خانه الامل

ومن قبله اردى ربيعة يومه * وكان هزبر الايطاق اذا احل

واين ذراريهم واين جموعهم * وكيف تقضى عنهم الملك فاضمحل

واين بناء القصر والجوسق الذى * عهدناه معمور الفناء له زجل

لقد ملكوه برهة من زماننا * بدولتهم ثم انقضوا بانقضا الدول

فما منهم خلق يحس ولا يرى * بذكر طوال الدهر لما انقضى الاجل

وصاروا احاديثا لمن جاء بعدهم * وكان بهم فى ملكهم يضرب المثل

وقال

قف وقفة وانظر الى الميدان * والقصر ذى الشرفات والايوان

والجوسق العالى المنيف بناؤه * ما با له قفر من السكان

اين الذين لهوا به وعنوا به * زمنا مع القينات والنسوان

يجبى الخراج اليهم فى دارهم * لا يرهبون غوائل الحدثان

جمعوا الجموع مع الجموع فأكثروا * واستأثروا بالروم والسودان

فانظر الى ماشيدوامن بعدهم * هل فيه غير البوم والغربان
اين الاولى حفروا العيون بأرضه * وتأنقوا فيه وفي البنيان
غرسوا صنوف النخل في ساحاته * وغرائب الاعناب والرمان
والزعفران مع البهار بأرضه * والورد بين الآس والريحان
كانوا ملوك الارض في ايامهم * كبراء كل مدينة ومكان
فتمزقوا وتفرقوا فهنالك هم * تحت الثرى يبلون في الاكفان
الا اغيلمة اسارى بعدهم * في دار مضيعة ودار هوان
متلذذين بأسرهم قد شردوا * ونفوا عن الاهلين والاوطان
والله وارث كل حي بعدهم * وله البقاء وكل شئ فان

وقال

ان في قبة الهواء لذى اللب معتبر * والقصور المشيدات مع الدور والحجر
والبساتين والمجالس والبيت والزهر * والجوارى المغنيات ذوى الدل والخفر
يتبخترن في الحرير وفي الوشى والحبر * وملوك عبيدهم عدد الشوك والشجر
وجيوش مؤيدون لدى الباس بالظفر * من صنوف السودان والترك والروم والخزر
عمروا الارض مدة ثم صاروا الى الحفر * واستبد الزمان من عاش منهم فلم يذر
فهم في الهوان والذل اسرى على خطر * وهم بعد صفو عيش من الذل في كدر
يال طولون مالكم صرتم للورى سمر * يال طولون كنتم خبرا فانقضى الخبر

وقال

مررت على الميدان معتبرا به * فناديته اين الجبال الشوامخ
خمار وعباس واحمد قبلهم * وأين ترى شبانهم والمشايخ
وأين ذرارى آل طولون بعدهم * أما فيك منهم ايها الربع صارخ
وأين ثياب الخز والوشى والحلى * وأربابها ام اين تلك المطابخ
وأين فتيتات المسك والعنبر الذى * عنيت به دهرا وتلك اللطائخ
لقد غالك الدهر الخؤون بصرفه * فأصبحت منحطا وغيرك باذخ

وقال

مررت على الميدان بالامس ضاحيا * فأبصرته قفر الجناب فراعنى
فناديت فيه يال طولون مالكم * فهود تماحلق بحرف لجانبى
فأذريت عيناذات دمع غزيرة * ورحت كئيب القلب مما اصابنى
وانى عليهم ما بقيت لموجع * ولست ابالى من لحانى وعابنى

وحدث محمد بن ابى يعقوب الكاتب قال لما كانت ليلة عيد الفطر من سنة اثنتين وتسعين ومائتين تذكرت ما كان فيه آل طولون في مثل هذه الليلة من الزى الحسن بالسلاح وملونات البنود والاعلام وشهرة الثياب وكثرة الكراع وأصوات الابواق والطبول فاعترانى لذلك فكرة ونمت في ليلتى فسمعت هاتفا يقول ذهب الملك والتملك والزينة لما مضى بنوطولون وقال القاضى ابوعمرو عثمان النابلسى في كتاب حسن السيرة في اتخاذ الحصن بالجزيرة رأيت كتابا قدر اثنتى عشرة كراسة مضمونه فهرست شعراء الميدان الذى لاحمد بن طولون قال فاذا كانت اسماء الشعراء في ثنتى عشرة كراسة كم يكون شعرهم مع أنه لم يوجد من ذلك الآن ديوان واحد وقال ابو الخطاب بن دحية في كتاب النبراس وخربت قطائع احمد بن طولون يعنى في الشدة العظمى زمن الخليفة المستنصر وهلك جميع من كان بها من الساكنين وكانت نيفا على مائة ألف دار نزهة للناظرين محدقة بالجنان والبساتين والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

ذكر

(ذكر من ولى مصر من الامراء بعد خراب القطائع الى أن بنيت قاهرة المعز على يد القائد جوهر)

وكان اول من ولى مصر بعد زوال دولة بنى طولون وخراب القطائع (محمد بن سليمان الكاتب) كاتب لؤلؤ غلام احمد بن طولون دخل مصر يوم الخميس مستهل ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين ومائتين ودعا على المنبر لامير المؤمنين المكتفى بالله وحده وجعل أبا على الحسين بن احمد المادرانى على الخراج عوضا عن احمد بن على المادرانى ثم ورد كتاب المكتفى بولاية (عيسى بن محمد) النوشرى ابى موسى فولى على الصلات ودخل خليفته لاربع عشرة خلت من جمادى الاولى فتسلم الشرطتين وسائر الاعمال ثم قدم عيسى لسبع خلون من جمادى الآخرة وخرج محمد بن سليمان مستهل رجب وكان مقامه بمصر أربعة اشهر فأخرج كل من بقى من الطولونية فلما بلغوا دمشق انخنس عنهم محمد بن على الخليج فى جمع كثير ممن كره مفارقة مصر من القوّاد فعقدوا له عليهم وبايعوه بالامرة فى شعبان ورجع الى مصر فبعث اليه النوشرى بجيش اول رمضان وقد دخل ارض مصر ثم خرج اليه النوشرى وعسكر بباب المدينة اول ذى القعدة وسار الى العباسة ثم رجع لثلاث عشرة خلت منه وخرج الى الجيزة من غده واحرق الجسرين وسار يريد الاسكندرية ففرّ عنه طائفة الى ابن الخليج فبعث اليه بجيش فهزمه وسار الى الصعيد ودخل (محمد بن الخليج) الفسطاط لاربع عشرة بقيت من ذى القعدة فوضع العطاء وفرض الفروض وقدم ابو الاعز من قبل المكتفى فى طلب ابن الخليج فخرج اليه لثلاث خلون من المحرّم سنة ثلاث وتسعين وحاربه فانهزم منه ابو الاعز وأسر من اصحابه جمعا كثيرا وعاد لثمان بقين منه فقدم فاتك المعتضدى من بغداد فى البرّ فعسكر وقدم دميانة فى المراكب فنزل فاتك النويرة فخرج ابن الخليج وعسكر بباب المدينة وقام فى الليل بأربعة آلاف من اصحابه ليبيت فاتكا فأضلوا الطريق وأصبحوا قبل أن يبلغوا النويرة فعلم بهم فاتك فنهض بأصحابه وحارب ابن الخليج فانهزم عنه اصحابه وثبت فى طائفة ثم انهزم الى الفسطاط لثلاث خلون من رجب فاستتر ودخل دميانة فى مراكب الثغور وأقبل عيسى النوشرى ومعه الحسين المادرانى ومن كان معهما لخمس خلون منه فعاد النوشرى الى ما كان عليه من صلاتها والمادرانى الى ما كان عليه من الخراج وعرف النوشرى بمكان ابن الخليج فهجم عليه وقيده لست خلون من رجب وكانت مدّة ابن الخليج بمصر سبعة اشهر وعشرين يوما ودخل فاتك فى عسكره الى الفسطاط لعشر خلون من رجب فأخرج ابن الخليج فى البحر لست خلون من شعبان فلما قدم بغداد طيف به وبأصحابه وهم ثلاثون نفرا فكان يوما مذكورا وابتدئ فى هدم ميدان بنى طولون فى شهر رمضان وبيعت انقاضه وخرج فاتك الى العراق للنصف من جمادى الاولى سنة اربع وتسعين وامر النوشرى بنفى المؤنثين ومنع النوح والنداء على الجنائز وامر باغلاق المسجد الجامع فيما بين الصلاتين ثم امر بفتحه بعد ايام ومات المكتفى فى ذى القعدة سنة خمس وتسعين فشغب الجند بمصر وحاربوا النوشرى على طلب مال البيعة فظفر بجماعة منهم وبويع جعفر المقتدر فأقرّ النوشرى على الصلات وقدم زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب امير افريقية مهزوما من ابى عبد الله الشيعى فى رمضان سنة ست وتسعين الى الجيزة فمنعه النوشرى من العبور وكانت بين اصحابه وبين جند مصر منافسة ثم اذن له أن يعبر وحده ومات النوشرى لاربع بقين من شعبان سنة سبع وتسعين وهو وال فكانت ولايته خمس سنين وشهرين ونصفا منها مدّة ابن الخليج سبعة اشهر وعشرون يوما وقام من بعده ابنه ابو الفتح محمد بن عيسى ثم ولى (تكين الخزرى ابو منصور) من قبل المقتدر على الصلات فدعى له بها يوم الجمعة لاحدى عشرة خلت من شوّال وقدم خليفته لسبع بقين منه ثم قدم تكين لليلتين خلتا من ذى الحجة وتقدم اليه بالجدّ فى أمر المغرب والاحتراس منه فبعث جيشا الى برقة عليه ابو اليمن فحاربه حباسة بن يوسف بعساكر المهدى عبيد الله الفاطمى صاحب افريقية واستولى على برقة وسار الى الاسكندرية فى زيادة على مائة ألف فدخلها فى المحرّم سنة اثنتين وثلثمائة فقدمت الجيوش من العراق مددا لتكين فى صفر وقدم الحسين المادرانى واحمد بن كيغلغ فى جمع من القوّاد وبرزت العساكر الى الجيزة فى جمادى الاولى وخرج تكين فكانت واقعة حباسة قتل فيها آلاف من الناس وعاد حباسة الى المغرب وقدم مونس الخادم من بغداد فى جيوشه للنصف من رمضان ومعه جمع من الامراء فنزل الحمراء ولقى الناس منهم شدائد وخرج ابن كيغلغ الى الشام فى رمضان وصرف تكين لاربع عشرة خلت من ذى القعدة صرفه مؤنس فخرج لسبع خلون من

ذى الحجة وأقام مونس يدعى ويخاطب بالاستاذ ثم ولى (ذكا الرومى) ابو الحسن الاعور من قبل المقتدر على الصلات فدخل لثنتى عشرة خلت من صفر سنة ثلاث وثلثمائة وخرج مومى بجميع جيوشه لثمان خلون من ربيع الآخر وخرج ذكا الى الاسكندرية فى المحرم سنة اربع وثلثمائة ثم عاد فى ثامن ربيع الاول وتتبع كل من يومأ اليه بمكاتبة المهدى صاحب افريقية فسجن منهم وقطع ايدى اناس وارجلهم وجلا اهل لوبية ومراقية الى الاسكندرية خوفا من صاحب برقة وسير العساكر الى الاسكندرية ثم فسد ما بينه وبين الرعية بسبب سب الصحابة رضى الله عنهم وسب القرآن وقدمت عساكر المهدى صاحب افريقية الى لوبية ومراقية عليها ابو القاسم فدخل الاسكندرية ثامن صفر سنة سبع وثلثمائة وفر الناس من مصر الى الشام فى البر والبحر فهلك اكثرهم وأخرج ذكا الجند المخالفون له فعسكر بالجيزة وقدم ابو الحسن بن احمد المادرانى والياً على الخراج فوضع العطاء وجد ذكا فى أمر الحرب واحتفر خندقا على عسكره بالجيزة فمرض ومات لاحدى عشرة خلت من ربيع الاول بالجيزة فكانت امرته اربع سنين وشهرا فولى (تكين) مرة ثانية من قبل المقتدر وقدمت جيوش العراق عليها محمود بن حمل وابراهيم بن كيغلغ فى ربيع الاول ودخل تكين لاحدى عشرة خلت من شعبان فنزل الجيزة وحفر خندقا ثانيا وأقبلت مراكب المغرب فظفر بها فى شوال وقدم مونس الخادم من بغداد بعساكره لخمس خلون من المحرم سنة ثمان وثلثمائة فنزل الجيزة وكان فى نحو ثلاثة آلاف وسير ابن كيغلغ الى الاشمونين فمات بالبهنساء اول ذى القعدة وملك اصحاب المهدى الفيوم وجزيرة الاشمونين فقدم جنى الخادم من بغداد فى عسكر آخر ذى الحجة فعسكر بالجيزة فكانت حروب مع اصحاب المهدى بالفيوم والاسكندرية ورجع ابو القاسم بن المهدى الى برقة وصرف تكين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول سنة تسع وثلثمائة فولى مونس (أبا قابوس محمود بن حمل) فأقام ثلاثة ايام وعزله وورد تكين لخمس بقين من ربيع الاول ثم صرفه بعد أربعة ايام وأخرجه الى الشام فى اربعة آلاف من اهل الديوان ثم ولى (هلال ابن بدر) من قبل المقتدر على الصلات فدخل لست خلون من ربيع الآخر وخرج مونس لثمان عشرة خلت منه ومعه ابن حمل فشغب الجند على هلال وخرجوا الى منية الاصبغ ومعهم محمد بن طاهر صاحب الشرط فكثر النهب والقتل والفساد بمصر الى أن صرف عنها فى ربيع الآخر سنة احدى عشره وثلثمائة وخرج فى نفر من اصحابه فولى (احمد بن كيغلغ) من قبل المقتدر على الصلات وقدم ابنه ابو العباس خليفة له اول جمادى الاولى ثم قدم ومعه محمد بن الحسين بن عبد الوهاب المادرانى على الخراج فى رجب فأحضر الجند ووضع العطاء وأسقط كثيرا من الرجالة وكان ذلك بمنية الاصبغ فثار الرجالة به ففر الى فاقوس وأدخل المادرانى الى المدينة لثمان خلون من شوال واقام ابن كيغلغ بفاقوس الى أن صرف بقدوم رسول تكين فى ثالث ذى القعدة فولى (تكين) المرة الثالثة من قبل المقتدر على الصلات وخلفه ابن منجور الى أن قدم يوم عاشوراء سنة اثنتى عشرة وثلثمائة فأسقط كثيرا من الرجالة وكانوا اهل الشر والنهب ونادى ببراءة الذمة ممن أقام منهم بالفسطاط وصلى الجمعة فى دار الامارة بالعسكر وترك حضور الجمعة فى مسجد العسكر والمسجد الجامع العتيق فى سنة سبع عشرة ولم يصل قبله أحد من الامراء فى دار الامارة الجمعة ثم قتل المقتدر فى شوال سنة عشرين وبويع ابو منصور القاهر بالله فأقر تكين حتى مات فى سادس عشر ربيع الاول سنة احدى وعشرين وثلثمائة فحمل الى بيت المقدس وكانت امرته هذه تسع سنين وشهرين وخمسة ايام فقام ابنه محمد بن تكين موضعه وقام ابو بكر محمد بن على المادرانى بأمر البلد كله ونظر فى اعماله فشغب الجند عليه فى طلب أرزاقهم وأحرقوا دوره ودور أهله فخرج ابن تكين الى منية الاصبغ فبعث اليه المادرانى يأمره بالخروج من أرض مصر وعسكر بباب المدينة وأقام هناك بعد ما رحل ابن تكين الى سلخ ربيع الاول فلحق ابن تكين بدمشق ثم أقبل يريد مصر فمنعه المادرانى ثم ولى (محمد بن طغج) بن جف الفرغانى ابو بكر من قبل القاهر بالله على الصلات فورد كتابه لسبع خلون من رمضان سنة احدى وعشرين ودعى له وهو بدمشق مدة اثنين وثلاثين يوما الى أن قدم رسول (احمد بن كيغلغ) بولايته الثانية من قبل القاهر بالله لتسع خلون من شوال واستخلف أبا الفتح بن عيسى النوشرى فشغب الجند فى أرزاقهم على المادرانى صاحب الخراج فاستتر منهم فأحرقوا دوره ودور اهله وكانت فتن قتل فيها جماعة الى أن أتاهم محمد بن تكين من فلسطين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول سنة اثنتين

وعشرين فأنكر المادرانى ولايته وتعصب له طائفة ودعى له بالامارة وخرج قوم الى الصعيد فيهم ابن النوشرى فأمّروه عليهم وهم على الدعاء لابن كيغلغ فنزل منية الاصبغ لثلاث خلون من رجب فلحق به كثير من اصحاب تكين ففرّ ابن تكين ليلا ودخل ابن كيغلغ المدينة لست خلون منه وكان مقام ابن تكين بالفسطاط مائة يوم واثنى عشر يوما وخلع القاهر وبويع ابو العباس الراضى بالله فعاد ابن تكين وأظهر أنّ الراضى ولاه فخرج اليه العسكر وحاربوه فيما بين بلبيس وفاقوس فانهزم وجئ به الى المدينة فحمل الى الصعيد فورد الخبر بأنّ محمد بن طفج سار الى مصر بولاية الراضى له فبعث اليه ابن كيغلغ بجيش ليمنعوه من دخول الفرما فأقبلت مراكب ابن طفج الى تنيس وسارت مقدّمته فى البرّ وكانت بينهما حروب فى تاسع عشر شعبان سنة ثلاث وعشرين كانت لاصحاب ابن طفج وأقبلت مراكبه الى الفسطاط سلخ شعبان واقبل فعسكر ابن كيغلغ للنصف من رمضان ولاقاه لسبع بقين منه فسلم ابن كيغلغ الى محمد بن طفج من غير قتال وولى (محمد بن طفج) الثانية من قبل الراضى على الصلات والخراج فدخل لست بقين من رمضان وقدم ابو الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن فرات بالخلع لمحمد بن طفج وكانت حروب مع اصحاب ابن كيغلغ انهزموا منها الى برقة وساروا الى القائم بأمر الله محمد بن المهدى بالمغرب فحرّضوه على أخذ مصر فجهز جيشا سار الى مصر فبعث ابن طفج عسكره الى الاسكندرية والصعيد ثم ورد الكتاب من بغداد بالزيادة فى اسم الامير محمد بن طفج فلقب الاخشيد ودعى له بذلك على المنبر فى رمضان سنة سبع وعشرين وسار محمد بن رائق الى الشامات ثم سار فى المحرم سنة ثمان وعشرين واستخلف أخاه الحسن بن طفج فنزل الفرما وابن رائق بالرملة فسفر بينهما الحسن بن طاهر بن يحيى العلوى فى الصلح حتى تم وعاد الى الفسطاط مستهل جمادى الاولى ثم أقبل ابن رائق من دمشق فى شعبان فسير اليه الاخشيد الجيوش ثم خرج لست عشرة خلت من شعبان والتقيا للنصف من رمضان بالعريش فكانت بينهما وقعة عظيمة انكسرت فيها ميسرة الاخشيد ثم حمل بنفسه فهزم أصحاب ابن رائق وأسر كثيرا منهم وأثخنهم قتلا وأسرا ومضى ابن رائق فقتل الحسين بن طفج باللجون ودخل الاخشيد الرملة بخمسمائة اسير فتداعى ابن طفج وابن رائق الى الصلح فمضى ابن رائق الى دمشق على صلح وقدم الاخشيد محمد بن طفج الى مصر لثلاث خلون من المحرم سنة تسع وعشرين ومات الراضى بالله وبويع المتقى لله ابراهيم فى شعبان فأقرّ الاخشيد وقتل محمد بن رائق بالموصل قتله بنو حمدان فى شعبان سنة ثلاثين وثلثمائة فبعث الاخشيد بجيوشه الى الشام ثم سار لست خلون من شوّال واستخلف أخاه أبا المظفر الحسن بن طفج ودخل دمشق ثم عاد لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين فنزل البستان الذى يعرف اليوم بالكافورى من القاهرة ثم دخل داره وأخذ البيعة لابنه ابى القاسم اونوجور على جميع القوّاد آخر ذى القعدة وسار المتقى لله الى بلاد الشام ومعه بنو حمدان فسار الاخشيد لثمان خلون من رجب سنة اثنتين وثلاثين واستخلف أخاه الحسن فلقى المتقى ثم رجع فنزل البستان لاربع خلون من جمادى الاولى سنة ثلاث وثلاثين وخلع المتقى وبويع عبد الله المستكفى لسبع خلون من جمادى الآخرة فأقرّ الاخشيد وبعث الاخشيد بجانك وكافور فى الجيوش الى الشام ثم خرج لخمس خلون من شعبان سنة ست وثلاثين واستخلف اخاه الحسن فلقى علىّ بن عبد الله بن حمدان بأرض قنسرين وحاربه ومضى فأخذ منه حلب وخلع المستكفى ودعى للمطيع لله الفضل بن جعفر فى شوّال سنة اربع وثلاثين فاقرّ الاخشيد الى أن مات بدمشق يوم الجمعة لثمان بقين من ذى الحجة فولى بعده ابنه (اونوجور) ابو القاسم باستخلافه اياه وقبض على ابى بكر محمد بن علىّ بن مقاتل فى ثالث المحرم سنة خمس وثلاثين وجعل مكانه على الخراج محمد بن علىّ المادرانى وقدم العسكر من الشام اوّل صفر فلم يزل اونوجور واليا الى أن مات لسبع خلون من ذى القعدة سنة سبع واربعين وثلثمائة وحمل الى القدس فدفن عند أبيه وكان كافور متحكما فى أيامه ويطلق له فى السنة اربعمائة الف دينار فلما مات قوى كافور وكانت ولايته أربع عشرة سنة وعشرة اشهر فأقام كافور أخاه (علىّ بن الاخشيد) أبا الحسن لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة فاقرّه المطيع لله على الحرب والخراج بمصر والشام والحرمين وصار خليفته على ذلك كافور غلام أبيه وأطلق له ما كان يطلق لاخيه فى كل سنة وفى سنة احدى وخمسين ترفع السعر واضطربت الاسكندرية والبحيرة بسبب المغاربة الواردين اليها وتزايد الغلاء وعز وجود القمح وقدم القرمطى الى الشام فى سنة ثلاث وخمسين وقلّ ماء النيل ونهبت ضياع مصر وتزايد الغلاء وسار

ملك النوبة الى اسوان ووصل الى اخميم فقتل ونهب وأحرق واشتد اضطراب الاعمال وفسد مابين كافور وبين علي بن الاخشيد فمنع كافور من الاجتماع به واعتل علي بعد ذلك علة أخيه ومات لاحدى عشرة خلت من المحرم سنة خمس وخمسين وثلثمائة فحمل الى القدس وبقيت مصر بغير أمير أياما ولم يدع بها الا للمطيع لله وحده وكافور يدبر أمورها ومعه ابو الفضل جعفر بن الفرات ثم ولي (كافور) الخصي الاسود مولى الاخشيد من قبل المطيع على الحرب والخراج وجميع امور مصر والشام والحرمين فلم يغير لقبه وانما كان يدعى ويخاطب بالاستاذ وأخرج كتاب المطيع بولايته لاربع بقين من المحرم سنة خمس وخمسين فلم يزل الى أن توفي لعشر بقين من جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلثمائة فولي (احمد بن علي الاخشيد ابو الفوارس) وسنه احدى عشرة سنة في يوم وفاة كافور وجعل الحسين بن عبيد الله بن طغج يخلفه وأبو الفضل جعفر بن الفرات يدبر الامور وسمول الاخشيدي العساكر الى أن قدم جوهر القائد من المغرب بجيوش المعز لدين الله في سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ففر الحسين بن عبيد الله وتسلم جوهر البلاد كما سيأتي ان شاء الله تعالى فكانت مدة الدعاء لبني العباس بمصر منذ ابتدئت دولتهم الى أن قدم القائد جوهر الى مصر مائتي سنة وخمسا وعشرين سنة ومدة الدولة الاخشيدية بها اربعا وثلاثين سنة وعشرة اشهر وأربعة وعشرين يوما ومنذ افتتحت مصر الى أن انتقل كرسي الامارة منها الى القاهرة ثلثمائة سنة وسبع وثلاثون سنة وأشهر والله تعالى أعلم

❋ (ذكر ما كانت عليه مدينة الفسطاط من كثرة العمارة) ❋

قال ابن يونس عن الليث بن سعد ان حكيم بن ابي راشد حدثه عن ابي سلمة بن عبد الرحمن أنه وقف على جزار فسأله عن السعر فقال بأربعة أفلس الرطل فقال له ابو سلمة هل لك أن تعطينا بهذا السعر ما بدا لنا وبدا لك قال نعم فأخذ منه ابو سلمة ومر في القصبة حتى اذا أراد أن يوفيه قال بعثني بدينار ثم قال اصرفه فلوسا ثم وفه وقال الشريف ابو عبد الله محمد بن أسعد الجواني النسابة في كتاب النقط على الخطط سمعت الامير تأييد الدولة تميم بن محمد المعروف بالضمضام يقول في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وحدثني القاضي ابو الحسين علي بن الحسين الخلعي عن القاضي أبي عبد الله القضاعي قال كان في مصر الفسطاط من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد وثمانية آلاف شارع مسلوك وألف ومائة وسبعون حماما وان حمام جنادة في القرافة ما كان يتوصل اليها الا بعد عناء من الزحام وان قبالتها في كل يوم جمعة خمسمائة درهم ❋ وقال القاضي ابو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي في كتاب الخطط انه طلب لقطر الندى ابنة خمارويه بن احمد بن طولون الف تكة بعشرة آلاف دينار من أثمان كل تكة بعشرة دنانير فوجدت في السوق في ايسر وقت وبأهون سعي وذكر عن القاضي ابي عبيد أنه لما صرف عن قضاء مصر كان في المودع مائة ألف دينار وان فائقا مولى احمد بن طولون اشترى دارا بعشرين ألف دينار وسلم الثمن الى البائعين وأجلهم شهرين فلما انقضى الاجل سمع فائق صياحا عظيما وبكاء فسأل عن ذلك فقيل هم الذين باعوا الدار فدعاهم وسألهم عن ذلك فقالوا انما نبكي على جوارك فأطرق وأمر بالكتب فردت عليهم ووهب لهم الثمن وركب الى احمد بن طولون فأخبره فاستصوب رأيه واستحسن فعله ويقال انه كان لفائق ثلثمائة فرشة كل فرشة لحظية مثمنة وان دار الحرم بناها خمارويه لحرمه وكان ابوه اشتراها له فقام عليه الثمن وأجرة الصناع والبناء بسبعمائة الف دينار وان عبد الله بن احمد بن طباطبا الحسيني دخل الجامع فلم يجد مكانا في الصف الاول فوقف في الصف الثاني فالتفت ابو حفص بن الجلاب فلما رآه تأخر وتقدم الشريف مكانه فكافأه على ذلك بنعمة حملها اليه ودار ابتاعها له ونقل اهله اليها بعد أن كساهم وحلاهم وذكر غير القضاعي أنه دفع اليه خمسمائة دينار قال ويقال انه اهدى الى ابي جعفر الطحاوي كتبا قيمتها ألف دينار وان رشيقا الاخشيدي استحجبه ابو بكر محمد بن علي المادراني فلما مضت عليه سنة رفع فيه أنه كسب عشرة آلاف دينار فخاطبه في ذلك فحلف بالايمان الغلاظ على بطلان ذلك فأقسم ابو بكر المادراني بمثل ما أقسم به لئن خرجت سنتنا هذه ولم تكسب هذه الجملة لاصحبتني ولم يزل في صحبته الى أن صودر ابو بكر فأخذ منه ومن رشيق مال جزيل وذكر أن الحسن بن ابي المهاجر موسى بن اسمعيل بن عبد الحميد بن بحر بن سعد كان

على

على البريد فى زمن احمد بن طولون وقتله خمارويه وسبب ذلك ما كان فى نفس علىّ بن احمد المادرانىّ منه فأغرى خمارويه به وقال قد بقى لابيك مال غير الذى ذكره فى وصيته ولم يقف عليه غير ابن مهاجر فطالبه فلم يزل خمارويه بابن مهاجر الى أن وصف له موضع المال من دار خمارويه فأخرج فكان مبلغه ألف ألف دينار فسلمه الى احمد المادرانىّ فحمله الى داره وأقبلت توقيعات خمارويه ترد اليه بالصلات والنفقات فيخرجها من فضول اموال الضياع والمرافق وحصلت له تلك الاموال ولم يضع يده عليها الى أن قتل وصودر أبو بكر محمد بن علىّ فى ايام الاخشيد وقبضت ضياعه فعاد الى تلك الالف الف دينار مع ماسواها من ذخائره وأعراضه وعقده فما ظنك برجل ذخيرته ألف ألف دينار سوى ماذكر عن ابى بكر محمد بن علىّ المادرانىّ أنه قال بعث الىّ ابو الجيش خمارويه أن اشترى له اردية وأقنعة للجوارى وعمل دعوة خلا فيها بنفسه وبهم وغدوت متعرفا لخبره فقيل لى انه طرب لما هو فيه فنثر دنانير على الجوارى والغلمان وتقدم اليهم أن ماسقط من ذلك فى البركة فهو لمحمد بن علىّ كاتبى فلما حضرت وبلغنى ذلك أمرت الغلمان فنزلوا فى البركة فأصعدوا الىّ منها سبعين الف دينار فما ظنك بمال نثر على اناس فتطاير منه الى بركة ماء هذا المبلغ وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب فى حلى المغرب وفى الفسطاط دار تعرف بعبد العزيز يصب فيها لمن بها فى كل يوم اربعمائة راوية ماء وحسبك من دار واحدة يحتاج اهلها فى كل يوم الى هذا القدر من الماء * وقال ابن المتوج فى كتاب ايقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل عن ساحل مصر ورأيت من نقل عمن رأى الاسطال التى كانت بالطاقات المطلة على النيل وكان عددها ستة عشر ألف سطل مؤبدة ببكر وأطناب بها ترخى وتملأ اخبرنى بذلك من أثق بنقله قال وكان بالفسطاط فى جهته الشرقية حمام من بناء الروم عامرة زمن احمد بن طولون قال الراوى دخلتها فى زمن خمارويه بن احمد بن طولون وطلبت بها صانعا يخدمنى فلم اجد فيها صانعا متفرغا لخدمتى وقيل لى ان كل صانع معه اثنان يخدمهم وثلاثة فسألت كم فيها من صانع فأخبرت أن بها سبعين صانعا قلّ من معه دون ثلاثة سوى من قضى حاجته وخرج قال فخرجت ولم ادخلها لعدم من يخدمنى بها ثم طفت غيرها فلم اقدر على من اجده فارغا الا بعد أربع حمامات وكان الذى خدمنى فيها نائبا فانظر رحمك الله ما اشتمل عليه هذا الخبر مع ماذكره القضاعىّ من عدد الحمامات وانها ألف ومائة وسبعون حماما تعرف من ذلك كثرة ما كان بمصر من الناس هذا والسعر راخ والقمح كل خمسة ارادب بدينار وبيعت عشرة ارادب بدينار فى زمن احمد بن طولون قال ابن المتوج خطة مسجد عبد الله ادركت بها آثار دار عظيمة قيل انها كانت دار كافور الاخشيدى ويقال ان هذه الخطة تعرف بسوق العسكر وكان به مسجد الزكاة وقيل انه كان منه قصبة سوق متصلة الى جامع احمد بن طولون وأخبرنى بعض المشايخ العدول عن والده وكان من اكابر الصلحاء انه قال عددت من مسجد عبد الله الى جامع ابن طولون ثلثمائة وتسعين قدرحمص مصلوق بقصبة هذا السوق بالارض سوى المقاعد والحوانيت التى بها الحمص فتأمل اعزك الله ما فى هذا الخبر مما يدل على عظمة مصر فان هذا السوق كان خارج مدينة الفسطاط وموضعه اليوم الفضاء الذى بين كوم الجارح وبين جامع ابن طولون ومن المعروف أن الاسواق التى تكون بداخل المدينة اعظم من الاسواق التى هى خارجها ومع ذلك ففى هذا السوق من صنف واحد من المآكل هذا القدر فكم ترى تكون جملة ما فيه من سائر اصناف المآكل وقد كان اذ ذاك بمصر عشرة اسواق كلها او اكثرها اجل من هذا السوق قال ودرب السفافير بنى فيه زقاق بنى الرصاص كان به جماعة اذا عقد عندهم عقد لا يحتاجون الى غريب وكانوا هم وأولادهم نحوا من اربعين نفسا * وقال ابن زولاق فى كتاب سيرة المادرانيين ولما قدم الاستاذ مونس الخادم من بغداد الى مصر استدعى ابو علىّ الحسين بن احمد المادرانىّ المعروف بابى زنبور الدقاق وهو الذى نسميه اليوم الطحان وقال ان الاستاذ مونسا قد وافى ولى بمشتول قدر ستين الف اردب قمحا فاذا وافى فقم له بالوظيفة فكان يقوم له بما يحتاج اليه من دقيق حوارى مدة شهر فلما كمل الشهر قال كاتب مونس للدقاق كم لك حتى ندفعه اليك فأعلمه الخبر فقال ما احسب الاستاذ يرضى أن يكون فى ضيافة ابى علىّ وأعلم مونسا بذلك فقال انا آكل خبز حسين لا يبرح الرجل حتى يقبض ماله فمضى الدقاق ثم اباز نبور فقام من فوره الى مونس فأكب على رجليه فاحتشم منه وقال والله لا اجيبك الا هذا الشهر الذى مضى ولا تعاود ثم رجع فقال للدقاق قم له بالوظيفة فى المستقبل واعمل ما يريده قال فجئته وقد فرغ القمح ومعى الحساب وأربعمائة دينار قال ايش هذا فقلت بقية ذلك القمح

فقال اعفني منه وتركه فتأمّل ما اشتمل عليه هذا الخبر من سعة حال كاتب من كتّاب مصر كيف كان له في قرية واحدة هذا القدر من صنف القمح وكيف صار مما يفضل عنه حتى يجعله ضيافة وكيف لم يعبأ بأربعمائة دينار حتى وهبها الدقاق قمح وماذا الا من كثرة المعاش وقس عليه باقي الاحوال وقال عن ابي بكر محمد بن علي المادراني انه حج اثنتين وعشرين حجة متوالية انفق في كل حجة مائة الف دينار وخمسين الف دينار وانه كان يخرج معه بتسعين ناقة لقبته التي يركبها وأربعمائة لجهازه وميرته ومعه المحامل فيها احواض البقل واحواض الرياحين وكلاب الصيد وينفق على الاشراف وأولاد الصحابة ولهم عنده ديوان بأسمائهم وانه أنفق في خمس حجات أخر ألفي ألف دينار ومائتي الف دينار وكانت جاريته تواصل معه الحج ومعها لنفسها ثلاثون ناقة لقبتها ومائة وخمسون عربيا لجهازها وأحصي ما يعطيه كل شهر لحاشيته وأهل الستر وذوي الاقدار جراية من الدقيق الحواري فكان بضعا وثمانين ألف رطل وكان سنة القرمطي بمكة فمن جملة ما ذهب له بها مائتا قميص ديبقي ثمن كل ثوب منها خمسون دينارا وقال مرة وهو في عطلته أخذ مني محمد بن طغج الاخشيد عينا وعرضا يبلغ نيفا وثمانين ويبة دنانير فاستعظم من حضر ذلك فقال ابنه الذي أخذ اكثر وانا اوقفه عليه ثم قال لابيه يامولاي أليس نكبت ثلاث مرات قال بلى قال أليس أخذت ضياعك بالشام قال نعم قال فكم ثمنها قال ألف ألف دينار قال وضياعك بمصر قال قريب منها قال وعرض وعين قال كذلك فأمر بعض الحساب بضبط ذلك فجاء ما ينيف عن ثلاثين اردبا من ذهب فانظر ما تضمنته أخبار المادراني وقس عليها بقية احوال مصر فما كان سوى كاتب الخراج وهذه امواله كما قد رأيت وقال الشريف الجواني ان أبا عبدالله محمد بن مفسر قاضي مصر سمع بأن المادراني عمل في ايامه الكعك المحشو بالسكر والقرص الصغار المسمى افطن له فأمرهم بعمل الفستق الملبس بالسكر الابيض الفانيد المطيب بالمسك وعمل منه في اول الحال اشياء عوض لبه لب ذهب في صحن واحد فمضى عليه جملة وخطف قدامه تخاطفه الحاضرون ولم يعد لعمله بل الفستق الملبس وكان قد سمع في سيرة المادرانيين انه عمل له هذا الافطن له وفي كل واحدة خمسة دنانير ووقف استاذ على السماط فقال لاحد الجلساء افطن له وكان عمل على السماط عدة صحون من ذلك الجنس لكن ما فيه الدنانير صحن واحد فلما رمز الاستاذ لذلك الرجل بقوله افطن له واشار الى الصحن تناول ذلك الرجل منه فأصاب الذهب واعتمد عليه فحصل له جملة وراء الناس وهو اذا اكل يخرج من فمه ويجمع بيده ويحط في حجره فتنبهوا له وتزاحموا عليه فقيل لذلك من يومئذ افطن له * وقال ابو سعيد عبدالرحمن بن احمد بن يونس في تاريخ مصر حدثني بعض اصحابنا بتفسير رؤيا رآها غلام ابن عقيل الخشاب عجيبة فكانت حقا كما فسرت فسألت غلام ابن عقيل عنها فقال لي انا اخبرك كان ابي في سوق الخشابين فأنفق بضاعته ورثت حاله ومات فأسلمتني امي الى ابن عقيل وكان صديقا لابي فكنت اخدمه وأفتح حانوته واكنسها ثم افرش له ما يجلس عليه فكان يجري علي رزقا اتقوت به فأتى يوما في الحانوت وقد جلس استاذي ابن عقيل فجاء ابن العسال مع رجل من أهل الريف يطلب عود خشب لطاحونة فاشترى من ابن عقيل عود طاحونة بخمسة دنانير فسمعت قوما من اهل السوق يقولون هذا ابن العسال المفسر للرؤيا عند ابن عقيل فجاء منهم قوم وقصوا عليه منامات رأوها ففسرها لهم فذكرت رؤيا رأيتها في ليلتي فقلت له اني رأيت البارحة في نومي كذا وكذا فقصصت عليه الرؤيا فقال لي اي وقت رأيتها من الليل فقلت انتبهت بعد رؤياي في وقت كذا فقال لي هذه رؤيا لست افسرها الا بدنانير كثيرة فألحت عليه فقال استاذي ابن عقيل فرج عنه هذا غلام صغير فقير لا يملك شيأ فقال لست آخذ الاعشرين دينارا فقال له ابن عقيل ان قربت علينا وزنت انا لك ذلك من عندي فلم يزل به ينزله حتى قال والله لا آخذ أقل من ثمن العود الخشب خمسة دنانير فقال له ابن عقيل ان صحت الرؤيا دفعت اليك العود بلا ثمن فقال له يا خذ مثل هذا اليوم الف دينار قال استاذي فاذا لم يصح هذا فقال يكون العود عندك الى مثل هذا اليوم فان كان لم يصح أخذ ما قلت له في ذلك اليوم فليس لي عندك شئ ولا افسر رؤيا ابدا فقال له استاذي قد أنصفت ومضت الجمعة فلما كان مثل ذلك اليوم غدوت مثل ما كنت اغدو الى دكان استاذي ففتحتها ورششتها واستلقيت على ظهري افكر فيما قال لي ومن اين يمكن أن يصير الي ألف دينار فقلت لعل سقف المكان ينفرج فيسقط منه هذا المال وجعلت اجيل فكري واني كذلك الى ضحى اذ وقف علي جماعة من اعوان الخراج معهم ناس فقالوا اهذه دكان ابن عقيل ثم قالوا الي قم فقلت لهم لست

ابن

ابن عقيل انا غلامه فقالوا بل انت ابنه وجبذونى فأخرجونى من الدكان فقلت الى اين فقالوا الى ديوان الاستاذ أبى على الحسين بن احمد يعنون ابا زنبور فقلت وما يصنع بى فقالوا اذا جئت سمعت كلامه وما يريده منك وكنت بعقب علة ضعيف البدن فقلت ما اقدر أمشى فقالوا اكتر حمارا تركبه ولم يكن معى ما اكترى به حمارا فنزعت تكة سراويلى من وسطى ودفعتها على درهم بن لمن اكرانى الحمار ومضيت معهم فجاؤا بى الى دار أبى زنبور فلما دخلت قال لى انت ابن عقيل فقلت لا يا سيدى أنا غلام فى حانوته قال أفليس تبصر قيمة الخشب قلت بلى قال فاذهب مع هؤلاء فقوم لنا هذا الخشب فانظر بحيث لا يزيد ولا ينقص فمضيت معهم فجاؤا بى الى شط البحر الى خشب كثير من اثل وسنط وجاف وغير ذلك مما يصلح لبناء المراكب فقومته تقويم جزع حتى بلغت قيمته ألفى دينار فقالوا لى انظر هذا الموضع الآخر فيه من الخشب ايضا فنظرت فاذا هوا كثر مما قومت بنحو مرتين فأعجلونى ولم اضبط قيمة الخشب فردونى الى ابى زنبور فقال لى قومت الخشب كما أمرتك ففزعت فقلت نعم فقال هات كم قومته فقلت ألفا دينار فقال انظر لا تغلط فقلت هو قيمته عندى فقال لى نخذه انت بألفى دينار فقلت انا فقير لا املك دينارا واحدا فكيف لى بقيمته قال ألست تحسن تدبيره وتبيعه فقلت بلى قال فدبره وبعه ونحن نصبر عليك بالثمن الى أن تبيع شيأ شيأ وتؤدى ثمنه فقلت أفعل فأمر بكتاب يكتب علىّ فى الديوان بالمال فكتب علىّ ورجعت الى الشط اعرف عدد الخشب وأوصى به الحراس فوافيت جماعة اهل سوقنا وشيوخهم قد أتوا الى موضع الخشب فقالوا لى ايش صنعت قومت الخشب قلت نعم قالوا بكم قومته فقلت بألفى دينار فقالوا لى وأنت تحسن تقوم لا يساوى هذا هذه القيمة فقلت لهم قد كتب علىّ كتاب فى الديوان وهو عندى يساوى أضعاف هذا فقالوا لى اسكت لا يسمعك احد وكانوا قد قوموه قبلى لابى زنبور بألف دينار فقال بعضهم لبعض أعطوا هذا ربحه وتسلموه أنتم فقال قائل أعطوه ربحه خمسمائة دينار فقلت لا والله لا آخذ فقالوا قد رأى رؤيا فزيدوه فقلت لا والله لا آخذ أقل من ألف دينار قالوا فلك ألف دينار نحول اسمك من الديوان نعطك اذا بعنا ألف دينار فقلت لا والله لا افعل حتى آخذ الالف دينار فى وقتى هذا فمضوا الى حوانيتهم والى منازلهم حتى جاؤنى بألف دينار فقلت لا آخذها الا بنقد الصيرفى وميزانه فمضيت معهم الى صيرفى الناحية حتى وزنوا عنده الالف دينار ونقدتها وأخذتها فشددتها فى طرف رداءى ومضيت معهم الى الديوان وحولت اسماءهم مكان اسمى ووفوا حق الديوان من عندهم ورجعت وقت الظهر الى استاذى فقال لى قبضت ألف دينار منهم فقلت نعم ببركتك وتركت الدنانير بين يديه وقلت له يا استاذ خذ ثمن العود الخشب فقال لا والله لا آخذ منك شيأ أنت عندى مقام ابنى وجاء فى الوقت ابن العسال فدفع اليه استاذى العود الخشب فمضى فهذا خبر رؤياى وتفسيرها فتأمل اعزك الله ما يشتمل عليه من عظم ما كانت عليه مصر وسعة حال الديوان وكيف فضل فيه خشب يساوى الافا من الذهب ونحن اليوم فى زمن اذا احتيج فيه الى عمارة شئ من الاماكن السلطانية بخشب اوغيره أخذ من الناس اما بغير ثمن اوبأخس القيم مع ما يصيب مالكه من الخوف والخسارة للاعوان وكيف لما قوم هذا الخشب لم يكلف المشترى دفع المال فى الحال وفى زمننا اذا طرحت البضاعة السلطانية على الباعة يكلفون حمل ثمنها بالسرعة حتى ان فيهم من يبيعها بأقل من نصف ما اشتراها به ويكمل الثمن اما من ماله أو يقترضه بربح وكيف لما علم اهل السوق أن الخشب بيع بدون القيمة لم يمضوا الى الديوان ويدفعون فيه زيادة اما لقلة شره الناس اذ ذاك وتركهم الاخلاق الرذيلة من الحسد ونحوه اولعلمهم بعدل السلطان وانه لا ينكث ما عقده وفى زمننا لو ادعى عدو على عدوه أن البضاعة التى كان اشتراها من الديوان قيمتها اكثر مما اخذها به لقبل قوله وغرم زيادة على ما ادعاه عدوه من قلة القيمة جملة اخرى لاجرم أنه تظاهر سفهاء الناس بكل رذيلة وذميمة من الاخلاق فان الملك سوق يجبى اليه ما نفق به وكيف لما علم ابن عقيل أن غلامه استفاد على اسمه ألف دينار لم يشره الى أخذها بل دفع عنه خمسة الدنانير وما ذاك الا من انتشار الخير فى الناس وكثرة اموالهم وسعة حال كل أحد بحسبه وطيب نفوس الكافة ولعمرى لو سمع فى زمننا أحد من الامراء والوزراء فضلا عن الباعة أن غلاما من غلمانه أخذ على اسمه عشر هذا المبلغ لقامت قيامته وكيف اتسعت احوال الخشابين حتى وزنوا ألف دينار فى ساعة وانه ليعسر اليوم على الخشابين أن يزنوا فى يوم مائة دينار وهذا كله من وفور غنى الناس بمصر وعظم امرهم وكثرة سعاداتهم وكان

الفسطاط نحو ثلث بغداد ومقداره فرسخ على غاية العمارة والخصب والطيبة واللذة وكانت مساكن اهلها خمس طبقات وستا وسبعا وربما سكن فى الدار الواحدة المائتان من الناس وكان فيه دار عبد العزيز بن مروان يصب فيها لمن فيها فى كل يوم أربعمائة راوية ماء وكان فيها خمسة مساجد وحمامان وعدة افران يخبز بها عجين اهلها وقد قال ابوداود فى كتاب السنن شبرت قثاءة بمصر ثلاثة عشر شبرا ورأيت اترجة على بعير قطعتين قطعت وصيرت على مثل عدلين ذكره فى باب صدقة الزرع من كتاب الزكاة قلت وقد ذكر أن هذا كان فى جنان بنى سنان البصرى خارج مدينة الفسطاط وكانت بحيث لم ير أبدع منها فلما قدم امير المؤمنين عبد الله المأمون بن هارون الرشيد مصر سنة سبع عشرة ومائتين رأى جنان بنى سنان هذه فاعجب بها وسأل ابراهيم بن سنان كم عليه من الخراج لجنانه فذكر أنه يحمل الى الديوان فى كل سنة عشرين ألف دينار فقال المأمون وكم ترد عليك هذه الجنان قال لا استطيع حصره الا أن ما زاد على مائة الف دينار أتصدق به ولو درهما هذا وله ولد اسمه احمد بن ابراهيم بن سنان يوصف بعلم وزهد والله تعالى اعلم

(ذكر الآثار الواردة فى خراب مصر)

روى قاسم بن اصبغ عن كعب الاحبار قال الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب ارمينية ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الجزيرة والكوفة آمنة من الخراب حتى تكون الملحمة ولا يخرج الدجال حتى تفتح القسطنطينية * وعن وهب بن منبه انه قال الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب ارمينية وأرمينية آمنة من الخراب حتى تخرب مصر ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الكوفة ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فاذا كانت الملحمة الكبرى فتحت القسطنطينية على يدى رجل من بنى هاشم وخراب الاندلس من قبل الزنج وخراب افريقية من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من قبل الجوع والسيف وخراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يحفرهم حتى لا يستطيعوا أن يشربوا من الفرات قطرة وخراب البصرة من قبل العراق وخراب الابلة من قبل عدو يحفرهم مرة برا ومرة بحرا وخراب الرى من قبل الديلم وخراب خراسان من قبل التبت وخراب التبت من قبل الصين وخراب الصين من قبل الهند وخراب اليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من قبل الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع وفى رواية وخراب ارمينية من قبل الرجف والصواعق وخراب الاندلس وخراب الجزيرة من سنابك الخيل واختلاف الجيوش * وعن عبد الله بن الصامت قال ان اسرع الارضين خرابا البصرة ومصر فقيل له وما يخربهما وفيهما اعيون الرجال والاموال فقال يخربهما القتل الاحمر والجوع الاغبر كأنى بالبصرة كأنها نعامة جاثمة وأما مصر فان نيلها ينضب اوقال ييبس فيكون ذلك خرابها وعن الاوزاعى اذا دخل اصحاب الرايات الصفر مصر فليحفر أهل الشام أسرابا تحت الارض * وعن كعب علامة خروج المهدى الوية تقبل من قبل المغرب عليها رجل من كندة اعرج فاذا ظهر أهل المغرب على مصر فبطن الارض يومئذ خير لاهل الشام * وعن سفيان الثورى قال يخرج عنق من البربر فويل لاهل مصر وقال ابن لهيعة عن ابى الاسود عن مولى لشرحبيل بن حسنة اولعمرو بن العاص قال سمعته يوما واستقبلنا فقال ايها لك مصر اذا رميت بالقسى الاربع قوس الاندلس وقوس الحبشة وقوس الترك وقوس الروم * وعن قاسم بن اصبغ حدثنا احمد بن زهير ثنا هرون بن معروف ثنا ضمرة عن الشيبانى قال تهلك مصر غرقا اوحرقا * وعن عبد الله بن مغفل أنه قال لابنته اذا بلغك أن الاسكندرية قد فتحت فان كان خمارك بالمغرب فلا تأخذيه حتى تلحقى بالمشرق * وذكر مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس يرفعه قال أنزل الله تعالى من الجنة الى الارض خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحى جبريل عليه السلام واستودعها الجبال وأجراها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فى أصناف معايشهم وذلك قوله عز وجل وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام فرفع من الارض القرآن كله والعلم كله والحجر من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به

لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقدت اهلها خير الدنيا والدين وقال ابن لهيعة عن عقبة بن عامر الحضرمى عن حيان بن الاعين عن عبد الله بن عمرو قال ان اول مصر خرابا اطابلس وقال الليث بن سعد عن يزيد بن ابى حبيب عن سالم بن أبى سالم عن عبد الله بن عمرو قال انى لاعلم السنة التى تخرجون فيها من مصر قال فقلت له ما يخرجنا منها يا أبا محمد أعدو قال لا ولكن يخرجكم منها نيلكم هذا يغور فلا تبقى منه قطرة حتى تكون فيه الكثبان من الرمل وتأكل سباع الارض حيتانه

(ذكر خراب الفسطاط)

وكان لخراب مدينة فسطاط مصر سببان أحدهما الشدة العظمى التى كانت فى خلافة المستنصر بالله الفاطمى والثانى حريق مصر فى وزارة شاور بن مجير السعدى *(فاما الشدة العظمى)* فان سببها أن السعر ارتفع بمصر فى سنة ست وأربعين واربعمائة وتبع الغلاء وباء فبعث الخليفة المستنصر بالله ابو تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله أبى الحسن على الى متملك الروم بقسطنطينية أن يحمل الغلال الى مصر فأطلق اربعمائة الف اردب وعزم على حملها الى مصر فأدركه أجله ومات قبل ذلك فقام فى الملك بعده امرأة وكتبت الى المستنصر تسأله أن يكون عونا لها ويمدها بعساكر مصر اذا ثار عليها أحد فأبى أن يسعفها فى طلبتها فحردت لذلك وعاقت الغلال عن المسير الى مصر فحنق المستنصر وجهز العساكر وعليها مكين الدولة الحسن بن ملهم وسارت الى اللاذقية فحاربتها بسبب نقض الهدنة وامساك الغلال عن الوصول الى مصر وامدها بالعساكر الكثيرة ونودى فى بلاد الشام بالغزو فنزل ابن ملهم قريبا من فامية وضايق اهلها وجال فى أعمال انطاكية فسبى ونهب فأخرج صاحب قسطنطينية ثمانين قطعة فى البحر فحاربها ابن ملهم عدة مرار وكانت عليه واسر هو وجماعة كثيرة فى شهر ربيع الاول منها فبعث المستنصر فى سنة سبع وأربعين ابا عبد الله القضاعى برسالة الى القسطنطينية فوافى اليها رسول طغريل السلجوقى من العراق بكتابة يأمر متملك الروم بأن يمكن الرسول من الصلاة فى جامع القسطنطينية فأذن له فى ذلك فدخل اليه وصلى فيه صلاة الجمعة وخطب للخليفة القائم بأمر الله العباسى فبعث القاضى القضاعى الى المستنصر يخبره بذلك فأرسل الى كنيسة قمامة بيت المقدس وقبض على جميع مافيها وكان شيأ كثيرا من اموال النصارى ففسد من حينئذ ما بين الروم والمصريين حتى استولوا على بلاد الساحل كلها وحاصروا القاهرة كما يرد فى موضعه ان شاء الله تعالى واشتد فى هذه السنة الغلاء وكثر الوباء بمصر والقاهرة وأعمالها الى سنة اربع وخمسين وأربعمائة فحدث مع ذلك الفتنة العظيمة التى خرب بسببها اقليم مصر كله وذلك أن المستنصر لما خرج على عادته فى كل سنة على النجب مع النساء والحشم الى ارض الجب خارج القاهرة جرد بعض الاتراك سيفا وهو سكران على احد عبيد الشراء فاجتمع عليه كثير من العبيد وقتلوه فحنق لقتله الاتراك وساروا بجميعهم الى المستنصر وقالوا ان كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة وان كان من غير رضى أمير المؤمنين فلا نرضى بذلك فتبرأ المستنصر مما جرى وأنكره فتجمع الاتراك لمحاربة العبيد وكانت بينهما حروب شديدة بناحية كوم شريك قتل فيها عدة من العبيد وانهزم من بقى منهم فشق ذلك على ام المستنصر فانها كانت السبب فى كثرة العبيد السود بمصر وذلك انها كانت جارية سوداء فأحبت الاستكثار من جنسها واشترتهم من كل مكان وعرفت رغبتها فى هذا الجنس فجلبت الناس الى مصر منهم حتى يقال انه صار فى مصر اذ ذاك زيادة على خمسين الف عبد أسود فلما كانت وقعة كوم شريك امدت العبيد بالاموال والسلاح سرا وكانت ام المستنصر قد تحكمت فى الدولة وحقدت على الاتراك وحثت على قتلهم مولاها ابا سعد التسترى فقويت العبيد لذلك حتى صار الواحد منهم يحكم بما يختار فكرهت الاتراك ذلك وكان ماذكر فظفر بعض الاتراك يوما بشئ من المال والسلاح قد بعثت به ام المستنصر الى العبيد تمدهم به بعد انهزامهم من كوم شريك فاجتمعوا بأسرهم ودخلوا على المستنصر واغلظوا فى القول فحلف انه لم يكن عنده علم بما ذكروصار الى امه فانكرت مافعلت وخرج الاتراك فصار السيف قائما ووقعت الفتنة ثانيا فانتدب المستنصر أبا الفرج ابن المغربى ليصلح بين الطائفتين فاصطلحا على غل وخرج العبيد الى شبرا دمنهور فكان هذا اول اختلال احوال اهل مصر ودبت عقارب العداوة بين الفئتين الى سنة تسع وخمسين فقويت شوكة الاتراك وضروا على المستنصر وزاد طمعهم

فيه وطلبوا منه الزيادة فى واجباتهم وضاقت احوال العبيد واشتدت ضرورتهم وكثرت حاجتهم وقل مال السلطان واستضعف جانبه فبعثت أم المستنصر الى قواد العبيد تغريهم بالاتراك فاجتمعوا بالجيزة وخرج اليهم الاتراك ومقدمهم ناصر الدين حسين بن حمدان فاقتتلا عدة مرار ظهر فى آخرها الاتراك على العبيد وهزموهم الى بلاد الصعيد فعاد ابن حمدان الى القاهرة وقد عظم امره وقوى جاشه وكبرت نفسه واستخف بالخليفة فجاءه الخبر أنه قد تجمع من العبيد ببلاد الصعيد نحو خمسة عشر الف فارس فقلق وبعث بمقدمى الاتراك الى المستنصر فأنكروا ما كان من اجتماع العبيد وجفوا فى خطابهم وفارقوه على غير رضى منهم فبعثت أم المستنصر الى من بحضرتها من العبيد تأمرهم بالايقاع على غفلة بالاتراك فهجموا عليهم وقتلوا منهم عدة فبادر ابن حمدان الى الخروج ظاهر القاهرة وتلاحق به الاتراك وبرز اليهم العبيد المقيمون بالقاهرة ومصر وحاربوهم عدة ايام فحلف ابن حمدان أنه لا ينزل عن فرسه حتى ينفصل الامر اماله أو عليه وجد كل من الفريقين فى القتال فظهرت الاتراك على العبيد وأثخنوا فى قتلهم وأسرهم فعادوا الى القاهرة وتتبع ابن حمدان من فى البلد منهم حتى افنى معظمهم هذا والعبيد ببلاد الصعيد على حالهم وبالاسكندرية أيضا منهم جمع كثير فسار ابن حمدان الى الاسكندرية وحاصرهم فيها مدة حتى سألوه الامان فأخرجهم وأقام فيها من يثق به وانقضت هذه السنة كلها فى قتال العبيد ودخلت سنة ستين وأربعمائة وقد خرق الاتراك ناموس المستنصر واستهانوا به واستخفوا بقدره وصار مقررهم فى كل شهر اربعمائة الف دينار بعد ما كان ثمانية وعشرين ألف دينار ولم يبق فى الخزائن مال فبعثوا يطالبونه بالمال فاعتذر اليهم بعجزه عما طلبوه فلم يعذروه وقالوا بع ذخائرك فلم يجد بدا من اجابتهم واخرج ما كان فى القصر من الذخائر فصاروا يقومون ما يخرج اليهم بأخس القيم وأقل الاثمان ويأخذون ذلك فى واجباتهم وتجهز ابن حمدان وسار الى الصعيد يريد قتال العبيد وكانت شرورهم قد كثرت وضررهم وفسادهم قد تزايد فلقيهم وواقعهم غير مرة والاتراك تنكسر منهم وتعود الى محاربتهم الى أن حمل العبيد عليهم حملة انهزموا فيها الى الجيزة فأفحشوا عند ذلك فى أمر المستنصر ونسبوه الى مباطنة العبيد وتقويتهم فأنكر ذلك وحلف عليه فأخذوا فى اصلاح شأنهم ولم شعثهم وساروا القتال العبيد ومازالوا يلحون فى قتالهم حتى انكسرت العبيد كسرة شنيعة وقتل منهم خلق كثير وفر من بقى فذهبت شوكتهم وزالت دولتهم ورجع ابن حمدان وقد كشف قناع الحياء وجهر بالسوء للمستنصر واستبد بسلطنة البلاد ودخلت سنة احدى وستين وابن حمدان مستبد بالامر مجاف للمستنصر فثقل مكانه على الاتراك وتفرغوا من العبيد والتفتوا اليه وقد استبد بالامور دونهم واستأثر بالاموال عليهم ففسد ما بينهم وبينه وشكوا منه الى الوزير خطير الملك فأغراهم به ولامهم على ما كان من تقويته وحسن لهم الثورة به فصاروا الى المستنصر ووافقوه على ذلك فبعث الى ابن حمدان يأمره بالخروج عن مصر ويهدده ان امتنع فلم يقدر على الامتناع منه لفساد الاتراك عليه وميلهم مع المستنصر فخرج الى الجيزة وانتهب الناس دوره ودور حواشيه فلما جن عليه الليل عاد من الجيزة سرا الى دار القائد تاج الملوك شادى وترامى عليه وقبل رجليه وسأله النصرة على الذكر والوزير الخطير فانهما قاما بهذه الفتنة فأجابه الى ذلك ووعده بقتل المذكورين وفارقه ابن حمدان فلما كان من الغد ركب شادى فى اصحابه وأخذ يسير بين القصرين بالقاهرة وأقبل الوزير الخطير فى موكبه فبادره شادى على حين غفلة وقتله ففر الذكر الى القصر والتجأ بالمستنصر فلم يكن بأسرع من قدوم ابن حمدان وقد استعد للحرب فيمن معه فركب المستنصر بلامة الحرب واجتمع اليه الاجناد والعامة وصار فى عدد لا ينحصر وبرزت الفرسان فكانت بين الخليفة وابن حمدان حروب آلت الى هزيمة ابن حمدان وقتل كثير من اصحابه فمضى فى طائفة الى البحيرة وترامى على بنى سنبس وتزوج منهم فعظم الامر بالقاهرة ومصر من شدة الغلاء وقلة الاقوات لما فسد من الاعمال بكثرة النهب وقطع الطريق حتى اكل الناس الجيف والميتات ووقف ارباب الفساد فى الطريق فصاروا يقتلون من ظفروا به فى أزقة مصر فهلك من اهل مصر فى هذه الحروب والفتن ما لا يمكن حصره وامتد ذلك الى أن دخلت سنة ثلاث وستين فجهز المستنصر عساكره لقتال ابن حمدان بالبحيرة فسارت اليه ولم يوفق فى محاربته فكسرها كلها واحتوى على ما كان معها من سلاح وكراع ومال فتقوى به وقطع الميرة عن البلد ونهب اكثر الوجه البحرى وقطع منه الخطبة للمستنصر ودعا للخليفة القائم بأمر الله العباسى بالاسكندرية ودمياط وعامة الوجه البحرى فاشتد الجوع وتزايد الموتان بالقاهرة ومصر

حتى انه كان يموت الواحد من اهل البيت فلا يمضى يوم وليلة من موته حتى يموت سائر من فى ذلك البيت ولا يوجد من يستولى عليه ومدّت الاجناد أيديها الى النهب فخرج الامر عن الحد ونجا اهل القوة بأنفسهم من مصر وساروا الى الشام والعراق وخرج من خزائن القصر ما يجل وصفه وقد ذكر طرف من ذلك فى أخبار القاهرة عند ذكر خزائن القصر فاضطر الاجناد ماهم فيه من شدة الجوع الى مصالحة ابن حمدان بشرط أن يقيم فى مكانه ويحمل اليه مال مقرر وينوب عنه شادى بالقاهرة فرضى بذلك وسير الغلال الى القاهرة ومصر فسكن ما بالناس من شدة الجوع قليلا ولم يكن ذلك الا نحو شهر ووقع الاختلاف عليه فقدم من البحيرة الى مصر وحاصرها وانتهبها وأحرق دورا عديدة بالساحل ورجع الى البحيرة فدخلت سنة اربع وستين والحال على ذلك وشادى قد استبد بأمر الدولة وفسد ما بينه وبين ابن حمدان ومنعه من المال الذى تقرر له وشح به عليه فلم يوصله الا القليل فحرد من ذلك ابن حمدان وجمع العربان وسار الى الجيزة وخادع شادى حتى صار اليه ليلا فى عدة من الاكابر فقبض عليه وعليهم وبعث اصحابه فنهبوا مصر واطلقوا فيها النار فخرج اليهم عسكر المستنصر من القاهرة وهزموهم فعاد الى البحيرة وبعث رسولا الى الخليفة القائم بأمر الله ببغداد باقامة الخطبة له وسأله الخلع والتشاريف فانحل امر المستنصر وتلاشى ذكره وتفاقم الامر فى الشدة من الغلاء حتى هلكوا فسار ابن حمدان الى البلد وليس فى أحد قوة يمنعه بها فملك القاهرة وامتنع المستنصر بالقصر فسير اليه رسولا يطلب منه المال فوجده وقد ذهب سائر ما كان يعهده من ابهة الخلافة حتى جلس على حصير ولم يبق معه سوى ثلاثة من الخدم فبلغه رسالة ابن حمدان فقال المستنصر للرسول ما يكفى ناصر الدولة أن اجلس فى مثل هذا البيت على هذا الحال فبكى الرسول رقة له وعاد الى ابن حمدان فأخبره بما شاهد من اتضاع امر المستنصر وسوء حاله فكف عنه وأطلق له فى كل شهر مائة دينار واشتدت يده وتحكم وبالغ فى اهانة المستنصر مبالغة عظيمة وقبض على امه وعاقبها اشد العقوبة واستصفى اموالها فحاز منها شيأ كثيرا فتفرق حينئذ عن المستنصر جميع اقاربه واولاده من الجوع فمنهم من سار الى المغرب ومنهم من سار الى الشام والعراق * قال الشريف محمد بن اسعد الجوانى النسابة فى كتاب النقط حل بمصر غلاء شديد فى خلافة المستنصر بالله فى سنة سبع وخمسين واربعمائة واقام الى سنة اربع وستين وأربعمائة وعم مع الغلاء وباء شديد فأقام ذلك سبع سنين والنيل يمد وينزل فلا يجد من يزرع وشمل الخوف من العسكرية وفساد العبيد فانقطعت الطرقات برا وبحرا الا بالخفارة الكثيرة مع ركوب الغرر ونزا المارقون بعضهم على بعض واستولى الجوع لعدم القوت وصار الحال الى أن بيع رغيف من الخبز الذى وزنه رطل بزقاق القناديل كبيع الطرف فى النداء بأربعة عشر درهما وبيع اردب من القمح بثمانين دينارا ثم عدم ذلك واكلت الكلاب والقطاط ثم تزايد الحال حتى اكل الناس بعضهم بعضا وكان بمصر طوائف من اهل الفساد قد سكنوا بيوتا قصيرة السقوف قريبة ممن يسعى فى الطرقات ويطوف وقد أعدوا سلبا وخطاطيف فاذا مر بهم أحد شالوه فى أقرب وقت ثم ضربوه بالاخشاب وشرحوا لحمه واكلوه * قال وحدثتنى بعض نسائنا الصالحات قالت كانت لنا من الجارات امرأة ترينا افخاذها وفيها كالحفر فكنا نسألها فتقول انا ممن خطفنى اكلة الناس فى الشدة فأخذنى انسان وكنت ذات جسم وسمن فأدخلنى الى بيت فيه سكاكين وآثار الدماء وزفرة القتلى فأضجعنى على وجهى وربط فى يدىّ ورجلىّ سلبا الى اوتاد حديد عريانة ثم شرح من افخاذى شرائح وأنا استغيث ولا أحد يجيبنى ثم اضرم الفحم وشوى من لحمى وأكل اكلا كثيرا ثم سكر حتى وقع على جنبه لا يعرف اين هو فأخذت فى الحركة الى أن انحل أحد الاوتاد وأعان الله على الخلاص وتخلصت وحللت الرباط وأخذت خرقا من داره ولففت بها افخاذى وزحفت الى باب الدار وخرجت ازحف الى أن وقعت الى المأمن وجئت الى بيتى وعرّفتهم بموضعه فمضوا الى الوالى فكبس عليه وضرب عنقه وأقام الدواء فى أفخاذى سنة الى أن ختم الجرح وبقى كذا حفرا وبسبب هذا الغلاء خرب الفسطاط وخلا موضع العسكر والقطائع وظاهر مصر مما يلى القرافة حيث الكيمان الآن الى بركة الحبش فلما قدم امير الجيوش بدر الجمالى الى مصر وقام بتدبير أمرها نقلت أنقاض ظاهر مصر مما يلى القاهرة حيث كان العسكر والقطائع وصار فضاء وكيمانا فيما بين مصر والقاهرة وفيما بين مصر والقرافة وتراجعت أحوال الفسطاط بعد ذلك حتى قارب ما كان عليه قبل الشدة * (وأما حريق مصر) *

فكان سببه أن الفرنج لما تغلبوا على ممالك الشام واستولوا على السواحل حتى صار بايديهم ما بين ملطية

الى بلبيس الامدينة دمشق فقط وصار أمر الوزارة بديار مصر لشاور بن مجير السعدى والخليفة يومئذ العاضد لدين الله عبد الله بن يوسف اسم لا معنى له وقام فى منصب الوزارة بالقوة فى صفر سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وتلقب بأمير الجيوش وأخذ أموال بنى رزيك وزراء مصر وملوكها من قبله فلما استبد بالامرة حسده ضرغام صاحب الباب وجمع جموعا كثيرة وغلب شاور على الوزارة فى شهر رمضان منها فسار شاور الى الشام واستقل ضرغام بسلطنة مصر فكان بمصر فى هذه السنة ثلاثة وزراء هم العادل بن رزيك بن طلائع بن رزيك وشاور بن مجير وضرغام فأساء ضرغام السيرة فى قتل أمراء الدولة وضعفت من اجل ذلك دولة الفاطميين بذهاب رجالها الاكابر ثم ان شاور استنجد بالسلطان نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام فأنجده وبعث معه عسكرا كثيرا فى جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وقدم عليه أسد الدين شيركوه على أن يكون لنور الدين اذا عاد شاور الى منصب الوزارة ثلث خراج مصر بعد اقطاعات العساكر وأن يكون شيركوه عنده بعساكره فى مصر ولا تصرّف الا بأمر نور الدين فخرج ضرغام بالعسكر وحاربه فى بلبيس فانهزم وعاد الى مصر فنزل شاور بمن معه عند التاج خارج القاهرة وانتشر عسكره فى البلاد وبعث ضرغام الى اهل البلاد فأتوه خوفا من الترك القادمين معه وأتته الطائفة الريحانية والطائفة الجيوشية فامتنعوا بالقاهرة وتطاردوا مع طلائع شاور بأرض الطبالة فنزل شاور فى المقس وحارب اهل القاهرة فغلبوه حتى ارتفع الى بركة الحبش فنزل على الرصد استولى على مدينة مصر وأقام اياما فمال الناس اليه وانحرفوا عن ضرغام لامور فنزل شاور باللوق وكانت بينه وبين ضرغام حروب آلت الى احراق الدور من باب سعادة الى باب القنطرة خارج القاهرة وقتل كثير من الفريقين واختل أمر ضرغام وانهزم فملك شاور القاهرة وقتل ضرغام آخر جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين فأخلف شيركوه ما وعد به السلطان نور الدين وأمره بالخروج عن مصر فأبى عليه واقتتلا وكان شيركوه قد بعث بابن اخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب الى بلبيس ليجمع له الغلال وغيرها من الاموال فحشد شاور وقاتل الشاميين فجرت وقائع واحترق وجه الخليج خارج القاهرة بأمره وقطعة من حارة زويلة فبعث شاور الى الفرنج واستنجد بهم فطمعوا فى البلاد وخرج ملكهم مرى من عسقلان بجموعه فبلغ ذلك شيركوه فرحل عن القاهرة بعد طول محاصرتها ونزل بلبيس فاجتمع على قتاله بها شاور وملك الفرنج وحصروه بها وكانت اذ ذاك حصينة ذات أسوار فأقام محصورا مدة ثلاثة اشهر وبلغ ذلك نور الدين فأغار على ما قرب منه من بلاد الفرنج وأخذها من ايديهم فخافوه ووقع الصلح مع شيركوه على عوده الى الشام فخرج فى ذى الحجة ولحق بنور الدين فأقام وفى نفسه من مصر أمر عظيم الى أن دخلت سنة اثنتين وستين فجهزه نور الدين الى مصر فى جيش قوى فى ربيع الاول وسيره فبلغ ذلك شاور فبعث الى مرى ملك الفرنج مستنجدا به فسار بجموع الفرنج حتى نزل بلبيس فوافاه شاور وأقام حتى قدم شيركوه الى اطراف مصر فلم يطق لقاء القوم فسار حتى خرج من اطفيح الى جهة بلاد الصعيد من ناحية بحر القلزم فبلغ شاور أن شيركوه قد ملك بلاد الصعيد فسقط فى يده ونهض للفور من بلبيس ومعه الفرنج فكان من حروبه مع شيركوه ما كان حتى انهزم بالاشمونين وسار منها بعد الهزيمة الى الاسكندرية فملكها وأقر بها ابن اخيه صلاح الدين وخرج الى الصعيد فخرج شاور بالفرنج وحصر الاسكندرية أشد حصار فسار شيركوه من قوص ونزل على القاهرة وحاصرها فرحل اليه شاور وكانت امور آلت الى الصلح وسار شيركوه بمن معه الى الشام فى شوّال فطمع مرى فى البلاد وجعل له شحنة بالقاهرة وصارت أسوارها بيد فرسان الفرنج وتقرر لهم فى كل سنة مائة ألف دينار ثم رحل الى بلاده وترك بالقاهرة من يثق به من الفرنج وسار شيركوه الى الشام فتحكم الفرنج فى القاهرة حكما جائرا وركبوا المسلمين بالاذى العظيم وتيقنوا عجز الدولة عن مقاومتهم وانكشفت لهم عورات الناس الى أن دخلت سنة اربع وستين فجمع مرى جمعا عظيما من اجناس الفرنج وأقطعهم بلاد مصر وسار يريد أخذ مصر فبعث اليه شاور يسأله عن سبب مسيره فاعتل بأن الفرنج غلبوه على قصد ديار مصر وأنه يريد الفى ألف دينار يرضيهم بها وسار فنزل على بلبيس وحاصرها حتى اخذها عنوة فى صفر فسبى اهلها وقصد القاهرة فسير العاضد كتبه الى نور الدين وفيها شعور نسائه وبناته يسأله انقاذ المسلمين من الفرنج وسار مرى من بلبيس فنزل على بركة الحبش وقد انضم الناس من الاعمال الى القاهرة فنادى شاور بمصر أن لا يقيم بها احد وأزعج الناس فى النقلة منها فتركوا اموالهم وأثقالهم ونجوا بأنفسهم واولادهم

وقد

وقد ماج الناس واضطربوا كأنما خرجوا من قبورهم الى المحشر لا يعبأ والد بولده ولا يلتفت أخ الى أخيه وبلغ كراء الدابة من مصر الى القاهرة بضعة عشر دينارا وكراء الجمل الى ثلاثين دينارا ونزلوا بالقاهرة في المساجد والحمامات والازقة وعلى الطرقات فصاروا مطروحين بعيالهم وأولادهم وقد سلبوا سائر أموالهم وينتظرون هجوم العدو على القاهرة بالسيف كما فعل بمدينة بلبيس وبعث شاور الى مصر بعشرين ألف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل نار فرق ذلك فيها فارتفع لهب النار ودخان الحريق الى السماء فصار منظرا مهولا فاستمرت النار تأتي على مساكن مصر من اليوم التاسع والعشرين من صفر لتمام اربعة وخمسين يوما والنهابة من العبيد ورجال الاسطول وغيرهم بهذه المنازل في طلب الخبايا فلما وقع الحريق بمصر رحل مرى من بركة الحبش ونزل بظاهر القاهرة مما يلي باب البرقية وقاتل اهلها قتالا كثيرا حتى زلزلوا زلزالا شديدا وضعفت نفوسهم وكادوا يؤخذون عنوة فعاد شاور الى مقاتلة الفرنج وجرت امور آلت الى الصلح على مال فبيناهم في جبايته اذ بلغ الفرنج مجيء اسد الدين شيركوه بعساكر الشام من عند السلطان نور الدين محمود فرحلوا في سابع ربيع الآخر الى بلبيس وساروا منها الى فاقوس فصاروا الى بلادهم بالساحل ونزل شيركوه بالمقس خارج القاهرة وكان من قتل شاور واستيلاء شيركوه على مصر ما كان فمن حينئذ خربت مصر الفسطاط هذا الخراب الذي هو الآن كيمان مصر وتلاشى امرها وافتقر اهلها وذهبت اموالهم وزالت نعمهم فلما استبد شيركوه بوزارة العاضد أمر باحضار اعيان اهل مصر الذين خلوا عن ديارهم في الفتنة وصاروا بالقاهرة وتغمم لمصابهم وسفه رأي شاور في احراق المدينة وأمرهم بالعود اليها فشكوا اليه ما بهم من الفقر والفاقة وخراب المنازل وقالوا الى اي مكان نرجع وفي اي مكان ننزل ونأوي وقد صارت كما ترى وبكوا وأبكوا فوعدهم جميلا وترفق بهم وأمر فنودي في الناس بالرجوع الى مصر فتراجع اليها الناس قليلا قليلا وعمروا ما حول الجامع الى أن كانت المحنة من الغلاء والوباء العظيم في سلطنة الملك العادل ابي بكر بن ايوب لسنتي خمس وست وخمسمائة فخرب من مصر جانب كبير ثم تحايا الناس بها واكثروا من العمارة بجانب مصر الغربي على شاطئ النيل لما عمر الملك الصالح نجم الدين ايوب قلعة الروضة وصار بمصر عدة آدر جليلة وأسواق ضخمة فلما كان غلاء مصر والوباء الكائن في سلطنة الملك العادل كتبغا سنة ست وتسعين وستمائة خرب كثير من مساكن مصر وتراجع الناس بعد ذلك في العمارة الى سنة تسع واربعين وسبعمائة فحدث الفناء الكبير الذي اقفر منه معظم دور مصر وخربت ثم تحايا الناس من بعد الوباء وصار ما يحيط بالجامع العتيق وما على شط النيل عامرا الى سنة ست وسبعين وسبعمائة فشرقت بلاد مصر وحدث الوباء بعد الغلاء فخرب كثير من عامر مصر ولم يزل يخرب شيأ بعد شيء الى سنة تسعين وسبعمائة فعظم الخراب في خط زقاق القناديل وخط النحاسين وشرع الناس في هدم دور مصر وبيع أنقاضها حتى صارت على ما هي عليه الآن وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا

(ذكر ما قيل في مدينة فسطاط مصر)

قال ابن رضوان والمدينة الكبرى اليوم بأرض مصر ذات اربعة أجزاء الفسطاط والقاهرة والجزيرة والجيزة وبعد هذه المدينة عن خط الاستواء ثلاثون درجة والجبل المقطم في شرقيها وبينها وبين مقابر المدينة وقد قالت الاطباء ان أردأ المواضع ما كان الجبل في شرقيه يعوق ريح الصبا عنه وأعظم اجزائها هو الفسطاط ويلي الفسطاط من الغرب النيل وعلى شط النيل الغربي اشجار طوال وقصار وأعظم أجزاء الفسطاط موضع في غور فانه يعلوه من المشرق المقطم ومن الجنوب الشرف ومن الشمال الموضع العالي من عمل فوق اعني الموقف والعسكر وجامع ابن طولون ومتى نظرت الى الفسطاط من الشرق او من مكان آخر عال رأيت وضعها في غور وقد بين ابقراط أن المواضع المتسفلة اسخن من المواضع المرتفعة وأردأ هواء لاحتقان البخار فيها ولان ما حولها من المواضع العالية يعوق تحليل الرياح لها وأزقة الفسطاط وشوارعها ضيقة وابنيتها عالية وقد قال روفس اذا دخلت مدينة فرأيتها ضيقة الازقة مرتفعة البناء فاهرب منها لانها وبيئة أراد أن البخار لا يتحلل منها كما ينبغي لضيق الازقة وارتفاع البناء * ومن شأن اهل الفسطاط أن يرموا ما يموت في دورهم من السنانير

والكلاب ونحوها من الحيوان الذى يخالط الناس فى شوارعهم وأزقتهم فتعفن وتخالط عفونتها الهواء ومن شأنهم ايضا أن يرموا فى النيل الذى يشربون منه فضول حيواناتهم وجيفها وخرارات كنفهم تصب فيه وربما انقطع جرى الماء فيشربون هذه العفونة باختلاطها بالماء وفى خلال الفسطاط مستوقدات عظيمة يصعد منها فى الهواء دخان مفرط وهى أيضا كثيرة الغبار لسخانة أرضها حتى انك ترى الهواء فى ايام الصيف كدرا يأخذ بالنفس ويتسخ الثوب النظيف فى اليوم الواحد واذا مرّ الانسان فى حاجة لم يرجع الا وقد اجتمع فى وجهه ولحيته غبار كثير ويعلوها فى العشيات خاصة فى ايام الصيف بخار كدر أسود وأغبر سيما اذا كان الهواء سليما من الرياح واذا كانت هذه الاشياء كما وصفنا فمن البين انه يصير الروح الحيوانى الذى فيها حاله كهذه الحال فيتولد اذا فى البدن من هذه الاعراض فضول كثيرة واستعدادات نحو العفن الا أن الف أهل الفسطاط لهذه الحال وانسهم بها يعوق عنهم اكثر شرّها وان كانوا على كل حال اسرع اهل مصر وقوعا فى الامراض وما يلى النيل من الفسطاط يجب أن يكون ارطب مما يلى الصحراء وأهل الشرق اصلح حالا لتخرق الرياح لدورهم وكذلك عمل فوق والحمراء الا أن اهل الشرف الذى يشربونه أجود لانه يستقى قبل أن تخالطه عفونة الفسطاط فأما القرافة فأجود هذه المواضع لان المقطم يعوق بخار الفسطاط من المرور بها واذا هبت ريح الشمال مرّت بأجزاء كثيرة من بخار الفسطاط والقاهرة على الشرف فغيرت حاله وظاهر أن المواضع المكشوفة فى هذه المدينة هى اصح هواء وكذلك حال المواضع المرتفعة وأردأ موضع فى المدينة الكبرى هو ما كان من الفسطاط حول الجامع العتيق الى ما يلى النيل والسواحل واذا كان فى الشتاء واول الربيع حمل من بحر الملح سمك كثير فيصل الى هذه المدينة وقد عفن وصارت له رائحة منكرة جدّا فيباع فى القاهرة ويأكله اهلها وأهل الفسطاط فيجتمع فى أبدانهم منه فضول كثيرة عفنة فلولا اعتدال امزجتهم وصحة ابدانهم فى هذا الزمان لكان ذلك يولد فى ابدانهم امراضا كثيرة قاتلة الا أن قوّة الاستمرار تعوق عن ذلك وربما انقطع النيل فى آخر الربيع وأوّل الصيف من جهة الفسطاط فيعفن بكثرة ما يلقى فيه الى أن يبلغ عفنه الى أن تصير له رائحة منكرة محسوسة وظاهر أن هذا الماء اذا صار على هذه الحال غير مزاج الناس تغيرا محسوسا قال فمن البين أن اهل هذه المدينة الكبرى بأرض مصر أسرع وقوعا فى الامراض من جميع اهل هذه الارض ما خلا اهل الفيوم فانها ايضا قريبة وأردأ ما فى المدينة الموضع الغائر من الفسطاط ولذلك غلب على اهلها الجبن وقلة الكرم وأنه ليس احد منهم يغيث ولا يضيف الغريب الا فى النادر وصاروا من السعاية والاغتياب على امر عظيم ولقد بلغ بهم الجبن الى أن خمسة اعوان تسوق منهم مائة رجل وا كثر ويسوق الاعوان المذكورين رجل واحد من أهل البلدان الاخر وممن قد تدرّب فى الحرب فقد استبان اذا العلة والسبب فى أن صار أهل المدينة الكبرى بأرض مصر أسرع وقوعا فى الامراض من جميع اهل هذه الارض وأضعف انفسا ولعل لهذا السبب اختار القدماء اتخاذ المدينة فى غير هذا الموضع فنهم من جعلها بمنف وهى مصر القديمة ومنهم من جعلها بالاسكندرية ومنهم من جعلها بغير هذه المواضع ويدل على ذلك آثارهم * وقال ابن سعيد عن كتاب الكمائم وأما فسطاط مصر فان مبانيها كانت فى القديم متصلة بمبانى مدينة عين شمس وجاء الاسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن وعليه نزل عمرو ابن العاص وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب اليه ثم لما فتحها قسم المنازل على القبائل ونسبت المدينة اليه فقيل فسطاط عمرو وتداولت عليها بعد ذلك ولاة مصر فاتخذوها سريرا للسلطنة وتضاعفت عمارتها فأقبل الناس من كل جانب اليها وقصروا امانيهم عليها الى أن رسخت بها دولة بنى طولون فبنوا الى جانبها المنازل المعروفة بالقطائع وبها كان مسجد ابن طولون الذى هو الآن الى جانب القاهرة وهى مدينة مستطيلة يمرّ النيل مع طولها ويحط فى ساحلها المراكب الآتية من شمال النيل وجنوبه بأنواع الفوائد ولها منتزهات وهى فى الاقليم الثالث ولا ينزل فيها مطر الا فى النادر وترابها تثيره الارجل وهو قبيح اللون تتكدر منه ارجاؤها ويسوء بسببه هواؤها ولها أسواق ضخمة الا انها ضيقة ومبانيها بالقصب والطوب طبقة على طبقة ومذ بنيت القاهرة ضعفت مدينة الفسطاط وفرّط فى الاغتباط بها بعد الافراط وبينهما نحو ميلين وأنشد فيها الشريف العقيلى

احنّ الى الفسطاط شوقا واننى * لادعو لها أن لا يحل بها القطر

وهل فى الحيا من حاجة لجنابها * وفى كل قطر من جوانبها نهر
تبدت عروسا والمقطم تاجها * ومن نيلها عقد كما انتظم الدر

* وقال عن كتاب آخر فالفسطاط هى قصبة مصر والجبل المقطم شرقها وهو متصل بجبل الزمرد * وقال عن كتاب ابن حوقل والفسطاط مدينة حسنة ينقسم النيل لديها وهى كبيرة نحو ثلث بغداد ومقدارها نحو فرسخ على غاية العمارة والطيبة واللذة ذات رحاب فى محالها وأسواق عظام فيها ضيق ومتاجر فخام ولها ظاهر أنيق وبساتين نضرة ومنتزهات على ممر الايام خضرة وفى الفسطاط قبائل وخطط للعرب تنسب اليها كالبصرة والكوفة الا انها أقل من ذلك وهى سبخة الارض غير نقية التربة وتكون بها الدار سبع طبقات وستا وخمسا وربما يسكن فى الدار المائتان من الناس ومعظم بنيانهم بالطوب وأسفل دورهم غير مسكون وبها مسجدان للجمعة بنى أحدهما عمرو بن العاص فى وسط الفسطاط والآخر على الموقف بناه احمد بن طولون وكان خارج الفسطاط أبنية بناها احمد بن طولون ميلا فى ميل يسكنها جنده تعرف بالقطائع كما بنى بنو الاغلب خارج القيروان رقادة وقد خربتا فى وقتنا هذا وأخلف الله بدل القطائع بظاهر مدينة الفسطاط القاهرة * قال ابن سعيد ولما استقررت بالقاهرة تشوقت الى معاينة الفسطاط فسار معى احد أصحاب العزمة فرأيت عند باب زويلة من الحمير المعدة لركوب من يسير الى الفسطاط جملة عظيمة لا عهد لى بمثلها فى بلد فركب منها حمارا وأشار الى أن اركب حمارا آخر فأنفت من ذلك جريا على عادة ما خلفته فى بلاد المغرب فأعلمنى انه غير معيب على اعيان مصر وعاينت الفقهاء وأصحاب البزة والسادة الظاهرة يركبونها فركبت وعند ما استويت راكبا اشار المكارى على الحمار فطار بى وأثار من الغبار الاسود ما أعمى عينى ودنس ثيابى وعاينت ما كرهته ولقلة معرفتى بركوب الحمار وشدة عدوه على قانون لم أعهده وقلة رفق المكارى وقفت فى تلك الظلمة المثارة من ذلك العجاج فقلت

لقيت بمصر أشد البوار ركوب الحمار وكحل الغبار
وخلفى مكار يفوق الريا ح لا يعرف الرفق مهما استطار
أناديه مهلا فلا يرعوى الى أن سجدت سجود العثار
وقد مد فوقى رواق الثرى وألحد فيه ضياء النهار

فدفعت الى المكارى اجرته وقلت له احسانك الى أن تتركنى امشى على رجلى ومشيت الى أن بلغتها وقدرت الطريق بين القاهرة والفسطاط وحققت بعد ذلك نحو الميلين ولما اقبلت على الفسطاط ادبرت عنى المسرة وتأملت اسوارا مثلمة سوداء وآفاقا مغبرة ودخلت من بابها وهو دون غلق مفض الى خراب معمور بمبان سيئة الوضع غير مستقيمة الشوارع قد بنيت من الطوب الادكن والقصب والنخيل طبقة فوق طبقة وحول ابوابها من التراب الاسود والازبال ما يقبض نفس النظيف ويغض طرف الظريف فسرت وانا معاين لاستصحاب تلك الحال الى أن سرت فى اسواقها الضيقة فقاسيت من ازدحام الناس فيها بحوائج السوق والروايا التى على الجمال ما لا يفى به الا مشاهدته ومقاساته الى أن انتهيت الى المسجد الجامع فعاينت من ضيق الاسواق التى حوله ما ذكرت به ضده فى جامع اشبيلية وجامع مراكش ثم دخلت اليه فعاينت جامعا كبيرا قديم البناء غير مزخرف ولا محتفل فى حصره التى تدور مع بعض حيطانه وتبسط فيه وأبصرت العامة رجالا ونساء قد جعلوه معبرا بأوطئة أقدامهم يجوزون فيه من باب الى باب ليقرب عليهم الطريق والبياعون يبيعون فيه اصناف المكسرات والكعك وما جرى مجرى ذلك والناس يأكلون منه فى امكنة عديدة غير محتشمين لجرى العادة عندهم بذلك وعدة صبيان بأوانى ماء يطوفون على من يأكل قد جعلوا ما يحصل لهم منهم رزقا وفضلات مآكلهم مطروحة فى صحن الجامع وفى زواياه والعنكبوت قد عظم نسجه فى السقوف والاركان والحيطان والصبيان يلعبون فى صحنه وحيطانه مكتوبة بالفحم والحمرة بخطوط قبيحة مختلفة من كتب فقراء العامة الا أن مع هذا كله على الجامع المذكور من الرونق وحسن القبول وانبساط النفس ما لا تجده فى جامع اشبيلية مع زخرفته والبستان الذى فى صحنه ولقد تأملت ما وجدت فيه من الارتياح والانس دون منظر يوجب ذلك فعلمت انه سر مودع من وقوف الصحابة رضوان الله عليهم فى ساحته عند بنائه واستحسنت ما أبصرته فيه من حلق المتصدرين لاقراء القرآن والفقه والنحو فى عدة اماكن وسألت عن موارد ارزاقهم فأخبرت انها من فروض الزكاة وما اشبه ذلك.

ثم أخبرت أن اقتضاءها يصعب الا بالجاه والتعب ثم انفصلنا من هنالك الى ساحل النيل فرأيت ساحلا كدر التربة غير نظيف ولا متسع الساحة ولا مستقيم الاستطالة ولا عليه سور أبيض الا انه مع ذلك كثير العمارة بالمراكب واصناف الارزاق التى تصل من جميع اقطار الارض والنيل ولئن قلت انى لم ابصر على نهر ما أبصرته على ذلك الساحل فانى اقول حقا والنيل هنالك ضيق لكون الجزيرة التى بنى فيها سلطان الديار المصرية الآن قلعته قد توسطت الماء ومالت الى جهة الفسطاط وبحسن سورها المبيض الشامخ حسن منظر الفرجة فى ذلك الساحل وقد ذكر ابن حوقل الجسر الذى يكون ممتدا من الفسطاط الى الجزيرة وهو غير طويل ومن الجانب الآخر الى البر الغربى المعروف ببر الجيزة جسر آخر من الجزيرة اليه وأكثر جواز الناس بأنفسهم ودوابهم فى المراكب لان هذين الجسرين قد احترما بحصولهما فى حيز قلعة السلطان ولا يجوز أحد على الجسر الذى بين الجزيرة والفسطاط راكبا احتراما لموضع السلطان وبتنا فى ليلة ذلك اليوم بطيارة مرتفعة على جانب النيل فقلت

نزلنا من الفسطاط احسن منزل * بحيث امتداد النيل قد دار كالعقد
وقد جمعت فيه المراكب سحرة * كسرب قطا أضحى يزف على ورد
وأصبح يطغى الموج فيه ويرتمى * ويطغو حنانا وهو يلعب بالنرد
غدا ماؤه كالريق ممن احبه * فمدت عليه حلية من حلى الخد
وقد كان مثل الزهر من قبل مده * فأصبح لما زاده المد كالورد

قلت هذا لانى لم اذق فى المياه أحلى من مائه وأنه يكون قبل المد الذى يزيد به ويفيض على اقطاره أبيض فاذا كان عباب النيل صار أحمر * وانشدنى علم الدين فخر الترك ايدمر عتيق وزير الجزيرة فى مدح الفسطاط واهلها

حبذا الفسطاط من والدة * جنبت اولادها در الجفا
يرد النيل اليها كدرا * فاذا مازج اهليها صفا
لطفوا فالمزن لا يألفهم * خجلا لما رآهم ألطفا

ولم أر فى اهل البلاد ألطف من اهل الفسطاط حتى انهم ألطف من اهل القاهرة وبينهما نحو ميلين وجملة الحال أن اهل الفسطاط فى نهاية من اللطافة واللين فى الكلام وتحت ذلك من الملق وقلة المبالاة برعاية قدم الصحبة وكثرة الممازجة والالفة ما يطول ذكره وأما ما يرد على الفسطاط من متاجر البحر الاسكندرانى والبحر الحجازى فانه فوق ما يوصف وبها مجمع ذلك لا بالقاهرة ومنها تجهز الى القاهرة وسائر البلاد وبالفسطاط مطابخ السكر والصابون ومعظم ما يجرى هذا المجرى لان القاهرة بنيت للاختصاص بالجند كما أن جميع زى الجند بالقاهرة اعظم منه بالفسطاط وكذلك ما ينسج ويصاغ وسائر ما يعمل من الاشياء الرفيعة السلطانية والخراب فى الفسطاط كثير والقاهرة أجد وأعمر وأكثر زحمة بسبب انتقال السلطان اليها وسكنى الاجناد فيها وقد نفخ روح الاعتناء والنمو فى مدينة الفسطاط الآن لمجاورتها للجزيرة الصالحية وكثير من الجند قد انتقل اليها للقرب من الخدمة وبنى على سورها جماعة منهم مناظر تبهج الناظر يعنى ابن سعيد ما بنى على شقة مصر من جهة النيل

(ذكر ما عليه مدينة مصر الآن وصفتها)

قد تقدم من الاخبار جملة تدل على عظم ما كان بمدينة فسطاط مصر من المبانى وكثرتها ثم الاسباب التى أوجبت خرابها وآخر ما رأيت من الكتب التى صنفت فى خطط مصر كتاب ايقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل تأليف القاضى الرئيس تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج الزبيرى رحمه الله وقطع على سنة خمس وعشرين وسبعمائة فذكر من الاخطاط المشهورة بذاتها لعهده اثنين وخمسين خطا ومن الحارات ثنتى عشرة حارة ومن الازقة المشهورة ستة وثمانين زقاقا ومن الدروب المشهورة ثلاثة وخمسين دربا ومن الخوخ المشهورة خمسا وعشرين خوخة ومن الاسواق المشهورة تسعة عشر سوقا ومن الخطط المشهورة بالدور ثلاثة عشر خطا ومن الرحاب المشهورة خمس عشرة رحبة ومن العقبات المشهورة احدى عشرة عقبة ومن الكيمان المسماة ستة كيمان ومن الاقباء عشرة أقباء ومن البرك خمس برك ومن السقائف خمسا وستين سقيفة ومن القياسر

سبع قياسر ومن مطابخ السكر العامرة ستة وستين مطبخا ومن الشوارع ستة شوارع ومن المحارس عشرين محرسا ومن الجوامع التى تقام فيها الجمعة بمصر وظاهرها من الجزيرة والقرافة أربعة عشر جامعا ومن المساجد أربعمائة وثمانين مسجدا ومن المدارس سبع عشرة مدرسة ومن الزوايا ثمانى زوايا ومن الربط التى بمصر والقرافة بضعا وأربعين رباطا ومن الاحباس والاوقاف كثيرا ومن الحمامات بضعا وسبعين حماما ومن الكنائس وديارات النصارى ثلاثين مابين دير وكنيسة وقد باد أكثر ماذكره ودثر وسيرد ما قاله من ذلك فى مواضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى (فأقول) انّ مدينة مصر محدودة الآن بحدود أربعة * فحدّها الشرقىّ اليوم من قلعة الجبل وأنت آخذ الى باب القرافة فتمرّ من داخل السور الفاصل بين القرافة ومصر الى كوم الجارح وتمرّ من كوم الجارح وتجعل كيمان مصر كلها عن يمينك حتى تنتهى الى الرصد حيث اول بركة الحبش فهذا طول مصر من جهة المشرق وكان يقال لهذه الجهة عمل فوق * وحدّها الغربى من قناطر السباع خارج القاهرة الى موردة الحلفاء وتأخذ على شاطئ النيل الى دير الطين فهذا أيضا طولها من جهة المغرب * وحدّها القبلىّ من شاطئ النيل بدير الطين حيث ينتهى الحدّ الغربىّ الى بركة الحبش تحت الرصد حيث انتهى الحدّ الشرقىّ فهذا عرض مصر من جهة الجنوب التى تسميها اهل مصر الجهة القبلية * وحدّها البحرىّ من قناطر السباع حيث ابتداء الحدّ الغربىّ الى قلعة الجبل حيث ابتداء الحدّ الشرقىّ فهذا عرض مصر من جهة الشمال التى تعرف بمصر بالجهة البحرية ومابين هذه الجهات الاربع فانه يطلق عليه الآن مصر فيكون اوّل عرض مصر فى الغرب بحر النيل وآخر عرضها فى الشرق اول القرافة وأول طولها من قناطر السباع وآخره بركة الحبش فاذا عرفت ذلك ففى الجهة الغربية خط السبع سقايات ويجاوره الخليج وعليه من شرقيه حكر أقبغا ومن غربيه المريس ومنشأة المهرانىّ ويحاذى المنشأة من شرقىّ الخليج خط قنطرة السدّ وخط بين الزقاقين وخط موردة الحلفاء وخط الجامع الجديد ومن شرقىّ خط الجامع الجديد خط المراغة ويتصل به خط الكبارة وخط المعاريج ويجاور خط الجامع الجديد من بحريه الدور التى تطلّ على النيل وهى متصلة الى جسر الافرم المتصل بدير الطين وماجاوره الى بركة الحبش وهذه الجهة هى أعمر مافى مصر الآن وأما الجهة الشرقية فليس فيها شئ عامر الا قلعة الجبل وخط المراغة المجاور لباب القرافة الى مشهد السيدة نفيسة ويجاور خط مشهد السيدة نفيسة من قبليه الفضاء الذى كان موضع الموقف والعسكر الى كوم الجارح ثم خط كوم الجارح ومابين كوم الجارح الى آخر حدّ طول مصر عند بركة الحبش تحت الرصد فانه كيمان وهى الخطط التى ذكرها القضاعىّ وخربت فى الشدّة العظمى زمن المستنصر وعند حريق شاور لمصر كما تقدّم وأما عرض مصر الذى من قناطر السباع الى القلعة فانه عامر ويشتمل على بركة الفيل الصغرى بجوار خط السبع سقايات ويجاور الدور التى على هذه البركة من شرقيها خط الكبش ثم خط جامع احمد بن طولون ثم خط القبيبات وينتهى الى الفضاء الذى يتصل بقلعة الجبل وأما عرض مصر الذى من شاطئ النيل بخط دير الطين الى تحت الرصد حيث بركة الحبش فليس فيه عمارة سوى خط دير الطين وماعدا ذلك فقد خرب بخراب الخطط وكان فيه خط بنى وائل وخط راشدة فأما خط السبع سقايات فانه من جملة الحمراء الدنيا وسيرد عند ذكر الاخطاط ان شاء الله تعالى وماعدا ذلك فانه يتبين من ذكر ساحل مصر

(ذكر ساحل النيل بمدينة مصر)

قد تقدّم أنّ مدينة فسطاط مصر اختطها المسلمون حول جامع عمرو بن العاص وقصر الشمع وأنّ بحر النيل كان ينتهى الى باب قصر الشمع الغربىّ المعروف بالباب الجديد ولم يكن عند فتح أرض مصر بين جامع عمرو وبين النيل حائل ثم انحسر ماء النيل عن ارض تجاه الجامع وقصر الشمع فابتنى فيها عبد العزيز بن مروان وحاز منه بشر بن مروان لما قدم على اخيه عبد العزيز ثم حاز منه هشام بن عبد الملك فى خلافته وبنى فيه فلما زالت دولة بنى امية قبض ذلك فى الصوافى ثم اقطعه الرشيد للسرىّ بن الحكم فصار فى يد ورثته من بعده يكترونه ويأخذون حكره وذلك أنه كان قد اختط فيها المسلمون شيأ بعد شئ وصار شاطئ النيل بعد انحسار ماء النيل عن الارض المذكورة حيث الموضع الذى يعرف اليوم بسوق المعاريج * قال القضاعىّ كان ساحل أسفل الارض بازاء المعاريج

القديم وكانت آثار المعاريج قائمة سبع درج حول ساحل البما الى ساحل البورى" اليوم فعرف ساحل البورى" بالمعاريج الجديد يعنى بالمعاريج الجديد موضع سوق المعاريج اليوم وكان من جملة خطط مدينة فسطاط مصر الحمراوات الثلاث فالحمراء الاولى من جملتها سوق وردان وكان يشرف بغربيه على النيل ويجاوره الحمراء الوسطى ومن بعضها الموضع الذى يعرف اليوم بالكبارة وكانت على النيل ايضا وبجانب الكبارة الحمراء القصوى وهى من بحرى" الحمراء الوسطى الى الموضع الذى هو اليوم خط قناطر السباع ومن جملة الحمراء القصوى خط خليج مصر من حد قناطر السباع الى تجاه قنطرة السد من شرقيها وبآخر الحمراء القصوى الكبش وجبل يشكر وكان الكبش يشرف على النيل من غربيه وكان الساحل القديم فيما بين سوق المعاريج اليوم الى دار التفاح بمصر وانت مار" الى باب مصر بجوار الكبارة وموضع الكوم المجاور لباب مصر من شرقيه فلما خربت مصر بحريق شاور بن مجير اياها صار هذا الكوم من حينئذ وعرف بكوم المشانيق فانه كان يشنق بأعلاه ارباب الجرائم ثم بنى الناس فوقه دورا فعرف الى يومنا هذا بكوم الكبارة وكان يقال لما بين سوق المعاريج وهذا الكوم لما كان ساحل النيل القالوص * قال القضاعى" رأيت بخط جماعة من العلماء القالوص بألف والذى يكتب فى هذا الزمان القلوص بحذف الالف فأما القلوص بحذف الالف فهى من الابل والنعام الشابة وجمعها قلص وقلاص وقلائص والقلوص من الحبارى الانثى الصغيرة فلعل هذا المكان سمى بالقلوص لانه فى مقابلة الجمل الذى كان على باب الريحان الذى يأتى ذكره فى عجائب مصر وأما القالوص بالالف فهى كلمة رومية ومعناها بالعربية مرحبابك ولعل الروم كانوا يصفقون لراكب هذا الجمل ويقولون هذه الكلمة على عادتهم * وقال ابن المتوج والساحل القديم اوله من باب مصر المذكور يعنى المجاور للكبارة والى المعاريج جميعه كان بحرا يجرى فيه ماء النيل وقيل ان سوق المعاريج كان موردة سوق السمك يعنى ماذكره القضاعى" من أنه كان يعرف بساحل البورى" ثم عرف بالمعاريج الجديد قال ابن المتوج ونقل أن بستان الجرف المقابل لبستان حوض ابن كيسان كان صناعة العمارة وأدركت أنافيه بابها ورأيت زريبة من ركن المسجد المجاور للحوض من غربيه تتصل الى قبالة مسجد العادل الذى بمراغة الدواب الآن * (قال مؤلفه رحمه الله) بستان الجرف يعرف بذلك الى اليوم وهو على يمنة من سلك الى مصر من طريق المراغة وهو جار فى وقف الخانقاه التى تعرف بالواصلة بين الزقاقين وحوض ابن كيسان يعرف اليوم بحوض الطواشى تجاه غيط الجرف المذكور يجاوره بستان ابن كيسان الذى صار صناعة وقد ذكر خبر هذه الصناعة عند ذكر مناظر الخلفاء ويعرف بستان ابن كيسان اليوم ببستان الطواشى أيضا وبين بستان الجرف وبستان الطواشى هذا مراغة مصر المسلوك منها الى الكبارة وباب مصر * قال ابن المتوج ورأيت من نقل عمن نقل عمن رآى هذا القلوص يتصل الى آدر الساحل القديم وأنه شاهد ما عليه من العمائر المطلة على بحر النيل من الرباع والدور المطلة وعد الاسطال التى كانت بالطاقات المطلة على بحر النيل فكانت عدتها ستة عشر ألف سطل مؤبدة ببكر مؤبد فيها اطناب ترخى بها وتملأ أخبرنى بذلك من اثق بنقله وقال انه اخبره به من يثق به متصلا بالمشاهد له الموثوق به قال وباب مصر الآن بين البستان الذى قبلى" الجامع الجديد يعنى بستان العالمة وبين كوم المشانيق يعنى كوم الكبارة ورأيت السور يتصل به الى دار النحاس وجميع ما بظاهره شون ولم يزل هذا السور القديم الذى هو قبلى" بستان العالمة موجودا أراه وأعرفه الى أن اشترى أرضه من باب مصر الى موقف المكارية بالخشابين القديمة الامير حسام الدين طرنطاى المنصورى فأجر مكانه للعامة وصار كل من استأجر قطعة هدم ما بها من البناء بالطوب اللبن وقلع الاساس الحجر وبنى به فزال السور المذكور ثم حدث الساحل الجديد * قال مؤلفه رحمه الله وهذا الباب الذى ذكره ابن المتوج كان يقال له باب الساحل واول حفر ساحل مصر فى سنة ست وثلاثين وثلثمائة وذلك أنه جف النيل عن بر" مصر حتى احتاج الناس أن يستقوا من بحر الجيزة الذى هو فيما بين جزيرة مصر التى تدعى الآن بالروضة وبين الجيزة وصار الناس يمشون هم والدواب الى الجزيرة فحفر الاستاذ كافور الاخشيدى" وهو يومئذ مقدم امراء الدولة لاونوجور بن الاخشيد خليجا حتى اتصل بخليج بنى وائل ودخل الماء الى ساحل مصر ثم انه لما كان قبل سنة ستمائة تقلص الماء عن ساحل مصر القديمة وصار فى زمن الاحتراق يقل حتى تصير الطريق الى المقياس يبسا فلما كان فى سنة ثمان وعشرين وستمائة خاف السلطان الملك الكامل

محمد بن العادل ابى بكر بن ايوب من تباعد البحر عن العمران بمصر فاهتم بحفر البحر من دار الوكالة بمصر الى صناعة التمر الفاضلية وعمل فيه بنفسه فوافقه على العمل فى ذلك الجم الغفير واستوى فى المساعدة السوقة والامير وقسط مكان الحفر على الدور بالقاهرة ومصر والروضة والمقياس فاستمر العمل فيه من مستهل شعبان الى سلخ شوال مدة ثلاثة اشهر حتى صار الماء يحيط بالمقياس وجزيرة الروضة دائما بعدما كان عند الزيادة يصير جدولا رقيقا فى ذيل الروضة فاذا اتصل بحر بولاق فى شهر ابيب كان ذلك من الايام المشهودة بمصر فلما كانت ايام الملك الصالح وعمر قلعة الروضة اراد أن يكون الماء طول السنة كثيرا فيما دار بالروضة فأخذ فى الاهتمام بذلك وغرق عدة مراكب مملوءة بالحجارة فى بر الجيزة تجاه باب القنطرة خارج مدينة مصر ومن قبلى جزيرة الروضة فانعكس الماء وجعل البحر حينئذ يترقليلا قليلا وتكاثر أولا فأولا فى بر مصر من دار الملك الى قريب المقس وقطع المنشأة الفاضلية * قال ابن المتوج عن موضع الجامع الجديد وكان فى الدولة الصالحية يعنى الملك الصالح نجم الدين ايوب رملة تمرغ الناس فيها الدواب فى زمن احتراق النيل وجفاف البحر الذى هو أمامها فلما عمر السلطان الملك الصالح قلعة الجزيرة وصار فى كل سنة يحفر هذا البحر بجنده ونفسه ويطرح بعض رمله فى هذه البقعة شرع خواص السلطان فى العمارة على شاطئ هذا البحر فذكر من عمر على هذا البحر من قبالة موضع الجامع الجديد الآن الى المدرسة المعزية وذكر ماوراء هذه الدور من بستان العالمة المطل عليه الجامع الجديد وغيره ثم قال وانما عرف بالعالمة لانه كان قد حله السلطان الملك الصالح لهذه العالمة فعمرت بجانبه منظرة لها وكان الماء يدخل من النيل لباب المنظرة المذكورة فلما توفيت بقى البستان مدة فى يد ورثتها ثم أخذ منهم وذكر أن بقعة الجامع الجديد كانت قبل عمارته شونا للاتبان السلطانية وكذلك مايجاورها فلما عمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون الجامع الجديد كثرت العمائر من حد موردة الحلفاء على شاطئ النيل حتى اتصلت بدير الطين وعمر أيضا ماوراء الجامع من حد باب مصر الذى كان بحرا كما تقدم الى حد قنطرة السد وأدركنا ذلك كله على غاية العمارة وقد اختل منذ الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة نخرب خط بين الزقاقين المطل من غربيه على الخليج ومن شرقيه على بستان الجرف ولم يبق به الا القليل من الدور وموضعه كما تقدم كان فى قديم الزمان غامرا بماء النيل ثم ربى جرفا وهو بين الزقاقين المذكور فعمر عمارة كبيرة ثم خرب الآن وخرب ايضا خط موردة الحلفاء وكان فى القديم غامرا بالماء فلما ربى النيل الجرف المذكور وتربت الجزيرة قدام الساحل القديم الذى هو الآن الكبارة الى المعاريج وأنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون الجامع الجديد عمرت موردة الحلفاء هذه واتصلت من بحريها بمنشأة المهرانى ومن قبليها بالاملاك التى تمتد من تجاه الجامع الجديد الى دير الطين وصارت موردة الحلفاء عظيمة تقف عندها المراكب بالغلال وغيرها ويملأ منها الناس الروايا وكان البحر لا يبرح طول السنة هناك ثم صار ينشف فى فصل الربيع والصيف واستمر على ذلك الى يومنا هذا وخرب ماخلف الجامع الجديد أيضا من الاماكن التى كانت بحرا تجاه الساحل القديم ثم لما انحسر الماء صارت مراغة للدواب فعرفت اليوم بالمراغة وهى من آخر خط قنطرة السد الى قريب من الكبارة ويحصرها من غربيها بستان الجرف المقدم ذكره وعدة دور كانت بستانا وشونا الى باب مصر ومن شرقيها بستان ابن كيسان الذى صار صناعة وعرف الآن ببستان الطواشى ولم يبق الآن بخط المراغة الا مساكن يسيرة حقيرة

(ذكر المنشأة)

اعلم أن خليج مصر كان يخرج من بحر النيل فيمر بطريق الحمراء القصوى وكان فى الجانب الغربى من هذا الخليج عدة بساتين من جملتها بستان عرف ببستان الخشاب ثم خرب هذا البستان وموضعه الآن يعرف بالمريس فلما كان بعد الخمسمائة من سنى الهجرة انحسر النيل عن أرض فيما بين ميدان اللوق الآتى ذكره فى الاحكار ظاهر القاهرة ان شاء الله تعالى وبين بستان الخشاب المذكور فعرفت هذه الارض بمنشأة الفاضل لان القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى انشأ بها بستانا عظيما كان يمير أهل القاهرة من ثماره وأعنابه وعمر بجانبه جامعا وبنى حوله فقيل لتلك الخطة منشأة الفاضل وكثرت بها العمارة وأنشأ بها موفق الدين محمد بن ابى بكر المهدوى العثمانى الديباجى بستانا دفع له فيه ألف دينار فى ايام الظاهر بيبرس وكان الصرف قد بلغ

كل دينار ثمانية وعشرين درهما ونصفا فاستولى البحر على بستان الفاضل وجامعه وعلى سائر ما كان بمنشأة الفاضل من البساتين والدور وقطع ذلك حتى لم يبق لشئ منه اثر ومابرح باعة العنب بالقاهرة ومصر تنادى على العنب بعد خراب بستان الفاضل هذا عدة سنين رحم الله الفاضل يا عنب اشارة لكثرة أعناب بستان الفاضل وحسنها وكان اكل البحر لمنشأة الفاضل هذه بعد سنة ستين وستمائة وكان الموفق الدياجى المذكور يتولى خطابة جامع الفاضل الذى كان بالمنشأة فلما تلف الجامع باستيلاء النيل عليه سأل الصاحب بهاء الدين بن حنا وألح عليه وكان من ألزامه حتى قام فى عمارة الجامع بمنشأة المهرانى ومنشأة المهرانى هذه موضعها فيما بين النيل والخليج وفيها من الحمراء القصوى فوهة الخليج انحسر عنها ماء النيل قديما وعرف موضعها بالكوم الاحمر من اجل انه كان يعمل فيها اقمنة الطوب فلما سأل الصاحب بهاء الدين بن حنا الملك الظاهر بيبرس فى عمارة جامع بهذا المكان ليقوم مقام الجامع الذى كان بمنشأة الفاضل اجابه الى ذلك وانشأ الجامع بخط الكوم الاحمر كما ذكر فى خبره عند ذكر الجوامع فأنشأ هنالك الامير سيف الدين بلبان المهرانى دارا وسكنها وبنى مسجدا فعرفت هذه الخطة به وقيل لها منشأة المهرانى فان المهرانى المذكور أول من ابتنى فيها بعد بناء الجامع وتتابع الناس فى البناء بمنشأة المهرانى واكثروا من العمائر حتى يقال انه كان بها فوق الاربعين من امراء الدولة سوى من كان هنالك من الوزراء وأماثل الكتاب وأعيان القضاة ووجوه الناس ولم تزل على ذلك حتى انحسر الماء عن الجهة الشرقية فخربت وبها الآن بقية يسيرة من الدور وتتصل بخط الجامع الجديد خط دار النحاس وهو مطل على النيل * ودار النحاس هذه من الدور القديمة وقد دثرت وصار الخط يعرف بها * قال القضاعى دار النحاس اختطها وردان مولى عمرو بن العاص فكتب مسلمة بن مخلد وهو أمير مصر الى معاوية يسأله أن يجعلها ديوانا فكتب معاوية الى وردان يسأله فيها وعوضه فيها دار وردان التى بسوقه الآن وقال ربيعة كانت هذه الدار من خطة الحجر من الازد فاشتراها عمر بن مروان وبناها فكانت فى يد ولده وقبضت عنهم وبيعت فى الصوافى سنة ثمان وثلثمائة ثم صارت الى شمول الاخشيدى فبناها قيسارية وحماما فصارت دار النحاس قيسارية شمول * وقال ابن المتوج دار النحاس خط نسب لدار النحاس وهو الآن فندق الاشراف ذو البابين أحدهما من رحبة امامة والثانى شارع بالساحل القديم وبآخر هذه الشقة التى تطل على النيل (جسر الافرم) وهو فى طرف مصر فيما بين المدرسة المعزية وبين رباط الآثار كان مطلا على النيل دائما والآن ينحسر الماء عنه عند هبوط النيل وعرف بالامير عز الدين أيدمر الافرم الصالحى النجمى أمير جندار وذلك أنه لما استأجر بركة الشعيبية كما ذكر عند ذكر البرك من هذا الكتاب جعل منها فدانين من غربيها أذن للناس فى تحكيرها فحكرت وبنى عليها عدة دور بلغت الغاية فى اتقان العمارة وتنافس عظماء دولة الناصر محمد بن قلاون من الوزراء وأعيان الكتاب فى المساكن بهذا الجسر وبنوا وتأنقوا وتفننوا فى بديع الزخرفة وبالغوا فى تحسين الرخام وخرجوا عن الحد فى كثرة انفاق الاموال العظيمة على ذلك بحيث صار خط الجسر خلاصة العامر من اقليم مصر وسكانه ارق الناس عيشا وأترف المتنعمين حياة وأوفرهم نعمة ثم خرب هذا الجسر بأسره وذهبت دوره * وأما الجهة الشرقية من مصر ففيها قلعة الجبل وقد أفردنا لها خبرا مستقلا يحتوى على فوائد كثيرة تضمنه هذا الكتاب فانظره ويتصل آخر قلعة الجبل بخط باب القرافة وهو من اطراف القطائع والعسكر ويلى خط باب القرافة الفضاء الذى كان يعرف بالعسكر وقد تقدم ذكره وكان بأطراف العسكر مما يلى كوم الجارح * (الموقف) قال ابن وصيف شاه فى أخبار الريان بن الوليد وهو فرعون نبى الله يوسف صلوات الله عليه ودخل الى البلد فى أيامه غلام من اهل الشام احتال عليه اخوته وباعوه وكانت قوافل الشام تعرس بناحية الموقف اليوم فأوقف الغلام ونودى عليه وهو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم فاشتراه أطفين العزيز ويقال ان الذى أخرج يوسف من الجب مالك بن دعر بن حجر بن جزيلة ابن لخم بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان * وقال القضاعى كان الموقف فضاء لام عبد الله بن مسلمة بن مخلد فتصدقت به على المسلمين فكان موقفا تباع فيه الدواب ثم ملك بعد وقد ذكرته فى الظاهر يعنى فى خطط اهل الظاهر فان الموقف من جملة خطط أهل الظاهر * وقال ابن المتوج بقعة (خط الصفاء) هذا الخط دثر جميعه ولم يبق له اثر وهو قبلى الفسطاط اوله بجوار المصنع وخط الطحانين

أدركته كان صفين طواحين متلاصقة متصلة من درب الصفاء الى كوم الجارح وأدركت به جماعة من أكابر المصريين أكثرهم عدول وكان المار بين هذين الصفين لا يسمع حديث رفيقه اذا حدثه لقوة دوران الطواحين وكان من جملتها طاحون واحد فيه سبعة أحجار دثر جميع ذلك ولم يبق له أثر * قال وبقعة درب الصفاء هو الدرب الذى كان باب مصر وقيل انه كان بظاهره سوق يوسف عليه السلام وكان بابا بمصراعين يعلوهما عقد كبير وهو بعتبة كبيرة سفلى من صوان وكان بجوار المصنع الخراب الموجود الآن وكان حول المصنع عمد رخام بدائرة حاملة الساباط يعلوه مسجد معلق هدم ذلك جميعه فى ولاية سيف الدين المعروف بابن سلار والى مصر فى دولة الظاهر بيبرس وهذا الدرب يسلك منه الى درب الصفاء والطحانين * (قال مؤلفه رحمه الله) * كان هذا الباب المذكور أحد أبواب مدينة مصر وبابها الآخر من ناحية الساحل الذى موضعه اليوم باب مصر بجوار الكبارة وأنا أدركت آثار درب الصفاء المذكور والمصنع الخراب وكان يصب فيه الماء للسبيل وهو قريب من كوم الجارح وسيأتى ذكر كوم الجارح فى ذكر الكيمان من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى * وأما الذى يلى كوم الجارح الى آخر حد طول مصر عند بركة الحبش فانها الخطط القديمة وأدركتها عامرة لاسيما خط النخالين وخط زقاق القناديل وخط المصاصة وقد خرب جميع ذلك وبيعت أنقاضه من بعد سنة تسعين وسبعمائة * وأما الجهة القبلية من مصر فان خط دير الطين حدثت العمارة فيه بعد سنة ستمائة لما أنشأ الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن حنا الجامع هناك وعمر الناس فى جسر الافرم وكان قبل ذلك آخر عمارة مدينة مصر دار الملك التى موضعها الآن بجوار المدرسة المعزية وأما موضع الجسر فانه كان بركة ماء تتصل بخط راشدة حيث جامع راشدة ومن قبلى هذه البركة البستان الذى كان يعرف ببستان الامير تميم بن المعز ويعرف اليوم بالمعشوق وهو وقف على رباط الآثار ويجاور المعشوق بركة الحبش ومابين خط دير الطين وآخر عرض مصر من الجهة القبلية طرف خط راشدة * وأما الجهة البحرية من مصر فانه يتصل بخط السبع سقايات الدور المطلة على البركة التى يقال لها بركة قارون وهى التى تجاور الآن حدرة ابن قميحة وهى من جملة الحمراء القصوى وبقبلى البركة المذكورة الكوم المعروف بالاسرى وهو من جملة العسكر وسيرد ان شاء الله تعالى ذكره عند ذكر الكيمان ويجاور البركة المذكورة خط الكبش وقد ذكر فى الجبال ويأتى ان شاء الله تعالى له خبر عند ذكر الاخطاط ويلى خط الكبش خط الجامع الطولونى ويلى خط الجامع القبيبات وخط المشهد النفيسى وجميع ذلك الى قلعة الجبل من جملة القطائع

(ذكر ابواب مدينة مصر)

وكان لفسطاط مصر أبواب فى القديم خربت وتجدد لها بعد ذلك ابواب أخر *(باب الصفاء)* هذا الباب كان هو فى الحقيقة باب مدينة مصر وهى فى كمالها ومنه تخرج العساكر وتعبر القوافل وموضعه الآن بالقرب من كوم الجارح وهدم فى ايام الملك الظاهر بيبرس *(باب الساحل)* كان يفضى بسالكه الى ساحل النيل القديم وموضعه قريب من الكبارة *(باب مصر)* هذا الباب هو الذى بناه قراقوش ومنه يسلك الآن من دخل الى مدينة مصر من الطريق التى تعرف بالمراغة وهو مجاور للكوم الذى يقال له كوم المشانيق ويعرف اليوم بالكبارة وكان موضع هذا الباب غامرا بماء النيل فلما انحسر الماء عن ساحل مصر صار الموضع المعروف بالمراغة والموضع المعروف بغيط الجرف الى موردة الحلفاء فضاء لا يصل اليه ماء النيل البتة فأحب السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب أن يدير سورا يجمع فيه القاهرة ومصر وقلعة الجبل فزاد فى سور القاهرة على يد قراقوش من باب القنطرة الى باب الشعرية والى باب البحر يريد أن يمد السور من باب البحر الى الكوم الاحمر الذى هو اليوم حافة خليج مصر تجاه خط بين الزقاقين ليصل ايضا من الكوم الاحمر الى باب مصر هذا فلم يتهيأ له هذا وانقطع السور من عند جامع المقس وزاد فى سور القاهرة أيضا من باب النصر الى قلعة الجبل فلم يكمل له ومد السور من قلعة الجبل الى باب القنطرة خارج مصر فصار هذا الباب غير متصل بالسور *(باب القنطرة)* هذا الباب فى قبلى مدينة مصر عرف بقنطرة بنى وائل التى كانت هناك وهو أيضا من بناء قراقوش

(ذكر القاهرة قاهرة المعز لدين الله)

اعلم أن القاهرة المعزية رابع موضع انتقل سرير السلطنة اليه من أرض مصر فى الدولة الاسلامية وذلك أن الامارة كانت بمدينة الفسطاط ثم صار محلها العسكر خارج الفسطاط فلما عمرت القطائع صارت دار الامارة الى أن خربت فسكن الامراء بالعسكر الى أن قدم القائد جوهر بعساكر مولاه الامام المعز لدين الله معد فبنى القاهرة حصنا ومعقلا بين يدى المدينة وصارت القاهرة دار خلافة ينزلها الخليفة بحرمه وخواصه الى أن انقرضت الدولة الفاطمية فسكنها من بعدهم السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب وابنه الملك العزيز عثمان وابنه الملك المنصور محمد ثم الملك العادل ابوبكر بن ايوب وابنه الملك الكامل محمد وانتقل من القاهرة الى قلعة الجبل فسكنها بحرمه وخواصه وسكنها الملوك من بعده الى يومنا هذا فصارت القاهرة مدينة سكنى بعدما كانت حصنا يعتقل به ودار خلافة يلتجأ اليها فهانت بعد العز وابتذلت بعد الاحترام وهذا شأن الملوك مازالوا يطمسون آثار من قبلهم ويميتون ذكر أعدائهم فقد هدموا بذلك السبب اكثر المدن والحصون وكذلك كانوا أيام العجم وفى جاهلية العرب وهم على ذلك فى أيام الاسلام فقد هدم عثمان بن عفان صومعة غمدان وهدم الآطام التى كانت بالمدينة وقد هدم زياد كل قصر ومصنع كان لابن عامر وقد هدم بنو العباس مدن الشام لبنى مروان (واذا تأملت البقاع وجدتها * تشقى كما تشقى الرجال وتسعد) وسيأتى من أخبار القاهرة والكلام على خططها وآثارها ما تنتهى اليه قدرتى ويصل الى معرفته علمى وفوق كل ذى علم عليم

(ذكر ما قيل فى نسب الخلفاء الفاطميين بناة القاهرة)

اعلم أن القوم كانوا ينتسبون الى الحسين بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما والناس فريقان فى امرهم فريق يثبت صحة ذلك وفريق يمنعه وينفيهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزعم انهم أدعياء من ولد ديصان البونىّ الذى ينسب اليه الثنوية وانّ ديصان كان له ابن اسمه ميمون القدّاح كان له مذهب فى الغلوّ فولد ميمون عبد الله وكان عبد الله عالما بجميع الشرائع والسنن والمذاهب وانه رتب سبع دعوات يتدرج الانسان فيها حتى ينحل عن الاديان كلها ويصير معطلا اباحيا لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا ويرى انه وأهل نحلته على هدى وجميع من خالفهم اهل ضلالة وانه قصد بذلك أن يجعل له أتباعا وكان يدعو الى الامام من آل البيت محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق وانه كان من الاهواز واشتهر بالعلم والتشيع وصار له دعاة وقصد بالمكروه ففرّ الى البصرة فاشتهر أمره وسار منها الى سلمية من أرض الشام فولد له ابن بها اسمه احمد ومات فقام من بعده أحمد وبعث بالحسين الاهوازىّ داعية الى العراق فلقى أحمد بن الاشعث المعروف بقرمط فى سواد الكوفة ودعاه الى مذهبه فأجابه وقام هنالك بالامر والى قرمط هذا تنسب القرامطة وولد لاحمد بن عبد الله بن ميمون القدّاح الحسين ومحمد المعروف بأبى الشلعلع فلما مات احمد خلفه ابنه الحسين فى الدعوة حتى مات فقام من بعده أخوه ابو الشلعلع وكان لاحمد بن عبد الله ولد اسمه سعيد فصار تحت حجر عمه وبعث ابو الشلعلع بداعيين الى المغرب وهما ابو عبد الله وأخوه ابو العباس فنزلا فى البربر ودعوهما واشتهر سعيد بسلمية بعد موت عمه وكثر ماله فطلبه السلطان ففرّ من سلمية الى مصر يريد المغرب وكان على مصر عيسى النوشرىّ فورد عليه كتاب الخليفة ببغداد بالقبض عليه ففاته وصار بسجلماسة فى زىّ التجار فبعث المعتضد من بغداد فى طلبه فأخذ وحبس حتى اخرجه ابو عبد الله الشيعىّ من محبسه فتسمى حينئذ بعبيد الله وتكنى بأبى محمد وتلقب بالمهدىّ وصار اماما علويا من ولد محمد بن جعفر الصادق وانما هو سعيد بن الحسين بن احمد بن عبد الله بن ميمون القدّاح بن ديصان البونىّ الاهوازىّ وأصله من المجوس فهذا قول من ينكر نسبهم وبعض منكرى نسبهم فى العلوية يقول انّ عبيد الله من اليهود وانّ الحسين بن احمد المذكور تزوج امرأة يهودية من نساء سلمية كان لها ابن من يهودىّ حدّاد مات وتركه لها فرباه الحسين وأدبه وعلمه ثم مات عن غير ولد فعهد الى ابن امرأته هذا فكان هو عبيد الله المهدىّ وهذه أقوال ان أنصفت تبين لك انها موضوعة فان بنى علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه قد كانوا اذ ذاك على غاية من وفور العدد وجلالة القدر عند الشيعة فما الحامل لشيعتهم على الاعراض عنهم والدعاء لابن مجوسىّ اولابن

يهودى فهذا مما لا يفعله أحد ولو بلغ الغاية فى الجهل والسخف وانما جاء ذلك من قبل ضعفة خلفاء بنى العباس عند ماغصوا بمكان الفاطميين فانهم كانوا قد اتصلت دولتهم نحوا من مائتين وسبعين سنة وملكوا من بنى العباس بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والحرمين واليمن وخطب لهم ببغداد نحو أربعين خطبة وعجزت عساكر بنى العباس عن مقاومتهم فلاذت حينئذ بتنفير الكافة عنهم باشاعة الطعن فى نسبهم وبث ذلك عنهم خلفاؤهم وأعجب به أولياؤهم وأمراء دولتهم الذين كانوا يحاربون عساكر الفاطميين كى يدفعوا بذلك عن انفسهم وسلطانهم معرة العجز عن مقاومتهم ودفعهم عما غلبوا عليه من ديار مصر والشام والحرمين حتى اشتهر ذلك ببغداد وأسجل القضاة بنفيهم من نسب العلويين وشهد بذلك من أعلام الناس جماعة منهم الشريفان الرضى والمرتضى وابو حامد الاسفراينى والقدورى فى عدة وافرة عند ما جمعوا لذلك فى سنة اثنتين وأربعمائة أيام القادر وكانت شهادة القوم فى ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وأهلها انما هم شيعة بنى العباس الطاعنون فى هذا النسب والمتطيرون من بنى على بن أبى طالب الفاعلون فيهم منذ ابتداء دولتهم الافاعيل القبيحة فنقل الاخباريون وأهل التاريخ ذلك كما سمعوه ورووه حسب ما تلقوه من غير تدبر والحق من وراء هذا وكفاك بكتاب المعتضد من خلائف بنى العباس حجة فانه كتب فى شأن عبيد الله الى ابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة بالقبض على عبيد الله فتفطن اعزك الله لصحة هذا الشاهد فان المعتضد لولا صحة نسب عبيد الله عنده ما كتب لمن ذكرنا بالقبض عليه اذ القوم حينئذ لا يدعون لدعى البتة ولا يذعنون له بوجه وانما ينقادون لمن كان علويا فخاف مما وقع ولو كان عنده من الادعياء لما مر له بفكر ولا خافه على ضيعة من ضياع الارض وانما كان القوم أعنى بنى على بن أبى طالب تحت ترقب الخوف من بنى العباس لتطلبهم لهم فى كل وقت وقصدهم اياهم دائما بأنواع من العقاب فصاروا ما بين طريد شريد وبين خائف يترقب ومع ذلك فان لشيعتهم الكثيرة المنتشرة فى اقطارهم من المحبة لهم والاقبال عليهم ما لا مزيد عليه وتكرر قيام الرجال منهم مرة بعد مرة والطلب عليهم من ورائهم فلاذوا بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون حتى تسمى محمد بن اسمعيل الامام جد عبيد الله المهدى بالمكتوم سماه بذلك الشيعة عند اتفاقهم على اخفائه حذرا من المتغلبين عليهم وكانت الشيعة فرقا فمنهم من كان يذهب الى أن الامام من ولد جعفر الصادق هو اسمعيل ابنه وهؤلاء يعرفون من بين فرق الشيعة بالاسماعيلية من أجل انهم يرون أن الامام من بعد جعفر ابنه اسماعيل وأن الامام بعد اسماعيل بن جعفر الصادق هو ابنه محمد المكتوم وبعد ابنه محمد المكتوم ابنه جعفر الصادق ومن بعد جعفر الصادق ابنه محمد الحبيب وكانوا اهل غلو فى دعاويهم فى هؤلاء الايمة وكان محمد بن جعفر هذا يؤمل ظهوره وأنه يصير له دولة وكان باليمن من اهل هذا المذهب كثير بعدن وبافريقية وفى كتامة ونفره تلقوا ذلك من عهد جعفر الصادق فقدم على محمد بن جعفر والد عبيد الله رجل من شيعته باليمن فبعث معه الحسن بن حوشب فى سنة ثمان وستين ومائتين فأظهرا أمرهما باليمن وأشهرا الدعوة فى سنة سبعين وصار لابن حوشب دولة بصنعاء وبث الدعاة بأقطار الارض وكان من جملة دعاته ابو عبد الله الشيعى فسيره الى المغرب فلقى كتامة ودعاهم فلما مات محمد بن جعفر عهد لابنه عبيد الله فطلبه المكتفى العباسى وكان يسكن عسكر مكرم فسار الى الشام ثم سار الى المغرب فكان من امره ما كان وكانت رجال هذه الدولة الذين قاموا ببلاد المغرب وديار مصر   عشر رجلا هذه خلاصة أخبارهم فى انسابهم فتفطن ولا تغتر بزخرف القول الذى لفقوه من الطعن فيهم والله يهدى من يشاء

هكذا بياض بالاصل ولعله اربعة عشر رجلا كما يؤخذ من بعض التواريخ اه

(ذكر الخلفاء الفاطميين)

وكان ابتداء الدولة الفاطمية أن أبا عبد الله الحسين بن احمد بن محمد بن زكرياء الشيعى سار الى أبى القسم الحسين ابن فرج بن حوشب الكوفى القائم ببلاد اليمن وصار من كبار أصحابه وله علم وعنده دهاء ومكر فورد على ابن حوشب من المغرب خبر موت الحلوانى داعيه فى المغرب ورفيقه فقال لابى عبد الله الشيعى قد خرب الحلوانى وابو يوسف بلاد المغرب وقد ماتا وليس للبلاد الا أنت فانها موطأة ممهدة فخرج ابو عبد الله الى مكة وقصد حجاج كتامة فجلس قريبا منهم وسمعهم يتحدثون بفضائل البيت فحدثهم فى معناه فمالوا اليه وسألوه أن يأذن لهم فى زيارته فلما زاروه سألوه عن مقصده فلم يخبرهم وأوهمهم أنه يريد مصر فسروا بصحبته ورحلوا وهو رفيقهم

فشاهدوا من عبادته وزهده مازادهم رغبة فيه هذا وهو يسألهم عن احوالهم وقبائلهم حتى صار يعرف
جميع امورهم فلما وصلوا مصر هم بمفارقتهم فقالوا اى شئ تطلب من مصر فقال أطلب التعليم بها فقالوا
اذا كان قصدك هذا فبلادنا أنفع لك ومازالوا به حتى سار معهم فلما وصلوا بلادهم اقترعوا فيمن يضيفه منهم
ومن بقية اصحابهم ووصلوا به أرض كتامة للنصف من ربيع الاول سنة ثمان وثمانين ومائتين وكادوا
يحتربون عليه أيهم ينزل عنده فأبى أن ينزل عندهم وقال اين يكون فج الاخيار فعجبوا لذلك اذ لم يكونوا اذكروه له
قط فدلوه عليه فسار اليه وقال هذا فج الاخيار وما سمى الابكم ولقد جاء فى الآثار للمهدى هجرة عن
الاوطان ينصره فيها الاخيار من اهل ذلك الزمان قوم اسمهم مشتق من الكتمان وبخروجكم فى هذا الفج سمى
فج الاخيار فتسامعت به القبائل وأتوه فعظم أمره وهو لا يذكر اسم المهدى البتة فبلغ خبره ابراهيم بن احمد بن
الاغلب أمير افريقية فبعث يسأل عن خبره وكانت له معه قصص آلت الى قيام ابى عبد الله ومحاربته لمن خالفه
فظفر بهم وصارت اليه اموالهم وغلب على مدائن وهزم جيوش ابن الاغلب وقتل كثيرا من اصحابه فمات
ابراهيم بن الاغلب وولى زيادة الله بن الاغلب وكان كثير اللهو فقوى أمر أبى عبد الله وانتشرت جنوده
فى البلاد وصار يقول المهدى يخرج فى هذه الايام ويملك الارض فياطوبى لمن هاجر الى وأطاعنى ويغرى
الناس بزيادة الله بن الاغلب ويعيبه وكان اكثر خواص زيادة الله شيعة فلم يكن يسوءهم ظفر أبى عبد الله
واكثر من ذكر كرامات المهدى والارسال الى اصحاب زيادة الله الى أن تمكن فبعث برجال من كتامة الى سلمية
من أرض الشام فقدموا على عبيد الله وأخبروه بما فتح الله عليه وكان قد اشتهر هناك وطلبه الخليفة المكتفى
فخرج من سلمية فارا ومعه ابنه ابو القاسم نزار ومعهما اهلهما ومواليهما فأقاما بمصر مستترين فوردت على
عيسى النوشرى أمير مصر الكتب من بغداد بصفة عبيد الله وحليته وانه يأخذ عليه الطريق ويقبضه
فبلغ ذلك عبيد الله فخرج والاعوان فى طلبه ويقال ان النوشرى ظفر به فناشده الله فى امره فخلى عنه
ووصله فسار الى طرابلس وقد سبق خبره الى زيادة الله فسار الى قسطيلية فقدم كتاب زيادة الله بن الاغلب الى
عامل طرابلس بأخذ عبيد الله وقد فاتهم فلم يدركوه فرحل الى سجلماسة وأقام بها وقد اقيمت له المراصد
بالطرقات فتلطف باليسع بن مدرار صاحب سجلماسة وأهدى اليه فكف عنه ووافاه كتاب زيادة الله بالقبض
على عبيد الله فلم يجد بدا من أن قبض عليه وسجنه واشتغل زيادة الله بجمع العساكر لمحاربة ابى عبد الله وتجهيزهم
اليه فغلبهم ابو عبد الله وغنم سائر ما معهم وقتل اكثرهم وبلغه ما كان من سجن عبيد الله فكتب اليه يبشره
فوصل اليه الكتاب وهو بالسجن مع قصاب دخل به اليه وهو يبيع اللحم ومازال ابو عبد الله يضايق زيادة الله
الى أن فر الى مصر وقام من بعده ابراهيم بن الاغلب فلم يتم له امر وملك ابو عبد الله القيروان ونزل برقادة مستهل
رجب سنة ست وتسعين ومائتين فأمر ونهى وبث العمال فى الاعمال وقتل من يخاف شره وأمر فنقش على
السكة فى أحد الوجهين بلغت حجة الله وفى الآخر تفرق أعداء الله ونقش على السلاح عدة فى سبيل الله ووسم
الخيل على أفخاذها الملك لله وأقام على ما كان عليه من لبس الخشن الدون وتناول القليل الغليظ من الطعام فلما
دخل شهر رمضان سار من رقادة فى جيوش عظيمة اهتزلها المغرب بأسره يريد سجلماسة فحاربه اليسع يوما
كاملا الى الليل ثم فر فى خاصته فدخل ابو عبد الله من الغد الى البلد وأخرج عبيد الله وابنه ومشى فى ركابهما
بجميع رؤساء القبائل وهو يقول للناس هذا مولاكم وهو يبكى من شدة الفرح حتى وصل بهما الى فسطاط
ضرب به فى العسكر فأنزلهما فيه وبعث الخيل فى طلب اليسع فأدركته وجاءت به فقتله وأقام عبيد الله بسجلماسة
أربعين يوما ثم سار الى افريقية فى ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ونزل برقادة وأمر يوم الجمعة أن يذكر
فى الخطبة وتلقب بالمهدى أمير المؤمنين فدعى له فى جميع البلاد بذلك وجلس بعد الصلاة الدعاة ودعوا الناس
كافة الى مذهبهم فمن أجاب قبل منه ومن أبى قتل وعرض جوارى زيادة الله واختار منهن لنفسه ولولده وفرق
ما بقى على وجوه كتامة وقسم عليهم أعمال افريقية ودون الدواوين وجبى الاموال ودانت له البلاد فشق ذلك على
أبى عبد الله ونافس المهدى وحسده من اجل انه كف يده ويد أخيه أبى العباس فعظم عليه الفطام عن الامر
والنهى والاخذ والعطاء وأقبل ابو العباس يزرى على المهدى فى مجلس أخيه ويؤنب اخاه على مافعل حتى
أثر فى نفسه فسأل المهدى أن يفوض اليه الامور ويجلس فى القصر وكان قد بلغ المهدى ما يجهر به ابو العباس

من

من السوء فى حقه فردّ أبا عبد الله ردّا لطيفا وأسرّها فى نفسه واكثر أبو العباس من قوله حتى أغرى المقدّمين بالمهدى وقال ماهذا بالذى كنا نعتقد طاعته وندعو اليه لان المهدى يأتى بالآيات الباهرة فمال اليه جماعة وواجه بعضهم المهدى بذلك وقال له ان كنت المهدى فأظهر لنا آية فقد شككنا فيك فبعد مابين المهدى وبين ابى عبد الله وأوجس كل منهما فى نفسه خيفة من الآخر وأخذ ابو العباس يدبر فى قتل المهدى والمهدى يحل ما كان يبرمه ثم رتب رجالا فلما ركب ابو عبد الله وأخوه الى قصر المهدى ثار بهما الرجال فقال ابو عبد الله لا تفعلوا فقالوا له ان الذى امرتنا بطاعته امرنا بقتلك فقتل هو وأخوه للنصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين بمدينة رقادة فثارت فتنة بسبب قتلهما فركب المهدى حتى سكنت وتتبع جماعة منهم فقتلهم فلما استقام له الامر عهد الى ابنه أبى القاسم وتتبع بنى الاغلب فقتل منهم جماعة وجهز فى سنة احدى وثلثمائة ابنه أبا القاسم بالعساكر الى مصر فأخذ برقة والاسكندرية والفيوم وكانت له مع عساكر مصر وعساكر العراق الواردة الى مصر مع مؤنس الخادم عدّة حروب وعاد الى الغرب فجهز المهدى فى سنة اثنتين وثلثمائة حباسة بجيوش الى مصر فغلب على الاسكندرية وكان من امره ماتقدّم ذكره وكان للمهدى ببلاد المغرب عدّة حروب وكان يوجد فى الكتب خروج أبى يزيد النكارى على دولته فبنى المهدية وأدار عليها سورا جعل فيه ابوابا زنة كل مصراع منها مائة قنطار من حديد وكان ابتداء بنائها فى ذى القعدة سنة ثلاث وثلثمائة وبنى المصلى بظاهرها وقال الى هنا يصل صاحب الحمار يعنى أبا يزيد فكان كذلك وأنشأ صناعة فيها تسعمائة شونة وقال انما بنيت هذه لتعتصم الفواطم بها ساعة من نهار فكان كذلك ثم انه جهز ابنه أبا القاسم فى سنة ست وثلثمائة على جيش الى مصر فأخذ الاسكندرية وملك جزيرة الاشمونين وكثيرا من صعيد مصر وكانت هنالك حروب مع عساكر مصر والعراق ثم عاد الى المغرب وخرج ابو القاسم فى سنة خمس عشرة بالجيوش الى المغرب فحارب قوما وعاد فمات عبيد الله فى ليلة الثلاثاء منتصف شهر ربيع الاوّل سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة بالمهدية من القيروان عن ثلاث وستين سنة وكانت خلافته اربعا وعشرين سنة وشهرا وعشرين يوما ولما مات اخفى ابنه موته وقام من بعد عبيد الله المهدى ولى عهده (القائم بأمر الله ابو القاسم محمد) * ويقال كان اسمه بالمشرق عبد الرحمن فتسمى فى بلاد المغرب بمحمد وذلك بسلمية فى المحرّم سنة ثمانين ومائتين فلما فرغ من جميع ما يريده وتمكن اظهر موت ابيه واستقل بالامر وله سبع واربعون سنة وتبع سيرة أبيه وثار عليه جماعة فظفر بهم وبث جيوشه فى البرّ والبحر فسبوا وغنموا من بلد جنوة وبعث جيشا الى مصر فملكوا الاسكندرية والاخشيد يومئذ امير مصر فلما كان فى سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة خرج عليه أبو يزيد مخلد بن كنداد النكارى الخارجى بأفريقية واشتدّت شوكته وكثرت أتباعه وهزم جيوش القائم غير مرّة وكان مذهبه تكفير أهل الملة واراقة دمائهم ديانة فملك باجة وحرّقها وقتل الاطفال وسبى النسوان ثم ملك القيروان فاضطرب القائم وخاف الناس وهموا بالنقلة من زويلة وقوى أمر ابى يزيد ونازل المهدية وحصر القائم بها وكاد أن يغلب عليها فلما بلغ المصلى حيث أشار المهدى أنه يصل هزمه اصحاب القائم وقتلوا كثيرا من أصحابه وكانت له قصص وأنباء الى أن مات القائم لثلاث عشرة خلت من شوّال سنة اربع وثلاثين وثلثمائة عن أربع وخمسين سنة وتسعة أشهر ولم يرق منبرا ولا ركب دابة لصيد مدّة خلافته حتى مات وصلى مرّة على جنازة وصلى بالناس العيد مرّة واحدة وكانت مدّة خلافته اثنتى عشرة سنة وستة أشهر وأياما وترك ابا الظاهر اسمعيل وأبا عبد الله جعفرا وحمزة وعدنان وعدّة أخر وقام من بعده ابنه * (المنصور بنصر الله ابو الظاهر اسمعيل) * وكتم موت أبيه خوفا أن يعلم ابو يزيد فانه كان قريبا منه وأبقى الامور على حالها ولم يتسم بالخليفة ولا غير السكة ولا الخطبة ولا البنود وجدّ فى حرب أبى يزيد حتى ظفر به وحمل اليه فمات من جراحات كانت به سلخ المحرّم سنة ست وثلاثين وثلثمائة ولم يزل المنصور الى أن مات سلخ شوّال سنة احدى واربعين وثلثمائة عن احدى وأربعين سنة وخمسة أشهر وكانت مدّة خلافته ثمان سنين وقيل سبع سنين وعشرة أيام وقد اختلف فى تاريخ ولادته فقيل ولد أول ليلة من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلثمائة بالمهدية وقيل بل ولد فى سنة اثنتين وقيل سنة احدى وثلثمائة وكان خطيبا بليغا يرتجل الخطبة لوقته شجاعا عاقلا وقام من بعده ابنه * (المعز لدين الله ابو تميم معدّ) * وعمره نحو أربع وعشرين سنة فانه ولد للنصف من رمضان سنة سبع

عشرة وثلثمائة فانقاد اليه البربر وأحسن اليهم فعظم أمره واختص من مواليه بجوهر وكناه بأبي الحسين
وأعلى قدره وصيره في رتبة الوزارة وعقد له على جيش كثيف فيهم الامير زيري بن مناد الصنهاجي فدوخ المغرب
وافتتح مدنا وقهر عدة اكابر وأسرهم حتى انتهى الى البحر المحيط فأمر باصطياد سمكة منه وسيرها في قلة من ماء الى
المعز اشارة الى أنه ملك حتى سكان البحر المحيط الذي لا عمارة بعده ثم قدم غانما مظفرا فعظم قدره عند المعز
ولما كان في بعض الايام استدعى المعز في يوم شات عدة من شيوخ كتامة فدخلوا عليه في مجلس قد فرش باللبود
وحوله كساء وعليه جبة وحوله ابواب مفتحة تفضي الى خزائن كتب وبين يديه دواة وكتب فقال يا اخواننا
أصبحت اليوم في مثل هذا الشتاء والبرد فقلت لام الامراء وانها الآن بحيث تسمع كلامي أترى اخواننا
يظنون انا في مثل هذا اليوم نأكل ونشرب ونتقلب في المثقل والديباج والحرير والفنك والسمور والمسك والخمر
والقباء كما يفعل أرباب الدنيا ثم رأيت أن أنفذ اليكم فأحضرتكم لتشاهدوا حالي اذا خلوت دونكم واحتجبت
عنكم واني لا افضلكم في احوالكم الا بما لا بد لي منه من دنياكم وبما خصني الله به من امامتكم واني مشغول بكتب
ترد علي من المشرق والمغرب اجيب عنها بخطي واني لا اشتغل بشيء من ملاذ الدنيا الا بما يصون أرواحكم ويعمر
بلادكم ويذل اعداءكم ويقمع اضدادكم فافعلوا يا شيوخ في خلواتكم مثل ما افعله ولا تظهروا التكبر والتجبر
فينزع الله النعمة عنكم وينقلها الى غيركم وتحننوا على من وراءكم ممن لا يصل الي كتحنني عليكم ليتصل في الناس
الجميل ويكثر الخير وينتشر العدل وأقبلوا بعدها على نسائكم والزموا الواحدة التي تكون لكم ولا تشرهوا
الى التكثر منهن والرغبة فيهن فيتنغص عيشكم وتعود المضرة عليكم وتنهكوا أبدانكم وتذهب قوتكم
وتضعف نحائزكم فحسب الرجل الواحد الواحدة ونحن محتاجون الى نصرتكم بأبدانكم وعقولكم
واعلموا أنكم اذا لزمتم ما آمركم به رجوت أن يقرب الله علينا امر المشرق كما قرب امر المغرب بكم انهضوا
رحمكم الله ونصركم فخرجوا عنه واستدعى يوما أبا جعفر حسين بن مهذب صاحب بيت المال وهو في وسط
القصر قد جلس على صندوق وبين يديه ألوف صناديق مبددة فقال له هذه صناديق مال وقد شذ عني
ترتيبها فانظرها ورتبها قال فأخذت اجمعها الى أن صارت مرتبة وبين يديه جماعة من خدام بيت المال
والفراشين فأنفذت اليه أعلمه فأمر برفعها في الخزائن على ترتيبها وأن يغلق عليها وتختم بخاتمه وقال قد خرجت
عن خاتمنا وصارت اليك فكانت جملتها أربعة وعشرين ألف ألف دينار وذلك في سنة سبع وخمسين وثلثمائة
فأنفقها أجمع على العساكر التي سيرها الى مصر من سنة ثمان وخمسين الى سنة اثنتين وستين وثلثمائة * ولما أخذ
في تجهيز جوهر بالعساكر الى أخذ ديار مصر حتى تهيأ امره وبرز للمسير بعث المعز خفيفا الصقلبي الى شيوخ
كتامة يقول يا اخواننا قد رأينا أن ننفذ رجالا الى بلدان كتامة يقيمون بينهم ويأخذون صدقاتهم ومراعيهم
ويحفظونها عليهم في بلادهم فاذا احتجنا اليها انفذنا خلفها فاستعنا بها على ما نحن بسبيله فقال بعض شيوخهم
لخفيف لما بلغه ذلك قل لمولانا والله لا فعلنا هذا أبدا كيف تؤدي كتامة الجزية ويصير عليها في الديوان ضريبة
وقد أعزها الله قديما بالاسلام وحديثا معكم بالايمان وسيوفنا بطاعتكم في المشرق والمغرب فعاد خفيف الى
المعز بذلك فأمر باحضار جماعة كتامة فدخلوا عليه وهو راكب فرسه فقال ما هذا الجواب الذي صدر
عنكم فقالوا هذا جواب جماعتنا ما كان مولانا بالذي يؤدي جزية تبقى علينا فقام المعز في ركابه وقال بارك الله
فيكم فهكذا اريد أن تكونوا وانما أردت أن اختبركم فأنظر كيف أنتم بعدي فسار جوهر وأخذ مصر كما قد ذكر
في ترجمته عند ذكر سور القاهرة من هذا الكتاب * فلما ثبتت قدم جوهر بمصر كتب اليه المعز جوابا عن كتابه
وأما ما ذكرت يا جوهر من أن جماعة بني حمدان وصلت اليك كتبهم يبذلون الطاعة ويعدون بالمسارعة في المسير
اليك فاسمع لما اذكره لك احذر أن تبتدئ احدا من آل حمدان بمكاتبة ترهيبا له ولا ترغيبا ومن كتب اليك كتابا
منهم فأجبه بالحسن الجميل ولا تستدعه اليك ومن ورد اليك منهم فأحسن اليه ولا تمكن احدا منهم من قيادة
جيش ولا ملك طرف فبنو حمدان يتظاهرون بثلاثة أشياء عليها مدار العالم وليس لهم فيها نصيب يتظاهرون
بالدين وليس لهم فيه نصيب ويتظاهرون بالكرم وليس لواحد منهم كرم في الله ويتظاهرون بالشجاعة وشجاعتهم للدنيا
لا للآخرة فاحذر كل الحذر من الاستناد الى أحد منهم * ولما عزم المعز على المسير الى مصر أجال فكره فيمن
يخلفه في بلاد المغرب فوقع اختياره على جعفر بن علي الامير فاستدعاه وأسر اليه أنه يريد استخلافه بالمغرب

فقال تترك معى أحد أولادك اواخوتك يجلس فى القصر وأنا ادبر ولا تسألنى عن شئ من الاموال لان ما أجبيه يكون بازاء ما انفقه من الاموال واذا أردت امرا فعلته من غير أن أنتظر ورود أمرك فيه لبعد ما بين مصر والمغرب ويكون تقليد القضاء والخراج وغيره الىّ فغضب المعز وقال يا جعفر عزلتنى عن ملكى وأردت أن تجعل لى فيه شريكا فى امرى واستبددت بالاعمال والاموال دونى قم فقد أخطأت حظك وما اصبت رشدك فخرج عنه ثم انه استدعى يوسف بن زيرى الصنهاجىّ وقال له تأهب لخلافة المغرب فأكبر ذلك وقال يا مولانا أنت وآباؤك الائمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صفا لكم المغرب فكيف يصفو لى وأنا صنهاجىّ بربرى قتلتنى يا مولانا بغير سيف ولا رمح فما زال به المعز حتى اجاب بشريطة أنّ المعز يولى القضاء والخراج لمن يراه ويختاره ويجعل الخبر لمن يثق به ويجعله قائما بين ايدى هؤلاء فمن استعصى عليهم يأمره هؤلاء به حتى يعمل به ما يجب ويكون الامر لهم ويصير كالخادم بين اولئك فأحب المعز ما قال وشكره فلما انصرف قال ابو طالب بن القائم بأمر الله للمعز يا مولانا وتثق بهذا القول من يوسف وانه يقوم بوفاء ما ذكر فقال المعز يا عمنا كم بين قول يوسف وقول جعفر فاعلم يا عمّ أنّ الامر الذى طلبه جعفر ابتداء هو آخر ما يصير اليه امر يوسف واذا تطاولت المدة سينفرد بالامر ولكن هذا أولا احسن وأجود عند ذوى العقل وهو نهاية ما يفعله وكانت أم الامراء قد وجهت من المغرب صبية لتباع بمصر فعرضها وكيلها فى مصر للبيع وطلب فيها ألف دينار فحضر اليه فى بعض الايام امرأة شابة على حمار لتقلب الصبية فساومته فيها وابتاعتها منه بستمائة دينار فاذا هى ابنة الاخشيد محمد بن طغج وقد بلغها خبر هذه الصبية فلما رأتها شغفتها حبا فاشترتها لتستمتع بها فعاد الوكيل الى المغرب وحدّث المعز بذلك فأحضر الشيوخ وأمر الوكيل فقص عليهم خبر ابنة الاخشيد مع الصبية الى آخره فقال المعز يا اخواننا انهضوا الى مصر فلن يحول بينكم وبينها شئ فانّ القوم قد بلغ بهم الترف الى أن صارت امرأة من بنات الملوك فيهم تخرج بنفسها وتشترى جارية لتتمتع بها وما هذا الا من ضعف نفوس رجالهم وذهاب غيرتهم فانهضوا لمسيرنا اليهم فقالوا السمع والطاعة فقال خذوا فى حوائجكم فنحن نقدّم الاختيار لمسيرنا ان شاء الله تعالى وكان قيصر ومظفر الصقلبيان قد بلغا رتبة عظيمة عند المنصور والد المعز وكان المظفر يدل على المعز من اجل أنه علمه الخط فى صغره فحرد عليه مرة وولى فسمعه المعز يتكلم بكلمة صقلبية استراب منها واتقنها منه وأنفت نفسه من السؤال عن معناها فأخذ يحفظ اللغات فابتدأ بتعلم اللغة البربرية حتى احكمها ثم تعلم الرومية والسودانية حتى اتقنهما ثم أخذ يتعلم الصقلبية فمرّت به تلك الكلمة فاذا هى سب قبيح فأمر بمظفر فقتل من اجل تلك الكلمة وبلغه امر الحروب التى كانت بين بنى حسن وبنى جعفر بالحجاز حتى قتل من بنى حسن اكثر ممن قتل من بنى جعفر فأنفذ مالا ورجالا فى السرّ ما زالوا بالطائفتين حتى اصطلحتا وتحمل الرجال عن كل منهما الحمالات لجاء الفاضل فى القتلى لبنى حسن عند بنى جعفر نحو سبعين قتيلا فأدّوا عنهم وعقدوا بينهم الصلح فى الحرم تجاه الكعبة وتحملوا عنهم الديات من مال المعز وكان ذلك فى سنة ثمان وأربعين وثلثمائة فصارت هذه الفعلة يدا عند بنى حسن للمعز فلما ملك جوهر مصر بادر حسن بن جعفر الحسنىّ بالدعاء للمعز فى مكة وبعث الى جوهر بالخبر فسير الى المعز يعرّفه باقامة الدعوة له بمكة فأنفذ اليه بتقليده الحرم وأعماله وسار المعز بعساكره من المغرب حتى نزل بالجيزة فعقد له جوهر جسرا جديدا عند المختار بالجزيرة فسار عليه وقد زينت له مدينة الفسطاط فلم يشقها ودخل الى القاهرة بجميع أولاده واخوته وسائر اولاد عبيد الله المهدىّ وبتوابيت آبائه وذلك لسبع خلون من رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة فعندما دخل القصر صلى ركعتين فاقتدى به من حضر وبات به ثم اصبح فجلس للهناء وأمر فكتب فى سائر مدينة مصر خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم امير المؤمنين علىّ بن ابى طالب وأثبت اسم المعز لدين الله واسم أبيه عبد الله الامير وجلس فى القصر على السرير الذهب وصلى بالناس صلاة عيد الفطر فى المصلى فسبح فى كل ركعة وفى كل سجدة ثلاثين تسبيحة ثم خطب بعد الصلاة وركب لفتح خليج مصر يوم الوفاء وعمل عيد غدير خم ومات بعض بنى عمه فصلى عليه وكبر سبعا وكبر على ميت آخر خمسا وقدمت القرامطة الى مصر فسير اليهم الجيوش وهزموهم وما زال الى أن توفى من علة اعتلها بعد دخوله الى القاهرة بسنتين وسبعة اشهر وعشرة ايام وعمره خمس وأربعون سنة وستة اشهر تقريبا فانّ مولده بالمهدية فى حادى عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلثمائة ووفاته بالقاهرة لاربع عشرة خلت من ربيع

الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة وكانت مدّة خلافته بالمغرب وديار مصر ثلاثا وعشرين سنة وعشرة ايام وهو أوّل الخلفاء الفاطميين بمصر واليه تنسب القاهرة المعزية لانّ عبده جوهرا القائد بناها حسب ما رسم له كما ذكر فى خبر بنائها * وكان المعز عالما فاضلا جوادا حسن السيرة منصفا للرعية مغرما بالنجوم اقيمت له الدعوة بالمغرب كله وديار مصر والشام والحرمين وبعض أعمال العراق * وقام من بعده ابنه (العزيز بالله ابو منصور نزار) * فأقام فى الخلافة احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ونصفا ومات وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوما فى الثامن والعشرين من رجب سنة ست وثمانين وثلثمائة بمدينة بلبيس وحمل الى القاهرة * وقام من بعده ابنه (الحاكم بأمر الله ابو علىّ منصور) * وكانت مدّة خلافته الى أن فقد خمسا وعشرين سنة وشهرا وفقد وعمره ست وثلاثون سنة وسبعة أشهر فى ليلة السابع والعشرين من شوّال سنة احدى عشرة واربعمائة وقد بسطت خبر العزيز والحاكم عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب * وقام من بعده ابنه (الظاهر لاعزاز دين الله ابو الحسن علىّ) بن الحاكم بأمر الله ولد بالقاهرة يوم الاربعاء لعشر خلون من رمضان سنة خمس وتسعين وثلثمائة وبويع له بالخلافة يوم عيد النحر سنة احدى عشرة وأربعمائة وعمره ست عشرة سنة فخرج الى صلاة العيد وعلى رأسه المظلة وحوله العساكر وصلى بالناس فى المصلى وعاد فكتب بخلافته الى الاعمال وشرب الخمور ورخص فيه للناس وفى سماع الغناء وشرب الفقاع وأكل الملوخيا وجميع الاسماك فأقبل الناس على اللهو ووزر له الخطير رئيس الرؤساء ابو الحسن عمار بن محمد وكان يلى ديوان الانشاء وغيره واستوزره الحاكم الى أن فقد فتولى البيعة للظاهر ثم قتل بعد سبعة اشهر فى ربيع الاوّل سنة اثنتى عشرة فاستوزر بعده بدر الدولة أبا الفتوح موسى بن الحسين وكان يتولى الشرطة ثم ولى ديوان الانشاء بعد ابن خيران وصرف عن الوزارة فى المحرّم سنة ثلاث عشرة وقبض عليه فى شوّال وقتل فوجد له من العين ستمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار وولى بعده الوزارة الامير شمس الملوك المكين مسعود بن طاهر * وفى سنة أربع عشرة قلد منتخب الدولة الدربزى متولى قيسارية ولاية فلسطين فكانت له مع حسان ابن مفرج بن جراح الطائى حروب وفيها نزع السعر بمصر وتعذر وجود الخبز وفى المحرّم سنة خمس عشرة لقب الخادم الاسود معضاد بالقائد عز الدولة وسنائها ابى الفوارس معضاد الظاهرى وخلع عليه وثار رجل من بنى الحسين ببلاد الصعيد فقبض عليه وأقرّ أنه قتل الحاكم بأمر الله ووجد معه قطعة من جلد رأسه وقطعة من الفوطة التى كانت عليه فسئل عن سبب قتله اياه فقال غرت لله وللاسلام ثم قتل نفسه بسكين كانت معه فقطعت رأسه وسيرت الى القاهرة وفيها اشتدّ الغلاء بمصر وكثر نقص النيل * وفيها اقرّ الشريف الكبير العجمىّ والشيخ نجيب الدولة الجرجراى والشيخ العميد محسن بن بدوس مع القائد معضاد أن لا يدخل على الظاهر أحد غيرهم وكانوا يدخلون كل يوم خلوة ويخرجون فيتصرّفون فى سائر أمور الدولة والظاهر مشغول بلذاته وصار شمس الملوك مظفر صاحب المظلة وابن خيران صاحب الانشاء وداعى الدعاة ونقيب نقباء الطالبيين وقاضى القضاة ربما دخلوا على الظاهر فى كل عشرين يوما مرّة ومن عداهم لا يصل الى الظاهر البتة والثلاثة الاول هم الذين يقضون الاشغال ويمضون الامور بعد الاجتماع عند القائد معضاد ومنع الناس من ذبح الابقار لقلتها وعزت الاقوات بمصر وقلت البهائم كلها حتى بيع الرأس البقر بخمسين دينارا وكثر الخوف فى ظواهر البلد وكثر اضطراب الناس وتحدّث زعماء الدولة بمصادرة التجار فاختلف بعضهم على بعض وكثر ضجيج طوائف العسكر من الفقر والحاجة فلم يجابوا وتحاسد زعماء الدولة فقبض على العميد محسن وضرب عنقه واشتدّ الغلاء وفشت الامراض وكثر الموت فى الناس وفقد الحيوان فلم يقدر على دجاجة ولا فروج وعز الماء لقلة الظهر فعمّ البلاء من كل جهة وعرض الناس امتعتهم للبيع فلم يوجد من يشتريها وخرج الحاج فقطع عليهم الطريق بعد رحيلهم من بركة الجب وأخذت اموالهم وقتل منهم كثير وعاد من بقى فلم يحج أحد من اهل مصر وتفاقم الامر فى شدّة الغلاء فصاح الناس بالظاهر الجوع الجوع يا أمير المؤمنين لم يصنع بنا هذا ابوك ولا جدّك فالله الله فى امرنا وطرقت عساكر ابن جراح الفرما ففرّ اهلها الى القاهرة وأصبح الناس بمصر على اقبح حال من الامراض والموتان وشدّة الغلاء وعدم الاقوات وكثر الخوف من الدعار التى تكبس حتى انه لما عمل سماط عيد النحر بالقصر كبس العبيد على السماط وهم يصيحون الجوع ونهبوا سائر ما كان عليه

ونهبت

ونهبت الارياف وكثر طمع العبيد ونهبهم وجرت امور من العامة قبيحة واحتاج الظاهر الى القرض فحمل بعض اهل الدولة اليه مالا وامتنع آخرون واجتمع نحو الالف عبد لتنهب البلد من الجوع فنودى بأن من تعرض له أحد من العبيد فليقتله وندب جماعة لحفظ البلد واستعد الناس فكانت نهبات بالساحل ووقائع مع العبيد احتاج الناس فيها الى أن خندقوا عليهم خنادق وعملوا الدروب على الازقة والشوارع وخرج معضاد فى عسكر فطردهم وقبض على جماعة منهم ضرب أعناقهم وأخذ العبيد فى طلب الجرجراى وغيره من وجوه الدولة فحرسوا انفسهم وامتنعوا فى دورهم وانقضت السنة والناس فى أنواع من البلاء * وفى سنة ست عشرة امر الظاهر فأخرج من بمصر من الفقهاء المالكية وغيرهم وأمر الدعاة أن يحفظوا الناس كتاب دعائم الاسلام ومختصر الوزير وجعل لمن حفظ ذلك مالا * وفى سنة سبع عشرة ثار بمصر رعاف عظيم بالناس وكثرت زيادة النيل عن العادة وتصدق الظاهر بمائة الف دينار من أجل أنه سقط عن فرسه وسلم * وفى سنة ثمان عشرة وقعت الهدنة مع صاحب الروم وخطب للظاهر فى بلاده وأعاد الجامع بقسطنطينية وعمل فيه مؤذنا فأعاد الظاهر كنيسة قمامة بالقدس وأذن لمن اظهر الاسلام فى أيام الحاكم أن يعود الى النصرانية فرجع اليها كثير منهم وصرف الظاهر وزيره عميد الدولة وناصحها أبا محمد الحسن بن صالح الروذبادى وأقام بدله ابا القاسم على بن احمد الجرجراى * وفى سنة عشرين كانت فتنة بين المغاربة والاتراك قتل فيها كثير * وفى سنة احدى وعشرين بويع لابن الظاهر بولاية العهد وعمره ثمانية اشهر وأنفق على ذلك فى خلع لاهل الدولة وطعام ونثار للعامة ما يجل وصفه * وفى سنة اثنتين وعشرين تحرك السعر لنقص ماء النيل ثم زاد بعد أوانه بأربعة أشهر * وفى سنة ثلاث وعشرين قتل الظاهر أحد الدعاة فاضطربت الرعية والجند وتحدث الناس بخلعه ثم سكنت الفتنة بعد انفاق مال جزيل * وفى سنة أربع وعشرين ركب ولى العهد من القاهرة الى مصر وقد زينت الطرقات فكان اذا مر بقوم قبلوا له الارض ونثر يومئذ على العامة مبلغ خمسة آلاف دينار فكان يوما عظيما * وفى سنة خمس وعشرين بث الظاهر دعاته ببغداد عند اختلاف الاتراك بها فكثرت دعاته هناك واستجاب لهم خلق كثير فلما كان فى سنة ست وعشرين كثر الوباء بمصر ومات الظاهر للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة عن اثنتين وثلاثين سنة الا اياما فكانت مدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية اشهر وأياما وكان مشغوفا باللهو محبا للغناء فتأنق الناس فى ايامه بمصر واتخذوا المغنيات والرقاصات وبلغوا من ذلك مبلغا عظيما واتخذ حجرا لمماليكه وعلمهم انواع العلوم وسائر فنون الحرب واتخذ خزانة البنود وأقام فيها ثلاثة آلاف صانع وراسل الملوك واستكثر من شراء الجواهر وكانت مملكته بافريقية ومصر والشام والحجاز وغلب صالح بن مرداس على حلب فى أيامه واستولى على ما يليها وتغلب حسان بن جراح على اكثر بلاد الشام فتضعضعت الدولة *

وقام من بعده ابنه ولى العهد وبويع له وهو (المستنصر بالله ابو تميم معد) * ومولده فى السادس عشر من جمادى الآخرة سنة عشرين واربعمائة وبويع بالخلافة للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين وعمره يومئذ سبع سنين فأقام ستين سنة وأشهرا فى الخلافة كانت فيها أنباء وقصص شنيعة بديار مصر منها أن امه كانت امة سوداء لتاجر يهودى يقال له ابو سعد سهل بن هرون التسترى فابتاعها منه الظاهر واستولدها المستنصر فلما أفضت الخلافة اليه استدنت امه أبا سعد ورقته درجة علية وكان الوزير يومئذ ابا القاسم الجرجراى فلم يتمكن ابو سعد من اظهار ما فى نفسه حتى مات الجرجراى وتولى ابو منصور صدقة بن يوسف العلاجى الوزارة فانبسطت يد أبى سعد وصار العلاجى يأتمر بأمره فعمل عليه وقتله كما ذكر فى خبر خزانة البنود فحقدت أم المستنصر على العلاجى وصرفته عن الوزارة واستقر ابو البركات صفى الدين الحسين بن محمد بن احمد الجرجراى فى الوزارة * وفى سنة اربعين سار ناصر الدولة الحسين بن حمدان متولى دمشق بالعساكر الى حلب وحارب متوليها ثمال بن صالح بن مرداس ثم رجع بغير طائل فتقلد مظفر الصقلبى دمشق وقبض على ابن حمدان وصادره واعتقله بصور وثم بالرملة وخرج امير الامراء رفق الخادم على عسكر تبلغ عدته نحو الثلاثين الفا بلغت النفقة عليه اربعمائة ألف دينار يريد الشام ومحاربة بنى مرداس * وفى المحرم سنة احدى واربعين صرف قاضى القضاة قاسم بن عبد العزيز بن النعمان عن القضاء بعد ما باشره ثلاث عشرة سنة وشهرا وأربعة ايام وتقلد وظيفة القضاء بعده القاضى الاجل خطير الملك ابو محمد اليازورى * وفيها

حارب رفق بنى مرداس فظفروا به وأسروه فمات بقلعة حلب فأفرج عن ابن حمدان وبقى بالحضرة وقبض على الوزير أبى البركات الجرجرائى ونفى الى الشام وعمل ابو المفضل صاعد بن مسعود واسطة لا وزيرا ثم قلد قاضى القضاة ابو محمد البازورى الوزارة مع وظيفة القضاء ولقب بسيد الوزراء * وفى سنة اثنتين واربعين كانت حروب البحيرة واخراج بنى قرة منها وانزال بنى سنبس بعدهم بها وفيها دعا على بن محمد الصليحى باليمن للمستنصر وبعث اليه بمال النجوة والهدن * وفى سنة أربع واربعين كتب ببغداد محاضر بالقدح فى نسب الخلفاء المصريين ونفيهم من الانتساب الى على بن ابى طالب وسيرت الى الآفاق وقصر مد النيل فتحرك السعر بمصر ثم قصر أيضا مد النيل فى سنة ست وأربعين فقوى الغلاء وكثر الموت فى الناس * وفى سنة ثمان وأربعين خرج ابو الحارث البساسيرى من بغداد منتميا للمستنصر فسيرت اليه الاموال والخلع * وفى سنة ثمان وأربعين عادت حلب الى مملكة المستنصر * وفى سنة خمسين قبض على الوزير الناصر للدين ابى محمد البازورى وتقلد بعده الوزارة ابو الفرج محمد بن جعفر المغربى بن عبد الله بن محمد وولى القضاء بعد البازورى ابو على احمد بن عبد الحكم ثم صرف بعبد الحاكم المليحى وفيها أخذ البساسيرى بغداد وأقام فيها الخطبة للمستنصر وفر الخليفة القائم بأمر الله العباسى الى قريش بن بدران فبعث به الى غانة وسيرت ثياب القائم وعمامته وغير ذلك من الاموال الى مصر وفيها سار ناصر الدولة الى دمشق أميرا عليها * وفى سنة احدى وخمسين اقيمت دعوة المستنصر بالبصرة وواسط وجميع تلك الاعمال فقدم طغربل الى بغداد وأعاد الخليفة القائم بعد ما خطب للمستنصر ببغداد أربعون خطبة وقتل البساسيرى وفيها قطعت خطبة المستنصر أيضا من حلب فسار اليها ابن حمدان وحارب اهلها فانكسر كسرة شديدة شنيعة وعاد الى دمشق وفيها صرف ابو الفرج بن المغربى عن الوزارة وعبد الحاكم عن القضاء وأعيد الى الوزارة ابو الفرج البابلى واستقر فى وظيفة القضاء احمد بن ابى زكرى * وفى سنة ثلاث وخمسين كثر صرف الوزراء والقضاة وولايتهم لكثرة مخالطة الرعاع للخليفة وتقدم الاراذل بحيث كان يصل اليه فى كل يوم ثمانمائة رقعة فيها المرافعات والسعايات فاشتبهت عليه الامور وتناقضت الاحوال ووقع الاختلاف بين عبيد الدولة وضعفت قوى الوزراء عن التدبير لقصر مدة كل منهم وخربت الاعمال وقل ارتفاعها وتغلب الرجال على معظمها مع كثرة النفقات والاستخفاف بالامور وطغيان الاكابر الى أن آل الامر الى حدوث الشدة العظمى كما قد ذكر فى موضعه من هذا الكتاب وكان من قدوم أمير الجيوش بدر الجمالى فى سنة ست وستين وأربعمائة وقيامه بسلطنة مصر ما ذكر فى ترجمته عند ذكر أبواب القاهرة فلم يزل المستنصر مدة أمير الجيوش ملجما عن التصرف الى أن مات فى سنة سبع وثمانين فأقام العسكر من بعده فى الوزارة ابنه الافضل شاهنشاه فباشر الامور يسيرا ومات المستنصر ليلة الخميس للثلتين بقيتا من ذى الحجة سنة سبع وثمانين عن سبع وستين سنة وخمسة اشهر منها فى الخلافة ستون سنة وأربعة اشهر وثلاثة ايام مرت فيها اهوال عظيمة وشدائد آلت به الى أن جلس على نخ وفقد القوت فلم يقدر عليه حتى كانت امرأة من الاشراف تتصدق عليه فى كل يوم بقعب فيه فتيت فلا يأكل سواه مرة فى كل يوم وقد مر فى غير موضع من هذا الكتاب كثير من أخباره فلما مات المستنصر أقام الافضل بن امير الجيوش فى الخلافة من بعده ابنه (المستعلى بالله ابا القاسم احمد) * وكان مولده فى العشرين من المحرم سنة سبع وستين وأربعمائة فخالف عليه اخوه نزار وفر الى الاسكندرية وكان القائم بالامور كلها الافضل فحاربه حتى ظفر به وقتله كما تقدم فى خبر أفتكين عند خزائن القصر * وفى سنة تسعين وقع بمصر غلاء ووباء وقطعت الخطبة من دمشق للمستعلى وخطب بها للعباسى وخرج الفرنج من قسطنطينية لاخذ سواحل الشام وغيرها من ايدى المسلمين فملكوا انطاكية * وفى سنة احدى وتسعين خرج الافضل بعسكر عظيم من القاهرة فأخذ بيت المقدس من الارمن وعاد الى القاهرة * وفى سنة اثنتين وتسعين ملك الفرنج الرملة وبيت المقدس فخرج الافضل بالعساكر وسار الى عسقلان فسار اليه الفرنج وقاتلوه وقتلوا كثيرا من اصحابه وغنموا منه شيأ كثيرا وحصروه فنجا بنفسه فى البحر وصار الى القاهرة * وفى سنة ثلاث وتسعين عم الوباء اكثر البلاد فهلك بمصر عالم عظيم * وفى سنة اربع وتسعين خرج عسكر مصر لقتال الفرنج وكانت بينهما حروب كثيرة * وفى سنة خمس وتسعين وأربعمائة مات المستعلى بالله لثلاث عشرة بقيت من صفر وعمره سبع وعشرون سنة وسبعة وعشرون يوما ومدة خلافته سبع سنين وشهران وفى أيامه اختلت الدولة

وانقطعت الدعوة من اكثر مدن الشام فانها صارت بين الاتراك والفرنج وصارت الاسماعيلية فرقتين فرقة نزارية تطعن فى امامة المستعلى وفرقة ترى صحة خلافته ولم يكن للمستعلى مع الافضل امر ولا نهى ولا نفوذ كلمة وقيل انه سم وقيل بل قتل سرّا * فلما مات أقام الافضل من بعده فى الخلافة ابنه (الآمر بأحكام الله اباعلى منصورا) * وعمره خمس سنين وشهر وايام فقتل الافضل فى ايامه واقام فى الخلافة تسعا وعشرين سنة وثمانية اشهر ونصفا وقد ذكرت ترجمته عند ذكر الجامع الاقمر فى ذكر الجوامع من هذا الكتاب ولما قتل الآمر بأحكام الله اقيم من بعده (الحافظ لدين الله ابو الميمون عبد المجيد) ابن الامير أبى القاسم محمد بن المستنصر بالله وكان قد ولد بعسقلان فى المحرّم سنة سبع وقيل فى سنة ثمان وتسعين وأربعمائة لما اخرج المستنصر ابنه اباالقاسم مع بقية اولاده فى ايام الشدّة فلذلك كان يقال له فى ايام الآمر بأحكام الله الامير عبد المجيد العسقلانى ابن عمّ مولانا * ولما قتل النزارية الخليفة الآمر أقام برغش وهزار الملوك الامير عبد المجيد فى دست الخلافة ولقباه بالحافظ لدين الله وانه يكون كفيلا المنتظر فى بطن أمّه من اولاد الآمر واستقرّ هزار الملوك وزيرا فثار العسكر وأقاموا أباعلى بن الافضل وزيرا وقتل هزار الملوك ونهب شارع القاهرة وذلك كله فى يوم واحد فاستبدّ ابو على بالوزارة يوم السادس عشر من ذى القعدة سنة اربع وعشرين وخمسمائة وقبض على الحافظ وسجنه مقيدا فاستمرّ الى أن قتل ابو على فى سادس عشر المحرّم سنة ست وعشرين فأخرج من معتقله وأخذ له العهد على انه ولى عهد كفيل لمن يذكر اسمه فاتخذ الحافظ هذا اليوم عيدا سماه عيد النصر وصار يعمل كل سنة ونهبت القاهرة يومئذ وقام يانس صاحب الباب بالوزارة الى أن هلك فى ذى الحجة منها بعد تسعة اشهر فلم يستوزر الحافظ بعده أحدا وتولى الامور بنفسه الى سنة ثمان وعشرين فأقام ابنه سليمان ولى عهده مقام وزير فلم تطل أيامه سوى شهرين ومات فجعل مكانه ابن حيدرة فحنق ابنه حسن وثار بالفتنة وكان من أمره ما ذكر فى خبر الحارة اليانسية من هذا الكتاب فلما قتل حسن قام بهرام الارمنى وأخذ الوزارة فى جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وكان نصرانيا فاشتدّ ضرر المسلمين من النصارى وكثرت أذيتهم فسار رضوان بن ولخشى وهو يومئذ متولى الغربية وجمع الناس لحرب بهرام وسار الى القاهرة فانهزم بهرام ودخل رضوان القاهرة واستولى على الوزارة فى جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين فأوقع بالنصارى وأذلهم فشكره الناس الا أنه كان خفيفا عجولا فأخذ فى اهانة حواشى الخليفة وهمّ بخلعه وقال ما هو بامام وانما هو كفيل لغيره وذلك الغير لم يصح فتوحش الحافظ منه ومازال يدبر عليه حتى ثارت فتنة انهزم فيها رضوان وخرج الى الشام فجمع وعاد فى سنة اربع وثلاثين فجهز له الحافظ العساكر لمحاربته فقاتلهم وانهزم منهم الى الصعيد فقبض عليه واعتقل فلم يستوزر الحافظ أحدا بعده الى أن كانت سنة ست وثلاثين فغلت الاسعار بمصر وكثر الوباء وامتدّ الى سنة سبع وثلاثين فعظم الوباء * وفى سنة اثنتين وأربعين خلص رضوان من معتقله بالقصر وخرج من نقب وثار بجماعة وكانت فتنة آلت الى قتله * وفى سنة أربع واربعين ثارت فتنة بالقاهرة بين طوائف العسكر فمات الحافظ ليلة الخامس من جمادى الآخرة عن سبع وسبعين سنة منها مدّة خلافته ثمان عشرة سنة وأربعة اشهر وتسعة عشر يوما اصابته فيها شدائد كثيرة وكان حازما سيوسا كثير المداراة عارفا جماعا للمال مغرى بعلم النجوم يغلب عليه الحلم * فلما مات والفتنة قائمة اقيم ابنه (الظاهر بأمر الله ابو منصور اسمعيل) * ومولده للنصف من ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وخمسمائة فأقام فى الخلافة اربع سنين وثمانية اشهر الا خمسة ايام وكان محكوما عليه من الوزارة وفى ايامه أخذت عسقلان فظهر الخلل فى الدولة وقد ذكرت أخباره فى خط الخشيبة عند ذكر الخطط من هذا الكتاب * فلما قتل اقيم من بعده ابنه (الفائز بنصر الله ابو القاسم عيسى) * أقامه فى الخلافة بعد مقتل ابيه الوزير عباس وعمره خمس سنين فقدم طلائع بن رزيك والى الاشمونين بجموعه الى القاهرة ففرّ عباس واستولى طلائع على الوزارة وتلقب بالصالح وقام بأمر الدولة الى أن مات الفائز لثلاث عشرة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين عن احدى عشرة سنة وستة اشهر ويومين منها فى الخلافة ست سنين وخمسة اشهر وأيام لم ير فيها خيرا فانه لما اخرج ليقام خليفة رأى اعمامه قتلى وسمع الصراخ فاختل عقله وصار يصرخ حتى مات * فأقام الصالح بن رزيك فى الخلافة بعده (العاضد لدين الله أبا محمد عبد الله) * ابن الامير يوسف بن الحافظ لدين الله ومولده لعشر بقين من المحرّم سنة ست وأربعين

وخمسمائة وكان عمره يوم بويع نحو احدى عشرة سنة وقام الصالح بتدبير الامور الى أن قتل فى رمضان سنة ست وخمسين كما ذكر فى خبره عند ذكر الجوامع فقام من بعده ابنه رزيك بن طلائع وحسنت سيرته فعزل شاور بن مجير السعدى عن ولاية قوص فلم يقبل العزل وحشد وسار على طريق الواحات فى البرية الى تروجة فجمع الناس وسار الى القاهرة فلم يثبت رزيك وفر فقبض عليه باطفيح واستقر شاور فى الوزارة لايام خلت من صفر سنة ثمان وخمسين فأقام الى أن ثار ضرغام صاحب الباب ففر منه الى الشام واستبد ضرغام بالوزارة فقتل امراء الدولة وأضعفها بسبب ذهاب اكابرها فقدم الفرنج ونازلوا مدينة بلبيس مدة ودافعهم المسلمون عدة مرار حتى عادوا الى بلادهم بالساحل ورجع العسكر الى القاهرة وقد قتل منهم كثير فوصل شاور بعساكر الشام فى جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين فحاربه ضرغام على بلبيس بعساكر مصر وكانت لهم منه معارك انهزموا فى آخرها وغنم شاور ومن معه سائر ما خرجوا به وكان شيأ جليلا فسروا بذلك وساروا الى القاهرة فكانت بين الفريقين حروب آلت الى هزيمة ضرغام وقتله فى شهر رمضان منها فاستولى شاور على الوزارة مرة ثانية واختلف مع الغز القادمين معه من الشام وكانت له معهم حروب آلت الى أن شاور كتب الى مرى ملك الفرنج يستدعيه الى القاهرة ليعينه على محاربة شيركوه ومن معه من الغز فحضر وقد صار شيركوه فى مدينة بلبيس فخرج شاور من القاهرة ونزل هو ومرى على بلبيس وحصرا شيركوه ثلاثة أشهر ثم وقع الصلح فسار شيركوه بالغز الى الشام ورحل الفرنج وعاد شاور الى القاهرة فى سنة ستين وخمسمائة فلم يزل الى أن قدم شيركوه من الشام بالعساكر مرة ثانية فى ربيع الآخر فخرج شاور من القاهرة الى لقائه واستدعى مرى ملك الفرنج فسار شيركوه على الشرق وخرج من اطفيح فسار اليه شاور بالفرنج وكانت له معه الوقعة المشهورة فسار شيركوه بعد الوقعة من الاشمونين وأخذ الاسكندرية وعاد شاور الى القاهرة وخرج شيركوه من الاسكندرية بعد أن استخلف عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب ولم يزل يسير من الاسكندرية الى قوص وهو يجبى البلاد فخرج شاور من القاهرة بالفرنج ونازل الاسكندرية فبلغ شيركوه ذلك فعاد من قوص الى القاهرة وحصرها ثم كانت امور آخرها مسير شيركوه واصحابه من ارض مصر الى الشام فى شوّال وقد طمع الفرنج فى البلاد وتسلموا اسوار القاهرة وأقاموا فيها شحنة معه عدة من الفرنج لمقاسمة المسلمين ما يتحصل من مال البلد وفحش امر شاور وساءت سيرته وكثر تجريه على الدماء واتلافه للاموال فلما كان فى سنة اربع وستين قوى تمكن الفرنج فى القاهرة وجاروا فى حكمهم بها وركبوا المسلمين بأنواع الاهانة فسار مرى يريد اخذ القاهرة ونزل على مدينة بلبيس وأخذها عنوة فكتب العاضد الى نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام يستصرخه ويحثه على نجدة الاسلام وانقاذ المسلمين من الفرنج فجهز أسد الدين شيركوه فى عسكر كثير وجهزهم وسيرهم الى مصر وقد أحرق شاور مدينة مصر كما تقدم ونزل مرى ملك الفرنج على القاهرة وألح فى قتال اهلها حتى كاد أن يأخذها عنوة فسير اليه شاور وخادعه حتى رضى بمال يجمعه له فشرع فى جبايته واذا بالخبر ورد بقدوم شيركوه فرحل الفرنج عن القاهرة فى سابع ربيع الآخر ونزل شيركوه على القاهرة بالغز ثالث مرة فخلع عليه العاضد وأكرمه فأخذ شاور يفتك بالغز على عادته فكان من قتله ما ذكر فى موضعه وذلك فى سابع عشر ربيع الآخر المذكور وتقلد شيركوه وزارة العاضد وقام بالدولة شهرين وخمسة ايام ومات فى الثانى والعشرين من جمادى الآخرة ففوّض العاضد الوزارة لصلاح الدين يوسف بن ايوب فساس الامور ودبر لنفسه فبذل الاموال وأضعف العاضد باستنفاد ما عنده من المال فلم يزل امره فى ازدياد وأمر العاضد فى نقصان وصار يخطب من بعد العاضد للسلطان محمود نور الدين وأقطع اصحابه البلاد وأبعد اهل مصر وأضعفهم واستبد بالامور ومنع العاضد من التصرّف حتى تبين للناس ما يريده من ازالة الدولة الى أن كان من واقعة العبيد ما ذكر فأبادهم وأفناهم ومن حينئذ تلاشى العاضد وانحل امره ولم يبق له سوى اقامة ذكره فى الخطبة فقط هذا وصلاح الدين يوالى الطلب منه فى كل يوم ليضعفه فأتى على المال والخيل والرقيق وغير ذلك حتى لم يبق عند العاضد غير فرس واحد فطلبه منه وألجأه الى ارساله وأبطل ركوبه من ذلك الوقت وصار لا يخرج من القصر البتة وتتبع صلاح الدين جند العاضد وأخذ دور الامراء واقطاعاتهم فوهبها لاصحابه وبعث الى أبيه واخوته وأهله فقدموا من الشام عليه فلما كان فى سنة ست وستين ابطل المكوس من ديار مصر وهدم دار المعونة بمصر وعمرها

مدرسة للشافعية وانشأ مدرسة اخرى للمالكية وعزل قضاة مصر الشيعة وقلد القضاء صدر الدين عبد الملك ابن درباس الشافعي وجعل اليه الحكم في اقليم مصر كله فعزل سائر القضاة واستناب قضاة شافعية فتظاهر الناس من تلك السنة بمذهب مالك والشافعي رضى الله عنهما واختفى مذهب الشيعة الى أن نسى من مصر وأخذ في غزو الفرنج فخرج الى الرملة وعاد في ربيع الاول ثم سار الى ايلة ونازل قلعتها حتى أخذها من الفرنج في ربيع الآخر ثم سار الى الاسكندرية ولم شعث سورها وعاد وسير توران شاه فأوقع بأهل الصعيد وأخذ منهم مالا يمكن وصفه كثرة وعاد فكثر القول من صلاح الدين وأصحابه في ذم العاضد وتحدثوا بخلعه واقامة الدعوة العباسية بالقاهرة ومصر ثم قبض على سائر من بقى من امراء الدولة وأنزل اصحابه في دورهم في ليلة واحدة فأصبح في البلد من العويل والبكاء مايذهل وتحكم اصحابه في البلد بأيديهم واخرج اقطاعات سائر المصريين لاصحابه وقبض على بلاد العاضد ومنع عنه سائر مواده وقبض على القصور وسلمها الى الطواشى بهاء الدين قراقوش الاسدى وجعله زمامها فضيق على اهل القصر وصار العاضد معتقلا تحت يده وأبطل من الاذان حى على خير العمل وأزال شعار الدولة وخرج بالعزم على قطع خطبة العاضد فمرض ومات وعمره احدى وعشرون سنة الاعشرة ايام منها في الخلافة احدى عشرة سنة وستة اشهر وسبعة ايام وذلك في ليلة يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة بعد قطع اسمه من الخطبة والدعاء للمستضئ العباسي بثلاثة ايام وكان كريما لين الجانب مرت به مخاوف وشدائد وهو آخر الخلفاء الفاطميين بمصر وكانت مدتهم بالمغرب ومصر منذ قام عبيد الله المهدى الى أن مات العاضد مائتى سنة واثنتين وسبعين سنة واياما بالقاهرة منها مائتان وثمانى سنين فسبحان الباقى

(ذكر ما كان عليه موضع القاهرة قبل وضعها)

اعلم أن مدينة الاقليم منذ كان فتح مصر على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه كانت مدينة الفسطاط المعروفة في زماننا بمدينة مصر قبلى القاهرة وبها كان محل الامراء ومنزل ملكهم واليها تجبى ثمرات الاقاليم وتأوى الكافة وكانت قد بلغت من وفور العمارة وكثرة الناس وسعة الارزاق والتفنن في انواع الحضارة والتأنق في النعيم ماأربت به على كل مدينة في المعمور حاشا بغداد فانها كانت سوق العالم وقد زاحمتها مصر وكادت أن تساميها الاقليلا ثم لما انقضت الدولة الاخشيدية من مصر واختل حال الاقليم بتوالى الغلوات وتواتر الاوباء والفنوات حدثت مدينة القاهرة عند قدوم جيوش المعز لدين الله ابى تميم معد امير المؤمنين على يد عبده وكاتبه القائد جوهر فنزل حيث القاهرة الآن وأناخ هنالك وكانت حينئذ رملة فيما بين مصر وعين شمس يمر بها الناس عند مسيرهم من الفسطاط الى عين شمس وكانت فيما بين الخليج المعروف في أول الاسلام بخليج امير المؤمنين ثم قيل له خليج القاهرة ثم هو الآن يعرف بالخليج الكبير وبالخليج الحاكمى وبين الخليج المعروف باليحاميم وهو الجبل الاحمر وكان الخليج المذكور فاصلا بين الرملة المذكورة وبين القرية التى يقال لها أم دنين ثم عرفت الآن بالمقس وكان من يسافر من الفسطاط الى بلاد الشام ينزل بطرف هذه الرملة في الموضع الذى كان يعرف بمنية الاصبغ ثم عرف الى يومنا بالخندق وتمر العساكر والتجار وغيرهم من منية الاصبغ الى بنى جعفر على غيفة وسلمنت الى بلبيس وبينها وبين مدينة الفسطاط أربعة وعشرون ميلا ومن بلبيس الى العلاقة الى الفرما ولم يكن الدرب الذى يسلك في وقتنا من القاهرة الى العريش في الرمل يعرف في القديم وانما عرف بعد خراب تنيس والفرما وازاحة الفرنج عن بلاد الساحل بعد تملكهم له مدة من السنين وكان من يسافر في البر من الفسطاط الى الحجاز ينزل بجب عميرة المعروف اليوم ببركة الجب وببركة الحاج ولم يكن عند نزول جوهر بهذه الرملة فيها بنيان سوى أماكن هى بستان الاخشيد محمد بن طغج المعروف اليوم بالكافورى من القاهرة ودير للنصارى يعرف بدير العظام تزعم النصارى أن فيه بعض من أدرك المسيح عليه السلام وبقى الآن بئر هذا الدير وتعرف ببئر العظام والعامة تقول بئر العظمة وهى بجوار الجامع الاقمر من القاهرة ومنها ينقل الماء اليه وكان بهذه الرملة أيضا مكان ثالث يعرف بقصير الشوك بصيغة التصغير تنزله بنو عذرة في الجاهلية وصار موضعه عند بناء القاهرة يعرف بقصر الشوك من جملة القصور الزاهرة هذا الذى اطلعت عليه انه كان في موضع القاهرة قبل بنائها بعد الفحص والتفتيش وكان النيل حينئذ بشاطئ المقس يمر من موضع الساحل القديم بمصر الذى هو الآن

سوق المعاريج وحمام طن والمراغة وبستان الجرف وموردة الحلفاء ومنشأة المهرانى على ساحل الحمراء وهى موضع قناطر السباع فميز النيل بساحل الحمراء الى المقس موضع جامع المقس الآن وفيما بين الخليج وبين ساحل النيل بساتين الفسطاط فاذا صار النيل الى المقس حيث الجامع الآن مر من هنالك على طرف الارض التى تعرف اليوم بأرض الطبالة من الموضع المعروف اليوم بالجرف وصار الى البعل ومر على طرف منية الاصبغ من غربى الخليج الى المنية وكان فيما بين الخليج والجبل مما يلى بحرى موضع القاهرة مسجد بنى على وأس ابراهيم ابن عبد الله بن حسن بن الحسين بن على بن ابى طالب ثم مسجد تبر الاخشيدى فعرف بمسجد تبر والعامة تقول مسجد التبن ولم يكن الممر من الفسطاط الى عين شمس والى الحوف الشرقى والى البلاد الشامية الابحافة الخليج ولا يكاد يمر بالرملة التى فى موضعها الآن مدينة القاهرة كثير جدا ولذلك كان بها دير للنصارى الا أنه لما عمر الاخشيد البستان المعروف بالكافورى أنشأ بجانبه ميدانا وكان كثيرا ما يقيم به وكان كافور أيضا يقيم به وكان فيما بين موضع القاهرة ومدينة الفسطاط مما يلى الخليج المذكور أرض تعرف فى القديم منذ فتح مصر بالحمراء القصوى وهى موضع قناطر السباع وجبل يشكر حيث الجامع الطولونى وما داربه وفى هذه الحمراء عدة كنائس وديارات للنصارى خربت شيأ بعد شئ الى أن خرب آخرها فى أيام الملك الناصر محمد ابن قلاون وجميع ما بين القاهرة ومصر مما هو موجود الآن من العمائر فانه حادث بعد بناء القاهرة ولم يكن هنالك قبل بنائها شئ البتة سوى كنائس الحمراء وسيأتى بيان ذلك مفصلا فى موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

(ذكر حد القاهرة)

قال ابن عبد الظاهر فى كتاب الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة الذى استقر عليه الحال أن حد القاهرة من مصر من السبع سقايات وكان قبل ذلك من المجنونة الى مشهد السيدة رقية عرضا اه والآن تطلق القاهرة على ما حازه السور الحجر الذى طوله من باب زويلة الكبير الى باب الفتوح وباب النصر وعرضه من باب سعادة وباب الخوخة الى باب البرقية والباب المحروق ثم لما توسع الناس فى العمارة بظاهر القاهرة وبنوا خارج باب زويلة حتى اتصلت العمائر بمدينة فسطاط مصر وبنوا خارج باب الفتوح وباب النصر الى أن انتهت العمائر الى الريدانية وبنوا خارج باب القنطرة الى حيث الموضع الذى يقال له بولاق حيث شاطئ النيل وامتدوا بالعمارة من بولاق على الشاطئ الى أن اتصلت بمنشأة المهرانى وبنوا خارج باب البرقية والباب المحروق الى سفح الجبل بطول السور فصار حينئذ العامر بالسكنى على قسمين أحدهما يقال له القاهرة والآخر يقال له مصر فاما مصر فان حدها على ما وقع عليه الاصطلاح فى زمننا هذا الذى نحن فيه من حد أول قناطر السباع الى طرف بركة الحبش القبلى مما يلى بساتين الوزير وهذا هو طول حد مصر وحدها فى العرض من شاطئ النيل الذى يعرف قديما بالساحل الجديد حيث فم الخليج الكبير وقنطرة السد الى اول القرافة الكبرى *وأما حد القاهرة فان طولها من قناطر السباع الى الريدانية وعرضها من شاطئ النيل ببولاق الى الجبل الاحمر ويطلق على ذلك كله مصر والقاهرة وفى الحقيقة قاهرة المعز التى انشأها القائد جوهر عند قدومه من حضرة مولاه المعز لدين الله أبى تميم معد الى مصر فى شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة انما هى ما دار عليه السور فقط غير أن السور المذكور الذى أداره القائد جوهر تغير وعمل منذ بنيت الى زمننا هذا ثلاث مرات ثم حدثت العمائر فيما وراء السور من القاهرة فصار يقال لداخل السور القاهرة ولما خرج عن السور ظاهر القاهرة وظاهر القاهرة أربع جهات الجهة القبلية وفيها الآن معظم العمارة وحد هذه الجهة طولا من عتبة باب زويلة الى الجامع الطولونى وما بعد الجامع الطولونى فانه من حد مصر وحدها عرضا من الجامع الطيبرسى بشاطئ النيل غربى المريس الى قلعة الجبل وفى الاصطلاح الآن أن القلعة من حكم مصر والجهة البحرية وكانت قبل السبعمائة من سنى الهجرة وبعدها الى قبيل الوباء الكبير فيها اكثر العمائر والمساكن ثم تلاشت من بعد ذلك وطول هذه الجهة من باب الفتوح وباب النصر الى الريدانية وعرضها من منية الامراء المعروفة فى زمننا الذى نحن فيه بمنية الشيرج الى الجبل الاحمر ويدخل فى هذا الحد مسجد تبر والريدانية والجهة الشرقية فانها حيث ترب اهل القاهرة ولم تحدث بها العمائر من التربة الا بعد سنة اثنى عشرة وسبعمائة وحد هذه الجهة طولا

من باب القلعة المعروف بباب السلسلة الى ما يحاذى مسجد تبر فى سفح الجبل وحدّها عرضا فيما بين سور القاهرة والجبل والجهة الغربية فأكثر العمائر بها لم يحدث أيضا الا بعد سنة اثنتى عشرة وسبعمائة وانما كانت بساتين وبحرا وحدّ هذه الجهة طولا من منية الشيرج الى منشأة المهرانى بحافة بحر النيل وحدّها عرضا من باب القنطرة وباب الخوخة وباب سعادة الى ساحل النيل وهذه الاربع جهات من خارج السور يطلق عليها ظاهر القاهرة * وتحوى مصر والقاهرة من الجوامع والمساجد والربط والمدارس والزوايا والدور العظيمة والمساكن الجليلة والمناظر البهجة والقصور الشامخة والبساتين النضرة والحمامات الفاخرة والقياسر المعمورة بأصناف الانواع والاسواق المملوءة مما تشتهى الانفس والخانات المشحونة بالواردين والفنادق الكاظة بالسكان والترب التى تحكى القصور مالا يمكن حصره ولا يعرف ما هو قدره الأن قدر ذلك بالتقريب الذى يصدقه الاختبار طولا بريدا او ما يزيد عليه وهو من مسجد تبر الى بساتين الوزير قبلى بركة الحبش وعرضا يكون نصف بريد فما فوقه وهو من ساحل النيل الى الجبل ويدخل فى هذا الطول والعرض بركة الحبش وما دار بها وسطح الجرف المسمى بالرصد ومدينة الفسطاط التى يقال لها مدينة مصر والقرافة الكبرى والصغرى وجزيرة الحصن المعروف اليوم بالروضة ومنشأة المهرانى وقطائع ابن طولون التى تعرف الآن بجدرة ابن قميحة وخط جامع ابن طولون والرميلة تحت القلعة والقبيبات وقلعة الجبل والميدان الاسود الذى هو اليوم مقابر أهل القاهرة خارج باب البرقية الى قبة النصر والقاهرة المعزية وهو ما دار عليه السور الحجر والحسينية والريدانية والخندق وكوم الريش وجزيرة الفيل وبولاق والجزيرة الوسطى المعروفة بجزيرة اروى وزربية قوصون وحكر ابن الاثير ومنشأة الكاتب والاحكار التى فيما بين القاهرة وساحل النيل وأراضى اللوق والخليج الكبير الذى تسميه العامة بالخليج الحاكمى والحبانية والصليبة والتبانة ومشهد السيدة نفيسة وباب القرافة وأرض الطبالة والخليج الناصرى والمقس والدكة وغير ذلك مما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى وقد أدركنا هذه المواضع وهى عامرة والمشيخة تقول هى خراب بالنسبة لما كانت عليه قبل حدوث طاعون سنة تسع وأربعين وسبعمائة الذى يسميه اهل مصر الفناء الكبير وقد تلاشت هذه الاماكن وعمها الخراب منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة ولله عاقبة الامور

(ذكر بناء القاهرة وما كانت عليه فى الدولة الفاطمية)

وذلك أن القائد جوهر الكاتب لما قدم الجيزة بعساكر مولاه الامام المعز لدين الله ابى تميم معدّ أقبل فى يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وسارت عساكره بعد زوال الشمس وعبرت الجسر افواجا وجوهر فى فرسانه الى المناخ الذى رسم له المعز موضع القاهرة الآن فاستقرّ هنالك واختط القصر وبات المصريون فلما اصبحوا حضروا للهناء فوجدوه قد حفر أساس القصر بالليل وكانت فيه ازورارات غير معتدلة فلما شاهدها جوهر لم يعجبه ثم قال قد حفر فى ليلة مباركة وساعة سعيدة فتركه على حاله وأدخل فيه دير العظام ويقال ان القاهرة اختطها جوهر فى يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين واختطت كل قبيلة خطة عرفت بها فزويلة بنت الحارة المعروفة بها واختطت جماعة من اهل برقة الحارة البرقية واختطت الروم حارتين حارة الروم الآن وحارة الروم الجوانية بقرب باب النصر وقصد جوهر باختطاط القاهرة حيث هى اليوم أن تصير حصنا فيما بين القرامطة وبين مدينة مصر ليقاتلهم من دونها فأدار السور اللبن على مناخه الذى نزل فيه بعساكره وأنشأ من داخل السور جامعا وقصرا وأعدّها معقلا يتحصن به وتنزله عساكره واحتفر الخندق من الجهة الشامية ليمنع اقتحام عساكر القرامطة الى القاهرة وما وراءها من المدينة وكان مقدار القاهرة حينئذ أقل من مقدارها اليوم فان أبوابها كانت من الجهات الاربعة ففى الجهة القبلية التى تفضى بالسالك منها الى مدينة مصر بابان متجاوران يقال لهما بابا زويلة وموضعهما الآن بحذاء المسجد الذى تسميه العامة بسام بن نوح ولم يبق الى هذا العهد سوى عقده ويعرف بباب القوس وما بين باب القوس هذا وباب زويلة الكبير ليس هو من المدينة التى اسسها القائد جوهر وانما هى زيادة حدثت بعد ذلك وكان فى جهة القاهرة البحرية وهى التى يسلك منها الى عين شمس بابان أحدهما باب النصر وموضعه بأول الرحبة التى قدام الجامع

الحاكمي الآن وادركت قطعة منه كانت قدام الركن الغربي من المدرسة القاصدية ومابين هذا المكان وباب النصر الآن مما زيد في مقدار القاهرة بعد جوهر والباب الآخر من الجهة البحرية باب الفتوح وعقده باق الى يومنا هذا مع عضادته اليسرى وعليه اسطر مكتوبة بالقلم الكوفي وموضع هذا الباب الآن بآخر سوق المرحلين وأول رأس حارة بهاء الدين مما يلي باب الجامع الحاكمي وفيما بين هذا العقد وباب الفتوح من الزيادات التي زيدت في القاهرة من بعد جوهر وكان في الجهة الشرقية من القاهرة وهي الجهة التي يسلك منها الى الجبل بابان أحدهما يعرف الآن بالباب المحروق والآخر يقال له باب البرقية وموضعهما دون مكانهما الآن ويقال لهذه الزيادة من هذه الجهة بين السورين وأحد البابين القديمين موجود الى الآن اسكفته وكان في الجهة الغربية من القاهرة وهي المطلة على الخليج الكبير بابان أحدهما باب سعادة والآخر باب الفرج وباب ثالث يعرف بباب الخوخة أظنه حدث بعد جوهر وكان داخل سور القاهرة يشتمل على قصرين وجامع يقال لاحد القصرين القصر الكبير الشرقي وهو منزل سكنى الخليفة ومحل حرمه وموضع جلوسه لدخول العساكر وأهل الدولة وفيه الدواوين وبيت المال وخزائن السلاح وغير ذلك وهو الذي أسسه القائد جوهر وزاد فيه المعز ومن بعده من الخلفاء والآخر تجاه هذا القصر ويعرف بالقصر الغربي وكان يشرف على البستان الكافوري ويتحول اليه الخليفة في ايام النيل للنزهة على الخليج وعلى ما كان اذ ذاك بجانب الخليج الغربي من البركة التي يقال لها بطن البقرة ومن البستان المعروف بالبغدادية وغيره من البساتين التي كانت تتصل بأرض اللوق وجنان الزهري وكان يقال لمجموع القصرين القصور الزاهرة ويقال للجامع جامع القاهرة والجامع الازهر * فأما القصر الكبير الشرقي فانه كان من باب الذهب الذي موضعه الآن محراب المدرسة الظاهرية التي انشأها الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري وكان يعلو عقد باب الذهب منظرة يشرف الخليفة فيها من طاقات في اوقات معروفة وكان باب الذهب هذا هو أعظم ابواب القصر ويسلك من باب الذهب المذكور الى باب البحر وهو الباب الذي يعرف اليوم بباب قصر بشتاك مقابل المدرسة الكاملية وهو من باب البحر الى الركن المخلق ومنه الى باب الريح وقد أدركنا منه عضادته واسكفته وعليها أسطر بالقلم الكوفي وجميع ذلك مبني بالحجر الى أن هدمه الامير الوزير المشير جمال الدين يوسف الاستادار وفي موضعه الآن قيسارية انشأها المذكور بجوار مدرسته من رحبة باب العيد ويسلك من باب الريح المذكور الى باب الزمرذ وهو موضع المدرسة الحجازية الآن ومن باب الزمرذ الى باب العيد وعقده باق وفوقه قبة الى الآن في درب السلامي بخط رحبة باب العيد وكان قبالة باب العيد هذا رحبة عظيمة في غاية الاتساع تقف فيها العساكر الكثيرة من الفارس والراجل في يومي العيدين تعرف برحبة العيد وهي من باب الريح الى خزانة البنود وكان يلي باب العيد السفينة وبجوار السفينة خزانة البنود ويسلك من خزانة البنود الى باب قصر الشوك وأدركت منه قطعة من أحد جانبيه كانت تجاه الحمام التي عرفت بحمام الايدمري ثم قيل لها في زمننا حمام يونس بجوار المكان المعروف بخزانة البنود وقد عمل موضع هذا الباب زقاق يسلك منه الى المارستان العتيق وقصر الشوك ودرب السلامي وغيره ويسلك من باب قصر الشوك الى باب الديلم وموضعه الآن المشهد الحسيني وكان فيما بين قصر الشوك وباب الديلم رحبة عظيمة تعرف برحبة قصر الشوك اولها من رحبة خزانة البنود وآخرها حيث المشهد الحسيني الآن وكان قصر الشوك يشرف على اصطبل الطارمة ويسلك من باب الديلم الى باب تربة الزعفران وهي مقبرة اهل القصر من الخلفاء وأولادهم ونسائهم وموضع باب تربة الزعفران فندق الخليلي في هذا الوقت ويعرف بخط الزراكشة العتيق وكان فيما بين الديلم وباب تربة الزعفران الخوخ السبع التي يتوصل منها الخليفة الى الجامع الازهر في ليالي الوقدات فيجلس بمنظرة الجامع الازهر ومعه حرمه لمشاهدة الوقيد والجمع وبجوار الخوخ السبع اصطبل الطارمة وهو برسم الخيل الخاص المعدة لركاب الخليفة وكان مقابل باب الديلم ومن وراء اصطبل الطارمة الجامع المعد لصلاة الخليفة بالناس أيام الجمع وهو الذي يعرف في وقتنا هذا بالجامع الازهر ويسمى في كتب التاريخ بجامع القاهرة وقدام هذا الجامع رحبة متسعة من حد اصطبل الطارمة الى الموضع الذي يعرف اليوم بالاكفانيين ويسلك من باب تربة الزعفران الى باب الزهومة وموضعه الآن باب سر قاعة مدرسة الحنابلة من المدارس الصالحية وفيما بين تربة الزعفران وباب الزهومة دراس العلم وخزانة الدرق ويسلك

من

من باب الزهومة الى باب الذهب المذكور أولا وهذا هو دور القصر الشرقي الكبير وكان بحذاء رحبة باب العيد دار الضيافة وهي الدار المعروفة بدار سعيد السعداء التي هي اليوم خانقاه للصوفية ويقابلها دار الوزارة وهي حيث الزقاق المقابل لباب سعيد السعداء والمدرسة القراسنقرية وخانقاه بيبرس وما يجاورها الى باب الجوانية وماوراء هذه الاماكن وبجوار دار الوزارة الحجر وهي من حذاء دار الوزارة بجوار باب الجوانية الى باب النصر القديم ومن وراء دار الوزارة المناخ السعيد ويجاوره حارة العطوفية وحارة الروم الجوانية وكان جامع الخطبة الذي يعرف اليوم بجامع الحاكم خارجا عن القاهرة وفي غربيه الزيادة التي هي باقية الى اليوم وكانت أهراء لخزن الغلال التي تدخر بالقاهرة كما هي عادة الحصون وكان في غربي الجامع الازهر حارة الديلم وحارة الروم البرانية وحارة الاتراك وهي تعرف اليوم بدرب الاتراك وحارة الباطلية وفيما بين باب الزهومة والجامع الازهر وهذه الحارات خزائن القصر وهي خزانة الكتب وخزانة الاشربة وخزانة السروج وخزانة الخيم وخزائن الفرش وخزائن الكسوات وخزائن دار افتكين ودار الفطرة ودار التعبية وغير ذلك من الخزائن هذا ما كان في الجهة الشرقية من القاهرة * وأما القصر الصغير الغربي فانه موضع المارستان الكبير المنصوري الى جوار حارة برجوان وبين هذا القصر وبين القصر الكبير الشرقي فضاء متسع يقف فيه عشرة آلاف من العساكر ما بين فارس وراجل يقال له بين القصرين وبجوار القصر الغربي الميدان وهو الموضع الذي يعرف بالخرنشف واصطبل الطارمة وبحذاء الميدان البستان الكافوري المطل من غربيه على الخليج الكبير ويجاور الميدان دار برجوان العزيزي وبحذائها رحبة الافيال ودار الضيافة القديمة ويقال لهذه المواضع الثلاثة حارة برجوان ويقابل دار برجوان المنحر وموضعه الآن يعرف بالدرب الاصفر ويدخل اليه من قبالة خانقاه بيبرس وفيما بين ظهر المنحر وباب حارة برجوان سوق أمير الجيوش وهو من باب حارة برجوان الآن الى باب الجامع الحاكمي ويجاور حارة برجوان من بحريها اصطبل الحجرية وهو متصل بباب الفتوح الاول وموضع باب اصطبل الحجرية يعرف اليوم بخان الوراقة والقيسارية تجاه الجلون الصغير وسوق المرحلين وتجاه اصطبل الحجرية الزيادة وفيما بين الزيادة والمنحر درب الفرنجية وبجوار البستان الكافوري حارة زويلة وهي تتصل بالخليج الكبير من غربيها وتجاه حارة زويلة اصطبل الجميزة وفيه خيول الخليفة أيضا وفي هذا الاصطبل بئر زويلة وموضعها الآن قيسارية معقودة على البئر المذكورة يعلوها ربع يعرف بقيسارية يونس من خط البندقانيين فكان اصطبل الجميزة المذكور فيما بين القصر الغربي من بحريه وبين حارة زويلة وموضعه الآن قبالة باب سر المارستان المنصوري الى البندقانيين وبحذاء القصر الغربي من قبليه مطبخ القصر تجاه باب الزهومة المذكور والمطبخ موضعه الآن الصاغة قبالة المدارس الصالحية وبجوار المطبخ الحارة العدوية وهي من الموضع الذي يعرف بحمام خشيبة الى حيث الفندق الذي يقال له فندق الزمام وبجوار العدوية حارة الامراء ويقال لها اليوم سوق الزجاجين وسوق الحريريين الشراربيين ويجاور الصاغة القديمة حبس المعونة وهو موضع قيسارية العنبر وتجاه حبس المعونة عقبة الصباغين وسوق القشاشين وهو يعرف اليوم بالخراطين ويجاور حبس المعونة دكة الحسبة ودار العيار ويعرف موضع دكة الحسبة الآن بالابزاريين وفيما بين دكة الحسبة وحارتي الروم والديلم سوق السراجين ويقال له الآن الشوايين وبطرف سوق السراجين مسجد ابن البناء الذي تسميه العامة سام ابن نوح ويجاور هذا المسجد باب زويلة وكان من حذاء حارة زويلة من ناحية باب الخوخة دار الوزير يعقوب بن كلس وصارت بعده دار الديباج ودار الاستعمال وموضعها الآن المدرسة الصالحية وماوراءها وتتصل دار الديباج بالحارة الوزيرية والى جانب الوزيرية الميدان الآخر الى باب سعادة وفيما بين باب سعادة وباب زويلة اهراء أيضا وسطاح هذا ما كانت عليه صفة القاهرة في الدولة الفاطمية وحدثت هذه الاماكن شيأ بعد شئ ولم تزل القاهرة دار خلافة ومنزل ملك ومعقل قتال لا ينزلها الا الخليفة وعساكره وخواصه الذين يشرفهم بقربه فقط *(وأما ظاهر القاهرة من جهاتها الاربع)* فانه كان في الدولة الفاطمية على ما اذكر * أما الجهة القبلية وهي التي فيما بين باب زويلة ومصر طولا وفيما بين الخليج الكبير والجبل عرضا فانها كانت قسمين ما حاذى يمينك اذا خرجت من باب زويلة تريد مصر وما حاذى شمالك اذا خرجت منه نحو الجبل فأما ما حاذى يمينك وهي المواضع التي تعرف اليوم بدار التفاح وتحت الربع والقشاشين وقنطرة باب الخرق وما على حافتي الخليج من جانبيه

طولا الى الحمراء التى يقال لها اليوم خط قناطر السباع ويدخل فى ذلك سويقة عصفور وحارة الجزيين وحارة بنى سوس الى الشارع وبركة الفيل والهلالية والمحمودية الى الصليبة ومشهد السيدة نفيسة فان هذه الاماكن كلها كانت بساتين تعرف بجنان الزهرى وبستان سيف الاسلام وغير ذلك ثم حدث فى الدولة هنالك حارات للسودان وعمر الباب الجديد وهو الذى يعرف اليوم بباب القوس من سوق الطيور فى الشارع عند رأس وحدثت الحارة الهلالية والحارة المحمودية وأما ما حاذى شمالك حيث الجامع المعروف بجامع الصالح والدرب الاحمر الى قطائع ابن طولون التى هى الآن الرميلة والميدان تحت القلعة فان ذلك كان مقابر أهل القاهرة * وأما جهة القاهرة الغربية وهى التى فيها الخليج الكبير وهى من باب القنطرة الى المقس وما جاور ذلك فانها كانت بساتين من غربيها النيل وكان ساحل النيل بالمقس حيث الجامع الآن فيمر من المقس الى المكان الذى يقال له الجرف ويمضى على شمالى أرض الطبالة الى البعل وموضع كوم الريش الى المنية ومواضع هذه البساتين اليوم أراضى اللوق والزهرى وغيرها من الحكورة التى فى بر الخليج الغربى الى بركة قرموط والخور وبولاق وكان فيما بين باب سعادة وباب الخوخة وباب الفرج وبين الخليج فضاء لا بنيان فيه والمناظر تشرف على ما فى غربى الخليج من البساتين التى وراءها بحر النيل ويخرج الناس فيما بين المناظر والخليج للنزهة فيجتمع هنالك من ارباب البطالة واللهو ما لا يحصى عددهم ويمر لهم هنالك من اللذات والمسرات ما لا تسع الاوراق حكايته خصوصا فى ايام النيل عندما يتحول الخليفة الى اللؤلؤة ويتحول خاصته الى دار الذهب وما جاورها فانه يكثر حينئذ الملاذ بسعة الارزاق وادرار النعم فى تلك المدة كما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى * وأما جهة القاهرة البحرية فانها كانت قسمين خارج باب الفتوح وخارج باب النصر أما خارج باب الفتوح فانه كان هنالك منظرة من مناظر الخلفاء وقدامها البستانان الكبيران وأولهما من زقاق الكحل وآخرهما منية مطر التى تعرف اليوم بالمطرية ومن غربى هذه المنظرة فى جانب الخليج الغربى منظرة البعل فيما بين أرض الطبالة والخندق وبالقرب منها مناظر الخمس وجوه والتاج ذات البساتين الانيقة المنصوبة لتنزه الخليفة وأما خارج باب النصر فكان به مصلى العيد التى عمل من بعضها مصلى الاموات لا غير والفضاء من المصلى الى الريدانية وكان بستانا عظيما ثم حدث فيما خرج من باب النصر تربة أمير الجيوش بدر الجمالى وعمر الناس الترب بالقرب منها وحدث فيما خرج عن باب الفتوح عمائر منها الحسينية وغيرها * وأما جهة القاهرة الشرقية وهى ما بين السور والجبل فانه كان فضاء ثم أمر الحاكم بأمر الله أن تلقى أتربة القاهرة من وراء السور لتمنع السيول أن تدخل الى القاهرة فصار منها الكيمان التى تعرف بكيمان البرقية ولم تزل هذه الجهة خالية من العمارة الى أن انقرضت الدولة الفاطمية فسبحان الباقى بعد فناء خلقه

(ذكر ما صارت اليه القاهرة بعد استيلاء الدولة الايوبية عليها)

قد تقدم أن القاهرة انما وضعت منزل سكنى للخليفة وحرمه وجنده وخواصه ومعقل قتال يتحصن بها ويلتجأ اليها وانها ما برحت هكذا حتى كانت السنة العظمى فى خلافة المستنصر ثم قدم أمير الجيوش بدر الجمالى وسكن القاهرة وهى يباب دائرة خاوية على عروشها غير عامرة فأباح للناس من العسكرية والملحية والارمن وكل من وصلت قدرته الى عمارة بأن يعمر ما شاء فى القاهرة مما خلا من فسطاط مصر ومات اهله فأخذ الناس ما كان هنالك من أنقاض الدور وغيرها وعمروا به المنازل فى القاهرة وسكنوها من حينئذ سكنها اصحاب السلطان الى أن انقرضت الدولة الفاطمية باستيلاء السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شادى فى سنة سبع وستين وخمسمائة فنقلها عما كانت عليه من الصيانة وجعلها مبتذلة لسكن العامة والجمهور وحط من مقدار قصور الخلافة واسكن فى بعضها وتهدم البعض وازيلت معالمه وتغيرت معاهده فصارت خططا وحارات وشوارع ومسالك وأزقة ونزل السلطان منها فى دار الوزارة الكبرى حتى بنيت قلعة الجبل فكان السلطان صلاح الدين يتردد اليها ويقيم بها وكذلك ابنه الملك العزيز عثمان وأخوه الملك العادل ابو بكر فلما كان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل ابى بكر بن ايوب تحول من دار الوزارة الى القلعة وسكنها ونقل سوق الخيل والجمال والحمير الى الرميلة تحت القلعة فلما خرب المشرق والعراق بهجوم عساكر التتر منذ كان جنكزخان فى اعوام بضع عشرة وستمائة الى أن قتل الخليفة المستعصم ببغداد فى صفر سنة ست وخمسين وستمائة كثر قدوم المشارقة

الى

الى مصر وعمرت حافتي الخليج الكبير ومادار على بركة الفيل وعظمت عمارة الحسينية فلما كانت سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاون الثالثة بعد سنة احدى عشرة وسبعمائة واستجد بقلعة الجبل المباني الكثيرة من القصور وغيرها حدثت فيما بين القلعة وقبة النصر عدة ترب بعد ما كان ذلك المكان فضاء يعرف بالميدان الاسود وميدان القبق وتزايدت العمائر بالحسينية حتى صارت من الريدانية الى باب الفتوح وعمر جميع ما حول بركة الفيل والصليبة الى جامع ابن طولون وما جاوره الى المشهد النفيسي وحكر الناس أرض الزهري وما قرب منها وهو من قناطر السباع الى منشاة المهراني ومن قناطر السباع الى البركة الناصرية الى اللوق الى المقس فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصري اتسعت الخطة فيما بين المقس والدكة الى ساحل النيل وأنشأ الناس فيها البساتين العظيمة والمساكن الكثيرة والاسواق والجوامع والمساجد والحمامات والشون وهي من المواضع التي من باب البحر خارج المقس الى ساحل النيل المسمى ببولاق ومن بولاق الى منية الشيرج ومنه في القبلة الى منشأة المهراني وعمر ما خرج عن باب زويلة يمنة ويسرة من قنطرة الخرق الى الخليج ومن باب زويلة الى المشهد النفيسي وعمرت القرافة من باب القرافة الى بركة الحبش طولا ومن القرافة الكبرى الى الجبل عرضا حتى انه استجد في ايام الناصر بن قلاون بضع وستون حكرا ولم يبق مكان يحكر واتصلت عمائر مصر والقاهرة فصارا بلدا واحدا يشتمل على البساتين والمناظر والقصور والدور والرباع والقياسر والاسواق والفنادق والخانات والحمامات والشوارع والازقة والدروب والخطط والحارات والاحكار والمساجد والجوامع والزوايا والربط والمشاهد والمدارس والترب والحوانيت والمطابخ والشون والبرك والخلجان والجزائر والرياض والمنتزهات متصلا جميع ذلك بعضه ببعض من مسجد تبر الى بساتين الوزير قبلي بركة الحبش ومن شاطئ النيل بالجيزة الى الجبل المقطم ومازالت هذه الاماكن في كثرة العمارة وزيادة العدد تضيق بأهلها لكثرتهم وتختال عجبا بهم لما بالغوا في تحسينها وتأنقوا في جودتها وتنميقها الى أن حدث الفناء الكبير في سنة تسع وأربعين وسبعمائة فخلا كثير من هذه المواضع وبقي كثير أدركناه فلما كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة وقصر جري النيل في مدة وخربت البلاد الشامية بدخول الطاغية تيمورلنك وتحريقها وقتل اهلها وارتفاع اسعار الديار المصرية وكثرة الغلاء فيها وطول مدته وتلاف النقود المتعامل بها وفسادها وكثرة الحروب والفتن بين اهل الدولة وخراب الصعيد وجلاء اهله عنه وتداعي أسفل ارض مصر من البلاد الشرقية والغربية الى الخراب واتضاع امور ملوك مصر وسوء حال الرعية واستيلاء الفقر والحاجة والمسكنة على الناس وكثرة تنوع المظالم الحادثة من ارباب الدولة بمصادرة الجمهور وتتبع ارباب الاموال واحتجاب ما بأيديهم من المال بالقوة والقهر والغلبة وطرح البضائع مما يتجر فيه السلطان وأصحابه على التجار والباعة باغلى الاثمان الى غير ذلك مما لا يتسع لاحد ضبطه ولا تسع الاوراق حكايته كثر الخراب بالاماكن التي تقدم ذكرها وعم سائرها وصارت كيمانا وخرائب موحشة مقفرة يأويها البوم والرخم او مستهدمة واقعة او آيلة الى السقوط والدثور سنة الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا

(ذكر طرف مما قيل في القاهرة ومنتزهاتها)

قال ابو الحسن علي بن رضوان الطبيب ويلي الفسطاط في العظم وكثرة الناس القاهرة وهي في شمال الفسطاط وفي شرقيها أيضا الجبل المقطم يعوق عنها ريح الصبا والنيل منها ابعد قليلا وجميعها مكشوف للهواء وان كان عمل فوق ربما عاق عن بعض ذلك وليس ارتفاع الابنية بها كارتفاع الفسطاط لكن دونها كثيرا وأزقتها وشوارعها بالقياس الى ازقة الفسطاط وشوارعها انظف وأقل وسخا وأبعد عن العفن واكثر شرب أهلها من مياه الآبار واذا هبت ريح الجنوب أخذت من بخار الفسطاط على القاهرة شيأ كثيرا وقرب مياه آبار القاهرة من وجه الارض مع سخافتها موجب ضرورة أن تكون يصل اليها بالرشح من عفونة الكنف شيء ما وبين القاهرة والفسطاط بطائح تمتلئ من رشح الارض في ايام فيض النيل ويصب فيها بعض خرارات القاهرة ومياه البطائح هذه رديئة وسخة أرضها وما يصب فيها من العفونة يقتضي أن يكون البخار المرتفع منها على القاهرة والفسطاط زائدا في رداءة الهواء بهما ويطرح في جنوب القاهرة قذر كثير نحو حارة الباطلية وكذلك يطرح في وسط حارة

العبيد الا انه اذا تاملنا حال القاهرة كانت بالاضافة الى الفسطاط أعدل وأجود هواء وأصلح حالا لان اكثر عفوناتهم ترمى خارج المدينة والبخار يحلل منها اكثر وكثير أيضا من اهل القاهرة يشرب من ماء النيل وخاصة فى ايام دخوله الخليج وهذا الماء يستقى بعد مروره بالفسطاط واختلاطه بعفوناتها قال وقد اقتصر أمر الفسطاط والجيزة والجزيرة فظاهر أن اصح اجزاء المدينة الكبرى القرافة ثم القاهرة والشرف وعمل فوق مع الحمراء والجيزة وشمال القاهرة أصح من جميع هذه لبعده عن بخار الفسطاط وقربه من الشمال وأرقى موضع فى المدينة الكبرى هو ما كان من الفسطاط حول الجامع العتيق الى ما يلى النيل والسواحل والى جانب القاهرة من الشمال الخندق وهو فى غور فهو يتغير أبدا لهذا السبب فاما المقس فمجاورته للنيل تجعله أرطب * وقال ابن سعيد فى كتاب المعرب فى حلى المغرب عن البيهقى وأما مدينة القاهرة فهى الحالية الباهرة التى تفنن فيها الفاطميون وأبدعوا فى بنائها واتخذوها وطنا لخلافتهم ومركزا لارجائها فنسى الفسطاط وزهد فيه بعد الاغتباط قال وسميت القاهرة لانها تقهر من شذ عنها ورام مخالفة أميرها وقدروا أن منها يملكون الارض ويستولون على قهر الامم وكانوا يظهرون ذلك ويتحدثون به قال ابن سعيد هذه المدينة اسمها اعظم منها وكان ينبغى أن تكون فى ترتيبها ومبانيها على خلاف ما عاينته لانها مدينة بناها المعز أعظم خلفاء العبيديين وكان سلطانه قد عم جميع طول المغرب من اول الديار المصرية الى البحر المحيط وخطب له فى البحرين من جزيرة عند القرامطة وفى مكة والمدينة وبلاد اليمن وما جاورها وقد علت كلمته وسارت مسير الشمس فى كل بلدة وهبت هبوب الريح فى البر والبحر لاسيما وقد عاين مبانى أبيه المنصور فى مدينة المنصورية التى الى جانب القيروان وعاين المهدية مدينة جده عبيد الله المهدى لكن الهمة السلطانية ظاهرة على قصور الخلفاء بالقاهرة وهى ناطقة الى الآن بألسن الآثار ولله در القائل

هم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
ان البناء اذا تعاظم شأنه * اضحى يدل على عظيم الشان

واهتم من بعد الخلفاء المصريون بالزيادة فى تلك القصور وقد عاينت فيها ايوانا يقولون انه بنى على قدر ايوان كسرى الذى بالمدائن وكان يجلس فيه خلفاؤهم ولهم على الخليج الذى بين الفسطاط والقاهرة مبان عظيمة جليلة الآثار وأبصرت فى قصورهم حيطانا عليها طاقات عديدة من الكلس والجبس ذكر لى انهم كانوا يجددون تبييضها فى كل سنة والمكان المعروف فى القاهرة ببين القصرين هو من الترتيب السلطانى لان هنالك ساحة متسعة للعسكر والمتفرجين ما بين القصرين ولو كانت القاهرة عظيمة القدر كاملة الهمة السلطانية ولكن ذلك أمد قليل ثم تسير منه الى أمد ضيق وتمر فى ممر كدر حرج بين الدكاكين اذا ازدحمت فيه الخيل مع الرجالة كان ذلك ما تضيق منه الصدور وتسخن منه العيون ولقد عاينت يوما وزير الدولة وبين يديه امراء الدولة وهو فى موكب جليل وقد لقى فى طريقه عجلة بقر تحمل حجارة وقد سدت جميع الطريق بين يدى الدكاكين ووقف الوزير وعظم الازدحام وكان فى موضع طباخين والدخان فى وجه الوزير وعلى ثيابه وقد كاد يهلك المشاة وكدت اهلك فى جملتهم واكثر دروب القاهرة ضيقة مظلمة كثيرة التراب والازبال والمبانى عليها من قصب وطين مرتفعة قد ضيقت مسلك الهواء والضوء بينهما ولم أر فى جميع بلاد المغرب أسوء حالا منها فى ذلك ولقد كنت اذا مشيت فيها يضيق صدرى ويدركنى وحشة عظيمة حتى اخرج الى بين القصرين * ومن عيوب القاهرة انها فى أرض النيل الاعظم ويموت الانسان فيها عطشا لبعدها عن مجرى النيل لئلا يصادرها ويأكل ديارها واذا احتاج الانسان الى فرجة فى نيلها مشى فى مسافة بعيدة بظاهرها بين المبانى التى خارج السور الى موضع يعرف بالمقس وجوها لا يبرح كدرا بما تثيره الارجل من التراب الاسود وقد قلت فيها حين اكثر على رفاقى من الحض على العود فيها

يقولون سافر الى القاهره * ومالى بها راحة ظاهره
زحام وضيق وكرب وما * تثيرها أرجل السائره

وعند ما يقبل المسافر عليها يرى سورا أسود كدرا وجوا مغبرا فتنقبض نفسه ويفر أنسه وأحسن موضع فى ظواهرها للفرجة ارض الطبالة لاسيما ارض القرط والكتان فقلت

سقى الله ارضا كلما زرت ارضها * كساها وحلاها بزينته القرط
تجلت عروسا والمياه عقودها * وفى كل قطر من جوانبها قرط

وفيها خليج لا يزال يضعف بين خضرتها حتى يصير كما قال الرصافى

مازالت الانحال تأخذه * حتى غدا كذؤابة النجم

وقلت فى نوار الكتان على جانبى هذا الخليج

انظر الى النهر والكتان يرمقه * من جانبيه بأجفان لها حدق
رأته سيفا عليه للصبا شطب * فقابلته بأحداق بها أرق
واصبحت فى يد الارواح تنسجها * حتى غدت حلقا من فوقها حلق
فقم وزرها ووجه الافق متضح * اوعند صفرته ان كنت تغتبق

واعجبنى فى ظاهرها بركة الفيل لانها دائرة كالبدر والمناظر فوقها كالنجوم وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل وتسرج اصحاب المناظر على قدر همتهم وقدرتهم فيكون بذلك لها منظر عجيب وفيها اقول

انظر الى بركة الفيل التى اكتنفت * بها المناظر كالاهداب للبصر
كانما هى والابصار ترمقها * كواكب قد أداروها على القمر

ونظرت اليها وقد قابلتها الشمس بالغدو فقلت

انظر الى بركة الفيل التى نحرت * لها الغزالة نحرا من مطالعها
وخل طرفك مجنونا ببهجتها * تهيم وجدا وحبا فى بدائعها

والفسطاط اكثر أرزاقا وأرخص اسعارا من القاهرة لقرب النيل من الفسطاط فالمراكب التى تصل بالخيرات تحط هناك ويباع ما يصل فيها بالقرب منها وليس يتفق ذلك فى ساحل القاهرة لانه بعيد عن المدينة والقاهرة هى أكثر عمارة واحتراما وحشمة من الفسطاط لانها أجل مدارس وأضخم خانات وأعظم ديارا لسكنى الامراء فيها لانها المخصوصة بالسلطنة لقرب قلعة الجبل منها فأمور السلطنة كلها فيها أيسر واكثر وبها الطراز وسائر الاشياء التى تتزين بها الرجال والنساء الا أن فى هذا الوقت لما اعتنى السلطان الآن ببناء قلعة الجزيرة التى أمام الفسطاط وصيرها سرير السلطنة عظمت عمارة الفسطاط وانتقل اليها كثير من الامراء وضخمت اسواقها وبنى فيها السلطان أمام الجسر الذى للجزيرة قيسارية عظيمة تنقل اليها من القاهرة سوق الاجناد التى يباع فيها الفراء والجوخ وما اشبه ذلك ومعاملة القاهرة والفسطاط بالدراهم المعروفة بالسوداء كل درهم منها ثلث من الدرهم الناصرى وفى المعاملة بها شدة وخسارة فى البيع والشراء ومخاصمة مع الفريقين وكان بها فى القديم الفلوس فقطعها الملك الكامل فبقيت الى الآن مقطوعة منها وهى فى الاقليم الثالث وهواء ها ردى لاسيما اذا هب المريسى من جهة القبلة وأيضا رمد العين فيها كثير والمعايش فيها متعذرة نزرة لاسيما اصناف الفضلاء وجوامك المدارس قليلة كدرة واكثر ما يتعيش بها اليهود والنصارى فى كتابة الخراج والطب والنصارى بها يمتازون بالزنار فى أوساطهم واليهود بعلامة صفراء فى عمائمهم ويركبون البغال ويلبسون الملابس الجليلة ومآكل اهل القاهرة الدميس والصير والصحناة والبطارخ ولا تصنع النيدة وهى حلاوة القمح الا بها وبغيرها من الديار المصرية وفيها جوار طباخات أصل تعلمهن من قصور الخلفاء الفاطميين لهن فى الطبخ صناعة عجيبة ورياسة متقدمة ومطابخ السكر والمطابخ التى يصنع فيها الورق المنصورى مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة ويصنع فيها من الانطاع المستحسنة ما يسفر الى الشام وغيرها ولها من الشروب الدمياطية وأنواعها ما اختصت به وفيها صناع للقسى كثيرون متقدمون ولكن قسى دمشق بها يضرب المثل واليها النهاية ويسفر من القاهرة الى الشام ما يكون من انواع الكمرانات وخرائط الجلد والسيور وما اشبه ذلك وهى الآن عظيمة آهلة يجبى اليها من الشرق والغرب والجنوب والشمال ما لا يحيط بجملته وتفصيله الا خالق الكل جل وعلا وهى مستحسنة للفقير الذى لا يخاف على طلب زكاة ولا ترسيما وعذابا ولا يطلب برفيق له اذا مات فيقال له ترك عندك مالا فر بما سجن فى شأنه اوضرب وعصر والفقير المجرد فيها مستريح من جهة رخص الخبز وكثرته ووجود السماعات والفرج فى ظواهرها ودواخلها وقلة الاعتراض عليه فيما تذهب اليه نفسه

يحكم فيها كيف شاء من رقص فى السوق اوتجريد أوسكر من حشيشة اوغيرها اوصحبة المردان وما اشبه ذلك بخلاف غيرها من بلاد المغرب وسائر الفقراء لا يعترضون بالقبض للاسطول الا المغاربة فذلك وقف عليهم لمعرفتهم بمعاناة البحر فقد عمّ ذلك من يعرف معاناة البحر منهم ومن لا يعرف وهم فى القدوم عليها بين حالين ان كان المغربى غنيا طولب بالزكاة وضيقت عليه أنفاسه حتى يفرّ منها وان كان مجرّدا فقيرا حمل الى السجن حتى يجيء وقت الاسطول وفى القاهرة ازاهير كثيرة غير منقطعة الاتصال وهذا الشان فى الديار المصرية تفضل به كثيرا من البلاد وفى اجتماع النرجس والورد فيها اقول

من فضل النرجس وهو الذى * يرضى بحكم الورد اذ يرأس
أما ترى الورد غدا قاعدا * وقام فى خدمته النرجس

واكثر ما فيها من الثمرات والفواكه الرمان والموز والتفاح وأما الاجاص فقليل غال وكذلك الخوخ وفيها الورد والنرجس والنسرين واللينوفر والبنفسج والياسمين والليمون الاخضر والاصفر وأما العنب والتين فقليل غال والكثرة ما يعصرون العنب فى أرياف النيل لا يصل منه الا القليل ومع هذا فشراؤه عندهم فى نهاية الغلاء وعامتها يشربون المزر الابيض المتخذ من القمح حتى ان القمح يطلع عندهم سعره بسببه فينادى المنادى من قبل الوالى بقطعه وكسر أوانيه ولا ينكر فيها اظهار أوانى الخمر ولا آلات الطرب ذوات الاوتار ولا تبرج النساء العواهر ولا غير ذلك مما ينكر فى غيرها من بلاد المغرب وقد دخلت فى الخليج الذى بين القاهرة ومصر ومعظم عمارته فيما يلى القاهرة فرأيت فيه من ذلك العجائب وربما وقع فيه قتل بسبب السكر فيمنع فيه الشرب وذلك فى بعض الاحيان وهو ضيق عليه فى الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم الطرب والتهكم والمخالعة حتى ان المحتشمين والرؤساء لا يجيزون العبور به فى مركب وللسرج فى جانبيه بالليل منظر فتان وكثيرا ما يتفرج فيه اهل الستر بالليل وفى ذلك اقول

لا تركبن فى خليج مصر * الا اذا أسدل الظلام
فقد علمت الذى عليه * من عالم كلهم طغام
صفان للحرب قد أطلا * سلاح ما بينهم كلام
ياسيدى لا تسر اليه * الا اذا هوّم النيام
والليل ستر على التصابى * عليه من فضله لثام
والسرج قد بدّدت عليه * منها دنانير لا ترام
وهو قد امتدّ والمبانى * عليه فى خدمة قيام
لله كم دوحة جنينا * هناك اثمارها الآثام
انتهى

وفيه تحامل كثير * وقال زكى الدين الحسين من رسالة كتبها من مصر فى شهر رجب سنة اثنتين وستين وسبعمائة الى اخيه وهو بدمشق يتشوق اليها ويذكر ما فيها من المواضع والمنتزهات ويذم من مصر بقوله فكيف يبقى لمن حلّ فى جنة النعيم ورياضها ورتع فى ميادين المسرّات وغياضها تلفت الى من سلمته يد الاقدار الى ارض ليست بذات قرار وبدلوا بجنتهم ذات البان المتفاوح والورق المتصادح والنشر المتفادح والماء المطلق المسلسل والنسيم الصحيح العليل جنتين ذواتى اكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل وتقصدتهم يد القضاء فأخذتهم بالباساء والضرّاء واوقعتهم بمصر وشموسها وحميها وغمومها وحزونها ووعورها وحرورها وزفيرها وسعيرها وكيمانها ونيرانها وسودانها وفلاحيها وملاحيها ومشاربها ومساربها ومسالكها ومهالكها وصحناتها وعصفورها وبوريها وبقورها ومخاوف نوروزها وحرارة تموزها ودارس طلولها ورائس اسطولها وتعكر مائها وتكدر هوائها فلو تراهم فى أرجائها القصوى كالاباعر الهمل وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل * فأجابه من دمشق بكتاب من جملته على لسان دمشق كأنها تخاطبه ويا ايها الولد العزيز كيف سمحت فطرتك السليمة ومروءتك الكريمة وسيرتك المستقيمة وصبرك الحافظ ودينك المراقب الملاحظ بذم من جنيت نعمها وسكنت حرمها وقلت مصر وشموسها وسقت عليها القول من كل جانب واستعرت لها التكدير حتى فى المشارب والمسارب وهلا ذكرتها وقد باكرها نيل النعيم بمغيثة بليل

النسيم بكاس من تسنيمه وطما البحر عليها زاخرا فأغناها عن بكاء السحاب وتجهيمه وعمّ معظم أرضها وعب عبابه فى طولها وعرضها حتى كاد يعلو رفيع قصورها ويتسوّر بسورته شامخ سورها ومع ذا الاتراه جسورا على ضعاف جسورها قد طبق التهائم والانجاد وغرق الآكام والوهاد وعلا اعلى الصعيد والصعاد وأعاد البرّ سلطانه بحرا بالازدياد فاذا اروى أوام أكباد البلاد وروى السهل والوعر والهضاب والوهاد وذهب املاق الارض بكل ملقة وخليج وانجاب عنها فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج بدت روضة نضرة بأملاق مقطعة كزمرّذة خضراء بلاآل مرصعة فكم من غدير مستدير كبدر منير ودقيق مستطيل كسيف صقيل وكم من قليب قلاب بماء كجلاب وكم من عظيم بركة حرّكها النسيم بلطفه وطيبها عبير عنبرها فضمخها بكفه وزهت بزهو نيلوفرها فعرّفها بعرفه وكم ترى من ملقة لبقة عليها عيون النرجس محدّقة كعين خدّ عروس منمقة والنوّار قد دارت بمدام الندى كؤوسه وجالت فى مراح الافراح نفوسه ونجم نجمه وابتسم عروسه وسامره الرذاذ المنهل وباكره الطل فكلله بلؤلؤه وقلده وزاره النسيم المعتل فأقامه وأقعده ونمق أرضه وروضه فذهبه وفضضه قد تاهت برياضها الغناء وزهت بزخرفها وزينتها الحسناء وامتدّ بساطها الزمرّدى وانبسط مدادها الزبرجدى فلا يدرك أقصاه ناظر مسافر ولا يحيط بمنتهاه خيال ولا خاطر فلله درّها من روضة مرن وكعبة حسن ومقطعات بماء غير آسن وحوم بحر لجاج طيرها من آتاها حجيج الطير من كل فج عميق ملبيا داعى حسنها من كل مكان سحيق قد امتطى ركبها متون الرياح وعلا جثمانها عالم الارواح ووصلن الادلاج بالصباح وقطعن اجناح الليل بخفاق الجناح كانهنّ الدرارى السوارى اوالمنشآت الجوارى اوالمطايا المهارى

تواصل من جوّ حوائض نيله ❊ صعود على حكم الطريق نزول

رفاق تعاهدن على الوفاء وتحالفن على النعماء والبلاء خرجن مهاجرات من الاوطان ألوفا وقدمن صافات كالمصلين صفوفا يقدمهن دليل كانه امام قد قتل طرق الآفاق خبرا واستوى لديه الاضواء والاظلام أبصر من زرقاء اليمامه وأطير من الورقاء والهامه وأهدى من النجم وأشدّ من السهم يتناجين بلغات أعجميات مسبحات بألحان مطربات فطفن فى حرمها الآمن واعتمرن بتلك المحاسن فتراها عند اقبال نوّها وحومها فى جوّها ماتستقيم خطا مستقيما وان كانت تصطف صفا عظيما فمنها مايستهل هلالا ومنها مايحكى بنات نعش حالا ومنها ما يشير بادلاله دالا ومنها مايخط نونا نونا فيحكى حاجبا مقرونا ومنها مايكتب زينا فيعيدها عينا ومنها مايصوّر ميم الهجاء فيشاهد مبسم السماء ومنها ما ياتى زرافات ووحدانا فيبدع فى اعجابه حسنا واحسانا فكم من حبل اوزمعلق بالسماء يحلق الى ذلك الماء وأوانس عرّيسات انيسات كيسات وصورصور كأمثال حور وطير لغلغ مكتس بديباج مصبغ وجليل حبرج كعلج متوّج وكركىّ عريض طويل كبعير كبير جميل وغرير غرّ مغرّر متغير وسبيطر شديد شويطر وكم ضخم الدسيعة جوّال ككوهى بالقوّة المنيعة صوّال ورخام مرزم كذى امرة محتشم وجلالة نسر فى الشائع الذائع والحاضر الواقع أبهى من النسر الطائر والواقع وعظم عقاب تمّ الحسن بحسنه وكل الصيد فى ضمنه وكم من خضارى وحرمان وبلشون وشهرمان صنوان وغير صنوان وكم من بط على شط وخلط وقطقط منقط وغرّ وغرنوق وكرسوغ ممشوق ونورس مستأنس وقد امتلأت بهنّ الآفاق وتكللت بنجومهنّ الاملاق وشربن من جريالها فأسكرهنّ الاصطباح والاغتباق فكم من مسودّ كخال بخدّ وأزرق كلازورد وأشقر كزهر ورد أحمر ناصع وأصفر فاقع وابيض ذى خضاب عندمى بلطيف منقار بقمى ومبرقش ومبقع ومعمم ومقنع وأشقر منقش وارقش مرشش وعودى وهندى وصينى سنى وعينين كياقوتتين قد رصعتا فى لجين وكم من طائر ابهى من قرسائر بفرق مثل صبح سافر فتراهنّ فى الماء صموتا وقوفا صفوفا عكوفا كصور أصنام اوحجارة مبددة فى آكام وكم من اطيار ظراف ملاح لطاف ذوات ألحان ونضرة وألوان وخلق وأخلاق ونطق وأطواق وايناس مع شماس قد ازدانت الارض بأصواتها واختلاف لغاتها وعجائب صفاتها فبرزت بأنواع الاعاجيب وتجلت بأجل الجلابيب وابدعت فى صور الاحسان وتصوّرت فى بدائع الالوان فاذا ابدت زرقاء فى زهر كانها مذهبة بأزهار لبسانها

مفضضة بنجوم اقحوانها خلعت السماء عليها خلعة جميل أردانها واذا فاح نشر نوار قرطها شممت المسك الذكى من مرطها ورأيت لآلئ سمطها مبسوطة على خضر بسطها ومغالاتها بغالية نورفولها وهزاتها اذا رفل النسيم فى ذيولها قد رصعت اغصانه بفصوص لجينها ونقطته من حسنها بسواد عينها فعيونه كعيون غزلانها فى فتكها وأحداقه كأحداق ولدانها من تركها وكم لها من طرة معتبرة وجبهة منورة ووجنة مزعفرة وملاءة منشورة معصفرة وخد مورد وطرف مهند ولماها صيغ من عقيق الشقيق وسكرها من ذلك الريق على التحقيق واين بزوغ بشنينها وامتداد يقطينها وأين حلاوة عرائس نخلاتها وطلاوة أوانس قاماتها بمشابهتها فى صفاتها وغرائس فسيلاتها واين نضيد طلعها وحميد فرعها ومديد جذعها وفرجمارها عن غرة جمارها واخضرار اكمامها واحرار لثامها وبنان بسرها المطرف وبنان نشرها المشرف وانتظام سرورها بابتسام منثورها وورد واديها ومنحناها وندى ندها وعمر حناها وآس آسها وطيب طيب أنفاسها وتبرجها بأترجها وتبهرجها بنارنجها وتحتمها بحتمها وتبسمها عن بلسمها وتشقق أبرادها عن نهود كبادها وتضاعف أرجها بضعف بنفسجها وجلالة مقدارها اذا فتحت أزرارها عن جلنارها وطيب شميمها من اشمومها ونسيمها ووسيمها بأوسيمها وجنان قليوبها وحرمان قليبها وأحواضها بهنيها ورياضها وطربتها بطريتها ونفيس انسها بقسها وغريب غرسها بيلقسها وعظيم آسها بجلق مقيامها وكريم تحيتها من قبل اليمن هبوب أنفاسها واجتماع اسعدها وارتفاع زصدها وسواقيها الحنانة فى سجعها الهتانة بسكبها من دمعها وجنة لوقها وبلجة بولاقها وبركة فيلها من بركة نيلها وجزيرة ذهبها وقلعة الجزيرة بذهبها من عجبها حكت فلكها فى بحرها واحكمت بملكتها فى برها وعظم جللها بقلعة جبلها واعتلاء أعلامها ببناء أهرامها واذا نظرت الى سعود صعودها الى سعيد صعيدها واغتباطها بانحطاطها الى صوب سكندريتها ودمياطها ألهتك عن حسن الثريا ومناطها ولا تنس الجوارى المنشآت فى البحر كالاعلام التى تسبق عند طياب الرياح مفوقات السهام واعجابها بغربانها البحرية وحراقاتها الحربية وشوانيها وهول مبانيها وجلال شكلها وجمال معانيها تبدو موشاة بالنضار الاحمر منقشة باللون الاخضر فهى كالارقم المنمر اوكتلون النمر اذ الطاوس الذكر او الناوس لبنى الاصفر معمرة ببأس الحديد والاحجار محمولة على سيح الماء التيار مشحونة بالرجال منصورة عند القتال مصونة بالجنن والنبال تبرز مذكرة بالآية النوحية وتضمن احراز الهمة العلية الفتحية حصون امنع من اعز قلاع تطير اذا فتح لها اجناح القلاع فتسبق وفد الريح عند الاسراع وتفوق سرعة السحاب عند الاتساع فهن مع العقبان فى النيق حوّم وهن مع البنيان فى البحر عوّم لو اقسم من رآها ولو قال مشاهد معناها ان الله نفخ فيها الروح فأحياها لبرّ فى يمينه التى اقسم وتلاها وكم من مركب لحسنه معجب وكم من سفين قوىّ امين وخضارى جليل وعشارى طويل ومسمارى طويل جميل وفستراوى عكاوى ولكة ودرمونه ومعدية مكينه وسلورد قيق وشختور رشيق وقرقور رقيق وزورق ذى زواريق وطريدة بخيل الطراد معمورة دهماء بحمل الجياد والاجناد مشهورة ومخلوف فى الآفاق بالمعروف معروف وما احلى بنان رطبها المخضب ورشيق قامة قصبها المقصب وبهجة فوزمها بطلع موزها وخضر أعلام اوراقها وصفر كرام اعلاقها فلا البلاغة تبلغ من احصاء فضلها مراما ولا الفصاحة تسوغ لوصف تشبيهها كلاما فنسأل الله تعالى أن يكنفها بركنه الذى لا يرام ويحرسها بعينه التى لا تنام بمنه وكرمه * وقال الرئيس شهاب الدين احمد بن محيي الدين يحيي بن فضل الله العمرى كاتب السرّ

لمصر فضل باهر * بعيشها الرغد النضر
فى كل سفح يلتقى * ماء الحياة والخضر

وقال ابراهيم بن القاسم الكاتب الملقب بالرشيق يتشوّق الى مصر وقد خرج عنها فى سنة ست وثمانين وثلثمائة من قصيدة

هل الريح ان سارت مشرّقة تسرى * تؤدّى تحياتى الى ساكنى مصر
فما خطرت الا بكيت صبابة * وحملتها ماضاق عن حمله صدرى

لانى اذاهبت قبولا بنشرهم * شممت نسيم المسك من ذلك النشر
فكم لى بالاهرام اودير نهية * مصايد غزلان المطايد والقفر
الى جيزة الدنيا وما قد تضمنت * جزيرتها ذات المواخر والجسر
وبالمقس والبستان للعين منظر * انيق الى شاطى الخليج الى القصر
وفى بئر دوس مستراد وملعب * الى دير مرحنا الى ساحل البحر
فكم بين بستان الامير وقصره * الى البركة النضراء من زهر نضر
تراها كمرآة بدت فى رفارف * من السندس الموشى تنشر للتجر
وكم ليلة لى بالقرافة خلتها * لما نلت من لذاتها ليلة القدر

وقال احمد بن رستم بن اسفهسلار الديلمى يخاطب الوزير نجم الدين ابا يوسف بن الحسين المجاور وتوفى فى رابع عشر ذى الحجة سنة احدى وعشرين وستمائة

حى الديار بشاطئ مقياسها * فالمقسم الفياح بين دهاسها
فالروضتين وقد تضوع عرفها * ارج البنفسج فى غضارة آسها
فمنازل العين المنيفة أصبحت * يغنى سناها عن سنا نبراسها
فخليجها لذاته مطلوبة * تسمو محاسنه علا بأناسها
حافاته محفوفة بمنازل * نزلت بها الآرام دون كناسها

وقال العلامة جلال الدين محمد الشيرازى المعروف بامام منكلى بغا

حيا الحيا مصرا وسكانها * وباكرا لوسمى كثبانها
وجاد صوب المزن من ارضها * معاهد الانس وأوطانها
معاهد بالانس معمورة * لم انس مهما عشت احسانها
كم ايقظتنى فى ذراد وحها * عجماء لا تفقه ألحانها
وكم نعيم قد تخيلته * فيها وكم غازلت غزلانها
وعاينت عينى بها اغيدا * منعس المقلة وسنانها
تسحر بالتفتير ألحاظه * كأن من بابل شيطانها
وكم شجت قلبى بها غادة * قد كحلت بالغنج أجفانها
اذا دعت صبا الى حبها * لا يستطيع الصب عصيانها
وكم ليال لى بها قد مضت * تسحب بالاعجاب أردانها
والهف نفسى كيف شطت بها * حوادث قوضن بنيانها
فارقتها لاعن قلى صدنى * عنها فراق الروح جثمانها
واعتضت عن غزلانها والمها * نعاج جيرون وثيرانها
ياسائلى عن حالتى بعدها * ها انا ذا أذكر عنوانها
ما حال من فارق اصحابه * وفارق الدنيا وجيرانها
تقلب فوق الجمر أحشاؤه * تؤجج الاشواق نيرانها
والعين لا تنفك من عبرة * ترسل فوق الخد طوفانها
ياسائق النوق يحث الثرى * كمثل بث السحب تهتانها
حى ربا مصر وجناتها * وحورها العين وولدانها
ودورها الزهر وساحاتها * وبين قصريها وميدانها
وأرضها المخصب أرجاؤها * ونيلها الزاهى وخلجانها
والروضة الفيحاء تلك التى * تجلو عن الانفس أحزانها
ومنية السيرج لا تنسها * وقرطها الاحوى وكتانها

والتاج والخمس وجوه التى * اضحت من الاعين انسانها
وحى يابرق وجد بالحيا * بجزيرة الفيل وغيطانها
وبانها الغض ونسرينها * وورد ها البكر وريحانها
وظلها الضافى وأزهارها * وماءها الصافى وغدرانها
والمعهد المأنوس من ربعها * وحى اهليها وسكانها
لم انس لا انسى اصطبا حى بها * ولا اغتبا قاتى وابانها
ولا اويقات التصابى ولا * تلك الخلاعات وأزمانها
ايام لا انفك من صبوة * اهوى اللذاذات واعلانها
اخطر تيها فى رياض الصبا * مرخى الاعطاف كسلانها
وخيل اهوى فى ميادينها * تجر بجر الصبوة أرسانها
ودوحتى ناضرة غضة * تعطف ريح اللهو أغصانها
حاشاى أن انقض عهدا لها * حاشاى أن اصبح خوّانها
حاشاى أن أهجرها قاليا * حاشاى أن احدث سلوانها
حاشاى أن أرضى بديلا بها * روابى الشام وقيعانها
وماءها الثج وحصباءها * وصخرها الصلد وصوّانها
قد تاقت النفس الى الفها * وحنت الاشواق أظعانها
واذكرت فى البعد أحبابها * فهيج التبريح أشجانها
وما لها غيرك من ملتجا * يا أوحد الدنيا وانسانها

(ذكر ماقيل فى مدة بقاء القاهرة ووقت خرابها)

قال العارف محيى الدين محمد بن العربى الطائى الحاتمى فى الملحمة المنسوبة اليه قاهرة تعمر فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وتخرب سنة ثمانين وسبعمائة ووقفت لها على شرح لم اعرف تصنيف من هو فانه لم يسم فى النسخة التى وقفت عليها وهو شرح لطيف قليل الفائدة فانه ترك كلام المصنف فيما مضى على ماهو معروف فى كتب التاريخ ولم يبين مراده فيما يستقبل وكانت الحاجة ماسة الى معرفة ما يستقبل اكثر من المعرفة بحال ما مضى لكن اخبرنى غير واحد من الثقات انه وقف لهذه الملحمة على شرح كبير فى مجلدين قال هذا الشارح كانت بداية عمارة القاهرة والنيران فى شرفهما الشمس فى برج الحمل والقمر فى برج الثور وهو برج ثابت قال فعمر القاهرة ومدتها اربعمائة واحدى وستون سنة قال فى الاصل واذا نزل زحل برج الجوزاء عزت الاقوات بمصر وقل اغنياؤهم وكثر فقراءهم ويكون الموت فيهم ويخرج اهل برقة عن أوطانهم لاسيما اذا قارن زحل الجوزهر فان الحال يكون أشد وأقوى قال الشارح كان ذلك فى سنة اربع وستين وستمائة فى ايام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس فانه نزل زحل برج الجوزاء فوقع الغلاء وفى آخر سنة اربع واول سنة خمس وتسعين وستمائة فى ايام الملك العادل كتبغا حل زحل فى برج الجوزاء وكان معه الجوزهر فكانت اشد وأقوى وكثر الغلاء والوباء قال سئل المعز عن الترك ماهم فقال قوم مسلمون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الحدود والواجبات ويقاتلون فى سبيل الله اعداء الله فقيل له اتطول مدتهم قال لا تطول مدتهم قيل فكيف يكون زوالهم قال يكون هكذا وكان الى جانبه طبق كيزان فحركه حركة شديدة فتكسرت الكيزان فقال هكذا يكون زوالهم يقتل بعضهم بعضا قال

احذرى من القران العاشر * وارحل بأهلك قبل نقر الناقر

قال الشارح اول القران العاشر فى سنة خمس وثمانين وسبعمائة وفيه تكون حالات رديئة بارض مصر وهذا يوافق مافى القول عن القاهرة وتخرب فى سنة خمس وثمانين وسبعمائة يعنى بداية انحطاطها من سنة خمس وثمانين وسبعمائة التى فيها القران العاشر ويثبت فى عشرين سنة التى هى ايام القران وقد ذكر فى الربع

الآخر

الآخر أربعمائة واحدى وستين سنة وقد تخيلت انها مدة عمر القاهرة فاذا زدتها على تاريخ عمارتها بلغ ذلك ثمانمائة وتسع عشرة سنة وفى ذلك الوقت يكون زوالها وهو ما بين سنة ثمانين وسبعمائة الى سنة تسع عشرة وثمانمائة ويكون ذلك سببه قحط عظيم وقلة خير وكثرة شر حتى تخرب ويضعف اهلها قال قران زحل والمريخ فى برج الجدى يكون فى سنة سبعين وسبعمائة فتمدّ لكل مائة سنة من سنى الهجرة ثلاث سنين فيكون ثلاثا وعشرين سنة تزيدها على سبعمائة وسبعين سنة تبلغ سبعمائة وثلاثا وتسعين سنة فى مثلها من سنى الهجرة يكون اول اوقات خراب القاهرة انتهى * وتهذيب هذا القول أن زحل كلما حل برج الجوزاء اتضعت احوال مصر وقلت اموالهم وكثر الغلاء والفناء عندهم بحسب الاوضاع الفلكية وزحل يحل فى برج الجوزاء كل ثلاثين سنة شمسية فيقيم فيه نحوا من ثلاثين شهرا وانت اذا اعتبرت امور العالم وجدت الحال كما ذكرنا فانه كلما حل زحل برج الجوزاء وقع الغلاء بمصر وذكر ان القران العاشر تتضع فيه احوال القاهرة ورأينا الامر كما ذكرنا فان القران العاشر كان فى سنة ست وثمانين وسبعمائة ومدة سنيه عشرون سنة شمسية آخرها سابع عشر رجب سنة سبع وثمانمائة وفى هذه المدة اتضع حال القاهرة وأهلها اتضاعا قبيحا ومن الاوقات المحذورة لها أيضا اقتران زحل والمريخ فى برج السرطان ويكون ذلك فى كل ثلاثين سنة شمسية ويقترنان فى سنة ثمان عشرة وثمانمائة وفى مدته تنقضى الاربعمائة والاحدى والستون سنة التى ذكر أنها عمر القاهرة فى سنة تسع عشرة وثمانمائة وشواهد الحال اليوم تصدق ذلك لما عليه اهل القاهرة الآن من الفقر والفاقة وقلة المال وخراب الضياع والقرى وتداعى الدور للسقوط وشمول الخراب اكثر معمور القاهرة واختلاف اهل الدولة وقرب انقضاء مدتهم وغلاء سائر الاسعار ولقد سمعت ممن يرجع اليه فى مثل ذلك أن العمارة تنتقل من القاهرة الى بركة الحبش فيصير هنالك مدينة والله تعالى أعلم

(ذكر مسالك القاهرة وشوارعها على ما هى عليه الآن)

وقبل أن نذكر خطط القاهرة فلنبتدئ بذكر شوارعها ومسالكها المسلوك منها الى الازقة والحارات لتعرف بها الحارات والخطط والازقة والدروب وغير ذلك مما ستقف عليه ان شاء الله تعالى * فالشارع الاعظم قصبة القاهرة من باب زويلة الى بين القصرين عليه باب الخرنفش او الخرنشف ومن باب الخرنفش يتفرق من هنالك طريقان ذات اليمين ويسلك منها الى الركن المخلق ورحبة باب العيد الى باب النصر وذات اليسار ويسلك منها الى الجامع الاقمر والى حارة برجوان الى باب الفتوح فاذا ابتدأ السالك بالدخول من باب زويلة فانه يجد يمنة الزقاق الضيق الذى يعرف اليوم بسوق الخلعيين وكان قديما يعرف بالخشابين ويسلك من هذا الزقاق الى حارة الباطلية وخوخة حارة الروم البرانية ثم يسلك الداخل أمامه فيجد على يسرته سجن متولى القاهرة المعروف بخزانة شمايل وقيسارية سنقر الاشقر ودرب الصفيرة ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته حمام الفاضل المعدة لدخول الرجال وعلى يسرته تجاه هذه الحمام قيسارية الامير بهاء الدين رسلان الدوادار الناصرى الى أن ينتهى بين الحوانيت والرباع فوقها الى بابى زويلة الاول ولم يبق منهما سوى عقد أحدهما ويعرف الآن بباب القوس ثم يسلك أمامه فيجد على يسرته الزقاق المسلوك فيه الى سوق الحدادين والجارين المعروف اليوم بسوق الانماطيين وسكن الملاهى والى المحمودية والى سوق الاخفافيين وحارة الجودرية والصوافين والقصارين والفحامين وغير ذلك ويجد تجاه هذا الزقاق عن يمينه المسجد المعروف قديما بابن البناء وتسميه العامة الآن بسام بن نوح وهو فى وسط سوق الغرابليين والمناخليين ومن معهم من الضببيين ثم يسلك أمامه فيجد سوق السراجين ويعرف اليوم بالشوايين وفى هذا السوق على يمينه الجامع الظافرى المعروف بجامع الفكاهين وبجانبه الزقاق المسلوك منه الى حارة الديلم وسوق القفاصين وسوق الطيوريين والاكفانيين القديمة المعروفة الآن بسكنى دقاقى الثياب ويجد على يسرته الزقاق المسلوك منه الى حارة الجودرية ودرب كركامة ودكة الحسبة المعروفة قديما بسوق الحدادين وسوق الوراقين القديمة والى سوق الفاميين المعروف اليوم بالابازرة والى غير ذلك ثم يسلك أمامه الى سوق الحلاويين الآن فيجد عن يمينه الزقاق المسلوك فيه الى سوق الكعكيين المعروف قديما بالقطانين وسكنى الاساكفة والى بابى قيسارية جهاركس وعن يسرته قيسارية الشرب ثم يسلك

أمامه الى سوق الشرابشيين المعروف قديما بسكن الحالقيين وعن يمينه درب قيطون ثم يسلك أمامه شاقا فى
سوق الشرابشيين فيجد عن يمينه قيسارية امير علي ويجد عن يسرته سوق الجملون الكبير المسلوك فيه الى
قيسارية ابن قريش والى سوق العطارين والوراقين والى سوق الكفتيين والصيارف والاخفافيين والى بئر زويلة
والبندقانيين والى غير ذلك ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه الزقاق المسلوك فيه الى سوق الفرايين الآن وكان يعرف
اولا بدرب البيضاء والى درب الاسوانى والى الجامع الازهر وغير ذلك ويجد عن يسرته قيسارية بنى اسامة
ثم يسلك أمامه شاقا فى سوق الجوخيين واللجميين فيجد عن يمينه قيسارية السروج وعن يسرته قيسارية [هكذا بياض بالاصل]
ثم يسلك أمامه الى سوق السقطيين والهامزيين فيجد عن يمينه درب الشمسى ويقابله باب قيسارية الامير علم الدين
الخياط وتعرف اليوم بقيسارية العصفر ثم يسلك أمامه شاقا فى السوق المذكور فيجد عن يمينه الزقاق المسلوك
فيه الى سوق القشاشين وعقبة الصباغين المعروف اليوم بالخراطين والى سوق الخيميين والى الجامع الازهر وغير
ذلك ويجد قبالة هذا الزقاق عن يسرته قيسارية العنبر المعروفة قديما بحبس المعونة ثم يسلك أمامه فيجد على يسرته
الزقاق المسلوك فيه الى سوق الوراقين وسوق الحرير بين الشرابيين المعروف قديما بسوق الصاغة القديمة والى
درب شمس الدولة والى سوق الحريريين والى بئر زويلة والبندقانيين والى سويقة الصاحب والحارة الوزيرية والى
باب سعادة وغير ذلك ثم يسلك أمامه شاقا فى بعض سوق الحريريين وسوق المتعيشين وكان قديما سكنى الدجاجين
والكعكيين وقبل ذلك اولا سكنى السيوفيين فيجد عن يمينه قيسارية الصنادقيين وكانت قديما تعرف بفندق
الدبابليين ويجد عن يسرته مقابلها دار المأمون البطائحى المعروفة بمدرسة الحنفية ثم عرفت اليوم بالمدرسة
السيوفية لانها كانت فى سوق السيوفيين ثم يسلك أمامه فى سوق السيوفيين الذى هو الآن سوق المتعيشين
فيجد عن يمينه خان مسرور وحجرتى الرقيق ودكة المماليك بينهما ولم تزل موضعا للجلوس من يعرض من المماليك
الترك والروم ونحوهم للبيع الى اوائل ايام الملك الظاهر برقوق ثم بطل ذلك ويجد عن يسرته قيسارية الرماحين
وخان الحجر ويعرف اليوم هذا الخط بسوق باب الزهومة ثم يسلك أمامه فيجد عن يسرته الزقاق والساباط المسلوك
فيه الى حمام خشيبة ودرب شمس الدولة والى حارة العدوية المعروفة اليوم بفندق الزمام والى حارة زويلة وغير
ذلك ويجد بعد هذا الزقاق قريبا منه فى صفه درب السلسلة ومن هنا ابتداء خط بين القصرين وكان قديما فى ايام
الدولة الفاطمية مراحا واسعا ليس فيه عمارة البتة يقف فيه عشرة آلاف فارس والقصران هما موضع سكنى
الخليفة احدهما شرقى وهو القصر الكبير وكان على يمنة السالك من موضع خان مسرور الى باب النصر وباب
الفتوح وموضعه الآن المدارس الصالحية النجمية والمدرسة الظاهرية الركنية وما فى صفها من الحوانيت
والرباع الى رحبة العيد وما وراء ذلك الى البرقية ويقابل هذا القصر الشرقى القصر الغربى وهو القصر الصغير
ومكانه الآن المارستان المنصورى وما فى صفه من المدارس والحوانيت الى تجاه باب الجامع الاقمر فاذا
ابتدأ السالك بدخول بين القصرين من جهة خان مسرور فانه يجد على يسرته درب السلسلة ثم يسلك أمامه
فيجد على يمينه الزقاق المسلوك فيه الى سوق الامشاطيين المقابل لمدرسة الصالحية التى للحنفية والحنابلة والى
الزقاق الملاصق لسور المدرسة المذكورة المسلوك فيه الى خط الزراكشة العتيق حيث خان الخليلى وخان منجك
والى الخوخ السبع حيث الآن سوق الابارين والى الجامع الازهر والى المشهد الحسينى وغير ذلك ثم يسلك
أمامه شاقا فى سوق السيوفيين الآن فيجد على يساره دكاكين السيوفيين وعلى يمينه دكاكين النقليين ظاهر
سوق الكتبيين الآن وعلى يساره سوق الصيارف برأس باب الصاغة وكان قديما مطبخ القصر قبالة باب
الزهومة ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه باب المدارس الصالحية تجاه باب الصاغة ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه
القبة الصالحية وبجوارها المدرسة الظاهرية الركنية ويجد على يساره باب المارستان المنصورى وفى داخله
القبة المنصورية التى فيها قبور الملوك وتحت شبابيكها دكاك القفصات التى فيها الخواتيم ونحوها فيما بين القبة
المذكورة والمدرسة الظاهرية المذكورة وفى داخله أيضا المدرسة المنصورية وتحت شبابيكها أيضا دكاك
القفصات فيما بين شبابيكها وشبابيك المدرسة الصالحية التى للشافعية والمالكية وتحتها خيمة الغلمان بجوار
قبة الصالح وفى داخله أيضا المارستان الكبير المنصورى المتوصل من باب سره الى حارة زويلة والى الخرنشف
والى الكافورى والى البندقانيين وغير ذلك ثم يسلك من باب المارستان فيجد على يمينه سوق السلاح والنشابين

الآن

الآن تحت الربع المعروف بوقف امير سعيد ويجد على يسرته المدرسة الناصرية الملاصقة لمئذنة القبة المنصورية
ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته خان بشتاك وفوقه الربع وعرف الآن هذا الخان بالمستخرج ويجد على يسرته
المدرسة الظاهرية الجديدة بجوار المدرسة الناصرية وكانت قبل انشائها مدرسة فندقا يعرف بخان الزكاة
ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته باب قصر بشتاك ويجد على يسرته المدرسة الكاملية المعروفة بدار الحديث
وهي ملاصقة للمدرسة الظاهرية الجديدة ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته الزقاق المسلوك فيه الى بيت امير سلاح
المعروف بقصر امير سلاح وهو الامير فخر الدين بكتاش الفخرى الصالحى النجمى والى دار الامير سلار نائب
السلطنة والى دار الطواشى سابق الدين ومدرسته التى يقال لها المدرسة السابقية وكان فى داخل هذا
الزقاق مكان يتوصل اليه من تحت قبو المدرسة السابقية يعرف بالسودوس فيه عدة مساكن صارت كلها
اليوم دارا واحدة انشاء الامير جمال الدين الاستادار وكان تجاه باب المدرسة السابقية ربع تحته فرن ومن ورائه
عدة مساكن يعرف مكانها بالحدرة فهدم الامير جمال الدين المذكور الربع وماوراءه وحفر فيه صهريجا
وأنشأ به عدة آدر هى الآن جارية فى اوقافه وكان يسلك من باب السابقية على باب الربع والفرن المذكورين
الى دهليز طويل مظلم ينتهى الى باب القصر تجاه سور سعيد السعداء ومنه يخرج السالك الى رحبة باب العيد
والى الركن المخلق فهدمه الامير جمال الدين وجعل مكانه قيسارية وركب على رأس هذا الزقاق تجاه حمام
البيسرى دربا فى داخله دروب ليصون امواله وانقطع التطرق من هذا الزقاق وصار دربا غير نافذ ويجد السالك
عن يسرته قبالة هذا الزقاق وصار دربا مدربا باب قصر البيسرية وقد بنى فى وجهه حوانيت بجانبها حمام البيسرى
ومن هنا ينقسم شارع القاهرة المذكور الى طريقين احداهما ذات اليمين والاخرى ذات اليسار فأما ذات
اليسار فانها تتمة القصبة المذكورة فاذا مر السالك من باب حمام الامير بيسرى فانه يجد على يسرته باب
الخرنشف المسلوك فيه الى باب سر البيسرية والى باب حارة برجوان الذى يقال له ابو تراب والى الخرنشف
واصطبل القطبية والى الكافورى والى حارة زويلة والى البندقانيين وغير ذلك ثم يسلك أمامه فيجد سوقا يعرف
أخيرا بالوزازين والدجاجين يباع فيه الاوز والدجاج والعصافير وغير ذلك من الطيور وادركناه عامرا سوقا
كبيرا من جملته دكان لا يباع فيها غير العصافير فيشتريها الصغار للعب بها وفى هذا السوق على يمنة السالك
قيسارية يعلوها ربع كانت مدة سوقا يباع فيه الكتب ثم صارت لعمل الجلود وكانت من جملة اوقاف المارستان
المنصورى فهدمها بعض من كان يتحدث فى نظره عن الامير اتمش فى سنة احدى وثمانمائة وعمرها على ما هى
عليه الآن وعلى يسرة السالك فى هذا السوق ربع يجرى فى وقف المدرسة الكاملية وكان هذا السوق يعرف
قديما بالتبانين والقماحين ثم يمر سالكا أمامه فيجد سوق الشماعين متصلا بسوق الدجاجين وكان سوقا كبيرا
فيه صفان عن اليمين والشمال من حوانيت باعة الشمع ادركته عامرا وقد بقى منه الآن يسير وفى آخر هذا السوق
على يمنة السالك الجامع الاقمر وكان موضعه قديما سوق القماحين وقبالته درب الخضرى وبجانب الجامع
الاقمر من شرقيه الزقاق الذى يعرف بالمحايرين ويسلك فيه الى الركن المخلق وغيره وبآخر هذا الزقاق بئر الدلاء
ثم يسلك المار أمامه فيجد على يمنته زقاقا ضيقا ينتهى الى دور ومدرسة تعرف بالشرابيشية يتوصل من باب سرها
الى الدرب الاصفر تجاه خانقاه بيبرس ثم يسلك أمامه فى سوق المتعيشين فيجد على يسرته باب حارة برجوان
ثم يسلك أمامه شاقا فى سوق المتعيشين وقد أدركته سوقا عظيما لا يكاد يعدم فيه شئ مما يحتاج اليه
من المأكولات وغيرها بحيث اذا طلب منه شئ من ذلك فى ليل اونهار وجد وقد خرب الآن ولم يبق منه الا
اليسير وكان هذا السوق قديما يعرف بسوق امير الجيوش وبآخره خان الرواسين وهو زقاق على يمنة
السالك غير نافذ ويقابل هذا الزقاق على يسرة السالك الى باب الفتوح شارع يسلك فيه الى سوق يعرف
اليوم بسويقة امير الجيوش وكان قبل اليوم يعرف بسوق الخروقيين ويسلك من هذا السوق الى باب القنطرة
فى شارع معمور بالحوانيت من جانبيه ويعلوها الرباع وفيما بين الحوانيت دروب ذات مساكن كثيرة ثم يسلك
أمامه من رأس سويقة امير الجيوش فيجد على يمنته الجلون الصغير المعروف بجملون ابن صيرم وكان مسكنا
للبزازين فيه عدة حوانيت عامرة باصناف الثياب ادركتها عامرة وفيه مدرسة ابن صيرم المعروفة بالمدرسة
الصيرمية وفى آخره باب زيادة الجامع الحاكمى وكان على بابها عدة حوانيت تعمل فيها الضبب التى

برسم الابواب ويخرج من هذا الجلون الى طريقين احداهما يسلك فيها الى درب الفرنجية والى دار الوكالة وشارع باب النصر والاخرى الى درب الرشيدى النافذ الى درب الجوانية ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته شباك المدرسة الصيرمية ويقابله باب قيسارية خوند اردكين الاشرفية ثم يسلك أمامه شاقا فى سوق المرحلين وكان صفين من حوانيت عامرة فيها جميع ما يحتاج اليه فى ترحيل الجمال وقد خرب وبقى منه قليل وفى هذا السوق على يسرة السالك زقاق يعرف بحارة الوراقة وفيه احد ابواب قيسارية خوند المذكورة وعدة مساكن وكان مكانه يعرف قديما باصطبل الحجرية ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته احد أبواب الجامع الحاكمى وميضأته ويجد باب الفتوح القديم ولم يبق منه سوى عقدته وشئ من عضادته وبجواره شارع على يسرة السالك يتوصل منه الى حارة بهاء الدين وباب القنطرة ثم يسلك أمامه شاقا فى سوق المتعيشين فيجد على يمينه بابا آخر من ابواب الجامع الحاكمى ثم يسلك أمامه فيجد عن يسرته زقاقا بساباط ينفذ الى حارة بهاء الدين فيه كثير من المساكن ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه باب الجامع الحاكمى الكبير ويجد عن يساره فندق العادل ويشق فى سوق عظيم الى باب الفتوح وهو آخر قصبة القاهرة وأما ذات اليمين من شارع بين القصرين فان المار اذا سلك من الدرب الذى يقابل حمام البيسرى طالبا الركن المخلق فانه يشق فى سوق القصاصين وسوق الحصريين الى الركن المخلق ويباع فيه الآن النعال وبه حوض فى ظهر الجامع الاقمر لشرب الدواب تسميه العامة حوض النبي ويقابله مسجد يعرف ببراكع موسى وينتهى هذا السوق الى طريقين احداهما الى بئر العظام التى تسميها العامة بئر العظمة ومنها ينقل الماء الى الجامع الاقمر والحوض المذكور بالركن المخلق ويسلك منه الى المحايريين والطريق الاخرى تنتهى الى الفندق المعروف بقيسارية الجلود ويعلوه اربع انشأت ذلك خوند بركة ام الملك الاشرف شعبان بن حسين وبجوار هذه القيسارية بوابة عظيمة قد سترت بحوانيت يتوصل منها الى ساحة عظيمة هى من حقوق المنحر كانت خوند المذكورة قد شرعت فى عمارتها قصرا اهما فماتت دون اكماله ثم يسلك أمامه فيجد الرباع التى تعلوا الحوانيت والقيسارية المستجدة فى مكان باب القصر الذى كان ينتهى الى مدرسة سابق الدين وبين القصرين وكان احد ابواب القصر ويعرف بباب الريح وهذه الرباع والقيسارية من جملة انشاء الامير جمال الدين الاستادار وكانت قبله حوانيت ورباعا فهدمها وأنشأها على ما هى عليه اليوم ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه مدرسة الامير جمال الدين المذكور وكان موضعها خانا وظاهره حوانيت فبنى مكانها مدرسة وحوض السبيل وغير ذلك ويقال لهذه الاماكن رحبة باب العيد ويسلك منها الى طريقين احداهما ذات اليمين والاخرى ذات اليسار فأما ذات اليمين فانها تنتهى الى المدرسة الحجازية والى درب قراصيا والى حبس الرحبة والى درب السلامى المسلوك منه الى باب العيد الذى تسميه العامة بالقاهرة والى المارستان العتيق والى قصر الشوك ودار الضرب والى باب سر المدارس الصالحية والى خزانة البنود ويسلك من رأس درب السلامى هذا فى رحبة باب العيد الى السفينة وخط خزانة البنود ورحبة الايدمرى والمشهد الحسينى ودرب الملوخيا والجامع الازهر والحارة الصالحية والحارة البرقية الى باب البرقية والباب المحروق والباب الجديد وأما ذات اليسار من رحبة باب العيد فان المار يسلك من باب مدرسة الامير جمال الدين الى باب زاوية الخدام الى باب الخانقاه المعروفة بدار سعيد السعداء فيجد عن يمينه زقاقا بجوار سور دار الوزارة يسلك فيه الى خرائب تتر والى خط الفهادين والى درب ملوخيا وغير ذلك ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه المدرسة القراسنقرية وخانقاه ركن الدين بيبرس وهما من جملة دار الوزارة وما جاور الخانقاه الى باب الجوانية وتجاه خانقاه بيبرس الدرب الاصفر وهو المنحر الذى كانت الخلفاء تنحر فيه الاضاحى ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته دار الامير قزمان بجوار خانقاه بيبرس وبجوارهما دار الامير شمس الدين سنقر الاعسر الوزير وقد عرفت الآن بدار خوند طولوباى زوجة السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون وبجوارها حمام الاعسر المذكور وجميع هذا من دار الوزارة ويجد على يسرته درب الرشيدى تجاه حمام الاعسر المسلوك فيه الى درب الفرنجية وجلون ابن صيرم ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه الشارع المسلوك فيه الى الجوانية والى خط الفهادين والى درب ملوخيا والى العطوفية وقد خربت هذه الاماكن ويجد على يسرته الوكالة المستجدة من انشاء الملك الظاهر برقوق ثم يسلك أمامه فيجد على يسرته زقاقا يسلك فيه الى جلون ابن صيرم والى درب الفرنجية ثم يسلك

أمامه فيجد على يمنته دار الامير شهاب الدين احمد ابن خالة الملك الناصر محمد بن قلاون ودار الامير علم الدين سنجر الجاولى وهما من حقوق الحجر التى كانت بها بالملك الخلفاء وأجنادهم ويجد على يسرته وكالة الامير قوصون ثم يسلك من باب الوكالة فيجد مقابل باب قاعة الجاولى خان الجاولى وبعدها باب النصر القديم وادركت فيه قطعة كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية الغربى وقد زال ويسلك منه الى رحبة الجامع الحاكمى فيجد على يمنته المدرسة القاصدية وعلى يسرته بابى الجامع الحاكمى وتجاه احدهما الشارع المسلوك فيه الى حارة العبدانية وحارة العطوفية وغير ذلك ومن باب الجامع الحاكمى ينتهى الى باب النصر فيما بين حوانيت ورباع ودور فهذه صفة القاهرة الآن وستقف ان شاء الله تعالى على كيفية ابتداء وضع هذه الاماكن وما صارت اليه وذكر التعريف بمن نسبت اليه او عرفت به على ما التقطت ذلك من كتب التواريخ ومجامع الفضلاء ووقفت عليه بخطوط الثقات وأخبرنى بذلك من ادركته من المشيخة وما شاهدته من ذلك سالكا فيه سبيل التوسط فى القول بين الاكثار والاختصار والله الموفق بمنه وكرمه لا اله غيره

(ذكر سور القاهرة)

اعلم أن القاهرة مذ أسست عمل سورها ثلاث مرّات الاولى وضعه القائد جوهر والمرّة الثانية وضعه امير الجيوش بدر الجمالى فى ايام الخليفة المستنصر والمرّة الثالثة بناه الامير الخصى بهاء الدين قراقوش الاسدى فى سلطنة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب اوّل ملوك القاهرة * السور الاوّل كان من لبن وضعه جوهر القائد على مناخه الذى نزل به هو وعساكره حيث القاهرة الآن فأداره على القصر والجامع وذلك انه لما سار من الجيزة بعد زوال الشمس من يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة بعساكره وقصد الى مناخه الذى رسمه له مولاه الامام المعز لدين الله ابو تميم معد واستقرت به الدار اختط القصر وأصبح المصريون يهنونه فوجدوه قد حفر الاساس فى الليل فأدار السور اللبن وسماها المنصورية الى أن قدم المعز لدين الله من بلاد المغرب الى مصر ونزل بها فسماها القاهرة ويقال فى سبب تسميتها ان القائد جوهرا لما أراد بناءها احضر المنجمين وعرّفهم انه يريد عمارة بلد ظاهر مصر ليقيم بها الجند وأمرهم باختيار طالع سعيد لوضع الاساس بحيث لا يخرج البلد عن نسلهم ابدا فاختاروا طالعا لوضع الاساس وطالعا لحفر السور وجعلوا بدائر السور قوائم خشب بين كل قائمتين حبل فيه أجراس وقالوا للعمال اذا تحركت الاجراس فارموا ما بأيديكم من الطين والحجارة فوقفوا ينتظرون الوقت الصالح لذلك فاتفق أن غرابا وقع على حبل من تلك الحبال التى فيها الاجراس فتحرّكت كلها فظن العمال أن المنجمين قد حرّكوها فألقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة وبنوا فصاح المنجمون القاهر فى الطالع فمضى ذلك وفاتهم ما قصدوه ويقال ان المرّيخ كان فى الطالع عند ابتداء وضع الاساس وهو قاهر الفلك فسموها القاهرة واقتضى نظرهم انها لا تزال تحت القهر وأدخل فى دائر هذا السور بئر العظام وجعل القاهرة حارات للواصلين صحبته وصحبة مولاه المعز وعمر القصر بترتيب ألقاه اليه المعز ويقال ان المعز لما رأى القاهرة لم يعجبه مكانها وقال لجوهر لما فاتك عمارة القاهرة بالساحل كان ينبغى عمارتها بهذا الجبل يعنى سطح الجرف الذى يعرف اليوم بالرصد المشرف على جامع راشدة ورتب فى القصر جميع ما يحتاج اليه الخلفاء بحيث لا تراهم الاعين فى النقلة من مكان الى مكان وجعل فى ساحاته البحرة والميدان والبستان وتقدّم بعمارة المصلى بظاهر القاهرة وقد ادركت من هذا السور اللبن قطعا وآخر ما رأيت منه قطعة كبيرة كانت فيما بين باب البرقية ودرب بطوط هدمها شخص من الناس فى سنة ثلاث وثمانمائة فشاهدت من كبر لبنها ما يتعجب منه فى زمننا حتى ان اللبنة تكون قدر ذراع فى ثلثى ذراع وعرض جدار السور عدّة اذرع يسع أن يمر به فارسان وكان بعيدا عن السور الحجر الموجود الآن وبينهما نحو الخمسين ذراعا وما احسب انه بقى الآن من هذا السور اللبن شئ * (وجوهر) هذا مملوك رومى ربّاه المعز لدين الله ابو تميم معد وكناه بأبى الحسن وعظم محله عنده فى سنة سبع واربعين وثلثمائة وصار فى رتبة الوزارة فصيره قائد جيوشه وبعثه فى صفر منها ومعه عساكر كثيرة فيهم الامير زيرى بن مناد الصنهاجى وغيره من الاكابر فسار الى تاهرت وأوقع بعدّة اقوام وافتتح مدنا وسار الى فاس فنازلها مدّة ولم ينل منها شيأ فرحل عنها الى سجلماسة وحارب تاترا فاسره بها وانتهى فى مسيره الى

البحر المحيط واصطاد منه سمكا وبعثه فى قلة ماء الى مولاه المعز واعلمه انه قد استولى على ما مرّ به من المدائن والامم حتى انتهى الى البحر المحيط ثم عاد الى فاس فألح عليها بالقتال الى أن اخذها عنوة واسر صاحبها وحمله هو والثائر بسجلماسة فى قفصين مع هدية الى المعز وعاد فى أخريات السنة وقد عظم شانه وبعد صيته ثم لما قوى عزم المعز على تسيير الجيوش لاخذ مصر وتهيأ أمرها فقدم عليها القائد جوهرا وبرز الى رمادة ومعه ما ينيف على مائة ألف فارس وبين يديه اكثر من ألف صندوق من المال وكان المعز يخرج اليه فى كل يوم ويخلو به واطلق يده فى بيوت امواله فأخذ منها ما يريد زيادة على ما حمله معه وخرج اليه يوما فقام جوهر بين يديه وقد اجتمع الجيش فالتفت المعز الى المشايخ الذين وجههم مع جوهر وقال والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر ولتدخلن الى مصر بالاردية من غير حرب ولتنزلن فى خرابات ابن طولون وتبنى مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا وأمر المعز بافراغ الذهب فى هيئة الارحية وحملها مع جوهر على الجمال ظاهرة وأمر اولاده واخوته الامراء وولى العهد وسائر أهل الدولة أن يمشوا فى خدمته وهو راكب وكتب الى سائر عماله يأمرهم اذا قدم عليهم جوهر أن يترجلوا امشاة فى خدمته فلما قدم برقة افتدى صاحبها من ترجله ومشيه فى ركابه بخمسين ألف دينار ذهبا فأبى جوهر الا أن يمشى فى ركابه وردّ المال فمشى ولما رحل من القيروان الى مصر فى يوم السبت رابع عشر ربيع الاوّل سنة ثمان وخمسين وثلثمائة أنشد محمد بن هانى فى ذلك

رأيت بعينى فوق ما كنت اسمع * وقد راعنى يوم من الحشر أروع
غداة كأن الافق سدّ بمثله * فعاد غروب الشمس من حيث تطلع
فلم ادر اذ ودّعت كيف أودع * ولم ادر اذ شيعت كيف اشيع
الا ان هذا حشد من لم يذق له * غرار الكرى جفن ولا بات يهجع
اذا حلّ فى ارض بناها مدائنا * وان سار عن ارض غدت وهى بلقع
تحلّ بيوت المال حيث محله * وجمّ العطايا والرواق المرفع
وكبرت الفرسان لله اذ بدا * وظل السلاح المنتضى يتقعقع
وعب عباب الموكب الفخم حوله * ورق كما رق الصباح الملمع
رحلت الى الفسطاط أوّل رحلة * بأيمن فال بالذى انت تجمع
فان يك فى مصر ظماء لمورد * فقد جاءهم نيل سوى النيل يهرع
ويممهم من لا يغار بنعمة * فيسلبهم لكن يزيد فيوسع

ولما دخل الى مصر واختط القاهرة وكتب بالبشارة الى المعز قال ابن هانى

تقول بنو العباس قد فتحت مصر * فقل لبنى العباس قد قضى الامر
وقد جاوز الاسكندرية جوهر * تصاحبه البشرى ويقدمه النصر

ولم يزل معظما مطاعا وله حكم ما فتح من بلاد الشام حتى ورد المعز من المغرب الى القاهرة وكان جعفر بن فلاح يرى نفسه أجلّ من جوهر فلما قدم معه الى مصر سيره جوهر الى بلاد الشام فى العساكر فأخذ الرملة وغلب الحسن بن عبد الله بن طغج وسار فملك طبرية ودمشق فلما صارت الشام له شمخت نفسه عن مكاتبة جوهر فأنفذ كتبه من دمشق الى المعز وهو بالمغرب سرّا من جوهر يذكر فيها طاعته ويقع فى جوهر ويصف ما فتح الله للمعز على يده فغضب المعز لذلك وردّ كتبه كما هى مختومة وكتب اليه قد أخطأت الرأى لنفسك نحن قد أنفذناك مع قائدنا جوهر فاكتب اليه فما وصل منك الينا على يده قرأناه ولا تتجاوزه بعد فلسنا نفعل لك ذلك على الوجه الذى اردته وان كنت اهلا عندنا ولكنا لا نستفسد جوهرا مع طاعته لنا فازداد غضب جعفر بن فلاح وانكشف ذلك لجوهر فلم يبعث ابن فلاح لجوهر يسأله نجدة خوفا أن لا ينجده بعسكر وأقام مكانه لا يكاتب جوهرا بشئ من أمره الى أن قدم عليه الحسن بن احمد القرمطى وكان من أمره ما قد ذكر فى موضعه * ولما مات المعز واستخلف من بعده ابنه العزيز وورد الى دمشق هفتكين الشرابى من بغداد ندب العزيز بالله جوهرا القائد الى الشام فخرج اليها بخزائن السلاح والاموال والعساكر العظيمة فنزل على دمشق لثمان بقين من ذى القعدة سنة خمس وستين وثلثمائة فأقام عليها وهو يحارب اهلها الى أن قدم الحسن بن احمد القرمطى من الاحساء

الى

الى الشام فرحل جوهر فى ثالث جمادى الاولى سنة ست وستين فنزل على الرملة والقرمطى فى اثره فهلك وقام من بعده جعفر القرمطى فحارب جوهرا واشتد الامر على جوهر وسار الى عسقلان وحصره هفتكين بها حتى بلغ من الجهد مبلغا عظيما فصالح هفتكين وخرج من عسقلان الى مصر بعد أن اقام بها وبظاهر الرملة نحوا من سبعة عشر شهرا فقدم على العزيز وهو يريد الخروج الى الشام فلما ظفر العزيز بهفتكين واصطنعه فى سنة ثمانين وثلثمائة واصطنع منجوتكين التركى أيضا اخرجه راكبا من القصر وحده فى سنة احدى وثمانين والقائد جوهر وابن عمار ومن دونهما من اهل الدولة مشاة فى ركابه وكانت يد جوهر فى يد ابن عمار فزفر ابن عمار زفرة كاد أن ينشق لها وقال لا حول ولا قوة الا بالله فنزع جوهر يده منه وقال قد كنت عندى يا ابا محمد أثبت من هذا فظهر منك انكار فى هذا المقام لاحدثنك حديثا عسى يسليك عما انت فيه والله ما وقف على هذا الحديث احد غيرى لما خرجت الى مصر وانفذت الى مولانا المعز من اسرته ثم حصل فى يدى آخرون اعتقلتهم وهم ينيف على ثلثمائة اسير من مذكوريهم والمعروفين فيهم فلما ورد مولانا المعز الى مصر أعلمته بهم فقال اعرضهم على واذكر فى كل واحد حاله ففعلت وكان فى يده كتاب مجلد يقرأ فيه فجعلت آخذ الرجل من يد الصقالبة وأقدمه اليه وأقول هذا فلان ومن حاله وحاله فيرفع رأسه وينظر اليه ويقول يجوز ويعود الى قراءة ما فى الكتاب حتى احضرت له الجماعة وكان آخرهم غلاما تركيا فنظر اليه وتأمله ولما ولى أتبعه بصره فلما لم يبق أحد قبلت الارض وقلت يا مولانا رأيتك فعلت لما رأيت هذا التركى ما لم تفعله مع من تقدمه فقال يا جوهر يكون عندك مكتوما حتى ترى انه يكون لبعض ولدنا غلام من هذا الجنس تتفق له فتوحات عظيمة فى بلاد كثيرة ويرزقه الله على يده ما لم يرزقه أحدا منا مع غيره وأنا اظن انه ذلك الذى قال لى مولانا المعز ولا علينا اذا فتح الله لموالينا على ايدينا أو على يد من كان يا أبا محمد لكل زمان دولة ورجال أنريد نحن أن نأخذ دولتنا ودولة غيرنا لقد أرجل لى مولانا المعز لما سرت الى مصر أولاده واخوته وولى عهده وسائر أهل دولته فتعجب الناس من ذلك وها أنا اليوم امشى راجلا بين يدى منجوتكين أعزونا وأعزوا بنا غيرنا وبعد هذا فأقول اللهم قرب أجلى ومدتى فقد أنفت على الثمانين او أنافيها فمات فى تلك السنة وذلك انه اعتل فركب اليه العزيز بالله عائدا وحمل اليه قبل ركوبه خمسة آلاف دينار ومرتبة مثقل وبعث اليه الامير منصور بن العزيز بالله خمسة آلاف دينار وتوفى فى يوم الاثنين لسبع بقين من ذى القعدة سنة احدى وثمانين وثلثمائة فبعث اليه العزيز بالحنوط والكفن وأرسل اليه الامير منصور بن العزيز أيضا الكفن وارسلت اليه السيدة العزيزية الكفن فكفن فى سبعين ثوبا ما بين مثقل ووشى مذهب وصلى عليه العزيز بالله وخلع على ابنه الحسين وحمله وجعله فى مرتبة ابيه ولقبه بالقائد ابن القائد ومكنه من جميع ما خلفه ابوه وكان جوهر عاقلا محسنا الى الناس كاتبا بليغا فمن مستحسن توقيعاته على قصة رفعت اليه بمصر سوء الاجترام أوقع بكم حلول الانتقام وكفر الانعام اخرجكم من حفظ الذمام فالواجب فيكم ترك الايجاب واللازم لكم ملازمة الاحتساب لانكم بدأتم فأسأتم وعدتم فتعديتم فابتداؤكم ملوم وعودكم مذموم وليس بينهما فرجة الا تقتضى الذم لكم والاعراض عنكم ليرى امير المؤمنين صلوات الله عليه رأيه فيكم ولما مات رثاه كثير من الشعراء *(السور الثانى)* بناه امير الجيوش بدر الجمالى فى سنة ثمانين وأربعمائة وزاد فيه الزيادات التى فيما بين بابى زويلة وباب زويلة الكبير وفيما بين باب الفتوح الذى عند حارة بهاء الدين وباب الفتوح الآن وزاد عند باب النصر أيضا جميع الرحبة التى تجاه جامع الحاكم الآن الى باب النصر وجعل السور من لبن وأقام الابواب من حجارة وفى نصف جمادى الآخرة سنة ثمانى عشرة وثمانمائة ابتدئ بهدم السور الحجر فيما بين باب زويلة الكبير وباب الفرج عندما هدم الملك المؤيد شيخ الدور ليبنى جامعه فوجد عرض السور فى الاماكن نحو العشرة اذرع *(السور الثالث)* ابتدأ فى عمارته السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب فى سنة ست وستين وخمسمائة وهو يومئذ على وزارة العاضد لدين الله فلما كانت سنة تسع وستين وقد استولى على المملكة انتدب لعمل السور الطواشى بهاء الدين قراقوش الاسدى فبناه بالحجارة على ما هو عليه الآن وقصد أن يجعل على القاهرة ومصر والقلعة سورا واحدا فزاد فى سور القاهرة القطعة التى من باب القنطرة الى باب الشعرية ومن باب الشعرية الى باب البحر وبنى قلعة المقس وهى برج كبير وجعله على النيل بجانب جامع المقس وانقطع السور من هناك وكان فى امله مد السور من المقس الى أن يتصل

بسور مصر وزاد فى سور القاهرة قطعة مما يلى باب النصر ممتدة الى باب البرقية والى درب بطوط والى خارج باب الوزير ليتصل بسور قلعة الجبل فانقطع من مكان يقرب الآن من الصوة تحت القلعة لموته والى الآن آثار الجدر ظاهرة لمن تأملها فيما بين آخر السور الى جهة القلعة وكذلك لم يتهيأ له أن يصل سور قلعة الجبل بسور مصر وجاء دور هذا السور المحيط بالقاهرة الآن تسعة وعشرين ألف ذراع وثلثمائة ذراع وذراعين بذراع العمل وهو الذراع الهاشمى من ذلك ما بين قلعة المقس على شاطئ النيل والبرج بالكوم الاحمر بساحل مصر عشرة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع ومن قلعة المقس الى حائط قلعة الجبل بمسجد سعد الدولة ثمانية آلاف وثلثمائة واثنان وتسعون ذراعا ومن جانب حائط قلعة الجبل من جهة مسجد سعد الدولة الى البرج بالكوم الاحمر سبعة آلاف ومائتا ذراع ومن وراء القلعة بجبال مسجد سعد الدولة ثلاثة آلاف ومائتان وعشرة اذرع وذلك طول قوسه فى ابراجه من النيل الى النيل وقلعة المقس المذكورة كانت برجا مطلا على النيل فى شرقى جامع المقس ولم تزل الى أن هدمها الوزير الصاحب شمس الدين عبد الله المقسى عند ما جدد الجامع المذكور فى سنة سبعين وسبعمائة وجعل فى مكان البرج المذكور جنينته وذكر أنه وجد فى البرج مالا وانه انما جدد الجامع منه والعامة تقول اليوم جامع المقسى بالاضافة وكان يحيط بسور القاهرة خندق شرع فى حفره من باب الفتوح الى المقس فى المحرم سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وكان أيضا من الجهة الشرقية خارج باب النصر الى باب البرقية ومابعده وشاهدت آثار الخندق باقية ومن ورائه سور بابراج له عرض كبير مبنى بالحجارة الا أن الخندق انطم وتهدمت الاسوار التى كانت من ورائه وهذا السور هو الذى ذكره القاضى الفاضل فى كتابه الى السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب فقال والله يحيى المولى حتى يستدير بالبلدين نطاقه ويمتد عليهما رواقه فما عقيلة ما كان معصمها ليترك بغير سوار ولا خصرها ليتحلى بغير منطقة نضار والآن قد استقرت خواطر الناس وأمنوا به من يد تتخطف ومن يد مجرم يقدم ولا يتوقف

(ذكر ابواب القاهرة)

وكان للقاهرة من جهتها القبلية بابان متلاصقان يقال لهما بابا زويلة ومن جهتها البحرية بابان متباعدان احدهما باب الفتوح والآخر باب النصر ومن جهتها الشرقية ثلاثة ابواب متفرقة أحدها يعرف الآن بباب البرقية والآخر بالباب الجديد والآخر بالباب المحروق ومن جهتها الغربية ثلاثة ابواب باب القنطرة وباب الفرج وباب سعادة وباب آخر يعرف بباب الخوخة ولم تكن هذه الابواب على ماهى عليه الآن ولا فى مكانها عند ماوضعها جوهر

(باب زويلة)

كان باب زويلة عند ما وضع القائد جوهر القاهرة بابين متلاصقين بجوار المسجد المعروف اليوم بسام ابن نوح فلما قدم المعز الى القاهرة دخل من احدهما وهو الملاصق للمسجد الذى بقى منه الى اليوم عقد ويعرف بباب القوس فتيامن الناس به وصاروا يكثرون الدخول والخروج منه وهجروا الباب المجاور له حتى جرى على الالسنة أن من مر به لا تقضى له حاجة وقد زال هذا الباب ولم يبق له أثر اليوم الا انه يفضى الى الموضع الذى يعرف اليوم بالحجارين حيث تباع آلات الطرب من الطنابير والعيدان ونحوهما والى الآن مشهور بين الناس أن من يسلك من هنالك لا تقضى له حاجة ويقول بعضهم من اجل أن هنالك آلات المنكر وأهل البطالة من المغنين والمغنيات وليس الامر كما زعم فان هذا القول جار على ألسنة اهل القاهرة من حين دخل المعز اليها قبل أن يكون هذا الموضع سوقا للمعازف وموضعا لجلوس اهل المعاصى * فلما كان فى سنة خمس وثمانين وأربعمائة بنى امير الجيوش بدر الجمالى وزير الخليفة المستنصر بالله باب زويلة الكبير الذى هو باق الى الآن وعلى أبراجه ولم يعمل له باشورة كما هى عادة ابواب الحصون من أن يكون فى كل باب عطف حتى لا تهجم عليه العساكر فى وقت الحصار ويتعذر سوق الخيل ودخولها جملة لكنه عمل فى بابه زلاقة كبيرة من حجارة صوان عظيمة بحيث اذا هجم عسكر على القاهرة لا تثبت قوائم الخيل على الصوان فلم تزل هذه الزلاقة باقية الى ايام السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل ابى بكر بن ايوب فاتفق مروره من هنالك فاختل فرسه وزلق به

وأحسبه سقط عنه فأمر بنقضها فنقضت وبقى منها شئ يسير ظاهر فلما بنى الامير جمال الدين يوسف الاستادار المسجد المقابل لباب زويلة وجعله باسم الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق ظهر عند حفره الصهريج الذى به بعض هذه الزلاقة وأخرج منها حجارة من صوّان لاتعمل فيها العدّة الماضية وأشكالها فى غاية من الكبر لايستطيع جرّها الا اربعة ارؤس بقر فأخذ الامير جمال الدين منها شيأ والى الآن حجر منها ملقى تجاه قبو الخرنشف من القاهرة * ويذكر أن ثلاثة اخوة قدموا من الرها بنائين بنوا باب زويلة وباب النصر وباب الفتوح كل واحد بنى بابا وأن باب زويلة هذا بنى فى سنة أربع وثمانين وأربعمائة وأن باب الفتوح بنى فى سنة ثمانين وأربعمائة * وقد ذكر ابن عبد الظاهر فى كتاب خطط القاهرة أن باب زويلة هذا بناء العزيز بالله نزار بن المعز وتممه أمير الجيوش وأنشد لعلىّ بن محمد النيلى

ياصاح لو أبصرت باب زويلة * لعلمت قدر محله بنيانا

باب تأزر بالمجرّة وارتدى الشعرى ولاث برأسه كيوانا

لو أنّ فرعونا بناه لم يرد * صرحا ولا اوصى به هامانا اهـ

* وسمعت غير واحد يذكر أن فردتيه يدوران فى سكرجتين من زجاج * وذكر جامع سيرة الناصر محمد بن قلاون أن فى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة رتب ايدكين والى القاهرة فى ايام الملك الناصر محمد بن قلاون على باب زويلة خليلية تضرب كل ليلة بعد العصر * وقد أخبرنى من طاف البلاد ورأى مدن المشرق انه لم يشاهد فى مدينة من المدائن عظم باب زويلة ولا يرى مثل بدنتيه اللتين عن جانبيه ومن تأمّل الاسطر التى قد كتبت على اعلاه من خارجه فانه يجد فيها اسم امير الجيوش والخليفة المستنصر وتاريخ بنائه وقد كانت البدنتان اكبر مما هما الآن بكثير هدم اعلاهما الملك المؤيد شيخ لما انشأ الجامع داخل باب زويلة وعمر على البدنتين منارتين ولذلك خبر تجده فى ذكر الجوامع عند ذكر الجامع المؤيدى

(باب النصر)

كان باب النصر أوّلا دون موضعه اليوم وأدركت قطعة من احد جانبيه كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية الغربى بحيث تكون الرحبة التى فيما بين المدرسة القاصدية وبين بابى جامع الحاكم القبليين خارج القاهرة ولذلك تجد فى أخبار الجامع الحاكى انه وضع خارج القاهرة فلما كان فى ايام المستنصر وقدم عليه أمير الجيوش بدر الجمالى من عكا وتقلد وزارته وعمر سور القاهرة نقل باب النصر من حيث وضعه القائد جوهر الى حيث هو الآن فصار قريبا من مصلى العيد وجعل له باشورة ادركت بعضها الى أن احتفرت اخت الملك الظاهر برقوق الصهريج السبيل تجاه باب النصر فهدمته وأقامت السبيل مكانه وعلى باب النصر مكتوب بالكوفى فى أعلاه لااله الا الله محمد رسول الله على ولى الله صلوات الله عليهما

(باب الفتوح)

وضعه القائد جوهر دون موضعه الآن وبقى منه الى يومنا هذا عقده وعضادته اليسرى وعليه اسطر من الكتابة بالكوفى وهو برأس حارة بهاء الدين من قبليها دون جدار الجامع الحاكى وأما الباب المعروف اليوم بباب الفتوح فانه من وضع أمير الجيوش وبين يديه باشورة قد ركبها الآن الناس بالبنيان لما عمر ما خرج عن باب الفتوح *(امير الجيوش)* ابو النجم بدر الجمالى كان مملوكا ارمنيا لجمال الدولة بن عمار فلذلك عرف بالجمالى ومازال يأخذ بالجد من زمن سبيه فيما يباشره ويوطن نفسه على قوّة العزم ويتنقل فى الخدم حتى ولى امارة دمشق من قبل المستنصر فى يوم الاربعاء ثالث عشرى ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربعمائة ثم سار منها كالهارب فى ليلة الثلاثاء لاربع عشرة خلت من رجب سنة ست وخمسين ثم وليها ثانيا يوم الاحد سادس شعبان سنة ثمان وخمسين فبلغه قتل ولده شعبان بعسقلان فخرج فى شهر رمضان سنة ستين وأربعمائة فثار العسكر وأخربوا قصره وتقلد نيابة عكا فلما كانت الشدّة بمصر من شدّة الغلاء وكثرة الفتن والاحوال بالحضرة قد فسدت والامور قد تغيرت وطوائف العسكر قد شغبت والوزراء يقنعون بالاسم دون نفاذ الامر والنهى والرخاء قد أيس منه والصلاح لا مطمع فيه ولواتة قد ملكت الريف والصعيد بايدى العبيد والطرقات قد

انقطعت برّا وبحرا الا بالخفارة الثقيلة فلما قتل بلدكوش ناصر الدولة حسين بن حمدان كتب المستنصر اليه يستدعيه ليكون المتولى لتدبير دولته فاشترط أن يحضر معه من يختاره من العساكر ولا يبقى أحدا من عسكر مصر فأجابه المستنصر الى ذلك فاستخدم معه عسكرا وركب البحر من عكا فى اوّل كانون وسار بمائة مركب بعد أن قيل له انّ العادة لم تجر بركوب البحر فى الشتاء لهيجانه وخوف التلف فأبى عليهم وأقلع فتمادى الصحو والسكون مع الريح الطيبة مدّة اربعين يوما حتى كثر التعجب من ذلك وعدّ من سعادته فوصل الى تنيس ودمياط واقترض المال من تجارها ومياسيرها وقام بأمر ضيافته وما يحتاج اليه من الغلال سليمان اللواتى كبير أهل البحيرة وسار الى قليوب فنزل بها وأرسل الى المستنصر يقول لا ادخل الى مصر حتى تقبض على بلدكوش وكان احد الامراء وقد اشتدّ على المستنصر بعد قتل ابن حمدان فبادر المستنصر وقبض عليه واعتقله بخزانة البنود فقدم بدر عشية الاربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الاولى سنة خمس وستين وأربعمائة فتهيأ له أن قبض على جميع امراء الدولة وذلك أنه لما قدم لم يكن عند الامراء علم من استدعائه فما منهم الا من اضافه وقدّم اليه فلما انقضت نوبهم فى ضيافته استدعاهم الى منزله فى دعوة صنعها لهم وبيت مع اصحابه أن القوم اذا أجنهم الليل فانهم لا بدّ يحتاجون الى الخلاء فمن قام منهم الى الخلاء يقتل هنالك ووكل بكل واحد واحدا من أصحابه وأنعم عليه بجميع ما يتركه ذلك الامير من دار ومال واقطاع وغيره فصار الامراء اليه وظلوا نهارهم عنده وباتوا مطمئنين فما طلع ضوء النهار حتى استولى اصحابه على جميع دور الامراء وصارت رؤسهم بين يديه فقويت شوكته وعظم امره وخلع عليه المستنصر بالطيلسان المقوّر وقلده وزارة السيف والقلم فصارت القضاة والدعاة وسائر المستخدمين من تحت يده وزيد فى ألقابه أمير الجيوش كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين وتتبع المفسدين فلم يبق منهم أحدا حتى قتله وقتل من اماثل المصريين وقضاتهم ووزرائهم جماعة ثم خرج الى الوجه البحرى فأسرف فى قتل من هنالك من لواتة واستصفى اموالهم وأزاح المفسدين وأفناهم بانواع القتل وصار الى البرّ الشرقى فقتل منه كثيرا من المفسدين ونزل الى الاسكندرية وقد ثار بها جماعة مع ابنه الاوحد فحاصرها اياما من المحرّم سنة سبع وسبعين وأربعمائة الى أن اخذها عنوة وقتل جماعة ممن كان بها وعمر جامع العطارين من مال المصادرات وفرغ من بنائه فى ربيع الاوّل سنة تسع وسبعين وأربعمائة ثم سار الى الصعيد فحارب جهينة والثعالبة وأفنى اكثرهم بالقتل وغنم من الاموال ما لا يعرف قدره كثرة فصلح به حال الاقليم بعد فساده ثم جهز العساكر لمحاربة البلاد الشامية فسارت اليها غير مرّة وحاربت اهلها ولم يظفر منها بطائل واستناب ولده شاهنشاه وجعله ولىّ عهده * فلما كان فى سنة سبع وثمانين وأربعمائة مات فى ربيع الآخر وقيل فى جمادى الاولى منها وقد تحكم فى مصر تحكم الملوك ولم يبق للمستنصر معه أمر واستبدّ بالامور فضبطها احسن ضبط وكان شديد الهيبة وافر الحرمة مخوف السطوة قتل من مصر خلائق لا يحصيها الا خالقها منها انه قتل من اهل البحيرة نحو العشرين ألف انسان الى غير ذلك من اهل دمياط والاسكندرية والغربية والشرقية وبلاد الصعيد واسوان وأهل القاهرة ومصر الا انه عمر البلاد وأصلحها بعد فسادها وخرابها باتلاف المفسدين من اهلها وكان له يوم مات نحو الثمانين سنة وكانت له محاسن منها انه اباح الارض للمزارعين ثلاث سنين حتى ترفهت احوال الفلاحين واستغنوا فى ايامه ومنها حضور التجار الى مصر لكثرة عدله بعد انتزاحهم منها فى ايام الشدّة ومنها كثرة كرمه وكانت مدّة ايامه بمصر احدى وعشرين سنة وهو اوّل وزراء السيوف الذين حجروا على الخلفاء بمصر * ومن آثاره الباقية بالقاهرة باب زويلة وباب الفتوح وباب النصر وقام من بعده بالامر ابنه شاهنشاه الملقب بالافضل بن امير الجيوش وبه وبابنه الافضل أبهة الخلفاء الفاطمية بعد تلاشى امرها وعمرت الديار المصرية بعد خرابها واضمحلال احوال اهلها وأظنه هو الذى اخبر عنه المعز فيما تقدّم من حكاية جوهر عنه فانه لم يتفق ذلك لاحد من رجال دولتهم غيره والله يعلم وانتم لا تعلمون

(باب القنطرة)

عرف بذلك لانّ جوهرا القائد بنى هنالك قنطرة فوق الخليج الذى بظاهر القاهرة ليمشى عليها الى المقس عند مسير

القرامطة الى مصر فى شوال سنة ستين وثلثمائة

(باب الشعرية)

يعرف بطائفة من البربر يقال لهم بنو الشعرية هم ومزانة وزيارة وهوارة من أحلاف لواتة الذين نزلوا بالمنوفية

(باب سعادة)

عرف بسعادة بن حيان غلام المعز لدين الله لانه لما قدم من بلاد المغرب بعد بناء القائد جوهر القاهرة نزل بالجيزة وخرج جوهر الى لقائه فلما عاين سعادة جوهرا ترجل وسار الى القاهرة فى رجب سنة ستين وثلثمائة فدخل اليها من هذا الباب فعرف به وقيل له باب سعادة ووافى سعادة هذا القاهرة بجيش كبير معه فلما كان فى شوال سيره جوهر فى عسكر مجر عند ورود الخبر من دمشق بمجىء الحسين بن احمد القرمطى المعروف بالاعصم الى الشام وقتل جعفر بن فلاح فسار سعادة يريد الرملة فوجد القرمطى قد قصدها فانحاز بمن معه الى يافا ورجع الى مصر ثم خرج الى الرملة فملكها فى سنة احدى وستين فأقبل اليه القرمطى ففر منه الى القاهرة وبها مات لخمس بقين من المحرم سنة اثنتين وستين وثلثمائة وحضر جوهر جنازته وصلى عليه الشريف ابو جعفر مسلم وكان فيه بر واحسان

(الباب المحروق)

كان يعرف قديما بباب القراطين فلما زالت دولة بنى ايوب واستقل بالملك الملك المعز عز الدين ايبك التركمانى اول من ملك من المماليك بمملكة مصر فى سنة خمسين وستمائة كان حينئذ اكبر الامراء البحرية مماليك الملك الصالح نجم الدين ايوب الفارس اقطاى الجدار وقد استفحل امره وكثرت اتباعه ونافس المعز أيبك وتزوج بابنة الملك المظفر صاحب حماه وبعث الى المعز بأن ينزل من قلعة الجبل ويخليها له حتى يسكنها بامرأته المذكورة فقلق المعز منه وأهمه شأنه وأخذ يدبر عليه فقرر مع عدة من مماليكه أن يقفوا بموضع من القلعة عينه لهم واذا جاء الفارس اقطاى فتكوا به وأرسل اليه وقت القائلة يستدعيه ليشاوره فى أمر مهم فركب فى قائلة يوم الاثنين حادى عشرى شعبان سنة اثنتين وخمسين وستمائة فى نفر من مماليكه وهو آمن مطمئن بما صار له فى الانفس من الحرمة والمهابة وبما يثق به من شجاعته فلما صار بقلعة الجبل وانتهى الى قاعة العواميد عوّق من معه من المماليك عن الدخول معه ووثب به المماليك الذين أعدهم المعز وتناولوه بالسيوف فهلك لوقته وغلقت ابواب القلعة وانتشر الصوت بقتله فى البلد فركب اصحابه وخشداشيته وهم نحو السبعمائة فارس الى تحت القلعة وفى ظنهم أن الفارس اقطاى لم يقتل وانما قبض عليه السلطان وانهم يقاتلونه حتى يطلقه لهم فلم يشعروا الا برأس الفارس اقطاى وقد ألقيت عليهم من القلعة فانفضوا لوقتهم وتواعدوا على الخروج من مصر الى الشام واكابرهم يومئذ بيبرس البندقدارى وقلاون الالفى وسنقر الاشقر وبيسرى وسكر وبرامق فخرجوا فى الليل من بيوتهم بالقاهرة الى جهة باب القراطين ومن العادة أن تغلق ابواب القاهرة بالليل فألقوا النار فى الباب حتى سقط من الحريق وخرجوا منه فقيل له من ذلك الوقت الباب المحروق وعرف به وأما القوم فانهم ساروا الى الملك الناصر يوسف بن العزيز صاحب الشام فقبلهم وأنعم عليهم وأقطعهم اقطاعات واستكثر بهم وأصبح المعز وقد علم بخروجهم الى الشام فأوقع الحوطة على جميع اموالهم ونسائهم واولادهم وعامة تعلقاتهم وسائر أسبابهم وتتبعهم ونادى عليهم فى الاسواق بطلب البحرية وتحذير العامة من اخفائهم فصار اليه من اموالهم ماملأ عينه واستمرت البحرية فى الشام الى أن قتل المعز أيبك وخلع ابنه المنصور وتسلطن الامير قطز فتراجعوا فى أيامه الى مصر وآلت احوالهم الى أن تسلطن منهم بيبرس وقلاون ولله عاقبة الامور

(باب البرقية)

هكذا بيض له فى الاصل

(ذكر قصور الخلفاء ومناظرهم والالماع بطرف من مآثرهم وماصارت اليه احوالها من بعدهم)

علم انه كان للخلفاء الفاطميين بالقاهرة وظواهرها قصور ومناظر منها القصر الكبير الشرقى الذى وضعه القائد

جوهر عندما أناخ فى موضع القاهرة ومنها القصر الصغير الغربى والقصر اليافعى وقصر الذهب وقصر الاقبال وقصر الظفر وقصر الشجرة وقصر الشوك وقصر الزمرذ وقصر النسيم وقصر الحريم وقصر البحر وهذه كلها قاعات ومناظر من داخل سور القصر الكبير ويقال لها القصور الزاهرة ويسمى مجموعها القصر وكان بجوار القصر الغربى الميدان والبستان الكافورى وكان لهم عدة مناظر وآدر سلطانية غير هذه القصور منها دار الضيافة ودار الوزارة ودار الوزارة القديمة ودار الضرب والمنظرة بالجامع الازهر والمنظرة بجوار الجامع الاقمر ومنظرة اللؤلؤة على الخليج بظاهر القاهرة ومنظرة الغزالة ودار الذهب ومنظرة المقس ومنظرة الدكة والبعل والخمس وجوه والتاج وقبة الهواء والبساتين الجيوشية والبستان الكبير ومنظرة السكرة والمنظرة ظاهر باب الفتوح ودار الملك بمدينة مصر ومنازل العز بها ومنظرة الصناعة بالساحل ومنظرة بجوار جامع القرافة الكبرى المعروف اليوم بجامع الاولياء والاندلس بالقرافة والمنظرة ببركة الحبش وسأذكر من أخبار هذه الاماكن فى مدة الدولة الفاطمية وما آل اليه حالها بحسب ما انتهى الى علمه ان شاء الله تعالى

(القصر الكبير)

هذا القصر كان فى الجهة الشرقية من القاهرة فلذلك يقال له القصر الكبير الشرقى ويسمى القصر المعزى لان المعز لدين الله ابا تميم معدا هو الذى أمر عبده وكاتبه جوهرا ببنائه حين سيره من رمادة احد بلاد افريقية بالعساكر الى مصر وألقى اليه ترتيبه فوضعه على الترتيب الذى رسمه له ويقال ان جوهرا لما أسسه فى الليلة التى اناخ قبلها فى موضعه وأصبح رأى فيه ازورارات غير معتدلة لم تعجبه فقيل له فى تغييرها فقال قد حفر فى ليلة مباركة وساعة سعيدة فتركه على حاله * وكان ابتداء وضعه مع وضع اساس سور القاهرة فى ليلة الاربعاء الثامن عشر من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وركب عليه بابان يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة تسع وخمسين ثم انه ادار عليه سورا محيطا به فى سنة ستين وثلثمائة وهذا القصر كان دار الخلافة وبه سكن الخلفاء الى آخر ايامهم فلما انقرضت الدولة على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب اخرج اهل القصر منه وأسكن فيه الامراء ثم خرب اولا فأولا * وذكر ابن عبد الظاهر فى كتاب خطط القاهرة عن مرهف بواب باب الزهومة أنه قال أعلم هذا الباب المدة الطويلة وما رأيته دخل اليه حطب ولا رمى منه تراب قال وهذا أحد أسباب خرابه لوقود اخشابه وتكويم ترابه قال ولما أخذه صلاح الدين وأخرج من كان به كان فيه اثنا عشر ألف نسمة ليس فيهم فحل الا الخليفة وأهله وأولاده فأسكنهم دار المظفر بحارة برجوان وكانت تعرف بدار الضيافة قال ووجد الى جانب القصر بئر تعرف ببئر الصنم كان الخلفاء يرمون فيها القتلى فقيل ان فيها مطالبا وقصد تغويرها فقيل انها معمورة بالجان وقتل عمارها جماعة من أشياعه فردمت وتركت انتهى وكان صلاح الدين لما أزال الدولة أعطى هذا القصر الكبير لامراء دولته وأنزلهم فيه فسكنوه وأعطى القصر الصغير الغربى لاخيه الملك العادل سيف الدين ابى بكر بن ايوب فسكنه وفيه ولد له ابنه الكامل ناصر الدين محمد وكان قد أنزل والده نجم الدين ايوب بن شادى فى منظرة اللؤلؤة ولما قبض على الامير داود ابن الخليفة العاضد وكان ولى عهد أبيه وينعت بالحامد لله اعتقله وجميع اخوته وهم ابو الامانة جبريل وأبو الفتوح وابنه ابو القاسم وسليمان بن داود بن العاضد وعبد الوهاب بن ابراهيم بن العاضد واسماعيل بن العاضد وجعفر بن ابى الطاهر ابن جبريل وعبد الظاهر بن ابى الفتوح بن جبريل بن الحافظ وجماعة فلم يزالوا فى الاعتقال بدار المظفر وغيرها الى أن انتقل الكامل محمد بن العادل من دار الوزارة بالقاهرة الى قلعة الجبل فنقل معه ولد العاضد واخوته وأولاد عمه واعتقلهم بها وفيها مات داود بن العاضد ولم يزل بقيتهم معتقلين بالقلعة الى أن استبد السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى فأمر فى سنة ستين بالاشهاد على كمال الدين اسمعيل بن العاضد وعماد الدين ابى القاسم ابن الامير ابى الفتوح بن العاضد وبدر الدين عبد الوهاب بن ابراهيم بن العاضد أن جميع المواضع التى قبلى المدارس الصالحية من القصر الكبير والموضع المعروف بالتربة باطنا وظاهرا بخط الخوخ السبع وجميع الموضع المعروف بالقصر اليافعى بالخط المذكور وجميع الموضع المعروف بالجباسة بالخط المذكور وجميع الموضع المعروف بخزائن السلاح السلطانية وما هو بخطه وجميع الموضع المعروف بسكن اولاد شيخ

الشيوخ

المشيوخ وغيرهم من القصر الشارع بابه قبالة دار الحديث النبوى الكاملية وجميع الموضع المعروف بالقصر الغربى وجميع الموضع المعروف بدار القنطرة بخط المشهد الحسينى وجميع الموضع المعروف بدار الضيافة بحارة برجوان وجميع الموضع المعروف بدار الذهب بظاهر القاهرة وجميع الموضع المعروف باللؤلؤة وجميع قصر الزمرذ وجميع البستان الكافورى ملك لبيت المال بالنظر المولوى السلطانى الملكى الظاهرى من وجه صحيح شرعى لا رجعة لهم فيه ولا لواحد منهم فى ذلك ولا فى شئ منه ولاء ولا شبهة بسبب يد ولا ملك ولا وجه من الوجوه كلها خلا ما فى ذلك من مسجد لله تعالى او مدفن لآبائهم فأشهدوا عليهم بذلك وورخوا الاشهاد بالثالث عشر من جمادى الاولى سنة ستين وستمائة وأثبت على يد قاضى القضاة الصاحب تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز الشافعى وتقرر مع المذكورين أنه مهما كان قبضوه من اثمان بعض الاماكن المذكورة التى عاقد عليها وكلاؤهم واتصلوا اليه يحاسبوا به من جملة ما تحرر ثمنه عند وكيل بيت المال وقبضت ايدى المذكورين عن التصرف فى الاماكن المذكورة وغيرها مما هو منسوب الى آبائهم ورسم ببيع ذلك فباعه وكيل بيت المال كمال الدين ظافر شيأ بعد شئ ونقضت تلك المبانى وابتنى فى مواضعها على غير تلك الصفة من المساكن وغيرها كما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى وكان هذا القصر يشتمل على مواضع منها

(قاعة الذهب) وكان يقال لقاعة الذهب قصر الذهب وهو أحد قاعات القصر الذى هو قصر المعز لدين الله معد وبنى قصر الذهب العزيز بالله نزار بن المعز وكان يدخل اليه من باب الذهب الذى كان مقابلا للدار القطبية التى هى اليوم المارستان المنصورى ويدخل اليه أيضا من باب البحر الذى هو الآن تجاه المدرسة الكاملية وجدد هذا القصر من بعد العزيز الخليفة المستنصر فى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وبهذه القاعة كانت الخلفاء تجلس فى الموكب يوم الاثنين ويوم الخميس وبها كان يعمل سماط شهر رمضان للامراء وسماط العيدين وبها كان سرير الملك

(هيئة جلوس الخليفة بمجلس الملك) قال الفقيه ابو محمد الحسن بن ابراهيم بن زولاق فى كتاب سيرة المعز وكان وصول المعز لدين الله الى قصره بمصر فى يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة ولما وصل الى قصره خر ساجدا ثم صلى ركعتين وصلى بصلاته كل من دخل معه واستقر فى قصره بأولاده وحشمه وخواص عبيده والقصر يومئذ يشتمل على ما فيه من عين وورق وجوهر وحلى وفرش وأوان وثياب وسلاح وأسفاط وأعدال وسروج ولجم وبيت المال بحاله بما فيه وفيه جميع ما يكون للملوك وللنصف من رمضان جلس المعز فى قصره على السرير الذهب الذى عمله عبده القائد جوهر فى الايوان الجديد وأذن بدخول الاشراف اولا ثم اذن بعدهم للاولياء ولسائر وجوه الناس وكان القائد جوهر قائما بين يديه يقدم الناس قوما بعد قوم ثم مضى القائد جوهر وأقبل بهديته التى عباها ظاهرة يراها الناس وهى من الخيل مائة وخمسون فرسا مسرجة ملجمة منها مذهب ومنها مرصع ومنها معنبر واحدى وثلاثون قبة على نوق بخاتى بالديباج والمناطق والفرش منها تسعة بديباج منقل وتسع نوق مجنوبة مزينة بمنقل وثلاثة وثلاثون بغلا منها سبعة مسرجة ملجمة ومائة وثلاثون بغلا للنقل وتسعون نجيبا وأربعة صناديق مشبكة يرى ما فيها وفيها أوانى الذهب والفضة ومائة سيف محلى بالذهب والفضة ودرجان من فضة مخرقة فيها جوهر وشاشية مرصعة فى غلاف وتسعمائة ما بين سفط وتخت فيها سائر ما أعدله من ذخائر مصر * وفى يوم عرفة نصب المعز الشمسة التى عملها للكعبة على ايوان قصره وسعتها اثناعشر شبرا فى اثنى عشر شبرا وأرضها ديباج أحمر ودورها اثناعشر هلال ذهب فى كل هلال أترجة ذهب مشبك جوف كل اترجة خمسون درة كبار كبيض الحمام وفيها الياقوت الاحمر والاصفر والازرق وفى دورها كتابة آيات الحج بزمرذ أخضر قد فسر وحشو الكتابة در كبير لم ير مثله وحشو الشمسة المسك المسحوق يراها الناس فى القصر ومن خارج القصر لعلو موضعها وانما نصبها عدة فراشين وجروها لثقل وزنها * وقال فى كتاب الذخائر والتحف وما كان بالقصر من ذلك ان وزن ما استعمل من الذهب الابريز الخالص فى سرير الملك الكبير مائة ألف مثقال وعشرة آلاف مثقال ووزن ما حلى به الستر الذى انشأه سيد الوزراء ابو محمد البازورى من الذهب أيضا ثلاثون ألف مثقال وانه رصع بألف وخمسمائة وستين قطعة جوهر من سائر ألوانه وذكر أن فى الشمسة الكبيرة ثلاثين ألف مثقال ذهبا وعشرين ألف درهم مخرقة وثلاثة آلاف وستمائة قطعة جوهر من سائر ألوانه وأنواعه وان فى الشمسية التى لم تتم من الذهب

سبعة عشر ألف مثقال * وقال المرتضى ابو محمد عبد السلام بن محمد بن الحسن بن عبد السلام بن الطوير
الفهرى القيسرانى الكاتب المصرى فى كتاب نزهة المقلتين فى اخبار الدولتين الفاطمية والصلاحية الفصل
العاشر فى ذكر هيئتهم فى الجلوس العام بمجلس الملك ولا يتعدى ذلك يومى الاثنين والخميس ومن كان أقرب الناس
اليهم ولهم خدم لا تخرج عنهم وينتظر لجلوس الخليفة أحد اليومين المذكورين وليس على التوالى بل على
التفاريق فاذا تهيأ ذلك فى يوم من هذه الايام استدعى الوزير من داره صاحب الرسالة على الرسم المعتاد فى
سرعة الحركة فيركب فى ابهته وجماعته على الترتيب المقدم ذكره يعنى فى ذكر الركوب اول العام وسيأتى
ان شاء الله تعالى فى موضعه من هذا الكتاب فيسير من مكان ترجله عن دابته بدهليز العمود الى مقطع الوزارة
وبين يديه اجلاء أهل الامارة كل ذلك بقاعة الذهب التى كان يسكنها السلطان بالقصر وكان الجلوس قبل ذلك
بالايوان الكبير الذى هو خزائن السلاح فى صدره على سرير الملك وهو باق فى مكانه الى الآن من هذا المكان الى
آخر ايام المستعلى ثم ان الآمر نقل الجلوس الى هذا المكان واسمه مكتوب بأعلى باذهنجه الى اليوم ويكون
المجلس المذكور معلقا فيه ستور الديباج شتاء والدبيقى صيفا وفرش الشتاء بسط الحرير عوضا عن
الصوف مطابقا لستور الديباج وفرش الصيف مطابقا لستور الدبيقى ما بين طبرى وطبرستانى مذهب
معدوم المثل وفى صدره المرتبة المؤهلة لجلوسه فى هيئة جليلة على سرير الملك المغشى بالقرقوبى فيكون وجه
الخليفة عليه قبالة وجوه الوقوف بين يديه فاذا تهيأ الجلوس استدعى الوزير من المقطع الى باب المجلس المذكور
وهو مغلق وعليه ستر فيقف بحذائه وعن يمينه زمام القصر وعن يساره زمام بيت المال فاذا انتصب الخليفة على
المرتبة وضع امين الملك مفلح أحد الاستاذين المحنكين الخواص الدواة مكانها من المرتبة وخرج من المقطع
الذى يقال له فرد الكم فاذا الوزير واقف أمام باب المجلس وحواليه الامراء المطوقون ارباب الخدم الجليلة
وغيرهم وفى خلالهم قراء الحضرة فيشير صاحب المجلس الى الاستاذين فيرفع كل منهم جانب الستر فيظهر
الخليفة جالسا بمنصبه المذكور فتستفتح القراء بقراءة القرآن الكريم ويسلم الوزير بعد دخوله اليه فيقبل يديه
ورجليه ويتأخر مقدار ثلاثة اذرع وهو قائم قدر ساعة زمانية ثم يؤمر بأن يجلس على الجانب الايمن وتطرح له
مخدة تشريفا ويقف الامراء فى اماكنهم المقررة فصاحب الباب واسفهسلار العساكر من جانبى الباب يمينا
ويسارا ويليهم من خارجه لاصقا بعتبته زمام الآمرية والحافظية كذلك ثم يرتبهم على مقاديرهم فكل واحد
لا يتعدى مكانه هكذا الى آخر الرواق وهو الافريز العالى عن أرض القاعة ويعلوه الساباط على عقود القناطر
التى على العهد هنالك ثم ارباب القصب والعماريات يمنة ويسرة كذلك ثم الاماثل والاعيان من الاجناد
المترشحين للتقدمة ويقف مستندا للصدر الذى يقابل باب المجلس نواب الباب والحجاب ولصاحب الباب
فى ذلك المحل الدخول والخروج وهو الموصل عن كل قائل ما يقول فاذا انتظم ذلك النظام واستقر بهم المقام
فأول ماثل للخدمة بالسلام قاضى القضاة والشهود المعروفون بالاستخدام فيجيز صاحب الباب القاضى دون
من معه فيسلم متأدبا ويقف قريبا ومعنى الادب فى السلام انه يرفع يده اليمنى ويشير بالمسبحة ويقول بصوت
مسموع السلام على امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فيتخصص بهذا الكلام دون غيره من اهل السلام ثم يسلم
بالاشراف الاقارب زمامهم وهو من الاستاذين المحنكين وبالاشراف الطالبيين نقيبهم وهو من الشهود المعدلين
وتارة يكون من الاشراف المميزين فيمضى عليهم كذلك ساعتان زمانيتان او ثلاث ويخص بالسلام فى ذلك
الوقت من خلع عليه لقوص او الشرقية او الغربية او الاسكندرية فيشرفون بتقبيل القبة فان دعت حاجة
الوزير الى مخاطبة الخليفة فى أمر قام من مكانه وقرب منه منحنيا على سيفه فيخاطبه مرة او مرتين ثم يؤمر
الحاضرون فيخرجون حتى يكون آخر من يخرج الوزير بعد تقبيل يد الخليفة ورجله ويخرج فيركب على عادته
الى داره وهو مخدوم باولئك ثم يرخى الستر ويغلق باب المجلس الى يوم مثله فيكون الحال كما ذكر ويدخل الخليفة
الى مكانه المستقر فيه ومعه خواص استاذيه وكان أقرب الناس الى الخلفاء الاستاذون المحنكون وهم اصحاب
الانس لهم ولهم من الخدم ما لا يتطرق اليه سواهم ومنهم زمام القصر وشاد التاج الشريف وصاحب بيت
المال وصاحب الدفتر وصاحب الرسالة وزمام الاشراف الاقارب وصاحب المجلس وهم المطلعون على أسرار
الخليفة وكانت لهم طريقة محمودة فى بعضهم بعضا منها انه متى ترشح استاذ للتحنيك وحنك حمل اليه كل

واحد

واحد من المحنكين بدلة من ثياب ومنديلا وفرشا وسيفا فيصبح لا حقابهم وفى يديه مثل ما فى ايديهم وكان لا يركب أحد فى القصر الا الخليفة ولا ينصرف ليلا ونهارا الا كذلك وله فى الليل شدادات من النساء يخدمن البغلات والحمير الاناث للجوازفى السراديب القصيرة الاقباء والطلوع على الزلاقات الى أعالى المناظر والاماكن وفى كل محلة من محلات القصر فسقية مملوءة بالماء خيفة من حدوث حريق فى الليل

(كيفية سماط شهر رمضان بهذه القاعة)

قال ابن الطوير فاذا كان اليوم الرابع من شهر رمضان رتب عمل السماط كل ليلة بالقاعة بالقصر الى السادس والعشرين منه ويستدعى له قاضى القضاة ليالى الجمع توقيرا له فأما الامراء ففى كل ليلة منهم قوم بالنوبة ولا يحرمونهم الافطار مع أولادهم وأهاليهم ويكون حضورهم بمسطور يخرج الى صاحب الباب واسفهسلاره فيعرف صاحب كل نوبة ليلته فلا يتأخر ويحضر الوزير فيجلس صدره فان تأخر كان ولده أو أخوه وان لم يحضر أحد من قبله كان صاحب الباب ويهتم فيه اهتماما عظيما تاما بحيث لا يفوته شئ من أصناف المأكولات الفائقة والاغذية الرائقة وهو مبسوط فى طول القاعة مادّ من الرواق الى ثلثى القاعة المذكورة والفراشون قيام لخدمة الحاضرين وحواشى الاستاذين يحضرون الماء المبخر فى كيزان الخزف برسم الحاضرين ويكون انفصالهم العشاء الآخرة فيعمهم ذلك ويصل منه شئ الى أهل القاهرة من بعض الناس لبعض ويأخذ الرجل الواحد مايكفى جماعة فاذا حضر الوزير أخرج اليه مما هو بحضرة الخليفة وكانت يده فيه تشريفا له وتطييبا لنفسه وربما حمل لسحوره من خاص مايعين لسحور الخليفة نصيب وافر ثم يتفرق الناس الى اماكنهم بعد العشاء الآخرة بساعة اوساعتين قال ومبلغ ماينفق فى شهر رمضان لسماطه مدة سبعة وعشرين يوما ثلاثة آلاف دينار

(عمل سماط عيد الفطر بهذه القاعة)

قال الامير المختار عز الملك بن عبيد الله بن احمد بن اسمعيل بن عبد العزيز المسبحى فى تاريخه الكبير وفى آخر يوم منه يعنى شهر رمضان سنة ثمانين وثلثمائة حمل يانس الصقلبى صاحب الشرطة السفلى السماط وقصور السكر والتماثيل وأطباقا فيها تماثيل حلوى وحمل أيضا على بن سعد المحتسب القصور وتماثيل السكر * وقال ابن الطوير فأما الاسمطة الباطنة التى يحضرها الخليفة بنفسه ففى يوم عيد الفطر اثنان ويوم عيد النحر واحد فأما الاول من عيد الفطر فانه يعبى فى الليل بالايوان قدام الشباك الذى يجلس فيه الخليفة فيمد مامقداره ثلثمائة ذراع فى عرض سبعة اذرع من الخشكنان والفانيذ والبسندود المقدم ذكر عمله بدار الفطرة فاذا صلى الفجر فى اول الوقت حضر اليه الوزير وهو جالس فى الشباك ومكن الناس من ذلك الممدود فأخذ وحمل ونهب فيأخذه من يأكله فى يومه ومن يدخره لغده ومن لا حاجة له به فيبيعه ويتسلط عليه أيضا حواشى القصر المقيمون هنالك فاذا فرغ من ذلك وقد بزغت الشمس ركب من باب الملك بالايوان وخرج من باب العيد الى المصلى والوزير معه كما وصفنا فى هيئة ركوب هذا العيد فى فصله مخليا القاعة الذهب لسماط الطعام فينصب له سرير الملك قدام باب المجلس فى الرواق وينصب فيه مائدة من فضة ويقال لها المدوّرة وعليها اوانى الفضيات والذهبيات والصينى الحاوية للاطعمة الخاص الفائحة الطيب الشهية من غير خضراوات سوى الدجاج الفائق المسمن المعمول بالامزجة الطيبة النافعة ثم ينصب السماط أمام السرير الى باب المجلس قبالته ويعرف بالحول طول القاعة وهو اليوم الباب الذى يدخل منه اليها من باب البحر الذى هو باب القصر اليوم والسماط خشب مدهون شبه الدكك اللاطية فيصير من جمعه للاوانى سماطا عاليا فى ذلك الطول وبعرض عشرة اذرع فيفرش فوق ذلك الازهار ويرص الخبز على حافتيه سواميذ كل واحد ثلاثة ارطال من نقى الدقيق ويدهن وجهها عند خبزها بالماء فيحصل لها بريق ويحسن منظرها ويعمر داخل ذلك السماط على طوله باحد وعشرين طبقا فى كل طبق احد وعشرون ثنا سميطا مشويا وفى كل من الدجاج والفراريج وفراخ الحمام ثلثمائة وخمسون طائرا فيبقى طائلا مستطيلا فيكون كقامة الرجل الطويل ويسوّر بشرائح الحلواء اليابسة ويزين بألوانها المصبغة ثم يسد خلل تلك الاطباق بالصحون الخزفية التى فى كل واحد منها سبع دجاجات وهى مترعة بالالوان الفائقة من الحلواء

المائعة والطباهجة المشققه والطيب غالب على ذلك كله فلا يبعد أن تتناهز عدة الصحون المذكورة خمسمائة صحن ويرتب ذلك أحسن ترتيب من نصف الليل بالقاعة الى حين عود الخليفة من المصلى والوزير معه فاذا دخل القاعة وقف الوزير على بابها لدخول الخليفة لينزع عنه الثياب العيدية التى فى عمامتها السمة ويلبس سواها من خزائن الكسوات الخاصة التى قدمنا ذكرها وقد عمل بدار الفطرة قصران من حلوى فى كل واحد سبعة عشر قنطارا وحملا فهما واحد يمضى به من طريق قصر الشوك الى باب الذهب والآخر يشق به بين القصرين يحملهما العتالون فينصبان اول السماط وآخره وهما شكل مليح مدهونان بأوراق الذهب وفيهما شخوص نائتة كأنها مسبوكة فى قوالب لوحالوحا فاذا عبر الخليفة راكبا ونزل على السرير الذى عليه المدورة الفضة وجلس قام على رأسه أربعة من كبار الاستاذين المحنكين وأربعة من خواص الفراشين ثم يستدعى الوزير فيطلع اليه ويجلس عن يمينه ويستدعى الامراء المطوقين ومن يليهم من الامراء دونهم فيجلسون على السماط كقيامهم بين يديه فيأكل من اراد من غير الزام فان فى الحاضرين من لا يعتقد الفطر فى ذلك اليوم فيستولى على ذلك المعمول الآكلون وينقل الى دار أرباب الرسوم ويباح فلا يبقى منه الا السماط فقط فيعم اهل القاهرة ومصر من ذلك نصيب وافر فاذا انقضى ذلك عند صلاة الظهر انفض الناس وخرج الوزير الى داره مخدوما بالجماعة الحاضرين وقد عمل سماطا لاهله وحواشيه ومن يعز عليه لا يلحق بأيسر يسير من سماط الخليفة وعلى هذا العمل يكون سماط عيد النحر اول يوم منه وركوبه الى المصلى كما ذكرنا ولا يخرج عن هذا المنوال ولا ينقص عن هذا المثال ويكون الناس كلهم مفطرين ولا يفوت أحدا منهم شئ كما ذكرنا فى عيد الفطر قال ومبلغ ما ينفق فى سماطى الفطر والاضحى اربعة آلاف دينار وكان يجلس على اسمطة الاعياد فى كل سنة رجلان من الاجناد يقال لاحدهما ابن فائز والآخر الديلمى يأكل كل واحد منهما خروفا مشويا وعشر دجاجات محلاة وجام حلوى عشرة ارطال ولهما رسوم تحمل اليهما بعد ذلك من الاسمطة لبيوتهما ودنانير وافرة على حكم الهبة وكان أحدهما اسر بعسقلان فى تجريدة جرد اليها وأقام مدة فى الاسر فاتفق انه كان عندهم عجل سمين فيه عدة قناطير لحم فقال له الذى اسره وهو يداعبه ان اكلت هذا العجل أعتقتك ثم ذبحه وسوى لحمه وأطعمه حتى أتى على جميعه فوفى له واعتقه فقدم على اهله بالقاهرة ورأيته يأكل على السماط

(الايوان الكبير)

قال القاضى الرئيس محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر الروحى الكاتب فى كتاب الروضة البهية الزاهره فى خطط المعزية القاهره الايوان الكبير بناه العزيز بالله ابو منصور نزار بن المعز لدين الله معد فى سنة تسع وستين وثلثمائة انتهى وكان الخلفاء أولا يجلسون به فى يومى الاثنين والخميس الى أن نقل الخليفة الآمر بأحكام الله الجلوس منه فى اليومين المذكورين الى قاعة الذهب كما تقدم وبصدر هذا الايوان كان الشباك الذى يجلس فيه الخليفة وكان يعلوه هذا الشباك قبة وفى هذا الايوان كان يمد سماط الفطرة بكرة يوم عيد الفطر كما تقدم وبه أيضا كان يعمل الاجتماع والخطبة فى يوم عيد الغدير وكان بجانب هذا الايوان الدواوين وكان بهذا الايوان ضلعا سمكة اذا اقيما واربا الفارس بفرسه ولم يزالا حتى بعثهما السلطان صلاح الدين يوسف الى بغداد فى هدية *(عيد الغدير)* اعلم أن عيد الغدير لم يكن عيدا مشروعا ولا عمله أحد من سالف الامة المقتدى بهم وأول ما عرف فى الاسلام بالعراق ايام معز الدولة على بن بويه فانه أحدثه فى سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة فاتخذه الشيعة من حينئذ عيدا وأصلهم فيه ما اخرجه الامام احمد فى مسنده الكبير من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر لنا فنزلنا بغدير خم ونودى الصلاة جامعة وكسح لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد على بن ابى طالب رضى الله عنه فقال ألستم تعلمون أنى اولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا بلى قال ألستم تعلمون أنى اولى بكل مؤمن من نفسه قالوا بلى فقال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال فلقيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال هنيألك يا ابن ابى طالب اصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة *(وغدير خم)* على ثلاثة اميال من الجحفة يسرة الطريق وتصب فيه عين وحوله شجر كثير ومن سنتهم فى هذا العيد وهو أبدا يوم الثامن عشر

من

من ذي الحجة أن يحيوا ليلته بالصلاة ويصلوا في صبيحته ركعتين قبل الزوال ويلبسوا فيه الجديد ويعتقوا الرقاب ويكثروا من عمل البرّ ومن الذبائح ولما عمل الشيعة هذا العيد بالعراق ارادت عوام السنة مضاهاة فعلهم ونكايتهم فاتخذوا في سنة تسع وثمانين وثلثمائة بعد عيد الغدير بثمانية ايام عيدا اكثروا فيه من السرور واللهو وقالوا هذا يوم دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه وبالغوا في هذا اليوم في اظهار الزينة ونصب القباب وايقاد النيران ولهم في ذلك أعمال مذكورة في أخبار بغداد * وقال ابن زولاق وفي يوم ثمانية عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وستين وثلثمائة وهو يوم الغدير تجمع خلق من اهل مصر والمغاربة ومن تبعهم للدعاء لانه يوم عيد لان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب فيه واستخلفه فأعجب المعز ذلك من فعلهم وكان هذا اول ما عمل بمصر * قال المسبحي وفي يوم الغدير وهو ثامن عشر ذي الحجة اجتمع الناس بجامع القاهرة والقرّاء والفقهاء والمنشدون فكان جمعا عظيما اقاموا الى الظهر ثم خرجوا الى القصر فخرجت اليهم الجائزة وذكر أن الحاكم بأمر الله كان قد منع من عمل عيد الغدير قال ابن الطوير اذا كان العشر الاوسط من ذي الحجة اهتمّ الامراء والاجناد بركوب عيد الغدير وهو في الثامن عشر منه وفيه خطبة وركوب الخليفة بغير مظلة ولا يتيمة ولا خروج عن القاهرة ولا يخرج لاحد شيء فاذا كان ذلك اليوم ركب الوزير بالاستدعاء الجاري به العادة فيدخل القصر وفي دخوله بروز الخليفة لركوبه من الكرسيّ على عادته فيخدم ويخرج ويركب من مكانه من الدهليز ويخرج فيقف قبالة باب القصر ويكون ظهره الى دار فخر الدين جهاركس اليوم ثم يخرج الخليفة راكبا أيضا فيقف في الباب ويقال له القوس وحواليه الاستاذون المحنكون رجالة ومن الامراء المطوّقين من يأمره الوزير باشارة خدمة الخليفة على خدمته ثم يجوز زيّ كل من له زيّ على مقدار همته فأوّل ما يجوز زيّ الخليفة وهو الظاهر في ركوبه فتجد الجنائب الخاص التي قدمنا ذكرها اولا ثم زيّ الامراء المطوّقين لانهم غلمانه واحدا فواحدا بعددهم وأسلحتهم وجنائبهم الى آخر أرباب القصب والعماريات ثم طوائف العسكر أزمّتها أمامها وأولادهم مكانهم لانهم في خدمة الخليفة وقوف بالباب طائفة طائفة فيكونون اكثر عددا من خمسة آلاف فارس ثم المترجلة الرماة بالقسيّ بالايدي والارجل وتكون عدّتهم قريبا من ألف ثم الراجل من الطوائف الذين قدمنا ذكرهم في الركوب فتكون عدّتهم قريبا من سبعة آلاف كل منهم بزمام وبنود ورايات وغيرها بترتيب مليح مستحسن ثم يأتي زيّ الوزير مع ولده أو أحد أقاربه وفيه جماعته وحاشيته في جمع عظيم وهيئة هائلة ثم زيّ صاحب الباب وهم اصحابه وأجناده ونوّاب الباب وسائر الحجاب ثم يأتي زيّ اسفهسلار العساكر بأصحابه وأجناده في عدة وافرة ثم يأتي زيّ والي القاهرة وزيّ والي مصر فاذا فرغ خرج الخليفة من الباب والوقوف بين يديه مشاة في ركابه خارجا عن صبيان ركابه الخاص فاذا وصل الى باب الزهومة بالقصر انعطف على يساره داخلا من الدرب هناك جائزا على الخوخ فاذا وصل الى باب الديلم الذي داخله المشهد الحسينيّ فيجد في دهليز ذلك الباب قاضي القضاة والشهود فاذا وازاهم خرجوا للخدمة والسلام عليه فيسلم القاضي كما ذكرنا من تقبيل رجله الواحدة التي تليه والشهود أمام رأس الدابة بمقدار قصبة ثم يعودون ويدخلون من ذلك الدهليز الى الايوان الكبير وقد علق عليه الستور القرقوبية جميعه على سعته وغير القرقوبية سترا فسترا ثم يعلق بدائره على سعته ثلاثة صفوف الاوسط طوارق فارسيات مدهونة والاعلى والاسفل درق وقد نصب فيه كرسيّ الدعوة وفيه تسع درجات لخطابة الخطيب في هذا العيد فيجلس القاضي والشهود تحته والعالم من الامراء والاجناد والمتشيعين ومن يرى هذا الرأي من الاكابر والاصاغر فيدخل الخليفة من باب العيد الى الايوان الى باب الملك فيجلس بالشباك وهو ينظر القوم ويخدمه الوزير عند ما ينزل ويأتي هو ومن معه فيجلس بمفرده على يسار منبر الخطيب ويكون قد سير للخطيب بدلة حرير يخطب فيها وثلاثون دينارا ويدفع له كرّاس محرّر من ديوان الانشاء يتضمن نص الخلافة من النبيّ صلى الله عليه وسلم الى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه ورضي عنه بزعمهم فاذا فرغ ونزل صلى قاضي القضاة بالناس ركعتين فاذا قضيت الصلاة قام الوزير الى الشباك فيخدم الخليفة وينفض الناس بعد التهاني من الاسماعيلية بعضهم بعضا وهو عندهم أعظم من عيد النحر وينحر فيه اكثرهم قال وكان الحافظ لدين الله ابو الميمون عبد المجيد لما سلم من يد أبي عليّ بن الافضل الملقب كتيفات لما وزر له وخرج عليه

عمل عيدا فى ذلك اليوم وهو السادس عشر من المحرّم من غير ركوب ولا حركة بل انّ الايوان باق على فرشه
وتعليقه من يوم الغدير فيفرش المجلس المحوّل اليوم فى الايوان الذى بابه خورنق وكان يقابل الايوان الكبير
الذى هو اليوم خزائن السلاح بأحسن فرش وينصب له مرتبة هائلة قريبا من باذهنجه فيجتمع ارباب الدولة
سيفا وقلما ويحضرون الى الايوان الى باب الملك المجاور للشباك فيخرج الخليفة راكبا الى المجلس فيترجل على
بابه وبين يديه الخواص فيجلس على المرتبة ويقفون بين يديه صفين الى باب المجلس ثم يحمل قدّامه كرسىّ الدعوة
وعليه غشاء قرقوبىّ وحواليه الامراء الاعيان وأرباب الرتب فيصعد قاضى القضاة ويخرج من كمه كراسة
مسطحة تتضمن فصولا كالفرج بعد الشدّة بنظم مليح يذكر فيه كل من اصابه من الانبياء والصالحين والملوك شدّة
وفرّج الله عنه واحدا فواحدا حتى يصل الى الحافظ وتكون هذه الكراسة محمولة من ديوان الانشاء فاذا
تكاملت قراءتها نزل عن المنبر ودخل الى الخليفة ولا يكون عنده من الثياب أجلّ مما لبسه ويكون قد حمل الى
القاضى قبل خطابته بدلة مميزة برسم الخطابة ويوصل اليه بعد الخطابة خمسون دينارا * وقال الامير جمال الدين
ابو علىّ موسى بن المأمون أبى عبد الله محمد بن فاتك بن مختار البطائحىّ فى تاريخه واستهل عيد الغدير يعنى من
سنة ست عشرة وخمسمائة وهاجر الى باب الاجل يعنى الوزير المأمون البطائحى الضعفاء والمساكين من البلاد
ومن انضمّ اليهم من العوالى والادوان على عادتهم فى طلب الحلال وتزويج الايامى وصار موسما يرصده كل أحد
ويرتقبه كل غنىّ وفقير لجرى فى معروفه على رسمه وبالغ الشعراء فى مدحه بذلك ووصلت كسوة العيد
المذكور فحمل ما يختص بالخليفة والوزير وأمر بتفرقة ما يختص بأزمّة العساكر فارسها وراجلها من عين
وكسوة ومبلغ ما يختص بهم من العين سبعمائة وتسعون دينارا ومن الكسوات مائة وأربع وأربعون قطعة
والهيئة المختصة بهذا العيد برسم كبراء الدولة وشيوخها وامرائها وضيوفها والاستاذين المحنكين والمميزين
منهم خارجا عن أولاد الوزير واخوته ويفرّق من مال الوزير بعد الخلع عليه ألفان وخمسمائة دينار وثمانون دينارا
وأمر بتعليق جميع ابواب القصور وتفرقة المؤذنين بالجوامع والمساجد عليها وتقدّم بأن تكون الاسمطة بقاعة
الذهب على حكم سماط اوّل يوم من عيد النحر وفى باكر هذا اليوم توجه الخليفة الى الميدان وذبح ما جرت به
العادة وذبح الجزارون بعده مثل عدد الكباش المذبوحة فى عيد النحر وأمر بتفرقة ذلك للخصوص دون
العموم وجلس الخليفة فى المنظرة وخدمت الرهجية وتقدّم الوزير والامراء وسلموا فلما حان وقت الصلاة
والمؤذنون على ابواب القصر يكبرون تكبير العيد الى أن دخل الوزير فوجد الخطيب على المنبر قد فرغ فتقدّم
القاضى ابو الحجاج يوسف بن ايوب فصلى به وبالجماعة صلاة العيد وطلع الشريف بن انس الدولة وخطب خطبة
العيد ثم توجه الوزير الى باب الملك فوجد الخليفة قد جلس قاصدا للقائه وقد ضربت المقدمة فأمره بالمضىّ
اليها وخلع عليه خلعة مكملة من بدلات النحر وثوبها احمر بالشدّة الداعمية وقلده سيفا مرصعا بالياقوت والجوهر
وعند ما نهض لتقبيل الارض وجده قد أعدّ له العقد الجوهر وربطه فى عنقه بيده وبالغ فى اكرامه وخرج
من باب الملك فتلقاه المقرئون وسارع الناس الى خدمته وخرج من باب العيد وأولاده واخوته والامراء
المميزون بحجبه وخدمت الرهجية وضربت العربية والموكب جميعه بزيه وقد اصطفت العساكر وتقدّم الى
ولده بالجلوس على اسمطته وتفرقتها برسومها وتوجه الى القصر واستفتح المقرئون فسلم الحاضرون وجرى الرسم
فى السماط الاول والثانى وتفرقة الرسوم والموائد على حكم اول يوم من عيد النحر وتوجه الخليفة بعد ذلك الى
السماط الثالث الخاص بالدار الجليلة لاقاربه وجلسائه ولما انقضى حكم التعييد جلس الوزير فى مجلسه
واستفتح المقرئون وحضر الكبراء وبياض البلدين لتهنىء بالعيد والخلع وخرج الرسم وتقدّم الشعراء فأنشدوا
وشرحوا الحال وحضر متولى خزائن الكسوة الخاص بالثياب التى كانت على المأمون قبل الخلع وقبضوا الرسم
الجارى به العادة وهو مائة دينار وحضر متولى بيت المال وصحبته صندوق فيه خمسة آلاف دينار برسم فكاك
العقد الجوهر والسيف المرصع فأمر الوزير المأمون الشيخ أبا الحسن بن أبى اسامة كاتب الدست الشريف
بكتب مطالعة الى الخليفة بما حمل اليه من المال برسم منديل الكم وهو ألف دينار ورسم الاخوة والاقارب ألف
دينار وتسلم متولى الدولة بقية المال ليفرق على الامراء المطوّقين والمميزين والضيوف والمستخدمين

(المحول) قال ابن عبد الظاهر المحول هو مجلس الداعى ويدخل اليه من باب الريح وبابه من باب البحر

ويعرف بقصر البحر وكان فى اوقات الاجتماع يصلى الداعى بالناس فى رواقه * وقال المسبحى وفى ربيع الاول يعنى من سنة خمس وثمانين وثلثمائة جلس القاضى محمد بن النعمان على كرسى بالقصر لقراءة علوم آل البيت على الرسم المعتاد المتقدم له ولاخيه بمصر ولابيه بالمغرب فمات فى الزحمة أحد عشر رجلا فكفنهم العزيز بالله وقال ابن الطوير وأما داعى الدعاة فانه يلى قاضى القضاة فى الرتبة ويتزيا بزيه فى اللباس وغيره ووصفه أنه يكون عالما بجميع مذاهب اهل البيت يقرأ عليه ويأخذ العهد على من ينتقل من مذهبه الى مذهبهم وبين يديه من نقباء المعلمين اثنا عشر نقيبا وله نوّاب كنوّاب الحكم فى سائر البلاد ويحضر اليه فقهاء الدولة ولهم مكان يقال له دار العلم ولجماعة منهم على التصدير بها أرزاق واسعة وكان الفقهاء منهم يتفقون على دفتر يقال له مجلس الحكمة فى كل يوم اثنين وخميس ويحضر مبيضا الى داعى الدعاة فينفذه اليهم ويأخذه منهم ويدخل به الى الخليفة فى هذين اليومين المذكورين فيتلوه عليه ان أمكن ويأخذ علامته بظاهره ويجلس بالقصر لتلاوته على المؤمنين فى مكانين للرجال على كرسى الدعوة بالايوان الكبير وللنساء بمجلس الداعى وكان من اعظم المبانى وأوسعها فاذا فرغ من تلاوته على المؤمنين والمؤمنات حضروا اليه لتقبيل يديه فيمسح على رؤسهم بمكان العلامة أعنى خط الخليفة وله أخذ النجوى من المؤمنين بالقاهرة ومصر وأعمالهما لاسيما الصعيد ومبلغها ثلاثة دراهم وثلث فيجتمع من ذلك شئ كثير يحمله الى الخليفة بيده بينه وبينه وأمانته فى ذلك مع الله تعالى فيفرض له الخليفة منه ما يعينه لنفسه وللنقباء وفى الاسماعيلية المولين من يحمل ثلاثة وثلاثين دينارا وثلثى دينار على حكم النجوى وصحبة ذلك رقعة مكتوبة باسمه فيتميز فى المحمول فيخرج له عليها خط الخليفة بارك الله فيك وفى مالك وولدك ودينك فيدخر ذلك ويتفاخر به وكانت هذه الخدمة متعلقة بقوم يقال لهم بنو عبد القوى أبا عن جد آخرهم الجليس وكان الافضل بن امير الجيوش نفاهم الى المغرب فولد الجليس بالمغرب وربى به وكان يميل الى مذهب اهل السنة وولى القضاء مع الدعوة وادركه أسد الدين شيركوه واكرمه وجعله واسطة عند الخليفة العاضد وكان قد حجر على العاضد ولولاه لم يبق فى الخزائن شئ لكرمه وكانه علم أنه آخر الخلفاء * قال المسبحى وكان الداعى يواصل الجلوس بالقصر لقراءة ما يقرأ على الاولياء والدعاوى المتصلة فكان يفرد للاولياء مجلسا وللخاصة وشيوخ الدولة ومن يختص بالقصور من الخدم وغيرهم مجلسا ولعوام الناس وللطارئين على البلد مجلسا وللنساء فى جامع القاهرة المعروف بالجامع الازهر مجلسا وللحرم وخواص نساء القصور مجلسا وكان يعمل المجالس فى داره ثم ينفذها الى من يختص بخدمة الدولة ويتخذ لهذه المجالس كتبا يبيضونها بعد عرضها على الخليفة وكان يقبض فى كل مجلس من هذه المجالس ما يتحصل من النجوى من كل من يدفع شيأ من ذلك عينا وورقا من الرجال والنساء ويكتب أسماء من يدفع شيأ على ما يدفعه وكذلك فى عيد الفطر يكتب ما يدفع عن الفطرة ويحصل من ذلك مال جليل يدفع الى بيت المال شيأ بعد شئ وكانت تسمى مجالس الدعوة مجالس الحكمة وفى سنة اربعمائة كتب سجل عن الحاكم بأمر الله فيه رفع الخمس والزكاة والفطرة والنجوى التى كانت تحمل ويتقرب بها وتجرى على ايدى القضاة وكتب سجل آخر بقطع مجالس الحكمة التى تقرأ على الاولياء يوم الخميس والجمعة انتهى ووظيفة داعى الدعاة كانت من مفردات الدولة الفاطمية وقد لخصت من أمر الدعوة طرفا احببت ايراده هنا *(وصف الدعوة وترتيبها)* وكانت الدعوة مرتبة على منازل دعوة بعد دعوة

(الدعوة الاولى) سؤال الداعى لمن يدعوه الى مذهبه عن المشكلات وتأويل الآيات ومعانى الامور الشرعية وشئ من الطبيعيات ومن الامور الغامضة فان كان المدعو عارفا سلم له الداعى والا تركه يعمل فكره فيما ألقاه عليه من الاسئلة وقال له يا هذا ان الدين لمكتوم وان الاكثر له منكرون وبه جاهلون ولو علمت هذه الامة ما خص الله به الائمة من العلم لم تختلف فيتشوق حينئذ المدعو الى معرفة ما عند الداعى من العلم فاذا علم منه الاقبال أخذ فى ذكر معانى القرآآت وشرائع الدين وتقرير أن الآفة التى نزلت بالامة وشتت الكلمة وأورثت الاهواء المضلة ذهاب الناس عن أئمة نصبوا لهم واقيموا حافظين لشرائعهم يؤدونها على حقيقتها ويحفظون معانيها ويعرفون بواطنها غير أن الناس لما عدلوا عن الائمة ونظروا فى الامور بعقولهم واتبعوا ما حسن فى رأيهم وقلدوا سفلتهم واطاعوا سادتهم وكبراءهم اتباعا للملوك وطلبا للدنيا التى هى ايدى متبعى الاثم واجناد الظلمة واعوان الفسقة الذين يحبون العاجلة ويجتهدون فى طلب الرياسة على الضعفاء

ومكايدة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امته وتغيير كتاب الله عز وجل وتبديل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخالفة دعوته وافساد شريعته وسلوك غير طريقته ومعاندة الخلفاء الائمة من بعده بجتر من قبل ذلك وصار الناس الى انواع الضلالات فان دين محمد صلى الله عليه وسلم ماجاء بالتحلى ولا بأمانى الرجال ولا شهوات الناس ولا بما خف على الالسنة وعرفته دهماء العامة ولكنه صعب مستصعب وامر مستقبل وعلم خفى غامض ستره الله فى حجبه وعظم شأنه عن ابتذال أسراره فهو سر الله المكتوم وأمره المستور الذى لا يطيق حمله ولا ينهض بأعبائه وثقله الا ملك مقرب او نبى مرسل او عبد مؤمن امتحن الله قلبه للتقوى فاذا ارتبط المدعو على الداعى وأنس له نقله الى غير ذلك * فى مسائلهم ما معنى رمى الجمار والعدو بين الصفا والمروة ولم كانت الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة ومابال الجنب يغتسل من ماء دافق يسير ولا يغتسل من البول النجس الكثير القذر ومابال الله خلق الدنيا فى ستة ايام أعجز عن خلقها فى ساعة واحدة وما معنى الصراط المضروب فى القرءان مثلا والكاتبين الحافظين ومالنا لا نراهما أخاف أن نكابره ونجاحده حتى ادلى العيون وأقام علينا الشهود وقيد ذلك فى القرطاس بالكتابة وما تبديل الارض غير الارض وما عذاب جهنم وكيف يصح تبديل جلد مذنب بجلد لم يذنب حتى يعذب وما معنى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وما ابليس وما الشياطين وما وصفوا به وأين مستقرهم وما مقدار قدرهم وما يأجوج ومأجوج وهاروت وماروت واين مستقرهم وما سبعة ابواب النار وما ثمانية ابواب الجنة وما شجرة الزقوم النابتة فى الجحيم وما دابة الارض ورؤس الشياطين والشجرة الملعونة فى القرءان والتين والزيتون وما الخنس الكنس وما معنى الم والمص وما معنى كهيعص وحمعسق ولم جعلت السموات سبعا والارضون سبعا والمثانى من القرءان سبع آيات ولم فجرت العيون اثنتى عشرة عينا ولم جعلت الشهور اثنى عشر شهرا وما يعمل معكم عمل الكتاب والسنة ومعانى الفرائض اللازمة فكروا اولا فى انفسكم أين أرواحكم وكيف صورها واين مستقرها وما اول أمرها والانسان ما هو وما حقيقته وما الفرق بين حياته وحياة البهائم وفضل ما بين حياة البهائم وحياة الحشرات وما الذى بانت به حياة الحشرات من حياة النبات وما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت حواء من ضلع آدم وما معنى قول الفلاسفة الانسان عالم صغير والعالم انسان كبير ولم كانت قامة الانسان منتصبة دون غيره من الحيوانات ولم كان فى يديه من الاصابع عشر وفى رجليه عشر أصابع وفى كل اصبع من اصابع يديه ثلاثة شقوق الا الابهام فان فيه شقين فقط ولم كان فى وجهه سبع ثقب وفى سائر بدنه ثقبان ولم كان فى ظهره اثنتا عشرة عقدة وفى عنقه سبع عقد ولم جعل عنقه صورة ميم ويداه حاء وبطنه ميما ورجلاه دالا حتى صار ذلك كتابا مرسوما يترجم عن محمد ولم جعلت قامته اذا انتصب صورة الف واذا ركع صارت صورة لام واذا سجد صارت صورة هاء فكان كتابا يدل على الله ولم جعلت أعداد عظام الانسان كذا وأعداد أسنانه كذا والاعضاء الرئيسة كذا الى غير ذلك من التشريح والقول فى العروق والاعضاء ووجوه منافع الحيوان ثم يقول الداعى الا تتفكرون فى حالكم وتعتبرون وتعلمون أن الذى خلقكم حكيم غير مجازف وانه فعل جميع ذلك لحكمة وله فيها أسرار خفية حتى جمع ما جمع وفرق ما فرق فكيف يسعكم الاعراض عن هذه الامور وانتم تسمعون قول الله عز وجل وفى الارض آيات للموقنين وفى انفسكم افلا تبصرون ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتفكرون سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق فأى شئ رءاه الكفار فى انفسهم وفى الآفاق حتى عرفوا أنه الحق وأى حق عرفه من جحد الديانة ألا يدلكم هذا على أن الله جل اسمه اراد أن يرشدكم الى بواطن الامور الخفية وأسرار فيها مكتومة لو تنبهتم لها وعرفتموها لزالت عنكم كل حيرة ودحضت كل شبهة وظهرت لكم المعارف السنية ألا ترون انكم جهلتم انفسكم التى من جهلها كان حريا أن لا يعلم غيرها أليس الله تعالى يقول ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى وأضل سبيلا ونحو ذلك من تأويل القرءان وتفسير السنن والاحكام وايراد ابواب من التجويز والتعليل فاذا علم الداعى أن نفس المدعو قد تعلقت بما سأله عنه وطلب منه الجواب عنها قال له حينئذ لا تعجل فان دين الله اعلى وأجل من أن يبذل لغير أهله ويجعل غرضا للعب وجرت عادة الله وسنته فى عباده عند شرع من نصبه أن يأخذ العهد على من يرشده ولذلك قال واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا وقال

عزوجل من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا وقال جل جلاله يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود وقال ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا وقال لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل ومن أمثال هذا فقد أخبر الله تعالى انه لم يملك حقه الا من أخذ عهده فأعطنا صفقة يمينك وعاهدنا بالموكد من أيمانك وعقودك أن لا تفشى لنا سرا ولا تظاهر علينا أحدا ولا تطلب لنا غيلة ولا تكتمنا نصحا ولا توالى لنا عدوا فاذا أعطى العهد قال له الداعى أعطنا جعلا من مالك نجعله مقدمة أمام كشفنا لك الامور وتعريفك اياها والرسم فى هذا الجعل بحسب ما يراه الداعى فان امتنع المدعو أمسك عنه الداعى وان أجاب وأعطى نقله الى الدعوة الثانية وانما سميت الاسماعيلية بالباطنية لانهم يقولون لكل ظاهر من الاحكام الشرعية باطن ولكل تنزيل تاويل *(الدعوة الثانية)* لا تكون الا بعد تقدم الدعوى الاولى فاذا تقرر فى نفس المدعو جميع ما تقدم وأعطى الجعل قال له الداعى ان الله تعالى لم يرض فى اقامة حقه وما شرعه لعباده الا أن يأخذ واذلك عن أئمة نصبهم للناس وأقامهم لحفظ شريعته على ما أراده الله تعالى ويسلك فى تقرير هذا ويستدل عليه بامور مقررة فى كتبهم حتى يعلم أن اعتقاد الائمة قد ثبت فى نفس المدعو فاذا اعتقد ذلك نقله الى الدعوة الثالثة *(الدعوة الثالثة)* مرتبة على الثانية وذلك أنه اذا علم الداعى ممن دعاه أن ارتباطه على دين الله لا يعلم الا من قبل الائمة قرر حينئذ عنده أن الائمة سبعة قد رتبهم البارى تعالى كما رتب الامور الجليلة فانه جعل الكواكب السيارة سبعة وجعل السموات سبعا وجعل الارضين سبعا ونحو ذلك مما هو سبع من الموجودات وهؤلاء الائمة السبعة هم على بن أبى طالب والحسن بن على والحسين بن على وعلى بن الحسين الملقب زين العابدين ومحمد بن على وجعفر بن محمد الصادق والسابع هو القائم صاحب الزمان وهم اعنى الشيعة مختلفون فى هذا القائم فمنهم من يجعله محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق ويسقط اسماعيل بن جعفر ومنهم من يعد اسماعيل بن جعفر اماما ثم يعد ابنه محمد بن اسمعيل فاذا تقرر عند المدعو أن الائمة سبعة انحل عن معتقد الامامية من الشيعة القائلين بامامة اثنى عشر اماما وصار الى معتقد الاسماعيلية بأن الامامة انتقلت الى محمد بن اسمعيل بن جعفر فاذا علم الداعى ثبات هذا العقد فى نفس المدعو شرع فى ثلب بقية الائمة الذين قد اعتقد الامامية فيهم الامامة وقرر عند المدعو أن محمد بن اسمعيل عنده علم المستورات وبواطن المعلومات التى لا يمكن أن توجد عند أحد غيره وأن عنده أيضا علم التأويل ومعرفة تفسير ظاهر الامور وعنده سر الله تعالى فى وجه تدبيره المكتوم واتقان دلالته فى كل امر يسأل عنه فى جميع المعدومات وتفسير المشكلات وبواطن الظاهر كله والتأويلات وتأويل التأويلات وأن دعاته هم الوارثون لذلك كله من بين سائر طوائف الشيعة لانهم أخذوا عنه ومن جهته رووا وان احدا من الناس المخالفين لهم لا يستطيع أن يساويهم ولا يقدر على التحقق بما عندهم الا منهم ويحتج لذلك بما هو معروف فى كتبهم مما لا يسع هذا الكتاب حكايته لطوله فاذا انقاد المدعو وأذعن لما تقرر نقله الى الدعوة الرابعة *(الدعوة الرابعة)* لا يشرع الداعى فى تقريرها حتى يتيقن صحة انقياد المدعو لجميع ما تقدم فاذا تيقن منه صحة الانقياد قرر عنده أن عدد الانبياء الناسخين للشرائع المبدلين لاحكامها اصحاب الادوار وتقليب الاحوال الناطقين بالامور سبعة فقط كعدد الائمة سواء وكل واحد من هؤلاء الانبياء لابد له من صاحب يأخذ عنه دعوته ويحفظها على امته ويكون معه ظهيرا له فى حياته وخليفة له من بعد وفاته الى أن يبلغ شريعته الى أحد يكون سبيله معه كسبيله هو مع نبيه الذى اتبعه ثم كذلك كل مستخلف خليفة الى أن يأتى منهم على تلك الشريعة سبعة اشخاص ويقال لهؤلاء السبعة الصامتون لثباتهم على شريعة اقتفوا فيها اثر واحد هو اولهم ويسمى الاول من هؤلاء السبعة السوس وانه لابد عند انقضاء هؤلاء السبعة ونفاذ دورهم من استفتاح دور ثان يظهر فيه نبى ينسخ شرع من مضى من قبله وتكون الخلفاء من بعده امورهم تجرى كأمر من كان قبلهم ثم يكون من بعدهم نبى ناسخ يقوم من بعده سبعة صمت ابدا وهكذا حتى يقوم النبى السابع من النطقاء فينسخ جميع الشرائع التى كانت قبله ويكون صاحب الزمان الاخير فكان اول هؤلاء الانبياء النطقاء آدم عليه السلام وكان صاحبه وسوسه ابنه شيث وعدوا تمام السبعة الصامتين على شريعة آدم وكان الثانى من الانبياء النطقاء نوح عليه السلام

فانه نطق بشريعة نسخ بها شريعة آدم وكان صاحبه وسوسه ابنه سام وتلاه بقية السبعة الصامتين على شريعة نوح ثم كان الثالث من الانبياء النطقاء ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه فانه نطق بشريعة نسخ بها شريعة نوح وآدم عليهما السلام وكان صاحبه وسوسه فى حياته والخليفة القائم من بعده المبلغ شريعته ابنه اسمعيل عليه السلام ولم يزل يخلفه صامت بعد صامت على شريعة ابراهيم حتى تم دور السبعة الصمت وكان الرابع من الانبياء النطقاء موسى بن عمران عليه السلام فانه نطق بشريعة نسخ بها شريعة آدم ونوح وابراهيم وكان صاحبه وسوسه اخوه هرون ولما مات هرون فى حياة موسى قام من بعد موسى يوشع بن نون خليفة له صمت على شريعته وبلغها فأخذها عنه واحد بعد واحد الى أن كان اخر الصمت على شريعة موسى يحيى بن زكرياء وهو آخر الصمت ثم كان الخامس من الانبياء النطقاء المسيح عيسى ابن مريم صلوات الله عليه فانه نطق بشريعة نسخ بها شرائع من كان قبله وكان صاحبه وسوسه شمعون الصفا ومن بعده تمام السبعة الصمت على شريعة المسيح الى ان كان السادس من الانبياء النطقاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه نطق بشريعة نسخ بها جميع الشرائع التى جاء بها الانبياء من قبله وكان صاحبه وسوسه على بن ابى طالب رضى الله عنه ثم من بعد على ستة صمتوا على الشريعة المحمدية وقاموا بعيرات أسرارها وهم ابنه الحسن ثم ابنه الحسين ثم على بن الحسين ثم محمد بن على ثم جعفر بن محمد ثم اسماعيل بن جعفر الصادق وهو آخر الصمت من الائمة المستورين والسابع من النطقاء هو صاحب الزمان وعند هؤلاء الاسماعيلية انه محمد بن اسمعيل بن جعفر وانه الذى انتهى اليه علم الاولين وقام بعلم بواطن الامور وكشفها واليه المرجع فى تفسيرها دون غيره وعلى جميع الكافة اتباعه والخضوع له والانقياد اليه والتسليم له لان الهداية فى موافقته واتباعه والضلال والحيرة فى العدول عنه فاذا تقرر ذلك عند المدعو انتقل الداعى الى الدعوة الخامسة * (الدعوة الخامسة) * مترتبة على ماقبلها وذلك أنه اذا صار المدعو فى الرتبة الرابعة من الاعتقاد أخذ الداعى يقرر أنه لابد مع كل امام قائم فى كل عصر حجج متفرقون فى جميع الارض عليهم تقوم وعدة هؤلاء الحجج ابدا اثناعشر رجلا فى كل زمان كما أن عدد الائمة سبعة ويستدل لذلك بأمور منها أن الله تعالى لم يخلق شيأ عبثا ولابد فى خلق كل شئ من حكمة والافلم خلق النجوم التى بها قوام العالم سبعة وجعل أيضا السموات سبعا والارضين سبعا والبروج اثنى عشر والشهور اثنى عشر شهرا ونقباء بنى اسرائيل اثنى عشر نقيبا ونقباء رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانصار اثنى عشر نقيبا وخلق تعالى فى كف كل انسان أربع اصابع وفى كل اصبع ثلاث شقوق تكون جملتها اثنى عشر شقا على انه فى يد كل ابهام شقان دلالة على أن الانسان بدنه كالارض واصابعه كالجزائر الاربع والشقوق التى فى الاصابع كالحجج والابهام الذى به قوام جميع الكف وسداد الاصابع كالذى يقوم الارض بقدر مافيها والشقان اللذان فى الابهام اشارة الى أن الامام وسوسه لايفترقان ولذلك صار فى ظهر الانسان اثناعشرة خرزة اشارة الى الحجج الاثنى عشر وصار فى عنقه سبع فكان العنق عاليا على خرزات الظهر وذلك اشارة الى الانبياء النطقاء والائمة السبعة وكذلك الاثقاب السبعة التى فى وجه الانسان العالى على بدنه وأشياء من هذا النوع كثيرة فاذا تمهد عند المدعو مادعاه اليه الداعى وتقرر نقله حينئذ الى الدعوة السادسة * (الدعوة السادسة) * لاتكون الابعد ثبوت جميع ماتقدم فى نفس المدعو وذلك أنه اذا صار الى الرتبة الخامسة أخذ الداعى فى تفسير معانى شرائع الاسلام من الصلاة والزكاة والحج والطهارة وغير ذلك من الفرائض بأمور مخالفة للظاهر بعد تمهيد قواعد تبين فى ازمنة من غير عجلة تؤدى الى أن هذه الاشياء وضعت على جهة الرموز لمصلحة العامة وسياستهم حتى يشتغلوا بها عن بغى بعضهم على بعض وتصدهم عن الفساد فى الارض حكمة من الناصبين للشرائع وقوة فى حسن سياستهم لاتباعهم واتقانا منهم لما رتبوه من النواميس ونحو ذلك حتى يتمكن هذا الاعتقاد فى نفس المدعو فاذا طال الزمان وصار المدعو يعتقد أن أحكام الشريعة كلها وضعت على سبيل الرمز لسياسة العامة وأن لها معانى أخر غير مايدل عليه الظاهر نقله الداعى الى الكلام فى الفلسفة وحضه على النظر فى كلام افلاطون وأرسطو وفيثاغورس ومن فى معناهم ونهاه عن قبول الاخبار والاحتجاج بالسمعيات وزين له الاقتداء بالادلة العقلية والتعويل عليها فاذا استقر ذلك

عنده واعتقده نقله بعد ذلك الى الدعوة السابعة ويحتاج لك الى زمان طويل *(الدعوة السابعة) لا يفصح بها الداعي ما لم يكثر أنسه بمن دعاه ويتيقن أنه قد تأهل الى الانتقال الى رتبة اعلى مما هو فيه فاذا علم ذلك منه قال ان صاحب الدلالة والناصب للشريعة لا يستغني بنفسه ولا بد له من صاحب معه يعبر عنه ليكون أحدهما الاصل والآخر عنه كان وصدر وهذا انما هو اشارة العالم السفلي لما يحويه العالم العلوي فان مدبر العالم في اصل الترتيب وقوام النظام صدر عنه اول موجود بغير واسطة ولا سبب نشأ عنه واليه الاشارة بقوله تعالى انما امره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون اشارة الى الاول في الرتبة والآخر هو القدر الذي قال فيه انا كل شئ خلقناه بقدر وهذا معنى ما نسمعه من أن الله اول ما خلق القلم فقال للقلم اكتب فكتب في اللوح ما هو كائن وأشياء من هذا النوع موجودة في كتبهم وأصلها مأخوذ من كلام الفلاسفة القائلين الواحد لا يصدر عنه الا واحد وقد أخذ هذا المعنى المتصوفة وبسطوه بعبارات أخر في كتبهم فان كنت ممن ارتاض وعرف مقالات الناس تبين لك ما ذكرت ولا يحتمل هذا الكتاب بسط القول في هذا المعنى واذا تقرر ما ذكر في هذه الدعوة عند المدعو نقله الداعي الى الدعوة الثامنة *(الدعوة الثامنة)* متوقفة على اعتقاد سائر ما تقدم فاذا استقر ذلك عند المدعو دينا له قال له الداعي اعلم أن أحد المذكورين اللذين هما مدبر الوجود والصادر عنه انما تقدم السابق على اللاحق تقدم العلة على المعلول فكانت الاعيان كلها ناشئة وكائنة عن الصادر الثاني بترتيب معروف في بعضهم ومع ذلك فالسابق عندهم لا اسم له ولا صفة ولا يعبر عنه ولا يقيد فلا يقال هو موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز وكذلك سائر الصفات فان الاثبات عندهم يقتضي شركة بينه وبين المحدثات والنفي يقتضي التعطيل وقالوا ليس بقديم ولا محدث بل القديم امره وكلمته والمحدث خلقه وفطرته كما هو مبسوط في كتبهم فاذا استقر ذلك عند المدعو قرر عنده الداعي أن التالي يدأب في أعماله حتى يلحق بمنزلة السابق وأن الصامت في الارض يدأب في أعماله حتى يصير بمنزلة الناطق سواء وأن الداعي يدأب في أعماله حتى يبلغ منزلة السوس وحاله سواء وهكذا تجري امور العالم في اكواره وأدواره ولهذا القول بسط كثير فاذا اعتقده المدعو قرر عنده الداعي أن معجزة النبي الصادق الناطق ليست غير أشياء ينتظم بها سياسة الجمهور وتشمل الكافة مصلحتها بترتيب من الحكمة تحوي معاني فلسفية تنبيء عن حقيقة آنية السماء والارض وما يشتمل العالم عليه بأسره من الجواهر والاعراض فتارة برموز يعقلها العالمون وتارة بافصاح يعرفه كل أحد فينتظم بذلك للنبي شريعة يتبعها الناس ويقرر عنده أيضا أن القيامة والقرآن والثواب والعقاب معناها سوى ما يفهمه العامة وغير ما يتبادر الذهن اليه وليس هو الا حدوث ادوار عند انقضاء أدوار من ادوار الكواكب وعوالم اجتماعاتها من كون وفساد جاء على ترتيب الطبائع كما قد بسطه الفلاسفة في كتبهم فاذا استقر هذا العقد عند المدعو نقله الداعي الى الدعوة التاسعة *(الدعوة التاسعة)* هي النتيجة التي يحاول الداعي بتقرير جميع ما تقدم رسوخها في نفس من يدعوه فاذا تيقن أن المدعو تأهل لكشف السر والافصاح عن الرموز أحاله على ما تقرر في كتب الفلاسفة من علم الطبيعيات وما بعد الطبيعة والعلم الالهي وغير ذلك من أقسام العلوم الفلسفية حتى اذا تمكن المدعو من معرفة ذلك كشف الداعي قناعه وقال ما ذكر من الحدوث والاصول رموز الى معاني المبادي وتقلب الجواهر وان الوحي انما هو صفاء النفس فيجد النبي في فهمه ما يلقى اليه ويتنزل عليه فيبرزه الى الناس ويعبر عنه بكلام الله الذي ينتظم به النبي شريعته بحسب ما يراه من المصلحة في سياسة الكافة ولا يجب حينئذ العمل بها الا بحسب الحاجة من رعاية مصالح الدهماء بخلاف العارف فانه لا يلزمه العمل بها ويكفيه معرفتها فانها اليقين الذي يجب المصير اليه وما عدا المعرفة من سائر المشروعات فانما هي أثقال وآصار حملها الكفار أهل الجهالة لمعرفة الاعراض والاسباب ومن جملة المعرفة عندهم أن الانبياء النطقاء أصحاب الشرائع انما هم لسياسة العامة وان الفلاسفة انبياء حكمة الخاصة وان الامام انما وجوده في العالم الروحاني اذا صرنا بالرياضة في المعارف اليه وظهوره الآن انما هو ظهور امره ونهيه على لسان اوليائه ونحو ذلك مما هو مبسوط في كتبهم وهذا حاصل علم الداعي ولهم في ذلك مصنفات كثيرة منها اختصرت ما تقدم ذكره (ابتداء هذه الدعوة) اعلم أن هذه الدعوة منسوبة الى شخص كان بالعراق يعرف بميمون القداح وكان من غلاة الشيعة فولد ابنا عرف بعبد الله بن ميمون اتسع علمه

وكثرت معارفه وكاد أن يطلع على جميع مقالات الخليقة فرتب له مذهبا وجعله فى تسع دعوات ودعا الناس الى مذهبه فاستجاب له خلق وكان يدعو الى الامام محمد بن اسمعيل وظهر من الاهواز ونزل بعسكر مكرم فصار له مال واشتهرت دعاته فأنكر الناس عليه وهو وابنه ففر الى البصرة ومعه من اصحابه الحسين الاهوازى فلما انتشر ذكره بها طلب فصار الى بلاد الشام وأقام بسلمية وبها ولد له ابنه احمد فقام من بعد ابيه عبد الله بن ميمون فسير الحسين الاهوازى داعية له الى العراق فلقى حمدان بن الاشعث المعروف بقرمط بسواد الكوفة فدعاه واستجاب له وأنزله عنده وكان من امره ما هو مذكور فى أخبار القرامطة من كتابنا هذا عند ذكر المعز لدين الله معد ثم انه ولد لاحمد بن عبد الله ابنه الحسين ومحمد المعروف بأبى الشلعلع فلما هلك احمد خلفه ابنه الحسين ثم قام من بعده أخوه ابو الشلعلع وكان من امرهم ما هو مذكور فى موضعه فانتشرت الدعاة فى اقطار الارض وتفقهوا فى الدعوة حتى وضعوا فيها الكتب الكثيرة وصارت علما من العلوم المدونة ثم اضمحلت الآن وذهبت بذهاب اهلها ولهذا يقال ان اصل دعوة الاسماعيلية مأخوذ من القرامطة ونسبوا من اجلها الى الالحاد *(صفة العهد الذى يؤخذ على المدعو)* وهو ان الداعى يقول لمن يأخذ عليه العهد ويحلفه جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله وأنبيائه وملائكته وكتبه ورسله وما أخذه على النبيين من عقد وعهد وميثاق انك تستر جميع ما تسمعه وسمعته وعلمته وتعلمه وعرفته وتعرفه من امرى وأمر المقيم بهذا البلد لصاحب الحق الامام الذى عرفت اقرارى له ونصحى لمن عقد ذمته وأمور اخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته المطيعين له على هذا الدين ومخالصته له من الذكور والاناث والصغار والكبار فلا تظهر من ذلك شيأ قليلا ولا كثيرا ولا شيأ يدل عليه الا ما اطلقت لك أن تتكلم به او أطلقه لك صاحب الامر المقيم بهذا البلد فتعمل فى ذلك بامرنا ولا تتعداه ولا تزيد عليه وليكن ما تعمل عليه قبل العهد وبعده بقولك وفعلك أن تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وتشهد أن محمدا عبده ورسوله وتشهد أن الجنة حق وأن النار حق وأن الموت حق وأن البعث حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور وتقيم الصلاة لوقتها وتؤتى الزكاة لحقها وتصوم رمضان وتحج البيت الحرام وتجاهد فى سبيل الله حق جهاده على ما أمر الله به ورسوله وتوالى أولياء الله وتعادى اعداء الله وتقوم بفرائض الله وسننه وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين ظاهرا وباطنا وعلانية سرا وجهرا فان ذلك يؤكد هذا العهد ولا يهدمه ويثبته ولا يزيله ويقربه ولا يباعده ويشده ولا يضعفه ويوجب ذلك ولا يبطله ويوضحه ولا يعميه كذلك هو الظاهر والباطن وسائر ما جاء به النبيون من ربهم صلوات الله عليهم اجمعين على الشرائط المبينة فى هذا العهد جعلت على نفسك الوفاء بذلك قل نعم فيقول المدعو نعم ثم يقول الداعى له والصيانة له بذلك وأداء الامانة على أن لا تظهر شيأ اخذ عليك فى هذا العهد فى حياتنا ولا بعد وفاتنا لا فى غضب ولا على حال رضى ولا على رغبة ولا فى حال رهبة ولا عند شدة ولا فى حال رخاء ولا على طمع ولا على حرمان تلقى الله على الستر لذلك والصيانة له على الشرائط المبينة فى هذا العهد وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم أن تمنعنى وجميع من اسميه لك واثبته عندك مما تمنع منه نفسك وتنصح لنا ولوليك ولى الله نصحا ظاهرا وباطنا فلا تخن الله ووليه ولا احدا من اخواننا وأوليائنا ومن تعلم أنه منا بسبب فى اهل ولا مال ولا رأى ولا عهد ولا عقد تتأول عليه بما يبطله فان فعلت شيأ من ذلك وانت تعلم انك قد خالفته وانت على ذكر منه فأنت برىء من الله خالق السموات والارض الذى سوى خلقك وألف تركيبك وأحسن اليك فى دينك ودنياك وآخرتك وتبرأ من رسله الاولين والآخرين وملائكته المقربين الكروبين والروحانيين والكلمات التامات والسبع المثانى والقرءان العظيم وتبرأ من التوراة والانجيل والزبور والذكر الحكيم ومن كل دين ارتضاه الله فى مقدم الدار الآخرة ومن كل عبد رضى الله عنه وانت خارج من حزب الله وحزب اوليائه وخذلك الله خذلانا بينا يعجل لك بذلك النقمة والعقوبة والمصير الى نار جهنم التى ليس لله فيها رحمة وانت برىء من حول الله وقوته ملجأ الى حول نفسك وقوتك وعليك لعنة الله التى لعن الله بها ابليس وحرم عليه بها الجنة وخلده فى النار ان خالفت شيأ من ذلك ولقيت الله يوم تلقاه وهو عليك غضبان ولله عليك أن تحج الى بيته الحرام ثلاثين حجة حجا واجبا ماشيا حافيا لا يقبل الله منك الا الوفاء بذلك وكل ما تملك فى الوقت الذى تخالفه فيه فهو صدقة على الفقراء والمساكين الذين لا رحم بينك وبينهم لا يأجرك الله عليه ولا يدخل عليك بذلك منفعة

وكل

وكل مملوك لك من ذكرا وأنثى فى ملكك اوتستفيده الى وقت وفاتك ان خالفت شيأ من ذلك فهم أحرار لوجه الله عز وجل وكل امرأة لك أو تتزوجها الى وقت وفاتك ان خالفت شيأ من ذلك فهى طوالق ثلاثا بتة طلاق الحرج لامثوبة لك ولاخيار ولارجعة ولامشيئة وكل ما كان لك من اهل ومال وغيرهما فهو عليك حرام وكل ظهار فهو لازم لك وأنا المستحلف لك لامامك وجحتك وانت الحالف لهما وان نويت اوعقدت اوأضمرت خلاف ما احلك عليه وأحلفك به فهذه اليمين من اولها الى آخرها مجددة عليك لازمة لك لا يقبل الله منك الا الوفاء بها والقيام بما عاهدت بينى وبينك قل نعم فيقول نعم ولهم مع ذلك وصايا كثيرة اضربنا عنها خشية الاطالة وفيما ذكرناه كفاية لمن عقل

(الدواوين)

وكانت دواوين الدولة الفاطمية لما قدم المعز لدين الله الى مصر ونزل بقصره فى القاهرة محلها بدار الامارة من جوار الجامع الطولونى فلما مات المعز وقلد العزيز بالله الوزارة ليعقوب بن كلس نقل الدواوين الى داره فلما مات يعقوب نقلها العزيز بعد موته الى القصر فلم تزل به الى أن استبد الافضل بن امير الجيوش وعمر دار الملك بمصر فنقل اليها الدواوين فلما قتل عادت من بعده الى القصر ومازالت هنالك حتى زالت الدولة * قال فى كتاب الذخائر والتحف وحدثنى من اثق به قال كنت بالقاهرة يوما من شهور سنة تسع وخمسين وأربعمائة وقد استفحل امر المارقين وقويت شوكتهم وامتدت ايديهم الى أخذ الذخائر المصونة فى قصر السلطان بغير أمره فرأيت وقد دخل من باب الديلم احد أبواب القصور المعمورة الزاهرة المعروف بتاج الملوك شادى ونخر العرب على بن ناصر الدولة بن حمدان ورضى الدولة بن رضى الدولة وامير الامراء بحتكين ابن بسكتكين وامير العرب بن كيغلغ والاعز بن سنان وعدة من الامراء اصحابهم البغداديين وغيرهم وصاروا فى الايوان الصغير فوقفوا عند ديوان الشام لكثرة عددهم وجماعتهم وكان معهم احد الفراشين المستخدمين برسم القصور المعمورة فدخلوا الى حيث كان الديوان النظرى فى الديوان المذكور وصحبتهم فعلة وانتهوا الى حائط مجير فأمروا الفعلة بكشف الجير عنه فظهرت حنية باب مسدود فأمروا بهدمه فتوصلوا منه الى خزانة ذكر أنها عزيزية من ايام العزيز بالله فوجدوا فيها من السلاح مايروق الناظر ومن الرماح العزيزية المطلية اسنتها بالذهب ذات مهارك فضة مجراة بسواد ممسوح وفضة بياض ثقيلة الوزن عدة رزم اعوادها من الزان الجيد ومن السيوف المجوهرة النصول ومن القشاب الخلنجى وغيره ومن الدرق اللمطى والجحف التبتى وغير ذلك ومن الدروع المكلل سلاح بعضها والمحلى بعضها بالفضة المركبة عليه ومن التخافيف والجواشن والكراعيدات الملبسة ديباجا المكوكبة بكواكب فضة وغير ذلك مما ذكر أن قيمته تزيد على عشرين ألف دينار فحملوا جميع ذلك بعد صلاة المغرب ولقد شاهدت بعض حواشيهم وركابيتهم يكسرون الرماح ويتلفون بذلك أعوادها الزان ليأخذوا المهارك الفضة ومنهم من يجعل ذلك فى سراويله وعمامته وجيبه ومنهم من يستوهب من صاحبه السيف الثمين وكان فيها من الرماح الطوال الخطية السمر الجياد عدة حملوا منها ماقدروا عليه وبقى منها ما كسره الركابية ومن يجرى مجراهم كانوا يبيعونه للمغازليين واصناع المرادن حتى كثر هذا الصنف بالقاهرة ولم تعترضهم الدولة ولا التفتت الى قدر ذلك ولا احتفلت به وجعلته هو وغيره فداء لاموال المسلمين وحفظا لما فى منازلهم

(ديوان المجلس)

قال ابن الطوير ديوان المجلس هو أصل الدواوين قديما وفيه علوم الدولة بأجمعها وفيه عدة كتاب ولكل واحد مجلس مفرد وعنده معين او معينان وصاحب هذا الديوان هو المتحدث فى الاقطاعات ويلحق بديوان النظر ويخلع عليه وينشأ له السجل وله المرتبة والمسند والدواة والحاجب الى غير ذلك قال ذكر خدمهم الخاصة المتصلة بهم فأولها دفتر المجلس وصاحبه من الاستاذين المحنكين ثم يتولاه اجل كتاب الدولة ممن يكون مترشحا لرأس الدواوين ويتضمن ذلك الدفتر وله مكان ديوان بالقصر الباطن من الانعام فى العطايا والظاهر من الرسوم المعروفة فى غرة السنة والضحايا والمرتب من الكسوات للاولاد والاقارب والجهات وأرباب الرتب على اختلاف الطبقات ومايرد من ملوك الدنيا من التحف والهدايا ومايرسل اليهم من الملاطفات ومقادير الصلات

للمترسلين بالمكاتبات وما يخرج من الاكفان لمن يموت من ارباب الجهات المحترمات ثم يضبط ما ينفق فى الدولة
من المهمات ليعلم ما بين كل سنة من التفاوت فالصرّة المنعم بها فى أوّل العام من الدنانير والرباعية والقراريط
تقرب من ثلاثة آلاف دينار وثمن الضحايا يقرب من ألفى دينار وما ينفق فى دار الفطرة فيما يفرّق على الناس سبعة
آلاف دينار وما ينفق فى دار الطراز للاستعمالات الخاص وغيرها فى كل سنة عشرة آلاف دينار وما ينفق
فى مهمّ فتح الخليج غير المطاعم ألفا دينار وما ينفق فى شهر رمضان فى سماطه ثلاثة آلاف دينار وما ينفق فى سماطى
الفطر والنحر أربعة آلاف دينار وهذا خارج عما يطلق للناس اصنافا من خزائنه من المآكل والمشارب
والمواصلة من الهبات وما تخرج به الخطوط من التشريفات والمسامحات وما يطلق من الاهراء من الغلات حتى
لا يفوتهم علم شئ من هذه المطلقات وفى هذه الخدمة كاتب مستقل بين يدى صاحب ديوانه الاصلىّ ومعه كاتبان
آخران لتنزيل ذلك فى الدفتر والدفتر عبارة عن جرائد مسطوحات ينزل ذلك فيها فى اوقاته من غير فوات قال واذا
انقضى عيد النحر من كل سنة تقدّم بعمل الاستيمار لتلك السنة تمام ذى الحجة منها فيجتمع كتاب ديوان الرواتب
عند متوليه وتحمل العروض اليه فاذا تحرّرت نسخة التحرير بيضت بعد أن يستدعى من المجلس اوراق
بالادرار الذى يقبض بغير خرج وفى الادرار ماهو مستقر بالوجهين فيضاف هذا المبلغ بجهاته الى المبالغ المعلومة
بديوان الرواتب وجهاتها حتى لا يفوت من الاستيمار شئ من كل ما تقرّر شرحه ويعلم مقداره عينا وورقا وغلة
وغير ذلك فيحرّر ذلك كله بأسماء المرتزقين وأوّلهم الوزير ومن يلوذ به وعلى ذلك الى أن ينتهى الجميع الى ارباب
الضرّ فاذا تكمل استدعى له من خزانة الفرش وطاء حرير لشدّه وشرابة لمسكه امّا خضراء او حمراء ويعمل
له صدر من الكلام اللائق بما بعده وهذا كله خارج عن الكسوات المطلقة لاربابها والرسوم المعتدة فى كل
سنة وما يحمل من دار الفطرة من الاصناف برسم عيد الفطر وعما يشهد به دفتر المجلس من العطايا الخافية
والرسوم وقد انعقد مرّة وأنا اتولى ديوان الرواتب على ما مبلغه نيف ومائة ألف دينار أو قريب من مائتى ألف
دينار ومن القمح والشعير على عشرة آلاف اردب فاذا فرغ من مسكه فى الشرابة حمل الى صاحب ديوان النظر
ان كان والا فلصاحب ديوان المجلس ليعرضه على الخليفة ان كان يعنى مستبدا او الوزير لاستقبال المحرّم من
السنة الآتية فى اوقات معلومة فيتاخر فى العرض وربما يستوعب المحرّم ليحيط العلم بما فيه فاذا كمل العرض
أخرج الى الديوان وقد شطب على بعضه وكانوا يتحرّجون من الاقامات على مال الدولة التى لا اصل لها وعلى
غير متوفر ويتنجزها أربابها بالمستقبلات على الخلفاء والوزراء وينقص قوم للاستكثار ويزاد قوم
للاستحقاق ويصرف قوم ويستخدم آخرون على ما تقتضيه الآراء فى ذلك الوقت ثم يسلم لرب هذا الديوان
فيحمل الامر على ما شطب عليه وعلامة الاطلاق خروجه من العرض وقيل انه عمل مرّة فى ايام المستنصر
بالله فلما استؤذن على عرضه قال هل وقع أحد بما فيه غيرنا قيل له معاذ الله يا مولانا ما تمّ انعام الالك ولا رزق
الامن الله على يديك فقال ما ينقض به امرنا ولا خطنا وما صرفناه فى دولتنا باذننا وتقدّم الى ولىّ الدولة بن
جيران كاتب الانشاء بامضائه للناس من غير عرض وحمل الامر على حكمه ووقع عن الخليفة بظاهره الفقر
مرّ المذاق والحاجة تذل الاعناق وحراسة النعم بادرار الارزاق فليجروا على رسومهم فى الاطلاق
ما عندكم ينفد وما عند الله باق ووقع فى خلافة الحافظ لدين الله على استيمار الرواتب ما نصه أمير المؤمنين
لا يستكثر فى ذات الله كثير الاعطاء ولا يكدّره بالتأخير له والتسويف والابطاء ولما انتهى اليه ما ارباب
الرواتب عليه من القلق للامتناع من ايجاباتهم وحمل خروجاتهم قد ضعفت قلوبهم وقنطت نفوسهم وساءت
ظنونهم شملهم برحمته ورأفته وامنهم مما كانوا وجلين من مخافته وجعل التوقيع بذلك بخط يده تأكيدا
للانعام والمنّ وتهنئة بصدقة لا تتبع بالاذى والمنّ فليعتمد فى ديوان الجيوش المنصورة اجراء ما تضمنت هذه
الاوراق ذكرهم على ما ألفوه وعهدوه من رواتبهم وايجابها على سياقتها لكافتهم من غير تأوّل ولا تعنت
ولا استدراك ولا تعقب وليجروا فى نسيباتهم على عادتهم لا ينقض من أمرهم ما كان مبرما ولا ينسخ من رسمهم
ما كان محكما كرما من أمير المؤمنين وفعلا مبرورا وعملا بما أخبر به عز وجل فى قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله
لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ولينسخ فى جميع الدواوين بالحضرة ان شاء الله تعالى * وقال فى كتاب كنز الدرر
ان فى سنة ست وأربعمائة عرض على الحاكم بامر الله الاستيمار باسم المتفقهين والقرّاء والمؤذنين بالقاهرة

ومصر وكانت الجملة فى كل سنة أحدا وسبعين ألف دينار وسبعمائة وثلاثة وثلاثين دينارا وثلثى دينار وربع دينار فأمضى جميع ذلك * وقال ابن المأمون وأما الاستيمار فبلغنى ممن اثق به أنه كان فى الايام الافضلية اثنى عشر ألف دينار وصار فى الايام المامونية لاستقبال سنة ست عشرة وخمسمائة ستة عشر ألف دينار وأما تذكرة الطراز فالحكم فيها مثل الاستيمار والشائع فيها انها كانت تشتمل فى الايام الافضلية على أحد وثلاثين ألف دينار ثم اشتملت فى الايام المأمونية على ثلاثة وأربعين ألف دينار وتضاعفت فى الايام الآمرية وعرض روزنامج بما انفق عينا من بيت المال فى مدة اولها محرم سنة سبع عشرة وخمسمائة وآخرها سلخ ذى الحجة منها فى العساكر المسيرة لجهاد الفرنج برا والاساطيل بحرا والمنفق فى ارباب النفقات من الجرية والمصطنعية والسودان على اختلاف قبوضهم وما ينصرف برسم خزانة القصور الزاهرة وما يبتاع من الحيوان برسم المطابخ وما هو برسم منديل الكم الشريف فى كل سنة مائة دينار والمطلق فى الاعياد والمواسم وما ينعم به عند الركوبات من الرسوم والصدقات وعند العود منها وثمن الامتعة المبتاعة من التجار على ايدى الوكلاء والمطلق برسم الرسل والضيوف ومن يصل مستأمنا ودار الطراز ودار الديباج والمطلق برسم الصلات والصدقات ومن يهتدى للاسلام وما ينعم به على الولاة عند استخدامهم فى الخدم ونفقات بيت المال والعمائر وهو من العين اربعمائة ألف وثمانية وستون ألفا وسبعمائة وسبعة وتسعون دينارا ونصف من جملة خمسمائة ألف وسبعة وستين ألفا ومائة وأربعين دينارا ونصف يكون الحاصل بعد ذلك مما يحمل الى الصناديق الخاص برسم المهمات لما يتجدد من تسفير العساكر وما يحمل الى الثغور عند نفاد ما بها ثمانية وتسعين ألفا ومائة وسبعة وتسعين دينارا وربعا وسدسا ولم يكن يكتب من بيت المال وصول ولا مجرى ولا تعرف وذلك خارج عما يحمل مشاهرة برسم الديوان المأمونى والاجلاء اخوته وأولاده وما انعم به على ما تضمنت اسمه مشاهرة من الاصحاب والحواشى وأرباب الخدم والكتاب والاطباء والشعراء والفراشين الخاص والجوق والمؤدبين والخياطين والرفائين وصبيان بيت المال ونواب الباب ونقباء الرسائل وأرباب الرواتب المستقرة من ذوى النسب والبيوتات والضعفاء والصعاليك من الرجال والنساء عن مشاهرتهم ستة عشر ألفا وستمائة واثنان وثمانون دينارا وثلثا دينار يكون فى السنة مائتى ألف ومائة دينار فتكون الجملة سبعمائة الف وسبعة وستين ألفا ومائتين وأربعة وتسعين دينارا ونصفا * قال وفى هذا الوقت يعنى شوال سنة سبع عشرة وخمسمائة وقعت مرافعة فى ابى البركات بن أبى الليث متولى ديوان المجلس صورتها المملوك يقبل الارض وينهى انه ما واصل انهاء حال هذا الرجل وما يعتمده لانه اهل أن ينال خدمة وانما هى نصيحة تلزمه فى حق سلطانه وقد حصل له من الاموال والذخائر ما لا عدد له ولا قيمة عليه ويضرب المملوك عن وجوه الجناية التى هى ظاهرة لان السلطان لا يرضى بذكرها فى عالى مجالسه ولا سماعها فى دولته وله ولاهله مستخدمون فى الدولة ست عشرة سنة بالجارى الثقيل لكل منهم ويذكر المملوك ما وصلت قدرته الى علمه ما هو باسمه خاصة دون من هو مستخدم فى الدواوين من اهله وأصحابه ويبدأ بما باسمه مياومة ادرارا من بيت المال والخزائن ودار التعبية والمطابخ وشون الحطب وهو ما بين برسم البقولات والتوابل نصف دينار ومن الضأن رأس واحد ومن الحيوان ثلاثة اطيار ومن الحطب حملة واحدة ومن الدقيق خمسة وعشرون رطلا ومن الخبز عشرون وظيفة ومن الفاكهة ثمرة زهرة قصريتان وشمامة وفى كل اثنين وخميس من السماط بقاعة الذهب طيفور خاص وصحن من الاوائل وخمسة وعشرون رغيفا من الخبز المواندى والسميذ وفى كل يوم احد وأربعاء من الاسمطة بالدار المأمونية مثل ذلك وفى كل يوم سبت وثلاثاء من اسمطة الركوبات خروف مشوى وجام حلوى ورباعى عنبا ويحضر اليه فى كل يوم من الاصطبلات بغلة بمركوب محلى وبغلة برسم الراجل وفراشين من الجوق برسم خدمته وتبيت على بابه واذا خرج من بين يدى السلطان فى الليل كان له شمعة من الموكبيات توصله الى داره وزنها سبعة عشر رطلا ولا تعود وبرسم ولده فى كل يوم ثلاثة ارطال لحم وعشرة ارطال دقيق وفى ايام الركوبات رباعى والمشاهرة جارى ديوان الخاص والمجلس برسمه مائة وعشرون دينارا وبرسم ولده راتبا عشرة دنانير وأثبت اربعة غلمان نصارى ونسبهم للاسلام فى جملة المستخدمين فى الركاب ولم يخدموا لا فى الليل ولا فى النهار بما مبلغه سبعة دنانير ومن السكر خمسة عشر رطلا ومن عسل النحل عشرة ارطال ومن قلب الفستق ثلاثة

ارطال وقلب البندق خمسة ارطال وقلب اللوز أربعة ارطال وورد مربى رطلان زيت طيب عشرة ارطال شيرج خمسة ارطال زيت حار ثلاثون رطلا خل ثلاث جرار أو نصف ويبة سماق اربعة ارطال حصرم وكشك وحب رمان وقراصيا بالسوية اثناعشر رطلا سدر وأشنان ويبة ومن الكيزان عشرون شربة عزيزية ونليبة واحدة ومن الشمع ست شمعات منهن اثنتان منويات وأربعة رطليات والمسانهة في بكور الغرة برسم الخاصة خمسة دنانير وخمس رباعية وعشرة قراريط جدد وبرسم ولده دينار ورباعي وثلاثة قراريط وخروف مقموم وخمسة أرؤس وربع قنطار خبز برماذق وصحن ارز بلبن وسكر ومن السماط بالقصر في اليوم المذكور خروف شواء وزبادي وجام حلوى والخبز وقطعة منفوخ ومن القمح ثلثمائة اردب ومن الشعير مائة وخمسون اردبا وفي المواليد الاربعة اربع صواني فطرة وكسوة الشتاء برسمه خاصة منديل حريري وشقة ديبقي حرير وشقة ديباج ورداء اطلس وشقة ديباج داري وشقتان سقلاطون احداهما اسكندرانية وشقتان عتابي وشقتان خز مغربي وشقتان اسكندراني وشقتان دمياطي وشقة طلي مرش وفوطة خاص وبرسم ولده شقة سقلاطون داري وشقة عتابي داري وشقة خز مغربي وشقتان دمياطي وشقتان اسكندراني وشقة طلي وفوطة وبرسم من عنده منديلا كم أحدهما خزائني خاص ونصفي اردية ديبقي وشقة سقلاطون داري وشقة عتابي وشقة سوسي وشقة دمياطي وشقتان اسكندراني وفوطة وبرسمه أيضا في عيد الفطر طيفوران فطرة مشورة ومائة حبة بوري وبدلة مذهبة مكملة ولولده بدلة حرير وبرسم من عنده حلة مذهبة وفي عيد النحر رسمه مثل عيد الفطر ويزيد عنه هبة مائة دينار ولولده مثل عيد الفطر وزيادة عشرة دنانير ويساق اليه من الغنم مالم يكن باسمه وفي موسم فتح الخليج أربعون دينارا وصينية فطرة وطيفور خاص من القصر وخروف شواء وجام حلواء وبرسم ولده خمسة دنانير والخاصة في النوروز ثلاثون دينارا وشقة ديبقي حريري وشقة لاذ ومعجر حريري ومنديل كم حريري وفوطة ومائة بطيخة وسبعمائة حبة رمان وأربعة عناقيد موز وفرد بسر وثلاثة أقفاص تمر قوصي وقفصان سفرجل وثلاث بكالي هريسة واحدة بدجاج واخرى بلحم ضان والثالثة بلحم بقري وأربعون رطلا خبز برماذق ولولده خمسة دنانير وحوائج النوروز بما تقدم ذكره وبرسمه في الميلاد جام قاهرية ومترد سميد معتصمي وزلابية وست قرابات جلاب وعشر حبات بوري وبرسم الغطاس خمسمائة حبة ترنج ونارنج وليمون مركب وخمسة عشر طن قصب وعشر حبات بوري وباسمه في عيد الغدير من السماط بالقصر مثل عيد النحر وله هبة عن رسم الخلع من المجلس المأموني يعني مجلس الوزارة ثلاثون دينارا ولولده خمسة دنانير ومن تكون هذه رسومه في اى وجه تنصرف أمواله والذي باسم أخيه نظير ذلك وكذلك صهره في ديوان الوزارة وابن اخيه في الديوان التاجي ووجوه الاموال من كل جهة واصلة اليهم والامانة مصروفة عنهم وقد اختصر المملوك فيما ذكر والذي باسمه اكثر واذا امر بكشف ذلك من الدواوين تبين صحة قول المملوك وعلم أنه ممن يتجنب قول المحال ولا يرضاه لنفسه سيما ان رفعه الى المقام الكريم وشنع ذلك بكثرة القول فيهم وعرض بالقبض عليهم وأوجب على نفسه أنه يثبت في جهاتهم من الاموال التي تخرج عن هذا الانعام ما يجده حاضرا مدخورا عند من يعرفه مائة الف دينار فلم يسمع كلامه الى أن ظهر الراهب في الايام الآمرية فوجد هو وغيره الفرصة فيهم وكثر الوقائع عليهم فقبض عليهم عن آخرهم ومن يعرفهم وأخذ منهم الجملة الكبيرة ثم بعد ذلك عادوا الى خدمهم بما كان من اسمائهم وتجدد من جاههم وانتقامهم من اعدائهم اكثر مما كان اولا انتهى فانظر أعزك الله الى سعة احوال الدولة من معلوم رجل واحد من كتاب دواوينها يتبين لك بما تقدم ذكره في هذه المرافعة من عظم الشأن وكثرة العطاء ما يكون دليلا على باقي احوال الدولة

(ديوان النظر)

قال ابن الطوير أما دواوين الاموال فان أجلها من يتولى النظر عليهم وله العزل والولاية ومن يده عرض الاوراق في اوقات معروفة على الخليفة او الوزير ولم يرفيه نصراني الا الاحزم ولم يتوصل اليه الا بالضمان وله الاعتقال بكل مكان يتعلق بنواب الدولة وله الجلوس بالمرتبة والمسند وبين يديه حاجب من امراء الدولة وتخرج له الدواة بغير كرسي وهو يندب المترسلين لطلب الحساب والحث على طلب الاموال ومطالبة ارباب الدولة ولا يعترض

(ديوان التحقيق)

هو ديوان مقتضاه المقابلة على الدواوين وكان لا يتولاه الا كاتب خبير وله الخلع والمرتبة والحاجب ويلحق براس الديوان يعنى متولى النظر ويفتقر اليه فى اكثر الاوقات * وقال ابن المأمون وفى هذه السنة يعنى سنة احدى وخمسمائة فتح ديوان المجلس قال ولما كثرت الاموال عند ابن أبى الليث صاحب الديوان رغب فى التبجح على الافضل بن أمير الجيوش بنهضه وبسأله أن يشاهده قبل حمله وذكر أنه سبعمائة ألف دينار خارجا عن نفقات الرجال فجعلت الدنانير فى صناديق بجانب والدراهم فى صناديق بجانب وقام ابن أبى الليث بين الصفين فلما شاهد الافضل بن امير الجيوش ذلك قال لابن أبى الليث ياشيخ تفرحنى بالمال وتربة امير الجيوش ان بلغنى أن بئرا معطلة او أرضا بائرة او بلدا خراب لاضربن عنقك فقال وحق نعمتك لقد حاشا الله ايام ك أن يكون فيها بلد خراب أو بئر معطلة او ارض بور فأبى أن يكشف عما ذكر انتهى وقتل ابن أبى الليث فى سنة ثمان عشرة وخمسمائة

(ديوان الجيوش والرواتب)

قال ابن الطوير أما الخدمة فى ديوان الجيوش فتنقسم قسمين الاول ديوان الجيش وفيه مستوف اصيل ولا يكون الا مسلما وله مرتبة على غيره لجلوسه بين يدى الخليفة داخل عتبة باب المجلس وله الطراحة والمسند وبين يديه الحاجب وترد عليه امور الاجناد وله العرض والحلى والثياب ولهذا الديوان خازنان برسم رفع الشواهد واذا عرض احد الاجناد ورضى به عرض دوابه فلا يثبت له الا الفرس الجيد من ذكور الخيل واناثها ولا يترك لاحد منهم برذون ولا بغل وان كان عندهم البراذين والبغال وليس لهم تغيير أحد من الاجناد الا برسوم وكذلك اقطاعهم ويكون بين يدى هذا المستوفى نقباء الامراء ينهون اليه متجددات الاجناد من الحياة والموت والمرض والصحة وكان قد فسح للاجناد فى مقايضة بعضهم بعضا فى الاقطاع بالتوقيعات بغير علامة بل بتخريج صاحب ديوان المجلس ومن هذا الديوان تعمل اوراق ارباب الجرايات وما كان لامير وان علا قدره بلد مقور الا نادرا وأما القسم الثانى من هذا الديوان فهو ديوان الرواتب ويشتمل على اسماء كل مرتزق وجار وجارية وفيه كاتب أصيل بطراحة وفيه من المعينين والمبيضين نحو عشرة انفس والتعريفات واردة عليه من كل عمل باستمرار من هو مستمر ومباشرة من استجد وموت من مات ليوجب استحقاقه على النظام المستقيم وفى هذا الديوان عدة عروض * العرض الاول يشتمل على راتب الوزير وهو فى الشهر خمسة آلاف دينار ومن يليه من ولد وأخ من ثلثمائة دينار الى مائتى دينار ولم يقرر لولد وزير خمسمائة دينار سوى شجاع بن شاور المنعوت بالكامل ثم حواشيهم على مقتضى عدتهم من خمسمائة الى أربعمائة الى ثلثمائة خارجا عن الاقطاعات * العرض الثانى حواشى الخليفة وأولهم الاستاذون المحنكون على رتبهم وجوارى خدمهم التى لا يباشرها سواهم فزمام القصر وصاحب بيت المال وحامل الرسالة وصاحب الدفتر ومشاد التاج وزمام الاشراف الاقارب وصاحب المجلس لكل واحد منهم مائة دينار فى كل شهر ومن دونهم ينقص عشرة دنانير حتى يكون آخرهم من له فى كل شهر عشرة دنانير وتزيد عدتهم على ألف نفس ولطبيبى الخاص لكل واحد خمسون دينارا ولمن دونهما من الاطباء برسم المقيمين بالقصر لكل واحد عشرة دنانير * العرض الثالث يتضمن ارباب الرتب بحضرة الخليفة فاوله كاتب الدست الشريف وجاريه مائة وخمسون دينارا ولكل واحد من كتابه ثلاثون دينارا ثم صاحب الباب وجاريه مائة وعشرون دينارا ثم حامل السيف وحامل الرمح لكل منهما سبعون دينارا وبقية الازمة على العساكر والسودان من خمسين الى أربعين دينارا الى ثلاثين دينارا * العرض الرابع يشتمل على المستقر لقاضى القضاة ومن يلى قاضى القضاة مائة دينار وداعى الدعاة مائة دينار ولكل من قراء الحضرة عشرون دينارا الى خمسة عشر الى عشرة ولخطباء الجوامع من عشرين دينارا الى عشرة وللشعراء من عشرين دينارا الى عشرة دنانير * العرض الخامس يشتمل على ارباب الدواوين ومن يجرى مجراهم وأولهم من يتولى ديوان النظر وجاريه سبعون دينارا وديوان التحقيق جاريه خمسون دينارا وديوان المجلس أربعون

دينارا وصاحب دفتر المجلس خمسة وثلاثون دينارا وكاتبه خمسة دنانير وديوان الجيوش وجاريه أربعون دينارا والموقع بالقلم الجليل ثلاثون دينارا ولجميع اصحاب الدواوين الجارى فيها المعاملات لكل واحد عشرون دينارا ولكل معين من عشرة دنانير الى سبعة الى خمسة دنانير * العرض السادس يشتمل على المستخدمين بالقاهرة ومصر لكل واحد من المستخدمين فى ولاية القاهرة وولاية مصر فى الشهر خمسون دينارا والحماة بالاهراء والمناخات والجوالى والبساتين والاملاك وغيرها الكل منهم من عشرين دينارا الى خمسة عشر الى عشرة الى خمسة دنانير * العرض السابع الفراشون بالقصر برسم خدمها وتنظيفها خارجا وداخلا ونصب الستائر المحتاج اليها وخدمة المناظر الخارجة عن القصر فنهم خاص برسم خدمة الخليفة وعدتهم خمسة عشر رجلا منهم صاحب المائدة وحامى المطابخ من ثلاثين دينارا الى ما حولها ولهم رسوم متميزة ويقربون من الخليفة فى الاسمطة التى يجلس عليها ويليهم الرشاشون داخل القصر وخارجه ولهم عرفاء ويتولى أمرهم استاذ من خواص الخليفة وعدتهم نحو الثلثمائة رجل وجاريهم من عشرة دنانير الى خمسة دنانير * العرض الثامن صبيان الركاب وعدتهم تزيد على ألفى رجل ومقدموهم اصحاب ركاب الخليفة وعدتهم اثنا عشر مقدما منهم مقدم المقدمين وهو صاحب الركاب اليمين ولكل من هؤلاء المقدمين فى كل شهر خمسون دينارا ولهم نقباء من جهة المذكورين يعرفونهم وهم مقررون جوقا على قدر جواريهم جوقة لكل منهم خمسة عشر دينارا وجوقة لكل منهم عشرة دنانير وجوقة لكل منهم خمسة دنانير ومنهم من يندب فى الخدم السلطانية ويكون لهم نصيب فى الاعمال التى يدخلونها وهم الذين يحملون المحلقات لركوب الخليفة فى المواسم وغيرها وأول من قرر العطاء لغلمانه وخدمه وأولادهم الذكور والاناث ونسائهم وقرر لهم أيضا الكسوة العزيز بالله نزار بن المعز

(ديوان الانشاء والمكاتبات)

وكان لا يتولاه الا اجل كتاب البلاغة ويخاطب بالشيخ الاجل ويقال له كاتب الدست الشريف ويسلم المكاتبات الواردة مختومة فيعرضها على الخليفة من بعده وهو الذى يأمر بتنزيلها والاجابة عنها للكتاب والخليفة يستشيره فى اكثر اموره ولا يحجب عنه متى قصد المثول بين يديه وهذا أمر لا يصل اليه غيره وربما بات عند الخليفة ليالى وكان جاريه مائة وعشرين دينارا فى الشهر وهو أول ارباب الاقطاعات وأرباب الكسوة والرسوم والملاطفات ولا سبيل أن يدخل الى ديوانه بالقصر ولا يجتمع بكتابه أحد الا الخواص وله حاجب من الامراء الشيوخ وفراشون وله المرتبة الهائلة والمخاد والمسند والدواة لكنها بغير كرسى وهى من اخص الدوى ويحملها استاذ من استاذى الخليفة

(التوقيع بالقلم الدقيق فى المظالم)

وكان لا بد للخليفة من جليس يذاكره ما يحتاج اليه من كتاب الله وتجويد الخط وأخبار الانبياء والخلفاء فهو يجتمع به فى اكثر الايام ومعه استاذ من المحنكين مؤهل لذلك فيكون الاستاذ ثالثهما ويقرأ على الخليفة ملخص السير ويكرر عليه ذكر مكارم الاخلاق وله بذلك رتبة عظيمة تلحق برتبة كاتب الدست ويكون صحبته للجلوس دواة محلاة فاذا فرغ من المجالسة ألقى فى الدواة كاغد فيه عشرة دنانير وقرطاس فيه ثلاثة مثاقيل ند مثلث خاص ليتبخر به عند دخوله على الخليفة ثانى مرة وله منصب التوقيع بالقلم الدقيق وله طراحة ومسند وفراش يقدم اليه ما يوقع عليه وله موضع من حقوق ديوان المكاتبات لا يدخل اليه أحد الا باذن وهو يلى صاحب ديوان المكاتبات فى الرسوم والكساوى وغيرها

(التوقيع بالقلم الجليل)

وهى رتبة جليلة ويقال لها الخدمة الصغرى ولها الطراحة والمسند بغير حاجب بل الفراش لترتيب ما يوقع فيه

(مجلس النظر فى المظالم)

كانت الدولة اذا خلت من وزير صاحب سيف جلس صاحب الباب فى باب الذهب بالقصر وبين يديه النقباء

والحجاب

والحجاب فينادى المنادى بين يديه يا ارباب الظلامات فيحضرون فمن كانت ظلامته مشافهة ارسلت الى الولاة والقضاة رسالة بكشفها ومن تظلم ممن ليس من اهل البلدين احضر قصة بأمره فيتسلمها الحاجب منه فاذا جمعها احضرها الى الموقع بالقلم الدقيق فيوقع عليها ثم تحمل الى الموقع بالقلم الجليل فيبسط ما اشار اليه الموقع الاول ثم تحمل فى خريطة الى الخليفة فيوقع عليها ثم تخرج فى الخريطة الى الحاجب فيقف على باب القصر ويسلم كل توقيع لصاحبه فان كان وزيره صاحب سيف جلس للمظالم بنفسه وقبالته قاضى القضاة ومن جانبيه شاهدان معتبران ومن جانب الوزير الموقع بالقلم الدقيق ويليه صاحب ديوان المال وبين يديه صاحب الباب واسفهسلار العساكر وبين أيديهما النوّاب والحجاب على طبقاتهم ويكون الجلوس بالقصر فى مجلس المظالم فى يومين من الاسبوع وكان الخليفة اذا رفعت اليه القصة وقع عليها يعتمد ذلك ان شاء الله تعالى ويوقع فى الجانب الايمن منها يوقع بذلك فتخرج الى صاحب ديوان المجلس فيوقع عليها جليلا ويخلى مكان العلامة فيعلم عليها الخليفة وتثبت وكانت علامتهم أبدا الحمد لله رب العالمين وكان الخليفة يوقع فى المسامحة والتسويغ والتحبيس قد انعمنا بذلك وقد أمضينا ذلك وكان اذا أراد أن يعلم ذلك الشئ الذى انهى وقع ليخرج الحال فى ذلك فاذا أحضر اليه اخراج الحال علم عليه فان كان حينئذ وزير وقع الخليفة بخطه وزيرنا السيد الاجل وذكر نعته المعروف به امتعنا الله ببقائه يتقدم بنجاز ذلك ان شاء الله تعالى فيكتب الوزير تحت خط الخليفة يمتثل أمر مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ويثبت فى الدواوين

(رتب الامراء)

وكان اجل خدم الامراء ارباب السيوف خدمة الباب ويقال لمتولى هذه الخدمة صاحب الباب وينعت اوّلا بالمعظم واوّل من خدم بها المعظم خمرتاش فى ايام الخليفة الحافظ وكان من العقلاء وناب عن الحافظ فى مرضه فلما عوفى اراده على الوزارة فامتنع وله نائب يقال له النائب وتسمى الخدمة فيها بالنيابة الشريفة ومقتضاها انها مميزة ولا يليها الا اعيان العدول وأرباب العمائم وينعت أبدا بعدى الملك وهو الذى يتلقى الرسل الواصلة من الدول ومعه نوّاب الباب فى خدمته ويحفظهم وينزلهم بالاماكن المعدّة لهم ويقدمهم للسلام على الخليفة والوزير مع صاحب الباب فيكون صاحب الباب يمينا وهو يسار ويتولى افتقادهم والحث على ضيافتهم ولا يمكن من التقصير فى حقوقهم واجتماع الناس بهم والاطلاع على ما جاؤا فيه ولا من ينقل الاخبار اليهم ويلى رتبة صاحب الباب الاسفهسلار وهو زمام كل زمام واليه امور الاجناد ثم يليه حامل سيف الخليفة ايام الركوب بالمظلة واليتيمة ثم من يزم طائفتى الحافظية والآمرية وهما وجه الاجناد وهؤلاء ارباب الاطواق ويليهم ارباب القصب والعماريات وهى الاعلام ثم زى الطوائف ثم من يترشح لذلك من الاماثل وكانت الدولة لا تسند ذلك الا الى ارباب الشجاعة والنجدة واهذا دخل فيه أخلاط الناس من الارمن والروم وغيرهم وعلى ذلك كان عملهم لا للزينة والتباهى

(قاضى القضاة)

وكان من عادة الدولة انه اذا كان وزير رب سيف فانه يقلد القضاء رجلا نيابة عنه وهذا انما حدث من عهد أمير الجيوش بدر الجمالى واذا كان الخليفة مستبدّا قلد القضاء رجلا ونعته بقاضى القضاة وتكون رتبته اجل رتب ارباب العمائم وأرباب الاقلام ويكون فى بعض الاوقات داعيا فيقال له حينئذ قاضى القضاة وداعى الدعاة ولا يخرج شئ من الامور الدينية عنه ويجلس السبت والثلاثاء بزيادة جامع عمرو بن العاص بمصر على طراحة ومسند حرير فلما ولى ابن عقيل القضاء رفع المرتبة والمسند وجلس على طراحات السامان فاستمر هذا الرسم ويجلس الشهود حواليه يمنة ويسرة بحسب تاريخ عدالتهم وبين يديه خمسة من الحجاب اثنان بين يديه واثنان على باب المقصورة وواحد ينفذ الخصوم اليه وله اربعة من الموقعين بين يديه اثنان يقابلان اثنين وله كرسى الدواة وهى دواة محلاة بالفضة تحمل اليه من خزائن القصور ولها حامل بجامكية فى الشهر على الدولة ويقدم له من الاصطبلات برسم ركوبه على الدوام بغلة شهباء وهو مخصوص بهذا اللون من البغال دون ارباب الدولة وعليها من خزانة السروج سرج محلى ثقيل وراءه دفترفضة ومكان الجلد حرير وتأتيه فى المواسم الاطواق ويخلع عليه

الخلع المذهبة بلا طبل ولا بوق الا اذا ولى الدعوة مع الحكم فان للدعوة فى خلعها الطبل والبوق والبنود الخاص وهى نظير البنود التى يتشرف بها الوزير صاحب السيف واذا كان للحكم خاصة كان حواليه القراء رجالة وبين يديه المؤذنون يعلنون بذكر الخليفة والوزير ان كان ثم ويحمل بنواب الباب والحجاب ولا يتقدم عليه أحد فى محضر هو حاضره من رب سيف وقلم ولا يحضر لاملاك ولا جنازة الا باذن ولا سبيل الى قيامه لاحد وهو فى مجلس الحكم ولا يعدل شاهد الا بأمره ويجلس بالقصر فى يومى الاثنين والخميس أول النهار للسلام على الخليفة ونوابه لا يفترون عن الاحكام ويحضر اليه وكيل بيت المال وكان له النظر فى ديوان الضرب لضبط ما يضرب من الدنانير فكان يحضر مباشرة التغليق بنفسه ويختم عليه ويحضر لفتحه وكان القاضى لا يصرف الا بجنحة ولا يعدل أحدا الا بتزكية عشرين شاهدا عشرة من مصر وعشرة من القاهرة ورضى الشهود به ولا يحتمى أحد على الشرع ومن فعل ذلك أدب

(قاعة الفضة)

وهى من جملة قاعات القصر

(قاعة السدرة)

كانت بجوار المدرسة والتربة الصالحية واشتراها قاضى القضاة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسى الحنبلى مدرس الحنابلة بالمدرسة الصالحية بألف وخمسة وتسعين دينارا فى رابع شهر ربيع الآخر سنة ستين وستمائة من كمال الدين ظافر بن الفقيه نصر وكيل بيت المال ثم باعها شمس الدين المذكور للملك الظاهر بيبرس فى حادى عشرى ربيع الآخر المذكور وكان يتوصل اليها من باب البحر

(قاعة الخيم)

كانت شرقى قاعة السدرة وقد دخلت قاعة السدرة وقاعة الخيم فى مكان المدرسة الظاهرية العتيقة

(المناظر الثلاث)

استجدهن الوزير المأمون البطائحى وزير الخليفة الآمر بأحكام الله احداهن بين باب الذهب وباب البحر والاخرى على قوس باب الذهب ومنظرة ثالثة وكان يقال لها الزاهرة والفاخرة والناضرة وكان يجلس الخليفة فى احداها لعرض العساكر يوم عيد الغدير ويقف الوزير فى قوس باب الذهب

(قصر الشوك)

قال ابن عبد الظاهر كان منزلا لبنى عذرة قبل القاهرة يعرف بقصر الشوك وهو الآن أحد أبواب القصر انتهى والعامة تقول قصر الشوق وأدركت مكانه دارا استجدت بعد الدولة الفاطمية هدمها الامير جمال الدين يوسف الاستادار فى سنة احدى عشرة وثمانمائة لينشئها دارا فمات قبل ذلك وموضعه اليوم بالقرب من دار الضرب فيما بينه وبين المارستان العتيق

(قصر أولاد الشيخ)

هذا المكان من جملة القصر الكبير وكان قاعة فسكنها الوزير الصاحب الامير الكبير معين الدين حسين بن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه فى ايام الملك الصالح نجم الدين ايوب فعرف به وأدركت هذا المكان خطا يعرف بالقصر يتوصل اليه من زقاق تجاه حمام بيسرى وفيه عدة دور منها دار الطواشى سابق الدين ومدرسته المعروفة بالمدرسة السابقية وكان يتوصل اليه من الركن المخلق أيضا من الباب المظلم تجاه سور سعيد السعداء المعروف قديما بباب الريح ثم عرف بقصر ابن الشيخ وعرف فى زمننا بباب القصر الى أن هدمه جمال الدين الاستادار كما يأتى ان شاء الله تعالى

(قصر الزمرذ)

هو من جملة القصر الكبير وعرف أخيرا بقصر قوصون ثم عرف فى زمننا بقصر الحجازية وقيل له قصر الزمرذ لانه كان بجوار باب الزمرذ أحد أبواب القصر ووجد به فى سنة بضع وسبعين وسبعمائة تحت التراب عمودان عظيمان من الرخام الابيض فعمل لهما ابن عابد رئيس الحراريق السلطانية اساقيل وجرّهما الى المدرسة التى انشأها الملك الاشرف شعبان بن حسين تجاه الطبلخاناة من قلعة الجبل وأدركنا الجرّ هذين العمودين اوقاتا فى ايام تجمع الناس فيها من كل اوب لمشاهدة ذلك ولهجوا بذكرهما زمنا وقالوا فيهما شعرا وغناء كثيرا وعملوا نموذجات من ثياب الحرير وتطريز المناديل عرفت بجرّ العمود وكانت الانفس حينئذ منبسطة والقلوب خالية من الهموم وللناس اقبال على اللهو لكثرة نعمهم وطول فراغهم وكان العمودان المذكوران مما ارتدم من أنقاض القصر فسبحان الوارث

(الركن المخلق)

موضعه الآن تجاه حوض الجامع الاقمر على يمنة من اراد الدخول الى المسجد المعروف الآن بمعبد موسى وقيل له الركن المخلق لانه ظهر فى سنة ستين وستمائة فى هذا الموضع حجر مكتوب عليه هذا مسجد موسى عليه السلام فخلق بالزعفران وسمى من ذلك اليوم بالركن المخلق وأخبرنى الامير الوزير ابو المعالى يلبغا السالمى أنه قرأ فى الاسطر المكتوبة بأسكفة باب الجامع الاقمر كلاما من جملته والحوانيت التى بالركن المخوق بواو بعد الخاء فرأيت بعد ذلك فى الامالى للقالى وقال ابو عبيدة عن أبى عمرو الخوقاء الصحراء التى لاماء بها ويقال الواسعة وأخوق واسع فلعله سمى المخوق بمعنى الاتساع فكان ركنا متسعا وفى بناء واسع او يكون المخلق باللام من قولهم قدح مخلق بضم الميم وفتح الخاء وتشديد اللام وفتحها اى مستو أملس وكل مالين وملس فقد خلق فكل املس مخلق وسمته العامة بعد ذلك الركن المخلق عندما خلقوه بالزعفران والله اعلم

(السقيفة)

قوله السقيفة هكذا هنا فى النسخ بالقاف والفاء وهو الظاهر المتبادر خلافا لما مرّ من انها سفينة بالفاء والنون اه مصححه

وكان من جملة القصر الكبير موضع يعرف بالسقيفة يقف عنده المتظلمون وكانت عادة الخليفة أن يجلس هناك كل ليلة لمن يأتيه من المتظلمين فاذا ظلم احد وقف تحت السقيفة وقال بصوت عال لا اله الا الله محمد رسول الله على ولى الله فيسمعه الخليفة فيأمر باحضاره اليه أو يفوّض أمره الى الوزير أو القاضى او الوالى ومن غريب ماوقع أن الموفق بن الخلال لما كان يتحدث فى امور الدواوين ايام الخليفة الحافظ لدين الله وخرج من انتدب بعد انحطاط النيل من العدول والنصارى الكتاب الى الاعمال لتحرير ماشمله الرى وزرع من الاراضى وكتابة المكلفات فخرج الى بعض النواحى من يمسحها من شادّ وناظر وعدول وتأخر الكاتب النصرانى ثم لحقهم وأراد التعدية الى الناحية فحمله ضامن تلك المعدية الى البر وطلب منه اجرة التعدية فنفر فيه النصرانى وسبه وقال انا ماسح هذه البلدة وتريد منى حق التعدية فقال له الضامن ان كان لى زرع خذه وقلع لجام بغلة النصرانى وألقاه فى معديته فلم يجد النصرانى بدا من دفع الاجرة اليه حين أخذ لجام بغلته فلما تم مساحة البلد وبيض مكلفة المساحة ليحملها الى دواوين الباب وكانت عادتهم حينئذ كتب الجملة بزيادة عشرين فدانا ترك بياضا فى بعض الاوراق وقابل العدول على المكلفة وأخذ الخطوط عليها بالصحة ثم كتب فى البياض الذى تركه ارض اللجام باسم ضامن المعدية عشرين فدانا قطيعة كل فدان اربعة دنانير عن ذلك ثمانون دينارا وحمل المكلفة الى ديوان الاصل وكانت العادة اذا مضى من السنة الخراجية اربعة اشهر ندب من الجند من فيه حماسة وشدة ومن الكتاب العدول وكاتب نصرانى فيخرجون الى سائر الاعمال لاستخراج ثلث الخراج على ماتشهد به المكلفات المذكورة فينفق فى الاجناد فانه لم يكن حينئذ للاجناد اقطاعات كما هو الآن وكان من العادة أن يخرج الى كل ناحية ممن ذكر من لم يكن خرج وقت المساحة بل ينتدب قوم سواهم فلما خرج الشادّ والكاتب والعدول لاستخراج ثلث مال الناحية استدعوا ارباب الزرع على ماتشهد به المكلفة ومن جملتهم ضامن المعدية فلما حضر ألزم بستة وعشرين دينارا وثلثى دينار عن نظير ثلث المال الثمانين دينارا التى تشهد بها المكلفة عن خراج ارض اللجام فانكر الضامن أن تكون له زراعة بالناحية وصدقه اهل البلد فلم يقبل الشادّ ذلك وكان عسوفا وأمر به فضرب بالمقارع واحتج بخط العدول على المكلفة ومازال به حتى باع معديته وغيرها وأورد ثلث المال الثابت فى المكلفة

وسار الى القاهرة فوقف تحت السقيفة وأعلن بما تقدم ذكره فأمر الخليفة الحافظ باحضاره فلما مثل بحضرته قص عليه ظلامته مشافهة وحكى له ما اتفق منه في حق النصراني وما كاد به فأحضر ابن الخلال وجميع ارباب الدواوين واحضرت المكلفات التي عملت للناحية المذكورة في عدة سنين ماضية وتصفحت بين يديه سنة سنة فلم يوجد للارض الجام ذكر البتة فحينئذ أمر الخليفة الحافظ باحضار ذلك النصراني وسمر في مركب وأقام له من يطعمه ويسقيه وتقدم بأن يطاف به سائر الاعمال وينادى عليه ففعل ذلك وأمر بكف ايدى النصرانية كلها عن الخدم في سائر المملكة فتعد لوا ادمة الى أن ساءت احوالهم وكان الحافظ مغرما بعلم النجوم وله عدة من المنجمين من جملتهم شخص صار اليه عدة من اكابر كتاب النصارى ودفعوا اليه جملة من المال ومعهم رجل منهم يعرف بالاخرم بن أبي زكريا وسألوه أن يذكر للحافظ في أحكام تلك السنة حلية هذا الرجل فانه ان اقامه في تدبير دولته زاد النيل ونما الارتفاع وزكت الزروع ونتجت الاغنام ودرت الضروع وتضاعفت الاسماك وورد التجار وجرت قوانين المملكة على اجل الاوضاع فطمع ذلك المنجم في كثرة ما عاينه من الذهب وعمل ما قرره النصارى معه فلما رأى الحافظ ذلك تعلقت نفسه بمشاهدة تلك الصفة فأمر باحضار الكتاب من النصارى وصار يتصفح وجوههم من غير أن يطلع أحدا على ما يريده وهم يؤخرون الاخرم عن الحضور اليه قصدا منهم وخشية أن يفطن بمكرهم الى أن اشتد الزامهم باحضار سائر من بقى منهم فأحضروه بعد أن وضعوا من قدره فلما رآه الحافظ رأى فيه الصفات التي عينها منجمه فاستدناه اليه وقربه وآل أمره الى أن ولاه امير الدواوين فأعاد كتاب النصارى أوفر ما كانوا عليه وشرعوا في التجبر وبالغوا في اظهار الفخر وتظاهروا بالملابس العظيمة وركبوا البغلات الرائعة والخيول المسومة بالسروج المحلاة واللجم الثقيلة وضايقوا المسلمين في ارزاقهم واستولوا على الاحباس الدينية والاوقاف الشرعية واتخذوا العبيد والمماليك والجوارى من المسلمين والمسلمات وصودر بعض كتاب المسلمين فألجأته الضرورة الى بيع اولاده وبناته فيقال انه اشتراهم بعض النصارى وفي ذلك يقول ابن الخلال

اذا حكم النصارى في الفروج * وغالوا بالبغال وبالسروج
وذلت دولة الاسلام طرا * وصار الامر في ايدى العلوج
فقل للاعور الدجال هذا * زمانك ان عزمت على الخروج

وموضع السقيفة فيما بين درب السلامى وبين خزانة البنود يتوصل اليه من تجاه البئر التي قدام دار كانت تعرف بقاعة ابن كتيلة ثم استولى عليها جمال الدين الاستادار وجعلها مسكنا لاخيه ناصر الدين الخطيب وغير بابها

(دار الضرب)

هذا المكان الذى هو الآن دار الضرب من بعض القصر فكان خزانة بجوار الايوان الكبير سجن بها الخليفة الحافظ لدين الله ابو الميمون عبد المجيد ابن الامير أبى القاسم محمد بن المستنصر بالله ابى تميم معد وذلك أن الآمر لما قتل في يوم الثلاثاء رابع عشر ذى القعدة سنة اربع وعشرين وخمسمائة قام العادل برغش وهزار الملوك جوامرد وكانا اخص غلمان الآمر بالامير عبد المجيد ونصباه خليفة ونعتاه بالحافظ لدين الله وهو يومئذ اكبر الاقارب سنا وذكر أن الآمر قال قبل أن يقتل باسبوع عن نفسه المسكين المقتول بالسكين وانه اشار الى أن بعض جهاته حامل منه وأنه رأى انها ستلد ذكرا وهو الخليفة من بعده وأن كفالته للامير عبد المجيد فجلس على انه كافل للمذكور وندب هزار الملوك للوزارة وخلع عليه فلم ترض الاجناد به وثاروا بين القصرين وكبيرهم رضوان بن ولخشى وقاموا بأبى على بن الافضل الملقب بكتيفات وقالوا لا نرضى الا أن يصرف هزار الملوك وتفوض الوزارة لاحمد بن الافضل في سادس عشره فكان اول ما بدأ به أن أحاط على الخليفة الحافظ وسجنه بالقاعة المذكورة وقيده وهم بخلعه فلم يتأت له ذلك وكان اماميا فأبطل ذكر الحافظ من الخطبة وصار يدعو للقائم المنتظر ونقش على السكة الله الصمد الامام محمد فلما قتل في يوم الثلاثاء سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة بالميدان خارج باب الفتوح سارع صبيان الخاص الذين تولوا قتله الى الحافظ وأخرجوه من الخزانة

المذكورة

المذكورة وفكوا عنه قيده وكان كبيرهم يانس وأجلسوه فى الشباك على منصب الخلافة وطيف برأس أحمد ابن الافضل وخلع على يانس خلع الوزارة ومازالت الخلافة فى يد الحافظ حتى مات ليلة الخميس لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة عن سبع وستين سنة منها خليفة من حين قتل ابن الافضل ثمان عشرة سنة وأربعة اشهر وأيام

(خزائن السلاح)

كانت بالايوان الكبير الذى تقدم ذكره فى صدر الشباك الذى يجلس فيه الخليفة تحت القبة التى هدمت فى سنة سبع وثمانين وسبعمائة كما تقدم وخزائن السلاح المذكورة هى الآن باقية بجوار دار الضرب خلف المشهد الحسينى وعقد الايوان باق وقد تشعث

(المارستان العتيق)

قال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وسبعين وخمسمائة فى تاسع ذى القعدة أمر السلطان يعنى صلاح الدين يوسف بن ايوب بفتح مارستان للمرضى والضعفاء فاختير له مكان بالقصر وأفرد برسمه من اجرة الرباع الديوانية مشاهرة مبلغها مائتا دينار وغلات جهاتها الفيوم واستخدم له اطباء وطبائعين وجرايحيين ومشارف وعاملا وخداما ووجد الناس به رفقا واليه مستروحا وبه نفعا وكذلك بمصر أمر بفتح مارستانها القديم وأفرد برسمه من ديوان الاحباس ما تقدير ارتفاعه عشرون دينارا واستخدم له طبيب وعامل ومشارف وارتفق به الضعفاء وكثر بسبب ذلك الدعاء وقال ابن عبد الظاهر كان قاعة بناها العزيز بالله فى سنة اربع وثمانين وثلثمائة وقيل ان القرآن مكتوب فى حيطانها ومن خواصها أنه لا يدخلها نمل لطلسم بها ولما قيل ذلك لصلاح الدين رحمه الله قال هذا يصلح أن يكون مارستانا وسألت مباشريه عن ذلك فقالوا انه صحيح وكان قديما المارستان فيما بلغنى القشاشين وأظنه المكان المعروف بدار الديلم انتهى والقشاشين المذكورة تعرف اليوم بالخراطين المسلوك فيها الى الخميين والجامع الازهر

(التربة المعزية)

كان من جملة القصر الكبير التربة المعزية وفيها دفن المعز لدين الله آباءه الذين احضرهم فى توابيت معه من بلاد المغرب وهم الامام المهدى عبيد الله وابنه القائم بأمر الله محمد وابنه الامام المنصور بنصر الله اسمعيل واستقرت مدفنا يدفن فيه الخلفاء وأولادهم ونساءهم وكانت تعرف بتربة الزعفران وهو مكان كبير من جملتها الموضع الذى يعرف اليوم بخط الزراكشة العتيق ومن هناك بابها ولما انشأ الامير جهاركس الخليلى خانه المعروف به فى الخط المذكور أخرج ماشاء الله من عظامهم فألقيت فى المزابل على كيمان البرقية ويمتد من هنالك من حيث المدرسة البديرية خلف المدارس الصالحية النجمية وبها الى اليوم بقايا من قبورهم وكان لهذه التربة عوايد ورسوم منها أن الخليفة كلما ركب بمظلة وعاد الى القصر لابد أن يدخل الى زيارة آبائه بهذه التربة وكذلك لابد أن يدخل فى يوم الجمعة دائما وفى عيدى الفطر والاضحى مع صدقات ورسوم تفرق قال ابن المامون وفى هذا الشهر يعنى شوالا سنة ست عشرة وخمسمائة تنبه ذكر الطائفة النزارية وتقرر بين يدى الخليفة الآمر بأحكام الله أن يسير رسول الى صاحب الموت بعد أن جمعوا الفقهاء من الاسماعيلية والامامية وقال لهم الوزير المأمون البطائحى مالكم من الحجة فى الرد على هؤلاء الخارجين على الاسماعيلية فقال كل منهم لم يكن لنزار امامة ومن اعتقد هذا فقد خرج عن المذهب وضل ووجب قتله وذكروا حجتهم فكتب الكتاب ووصلت كتب من خواص الدولة تتضمن أن القوم قويت شوكتهم واشتدت فى البلاد طمعتهم وانهم سيروا الآن ثلاثة آلاف برسم النجوى وبرسم المؤمنين الذين تنزل الرسل عندهم ويحتفون فى محلهم فتقدم الوزير بالفحص عنهم والاحتراز التام على الخليفة فى ركوبه ومنتزهاته وحفظ الدور والاسواق ولم يزل البحث فى طلبهم الى أن وجدوا فاعترفوا بأن خمسة منهم هم الرسل الواصلون بالمال فصلبوا وأما المال وهو ألفا دينار فان الخليفة أبى قبوله وأمر أن ينفق فى السودان عبيد الشراء وأحضر من بيت المال تطير المبلغ وتقدم بأن يصاغ به قنديلان من ذهب وقنديلان

من فضة وأن يحمل منها قنديل ذهب وقنديل فضة الى مشهد الحسين بثغر عسقلان وقنديل الى التربة المقدسة تربة الائمة بالقصر وأمر الوزير المأمون باطلاق ألفي دينار من ماله وتقدم بأن يصاغ بها قنديل ذهب وسلسلة فضة برسم المشهد العسقلانى وأن يصاغ على المصحف الذى بخط أمير المؤمنين على بن أبى طالب بالجامع العتيق بمصر من فوق الفضة ذهب وأطلق حاصل الصناديق التى تشتمل على مال النجاوى برسم الصدقات عشرة آلاف درهم تفرق فى الجوامع الثلاثة الازهر بالقاهرة والعتيق بمصر وجامع القرافة وعلى فقراء المؤمنين على ابواب القصور وأطلق من الاهراء ألفى اردب قمحا وتصدق على عدة من الجهات بجملة كثيرة واشتريت عدة جوار من الحجر وكتب عتقهن للوقت وأطلق سراحهن وقال فى كتاب الذخائر ان الاتراك طلبوا من المستنصر نفقة فى ايام الشدة فماطلهم وانهم هجموا على التربة المدفون فيها اجداده فأخذوا مافيها من قناديل الذهب وكانت قيمة ذلك مع ما اجتمع اليه من الآلات الموجودة هنالك مثل المداخن والمجامر وحلى المحاريب وغير ذلك خمسين ألف دينار

(القصر النافعى)

قال ابن عبد الظاهر القصر النافعى قرب التربة يقرب من جهة السبع خوخ كان فيه عجائز من عجائز القصر وأقارب الاشراف انتهى وموضع هذا القصر اليوم فندق المهمندار الذى يدق فيه الذهب وما فى قبليه من خان منجك ودار خواجا عبد العزيز المجاورة للمسجد الذى بحذاء خان منجك وما بجوار دار خواجا من الزقاق المعروف بدرب الحبشى وكان حد هذا القصر الغربى ينتهى الى الفندق الذى بالخميس المعروف قديما بخان منكورس ويعرف اليوم بخان القاضى واشترى بعض هذا القصر لما بيع بعد زوال الدولة الامير ناصر الدين عثمان بن سنقر الكاملى المهمندار الذى يعرف بفندق المهمندار بعد أن كان اصطبلا له واشترى بعضه الامير حسام الدين لاجين الايدمرى المعروف بالدرفيل دوادار الملك الظاهر بيبرس وعمره اصطبلا ودارا وهى الدار التى تعرف اليوم بخواجا عبد العزيز على باب درب الحبشى ثم عمل الاصطبل الخان الذى يعرف اليوم بخان منجك وابتنى الناس فى مكان درب الحبشى الدور وزال اثر القصر فلم يبق منه شئ البتة

(الخزائن التى كانت بالقصر)

وكانت بالقصر الكبير عدة خزائن منها خزانة الكتب وخزانة البنود وخزائن السلاح وخزائن الدرق وخزائن السروج وخزانة الفرش وخزانة الكسوات وخزائن الادم وخزائن الشراب وخزانة التوابل وخزائن الخيم ودار التعبية وخزائن دار افتكين ودار الفطرة ودار العلم وخزانة الجوهر والطيب وكان الخليفة يمضى الى موضع من هذه الخزائن وفى كل خزانة دكة عليها طراحة ولها فراش يخدمها وينظفها طول السنة وله جار فى كل شهر فيطوفها كلها فى السنة

(خزانة الكتب)

قال المسبحى وذكر عند العزيز بالله كتاب العين للخليل بن احمد فأمر خزان دفاتره فأخرجوا من خزانته نيفا وثلاثين نسخة من كتاب العين منها نسخة بخط الخليل بن احمد وحمل اليه رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبرى اشتراها بمائة دينار فأمر العزيز الخزان فأخرجوا من الخزانة ما ينيف عن عشرين نسخة من تاريخ الطبرى منها نسخة بخطه وذكر عنده كتاب الجمهرة لابن دريد فأخرج من الخزانة مائة نسخة منها وقال فى كتاب الذخائر عدة الخزائن التى برسم الكتب فى سائر العلوم بالقصر أربعون خزانة خزانة من جملتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة وان الموجود فيها من جملة الكتب المخرجة فى شدة المستنصر ألفان وأربعمائة ختمة قرآن فى ربعات بخطوط منسوبة زائدة الحسن محلاة بذهب وفضة وغيرهما وان جميع ذلك كله ذهب فيما أخذه الاتراك فى واجباتهم ببعض قيمته ولم يبق فى خزائن القصر البرانية منه شئ بالجملة دون خزائن القصر الداخلة التى لا يتوصل اليها ووجدت صناديق مملوءة أقلاما مبرية من براية ابن مقلة وابن البواب وغيرهما قال وكنت بمصر فى العشر الاول من محرم سنة احدى وستين واربعمائة فرأيت فيها خمسة وعشرين جملا موقرة كتبا محمولة الى

دار الوزير أبى الفرج محمد بن جعفر المغربى فسألت عنها فعرفت أن الوزير أخذها من خزائن القصر هو والخطير ابن الموفق فى الدين بايجاب وجبت لهما عما يستحقانه وعلمانهما من ديوان الجيليين وان حصة الوزير أبى الفرج منها قومت عليه من جارى مماليكه وغلمانه بخمسة آلاف دينار وذكر لى من له خبرة بالكتب انها تبلغ أكثر من مائة ألف دينار ونهب جميعها من داره يوم انهزم ناصر الدولة بن حمدان من مصر فى صفر من السنة المذكورة مع غيرها مما نهب من دور من سار معه من الوزير أبى الفرج وابن أبى كدينة وغيرهما هذا سوى ما كان فى خزائن دار العلم بالقاهرة وسوى ما صار الى عماد الدولة أبى الفضل بن المحترق بالاسكندرية ثم انتقل بعد مقتله الى المغرب وسوى ما ظفرت به لواتة محمولا مع ما صار اليه بالابتياع والغصب فى بحر النيل الى الاسكندرية فى سنة احدى وستين وأربعمائة وما بعدها من الكتب الجليلة المقدار المعدومة المثل فى سائر الامصار صحة وحسن خط وتجليد وغرابة التى أخذ جلودها عبيدهم واماؤهم برسم عمل ما يلبسونه فى أرجلهم وأحرق ورقها تأولا منهم انها خرجت من قصر السلطان أعز الله أنصاره وان فيها كلام المشارقة الذى يخالف مذهبهم سوى ما غرق وتلف وحمل الى سائر الاقطار وبقى منها ما لم يحرق وسفت عليه الرياح التراب فصار تلالا باقية الى اليوم فى نواحى آثار تعرف بتلال الكتب وقال ابن الطوير خزانة الكتب كانت فى أحد مجالس المارستان اليوم يعنى المارستان العتيق فيجىء الخليفة راكبا ويترجل على الدكة المنصوبة ويجلس عليها ويحضر اليه من يتولاها وكان فى ذلك الوقت الجليس بن عبد القوى فيحضر اليه المصاحف بالخطوط المنسوبة وغير ذلك مما يقترحه من الكتب فان عنّ له أخذ شئ منها أخذه ثم يعيده وتحتوى هذه الخزانة على عدة رفوف فى دور ذلك المجلس العظيم والرفوف مقطعة بحواجز وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصلات وقفل وفيها من اصناف الكتب ما يزيد على مائتى ألف كتاب من المجلدات ويسير من المجردات فمنها الفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتواريخ وسير الملوك والنجامة والروحانيات والكيمياء من كل صنف النسخ ومنها النواقص التى ما تممت كل ذلك بورقة مترجمة ملصقة على كل باب خزانة وما فيها من المصاحف الكريمة فى مكان فوقها وفيها من الدروج بخط ابن مقلة ونظائره كابن البوّاب وغيره وتولى بيعها ابن صورة فى ايام الملك الناصر صلاح الدين فاذا أراد الخليفة الانفصال مشى فيها مشية لنظرها وفيها ناسخان وفراشان صاحب المرتبة وآخر فيعطى الشاهد عشرين دينارا ويخرج الى غيرها وقال ابن ابى طى بعد ما ذكر استيلاء صلاح الدين على القصر ومن جملة ما باعوه خزانة الكتب وكانت من عجائب الدنيا ويقال انه لم يكن فى جميع بلاد الاسلام دار كتب اعظم من التى كانت بالقاهرة فى القصر ومن عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتا نسخة من تاريخ الطبرى الى غير ذلك ويقال انها كانت تشتمل على ألف وستمائة ألف كتاب وكان فيها من الخطوط المنسوبة اشياء كثيرة انتهى ومما يؤيد ذلك أن القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على لما أنشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة جعل فيها من كتب القصر مائة ألف كتاب مجلد وباع ابن صورة دلال الكتب منها جملة فى مدة اعوام فلو كانت كلها مائة ألف لما فضل عن القاضى الفاضل منها شئ وذكر ابن أبى واصل أن خزانة الكتب كانت تزيد على مائة وعشرين ألف مجلد

(خزانة الكسوات)

قال ابن أبى طى وعمل يعنى المعز لدين الله دارا وسماها دار الكسوة كان يفصل فيها من جميع انواع الثياب والبز ويكسو بها الناس على اختلاف أصنافهم كسوة الشتاء والصيف وكانت لاولاد الناس ونسائهم كذلك وجعل ذلك رسما يتوارثونه فى الاعقاب وكتب بذلك كتبا وسمى هذا الموضع خزانة الكسوة وقال عند ذكر انقراض الدولة ومن أخبارهم انهم كانوا يخرجون من خزائن الكسوة الى جميع خدمهم وحواشيهم ومن يلوذ بهم من صغير وكبير ورفيع وحقير كسوات الصيف والشتاء من العمامة الى السراويل وما دونه من الملابس والمنديل من فاخر الثياب ونفيس الملبوس ويقومون لهم بجميع ما يحتاجون اليه من نفيس المطعومات والمشروبات وسمعت من يقول انه حضر كسا القصر التى تخرج فى الصيف والشتاء فكان مقدارها ستمائة ألف دينار وزيادة وكانت خلعهم على الامراء الثياب الديبقى والعمائم بالطراز الذهب وكان طراز الذهب والعمامة من خمسمائة دينار ويخلع على اكابر الامراء الاطواق والاسورة والسيوف المحلاة وكان يخلع على

الوزير عوضا عن الطوق عقد جوهر وقال ابن المأمون وجلس الاجل يعنى الوزير المأمون فى مجلس الوزارة لتنفيذ الامور وعرض المطالعات وحضر الكتاب ومن جملتهم ابن أبى الليث كاتب الدفتر ومعه ما كان امر به من عمل جرائد الكسوة للشتاء بحكم حلوله وأوان تفرقتها فكان ما اشتمل عليه المنفق فيها السنة ست عشرة وخمسمائة من الاصناف أربعة عشر ألفا وثلثمائة وخمس قطع وان اكثر ما انفق عن مثل ذلك فى الايام الافضلية فى طول مدتها السنة ثلاث عشرة وخمسمائة ثمانية آلاف وسبعمائة وخمس وسبعون قطعة يكون الزائد عنها بحكم ما رسم به فى منفق سنة ست عشرة خمسة آلاف وستمائة وأربعا وثلاثين قطعة ووصلت الكسوة المختصة بالعيد فى آخر الشهر وقد تضاعفت عما كانت عليه فى الايام الافضلية لهذا الموسم وهى تشتمل على ذهوب وسلف دون العشرين ألف دينار وهو عندهم الموسم الكبير ويسمى بعيد الحلل لان الحلل فيه تعم الجماعة وفى غيره للاعيان خاصة فأحضر الامير افتخار الدولة مقدم خزانة الكسوة الخاص ليتسلم ما يختص بالخليفة وهو برسم الموكب بدلة خاص جليلة مذهبة ثوبها موشح مجاوم مذايل عدتها باللفافتين احدى عشرة قطعة السلف عنها مائة وستة وسبعون دينارا ونصف ومن الذهب العالى المغزول ثلثمائة وسبعة وخمسون مثقالا ونصف كل مثقال اجرة غزله ثمن دينار ومن الذهب العراقى ألفان وتسعمائة وأربع وتسعون قصبة * تفصيل ذلك شاشية طميم السلف ديناران وسبعون قصبة ذهبا عراقيا منديل بعمود ذهب السلف سبعون وألفان ومائتان وخمسون قصبة ذهبا عراقيا فان كان الذهب نظير المصرى كان الذى يرقم فيه ثلثمائة وخمسة وعشرين مثقالا لان كل مثقال نظير تسع قصبات ذهبا عراقيا وسط سرب بطانة للمنديل السلف عشرة دنانير وسبعون قصبة ذهبا عراقيا ثوب موشح مجاوم مطرف السلف خمسون دينارا وثلثمائة وأحد وخمسون مثقالا ونصف ذهبا عاليا اجرة كل مثقال ثمن دينار تكون جملة مبلغه وقيمة ذهبه ثلثمائة وأربعة وتسعين دينارا ونصفا ثوب ديبقى حريرى وسطانى السلف اثنا عشر دينارا غلالة ديبقى حريرى السلف عشرون دينارا منديل كم اول مذهب السلف خمسة دنانير ومائتان وأربع قصبات ذهبا عراقيا منديل كم ثان حريرى السلف خمسة دنانير حجرة السلف أربعة دنانير عرضى مذهب السلف خمسة دنانير وخمسة عشر مثقالا ذهبا عاليا عرضى لفافة للتخت دينار واحد ونصف بدلة ثانية برسم الجلوس على السماط عدتها باللفافتين عشر قطع السلف مائة وأربعة عشر دينارا ومن الذهب العالى خمسة وخمسون مثقالا ومن الذهب العراقى سبعمائة وأربعون قصبة تفصيل ذلك شاشية طميم السلف ديناران وسبعون قصبة ذهبا عراقيا منديل السلف ستون دينارا وستمائة قصبة ذهبا عراقيا شقة وكم السلف ستة عشر دينارا وخمسة وخمسون مثقالا ذهبا عاليا اجرة كل مثقال ثمن دينار شقة ديبقى حريرى وسطانى اثنا عشر دينارا شقة ديبقى غلالة ثمانية دنانير منديل الكم الحريرى خمسة دنانير حجرة أربعة دنانير عرضى خمسة دنانير عرضى برسم التخت دينار واحد ونصف وهذه البدلة لم تكن فيما تقدم فى ايام الافضل لانه لم يكن ثم سماط يجلس عليه الخليفة فانه كان قد نقل ما يعمل فى القصور من الاسمطة والدواوين الى داره فصار يعمل هنالك ما هو برسم الاجل أبى الفضل جعفر أخى الخليفة الآمر بدلة مذهبة مبلغها تسعون دينارا ونصف وخمسة وعشرون مثقالا ذهبا عاليا وأربعمائة وسبعون قصبة ذهبا عراقيا تفصيل ذلك منديل السلف خمسون دينارا وأربعمائة وسبعون قصبة ذهبا عراقيا شقة ديبقى حريرى وسطانى السلف عشرة دنانير شقة غلالة ديبقى السلف ثمانية دنانير حجرة ثلاثة دنانير وثلث عرضى ديبقى ثلاثة دنانير الجهة العالية بالدار الجديدة التى يقوم بخدمتها جوهر حلة مذهبة موشح مجاوم مذايل مطرف عدتها خمس عشرة قطعة سلفها ستة آلاف وثلثمائة وثلاثون قصبة تفصيل ذلك مذهب مكلف موشح مجاوم السلف خمسة عشر دينارا وستمائة وستون قصبة سدابى مذهب السلف ثمانية عشر دينارا ومائتا قصبة معجر أول مذهب موشح مجاوم مطرف السلف خمسون دينارا وألف وتسعمائة قصبة معجر ثان حريرى السلف خمسة وثلاثون دينارا ونصف رداء حريرى اول السلف عشرة دنانير ونصف رداء حريرى ثان السلف تسعة دنانير دراعة موشح مجاوم مذايل مذهبة السلف خمسة وتسعون دينارا ومن الذهب العراقى ألفان وستمائة وخمس وخمسون قصبة شقة ديبقى حريرى وسطانى السلف عشرون دينارا ونصف شقة ديبقى بغير رقم برسم عجز التفصيل ثلاثة دنانير ملاءة ديبقى السلف أربعة وعشرون دينارا وستمائة قصبة منديل

كم

قوله بدلة خاص الخ ما ذكره فى هذه البدلة وما بعدها من الكسوات والحلل تفصيله فى الغالب لم يوافق اجماله على مقتضى ما بيدى من النسخ ولا يخفى ما فى عباراته فى هذا المقام وأمثاله من القلق ومخالفة العربية اهـ مصححه

كم اول السلف ستة دنانير ومائة وستون قصبة منديل كم ثان السلف خمسة دنانير ومائة وستون قصبة
منديل كم ثالث السلف خمسة دنانير حجرة ثلاثة دنانير عرضى ديبقى ثلاثة دنانير جهة مكنون القاضى
بمثل ذلك على الشرح والعدّة جهة مرشد حلة مذهبة عدتها أربع عشرة قطعة السلف مائة وأحد وأربعون
دينارا ومن الذهب العراقى ألف وستمائة وتسع وثمانون قصبة جهة عنبر مثل ذلك السيدة جهة ظل مثل
ذلك جهة منجب مثل ذلك الامير ابو القاسم عبد الصمد بدلة مذهبة الامير داود مثله السيدة العمة حلة
مذهبة السيدة العابدة العمة مثل ذلك الموالى الجلساء من بنى الاعمام وهم ابو الميمون بن عبد المجيد
والامير ابو اليسر ابن الامير محسن والامير أبو على ابن الامير جعفر والامير حيدرة ابن الامير عبد المجيد والامير
موسى ابن الامير عبد الله والامير أبو عبد الله ابن الامير داود لكل منهم بدلة مذهبة البنون والبنات من بنى
الاعمام غير الجلساء لكل منهم بدلة حريرى ست سيدات لكل منهن حلة حريرى جهة المولى ابى الفضل
جعفر التى يقوم بخدمتها ريحان حلة مذهبة جهة المولى عبد الصمد حلة حريرى ما يختص بالدار الجيوشية
والمظفرية فعلى ما كان بأسمائهم المستخدمات لخزانة الكسوة الخاص زين الخزان المقدمة حلة مذهبة ست
خزان لكل منهن حلة حريرى عشر وقافات لكل منهن كذلك المعلمة مقدمة المائدة كذلك رايات مقدمة
خزانة الشراب كذلك المستخدمات من أرباب الصنائع من القصوريات وممن انضاف اليهن من الافضليات مائة
وسبعون حلة مذهبة وحريرى على التفصيل المتقدم المستخدمات عند الجهات العالية جهة جوهر
عشرون حلة مذهبة وحريرى وكذلك المستخدمات عند مكنون الامراء الاستاذون المحنكون الامير الثقة
زمام القصور بدلة مذهبة الامير نسيب الدولة مرشد متولى الدفتر كذلك الامير خاصة الدولة ريحان متولى
بيت المال كذلك الامير عظيم الدولة وسيفها حامل المظلة كذلك الامير صارم الدولة صاف متولى الستر كذلك
وفى الدولة اسعاف متولى المائدة مثله الامير افتخار الدولة جندب بدلة مذهبة نظير البدلة المختصة بالامير الثقة
ولكل من غير هؤلاء المذكورين حلة حريرى أربع قطع ولفافة فوطة مختار الدولة ظل بدلة حريرى ستة
استاذين فى خزانة الكسوة الخاص عند الامير افتخار الدولة جندب لكل منهم بدلة مذهبة جوهر زمام الدار
الجديدة بدلة حريرى تاج الملك امين بيت المال مثله مفلح برسم الخدمة فى المجلس مثله مكنون متولى خدمة
الجهة العالية مثله فنون متولى خدمة التربة مثله مرشد الخاصى مثله النوّاب عن الامير الثقة فى زمام
القصور وعدتهم أربعة لكل منهم بدلة حريرى خسروانى العظمى مقدم خزانة الشراب ورفيقه لكل منهما بدلة
كذلك الصقالبة أرباب المذاب وعدتهم أربعة لكل منهم بدلة حريرى وشقة وفوطة نائب الستر مثل ذلك
الاستاذون برسم خدمة المظلة وعدتهم خمسة لكل منهم منديل سوسى وشقة دمياطى وشقة اسكندرانى
وفوطة الاستاذون الشدادون برسم الدواب وعدتهم ستة كذلك ما حمل برسم السيد الاجل المأمون يعنى
الوزير بدلة خاصة مذهبة كبيرة موكبية عدتها احدى عشرة وما هو برسم جهاته وبرسم اولاده الاجل تاج
الرياسة وتاج الخلافة وسعد الملك محمود وشرف الخلافة جمال الملك موسى وهو صاحب التاريخ نظير ما كان باسم
اولاد الافضل بن امير الجيوش وهم حسن وحسين واحمد الاجل المؤتمن سلطان الملوك يعنى أخا الوزير عن
تقدمة العساكر وزم الازمّة وبرسم الجهة المختصة به وزكن الدولة عز الملوك ابو الفضل جعفر عن حمل
السيف الشريف خارجا عماله من حماية خزانة الكسوات وصناديق النفقات وما يحمل أيضا للخزائن المأمونية
مما ينفق منها على من يحسن فى الرأى من الحاشية المأمونية ثلاثون بدلة الشيخ الاجل ابو الحسن بن ابى اسامة
كاتب الدست الشريف بدلة مذهبة عدتها خمس قطع وكم وعرضى الامير فخر الخلافة حسام الملك متولى
حجبة الباب بدلة مذهبة كذلك القاضى ثقة الملك ابن النائب فى الحكم بدلة مذهبة عدتها أربع قطع وكم
وعرضى الشيخ الداعى ولى الدولة بن أبى الحقيق بدلة مذهبة الامير الشريف ابو على احمد بن عقيل نقيب
الاشراف بدلة حريرى ثلاث قطع وفوطة الشريف انس الدولة متولى ديوان الانشاء بدلة كذلك ديوان
المكاتبات الشيخ ابو الرضى ابن الشيخ الاجل أبى الحسن النائب عن والده فى الديوان المذكور بدلة مذهبة
عدتها ثلاث قطع وكم ابو المكارم هبة الله اخوه بدلة مذهبة ثلاث قطع وفوطة ابو محمد حسن أخوهما كذلك
أخوهم ابو الفتح بدلة حريرى قطعتان وفوطة الشيخ ابو الفضل يحيى بن سعيد الندمى منشئ ما يصدر عن

ديوان المكاتبات ومحرر ما يؤمر به من المهمات بدلة مذهبة عدتها ثلاث قطع وكم ومنزر ابو سعيد الكاتب بدلة حريرى ابو الفضل الكاتب كذلك الحاج موسى المعين فى الالصاق كذلك وأما الكتاب بديوان الانشاء فلم يتفق وجود الحساب الذى فيه اسماؤهم فيذكروا ومن القياس أن يكونوا قريبا من ذلك الشيخ ولى الدولة ابو البركات متولى ديوان المجلس والخاص بدلة مذهبة عدتها خمس قطع وكم وعرضى ولامرأته حلة مذهبة الشيخ ابو الفضائل هبة الله بن ابى الليث متولى الدفتر وما جمع اليه بدلة ابو المجد ولده بدلة حريرى عدى الملك ابو البركات متولى دار الضيافة بدلة مذهبة وبعده الضيوف الواردون الى الدولة جميعهم منهم من له بدلة مذهبة ومنهم من له بدلة حريرى وكذلك من يتفق حضوره من الرسل على هذا الحكم مقدمو الركاب عفيف الدولة مقبل بدلة مذهبة القائد موفق والقائد تميم مثل ذلك أربعة من المقدمين برسم الشكيمة لكل منهم بدلة حريرى الرواض عدتهم ثلاثة لكل منهم بدلة حريرى الخاص من الفراشين وهم اثنان وعشرون رجلا منهم أربعة يميزون لكل منهم بدلة مذهبة وبقيتهم لكل واحد بدلة حريرى الاطباء الشديد ابو الحسن على بن ابى الشديد بدلة حريرى ابو الفضل النسطورى بدلة حريرى وكذلك الفئة المستخدمون برسم الحمام وهم ثمانية مقدمهم بدلة مذهبة وبقيتهم لكل واحد بدلة حريرى والى القاهرة ووالى مصر لكل منهما بدلة مذهبة المستخدمون فى المواكب الامير كوكب الدولة حامل الرمح الشريف وراء الموكب والدرقة المعزية بدلة حريرى حاملا الرمحين المعزية أيضا أمام الموكب بغير درق لكل منهما منديل وشقة وفوطة وهؤلاء الثلاثة رماح ماهى عربية بل هى خشوت قدم بها المعز من المغرب حاملا لواء الحمد المختصان بالخليفة عن يمينه ويساره لكل منهما بدلة متولى بغل الموكب الذى يحمل عليه جميع العدة المغربية بدلة حريرى متولى حمل المظلة كذلك عشرة نفر من صبيان الخاص برسم حمل العشرة رماح العربية المغشاة بالديباج وراء الموكب لكل منهم منديل وشقة وفوطة حامل السبع وراء الموكب بدلة حريرى المقدمون من صبيان الخاص وهم عشرون لكل منهم بدلة عرفاء الفراشين الذين يحطون عن فراشى الخاص وفراشى المجلس وفراشى خزائن الكسوة الخاص لكل منهم بدلة حريرى الفراشون فى خزائن الكسوات المستخدمون بالايوان وهم الذين يشدون ألوية الحمد بين يدى الخليفة ليلة الموسم فانها لا تشد الا بين يديه ويبدأ هو باللف عليها بيده على سبيل البركة ويكمل المستخدمون بقية شدها وما سوى ذلك من القضب الفضة وألوية الوزارة وغيرها وعدتهم سبعة لكل منهم منديل سوسى وشقتان اسكندرانى المستخدمون برسم حمل القضب الفضة ولواءى الوزارة أربعة عشر كذلك مشارف خزانة الطيب وكانت من الخدم الجليلة وكان بها اعلام الجوهر التى يركب بها الخليفة فى الاعياد ويستدعى منها عند الحاجة ويعاد اليها عند الغنى عنها وكذلك السيف والثلاثة رماح المعزية مشارف خزائن السروج بدلة حريرى مشارف خزائن الفرش وكاتب بيت المال ومشارف خزائن الشراب ومشارف خزائن الكتب كل منهم بدلة حريرى بركات الادمى والمستخدمون بالدولة بالباب وسنان الدولة من الكركندى عن زم الرهجية والمبيت على ابواب القصور وكانت من الخدم الجليلة والصبيان الحجرية المشدون بلواء الموكب بعد المقربين وعدتهم عشرون لكل منهم الكسوة فى الشتاء والعيدين وغيرهما وعدة الذين يقبضون الكسوة فى العيدين من الفراشين اكثر من صبيان الركاب وذلك انهم يتولون الاسمطة ويقفون فى تقدمتها وينفرد عنهم المستخدمون فى الركاب بما لهم من المتحصل فى الخلافات فى العيدين وهو ما مبلغه ستة آلاف دينار ما لاحد معهم فيها نصيب وكان يكتب فى كل كسوة هى برسم وجوه الدولة رقعة من ديوان الانشاء فمما كتب به من انشاء ابن الصيرفى مقترنة بكسوة عيد الفطر من سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ولم يزل امير المؤمنين منعما بالرغائب موليا احسانه كل حاضر من اوليائه وغائب مجزلا حظهم من منائحه ومواهبه موصلا اليهم من الحباء ما يقصر شكرهم عن حقه وواجبه وانك أيها الامير لاولاهم من ذلك بجسيمه واحراهم باستنشاق نسيمه وأخلقهم بالجزء الاوفى منه عند فضه وتقسيمه اذ كنت فى سماء المسابقة بدرا وفى جرائد المناصحة صدرا وممن أخلص فى الطاعة سرا وجهرا وحظى فى خدمة أمير المؤمنين بما عطر له وصفا وسير له ذكرا ولما أقبل هذا العيد السعيد والعادة فيه أن يحسن الناس هيأتهم ويأخذوا عند كل مسجد زينتهم ومن وظائف كرم أمير المؤمنين تشريف اوليائه وخدمه فيه وفى المواسم التى تجاريه بكسوات على حسب منازلهم تجمع بين الشرف والجمال ولا يبقى بعدها مطمع للآمال وكنت من

اخص

أخص الامراء المقدمين قال ووصلت الكسوة المختصة بغرة شهر رمضان وجمعتيه برسم الخليفة للغرة بدلة كبيرة موكبية مكملة مذهبة وبرسم الجامع الازهر للجمعة الاولى من الشهر بدلة موكبية حريرى مكملة منديلها وطيلسانها بياض وبرسم الجامع الانور للجمعة الثانية بدلة منديلها وطيلسانها شعرى وماهو برسم أخى الخليفة للغرة خاصة بدلة مذهبة ويرسم له مع جهات الخليفة أربع حلل مذهبات وبرسم الوزير للغرة بدلة مذهبة مكملة موكبية وبرسم الجمعتين بدلتان حريرى ولم يكن لغير الخليفة وأخيه والوزير فى ذلك شئ فيذكر ووصلت الكسوة المختصة بفتح الخليج وهى برسم الخليفة تخنان ضمنهما بدلتان احداهما منديلها وطيلسانها طميم برسم المضى والاخرى جميعها حريرى برسم العود وكذلك مايختص باخوته وجهاته بدلتان مذهبتان وأربع حلل مذهبة وبرسم الوزير بدلة موكبية مذهبة فى تخت وبرسم اولاده الثلاثة ثلاث بدلات مذهبة وبرسم جهته حلة مذهبة فى تخت وبقية مايخص المستخدمين وابن أبى الرداد فى تخوت كل تخت عدة بدلات وحضر متولى الدفتر واستأذن على مايحمل برسم الخليفة ومايفرق ويفصل برسم الخلع ومايخرج من حاصل الخزائن عن الواصل وهو مايفصل برسم الخاص من الغلمان برسم سبعمائة قباء وخمسمائة وشقين سقلاطون دارى وبرسم رؤساء العشاريات من الشقق الدمياطى والمناديل السوسى والفوط الحرير الحمر وبرسم النواتية التى برسم الخاص من العشارية من الشقق الاسكندرانى والكلوتات وقد تقدم تفصيل الكسوات جميعها وعددها واسماء المستمرين لقبضها * وقال فى كتاب الذخائر وحدثنى من اثق به عن ابن عبد العزيز أنه قال قومنا ما اخرج من خزائن القصر يعنى فى سنى الشدة ايام المستنصر من سائر ألوان الخسروانى مايزيد على خمسين ألف قطعة اكثرها مذهب وسألت ابن عبد العزيز فقال أخرج من الخزائن مما حررت قيمته على يدى وبحضرتى اكثر من ألف قطعة وحدثنى ابو الفضل يحيى بن ابراهيم البغدادى أحد أصحاب الدواوين بالحضرة أن الذى تولى ابو سعيد النهاوندى المعروف بالمعتمد بيعه خاصة من مخرج القصر دون غيره من الامناء فى مدة يسيرة ثمانية عشر ألف قطعة من بلور ويحكم منها مايساوى الالف دينار الى عشرة دنانير ونيف وعشرون ألف قطعة خسروانى وحدثنى عميد الملك ابو الحسن على بن عبد الكريم فخر الوزراء بن عبد الحاكم أن ناصر الدولة ارسل يطالب المستنصر بما بقى لغلمانه فذكر أنه لم يبق عنده شئ الا ملابسه فأخرج ثمانمائة بدلة من ثيابه بجميع آلاتها كاملة فقومت وحملت اليه وقال ابن الطوير الخدمة فى خزائن الكسوات لها رتبة عظيمة فى المباشرات وهما خزانتان فالظاهرة يتولاها خاصة اكبر حواشى الخليفة اما استاذ أو غيره وفيها من الحواصل مايدل على اسباغ نعم الله تعالى على من يشاء من خلقه من الملابس الشروب والخاص الدبيقى الملونة رجالية ونسائية والديباج الملونة والسقلاطون واليها يحمل مايستعمل فى دار الطراز بتنيس ودمياط واسكندرية من خاص المستعمل وبها صاحب المقص وهو مقدم الخياطين ولاصحابه مكان لخياطتهم والتفصيل يعمل على مقدار الاوامر وماتدعو الحاجة اليه ثم ينقل الى خزانة الكسوة الباطنة ماهو خاص للباس الخليفة ويتولاها امرأة تنعت بزين الخزان ابدا وبين يديها ثلاثون جارية فلا يغير الخليفة ابدا ثيابه الا عندها ولباسه خافيا الثياب الدارية وسعة اكمامها سعة نصف اكمام الظاهر وليس فى جهة من جهاته ثياب اصلا ولا يلبس الا من هذه الخزانة وكان برسم هذه الخزانة بستان من أملاك الخليفة على شاطئ الخليج يعنى ابدا فيه النسرين والياسمين فيحمل فى كل يوم منه شئ فى الصيف والشتاء لا ينقطع البتة برسم الثياب والصناديق فاذا كان اوان التفرقة الصيفية او الشتوية شد لمن تقدم ذكره من اولاد الخليفة وجهاته وأقاربه وأرباب الرواتب والرسوم من كل صنف شدة على ترتيب المفروض من شقق الديباج الملون والسقلاطون الى السوسى والاسكندرانى على مقدار الفصول من الزمان مايقرب من مائتى شدة فالخواص فى العراضى الدبيقى ودونهم فى اوطية حرير ودونهم فى فوط اسكندرية ويدخل فى ذلك كتاب ديوانى الانشاء والمكاتبات دون غيرهم من الكتاب على مقدارهم وذلك يخرج من الجوارى فى الشهر المطلقات * وقال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة بعد وفاة العاضد وكشف حاصل الخزائن الخاصة بالقصر فقيل ان الموجود فيها مائة صندوق كسوة فاخرة من موشى ومرصع وعقود ثمينة وذخائر فخمة وجواهر نفيسة وغير ذلك من ذخائر عظيمة الخطر وكان الكاشف بهاء الدين قراقوش

قال ابن المأمون وكان بها الاعلام والجوهر التي يركب بها الخليفة في الاعياد ويستدعى منها عند الحاجة ويعاد اليها عند الغنى عنها وكذلك السيف الخاص والثلاثة رماح المعزية وقال في كتاب الذخائر والتحف وذكر بعض شيوخ دار الجوهر بمصر أنه استدعى يوما هو وغيره من الجوهريين من اهل الخبرة بقيمة الجوهر الى بعض خزائن القصر يعني في ايام الشدة زمن المستنصر فأخرج صندوق كيل منه سبعة أمداد زمرد قيمتها على الاقل ثلثمائة ألف دينار وكان هناك جالسا فخر العرب بن حمدان وابن سنان وابن أبي كدينة وبعض المخالفين فقال بعض من حضر من الوزراء المعطلين للجوهريين كم قيمة هذا الزمرد فقالوا انما نعرف قيمة الشئ اذا كان مثله موجودا ومثل هذا لا قيمة له ولا مثل فاغتاظ وقال ابن أبي كدينة لفخر العرب كثير المؤنة وعليه خرج فالتفت الى كاتب الجيش وبيت المال فقال يحسب عليه فيه خمسمائة دينار فكتب ذلك وقبضه وأخرج عقد جوهر قيمته على الاقل من ثمانين الف دينار فصاعدا فتحرّ بافيه فقال يكتب بألفي دينار وتشاغلوا بنظر ماسواه وانقطع سلكه فتناثر حبه فأخذ واحد منهم واحدة فجعلها في جيبه وأخذ ابن ابي كدينة اخرى وأخذ فخر العرب بعض الحب وباقي المخالفين التقطوا ما بقي منه وغاض كأن لم يكن وأخذ ما كان انفذه الصليحي من نفيس الدر الرفيع الرائع وكيله على ماذكر سبع ويبات وأخذوا ألفا ومائتي خاتم ذهبا وفضة فصوصها من سائر أنواع الجوهر المختلف الالوان والقيم والاثمان والانواع مما كان لاجداده وله وصار اليه من وجوه دولته منها ثلاثة خواتم ذهب مربعة عليها ثلاثة فصوص احدها زمرد والاثنان ياقوت سماقي ورماني بيعت باثني عشر ألف دينار بعد ذلك وأحضر خريطة فيها نحو ويبة جوهر وأحضر الخبراء من الجوهريين وتقدم اليهم بقيمتها فذكروا أن لا قيمة لها ولا يشترى مثلها الا الملوك فقومت بعشرين ألف دينار فدخل جوهر الكاتب المعروف بالمختار عز الملك الى المستنصر وأعلمه أن هذا الجوهر اشتراه جده بسبعمائة ألف دينار واسترخصه فتقدم بانفاقه في الاتراك فقبض كل واحد منهم جزأ بقيمة الوقت وفرق عليهم قال فأما ما أخذ مما في خزائن البلور والمحكم والمينا المجرى بالذهب والمجرود والبغدادى والخياز والمدهون والخليجي والعيني والدهبي والامدى وخزائن الفرش والبسط والستور والتعاليق فلا يحصى كثرة وحدثني من أثق به من المستخدمين في بيت المال انه أخرج يوما في جملة ما أخرج من خزائن القصر عدة صناديق وان واحدا منها فتح فوجد فيه على مثال كيزان الفقاع من صافي البلور المنقوش والمجرود شئ كثير وان جميعها مملوء من ذلك وغيره وحدثني من اثق به انه رأى قدح بلور بيع مجرودا بمائتين وعشرين دينارا ورأى خردادي بلور بيع بثلثمائة وستين دينارا وكوز بلور بيع بمائتين وعشرة دنانير ورأى صحون مينا كثيرة تباع من المائة دينار الى مادونها وحدثني من اثق بقوله انه رأى بطرابلس قطعتين من البلور الساذج الغاية في النقاء وحسن الصنعة احداهما خردادي والاخرى باطية مكتوب على جانب كل واحدة منهما اسم العزيز بالله تسع الباطية سبعة ارطال بالمصري ماء والخردادي تسعة وانه عرضهما على جلال الملك ابي الحسن علي بن عمار فدفع فيهما ثمانمائة دينار فامتنع من بيعهما وكان اشتراهما من مصر من جملة ما اخرج من الخزائن وان الذي تولى بيعه ابو سعيد النهاوندي من مخرج القصر دون غيره من الامناء في مدة يسيرة ثمانية عشر الف قطعة من بلور ومحكم منها ما يساوي الالف دينار الى عشرة دنانير واخرج من صواني الذهب المجراة بالمينا وغير المجراة المنقوشة بسائر أنواع النقوش المملوء جميعها من سائر أنواعه وألوانه وأجناسه شئ كثير جدا ووجد فيما وجد غلف خيازر مبطنة بالحرير محلاة بالذهب مختلفة الاشكال خالية مما فيها من الاواني عدتها سبعة عشر ألف غلاف كان في كل قطعة اما بلور مجرود او محكم او ما يشاكله ووجد اكثر من مائة كاس بادزهر ونصب وأشباههما على اكثرها اسم هارون الرشيد وغيره ووجد في خزائن القصر عدة صناديق كثيرة مملوءة سكاكين مذهبة ومفضضة بنصب مختلفة من سائر الجواهر وصناديق كثيرة مملوءة من انواع الدوى المربعة والمدورة والصغار والكبار المعمولة من الذهب والفضة والصندل والعود والابنوس الزنجي والعاج وسائر أنواع الخشب المحلاة بالجوهر والذهب والفضة وسائر الانواع الغريبة والصنعة المعجزة الدقيقة بجميع آلاتها فيها ما يساوي الالف دينار والاكثر والاقل سوى ما عليها من الجواهر وصناديق مملوءة مشارب ذهب وفضة مخرقة بالسواد صغار وكبار مصنوعة بأحسن

ما يكون

مايكون من الصنعة وعدة ازيار صيني كبار مختلفة الالوان مملوءة كافورا قيصوريا وعدة من جماجم العنبر الشحري ونوافج المسك التبتي وقواريره وشجر العود وقطعه ووجد للسيدة رشيدة ابنة المعز حين ماتت في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ماقيمته ألف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار من جملته ثلاثون ثوب خز مقطوع واثنا عشر ألفا من الثياب المصمت ألوانا ومائة قاطرميز مملوءة كافورا قيصوريا ومما وجد لها معممات بجواهرها من ايام المعز وبيت هرون الرشيد الخز الاسود الذي مات فيه بطوس وكان من ولي من الخلفاء ينتظرون وفاتها فلم يقض ذلك الا للمستنصر بالله فحازه في خزانته ووجد لعبدة بنت المعز أيضا وماتت في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة مالا يحصى حدثني بعض خزان القصر أن خزائن السيدة عبدة ومقاصيرها وصناديقها وما يجب أن يختم عليه ذهب من الشمع في خواتيمه على الصحة والمشاهدة اربعون رطلا بالمصري وان بطائق المتاع الموجود كتبت في ثلاثين رزمة ورق ومما وجدلها ايضا اربعمائة قطرة والف وثمانمائة قطعة مينا فضة مخرقة زنة كل مينا عشرة آلاف درهم وأربعمائة سيف محلي بالذهب وثلاثون الف شقة صقلية ومن الجوهر مالا يحد كثرة وزمرذ كيله اردب واحد وأن سيد الوزراء أبا محمد البازوري وجد في موجودانها طستا وابريقا فلفرط استحسانه لهما سأل المستنصر فيهما فوهبهما له ووجد مدهن ياقوت احمر وزنه سبعة وعشرون مثقالا واخرج أيضا تسعون طستا وتسعون ابريقا من صافي البلور ووجد في القصر خزائن مملوءة من سائر أنواع الصيني منها اجاجين صيني كبار محلاة كل اجانة منها على ثلاثة ارجل على صورة الوحوش والسباع قيمة كل قطعة منها ألف دينار معمولة لغسل الثياب ووجد عدة اقفاص مملوءة بيض صيني معمول على هيئة البيض في خلقته وبياضه يجعل فيها ماء البيض النيمبرشت يوم الفصاد ووجد حصير ذهب وزنها ثمانية عشر رطلا ذكر أنها الحصير التي جليت عليها بوران بنت الحسن بن سهل على المأمون وأخرج ثمان وعشرون صينية مينا مجرا بالذهب بكعوب كان أرسلها ملك الروم الى العزيز بالله قومت كل صينية منها ثلاثة آلاف دينارا نفذ جميعها الى ناصر الدولة ووجد عدة صناديق مملوءة مراءى حديد من صيني ومن زجاج المينا لا يحصى ما فيها كثرة جميعها محلي بالذهب المشبك والفضة ومنها المكلل بالجوهر في غلف الكيمخت وسائر أنواع الحرير والخيزران وغيره مضبب بالذهب والفضة ولها المقابض من العقيق وغيره وأخرج من المظال وقضبها الفضة والذهب شئ كثير وأخرج من خزائن الفضة ما يقارب الالف درهم من الآلات المصنوعة من الفضة المجراة بالذهب فيها مازنة القطعة الواحدة منه خمسة آلاف درهم الغريبة النقش والصنعة التي تساوي خمسة دراهم بدينار وان جميعه بيع كل عشرين درهما بدينار سوى ما أخذ من العشاريات الموكبية وأعمدة الخيام وقضب المظال والمخروقات والاعلام والقناديل والصناديق والتوقات والموازين والسروج واللجم والمناطق التي للعماريات والقباب وغيرها مثل ذلك وأضعافه واخرج من الشطرنج والنرد المعمولة من سائر أنواع الجوهر والذهب والفضة والعاج والابنوس برقاع الحرير والمذهب مالا يحد كثرة ونفاسة وأخرج آلات فضة وزنها ثلثمائة ألف ونيف وأربعون ألف درهم تساوي ستة دراهم بدينار وأخرج اقفاص مملوءة من سائر آلات مصوغة مجراة بالذهب عدتها أربعمائة قفص كبار سبكت جميعها وفرقت على المخالفين وأخرجت أربعة آلاف نرجسية مجوفة بالذهب يعمل فيها النرجس وألفا بنفسجية كذلك وأخرج من خزانة الطرائف ستة وثلاثون ألف قطعة من محكم وبلور وقوم السكاكين بأقل القيم فجاءت قيمتها على ذلك ستة وثلاثين ألف دينار واخرج من تماثيل العنبر اثنان وعشرون ألف قطعة اقل تمثال منها وزنه اثنا عشر منا واكبره يجاوز ذلك ومن تماثيل الخليفة مالا يحد من جملتها ثمانمائة بطيخة كافور وأخرجت الكلوتة المرصعة بالجوهر وكانت من غريب ما في القصر ونفيسه ذكر أن قيمتها ثلاثون ألف دينار ومائة ألف دينار قومت بثمانين ألف دينار وكان وزن ما فيها من الجوهر سبعة عشر رطلا اقتسمها فخر العرب وتاج الملوك فصار الى فخر العرب منها قطعة بلخش وزنها ثلاثة وعشرون مثقالا وصار الى تاج الدين مما وقع اليه حبات در كل حبة ثلاثة مثاقيل عدتها مائة حبة فلما كانت هزيمتهم من مصر نهبت وأخرج من خزائن الطيب خمسة صواري عود هندي كل واحد من تسعة أذرع الى عشرة أذرع وكافور قيصوري زنة كل حبة من خمسة مثاقيل الى ما دونها وقطع عنبر وزن القطعة ثلاثة آلاف مثقال واخرج متارد صيني محمولة على ثلاثة ارجل ملء كل وعاء منها مائتا رطل من الطعام وعدة قطع شب

وبادزهر ومنها اجام سعته ثلاثة اشبار ونصف وعمقه شبر مليح الصنعة وقاطرميز بلور فيه صور ثابتة تسع سبعة عشر رطلا وبلوجة بلور مجرود تسع عشرين رطلا وقصرية نصب كبيرة جدا وطابع ند فيه ألف مثقال كان لفخر الدولة ابو الحسن على بن ركن الدولة بن بويه الديلمى عمله مكتوب فى وسطه فخر الدولة شمس الملة وأبيات منها

ومن يكن شمس اهل الارض قاطبة * فنده طابع من الف مثقال

وطاوس ذهب مرصع بنفيس الجوهر عيناه من ياقوت احمر وريشه من الزجاج المينا المجرى بالذهب على ألوان ريش الطاوس وديك من الذهب له عرف مفروق كأكبر ما يكون من اعراف الديوك من الياقوت الاحمر مرصع بسائر الدر والجوهر وعيناه ياقوت وغزال مرصع بنفيس الدر والجوهر وبطنه أبيض قد نظم من در رائع ومجمع سكارج من بلور تخرج منه وتعود فيه قحته أربعة اشبار مليح الصنعة فى غلاف خيزران وبطيخة من الكافور فى شبالة ذهب مرصعة وزنها خالصة سبعون مثقالا من كافور وقطعة عنبر تسمى الخروف وزنها سوى ما يمسكها من الذهب ثمانون منا وبطيخة كافور أيضا وجد ما عليها من الذهب ثلاثة آلاف مثقال ومائدة نصب كبيرة واسعة قوائمها منها وبيضة بلخش وزنها سبعة وعشرون مثقالا اشد صفاء من الياقوت الاحمر وقاطرميز بلور مليح التقدير يسع مروقتين قوم فى المخرج بثمانمائة دينار دفع الى تاج الملوك فيه بعد ذلك ألف دينار فامتنع من بيعه ومائدة جزع يقعد عليها جماعة قوائمها مخروطة منها ونخلة ذهب مكللة بالجوهر وبديع الدر فى اجانة ذهب تجمع الطلع والبلح والرطب بشكله ولونه وعلى صفته وهيأته من الجواهر لا قيمة لها وكوز زير بلور يحمل عشرة ارطال ماء ودارج مرصع بنفيس الجوهر لا قيمة له ومزية مكللة بحب لؤلؤ نفيس وقبة العشارى وكارته وكسوة رحله الذى استعمله على بن احمد الجرجراى وفيه مائة ألف وسبعة وستون ألفا وسبعمائة درهم نقرة واطلق للصناع عن اجرة صياغته وثمن ذهب للطلاء ألفان وتسعمائة دينار وكان سعر الفضة حينئذ كل مائة درهم بستة دنانير وربع سعر ستة عشر درهما بدينار واخرج العشارى الفضى الذى استعمله على بن احمد لأم المستنصر وكان فيه مائة الف وعشرون الف درهم نقرة وصرف أجرة صياغة وطلاء ألفان وأربعمائة دينار وكسوة بمال جليل واخرج جميع كسا العشاريات التى برسم البرية والبحرية وعدتها ومناطقها ورؤس منجرفات وأهلة وصفريات وكانت اربعمائة ألف دينار ستة وثلاثين عشاريا وعدة ميا كيم فضة فيها ما وزنه مائة وتسعة ارطال فضة وأخرج بستان ارضه فضة مخرقة مذهبة وطينه ند وأشجاره فضة مذهبة مصوغة وأثماره عنبر وغيره وزنه ثلثمائة وستة ارطال وبطيخة كافور وزنها ستة عشر ألف مثقال وقطع ياقوت أزرق زنة كل قطعة سبعون درهما وقطع زمرذ زنة كل قطعة ثمانون درهما ونصاب مرآة من زمرذ له طول وثخن كل ذلك أخذه المخالفون

* (خزائن الفرش والامتعة) *

قال فى كتاب الذخائر وحدثنى من اثق به عن ابن عبد العزيز الانماطى قال قومنا ما اخرج من خزائن القصر من سائر الخسروانى ما يزيد على خمسين ألف قطعة اكثرها مذهب وسألت ابن عبد العزيز فقال أخرج من الخزائن ما حزرت قيمته على يدى وبحضرتى اكثر من مائة الف قطعة وأخرج مرتبة خسروانى حمراء بيعت بثلاثة الاف وخمسمائة دينار ومرتبة قلمونى بيعت بألفين وأربعمائة دينار وثلاثون سندسية بيعت كل واحدة منها بثلاثين دينارا ونيف وعشرون الف قطعة خسروانى فى هدبه لم يقطع منها شئ وكانت قيمة العرض المبيع بأقل القيم وابرز الاثمان فى مدة خمسة عشر يوما من صفر سنة ستين وأربعمائة سوى ما نهب وسرق ثلاثون الف الف دينار قبض جميعها الجند والاتراك ليس لاحد منهم درهم واحد قبضه عن استحقاق وحدثنى الامير ابو الحسن على بن الحسن احد مقدمى الخميين بالقصر أن الفراشين دخلوا الى بعض خزائن الفرش لما اشتدت مطالبة المارقى للمستنصر بالمال الى الخزانة المعروفة بخزانة الرفوف وسميت بذلك لكثرة رفوفها ولكل رف منها سلم مفرد فأنزلوا منها ألفى عدل شقق طميم بهدبها من سائر أنواع الخسروانى وغيره لم تستعمل بعد وجميع ما فيها مذهب معمول بسائر الاشكال والصور وأنهم فتحوا عدلا منها فوجدوا ما فيه اجلة معمولة للفيلة من

خسروانى احمر مذهب كاحسن ما يكون من العمل وموضع نزول انخاذ الفيل ورجليه ساذجة بغير ذهب واخرج من بعض الخزائن ثلاثة آلاف قطعة خسروانى احمر مطرز بأبيض فى هدبها لم يفصل من كسا بيوت كاملة بجميع آلاتها ومقاطعها وكل بيت يشتمل على مسانده ومخاده ومساوره ومراتبه وبسطه وعتبه ومقاطعه وستوره وكل ما يحتاج اليه فيه قال وأخرج من خزائن الفرش من البيوت الكاملة الفرش من القلمونى والديبقى من سائر ألوانه وأنواعه المخمل والخسروانى والديباج الملكى والخز وسائر الحرير من جميع ألوانه وأنواعه ما لا يحصى كثرة ولا يعرف قدره نفاسة واخرج من الحصر والانخاخ السامان المطرزة بالذهب والفضة وغير المطرزة من المخرمة والطيور والفيلة المصورة بسائر أنواع الصور شئ كثير والتمس بعض الاتراك من المستنصر مقرمة يعنى ستارة سندس اخضر مذهبة فأخرج عدل منها مكتوب عليه مائة وثمانية وثمانون من جملة اعداد اعدال فيها من المتاع ووجد من الستور الحرير المنسوجة بالذهب على اختلاف ألوانها وأطوالها عدة مئين تقارب الالاف فيها صور الدول وملوكها والمشاهير فيها مكتوب على صورة كل واحد اسمه ومدة ايامه وشرح حاله واخرج من خزائن الفرش أربعة آلاف رزمة خسروانى مذهب فى كل رزمة فرش مجلس ببسطه وتعاليقه وسائر آلاته منسوجة فى خيط واحد باقية على حالها لم تمس وصار الى نخر العرب مقطع من الحرير الازرق التسترى القرقوبى غريب الصنعة منسوج بالذهب وسائر ألوان الحرير كان المعز لدين الله امر بعمله فى سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة فيه صورة أقاليم الارض وجبالها وبحارها ومدنها وأنهارها ومسالكها شبه جغرافيا وفيه صورة مكة والمدينة مبينة للناظر مكتوب على كل مدينة وجبل وبلد ونهر وبحر وطريق اسمه بالذهب او الفضة او الحرير وفى آخره مما امر بعمله المعز لدين الله شوقا الى حرم الله واشهارا لمعالم رسول الله فى سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة والنفقة عليه اثنان وعشرون ألف دينار وصار الى تاج الملوك بيت أرمنى احمر منسوج بالذهب عمل للمتوكل على الله لا مثل له ولا قيمة وبساط خسروانى دفع اليه فيه ألف دينار فامتنع من بيعه وقال ابن الطوير خزانة الفرش وهى قريبة من باب الملك يحضر اليها الخليفة من غير جلوس ويطوف فيها ويستخبر عن احوالها ويأمر بادامة الاستعمال وكان من حقوقها استعمال السامان فى اماكن خارجها بالقاهرة ومصر ويعطى مستخدمها خمسة عشر دينارا يعنى يوم يطوف بها الخليفة

(خزائن السلاح)

قال فى كتاب الذخائر فأما خزائن السيوف والآلات والسلاح فان بعضها اخذ وقسم بين العشرة الثائرين على المستنصر وهم ناصر الدولة بن حمدان وأخواه وبلدكوس وابن سبكتكين وسلام عليك وشاور بن حسين حتى صار ذو الفقار الى تاج الملوك وصمصامة عمرو بن معدى كرب وسيف عبد الله بن وهب الراسى وسيف كافور وسيف المعز وسيف ابى المعز الى الاعز بن سنان ودرع المعز لدين الله وكانت تساوى ألف دينار وسيف الحسين بن على بن ابى طالب عليهما السلام ودرقة حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وسيف جعفر الصادق رضى الله عنه ومن الخود والدروع والتخافيف والسيوف المحلاة بالذهب والفضة والسيوف الحديدية وصناديق النصول وجعاب السهام الخلنج وصناديق القسى ورزم الرماح الزان الخطية وشدات القسا الطوال والزرد والبيض مئين ألوف وكان كل صنف منها مفردا عشرات ألوف * وقال ابن الطوير خزانة السلاح يدخل اليها الخليفة ويطوفها قبل جلوسه على السرير هناك ويتأمل حواصلها من الكزاغندات المدفونة بالزرد المغشاة بالديباج المحكمة الصناعة والجواشن المبطنة المذهبة والزرديات السابلة برؤسها والخود المحلاة بالفضة وكذلك اكثر الزرديات والسيوف على اختلافها من العربيات والقلجوريات والرماح القنا والقنطاريات المدهونة والمذهبة والاسنة البرصانية والقسى لرماية اليد المنسوبة الى صناعها مثل الخطوط المنسوبة الى اربابها فيحضر اليه منها ما يجربه ويتأمل النشاب وكانت نصوله مثلثة الاركان على اختلافها ثم قسى الرجل والركاب وقسى اللولب الذى زنة نصله خمسة ارطال ويرمى من كل سهم بين يديه فينظر كيف مجراه والنشاب الذى يقال له الجراد وطوله شبر يرمى به عن قسى فى مجار معمولة برسمه فلا يدرى به الفارس او الراجل الا وقد نفذ فاذا فرغ من نظر ذلك كله خرج من خزانة الدرق وكانت فى المكان الذى هو خان مسرور وهى برسم الاستعمالات

قوله وهم الخ هكذا فى النسخ ولم يستوف العشرة فليحرر اه مصححه

للاساطيل من الكبورة الخرجية والخود الجلودية الى غير ذلك فيعطى مستخدمها خمسة وعشرون دينارا ويخلع على متقدم الاستعمالات جوكانية مزيدة حريرا وعمامة لطيفة

* (خزائن السروج) *

قال فى كتاب الذخائر اخرج فيما اخرج صناديق سروج محلاة بفضة مجراة بسواد ممسوحة وجد على صندوق منها الثامن والتسعون والثلثمائة وعدة ما فيها زيادة على اربعة آلاف سرج واخرج المستنصر من خزائن السروج خمسة آلاف سرج كان ابو سعد ابراهيم بن سهل التسترى ذخرها له فيها وتقدم بحفظها كل سرج منها يساوى من سبعة آلاف دينار الى ألف واكثرها عال سبك جميعها وفرق فى الاتراك كان برسم ركابه منها اربعة آلاف سرج وأخذ من خزائن السيدة والدته أربعة آلاف سرج مثلها ودونها اصنع بها مثل ذلك * وقال ابن الطوير خزانة السروج تحتوى على ما لا يحتوى عليه مملكة من الممالك وهى قاعة كبيرة بدورها مصطبة علوها ذراعان ومجالسها كذلك وعلى تلك المصطبة متكآت مخلصة الجانبين على كل متكا ثلاثة سروج متطابقة وفوقه فى الحائط وتد مدهون مضروب فى الحائط قبل تبييضه وهو بارز بروزا متكئا عليه المركبات الحلى على لجم تلك السروج الثلاثة من الذهب خاصة او الفضة خاصة او الذهب والفضة وقلائدها وأطواقها الاعناق الخيل وهى لخاص الخليفة وأرباب الرتب ما يزيد على ألف سرج ومنها لجام هو الخاص ومنها الوسط ومنها الدون وهى خيار غيرها برسم العوارى لارباب الرتب والخدم ومنها ما هو قريب من الخاص فيكون عند المستخدم بشداده الدائم وجاريه على الخليفة مادام مستخدما والعلف مطلق من الاهراء وأما الصاغة فان فيها منهم ومن المركبين والخرازين عددا جيادا ثمين لا يفترون عن العمل وكل مجلس مضبوط بعدد متكآته وما عليها من السروج والاوتاد واللجم وكل مجلس لذلك عند مستخدميه فى العرض فلا يختل عليهم منها شئ وكذلك وسط قاعتها بعدة متوالية أيضا والشداد دون مطلوبون بالنقائص منها ايام المواسم وهم يحضرونها اوقيتها فيعرض ويركب ويحضر اليها الخليفة ويطوفها من غير جلوس ويعطى حاميها للتفرقة فى المستخدمين عشرين دينارا ويقال ان الحافظ لدين الله عرضت له فيها حاجة فجاء اليها مع الحامى فوجد الشاهد غير حاضر وختمه عليها فرجع الى مكانه وقال لا يفك ختم العدل الا هو ونحن نعود فى وقت حضوره انتهى وكان الخليفة الآمر بأحكام الله تحدثه نفسه بالسفر الى المشرق والغارة على بغداد فأعد لذلك سروجا مجوفة القرابيص وبطنها بصفائح من قصدير ليجعل فيها الماء وجعل لها فافية صفارة فاذا دعت الحاجة الى الماء شرب منه الفارس وكان كل سرج منها يسع سبعة ارطال ماء وعمل عدة مخال للخيل من ديباج وقال فى ذلك

دع اللوم عنى لست منى بموثق * فلا بد لى من صدمة المتحقق
وأسقى جيادى من فرات ودجلة * وأجمع شمل الدين بعد التفرق

وأول من ركب المتصرفين فى دولته من خيوله بالمراكب الذهب فى المواسم العزيز بالله نزار بن المعز

* (خزائن الخيم) *

قال فى كتاب الذخائر وأخبرنى سماه الرؤساء ابو الحسن على بن احمد بن مدبر وزير ناصر الدولة قال اخرج فيما اخرج من خزائن القصر عدة لم تحص من أعدال الخيم والمضارب والفازات والمسطحات والجركاوات والحصون والقصور والشراعات والمشارع والفساطيط المعمولة من الديبقى والمخمل والخسروانى والديباج الملكى والارمنى والبهنساوى والكردوانى والجيد من الحلبى وما اشبه ذلك من سائر ألوانه وأنواعه ومن السندس والطميم أيضا منها الفيل والمسبع والخيل والطواويس والطير وغير ذلك من سائر الوحوش والطير والآدميين من سائر الاشكال والصور البديعة الرائعة ومنها الساذج والمنقوش فى ظاهره بغرائب النقوش بجميع آلاتها من الاعمدة الملبسة انابيب الفضة والتاب المذهبة وغير المذهبة من سائر أنواعها وألوانها والصفريات الفضة على أقدارها والحبال الملبسة القطن والحرير والاوتاد وسائر ما يحتاج اليه من جميع آلاتها وعدتها المبطن جميعها بالديبقى الطميم المذهب والخسروانى المذهب وثياب الحرير الصينى والتسترى والمضبب

والرجيح

والرجيح والشرفى والشعرى والديباج والمريش وسائر أنواع الحرير من سائر الالوان وأنواعها كبارا وصغارا
منها ما يحمل خرقه وأوتاده وعمده وسائر عدته على عشرين بعيرا ودون ذلك وفوقه فالمسطح بيت مربع له اربع
حيطان وسقف بستة اعمدة منها عمودان للحائط الواحد المرفوع للدخول والخروج والخيمة ظهرها حائط مربع
وسقيفتها الى الباب حائط مربع وأركانها شوارك من الجانبين على قدر القائم وفيها اربعة اعمدة اثنان فى الباب
واثنان فى وسطها وكلما زادت زاد عمدها وسقفها اولها حدان مشرو كان من الجانبين والشراع حائط فى الظهر
مسقف على الرأس بعمودين من أى موضع دارت الشمس حول الى ناحية الشمس والمشرعة فيه مثل المظلة على
عمود واحد تام وشراع سابل خلفها من اى موضع دارت الشمس ادير والقبة على حالها * وحدثنى ابو الحسن
على بن الحسن الخيمى قال اخرجنا فى جملة ما اخرج من خزائن القصر أيام المارقين حين اشتدت المطالبة على
السلطان فسطاطا كبيرا اكبر ما يكون يسمى المدورة الكبيرة يقوم على فرد عمود طوله خمسة وستون ذراعا
بالكبير ودائر فلكته عشرون ذراعا وقطرها ستة اذرع وثلثا ذراع ودائره خمسمائة ذراع وعدة قطع خرقه اربع
وستون قطعة كل قطعة منها تحزم فى عدل واحد يجمع بعضه الى بعض بعرى وشراريب حتى ينصب يحمل
خرقه وحباله وعدته على مائة جمل وفى صفريته المعمولة من الفضة ثلاثة قناطير مصرية يحملها من داخلها
قضبان حديد من سائر نواحيها تمتلئ ماء من راوية جمل قد صور فى رفرفه كل صورة حيوان فى الارض وكل
عقد مليح وشكل ظريف وفيه باذهنج طوله ثلاثون ذراعا فى اعلاه كان ابو محمد الحسن بن عبد الرحمن البازورى
أمر بعمله ايام وزارته فعمله الصناع وعدتهم مائة وخمسون صانعا فى مدة تسع سنين واشتملت النفقة عليه
على ثلاثين ألف دينار وكان عمله على مثال القاتول الذى كان العزيز بالله امر بعمله ايام خلافته الا أن هذا
أعلى عمودا منه وأوسع وأعظم وأحسن وكان الخليفة انفذ الى متملك الروم فى طلب عمودين للفسطاط طول
كل واحد منهما سبعون ذراعا بعد أن غرم عليهما ألف دينار أحدهما فى هذا الفسطاط بعد أن قطع منه
خمسة اذرع والآخر حمله ناصر الدولة بن حمدان حين خرج على الخليفة المستنصر بالله الى الاسكندرية وما ادرى
ما فعل به قال وأقنا مدة طويلة فى تفصيل بعضه من بعض وتقطيعه خرقا وشققا وقومت على المذكورين بأقل
القيم وتفرق فى الآفاق وقال لى أيضا أخرجنا مسطحا قلمونيا مخملا موجها من جانبيه عمل بتنيس للعزيز بالله يسمى
دار البطيخ وسطه بكنيس على ستة اعمدة اربعة منها فى اركان الكنيس وفى اربعة الاركان أربع قباب ومن القبة
الى القبة رواق دائر عليه والقباب دونه وفى كل قبة أربعة أعمدة طول كل عمود من أعمدة الكنيس ثمانية
عشر ذراعا وكذلك طول قائم القباب وفعلنا به مثل ما فعلنا فى الاول وقال لى أخرجنا مسطحا عمل للظاهر
لاعزاز دين الله بتنيس ذهب فى ذهب طهيم قائم على عمود له ست صفارى بلور وستة أعمدة فضة انفق عليه
أربعة عشر ألف دينار ومسطحا ديقيا كبيرا مذهبا بدائر كردوانى منقوش وأخرجنا قصورا تحيط بالخيام
بشرفات من المخمل والقلمونى والديبقى والديباج الخسروانى والحرير من سائر أنواعه وألوانه المذهبة
المنقوشة بحياضها ودككها ومصاطبها وقدورها وزجاجها وسائر عددها وأخرجنا من الخيام الكردوانى
شيأ كثيرا وأخرجنا خيمة كبيرة مدورة كردوانى مليحة النقش والصنعة عدتها قطع كثيرة طول عمودها
خمسة وثلاثون ذراعا فعلنا بجميعها مثل ما فعلنا بالاول وأخرج فى جملتها الفسطاط الكبير المعروف بالمدورة
الكبيرة المتولى عمله بحلب ابو الحسن على بن احمد المعروف بابن الايسر فى سنى نيف وأربعين وأربعمائة
المنفق على خرقه ونقشه وعمله وعدته ثلاثون ألف دينار الذى عموده أطول ما يكون من صوارى درامين الروم
البنادقة أربعون ذراعا ودائر فلكة عموده أربعة وعشرون شبرا ويحمل على سبعين جملا ووزن صفريته الفضة
قنطاران سوى أنابيب عمده ويتولى اتقان عمده ونصبه مائتا رجل من فراش ودعين وهو شبيه بالقاتول
العزيزى وسمى بالقاتول لانه ما نصب قط الا وقتل رجلا أو رجلين ممن يتولى اتقانه من فراش وغيره قال
ووجد فى خزائن مملوءة من سائر أنواع الصوانى المدهونة ببغداد المذهبة التى حشيت كل واحدة منها بما دونها
فى السعة الى ما سعته دون الدرهم ومن سائر أنواع الاطباق الخلع الرازى فى هذه السعة وفوق ذلك ودونه قد
حشيت بطونها بما دونها فى السعة الى ما سعته دون الدينار ومن الموائد القوائمية الصغار والكبار ألوف ومن
موائد الكرم وما اشبهها شئ كثير ومن الجفان الحور الواسعة التى قد عملت مقابضها من الفضة وحليت بأنواع

الحلى التى لا يقدر الجمل القوى على حمل جفنتين منها لعظمها تساوى الواحدة منها مائة دينار وفوقها ودونها شئ كثير ووجد من الدكك والمحاريب والاسرّة العود والصندل و العاج والابنوس والبقم شئ كثير مليح الصنعة * وقال ابن ميسر وعمل الافضل بن امير الجيوش خيمة سماها خيمة الفرح اشتملت على ألف ألف واربعمائة ألف ذراع وقائمها ارتفاعه خمسون ذراعا بذراع العمل صرف عليها عشرة آلاف دينار ومدحها جماعة من الشعراء

(خزانة الشراب)

قال ابن المأمون ولم يكن فى الايوان فيما تقدم شراب حلو بل انها قررت لاستقبال النظر المأمونى واطلق لها من السكر مائة وخمسة عشر قنطارا وبرسم الورد المربى خمسة عشر قنطارا وأما ما يستعمل بالكافورى من الحلو الفانيذ والحامض فالمبلغ فى ذلك على ما حصره شاهده فى السنة ستة الاف وخمسمائة دينار وما يحمل للكافورى أيضا برسم كرك الماورد ما يستدعيه متولى الشراب * وقال ابن الطوير خزانة الشراب وهى أحد مجالسه أيضا يعنى القاعة التى هى الآن المارستان العتيق فاذا جلس الخليفة على السرير عرض عليه ما فيها حاميها وهو من كبار الاستاذين وشاهدها فيحضر اليه فراشوها بين يدى مستخدميها من عيون الاصناف العالية من المعاجين العجيبة فى الصينى والطيافير الخلنج فيذوق ذلك شاهدها بحضرته ويستخبر عن احوالها بحضور أطباء الخاص وفيها من الآلات والازيار الصينى والبرابى عدة عظيمة للورد والبنفسج والمرسين وأصناف الادوية من الراوند الصينى وما يجرى مجراه مما لا يقدر احد على مثله الا هنالك وما يدخل فى الادوية من آلات العطر الى ذلك ويسأل عن الدرياق الفاروق ويأمرهم بتحصيل اصنافه ليستدرك عمله قبل انقطاع الحاصل منه ويؤكد فى ذلك تأكيدا عظيما ويستأذن على ما يطلق منها برقاع اطباء الخاص للجهات وحواشى القصر فيأذن فى ذلك ويعطى الحامى للتفرقة فى الجماعة ثلاثين دينارا

(خزانة التوابل)

وقال ابن المأمون فأما التوابل العالى منها والدون فانها جملة كثيرة ولم يقع لى شاهد بها بل انى اجتمعت بأحد من كان مستخدما فى حزانة التوابل فذكر أنها تشتمل على خمسين ألف دينار فى السنة وذلك خارج عما يحمل من البقولات وهى باب مفرد مع المستخدم فى الكافورى والذى استقر اطلاقه على حكم الاستمرار من الجرايات المختصة بالقصور والرواتب المستجدّة والمطلق من الطيب ويذكر الطراز وما يبتاع من الثغور ويستعمل بها وغير ذلك فأولها جراية القصور وما يطلق لها من بيت المال ادرارا لاستقبال النظر المأمونى ستة آلاف وثلثمائة وثلاثة وأربعون دينارا تفصيله منديل الكم الخاص الآمرى فى الشهر ثلاثة آلاف دينار عن مائة دينار كل يوم اربع جمع الحمام فى كل جمعة مائة دينار أربعمائة دينار وبرسم الاخوة والاخوات والسيدة الملكة والسيدات والامير أبى على واخوته والموالى والمستخدمات ومن استجدّ من الافضليات ألفان وتسعمائة وثلاثة وأربعون دينارا ولم يكن للقصور فى الايام الافضلية من الطيب راتب فيذكر بل كان اذا وصلت الهدية والجاوى من البلاد اليمنية تحمل برمّتها الى الايوان فينقل منها بعد ذلك للافضل والطيب المطلق للخليفة من جملتها فانفسخ هذا الحكم وصار المرتب من الطيب مياومة ومشاهرة على ما يأتى ذكره ما هو برسم الخاص الشريف فى كل شهر ند مثلث ثلاثون مثقالا عود صينى مائة وخمسة دراهم كافور قديم خمسة عشر درهما عنبر خام عشرة مثاقيل زعفران عشرون درهما ماء ورد ثلاثون رطلا برسم بخور المجلس الشريف فى كل شهر فى ايام السلام ند مثلث عشرة مثاقيل عود صينى عشرون درهما كافور قديم ثمانية دراهم زعفران شعر عشرة دراهم ماهو برسم بخور الحمام فى كل ليلة جمعة عن أربع جمع فى الشهر ند مثلث أربعة مثاقيل عود صينى عشرة مثاقيل ماهو برسم السيدات والجهات والاخوة فى كل شهر ند مثلث خمسة وثلاثون مثقالا عود صينى مائة وعشرون درهما زعفران شعر خمسون درهما عنبر خام عشرون مثقالا كافور قديم عشرون درهما مسك خمسة عشر مثقالا ماء ورد أربعون رطلا ماهو برسم المائدة الشريفة ما تستلمه المعلمة مسك خمسة عشر مثقالا ماء ورد خمسة عشر رطلا ماهو برسم خزانة الشراب الخاص مسك ثلاثة مثاقيل ند

مثلث سبعة مثاقيل عود صيني خمسة وثلاثون درهما ماء ورد عشرون رطلا ماهو برسم بخور المواكب السنة وهي الجمعتان الكائنتان في شهر رمضان برسم الجامعين بالقاهرة يعني الجامع الازهر والجامع الحاكمي والعيدان وعيد الغدير وأول السنة بالجوامع والمصلى ند خاص جملة كثيرة لم تتحقق فتذكر ولم يكن للغرتين غرة السنة وغرة شهر رمضان وفتح الخليج بخور فيذكر وعدة المبخرين في المواكب ستة ثلاثة عن اليمين وثلاثة عن الشمال وكل منهم مشدود الوسط وفي كمه فحم برسم تعجيل المدخنة والمداخن فضة وحامل الدرج الفضة الذي فيه البخور أحد مقدمي بيت المال وهو فيما بين المبخرين طول الطريق ويضع بيده البخور في المدخنة واذا مات أحد هؤلاء المبخرين لايخدم عوضا عنه الامن يتبرع بمدخنة فضة لان لهم رسوما كثيرة في المواسم مع قربهم في المواكب من الخليفة ومن الوقت الذي يتبرع فيه بالمدخنة يرجع في حاصل بيت المال واذا توفي حاملها لاترجع لورثته وعدة مايبخر في الجوامع والمصلى غير هؤلاء في مداخن كبار في صواني فضة ثلاث صوان في المحراب احداهن وعن يمين المنبر وشماله اثنتان وفي الموضع الذي يجلس فيه الخليفة الى أن تقام الصلاة صينية رابعة وأما البخور المطلق برسم المأمون فهو في كل شهر ند مثلث خمسة عشر مثقالا عود صيني ستون درهما عنبر خام ستة مثاقيل كافور ثمانية دراهم زعفران شعر عشرة دراهم ماء ورد خمسة عشر رطلا ومنها مقرر الجامع وماقرر من خزانة التفرقة في كل يوم اثناعشر مجمعا كل بيت عياره رطل واحد ولكل مجمع ثلاثة ارطال جبن قريش وفاكهة بنصف درهم والمستقر لهذه الجامع في كل يوم من اللبن خمسة وثمانون رطلا ومنها مقرر الحلوى والفستق ومما استجد مايعمل في الايوان برسم الخاص في كل يوم من الحلوى اثناعشر جاما رطبة ويابسة نصفين وزن كل جام من الرطب عشرة ارطال ومن اليابس ثمانية ارطال ومقرر الخشكانج والبسندود في كل ليلة على الاستمرار برسم الخاص الآمري والمأموني قنطار واحد سكر ومثقالان مسك وديناران برسم المؤن لعمل خشكانج وبسندود في قعبان وسلال صفصاف ويحمل ثلثا ذلك الى القصر والثلث الى الدار المأمونية قال وجرت مفاوضة بين متولي بيت المال ودار الفطرة بسبب الاصناف ومن جملتها الفستق وقلة وجوده وتزايد سعره الى أن بلغ رطل ونصف بدينار وقد وقف منه لارباب الرسوم ماحصل شكواهم بسببه فجاوبه متولي الديوان بأن قال ماتم موجب الانفاق لما هو راتب من الديوان وطالع المقام العالي بأنه لما رسم لهما ذكرا جميع مااشتمل عليه ماهو مستقر الانفاق من قلب الفستق والذي يطلق من الخزائن من قلب الفستق ادرارا مستقرا بغير استدعاء ولا توقيع مياومة كل يوم حسابا في الشهر التام عن ثلاثين يوما خمسمائة وخمسة وثمانون رطلا وفي الشهر الناقص عن تسعة وعشرين يوما خمسمائة وخمسة وستون رطلا حسابا عن كل يوم تسعة عشر رطلا ونصف من ذلك مايستلمه الصناع الحلاويون والمستخدمون بالايوان مما يصنع به خاص خارجا عما يصنع بالمطابخ الآمرية عن اثنى عشر جام حلوى خاص وزنها مائة وثمانية ارطال منها رطب ستون رطلا ويابس وغيره ثمانية وأربعون رطلا مما يحمل في يومه وساعته منها مايحمل مختوما برسم المائدتين الآمريتين بالباذهنج والدار الجديدة اللتين مايحضرهما الامن كبرت منزلته وعظمت وجاهته جامات رطبا ويابسا ومايفرق في العوالي من الموالي والجهات على اوضاع مختلفة تسع جامات ومايحمل الى الدار المأمونية برسم المائدة بالدار دون السماط جام واحد تتمة المياومة المذكورة مايتسلمه مقدم الفراشين في خدمة المائدة الشريفة التي تتولاها المعلمة بالقصور الزاهرة أربعة ارطال فستق مايتسلمه الشاهد والمشارف على المطابخ الآمرية مما يصنع فيها برسم الجامات الحلوى وغيره مما يكون على المدورة في الاسمطة المستمرة بقاعة الذهب في ايام السلام وفي ايام الركوبات وحلول الركاب بالمناظر أربعة ارطال ومايتسلمه الحاج مقبل الفراش برسم المائدة المأمونية مما يوصله لزمام الدار دون المطابخ الرجالية رطلان الحكم الثاني يطلق مشاهرة بغير توقيع ولا استدعاء باسماء كبراء الجهات والمستخدمين من الاصحاب والحواشي في الخدم المميزة وهو في الشهر ثلاثة عشر رطلا والديوان شاهد باسماء أربابه ومايطلق من هذه الخزائن السعيدة بالاستدعاآت والمطالعات ويوقع عليه بالاطلاق من هذا الصنف في كل سنة على ما يأتي ذكره ومايستدعى برسم التوسعة في الراتب عند تحويل الركاب العالي الى اللؤلؤة مدة ايام النيل المبارك في كل يوم رطلان ومايستدعى برسم الصيام مدة تسعة وخمسين يوما رجب وشعبان حسابا عن كل يوم رطلان مائة وثمانية عشر رطلا

ومايستدعى لمايصنع بدار الفطرة فى كل ليلة برسم الخاص خشكانج لطيفة وبسندود وجوارشات ونواطف ويحمل فى سلال صفصاف لوقته عن مدة أولها مستهل رجب وآخرها سلخ رمضان عن تسعة وثمانين يوما مائة وثمانية وسبعون رطلا لكل ليلة رطلان ويسمى ذلك بالتعبية ومايستدعيه صاحب بيت المال ومتولى الديوان فيما يصنع بالايوان الشريف برسم الموالد الشريفة الاربعة النبوى والعلوى والفاطمى والآمرى مما هو برسم الخاص والموالى والجهات بالقصور الزاهرة والدار المأمونية والاصحاب والحواشى خارجا عما يطلق مما يصنع بدار الوكالة ويفرق على الشهود والمتصدرين والفقراء والمساكين مما يكون حسابه من غير هذه الخزائن عشرون رطلا قلب فستق حسابا لكل يوم مزيد منها خمسة ارطال مايستدعى برسم ليالى الوقود الاربع الكائنات فى رجب وشعبان ممايعمل بالايوان برسم الخاصيين والقصور خاصة عشرون رطلا لكل ليلة خمسة ارطال وأما ماينصرف فى الاسمطة والليالى المذكورات فى الجامع الازهر بالقاهرة والجامع الظاهرى بالقرافة فالحكم فى ذلك يخرج عن هذه الخزائن ويرجع الى مشارف الدار السعيدة وكذلك مايستدعيه المستخدمون فى المطابخ الآمرية من التوسعة من هذا الصنف المذكور فى جملة غيره برسم الاسمطة لمدة تسعة وعشرين يوما من شهر رمضان وسلخه لاسماط فيه وفى الاعياد جميعها بقاعة الذهب ومايستدعيه النائب برسم ضيافة من يصرف من الامراء فى الخدم الكبار ويعود الى الباب ومن يرد اليه من جميع الضيوف ومايستدعيه المستخدمون فى دار الفطرة برسم فتح الخليج وهى الجملتان الكبيرتان فجميع ذلك لم يكن فى هذه الخزائن محاسبته ولا ذكر جملته والمعاملة فيه مع مشارف الدار السعيدة وأما مايطلق من هذا الصنف من هذه الخزائن فى هذه الولائم والافراح وارسال الانعام فهو شئ لم تحقق اوقاته ولا مبلغ استدعائه أنهى المملوك من ذلك والمجلس فضل السمو والقدرة فيما يأمر به ان شاء الله تعالى

(دار التعبية)

قال ابن المأمون دار التعبية كانت فى الايام الافضلية تشتمل على مبلغ يسير فانتهى الامر فيها الى عشرة دنانير كل يوم خارجا عما هو موظف على البساتين السلطانية وهو النرجس والنينوفران الاصفر والاحمر والنخل الموقوف برسم الخاص ومايصل اليه من الفيوم وثغر الاسكندرية ومن جملتها تعبية القصور للجهات والخاص والسيدات ولدار الوزارة وتعبية المناظر فى الركوبات الى الجمع فى شهر رمضان خارجا عن تعبية الجامات ومايحمل كل يوم من الزهرة وبرسم خزانة الكسوة الخاص وبرسم المائدة وتفرقة الثمرة الصيفية فى كل سنة على الجهات والامراء والمستخدمين والحواشى والاصحاب ومايحمل لدار الوزارة والضيوف وحاشية دار الوزارة

(خزانة الادم)

قال وأما الراتب من عند بركات الادمى فانه فى كل شهر ثمانون زوجا اوطية من ذلك برسم الخاص ثلاثون زوجا برسم الجهات أربعون زوجا برسم الوزارة عشرة أزواج خارجا عن السباعيات فانها تستدعى من خزانة الكسوة وفى كل موسم تكون مذهبة

(خزائن دار افتكين)

قال ابن الطوير وكانت لهم دار كبرى يسكنها نصر الدولة أفتكين الذى رافق نزار بن المستنصر بالاسكندرية جعلوها برسم الخزن فقيل خزائن دار أفتكين وتحتوى على أصناف عديدة من الشمع المحمول من الاسكندرية وغيرها وجميع القلوب المأكولة من الفستق وغيره والاعسال على اختلاف أصنافها والسكر والقند والشيرج والزيت فيخرج من هذه الخزائن بيد حاميها وهو من الاستاذين المميزين ومشارفها وهو من المعدلين راتب المطابخ خاصا وعاما اليوم اوالايام ينفق منها للمستخدمين ثم لارباب التوقيعات من الجهات وأرباب الرسوم فى كل شهر من ارباب الرتب حتى لايخرج عما يحتاجونه فيها الا اللحم والخضراوات فهى أبدا معمورة بذلك انتهى

*(خبر

(خبر نزار وأفتكين) لما مات الخليفة المستنصر بالله ابو تميم معد بن الامام الظاهر لاعزاز دين الله أبى الحسن على بن الحاكم بأمر الله أبى على منصور فى ليلة الخميس الثامن عشر من ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة بادر الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى الى القصر وأجلس أبا القاسم احمد بن المستنصر فى منصب الخلافة ولقبه بالمستعلى بالله وسير الى الامير نزار والامير عبد الله والامير اسماعيل اولاد المستنصر فجاؤا اليه فاذا اخوهم أحمد وهو أصغرهم قد جلس على سرير الخلافة فامتعضوا لذلك وشق عليهم وأمرهم الافضل بتقبيل الارض وقال لهم قبلوا الارض لمولانا المستعلى بالله وبايعوه فهو الذى نص عليه الامام المستنصر قبل وفاته بالخلافة من بعده فامتنعوا من ذلك وقال كل منهم ان أباه قد وعده بالخلافة وقال نزار لو قطعت ما بايعت من هو أصغر منى سنا وخط والدى عندى بأنى ولى عهده وأنا احضره وخرج مسرعا ليحضر الخط فمضى لا يدرى به أحد وتوجه الى الاسكندرية فلما أبطأ مجيئه بعث الافضل اليه ليحضر بالخط فلم يعلم له خبرا فانزعج لذلك انزعاجا عظيما وكانت نفرة نزار من الافضل لامور منها أنه خرج يوما فاذا بالافضل قد دخل من باب القصر وهو راكب فصاح به نزار انزل يا أرمنى الجنس فحقدها عليه وصار كل منهما يكره الآخر ومنها أن الافضل كان يعارض نزارا فى ايام أبيه ويستخف به ويضع من حواشيه واسبابه ويبطش بغلمانه فلما مات المستنصر خافه لانه كان رجلا كبيرا وله حاشية واعوان فقدم لذلك احمد بن المستنصر بعدما اجتمع بالامراء وخوفهم من نزار ومازال بهم حتى وافقوه على الاعراض عنه وكان من جملتهم محمود بن مصال فسير خفية الى نزار وأعلمه بما كان من اتفاق الافضل مع الامراء على اقامة أخيه احمد وادارته اياهم عنه فاستعد الى المسير الى الاسكندرية هو وابن مصال فلما فارق الافضل ليحضر اليه بخط أبيه خرج من القصر متنكرا وسار هو وابن مصال الى الاسكندرية وبها الامير نصر الدولة أفتكين أحد مماليك امير الجيوش بدر الجمالى ودخلا عليه ليلا وأعلماه بما كان من الافضل وترامیا عليه ووعده نزار بأن يجعله وزيرا مكان الافضل فقبلهما أتم قبول وبايع نزارا وأحضر أهل الثغر لمبايعته فبايعوه ونعته بالمصطفى لدين الله فبلغ ذلك الافضل فأخذ يتجهز لمحاربتهم وخرج فى آخر المحرم سنة ثمان وثمانين بعساكره وسار الى الاسكندرية فبرز اليه نزار وأفتكين وكانت بين الفريقين عدة حروب شديدة انكسر فيها الافضل ورجع بمن معه منهزما الى القاهرة فقوى نزار وأفتكين وصار اليهما كثير من العرب واشتد امر نزار وعظم واستولى على بلاد الوجه البحرى وأخذ الافضل يتجهز ثانيا الى المسير لمحاربة نزار ودس الى اكابر العربان ووجوه اصحاب نزار وافتكين وصاروا الى الاسكندرية فنزل الافضل اليها وحاصرها حصارا شديدا والح فى مقاتلتهم وبعث الى اكابر اصحاب نزار ووعدهم فلما كان فى ذى القعدة وقد اشتد البلاء من الحصار جمع ابن مصال ماله وفر فى البحر الى جهة بلاد المغرب ففت ذلك فى عضد نزار وتبين فيه الانكسار واشتد الافضل وتكاثرت جموعه فبعث نزار وأفتكين اليه يطلبان الامان منه فامنهما ودخل الاسكندرية وقبض على نزار وافتكين وبعث بهما الى القاهرة فأما نزار فانه قتل فى القصر بأن اقيم بين حائطين بنيا عليه فمات بينهما وأما افتكين فانه قتله الافضل بعد قدومه ودار افتكين هذه كانت خارج القصر وموضعها الآن حيث مدرسة القاضى الفاضل وآدره بدرب ملوخيا

(خزانة البنود)

البنود هى الرايات والاعلام ويشبه أن تكون هى التى يقال لها فى زمننا العصائب السلطانية وكانت خزانة البنود ملاصقة للقصر الكبير ومن حقوقه فيما بين قصر الشوك وباب العيد بناها الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله ابو هاشم على بن الحاكم بأمر الله وكان فيها ثلاثة آلاف صانع مبرزين فى سائر الصنائع وكانت ايام الظاهر هذا سكونا وطمأنينة وكان مشتغلا بالاكل والشرب والنزه وسماع الاغانى وفى زمانه تأنق اهل مصر والقاهرة فى اتخاذ الاغانى والرقاصات وبلغ من ذلك المبالغ العجيبة واتخذت له حجرة المماليك وكانوا يعلمونهم فيها انواع العلوم وأنواع آلة الحرب وصنوف حيلها من الرماية والمطاعنة والمسابقة وغير ذلك *وقال فى كتاب الذخائر والتحف والمواهب السلطان يعنى الخليفة المستنصر لسعد الدولة المعروف بسلام عليك ما فى خزانة البنود من جميع المتاع والآلات وغير ذلك فى اليوم السادس من صفر سنة احدى وستين وأربعمائة حمل جميعه ليلا وكان فيما وجد

سعد الدولة فيها ألفا وتسعمائة درقة الى ما سوى ذلك من آلات الحرب وما سواه وغير ذلك من القضب الفضة والذهب والبنود وما سواه وفى خلال ذلك سقط من بعض الفراشين مقط شمع موقد نارا فصادف هناك أعدال كتان ومتاعا كثيرا فاحترق جميعه وكانت لتلك غلبة عظيمة وخوف شديد فيما يليهما من القصر ودور العامة والاسواق وأعلمنى من له خبرة بما كان فى خزانة البنود أن مبلغ ما كان فيهما من سائر الآلات والامتعة والذخائر لا يعرف له قيمة عظما وان المنفق فيها كل سنة من سبعين ألف دينار الى ثمانين ألف دينار من وقت دخول القائد جوهر وبناء القصر من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة الى هذا الوقت وذلك زائد عن مائة سنة وان جميعه باق فيهما على الايام لم يتغير وان جميعه احترق حتى لم يبق منه باقية ولا اثر وانه احترق فى هذه الليلة من قربات النفط عشرات الوف ومن زرافات النفط أمثالها فأما الدرق والسيوف والرماح والنشاب فلا تحصى بوجه ولا سبب مع ما فيها من قضب الفضة وثيابها المذهبة وغيرها والبنود المجلدة وسروج ولجم وثياب الفرحية المصبغات والبنادين وغيرها بعد أن أخذوا ما قدروا عليه حتى لواء الحمد وسائر البنود وجميع العلامات والالوية وحدثنى من اثق به أيضا انه احترق فيهما من السيوف عشرات ألوف وما لا يحصى كثرة وان السلطان بعد ذلك بمدة طويلة احتاج الى اخراج شئ من السلاح لبعض مهماته فاخرج من خزانة واحدة مما بقى وسلم خمسة عشر ألف سيف مجوهرة سوى غيرها حدثنى بجميعه الاجل عظيم الدولة متولى الستر الشريف انتهى * وجعلت خزانة البنود بعد هذا الحريق حبسا وفيها يقول القاضى المهذب بن الزبير لما اعتقل بها وكتب بها للكامل ابن شاور

ايا صاحبى سجن الخزانة خليا * نسيم الصبا يرسل الى كبدى نفحا
وقولا لضوء الصبح هل أنت عائد * الى نظرى ام لا أرى بعدها صبحا
ولا تيأسا من رحمة الله أن أرى * سريعا بفضل الكامل العفو والصفحا

وقال

ايا صاحبى سجن الخزانة خليا * من الصبح ما يبدو سناه لناظرى
فوالله ما أدرى اطرفى ساهر * على طول هذا الليل ام غير ساهر
ومالى من اشكو اليه اذا كما * سوى ملك الدنيا شجاع بن شاور

واستمرت سجنا للامراء والوزراء والاعيان الى أن زالت الدولة فاتخذها ملوك بنى ايوب أيضا سجنا تعتقل فيه الامراء والمماليك * ومن غريب ما وقع بها أن الوزير أحمد بن على الجرجراى لما توفى طلب الوزارة الحسن بن على الانبارى فاجيب اليها فتعجل من سوء التدبير قبل تمامه ما فوته مراده وضيع ماله ونفسه وذلك انه كان قد نبغ فى ايام الحاكم بأمر الله أخوان يهوديان يتصرف أحدهما فى التجارة والآخر فى الصرف وبيع ما يحمله التجار من العراق وهما ابو سعد ابراهيم وأبو نصر هرون ابنا سهل التسترى واشتهر من أمرهما فى البيوع واظهار ما يحصل عندهما من الودائع الخفية لمن يفقد من التجار فى القرب والبعد ما ينشأ به جميل الذكر فى الآفاق فاتسع حالهما لذلك واستخدم الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله أبا سعد ابراهيم بن سهل التسترى فى ابتياع ما يحتاج اليه من صنوف الامتعة وتقدم عنده فباع له جارية سوداء فحظى بها الظاهر وأولدها ابنه المستنصر فرعت لابى سعد ذلك فلما أفضت الخلافة الى المستنصر ولدها قدمت ابا سعد وتخصصت به فى خدمتها فلما مات الوزير الجرجراى وتكلم ابن الانبارى فى الوزارة قصده ابو نصر اخو أبى سعد فجبهه أحد اصحابه بكلام مؤلم فظن ابو نصر أن الوزير ابن الانبارى اذا بلغه ذلك ينكر على غلامه ويعتذر اليه فجاء منه خلاف ما ظنه وبلغه عنه أضعاف ما سمعه من الغلام فشكا ذلك الى أخيه أبى سعد وأعلمه بأن الوزير متغير النية لهما فلم يفتر أبو سعد عن ابن الانبارى وأغرى به ام المستنصر مولاته فتحدثت مع ابنها الخليفة المستنصر فى أمره حتى عزله عن الوزارة فسعى أبو سعد عند أم المستنصر لابى نصر صدقة بن يوسف الفلاحى فى الوزارة فاستوزره المستنصر وتولى ابو سعد الاشراف عليه وصار الوزير الفلاحى منقادا لابى سعد تحت حكمه وأخذ الفلاحى يعمل على ابن الانبارى ويغرى به ويصنع عليه ذنوبا ويذكر عنه ما يوجب الغضب عليه حتى تم له ما يريد فقبض عليه وخرج عليه من الدواوين اموال كثيرة مما كان يتولاه قديما وألزمه بحملها ونوع له اصناف العذاب واستصفى أمواله وهو معتقل

بخزانة

بخزانة البنود ثم قتله فى يوم الاثنين الخامس من المحرم سنة أربعين واربعمائة بها فاتفق أن الفلاحى لما صرف عن الوزارة اعتقل بخزانة البنود حيث كان ابن الانبارى ثم قتل بها وحفر له ليدفن فظهر فى الحفر رأس ابن الانبارى قبل أن يمضى فيه القتل فقال لا اله الا الله هذا راس ابن الانبارى انا قتلته ودفنته ههنا وأنشد

رب لحد قد صار لحدا مرارا ۞ ضاحكا من تزاحم الاضداد

فقتل ودفن فى تلك الحفرة مع ابن الانبارى فعد ذلك من غرائب الاتفاق ۞ ثم ان خزانة البنود جعلت منازل للاسرى من الفرنج المأسورين من البلاد الشامية ايام كانت محاربة المسلمين لهم فأنزل بها الملك الناصر محمد بن قلاون الاسارى بعد حضوره من الكرك وأبطل السجن بها فلم يزالوا فيها بأهاليهم واولادهم فى ايام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون فصار لهم فيها افعال قبيحة وأمور منكرة شنيعة من التجاهر ببيع الخمر والتظاهر بالزنا واللياطة وحماية من يدخل اليها من أرباب الديون واصحاب الجرائم وغيرهم فلا يقدر أحد ولو جل على أخذ من صار اليهم واحتمى بهم والسلطان يغضى عنهم لما يرى فى ذلك من مراعاة المصلحة والسياسة التى اقتضاها الحال من مهادنة ملوك الفرنج وكان يسكن بالقرب منها الامير الحاج آل ملك الجوكندار ويبلغه ما يفعله الفرنج من العظائم الشنيعة فلا يقدر على منعهم وفحش امرهم فرفع الخبر الى السلطان واكثر من شكايتهم غير مرة والسلطان يتغافل عن ذلك الى أن كثرت مفاوضة الحاج آل ملك للسلطان فى امرهم فقال له السلطان انتقل أنت عنهم يا امير فلم يسعه الا الاعراض عن ذلك وعمر داره التى بالحسينية والاصطبل والجامع المعروف بآل ملك والحمام والفندق وانتقل من داره التى كان فيها بجوار خزانة البنود وسكن بالحسينية الى أن مات السلطان الملك الناصر فى اخريات سنة احدى وأربعين وسبعمائة وتنقل الملك فى اولاده الى أن جلس الملك الصالح عماد الدين اسمعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاون وضرب شورى على من يكون نائب السلطنة بالديار المصرية يدبر أحوال المملكة كما كانت العادة فى ذلك مدة الدولة التركية فأشير بتولية الامير بدر الدين جنكل بن البابا فتنصل من ذلك وأبى قبوله فعرضت النيابة على الامير الحاج آل ملك فاستبشر وقال لى شروط اشرطها على السلطان فان أجابنى اليها فعلت مارسم به وهى أن لا يفعل شئ فى المملكة الا برأيى وأن يمنع الناس من شرب الخمر ويقام منار الشرع ولا يعترض على أمر من الامور فأجيب الى ما سأل وأحضرت التشاريف فأفيضت عليه بالجامع من قلعة الجبل فى يوم الجمعة الثانى عشر من المحرم سنة أربع وأربعين وسبعمائة وأصبح يوم السبت جالسا فى دار النيابة من القلعة وحكم بين الناس وأول ما بدأ به أن أمر والى القاهرة بالنزول الى خزانة البنود وأن يحتاط على جميع ما فيها من الخمر والفواحش ويخرج الاسرى منها ويهدمها حتى يجعلها دكا ويسوى بها الارض فنزل اليها ومعه الحاجب فى عدة وافرة وهجموا على من فيها وهم آمنون وأحاطوا بسائر ما تشتمل عليه وقد اجتمع من العامة والغوغاء ما لا يقع عليه حصر فأراقوا منها خمورا كثيرة تتجاوز الحد فى الكثرة وأخرج من كان فيها من النساء البغايا وغيرهن من الشباب وأرباب الفساد وقبض على الفرنج والارمن وهدمها حتى لم يبق لها اثر ونودى فى الناس فحكروها وبنوا فيها الدور والطواحين على ما هى عليه الآن وأمر بالاسرى فأنزلوا بالقرب من المشهد النفيسى بجوار كيمان مصر فهم هنالك الى الآن وأنزل من كان منهم أيضا بقلعة الجبل فأسكنوا معهم وطهر الله تلك الارض منهم وأراح العباد من شرهم فانها كانت شر بقعة من بقاع الارض يباع فيها لحم الخنزير على الوضم كما يباع لحم الضأن ويعصر فيها من الخمور فى كل سنة ما لا يستطيع أحد حصره حتى يقال انه كان يعصر بها فى كل سنة اثنان وثلاثون ألف جرة خمر ويباع فيها الخمر نحو اثنى عشر رطلا بدرهم الى غير ذلك من سائر انواع الفسوق

(دار الفطرة)

قال ابن الطوير دار الفطرة خارج القصر بناها العزيز بالله وهو أول من بناها وقرر فيها ما يعمل مما يحمل الى الناس فى العيد وهى قبالة باب الديلم من القصر الذى يدخل منه الى المشهد الحسينى ويكون مبدأ الاستعمال فيها وتحصيل جميع اصنافها من السكر والعسل والقلوب والزعفران والطيب والدقيق لاستقبال النصف الثانى من شهر رجب كل سنة ليلا ونهارا من الخشكنانج والبسندود وأصناف الفانيذ الذى يقال له كعب

الغزال والبرماورد والفستق وشوابير مثال الصنج والمستخدمون يرفعون ذلك الى اماكن وسيعة مصونة فيحصل منه فى الحاصل شئ عظيم هائل بيد مائة صانع للعلا وبين مقدّم وللخشكانيين آخر ثم يندب لها مائة فرّاش لحمل طيافير للتفرقة على ارباب الرسوم خارجا عمن هو مرتب لخدمتها من الفرّاشين الذين يحفظون رسومها ومواعينها الحاصلة بالدائم وعدتهم خمسة فيحضر اليها الخليفة والوزير معه ولا يصحبه فى غيرها من الخزائن لانها خارج القصر وكلها للتفرقة فيجلس على سريرها ويجلس الوزير على كرسىّ ملين على عادته فى النصف الثانى من شهر رمضان ويدخل معه قوم من الخواص ثم يشاهد ما فيها من تلك الحواصل المعمولة المعباة مثل الجبال من كل صنف فيفرّقها من ربع قنطار الى عشرة ارطال الى رطل واحد وهو اقلها ثم ينصرف الخليفة والوزير بعد أن ينعم على مستخدميها بستين دينارا ثم يحضر الى حاميها ومشارفها الادعية المعمولة المخرجة من دفتر المجلس كل دعو لتفريق فريق من خاص وغيره حتى لا يبقى أحد من ارباب الرسوم الا واسمه وارد فى دعو من تلك الادعية ويندب صاحب الديوان الكتّاب المسلمين فى الديوان فيسيرهم الى مستخدميها فيسلم كل كاتب دعوا أو دعوين او ثلاثة على كثرة ما يحتويه وقلته ويؤمر بالتفرقة من ذلك اليوم فيقدمون أبدا مائتى طيفور من العالى والوسط والدون فيحملها الفرّاشون برقاع من كتّاب الادعية باسم صاحب ذلك الطيفور علا أو دنا وينزل اسم الفرّاش بالدعو أو عريفه حتى لا يضيع منها شئ ولا يختلط ولا يزال الفرّاشون يخرجون بالطيافير ملأى ويدخلون بها فارغة فبمقدار ما تحمل المائة الاولى عبيت المائة الثانية فلا يفتر ذلك طول التفرقة فأجل الطيافير ما عدد خشكانه مائة حبة ثم الى سبعين وخمسين ويكون على صاحب المائة طرحة فوق قوارته ثم الى خمسين ثم الى ثلاث وثلاثين ثم الى خمس وعشرين ثم الى عشرين ونسبة منثور كل واحد على عدد خشكانه ثم العبيد السودان بغير طيافير كل طائفة يتسلمها عرفاؤها فى أفراد الخواص لكل طائفة على مقدارها الثلاثة الافراد والخمسة والسبعة الى العشرة فلا يزالون كذلك الى أن ينقضى شهر رمضان ولا يفوت أحدا شئ من ذلك ويتهاداه الناس فى جميع الاقليم قال وما ينفق فى دار الفطرة فيما يفرّق على الناس منها سبعة آلاف دينار * وقال ابن عبد الظاهر دار الفطرة بالقاهرة قبالة مشهد الامام الحسين عليه السلام وهى الفندق الذى بناه الامير سيف الدين بهادر الآن فى سنة ست وخمسين وستمائة اول من رتبها الامام العزيز بالله وهو أوّل من سنها وكانت الفطرة قبل أن ينتقل الافضل الى مصر تعمل بالايوان وتفرّق منه وعند ما تحوّل الى مصر نقل الدواوين من القصر اليها واستجدّ لها مكانا قبالة دار الملك بايوانى المكاتبات والانشاء فانهما كانا بقرب الدار ويتوصل اليهما من القاعة الكبرى التى فيها جلوسه ثم استجدّ للفطرة دارا عملت بعد ذلك وراقة وهى الآن دار الامير عز الدين الافرم بمصر قبالة دار الوكالة وعملت بها الفطرة مدّة وفرّق منها الا ما يخص الخليفة والجهات والسيدات والمستخدمات والاستاذين فانه كان يعمل بالايوان على العادة ولما توفى الافضل وعادت الدواوين الى مواضعها انهى خاصة الدولة ريحان وكان يتولى بيت المال ان المكان بالايوان يضيق بالفطرة فأمر المأمون أن يجمع المهندسين ويقطع قطعة من اصطبل الطارمة يبنيه دار الفطرة فانشأ الدار المذكورة قبالة مشهد الحسين والباب الذى بمشهد الحسين يعرف بباب الديلم وصار يعمل بها ما استجدّ من رسوم المواليد والوقودات وعقدت لها جلتان احداهما وجدت فسطرت وهى عشرة آلاف دينار خارجا عن جوارى المستخدمين والجلة الثانية فصلت فيها الاصناف وشرحها دقيق ألف حملة سكر سبعمائة قنطار قلب فستق ستة قناطير قلب لوز ثمانية قناطير قلب بندق أربعة قناطير تمر أربعمائة اردب زبيب ثلثمائة أردب خل ثلاثة قناطير عسل نحل خمسة عشر قنطارا شيرج مائتا قنطار حطب ألف ومائتا حملة سمسم أردبان آنيسون أردبان زيت طيب برسم الوقود ثلاثون قنطارا ماورد خمسون رطلا مسك خمس نوافج كافور قديم عشرة مثاقيل زعفران مطحون مائة وخمسون درهما وبيد الوكيل برسم المواعين والبيض والسقائين وغير ذلك من المؤن على ما يحاسب به وبرفع المحازيم خمسمائة دينار * ووجدت بخط ابن ساكن قال كان المرتب فى دار الفطرة ولها ما يذكر وهو زيت طيب برسم القناديل خمسة عشر قنطارا مقاطع سكندرى برسم القوارات ثلثمائة مقطع طيافير جدد برسم السماط ثلثمائة طيفور شمع برسم السماط وتوديع الامراء ثلاثون قنطارا أجرة الصناع ثلثمائة دينار جارى الحامى مائة وعشرون دينارا جارى العامل والمشارف مائة

وثمانون

وثمانون دينارا وشقة ديبقى بياض حريرى ومنديل ديبقى كبير حريرى وشقة سقلاطون اندلسى يلبسها فدام الفطرة يوم حملها ليفرّق طيافير الفطرة على الامراء وأرباب الرسومات وعلى طبقات الناس حتى يعمّ الكبير والصغير والضعيف والقوى ويبدأ بها من اول رجب الى آخر رمضان *(ذكر ما اختص من صفة الطيافير)* الاعلى منها طيفور فيه مائة حبة خشكنانج وزنها مائة رطل وخمسة عشر قطعة حلاوة زنتها مائة رطل سكر سليمانى وغيره عشرة ارطال قلوبات ستة ارطال بسندود عشرون حبة كعك وزبيب وتمر قنطار جملة الطيفور ثلاثة قناطير وثلث الى ما دون ذلك على قدر الطبقات الى عشر حبات * وقال ابن أبى طىّ وعمل المعز لدين الله دارا سماها دار الفطرة فكان يعمل فيها من الخشكنانج والحلواء والبسندود والفانيذ والكعك والتمر والبندق شئ كثير من اول رجب الى نصف رمضان فيفرّق جميع ذلك فى جميع الناس الخاص والعام على قدر منازلهم فى اوان لا تستعاد وكان قبل ليلة العيد يفرّق على الامراء الخيول بالمراكب الذهب والخلع النفيسة والطراز الذهب والثياب برسم النساء

(المشهد الحسينىّ)

قال الفاضل محمد بن علىّ بن يوسف بن ميسر وفى شعبان سنة احدى وتسعين وأربعمائة خرج الافضل بن أمير الجيوش بعساكر جمة الى بيت المقدس وبه سكمان وايلغازى ابنا ارتق فى جماعة من اقاربهما ورجالهما وعساكر كثيرة من الاتراك فراسلهما الافضل يلتمس منهما تسليم القدس اليه بغير حرب فلم يجيباه لذلك فقاتل البلد ونصب عليها المجانيق وهدم منها جانبا فلم يجدا بدّا من الاذعان له وسلماه اليه فخلع عليهما وأطلقهما وعاد فى عساكره وقد ملك القدس فدخل عسقلان وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما فأخرجه وعطره وحمله فى سفط الى اجلّ دار بها وعمر المشهد فلما تكامل حمل الافضل الرأس الشريف على صدره وسعى به ماشيا الى أن احله فى مقرّه وقيل ان المشهد بعسقلان بناه أمير الجيوش بدر الجمالىّ وكمله ابنه الافضل وكان حمل الرأس الى القاهرة من عسقلان ووصوله اليها فى يوم الاحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وكان الذى وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها كان والقاضى المؤتمن بن مسكين مشارفها وحصل فى القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة المذكور * ويذكر أنّ هذا الرأس الشريف لما أخرج من المشهد بعسقلان وجد دمه لم يجف وله ريح كريح المسك فقدم به الاستاذ مكنون فى عشارى من عشاريات الخدمة وأنزل به الى الكافورى ثم حمل فى السرداب الى قصر الزمرّذ ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة فكان كل من يدخل الخدمة يقبل الارض أمام القبر وكانوا ينحرون فى يوم عاشوراء عند القبر الابل والبقر والغنم ويكثرون النوح والبكاء ويسبون من قتل الحسين ولم يزالوا على ذلك حتى زالت دولتهم * وقال ابن عبد الظاهر مشهد الامام الحسين صلوات الله عليه قد ذكرنا أن طلائع بن رزيك المنعوت بالصالح كان قد قصد نقل الرأس الشريف من عسقلان لما خاف عليها من الفرنج وبنى جامعه خارج باب زويلة ليدفنه به ويفوز بهذا الفخار فغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا لا يكون ذلك الا عندنا فعمدوا الى هذا المكان وبنوه له ونقلوا الرخام اليه وذلك فى خلافة الفائز على يد طلائع فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة * وسمعت من يحكى حكاية يستدل بها على بعض شرف هذا الرأس الكريم المبارك وهى أن السلطان الملك الناصر رحمه الله لما أخذ هذا القصر وشى اليه بخادم له قدر فى الدولة المصرية وكان زمام القصر وقيل له انه يعرف الاموال التى بالقصر والدفائن فأخذ وسئل فلم يجب بشئ وتجاهل فأمر صلاح الدين نوّابه بتعذيبه فأخذه متولى العقوبة وجعل على رأسه خنافس وشدّ عليها قرمزية وقيل ان هذه أشدّ العقوبات وانّ الانسان لا يطيق الصبر عليها ساعة الا تنقب دماغه وتقتله ففعل ذلك به مرارا وهو لا يتأوّه وتوجد الخنافس ميتة فعجب من ذلك وأحضره وقال له هذا سرّ فيك ولا بدّ أن تعرّفنى به فقال والله ما سبب هذا الا أنى لما وصلت رأس الامام الحسين حملتها قال وأىّ سرّ أعظم من هذا وراجع فى شأنه فعفا عنه * ولما ملك السلطان الملك الناصر جعل به حلقة تدريس وفقهاء وفوّضها للفقيه البهاء الدمشقىّ وكان يجلس للتدريس عند المحراب الذى الضريح خلفه فلما وزر معين الدين حسين بن شيخ

الشيوخ بن حمويه ورد اليه أمر هذا المشهد بعد اخوته جمع من أوقافه ما بنى به ايوان التدريس الآن وبيوت الفقهاء العلوية خاصة واحترق هذا المشهد فى الايام الصالحية فى سنة بضع وأربعين وستمائة وكان الامير جمال الدين بن يعمور نائبا عن الملك الصالح فى القاهرة وسببه أن أحد خزان الشمع دخل ليأخذ شيأ فسقطت منه شعلة فوقف الامير جمال الدين المذكور بنفسه حتى طفئ وأنشدته حينئذ فقلت

قالوا تعصب للحسين ولم يزل * بالنفس للهول المخوف معرضا
حتى انضوى ضوء الحريق وأصبح الـ * ـمسود من تلك المخاوف أبيضا
ارضى الاله بما أتى فكأنه * بين الانام بفعله موسى الرضى

قال ولحفظة الآثار وأصحاب الحديث ونقلة الاخبار ما اذا طولع وقف منه على المسطور وعلم منه ما هو غير المشهور وانما هذه البركات مشاهدة مرئية وهى بصحة الدعوى ملية والعمل بالنية * وقال فى كتاب الدر النظيم فى أوصاف القاضى الفاضل عبد الرحيم ومن جملة مبانيه الميضأة قريب مشهد الامام الحسين بالقاهرة والمسجد والساقية ووقف عليها أراضى قريب الخندق ظاهر القاهرة ووقفها دار ايجار والانتفاع بهذه المثوبة عظيم ولما هدم المكان الذى بنى موضعه مئذنة وجد فيه شئ من طلسم لم يعلم لاى شئ هو فيه اسم الظاهر بن الحاكم واسم امه رصد *(خبر الحسين)* هو الحسين بن على بن أبى طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصى أبو عبد الله وامه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد لخمس خلون من شعبان سنة أربع وقيل سنة ثلاث وعق عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم سابعه بكبش وحلق رأسه وأمر أن يتصدق بزنته فضة وقال أرونى ابنى ما سميتموه فقال على بن أبى طالب حربا فقال بل هو حسين وكان أشبه الناس بالنبى صلى الله عليه وسلم ما كان اسفل من صدره وكان فاضلا دينا كثير الصوم والصلاة والحج وقتل يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم يوم عاشوراء سنة احدى وستين من الهجرة بموضع يقال له كربلاء من أرض العراق بناحية الكوفة ويعرف الموضع أيضا بالطف قتله سنان بن انس النخعى وقيل قتله رجل من مذحج وقيل قتله شمر بن ذى الجوشن وكان أبرص وأجهز عليه خولى بن يزيد الاصبحى من حمير حز رأسه واتى عبيد الله بن زياد وقال

اوقر ركابى فضة وذهبا * انى قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس اما وأبا * وخيرهم اذ ينسبون نسبا

وقيل قتله عمرو بن سعد بن أبى وقاص وكان الامير على الخيل التى أخرجها عبيد الله بن زياد الى قتل الحسين وأمر عليهم عمرو بن سعد ووعده أن يوليه الرى ان ظفر بالحسين وقتله وقال ابن عباس رضى الله عنهما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم نصف النهار وهو قائم أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم فقلت بابى أنت وأمى ما هذا قال هذا دم الحسين لم ازل التقطه منذ اليوم فوجدته قد قتل فى ذلك اليوم وهذا البيت زعموا قديما لا يدرى قائله

اترجو أمة قتلت حسينا * شفاعة جده يوم الحساب

وقتل مع الحسين سبعة عشر رجلا كلهم من ولد فاطمة وقيل قتل معه من أهل بيته واخوته ثلاثة وعشرون رجلا * وكان سبب قتله انه لما مات معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه فى سنة ستين وردت بيعة يزيد على الوليد بن عقبة بالمدينة ليأخذ البيعة على أهلها فأرسل الى الحسين بن على والى عبد الله بن الزبير ليلا فأتى بهما فقال بايعا فقالا مثلنا لا يبايع سرا ولكنا نبايع على رؤس الناس اذا أصبحنا فرجعا الى بيوتهما وخرجا من ليلتهما الى مكة وذلك ليلة الاحد لليلتين بقيتا من رجب فأقام الحسين بمكة شعبان ورمضان وشوالا وذا القعدة وخرج يوم التروية يريد الكوفة بكتب أهل العراق اليه فلما بلغ عبيد الله بن زياد مسير الحسين من مكة بعث الحصين بن تميم التميمى صاحب شرطته فنزل القادسية ونظم الخيل ما بينها وبين جبل لعلع فبلغ الحسين الحاجز له عن البلاد فكتب الى أهل الكوفة يعرفهم بقدومه مع قيس بن مسهر فظفر به الحصين وبعث به الى ابن زياد فقتله وأقبل الحسين يسير نحو الكوفة فأتاه خبر قتل مسلم بن عقيل وخبر قتل أخيه من الرضاعة فقام حتى اعلم الناس بذلك وقال قد خذلنا شيعتنا فمن أحب أن ينصرف فلينصرف فليس عليه ذمام منا فتفرقوا حتى بقى فى أصحابه الذين

جاؤا معه من مكة وسار فأدركته الخيل وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي ونزل الحسين فوقفوا تجاهه وذلك فى نحر الظهيرة فسقى الحسين الخيل وحضرت صلاة الظهر فأذن مؤذنه وخرج فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انها معذرة الى الله واليكم انى لم آتكم حتى أتتنى كتبكم ورسلكم أن اقدم علينا فليس لنا امام لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى وقد جئتكم فان تعطونى ما أطمئن اليه من عهودكم أقدم مصركم وان لم تفعلوا وكنتم لمقدمى كارهين انصرفت عنكم الى المكان الذى أقبلت منه فسكتوا وقال للمؤذن أقم فأقام وقال الحسين للحر أتريد أن تصلى أنت بأصحابك قال بل صل أنت ونصلى بصلاتك فصلى بهم ودخل فاجتمع اليه أصحابه وانصرف الحر الى مكانه ثم صلى بهم العصر واستقبلهم فحمد الله وأثنى عليه وقال يا ايها الناس انكم ان تتقوا الله وتعرفوا الحق لاهله يكن أرضى لله ونحن أهل البيت اولى بولاية هذا الامر من هؤلاء المدعين ما ليس لهم السائرين فيكم بالجور والعدوان فان أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتتنى به كتبكم انصرفت عنكم فقال الحر انا والله ما ندرى ما هذه الكتب والرسل التى تذكر فأخرج خرجين مملوءين صحفا فنشرها بين أيديهم فقال الحر انا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا اليك وقد أمرنا اذا نحن لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد فقال الحسين الموت ادنى اليك من ذلك ثم أمر اصحابه لينصرفوا فركبوا فمنعهم الحر من ذلك فقال له الحسين ثكلتك امك ما تريد فقال له والله لو كان غيرك من العرب يقولها ما تركت ذكر أمه بالثكل كائنا من كان والله مالى الى ذكر أمك من سبيل الا بأحسن ما نقدر عليه فقال له الحسين ما تريد قال أريد أن أنطلق بك الى ابن زياد وترادا الكلام فقال له الحر انى لم أومر بقتالك وانما أمرت أن لا أفارقك حتى أدخلك الكوفة فخذ طريقا لا تدخلك الكوفة ولا تردك الى المدينة حتى أكتب الى ابن زياد وتكتب انت الى يزيد أو الى ابن زياد فلعل الله أن يأتى بأمر يرزقنى فيه العافية من أن ابتلى بشئ من أمرك فتياسر عن طريق العذيب والقادسية والحر يسايره فلما كان يوم الجمعة الثالث من المحرم سنة احدى وستين قدم عمرو بن سعد بن أبى وقاص من الكوفة فى أربعة آلاف وبعث الى الحسين رسولا يسأله ما الذى جاء به فقال كتب الى أهل مصركم هذا أن أقدم عليهم فاذا كرهونى فأنا أنصرف عنهم فكتب عمرو الى ابن زياد يعرفه ذلك فكتب اليه أن يعرض على الحسين بيعة يزيد فان فعل رأينا فيه رأينا والا فامنعه ومن معه الماء فأرسل عمرو بن سعد خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وبين الماء وذلك قبل قتله بثلاثة أيام ونادى مناد يا حسين ألا تنظر الماء لا ترى منه قطرة حتى تموت عطشا ثم التقى الحسين بعمرو بن سعد مرارا فكتب عمرو بن سعد الى عبيد الله بن زياد أما بعد فان الله قد أطفأ النائرة وجمع الكلمة وقد أعطانى الحسين أن يرجع الى المكان الذى أتى منه أو أن تسيره الى أى ثغر من الثغور شاء أو أن يأتى يزيد أمير المؤمنين فيضع يده فى يده وفى هذا لكم رضى وللامة صلاح فقال ابن زياد لشمر بن ذى الجوشن اخرج بهذا الكتاب الى عمرو فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمى فان فعلوا فليبعث بهم وان ابوا فليقاتلهم فان فعل فاسمع له وأطع وان أبى فأنت الامير عليه وعلى الناس واضرب عنقه وابعث الى برأسه وكتب الى عمرو بن سعد أما بعد فانى لم أبعثك الى الحسين لتكف عنه ولا لتمنيه ولا لتطاوله ولا لتقعد له عندى شافعا انظر فان نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم الى سلما وان أبوا فازحف اليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فانهم لذلك مستحقون فان قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره فانه عاق شاق قاطع ظلوم فان أنت مضيت لامرنا جزيناك جزاء السامع المطيع وان أنت ابيت فاعتزل جندنا وخل بين شمر وبين العسكر والسلام فلما أتاه الكتاب ركب والناس معه بعد العصر فأرسل اليهم الحسين ما لكم فقالوا جاء أمر الامير بكذا فاستمهلهم الى غدوة فلما أمسوا قام الحسين ومن معه الليل كله يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون فلما صلى عمرو بن سعد الغداة يوم السبت وقيل يوم الجمعة يوم عاشوراء خرج فيمن معه وعبى الحسين أصحابه وكان معه اثنان وثلاثون فارسا وأربعون راجلا وركب ومعه مصحف بين يديه وضعه أمامه واقتتل أصحابه بين يديه وأخذ عمرو بن سعد سهما فرمى به وقال اشهدوا انى اول من رمى الناس وحمل أصحابه فصرعوا رجالا وأحاطوا بالحسين من كل جانب وهم يقاتلون قتالا شديدا حتى انتصف النهار ولا يقدرون يأتونهم الا من وجه واحد وحمل شمر حتى بلغ فسطاط الحسين وحضر وقت الصلاة فسأل الحسين أن يكفوا عن القتال حتى يصلى ففعلوا ثم اقتتلوا بعد الظهر أشد قتال ووصل الى الحسين وقد صرعت أصحابه ومكث طويلا

من النهار كلما انتهى اليه رجل من الناس رجع عنه وكره أن يتولى قتله فأقبل عليه رجل من كندة يقال له مالك فضربه على رأسه بالسيف قطع البرنس وأدماه فأخذ الحسين دمه بيده فصبه فى الارض ثم قال اللهمّ ان كنت حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير وانتقم من هؤلاء الظالمين واشتد عطشه فدنا ليشرب فرماه حصين بن تميم بسهم فوقع فى فمه فتلقى الدم بيده ورمى به الى السماء ثم قال بعد حمد الله والثناء عليه اللهمّ انى أشكو اليك ما يصنع بابن بنت نبيك اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا فأقبل شمر فى نحو عشرة الى منزل الحسين وحالوا بينه وبين رحله وأقدم عليه وهو يحمل عليهم وقد بقى فى ثلاثة ومكث طويلا من النهار ولو شاؤا أن يقتلوه لقتلوه ولكنهم كان يتقى بعضهم ببعض ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء فنادى شمر فى الناس ويحكم ما تنتظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم امّكم فحملوا عليه من كل جانب فضرب زرعة بن شريك التميمى كفه الايسر وضرب عاتقه وهو يقوم ويكبو فحمل عليه فى تلك الحال سنان بن انس النخعى فطعنه بالرمح فوقع وقال لخولى بن يزيد الاصبحى احتز رأسه فأرعد وضعف فنزل عليه وذبحه وأخذ رأسه فدفعه الى خولى وسلب الحسين ما كان عليه حتى سراويله ومال الناس فانتهبوا ثقله ومتاعه وما على النساء ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وأربعون ضربة ونادى عمرو بن سعد فى أصحابه من ينتدب للحسين فيوطئه فرسه فانتدب عشرة فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضوا ظهره وصدره وكان عدة من قتل معه اثنين وسبعين رجلا ومن أصحاب عمرو بن سعد ثمانية وثمانين رجلا غير الجرحى ودفن أهل العاصرية من بنى اسد الحسين بعد قتله بيوم وبعد أن أخذ عمرو بن سعد رأسه ورؤس أصحابه وبعث بها الى ابن زياد فأحضر الرؤس بين يديه وجعل ينكث بقضيب ثنايا الحسين وزيد بن ارقم حاضر وأقام ابن سعد بعد قتل الحسين يومين ثم رحل الى الكوفة ومعه بنات الحسين واخوانه ومن كان معه من الصبيان وعلى بن الحسين مريض فأدخلهم على زياد ولما مرّت زينب بالحسين صريعا صاحت يا محمداه هذا حسين بالعراء مرمل بالدماء مقطع الاعضاء يا محمد بناتك سبايا وذريتك مقتلة فأبكت كل عدو وصديق وطيف برأسه بالكوفة على خشبة ثم ارسل بها الى يزيد بن معاوية وأرسل النساء والصبيان وفى عنق على بن الحسين ويديه الغل وحملوا على الاقتاب فدخل بعض بنى أمية على يزيد فقال أبشر يا امير المؤمنين فقد أمكنك الله من عدوّ الله وعدوّك قد قتل ووجه برأسه اليك فلم يلبث الا اياما حتى جئ برأس الحسين فوضع بين يدى يزيد فى طشت فأمر الغلام فرفع الثوب الذى كان عليه فحين رآه خمر وجهه بكمه كأنه شم منه رائحة وقال الحمد لله الذى كفانا المؤنة بغير مؤنة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله قالت ريا حاضنة يزيد فدنوت منه فنظرت اليه وبه ردغ من حناء والذى أذهب نفسه وهو قادر على أن يغفر له لقد رأيته يقرع ثناياه بقضيب فى يده ويقول أبياتا من شعر ابن الزبعرى ومكث الرأس مصلوبا بدمشق ثلاثة أيام ثم انزل فى خزائن السلاح حتى ولى سليمان بن عبد الملك فبعث اليه فجئ به وقد محل وبقى عظما أبيض فجعله فى سفط وطيبه وجعل عليه ثوبا ودفنه فى مقابر المسلمين فلما ولى عمر بن عبد العزيز بعث الى خازن بيت السلاح أن وجه الىّ برأس الحسين بن على فكتب اليه ان سليمان أخذه وجعله فى سفط وصلى عليه ودفنه فلما دخلت المسوّدة سألوا عن موضع الرأس الكريمة الشريفة فنبشوه وأخذوه والله أعلم ما صنع به * وقال السرى لما قتل الحسين بن على بكت السماء عليه وبكاؤها حمرتها وعن عطاء فى قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض قال بكاؤها حمرة أطرافها وعن على بن مسهر قال حدّثتنى جدّتى قالت كنت أيام الحسين جارية شابة فكانت السماء اياما كأنها علقة وعن الزهرى بلغنى انه لم يقلب حجر من أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين الا وجد تحته دم عبيط ويقال ان الدنيا أظلمت يوم قتل ثلاثا ولم يمس أحد من زعفرانهم شيأ فجعله على وجهه الا احترق وانهم اصابوا ابلا فى عسكر الحسين يوم قتل فنحروها وطبخوها فصارت مثل العلقم فما استطاعوا أن يسيغوا منها شيأ وروى أن السماء أمطرت دما فأصبح كل شئ لهم ملآن دما

* (ما كان يعمل فى يوم عاشوراء) *

قال ابن زولاق فى كتاب سيرة المعز لدين الله فى يوم عاشوراء من سنة ثلاث وستين وثلثمائة انصرف خلق من الشيعة وأشياعهم الى المشهدين قبر كلثوم ونفيسة ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالتهم بالنياحة والبكاء على الحسين عليه السلام وكسروا أوانى السقائين فى الاسواق وشققوا الروايا وسبوا من ينفق فى هذا

اليوم

اليوم ونزلوا حتى بلغوا مسجد الريح وثارت عليهم جماعة من رعية أسفل فخرج أبو محمد الحسين بن عمار وكان يسكن هناك فى دار محمد بن أبى بكر وأغلق الدرب ومنع الفريقين ورجع الجميع فحسن موقع ذلك عند المعز ولولا ذلك لعظمت الفتنة لان الناس قد غلقوا الدكاكين وأبواب الدور وعطلوا الاسواق وانما قويت أنفس الشيعة بكون المعز بمصر وقد كانت مصر لا تخلو منهم فى أيام الاخشيدية والكافورية فى يوم عاشوراء عند قبر كلثوم وقبر نفيسة وكان السودان وكافور يتعصبون على الشيعة وتتعلق السودان فى الطرقات بالناس ويقولون للرجل من خالك فان قال معاوية اكرموه وان سكت لقى المكروه وأخذت ثيابه وما معه حتى كان كافور قد وكل بالصحراء ومنع الناس من الخروج * وقال المسبحى وفى يوم عاشوراء يعنى من سنة ست وتسعين وثلثمائة جرى الامر فيه على ما يجرى كل سنة من تعطيل الاسواق وخروج المنشدين الى جامع القاهرة ونزولهم مجتمعين بالنوح والنشيد ثم جمع بعد هذا اليوم قاضى القضاة عبد العزيز بن النعمان سائر المنشدين الذين يتكسبون بالنوح والنشيد وقال لهم لا تلزموا الناس أخذ شئ منهم اذا وقفتم على حوانيتهم ولا تؤذوهم ولا تتكسبوا بالنوح والنشيد ومن أراد ذلك فعليه بالصحراء ثم اجتمع بعد ذلك طائفة منهم يوم الجمعة فى الجامع العتيق بعد الصلاة وأنشدوا وخرجوا على الشارع بجمعهم وسبوا السلف فقبضوا على رجل ونودى عليه هذا جزاء من سب عائشة وزوجها صلى الله عليه وسلم وقدّم الرجل بعد النداء وضرب عنقه * وقال ابن المأمون وفى يوم عاشوراء يعنى من سنة خمس عشرة وخمسمائة عبى السماط بمجلس العطايا من دار الملك بمصر التى كان يسكنها الافضل بن أمير الجيوش وهو السماط المختص بعاشوراء وهو يعبى فى غير المكان الجارى به العادة فى الاعياد ولا يعمل مدورة خشب بل سفرة كبيرة من أدم والسماط يعلوها من غير مرافع نحاس وجميع الزبادى اجبان وسلائط ومخللات وجميع الخبز من شعير وخرج الافضل من باب فرد الكم وجلس على بساط صوف من غير مشورة واستفتح المقرؤن واستدعى الاشراف على طبقاتهم وحمل السماط لهم وقد عمل فى الصحن الاول الذى بين يدى الافضل الى آخر السماط عدس اسود ثم بعده عدس مصفى الى آخر السماط ثم رفع وقدّمت صحون جميعها عسل نحل ولما كان يوم عاشوراء من سنة ست عشرة وخمسمائة جلس الخليفة الآمر بأحكام الله على باب الباذهنج يعنى من القصر بعد قتل الافضل وعود الاسمطة الى القصر على كرسى جريد بغير مخدّة متلثما هو وجميع حاشيته فسلم عليه الوزير المأمون وجميع الامراء الكبار والصغار بالقراميز وأذن للقاضى والداعى والاشراف والامراء بالسلام عليه وهم بغير مناديل ملثمون حفاة وعبى السماط فى غير موضعه المعتاد وجميع ما عليه خبز الشعير والحواضر على ما كان فى الايام الافضلية وتقدّم الى والى مصر والقاهرة بأن لا يمكنا أحدا من جمع ولا قراءة مصرع الحسين وخرج الرسم المطلق للمتصدّرين والقرّاء الخاص والوعاظ والشعراء وغيرهم على ما جرت به عادتهم قال وفى ليلة عاشوراء من سنة سبع عشرة وخمسمائة اعتمد الاجل الوزير المأمون على السنة الافضلية من المضى فيها الى التربة الجيوشية وحضور جميع المتصدّرين والوعاظ وقرّاء القرءان الى آخر الليل وعوده الى داره واعتمد فى صبيحة الليلة المذكورة مثل ذلك وجلس الخليفة على الارض متلثما يرى به الحزن وحضر من شرف بالسلام عليه والجلوس على السماط بما جرت به العادة * قال ابن الطوير اذا كان اليوم العاشر من المحرّم احتجب الخليفة عن الناس فاذا علا النهار ركب قاضى القضاة والشهود وقد غيروا زيهم فيكونون كما هم اليوم ثم صاروا الى المشهد الحسينى وكان قبل ذلك يعمل فى الجامع الازهر فاذا جلسوا فيه ومن معهم من قرّاء الحضرة والمتصدّرين فى الجوامع جاء الوزير فجلس صدرا والقاضى والداعى من جانبيه والقرّاء يقرؤن نوبة بنوبة وينشد قوم من الشعراء غير شعراء الخليفة شعرا يرثون به اهل البيت عليهم السلام فان كان الوزير رافضيا تغالوا وان كان سنيا اقتصدوا ولا يزالون كذلك الى أن تمضى ثلاث ساعات فيستدعون الى القصر بنقباء الرسائل فيركب الوزير وهو بمنديل صغير الى داره ويدخل قاضى القضاة والداعى ومن معهما الى باب الذهب فيجدون الدهاليز قد فرشت مصاطبها بالحصر بدل البسط وينصب فى الاماكن الخالية من المصاطب دكك لتلحق بالمصاطب لتفرش ويجدون صاحب الباب جالسا هناك فيجلس القاضى والداعى الى جانبه والناس على اختلاف طبقاتهم فيقرأ القرّاء وينشد المنشدون أيضا ثم يفرش عليها سماط الحزن مقدار ألف زبدية من العدس والملوحات والمخللات والاجبان والالبان الساذجة والاعسال النحل والفطير والخبز المغير لونه بالقصد فاذا قرب الظهر وقف صاحب الباب وصاحب المائدة وأدخل

الناس للاكل منه فيدخل القاضى والداعى ويجلس صاحب الباب نيابة عن الوزير والمذكوران الى جانبه وفى الناس من لايدخل ولايلزم أحد بذلك فاذا فرغ القوم انفصلوا الى أماكنهم ركبانا بذلك الزى الذى ظهروا فيه وطاف النواح بالقاهرة ذلك اليوم وأغلق البياعون حوانيتهم الى جواز العصر فيفتح الناس بعد ذلك ويتصرفون

(ذكر أبواب القصر الكبير الشرقى)

وكان لهذا القصر الكبير الشرقى تسعة أبواب أكبرها وأجلها باب الذهب ثم باب البحر ثم باب الريح ثم باب الزمرذ ثم باب العيد ثم باب قصر الشوك ثم باب الديلم ثم باب تربة الزعفران ثم باب الزهومة

(باب الذهب) وهو باب القصر الذى تدخل منه العساكر وجميع أهل الدولة فى يومى الاثنين والخميس للموكب المقدم ذكره بقاعة الذهب قال ابن أبى طىء عن المعز لدين الله انه لما خرج من بلاد المغرب أخرج اموالا كانت له ببلاد المغرب وأمر بسبكها ارحية كأرحية الطواحين وأمر بها حين دخل الى مصر فألقيت على باب قصره وهى التى كان الناس يسمونها الخشرات ولم تزل على باب القصر الى أن كان زمن الغلاء فى أيام الخليفة المستنصر بالله فلما ضاق بالناس الامر أذن لهم أن يبردوا منها ببمبارد فاتخذ الناس مباردحادة وغزهم الطمع حتى ذهبوا بأكثرها فأمر بحمل الباقى الى القصر فلم تر بعد ذلك * وقال ابن ميسر ان المعز لما قدم الى القاهرة كان معه مائة جمل عليها الطواحين من الذهب وقال غيره كانت خمسمائة جمل على كل جمل ثلاثة ارحية ذهبا وانه عمل عضادتى الباب من تلك الارحية واحدة فوق اخرى فسمى باب الذهب

(جلوس الخليفة فى الموالد بالمنظرة علو باب الذهب) قال ابن المأمون فى أخبار سنة ست عشرة وخمسمائة وفى الثانى عشر من المحرم كان المولد الآمرى واتفق كونه فى هذا الشهر يوم الخميس وكان قد تقرر أن يعمل أربعون صينية خشكانج وحلوى وكعك وأطلق برسم المشاهد المحتوية على الضرائح الشريفة لكل مشهد سكر وعسل ولوز ودقيق وشيرج وتقدم بأن يعمل خمسمائة رطل حلوى وتفرق على المتصدرين والقراء والفقراء للمتصدرين ومن معهم فى صحون وللفقراء على ارغفة السميذ ثم حضر فى الليلة المذكورة القاضى والداعى والشهود وجميع المتصدرين وقراء الحضرة وفتحت الطاقات التى قبلى باب الذهب وجلس الخليفة وسلموا عليه ثم خرج متولى بيت المال بصندوق مختوم ضمنه عينا مائة دينار وألف وثمانمائة وعشرون درهما برسم أهل القرافة وساكنيها وغيرهم وفرقت الصوانى بعد ما حمل منها للخاص وزمام القصر ومتولى الدفتر خاصة والى دار الوزارة والاجلاء الاخوة والاولاد وكاتب الدست ومتولى حجبة الباب والقاضى والداعى ومفتى الدولة ومتولى دار العلم والمقرئين الخاص وأئمة الجوامع بالقاهرة ومصر وبقية الاشراف قال وخرج الآمر يعنى فى سنة سبع عشرة وخمسمائة باطلاق ما يخص المولد الآمرى برسم المشاهد الشريفة من سكر وعسل وشيرج ودقيق وما يصنع مما يفرق على المساكين بالجامعين الازهر بالقاهرة والعتيق بمصر وبالقرافة خمسة قناطير حلوى وألف رطل دقيق وما يعمل بدار الفطرة ويحمل للاعيان والمستخدمين من بعد القصور والدار المأمونية صينية خشكانج وحضر القاضى والداعى والمستخدمون بدار العيد والشهود فى عشية اليوم المذكور وقطع سلوك الطريق بين القصرين وجلس الخليفة فى المنظرة وقبلوا الارض بين يديه والمقرئون الخاص جميعهم يقرؤن القرآن وتقدم الخطيب وخطب خطبة وسع القول فيها وذكر الخليفة والوزير ثم حضر من انشد وذكر فضيلة الشهر والمولود فيه ثم خرج متولى بيت المال ومعه صندوق من مال النجاوى خاصة مما يفرق على الحكم المتقدم ذكره قال واستهل ربيع الاول ونبدأ بما شرف به الشهر المذكور وهو ذكر مولد سيد الاولين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم لثلاث عشرة منه وأطلق ما هو برسم الصدقات من مال النجاوى خاصة ستة آلاف درهم ومن الاصناف من دار الفطرة أربعون صينية فطرة ومن الخزائن برسم المتولين والسدنة للمشاهد الشريفة التى بين الجبل والقرافة التى فيها أعضاء آل رسول الله صلى الله عليه وسلم سكر ولوز وعسل وشيرج لكل مشهد وما يتولى تفرقته سنا الملك ابن ميسر أربعمائة رطل حلاوة وألف رطل خبز قال وكان الافضل بن أمير الجيوش قد أبطل أمر الموالد الاربعة النبوى والعلوى والفاطمى والامام الحاضر وما يهتم به وقدم العهد به حتى نسى

ذكرها

ذكرها فأخذ الاستاذون يجددون ذكرها للخليفة الآمر بأحكام الله ويرددون الحديث معه فيها ويحسنون له معارضة الوزير بسببها واعادتها واقامة الجوارى والرسوم فيها فأجاب الى ذلك وعمل ماذكر وقال ابن الطوير ذكر جلوس الخليفة فى الموالد الستة فى تواريخ مختلفة ومايطلق فيها وهى مولد النبى صلى الله عليه وسلم ومولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ومولد فاطمة عليها السلام ومولد الحسن ومولد الحسين عليهما السلام ومولد الخليفة الحاضر ويكون هذا الجلوس فى المنظرة التى هى أنزل المناظر وأقرب الى الارض قبالة دار فخر الدين جهاركس والفندق المستجد فاذا كان اليوم الثانى عشر من ربيع الاول تقدم بأن يعمل فى دار الفطرة عشرون قنطارا من السكر اليابس حلواء يابسة من طرائفها وتعبى فى ثلثمائة صينية من النحاس وهو مولد النبى صلى الله عليه وسلم فتفرق تلك الصوانى فى أرباب الرسوم من أرباب الرتب وكل صينية فى قوارة من أول النهار الى ظهره فأول أرباب الرسوم قاضى القضاة ثم داعى الدعاة ويدخل فى ذلك القراء بالحضرة والخطباء والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة وقومة المشاهد ولا يخرج ذلك مما تعلق بهذا الجانب بدعو يخرج من دفتر المجلس كما قدمناه فاذا صلى الظهر ركب قاضى القضاة والشهود بأجمعهم الى الجامع الازهر ومعهم أرباب تفرقة الصوانى فيجلسون مقدار قراءة الختمة الكريمة ثم يستدعى قاضى القضاة ومن معه فان كانت الدعوة مضافة اليه والا حضر الداعى معه بنقباء الرسائل فيركبون ويسيرون الى أن يصلوا الى آخر المضيق من السيوفيين قبل الابتداء بالسلوك بين القصرين فيقفون هنالك وقد سلكت الطريق على السالكين من الركن المخلق ومن سويقة أمير الجيوش عند الحوض هنالك وكنست الطريق فيما بين ذلك ورشت بالماء رشا خفيفا وفرش تحت المنظرة المذكورة بالرمل الاصفر ثم يستدعى صاحب الباب من دار الوزارة ووالى القاهرة ماض وعائد لحفظ ذلك اليوم من الازدحام على نظر الخليفة فيكون بروز صاحب الباب من الركن المخلق هو وقت استدعاء القاضى ومن معه من مكان وقوفهم فيقربون من المنظرة ويترجلون قبل الوصول اليها بخطوات فيجتمعون تحت المنظرة دون الساعة الزمانية بسمت وتشوف لانتظار الخليفة فتفتح احدى الطاقات فيظهر منها وجهه وما عليه من المنديل وعلى رأسه عدة من الاستاذين المحنكين وغيرهم من الخواص منهم ويفتح بعض الاستاذين طاقة ويخرج منها رأسه ويده اليمنى فى كمه ويشير به قائلا أمير المؤمنين يرد عليكم السلام فيسلم بقاضى القضاة أولا بنعوته وبصاحب الباب بعده كذلك وبالجماعة الباقية جملة جملة من غير تعيين احد فيستفتح قراء الحضرة بالقراءة ويكونون قياما فى الصدر وجوههم للحاضرين وظهورهم الى حائط المنظرة فيقدم خطيب الجامع الانور المعروف بجامع الحاكم فيخطب كما يخطب فوق المنبر الى أن يصل الى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فيقول وان هذا يوم مولده الى مامن الله به على ملة الاسلام من رسالته ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة ثم يؤخر ويقدم خطيب الجامع الازهر فيخطب كذلك ثم خطيب الجامع الاقمر فيخطب كذلك والقراء فى خلال خطابة الخطباء يقرؤن فاذا انتهت خطابة الخطباء أخرج الاستاذ رأسه ويده فى كمه من طاقته ورد على الجماعة السلام ثم تغلق الطاقتان فتنفض الناس ويجرى أمر الموالد الخمسة الباقية على هذا النظام الى حين فراغها على عدتها من غير زيادة ولا نقص انتهى وهذا الباب صار بعد زوال الدولة الفاطمية يقابل دار الامير فخر الدين جهاركس الصلاحى التى عرفت بعد ذلك بالدار القطبية وهى الآن المارستان المنصورى وصار موضع هذا الباب محراب مدرسة الظاهر ركن الدين بيبرس

* (باب البحر) * هو من انشاء الحاكم بأمر الله أبى على منصور وهدم فى أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى وشوهد فيه أمر عجيب * قال جامع السيرة الظاهرية لما كان يوم عاشوراء يعنى من سنة اثنتين وسبعين وستمائة رسم بنقض علو أحد أبواب القصر المسمى بباب البحر قبالة المدرسة دار الحديث الكاملية لاجل نقل عمد فيه لبعض العمائر السلطانية فظهر صندوق فى حائط مبنى عليه فللوقت أحضرت الشهود وجماعة كثيرة وفتح الصندوق فوجد فيه صورة من نحاس أصفر مفرغ على كرسى شبه الهرم لرتفاعه قدر شبر له أربعة أرجل تحمل الكرسى والصنم جالس متورك وله يدان مرفوعتان ارتفاعا جيدا يحمل صحيفة دورها قدر ثلاثة أشبار وفى هذه الصحيفة أشكال ثابتة وفى الوسط صورة رأس بغير جسد ودائرة مكتوب كتابة بالقبطى وبالقلفطيريات والى جانبها فى الصحيفة شكل له قرنان يشبه شكل السنبلة والى الجانب الآخر

شكل آخر وعلى رأسه صليب والآخر في يده عكاز وعلى رأسه صليب وتحت أرجلهم أشكال طيور وفوق رؤس الاشكال كتابة ووجد مع هذا الصنم في الصندوق لوح من ألواح الصبيان التي يكتبون فيها بالمكاتب مدهون وجهه الواحد أبيض ووجهه الواحد احمر وفيه كتابة قد تكشط أكثرها من طول المدة وقد بلي اللوح ومابقيت الكتابة تلتئم ولا الخط يفهم وهذا نص مافيه وأخليت مكان كتابته التي تكشطت وأما الوجه الابيض فهو مكتوب بقلم الصحيفة القبطي والمكتوب في الوجه الاحمر على هذه الصورة السطر الاول بقي منه مكتوبا الاسكندر السطر الثاني الارض وبهاله السطر الثالث وجرب لكل السطر الرابع أصحاب السطر الخامس وهو يحرس السطر السادس واحترازه بقوة السطر السابع الملك مرجو وأبواب السطر الثامن غريبته سبعة السطر التاسع عالم حكيم عالم في عقله السطر العاشر وصفها فلا تفسد السطر الحادى عشر طارد كل سوء والذى صاغها الفساء السطر الثاني عشر سد أيضا كل آثار اسدية بيبرس وهى احد السطر الثالث عشر بيبرس ملك الزمان والحكمة كلمة الله عز وجل هذا صورة ماوجد في اللوح مما بقي من الكتابة والبقية قد تكشط وقيل ان هذا اللوح بخط الخليفة الحاكم وأعجب مافيه اسم السلطان وهو بيبرس ولما شاهد السلطان ذلك أمر بقراءته فعرض على قراء الاقلام فتقرئ وذلك بالقلم القبطي ومضمونه طلسم عمل للظاهر بن الحاكم واسم أمه رصد وفيه أسماء الملائكة وعزائم ورقى وأسماء روحانية وصور ملائكة أكثره حرس لديار مصر وثغورها وصرف الاعداء عنها وكفهم عن طروقهم اليها وابتهال الى الله تعالى بأقسام كثيرة لحماية الديار المصرية وصونها من الاعداء وحفظها من كل طارق من جميع الاجناس وتضمن هذا الطلسم كتابة بالقلفطيريات وأوفاقا وصورا وخواص لايعلمها الا الله تعالى وحمل هذا الطلسم الى السلطان وبقي في ذخائره قال ورأيت في كتاب عتيق رث سماه مصنفه وصية الامام العزيز بالله والد الامام الحاكم بأمر الله لولده المذكور وقد ذكر فيه الطلسمات التى على أبواب القصر ومن جملتها ان أول البروج الحمل وهو بيت المريخ وشرف الشمس وله القوة على جميع سلطان الفلك لانه صاحب السيف واسفهسلارية العسكر بين يدى الشمس الملك وله الامر والحرب والسلطان والقوة والمستولى لقوة روحانيته على مدينتنا وقد أقمنا طلسما ساعته ويومه لقهر الاعداء وذل المنافقين في مكان أحكمناه على اشرافه عليه والحصن الجامع لقصر مجاورا الاول باب بنيناه هذا نص مارأيته انتهى ولعل معنى كتابة بيبرس في هذا اللوح اشارة الى أن هدم هذا الباب يكون على زمان بيبرس فان القوم كانت لهم معارف كثيرة وعنايتهم بهذا الفن وافرة كبيرة والله أعلم وموضع باب البحر هذا اليوم يعرف بباب قصر بشتاك قبالة المدرسة الكاملية

(باب الريح) كان على ماأدركته تجاه سور سعيد السعداء على يمنة السالك من الركن المخلق الى رحبة باب العيد وكان بابا مربعا يسلك فيه من دهليز مستطيل مظلم الى حيث المدرسة السابقية ودار الطواشى سابق الدين وقصر أمير السلاح وينتهى الى مابين القصرين تجاه حمام البيسرى وعرف هذا الباب في الدولة الايوبية بباب قصر ابن الشيخ وذلك أن الوزير الصاحب معين الدين حسين بن شيخ الشيوخ وزير الملك الصالح نجم الدين أيوب كان يسكن بالقصر الذى في داخل هذا الباب ثم قيل له في زمننا باب القصر وكان على حاله له عضادتان من حجارة ويعلوه اسكفة حجر مكتوب فيها نقرا في الحجر عدة أسطر بالقلم الكوفى لم يتهيأ لى قراءة مافيها وكان دهليز هذا الباب عريضا يتجاوز عرضه فيما أقدر العشرة أذرع في طول كبير جدا ويعلو هذا الباب دور للسكنى تشرف على الطريق ومازال على ذلك الى أن أنشأ الامير الوزير المشير جمال الدين يوسف الاستادار مدرسته برحبة باب العيد واغتصب لها أملاك الناس وكان مما اغتصب مابجوار المدرسة المذكورة من الحوانيت والرباع التى فوقها وماجاور ذلك وهدمها ليبنيها على مايريد فهدم هذا الباب في صفر سنة احدى عشرة وثمانمائة وبنى في مكانه ومكان الدهليز المظلم الذى كان ينتهى بالسالك فيه من هذا الباب الى المدرسة السابقية هذه القيسارية الكبيرة ذات الحوانيت والسقيفة والابواب الجديدة ودخل فيها بعض مما كان يجانبى هذا الباب من الحوانيت وعلوها ولما هدم هذا الباب ظهر في داخل بنيانه شخص وبلغنى ذلك فسرت الى الامير المذكور وكان بينى وبينه صحبة لاشاهد هذا الشخص المذكور والتمست منه احضاره فأخبرنى انه أحضر اليه شخص من حجارة قصير القامة احدى عينيه أصغر من الاخرى فقلت لابد لى من مشاهدته فأمر

باحضاره

باحضاره الموكل بالعمارة وأنا معه اذ ذاك في موضع الباب وقد هدم ما كان فيه من البناء فذكر أنه رماه بين احجار العمارة وأنه تكسر وصار فيما بينها ولا يستطيع تمييزه منها فأغلظ عليه وبالغ في الفحص عنه فأعياهم احضاره فسألت الرجل حينئذ عنه فقال لي انهم لما انتهوا في الهدم الى حيث كان هذا الشخص اذا بدائرة فيها كتابة وبوسطها شخص قصير صغير احدى العينين من حجارة وهذه كانت صفة جمال الدين فانه كان قصير القامة احدى عينيه أصغر من الاخرى ويشبه والله أعلم أن يكون قد عين في تلك الكتابة التي كانت حول الشخص أن هذا الباب يهدمه من هذه صفته كما وجد في باب الجراسم بيبرس الذي هدم على يديه وبأمره وقد ظفر جمال الدين هذا بأموال عظيمة وجدها في داخل هذا القصر لما أنشأ داره الاولى في الجدرة من داخل هذا الباب في سنة ست وتسعين وسبعمائة وكان لكثرة هذا المال لا يستطيع كتمانه ومن شدة خوفه يومئذ من الظاهر برقوق أن يظهر عليه لا يقدر أن يصرح به فكان يقول لاصحابه وخواصه وجدت في هذا المكان سبعين قفة من حديد أخبرني اثنان رئيسان من أعيان الدولة عنه انه قال لهما هذا القول وكنت اذ ذاك الأيام عمارته لهذه القاعة أتردد لشيخنا سراج الدين عمر بن الملقن رحمه الله تعالى بالمدرسة السابقية وبها كان يسكن فتعرفت بجمال الدين منه وكان يومئذ من عرض الجند ويعرف باستادار نحاس فاشتهر هناك انه وجد حال هدمه وعمارته القاعة والرواق بالجدرة مكانا مبنيا تحت الارض مبيض الحيطان فيه مال فما كان عندي شك انه من أموال خبايا الفاطميين فانه قد ذكر غير واحد من الاخباريين أن السلطان صلاح الدين لما استولى على القصر بعد موت العاضد لم يظفر بشيء من الخبايا وعاقب جماعة فلم يوقفوه على أمرها

(باب الزمرذ) سمى بذلك لانه كان يتوصل منه الى قصر الزمرذ وموضعه الآن المدرسة الحجازية بخط رحبة باب العيد

(باب العيد) هذا الباب مكانه اليوم في داخل درب السلامي بخط رحبة باب العيد وهو عقد محكم البناء ويعلوه قبة قد عملت مسجدا وتحتها حانوت يسكنه سقاء ويقابله مصطبة وأدركت العامة وهم يسمون هذه القبة بالقاهرة ويزعمون أن الخليفة كان يجلس بها ويرخي كمه فتأتي الناس وتقبله وهذا غير صحيح وقيل لهذا الباب باب العيد لان الخليفة كان يخرج منه في يومي العيد الى المصلى بظاهر باب النصر فيخطب بعد أن يصلي بالناس صلاة العيد كما ستقف عليه عند ذكر المصلى ان شاء الله تعالى وفي سنة احدى وستين وستمائة بنى الملك الظاهر بيبرس خانا للسبيل بظاهر مدينة القدس ونقل اليه باب العيد هذا فعمله باباله وتم بناؤه في سنة اثنتين وستين

(باب قصر الشوك) وهو الذي كان يتوصل منه الى قصر الشوك وموضعه الآن تجاه حمام عرفت بحمام الايدمري ويقال لها اليوم حمام يونس عند موقف المكارية بجوار خزانة البنود على يمنة السالك منها الى رحبة الايدمري وهو الآن زقاق ينتهي الى بئر يستقى منها بالدلاء ويتوصل من هناك الى المارستان العتيق وغيره وأدركت منه قطعة من جانبه الايسر

(باب الديلم) وكان يدخل منه الى المشهد الحسيني وموضعه الآن درج ينزل منها الى المشهد تجاه الفندق الذي كان دار الفطرة ولم يبق لهذا الباب اثر البتة

(باب تربة الزعفران) مكانه الآن بجوار خان الخليلي من بحريه مقابل فندق المهمندار الذي يدق فيه ورق الذهب وقد بني بأعلاه طبقة ورواق ولا يكاد يعرفه كثير من الناس وعليه كتابة بالقلم الكوفي وهذا الباب كان يتوصل منه الى تربة القصر المذكورة فيما تقدم

(باب الزهومة) كان في آخر ركن القصر مقابل خزانة الدرق التي هي اليوم خان مسرور وقيل له باب الزهومة لان اللحوم وحوائج الطعام التي كانت تدخل الى مطبخ القصر الذي للحوم انما يدخل بها من هذا الباب فقيل له باب الزهومة يعني باب الزفر وكان تجاهه ايضا درب السلسلة الآتي ذكره ان شاء الله تعالى وموضعه الآن باب قاعة الحنابلة من المدارس الصالحية تجاه فندق مسرور الصغير ومن بعد باب الزهومة المذكور باب الذهب الذي تقدم ذكره فهذه ابواب القصر الكبير التسعة

(ذكر المنحر)

وكان بجوار هذا القصر الكبير المنحر وهو الموضع الذى اتخذه الخلفاء لنحر الاضاحى فى عيد النحر وعيد الغدير وكان تجاه رحبة باب العيد وموضعه الآن يعرف بالدرب الاصفر تجاه خانقاه بيبرس وصار موضعه ما فى داخل هذا الدرب من الدور والطاحون وغيرها وظاهره تجاه رأس حارة برجوان يفصل بينه وبين حارة برجوان الحوانيت التى تقابل باب الحارة ومن جملة المنحر الساحة العظيمة التى عملت لها خوند بركة ام السلطان الملك الاشرف شعبان بن حسين البوابة العظيمة بخط الركن المخلق بجوار قيسارية الجلود التى عمل فيها حوانيت الاساكفة وكان الخليفة اذا صلى صلاة عيد النحر وخطب ينحر بالمصلى ثم يأتى المنحر المذكور وخلفه المؤذنون يجهرون بالتكبير ويرفعون أصواتهم كلما نحر الخليفة شيأ وتكون الحربة فى يد قاضى القضاة وهو بجانب الخليفة ليناوله اياها اذا نحر واول من سن منهم اعطاء الضحايا وتفرقتها فى اولياء الدولة على قدر رتبهم العزيز بالله نزار * (ما كان يعمل فى عيد النحر) * قال المسبحى وفى يوم عرفة يعنى من سنة ثمانين وثلثمائة حمل يانس صاحب الشرطة السماط وحمل أيضا على بن سعد المحتسب سماطا آخر وركب العزيز بالله يوم النحر فصلى وخطب على العادة ثم نحر عدة نوق بيده وانصرف الى قصره فنصب السماط والموائد واكل ونحر بين يديه وأمر بتفرقة الضحايا على اهل الدولة وذكر مثل ذلك فى باقى السنين وقال ابن المأمون فى عيد النحر من سنة خمس عشرة وخمسمائة وأمر بتفرقة عيد النحر والهبة وجملة العين ثلاثة آلاف وثلثمائة وسبعون دينارا ومن الكسوات مائة قطعة وسبع قطع برسم الامراء المطوّقين والاستاذين المحنكين وكتاب الدست ومتولى حجبة الباب وغيرهم من المستخدمين وعدة ما ذبح ثلاثة ايام النحر فى هذا العيد وعيد الغدير ألفان وخمسمائة وأحد وستون رأسا تفصيله نوق مائة وسبعة عشر رأسا بقر أربعة وعشرون رأسا جاموس عشرون رأسا هذا الذى نحره وذبحه الخليفة بيده فى المصلى والمنحر وباب الساباط ويذبح الجزارون من الكباش ألفين وأربعمائة رأس والذى اشتملت عليه نفقات الاسمطة فى الايام المذكورة خارجا عما يعمل بالدار المأمونية من الاسمطة وخارجا عن اسمطة القصور عند الحرم وخارجا عن القصور الحلواء والقصور المنفوخ المصنوعة بدار الفطرة ألف وثلثمائة وستة وعشرون دينارا وربع وسدس دينار ومن السكر برسم القصور والقطع المنفوخ أربعة وعشرون قنطارا تفصيله عن قصرين فى اول يوم خاصة اثناعشر قنطارا المنفوخ عن ثلاثة الايام اثناعشر قنطارا وقال فى سنة ست عشرة وخمسمائة وحضر وقت تفرقة كسوة عيد النحر ووصل ما تأخر فيها بالطراز وفرّقت الرسوم على من جرت عادته خارجا عما أمر به من تفرقة العين المختص بهذا العيد وأضحيته وخارجا عما يفرّق على سبيل المناخ ومن باب الساباط مذبوحا ومنحورا ستمائة دينار وسبعة عشر دينارا وفى التاسع من ذى الحجة جلس الخليفة الآمر بأحكام الله على سرير الملك وحضر الوزير وأولاده وقاموا بما يجب من السلام واستفتح المقرؤن وتقدّم حامل المظلة وعرض ما جرت عادته من المظال الخمسة التى جميعها مذهب وسلم الامراء على طبقاتهم وختم المقرؤن وعرضت الدواب جميعها والعماريات والوحوش وعاد الخليفة الى محله فلما أسفر الصبح خرج الخليفة وسلم على من جرت عادته بالسلام عليه ولم يخرج شئ عما جرت به العادة فى الركوب والعود وغير الخليفة ثيابه ولبس ما يختص بالنحر وهى البدلة الحمراء بالشدّة التى تسمى بشدّة الوقار والعلم الجوهر فى وجهه بغير قضيب ملك فى يده الى أن دخل المنحر وفرشت الملاءة الديبقى الحمراء وثلاث بطائن مصبوغة حزليتقى بها الدم مع كون كل من الجزارين بيده مكبة صفصاف مدهونة يلقى بها الدم عن الملاءة وكبر المؤذنون ونحر الخليفة أربعا وثلاثين ناقة وقصد المسجد الذى آخر صف المنحر وهو مغلق بالشروب والفاكهة المعباة فيه بقدار ما غسل يديه ثم ركب من فوره وجملة ما نحره وذبحه الخليفة خاصة فى المنحر وباب الساباط دون الاجل الوزير المأمون وأولاده واخوته فى ثلاثة الايام ما عدته ألف وتسعمائة وستة وأربعون رأسا تفصيله نوق مائة وثلاث عشرة ناقة نحر منها فى المصلى عقيب الخطبة ناقة وهى التى تهدى وتطلب من آفاق الارض للتبرّك بلحمها ونحر فى المناخ مائة ناقة وهى التى يحمل منها للوزير وأولاده واخوته والامراء والضيوف والاجناد والعسكرية والمميزين من الراجل وفى كل يوم يتصدّق منها على الضعفاء والمساكين بناقة واحدة وفى اليوم الثالث من العيد تحمل ناقة منحورة للفقراء فى القرافة وينحر فى باب الساباط ما يحمل الى من حوته القصور والى دار الوزارة والى الاصحاب والحواشى اثنتاعشرة ناقة وثمانى عشرة بقرة

وخمس عشرة جاموسة ومن الكباش ألف وثمانمائة رأس ويتصدق كل يوم فى باب الساباط بسقط مايذبح من النوق والبقر وأما مبلغ المنصرف على الاسمطة فى ثلاثة الايام خارجا عن الاسمطة بالدار المأمونية فألف وثلثمائة وستة وعشرون دينارا وربع وسدس دينار ومن السكر برسم قصور الحلاوة والقطع المنفوخ المصنوعة بدار الفطرة خارجا عن المطابخ ثمانية وأربعون قنطارا * وقال ابن الطوير فاذا انقضى ذو القعدة وأهل ذو الحجة اهتم بالركوب فى عيد النحر وهو يوم عاشره فيجرى حاله كما جرى فى عيد الفطر من الزى والركوب الى المصلى ويكون لباس الخليفة فيه الاحمر الموشح ولا ينخرم منه شئ وركوبه ثلاثة أيام متوالية فأولها يوم الخروج الى المصلى والخطابة كعيد الفطر وثانى يوم وثالثه الى المنحر وهو المقابل لباب الريح الذى فى ركن القصر المقابل لسور دار سعيد السعداء الخانقاه اليوم وكان براحا خاليا لا عمارة فيه فيخرج من هذا الباب الخليفة بنفسه ويكون الوزير واقفا عليه فيترجل ويدخل ماشيا بين يديه بقربه هذا بعد انفصالهما من المصلى ويكون قد قيد الى هذا المنحر احد وثلاثون فصيلا وناقة أمام مصطبة مفروشة يطلع عليها الخليفة والوزير ثم اكابر الدولة وهو بين الاستاذين المحنكين فيقدم الفراشون له الى المصطبة رأسا ويكون بيده حربة من رأسها الذى لاسنان فيه ويد قاضى القضاة فى اصل سنانها فيجعله القاضى فى نحر النحيرة ويطعن بها الخليفة وتجر من بين يديه حتى يأتى على العدة المذكورة فأول نحيرة هى التى تقدد وتسير الى داعى اليمن وهو الملك فيه فيفرقها على المعتقدين من وزن نصف درهم الى ربع درهم ثم يعمل ثانى يوم كذلك فيكون عدد ماينحر سبعا وعشرين ثم يعمل فى اليوم الثالث كذلك وعدة ماينحر ثلاث وعشرون هذا وفى مدة هذه الايام الثلاثة يسير رسم الاضحية الى أرباب الرتب والرسوم كما سيرت الغرة فى اول السنة من الدنانير بغير رباعية ولا قراريط على مثال الغرة من عشرة دنانير الى دينار وأما لحم الجزور فانه يفرق فى أرباب الرسوم للتبرك فى أطباق مع ادوان الفراشين واكثر ذلك تفرقة قاضى القضاة وداعى الدعاة للطلبة بدار العلم والمتصدرين بجوامع القاهرة ونقباء المؤمنين بها من الشيعة للتبرك فاذا انقضى ذلك خلع الخليفة على الوزير ثيابه الحمر التى كانت عليه ومنديلا آخر بغير السمة والعقد المنظوم من القصر عند عود الخليفة من المنحر فيركب الوزير من القصر بالخلع المذكورة شاقا القاهرة فاذا خرج من باب زويلة انعطف على يمينه سالكا على الخليج فيدخل من باب القنطرة الى دار الوزارة وبذلك انفصال عيد النحر * وقال ابن أبى طى عدة مايذبح فى هذا العيد فى ثلاثة ايام النحر وفى يوم عيد الغدير ألفان وخمسمائة وأحد وستون رأسا تفصيله نوق مائة وسبعة عشر رأسا بقر أربعة وعشرون رأسا جاموس عشرون رأسا هذا الذى ينحره الخليفة ويذبحه بيده فى المصلى والمنحر وباب الساباط ويذبح الجزارون بين يديه من الكباش ألفا وأربعمائة رأس * وقال ابن عبد الظاهر كان الخليفة ينحر بالمنحر مائة رأس ويعود الى خزانة الكسوة فيغير قماشه ويتوجه الى الميدان وهو الخرنشف بباب الساباط لنحر والذبح ويعود بعد ذلك الى الحمام ويغير ثيابه للجلوس على الاسمطة وعدة مايذبحه ألف وسبعمائة وستة وأربعون رأسا مائة وثلاث عشرة ناقة والباقى بقر وغنم * قال ابن الطوير وثمن الضحايا على ماتقرر مايقرب من ألفى دينار وكانت تخرج المخلقات الى الاعمال بشائر بركوب الخليفة فى يوم عيد النحر فمما كتب به الاستاذ البارع ابو القسم على بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفى المنعوت بتاج الرياسة أما بعد فالحمد لله الذى رفع منار الشرع وحفظ نظامه ونشر راية هذا الدين وأوجب اعظامه وأطلع بخلافة امير المؤمنين كواكب سعوده وأظهر للموالف والمخالف عزة أحزابه وقوة جنوده وجعل فرعه ساميا ناميا واصله ثابتا راسخا وشرفه على الاديان بأسرها وكان لعراها فاصما ولاحكامها ناسخا يحمده أمير المؤمنين أن الزم طاعته الخليقة وجعل كراماته الاسباب الجديرة بالامارة الخليقة ويرغب اليه فى الصلاة على جده محمد الذى حاز الفخار أجمعه وضمن الجنة لمن آمن به واتبع النور الذى انزل معه ورفعه الى اعلى منزلة تخير له منها المحل وأرسله بالهدى ودين الحق فزهق الباطل وخمدت ناره واضمحل صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين على بن أبى طالب خير الامة وامامها وحبر الملة وبدر تمامها والموفى يومه فى الطاعات على ماضى امسه ومن اقامه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المباهلة مقام نفسه واختصه بأبعد غاية فى سورة براءة فنادى فى الحج بأولها ولم يكن غيره ينفذ نفاذه ولا يسد مكانه لانه قال لا يبلغ عنى الا رجل من أهل بيتى عملا فى ذلك بما أمر الله به سبحانه وعلى

الائمة من ذريتهما خلفاء الله فى أرضه والقائمين فى سياسة خلقه بصريح الايمان ومحضه والحكمين من أمر الدين مالا وجه لحله ولا سبيل الى نقضه وسلم عليهم أجمعين سلاما يتصل دوامه ولا يخشى انصرامه ومجد وكرّم وشرّف وعظم وكتاب أمير المؤمنين هذا اليك يوم الاحد عيد النحر من سنة ست وثلاثين وخمسمائة الذى تبلج فجره عن سيئات محصت ونفوس من آثار الذنوب خلصت ورحمة امتدت ظلالها وانتشرت ومغفرة هنأت ونشرت وكان من خبر هذا اليوم أن أمير المؤمنين برز لكافة من بحضرته من اوليائه متوجها لقضاء حق هذا العيد السعيد وأدائه فى عترة راسخة قواعدها متمكنه وعساكر جة تضيق عنها ظروف الامكنه ومواكب تتوالى كتوالى السيل وتهاب هيبة مجيئه فى الليل بأسلحة تحسر لها الابصار وتبرق وترتاع الافئدة منها وتفرق نمن مشرفى اذا ورد تورّد ومن سمهرى اذا قصد تقصد ومن عمد اذا عمدت تبرّأت المغافر من ضمانها ومن قسىّ اذا ارسلت بنانها وصلت الى القلوب بغير استئذانها ولم يزل سائرا فى هدى الامامة وأنوارها وسكينة الخلافة ووقارها الى أن وصل الى المصلى قدام المحراب وأدّى الصلاة اذلم يكن بينه وبين التقبيل حجاب ثم علا المنبر فاستوى على ذروته ثم هلل الله وكبر وأثنى على عظمته وأحسن الى الكافة بتبليغ موعظته وتوجه الى ما اعدّ من البدن فنحره تكميلا لقربته وانتهى فى ذلك الى ما امر الله عز وجل وعاد الى قصوره المكرّمة ومنازله المقدسة قد رضى الله عمله وشكر فعله وتقبله اعلمك امير المؤمنين بذلك لتشكر الله على النعمة فيه وتذيعه قبلك على الرسم مما تجاريه فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى

(ذكر دار الوزارة الكبرى)

وكان بجوار هذا القصر الكبير الشرقى تجاه رحبة باب العيد دار الوزارة الكبرى ويقال لها الدار الافضلية والدار السلطانية * قال ابن عبد الظاهر دار الوزارة بناها بدر الجمالى أمير الجيوش ثم لم يزل يسكنها من يلى امرة الجيوش الى أن انتقل الامر عن المصريين وصار الى بنى أيوب فاستقر سكن الملك الكامل بقلعة الجبل خارج القاهرة وسكنها السلطان الملك الصالح ولده ثم أرصدت دار الوزارة لمن يرد من الملوك ورسل الخليفة الى هذا الوقت وكانت دار الوزارة قديما تعرف بدار القباب واضافها الافضل الى دور بنى هريسة وعمرها دارا وسماها دار الوزارة انتهى والذى تدل عليه كتب ابتياعات الاملاك القديمة التى بتلك الخطة انها من بناء الافضل لا من عمارة ابيه بدر والدار التى عمرها أمير الجيوش بدر هى داره بحارة برجوان التى قيل لها دار المظفر ومازال وزراء الدولة الفاطمية ارباب السيوف من عهد الافضل بن أمير الجيوش يسكنون بدار الوزارة هذه الى أن زالت الدولة فاستقر بها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب وابنه من بعده الملك العزيز عثمان ثم ابنه الملك المنصور ثم الملك العادل ابو بكر بن ايوب ثم ابنه الملك الكامل وصاروا يسمونها الدار السلطانية وأول من انتقل عنها من الملوك وسكن بالقلعة الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن ايوب وجعلها منزلا للرسل فلما ولى قطز سلطنة ديار مصر وتلقب بالملك العادل فى سنة سبع وخمسين وستمائة وحضر اليه البحرية وفيهم بيبرس البندقدارى وقلاون الالفى من الشام خرج الملك العادل قطز الى لقائهم وأنزل الامير ركن الدين بيبرس بدار الوزارة فلم يزل بها حتى سافر صحبة قطز الى الشام وقتله وعاد الى مصر فتسلطن وسكن بقلعة الجبل * وفى سنة ثلاث وتسعين وستمائة لما قتل الاشرف خليل بن قلاون فى واقعة بيدرا ثم قتل بيدرا وأجلس الملك الناصر محمد على تخت الملك وثارت الاشرفية من المماليك على الامراء وقتل من قتل منهم خاف بقية الامراء من شر المماليك الاشرفية فقبض منهم على نحو الستمائة مملوك وأنزل بهم من القلعة وأسكن منهم نحو الثلثمائة بدار الوزارة وأسكن منهم كثير فى مناظر الكبش واجريت عليهم الرواتب ومنعوا من الركوب الى أن كان من أمرهم ما هو مذكور فى موضعه من هذا الكتاب * ولما كانت سنة سبعمائة أخذ الامير شمس الدين قراسنقر المنصورى نائب السلطنة فى ايام الملك المنصور حسام الدين لاجين قطعة من دار الوزارة فبنى بها الربع المقابل خانقاه سعيد السعداء ثم بنى المدرسة المعروفة بالقراسنقرية ومكتب الايتام فلما كانت دولة البرجية بنى الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الخانقاه الركنية والرباط بجانبها من جملة دار الوزارة وذلك فى سنة

تسع

تسع وسبعمائة ثم استولى الناس على مابقى من دار الوزارة وبنوا فيها فن حقوقها الربع تجاه الخانقاه الصلاحية دار سعيد السعداء والمدرسة القراسنقرية وخانقاه ركن الدين بيبرس وما بجوارها من دار قزمان ودار الامير شمس الدين سنقر الاعسر الوزير المعروفة بدار خوند طولوباى الناصرية جهة الملك الناصر حسن ابن محمد بن قلاون وحمام الاعسر التى بجانبها والحمام المجاورة لها وماوراء هذه الاماكن من الآدر وغيرها وهى الفرن والطاحون التى قبلى المدرسة القراسنقرية ومن الآدر والخربة التى قبلى ربع قراسنقر وماجاور باب سر المدرسة القراسنقرية من الآدر وخربة اخرى هناك والدار الكبرى المعروفة بدار الامير سيف الدين برلغى الصغير صهر الملك المظفر بيبرس الجاشنكير المعروفة اليوم بدار الغزاوى وفيها السرداب الذى كان رزيك ابن الصالح رزيك فتحه فى ايام وزارته من دار الوزارة الى سعيد السعداء وهو باق الى الآن فى صدر قاعتها وذكر أن فيه حبة عظيمة ومن حقوق دار الوزارة المناخ المجاور لهذه القاعة وكان على دار الوزارة سور مبنى بالحجارة وقد بقى الآن منه قطعة فى حدّ دار الوزارة الغربى وفى حدها القبلى وهو الجدار الذى فيه باب الطاحون والساقية تجاه باب سعيد السعداء من الزقاق الذى يعرف اليوم بخرائب تتر ومنه قطعة فى حدها الشرقى عند باب الحمام والمستوقد بباب الجوانية وكان بدار الوزارة هذا الشباك الكبير المعمول من الحديد فى القبة التى دفن تحتها بيبرس الجاشنكير من خانقاهه وهو الشباك الذى يقرأ فيه القراء وكان موضوعا فى دار الخلافة ببغداد يجلس فيه الخلفاء من بنى العباس فلما استولى الامير أبو الحرث البساسيرى على بغداد وخطب فيها للخليفة المستنصر بالله الفاطمى أربعين جمعة وانتهب قصر الخلافة وسار الخليفة القائم بأمر الله العباسى الى عانة وسير البساسيرى الاموال والتحف من بغداد الى المستنصر بالله بمصر فى سنة سبع وأربعين وأربعمائة كان من جملة ما بعث به منديل الخليفة القائم بامر الله الذى عممه بيده فى قالب من رخام قد وضع فيه كما هو حتى لا تتغير شدّته ومع هذا المنديل رداؤه والشباك الذى كان يجلس فيه ويتكئ عليه فاحتفظ بذلك الى أن عمرت دار الوزارة على يد الافضل بن أمير الجيوش فجعل هذا الشباك بها يجلس فيه الوزير ويتكئ عليه ومازال بها الى أن عمر الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الخانقاه الركنية وأخذ من دار الوزارة أنقاضا منها هذا الشباك فجعله فى القبة وهو شباك جليل وأما العمامة والرداء فمازالا بالقصر حتى مات العاضد وتملك السلطان صلاح الدين ديار مصر فسيرهما فى جملة ما بعث من مصر الى الخليفة المستضىء بالله العباسى ببغداد ومعهما الكتاب الذى كتبه الخليفة القائم على نفسه وأشهد عليه العدول فيه أنه لا حق لبنى العباس ولا له من جملتهم فى الخلافة مع وجود بنى فاطمة الزهراء عليها السلام وكان البساسيرى ألزمه حتى أشهد على نفسه بذلك وبعث بالاشهاد الى مصر فأنفذه صلاح الدين الى بغداد مع ماسيره من التحف التى كانت بالقصر وأخبرنى شيخ معمر يعرف بالشيخ على السعودى ولد فى سنة سبع وسبعمائة قال رأيت مرّة وقد سقط من ظهر الرباط المجاور لخانقاه بيبرس من جملة ما بقى من سور دار الوزارة جانب ظهرت منه علبة فيها رأس انسان كبير وعندى أن هذا الرأس من جملة رؤس الامراء البرقية الذين قتلهم ضرغام فى ايام وزارته للعاضد بعد شاور فانه كان عمل الحيلة عليهم بدار الوزارة وصار يستدعى واحدا بعد واحد الى خزانة بالدار ويوهم أنه يخلع عليهم فاذا صار واحد منهم فى الخزانة قتل وقطع رأسه وذلك فى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وكانت دار الوزارة فى الدولة الفاطمية تشتمل على عدّة قاعات ومساكن وبستان وغيره وكان فيها مائة وعشرون مقسما للماء الذى يجرى فى بركها ومطابخها ونحو ذلك

(ذكر رتبة الوزارة وهيئة خلعهم ومقدار جاريهم وما يتعلق بذلك)

أما المعز لدين الله اوّل الخلفاء الفاطميين بديار مصر فانه لم يوقع اسم الوزارة على أحد فى ايامه وأوّل من قيل له الوزير فى الدولة الفاطمية الوزير يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله أبى منصور نزار بن المعز واليه تنسب الحارة الوزيرية كما ستقف عليه عند ذكر الحارات من هذا الكتاب فلما مات ابن كلس لم يستوزر العزيز بالله بعده أحدا وانما كان رجل يلى الوساطة والسفارة فاستقر فى ذلك جماعة كثيرة بقية أيام العزيز وسائر ايام ابنه أبى على منصور الحاكم بأمر الله ثم ولى الوزارة احمد بن على الجرجراى فى ايام الظاهر أبى هاشم على بن

الحاكم ومازال الوزراء من بعده واحدا بعد واحد وهم أرباب اقلام حتى قدم أمير الجيوش بدر الجمالى * قال ابن الطوير وكان من زى هؤلاء الوزراء انهم يلبسون المناديل الطبقيات بالاحناك تحت حلوقهم مثل العدول الآن وينفردون بلبس ثياب قصار يقال لها الذراريع واحدها ذراعة وهى مشقوقة أمام وجهه الى قريب من رأس الفؤاد بأزرار وعرى ومنهم من تكون أزراره من ذهب مشبك ومنهم من أزراره لؤلؤ وهذه علامة الوزارة ويحمل له الدواة المحلاة بالذهب ويقف بين يديه الحجاب وأمره نافذ فى أرباب السيوف من الاجناد وأرباب الاقلام وكان آخرهم الوزير ابن المغربى الذى قدم عليه أمير الجيوش بدر الجمالى من عكا ووزر للمستنصر وزير سيف ولم يتقدمه فى ذلك أحد انتهى وترتيب وزارته بأن تكون وزارته وزارة صاحب سيف بأن تكون الامور كلها مردودة اليه ومنه الى الخليفة دون سائر خدمه فعقد له هذا العقد وأنشئ له السجل ونعت بالسيد الاجل امير الجيوش وهو النعت الذى كان لصاحب ولاية دمشق وأضيف اليه كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين وجعل القاضى والداعى نائبين عنه ومقلدين من قبله وكتب له فى سجله وقد قلدك أمير المؤمنين جميع جوامع تدبيره وناط بك النظر فى كل ماوراء سريره فباشر ماقلدك أمير المؤمنين من ذلك مدبرا للبلاد ومصلحا للفساد ومدمرا اهل العناد وخلع عليه بالعقد المنظوم بالجوهر مكان الطوق وزيد له الحنك مع الذؤابة المرخاة والطيلسان المقور زى قاضى القضاة وذلك فى سنة سبع وستين وأربعمائة فصارت الوزارة من حينئذ وزارة تفويض ويقال لمتوليها أمير الجيوش وبطل اسم الوزارة فلما قام شاهنشاه بن أمير الجيوش من بعد أبيه ومات الخليفة المستنصر وأجلس ابن بدر فى الخلافة احمد بن المستنصر ولقبه بالمستعلى صار يقال له الافضل ومن بعده صار من يتولى هذه الرتبة يتلقب به أيضا وأول من لقب بالملك منهم مضافا الى بقية الالقاب رضوان بن ولخشى عندما وزر للحافظ لدين الله فقيل له السيد الاجل الملك الافضل وذلك فى سنة ثلاثين وخمسمائة وفعل ذلك من بعده فتلقب طلائع بن رزيك بالملك المنصور وتلقب ابنه رزيك بن طلائع بالملك العادل وتلقب شاور بالملك المنصور وتلقب آخرهم صلاح الدين يوسف بن ايوب بالملك الناصر وصار وزير السيف من عهد أمير الجيوش بدر الى آخر الدولة هو سلطان مصر وصاحب الحل والعقد واليه الحكم فى الكافة من الامراء والاجناد والقضاة والكتاب وسائر الرعية وهو الذى يولى أرباب المناصب الديوانية والدينية وصار حال الخليفة معه كما هو حال ملوك مصر من الاتراك اذا كان السلطان صغيرا والقائم بأمره من الامراء وهو الذى يتولى تدبير الامور كما كان الامير يلبغا الخاصكى مع الاشرف شعبان وكما أدركنا الامير برقوق قبل سلطنته مع ولدى الاشرف وكما كان الامير أيتمش مع الملك الناصر فرج بعد موت الظاهر برقوق * قال ابن أبى طى وكانت خلعهم يعنى الخلفاء الفاطميين على الامراء الثياب الديبقى والعمائم القصب بالطراز الذهب وكان طراز الذهب والعمامة من خمسمائة دينار ويخلع على أكابر الامراء الاطواق الذهب والاسورة والسيوف المحلاة وكان يخلع على الوزير عوضا عن الطوق عقد جوهر * قال ابن الطوير وخلع عليه يعنى على امير الجيوش بدر الجمالى بالعقد المنظوم بالجوهر مكان الطوق وزيد له الحنك مع الذؤابة المرخاة والطيلسان المقور زى قاضى القضاة وهذه الخلع تشابه خلع الوزراء وأرباب الاقلام فى زمننا هذا غير أنه لقصور أحوال الدولة جعل عوض العقد الجوهر الذى كان للوزير ويفك بخمسة آلاف مثقال ذهبا قلادة من عنبر مغشوش يقال لها العنبرية وتميز بها الوزير خاصة ويلبس أيضا الطيلسان المقور ويسمى اليوم بالطرحة ويشاركه فيها جميع أرباب العمائم اذا خلع عليهم فانه تكون خلعهم بالطرحة وترك أيضا اليوم من خلعة الوزير وغيره الذؤابة المرخاة وهى العذبة وصارت الآن من زى القضاة فقط وهجرها الوزراء ويشبه والله أعلم أن يكون وضعها فى الدولة الفاطمية للوزير فى خلعه اشارة الى انه كبير أرباب السيوف والاقلام فانه كان مع ذلك يتقلد بالسيف وكذلك ترك فى الدولة التركية من خلع الوزارة تقليد السيف لانه لا حكم له على أرباب السيوف ولما قام الافضل ابن أمير الجيوش خلع ايضا عليه بالسيف والطيلسان المقور وبعد الافضل لم يخلع على أحد من الوزراء كذلك الى أن قدم طلائع بن رزيك واقب بالملك الصالح عندما خلع عليه للوزارة وجعل فى خلعته السيف والطيلسان المقور * قال ابن المأمون وفى يوم الجمعة ثانيه يعنى ثانى ذى الحجة يعنى سنة خمس عشرة وخمسمائة خلع على القائد ابن فاتك البطائحى من الملابس الخاص الشريفة فى فرد كم مجلس الكعبة وطوق بطوق ذهب مرصع

وسيف

وسيف ذهب كذلك وسلم على الخليفة الآمر بأحكام الله وأمر الخليفة الاستاذين المحنكين بالخروج بين يديه وأن يركب من المكان الذى كان الافضل بن امير الجيوش يركب منه ومشى فى ركابه القواد على عادة من تقدمه وخرج بتشريف الوزارة يعنى من باب الذهب ودخل من باب العيد راكبا وجرى الحكم فيه على ما تقدم للافضل ووصل الى داره فضاعف الرسوم وأطلق الهبات ولما كان يوم الاثنين خامس ذى الحجة اجتمع امراء الدولة لتقبيل الارض بين يدى الخليفة الآمر على العادة التى قررها مستجدة واستدعى الشيخ أبا الحسن بن ابى أسامة فلما حضر امر باحضار السجل للاجل الوزير المأمون من يده فقبله وسلمه لزمام القصر وامر الخليفة الوزير المأمون بالجلوس عن يمينه وقرئ السجل على باب المجلس وهو اول سجل قرئ فى هذا المكان وكانت سجلات الوزراء قبل ذلك تقرأ بالايوان ورسم للشيخ ابى الحسن أن ينقل النسبة للامراء والمحنكين من الامراء الى المأمونى للناس اجمع ولم يكن أحد منهم ينتسب للافضل ولا لامير الجيوش وقدمت الدواة للمأمون فعلم فى مجلس الخليفة وتقدمت الامراء والاجناد فقبلوا الارض وشكروا على هذا الاحسان وأمر الخليفة باحضار الخلع لحاجب الحجاب حسام الملك وطوق بطوق ذهب وسيف ذهب ومنطقة ذهب ثم أمر بالخلع للشيخ أبى الحسن ابن أبى أسامة باستمراره على ما بيده من كتابة الدست الشريف وشرفه بالدخول الى مجالس الخليفة ثم استدعى الشيخ أبا البركات بن ابى الليث وخلع عليه بدلة مذهبة وكذلك ابو الرضى سالم ابن الشيخ أبى الحسن وكذلك ابو المكارم أخوه وأبو محمد أخوهما ثم ابو الفضل بن الميدمى ووهبه دنانير كثيرة بحكم أنه الذى قرأ السجل وخلع على الشيخ أبى الفضائل بن أبى الليث صاحب دفتر المجلس ثم استدعى عدى الملك سعيد بن عماد الضيف متولى امور الضيافات والرسل الواصلين الى الحضرة من مجلس الافضل ولا يصل لعتبته أحد لا حاجب الحجاب ولا غيره سوى عدى الملك هذا فانه كان يقف من داخل العتبة وكانت هذه الخدمة فى ذلك الوقت من أجل الخدم واكبرها ثم عادت من أهون الخدم وأقلها فعند ذلك قال القاضى ابو الفتح بن قادوس يمدح الوزير المأمون عند مثوله بين يديه وقد زيد فى نعوته

قالوا أتاه النعت وهو السيد الـ * ـمأمون حقا والاجل الاشرف
ومعيت ائمة احمد ومجيرها * ما زادنا شيأ على ما نعرف

قال ولما استمر حسن نظر المأمون للدولة وجميل أفعاله بلغ الخليفة الآمر بأحكام الله فشكره واثنى عليه فقال له المأمون ثم كلام يحتاج الى خلوة فقال الخليفة تكون فى هذا الوقت وأمر بخلو المجلس فعند ذلك مثل بين يدى الخليفة وقال له يا مولانا امتثالنا الامر صعب ومخالفته أصعب وما يتسع خلافه قدام امراء دولته وهو فى دست خلافته ومنصب آبائه وأجداده ومافى قواى ما برومه منى ويكفينى هذا المقدار وهيهات أن أقوم به والامر كبير فعند ذلك تغير الخليفة وأقسم ان كان لى وزير غيرك وهو فى نفسى من ايام الافضل وهو مستمر على الاستعفاء الى أن بان له التغير فى وجه الخليفة وقال ما اعتقدت انك تخرج عن أمرى ولا تخالفنى فقال له المأمون عندئذ لى شروط وأنا أذكرها فقال له مهما شئت اشترط فقال له قد كنت بالامس مع الافضل وكان قد اجتهد فى النعوت وحل المنطقة فلم أفعل فقال الخليفة علمت ذلك فى وقته قال وكان أولاده يكتبون اليه بما يعلمه مولاى من كونى قد خنته فى المال والاهل وما كان والله العظيم ذلك منى يوما قط ثم مع ذلك معاداة الاهل جميعا والاجناد وارباب الطيالس والاقلام وهو يعطينى كل رقعة تصل اليه منهم وما سمع كلام أحد منهم فى فعند ذلك قال له الخليفة فاذا كان فعل الافضل معك ما ذكرته ايش يكون فعلى انا فقال المأمون يعرفنى المولى ما يأمر به فأمتثله بشرط أن لا يكون عليه زائد فأول ما بدأ به أن قال اريد الاحوال لا تجبى الا بالقصر ولا تصل الكسوات من الطراز والثغور الا اليه ولا تفرق الامنه وتكون اسمطة الاعياد فيه ويوسع فى رواتب القصور من كل صنف وزيادة رسم منديل الكم فعند ذلك قال له المأمون سمعا وطاعة أما الكسوات والجباية من الاسمطة فما تكون الا بالقصور وأما توسعة الرواتب فما ثم من يخالف الامر وأما زيادة رسم منديل الكم فقد كان الرسم فى كل يوم ثلاثين دينارا يكون فى كل يوم مائة دينار ومولانا سلام الله عليه يشاهد ما يعمل بعد ذلك فى الركوبات وأسمطة الاعياد وغيرها فى سائر الايام ففرح الخليفة وعظمت مسرته ثم قال المأمون اريد بهذا مسطورا بخط أمير المؤمنين ويقسم لى فيه بآبائه الطاهرين أن لا يلتفت لحاسد ولا مبغض ومهما ذكر

فيّ يطلعني عليه ولا يأمرني بأمر سرّا ولا جهرا يكون فيه ذهاب نفسي واحطاط قدري [illegible]
الى وقت وفاتي فاذا توفيت تكون لاولادي ولمن اخلفه بعدي فحضرت الدواة وكتب ذلك جميعه واشهد الله تعالى
في آخرها على نفسه فعندما حصل الخط بيد المأمون وقف وقبل الارض وجعله على رأسه وكان الخط بالايمان
نسختين احداهما في قصبة فضة قال فلما قبض على المأمون في شهر رمضان سنة تسع وعشرين وخمسمائة
أنفذ الخليفة الآمر بأحكام الله بطلب الايمان فنفذله التي في القصبة الفضة فخرّقها لوقتها وبقيت النسخة
الاخرى عندي فعدمت في الحركات التي جرت * وقال ابن ميسر في حوادث سنة خمس عشرة وخمسمائة وفيها
تشرّف القائد ابو عبد الله محمد ابن الامير نور الدولة أبي شجاع فاتك ابن الامير مجد الدولة أبي الحسن مختار
المستنصري المعروف بابن البطائحي في الخامس من ذي الحجة وكان قبل ذلك عند الافضل استاداره وهو الذي
قدّمه الى هذه المرتبة واستقرّت نعوته في سجله المقرّر على كافة الامراء والاجناد بالاجل المأمون تاج الخلافة
وجيه الملك فخر الصنائع ذخر امير المؤمنين ثم تجدّد له من النعوت بعد ذلك الاجل المأمون تاج الخلافة عز
الاسلام فخر الانام نظام الدين والدنيا ثم نعت بما كان ينعت به الافضل وهو السيد الاجل المأمون أمير
الجيوش سيف الاسلام ناصر الانام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين ولما كان يوم الثلاثاء
التاسع من ذي الحجة وهو يوم الهناء بعيد النحر جلس المأمون في داره عند أذان الصبح وجاء الناس لخدمته
للهناء على طبقاتهم من أرباب السيوف والاقلام ثم الامراء والاستاذون المحنكون والشعراء بعدهم فركب
الى القصر وأتى باب الذهب فوجد المرتبة المختصة بالوزارة قد هيئت له في موضعها الجاري به العادة وأغلق
الباب الذي عندها على الرسم المعتاد لوزراء السيوف والاقلام وهذا الباب يعرف بباب السرداب فعند
ما شاهد الحال في المرتبة توقف عن الجلوس عليها الانها حالة لم يجر معه حديث فيها ثم ألجأته الضرورة لاجل
حضور الامراء الى الجلوس فجلس عليها وجلس اولاده الثلاثة عن يمينه وأخواه عن يساره والامراء المطوّقون
خاصة دون غيرهم قيام بين يديه فانه لا يصل أحد الى هذا المكان سواهم فلم يكن بأسرع من أن فتح الباب وخرج
عدّة من الاستاذين المحنكين بسلام أمير المؤمنين وخرج اليه الامير الثقة متولي الرسالة وزمام القصور فعند
حضوره وقف له أولاد المأمون وأخواه فطلع عند خروجه قبالة المرتبة وقال أمير المؤمنين يردّ على السيد
الاجل المأمون السلام فوقف عند ذلك المأمون وقبل الارض وعاد فجلس مكانه وتأخر الامير الى أن نزل من
المصطبة وقبل الارض وقبل يد المأمون ودخل من فوره من الباب وأغلق الباب على حاله على ما كان عليه
الافضل وكان الافضل يقول ما أزال أعدّ نفسي سلطانا حتى أجلس على تلك المرتبة والباب يغلق في وجهي
والدخان في انفي فان الحمام كانت من خلف الباب في السرداب ثم فتح الباب وعاد الثقة وأشار بالدخول الى
القصر فدخل الى المكان الذي هيئ له وعاد لمجلس الوزارة وبقي الامراء بالدهاليز الى أن جلس الخليفة واستفتح
القرّاء واستدعى المأمون فحضر بين يديه وسلم عليه أولاده واخوته وأحل الامراء على قدر طبقاتهم أوّلهم
أرباب الاطواق ويليهم أرباب العماريات والاقصاب ثم الضيوف والاشراف ثم دخل ديوان المكاتبات
وسلم بهم الشيخ ابو الحسن بن أبي اسامة ثم ديوان الانشاء وسلم بهم الشريف ابن انس الدولة ثم بقية الطالبيين
من الاشراف ثم سلم القاضي ابن الرسعني بشهوده والداعي ابن عبد الحق بالمؤمنين ثم سلم القائد مقبل مقدّم
الركاب الآمري بجميع المقدمين الآمرية ثم سلم بعدهم الشيخ ابو البركات بن أبي الليث متولي ديوان المملكة
ثم دخل الاجناد من باب البحر وسلم كل طائفة بمقدّمها فلما انقضى ذلك دخل والي القاهرة ووالي مصر وسلم
كل منهما بيياض اهل البلدين ثم دخل البطرك بالنصارى وفيهم كتّاب الدولة من النصارى ورئيس اليهود ومعه
الكتاب من اليهود ثم سلم المقربون وقد قارب القصر ودخل الشعراء على طبقاتهم وأنشد كل منهم ما سمحت
به قريحته قال فكان هذا رتبة الوزير المأمون قال ابن المأمون وأما ما قرّر للوزارة عينا في الشهر بغير
ايجاب بل يقبض من بيت المال فهو ثلاثة آلاف دينار تفصيلها ما هو على حكم النيابة في العلامة ألف
دينار وما هو على حكم الراتب ألف وخمسمائة دينار وما هو عن مائة غلام برسم مجلسه وخدمته لكل غلام خمسة
دنانير في الشهر فأما الغلمان الركابية وغيرهم من الفرّاشين والطباخين فعلى حكم ما رغب في اثباته وفي السنة من
الاقطاعات خمسون ألف دينار منها دهشور وجزيرة الذهب وبقية الجملة صفقات ومن البساتين ثلاثة بساتين

الامير

لامير تميم وبستانان بكوم أشفين ومن القوت يعنى القمح ومن القضم يعنى الشعير والبرسيم فى السنة عشرون ألف اردب قمحا وشعيرا ومن الغنم برسم مطابخه ساقة من المراحات ثمانية آلاف رأس وأما الحيوان والاحطاب وجميع التوابل العال منها والدون فهما استدعاه متولى المطابخ يطلق من دار أفتكين وشون الاحطاب وغير ذلك وقد تقدم مقرر كسوة الوزارة فى العيدين وفصلى الشتاء والصيف وموسم عيد الغدير وفتح الخليج وغير ذلك من غرتى شهر رمضان وأول العام وغيره كما سيرد فى موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقد استقصيت سير الوزراء فى كتابى الذى سميته تلقيح العقول والآراء فى تنقيح أخبار الجلة الوزراء فانظره

(ذكر الحجر التى كانت برسم الصبيان الحجرية)

وكان بجوار دار الوزارة مكان كبير يعرف بالحجر جمع حجرة فيها الغلمان المختصون بالخلفاء كما أدركنا بالقلعة البيوت التى كان يقال لها الطباق وكانت هذه الحجر من جانب حارة الجوانية والى حيث المسجد الذى يعرف بمسجد القاصد تجاه باب الجامع الحاكى الذى يفضى الى باب النصر فمن حقوق هذه الحجر دار الامير بهادر اليوسفى السلاحدار الناصرى التى تجاور المسجد الكائن على يمنة من سلك من باب الجوانية طالبا باب النصر ومنها الحوض المجاور لهذه الدار ودار الامير أحمد قريب الملك الناصر محمد بن قلاون والمسجد المعروف بالنخلة وما بجواره من القاعتين اللتين تعرف احداهما بقاعة الامير علم الدين سنجر الجاولى وما فى جانبها الى مسجد القاصد وماوراء هذه الدور وكان لهؤلاء الحجرية اصطبل برسم دوابهم سيأتى ذكره ان شاء الله تعالى ومازالت هذه الحجر باقية بعد انقضاء دولة الخلفاء الفاطميين الى مابعد السبعمائة فهدمت وابتنى الناس مكانها الاماكن المذكورة * قال ابن أبى طى عن المعز لدين الله وجعل كل ماهر فى صنعة صانعا للخاص وأفرد لهم مكانا برسمهم وكذلك فعل بالكتاب والافاضل وشرط على ولاة الاعمال عرض اولاد الناس بأعمالهم فمن كان ذا شهامة وحسن خلقة أرسله ليخدم فى الركاب فسيروا اليه عالما من اولاد الناس فأفرد لهم دورا وسماها الحجر * وقال ابن الطوير وكوتب الافضل ابن أمير الجيوش من عسقلان باجتماع الفرنج فاهتم للتوجه اليها فلم يبق ممكنا من مال وسلاح وخيل ورجال واستناب أخاه المظفر أبا محمد جعفر بن امير الجيوش بدر بين يدى الخليفة مكانه وقصد استنقاذ الساحل من يد الفرنج فوصل الى عسقلان وزحف عليها بذلك العسكر فخذل من جهة عسكره وهى نوبة النصة وعلم أن السبب فى ذلك من جنده ولما غلب حرق جميع ما كان معه من الآلات وكان عند الفرنج شاعر منجم اليهم فقال يخاطب صنجيل ملك الفرنج

نصرت بسيفك دين المسيح * فلله درك من صنجيل
وماسمع الناس فيمارووه * بأقبح من كسرة الافضل

فتوصل الافضل الى ذبح هذا الشاعر ولم ينتفع بعد هذه النوبة أحد من الاجنا د بالافضل وحظر عليهم النعوت ولم يسمع لاحد منهم كلمة وأنشأ سبع حجر واختار من اولاد الاجناد ثلاثة آلاف راجل وقسمهم فى الحجر وجعل لكل مائة زماما ونقيبا وزم الكل بأمير يقال له الموفق وأطلق لكل منهم مايحتاج اليه من خيل وسلاح وغيره وعنى بهؤلاء الاجناد فكان اذا دهمه أمر مهم جهزهم اليه مع الزمام الاكبر * وقال ابن المأمون وكان من جملة الحجرية الذين يحضرون السماط رجل يعرف بابن زحل وكان يأكل خروفا كبيرا مشويا ويستوفيه الى آخره ثم يقدم له صحن كبير من القصور المعمولة بالسكر وجميع صنوف الحيوانات على اختلاف أجناسها مالم يعمل قط مثله من الاطعمة فيأكل معظمه وكان يقعد فى طرف المدورة حتى يكون بالقرب من نظر الخليفة لالمزنه وكان من الاجناد وأسر فى أيام الافضل وقيده الفرنجى الذى أسره وعذبه وطالت مدته فى الاسر وكان فقيرا فاتفق ان ذكر للفرنجى كثرة اكله فأراد أن يمتحنه فقال له أحضرلى عجلا كبر عجل عندكم آكله الى آخره فضحك منه الفرنجى ونقص عقله وأتاه بعجل كبير ويقال بخنزير فقال له اذبحه واشوه وائتنى معه بجرة خل ثم قال اذا اكلته مايكون لى عندك فغلط الفرنجى وقال له اطلقك تمضى الى اهلك فاستحلفه على ذلك وغلظ عليه اليمين وأحضر الفرنجى عدة من اصحابه ليشاهدوا فعله فلما استوفى العجل جميعه صلب كل من الحاضرين على وجهه

وتعجب من فعله وأطلقه فقال أخاف من أن يعتقد انى هربت فارد الحكم فاحضر الفرنجى من العربان من سلمه اليهم ولم يشعر به الاياب عسقلان فطلع منها وأعفى بعد ذلك من السفر وبقى برسم الاسمطة * وقال ابن عبد الظاهر الحجر قريب من باب النصر وهو مكان كبير فى صف دار الوزارة الى جانبه باب القوس الذى يسمى باب النصر قديما على يمنة الخارج من القاهرة كان تربى فيه جماعة من الشباب يسمون صبيان الحجر يكونون فى جهات متعددة وهم يناهزون خمسة آلاف نسمة ولكل حجرة اسم تعرف به وهى المنصورة والفتح والجديدة وغير ذلك مفردة لهم وعندهم سلاحهم فاذا اجتدوا خرج كل منهم لوقته لا يكون له ما يمنعه وكانوا فى ذلك على مثال الذؤابة والاستار وكانوا اذا سمى الرجل منهم بعقل وشجاعة خرج من هنالك الى الامرة او التقدمة مثل على بن السلار وغيره ولا يأوى أحد منهم الا بحجرته بفرسه وعدته وقماشه وللصبيان الحجرية حجرة مفردة عليهم استاذون يبيتون عندهم وخدام برسمهم

(ذكر المناخ السعيد)

وكان من وراء القصر الكبير فيما يلى ظهر دار الوزارة الكبرى والحجر المناخ وهو موضع برسم طواحين القمح التى تطحن جرايات القصور وبرسم مخازن الاخشاب والحديد ونحو ذلك * قال ابن الطوير وأما المناخات ففيها من الحواصل ما لا يحصره الا القلم من الاخشاب والحديد والطواحين النجدية والغشيمة وآلات الاساطيل من الاسلحة المعمولة بيد الفرنج القاطنين فيه والقنب والكتان والمجنيقات المعدة والطواحين الدائرة برسم الجرايات المقدم ذكرها والزفت فى المخازن الذى عليه الاتربة ولا يقطع الا بالمعاول وقد أدركت هذه الدولة يعنى دولة بنى أيوب منه شيئا كثيرا فى هذا المكان انتفع به واليه يأوى الفرنج فى بيوت برسمهم وكانت عدتهم كثيرة ففيه من النجارين والجزارين والدهانين والخبازين والخياطين والنعلة ومن الحمانين والطحانين فى تلك الطواحين والفرانين فى أفران الجرايات وفى هذا المكان مادة اكثر اهل الدولة وحاميه أمير من الامراء ومشارفه من العدول وفيه أيضا شاهد النفقات وعامل يتولى التنفيذ مع المشارف وعامل برسم نظم الحساب من تعلقاتهما بجار غير جوارهم لان أوقاتهم مستغرقة فى مباشرة الاطلاقات وغيرها وذكر ابن الطوير أن المأمون بن البطائحى استجد طواحين برسم الرواتب

(ذكر اصطبل الطارمة)

الطارمة بيت من خشب وهو دخيل وكان بجوار القصر الكبير تجاه باب الديلم من شرقى الجامع الازهر اصطبل * قال ابن الطوير وكان لهم اصطبلان أحدهما يعرف بالطارمة يقابل قصر الشوك والآخر بحارة زويلة يعرف بالجيزة وكان للخليفة الحاضر ما يقرب من ألف رأس فى كل اصطبل النصف من ذلك منها ما هو برسم الخاص ومنها ما يخرج برسم العوارى لارباب الرتب والمستخدمين دائما ومنها ما يخرج أيام المواسم وهى التغيرات المتقدم ذكر ارسالها لارباب الرتب والخدم والمرتب لكل اصطبل منها لكل ثلاثة أرؤس سائس واحد ملازم ولكل واحد منها شداد برسم تسييرها وفى كل اصطبل بئر بساقية تدور الى احواض ومخازن فيها الشعير والاقراط اليابسة المحمولة من البلاد اليها ولكل عشرين رجلا من السواس عريف يلتزم دركهم بالضمان لانهم الذين يتسلمون من خزائن السروج المركبات بالحلى ويعيدونها اليها كما تقدم ذكره فى خزائن السروج ولكل من الاصطبلين رائض كامير اخور ولهما ميرة وجامكية متسعة وللعرفاء على السواس ميرة وللجماعات الجرايات من القمح والخبز خارجا عن الجامكيات فاذا بقى لايام المواسم التى يركب فيها الخليفة بالمظلة مدة اسبوع أخرج الى كل رائض فى الاصطبل مع استاذ مظلة ديبقى مركبة على قنطارية مدهونة ويختص الرائض على ما يركبه الخليفة اما فرسين او ثلاثة وعليهما المركبات الحلى التى يركبها الخليفة فيركبها الرائض بحائل بينه وبين السرج ويركب الاستاذ بغلة مظلة ويحمل تلك المظلة ويسير فى براح الاصطبل وفيه سعة عظيمة مارا وعائدا وحولها البوق والطبل فيكرر ذلك عدة دفعات فى كل يوم مدة ذلك الاسبوع ليستقر ما يركبه الخليفة من الدواب على ذلك ولا ينفر منه فى حال الركوب عليه فيعمل كذلك فى كل اصطبل من الاصطبلين والدواب والبغلة التى تهيأ هى التى يركبها الخليفة وصاحب المظلة يوم الموسم ولا يختل ذلك ويقال انه ما راثت دابة

ولا بالات والخليفة راكبها ولا بغلة صاحب المظلة أيضا الى حين نزولهما عنهما وكان فى الساحل بطريق مصر من القاهرة فى البساتين المنسوبة الى ملك صارم الدين حللبا شونتان مملوءتان تبنا معبيتان كتعبيته فى المراكب كالجبلين الشاهقين ولهما مستخدمون حام ومشارف وعامل بجامكية جيدة تصل بذلك المراكب التبانة الموهلة له من موظاف الاتبان بالبلاد الساحلية وغيرها مما يدخل اليه فى ايام النيل ولها رؤساء وأمرها جار فى ديوان العمائر والصناعة والانفاق منها بالتوقيعات السلطانية للاصطبلات المذكورة وغيرها من الاواسى الديوانية وعوامل بساتين الملك واذا جرى بين المستخدمين خلف فى الشنف التبن المعتبر عادوا الى قبضه بالوزن فيكون الشنف التبن ثلثمائة وستين رطلا بالمصرى نقيا واذا أنفقوا دريسا قد تغيرت صورته فقته كان عن القتة اثنا عشر رطلا ولم يزل ذلك كذلك الى آخر وقته ومما يخبر عنهم أنهم لم يركبوا حصانا أدهم قط ولا يرون اضافته الى دوابهم بالاصطبلات وقال ابن عبد الظاهر اصطبل الطارمة كان اصطبلا للخليفة فلما زالت تلك الايام اختط وبنى آدرا

(ذكر دار الضرب وما يتعلق بها)

وكان بجوار خزانة الدرق التى هى اليوم خان مسرور الكبير دار الضرب وموضعها حينئذ كان بالقشاشين التى تعرف اليوم بالخراطين وصار مكان دار الضرب اليوم درب يعرف بدرب الشمسى فى وسط سوق السقطيين المهامزيين وباب هذا الدرب تجاه قيسارية العصفر فاذا دخلت هذا الدرب فما كان على يسارك من الدور فهو موضع دار الضرب وبجوارها دار الوكالة الحافظية فجعلت الحوانيت التى على يمنة من سلك من رأس الخراطين تجاه سوق العنبر طالبا الجامع الازهر فى ظهر دار الضرب وانشأ هذه الحوانيت وما كان يعلوها من البيوت الامير المعظم خمرتاش الحافظى وجعلها وقفا وقال فى كتاب وقفها وحد هذه الحوانيت الغربى ينتهى الى دار الضرب والى دار الوكالة وقد صارت هذه الحوانيت الآن من جملة أوقاف المدرسة الجمالية مما اغتصب من الاوقاف ومازالت دار الضرب هذه فى الدولة الفاطمية باقية الى أن استبد السلطان صلاح الدين فصارت دار الضرب حيث هى اليوم كما تقدم ذكره وكان لدار الضرب المذكورة فى ايامهم أعمال ويعمل بها دنانير الغرة ودنانير خميس العدس ويتولاها قاضى القضاة لجلالة قدرها عندهم * قال ابن المأمون وفى شوال منها وهى سنة ست عشرة وخمسمائة أمر الاجل ببناء دار الضرب بالقاهرة المحروسة لكونها مقر الخلافة وموطن الامامة فبنيت بالقشاشين قبالة المارستان وسميت بالدار الآمرية واستخدم لها العدول وصار دينارها أعلى عيارا من جميع ما يضرب بجميع الامصار انتهى وكانت دار الضرب المذكورة تجاه المارستان فكان المارستان بجوار خزانة الدرق فما عن يمينك الآن اذا سلكت من رأس الخراطين فهو موضع دار الضرب ودار الوكالة هكذا الى الحمام التى بالخراطين وماوراءها وما عن يسارك فهو موضع المارستان * قال ابن عبد الظاهر فى ايام المأمون بن البطائحى وزير الآمر بأحكام الله بنيت دار الضرب فى القشاشين قبالة المارستان الذى هناك وسميت بالدار الآمرية

(دار العلم الجديدة) وكان بجوار القصر الكبير الشرقى دار فى ظهر خزانة الدرق من باب تربة الزعفران لما أغلق الافضل بن أمير الجيوش دار العلم التى كان الحاكم بأمر الله فتحها فى باب التبانين اقتضى الحال بعد قتله أعادة دار العلم فامتنع الوزير المأمون من اعادتها فى موضعها فأشار الثقة زمام القصور بهذا الموضع فعمل دار العلم فى شهر ربيع الاول سنة سبع عشرة وخمسمائة وولاها لابى محمد حسن بن آدم واستخدم فيها مقرئين ولم تزل دار العلم عامرة حتى زالت الدولة الفاطمية * قال ابن عبد الظاهر رأيت فى بعض كتب الاملاك القديمة ما يدل على انها قريبة من القصر النافعى وكذا ذكر لى السيد الشريف الحلبى أنها دار ابن أزدمر المجاورة لدار سكنى الآن خلف فندق مسرور الكبير وكذلك قال لى والدى رحمه الله وقد بناها جمال الدين الاستادار الحلبى دارا عظيمة غرم عليها مائة ألف وأكثر من ذلك على ما ذكره انتهى وموضع دار العلم هذه دار كبيرة ذات زلاقة بجوار درب ابن عبد الظاهر قريبا من خان الخليلى بخط الزراكشة العتيق

(موسم اول العام) قال ابن المأمون واسفرت غرة سنة سبع عشرة وخمسمائة وبادر المستخدمون

فى الخزائن وصناديق الانفاق بحمل ما يحضر بين يدى الخليفة من عين وورق من ضرب السنة المستجدة ورسم جميع من يختص به من اخوته وجهاته وقرابته وأرباب الصنائع والمستخدمات وجميع الاستاذين العوالى والادوان وثنوا بحمل ما يختص بالاجل المأمون وأولاده واخوته واستأذنوا على تفرقة ما يختص بالاجل المأمون وأولاده والاصحاب والحواشى والامراء والضيوف والاجناد فأمروا بتفرقته والذى اشتمل عليه المبلغ فى هذه السنة نظير ما كان قبلها وجلس المأمون باكرا على السماط بداره وفرقت الرسوم على أرباب الخدم والمميزين من جميع اصنافه على ما تضمنته الاوراق وحضرت التعاشير والتشريفات وزى الموكب الى الدار المأمونية وتسلم كل من المستخدمين المدارج بأسماء من شرف بالجبة ومصفات العساكر وترتيب الاسمطة وأصعد كل منهم الى شغله وتوجه لخدمته ثم ركب الخليفة واستدعى الوزير المأمون ثم خرج من باب الذهب وقد نشرت مظلته وخدمت الرهجية ورتب الموكب والجنائب ومصفات العساكر عن يمينه وشماله وجميع تجار البلدين من الجوهريين والصيارف والصاغة والبزازين وغيرهم قد زينوا الطريق بما تقتضيه تجارة كل منهم ومعاشه لطلب البركة بنظر الخليفة وخرج من باب الفتوح والعساكر فارسها وراجلها بتجملها وزيها وأبواب حارات العبيد معلقة بالستور ودخل من باب النصر والصدقات تعم المساكين والرسوم تفرق على المستقرين الى أن دخل من باب الذهب فلقيه المقرئون بالقرءان الكريم فى طول الدهاليز الى أن دخل خزانة الكسوة الخاص وغير ثياب الموكب بغيرها وتوجه الى تربة آبائه للترحيم على عادته وبعد ذلك الى ما رآه من قصوره على سبيل الراحة وعبيت الاسمطة وجرى الحال فيها وفى جلوس الخليفة ومن جرت عادته وتهيئة قصور الخلافة وتفرقة الرسوم على ما هو مستقر وتوجه الاجل المأمون الى داره فوجد الحال فى الاسمطة على ما جرت به العادة والتوسعة فيها اكثر مما تقدمها وكذلك الهناء فى صبيحة الموسم بالدار المأمونية والقصور وحضر من جرت العادة بحضوره للهناء وبعدهم الشعراء على طبقاتهم وعادت الامور فى ايام السلام والركوبات وترتيبها على المعهود وأحضر كل من المستخدمين فى الدواوين ما يتعلق بديوانه من التذاكر والمطالعات مما تحتاج اليه الدولة فى طول السنة وينعم به ويتصدق ويحمل الى الحرمين الشريفين من كل صنف على ما فصل فى التذاكر على يد المندوبين ويحمل الى الثغور ويخزن من سائر الاصناف ما يستعمل ويباع فى الثغور والبلاد والاستيمار وجريدة الابواب وتذكرة الطراز والتوقيع عليها * وقال ابن الطوير فاذا كان العشر الاخير من ذى الحجة فى كل سنة انتصب كل من المستخدمين بالاماكن لاخراج آلات الموكب من الاسلحة وغيرها فيخرج من خزائن الاسلحة ما يحمله صبيان الركاب حول الخليفة من الاسلحة وهو الصماصم المصقولة المذهبة مكان السيوف المحدبة والدبابيس الكيمخت الاحمر والاسود ورؤسها مدورة مضرسة واللتوت كذلك ورؤسها مستطيلة مضرسة أيضا وآلات يقال لها المستوفيات وهى عمد حديد من طول ذراعين مربعة الاشكال بمقابض مدورة فى ايديهم بعدة معلومة من كل صنف فيتسلمها نقباؤهم وهى فى ضمانهم وعليهم اعادتها الى الخزائن بعد تقضى الخدمة بها ويخرج للطائفة من العبيد الاقوياء السودان الشباب ويقال لهم أرباب السلاح الصغر وهم ثلثمائة عبد لكل واحد حربتان بأسنة مصقولة تحتها جلب فضة كل اثنتين فى شرابة وثلثمائة درقة بكوامخ فضة يتسلم ذلك عرفاؤهم على ما تقدم فيسلمونه للعبيد لكل واحد حربتان ودرقة ثم يخرج من خزانة التجمل وهى من حقوق خزائن السلاح القصب الفضة برسم تشريف الوزير والامراء أرباب الرتب وأزمة العساكر والطوائف من الفارس والراجل وهى رماح ملبسة بأنابيب الفضة المنقوشة بالذهب الاذراعين منها فيشد فى ذلك الخالى من الانابيب عدة من المعاجر الشرب الملونة ويترك أطرافها المرقومة مسبلة كالصناجق وبرؤسها رمامين منفوخة فضة مذهبة واهلة مجوفة كذلك وفيها جلاجل لها حس اذا تحركت وتكون عدتها ما يقرب من مائة ومن العماريات وهى شبه الكخاوات من الديباج الاحمر وهو أجلها والاصفر والقرقوبى والسقلاطون مبطنة مضبوطة بزنانير حرير وعلى دائر التربيع منها مناطق بكوامخ فضة مسمورة فى جلد نظير عدد القصب فيسير من القصب عشرة ومن العماريات مثلها من الحمر خاصة ويخرج للوزير خاصة لواآن على رمحين طويلين ملبسين بمثل تلك الانابيب ونفس اللواء ملفوف غير منشور وهذا التشريف يسير أمام الوزير وهو للامراء من ورائهم ثم يسير للامراء أرباب الرتب فى الخدم وأولهم صاحب الباب وهو أجلهم خمس قصبات وخمس عماريات ويرسل لاسفهسلار

العساكر

العساكر أربع قصبات وأربع عماريات من عدة ألوان ومن سواهما من الامراء على قدر طبقاتهم ثلاث ثلاث
واثنتان اثنتان وواحدة واحدة ثم يخرج من البنود الخاص الديبقي المرقوم الملوّن عشرة برماح ملبسة
بالانابيب وعلى رؤسها الرمامين والاهلة للوزير خاصة ودون هذه البنود مما هو من الحرير على رماح غير ملبسة
ورؤسها ورمامينها من نحاس مجوّف مطلي بالذهب فتكون هذه أمام الامراء المذكورين من تسعة الى سبعة
اذرع برأسها طلعة مصقولة وهي من خشب القنطاريات داخلة في الطلعة وعقبها حديد مدوّر أسفل فهي في كف
حاملها الايمن وهو يفتلها فيه فتلا متداركا الدوران وفي يده اليسرى نشابة كبيرة يخطر بها وعدتها ستون مع
ستين رجلا يسيرون رجالة في الموكب يسيرون يمنة ويسرة ثم يخرج من النقارات حمل عشرين بغلا على كل بغل
ثلاث مثل نقارات الكوسات بغير كوسات يقال لها الطبول فيتسلمها صناعها ويسيرون في الموكب اثنين اثنين
ولها حس مستحسن وكان لها ميزة عندهم في التشريف ثم يخرج لقوم متطوعين بغير جار ولا جراية تقرب عدتهم
من مائة رجل لكل واحد درقة من درق اللمط وهي واسعة وسيف ويسيرون أيضا رجالة في الموكب هذا
وظيفة خزائن السلاح ثم يحضر حامي خزائن السروج وهو من الاستاذين المحنكين اليها مع مشارفها وهو من
الشهود المعدّلين فيخرج منها برسم خاص الخليفة من المركبات الحلي ما هو برسم ركوبه وما يجنب في موكبه مائة
سرج منها سبعون على سبعين حصانا ومنها ثلاثون على ثلاثين بغلة كل مركب مصوغ من ذهب أو من ذهب
وفضة أو من ذهب منزل فيه المينا او من فضة منزلة بالمينا ورادفها وقرابيسها من نسبتها ومنها ما هو مرصع
بالجواهر الفائقة وفي اعناقها الاطواق الذهب وقلائد العنبر وربما يكون في أيدي وأرجل اكثرها خلاخل
مسطوحة دائرة عليها ومكان الجلد من السروج الديباج الاحمر والاصفر وغيرهما من الالوان والسقلاطون
المنقوش بألوان الحرير قيمة كل دابة وما عليها من العدة ألف دينار فيشرّف الوزير من هذه بعشرة حصن
لركوبه وأولاده واخوته ومن يعز عليه من اقاربه ويسلم ذلك لعرفاء الاصطبلات بالعرض عليهم من الجرائد التي
هي ثابتة فيها بعلاماتها في أماكنها وأعدادها وعدد كل مركب منقوش عليه مثل اوّل وثان وثالث الى آخرها كما
هو مسطور في الجرائد فيعرف بذلك قطعة قطعة ويسلمها العرفاء لشدّادين بضمان عرفائهم الى أن تعود وعليهم
غرامة ما نقص منها واعادتها برمّتها ثم يخرج من الخزائن المذكورة لارباب الدواوين المرتبين في الخدم على
مقاديرهم مركبات أيضا من الحلي دون ما تقدّم ذكره ما تقرب عدته من ثلثمائة مركب على خيل وبغلات وبغال
يتسلمها العرفاء المتقدّم ذكرهم على الوجه المذكور وينتدب حاجب يحضر على التفرقة لفلان وفلان من أرباب
الخدم سيفا وقلما فيعترف كل شدّاد صاحبه فيحضر اليه بالقاهرة ومصر سحر يوم الركوب ولهم من الركاب رسوم
من دينار الى نصف دينار الى ثلث دينار فاذا تكمل هذا الامر وسلم أيضا الجمالون بالمناخات اغشية
العماريات ويكون اراحة في ذلك كله الى آخر الثامن والعشرين من ذي الحجة وأصبح اليوم التاسع والعشرون
من سلخه على رأي القوم عزم الخليفة على الجلوس في الشباك لعرض دوابه الخاص المقدّم ذكرها ويقال له
يوم عرض الخيل فيستدعي الوزير بصاحب الرسالة وهو من كبار الاستاذين المحنكين وفصحائهم وعقلائهم
ومحصليهم فيمضي الى استدعائه في هيئة المسرعين على حصان دهراج امتثالا لامر الخليفة بالاسراع على خلاف
حركته المعتادة فاذا عاد مثل بين يدي الخليفة وأعلمه باستدعائه الوزير فيخرج راكبا من مكانه في القصر
ولا يركب أحد في القصر الا الخليفة وينزل في السدلا بدهليز باب الملك الذي فيه الشباك وعليه من ظاهره للناس
ستر فيقف من جانبه الايمن زمام القصر ومن جانبه الايسر صاحب بيت المال وهما من الاستاذين المحنكين
فيركب الوزير من داره وبين يديه الامراء فاذا وصل الى باب القصر ترجل الامراء وهو راكب ويكون دخوله
في هذا اليوم من باب العيد ولا يزال راكبا الى اول باب من الدهاليز الطوال فينزل هنالك ويمشي فيها وحواليه
حاشيته وغلمانه وأصحابه ومن يراه من أولاده وأقاربه ويصل الى الشباك فيجد تحته كرسيا كبيرا من كراسي البلق
الجيد فيجلس عليه ورجلاه تطأ الارض فاذا استوى جالسا رفع كل استاذ الستر من جانبه فيرى الخليفة
جالسا في المرتبة الهائلة فيقف ويسلم ويخدم بيده الى الارض ثلاث مرات ثم يؤمر بالجلوس على كرسيه فيجلس
ويستفتح القرّاء بالقراءة قبل كل شيء بآيات لائقة بذلك الحال مقدار نصف ساعة ثم يسلم الامراء ويسرع في
عرض الخيل والبغال الخاص المقدّم ذكرها دابة دابة وهي هادئة كالعرائس بأيدي شدّاديها الى ان يكمل.

عرضها فيقرأ القراء نخيم ذلك الجلوس ويرخى الاستاذان الستر فيقدم الوزير ويدخل اليه ويقبل يديه ورجليه
وينصرف عنه الى داره فيركب من مكان نزوله والامراء بين يديه لوداعه الى داره ركبانا ومشاة الى قريب المكان
فاذا صلى الخليفة الظهر بعد انفضاض ما تقدم جلس لعرض ما يلبسه فى عيد تلك الليلة وهو يوم افتتاح العام
بخزائن الكسوات الخاص ويكون لباسه فيه البياض غير الموشح فيعين على منديل خاص وبدلة فأما المنديل
فيسلم لشاد التاج الشريف ويقال له شدة الوقار وهو من الاستاذين المحنكين وله ميزة لمماسة ما يعلو تاج الخليفة
فيشدها شدة غريبة لا يعرفها سواه شكل الاهليجة ثم يحضر اليه اليتيمة وهى جوهرة عظيمة لا يعرف لها قيمة
فتنظم هى وحواليها ما دونها من الجواهر وهى موضوعة فى الحافر وهو شكل الهلال من ياقوت أحمر ليس له
مثال فى الدنيا فتنظم على خرقة حرير أحسن وضع ويخيطها شاد التاج بخياطة خفيفة ممكنة فتكون بأعلى جبهة
الخليفة ويقال ان زنة الجوهرة سبعة دراهم وزنة الحافر أحد عشر مثقالا وبدائرها قصبة زمرد ذبابى له قدر
عظيم ثم يؤمر بشد المظلة التى تشابهها تلك البدلة المحضرة بين يديه وهى مناسبة للثياب ولها عندهم جلالة
لكونها تعلو رأس الخليفة وهى اثناعشر شوركا عرض سفل كل شورك شبر وطوله ثلاثة اذرع وثلث وآخر
الشورك من فوق دقيق جدا فيجتمع ما بين الشوارك فى رأس عودها بدائره وهو قنطارية من الزان ملبسة
بأنابيب الذهب وفى آخر أنبوبة تلى الرأس من جسمه فلكة بارزة مقدار عرض ابهام فيشد آخر الشوارك فى حلقة
من ذهب ويترك متسعا فى رأس الرمح وهو مفروض فتلتقى تلك الفلكة فتمنع المظلة من الحدور فى العمود المذكور
ولها اضلاع من خشب الخلنج مربعات مكسوة بوزن الذهب على عدد الشوارك خفاف فى الوزن طولها طول
الشوارك وفيها خطاطيف لطاف وحلق يمسك بعضها بعضا وهى تنضم وتنفتح على طريقة شوكات الكيزان ولها
رأس شبه الرمانة ويعلوه رمانة صغيرة كلها ذهب مرصع بجوهر يظهر للعيان ولها رفرف دائر يفتحها من نسبتها
عرضه اكثر من شبر ونصف وسفل الرمانة فاصل يكون مقداره ثلاث أصابع فاذا ادخلت الحلقة الذهب الجامعة
لآخر شوارك المظلة فى رأس العمود ركبت الرمانة عليها ولفت فى عرض دبيقى مذهب فلا يكشفها منه
الا حاملها عند تسليمها اليه اول وقت الركوبة ثم يؤمر بشد لوائى الحمد المختصين بالخليفة وهما رمحان طويلان
ملبسان بمثل أنابيب عمود المظلة الى حد نصفهما وهما من الحرير الابيض المرقوم بالذهب وغير منشورين بل
ملفوفين على جسم الرمحين فيشدان ليخرجا بخروج المظلة الى أميرين من حاشية الخليفة برسم حملهما ويخرج
احدى وعشرون راية لطاف من الحرير المرقوم ملونة بكتابة تخالف ألوانها من غيره ونص كتابتها نصر من الله
وفتح قريب على رماح مقومة من القنا المنتقى طول كل راية ذراعان فى عرض ذراع ونصف فى كل واحدة ثلاث
طرازات فتسلم لاحد وعشرين رجلا من فرسان صبيان الخاص ولهم بشارة عود الخليفة سالما عشرون دينارا ثم
يخرج رمحان رؤسهما اهلة من ذهب صامتة فى كل واحد سبع من ديباج أحمر وأصفر وفى فمه طارة مستديرة
يدخل فيها الريح فينفتحان فيظهر شكلهما ويتسلمهما فارسان من صبيان الخاص فيكونان أمام الرايات ثم يخرج
السيف الخاص وهو من صاعقة وقعت على ما يقال وحليته ذهب مرصعة بالجوهر فى خريطة مرقومة بالذهب
لا يظهر الا رأسه ليسلم الى حامله وهو أمير عظيم القدر وهذه عندهم رتبة جليلة المقدار وهو اكبر حامل ثم يخرج
الرمح وهو رمح لطيف فى غلاف منظوم من اللؤلؤ وله سنان مختصر بحلية ذهب ودرقة بكوامخ ذهب فيها سعة
منسوبة الى حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فى غشاء من حرير لتخرج الى حاملها وهو أمير مميز ولهذه الخدمة
وصاحبها عندهم جلالة ثم تشعر الناس بطريق الموكب وسلوكه لا يتعدى دورتين احداهما كبرى والاخرى
صغرى أما الكبرى فمن باب القصر الى باب النصر مارا الى حوض عز الملك نبا ومسجده هنالك وهو أقصاها ثم
ينعطف على يساره طالبا باب الفتوح الى القصر والاخرى اذا خرج من باب النصر سار حافا بالسور ودخل
من باب الفتوح فيعلم الناس بسلوك احداهما فيسيرون اذا ركب الخليفة فيها من غير تبديل للموكب
ولا تشويش ولا اختلال فلا يصبح الصبح من يوم الركوب الا وقد اجتمع من بالقاهرة ومصر من أرباب الرتب
وأرباب التميزات من ارباب السيوف والاقلام قياما بين القصرين وكان براحا واسعا خاليا من البناء الذى فيه
اليوم فيسع القوم لانتظار الخليفة ويبكر الامراء الى الوزير الى داره فيركب الى القصر من غير استدعاء لانها
خدمة لازمة للخليفة فيسير أمامه تشريفه المتقدم ذكره والامراء بين يديه ركبانا ومشاة وأمامه اولاده واخوته

وكل منهم مرخى الذؤابة بلا حنك وهو فى أبهة عظيمة من الثياب الفاخرة والمنديل وهو بالحنك ويتقلد بالسيف المذهب فاذا وصل القصر ترجل قبله اهله فى أخص مكان لا يصل الامراء اليه ودخل من باب القصر وهو راكب دون الحاضرين الى دهليز يقال له دهليز العمود فيترجل على مصطبة هنالك ويمشى بقية الدهليز الى القاعة فيدخل مقطع الوزارة هو وأولاده واخوته وخواص حاشيته ويجلس الامراء بالقاعة على دكك معدّة لذلك مكسوّة فى الصيف بالحصر السامان وفى الشتاء بالبسط الجهرمية المحفورة فاذا دخلت الدابة لركوب الخليفة وأسندت الى الكرسىّ الذى يركب عليه من باب المجلس أخرجت المظلة الى حاملها فيكشفها مما هى ملفوفة فيه غير مطويه فيتسلمها باعانة أربعة من الصقالبة برسم خدمتها فيركزها فى آلة حديد متخذة شكل القرن وهو مشدود فى ركاب حاملها الايمن بقوّة وتاكيد فيمسك العمود بحاجز فوق يده فيبقى وهو منتصب واقف ولم يذكر قط انها اضطربت فى ريح عاصف ثم يخرج بالسيف فيتسلمه حامله فاذا تسلمه أرخيت ذؤابته مادام حاملا له ثم تخرج الدواة فتسلم لحاملها وهو من الاستاذين المحنكين وكان الوزراء حملوها القوم من الشهود المعدلين وهى الدواة التى كانت من أعاجيب الزمان وهى فى نفسها من الذهب وحليتها مرجان وهى ملفوفة فى منديل شرب بياض مذهب وقد قال فيها بعض الشعراء يخاطب الخليفة التى صنعت حلية المرجان فى وقته وهذا من أغرب ما يكون ذكر ذلك فى بيتين وهما

ألين لداود الحديد كرامة * فقدر منه السرد كيف يريد

ولان لك المرجان وهو حجارة * ومقطعه صعب المرام شديد

فيخرج الوزير ومن كان معه من المقطع وتنضم اليه الامراء ويقفون الى جانب الراية فيرفع صاحب المجلس الستر فيخرج من كان عند الخليفة للخدمة منهم وفى اثرهم يبرز الخليفة بالهيئة المشروح حالها فى لباسه الثياب المعروضة عليه والمنديل الحامل لليتيمة بأعلى جبهته وهو محنك مرخى الذؤابة مما يلى جانبه الايسر ويتقلد بالسيف المغربى وبيده قضيب الملك وهو طول شبر ونصف من عود مكسو بالذهب المرصع بالدر والجوهر فيسلم على الوزير قوم مرتبون لذلك وعلى اهله وعلى الامراء بعدهم ثم يخرج اولئك أوّلا فأوّلا والوزير يخرج بعد الامراء فيركب ويقف قبالة باب القصر بهيئته ويخرج الخليفة وحواليه الاستاذون ودابته ماشية على بسط مفروشة خيفة من زلقها على الرخام فاذا قارب الباب وظهر وجهه ضرب رجل ببوق لطيف من ذهب معوج الرأس يقال له الغريبة بصوت عجيب يخالف اصوات البوقات فاذا سمع ذلك ضربت الابواق فى الموكب ونشرت المظلة وبرز الخليفة من الباب ووقف وقفة يسيرة بمقدار ركوب الاستاذين المحنكين وغيرهم من أرباب الرتب الذين كانوا بالقاعة للخدمة وسار الخليفة وعلى يساره صاحب المظلة وهو يبالغ أن لا يزول عنه ظلها ثم يكتنف الخليفة مقدمو صبيان الركاب منهم اثنان فى الشكيمة واثنان فى عنق الدابة من الجانبين واثنان فى ركابه فالايمن مقدم المقدمين وهو صاحب المقرعة التى يتناولها ويناولها وهو المؤدى عن الخليفة مدّة ركوبه الاوامر والنواهى ويسير الموكب بالحث فأوله فروع الامراء وأولادهم وأخلاط بعض العسكر الاماثل الى أرباب القصب الى أرباب الاطواق الى الاستاذين المحنكين الى حامل اللوائين من الجانبين الى حامل الدواة وهى بينه وبين قربوس السرج الى صاحب السيف وهما فى الجانب الايسر كل واحد ممن تقدم ذكره بين عشرة الى عشرين من اصحابه ويحجبه اهل الوزير المتقدم ذكرهم من الجانب الايمن بعد الاستاذين المحنكين ثم يأتى الخليفة وحواليه صبيان الركاب المذكورة تفرقة السلاح فيهم وهم اكثر من ألف رجل وعليهم المناديل الطبقيات ويتقلدون بالسيوف وأوساطهم مشدودة بمناديل وفى أيديهم السلاح مشهور وهم من جانبى الخليفة كالجناحين المادّين وبينهما فرجة لوجه الفرس ليس فيها أحد وبالقرب من رأسها الصقلبيان الحاملان للمذبتين وهما مرفوعتان كالنخلتين لما يسقط من طائر وغيره وهو سائر على تؤدة ورفق وفى طول الموكب من اوله الى آخره والى القاهرة مارّ وعائد يفسح الطرقات ويسير الركبان فيلقى فى عوده الاسفهسلار كذلك مارا وعائدا لحث الاجناد فى الحركة والانكار على المزاحمين المعترضين ويلقى فى عوده صاحب الباب ومروره فى زمرة الخليفة الى أن يصل الى الاسفهسلار فيعود لترتيب الموكب وحراسة طرقات الخليفة وفى يد كل منهم دبوس وهو راكب خير دوابه وأمر عها هذا المن أمام الموكب ثم يسير خلف دابة الخليفة قوم من صبيان الركاب لحفظ أعقابه ثم عشرة يحملون

عشرة سيوف فى خرائط ديباج احمر وأصفر بشراريب غزيرة يقال لها سيوف الدم برسم ضرب الاعناق ثم يسير بعدهم صبيان السلاح الصغير أرباب الفرنجيات المقدم ذكرهم اولا ثم يأتى الوزير فى هيبة وفى ركابه من اصحابه قوم يقال لهم صبيان الزرد من اقوياء الاجناد يختارهم لنفسه ما مقداره خمسمائة رجل من جانبيه بفرجة لطيفة أمامه دون فرجة الخليفة وكانه على وفز من حراسة الخليفة ويجتهد أن لا يغيب عن نظره وخلفه الطبول والصنوج والصفافير وهو مع عدة كثيرة تدوى بأصواتها وحسها الدنيا ثم يأتى حامل الرمح المقدم ذكره ودرقته حمراء ثم طوائف الراجل من الركابية والجيوشية وقبلهما المصامدة ثم الفرنجية ثم الوزيرية زمرة زمرة فى عدة وافرة تزيد على أربعة آلاف فى الوقت الحاضر وهم أضعاف ذلك ثم اصحاب الرايات والسبعين ثم طوائف العساكر من الآمرية والجرية الكبار والحافظية والجرية الصغار المنقولين والافضلية والجيوشية ثم الاتراك المصطنعون ثم الديلم ثم الاكراد ثم الغز المصطنعة وقد كان تقدم هؤلاء الفرسان عدة وافرة من المترجلة أرباب قسى البد وقسى الرجل فى اكثر من خمسمائة وهم المعدون للاساطيل ويكون من الفرسان المقدم ذكرهم ما يزيد على ثلاثة آلاف وهذا كله بعض من كل فاذا انتهى الموكب الى المكان المحدود عادوا على أدراجهم ويدخلون من باب الفتوح ويقفون بين القصرين بعد الرجوع كما كانوا قبله فاذا وصل الخليفة الى الجامع الاقمر بالقماحين اليوم وقف وقفة بجماعته فى موكبه وانفرج الموكب للوزير فحرك مسرعا ليصير أمام الخليفة حتى يدخل بين يديه فيمر الخليفة ويسلم له سكعة ظاهرة فيشير الخليفة للسلام عليه اشارة خفية وهذه أعظم مكارمة تصدر عن الخليفة ولا تكون الا للوزير صاحب السيف وسبقه الى دخول باب القصر راكبا على عادته الى موضعه ويكون الامراء قد نزلوا قبله لانهم فى اوائل الموكب فاذا وصل الخليفة الى باب القصر ودخله ترجل الوزير ودخل قبله الاستاذون المحنكون وأحدقوا به والوزير أمام وجه الفرس مكان ترجله الى الكرسى الذى ركب منه فينزل عليه ويدخل الى مكانه بعد خدمة المذكورين له فيخرج الوزير ويركب من مكانه الجارى به على عادته والامراء بين يديه وأقاربه حواليه فيركبون من أماكنهم ويسيرون صحبته الى داره فيدخل وينزل أيضا الى مكانه على كرسى فتخدمه الجماعة بالوداع ويتفرق الناس الى أماكنهم فيجدون قد أحضر اليهم الغرة وهو أنه يقدم الخليفة بأن يضرب بدار الضرب فى العشر الاخر من ذى الحجة بتاريخ السنة التى ركب اولها فى هذا اليوم جملة من الدنانير والرباعية والدراهم المدورة المقسقلة فيحمل الى الوزير منها ثلثمائة وستون دينارا وثلثمائة وستون رباعيا وثلثمائة وستون قيراطا والى اولاده واخوته من كل صنف من ذلك خمسون والى أرباب الرتب من اصحاب السيوف والاقلام من عشرة دنانير وعشر رباعيات وعشرة قراريط الى دينار واحد ورباعى واحد وقيراط واحد فيقبلون ذلك على حكم البركة من مبلغ الخليفة قال ومبلغ الغرة التى ينعم بها فى اول العام المقدم ذكرها من الدنانير والرباعيات والقراريط ما يقرب من ثلاثة آلاف دينار والله تعالى أعلم

(ذكر ما كان يضرب فى خميس العدس من خراريب الذهب)

قال ابن المأمون وأحضر الاجل المأمون كاتب الدفتر وأمره بالكشف عما كان يضرب برسم خميس العدس من الخراريب الذهب وهو خمسمائة دينار عن عشرين ألف خروبة واستدعى كاتب بيت المال ووقع له باطلاق ألف دينار وأمره باحضار مشارف دار الضرب وسلمها اليه فاعتمد ذلك وضربت عشرون ألف خروبة وأحضرها فامر بحملها الى الخليفة فسير الخليفة منها الى المأمون ثلثمائة دينار وذكر أنها لم تضرب فى مدة خلافة الحافظ لدين الله غير سنة واحدة ثم بطل حكمها ونسى ذكرها قال وصار ما يضرب باسم الخليفة يعنى الآمر بأحكام الله فى ستة مواضع القاهرة ومصر وقوص وعسقلان وصور والاسكندرية * وقال ابن عبد الظاهر خميس العدس كان يضرب فيه خمسمائة تعمل عشرة آلاف خروبة كان الافضل بن أمير الجيوش يحمل منها للخليفة مائتى دينار والبقية برسمه ثم جعلت فى الايام المأمونية ألف دينار وربما زادت أو نقصت يسيرا وقد تقدم أن قاضى القضاة كان يتولى عيار دار الضرب ويحضر التغليق بنفسه ويختم عليه ويحضر للموعد الآخر لفتحه

(ذكر دار الوكالة الآمرية)

كانت

كانت دار الوكالة المذكورة بجانب دار الضرب وموضعها الآن على يمنة السالك من رأس الخراطين الى سوق الخيميين والجامع الازهر * قال ابن المامون فى شوال سنة ست عشرة وخمسمائة ثم أنشأ يعنى المأمون بن البطائحى وزير الخليفة الآمر بأحكام الله دار الوكالة بالقاهرة المحروسة لمن يصل من العراقيين والشاميين وغيرهما من التجار ولم يسبق الى ذلك

(ذكر مصلى العيد)

وكان فى شرقى القصر الكبير مصلى العيد من خارج باب النصر وهذا المصلى بناه القائد جوهر لاجل صلاة العيد فى شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ثم جدده العزيز بالله وقد بقى الى الآن بعض هذا المصلى واتخذ فى جانب منه موضع مصلى الاموات اليوم

(ذكر هيئة صلاة العيد وما يتعلق بها)

قال ابن زولاق وركب المعز لدين الله يوم الفطر لصلاة العيد الى مصلى القاهرة التى بناها القائد جوهر وكان محمد ابن أحمد بن الادرع الحسنى قد بكر وجلس فى المصلى تحت القبة فى موضع فجاء الخدم وأقاموه وأقعدوا موضعه أبا جعفر مسلما واقعدوه هو دونه وكان أبو جعفر مسلم خلف المعز عن يمينه وهو يصلى واقبل المعز فى زيه وبنوده وقبابه وصلى بالناس صلاة العيد تامة طويلة قرأ فى الاولى بام الكتاب وهل أتاك حديث الغاشية ثم كبر بعد القراءة وركع فأطال وسجد فأطال انا سبحت خلفه فى كل ركعة وفى كل سجدة نيفا وثلاثين تسبيحة وكان القاضى النعمان بن محمد يبلغ عنه التكبير وقرأ فى الثانية بأم الكتاب وسورة والضحى ثم كبر أيضا بعد القراءة وهى صلاة جده على بن أبى طالب عليه السلام وأطال أيضا فى الثانية الركوع والسجود أنا سبحت خلفه نيفا وثلاثين تسبيحة فى كل ركعة وفى كل سجدة وجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فى كل سورة وأنكر جماعات يتوسمون بالعلم قراءته قبل التكبير لقلة علمهم وتقصيرهم فى العلوم حدثنا محمد بن أحمد قال حدثنا عمر بن شبية ثنا عبد الله ورجاء عن اسرائيل عن أبى اسحق عن الحارث عن على عليه السلام انه كان يقرأ فى صلاة العيد قبل التكبير فلما فرغ المعز من الصلاة صعد المنبر وسلم على الناس يمينا وشمالا ثم ستر بالسترين اللذين كانا على المنبر فخطب وراءهما على رسمه وكان فى أعلى درجة من المنبر وسادة ديباج مثقل فجلس عليها بين الخطبتين واستفتح الخطبة ببسم الله الرحمن الرحيم وكان معه على المنبر القائد جوهر وعمار بن جعفر وشفيع صاحب المظلة ثم قال الله أكبر الله أكبر واستفتح بذلك وخطب وأبلغ وأبكى الناس وكانت خطبة بخشوع وخضوع فلما فرغ من خطبته انصرف فى عساكره وخلفه أولاده الاربعة بالجواشن والخود على الخيل بأحسن زى وساروا بين يديه بالفيلين فلما حضر فى قصره أحضر الناس فأكلوا وقدمت اليهم السمط ونشطهم الى الطعام وعتب على من تأخر وهدد من بلغه عنه صيام العيد * وقال المسبحى فى حوادث آخر يوم من رمضان سنة ثمانين وثلثمائة وبقيت مصاطب ما بين القصور والمصلى الجديدة ظاهر باب النصر عليها المؤذنون حتى يتصل التكبير من المصلى الى القصر وفيه تقدم أمر القاضى محمد بن النعمان باحضار المتفقهة والمؤمنين يعنى الشيعة وأمرهم بالجلوس يوم العيد على هذه المصاطب ولم يزل يرتب الناس وكتب رقاعا فيها أسماء الناس فكانت تخرج رقعة رقعة فيجلس الناس على مصطبة مصطبة بالترتيب وفى يوم العيد ركب العزيز بالله لصلاة العيد وبين يديه الجنائب والقباب الديباج بالحلى والعسكر فى زيه من الاتراك والديلم والعزيزية والاخشيدية والكافورية وأهل العراق بالديباج المثقل والسيوف والمناطق الذهب وعلى الجنائب السروج الذهب بالجوهر والسروج بالعنبر وبين يديه الفيلة عليها الرجالة بالسلاح والزراقة وخرج بالمظلة الثقيلة بالجوهر وبيده قضيب جده عليه السلام فصلى على رسمه وانصرف * وقال ابن المأمون ولما توفى أمير الجيوش بدر الجمالى وانتقل الامر الى ولده الافضل بن أمير الجيوش جرى على سنن والده فى صلاة العيد ويقف فى قوس باب داره الذى عند باب النصر يعنى دار الوزارة فلما سكن بمصر صار يطلع من مصر باكرا ويقف على باب داره على الحالة الاولى حتى تستحق الصلاة فيدخل من باب العيد الى الايوان ويصلى به القاضى ابن الرسعنى ثم يجلس بعد الصلاة على المرتبة الى أن تنقضى الخطبة فيدخل من باب الملك ويسلم على الخليفة بحيث لا يراه أحد غيره ثم يخلع عليه ويتوجه الى داره بمصر فيكون

السماط بهامدى الاعياد فلما قتل الافضل واستقر بعده المأمون بن البطائحى فى الوزارة قال هذا نقص فى
حق العبد ولا يعلم السبب فى كون الخليفة لا يظهر فقال له الخليفة الآمر باحكام الله فما تراه أنت فقال يجلس
مولانا فى المنظرة التى استجدت بين باب الذهب وباب البحر فاذا جلس مولانا فى المنظرة وفتحت الطاقات وقف
المملوك بين يديه فى قوس باب الذهب وتجوز العساكر فارسها وراجلها وتشملها بركة نظر مولانا اليها فاذا
حان وقت الصلاة توجه المملوك بالموكب والزى وجميع الامراء والاجناد واجتاز بأبواب القصر ودخل
الايوان فاستحسن ذلك منه واستصوب رأيه وبالغ فى شكره ثم عاد المأمون الى مجلسه وأمر بتفرقة كسوة العيد
والهبات يعنى فى عيد النحر سنة خمس عشرة وخمسمائة وجملة العين ثلاثة آلاف وثلثمائة دينار وسبعة دنانير
ومن الكسوات مائة قطعة وسبع قطع برسم الامراء المطوقين والاستاذين المحنكين وكاتب الدست ومتولى
حجبة الباب وغيرهم قال ووصلت الكسوة المختصة بالعيد فى آخر شهر رمضان يعنى من سنة ست عشرة وخمسمائة
وهى تشتمل على دون العشرين ألف دينار وهو عندهم الموسم الكبير ويسمى بعيد الحلل لان الحلل فيه تعم
الجماعة وفى غيره للاعيان خاصة وقد تقدم تفصيلها عند ذكر خزانة الكسوة من هذا الكتاب قال ولما كان
فى التاسع والعشرين من شهر رمضان خرجت الاوامر بأضعاف ما هو مستقر للمقرئين والمؤذنين فى كل ليلة
برسم السحور بحكم انها ليلة ختم الشهر وحضر المأمون فى آخر النهار الى القصر للفطور مع الخليفة والحضور
على الاسمطة على العادة وحضر اخوته وعمومته وجميع الجلساء وحضر المقرئون والمؤذنون وسلموا على عادتهم
وجلسوا تحت الروشن وحمل من عند معظم الجهات والسيدات والمميزات من أهل القصور بلاحى وموكبيات
مملوءة ماء ملفوفة فى عراضى ديبقى وجعلت أمام المذكورين ليشملها بركة ختم القرآن واستفتح المقرئون من
الحمد الى خاتمة القرآن تلاوة وتطريبا ثم وقف بعد ذلك من خطب فأسمع ودعا فأبلغ ورفع الفراشون ما أعدوه
برسم الجهات ثم كبر المؤذنون وهللوا وأخذوا فى الصوفيات الى أن نثر عليهم من الروشن دراهم ودنانير
ورباعيات وقدمت جفان القطائف على الرسم مع الحلوى فجروا على عادتهم وملأوا أكمامهم ثم خرج استاذ من
باب الدار الجليلة بخلع خلعها على الخطيب وغيره ودراهم تفرق على الطائفتين من المقرئين والمؤذنين ورسم أن
تحمل الفطرة الى قاعة الذهب وأن تكون التعبية فى مجلس الملك وتعبى الطيافير المشورة الكبار من السرير الى
باب المجلس وتعبى من باب المجلس الى ثلثى القاعة سماطا واحدا مثل سماط الطعام ويكون جميعه سدا واحدا
من حلاوة الموسم ويزين بالقطع المنفوخ فامتثل الامر وحضر الخليفة الى الايوان واستدعى المأمون وأولاده
واخوته وعرضت المظال المذهبة المحاومة وكان المقرئون يلوحون عند ذكرها بالآيات التى فى سورة النحل
والله جعل لكم مما خلق ظلالا الى آخرها وجلس الخليفة ورفعت الستور واستفتح المقرئون وجدد المأمون
السلام عليه وجلس على المرتبة عن يمينه وسلم الامراء جميعهم على حكم منازلهم لا يتعدى أحد منهم مكانه
والنواب جميعهم يستدعونهم بنعوتهم وترتيب وقوفهم وسلم الرسل الواصلون من جميع الاقاليم ووقفوا
فى آخر الايوان وختم المقرئون وسلموا وخدمت الرهجية وتقدم متولى كل اصطبل من الرواض وغيرهم يقبل
الارض ويقف ودخلت الدواب من باب الديلم والمستخدمون فى الركاب بالمناديل يتسلمونها من الشدادين
ويدورون بها حول الايوان ودواب المظلة متميزة عن غيرها يتسلمها الاستاذون والمستخدمون فى الركاب
ويعلون بها الى قريب من الشباك الذى فيه الخليفة وكلما عرض دواب اصطبل قبل الارض متوليه وانصرف
وتقدم متولى غيره على حكمه الى أن يعرض جميع ما أحضروه وهو ما يزيد على ألف فرس خارجا عن البغال
وما تأخر من العشاريات والجور والمهارة ولما عرضت الدواب أبطلت الرهجية وعاد استفتاح المقرئين وكانوا
محسنين فيما ينتزعونه من القرآن الكريم مما يوافق الحال مثل الآية من آل عمران زين للناس حب
الشهوات الى آخرها ثم بعدها قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء الى آخرها وعرضت الوحوش
بالاجلة الديباج والديبقى بقباب الذهب والمناطق والاهلة وبعدها النجب والبخاتى بالاقتاب الملبسة بالديبقى
الملون المرقوم وعرض السلاح وآلات الموكب جميعها ونصبت الكسوات على باب العيد وضربت طول الليل
وحملت الفطرة الخاص التى يفطر عليها الخليفة باصناف الجوارشات بالمسك والعود والكافور والزعفران
والتمور المصبغة التى يستخرج ما فيها وتحشى بالطيب وغيره وتسد وتختم وسلمت للمستخدمين فى القصور وعبيت

فى

فى مواعين الذهب المكللة بالجواهر وخرجت الاعلام والبنود وركب المأمون فلما حصل بقاعة الذهب آخذ فى مشاهدة السماط من سرير الملك الى آخرها وخرج الخليفة لوقته من الباذهنج وطلع الى سرير ملكه وبين يديه الصوانى المقدم ذكرها واستدعى بالمأمون فجلس عن يمينه بعد أداء حق السلام وأمر باحضار الامراء المميزين والقاضى والداعى والضيوف وسلم كل منهم على حكم ميزته وقدمت الرسل وشرّفوا بتقبيل الارض والمقرؤن يتلون والمؤذنون يهللون ويكبرون وكشفت القوارات الشرب المذهبات عما هو بين يدى الخليفة فبدأ وكبر وأخذ بيده تمرة فأفطر عليها وناول مثلها الوزير فاظهر الفطر عليها وأخذ الخليفة فى أن يستعمل من جميع ما حضر ويناول وزيره منه وهو يقبله ويجعله فى كمه وتقدمت الاجلاء اخوة الوزير وأولاده من تحت السرير وهو يناولهم من يده فيجعلونه فى اكمامهم بعد تقبيله وأخذ كل من الحاضرين كذلك ويومئ بالفطور ويجعله فى كمه على سبيل البركة فمن كان رأيه الفطور أفطر ومن لم يكن رأيه أومأ وجعله فى كمه لا ينتقد على أحد فعله ثم قال المأمون بعد ذلك ما على من يأخذ من هذا المكان نقيصة بل له به الشرف والميزة ومدّ يده وأخذ من الطيفور الذى كان بين يديه عود نبات وجعله فى كمه بعد تقبيله وأشار الى الامراء فاعتمد كل من الحاضرين ذلك وملأ وأكمامهم ودخل الناس فأخذوا جميع ذلك ثم خرج الوزير الى داره والجماعة فى ركابه فوجد التعبية فيها من صدر المجلس الى آخره على ما أمر به ولم يعدم مما كان بالقصر غير الصوانى الخاص فجلس على مرتبته والاجلاء أولاده واستدعى بالعوالى من الامراء والقاضى والداعى والضيوف فحضروا وشرّفوا بجلوسهم معه وحصل من مسرّتهم بذلك ما بسطهم ورفعوا اليسير مما حضر على سبيل الشرف ثم انصرفوا وحضرت الطوائف والرسل على طبقاتهم الى أن حمل جميع ما كان بالدار بأسره وانقضى حكم الفطور وعاد للتنفيذ فى غيره وضربت الطبول والابواق على أبواب القصور والدار المامونية وأحضرت التغايير وفرّقت على أربابها من الاجناد والمستخدمين وخرجت أزمة العساكر فارسها وراجلها وندب الحاجب الذى بيده الدعو لترتيب صفوفها من باب القصر الى المصلى ثم حضر الى الدار المأمونية الشيوخ المميزون وجلس المأمون فى مجلسه وأولاده بهيئة العيد وزينته ورفعت الستور وابتدأ المقرؤن وسلم متولى الباب والشيوخ ولم يدخل المجلس غير كاتب الدست ومتولى الحجبة وبالغ كل منهما فى زيه وملبوسه وجروا على رسمهم فى تقبيل الارض وعتبة المجلس ووصل الى الدار المأمونية التجمل الخاص الذى برسم الخليفة جميعه القصب الفضة والاعلام والمنجوقات والعقبات والعماريات ولواآ الوزارة لركوب الخليفة بالمظلة بالطميم والمراكيب الذهب المرصعة بالجوهر وغير ذلك من التجملات وركب المأمون من داره وجميع التشاريف الخاص بين يديه وخدمت الرهجية ومن جملتهم الغريبة وهى أبواق لطاف عجيبة غريبة الشكل تضرب كل وقت يركب فيه الخليفة ولا تضرب قدام الوزير الا فى المواسم خاصة وفى أيام الخلع عليه والامراء مصطفون عن يمينه وعن شماله ويليهم اخوته وبعدهم أولاده ودخل الى الايوان وجلس على المرتبة المختصة به وعن يمينه جميع الاجلاء والمميزون وقوف أمامه ومن انحط عنهم من باب الملك الى الايوان قيام ويخرج خاصة الدولة ريحان الى المصلى بالفرش الخاص وآلات الصلاة وعلق المحراب بالشروب المذهبة وفرش فيه ثلاث سجادات متراكبة وأعلاها السجادة اللطيفة التى كانت عندهم معظمة وهى قطعة من حصير ذكر أنها كانت من جملة حصير لجعفر بن محمد الصادق عليهما السلام يصلى عليها وفرش الارض جميعها بالحصر المحاريب ثم علق على جانبى المنبر وفرش جميع درجه وجعل أعلاه المخاد التى يجلس عليها الخليفة وعلق اللواآن عليه وقعد تحت القبة خاصة الدولة ريحان والقاضى وأطلق البخور ولم يفتح من أبوابه الا باب واحد وهو الذى يدخل منه الخليفة ويقعد الداعى فى الدهليز ونقباء المؤمنين بين يديه وكذلك الامراء والاشراف والشيوخ والشهود ومن سواهم من أرباب الحرف ولا يمكن من الدخول الا من يعرفه الداعى ويكون فى ضمانه واستفتحت الصلاة وأقبل الخليفة من قصوره بغاية زيه والعلم الجوهر فى منديله وقضيب الملك بيده وبنو عمه واخوته واستاذوه فى ركابه وتلقاه المقرؤن عند وصوله والخواص واستدعى بالمأمون فتقدم بمفرده وقبل الارض وأخذ السيف والرمح من مقدمى خزائن الكسوة والرهجية تخدم وحمل لواء الحمد بين يديه الى أن خرج من باب العيد فوجد المظلة قد نشرت عن يمينه والذى بيده الدعو فى ترتيب الحجبة ان شرّف بها لا يتعدى أحد حكمه وسائر المواكب بالجنائب

الخاص وخيل التخافيف ومصفات العساكر والطوائف بجمعها بزيها وراياتها وراء الموكب الى أن وصل الى قريب المصلى والعماريات والزراقات وقد شدّ على الفيلة بالاسرّة مملوءة رجالا مشكة بالسلاح لا تبين منهم الا الاحداق وبأيديهم السيوف المجردة والدرق الحديد الصينى والعساكر قد اجتمعت وترادفت صفوفا من الجانبين الى باب المصلى والنظارة قد ملأت الفضاء لمشاهدة ما لم يبلغوه والموكب سائر بهم وقد أحاط بالخليفة والوزير صبيان الخاص وبعدهم الاجناد بالدروع المسبلة والزرديات بالمغافر ملثمة والبرك الحديد بالصماصم والدبابيس ولما طلع الموكب من ربوة المصلى ترجل متولى الباب والحجاب ووقف الخليفة بجمعه بالمظلة الى أن اجتاز المأمون راكبا من حول ركابه وردّ الخليفة السلام عليه بكمه وصار أمامه وترجل الامراء المميزون والاستاذون المحنكون بعدهم وجميع الاجلاء وصار كل منهم يبدأ بالسلام على الوزير ثم على الخليفة الى أن صار الجميع فى ركابه ولم يدخل من باب المصلى راكبا غير الوزير خاصة ثم ترجل على بابه الثانى الى أن وصل الخليفة اليه فاستدعى به فسلم وأخذ الشكيمة بيده الى أن ترجل الخليفة فى الدهليز الآخر وقصد المحراب والمؤذنون يكبرون قدامه واستفتح الخليفة فى المحراب وسامته فيه وزيره والقاضى والداعى عن يمينه وشماله ليوصلوا التكبير لجماعة المؤذنين من الجانبين ويتصل منهم التكبير الى مؤذنى مصلى الرجال والنساء الخارجين عن المصلى الكبير وكاتب الدست وأهله ومتولى ديوان الانشاء يصلون تحت عقد المنبر ولا يمكن غيرهم أن يكون معهم ولما قضى الخليفة الصلاة وهى ركعتان قرأ فى الاولى بفاتحة الكتاب وهل أتاك حديث الغاشية وكبر سبع تكبيرات وركع وسجد وفى الثانية بالفاتحة وسورة والشمس وضحاها وكبر خمس تكبيرات وهذه سنة الجميع ومن ينوب عنهم فى صلاة العيدين على الاستمرار وسلم وخرج من المحراب وعطف عن يمينه والحرص عليه شديد ولا يصل اليه الا من كان خصيصا به وصعد المنبر بالخشوع والسكينة وجميع من بالمصلى والتربة لا يسأم نظره ويكثرون من الدعاء له ولما حصل فى أعلى المنبر أشار الى المأمون فقبل الارض وسارع فى الطلوع اليه وأدّى ما يجب من سلامه وتعظيم مقامه ووقف بأعلى درجة وأشار الى القاضى فتقدّم وقبل كل درجة الى أن يصل الى الدرجة الثالثة وقف عندها وأخرج الدعو من كمه وقبله ووضعه على رأسه وأعلى بما تضمنه وهو ما جرت به العادة من تسمية يوم العيد وسنته والدعاء للدولة وكانت الحال فى أيام وزراء الاقلام والسيوف اذا حصل الخليفة فى أعلى المنبر بقى الوزير مع غيره وأشار الخليفة الى القاضى فيقبل الارض ويطلع الى الدرجة الثالثة ويخرج الدعو من كمه ويقبله ويضعه على رأسه ويذكر يوم العيد وسنته والدعاء للدولة ثم يستدعى بالوزير بعد ذلك فيصعد بعد القاضى فراعى الخليفة ذلك الامر فى حق الوزير فجعل الاشارة منه اليه أولا ورفعه عن أن يكون مأمورا مثل غيره وجعلها له ميزة على غيره ممن تقدمه واستمرت فيما بعد واستفتح الخليفة بالتكبير الجارى به العادة فى الفطر والخطبتين الى آخرهما وكبر المؤذنون ورفع اللواآن وترجل كل أحد من موضعه كما كان ركوبه وصار الجميع فى ركاب الخليفة وجرى الامر فى رجوعه على ما تقدم شرحه ومضى الى تربة آبائه وهى سنتهم فى كل ركبة بمظلة وفى كل يوم جمعة مع صدقات ورسوم تفرق وأما الوزير المأمون فانه توجه وخرج من باب العيد والامراء بين يديه الى أن وصل الى باب الذهب فدخل منه بعد أن أمر ولده الاكبر بالوصول الى داره والجلوس على سماط العيد على عادته ولما دخل المأمون بقاعة الذهب وجد الروع قد وقع من المستخدمين بتعبئة السماط فأمر بتفرقة الرسوم على أربابها وهو ما يحمل الى مجلس الوزارة برسم الحاشية ولكل من حاشية أولاده واخوته وكاتب الدست ومتولى حجبة الباب ومتولى الديوان وكاتب الدفتر والنائب لكل منهم رسم يصرف قبل جلوس الخليفة وعند انقضاء الاسمطة لغير المذكورين على قدر منزلة كل منهم ثم حضر أبو الفضائل ابن أبى الليث واستأذن على طيافير الفطرة الكبار التى فى مجلس الخليفة فأمره الوزير بأن يعتمد فى تفرقتها على ما كان يعتمده فى الايام الافضلية وهو لكل من يصعد المنبر مع الخليفة طيفور فلما أخذ الخليفة راحة بعد مضيه الى التربة جلس على السرير وبين يديه المائدة اللطيفة الذهب بالمنا معباة بالزبادى الذهب واستدعى الوزير واصطف الناس من المدورة الى آخر السماط من الجانبين على طبقاتهم ورفعت الستور واستفتح المقرئون ووفى الدولة اسعاف متولى المائدة مشدود الوسط ومقدم خزانة الشراب بيده شربة فى مرفع ذهب وغطاء مرصعين بالجوهر والياقوت ومتولى خزائن الانفاق بيده خريطة مملوءة دنانير لمن يقف يطلب صدقة وانعاما فيؤمر بما يدفع

اليه وتفرقة الرسوم الجارى بها العادة ولعبت المنافقون والتحسارية وتناوب القرّاء والمنشدون وأرخيت الستور وعبى السماط ثانيا على ما كان عليه أوّلا ثم رفعت الستور وجلس على المدورة والسماط من جرت العادة به وفرّقت الدنانير على المقرئين والمنشدين والتحسارية والمنافقين ومن هو معروف بكثرة الاكل ونهبت قصور الخليفة وفرّق من الاصناف ماجرت به العادة وأرخيت الستور وأحضر متولى خزانة الكسوة الخاص للخليفة بدلة الى أعلى السرير حسبما كان أمره فلبسها وخلع الثياب التى كانت عليه على الوزير بعد ما بالغ فى شكره والثناء عليه وتوجه الى داره فوصل اليه من الخليفة الصوانى الخاص المكالة معباة على ما كانت بين يديه وغيرها من الموائد وكذلك الى أولاده واخوته صينية صينيه ولكاتب الدست ومتولى حجبة الباب مثل ذلك ويكبر الوزير بجلوسه فى داره معلنا وتسارع الناس على طبقاتهم بالعيد والخلع وبما جرى فى صعود المنبر وحضر الشعراء وأسنيت لهم الجوائز وجرى الحال يومئذ فى جلوس الخليفة وفى السلام لجميع الشيوخ والقضاة والشهود والامراء والكتّاب ومقدّمى الركاب والمتصدّرين بالجوامع والفقهاء والقاهريين والمصريين واليهود برئيسهم والنصارى ببطريقهم على ماجرت به عادتهم وختم المقرئون وقدمت الشعراء على طبقاتهم الى آخرهم وجدّد لكل من الحاضرين سلامه وانكفأ الخليفة الى الباذهنج لاداء فريضة الصلاة والراحة بمقدار ما عبيت المائدة الخاص واستحضر المأمون وأولاده واخوته على عادتهم واستدعى من شرّف بحضور المائدة وهم الشيخ أبو الحسن كاتب الدست وأبو الرضى سالم ابنه ومتولى حجبة الباب وظهير الدين الكنانى على ما كان عليه الحال قبل الصيام وانقضى حكم العيد * وقال ابن الطوير اذا قرب آخر العشر الاخر من شهر رمضان خرج الزى من أماكنه على ما وصفنا فى ركوب أوّل العام ولكن فيه زيادات يأتى ذكرها ويركب فى مستهل شوّال بعد تمام شهر رمضان وعدّته عندهم أبدا ثلاثون يوما فاذا تهيأت الامور من الخليفة والوزير والامراء وأرباب الرتب على ما تقدّم وصار الوزير بجماعته الى باب القصر ركب الخليفة بهيئة الخلافة من المظلة واليتيمة والآلات المقدّم ذكرها ولباسه فى هذا اليوم الثياب البياض الموشحة المحومة وهى أجل لباسهم والمظلة كذلك فانها أبدا تابعة لثيابه كيف كانت الثياب كانت ويكون خروجه من باب العيد الى المصلى والزيادة ظاهرة فى هذا اليوم فى العساكر وقد انتظم القوم له صفين من باب القصر الى باب المصلى ويكون صاحب بيت المال قد تقدّم على الرسم لفرش المصلى فيفرش الطرّاحات على رسمها فى المحراب مطابقة ويعلق سترين يمنة ويسرة فى الايمن البسملة والفاتحة وسبح اسم ربك الأعلى وفى الايسر مثل ذلك وهل أتاك حديث الغاشية ثم يركز فى جانب المصلى لواءين مشدودين على رمحين ملبسين بأنابيب الفضة وهما مستوران مرخيان فيدخل الخليفة من شرقى المصلى الى مكان ليستريح فيه دقيقة ثم يخرج محفوظا كما يحفظ فى جامع القاهرة فيصير الى المحراب ويصلى صلاة العيد بالتكبيرات المسنونة والوزير وراءه والقاضى ويقرأ فى كل ركعة ما هو مرقوم فى السترين فاذا فرغ وسلم صعد المنبر للخطابة العيدية يوم الفطر فاذا جلس فى الذروة وهناك طرّاحة سامان أو ديبقى على قدرها وباقيه يستر ببياض على مقداره فى تقطيع درجه وهو مضبوط لا يتغير فيراه أهل ذلك الجمع جالسا فى الذروة ويكون قد وقف أسفل المنبر الوزير وقاضى القضاة وصاحب الباب اسفهسلار العساكر وصاحب السيف وصاحب الرسالة وزمام القصر وصاحب دفتر المجلس وصاحب المظلة وزمام الاشراف الاقارب وصاحب بيت المال وحامل الرمح ونقيب الاشراف الطالبيين ووجه الوزير اليه فيشير اليه فيصعد ويقرب وقوفه منه ويكون وجهه موازيا رجليه فيقبلهما بحيث يراه العالم ثم يقوم ويقف على يمينه فاذا وقف أشار الى قاضى القضاة فيصعد الى سابع درجة ويتطلع اليه صاغيا لما يقول فيشير اليه فيخرج من كمه مدرجا قد أحضر اليه أمس من ديوان الانشاء بعد عرضه على الخليفة والوزير فيعلن بقراءة مضمونه ويقول بسم الله الرحمن الرحيم ثبت بمن شرّف بصعوده المنبر الشريف فى يوم كذا وهو عيد الفطر من سنة كذا من عبيد أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الاكرمين بعد صعود السيد الاجل ونعوته المقرّرة ودعائه المحرّر فان أراد الخليفة أن يشرّف أحدا من أولاد الوزير واخوته استدعاه القاضى بالنعت المذكور ثم يتلو ذلك ذكر القاضى وهو القارئ فلا يتسع له أن يقول عن نفسه نعوته ولا دعاءه بل يقول المملوك فلان بن فلان وقرأه مرّة القاضى ابن أبى عقيل فلما وصل الى اسمه قال العبد الذليل المعترف بالصنع الجميل فى المقام الجليل أحمد بن عبد الرحمن بن

أبى عقيل فاستحسن ذلك منه ثم حذا حذوه الاعز بن سلامة وقد استقضى فى آخر الوقت فقال المملوك فى محل الكرامه الذى عليه من الولاء أصدق علامه حسن بن على بن سلامه ثم يستدعى من ذكرنا وقوفهم على باب المنبر بنعوتهم وذكر خدمهم ودعائهم على الترتيب فاذا طلع الجماعة وكل منهم يعرف مقامه فى المنبر يمنة ويسرة أشار الوزير اليهم فأخذ من هو من كل جانب بيده نصيبا من اللواء الذى بجانبه فيستر الخليفة ويسترون وينادى فى الناس بأن ينصتوا فيخطب الخليفة من المسطور على العادة وهى خطبة بليغة موافقة لذلك اليوم فاذا فرغ ألقى كل من فى يده من اللواء شئ خارج المنبر فينكشفون وينزلون أولا فأولا الاقرب فالاقرب الى القهقرى فاذا خلا المنبر منهم قام الخليفة هابطا ودخل الى المكان الذى خرج منه فلبث يسيرا وركب فى زيه المفخم وعاد من طريقه بعينها الى أن يصل الى قريب القصر فيتقدّمه الوزير كما شرحنا ثم يدخل من باب العيد فيجلس فى الشباك وقد نصب منه الى فسقية كانت فى وسط الايوان مقدار عشرين قصبة سماط من الخشكنان والبسندود والبرماورد مثل الجبل الشاهق وفيه القطعة وزنها من ربع قنطار الى رطل فيدخل ذلك الجمع اليه ويفطر منه من يفطر وينقل منه من ينقل ويباح ولا يحجر عليه ولا مانع دونه فيتز ذلك بأيدى الناس وليس هو مما يعتدّ به ولا يعبى مما يفرّق للناس ويحمل الى دورهم ويعمل فى هذا اليوم سماط من الطعام فى القاعة يحضر عليه الخليفة والوزير فاذا انقضى ذو القعدة وهلّ هلال ذى الحجة اهتمّ بركوب عيد النحر فيجرى حاله كما جرى فى عيد الفطر من الزى والركوب الى المصلى ويكون لباس الخليفة فيه الاحمر الموشح ولا ينخرم منه شئ انتهى * وصعد مرّة الخليفة الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد المنبر يوم عيد فوقف الشريف ابن انس الدولة بازائه وقال مشيرا الى الحاضرين

خشوعا فانّ الله هذا مقامه * وهمسا فهذا وجهه وكلامه
وهذا الذى فى كل وقت بروزه * تحياته من ربنا وسلامه

فضرب الحافظ الجانب الايسر من المنبر فرقى اليه زمام القصر فقال له قل للشريف حسبك قضيت حاجتك ولم يدعه يقول شيأ آخر وكانت تكتب الخلقات بركوب أمير المؤمنين لصلاة العيد ويبعث بها الى الاعمال فمما كتب به من انشاء ابن الصيرفى * أما بعد فالحمد لله الذى رفع بأمير المؤمنين عماد الايمان وثبت قواعده وأعز بخلافته معتقده وأذل بمهابته معانده وأظهر من نوره ما انبسط فى الآفاق وزال معه الاظلام ونسخ به ما تقدّمه من الملل فقال انّ الدين عند الله الاسلام وجعل المعتصم بحبله مفضلا على من يفاخره ويباهيه وأوجب دخول الجنة وخلودها لمن عمل بأوامره ونواهيه وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذى اصطفى له الدين وبعثه الى الاقربين والابعدين وأيده فى الارشاد حتى صار العاصى مطيعا ودخل الناس فى التوحيد فرادى وجمعا وغدوا بعروته الوثقى متمسكين وأنزل عليه قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين وعلى أخيه وابن عمه أبينا أمير المؤمنين على بن أبى طالب امام الامّة وكاشف الغمة وأوجه الشفعاء لشيعته يوم العرض ومن الاخلاص فى ولائه قيام بحق وأداء فرض وعلى الائمة من ذريتهما سادة البرية والعادلين فى القضية والعاملين بالسيرة المرضيه وسلم وكرم وشرف وعظم وكتاب أمير المؤمنين هذا اليك يوم الثلاثاء عيد الفطر من سنة ست وثلاثين وخمسمائة وقد كان من قيام أمير المؤمنين بحقه وأدائه وجريه فى ذلك على عادته وعادة من قبله من آبائه ما ينبئك به ويطلعك على مستوره عنك ومغيبه وذلك أن دنس ثوب الليل لما بيضه الصباح وعاد المحترم المحظور بما أطلقه الحلال المباح توجهت عساكر أمير المؤمنين من مظانها الى بابه وأفطرت بين يديه بعد ما حازته من أجر الصيام وثوابه ثم انثنت الى مصافها فى الهيآت التى يقصر عنها تجريد الصفات وتغنى مهابتها عن تجريد المرهفات وتشهد أسلحتها وعددها بالتنافس فى الهمم وتقلق مواضيها فى أغمادها شوقا الى الطلى والقمم وقد امتلأت الارض بازدحام الرجل والخيل وثار العجاج فلم ير اغرب من اجتماع النهار والليل وبرز أمير المؤمنين من قصوره وظهر للابصار على انه محتجب بضيائه ونوره وتوجه الى المصلى فى هدى جده وأبيه والوقار الذى ارتفع فيه عن النظير والشبيه ولما انتهى اليه قصد المحراب واستقبله وأدّى الصلاة على وضع رضيه الله وتقبله وأجرى أمرها على أفضل المعهود ووفاها حقها من القراءة والتكبير والركوع والسجود وانتهى الى المنبر فعلا وكبر

الله وهلله على ما أولاه وذكر الثواب على اخراج الفطرة وبشر به وان المسارعة اليه من وسائل المحافظة على الخير وقربه ووعظ وعظا ينتفع قابله فى عاجلته ومنقلبه ثم عاد الى قصوره الزاهرة مشمولا بالوقايه مكنوفا بالكفايه منتهيا فى ارشاد عبيده ورعاياه اقصى الغاية أعلمك أمير المؤمنين خبر هذا اليوم لتعلم منه ما تسكن اليه وتعلن بتلاوته على الكافة ليشتركوا فى معرفته ويشكروا الله عليه فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى * وكان من أهل برقة طائفة تعرف بصبيان الخف لها اقطاعات وجرايات وكسوات ورسوم فاذا ركب الخليفة فى العيدين مدوا حبلين مسطوحين من أعلى باب النصر الى الارض حبلا عن يمين الباب وحبلا عن شماله فاذا عاد الخليفة من المصلى نزل على الحبلين طائفة من هؤلاء على أشكال خيل من خشب مدهون وفى أيديهم رايات وخلف كل واحد منهم رديف وتحت رجليه آخر معلق بيديه ورجليه ويعملون أعمالا تذهل العقول ويركب منهم جماعة فى الموكب على خيول فيركضون وهم يتقلبون عليها ويخرج الواحد منهم من تحت ابط الفرس وهو يركض ويعود يركب من الجانب الآخر ويعود وهو على حاله لا يتوقف ولا يسقط منه شئ الى الارض ومنهم من يقف على ظهر الحصان فيركض به وهو واقف

(ذكر القصر الصغير الغربى)

وكان تجاه القصر الكبير الشرقى الذى تقدم ذكره فى غربيه قصر آخر صغير يعرف بالقصر الغربى ومكانه الآن حيث المارستان المنصورى وما فى صفه من المدارس ودار الامير بيسرى وباب قبو الخرنشف وربع الملك الكامل المطل على سوق الدجاجين اليوم المعروف قديما بالتبانين وما يجاوره من الدرب المعروف اليوم بدرب الخضيرى تجاه الجامع الاقمر وماوراء هذه الاماكن الى الخليج وكان هذا القصر الغربى يعرف أيضا بقصر البحر والذى بناه العزيز بالله نزار بن المعز * قال المسبحى ولم يبن مثله فى شرق ولا فى غرب * وقال ابن أبى طى فى أخبار سنة سبع وخمسين وأربعمائة وفيها تمم الخليفة المستنصر بناء القصر الغربى وسكنه وغرم عليه ألفى ألف دينار وكان ابتداء بنيانه فى سنة خمسين وأربعمائة وكان سبب بنائه انه عزم على أن يجعله منزلا للخليفة القائم بأمر الله صاحب بغداد ويجمع بنى العباس اليه ويجعله كالمجلس لهم فخانه أمله وتممه فى هذه السنة وجعله لنفسه وسكنه * وقال ابن ميسر ان ست الملك أخت الحاكم كانت أكبر من أخيها الحاكم وان والدها العزيز بالله كان قد أفردها بسكنى القصر الغربى وجعل لها طائفة برسمها كانوا يسمون بالقصرية وهذا يدلك على أن القصر الغربى كان قد بنى قبل المستنصر وهو الصحيح وكان هذا القصر يشتمل أيضا على عدة أماكن

(الميدان) وكان بجوار القصر الغربى ومن حقوقه الميدان ويعرف هذا الميدان اليوم بالخرنشف واصطبل القطبية

(البستان الكافورى) وكان من حقوق القصر الصغير الغربى البستان الكافورى وكان بستانا أنشأه الامير أبو بكر محمد بن طغج بن جف الاخشيد أمير مصر وكان مطلا على الخليج فاعتنى به الاخشيد وجعل له أبوابا من حديد وكان ينزل به ويقيم فيه الايام واهتم بشأنه من بعد الاخشيد ابناه الامير أبو القاسم أونوجور بن الاخشيد والامير أبو الحسن على بن الاخشيد فى أيام امارتهما بعد أبيهما فلما استبد من بعدهما الاستاذ أبو المسك كافور الاخشيدى بامارة مصر كان كثيرا ما يتنزه به ويواصل الركوب الى الميدان الذى كان فيه وكانت خيوله بهذا الميدان فلما قدم القائد جوهر من المغرب بجيوش مولاه المعز لدين الله لاخذ ديار مصر أناخ بجوار هذا البستان وجعله من جملة القاهرة وكان منتزها للخلفاء الفاطميين مدة أيامهم وكانوا يتوصلون اليه من سراديب مبنية تحت الارض ينزلون اليها من القصر الكبير الشرقى ويسيرون فيها بالدواب الى البستان الكافورى ومناظر اللؤلؤة بحيث لا تراهم الاعين ومازال البستان عامرا الى أن زالت الدولة فحكر وبنى فيه فى سنة احدى وخمسين وستمائة كما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى عند ذكر الحارات والخطط من هذا الكتاب وأما الاقباء والسراديب فانها عملت أسربة للمراحيض وهى باقية الى يومنا هذا تنصب فى الخليج

(القاعة) وكان من جملة القصر الغربى قاعة كبيرة هى الآن المارستان المنصورى حيث المرضى كانت سكن ست الملك أخت الحاكم بأمر الله وكانت أحوالها متسعة جدا * قال فى كتاب الذخائر والتحف وأهدت

السيدة الشريفة ست الملك أخت الحاكم بأمر الله الى أخيها يوم الثلاثاء التاسع من شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة هدايا من جملتها ثلاثون فرسا بمراكب ذهبا منها مركب واحد مرصع ومركب من حجر البلور وعشرون بغلة بسروجها ولجمها وخمسون خادما منهم عشرة صقالبة ومائة تخت من أنواع الثياب وفاخرها وتاج مرصع بنفيس الجوهر وبديعه وشاشية مرصعة وأسفاط كثيرة من طيب من سائر أنواعه وبستان من الفضة مزروع من أنواع الشجر قال وخلفت حين ماتت في مستهل جمادى الآخرة من سنة خمس وعشرين وأربعمائة مالا يحصى كثرة وكان اقطاعها في كل سنة يغل خمسين ألف دينار ووجد لها بعد وفاتها ثمانية آلاف جارية منها بنيات ألف وخمسمائة وكانت سمحة نبيلة كريمة الاخلاق والفعل وكان في جملة موجودها نيف وثلاثون زير اصينيا مملوءا جميعها مسكا سحوقا ووجد لها جوهر نفيس من جملته قطعة ياقوت ذكر أن فيها عشرة مثاقيل * قال المسبحي ولدت بالمغرب في ذي القعدة سنة خمس وثلثمائة ولما زالت الدولة عرفت هذه الدار بالامير فخر

هكذا بياض في الاصل الدين جهاركس ... موسك ثم بالملك المفضل قطب الدين ... بن الملك العادل فلما كان

في شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وثمانين وستمائة شرع الملك المنصور قلاون الالفي في بنائها مارستانا ومدرسة وتربة وتولى عمارتها الامير علم الدين سنجر الشجاعي مدبر الممالك ويقال ان ذرع هذه الدار عشرة آلاف وستمائة ذراع

* (أبواب القصر الغربي) *

كان لهذا القصر عدة أبواب منها باب الساباط وباب التبانين وباب الزمرذ

* (باب الساباط) * هذا الباب موضعه الآن باب سر المارستان المنصوري الذي يخرج منه الآن الى الخرنشف وكان من الرسم أن يذبح في باب الساباط المذكور مدة أيام النحر وفي عيد الغدير عدة ذبائح تفرق على سبيل الشرف * قال ابن المأمون في سنة ست عشرة وخمسمائة وجملة ما نحره الخليفة الآمر بأحكام الله وذبحه خاصة في المنحر وباب الساباط دون المأمون وأولاده واخوته في ثلاثة الايام ألف وسبعمائة وستة وأربعون رأسا فذكر ما كان بالمنحر قال وفي باب الساباط مما يحمل الى من حوته القصور والى دار الوزارة والاصحاب والحواشي اثنتا عشرة ناقة وثمانية عشر رأس بقر وخمسة عشر رأس جاموس ومن الكباش ألف وثمانمائة رأس ويتصدق كل يوم في باب الساباط بسقط ما يذبح من النوق والبقر * وقال ابن عبد الظاهر كان في القصر باب يعرف بباب الساباط كان الخليفة في العيد يخرج منه الى الميدان وهو الخرنشف الآن لينحر فيه الضحايا

* (باب التبانين) * هذا الباب مكان باب الخرنشف الآن وجعل في موضعه دار العلم التي بناها الحاكم الآتي ذكرها ان شاء الله تعالى

* (باب الزمرذ) * كان موضع اصطبل القطبية قريبا من باب البستان الكافوري الموجود الآن

* (ذكر دار العلم) *

وكان بجوار القصر الغربي من بحريه دار العلم ويدخل اليها من باب التبانين الذي هو الآن يعرف بقبو الخرنشف وصار مكان دار العلم الآن الدار المعروفة بدار الخضيري الكائنة بدرب الخضيري المقابل للجامع الاقمر ودار العلم هذه اتخذها الحاكم بأمر الله فاستمرت الى أن أبطلها الافضل بن أمير الجيوش * قال الامير المختار عز الملك محمد بن عبد الله المسبحي وفي يوم السبت هذا يعني العاشر من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلثمائة فتحت الدار الملقبة بدار الحكمة بالقاهرة وجلس فيها الفقهاء وحملت الكتب اليها من خزائن القصور المعمورة ودخل الناس اليها ونسخ كل من التمس نسخ شئ مما فيها ما التمسه وكذلك من رأى قراءة شئ مما فيها وجلس فيها القراء والمنجمون وأصحاب النحو واللغة والاطباء بعد أن فرشت هذه الدار وزخرفت وعلقت على جميع ابوابها وممراتها الستور وأقيم قوام وخدام وفراشون وغيرهم وسموا بخدمتها وحصل في هذه الدار من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب التي أمر بحملها اليها من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة ما لم ير مثله مجتمعا لاحد قط من الملوك وأباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها فكان

ذلك من المحاسن المأثورة أيضا التى لم يسمع بمثلها من اجراء الرزق السنى لمن رسم له بالجلوس فيها والخدمة لها من فقيه وغيره وحضرها الناس على طبقاتهم فمنهم من يحضر لقراءة الكتب ومنهم من يحضر للنسخ ومنهم من يحضر للتعلم وجعل فيها ما يحتاج الناس اليه من الحبر والاقلام والورق والمحابر وهى الدار المعروفة بمختار الصقلبى قال وفى سنة ثلاث وأربعمائة أحضر جماعة من دار العلم من اهل الحساب والمنطق وجماعة من الفقهاء منهم عبد الغنى بن سعيد وجماعة من الاطباء الى حضرة الحاكم بأمر الله وكانت كل طائفة تحضر على انفرادها للمناظرة بين يديه ثم خلع على الجميع ووصلهم ووقف الحاكم بامر الله أماكن فى فسطاط مصر على عدة مواضع وضمنها كتابا ثبت على قاضى القضاة مالك بن سعيد وقد ذكر عند ذكر الجامع الازهر وقال فيه وقد ذكر دار العلم ويكون العشر وثمن العشر لدار الحكمة لما يحتاج اليه فى كل سنة من العين المغربى مائتان وسبعة وخمسون دينارا من ذلك لثمن الحصر العبدانى وغيرها لهذه الدار عشرة دنانير ومن ذلك لورق الكاتب يعنى الناسخ تسعون دينارا ومن ذلك للخازن بها ثمانية وأربعون دينارا ومن ذلك لثمن الماء اثناعشر دينارا ومن ذلك للفراش خمسة عشر دينارا ومن ذلك للورق والحبر والاقلام لمن ينظر فيها من الفقهاء اثناعشر دينارا ومن ذلك لمرمة الستارة دينار واحد ومن ذلك لمرمة ما عسى أن يتقطع من الكتب وما عساه أن يسقط من ورقها اثناعشر دينارا ومن ذلك لثمن لبود للفرش فى الشتاء خمسة دنانير ومن ذلك لثمن طنافس فى الشتاء أربعة دنانير * وقال ابن المأمون وفى هذا الشهر يعنى شهر ذى الحجة سنة ست عشرة وخمسمائة جرت نوبة القصار وهى طويلة وأولها من الايام الافضلية وكان فيهم رجلان يسمى أحدهما بركات والآخر حميد بن مكى الاطفيحى القصار مع جماعة يعرفون بالبديعية وهم على الاسلام والمذاهب الثلاثة المشهورة وكانوا يجتمعون فى دار العلم بالقاهرة فاعتمد بركات من جملتهم أن استفسد عقول جماعة وأخرجهم عن الصواب وكان ذلك فى ايام الافضل فأمر للوقت بغلق دار العلم والقبض على المذكور فهرب وكان من جملة من استفسد عقله بركات المذكور استاذان من القصر فلما طلب بركات المذكور واستترد قى الاستاذان الحيلة الى أن أدخلاه عندهما فى زى جارية اشترياها وقاما بحقه وجميع ما يحتاج اليه وصار أهله يدخلون اليه فى بعض الاوقات فمرض بركات عند الاستاذين فحارا فى أمره ومداواته وتعذر عليهما احضار طبيب له واشتد مرضه ومات فأعملا الحيلة وعرفا زمام القصر أن احدى عجائزهما قد توفيت وأن عجائزهما يغسلنها على عادة القصور ويشيعنها الى تربة النعمان بالقرافة وكتبا عدة من يخرج ففسح لهما فى العدة وأخذا فى غسله وألبساه ما أخذاه من أهله وهو ثياب معلمة وشاشية ومنديل وطيلسان مقور وادرجوه فى الديبقى وتوجه مع التابوت الاستاذان المشار اليهما فلما قطعوا به بعض الطريق أراد أتكميل الاجرله على قدر عقولهما فقالا للحمالين هو رجل تربيته عندنا فنادوا عليه نداء الرجال واكتموا الحال وهذه أربعة دنانير لكم فسر الحمالون بذلك فلما عادوا الى صاحب الدكان عرفوه بما جرى وقاسموه الدنانير فخافت نفسه وعلم انها قضية لا تخفى فمضى بهم الى الوالى وشرح له القضية فأودعهم فى الاعتقال وأخذ الذهب منهم وكتب مطالعة بالحال فمن اول ما سمع القائد أبو عبد الله بن فاتك الذى قيل له بعد ذلك المأمون بالقضية وكان مدبر الامور فى الايام الافضلية قال هو بركات المطلوب وامر باحضار الاستاذين والكشف عن القضية واحضار الحمالين والكشف عن القبر بحضورهم فاذا تحققوه امرهم بلعنه فمن أجاب الى ذلك منهم اطلقوه ومن أبى أحضروه فحققوا معرفته فمنهم من بصق فى وجهه وتبرأ منه ومنهم من هم بتقبيله ولم يتبرأ منه فجلس الافضل واستدعى الوالى والسياف واستدعى من كان تحت الحوطة من اصحابه فكل من تبرأ منه ولعنه أطلق سبيله وبقى من الجماعة ممن لم يتبرأ منه خمسة نفر وصبى لم يبلغ الحلم فأمر بضرب رقابهم وطلب الاستاذين فلم يقدر عليهما وقال للصبى من لفظه تبرأ منه وأنعم عليك واطلق سبيلك فقال له الله الله يطالبك ان لم تلحقنى بهم فانى مشاهد ما هم فيه وأخذ بسيفه على الافضل فأمر بضرب عنقه فلما توفى الافضل أمر الخليفة الآمر بأحكام الله وزيره المأمون بن البطائحى باتخاذ دار العلم وفتحها على الاوضاع الشرعية ثم عاد حميد القصار المثنى بذكره وظهر وسكن مصر يدق الثياب بها ويطلع الى دار العلم وأفسد عقل استاذ وخياط وجماعة وادعى الربوبية فحضر الداعى ابن عبد الحقيق الى الوزير المأمون وعرفه بان هذا قد تعرف بطرف من علم الكلام على مذهب أبى الحسن الاشعرى ثم انسلخ عن الاسلام وسلك طريق الحلاج فى التمويه

فاستهوى من ضعف عقله وقلت بصيرته فان الحلاج فى اول أمره كان يدعى أنه داعية المهدى ثم ادعى انه المهدى ثم ادعى الالهية وأن الجن تخدمه وانه أحيى عدة من الطيور وكان هذا القصار شيعى الدين وجرت له امور فى الايام الافضلية ونفى دفعة واعتقل اخرى ثم هرب بعد ذلك ثم حضر وصار يواصل طلوع الجبل واستصحب من استهواه من اصحابه فاذا أبعد قال لبعضهم بعد أن يصلى ركعتين نطلب شيأ تأكله اصحابنا فيمضى ولا يلبث دون أن يعود ومعه ما كان أعده مع بعض خاصته الذين يطلعون على باطنه فكانوا يهابونه ويعظمونه حتى انهم يخافون الاثم فى تأمل صورته فلا ينفكون مطرقين بين يديه وكان قصيرا دميم الخلقة وادعى مع ذلك الربوبية وكان ممن اختص بحميد رجل خياط وخصى فرسم المأمون بالقبض على المذكور وعلى جميع اصحابه فهرب الخياط وطلب فلم يوجد ونودى عليه وبذل لمن يحضر به مال فلم يقدر عليه واعتقل القصار وأصحابه وقرروا فلم يقروا بشئ من حاله وبعد أيام تماوت فى الحبس فلما استؤمر عليه أمر بدفنه فلما حمل ليدفن ظهر أنه حى فأعيد الى الاعتقال وبقى كل من لم يتبرأ منه معتقلا ما خلا الخصى فانه لم يتبرأ منه وذكر أن القتل لا يصل اليه فأمر بقطع لسانه ورمى قدامه وهو مصر على ما فى نفسه فأخرج القصار والخصى ومن لم يتبرأ منه من أصحابه فصلبوا على الخشب وضربوا بالنشاب فماتوا لوقتهم ثم نودى على الخياط ثانيا فاحضر وفعل به ما فعل بأصحابه بعد أن قيل له ها أنت تنظره فلم يتبرأ منه وصلب الى جانبه وذكر أن بعض اصحاب هذا القصار ممن لم يعرف أنه كان يشترى الكافور ويرميه بالقرب من خشبته التى هو مصلوب عليها فيستقبل رائحته من سلك تلك الطريق ويقصد بذلك أن يربط عقول من كان القصار قد أضله فأمر المأمون أن يحطوا عن الخشب وأن تخلط رممهم ويدفنوا متفرقين حتى لا يعرف قبر القصار من قبورهم وكان قتلهم فى سنة سبع عشرة وخمسمائة وابتداء هذه القضية سنة ثلاث عشرة وخمسمائة قال وكان الشريف عبد الله يحدث عن صديق له مأمون القول أنه أخبره أنه لما شاع خبر هذا القصار وما ظهر منه أراد أن يمتحنه فتسبب الى أن خالطه وصار فى جملة أصحابه ومن يعظمه ويطلع معه الى الجبل فافسد عقله وغير معتقده وأخرجه عن الاسلام وانه لامه على ذلك وردعه فحدثه بعجائب منها أنه قال والله ما من الجماعة الذين يطلعون معه الى الجبل أحد الا ويسأله ويستدعيه ما يريد على سبيل الامتحان فيحضره اليه لوقته وان بيده سكينا لا تقطع الا بيده واذا أمسك طائرا وقبضه أحد من الحاضرين يدفع السكين التى معه له ويقول له اذبحه فلا تمشى فى يده فيأخذها هو ويذبحه بها ويجرى دمه ثم يعود ويمسكه بيده ويسرحه فيطير ويقول ان الحديد لا يعمل فيه ويوسع القول فيما يشاهده منه ويسمعه فلما اعتقل القصار بقى هذا الرجل مصرا على اعتقاده فلما قتل وخرج اليه وشاهده وتحققه وتيقن علم أن ما كان فيه سحر وزور وافك فتصدق بجملة من ماله وعاد الى مذهبه وصح معتقده * وقال ابن عبد الظاهر دار العلم كان الافضل بن أمير الجيوش قد أبطلها وهى بجوار باب التبانين وهى متصلة بالقصر الصغير وفيها مدفون الداعى المؤيد فى الدين هبة الله بن موسى الاعجمى وكان لابطالها امور سببها اجتماع الناس والخوض فى المذاهب والخوف من الاجتماع على المذهب النزارى ولم يزل الخدام يتوصلون الى الخليفة الآمر باحكام الله حتى تحدث فى ذلك مع الوزير المأمون فقال اين تكون هذه الدار فقال بعض الخدام تكون بالدار التى كانت اولا فقال المأمون هذا لا يكون لانه باب صار من جملة ابواب القصر وبرسم الحوائج ولا يمكن الاجتماع ولا يؤمن من غريب يحصل به فأشار كل من الاستاذين بشئ فأشار بعضهم أن تكون فى بيت المال القديم فقال المأمون يا سبحان الله قد منعنا أن تكون متاخمة للقصر الكبير الذى هو سكن الخليفة نجعلها ملاصقة فقال الثقة زمام القصور فى جوارى موضع ليس ملاصقا للقصر ولا مخالطا له يجوز أن يعمر ويكون دار العلم فأجاب المأمون الى ذلك وقال بشرط أن يكون متوليها رجلا دينا والداعى الناظر فيها ويقام فيها متصدرون برسم قراءة القرآن فاستخدم فيها ابو محمد حسن ابن آدم فتولاها وشرط عليه ما تقدم ذكره واستخدم فيها مقرئون

(ذكر دار الضيافة)

خرج مالك فى الموطاء عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب انه قال كان ابراهيم عليه السلام اول من ضيف الضيف واول من اتخذ دار ضيافة فى الاسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سنة

سبع عشرة وأعدّ فيها الدقيق والسمن والعسل وغيره وجعل بين مكة والمدينة من يحمل المنقطعين من ماء الى ماء حتى يوصلهم الى البلد فلما استخلف عثمان بن عفان رضى الله عنه أقام الضيافة لابناء السبيل والمتعبدين فى المسجد وأول من بنى دار الضيافة بمصر للناس عثمان بن قيس بن أبى العاص السهمى أحد من شهد فتح مصر من الصحابة وكان ميدان القصر الغربى الذى هو الآن الخرنشف دار الضيافة بحارة برجوان وكانت هذه الدار اولا تعرف بدار الاستاذ برجوان وفيها كان يسكن حيث الموضع المعروف بحارة برجوان ثم لما قدم أمير الجيوش بدر الجمالى فى ايام الخليفة المستنصر من عكا واستبدّ بأمر الدولة انشأ هنالك دارا عظيمة وسكنها ولم يسكن بدار الديباج التى كانت دار الوزارة القديمة فلما مات أمير الجيوش بدر واستولى سلطنة ديار مصر ابنه الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش وانشأ دار القباب التى عرفت بدار الوزارة الكبرى قريبا من رحبة باب العيد أقرّ أخاه أبا محمد جعفرا المنعوت بالمظفر ابن أمير الجيوش بدار أمير الجيوش من حارة برجوان فعرفت بدار المظفر ومازال بها حتى مات وقبر بها والى اليوم قبره بها وتسميه العامّة جعفرا الصادق ولما مات المظفر اتخذت داره المذكورة دار ضيافة برسم الرسل الواردين من الملوك واستمرّت كذلك الى أن انقرضت الدولة فأنزل بها السلطان صلاح الدين اولاد العاضد الى أن نقلهم الى قلعة الجبل الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب فلما كان فى سنة تسع وسبعين وستمائة تقدّم امر الملك المنصور قلاون لوكيل بيت المال القاضى مجد الدين عيسى بن الخشاب ببيع دار المظفر فباع القاعة الكبرى وماهو من حقوقها وبيعت دار المظفر الصغرى وهدمها الناس وبنوا فى مكانها دورا وموضعها الآن دار قاضى القضاة شمس الدين محمد الطرابلسى الحنفى وما بجوارها الى الدار التى بها سكنى اليوم وهى من حقوق دار المظفر الصغرى على ما فى كتبها القديمة ولما أنشأ قاضى القضاة شمس الدين المذكور داره فى سنة سبع أو سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ظهر من تحت الارض عند حفر الاساس حجر عظيم قيل انه عتبة دار المظفر الكبرى وكان اذ ذاك الامير جهاركس الخليلى يتولى عمارة مدرسة الملك الظاهر برقوق التى فى خط بين القصرين فلما بلغه خبر هذا الحجر بعث اليه وأمر بجرّه الى العمارة فعمل عتبة باب المزملة التى للمدرسة وكان من وراء هذه الدار رحبة الافيال أدركتها ساحة ثم عمر فيها * قال ابن الطوير الخدمة المعروفة بالنيابة للقاء المرسلين وهى خدمة جليلة يقال لمتوليها النائب وينعت بعدى الملك وهو ينوب عن صاحب الباب فى لقاء الرسل الوافدين على مسافة وانزال كل واحد فى دار تصلح له ويقيم له من يقوم بخدمته وله نظر فى دار الضيافة وهو يسمى اليوم بمهمندار ويرتب لهم ما يحتاجون اليه ولا يمكن أحدا من الاجتماع بهم ويذكر صاحب الباب بهم ويبالغ فى نجاز ما وصلوا فيه وهو الذى يسلم بهم أبدا عند الخليفة والوزير وينفذ بهم ويستأذن عليهم ويدخل الرسول وصاحب الباب قابض على يده اليمنى والنائب بيده اليسرى فيحفظ ما يقولون وما يقال لهم ويجتهد فى انفصالهم على احسن الوجوه وبين يديه من الفرّاشين المقدّم ذكرهم عدّة لاعانته واذا غاب أقام عنه نائبا الى أن يعود وله من الجارى خمسون دينارا فى كل شهر وفى اليوم نصف قنطار خبز وقد يهدى اليه المرسلون طرفا فلا يتناولها الا باذن انتهى * وفى هذه الدولة التركية يقال لمتولى هذه الوظيفة مهمندار ولا يليها عندهم الا صاحب سيف من الامراء العشراوات وكانت فى الدولة الفاطمية على ماذكره ابن الطوير لا يليها الا اعيان العدول وأرباب العمائم وينعت أبدا بعدى الملك وأصل هذه الكلمة بالفارسية مهمان دار (ومعناها ملتقى الضيوف)

(ذكر اصطبل الحجرية)

وكان بجوار دار الضيافة اصطبل الصبيان الحجرية المقدّم ذكرهم وموضع هذا الاصطبل اليوم يعرف بخان الوراقة داخل باب الفتوح القديم بسوق المرحلين على يسرة من اراد الخروج من باب الفتوح القديم تجاه زيادة الجامع الحاكمى ومن حقوق هذا الاصطبل ايضا الموضع الذى فيه الآن القيسارية المعروفة بقيسارية الست التى هى اليوم تجاه المدرسة الصيرمية والجملون الصغير وكانت بهذا الاصطبل خيول الصبيان الحجرية احدى طوائف العساكر فى زمن الخلفاء الفاطميين

(ذكر مطبخ القصر)

وكان بجوار القصر الغربي قبالة باب الزهومة من القصر الكبير مطبخ القصر وموضعه الآن الصاغة تجاه المدارس الصالحية ولما كانت مطبخا كان يخرج اليه من باب الزهومة وذكر ابن عبد الظاهر أنه كان يخرج من المطبخ المذكور مدة شهر رمضان ألف ومائتا قدر من جميع ألوان الطعام تفرق كل يوم على أرباب الرسوم والضعفاء

(درب السلسلة) وكان بجوار مطبخ القصر درب السلسلة قال ابن الطوير ويبيت خارج باب القصر في كل ليلة خمسون فارسا فاذا أذن بالعشاء الآخرة داخل القاعة وصلى الامام الراتب بها بالمقيمين فيها من الاستاذين وغيرهم وقف على باب القصر أمير يقال له سنان الدولة بن الكركندي فاذا علم بفراغ الصلاة أمر بضرب النوبات من الطبل والبوق ولواتقهما من عدة وافرة بطرائق مستحسنة مدة ساعة زمانية ثم يخرج بعد ذلك استاذ برسم هذه الخدمة فيقول أمير المؤمنين يرد على سنان الدولة السلام فيصقع ويغرس حربة على الباب ثم يرفعها بيده فاذا رفعها أغلق الباب وسار حوالى القصر سبع دورات فاذا انتهى ذلك جعل على الباب البياتين والفراشين المقدم ذكرهم وانصرف المؤذنون الى خزائنهم هناك وترمى السلسلة عند المضيق آخر بين القصرين من جانب السيوفيين فينقطع المار من ذلك المكان الى أن تضرب النوبة سحرا قرب الفجر فتنصرف الناس من هناك بارتفاع السلسلة * وقال ابن عبد الظاهر درب السلسلة الذي هو الآن الى جانب السيوفيين كانت عنده سلسلة منه الى قبالته تعلق كل يوم من الظهر حتى لا يعبر راكب تحت القصر وهذا الدرب يعرف بسنان الدولة بن الكركندي وهذا الدرب هو المختص بالتقفيزة وهذه التقفيزة أمرها مستظرف لا من قبل الحسن بل من قبل التعجب من العقول ولها خمسة أوقات وهي ليالي العيدين وغرة السنة وغرة شهر رمضان ويوم فتح الخليج وهو أنه يقف راكبا في وسط الزلاقة التي لباب الذهب قبالة الدار القطبية فيخرج اليه السلام من الخليفة ثم يخدم الرهجية ثم يصعد على كندرة باب الزهومة وقدامه دواب المظلة يمنة ويسرة والرهجية تخدم وارباب الضوء ومستخدموا الطرق على السلسلة فاذا كان الطرف وصلوا اليه واجتمعت الرهجية كلهم وركب فرسا وعليه ثياب حسنة وكشف عن رايانه وأخذ بيده رمحا واجتمعت الرهجية حوله ويعبر مشورا وأولئك خلفه بالصراخ والصياح بشعار الامام ثم يسير ذلك الجمع وخيل المظلة الى أبواب القصر فيقف عند كل باب تخدم الرهجية الى أن يعودوا الى باب الذهب ثم الى دار الوزارة للهناء فلم يزالوا كذلك الى ولاية ابن الكركندي فبطلت هذه السنة في الايام الآمرية وصاحب التقفيزة ممن وصل آباؤه صحبة المعز لدين الله من بلاد المغرب فكانت هذه سنتهم

(ذكر الدار المأمونية)

وكان بجوار درب السلسلة الدار المأمونية وهي المدرسة السيوفية وكانت هذه الدار سكن المأمون ابن البطائحي وعرفت قديما بقوام الدولة حبوب ثم جددها المأمون محمد بن فاتك

(المأمون البطائحي) هو ابو عبد الله محمد ابن الامير نور الدولة ابي شجاع فاتك بن الامير منجد الدولة أبي الحسن مختار المستنصري اتصل بخدمة الافضل بن أمير الجيوش في شهر شوال سنة احدى وخمسمائة عند ما تغير على تاج المعالي مختار الذي كان اصطنعه وفخم أمره وسلم اليه خزائن امواله وكسواته وسلم ما كان بيده من الخدمة لمحمد بن فاتك فتصرف فيها وقرر له الافضل ما كان باسم مختار من العين خاصة دون الاقطاع وهو مائة دينار في كل شهر وثلاثون دينارا عن جاري الخزائن مضافا الى الاصناف الراتبة مياومة ومشاهرة ومسانهة فحسن عند الافضل موقع خدمته فاعتمد عليه وسلم له جميع اموره وصرفه في كل احواله فلما كثر عليه الشغل استعان بأخويه أبي تراب حيدرة وأبي الفضل جعفر فأطلق الافضل لهما ما وسع به عليهما من المياومة والمشاهرة والمسانهة ونعته الافضل بالقائد فصار يخاطب بالقائد ويكاتب به وصار عنده بمنزلة الاستادار فلما قتل الافضل ليلة عيد الفطر من سنة خمس عشرة وخمسمائة قام القائد ابو عبد الله بن فاتك لخدمة الخليفة الآمر بأحكام الله وأطلعه على أموال الافضل وبالغ في مناصحته حتى لقد اتهم أنه هو الذي دبر في قتل الافضل باشارة الخليفة

فخلع

نخلع عليه الآمر فى مستهل ذى القعدة بمجلس اللعبة من القصر وهو المجلس الذى يجلس فيه الخليفة ولم يخلع قبله على أحد فيه وحل المنطقة من وسطه وخلع على ولده وحل منطقته وخلع على اخوته واستمر تنفيذ الامور اليه الى أن استهل ذوالحجة ففى يوم الجمعة ثانيه خلع عليه من الملابس الخاص فى فرد كم مجلس اللعبة طوق ذهب مرصع وسيف ذهب كذلك وسلم على الخليفة وتقدم الامر للامراء وكافة الاستاذين المحنكين بالخروج بين يديه وأن يركب من المكان الذى كان الافضل يركب منه ومشى فى ركابه القواد على عادة من تقدمه وخرج بتشريف الوزارة ودخل من باب العيد راكبا ووصل الى داره فضاعف الرسوم وأطلق الهبات فلما كان يوم الاثنين خامسه اجتمع الامراء بين يدى الخليفة وأحضر السجل فى لفافة خاص مذهبة فسلمه الخليفة له من يده فقبله وسلمه لزمام القصر فأمره الخليفة بالجلوس الى جانبه عن يمينه وقرئ السجل على باب المجلس وهو أول سجل قرئ هناك وكانت سجلات الوزراء قبل ذلك تقرأ بالايوان ورسم للشيخ أبى الحسن بن أبى اسامة كاتب الدست أن ينقل نسبة الامراء والمحنكين من الآمرية الى المأمونية وكذا الناس أجمع ولم يكن أحد ينتسب الى الافضل ولا لامير الجيوش وقدمت له الدواة فعلم فى مجلس الخليفة ونعت بالسيد الاجل المأمون تاج الخلافة ووجيه الملك فخر الصنائع ذخر أمير المؤمنين عز الاسلام فخر الانام نظام الدين أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الانام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين وكان يجلس بداره فى يومى الاحد والاربعاء للراحة والنفقة فى العسكر البساطية الى الظهر ثم يرفع النفقة ويحط السماط ويجلس بعد العصر والكتاب بين يديه فينفق فى الراجل الى آخر النهار وفى يوم الجمعة يطلق للمقرئين بحضرته خمسة دنانير ولكل من هو مستمر القراءة على بابه من الضعفاء والاجراء مما هو ثابت بأسمائهم خمسمائة درهم ولبقية الضعفاء والمساكين خمسمائة درهم اخرى فاذا توجه يوم الجمعة الى القرافة يكون المبلغ المذكور مستقرا لاربابه ولم يزل الى ليلة السبت الرابع من رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة فقبض الآمر المذكور عليه وعلى اخوته الخمسة مع ثلاثين رجلا من خواصه وأهله واعتقله ثم صلبه مع اخوته فى سنة اثنتين وعشرين * قيل ان سبب القبض عليه ما بلغ الآمر عنه أنه بعث الى الامير جعفر بن المستعلى يغريه بقتل أخيه ليقيمه مكانه فى الخلافة وكان الذى بلغ الآمر ذلك الشيخ أبا الحسن بن أبى اسامة وبلغه ايضا عنه أنه سير نجيب الدولة أبا الحسن الى اليمن ليضرب سكة عليها الامام المختار محمد بن نزار وذكر عنه انه سم شيأ ودفعه لفصاد الخليفة فنم عليه الفصاد وكان مولد المأمون فى سنة ثمان وسبعين واربعمائة وكان من ذوى الآراء والمعرفة التامة بتدبير الدول كريما واسع الصدر سفاكا للدماء كثير التحرز والتطلع الى معرفة أحوال الناس من العامة والجند فكثر الوشاة فى ايامه

(حبس المعونة) وكان بجوار الدار المأمونية حبس المعونة وموضعه اليوم قيسارية العنبر قال ابن المأمون فى سنة سبع عشرة وخمسمائة تقدم أمر المأمون الى الواليين بمصر والقاهرة باحضار عرفاء السقائين وأخذ الحجج على المتعيشين منهم بالقاهرة بحضورهم متى دعت الحاجة اليهم ليلا ونهارا وكذلك يعتمد فى القربيين وأن يبيتوا على باب كل معونة ومعهم عشرة من الفعلة بالطوارى والمساحى وأن يقوم لهم بالعشاء من أموالهما بحكم فقرهم انتهى وكان حبس المعونة هذا يسجن فيه أرباب الجرائم كما هو اليوم السجن المعروف بخزانة شمائل وأما الامراء والاعيان فيسجنون بخزانة البنود كما تقدم ولم يزل هذا الموضع سجنا مدة الدولة الفاطمية ومدة دولة بنى ايوب الى أن عمره الملك المنصور قلاون قيسارية أسكن فيها العنبرانيين فى سنة ثمانين وستمائة

(ذكر الحسبة ودار العيار)

وكان بجوار حبس المعونة دكة الحسبة ومكانها اليوم يعرف بالابازرة ومكسر الحطب بجوار سوق القصارين والفحامين * قال ابن الطوير وأما الحسبة فانه من تسند اليه لا يكون الا من وجوه المسلمين وأعيان المعدلين لانها خدمة دينية وله استخدام النواب عنه بالقاهرة ومصر وجميع أعمال الدولة كنواب الحكم وله الجلوس بجامعى القاهرة ومصر يوما بعد يوم ويطوف نوابه على أرباب الحرف والمعايش ويأمر نوابه بالختم على قدور الهراسين ونظر لحمهم ومعرفة من جزاره وكذلك الطباخون ويتبعون الطرقات ويمنعون من المضايقة فيها ويلزمون رؤساء المراكب أن لا يحملوا اكثر من وسق السلامة وكذلك مع الحمالين على البهائم

ويامرون السقائين بتغطية الروايا بالاكسية ولهم عيار وهو أربعة وعشرون دلوا كل دلو أربعون رطلا وأن يلبسوا السراويلات القصيرة الضابطة لعوراتهم وهى زرق وينذرون معلمى المكاتب بأن لايضربوا الصبيان ضربا مبرحا ولا فى مقتل وكذلك معلمو العوم بتحذيرهم من التغرير بأولاد الناس ويقفون على من يكون سىء المعاملة فينهونه بالردع والادب وينظرون المكاييل والموازين وللمحتسب النظر فى دار العيار ويخلع عليه ويقرأ سجله بمصر والقاهرة على المنبر ولا يحال بينه وبين مصلحة اذا رآها والولاة تشد معه اذا احتاج الى ذلك وجاريه ثلاثون دينارا فى كل شهر انتهى * وكان للعيار مكان يعرف بدار العيار تعير فيه الموازين بأسرها وجميع الصنج وكان ينفق على هذه الدار من الديوان السلطانى فيما تحتاج اليه من الاصناف كالنحاس والحديد والخشب والزجاج وغير ذلك من الآلات واجر الصناع والمشارفين ونحوهم ويحضر المحتسب اونائبه الى هذه الدار ليعير المعمول فيها بحضوره فان صح ذلك أمضاه والامر باعادة عمله حتى يصح وكان بهذه الدار أمثلة يصحح بها العيار فلا تباع الصنج والموازين والاكيال الا بهذه الدار ويحضر جميع الباعة الى هذه الدار باستدعاء المحتسب لهم ومعهم موازينهم وصنجهم ومكاييلهم فتعير فى كل قليل فان وجد فيها الناقص استهلك وأخذ من صاحبه لهذه الدار وألزم بشراء نظيره مما هو محرر بهذه الدار والقيام بثمنه ثم سومح الناس وصار يلزم من يظهر فى ميزانه أو صنجه خلل باصلاح ما فيها من فساد فقط والقيام باجرته فقط ومازالت هذه الدار باقية جميع الدولة الفاطمية فلما استولى صلاح الدين على السلطنة أقر هذه الدار وجعلها وقفا على سور القاهرة مع ما كان جاريا فى أوقاف السور من الرباع والنواحى الجارية فى ديوان الاسوار ومازالت هذه الدار باقية

(اصطبل الجميزة) وكان بجوار القصر الغربى من قبليه اصطبل الجميزة من جانب باب الساباط الذى هو الآن باب سر المارستان المنصورى وقيل له اصطبل الجميزة من أجل انه كان فى وسطه شجرة جميز كبيرة وكان موضع هذا الاصطبل تجاه من يخرج من باب الساباط فينزل من الحدرة التى هى الآن تجاه باب سر المارستان المتوصل منها الى حارة زويلة ويمتد فيما حاذاه يسارك اذا وقفت باول هذه الحدرة حيث الطاحون الكبيرة التى هى الآن فى اوقاف المارستان وما وراءها ويحاذيها الى الموضع المعروف اليوم بالبندقانيين وكانت بئره تعرف ببئر زويلة وعليها ساقية تنقل الماء لشرب الخيول وموضع هذا البئر اليوم قيسارية تعرف بقيسارية يونس تجاه درب الانجب وقد شاهدت هذه البئر لما أنشأ الامير يونس الدوادار هذه القيسارية والربع علاوها فرأيت بئرا كبيرة جدا وقد عقد على فوهتها عقد ركب فوقه بعض القيسارية وترك منها شىء ومنها الآن الناس تستقى بالدلاء ومازال هذا الاصطبل باقيا الى أن انقرضت الدولة الفاطمية فحكر وبنى فى مكانه الادر التى هى موجودة الآن وحكره جار فى أوقاف الصلاح الازبكى وقد تقدم ذكر هذا الاصطبل عند ذكر اصطبل الطارمة فانظر رسومه هناك

(دار الديباج) وكان بجوار اصطبل الطارمة من غربيه دار الديباج وهى حيث المدرسة الصاحبية بسويقة الصاحب وما جاورها من جانبها وما خلفها الى الوزيرية وكانت هى دار الوزارة القديمة واول من أنشأها الوزير يعقوب بن يونس بن كلس وزير العزيز بالله ثم سكنها الوزير الناصر للدين قاضى القضاة وداعى الدعاة علم المجد ابو محمد الحسن بن على بن عبد الرحمن البازورى ومازالت سكن الوزراء الى أن قدم امير الجيوش بدر الجمالى من عكا ووزر المستنصر وصار وزيرا مستبدا فأنشأ داره بحارة برجوان وسكنها وسكن من بعده ابنه الافضل ابن أمير الجيوش بدار القباب التى عرفت بدار الوزارة الكبرى وصارت هذه الدار تعرف بدار الديباج لانه يعمل فيها الحرير الديباج ويتولاها الاماثل والاعيان فمن وليها ابو سعيد بن قرقة الطبيب متولى خزائن السلاح وخزائن السروج والصناعات فلما انقرضت الدولة الفاطمية بنى الناس فى مكان دار الديباج المدرسة السيفية وما وراءها من المواضع التى تعرف اماكنها اليوم بدرب الحريرى وما جاور هذا الدرب الى المدرسة الصاحبية وما بجوارها وما هو فى ظهرها فصار يعرف خط دار الديباج فى زمننا بخط سويقة الصاحب

(الاهراء السلطانية) وكانت اهراء الغلال السلطانية فى دولة الخلفاء الفاطميين حيث المواضع التى فيها الآن خزانة شمائل وما وراءها الى قرب الحارة الوزيرية * قال ابن الطوير وأما الاهراء فانها كانت فى عدة

أما كن بالقاهرة هي اليوم اصطبلات ومناخات وكانت تحتوى على ثلثمائة ألف اردب من الغلات واكثر من ذلك وكان فيها مخازن يسمى أحدها بغداى وآخر الفول وآخر القرافة واهيا الحماة من الامراء والمشارفين من العدول والمراكب واصلة اليها بأصناف الغلات الى ساحل مصر وساحل المقس والحمالون يحملون ذلك اليها بالرسائل على يد رؤساء المراكب وأمنائها من كل ناحية سلطانية واكثر ذلك من الوجه القبلى ومنها اطلاق الاقوات لارباب الرتب والخدم وأرباب الصدقات وأرباب الجوامع والمساجد وجرايات العبيد السودان بتعريفات وما ينفق فى الطواحين برسم خاص الخليفة وهى طواحين مدارها سفل وطواحينها علو حتى لا تقارب زبل الدواب ويحمل دقيقها الخاص وما يختص بالجهات فى خرائط من شقق حلبية ومن الاهراء تخرج جرايات رجال الاسطول وفيها ما هو قديم يقطع بالمساحى ويخلط فى بعض الجرايات بالجديد بجرايات المذكورين وجرايات السودان ومنها ما يستدعى بدار الضيافة لاخباز الرسل ومن يتبعهم وما يعمل من القمح برسم الكعك لزاد الاسطول فلا يفتر مستخدموها من دخل وخرج ولهم جامكية مميزة وجرايات برسم أقواتهم وشعير لدوابهم وما يقبض من الواصلين بالغلال الا بمايل العيون المختومة معهم والاذرى وطلب العجز بالنسبة * وذكر ابن المأمون أن غلات الوجه القبلى كانت تحمل الى الاهراء وأما الاعمال البحرية والبحيرة والجزيرتان والغربية والكفور والاعمال الشرقية فيحمل منها اليسير ويحمل باقيها الى الاسكندرية ودمياط وتنيس ليسير الى ثغر عسقلان وثغر صور وانه كان يسير اليهما فى كل سنة مائة وعشرون ألف اردب منها العسقلان خمسون ألفا ولصور سبعون ألفا فتصير هنالك ذخيرة ويباع منها عند الغنى عنها قال وكان متحصل الديوان فى كل سنة ألف ألف اردب * وذكر جامع السيرة البازورية أن المتجر كان يقام به للديوان من الغلة وأن الوزير أبا محمد البازورى قال للخليفة المستنصر وهو يومئذ يتقلد وظيفة قاضى القضاة وقد قصر النيل فى سنة أربع وأربعين وأربعمائة ولم يكن بالمخازن السلطانية غلال فاشتدت المسغبة بأمير المؤمنين ان المتجر الذى يقام بالغلة فيه اوفى مضرة على المسلمين وربما انحط السعر من مشتراها ولا يمكن بيعها فتتغير فى المخازن وتتلف وانه يقام متجر لا كلفة فيه على الناس ويفيد أضعاف فائدة الغلة ولا يخشى عليه من تغير فى المخازن ولا انحطاط سعر وهو الصابون والخشب والحديد والرصاص والعسل وما أشبه ذلك فأمضى الخليفة ما رآه واستمر ذلك ودام الرخاء على الناس وتوسعوا

* (ذكر المناظر التى كانت للخلفاء الفاطميين ومواضع نزههم وما كان لهم فيها من امور جميلة) *

وكان للخلفاء الفاطميين مناظر كثيرة بالقاهرة ومصر والروضة والقرافة وبركة الحبش وظواهر القاهرة وكانت لهم عدة منتزهات أيضا فن مناظرهم التى بالقاهرة منظرة الجامع الازهر ومنظرة اللؤلؤة على الخليج ومنظرة الدكة ومنظرة المقس ومنظرة باب الفتوح ومنظرة البعل ومنظرة التاج والخمس وجوه ومنظرة الصناعة بمصر ودار الملك ومنازل العز والهودج بالروضة ومنظرة بركة الحبش والاندلس بالقرافة وقبة الهواء ومنظرة السكرة وكان من منتزهاتهم كسر خليج ابى المنجا وقصر الورد بالخرقانية وبركة الجب

* (منظرة الجامع الازهر) * وكان بجوار الجامع الازهر من قبليه منظرة تشرف على الجامع الازهر يجلس الخليفة فيها لمشاهدة ليالى الوقود

* (ذكر ليالى الوقود) * قال المسبحى فى حوادث شهر رجب من سنة ثمانين وثلثمائة وفيه خرج الناس فى لياليه على رسمهم فى ليالى الجمع وليلة النصف الى جامع القاهرة يعنى الجامع الازهر عوضا عن القرافة وزيد فيه فى الوقيد على حافات الجامع وحول صحنه التنانير والقناديل والشمع على الرسم فى كل سنة والاطعمة والحلوى والبخور فى مجامر الذهب والفضة وطيف بها وحضر القاضى محمد بن النعمان فى ليلة النصف بالمقصورة ومعه شهوده ووجوه البلد وقدمت اليه سلال الحلوى والطعام وجلس بين يديه القراء وغيرهم والمنشدون والنائحة واقام الى نصف الليل وانصرف الى داره بعد أن قدم الى من معه اطعمة من عنده وبخرهم * وقال فى شعبان وكان الناس فى كل ليلة جمعة وليلة النصف على مثل ما كانوا عليه فى رجب وأزيد وفى ليلة النصف من شعبان كان

الناس جمع عظيم بجامع القاهرة من الفقهاء والقرّاء والمنشدين وحضر القاضى محمد بن النعمان فى جميع شهوده ووجوه البلد ووقدت التنانير والمصابيح على سطح الجامع ودور صحنه ووضع الشمع على المقصورة وفى مجالس العلماء وحمل اليهم العزيز بالله الاطعمة والحلوى والبخور فكان جمعا عظيما * قال وفى شهر رجب سنة اثنتين وأربعمائة قطع الرسم الجارى من الخبز والحلوى الذى يقام فى هذه الثلاثة الاشهر لمن يبيت بجامع القاهرة فى ليالى الجمع والانصاف وحضر قاضى القضاة مالك بن سعيد الفارقى الى جامع القاهرة ليلة النصف من رجب واجتمع الناس بالقرافة على ماجرت به رسومهم من كثرة اللعب والمزاح * روى الفاكهى فى كتاب مكة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يصيح فى اهل مكة ويقول يا اهل مكة أوقدوا ليلة هلال المحرّم فأوضحوا لحجاجكم لحاج بيت الله واحرسوهم ليلة هلال المحرّم حتى يصبحوا وكان الامر على ذلك بمكة فى هذه الليلة حتى كانت ولاية عبد الله بن محمد بن داود على مكة فأمر الناس أن يوقدوا ليلة هلال رجب فيحرسوا عمار اهل اليمن ففعلوا ذلك فى ولايته ثم تركوه بعد * وفى ليلة النصف من رجب سنة خمس عشرة وأربعمائة حضر الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله ابو هاشم علىّ بن الحاكم بأمر الله ومعه السيدات وخدم الخاصة وغيرهم وسائر العامّة والرعايا فجلس الخليفة فى المنظرة وكان فى ليلة شعبان أيضا اجتماع لم يشهد مثله من أيام العزيز بالله وأوقدت المساجد كلها أحسن وقيد وكان مشهدا عظيما بعد عهد الناس بمثله لانّ الحاكم بأمر الله كان أبطل ذلك فانقطع عمله * وقال ابن المأمون ولما كانت ليلة مستهل رجب يعنى من سنة ست عشرة وخمسمائة عملت الاسمطة الجارى بها العادة وجلس الخليفة الآمر بأحكام الله عليها والاجلّ المأمون الوزير ومن جرت عادته بين يديه وأظهر الخليفة من المسرّة والانشراح ما لم تجر به عادته وبالغ فى شكر وزيره واطرائه وقال قد أعدت لدولتى بهجتها وجدّدت فيها من المحاسن مالم يكن وقد أخذت الايام نصيبها من ذلك وبقيت الليالى وقد كان بها مواسم قد زال حكمها وكان فيها توسعة وبرّ ونفقات وهى ليالى الوقود الاربع وقد آن وقتهنّ فأشتهى نظرهنّ فامتثل الامر وتقدّم بأن يحمل الى القاضى خمسون دينارا يصرفها فى ثمن الشمع وأن يعتمد الركوب فى الاربع الليالى وهى ليلة مستهل رجب وليلة نصفه وليلة مستهل شعبان وليلة نصفه وأن يتقدّم الى جميع الشهود بأن يركبوا صحبته وأن يطلق للجوامع والمساجد توسعة فى الزيت برسم الوقود ويتقدّم الى متولى بيت المال بأن يهتمّ برسم هذه الليالى من أصناف الحلاوات مما يجب برسم القصور ودار الوزارة خاصة * وقال فى سنة سبع عشرة وخمسمائة وفى الليلة التى صبيحتها مستهل رجب حضر القاضى ابو الحجاج يوسف بن ايوب المغربىّ ووقع له بما استجدّ اطلاقه فى العام الماضى وهو خمسون دينارا من بيت المال لابتياع الشمع برسم اوّل ليلة من رجب واستدعى ماهو برسم التعبيتين احداهما للمقصورة والاخرى للدار المامونية بحكم الصيام من مستهل رجب الى سلخ رمضان مايصنع فى دار الفطرة خشكانج صغير وبسندود فى كل يوم قنطار سكر ومثقالان مسكا ودينار ان مؤنة وكان يطلق فى اربع ليالى الوقود برسم الجوامع الستة الازهر والاقمر والانور بالقاهرة والطولونى والعتيق بمصر وجامع القرافة والمشاهد التى تضمنت الاعضاء الشريفة وبعض المساجد التى لاربابها وجاهة جملة كبيرة من الزيت الطيب ويختص بجامع راشدة وجامع ساحل الغلة بمصر والجامع بالمقس يسير قال ولقد حدّثنى القاضى المكين بن حيدرة وهو من أعيان الشهود أنّ من جملة الخدم التى كانت بيده مشارفة الجامع العتيق وأن القومة بأجمعهم كانوا يجتمعون قبل ليلة الوقود بمدّة الى أن يكملوا ثمانية عشر ألف فتيلة وأنّ المطلق برسمه خاصة فى كل ليلة برسم وقوده أحد عشر قنطارا ونصف قنطار زيت طيب وذكر ركوب القاضى والشهود فى الليلة المذكورة على جارى العادة قال وتوجه الوزير المأمون يوم الجمعة ثانى الشهر بموكبه الى مشهد السيدة نفيسة وما بعده من المشاهد ثم الى جامع القرافة وبعده الى الجامع العتيق بمصر وقد عمّ معروفه جميع الضعفاء وقومة المساجد والمشاهد وصلى الجمعة وعند انقضاء الصلاة أحضر اليه الشريف الخطيب المصحف الذى بخط أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فوقع باطلاق الف دينار من ماله وأن يصاغ عليه فوق حلية الفضة حلية ذهب وكتب عليه اسمه وفى الخامس عشر من الشهر المذكور ليلة الوقود جرى الحال فى ركوب القاضى وشهوده على الترتيب الذى تقدّم فى اوّل الشهر ولما وصل الى الجامع وجده قد عبى فى الرواق الذى عن يمين الخارج منه سماط كعك وخشكنانج وحلوى فجلس عليه بشهوده

ونهبه

ونهبه الفقراء والمساكين وتوجه بعده الى ماسواه من جامع القرافة وغيره فوجد فى رواق الجامع المذكور سماطا مثل السماط المذكور فاعتمد فيه على ماذكره وله أيضا رسم صدقة فى هذا النصف للفقراء واهل الربط مما يفرّقه القاضى عشرة دنانير يفرّقها القاضى * وقال ابن الطوير اذا مضى النصف من جمادى الآخرة وكان عدده عندهم تسعة وعشرين يوما أمر أن يسبك فى خزائن دار أفتكين ستون شمعة وزن كل شمعة منها سدس قنطار بالمصرى وحملت الى دار قاضى القضاة لركوب ليلة مستهل رجب فاذا كان بعد صلاة العصر من ذلك اليوم اهتمّ الشهود أيضا فمنهم من يركب بثلاث شمعات الى ثنتين الى واحدة ويمضى أهل مصر منهم الى القاهرة فيصلون المغرب فى الجوامع والمساجد ثم ينتظرون ركوب القاضى فيركب من داره بهيئته وأمامه الشمع المحمول اليه موقودا مع المندوبين لذلك من الفرّاشين من الطبقة السفلى من كل جانب ثلاثون شمعة وبينهما المؤذنون بالجوامع يذكرون الله تعالى ويدعون للخليفة والوزير بترتيب مقدّر محفوظ ويندب فى صحبته ثلاثة من نوّاب الباب وعشرة من الحجاب خارجا عن حجاب الحكم المستقرّين وعدّتهم خمسة فى زىّ الامراء وفى ركابه القرّاء يطرّبون بالقراءة والشهود وراءه على الترتيب فى جلوسهم بمجلس الحكم الاقدم فالاقدم وحوالى كل واحد ماله من شمع فيشقون من اول شارع فيه دار القاضى الى بين القصرين وقد اجتمع من العالم فى وقت جوازهم مالا يحصى كثرة رجالا ونساء وصبيانا بحيث لا يعرف الرئيس من المرءوس وهو مارّ الى أن يأتى هو والشهود باب الزمرّذ من أبواب القصر فى الرحبة الوسيعة تحت المنظرة العالية فى السعة العظيمة من الرحبة المذكورة وهى التى تقابل درب قراصيا فيحضر صاحب الباب ووالى القاهرة والقرّاء والخطباء كما شرحنا فى الموالد الستة ويترجلون تحتها ريثما يجلس الخليفة فيها وبين يديه شمع وبين شخصه ويحضر بين يديه الخطباء الثلاثة ويخطبون كالموالد ويذكرون استهلال رجب وأنّ هذا الركوب علامته ثم يسلم الاستاذ من الطاقة الاخرى استفتاحا وانصرافا كما ذكرنا ثم يركب الناس الى دار الوزارة فيدخل القاضى والشهود الى الوزير فيجلس لهم فى مجلسه ويسلمون عليه ويخطب الخطباء أيضا بأخف من مقام الخليفة ويدعون له ويخرجون عنه فيشق القاضى والجماعة القاهرة وينزل على باب كل جامع بها ويصلى ركعتين ثم يخرج من باب زويلة طالبا مصر بغير نظام ووالى القاهرة فى خدمته اليوم مستكثرا من الاعوان والحفظة فى الطرقات الى جامع ابن طولون فيدخل القاضى اليه للصلاة فيجد والى مصر عنده للقاء القوم وخدمتهم فيدخل المشاهد التى فى طريقه أيضا فاذا وصل الى باب مصر ترتب كما ترتب فى القاهرة وسار شاقا الشارع الاعظم الى باب الجامع من الزيادة التى يحكم فيها فيوقد له التنور الفضة الذى كان معلقا فيه وكان مليحا فى شكله وتعليقه غير منافر فى الطول والعرض واسع التدوير فيه عشر مناطق فى كل منطقة مائة وعشرون بزاقة وفيه سروات بارزة مثل النخل فى كل واحدة عدّة بزاقات تقرب عدّة ذلك من ثلثمائة ومعلق بدائر سفله مائة قنديل نجومية ويخرج له الحاكم فان كان ساكنا بمصر استقرّ بها وان كان ساكنا بالقاهرة وقف له والى القاهرة بجامع ابن طولون فيودّعه والى مصر ويسير معه والى القاهرة الى داره فاذا مضى من رجب أربعة عشر يوما ركب ليلة الخامس عشر كذلك وفيه زيادة طلوعه بعد صلاته بجامع مصر الى القرافة ليصلى فى جامعها والناس يجتمعون له لينظروه ومن معه فى كل مكان ولا يملون من ذلك فاذا انقضت هذه الليلة استدعى منه الشمع ليكمل بعضه حتى يركب به فى اول شعبان ونصفه على الهيئة المذكورة والاسواق معمورة بالحلواء ويتفرّغ الناس لذلك هذه الاربع الليالى

(منظرة اللؤلؤة) وكان للخلفاء الفاطميين منظرة تعرف بقصر اللؤلؤة وبمنظرة اللؤلؤة على الخليج بالقرب من باب القنطرة وكان قصرا من أحسن القصور وأعظمها زخرفة وهو أحد منتزهات الدنيا المذكورة فانه كان يشرف من شرقيه على البستان الكافورى ويطل من غربيه على الخليج وكان غربىّ الخليج اذ ذاك ليس فيه من المبانى شئ وانما كان فيه بساتين عظيمة وبركة تعرف ببطن البقرة فيرى الجالس فى قصر اللؤلؤة جميع أرض الطبالة وسائر أرض اللوق وماهو من قبليها ويرى بحر النيل من وراء البساتين * قال ابن ميسر هذه المنظرة بناها العزيز بالله ولما ولى برجوان وزارة الحاكم بأمر الله بعد أمين الدولة بن عمار الكتامىّ سكن بمنظرة اللؤلؤة فى جمادى الاولى سنة ثمان وثمانين وثلثمائة الى أن قتل وفى السادس والعشرين من ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بهدم اللؤلؤة ونهبها فهدمت ونهبت وبيع مافيها * وقال المسبحى

وفى سادس عشرى ربيع الآخر يعنى سنة اثنتين وأربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بهدم الموضع المعروف باللؤلؤة على الخليج موازاة المقس وأمر بنهب أنقاضه فنهبت كلها ثم قبض على من وجد عنده شئ من نهب أنقاض اللؤلؤة واعتقلوا * وقال ابن المأمون ولما وقع الاهتمام بسكن اللؤلؤة والمقام فيها مدة النيل على الحكم الاول يعنى قبل وزارة أمير الجيوش بدر وابنه الافضل امر بازالة مالم تكن العادة جارية به من مضايقها بالبناء ولما بدت زيادة النيل وعوّل الخليفة الآمر بأحكام الله على السكن باللؤلؤة أمر الاجل الوزير المأمون بأخذ جماعة الفراشين الموقوفين برسم خدمتها بالمبيت بها على سبيل الحراسة لا على سبيل السكن بها وعند ما بلغ النيل ستة عشر ذراعا أمر باخراج الخيم وعند ما قارب النيل الوفاء تحوّل الخليفة فى الليل من قصوره بجميع جهاته واخوته واعمامه والسيدات كرائمه وعماته الى اللؤلؤة وتحوّل المأمون الى دار الذهب وأسكن الشيخ ابا الحسن محمد بن أبى أسامة الغزالة على شاطئ الخليج وسكن حسام الملك حاجب الباب داره على الخليج وأمر متولى المعونة أن يكشف الادر المطلة على الخليج قبلى اللؤلؤة ولا يمكن أحدا من السكن فى شئ منها الامن كان له ملك ومن كان ساكنا بالاجرة ينقل ويقام بالاجرة لرب الملك ليسكن بها حواشى الخليفة مدة سنة وقرّر من التوسعة فى النفقات وما يكون برسم المستخدمين فى المبيتات ما يختص برواتب القصور مدة المقام فى اللؤلؤة فى ايام النيل مياومة من الغنم والحيوان وجميع الاصناف وهى جملة كبيرة وأمر متولى الباب أن يندب فى كل يوم خروف شواء وقنطار خبز وكذلك جميع الدروب من يحرسها ويطلق لهم برسم الغداء مثل ذلك وتكون نوبة دائرة بينهم وبقية مستخدمى الركاب ملازمون لابواب القصر على رسمهم وفى يومى الركوب يجتمعون للخدمة الامن هو فى نوبته فيما رسم له وأمر متولى زمام المماليك الخاص أن يكونوا بأجمعهم حيث يكون الخليفة وفى الليل يبيت منهم عدة برسم الخدمة تحت اللؤلؤة ولهم فى كل يوم مثل ما تقدّم والرهجية تقسم قسمين أحدهما على ابواب القصور والآخر على ابواب اللؤلؤة واصحاب الضوء مثل ذلك وقرّر للجماعة المقدّم ذكرها فى الليل عن رسم المبيت وعن ثمن الوقود ما يخرج اليهم مختوما بأسماء كل منهم ويعرضهم متولى الباب فى كل ليلة بنفسه عند رواحه وعوده وكذلك ما يختص بدار الذهب من الحرس عليها من باب سعادة ومن باب الخوخة ولهم رسوم كما تقدّم لغيرهم والمتفرجون يخرجون كل ليلة للنزهة عليهم ويقيمون الى بعض الليل حتى ينصرفوا من غير خروج فى شئ من ذلك عما يوجبه الشرع وفى يومى السلام يمضى الخليفة من قصوره بحيث لا يراه الا استاذوه وخواصه الى قاعة الذهب من القصر الكبير الشرقى ويحضر الوزير على عادته اليه فيكون السلام بها على مستقرّ العادة والاسمطة بها فى يومى الاثنين والخميس وتكون الركوبات من اللؤلؤة فى يومى السبت والثلاثاء الى المنتزهات * وقال فى سنة سبع عشرة وخمسمائة ولما جرى النيل وبلغ خمسة عشر ذراعا أمر باخراج الخيام والمضارب الديبقى والديباج وتحوّل الخليفة الآمر بأحكام الله الى اللؤلؤة بحاشيته وأطلقت التوسعة فى كل يوم لما يختص الخاص والجهات والاستاذين من جميع الاصناف وانضاف اليها ما يطلق كل ليلة عينا وورقا وأطعمة للبياتين بالنوبة برسم الحرس بالنهار والسهر فى طول الليل من باب القنطرة بما دار الى مسجد الليمونة من المترين من صبيان الخاص والركاب والرهجية والسودان والحجاب كل طائفة بنقيبها والعرض من متولى الباب واقع بالعدّة فى طرفى كل ليلة ولا يمكن بعضهم بعضا من المنام والرهجية تخدم على الدوام وتحوّل الوزير المأمون الى دار الذهب وأطلقت التوسعة والحال فى اطلاق الاسمطة لهم فى الليل والنهار مستمرّ * وقال ابن عبد الظاهر المنظرة المعروفة باللؤلؤة على برّ الخليج بناها الظاهر لاعزاز دين الله ابن الحاكم يعنى بعد ما هدمها ابوه الحاكم وكانت معدّة لنزهة الخلفاء وكان التوصل اليها من القصر يعنى القصر الغربى من باب مراد وأظنه فيما ذكره لى علم الدين بن مماتى الورّاق أنه شاهد فى كتب دار ابن كوخيا العتيقة أنه بابها وكانت عادة الخلفاء أن يقيموا بها أيام النيل ولما حصل التوهم من النزارية والحشيشية قبل تصرّفهم لاسيما لصغر سنّ الخليفة وقلة حواشيه أمر بسدّ باب مراد المذكور الذى يتوصل منه الى الكافورى والى اللؤلؤة وأسكن فى بعضها فرّاشين لحفظها فاذا كان فى صبيحة كسر الخليج استؤذن الافضل ابن أمير الجيوش فى فتح باب مراد الذى يتوصل منه الى اللؤلؤة وغيرها فيفتح ويروح الخليفة ليتفرج هو وأهله من النساء ثم يعود ويسدّ الباب هذا الى آخر أيام الافضل فلما راجع الوزير المأمون فى ذلك سارع

اليه فأصلحت وأزيل ما كان أنشئ قبالتها على ما سيذكر في مكانه ان شاء الله تعالى اهـ ومات بقصر اللؤلؤة من خلفاء الفاطميين الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله والفائز وحملوا الى القصر الكبير الشرقي من السراديب ولما قدم نجم الدين أيوب بن شادى من الشام على ولده صلاح الدين يوسف وخرج الخليفة العاضد لدين الله الى لقائه بصحراء الهليلج بآخر الحسينية عند مسجد تبر أنزل بمنظرة اللؤلؤة فسكنها حتى مات في سنة سبع وستين وخمسمائة واتفق أن حضر يوما عنده الفقيه نجم الدين عمارة اليمني والرضى ابو سالم يحيى الاحدب بن ابى حصينة الشاعر في قصر اللؤلؤة بعد موت الخليفة العاضد فأنشد ابن أبي حصينة نجم الدين ايوب فقال

يا مالك الارض لا أرضى له طرفا * منها وما كان منها لم يكن طرفا
قد عجل الله هذى الدار تسكنها * وقد أعد لك الجنات والغرفا
تشرفت بك عمن كان يسكنها * فالبس بها العز ولتلبس بك الشرفا
كانوا بها صدفا والدار لؤلؤة * وأنت لؤلؤة صارت لها صدفا

فقال الفقيه عمارة يرد عليه

أثنت يا من هجا السادات والخلفا * وقلت ماقلته في ثلبهم سخفا
جعلتهم صدفا حلوا بلؤلؤة * والعرف مازال سكنى اللؤلؤ الصدفا
وانما هي دار حل جوهرهم * فيها وشف فأسناها الذى وصفا
فقال لؤلؤة عجبا ببهجتها * وكونها حوت الاشراف والشرفا
فهم بسكناهم الآيات اذ سكنوا * فيها ومن قبلها قد أسكنوا الصحفا
والجوهر الفرد نور ليس يعرفه * من البرية الا كل من عرفا
لولا تجسمهم فيه لكان على * ضعف البصائر للابصار مختطفا
فالكلب يا كلب اسنى منك مكرمة * لان فيه حفاظا دائما ووفا

فلله در عمارة لقد قام بحق الوفاء ووفى بحسن الحفاظ كما هي عادته لاجرم أنه قتل في واجب من يهوى كما هي سنة المحبين فالله يرحمه ويتجاوز عنه

* (منظرة الغزالة) * وكان بجوار منظرة اللؤلؤة منظرة تعرف بالغزالة على شاطئ الخليج تقابل حمام ابن قرقة وقد خربت هذه المنظرة أيضا وموضعها الآن تجاه باب جامع ابن المغربي الذى من ناحية الخليج وقد خربت أيضا حمام ابن قرقة وصار موضعها فندقا بجوار حمام السلطان التى هنالك يعرف بفندق عماد وموضع منظرة الغزالة اليوم ربع يعرف بربع غزالة الى جانب قنطرة الموسكى في الحد الشرقي وكان يسكن بهذه المنظرة الامير ابو القاسم ابن المستنصر والد الحافظ لدين الله ثم سكنها ابو الحسن بن أبي أسامة كاتب الدست وكان بعد ذلك ينزلها من يتولى الخدمة في الطراز أيام الخلفاء * قال ابن المأمون لما ذكر تحوّل الخليفة الآمر بأحكام الله الى اللؤلؤة وأسكن الشيخ ابا الحسن بن أبي أسامة كاتب الدست الغزالة التى على شاطئ الخليج ولم يسكن أحد فيها قبله ممن يجرى مجراه ولا كانت الا سكن الامير أبي القاسم ولد المستنصر والد الامام الحافظ قال وأما ما يذكره الطراز فالحكم فيه مثل الاستيمار والشائع فيها أنها كانت تشتمل في الايام الافضلية على أحد وثلاثين ألف دينار فمن ذلك السلف خاصة خمسة عشر ألف دينار قيمة الذهب العراقي والمصري ستة عشر ألف دينار ثم اشتملت في الايام المأمونية على ثلاثة وأربعين ألف دينار وتضاعفت في الايام الآمرية * وقال ابن الطوير الخدمة في الطراز وينعت بالطراز الشريف ولا يتولاه الا الاعيان المستخدمين من أرباب العمائم والسيوف وله اختصاص بالخليفة دون كافة المستخدمين ومقامه بدمياط وتنيس وغيرهما وجاريه أمير الجوارى وبين يديه من المندوبين مائة رجل لتنفيذ الاستعمالات بالقرى وله عشارى دقاس مجرّد معه وثلاثة مراكب من الدكاسات ولها رؤساء ونواتية لا يبرحون ونفقاتهم جارية من مال الديوان فاذا وصل بالاستعمالات الخاصة التى منها المظلة وبدلتها والبدنة واللباس الخاص الجمعي وغيره هيئ بكرامة عظيمة وندب له دابة من مراكب الخليفة لا تزال تحته حتى يعود الى خدمته وينزل في الغزالة على شاطئ الخليج وكانت من المناظر السلطانية وجددها شجاع بن شاور ولو كان لصاحب الطراز في القاهرة عشرة دور لا يمكن من نزوله الا بالغزالة وتجرى عليه الضيافة كالغرباء الواردين على الدولة فيمثل

بين يدى الخليفة بعد حل الاسفاط المشدودة على تلك الكساوى العظيمة ويعرض جميع ما معه وهو ينبه على شئ شئ بيد فراشى الخاص فى دار الخليفة مكان سكنه ولهذا حرمة عظيمة ولا سيما اذا وافق استعماله غرضهم فاذا انقضى عرض ذلك بالمدرج الذى يحضره سلم لمستخدم الكسوات وخلع عليه بين يدى الخليفة باطنا ولا يخلع على أحد كذلك سواه ثم ينكفئ الى مكانه وله فى بعض الاوقات التى لا يتسع له الانفصال نائب يصل عنه بذلك غير غريب منه ولا يمكن أن يكون الاولدا أو أخا فان الرتبة عظيمة والمطلق له من الجامكية فى الشهر سبعون دينارا ولهذا النائب عشرون دينارا لانه يتولى عنه اذا وصل بنفسه ويقوم اذا غاب فى الاستعمال مقامه ومن أدواته أنه اذا عبى ذلك فى الاسفاط استدعى والى ذلك المكان ليشاهده عند ذلك ويكون الناس كلهم قياما الحلول نفس المظلة وما يليها من خاص الخليفة فى مجلس دار الطراز وهو جالس فى مرتبته والوالى واقف على رأسه خدمة لذلك وهذا من رسوم خدمته ومزتها

(دار الذهب) * وكان بجوار الغزالة دار الذهب وموضعها الآن على يسرة الخارج من باب الخوخة فيما بينه وبين باب سعادة وكانت مطلة على الخليج وفى مكانها اليوم دار تعرف ببهادر الاعسر وبقى منها عقد بجوار دار الاعسر يعرف الآن بقبو الذهب من خطة بين السورين * قال ابن المأمون لما ذكر تحول الخليفة الآمر بأحكام الله الى اللؤلؤة ثم أحضر الوزير المأمون وكيله أبا البركات محمد بن عثمان وأمره أن يمضى الى دارى الفلك والذهب اللتين على شاطئ الخليج فالدار الاولى التى من حيز باب الخوخة بناها فلك الملك وذكر أنه من الاستاذين الحاكمية ولم تكن تعرف الابدار الفلك ولما بنى الافضل بن أمير الجيوش الدار الملاصقة لها التى من حيز باب سعادة وسماها دار الذهب غلب الاسم على الدارين ويصلح ما فسد منهما ويضيف اليهما دار الشابورة وذكر أن هذه الدار لم تسم بهذا الاسم الالان جزأ منها بيع فى ايام الشدة فى زمن المستنصر بشابورة قال وعند ما قارب النيل الوفاء تحول الخليفة فى الليل من قصوره بجميع جهاته واخوته وأعمامه والسيدات كرائمه وعماته الى اللؤلؤة وتحول الاجل المأمون بالاجلاء أولاده الى دار الذهب وما اضيف اليها * وقال ابن عبد الظاهر دار الذهب بناها الافضل بن امير الجيوش وكانت عادة الافضل أن يستريح بها اذا كان الخليفة باللؤلؤة يكون هو بدار الذهب وكذلك كان المأمون من بعده وكان حرس دار الذهب يسلم للوزيرية من باب سعادة يسلم لهم ومن باب الخوخة للمصامدة أرباب الشعور وصبيان الخاص وكان المقرر لهم فى كل يوم سماطين أحدهما بقاعة الفلك للممالك الخاص والحاشية وأرباب الرسوم والآخر على باب الدار برسم المصامدة حتى انه من اجتاز ورأى انه يجلس معهم على السماط لا يمنع والضعفاء والصعاليك يقعدون بعدهم وفى اول الليل مثل ذلك ولكل منهم رسم لجميع من بيت من أرباب الضوء الى الاعلى

(منظرة السكرة) وكان من جملة مناظر الخلفاء منظرة تعرف بمنظرة السكرة فى بر الخليج الغربى يجلس فيها الخليفة يوم فتح الخليج وكان لها بستان عظيم بناها العزيز بالله بن المعز وقد دثرت هذه المنظرة ويشبه أن يكون موضعها فى المكان الذى يقال له اليوم المريس قريبا من قنطرة السد وكانت السكرة من جنات الدنيا المزخرفة وفيها عدة أماكن معدة لنزول الوزير وغيره من الاستاذين

(ذكر ما كان يعمل يوم فتح الخليج)

قال ابن زولاق فى كتاب سيرة المعز لدين الله وفى ذى القعدة يعنى من سنة اثنتين وستين وثلثمائة وهى السنة التى قدم فيها الخليفة المعز لدين الله الى القاهرة من بلاد المغرب ركب المعز لدين الله عليه السلام لكسر خليج القنطرة فكسر بين يديه ثم سار على شاطئ النيل حتى بلغ الى بنى وائل ومر على سطح الجرف فى موكب عظيم وخلفه وجوه اهل الدولة ومعه ابو جعفر أحمد بن نصر يسير معه ويعرفه بالمواضع التى يجتاز عليها وضجت له الرعية بالدعاء ثم عطف على بركة الحبش ثم على الصحراء على الخندق الذى حفره القائد جوهر ومر على قبر كافور وعلى قبر عبد الله بن أحمد بن طباطبا الحسنى وعرفه به ثم عاد الى قصره * وذكر الامير المسبحى فى تاريخه الكبير ركوب العزيز بالله بن المعز وركوب الحاكم بأمر الله بن العزيز وركوب الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم فى كل سنة لفتح الخليج * وقال ابن المأمون فى سنة ست عشرة وخمسمائة وعند ما بلغ النيل ستة عشر ذراعا أمر باخراج الخيم وأن يضرب الثوب الكبير الافضلى المعروف بالقاتول وهو أعظم ما فى الحاصل بأربعة دهاليز

وأربع قاعات خارجا عن القاعة الكبيرة ومساحته على ماذكر ألف ألف ذراع وأربعمائة ذراع بالذراع الكبير خارجا عن سرادقه وعمود القاعة الكبيرة منه ارتفاعه خمسون ذراعا ولما كمل استعماله فى ايام الافضل ونصب تأذى منه جماعة ومات رجلان فسمي بالقاتول لاجل ذلك ومازال لا يضرب الا بحضور المهندسين وتنصب له أساقيل عدة بأخشاب كثيرة والمستخدمون يكرهون ضربه ويرغبون فى ضرب أحد الثوبين الجيوشيين وان كانا عظيمين الا انهما لا يصلان بجملتهما الى مقايسته ولا مؤنته ولا صنعته وأقام هذا الثوب فى الاستعمال عدة سنين مع جمع الصناع عليه ومايضرب منه سوى القاعة الكبيرة لاغير واربعة الدهاليز وبعض السرادق الذى هو سور عليه لضيق المكان الذى يضرب فيه وكونه لا يسعه بجملته   قال ووصلت كسوة موسم فتح الخليج وهى ما يختص بالخليفة وأخيه وبعض جهاته والوزير * فأما ما يختص بالخليفة خاصة فبدلة شرحها بدنة طميم منديل سلفه مائة وعشرون دينارا وأحد طرفيه ثلاثة عشر ذراعا ذهبا عراقيا مجالوحا واحدا والثانى ثلاثة أذرع سلفه أربعة وعشرون دينارا   ثوب طميم سلفه خمسون دينارا   والذهب الذى فى الثوب والمنديل والحنك ألف دينار وخمسة دنانير فتكون جملتها بالسلف ألف دينار ومائة وخمسة وسبعين دينارا   شاشية طميم للسلف ديناران وسبعون قصبة ذهبا عراقيا فتكون جملة سلفها وقيمة ذهبها ثمانية دنانير   منديل سلام سلفه ديناران وسبعون قصبة قيمته كذلك   وسط برسم المنديل بخوص ذهب سلفه اثنا عشر دينارا وسبعون قصبة قيمة ذلك عشرون دينارا   شقة ديبقى وسطانى حريرى السلف اثنا عشر دينارا   غلالة ديبقى حريرى السلف عشرة دنانير   منديل كم مذهب السلف خمسة دنانير ومائتا قصبة وأربع قصبات ذهبا عراقيا قيمة ذلك خمسة وعشرون دينارا   منديل كم ثان حريرى خمسة دنانير   حجره أربعة دنانير   عرضى لفافة خاص خمسة دنانير وستة عشر مثقالا ذهبا مصريا فتكون سلفه وذهبه خمسة وعشرين دينارا عرضى ثان برسم تغطية التخت دينار واحد ونصف   تخت ثان ضمنه بدلة خاص حريرى برسم العود من السكرة شرحها منديل حريرى سلفه ستون دينارا   وسط شرب برسمه اثنا عشر دينارا   شقة ديبقى وكم عشرون دينارا شقة وسطانى اثنا عشر دينارا غلالة خمسة عشر دينارا   غلالة عشرة دنانير   منديل سلام ديناران   منديل كم خمسة دنانير   منديل كم ثان أيضا خمسة دنانير   شاشية حريرى ديناران   حجره أربعة دنانير   عرضى لفافة خمسة دنانير   عرضى ثان برسم لفافة التخت دينار واحد ونصف * قال ورأيت شاهدا أن قيمة كل حلة من هذه الحلل وسلفها اذا كانت حريرى ثلثمائة وستة دنانير واذا كانت مذهبة ألف دينار واختصر ما باسم أبى الفضل جعفر أخى الخليفة وأربع جهات * وأما ما يختص بالوزير فبدلة مذهبة شرحها منديل سلفه سبعون دينارا وخمسمائة وسبعون قصبة عراقى جملة سلفه وذهبه مائة وأربعة عشر دينارا   شقة ديبقى وكم السلف ستة عشر دينارا وثمانية وعشرون مثقالا ذهبا عاليا تكون جملة ذلك خمسين دينارا   نصف شقة ديبقى وسطانى اثنا عشر دينارا ونصف شقة وسطانى برسم العود ثلاثة دنانير   غلالة ديبقى سبعة دنانير ونصف   شقة برسم الغلالة ديناران ونصف منديل كم سبعة دنانير واثنا عشر مثقالا ذهبا تكون قيمته تسعة عشر دينارا   حجره ثلاثة دنانير   عرضى أربعة دنانير وأحد عشر مثقالا تكون سلفه وذهبه سبعة عشر دينارا   ثم ذكر بعد ذلك ما يكون لجهة الوزير وما يكون برسم صبيان الحمام وما يفصل برسم المماليك الخاص صبيان الرايات والرماح خمسمائة شقة سقلاطون دارى تكون قيمتها سبعمائة وخمسين قباء يحمل منها برسم غلمان الوزير مائة قباء ويفرق جميع ذلك   قال ولم يكن لاحد من الاصحاب والحواشى وغيرهم فى هذا الموسم شئ فيذكر بل لهم من الهبات العين والرسوم الخارجة عن ذلك ما يأتى ذكره فى موضعه وفى صبيحة هذا الموسم خلع على ابن أبى الرداد وعلى رؤساء المراكب وغيرهم وحمل الى المقياس برسم المبيت وركوب الخليفة بجمله ومواكبه الى السكرة ما فصله وبينه مما يطول ذكره * وقال فى سنة سبع عشرة وخمسمائة ولما جرى النيل وبلغ خمسة عشر ذراعا أمر باخراج الخيام والمضارب الديبقى والديباج وتحول الخليفة الى اللؤلؤة بحاشيته وتحول المأمون الى دار الذهب ووصلت كسوة الموسم المذكور من الطراز وان كانت يسيرة العدة فهى كثيرة القيمة ولم تكن للعموم من الحاشية والمستخدمين بل للخليفة خاصة واخوته وأربع من خواص جهاته والوزير وأولاده وابن أبى الرداد فلما وفى النيل ستة عشر ذراعا ركب الخليفة والوزير الى الصناعة بمصر وعبيت العشاريات بين ايديهما ثم عديا فى احداها الى المقياس وصليا ونزل الثقة صدقة بن أبى

الرّداد منزلته وخلق العمود وعاد الخليفة على فوره وركب البحر فى العشارى الفضى والوزير صحبته والرهجية تخدم برا وبحرا والعساكر طول البرّ قبالته الى أن وصل الى المقس ورتب الموكب وقدم العشارى بالخليفة الآمر بأحكام الله والوزير المأمون وسار الموكب والرهجية تخدم والصدقات والرسوم تفرّق ودخل من باب القنطرة وقصد باب العيد واعتمد ماجرت به العادة من تقديم الوزير وترجله فى ركابه الى أن دخل من باب العيد الى قصره وتقدّم بالخلع على ابن أبى الرّداد بدلة مذهبة وثوب ديبقى حريرى وطيلسان مقوّر وبياض مذهب وشقة سقلاطون وشقة تحتانى وشقة خز وشقة ديبقى وأربعة اكياس دراهم ونشرت قدّامه الاعلام الخاص الديبقى المحاومة بالالوان المختلفة التى لا ترى الاقدّامه لانها من جملة تجمل الخليفة وأطلق له برسم المبيت من البخور والشموع والاغنام والحلاوات كثير * قال وهيئت المقصورة فى منظرة السكرة برسم راحة الخليفة وتغيير ثيابه وقد وقعت المبالغة فى تعليقها وفرشها وتعبيتها وقدّم بين يديه الصوانى الذهب التى وقع التناهى فيها من همم الجهات من أشكال الصور الآدمية والوحشية من الفيلة والزرافات ونحوها المعمولة من الذهب والفضة والعنبر والمرسين المشدود والمظفور وعليها المكلل باللؤلؤ والياقوت والزبرجد من الصور الوحشية ما يشبه الفيلة جميعها عنبر معجون كخلقة الفيل وناباه فضة وعيناه جوهرتان كبيرتان فى كل منهما مسمار ذهب مجرى سواده وعليه سرير منجور من عود بمتكآت فضة وذهب وعليه عدّة من الرجال ركبان وعليهم اللبوس تشبه الزرديات وعلى رؤسهم الخود وبأيديهم السيوف المجرّدة والدرق وجميع ذلك فضة ثم صور السباع منجورة من عود وعيناه ياقوتتان حمراوان وهو على فريسته وبقية الوحوش وأصناف تشتمن المرسين المكلل باللؤلؤ شبه الفاكهة * قال ومن جملة ما وقع الاهتمام به فى هذا الموسم ما صار يستعمل فى الطراز وان لم يتقدّم نظيره للولائم التى تتخذ برسم تغطية الصوانى عدّة من عراضى ديبقى ثم قوارات شرب تكون من تحت العراضى على الصوانى مفتح كل قوارة منهنّ دون اربعة أشبار سلف كل واحدة منهنّ خمسة عشر دينارا ورقم فى كل منهنّ سحف ذهب عراقى ثمنه من أربعين الى ثلاثين دينارا تكون الواحدة بخمسين دينارا ويستعمل أيضا برسم الطرح من فوق القوارات الاسكندرانى التى تشدّ على الموائد التى تحمل من عند كل جهة قوارات ديبقى مقصور من كل لون محاومة بالرقم الحريرى مفتح كل قوارة أربعة اذرع يكون الثمن عن كل واحدة أربعين دينارا ولقد بيعت عدّة من القوارات الشرب فسارع التجار العراقيون الى شرائها ونهاية ما بلغ ثمن كل واحدة منهن ستة عشر دينارا وسافروا بها الى البلاد فلم يبع لهم منها سوى اثنتين وعادوا بالبقية الى الديار المصرية فى سنة ست وثمانين وخمسمائة وحفظوا منهنّ شيأ عن السوق فلم يحفظ لهم رأس مالهنّ قال وكان ما تقدّم من الزبادى فى الطيافير من الصينى الى آخر أيام الافضل بن أمير الجيوش وأيام المأمون وانما استجدّت الاوانى الذهب فى أواخر الايام الآمرية والذى يعبى بين يدى الخليفة قوائمية ضمنها عدّة من الطيافير المحمولة بالمرافع الفضة برسم الاطباق الحارة وليس فى المواسم مائدة بغير سماط للامراء ويجلس عليها الخليفة غير هذا الموسم وان كان يجرى مجرى الاعياد وله البخور مطلق مثلها وينفرد بالجلوس معه الجلساء المميزون والمستخدمون وعند كمال تعبيتها وبخورها جلس الخليفة عليها عن يمينه وزيره وعن يساره أخوه ومن شرّف بحضوره وفى آخرها فرّق منها ما جرت به العادة على سبيل البركة * وقال فى سنة ثمان عشرة وخمسمائة ووصلت الكسوة المختصة بفتح الخليج وهى برسم الخليفة تحتان ضمنهما بدلتان احداهما منديلها وثوبها طميم برسم المضى والاخرى جميعها حريرى برسم العود وكذلك ما يخص اخوته وجهاته بدلتان مذهبتان وأربع حلل مذهبة وبرسم الوزير بدلة موكبية مذهبة فى تخت وبرسم أولاده الثلاثة ثلاث بدلات مذهبة وبرسم جهته حلة مذهبة فى تخت وهؤلاء المميزون لكل منهم تخت وبقية ما يخص المستخدمين وابن أبى الرّداد فى تخوت كل تخت فيه عدّة بدلات وحضر متولى الدفتر واستأذن على ما يحمل برسم الخليفة وما يفرّق وما يفصل برسم الخلع وما يخرج من حاصل الخزائن غير الواصل وهو ما يفصل برسم الغلمان الخاص عن سبعمائة قباء خمسمائة وشقتان سقلاطون دارى وبرسم رؤساء العشارى من الشقق الدمياطى والمناديل السوسى والفوط الحرير الاحمر وبرسم النواتية التى برسم الخاص من العشارية من الشقق الاسكندرانى والكلوتات فوقع بانفاق جميع ذلك وتفصيل ما يجب منه ثم ابتيع ذلك بمطالعة ثانية برسم ما هو مستقرّ العموم من النقد العين والورق للموسم المذكور وهو من العين أربعة آلاف وخمسمائة

دينار ومن الورق خمسة عشر ألف درهم فوقع باطلاق ذلك وذكر تفصيل الكسوات والهبات بأسماء أربابها وحضر متولى المائدة الآمرية بمطالعة يستدعى ماجرت به العادة فى هذا الموسم من الحيوان والضان والبقر وغير ذلك من الاصناف برسم التفرقة والاسمطة وحضر متولى دار التعبية يستدعى ما يبتاع به الثمرة والزهرة وهيئة المتعينين لتعبية السكرة لاجل حلول الركاب بها ومقامه فيها وتعبية جميع مقاصيرها التى برسم الاستاذين والاصحاب والحواشى وهو مائة دينار فوقع باطلاقها وفى العاشر من الشهر المذكور يعنى شهر رجب وفى النيل ستة عشر ذراعا فتوجه المأمون الى صناعة العمائر بمصر ورميت العشاريات بين يديه وقد جددت وزينت جميعها بالستور الديبقى الملونة والكوامخ والاهلة الذهب والفضة وشمل الانعام أرباب الرسوم على عادتهم وعدى فى احدى العشاريات الى المقياس وخلق العمود بما جرت به عادتهم من الطيب وفرقت رسوم الاطلاق وانكفا الى دار الذهب وأمر باطلاق ما يخص المبيت فى المقياس بجميع الشهود والمتصدرين وهى العشرات من الخبز عشرة قناطير وعشرة خراف شوى وعشر جامات حلوى وعشر شمعات وأول من يحضر المبيت الشريف الخطيب سيد المقربين وامام المتصدرين وله وللجماعة من الدراهم التى تفرق أوفى نصيب قال وخرج الخليفة بزى الخلافة ووقارها وناموسها بالثياب الطميم التى تذهل الابصار والمنديل بالشدة العربية التى ينفرد بلباسها فى الاعياد والمواسم خاصة لا على الدوام وكانت تسمى عندهم شدة الوقار مرصعة بغالى الياقوت والزمرذ والجوهر وعند لباسها تخفق لها الاعلام ويتجنب الكلام ويهاب ولا يكون سلام قريب منه وخليل غير الوزير الا بتقبيل الارض من بعيد من غير دنو ثم بين يديه من مقدمى خزائنه من يحمل سيفه ورمحه المرصعين بأفخر ما يكون ثم المذاب التى كل منها عودها ذهب وينفرد بحملها الصقالبة ويمشى بين الصفين المرتبين راجلا على بسط حرير فرشت له وكل من الصفين يتناهى فى مواصلة تقبيل الارض الى أن وصل الى مجلس خلافته وصعد على الكرسى المغشى بالديباج المنصوب برسم ركوبه وقد صفت الرواض وأزمة الاصطبلات خيل المظلة بعد أن أزالت الاغشية الحرير والشقق الديبقى المذهبة عن السروج وبقيت كما وصفها الله تعالى فى كتابه فقدم اليه ما وقع اختياره عليه وأمر بأن يجنب البقية فى الموكب بين يديه ولما علا ما قدم اليه استفتح مقرئو الحضرة وتسلم جميع مقدمى الركاب ركابه والرواض الشكيمة وزال حكم الاستاذين المستخدمين فى الركاب وعادت الموالى والاقارب الى محالهم واستدعى بالوزير بجميع نعوته فواصل تقبيل الارض الى أن قبل ركابه وشرفه بتقبيل يده بحكم خلوها من قضيب الملك فى هذه المواسم ولما أدى ما يجب من فرض السلام أخذ السيف من الامير افتخار الدولة أحد الامراء الاستاذين المميزين المحنكين متولى خزانة الكسوة الخاص وسلمه بعد أن قبله لاخيه الذى يتولى حمله فى الموكب بعد أن أرخيت عذبته تشريفا له مدة حمله خاصة وترفع بعد ذلك وشد وسطه بالمنطقة الذهب تأدبا وتعظيما لما معه وسلم الرمح والدرقة لمن يتولى حملهما بلواء الموكب ولم يكن للخدمة المذكورة عذبة مرخاة ولا منطقة واستدعى ركوب الوزير وأولاده من عند باب قاعة الذهب وخرج الخليفة من القاعة المذكورة الى اول دهليز فتلقته جماعة صبيان ركابه العشرة المقدمين أرباب الميمنة والميسرة وصبيان وراء صبيان الرسائل وصبيان السلام كل منهم فى الخدمة المعينة لا يخرج عنها لسواها وجميعهم بالمناديل الشروب المعلمة وبأوساطهم العراض الديبقى المقصورة وليس الجميع عبيدا بشراء ولا سودان بل مولدة وأولاد أعيان وأهل فهم ولسان ثم احتاط بركابه بعدهم من هو على غير زيهم بل بالقنابيز المفرجة والمناديل السوسى وهم المتولون لحمل السلاح الخاص الذى لا يكون الا فى موكبه خاصة على الاستمرار من الصوارى والفرنجيات والدبابيس والتوت والصماصم بالدرق الصينى واليمنى بالكوامخ الفضة والذهب ويحصل الاستدعاء من صبيان السلام فى مسافة الدهاليز لكل من هو مستخدم فى الموكب ركوبه من محل جيئته الى أن خرج الخليفة من باب الذهب وقد ضربت الغريبة وأبواق السلام واجتمع الرهج من كل مكان ونشرت المظلة فاجتمع اليها الزويلية بالعدد الغريبة وظللت بها وسارت بسيره والقرآن الكريم عن يمينه ويساره والجرية الصبيان المنشدون واجتمع الموكب بجملته على ما ذكر أولا والترتيب أمامه لمتولى الباب وحجابه وتلوه لمتولى الستر وكل منهم على حكم المدارج التى وصلت اليه لا سبيل الى الخروج عما رسم فيها وسار بجملة موكبه على ترتيب أوضاعه بين حصنين مانعين من طوارق عساكره فارسها وراجلها

كل طائفة يقدمها زمامها وقد ازدحموا فى الصفات بالعدد المذهبة الحربية والالات المانعة المضيئة وليس بينهم طريق لسالك وقد زين لهم جميع ما يكون أمامهم من الطرق جميعها حوانيتها وآدرها وجميع مساكنها وأبواب حاراتها بانواع من الستور والديباج والديبقى على اختلاف اجناسها ثم بأصناف السلاح وملآت النظارة الفجاج والبطاح والوهاد والربا والصدقات والرسوم تعم أهل الجانبين من أرباب الجوامع والمساجد وبوابى الابواب والسقائين والفقراء والمساكين فى طول الطريق الى أن أظل على الخيام المنصوبة فوقف بموكبه واستدعى الوزير بعده من مقدمى ركابه فاجتاز راكبا بمفرده وجمع حاشيته بسلاحهم رجالة فى ركابه بعد أن بالغ فى الايماء بتقبيل الارض أمامه فرد عليه بكمه السلام وعاد الخليفة فى سيره بالموكب بعد أن حصل الوزير أمامه وترجل جميع من شرف بحجبته فى ركابه وآخرهم متولى حمل سيفه ورمحه وصبيان السلام يستدعون كل منهم الى تقبيل الارض بجميع نعوتها إكبارا له وتميزوا واحتاطوا بركابه ووصل الى المضارب فى الحرس الشديد على ابوابها وسرادقاتها من كل جانب وتدشين وجاهة من حصل بها ومكن من الدخول اليها وترجل الوزير فى الدهليز الثالث من دهاليزها وتقدم الى الخليفة وأخذ شكيمة الفرس من يد الرواض وشق به الخيام التى جمعت جميع الصور الآدمية والوحشية وقد فرشت جميعها بالبسط الجهرمية والاندلسية الى أن وصل الى القاعة الكبرى فيها وترجل على سرير خلافته وجلس فى محل عظمته وأجلس وزيره على الكرسى الذى اعد له واحتاط به المستخدمون حملة السلاح المنتصب جميعه وحجبوا العيون عن النظر اليه وصف بين يديه الامراء والضيوف والمشرفون بحجبته وختم المقرئون القرآن العظيم وقدم عدى الملك النائب شعراء المجلس على طبقاتهم وعند انقضاء خدمة آخرهم عادت المستخدمون والرواض مقدمة ما أمروا به من الدواب فعلاها الخليفة والوزير يمسك الشكيمة بيده وانتظم موكبا عظيما والقراء عوض الرهجية والجماعة فى ركابه رجالة على حكم ما كانوا عليه أولا وصعد من القاعة التى فى دهاليز الباب القبلى منها لخروج منه وانفصلت خدمة جميع الامراء والضيوف من ركابه بأحسن وداع من تقبيل الارض وصعد الخليفة ووزيره وأولاده واخوته والاصحاب والحواشى الى السكرة وهى من جنات الدنيا المزخرفة وتلقاه أخوه بعظمة سلامه وتقبيل الارض بين يديه وجلس لوقته وفتحت الطاقات التى فى المنظرة وعن يمينه وزيره وعن يساره أخوه جالسان واعتمد الناس جميعهم عند مشاهدته تقبيل الارض له وادامة النظر نحوه والمستخدمون جميعهم على السد مشدودى الاوساط واقفين عليه فلما أمرهم الوزير أن يكسروه قبلوا الارض جميعا وانصرفوا عنه وتولته الفعلة فى البساتين السلطانية بالفتح من الجانبين والقرآن والتكبير من الجانب الغربى حيث الخليفة والرهج واللعب من الجانب الشرقى ولما كمل فتحه انحدرت العشاريات عن آخرها اللطيف منها يقدم الكبير والجميع مزينة بالذهب والفضة والستور المرقومة ورؤساؤهم وخدامهم بالكسوات الجميلة وبعد ذلك غلقت الطاقات وحل الخليفة بالمقصورة التى لراحته وكذلك الوزير وأولاده واخوته وجميع الامراء الاستاذين والاصحاب والحواشى واستدعى للوقت والى مصر من البر الشرقى وخلع عليه بدلة مناديلها وثوبها مذهبان وثوبان عتابى وسقلاطون وقبل الارض من تحت المنظرة وعدى فى البحر الى حفظ مكانه ثم استدعى بعده حامى البساتين ومشارفها فخلع عليهما بدلتين حريرى وثوبين سقلاطون وعتابى ثم متولى ديوان العمائر كذلك ثم مقدمى الرؤساء كذلك واعتمد كل من سلم اليه الاثباتات المشتملة على أصناف الانعام من العين والورق وصوانى الفطرة والموائد التى يهتم بها جميع الجهات والخراف المشوية والجامات الحلواء تفرقة ذلك على ما رسم وهو شامل غير مخصص من أخى الخليفة والوزير الى الاصحاب والحواشى من أرباب السيوف والاقلام ثم الامراء المستخدمين والضيوف المميزين من الاجناد وغيرهم من الادوان ممن يتعلق به خدمة تختص بالموسم من البحارة وأرباب اللعب وغيرهم وعبيت الاسمطة فى المسطحات المنصوبة لها بالجانب من الباب الغربى من الخيام وأمر الوزير أخاه بالمضى اليها والجلوس عليها فتوجه وبين يديه متولى حجبة الباب ونوابه والمعروفية والحجاب واستدعت الامراء والضيوف بالسقاة من خيامهم وأجلس كل منهم على السماط فى موضعه على عادتهم وتلاهم العساكر على طبقاتهم ولم يمنع حضورهم ما يسر لكل منهم من جميع ما ذكر على حكم ميزته ولما انقضى حكم الاسمطة المختصة بالامراء الكبار عاد أخو الوزير الى حيث مقر الخلافة وبقى متولى الباب

جالسا

جالسا لاسمطة العبيد وجميع المستخدمين من الراجل والسودان وعبيت المائدة الخاص بالسكرة التى ما يحضرها الا العوالى الخاص المستخدمون فى الخدم الكبار ويجمع له حالتان حضوره فى أشرف مقام وجلوسه فى محل يحصل له به حرمة وذمام وجلس الخليفة عليها وأخوه على شماله ووزيره على يمينه بعد أن أدّى كل منهما ما يجب من سلامه وتعظيمه وحضر أولاد الوزير واخوته والشيخ أبو الحسن كاتب الدست وابنه سالم ومن الاستاذين المحنكين أرباب الخدم وجرى الحال فى المائدة الشريفة على ماهو مألوف وفرّق من جملتها الكل من أرباب الخدم الذين لم يحضروا عليها ما هو لكل منهم على سبيل الشرف وتميز فى ذلك اليوم خاصة ما يختص بالقاضى وشهوده والداعى وابن خاله الذين يخصصون عن سواهم بمقامهم دون غيرهم فى قاعة الخيمة الكبرى أمام سرير الخلافة المنصوب مدة النهار مع ما يحمل اليهم من الموائد وغيرها مما هو بأسمائهم فى الاثباتات مذكور ولما تكامل وضع المائدة وانقضى حكمها قبل كل من الحاضرين الارض وانصرف بعد أن استصحب منها ما تقتضيه نفسه على حكم الشرف والبركة ويقضى بعد ذلك الفرائض الواجبة فى وقتها ولابدّ من راحة بعدها وحضر مقدما الركاب وحاسبا كاتب الدفتر على ما معهما برسم تفرقة الرسوم والصدقات فى مسافة الطريق فكمل لهما على ما بقى معهما مثل ما كان اولا ولما استحق العود عاد كل من المستخدمين الى شغله من ترتيب الموكب ومصفات العساكر وترتيب من يشرّف بالحضرة من الامراء والضيوف وفرّقت الصوانى الخاص التى تكون بين يدى الخليفة مدة النهار الجامعة للثروة من كل جهة والزينة من كل معنى والغرابة من كل صنف وقد جمعت ملاذ جميع الحواس والعدّة منها يسيرة وليس ذلك لتقصير من هم الجهات التى تتنوع فيها بالغرائب بل للتعب الشديد عليها ثم لضيق الزمان لانّ كلا منها الامند وحة أن يكون فيه زهرة وثمرة وطول المكث كذلك يتلف ما فيها واذا شملت مع قلتها من له الوجاهة العالية من أخى الخليفة والوزير لم يكن له غير صينية واحدة وأخذ كل من الحاشية أهبة تجمله لموضع ميزته وغير الخليفة ثيابه بما يقتضيه الموكب وهو بدلة حريرى بشدّة الوقار وعلم الجوهر وسير الى الوزير صحبة مقدم خزانة الكسوة الخاص على يد المستخدمين عنده من الاستاذين من جملة بدلات الجمع التى يتوجه منها الى زيه ما يؤمر به من يسعى اليه بدلة مكملة حريرى ومنديلها بياض بالشدّة الدانية غير العربية ولما لبس ما سير اليه وحضر بين يديه لشكر نعمته أمره بركوب أخيه فى احدى العشاريات فامتثل أمره وتوجه صحبته من السكرة بجميع خواصه وحواشيه وفتح لهم الباب الذى هو منها بشاطئ الخليج وقدّم له احدى العشاريات الموكبية وفيها مقدّم رياسة البحرية فركب فيها بجمعه والوزير واقف راجل على شاطئ الخليج خدمة له الى أن انحدرت العشاريات جميعها قدّامه ومراكب اللعب بغير أحد من أرباب الرهج والمستخدمون فى البرّين يمنعون من يقاربه والمتفرجون لا يصدّهم ويردّهم ما يحل بهم بل يرمون أنفسهم من على الدواب ويسيرون بسيره وعاد الوزير الى السكرة فلما شاهد الخليفة الدواب الخاص التى برسم ركوبه أمره بما وقع عليه اختياره منها وعلاه فاحتاط بركابه مقدموا الركاب واستفتح القرّاء وخرج من باب السكرة ودخل من باب الخليفة القبلى وشق قاعتها على سرير مملكته وخص بالسلام فيها شيوخ الكتاب العوالى والقاضى والداعى ومن معهما ولهم بذلك ميزة عظيمة يختصون بها دون غيرهم وخرج منها الى البستان المعروف بنزار وسار فى ميدانه وجميعه من الجانبين سور معقود من شجر نارنج اصولها مفترقة وفروعها مجتمعة وظللت الطريق وعليها من الثمرة التى أخرجها من وقته الى هذا اليوم وقد خرجت بهجتها عن المعتاد وحصل عليها ثمرة سنتين احداهما انتهت والاخرى فى الابتداء وهو بهيئته وزيه وترتيب عساكره وأمرائه وخرج من الباب بعد أن عمّ من له رسم بانعامه وعاد الرهج والموكب على ما كان عليه فلما وصل الى السدّ الذى على بركة الحبش كسر بين يديه *(وقال فى كتاب الذخائر)* ان مما اخرج من القصر فى سنة احدى وستين وأربعمائة فى خلافة المستنصر قبة العشارى وقاربه وكسوة رحله وهو مما استعمله الوزير أحمد بن على الجرجراى فى سنة ست وثلاثين وأربعمائة وكان فيه مائة ألف وسبعة وستون ألفا وسبعمائة درهم فضة نقرة وان المطلق لصناع الصاغة عن اجرة ذلك وفى ثمن ذهب لطلائه خاصة ألفان وسبعمائة دينار وعمل ابو سهل التسترى لوالدة المستنصر عشاريا يعرف بالفضى وحلى رواقه بفضة تقديرها مائة ألف وثلاثون ألف درهم ولزم ذلك اجرة الصناعة والطلاء بعضه ألفان وأربعمائة دينار واستعمل كسوة برسمه

بمال جليل وأنفق على العشاريات التى برسم النزه البحرية التى عدتها ستة وثلاثون عشاريا بالتقدير بجميع آلاتها وكساها وحلاها من مناطق ورؤس مخروقات واهلة وصفريات وغير ذلك أربعمائة ألف دينار * وقال ابن الطوير اذا أذن الله سبحانه وتعالى بزيادة النيل المبارك طالع ابن أبى الرداد بما استقر عليه أذرع القاع فى اليوم الخامس والعشرين من بؤونة وأرخه بما يوافقه من أيام الشهور العربى فعلم ذلك من مطالعته وأخرجت الى ديوان المكاتبات فنزلت فى السير المرتب بأصل القاع والزيادة بعد ذلك فى كل يوم تؤرخ بيومه من الشهر العربى وماوافقه من ايام الشهر القبطى لايزال كذلك وهو محافظ على كتمان ذلك لايعلم به أحد قبل الخليفة وبعده الوزير فاذا انتهى فى ذراع الوفاء وهو السادس عشر الى أن يبقى منه اصبع أواصبعان وعلم ذلك من مطالعته أمر أن يحمل الى المقياس فى تلك الليلة من المطابخ عشرة قناطير من الخبز السميذ وعشرة من الخراف المشوية وعشرة من الجامات الحلواء وعشر شمعات ويؤمر بالمبيت فى تلك الليلة بالمقياس فيحضر اليه قرّاء الحضرة والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة ومصر ومن يجرى مجراهم فيستعملون ذلك ويوقدون الشمع عليهم من العشاء الآخرة وهم يتلون القرآن برفق ويطربون بمكان التطريب فيختمون الختمة الشريفة ويكون هذا الاجتماع فى جامع المقياس فيوفى الماء ستة عشر ذراعا فى تلك الليلة ولوفاء النيل عندهم قدر عظيم ويبتهجون به ابتهاجا زائدا وذلك لانه عمارة الديار وبه التئام الخلق على فضل الله فيحسن عند الخليفة موقعه ويهتم بأمره اهتماما عظيما اكثر من كل المواسم فاذا أصبح الصبح من هذا اليوم وحضرت مطالعة ابن أبى الرداد اليه بالوفاء ركب الى المقياس لتخليقه فيستدعى الوزير على العادة فيحضر الى القصر فيركب الخليفة بزى أيام الركوب من غير مظلة ولاما يجرى مجراها بل فى هيئة عظيمة من الثياب والوزير تابعه فى الجمع الهائل على ترتيب الموكب ويخرج شاقا من باب زويلة وسالكا الشارع الى آخر الركن من بستان عباس المعروف اليوم بسيف الاسلام فينعطف سالكا على جامع ابن طولون والجسر الاعظم بين الركنين الى الساحل بمصر الى الطريق المسلوكة على طرف الخشابين الشرقى على دار الفاضل الى باب الصاغة بجوار دار له دهليز ماد بمصاطب مفروشة بالحصر العبدانى بسطا وتأزيرا فيشقها والوزير تابعه فيخرج منها منعطفا على الصناعة الاخرى وكانت برسم المكس الى السيوفيين ثم على منازل العز التى هى اليوم مدرسة ثم الى دار الملك فيدخل من الباب المقابل لسلوكه فيترجل الوزير عنده للدخول بين يديه ماشيا الى المكان المعد له ويكون قد حمل أمس ذلك اليوم من القصر البيت المتخذ للعشارى الخاص وهو بيت مثمن من عاج وأبنوس عرض كل جزء ثلاثة أذرع وطوله قامة رجل تام فيجمع بين الاجزاء الثمانية فيصير بيتا دوره أربعة وعشرون ذراعا وعليه قبة من خشب محكم الصناعة وهو بقبته ملبس بصفائح الفضة والذهب فيتسلمه رئيس العشاريات الخاص ويركبه على العشارى المختص بالخليفة ويجعل باكر ذلك اليوم الذى يركب فيه الخليفة على الباب الذى يخرج منه للركوب الى المقياس فاذا استقر الخليفة بالمنظرة بدار الملك التى يخرج من بابها الى العشارى وأسند اليه استدعى الوزير من مكانه فيحضر اليه ويخرج بين يديه الى أن يركب فى العشارى فيدخل البيت المذهب وحده ومعه من الاستاذين المحنكين من يأمره من ثلاثة الى أربعة ثم يطلع فى العشارى خواص الخليفة خاصة ورسم الوزير اثنان أوثلاثة من خواصه وليس فى العشارى من هو جالس سوى الخليفة باطنا والوزير ظاهرا فى رواق من باب البيت الذى هو بعرانيس من الجانبين قائمة مخروطة من أخف الخشب وهى مدهونة مذهبة وعليها من جانبيها ستور معمولة برسمها على قدرها فاذا اجتمع فى العشارى من جرت عادته بالاجتماع اندفع من باب القنطرة طالبا باب المقياس العالى على الدرج التى يعلوها النيل فيدخل الوزير ومعه الاستاذون بين يدى الخليفة الى الفسقية فيصلى هو والوزير ركعات كل واحد بمفرده فاذا فرغ من صلاته أحضرت الآلة التى فيها الزعفران والمسك فيديفها بيده بآلة ويتناولها صاحب بيت المال فيناولها الابن أبى الرداد فيلقى نفسه فى الفسقية وعليه غلالته وعمامته والعمود قريب من درج الفسقية فيتعلق فيه برجليه ويده اليسرى ويخلقه بيده اليمنى وقرّاء الحضرة من الجانب الآخر يقرؤن القرآن نوبة بنوبة ثم يخرج على فوره راكبا فى العشارى المذكور وهو بالخيار اما أن يعود الى دار الملك ويركب منها عائدا الى القاهرة أو ينحدر فى العشارى الى المقس فيتبعه الموكب الى القاهرة ويكون فى البحر فى ذلك اليوم ألف قرقورة مشحونة بالعالم فرحا بوفاء النيل وبنظر

الخليفة

الخليفة فاذا استقر بالقصر اهتم بركوب فتح الخليج وفيه همة عظيمة ظاهرة للابتهاج بذلك ثم يصير ابن أبي الرداد باكر ثاني ذلك اليوم الى القصر بالايوان الكبير الذي في الشباك الى باب الملك بجواره فيجد خلعة معباة هنالك فيؤمر بلبسها ويخرج من باب العيد شاقا بها بين القصرين من اوله قصد الاشاعة ذلك فان ذلك من علامة وفاء النيل ولاهل البلاد الى ذلك تطلع وتكون خلعة مذهبة وكان من العدول المحنكين فيشرف في الخلعة بالطيلسان المقور وينذب له من التغييرات ولمن يريده خمس تغييرات مركبات بالحلي ويحمل أمامه على أربع بغال مع أربعة من مستخدمي بيت المال أربعة اكياس في كل كيس خمسمائة درهم ظاهرة في اكفهم وبصحبته أقاربه وبنو عمه وأصدقاؤه وينذب له الطبل والبوق ويكتنف به عدة كثيرة من المتصرفين الرجالة فيخرج من باب العيد ويركب احدى التغييرات وهي أميزها وشرف أمامه بجملين من النقارات التي قدمنا ذكرها يعني في ركوب اول العام من زي الموكب فيسير شاقا القاهرة والابواق تضرب أمامه كبارا وصغارا والطبل وراءه مثل الامراء وينزل على كل باب يدخل منه الخليفة ويخرج من باب القصر فيقبله ويركب وهكذا يعمل كل من يخلع عليه من كبير وصغير من الامراء المطوقين الى من دونهم سيفا وقلما ويخرج من باب زويلة طالبا مصر من الشارع الاعظم الى مسجد عبد الله الى دار الانماط جائزا على الجامع الى شاطئ البحر فيعدي الى المقياس بخلعه واكياسه وهذه الاكياس معدة لارباب الرسوم عليه في خلعه ولنفسه ولبني عمه بتقرير من اول الزمان فاذا انقضى هذا الشان شرع في الركوب الى فتح الخليج ثاني يوم وقد كان وقع الاهتمام به منذ دخلت زيادة النيل ذراع الوفاء اهتماما عظيما فيعمل في بيت المال من التماثيل شكل الوحوش من الغزلان والسباع والفيلة والزرافات عدة وافرة منها ما هو ملبس بالعنبر ومنها ما هو ملبس بالصندل ثم شكل التفاح والاترج اللطيف والوحوش مفسرة الاعين والاعضاء بالذهب الى غير ذلك ثم تخرج الخيمة التي يقال لها القاتول لان فراشا سقط من أعلى عمودها فمات فسميت بذلك وطوله سبعون ذراعا واعلاه صفرية فضة تسع راوية ماء وعليه الفلكة التي كانت في الايوان الى قريب الوقت ثم يعمل في اول العمود شقة دائرة ثم اوسع منها ويتوالى ذلك الى احدى عشرة شقة فتصير سعة الخيمة ما يزيد على فدانين مستديرة وتنصب في بر الخليج الغربي على حافته مكان بستان الحلي اليوم وكانت ثم منظرة يقال لها السكرة برسم جلوس الخليفة لفتح الخليج في مثل هذا اليوم وينصب أرباب الرتب من الامراء من بحري تلك الخيمة الكبرى خياما كثيرة ويتمايزون فيها على قدر هممهم وضربهم اياها في الاماكن الاقرب فالاقرب على قدر رتبهم فاذا تم ذلك وعزم الخليفة على الركوب ثالث يوم التخليق أو رابعه أخرج كل من المستخدمين في المواضع المتقدم ذكرها في ركوب اول العام آلات الموكب على عادته ويزاد فيه اخراج أربعين بوقا عشرة من الذهب وثلاثون من الفضة ويكون بواقوها ركبانا وأرباب الابواق النحاس مشاة ومن الطبول الكبار التي مكان خشبها فضة عشرة فاذا حضر الوزير الى باب القصر خرج الخليفة في هيئة عظيمة وهمة عالية وقد تضاعفت همم الاجناد في ذلك اليوم فارسها وراجلها ويخرج زي الخليفة من المظلة والسيف والرمح والالوية والدواة وغير ذلك من الاستاذين المحنكين ويركب في ذلك اليوم من الاقارب المقيمين بالقصر عشرون أو ثلاثون وهم بالنوبة في كل سنة فيتقدمون الى المنظرة في مكان لهم صحبة استاذين لخدمتهم وحفظهم ويكون قد لف عمود الخيمة الكبرى المشار اليها اما بديباج أبيض أو أحمر أو أصفر من أعلاه الى أسفله وينصب مسندا اليه سرير الملك ويغشى بقرقوبي وعرانيسه ذهب ظاهرة فيخرج الخليفة للركوب ويركب فيخرج من باب القصر وعليه ثوب يقال له البدنة وهو كله ذهب وحرير مرقوم والمظلة من شكله ولا يلبس هذا الثوب في غير هذا اليوم ويسير بالموكب الهائل شاقا القاهرة من الطريق التي ركب منها لتخليق المقياس الا انه لا يدخل طرق مصر من الخشابين بل خارجها من طريق الساحل فاذا جاز على جامع ابن طولون وجد قد ربط من رأس المنارة من مكان العشاري النحاس حبل طويل قوي موضوع آخره في الطريق وفيه قوم يقال لهم الحبتارية واحد في زي فارس على شكل فرس وفي يده رمح وبكتفه درقة فينحدر على بكرة وفي رجليه آخر يمسكها وهو يتقلب في الهواء بطنا وظهرا حتى يصل الى الارض ويكون قاضي القضاة وأعيان الشهود جلوسا في باب الجامع من هذه الجهة فاذا وازاهم الخليفة وكانوا قد ركبوا اوقف لهم وقفة فيسلم على القاضي ثم يدخل فيقبل الرجل التي من جانبه لا غير ويدخل بالشهود

فى الفرجة أمام وجه الدابة بمقدار قصبة المساحة فيسلم عليهم ويرجعون الى دوابهم فيركبون ويكون قد نصب لهم بالقرب من الخيمة الكبرى خيمتان احداهما ديباج أحمر والاخرى دبيقى أبيض بصفارى فضة لكل واحدة فيتم الخليفة بهيئته الى أن يدخل من باب الخيمة ويكون الوزير قد تقدمه على العادة ليخدمه فيجده راجلا على باب الخيمة فيمشى بين يديه الى سرير الملك فينزل ويجلس على المرتبة المنصوبة فيه ويحيط به الاستاذون المحنكون والامراء المطوقون بعدهم ويوضع للوزير الكرسى الجارى به عادته فيجلس عليه ورجلاه تحت الارض ويقف أرباب الرتب صافين من ناحية سرير الملك الى ناحية الخيمة والقراء يقرؤن القرآن ساعة زمانية فاذا ختموا قراءتهم استاذن صاحب الباب على حضور الشعراء للخدمة بما يطلق هذا اليوم فيؤمر بتقديمهم واحدا بعد واحد ولهم منازل على مقدار أقدارهم فالواحد يتقدم الواحد بخطوة فى الانشاد وهو أمر معروف عند مستخدم يقال له النائب وتقدم شاعر يقال له ابن جبر وأنشد أقصيدة منها

فتح الخليج فسال منه الماء * وعلت عليه الراية البيضاء
فصفت موارده لنا فكأنه * كف الامام فعرفها الاعطاء

فانتقد الناس عليه فى قوله فسال منه الماء وقالوا اى شئ يخرج من البحر غير الماء فضيع ما قاله بعد هذا المطلع وتقدم شاعر يقال له مسعود الدولة بن جرير وأنشد

مازال هذا السد ينظر فتحه * اذن الخليفة بالنوال المرسل
حتى اذا برز الامام بوجهه * وسطا عليه كل حامل معول
فجرى كأن قد ديف فيه عنبر * يعلوه كافور بطيب المندل

فانتقدوا عليه ايضا قوله فى البيت الثانى وقالوا أهلك وجه الامام بسطوات المعاول عليه وان كان قصد فتح السد بالمعاول لكنه ما نظمه الا قلقا ثم تقدم له شاعر شاهد يقال له كافى الدولة ابو العباس احمد وأنشد قصيدة شهد له جماعة منهم القاضى الاثير بن سنان فانه عملها بحضوره بديها

لمن اجتماع الخلق فى ذا المشهد * للنيل أم لك يا ابن بنت محمد
أم لاجتماعكما معا فى موطن * واخيتما فيه لاصدق موعد
ليس اجتماع الخلق الا للذى * حاز الفضيلة منكما فى المولد
شكروا لكل منكما لوفائه * بالسعى لكن ميلهم للاجود
ولمن اذا اعتمد الوفاء فقعله * بالقصد ليس له كمن لم يقصد
هذا يفى ويعود ينقص تارة * وتسد أنت النقص ان لم يردد
وقواه ان بلغ النهاية قصرت * واذا بلغت الى النهاية تبتدى
فالآن قد ضاقت مسالك سعيه * بالسد فهو به بحال مقيد
فاذا أردت صلاحه فافتح * ليرى جنابا مخصبا وترى ندى
وأمر بفصد العرق منه فاشتكا * جسم فصح الجسم ان لم يفصد
واسلم الى امثال يومك هكذا * فى عيش مغبوط وعز مخلد

فأمر له على الفور بخمسين دينارا وخلع عليه وزيد فى جاريه ثم يقوم الخليفة عن السرير راكبا والوزير بين يديه حتى يطلع على المنظرة المعروفة بالسكرة وقد فرشت بالفرش المعدة لها فيجلس فيها ويتهيأ أيضا للوزير مكان يجلس فيه ويحيط بالسد حامى البساتين ومشارفها لانه من حقوق خدمتهما فتفتح احدى طاقات المنظرة ويطل منها الخليفة على الخليج وطاقة تقاربها يتطلع منها استاذ من الخواص ويشير بالفتح فيفتح بأيدى عمال البساتين بالمعاول ويخدم بالطبل والبوق من البرين فاذا اعتدل الماء فى الخليج دخلت العشاريات اللطاف ويقال لها السماويات وكانها خدم بين يدى العشارى الذهبى المقدم ذكره ثم العشاريات الخاص الكبار وهى ستة الذهبى المذكور والفضى والاحمر والاصفر واللازوردى والصقلى وكان أنشأه نجار من رؤسا الصناعة صقلى وزاد فيه على الانشاء المعتاد فنسب اليه وهذه العشاريات لا تخرج عن خاص الخليفة فى أيام النيل وتحوله الى اللؤلؤة للفرجة وسارت فى الخليج وعلى بيت كل منهما الستور الدبيقى الملونة وبرؤسها وفى أعناقها الاهلة وقلائد من

الخرز فتسند الى البر الذى فيه المنظرة الجالس فيها الخليفة فاذا استقر جلوس الخليفة والوزير بالمنظرة ودخل قاضى القضاة والشهود الخيمة الديبقى البيضاء وصلت المائدة من القصر فى الجانب الغربى من الخليج على رؤس الفراشين صحبة صاحب المائدة وعدتها مائة شدة فى الطيافير الواسعة وعليها القوارات الحرير وفوقها الطراحات ولها رواء عظيم ومسك فائح فتوضع فى خيمة واسعة منصوبة لذلك ويحمل للوزير ما هو مستقر له بعادة جارية ومن صوانى التماثيل المذكورة ثلاث صوان ويخصص منها أيضا لاولاده واخوته خارجا عن ذلك اكراما وافتقادا ويحمل الى قاضى القضاة والشهود شدة من الطعام الخاص من غير تماثيل توقيرا للشرع ويحمل الى كل أمير فى خيمته شدة طعام وصينية تماثيل ويصل من ذلك الى الناس شئ كثير ولا يزالون كذلك الى أن يؤذن بالظهر فيصلون ويقيمون الى العصر فاذا أذن به صلى وركب الموكب كله لانتظار ركوب الخليفة فيركب لابسا غير البدنة بل بهيئته والمظلة مناسبة لثيابه التى عليه والبتيمة والترتيب بأجمعه على حاله ويسير فى البر الغربى من الخليج شاقا البساتين هنالك حتى يدخل من باب القنطرة الى القصر والوزير تابعه على الرسم المعتاد ويتم فيه للقوم أحسن الايام ويمضى الوزير الى داره مخدوما على العادة ✱ وقال فى كتاب الذخائر والتحف ان المستعمل من الفضة فى قبة العشارى المعروف بالمقدم وقاربه وكسوة رحله فى سنة ست وثلاثين وأربعمائة فى وزارة على ابن أحمد الجرجرائى مائة ألف وسبعة وستون ألفا وسبعمائة درهم نقرة وان المطلق للصناع عن أجرة الصناعة وفى ثمن ذهب لطلائه خاصة ألفان وتسعمائة دينار وسبعون وكانت الفضة فى ذلك الوقت كل مائة درهم بستة دنانير وربع سعر ستة عشر درهما بدينار ولما تولى أبو سعيد سهل التسترى الوساطة سنة ست وثلاثين وأربعمائة استعمل لام المستنصر عشاريا يعرف بالفضى وحلى رواقه بفضة تقديرها مائة ألف وثلاثون ألف درهم ولزم ذلك أجرة الصناعة ولطلاء بعضه ألفان وأربعمائة دينار سوى كسوة له بمال جليل والمنفق على ستة وثلاثين عشاريا برسم النزه البحرية لآلاتها وحلاها من مناطق ورؤس منجوقات وأهلة وصفريات وغير ذلك أربعمائة ألف دينار وكانت العادة عندهم اذا حصل وفاء النيل أن يكتب الى العمال فمما كتب من انشاء تاج الرياسة أبى القاسم على بن منجب بن سليمان الصيرفى ✱ أما بعد فان أحق ما وجبت به التهنئة بالبشرى وغدت المسار منتشرة تتوالى وتترى وكان من اللطائف التى غمرت بالمنة العظمى والنعمة الجسيمة الكبرى ما استدعى الشكر لموجد العالم وخالقه وظلت النعمة به عامة لصامت الحيوان وناطقه وتلك الموهبة بوفاء النيل المبارك الذى يسره الله تعالى وله الحمد يوم كذا فان هذه العطية تؤدى الى خصب البلاد وعمارتها وشمول المصالح وغزارتها وتفضى بتضاعف المنافع والخيرات وتكاثر الارزاق والاقوات ويتساهم الفائدة فيها جميع العباد وتنتهى البركة بها الى كل دان وناء وكل حاضر وباد فأذع هذه النعمة قبلك وانشرها فى كل من يتدبر عملك وحثهم على مواصلة الشكر لهذه الالطاف الشاملة لهم ولك فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى وكتب أيضا ان اولى ما تضاعف به الابتهاج والجذل وانفسح فيه الرجاء واتسع الأمل ما عم نفعه صامت الحيوان وناطقه وأحدث لكل احد اغتباطا لزمه وآلى أن لا يفارقه وذلك ما من الله به من وفاء النيل المبارك الذى تحيى به كل أرض موات وتكتسى بعد اقشعرارها حلة النبات ويكون سببا لتوافر الاقوات فانه وفى المقدار الذى يحتاج اليه فلتذع هذه المنة فى القاصى والدانى لتستعمل الكافة بينهم ضروب البشائر والتهانى ان شاء الله تعالى وكتب أيضا من لطف الله الواجب حمده اللازم شكره وفضله الذى لا يمل بشره ولا يسأم ذكره ومنه الذى استبشر به الانام وتضاعف فيه الانعام ومثل الله الحياة به فى قوله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام أمر النيل المبارك الذى يعم النجود والتهائم وتنتفع به الخلائق وترتع فيما يظهره البهائم وقد توجه اليك بهذا الكتاب بهذه البشرى فلان فأجره على رسمه فى اظهاره مجملا وايصاله الى رسمه مكملا واذاعة هذه النعمة على الكافة ليتساهموا الاغتباط بها ويبالغوا فى الشكر لله سبحانه وتعالى بمقتضاها وعلى حسبها فاعلم ذلك واعمل به ان شاء الله تعالى

✱ (منظرة الدكة) ✱ وكان من جملة مناظر الخلفاء الفاطميين منظرة تعرف بالدكة لها بستان عظيم بجوار المقس فيما بينه وبين أراضى اللوق وما زالت باقية حتى زالت الدولة وحكر مكان البستان وصار خطة تعرف الى اليوم

بخط الدكة تخربت المنظرة وزال أثرها قال ابن عبد الظاهر الدكة بالمقس كانت بستانا وكان الخليفة اذا ركب من كسر الخليج من السكرة بمظلته يسير فى البر الغربى ومضارب الناس والامراء وخيمهم عن يمينه وشماله الى أن يصل الى هذا البستان المعروف بالدكة وقد غلقت أبوابه ودهاليزه فيدخل اليه بمفرده ويسقى منه الفرس الذى تحته وهى قضية ذكرا المؤرخ للسيرة المأمونية انهم كانوا يعتمدونها الى آخر وقت ولم يعلم سببها ثم يخرج ويسير الى أن يقف على الترعة الآتى ذكرها ويدخل من باب القنطرة وينزل الى القصر والدكة الآن آدر وحارات شهرتها تغنى عن وصفها فسبحان من لا يتغير * وقال ابن الطوير عن الظاهر لاعزاز دين الله أبى هاشم على بن الحاكم بأمر الله كان بمنظرة يقال لها الدكة بساحل المقس يعنى انه مات بها

(منظرة المقس) وكان من جملة مناظرهم أيضا منظرة بجوار جامع المقس الذى تسميه العامة اليوم جامع المقسى وكانت هذه المنظرة بحرى الجامع المذكور وهى مطلة على النيل الاعظم وكان حينئذ ساحل النيل بالمقس وكانت هذه المنظرة معدة لنزول الخليفة بها عند تجهيز الاسطول الى غزو الفرنج فتحضر رؤساء المراكب بالشوانى وهى مزينة بأنواع العدد والسلاح ويلعبون بها فى النيل حيث الآن الخليج الناصرى تجاه الجامع وما وراء الخليج من غربيه قال ابن المأمون وذكر تجهيز العساكر فى البر عند ورود كتب صاحبى دمشق وحلب فى سنة سبع عشرة وخمسمائة مما يحث على غزو الفرنج ومسيرها مع حسام الملك وركب الخليفة الآمر بأحكام الله وتوجه الى الجامع بالمقس وجلس بالمنظرة فى أعلاه واستدعى مقدم الاسطول الثانى وخلع عليه وانحدرت الاساطيل مشحونة بالرجال والعدد والآلات والاسلحة واعتمد ما جرت العادة به من الانعام عليهم وعاد الخليفة الى البستان المعروف بالبعل الى آخر النهار وتوجه الى قصره بعد تفرقة جميع الرسوم والصدقات والهبات الجارى بها العادة فى الركوبات * وقال ابن الطوير فاذا تكملت النفقة وتجهزت المراكب وتهيأت للسفر ركب الخليفة والوزير الى ساحل المقس وكان هناك على شاطئ البحر بالجامع منظرة يجلس فيها الخليفة برسم وداعه يعنى الاسطول ولقائه اذا عاد فاذا جلس هو والوزير للوداع جاءت القواد بالمراكب من مصر الى هناك للحركات فى البحر بين يديه وهى مزينة بأسلحتها ولبوسها وفيها المنجنيقات تلعب فتنحدر وتقلع بالجاذيف كما يفعل فى لقاء العدو بالبحر الملح ويحضر بين يدى الخليفة المقدم والرئيس فيوصيهما ويدعو للجماعة بالنصرة والسلامة ويعطى المقدم مائة دينار والرئيس عشرين دينارا وتنحدر الى دمياط وتخرج الى البحر الملح فيكون لها ببلاد العدو صيت وهيبة فاذا وقع لهم مركب لا يسألون عما فيه سوى الصغار والرجال والنساء والسلاح وما عدا ذلك فللاسطول واتفق مرة أن قدم على الاسطول سيف الملك الجمل فكسب بطشة عظيمة فيها ألف وخمسمائة شخص بعد أن بعث عليهم بالقتال وقتل منهم نحوا من مائة وعشرين رجلا وحضر الى القاهرة ففرح الخليفة وركب الى المقس وجلس بالمنظرة للقائهم وأطافوا الاسرى بين يديه تحت المنظرة من جانب البر فاستدعيت الجمال لركوبهم وشق بهم القاهرة ومصر وهم كل اثنين على جمل ظهرا لظهر وعاد الخليفة الى القصر فجلس فى احدى مناظره لنظرهم فى جوازهم فلما عادوا بهم من مصر صاروا بهم الى المناخات فصح منهم ألف رجل فانضافوا الى من فى المناخ وأما النساء والصبيان فانهم دخلوا بهم الى القصر بعد أن حمل منهم للوزير نصيب وافر وأخذ الجهات والاقارب بقيتهن فيستخدمونهن ويعلمونهن الصنائع ويتولى الاستاذون تربية الصبيان وتعليمهم الخط والرماية ويقال لهم الترابى ومن استريب به من الاسرى ونبه عليه بقوة أوقع به والشيخ الذى لا ينتفع به يمضى فيه حكم السيف بمكان يقال له بئر المنامة فى الخراب قريب مصر ولم يسمع على الدولة قط انها فادت أسيرا بمال ولا بأسير مثله وهذه الحال فى كل سنة آخذة فى الزيادة لا النقص وقدم على الاسطول مرة أمير يقال له حرب بن فور صاحب الحاجب لؤلؤ فكسب بطشة حصل فيها خمسمائة رجل انتهى وقد خربت هذه المنظرة وكان موضعها برج كبير صار يعرف فى الدولة الايوبية بقلعة المقس مشرف على النيل فلما جدد الصاحب الوزير شمس الدين عبد الله المقسى جامع المقس على ما هو عليه الآن فى سنة سبعين وسبعمائة هدم هذا البرج وجعل مكانه جنينة شرقى الجامع وتحدث الناس انه وجد فيه مالا والله أعلم

(منظرة البعل) وكان من مناظرهم بظاهر القاهرة منظرة فى بستان انيق يعرف بالبعل أنشأه الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى وموضع هذا البستان الى اليوم يعرف بالبعل وصارت أرضه مزرعة

فى جانب الخليج الغربى بجرى أرض الطبالة فى كوم الريش مقابل قناطر الاوز وقد خربت المنظرة وبقى منها آثار أدركتها يعطن بها الكتان تدل على عظمها وجلالتها فى حال عمارتها وكانت منظرة البعل من أجل منتزهاتهم وكان لهم بها أوقات عمية المبرات جليلة الخيرات * قال ابن المأمون فأما يوم السبت والثلاثاء فيكون ركوب الوزير من داره بالرهجية ويتوجه الى القصر فيركب الخليفة الى ضواحى القاهرة للنزهة فى مثل الروضة والمشتهى ودار الملك والتاج والبعل وقبة الهواء والخمسة وجوه والبستان الكبير وكان لكل منظرة منهن فرش معلوم مستقر فيها من الايام الافضلية للصيف والشتاء وتفرق الرسوم ويسلم لمقدمى الركاب اليمين والشمال لكل واحد عشرون دينارا وخمسون رباعيا ولتالى مقدم الركاب اليمين مائة كاغدة فى كل كاغدة ثلاثة دراهم ومائة كاغدة فى كل كاغدة درهمان ولتالى مقدم الشمال مثل ذلك فأما الدنانير فلكل باب يخرج منه من البلد دينار ولكل باب يدخل منه دينار ولكل جامع يجتاز عليه دينار ما خلا جامع مصر فان رسمه خمسة دنانير ولكل مسجد يجتاز عليه رباعى ولكل من يقف ويتلو القرآن كاغدة والفقراء والمساكين من الرجال والنساء لكل من يقف كاغدة ولكل من يركب الخليفة ديناران ويكون مع هذا متولى صناديق الانفاق يحجب الخليفة وبيده خريطة ديباج فيها خمسمائة دينار لما عساه يؤمر به فاذا حصل فى احدى المناظر المذكورة فرق من العين ما مبلغه سبعة وخمسون دينارا ومن الرباعية مائة وستة وثمانون دينارا للحواشى والاستاذين وأصحاب الدواوين والشعراء والمؤذنين والمقرئين والمنجمين وغيرهم ومن الخراف الشواء خمسون رأسا منها طبقان حارة مكملة مشورة برسم المائدة الخاص مضافا لما يحضر من القصور من الموائد الخاص والحلاوات وطبق واحد برسم مائدة الوزير وبقية ذلك بأسماء أربابه ورأسا بقر برسم الهرائس فاذا جلس الخليفة على المائدة استدعى الوزير وخواصه ومن جرت العادة بجلوسه معه ومن تأخر عن المائدة ممن جرت عادته بحضورها حمل اليه من بين يدى الخليفة على سبيل التشريف وعند عود الخليفة الى القصر يحاسب متولى الدفتر مقدمى الركاب على ما أنفق عليه فى مسافة الطريق من جامع ومسجد وباب ودابة وأما تفرقة الصدقات فهم فيها على حكم الامانة قال واذا وقع الركوب الى الميادين جرى الحال فيها على الرسم المستقر من الانعام ويؤمر متولى خزائن الخاص وصناديق الانفاق أن يكون معه خريطة فى السرج ديباج تسمى خريطة الموكب فيها ألف دينار معدة لمن يؤمر بالانعام عليه فى حال الركوب

(منظرة التاج) هى من جملة المناظر التى كانت الخلفاء تنزلها للنزهة بناها الافضل بن أمير الجيوش وكان لها فرش معد لها للشتاء والصيف وقد خربت ولم يبق لها سوى أثر كوم توجد تحته الحجارة الكبار وما حول هذا الكوم صار مزارع من جملة أراضى منية الشيرج قال ابن عبد الظاهر وأما التاج فكان حوله البساتين عدة وأعظم ما كان حوله قبة الهواء وبعدها الخمس وجوه التى هى باقية

(منظرة الخمس وجوه) كانت أيضا من مناظرهم التى يتنزهون فيها وهى من انشاء الافضل بن أمير الجيوش وكان لها فرش معد لها وبقى منها آثار بناء جليل على بئر متسعة كان بها خمسة أوجه من المحال الخشب التى تنقل الماء لسقى البستان العظيم الوصف البديع الزى البهيج الهيئة والعامة تقول التاج والسبع وجوه الى الآن وموضعها الى وقتنا هذا من أعظم متفرجات القاهرة وينبت هنالك فى أيام النيل عندما يعم تلك الاراضى البشنين فتفتن رؤيته وتبهج النفوس نضارته وزينته فاذا نضب ماء النيل زرعت تلك البسطة قرطا وكتانا يقصر الوصف عن تعداد حسنه وأدركت حول الخمس وجوه غروسا من نخل وغيره تشبه أن تكون من بقايا البستان القديم وقد تلاشت الآن ثم ان السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودى الظاهرى جدد عمارة منظرة فوق الخمس وجوه ابتدأ بناءها فى يوم الاثنين أول شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة

(منظرة باب الفتوح) وكان للخلفاء الفاطميين منظرة خارج باب الفتوح وكان يومئذ ما خرج عن باب الفتوح براحا فيما بين الباب وبين البساتين الجيوشية وكانت هذه المنظرة معدة لجلوس الخليفة فيها عند عرض العساكر ووداعها اذا سارت فى البر الى البلاد الشامية قال ابن المأمون وفى هذا الشهر يعنى المحرم سنة سبع عشرة وخمسمائة وصلت رسل ظهير الدين طغدكين صاحب دمشق وآق سنقر صاحب حلب بكتب

الى الخليفة الآمر باحكام الله والى الوزير المأمون الى القصر فاستدعوا التقبيل الارض كما جرت العادة من اظهار التجمل وكان مضمون الكتب بعد التصدير والتعظيم والسؤال والضراعة أن الاخبار تظافرت بقلة الفرنج بالاعمال الفلسطينية والثغور الساحلية وأن الفرصة قد أمكنت فيهم والله قد أذن بهلاكهم وأنهم ينتظرون انعام الدولة العلوية وعوايدا فضالها ويستنصرون بقوتها ويحثون على نصرة الاسلام وقطع دابر الكفر وتجهيز العساكر المنصورة والاساطيل المظفرة والمساعدة على التوجه نحوهم لئلا يتواصل مدد هم وتعود الى القوة شوكتهم فقوى العزم على النفقة فى العساكر فارسها وراجلها وتجريدها وتقدم الى الازمة باحضار الرجال الاقوياء وابتدئ بالنفقة فى الفرسان بين يدى الخليفة فى قاعة الذهب وأحضر الوزانون وصناديق المال وأفرغت الاكياس على البساط واستمر الحال بعد ذلك فى الدار المأمونية وتردد الرأى فيمن يتقدم فوقع الاتفاق على حسام الملك البرنى وأحضر مقدم الاساطيل الثانية لان الاساطيل توجهت فى الغزو وخلع عليه وأمر بأن ينزل الى الصناعتين بمصر والجزيرة وينفق فى أربعين شينيا ويكمل نفقاتها وعددها ويكون التوجه بها صحبة العسكر وأنفق فى عشرين من الامراء للتوجه صحبته فكملت النفقة فى الفارس والراجل وفى الامراء السائرين وفى الاطباء والمؤذنين والقراء وندب من الحجاب عدة وجعل لكل منهم خدمة فمنهم من يتولى خزانة الخيام وسيرمعه من حاصل الخزائن برسم ضعفاء العسكر ومن لا يقدر على خيمة خيم ومنهم حاجب على خزائن السلاح وأنفق فى عدة من كتاب ديوان الجيش لعرض العساكر وفى كتاب العربان وأحضر مقدمو الحراسين بالحفار وتقدم اليها بأنه من تأخر عن العرض بعسقلان وقبض النفقة فلا واجب له ولا اقطاع وكتبت الكتب الى المستخدمين بالثغور الثلاثة الاسكندرية ودمياط وعسقلان باطلاق وابتياع ما يستدعى برسم الاسمطة على ثغر عسقلان للعساكر والعربان من الاصناف والغلال ووقع الاهتمام بنجاز أمر الرسل الواصلين وكتبت الاجوبة عن كتبهم وجهز المال والخلع المذهبات والاطواق والسيوف والمناطق الذهب والخيل بالمراكب الحلى الثقال وغير ذلك من التجملات وخلع على الرسل وأطلق لهم التغيير وسلمت اليهم الكتب والتذاكر وتوجهوا صحبة العسكر وركب الخليفة الآمر بأحكام الله الى باب الفتوح ونظر بالمنظرة واستدعى حسام الملك وخلع عليه بدلة جليلة مذهبة وطوقه بطوق ذهب وقلده ومنطقه بمثل ذلك ثم قال الوزير المأمون للامراء بحيث يسمع الخليفة هذا الأمير مقدمكم ومقدم العساكر كلها وما وعد به انجزته وما قرره امضيته فقبلوا الارض وخرجوا من بين يديه وسلم متولى بيت المال وخزائن الكسوة لحسام الملك الكتب بما ضمنته الصناديق من المال وأعدال الكسوات وحملت قدامه وفتحت طاقات المنظرة فلما شاهد العساكر الخليفة قبلوا الارض فأشار اليهم بالتوجه فساروا بأجمعهم وركب الخليفة وتوجه الى الجامع بالمقس وجلس بالمنظرة واستدعى مقدم الاسطول وخلع عليه وانحدرت الاساطيل مشحونة بالرجال والعدة

(منظرة الصناعة) وكان من جملة مناظر الخلفاء منظرة بالصناعة فى الساحل القديم من مصر يجلس بها الخليفة تارة حتى تقدم له العشاريات فيركبها ويسير للمقياس حتى يخلق بين يديه عند الوفاء وكان بهذه الصناعة ديوان العمائر وأنشأ هذه المنظرة والصناعة التى هى فيها الوزير المأمون ولم تزل الى آخر الدولة ودهليزها مادّ بمصاطب مفروشة بالحصر العبدانى بسطا وتأزيرا وقد خربت هذه الصناعة والمنظرة وصار موضعهما الآن بستانا كان يعرف ببستان ابن كيسان ويعرف فى زمننا هذا الذى نحن فيه الآن ببستان الطواشى وهو بأول مراغة مصر تجاه غيط الجرف على يسرة من يسلك من المراغة يريد الكبارة وباب مصر قال ابن المأمون وكانت جميع مراكب الاساطيل ما تنشأ الا بالصناعة التى بالجزيرة فأنكر الوزير المأمون ذلك وأمر بان يكون انشاء الشوانى وغيرها من المراكب النيلية الديوانية بالصناعة بمصر وأضاف اليها دار الزبيب وأنشأ المنظرة بها واسمه باق الى الآن عليها وقصد بذلك أن يكون حلول الخليفة يوم تقدمة الاساطيل ورميها بالمنظرة المذكورة وأن يكون ما ينشأ من الحرانى والشلنديات فى الصناعة بالجزيرة قال ولما وفى النيل ستة عشر ذراعا ركب الخليفة والوزير الى الصناعة بمصر ورميت العشاريات بين أيديهما ثم عديا فى احداها الى المقياس وقال ابن الطوير الخدمة فى ديوان الجهاد ويقال له ديوان العمائر وكان محله بصناعة الانشاء بمصر للاسطول والمراكب الحاملة للغلات السلطانية والاحطاب وغيرها وكانت تزيد على خمسين عشاريا ويليها عشرون ديماسا

منها عشرة برسم خاص الخليفة أيام الخليج وغيرها ولكل منها رئيس ونواتى لايبرحون ينفق فيهم من مال هذا الديوان وبقية العشاريات الدواميس برسم ولاة الاعمال المميزة فهى تجرّلهم وينفق فى روسائها ورجالها أينما كانوا من مال هذا الديوان وتقيم مع أحدهم مدة مقامه فاذا اصرف عادفيه وخرج المتولى الجديد فى العشارى المرسى بالصناعة ولايخرج الا بتوقيع باطلاقه والانفاق فيه وللمشارفين بالاعمال عشاريات دون هذه وفى هذا الديوان برسم خدمة مايجرى فى الاساطيل نائبان من قبل مقدّم الاسطول وفيه من الحواصل لعمارة المراكب شئ كثير واذالم يف ارتفاعه بما يحتاج اليه استدعى له من بيت المال مايستدخله قال وكان من أهم أمورهم احتفالهم بالاساطيل والاجناد ومواصلة انشاء المراكب بمصر والاسكندرية ودمياط من الشوانى الحربية والشلنديات والمسطحات الى بلاد الساحل حين كانت بأيديهم مثل صور وعكا وعسقلان وكانت جريدة قواده أكثر من خمسة آلاف مدوّنة منهم عشرة أعيان تصل جامكية كل منهم الى عشرين دينارا ثم الى خمسة عشر ثم الى عشرة دنانير ثم الى ثمانية ثم الى دينارين وهى أقلها ولهم اقطاعات تعرف بأبواب الغزاة بمافيه من النطرون فيصل دينارهم بالمناسبة الى نصف دينار وحواليه ويعين من هؤلاء القواد العشرة من يقع الاجماع عليه لرياسة الاسطول المتوجه للغزو فيكون معه الفانوس وكلهم يهتدون به ويقلعون باقلاعه ويرسون بارسائه ويقدّم على الاسطول أمير كبير من أعيان الامراء وأقواهم جنانا ويتولى النفقة فيهم للغزو الخليفة بنفسه بحضور الوزير فاذا أراد النفقة فيما تعين من عدّة المراكب السائرة وكانت آخر وقت تزيد على خمسة وسبعين شينيا وعشر مسطحات وعشر حمالة فيتقدم الى النقباء باحضار الرجال ويسمع بذلك من هو خارج مصر والقاهرة فيدخل اليها ولهم المشاهرة والجرايات المتقررة مدة أيام السفر وهم معروفون عند عشرين نقيبا ولايعترض أحد أحدا الامن رغب فى ذلك من نفسه فاذا اجتمعت العدّة المغلقة للمراكب المطلوبة أعلم المقدّم بذلك الوزير فطالع الخليفة بالحال وفرز يوم للنفقة فحضر الوزير بالاستدعاء على العادة فيجلس الخليفة على هيئته فى مجلس ويجلس الوزير فى مكانه ويحضر صاحبا ديوان الجيش وهما المستوفى وهو أميرهما ويجلس داخل عتبة المجلس وهذه رتبة له مميزة وكاتب الجيش الاصل ويجلس بجانبه تحت العتبة على حصر مفروشة بالقاعة ولايخلو المستوفى أن يكون عدلا أومن أعيان الكتاب المسلمين وأما كاتب الجيش فيهودى فى الاغلب ويفرش أمام المجلس أنطاع تصب عليها الدراهم ويحضر الوزانون بيت المال لذلك فاذا تهيأ الانفاق أدخل القابضون مائة مائة ويقفون فى آخر الوقوف بين يدى الخليفة من جانب واحد نقابة نقابة وتكون أسماؤهم قد رتبت فى أوراق لاستدعائهم بين يدى الخليفة ويستدعى مستوفى الجيش من تلك الاوراق واحدا واحدا فاذا خرج اسمه عبر من الجانب الذى هو فيه الى الجانب الخالى فاذا تكمل عشرة رجال وزن الوزانون لهم النفقة وكانت لكل واحد خمسة دنانير صرف كل دينار ستة وثلاثون درهما فيتسلمها النقيب وتكتب بيده وباسمه وتمضى النفقة كذلك الى آخرها فاذا تم ذلك اليوم ركب الوزير من بين يدى الخليفة وانفض ذلك الجمع فيحمل من عند الخليفة مائدة يقال لها غداء الوزير وهى سبع مجيفات أوساط احداها بلحم دجاج وفستق والبقية من شواء وهى مكمورة بالازهار فتكون هذه عدّة أيام تارة متوالية وتارة متفرّقة فاذا تكملت النفقة وتجهزت المراكب وتهيأت للسفر ركب الخليفة والوزير الى ساحل المقس وذكر ابن أبى طى أن المعز لدين الله أنشأ ستمائة مركب لم ير مثلها فى البحر على مدينة وعمل دار صناعة بالمقس

(دار الملك) وكان من جملة مناظرهم دار الملك بمصر وهى من انشاء الافضل بن أمير الجيوش ابتدأ فى بنائها وانشائها فى سنة احدى وخمسمائة فلما كملت تحوّل اليها من دار القباب بالقاهرة وسكنها وحوّل اليها الدواوين من القصر فصارت بها وجعل فيها الاسمطة واتخذ بها مجلسا سماه مجلس العطايا كان يجلس فيه فلما قتل الافضل صارت دار الملك هذه من جملة منتزهات الخلفاء وكان بها بستان عظيم ومازالت عظيمة الى أن انقرضت الدولة فجعلها الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب دار متجر ثم عملت فى أيام الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى دار وكالة وموضع دار الملك ماوراء حبة الخروب بجوار المدرسة المعزية وبقى منها جدار يجلس تحته بياعو الحناء * قال ابن المأمون ومن جملة ماقرره القائد أبو عبد الله من تعظيم المملكة وتفخيم أمر السلطنة أن

المجلس الذى يجلس فيه الافضل بدار الملك يسمى مجلس العطايا فقال القائد مجلس يدعى بهذا الاسم مايشاهد فيه دينار يدفع لمن يسأل وأمر بتفصيل ثمان ظروف ديباج أطلس من كل لون اثنين وجعل فى سبعة منها خمسة وثلاثين ألف دينار فى كل ظرف خمسة آلاف دينار سكب وبطاقة بوزنه وعدده وشرّابة حرير كبيرة من ذلك ستة ظروف دنانير بالسوية عن اليمين والشمال فى مجلس العطايا الذى برسم الجلوس وعند مرتبة الافضل بقاعة اللؤلؤة ظرفان أحدهما دنانير والآخر دراهم جدد فالذى فى اللؤلؤة برسم مايستدعيه الافضل اذا كان عند الحرم وأمّا الذى فى مجلس العطايا فان جميع الشعراء لم يكن لهم فى الايام الافضلية ولا فيما قبلها على الشعر جار وانما كان لهم اذا اتفق طرب السلطان واستحسانه لشعر من أنشد منهم مايسهله الله على حكم الجائزة فرأى القائد أن يكون ذلك من بين يديه من الظروف وكذلك من يتضرّع ويسأل فى طلب صدقة أو ينعم عليه ابتداء بغير سؤال يخرج ذلك من الظروف واذا انصرف الحاضرون نزل القائد المبلغ بخطه فى البطاقة ويكتب عليه الافضل بخطه صح ويعاد الى الظرف ويختم عليه فلما استهل رجب من سنة اثنى عشرة وخمسمائة وجلس الافضل فى مجلس العطايا على عادته وحضر الاجلّ المظفر أخوه للهناء وجلس بين يديه وشاهد الظروف والقائد وولده وأخوه قيام على رأسه وتقدمت الشعراء على طبقاتهم أمر لكل منهم بجائزة وشاع خبر الظروف وكثر القول فيها واستعظم أمرها وضوعف مبلغها واتسع هذا الانعام بالصدقات الجارى بها العادة فى مثل هذا الشهر لفقهاء مصر والرباطات بالقرافة وفقرائها * وقال ابن الطوير وقد ذكر ركوب الخليفة فى أوّل العام وحضور الغرّة وينقطع الركوب بعد هذا اليوم الذى هو أوّل العام فيركبون فى آحاد الايام الى أن يكمل شهر ولا يتعدّى ذلك يومى السبت والثلاثا فاذا عزم الخليفة على الركوب فى احد هذه الايام اعلم بذلك وعلامته انفاق الاسلحة فى صبيان الركاب من خزانة السلاح خاصة دون ماسواها واكثر ذلك الى مصر ويركب الوزير صحبته من ورائه على اخصر من النظام المتقدّم يعنى فى ركوب أوّل العام وأقل جمع فيخرج شاقا القاهرة وشوارعها على الجامع الطولونىّ على المشاهد الى درب الصفاء ويقال له الشارع الاعظم الى دار الانماط الى الجامع العتيق فاذا وصل الى بابه وجد الشريف الخطيب قد وقف على مصطبة بجانبه فيها محراب مفروشة بحصر معلق عليها سجادة وفى يده المصحف المنسوب خطه الى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وهو من حاصله فاذا وازاه وقف فى موضعه وناوله المصحف من يده فيتسلمه منه ويقبله ويتبرّك به مرارا ويعطيه صاحب الخريطة المرسومة للصلات ثلاثين دينارا وهى رسمه متى اجتازبه فيوصلها الشريف الى مشارف الجامع فيكون نصيبهما منها خمسة عشر دينارا والباقى للقومة والمؤذنين دون غيرهم ويسير الى أن يصل دار الملك فينزلها والوزير معه ومنذ يخرج من باب القصر الى أن يصل الى دار الملك لايمرّ بمسجد الا أعطى قيمه من الخريطة دينارا فلا يزال بدار الملك نهاره فتأتيه المائدة من القصر وعدّتها خمسون شدّة على رؤس الفرّاشين مع صاحب المائدة وهو أستاذ جليل غير محنك وكل شدّة فيها طيفور فيها الاوانى الخاص وفيها من الاطعمة الخاص من كل نوع شهىّ وكل صنف من المطاعم العالية ولها رواء ورائحة المسك فائحة منها وعلى كل شدّة طرحة حرير تعلو القوّارة التى هى الشدّة فيحمل الى الوزير منها جزء وافر ولمن صحبه وللامراء ولكافة الحاضرين فى الخدمة ويصل منها الى الناس بمصر بين بعضهم بعضا شئ كثير ولا يزال الى أن يؤذن عليه بالعصر فيصلى ويتحرّك الى العود الى القاهرة والناس فى طريقه لنظره فيركب وزيه فى هذه الايام انه يلبس الثياب المذهبة البياض والملوّنة والمنديل من النسبة وهو مشدود وشدّة مفردة عن شدّات الناس وذؤابته مرخاة من جانبه الأيسر ويتقلد بالسيف العربى بالجوهر بغير حنك ولا مظلة ولا يتيمة فانّ ذلك فى أوقات مخصوصة ولا يمرّ أيضا بمسجد فى سلوكه فى هذه الطريق بالساحل الا ويعطى قيمه دينارا أيضا كما جرى فى الرواح وينعطف من باب الخرق ويدخل من باب زويلة شاقا القاهرة حتى يدخل القصر فيكون ذلك من المحرّم الى شهر رمضان امّا أربع مرّات أو خمس مرّات ومن شعر الاسعد اسعد بن مهذب بن زكريا بن أبى مليح مما فى دار الملك هذه

حللت بدار الملك والنيل آخذ * بأطرافها والموج يوسعها ضربا
تخيلته قد غار لما وطئتها * عليها فأضحى عند ذا لها حربا

بنتها

بنتها السيدة تغريد أم العزيز بالله بن المعز ولم يكن بمصر أحسن منها وكانت مطلة على النيل لا يحجبها شئ عن نظره ومازال الخلفاء من بعد العزيز يتداولونها وكانت معدة لنزهتهم وكان بجوارها حمام ولها منها باب وموضعها الآن مدرسة تعرف بالمدرسة التقوية منسوبة للملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادى

(الهودج) وكان من منتزهاتهم العظيمة البناء العجيبة البديعة الزى بناء فى جزيرة الفسطاط التى تعرف اليوم بالروضة يقال له الهودج بناه الخليفة الآمر بأحكام الله لمحبوبته البدوية التى غلب عليه حبها بجوار البستان المختار وكان يتردد اليه كثيرا وقتل وهو متوجه اليه ومازال منتزها للخلفاء من بعده قال ابن سعيد فى كتاب المحلى بالاشعار قال القرطبى فى تاريخه تداكر الناس فى حديث البدوية وابن مياح من بنى عمها وما يتعلق بذلك من ذكر الآمر حتى صارت رواياتهم فى هذا الشأن كأحاديث البطال وألف ليلة وليلة وما أشبه ذلك والاختصار منه أن يقال ان الآمر كان قد بلى بعشق الجوارى العربيات وصارت له عيون بالبوادى فبلغه أن جارية بالصعيد من أكمل العرب وأظرفهم شاعرة جميلة فيقال انه تزيا بزى بداة الاعراب وكان يجول فى الاحياء الى أن انتهى الى حيها وبات هنالك فى ضائفة وتحيل حتى عاينها هنالك فما ملك صبره ورجع الى مقر ملكه وأرسل الى أهلها يخطبها وتزوجها فلما وصلت صعب عليها مفارقة ما اعتادته وأحبت أن تسرح طرفها فى الفضاء ولا تنقبض نفسها تحت حيطان المدينة فبنى لها البناء المشهور فى جزيرة الفسطاط المعروف بالهودج وكان غريب الشكل على شط النيل وبقيت متعلقة الخاطر بابن عم لها ربيت معه يعرف بابن مياح فكتبت اليه من قصر الآمر

يا ابن مياح اليك المشتكى * مالك من بعدكم قد ملكا
كنت فى حيى مطاعا آمرا * نائلا ما شئت منكم مدركا
فأنا الآن بقصر مرصد * لا أرى الا خبيثا ممسكا
كم تثنينا كأغصان اللوا * حيث لا نخشى علينا دركا

فأجابها

بنت عمى والتى غذيتها * بالهوى حتى علا واحتبكا
بحت بالشكوى وعندى ضعفها * لو غدا ينفع منا المشتكى
مالك الامر اليه اشتكى * مالك وهو الذى قد ملكا

قال وللناس فى طلب ابن مياح واختفائه أخبار تطول وكان من عرب طى فى قصر الآمر طراد بن مهلهل السنبسى فبلغته هذه القضية فقال

ألا بلغوا الآمر المصطفى * مقال طراد ونعم المقال
قطعت الاليفين عن ألفة * بها سمر الحى بين الرجال
كذا كان آباؤك الاكرمون * سالت فقل لى جواب السؤال

فقال الخليفة الآمر لما بلغته الابيات جواب سؤاله قطع لسانه على فضوله وطلب فى أحياء العرب فلم يوجد فقالت العرب ما أخسر صفقة طراد باع أبيات الحى بثلاثة أبيات وكان بالاسكندرية مكين الدولة أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن احمد بن الحسن بن حديد له مروءة عظيمة ويحتذى أفعال البرامكة وللشعراء فيه أمداح كثيرة مدحه ظافر الحداد وأمية بن أبى الصلت وغيرهما وكان له بستان يتفرج فيه به جرن كبير من رخام وهو قطعة واحدة وينحدر فيه الماء فيبقى كالبركة من كبره وكان يجد فى نفسه برؤيته زيادة على أهل التنعم والمباهاة فى عصره فوشى به للبدوية محبوبة الآمر فسألت الخليفة الآمر فى حمل الجرن اليها فأرسل الى ابن حديد باحضار الجرن فلم يجد بدا من حمله من البستان فلما صار الى الآمر أمر بعمله فى الهودج فقلق ابن حديد وصارت فى قلبه حرارة من أخذ الجرن فأخذ يخدم البدوية ومن يلوذ بها بأنواع الخدم العظيمة الخارجة عن الحد فى الكثرة حتى قالت البدوية هذا الرجل أخجلنا بكثرة تحفه ولم يكلفنا قط امرا نقدر عليه عند الخليفة ولا نافلما قيل له هذا القول عنها قال مالى حاجة بعد الدعاء لله بحفظ مكانها وطول حياتها فى عز غير رد الفسقية التى قلعت من دارى التى بنيتها

في أيامهم من نعمتهم ترد الى مكانها فتعجبت من ذلك ورددتها عليه فقيل له حصلت في حد أن خير تلك البدوية في
جميع المطالب فنزلت منها الى قطعة حجر فقال أنا أعرف بنفسي ما كان لها أمل سوى أن لا تغلب في أخذ ذلك
الحجر من مكانه وقد بلغها الله أملها وكان هذا الممكن متولي قضاء الاسكندرية ونظرها في أيام الآمر وبلغ
من علو همته وعظم مروءته أن سلطان الملوك حيدرة أخا الوزير المأمون بن البطائحي لما قلده الآمر ولاية
ثغر الاسكندرية في سنة سبع عشرة وخمسمائة وأضاف اليه الاعمال البحرية ووصل الى الثغر ووصف له
الطبيب دهن شمع بحضور القاضي المذكور فأمر في الحال بعض غلمانه بالمضي الى داره لاحضار دهن شمع
فما كان أكثر من مسافة الطريق الا أن أحضر حقا مختوما ففك عنه فوجد فيه منديل لطيف مذهب على مداف
بلور فيه ثلاثة بيوت كل بيت عليه قبة ذهب مشبكة مرصعة بياقوت وجوهر بيت دهن بمسك وبيت دهن
بكافور وبيت دهن بعنبر طيب ولم يكن فيه شئ مصنوع لوقته فعندما أحضره الرسول تعجب المؤتمن
والحاضرون من علو همته فعندما شاهد القاضي ذلك بالغ في شكر انعامه وحلف بالحرام ان عاد الى ملكه فكان
جواب المؤتمن قد قبلته منك لا لحاجة اليه ولا لنظر في قيمته بل لاظهار هذه الهمة واذاعتها وذكر أن قيمة هذا
المداف وما عليه خمسمائة دينار فانظر رحمك الله الى من يكون دهن الشمع عنده في اناء قيمته خمسمائة دينار
ودهن الشمع لا يكاد أكثر الناس يحتاج اليه البتة فماذا تكون ثيابه وحلي نسائه وفرش داره وغير ذلك من
التجملات وهذا انما هو حال قاضي الاسكندرية ومن قاضي الاسكندرية بالنسبة الى أعيان الدولة بالحضرة
وما نسبة أعيان الدولة وان عظمت أحوالهم الى أمر الخلافة وأبهتها الا يسير حقير ومازال الخليفة الآمر
يتردد الى الهودج المذكور الى أن ركب يوم الثلاثاء رابع ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة يريد
الهودج وقد كمن له عدة من النزارية في فرن عند رأس الجسر من ناحية الروضة فوثبوا عليه وأثخنوه بالجراحة
حتى هلك وحمل في العشاري الى اللؤلؤة فمات بها وقيل قبل أن يصل اليها وقد خرب هذا الهودج وجهل مكانه
من الروضة والله عاقبة الامور

(قصر القرافة) وكان لهم بالقرافة قصر بنته السيدة تغريد أم العزيز بالله بن المعز في سنة ست وستين
وثلثمائة على يد الحسين بن عبد العزيز الفارسي المحتسب هو والحمام الذي في غربيه وبنت البئر والبستان
وجامع القرافة وكان هذا القصر نزهة من النزه من أحسن الآثار في اتقان بنيانه وصحة اركانه وله منظرة مليحة
كبيرة محمولة على قبو ماد تجوز المارة من تحته ويقيل المسافرون في ايام القيظ هناك ويركب الراكب اليه على
زلاقة وكان كأحسن ما يكون من البناء وتحته حوض لسقي الدواب يوم الحلول فيه وكان مكانه بالقرب من
مسجد الفتح ولما كان في سنة عشرين وأربعمائة جدده الخليفة الآمر وعمل تحته مصطبة للصوفية
وكان يجلس في الطاق بأعلى القصر ويرقص أهل الطريقة من الصوفية والجامر بالالوية موضوعة بين ايديهم
والشموع الكثيرة تزهر وقد بسط تحتهم حصر من فوقها بسط ومدت لهم الاسمطة التي عليها كل نوع لذيذ ولون
شهي من الاطعمة والحلوى أصنافا مصنفة فاتفق أن تواجد الشيخ ابو عبد الله بن الجوهري الواعظ ومزق
مرقعته وفرقت على العادة خرقا وسأل الشيخ ابو اسحاق ابراهيم المعروف بالقارح المقري خرقة منها ووضعها
في راسه فلما فرغ التمزيق قال الخليفة الآمر بأحكام الله من طاق بالمنظرة ياشيخ أبا اسحق قال لبيك يامولانا قال
اين خرقتي فقال مجيبا له في الحال هاهي على رأسي يا أمير المؤمنين فاستحسن الآمر ذلك وأعجبه موقعه فأمر
في الساعة والوقت فأحضر من خزائن الكسوات ألف نصفية ففرقت على الحاضرين وعلى فقراء القرافة ونثر
عليهم متولي بيت المال من الطاق ألف دينار فتخاطفها الحاضرون وتعاهد المغربلون الارض التي هناك اياما
لاخذ ما يواريه التراب ومابرح قصر الاندلس بالقرافة حتى زالت الدولة فهدم في شهر ربيع الآخر سنة
سبع وستين وخمسمائة

(المنظرة ببركة الحبش) وكانت لهم منظرة تشرف على بركة الحبش قال الشريف ابو عبد الله محمد الجواني
في كتاب النقط على الخطط ان الخليفة الآمر بأحكام الله بنى على المنظرة التي يقال لها بئر دكة الخركة منظرة من
خشب مدهونة فيها طاقات تشرف على خضرة بركة الحبش وصور فيها الشعراء كل شاعر وبلده واستدعى من
كل واحد منهم قطعة من الشعر في المدح وذكر الخركاة وكتب ذلك عند رأس كل شاعر وبجانب صورة

كل

كل منهم رف لطيف مذهب فلما دخل الآمر وقرأ الاشعار أمر أن يحط على كل رف صرة مختومة فيها خمسون دينارا وأن يدخل كل شاعر ويأخذ صرته بيده ففعلوا ذلك وأخذوا صررهم وكانوا عدة شعراء

(البساتين) وكان للخلفاء عدة بساتين يتنزهون بها منها البساتين الجيوشية وهما بستانان كبيران أحدهما من عند زقاق الكحل خارج باب الفتوح الى المطرية والآخر يمتد من خارج باب القنطرة الى الخندق وكان لهما شأن عظيم ومن شدة غرام الافضل بالبستان الذى كان يجاور بستان البعل عمل له سورا مثل سور القاهرة وعمل فيه بحرا كبيرا وقبة عشارى تحمل ثمانية أرادب وبنى فى وسط البحر منظرة محمولة على اربع عواميد من احسن الرخام وحفها بشجر النارنج فكان نارنجها لا يقطع حتى يتساقط وسلط على هذا البحر أربع سواق وجعل له معبرا من نحاس مخروط زنته قنطار وكان يملأ فى عدة أيام وجلب اليه من الطيور المسموعة شيأ كثيرا واستخدم للحمام الذى كان به عدة مطيرين وعمر به أبراجا عدة للحمام والطيور المسموعة وسرح فيه كثيرا من الطاوس وكان البستانان اللذان على يسار الخارج من باب الفتوح بينهما بستان الخندق لكل منهما اربعة ابواب من الاربع جهات على كل منها عدة من الارمن وجميع الدهاليز مؤزرة بالحصر العبدانى وعلى أبوابها سلاسل كثيرة من حديد ولا يدخل منها الا السلطان وأولاده وأقاربه * قال ابن عبد الظاهر واتفقت جماعة على أن الذى يشتمل عليه مبيعهما فى السنة من زهر وثمر نيف وثلاثون ألف دينار وانها لا تقوم بمؤنتهما على حكم اليقين لا الشك وكان الحاصل بالبستان الكبير والمحصن الى آخر الايام الآمرية وهى سنة اربع وعشرين وخمسمائة ثمانمائة وأحد عشر رأسا من البقر ومن الجمال مائة وثلاثة رؤس ومن العمال وغيرهم ألف رجل وذكر أن الذى دار سور البستانين من سنط وجميز وأثل من اوّل حدّهما الشرقى وهو ركن بركة الارمن مع حدّهما البحرى والغربى جميعا الى آخر زقاق الكحل فى هذه المسافة الطويلة سبعة عشر ألف ألف ومائتا شجرة وبقى قبليهما جميعا لم يحصن وانّ السنط تفصن حتى لحق بالجميز فى العظم وانّ معظم قرظه يسقط الى الطريق فيأخذه الناس وبعد ذلك يباع بأربعمائة دينار وكان به كل ثمرة لها دوبرة مفردة وعليها اسياج وفيها نخل منقوش فى ألواح عليها برسم الخاص لا تجنى الا بحضور المشارف وكان فيهما ليمون تفاحى يؤكل بقشره بغير سكر وأقام هذان البستانان بيد الورثة الجيوشية مع البلاد التى لهم مدة ايام الوزير المأمون لم تخرج عنهم وكشف ذلك فى ايام الخليفة الحافظ فكان فيهما ستمائة رأس من البقر وثمانون جملا وقوّم ما عليهما من الاثل والجميز فكانت قيمته مائتى ألف دينار وطلب الامير شرف الدين وكانت له حرمة عظيمة من الخليفة الحافظ قطع شجرة واحدة من سنط فأبى عليه فتشفع اليه وقوّمت بسبعين دينارا فرسم الخليفة ان كانت وسط البستان تقطع والافلا ولما جرى فى آخر ايام الحافظ ما جرى من الخلف ذبحت ابقاره وجماله ونهب ما فيه من الآلات والانقاض ولم يبق الا الجميز والسنط والاثل لعدم من يشتريه انتهى وكان هذان البستانان من جملة الحبس الجيوشى وهو أن أمير الجيوش بدرا الجمالى حبس عدة بلاد وغيرها منها فى البرّ الشرقى بناحية بهتيت والاميرية والمنية وفى البرّ الغربى ناحية سفط ونهيا ووسيم مع هذين البستانين المذكورين على عقبه فاستأجر هذا الحبس الوزراء مدة سنين باجرة يسيرة وصار يزرع فى الشرقى منه الكتان ومنه ما تبلغ قطيعته ثلاثة دنانير ونصفا وربعا عن كل فدان فيتناولون فيه ربحا جزيلا لا تقسمهم فلما بعد العهد انقرضت أعقابه ولم يبق من ذريته سوى امرأة كبيرة فأفتى الفقهاء بأن هذا الحبس باطل فصار للديوان السلطانى يتصرّف فيه ويحمل متحصله مع اموال بيت المال وتلاشت البساتين وبنى فى اماكنها ما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى وبنى العزيز بالله بستانا بناحية سردوس

(قبة الهواء) وكان من احسن منتزهات الخلفاء الفاطميين قبة الهواء وهى مستشرف بهج بديع فيما بين الساج والجس وجوه يحيط به عدة بساتين لكل بستان منها اسم ولهذه القبة فرش معدّة فى الشتاء والصيف ويركب اليها الخليفة فى ايام الركوبات التى هى يوم السبت والثلاثاء

(بحر أبى المنجا) وكان من منتزهات الخلفاء يوم فتح بحر أبى المنجا قال ابن المأمون وكان الماء لا يصل الى الشرقية الامن السردوسى ومن الصماصم ومن المواضع البعيدة فكان اكثرها يشرق فى اكثر السنين وكان ابو المنجا اليهودى مشارف الاعمال المذكورة فتضرّر المزارعون اليه وسألوا فى فتح ترعة يصل الماء منها فى ابتدائه اليهم فابتدأ بحفر خليج أبى المنجا فى يوم الثلاثاء السادس من شعبان سنة ست وخمسمائة وركب الافضل بن أمير

الجيوش ضحى وصحبته القائد أبو عبد الله محمد بن فاتك البطائحى وجميع اخوته والعساكر تحاذيه فى البر وجمعت شيوخ البلاد وأولادها وركبوا فى المراكب ومعهم حزم البوص فى البحر وصار العشارى والمراكب تتبعها الى أن رماها الموج الى الموضع الذى حفروا فيه البحر وأقام الحفر فيه سنتين وفى كل سنة تتبين الفائدة فيه ويتضاعف من ارتفاع البلاد ما يهوّن الغرامة عليه * ولما عرض على الافضل جملة ما أنفق فيه استعظمه وقال غرمنا هذا المال جميعه والاسم لابى المنجا فغير اسمه ودعى بالبحر الافضلى فلم يتم ذلك ولم يعرف الا بأبى المنجا ثم جرى بين أبى المنجا وبين ابن أبى الليث صاحب الديوان بسبب الذى انفق خطوب أدت الى اعتقال أبى المنجا عدة سنين ثم نفى الى الاسكندرية بعد أن كادت نفسه تتلف ولم يزل القائد أبو عبد الله بن فاتك يتلطف بحاله الى تضاعف من عبرة البلاد ما سهل أمر النفقة فيه ورأيت بخط ابن عبد الظاهر وهذا ابو المنجا هو جد بنى صفير الحكماء اليهود والذين أسلموا منهم ولما طال اعتقال أبى المنجا فى الاسكندرية فى مكان بمفرده مضيقا عليه تحيل فى تحصيل مصحف وكتب ختمة وكتب فى آخرها كتبها ابو المنجا اليهودى وبعثها الى السوق لبيعها فقامت قيامة اهل الثغر وطولع بأمره الى الخليفة فأخرج وقيل له ما حملك على هذا فقال طلب الخلاص بالقتل فأدب واطلق سبيله وقيل انه كان فى محبسه حية عظيمة فأحضر اليه فى بعض الايام لبن فرأى الحية وقد شربت منه ودخلت جحرها فصار فى كل يوم يحضر لها اللبن فتخرج وتشرب منه وتدخل مكانها ولم تؤذه ولما ولى المأمون البطائحى وزارة الآمر بأحكام الله بعد الافضل بن أمير الجيوش تحدث الآمر معه فى رؤية فتح هذا الخليج وأن يكون له يوم كخليج القاهرة فندب الآمر معه عدى الملك أبا البركات بن عثمان وكيله وأمره بأن يبنى على مكان السد منظرة تسعة تكون من بحرى السد وسرع فى عمارتها بعد كمال النيل ومازال يوم فتح سد هذا البحر يوما مشهودا الى أن زالت الدولة الفاطمية فلما استولى بنو أيوب من بعدهم على مملكة مصر أجروا الحال فيه على ما كان قال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وسبعين وخمسمائة وركب السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب لفتح بحر أبى المنجا وعاد قال وفى سنة تسعين وخمسمائة كسر بحر أبى المنجا بعد أن تأخر كسره عن عيد الصليب بسبعة ايام وكان ذلك لقصور النيل فى هذه السنة ولم يباشر السلطان الملك العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين بنفسه وركب أخوه شرف الدين يعقوب الطواشى لكسره وبدت فى هذا اليوم من مخايل القبوط ما يوجبه سوء الافعال من المجاهرة بالمنكرات والاعلان بالفواحش وقد افرط هذا الامر واشترك فيه الآمر والمأمور ولم ينسلخ شهر رمضان الا وقد شهد ما لم يشهده رمضان قبله فى الاسلام وبدا عقاب الله فى الماء الذى كانت المعاصى على ظهره فان المراكب كان يركب فيها فى رمضان الرجال والنساء مختلطين مكشفات الوجوه وأيدى الرجال تنال منهما ما تنال فى الخلوات والطبول والعيدان مرتفعات الاصوات والصنجات واستنابوا فى الليل عن الخمر بالماء والجلاب ظاهرا وقيل انهم شربوا الخمر مستورا وقربت المراكب بعضها من بعض وعجز المنكر عن الانكار الا بقلبه ورفع الامر الى السلطان فندب حاجبه فى بعض الليالى ففرّق منهم من وجده فى الحالة الحاضرة ثم عادوا بعد عوده وذكر أنه وجد فى بعض المعادى خمرا فأراقه ولما استهل شوّال وهو مطموع فيه تضاعف هذا المنكر وفشت هذه الفاحشة ونسأل الله العفو والعافية عن الكبائر والتجاوز عما تسقط فيه المعاذر * وقال فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة كسر بحر أبى المنجا وباشر العزيز كسره وزاد النيل فيه اصبعا وهى الاصبع الثامنة عشرة من ثمانى عشر ذراعا وهذا الحد يسمى عند أهل مصر اللجة الكبرى وقد تلاشى فى زمننا امر الاجتماع فى يوم فتح سد بحر أبى المنجا وقل الاحتفال به لشغل الناس بهم المعيشة

(قصر الورد بالخاقانية) وكان من ايام منتزهات الخلفاء يوم قصر الورد بناحية الخاقانية وهى قرية من قرى قليوب كانت من خاص الخليفة وبها جنان كثيرة للخليفة وكانت من أحسن المنتزهات المصرية وكان بها عدة دويرات يزرع فيها الورد فيسير اليها الخليفة يوما ويصنع له فيها قصر عظيم من الورد ويخدم بضيافة عظيمة * قال ابن الطوير عن الخليفة الآمر بأحكام الله وعمل له بالخاقانية وكانت من خاص الخليفة قصر من ورد فسار اليها يوما وخدم بضيافة عظيمة فلما استقر هناك خرج اليه أمير يقال له حسام الملك من الامراء الذين كانوا مع المؤتمن أخى المأمون البطائحى وتخاذلوا عنه فوصل الى الخاقانية وهو لابس لامة حربه

والتمس المثول بين يديه يعنى الخليفة فاستقلّ ما جاء به فى ذلك الوقت مما ينافى ما فيه الخليفة من الراحة والنزهة وحيل بينه وبين مقصوده فقال لجماعة من حواشى الخليفة انتم منافقون على الخليفة ان لم اصل اليه فانه يعاقبكم بذلك فأطلعوا الخليفة على أمره وحليته بالسلاح وقوله فأمر باحضاره فلما وقعت عينه عليه قال يا مولانا لمن تركت اعداءك يعنى الوزير المأمون البطائحى وأخاه وكان الآمر قد قبض عليهما واعتقلهما هذا والعهد قريب غير بعيد أأمنت الغدر فما أجابه الا وهو على الرهاويج من الخيل فلم تمض ساعة الا وهو بالقصر فمضى الى مكان اعتقال المأمون وأخيه فزادهما وثاقا وحراسة وفى أثناء ذلك وصل ابن نجيب الدولة الذى كان سيره المأمون فى وزارته الى اليمن لتحقيق نسبه أنه ولد من جارية نزار بن المستنصر لما خرجت من القصر وهى به حامل ويدعوا اليه بقية الناس وأحضر الى القاهرة على جمل مشوّه فأدخل خزانة البنود وقتل هو والمأمون وجماعة فى تلك الليلة وصلبوا ظاهر القاهرة

(بركة الجب) هى بظاهر القاهرة من بحريها وتسميها العامّة فى زمننا هذا الذى نحن فيه بركة الحاج لنزول الحجاج بها عند مسيرهم من القاهرة الى الحج فى كل سنة ونزولهم عند العود بها ومنها يدخلون الى القاهرة ومن الناس من يقول جب يوسف وهو خطأ وانما هى أرض جب عميرة وعميرة هذا هو ابن تميم بن جزء التجيبى من بنى القرناء نسبت هذه الارض اليه فقيل لها أرض جب عميرة ذكره ابن يونس وكان من عادة الخليفة المستنصر بالله أبى تميم معدّ بن الظاهر بن الحاكم فى كل سنة أن يركب على النجب مع النساء والحشم الى جب عميرة هذا وهو موضع نزهة بهيئة أنه خارج الى الحج على سبيل اللعب والمجانة وربما حمل معه الخمر فى الروايا عوضا عن الماء ويسقيه من معه وأنشده مرّة الشريف ابو الحسن علىّ بن الحسين بن حيدرة العقيلىّ فى يوم عرفة

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء * ولا تضح ضحى الا بصهباء
وادرك حجيج الندامى قبل نفرهم * الى منى قصفهم مع كل هيفاء
وعج على مكة الروحاء مبتكرا * فطف بها حول ركن العود والناى

قال ابن دحية فخرج فى ساعته بروايا الخمر تزجى بنغمات حداة الملاهى وتساق حتى أناخ بعين شمس فى كبكبة من الفساق فأقام بها سوق الفسوق على ساق وفى ذلك العام أخذه الله تعالى واهل مصر بالسنين حتى بيع فى ايامه الرغيف بالثمن الثمين وعاد ماء النيل بعد عذوبته كالغسلين ولم يبق بشاطئيه أحد بعد أن كانا محفوفين بحور عين وقال ابن ميسر فلما كان فى جمادى الآخرة من سنة أربع وخمسين وأربعمائة خرج المستنصر على عادته الى بركة الجب فاتفق أن بعض الاتراك جرّد سيفا فى سكر منه على بعض عبيد الشراء فاجتمع عليه طائفة من العبيد وقتلوه فاجتمع الاتراك بالمستنصر وقالوا ان كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة وان كان عن غير رضاك فلا نرضى بذلك فأنكر المستنصر ما وقع وتبرّأ مما فعله العبيد فتجمع الاتراك لحرب العبيد وبرز بعضهم الى بعض وكان بين الفريقين قتال شديد على كوم شريك انهزم فيه العبيد وقتل منهم عدد كثير وكانت أمّ المستنصر تعين العبيد وتمدّهم بالاموال والاسلحة فاتفق فى بعض الايام أن بعض الاتراك ظفر بشئ مما تبعث به أمّ المستنصر الى العبيد فأعلم بذلك اصحابه وقد قويت شوكتهم بانهزام العبيد فاجتمعوا بأسرهم ودخلوا على المستنصر وخاطبوه فى ذلك وأغلظوا فى القول وجهروا بما لا ينبغى وصار السيف قائما والحروب متتابعة الى أن كان من خراب مصر بالغلاء والفتن ما كان وكان من قبل المستنصر يتردّدون الى بركة الجب قال المسبحىّ ولاثنتى عشرة خلت من ذى القعدة سنة أربع وثمانين وثلثمائة عرض العزيز بالله عساكره بظاهر القاهرة عند سطح الجب فنصب له مضرب ديباج رومىّ فيه ألف ثوب بصفرية فضة ونصبت له فازة منقل وقبة منقل بالجوهر وضرب لابنه الامير أبى علىّ منصور مضرب آخر وعرضت العساكر وكان عدّتها مائة عسكرى وأقبلت أسارى الروم وعدّتهم مائتان وخمسون فطيف بهم وكان يوما عظيما حسنا لم تزل العساكر تسير بين يديه من ضحوة النهار الى صلاة المغرب ومازالت بركة الجب منتزها للخلفاء والملوك من بنى ايوب وكان السلطان صلاح الدين يبرز اليها للصيد ويقيم فيها الايام وفعل ذلك الملوك من بعده واعتنى بها الملك الناصر محمد بن قلاون وبنى بها احواشا وميدانا كما سيأتى ذكره ان شاء الله تعالى وبركة الجب وما يليها فى درك بنى صبرة وهم ينسبون الى صبرة

ابن بطيخ بن مغالة بن دعجان بن عنب بن الكليب بن أبي عمرو بن دمية بن جدس بن اريش بن اراش بن جزيلة ابن لخم فهم أحد بطون لخم وفيهم بنو جذام بن صبرة بن بصرة بن غنم بن غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن جذام أخي لخم

(المشتهى) وكان من مواضعهم التي أعدت للنزهة المشتهى

(ذكر الايام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعيادا ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر نعمهم)

وكان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم وهي موسم رأس السنة وموسم اول العام ويوم عاشوراء ومولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومولد الحسن ومولد الحسين عليهما السلام ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام ومولد الخليفة الحاضر وليلة اول رجب وليلة نصفه وليلة اول شعبان وليلة نصفه وموسم ليلة رمضان وغرة رمضان وسماط رمضان وليلة الختم وموسم عيد الفطر وموسم عيد النحر وعيد الغدير وكسوة الشتاء وكسوة الصيف وموسم فتح الخليج ويوم النوروز ويوم الغطاس ويوم الميلاد وخميس العدس وأيام الركوبات

(موسم رأس السنة) وكان للخلفاء الفاطميين اعتناء بليلة اول المحرم في كل عام لانها اول ليالي السنة وابتداء أوقاتها وكان من رسومهم في ليلة رأس السنة أن يعمل بمطبخ القصر عدة كثيرة من الخراف المقموم والكثير من الرؤس المقموم وتفرق على جميع أرباب الرتب واصحاب الدواوين من العوالي والادوان أرباب السيوف والاقلام مع جفان اللبن والخبز وأنواع الحلواء فيعم ذلك سائر الناس من خاص الخليفة وجهاته والاستاذين المحنكين الى أرباب الضوء وهم المشاعلية وينتقل ذلك في ايدي اهل القاهرة ومصر

(موسم اول العام) وكان لهم باول العام عناية كبيرة فيه يركب الخليفة بزيه المفخم وهيئته العظيمة كما تقدم ويفرق فيه دنانير الغرة التي مر ذكرها عند ذكر دار الضرب ويفرق من السماط الذي يعمل بالقصر لاعيان أرباب الخدم من أرباب السيوف والاقلام بتقرير مرتب خرفان شواء وزبادي طعام وجامات حلواء وخبز وقطع منفوخة من سكر وأرز بلبن وسكر فيتناول الناس من ذلك ما يجل وصفه ويتبسطون بما يصل اليهم من دنانير الغرة من رسوم الركوب كما شرح فيما تقدم

(يوم عاشوراء) كانوا يتخذونه يوم حزن تتعطل فيه الاسواق ويعمل فيه السماط العظيم المسمى سماط الحزن وقد ذكر عند ذكر المشهد الحسيني فانظره وكان يصل الى الناس منه شئ كثير فلما زالت الدولة اتخذ الملوك من بني أيوب يوم عاشوراء يوم سرور يوسعون فيه على عيالهم ويتبسطون في المطاعم ويصنعون الحلاوات ويتخذون الاواني الجديدة ويكتحلون ويدخلون الحمام جريا على عادة أهل الشام التي سنها لهم الحجاج في ايام عبد الملك بن مروان ليرغموا بذلك آناف شيعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن فيه على الحسين بن علي لانه قتل فيه وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو ايوب من اتخاذ يوم عاشوراء يوم سرور وتبسط وكلا الفعلين غير جيد والصواب ترك ذلك والاقتداء بفعل السلف فقط * وما أحسن قول أبي الحسين الجزار الشاعر يخاطب الشريف شهاب الدين ناظر الاهراء وكتب بها اليه ليلة عاشوراء عندما اخر عنه ما كان من جاريه في الاهراء

قل لشهاب الدين ذي الفضل الندى * والسيد بن السيد بن السيد
أقسم بالفرد العلي الصمد * ان لم يبادر لنجاز وعدي
لاحضرن للهناء في غد * مكحل العينين مخضوب اليد

يعرض للشريف بما يرمى به الاشراف من التشيع وانه اذا جاءه بهيئة السرور في يوم عاشوراء غاظه ذلك لانه من أفعال الغضب وهو من أحسن ما سمعته في التعريض فلله دره

(عيد النصر) وهو السادس عشر من المحرم عمله الخليفة الحافظ لدين الله لانه اليوم الذي ظهر فيه من محبسه ويفعل فيه ما يفعل في الاعياد من الخطبة والصلاة والزينة والتوسعة في النفقة وكتب فيه ابو القاسم علي ابن الصيرفي الى بعض الخطباء عيد النصر وهو أفضل الاعياد وأسناها وأعلاها وأدلها على تقصير الواصف

اذا بلغ وتناهى وتحن نأمرك أن تبرز فى يوم الاحد السادس عشر من المحرم سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة على الهيئة التى جرت العادة بمثلها فى الاعياد وتوعد بأن تقرأ على الناس الخطبة التى سيرناها اليك قرين هذا الامر بشرح هذا اليوم وتفصيله وذكر ما خصه الله به من تشريفه وتفضيله وتعتمد فى ذلك ما جرى الرسم فيه فى كل عيد وتنتهى فيه الى الغاية التى ليس عليها مزيد . فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى

(المواليد الستة) كانت مواسم جليلة يعمل الناس فيها ميزات من ذهب وفضة وخشكنانج وحلواء كما مرّ ذلك

(ليالى الوقود الاربع) كانت من أبهج الليالى وأحسنها يحشر الناس لمشاهدتها من كل اوب وتصل الى الناس فيها انواع من البرّ وتعظم فيها ميزة أهل الجوامع والمشاهد فانظره فى موضعه تجده

(موسم شهر رمضان) وكان لهم فى شهر رمضان عدّة أنواع من البرّ منها كشف المساجد قال الشريف الجوّانى فى كتاب النقط كان القضاة بمصر اذا بقى لشهر رمضان ثلاثة ايام طافوا يوما على المشاهد والمساجد بالقاهرة ومصر فيبدؤن بجامع المقس ثم بجوامع القاهرة ثم بالمشاهد ثم بالقرافة ثم بجامع مصر ثم بمشهد الرأس لنظر حصر ذلك وقناديله وعمارته وازالة شعثه وكان اكثر الناس ممن يلوذ بباب الحكم والشهود والطفيليون يتعينون لذلك اليوم والطواف مع القاضى لحضور السماط

(ابطال المسكرات) قال ابن المأمون وكانت العادة جارية من الايام الافضلية فى آخر جمادى الآخرة من كل سنة أن تغلق جميع قاعات الخمارين بالقاهرة ومصر وتختم ويحذر من بيع الخمر فرأى الوزير المأمون لما ولى الوزارة بعد الافضل بن أمير الجيوش أن يكون ذلك فى سائر أعمال الدولة فكتب به الى جميع ولاة الاعمال وأن ينادى بأنه من تعرّض لبيع شئ من المسكرات أو لشرائها سرّا اوجهرا فقد عرّض نفسه لتلافها وبرئت الذمّة من هلاكها

(ومنها غرّة رمضان) وكان فى اول يوم من شهر رمضان يرسل لجميع الامراء وغيرهم من أرباب الرتب والخدم لكل واحد طبق ولكل واحد من أولاده ونسائه طبق فيه حلواء وبوسطه صرّة من ذهب فيعم ذلك سائر أهل الدولة ويقال لذلك غرّة رمضان

(ومنها ركوب الخليفة فى اول شهر رمضان) قال ابن الطوير فاذا انقضى شعبان اهتمّ بركوب اول شهر رمضان وهو يقوم مقام الرؤية عند المتشيعين فيجرى أمره فى اللباس والآلات والاسلحة والعرض والركوب والترتيب والموكب والطريق المسلوكة كما وصفناه فى اول العام لا يختلّ بوجه ويكتب الى الولاة والنوّاب والاعمال بمساطير مخلقة يذكر فيها ركوب الخليفة

(ومنها سماط شهر رمضان) وقد تقدّم ذكر السماط فى قاعة الذهب من القصر

(سحور الخليفة) قال ابن المأمون وقد ذكر أسمطة رمضان وجلوس الخليفة بعد ذلك فى الروشن الى وقت السحور والمقرؤن تحته يتلون عشرا ويطرّبون بحيث يشاهدهم الخليفة ثم حضر بعدهم المؤذنون واخذوا فى التكبير وذكر فضائل السحور وختموا بالدعاء وقدّمت المخادّ للوعاظ فذكروا فضائل الشهر ومدح الخليفة والصوفيات وقام كل من الجماعة للرقص ولم يزالوا الى أن انقضى من الليل اكثر من نصفه فحضر بين يدى الخليفة استاذ بما انعم به عليهم وعلى الفرّاشين وأحضرت جفان القطائف وجرار الجلاب برسمهم فأكلوا وملأوا اكمامهم وفضل عنهم ما تخطفه الفرّاشون ثم جلس الخليفة فى السدلا التى كان بها عند الفطور وبين يديه المائدة معباة جميعها من جميع الحيوان وغيره والقعبة الكبيرة الخاص مملوءة أوساطه بالهمة المعروفة وحضر الجلساء واستعمل كل منهم ما اقتدر عليه وأومأ الخليفة بأن يستعمل من القعبة ففرّق الفرّاشون عليهم اجمعين وكل من تناول شيأ قام وقبل الارض وأخذ منه على سبيل البركة لاولاده واهله لان ذلك كان مستفاضا عندهم غير معيب على فاعله ثم قدّمت الصحون الصينى مملوءة قطائف فأخذ منها الجماعة الكفاية وقام الخليفة وجلس بالباذهنج وبين يديه السحورات المطيبات من لبنين رطب ومحض وعدّة انواع عصارات وانطلوات وسويق ناعم وجريش جميع ذلك بقلاوبات وموز ثم يكون بين يديه صينية ذهب مملوءة سفوفا وحضر الجلساء وأخذ كل منهم فى تقبيل الارض والسؤال بما ينعم عليه منه فتناوله المستخدمون والاستاذون

وفرّقوه فأخذه القوم فى اكمامهم ثم سلم الجميع وانصرفوا

(ومنها الختم فى آخر رمضان) وكان يعمل فى التاسع والعشرين منه * قال ابن المأمون ولما كان التاسع والعشرون من شهر رمضان خرج الامر بأضعاف ماهو مستقرّ للمقرئين والمؤذنين فى كل ليلة برسم السحور بحكم انها ليلة ختم الشهر وحضر الاجل الوزير المأمون فى آخر النهار الى القصر للفطور مع الخليفة والحضور على الاسمطة على العادة وحضر اخوته وعمومته وجميع الجلساء وحضر المقرؤن والمؤذنون وسلموا على عادتهم وجلسوا تحت الروشن وحمل من عند معظم الجهات والسيدات والمميزات من اهل القصور ثلاجى وموكبيات مملوءة ماء ملفوفة فى عراضى ديبقى وجعلها أمام المذكورين لتشملها بركة ختم القرآن الكريم واستفتح المقرؤن من الحمد الى خاتمة القرآن تلاوة وتطريبا ثم وقف بعد ذلك من خطب فأسمع ودعا فأبلغ ورفع الفراشون ما أعدّوه برسم الجهات ثم كبر المؤذنون وهللوا وأخذوا فى الصوفيات الى أن نثر عليهم من الروشن دنانير ودراهم ورباعيات وقدمت جفان القطائف على الرسم مع البسندود والحلواء فجروا على عادتهم وملؤا اكمامهم ثم خرج استاذ من باب الدار الجديدة بخلع خلعها على الخطيب وغيره ودراهم تفرّق على الطائفتين من المقرئين والمؤذنين

(ذكر مذاهبهم فى أوّل الشهور)

اعلم أن القوم كانوا شيعة ثم غلوا حتى عدّوا من غلاة أهل الرفض وللشيعة فى اثناء الشهور عمل أحسن ما رأيت فيه ما حكاه ابو الريحان محمد بن أحمد البيروتى فى كتاب الآثار العافية عن القرون الخالية قال وفى سنين من الهجرة نجمت ناجمة لاجل أخذهم بالتأويل الى اليهود والنصارى فاذا لهم جداول وحسبانات يستخرجون بها شهورهم ويعرفون منها صيامهم والمسلمون مضطرون الى رؤية الهلال وتفقد ما اكتساه القمر من النور وجدوهم شاكين فى ذلك مختلفين فيه مقلدين بعضهم بعضا فى عمل رؤية الهلال بطريق الزيجات فرجعوا الى اصحاب علم الهيئة فألفوا زيجاتهم مفتتحة بمعرفة اوائل ما يراد من شهور العرب بصنوف الحسبانات فظنوا أنها معمولة لرؤية الاهلة فأخذوا بعضها ونسبوه الى جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام وزعموا أنه سرّ من أسرار النبوّة وتلك الحسبانات مبنية على حركات التدبير الوسطى دون المعدلة ومعمولة على سنة القمر التى هى ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وخمس يوم وسدس يوم وأن ستة أشهر من السنة تامة وستة أشهر ناقصة وان كل ناقص منها فهو تال لتام فلما قصدوا استخراج الصوم والفطر بها خرجت قبل الواجب بيوم فى اغلب الاحوال فأوّلوا قوله عليه السلام صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته وقالوا معنى صوموا لرؤيته اى صوموا اليوم الذى يرى فى عشيته كما يقال تهيؤا لاستقباله فيتقدّم التهيؤ على الاستقبال قال ورمضان لا ينقص عن ثلاثين يوما أبدا

قوله وفى سنين الخ هكذا هذه العبارة موجودة فى جميع النسخ التى بيدى ولا يخفى ما فيها من الركاكة والسقامة فلتحرر بمراجعة اصلها اه مصححه

(قافلة الحاج) قال فى كتاب الذخائر والتحف ان المنفق على الموسم كان فى كل سنة تسافر فيها القافلة مائة ألف وعشرين ألف دينار منها ثمن الطيب والحلواء والشمع راتبا فى كل سنة عشرة آلاف دينار ومنها نفقة الوفد الواصلين الى الحضرة أربعون ألف دينار ومنها فى ثمن الحمايات والصدقات واجرة الجمال ومعونة من يسير من العسكرية وكبير الموسم وخدم القافلة وحفر الآبار وغير ذلك ستون ألف دينار وان النفقة كانت فى ايام الوزير البازورى قد زادت فى كل سنة وبلغت الى مائتى ألف دينار ولم تبلغ النفقة على الموسم مثل ذلك فى دولة من الدول

(موسم عيد الفطر) وكان لهم فى موسم عيد الفطر عدّة وجوه من الخيرات منها تفرقة الفطرة وتفرقة الكسوة وعمل السماط وركوب الخليفة لصلاة العيد وقد تقدّم ذكر ذلك كله فيما سبق

(عيد النحر) فيه تفرقة الرسوم من الذهب والفضة وتفرقة الكسوة لارباب الخدم من اهل السيف والقلم وفيه ركوب الخليفة لصلاة العيد وفيه تفرقة الاضاحى كما مرّ ذلك مبينا فى موضعه من هذا الكتاب

(عيد الغدير) فيه تزويج الايامى وفيه الكسوة وتفرقة الهبات لكبراء الدولة ورؤسائها وشيوخها وامرائها وضيوفها والاستاذين المحنكين والمميزين وفيه النحر أيضا وتفرقة النحائر على أرباب الرسوم وعتق

الرقاب وغير ذلك كما سبق بيانه فيما تقدم

(كسوة الشتاء والصيف) وكان لهم في كل من فصلي الشتاء والصيف كسوة تفرق على أهل الدولة وعلى أولادهم ونسائهم وقد مر ذكر ذلك

(موسم فتح الخليج) وكانت لهم في موسم فتح الخليج وجوه من البر منها الركوب لتخليق المقياس ومبيت القراء بجامع المقياس وتشريف ابن أبي الرداد بالخلع وغيرها وركوب الخليفة الى فتح الخليج وتفرقة الرسوم على أرباب الدولة من الكسوة والعين والمآكل والتحف وقد تقدم تفصيل ذلك

(ذكر النوروز)

وكان النوروز القبطي في أيامهم من جملة المواسم فتتعطل فيه الاسواق ويقل فيه سعي الناس في الطرقات وتفرق فيه الكسوة لرجال أهل الدولة وأولادهم ونسائهم والرسوم من المال وحوائج النوروز * قال ابن زولاق وفي هذه السنة يعني سنة ثلاث وستين وثلثمائة منع المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النوروز في السكك ومن صب الماء يوم النوروز وقال في سنة أربع وستين وثلثمائة وفي يوم النوروز زاد اللعب بالماء ووقود النيران وطاف أهل الاسواق وعملوا فيلة وخرجوا الى القاهرة بلعبهم ولعبوا ثلاثة أيام وأظهروا السماجات والحلي في الاسواق ثم أمر المعز بالنداء بالكف وأن لا توقد نار ولا يصب ماء وأخذ قوم فحبسوا وأخذ قوم فطيف بهم على الجمال وقال ابن ميسر في حوادث سنة ست عشرة وخمسمائة وفيها أراد الآمر بأحكام الله أن يحضر الى دار الملك في النوروز الكائن في جمادى الآخرة في المراكب على ما كان عليه الافضل بن أمير الجيوش فأعاد المأمون عليه أنه لا يمكن فان الافضل لا يجري مجراه مجرى الخليفة وحمل اليه من الثياب الفاخرة برسم النوروز للجهات ماله قيمة جليلة وقال ابن المأمون وحل موسم النوروز في التاسع من رجب سنة سبع عشرة وخمسمائة ووصلت الكسوة المختصة به من الطراز وثغر الاسكندرية مع ما يبتاع من المذاب المذهبة والحريري والسوادج وأطلق جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية والعين والورق وجميع الاصناف المختصة بالموسم على اختلافها بتفصيلها واسماء أربابها وأصناف النوروز البطيخ والرمان وعراجين الموز وأفراد البسر وأقفاص التمر القوصي وأقفاص السفرجل وبكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج ولحم الضان ولحم البقر من كل لون بكلة مع خبز برماري قال وأحضر كاتب الدفتر الاثباتات بما جرت العادة به من اطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها في يوم النوروز وغير ذلك من جميع الاصناف وهو أربعة آلاف دينار وخمسة عشر ألف درهم فضة والكسوات عدة كثيرة من شقق ديبقي مذهبات وحريريات ومعاجر وعصائب مشاومات ملونات وشقق لاذ مذهب وحريري ومشفع وفوط ديبقي حريري فأما العين والورق والكسوات فذلك لا يخرج عمن تحوزه القصور ودار الوزارة والشيوخ والاصحاب والحواشي والمستخدمون ورؤساء العشاريات وبحارتها ولم يكن لاحد من الامراء على اختلاف درجاتهم في ذلك نصيب وأما الاصناف من البطيخ والرمان والبسر والتمر والسفرجل والعناب والهرائس على اختلافها فيشمل ذلك جميع من تقدم ذكرهم ويشركهم في ذلك جميع الامراء أرباب الاطواق والاقصاب وسائر الاماثل وقد تقدم شرح ذلك فوقع الوزير المأمون على جميع ذلك بالاتفاق وقال القاضي الفاضل في تعليق المتجددات لسنة أربع وثمانين وخمسمائة يوم الثلاثاء رابع عشر رجب يوم النوروز القبطي وهو مستهل توت وتوت أول سنتهم وقد كان بمصر في الايام الماضية والدولة الخالية يعني دولة الخلفاء الفاطميين من مواسم بطالاتهم ومواقيت ضلالاتهم فكانت المنكرات ظاهرة فيه والفواحش صريحة في يومه ويركب فيه أمير موسوم بأمير النوروز ومعه جمع كثير ويتسلط على الناس في طلب رسم رتبه على دور الاكابر بالجمل الكبار ويكتب مناشير ويندب مترسمين كل ذلك يخرج مخرج الطير ويقنع بالميسور من الهبات ويجتمع المؤنثون والفاسقات تحت قصر اللؤلؤة بحيث يشاهدهم الخليفة وبأيديهم الملاهي وترتفع الاصوات وتشرب الخمر والمزر شربا ظاهرا بينهم وفي الطرقات ويتراش الناس بالماء وبالماء والخمر وبالماء ممزوجا بالاقذار فان غلط مستور وخرج من داره لقيه من يرشه ويفسد ثيابه ويستخف بحرمته فاما فدى نفسه واما فضح ولم يجر

الحال فى هـذا النوروز على هذا ولكن قد رش الماء فى الحارات وأحيي المنكر فى الدور أرباب الخسارات وقال فى سـنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وجرى الامر فى النوروز على العادة من رش الماء واستجد فيه هذا العام التراجم بالبيض والتصافع بالانطاع وانقطع النـاس عن التصرّف ومن ظفر به فى الطريق رش بمياه نجسة وخرق به * قال مؤلفه رحمه الله تعالى ان اول من اتخـذ النوروز جمشـيد ويقـال فى اسمه أيضا جمشاد أحد ملوك الفرس الاول ومعناه اليوم الجديد وللفرس فيه آراء وأعمال على مصطلحهم غير أنه فى غير هذا اليوم وقد صنف على بن حمزة الاصفهانى كتابا مفيدا فى أعياد الفرس وذكر الحافظ ابو القاسم بن عساكر من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن زياد عن أبى هريرة قال كان اليوم الذى ردّ الله فيه الى سليمان بن داود خاتمه يوم النوروز فجاءت اليه الشياطين بالتحف وكانت تحفة الخطاطيف أن جاءت بالماء فى مناقيرها فرشته بين يدى سليمان فاتخـذ النـاس رش المـاء من ذلك اليوم وعن مقاتل بن سليمان قال سمى ذلك اليوم نيروزا وذلك أنه وافق هذا اليوم الذى يسمونه النيروز فكانت الملوك تتيمن بذلك اليوم واتخذوه عيدا وكانوا يرشون الماء فى ذلك اليوم ويهدون كفعل الخطاف ويتيمنون بذلك ولله درّ القائل

كيف ابتهاجك بالنوروز ياسكنى * وكل مافيه يحكينى وأحكيه
فناره كلهيب النار فى كبـدى * وماؤه كتوالى دمعتى فيه

وقال آخر

نورز الناس ونورز * ت ولكن بدموعى
وذكت نارهـم والنـار ما بين ضلوعى

وقال غيره

ولما أتى النوروز ياغاية المنى * وأنت على الاعراض والهجر والصدّ
بعثت بنار الشوق ليلا الى الحشى * فنورزت صبحا بالدموع على الخد

(الميلاد) * وهو اليوم الذى ولد فيه عبـد الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم والنصارى تتخذ ليلة يوم الميلاد عيدا وتعمله قبط مصر فى التاسع والعشرين من كيهك ومابرح لاهل مصر به اعتناء وكان من رسوم الدولة الفاطمية فيه تفرقة الجامات المملوءة من الحلاوات القاهرية والمتارد التى فيها السمك وقرابات الجلاب وطيافير الزلابية والبورى فيشمل ذلك أرباب الدولة اصحاب السيوف والاقلام بتقرير معلوم على ماذكره ابن المأمون فى تاريخه

(الغطاس) * ومن مواسم النصارى بمصر عمل الغطاس فى اليوم الحادى عشر من طوبة * قال المسعودى فى مروج الذهب ولليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها لاينام الناس فيها وهى ليلة احدى عشرة من طوبة ولقد حضرت سـنة ثلاثين وثلثمائة ليـلة الغطاس بمصر والاخشـيد محمـد بن طغج فى داره المعروفة بالمختار فى الجزيرة الراكبة على النيل والنيل مطيف بها وقد أمر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب الفسطاط ألف مشعل غـير ما أسرج اهل مصر من المشاعل والشمع وقد حضر النيل فى تلك الليلة مئو ألوف من النـاس من المسلمين والنصارى منهم فى الزواريق ومنهم فى الدور الدانية من النيل ومنهم على الشطوط لايتناكرون كل ما يمكنهم اظهاره من المآكل والمشارب وآلات الذهب والفضـة والجواهر والملاهى والعزف والقصف وهى أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب ويغطس اكثرهم فى النيل ويزعمون أن ذلك أمان من المرض ونشرة للداء وقال المسبحى فى سـنة ثمان وثمانين وثلثمائة كان غطاس النصارى فضربت الخيام والمضارب والاشرعة فى عدّة مواضع على شاطئ النيل فنصبت اسرّة للرئيس فهد بن ابراهيم النصرانى كاتب الاستاذ برجوان وأوقدت له الشموع والمشاعل وحضر المغنون والملهون وجلس مع أهله يشرب الى أن كان وقت الغطاس فغطس وانصرف * وقال فى سنة خمس عشرة وأربعمائة وفى ليلة الاربعاء رابع ذى القعدة كان غطاس النصارى فجرى الرسم من الناس فى شراء الفواكه والضأن وغيره ونزل أمير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم لقصر جـدّه العزيز بالله بمصر لنظر الغطـاس ومعه الحرم ونودى أن لا يختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم الى البحر فى الليـل وضرب بدر الدولة الخادم الاسود متولى الشرطتين خيمة عند الجسر

وجلس فيها وأمر الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله بأن توقد المشاعل والنار فى الليل فكان وقيدا كثيرا وحضر الرهبان والقسوس بالصلبان والنيران فقسسوا هنالك طويلا الى أن غطسوا وقال ابن المأمون انه كان من رسوم الدولة أنه يفرّق على سائر أهل الدولة الترنج والنارنج والليمون المراكبى وأطنان القصب والسمك والبورى برسوم مقرّرة لكل واحد من أرباب السيوف والاقلام

(خميس العهد) ويسميه أهل مصر من العامّة خميس العدس ويعمله نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة أيام ويتهادون فيه وكان من جملة رسوم الدولة الفاطمية فى خميس العدس ضرب خمسمائة دينار ذهبا عشرة آلاف خرّوبة وتفرقتها على جميع أرباب الرسوم كما تقدّم

(ايام الركوبات) وكان الخليفة يركب فى كل يوم سبت وثلاثاء الى منتزهاته بالبساتين والتاج وقبة الهواء والخمس وجوه وبستان البعل ودار الملك ومنازل العز والروضة فيعمّ الناس فى هذه الايام من الصدقات أنواع ما بين ذهب ومآكل وأشربة وحلاوات وغير ذلك كما تقدّم بيانه فى موضعه من هذا الكتاب

(صلاة الجمعة) وكان الخليفة يركب فى كل سنة ثلاث ركبات لصلاة الجمعة بالناس فى جامع القاهرة الذى يعرف بالجامع الازهر مرّة وفى جامع الخطبة المعروف بالجامع الحاكمى مرّة وفى جامع عمرو بن العاص بمصر اخرى فينال الناس منه فى هذه الجمع الثلاث رسوم وهبات وصدقات كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى عند ذكر الجامع الازهر * ولله درّ الفقيه عمارة اليمنى فقد ضمن مرثيته اهل القصر جملا مما ذكر وهى القصيدة التى قال ابن سعد فيها ولم يسمع فيما يكتب فى دولة بعد انقراضها أحسن منها

رميت يا دهر كف المجد بالشلل * وجيده بعد حسن الحلى بالعطل
سعيت فى منهج الراى العثور فان * قدرت من عثرات الدهر فاستقل
جدعت مارنك الاقنى فأنفك لا * ينفك ما بين قرع السنّ والخجل
هدمت قاعدة المعروف عن عجل * سعيت مهلا أما تمشى على مهل
لهفى ولهف بنى الآمال قاطبة * على فجيعتها فى اكرم الدول
قدمت مصر فأولتنى خلائفها * من المكارم ما أربى على الامل
قوم عرفت بهم كسب الالوف ومن * كمالها أنها جاءت ولم أسل
وكنت من وزراء الدست حين سما * رأس الحصان يهاديه على الكفل
ونلت من عظماء الجيش مكرمة * وخلة حرست من عارض الخلل
يا عاذلى فى هوى أبناء فاطمة * لك الملامة ان قصرت فى عذلى
بالله در ساحة القصرين وابك معى * عليهما لا على صفين والجمل
وقل لاهليهما والله ما التحمت * فيكم جراحى ولا قرحى بمندمل
ماذا عسى كانت الافرنج فاعلة * فى نسل آل أمير المؤمنين على
هل كان فى الامر شئ غير قسمة ما * ملكتموا بين حكم السبى والنفل
وقد حصلتم عليها واسم جدكم * محمد وأبوكم غير منتقل
مررت بالقصر والاركان خالية * من الوفود وكانت قبلة القبل
فملت عنها بوجهى خوف منتقد * من الاعادى ووجه الود لم يمل
أسلت من أسفى دمعى غداة خلت * رحابكم وغدت مهجورة السبل
أبكى على ماتراءت من مكارمكم * حال الزمان عليها وهى لم تحل
دار الضيافة كانت أنس وافدكم * واليوم أوحش من رسم ومن طلل
وفطرة الصوم اذ أضحت مكارمكم * تشكو من الدهر حيفا غير محتمل
وكسوة الناس فى الفصلين قد درست * ورث منها جديد عندهم وبلى
وموسم كان فى يوم الخليج لكم * يأتى تجملكم فيه على الجمل
وأوّل العام والعيدين كم لكم * فيهنّ من وبل جود ليس بالوشل

والارض تهتز في يوم الغدير كما * يهتز ما بين قصر يكم من الاسل
والخيل تعرض في وشي وفي شية * مثل العرائس في حلي وفي حلل
ولا حملتم قرى الاضياف من سعة الاطباق الاعلى الاكتاف والعجل
وما خصصتم ببرّ اهل ملتكم * حتى عممتم به الاقصى من الملل
كانت رواتبكم للذمتين وللضيف المقيم وللطارى من الرسل
ثم الطراز بتنيس الذى عظمت * منه الصلات لاهل الارض والدول
وللجوامع من احسانكم نعم * لمن تصدر في علم وفي عمل
وربما عادت الدنيا فمعقلها * منكم وأضحت بكم محلولة العقل
والله لافاز يوم الحشر مبغضكم * ولا نجا من عذاب الله غير ولى
ولا سقى الماء من حرّ ومن ظمأ * من كف خير البرايا خاتم الرسل
ولا رأى جنة الله التى خلقت * من خان عهد الامام العاضد ابن على
ائمتى وهداتى والذخيرة لى * اذا ارتهنت بما قدمت من عملى
تالله لم اوفهم في المدح حقهم * لان فضلهم كالوابل الهطل
ولو تضاعفت الاقوال واتسعت * ما كنت فيهم بحمد الله بالخجل
باب النجاة هم دنيا وآخرة * وحبهم فهو اصل الدين والعمل
نور الهدى ومصابيح الدجى ومحل الغيث ان ربت الانواء في المحل
أئمة خلقوا نورا فنورهم * من محض خالص نور الله لم يغل
والله مازلت عن حبي لهم أبدا * ما اخر الله لى في مدة الاجل

وبسبب هذه القصيدة قتل عمارة رحمه الله وتمحلت له الذنوب انتهى ماذكره رحمه الله تعالى

(ذكر ما كان من امر القصرين والمناظر بعد زوال الدولة الفاطمية)

ولما مات العاضد لدين الله في يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة احتاط الطواشى قراقوش على اهل العاضد وأولاده فكانت عدة الاشراف في القصور مائة وثلاثين والاطفال خمسة وسبعين وجعلهم في مكان أفرد لهم خارج القصر وجمع عمومته وعشيرته في ايوان بالقصر واحترز عليهم وفرّق بين الرجال والنساء لئلا يتناسلوا وليكون ذلك أسرع لانقراضهم وتسلم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب القصر بما فيه من الخزائن والدواوين وغيرها من الاموال والنفائس وكانت عظيمة الوصف واستعرض من فيه من الجوارى والعبيد فأطلق من كان حرّا ووهب واستخدم باقيهم وأطلق البيع في كل جديد وعتيق فاستمر البيع فيما وجد بالقصر عشر سنين وأخلى القصور من سكانها وأغلق أبوابها ثم ملكها امراءه وضرب الالواح على ما كان للخلفاء وأتباعهم من الدور والرباع وأقطع خواصه منها وباع بعضها ثم قسم القصور فأعطى القصر الكبير للامراء فسكنوا فيه وأسكن أباه نجم الدين أيوب بن شادى في قصر اللؤلؤة على الخليج وأخذ أصحابه دور من كان ينسب الى الدولة الفاطمية فكان الرجل اذا استحسن دارا أخرج منها سكانها ونزل بها قال القاضى الفاضل وفي ثالث عشريه يعنى ربيعا الآخر سنة سبع وستين كشف حاصل الخزائن الخاصة بالقصر فقيل ان الموجود فيه مائة صندوق كسوة فاخرة من موشح ومرصع وعقود ثمينة وذخائر فخمة وجواهر نفيسة وغير ذلك من ذخائر جمة الخطر وكان الكاشف بهاء الدين قراقوش وبيان وأخليت أمكنة من القصر الغربى سكن بها الامير موسك والامير أبو الهيجاء السمين وغيره من الغز وملئت المناظر المصونة عن النواظر والمنتزهات التى لم يخطر ابتذالها في الخاطر فسبحان مظهر العجائب ومحدثها ووارث الارض ومورثها قال ومقدار ما يحدس أنه خرج من القصر ما بين دينار ودرهم ومصاغ وجوهر ونحاس وملبوس وأثاث وقماش وسلاح مالا يفى به ملك الاكاسرة ولا تتصوره الخواطر الحاضرة ولا يشتمل على مثله الممالك العامرة ولا يقدر على حسابه الا من يقدر على حساب الخلق في الآخرة * وقال الحافظ جمال الدين يوسف اليغمورى وجدت بخط المهذب أبى طالب محمد بن على بن الخيمى

حدثنى

حدثني الامير عضد الدين مرهف بن مجد الدين سويد الدولة بن منقذ أن القصر أغلق على ثمانية عشر ألف نسمة عشرة آلاف شريف وشريفة وثمانية آلاف عبد وخادم وأمة ومولدة وتربية * وقال ابن عبد الظاهر عن القصر لما أخذه صلاح الدين وأخرج من به كان فيه اثنا عشر ألف نسمة ليس فيهم فحل الا الخليفة وأهله وأولاده ولما اخرجوا منه اسكنوا في دار المظفر وقبض أيضا صلاح الدين على الامير داود بن العاضد وكان ولى العهد وينعت بالحامد لله واعتقل معه جميع اخوته الامير ابو الامانة جبريل وابو الفتوح وابنه ابو القاسم وسليمان بن داود وعبد الظاهر حيدرة بن العاضد وعبد الوهاب بن ابراهيم بن العاضد واسماعيل بن العاضد وجعفر بن أبي الظاهر بن جبريل وعبد الظاهر بن أبي الفتوح بن جبريل بن الحافظ وجماعة من بني أعمامه فلم يزالوا في الاعتقال بدار الافضل من حارة برجوان الى أن انتقل الملك الكامل محمد بن العادل بن أبي بكر بن ايوب من دار الوزارة بالقاهرة الى قلعة الجبل فنقل معه ولد العاضد واخوته وأولاد عمه واعتقلهم بالقلعة وبها مات العاضد واستمر البقية حتى انقرضت الدولة الايوبية وملك الاتراك الى أن تسلطن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري فلما كان في سنة ستين وستمائة أشهد على من بقي منهم وهم كمال الدين اسماعيل بن العاضد وعماد الدين ابو القاسم ابن الامير أبي الفتوح بن العاضد وبدر الدين عبد الوهاب بن ابراهيم بن العاضد أن جميع المواضع التي قبلي المدارس الصالحية من القصر الكبير والموضع المعروف بالتربة ظاهرا وباطنا بخط الخوخ السبع وجميع الموضع المعروف بالقصر اليافعي بالخط المذكور وجميع الموضع المعروف بسكن اولاد شيخ الشيوخ وغيرهم من القصر الشارع بابه قبالة دار الحديث النبوي الكاملية وجميع الموضع المعروف بالقصر الغربي وجميع الموضع المعروف بدار القطرة بخط المشهد الحسيني وجميع الموضع المعروف بدار الضيافة بحارة برجوان وجميع الموضع المعروف باللؤلؤة وجميع قصر الزمرذ وجميع البستان الكافوري ملك لبيت المال المولوي السلطاني الملكي الظاهري من وجه صحيح شرعي لا رجعة لهم فيه ولا لواحد منهم في ذلك ولا في شئ منه ولا مثوبة بسبب يد ولا ملك ولا وجه من الوجوه كلها خلا ما في ذلك من مسجد لله تبارك وتعالى أو مدفن لآبائهم وورخ ذلك الاشهاد بثالث عشر ربيع الاول سنة ستين وستمائة وأثبت على قاضي القضاة الصاحب تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز الشافعي رحمه الله تعالى وتقرر مع المذكورين أن مهما كان قبضوه من اثمان بعض الاماكن المذكورة التي عاقد عليها وكلاؤهم واتصلوا اليه يحاسبوا به من جملة ما يحرز ثمنه عند وكيل بيت المال وقبضت ايدي المذكورين عن التصرف في الاماكن المذكورة وغيرها ورسم ببيعها فباعها وكيل بيت المال كمال الدين ظافر أولا فأولا ونقضت شيأ فشيأ وبنى في اماكنها ما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى واشترى قاعة السدرة بجوار المدرسة والتربة الصالحية قاضي القضاة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن عبد الواحد بن علي بن مسرور المقدسي الحنبلي مدرس الحنابلة بالمدرسة الصالحية بألف وخمسة وسبعين دينارا في رابع جمادى الآخرة سنة ستين وستمائة من كمال الدين ظافر بن الفقيه نصر وكيل بيت المال ثم باعها المذكور للملك الظاهر بيبرس في حادي عشري جمادى الآخرة المذكور وقاعة السدرة هذه قد صارت هي وقاعة الخيم أصل المدرسة الظاهرية الركنية البيبرسية البندقدارية قال القاضي الفاضل وفي يوم الاثنين سادس شهر رجب يعني من سنة أربع وثمانين وخمسمائة ظهر تسحب رجلين من المعتقلين في القصر أحدهما من أقارب المستنصر والآخر من أقارب الحافظ وأكبرهما سنا كان معتقلا بالايوان حدث به مرض وأثخن فيه ففك حديده ونقل الى القصر الغربي في اوائل سنة ثلاث وثمانين واستمر لما به ولم يستقل من المرض وطلب ففقد واسمه موسى بن عبد الرحمن أبي حمزة بن حيدرة بن أبي الحسن أخي الحافظ واسم الآخر موسى بن عبد الرحمن بن أبي محمد بن أبي اليسر بن محسن بن المستنصر وكان طفلا في وقت الكائنة بأهله وأقام بالقصر الغربي مع من أسر به الى أن كبر وشب قال وذكر أن القصر الغربي قد استولى عليه الخراب وعلا على جدرانه التشعث والهدم وانه يجاور اصطبلات فيها جماعة من المفسدين وربما تسلق اليه للتطرق للنساء المعتقلات والمتسلق منه اذا قويت نفسه على التسحب لم تكن عقلته في القصر المذكور مانعة من التسحب قال وعدد من بقي من هذه الذرية بدار المظفر والقصر الغربي والايوان مائتان واثنان وخمسون شخصا ذكور ثمانية وتسعون واناث مائة وأربعة وخمسون تفصيله المقيمون بدار المظفر أحد وثلاثون

ذكور أحد عشر كلهم أولاد العاضد لصلبه اناث عشرون بنات العاضد خمسة اخوته أربع جهات
العاضد أربع بنات الحافظ ثلاث جهات يوسف ابنه وجبريل ابن عمه أربع المعتقلون بالايوان خمسة
وخمسون رجلا منهم الامير أبو الظاهر بن جبريل بن الحافظ المقيمون بالقصر الغربى مائة وستة وستون شخصا
ذكور اثنان وثلاثون اكبرهم عمره عشرون سنة وأصغرهم عمره سبع عشرة سنة اناث مائة وأربع وثلاثون
بنات أربع وستون اخوات وعمات وزوجات سبعون * قال وفى جمادى
الآخرة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة كانت عدة من فى دار المظفر بحارة
برجوان والقصر الغربى والايوان من أولاد العاضد وأقاربه ومن معهم
مضافا اليهم ثلثمائة واثنين وسبعين نفسا دار المظفر أحرار ومماليك
مائة وست وستون نفسا القصر الغربى احرار مائة وأربعون
نفسا الايوان تسعة وسبعون رجلا بالغون وأما منازل
العز فاشتراها الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن
نجم الدين ايوب بن شادى فى نصف شعبان سنة ست
وستين وخمسمائة وجعلها مدرسة للفقهاء
الشافعية واشترى الروضة وجعلها وقفا
على المدرسة المذكورة والله تعالى
اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب
وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وسلم
تم الجزء المبارك بحمد الله وعونه ويتلوه الجزء الثانى الحارات

بيان الخطا والصواب فى الجزء الاول من هذا الكتاب

خطا	صواب	صحيفه	سطر
به رامقه	به وامقه	٢	١٧
قد دثرت بعده معظم	فدثر بعــده معظم	٥	٠٨
وخيره	وصيره	٧	٢٥
فالماء يجرى من قلب سال	لعل صوابه يقلب سال لانه من مخلع البسيط	٨	١٤
والفرع المقدم والفرع المؤخر	والفرغ المقدم والفرغ المؤخر	٩	٠٥
كالمخ	كالمح	٩	١٣ و١٥
ريقراطس	ديمقراطس	٩	١٨
تدبير	تدوير	٩	٢١
ضرر قوتها غير ساكنة	ضرر قربها عن ساكنيه	١٠	١١
تمنع من سلوك الجبال	تمنع من سلوكها الجبال	١١	٣٩
صارت السنة	صارت القسمة	١٢	١٦
يحسب بين	يحسب بيتى	١٢	١٨
ومن السماوة	ومنه السماوة	١٣	٠٧
ببلاد البيت	ببلاد التبت	١٣	٢١
والصيصة	والمصيصة	١٣	٢٤
ومن السياة	ومن السيارة	١٣	٢٧
الاقسام السبعة	الاقاليم السبعة	١٤	٢٥
تشريفا	تشريقا	١٤	٣٣
المهالك	الممالك	١٤	٣٧
متشرف	لعله (متسرب)	١٥	٣٥
بلا الصين	بلاد الصين	١٦	٣٦
التعبر من بلاد كران	التبر من بلاد مكران	١٦	٣٧
النحيه	البجه	١٧	٠٧
نهر يردع مهران	يردع نهر مهران	١٧	١٠
البر الرومى	البحر الرومى	١٨	٠٩
معدونية	مقدونية	١٨	٣٥
ابنته قلمون	ابنة قلمون	١٩	١١
عامر	عابر	١٩	١٦

خطا	صواب	صحيفه	سطر
وأولاد الافارق	ووالد الافارقة	١٩	٢٧
ان عبد شمس بن يشحب	ان عبد شمس بن يشجب	١٩	٣٨
البراى الى يمونية	البرارى الى ثونية	٢٠	٨
تجميع	بجميع	٢٠	٨
فى البأس يعبروا	فى الناس يجتروا	٢٠	١٤
ويل بن جير	وائل بن جبير	٢٠	٢٤
سلينيك	السكسك	٢٠	٢٤
فلم يجبه أحد	فلم يجبه ولا أحد	٢٠	٣٧و٣٨
ابى لهيعة	ابن لهيعة	٢١	٠٥
أسماء للبلد	اسم للبلد	٢١	٣٦
وهو مذكر اسم	وهو اسم مذكر	٢١	٣٦
أدخلوا مصران شاء الله آمين	ادخلوا مصران شاء الله آمنين	٢١	٣٨
فى كتاب ليس أحد	فى كتاب ليس ليس أحد	٢٢	٠٧
ثم رباالله	ثم ربى الله	٢٢	١٥
قضى لستة ايام من خليقته	قضى لستة ايام خليقته	٢٢	٢١
صلعة	ضلعه	٢٢	٢٤
اجلا	اكلا	٢٢	٢٧
ابو نضرة	ابو بصرة	٢٢	٣٤
فأغاثه الله	فأغاث الله	٢٢	٣٥
قال ذبيان	يال ذبيان	٢٢	٣٧
ويأخذ منكم من حب كما يمتار مصر	(هكذا فى النسخ وهو محل تأمل)	٢٢	٣٨
أن متن	ان تمن	٢٤	٠٤
السفاد	الفساد	٢٤	١٧
الجند العربى	الجند الغربى	٢٤	٢٤
فاذا رأيتم رجلان	فاذا رأيتم رجلين	٢٤	٣٦
والطرمدة	والطرمذة	٢٦	٠١
الحافرى	الغافرى	٢٦	٠٢
بكل ساحر	بكل سحار	٢٧	٢٨
مدر الكعبة	جدر الكعبة	٢٨	٣٩

خطا	صواب	صحيفه	سطر
الكافى الله به فقد ما سواه	الكافى لنبيه عما سواه (هكذا فى بعض النسخ فليتأمل)	٢٩	١٠
ويترك اصحابه	وينزل اصحابه	٢٩	٢٤
ثم شرحه	ثم سرّحه	٢٩	٣٠
ثم دعا رجلا عاقلا ثم لم يدع الخ	(هكذا فى النسخ وفيه تأمل)	٢٩	٣٦
ابو يعقوب	انبأنا يعقوب	٣٠	٠٤
اسمه ابن عبد الله	اسمه جبير بن عبد الله	٣٠	٠٧
لمسلمة بن محمد	لمحمد بن مسلمة	٣٠	١٣
ولا يتغتر	ولا يتغير	٣٢	٣٧
جزأ	جزء	٣٣	٠١
جارويه	خمارويه	٣٤	٣٧
اذا خرج	اذا أخرج	٣٧	٣٤
غطاه	تخطاه	٣٧	٣٨
بيت	يثب	٣٨	١٣
واحذر	واجدر	٣٩	٢٥
بعضدها	يقصدها	٣٩	٣٩
واجربة	واجرنة	٤١	٠٥
وآمنت بنوا اسرائيل عائلته	وآمنت بنوا اسرائيل غائلته	٤٢	١٩
من الصيف	من الصنف	٤٢	٢٩
مصرواذا	مصراذا	٤٣	١٨
اخبار البلدان	اخباز البلدان	٤٤	٢٤
النبيذ	كالنبيذ	٤٤	٣٦
وكثيرا	وكثير	٤٥	٠١
ضعيفة	صيفية	٤٦	١٢
واحد	وافد	٤٧	١٧
بموضع جرب	بموضع خرب	٤٧	٢٢
سيرهم	سفرهم	٤٧	٢٦
يعرض الهواء	يعرّض للهواء	٤٧	٣٢
تعدباقية	بعدباقية	٤٨	٠٧
القرينة	القريبة	٤٨	١٩
الابدان ان فى	الابدان فى	٤٨	٣٠
قوة علية	قوة عليه	٤٩	٠٣

خطا	صواب	صحيفه	سطر
ثم تمتد حتى تنتهى	ثم يمتد حتى ينتهى	٥١	٢٩
وفى جودة القمر	وفى جزيرة القمر	٥٢	٠٨
وكذلك اغضوا عنه	ولذلك اغضوا عنه	٥٢	٢١
وكان فيما يذكر الخ	لعله (فانه كان فيما يذكر الخ) ليكون جوابا لا "ما"	٥٣	١٣
كتاب جعفر	كتاب جغرافيا	٥٣	٢٥
لان نسبة	لا نسبة	٥٥	٢٠
وانما الاستدلاله	وأما استدلاله	٥٦	٢٥
الى بناء على	الى ما	٥٦	٢٩
العزيز لدين الله	المعز لدين الله	٦١	٠٨
والجزيرة يعرف	والجزيرة التى تعرف	٦١	٣٣
والجزيرة أيضا	والجيزة أيضا	٦١	٣٤
منها	منهما	٦١	٣٤
يفترغ	تفترع	٦٢	٢٩
الموزون من الدستورات المنتجبة	لعله (الوزن من الدستورات المنتخبة)	٦٢	٣١
مستكا	مصطكا	٦٣	٢٨
حيث الغشمة فى التمثيل معتزل	حيث العشبة فى التمثيل معتزل	٦٤	٠٧
لا من دمة الشفق	ملق فى دم الشفق	٦٤	٠٩
مداراة نفسه	مداواة نفسه	٦٤	١٩
بماء يتز	بمايتز	٦٥	٢٢
اناء متخرقة	اناء متخرق	٦٦	٣٢
ذلك الخراريب	تلك الخراريب	٦٨	٢٥
نيلا كاف	نيلا غير كاف	٦٨	٢٩
اصناف الكواكب	اصنام الكواكب	٧٠	٢٩
تسمى المنهل	تسمى المنهى	٧١	٢٢
خمس ومائة	خمسين ومائة	٧١	٣٧
بن نسبب	بن شيث	٧٢	١٨
الشرائط والقرى	الشرائط تسع قرى	٧٣	١٤
وهى من قوص	وهى عمل قوص	٧٤	٠٥

خطا	صواب	صحيفه	سطر
فدان والباقي	(وفي بعض النسخ) فدان ويقال ان احمد ابن مدبر راعت برما يصلح للزراعة بأرض مصر فوجده أربعة وعشرين ألف ألف والباقي	٧٥	٠٩
الشريف الحراني	الشريف الجواني	٧٥	٢٧
له الامراء	له الامر	٧٧	٥
تنوديمي	تنوخي	٧٩	٢٦
وخرج بجيش رجل	وخرج بجنس رجل	٧٩	٢٩
بعبدالملك	عبدالملك	٧٩	٣٠
فقتل بجش	فقتل بجنس	٧٩	٣٠
بضرابة	بضرائب	٨٢	٠٩
القائل	القائد	٨٣	٠٤
غيرها	عبرتها	٨٣	١٤
الآمريين	الآمرين	٨٤	١٤ و ٣١

هذا ما وجدناه في الملازم الاول من الجزء الاول مما يلزم التنبيه عليه وأغلبه من تحريف نسخ الاصل التي طبع منها هذا الكتاب كما يعلم بالوقوف عليها والله اعلم بالصواب

فهرست الجزء الاول من كتاب الخطط للعلامة المقريزى

صحيفه

صحيفه

ذكر

باب

تمت فهرست الجزء الاول من كتاب الخطط

كتاب
المواعظ والاعتبار
بذكر الخطط والآثار

المعروف بالخطط المقريزية

تأليف

تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي

المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

الجزء الثاني

طبعة جديدة بالأوفست

دار صادر

بيروت

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ذكر حارات القاهرة وظواهرها)

قال ابن سيده والحارة كل محلة دنت منازلها قال والمحلة منزل القوم وبالقاهرة وظواهرها عدة حارات وهى * (حارة بهاء الدين) هذه الحارة كانت قديما خارج باب الفتوح الذى وضعه القائد جوهر عندما اختط أساس القاهرة من الطوب النئ وقد بقى من هذا الباب عقدة برأس حارة بهاء الدين وصارت هذه الحارة اليوم من داخل باب الفتوح الذى وضعه امير الجيوش بدر الجمالى وهو الموجود الآن وحد هذه الحارة عرضا من خط باب الفتوح الآن الى خط حارة الوراقة بسوق المرحلين وحدها طولا فيما وراء ذلك الى خط باب القنطرة وكانت هذه الحارة تعرف بحارة الريحانية والوزيرية وهما طائفتان من طوائف عسكر الخلفاء الفاطميين فان بها كانت مساكنهم وكان فيها لهاتين الطائفتين دور عظيمة وحوانيت عديدة وقيل لها أيضا بين الحارتين واتصلت العمارة الى السور ولم تزل الريحانية والوزيرية بهذه الحارة الى أن كانت واقعة السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب بالعبيد

حارة بهاء الدين

(ذكر واقعة العبيد)

وسببها أن مؤتمن الخلافة جوهرا أحد الاستاذين المحنكين بالقصر تحدث فى ازالة صلاح الدين يوسف بن ايوب من وزارة الخليفة العاضد لدين الله عندما ضايق اهل القصر وشدد عليهم واستبد بأمور الدولة وأضعف جانب الخلافة وقبض على اكابر اهل الدولة فصار مع جوهر عدة من الامراء المصريين والجند واتفق رأيهم أن يبعثوا الى الفرنج ببلاد الساحل يستدعونهم الى القاهرة حتى اذا خرج صلاح الدين لقتالهم بعسكره ثاروا وهم بالقاهرة واجتمعوا مع الفرنج على اخراجه من مصر فسيروا رجلا الى الفرنج وجعلوا كتبهم التى معه فى نعل وحفظت بالجلد مخافة أن يفطن بها فسار الرجل الى البير البيضاء قريبا من بلبيس فاذا ببعض اصحاب صلاح الدين هنالك فأنكر أمر الرجل من اجل أنه جعل النعلين فى يده ورآهما وليس فيهما اثر المشى والرجل رث الهيئة فارتاب وأخذ النعلين وشقهما فوجد الكتب ببطنهما فحمل الرجل والكتب الى صلاح الدين فتتبع خطوط الكتب حتى عرفت فاذا الذى كتبها من اليهود الكتاب فأمر بقتله فاعتصم بالاسلام وأسلم وحدثه الخبر فبلغ ذلك مؤتمن الخلافة فاستشعر الشر وخاف على نفسه ولزم القصر وامتنع من الخروج منه فأعرض صلاح الدين

المحنكين الحافظين كذا يؤخذ من القاموس

عن

عن ذلك جملة وطال الامد فظن الخصى انه قد أهمل امره وشرع يخرج من القصر وكانت له منظرة بناها بناحية الخرقانية فى بستان فخرج اليها فى جماعة وبلغ ذلك صلاح الدين فأنهض اليه عدة هجموا عليه وقتلوه فى يوم الاربعاء لخمس بقين من ذى القعدة سنة أربع وستين وخمسمائة واحتزوا رأسه وأتوا بها الى صلاح الدين فاشتهر ذلك بالقاهرة واشيع فغضب العسكر المصرى وثاروا بأجمعهم فى سادس عشريه وقد انضم اليهم عالم عظيم من الامراء والعامة حتى صاروا ما ينيف على خمسين ألفا وساروا الى دار الوزارة وفيها يومئذ سا كنها صلاح الدين وقد استعدوا بالاسلحة فبادر شمس الدولة فخر الدين توران شاه أخو صلاح الدين وصرخ فى عساكر الغز وركب صلاح الدين وقد اجتمع اليه طوائف من اهله واقاربه وجميع الغز ورتبهم ووقفت الطائفة الريحانية والطائفة الجيوشية والطائفة الفرحية وغيرهم من الطوائف السودانية ومن انضم اليهم بين القصرين فثارت الحروب بينهم وبين صلاح الدين واشتد الامر وعظم الخطب حتى لم يبق الا هزيمة صلاح الدين واصحابه فعند ذلك امر توران شاه بالحملة على السودان فقتل فيها أحد مقدميهم فانكف بأسهم قليلا وعظمت حملة الغز عليهم فانكسروا الى باب الذهب ثم الى باب الزهومة وقتل حينئذ عدة من الامراء المصريين وكثير ممن عداهم وكان العاضد فى هذه الوقعة يشرف من المنظرة فلما رأى اهل القصر كسرة السودان وعساكر مصر رموا على الغز من اعلى القصر بالنشاب والحجارة حتى أنكوا فيهم وكفوهم عن القتال وكادوا ينهزمون فأمر حينئذ صلاح الدين النفاطين باحراق المنظرة فأحضر شمس الدولة النفاطين وأخذوا فى تطييب قارورة النفط وصوبوا بها على المنظرة التى فيها العاضد فخاف العاضد على نفسه وفتح باب المنظرة زعيم الخلافة أحد الاستاذين وقال بصوت عال امير المؤمنين يسلم على شمس الدولة ويقول دونكم والعبيد الكلاب أخرجوهم من بلادكم فلما سمع السودان ذلك ضعفت قلوبهم وتخاذلوا فحمل عليهم الغز فانكسروا وركب القوم أقفيتهم الى أن وصلوا الى السيوفيين فقتل منهم كثير وأسر منهم كثير وامتنعوا هنالك على الغز بمكان فأحرق عليهم وكان فى دار الارمن التى كانت قريبا من بين القصرين خلق عظيم من الارمن كلهم رماة ولهم جار فى الدولة يجرى عليهم فعند ما قرب منهم الغز رموهم عن يد واحدة حتى امتنعوا عن أن يسيروا الى العبيد فأحرق شمس الدولة دارهم حتى هلكوا حرقا وقتلا ومروا الى العبيد فصاروا كلما دخلوا مكانا أحرق عليهم وقتلوا فيه الى أن وصلوا الى باب زويلة فاذا هو مغلوق فحصروا هنالك واستمر فيهم القتل مدة يومين ثم بلغهم أن صلاح الدين أحرق المنصورة التى كانت اعظم حاراتهم وأخذت عليهم افواه السكك فأيقنوا أنهم قد اخذوا لا محالة فصاحوا الامان فأمنوا وذلك يوم السبت لليلتين بقيتا من ذى القعدة وفتح لهم باب زويلة فخرجوا الى الجيزة فعدا عليهم شمس الدولة فى العسكر وقد قووا بأموال المهزومين وأسلحتهم وحكموا فيهم السيف حتى لم يبق منهم الا الشريد وتلاشى من هذه الواقعة امر العاضد وكان من غرائب الاتفاقات أن الدولة الفاطمية كان الذى افتتح لها بلاد مصر وبنى القاهرة جوهر القائد والذى كان سببا فى ازالة الدولة وخراب القاهرة جوهر المنعوت بمؤتمن الخلافة هذا ثم لما استبد صلاح الدين يوسف بسلطنة الديار المصرية بعد موت الخليفة العاضد لدين الله سكن هذه الحارة الامير الطواشى الخصى بهاء الدين قراقوش بن عبد الله الاسدى فعرفت به *

حارة برجوان

(حارة برجوان) منسوبة الى الاستاذ أبى الفتوح برجوان الخادم وكان خصيا ابيض تام الخلقة ربى فى دار الخليفة العزيز بالله وولاه امر القصور فلما حضرته الوفاة وصاه على ابنه الامير أبى على منصور فلما مات العزيز بالله اقيم ابنه منصور فى الخلافة من بعده وقام بتدبير الدولة أبو محمد الحسن بن عمار الكتامى فدبر الامور وبرجوان يناكده فيما يصدر عنه ويختص بطوائف من العسكر دونه الى أن افسد أمر ابن عمار فنظر برجوان فى تدبير الامور يوم الجمعة لثلاث بقين من رمضان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وصار الواسطة بين الحاكم وبين الناس فأمر بجمع الغلمان ونهاهم عن التعرض لأحد من الكتاميين والمغاربة ووجه الى دار ابن عمار فمنع الناس عنها بعد أن كانوا قد احاطوا بها وانتهبوا منها وأمر ات يجرى لاصحاب الرسوم والرواتب جميع ما كان ابن عمار قطعه وأجرى لابن عمار ما كان يجرى له فى ايام العزيز بالله من الجرايات لنفسه ولاهله وحرمه ومبلغ ذلك من اللحم والتوابل خمسمائة دينار فى كل شهر يزيد عن ذلك او ينقص عنه على قدر الاسعار مع ما كان له من الفاكهة وهو فى كل يوم سلة بدينار وعشرة ارطال شمع بدينار ونصف وحمل ثلج وجعل كاتبه أبا العلاء

فهد ابن ابراهيم النصرانى يوقع عنه وينظر فى قصص الرافعين وظلاماتهم فجلس لذلك فى القصر وصار يطالعه بجميع ما يحتاج اليه ورتب الغلمان فى القصر وأمرهم بملازمة الخدمة وتفقد أحوالهم وأزال علل اولياء الدولة وتفقد امور الناس وأزال ضروراتهم ومنع الناس كافة من الترجل له فكان الناس يلقونه فى داره فاذا تكامل لقاؤهم ركبوا بين يديه الى القصر ماعدا الحسين بن جوهر والقاضى ابن النعمان فقط فانهما كانا يتقدمانه من دورهما الى القصر او يلحقانه ويكون سلامهما عليه فى القصر حتى أنه لقب كاتبه فهدا بالرئيس فصار يخاطب بذلك ويكاتب به * وكان برجوان يجلس فى دهاليز القصر ويجلس الرئيس فهد بالدهليز الاول يوقع وينظر ويطالع برجوان مايحتاج اليه مما يطالع به الحاكم فيخرج الامر بما يكون العمل به وترقت احوال برجوان الى أن بلغ النهاية فقصر عن الخدمة وتشاغل بلذاته وأقبل على سماع الغناء واكثر من الطرب وكان شديد المحبة فى الغناء فكان المغنون من الرجال والنساء يحضرون داره فيكون معهم كأحدهم ثم يجلس فى داره حتى يمضى صدر النهار ويتكامل جميع اهل الدولة وارباب الاشغال على بابه فيخرج راكبا ويمضى الى القصر فيمشى من الامور ما يختار بغير مشاورة فلما تزايد الامر وكثر استبداده تحرد له الحاكم ونقم عليه اشياء من تجريه عليه ومعاملته له بالاذلال وعدم الامتثال منها انه استدعاه يوما وهو راكب معه فصار اليه وقد ثنى رجله على عنق فرسه وصار باطن قدمه وفيه الخف قبالة وجه الحاكم ونحو ذلك من سوء الادب فلما كان يوم الخميس سادس عشرى شهر ربيع الآخر سنة تسعين وثلاثمائة انفذ اليه الحاكم عشية للركوب معه الى المقياس فجاء بعد ما تباطأ وقد ضاق الوقت فلم يكن بأسرع من خروج عقيق الخادم باكيا يصيح قتل مولاى وكان هذا الخادم عينا لبرجوان فى القصر فاضطرب الناس واشرف عليهم الحاكم وقام زيدان صاحب المظلة فصاح بهم من كان فى الطاعة فلينصرف الى منزله ويبكر الى القصر المعمور فانصرف الجميع

فكان من خبر قتل برجوان انه لما دخل الى القصر كان الحاكم فى بستان يعرف بدويرة التين والعناب ومعه زيدان فوافاه برجوان بها وهو قائم فسلم ووقف فسار الحاكم الى أن خرج من باب الدويرة فوثب زيدان على برجوان وضربه بسكين كانت معه فى عنقه وابتدره قوم كانوا قد أعدوا للفتك به فأثخنوه جراحة بالخناجر واحتزوا رأسه ودفنوه هنالك ثم ان الحاكم أحضر اليه الرئيس فهدا بعد العشاء الاخيرة وقال له انت كاتبى وأمنه وطمنه فكانت مدة نظر برجوان فى الوساطة سنتين وثمانية اشهر تنقص يوما واحدا ووجد الحاكم فى تركته مائة منديل يعنى عمامة كلها شروب ملونة معممة على مائة شاشية وألف سراويل دبيقية بالف تكة حرير أرمنى ومن الثياب المخيطة والصحاح والحلى والمصاغ والطيب والفرش والصياغات الذهب والفضة مالا يحصى كثرة ومن العين ثلاثة وثلاثين ألف دينار ومن الخيل الركابية مائة وخمسين فرسا وخمسين بغلة ومن بغال النقل ودواب الغلمان نحو ثلثمائة رأس ومائة وخمسين سرجا منها عشرون ذهبا ومن الكتب شئ كثير وحمل لجاريته من مصر الى القاهرة رحل على ثمانين حمارا قال ابن خلكان وبرجوان بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح الجيم والواو وبعد الالف نون هكذا وجدته مقيدا بخط بعض الفضلاء وقال ابن عبد الظاهر ويسمى الوزغ سماه به الحاكم

حارة زويلة

(حارت زويله) قال ابن عبد الظاهر لما نزل القائد جوهر بالقاهرة اختطت كل قبيلة خطة عرفت بها فزويلة بنت الحارة المعروفة بها والبئر التى تعرف بئر زويلة فى المكان الذى يعمل فيه الآن الروايا والبابان المعروفان ببابى زويلة وقال ياقوت زويلة بفتح الزاى وكسر الواو وياء ساكنة وفتح اللام اربعة مواضع الاول زويلة السودان وهى قصبة اعمال فزان فى جنوب افريقية مدينة كثيرة النخل والزرع الثانى زويلة المهدية بلد كالربض للمهدية اختطه عبد الله الملقب بالمهدى واسكنه الرعية وسكن هو بالمهدية التى استجدها فكانت دكاكين الرعية وامتعتهم بالمهدية ومنازلهم وحرمهم بزويلة فكانوا يظلون بالنهار فى المهدية ويبيتون ليلا بزويلة وزعم المهدى انه فعل بهم ذلك ليأمن غائلتهم قال احول بينهم وبين اموالهم ليلا وبينهم وبين نسائهم نهارا الثالث باب زويلة بالقاهرة من جهة الفسطاط الرابع حارت زويلة محلة كبيرة بالقاهرة بينها وبين باب زويلة عدة محال سميت بذلك لان جوهرا غلام المعز لما اختط محله بالقاهرة انزل اهل زويلة بهذا المكان فتسمى بهم

الحارة المحمودية

(الحارة المحمودية) الصواب فى هذه الحارة ان يقال حارة المحمودية على الاضافة فانها عرفت بطائفة من طوائف عسكر الدولة الفاطمية كان يقال لها الطائفة المحمودية وقد ذكرها المسبحى

فى

فى تاريخه مرارا قال فى سنة اربع وتسعين وخمسمائة وفيها اقتتلت الطائفة المحمودية واليانسية واشتبه امر هذه الحارة على ابن عبد الظاهر فلم يعرف نسبتها لمن وقال لا اعلم فى الدولة المصرية من اسمه محمود الا ركن الاسلام محمود بن اخت الصالح بن رزيك صاحب التربة بالقرافة اللهم الا ان يكون محمود بن مصال الملكى الوزير فقد ذكر ابن القفطى ان اسمه محمود ومحمود صاحب المسجد بالقرافة وكان فى زمن السرى ابن الحكم قبل ذلك وهذا وهم آخر فان ابن مصال الوزير اسمه سليمان و ينعت بنجم الدين ووقعت فى هذه الحارة نكتة قال القاضى الفاضل فى متجددات سنة اربع وتسعين وخمسمائة والسلطان يومئذ بمصر الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين وكان فى شعبان قد تتابع اهل مصر والقاهرة فى اظهار المنكرات وترك الانكار لها واباحة أهل الامر والنهى فعلها وتفاحش الامر فيها الى ان غلا سعر العنب لكثرة من يعصره واقيمت طاحون بالمحمودية لطحن حشيشة للبزر وافردت برسمه وحميت بيوت المزر واقيمت عليها الضرائب الثقيلة فمنها ما انتهى أمره فى كل يوم الى ستة عشر دينارا ومنع المزر البيوتى ليتوفر الشراء من مواضع الحمى وحملت أوانى الخمر على رؤس الاشهاد وفى الاسواق من غير منكر وظهر من عاجل عقوبة الله تعالى وقوف زيادة النيل عن معتادها وزيادة سعر الغلة فى وقت ميسورها *

حارة الجودرية

* (حارة الجودرية) هذه الحارة عرفت ايضا بالطائفة الجودرية أحد طوائف العسكر فى ايام الحاكم بأمر الله على ماذكره المسبحى وقال ابن عبد الظاهر الجودرية منسوبة الى جماعة تعرف بالجودرية اختطوها وكانوا اربعمائة منهم أبو على منصور الجودرى الذى كان فى ايام العزيز بالله وزادت مكانته فى الايام الحاكمية فأضيفت اليه مع الاحباس الحسبة وسوق الرقيق والسواحل وغير ذلك ولها حكاية سمعت جماعة يحكونها وهى انها كانت سكن اليهود والمعروفة بهم فبلغ الخليفة الحاكم انهم يجتمعون بها فى اوقات خلواتهم و يغنون

وأمة قد ضلوا ودينهم معتل * قال لهم نبيهم نعم الادام الخل

ويسخرون من هذا القول ويتعرضون الى مالا ينبغى سماعه فأتى الى ابوابها وسدها عليهم ليلا وأحرقها فالى هذا الوقت لا يبيت بها يهودى ولا يسكنها ابدا وقد كان فى الايام العزيزية جودر الصقلبى ايضا ضرب عنقه ونهب ماله فى سنة ست وثمانين وثلثمائة * (حارة الوزيرية) هى أيضا تنسب الى طائفة يقال لها الوزيرية من جملة

حارة الوزيرية

طوائف العسكر وكانت اولا تعرف بحارة بستان المصمودى وعرفت أيضا بحارة الاكراد قال ابن عبد الظاهر الوزيرية منسوبة الى الوزير يعقوب بن يوسف بن كلس وقال ابن الصيرفى والطائفة المنعوتة بالوزيرية الى الآن منسوبة اليه يعنى الوزير يعقوب بن يوسف بن كلس أبو الفرج كان يهوديا من اهل بغداد فخرج منها الى بلاد الشام ونزل بمدينة الرملة واقام بها فصار فيها وكيلا للتجار بها واجتمع فى قبله مال عجز عن ادائه ففر الى مصر فى ايام كافور الاخشيدى فتعلق بخدمته ووثب اليه بالمتجر فباع اليه امتعة احيل بثمنها على ضياع مصر فكثر لذلك تردده على الريف وعرف اخبار القرى وكان صاحب حيل ودهاء ومكر ومعرفة مع ذكاء مفرط وفطنة فمهر فى معرفة الضياع حتى كان اذا سئل عن امر غلالها ومبلغ ارتفاعها وسائر احوالها الظاهرة والباطنة اتى من ذلك بالغرض فكثرت أمواله واتسعت احواله وأعجب به كافور لما خبر فيه من الفطنة وحسن السياسة فقال لو كان هذا مسلما اصلح ان يكون وزيرا فلما بلغه هذا عن كافور تاقت نفسه الى الولاية وأحضر من علمه شرائع الاسلام سرا فلما كان فى شعبان سنة ست وخمسين وثلثمائة دخل الى الجامع بمصر وصلى صلاة الصبح وركب الى كافور ومعه محمد بن عبد الله ابن الخازن فى خلق كثير فخلع عليه كافور ونزل الى داره ومعه جمع كثير وركب اليه اهل الدولة يهنونه ولم يتأخر عن الحضور اليه احد فغص بمكانه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات وقلق بسببه وأخذ فى التدبير عليه ونصب الحبائل له حتى خافه يعقوب فخرج من مصر فارا منه يريد بلاد المغرب فى شوال سنة سبع وخمسين وقد مات كافور فلحق بالمعز لدين الله أبى تميم معد فوقع منه موقعا حسنا وشاهد منه معرفة وتدبيرا فلم يزل فى خدمته حتى قدم من المغرب الى القاهرة فى شهر رمضان سنة اثنين وستين وثلثمائة فقلده فى رابع عشر المحرم سنة ثلاث وستين الخراج وجميع وجوه الاموال والحسبة والسواحل والاعشار والجوالى والاحباس والمواريث والشرطتين وجميع ما يضاف الى ذلك وما يطرأ فى مصر وسائر الاعمال وأشرك معه فى ذلك كله عسلوج بن الحسن وكتب لهما سجلا بذلك قرئ فى يوم الجمعة على منبر جامع احمد بن طولون فقبضت ايدى سائر العمال والمتضمنين وجلس يعقوب وعسلوج فى دار الامارة فى جامع احمد بن طولون للنداء على الضياع وسائر وجوه الاموال وحضر الناس

للقبالات وطالبا بالبقايا من الاموال مما على الناس من المالكين والمتقبلين والعمال واستقصيا فى الطلب ونظرا فى المظالم فتوفرت الاموال وزيد فى الضياع وتزايد الناس وتكاشفوا وامتنعا ان يأخذا الا دينارا معزيا فاتضع الدينار الراضى وانحط ونقص من صرفه اكثر من ربع دينار فخسر الناس كثيرا من أموالهم فى الدينار الابيض والدينار الراضى وكان صرف المعزى خمسة عشر درهما ونصفا واشتد الاستخراج فكان يستخرج فى اليوم نيف وخمسون ألف دينار معزية واستخرج فى يوم واحد مائة وعشرون ألف دينار معزية وحصل فى يوم واحد من مال تنيس ودمياط والاشمونين اكثر من مائتى ألف دينار وعشرين ألف دينار وهذا شئ لم يسمع قط بمثله فى بلد فاستمر الامر على ذلك الى المحرم سنة خمس وستين وثلثمائة فتشاغل يعقوب عن حضور ديوان الخراج وانفرد بالنظر فى أمور المعز لدين الله فى قصره وفى الدور الموافق عليها وبعد ذلك بقليل مات المعز لدين الله فى شهر ربيع الآخر منها وقام من بعده فى الخلافة ابنه العزيز بالله أبو منصور نزار ففوض ليعقوب النظر فى سائر أموره وجعله وزيرا له فى اول المحرم سنة سبع وستين وثلثمائة وفى شهر رمضان سنة ثمان وستين لقبه بالوزير الاجل وأمر ان لا يخاطبه أحد ولا يكاتبه الا به وخلع عليه وحمل ورسم له فى محرم سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة ان يبدأ له فى مكاتباته باسمه على عنوانات الكتب النافذة عنه وخرج توقيع العزيز بذلك وفى هذه السنة اعتقل فى القصر ورد الامر الى خير ابن القاسم فأقام معتقلا عدة شهور ثم اطلق فى سنة أربع وسبعين وحمل على عدة خيول وقرئ سجل برده الى تدبير الدولة ووهبه خمسمائة غلام من الناشئة وألف غلام من المغاربة ملكه العزيز رقابهم فكان يعقوب اول وزراء الخلفاء الفاطميين بديار مصر فدبر أمور مصر والشام والحرمين وبلاد المغرب واعمال هذه الاقاليم كلها من الرجال والاموال والقضاء والتدبير وعمل له اقطاعا فى كل سنة بمصر والشام مبلغها ثلثمائة ألف دينار واتسعت دائرته وعظمت مكانته حتى كتب اسمه على الطرز وفى الكتب وكان يجلس كل يوم فى داره يأمر وينهى ولا يرفع اليه رقعة الا وقع فيها ولا يسأل فى حاجة الا قضاها ورتب فى داره الحجاب نوبا وأجراهم على مراتب وألبسهم الديباج وقلدهم السيوف وجعل لهم المناطق ورتب فرسين فى داره للنوبة لا تبرح واقفة بسروجها ولجمها لهم برد ونصب فى داره الدواوين فجعل ديوانا للعزيزية فيه عدة كتاب وديوانا للجيش فيه عدة كتاب وديوانا للاموال فيه عدة كتاب وعدة جهابذة وديوانا للخراج وديوانا للسجلات والانشاء وديوانا للمستغلات وأقام على هذه الدواوين زماما وجعل فى داره خزانة للكسوة وخزانة للمال وخزانة للدفاتر وخزانة للاشربة وعمل على كل خزانة ناظرا وكان يجلس عنده فى كل يوم الاطباء لينظروا فى حال الغلمان ومن يحتاج منهم الى علاج أو اعطاء دواء ورتب فى داره الكتاب والاطباء يقفون بين يديه وجعل فيها العلماء والادباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين وأرباب الصنائع لكل طائفة مكان مفرد وأجرى على كل واحد منهم الارزاق وألف كتبا فى الفقه والقراآت ونصب له مجلسا فى داره يحضره فى كل يوم ثلاثاء ويحضر اليه الفقهاء والمتكلمون وأهل الجدل يتناظرون بين يديه فمن تآليفه كتاب فى القراآت وكتاب فى الاديان وهو كتاب الفقه واختصره وكتاب فى آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتاب فى علم الابدان وصلاحها فى ألف ورقة وكتاب فى الفقه مما سمعه من الامام المعز لدين الله والامام العزيز بالله وكان يجلس فى يوم الجمعة ايضا ويقرأ مصنفاته على الناس بنفسه وفى حضرته القضاة والفقهاء والقراء وأصحاب الحديث والنحاة والشهود فاذا فرغ من قراءة ما يقرأ من مصنفاته قام الشعراء ينشدون مدائحهم فيه وكان فى داره عدة كتاب ينسخون القرآن الكريم والفقه والطب وكتب الادب وغيرها من العلوم فاذا فرغوا من نسخها قوبلت وضبطت وجعل فى داره قراء وأئمة يصلون فى مسجد داره وأقام بداره عدة مطابخ لنفسه ولجلسائه ولغلمانه وحواشيه وكان ينصب مائدة لخاصته يأكل هو وخواصه من أهل العلم ووجوه كتابه وخواص غلمانه ومن يستدعيه عليها وينصب عدة موائد لبقية الحجاب والكتاب والحواشي وكان اذا جلس يقرأ كتابه فى الفقه الذى سمعه من المعز والعزيز لا يمنع أحد من مجلسه فيجتمع عنده الخاص والعام ورتب عند العزيز بالله جماعة لا يخاطبون الا بالقائد وأنشأ عدة مساجد ومساكن بمصر والقاهرة وكان يقيم فى شهر رمضان الاطعمة للفقهاء ووجوه الناس وأهل الستر والتعفف ولجماعة كثيرة من الفقراء وكان اذا فرغ الفقهاء والوجوه من الاكل معه يطاف عليهم بالطيب * ومرض مرة من علة اصابت يده فقال فيه عبدالله بن محمد بن أبى الجرع

* يد الوزير هى الدنيا فان آلمت * رأيت فى كل شئ ذلك الالما *
تأمّل الملك وانظر فرط علته * من اجله واسأل القرطاس والقلما
وشاهد البيض فى الاغماد حائمة * الى العدا وكثيرا ماروين دما *
وانفس الناس بالشكوى قد اتصلت * كأنما اشعرت من أجله سقما
* هل ينهض المجد الان يؤيده * ساق يقدّم فى انهاضه قدما *
* لولا العزيز وآراء الوزير معا * تحيفتنا خطوب تشعب الامما *
* فقل لهذا وهذا انما شرف * لا اوهن الله ركنيه ولا انهدما *
* كلا كما لم يزل فى الصالحات يدا * مبسوطة ولسانا ناطقا وفما *
* ولا أصابكما أحداث دهركما * ولا طوى لكما ما عشتما علما *
* ولا انمحت عنك يا مولاى عافية * فقد محوت بما أوليتنى العدما *

وكان الناس يفتون بكتابه فى الفقه ودرس فيه الفقهاء بجامع مصر وأجرى العزيز بالله لجماعة فقهاء يحضرون مجالس الوزير أرزاقا فى كل شهر تكفيهم وكان للوزير مجلس فى داره للنظر فى رقاع المرافعين والمتظلمين ويوقع بيده فى الرقاع ويخاطب الخصوم بنفسه وأراد العزيز بالله ان يسافر الى الشام فى زمن ابتداء الفاكهة فأمر الوزير ان يأخذ الاهبة لذلك فقال يا مولاى لكل سفر أهبة على مقداره فما الغرض من السفر فقال انى أريد التفرج بدمشق لاكل القراصيا فقال السمع والطاعة وخرج فاستدعى جميع ارباب الحمام وسألهم عما بدمشق من طيور مصر واسماء من هى عنده وكانت مائة ونيفا وعشرين طائرا ثم التمس من طيور دمشق التى هى فى مصر عدة فاحضرها وكتب الى نائبه بدمشق يقول ان بدمشق كذا وكذا طائرا وعرّفه اسماء من هى عنده وأمره باحضارها اليه جميعها وان يصيب من القراصيا فى كل كاغدة ويشدّها على كل طائر منها ويسرحها فى يوم واحد فلم يمض الاثلاثة ايام اواربعة حتى وصلت الحمائم كلها ولم يتأخر منها الا نحو عشر وعلى جناحها القراصيا فاستخرجها من الكواغد وعملها فى طبق من ذهب وغطاها وبعث بها الى العزيز بالله مع خادم وركب اليه وقدّم ذلك وقال يا أمير المؤمنين قد حضرنا قبالك القراصيا ههنا فان اغناك هذا القدر والا استدعيناشيأ آخر فعجب العزيز بالوزير وقال مثلك يخدم الملوك يا وزير واتفق انه سابق العزيز بين الطيور فسبق طائر الوزير يعقوب طائر العزيز فشق ذلك على العزيز ووجد اعداء الوزير سبيلا الى الطعن فيه فكتبوا الى العزيز انه قد اختار من كل صنف اعلاه ولم يترك لامير المؤمنين الا ادناه حتى الحمام فبلغ ذلك الوزير فكتب الى العزيز

قل لامير المؤمنين الذى * له العلى والمثل الثاقب
طائرك السابق لكنه * لم يأت الا وله حاجب

فأعجب العزيز بذلك وأعرض عما وشى به ولم يزل على حال رفيعة وكلمة نافذة الى ان ابتدأت به علته يوم الاحد الحادى والعشرين من شوال سنة ثمانين وثلثمائة ونزل اليه العزيز بالله يعوده وقال له وددت انك تباع فابتاعك بمالى أو تفدى فأفديك بولدى فهل من حاجة توصى بها يا يعقوب فبكى وقبل يده وقال اما فيما يخصنى فانت ارعى بحقى من ان استرعيك اياه وأرأف على من ان اوصيك به ولكنى انصح لك فيما يتعلق بك وبدولتك سالم الروم ما سالموك واقنع من الحمدانية بالدعوة والشكر ولا تبق على مفرج بن دغفل ان عرضت لك فيه فرصة وانصرف العزيز فأخذته السكتة * وكان فى سياق الموت يقول لا يغلب الله غالب ثم قضى نحبه ليلة الاحد لخمس خلون من ذى الحجة فأرسل العزيز بالله الى داره الكفن والحنوط وتولى غسله القاضى محمد بن النعمان وقال كنت والله اغسل لحيته وأنا ارفق به خوفا ان يفتح عينه فى وجهى وكفن فى خمسين ثوبا ثلاثين مثقلا يعنى منسوجا بالذهب ووشى مذهبا وشرب دبيقى مذهبا وحقة كافورا وقارورتى مسك وخمسين منا ماء ورد وبلغت قيمة الكفن والحنوط عشرة آلاف دينار وخرج مختار الصقلبى وعلىّ بن عمر العداس والرجال بين أيديهم ينادون لا يتكلم أحد ولا ينطق وقد اجتمع الناس فيما بين القصر ودار الوزير التى عرفت بدار الديباج ثم خرج العزيز من القصر على بغلة والناس يمشون بين يديه وخلفه بغير مظلة والحزن ظاهر عليه حتى وصل الى داره فنزل وصلى عليه وقد طرح على تابوته ثوب مثقل ووقف حتى دفن بالقبة التى كان بناها وهو يبكى ثم انصرف وسمع العزيز وهو يقول واطول

أسفى عليك يا وزير والله لو قدرت أفديك بجميع ما أملك لفعلت وأمر باجراء غلمانه على عادتهم وعتق جميع مماليكه وأقام ثلاثا لا يأكل على مائدته ولا يحضرها من عادته الحضور وعمل على قبره نوبان منقلان وأقام الناس عند قبره شهرا وغدا الشعراء الى قبره فرثاه مائة شاعر أجيزوا كلهم وبلغ العزيز ان عليه ستة عشر ألف دينار دينا فأرسل بها الى قبره فوضعت عليه وفرّقت على أرباب الديون والزم القرّاء بالمقام على قبره وأجرى عليهم الطعام وكانت الموائد تحضر الى قبره كل يوم مدّة شهر يحضر نساء الخاصة كل يوم ومعهن نساء العامة فتقوم الجوارى بأقداح الفضة والبلور وملاعق الفضة فيسقين النساء الاشربة والسويق بالسكر ولم تتأخر نائحة ولا لاعبة عن حضور القبر مدّة الشهر وخلف املاكا وضياعا وقياسير ورباعا وعينا وورقا وأوانى ذهبا وفضة وجوهرا وعنبرا وطيبا وثيابا وفرشا ومصاحف وكتبا وجوارى وعبيدا وخيلا وبغالا ونوقا وحمرا وابلا وغلالا وخزائن ما بين اشربة وأطعمة قوّمت بأربعة آلاف ألف ألف دينار سوى ما جهز به ابنته وهو ما قيمته مائتا ألف دينار وخلف ثمانى مائة حظية سوى جوارى الخدمة فلم يتعرّض العزيز لشئ مما يملكه أهله وجواريه وغلمانه وأمر بحفظ جهاز ابنته الى ان زوّجها وأجرى لمن فى داره كل شهر ستمائة دينار للنفقة سوى الكسوة والجرايات وما يحمل اليهم من الاطعمة من القصر وأمر بنقل ما خلفه الى القصر فلما تم له من يوم وفاته شهر قطع الامير منصور بن العزيز جميع مستغلاته وأقر العزيز جميع ما فعله الوزير وما ولاه من العمال على حاله وأجرى الرسوم التى كان يجريها وأقر غلمانه على حالهم وقال هؤلاء صنائعى وكانت عدّة غلمان الوزير أربعة آلاف غلام عرفوا بالطائفة الوزيرية وزاد العزيز أرزاقهم عما كانت عليه وأدناهم واليهم تنسب الوزيرية فانها كانت مساكنهم واتفق ان الوزير عمر قبة انفق عليها خمسة عشر ألف دينار وآخر ما قال لقد طال أمر هذه القبة ما هذه قبة هذه تربة فكانت كذلك ودفن تحتها وموضع قبره اليوم المدرسة الصاحبية واتفق انه وجد فى داره رقعة مكتوب فيها

احذروا من حوادث الازمان * وتوقوا طوارق الحدثان

قد أمنتم ريب الزمان ونمتم * رب خوف مكمن فى الامان

حارة الباطلية

فلما قرأها قال لا حول ولا قوّة الا بالله العلىّ العظيم ولم يلبث بعدها الا ايام يسيرة ومرض ومات (حارة الباطلية) عرفت بطائفة يقال لهم الباطلية قال ابن عبد الظاهر وكان المعز لما قسم العطاء فى الناس جاءت طائفة فسألت عطاء فقيل لها فرغ ما كان حاضرا ولم يبق شئ فقالوا رحنا نحن فى الباطل فسموا الباطلية وعرفت هذه الحارة بهم وفى سنة ثلاث وستين وستمائة احترقت حارة الباطلية عندما كثر الحريق فى القاهرة ومصر واتهم النصارى بفعل ذلك فجمعهم الملك الظاهر بيبرس وحملت لهم الاحطاب الكثيرة والحلفاء وقدّموا ليحرقوا بالنار فتشفع لهم الامير فارس الدين اقطاى اتابك العساكر على ان يلتزموا بالاموال التى احترقت وان يحملوا الى بيت المال خمسين ألف دينار فتركوا وجرى فى ذلك ما تستحسن حكايته وهو أنه قد جمع مع النصارى سائر اليهود وركب السلطان لحرقهم بظاهر القاهرة وقد اجتمع الناس من كل مكان للتشفى بحريقهم لما نالهم من البلاء فيما دهوا به من حريق الاماكن لاسيما الباطلية فانها أتت النار عليها حتى حرقت بأسرها فلما حضر السلطان وقدم اليهود والنصارى ليحرقوا برز ابن الكازرونى اليهودى وكان صيرفيا وقال للسلطان سألتك بالله لا تحرقنا مع هؤلاء الكلاب الملاعين اعدائنا وأعدائكم احرقنا ناحية وحدنا فضحك السلطان والامراء وحينئذ تقرّر الامر على ما ذكر فندب لاستخراج المال منهم الامير سيف الدين بلبان المهرانى فاستخلص بعض ذلك فى عدّة سنين وتطاول الحال فدخل كتاب الامراء مع مخاديمهم وتحيلوا فى ابطال ما بقى فبطل فى ايام السعيد بن الظاهر وكان سبب فعل النصارى لهذا الحريق حنقهم لما اخذ الظاهر من الفرنج ارسوف وقيسارية وطرابلس ويافا وانطاكيه ومازالت الباطلية خرابا والناس تضرب بحريقها المثل لمن يشرب الماء كثيرا فيقولون كأن فى باطنه حريق الباطلية ولما عمر الطواشى بهادر المقدّم داره بالباطلية عمر فيها مواضع بعد سنة خمس وثمانين وسبعمائة

حارة الروم

* (حارة الروم) قال ابن عبد الظاهر واختطت الروم حارتين حارة الروم الآن وحارة الروم الجوّانية فلما ثقل ذلك عليهم قالوا الجوّانية لاغير والورّاقون الى هذا الوقت يكتبون حارة الروم السفلى وحارة الروم العليا المعروفة اليوم بالجوّانية وفى سابع عشر ذى الحجة سنة تسع وتسعين وثلثمائة امر الخليفة الحاكم بأمر الله بهدم حارة الروم

حارة الديلم

فهدمت ونهبت * (حارة الديلم) عرفت بذلك لنزول الديلم الواصلين مع هفتكين الشرابى حين قدم ومعه أولاد

مولاه معز الدولة البويهي وجماعة من الديلم والاتراك في سنة ثمان وستين وثلثمائة فسكنوا بها فعرفت بهم*
وهفتكين هذا يقال له الفتكين أبو منصور التركي الشرابي غلام معز الدولة أحمد بن بويه ترقى في الخدم حتى غلب
في بغداد على عز الدولة مختار بن معز الدولة وكان فيه شجاعة وثبات في الحرب فلما سارت الاتراك من بغداد لحرب
الديلم جرى بينهم قتال عظيم اشتهر فيه هفتكين الا ان أصحابه انهزموا عنه وصار في طائفة قليلة فولى بمن معه من
الاتراك وهم نحو الاربعمائة فسار الى الرحبة وأخذ منها على البر الى ان قرب من حوشبة احدى قرى الشام
وقد وقع في قلوب العرب ان منه مهابة فخرج اليه ظالم بن مرهوب العقيلي من بعلبك وبعث الى أبي محمود ابراهيم
ابن جعفر أمير دمشق من قبل الخليفة المعز لدين الله يعلمه بقدوم هفتكين من بغداد لاقامة الخطبة العباسية
وخوفه منه فأنفذ اليه عسكرا وسار الى ناحية حوشبة يريد هفتكين وسار بشارة الخادم من قبل أبي المعالي
ابن حمدان عونا لهفتكين فرد ظالم الى بعلبك من غير حرب وسار بشارة بهفتكين الى حمص فحمل اليه أبو المعالي
وتلقاه واكرمه وكان قد ثار بدمشق جماعة من أهل الدعارة والفساد وحاربوا عمال السلطان واشتد أمرهم
وكان كبيرهم يعرف بابن الماورد فلما بلغهم خبر هفتكين بعثوا اليه من دمشق الى حمص يستدعونه ووعدوه
بالقيام معه على عساكر المعز واخراجهم من دمشق ليلي عليهم فوقع ذلك منه بالموافقة وسار حتى نزل بثنية العقاب
لايام بقيت من شعبان سنة أربع وستين وثلثمائة فبلغ عسكر المعز خبر الفرنج وانهم قد قصدوا طرابلس فساروا
بأجمعهم الى لقاء العدو ونزل هفتكين على دمشق من غير حرب فأقام اياما ثم سار يريد محاربة ظالم ففر منه ودخل
هفتكين بعلبك فطرقه العدو من الروم والفرنج وانتهبوا بعلبك واحرقوا وذلك في شهر رمضان وانتشروا في اعمال
بعلبك والبقاع يقتلون ويأسرون ويحرقون وقصدوا دمشق وقد التحق بها هفتكين فخرج اليهم أهل دمشق
وسألوهم الكف عن البلد والتزموا بمال فخرج اليهم هفتكين وأهدى اليهم وتكلم معهم في انه لا يستطيع جباية
المال لقوة ابن الماورد وأصحابه وأمر ملك الروم به فقبض عليه وقيده وعاد فجبى المال من دمشق بالعنف وحمل
الى ملك الروم ثلاثين ألف دينار ورحل الى بيروت ثم الى طرابلس فتمكن هفتكين من دمشق وأقام بها الدعوة لابي
بكر عبد الكريم الطائع بن المطيع العباسي وسير الى العرب السرايا فظفرت وعادت اليه بعده بمن أسرته من
رجال العرب فقتلهم صبرا وكان قد تخوف من المعز فكاتب القرامطة يستدعيهم من الاحساء للقدوم عليه
لمحاربة عساكر المعز ومازال بهم حتى وافوا دمشق في سنة خمس وستين ونزلوا على ظاهرها ومعهم كثير من أصحاب
هفتكين الذين كانوا قد تشتتوا في البلاد فقوي بهم ولقي القرامطة وحمل اليهم وسر بهم فأقاموا على دمشق أياما
ثم رحلوا نحو الرملة وبها أبو محمود فلحق بيافا ونزل القرامطة الرملة ونصبوا القتال على يافا حتى كل الفريقان
وسئموا جميعا من طول الحرب وسار هفتكين على الساحل ونزل صيدا وبها ظالم بن مرهوب العقيلي وابن الشيخ
من قبل المعز فقاتلهم قتالا شديدا انهزم منه ظالم الى صور وقتل بين الفريقين نحو أربعة آلاف رجل فقطع أيدي
القتلى من عسكر المعز وسيرها الى دمشق فطيف بها ثم سار عن صيدا يريد عكا وبها عسكر المعز وكان قد مات المعز
في ربيع الآخر وقام من بعده ابنه العزيز بالله وسير جوهر القائد في عسكر عظيم الى قتال هفتكين والقرامطة
فبلغ ذلك القرامطة وهم على الرملة ووصل الخبر بمسيره الى هفتكين وهو على عكا فخاف القرامطة وفروا عنها
فنزلها جوهر وسار من القرامطة الى الاحساء التي هي بلادهم جماعة وتأخر عدة وسار هفتكين من عكا الى طبريه
وقد علم بمسير القرامطة وتأخر بعضهم فاجتمع بهم في طبريه واستعد للقاء جوهر وجمع الاقوات من بلاد حوران
والثنية وادخلها الى دمشق وسار اليها فتحصن بها ونزل جوهر على ظاهر دمشق لثمان بقين من ذي القعدة فبنى
على معسكره سورا وحفر خندقا عظيما وجعل له أبوابا وجمع هفتكين الناس للقتال وكان قد بقي بعد ابن الماورد
رجل يعرف بقسام التراب وصار في عدة وافرة من الدعار فأعانه هفتكين وقواه وأمده بالسلاح وغيره ووقعت
بينهم وبين جوهر حروب عظيمة طويلة الى يوم الحادي عشر من ربيع الاول سنة ست وستين وثلاثمائة فاختل
أمر هفتكين وهم بالفرار ثم انه استظهر ووردت الاخبار بقدوم الحسن بن أحمد القرمطي الى دمشق فطلب
جوهر الصلح على ان يرحل عن دمشق من غير ان يتبعه أحد وذلك انه رأى أمواله قد قلت وهلك كثير مما كان
في عسكره حتى صار أكثر عسكره رجالة وأعوزهم العلف وخشي قدوم القرامطة فأجابه هفتكين وقد عظم فرحه
واشتد سروره فرحل في ثالث جمادى الاولى وجد في المسير وقد قرب القرامطة فأناخ بطبرية فبلغ ذلك القرمطي

فقصده وقد سار عنها الى الرملة فبعث اليه بسرية كانت لها مع جوهر وقعة قتل فيها جماعة من العرب وأدركه القرمطى وسار فى أثره هفتكين فمات الحسن بن أحمد القرمطى بالرملة وقام من بعده بأمر القرامطة ابن عمه جعفر ففسد ما بينه و بين هفتكين ورجع عن الرملة الى الاحساء وناصب هفتكين القتال وألح فيه على جوهر حتى انهزم عنه وسار الى عسقلان وقد غنم هفتكين مما كان معه شيأ يجل عن الوصف ونزل على البلد محاصرا لها و بلغ ذلك العزيز فاستعد للمسير الى بلاد الشام فلما طال الامر على جوهر راسل هفتكين حتى يقرر الصلح على مال يحمله اليه وان يخرج من تحت سيف هفتكين فعلق سيفه على باب عسقلان وخرج جوهر ومن معه من تحته وساروا الى القاهرة فوجد العزيز قد برز يريد المسير فسار معه وكان مدة قتال هفتكين لجوهر على ظاهر الرملة وفى عسقلان سبعة عشر شهرا وسار العزيز بالله حتى نزل الرملة وكان هفتكين بطبرية فسار الى لقاء العزيز ومعه أبو اسحاق وأبو طاهر أخو عز الدولة ابن بختيار بن أحمد بن بويه وأبو اللعاد مرزبان عز الدولة ابن بختيار بن عز الدولة ابن بويه فحاربوه فلم يكن غير ساعة حتى هزمت عساكر العزيز عساكر هفتكين وملكوه فى يوم الخميس لسبع بقين من المحرم سنة ثمان وستين وثلثمائة واستأمن أبو اسحاق ومرزبان بن بختيار وقتل أبو طاهر أخو عز الدولة ابن بختيار وأخذ اكثر أصحابه اسرى وطلب هفتكين فى القتلى فلم يوجد وكان قد فر وقت الهزيمة على فرس بمفرده فأخذه بعض العرب أسيرا فقدم به على مفرج بن دغفل بن الجراح الطائى وعمامته فى عنقه فبعث به الى العزيز فأمر به فشهر فى العسكر وطيف به على جمل فأخذ الناس يلطمونه و يهزون لحيته حتى رأى فى نفسه العبر ثم سار العزيز بهفتكين والاسرى الى القاهرة فاصطنعه ومن معه وأحسن اليه غاية الاحسان وأنزله فى دار وواصله بالعطاء والخلع حتى قال لقد احتشمت من ركوبى مع مولانا العزيز بالله ونظرى اليه بما غمرنى من فضله واحسانه فلما بلغ ذلك العزيز قال لعمه حيدرة يا عم والله انى أحب ان أرى النعم عند الناس ظاهرة وأرى عليهم الذهب والفضة والجوهر ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار وان يكون ذلك كله من عندى و بلغ العزيز ان الناس من العامة يقولون ما هذا التركى فأمر به فشهر فى أجمل حال ولما رجع من تطوفه وهب له مالا جزيلا وخلع عليه وأمر سائر الاولياء بأن يدعوه الى دورهم فما منهم الا من عمل له دعوة وقدم اليه وقاد بين يديه الخيول ثم ان العزيز قال له بعد ذلك كيف رأيت دعوات أصحابنا فقال يا مولانا حسنة فى الغاية وما فيهم الا من انعم وأكرم فصار يركب للصيد والتفرج وجمع اليه العزيز بالله أصحابه من الاتراك والديلم واستحجبه واختص به وما زال على ذلك الى ان توفى فى سنة اثنين وسبعين وثلثمائة فاتهم العزيز وزيره يعقوب بن كلس انه سمه لانه هفتكين كان يترفع عليه فاعتقله مدة ثم أخرجه *(حارة الاتراك) هذه الحارة تجاه الجامع الازهر وتعرف اليوم بدرب الاتراك وكان نافذا الى حارة الديلم والوراقون القدماء تارة يفردونها من حارة الديلم وتارة يضيفونها اليها و يجعلونها من حقوقها فيقولون تارة حارة الديلم والاتراك وتارة يقولون حارتى الديلم والاتراك وقيل لها حارة الاتراك لان هفتكين لما غاب ببغداد سار معه من جنسه أربعمائة من الاتراك وتلاحق به عند ورود القرامطة عليه بدمشق عدة من أصحابه فلما جمع لحرب العزيز بالله كان أصحابه ما بين ترك وديلم فلما قبض عليه العزيز ودخل به الى القاهرة فى الثانى والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ثمان وستين وثلثمائة كما تقدم نزل الديلم مع أصحابهم فى موضع حارة الديلم ونزل هفتكين بأتراكه فى هذا المكان فصار يعرف بحارة الاتراك وكانت مختلطة بحارة الديلم لانهما أهل دعوة واحدة الا ان كل جنس على حدة لتخالفهما فى الجنسية ثم قيل بعد ذلك درب الاتراك *(حارة كتامة) هذه الحارة مجاورة لحارة الباطلية وقد صارت الآن من جملتها كانت منازل كتامة بها عندما قدموا من المغرب مع القائد جوهر ثم مع العزيز وموضع هذه الحارة اليوم حمام كراى وما جاورها مما وراء مدرسة ابن الغنام حيث الموضع المعروف بدرب ابن الاعسر الى رأس الباطلية وكانت كتامة هى أصل دولة الخلفاء الفاطميين

حارة الاتراك

حارة كتامة

(ذكر أبى عبد الله الشيعى)

هو الحسن بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعى من أهل صنعاء اليمن ولى الحسبة فى بعض اعمال بغداد ثم سار الى ابن حوشب باليمن وصار من كبار أصحابه وكان له علم وفهم وعنده دهاء ومكر فورد على ابن حوشب موت الحلوانى داعى المغرب ورفيقه فقال لابى عبد الله الشيعى ان أرض كتامة من بلاد المغرب قد حرثها الحلوانى وأبو سفيان وقد ماتا وليس لها غيرك فبادر فانها موطأة ممهدة لك فخرج من اليمن الى مكة وقد زوده ابن حوشب بمال

فسأل عن حجاج كتامة فأرشد اليهم واجتمع بهم واخفى عنهم قصده وذلك انه جلس قريبا منهم فسمعهم يتحدثون بفضائل آل البيت فحدثهم فى ذلك وأطال ثم نهض ليقوم فسألوه أن يأذن لهم فى زيارته فأذن لهم فصاروا يترددون اليه لما رأوا من علمه وعقله ثم أنهم سألوه أين يقصد فقال أريد مصر فسروا بصحبته ورحلوا من مكة وهو لا يخبرهم شيأ من خبره وما هو عليه من القصد وشاهدوا منه عبادة وورعا وتحرجا وزهادة فقويت رغبتهم فيه واشتملوا على محبته واجتمعوا على اعتقاده وساروا بأسرهم خدما له وهو فى اثناء ذلك يستخبرهم عن بلادهم ويعلم احوالهم ويفحص عن قبائلهم وكيف طاعتهم للسلطان بافريقية فقالوا له ليس له علينا طاعة وبيننا وبينه عشرة ايام قال افتحملون السلاح قالوا هو شغلنا ومابرح حتى عرف جميع ما هم عليه فلما وصلوا الى مصر أخذ يودعهم فشق عليهم فراقه وسألوه عن حاجته بمصر فقال مالى بها من حاجة الا أنى اطلب التعليم بها قالوا فاما اذا كنت تقصد هذا فان بلادنا أنفع لك وأطوع لامرك ونحن أعرف بحقك ومازالوا به حتى اجابهم الى المسير معهم فساروا به الى أن قاربوا بلادهم وخرج الى لقائهم اصحابهم وكان عندهم حس كبير من التشيع واعتقاد عظيم فى محبة اهل البيت كما قرره الحلوانى فعرفهم القوم خبر أبى عبد الله فقاموا بحق تعظيمه واجلاله ورغبوا فى نزوله عندهم واقترعوا فيمن يضيفه ثم ارتحلوا الى ارض كتامة فوصلوا اليها منتصف الربيع الاول سنة ثمان وثمانين ومائتين فما منهم الا من سأله أن يكون منزله عنده فلم يوافق احدا منهم وقال أين يكون فج الاخيار فعجبوا من ذلك ولم يكونوا قط ذكروه له منذ صحبوه فدلوه عليه فقصده وقال اذا حللنا به صرنا نأتى كل قوم منكم فى ديارهم ونزورهم فى بيوتهم فرضوا جميعا بذلك وسار الى جبل ايلجان وفيه فج الاخيار فقال هذا فج الاخيار وما سمى الا بكم ولقد جاء فى الآثار للمهدى هجرة ينبو بها عن الاوطان ينصره فيها الاخيار من اهل ذلك الزمان قوم اسمهم مشتق من الكتمان ولخروجكم فى هذا الفج سمى فج الاخيار فتسامعت به القبائل وأتته البربر من كل مكان وعظم أمره حتى أن كتامة اقتتلت عليه مع قبائل البربر وهو لا يذكر اسم المهدى ولا يعرج عليه فبلغ خبره ابراهيم بن الاغلب امير افريقية فقال ابو عبد الله لكتامة أنا صاحب البذر الذى قال لكم أبو سفيان والحلوانى فازدادت محبتهم له وعظم امره فيهم وأتته القبائل من كل مكان وسار الى مدينة تاصروت وجمع الخيل وصير أمرها للحسن بن هارون كبير كتامة وخرج للحرب فظفر وغنم وعمل على تاصروت خندقا فرجعت اليه قبائل من البربر وحاربوه فظفر بهم وصارت اليه اموالهم ووالى الغزو فيهم حتى استقام له امرهم فساروا وأخذ مداين عدة فبعث اليه ابن الاغلب بعساكر كانت له معهم حروب عظيمة وخطوب عديدة وأنباء كثيرة آلت الى غلب أبى عبد الله وانتشار أصحابه من كتامة فى البلاد فصار يقول المهدى يخرج فى هذه الايام ويملك الارض فياطوبى لمن هاجر الى وأطاعنى وأخذ يغرى الناس بابن الاغلب ويذكر كرامات المهدى وما يفتح الله له ويعدهم بأنهم يملكون الارض كلها وسير الى عبيد الله بن محمد رجالا من كتامة ليخبروه بما فتح الله له وانه ينتظره فوافوا عبيد الله بسلمية من ارض حمص وكان قد اشتهر بها وطلبه الخليفة المكتفى ففر منه بابنه أبى القاسم وسار الى مصر وكان لهما قصص مع النوشزى عامل مصر حتى خلصا منه ولحقا ببلاد المغرب وبلغ ابن الاغلب زيادة الله خبر مسير عبيد الله فأذكى له العيون وأقام له الاعوان حتى قبض عليه بسجلماسه وكان عليها اليسع بن مدرار وحبس بها هو وابنه أبو القاسم وبلغ ذلك ابا عبد الله وقد عظم امره فسار وضايق زيادة الله بن الاغلب وأخذ مدائنه شيأ بعد شئ وصار فيما ينيف على مائتى ألف وألح على القيروان حتى فر زيادة الله الى مصر وملكها أبو عبد الله ثم سار الى رقادة فدخلها أول رجب سنة ست وتسعين ومائتين وفرق الدور على كتامة وبعث العمال الى البلاد وجمع الاموال ولم يخطب باسم أحد فلما دخل شهر رمضان سار من رقاده فاهتز لرحيله المغرب بأسره وخافته زناتة وغيرها وبعثوا اليه بطاعتهم وسار الى سجلماسة ففر منه اليسع بن مدرار واليها ودخل البلد فأخرج عبيد الله وابنه من السجن وقال هذا المهدى الذى كنت ادعوكم اليه وأركبه هو وابنه ومشى بسائر رؤساء القبائل بين ايديهما وهو يقول هذا مولاكم ويبكى من شدة الفرح حتى وصل الى فسطاط ضرب له فأنزل فيه وبعث فى طلب اليسع فأدركه وحمل اليه فضربه بالسياط وقتله ثم سار المهدى الى رقادة فصار بها فى آخر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين ولما تمكن قتل أبا عبد الله وأخاه فى يوم الاثنين للنصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين فكان هذا ابتداء امر الخلفاء الفاطميين

ومازالت كتامة هى أهل الدولة مدة خلافة المهدى عبيد الله وخلافة ابنه القاسم القائم بأمر الله وخلافة المنصور بنصر الله اسماعيل بن القاسم وخلافة معد المعز لدين الله ابن المنصور وبهم أخذ ديار مصر لما سيرهم اليها مع القائد جوهر فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وهم أيضا كانوا اكابر من قدم معه من الغرب فى سنة اثنين وستين وثلثمائة فلما كان فى ايام ولده العزيز بالله نزار اصطنع الديلم والاتراك وقدمهم وجعلهم خاصته فتنافسوا وصار بينهم وبين كتامة تحاسد الى أن مات العزيز بالله وقام من بعده أبو على المنصور الملقب بالحاكم بأمر الله فقدم ابن عمار الكتامى وولاه الوساطة وهى فى معنى رتبة الوزارة فاستبد بأمور الدولة وقدم كتامة واعطاهم وحط من الغلمان الاتراك والديلم الذين اصطنعهم العزيز فاجتمعوا الى برجوان وكان صقلبيا وقد تاقت نفسه الى الولاية فأغرى المصطنعة بابن عمار حتى وضعوا منه واعتزل عن الامر وتقلد برجوان الوساطة فاستخدم الغلمان المصطنعين فى القصر وزاد فى عطاياهم وقواهم ثم قتل الحاكم ابن عمار وكثيرا من رجال دولة أبيه وجده فضعفت كتامة وقويت الغلمان فلما مات الحاكم وقام من بعده ابنه الظاهر لاعزاز دين الله على اكثر من اللهو ومال الى الاتراك والمشارقة فانحط جانب كتامة ومازال ينقص قدرهم ويتلاشى امرهم حتى ملك المستنصر بعد أبيه الظاهر فاستكثرت امه من العبيد حتى يقال انهم بلغوا نحوا من خمسين ألف اسود واستكثر هو من الاتراك وتنافس كل منهما مع الآخر فكانت الحرب التى آلت الى خراب مصر وزوال بهجتها الى أن قدم أمير الجيوش بدر الجمالى من عكا وقتل رجال الدولة وأقام له جندا وعسكرا من الارمن فصار من حينئذ معظم الجيش الارمن وذهبت كتامة وصاروا من جملة الرعية بعدما كانوا وجوه الدولة واكابر أهلها * (حارة الصالحية) عرفت بغلمان الصالح طلائع بن رزيك وهى موضعان الصالحية الكبرى والصالحية الصغرى وموضعهما فيما بين المشهد الحسينى ورحبة الايدمرى وبين البرقية وكانت من الحارات العظيمة وقد خربت الآن وباقيها متداع الى الخراب * قال ابن عبد الظاهر الحارة الصالحية منسوبة الى الصالح طلائع بن رزيك لان غلمانه كانوا يسكنونها وهى مكانان وللصالح دار بحارة الديلم كانت سكنه قبل الوزارة وهى باقية الى الآن وبها بعض ذريته والمكان المعروف بخوخة الصالح نسبة اليه * (حارة البرقية) هذه الحارة عرفت بطائفة من طوائف العسكر فى الدولة الفاطمية يقال لها الطائفة البرقية ذكرها المسبحى * قال ابن عبد الظاهر ولما نزل بالقاهرة يعنى المعز لدين الله اختطت كل طائفة خطة عرفت بها قال واختطت جماعة من أهل برقة الحارة المعروفة بالبرقية انتهى والى هذه الحارة تنسب الامراء البرقية

حارة البرقية

(ذكر الامراء البرقية ووزارة ضرغام)

وذلك ان الصالح طلائع بن رزيك كان قد انشأ فى وزارته امراء يقال لهم البرقية وجعل ضرغاما مقدمهم فترقى حتى صار صاحب الباب وطمع فى شاور السعدى لما ولى الوزارة بعد رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك فجمع رفقته وتخوف شاور منه وصار العسكر فرقتين فرقة مع ضرغام وفرقة مع شاور فلما كان بعد تسعة اشهر من وزارة شاور ثار ضرغام فى رمضان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وصاح على شاور فأخرجه من القاهرة وقتل ولده الاكبر المسمى بطى وبقى شجاع المنعوت بالكامل وخرج شاور من القاهرة يريد الشام كما فعل الوزير رضوان بن ولخشى فانه كان رفيقا له فى تلك الكرة واستقر ضرغام فى وزارة الخليفة العاضد لدين الله بعد شاور وتلقب بالملك المنصور فشكر الناس سيرته فانه كان فارس عصره وكان كاتبا جميل الصورة فكه المحاضرة عاقلا كريما لا يضع كرمه الا فى سمعة ترفعه او مداراة تنفعه الا انه كان اذ نام مستخيلا على اصحابه واذا ظن فى أحد شرا جعل الشك يقينا وعجل له العقوبة وغلب عليه مع ذلك فى وزارته اخواه ناصر الدين همام وفخر الدين حسام وأخذ يتفكر لرفقته البرقية الذين قاموا بنصرته واعانوه على اخراج شاور وتقليده للوزارة من أجل انه بلغه عنهم انهم يحسدونه ويضعون منه وان منهم من كاتب شاورا وحثه على القدوم الى القاهرة ووعده بالمعاونة له فأظلم الجو بينه وبينهم وتجرد للايقاع بهم على عادته فى اسرع العقوبة واحضرهم اليه فى دار الوزارة ليلا وقتلهم بالسيف صبرا وهم صبح ابن شاهنشاه والطهر مرتفع المعروف بالجلواص وعين الزمان وعلى بن الزند وأسد الفازى واقاربهم وهم نحو من سبعين أميرا سوى اتباعهم فذهبت لذلك رجال الدولة واختلت احوالها وضعفت بذهاب اكابرها وفقد أصحاب الرأى والتدبير وقصد الفرنج ديار مصر فخرج اليهم همام اخو ضرغام وانهزم منهم وقتل منهم عدة ونزلوا

على حصن

على حصن بلبيس وملكوا بعض السور ثم ساروا وعاد همام عودا رديئا فبعث به ضرغام الى الاسكندرية وبها الامير مرتفع الجلواص فأخذه العرب وقاده همام الى اخيه فضرب عنقه وصلبه على باب زويلة فما هو الا أن قدم رسل الفرنج على ضرغام فى طلب مال الهدنه المقرر فى كل سنة وهو ثلاثة وثلاثون ألف دينار واذا بالخبر قد ورد بقدوم شاور من الشام ومعه أسد الدين شيركوه فى كثير من الغز فأزعجه ذلك وأصبح الناس يوم التاسع والعشرين من جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وخمسمائة خائفين على انفسهم وأموالهم فجمعوا الاقوات والماء وتحوّلوا من مساكنهم وخرج همام بالعسكر أوّل يوم من جمادى الآخرة فسار الى بلبيس وكانت له وقعة مع شاور انهزم فيها وصار الى شاور واصحابه جميع ما كان مع عسكر همام وأسروا عدّة ونزل شاور بمن معه الى التاج ظاهر القاهرة فى يوم الخميس سادس جمادى الآخرة فجمع ضرغام الناس وضم اليه الطائفة الريحانية والطائفة الجيوشية بداخل القاهرة وشاور مقيم بالتاج مدّة ايام وطوالعه من العربان فطارد عسكر ضرغام بأرض الطبالة خارج القاهرة ثم سار شاور ونزل بالمقس فخرج اليه عسكر ضرغام وحاربوه فانهزم هزيمة قبيحة وسار الى بركة الحبش ونزل بالشرف الذى يعرف اليوم بالرصد وملك مدينة مصر وأقام بها اياما فأخذ ضرغام مال الايتام الذى كان بمودع الحكم فكرهه الناس واستعجزوه ومالوا مع شاور فتنكر منهم ضرغام وتحدّث بايقاع العقوبة بهم فزاد بغضهم له ونزل شاور فى ارض اللوق خارج باب زويلة وطارد رجال ضرغام وقد خلت المنصورة والهلالية وثبت أهل اليانسية بها وزحف الى باب سعادة وباب القنطرة وطرح النار فى اللؤلؤة وما حولها من الدور وعظمت الحروب بينه وبين اصحاب ضرغام وفنى كثير من الطائفة الريحانية فبعثوا الى شاور ووعدوه بأنهم عون له فانحل أمر ضرغام فأرسل العاضد الى الرماة يأمرهم بالكف عن الرمى فخرج الرجال الى شاور وصاروا من جملته وفترت همة أهل القاهرة وأخذ كل منهم يعمل الحيلة فى الخروج الى شاور فامر ضرغام بضرب الابواق لتجتمع الناس فضربت الابواق والطبول ماشاء الله من فوق الاسوار فلم يخرج اليه أحد وانفك عنه الناس فسار الى باب الذهب من ابواب القصر ومعه خمسمائة فارس فوقف وطلب من الخليفة أن يشرف عليه من الطاق وتضرّع اليه وأقسم عليه بآبائه فلم يجبه أحد واستمرّ واقفا الى العصر والناس تنحل عنه حتى بقى فى نحو ثلاثين فارسا فوردت عليه رقعة فيها خذ نفسك وانج بها واذا بالابواق والطبول قد دخلت من باب القنطرة ومعها عساكر شاور ففرّ ضرغام الى باب زويلة فصاح الناس عليه ولعنوه وتخطفوا من معه وأدركه القوم فأردوه عن فرسه قريبا من الجسر الاعظم فيما بين القاهرة ومصر واحتزوا رأسه فى سلخ جمادى الآخرة وفرّ منهم اخوه الى جهة المطرية فأدركه الطلب وقتل عند مسجد تبر خارج القاهرة وقتل اخوه الآخر عند بركة الفيل فصار حينئذ ضرغام ملقى يومين ثم حمل الى القرافة ودفن بها وكانت وزارته تسعة اشهر وكان من اجلّ اعيان الامراء وأشجع فرسانهم وأجودهم لعبا بالكرة وأشدّهم رميا بالسهام ويكتب مع ذلك كتابة ابن مقلة وينظم الموشحات الجيدة ولما جىء براسه الى شاور رفع الى قناه وطيف به فقال الفقيه عمارة

اري جنك الوزارة صار سيفا * يحز بحده جيد الرقاب
كأنك رائد البلوى والا * بشير بالمنية والمصاب

فكان كما قال عمارة فان البلايا والمنايا من حينئذ تتابعت على دولة الخلفاء الفاطميين حتى لم يبق منهم عين تطرف ولله عاقبة الامور *(حارة العطوفية) هذه الحارة تنسب الى طائفة من طوائف العسكر يقال لها العطوفية وقال ابن عبد الظاهر العطوفية منسوبة لعطوف أحد خدّام القصر وهو عطوف غلام الطويلة وكان قد خدم ست الملك اخت الحاكم قال وسكنت يعنى الطائفة الجيوشية بحارة العطوفية بالقاهرة ولله در الاديب ابرهيم المعمار اذ يقول موالياً يشتمل على ذكر حارات بالقاهرة وفيها تورية

حارة العطوفية

فى الجودريه رأيت صوره هلاليه * للباطليه تميل لا للعطوفيه
لها من اللؤلؤه ثغرين منشيه * ان حركوا وجهها بانت الحسينيه

وكانت العطوفية من اجل مساكن القاهرة وفيها من الدور العظيمة والحمامات والاسواق والمساجد ما لا يدخل تحت حصر وقد خربت كلها وبيعت انقاضها وبيوتها ومنازلها وأضحت اوحش من وتد عير فى قاع وعطوف هذا كان خادما اسود قتله الحاكم بجماعة من الاتراك وقفوا له فى دهليز القصر واحتزوا رأسه فى يوم الاحد لاحدى

حارة الجوانية

عشرة خلت من صفر سنة احدى واربعمائة قاله المسبحى * (حارة الجوانية) كان يقال لهذه الحارة اولا
حارة الروم الجوانية ثم ثقل على الالسنة ذلك فقال الناس الجوانية وكان أيضا يقال لها حارة الروم العليا
المعروفة بالجوانية وقال المسبحى وقد ذكر ما كتبه أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الامانات فى سنة خمس
وتسعين وثلثمائة فذكر أنه كتب امانا للعرافة الجوانية فدل انه كان من جملة الطوائف قوم يعرفون بالجوانية
قال ابن عبد الطاهر قال لى مؤلفه القاضى زين الدين وفقه الله ان الجوانية منسوبة للاشراف الجوانيين منهم
الشريف النسابة الجوانى قال مؤلفه رحمه الله فعلى هذا يكون بفتح الجيم فان الجوانى بفتح الجيم وتشديد الواو
وفتحها وبعد الواو ألف ساكنة ثم نون نسبة الى جوان على وزن حران وهى قرية من عمل مدينة طيبة على صاحبها
أفضل الصلاة والسلام وعلى القول الاول تكون الجوانية بفتح الجيم أيضا مع فتح الواو وتشديدها فان أهل
مصر يقولون لما خرج عن المدينة او الدار برا ولما دخل جوا بضم الجيم وهو خطاء ولهذا كان الوراقون
يكتبون حارة الروم البرانية لانها من خارج القصر ويكتبون حارة الروم الجوانية لانها من داخل القاهرة
ولا يصار اليها الا بعد المرور على القصر وكان موضعها اذ ذاك من وراء القصر خلف دار الوزارة والحجر فكأنها
فى داخل البلد ولذلك أصل قال ابن سيده فى مادة (ج و) من كتاب المحكم وجو البيت داخله لفظة شامية فتعين
فتح الجيم من الجوانية ولا عبرة بما تقوله العامة من ضمها * وقال الشريف محمد بن اسعد الجوانى ابن الحسن بن
محمد الجوانى ابن عبيد الله الجوانى بن حسين بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب وقيل لمحمد بن عبد الله
الجوانى بسبب ضيعة من ضياع المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام يقال لها الجوانية وكانت تسمى
البصرة الصغرى لخيراتها وغلالها لا يطلب شئ الا وجد بها وهى قريبة من صرار ضيعة الامام أبى جعفر محمد بن
على الرضى وكانت الجوانية ضيعة لعبيد الله فتوفى عنها فورثها بعده ولده وأزواجه فاشترى محمد الجوانى ولده
بما حصل له بالميراث الباقى من الورثة فحصلت له كاملة فعرف بها فقيل الجوانى قال ولم تزل اجداد مؤلفه ببغداد
الى حين قدوم ولده اسعد النحوى مع أبيه من بغداد الى مصر ومولده بالموصل فى سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة *

حارة البستان

(حارة البستان) ويقال لها حارة بستان المصمودى وحارة الاكراد أيضا وهى الآن من جملة الوزيرية التى

حارة المرتاحية

تقدم ذكرها * (حارة المرتاحية) هذه الحارة عرفت بالطائفة المرتاحية احدى طوائف العسكر قال ابن

حارة الفرحية

عبد الظاهر خط باب القنطرة يعرف فى كتب الاملاك القديمة بالمرتاحية * (حارة الفرحية) بالحاء المهملة كانت
سكن الطائفة الفرحية وهى بجوار حارة المرتاحية فالى يومنا هذا فيما بين سويقة أمير الجيوش وباب القنطرة
زقاق يعرف بدرب الفرحية والفرحية كانت طائفة من جملة عبيد الشراء وكانت عبيد الشراء عدة طوائف

حارة فرج

وهم الفرحية والحسينية والميمونية ينسبون الى ميمون وهو أحد الخدام * (حارة فرج) بالجيم كانت تعرف
قديما بدرب النميرى ثم عرفت بالامير جمال الدين فرج من امراء بنى ايوب وهى الآن داخلة فى درب الطفل من
خط قصر الشوك * (حارة قائد القواد) هذه الحارة تعرف الآن بدرب ملوخيا وكانت اولا تعرف بحارة

حارة قائد القواد

قائد القواد لان حسين بن جوهر الملقب قائد القواد كان يسكن بها فعرفت به * وهو حسين بن القائد جوهر
أبو عبد الله الملقب بقائد القواد لما مات أبوه جوهر القائد خلع العزيز بالله عليه وجعله فى رتبة أبيه ولقبه
بالقائد بن القائد ولم يتعرض لشئ مما تركه جوهر فلما مات العزيز وقام من بعده ابنه الحاكم استدناه ثم انه قلده البريد
والانشاء فى شوال سنة ست وثمانين وثلثمائة وخلع عليه وحمله على فرس بموكب وقاد بين يديه عدة افراس وحمل
معه ثيابا كثيرة فاستخلف أبا منصور بشر بن عبيد الله بن سورين الكاتب النصرانى على كتابة الانشاء واستخلف
على أخذ رقاع الناس وتوقيعاتهم أمير الدولة الموصلى * ولما تقلد برجوان النظر فى تدبير الامور وجلس للوساطة
بعد ابن عمار كان الكافة يلقونه فى داره ويركبون جميعا بين يديه من داره الى القصر ما خلا القائد الحسين ومحمد بن
النعمان القاضى فانهما كانا يسلمان عليه بالقصر فقط فلما قتل الحاكم الاستاذ برجوان كما تقدم خلع على القائد
حسين لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة تسعين وثلثمائة ثوبا احمر وعمامة زرقاء مذهبة وقلده سيفا
محلى بذهب وحمله على فرس بسرج ولجام من ذهب وقاد بين يديه ثلاثة افراس بمراكبها وحمل معه خمسين ثوبا
صحاحا من كل نوع ورد اليه التوقيعات والنظر فى امور الناس وتدبير المملكة كما كان برجوان ولم يطلق عليه
اسم وزير فكان يبكر الى القصر ومعه خليفته الرئيس أبو العلاء فهد بن ابراهيم النصرانى كاتب برجوان

وينظر

فينظران فى الامور ثم يدخلان وينهيان الحال الى الخليفة فيكون القائد جالسا وفهد من خلفه قائما ومنع القايد الناس أن يلقوه فى الطريق أو يركبوا اليه فى داره وان من كان له حاجة فليبلغه اياها بالقصر ومنع الناس من مخاطبته فى الرقاع بسيدنا وأمر أن لا يخاطب ولا يكاتب الا بالقائد فقط وتشدد فى ذلك لخوفه من غيرة الحاكم حتى انه رأى جماعة من القواد الاتراك قياما على الطريق ينتظرونه فأمسك عنان فرسه ووقف وقال لهم كلنا عبيد مولانا صلوات الله عليه ومماليكه ولست والله ابرح من موضعى أو تنصرفوا عنى ولا يلقانى أحد الا فى القصر فانصرفوا وأقام بعد ذلك خدما من الصقالبة الطرادين على الطريق بالنوبة لمنع الناس المجىء الى داره ومن لقائه الا فى القصر وأمر أبا الفتوح مسعود الصقلبى صاحب الستر أن يوصل الناس بأسرهم الى الحاكم وأن لا يمنع أحدا عنه * فلما كان فى سابع عشر جمادى الآخرة قرئ سجل على سائر المنابر بتلقيب القائد حسين بقائد القواد وخلع عليه * ومازال الى يوم الجمعة سابع شعبان سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة فاجتمع سائر اهل الدولة فى القصر بعد ما طلبوا وخرج الامر اليهم أن لا يقام لاحد وخرج خادم من عند الخليفة فأسر الى صاحب الستر كلاما فصاح صالح بن على فقام صالح بن على الروذبارى متقلد ديوان الشام فأخذ صاحب الستر بيده وهو لا يعلم هو ولا أحد ما يراد به فأدخل الى بيت المال واخرج وعليه دراعة مصمتة وعمامة مذهبة ومعه مسعود فأجلسه بحضرة قائد القواد واخرج سجلا قرأه ابن عبد السميع الخطيب فاذا فيه رد سائر الامور التى ينظر فيها قائد القواد حسين بن جوهر اليه فعندما سمع من السجل ذكره قام وقبل الارض فلما انتهت قراءة السجل قام قائد القواد وقبل خد صالح وهناه وانصرف فكان يركب الى القصر ويحضر الاسمطة الى اليوم الثالث من شوال أمره الحاكم أن يلزم داره هو وصهره قاضى القضاة عبد العزيز بن النعمان وأن لا يركبا هما وسائر أولادهما فلبسا الصوف ومنع الناس من الاجتماع بهما وصاروا يجلسون على حصر فلما كان فى تاسع عشر ذى القعدة عفا عنهما الحاكم وأذن لهما فى الركوب فركبا الى القصر بزيهما من غير حلق شعر ولا تغيير حال الحزن * فلما كان فى حادى عشر جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة قبض على عبد العزيز بن النعمان وطلب حسين ابن جوهر ففر هو وابنه فى جماعة وكثر الصياح بدار عبد العزيز وغلقت حوانيت القاهرة وأسواقها فأفرج عنه ونودى أن لا يغلق أحد فرد حسين بعد ثلاثة ايام بابنيه وتمثلوا بحضرة الحاكم فعفا عنهم وأمرهم بالمصير الى دورهم بعد أن خلع على حسين وعلى صهره عبد العزيز وعلى اولادهما وكتب لهما أمانان ثم اعيد عبد العزيز فى شهر رمضان الى ما كان يتقلده من النظر فى المظالم ثم رد الحاكم فى شهر ربيع الاول سنة اربعمائة على حسين بن جوهر وأولاده وصهره عبد العزيز ما كان لهم من الاقطاعات وقرئ لهم سجل بذلك * فلما كان ليلة التاسع من ذى القعدة فر حسين بأولاده وصهره وجميع اموالهم وسلاحهم فسير الحاكم الخيل فى طلبهم نحو دجوة فلم يدركهم وأوقع الحوطة على سائر دورهم وجعلت للديوان المفرد وهو ديوان أحدثه الحاكم يتعلق بما يقبض من اموال من يسخط عليه وحمل سائر ما وجد لهم بعد ما ضبط وخرجت العساكر فى طلب حسين ومن معه واشيع أنه قد صار الى بنى قرة بالبحيرة فأنفذت اليه الكتب بتأمينه واستدعائه الى الحضور فأعاد الجواب بأنه لا يدخل مادام أبو نصر ابن عبدون النصرانى الملقب بالكافى ينظر فى الوساطة ويوقع عن الخليفة فانى احسنت اليه ايام نظرى فسعى بى الى أمير المؤمنين ونال منى كل منال ولا اعود أبدا وهو وزير فصرف ابن عبدون فى رابع المحرم سنة احدى واربعمائة وقدم حسين بن جوهر ومعه عبد العزيز بن النعمان وسائر من خرج معهما فخرج جميع أهل الدولة الى لقائه وتلقته الخلع فأفيضت عليه وعلى اولاده وصهره وقيد بين ايديهم الدواب فلما وصلوا الى باب القاهرة ترجلوا ومشوا ومشى الناس بأسرهم الى القصر فصاروا بحضرة الحاكم ثم خرجوا وقد عفا عنهم وأذن لحسين أن يكاتب بقائد القواد ويكون اسمه تاليا للقبه وأن يخاطب بذلك وانصرف الى داره فكان يوما عظيما وحمل اليه جميع ما قبض له من مال وعقار وغيره وأنعم عليه وواصل الركوب هو وعبد العزيز ابن النعمان الى القصر ثم قبض عليه وعلى عبد العزيز واعتقلا ثلاثة ايام ثم حلفا انهما لا يغيبان عن الحضرة وأشهدا على انفسهما بذلك وأفرج عنهما وحلف لهما الحاكم فى امان كتبه لهما * فلما كان فى ثانى عشر جمادى الآخرة سنة احدى واربعمائة ركب حسين وعبد العزيز على رسمهما الى القصر فلما خرج للسلام على الناس قيل للحسين وعبد العزيز وأبى على أخى الفضل اجلسوا الامر تريده الحضرة منكم فجلس الثلاثة وانصرف الناس

فقبض عليهم وقتلوا فى وقت واحد وأحيط بأموالهم وضياعهم ودورهم وأخذت الامانات والسجلات التى
كتبت لهم واستدعى اولاد عبد العزيز بن النعمان وأولاد حسين بن جوهر ووعدوا بالجميل وخلع عليهم وحملوا
حارة الامراء والله يفعل مايشاء * (حارة الامراء) ويقال لها أيضا حارة الامراء الاشراف الاقارب وموضعها يعرف
بدرب شمس الدولة وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى * (حارة الطوارق) ويقال لها أيضا حارة صبيان
حارة الطوارق الطوارق وهم من جملة طوائف العسكر كانوا معدّين لحمل الطوارق وموضع هذه الحارة فى طريق من سلك من
الرقيق سوق الخلعيين داخل باب زويلة طالبا الباطلية بالزقاق الطويل الضيق الذى يقال له اليوم حلق الجمل
حارة الشرابية السالك الى درب ارقطاى * (حارة الشرابية) عرفت بذلك لانها كانت موضع سكن الغلمان الشرابية
حارة الدميرى احدى طوائف العسكر وكانت فيما بين الباطلية وحارة الطوارق * (حارة الدميرى وحارة الشامين) هما من
وحارة الشامين جملة العطوفية * (حارة المهاجرين) وموضعها الآن من جملة المكان الذى يعرف بالرقيق المعدّ لسوق الخلعيين
حارة المهاجرين بجوار باب زويلة وكان بعد ذلك سوق الخشابين ثم هو الآن سوق الخلعيين وموضع هذه الحارة بجوار الخوخة
التى كانت تعرف بالشيخ السعيد بن فشيرة النصرانى الكاتب وهى الخوخة التى يسلك اليها من الزقاق المقابل
لحمام الفاضل المعدّ لدخول النساء ويتوصل منها الى درب كوز الزير بحارة الروم وقد صارت هذه الحارة
تعرف بدرب ابن الجندار وسيأتى ذكره ان شاء الله * (حارة العدوية) قال ابن عبد الظاهر العدوية هى
حارة العدوية من باب الخشيبة الى اول حارة زويلة عند حمام الحسام الجلدكى الآن منسوبة لجماعة عدويين نزلوا هنالك
وهذا المكان اليوم هو عبارة عن الموضع الذى تلقاه عند خروجك من زقاق حمام خشيبة الذى يتوصل اليه من
سوق باب الزهومة فاذا انتهيت الى آخر هذا الزقاق وأخذت على يمينك صرت فى حارة العدوية وموضعها الآن
من فندق بلال المغيثى الى باب سر المارستان وتدخل فى العدوية رحبة بيبرس التى فيها الآن فندق الرخام
عن يمينك اذا خرجت فى الرحبة المذكورة التى صارت الآن دربا الى باب سر المارستان وماعن يسارك الى حمام
الكريك وحمام الجويني الذى تقول له العامة الجهيني والى سوق الزجاجيين وكل هذه المواضع هى من حقوق
العدوية وكانت العدوية قديما واقعة فيما بين الميدان الذى يعرف اليوم بالخرشتف وحارة زويلة وبين سقيفة
العداس والصاغة القديمة التى صار موضعها الآن سوق الحريريين الشرابشيين برأس الوراقين وسوق
حارة العيدانية الزجاجيين * (حارة العيدانية) كانت تعرف اولا بحارة البديعيين ثم قيل لها بعد ذلك الحبانية من أجل البستان
الذى يعرف بالحبانية الجارى فى وقف الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء ويتوصل الى هذه الحارة من تجاه
حارة الحزيين قنطرة آق سنقر وبعض دورها الآن يشرف على بستان الحبانية وبعضها يطل على بركة الفيل * (حارة الحزيين)
كانت اولا تعرف بالحبانية ثم قيل لها حارة الحزيين من اجل ان جماعة من الحزيين نزلوا بها منهم الحاج يوسف
ابن فاتن الحزى والحزيون ايضا ينسبون الى حمزة بن ادركة السارى خرج بخراسان فى ايام هارون بن محمد الرشيد
فعاث وأفسد وفض جموع عيسى بن على عامل خراسان وقتل منهم خلقا وانهزم عيسى الى بابل ثم غرق حمزة بواد
فى كرمان فعرفت طائفته بالحزية واخوه ضرغام بن فاتن بن ساعد الحزى والحاج عونى الطحان ابن يونس بن فاتن
الحزى ورضوان بن يوسف بن فاتن الحزى الحامى واخوه سالم بن يوسف بن فاتن الحزى وكان هؤلاء بعد سنة
ستمائة وهذه الحارة خارج باب زويلة * ومن بلاد افريقية قرية يقال لها حمزى ينسب اليها محمد بن حمد بن خلف
القيسى الحمزى من أهل القرية وقاضيها توفى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ولا يبعد أن تكون هذه الحارة نسبت
حارة بنى سوس الى أهل قرية حمزة هذه لنزولهم بها كنزول بنى سوس وكتامة وغيرهم فى المواضع التى نسبت اليهم * (حارة بنى
سوس) عرفت بطائفة من المصامدة يقال لهم بنو سوس كانوا يسكنون بها * (حارة اليانسية) تعرف
حارة اليانسية بطائفة من طوائف العسكر يقال لها اليانسية منسوبة لخادم خصى من خدام العزيز بالله يقال له أبو الحسن
يانس الصقلى خلفه على القاهرة فلما مات العزيز أقرّه ابنه الحاكم بأمر الله على خلافة القصور وخلع عليه
وحمله على فرسين فلما كان فى المحرم سنة ثمان وثمانين وثلثمائة سار لولاية برقة بعد ما خلع عليه واعطى خمسة
آلاف دينار وعدّة من الخيل والثياب * قال ابن عبد الظاهر اليانسية خارج باب زويلة اظنها منسوبة ليانس
وزير الحافظ لدين الله الملقب بأمير الجيوش سيف الاسلام ويعرف بيانس الفاصد وكان ارمنى الجنس وسمى
الفاصد لانه فصد الامير حسن بن الحافظ وتركه محلولا فصاده حتى مات وله خبر غريب فى وفاته كان الحافظ

قد نقم عليه اشياء طلب قتله بها باطنا فقال لطبيبه اكفنى امره بما كل اومشرب فأبى الطبيب ذلك خوفا أن يصير عند الحافظ بهذه العين وربما قتله بها والحافظ يحثه على ذلك فاتفق ليانس الوزير المذكور انه مرض بزحير وان الحافظ خاطب الطبيب بذلك فقال يامولاى قد امكنتك الفرصة وبلغت مقصودك ولو أن مولانا عاده فى هذه المرضة اكتسب حسن احدوثة وهذه المرضة ليس دواؤه منها الا الدعة والسكون ولا شئ أضر عليه من الانزعاج والحركة فبمجرد ما سمع بقصد مولانا له تحرك واهتم بلقاء مولانا وانزعج وفى ذلك تلاف نفسه ففعل الخليفة ذلك وأطال الجلوس عنده فمات وهذا الخبر فيه اوهام منها انه جعل اليانسية منسوبة ليانس الوزير وقد كانت اليانسية قبل يانس هذا بمدة طويلة ومنها انه ادعى ان حسن بن الحافظ مات من فصادة وليس كذلك وانما مات مسموما ومنها انه زعم ان يانس تولى فصده وليس كذلك بل الذى تولى قتله باسم أبو سعيد ابن قرقة ومنها ان الذى نقم عليه الحافظ من الامراء لخالفه فى ابنه حسن انما هو الامير المعظم جلال الدين محمد المعروف بجلب راغب وهذا نص الخبر فتنزه بالك والله تعالى أعلم

(ذكر وزارة أبى الفتح ناصر الجيوش يانس الارمنى)

وكان من خبر ذلك ان الخليفة الآمر باحكام الله أبا على منصور ا لما قتله النزارية فى ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة أقام هزبر الملوك جوامرد العادل برغش الامير أبا الميمون عبد المجيد فى الخلافة كفيلا للحمل الذى تركه الآمر ولقب بالحافظ لدين الله ولبس هزبر الملوك خلع الوزارة فثار الجند وأقاموا أبا على احمد الملقب بكتيفات ولد الافضل ابن أمير الجيوش فى الوزارة وقتل هزبر الملوك واستولى كتيفات على الآمر وقبض على الحافظ وسجنه بالقصر مقيدا الى ان قتل كتيفات فى المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة وبادر صبيان الخاص الذين تولوا قتله الى القصر ودخلوا ومعهم الامير يانس متولى الباب الى الخزانة التى فيها الحافظ واخرجوه الى الشباك واجلسوه فى منصب الخلافة وقالوا والله ما حركنا على هذا الا الامير يانس فجازاه الحافظ بأن فوض اليه الوزارة فى الحال وخلع عليه فباشرها مباشرة جيدة وكان عاقلا مهابا متمسكا متحفظا لقوانين الدولة فلم يحدث شيأ ولا خرج عما يعينه الخليفة له الا انه بلغه عن استاذ من خواص الخليفة شئ يكرهه فقبض عليه من القصر من غير مشاورة الخليفة وضرب عنقه بخزانة البنود فاستوحش منه الخليفة وخشى من زيادة معناه وكانت هذه الفعلة غلطة منه ثم انه خاف من صبيان الخاص ان يفتكوا به كما فتكوا بكتيفات فتنكر لهم وتخوفوه أيضا فركب فى خاصته واركب العسكر وركب صبيان الخاص فكانت بينهما وقعة قبالة باب التبانين بين القصرين قوى فيها يانس وقتل من صبيان الخاص ما يزيد على ثلثمائة رجل من اعيانهم فيهم قتلة أبى على كتيفات وكانوا نحو الخمسمائة فارس فانكسرت شوكتهم وضعف جانبهم واشتد بأس يانس وعظم شانه فثقل على الخليفة وتحيل منه فأحس بذلك فأخذ كل منهما فى التدبير على الآخر فأعجل يانس وقبض على حاشية الخليفة ومنهم قاضى القضاة وداعى الدعاة أبو الفخر وأبو الفتح بن قادوس وقتلهما فاشتد ذلك على الحافظ ودعا طبيبه وقال اكفنى أمر يانس فيقال انه سمه فى ماء المستراح فانفتح دبره واتسع حتى ما بقى يقدر على الجلوس فقال الطبيب يا أمير المؤمنين قد امكنتك الفرصة وبلغت مقصودك فلو أن مولانا عاده فى هذه المرضة اكتسب حسن الاحدوثة فان هذا المرض ليس له دواء الا الدعة والسكون ولا شئ عليه أضر من الحركة والانزعاج وهو اذا سمع بقصد مولانا له تحرك واهتم للقاء وانزعج وفى ذلك تلاف نفسه فنهض لعيادته وعند ما بلغ ذلك يانس قام ليلقاه ونزل عن الفراش وجلس بين يدى الخليفة فأطال الخليفة جلوسه عنده وهو يحادثه فلم يقم حتى سقطت امعاء يانس ومات من ليلته فى سادس عشرى ذى الحجة سنة ست وعشرين وخمسمائة وكانت وزارته تسعة أشهر واياما وترك ولدين كفلهما الحافظ واحسن اليهما وكان يانس هذا مولى ارمنيا باديس جد عباس الوزير فاهداه الى الافضل بن أمير الجيوش وترقى فى خدمته الى ان تأمر وولى الباب وهى أعظم رتب الامراء وكنى بأبى الفتح ولقب بالامير السعيد ثم لما ولى الوزارة نعت بناصر الجيوش سيف الاسلام وكان عظيم الهمة بعيد الغور كثير الشر شديد الهيبة

(ذكر الامير حسن بن الخليفة الحافظ)

ولما مات الوزير يانس تولى الخليفة الحافظ الامور بنفسه ولم يستوزر أحدا وأحسن السيرة فلما كان فى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة عهد الى ولده سليمان وكان اسن أولاده واحبهم اليه وأقامه مقام الوزير فمات بعد

شهرين من ولاية العهد فجعل مكانه أخاه حيدرة فى ولاية العهد ونصبه للنظر فى المظالم فشق ذلك على أخيه الامير حسن وكان كثير المال متسع الحال له عدة بلاد ومواشى وحاشية وديوان مفرد فسعى فى نقض ذلك بأن اوقع الفتنة بين الطائفة الجيوشية والطائفة الريحانية وكانت الريحانية قوية الشوكة مهابة مخوفة الجانب فاشتعلت نيران الحرب بين الفريقين وصاح الجند يا حسن يا منصور يا للحسينية والتقى الفريقان فقتل بينهما ما يزيد على خمسة آلاف نفس فكانت هذه الوقعة اوّل مصائب الدولة الفاطمية من فقد رجالها ونقص عساكرها فلم يبق من الطائفة الريحانية الا من نجا بنفسه من ناحية المقس وألقى نفسه فى بحر النيل واستظهر الامير حسن وقام بالامر وانضم اليه أوباش الناس ودعارهم ففرّق فيهم الزرد وسماهم صبيان الزرد وجعلهم خاصته فاحتفوا به وصاروا لا يفارقونه فان ركب أحاطوا به وان نزل لازموا داره فقامت قيامة الناس منهم وشرع فى تتبع الاكابر فقبض على ابن العساف وقتله وقصد أباه الخليفة الحافظ وأخاه حيدرة بالضرر حتى خافا منه وتغيبا فجدّ فى طلب أخيه حيدرة وهتك بأوباشه الذين اختارهم حرمة القصر وخرق ناموسه وسلطهم يفتشون القصر فى طلب الخليفة الحافظ وابنه حيدرة واشتدّ بأسهم وحسنوا له كل رذيلة وجرّوه على الاذى فلم يجد الحافظ بدا من مداراة حسن وتلافى أمره عساه ينصلح وكتب سجلا بولايته العهد وأرسله اليه فقرئ على الناس فما زاده ذلك الاجراءة عليه وافساداله وشدّد فى التضييق على أبيه وأخذ بانفاسه فبعث حينئذ الخليفة بالاستاذ ابن اسعاف الى بلاد الصعيد ليجمع من يقدر عليه من الريحانية فمضى واستصرخ الناس لنصرة الخليفة على ولده حسن وجمع اممالا يحصيها الا الله وسار بهم فبلغ ذلك حسنا فزجر عسكر اللقاء اسعاف فالتقيا وكانت بينهما وقعة هبت فيها ريح سوداء على عسكر اسعاف حتى هزمتهم وركبهم عسكر حسن فلم ينج منهم الا القليل وغرق اكثرهم فى البحر وأخذ اسعاف أسيرا فحمل الى القاهرة على جمل وفى رأسه طرطور ولبد أحمر فلما وصل بين القصرين رشق بالنشاب حتى هلك ورمى من القصر الغربى باستاذ آخر فقتل وقتل الامير شرف الدين فاشتدّ ذلك على الحافظ وخاف على نفسه فكتب ورقة وكادابنه بأن ألقى اليه تلك الورقة وفيها ياولدى انت على كل حال ولدى ولو عمل كل منا لصاحبه ما يكره الآخر ما أراد أن يصيبه مكروه ولا يحملنى قلبى وقد انتهى الامر الى امراء الدولة وهم فلان وفلان وقد شددت وطأتك عليهم وخافوك وهم معوّلون على قتلك فخذ حذرك ياولدى فعندما وقف حسن على الورقة غضب ولم يتأنّ وبعث الى اولئك فلما صاروا اليه أمر صبيان الزرد بقتلهم فقتلوا عن آخرهم وكانوا عدة من اعيان الامراء وأحاط بدورهم وأخذ سائر ما فيها فاشتدّت المصيبة وعظمت الرزية وتخوف من بقى من الجند ونفروا منه فانه كان جريا مفسدا شديد الفحص عن احوال الناس والاستقصاء لاخبارهم يريد اقلاب الدولة وتغييرها ليقدّم اوباشه واكثر من مصادرة الناس وقتل قاضى القضاة أبا الثريا نجم لانه كان من خواص أبيه وقتل جماعة من الاعيان وردّ القضاء لابن ميسر وتفاقم أمره وعظم خطبه واشتدّت الوحشة بينه وبين الامراء والاجناد وهموا بخلع الحافظ ومحاربة ابنه حسن وصاروا يدا واحدة واجتمعوا ببين القصرين وهم عشرة آلاف ما بين فارس وراجل وسيروا الى الحافظ يشكون ما هم فيه من البلاء مع ابنه حسن ويطلبون منه ان يزيله من ولاية العهد فعجز حسن عن مقاومتهم فانه لم يبق معه سوى الراجل من الطائفة الجيوشية ومن يقول بقولهم من الغز الغرباء فتحير وخاف على نفسه فالتجا الى القصر وصار الى أبيه الحافظ فما هو الا ان تمكن منه أبوه فقبض عليه وقيده وبعث الى الامراء يخبرهم بذلك فأجمعوا على قتله فردّ عليهم انه قد صرفه عنهم ولا يمكنه أبدا من التصرّف ووعدهم بالزيادة فى الارزاق والاقطاعات وان يكفوا عن طلب قتله فألحوا فى قتله وقالوا اما نحن واما هو اشتدّ طلبهم اياه حتى احضروا الاحطاب والنيران ليحرقوا القصر وبالغوا فى التجرّى على الخليفة فلم يجد بدا من اجابتهم الى قتله وسألهم ان يمهلوه ثلاثا فأناخوا بين القصرين وأقاموا على حالهم حتى تنقضى الثلاث فما وسع الحافظ الا ان استدعى طبيبيه وهما أبو منصور اليهودى وابن قرفة النصرانى وبدأ بأبى منصور وفاوضه فى عمله سقية قاتلة فامتنع من ذلك وحلف بالتوراة انه لا يعرف عمل شئ من ذلك فتركه وأحضر ابن قرفة وكلمه فى هذا فقال الساعة ولا يتقطع منها جسد بل تفيض النفس لاغير فأحضر السقية من يومه فبعثها الى حسن مع عدة من الصقالبة فما زالوا يكرهونه على شربها حتى فعل ومات فى العشرين من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة فبعث الحافظ الى القوم سرا يقول قد كان ما أردتم فامضوا الى دوركم فقالوا لابدّ ان يشاهده منا من نثق به

وندبوا

وندبوا منهم أميرا معروفا بالجراءة والشر يقال له المعظم جلال الدين محمد و يعرف بجلب راغب الآمرى فدخل الى القصر وصار رجنب حسن فاذا به قد سجى بثوب فكشف عن وجهه واخرج من وسطه آلة من حديد وغرزه بها فى عدة مواضع من بدنه الى ان تيقن انه قد مات وعاد الى القوم واخبرهم فتفرقوا وعندما سكنت الدهماء حقد الحافظ لابن قرفة وقتله بخزانة البنود وانعم بجميع ما كان له على ابى منصور اليهودى وجعله رئيس الاطباء فهذا ما كان من خبر يانس وكيفية موته وخبر حسن والخبر عن قتله * (حارة المنتجبيه) قال ابن عبد الظاهر بلغنى ان رجلا كان يتحجب لشمس الدين قاضى زاده كان يقول ان هذه الخطة منسوبة بجدّه منتجب الدولة

حارة المنتجبية

*(الحارة المنصورية) هذه الحارة كانت كبيرة متسعة جدا فيها عدة مساكن السودان فلما كانت واقعتهم فى ذى القعدة سنة أربع وستين وخمسمائة كما تقدّم فى ذكر حارة بهاء الدين امر صلاح الدين يوسف بن أيوب بتخريب المنصورة هذه وتعفية أثرها فخربها خطلبا بن موسى الملقب صارم الدين وعملها بستانا وكان للسودان بديار مصر شوكة وقوة فتتبعهم صلاح الدين ببلاد الصعيد حتى افناهم بعد أن كان لهم بديار مصر فى كل قرية ومحلة وضيعة مكان مفرد لا يدخله وال ولا غيره احتراما لهم وقد كانوا يزيدون على خمسين ألفا واذا ثاروا على وزير قتلوه وكان الضرر بهم عظيما لامتداد أيديهم الى أموال الناس واهاليهم فلما كثر بغيهم وزاد تعدّيهم اهلكهم الله بذنوبهم و فى واقعة السودان وتخريب المنصورة وقتل مؤتمن الخلافة الذى تقدّم ذكره يقول العماد الاصفهانى الكاتب يخاطب بهاء الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب

حارة المنصورية

بالملك الناصر استنارت * فى عصرنا أوجه الفضائل
* يوسف مصر الذى اليه * تشدّ آمالنا الرواحل *
* رأيك فى الدهر عن رزايا * جلى مهماته الجلائل *
* اجريت نيلين فى ثراها * نيل نجيع ونيل نائل *
* كم كرم من نداك جار * وكم دم من عداك سائل *
* وكم معاد بلا معاد * ومستطيل بغير طائل *
* وحاسد كاسد المساعى * وسائد نافق الوسائل *
اقررت عين الاسلام حتى * لم يبق فيها قذى لباطل
* وكيف يزهى بملك مصر * من يستقل ذنبا النائل *
وما نفيت السودان حتى * حكمت البيض فى المقاتل
صيرت رحب الفضا مضيقا * عليهم كفه لجائل
وكل راى منهم كرا * وارض مصر كلام واصل
* وقد خلت منهم المغانى * وأقفرت منهم المنازل *
* وما اصيبوا الا بطل * فكيف لو امطروا بوابل *
* وقد تجلى بالحق ما بالا * باطل فى مصر كان عاجل *
والسود بالبيض قد تنحوا * فهى بواديهم نوازل
مؤتمن القوم خان حتى * غالته من شره الغوائل
عاملكم بالخنا فأضحى * ورأسه فوق رأس عامل
وحالف الذل بعد عز * والدهر أحواله حوائل
يا مخجل البحر بالايادى * قد آن أن تفتح السواحل
تقدّس القدس من خباث * ارجاس كفر غتم اراذل

وكان موضع المنصورة على يمنة من سلك فى الشارع خارج باب زويله قال ابن عبد الظاهر كانت للسودان حارة تعرف بهم تسمى المنصورة خربها صلاح الدين وأخذها خطلبا فعمرها بستانا وحوضا وهى الى جانب الباب الحديد يعنى الذى يعرف اليوم بالقوس عند رأس المنتجبية فيما بينها و بين الهلالية وقد حكر هذا البستان فى الايام الظاهرية وبعضها يعنى المنصورة من جهة بركة الفيل الى جانب بستان سيف الاسلام ويسمى الآن بحكر

الغتمي لان الغتمي هذا كان شرع ببستان سيف الاسلام فحكر في هذه الجهة وهي الآن احكار الديوان السلطاني وحكر الغتمي الذي كان بستان سيف الاسلام يعرف اليوم بدرب ابن البابا تجاه السندادارية بجوار حمام الفارقاني قريب من صليبة جامع ابن طولون * (حارة المصامده) هذه الحارة عرفت بطائفة المصامدة أحد طوائف عساكر الخلفاء الفاطميين واختطت في وزارة المأمون البطائحي وخلافة الآمر بأحكام الله بعد سنة خمس عشرة وخمسمائة قال ابن عبد الظاهر حارة المصامدة مقدمهم عبد الله المصمودي وكان المأمون البطائحي وزير الخليفة الآمر بأحكام الله قدمه ونوه بذكره وسلم له أبوابه للمبيت عليها وأضاف اليه جماعة من أصحابه فلما استخلص المصامدة وقربهم سير أبا بكر المصمودي ليختار لهم حارة فتوجه بالجماعة الى اليانسية بالشارع فلم يجد بها مكانا ووجدها تضيق عنهم فسير المهندسين لاختيار حارة لهم فاتفقوا على بناء حارة ظاهر باب الحديد على يمنة الخارج على شاطئ بركة الفيل فقال بل تكون على يسرة الخارج والفسح قدامها الى بركة الفيل فبنيت الحارة على يسرة الخارج من الباب المذكور وبنى بجانبها مسجد على زلاقة الباب المذكور وبنى أبو بكر المصمودي مسجدا أيضا وهذه فيما أعتقد هي الهلالية وحذر من بناء شئ قبالتها في الفضاء الذي بينها وبين بركة الفيل لانتفاع الناس بها وصار ساحل بركة الفيل من المسجد قبالة هذه الحارة الى آخر حصن دويرة مسعود الى الباب الحديد ولم يزل ذلك الى بعض ايام الخليفة الحافظ لدين الله قال وبنى في صف هذه الحارة من قبليها عدة دور بحوانيت تحتها الى ان اتصل البناء بالمساجد الثلاثة الحاكمية المعلقة والقنطرة المعروفة بدار ابن طولون وبعدها بستان ذكر أنه كان في جملة قاعات الدار المذكورة قال وأظن المساجد هي التي قبالة حوض الجاولي قال وبنى المأمون ظاهره حوضا وأجرى الماء له وذلك قبالة مشهد محمد الاصغر ومشهد السيدة سكينة قال وأظن هذا البستان هو الذي بنته شجر الدر بستانا ودارا وحمامات قريب من مشهد السيدة نفيسة قال وأمر المأمون بالنداء في القاهرة مع مصر ثلاثة ايام بأن من كانت له دار في الخراب أو مكان يعمره ومن عجز عن ان يعمره فليؤجره من غير نقل شئ من انقاضه ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له في شئ منه ولا حكر يلزمه واباح تعمير ذلك جميعه بغير طلب بحق فيه فطلب الناس كافة ما هو جار في الديوان السلطاني وغيره وعمروه حتى صار البلدان لا يتخللهما داثر ولا دارس وبنى في الشارع يعني خارج باب زويلة من الباب الجديد الى الجبل عرضا وهو القلعة الآن قال وكان الخراب استولى على تلك الاماكن في زمن المستنصر في ايام وزارة البازوري حتى انه كان بنى حائطا يستر الخراب عن نظر الخليفة اذا توجه من القاهرة الى مصر وبنى حائطا آخر عند جامع ابن طولون قال وعمر ذلك حتى صار المتعيشون بالقاهرة والمستخدمون يصلون العشاء الاخيرة بالقاهرة ويتوجهون الى مساكنهم في مصر لا يزالون في ضوء وسرج وسوق موقود الى باب الصفا وهو المعاصر الآن وذلك انه يخرج من الباب الحديد الحاكمي على يمنة بركة الفيل الى بستان سيف الاسلام وعدة بساتين وقبالة جميع ذلك حوانيت مسكونة عامرة بالمتعيشين الى مصر والمعاش مستمر الليل والنهار * (حارة الهلاليه) ذكر ابن عبد الظاهر أنها على يسرة الخارج من الباب الحديد الحاكمي * (حارة البيازره) هذه الحارة خارج باب القنطرة على شاطئ الخليج من شرقيه فيما بين زقاق الكحل وباب القنطرة حيث المواضع التي تعرف اليوم ببركة جناق والكداشين والى قريب من حارة بهاء الدين واختطت هذه الحارة في الايام الآمرية وذلك ان زمام البيازرة شكا ضيق دار الطيور بمصر وسأل ان يفسح للبيازرة في عمارة حارة على شاطئ الخليج بظاهر القاهرة لحاجة الطيور والوحوش الى الماء فاذن له في ذلك فاختطوا هذه الحارة وجعلوا منازلهم مناظر على الخليج وفي كل دار باب سر ينزل منه الى الخليج واتصل بناء هذه الحارة بزقاق الكحل فعرفت بهم وسميت بحارة البيازرة واحدهم بازيار ثم ان المختار الصقلبي زمام القصر انشأ بجوارها بستانا وبنى فيه منظرة عظيمة وهذا البستان يعرف اليوم موضعه ببستان ابن صيرم خارج باب الفتوح فلما كثرت العمائر في حارة البيازره أمر الوزير المأمون بعمل الاقمنة لشيّ الطوب على شاطئ الخليج الكبير الى حيث كان البستان الكبير الجيوشي الذي تقدم ذكره في ذكر مناظر الخلفاء ومنتزهاتهم * (حارة الحسينيه) عرفت بطائفة من عبيد الشراء يقال لهم الحسينية قال المسبحي في حوادث سنة خمس وتسعين وثلثمائة وأمر بعمل شونة مما يلي الجبل ملئت بالسنط والبوص والحلفا فابتدى بعملها في ذي الحجة سنة أربع وتسعين وثلثمائة الى شهر ربيع الاول سنة خمس وتسعين فخامر قلوب الناس من ذلك جزع شديد وظن كل

حارة المصامدة

حارة الهلالية

حارة البيازرة

حارة الحسينية

من يتعلق بخدمة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ان هذه الشونة عملت لهم ثم قويت الاشاعات وتحدث العوام في الطرقات انها للكتاب وأصحاب الدواوين واسبابهم فاجتمع سائر الكتاب وخرجوا باجمعهم في خامس ربيع الاول ومعهم سائر المتصرفين في الدواوين من المسلمين والنصارى الى الرماحين بالقاهرة ولم يزالوا يقبلون الارض حتى وصلوا الى القصر فوقفوا على بابه يدعون ويتضرعون ويضجون ويسألون العفو عنهم ومعهم رقعة قد كتبت عن جميعهم الى ان دخلوا باب القصر الكبير وسألوا ان يعفى عنهم ولا يسمع فيهم قول ساع يسعى بهم وسلموا رقعتهم الى قائد القواد الحسين بن جوهر فأوصلها الى أمير المؤمنين الحاكم بامر الله فاجيبوا الى ماسألوا وخرج اليهم قائد القواد فأمرهم بالانصراف والبكور لقراءة سجل بالعفو عنهم فانصرفوا بعد العصر وقرئ من الغد سجل كتب منه نسخة للمسلمين ونسخة للنصارى ونسخة لليهود بأمان لهم والعفو عنهم وقال في ربيع الآخر واشتد خوف الناس من أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله فكتب ماشاء الله من الامانات للغلمان الاتراك الخاصة وزمامهم وامرائهم من الحمدانية والكجورية والغلمان العرفاء والمماليك وصبيان الدار وأصحاب الاقطاعات والمرتزقة والغلمان الحاكمية القدم على اختلاف اصنافهم وكتب امان لجماعة من خدم القصر الموسومين بخدمة الحضرة بعد ما تجمعوا وصاروا الى تربة للعزيز بالله وضجوا بالبكاء وكشفوا رؤسهم وكتبت سجلات عدة بأمانات للديلم والجبل والغلمان الشرابية والغلمان الريحانية والغلمان البشارية والغلمان المفرقة العجم وغيرهم والنقباء والروم المرتزقة وكتبت عدة امانات للزويليين والبنادين والطبالين والبرقيين والعطوفيين وللعرافة الجوانية والجودرية وللمظفرية وللصنهاجيين ولعبيد الشراء الحسينية والميمونية وللفرحية وامان لمؤذني ابواب القصر وأمانات لسائر البيازرة والفهادين والحجالين وأمانات اخر لعدة اقوام كل ذلك بعد سؤالهم وتضرعهم وقال في جمادى الآخرة وخرج أهل الاسواق على طبقاتهم كل يلتمس كتب امان يكون لهم فكتب فوق المائة سجل بامان لاهل الاسواق على طبقاتهم نسخة واحدة وكان يقرأ جميعها في القصر أبو علي أحمد بن عبد السميع العباسي وتسلم أهل كل سوق ما كتب لهم وهذه نسخة أحدها بعد البسملة (هذا كتاب من عبد الله ووليه المنصور أبي علي الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين لاهل مسجد عبد الله انكم من الآمنين بامان الله الملك الحق المبين وامان جدنا محمد خاتم النبيين وأبينا علي خير الوصيين وآبائنا الذرية النبوية المهديين صلى الله على الرسول ووصيه وعليهم أجمعين وامان أمير المؤمنين على النفس والحال والدم والمال لا خوف عليكم ولا تمتد يد بسوء اليكم الا في حد يقام بواجبه وحق يؤخذ بمستوجبه فليوثق بذلك وليعول عليه ان شاء الله تعالى وكتب في جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلثمائة والحمد لله وصلى الله على محمد سيد المرسلين وعلى خير الوصيين وعلى الائمة المهديين ذرية النبوة وسلم تسليما كثيرا * (وقال ابن عبد الظاهر فاما الحارات التي من باب الفتوح ميمنة وميسرة للخارج منه فالميمنة الى الهليلجة والميسرة الى بركة الارمن برسم الريحانية وهي الحسينية الآن وكانت برسم الريحانية الغزاوية والمولدة والعجمان وعبيد الشراء وكانت ثمان حارات وهي حارة حامد بين الحارتين المنشية الكبيرة الحارة الكبيرة الحارة الوسطى سوق الكبير الوزيرية وللاجناد بظاهر القاهرة حارات وهي حارة البيازرة والحسينية جميع ذلك سكن الريحانية وسكن الجيوشية والعطوفية بالقاهرة وبظاهرها الهلالية والشوبك وحاب والحبانية والمامونية وحارة الروم وحارة المصامدة والحارة الكبيرة والمنصورة الصغيرة والبانسية وحارة أبي بكر والمقس وراس التبان والشارع ولم يكن للاجناد في هذا الوجه غير حارة عنتر للمؤمنين المترجلة وكانت كل حارة من هذه بلدة كبيرة بالبزازين والعطارين والجزارين وغيرهم والولاة لا يحكمون عليها ولا يحكم فيها الا الازمة ونوابهم وأعظم الجميع الحارة الحسينية التي هي آخر صف الميمنة الى الهليلجة وهي الحسينية الآن لانها كانت سكن الارمن فارسهم وراجلهم وكان يجتمع بها قريب من سبعة آلاف نفس وأكثر من ذلك وبها اسواق عدة * وقال في موضع آخر الحسينية منسوبة لجماعة من الاشراف الحسينيين كانوا في الايام الكاملية قدموا من الحجاز فنزلوا خارج باب النصر بهذه الامكنة واستوطنوها وبنوا بها مدابغ صنعوا بها الاديم المشبه بالطائفي فسميت بالحسينية ثم سكنها الاجناد بعد ذلك وابتنوا بها هذه الابنية العظيمة وهذا وهم فانه تقدم ان من جملة الطوائف في الايام الحاكمية الطائفة الحسينية وتقدم فيما نقله ابن عبد الظاهر أيضا ان الحسينية كانت عدة حارات والايام الكاملية انما كانت بعد الستمائة وقد كانت الحسينية قبل ذلك بما ينيف عن مائتي سنة فتدبره * واعلم ان الحسينية شقتان احداهما

ماخرج عن باب الفتوح وطولها من خارج باب الفتوح الى الخندق وهـذه الشقة هي التي كانت مساكن الجند في ايام الخلفاء الفاطميين وبها كانت الحارات المذكورة والشقة الاخرى ماخرج عن باب النصر وامتد في الطول الى الريدانية وهـذه الشقة لم يكن بها في أيام الخلفاء الفاطميين سوى مصلى العيد تجاه باب النصر وما بين المصلى الى الريدانية فضاء لابناء فيه وكانت القوافل اذا برزت تريد الحج تنزل هنالك فلما كان بعد الخمسين وأربعمائة وقدم بدر الجمالي أمير الجيوش وقام بتدبير أمر الدولة للخليفة المستنصر بالله انشأ بحرى مصلى العيد خارج باب النصر تربة عظيمة وفيها قبره هو وولده الافضل ابن امير الجيوش وأبو علي كتيفات بن الافضل وغيره وهي باقية الى يومنا هـذا ثم تتابع الناس في انشاء الترب هنالك حتى كثرت ولم تزل هـذه الشقة مواضع للترب ومقابر اهل الحسينية والقاهرة الى بعد السبعمائة ولقد حدثت عن المشيخة ممن ادرك بان ما بين مصلى الاموات التي خارج باب النصر وبين دار كهرداش التي تعـرف اليوم بدار الحاجب مكانا يعرف بالمراغة معد لتمريغ الدواب به وان ما في صف المصلى من بحريها الترب فقط ولم تعمر هـذه الشقة الا في الدولة التركية لاسيما لما تغلب التتر على ممالك الشرق والعراق وجفل الناس الى مصر فنزلوا بهذه الشقة و بالشقة الاخرى وعمروا بها المساكن ونزل بها أيضا أمراء الدولة فصارت من أعظم عمائر مصر والقاهرة واتخذ الامراء بها من بحريها فيما بين الريدانية الى الخندق مناخات الجمال واصطبلات الخيل ومن ورائها الاسواق والمساكن العظيمة في الكثرة وصار أهلها يوصفون بالحسن خصوصا لما قدمت الاويراتية

* (ذكر قدوم الاويراتية) *

وكان من خبر هـذه الطائفة ان بيدو بن طرغاي بن هولاكو لما قتل في ذي الحجة سنة أربع وتسعين وسبعمائة وقام في الملك من بعده عـلى المغل الملك غازان محمود بن خربنده بن ابغاي تخوف منه عدة من المغـل يعرفون بالاويراتية وفروا عن بلاده الى نواحي بغداد فنزلوا هنالك مع كبيرهم طرغاي وجرت لهـم خطوب آلت بهم الى اللحاق بالفرات فاقاموا بها هنالك وبعثوا الى نائب حلب يستأذنوه في قطع الفرات ليعبروا الى ممالك الشام فاذن لهم وعدوا الفرات الى مدينة بهنسا فاكرمهم نائبها وقام لهم بما ينبغي من العلوفات والضيافات وطولع الملك العادل زين الدين كتبغا وهو يومئذ سلطان مصر والشام بأمرهم فاستشار الامراء فيما يعمل بهـم فاتفق الرأى على استدعاء اكابرهم الى الديار المصرية وتفريق باقيهم في البلاد الساحلية وغيرها من بلاد الشام وخرج اليهم الامير علم الدين سنجر الدواداري والامير شمس الدين سنقر الاعسر الى دمشق فجهزا من اكابر الاويراتية نحو الثلثمائة للقدوم عـلى السلطان وفرقا من بقي منهـم بالبقاع العزيزة وبلاد الساحل ولما قارب الجماعة من القاهرة خرج الامراء بالعسكر الى لقائهـم واجتمع الناس من كل مكان حتى امتلأ الفضاء للنظر اليهـم فكان لدخولهـم يوم عظيم وصاروا الى قلعة الجبل فأنعم السلطان عـلى طرغاي مقدمهم بأمرة طبلخانه وعلى الصوص بأمرة عشرة واعطى البقية تقادما في الحلقة واقطاعات واجرى عليهم الرواتب وانزلوا بالحسينية وكانوا على غير الملة الاسلامية فشق ذلك عـلى الناس وبلوا مع ذلك منهم بأنواع من البلاء لسوء اخلاقهم ونفرة نفوسهم وشدة جبروتهم وكان اذ ذاك بالقاهرة ومصر غلاء كبير وفناء عظيم فتضاعفت المضرة واشتد الامر على الناس وقال في ذلك الاديب شمس الدين محمد بن دينار

ربنا اكشف عنا العذاب فانا * قـد تلفنا في الدولة المغلية

جاءنا المغل والغلا فانصلقنا * وانطحنا في الدولة المغلية

ولما دخل شهر رمضان من سنة خمس وتسعين وستمائة لم يصم احد من الاويراتية وقيل للسلطان ذلك فأبى ان يكرههم على الاسلام ومنع من معارضتهم ونهى ان يشوش عليهم احد وأظهر العناية بهم وكان مراده أن يجعلهم عونا له يتقوى بهم فبالغ في اكرامهم حتى أثر في قلوب امراء الدولة منه احنا وخشوا ايقاعه بهم فان الاويراتية كانوا أهل جنس كتبغا وكانوا مع ذلك صورا جميلة فافتتن بهـم الامراء وتنافسوا في أولادهـم من الذكور والاناث واتخذوا منهم عدة صيروهم من جملة جندهم وتعشقوهم فكان بعضهم يستنشد من صاحبه من اختص به وجعله محل شهوته ثم ما قنع الامراء ما كان منهم بمصر حتى ارسلوا الى البلاد الشامية واستدعوا منهم طائفة كبيرة فتكاثر نسلهم في القاهرة واشتدت الرغبة من الكافة في أولادهم على اختلاف الآراء في الاناث والذكور فوقع

التحاسد والتشاجر بين أهل الدولة الى ان آل الامر بسببهم و باسباب أخر الى خلع السلطان الملك العادل كتبغا من الملك فى صفر سنة ست وتسعين وستمائة فلما قام فى السلطنة من بعده الملك المنصور حسام الدين لاجين قبض على طرغاى مقدم الاوراتية وعلى جماعة من اكابرهم وبعث بهم الى الاسكندرية فسجنهم بها وقتلهم وفرق جميع الاوراتية على الامراء فاستخدموهم وجعلوهم من جندهم فصار اهل الحسينية لذلك يوصفون بالحسن والجمال البارع وأدركنا من ذلك طرفا جيدا وكان للناس فى نكاح نسائهم رغبة ولآخرين شغف باولادهم ولله در الشيخ تقى الدين السروجى اذ يقول من أبيات

يا ساعى الشوق الذى مذ جرى * جرت دموعى فهى اعوانه
خذ لى جوابا عن كتابى الذى * الى الحسينية عنوانه
فهى كما قد قيل وادى الحمى * واهلها فى الحسن غزلانه
امشى قليلا وانعطف يسرة * يلقاك درب طال بنيانه
واقصد بصدر الدرب ذاك الذى * بحسنه تحسن جيرانه
سلم وقل يخشى مسن اى مسن * اشت حديثا طال كتمانه
وسل لى الوصل فان قال بق * فقل اوت قد طال هجرانه

ومابرحوا يوصفون بالزعارة والشجاعة وكان يقال لهم البدورة فيقال البدرفلان والبدرفلان ويعانون لباس الفتوة وحمل السلاح ويؤثر عنهم حكايات كثيرة وأخبار جمة وكانت الحسينية قد أربت فى عمارتها على سائر اخطاط مصر والقاهرة حتى لقد قال لى ثقة ممن ادركت من الشيخة انه يعرف الحسينية عامرة بالاسواق والدور وسائر شوارعها كافة بازدحام الناس من الباعة والمارة وأرباب المعايش واصحاب اللهو والمعوب فيما بين الريدانية محطة المحمل يوم خروج الحاج من القاهرة والى باب الفتوح لا يستطيع الانسان أن يمر فى هذا الشارع الطويل العريض طول هذه المسافة الكبيرة الا بمشقة من الزحام كما كنا نعرف شارع بين القصرين فيما ادركنا ومازال امر الحسينية متماسكا الى ان كانت الحوادث والمحن منذ سنة ست وثمانمائة ومابعدها فخربت حاراتها ونقضت مبانيها وبيع مافيها من الاخشاب وغيرها وباد أهلها ثم حدث بها بعد سنة عشرين وثمانمائة آية من آيات الله تعالى وذلك ان فى اعوام بضع وستين وسبعمائة بدا بناحية برج الزيات فيما بين المطرية وسرياقوس فساد الارضة التى من شأنها العبث فى الكتب والثياب فأكلت لشخص نحو ألف وخمسمائة قفة دريس فكان الناس تعجب من ذلك ثم فشت هناك وشنع عبثها فى سقوف الدور وسرت حتى عاثت فى اخشاب سقوف الحسينية وغلات أهلها وسائر امتعتهم حتى أتلفت شيأ كثيرا وقويت حتى صارت تأكل الجدران فبادر أهل تلك الجهة الى هدم ماقد بقى من الدور خوفا عليها من الارضة شيأ بعد شئ حتى قاربوا باب الفتوح وباب النصر وقد بقى منها اليوم قليل من كثير يخاف ان استمرت أحوال الاقليم على ماهى عليه من الفساد ان تدثر وتعمى آثارها كما درسوا اهاولله در القائل

والله ان لم يداركها وقد رحلت * بلمحة أو بلطف من لديه خفى
و لم يجد بتلافيها على عجل * ما أمرها صائرا الا الى تلف

*(حارة حلب) هذه الحارة خارج باب زويلة تعرف اليوم بزقاق حلب وكانت قديما من جملة مساكن الاجناد قال ياقوت فى باب حلب الاول حلب المدينة المشهورة بالشام وهى قصبة نواحى قنسرين والعواصم اليوم الثانى حلب الساجور من نواحى حلب أيضا الثالث كفرحلب من قراها أيضا الرابع محلة بظاهر القاهرة بالشارع من جهة الفسطاط والله تعالى اعلم

(ذكر اخطاط القاهرة وظواهرها)

قد تقدم ذكر ما يطلق عليه حارة من الاخطاط ونريد ان نذكر من الخطط مالا يطلق عليه اسم حارة ولا درب وهى كثيرة وكل قليل تتغير أسماؤها ولا بد من ايراد ما تيسر منها *(خط خان الوراقة) هذا الخط فيما بين حارة بهاء الدين وسويقة امير الجيوش وفى شرقيه سوق المرحلين وهو يشتمل على عدة مساكن وبه طاحون وكان موضعه قديما اصطبل الصبيان الحجرية لموقف خيولهم كما تقدم فلما زالت الدولة الفاطمية اختط مواضع للسكنى وقد شمله الخراب

*(خط باب القنطرة) هذا الخط كان يعرف قديما بحارة المرتاحية وحارة الفرحية والراحين وكان ما بين الرماحين الذى يعرف اليوم بباب القوس داخل باب القنطرة وبين الخليج فضاء لا عمارة فيه بطول ما بين باب الرماحين الى باب الخوخة والى باب سعادة والى باب الفرج ولم يكن اذ ذاك على حافة الخليج عمائر البتة وانما العمائر من جانب الكافورى وهى مناظر اللؤلؤة وما جاورها من قبليها الى باب الفرج وتخرج العامة عصريات كل يوم الى شاطئ الخليج الشرقى تحت المناظر للتفرج فان بر الخليج الغربى كان فضاء ما بين بساتين وبرك كما سيأتى ذكره ان شاء الله تعالى * قال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وثمانين وخمسمائة فى شوال قطع النيل الجسور واقتلع الشجر وغرق النواحى وهدم المساكن وأتلف كثيرا من النساء والاطفال وكثر الرخاء بمصر فالقمح كل مائة أردب بثلاثين دينارا والخبز البايت ستة ارطال بربع درهم والرطب الامهات ستة ارطال بدرهم والموز ستة ارطال بدرهم والرمان الجيد مائة حبة بدرهم والحمل الخيار بدرهمين والتين ثمانية ارطال بدرهم والعنب ستة ارطال بدرهم فى شهر بابه بعد انقضاء موسمه المعهود بشهرين والياسمين خمسة ارطال بدرهم وآل أمر اصحاب البساتين الى ان لا يجمعوا الزهر لنقص ثمنه عن اجرة جمعه وثمر الحناء عشرة ارطال بدرهم والبسرة عشرة ارطال بدرهم من جيده والمتوسط خمسة عشر رطلا بدرهم وما فى مصر الا متسخط بهذه النعمة قال ولقد كنت فى خليج القاهرة من جهة المقس لانقطاع الطرق بالمياه فرأيت الماء مملوءا سمكا والزيادة قد طبقت الدنيا والنخل مملوءا تمرا والمكشوف من الارض مملوءا ريحانا وبقولا ثم نزلت فوصلت الى المقس فوجدت من القلعة التى بالمقس الى منية السيرج غلالا قد ملأت صبرها الارض فلا يدرى الماشى أين يضع رجله متصلا عرض ذلك الى باب القنطرة وعلى الخليج عند باب القنطرة من مراكب الغلة ما قد ستر سواحله وارضه قال ودخلت البلد فرأيت فى السوق من الاخباز واللحوم والالبان والفواكه ما قد ملأها وهجمت منه العين على منظر ما رأيت قبله مثله قال وفى البلد من البغى ومن المعاصى ومن الجهر بها ومن الفسق بالزنا واللواط ومن شهادة الزور ومن مظالم الامراء والفقهاء ومن استحلال الفطر فى نهار رمضان وشرب الخمر فى ليله ممن يقع عليه اسم الاسلام ومن عدم النكير على ذلك جميعه ما لم يسمع ولم يعهد مثله فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وظفر بجماعة مجتمعين فى حارة الروم يتغدون فى قاعة فى نهار رمضان فما كلموا وبقوم مسلمين ونصارى اجتمعوا على شرب خمر فى ليل رمضان فما أقيم فيهم حد وخط باب القنطرة فيما بين حارة بهاء الدين وسويقة أمير الجيوش وينتهى من قبليه الى خط بين السورين * (خط بين السورين) هذا الخط من حد باب الكافورى فى الغرب الى باب سعادة وبه الآن صفان من الاملاك أحدهما مشرف على الخليج والآخر مشرف على الشارع المسلوك فيه من باب القنطرة الى باب سعادة ويقال لهذا الشارع بين السورين تسميه العامة بها فاشتهر بذلك وكان فى القديم بهذا الخط البستان الكافورى يشرف عليه بحده الغربى ثمة مناظر اللؤلؤة وقد بقيت منها عقود مبنية بالآجر يمر السالك فى هذا الشارع من تحتها ثم مناظر دار الذهب وموضعها الآن دار تعرف بدار بهادر الاعسر وعلى بابها بئر يستقى منها الماء فى حوض يشرب منه الدواب ويجاورها قبو معقود يعرف بقبو الذهب هو من بقية مناظر دار الذهب وبحد دار الذهب منظرة الغزالة وهى بجوار قنطرة الموسكى وقد بنى فى مكانها ربع يعرف الى اليوم بربع غزالة ودار ابن قرفه وقد صار موضعها جامع ابن المغربى وحمام ابن قرفة وبقى منها البئر التى يستقى منها الى اليوم بحمام السلطان وعدة دور كلها فيما يلى شقة القاهرة من صف باب الخوخة وكان ما بين المناظر والخليج براحا ولم يكن شئ من هذه العمائر التى بحافة الخليج اليوم البتة وكان الحاكم بأمر الله فى سنة احدى واربعمائة منع من الركوب فى المراكب بالخليج وسد أبواب القاهرة التى تلى الخليج وأبواب الدور التى هنالك والطاقات المطلة عليه على ما حكاه المسبحى * وقال ابن المأمون فى حوادث سنة ست عشرة وخمسمائة ولما وقع الاهتمام بسكن اللؤلؤة والمقام بها مدة النيل على الحكم الاول يعنى قبل أيام أمير الجيوش بدر وابنه الافضل وازالة ما لم تكن العادة جارية عليه من مضايقة اللؤلؤة بالبناء وانها صارت حارات تعرف بالفرحية والسودان وغيرهما أمر حسام الملك متولى بابه باحضار عرفاء الفرحية والانكار عليهم فى تجاسرهم على ما استجدوه وأقدموا عليه فاعتذروا بكثرة الرجال وضيق الامكنة عليهم فبنوا لهم قبابا يسيرة فتقدم يعنى أمر الوزير المأمون الى متولى الباب بالانعام عليهم وعلى جميع من بنى فى هذه الحارة بثلاثة آلاف درهم وان يقسم بينهم بالسوية ويأمرهم بنقل قسمهم وأن يبنوا لهم حارة قبالة بستان الوزير يعنى

ابن المغربي خارج الباب الجديد من الشارع خارج باب زويلة قال وتحول الخليفة الى اللؤلؤة بحاشيته واطلقت التوسعة في كل يوم لما يخص الخاص والجهات والاستاذين من جميع الاصناف واضاف اليها ما يطلق كل ليلة عيناً وورقاً وأطعمة للبائتين بالنوبة برسم الحرس بالنهار والسهر في طول الليل من باب قنطرة بهادر الى مسجد الليمونة من البرين من صبيان الخاص والركاب والرهجية والسودان والحجاب كل طائفة بنقيبها والعرض من متولى الباب واقع بالعدة في طرفي كل ليلة ولا يمكن بعضهم بعضاً من المنام والرهجية تخدم على الدوام

* (خط الكافوري) هذا الخط كان بستاناً من قبل بناء القاهرة وتملك الدولة الفاطمية لديار مصر أنشأه الامير أبو بكر محمد بن طغج بن جف الملقب بالاخشيد وكان بجانبه ميدان فيه الخيول وله أبواب من حديد فلما قدم جوهر القائد الى مصر جعل هذا البستان من داخل القاهرة وعرف ببستان كافور وقيل له في الدولة الفاطمية البستان الكافوري ثم اختط مساكن بعد ذلك قال ابن زولاق في كتاب سيرة الاخشيد ولست خلون من شوال سنة ثلاثين وثلثمائة سار الاخشيد الى الشام في عساكره واستخلف أخاه أبا المظفر ابن طغج قال وكان يكره سفك الدماء ولقد شرع في الخروج الى الشام في آخر سفراته وسار العسكر وكان نازلاً في بستانه في موضع القاهرة اليوم فركب للمسير فساعة خرج من باب البستان اعترضه شيخ يعرف بمسعود الصابوني يتظلم اليه فنظر له فتطير به وقال خذوه ابطحوه فبطح وضرب خمس عشرة مقرعة وهو ساكت فقال الاخشيد هو ذا يتشاطر فقال له كافور قد مات فانزعج واستقال سفرته وعاد لبستانه وأحضر أهل الرجل واستحلهم وأطلق لهم ثلاثمائة دينار وحمل الرجل الى منزله ميتاً وكانت جنازته عظيمة وسافر الاخشيد فلم يرجع الى مصر ومات بدمشق

* وقال في كتاب تتمة كتاب امراء مصر للكندي وكان كافور الاخشيدي أمير مصر يواصل الركوب الى الميدان والى بستانه في يوم الجمعة ويوم الاحد ويوم الثلاثاء قال وفي غد هذا اليوم يعني يوم الثلاثاء مات الاستاذ كافور الاخشيدي لعشر بقين من جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلثمائة ويوم مات الاستاذ كافور الاخشيدي خرج الغلمان والجند الى المنظرة وخربوا بستان كافور ونهبوا دوابه وطلبوا مال البيعة وقال ابن عبد الظاهر البستان الكافوري هو الذي كان بستاناً للكافور الاخشيدي وكان كثيراً ما يتنزه به وبنيت القاهرة عنده ولم يزل الى سنة احدى وخمسين وستمائة فاختطت البحرية والعزيزية به اصطبلات وازيلت اشجاره قال ولعمري ان خرابه كان بحق فانه كان عرف بالحشيشة التي يتناولها الفقراء والتي تطلع به يضرب بها المثل في الحسن قال شاعرهم نور الدين ابو الحسن علي بن عبد الله بن علي النيلي لنفسه

رب ليل قطعته ونديمي * شاهدي وهو مسمعي وسميري
مجلسي مسجد وشربي من خضـ * ـراء تزهو بحسن لون نضير
قال لي صاحبي وقد فاح منها * نشرها من ريا بنشر العبير
أمن المسك قلت ليست من المسـ * ـك ولكنها من الكافوري

وقال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد بن محمد الاسدي الدمشقي المعروف بالغموري انشدني الامام العالم المعروف بجموع الفضائل زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن عبد القادر الحنفي لنفسه وهو اول من عمل فيها

* وخضراء كافورية بات فعلها * بألبابنا فعل الرحيق المعتق *
* اذا نفحتنا من شذاها بنفحة * تدب لنا في كل عضو ومنطق *
غنيت بها عن شرب خمر معتق * وبالدلق عن لبس الجديد المزوق

وانشدني الحافظ جلال الدين أبو المعز ابن أبي الحسن بن أحمد بن الصائغ المغربي لنفسه

عاطني خضراء كافورية * يكتب الخمر لها من جندها
* اسكرتنا فوق ما تسكرنا * وربحنا أنفسا من حدها *

وانشدني لنفسه

قم عاطني خضراء كافورية * قامت مقام سلافة الصهباء
يغدو الفقير اذا تناول درهما * منها له تيه على الامراء

وتراه من اقوى الورى فاذا خلا * منها عددناه من الضعفاء

وانشدني من لفظه لنفسه أيضا

عاطيت من أهوى وقد زارني * كالبدر وافى ليلة البدر
والبحر قد مد على متنه * شعاعه جسرا من التبر
خضراء كافورية رنحت * اعطافه من شدة السكر
يفعل منها درهم فوق ما * تفعل ارطال من الخمر
فراح نشوانا بها غافلا * لايعرف الحلو من المر
قال وقد نال بها أمره * فبات مردودا الى امري
قتلتني قلت نعم سيدي * قتلين بالسكر وبالبحر

قال وأمر السلطان الملك الصالح يعني نجم الدين أيوب الأمير جمال الدين ابا الفتح موسى بن يغموران يمنع من زرع في الكافوري من الحشيشة شيأ فدخل ذات يوم فرأى فيه منها شيئا كثيرا فأمر بأن يجمع فجمع واحرق فأنشدني في الواقعة الشيخ الاديب الفاضل شرف الدين أبو العباس أحمد بن يوسف لنفسه وذلك في ربيع الاول سنة ثلاث وأربعين وستمائة

صرف الزمان وحادث المقدور * تركا نكير الخطب غير نكير
ماساما حيا ولا ميتا ولا * طودا سما بل دكدكا بالطور *
لهفي وهل يجدي التلهف في ذرى * طرب الغني وانس كل فقير
اخت المذلة لارتكاب محرم * قطب السرور وربأ يسر اليسور
جمعت محاسن ما اجتمعن لغيرها * من كل شئ كان في المعمور
منها طعام والشراب كلاهما * والبقل والريحان وقت حضور
هي روضة ان شئتها ورياضة * يغني بها عن روضة وخمور
ما في المدامة كلها منها سوى * اثم المدام وصحبة المخمور
كلا ونكهة خمرة هي شاهد * عدل على حد وجلد ظهور
آسفا الدهر غالها ولربما * ظل الكريم بذلة المأسور
جمعت له الاشهاد كرما اخضرا * كعروسة تجلى بخضر حرير
* زفوا الهانار الخلنا جنة * برزت لناقد زوجت بالنور *
* ثم اكتست منها غلالة صفرة * في خضرة مقرونة بزفير *
فكأنها لهب اللظى في خضرة * منها وطرف رمادها المنثور
جاري النضار على مذاب زمرد * تركا فتيت المسك في الكافوري
* لله درك حية أو ميتة * من منظر بهج بغير نظير *
أوذيت غير ذميمة فسقي الحيا * تربا تضمن منك ذوب عبير
عندي لذكرك ما بقيت مخلدا * سح الدموع ونفثة المصدور

(ذكر كافور الاخشيدي)

كان عبدا اسود خصيا مثقوب الشفة السفلى بطينا قبيح القدمين ثقيل البدن جلب الى مصر وعمره عشر سنين فما فوقها في سنة عشر وثلثمائة فلما دخل الى مصر تمنى ان يكون أميرها فباعه الذي جلبه لمحمد بن هاشم أحد المتقبلين للضياع فباعه لابن عباس الكاتب فمر يوما بمصر على منجم فنظر له في نجومه وقال له انت تصير الى رجل جليل القدر وتبلغ معه مبلغا عظيما فدفع اليه درهمين لم يكن معه سواهما فرمى بهما اليه وقال ابشرك بهذه البشارة وتعطيني درهمين ثم قال له وأزيدك انت تملك هذه البلد وأكثر منه فاذكرني * واتفق ان ابن عباس الكاتب ارسله بهدية يوما الى الامير أبي بكر محمد بن طغج الاخشيد وهو يومئذ أحد قواد تكين أمير مصر فأخذ كافورا وارد الهدية فترقى عنده في الخدم حتى صار من أخص خدمه * ولما مات الاخشيد بدمشق ضبط كافور

الامور وداري الناس ووعدهم الى ان سكنت الدهماء بعد أن اضطرب الناس وجهز استاذه وحمله الى بيت المقدس وسار الى مصر فدخلها وقد انعقد الامر بعد الاخشيد لابنه ابى القاسم أونوجور فلم يكن بأسرع من ورود الخبر من دمشق بأن سيف الدولة على بن حمدان أخذها وسار الى الرملة فخرج كافور بالعساكر وضرب الدباديب وهى الطبول على باب مضربه فى وقت كل صلاة وسار فظفر وغنم ثم قدم الى مصر وقد عظم امره فقام بخلافة أونوجور فخاطبه القوّاد بالاستاذ وصار القوّاد يجتمعون عنده فى داره فيخلع عليهم ويحملهم ويعطيهم حتى انه وقع لجانك أحد القوّاد الاخشيدية فى يوم بأربعة عشر ألف دينار ثم ما زال عبد الله حتى مات وانبسطت يده فى الدولة فعزل وولى واعطى وحرم ودعى له على المنابر كلها الا منبر مصر والرملة وطبرية ثم دعى له بها فى سنة أربعين وثلثمائة وصار يجلس للمظالم فى كل سبت ويحضر مجلسه القضاة والوزراء والشهود ووجوه البلد فوقع بينه وبين الامير أونوجور وتحرّز كل منهما من الاخر وقويت الوحشة بينهما وافترق الجند فصار مع كل واحد طائفة واتفق موت أونوجور فى ذى القعدة سنة تسع وأربعين وثلثمائة ويقال انه سمه فأقام أخاه أبا الحسن على بن الاخشيد من بعده واستبدّ بالامر دونه وأطلق له فى كل سنة اربعمائة ألف دينار واستقل بسائر أحوال مصر والشام فسد ما بينه وبين الامير أبى الحسن على فضيق عليه كافور ومنع ان يدخل عليه أحد فاعتل بعلة أخيه ومات وقد طالت به فى محرم سنة خمس وخمسين وثلثمائة فبقيت مصر بغير أمير أياما لا يدعى فيها سوى للخليفة المطيع فقط وكافور يدبر أمر مصر والشام فى الخراج والرجال فلما كان لاربع بقين من المحرم المذكور أخرج كافور كتابا من الخليفة المطيع بتقليده بعد على بن الاخشيد فلم يغير لقبه بالاستاذ ودعى له على المنبر بعد الخليفة وكانت له فى ايامه قصص عظام وقدم عسكر من المعز لدين الله أبى تميم معدّ من المغرب الى الواحات فجهز اليه جيشا اخرجوا العسكر وقتلوا منهم وصارت الطبول تضرب على بابه خمس مرّات فى اليوم والليلة وعدّتها مائة طبلة من نحاس وقدمت عليه دعاة المعز لدين الله من بلاد المغرب يدعونه الى طاعته فلاطفهم وكان اكثر الاخشيدية والكافورية وسائر الاولياء والكتاب قد أخذت عليهم البيعة للمعز وقصرمدّ النيل فى ايامه فلم يبلغ تلك السنة سوى اثنى عشر ذراعا وأصابع فاشتدّ الغلاء وفشا الموت فى الناس حتى عجزوا عن تكفينهم ومواراتهم وأرجف بمسير القرامطة الى الشام وبدت غلمانه تتنكر له وكانوا ألفا وسبعين غلاما تركيا سوى الروم والمولدين فمات لعشر بقين من جمادى الاول سنة سبع وخمسين وثلاثمائة عن ستين سنة فوجد له من العين سبعمائة ألف دينار ومن الورق والحلى والجوهر والعنبر والطيب والثياب والآلات والفرش والخيام والعبيد والجوارى والدواب ما قوّم بستمائة ألف ألف دينار وكانت مدّة تدبيره أمر مصر والشام والحرمين احدى وعشرين سنة وشهرين وعشرين يوما منها منفردا بالولاية بعد أولاد استاذه سنتان وأربعة أشهر وتسعة أيام ومات عن غير وصية ولا صدقة ولا مأثرة يذكر بها ودعى له على المنابر بالكنية التى كناه بها الخليفة وهى أبو المسك أربع عشرة جمعة وبعده اختلت مصر وكادت تدمر حتى قدمت جيوش المعز على يد القائد جوهر فصارت مصر دار خلافة ووجد على قبره مكتوب

ما بال قبرك يا كافور منفردا * بصائح الموت بعد العسكر اللجب
يدوس قبرك من أدنى الرجال وقد * كانت اسود الشرى تخشاك فى الكتب

ووجد أيضا مكتوب

انظر الى غير الايام ما صنعت * افنت اناسا بها كانوا وما فنيت
دنياهم اضحكت ايام دولتهم * حتى اذا فنيت ناحت لهم وبكت

*(خط الخرشتف) هذا الخط فيما بين حارة برجوان والكافورى ويتوصل اليه من بين القصرين فيدخل له من قبو يعرف بقبو الخرشتف وهو الذى كان يعرف قديما بباب التبانين ويسلك من الخرشتف الى خط باب سر المارستان والى حارة زويلة وكان موضع الخرشتف فى أيام الخلفاء الفاطميين ميدانا بجوار القصر الغربى والبستان الكافورى فلما زالت الدولة اختط وصار فيه عدّة مساكن وبه أيضا سوق وانما سمى بالخرشتف لان المعز أول من بنى فيه الاصطبلات بالخرشتف وهو ما يتحجر مما يوقد به على مياه الحمامات من الازبال وغيرها * قال ابن عبد الظاهر الحارة المعروفة بالخرشتف كانت قديما ميدانا للخلفاء فلما ورد المعز بنوا به اصطبلات وكذلك القصر الغربى وقد كان النساء اللاتى اخرجن من القصر يسكن بالقصر النافعى فامتدت الايدى الى طوبه

وأخشابه وبيعت وتلاشى حاله وبنى به وبالميدان اصطبلات ودورات بالخرشتف فسمى بذلك ثم بنى به الادر
والطواحين وغيرها وذلك بعد السبعمائة واكثر أراضى الميدان حكر للادر القطبية * (خط اصطبل القطبية)
هذا الخط أيضا من جملة أراضى الميدان ولما انتقلت القاعة التى كانت سكن أخت الحاكم بأمر الله بعد زوال
الدولة الفاطمية صارت الى الملك المفضل قطب الدين أحمد بن الملك العادل أبى بكر ابن أيوب فاستقر بها هو
وذريته فصار يقال لها الدار القطبية واتخذ هذا المكان اصطبلا لهذه القاعة فعرف باصطبل القطبية ثم لما اخذ
الملك المنصور قلاوون القاعة القطبية من مونسة خاتون المعروفة بدار اقبال ابنة الملك العادل أبى بكر ابن أيوب
أخت المفضل قطب الدين أحمد المعروفة بخاتون القطبية وعملها المارستان المنصورى بنى فى هذا الاصطبل
المساكن وصارت من جملة الخطط المشهورة ويتوصل اليه من وسط سوق الخرشتف ويسلك فيه من آخره الى
المدرسة الناصرية والمدرسة الظاهرية المستجدة وعمل على اوله درب يغلق وهو خط عامر * (خط باب سر المارستان)
هذا الخط يسلك اليه من الخرشتف ويصير السالك فيه الى البندقانيين وبعض هذا الخط وهو جله ومعظمه من
جملة اصطبل الجميزة الذى كان فيه خيول الدولة الفاطمية وقد تقدم ذكره وموضع باب سر المارستان المنصورى
هو باب الساباط فلما زالت الدولة واختط الكافورى والخرشتف واصطبل القطبية صار هذا الخط واقعا بين هذه
الاخطاط ونسب الى باب سر المارستان لانه من هنالك وادركت بعض هذه الخطة وهى خراب ثم انشأ فيه القاضى
جمال الدين محمود القيصرى محتسب القاهرة فى أيام ولايته نظر المارستان فى سنة احدى وثمانين وسبعمائة
الطاحون العظيمة ذات الاحجار والفرن والربع علوه فى المكان الخراب وجعل ذلك جاريا فى جملة اوقاف المارستان
المنصورى * (خط بين القصرين) هذا الخط اعمر أخطاط القاهرة وأنزهها وقد كان فى الدولة الفاطمية فضاء كبيرا
وبراحا واسعا يقف فيه عشرة آلاف من العسكر ما بين فارس وراجل ويكون به طرادهم ووقوفهم للخدمة كما هو
الحال اليوم فى الرميلة تحت قلعة الجبل فلما انقضت أيام الدولة الفاطمية وخلت القصور من أهاليها ونزل بها أمراء
الدولة الايوبية وغيروا معالمها صار هذا الموضع سوقا مبتذلا بعد ما كان ملاذا مبجلا وقعد فيه الباعة باصناف
المأكولات من اللحمان المتنوعة والحلاوات المصنعة والفاكهة وغيرها فصار منتزها تمر فيه اعيان الناس
وأماثلهم فى الليل مشاة لرؤية ما هنالك من السرج والقناديل الخارجة عن الحد فى الكثرة ولرؤية ما تشتهى الانفس
وتلذ الاعين مما فيه لذة للحواس الخمس وكانت تعقد فيه عدة حلق لقراءة السير والاخبار وانشاد الاشعار والتفنن
فى انواع اللعب واللهو فيصير مجمعا لا يقدر قدره ولا يمكن حكاية وصفه وسأتلوا عليك من أنباء ذلك مالا تجده
مجموعا فى كتاب * قال المسبحى فى حوادث جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلثمائة وفيه منع كل أحد ممن يركب
مع المكاريين ان يدخل من باب القاهرة راكبا ولا المكاريين أيضا بحميرهم ولا يجلس أحد على باب الزهومة من
التجار وغيرهم ولا يمشى أحد ملاصق القصر من باب الزهومة الى اقصى باب الزمرذ ثم عفى عن المكاريين بعد ذلك
وكتب لهم امان قرئ * وقال ابن الطوير ويبيت خارج باب القصر كل ليلة خمسون فارسا فاذا اذن بالعشاء
الاخرة داخل القاعة وصلى الامام الراتب بها بالمقيمين فيها من الاستاذين وغيرهم وقف على باب القصر أمير يقال له
سنان الدولة ابن الكركندى فاذا اعلم بفراغ الصلاة أمر بضرب النوبات من الطبل والبوق وتوابعهما من عدة
وافرة بطريق مستحسنة ساعة زمانية ثم يخرج بعد ذلك استاذ برسم هذه الخدمة فيقول أمير المؤمنين يرد على
سنان الدولة السلام فيصقع ويغرس حربة على الباب ثم يرفعها بيده فاذا رفعها اغلق الباب وسار الى حوالى
القصر سبع دورات فاذا انتهى ذلك جعل على الباب البياتين والفراشين المقدم ذكرهم وافضى المؤذنون الى
خزائنهم هنالك ورميت السلسلة عند المضيق آخر بين القصرين من جانب السيوفيين فينقطع المار من ذلك المكان
الى ان تضرب النوبة سحرا قريب الفجر فتنصرف الناس من هنالك بارتفاع السلسلة انتهى * واخبرنى المشيخة
انه مازال الرسم الى قريب أنه لا يمر بشارع بين القصرين حمل تبن ولا حمل حطب ولا يستطيع أحد أن يسوق
فرسا فيه فان ساق أحد انكر عليه وخرق به * وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب والمكان الذى كان يعرف فى القاهرة
بين القصرين هو من الترتيب السلطانى لان هنالك ساحة متسعة للعسكر والمتفرجين ما بين القصرين ولو كانت
القاهرة كلها كذلك كانت عظيمة القدر كاملة الهمة السلطانية * وقال ياقوت وبين القصرين كان ببغداد بباب
الطاق يراد به قصر اسماء بنت المنصور وقصر عبد الله بن المهدى وكان يقال لهما ايضا بين القصرين وبين

القصرين

القصرين بمصر والقاهرة وهما قصران متقابلان بينهما طريق العامّة والسوق عمرهما ملوك مصر المغاربة المتغلبة الذين ادّعوا انهم علوية وحدّثني الفاضل الرئيس تقيّ الدين عبد الوهاب ناظر الخواص الشريفة ابن الوزير الصاحب فخر الدين عبد الله ابن أبي شاكر أنه كان يشتري في كل ليلة من بين القصرين بعد العشاء الآخرة برسم الوزير الصاحب فخر الدين عبد الله بن خصيب من الدجاج المطجن والقطا وفراخ الحمام والعصافير المقلاة بمبلغ مائتي درهم وخمسين درهما فضة يكون عنها يومئذ نحو من اثني عشر مثقالا من الذهب وأن هذا كان دأبه في كل ليلة ولا يكاد مثل هذا مع كثرته لرخاء الاسعار يؤثر نقصه فيما كان هنالك من هذا الصنف لعظم ما كان يوضع في بين القصرين من هذا النوع وغيره ولقد ادركنا في كل ليلة من بعد العصر يجلس الباعة بصنف لحمان الطيور التي تقلى صفا من باب المدرسة الكاملية الى باب المدرسة الناصرية وذلك قبل بناء المدرسة الظاهرية المستجدّة فيباع لحم الدجاج المطجن ولحم الاوز المطجن كل رطل بدرهم وتارة بدرهم وربع وتباع العصافير المقلوّة كل عصفور بفلس حسابا عن كل أربعة وعشرين بدرهم والمشيخة تقول انا حينئذ في غلاء لكثرة ما تصف من سعة الارزاق ورخاء الاسعار في الزمن الذي ادركوه قبل الفناء الكبير ومع ذلك فلقد وقع في سنة ست وثمانين شيء لا يكاد يصدّقه اليوم من لم يدرك ذلك الزمان وهو أنه كان لنا من جيراننا بحارة برجوان شخص يعاني الجندية ويركب الخيل فبلغني عن غلامه انه خرج في ليلة من ليالي رمضان وكان رمضان اذ ذاك في فصل الصيف ومعه رفيق له من غلمان الخيل وأنهما سرقا من شارع بين القصرين وما قرب منه بضعا وعشرين بطيخة خضراء وبضعا وثلاثين شقفة جبن والشقفة ابدا من نصف رطل الى رطل فما منا الامن تعجب من ذلك وكيف تهيأ لاثنين فعل هذا وحمل هذا القدر يحتاج الى دابتين الى ان قدّر الله تعالى لي بعد ذلك ان اجتمعت بأحد الغلامين المذكورين وسألته عن ذلك فاعترف لي به قلت صف لي كيف عملتما فذكر أنهما كانا يقفان على حانوت الجبان أو مقعد البطيخي وكان اذ ذاك يعمل من البطيخ في بين القصرين مرصات كثيرة جدّا في كل مرص ماشاء الله من البطيخ قال فاذا وقفنا قلب أحدنا بطيخة وقلب الاخر أخرى فلشدّة ازدحام الناس يتناول أحدنا بطيخته بخفة يد وصناعة ويقوم فلا يفطن به أو يقلب أحدنا ورفيقه قائم من ورائه والبياع مشغول البال لكثرة ما عليه من المشترين وما في ذلك الشارع من غزير الناس فيحذفها من تحته وهو جالس القرفصا فاذا أحس بها رفيقه تناولها ومرّ وكذلك كان فعلهم مع الجبانين وكانوا كثيرا فانظر أعزك الله الى بضاعة يسرق منها مثل هذا القدر ولا يفطن به من كثرة ما هنالك من البضائع واعظم الخلق * ولقد حدّثني غير واحد ممن قدم مع قاضي القضاة عماد الدين أحمد الكركي انه لما قدموا من الكرك في سنة اثنين وتسعين وسبعمائة كادوا يذهلون عند مشاهدة بين القصرين وقال لي ابنه محب الدين محمد اول ماشاهدت بين القصرين حسبت ان زفة أو جنازة كبيرة تمرّ من هنالك فلما لم ينقطع المارة سألت ما بال الناس مجتمعين للمرور من ههنا فقيل لي هذا دأب البلد دائما ولقد كان مع أن من الناس من يقوم خلف الشاب أو المرأة عند التمشي بعد العشاء بين القصرين ويجامع حتى يقضي وطره وهما ماشيان من غير أن يدركهما أحد لشدّة الزحام واشتغال كل أحد بلهوه وما برحت أجد من الازدحام مشقة حتى أفادني بعض من ادركت أن من الرأي في المشي ان يأخذ الانسان في مشيه نحو شماله فانه لا يجد من المشقة كما يجد غيره من الزحام فاعتبرت ذلك آلاف مرّات في عدّة سنين فما اخطأ معي ولقد كنت اكثر من تأمّل المارة بين القصرين فاذا هم صفان كل صف يمرّ من صوب شماله كالسيل اذا اندفع وعلل هذا الذي أفادني ان القلب من يسار كل أحد والناس تميل الى جهة قلوبهم فلذلك صار مشيهم من صوب شمائلهم وكذا صح لي مع طول الاعتبار ولما حدثت هذه المحن بعد سنة ست وثمانين وثمانمائة تلاشى أمر بين القصرين وذهب ما هنالك وما اخوفني ان يكون أمر القاهرة كما قيل

هذه بلدة قضى الله ياصا * ح عليها كما ترى بالخراب
فقف العيس وقفة وابك من كا * ن بها من شيوخها والشباب
واعتبر ان دخلت يوما اليها * فهي كانت منازل الاحباب

*(خط الخشيبة) هذا الخط يتوصل اليه من وسط سوق باب الزهومة ويسلك فيه الى الحارة العدوية حيث فندق الرخام برحبة بيبرس والى درب شمس الدولة وقيل له خط الخشيبة من أجل ان الخليفة الظافر لما قتله نصر بن عباس

وبنى على مكانه الذي دفنه فيه المسجد الذي يعرف اليوم بمسجد الخلعيين ويعرف أيضا بمسجد الخلفاء نصبت هنالك خشبة حتى لا يمر أحد من هذا الموضع راكبا فعرف بخشيبة تصغير خشبة ومازالت هنالك حتى زالت الدولة الفاطمية وقام السلطان صلاح الدين بسلطنة مصر فأزال الخشيبة وعرف هذا الخط بها الى اليوم ويقال له خط حمام خشيبة من أجل الحمام التي هنالك * ولقتل الظافر خبر يحسن ذكره هنا

(ذكر مقتل الخليفة الظافر)

وكان من خبر الظافر أنه لما مات الخليفة الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد ابن الامير أبي القاسم محمد بن المستنصر في ليلة الخميس لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة بويع ابنه أبو المنصور اسماعيل ولقب بالظافر بأمر الله بوصية من أبيه له بالخلافة وقام بتدبير الوزارة الامير نجم الدين سليمان بن محمد بن مصال فلم يرض الامير المظفر على بن السلار والى الاسكندرية والبحيرة يومئذ بوزارة ابن مصال وحشد وسار الى القاهرة ففر ابن مصال واستقر ابن السلار في الوزارة وتلقب بالعادل فجهز العساكر لمحاربة ابن مصال فحاربته وقتل فقوى واستوحش منه الظافر وخاف منه ابن السلار واحترز منه على نفسه وجعل له رجالا يمشون في ركابه بالزرد والخود وعددهم ستمائة رجل بالنوبة ونقل جلوس الظافر من القاعة الى الايوان في البراح والسعة حتى اذا دخل للخدمة يكون أصحاب الزرد معه ثم تأكدت النفرة بينهما فقبض على صبيان الخاص وقتل اكثرهم وفرق باقيهم وكانوا خمسمائة رجل ومازال الامر على ذلك الى ان قتله ربيبه عباس بن تميم بيد ولده نصر واستقر بعده في وزارة الظافر وكان بين ناصر الدين نصر بن عباس الوزير وبين الظافر مودة اكيدة ومخالطة بحيث كان الظافر يشتغل به عن كل أحد ويخرج من قصره الى دار نصر بن عباس التي هي اليوم المدرسة السيوفية فخاف عباس من جراءة ابنه وخشى ان يحمله الظافر على قتله فيقتله كما قتل الوزير على بن السلار زوج جدته أم عباس فنهاه عن ذلك وألح في تأنيبه وأفرط في لومه لان الامراء كانوا مستوحشين من عباس وكارهين منه تقريبه اسامة بن منقذ لما علموه من انه هو الذي حسن لعباس قتل ابن السلار كما هو مذكور في خبره وهموا بقتله وتحدثوا مع الخليفة الظافر في ذلك فبلغ اسامة ماهم عليه وكان غريبا من الدولة فأخذ يغرى الوزير عباس بن تميم بابنه نصر ويبالغ في تقبيح مخالطته للظافر الى ان قال له مرة كيف تصبر على ما يقول الناس في حق ولدك من ان الخليفة يفعل به ما يفعل بالنساء فأثر ذلك في قلب عباس واتفق ان الظافر انعم بمدينة قليوب على نصر بن عباس فلما حضر الى أبيه وأعلمه بذلك واسامة حاضر فقال له يا ناصر الدين ماهى بمهرك غالية يعرض له بالفحش فأخذ عباس من ذلك ما أخذه وتحدث مع اسامة لثقته به في كيفية الخلاص من هذا فأشار عليه بقتل الظافر اذا جاء الى دار نصر على عادته في الليل فأمره بمفاوضة ابنه نصر في ذلك فاغتنمها اسامة ومازال بنصر يشنع عليه ويحرضه على قتل الظافر حتى وعده بذلك فلما كان ليلة الخميس آخر المحرم من سنة تسع وأربعين وخمسمائة خرج الظافر من قصره متنكرا ومعه خادمان كما هي عادته ومشى الى دار نصر بن عباس فاذا به قد أعد له قوما فعند ما صار في داخل داره وثبوا عليه وقتلوه هو وأحد الخادمين وتوارى عنهم الخادم الآخر ولحق بعد ذلك بالقصر ثم دفنوا الظافر والخادم تحت الارض في الموضع الذي فيه الآن المسجد وكان سنه يوم قتل احدى وعشرين سنة وتسعة أشهر ونصف منها في الخلافة بعد أبيه أربع سنين وثمانية أشهر تنقص خمسة ايام وكان محكوما عليه في خلافته وفي ايامه ملك الفرنج مدينة عسقلان وظهر الوهن في الدولة وكان كثير اللهو واللعب وهو الذي انشأ الجامع المعروف بجامع الفاكهيين و بلغ أهل القصر ما عمله نصر بن عباس من قتل الظافر فكاتبوا طلائع بن رزيك وكان على الاشمونين وبعثوا اليه بشعور النساء يستصرخون به على عباس وابنه فقدم بالجموع وفر عباس واسامة ونصر ودخل طلائع وعليه ثياب سود واعلامه وبنوده كلها سود وشعور النساء التي ارسلت اليه من القصر على الرماح فكان فألا عجيبا فانه بعد خمس عشرة سنة دخلت اعلام بني العباس السود من بغداد الى القاهرة لما مات العاضد واستبد صلاح الدين بملك ديار مصر وكان اول ما بدأ به طلائع ان مضى ماشيا الى دار نصر وأخرج الظافر والخادم وغسلهما وكفنهما وحمل الظافر في تابوت مغشى ومشى طلائع حافيا والناس كلهم حتى وصلوا الى القصر فصلى عليه ابنه الخليفة الفائز ودفن في تربة القصر * (خط سقيفة العداس)

هذا الخط فيما بين درب شمس الدولة والبندقانيين كان يقال له اولا سقيفة العداس ثم عرف بالصاغة القديمة

ثم عرف بالاساكفة ثم هو الآن يعرف بالحريريين الشراربين وبسوق الزجاجين وفيه يباع الزجاج وهو خط عامر وهذا العداس هو علي بن عمر بن العداس ابو الحسن ضمن في ايام المعز لدين الله كورة بوصير فخلع عليه وحمله وسار خليفته بالبنود والطبول في جمادى الاولى سنة أربع وستين وثلثمائة فلما كان في اول خلافة العزيز بالله بن المعز لدين الله ولاه الوساطة وهي رتبة الوزارة بعد موت الوزير يعقوب بن كلس ولم يلقبه بالوزير فجلس في القصر لتسع عشرة خلت من ذي الحجة سنة احدى وثمانين وثلثمائة وأمر ونهى ونظر في الاموال ورتب العمال وأمر أن لا يطلق شئ الا بتوقيعه ولا ينفذ الا ما أمر به وقرره وأمره العزيز بالله أن لا يرتفق أي يرتشي ولا يرتزق يعني انه لا يقبل هدية ولا يضيع دينارا ولا درهما فأقام سنة وصرف في اول المحرم من سنة ثلاث وثمانين فقرر في ديوان الاستيفاء الى ان كان جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة حسن لابي طاهر محمود النحوي الكاتب وكان منقطعا اليه ان يلقى الحاكم بأمر الله و يبلغه ماتشكوه الناس من تظافر النصارى وغلبتهم على المملكة وتوازرهم وأن فهد بن ابراهيم هو الذي يقوي نفوسهم ويفوض أمر الاموال والدواوين اليهم وانه آفة على المسلمين وعدة للنصارى فوقف ابو طاهر للحاكم ليلا في وقت طوافه في الليل و بلغه ذلك ثم قال يامولانا ان كنت تؤثر جمع الاموال واعزاز الاسلام فأرني رأس فهد بن ابراهيم في طشت والا لم يتم من هذا شئ فقال له الحاكم ويحك ومن يقوم بهذا الامر الذي تذكره ويضمنه فقال عبدك علي بن عمر بن العداس فقال ويحك أويفعل هذا قال نعم يا أمير المؤمنين قال قل له يلقاني ههنا في غد ومضى الحاكم فجاء أبو طاهر الى ابن العداس وأعلمه بما جرى فقال و يحك قتلتني وقتلت نفسك فقال معاذ الله افنصبر لهذا الكلب الكافر على ما يفعل بالاسلام والمسلمين ويتحكم فيهم من اللعب بالاموال والله ان لم تسع في قتله ليسعين في قتلك فلما كان في الليلة القابلة وقف علي بن عمر العداس للحاكم ووافقه على ما يحتاج اليه فوعده بانجاز ما اتفقا عليه وأمره بالكتمان وانصرف الحاكم فلما اصبح ركب العداس الى دار قائد القواد حسين بن جوهر القائد فلقي عنده فهد بن ابراهيم فقال له فهد ياهذا كم تؤذيني وتقدح في عند سلطاني فقال العداس والله ما يقدح ولا يؤذيني عند سلطاني ويسعى علي غيرك فقال فهد سلط الله على من يؤذي صاحبه فينا ويسعى به سيف هذا الامام الحاكم بأمر الله فقال العداس آمين وعجل ذلك ولا تمهله فقتل فهد في ثامن جمادى الآخرة وضربت عنقه وكان له منذ نظر في الرياسة خمس سنين وتسعة أشهر واثنى عشر يوما وقتل العداس بعده بتسعة وعشرين يوما واستجيب دعاء كل منهما في الآخر وذهبا جميعا ولا يظلم ربك أحدا وذلك أن الحاكم خلع على العداس في رابع عشره وجعله مكان فهد وخلع على ابنه محمد بن علي فهناه الناس واستمر الى خامس عشري رجب منها فضربت رقبة ابي طاهر محمود بن النحوي وكان ينظر في اعمال الشام لكثرة ما رفع عليه من التجبر والعسف ثم قتل العداس في سادس شعبان سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة واحرق بالنار * (خط البندقانيين) هذا الخط كان قديما اصطبل الجميزة أحد اصطبلات الخلفاء الفاطميين فلما زالت الدولة اختط وصارت فيه مساكن وسوق من جملته عدة دكاكين لعمل قسي البندق فعرف الخط بالبندقانيين لذلك ثم انه احترق يوم الجمعة للنصف من صفر سنة احدى وخمسين وسبعمائة والناس في صلاة الجمعة فما قضى الناس الصلاة الا وقد عظم أمره فركب اليه والي القاهرة والنيران قد ارتفع لهبها واجتمع الناس فلم يعرف من اين كان ابتداء الحريق واتفق هبوب رياح عاصفة فحملت شرر النار الى أمد بعيد ووصلت أشعتها الى أن رؤيت من القلعة فركب الوزير منجك بمماليك الامراء وجمعت السقاؤون لطفي النار فعجزوا عن اطفائها واشتد الامر فركب الامير شيخو والامير طاز والامير مغلطاي أمير اخور وترجلوا عن خيولهم ومنعوا النهابة من التعرض الى نهب البيوت التي احترقت وعم الحريق دكاكين البندقانيين ودكاكين الرسامين وحوانيت الفقاعين والفندق المجاور لها والربع علوه وعملت الى الجانب الذي يلي بيت بيبرس ركن الدين الملقب بالملك المظفر والربع المجاور لها الى زقاق الكنيسة فما زال الامير شيخو واقفا بنفسه ومماليكه ومعه الامراء الى أن هدم ماهنالك والنار تأتي كل ماتمر به الى أن وصلت الى بئر الدلاء التي كانت تعرف قديما ببئر زويلة ومنها كان يستقى لاصطبل الجميزة فأحرقت ما جاور البئر من الاماكن الى حوانيت الفكاه والطباخ وما يجاورهما من الحوانيت والربع المجاور لدار الجوكندار وكادت أن تصل الى دار القاضي علاء الدين علي بن فضل الله كاتب السر المجاورة لحمام الشيخ نجم الدين ابن عبود ولم يبق أحد في ذلك الخط حتى حول متاعه خوفا من الحريق فكان أهل البيت

بينما هم في نقل ثيابهم واذا بالنار قد أحاطت بهم فيتركون ما في الدار وينجون بأنفسهم والامر يعظم والهدم واقع في الدور المجاورة لاماكن الحريق خشية من تعلق النار بها فسرى الى جميع البلد الى ان أتى الهدم على سائر ما كان هنالك فأقام الامر كذلك يومين وليلتين والامراء وقوف فلما خف انصرف الامراء ووقف والى القاهرة ومعه عدة من الامراء لطفي ما بقي فاستمروا في طفئه ثلاثة ايام أخر وكان المصاب بهذا الحريق عظيما تلف فيه للناس من المال والثياب والمصاغ وغيره بالحريق والنهب ما لا يعلم قدره الا الله هذا مع ما كان فيه الامراء من منع النهابة وكفهم عن أموال الناس الا ان الامر كان قد تجاوز الحد وعطب بالنار جماعة كثيرة ووصل حريق النار الى قيسارية طشتمر وربع بكتمر الساقي فلما كفى الله أمر هذا الحريق وأعان على طفئه بعد أن هدمت عدة اماكن جليلة ما بين رباع وحوانيت وقع الحريق في اماكن من داخل القاهرة وخارج باب زويلة ووجد في بعض المواضع التي بها الحريق كعكات بزيت وقطران فعلم أن هذا من فعل النصارى كما وقع في الحريق الذي كان في أيام الملك الناصر وقد ذكر في خبر السيرة الناصرية فنودي في الناس أن يحترسوا على مساكنهم فلم يبق أحد من الناس اعلاهم وادناهم حتى أعد في داره أوعية ملآنة بالماء ما بين احواض وأزيار وصاروا يتناوبون السهر في الليل ومع ذلك فلا يدرى أهل البيت الا والنار قد وقعت في بيتهم فيتداركون طفئها لئلا تشتعل ويصعب أمرها وترك جماعة من الناس الطبخ في الدور وتمادى ذلك في الناس من نصف صفر الى عاشر ربيع الاول فأحضر الامير سيف الدين تشتمر شاد الدواوين نشابة في وسطها نفط قد وجدها في سطح داره فأراها للامراء وهي محروقة النصل فصدر أمر الوزير منجك للامير علاء الدين علي بن الكوراني والى القاهرة بالقبض على الحرافيش وتقييدهم وسجنهم خوفا من غائلتهم ونهبهم الناس عند وقوع الحريق فتتبعهم وقبض عليهم في الليل من بيوتهم ومن الحوانيت حتى خلت السكك منهم ثم ان الامراء كلموا الوزير في أمرهم فأمر باطلاقهم ونودي في البلد أن لا يقيم فيها غريب وطلبوا الخفراء وولاة المراكز وأمروا بالاحتفاظ وتتبع الناس وأخذ من تتوهم فيه ريبة او يذكر بشيء من أمر هذا والحريق أمره في تزايد وصار والى القاهرة من ذلك في تعب كبير لا ينام هو ولا اعوانه في الليل ألبتة لكثرة الضجات في الليل ووقع حريق في شونة حلفاء بمصر مجاورة لمطابخ السكر السلطانية فركب القاضي علم الدين بن زنبور ناظر الخاص في جماعة وخرج عامة أهل مصر وتكاثروا على الشونة حتى طفئت ووقع الحريق في عدة أماكن بمصر واستمر الحريق بمصر والقاهرة مدة شهر من ابتدائه بالبندقانيين ولم يعلم له سبب واستمر اكثر خط البندقانيين خرابا الى أن عمر الامير يونس النوروزي دوادار الملك الظاهر برقوق الربع فوق بئر الدلاء التي كانت تعرف ببئر زويلة وانشأ بجوار درب الانجب الحوانيت والرباع والقيسارية في سنة تسع وثمانين وسبعمائة ثم انشأ الامير شهاب الدين أحمد الحاجب بن أخت الامير جمال الدين يوسف الاستادار داره بجوار حمام ابن عبود فاتصل ظهرها بما كان البندقانيين فصار فيها ما كان من خراب الحريق هنالك حيث الحوض الذي انشأه تجاه دار بيبرس ولقد أدركنا في خط البندقانيين عدة كثيرة من الحوانيت التي يباع فيها الفقاع تبلغ نحو العشرين حانوتا وكانت من أنزه ما يرى فانها كانت كلها مرخمة بأنواع الرخام الملون وبها مصانع من ماء تجري الى فوارات تقذف بالماء على ذلك الرخام حيث كيزان الفقاع مرصوصة فيستحسن منظرها الى الغاية لانها من الجانبين والناس يمرون بينهما وكان بهذا الخط عدة حوانيت لعمل قسي البندق وعدة حوانيت لرسم اشكال ما يطرز بالذهب والحرير وقد بقيت من هذه الحوانيت بقايا يسيرة وهو من اخطاط القاهرة الجسيمة * (خط دار الديباج) هذا الخط هو فيما بين خط البندقانيين والوزيرية وكان اولا يعرف بخط دار الديباج لان دار الوزير يعقوب بن كلس التي من جملتها اليوم المدرسة الصاحبية ودرب الحريري والمدرسة السيفية عملت دارا ينسج فيها الديباج والحرير برسم الخلفاء الفاطميين وصارت تعرف بدار الديباج فنسب اليها الخط الى أن سكن هنالك الوزير صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر في أيام العادل أبي بكر بن أيوب فصار يعرف بخط سويقة الصاحب وهو خط جسيم به مساكن جليلة وسوق ومدرسة * (خط الملحيين) هذا الخط فيما بين الوزيرية والبندقانيين من وراء دار الديباج وتسميه العامة خط طواحين الملوحيين بواو بعد اللام وقبل الحاء المهملة وهو تحريف وانما هو خط الملحيين عرف بطائفة من طوائف العسكر في أيام الخليفة المستنصر بالله يقال لها الملحية وهم الذين قاموا بالفتنة في أيام المستنصر الى أن كان من الغلاء ما أوجب خراب البلاد ونهب خزائن الخليفة المستنصر فلما قدم أمير

الجيوش بدر الجمالى الى القاهرة وتقلد وزارة المستنصر وتجرد لاصلاح اقليم مصر وتتبع المفسدين وقتلهم وسار فى سنة سبع وستين واربعمائة الى الوجه البحرى وقتل لواته وقتل مقدمهم سليمان اللواتى وولده واستصفى أموالهم ثم توجه الى دمياط وقتل فيها عدة من المفسدين فلما أصلح جميع البر الشرقى عدى الى البر الغربى وقتل جماعة من الملحية وأتباعهم بثغر الاسكندرية بعد ما أقام أياما محاصر البلد وهم يمتنعون عليه ويقاتلونه الى أن أخذها عنوة فقتل منهم عدة كثيرة وكان بهذا الخط عدة من الطواحين فسمى بخط طواحين الملحيين وبه الى الآن يسير من الطواحين * (خط المسطاح) هذا الخط فيما بين خط الملحيين وخط سويقة الصاحب وفيه اليوم سوق الرقيق الذى يعرف بسوق الجوار والمدرسة الحسامية وما دار به ويعرف بالمسطاح وبخارج باب القنطرة قريب من باب الشعرية أيضا خط يعرف بالمسطاح * (خط قصر أمير سلاح) هذا الخط تجاه حمام البيسرى بين القصرين يسلك فيه الى مدرسة الطواشى سابق الدين المعروفة بالسابقية وكان يخرج منه الى رحبة باب العيد من باب القصر الى أن هدمه الامير جمال الدين يوسف الاستادار وبنى فى مكانه القيسارية المستجدة بجوار مدرسته من رحبة باب العيد فصار هذا الخط غير نافذ وكان شارعا مسلوكا يمر فيه الناس والدواب بالاحمال فركب عليه جمال الدين المذكور دروبا لحفظ أمواله وكان هذا الخط من أخص اماكن القصر الكبير الشرقى فلما زالت الدولة الفاطمية وتفرق امراء صلاح الدين يوسف القصر عرف هذا المكان بقصر شيخ الشيوخ بن حمويه الوزير اسكنه فيه ثم عرف بعد ذلك بقصر أمير سلاح وبقصر سابق الدين وهو الى الآن يعرف بذلك وسبب شهرته بامير سلاح أنه اتخذ به عمائر جليلة هى بيد ورثته الى الآن وأمير سلاح هذا هو (بكتاش الفخرى) الامير بدر الدين أمير سلاح الصالحى النجمى كان اولا مملوكا لفخر الدين ابن الشيخ فصار الى الملك الصالح نجم الدين أيوب وتقدم عنده من جملة من قدمه من المماليك البحرية الذين ملكوا الديار المصرية من بعد انقضاء الدولة الايوبية وتأمر فى أيام الملك الصالح وتقدم فى أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى واستمر أميرا ما ينيف على الستين سنة لم ينكب فيها قط وعظم فى أيام الملك المنصور قلاوون الالفى بحيث ان الامير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة بديار مصر فى أيام قلاوون تجارى مرة مع السلطان فى حديث الامراء فقال له السلطان المنصور أما اليوم فما بقى فى الامراء خير أمير سلاح اذا قلت فارس خيل شجاع ما يرد وجهه من عدوه واذا حلف ما يخون واذا قال صدق فقال طرنطاى والله ياخوند له اقطاع عظيم ما كان يصلح الا لى فاحمر وجه السلطان وغضب وقال له ويلك اياك أن تتكلم بهذا والله مكان يصل فيه سيف أمير سلاح ما يصل نشابك ولا نشاب غيرك وكان كريما شجاعا يسافر كل سنة مجردا بالعسكر فيصل الى حلب للغارة ومحاصرة قلاع العدو فاشتهر بذلك فى بلاد العدو وعظم صيته واشتدت مهابته وكانت له رغبة فى شراء المماليك والخيول باغلى القيم وكان يبعث للامراء المجردين معه النفقة ويقوم لهم بالشعير والاغنام وبلغت مماليكه الغاية فى الحشمة وكان اقطاع كل منهم فى السنة عشرين ألف درهم فضة عنها يومئذ ألف مثقال من الذهب ولكل من جنده خبز مبلغه فى السنة عشرة آلاف درهم سوى كلفهم من الشعير واللحم ومع ذلك فكان خيرا ديناله صدقات ومعروف واحسان كثير ومات بعد ما ترك امرته فى مرضه الذى مات فيه للنصف من ربيع الآخر سنة ست وسبعمائة رحمه الله * وبهذا الخط عدة دور جليلة يأتى ذكرها عند ذكر الدور من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى * (اولاد شيخ الشيوخ) جماعة أصلهم الذى ينتسبون اليه حموية بن على يقال انه من ولد رزم بن يونان أحد قواد كسرى أنوشروان وولى قيادة جيش نصر بن نوح بن سامان ودبر دولته وهو جد شيخ الاسلام محمد وأخيه أبى سعد بنى حمويه بن محمد بن حمويه وكان محمد وأبو سعد من ملوك خراسان فتركا الدنيا وأقبلا على طريق الآخرة ومات ركن الاسلام أبو سعد بنجران من قرى جوين فى سنة سبع وعشرين وخمسمائة ومات أخوه شيخ الاسلام محمد بها فى سنة ثلاثين وخمسمائة وترك أبو سعد زين الدين أحمد وبنات وترك شيخ الاسلام محمد ولدا واحدا وهو أبو الحسن على فتزوج على بن محمد بابنة عمه أبى سعد ورزق منها سعد الدين ومعين الدين حسنا وعماد الدين عمر وترك زين الدين أحمد بن أبى سعد ركن الدين أباسعد وعز يز الدين وزين الدين القاسم فقدم عماد الدين عمر بن على بن محمد بن حمويه الى دمشق وصار شيخ الشيوخ بها وقدم عليه ابنه شيخ الشيوخ صدر الدين على فلما مات عمر فى رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة بدمشق اقر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولده صدر الدين محمدا موضعه وصار شيخ الشيوخ بدمشق فتزوج بابنة القاضى

شهاب الدين ابن أبي عصرون ورزق منها عشرة بنين منهم عماد الدين عمر وفخر الدين يوسف وكمال الدين أحمد ومعين الدين حسن فأرضعت امهم بنت أبي عصرون السلطان الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب فصار أخا لأولاد صدر الدين شيخ الشيوخ من الرضاعة وقدم صدر الدين الى القاهرة وولي تدريس الشافعي بالقرافة ومشيخة الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء ثم سافر فمات بالموصل في رابع عشر جمادى الاولى سنة سبع عشرة وستمائة واستبد الملك الكامل بمملكة مصر بعد أبيه فرقى أولاد صدر الدين شيخ الشيوخ محمد بن حمويه الاربعة وبعث عماد الدين عمر في الرسالة الى الخليفة ببغداد وجمع له بين رياسة العلم والقلم في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ولم يجتمع ذلك لاحد في زمانه ومازال على ذلك الى ان مات الملك الكامل وقام من بعده في سلطنة مصر ابنه الملك العادل أبو بكر بن الكامل فخرج الى دمشق ليحضر اليه الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مردود بن العادل أبي بكر بن أيوب نائب السلطنة بدمشق فدس عليه من قتله على باب الجامع في سادس عشرى جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وستمائة * واما فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ صدر الدين فان الملك الكامل جعله أحد الامراء وألبسه الشربوش والقباء ونادمه وبعثه في الرسالة عنه الى ملك الفرنج ثم الى أخيه المعظم بدمشق ثم الى الخليفة ببغداد وأقامه يتحدث بمصر في تدبير المملكة وتحصيل الاموال ثم بعثه حتى تسلم حران والرها وجهزه الى مكة على عسكر فقاتل صاحبها الامير راجح الدين بن قتادة وأخذها بالسيف وقتل عسكر اليمن ومازال مكرما محترما حتى مات الملك الكامل فقبض عليه العادل ابن الكامل واعتقله فلما خلع العادل بأخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب اطلقه وأمره وبالغ في الاحسان اليه وبعثه على العساكر الى الكرك فأوقع بالخوارزمية وبدد شملهم وكانوا قد قدموا من المشرق الى غزة وأقام الدعوة للصالح في بلاد الشام وعاد ثم قدمه على العساكر فأخذ طبرية من الفرنج وهدمها وأخذ عسقلان من الفرنج وهدم حصونها ونازل حمص حتى اشرف على أخذها ثم تقدم على العساكر بقتال الفرنج بدمياط فمات السلطان عند المنصورة وقام بتدبير الدولة بعده خمسة وسبعين يوما الى ان استشهد في رابع ذي القعدة سنة سبع وأربعين وستمائة فحمل من المنصورة الى القرافة فدفن بها * واما كمال الدين أحمد فان الملك الكامل استنابه بحران والجزيرة وولي تدريس المدرسة الناصرية بجوار الجامع العتيق بمصر وتدريس الشافعي بالقرافة ومشيخة الشيوخ بديار مصر وقدمه الملك الصالح نجم الدين أيوب على العساكر غير مرة ومات بغزة في صفر سنة تسع وثلاثين وستمائة * واما معين الدين حسن فانه ولي مشيخة الشيوخ بديار مصر وبعثه الملك الكامل في الرسالة عنه الى بغداد ثم أقامه نائب الوزارة الى أن مات فاستوزره الملك الصالح نجم الدين ايوب في ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة وجهزه على العساكر في هيئة الملوك الى دمشق فقاتل الصالح اسماعيل ابن العادل حتى ملكها ومات بها في ثاني عشرى رمضان سنة ثلاث وأربعين وستمائة وقد ذكرت أولاد شيخ الشيوخ في كتاب تاريخ مصر الكبير واستقصيت فيه اخبارهم والله تعالى أعلم * (خط قصر بشتاك) هذا الخط من جملة القصر الكبير ويتوصل اليه من تجاه المدرسة الكاملية حيث كان باب القصر المعروف بباب البحر وهدمه الملك الظاهر بيبرس كما تقدم في ذكر أبواب القصر وصار اليوم في داخل هذا الباب حارة كبيرة فيها عدة دور جليلة منها قصر الامير بشتاك وبه عرف هذا الخط * (وبشتاك هذا) هو الامير سيف الدين بشتاك الناصري قربه الملك الناصر محمد بن قلاون وأعلى محله وكان يسميه بعد موت الأمير بكتمر الساقي بالامير في غيبته وكان زائد التيه لا يكلم استاداره وكاتبه الا بترجمان ويعرف بالعربي ولا يتكلم به وكان اقطاعه ست عشرة طبلخاناة اكبر من اقطاع قوصون ولما مات بكتمر الساقي ورثه في جميع أحواله واصطبله الذي على بركة الفيل وفي امرأته أم أحمد واشترى جاريته خوبي بستة آلاف دينار ودخل معها ما قيمته عشرة آلاف دينار وأخذ ابن بكتمر عنده وزاد أمره وعظم محله فثقل على السلطان وأراد الفتك به فما تمكن وتوجه الى الحجاز وأنفق في الامراء وأهل الركب والفقراء والمجاورين بمكة والمدينة شيأ كثيرا الى الغاية وأعطى من الالف دينار الى المائة دينار الى الدينار بحسب مراتب الناس وطبقاتهم فلما عاد من الحجاز لم يشعر به السلطان الا وقد حضر في نفر قليل من مماليكه وقال ان اردت امساكي فها انا قد جئت اليك برقبتي فغالطه السلطان وطيب خاطره وكان يرمى بأوابد ودواهي من أمر الزنا وجرّده السلطان لامساك تنكز نائب الشام فحضر الى دمشق بعد امساكه هو وعشرة من الامراء فنزلوا القصر الابلق وحلف الامراء كلهم للسلطان ولذريته واستخرج ودائع تنكز وعرض حواصله ومماليكه وجواريه وخيله

وسائر ما يتعلق به ووسط طغاى وحفاى مملوكى تنكر فى سوق الخيل ووسط دران أيضا بحضوره يوم الموكب وأقام بدمشق خمسة عشر يوما وعاد الى القلعة وبقى فى نفسه من دمشق وما تجاسر يفاتح السلطان فى ذلك فلما مرض السلطان وأشرف على الموت البس الامير قوصون مماليكه فدخل بشتاك فعرف السلطان ذلك فجمع بينهما وتصالحا قدامه ونص السلطان على ان الملك بعده لولده أبى بكر فلم يوافق بشتاك وقال لا أريد الاسيدى أحمد فلما مات السلطان قام قوصون الى الشباك وطلب بشتاك وقال له يا أمير المؤمنين انا ما يجيء منى سلطان لانى كنت أبيع الطسما والبرغالى والكشاتوين وانت اشتريت منى وأهل البلاد يعرفون ذلك وانت ما يجيء منك سلطان لانك كنت تبيع البوزا وانا اشتريت منك وأهل البلاد يعرفون ذلك وهذا استاذنا هو الذى وصى لمن هو اخبر به من اولاده وما يسعنا الا امتثال أمره حيا وميتا وانا ما اخالفك ان أردت أحدا أو غيره ولو أردت أن تعمل كل يوم سلطانا ما خالفتك فقال بشتاك هذا كله صحيح والامر أمرك واحضر المصحف وحلفا عليه وتعانقا ثم قاما الى رجلى السلطان فقبلاهما ووضعا أبا بكر ابن السلطان على الكرسى وقبلا له الارض وحلفا له وتلقب بالملك المنصور ثم ان بشتاك طلب من السلطان الملك المنصور نيابة دمشق فأمر له بذلك وكتب تقليده وبرز الى ظاهر القاهرة وأقام يومين ثم طلع فى اليوم الثالث الى السلطان ليودعه فوثب عليه الامير قطلوبغا الفخرى وأمسك سيفه وتكاثروا عليه فأمسكوه وجهزوه الى الاسكندرية فاعتقل بها ثم قتل فى الخامس من ربيع الاول سنة اثنين وأربعين وسبعمائة لاول سلطنة الملك الاشرف كجك وكان شابا أبيض اللون طريفا مديد القامة نحيفا خفيف اللحية كأنما عذار على حركاته رشاقة حسن العمة يتعمم الناس على مثالها وكان يشبه بأبى سعيد ملك العراق الا انه كان غير عفيف الفرج زائد الهرج والمرج لم يعف عن مليحة ولا قبيحة ولم يدع أحدا يفوته حتى يمسك نساء الفلاحين وزوجات الملاحين واشتهر بذلك ورمى فيه بأوابد وكان زائد البذخ منهمكا على ما يقتضيه عنفوان الشبيبة كثير الصلف والتيه لا يظهر الرأفة ولا الرحمة فى تأنيه ولما توجه بأولاد السلطان ليفرجهم فى دمياط كان يذبح لسماطه فى كل يوم خمسين رأسا من الغنم وفرسا لا بد منه خارجا عن الاوز والدجاج وكان راتبه دائما كل يوم من الفحم برسم المشوى مبلغ عشرين درهما عنها مثقال ذهب وذلك سوى الطوارئ وأطلق له السلطان كل يوم بقجة قماش من اللفافة الى الخف الى القميص واللباس والملوطة والبغلطاق والقباء الفوقانى بوجه اسكندرانى على سنجاب طرى مطرز مزركش رقيق وكلوتة وشاش ولم يزل يأخذ ذلك كل يوم الى ان مات السلطان وأطلق له فى يوم واحد عن ثمن قرية تبنى بساحل الرملة مبلغ ألف ألف درهم فضة عنها يومئذ خمسون ألف مثقال من الذهب وهو اول من امسك بعد موت الملك الناصر وقال الاديب المؤرخ صلاح الدين خليل ابن أيبك الصفدى ومن كتابه نقلت ترجمة بشتاك

* قال الزمان وما سمعنا قوله * والناس فيه رهائن الاشراك *

من ينصر المنصور من كيدى وقد * صاد الردى بشتاك لى بشراك

* (خط باب الزهومة) هذا الخط عرف بباب الزهومة أحد أبواب القصر الكبير الشرقى الذى تقدم ذكره فانه كان هنالك وقد صار الآن فى هذا الخط سوق وفندق وعدة آدر يأتى ذكر ذلك كله فى موضعه ان شاء الله تعالى * (خط الزراكشة العتيق) هذا الخط فيما بين خط باب الزهومة وخط السبع خوخ وبعضه من دار العلم الجديدة وبعضه من جملة القصر النافعى وبعضه من تربة الزعفران وفيه اليوم فندق المهمندار الذى يدق فيه الذهب وخان الخليلى وخان منجك ودار خواجا ودرب الحبش وغير ذلك كما ستقف عليه ان شاء الله * (خط السبع خوخ العتيق) هذا الخط فيما بين خط اصطبل الطارمة وخط الزراكشة العتيق كان فيه قديما أيام الخلفاء الفاطميين سبع خوخ يتوصل منها الى الجامع الازهر فلما انقضت أيامهم اختط مساكن وسوقا يباع فيه الابر التى يخاط بها وغير ذلك فعرف بالابارين * (خط اصطبل الطارمة) هذا الخط كان اصطبلا الخاص الخليفة يشرف عليه قصر الشوك والقصر النافعى وقد تقدم الكلام عليه وكانت فيه طارمة يجلس الخليفة تحتها فعرف بذلك ثم هو الآن حارة كبيرة فيها عدة من المساكن وبه سوق وحمام ومساجد وهذا الخط فيما بين رحبة قصر الشوك ورحبة الجامع الازهر كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى فى ذكر الرحاب * (خط الاكفانيين) هذا الخط كان يعرف بخط الخرقيين جمع خرقة * (خط المناخ) هذا الخط فيما بين البرقية والعطوفية كان مواضع طواحين القصر وقد تقدم ذكره ثم اختط

بعد ذلك وصار حارة كبيرة وهو الآن متداع للخراب * (خط سويقة أمير الجيوش) كان حارة الفرحية وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى فى الاسواق وهذا الخط فيما بين حارة برجوان وخط خان الوراقه * (خط دكة الحسبة) هذا الخط يعرف اليوم بكسر الحطب وفيه سوق الابازره وهو فيما بين البندقانيين والمحموديه وفيه عدة اسواق ودور * (خط الفهادين) هذا الخط فيما بين الجوانية والمناخ * (خط خزانة البنود) هذا الخط فيما بين رحبة باب العيد ورحبة المشهد الحسينى وكان موضعه خزانة تعرف بخزانة البنود وكان اولا يعمل فيها السلاح ثم صارت سجنا لامراء الدولة وأعيانها ثم اسكن فيها الفرنج الى ان هدمها الامير الحاج آل ملك وحكر مكانها فبنى فيه الطاحون والمساكن كما تقدم * (خط السفينة) هذا الخط فيما بين درب السلاحى من رحبة باب العيد وبين خزانة البنود كان يقف فيه المتظلمون للخليفة كما تقدم ذكره ثم اختط فصار فيه مساكن وهو خط صغير * (خط خان السبيل) هذا الخط خارج باب الفتوح وهو من جملة اخطاط الحسينية قال ابن عبد الظاهر خان السبيل بناه الامير بهاء الدين قراقوش وأرصده لابناء السبيل والمسافرين بغير اجرة وبه بئر ساقية وحوض انتهى وأدركنا هذا الخط فى غاية العمارة يعمل فيه عرصة تباع بها الغلال وكان فيه سوق يباع فيه الخشب ويجتمع الناس هنالك بكرة كل يوم جمعة فيباع فيه من الاوز والدجاج مالا يقدر قدره وكانت فيه أيضا عدة مساكن ما بين دور وحوانيت وغيرها وقد اختل هذا الخط * (خط بستان ابن صيرم) هذا الخط أيضا خارج باب الفتوح مما يلى الخليج وزقاق الكحل كان من جملة حارة البيازرة فانشأه زمام القصر المختار الصقلبى بستانا وبنى فيه منظرة عظيمة فلما زالت الدولة الفاطمية استولى عليه الامير جمال الدين سويح بن صيرم أحد أمراء الملك الكامل فعرف به ثم اختط وصار من أجل الاخطاط عمارة تسكنه الامراء والاعيان من الجند ثم هو الآن آيل الى الدثور * (خط قصر ابن عمار) هذا الخط من جملة حارة كتامة وهو اليوم درب يعرف بالقماحين وفيه حمام كراى ودار خوند شقرا يسلك اليه من خط مدرسة الوزير كريم الدين بن غنام ويسلك منه الى درب المنصورى وابن عمار هذا هو أبو محمد الحسن بن عمار بن على بن أبى الحسن الكلبى من بنى أبى الحسب أحد امراء صقلية وأحد شيوخ كتامة وصاه العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله لما احتضر هو والقاضى محمد بن النعمان على ولده أبى على منصور فلما مات العزيز بالله واستخلف من بعده ابنه الحاكم بأمر الله اشترط الكتاميون وهم يومئذ أهل الدولة أن لا ينظر فى أمورهم غير أبى محمد بن عمار بعد ما تجمعوا وخرج منهم طائفة نحو المصلى وسألوا صرف عيسى بن نسطورس وأن تكون الوساطة لابن عمار فندب لذلك وخلع عليه فى ثالث شوال سنة خمس وسبعين وثلثمائة وقلد بسيف من سيوف العزيز بالله وحمل على فرس بسرج ذهب ولقب بأمين الدولة وهو أول من لقب فى الدولة الفاطمية من رجال الدولة وقيد بين يديه عدة دواب وحمل معه خمسون ثوبا من سائر البز الرفيع وانصرف الى داره فى موكب عظيم وقرئ سجله فتولى قراءته القاضى محمد بن النعمان بجلوسه للوساطة وتلقيبه بأمين الدولة والزم سائر الناس بالترجل اليه فترجل الناس بأسرهم له من اهل الدولة وصار يدخل القصر راكبا ويشق الدواوين ويدخل من الباب الذى يجلس فيه خدم الخلافة الخاصة ثم يعدل الى باب الحجرة التى فيها أمير المؤمنين الحاكم فينزل على بابها ويركب من هنالك وكان الناس من الشيوخ والرؤساء على طبقاتهم يبكرون الى داره فيجلسون فى الدهاليز بغير ترتيب والباب مغلق ثم يفتح فيدخل اليه جماعة من الوجوه ويجلسون فى قاعة الدار على حصير وهو جالس فى مجلسه ولا يدخل له أحد ساعة ثم ياذن لوجوه من حضر كالقاضى ووجوه شيوخ كتامة والقواد فتدخل أعيانهم ثم ياذن لسائر الناس فيزدحمون عليه بحيث لا يقدر أحد أن يصل اليه فمنهم من يومى بتقبيل الارض ولا يرد السلام على أحد ثم يخرج فلا يقدر أحد على تقبيل يده سوى اناس بأعيانهم الا انهم يومئون الى تقبيل الارض وشرف أكابر الناس بتقبيل ركابه واجل الناس من يقبل ركبته وقرب كتامة وأنفق فيهم الاموال وأعطاهم الخيول وباع ما كان بالاصطبلات من الخيل والبغال والنجب وغيرها وكانت شيأ كثيرا وقطع اكثر الرسوم التى كانت تطلق لاولياء الدولة من الاتراك وقطع اكثر ما كان فى المطابخ وقطع ارزاق جماعة وفرق كثيرا من جوارى القصر وكان به من الجوارى والخدم عشرة آلاف جارية وخادم فباع من اختار البيع وأعتق من سال العتق طلبا للتوفير واصطنع احداث المغاربة فكثر عبثهم وامتدت ايديهم الى الحرام فى الطرقات وشلحوا الناس ثيابهم فضج الناس منهم واستغاثوا اليه بشكايتهم فلم يبد منه كبير نكير فأفرط الامر حتى تعرض جماعة منهم للغلمان الاتراك وأرادوا

أخذ ثيابهم فثار بسبب ذلك شر قتل فيه غلام من الترك وحدث من المغاربة فتجمع شيوخ الفريقين واقتتلوا يومين آخرهما يوم الاربعاء تاسع شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة فلما كان يوم الخميس ركب ابن عمار لابسا آلة الحرب وحوله المغاربة فاجتمع الاتراك واشتدت الحرب وقتل جماعة وجرح كثير فعاد الى داره وقام برجوان بنصرة الاتراك فامتدت الايدى الى دار ابن عمار واصطبلاته ودار رشا غلامه فنهبوا منها مالا يحصى كثرة فصار الى داره بمصر فى ليلة الجمعة لثلاث بقين من شعبان واعتزل عن الامر فكانت مدة نظره احد عشر شهرا الا خمسة أيام فأقام بداره فى مصر سبعة وعشرين يوما ثم خرج اليه الامر بعوده الى القاهرة فعاد الى قصره هذا ليلة الجمعة الخامس والعشرين من رمضان فأقام به لا يركب ولا يدخل اليه أحد الا أتباعه وخدمه واطلقت له رسومه وجراياته التى كانت فى أيام العزيز بالله ومبلغها عن اللحم والتوابل والفواكه خمسمائة دينار فى كل شهر وفى اليوم سلة فاكهة بدينار وعشرة ارطال شمع ونصف حمل ثلج فلم يزل بداره الى يوم السبت الخامس من شوال سنة تسعين وثلثمائة فاذن له الحاكم فى الركوب الى القصر وأن ينزل موضع نزول الناس فواصل الركوب الى يوم الاثنين رابع عشره فحضر عشية الى القصر وجلس مع من حضر فخرج اليه الامر بالانصراف فلما انصرف ابتدره جماعة من الاتراك وقفوا له فقتلوه واحتزوا رأسه ودفنوه مكانه وحمل الرأس الى الحاكم ثم نقل الى تربته بالقرافة فدفن فيها وكانت مدة حياته بعد عزله الى ان قتل ثلاث سنين وشهرا واحدا وثمانية وعشرين يوما وهو من جملة وزراء الدولة المصرية وولى بعده برجوان وقد مر ذكره

(ذكر الدروب والازقة)

قد اشتملت القاهرة وظواهرها من الدروب والازقة على شئ كثير والغرض ذكر ما يتيسر لى من ذلك *(درب الاتراك) هذا الدرب أصله من خط حارة الديلم وهو من الدروب القديمة وقد تقدم ذكره فى الحارات ويتوصل اليه من خطة الجامع الازهر وقد كان فيما ادركناه من أعمر الاماكن اخبرنى خادمنا محمد بن السعودى قال كنت اسكن فى اعوام بضع وستين وسبعمائة بدرب الاتراك وكنت اعانى صناعة الخياطة فجاءنى فى موسم عيد الفطر من الجيران اطباق الكعك والخشكنانج على عادة أهل مصر فى ذلك فملأت زيرا كبيرا كان عندى مما جاءنى من الخشكنانج خاصة لكثرة ما جاءنى من ذلك اذ كان هذا الخط خاصا بكثرة الاكابر والاعيان وقد خرب اليوم منه عدة مواضع *(درب الاسوانى) ينسب الى القاضى أبى محمد الحسن بن هبة الله الاسوانى المعروف بابن عتاب *(درب شمس الدولة) هذا الدرب كان قديما يعرف بحارة الامراء كما تقدم فلما كان مجئ الغز الى مصر واستيلاء صلاح الدين يوسف على مملكة مصر سكن فى هذا المكان الملك المعظم شمس الدولة توران شاه ابن ايوب فعرف به وسمى من حينئذ درب شمس الدولة وبه يعرف الى اليوم * (توران شاه) الملقب بالملك المعظم شمس الدولة بن نجم الدين أيوب بن شادى بن مروان قدم الى القاهرة مع أهله من بلاد الشام فى سنة أربع وستين وخمسمائة عندما تقلد صلاح الدين يوسف بن أيوب وزارة الخليفة العاضد لدين الله بعد موت عمه اسد الدين شيركوه وكانت له اعمال فى واقعة السودان تولاها بنفسه واقتحم الهول فكان اعظم الاسباب فى نصرة أخيه صلاح الدين وهزيمة السودان ثم خرج اليهم بعد انهزامهم الى الجيزة فأفناهم بالسيف حتى ابادهم واعطاه صلاح الدين قوص واسوان وعيذاب وجعلها له اقطاعا فكانت عبرتها فى تلك السنة مائتى ألف وستة وستين ألف دينار ثم خرج الى غزو بلاد النوبة فى سنة ثمان وستين وفتح قلعة ابريم وسبى وغنم ثم عاد بعد ما اقطع ابريم بعض اصحابه وخرج الى بلاد اليمن فى سنة تسع وستين وكان بها عبد النبى أبو الحسن على ابن مهدى قد ملك زبيد وخطب لنفسه وكان الفقيه عمارة قد انقطع الى شمس الدولة وصار يصف له بلاد اليمن ويرغبه فى كثرة أموالها ويغريه بأهلها وقال فيه قصيدته المشهورة التى اولها

العلم مذ كان محتاج الى القلم * وشفرة السيف تستغنى عن القلم

فبعثه ذلك على المسير الى بلاد اليمن فسار اليها فى مستهل رجب ودخل مكة معتمرا وسار منها فنزل على زبيد فى سابع شوال وفى نهار الاثنين ثامن شوال فتحها بالسيف وقبض على على بن مهدى واخوته وأقاربه واستولى على ما كان فى خزائنه من مال وتسلم الحصون التى كانت بيده وفى مستهل ذى القعدة توجه قاصدا عدن وبذل لياسر بن بلال فى كل سنة ثلاثين ألف دينار وسلمها اليه فما رغب فى ذلك وكان قصده ان يقيم بها نائبا عن المجلس

الفخري فلما أبى ذلك نزل عليها في يوم الجمعة تاسع عشري ذي القعدة وملكها في ساعة بالسيف وقبض على ياسر وأخوته وولدي الداعي فاحتوى على ما فيها وقبض على عبد النبي واستولى أيضا على تعز وتفكر وصنعا وظفار وغيرها من مدن اليمن وحصونه وتلقب بالملك المعظم وخطب لنفسه بعد الخليفة العباسي ومازال بها الى سنة احدى وسبعين فسار منها الى لقاء أخيه صلاح الدين ووصل اليه وملكه دمشق في شهر ربيع الاول سنة اثنين وسبعين فأقام بها الى ان خرج السلطان صلاح الدين مرة من القاهرة الى بلاد الشام فجهزه في ذي القعدة سنة أربع وسبعين الى مصر وكان قد عمله نائبا بها بعلبك فاستناب عنه فيها ودخل الى القاهرة وانعم عليه صلاح الدين بالاسكندرية فسار اليها وأقام بها الى ان توفي في مستهل صفر سنة ست وسبعين وخمسمائة بالاسكندرية فدفن بها وكان كريما واسع العطاء كثير الانفاق مات وعليه مائتا ألف دينار مصرية دينا فقضاها عنه أخوه صلاح الدين وكان سبب خروجه من اليمن انه التاث بدنه بزبيد فارتحل له سيف الدولة مبارك بن منقذ

واذا أراد الله سوءا بامرئ * وأراد أن يحييه غير سعيد
أغراه بالترحال من مصر بلا * سبب وأسكنه بصقع زبيد

لخروج من اليمن كما تقدم * وحكى الاديب الفاضل مهذب الدين أبو طالب محمد بن علي الحلي المعروف بابن الخيمي قال رأيت في النوم المعظم شمس الدولة وقد مدحته وهو في القبر ميت فلف كفنه ورماه الي وانشدني

* لا تستقلن معروفا سمحت به * ميتا وامسيت عنه عاريا بدني *
* ولا تظنن جودي شابه بخل * من بعد بذلي ملك الشام واليمن *
اني خرجت عن الدنيا وليس معي * من كل ما ملكت كفي سوى كفني

وهذا الدرب من اعمر أخطاط القاهرة به دار عباس الوزير وجماعة كما تراه ان شاء الله تعالى * (درب ملوخيا) هذا الدرب كان يعرف بحارة قائد القواد كما تقدم وعرف الآن بدرب ملوخيا وملوخيا كان صاحب ركاب الخليفة الحاكم بأمر الله ويعرف بملوخيا الفراش وقتله الحاكم وباشر قتله وفي هذا الدرب مدرسة القاضي الفاضل وقد اتصل به الآن الخراب * (درب السلسلة) هذا الدرب تجاه باب الزهومة يعرف بالسلسلة التي كانت تمد كل ليلة بعد العشاء الآخرة كما تقدم وكان يعرف بدرب افتخار الدولة الاسعد وعرف ببستان الدولة بن آلكركندي وهو الآن درب عامر * (درب الشمسي) هذا الدرب بسوق الهامزيين تجاه قيسارية العصفر عرف بالامير علاء الدين كشتغدي الشمسي أحد الامراء في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري وقتل على عكا في سنة تسعين وستمائة بيد الفرنج شهيدا وكان هذا الدرب في القديم موضعه دار الضرب ثم صار من حقوق درب ابن طلائع بسوق القرابين وقد هدم بعض هذا الدرب الامير جمال الدين يوسف الاستادار لما اغتصب الحوانيت التي كانت على يمنة السالك من الخراطين الى سوق الخيميين وكانت في وقف المعظم تمرتاش الحافظي كما سيأتي ذكره عند ذكر مدرسته ان شاء الله تعالى * (درب بن طلائع) هذا الدرب على يسرة من سلك من سوق القرابين الآن الذي كان يعرف قديما بالخرقيين طالبا الى الجامع الازهر ويسلك في هذا الدرب الى قيسارية السروج وباب سر حمام الخراطين ودار الامير الدمر وعرف هذا الدرب أولا بالامير نور الدولة أبي الحسن علي بن شجاع بن راجح ابن طلائع ثم عرف بدرب الجاولي الكبير وهو الامير عز الدين جاولي الاسدي مملوك أسد الدين شيركوه بن شادي ثم عرف بدرب العماد سنينات ثم عرف بدرب الدمر وبه يعرف الى الآن * (الدمر أمير جاندار سيف الدين) أحد أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون خرج الى الحج في سنة ثلاثين وسبعمائة وكان أمير حاج الركب العراقي تلك السنة يقال له محمد الحويج من أهل توريز بعثه أبو سعيد ملك العراق الى مصر وخف على قلب الملك الناصر ثم بلغه عنه ما يكرهه فأخرجه من مصر ولما بلغه ان حويج في هذه السنة أمير الركب العراقي كتب الى الشريف عطيفة أمير مكة ان يعمل الحيلة في قتله بكل ما يمكن فأطلع على ذلك ابنه مباركا وخواص قواده فاستعد لذلك فلما وقف الناس بعرفة وعادوا يوم النحر الى مكة قصد العبيد اثارة فتنة وشرعوا في النهب لينالوا غرضهم من قتل امير الركب العراقي فوقع الصارخ وليس عند المصريين خبر مما كتبه السلطان فنهض أمير الركب الامير سيف الدين خاص ترك والامير أحد قريب السلطان والامير الدمر أمير جاندار في مماليكهم وأخذ الدمر يسب الشريف رميثة وأمسك بعض قواده وأحدق به فقام اليه الشريف عطيفة ولاطفه فلم يرجع وكان حديد النفس شجاعا

فأقدم

فأقدم اليهم وقد اجتمع قواد مكة وأشرافها وهم ملبسون يريدون الركب العراقي وضرب مبارك بن عطيفة بدبوس فأخطأه وضربه مبارك بحربة نفذت من صدره فسقط عن فرسه الى الارض فارتج الناس ووقع القتال فخرج أمير الركب العراقي واحترس على نفسه فسلم وسقط في يد أمير مكة اذ فات مقصوده وحصل مالم يكن بارادته ثم سكنت الفتنة ودفن الدمر وكان قتله يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة فكأنما نادى منادى في القاهرة والقلعة والناس في صلاة العيد بقتل الدمر ووقوع الفتنة بمكة ولم يبق احد حتى تحدث بذلك وبلغ السلطان فلم يكترث بالخبر وقال أين مكة من مصر ومن اتى بهذا الخبر واستفيض هذا الخبر بقتل الدمر حتى انتشر في اقليم مصر كله فما هو الا أن حضر مبشر الحاج في يوم الثلاثاء ثاني المحرّم سنة احدى وثلاثين وسبعمائة فاخبروا بالخبر مثل ما أشيع فكان هذا من اغرب ما سمع به ولما بلغ السلطان خبر قتل الدمر غضب غضبا شديدا وصار يقوم ويقعد وأبطل السماط وأمر فجرد من العسكر ألفا فارس كل منهم بخودة وجوشن ومائة فردة نشاب وفاس برأسين احدهما للقطع والآخر للهدم ومع كل منهم جملان وفرسان وهجين ورسم لامير هذا العسكر أنه اذا وصل الى ينبع وعتاه لا يرفع رأسه الى السماء بل ينظر الى الارض ويقتل كل من يلقاه من العربان الا من علم انه أمير عرب فانه يقيده ويسجنه معه وجرّد من دمشق ستمائة فارس على هذا الحكم وطلب الامير أيتمش أمير هذا الجيش ومن معه من الامراء والمقدّمين وقال له بدار العدل يوم الخدمة واذا وصلت الى مكة لا تدع أحدا من الاشراف ولا من القواد ولا من عبيدهم يسكن مكة ونادفيها من اقام بمكة حل دمه ولا تدع شيأ من النخل حتى تحرقه جميعه ولا تترك بالحجاز دمنة عامرة وأخرب المساكن كلها وأقم في مكة بمن معك حتى ابعث اليك بعسكر ثانى وكان القضاة حاضرين فقال قاضي القضاة جلال الدين القزويني يامولانا السلطان هذا حرم قد أخبر الله عنه أن من دخله كان آمنا وشرّفه فردّ عليه جوابا في غضب فقال الامير أيتمش ياخوند فان حضر دمنة للطاعة وسأل الامان فقال امّنه ثم لما سكن عنه الغضب كتب باستقرار أهل مكة وتأمينهم وكتب امانا (نسخته) هذا امان الله سبحانه وتعالى وأمان رسوله صلى الله عليه وسلم وأماننا للمجلس العالى الاسدى دمنة ابن الشريف نجم الدين محمد بن أبي نمى بأن يحضر الى خدمة الصنجق الشريف صحبة الجناب العالى السيفي أيتمش الناصري آمنا على نفسه وأهله وماله وولده وما يتعلق به لا يخشى حلول سطوة قاصمة ولا يخاف مؤاخذة حاسمة ولا يتوقع خديعة ولا مكرا ولا يحذر سوأ ولا ضررا ولا يستشعر مخافة ولا اضرارا ولا يتوقع وجلا ولا يرهب باسا وكيف يرهب من احسن عملا بل يحضر الى خدمة الصنجق آمنا على نفسه وماله وآله مطمئنا واثقا بالله ورسوله وبهذا الامان الشريف المؤكد الاسباب المبيض الوجه الكريم الاحساب وكلما يخطر بباله أنا نؤاخذه به فهو مغفور ولله عاقبة الامور وله منا الاقبال والتقديم وقد صفحنا الصفح الجميل وان ربك هو الخلاق العليم فليثق بهذا الامان الشريف ولا يسيء به الظنون ولا يصغى الى قول الذين لا يعلمون ولا يستشير في هذا الامر الا نفسه فيومه عندنا ناسخ لامسه وقد قال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فتمسك بعروة هذا الامان فانها اوثق واعمل عمل من لا يضل ولا يشقى ونحن قد امناك فلا تخف ورعيناك الطاعة والشرف وعفا الله عما سلف ومن امتناه فقد فاز فطب نفسا وقرّ عينا فأنت أمير الحجاز والحمد لله وحده) وكان الدمر فيه شهامة وشجاعة وله سعادة طائلة ضخمة ومتاجر وزراعات اقتنى بها أموالا جزيلة وزوّج ابنه بابنة قاضي القضاة جلال الدين القزويني *(درب قيطون) هذا الدرب بين قيسارية جهاركس وقيسارية أمير على وهو نافذ الى خلف مستوقد حمام القاضي وكان من حقوق درب الاسوانى *(درب السراج) هذا الدرب على يسرة من سلك من الجامع الازهر طالبا درب الاسوانى وخط الاكفانيين وكان من جملة خط درب الاسوانى ثم افرد فصار من خط الجامع الازهر وكان يعرف اوّلا بدرب السراج ثم عرف بدرب الشامى وهو الآن يعرف بدرب ابن الصدر عمر *(درب القاضي) هذا الدرب يقابل مستوقد حمام القاضي على يمنة من سلك من درب الاسوانى الى الجامع الازهر وهو من حقوق درب الاسوانى كان يعرف اوّلا بزقاق عزاز غلام أمير الجيوش شاور السعدى وزير العاضد ثم عرف بالقاضي السعيد أبي المعالى هبة الله بن فارس ثم عرف بزقاق ابن الامام وعرف أخيرا بدرب ابن لؤلؤ وهو شمس الدين محمد بن لؤلؤ التاجر بقيسارية جهاركس *(درب البيضاء) هو من جملة خط الاكفانيين الآن المسلوك اليه من الجامع الازهر وسوق الفرّايين عرف بذلك لانه كان به دار تعرف

بالدار البيضاء * (درب المنقدى) هذا الدرب بين سوق الخيميين وسوق الخراطين على يمنة من سلك من الخراطين
الى الجامع الازهر كان يعرف قديما بزقاق غزال وهو صنيعة الدولة أبو الطاهر اسماعيل بن مفضل بن غزال
ثم عرف بدرب المنقدى وهو الآن يعرف بدرب الامير بكتمر استادار العلاى * (درب خرابة صالح) هذا الدرب
على يسرة من سلك من اول الخراطين الى الجامع الازهر كان موضعه فى القديم مارستانا ثم صار مساكن وعرف
بخرابة صالح وفيه الآن دار الامير طينال التى صارت بيد ناصر الدين محمد البارزى كاتب السر وفيه أيضا باب
سوق الصنادقيين * (درب الحسام) هذا الدرب على يمنة من سلك من آخر سويقة الباطلية الى الجامع
الازهر عرف بحسام الدين لاجين الصفدى استادار الامير منجك * (درب المنصورى) هذا الدرب باول
الحارة الصالحية تجاه درب أمير حسين عرف اولا بدرب الجوهرى وهو شهاب الدين أحمد بن منصور الجوهرى
كان حيا فى سنة ثمانين وستمائة وعرف أخيرا بدرب المنصورى وهو الامير قطلوبغا المنصورى حاجب الحجاب
فى أيام الملك الاشرف شعبان بن حسين * (درب أمير حسين) هذا الدرب فى طريق من سلك من خط خان
الدميرى طالبا الى حارة الصالحيه وحارة البرقيه استجده الامير حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاون ومات
فى ليلة السبت رابع شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وسبعمائة وكان آخر من بقى من أولاد الملك الناصر
محمد بن قلاون وهو والد الملك الاشرف شعبان بن حسين * (درب القماحين) هذا الدرب كان يعرف بخط
قصر ابن عمار من جملة حارة كتامة قريبا من الحارة الصالحيه وفيه اليوم دار خوند شقرا وحمام كراى وراء
مدرسة ابن الغنام * (درب العسل) هذا الدرب على يمنة من خرج من خط السبع خوخ يريد المشهد الحسينى
كان يعرف اولا بخوخة الامير عقيل ابن الخليفة المعز لدين الله أبى تميم معد أول خلفاء الفاطميين بالقاهرة ومات
فى سنة أربع وسبعين وثلثمائة هو وأخوه الامير تميم بن المعز بالقاهرة ودفنا بتربة القصر * (درب الجباسه)
هذا الدرب تجاه من يخرج من سوق الابارين الى المشهد الحسينى وهو من جملة القصر الكبير وبه دار خوخى
التى تعرف اليوم بدار بهادر * (درب ابن عبد الظاهر) هذا الدرب بجوار فندق الذهب بخط الزراكشة
العتيق وفى صفه وهو من حقوق دار العلم التى استجدت فى خلافة الآمر ووزارة المامون البطايحى فلما زالت
الدولة اختط مساكن وسكن هنالك القاضى محيى الدين ابن عبد الظاهر فعرف به * (درب الخازن) هذا الدرب
ملاصق لسور المدرسة الصالحية التى للحنابلة ومجاور لباب سر قاعة مدرسة الحنابلة والسبيل الذى على باب
فندق مسرور الصغير استجده الامير علم الدين سنجر الخازن الاشرفى والى القاهرة المنسوب اليه حكر الخازن بخط
الصليبة وسنجر هذا كانت فيه حشمة وله ثروة زائدة ويحب أهل العلم تنقل فى المباشرات الى ان صار والى
القاهرة فاشتهر بدقة الفهم وصدق الحدس الذى لا يكاد يخطئ مع عقل وسياسة واحسان الى الناس وعزل
بالامير قديدار ومات عن تسعين سنة فى ثامن جمادى الاولى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة * (درب الحبيشى)
هذا الدرب على يمنة من سلك من خط الزراكشة العتيق طالبا سوق الابارين وهو بجوار دار خواجا المجاورة لخان
منجك أصله من جملة القصر النافعى وكان يعرف بخط القصر النافعى ثم عرف بخط سوق الوراقين وهو الآن يعرف
بدرب الحبيشى وهو الامير سيف الدين بلبان الحبيشى أحد الامراء الطاهرية بيبرس * (درب بقولا) الصفار
بحارة الروم كان يعرف بدرب الرومى الجزار * (درب دغمش) هذا الدرب ينفذ الى الدوخة التى تخرج قبالة
حمام الفاضل المرسوم لدخول النساء كان يعرف قديما بدرب دغمش ويقال طغمش ثم عرف بدرب كوز الزير
ويقال كوز الزيت ويعرف بدرب القضاة بنى غنم من حقوق حارة الروم * (درب ارقطاى) هذا الدرب بحارة
الروم كان يعرف بدرب الشماع ثم عرف بدرب شيخ وهو تاج العرب شيخ الحلبى ثم عرف بدرب المعظم وهو الامير
عز الملك المعظم ابن قوام الدولة جبر بجيم وباء موحدة ثم عرف بدرب ارسل وهو الامير عز الدين ارسل بن قرا
رسلان الكاملى والد الامير جاولى المعظمى المعروف بجاولى الصغير ثم عرف بدرب الباسعردى وهو الامير علم
الدين سنجر الباسعردى أحد أكابر المماليك البحرية الصالحية النجمية وولى نيابة حلب ثم عرف الى الآن
بدرب ابن ارقطاى والعامة تقول رقطاى بغير همز وهو ارقطاى الامير سيف الدين الحاج ارقطاى أحد مماليك
الملك الاشرف خليل ابن قلاون وصار الى أخيه الملك الناصر محمد فجعله جمدارا وكان هو والامير ايتمس نائب
الكرك بينهما اخوة ولهما معرفة بلسان الترك القبجاقى ويرجع اليهما فى الياسة التى هى شريعة جنكرخان

التى تقول العامة وأهل الجهل فى زماننا هذا حكم السياسة يريدون حكم الياسة ثم ان الملك الناصر أخرجه مع الامير تنكر الى دمشق ثم استقر فى نيابة حمص لسبع مضين من رجب سنة عشر وسبعمائة فباشرها مدة ثم نقله الى نيابة صفد فى سنة ثمان عشرة فأقام بها وعمر فيها املاكا وتربة فلما كان فى سنة ست وثلاثين طلب الى مصر وجهز الامير ايتمش أخوه مكانه وعمل أمير مائة بمصر فلما توجه العسكر الى اياس خرج معهم وعاد فكان يعمل نيابة الغيبة اذا خرج السلطان للصيد ثم اخرج الى نيابة طرابلس عوضا عن طينال فأقام بها الى ان توجه الطنبغا الى طشتمر نائب حلب وكان معه بعسكر طرابلس فلما جرى من هروب الطنبغا ما جرى كان ارقطاى معه فامسك واعتقل بسكندرية ثم افرج عن ارقطاى فى اول سلطنة الملك الصالح اسماعيل بوساطة الامير ملكتمر الحجازى وجعل أميرا الى ان مات الصالح وقام من بعده الملك الكامل شعبان ورسم له بنيابة حلب عوضا عن الامير يلبغا اليحياوى فحضر اليها فى جمادى الاولى سنة ست وأربعين فأقام بها نحو خمسة أشهر ثم طلب الى مصر فحضر اليها فلم يكن غير قليل حتى خلع الكامل وتسلطن المظفر حاجى وولاه نيابة السلطنة بمصر فباشرها الى ان خلع المظفر وأقيم فى السلطنة الملك الناصر استعفى من النيابة وسأل نيابة حلب فأجيب وولى نيابة حلب وخرج اليها وما زال فيها الى ان نقل منها الى نيابة دمشق ففرح أهلها به وساروا الى حلب فرحل عنها فنزل به مرض وسار وهو مريض فمات بعين مباركة ظاهر حلب يوم الاربعاء خامس جمادى الاولى سنة خمسين وسبعمائة وقد أناف عن السبعين فعاد أهل دمشق خائبين وكان زكيا فطنا مجاجا للسنامع عجمة فى لسانه وله تنيت مطبوع وميل الى الصور الجميلة ما يكاد يملك نفسه اذا شاهدها مع كرم فى المأكول *(درب البنادين) بحارة الروم يعرف بالبنادين من جملة طوائف العساكر فى الدولة الفاطمية ثم عرف بدرب أمير جاندار وهو ينفذ الى حمام الفاضل المرسوم بدخول الرجال وأمير جاندار هذا هو الامير علم الدين سنجر الصالحى المعروف بامير جندار *(درب المكرم) بحارة الروم يعرف بالقاضى المكرم جلال الدين حسين بن ياقوت البزار نسيب ابن سنا الملك *(درب الضيف) بحارة الديلم عرف بالقاضى ثقة الملك أبى منصور نصر بن القاضى الموفق أمير الملك أبى الطاهر اسماعيل بن القاضى أمين الدولة أبى محمد الحسن بن على بن نصر ابن الضيف كان موجودا فى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وبه أيضا رحبة تعرف برحبة الضيف منسوبة اليه *(درب الرصاصى) بحارة الديلم هذا الدرب كان يعرف بحكر الامير سيف الدين حسين بن أبى الهيجاء صهر بنى رزيك من وزراء الدولة الفاطمية ثم عرف بحكر تاج الملك بدران بن الامير سيف الدين المذكور ثم عرف بالامير عز الدين أيبك الرصاصى *(درب ابن المجاور) هذا الدرب على يسرة من دخل من اول حارة الديلم كان فيه دار الوزير نجم الدين بن المجاور وزير الملك العزيز عثمان عرف به وهو يوسف بن الحسين بن محمد بن الحسين أبو الفتح نجم الدين الفارسى الشيرازى المعروف بابن المجاور كان والده صوفيا من أهل فارس ثم من شيراز قدم دمشق وأقام فى دويرة الصوفية بها وكان من الزهد والدين بمكان وأقام بمكة وبها مات فى رجب سنة ست وثمانين وخمسمائة وكان أخوه أبو عبد الله قد سمع الحديث وحدث وقدم الى القاهرة ومات بدمشق اول رمضان سنة خمس وعشرين وستمائة *(درب الكهارية) هذا الدرب فيه المدرسة الكهارية بجوار حارة الجودرية المسلوك اليه من القماحين ويتوصل منه الى المدرسة الشريفية *(درب الصفيره) بتشديد الفاء هذا الدرب بجوار باب زويلة وهو من حقوق حارة المحمودية وكان نافذا الى المحمودية وهو الآن غير نافذ وأصله درب الصفيراء تصغير صفراء هكذا يوجد فى الكتب القديمة وقد دخل بجميع ما كان فيه من الدور الجليلة بالجامع المؤيدى *(درب الانجب) هذا الدرب تجاه باب زويلة التى من فوق فوهتها اليوم ربع يونس من خط البندقانيين يعرف بالقاضى الانجب أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن نصر ابن على أحد الشهود فى أيام قاضى القضاة سنان الملك أبى عبد الله محمد بن هبة الله بن ميسر وكان حيا فى سنة بضع وعشرين وخمسمائة وينسب الى الحسين بن الانجب المقدسى أحد الشهود المعدلين وكان موجودا فى سنة ستمائة ثم عرف هذا الدرب بأولاد العميد الدمشقى فانه كان مسكنهم ثم عرف بالبساطى وهو قاضى القضاة جمال الدين يوسف *(درب كنيسة جدة) بضم الجيم هذا الدرب بالبندقانيين كان يعرف بدرب بنت جدة ثم عرف بدرب الشيخ السديد الموفق *(درب ابن قطز) هذا الدرب بجوار مستوقد حمام الصاحب ورباط الصاحب من خط سويقة الصاحب عرف بناصر الدين بن بلغاق بن الامير

سيف الدين قطز المنصوري ومات بعد سنة ثمان وتسعين وستمائة *(درب الحريري) هذا الدرب من جملة دار الديباج وهو درب ابن قطز المذكور قبله ويتوصل اليه اليوم من اول سويقة الصاحب وفيه المدرسة القطبية عرف بالقاضي نجم الدين محمد بن القاضي فتح الدين عمر المعروف بابن الحريري فانه كان ساكنا فيه *(درب ابن عرب) هذا الدرب بخط سويقة الصاحب كان يعرف بدرب بني اسامة الكتاب أهل الانشاء في الدولة الفاطمية ثم عرف بدرب بني الزبير الاكابر الرؤساء في الدولة الفاطمية ثم سكنه القاضي علاء الدين علي بن عرب محتسب القاهرة في أيام الامير بلبغا وكيل بيت المال فعرف به الى اليوم وابن عرب هذا هو علاء الدين أبو الحسن علي بن عبد الوهاب بن عثمان بن علي بن محمد عرف بابن عرب ولي الحسبة بالقاهرة في آخر صفر سنة خمس وستين وسبعمائة وولي وكالة بيت المال أيضا وتوفي *(درب ابن مغش) هذا الدرب تجاه المدرسة الصاحبية عرف أخيرا بتاج الدين موسى كاتب السعدي وناظر الخاص في الايام الظاهرية برقوق وله به دار مليحة وكان ماجنا متهتكا رمي بالسوء واما الديانة فانه قبطي وعنه أخذ سعد الدين ابراهيم بن غراب وظيفة ناظر الخاص وعاقبه بين يديه ثم صار يتردد بعد ذلك الى مجالسه وهلك في واقعة تيمورلنك بدمشق في شعبان سنة ثلاث وثمانمائة بعدما احترق بالنار لما احترقت دمشق واكل الكلاب بعضه *(درب مشترك) هذا الدرب بقرب من درب العداس تجاه الخط الذي كان يعرف بالمسطاح وفيه الآن سوق الجواري عرف اولا بدرب الاخناي قاضي القضاة برهان الدين المالكي فانه كان يسكن فيه ثم هو الآن يقال له درب مشترك وهذه كلمة تركية أصلها بلسانهم اچ ترك بضم الهمزة واشمامها جيم بين الجيم والشين ومعنى ذلك ثلاث وترك بتاء مثناة من فوق ثم راء مهملة وكاف ومعناها النخل ومعنى هذا الاسم ثلاث نخيل وعربته العامة فقالت مشترك وهو مشترك السلاح دار الظاهر برقوق فانه سكن بها ومات في سنة *(درب العداس) هذا الدرب فيما بين دار الديباج والوزيرية عرف بعلي بن عمر العداس صاحب سقيفة العداس *(درب كاتب سيدي) هذا الدرب من جملة خط المحيين كان يعرف بدرب تقي الدين الاطرباني أحد موقعي الحكم عند قاضي القضاة تقي الدين الاخناوي ثم عرف بالوزير الصاحب علم الدين عبد الوهاب القبطي الشهير بكاتب سيدي *(الوزير كاتب سيدي)* تسمى لما اسلم بعبد الوهاب بن القسيس وتلقب علم الدين وعرف بين الكتاب الاقباط بكاتب سيدي وترقى في الخدم الديوانية حتى ولي ديوان المرتجع وتخصص بالوزير الصاحب شمس الدين ابراهيم كاتب ارلان فلما أشرف من مرضه على الموت عين للوزارة من بعده علم الدين هذا فولاه الملك الظاهر وظيفة الوزارة بعد موت الوزير شمس الدين في سادس عشري شعبان سنة تسع وثمانين وسبعمائة فباشر الوزارة الى يوم السبت رابع عشري رمضان سنة تسعين وسبعمائة ثم قبض عليه واقيم في منصب الوزارة بدله الوزير الصاحب كريم الدين بن الغنام وسلمه اليه وكان قد أراد مصادرة كريم الدين فاتفق استقراره في الوزارة وتمكنه منه فألزمه بحمل مال قرره عليه فيقال انه حمل في هذا اليوم ثلثمائة ألف درهم عنها اذ ذاك نحو العشرة آلاف مثقال ذهبا ومات بعد ذلك من هذه السنة وكان كاتبا بليغا كتب بيده بضعا وأربعين رزمة من الورق وكانت ايامه ساكنة والاحوال متمشية وفيه لين *(درب مخلص) هذا الدرب بحارة زويلة عرف بمخلص الدولة أبي الحجا طرف المستنصري ثم عرف بدرب الرايض وهو الامير طراز الدولة الرايض باصطبل الخلافة *(درب كوكب) هذا الدرب هو الآن زقاق شارع يسلك فيه من حارة زويلة الى درب الصقالبة عرف اولا بالقائد الاعز مسعود المستنصري ثم عرف بكوكب الدولة ابن الحناكي *(درب الوشاقي) بحارة زويلة عرف بالامير حسام الدين سنقر الوشاقي المعروف بالاعسر السلاح دار أحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب *(درب الصقالبة) بحارة زويلة عرف بطائفة الصقالبة أحد طوائف العساكر في أيام الخلفاء الفاطميين وهم جماعة *(درب الكنجي) بحارة زويلة كان يعرف بدرب حليلة ثم عرف بالامير شمس الدين سنقر شاه الكنجي الحاجب الظاهري قتله قلاون اول سلطنته *(درب رومية) هذا الدرب كان في القديم فيما بين زقاق القابلة ودرب الزراق فزقاق القابلة فيه اليوم كنيسة اليهود بحارة زويلة ويتوصل منه الى السبع سقايات ودار بيبرس التي عرفت بدار كاتب السر ابن فضل الله تجاه حمام ابن عبود ودرب الزراق هو اليوم من جملة خط سويقة الصاحب وبينهما الآن دور لا يوصل اليه الا بعد قطع مسافة ودرب رومية كان يعرف اولا بزقاق حسين بن ادريس العزيزي أحد اتباع الخليفة العزيز بالله

نزار بن المعز لدين الله ثم عرف بدرب رومية وهو بجوار زقاق القابلة الذى عرف بزقاق العسل ثم عرف بزقاق المعصرة وعرف اليوم بزقاق الكنيسة *(درب الخضيرى) هذا الدرب يقابل باب الجامع الاقمر البحرى وهو من جملة حقوق القصر الصغير الغربى عرف بالامير عز الدين ايدمر الخضيرى أحد امراء الملك المنصور قلاوون *(درب شعلة) هو الشارع المسلوك فيه من باب درب ملوخيا الى خط الفهادين والعطوفية وقد خرب *(درب نادر) هذا الدرب بجوار المدرسة الجمالية فيما بين درب راشد ودرب ملوخيا عرف بسيف الدولة نادر الصقلبى وتوفى لاثنتى عشرة خلت من صفر سنة اثنين وثمانين وثلثمائة فبعث اليه الخليفة العزيز بالله لكفنه خمسين قطعة من ديباج مثقل وخلف ثلثمائة ألف دينار عينا وآنية من فضة وذهب وعبيدا وخيلا وغير ذلك مما بلغت قيمته نحو ثمانين ألف دينار وكان أحد الخدام ذكره المسبحى فى تاريخه وقد ذكر ابن عبد الظاهر ان بالسويقة التى دون باب القنطرة دربا يعرف بدرب نادر فلعله نسب اليه درب كان هناك فى القديم أيضا *(درب راشد) هذا الدرب تجاه خزانة البنود عرف بيمين الدولة راشد العزيزى *(درب النميرى) عرف بالامير سيف المجاهد بن محمد بن النميرى أحد امراء الخليفة الحافظ لدين الله وولى عسقلان فى سنة ست وثلاثين وخمسمائة وكانت ولايتها اكبر من ولاية دمشق وهذا الدرب كان ينفذ الى درب راشد وهو الآن غير نافذ وفى داخله درب يعرف بأولاد الداية طاهر وقاسم الافضليين أحد اتباع الافضل بن أمير الجيوش وعرف الآن بدرب الطفل وهو من جملة خطة قصر الشوك فانه قبالة باب قصر الشوك وبينهما سويقة رحبة الايدمرى *(درب قراصيا) هذا الدرب من جملة الدروب القديمة وكان تجاه باب قصر الزمرذ الذى فى مكانه اليوم المدرسة الحجازية وهذا الدرب اليوم من جملة خطة رحبة باب العيد بجوار سجن الرحبة وقد هدمه الامير جمال الدين يوسف الأستادار وهدم كثيرا من دوره وعملها وكالة تحتات ولم تكمل وهى الى الآن بغير تكملة ثم كمله الملك المؤيد شيخ وجعله وقفا على جامعه وهو الى الآن خان عامر *(درب السلامى) هذا الدرب من جملة خط رحبة باب العيد وفيه الى اليوم أحد ابواب القصر المسمى بباب العيد والعامة تسميه القاهرة وهذا الدرب يسلك منه الى خط قصر الشوك والى المارستان العتيق الصلاحى والى دار الضرب وغير ذلك *(عرف بخواجا مجد الدين السلامى)* اسماعيل ابن محمد بن ياقوت الخواجا مجد الدين السلامى تاجر الخاص فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان يدخل الى بلاد الططر ويتجر ويعود بالرقيق وغيره واجتهد مع جوبان الى ان اتفق الصلح بين الملك الناصر وبين القان أبى سعيد فانتظم ذلك بسفارته وحسن سعيه فازدادت وجاهته عند الملكين وكان الملك الناصر يسفره ويقرر معه أمورا فيتوجه ويقضيها على وفق مراده بزيادات فأحبه وقربه ورتب له الرواتب الوافرة فى كل يوم من الدراهم واللحم والعليق والسكر والحلواء والكماج والرقاق مما يبلغ فى اليوم مائة وخمسين درهما عنها يومئذ ثمانية مثاقيل من الذهب وأعطاه قرية أرالك ببعلبك وأعطى مماليكه اقطاعات فى الحلقة وكان يتوجه الى الاردن ويقيم فيه الثلاث سنين والاربع والبريد لا ينقطع عنه ويجهز اليه التحف والاقمشة ليفرقها على من يراه من خواص أبى سعيد واعيان الاردن ثقة بمعرفته ودرايته وكان النشو ناظر الخاص لا يفارقه ولا يصبر عنه ومن املاكه ببلاد المشرق السلامية والمأخوذة والمراوزة والمناصف ولما مات الملك الناصر قلاوون تغير عليه الامير قوصون وأخذ منه مبلغا يسيرا وكان ذا عقل وافر وفكر مصيب وخبرة باخلاق الملوك وما يليق بخواطرها ودراية بما يتحفها به من الرقيق والجواهر ونطق سعيد وخلق رضى وشكالة حسنة وطلعة بهية ومات فى داره من درب السلامى هذا يوم الاربعاء سابع جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ودفن بتربته خارج باب النصر ومولده فى سنة احدى وسبعين وستمائة بالسلامية بلدة من اعمال الموصل على يوم منها بالجانب الشرقى وهى بفتح السين المهملة وتشديد اللام وبعد الميم ياء مثناة من تحت مشددة ثم تاء التأنيث *(درب خاص ترك) هذا الدرب برحبة باب العيد عرف بالامير الكبير ركن الدين بيبرس المعروف بخاص الترك الكبير أحد الامراء الصالحية النجمية أو بالامير عز الدين أيبك المعروف بخاص الترك الصغير سلاح دار الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى *(درب شاطى) هذا الدرب يتوصل منه الى قصر الشوك عرف بالامير شرف الدين شاطى السلاح دار فى أيام الملك المنصور قلاوون وكان أميرا كبيرا مقدما بالديار المصرية وأخرجه الملك الناصر محمد بن قلاوون الى الشام فاقام بدمشق وكانت له حرمة وافرة وديانة وفيه خير ومات بها فى الحادى والعشرين

من شعبان سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة * (درب الرشيدى) هذا الدرب مقابل باب الجوانية عرف بالامير
عز الدين ايدمر الرشيدى مملوك الامير بلبان الرشيدى خوش داش الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى
وولى الامير ايدمر هذا استادارالاستاذه بلبان ثم ولى استادارا للامير سلار ومات فى تاسع عشر شوال سنة ثمان
وسبعمائة وكان سكنه فى هذا الدرب وكان عاقلا ذا ثروة وجاه وكان فى القديم موضع هذا الدرب براحا قدام الحجر
* (درب الفريحية) هذا الدرب على يمنة من خرج من الجملون الصغير طالبا درب الرشيدى المذكور وهو من
الدروب التى كانت فى أيام الخلفاء * (درب الاصفر) هذا الدرب تجاه خانقاه الملك المظفر ركن الدين بيبرس
الجاشنكير وموضع هذا الدرب هو المنحر الذى تقدم ذكره * (درب الطاوس) هذا الدرب فى الحدرة التى
عند باب سر المارستان المنصورى على يمنة من ابتدا الخروج منه وكان موضعه بجوار باب الساباط أحد
أبواب القصر الصغير وقد تقدم ذكره ودرب الطاوس أيضا بالقرب من درب العداس فيما بين باب الخوخة
والوزيرية * (درب ماينجار) هذا الدرب بجوار جامع أمير حسين من حكر جوهر النوبى خارج القاهرة
عرف بالامير ماينجار الرومى الواقدى أيام الملك الظاهر بيبرس وقد خربت تلك الديار فى سلطنة الملك المؤيد
شيخ * (درب كوسا) هو الآن يسلك فيه على شاطئ الخليج الكبير من قنطرة الامير حسين الى قنطرة الموسكى
عرف بحسام الدين كوسا أحد مقدمى الحلقة فى أيام الملك المنصور قلاوون مات بعد سنة ثلاث وثمانين وستمائة
وهذا الموضع تجاه دار الذهب التى تعرف اليوم بدار الامير حسين الططرى السلاح دار الناصرى وقد خربت
أيضا * (درب الجاكى) هذا الدرب بالحكر عرف بالامير شرف الدين ابراهيم بن على بن الجنيد الجاكى
المهمندار المنصورى وقد دثر فى أيام المؤيد على يد الامير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج الاستادار لما خرب
ما هنالك * (درب الحرامى) بالحكر عرف بسعد الدين حسين بن عمر بن محمد الحرامى وابنه محيى الدين يوسف وكانا
من اجناد الحلقة * (درب الزراق) بالحكر عرف بالامير عز الدين ايدمر الزراق أحد الامراء ولاه الملك الصالح
اسماعيل بن محمد بن قلاوون نيابة غزة فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة فأقام بها مدة ثم استعفى بعد موت الملك
الصالح وعاد الى القاهرة ثم توجه الى دمشق للحوطة على موجود الخاصكية يلبغا اليحياوى فى الايام المظفرية
وعاد فلما ركب العسكر على الملك المظفر لم يكن معه سوى الزراق واق سنقر وأيدمر الشمسى فنقم الخاصكية عليهم
ذلك واخرجوهم الى الشام فوصلوا اليها فى اول شوال سنة ثمان وأربعين فأقام الزراق بدمشق ثم ورد مرسوم
السلطان حسن بتوجيههم الى حلب فتوجه اليها على اقطاع وبها مات وكان دينا لين ما فيه خير وكان هذا الدرب
عامرا وفيه دار الزراق الدار العظيمة وقد خرب هذا الدرب وما حوله منذ كانت الحوادث فى سنة ست وثمانمائة
ثم نقضت الدار فى أيام المؤيد شيخ على يد ابن أبى الفرج * (زقاق طريف) بالطاء المهملة هذا الزقاق من ازقة
البرقية عرف بالامير فخر الدين طريف بن بكتوت وكان يعرف بزقاق منار بن ميمون بن منار توفى فى ذى الحجة سنة
اثنتين وثمانين وخمسمائة * (زقاق منعم) بحارة الديلم كان يعرف بمساطب الديلم والاتراك ثم عرف بالامير منعم
الدولة باتكين البوسحاقى ثم عرف بزقاق جمال الدولة ثم بزقاق الجلاطى ثم بزقاق الصهرجتى وهو القاضى
المنتخب ثقة الدولة أبو الفضل محمد بن الحسين بن هبة الله بن وهيب الصهرجتى وكان حيا فى سنة ستين وخمسمائة
* (زقاق الحمام) بحارة الديلم عرف قديما بخوخة المنقدى ثم عرف بخوخة سيف الدين حسين بن أبى الهيجاء
صهر بنى رزيك ثم عرف بزقاق حمام الرصاصى ثم عرف بزقاق المزار * (زقاق الحرون) بحارة الديلم عرف
بالامير الاوحد سلطان الجيوش زرى الحرون رفيق العادل بن السلار وزير مصر فى أيام الخليفة الظافر بأمر الله
ثم عرف بابن مسافر عين القضاة ثم عرف بزقاق القبة * (زقاق الغراب) بالجودرية كان يعرف بزقاق
أبى العز ثم عرف بزقاق ابن أبى الحسن العقيلى ثم قيل له زقاق الغراب نسبة الى أبى عبد الله محمد بن رضوان
الملقب بغراب * (زقاق عامر) بالوزيرية عرف بعامر القماح فى حارة الاقانصه * (زقاق فرج) بالجيم من
جملة ازقة درب ملوخيا عرف بفرج مهتار الطشتخاناه للملك المنصور قلاوون كان حيا فى سنة ثلاث وثمانين
وستمائة * (زقاق حدرة) الزاهدى بحارة برجوان عرفت بالامير ركن الدين بيبرس الزاهدى الرماح الاحدب
أحد الامراء وممن له عدة غزوات فى الفرنج ولما تمالأ الامراء على الملك السعيد ابن الظاهر وسبقهم الى القلعة
كان قدامه بيبرس الزاهدى هذا فسقط عن فرسه وخرجت له حدبة فى ظهره ومات فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة

وكان

وكان مكان هذه الحدرة اخصاصا وهى الآن مساكن بينها زقاق يسلك فيه من رأس الحارة الى رحبة الإفيال

* (ذكر الخوخ) *

والقصد ايراد ما هو مشهور من الخوخ اولذكره فائدة والا فالخوخ والدروب والازقة كثيرة جدا * (الخوخ السبع) كانت سبع خوخ فيما يقال متصلة باصطبل الطارمة يتوصل منها الخلفاء اذا ارادوا الجامع الازهر فيخرجون من باب الديلم الذى هو اليوم باب المشهد الحسينى الى الخوخ ويعبرون منها الى الجامع الازهر فانه كان حينئذ فيما بين الخوخ والجامع رحبة كما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى وكان هذا الخط يعرف أولا بخوخة الامير عقيل ولم يكن فيه مساكن ثم عرف بعد انقضاء دولة الفاطميين بخط الخوخ السبع وليس لهذه الخوخ اليوم اثر ألبتة ويعرف اليوم بالابارين * (باب الخوخة) * هو أحد أبواب القاهرة مما يلى الخليج فى حد القاهرة البحرى يسلك اليه من سويقة الصاحب ومن سويقة المسعودى وكان هذا الباب يعرف أولا بخوخة ميمون دبه ويخرج منه الى الخليج الكبير وميمون دبه يكنى بأبى سعيد أحد خدام العزيز بالله كان خصيا * (خوخة ايدغمش) هذه الخوخة فى حكم أبواب القاهرة يخرج منها الى ظاهر القاهرة عند غلق الابواب فى الليل وأوقات الفتن اذا غلقت الابواب فينتهى الخارج منها الى الدرب الاحمر واليانسية ويسلك من هنالك الى باب زويلة ويصار اليها من داخل القاهرة اما من سوق الرقيق أو من حارة الروم من درب أرقطاى وهذه الخوخة بجوار حمام ايدغمش وهو * (ايدغمش الناصرى) * الامير علاء الدين اصله من مماليك الامير سيف الدولة يلبان الصالحى ثم صار الى الملك الناصر محمد بن قلاوون فلما قدم من الكرك جعله امير اخور عوضا عن الامير بيبرس الحاجب ولم يزل حتى مات الملك الناصر فقام مع قوصون ووافقه على خلع الملك المنصور أبى بكر ابن الملك الناصر ثم لما هرب الطنبغا الفخرى اتفق الامراء مع ايدغمش على الامير قوصون فوافقهم على محاربته وقبض على قوصون وجماعته وجهزهم الى الاسكندرية وجهز من امسك الطنبغا ومن معه وارسلهم أيضا الى الاسكندرية وصار ايدغمش فى هذه النوبة هو المشار اليه فى الحل والعقد فأرسل ابنه فى جماعة من الامراء والمشايخ الى الكرك بسبب احضار أحمد بن الملك الناصر محمد فلما حضر أحمد من الكرك وتلاعب بالملك الناصر واستقر أمره بمصر أخرج ايدغمش نائبا بحلب فسار الى عين جالوت واذا بالفخرى قد صار اليه مستجيرا به فآمنه وانزله فى خيمة فلما ألقى عنه سلاحه واطمأن قبض عليه وجهزه الى الملك الناصر احمد وتوجه الى حلب فأقام بها الى أن استقر الملك الصالح اسماعيل بن محمد فى السلطنة نقله عن نيابة حلب الى نيابة دمشق فدخلها فى يوم العشرين من صفر سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ومازال بها الى يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة منها فعاد من مطعم طيوره وجلس بدار السعادة حتى انقضت الخدمة وأكل الطارى وتحدث ثم دخل الى داره فاذا جواريه يختصمن فضرب واحدة منهن ضربتين وشرع فى الضربة الثالثة فسقط ميتا ودفن من الغد فى تربته خارج ميدان الحصى ظاهر دمشق وكان جوادا كريما وله مكانة عند الملك الناصر الكبير بحيث انه امر اولاده الثلاثة وكان قد بعث الملك الصالح بالقبض عليه فبلغ القاصد موته فى قطيا فعاد * (خوخة الارقى) بحارة الباطلية يخرج منها الى سوق الغنم وغيره وهى بجوار داره * (خوخة عسيلة) هذه الخوخة من الخوخ القديمة الفاطمية وهى بحارة الباطلية مما يلى حارة الديلم فى ظهر الزقاق المعروف بخرابة العجيل بجوار دار السنت حدق * (خوخة الصالحية) هذه الخوخة بجوار حبس الديلم قريبة من دار الصالح طلائع بن رزيك التى هدمها ابن قايماز وعمرها وكانت تعرف هذه الخوخة أولا بخوخة بحتكين وهو الامير جمال الدولة بحتكين الظاهرى ثم عرفت بخوخة الصالح طلائع بن رزيك لان داره كانت هنالك وبها كان سكنه قبل أن يلى وزارة الظافر * (خوخة المطوع) هذه الخوخة بحارة كتامة فى أولها مما يلى الجامع الازهر عند اصطبل الحسام الصفدى عرفت بالمطوع الشيرازى * (خوخة حسين) هذه الخوخة فى الزقاق الضيق المقابل لمن يخرج من درب الاسوانى ويسلك فيه الى حكر الرصاصى بحارة الديلم ويعرف هذا الزقاق بزقاق المزار وفيه قبر تزعم العامة ومن لا علم عنده أنه قبر يحيى بن عقب وانه كان مؤدبا للحسين بن على بن أبى طالب وهو كذب مختلق وافك مفترى كقولهم فى القبر الذى بحارة برجوان انه قبر جعفر الصادق وفى القبر الآخر انه قبر أبى تراب النخشبى وفى القبر

الذى على يسرة من خرج من باب الحديد ظاهر زويلة انه قبر زارع النوى وانه صحابى وغير ذلك من أكاذيبهم
التى اتخذها لهم شياطينهم أنصابا ليكونوا لهم عزا وسيأتى الكلام على هذه المزارات فى مواضعها من هذا
الكتاب ان شاء الله تعالى *(وحسين هذا)* هو الامير سيف الدين حسين بن أبى الهيجاء صهر بنى رزيك
وزوج ابنة الصالح بن رزيك وكان كرديا قدمه الصالح بن رزيك ابن الصالح لما ولى الوزارة ونوه به فلما مات وقام
من بعده ابنه رزيك بن الصالح فى الوزارة كان حسين هذا هو مدبر امره بوصية الصالح واستشار حسينا
فى صرف شاور عن ولاية قوص فأشار عليه بابقائه فأبى وولى الامير أبى الرفعة مكانه وبلغ ذلك شاور فخرج من
قوص الى طريق الواحات فلما سمع رزيك بمسيره رأى فى النوم مناما عجيبا فأخبر حسينا بأنه رأى مناما
فقال ان بمصر رجلا يقال له أبو الحسن علىّ بن نصر الارتاجى وهو حاذق فى التعبير فاحضره وقال رأيت كان
القمر قد أحاط به حنش وكأنى رواس فى حانوت فغالطه الارتاجى فى تعبير الرؤيا وظهر ذلك لحسين فأمسك حتى
خرج وقال له ما عجبنى كلامك والله لابد أن تصدقنى ولا بأس عليك فقال يا مولاى القمر عندنا هو الوزير كما أن
الشمس الخليفة والحنش المستدير عليه حبس مصحف وكونه رواس اقلبها تجدها شاور مصحفا وما وقع لى غير
هذا فقال حسينا اكتم هذا عن الناس وأخذ حسين فى الاهتمام بامره ووطأ انه يريد التوجه الى مدينة
الرسول صلى الله عليه وسلم وكان قد أحسن الى اهلها وحمل اليها مالا وقماشا وأودعه عند من يثق به هذا
وأمر شاور يقوى ويتزايد ويصل الارجاف به الى أن قرب من القاهرة فصاح الصائح فى بنى رزيك وكانوا اكثر من
ثلاثة آلاف فارس فأول من نجا بنفسه حسين وسار فسأل عنه رزيك فقالوا خرج فانقطع قلبه لان حسينا
كان مذكورا بالشجاعة مشهورا بها وله تقدم فى الدولة ومكانة وممارسة للحروب وخبرة بها ولم يثبت بعد
خروج حسين بل انهزم الى ظاهر اطفيح فقبض عليه ابن النيض مقدم العرب واحضره الى شاور فحبسه وصدقت
رؤياه ومات حسين فى سنة   *(خوخة الحلبى)* هذه الخوخة فى آخر اصطبل الطارمة
بجوار حمام الامير علم الدين سنجر الحلبى وفى ظهر داره *(سنجر الحلبى)* أحد المماليك الصالحية ترقى
فى الخدم الى أن ولاه الملك المظفر سيف الدين قطز نيابة دمشق فلما قتل قطز على عين جالوت وقام من بعده
فى السلطنة بالديار المصرية الملك الظاهر بيبرس ثار سنجر بدمشق فى سنة ثمان وخمسين وستمائة ودعا الى نفسه
وتلقب بالملك المجاهد وبقى اشهرا والملك الظاهر يكاتب امراء دمشق الى أن خامروا على سنجر وحاصروه بقلعة
دمشق أياما فلما خشى أن يقبض عليه فرّ من القلعة الى بعلبك فجهز اليه الظاهر الامير علاء الدين طيبرس الوزيرى
ومازال يحاصره حتى اخذه اسيرا وبعث به الى الديار المصرية فاعتقله الظاهر ومازال فى الاعتقال من سنة تسع
وخمسين الى سنة تسع وثمانين وسبعمائة مدة تنيف على ثلاثين سنة مدة أيام الملك الظاهر وولديه وايام الملك المنصور
قلاوون فلما ولى الملك الاشرف خليل بن قلاوون أخرجه من السجن وخلع عليه وجعله أحد الامراء الاكابر
على عادته فلم يزل اميرا بمصر الى أن مات على فراشه فى سنة اثنين وتسعين وسبعمائة وقد جاوز تسعين سنة وانحنى
ظهره وتقوس *(خوخة الجوهرة)* هذه الخوخة بآخر حارة زويلة عرفت اليوم بخوخة الوالى لقربها
من دار الامير علاء الدين الكورانى والى القاهرة وكان من خير الولاة يحفظ كتاب الحاوى فى الفقه على مذهب
الامام الشافعى رضى الله عنه وأقام فى ولاية القاهرة من محرّم سنة تسع واربعين وسبعمائة بعد أستدمر القلنجى
والى القاهرة الى   *(خوخة مصطفى)* هذه الخوخة بآخر زقاق الكنيسة من حارة زويلة يخرج منها
الى القبو الذى عند حمام طاب الزمان المسلوك منه الى قبو منظرة اللؤلؤة على الخليج عرفت بالامير فارس
المسكين مصطفى أحد امراء بنى أيوب الملوك وهو أيضا صاحب هذا الحمام *(خوخة ابن المأمون)* هذه
الخوخة فى حارة زويلة بالدرب الذى بقرب حمام الكويك ويقال لهذه الخوخة اليوم باب حارة زويلة وأصلها
خوخة فى درب ابن المأمون البطايحى *(خوخة كوتية أق سنقر)* هذه الخوخة فى الزقاق الذى بظهر
المدرسة الفخرية بآخر سويقة الصاحب كان يسلك منها الى الخليج من جوار باب الذهب وموضعها بحذاء بيت
القاضى أمين الدين ناظر الدولة ولم تزل الى أن بنى المهتار عبد الرحمن البابا داره بجوارها فى سنى بضع وتسعين
وسبعمائة فسدها وعرفت هذه الخوخة اخيرا بخوخة المسيرى وهو تقى الدين بن السعيد المسيرى *(خوخة
أمير حسين)* هذه الخوخة من جملة الوزيرية يخرج منها الى تجاه قنطرة أمير حسين فتحها الامير شرف الدين

حسين

حسين بن أبي بكر ابن اسماعيل بن حيدرة بيك الرومي حين بنى القنطرة على الخليج الكبير وانشأ الجامع بحكر جوهر النوبى * وجرى فى فتح هذه الخوخة أمر لا بأس بايراده وهو أن الامير حسين قصد أن يفتح فى السور خوخة لتمر الناس من اهل القاهرة فيها الى شارع بين السورين ليعمر جامعه فمنعه الامير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة من ذلك الا بمشاورة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان للامير حسين اقدام على السلطان وله به مؤانسة فعرّفه أنه انشأ جامعا وسأله أن يفسح له فى فتح مكان من السور ليصير طريقا نافذا يمر فيه الناس من القاهرة ويخرجون اليه فأذن له فى ذلك وسمح به فنزل الى السور وخرق منه قدر باب كبير ودهن عليه رنكه بعد ماركب هنالك بابا ومرّ الناس منه واتفق انه اجتمع بالخازن والى القاهرة وقال له على سبيل المداعبة كم كنت تقول ما أخليك تفتح فى السور بابا حتى تشاور السلطان ها أنا قد شاورته وفتحت بابا على رغم أنفك فحنق الخازن من هذا القول وصعد الى القلعة ودخل على السلطان وقال يا خوند أنت رسمت للامير شرف الدين أن يفتح فى السور بابا وهو سور حصين على البلد فقال السلطان انما شاورنى أن يفتح خوخة لاجل حضور الناس للصلاة فى جامعه فقال الخازن يا خوند ما فتح الا بابا يعادل باب زويلة وعمل عليه رنكه وقصد يعمل سلطانا على البارد وما جرت عادة أحد بفتح سور البلد فأثر هذا الكلام من الخازن فى نفس السلطان أثرا قبيحا وغضب غضبا شديدا وبعث الى النائب وقد اشتد حنقه بأن يسفر حسين بن حيدر الى دمشق بحيث لا يبيت فى المدينة فخرج من يومه من البلد بسبب ما تقدم ذكره

(ذكر الرحاب)

الرحبة باسكان الحاء وفتحها الموضع الواسع وجمعها رحاب اعلم أن الرحاب كثيرة لا تتغير الا بأن يبنى فيها فتذهب ويبقى اسمها او يبنى فيها ويذهب اسمها ويجهل وربما انهدم بنيان وصار موضعه رحبة اودارا أو مسجدا والغرض ذكر ما فيه فائدة *(رحبة باب العيد) هذه الرحبة كان أولها من باب الريح أحد أبواب القصر الذى ادركنا هدمه على يد الامير جمال الدين الاستادار فى سنة احدى عشرة وثمانمائة والى خزانة البنود وكانت رحبة عظيمة فى الطول والعرض غاية فى الاتساع يقف فيها العساكر فارسها وراجلها فى ايام مواكب الاعياد ينتظرون ركوب الخليفة وخروجه من باب العيد ويذهبون فى خدمته لصلاة العيد بالمصلى خارج باب النصر ثم يعودون الى أن يدخل من الباب المذكور الى القصر وقد تقدم ذكر ذلك ولم تزل هذه الرحبة خالية من البناء الى ما بعد الستمائة من الهجرة فاختط فيها الناس وعمروا فيها الدور والمساجد وغيرها فصارت خطة كبيرة من اجل اخطاط القاهرة وبقى اسم رحبة باب العيد باقيا عليها لا تعرف الا به *(رحبة قصر الشوك) هذه الرحبة كانت قبلى القصر الكبير الشرقى فى غاية الاتساع كبيرة المقدار وموضعها من حيث دار الامير الحاج أل ملك بجوار المشهد الحسينى والمدرسة الملكية الى باب قصر الشوك عند خزانة البنود وبينها وبين رحبة باب العيد خزانة البنود والسقيفة وكان السالك من باب الديلم الذى هو اليوم المشهد الحسينى الى خزانة البنود يمر فى هذه الرحبة ويصير سور القصر على يساره والمناخ ودار افتكين على يمينه ولا يتصل بالقصر بنيان ألبتة ومازالت هذه الرحبة باقية الى أن خرب القصر بفناء اهله فاختط الناس فيها شيأ بعد شئ حتى لم يبق منها سوى قطعة صغيرة تعرف برحبة الايدمرى *(رحبة الجامع الازهر) هذه الرحبة كانت أمام الجامع الازهر وكانت كبيرة جدا تبتدئ من خط اصطبل الطارمة الى الموضع الذى فيه مقعد الاكفانيين اليوم ومن باب الجامع البحرى الى حيث الخراطين ليس بين هذه الرحبة ورحبة قصر الشوك سوى اصطبل الطارمة فكان الخلفاء حين يصلون بالناس بالجامع الازهر تترجل العساكر كلها وتقف فى هذه الرحبة حتى يدخل الخليفة الى الجامع وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى عند ذكر الجوامع ولم تزل هذه الرحبة باقية الى اثناء الدولة الايوبية فشرع الناس فى العمارة بها الى أن بقى منها قدام باب الجامع البحرى هذا القدر اليسير *(رحبة الحلى) هذه الرحبة الآن من خط الجامع الازهر ومن بقية رحبة الجامع التى تقدم ذكرها عرفت بالقاضى نجم الدين أبى العباس احمد بن شمس الدين على بن نصر الله بن مظفر الحلى التاجر العادل لانها تجاه داره *(رحبة البانياسى) هذه الرحبة بدرب الاتراك تجاه دار الامير طيدمر الجدار الناصرى وعرفت بالامير نجم الدين محمود بن موسى البانياسى لان داره كانت فيها ومسجده المعلق هنالك ومات بعد سنة خمسمائة *(رحبة الايدمرى) هذه الرحبة من جملة رحبة باب قصر

الشوك وعرفت بالايدمرى لانّ داره هناك *(والايدمرى) هذا مملوك عزالدين ايدمر الحلى نائب السلطنة فى ايام الملك الظاهر بيبرس ترقى فى الخدم حتى تأمّر فى ايام الملك الظاهر بيبرس وعلت منزلته فى ايام الملك المنصور قلاوون ومات سنة سبع وثمانين وستمائة ودفن بتربته فى القرافة بجوار الشافعى رضى الله عنه *(رحبة البدرى) هذه الرحبة يدخل اليها من رحبة الايدمرى من باب قصر الشوك ومن جهة المارستان العتيق وهى من جملة القصر الكبير عرفت بالامير بيدمر البدرى صاحب المدرسة البدرية فان داره هناك *(رحبة ضروط) هذه الرحبة بجوار دار أى ملك وهى من جملة رحبة قصر الشوك عرفت بالامير ضروط الحاجب فانه كان يسكن هناك *(رحبة اقبغا) هذه الرحبة هى الآن سوق الخيميين وهى من جملة رحبة الجامع الازهر التى مرّ ذكرها عرفت بالامير اقبغا عبد الواحد أستادار الملك الناصر وصاحب المدرسة الاقبغاوية *(رحبة مقبل) هذه الرحبة كانت تعرف بخط بين المسجدين لانّ هناك مسجدين أحدهما يقابل الآخر ويسلك من هذه الرحبة الى سويقة الباطلية والى زقاق تريده وعرفت اخيرا بالامير زين الدين مقبل الرومى امير جاندار الملك الظاهر برقوق *(رحبة ألدمر) هذه الرحبة فى الدرب أوّل سوق الفرايين مما يلى الاكفانيين عرفت بالامير سيف الدين الدمر الناصرى المقتول بمكة *(رحبة قردية) هذه الرحبة بخط الاكفانيين تجاه دار الامير قرديه الجدار الناصرى وكانت هذه الدار تعرف قديما بالامير سنجر الشكارى وله أيضا مسجد معلق يدخل من تحته الى الرحبة المذكورة وهناك اليوم قاعة الذهب التى فيها الذهب الشريط لعمل المزركش *(رحبة المنصورى) قبالة دار المنصورى عرفت بالامير قطلوبغا المنصورى المقدم ذكره *(رحبة المشهد) هذه الرحبة تجاه المشهد الحسينى كانت رحبة فيما بين باب الديلم أحد أبواب القصر الذى هو الآن المشهد الحسينى وبين اصطبل الطارمة *(رحبة أبى البقاء) هذه الرحبة من جملة رحبة باب العيد تجاه باب قاعة ابن كتيلة بخط السفينة عرفت بقاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء محمد بن عبد البرّ بن يحيى ابن على بن تمام السبكى الشافعى ومولده فى سنة سبع وسبعمائة أحد العلماء الاكابر تقلد قضاء القضاة بديار مصر والشام ومات فى *(رحبة الجازية) هذه الرحبة تجاه المدرسة الجازية وهى من جملة رحبة باب العيد عرفت برحبة الجازية *(رحبة قصر بشتاك) هذه الرحبة تجاه قصر بشتاك وهى من جملة الفضاء الذى بين القصرين *(رحبة سلار) تجاه حمام البيسرى ودار الامير سلار نائب السلطنة هى أيضا من جملة الفضاء الذى كان بين القصرين *(رحبة الفخرى) هذه الرحبة بخط الكافورى تجاه دار الامير سيف الدين قطلوبغا الطويل الفخرى السلاح دار الاشرفى أحد امراء الملك الناصر محمد بن قلاوون *(رحبة الاكز) بخط الكافورى هذه الرحبة تجاه دار الامير سيف الدين الاكز الناصرى الوزير وتعرف أيضا برحبة الابوبكرى لانها تجاه دار الامير سيف الدين الابوبكرى السلاح دار الناصرى وهى شارعة فى الطريق يسلك اليها من دار الامير تنكز ويتوصل منها الى دار الامير مسعود وبقية الكافورى *(رحبة جعفر) هذه الرحبة تجاه حارة برجوان يشرف عليها شباك مسجد تزعم العوام أن فيه قبر جعفر الصادق وهو كذب مختلق وافك مفترى ما اختلف أحد من اهل العلم بالحديث والآثار والتاريخ والسير أن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام مات قبل بناء القاهرة بدهر وذلك انه مات سنة ثمان واربعين ومائة والقاهرة بلا خلاف اختطت فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة بعد موت جعفر الصادق بنحو مائتى سنة وعشر سنين والذى اظنه أن هذا موضع قبر جعفر بن امير الجيوش بدر الجمالى المكنى بأبى محمد الملقب بالمظفر ولما ولى أخوه الافضل ابن امير الجيوش الوزارة من بعد أبيه جعل اخاه المظفر جعفرا يلى العلامة عنه ونعت بالاجل المظفر سيف الامام جلال الاسلام شرف الانام ناصر الدين خليل امير المؤمنين ابى محمد جعفر بن امير الجيوش بدر الجمالى وتوفى ليلة الخميس لسبع خلون من جمادى الاولى سنة اربع عشرة وخمسمائة مقتولا يقال قتله خادمه جوهر بمباطنة من القائد أبى عبد الله محمد بن فاتك البطايحى ويقال بل كان يخرج فى الليل يشرب بنجاء ليلة وهو سكران فمازحه درابحارة برجوان وتراميا بالحجارة فوقعت ضربة فى جنبه آلت به الى الموت والذى نقل انه دفن بتربة ابيه أمير الجيوش فاما أن يكون دفن هنا أوّلا ثم نقل أو لم يدفن هنا ولكنه من جملة ما ينسب اليه فانه بجوار دار المظفر التى من جملتها دار قاضى القضاة شمس الدين محمد الطرابلسى وما قاربها كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى عند ذكر دار المظفر *(رحبة الافيال) هذه

الرحبة من جملة حارة برجوان يتوصل اليها من رأس الحارة ويسلك فى حدرة الزاهدى" اليها وادركتها ساحة كبيرة والمشيخة تسميها رحبة الافيال وكذا يوجد فى مكاتيب الدور القديمة ويقال ان الفيلة فى ايام الخلفاء كانت تربط بهذه الرحبة أمام دار الضيافة ولم تزل خربة الى ما بعد سنة سبعين وسبعمائة فعمر بها دور ات ووجد فيها بئر متسعة ذات وجهين تشبه أن تكون البئر التى كانت سواس الفيلة يستقون منها ثم طمت هذه البئر بالتراب *(رحبة مازن) هذه الرحبة بحارة برجوان تجاه باب دار مازن التى خربت وفيها المسجد المعروف بمسجد بنى الكويك *(رحبة اقوش) هذه الرحبة بحارة برجوان تجاه قاعة الامير جمال الدين اقوش الرومى السلاح دار الناصرى" التى حل وقفها بهاء الدين محمد بن البرجى ثم بيعت من بعده ومات اقوش سنة خمس وسبعمائة *(رحبة برلغى) هذه الرحبة عند باب سر" المدرسة القراسنقرية تجاه دار الامير سيف الدين برلغى الصغير صهر الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير وهذه الرحبة من جملة" خط دار الوزارة *(رحبة لؤلؤ) هذه الرحبة بحارة الديلم فى الدرب الذى بخط ابن الزلابى وهى تجاه دار الامير بدر الدين لؤلؤ الزردكاش الناصرى" وهو من جملة" من فرّ مع الامير قراسنقر واقوش الافرم الى ملك التتر بوسعيد *(رحبة كوكاى) هذه الرحبة بحارة زويلة" عرفت بالامير سيف الدين كوكاى السلاح دار الناصرى" وفيها المدرسة القطبية الجديدة *(رحبة ابن أبى ذكرى) هذه الرحبة بحارة زويلة" وهى التى فيها البئر السابلة بالقرب من المدرسة العاشورية عرفت بالامير ابن أبى ذكرى وهى من الرحاب القديمة التى كانت ايام الخلفاء وبها الآن سوق حارة اليهود القرايين *(رحبة بيبرس) هذه الرحبة يتوصل اليها من سويقة المسعودى" ومن حمام ابن عبود عرفت بالملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير فانّ بصدرها داره التى كانت سكنه قبل أن يتقلد سلطنة ديار مصر وقد حل" وقفها وبيعت *(رحبة بيبرس الحاجب) هذه الرحبة بخط حارة العدوية عند باب سر الصاغة عرفت بالامير بيبرس الحاجب لانّ داره بها وبيبرس هذا هو الذى ينسب اليه غيط الحاجب بجوار قنطرة الحاجب وبهذه الرحبة الآن فندق الامير الطواشى زمام الدور السلطانية زين الدين مقبل وبه صار الآن هذا الخط يعرف بخط فندق الزمام بعد ما كنا نعرفه يعرف بخط رحبة بيبرس الحاجب *(رحبة الموفق) تعرف هذه الرحبة بحارة زويلة" تجاه دار الصاحب الوزير موفق الدين أبى البقاء هبة الله ابن ابراهيم المعروف بالموفق الكبير وهى بالقرب من خوخة الموفق المتوصل منها الى الكافورى من حارة زويلة" *(رحبة أبى تراب) هذه الرحبة فيما بين الخرشتف وحارة برجوان تشبه أن تكون من جملة" الميدان ادركتها رحبة بها كيمان تراب وسبب نسبتها الى ابى تراب أن هنالك مسجدا من مساجد الخلفاء الفاطميين تزعم العامّة ومن لا خلاق له أن به قبر أبى تراب النخشبى" وهذا القول من ابطل الباطل واقبح شئ فى الكذب فانّ أبا تراب النخشبى هو أبو تراب عسكر بن حصين النخشبى صحب حاتما الاصم وغيره وهو من مشايخ الرسالة ومات بالبادية نهشته السباع سنة خمس واربعين ومائتين قبل بناء القاهرة بنحو مائة وثلاث سنين وقد أخبرنى القاضى الرئيس تاج الدين أبو الفداء اسماعيل بن احمد بن عبد الوهاب بن الخطباء المخزومى خال ابى رحمه الله قبل أن يختلط قال اخبرنى مؤدّبى الذى قرأت عليه القرآن أن هذا المكان كان كوما وان شخصا حفر فيه ليبنى عليه دارا فظهرت له شرافات فما زال يتبع الحفر حتى ظهر هذا المسجد فقال الناس هذا أبو تراب من حينئذ ويؤيد ما قال انى ادركت هذا المسجد محفوفا بالكيمان من جهاته وهو نازل فى الارض ينزل اليه بنحو عشر درج ومابرح كذلك الى ما بعد سنة ثمانين وسبعمائة فنقلت الكيمان التراب التى كانت هنالك حوله وعمر مكانها ما هنالك من دور وعمل عليها درب من بعد سنة تسعين وسبعمائة وزالت الرحبة والمسجد على حاله وانا قرأت على بابه فى رخامة قد نقش عليها بالقلم الكوفى" عدّة اسطر تتضمن أنّ هذا قبر أبى تراب حيدرة ابن المستنصر بالله أحد الخلفاء الفاطميين وتاريخ ذلك فيما أظنّ بعد الاربعمائة ثم لما كان فى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة سوّلت نفس بعض السفهاء من العامّة له أن يتقرب بزعمه الى الله تعالى بهدم هذا المسجد ويعيد بناءه فجبى من الناس مالا شحذه منهم وهدم المسجد وكان بناء حسنا وردمه بالتراب نحو سبعة اذرع حتى ساوى الارض التى تسلك المارّة منها وبناه هذا البناء الموجود الآن وبلغنى أن الرخامة التى كانت على الباب نصبها على شكل قبر أحدثوه فى هذا المسجد وبالله ان الفتنة بهذا المكان وبالمكان الآخر من حارة برجوان الذى يعرف بجعفر الصادق لعظيمة فانهما

صارا كالانصاب التي كانت تتخذها مشركوا العرب يلجأ اليهما سفهاء العامّة والنساء في اوقات الشدائد وينزلون بهذين الموضعين كربهم وشدائدهم التي لا ينزلها العبد الا بالله ربه ويسئلون في هذين الموضعين مالا يقدر عليه الا الله تعالى وحده من وفاء الدين من غير جهة معينة وطلب الولد ونحو ذلك ويحملون النذور من الزيت وغيره اليهما ظنا أن ذلك ينجيهم من المكاره ويجلب اليهم المنافع ولعمري ان هي الا كرّة خاسرة ولله الحمد على السلامة *(رحبة ارقطاى) هذه الرحبة بحارة الروم قدام دار الامير الحاج ارقطاى نائب السلطنة بالديار المصرية *(رحبة ابن الضيف) هذه الرحبة بحارة الديلم وهي من الرحاب القديمة عرفت بالقاضي أمين الملك اسماعيل بن أمين الدولة الحسن بن علي بن نصر بن الضيف وفي هذه الرحبة الدار المعروفة باولاد الامير طنبغا الطويل بجوار حكر الرصاصي وتعرف هذه الرحبة أيضا بحمدان البزاز وبابن المخزومي *(رحبة وزير بغداد) هذه الرحبة بدرب ملوخيا عرفت بالامير الوزير نجم الدين محمود بن علي بن شرد ين المعروف بوزير بغداد قدم الى مصر يوم الجمعة ثامن صفر سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة هو وحسام الدين حسن بن محمد بن محمد الغوري الحنفي فارّين من العراق بعد قتل موسى ملك التتر فأنعم عليه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون باقطاع امرة تقدمة ألف مكان الامير طاز بغا عند وفاته في ليلة السبت ثامن عشري جمادى الاولى من السنة المذكورة فلما مات الملك الناصر محمد بن قلاون وقام في الملك من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر بن محمد قلد الوزارة بالديار المصرية للامير نجم الدين محمود وزير بغداد في يوم الاثنين ثالث عشر المحرّم سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة وبني له دار الوزارة بقلعة الجبل وأدركناها دار النيابة وعمل له فيها شباكا يجلس فيه وكان هذا قد أبطله الملك الناصر محمد وخربت قاعة الصاحب فلم يزل الى أن صرف في أيام الملك الصالح اسماعيل بن محمد ابن قلاون عن الوزارة بالامير ملكتمر السرجواني في مستهل رجب سنة ثلاث واربعين وسبعمائة ثم اعيد في آخر ذي الحجة بعد تمنع منه واشترط أن يكون جمال الكفاة ناظر الخاص معه صفة مشير فأجيب الى ذلك فلما قبض على جمال الكفاة صرف وزير بغداد وولي بعده الوزارة الامير سيف الدين ايتمش الناصري في يوم الاربعاء ثاني عشري ربيع الآخر سنة خمس وأربعين بحكم استعفائه منها فباشرها ايتمش قليلا وسأل أن يعفى من المباشرة فأعفي وذلك لقلة المتحصل وكثرة المصروف في الانعام على الجواري والخدّام وحواشيهم وكانت الكلف في كل سنة ثلاثين ألف ألف دينار والمتحصل خمسة عشر ألف ألف نحو النصف ومرتب السكر في شهر رمضان كان ألف قنطار فبلغ ثلاثة آلاف قنطار *(رحبة الجامع الحاكمي) هذه الرحبة من غير قاهرة المعز التي وضعها القائد جوهر وكانت من جملة الفضاء الذي كان بين باب النصر والمصلى فلما زاد امير الجيوش بدر الجمالي في مقدار السور صارت من داخل باب النصر الآن وكانت كبيرة فيما بين الحجر والجامع الحاكمي وفيما بين باب النصر القديم وباب النصر الموجود الآن ثم بني فيها المدرسة القاصدية التي هي تجاه الجامع وما في صفها الى حمام الجاولي وبني فيها الشيخ قطب الدين الهرماس دارا ملاصقة لجدار الجامع ثم هدمت كما سيأتي في خبرها ان شاء الله تعالى عند ذكر الدور وفي موضعها الآن الربع والحوانيت سفله والقاعة الجاري ذلك في املاك ابن الحاجب وادركت انشاءها فيما بعد سنة ثلاثين وهذه الرحبة تؤخذ اجرتها لجهة وقف الجامع *(رحبة كتبغا) هذه الرحبة من جملة اصطبل الجميزة وهي الآن من خط الصيارف يسلك اليها من الجملون الكبير بسوق الشرابشيين ومن خط طواحين الملحيين وغيره عرفت بالملك العادل زين الدين كتبغا فانها تجاه داره التي كان يسكنها وهو أمير قبل أن يستقر في السلطنة وسكنها بنوه من بعده فعرفت به ثم حل وقفها في زمننا وبيعت *(رحبة خوند) هذه الرحبة بآخر حارة زويلة فيما بينها وبين سويقة المسعودي يتوصل اليها من درب الصقالبة ومن سويقة المسعودي وهي من الرحاب القديمة كانت تعرف في ايام الخلفاء برحبة ياقوت وهو الامير ناصر الدولة ياقوت والي قوص أحد أجلاء الامراء ولما قام طلائع ابن رزيك بالوزارة في سنة تسع واربعين وخمسمائة همّ ناصر الدولة ياقوت بالقيام عليه فبلغ طلائع الملقب بالصالح بن رزيك ذلك فقبض عليه وعلى اولاده واعتقلهم في يوم الثلاثاء تاسع عشري ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة فلم يزل في الاعتقال الى أن مات فيه يوم السبت سابع عشر رجب سنة ثلاث وخمسين فأخرج الصالح اولاده من الاعتقال وأمّرهم وأحسن اليهم ثم عرفت هذه الرحبة من بعده بولده الامير ربيع الاسلام محمد بن ياقوت ثم عرفت في الدولة

الايوبية برحبة ابن منقذ وهو الامير سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ ثم عرفت برحبة الفلك المسيرى وهو الوزير فلك الدين عبد الرحمن المسيرى وزير الملك العادل أبى بكر بن الملك العادل بن ايوب ثم عرفت الآن برحبة خوند وهى الست الجليلة أردوتكين ابنة نوغيه السلاح دار زوج الملك الاشرف خليل بن قلاون وامرأة أخيه من بعده الملك الناصر محمد وهى صاحبة تربة الست خارج باب القرافة وكانت خيرة وماتت أيما فى سنة اربع وعشرين وسبعمائة *(رحبة قراسنقر) هذه الرحبة برأس حارة بهاء الدين تجاه دار الامير قراسنقر وبها الآن حوض تشرب منه الدواب *(رحبة بيغرا) بدرب ملوخيا عرفت بالامير سيف الدين بيغرا لانها تجاه داره *(رحبة الفخرى) بدرب ملوخيا عرفت بالامير منكلى بغا الفخرى صاحب التربة بظاهر باب النصر لانها تجاه داره *(رحبة سنجر) هذه الرحبة بحارة الصالحية فى آخر درب المنصورى عرفت بالامير سنجر الجمقدار علم الدين الناصرى لانها تجاه داره ثم عرفت برحبة ابن طرغاى وهو الامير ناصر الدين محمد بن الامير سيف الدين طرغاى الجاشنكير نائب طرابلس *(رحبة ابن علكان) هذه الرحبة بالجودرية فى الدرب المجاور للمدرسة الشريفية عرفت بالامير شجاع الدين عثمان بن علكان الكردى زوج ابنة الامير ازكوج الاسدى وبابنه منها الامير أبو عبد الله سيف الدين محمد بن عثمان وكان خيرا استشهد على غزة بيد الفرنج فى غرة شهر ربيع الاول سنة سبع وثلاثين وستمائة وكانت داره ودار أبيه بهذه الرحبة ثم عرفت بعد ذلك برحبة الامير علم الدين سنجر الصيرفى الصالحى *(رحبة ازدمر) بالجودرية هذه الرحبة بالدرب المذكور أعلاه عرفت بالامير عز الدين ازدمر الاعمى الكاشف لانها كانت أمام داره *(رحبة الاخناى) هذه الرحبة فيما بين دار الديباج والوزيرية بالقرب من خوخة امير حسين عرفت بقاضى القضاة برهان الدين ابراهيم بن قاضى القضاة علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران الاخناى المالكى لانها تجاه داره وقد عمر عليها درب فى أعوام بضع وتسعين وسبعمائة *(رحبة باب اللوق) رحاب باب اللوق خمس رحاب ينطلق عليها كلها الآن رحبة باب اللوق وبها تجتمع اصحاب الحلق وارباب الملاعب والحرف كالمشعبذين والخايلين والحواة والمتأففين وغير ذلك فيحشر هنالك من الخلائق للفرجة ولعمل الفساد مالا يحصر كثرة وكان قبل ذلك فى حدود ما قبل الثمانين وسبعمائة من سنى الهجرة انما تجتمع الناس لذلك فى الطريق الشارع المسلوك من جامع الطباخ بالخط المذكور الى قنطرة قدادار *(رحبة التبن) هذه الرحبة قريبة من رحبة باب اللوق فى بحرى منشاة الجوانية شارعة فى الطريق العظمى المسلوك فيها من رحبة باب اللوق الى قنطرة الذكة ويتوصل اليها السالك من عدة جهات وكانت هذه الرحبة قديما تقف بها الجمال باحمال التبن لتباع هنالك ثم اختطت وعمرت وصارت بها سويقة كبيرة عامرة بأصناف المأكولات والخط انما يعرف برحبة التبن وقد خرب بعد سنة ست وثمانمائة *(رحبة الناصرية) هذه الرحبة كانت فيما بين الميدان السلطانى والبركة الناصرية أيام كانت تلك الخطة عامرة وكان يتفق فى ليالى ايام ركوب السلطان الى الميدان فى كل سنة من الاجتماع والانس ما ستقف على بعض وصفه عند ذكر المنتزهات ان شاء الله تعالى وقد خربت الاماكن التى كانت هنالك وجهلت هذه الرحبة الا عند القليل من الناس *(رحبة ارغون ازكه) والعامة تقول رحبة ازكى يا وهى رحبة كبيرة بالقرب من البركة الناصرية وهذه الرحبة وما حولها من جملة بستان الزهرى الآتى ذكره ان شاء الله فى الاحكار وعرفت بالامير ارغون ازكى

(ذكر الدور)

قال ابن سيده الدار المحل يجمع البناء والعرصة التى هى من دار يدور لكثرة حركات الناس فيها والجمع أدور وأدؤر وديار وديارة وديارات وديران ودور ودورات والدارة لغة فى الدار والدار البلد والبيت من الشعر ما زاد على طريقة واحدة وهو مذكر يقع على الصغير والكبير وقد يقال للمبنى والبيت أخص من غير الابنية التى هى الاخبية بيت وجمع البيت ابيات وأبابيت وبيوت وبيوتات والبيت اخص من الدار فكل دار بيت ولا ينعكس ولم تكن العرب تعرف البيت الا الخباء ثم لما سكنوا القرى والامصار وبنوا بالمدر واللبن سموا منازلهم التى سكنوها دورا وبيوتا وكانت الفرس لا تبيح شريف البنيان كما لا تبيح شريف الاسماء الا لاهل البيوتات كصنيعهم فى النواويس والحمامات والقباب الخضر والشرف على حيطان الدار وكالعقد على الدهليز *(دار الاجدى) هذه الدار من جملة حارة بهاء الدين وبها مشترف عال فوق بدنة من بدنات سور القاهرة ينظر منه أرض الطبالة

وخارج باب الفتوح وهي أحدى الدور الشهيرة عرفت بالامير بيبرس الاحمدى * (بيبرس الاحمدى) ركن
الدين امير جاندار تنقل في الخدم أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون الى أن صار أمير جاندار أحد المقدمين فلما مات
الملك الناصر قوى عزم قوصون على اقامة الملك المنصور أبي بكر بعد أبيه وخالف بشتاك فلما نسب المنصور الى
اللعب حضر الى باب القصر بقلعة الجبل وقال أي شئ هذا اللعب فلما ولي الناصر أحمد أخرجه لنيابة صفد فأقام
بها مدة ثم أحس من الناصر أحمد بسوء فخرج من صفد بعسكره الى دمشق وليس بها نائب فهمّ الامراء بامساكه
ثم أخروا ذلك وأرسلوا اليه الاقامة فقدم البريد من الغد بامساكه فكتب الامراء من دمشق الى السلطان
يشفعون فيه فعاد الجواب بأنه لابد من القبض عليه ونهب ماله وقطع رأسه وارساله فأبوا من ذلك وخلعوا
الطاعة وشقوا العصا جميعا فلم يكن بأسرع من ورود الخبر من مصر بخلع الناصر أحمد واقامة الصالح اسماعيل
في الملك بدله والاحمدى مقيم بقصر تنكز من دمشق فورد عليه مرسوم بنيابة طرابلس فتوجه اليها وأقام بها نحو
الشهرين ثم طلب الى مصر فسار اليها وأخرج لمحاصرة احمد بالكرك فحصره مدة ولم ينل منه شيأ ثم عاد الى القاهرة
فأقام بها حتى مات في يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرم سنة ست واربعين وسبعمائة وله من العمر نحو الثمانين سنة
وكان أحد الابطال الموصوفين بقوة النفس وشدة العزم ومحبة الفقراء وايثار الصالحين وله مماليك قد عرفوا
بالشجاعة والنجدة وكان ممن يقتدى برأيه وتتبع آثاره لمعرفته بالايام والوقائع ومابرحت ذريته بهذه الدار الى
الآن وأظنها موقوفة عليهم * (دار قراسنقر) هذه الدار برأس حارة بهاء الدين انشاها الامير شمس الدين
قراسنقر وبها كان سكنه وهي احدى الدور الجليلة ووجد بها في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة لما احيط بها اثنان
وثلاثون ألف ألف دينار ومائة ألف وخمسون ألف درهم فضة وسروج مذهبة وغير ذلك فحمل الجميع الى بيت
المال ولم تزل جارية في اوقاف المدرسة القراسنقرية الى أن اغتصبها الامير جمال الدين يوسف الاستادار فيما
اغتصب من الاوقاف وجعلها وقفا على مدرسته التي أنشاها برحبة باب العيد فلما قتله الملك الناصر فرج بن
برقوق وارتجع جميع ماخلفه وصار في جملة الاموال السلطانية ثم افرد من الاوقاف التي جعلها جمال الدين على
مدرسته شيأ وجعل باقيها لاولاده وعلى تربته التي انشاها على قبر أبيه الملك الظاهر برقوق بالصحراء تحت الجبل
خارج باب النصر فلما قتل الملك الناصر فرج صارت هذه الدار بيد الامير طوغان الدوادار وكانوا كسارق
من سارق ومامن قتيل يقتل الا وعلى ابن آدم الاول كفل منه لانه اول من سن القتل * (دار البلقيني) هذه
الدار تجاه مدرسة شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني من حارة بهاء الدين انشاها قاضي قضاة العساكر بدر الدين
محمد بن شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني الشافعي ومات في يوم الخميس لست بقين من شهر ربيع
الآخر سنة احدى وتسعين وسبعمائة ولم تكمل فاشتراها أخوه قاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ
الاسلام وكملها وبها الآن سكنه وهي من اجل دور القاهرة صورة ومعنا وقد ذكرت الاخوين وابيهما
في كتابي المنعوت بدرر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة فانظر هنالك أخبارهم * (دار منكوتمر) هذه
الدار بحارة بهاء الدين بجوار المدرسة المنكوتمرية انشاها الامير منكوتمر نائب السلطنة بجوار مدرسته الآتي
ذكرها عند ذكر المدارس ان شاء الله تعالى وهي من الدور الجليلة وبها الى اليوم بعض ذريته وهي وقف * (دار
المظفر) هذه الدار كانت بحارة برجوان انشاها امير الجيوش بدر الجمالي الى ان مات فلما ولي الوزارة من بعده ابنه
الافضل ابن امير الجيوش وسكن دار القباب التي عرفت بدار الوزارة وقد تقدم ذكرها صار أخوه المظفر أبو محمد
جعفر بن امير الجيوش بهذه الدار فعرفت به وقيل لها دار المظفر وصارت من بعده دار الضيافة كما مر في هذا الكتاب
وآخر ما اعرفه انها كانت ربعا وحماما وخرائب فسقط الربع بعد سنة سبعين وسبعمائة وكانت الحمام قد خربت
قبل ذلك فلم تزل خرابا الى سنة ثمان وثمانين وسبعمائة فشرع قاضي القضاة شمس الدين محمد بن احمد بن أبي بكر
الطرابلسي الحنفي في عمارتها فلما حفر أساس جداره القبلي ظهر تحت الردم عتبة عظيمة من حجر صوان مانع
يشبه أن يكون عتبة دار المظفر وكان الامير جهاركس الخليلي اذ ذاك يتولى عمارة المدرسة التي انشاها الملك
الظاهر برقوق بخط بين القصرين فبعث بالرجال لهذه العتبة وتكاثروا على جرها الى العمارة فجعلها في المزملة
التي تشرب منها الناس الماء بدهليز المدرسة الظاهرية وكمل قاضي القضاة شمس الدين بناء داره حيث كانت دار
المظفر فجاءت من احسن دور القاهرة وتحول اليها بأهله ومازال فيها حتى مات بها وهو متقلد وظيفة قضاء

القضاة الحنفية بالديار المصرية فى ليلة السبت الثامن عشر من ذى الحجة سنة تسع وتسعين وسبعمائة وله من العمر سبعون سنة وأشهر ومولده بطرابلس الشام واخذ الفقه على مذهب أبى حنيفة رحمه الله عن جماعة من اهل طرابلس ثم خرج منها الى دمشق فقرأ على صدر الدين محمد بن منصور الحنفى ووصل الى القاهرة وقاضى الحنفية بها قاضى القضاة جمال الدين عبد الله التركمانى فلازمه وولاه العقود واجلسه ببعض حوانيت الشهود فتكسب ممن تحمل الشهادة مدة وقرأ على قاضى القضاة سراج الهدى ولازمه فولاه نيابة القضاء بالشارع فباشرها مباشرة مشكورة وأجازه العلامة شمس الدين محمد بن الصائغ الحنفى بالافتاء والتدريس فلما مات صدر الدين بن منصور قلده الملك الظاهر برقوق قضاء القضاة مكانه فى يوم الاثنين ثانى عشرى شهر ربيع الآخر سنة ست وثمانين وسبعمائة فباشر القضاء بعفة وصيانة وقوة فى الاحكام لها النهاية ومهابة وحرمة وصولة تذعن لها الخاصة والعامة الى أن صرف فى سابع عشر رمضان سنة احدى وتسعين وسبعمائة بشيخنا قاضى القضاة مجد الدين اسماعيل بن ابراهيم التركمانى فلم يزل الى أن عزل مجد الدين وولى من بعده قاضى القضاة وناظر الجيوش جمال الدين محمود القيصرى وهو ملازم داره وما بيده من التدريس وهو على حال حسنة وتجلد من الكافة الى ان استدعاه السلطان فى يوم الثلاثا تاسع شهر ربيع الاول سنة تسع وتسعين وسبعمائة فقلده وظيفة القضاء عوضا عن محمود القيصرى فلم يزل حتى مات من عامه رحمه الله تعالى وهذه الدار على يسرة من سلك من باب حارة برجوان طالبا المسجد المسمى بجعفر وأما الحمام فانها فى مكانها اليوم ساحة بجوار دار قاضى القضاة شمس الدين ومن جملة حقوق دار المظفر رحبة الافيال وحدرة الزاهدى الى الدار المعروفة بسكنى قريبا من حمام الرومى *(دار ابن عبد العزيز) هذه الدار بحارة برجوان على يمنة من سلك من باب الحارة طالبا حمام الرومى أيضا من جملة دار المظفر كانت طاحونا ثم خربت فابتدأ عمارتها فخر الدين أبو جعفر محمد بن عبد اللطيف ابن الكويك ناظر الاحباس ومات ولم تكمل فصارت لامرأته وابنة عمه خديجة فماتت فى رجب سنة اثنتين وستين وسبعمائة وقد تزوجت من بعده بالقاضى الرئيس بدر الدين حسن بن عبد العزيز بن عبد الكريم ابن أبى طالب ابن على بن عبد الله ابن سيدهم النجمى السيراونى فانتقلت اليه ومات فى سنة أربع وسبعين وسبعمائة فى العشرين من جمادى الاولى وورثه من بعد موته كريم الدين ابن أخيه وهو عبد الكريم بن أحمد بن عبد العزيز ابن عبد الكريم ابن أبى طالب ابن على بن عبد الله بن سيدهم ومات آخر ربيع الاول سنة سبع وثمانمائة عن سبعين سنة وولى نظر الجيوش بديار مصر للظاهر برقوق فباعها لقريبه شمس الدين محمد بن عبد الله بن عبد العزيز وكلاهما وسكنها مدة طويلة الى ان باعها فى سنة خمس وتسعين وسبعمائة بألفى دينار ذهبا لخوند فاطمة ابنة الامير منكلى فوقفتها على عتقائها وهى الى اليوم بيدهم وتعرف ببيت ابن عبد العزيز المذكور لطول سكنه بها وكان خيرا عارفا بكتابة ديوان الجيش وعدة مباشرات ومات ليلة الثانى عشر من صفر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة *(دار الجمقدار) هذه الدار على يسرة من سلك من باب حارة برجوان تحت القبو طالبا حمام الرومى عرفت بالامير علم الدين سنجر الجمقدار من الامراء البرجية وقدمه الملك الناصر محمد تقدمة ألف بعد مجيئه من الكرك الى مصر ثم اخرجه الى الشام فأقام بها الى ان حضر قطلو بغا الفخرى فى نوبة أحمد بالكرك فحضر معهم واستقر من الامراء بالديار المصرية الى ان مات يوم الجمعة تاسع رمضان سنة خمس واربعين وسبعمائة وقد كبر وارتعش وكان روميا ألثغ ثم صار لخالد بن الزراد المقدم فلما قبض عليه ومات فى ثانى عشرى جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وسبعمائة تحت المقارع ارتجعت عنه لديوان السلطان حسن فصارت فى يد ورثته الى ان باع بعض أولاده اسهما منها فاشتراها الامير سودون الشيخونى نائب السلطنة ثم تنقلت وبعضها وقف بيد أولاد السلطان حسن بن محمد بن قلاوون الى ان ملك ما تملك منها بالشراء قاضى القضاة عماد الدين أحمد بن عيسى الكركى وسكنها الى ان سافر فصارت من بعده لورثته فباعوها للشيخ زين الدين أبى بكر القمنى وهى بيده الآن *(دار أقوش) الرومى بحارة برجوان هذه الدار من أجل دور القاهرة وبابها من نحاس بديع الصنعة يشبه باب المارستان المنصورى وكان تجاهها اصطبل كبير يعلوه ربع فيه عدة مساكن عرفت بالامير جمال الدين اقوش الرومى السلاح دار الناصرى وتوفى سنة سبع وسبعمائة وهى مما وقفه على تربته بالقرافة وقد خرب اصطبلها وعلوه وبيع نقض ذلك وتداعت الدار أيضا للسقوط فبيعت انقاضا وصارت من جملة الاملاك *(دار بنت السعيدى) هذه

الدار بحارة برجوان عرفت بقاعة حنيفة بنت السعيدى الى ان اشتراها شهاب الدين أحمد بن طوغان دوادار الامير سودون الشيخونى نائب السلطان فى سنة تسع وتسعين وسبعمائة فأخذ عدة مساكن مما حولها وهدمها وصيرها ساحة بها فصارت من أعظم الدور اتساعا وزخرفة وفيها آبار سبعة معينة وفسقية ينقل اليها الماء بساقية على فوهة بئر ومازال صاحبها شهاب الدين فيها الى ان سافر الى الاسكندرية فى محرم سنة ثمان وثمانمائة فمات رحمه الله وانتقلت من بعده لغير واحد بالبيع *(دار الحاجب) هذه الدار فيما بين الخرشتف وحارة برجوان كان مكانها من جملة الميدان وكان يسلك من حارة برجوان فى طريق شارعه الى باب الكافورى فلما عمر الامير بكتمر هذه الدار جعل اصطبلها حيث كانت الطريق وركب بابا بخوخة مما يلى حارة برجوان واشترط عليه الناس ان لا يمنع المارة من سلوك هذا المكان فوفى بما اشترط ومابرح الناس يمرون من هذا الطريق فى وسط الاصطبل على باب داره سالكين من حارة برجوان الى الكافورى والخرشتف ومنها الى حارة برجوان وانا سلكت من هذه الطريق غير مرة وكان يقال لها خوخة الحاجب ثم لما طال الامد وذهبت المشيخة نسيت هذه الطريق وقفل الباب وانقطع سلوك الناس منه وصارت تلك الطريق من جملة حقوق الدار ومابرحت هذه الدار ينصب على بابها الطوارق دائما كما كانت عادة دور الامراء فى الزمن القديم فلما تغيرت الرسوم وبطل ذلك قلعت الطوارق من جانبى الباب واعلى اسكفته وباب هذه الدار تجاه باب الكافورى وعرفت بالامير سيف الدين بكتمر الحاجب صاحب الدار خارج باب النصر والمدرسة بجواره ثم حل وقفها سنة ثمان وعشرين وثمانمائة وبيعت كما بيع غيرها من الاوقاف وهنالك ترى ترجمته *(دار تنكز) هذه الدار بخط الكافورى كانت للامير ايبك البغدادى وهى من اجل دور القاهرة وأعظمها انشأها الامير تنكز نائب الشام وأظنه أوقفها فى جملة ما اوقف وكان بها اولاده وسكنها قاضى القضاة برهان الدين ابرهيم بن جماعة فأنفق فى زخرفتها على ما أشيع سبعة عشر ألف درهم عنها يومئذ ما ينيف عن سبعمائة دينار مصرية ولم تزل هذه الدار وقفا الى ان بيعت على انها ملك فى سنة احدى وعشرين وثمانمائة بدون ألف دينار لزين الدين عبد الباسط بن خليل فجدد بناءها وبنى تجاهها جامعه *(تنكز الاشرفى) سيف الدين أبو سعيد جلبه الى مصر وهو صغير الخواجا علاء الدين السوسى فنشأ بها عند الملك الاشرف خليل بن قلاوون فلما ملك السلطان الناصر محمد بن قلاوون امره امرة عشرة قبل توجهه الى الكرك وسافر معه الى الكرك وترسل عنه منها الى الافرم فاتهمه ان معه كتبا الى الامراء بالشام وعرض عليه العقوبة فارجف منه وعاد الى الناصر فقال له ان عدت الى الملك فانت نائب دمشق فلما عاد الى الملك جهزه الى دمشق فوصلها فى العشرين من ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وسبعمائة فباشر النيابة وتمكن فيها وسار بالعساكر الى ملطية وافتتحها فى محرم سنة خمس عشرة وعظم شأنه وأمن الرعايا حتى لم يكن أحد من الامراء يظلم ذميا فضلا عن مسلم خوفا من بطشه وشدة عقوبته وكان السلطان لا يفعل شيأ بمصر الا ويشاوره فيه وهو بالشام وقدم غير مرة على السلطان فاكرمه وأجله بحيث انه انعم عليه فى قدومه الى مصر سنة ثلاث وثلاثين بما مبلغه ألف ألف درهم وخمسون ألف درهم عنها خمسون ألف دينار وينيف سوى الخيل وزادت املاكه وسعادته وانشأ جامعا بدمشق بديع الوصف بهج الزى وعدة مواضع وكان الناس فى أيامه قد أمنوا كل سوء الا انه كان يتخيل خيالا فيحتد خلقه ويشتد غضبه فهلك بذلك كثير من الناس ولا يقدر أحد أن يوضح له الصواب لشدة هيبته وكان اذا غضب لا يرضى ألبتة بوجه واذا بطش كان بطشه بطش الجبارين ويكون الذنب صغيرا فلا يزال يكبره حتى يخرج فى عقوبة فاعله عن الحد ولم يزل الى ان أشيع بدمشق انه يريد العبور الى بلاد الططر فبلغ ذلك السلطان فتنكر له وجهز اليه من قبض عليه فى ثالث عشرى ذى الحجة سنة أربعين واحيط بماله وقدم الامير بشتاك الى دمشق لقبضه وخرج الى مصر ومعه من مال تنكز وهو من الذهب العين ثلاثمائة ألف وستة وثلاثون ألف دينار ومن الدراهم الفضة ألف ألف وخمسمائة ألف درهم ومن الجوهر واللؤلؤ والزركش والقماش ثمانمائة حمل ثم استخرج بعد ذلك من بقايا امواله اربعون ألف دينار وألف ألف ومائة ألف درهم فلما وصل تنكز الى قلعة الجبل جهز الى الاسكندرية واعتقل فيها نحو الشهر وقتل فى محبسه ودفن بها فى يوم الثلاثا حادى عشرى المحرم سنة احدى وأربعين وسبعمائة ومن الغريب انه أمسك يوم الثلاثا ودخل مصر يوم الثلاثا ودخل الاسكندرية يوم الثلاثا وقتل يوم الثلاثا ثم نقل الى دمشق فدفن بتربته جوار

جامعه ليلة الخامس من رجب سنة أربع وأربعين وسبعمائة بعد ثلاث سنين ونصف بشفاعة ابنته *(دار أمير مسعود) هذه الدار بآخر خط الكافوري عرفت بالامير بدر الدين مسعود بن خطير الرومي أحد الامراء بمصر أخرجه الملك الناصر محمد بن قلاوون في ذي الحجة سنة أربعين وسبعمائة الى نيابة غزة ثم نقل منها الى امرة دمشق وولي نيابة طرابلس ثم اعيد الى دمشق وأصله من اتباع الامير تنكز فشكره عند الملك الناصر وقدمه حتى صار أميرا حاجبا فلما قتل تنكز أخرجه لنيابة غزة وتنقل في نيابة طرابلس ثلاث مرات الى ان استعفى من النيابة فأنعم عليه بامرة في دمشق وعلى ولديه بامرة طبلخاناه ومازال مقيما بها حتى مات في سابع شوال سنة اربع وخمسين وسبعمائة بدمشق ومولده بها ليلة السبت سابع جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين وستمائة *(دار نائب الكرك) هذه الدار فيما بين خط الخرشتف وخط باب سر المارستان المنصوري وهي من جملة ارض الميدان عرفت بالامير اقوش الاشرفي المعروف بنائب الكرك صاحب الجامع *(اقوش الاشرفي)* جمال الدين ولاه الملك الناصر محمد بن قلاوون نيابة دمشق بعد مجيئه من الكرك وعزله تنكز بعد قليل واعتقله الى شهر رجب سنة خمس عشرة وسبعمائة ثم افرج عنه وجعله رأس الميمنة وصار يقوم له اذا قدم ميزاله عن غيره من الامراء وكان لا يلبس مصقولا ولا يمشي من داره هذه الى الحمام وهو حامل المئزر والطاسة وحده فيدخل الحمام ويخرج عريانا فاتفق مرة ان رجلا رآه فعرفه وأخذ الجرو حك رجله وغسله وهو لا يكلمه كلمة واحدة فلما خرج وصار الى داره طلب الرجل وضربه وقال له أنا مالي مملوك ماعندي غلام مالي طاسة حتى تتجرأ علي أنت وكان يتوجه الى معبد له في الجبل الاحمر وينفرد فيه وحده اليومين والثلاثة ويدخل منه الى القاهرة وهو ماش وذيله على كتفه حتى يصل الى داره وباشر نظر المارستان المنصوري مباشرة جيدة ثم اخرجه السلطان الى نيابة طرابلس في اول سنة أربع وثلاثين وسبعمائة فأقام بها ثم طلب الاقالة فأعفي وقبض عليه واعتقل بقلعة دمشق ثم نقل منها الى صفد فحبس بها في برج ثم اخرج منها الى الاسكندرية فمات بها معتقلا في سنة ست وثلاثين وسبعمائة وكان عسوفا جبارا في بطشه مات عدة من الناس تحت الضرب قدامه وكان كريما سمحا الى الغاية وعرف بنائب الكرك لانه أقام في نيابتها من سنة تسعين وستمائة الى سنة تسع وسبعمائة *(دار ابن صغير) هذه الدار من جملة الميدان وهي اليوم من خط باب سر المارستان المنصوري انشأها علاء الدين علي بن نجم الدين عبد الواحد بن شرف الدين محمد بن صغير رئيس الاطباء ومات بحلب عندما توجه اليها في خدمة الملك الظاهر برقوق في يوم الجمعة تاسع عشر ذي الحجة سنة ست وتسعين وسبعمائة ودفن بها ثم نقلته ابنته الى القاهرة ودفنته بظاهرها *(دار بيبرس الحاجب) هذه الدار بخط حارة العدوية وهي الآن من خط باب سر المارستان عرفت بالامير بيبرس الحاجب صاحب غيط الحاجب فيما بين جسر بركة الرطلي والجرف *(بيبرس الحاجب)* الامير ركن الدين ترقى في الخدم الى ان صار أمير اخور فلما حضر الملك الناصر من الكرك عزله بالامير ايدغمش وعمله حاجبا وناب في الغيبة عن الامير تنكز بدمشق لما حج ثم تجرد الى اليمن وعاد فتنكر عليه السلطان وحبسه في ذي القعدة سنة خمس وعشرين وسبعمائة وأفرج عنه في رجب سنة خمس وثلاثين وجهزه من الاسكندرية الى حلب فصار بها أميرا من امرائها ثم تنقل منها الى امرة بدمشق بعد عزل تنكز فلم يزل بها الى ان توجه الفخري وطشتمر الى مصر فأقره على نيابة الغيبة بدمشق وكان قد أسن ومات في شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وادركناله حفيدا يعرف بعلاء الدين أمير علي بن شهاب الدين أحمد ابن بيبرس الحاجب قرأ القرا آت السبع على والده وكان حسن الاداء للقراءة مشهورا بالعلاج يعالج بمائة وعشرة ارطال مات وهو ساح في سابع ربيع الآخر سنة احدى وثمانمائة *(دار عباس) هذه الدار كانت في درب شمس الدولة عرفت بالوزير عباس بن يحيى بن تميم بن المعز ابن باديس أصله من المغرب وترقى في الخدم حتى ولي الغربية ولقب بالامير ركن الاسلام وكانت أمه تحت الامير المظفر علي بن السلار والي البحيرة والاسكندرية فلما رحل علي بن السلار الى القاهرة وأزال الوزير نجم الدين سليمان بن مصال من الوزارة واستقر مكانه في وزارة الخليفة الظافر بأمر الله وتلقب بالعادل قدمه لمحاربة ابن مصال فلم ينل غرضا فخرج اليه عباس حتى ظفر به وولي ناصر الدين نصير بن عباس ولاية مصر بشفاعة جدته أم عباس فاختص به الخليفة الظافر واشتغل به عمن سواه وكان جريا مقداما فخرج اليه أبو عباس بالعسكر لحفظ عسقلان من الفرنج ومعه من

الامراء ملهم والضرغام واسامة بن منقذ وكان اسامة خصيصا بعباس فلما نزلوا بلبيس تذاكر عباس واسامة مصر وطيبها وما هم خارجون اليه من مقاساة السفر ولقاء العدو فتأوه عباس اسفا على مفارقة لذاته بمصر وأخذ يثرب على العادل بن السلار فقال له اسامة لو أردت كنت انت سلطان مصر فقال كيف لى بذلك قال هذا ولدك ناصر الدين بينه وبين الخليفة مودة عظيمة فخاطبه على لسانه ان تكون سلطان مصر موضع زوج أمك فانه يحبك ويكرهه فاذا اجابك فاقتله وصر فى منزلته فاعجب عباس ذلك وجهز ابنه لتقرير ما اشار به اسامة فسار الى القاهرة ودخلها على حين غفلة من العادل واجتمع بالخليفة وفاوضه فيما تقرر فأجابه اليه ونزل الى دار جدته وكان من قتله للعادل على بن سلار ما كان فهاج الناس وسرح الطائر من القصر الى عباس وهو على بلبيس فى الانتظار فقام من فوره ودخل القاهرة سحر يوم الاحد ثانى عشر المحرم سنة ثمان وأربعين وخمسمائة فوجد عدة من الاتراك قد نفروا وخرجوا ايدا واحدة الى الشام فصار الى القصر وخلع عليه خلع الوزارة فباشر الامور وضبط الاحوال وأكرم الامراء وأحسن الى الاجناد وازدادت مخالطة ولده للخليفة فخاف ان يقتله كما قتل ابن السلار فما زال به حتى قتل الخليفة الظافر كما تقدم ذكره وصار الى القصر على العادة فلما جلس فى مقطع الوزارة سأل الاجتماع على الخليفة فدخل الزمام الى دور الحرم فلم يجد الخليفة فلما عاد اليه أحضر أخوى الظافر واتهمهما بقتله وقتلهما قدامه واستدعى بولد الظافر عيسى ولقبه بالفائز بنصر الله وكثرت النياحة على الظافر وبحث أهل القصر على كيفية قتله فكتبوا الى طلائع بن رزيك وهو والى الاشمونين يستدعونه فحشد وسار فاضطرب عباس وكثرت مناكدة أهل القاهرة له حتى انه مر يوما فرمى من طاقة تشرف على شارع بقدر مملوء طعاما حارا فعول على الفرار وخرج ومعه ابنه واسامة بن منقذ وجميع ما لهم من اتباع ومال وسلاح ودخل طلائع الى القاهرة واستقر فى وزارة الخليفة الفائز فسير أهل القصر الى الفرنج البريد بطلب عباس فخرجوا اليه وكانت بينهم وبينه وقعة فر فيها اسامة فى جماعة الى الشام فظفر به الفرنج وقتلوه وأخذوا ابنه فى قفص من حديد وجهزوه الى القاهرة وذلك فى شهر ربيع الاول سنة تسع وأربعين وخمسمائة فلما وصل ابنه الى القصر قتل وصلب على باب زويلة واحرق بعد ذلك ثم عرفت هذه الدار بعد ذلك بدار تقى الدين صاحب حماه ثم خربت وحكر مكانها فصار يعرف بحكر صاحب حماه وبنى فيه عدة دور وموضعها الآن بداخل درب شمس الدولة بالقرب من حمام عباس التى تعرف اليوم بحمام الكويك *(دار ابن فضل الله) هذه الدار فيما بين حارة زويلة والبندقانيين كان موضعها من جملة اصطبل الجميزة عرفت بابن فضل الله * وبنو فضل الله جماعة اولهم بمصر *(شرف الدين) عبد الوهاب بن الصاحب جمال الدين أبى المآثر فضل الله ابن الامير عز الدين الحلى بن دعجان العمرى ولى كتابة السر للملك الناصر محمد بن قلاون ثم صرفه عنها وولاه كتابة السر بدمشق فلم يزل بها حتى مات فى ثالث شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبعمائة وقد عمر وبلغ أربعا وتسعين سنة وخلف أموالا جمة ورثاه الشهاب محمود وقد ولى بعده وارثاه علاء الدين على بن غانم والجمال ابن نباتة وكان فاضلا بارعا اديبا عاقلا وقورا ناهضا ثقة امينا مشكورا مليح الخط جيد الانشاء حدث عن الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام وغيره ومنهم (محيى الدين) يحيى بن الصاحب جمال الدين أبى المآثر فضل الله بن مجلى بن دعجان بن خلف بن نصر بن منصور بن عبد الله بن على بن محمد بن أبى بكر عبد الله بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب القرشى العدوى العمرى ولى كتابة السر بالديار المصرية عن الملك الناصر نقل اليها من كتابة سر دمشق لما مرض علاء الدين باستدعائه الى مصر وأقيم بدله فى كتابة سر دمشق شرف الدين أبو بكر ابن الشهاب محمود وكان استقراره فى محرم سنة ثلاثين وسبعمائة فباشرها الى ثانى عشر شعبان سنة ثنتين وثلاثين ونقل منها الى كتابة السر بدمشق وطلب شرف الدين ابن الشهاب محمود فاستقر فى كتابة السر بمصر الى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وطلب محيى الدين من دمشق هو وابنه شهاب الدين احمد فوصلا الى القاهرة غرة جمادى الاولى وخلع عليهما ورسم لهما بكتابة السر ونقل ابن الشهاب محمود الى كتابة السر بدمشق فلم يزل محيى الدين يباشر كتابة السر هو وابنه الى ان كان من تنكز السلطان لولده شهاب الدين ما كان وذلك انه كان استعفى من الوظيفة لثقل سمعه وكبر سنه فأذن له ان يقيم ابنه القاضى شهاب الدين يباشر عنه فصار الاسم لمحيى الدين والمباشر ابنه شهاب الدين الى ان حضر الامير تنكز نائب الشام الى القلعة وسأل السلطان فى علم الدين محمد بن قطب الدين أحمد بن مفضل المعروف بابن القطب ان يوليه

كتابة

كتابة السر بدمشق وكان السلطان لا يمنع تنكز شيأ يسأله فخلع عليه وأقره فى ذلك عوضا عن جمال الدين عبد الله ابن الاثير فأخذ شهاب الدين ينقصه عند السلطان بانه نصرانى الاصل وليس من أهل صناعة الانشاء ونحو ذلك والسلطان مغض عنه غير ملتفت الى ما يرمى به رعاية لتنكز فلما كتب توقيع ابن القطب أراد تكثير الالقاب والزيادة له فى المعلوم فامتنع شهاب الدين من كتابة ذلك وكان حاد المزاج قوى النفس شرس الاخلاق ففاجأ السلطان بغلظة ومخاشنة فى القول وكان من كلامه كيف تعمل قبطيا أسلميا كاتب السر وتزيد فى معلومه وبالغ فى الجراءة حتى قال ما يفلح من يخدمك وخدمتك على حرام ونهض قائما الشدة حنقه وكان هذا منه بحضرة الامراء فغضبوا لذلك وهموا بضرب عنقه فأغضى السلطان عنه و بلغ محيي الدين ما كان من ابنه فبادر الى السلطان وقبل الارض واعترف بخطأ ابنه واعتذر عن تأخره بثقل سمعه فرسم له أن يكون ابنه علاء الدين على يدخل و يقرأ البريد فاعتذر بأنه صغير لا يقوم بالوظيفة فقال السلطان انا اربيه مثل ما اعرف فصار يخلف أباه كما كان شهاب الدين وانقطع شهاب الدين فى منزله مدة سنين الى ان مات أبوه محيي الدين فى يوم الاربعاء تاسع شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة بالقاهرة عن ثلاث وتسعين سنة وهو ممتع بحواسه فدفن ظاهر القاهرة ثم نقل الى تربتهم من سفح قاسيون بدمشق وكان صدرا معظما رزينا كامل السودد حركا كاتبا بارعا دبر الاقاليم بكفايته وحسن سياسته ووفور عقله وامانته وشدة تحرزه وله النظم والنثر البديع الرايق فمن شعره

تضاحكنى ليلى فأحسب ثغرها * سنا البرق لكن اين منه سنا البرق
وأخفت نجوم الصبح حين تبسمت * فقمت بفرعيها اشد على الشرق
وقلت سواء جنح ليل وشعرها * ولم ادر أن الصبح من جهة الفرق

*(علاء الدين) * على بن يحيى بن فضل الله العمرى استقل بوظيفة كتابة السر قبل موت أبيه محيي الدين وخلع عليه يوم الاثنين رابع شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وله من العمر أربع وعشرون سنة فخرج وفى خدمته الحاجب والدوادار وتقدم أمر السلطان للموقعين بامتثال ما يأمرهم به عن السلطان فشق ذلك على أخيه شهاب الدين وحسده وربما قيل انه سمه فكان يعتريه دم منه الى ان مات ثم انه كتب قصة يسأل فيها السفر الى الشام وشكا كثرة الكلفة وكان قبل ذلك جرى ذكره فى مجلس السلطان فذمه وتهدده فعند ما قرئت عليه قصته تحرك ما كان ساكنا من غضبه ورسم بايقاع الحوطة عليه فحمل من داره الى قاعة الصاحب من قلعة الجبل فى رابع عشرى شعبان سنة تسع وثلاثين وخرج اليه الامير طاجار الدوادار وأمر به فعرى من ثيابه ليضرب بالمقارع فرفق به ولم يضرب به واستكتبه خطه بحمل عشرة آلاف فأحيط بداره واخرج سائر ما وجد له وبيع عليه وارسل مملوكه الى بلاد الشام فباع كل ماله فيها واقترض خمسين ألف درهم حتى حمل من ذلك كله مائة وأربعين ألف درهم عنها سبعة آلاف دينار فسكن أمره وخف الطلب عنه وأقام الى ثالث عشر ربيع الآخر سنة أربعين مدة سبعة أشهر وثمانية عشر يوما ففرج الله عنه بأمر عجيب وهو أنه لما كان يباشر عن أبيه وقع شخص من الكتاب بشئ زور فرسم السلطان بقطع يده فلم يزل شهاب الدين يتلطف فى أمره حتى عفا السلطان عنه من قطع يده وأمر به فسجن طول هذه السنين الى ان قدر الله سبحانه انه رفع قصة يسأل فيها العفو عنه فلما قرئت على السلطان لم يعرفه فسأل عن خبره وشأنه فقيل له لا يعرف خبر هذا الا شهاب الدين بن فضل الله فبعث اليه بقاعة الصاحب يستخبره عنه فطالعه بقصته وما كان منه فألان الله له قلب السلطان ورسم بالافراج عن الرجل وعن شهاب الدين وعن مملوكه ففرج الله عن الثلاثة ونزل شهاب الدين الى داره وأقام الى ان قبض السلطان على الامير تنكز نائب الشام فاستدعى شهاب الدين الى حضرته وحلفه وولاه كتابة السر بدمشق عوضا عن شرف الدين خالد بن عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن خالد بن نصر المخزومى المعروف بابن القيسرانى فباشرها حتى مات بدمشق وانفرد أخوه علاء الدين بكتابة السر الى ان مات ليلة الجمعة التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع وستين وسبعمائة بمنزله من القاهرة عن سبع وخمسين سنة وترك ستة بنين وأربع بنات

*(بدر الدين) محمد بن على بن يحيى بن فضل الله ولاه الملك الاشرف شعبان بن حسين كتابة السر وأبوه فى مرض موته يوم الخميس ثامن عشرى شهر رمضان سنة تسع وستين وسبعمائة وله من العمر تسع عشرة سنة وجعل أخاه عز الدين حمزة نائبا عنه فباشر الى شوال سنة أربع وثمانين وسبعمائة فصرف بأوحد الدين عبد الواحد

ابن اسماعيل بن يس ولزم داره فلم يره أحد ألبتة الى ان مات اوحد الدين فنزل اليه الامير يونس الدوادار واستدعاه فركب بثياب جلوسه من غير خف ولا فرجية ولا شاش وصعد الى القلعة فخلع عليه فى اليوم الرابع من ذى الحجه سنة ست وثمانين فلما ثار الامير يلبغا الناصرى على الملك الظاهر وخلعه من الملك وأقام الملك الصالح حاجى بن الاشرف شعبان بن حسين ولقبه بالملك المنصور ثم خرج الملك الظاهر برقوق من محبسه بالكرك وسار الى محاربة الامير تمربغا منطاش ومعه المنصور حاجى فخرج ابن فضل الله فلما انهزم منطاش على شقحب واستولى برقوق على المنصور والخليفة والقضاة والخزائن وكان ابن فضل الله وأخوه عز الدين فى من فر مع منطاش الى دمشق فأقام بها واستولى برقوق على تخت الملك بقلعة الجبل فولى علاء الدين على بن عيسى الكركى كتابة السر وأخذ ابن فضل الله يتحيل فى الخروج من دمشق وسير الى السلطان مطالعة فيها من شعره

* يقبل الارض عبد بعد خدمتكم * قد مسه ضرر ما مثله ضرر *
* حصر وحبس و ترسيم اقام به * وفرقة الاهل والاولاد والفكر *
* لكنه والورى مستبشرون بكم * يرجو بكم فرجا يأتى و ينتظر *
والشغل يقضى لان الناس قد ندموا * اذ عاينوا الجور من منطاش ينتشر
* جورا كما فرطوا فى حقكم ورأوا * ظلما عظيما به الاكباد تنفطر *
* والله ان جاءهم من بابكم أحد * قاموا لكم معه بالروح وانتصروا
* الله ينصركم طول المدا أبدا * يامن زمانهم من دهرنا غرر *

قدم الى القاهرة ومعه أخوه عز الدين حمزة وجمال الدين محمود القيصرى ناظر الجيش وتاج الدين عبد الرحيم ابن أبى شاكر وشمس الدين محمد بن الصاحب فما زال فى داره الى ان سافر الملك الظاهر الى بلاد الشام فى سنة ثلاث وتسعين فتقدم أمره اليه بالمسير مع العسكر فسار بطالا وقدر الله تعالى ضعف علاء الدين الكركى فولاه كتابة السر وصرف الكركى فى شوال وكانت هذه ولاية ثالثة فباشر وتمكن هذه المرة من سلطانه تمكنا زائدا الى ان سافر السلطان الى البلاد الشامية فى سنة ست وتسعين فمات بدمشق يوم الثلاثا لعشرين من شوال سنة ست وتسعين وسبعمائة ودفن بتربتهم بسفح قاسيون ومات اخوه حمزة بدمشق ايضا فى اوائل المحرم سنة سبع وتسعين وسبعمائة ودفن بها وانقطع بموتهما هذا البيت فلم يبق من بعدهما الا كما قال الله سبحانه فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا * ومن شعر البدر محمد بن فضل الله ما كتبه عنوانا لكتاب الملك الظاهر برقوق جوابا عن كتاب تمرلنك الوارد الى مصر فى سنة ست وتسعين وسبعمائة وعنوانه

سلام واهداء السلام من البعد * دليل على حفظ المودة والعهد

فافتتح البدر العنوان بقوله

طويل حياة المرء كاليوم فى العد * فخبرته ان لا يزيد على العد
فلا بد من نقص لكل زيادة * لان شديد البطش يقتص للعبد

وكتب فيه من شعره أيضا جوابا عن كثرة تهديد تمرلنك وافتخاره

السيف والرمح والنشاب قد علمت * منا الحروب فسل منها تلبيكا
اذا التقينا تجد هذا مشاهدة * فى الحرب فاثبت فامر الله آتيكا
بخدمة الحرمين الله شرفنا * فضلا وملكنا الامصار تمليكا
وبالجميل وحلو النصر عودنا * خذ التواريخ واقرأها فتنبيكا
والانبياء لنا الركن الشديد وكم * بجاههم من عدو راح مفكوكا
ومن يكن ربه الفتاح ناصره * ممن يخاف وهذا القول يكفيكا

وقال

إذا المرء لم يعرف قبيح خطيئة * ولا الذنب منه مع عظيم بليته
فذلك عين الجهل منه مع الخطا * وسوف يرى عقباه عند منيته
وليس يجازى المرء الا بفعله * وما يرجع الصياد الا بنيته

وهذه

وهذه الدار كانت موجودة قبل بنى فضل الله وتعرف بدار بيبرس فعمر فيها محيي الدين وابنه علاء الدين وكانت من ابهج دور القاهرة واعظمها ومازالت بيد أولاد بدر الدين وأخيه عز الدين حمزة الى ان تغلب الامير جمال الدين على أموال الخلق فأخذ ابن أخيه الامير شهاب الدين أحمد الحاجب المعروف بسيدى أحمد بن أخت جمال الدين دار بنى فضل الله منهم كما أخذ خاله دور الناس وأوقافهم وعوض أولاد ابن فضل الله عنها وغير كثيرا من معالمها وشرع فى الازدياد من العمارة اقتداء بخاله فأخذ دورا كانت بجوار مستوقد حمام ابن عبود المقابلة لدار ابن فضل الله واغتصب لها الرخام والاحجار والاخشاب وهدم عدة دور وكثيرا من الترب بالقرافة منها تربة الشيخ عز الدين بن عبد السلام وكانت عجيبة البناء وأدخل ذلك فى عمارته المذكورة ووسع فيها من جهة البندقانيين ما كان خرابا منذ الحريق الذى تقدم ذكره وأنشا من هناك حوض ماء يشرب منه الدواب فلما قارب اكمالها قبض الملك الناصر فرج على خاله جمال الدين يوسف استادار وقتله وكان أحمد هذا ممن قبض عليه معه فوضع الامير تغرى بردى وهو يومئذ اجل امراء الناصر يده على هذه الدار ومارضى باخذها حتى طلب كتابها فاذا به قد تضمن ان احمد قد وقف هذه الدار فلم يزل بقضاة العصر حتى حكموا له بهذه الدار وجعلوها له بطريق من طرقهم فأقام فيها حتى اخرجه الناصر لنيابة دمشق فى سنة ثلاث عشرة وسبعمائة فنزل بها الامير دمرداش بارث ابنة جمال الدين وهى امرأة أحمد المذكور ولها منه أولاد وأرادت استرجاع الدار كما فعلت فى مدرسة أبيها وكان لها ولورثة تغرى بردى مخاصمات واستقرت لبنى تغرى بردى * (دار بيبرس) هذه الدار فيما بين دار ابن فضل الله والسبع قاعات فى ظهر حارة زويلة وقريبة من سويقة المسعودى تشبه ان تكون من جملة اصطبل الجميزة كانت دار الشريف بن تغلب صاحب المدرسة الشريفية برأس حارة الجودرية ثم عرفت بالامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير فانه كان يسكنها وهو أمير قبل ان يلى السلطنة وجدد رخامها من الرخام الذى دل عليه الامير ناصر الدين محمد بن الامير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح بالقصر الذى عرف بقصر أمير سلاح من جملة قصر الخلفاء كما سيأتى خبر ذلك عند ذكر الخانقاة الركنية بيبرس فان بيبرس هذا هو الذى انشأها ولم تزل الى ان هدمها ناصر الدين محمد بن البارزى الحموى كاتب السر بعد ما اشتراها نقضا كما اشترى غيرها من الاوقاف وذلك فى سنة احدى وعشرين وثمانمائة * (السبع قاعات) هذه الدار عرفت بالسبع قاعات وهى يتوصل اليها من جوار دار بيبرس المذكورة ومن سويقة الصاحب وقد صارت عدة مساكن جليلة ومكانها من جملة اصطبل الجميزة انشاها الوزير الصاحب علم الدين بن زنبور ووقفها من جملة ما وقف فلما قبض عليه الامير صرغتمش فى حل اوقافه ووعد بالسبع قاعات خوند قطلوبنك ابنة الامير تنكز الحسامى نائب الشام أم السلطان الملك الصالح صالح بن الناصر محمد بن قلاوون ولقنه الشريفان شرف الدين على بن حسين بن محمد نقيب الاشراف وابو العباس الصفراوى ان الناصر لما قبض على كريم الدين الكبير بعث الى كريم الدين من شهد عليه ان جميع ما صار بيده من الاملاك وقفها وطلقها انما هو من مال السلطان دون ماله وشهد بذلك عند قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة فأثبت بهذه الشهادة ان املاك كريم الدين جارية فى املاك السلطان فأقر السلطان ما وقفه كريم الدين منها على حاله وسماه الوقف الناصرى فلما جلس السلطان الملك الصالح بدار العدل وحضر قاضى القضاة والامراء وغيرهم من أهل الدولة على العادة تكلم الامير صرغتمش مع قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن بدر الدين محمد بن جماعة فى حل اوقاف ابن زنبور فانها ملك السلطان ومن ماله اشتراها وذكر قضية كريم الدين فأجابه بأن تلك القضية كانت صحتها مشهورة وذلك ان خزائن السلطان وحواصله وأمواله كلها كانت بيد كريم الدين وفى داره يتصرف فيها على ما يختاره جعل له السلطان بتوكيله والاذن له فى التصرف بخلاف ابن زنبور فانه كان يتصرف فى ماله الذى اكتسبه من المتجر وغيره فما وقفه وثبت وقفه وحكم قضاة الاسلام بصحته لا سبيل الى حله وساعده فى ذلك القاضى موفق الدين عبد الله الحنبلى وتردد الكلام بينهما فى ذلك فاحتج عليهما الامير صرغتمش بما لقناه الشريفان من مشاطرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عماله وأخذه من كل عامل نصف ماله وان مال الوزير جميعه من مال السلطان فقال له ابن جماعة يا أمير ان كنت تبحث معنا فى هذه المسئلة بحثنا معك وان كان أحد قد ذكرها لك فليحضر حتى نبحث معه فيها فان الذى ذكر لك هذه المسئلة انما قصد ان تصادر الناس وتاخذ أموالهم فوافقه رفقته الثلاثة قضاة على قوله وأراد ابن جماعة بقوله هذا التعريض بالشريفين

وكان اختصاصهما بالامير صرغتمش وقيامهما على ابن زنبور مشهورا فشق هذا على الامير صرغتمش وانفض
المجلس وقد اشتد حنقه لما رد عليه من كلامه وعورض فيه من مراده فبعثت خوندام السلطان الى ابن جماعة
تعرفه ماوعدت به من مصير السبع قاعات اليها واكدت عليه فى ان لا يعارضها فى حل أوقاف ابن زنبور فأجابها
بتقبيح هذا وخوفها سوء عاقبته فكفت عنه واقوة غيظ الامير صرغتمش مرض مرضا شديدا من انفتاح صدره
ونفثه الدم حتى خيف عليه الموت ثم عوفى بعد ذلك بأيام وذلك كله فى سنة أربع وخمسين وسبعمائة واستمرت
السبع قاعات وقفا بيد ذريه ابن زنبور الى يومنا هذا الا ان الامير صرغتمش المذكور أخذ رخامها ووجد فيها اشيأ
كثيرا من صينى ونحاس وقماش وغير ذلك قد اخفى فى زواياها * (علم الدين) عبد الله بن تاج الدين أحمد بن
ابراهيم المعروف بابن زنبور واول ما باشر به استيفاء الوجه القبلى شريكا لوهب بن سنجر وطلع صحبته الامير علم الدين
عبد الرزاق كاشف الوجه القبلى ونهض فيه فلما كانت مصادرة ابن الجيعان كاتب الاصطبل طلب السلطان
سائر الكتاب وكان منهم ابن زنبور فعرضهم ليختار منهم فشكر الفخر ناظر الجيش منه وقال هو ولد تاج الدين رفيقه
وشكره الاكوز فلما انفض المجلس طلبه وخلع عليه فباشر نظر الاصطبل فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ونال فيه
سعادة طائلة واستمر الى ان مات السلطان الملك الناصر محمد وحكم الامير ايدغمش فباشر استيفاء الصحبة فلما قبض
على جمال الكفاة ناظر الخاص وناظر الجيش وعلى الموفق ناظر الدولة وعلى الصفى ناظر البيوت المعروف بكاتب
قوصون فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة ومات جمال الكفاة فى العقوبة يوم الاحد سادس شهر ربيع الاول عين
ابن زنبور لوظيفة نظر الخاص ثم قرر فيها القاضى موفق الدين هبة الله بن ابراهيم ناظر الدولة وكان ابن زنبور وهو
مستوفى الصحبة قد سيره جمال الكفاة قبل القبض عليه لكشف القلاع الشامية ومعه جاراكتمر الحاجب ابعاداله
وكان الامير ارغون العلائى يعنى به فلما قبض على جمال الكفاة تحدث له العلائى مع السلطان الملك الصالح
اسماعيل بن محمد بن قلاوون فى نظر الخاص فبعث فى طلبه ثم لم يحضر الا بعد شهر فتحدث الوزير نجم الدين محمود بن
على المعروف بوزير بغداد مع السلطان فى ولاية الموفق نظر الخاص فخلع عليه وحضر ابن زنبور من الشام فباشر
نظر الدولة علم الدين بن سهلوك وابن زنبور على ما هى عادته فى استيفاء الصحبة ونهض فى المباشرة وحصل الاموال
ودخل هو والوزير نجم الدين وشكيا توقف الدولة من كثرة الانعامات والاطلاقات للخدم والجوارى ومن يلوذ
بهم فتقرر الحال مع الامراء على كتابة اوراق بكلفة الدولة فلما قرئت بحضر من الامراء بلغت الكلف ثلاثين ألف
ألف درهم والمتحصل خمسة عشر الف درهم فأبطل ما استجد بعد موت الملك الناصر بأمره فلم يستمر غير شهر واحد
حتى عاد الامر على ما كان عليه بحيث بلغ مصروف الحوائج خاناه فى كل يوم اثنين وعشرين ألف درهم بعد
ما كانت فى أيام الناصر محمد ثلاثة عشر ألف درهم فلما مات الملك الصالح اسماعيل وأقيم فى الملك من بعده أخوه
الملك الكامل سيف الدين شعبان بن محمد صرف الموفق عن نظر الخاص ونقل ابن زنبور من استيفاء الصحبة اليها
واستقر فخر الدين السعيد فى استيفاء الصحبة وذلك فى ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة فباشر
ذلك الى اخريات رجب نيفا وثمانين يوما فولى الملك الكامل نظر الخاص لفخر الدين ابن السعيد مستوفى الدولة
وأعاد ابن زنبور من نظر الخاص الى استيفاء الدولة فلما كان فى المحرم سنة سبع وأربعين اعيد نجم الدين وزير
بغداد الى الوزارة وقرر ابن زنبور فى نظر الدولة فاستمر الى ان قتل الكامل شعبان وأقيم فى الملك من بعده أخوه
الملك المظفر حاجى فى مستهل جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين فطلب ابن زنبور وأعيد الى نظر الخاص
وقبض على فخر الدين بن السعيد وطواب بالحمل وأضيف اليه نظر الجيش فباشر ذلك الى سنة احدى وخمسين
فاضيف اليه الوزارة فى يوم الخميس سابع عشرى ذى القعدة وخلع عليه وكان له يوم عظيم جدا فلما كان يوم
السبت جلس بشباك قاعة الصاحب من القلعة فى دست الوزارة واستدعى جميع المباشرين وطلب المقدم
ابن يوسف وشد بوسطه على ما كان عليه وطلب العاملين وسلفهم على اللحم وغيره واستكتب المباشرين انه لم يكن
فى بيت المال ولا الاهراء من الدراهم والغلال شئ البتة ودخل بها وقرأها على السلطان والامراء وشرع فى عرض
ارباب الوظائف كلهم وطلب حساب الاقاليم بأسرها وولى صهره فخر الدين ماجد قرويتة نظر البيوت وأنفق
جامكية شهر وحمل الرواتب الى الدور السلطانية والاسمطة من السكر والزيت والقلوبات وغير ذلك واقام بكتمر
المومنى فى وظيفة شد الدواوين وألزم نفسه فى المجلس السلطانى بحضرة الامراء انه يباشر الوزارة بغير معلوم وقرر

ابنه

ابنه فى ديوان المماليك والتزم انه لا يتناول معلوما بل يوفر المعلومين للسلطان وابطل رمى الشعير والبرسيم من بلاد
مصر وكان يحصل برميها ضرر كبير فان ذلك كان يحصل من سائر البلاد فيغرم على كل اردب اكثر من ثمنه والتزم
بتكفية بيت المال من الشعير والبرسيم بغير ذلك فبطل على يديه وكتب به مرسوم وكتب نقشا على حجر فى جانب
باب القلة من قلعة الجبل وأمر بقياس أراضى الجيزة فجاء زيادتها عن الارتفاع الذى مضى ثلثمائة ألف درهم
وعنها خمسة عشر ألف دينار فلم يزل الى سابع عشرى شوّال سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة فاحيط به وقبض
عليه حسد اله على ما صار اليه ولم يجتمع لغيره فى الدولة التركية وتولى القيام عليه الامير صرغتمش لانه علم انه من
جهة الامير شيخو ويقوم له بجميع ما يختاره وأعانه عليه الامير طاز ومازال يدأب فى ذلك الى ان عاد السلطان
الملك الصالح من دمشق فى يوم الاثنين خامس عشرى شوّال سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة الى قلعة الجبل وعمل
يوم الخميس سماطا مهما فى القلعة ولما انفض السماط خلع على سائر أرباب الوظائف من الامراء وعلى الوزير وسائر
المباشرين فاتفق لما قدّره الله تعالى انه حضر الى الامير صرغتمش وهو يومئذ رأس نوبة عشرتشريف غير تشريفه
ودون رتبته فأخذه ودخل الى الامير شيخو وألقى البقجة قدّامه وقال انظر فعل الوزير معى وكشف الخلعة فقال
شيخو هذا غلط فقام وقد أخذه من الغضب شبه الجنون وقال هذا شغل الوزير وأنا ما اصبر على أن اهان لهذا
الحدّ ولا بدّ لى من القبض عليه ومهما شئت أنت افعل بى وخرج فاذا الوزير داخل لشيخو وعليه خلعة فصاح
فى مماليكه خذوه فكشفوا الخلعة عنه وسحبوه الى بيت صرغتمش وسرّح مماليكه فى القبض على جميع حاشية
الوزير فقبض على سائر من يلوذ به لانهم كانوا قد اجتمعوا بالقلعة وخالطت العامّة المماليك فى القبض على الكتّاب
وأخذوا منهم فى ذلك اليوم شيأ كثيرا حتى ان بعض الغلمان صار اليه فى ذلك اليوم ستة عشر دواة من دوى
الكتّاب فلم يمكن منها اربابها الا بمال يأخذه على كل دواة ما بين عشرين الى خمسين درهما وأمّا ما سلبوه
من العمائم والثياب والمهاميز الفضة فشئ كثير وخرج الامير قشتمر الحاجب وغيره فى جماعة الى دوره التى
بالصوصة من مصر فأوقعوا الحوطة على حريمه وأولاده وختموا سائر بيوته وبيوت حواشيه وكانوا قد اجتمعوا
وتزينوا القدوم رجالهم من السفر وأنزل الوزير فى مكان مظلم من بيت صرغتمش فلما اصبح طلب ولد الوزير وصاربه
صرغتمش الى بيت ابيه واحضر أمّه ليعاقبه وهى تنظره حتى يدلوه على المال ففتحوا له خزانة وجدفيها خمسة
عشر ألف دينار وخمسين ألف درهم فضة واخرج من بئر صندوق فيه ستة آلاف دينار وشئ من المصالح
وحضرت احماله من السفر فوجد فيها ستة آلاف دينار ومائة وخمسون ألف درهم فضة وغير ذلك من تحف
وثياب واصناف وألزم والى مصر باحضار بناته فنودى عليهنّ فى مصر والقاهرة وهجمت عدّة دور بسببهنّ ونال
الناس من نكاية اعدائهم فى هذه الكائنة كل غرض فانه كان الرجل يتوجه الى أحد من جهة صرغتمش ويرمى
عدوّه بأنّ عنده بعض حواشى ابن زنبور فيؤخذ بمجرّد التهمة ولقى الناس من ذلك بلاء عظيما ثم حمل الى داره
وعرّى ليضرب فدل على مكان استخرج منه نحو من خمسة وستين ألف دينار فضرب بعد ذلك وعرّيت زوجته
وضرب ولده فوجد له شئ كثير الى الغاية قال الصفدىّ خليل بن ايبك الملقب صلاح الدين فى كتاب اعيان
العصر وأمّا ما اخذ منه فى المصادرة فى حال حياته فنقلت من خط الشيخ بدر الدين الحمصىّ فى ورقة بخطه على ما
املاه القاضى شمس الدين محمد البهنسىّ أوانى ذهب وفضة ستون قنطارا جوهر ستون رطلا لؤلؤ أردبان
ذهب مصكوك مائتا ألف وأربعة آلاف دينار ضمن صندوق ستة آلاف حياصة ضمن صناديق زركش ستة
آلاف كلوته ذخائر عدّة قماش بدنه ألفان وستمائة فرجية بسط آلاف صنجة
دراهم خمسون ألف درهم شاشات ثلثمائة شاش دواب عاملة سبعة آلاف حلابة ستة آلاف خيل
وبغال ألف دراهم ثلاثة ارادب معاصر سكر خمسة وعشرون معصرة اقطاعات سبعمائة كل اقطاع
خمسة وعشرون ألف درهم عبيد مائة خدّام ستون جوارى سبعمائة أملاك القيمة عنها ثلاثمائة
ألف دينار مراكب سبعمائة رخام القيمة عنه مائتا ألف درهم نحاس قيمته اربعة آلاف دينار
سروج وبدلات خمسمائة مخازن ومتاجر أربعمائة ألف دينار نطوع سبعة آلاف دواب خمسمائة
بساتين مائتان سواقى ألف واربعمائة وكان فى وقت القبض عليه اشدّ الناس قياما فى افساد صورته
الشريف شرف الدين علىّ بن الحسين نقيب الاشراف والشريف أبو العباس الصفراوى وبدر الدين ناظر

الخاص وامير المؤمنين والصواف واستادار الامير صرغتمش فأول ما فتحوه من ابواب المكايد أن حسنوا لصرغتمش أن يأمره بالاشهاد عليه أن جميع ماله من الاملاك والبساتين والاراضي الوقف والطلق جميعها من مال السلطان دون ماله فصيراليه ابن الصدر عمر وشهود الخزانة فاشهد عليه بذلك ثم كتبوا فتيى فى رجل يدعى الاسلام ويوجد فى بيته كنيسة وصلبان وشخوص من تصاوير النصارى ولحم الخنزير وزوجته نصرانية وقد رضى لها بالكفر وكذلك بناته وجواريه وانه لا يصلى ولا يصوم ونحو ذلك وبالغوا فى تحسين قتله حتى قالوا لصرغتمش والله لو فتحت جزيرة قبرص ما كتب لك اجر من الله بقدر ما يؤجرك الله على ما فعلته مع هذا فأخرج فى باشاوز نجير وضرب فى رحبة قاعة الصاحب من القلعة بالمقارع وتوالت عقوبته واسلم لشاد الدواوين ليعاقبه حتى يموت فقام الامير شيخو فى امره فرده صرغتمش الى داره واكرمه واقام عنده الى سابع عشرى المحرم سنة اربع وخمسين فأخرجه من داره وتسلمه شاد الدواوين وعاقبه عقوبة الموت فى قاعة الصاحب فاتفق ركوب الامير شيخو من داره الى القلعة وابن زنبور يعاقب فغضب من ذلك ووقف ومنع من ضربه وبلغ الخبر صرغتمش فصعد الى القلعة وجرى له مع شيخو عدة مفاوضات كادت تفضى الى فتنة وآل الامر فيها الى تسفير ابن زنبور الى قوص فأخرج من ليلته وكانت مدة شدته ثلاثة اشهر وأقام بمدينة قوص الى أن عرض له مرض اقام به أحد عشر يوما ومات يوم الاحد سابع عشر ذى القعدة سنة اربع وخمسين وسبعمائة وله بالقاهرة السبيل الذى على يسرة من دخل من باب زويلة بجوار خزانة شمائل وقد دخل فى الجامع المؤيدى *(دار الدوادار) هذه الدار فيما بين حارة زويلة واصطبل الجميزة وهى اليوم من جملة خط السبع قاعات عرفت *(دار فتح الله) هذه الدار اليوم بخط سويقة المسعودى كان موضعها زقاقا يعرف بزقاق البناده وفيه باب قاعة انشاها سعد الدين ابراهيم بن عبد الوهاب بن النجيب أبى الفضائل الميمونى أحد مباشرى ديوان الجيش وهى قاعة فى غاية الملاحة من جودة رخام وكثرة دهان وحسن ترتيب ومات الميمونى فى ثانى ذى الحجة سنة خمس وتسعين وسبعمائة فسكنها فتح الله بن معتصم وهو يومئذ رئيس الاطباء فلما ولى كتابة السر شره الى العمارة فأخذ ما فى الزقاق المذكور من الدور شيأ بعد شئ وأخرج منها سكانها وهدمها وابتنى قاعة تجاه قاعة الميمونى وجعل فيها بئرا وفسقية ماء وبنى بها حماما ثم انشأ اصطبلا كبيرا لخيوله ولم يقنع بذلك حتى حمل القضاة على الحكم له باستبدال دار الميمونى وكانت وقفا على اولاد الميمونى ومن بعدهم على الحرمين فعمل له طرق فى جواز الاستبدال بها على ما صار القضاة يعتمدونه منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة فلما تم حكم القضاة له بتملكها غيربابها وزاد فى سعتها وأضاف اليها عدة مواضع مما كان بجوارها وغرس فى جانبها عدة اشجار وزرع كثيرا من الازهار التى حملت اليه من بلاد الشام وبالغ فى تحسين رخام هذه الدار وانشأ دهيشة كبيسة الى الغاية بوسطها فسقية ماء ينخرط اليها الماء من شاذروان عجيب الصنعة بهج الزى وتشرف هذه الدهيشة على هذه الجنينة التى أبدع فيها كل الابداع وركب علو هذه القاعة الاروقة العظيمة وبنى بجوارها عدة مساكن لمماليكه ومسجدا معلقا كان يصلى فيه وراء امام راتب قرره له بمعلوم جار فجاءت هذه الدار من اجل دور القاهرة وابهجها ووقف ذلك كله مع اشياء غيرها على تربته التى انشاها خارج باب البرقية وعلى عدة جهات من البر فلما نكب اكره حتى رجع عن وقف هذه الدار على ما عينه فى كتاب وقفه وجعلها وقفا على اولاد السلطان الملك المؤيد شيخ فلما مات المؤيد عاد ذلك الى وقف فتح الله *(فتح الله) بن معتصم بن نفيس الاسرائيلى الداودى العنانى التبريزى رئيس الاطباء وكاتب السر ولد بتبريز فى سنة تسع وخمسين وسبعمائة وكان قد قدم جده نفيس الى القاهرة فى سنة اربع وخمسين فأسلم وعظم بين الناس ثم قدم فتح الله مع ابيه فنشا بالقاهرة فى كفالة عمه ونظر فى الطب وعاشر الفقهاء واتصل بصحبة بعض الامراء فعرف منه أحد مماليكه وكان يسمى بشيخ فلما تأمر شيخ قربه وانكحه أمة وفوض اليه امر ديوانه ثم مات عمه بديع ابن نفيس فأقره الملك الظاهر برقوق مكانه فى رياسة الاطباء فباشرها مباشرة مشكورة واختص بالملك الظاهر برقوق اختصاصا كبيرا فلما مات بدر الدين محمود الكلستانى قلده وظيفة كتابة السر وخلع عليه فى يوم الاثنين حادى عشر جمادى الاولى سنة احدى وثمانمائة ومات الظاهر وقد جعله أحد أوصيائه فما زال الى اوائل ربيع الاول سنة ثمان وثمانمائة فقبض عليه واستقر بدله فى كتابة السر سعد الدين ابراهيم بن غراب وضرب حتى حمل مالا ثم افرج عنه فلزم داره

الى

الى شهر رمضان فحمل الى دار الوزير فخر الدين ماجد بن غراب وألزم بمال آخر فحمله واطلق فقام الامير جمال الدين يوسف الاستادار فى أمره ومازال بالملك الناصر فرج الى أن اعاده الى كتابة السر فى اوائل ذى الحجة فاستقر فيها وتمكن من اعدائه وأراه الله مصارعهم واتسعت احواله وانفرد بسلطانه وانيط به جل الامور فاصبح عظيم المصر نافذ الامر قائما بتدبير الدولة لايجد أحد من عظماء الدولة بدا من حسن سفارته وابدا للناس دينا وخيرا وتواضعا وحسن وساطة بين الناس وبين السلطان فلما كان من امر الناصر وهزيمته على اللجون ما كان وقع فتح الله مع الخليفة المستعين بالله العباسى ابن محمد المتوكل على الله وعدة من كتاب الدولة فى قبضة الاميرين شيخ ونوروز ومازال عندهما حتى قتل الناصر وأقيم من بعده امير المؤمنين المستعين بالله وهو على حاله من نفوذ الكلمة وتدبير الامور فلما استبد الامير شيخ بمملكة الديار المصرية واعتقل الخليفة وتلقب بالملك المؤيد شيخ فى شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة اقر فتح الله على رتبته ثم قبض عليه يوم الخميس تاسع شوال وعوقب غير مرة واحيط بجميع امواله واسبابه وحواشيه وبيع عليه بعض ما وجد له وحمل ما تحصل منه فبلغ ما ينيف عن اربعين ألف دينار سوى ما أخذ مما لم يبع وهو ما يتجاوز ذلك ومازال فى العقوبة الى أن خنق فى ليلة الاحد خامس عشر شهر ربيع سنة ست عشرة وثمانمائة وحمل من الغد الى تربته فدفن بها وكان رحمه الله من خير أهل زمانه رياضة وديانة وطيب مقال وتأله وتنسك ومحبة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن قيام مع السلطان فى امر الناس وبه كفى الله عن الناس من شر الناصر فرج شيأ كثيرا وقد ذكرته بأبسط من هذا فى كتابى درر العقود الفريدة فى تراجم الاعيان المفيدة وفى كتابى خلاصة التبر فى أخبار كتاب السر * (دار ابن قرقه) هذه الدار من الدور القديمة وهى بخط سويقة المسعودى الى خط بين السورين وقد تغيرت معالمها قال ابن عبد الظاهر دار ابن قرقه هى الآن سكن الامير صارم الدين المسعودى والى القاهرة باول حارة زويلة من جهة باب الخوخة على يسرة السالك الى داخل الحارة وهى معروفة اليوم والى جانبها الحمام المعروفة بابن قرقه أيضا وهذه الدار والحمام انشأهما أبو سعيد بن قرقه الحكيم وباعهما فى حال مصادرته مما خرج عليه فابتاعهما منه علم السعداء ثم سكنها الكامل بن شاور وهما من جهة الخليج انتهى وهذه الدار والحمام قد هدمتا وصار موضع الدار الجامع المعروف بجامع ابن المغربى برأس سويقة الصاحب وما يجاوره من دور ابن أبى شاكر وآخر ما بقى منها شئ هدمه الوزير الصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن الوزير الصاحب فخر الدين عبد الله بن تاج الدين موسى بن أبى شاكر فى رمضان سنة أربع وتسعين وسبعمائة * (وابن قرقه) هذا كان يتولى الاستعمالات بدار الديباج وخزائن السلاح وكان ماهرا فى علم الطب والهندسة ونحو ذلك من علوم الاوائل وقتله الخليفة الحافظ لدين الله من اجل انه دبر السم لابنه حسن بن الحافظ عند ما تشاور الجند وطلبوا من الخليفة قتل ابنه حسن كما تقدم ذكره فلما سكنت الدهماء قبض عليه الخليفة واعتقله بخزانة البنود وقتله فى سنة تسع وعشرين وخمسمائة * (دار خوند) هذه الدار من حقوق حارة زويلة عرفت بالست الجليلة خوند اردوتكين ابنة نوغية السلاح دار الططرى تزوج بها الملك الاشرف خليل بن قلاون ومات عنها فتزوجها من بعده اخوه الملك الناصر محمد بن قلاون وولدت منه ولدين وماتا ثم طلقها ونزلت من القلعة فسكنت هذه الدار وانشأت لها تربة بالقرافة تعرف الآن بتربة الست وجعلت لها عدة اوقاف وكانت من الخير على جانب عظيم لها معروف وصدقات واحسان عميم وماتت ولها ما ينيف على الالف ما بين جارية وخادم اعتقتهم كلهم وخلفت اموالا تخرج عن الحد فى الكثرة وكانت وفاتها فى ليلة السبت ثالث عشرى المحرم سنة اربع وعشرين وسبعمائة ودفنت بتربتها فتقدم امر السلطان للامراء والقضاة لشهود جنازتها وحمل ما تركته من الاموال والجواهر وطلب أخوها جمال الدين خضر بن نوغية وصولح على ارثه منها بمائة وعشرين ألف درهم عنها يومئذ سبعة آلاف دينار ولم تزل هذه الدار الى أن هدمت فأخذها الامير صلاح الدين محمد استادار السلطان ابن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله فى شهر رجب سنة اربع وعشرين وثمانمائة وادخلها فى داره التى انشأها فجاءت من اجل دور القاهرة * (دار الذهب) هذه الدار خارج القاهرة فيما بين باب الخوخة وباب سعادة بناها الافضل أبو القاسم شاهنشاه بن امير الجيوش بدر الجمالى وكان فيما بين باب القنطرة وباب الخوخة منظرة اللؤلؤة التى تقدم ذكرها عند ذكر مناظر الخلفاء ويجاورها من حيز باب الخوخة دار الفلك وبناها فلك الملك

أحد الاستاذين الحاكمية ويلاصقها دار الذهب هذه ويجاور دار الذهب دار الشابورة ودار الذهب عرفت اخيرا بدار الامير بهادر الاعسر شاد الدواوين ثم الآن عرفت بدار الامير الوزير المشير الاستادار فخر الدين عبد الغني ابن الامير الوزير الاستادار تاج الدين عبد الرزاق بن أبي الفرج الارمني الاصل وعني بها وهدم كثيرا من الدور التي كانت تجاهها على بر الخليج الشرقي وانشأ هنالك دارا يتطرق اليها من هذه الدار بساباط وأنشأ بجوارها جامعه الآتي ذكره وحمامه ثم هدم كثيرا من الدور التي كانت على الخليج وما وراءها بتلك الاحكار التي في الجانب الغربي من الخليج وغرس في اراضي تلك الدور الاشجار وجعلها بستانا تجاه داره فمات قبل أن تكمل وصار اكثر مواضع الدور التي خربها هنالك كيمانا * (دار الحاجب) خارج باب النصر تجاه مصلى الاموات هذه الدار أنشأها الامير سيف الدين كهرداش المنصوري أحد المماليك الزراقين وهو الذي فتح جزيرة ارواد في المراكب المتوجهة الى بلاد الفرنج وتولى عمارة مأذنة المدرسة المنصورية لما تهدمت في الزلزلة وتقدم وكثرت امواله ومات بدمشق في سنة أربع عشرة وسبعمائة فاشترى هذه الدار الامير سيف الدين بكتمر الحاجب ولم تزل بها ذريته من بعد الامير جمال الدين عبد الله بن بكتمر والامير ناصر الدين محمد بن عبد الله وبها الآن ولدا الامير ناصر الدين وهما الامير علي وعبد الرحمن ومابرح هذا البيت فيه الامرة والسعادة * (بكتمر الحاجب) الامير سيف الدين كان امير اخور ثم ولي شد الدواوين بدمشق في نيابة الافرم ولم يكن لاحد معه كلام في عزل ولا ولاية ثم ولي الحجوبية وتوجه الى صفد كاشفا على الامير ناهض الدين عمر بن أبي الخير والي الولاة وشاد الدواوين بها ومعه معين الدين بن حشيش فحرر الكشف ورفعه حتى قال فيه زين الدين عمر بن حلاوات موقع صفد

ياقاصدا صفدا فعد عن بلدة * من جور بكتمر الامير خراب
لاشافع تغني شفاعته ولا * جار له مما جناه جناب
حشر وميزان ونشر صحائف * وجرائد معروضة وحساب
وبها زبانية تحث على الورى * وسلاسل ومقامع وعقاب
مافاتهم من كل ماوعدوا به * في الحشر الا راحم وهاب

ولما قدم الملك الناصر محمد بن قلاون من الكرك الى دمشق ولاه الحجوبية ودخل في خدمته الى مصر وهو حاجب ثم أخرجه ثانيا نائبا الى غزة في سنة عشر وسبعمائة فأقام بها قليلا وطلبه وولاه الوزارة بالديار المصرية عوضا عن الصاحب فخر الدين ابن الخليلي في رمضان سنة عشر فباشر الوزارة الى أن قبض عليه مستهل ربيع الاول سنة خمس عشرة واعتقل مدة سنة ونصف وأخذ كثير من ماله ثم افرج عنه واخرج الى صفد نائبا باقي سنة ست عشرة وأنعم عليه بمائة ألف درهم عنها يومئذ خمسة آلاف دينار فأقام بها عشرة اشهر وطلب الى مصر فصار من الامراء المشهورة فاذا تكلم السلطان في المشورة لا يرد عليه غيره لما عنده من المعرفة والخبرة وتزوج بابنة الامير جمال الدين اقوش المعروف بنائب الكرك وأولاده الذين ذكرناهم منها وسرق له مال كثير من خزانته بهذه الدار ادعى انه مبلغ مائتي ألف درهم وكان في الباطن على ماقيل سبعمائة ألف درهم فما جسر يتفوه خوفا من السلطان وكان اذذاك والي القاهرة الامير سيف الدين قدادار المنسوب اليه القنطرة على الخليج فتقدم امر السلطان اليه بتتبع من سرق المال فدس اليه الامير بكتمر الساقي والوزير مغلطاي الجمالي والقاضي فخر الدين ناظر الجيش في السر أن يتهاون في امر السرقة نكاية لبكتمر وأخذوا يحتجون لكل من اتهم ويقولون للسلطان لعن الله ساعة هذه العملة كل يوم يموت من الناس تحت المقارع عدة والى متى يقتل المتهم الذي لا ذنب له فلما طال الامر شكا بكتمر الى السلطان في دار العدل فأحضر الوالي وسبه السلطان فقال ياخوند اللصوص الذين أمسكتهم وعاقبتهم اقروا أن سيف الدين بخشي خزنداره اتفق معهم على اخذ المال وجماعة من الزامة الذين في بابه فقال السلطان للجمالي الوزير احضر هؤلاء المذكورين وعاقبهم فأخذ بخشي وعصره وكان عزيزا عند بكتمر قد زوجه بابنته وهو يثق بعقله ودينه وأمانته فشق ذلك عليه واغتم غما شديدا مات منه فجاءة فيما بين الظهر الى العصر من يومه سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وكان خبيرا بالامور بصيرا بالحوادث طويل الروح في الكلام لا يمل من تطويله ولو قعد في الحكم الواحد بين الامير واليهودي ثلاثة ايام ولا يلحقه من ذلك سآمة البتة مع معرفة تامة وخبرة بالسياسة لم ير مثله في حق اصحابه لكثرة تذكرهم في غيبتهم والفكر في مصالحهم

وتفقد

وتفقد أحوالهم ومن جفاه منهم عتب عليه وكان سمحا بجاهه بخيلا بماله الى الغاية ساقط الهمة فى ذلك وله متاجر وأملاك وسعادة لا تكاد تنحصر ومع ذلك فله قدور يكريها للمصلاة فى الفول والحمص وغير ذلك من العدد والآلات ويماحك على أجرها مماحكة يستحى من ذكرها وأنشأ عدة دور واقتنى كثيرا من البساتين وولى من بعده ابنه الامير جمال الدين عبد الله الامرة وكان حاجبا ولابيه فى سيرة البخل والحرص الشديد تابعا ومقلدا وتولى امرة الحاج غير مرة وخرج فى سنة ست وثمانين وسبعمائة من القاهرة لولاية كشف الجسور بالغربية فورد عليه كتاب السلطان الملك الظاهر برقوق بالانكار وفيه تهديد مهول فداخله الخوف ومرض فحمل فى محفة الى القاهرة فدخلها يوم الاربعاء النصف من جمادى الاولى من تلك السنة فمات من يومه واخذ أقطاعه الامير يودى وصار ابنه ناصر الدين أحد الامراء العشراوات سالكا طريق ابيه وجده فى الامساك الى أن مات خامس عشرى شهر ربيع الآخر سنة اثنين وثمانمائة ودفن بتربتهم خارج باب النصر *(دار الجاولى) هذه الدار من جملة الحجر التى تقدم ذكرها وهى بجاه الخان المجاور لوكالة قوصون أنشأها الامير علم الدين سنجر الجاولى وجعلها وقفا على المدرسة المعروفة بالجاولية بخط الكبش جوار الجامع الطولونى، وعرفت فى زماننا بقاعة البغاددة لسكنى عبد الصمد الجوهرى البغدادى بها هو وأولاده فى سنة سبع واربعين وسبعمائة الى بعد سنة ست عشرة وثمانمائة وهى من الدور الجليلة الا انها قد تشعثت لطول الزمن *(دار أمير أحمد) هذه الدار بجوار دار الجاولى من غربيها عرفت بأمير أحمد قريب الملك الناصر محمد بن قلاون وعرفت فى زماننا بسكن أبو ذقن ناظر المواريث وهى من جملة ما اغتصبه جمال الدين يوسف الاستادار من الدور الوقف وجعلها لاخيه شمس الدين محمد البيرى قاضى حلب وشيخ الخانقاه البيبرسية فغير بابها وشرع فى عمارتها فقبض عليه عند القبض على أخيه وهو بها *(دار اليوسفى) هذه الدار بجوار باب الجوانية فيما بينها وبين الحوض المعد لشرب الدواب أنشأها هى والحوض الامير سيف الدين بهادر اليوسفى السلاح دار الناصرى *(دار ابن البقرى) هذه الدار أنشأها الوزير الصاحب سعد الدين سعد الله بن البقرى بن اخت القاضى شمس الدين شاكر بن غزيل البقرى صاحب المدرسة البقرية اظهر الاسلام وباشر فى الخدم الديوانية الى أن ولاه الملك الظاهر برقوق وظيفة نظر الديوان المفرد ونظر الخاص عوضا عن الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن مكانس فى ثالث شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة فباشر ذلك الى تاسع شهر رمضان سنة خمس وثمانين فقبض عليه ونزل الامير يونس الدوادار والامير قرقماس الخازندار الى داره هذه وأحاطا بها وأخذ جميع ما فيها من المال والثياب والاوانى والحلى والجوارى وغير ذلك وحمل الى القلعة فبلغ قيمة ما وجد بداره فى هذه النوبة مائتى ألف دينار وسلم ابن البقرى لشاد الدواوين بقاعة الصاحب من القلعة فضرب بالمقارع نيفا وثلاثين شيبا وولى موفق الدين أبو الفرج نظر الخاص ثم ان الملك الظاهر لما عاد الى المملكة بعد ثورة الامير يلبغا الناصرى والامير تمر بغا منطاش عليه وخلعه من الملك وسجنه بالكرك ثم قيامه بأهل الكرك ودخوله الى القاهرة وعوده الى المملكة ولى ابن البقرى الوزارة فى يوم الاثنين سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنين وتسعين وسبعمائة عوضا عن موفق الدين أبى الفرج ثم صرف فى يوم الخميس لعشرين من شهر رمضان وأعيد الوزير أبو الفرج واحيط بدور ابن البقرى وأسلم هو وابنه تاج الدين عبد الله الى الامير ناصر الدين محمد بن اقبغا آص فلما استقر الامير ناصر الدين محمد بن الحسام الصفدى فى الوزارة يوم الثلاثا سابع عشرى ذى الحجة منها عوضا عن الوزير أبى الفرج اشترط على السلطان امورا منها استخدام الوزراء المعزولين فجلس بشباك قاعة الصاحب من القلعة وبعث الى من بالقاهرة من الوزراء المعزولين وهم شمس الدين عبد الله المقسى وعلم الدين عبد الوهاب بن الطنساوى المعروف بسن ابرة وسعد الدين سعد الله بن البقرى وموفق الدين أبو الفرج وفخر الدين عبد الرحمن بن عبد الرزاق ابن ابراهيم بن مكانس فأقر المقسى وسن ابرة معا فى نظر الدولة وأقر ابن البقرى ناظر البيوت ومستوفى الدولة وقرر أبا الفرج فى استيفاء الصحبة وابن مكانس فى استيفاء الدولة شريكا لابن البقرى فكانوا يركبون فى خدمته دائما ويجلسون بين يديه وربما وقف ابن البقرى على قدميه بحضرته بعد أن كان ابن الحسام دواداره ولا يزال قائما بين يديه فعد الناس هذا من اعظم المحن التى لم يشاهد فى الدولة التركية مثلها وهو أن يصير الرجل خادما لمن كان فى خدمته فنعوذ بالله من المحن ثم ان الوزير ابن الحسام قبض على ابن البقرى وألزمه بحمل سبعين ألف

درهم ثم اعيد الى الوزارة بعد القبض على الصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن عبد الله بن موسى بن أبي بكر ابن أبي شاكر في ذي القعدة سنة خمس وتسعين وقبض عليه وعلى ولده في حادي عشري شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين وسلما مع عدة من الكتاب لشاد الدواوين ثم أفرج عنهما على حمل مال فلما ولي الامير ناصر الدين محمد بن رجب بن كلفت الوزارة بعد الوزير أبي الفرج قرر ابن البقري في نظر الدولة عوضا عن بدر الدين الاقفهسي واستخدم بقية الوزراء كما فعل الوزير ابن الحسام فلما خلع السلطان على الامير ناصر الدين محمد بن تنكر وجعله استادار الاملاك في رجب سنة سبع وتسعين قرر ابن البقري ناظر الاملاك وخلع عليه فصار يتحدث في نظر الدولة ونظر الاملاك فلما كان يوم الخميس رابع رجب سنة ثمان وتسعين أعيد الى الوزارة وصرف عنها الامير مبارك شاه ناظر الظاهري واستقر بدر الدين محمد بن محمد الطوخي في نظر الدولة ثم قبض عليه في يوم الخميس رابع ربيع الاول سنة تسع وتسعين واحيط بسائر ما قدر عليه من موجوده وولي الوزارة بعده ابن الطوخي وعوقب عقابا شديدا في دار الامير علاء الدين علي بن الطبلاوي ثم أخرج نهارا وهو عار مكشوف الرأس وبيده حبل يجرّ به وثيابه مضمومة بيده الاخرى والناس تراه من درب قراصيا برحبة باب العيد في السوق الى دار ابن الطبلاوي وقد انتهك بدنه من شدة الضرب فسجن بدار هنالك ثم خنق في ليلة الاثنين رابع جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وسبعمائة وكان أحد كتاب الدنيا الذين انتهت اليهم السيادة في كتابة الرسوم الديوانية مع عفة الفرج وجودة الرأي وحسن التدبير الا انه لم يوت سعدا في وزارته ومابرح يشكب كل قليل وكان يظهر الاسلام ويكتب بخطه كتب الحديث وغيرها ويتهم في باطن الامر بالتشدد في النصرانية وولي ابنه تاج الدين عبد الله الوزارة ونظر الخاص ومات قتيلا تحت العقوبة عند الامير جمال الدين يوسف الاستادار في سنة ثمان وثمانمائة ودار ابن البقري هذه من اعظم دور القاهرة وهي من جملة خط حارة الجوانية في أولها * (دار طولباي) هذه الدار بجوار حمام الاعسر برأس حارة الجوانية تجاه درب الرشيدي أنشاها الامير شمس الدين سنقر الاعسر الوزير ثم عرفت بخوند طولباي الناصرية جهة الملك الناصر * (طلنباي) ويقال دلبية ويقال طلوبية ابنة طغاجي ابن هندر بن بكر بن دوشي خان ابن جنكزخان ذات الستر الرفيع الخاتون كان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون قد جهز الامير ايدغدي الخوارزمي في سنة ست عشرة وسبعمائة يخطب الى أزبك ملك التتار بنتا من الذرية الجنكزية فجمع ازبك امراء التومانات وهم سبعون اميرا وكلمهم الرسول في ذلك فنفروا منه ثم اجتمعوا ثانيا بعد ماوصلت اليهم هدايا هم وأجابوا ثم قالوا الآن هذا لا يكون الا بعد أربع سنين سنة سلام وسنة خطبة وسنة مهاداة وسنة زواج واشتطوا في طلب المهر فرجع السلطان عن الخطبة ثم توجه سيف الدين طوخي بهدية وخلعة لأزبك فلبسها وقال لطوخي قد جهزت لاخي الملك الناصر ما كان طلب وعينت له بنتا من بيت جنكزخان من نسل الملك باطرخان فقال طوخي لم يرسلني السلطان في هذا فقال ازبك انا أرسلها اليه من جهتي وامر طوخي بحمل مهرها فاعتذر بعدم المال فقال نحن نقترض من التجار فاقترض عشرين ألف دينار وحملها ثم قال لابد من عمل فرح تجتمع فيه الخواتين فاقترض مالا آخر نحو سبعة آلاف دينار وعمل الفرح وجهزت الخاتون طلنباي ومعها جماعة من الرسل وهم بابنجار من كبار المغل وطقبغا ومنعوش وطرجي وعثمان وبكتمر وقرطبا والشيخ برهان الدين امام الملك أزبك وقاضي حراي فساروا في زمن الخريف وأقلعوا فلم يجدوا ريحا تسيرهم فأقاموا في بر الروم على مينا ابن مشتا خمسة اشهر وقام بخدمتهم هو والاشكري ملك قسطنطينية وأنفق عليهم الاشكري ستين ألف دينار فوصلوا الى الاسكندرية في شهر ربيع الاول سنة عشرين وسبعمائة فلما طلعت الخاتون من المراكب حملت في خركاة من الذهب على العجل وجرّها المماليك الى دار السلطنة بالاسكندرية وبعث السلطان الى خدمتها عدة من الحجاب وثماني عشرة من الحرم ونزلت في الحراقة فوصلت الى القلعة يوم الاثنين خامس عشري ربيع الاول المذكور وفرش لها بالمناظر في الميدان دهليز أطلس معدني ومد لهم سماط وفي يوم الخميس ثاني عشريه أحضر السلطان رسل ازبك ووصل رسل ملك الكرج ورسل الاشكري بتقادمهم ثم بعث الى الميدان الامير سيف الدين ارغون النائب والامير بكتمر الساقي والقاضي كريم الدين ناظر الخاص فمشوا في خدمة الخاتون الى القلعة وهي في عز ثم عقد عليها يوم الاثنين سادس ربيع الآخر على ثلاثين ألف دينار حالة العجل منها عشرون ألفا وعقد العقد قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة وقبل عن السلطان

النائب

النائب أرغون وبنى عليها واعاد الرسل بعد أن شملهم من الانعام ما اربى على املهم ومعهم هدية جليلة فساروا
في شعبان وتأخر قاضي حراي حتى حج وعاد في سنة احدى وعشرين وماتت في رابع عشري ربيع الآخر سنة
خمس وستين وسبعمائة ودفنت بتربتها خارج باب البرقية بجوار تربة خوند طغاي أم انوك * (دار حارس
الطير) هذه الدار بداخل درب قراصيا بخط رحبة باب العيد عرفت بالامير سيف الدين سنبغا حارس الطير
ترقى في الخدم الى أن صار نائب السلطنة بديار مصر في ايام السلطان حسن بن محمد بن قلاوون بعد بلبغا روس
ثم عزل بالامير قبلاي وجهز الى نيابة غزة فأقام بها اشهرا وقبض عليه وحضر مقيدا الى الاسكندرية في شعبان سنة
اثنين وخمسين وسبعمائة فسجن بها مدة ثم أخرج الى القدس فأقام بطالا مدة ثم نقل الى نيابة غزة في شعبان سنة
ست وخمسين وسبعمائة * (الدار القردمية) هذه الدار خارج باب زويلة بخط المواز بين من الشارع
المسلوك فيه الى رأس المنجبية بناها الامير الجاي الناصري مملوك السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان من
أمره أنه ترقى في الخدم السلطانية حتى صار دوادار السلطان بغير امرة رفيقا للامير بهاء الدين ارسلان الدوادار
فلما مات بهاء الدين استقر مكانه بأمرة عشرة مدة ثلاث سنين ثم أعطى امرة طبلخاناه وكان فقيها حنفيا
يكتب الخط المليح ونسخ بخطه القرآن الكريم في ربعة وكان عفيفا عن الفواحش حليما لا يكاد يغضب مكبا على
الاشتغال بالعلم محبا لاقتناء الكتب مواظبا على مجالسة اهل العلم وبالغ في اتقان عمارة هذه الدار بحيث أنه انفق
على بوابتها خاصة مائة ألف درهم فضة عنها يومئذ نحو الخمسة آلاف مثقال من الذهب فلما تم بناؤها لم يمتع بها
غير قليل ومرض فمات في اوائل شهر رجب وقيل في رمضان سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة وهو كهل فدفن
بقرافة مصر فسكنها من بعده خوند عائشة خاتون المعروفة بالقردمية ابنة الملك الناصر محمد بن قلاوون زمانا
فعرفت بها وكانت هذه المرأة ممن يضرب بغناها وسعادتها المثل الا انها عمرت طويلا وتصرفت في مالها تصرفا
غير مرضي فتلف في اللهو حتى صارت تعد من جملة المساكين وماتت في الخامس من جمادى الاولى سنة ثمان
وسبعين وسبعمائة ومخدتها من ليف ثم سكن هذه الدار الامير جمال الدين محمود بن علي الاستادار مدة وأنشأ
تجاهها مدرسة * (دار الصالح) هذه الدار بحارة الديلم قريبا من السجن وكانت دار الصالح طلائع بن
رزيك يسكنها وهو أمير قبل أن يلي الوزارة بناها في سنة سبع وأربعين وخمسمائة ومازالت باقية الى أن خربها
الامير الوزير ركن الدين عمر بن محمد بن قايماز في سنة أربع وتسعين وسبعمائة وبناها على ما هي عليه الآن
* (دار بهادر) هذه الدار بالقاهرة جوار المشهد الحسيني في درب جرجي المقابل للابارين المسلوك منه الى دار
الضرب وغيره أنشأها الامير بهادر راس نوبة أحد مماليك الملك المنصور قلاوون واتفق انه كان ممن مالأ الامير
بدر الدين بيدرا على قتل الملك الاشرف خليل بن قلاوون فلما قدر الله بانقضاء أمر بيدرا وقتله واقامة الملك
الناصر محمد بن قلاوون بعد أخيه الاشرف خليل قبض على جماعة ممن وافق على قتل الملك الاشرف خليل
وقد تجمعت المماليك الاشرفية مع الامير علم الدين سنجر الشجاعي وهو يومئذ وزير الديار المصرية في دار النيابة
من قلعة الجبل عند الامير زين الدين كتبغا نائب السلطنة واذا بالامير بهادر المذكور قد حضر هو والامير جمال
الدين أقوش الموصلي الحاجب المعروف بنميلة وكانا قد اختفيا فرقا من سطوة الاشرفية حتى دبر أمرهما النائب
واذن لهما في طلوع القلعة فما هو الا أن ابصرهما الاشرفية سلوا سيوفهم وضربوا رقبتيهما في اسرع وقت
فدهش الحاضرون وما استطاعوا أن يتكلموا خوفا من الاشرفية واتفق في بناء هذه الدار ما فيه عبرة لمن اعتبر
وذلك أن بهادر هذا لما حفر أساسها وجد هنالك قبورا كثيرة فأخرج تلك العظام ورماها فبلغ ذلك قاضي القضاة
تقي الدين ابن دقيق العيد فبعث اليه ينهاه عن نبش القبور ورمي العظام ويخوفه عاقبة ذلك فقال اذا مت يجروا
رجلي ويرموني فقال القاضي لما اعيد عليه هذا الجواب وقد يكون ذلك فقدر الله أنه لما ضربت رقبته ورقبة
اقوش ربط في رجليهما حبل وجرا من دار النيابة بالقلعة الى الجبار بالكيمان نعوذ بالله من سوء عاقبة القضاء
ثم عرفت هذه الدار ببيت الامير جركتمر بن بهادر المذكور وكان خصيصا بالامير قوصون فبعثه لقتل السلطان
الملك المنصور أبي بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون لما نفاه الى مدينة قوص بعد خلعه فتولى قتله فلما قبض
على قوصون قبض على جركتمر في ثاني شعبان سنة اثنين واربعين وسبعمائة وقتل بالاسكندرية هو وقوصون
في ليلة الثلاثاء ثامن عشر شوال تولى قتلهما الامير ابن طشتمر طلبة واحمد بن صبيح وكان جركتمر هذا فيه ادب

وحشمة وأول امره كان من اصحاب الامير بيبرس الجاشنكيرى فقدمه وأعطاه امرة عشرة ثم اتصل بالامير ارغون النائب فأعطاه امرة طبلخاناه وكان يلعب بالاكرة ويجيد فى لعبها الى الغاية ثم عرفت هذه الدار بالامير سيف الدين بهادر المنجكى أستادار الملك الظاهر برقوق لسكنه بها وتجديد عمارتها وأنشأ بجوارها حماما وكانت وفاته يوم الاثنين الثانى من جمادى الآخرة سنة تسعين وسبعمائة وهذه الدار باقية الى اليوم تسكنها الامراء *(دار البقر) هذه الدار خارج القاهرة فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل بالخط الذى يقال له اليوم حدرة البقر كانت دار اللابقار التى برسم السواقى السلطانية ومنشرا للزبل وفيه ساقية ثم ان الملك الناصر محمد بن قلاون أنشأها دارا واصطبلا وغرس بها عدة اشجار وتولى عمارتها القاضى كريم الدين عبد الكريم الكبير فبلغ المصروف على عمارتها ألف ألف درهم وعرفت بالامير طقتمر الدمشقى ثم عرفت بدار الامير طاش تمر حمص اخضر وهذه الدار باقية الى وقتنا هذا ينزلها أمراء الدولة *(قصر بكتمر الساقى) هذا القصر من اعظم مساكن مصر واجلها قدرا وأحسنها بنيانا وموضعه تجاه الكبش على بركة الفيل أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاون لسكن اجل أمراء دولته الامير بكتمر الساقى وأدخل فيه ارض الميدان التى أنشأها الملك العادل كتبغا وقصد أن يأخذ قطعة من بركة الفيل ليتسع بها الاصطبل الذى للامير بكتمر بجوار هذا القصر فبعث الى قاضى القضاة شمس الدين الحريرى الحنفى ليحكم باستبدالها على قاعدة مذهبه فامتنع من ذلك تنزها وتورّعا واجتمع بالسلطان وحدثه فى ذلك فلما رأى كثرة ميل السلطان الى اخذ الارض نهض من المجلس مغضبا وصار الى منزله فأرسل القاضى كريم الدين الكبير ناظر الخواص الى سراج الدين الحنفى عن أمر السلطان وقلده قضاء مصر منفردا عن القاهرة فحكم باستبدال الارض فى غرة رجب سنة سبع عشرة وسبعمائة فلم يلبث سوى مدة شهرين ومات فى أول شهر رمضان فاستدعى السلطان قاضى القضاة شمس الدين الحريرى واعاده الى ولايته وكمل القصر والاصطبل على هيئة قل ما رأت الاعين مثلها بلغت النفقة على العمارة فى كل يوم مبلغ ألف وخمسمائة درهم فضة مع جاه العمل لان العجل التى تحمل الحجارة من عند السلطان والحجارة أيضا من عند السلطان والفعلة فى العمارة اهل السجون المقيدون من الحابيس وقدر لو لم يكن فى هذه العمارة جاه ولا سخرة لكان مصروفها فى كل يوم مبلغ ثلاثة آلاف درهم فضة وأقاموا فى عمارته مدة عشرة اشهر فتجاوزت النفقة على عمارته مبلغ ألف ألف درهم فضة عنها زيادة على خمسين ألف دينار سوى ما حمل وسوى من سخر فى العمل وهو بنحو ذلك فلما تمت عمارته سكنه الامير بكتمر الساقى وكان له فى اصطبله هذا مائة سطل نحاس لمائة سائس كل سائس على ستة أرؤس خيل سوى ما كان له فى الحشارات والنواحى من الخيل وكان من المغرب يغلق باب اصطبله فلا يصير لاحد به حس ولما تزوج انوك بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون بابنة الامير بكتمر الساقى فى سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة خرج شوارها من هذا القصر وكان عدة الحمالين ثمانمائة حمال المساند الزركش على أربعين حمالا عدتها عشرة مساند والمدورات ستة عشر حمالا والكراسى اثنا عشر حمالا وكراسى لطاف أربعة حمالين وفضيات تسعة وعشرون حمالا وسلم الدكك أربعة حمالين والدكك والتخوت الابنوس المفضضة والموشقة مائة واثنين وستين حمالا والنحاس الكفت ثمانية وأربعين حمالا والصينى ثلاثة وثلاثين حمالا والزجاج المذهب اثنى عشر حمالا والنحاس الشامى اثنين وعشرين حمالا والبعلبكى المدهون اثنى عشر حمالا والخونجات والحماقى والزبادى والنحاس تسعة وعشرين حمالا وصناديق الحوائج خاناه ستة حمالين وغير ذلك تتمة العدة والبغال المحملة الفرش واللحف والبسط والصناديق التى فيها المصاغ تسعة وتسعين بغلا قال العلامة صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدى قال لى المهذب الكاتب الزركش والمصاغ ثمانون قنطارا بالمصرى ذهب ولما مات بكتمر هذا صار هذا الوقف من بعده من جملة اوقافه فتولى أمره وأمر سائر اوقافه اولاده حتى انقرض اولاده واولاد أولاده فصار أمر الاوقاف الى ابن ابنته وهو احمد بن محمد بن قرطاى المعروف بأحمد بن بنت بكتمر وهذا القصر فى غاية من الحسن ولا ينزله الا اعيان الامراء الى أن كانت سنة سبع عشرة وثمانمائة وكان العسكر غائبا عن مصر مع الملك المؤيد شيخ فى محاربة الامير نوروز الحافظى بدمشق عمد هذا المذكور الى القصر فاخذ رخامه وشبابيكه وكثيرا من سقوفه وابوابه وغير ذلك وباع الجميع وعمل بدل ذلك الرخام البلاط وبدل الشبابيك الحديد بالخشب وفطن به اعيان الناس فقصدوه واخذوا منه أصنافا عظيمة بثمن وبغير ثمن وهو الآن

قائم البناء يسكنه الامراء *(الدار البيسرية) هذه الدار بخط بين القصرين من القاهرة كانت فى آخر الدولة الفاطمية لما قويت شوكة الفرنج قد أعدّت لمن يجلس فيها من قصاد الفرنج عندما تقرر الامر معهم على ان يكون نصف ما يحصل من مال البلد للفرنج فصار يجلس فى هذه الدار قاصد معتبر عند الفرنج يقبض المال فلما زالت الدولة بالغز ثم زالت دولة بنى أيوب وولى سلطنة مصر الملوك من الترك الى ان كانت أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى شرع الامير ركن الدين بيبرس الشمسى الصالحى النجمى فى عمارتها فى سنة تسع وخمسين وستمائة وتأنق فى عمارتها وبالغ فى كثرة المصروف عليها فأنكر الملك الظاهر ذلك من فعله وقال له يا أمير بدر الدين اى شئ خليت للغزاة والترك فقال صدقات السلطان والله يا خوند ما بنيت هذه الدار الا حتى يصل خبرها الى بلاد العدو ويقال بعض مماليك السلطان عمر دارا غرم عليها مالا عظيما فأعجب من قوله ذلك السلطان وأنعم عليه بألف دينار عينا وعدّ هذا من أعظم انعام السلطان فجاءت هذه الدار باصطبلها وبستانها والحمام بجانبها نحو فدانين ورخامها من ابهج رخام عمل فى القاهرة وأحسنه صنعة فكثر تعجب الناس اذ ذاك من عظمها لما كان فيه أمراء الدولة ورجالها حينئذ من الاقتصاد حتى ان الواحد منهم اذا صار أميرا لا يتغير عن داره التى كان يسكنها وهو من الاجناد وعندما كملت عمارة هذه الدار وقفها وأشهد عليه بوقفها اثنين وتسعين عدلا من جملتهم قاضى القضاة تقى الدين ابن دقيق العيد وقاضى القضاة تقى الدين بن بنت الاعز وقاضى القضاة تقى الدين بن رزين قبل ولايتهم القضاء فى حال تحملهم الشهادة ومازالت بيد ورثة بيسرى الى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة فشرهت نفس الامير قوصون الى أخذها وسأل السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون فى ذلك فأذن له فى التحدث مع ورثة بيسرى فأرسل اليهم ووعدهم ومناهم وأرضاهم حتى أذعنوا له فبعث السلطان الى قاضى القضاة شرف الدين الحرانى الحنبلى يلتمس منه الحكم باستبدالها كما حكم باستبدال بيت قتال السبع وحمامه الذى انشأ جامعه بخط خارج الباب الجديد من الشارع فاجاب الى ذلك ونزل اليها علاء الدين بن هلال الدولة شاد الدواوين ومعه شهود القيمة فقومت بمائة ألف درهم وتسعين ألف درهم نقرة وتكون الغبطة للايتام عشرة آلاف درهم نقرة لتتم الجملة مائتى ألف درهم نقرة وحكم قاضى القضاة شرف الدين الحرانى ببيعها وكان هذا الحكم مما شنع عليه فيه ثم اختلفت الايدى فى الاستيلاء على هذه الدار واقتدى القضاة بعضهم ببعض فى الحكم باستبدالها وآخر ما حكم به من استبدالها فى اعوام بضع وثمانين وسبعمائة فصارت من جملة الاوقاف الظاهرية برقوق وهى الآن بيد ابنته بيرم وكان لها باب بوابته من أعظم ما عمل من البوابات بالقاهرة ويتوصل الى هذه الدار من هذا الباب وهو بجوار حمام بيسرى من شارع بين القصرين وقد بنى تجاه هذا الباب حوانيت حتى خفى وصار يدخل الى هذه الدار من باب آخر بخط الخرشتف *(بيسرى)* الامير شمس الدين الشمسى الصالحى النجمى أحد مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب البحرية تنقل فى الخدم حتى صار من أجل الامراء فى أيام الملك الظاهر بيبرس البندقدارى واشتهر بالشجاعة والكرم وعلو الهمة وكانت له عدة مماليك راتب كل واحد منهم مائة رطل لحم وفيهم من له عليه فى اليوم ستين عليقة لخيله وبلغ عليق خيله وخيل مماليكه فى كل يوم ثلاثة آلاف عليقة سوى علف الجمال وكان ينعم بالالف دينار وبالخمسمائة غير مرة ولما فرق الملك العادل كتبغا المماليك على الامراء بعث اليه بستين مملوكا فأخرج اليهم فى يومهم لكل واحد فرسين وبغلا وشكا اليه استاداره كثرة خرجه وحسن له الاقتصاد فى النفقة فحنق عليه وعزله وأقام غيره وقال لا يرنى وجهه أبدا ولم يعرف عنه انه شرب الماء فى كوز واحد مرتين وانما يشرب كل مرة فى كوز جديد ثم لا يعاود الشرب منه وتنكر عليه الملك المنصور قلاوون فسجنه فى سنة ثمانين وستمائة ومازال فى سجنه الى ان مات الملك المنصور وقام من بعده ابنه الملك الاشرف خليل فأفرج عنه فى سنة اثنين وتسعين وستمائة بعد عوده من دمشق بشفاعة الامير بيدرا والامير سنجر الشجاعى وأمر أن يحمل اليه تشريف كامل ويكتب له منشور بامرة مائة فارس وانه يلبس التشريف من السجن فجهز التشريف وحمل اليه المنشور فى كيس حرير اطلس وعظم فيه تعظيما زائدا وأثنى عليه ثناء جما وسار اليه بيدرا والشجاعى والدوادار والافرم الى السجن ليمشوا فى خدمته الى ان يقف بين يدى السلطان فامتنع من لبس التشريف والتزم بأيمان مغلظة انه لا يدخل على السلطان الا بقيده ولباسه الذى كان عليه فى السجن وتسامعت الامراء وأهل القلعة بخروجه فهرعوا اليه وكان لخروجه نهار عظيم ودخل على السلطان

بقيده فأمر به ففك بين يديه وافيض عليه التشريف فقبل الارض واكرمه السلطان وأمره فنزل الى داره وخرج الناس الى رؤيته وسر بخلاصه فبعث اليه السلطان عشرين فرسا وعشرين اكديشا وعشرين بغلا وأمر جميع الامراء ان يبعثوا اليه فلم يبق أحد حتى سير اليه مايقدر عليه من التحف والسلاح وبعث اليه أميرسلاح ألفي دينار عينا وكانت مدة سجنه احدى عشرة سنة وأشهرا فصار يكتب بعد خروجه من السجن بيسرى الاشرفي بعدما كان يكتب بيسرى الشمسي وما زال الى ان تسلطن الملك المنصور لاجين فأخذ الامير منكوتمر يغريه بالامير بيسرى ويخوفه منه وانه قد تعين للسلطنة فعمله كاشف الجيزة وأمره ان يحضر الخدمة يومى الاثنين والخميس بالقلعة و يجلس رأس الميمنة تحت الطواشي حسام الدين بلال المغيثي لاجل كبره وتقدمه ثم زاد منكوتمر في الاغراء به والسلطنة تستمهله الى ان قبض عليه وسجنه في سنة سبع وتسعين وستمائة واحاط بسائر موجوده وحبس عدة من مماليكه فسر منكوتمر بمسكه سرورا عظيما واستمر في السجن الى أن مات في تاسع عشر شوال سنة ثمان وتسعين وستمائة وعليه ديون كثيرة ودفن بتربته خارج باب النصر رحمه الله تعالى

*(قصر بشتاك) هذا القصر هو الآن تجاه الدار البيسرية وهو من جملة القصر الكبير الشرقي الذى كان مسكنا للخلفاء الفاطميين ويسلك اليه من الباب الذى كان يعرف في أيام عمارة القصر الكبير في زمن الخلفاء بباب البحر وهو يعرف اليوم بباب قصر بشتاك تجاه المدرسة الكاملية ومازال الى ان اشتراه الامير بدر الدين بكتاش الفخرى المعروف بامير سلاح وأنشأ دورا واصطبلات ومساكن له ولحواشيه وصار ينزل اليه هو والامير بدر الدين بيسرى عند انصرافهما من الخدمة السلطانية بقلعة الجبل في موكب عظيم زائد الحشمة ويدخل كل منهما الى داره وكان موضع هذا القصر عدة مساجد فلم يتعرض لهدمها وابقاها على ماهي عليه فلما مات أمير سلاح وأخذ الامير قوصون الدار البيسرية كما تقدم ذكره احب الامير بشتاك ان يكون له أيضا دار بالقاهرة وذلك ان قوصون وبشتاك كانا يتناظران في الامور ويتضادان في سائر الاحوال ويقصد كل منهما ان يسامى الآخر ويزيد عليه في التجمل فأخذ بشتاك يعمل في الاستيلاء على قصر أمير سلاح حتى اشتراه من ورثته فأخذ من السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون قطعة أرض كانت داخل هذا القصر من حقوق بيت المال وهدم دارا كانت قد انشئت هناك عرفت بدار قطوان الساقي وهدم أحد عشر مسجدا وأربعة معابد كانت من آثار الخلفاء يسكنها جماعة الفقراء وادخل ذلك في البناء الا مسجدا منها فانه عمره ويعرف اليوم بمسجد الفجل فجاء هذا القصر من أعظم مبانى القاهرة فان ارتفاعه في الهواء أربعون ذراعا ونزول اساسه في الارض مثل ذلك والماء يجرى بأعلاه وله شبابيك من حديد تشرف على شارع القاهرة وينظر من أعلاه عامة القاهرة والقلعة والنيل والبساتين وهو مشرق جليل مع حسن بنائه وتانق زخرفته والمبالغة في تزويقه وترخيمه وأنشأ أيضا في اسفله حوانيت كان يباع فيها الحلوى وغيرها فصار الامر أخيرا كما كان اولا بتسمية الشارع بين القصرين فانه كان اولا كما تقدم بالقاهرة القصر الكبير الشرقي الذى قصر بشتاك من جملته وتجاهه القصر الغربى الذى الخرشتف من جملته فصار قصر بشتاك وقصر بيسرى وما بينهما من الشارع يقال له بين القصرين ومن لا علم له يظن انما قيل لهذا الشارع بين القصرين لاجل قصر بيسرى وقصر بشتاك وليس هذا بصحيح وانما قيل له بين القصرين قبل ذلك من حين بنيت القاهرة فانه كان بين القصرين القصر الكبير الشرقي والقصر الصغير الغربي وقد تقدم ذلك مشروحا مبينا * ولما اكمل بشتاك بناء هذا القصر والحوانيت التى في أسفله والخان المجاور له في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة لم يبارك له فيه ولا تمتع به وكان اذا نزل اليه ينقبض صدره ولا تنبسط نفسه مادام فيه حتى يخرج منه فترك المجيء اليه فصار يتعاهده احيانا فيعتريه ماتقدم ذكره فكرهه وباعه لزوجة بكتمر الساقي وتداوله ورثتها الى ان أخذه السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فاستقر بيد أولاده الى ان تحكم الامير الوزير المشير جمال الدين الاستادار في مصر اقام من شهد عند قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم الحنفي بأن هذا القصر يضر بالجار والمار وانه مستحق للازالة والهدم كما عمل ذلك في غير موضع بالقاهرة فحكم له باستبداله وصار من جملة املاكه فلما قتله الملك الناصر فرج بن برقوق استولى على سائر ما تركه وجعل هذا القصر فيما عينه للتربة التى انشأها على قبر أبيه الملك الظاهر برقوق خارج باب النصر فاستمر في جملة اوقاف التربة المذكورة الى ان قتل الملك الناصر بدمشق في حرب الامير

شيخ والامير نوروز وقدم الامير شيخ الى مصر هو والخليفة المستعين بالله العباسى ابن محمد وقف له من بقى من أولاد جمال الدين وأقاربه وكان لاهل الدولة يومئذ بهم عناية قاضى القضاة صدر الدين على بن الادمى الحنفى بارتجاع املاك جمال الدين التى وقفها على ما كانت عليه فتسلمها أخوه وصار هذا القصر اليهم وهو الا آن بيدهم * (قصر الحجازية) هذا القصر بخط رحبة باب العيد بجوار المدرسة الحجازية كان يعرف اولا بقصر الزمرذ فى أيام الخلفاء الفاطميين من أجل ان باب القصر الذى كان يعرف بباب الزمرذ كان هنالك كما تقدم ذكره فى هذا الكتاب عند ذكر القصور فلما زالت الدولة الفاطمية صار من جملة ما صار بيد ملوك بنى أيوب واختلفت عليه الايدى الى ان اشتراه الامير بدر الدين أمير مسعود بن خطير الحاجب من أولاد الملوك بنى أيوب واستمر بيده الى ان رسم بتسفيره من مصر الى مدينة غزة واستقر نائب السلطنة بها فى سنة احدى وأربعين وسبعمائة وكاتب الامير سيف الدين قوصون عليه وملكه اياه فشرع فى عمارة سبع قاعات لكل قاعة اصطبل ومنافع ومرافق وكانت مساحة ذلك عشرة افدنة فمات قوصون قبل ان يتم بناء ما أراد من ذلك فصار يعرف بقصر قوصون الى ان اشترته خوند تتر الحجازية ابنة الملك الناصر محمد بن قلاوون وزوج الامير ملكتمر الحجازى فعمرته عمارة ملوكية وتأنقت فيه تأنقا زائدا وأجرت الماء الى أعلاه وعملت تحت القصر اصطبلا كبيرا للخيول خدامها وساحة كبيرة يشرف عليها من شبابيك حديد فجاء شيأ عجيبا حسنه وأنشأت بجواره مدرستها التى تعرف الى اليوم بالمدرسة الحجازية وجعلت هذا القصر من جملة ما هو موقوف عليها فلما ماتت سكنه الامراء بالاجرة الى ان عمر الامير جمال الدين يوسف الاستادار داره المجاورة للمدرسة السابقة وتولى استادارية الملك الناصر فرج صار يجلس برحبة هذا القصر والمقعد الذى كان بها وعمل القصر سجنا يحبس فيه من يعاقبه من الوزراء والاعيان فصار موحشا يروع النفوس ذكره لما قتل فيه من الناس خنقا وتحت العقوبة من بعد ما اقام دهرا وهو مغنى صبابات وملعب اتراب وموطن افراح ودار عز ومنزل لهو ومحل امانى النفوس ولذاتها فلما تحش كاب جمال الدين وشنع شره فى اغتصاب الاوقاف أخذ هذا القصر بشعث شئ من زخارفه وحكم له قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم الحنفى باستبداله كما تقدم الحكم فى نظائره فقلع رخامه فلما قتل صار معطلا مدة وهم الملك الناصر فرج ببنائه رباطا ثم انثنى عزمه عن ذلك فلما عزم على المسير الى محاربة الامير شيخ والامير نوروز فى سنة أربع عشرة وثمانمائة نزل اليه الوزير الصاحب سعد الدين ابراهيم بن البشيرى وقلع شبابيكه الحديد لتعمل آلات حرب وهو الا آن بغير رخام ولا شبابيك قائم على أصوله لا يكاد ينتفع به الا ان الامير المشير بدر الدين حسن بن محمد الاستادار لما سكن فى بيت الامير جمال الدين جعل ساحة هذا القصر اصطبلا لخيوله وصار يحبس فى هذا القصر من يصادره أحيانا * وفى رمضان سنة عشرين وثمانمائة ذكر الامير فخر الدين عبد الغنى ابن أبى الفرج الاستادار ما يجده المسجونون فى السجن المستجد عند باب الفتوح بعد هدم خزانة شمائل من شدة الضيق وكثرة الغم فعين هذا القصر ليكون سجنا لارباب الجرائم وأنعم على جهة وقف جمال الدين بعشرة آلاف درهم فلوسا عن أجرة سنتين فشرعوا فى عمل سجن وأزالوا كثيرا من معالمه ثم ترك على ما بقى فيه ولم يتخذ سجنا *(قصر يلبغا اليحياوى) هذا القصر موضعه الا آن مدرسة السلطان حسن المطلة على الرميلة تحت قلعة الجبل وكان قصرا عظيما أمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ببنائه لسكن الامير يلبغا اليحياوى وان يبنى أيضا قصر يقابله برسم سكنى الامير الطنبغا الماردينى لتزايد رغبته فيهما وعظيم محبته لهما حتى يكونا تجاهه وينظر اليهما من قلعة الجبل فركب بنفسه الى حيث سوق الخيل من الرميلة تحت القلعة وسار الى حمام الملك السعيد وعين اصطبل الامير أيدغمش أمير اخور وكان تجاهها ليعمره هو وما يقابله قصرين متقابلين ويضاف اليه اصطبل الامير طاشتمر الساقى واصطبل الجوق وأمر الامير قوصون ان يشترى ما يجاور اصطبله من الاملاك ويوسع فى اصطبله وجعل أمر هذه العمارة الى الامير اقبغا عبد الواحد فوقع الهدم فيما كان بجوار بيت الامير قوصون وزيد فى الاصطبل وجعل باب هذا الاصطبل من تجاه باب القلعة المعروف بباب السلسلة وأمر السلطان بالنفقة على العمارة من مال السلطان على يد النشو وكان للملك الناصر رغبة كبيرة فى العمارة بحيث انه افرد لها ديوانا وبلغ مصروفها فى كل يوم اثنى عشر ألف درهم نقرة وأقل ما كان يصرف من ديوان العمارة فى اليوم برسم العمارة مبلغ ثمانية آلاف درهم نقرة فلما كثر الاهتمام فى بناء القصرين المذكورين

وعظم الاجتهاد فى عمارتهما وصار السلطان ينزل من القلعة لكشف العمل ويستحث على فراغهما واول ما بدئ به قصر يلبغا اليحياوى فعمل اساسه حضيرة واحدة انصرف عليها وحدها مبلغ أربعمائة ألف درهم نقرة ولم يبق فى القاهرة ومصر صانع له تعلق فى العمارة الا وعمل فيها حتى كمل القصر فجاء فى غاية الحسن وبلغت النفقة عليه مبلغ أربعمائة ألف ألف وستين ألف درهم نقرة منها ثمن لازورد خاصه مائة ألف درهم فلما كملت العمارة نزل السلطان لرؤيتها وحضر يومئذ من عند الامير سيف الدين طرغاى نائب حلب تقدمة من جملتها عشرة ازواج بسط أحدها حرير وعدة اوانى من بلور ونحوه وخيل وبخاتى فأنعم بالجميع على الامير يلبغا اليحياوى وأمر الامير أقبغا عبد الواحد أن ينزل الى هذا القصر ومعه اخوان سلار برفقته وسائر أرباب الوظائف لعمل مهم فبات الشاد وناظر الخاص هنالك لتعبية ما يحتاج اليه من اللحوم والتوابل ونحوها فلما تهيأ ذلك حضر سائر أمراء الدولة من اول النهار وأقاموا بقصر يلبغا اليحياوى فى اكل وشرب ولهو وفى آخر النهار حضرت اليهم التشاريف السلطانية وعدتها أحد عشر تشريفا برسم أرباب الوظائف وهم الامير أقبغا عبد الواحد والاستادار والامير قوصون الساقى والامير بشتاك والامير طقوزدمر أمير مجلس فى آخرين وحضر لبقية الامراء خلع وأقبية على قدر مراتبهم فلبس الجميع التشاريف والخلع والاقبية وركبوا الخيول المحضرة اليهم من الاصطبل السلطانى بسروج وكنابيش ما بين ذهب وفضة بحسب مراتبهم وساروا الى منازلهم وذبح فى هذا المهم ستمائة رأس غنم وأربعون بقرة وعشرون فرسا وعمل فيه ثلثمائة قنطار سكر برسم المشروب فان القوم يومئذ لم يكونوا يتظاهرون بشرب الخمر ولا شئ من المسكرات ألبتة ولا يجسر أحد على عمله فى مهم ألبتة ومازالت هذه الدار باقية الى ان هدمها السلطان الملك الناصر حسن وأنشأ موضعها مدرسته الموجودة الآن * (اصطبل قوصون) هذا الاصطبل بجوار مدرسة السلطان حسن وله بابان باب من الشارع بجوار حدرة البقر وبابه الآخر تجاه باب السلسلة الذى يتوصل منه الى الاصطبل السلطانى وقلعة الجبل انشأه الامير علم الدين سنجر الجمقدار فأخذه منه الامير سيف الدين قوصون وصرف له ثمنه من بيت المال فزاد فيه قوصون اصطبل الامير سنقر الطويل وأمره الملك الناصر محمد بن قلاوون بعمارة هذا الاصطبل فبنى فيه كثيرا وأدخل فيه عدة عمائر ما بين دور واصطبلات فجاء قصرا اعظيما الى الغاية وسكنه الامير قوصون مدة حياة الملك الناصر * فلما مات السلطان وقام من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر عمل عليه قوصون وخلعه وأقام بعده بدله الملك الاشرف كجك بن الملك الناصر محمد فلما كان فى سنة اثنين وأربعين وسبعمائة حدث فى شهر رجب منها فتنة بين الامير قوصون وبين الامراء وكبيرهم ايدغمش أمير اخور فنادى ايدغمش فى العامة يا كسابه عليكم باصطبل قوصون انهبوه هذا وقوصون محصور بقلعة الجبل فأقبلت العامة من السؤال والغلمان والجند الى اصطبل قوصون فمنعهم المماليك الذين كانوا فيه ورموهم بالنشاب وأتلفوا منهم عدة فثارت مماليك الامير يلبغا اليحياوى من أعلى قصر يلبغا وكان بجوار قصر قوصون حيث مدرسة السلطان حسن ورموا مماليك قوصون بالنشاب حتى انكفوا عن رمى النهابة فاقتحم غوغا الناس اصطبل قوصون وانتهبوا ما كان بركاب خاناته وحواصله وكسروا باب القصر بالفؤس وصعدوا اليه بعد ما تسلقوا الى القصر من خارجه فخرجت مماليك قوصون من الاصطبل يدا واحدة بالسلاح وشقوا القاهرة وخرجوا الى ظاهر باب النصر يريدون الامراء الواصلين من الشام فأتت النهابة على جميع ما فى اصطبل قوصون من الخيل والسروج وحواصل المال التى كانت بالقصر وكانت تشتمل من انواع المال والقماش والاوانى الذهب والفضة على ما لا يحد ولا يعد كثرة وعند ما خرجت العامة بما نهبته وجدت مماليك الامراء والاجناد قد وقفوا على باب الاصطبل فى الرميلة لانتظار من يخرج وكان اذا خرج أحد بشئ من النهب أخذه منه أقوى منه فان امتنع من اعطائه قتل واحتمل النهابة اكياس الذهب ونثروها فى الدهاليز والطرق وظفروا بجواهر نفيسة وذخائر ملوكية وأمتعة جليلة القدر وأسلحة عظيمة وأقمشة مثمنة وجروا البسط الرومية والامدية وما هو من عمل الشريف وتقاتلوا عليها وقطعوها قطعا بالسكاكين وتقاسموها وكسروا اوانى البلور والصينى وقطعوا سلاسل الخيل الفضة والسروج الذهب والفضة وفككوا اللجم وقطعوا الخيم وكسروا الخركاوات وأتلفوا سترها وأغشيتها الاطلس والزركفت * وذكر عن كاتب قوصون انه قال اما الذهب المكيس والفضة كان ينيف على أربعمائة ألف دينار واما الزركش والحوايص والمعصبات ما بين خوانجات واطباق فضة وذهب فانه فوق

المائة ألف دينار والبلور والمصاغ المعمول برسم النساء فانه لا يحصر وكان هناك ثلاثة اكياس اطلس فيها جوهر قد جمعه فى طول أيامه لكثرة شغفه بالجوهر لم يجمع مثله ملك كان ثمنه نحو المائة ألف دينار وكان فى حاصله عدة مائة وثمانين زوج بسط منها ما طوله من اربعين ذراعا الى ثلاثين ذراعا عمل البلاد وستة عشر زوج من عمل الشريف بمصر ثمن كل زوج اثنا عشر ألف درهم نقرة منها أربعة ازواج بسط من حرير وكان من جملة الخام نوبة خام جميعها اطلس معدنى قصب جميع ذلك نهب وكسر وقطع وانحط سعر الذهب بديار مصر عقيب هذه النهبة من دار قوصون حتى بيع المثقال باحد عشر درهما لكثرته فى ايدى الناس بعد ما كان سعر المثقال عشرين درهما ومن حينئذ تلاشى أمر هذا القصر لزوال رخامه فى النهب ومابرح مسكنا لاكابر الامراء وقد اشتهر انه من الدور المشئومة وقد ادركت فى عمرى غير واحد من الامراء سكنه وآل أمره الى ما لاخير فيه وممن سكنه الامير بركة الزينى ونهب نهبة فاحشة وأقام عدة أعوام خرابا لا يسكنه أحد ثم اصلح وهو الآن من اجل دور القاهرة *(دار ارغون الكاملى) هذه الدار بالجسر الاعظم على بركة الفيل انشأها الامير ارغون الكاملى فى سنة سبع وأربعين وسبعمائة وأدخل فيها من أرض بركة الفيل عشرين ذراعا *(ارغون الكاملى) الامير سيف الدين نائب حلب ودمشق تبناه الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون وزوجه اخته من امه بنت الامير ارغون العلاءى فى سنة خمس واربعين وسبعمائة وكان يعرف اولا بأرغون الصغير فلما مات الملك الصالح وقام من بعده فى مملكة مصر اخوه الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون اعطاه امرة مائة وتقدمة الف ونهى أن يدعى ارغون الصغير وتسمى ارغون الكاملى فلما مات الامير قطليجا الحموى فى نيابة حلب رسم له الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون بنيابة حلب فوصل اليها يوم الثلاثا حادى عشر شهر رجب سنة خمسين وسبعمائة وعمل النيابة بها على احسن ما يكون من الحرمة والمهابة وهابه التركمان والعرب ومشت الاحوال به ثم جرت له فتنة مع امراء حلب فخرج فى نفر يسير الى دمشق فوصلها لثلاث بقين من ذى الحجة سنة احدى وخمسين فاكرمه الامير ايتمش الناصرى نائب دمشق وجهزه الى مصر فأنعم عليه السلطان واعاده الى نيابة حلب فأقام بها الى ان عزل ايتمش من نيابة دمشق فى اول سلطنة الملك الصالح صالح بن قلاون فنقل من نيابة حلب الى نيابة دمشق فدخلها فى حادى عشرى شعبان سنة اثنتين وخمسين وأقام بها فلم يصف له بها عيش فاستعفى فلم يجب ومازال بها الى ان خرج يلبغاروس وحضر الى دمشق فخرج الى الد واستولى يلبغاروس على دمشق فلما خرج الملك الصالح من مصر وسار الى بلاد الشام بسبب حركة يلبغاروس تلقاه ارغون وسار بالعساكر الى دمشق ودخل السلطان بعده وقد فر يلبغاروس فقلده نيابة حلب فى خامس عشرى شهر رمضان وعاد السلطان الى مصر فلم يزل الامير ارغون بحلب وخرج منها الى الابلستين فى طلب ابن دلغادر وحرقها وحرق قراها ودخل الى قيصرية وعاد الى حلب فى رجب سنة اربع وخمسين فلما خلع الملك الصالح بأخيه الملك الناصر حسن فى شوال سنة خمس وخمسين طلب الامير أرغون من حلب فى آخر شوال فحضر الى مصر وعمل امير مائة مقدم ألف الى تاسع صفر سنة ست وخمسين فأمسك وحمل الى الاسكندرية واعتقل فيها وعنده زوجته ثم نقل من الاسكندرية الى القدس فأقام بها بطالا وبنى هناك تربة ومات بها يوم الخميس لخمس بقين من شوال سنة ثمان وخمسين وسبعمائة *(دار طاز) هذه الدار بجوار المدرسة البندقدارية تجاه حمام الفارقانى على يمنة من سلك من الصليبة يريد حدرة البقر وباب زويلة انشأها الامير سيف الدين طاز فى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وكان موضعها عدة مساكن هدمها برضى اربابها وبغير رضاهم وتولى الامير منجك عمارتها وصار يقف عليها بنفسه حتى كملت فجاءت قصرا مشيدا واصطبلا كبيرا وهى باقية الى يومنا هذا يسكنها الامراء وفى يوم السبت سابع عشرى جمادى الآخرة سنة اربع وخمسين عمل الامير طاز فى هذه الدار وليمة عظيمة حضرها السلطان الملك الصالح صالح وجميع الامراء فلما كان وقت انصرافهم قدم الامير طاز للسلطان اربعة أفراس بسروج ذهب وكنابيش ذهب وقدم للامير شيخو فرسين كذلك وللامير صرغتمش فرسين ولكل واحد من امراء الالوف فرسا كذلك ولم يعهد قبل هذا أن أحدا من ملوك الاتراك نزل الى بيت امير قبل الصالح هذا وكان يوما مذكورا *(طاز) الامير سيف الدين امير مجلس اشتهر ذكره فى ايام الملك الصالح اسماعيل ولم يزل اميرا الى ان خلع الملك الكامل شعبان واقيم المظفر حاجى وهو أحد الامراء الستة ارباب الحل والعقد فلما خلع الملك

المظفر وأقيم الملك الناصر حسن زادت وجاهته وحرمته وهو الذى امسك الامير يلبغاروس فى طريق الحجاز
وأمسك ايضا الملك المجاهد سيف الاسلام على ابن المؤيد صاحب بلاد اليمن بمكة وأحضره الى مصر وهو الذى
قام فى نوبة السلطان حسن لما خلع واجلس الملك الصالح صالح على كرسى الملك وكان يلبس فى درب الحجاز عباءة
وسرقولا ويخفى نفسه ليتجسس على اخبار يلبغاروس ولم يزل على حاله الى ثانى شوّال سنة خمس وخمسين
وسبعمائة فخلع الصالح واعيد الناصر حسن فأخرج طاز الى نيابة حلب وأقام بها * (دار صرغتمش) هذه الدار
بخط بئر الوطاويط بالقرب من المدرسة الصرغتمشية المجاورة لجامع احمد بن طولون من شارع الصليبة
كان موضعها مساكن فاشتراها الامير صرغتمش وبناها قصرا واصطبلا فى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وحمل
اليه الوزراء والكتاب والاعيان من الرخام وغيره شيأ كثيرا وقد ذكر التعريف به عند ذكر المدرسة الصرغتمشية
من هذا الكتاب فى ذكر المدارس وهذه الدار عامرة الى يومنا هذا يسكنها الامراء ووقع الهدم فى القصر خاصة
فى شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وثمانمائة * (دار الماس) هذه الدار بخط حوض ابن هنس فيما بينه
وبين حدرة البقر بجوار جامع الماس انشأها الامير الماس الحاجب واعتنى برخامها عناية كبيرة واستدعى به
من البلاد فلما قتل فى صفر سنة اربع وثلاثين وسبعمائة امر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بقلع
ما فى هذه الدار من الرخام فقلع جميعه ونقل الى القلعة وهذه الدار باقية الى يومنا هذا ينزلها الامراء * (دار بهادر
المقدم) هذه الدار بخط الباطلية من القاهرة انشأها الامير الطواشى سيف الدين بهادر مقدّم المماليك
السلطانية فى ايام الملك الظاهر برقوق * وبهادر هذا من مماليك الامير يلبغا وأقام فى تقدمة المماليك جميع
الايام الظاهرية وكثر ماله وطال عمره حتى هرم ومات فى ايام الملك الناصر فرج وهو على امرته وفى وظيفته تقدمة
المماليك السلطانية يوم الاحد سابع عشر رجب سنة اثنتين وثمانمائة وموضع هذه الدار من جملة ما كان احترق
من الباطلية فى ايام الملك الظاهر بيبرس كما تقدّم فى ذكر حارة الباطلية عند ذكر الحارات من هذا الكتاب ولما مات
المقدّم بهادر استقرّت من بعده منزلا لامراء الدولة وهى باقية على ذلك الى يومنا هذا * (دار الست شقراء)
هذه الدار من جملة حارة كتامة وهى اليوم بالقرب من مدرسة الوزير الصاحب كريم الدين ابن غنام بجوار حمام كراى
وهى من الدور الجليلة عرفت بخوند الست شقراء ابنة السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون وتزوّجها
الامير روس ثم انحط قدرها واتضعت فى نفسها الى ان ماتت فى يوم الثلاثاء ثامن عشرى جمادى الاولى سنة
احدى وتسعين وسبعمائة * (دار ابن عنان) هذه الدار بخط الجامع الازهر انشأها نور الدين على بن عنان التاجر
بقيسارية جهاركس من القاهرة وتاجر الخاص الشريف السلطانى فى ايام الملك الاشرف شعبان بن حسين
ابن محمد بن قلاوون كان ذا ثروة ونعمة كبيرة ومال متسع فلما زالت دولة الاشرف اجمع وداخله وهم أظهر
فاقة وتذكر أنه دفن مبلغا كبيرا من الالف مثقال ذهب فى هذه الدار ولم يعلم به احد سوى زوجته ام اولاده
فاتفق انه مرض وخرس ومرضت زوجته ايضا فمات يوم الجمعة ثامن عشر شوّال سنة تسع وثمانين وسبعمائة
وماتت زوجته ايضا فأسف اولاده على فقد ماله وحفروا مواضع من هذه الدار فلم يظفروا بشئ البتة وأقامت
مدّة بأيديهم وهى من وقف ابيهم ومات ولده شمس الدين محمد بن على بن عنان يوم السبت تاسع صفر سنة ثلاث
وثمانمائة ثم باعوها سنة سبع عشرة وثمانمائة كما بيع غيرها من الاوقاف * (دار بهادر الاعسر) هذه الدار
بخط بين السورين فيما بين سويقة المسعودى من القاهرة وبين الخليج الكبير الذى يعرف اليوم بخليج اللؤلؤة
كان مكانها من جملة دار الذهب التى تقدّم ذكرها فى ذكر مناظر الخلفاء من هذا الكتاب والى يومنا هذا بجوار
هذه الدار قبو فيما بينها وبين الخليج يعرف بقبو الذهب من جملة اقباء دار الذهب ويمرّ الناس من تحت هذا القبو
* بهادر هذا هو الامير سيف الدين بهادر الاعسر اليحياوى كان مشرفا بمطبخ الامير سيف الدين جبا الامير
شكار ثم صار زردكاش الامير الكبير يلبغا الخاصكى وولى بعد ذلك مهمندار السلطان بدار الضيافة وولى
وظيفة شدّ الدواوين الى ان قدم الامير يلبغا الناصرى نائب حلب بعساكر الشام الى مصر وأزال دولة الملك
الظاهر برقوق فى جمادى سنة احدى وتسعين وسبعمائة قبض عليه ونفاه من القاهرة الى غزة ثم عاد بعد
ذلك الى القاهرة وأقام بها الى ان مات بهذه الدار فى يوم عيد الفطر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وحصرت
تركته وكان فيها عدّة كتب فى انواع من العلوم وهذه الدار باقية الى يومنا هذا وعلى بابها بئر بجانبها حوض

يلا لشرب الدواب منه *(دار ابن رجب) هذه الدار من جملة اراضي البستان الذى يقال له اليوم الكافورى كان اصطبلا للامير علاء الدين على بن كافت التركمانى شاد الدواوين فيما بين داره ودار الامير تنكز نائب الشام فلما استقر ناصر الدين محمد بن رجب فى الوزارة انشأ هذا الاصطبل مقعدا صار يجلس فيه وقصرا كبيرا واستولى من بعده على ذلك كله اولاده فلما عمر الامير جمال الدين يوسف الاستادار مدرسته بخط رحبة باب العيد اخذ هذا القصر والاصطبل فى جملة ما اخذ من املاك الناس وأوقافهم فلما قتله الملك الناصر فرج واستولى على جميع ماخلفه افرد هذا القصر والاصطبل فيما افرده للمدرسة المذكورة فلم يزل من جملة اوقافها الى ان قتل الملك الناصر فرج وقدم الامير شيخ نائب الشام الى مصر فلما جلس على تخت الملك وتلقب بالملك المؤيد فى غرة شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة وقف اليه من بقى من اولاد علاء الدين على ابن كافت وهما امرأتان كانت احداهما تحت الملك المؤيد قبل ان يلى نيابة طرابلس وهو من جملة امراء مصر فى ايام الملك الظاهر برقوق وذكرتا ان الامير جمال الدين الاستادار أخذ وقف ابيهما بغير حق وأخرجتا كتاب وقف ابيهما ففوض امر ذلك لقاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان ابن نصير البلقينى الشافعى فلم يجد بيد اولاد جمال الدين مستندا فقضى بهذا المكان لورثة ابن كافت وبما نه على ماوقفه حسبما تضمنه كتاب وقفه فتسلم مستحقوا وقف بن كافت القصر والاصطبل وهو الآن بأيديهم وبينهم وبين اولاد ابن رجب نزاع فى القصر فقط *(محمد بن رجب) ابن محمد بن كافت الامير الوزير ناصر الدين نشا بالقاهرة على طريقة مشكورة فلما استقر ناصر الدين محمد بن الحسام الصفدى شاد الدواوين بعد انتقال الامير جمال الدين محمود بن على من شد الدواوين الى استادارية السلطان فى يوم الثلاثا ثالث جمادى الآخرة سنة تسعين وسبعمائة اقام ابن رجب هذا استادارا عند الامير سودون باق وكانت اول مباشراته ثم ولى شد الدواوين بعد الامير ناصر الدين محمد بن اقبغا آص فى سابع عشرى ذى الحجة وعوض فى شد الدواوين بشد دواليب الخاص عوضا عن خاله الامير ناصر الدين محمد بن الحسام عند انتقاله الى الوزارة فلم يزل الى ان توجه الملك الظاهر برقوق الى الشام وأقام الامير محمود الاستادار فقدم عليه ابن رجب بكتاب السلطان وهو مختوم فاذا فيه أن يقبض على ابن رجب ويلزمه بحمل مبلغ مائة وستين ألف درهم نقرة فقبض عليه فى رابع شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وأخذ منه مبلغ سبعين ألف درهم نقرة فلما كان فى يوم الاثنين رابع عشر ربيع الآخر سنة ست وتسعين صرف السلطان عن الوزارة الصاحب موفق الدين ابا الفرج واستقر بابن رجب فى منصب الوزارة وخلع عليه فلم يغير زى الامراء وباشر الوزارة على قالب ضخم وناموس مهاب وصار أميرا وزيرا مدبرا للممالك وسلك سيرة خاله الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام فى استخدام كل من باشر الوزارة فأقام الصاحب سعد الدين ابن نصر الله ابن البقرى ناظر الدولة والصاحب كريم الدين عبد الكريم بن الغنام ناظر البيوت والصاحب علم الدين عبد الوهاب سن ابرة مستوفى الدولة والصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن ابى شاكر رفيقا له فى استيفاء الدولة وأنعم عليه بامرة عشرين فارسا فى سادس شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين فلم يزل على ذلك الى ان مات من مرض طويل فى يوم الجمعة لاربع بقين من صفر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وهو وزير من غير نكبة فكانت جنازته من الجنائز المذكورة وقد ذكرته فى كتاب درر العقود الفريدة فى تراجم الاعيان المفيدة

*(دار القليجى) هذه الدار من جملة خط قصر بشتاك كانت اولا من بعض دور القصر الكبير الشرقى الذى تقدم ذكره عند ذكر قصور الخلفاء ثم عرفت بدار جمال الكفاة وهو القاضى جمال الدين ابراهيم المعروف بجمال الكفاة ابن خالة النشو ناظر الخاص كان اولا من جملة الكتاب النصارى فأسلم وخدم فى بستان الملك الناصر محمد بن قلاوون الذى كان مبدأ انا للملك الظاهر بيبرس بأرض اللوق ثم خدم فى ديوان الامير بيدمر البدرى فلما عرض السلطان دواوين الامراء واختار منهم جماعة كان من جملة من اختاره السلطان جمال الكفاة هذا فجعله مستوفيا الى ان مات المهذب كاتب الامير بكتمر الساقى فولاه السلطان مكانه فى ديوان الامير بكتمر فخدمه الى ان مات فخدم بديوان الامير بشتاك الى ان قبض الملك الناصر على النشو ناظر الخاص ولاه وظيفة نظر الخاص بعد النشو ثم اضاف اليه وظيفة نظر الجيش بعد المكين بن قزوينة عند غضبه عليه ومصادرته فباشر الوظيفتين الى ان مات الملك الناصر فاستمر فى ايام الملك المنصور ابى بكر والملك الاشرف كجك والملك الناصر أحمد فلما ولى

الملك الصالح اسمعيل جعله مشير الدولة مع ما بيده من نظر الخاص والجيش وكان الوزير اذ ذاك الامير نجم الدين محمود وزير بغداد وكتب له توقيع باستقراره فى وظيفة الاشارة فعظم امره وكثر حساده الى ان قبض عليه وضرب بالمقارع وخنق ليلة الاحد سادس شهر ربيع الاول سنة خمس واربعين وسبعمائة ودفن بجوار زاوية ابن عبود من القرافة وكانت مدة نظره فى الخاص خمس سنين وشهرين تنقص اياما وكان مليح الوجه حسن العبارة كثير التصرف ذكيا يعرف باللسان التركى ويتكلم به ويعرف باللسان النوبى والتكرورى ولم تزل هذه الدار بغير تكملة الى ان ترأس القاضى شمس الدين محمد بن احمد القليجى الحنفى كان اولا يكتب على مبيضة الغزل وهى يومئذ مضمنة لديوان السلطان ثم اتصل بقاضى القضاة سراج الدين عمر بن اسحاق الهندى وخدمه فرفع من شأنه واستنابه فى الحكم فعيب ذلك على الهندى وقال فيه شمس الدين محمد بن محمد الصائغ الحنفى

ولما رأينا كاتب المكس قاضيا * علمنا بان الدهر عاد الى ورا
فقلت لصحبى ليس هذا تعجبا * وهل يجلب الهندى شيأ سوى الخرا

وولى افتاء دار العدل وناب عن القضاة فى الحكم بعد مباشرة توقيع الحكم عدة سنين فعظم ذكره وبعد صيته وصار يتوسط بين القضاة والامراء فى حوائجهم ويخدم اهل الدولة فيما يعن لهم من الامور الشرعية فصار كثير من امور القضاة لا يقوم به غيره حتى لقد كان شيخنا الاستاذ قاضى القضاة ولى الدين عبد الرحمن ابن خلدون يسميه دريد بن الصمة يعنى انه صاحب رأى القضاة كما ان دريد ابن الصمة كان صاحب رأى هوازن يوم حنين سرّه بذلك فلما انفخم امره اخذ هذه الدار وقد تم بناء جدرانها فرخمها وزخرفها وبيضها فجاءت فى اعظم قالب واحسن هندام وابهج زى وسكنها الى ان مات يوم الثلاثا لعشرين من شهر رجب سنة سبع وتسعين وسبعمائة بعد ما وقفها فاستمرت فى يد أولاده مدة الى ان اخذها الامير جمال الدين يوسف الاستادار كما اخذ غيرها من الدور * (دار بهادر المعزى) هذه الدار بدرب راشد المجاور لخزانة البنود من القاهرة عمرها الامير سيف الدين بهادر المعزى كان اصله من اولاد مدينة حلب من ابناء التركمان واشتراه الملك المنصور لاجين قبل ان يلى سلطنة مصر وهو فى نيابة السلطنة بدمشق فترقى حتى صار أحد أمراء الالوف الى ان مات فى يوم الجمعة تاسع شعبان سنة تسع وثلاثين وسبعمائة عن ابنتين احداهما تحت الامير أسدمر المعزى والاخرى تحت مملوكه اقتمر وترك مالا كثيرا منه ثلاثة عشر ألف دينار وستمائة ألف درهم نقرة وأربعمائة فرس وثلثمائة جمل ومبلغ خمسين ألف اردب غلة وثمان حوايص ذهب وثلاث كلوتات زركش واثنى عشر طراز زركش وعقارا كثيرا فأخذ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون جميع ما خلفه وكان جميل الصورة معروفا بالفروسية ورمى فى القبق والنشاب بيمينه ويساره ولعب الرمح لعبا جيدا وكان لين الجانب حلو الكلام جميل العشرة الا انه كان مقترا على نفسه فى مأكله وسائر أحواله لكثرة شحه بحيث انه اعتقل مرة فجمع من راتبه الذى كان يجرى عليه وهو فى السجن مبلغ اثنى عشر ألف درهم نقرة اخرجها معه من الاعتقال * (دار طينال) هذه الدار بخط الخراطين فى داخل الدرب الذى كان يعرف بخربة صالح كان موضعها وما حولها فى الدولة الفاطمية مارستانا وأنشأ هذه الدار * الامير طينال احد مماليك الناصر محمد بن قلاوون اقامه ساقيا ثم عمله حاجبا صغيرا ثم اعطاه امرة دكتمر وجعله امير مائة مقدم ألف فباشر ذلك مدة ثم اخرجه لنيابة طرابلس فأقام بها زمانا ثم نقله الى نيابة صفد فمات بها فى ثالث شهر ربيع سنة ثلاث واربعين وسبعمائة وكان تترى الجنس قصيرا الى الغاية مليح الوجه مشكورا فى احكامه محبا لجمع المال شحيحا وهذه الدار تشتمل على قاعتين متجاورتين وهى من الدور الجليلة ولطينال ايضا قيسارية بسويقة امير الجيوش * (دار الهرماس) هذه الدار كانت بجوار الجامع الحاكمى من قبليه شارعة فى رحبة الجامع على يسرة من يمر الى باب النصر عمرها الشيخ قطب الدين محمد بن المقدسى المعروف بالهرماس وسكنها مدة وكان اثيرا عند السلطان الملك الناصر الحسن بن محمد بن قلاوون له فيه اعتقاد كبير فعظم عند الناس قدره واشتهر فيما بينهم ذكره الى ان دبت بينه وبين الشيخ شمس الدين محمد بن النقاش عقارب الحسد فسعى به عند السلطان الى ان تغير عليه وأبعده ثم ركب فى يوم سنة احدى وستين وسبعمائة من قلعة الجبل بعساكره الى باب زويلة فعندما وصل اليه ترجل الامراء كلهم عن خيولهم ودخلوا مشاة من باب زويلة كما هى العادة وصار السلطان راكبا بمفرده وابن النقاش ايضا راكب بجانبه وسائر الامراء والمماليك مشاة فى ركابه على ترتيبهم

الى

الى ان وصل السلطان الى المارستان المنصورى بين القصرين فنزل اليه ودخل القبة وزار قبر أبيه وجده واخوته وجلس وقد حضر هنالك مشايخ العلم والقضاة فتذاكروا بين يديه مسائل علمية ثم قام الى النظر فى امور المرضى بالمارستان فدار عليهم حتى انتهى غرضه من ذلك وخرج فركب وسار نحو باب النصر والناس مشاة فى ركابه الا ابن النقاش فانه راكب بجانبه الى ان وصل الى رحبة الجامع الحاكمى فوقف تجاه دار الهرماس وامر بهدمها فهدمت وهو واقف وقبض على الهرماس وابنه وضرب بالمقارع عدة شيوب ونفى من القاهرة الى مصياف فقال الامام العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفى فى ذلك

قد ذاق هرماس الخساره * من بعد عز وجساره

* حسب الهتان يبقى * اخرب الله دياره *

فلما قتل السلطان فى سنة اثنين وستين عاد الهرماس الى القاهرة وأعاد بعض داره فلما كانت سنة ثمانين وسبعمائة صارت هذه الدار الى الامير جمال الدين عبد الله بن بكتمر الحاجب فانشأها قاعة وعدة حوانيت وربعا علو ذلك وانتقل من بعده الى اولاده وهو بأيديهم الى اليوم *(دار أوحد الدين) هذه الدار بداخل درب السلامى فى رحبة باب العيد مقابل قصر الشوك والى جانب المارستان العتيق الصلاحى كان موضعها من حقوق القصر الكبير وصار اخيرا طاحونا فهدمها القاضى اوحد الدين عبد الواحد أيام كان يباشر توقيع الامير الكبير برقوق بعد سنة ثمانين وسبعمائة فلما حفر أساس هذه الدار وجد فيه هيئة قبة معقودة من لبن وفى داخلها انسان ميت قد بليت اكفانه وصار عظما نخرا وهو فى غاية طول القامة يكون قدر خمسة اذرع وعظام ساقيه خلاف ما عهد من الكبر ودماغه عظيم جدا فلما كملت هذه الدار سكنها ايام مباشرته وظيفة كتابة السر الى أن مات بها وقد حبسها على اولاده فاستمرت بايديهم الى ان اخذها منهم الامير جمال الدين يوسف الاستادار كما اخذ غيرها من الاوقاف فاستمرت فى جملة ما بيده الى ان قتله الملك الناصر فرج فقبضها فيما قبض مما خلفه جمال الدين فلما قتل الملك الناصر فرج واستقل الملك المؤيد شيخ بمملكة مصر استرجع اولاد جمال الدين ما كان اخذه الناصر من املاك جمال الدين وصارت بأيديهم الى ان وقف له اولاد أوحد الدين فى طلب دار أبيهم فعقد لذلك مجلس اجتمع فيه القضاة فتبين أن الحق بيد أولاد اوحد الدين فقضى باعادة الدار الى ما وقفها عليه اوحد الدين فتسلمها اولاد أوحد الدين من ورثة جمال الدين وهى الآن بايديهم *(عبد الواحد بن اسماعيل بن ياسين الحنفى) اوحد الدين كاتب السر ولد بالقاهرة ونشأ بها فى كنف قاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن على التركمانى الحنفى لصهارة كانت بين ابيه وبين التركمانية وباشر توقيع الحكم مدة واتفق ان اميرا من امراء الملك الاشرف شعبان بن حسين يعرف بيونس الرماح مات فادعى برقوق العثمانى احد المماليك اليلبغاوية انه ابن عم يونس هذا وأنه يستحق ارثه لموته عن غير ولد وحضر الى المدرسة الصالحية بين القصرين حيث يجلس القضاة للحكم بين الناس حتى يثبت ما ادعاه فلما اراد الله من اسعاد جد أوحد الدين لم يقف برقوق على احد من موقعى الحكم الا عليه وأخبره بما يريد فبادر الى توريق سؤال باسم برقوق وانهاء انه ابن عم يونس الرماح وان عنده بينة تشهد بذلك ودخل بهذا السؤال الى قاضى القضاة وأنهى العمل حتى ثبت ان برقوق ابن عم يونس يستحق ارثه فلما فرغ من ذلك دفع برقوق الى اوحد الدين مبلغ دراهم اجرة توريقه كما هى عادة اهل مصر فى هذا فامتنع من اخذها وألحف برقوق فى سؤاله وهو يمتنع فتقلد له برقوق المنة بذلك واعتقد أمانته وخيره وصار لكثرة ركونه اليه اذا قدم فلاحوا اقطاعه يبعثهم اليه حتى يحاسبهم عما حملوه من الخراج فلما قتل الملك الاشرف وثارت المماليك وكان من امرهم ما كان الى ان تغلب برقوق وصار من جملة الامراء واستولى على الاصطبل السلطانى فى شهر ربيع الآخر سنة تسع وسبعين وسبعمائة وصار اميرا خور أقام اوحد الدين موقعا عنده ومازال امر برقوق يزداد قوة حتى انيطت به امور المملكة كلها فصار أوحد الدين صاحب الحل والعقد وكاتب السر بدر الدين محمد بن على بن فضل الله اسما لا معنى له الى ان جلس الامير برقوق على تخت المملكة فى شهر رمضان سنة اربع وثمانين وسبعمائة فقرر القاضى اوحد الدين فى وظيفة كتابة السر عوضا عن ابن فضل الله وخلع عليه فى يوم السبت ثانى عشر شوال من السنة المذكورة فباشر كتابة السر على القالب الجائز وضبط الامور أحسن ضبط وعكف سائر الناس على بابه لتمكنه من سلطانه وكان الامير يونس الدوادار يرى انه اكثر الناس من الامراء تمكينا من السلطان وجرت العادة

باتمّاء كاتب السرّ الى الدوادار فأحب اوحد الدين الاستبداد على الامير يونس الدوادار فقال للسلطان سرّا في غيبة يونس ان السلطان رسم بكتابة مهمات الدولة واسرار المملكة الى البلاد الشامية وغيرها والامير الدوادار يريد من المملوك ان يطلع على ذلك فلم يقدر المملوك على مخالفته ولا امكنه اعلامه الا باذن فأنت السلطان من ذلك وقال الحذر أن يطلع على شئ من مهمات السلطان او أسراره فقال اخاف منه ان سأل ولم اعلمه فقال السلطان ما عليك منه فرأى انه قد تمكن حينئذ فأمسك اياما ثم اراد الازدياد من الاستبداد فقال للسلطان سرّا قد رسم السلطان ان لا يطلع احد على سرّ السلطان ولا يعرف بما يكتب من المهمات وطائفة البريدية كلهم يمشون في خدمة الدوادار فاذا اقتضت آراء السلطان تسفير أحد منهم في مهم يحتاج المملوك الى استدعائه من خدمة الامير الدوادار فاذا التمس مني ان اخبره بالمعنى الذي توجه فيه البريدي لا اقدر على اعلامه بذلك ولا آمن ان كتمته وانصرف فلما كان من الغد وطلع الامراء الى الخدمة على العادة قال السلطان للامير يونس الدوادار أرسل بالبريدية كلهم الى كاتب السرّ ليمشوا ويركبوا معه فلم يجد بدا من ارسالهم وحصل عنده من ارسالهم المقيم المقعد فصار البريدية يركبون نوبا في خدمة اوحد الدين ويتصرف في امور الدولة وحده مع سلطانه فانفرد بالكلمة وخضع له الخاص والعام الا انه نغص عليه في نفسه ومرض مرضا طويلا سقطت معه شهوة الطعام بحيث انه لم يكن يشتهي شيأ من الغذاء وتنوّع له المأكل بين يديه لكي تميل نفسه الى شئ منها ومتى تناول غذاء تقيأه في الحال ومازال على ذلك الى ان مات عن سبع وثلاثين سنة في يوم السبت ثاني ذي الحجة سنة ست وثمانين وسبعمائة ودفن خارج باب النصر فلم يتأخر أحد من الامراء والاعيان عن جنازته وكان حسن السياسة رضيّ الخلق عاقلا كثير السكون جيد السيرة جميل الصورة حسن الهيئة عارفا بأمر دنياه محبا للمداراة صاحب باطن قليل العلم رحمه الله * (ربع الزيتي) هذا الربع كان بجوار قنطرة الحاجب التي على الخليج الناصري وكان يشتمل على عدّة مساكن ينزلها اهل الخلاعة للقصف فانه كان يشرف من جهاته لاربع على رياض وبساتين ففي شرقيه غيط الزيتي وقد خرب وموضعه اليوم بركة ماء وفي غربيه غيط الحاجب بيبرس وأدركته عامرا وهو اليوم مزارع بعد ما كان له باب كبير بجانبه حوض ماء للسبيل وعليه سياج من طين دائر به ومن قبلي هذا الربع الخليج وقنطرة الحاجب والجنينة التي بارض الطبالة ومن بحريه بساتين تتصل بالبعل وكوم الريش ومازال هذا الربع معمورا باللذات آهلا بكثرة المسرّات الى ان كانت سنة الغرقة وهي سنة خمس وخمسين وسبعمائة فخربت دور كوم الريش وغيرها ووصل ماء النيل الى قنطرة الحاجب فخرب ربع الزيتي واهمل امره حتى صار كوما عظيما تجاه قنطرة الحاجب وغيط الحاجب وسمعت من ادركته يخبر عن هذا الربع بعجائب من الملاذ التي كانت فيه وكانت العامة تقول في هزلها ستي اين كنتي واين رحتي واين جيتي قالت من ربع الزيتي

ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم احلام

*(الدار التي في اول البرقية من القاهرة التي حيطانها حجارة بيض منحوتة) هذه الدار بقي منها جدار على يمين من سلك من المشهد الحسينيّ يريد باب البرقية وبقي منها ايضا جدار على يمين من سلك من رحبة الايدمريّ الى باب البرقية وهي دار الامير صبيح بن شاهنشاه احد أمراء الدولة الفاطمية في ايام الصالح طلائع بن رزيك وكانت في غاية الكبر والتحسين قال بعض اصحاب الصالح يا مولانا أبقاك الله حتى تتم دار ابن شاهنشاه وكان الضرغام قبل ان يلي وزارة مصر قد فرّس العادل ابا شجاع رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك فظهر منه فارسا في غاية الفروسية بحيث انه قد حضر في يوم عيد الحلقه وأخذ رمحا وحربة وقوسا وسهما فأخذ الحلقه بالرمح ورمى بالسهم فأصاب الغرض وحذف بالحربة فأثبتها في المرمى ولعب بالرمح في غاية الحسن ثم دخل صبيح ابن شاهنشاه فعمل مثل ذلك فتحرّك الضرغام وكان يلبس عمامة بعذبة واكمام واسعة على زيّ المصريين يومئذ فتلثم بعذبته ولفّ كمامه وأخذ رمحه ولعب به في غاية الحسن وطرد كذلك ودخل في الحلقة وأخذها فعجب منه كل من في العسكر فأخذ عند ذلك الامير صبيح ابن شاهنشاه المجرة واتى اليه وقال يا مولاي كفاك الله امر العين فان هذا شئ ما يقدر عليه احد وجعل يدور حول فرسه ويبخره والضرغام يتبسم ويعجبه ذلك وبعد هذا كان قتل ابن شاهنشاه على يده في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ولم تكمل هذه الدار *(دار ألتمر) هذه الدار بمدينة مصر من خارجها فيما انحسر

عنه ماء النيل بعد الخمسمائة من سنى الهجرة وتعرف اليوم بصناعة التمر تجاه الصاغة بخط سوق المعاريج ومن جملتها بيت برهان الدين ابراهيم الحلى ومدرسته وهذه الدار وقفها القاضى عبد الرحيم بن على البيسانى على فكاك الاسرى من المسلمين ببلاد الفرنج * قال القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر فى كتاب الدر النظيم فى اوصاف القاضى الفاضل عبد الرحيم ومن جملة بنائه دار التمر بمصر المحروسة ولها دخل عظيم يجمع ويشترى به الاسرى من بلاد الفرنج وذلك مستمر الى هذا الوقت وفى كل وقت يحضر بالاسارى فيلبسون ويطوفون ويدعون له وسمعتهم مرارا يقولون يا الله يا رحمن يا رحيم ارحم القاضى الفاضل عبد الرحيم وقال القاضى جمال الدين بن شيث كان للقاضى الفاضل ربع عظيم يؤجره بمبلغ كبير فلما عزم على الحج ركب ومر به ووقف عليه وقال اللهم انك تعلم ان هذا الخان ليس شئ احب الى منه او قال اعز على منه اللهم فاشهد انى وقفته على فكاك الاسرى من بلاد الفرنج وقال ابن المتوج ومن جملة الاوقاف الوقف الفاضلى وهو الدار المشهورة بصناعة التمر الوقف على فكاك الاسرى من يد العدو المشتملة على مخازن واخصاص وشون ومنازل علوية وحوانيت بمجازها وظاهرها وهى اثنا عشر حانوتا وخمسة مقاعد وثمانية وخمسون مخزنا وخمسة عشر خصا وست قاعات وساحة وست شون وخمسة وسبعون منزلا وخمسة مقاعد علوية الاجرة عن ذلك جميعه الى آخر شعبان سنة تسع وثمانين وستمائة فى كل شهر ألف ومائة وست وثلاثون درهما نقرة واستجد بها القاضى جمال الدين الوجيزى خليفة الحكم بمصر حين كان ينظر فى الاوقاف دارا من ريع الوقف فأكلها البحر فامر ببناء زربية أمامها من مال الوقف * (عمارة ام السلطان) هذه العمارة من جملة المنحر كانت دارا تعرف بالامير جمال الدين ايدغدى العزيزى ولها باب من الدرب الاصفر الذى هو الآن تجاه خانقاه بيبرس وباب من الحماريين تجاه الجامع الاقمر عرفت هذه الدار بالامير مظفر الدين موسى الصالح على ابن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الالفى ثم خربت فانشأتها خوند أم الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون وجعلت منها قيسارية بخط الركن المخلق يباع بها الجلود ويعلوها ربع جليل لسكن العامة يشتمل على عدة طباق ووقفت ذلك على مدرستها بخط التبانة خارج باب زويلة فلم تزل جارية فى وقفها الى ان اغتصبها الوزير الامير جمال الدين يوسف الاستادار فيما اخذ من الاوقاف وجعلها وقفا على مدرسته بخط رحبة باب العيد من القاهرة وجعلت خوند بركة من جملة هذه الدار قاعة لم يعمر فيها سوى بوابتها الاغير وهى اجل بوابات الدور وقد دخلت ايضا فيما اخذه جمال الدين وصارت بيد مباشرى مدرسته الى ان اخذها السلطان الملك الاشرف ابو العز برسباى الدقاقى الظاهرى وابتدأ بعملها وكالة فى شوال سنة خمس وعشرين وثمانمائة فكملت فى رجب سنة ست وعشرين وغير من الطراز المنقوش فى الحجارة بجانبى باب الدخول اسم شعبان بن حسين وكتب برسباى فجاءت من احسن المبانى ويعلوها طباق للسكنى ولم يسخر فى عمارتها احد من الناس كما احدثه ولاة السوء فى عمائرهم بل كان العمال من البنايين والفعلة ونحوهم يوفون اجورهم من غير عنف ولا عسف فانه كان القائم على عمارتها القاضى زين الدين عبد الباسط بن خليل ناظر الجيش وهذه عادته فى اعماله ان لا يكلف فيها العمال غير طاقتهم ويدفع اليهم اجورهم والله اعلم

* (ذكر الحمامات) *

قال ابن سيده الحمام والحميم والحمة جميعا الماء الحار والحمة ايضا المخض اذا سخن وقد أحمه وحمه وكلما سخن فقد حم قال ابن الاعرابى والحمائم جمع الحميم الذى هو الماء الحار وهذا خطأ لان فعيلا لا يجمع على فعائل وانما هو جمع الحمة الذى هو الماء الحار اللغة فى الحميم مذكر وهو أحد ما جاء من الاسماء على فعال نحو القذاف والجبان والجمع حمامات قال سيبويه جمعوه بالالف والتاء وان كان مذكرا حيث لم يكسر جعلوا ذلك عوضا من التكسير والاستحمام الاغتسال بالماء الحار وقيل هو الاغتسال بأى ماء كان والحميم العرق واستحم الرجل عرق واما قولهم لداخل الحمام اذا خرج طاب حميمك فقد يعنى به العرق اى طاب عرقك واذا دعى له بطيب العرق فقد دعى له بالصحة لان الصحيح يطيب عرقه وروى عن سفيان الثورى انه قال ما درهم ينفقه المؤمن هو فيه اعظم اجرا من درهم صاحب حمام ليخليه له وقال محمد بن اسحاق فى كتاب المبتدى ان اول من اتخذ الحمامات والطلاء بالنورة سليمان ابن داود عليهما السلام وأنه لما دخل ووجد حمه قال اواه من عذاب الله اواه * وذكر المسبحى فى تاريخه ان العزيز

بالله نزار بن المعز لدين الله اول من بنى الحمامات بالقاهرة وذكر الشريف اسعد الجوانى عن القاضى القضاعى انه كان فى مصر الفسطاط ألف ومائة وسبعون حماما وقال ابن المتوج ان عدة حمامات مصر فى زمنه بضع وسبعون حماما وذكر ابن عبد الظاهر أن عدة حمامات القاهرة الى آخر سنة خمس وثمانين وستمائة تقرب من ثمانين حماما واقل ما كانت الحمامات ببغداد فى ايام الخليفة الناصر احمد بن المستنصر نحو الالفى حمام * (حمامى السيدة العمة) قال ابن عبد الظاهر حمامى الكافى يعرفان بحمامى السيدة العمة وانتقلتا الى الكامل بن شاور ثم الى ورثة الشريف ابن ثعلب وهما الآن بأيديهم ولا تدور الا الواحدة وهاتان الحمامان كانتا على يمنة من يدخل من اول حارة الروم تجاه ربع الحاجب لؤلؤ المعروف الان بربع الزياتين علو الفندق الذى بابه بسوق الشوايين وكانت احداهما برسم الرجال والاخرى برسم النساء وقد خربتا ولم يبق لهما اثر البتة * (حمام الساباط) قال ابن عبد الظاهر كان فى القصر الصغير باب يعرف بباب الساباط كان الخليفة فى العيد يخرج منه الى الميدان وهو الخرشتف الآن الى المنحر لينحر فيه الضحايا قلت حمام الساباط هذا يعرف فى زمننا بحمام المارستان المنصورى وهو برسم دخول النساء عند باب سر المارستان المنصورى وهذا الحمام هو حمام القصر الصغير الغربى ويعرف ايضا بحمام الصنيمة فلما زالت دولة الخلفاء الفاطميين من القاهرة باعها القاضى مؤيد الدين ابو المنصور محمد بن المنذر بن محمد العدل الانصارى الشافعى وكيل بيت المال فى ايام الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن ايوب للامير عز الدين ايبك العزيزى هى وساحات تحاذيها بألف ومائتى دينار فى ذى الحجة سنة تسعين وخمسمائة ثم باعها الامير عز الدين ايبك للشيخ امين الدين قيمار بن عبد الله الحموى التاجر بألف وستمائة دينار فورثها من بعده من استحق ارثه ثم اشترى من الورثة نصفها الامير الفارس صارم الدين خطلبا الكاملى العادلى فى سنة سبع وثلاثين وستمائة وانتقلت ايضا منها حصة الى ملك الامير علاء الدين ايدكين البندقدارى الصالحى النجمى استاذ الملك الظاهر بيبرس فى سنة ثمان وسبعين وستمائة فلما تملك الملك المنصور قلاوون الالفى وانشأ المارستان الكبير المنصورى صارت فيما هو موقوف عليه وهى الآن فى اوقافه ولها شهرة فى حمامات القاهرة * (حمام لؤلؤ) هذه الحمام برأس رحبة الايدمرى ملاصقة لدار السنانى أنشأها الامير حسام الدين لؤلؤ الحاجب فى ايام   * (حمام الصنيمة) هذه الحمام كانت بالقرب من خزانة البنود على يسرة من سلك فى رحبة باب العيد الى قصر الشوك وقد خربت وعمل فى موضعها مبيضة للغزل بالقرب من الجمالية * (حمام تتر) هذه الحمام كانت بخط دار الوزارة الكبرى وقد خربت وصار مكانها دارا عرفت بالامير الشيخ على وهى الدار المجاورة للمدرسة النابلسية فى الزقاق المقابل للخانقاه الصلاحية سعيد السعداء * (وتتر هذا بتاءين مفتوحتين كل منهما منقوط بنقطتين من فوق احد مماليك اسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب استولى على هذه الحمام وكانت معدة لدار الوزارة فى مدة الدولة الفاطمية فعرفت به وما حولها والى الآن يعرف ذلك الخط بخط خرائب تتر والعامة تقول خرائب التتر بالتعريف وهو خطأ * (حمام كرجى) هذه الحمام كانت بخط خرائب تتر ايضا فى جوار المدرسة النابلسية تجاه باب الخانقاه الصلاحية عرفت بالامير علم الدين كرجى الاسدى احد الامراء الاسدية فى ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب وقد خربت هذه الحمام وبنى فى مكانها هذا البناء الذى تجاه باب الخانقاه باول الزقاق * (حمام كتيلة) هذه الحمام كانت داخل باب الخوخة برأس سويقة الصاحب عرفت اخيرا بالامير صارم الدين ساروج شاد الدواوين ثم خربت فى ايام   ومكانها الآن مسمط يذبح فيه الغنم وتسمط * (حمام ابن ابى الدم) هذه الحمام كانت فيما بين سويقة المسعودى وباب الخوخة انشأها ابن ابى الدم اليهودى احد كتاب الانشاء فى ايام الخليفة الحاكم وتولى ابن خيران الديوان ونقل عنه انه وسع بين السطور فى كتاب كتبه الى الخليفة   وهذه مكاتبة الاعلى الى الادنى فلما حضر وأنكر عليه ألحق بين السطر والسطر سطرا مناسبا للفظ والمعنى من غير ان يظهر ذلك فعفا عنه وقد خربت وصار مكانها دار بنا فيه دور يعرف بسكن القاضى بدر الدين حسن البرديني احد خلفاء الحاكم العزيزى الشافعى وادركت بعض آثار هذه الحمام * (حمام الحصينية) هذه الحمام كانت فى سويقة الصاحب من داخل درب الحصينية الذى يعرف اليوم بدرب ابن عرب وقد خربت * (حمام الذهب) هذه الحمام كانت بدار الذهب احد مناظر الخلفاء الفاطميين التى ذكرت فى المناظر من هذا الكتاب وقد خربت هذه الحمام ولم يبق لها اثر

* حمام

* (حمام ابن قرقة) هذه الحمام كانت بخط سويقة المسعودى من حارة زويلة انشأها ابوسعيد بن قرقة الحكيم متولى الاستعمالات بدار الديباج وخزائن السلاح فى الدولة الفاطمية بجوار داره التى تقدمت فى الدور من هذا الكتاب ثم عرفت هذه الحمام فى الدولة الايوبية بالامير صارم الدين المسعودى والى القاهرة المنسوب اليه سويقة المسعودى المذكورة فى الاسواق من هذا الكتاب ثم خربت هذه الحمام وعمل فى موضعها فندق عرف اخيرا بفندق عمار الحمامى بجوار جامع ابن المغربى من جانبه الغربى واخذت بئر هذه الحمام فعملت للحمام التى تعرف اليوم بحمام السلطان * (حمام السلطان) هذه الحمام يتوصل اليها الآن من سويقة المسعودى ومن قنطرة الموسكى وهى من الحمامات القديمة عرفت فى الدولة الفاطمية بحمام الاوحد ثم عرفت فى الدولة الايوبية بحمام ابن يحيى وهو القاضى المفضل هبة الله بن يحيى العدل ثم عرفت بحمام الطيبرسى ثم هى الآن تعرف بحمام السلطان * (حمام خوند) هذه الحمام بجوار رحبة خوند المذكورة فى الرحاب من هذا الكتاب وكانت برسم الدار التى تعرف الآن بدار خوند اردتكين ثم افردت وصارت الى الآن حماما يدخله عامة الرجال فى اوائل النهار ثم تعقبهم النساء من بعد الى ان هدمها الامير صلاح الدين محمد استادار السلطان ابن الامير الوزير الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله فى شهر رجب سنة اربع وعشرين وثمانمائة وعمل موضعها من جملة داره التى هنالك * (حمام ابن عبود) هذه الحمام موضعها فيما بين اصطبل الجميزة المذكورة فى اصطبلات الخلفاء من هذا الكتاب وبين رأس حارة زويلة وهى من الحمامات القديمة عرفت بحمام الفلك وهو القاضى فلك الملك العادل ثم عرفت بالامير على بن ابى الفوارس ثم عرفت بابن عبود وهو الشيخ نجم الدين ابو على الحسين ابن محمد بن اسماعيل بن عبود القرشى الصوفى مات فى يوم الجمعة ثالث عشرى شوال سنة اثنين وعشرين وسبعمائة بعد ما عظم قدره ونفذ فى ارباب الدولة نهيه وامره وهو صاحب الزاوية المعروفة بزاوية ابن عبود بلحف الجبل قريبا من الدينورى من القرافة فانظرها فى الزوايا من هذا الكتاب ولم تزل هذه الحمام جارية فى اوقاف التربة المذكورة الى أن تسلط الامير جمال الدين على اموال اهل مصر فاغتصب ابن اخته الامير شهاب الدين احمد المعروف بسيدى احمد ابن اخت جمال الدين هذه الحمام واغتصب دار ابن فضل الله التى تجاه هذه الحمام واغتصب آدرا أخر بجوارها وعمر هنالك دارا عظيمة كما قد ذكر فى الدور من هذا الكتاب * (حمام الصاحب) هذه الحمام بسويقة الصاحب عرفت بالصاحب الوزير صفى الدين عبد الله بن شكر الدميرى صاحب المدرسة الصاحبية التى بسويقة الصاحب ثم تعطلت مدة سنين فلما ولى الامير تاج الدين الشوبكى ولاية القاهرة فى ايام الملك المؤيد شيخ جددها وأدار بها الماء فى سنة سبع عشرة وثمانمائة * (حمام السلطان) هذه الحمام كان موضعها قديما من جملة دار الديباج وهى الآن بخط بين العواميد من البندقانيين بجوار خوخة سوق الجوار ومدرسة سيف الاسلام انشأها الامير فخر الدين عثمان ابن قزل استادار السلطان الملك الكامل محمد ابن العادل ابى بكر بن ايوب وتنقلت الى ان صارت فى اوقاف الملك الناصر محمد بن قلاوون * (حماما طغريك) هاتان الحمامان بجوار فندق فخر الدين بالقرب من سويقة حارة الوزيرية انشأهما الامير حسام الدين طغريك المهرانى احد الامراء الايوبية * (حمام السوباشى) هذه الحمام كانت بدرب طلائع بخط الخروقيين الذى يعرف اليوم بسوق القرابين عرفت بالامير الفارس همام الدين ابو سعيد برغش السوباشى واسمه عمرو ابن كت بن شيرك العزيزى والى القاهرة * (حمام عجينه) هذه الحمام كانت بخط الاكفانيين انشأها الامير فخر الدين اخو الامير عز الدين موسك فى الدولة الايوبية وتنقلت حتى صارت بيد أولاد الملك الظاهر بيبرس البندقدارى مما اوقف عليهم وعرفت اخيرا بحمام عجينة ثم خربت بعد سنة اربعين وسبعمائة وموضعها الآن خربة بجوار الفندق الكبير المعد لديوان المواريث * (حمام درى) هذه الحمام كانت بخط الاكفانيين الان عرفت بشهاب الدولة درى الصغير غلام المظفر ابن امير الجيوش قال الشريف محمد بن اسعد الجوانى فى كتاب النقط لمعجم ما اشكل من الخطط شهاب الدولة درى المعروف بالصغير المظفرى غلام المظفر امير الجيوش كان أرمنيا واسلم وكان من المشددين فى مذهب الامامية وقرأ الجمل فى النحو للزجاجى وكتاب اللمع لابن جنى وكانت له خرائط من القطن الابيض فى يديه ورجليه وكان يتولى خزائن الكسوة ولا يدخل على بسط السلطان ولا بسط الخليفة الحافظ لدين الله ولا يدخل مجلسه الا بتلك الخرائط فى رجليه ولا يأخذ من احد

شيأ الاوفى يديه خريطة يظن أن كل من لمسه نجسه وسوسة منه فاذا اتفق انه صافح احدا اوصس رقعة بيده من غير خريطة لا يمس ثوبه بها ابدا حتى يغسلها فان لمس ثوبه بها غسل الثوب وكان الاستاذون المحنكون يرمون له فى بساط الخليفة الحافظ العنب فاذا مشى عليه وانفجر ووصل ماؤه الى رجليه سبهم وحرد فيعجب الخليفة من ذلك ويضحك ولا يؤاخذه بما صدر منه ومات بعد سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وقد خربت هذه الحمام ولم يبق لها اثر يعرف *(حمام الرصاصى) هذه الحمام كانت بحارة الديلم انشأها الامير سيف الدين حسين ابن ابى الهيجاء المروانى حامل السيف المنصور وأوقفها هى وجميع الآدر المجاورة لها على اولاده وذريته فلما زالت الدولة الفاطمية عرفت بالامير عز الدين ايبك الرصاصى ولم تزل باقية الى بعد سنة اربعين وسبعمائة ثم خربت *(حمام الجيوشى) هذه الحمام كانت بحارة برجوان على يمنة من دخل من رأس الحارة وكانت من حقوق دار المظفر ابن امير الجيوش ثم صارت بعد زوال الدولة الفاطمية من جملة ما اوقفه الملك العادل ابو بكر ابن ايوب على رباطه الذى كان بخط النخالين من فسطاط مصر ثم وضع بنو الكويك اصهار قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة ايديهم عليها فى جملة ما وضعوا ايديهم عليه من الاوقاف بحارة ابن جماعة وانتفعوا بريعها مدة سنين ثم خربوها بعد سنة اربعين وسبعمائة وموضعها الآن بجوار دار قاضى القضاة شمس الدين محمد الطرابلسى وبعضها داخل فى الدار المذكورة وبئرها بجوار القبو الذى يسلك من تحته الى حمام الرومى داخل حارة برجوان ويعلو هذا العقد حاصل الماء الذى للحمام ويمر على مجراه من حجرة مركبة على جدار بجوار القبو الى الحمام المذكورة وآثار هذا الجدار باقية الى اليوم وكان قد استأجر هذه البئر والقبو بعد تعطل الحمام القاضى ابو الفداء تاج الدين اسمعيل بن احمد بن الخطباء المخزومى من مباشرى اوقاف رباط العادل وبنى على البئر وبجوارها دارا سكنها مدة اعوام وأنشأ باعلى حاصل الماء المركب على القبو مشرفا عاليا تأنق فى ترخيمه ودهانه وكتب بدائره

مشترف كم شبهوه الادبا * لحسنه اذ جاء شيأ عجبا
فقال قوم قلعة مبنية * وآخرون شبهوه مرقبا
وشاعر أعجبه ترخيمه * فقال تلك روضة فوق الربا
وقائل ماذا ترى تشبيهه * فقلت هذا منبر ابن الخطبا

ثم خربت هذه الدار بعد موت ابن الخطباء واحترقت فى سنة تسع وثمانمائة وآثارها باقية ومازال ابن الخطباء يدفع حكر هذه البئر وهذا القبو لجهة الرباط العادلى حتى خرب وعفى اثره وجهل مكانه وقد رأيته فى سنة اربع وتسعين وسبعمائة عامرا *(حمام الرومى) هذه الحمام بجوار حارة برجوان عرفت بالامير سنقر الرومى الصالحى احد الامراء فى ايام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى انشأها بجوار اسطبله الذى يعرف اليوم باسطبل ابن الكويك وذلك تجاه رحبة داره التى عرفت بدار مازان ووقف هذه الدار والاسطبل والحمام المذكورة فى سنة اثنين وستين وستمائة فأما الدار فانها صارت اخيرا بيد رجل من عامة الناس يعرف بعيسى البناء فباعها القاضى بعد ما خربها فى سنة سبع وثمانمائة لرجل من المباشرين فهدمها ليعمرها عمارة جليلة فلم يمهل وعاجله القضاء فمات وصارت خربة فابتاعها بعض الناس من ورثة المذكور وشرع فى عمارة شئ منها وأما الاصطبل والحمام فوضع بنو الكويك ايديهم عليهما مدة اعوام حتى صار املاكا لهم يورثان وهما الآن بيد شرف الدين محمد بن محمد بن الكويك وقد جعل ما يخصه من الحمام وقفا على نفسه ثم على اناس من بعده وفى هذه الحمام حصة ايضا وقفها شيخنا برهان الدين ابراهيم الشامى الضرير على امته وهى بيدها *(سنقر الرومى) الصالحى النجمى احد مماليك الملك الصالح نجم الدين ايوب البحرية ترقى عنده فى الخدم حتى صار جامدارا وكان من خوشداشية بيبرس البندقدارى وأصدقائه فلما قتل الفارس اقطاى فى ايام الملك المعز ايبك التركمانى وخرج البحرية من القاهرة الى بلاد الشام كان سنقر ممن خرج ورافق بيبرس وارتفق بصحبته ونال منه مالا وثيابا وغير ذلك وتنقل معه فى الكرك الى ان كان من امره فى الصيد مع صاحب الكرك فطلب سنقر من بيبرس شيأ فلم يجبه وامتنع من اعطائه فخنق وفارقه الى مصر فأقام بها ثم ان بيبرس قدم الى مصر بعد ذلك وقد صار اميرا فلم يعبأ بسنقر ولا قدم اليه شيأ كعادة الخوشداشية فلما صار الامر الى بيبرس وملك بعد قطز قدم سنقر واعطاه

الاقطاعات الجليلة ونوه بقدره فلم يرض فصار اذا اورد عليه الانعام السلطاني لا يأخذه بقبول ويخلو كل وقت بجماعة بعد جماعة ويفرق فيهم المال فيبلغ ذلك السلطان ويغضي عنه وربما بعث اليه وحذره مع الامير قلاوون وغيره فلم ينته ثم انه قتل مملوكين من مماليكه بغير ذنب فعز قتلهما على السلطان فطلبه فى رابع عشرى ذى الحجة سنة ثلاث وستين وستمائة واعتقله فقال اريد اعرف ذنبي فبعث اليه السلطان يعدد ذنوبه فتحسر وقال اواه لو كنت حاضرا قتل الملك المظفر قطز حتى اعاندنى الذى جرى وكان كثيرا ما يقول ذلك وبلغ هذا القول منه السلطان فى حال امرته فقال انت اخى وتتحسر كونك ما قدرت ان تعين عليّ * (حماما سويد) هاتان الحمامان بآخر سويقة امير الجيوش عرفتا بالامير عز الدين معالى بن سويد وقد خربت احداهما ويقال انها غارت فى الارض وهلك فيها جماعة وبقيت الاخرى وهى الآن بيد الخليفة ابى الفضل العباس بن محمد المتوكل * (حمام طغلق) هذه الحمام بجوار درب المنصورى من خط حارة الصالحية صارت اخيرا بيد ورثة الامير قطلوبغا المنصورى حاجب الحجاب فى ايام الملك الاشرف شعبان بن حسين وكانت معدة لدخول الرجال ثم تعطلت بعد سنة تسعين وسبعمائة واخذ حاصلها وعهدى بها بعد سنة ثمانمائة اطلالا واهية * (حمام ابن علكان) هذه الحمام كانت بحارة الجودرية انشأها الامير شجاع الدين عثمان بن علكان صهر الامير الكبير فخر الدين عثمان بن قزل ثم انتقلت الى الامير علم الدين سنجر الصيرفى الصالحى النجمى ومازالت الى ان خربت بعد سنة اربعين وسبعمائة فعمر مكانها الامير ازدمر الكاشف اسطبلا بعد سنة خمسين وسبعمائة * (حمام الصاحب) هذه الحمام بخط طواحين الملحيين * (حمام كتبغا الاسدى) هذه الحمام موضعها الآن المدرسة الناصرية بخط بين القصرين * (حمام ألتطمش خان) هذه الحمام كانت بجوار ميضاة الملك ركن الدين الظاهر بيبرس المجاورة للمدرسة الظاهرية بخط بين القصرين انشأتها الخاتون التطمش خان زوجة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ثم خربت وصار موضعها زقاقا فلما ولى كمال الدين عمر بن العديم قضاء القضاة الحنفية بالديار المصرية فى سلطنة الملك الناصر فرج شرع فى عمارة هذا الزقاق فمات ولم يكمله فوضع الامير جمال الدين يده فى العمارة وأنشأها فندقا جعله وقفا فيما وقف على مدرسته التى انشأها برحبة باب العيد فلما قتله الملك الناصر فرج واستولى على جميع ما تركه جعل هذا الفندق من جملة ما ارصده للتربة التى انشأها على قبر ابيه الملك الظاهر برقوق خارج باب النصر * (حمام القاضى) هذه الحمام من جملة خط درب الاسوانى وهى من الحمامات القديمة كانت تعرف بانشاء شهاب الدولة بدر الخاص احد رجال الدولة الفاطمية ثم انتقلت الى ملك القاضى السعيد أبي المعالى هبة الله بن فارس وصارت بعده الى ملك القاضى كمال الدين ابى حامد محمد ابن قاضى القضاة صدر الدين عبد الملك بن درباس المارانى فعرفت بحمام القاضى الى اليوم ثم باع ورثة ابى حامد منها حصة للامير عز الدين ايدمر الحلى نائب السلطنة فى ايام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس وصارت منها حصة الى الامير علاء الدين طيبرس الخازندارى فجعلها وقفا على مدرسته المجاورة للجامع الازهر * (حمام الخراطين) هذه الحمام انشأها الامير نور الدين ابو الحسن على بن نجا بن راجح بن طلائع فعرفت بحمام ابن طلائع وكان بجوارها حمام اخرى تعرف بحمام السوباشى فخربت ومستوقد حمام ابن طلائع هذه الى الآن من درب ابن طلائع الشارع بسوق الفرايين الآن ولها منه ايضا باب وصارت اخيرا فى وقف الامير علم الدين سنجر السرورى المعروف بالخياط والى القاهرة وتوفى فى سنة ثمان وتسعين وستمائة فاغتصبها الامير جمال الدين يوسف الاستادار فى جملة ما اغتصب من الاوقاف والاملاك وغيرها وجعلها وقفا على مدرسته برحبة باب العيد وهى الآن موقوفة عليها * (حمام الخشيبة) هذه الحمام بجوار درب السلسلة كانت تعرف بحمام قوام الدولة خبير ثم صارت حماما لدار الوزير المأمون ابن البطائحى فلما قتل الخليفة الآمر بأحكام الله وعملت خشيبة تمنع الراكب ان يمر من تجاه المشهد الذى بنى هناك عرفت هذه الحمام بخشيبة تصغير خشبة وقد تقدم ذلك مبسوطا عند ذكر الاخطاط من هذا الكتاب قال ابن عبد الظاهر مدرسة السيوفيين وقفها الامير عز الدين فرج شاه على الحنفية وكانت هذه الدار قديما تعرف بدار المأمون بن البطائحى وحمام الخشيبة كانت لها فبيعت وهذه الحمام هى الآن فى اوقاف خوند طغاى ام انوك ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون على تربتها التى فى الصحراء خارج باب البرقية * (حمام الكويك) هذه الحمام فيما بين حارة زويلة ودرب شمس الدولة انشأها الوزير عباس احد

وزراء الدولة الفاطمية لداره التي موضعها الآن درب شمس الدولة ثم جددها شخص من التجار يعرف بنور الدين على بن محمد بن احمد بن محمود بن الكويك الربعي التكريتي في سنة تسع واربعين وسبعمائة فعرفت به الى اليوم * (حمام الجويني) هذا الحمام بجوار حمام ابن الكويك فيما بينها وبين البندقانيين عرفت بالامير عز الدين ابراهيم بن محمد ابن الجويني والي القاهرة في ايام الملك العادل ابي بكر ابن ايوب توفي سلخ جمادى الاولى سنة احدى وستمائة فانه انشأها بجوار داره والعامة تقول حمام الجهيني بهاء وهو خطأ وتنقلت الى ان اشتراها القاضي اوحد الدين عبد الواحد بن ياسين كاتب السر الشريف في ايام الملك الظاهر برقوق بطريق الوكالة عن الملك الظاهر وجعلها وقفا على مدرسته العظمى بخط بين القصرين وهي الآن في جملة الموقوف عليها * (حمام القفاصين) هذا الحمام بالقرب من رأس حارة الديلم انشأها نجم الدين يوسف ابن المجاور وزير الملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب * (حمام الصغيره) هذه الحمام على يمنة من سلك من رأس حارة بهاء الدين وهي تجاه دار قراسنقر أنشأها الامير فخر الدين بن رسول التركماني ورسول هذا جد ملوك اليمن الآن وقد تعطلت هذه الحمام منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة * (حمام الاعسر) هذه الحمام موضعها من جملة دار الوزارة وهي الآن بجوار باب الجوانية انشأها الامير شمس الدين سنقر المعزى الظاهري المنصوري * (سنقر الاعسر) كان احد مماليك الامير عز الدين ايدمر الظاهري نائب الشام وجعله دواداره فباشر الدوادارية لاستاذه بدمشق ونفسه تكبر عنها فلما عزل ايدمر من نيابة الشام في ايام الملك المنصور قلاوون وحضر الى قلعة الجبل اختار السلطان عدة من مماليكه منهم سنقر الاعسر هذا فاشتراه وولاه نيابة الاستادارية ثم سيره في سنة ثلاث وثمانين وستمائة الى دمشق وأعطاه امرة وولاه شد الدواوين بها واستادارا فصارت له بالشام سمعة زائدة الى ان مات قلاوون وقام من بعده الاشرف خليل واستوزر الوزير شمس الدين السلعوس طلب سنقر الى القاهرة وعاقبه وصادره فتوصل حتى تزوج بابنة الوزير على صداق مبلغه ألف وخمسمائة دينار فأعاده الى حالته ولم يزل الى ان تسلطن الملك العادل كتبغا واستوزر الصاحب فخر الدين ابن الخليلي وقبض على سنقر وعلى سيف الدين استدمر وصادرهما وأخذ من سنقر خمسمائة الف درهم وعزله عن شد الدواوين وأحضره الى القاهرة فلما وثب الامير حسام الدين لاجين على كتبغا وتسلطن ولى سنقر الوزارة عوضا عن ابن خليل في جمادى الاولى سنة ست وتسعين وسبعمائة ثم قبض عليه في ذى الحجة منها وذلك انه تعاظم في وزارته وقام بحق المنصب يريد ان يتشبه بالشجاعي وصار لا يقبل شفاعة احد من الامراء ويخرق بنوابهم وكان في نفسه متعاظما وعنده شمم الى الغاية مع سكون في كلامه بحيث انه اذا فاوض السلطان في مهمات الدولة كما هي عادة الوزراء لا يجيب السلطان بجواب شاف وصار يتبين منه للسلطان قلة الاكتراث به فأخذ في ذمه وعيبه بما عنده من الكبر وصادفه الغرض من الامراء وشرعوا في الحط عليه حتى صرف وقيد فأرسل يسأل السلطان عن الذنب الذى اوجب هذه العقوبة فقال ماله عندى ذنب غير كبره فاني كنت اذا دخل الى احسب انه هو السلطان وأنا الاعسر فصدره منقام وحديثي معه كأني احدث استاذي وقرر من بعده في الوزارة ابن الخليلي فلما قتل لاجين وأعيد الملك الناصر محمد بن قلاوون الى الملك ثانيا افرج عن سنقر الاعسر وعن جماعة من الامراء وأعاد الاعسر الى الوزارة في جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وفي وزارته هذه كانت هزيمة الملك الناصر بعساكره من غازان فتولى ناصر الدين الشيخي والي القاهرة جباية الاموال من التجار وأرباب الاموال لاجل النفقة على العساكر وقرر في وزارته على كل اردب غلة خروبة اذا طلع الى الطحان وقرر ايضا نصف الشمسرة ومعناها انه كان للمنادى على الثياب اجرة دلالته على كل ما مبلغه مائة درهم درهمين فيؤخذ منه درهم منهما ويفضل له درهم واستخدم على هاتين الجهتين نحو مائتين من الاجناد البطالين وتحصل في بيت المال من اموال المصادرات مبلغ عظيم ثم خرج الوزير بمائة من مماليك السلطان وتوجه الى بلاد الصعيد وقد وقعت له في النفوس مهابة عظيمة فكبس البلاد وأتلف كثيرا من المفسدين من اجل انه لما حصلت وقعة غازان كثر طمع العربان في المغل ومنعوا كثيرا من الخراج وعصوا الولاة وقطعوا الطريق ومازال يسير الى الاعمال القوصية فلم يدع فرسا لفلاح ولا قاض ولا متعمم حتى اخذه وتتبع السلاح ثم حضر بالف وستين فرسا وثمانمائة وسبعين جملا وألف وستمائة رمح وألف ومائتي سيف وتسعمائة درقة وستة آلاف رأس غنم وقتل عدة من

الناس فنهدت البلاد وقبض الناس مغلهم بتمامه واتفقت واقعة النصارى التي ذكرت عند ذكر كنائس النصارى من هذا الكتاب في ايامه فأمر بالتاج ابن سعيد الدولة احد مستوفي الدولة وكان فيه زهو وحمق عظيم وله اختصاص بالامير ركن الدين بيبرس الجاشنكيرى فعرى وضرب بالمقارع ضربا مبرحا فأظهر الاسلام وهو في العقوبة فأمسك عنه وألزمه بحمل مال فالتجأ الى زاوية الشيخ نصر المنبجي وترامى على الشيخ فقام في امره حتى عفى عنه فكره الامراء الاعسر لكثرة شممه وتعاظمه فكلموا الاميرركن الدين بيبرس الجاشنكيرى واليه امر الدولة في ولاية الاميرعز الدين ايبك البغدادي الوزارة وساعدهم على ذلك الاميرسلار فولى الاعسر كشف القلاع الشامية واصلاح امورها وترتيب رجالها وسائر ما يحتاج اليه وخلع على الامير أيبك خلع الوزارة في آخر سنة سبعمائة فلما عاد استقر أحد امراء الالوف وحج في صحبة الاميرسلار ومات بالقاهرة بعد أمراض في سنة تسع وسبعمائة وكان عارفا خبيرا مهابا له سعادات طائلة ومكارم مشهورة ولحاشيته ثروة متسعة وغالب مماليكه تأمروا بعده وممن مدحه الوداعي وابن الوكيل * (حمام الحسام) هذا الحمام بداخل باب الجوانية * (حمام الصوفية) هذا الحمام بجوار الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء أنشاها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لصوفية الخانقاه وهي الى الآن جارية في اوقافهم ولا يدخلها يهودي ولا نصراني * (حمام بهادر) هذا الحمام موضعها من جملة القصروهي بجوار دار حجي أنشأها الامير بهادر استادار الملك الظاهر برقوق وقد تعطلت * (حمام الدود) هذا الحمام خارج باب زويلة في الشارع تجاه زقاق خان حلب بجوار حوض سعد الدين مسعود ابن هنس عرفت بالاميرسيف الدين الدود الجاشنكيري أحد امراء الملك المعز ايبك التركماني وخال ولده الملك المنصور نور الدين علي بن الملك المعز ايبك فلما وثب الاميرسيف الدين قطز نائب السلطنة بديار مصر على الملك المنصور علي بن الملك المعز أيبك واعتقله وجلس على سرير المملكة قبض على الامير الدود في ذي الحجة سنة سبع وخمسين وستمائة واعتقله وهذه الحمام الى اليوم بيد ذرية الدود من قبل بنائه موقوفة عليهم * (حمام ابن أبي الحوافر) هذا الحمام خارج مدينة مصر بجوار الجامع الجديد الناصري كان موضعها وما حولها عامرا بماء النيل ثم انحسر عنه الماء وصار جزيرة فبنى الناس عليها بعد الخمسمائة من سني الهجرة كما ذكر عند ذكر ساحل مصر من هذا الكتاب وعرفت هذه الحمام بالقاضي فتح الدين أبي العباس أحمد بن الشيخ جمال الدين أبي عمرو عثمان ابن هبة الله بن احمد بن عقيل بن محمد بن أبي الحوافر رئيس الاطباء بديار مصر ومات ليلة الخميس الرابع عشر من شهر رمضان سنة سبع وخمسين وستمائة ودفن بالقرافة * (حمام قتال السبع) هذه الحمام خارج باب القوس من ظاهر القاهرة في الشارع المسلوك فيه من باب زويلة الى صليبة جامع ابن طولون وموضعها اليوم بجوار جامع قوصون عمرها الاميرجمال الدين اقوش المنصوري المعروف بقتال السبع الموصلي بجانب داره التي هي اليوم جامع قوصون فلما أخذ قوصون الدار المذكورة وهدمها وعمر مكانها هذا الجامع اراد أخذ الحمام وكانت وقفا فبعث الى قاضي القضاة شرف الدين الحنبلي الحراني يلتمس منه حل وقفها فأخرب منها جانبا وأحضر شهود القيمة فكتبوا محضرا يتضمن أن الحمام المذكورة خراب وكان فيهم شاهد امتنع من الكتابة في المحضر وقال ما يسعني من الله أن ادخل بكرة النهار في هذا الحمام واطهر فيها ثم أخرج منها وهي عامرة وأشهد بعد ضحوة نهار من ذلك اليوم أنها خراب فشهد غيره واثبت قاضي القضاة الحنبلي المحضر المذكور وحكم ببيعها فاشتراها الامير قوصون من ورثة قتال السبع وهي اليوم عامرة بعمارة ما حولها * (حمام لؤلؤ) هذه الحمام برأس رحبة الايدمري ملاصقة لدار السناني من القاهرة أنشأها الاميرحسام الدين لؤلؤ الحاجب * (لؤلؤ الحاجب) كان ارمني الاصل ومن جملة اجناد مصر في ايام الخلفاء الفاطميين فلما استولى صلاح الدين يوسف بن أيوب على مملكة مصر خدم تقدمة الاسطول وكان حيثما توجه فتح وانتصر وغنم ثم ترك الجندية وزوج بناته وكن أربعا بجهاز كاف وأعطى ابنيه ما يكفيهما ثم شرع يتصدق بما بقي معه على الفقراء بترتيب لا خلل فيه ودواما لا سأمة معه وكان يفرق في كل يوم اثني عشر ألف رغيف مع قدور الطعام واذا دخل شهر رمضان أضعف ذلك وتبتل للتفرقة من الظهر في كل يوم الى نحو صلاة العشاء الآخرة ويضع ثلاثة مراكب طول كل مركب أحد وعشرون ذراعا مملوءة طعاما ويدخل الفقراء أفواجا وهو قائم مشدود الوسط كأنه راعي غنم وفي يده مغرفة وفي الاخرى جرة سمن وهو يصلح صفوف الفقراء ويقرب اليهم الطعام والودك ويبدأ بالرجال ثم بالنساء

ثم بالصبيان وكان الفقراء مع كثرتهم لا يزدحمون لعلمهم أن المعروف يعمهم فاذا انتهت حاجة الفقراء بسط سماطا للاغنياء تعجز الملوك عن مثله وكان له مع ذلك على الاسلام منة توجب أن يترحم عليه المسلمون كلهم وهى أن فرنج الشوبك والكرك توجهوا نحو مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لينبشوا قبره صلى الله عليه وسلم وينقلوا جسده الشريف الى بلادهم ويدفنوه عندهم ولا يمكنوا المسلمين من زيارته الا بجعل فأنشأ البرنس ارناط صاحب الكرك سفنا حملها على البر الى بحر القلزم واركب فيها الرجال وأوقف مركبين على جزيرة قلعة القلزم تمنع اهلها من استقاء الماء فسارت الفرنج نحو عيذاب فقتلوا وأسروا ومضوا يريدون المدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة والتسليم وذلك فى سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وكان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على حران فلما بلغه ذلك بعث الى سيف الدولة ابن منقذ نائبه على مصر يأمره بتجهيز الحاجب لؤلؤ خلف العدو فاستعد لذلك وأخذ معه قيودا وسار فى طلبهم الى القلزم وعمر هناك مراكب وسار الى ايلة فوجد مراكب للفرنج فحرقها وأسر من فيها وسار الى عيذاب وتبع الفرنج حتى ادركهم ولم يبق بينهم وبين المدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة والتسليم الا مسافة يوم وكانوا ثلاثمائة ونيفا وقد انضم اليهم عدة من العربان المرتدة فعند ما لحقهم لؤلؤ فرت العربان فرقا من سطوته ورغبة فى عطيته فانه كان قد بذل الاموال حتى انه علق اكياس الفضة على رؤس الرماح فلما فرت العربان التجأ الفرنج الى رأس جبل صعب المرتقى فصعد اليهم فى عشرة انفس وضايقهم فيه فخارت قواهم بعد ما كانوا معدودين من الشجعان واستسلموا فقبض عليهم وقيدهم وحملهم الى القاهرة فكان لدخولهم يوم مشهود وتولى قتلهم الصوفية والفقهاء وارباب الديانة بعد ما ساق رجلين من اعيان الفرنج الى منى ونحرهما هناك كما تنحر البدن التى تساق هديا الى الكعبة ولم يزل على فعل المعروف الى أن مات رحمه الله فى صميم الفلا وقد قرب منتهاه فى اليوم التاسع من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن بتربته من القرافة وهى التى حفر فيها البئر ووجد فى قعرها عند الماء اسطام مركب وهذا الحمام تفتح تارة وتغلق كثيرا وهى باقية الى يومنا هذا من جملة أوقاف الملك والله تعالى اعلم بالصواب

(ذكر القياسر)

ذكر ابن المتوج قياسر مصر وهى قيسارية المحلى وقيسارية الضيافة وقف المارستان المنصورى وقيسارية شبل الدولة وقيسارية ابن الارسوفى وقيسارية ورثة الملك الظاهر بيبرس وقيساريتا ابن ميسر وقد خربت كلها *(قيسارية ابن قريش) هذه القيسارية فى صدر سوق الجلون الكبير بجوار باب سوق الوراقين ويسلك اليها من الجلون ومن سوق الاخفافيين المسلوك اليه من البندقانيين وبعضها الآن سكن الارمنيين وبعضها سكن البزازين قال ابن عبد الظاهر استجدها القاضى المرتضى ابن قريش فى الايام الناصرية الصلاحية وكان مكانها اسطبلا انتهى * وهو القاضى المرتضى صفى الدين أبو المجد عبد الرحمن بن على بن عبد العزيز بن على بن قريش المخزومى أحد كتاب الانشاء فى ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب قتل شهيدا على عكا فى يوم الجمعة عاشر جمادى الاولى سنة ست وثمانين وخمسمائة ودفن بالقدس ومولده فى سنة أربع وعشرين وخمسمائة وسمع السلفى وغيره *(قيسارية الشرب) هذه القيسارية بشارع القاهرة تجاه قيسارية جهاركس قال ابن عبد الظاهر وقفها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب على الجماعة الصوفية يعنى بخانقاه سعيد السعداء وكانت اسطبلا انتهى وما برحت هذه القيسارية مرعية الجانب اكراما للصوفية الى أن كانت ايام الملك الناصر فرج وحدثت الفتن وكثرت مصادرات التجار انخرق ذلك السياج وعومل سكانها بانواع من العسف وهى اليوم من اعمر أسواق القاهرة *(قيسارية ابن ابى أسامة) هذه القيسارية بجوار الجلون الكبير على يسرة من سلك الى بين القصرين يسكنها الآن الخردفوشية وقفها الشيخ الاجل أبو الحسن على بن احمد بن الحسن بن أبى أسامة صاحب ديوان الانشاء فى ايام الخليفة الآمر باحكام الله وكانت له رتبة خطيرة ومنزلة رفيعة ونعت بالشيخ الاجل كاتب الدست الشريف ولم يكن أحد يشاركه فى هذا النعت بديار مصر فى زمانه وكان وقف هذه القيسارية فى سنة ثمان عشرة وخمسمائة وتوفى فى شوال سنة اثنين وعشرين وخمسمائة *(قيسارية سنقر الاشقر) هذه القيسارية على يسرة من يدخل من باب زويلة فيما بين خزانة شمائل ودرب الصغيرة تجاه قيسارية الفاضل أنشأها الامير شمس الدين سنقر الاشقر الصالحى النجمى أحد المماليك البحرية ولم تزل الى أن هدمت وادخلت

في الجامع المؤيدي لايام من جمادى الاولى سنة ثمان عشرة وثمانمائة * (قيسارية امير علي) هذه القيسارية بشارع القاهرة تجاه الجملون الكبير بجوار قيسارية جهاركس يفصل بينهما درب قيطون عرفت بالامير علي بن الملك المنصور قلاون الذي عهد له بالملك ولقبه بالملك الصالح ومات في حياة ابيه كما قد ذكر في فندق الملك الصالح * (قيسارية رسلان) هذه القيسارية فيما بين درب الصغيرة والجامع التي أنشأها الامير بهاء الدين رسلان الدوادار وجعلها وقفا على خانقاه له بمنشأة المهراني وكانت من أحسن القياسر فلما عزم الملك المؤيد شيخ على بناء مدرسته هدمها في جمادى الاولى سنة ثمان عشرة وثمانمائة وعوّض أهل الخانقاه عنها خمسمائة دينار * (قيسارية جهاركس) قال ابن عبد الظاهر بناها الامير فخر الدين جهاركس في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وكانت قبل ذلك يعرف مكانها بفندق الفراخ ولم تزل في يد ورثته وانتقل الى الامير علم الدين ايتمش منها جزء بالميراث عن زوجته والى بنت شومان من اهل دمشق ثم اشتريت لوالدة خليل المسماة بشجر الدر الصالحية في سنة خمس وخمسين وستمائة وهي مع حسنها واتقان بنائها كأنها تجرد من الغصب جميع ما فيها وذكر بعض المؤرخين أن صاحبها جهاركس نادى عليها حين فرغت فبلغت خمسة وتسعين ألف دينار على الشريف فخر الدين اسماعيل بن ثعلب وقال لصاحبها أنا انقدك ثمنها أي نقد شئت ان شئت ذهبا وان شئت فضة وان شئت عروض تجارة وقيسارية جهاركس تجري الآن في وقف الامير بكتمر الجوكندار نائب السلطنة بعد سلار على ورثته وقال القاضي شمس الدين احمد بن محمد بن خلكان * (جهاركس) بن عبد الله فخر الدين أبو المنصور الناصري الصلاحي كان من اكبر أمراء الدولة الصلاحية وكان كريما نبيل القدر علي الهمة بنى بالقاهرة القيسارية الكبرى المنسوبة اليه رأيت جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون لم نر في شئ من البلاد مثلها في حسنها وعظمها واحكام بنائها وبنى بأعلاها مسجدا كبيرا وربعا معلقا وتوفي في بعض شهور سنة ثمان وستمائة بدمشق ودفن في جبل الصالحية وتربته مشهورة هناك رحمه الله وجهاركس بفتح الجيم والهاء وبعد الالف راء ثم كاف مفتوحة ثم سين مهملة ومعناه بالعربي أربعة انفس وهو لفظ عجمي وقال الحافظ جمال الدين يوسف بن احمد بن محمود اليغموري سمعت الامير الكبير الفاضل شرف الدين أبا الفتح عيسى بن الامير بدر الدين محمد بن ابي القاسم بن محمد بن احمد الهكاري البحتري الطائي المقدسي بالقاهرة ومولده سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بالبيت المقدس شرفه الله تعالى وتوفي بدمشق في ليلة الاحد تاسع عشري ربيع الآخر سنة تسع وستمائة ودفن بسفح جبل قاسيون رحمه الله قال حدثني الامير صارم الدين خطلبا التبنيني صاحب الامير فخر الدين أبي المنصور جهاركس بن عبد الله الناصري الصلاحي رحمه الله قال بلغ الامير فخر الدين ان بعض الاجناد عنده فرس قد دفع له فيه ألف دينار ولم يسمح ببيعه وهو في غاية الحسن فقال لي الامير يا خطلبا اذا ركبنا ورأيت في الموكب هذا الفرس نبهني عليه حتى أبصره فقلت السمع والطاعة فلما ركبنا في الموكب مع الملك العزيز عثمان بن الملك الناصر رحمه الله رأيت الجندي على فرسه فتقدمت الى الامير فخر الدين وقلت له هذا الجندي وهذا الفرس راكبه فنظر اليه وقال اذا خرجنا من سماط السلطان فانظر أين الفرس وعرفني به فلما دخلنا الى سماط الملك العزيز عجل الامير فخر الدين وخرج قبل الناس فلما بلغ الى الباب قال لي اين الفرس قلت ها هو مع الركاب دار فقال لي أدعه فدعوته اليه فلما وقف بين يديه والفرس معه أمره الامير بأخذ الغاشية ووضع الامير رجله في ركابه وركبه ومضى به الى داره وأخذ الفرس فلما خرج صاحبه عرفه الركاب دار بما فعله الامير فخر الدين فسكت ومضى الى بيته وبقي اياما ولم يطالب الفرس فقال لي الامير فخر الدين يا خطلبا ما جاء صاحب الفرس ولا طلبه اطلب لي صاحبه قال فاجتمعت به واخبرته بأن الامير يطلب الاجتماع به فسارع الى الحضور فلما دخل عليه اكرمه الامير ورفع مكانه وحدثه وآنسه وبسطه وحضر سماطه فقربه وخصصه من طعامه فلما فرغ من الاكل قال له الامير يا فلان ما بالك ما طلبت فرسك وله عندنا مدة فقال يا خوند وما عسى أن يكون من هذا الفرس وما ركبه الامير الا وهو قد صلح له وكلما صلح للمولى فهو على العبد حرام ولقد شرفني مولانا بأن جعلني أهلا أن يتصرف في عبده والمملوك يحسب ان هذا الفرس قد أصابه مرض فمات وأما الآن فقد وقع في محله وعند أهله ومولانا احق به وما اسعد المملوك اذا صلح لمولانا عنده شئ فقال له الامير بلغني أنك أعطيت فيه ألف دينار قال كذلك كان قال فلم لم تبعه فقال يا مولانا هذا الفرس

جعلته للجهاد وأحسن ما جاهد الانسان على فرس يعرفه ويثق به وما مقدار هذا الفرس له اسوة فاستحسن الامير همته وشكره ثم اشار الىّ فتقدمت اليه فقال لى فى اذنى اذا خرج هذا الرجل فاخلع عليه الخلعة الفلانية من الخز ملبوس الامير وأعطه ألف دينار وفرسه فلما نهض الرجل اخذته الى الفرش خاناه وخلعت عليه الخلعة ودفعت اليه الكيس وفيه ألف دينار فخدم وشكر وخرج فقدّم اليه فرسه وعليه سرج خاص من سروج الامير وعدّة فى غاية الجودة فقيل اركب فرسك فقال كيف أركبه وقد اخذت ثمنه وهذه الخلعة زيادة على ثمنه ثم رجع الى الامير فقبل الارض وقال ياخوند تشريف مولانا لا يردّ وهذا ثمن الفرس قد أحضره المملوك فقال له الامير فخر الدين يا هذا نحن جرّبناك فوجدناك رجلا جيدا ولك همة وانت أحق بفرسك خذ هذا ثمنه ولا تبعه لاحد فخدمه وشكره ودعا له وأخذ الفرس والخلعة والالف دينار وانصرف * واخبرنى أيضا الامير شرف الدين ابن أبى القاسم قال اخبرنى صارم الدين التبنينى أيضا أن الامير فخر الدين خدم عنده بعض الاجناد فعرض عليه فأعجبه شكله وقال لديوانه استخدموا هذا الرجل فتكلموا معه وقدروا له فى السنة اثنى عشر ألف درهم فرضى الرجل وانتقل الى حلقة الامير قوصون وضرب خيمته وأحضر بركه فلما كان بعض الايام رجع الامير من الخدمة فعبر فى جنب خيمة هذا الرجل فرأى خيمة حسنة وخيلا جيادا وجمالا وبغالا وبركا فى غاية الجودة فقال هذا البرك لمن فقيل هذا برك فلان الذى خدم عند الامير فى هذه الايام فقال قولوا له مالك عندنا شغل تمضى فى حال سبيلك فلما قيل للرجل ذلك أمر بأن تحط خيمته وأتى الىّ وقال يا مولانا أنا رائح وها أنا قد حملت بركى ولكن اشتهى منك أن تسأل الامير ما ذنبى قال فدخلت الى الامير وأخبرته بما قال الرجل فقال والله ماله عندى ذنب الا أن هذا البرك وهذه الهمة يستحق بها اضعاف ما أعطى فأنكرت عليه كيف رضى بهذا القدر اليسير وهو يستحق أن تكون أربعين ألف درهم وتكون قليلة فى حقه فاذا خدم بثلاثين ألف درهم يكون قد ترك لنا عشرة آلاف درهم فهذا ذنبه عندى فرجعت الى الرجل فأعلمته بما قال الامير فقال انما خدمت عند الامير ورضيت بهذا القدر لعلى ان الامير اذا عرف حالى فيما بعد لا يقنع لى بهذا الجارى فكنت على ثقة من احسان الامير أبقاه الله وأما الآن فلا ارضى أن اخدم الا بثلاثين ألف درهم كما قال الامير فرجعت الى الامير وأخبرته بما قال الرجل فقال يجرى له ما طلب وخلع عليه وأحسن اليه وكان الامير فخر الدين جهاركس مقدّم الناصرية والحاكم بديار مصر فى ايام الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب الى أن مات العزيز فمال الامير فخر الدين جهاركس الى ولاية ابن الملك العزيز وفاوض فى ذلك الامير سيف الدين يازكوج الاسدىّ وهو يومئذ مقدّم الطائفة الاسدية وكان الملك العزيز قد أوصى بالملك لولده محمد وأن يكون الامير الطواشى بهاء الدين قراقوش الاسدىّ مدبر أمره فأشار يازكوج باقامة الملك الافضل علىّ بن صلاح الدين فى تدبير أمر ابن العزيز فكره جهاركس ذلك ثم انهم اقاموا ابن العزيز ولقبوه بالملك المنصور وعمره نحو تسع سنين ونصبوا قراقوش اتابكا وهم فى الباطن يختلفون عليه وما زالوا يسعون عليه فى ابطال أمر قراقوش حتى اتفقوا على مكاتبة الافضل المتقدّم ذكره وحضوره الى مصر ويعمل اتابكية المنصور مدة سبع سنين حتى يتأهل بالاستبداد بالملك بشرط أن لا يرفع فوق رأسه سنجق الملك ولا يذكر اسمه فى خطبة ولا سكة فلما سار القاصد الى الافضل بكتب الامراء بعث جهاركس فى الباطن قاصدا على لسانه ولسان الطائفة الصلاحية بكتبهم الى الملك العادل أبى بكر ابن أيوب وكتب الى الامير ميمون القصرىّ صاحب نابلس يأمره بأن لا يطيع الملك الافضل ولا يحلف له فاتفق خروج الملك الافضل من صرخد ولقاه قاصد فخر الدين جهاركس فأخذ منه الكتب وقال له ارجع فقد قضيت الحاجة وسار الى القاهرة ومعه القاصد فلما خرج الامراء من القاهرة الى لقائه ببلبيس فعمل له فخر الدين سماطا احتفل فيه احتفالا زائدا لينزل عنده فنزل عند أخيه الملك المؤيد نجم الدين مسعود فشق ذلك على جهاركس وجاء الى خدمته فلما فرغ من طعام أخيه صار الى خيمة جهاركس وقعد ليأكل فرأى جهاركس قاصده الذى سيره فى خدمة الافضل فدهش وأيقن بالشر فللحال استأذن الافضل أن يتوجه الى العرب المختلفين بأرض مصر ليصلح بينهم فأذن له وقام من فوره واجتمع بالامير زين الدين قراجا والامير أسد الدين قراسنقر وحسن لهما مفارقة الافضل فسارا معه الى القدس وغلبوا عليه ووافقهم الامير عز الدين أسامة والامير ميمون القصرى فقدم عليهم فى سبعمائة فارس ولما صاروا كلمة واحدة كتبوا الى الملك العادل يستدعونه للقيام باتابكية الملك

المنصور

المنصور محمد بن العزيز بمصر وأما الافضل فانه لما دخل من بلبيس الى القاهرة قام بتدبير الدولة وأمر الملك بحيث لم يبق للمنصور معه سوى مجرّد الاسم فقط وشرع فى القبض على الطائفة الصلاحية اصحاب جهاركس ففرّوا منه الى جهاركس بالقدس فقبض على من قدر عليه منهم ونهب أموالهم فلما زالت دولة الافضل من مصر بقدوم الملك العادل أبى بكر بن أيوب استولى فخر الدين جهاركس على بانياس بامر العادل ثم انحرف عنه وكانت له انباء الى أن مات فانقضى أمر الطائفة الصلاحية بموته وموت الامير قراجا وموت الامير أسامة كما انقضى أمر غيرهم * (قيسارية الفاضل) هذه القيسارية على يمنة من يدخل من باب زويلة عرفت بالقاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى وهى الآن فى اوقاف المارستان المنصورى أخبرنى شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد العزيز العذرى البشبيشى رحمه الله قال اخبرنى القاضى بدر الدين أبو اسحاق ابراهيم بن القاضى صدر الدين أبى البركات أحمد بن فخر الدين أبى الروح عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن المعروف بابن الخشاب أن قيسارية الفاضل وقفت بضع عشرة مرّة منها مرّتين أو اكثر زفّ كتاب وقفها بالاغانى فى شارع القاهرة وهى الآن تشتمل على قيسارية ذات بحرة ماء للوضوء بوسطها وأخرى بجانبها يباع فيها جهاز النساء وشوارهنّ ويعلوها ربع فيه عدّة مساكن * (قيسارية بيبرس) هذه القيسارية على رأس باب الجودرية من القاهرة كان موضعها دارا تعرف بدار الانماط اشتراها وما حولها الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكيرى قبل ولايته السلطنة وهدمها وعمر موضعها هذه القيسارية والربع فوقها وتولى عمارة ذلك مجد الدين بن سالم الموقع فلما كملت طلب سائر تجار قيسارية جهاركس وقيسارية الفاضل وألزمهم باخلاء حوانيتهم من القيساريتين وسكناهم بهذه القيسارية وأكرههم على ذلك وجعل أجرة كل حانوت منها مائة وعشرين درهما نقرة فلم يسع التجار الا استئجار حوانيتها وصار كثير منهم يقوم بأجرة الحانوت الذى الزم به فى هذه القيسارية من غير أن يترك حانوته الذى هو معه باحدى القيساريتين المذكورتين ونقل أيضا صناع الاخفاف وأسكنهم فى الحوانيت التى خارجها فعمرت من داخلها وخارجها بالناس فى يومين وجاء الى مخدومه الامير بيبرس وكان قد ولى السلطنة وتلقب بالملك المظفر وقال بسعادة السلطان اسكنت القيسارية فى يوم واحد فنظر اليه طويلا وقال يا قاضى ان كنت أسكنتها فى يوم واحد فهى تخلو فى ساعة واحدة فجاء الامر كما قال وذلك أنه لما فرّ بيبرس من قلعة الجبل لم يبت فى هذه القيسارية لاحد من سكانها قطعة قماش بل نقلوا كل ما كان لهم فيها وخلت حوانيتها مدّة طويلة ثم سكنها صناع الاخفاف كل حانوت بعشرة دراهم وفى حوانيتها ما أجرته ثمانية دراهم وهى الآن جارية فى اوقاف الخانقاه الركنية بيبرس ويسكنها صناع الاخفاف واكثر حوانيتها غير مسكون لخرابها ولقلة الاخفافيين ويعرف الخط الذى هى فيه اليوم بالاخفافيين رأس الجودرية * (القيسارية الطويلة) هذه القيسارية فى شارع القاهرة بسوق الخرد فوشيين فيما بين سوق المهامزيين وسوق الجوخيين ولها باب آخر عند باب سر حمام الخرّاطين كانت تعرف قديما بقيسارية السروج بناها * (قيسارية) هذه القيسارية تجاه قيسارية السروج المعروفة الآن بالقيسارية الطويلة بعضها وقفه القاضى الاشرف بن القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى على ملء الصهريج بدرب ملوخيا وبعضها وقف الصالح طلائع بن رزيك الوزير وقد هدمت هذه القيسارية وبناها الامير جانى بك دوادار السلطان الملك الاشرف برسباى الدقاقى الظاهرى فى سنة ثمان وعشرين وثمانمائة تربيعة تتصل بالوراقين ولها باب من الشارع وجعل علوها طباقا وعلى بابها حوانيت فجاءت من أحسن المبانى * (قيسارية العصفر) هذه القيسارية بشارع القاهرة لها باب من سوق المهامزيين وباب من سوق الورّاقين عرفت بذلك من اجل أن العصفر كان يدق بها * أنشأها الامير علم الدين سنجر المسرورى المعروف بالخياط والى القاهرة ووقفها فى سنة اثنتين وتسعين وستمائة ولم تزل باقية بيد ورثته الى أن ولى القاضى ناصر الدين محمد بن البارزى الحموى كتابة السرّ فى ايام المؤيد شيخ فاستأجرها مدّة أعوام من مستحقيها ونقل اليها العنبريين فصارت قيسارية عنبر وذلك فى سنة ست عشرة وثمانمائة ثم انتقل منها اهل العنبر الى سوقهم فى سنة ثمانى عشرة وثمانمائة * (قيسارية العنبر) قد تقدّم فى ذكر الاسواق انها كانت سجنا وان الملك المنصور قلاوون عمرها فى سنة ثمانين وستمائة وجعلها سوق عنبر * (قيسارية الفائزى) هذه القيسارية كانت بأوّل الخرّاطين مما يلى المهامزيين لها باب من المهامزيين وباب من الخرّاطين * أنشأها الوزير

الاسعد شرف الدين أبو القاسم هبة الله بن صاعد بن وهيب الفارسى كان من جملة نصارى صعيد مصر وكتب على مبايض ناحية سيوط بدرهم وثلث فى كل يوم ثم قدم الى القاهرة وأسلم فى ايام الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب وخدم عند الملك الفائز ابراهيم بن الملك العادل فنسب اليه وتولى نظر الديوان فى ايام الملك الصالح نجم الدين أيوب مدة يسيرة ثم ولى بعض أعمال ديار مصر فنقل عنه ما أوجب الكشف عليه فندب موفق الدين الامدى لذلك فاستقر عوضه وسجنه مدة ثم أفرج عنه وسافر الى دمشق وخدم بها الامير جمال الدين يغمور نائب السلطنة بدمشق فلما قدم الملك المعظم توران شاه بن الصالح نجم الدين أيوب من حصن كيفا الى دمشق بعد موت ابيه ليأخذ مملكة مصر سار معه الى مصر فى شوال سنة سبع وأربعين وستمائة فلما قامت شجرة الدر بتدبير المملكة بعد قتل المعظم تعلق بخدمة الامير عز الدين ايبك التركمانى مقدم العساكر الى أن تسلطن وتلقب بالملك المعز فولاه الوزارة فى سنة ثمان وأربعين وستمائة فأحدث مظالم كثيرة وقرر على التجار وذوى اليسار أموالا تجبى منهم وأحدث التقويم والتصقيع على سائر الاملاك وجبى منها مالا جزيلا ورتب مكوسا على الدواب من الخيل والجمال والحمير وغيرها وعلى الرقيق من العبيد والجوارى وعلى سائر المبيعات وضمن المنكرات من الخمر والمزر والحشيش وبيوت الزوانى بأموال وسمى هذه الجهات بالحقوق السلطانية والمعاملات الديوانية وتمكن من الدولة تمكنا زائدا الى الغاية بحيث انه سار الى بلاد الصعيد بعساكر لمحاربة بعض الامراء وكان الملك المعز أيبك يكاتبه بالمملوك وكثر ماله وعقاره حتى انه لم يبلغ صاحب قلم فى هذه الدول ما بلغه من ذلك واقتنى عدة مماليك منهم من بلغ ثمنه ألف دينار مصرية وكان يركب فى سبعين مملوكا من مماليكه سوى ارباب الاقلام والاتباع وخرج بنفسه الى أعمال مصر واستخرج اموالها وكان ينوب عنه فى الوزارة زين الدين يعقوب بن الزبير وكان فاضلا يعرف اللسان التركى فصار يضبط له مجالس الامراء ويعرّفه ما يدور بينهم من الكلام فلم يزل على تمكنه وبسط يده وعظم شأنه الى أن قتل الملك المعز وقام من بعده ابنه الملك المنصور نور الدين على وهو صغير فاستقر على عادته حتى شهد عليه الامير سابق الدين بوزبا الصيرفى والامير ناصر الدين محمد بن الاطروش الكردى امير جاندار انه قال المملكة لا تقوم بالصبيان الصغار والرأى أن يكون الملك الناصر صاحب الشام ملك مصر وأنه قد عزم على أن يسير اليه يستدعيه الى مصر ويساعده على أخذ المملكة فخافت أم السلطان منه وقبضت عليه وحبسته عندها بقلعة الجبل ووكلت بعذابه الصارم احمر عينه العمادى الصالحى فعاقبه عقوبة عظيمة ووقعت الحوطة على سائر أمواله وأسبابه وحواشيه وأخذ خطه بمائة ألف دينار ثم خنق لليال مضت من جمادى الاولى سنة خمس وخمسين وستمائة ولف فى نخ ودفن بالقرافة واستقر من بعده فى الوزارة قاضى القضاة بدر الدين السنجارى مع ما بيده من قضاء القضاة ولم تزل هذه القيسارية باقية وكانت تعرف بقيسارية النشاب الى أن اخذها الامير جمال الدين يوسف الاستادار هى والحوانيت على يمنة من سلك من الخراطين يريد الجامع الازهر وفيما بينهما كان باب هذه القيسارية وكانت هذه الحوانيت تعرف بوقف تمرتاش وهدم الجميع وشرع فى بنائه فقتل قبل أن يكمل وأخذه الملك الناصر فرج فبنيت الحوانيت التى هى على الشارع بسوق المهامزيين وصار ما بقى ساحة عمرها القاضى زين الدين عبد الباسط بن خليل الدمشقى ناظر الجيش قيسارية يعلوها ربع وبنى أيضا على حوانيت جمال الدين ربعا وذلك فى سنة خمس وعشرين وثمانمائة وقال الامام عفيف الدين أبو الحسن على بن عدلان يمدح الاسعد الفائزى رحمه الله ابن صاعد وابنه المرتضى

مذ تولى امورنا * لم ازل منه ذاهبه
وهوان دام أمره * شدة العيش ذاهبه

* (قيسارية بكتمر) هذه القيسارية بسوق الحريريين بالقرب من سوق الوراقين كانت تعرف قديما بالصاغة ثم صارت فندقا يقال له فندق حكم وأصلها من جملة الدار العظمى التى تعرف بدار المأمون بن البطائحى وبعضها المدرسة السيوفية * أنشأ هذه القيسارية الامير بكتمر الساقى فى ايام الناصر محمد بن قلاوون * (قيسارية ابن يحى) هذه القيسارية كانت تجاه باب قيسارية جهاركس حيث سوق الطيور وقاعات الحلوى * أنشأها القاضى المفضل هبة الله بن يحى التميمى المعدّل كان موثقا كاتبا فى الشروط الحكمية فى حدود سنة أربعين وخمسمائة فى الدولة الفاطمية ثم صار من جملة العدول وبقى الى سنة ثمانين وله ابن يقال له كمال الدين عبد

المجيد بن القاضى المفضل ولكمال الدين ابن يقال له جلال الدين محمد بن كمال الدين عبد المجيد بن القاضى المفضل هبة الله بن يحيى مات فى آخر سنة ستين وسبعمائة وقد خربت هذه القيسارية ولم يبق لها اثر *(قيسارية طاشتمر) هذه القيسارية بجوار الوراقين لها باب كبير من سوق الحريريين على يسرة من سلك الى الزجاجين وباب من الوراقين * أنشأها الامير طاشتمر فى أعوام بضع وثلاثين وسبعمائة وسكنها عقاد والازرار حتى غصت بهم مع كبرها وكثرة حوانيتها وكان لهم منظر بهج فان اكثرهم من بياض الناس وتحت يد كل معلم منهم عدة صبيان من اولاد الاتراك وغيرهم فطال ما مررت منها الى سوق الوراقين وداخلنى حياء من كثرة من امر به هنالك ثم لما حدثت المحن فى سنة ست وثمانمائة تلاشى أمرها وخرب الربع الذى كان علوها وبيعت انقاضه وبقيت فيها اليوم بقية يسيرة *(قيسارية الفقراء) هذه القيسارية خارج باب زويلة بخط تحت الربع أنشأها *(قيسارية بشتاك) خارج باب زويلة بخط تحت الربع أنشأها الامير بشتاك الناصرى وهى الآن *(قيسارية المحسنى) خارج باب زويلة تحت الربع أنشأها الامير بدر الدين بيليك المحسنى والى الاسكندرية ثم والى القاهرة كان شجاعا مقداما أخرجه الملك الناصر محمد بن قلاوون الى الشام وبها مات فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة فأخذ ابنه الامير ناصر الدين محمد بن بيليك المحسنى امرته فلما مات الملك الناصر قدم الى القاهرة وولاه الامير قوصون ولاية القاهرة فى سابع عشر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة فلما قبض على قوصون فى يوم الثلاثاء آخر شهر رجب منها أمسك ابن المحسنى وأعيد نجم الدين الى ولاية القاهرة ثم عزل من يومه وولى الامير جمال الدين يوسف والى الجيزة فأقام أربعة ايام وعزل بطلب العامة عزله ورجمه فأعيد نجم الدين *(قيسارية الجامع الطولونى) هذه القيسارية كان موضعها فى القديم من جملة قصر الامارة الذى بناه الامير أبو العباس أحمد بن طولون وكان يخرج منه الى الجامع من باب فى جداره القبلى فلما خرب صار ساحة ارض فعمر فيها القاضى تاج الدين المناوى خليفة الحكم عن قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة قيسارية فى سنة خمسين وسبعمائة من فائض مال الجامع الطولونى فكمل فيها ثلاثون حانوتا فلما كانت ليلة النصف من شهر رمضان من هذه السنة رأى شخص من اهل الخير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامه وقد وقف على باب هذه القيسارية وهو يقول بارك الله لمن يسكن هذه القيسارية وكرر هذا القول ثلاث مرات فلما قص هذه الرؤيا رغب الناس فى سكناها وصارت الى اليوم هى وجميع ذلك السوق فى غاية العمارة وفى سنة ثمانى عشرة وثمانمائة أنشأها قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن نصير ابن رسلان البلقينى من مال الجامع المذكور قيسارية أخرى فرغب الناس فى سكناها لوفور العمارة بذلك الخط *(قيسارية ابن ميسر الكبرى) هذه القيسارية ادركتها بمدينة مصر فى خط سويقة وردان وهى عامرة يباع بها القماش الجديد من الكتان الابيض والازرق والطرح وتمضى تجار القاهرة اليها فى يومى الاحد والاربعاء لشراء الاصناف المذكورة وذكر ابن المتوج أن لها خمسة أبواب وأنها وقف ثم وقعت الحوطة عليها فجرت فى الديوان السلطانى وقصدوا بيعها مرارا فلم يقدر أحد على شرائها وكان بها عمد رخام فأخذها الديوان وعوضت بعمد كدان وانه شاهدها مسكونة جميعها عامرة انتهى وقد خرب ما حولها بعد سنة ستين وسبعمائة وتزايد الخراب حتى لم يبق حولها سوى كيمان فعمل لها باب واحد وتردد الناس اليها فى اليومين المذكورين لا غير فلما كانت الحوادث منذ سنة ست وثمانمائة واستولى الخراب على اقليم مصر تعطلت هذه القيسارية ثم هدمت فى سنة ست عشرة وثمانمائة *(قيسارية عبد الباسط) هذه القيسارية برأس الخراطين من القاهرة كان موضعها يعرف قديما بعقبة الصباغين ثم عرف بالقشاشين ثم عرف بالخراطين وكان هنالك مارستان ووكالة فى الدولة الفاطمية وأدركنا بها حوانيت تعرف بوقف تمرتاش المعظمى فأخذها الامير جمال الدين الاستادار فيما أخذ من الاوقاف فلما قتل أخذ الناصر فرج جانبا منها وجدد عمارتها ووقفها على تربة أبيه الظاهر برقوق ثم أخذها زين الدين عبد الباسط بن خليل فى ايام المؤيد شيخ وعمل فى بعضها هذه القيسارية وعلوها ووقفها على مدرسته وجامعه ثم أخذ السلطان الملك الاشرف برسباى بقية الحوانيت من وقف جمال الدين وجدد عمارتها فى سنة سبع وعشرين وثمانمائة

(ذكر الخانات والفنادق)

*(خان مسرور) خان مسرور مكانان أحدهما كبير والآخر صغير فالكبير على يسرة من سلك من سوق باب الزهومة الى الحريريين كان موضعه خزانة الدرق التي تقدم ذكرها في خزائن القصر والصغير على يمنة من سلك من سوق باب الزهومة الى الجامع الازهر كان ساحة يباع فيها الرقيق بعدما كان موضع المدرسة الكاملية هو سوق الرقيق * قال ابن الطوير خزانة الدرق كانت في المكان الذي هو خان مسرور وهي برسم استعمالات الاساطيل من الكبورة الخرجية والخود الجلودية وغير ذلك * وقال ابن عبد الظاهر فندق مسرور (مسرور هذا من خدام القصر خدم الدولة المصرية واختص بالسلطان صلاح الدين رحمه الله وقدمه على حلقته ولم يزل مقدما في كل وقت وله برّ واحسان ومعروف ويقصد في كل حسنة وأجر وبر وبطل الخدمة في الايام الكاملية وانقطع الى الله تعالى ولزم داره ثم بنى الفندق الصغير الى جانبه وكان قبل بنائه ساحة يباع فيها الرقيق اشترى ثلثها من والدي رحمه الله والثلثين من ورثة ابن عنتر وكان قد ملك الفندق الكبير لغلامه ريحان وحبسه عليه ثم من بعده على الاسرى والفقراء بالحرمين وهو مائة بيت الا بيتا وبه مسجد تقام فيه الجماعة والجمع ولمسرور المذكور برّ كثير بالشام وبمصر وكان قد وصى أن تعمل داره وهي بخط حارة الامراء مدرسة ويوقف الفندق الصغير عليها وكانت له ضيعة بالشام بيعت للامير سيف الدين أبي الحسن القيمري بجملة كبيرة وعمرت المدرسة المذكورة بعد وفاته انتهى وقد أدركت فندق مسرور الكبير في غاية العمارة تنزله اعيان التجار الشاميين بتجاراتهم وكان فيه أيضا مودع الحكم الذي فيه أموال اليتامى والغياب وكان من اجل الخانات وأعظمها فلما كثرت المحن بخراب بلاد الشام منذ سنة تيمورلنك وتلاشت أحوال اقليم مصر قل التجار وبطل مودع الحكم فقلت مهابة هذا الخان وزالت حرمته وتهدمت عدة أماكن منه وهو الآن بيد القضاة *(فندق بلال المغيثي) هذا الفندق فيما بين خط حمام خشيبة وحارة العدوية أنشأه الامير الطواشي أبو المناقب حسام الدين بلال المغيثي أحد خدام الملك المغيث صاحب الكرك كان حبشي الجنس حالك السواد خدم عدة من الملوك واستقر لالا الملك الصالح علي بن الملك المنصور قلاوون وكان معظما الى الغاية يجلس فوق جميع أمراء الدولة وكان الملك المنصور قلاوون اذا رآه يقول رحم الله أستاذنا الملك الصالح نجم الدين أيوب أنا كنت احمل شار موزة هذا الطواشي حسام الدين كلما دخل الى السلطان الملك الصالح حتى يخرج من عنده فأقدمها له وكان كثير البر والصدقات وله أموال جزيلة ومدحه عدة من الشعراء وأجاز على المديح وتجاوز عمره ثمانين سنة فلما خرج الملك الناصر محمد بن قلاوون لقتال التتر في سنة تسع وتسعين وستمائة سافر معه فمات بالسوادة ودفن بها ثم نقل منها بعد وقعة شقحب الى تربته بالقرافة فدفن هنالك وما برح هذا الفندق يودع فيه التجار وأرباب الاموال صناديق المال ولقد كنت أدخل فيه فاذا بدائره صناديق مصطفة ما بين صغير وكبير لا يفضل عنها من الفندق غير ساحة صغيرة بوسطه وتشتمل هذه الصناديق من الذهب والفضة على ما يجل وصفه فلما أنشأ الامير الطواشي زين الدين مقبل الزمام الفندق بالقرب منه وأنشأ الامير قطلقطاى الفندق بالزجاجين وأخذ الامير يلبغا السالمي اموال الناس في واقعة تيمورلنك في سنة ثلاث وثمانمائة تلاشى أمر هذا الفندق وفيه الى الآن بقية *(فندق الصالح) هذا الفندق بجوار باب القوس الذي كان أحد بابي زويلة فمن سلك اليوم من المسجد المعروف بسام بن نوح يريد باب زويلة صار هذا الفندق على يساره وأنشأه هو وما يعلوه من الربع الملك الصالح علاء الدين علي بن السلطان الملك المنصور قلاوون وكان أبوه لما عزم على المسير الى محاربة التتر ببلاد الشام سلطنه وأركبه بشعار السلطنة من قلعة الجبل في شهر رجب سنة تسع وسبعين وستمائة وشق به شارع القاهرة من باب النصر الى أن عاد الى قلعة الجبل واجلسه على مرتبته وجلس الى جانبه فمرض عقيب ذلك ومات ليلة الجمعة الرابع من شعبان فأظهر السلطان لموته جزعا مفرطا وحزنا زائدا وصرخ بأعلى صوته واولداه ورمى كلوتته عن رأسه الى الارض وبقي مكشوف الرأس الى أن دخل الامراء اليه وهو مكشوف الرأس يصرخ واولداه فعندما عاينوه كذلك ألقوا كلوتاتهم عن رؤسهم وبكوا ساعة ثم أخذ الامير طرنطاى النائب شاش السلطان من الارض وناوله للامير سنقر الاشقر فأخذه ومشى وهو مكشوف الرأس وباس الارض وناول الشاش للسلطان فدفعه وقال ايش أعمل بالملك بعد ولدي وامتنع من لبسه فقبل الامراء الارض يسألون السلطان في لبس شاشه ويخضعون له في السؤال ساعة حتى أجابهم وغطى رأسه فلما اصبح خرجت جنازته من القلعة ومعها الامراء من غير حضور السلطان

وساروا

وساروا بها الى تربة امه المعروفة بتربة خاتون قريبا من المشهد النفيسى فواروه وانصرفوا فلما كان يوم السبت ثانيه نزل السلطان من القلعة وعليه البياض تحزنا على ولده وسار ومعه الامراء بثياب الحزن الى قبر ابنه واقيم العزاء لموته عدة ايام *(خان السبيل) هذا الخان خارج باب الفتوح قال ابن عبد الظاهر خان السبيل بناه الامير بهاء الدين ابو سعيد قراقوش بن عبد الله الاسدى خادم أسد الدين شيركوه وعتيقه لابناء السبيل والمسافرين بغير اجرة وبه بئر ساقية وحوض * وقراقوش هذا هو الذى بنى السور المحيط بالقاهرة ومصر وما بينهما وبنى قلعة الجبل وبنى القناطر التى بالجيزة على طريق الاهرام وعمر بالمقس رباطا وأسره الفرنج فى عكا وهو واليها فافتكه السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب بعشرة آلاف دينار وتوفى مستهل رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة ودفن بسفح الجبل المقطم من القرافة *(خان منكورش) هذا الخان بخط سوق الخيميين بالقرب من الجامع الازهر قال ابن عبد الظاهر خان منكورش بناه الامير ركن الدين منكورش زوج ام الاوحد بن العادل ثم انتقل الى ورثته ثم انتقل الى الامير صلاح الدين احمد بن شعبان الاربلى فوقفه ثم تحيل ولده فى ابطال وقفه فاشتراه منه الملك الصالح بعشرة آلاف دينار مصرية وجعله مرصد الوالدة خليل ثم انتقل عنها انتهى * قال مؤلفه ومنكورش هذا كان احد مماليك السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب وتقدم حتى صار أحد الامراء الصالحية وعرف بالشجاعة والنجدة واصابة الراى وجودة الرمى وثبات الجاش فلما مات فى شوال سنة سبع وسبعين وخمسمائة اخذ اقطاعه الامير يازكوج الاسدى وهذا الخان الآن يعرف بخان النشارين على يسرة من سلك من الخراطين الى الخيميين وهو وقف على جهات بر *(فندق ابن قريش) هذا الفندق قال ابن عبد الظاهر فندق ابن قريش استجده القاضى شرف الدين ابراهيم بن قريش كاتب الانشاء وانتقل الى ورثته انتهى (ابراهيم بن عبد الرحمن بن على بن عبد العزيز بن على بن قريش) ابو اسحاق القرشى المخزومى المصرى الكاتب شرف الدين احد الكتاب المجيدين خطا وانشاء خدم فى دولة الملك العادل ابى بكر بن ايوب وفى دولة ابنه الملك الكامل محمد بديوان الانشاء وسمع الحديث بمكة ومصر وحدث وكانت ولادته بالقاهرة فى اول يوم من ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وقرأ القرآن وحفظ كثيرا من كتاب المهذب فى الفقه على مذهب الامام الشافعى وبرع فى الادب وكتب بخطه ما يزيد على اربعمائة مجلد ومات فى الخامس والعشرين من جمادى الاولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة *(وكالة قوصون) هذه الوكالة فى معنى الفنادق والخانات ينزلها التجار ببضائع بلاد الشام من الزيت والشيرج والصابون والدبس والفستق والجوز واللوز والخرنوب والرب ونحو ذلك وموضعها فيما بين الجامع الحاكمى ودار سعيد السعداء كانت اخيرا دارا تعرف بدار تعويل البوعانى فأخربها وما جاورها الامير قوصون وجعلها فندقا كبيرا الى الغاية وبدائره عدة مخازن وشرط ان لا يؤجر كل مخزن الا بخمسة دراهم من غير زيادة على ذلك ولا يخرج احد من مخزنه فصارت هذه المخازن تتوارث لقلة اجرتها وكثرة فوائدها وقد أدركنا هذه الوكالة وان رؤيتها من داخلها وخارجها التدهش لكثرة ما هنالك من اصناف البضائع وازدحام الناس وشدة اصوات العتالين عند حمل البضائع ونقلها لمن يبتاعها ثم تلاشى امرها منذ خربت الشام فى سنة ثلاث وثمانمائة على يد تيمورلنك وفيها الى الآن بقية ويعلو هذه الوكالة رباع تشتمل على ثلثمائة وستين بيتا ادركناها عامرة كلها ويحزر أنها تحوى نحو اربعة آلاف نفس ما بين رجل وامرأة وصغير وكبير فلما كانت هذه المحن فى سنة ست وثمانمائة خرب كثير من هذه البيوت وكثير منها عامر آهل *(فندق دار التفاح) هذه الدار هى فندق تجاه باب زويلة يرد اليه الفواكه على اختلاف اصنافها مما ينبت فى بساتين ضواحى القاهرة ومن التفاح والكمثرى والسفرجل الواصل من البلاد الشامية انما يباع فى وكالة قوصون اذا قدم ومنها ينقل الى سائر اسواق القاهرة ومصر ونواحيهما وكان موضع دار التفاح هذه فى القديم من جملة حارة السودان التى عملت بستانا فى ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب * وانشأ هذه الدار الامير طقوزدمر بعد سنة اربعين وسبعمائة ووقفها على خانقاه بالقرافة وبظاهر هذه الدار عدة حوانيت تباع فيها الفاكهة تذكر رؤيتها وشم عرفها الجنة لطيبها وحسن منظرها وتأنق الباعة فى تنضيدها واحتفافها بالرياحين والازهار وما بين الحوانيت مسقوف حتى لا يصل الى الفواكه حر الشمس ولا يزال ذلك الموضع غضا طريا الا انه قد اختل منذ سنة ست وثمانمائة وفيه بقية ليست بذاك ولم تزل الى ان هدم علو الفندق وما بظاهره من الحوانيت فى يوم السبت سادس عشر شعبان سنة

احدى وعشرين وثمانمائة وذلك ان الجامع المؤيدى جاءت شبابيكه الغربية من جهة دار التفاح فعمل فيها كما صار يعمل فى الاوقاف وحكم باستبدالها ودفع فى ثمن نقضها ألف دينار افريقية عنها مبلغ ثلاثين ألف مؤيدى فضة ويتحصل من اجرتها الى ان ابتدئ بهدمها فى كل شهر سبعة آلاف درهم فلوسا عنها ألف مؤيدى فاستشنع هذا الفعل ومات الملك المؤيد ولم تكمل عمارة الفندق *(وكالة باب الجوانية) هذه الوكالة تجاه باب الجوانية من القاهرة فيما بين درب الرشيدى ووكالة قوصون كان موضعها عدة مساكن فابتدأ الامير جمال الدين محمود بن على الاستادار بهدمها فى يوم الاربعاء ثالث عشر جمادى الاولى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وبناها فندقا وربعا باعلاه فلما كملت رسم الملك الظاهر برقوق أن تكون دار وكالة يرد اليها ما يصل الى القاهرة وما يرد من صنف متجر الشام فى البحر كالزيت والرب والدبس ويصير ما يرد فى البر يدخل به على عادته الى وكالة قوصون وجعلها وقفا على المدرسة الخانقاه التى انشأها بخط بين القصرين فاستمر الامر على ذلك الى اليوم *(خان الخليلى) هذا الخان بخط الزراكشة العتيق كان موضعه تربة القصر التى فيها قبور الخلفاء الفاطميين المعروفة بتربة الزعفران وقد تقدم ذكرها عند ذكر القصر من هذا الكتاب * انشأه الامير جهاركس الخليلى امير اخور الملك الظاهر برقوق واخرج منها عظام الاموات فى المزابل على الحمير وألقاها بكيمان البرقية هوانا بها فانه كان يلوذ به شمس الدين محمد بن احمد القليجى الذى تقدم ذكره فى ذكر الدور من هذا الكتاب وقال له ان هذه عظام الفاطميين وكانوا كفارا رفضة فاتفق للخليلى فى موته امر فيه عبرة لاولى الالباب وهو أنه لما ورد الخبر بخروج الامير يلبغا الناصرى نائب حلب ومجىء الامير منطاش نائب ملطية اليه ومسيرهما بالعساكر الى دمشق اخرج الملك الظاهر برقوق خمسمائة من المماليك وتقدم لعدة من الامراء بالمسير بهم فخرج الامير الكبير ايتمش الناصرى والامير جهاركس الخليلى هذا والامير يونس الدوادار والامير أحمد ابن يلبغا الخاصكى والامير ندكار الحاجب وساروا الى دمشق فلقيهم الناصرى ظاهر دمشق فانكسر عسكر السلطان لمخامرة ابن يلبغا وندكار وفر أيتمش الى قلعة دمشق وقتل الخليلى فى يوم الاثنين حادى عشر شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وسبعمائة وترك على الارض عاريا وسوأته مكشوفة وقد انتفخ وكان طويلا عريضا الى ان تمزق وبلى عقوبة من الله تعالى بما هتك من رمم الائمة وابنائهم ولقد كان عفا الله عنه عارفا خبيرا بأمر دنياه كثير الصدقة ووقف هذا الخان وغيره على عمل خبز يفرق بمكة على كل فقير منه فى اليوم رغيفان فعمل ذلك مدة سنين ثم لما عظمت الاسعار بمصر وتغيرت نقودها من سنة ست وثمانمائة صار يحمل الى مكة مال ويفرق بها على الفقراء *(فندق طرنطاى) هذا الفندق كان بخارج باب البحر ظاهر المقس وكان ينزل فيه تجار الزيت الواردون من الشام وكان فيه ستة عشر عمودا من رخام طول كل عمود ستة اذرع بذراع العمل فى دور ذراعين ويعلوه ربع كبير فلما كان فى واقعة هدم الكنائس وحريق القاهرة ومصر فى سنة احدى وعشرين وسبعمائة قدم تاجر بعد العصر بزيت وزن فى مكسه عشرين ألف درهم نقرة سوى اصناف أخر قيمتها مبلغ تسعين ألف درهم نقرة فلم يتهيأ له الفراغ من نقل الزيت الى داخل هذا الفندق الا بعد العشاء الآخرة فلما كان نصف الليل وقع الحريق بهذا الفندق فى ليلة من شهر ربيع الآخر منها كما كان يقع فى غير موضع من فعل النصارى فأصبح وقد احترق جميعه حتى الحجارة التى كان مبنيا بها وحتى الاعمدة المذكورة وصارت كلها جيرا واحترق علوه وأصبح التاجر يستعطى الناس وموضع هذا الفندق

(ذكر الاسواق)

قال ابن سيدة والسوق التى يتعامل فيها تذكر وتؤنث والجمع اسواق وفى التنزيل ألا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق والسوقة لغة فيها والسوقة من الناس من لم يكن ذا سلطان الذكر والانثى فى ذلك سواء وقد كان بمدينة مصر والقاهرة وظواهرها من الاسواق شئ كثير جدا قد باد اكثرها وكفاك دليلا على كثرة عددها أن الذى خرب من الاسواق فيما بين اراضى اللوق الى باب البحر بالمقس اثنان وخمسون سوقا ادركناها عامرة فيها ما يبلغ حوانيته نحو الستين حانوتا وهذه الخطة من جملة ظاهر القاهرة الغربى فكيف بقية الجهات الثلاث مع القاهرة ومصر وسأذكر من اخبار الاسواق ما اجد سبيلا الى ذكره ان شاء الله تعالى *(القصبة) قال ابن سيدة قصبة البلد مدينته وقيل معظمه والقصبة هى اعظم اسواق مصر وسمعت

غير

غير واحد ممن ادركته من المعمرين يقول ان القصبة تحتوي على اثني عشر ألف حانوت كأنهم يعنون ما بين اوّل الحسينية مما يلي الرمل الى المشهد النفيسي ومن اعتبر هذه المسافة اعتبارا جيدا لا يكاد أن ينكر هذا الخبر وقد ادركت هذه المسافة بأسرها عامرة الحوانيت غاصة بأنواع المآكل والمشارب والامتعة تبهج رؤيتها ويعجب الناظر هيئتها ويعجز العادّ عن احصاء ما فيها من الانواع فضلا عن احصاء ما فيها من الاشخاص وسمعت الكافة ممن ادركت يفاخرون بمصر سائر البلاد ويقولون يرمى بمصر في كل يوم ألف دينار ذهبا على الكيمان والمزابل يعنون بذلك ما يستعمله اللبانون والجبانون والطباخون من الشقاف الحمر التي يوضع فيها اللبن والتي يوضع فيها الجبن والتي تأكل فيها الفقراء الطعام بحوانيت الطباخين وما يستعمله بياعوا الجبن من الخيط والحصر التي تعمل تحت الجبن في الشقاف وما يستعمله العطارون من القراطيس والورق الفوي والخيوط التي تشدّ بها القراطيس الموضوع فيها حوائج الطعام من الحبوب والافاويه وغيرها فان هذه الاصناف المذكورة اذا حملت من الاسواق واخذ ما فيها ألقيت الى المزابل ومن ادرك الناس قبل هذه المحن وأمعن النظر فيما كانوا عليه من انواع الحضارة والترف لم يستكثر ما ذكرناه وقد اختلّ حال القصبة وخرب وتعطل اكثر ما تشتمل عليه من الحوانيت بعدما كانت مع سعتها تضيق بالباعة فيجلسون على الارض في طول القصبة باطباق الخبز واصناف المعايش ويقال لهم اصحاب المقاعد وكل قليل يتعرض الحكام لمنعهم واقامتهم من الاسواق لما يحصل بهم من تضييق الشوارع وقلة بيع ارباب الحوانيت وقد ذهب والله ما هنالك ولم يبق الا القليل وفي القصبة عدّة اسواق منها ما خرب ومنها ما هو باق وسأذكر منها ما يتيسر ان شاء الله تعالى *(سوق باب الفتوح) هذا السوق في داخل باب الفتوح من حدّ باب الفتوح الآن الى رأس حارة بهاء الدين معمور الجانبين بحوانيت اللحامين والخضريين والفاميين والشرايحية وغيرهم وهو من أجل اسواق القاهرة وأعمرها يقصده الناس من اقطار البلاد لشراء انواع اللحمان الضأن والبقر والمعز ولشراء اصناف الخضراوات وليس هو من الاسواق القديمة وانما حدث بعد زوال الدولة الفاطمية عندما سكن قراقوش في موضعه المعروف بحارة بهاء الدين وقد تناقص عما كان فيه منذ عهد الحوادث وفيه الى الآن بقية صالحة *(سوق المرحلين) هذا السوق ادركته من رأس حارة بهاء الدين الى بحري المدرسة الصيرمية معمور الجانبين بالحوانيت المملوءة برحالات الجمال وأقتابها وسائر ما تحتاج اليه يقصد من سائر اقاليم مصر خصوصا في مواسم الحج فلو أراد الانسان تجهيز مائة جمل واكثر في يوم لما شق عليه وجود ما يطلبه من ذلك لكثرة ذلك عند التجار في الحوانيت بهذا السوق وفي المخازن فلما كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة وكثر سفر الملك الناصر فرج بن برقوق الى محاربة الامير شيخ والامير نوروز بالبلاد الشامية صار الوزراء يستدعون ما يحتاج اليه الجمال من الرحال والاقتاب وغيرها فاما لا يدفع ثمنها او يدفع فيها الشيء اليسير من الثمن فاختلّ من ذلك حال المرحلين وقلت اموالهم بعد ما كانوا مشتهرين بالغناء الوافر والسعادة الطائلة وخرب معظم حوانيت هذا السوق وتعطل اكثر ما بقي منها ولم يتأخر فيه سوى القليل *(سوق خان الرواسين) هذا السوق على رأس سويقة امير الجيوش قيل له ذلك من اجل ان هنالك خانا تعمل فيه الرؤس المغمومة وكان من احسن اسواق القاهرة فيه عدّة من البياعين ويشتمل على نحو العشرين حانوتا مملوءة بأصناف المآكل وقد اختلّ وتلاشى امره *(سوق حارة برجوان) هذا السوق من الاسواق القديمة وكان يعرف في القديم ايام الخلفاء الفاطميين بسوق امير الجيوش وذلك ان امير الجيوش بدرا الجمالي لما قدم الى مصر في زمن الخليفة المستنصر وقد كانت الشدّة العظمى بنى بحارة برجوان الدار التي عرفت بدار المظفر وأقام هذا السوق برأس حارة برجوان قال ابن عبد الظاهر والسويقة المعروفة بأمير الجيوش معروفة بامير الجيوش بدر الجمالي وزير الخليفة المستنصر وهي من باب حارة برجوان الى قريب الجامع الحاكمي وهكذا تشهد مكاتيب دور حارة برجوان القديمة فان فيها والحدّ القبلي ينتهي الى سويقة امير الجيوش وسوق حارة برجوان هو في الحدّ القبلي من حارة برجوان وأدركت سوق حارة برجوان أعظم اسواق القاهرة ما برحنا ونحن شباب نفاخر بحارة برجوان سكان جميع حارات القاهرة فنقول بحارة برجوان حمامات يعني حمامي الرومي وحمام سويد فانه كان يدخل اليها من داخل الحارة وبها فرنان ولها السوق الذي لا يحتاج ساكنها الى غيره وكان هذا السوق من سوق خان الرواسين الى سوق الشماعين معمور الجانبين بالعدّة الوافرة من بياعي لحم الضأن السليخ وبياعي اللحم

السميط وبياعى اللحم البقرى وبه عدة كثيرة من الزياتين وكثير من الجبانين والخبازين واللبانين والطباخين والشوايين والبواردية والعطارين والخضريين وكثير من بياعى الامتعة حتى انه كان به حانوت لا يباع فيه الا حوائج المائدة وهى البقل والكراث والشمار والنعناع وحانوت لا يباع فيه الا الشيرج والقطن فقط برسم تعمير القناديل التى تسرج فى الليل وسمعت من ادركت انه كان يشترى من هذا الحانوت فى كل ليلة شيرج مما يوضع فى القناديل بثلاثين درهما فضة عنها يومئذ دينار ونصف وكان يوجد بهذا السوق لحم الضأن النىء والمطبوخ الى ثلث الليل الاول ومن قبل طلوع الفجر بساعة وقد خرب اكثر حوانيت هذا السوق ولم يبق لها اثر وتعطل باسره بعد سنة ست وثمانمائة وصار أوحش من وتد فى قاع بعد ان كان الانسان لا يستطيع ان يمر فيه من ازدحام الناس ليلا ونهارا الا بمشقة وكان فيه قبانى برسم وزن الامتعة والمال والبضائع لا يتفرغ من الوزن ولا يزال مشغولا به ومعه من يستحثه ايزن له فلما كان بعد سنة عشر وثمانمائة انشأ الامير طوغان الدوادار بهذا السوق مدرسة وعمر ربعا وحوانيت فتحايى بعض الشىء وقبض على طوغان فى سنة ست عشرة وثمانمائة ولم تكمل عمارة السوق وفيه الآن بقية يسيرة *(سوق الشماعين) هذا السوق من الجامع الاقمر الى سوق الدجاجين كان يعرف فى الدولة الفاطمية بسوق القماحين وعنده بنى المأمون بن البطائحى الجامع الاقمر باسم الخليفة الآمر باحكام الله وبنى تحت الجامع دكاكين ومخازن من جهة باب الفتوح وادركت سوق الشماعين من الجانبين معمور الحوانيت بالشموع الموكبية والفانوسية والطوافات لا تزال حوانيته مفتحة الى نصف الليل وكان يجلس به فى الليل بغايا يقال لهن زعيرات الشماعين لهن سيما يعرفن بها وزى يتميزن به وهو لبس الملاءات الطرح وفى ارجلهن سراويل من اديم احمر وكن يعانين الزعارة ويقفن مع الرجال المشالقين فى وقت لعبهم وفيهن من تحمل الحديد معها وكان يباع فى هذا السوق فى كل ليلة من الشمع بمال جزيل وقد خرب ولم يبق به الا نحو الخمس حوانيت بعد ما ادركتها تزيد على عشرين حانوتا وذلك لقلة ترف الناس وتركهم استعمال الشمع وكان يعلق بهذا السوق الفوانيس فى موسم الغطاس فتصير رؤيته فى الليل من انزه الاشياء وكان به فى شهر رمضان موسم عظيم لكثرة ما يشترى ويكترى من الشموع الموكبية التى تزن الواحدة منهن عشرة ارطال فما دونها ومن المزهرات العجيبة الزى المليحة الصنعة ومن الشمع الذى يحمل على العجل ويبلغ وزن الواحدة منها القنطار وما فوقه كل ذلك برسم ركوب الصبيان لصلاة التراويح فيمر فى ليالى شهر رمضان من ذلك ما يعجز البليغ عن حكاية وصفه وقد تلاشى الحال فى جميع ما قلنا لفقر الناس وعجزهم *(سوق الدجاجين) هذا السوق كان مما يلى سوق الشماعين الى سوق قبو الخرشتف كان يباع فيه من الدجاج والاوز شىء كثير جليل الى الغاية وفيه حانوت فيه العصافير التى يبتاعها ولدان الناس ليعتقوها فيباع منها فى كل يوم عدد كثير جدا ويباع العصفور منها بفلس ويخدع الصبى بأنه يسبح فى اعتقه دخل الجنة ولكل واحد حينئذ رغبة فى فعل الخير وكان يوجد فى كل وقت بهذه الحوانيت من الاقفاص التى بها هذه العصافير آلاف ويباع بهذا السوق عدة أنواع من الطير وفى كل يوم جمعة يباع فيه بكرة اصناف القمارى والهزارات والشحارير والببغا والسمان وكنا نسمع أن من السمان ما يبلغ ثمنه المئات من الدراهم وكذلك بقية طيور المسموع يبلغ الواحد منها نحو الالف لتنافس الناس فيها وتوفر عدد المعتنين بها وكان يقال لهم غواة طيور المسموع سيما الطواشية فانه كان يبلغ بهم الترف ان يقتنوا السمان ويتأنقوا فى اقفاصه ويتغالوا فى اثمانه حتى بلغنا انه بيع طائر من السمان بألف درهم فضة عنها يومئذ نحو الخمسين دينارا من الذهب كل ذلك لاعجابهم بصوته وكان صوته على وزن قول القائل طقطلق وعوع وكلما كثر صياحه كانت المغالاة فى ثمنه فاعتبر بما قصصته عليك حال الترف الذى كان فيه اهل مصر ولا تتخذ حكاية ذلك هزؤا تسخر به فتكون ممن لا تنفعه المواعظ بل يمر بالآيات معرضا غافلا فتحرم الخير * وكان بهذا السوق قيسارية عملت مرة سوقا للكتبيين ولها باب من وسط سوق الدجاجين وباب من الشارع الذى يسلك فيه من بين القصرين الى الركن المخلق فاتفق ان ولى نيابة النظر فى المارستان المنصورى عن الامير الكبير ايتمش البجاسى الظاهرى امير يعرف بالامير خضر ابن التنكزية فهدم هذا السوق والقيسارية وما يعلوها وانشأ هذه الحوانيت والرباع التى فوقها تجاه ربع الكامل الذى يعلو ما بين درب الخضيرى وقبو الخرشتف فلما كمل اسكن فى الحوانيت عدة من الزياتين وغيرهم وبقى من الدجاجين بهذا السوق بقية قليلة *(سوق بين القصرين)

هذا السوق اعظم اسواق الدنيا فيما بلغنا وكان فى الدولة الفاطمية براحا واسعا يقف فيه عشرة الاف ما بين فارس
وراجل ثم لما زالت الدولة ابتذل وصار سوقا يعجز الواصف عن حكاية ما كان فيه وقد تقدم ذكره فى الخطط
من هذا الكتاب وفيه الى الآن بقية تحزننى رؤيتها اذ صارت الى هذه القلة * (سوق السلاح) هذا السوق
فيما بين المدرسة الظاهرية بيبرس وبين باب قصر بشتاك استجد فيما بعد الدولة الفاطمية فى خط بين القصرين
وجعل لبيع القسىّ والنشاب والزرديات وغير ذلك من آلات السلاح وكان تجاهه خان يقابل الخان الذى
هو الآن بوسط سوق السلاح وعلى بابه من الجانبين حوانيت تجلس فيها الصيارف طول النهار فاذا كان عصريات
كل يوم جلس أرباب المقاعد تجاه حوانيت الصيارف لبيع انواع من المآكل وقابلهم تجاه حوانيت سوق
السلاح ارباب المقاعد أيضا فاذا أقبل الليل اشعلت السرج من الجانبين وأخذ الناس فى التمشى بينهما على
سبيل الاسترواح والتنزه فيمر هنالك من الخلاعات والمجون ما لا يعبر عنه بوصف فلما انشأ الملك الظاهر برقوق
المدرسة الظاهرية المستجدة صارت فى موضع الخان وحوانيت الصرف تجاه سوق السلاح وقل ما كان هنالك من
المقاعد وبقى منها شئ يسير * (سوق القفيصات) بصيغة الجمع والتصغير هكذا يعرف كانه جمع قفيص فانه كله
معد لجلوس اناس على تخوت تجاه شبابيك القبة المنصورية وفوق تلك التخوت اقفاص صغار من حديد
مشبك فيها الطرائف من الخواتيم والفصوص وأساور النسوان وخلاخيلهن وغير ذلك وهذه الاقفاص
يأخذ اجرة الارض التى هى عليها مباشر المارستان المنصورى وأصل هذه الارض كانت من حقوق ارض
موقوفة على جامع المقس فدخل بعضها فى القبة المنصورية وصار بعضها كما ذكرنا والى اليوم يدفع من وقف
المارستان حكر هذه الارض لجامع المقس ولما ولى نظر المارستان الامير جمال الدين اقوش المعروف بنائب
الكرك فى سنة ست وعشرين وسبعمائة عمل فيه اشياء من ماله منها خيمة ذرعها مائة ذراع نشرها من اوّل
جدار القبة المنصورية بحذاء المدرسة الناصرية الى آخر حد المدرسة المنصورية بجوار الصاغة فصارت فوق
مقاعد الاقفاص تظلهم من حرّ الشمس وعمل لها حبالا تمدّ بها عند الحرّ وتجمع بها اذا امتد الظل وجعلها
مرتفعة فى الجوّ حتى يخرق الهواء ثم لما كان شهر جمادى الاولى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة نقلت الاقفاص منه
الى القيسارية التى استجدت تجاه الصاغة * (سوق باب الزهومة) * هذا السوق عرف بذلك من اجل انه كان
هنالك فى الايام الفاطمية باب من ابواب القصر يقال له باب الزهومة تقدم ذكره فى ذكر أبواب القصر من هذا
الكتاب وكان موضع هذا السوق فى الدولة الفاطمية سوق الصيارف ويقابله سوق السيوفيين من حيث الخشيبة
الى نحو رأس سوق الحريريين اليوم وسوق العنبر الذى كان اذ ذاك سجنا يعرف بالمعونة ويقابل السيوفيين اذ ذاك
سوق الزجاجين وينتهى الى سوق القشاشين الذى يعرف اليوم بالخراطين فلما زالت الدولة الفاطمية تغير ذلك
كله فصار سوق السيوفيين من جوار الصاغة الى درب السلسلة وبنى فيما بين المدرسة الصالحية وبين الصاغة
سوق فيه حوانيت مما يلى المدرسة الصالحية يباع فيها الامشاط بسوق الامشاطيين وفيه حوانيت فيما بين
الحوانيت التى يباع فيها الامشاط وبين الصاغة بعضها سكن الصيارف وبعضها سكن النقليين وهم الذين يبيعون
الفستق واللوز والزبيب ونحوه وفى وسط هذا البناء سوق الكتبيين يحيط به سوق الامشاطيين وسوق النقليين
وجميع ذلك جار فى اوقاف المارستان المنصورى * وكان سوق باب الزهومة من اجلّ اسواق القاهرة وأفخرها
موصوفا بحسن المآكل وطيبها * واتفق فى هذا السوق امر يستحسن ذكره لغرابته فى زمننا وهو أنه عبر متولى
الحسبة بالقاهرة فى يوم السبت سادس عشر شهر رمضان سنة اثنتين واربعين وسبعمائة على رجل بواردىّ
بهذا السوق يقال له محمد بن خلف عنده مخزن فيه حمام وزرازير متغيرة الرائحة لها نحو خمسين يوما فكشف
عنها فبلغت عدتها اربعة وثلاثين ألفا ومائة وستة وتسعين طائرا من ذلك حمام ألف ومائة وستة وتسعون
وزرازير ثلاثة وثلاثون ألفا كلها متغيرة اللون والريح فأدبه وشهره وفيه الى الآن بقايا * (سوق المهامزيين)
هذا السوق مما استجد بعد زوال الدولة الفاطمية وكان بأوله حبس المعونة الذى عمله الملك المنصور قلاوون سوق
العنبر ويقابله المارستان والوكالة ودار الضرب فى الموضع الذى يعرف اليوم بدرب الشمسى وما يحاذيه من
الحوانيت الى حمام الخراطين وما تجاه ذلك وهذا السوق معد لبيع المهاميز وادركت الناس وهم يتخذون المهماز
كله قالبه وسقطه من الذهب الخالص ومن الفضة الخالصة ولا يترك ذلك الا من يتورع ويتدين فيتخذ القالب

من الحديد ويطليه بالذهب او الفضة ويتخذ السقط من الفضة وقد اضطر الناس الى ترك هذا فقل من بقى سقط مهمازه فضة ولا يكاد يوجد اليوم مهماز من ذهب وكان يباع بهذا السوق البدلات الفضة التى كانت برسم لجم الخيل وتعمل تارة من الفضة المجراة بالمينا وتارة بالفضة المطلية بالذهب فيبلغ زنة ما فى البدلة من خمسمائة درهم فضة الى مادونها وقد بطل ذلك وكان يباع به ايضا سلاسل الفضة ومخاطم الفضة المطلية تجعل تحت لجم الجورمن الخيل خاصة فيركب بها اعيان الموقعين واكابر الكتاب من القبط ورؤساء التجار وقد بطل ذلك ايضا ويباع فيه ايضا الدوى والطرف التى فيها الفضة والذهب كسكاكين الاقلام ونحوها وكانت تجار هذا السوق تعد من بياض العامة ويتصل بسوق المهامزيين هذا * (سوق اللجميين) ويباع فيه آلات اللجم ونحوها مما يتخذ من الجلد وفى هذا السوق ايضا عدة وافرة من الطلائين وصناع الكفت برسم اللجم والركب والمهاميز ونحو ذلك وعدة من صناع مياثر السروج وقرابيسها وادركت السروج تعمل ماونه ما بين اصفر وازرق ومنها ما يعمل من الذبل ومنها ما يعمل سيورا من الجلد البلغارى الاسود ويركب بهذه السروج السود القضاة ومشايخ العلم اقتداء بعادة بنى العباس فى استعمال السواد على ما جدده بديار مصر السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب بعد زوال الدولة الفاطمية وادركت السروج التى تركب بها الاجناد والكتاب يعمل للسرج فى قربوسه ستة اطواق من فضة مقبلة مطلية بالذهب ومعقربات من فضة ولا يكاد احد يركب فرسا بسرج سادج الا ان يكون من القضاة ومشايخ العلم واهل الورع فلما تسلطن الملك الظاهر برقوق اتخذ امراء الاجناد السروج المغرقة وهى التى جميع قرابيسها من ذهب او فضة اما مطلية او سادجة وكثر عمل ذلك حتى لم يبق من العسكر فارس الا وسرجه كما ذكرنا وبطل السرج المسقط فلما كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة غلب على الناس الفقر وكثرت الفتن فقلت سروج الذهب والفضة وبقى منها الى اليوم بقايا يركب بها اعيان الامراء وأماثل المماليك * (سوق الجوخيين) هذا السوق يلى سوق اللجميين وهو معد لبيع الجوخ المجلوب من بلاد الفرنج لعمل المقاعد والستائر وثياب السروج وغواشيها وادركت الناس وقلما تجد فيهم من يلبس الجوخ وانما يكون من جملة ثياب الاكابر جوخ لا يلبس الا فى يوم المطر وانما يلبس الجوخ من يرد من بلاد المغرب والفرنج واهل الاسكندرية وبعض عوام مصر فاما الرؤساء والاكابر والاعيان فلا يكاد يوجد فيهم من يلبسه الا فى وقت المطر فاذا ارتفع المطر نزع الجوخ واخبرنى القاضى الرئيس تاج الدين ابو الفداء اسماعيل بن احمد بن عبد الوهاب ابن الخطبا المخزومى خال ابى رحمه الله قال كنت انوب فى حسبة القاهرة عن القاضى ضياء الدين المحتسب فدخلت عليه يوما وانا لابس جوخة لها وجه صوف مربع فقال لى وكيف ترضى ان تلبس الجوخ وهل الجوخ الا لاجل البغلة ثم اقسم على ان اخلعها ومازال بى حتى عرّفته انى اشتريتها من بعض تجار قيسارية الفاضل فاستدعاه فى الحال ودفعها اليه وامره باحضار ثمنها ثم قال لى لا تعد الى لبس الجوخ استهجانا له فلما كانت هذه الحوادث وغلت الملابس دعت الضرورة اهل مصر الى ترك اشياء مما كانوا فيه من الترفه وصار معظم الناس يلبسون الجوخ فتجد الامير والوزير والقاضى ومن دونهم ممن ذكرنا لباسهم الجوخ ولقد كان الملك الناصر فرج ينزل احيانا الى الاصطبل وعليه تجون من جوخ وهو ثوب قصير الكمين والبدن يخاط من الجوخ بغير بطانة من تحته ولا غشاء من فوقه فتداول الناس لبسه واجتلب الفرنج منه شيأ كثيرا لا يوصف كثرته ومحل بيعه بهذا السوق ويلى سوق الجوخيين هذا * (سوق الشرابشيين) وهذا السوق مما احدث بعد الدولة الفاطمية ويباع فيها الخلع التى يلبسها السلطان للامراء والوزراء والقضاة وغيرهم وانما قيل له سوق الشرابشيين لانه كان من الرسم فى الدولة التركية ان السلطان والامراء وسائر العساكر انما يلبسون على رؤسهم كلوتة صفراء مضربة تضريبا عريضا ولها كلاليب بغير عمامة فوقها وتكون شعورهم مضفورة مدلاة بدبوقة وهى فى كيس حرير اما احمر أو أصفر وأوساطهم مشدودة ببنود من قطن بعلبكى مصبوغ عوضا عن الحوائص وعليهم اقبية اما بيض او مشجرة احمر وأزرق وهى ضيقة الاكمام على هيئة ملابس الفرنج اليوم واخفافهم من جلد بلغارى اسود وفى ارجلهم من فوق الخف سقمان وهو خف ثان ومن فوق القبا كمران بحلق وابزيم وصوالق بلغارى كبار يسع الواحد منها اكثر من نصف ويبة غلة مغروز فيه منديل طوله ثلاثة اذرع فلم يزل هذا زيهم منذ استولوا بديار مصر على الملك من سنة ثمان واربعين وستمائة الى ان قام فى المملكة الملك المنصور قلاوون فغير هذا الزى بأحسن منه ولبسوا الشاشات

وابطلوا

وابطلوا البس الكم الضيق واقترح كل احد من المنصورية ملابس حسنة فلما ملك ابنه الاشرف خليل جمع خاصكيته ومماليكه وتخيراهم الملابس الحسنة وبدل الكلوتات الجوخ والصفر ورسم لجميع الامراء ان يركبوا بين مماليكهم بالكلوتات الزركش والطرازات الزركش والكلابيش الزركش والاقبية الاطلس المعدنى حتى يميز الامير بلبسه عن غيره وكذلك فى الملبوس الابيض ان يكون رفيعا واتخذ السروج المرصعة والاكوار المرصعة فعرفت بالاشرفية وكانت قبل ذلك سروجهم بقرابيس كبار شنعة وركب كبار بشعة فلما ملك ديار مصر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون استجد العمائم الناصرية وهى صغار فلما قام الامير يلبغا العمرى الخاصكى عمل الكلوتات اليلبغاوية وكانت كبارا واستجد الامير سلار فى ايام الملك الناصر محمد القباء الذى يعرف بالسلارى وكان قبل ذلك يعرف ببغلوطاق فلما تملك الملك الظاهر برقوق عمل هذه الكلوتات الجركسية وهى اكبر من اليلبغاوية وفيها عوج وأما الخلع فان السلطان كان اذا امّر احدا من الاتراك البسه الشربوش وهو شئ يشبه التاج كانه شكل مثلث ٢
يجعل على الرأس بغير عمامة ويلبس معه على قدر رتبته اما ثوب بخ او طرد وحش او غيره فعرف هذا السوق بالشرابشيين نسبة الى الشرابيش المذكورة وقد بطل الشربوش فى الدولة الجركسية وكان بهذا السوق عدة تجار لشراء التشاريف والخلع وبيعها على السلطان فى ديوان الخاص وعلى الامراء وينال الناس من ذلك فوائد جليلة ويقتنون بالمتجر فى هذا الصنف سعادات طائلة فلما كانت هذه الحوادث منع الناس من بيع هذا الصنف الا للسلطان وصار يجلس به قوم من عمال ناظر الخاص لشراء سائر ما يحتاج اليه ومن اشترى من ذلك شيأ سوى عمال السلطان فله من العقاب ما قدّر عليه والامر على هذا الى يومنا الذى نحن فيه وأول من علمته خلع عليه من اهل الدول جعفر بن يحيى البرمكى وذلك ان امير المؤمنين هارون الرشيد قال فى اليوم الذى انعقد له فيه الملك يا اخى يا جعفر قد امرت لك بمقصورة فى دارى وما يصلح لها من الفراش وعشر جوار تكن فيها ليلة مبيتك عندنا فقال يا امير المؤمنين ما من نعمة متواترة ولا فضل متظاهر الا ورأى امير المؤمنين اجل وأتم ثم انصرف وقد خلع عليه الرشيد وحمل بين يديه مائة بدرة دراهم ودنانير وامر الناس فركبوا اليه حتى سلموا عليه وأعطاه خاتم الملك ليختم به على ما يريد فبلغ بذلك صيته اقطار الارض ووصل الى ما لم يصل اليه كاتب بعده فاقتدى بالرشيد من بعده وخلعوا على اولياء دولتهم وولاة اعمالهم واستمر ذلك الى اليوم وأول ما عرف شد السيوف فى اوساط الجند ان سيف الدين غازى بن عماد الدين اتابك زنكى بن اق سنقر صاحب الموصل امر الاجناد أن لا يركبوا الا بالسيوف فى اوساطهم والدبابيس تحت ركبهم فلما فعل ذلك اقتدى به اصحاب الاطراف وهو أيضا اول من حمل على رأسه الصنجق فى ركوبه وغازى هذا هو أخو الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكى ومات فى آخر جمادى الآخرة سنة اربع واربعين وخمسمائة وولى الموصل بعده اخوه قطب الدين مودود * (سوق الحوائصيين) هذا السوق يتصل بسوق الشرابشيين وتباع فيه الحوائص وهى التى كانت تعرف بالمنطقة فى القديم فكانت حوائص الاجناد أوّلا اربعمائة درهم فضة ونحوها ثم عمل المنصور قلاوون حوائص الامراء الكبار ثلثمائة دينار وامراء الطبلخانات مائتى دينار ومقدمى الحلقة من مائة وسبعين الى مائة وخمسين دينارا ثم صار الامراء والخاصكية فى الايام الناصرية وما بعدها يتخذون الحياصة من الذهب ومنها ما هو مرصع بالجوهر ويفرّق السلطان فى كل سنة على المماليك من حوائص الذهب والفضة شيأ كثيرا وما زال الامر على ذلك الى ان ولى الناصر فرج فلما كان فى ايام الملك المؤيد شيخ قل ذلك ووجد فى تركة الوزير الصاحب علم الدين عبد الله بن زنبور لما قبض عليه ستة آلاف حياصة وستة آلاف كلوتة جهاركس ومابرح تجار هذا السوق من بياض العامة وقد قل تجار هذا السوق فى زمننا وصار اكثر حوانيته يباع فيها الطواقى التى يلبسها الصبيان وصارت الآن من ملابس الاجناد * (سوق الحلاويين) هذا السوق معد لبيع ما يتخذ من السكر حلوى وانما يعرف اليوم بحلاوة منوّعة وكان من ابهج الاسواق لما يشاهد فى الحوانيت التى بها من الاوانى وآلات النحاس الثقيلة الوزن البديعة الصنعة ذات القيم الكبيرة ومن الحلاوات المصنعة عدة الوان وتسمى المجمعة وشاهدت بهذا السوق السكر ينادى عليه كل قنطار بمائة وسبعين درهما فلما حدثت المحن وغلا السكر لخراب الدواليب التى كانت بالوجه القبلى وخراب مطابخ السكر التى كانت بمدينة مصر قل عمل الحلوى ومات اكثر صناعها ولقد رأيت مرّة طبقا فيه نقل وعدة شقاف من خزف احمر فى بعضها لبن

وفى بعضها انواع الاجبان وفيما بين الشقاف الخيار والموز وكل ذلك من السكر المعمول بالصناعة وكانت ايضا لهم عدة اعمال من هذا النوع يحير الناظر حسنها وكان هذا السوق فى موسم شهر رجب من احسن الاشياء منظرا فانه كان يصنع فيه من السكر أمثال خيول وسباع وقطاط وغيرها تسمى العلاليق واحدها علاقة ترفع بخيوط على الحوانيت فمنها مايزن عشرة ارطال الى ربع رطل تشترى للاطفال فلا يبقى جليل ولا حقير حتى يبتاع منها لاهله واولاده وتمتلئ اسواق البلدين مصر والقاهرة واريافهما من هذا الصنف وكذلك يعمل فى موسم نصف شعبان وقد بقى من ذلك الى اليوم بقية غير طائلة وكذلك كانت تروق رؤية هذا السوق فى موسم عيد الفطر لكثرة مايوضع فيه من حب الخشكنانج وقطع البسندود والمشاش ويشرع فى عمل ذلك من نصف شهر رمضان فتمتلئ منه اسواق القاهرة ومصر والارياف ولم ير فى موسم سنة سبع عشرة وثمانمائة من ذلك شئ بالاسواق البتة فسبحان محيل الاحوال لااله الاهو * (سوق الشوايين) هذا السوق اول سوق وضع بالقاهرة وكان يعرف بسوق الشرايحيين وهو من باب حارة الروم الى سوق الحلاويين ومازال يعرف بسوق الشرايحيين الى ان سكن فيه عدة من بياعى الشواء فى حدود السبعمائة من سنى الهجرة فزالت عنه النسبة الى الشرايحيين وعرف بالشوايين وهو الآن سكن المتعيشين وانتقل سوق الشرايحيين فى زماننا الى خارج باب زويلة وعرف بالسطيين كما سيأتى ذكره ان شاء الله تعالى قال ابن زولاق فى كتاب سيرة المعز وفى شهر صفر من سنة خمس وستين وثلثمائة انشئ سوق الشرايحيين بالقاهرة وذكر ذلك ابن عبد الظاهر فى كتاب خطط القاهرة وكان فى القديم باب زويلة الذى وضعه القائد جوهر عند رأس حارة الروم حيث العقد المجاور الآن للمسجد الذى عرف اليوم بسام بن نوح وكان بجواره باب آخر موضعه الآن سوق الماطيين فلما نقل امير الجيوش باب زويلة الى حيث هو الآن اتسع مابين سوق الشرايحيين المذكور وبين باب زويلة الكبير وصار الآن فيه سوق الغرابليين وفيه عدة حوانيت تعمل مناخل الدقيق والغرابيل ويقابلهم عدة حوانيت يصنع فيها الاغلاق المعروفة بالضبب ومابعد ذلك الى باب زويلة فيه كثير من الحوانيت يجلس ببعضها عدة من الجبانين لبيع انواع الجبن المجلوب من البلاد الشامية وأدركنا هنالك الى ان حدثت المحن من ذلك شيأ كثيرا يتجاوز الحد فى الكثرة وفى بعض تلك الحوانيت قوم يجلسون لعلاج من عساه ينصدع له عظم او ينكسر او يصيبه جرح يعرفون بالمجبرين وهنالك منهم بقية الى يومنا هذا وبقية الحوانيت مابين صيارفة وبياعى طرف ومتعيشين فى المآكل وغيرها فهذه قصبة القاهرة ومافى ظاهر باب زويلة فانه خارج القاهرة والله تعالى اعلم

* (الشارع خارج باب زويلة) *

هذا الشارع هو تجاه من خرج من باب زويلة ويمتد فيما بين الطريق السالك ذات اليمين الى الخليج وبين الطريق المسلوك فيه ذات اليسار الى قلعة الجبل ولم يكن هذا الشارع موجودا على ماهو عليه الآن عند وضع القاهرة وانما حدث بعد وضعها بعدة اعوام على غير هذه الهيئة فلما كثرت العمائر خارج باب زويلة بعد سنة سبعمائة من سنى الهجرة صار على ماهو عليه الآن فأما اول امره فان الخليفة الحاكم بامر الله انشأ الباب الجديد على يسرة الخارج من باب زويلة على شاطئ بركة الفيل وهذا الباب ادركت عقده عند رأس المنجبية بجوار سوق الطيور ثم لما اختطت حارة اليانسية وحارة الهلالية صار ساحل بركة الفيل قبالتها واتصلت العمائر من الباب الجديد الى الفضاء الذى هو الآن خارج المشهد النفيسى فلما كانت الشدة العظمى فى خلافة المستنصر وخربت القطائع والعسكر صارت مواضعها خرابا الى خلافة الآمر بأحكام الله فعمر الناس حتى صارت مصر والقاهرة لايتخللهما خراب وبنى الناس فى الشارع من الباب الجديد الى الجبل عرضا حيث قلعة الجبل الآن وبنى حائط يستر خراب القطائع والعسكر فعمر من الباب الجديد طولا الى باب الصفا بمدينة مصر حتى صار المتعيشون بالقاهرة والمستخدمون يصلون العشاء الآخرة بالقاهرة ويتوجهون الى سكنهم فى مصر ولايزالون فى ضوء وسرج وسوق موقود من الباب الجديد خارج باب زويلة الى باب الصفا حيث الآن كوم الجارح والمعاش مستمر فى الليل والنهار ووقف القاضى الرئيس المختار العدل زكى الدين أبو العباس أحمد ابن مرتضى بن سيد الاهل بن يوسف حصة من البستان الكبير المعروف يومئذ بالخاريق الكبرى الكائن فيما بين

القاهرة ومصر بعدوة الخليج على القربات وشرط أن الناظر يشترى فى كل فصل من فصول الشتاء من
قماش الكتان الخام أو القطن ما يراه ويعمل ذلك جبابا وبغالطيقا محشوة قطنا وتفرق على الايتام الذكور
والاناث الفقراء غير البالغين بالشارع الاعظم خارج باب زويلة فيدفع لكل واحد جبة واحدة أو بغلطاقا
فان تعذر ذلك كان على الايتام المتصفين بالصفات المذكورة بالقاهرة ومصر وقرافتيهما وكان هذا الوقف
فى سنة ستين وستمائة فلما كثرت العمائر خارج باب زويلة فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاون بعد سنة
سبعمائة صار هذا الشارع اوله تجاه باب زويلة وآخره فى الطول الصليبة التى تنتهى الى جامع ابن طولون
وغيره لكنهم لا يريدون بالشارع سوى الى باب القوس الذى بسوق الطيوريين وهو الباب الجديد وبعد باب
القوس سوق الطيوريين ثم سوق جامع قوصون وسوق حوض ابن هنس وسوق ربع طغجى وهذه اسواق بها عدة
حوانيت لكنها لا تنتهى الى عظم اسواق القاهرة بل تكون ابدا دونها بكثير فهذا حال القصبة والشارع
خارج باب زويلة وقد بقيت عدة اسواق فى جانبى القصبة ولها أبواب شارعة وفيها اسواق أخر فى نواحى القاهرة
ومسالكها سيأتى ذكرها بحسب القدرة ان شاء الله تعالى *(سويقة أمير الجيوش) هذه السويقة الآن
فيما بين حارة برجوان وحارة بهاء الدين كانت تعرف بسوق الخروقيين فيما بعد زوال الدولة الفاطمية وفى هذا
السوق عمر الامير ماز كوج الاسدى مدرسته المعروفة الآن بالازكشية وادركت الناس الى هذا الزمن الذى
نحن فيه لا يعرفون هذا السوق الا بسوق أمير الجيوش ويعبرون عنه بصيغة التصغير ولا اعرف لهم مستندا
فى ذلك والذى تشهد به الاخبار أن سوق أمير الجيوش هو السوق الذى برأس حارة برجوان ويمتد الى رأس
سويقة أمير الجيوش الآن وهذه السويقة من اكبر أسواق القاهرة بها عدة حوانيت فيها الرفاؤون والحباكون
وعدة حوانيت للرسامين وعدة حوانيت للقرابين وعدة حوانيت للخياطين ومعظم ما هناك من البزازين
والملعين وفيها عدة من بياعى الاقباع ويباع فى هذا السوق سائر الثياب المخيطة والامتعة من الفرش ونحوها
وهو شارع من شوارع القاهرة يسلك فيه من باب الفتوح وبين القصرين وباب النصر الى باب القنطرة وشاطئ
النيل وغيره وكان ما بعد هذا السوق الى باب القنطرة معمور الجانبين بالحوانيت المعدة لبيع الطرائف والمغازل
والكتان والانواع من المأكل والعطر وغيره وقد خرب اكثر هذه الحوانيت فى سنى المحنة وما بعدها ولسويقة
أمير الجيوش عدة قياسر وفنادق والله أعلم *(سوق الجملون الصغير) هذا السوق يسلك فيه من رأس
سويقة أمير الجيوش الى باب الجوانية وباب النصر ورحبة باب العيد وهو مجاور لدرب الفرحية وفيه المدرسة
الصيرمية وباب زيادة الجامع الحاكمى وكان اولا يعرف بالامراء القرشيين بنى النورى ثم عرف بالجملون الصغير
وبجملون ابن صيرم وهو الامير جمال الدين شويخ بن صيرم أحد الامراء فى أيام الملك الكامل محمد بن العادل
أبى بكر بن أيوب واليه تنسب المدرسة الصيرمية والخط المعروف خارج باب الفتوح ببستان ابن صيرم وادركت
هذا الجملون معمور الجانبين من اوله الى آخره بالحوانيت ففى اوله كثير من البزازين الذين يبيعون ثياب الكتان
من الخام والازرق وانواع الطرح واصناف ثياب القطن وينادى فيه على الثياب بحراج حراج وفيه عدة من
الخياطين وعدة من البابية المعدين لغسل الثياب وصقالها وبآخره كثير من الضببيين بحيث لو أراد أحد
ان يشترى منه ألف ضبة فى يوم لما عسر عليه ذلك فلما حدثت المحن خرب هذا السوق بخلو حوانيته وصار مقفرا
من ساكنيه ثم انه عمر بعد سنة عشر وثمانمائة وفيه الآن نفر من البزازين وقليل ممن سواهم *(سوق المحايريين)
هذا السوق فيما بين الجامع الاقمر وبين جملون ابن صيرم يسلك فيه من سوق حارة برجوان ومن سوق الشماعين
الى الركن المخلق ورحبة باب العيد وهو من شوارع القاهرة المسلوكة وفيه عدة حوانيت لعمل المحاير التى يسافر
فيها الى الحجاز وغيره وكان فيه تاجران قد تراضيا على ما يشتريانه من المحاير المعترضة للبيع ولهذا السوق موسم
عظيم عند سفر الحاج وعند سفر الناس الى القدس وبلغنى عن شيخ كان بهذا السوق انه اوصى بعض صبيانه
فقال له يا بنى لا تراع أحدا فى بيع فانه لا يحتاج اليك الا مرة فى عمره فخذ عدلك فى ثمن المحارة فانك لا تخشى من عوده
مرة أخرى اليك وسوف اذا عاد من سفره اما الى الحجاز أو القدس فانه يحتاج الى بيعها فتراقد عليه فى ثمنها واشترها
بالرخيص وكذلك يفعل أهل هذا السوق الى اليوم فانهم لا يراعون بائعا ولا مشتريا الا ان سوقهم لم يبق
كما ادركناه فانه حدث سوق آخر يباع فيه المحاير بسوق الجامع الطولونى وصار بسوق الخيميين أيضا صناع

للمحاربو بلغنى ان بالمحاريين هذه اوقف أهل مصر امرآة من جريد مؤزرة بيدها ورقة فيها سب الخليفة الحاكم بامر الله ولعنه عند ما منع النساء من الخروج فى الطرقات فعند ما مرّ من هنالك حسبها امرأة تسأله حاجة فامر باخذ الورقة منها فاذا فيها من السب ما اغضبه فأمر بها ان تؤخذ فاذا هى من جريد قد ألبس ثيابا وعملى كهيئة امرأة فاشتد عند ذلك غضبه وامر العبيد باحراق مدينة مصر فأضرموا فيها النار ولم اقف على هذا الخبر مسطورا وقد ذكر المسبحى حريق الحاكم بامر الله لمصر ولم يذكر قصة المرأة *(الصاغة) هذا المكان تجاه المدارس الصالحية بخط بين القصرين قال ابن عبد الظاهر الصاغة بالقاهرة كانت مطبخا للقصر يخرج اليه من باب الزهومة وهو الباب الذى هدم و بنى مكانه قاعة شيخ الحنابلة من المدارس الصالحية وكان يخرج من المطبخ المذكور مدة شهر رمضان ألف ومائتا قدر من جميع الالوان فى كل يوم تفرق على ارباب الرسوم والضعفاء وسمى باب الزهومة أى باب الزفر لانه لايدخل باللحم وغيره الامنه فاختص بذلك انتهى والصاغة الآن وقف على المدارس الصالحية وقفها الملك السعيد بركة خان المسمى بناصر الدين محمد ولد الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى على الفقهاء المقررين بالمدارس الصالحية *(سوق الكتبيين) هذا السوق فيما بين الصاغة والمدرسة الصالحية احدث فيما اظن بعد سنة سبعمائة وهو جار فى اوقاف المارستان المنصورى وكان سوق الكتب قبل ذلك بمدينة مصر تجاه الجانب الشرقى من جامع عمرو بن العاص فى اول زقاق القناديل بجوار دار عمرو وأدركته وفيه بقية بعد سنة ثمانين وسبعمائة وقد دثر الآن فلا يعرف موضعه وكان قد نقل سوق الكتبيين من موضعه الآن بالقاهرة الى قيسارية كانت فيما بين سوق الدجاجين المجاور للجامع الاقمر وبين سوق الحصريين المجاور للركن المخلق وكان يعلو هذه القيسارية ربع فيه عدة مساكن فتضررت الكتب من نداوة اقبية البيوت وفسد بعضها فعادوا الى سوق الكتب الاول حيث هو الآن ومابرح هذا السوق مجمعا لاهل العلم يترددون اليه وقد انشدت قديما لبعضهم

* مجالسة السوق مذمومة * ومنها مجالس قد تحتسب *
فلا تقربن غير سوق الجياد * وسوق السلاح وسوق الكتب
* فهاتيك آلة أهل الوغى * وهاتيك آلة أهل الادب *

*(سوق الصنادقيين) هذا السوق تجاه المدرسة السيوفية كان موضعه فى القديم من جملة المارستان ثم عرف بفندق الدبابليين وقيل له الآن سوق الصنادقيين وفيه تباع الصناديق والخزائن والاسرّة مما يعمل من الخشب وكان ما بظاهرها قديما يعرف بسكن الدجاجين وادركناه يعرف بسوق السيوفيين وكان فيه عدة طباخين لايزال دخان كوانينهم منعقدا لكثرته حتى قال لى شيخنا قاضى القضاة مجد الدين اسماعيل بن ابراهيم الحنفى ان قاضى القضاة جلال الدين جار الله قال له هذا السوق قطب دائرة الدخان وفى سوق الصنادقيين الى الآن بقية *(سوق الحريريين) هذا السوق من باب قيسارية العنبر الى خط البندقانيين كان يعرف قديما بسقيفة العداس ثم عمل صاغة القاهرة ثم سكن هنالك الاساكفة قال ابن عبد الظاهر وكانت الصاغة قديما فيما تقدم مكان الاساكفة الآن وهو الى الآن معروف بالصاغة القديمة وكان يعرف بسقيفة العداس كذا رأيت فى كتب الاملاك وعرف هذا السوق فى زماننا بالحريريين الشراربيين وعرف بعضه بسوق الزجاجين وكان يسكن فيه أيضا الاساكفة فلما انشأ الامير يونس الدوادار القيسارية على بئر زويلة بخط البندقانيين فى اعوام بضع وثمانين وسبعمائة نقل الاساكفة من هذا الخط ونقل منه أيضا باعى اخفاف النساء الى قيساريته وحوانيته المذكورة *(سوق العنبريين) هذا السوق فيما بين سوق الحريريين الشراربيين وبين قيسارية العصفر وهو تجاه الخراطين كان فى الدولة الفاطمية مكانه سجنا لارباب الجرائم يعرف بحبس المعونة وكان شنيع المنظر ضيقا لايزال من يجتاز عليه يجد منه رائحة منكرة فلما كان فى الدولة التركية وصار قلاوون من جملة الامراء الظاهرية بيبرس صار يمرّ من داره الى قلعة الجبل على حبس المعونة هذا فيشم منه رائحة ردية ويسمع منه صراخ المسجونين وشكواهم الجوع والعرى والقمل فجعل على نفسه ان الله تعالى جعل له من الامر شيأ أن يبنى هذا الحبس مكانا حسنا فلما صار اليه ملك ديار مصر والشام هدم حبس المعونة وبناه سوقا اسكنه باعى العنبر وكان للعنبر اذ ذاك بديار مصر نفاق وللناس فيه رغبة زائدة لايكاد يوجد بأرض مصر امرأة ولن سفلت

الا

الاولها قلادة من عنبر وكان يتخذ منه المخاد والكلل والستور وغيرها وتجار العنبر يعدّون من بياض الناس ولهم أموال جزيلة وفيهم رؤساء واجلاء فلما صار الملك الى الملك الناصر محمد بن قلاون جعل هذا السوق وما فوقه من المساكن وقفا على الجامع الذى انشأه بظاهر مصر بجوار موردة الحلفاء المعروف بالجامع الجديد الناصرى وهو جار فى اوقافه الى يومنا هذا الا أن العنبر من بعد سنة سبعين وسبعمائة كثر فيه الغش حتى صار اسما لا معنى له وقلت رغبة الناس فى استعماله فتلاشى أمر هذا السوق بالنسبة لما كان ثم لما حدثت المحن بعد سنة ست وثمانمائة قل ترفه أهل مصر عن استعمال الكثير من العنبر فطرق هذا السوق ما طرق غيره من اسواق البلد وبقيت فيه بقية يسيرة الى أن خلع الخليفة المستعين بالله العباس بن محمد فى سنة خمس عشرة وثمانمائة وكان نظر الجامع الجديد بيده وبيد أبيه الخليفة المتوكل على الله محمد فقصد بعض سفهاء العامة بكتابته بتعطيل هذا السوق فاستأجر قيسارية العصفر ونقل سوق العنبر اليها وصار معطلا نحو سنتين ثم عاد أهل العنبر الى هذا السوق على عادتهم فى سنة ثمان عشرة وثمانمائة * (سوق الخراطين) هذا السوق يسلك فيه من سوق المهامزيين الى الجامع الازهر وغيره وكان قديما يعرف بعقبة الصباغين ثم عرف بسوق القشاشين وكان فيما بين دار الضرب والوكالة الآمرية وبين المارستان ثم عرف الآن بسوق الخراطين وكان سوقا كبيرا معمور الجانبين بالحوانيت المعدّة لبيع المهد الذى يربى فيه الاطفال وحوانيت الخراطين وحوانيت صناع السكاكين وصناع الدوى يشتمل على نحو الخمسين حانوتا فلما حدثت المحن تلاشى هذا السوق واغتصب الامير جمال الدين يوسف الاستادار منه عدّة حوانيت من اوله الى الحمام التى تعرف بحمام الخراطين وشرع فى عمارتها فعوجل بالقتل قبل اتمامها وقبض عليها الملك الناصر فرج فيما احاط به من أمواله وادخلها فى الديوان فقام بعمارة الحوانيت التى تجاه قيسارية العصفر من درب الشمسى الى اول الخراطين القاضى الرئيس تقى الدين عبد الوهاب بن أبى شاكر فلما كملت جعلها الملك الناصر فيما هو موقوف على تربته التى انشأها على قبر أبيه الملك الظاهر برقوق خارج باب النصر وأفرد الحمام وبعض الحوانيت القديمة للمدرسة التى انشأها الامير جمال الدين يوسف الاستادار برحبة باب العيد وما يقابل هذه الحوانيت هو وما فوقه وقف على المدرسة القراسنقرية وغيرها وهو متخرب متهدم * (سوق الجملون الكبير) هذا السوق بوسط سوق الشرابشيين يتوصل منه الى البندقانيين والى حارة الجودرية وغيرها انشئ فيه حوانيت سكنها البزازون وقفه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون على تربة مملوكه بلبغا التركمانى عندما مات فى سنة سبع وسبعمائة ثم عمل عليه بابان بطرفيه بعد سنة تسعين وسبعمائة فصارت تغلق فى الليل وكان فيما ادركناه شارعا مسلوكا طول الليل يجلس تجاهه صاحب العسس الذى عرفته العامة فى زماننا بوالى الطوف من بعد صلاة العشاء فى كل ليلة وينصب قدامه مشعل يشعل بالنار طول الليل وحوله عدّة من الاعوان وكثير من السقائين والنجارين والقصارين والهدادين بنوب مقرّرة لهم خوفا من ان يحدث بالقاهرة فى الليل حريق فيبتدرون اطفاءه ومن حدث منه فى الليل خصومة أووجد سكران أوقبض عليه من السراق تولى أمره والى الطوف وحكم فيه بما يقتضيه الحال فلما كانت الحوادث بطل هذا الرسم فى جملة ما بطل وهذا السوق الآن جار فى وقف * (سوق الفرايين) هذا السوق يسلك فيه من سوق الشرابشيين الى الاكفانيين والجامع الازهر وغير ذلك كان قديما يعرف بسوق الخروقيين ثم سكن فيه صناع الفراء وتجاره فعرف بهم وصار بهذا السوق فى أيام الملك الظاهر برقوق من انواع الفراء ما يجل أثمانها وتتضاعف قيمها لكثرة استعمال رجال الدولة من الامراء والمماليك لبس السمور والوشق والقماقم والسنجاب بعد ما كان ذلك فى الدولة التركية من اعز الاشياء التى لا يستطيع أحد أن يلبسها ولقد أخبرنى الطواشى الفقيه الكاتب الحاسب الصوفى زين الدين مقبل الرومى الجنس المعروف بالشامى عتيق السلطان الملك الناصر الحسين بن محمد ابن قلاون انه وجد فى تركة بعض امراء السلطان حسن قباء بفرو قاقم فاستكثر ذلك عليه وتعجب منه وصار يحكى ذلك مدّة لعزة هذا الصنف واحترامه لكونه من ملابس السلطان وملابس نسائه ثم تبذلت الاصناف المذكورة حتى صار يلبس السمور آحاد الاجناد وآحاد الكتاب وكثير من العوام ولا تكاد امرأة من نساء بياض الناس تخلو من لبس السمور ونحوه والى الآن عند الناس من هذا الصنف وغيره من الفروشئ كثير * (سوق الجخانقيين) هذا السوق فيما بين سوق الجملون الكبير وبين قيسارية الشرب الآتى ذكرها ان شاء الله

تعالى عند ذكر القياسر وباب هذا السوق شارع من القصبة ويعرف بسوق الخشيبة تصغير خشبة فانه عمل على بابه المذكور خشبة تمنع الراكب من التوصل اليه ويسلك من هذا السوق الى قيسارية الشرب وغيرها وهو معمور الجانبين بالحوانيت المعدّة لبيع الكوافى والطواقى التى تلبسها الصبيان والبنات وبظاهر هذا السوق أيضا فى القصبة عدّة حوانيت لبيع الطواقى وعملها وقد كثر لبس رجال الدولة من الامراء والمماليك والاجناد ومن يتشبه بهم للطواقى فى الدولة الجركسية وصاروا يلبسون الطاقية على رؤسهم بغير عمامة ويمرّون كذلك فى الشوارع والاسواق والجوامع والمواكب لا يرون بذلك بأسا بعد ما كان نزع العمامة عن الرأس عارا وفضيحة ونوّعوا هذه الطواقى ما بين اخضر واحمر وأزرق وغيره من الالوان وكانت اوّلا ترتفع نحو سدس ذراع ويعمل اعلاها مدوّرا مسطحا فحدث فى أيام الملك الناصر فرج منها شئ عرف بالطواقى الجركسية يكون ارتفاع عصابة الطاقية منها نحو ثلثى ذراع واعلاها مدوّر مقبب وبالغوا فى تبطين الطاقية بالورق والكثيرة فيما بين البطانة المباشرة للرأس والوجه الظاهر للناس وجعلوا من أسفل العصابة المذكورة زيقا من فرو القرض الاسود يقال له القندس فى عرض نحو ثمن ذراع يصير دائرا بجبهة الرجل وعلى عنقه وهم على استعمال هذا الزى الى اليوم وهو من اسمج ما عانوه ويشبه الرجال فى لبس ذلك بالنساء لمعنيين احدهما انه فشا فى أهل الدولة محبة الذكران فقصد نساؤهم التشبه بالذكران ليستملن قلوب رجالهنّ فاقتدى بفعلهنّ فى ذلك عامة نساء البلد وثانيهما ما حدث بالناس من الفقر ونزل بهم من الفاقة فاضطر حال نساء أهل مصر الى ترك ما ادركنا فيه النساء من لبس الذهب والفضة والجواهر ولبس الحرير حتى لبسن هذه الطواقى وبالغن فى عملها من الذهب والحرير وغيره وتواصين على لبسها ومن تأمل احوال الوجود عرف كيف تنشأ أمور الناس فى عاداتهم واخلاقهم ومذاهبهم

*(سوق الخلعيين) هذا السوق فيما بين قيسارية الفاضل الآتى ذكرها ان شاء الله تعالى وبين باب زويلة الكبير وكان يعرف قديما بالخشابين وعرف اليوم بالزقيق تصغير زقاق وعرف أيضا بسوق الخلعيين كأنه جمع خلعى والخلعى فى زماننا هو الذى يتعاطى بيع الثياب الخليع وهى التى قد لبست وهذا السوق اليوم من اعمر أسواق القاهرة لكثرة ما يباع فيه من ملابس أهل الدولة وغيرهم واكثر ما يباع فيه الثياب المخيطة وهو معمور الجوانب بالحوانيت ويسلك فيه من القصبة ليلا ونهارا الى حارة الباطلية وخوخة ايدغمش وغير ذلك وفى داخل القاهرة أيضا عدّة اسواق وقد خرب الآن اكثرها

*(سويقة الصاحب) هذه السويقة يسلك اليها من خط البندقانيين ومن باب الخوخة وغير ذلك وهى من الاسواق القديمة كانت فى الدولة الفاطمية تعرف بسويقة الوزير يعنى أبا الفرج يعقوب بن كلس وزير الخليفة العزيز بالله نزار بن المعز الذى تنسب اليه حارة الوزيرية فانها كانت على باب داره التى عرفت بعده فى الدولة الفاطمية بدار الديباج وصار موضعها الآن المدرسة الصاحبية ثم صارت تعرف بسويقة دار الديباج يعنى دار الطراز ينسج فيها الديباج الذى هو الحرير وقيل لذلك الموضع كله خط دار الديباج ثم عرف هذا السوق بالسوق الكبير فى اخريات الدولة الفاطمية فلما ولى صفىّ الدين عبد الله بن شكر الدميرى وزارة الملك العادل أبى بكر بن أيوب سكن فى هذا الخط وانشأ به مدرسته التى تعرف الى اليوم بالمدرسة الصاحبية وانشأ به أيضا رباطه وحمامه المجاورين للمدرسة المذكورة عرفت من حينئذ هذه السويقة بسويقة الصاحب المذكور واستمرّت تعرف بذلك الى يومنا هذا ولم تزل من الاسواق المعتبرة يوجد فيها اكثر ما يحتاج اليه من المآكل لوفور نعم من يسكن هناك من الوزراء واعيان الكتاب فلما حدثت المحن طرقها ما طرق غيرها من اسواق القاهرة فاختلت عما كانت وفيها بقية

*(سوق البندقانيين) هذا السوق يسلك اليه من سوق الزجاجين ومن سويقة الصاحب ومن سوق الابزاريين وغيره وكان يعرف قديما بسوق بئر زويلة وكان هناك بئر قديمة تعرف ببئر زويلة برسم اصطبل الجميزة الذى كان فيه خيول الخلفاء الفاطميين وصار موضعه خط البندقانيين بعد ذلك كما ذكر عند اصطبلات الخلفاء الفاطميين من هذا الكتاب وموضع هذه البئر اليوم قيسارية يونس والربع الذى يعلوها وبقى منها موضع ركب عليه حجر واعدت لملء السقائين منها فلما زالت الدولة واختط موضع اصطبل الجميزة الدور وغيرها وعرف موضع الاصطبل بالبندقانيين قيل لهذا السوق سوق البندقانيين وادركته سوقا كبيرا معمور الجانبين بالحوانيت التى قد تهدّم اعلاها منذ كان الحريق بالبندقانيين فى سنة احدى وخمسين وسبعمائة كما ذكر فى خط البندقانيين عند ذكر الاخطاط من هذا الكتاب وفى هذا

السوق

السوق كثير من أرباب المعاش المعدّين لبيع المأكولات من الشواء والطعام المطبوخ وأنواع الاجبان والالبان والبوارد والخبز والفواكه وعدّة كثيرة من صناع قسيّ البندق وكثير من الرسامين وكثير من بياعى الفقاع فلما حدثت المحن بعد سنة ست وثمانمائة اختلّ هذا السوق خللا كبيرا وتلاشى أمره * (سوق الاخفافيين) هذا السوق بجوار سوق البندقانيين يباع فيه الآن خفاف النسوان ونعالهنّ وهو سوق مستجدّ انشأه الامير يونس النوروزى دوادار الملك الظاهر برقوق فى سنة بضع وثمانين وسبعمائة ونقل اليه الاخفافيين بياعى اخفاف النساء من خط الحريريين والزجاجين وكان مكانه مما خرب فى حريق البندقانيين فركب بعض القيسارية على بئر زويلة وجعل بابها تجاه درب الانجب وبنى باعلاها ربعا كبيرا فيه عدّة مساكن وجعل الحوانيت بظاهرها وبظاهر درب الانجب وبنى فوقها أيضا عدّة مساكن فعمر ذلك الخط بعمارة هذه الاماكن وبه الى الآن سكن بياعى اخفاف النساء ونعالهنّ التى يقال للنعل منها سرموزه وهو لفظ فارسىّ معناه رأس الخف فان سر رأس وموزه خف * (سوق الكفتيين) هذا السوق يسلك اليه من البندقانيين ومن حارة الجودرية ومن الجملون الكبير وغيره ويشتمل على عدّة حوانيت لعمل الكفت وهو ما تطعم به اوانى النحاس من الذهب والفضة وكان لهذا الصنف من الاعمال بديار مصر رواج عظيم وللناس فى النحاس المكفت رغبة عظيمة ادركنا من ذلك شيأ لا يبلغ وصفه واصف لكثرته فلا تكاد دار تخلو بالقاهرة ومصر من عدّة قطع نحاس مكفت ولا بدّ أن يكون فى شورة العروس دكة نحاس مكفت والدكة عبارة عن شئ شبه السرير يعمل من خشب مطعم بالعاج والابنوس او من خشب مدهون وفوق الدكة دست طاسات من نحاس اصفر مكفت بالفضة وعدّة الدست سبع قطع بعضها اصغر من بعض تبلغ كبراها ما يسع نحو الاردب من القمح وطول الاكفات التى نقشت بظاهرها من الفضة نحو الثلث ذراع فى عرض اصبعين ومثل ذلك دست اطباق عدتها سبعة بعضها فى جوف بعض ويفتح اكبرها نحو الذراعين واكثر وغير ذلك من المنابر والسرج وأحقاق الاشنان والطشت والابريق والمبخرة فتبلغ قيمة الدكة من النحاس المكفت زيادة على مائتى دينار ذهبا وكانت العروس من بنات الامراء او الوزراء او أعيان الكتاب او أماثل التجار تجهز فى شورتها عند بناء الزوج عليها سبع دكك دكة من فضة ودكة من كفت ودكة من نحاس ابيض ودكة من خشب مدهون ودكة من صينى ودكة من بلور ودكة كداهى وهى آلات من ورق مدهون تحمل من الصين ادركنا منها فى الدور شيأ كثيرا وقد عدم هذا الصنف من مصر الا شيأ يسيرا * حدثنى القاضى الفاضل الرئيس تاج الدين ابو الفداء اسماعيل احمد بن عبد الوهاب ابن الخطباء المخزومىّ رحمه الله قال تزوّج القاضى علاء الدين بن عرب محتسب القاهرة بامرأة من بنات التجار تعرف بست العمائم فلما قارب البناء عليها والدخول بها حضر اليه فى يوم وكيلها وانا عنده فبلغه سلامها عليه وأخبره انها بعثت اليه بمائة ألف درهم فضة خالصة ليصلح بها لها ما عساه اختلّ من الدكة الفضة فأجابه الى ما سأل وأمره باحضار الفضة فاستدعى الخدم من الباب فدخلوا بالفضة فى الحال وبالوقت امر المحتسب بصناع الفضة وطلائها فاحضروا وشرعوا فى اصلاح ما ارسلته ست العمائم من اوانى الفضة واعادة طلائها بالذهب فشاهدنا من ذلك منظرا بديعا * واخبرنى من شاهد جهاز بعض بنات السلطان حسن بن محمد بن قلاوون وقد حمل فى القاهرة عندما زفت على بعض الامراء فى دولة الملك الاشرف شعبان بن حسين ابن محمد بن قلاوون فكان شيأ عظيما من جملته دكة من بلور تشتمل على عجائب منها زير من بلور قد نقش بظاهره صور نابتة على شبه الوحوش والطيور وقدر هذا الزير ما يسع قربة ماء وقد قلّ استعمال الناس فى زمننا هذا للنحاس المكفت وعز وجوده فان قوما لهم عدّة سنين قد تصدّوا لشراء ما يباع منه وتحية الكفت عنه طلبا للفائدة وبقى بهذا السوق الى يومنا هذا بقية من صناع الكفت قليلة * (سوق الاقباعيين) بخط تحت الربع خارج باب زويلة مما يلى الشارع المسلوك فيه الى قنطرة الخرق ما كان منه على يمنة السالك الى قنطرة الخرق فانه جار فى وقف الملك الظاهر بيبرس هو وما فوقه على المدرسة الظاهرية بخط بين القصرين وعلى اولاده ولم يزل الى يوم السبت خامس شهر رمضان سنة عشرين وثمانمائة فوقع الهدم فيه ليضاف الى عمارة الملك المؤيد شيخ المجاورة لباب زويلة وما كان من هذا السوق على يسرة من سلك الى القنطرة فانه جار فى وقف اقبغا عبد

الواحد على مدرسته المجاورة للجامع الازهر وبعضه وقف امرأة تعرف بدنيا *(سوق السقطيين) هذا السوق خارج باب زويلة بجوار دار التفاح انشأه الامير اقبغا عبد الواحد وهو جار فى وقفه *(سويقة خزانة البنود) هذه السويقة على باب درب راشد وتمتد الى خزانة البنود وكانت تعرف اولا بسويقة ريدان الصقلبى المنسوب اليه الريدانية خارج باب النصر *(سويقة المسعودى) هذه السويقة من حقوق حارة زويلة بالقاهرة تنسب الى الامير صارم الدين قايماز المسعودى مملوك الملك المسعود اقسيس بن الملك الكامل وولى المسعودى هذا ولاية القاهرة وكان ظالما غاشما جبارا من اجل انه كان فى دار ابن فرقة التى من جملتها جامع ابن المغربى وبيت الوزير ابن ابى شاكر ثم ان فتح الدين بن معتصم الداودى التبريزى كاتب السر جددها فى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة لانه كان يسكن هناك ومات المسعودى فى يوم الاثنين النصف من ذى الحجة سنة اربع وستين وستمائة ضربه شخص فى دار العدل بسكين كان يريد أن يقتل بها الامير عز الدين الحلى نائب السلطنة فوقعت فى فؤاد المسعودى فمات لوقته *(سويقة طغلق) هذه السويقة على رأس الحارة الصالحية مما يلى الجامع الازهر عرفت بالامير سيف الدين طغلق السلاح دار صاحب حمام طغلق التى بالقرب من الجامع الازهر على باب درب المنصورى وصاحب دار طغلق التى عرفت اليوم بدار المنصورى فى الدرب المذكور وأول ما عمرت هذه السويقة لم يكن فيها غير اربع حوانيت ثم عمرت عمارة كبيرة لما خربت سويقة الصالحية التى كانت مما يلى باب البرقية فى حدود سنة ثمانين وسبعمائة ثم تلاشت من سنة ست وثمانمائة كما تلاشى غيرها من الاسواق وبقى فيها يسير جدا *(سويقة الصوّانى) هذه السويقة خارج باب النصر وباب الفتوح بخط بستان ابن صيرم عرفت بالامير علاء الدين أبى الحسن على بن مسعود الصوّانى مشد الدواوين فى ايام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى وقيل بل قراجا الصوّانى احد مقدمى الحلقة فى ايام الملك المنصور قلاوون وكان فى حدود سنة احدى وثمانين وستمائة موجودا وكانت داره هناك وكان ايضا فى ايام الملك المنصور قلاوون الامير زين الدين ابو المعالى احمد ابن شرف الدين ابى المفاخر محمد الصوّانى شاد الدواوين وكان يسكن بمدينة مصر والامير علم الدين سنجر الصوّانى احد الامراء المقدمين الالوف فى ايام الملك الناصر محمد بن قلاوون والملك المظفر بيبرس وهو صاحب البئر التى بالباطلية المعروفة ببئر الدرابزين وعز الدين ايبك الصوّانى *(سويقة البلشون) هذه السويقة خارج باب الفتوح عرفت بسابق الدين سنقر البلشون أحد مماليك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وسلاح داريته وكان له أيضا بستان بالمقس خارج القاهرة من جوار الدكة يعرف ببستان البلشون *(سويقة اللفت) هذه السويقة كانت خارج باب النصر من ظاهر القاهرة حيث البئر التى فى شمال مصلى الاموات المعروف ببئر اللفت تجاه دار ابن الحاجب كانت تشتمل على عدة حوانيت يباع فيها اللفت والكرنب ويحمل منها الى سائر اسواق القاهرة ويباع اليوم فى بعض هذه الحوانيت الدريس لعلف الدواب *(سويقة زاوية الخدام) هذه السويقة خارج باب النصر بحرى سويقة اللفت كان فيها عدة حوانيت يباع فيها انواع المآكل فلما كانت سنة ست وثمانمائة خربت ولم يبق فيها سوى حوانيت لاطائل بها *(سويقة الرملة) هذه السويقة كانت فيما بين سويقة زاوية الخدام وجامع آل ملك حيث مصلى الاموات التى هناك كان فيها عدة حوانيت مملوءة بأصناف المآكل قد خرب سائرها ولم يبق لها أثر البتة *(سويقة جامع آل ملك) ادركتها الى سنة ست وثمانمائة وهى من الاسواق الكبار فيها غالب ما يحتاج اليه من الادام وقد خربت لخراب ما يجاورها *(سويقة أبى ظهير) كانت تلى سويقة جامع آل ملك ادركتها عامرة *(سويقة السنابطة) كانت هناك عرفت بقوم من أهل سنباط سكنوا بها ادركتها أيضا عامرة *(سويقة العرب) هذه السويقة كانت تتصل بالريدانية خربت فى الغلاء الكائن فى سنة ست وسبعين وسبعمائة وأدركت حوانيت هذه السويقة وهى خالية من السكان الا يسيرا وعقودها من اللبن ويقال له ومارواه دخراب الحسينية وكانت فى غاية العمارة وكان اولها مما يلى الحسينية فمن ادركته عامر الى مابعد سنة تسعين وسبعمائة بلغنى انه كان قبل ذلك فى اعوام ستين وسبعمائة يخبز فيه كل يوم نحو سبعة آلاف رغيف لكثرة من حوله من السكان وتلك الاماكن اليوم لاساكن فيها الا البوم ولا يسمع بها الا الصدى *(سويقة العزى) هذه السويقة خارج باب زويلة قريبا من قلعة الجبل كانت من جملة المقابر التى خارج القاهرة فيما بين الباب الجديد والحارات وبركة الفيل وبين الجبل الذى عليه الآن قلعة الجبل

فلما

فلما اختطت هـذه الجهة كما تقدم ذكره عند ذكر ظواهر القاهرة عرفت هـذه السويقة بالامير عز الدين ايبك العزى نقيب الجيوش واستشهد على عكا عند ما فتحها الاشرف خليل بن قلاوون فى يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة تسعين وستمائة وهذه السويقة عامرة بعمارة ما حولها *(سويقة العياطين) هذه السويقة بخط المقس بالقرب من باب البحر عرفت بالفقير المعتقد مسعود بن محمد بن سالم العياط اسكنه بالقرب منها وله هناك مسجد بناه فى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وأخبرنى الشيخ المعمر حسام الدين حسن بن عمر الشهرزورى وكيل أبى رحمه الله ان النشو ناظر الخاص فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون طرح على أهل هذه السويقة عدة امطار عسل قصب وألزمهم فى ثمن كل قنطار بعشرين درهما فوقفوا الى السلطان وعيطوا حتى اعفاهم من ذلك فقيل لها من حينئذ سويقة العياطين ولفظة عياط عند أهل مصر بمعنى صياح والعياط الصياح واصل ذلك فى اللغة ان العطعطة تتابع الاصوات واختلافها فى الحرب وهى أيضا حكاية اصوات المجان اذا قالوا عيط عيط وذلك اذا غلبوا قوما وقد عطعطوا وعطعط بالذئب اذا قال له عاط عاط فحرف عامة مصر ذلك وجعلوا العياط الصياح واشتقوا منه الفعل فاعرف ذلك *(سويقة العراقيين) هذه السويقة بمدينة مصر الفسطاط وانما عرفت بذلك لان قريبا الازدى وزحافا الطائى وكانا من الخوارج خرجا على زياد ابن أمية بالبصرة فاتهم زياد بهما جماعة من الازد وكتب الى معاوية بن أبى سفيان يستأذنه فى قتلهم فأمر بتغريبهم عن اوطانهم فسيرهم الى مصر وأميرها مسلمة بن مخلد وذلك فى سنة ثلاث وخمسين وكان عددهم نحوا من مائتين وثلاثين فأنزلوا بالظاهر أحد خطط مصر وكان اذ ذاك طرفا أراد ان يسدّ بهم ذلك الموضع فنزلوا فى الموضع المعروف بكوم سراج وكان فضاء فبنوا لهم مسجدا واتخذوا سوقا لانفسهم فسمى سويقة العراقيين

(ذكر العوايد التى كانت بقصبة القاهرة)

اعلم ان قصبة القاهرة ما برحت محترمة بحيث انه كان فى الدولة الفاطمية اذا قدم رسول متملك الروم ينزل من باب الفتوح ويقبل الارض وهو ماش الى أن يصل الى القصر وكذلك كان يفعل كل من غضب عليه الخليفة فانه يخرج الى باب الفتوح ويكشف رأسه ويستغيث بعفو أمير المؤمنين حتى يؤذن له بالمسير الى القصر وكان لها عوايد منها ان السلطان من ملوك بنى أيوب ومن قام بعدهم من ملوك الترك لابدّ اذا استقر فى سلطنة ديار مصر أن يلبس خلعة السلطان بظاهر القاهرة ويدخل اليها راكبا والوزير بين يديه على فرس وهو حامل عهد السلطان الذى كتبه له الخليفة بسلطنة مصر على رأسه وقد أمسكه بيديه وجميع الامراء ورجال العساكر مشاة بين يديه منذ يدخل الى القاهرة من باب الفتوح أو من باب النصر الى ان يخرج من باب زويلة فاذا خرج السلطان من باب زويلة ركب حينئذ الامراء وبقية العسكر ومنها انه لا يمر بقصبة القاهرة حمل تبن ولا حمل حطب ولا يسوق أحد فرسا بها ولا يمر بها سقاء الا وراويته مغطاة ومن رسم ارباب الحوانيت أن يعدّوا عند كل حانوت زيرا مملوأ بالماء مخافة أن يحدث الحريق فى مكان فيطفأ بسرعة ويلزم صاحب كل حانوت ان يعلق على حانوته قنديلا طول الليل يسرج الى الصباح ويقام فى القصبة قوم يكنسون الازبال والاتربة ونحوها ويرشون كل يوم ويجعل فى القصبة طول الليل عدة من الخفراء يطوفون بها لحراسة الحوانيت وغيرها ويتعاهد كل قليل بقطع ما عساه تربى من الاوساخ فى الطرقات حتى لا تعلو الشوارع * واول من ركب بخلع الخليفة فى القاهرة السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب قال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة تاسع شهر رجب وصلت الخلع التى كانت نفذت الى السلطان الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكى من الخليفة ببغداد وهى جبة سوداء وطوق ذهب فلبسها نور الدين بدمشق اظهار الشعارها وسيرها الى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ليلبسها وكانت انفذت له خلعة ذكر أنه استقصرها واستزراها واستصغرها دون قدره واستقرّ السلطان صلاح الدين بداره وباتت الخلع مع الواصل بها شاه ملك برأس الطابية فلما كان العاشر منه خرج قاضى القضاة والشهود والمقرئون والخطباء الى خيمته واستقر المسير بالخلعة وهو من الاصحاب النجمية وزينت البلد ابتهاجا بها وفيه ضربت النوب الثلاث بالباب الناصرى على الرسم النورى فى كل يوم فأما دمشق فالنوب المضروبة بها خمس على رسم قديم لان الاتابكية لها قواعد ورسوم

مستقرة بينهم فى بلادهم وفى حادى عشره ركب السلطان بالخلع وشق بين القصرين والقاهرة والمبلغ باب زويلة نزع الخلع واعادها الى داره ثم شمر للعب الاكرة ولم يزل الرسم كذلك فى ملوك بنى أيوب حتى انقضت ايامهم وقام من بعدهم مماليكهم الاتراك فجروا فى ذلك على عادة ملوك بنى أيوب الى ان قام فى مملكة مصر السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى وقتل هولاكو الخليفة المستعصم بالله وهو آخر خلفاء بنى العباس ببغداد وقدم على الملك الظاهر أبو العباس أحمد بن الخليفة الظاهر بالله بن الخليفة الناصر فى شهر رجب سنة تسع وخمسين وستمائة فتلقاه واكرمه وبايعه ولقبه بالخليفة المستنصر بالله وخطب باسمه على المنابر ونقش السكة باسمه فلما كان فى يوم الاثنين الرابع من شعبان ركب السلطان الى خيمة ضربت له بالبستان الكبير من ظاهر القاهرة ولبس خلعة الخليفة وهى جبة سوداء وعمامة بنفسجية وطوق من ذهب وسيف بداوى وجلس مجلسا عاما حضر فيه الخليفة والوزير والقضاة والامراء والشهود وصعد القاضى فخر الدين ابراهيم بن لقمان كاتب السر منبرا نصب له وقرأ تقليد السلطان الذى عهد به اليه الخليفة وكان بخط ابن لقمان ومن انشائه ثم ركب السلطان بالخلعة والطوق ودخل من باب النصر وشق القاهرة وقد زينت له وحمل الوزير الصاحب بهاء الدين محمد بن على بن حنا التقليد على رأسه قدام السلطان والامراء ومن دونهم مشاة بين يديه حتى خرج من باب زويلة الى قلعة الجبل فكان يوما مشهودا * وفى ثالث شوال سنة اثنتين وستين وستمائة تسلطن الملك الظاهر بيبرس ابنه الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان واركبه بشعار السلطنة ومشى قدامه وشق القاهرة كما تقدم وسائر الامراء مشاة من باب النصر الى قلعة الجبل وقد زينت القاهرة وآخر من ركب بشعار السلطنة وخلعة الخلافة والتقليد السلطان الناصر محمد بن قلاوون عند دخوله الى القاهرة من البلاد الشامية بعد قتل السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين واستيلائه على المملكة فى ثامن جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وستمائة وقال المسبحى فى حوادث سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة نودى فى السقائين أن يغطوا روايا الجمال والبغال لئلا تصيب ثياب الناس * وقال فى سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة أمر العزيز بالله أمير المؤمنين بنصب ازيار الماء مملوءة ماء على الحوانيت ووقود المصابيح على الدور وفى الاسواق * وفى ثالث ذى الحجة سنة احدى وتسعين وثلثمائة أمر أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله الناس بان يقدوا القناديل فى سائر البلد على جميع الحوانيت وابواب الدور والمحال والسكك الشارعة وغير الشارعة ففعل ذلك ولازم الحاكم بأمر الله الركوب فى الليل وكان ينزل كل ليلة الى موضع موضع والى شارع شارع والى زقاق زقاق وكان قد الزم الناس بالوقيد فتناظروا فيه واستكثروا منه فى الشوارع والازقة وزينت القياسر والاسواق بأنواع الزينة وصار الناس فى القاهرة ومصر طول الليل فى بيع وشراء وأكثروا أيضا من وقود الشموع العظيمة وأنفقوا فى ذلك أموالا عظيمة جليلة لاجل التلاهى وتبسطوا فى المآكل والمشارب وسماع الاغانى ومنع الحاكم الرجال المشاة بين يديه من المشى بقربه وزجرهم وانتهرهم وقال لا تمنعوا أحدا منى فاحدق الناس به واكثروا من الدعاء له وزينت الصاغة وخرج سائر الناس بالليل للتفرج وغلب النساء الرجال على الخروج بالليل وعظم الازدحام فى الشوارع والطرقات واظهر الناس اللهو والغناء وشرب المسكرات فى الحوانيت وبالشوارع من اول المحرم سنة احدى وتسعين وثلثمائة وكان معظم ذلك من ليلة الاربعاء تاسع عشره الى ليلة الاثنين رابع عشريه فلما تزايد الامر وشنع أمر الحاكم بأمر الله أن لا تخرج امرأة من العشاء ومتى ظهرت امرأة بعد العشاء نكل بها ثم منع الناس من الجلوس فى الحوانيت فامتنعوا ولم يزل الحاكم على الركوب فى الليل الى آخر شهر رجب ثم نودى فى شهر رجب سنة خمس وتسعين وثلثمائة أن لا يخرج أحد بعد عشاء الآخرة ولا يظهر لبيع ولا شراء فامتنع الناس * وفى سنة خمس وأربعمائة تزايد فى المحرم منها وقوع النار فى البلد وكثر الحريق فى عدة اماكن فأمر الحاكم بامر الله الناس باتخاذ القناديل على الحوانيت وأزيار الماء مملوءة ماء وبطرح السقائف التى على أبواب الحوانيت والرواشن التى تطل الباعة فأزيل جميع ذلك من مصر والقاهرة

(ذكر ظواهر القاهرة المعزية)

اعلم ان القاهرة المعزية يحصرها أربع جهات وهى الجهة الشرقية والجهة الغربية والجهة الشمالية التى تسميها أهل مصر البحرية والجهة الجنوبية التى تعرف فى أرض مصر بالقبلية * فأما الجهة الشرقية فانها من سور القاهرة

الذى

الذى فيه الآن باب البرقية والباب الجديد والباب المحروق وتنتهى هذه الجهة الى الجبل المقطم * وأما الجهة الغربية فانها من سور القاهرة الذى فيه باب القنطرة وباب الخوخة وباب سعادة وتنتهى هذه الجهة الى شاطئ النيل * وأما الجهة القبلية فانها من سور القاهرة الذى فيه باب زويلة وتنتهى هذه الجهة الى حدّ مدينة مصر * وأما الجهة البحرية فانها من سور القاهرة الذى فيه باب النصر وباب الفتوح وتنتهى هذه الجهة الى بركة الجب التى تعرف اليوم ببركة الحاج وقد كانت هذه الجهة الشرقية عند ما وضعت القاهرة فضاء فيما بين السور وبين الجبل لا بنيان فيه البتة ومازال على هذا الى أن كانت الدولة التركية فقيل لهذا الفضاء الميدان الاسود وميدان القبق وسيرد ذكر هذا الميدان ان شاء الله تعالى فلما كانت سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون عمل هذا الميدان مقبرة لاموات المسلمين وبنيت فيه الترب الموجودة الآن كما ذكر عند ذكر المقابر من هذا الكتاب وكانت الجهة الغربية تنقسم قسمين أحدهما برّ الخليج الشرقى والآخر برّ الخليج الغربى فأما برّ الخليج الشرقى فكان عليه بستان الامير أبى بكر محمد بن طغج الاخشيد وميدانه وعرف هذا البستان بالكافورى فلما اختط القائد جوهر القاهرة ادخل هذا البستان فى سور القاهرة وجعل بجانبه الميدان الذى يعرف اليوم بالخرشتف فصارت القاهرة تشرف من غربيها على الخليج وبنيت على هذا الخليج مناظر وهى منظرة اللؤلؤة ومنظرة دار الذهب ومنظرة غزالة كما ذكر عند ذكر المناظر من هذا الكتاب وكان فيما بين البستان الكافورى والمناظر المذكورة وبين الخليج شارع تجلس فيه عامة الناس للتفرّج على الخليج وماوراءه من البساتين والبرك ويقال لهذا الشارع اليوم بين السورين ويتصل بالبستان الكافورى وميدان الاخشيد بركة الفيل وبركة قارون ويشرف على بركة قارون الدور التى كانت متصلة بالعسكر ظاهر مدينة فسطاط مصر كما ذكر فى موضعه من هذا الكتاب عند ذكر البرك وعند ذكر العسكر وأما برّ الخليج الغربى فان اوّله الآن من موردة الحلفاء فيما بين خط الجامع الجديد خارج مصر وبين منشاة المهرانى وآخره أرض التاج والخمس وجوه وما بعدها من بحرى القاهرة وكان اوّل هذا الخليج عند وضع القاهرة بجانب خط السبع سقايات وكان ما بين خط السبع سقايات وبين المعاريج بمدينة مصر غامرا بماء النيل كما ذكر فى ساحل مصر من هذا الكتاب وكانت القنطرة التى يفتح سدّها عند وفاء النيل ست عشرة ذراعا خلف السبع سقايات كما ذكر عند ذكر القناطر من هذا الكتاب وكان هناك منظرة السكرة التى يجلس فيها الخليفة يوم فتح الخليج ولها بستان عظيم ويعرف موضعه اليوم بالمريس ويتصل ببستان منظرة السكرة جنان الزهرى وهى من خط قناطر السباع الموجودة الآن بحذاء خط السبع سقايات الى أراضى اللوق ويتصل بالزهرى عدّة بساتين الى المقس وقد صار موضع الزهرى وما كان بجواره على برّ الخليج من البساتين يعرف بالحكورة من أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون الى وقتنا هذا كما ذكر عند ذكر الاحكار من هذا الكتاب وكان الزهرى وما بجواره من البساتين التى على برّ الخليج الغربى والمقس كل ذلك مطل على النيل وليس لبرّ الخليج الغربى كبير عرض وانما برّ النيل فى غربى البساتين على الموضع الذى يعرف اليوم باللوق الى المقس فيصير المقس هو ساحل القاهرة وتنتهى المراكب الى موضع جامع المقس الذى يعرف اليوم بجامع المقسى فكان ما بين الجامع المذكور ومنية عقبة التى ببرّ الجيزة بحر النيل ولم يزل الامر على ذلك الى ما بعد سنة سبعمائة الا انه كان قد انحسر ماء النيل بعد الخمسمائة من سنى الهجرة عن أرض بالقرب من الزهرى عرفت بمنشاة الفاضل وبستان الخشاب وهذه المنشاة اليوم يعرف بعضها بالمريس مما يلى منشأة المهرانى وانحسر أيضا عن أرض تجاه البعل الذى فى بحرى القاهرة عرفت هذه الارض بجزيرة الفيل ومابرح ماء النيل ينحسر عن شئ بعد شئ الى ما بعد سنة سبعمائة فبقيت عدّة رمال فيما بين منشاة المهرانى وبين جزيرة الفيل وفيما بين المقس وساحل النيل عمر الناس فيها الاملاك والمناظر والبساتين من بعد سنة اثنتى عشرة وسبعمائة وحفر الملك الناصر محمد ابن قلاوون فيها الخليج المعروف اليوم بالخليج الناصرى فصار برّ الخليج الغربى بعد ذلك اضعاف ما كان اوّلا من أجل انطراد ماء النيل عن برّ مصر الشرقى وعرف هذا البرّ اليوم بعدّة مواضع وهى فى الجملة خط منشاة المهرانى وخط المريس وخط منشاة الكتبة وخط قناطر السباع وخط ميدان السلطان وخط البركة الناصرية وخط الحكورة وخط الجامع الطيبرسى وربع بكتمر وزريبة السلطان وخط باب اللوق وقنطرة الخرق وخط بستان العدّة وخط زريبة قوصون وخط حكر ابن الاثير وفم الخور وخط الخليج الناصرى وخط

بولاق وخط جزيرة الفيل وخط الدكة وخط المقس وخط بركة قرموط وخط ارض الطبالة وخط الجرف وارض البعل وكوم الريش وميدان القمح وخط باب القنطرة وخط باب الشعرية وخط باب البحر وغير ذلك وسياتى من ذكر هذه المواضع ما يكفى و يشفى ان شاء الله تعالى * وكانت جهة القاهرة القبلية من ظاهرها ليس فيها سوى بركة الفيل وبركة قارون وهى فضاء يرى من خرج من باب زويلة عن يمينه الخليج وموردة السقائين وكانت تجاه باب الفتوح و يرى عن يساره الجبل و يرى تجاهه قطائع ابن طولون التى تتصل بالعسكر و يرى جامع ابن طولون وساحل الحمراء الذى يشرف عليه جنان الزهرى و يرى بركة الفيل التى كان يشرف عليها الشرف الذى فوقه قبة الهواء و يعرف اليوم هذا الشرف بقلعة الجبل وكان من خرج من مصلى العيد بظاهر مصر يرى بركتى الفيل وقارون والنيل فلما كانت أيام الخليفة الحاكم بامر الله أبى على منصور بن العزيز بالله أبى منصور نزار بن الامام المعز لدين الله أبى تميم معد عمل خارج باب زويلة بابا عرف بالباب الجديد واختط خارج باب زويلة عدة من أصحاب السلطان فاختطت المصامدة حارة المصامدة واختطت اليانسية والمحجبية وغيرهما كما ذكر فى موضعه من هذا الكتاب فلما كانت الشدة العظمى فى خلافة المستنصر بالله اختلت احوال مصر وخربت خرابا شنيعا ثم عمر خارج باب زويلة فى أيام الخليفة الآمر باحكام الله ووزارة المامون محمد بن فاتك بن البطائحى بعد سنة خمسمائة فلما زالت الدولة الفاطمية هدم السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب حارة المنصورة التى كانت سكن العبيد خارج باب زويلة وعملها بستانا فصار ما خرج عن باب زويلة بساتين الى المشهد النفيسى وبجانب البساتين طريق يسلك منها الى قلعة الجبل التى انشأها السلطان صلاح الدين المذكور على يد الامير بهاء الدين قراقوش الاسدى وصار من يقف على باب جامع ابن طولون يرى باب زويلة ثم حدثت العمائر التى هى الآن خارج باب زويلة بعد سنة سبعمائة وصار خارج باب زويلة الآن ثلاثة شوارع أحدها ذات اليمين والآخر ذات الشمال والشارع الثالث تجاه من خرج من باب زويلة وهذه الشوارع الثلاثة تشتمل على عدة اخطاط * فأما ذات اليمين فان من خرج من باب زويلة الآن يجد عن يمينه شارعا سالكا ينتهى به فى العرض الى الخليج حيث القنطرة التى تعرف بقنطرة الخرق و ينتهى به فى الطول من باب زويلة الى خط الجامع الطولونى وجميع ما فى هذا الطول والعرض من الاماكن كان بساتين الى ما بعد السبعمائة وفى هذه الجهة اليمنى خط دار التفاح وسوق السقطيين وخط تحت الربع وخط القشاشين وخط قنطرة الخرق وخط شق الثعبان وخط قنطرة آقسنقر وخط الحبانية وبركة الفيل وخط قبو الكرمانى وخط قنطرة طقزدمر والمسجد المعلق وخط قنطرة عمر شاه وخط قناطر السباع وخط الجسر الاعظم وخط الكبش والجامع الطولونى وخط الصليبة وخط الشارع وما هنالك من الحارات التى ذكرت عند ذكر الحارات من هذا الكتاب * وأما ذات اليسار فان من خرج من باب زويلة الآن يجد عن يساره شارعا ينتهى به فى العرض الى الجبل و ينتهى به فى الطول الى القرافة وجميع ما فى هذه الجهة اليسرى كان فضاء لا عمارة فيه البتة الى ما بعد سنة خمسمائة من الهجرة فلما عمر الوزير الصالح طلائع بن رزيك جامع الصالح الموجود الآن خارج باب زويلة صار ما وراءه الى نحو قطائع ابن طولون مقبرة لاهل القاهرة الى ان زالت دولة الخلفاء الفاطميين وانشأ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قلعة الجبل على رأس الشرف المطل على القطائع وصار يسلك الى القلعة من هذه الجهة اليسرى فيما بين المقابر والجبل ثم حدثت بعد الحين هذه العمائر الموجودة هنالك شيأ بعد شئ من سنة سبعمائة وصار فى هذه الشقة خط سوق البسطيين وخط الدرب الاحمر وخط جامع الماردينى وخط سوق الغنم وخط التبانة وخط باب الوزير وقلعة الجبل والرميلة وخط القبيبات وخط باب القرافة * وأما ما هو تجاه من خرج من باب زويلة فيعرف بالشارع وقد تقدم ذكره عند ذكر الاسواق من هذا الكتاب وهو ينتهى بالسالك الى خط الصليبة المذكور آنفا والى خط الجامع الطولونى وخط المشهد النفيسى والى العسكر وكوم الجارح وغير ذلك من بقية خطط ظواهر القاهرة ومصر وكانت جهة القاهرة البحرية من ظاهرها فضاء ينتهى الى بركة الجب والى منية الاصبغ التى عرفت بالخندق والى منية مطر التى تعرف بالمطرية والى عين شمس وما وراء ذلك الا انه كان تجاه القاهرة بستان ريدان و يعرف اليوم بالريدانية وعند مصلى العيد خارج باب النصر حيث يصلى الآن على الاموات كان ينزل هنالك من يسافر الى الشام فلما كان قبل سنة خمسمائة وهات أمير الجيوش بدر الجمالى

في سنة سبع وثمانين وأربعمائة بني خارج باب النصر له تربة دفن فيها وبني أيضا خارج باب الفتوح منظرة قد ذكر خبرها عند ذكر المناظر من هذا الكتاب وصار أيضا فيما بين باب الفتوح والمطرية بساتين قد تقدم خبرها ثم عمرت الطائفة الحسينية بعد سنة خمسمائة خارج باب الفتوح عدة منازل اتصلت بالخندق وصار خارج باب النصر مقبرة الى ما بعد سنة سبعمائة فعمر الناس به حتى اتصلت العمائر من باب النصر الى الريدانية وبلغت الغاية من العمارة ثم تناقصت من بعد سنة تسع وأربعين وسبعمائة الى أن فحش خرابها من حين حدثت المحن في سنة ست وثمانمائة فهذا حال ظواهر القاهرة منذ اختطت والى يومنا هذا ويحتاج ما ذكرنا هنا الى مزيد بيان والله أعلم

(ذكر ميدان القبق)

هذا الموضع خارج القاهرة من شرقيها فيما بين النقرة التي ينزل من قلعة الجبل اليها وبين قبة النصر التي تحت الجبل الاحمر ويقال له أيضا الميدان الاسود وميدان العيد والميدان الاخضر وميدان السباق وهو ميدان السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي النجمي بنى به مصطبة في المحرم من سنة ست وستين وستمائة عندما احتفل برمي النشاب وأمور الحرب وحث الناس على لعب الرمح ورمي النشاب ونحو ذلك وصار ينزل كل يوم الى هذه المصطبة من الظهر فلا يركب منها الى العشاء الآخرة وهو يرمي ويحرض الناس على الرمي والنضال والرهان فما بقي أمير ولا مملوك الا وهذا شغله وتوفر الناس على لعب الرمح ورمي النشاب ومابرح من بعده من أولاده والملك المنصور سيف الدين قلاوون الالفي الصالحي النجمي والملك الاشرف خليل ابن قلاوون يركبون في الموكب لهذا الميدان وتقف الامراء والمماليك السلطانية تسابق بالخيل فيه قدامهم وتنزل العساكر فيه لرمي القبق والقبق عبارة عن خشبة عالية جدا تنصب في براح من الارض ويعمل باعلاها دائرة من خشب وتقف الرماة بقسيها وترمي بالسهام جوف الدائرة لكي تمر من داخلها الى غرض هناك تمرينا لهم على احكام الرمي ويعبر عن هذا بالقبق في لغة الترك * قال جامع السيرة الظاهرية وفي سابع عشر المحرم من سنة سبع وستين وستمائة حث السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري جميع الناس على رمي النشاب ولعب الرمح خصوصا خواصه ومماليكه ونزل الى الفضاء بباب النصر ظاهر القاهرة ويعرف بميدان العيد وبنى مصطبة هناك وأقام ينزل في كل يوم من الظهر ويركب منها عشاء الآخرة وهو واقف في الشمس يرمي ويحرض الناس على الرمي والرهان فما بقي أمير ولا مملوك الا وهذا شغله واستمر الحال في كل يوم على ذلك حتى صارت تلك الامكنة لا تسع الناس ومابقي لاحد شغل الا لعب الرمح ورمي النشاب وفي شهر رمضان سنة اثنتين وسبعين وستمائة تقدم السلطان الملك الظاهر الى عساكره بالتأهب للركوب واللعب بالقبق ورمي النشاب واتفقت نادرة غريبة وهو انه أمر برش الميدان الاسود تحت القلعة لاجل الملعب فشرع الناس في ذلك وكان يوما شديد الحر فأمر السلطان بتبطيل الرش رحمة للناس وقال الناس صيام وهذا يوم شديد الحر فبطل الرش وارسل الله تعالى مطرا جودا استمر ليلتين ويوما حتى كثر الوحل وتلبدت الارض وسكن العجاج وبرد الجو ولطف الهواء ووكل السلطان من يحفظه من السوق فيه يوم اللعب وهو يوم الخميس السادس والعشرون من شهر رمضان وأمر بركوب جماعة لطيفة من كل عشرة اثنان وكذلك من كل أمير ومن كل مقدم لئلا تضيق الدنيا بهم فركبوا في احسن زي وأجمل لباس واكمل شكل وابهى منظر وركب السلطان ومعه من خواصه ومماليكه ألوف ودخلوا في الطعان بالرماح فكل من أصاب خلع عليه السلطان ثم ساق في مماليكه الخواص خاصة ورتبهم اجمل ترتيب واندفق بهم اندفاق البحر فشاهد الناس ابهة عظيمة ثم أقيم القبق ودخل الناس لرمي النشاب وجعل لمن اصاب من المفاردة رجال الحلقة والبحرية الصالحية وغيرهم بغلطاقا بسنجاب وللامراء فرسا من خيله الخاص بتشاهيره ومراوانه الفضية والذهبية ومزاخمه وما زال في هذه الايام على هذه الصورة يتنوع في دخوله وخروجه تارة بالرماح وتارة بالنشاب وتارة بالدبابيس وتارة بالسيوف مسلولة وذلك انه ساق على عادته في اللعب وسل سيفه وسل مماليكه سيوفهم وحمل هو ومماليكه حملة رجل واحد فرأى الناس منظرا عجيبا واقام على ذلك كل يوم من بكرة النهار الى قريب المغرب وقد ضربت الخيام للنزول للوضوء والصلاة وتنوع الناس في تبديل العدد والآلات وتفاخروا وتكاثروا فكانت هذه الايام من الايام المشهودة ولم يبق أحد من ابناء الملوك ولا وزير ولا أمير كبير ولا صغير ولا مفردي ولا مقدم من مقدمي الحلقة ومقدمي البحرية الصالحية ومقدمي

المماليك الظاهرية البحرية ولا صاحب شغل ولا حامل عصا فى خدمة السلطان على بابه ولا حامل طير فى ركاب
السلطان ولا أحد من خواص كتاب السلطان الاشرف بما يليق به على قدر منصبه ثم تعدّى احسان
السلطان لقضاة الاسلام والائمة وشهود خزانة السلطان فشرّفهم جميعهم ثم الولاة كلهم وأصبحوا بكرة يوم الاحد
ثامن عشرى شهر رمضان لابسين الخلع جميعهم فى أحسن صورة وأبهج زى وابهى شكل واجمل زينة
بالكلوتات الزركش بالذهب والملابس التى ما سمع بأن احدا جاد بمثلها وهى ألوف وخدم الناس جميعهم وقبلوا
الارض وعليهم الخلع وركبوا ولعبوا نهارهم على العادة والاموال تفرق والاسمطة تصف والصدقات تنفق
والرقاب تعتق ومازال الى أن اهلّ هلال شوّال فقام الناس وطلعوا للهناء فجلس لهم وعليهم خلعه ثم ركب يوم
العيد الى مصلاه فى خيمة بشعار السلطنة وابهة الملك فصلى ثم طلع قلعة الجبل وجلس على الاسمطة وكان
الاحتفال بها كبيرا واكل الناس ثم انتهبه الفقراء وقام الى مقرّ سلطانه بالقبة السعيدة وقد غلقت وفرشت
بأنواع الستور والكلل والفرش وكان قد تقدم الى الامراء باحضار أولادهم فاحضروا وخلع عليهم الخلع
المفصلة على قدرهم فلما كان هذا اليوم احضروا وختنوا باجمعهم بين يدى السلطان واخرجوا فحملوا فى المحفات
الى بيوتهم وعمّ الهناء كل دار ثم احضر الامير نجم الدين خضر ولد السلطان فختن ورمى للناس جملة من الاموال
اجتمع منها خزانة ملك كبير فرقت على من باشر الختان من الحكماء والمزينين وغيرهم وانقضت هذه الايام وجرى
السلطان فيها على عادته كما كان من كونه لم يكلف أحدا من خلق الله تعالى بهدية يهديها ولا تحفة يتحفه بها فى مثل
هذه المسرّة كما جرت عادة من تقدمه من الملوك ولم يبق من لا شمله احسانه غير أرباب الملاهى والاغانى فانه
كان فى أيامه لم ينفق لهم مبلغ البتة * وممن لعب بهذا الميدان القبق السلطان الملك الاشرف خليل بن قلاوون
وعمل فيه المهمّ الذى لم يعمل فى دولة الترك بمصر مثله وذلك ان خوندار دوتكين ابنة نوكيه ويقال نوغية
السلحدارية اشتملت من السلطان الملك الاشرف على حمل فظنّ انها تلد ابنا ذكرا يرث الملك من بعده فأخذ عند
ما قاربت الوضع فى الاحتفال ورسم لوزيره الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس ان يكتب الى دمشق بعمل
مائة شمعدان نحاس مكفت بالقاب السلطان ومائة شمعدان أخر منها خمسون من ذهب وخمسون من فضة
وخمسين سرجا من سروج الزركش ومائة وخمسين سرجا من الخيش وألف شمعة واشياء كثيرة غير ذلك فقدر الله تعالى
انها ولدت بنتا فانقبض لذلك وكره ابطال ما قد اشتهر عنه عمله فأظهر أنه يريد ختان أخيه محمد وابن أخيه مظفر
الدين موسى بن الملك الصالح على بن قلاوون فرسم لنقيب الجيش والحجاب باعلام الأمراء والعسكر أن يلبسوا
كلهم آلة الحرب من السلاح الكامل هم وخيولهم ويصيروا بأجمعهم كذلك فى الميدان الاسود خارج باب
النصر فاهتم الامراء والعسكر اهتماما كبيرا لذلك وأخذوا فى تحسين العدد وبالغوا فى التأنق وتنافسوا فى اظهار
التجمل الزائد وخرج فى اليوم الرابع من اعلام الامراء السوقة ونصبوا عدة صواوين فيها سائر البقول والمآكل
فصار بالميدان سوق عظيم ونزل السلطان من قلعة الجبل بعساكره وعليهم لامة الحرب وقد خرج سائر من
فى القاهرة ومصر من الرجال والنساء الا من خلفه العذر لرؤية السلطان فأقام السلطان يومه وحصل فى ذلك
اليوم للناس بهذا الاجتماع من السرور ما يعز وجود مثله وأصبح السلطان وقد استعدّ العسكر بأجمعه لرمى
القبق ورسم للحجاب بأن لا يمنعوا أحدا من الجند ولا من المماليك ولا من غيرهم من الرمى ورسم للامير بيسرى
والامير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح أن يتقدما الناس فى الرمى فاستقبل الامير بيسرى القبق وتحته
سرج قد صنع قربوسه الذى من خلفه وطيأ فصار مستلقيا على قفاه وهو يرمى ويصيب يمنة ويسرة والناس
بأسرهم قد اجتمعوا للنظر حتى ضاق بهم الفضاء فلما فرغ دخل أمير سلاح من بعده وتلاه الامراء على قدر
منازلهم واحدا واحدا فرموا ثم دخل بعد الامراء مقدموا الحلقة ثم الاجناد والسلطان يعجب برميهم وتزايد
سروره حتى فرغ الرمى فعاد الى مخيمه ودار السقاة على الامراء بأوانى الذهب والفضة والبلور يسقون السكر
المذاب وشرب الاجناد من احواض قد ملئت من ذلك وكانت عدّتها مائة حوض فشربوا ولهوا واستمرّوا
على ذلك يومين وفى اليوم الثالث ركب السلطان واستدعى الامير بيسرى وأمره بالرمى فسأل السلطان
أن يعفيه من الرمى ويمنّ عليه بالتفرج فى رمى النشاب من الامراء وغيرهم فأعفاه ووقف مع السلطان فى منزلته
وتقدم طقجى وعين الغزال وأمير عمر وكيلكدى وقشتمر العجمى وبرلغى وأعناق الحسامى وبكتوت ونحو الخمسين

من

من امراء السلطان الشبان الذين انشأهم من خاصكيته وعليهم تتريات حرير اطلس بطرازات زركش وكلوتات زركش وحوائص ذهب وكانوا من الجمال البارع بحيث يذهل حسنهم الناظر ويدهش جمالهم الخاطر فتعاظمت مسرة السلطان برؤيتهم وكثر اعجابه وداخله العجب واستخفه الطرب وارتجت الدنيا بكثرة من حضر هنالك من ارباب الملاهي والاغاني وأصحاب الملعوب فلما انقضى اللعب عاد السلطان الى دهليزه في زينته ومرح في مشيته تيها وصلفا فما هو الا أن عبر الدهليز والناس من الطرب والسرور في أحسن شئ يقع في العالم واذا بالجو قد اظلم وثار ريح عاصف أسود الى أن طبق الارض والسماء وقلع سائر تلك الخيم وألقى الدهليز السلطاني وتزايد حتى ان الرجل لا يرى من بجانبه فاختلط الناس وماجوا ولم يعرف الامير من الحقير وأفلت السوقة والعامة تنهب وركب السلطان يريد النجاة بنفسه الى القلعة وتلاحق العسكر به واختلفوا في الطرق لشدة الهول فلم يعبر الى القلعة حتى اشرف على التلف وحصل في هذا اليوم من نهب الاموال وانتهاك الحرم والنساء ما لا يمكن وصفه وماظن كل أحد الا أن الساعة قد قامت فتنغص سرور الناس وذهب ما كان هنالك وما استقر السلطان بالقلعة حتى سكن الريح وظهرت الشمس وكأن ما كان لم يكن فأصبح السلطان وطلب أرباب الملاهي بأجمعهم وحضر الامراء الختان أخيه وابن أخيه وعمل مهم عظيم في القاعة التي أنشأها بالقلعة وعرفت بالاشرفية وقد ذكر خبر هذا المهم عند ذكر القلعة من هذا الكتاب ومابرح هذا الميدان فضاء من قلعة الجبل الى قبة النصر ليس فيه بنيان وللملوك فيه من الاعمال ما تقدم ذكره الى أن كانت سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون فترك النزول اليه وبنى مسطبة برسم طم طيور الصيد بالقرب من بركة الحبش وصار ينزل هنالك ثم ترك تلك المسطبة في سنة عشرين وسبعمائة وعاد الى ميدان القبق هذا وركب اليه على عادة من تقدمه من الملوك الى أن بنيت فيه الترب شيأ بعد شئ حتى انسدت طريقه واتصلت المباني من ميدان القبق الى تربة الروضة خارج باب البرقية وبطل السباق منه ورمى القبق فيه من آخر أيام الملك الناصر محمد بن قلاون كما ذكر عند ذكر المقابر من هذا الكتاب وأنا ادركت عواميد من رخام قائمة بهذا الفضاء تعرف بين الناس بعواميد السباق بين كل عمودين مسافة بعيدة ومابرحت قائمة هنالك الى ما بعد سنة ثمانين وسبعمائة فهدمت عندما عمر الامير يونس الدوادار الظاهري تربته تجاه قبة النصر ثم عمر أيضا الامير قجماس ابن عم الملك الظاهر برقوق تربة هنالك وتتابع الناس في البنيان الى أن صار كما هو الآن والله اعلم

(ذكر بر الخليج الغربي)

قد تقدم أن هذا الخليج حفر قبل الاسلام بدهر وأن عمرو بن العاص رضي الله عنه جدد حفره في عام الرمادة باشارة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى صب ماء النيل في بحر القلزم وجرت فيه السفن بالغلال وغيرها حتى عبرت منه الى البحر الملح وانه مابرح على ذلك الى سنة خمسين ومائة فطم ولم يبق منه الا ما هو موجود الآن الا أن فم هذا الخليج الذي يصب فيه الماء من بحر النيل لم يكن عند حفره هذا الفم الموجود الآن ولست أدري اين كان فمه عند ابتداء حفره في الجاهلية فان مصر فتحت وماء النيل عند الموضع الذي فيه الآن جامع عمرو بن العاص بمصر وجميع ما بين الجامع وساحل النيل الآن انحسر عنه الماء بعد الفتح وآخر ما كان ساحل مصر من عند سوق المعاريج الذي هو الآن بمصر الى تجاه الكبش من غربيه وجميع ما هو الآن موجود من الارض التي فيما بين خط السبع سقايات الى سوق المعاريج انحسر عنه الماء شيأ بعد شئ وغرس بساتين فعمل عبد العزيز بن مروان امير مصر قنطرة على فم هذا الخليج في سنة تسع وستين من الهجرة بأوله عند ساحل الحمراء ليتوصل من فوق هذه القنطرة الى جنان الزهري الآتي ذكرها ان شاء الله تعالى وموضع هذه القنطرة بداخل حكر أقبغا المجاور لخط السبع سقايات ومابرحت هذه القنطرة عندها السد الذي يفتح عند الوفاء الى ما بعد الخمسمائة من الهجرة فانحسر ماء النيل عن الارض وغرست بساتين فعمل الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي هذه القنطرة التي تعرف اليوم بقنطرة السد خارج مصر ليتوصل من فوقها الى بستان الخشاب وزيد في طول الخليج ما بين قنطرة السباع الآن وبين قنطرة السد المذكورة وصار ما في شرقيه مما انحسر عنه الماء بستانا عرف ببستان الحارة وما في غربيه يعرف ببستان المحلي وكان بطرف خط السبع سقايات كنيسة الحمراء وعدة كنائس أخربعضها الآن بحكر أقبغا تعرف بزاوية الشيخ يوسف العجمي لسكناه بها

عندما هدمت بعد سنة عشرين وسبعمائة ومابرحت هذه البساتين موجودة الى أن استولى عليها الامير اقبغا عبد الواحد استادار الملك الناصر محمد بن قلاون وقلع أخشابها وأذن للناس فى عمارتها فحكرها الناس وبنوا فيها الآدر وغيرها فعرفت بحكر أقبغا * وبأول هذا الخليج الآن من غربيه منشاة المهرانى وقد تقدم خبرها فى هذا الكتاب عند ذكر مدينة مصر ويجاور منشاة المهرانى بستان الخشاب وبعضه الآن يعرف بالمريس وبعضه عمله الملك الناصر محمد بن قلاون ميدانا يشرف على النيل من غربيه ويعرف ساحل النيل هنالك بموردة الجبس كما ذكر عند ذكر الميادين من هذا الكتاب ويجاور بستان الخشاب جنان الزهرى وهذه المواضع التى ذكرت كلها مما انحسر عنه النيل ما خلا جنان الزهرى فانها من قبل ذلك وستقف على خبرها وخبر ما يجاورها من الاحكار ان شاء الله تعالى

(ذكر الاحكار التى فى غربى الخليج)

قال ابن سيده الاحتكار جمع الطعام ونحوه مما يؤكل واحتباسه انتظار وقت الغلاء به والحكرة والحكر جميعا ما احتكر وحكره يحكره حكرا ظلمه وتنقصه وأساء معاشرته انتهى فالتحكير على هذا المنع فقول أهل مصر حكر فلان ارض فلان يعنون منع غيره من البناء عليها *(حكر الزهرى) هذا الحكر يدخل فيه جميع بر ابن التبان الآتى ذكره ان شاء الله تعالى وشق الثعبان وبطن البقرة وسويقة القيمرى وسويقة صفية وبركة الشقاف وبركة السباعين وقنطرة الخرق وحدرة المراديين وحكر الحلبى وحكر البواشق وحكر كرجى وما بجانبه الى قناطر السباع وميدان المهارى الى الميدان الكبير السلطانى بموردة الجبس وكان هذا قديما يعرف بجنان الزهرى ثم عرف ببستان الزهرى قال أبو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس فى تاريخ الغرباء عبد الوهاب بن موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى يكنى أبا العباس وأمه أم عثمان بنت عثمان بن العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان مدنى قدم مصر وولى الشرط بفسطاط مصر وحدث يروى عن مالك بن انس وسفيان بن عيينة روى عنه من أهل مصر أصبغ ابن الفرج وسعيد بن أبى مريم وعثمان بن صالح وسعيد بن عفير وغيرهم وهو صاحب الجنان التى بالقنطرة قنطرة عبد العزيز بن مروان تعرف بجنان الزهرى وهو حبس على ولده الى اليوم وكان كتاب حبس الجنان عند جدى يونس بن عبد الاعلى وديعة عليه مكتوب وديعة لولد ابن العباس الزهرى لا يدفع لاحد الا أن يغرى به سلطان والكتاب عندى الى الآن توفى عبد الوهاب بن موسى بمصر فى رمضان سنة عشرة ومائتين وقال القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعى فى كتاب معرفة الخطط والآثار حبس الزهرى هو الجنان التى عند القنطرة بالحمراء وهو عبد الوهاب ابن موسى بن عبد العزيز الزهرى قدم مصر وولى الشرط بها والجنان حبس على ولده * وقال القاضى تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج فى كتاب ايقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل حبس الزهرى فذكره ثم قال وهذا الحبس اكثره الآن أحكار ما بين بركة الشقاف وخليج شق الثعبان وقد استولى وكيل بيت المال على بعضه وباع من ارضه وآجر منها واجتمع هو ومحبسه بين يدى الله عز وجل انتهى ولما طال الامد صار للزهرى عدة بساتين منها بستان ابى اليمان وبستان السراج وبستان الحبانية وبستان عزاز وبستان تاج الدولة قماز وبستان الفرغانى وبستان ارض الطيلسان وبستان البطرك وغيط الكردى وغيط الصفار ثم عرف ببر ابن التبان بعد ذلك قال القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر فى كتاب الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة شاطئ الخليج المعروف ببر التبان *(ابن التبان المذكور) هو رئيس المراكب فى الدولة المصرية وكان له قدر ووجاهة فى الايام الآمرية وغيرها ولما كان فى الايام الآمرية تقدم الى الناس بالعمارة قبالة الخرق غربى الخليج فأول من ابتدأ وعمر الرئيس ابن التبان فانه أنشأ مسجدا وبستانا ودارا فعرفت تلك الخطة به الى الآن ثم بنى سعد الدولة والى القاهرة وناهض الدولة على وعدى الدولة أبو البركات محمد بن عثمان وجماعة من فراشى الخاص واتصلت العمارة بالآجر والسقوف النقية والابواب المنظومة من باب البستان المعروف بالعدة على شاطئ الخليج الغربى الى البستان المعروف بأبى اليمن ثم ابتنى جماعة غيرهم ممن رغب فى الاجرة والفرجة على التراع التى تتصرف من الخليج الى الزهرى والبساتين من المنازل والدكاكين شيأ كثيرا وهى الناحية المعروفة الآن بشق الثعبان وسويقة القيمرى الى أن وصل البناء الى قبالة البستان المعروف بنور الدولة الربعى وهذا البستان

معروف فى هذا الوقت بالخطة المذكورة وهو متلاشى الحال بسبب ملوحة بئره وبستان نور الدولة هو الآن الميدان الظاهرى والمناظر به وتفرقت الشوارع والطرق وسكنت الدكاكين والدور وكثر المترددون اليه والمعاش فيه الى أن استناب والى القاهرة بها نائبا عنه ثم تلاشت تلك الاحوال وتغيرت الى أن صارت اطلالا وعفت تلك الآثار ثم بعد ذلك حكر آدرا وبساتين وبنى على غير تلك الصفة المقدم ذكرها وبنى على ماهو عليه ثم حكر بستان الزهرى آدرا ولم يبق منه الا قطعة كبيرة بستانا وهو الآن احكار تعرف بالزهرى ويعرف البرّ جميعه ببرّ ابن التبان الى هذا الوقت وولايته تعرف بولاية الحكر وبنى به حمام الشيخ نجم الدين بن الرفعة وحمام تعرف بالقيمرى وحمام تعرف بحمام الداية على شاطئ الخليج انتهى * وبستان أبى اليمان يعرف اليوم مكانه بحكر اقبغا وفيه جامع الست مسكة وسويقة السباعين * وبستان السراج فى ارض باب اللوق يعرف موضعه الآن بحكر الخليلى ويأتى ذكرهما ان شاء الله تعالى وقيماز هو تاج الدولة صهر الامير بهرام الارمنى وزير الخليفة الحافظ لدين الله وقتل عند دخول الصالح طلائع بن رزيك الى القاهرة فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة وعزاز هو غلام الوزير شاور بن مجير السعدى وزير الخليفة العاضد لدين الله *(حكر الخليلى) هذا الحكر هو الخط الذى بقرب سويقة السباعين وجامع الست مسكة وهو بجوار حكر الزهرى وكان بستانا يعرف ببستان أبى اليمان ومنهم من يكتب ببستان أبى اليمن بغير ألف بعد الميم ثم عرف ببستان ابن جن حلوان وهو الجمال محمد بن الزكى يحيى بن عبد المنعم بن منصور التاجر فى ثمرة البساتين عرف بابن جن حلوان مات فى سنة احدى وتسعين وستمائة وحدّ هذا البستان القبلى الى الخليج وكان فيه بابه والهماليا والحد البحرى ينتهى الى غيط قيماز والشرقى الى الآدر المحتكرة والغربى ينتهى الى قطعة تعرف قديما بابن أبى التاج ثم عرف ببستان ابن السراج واستأجره ابن جن حلوان من الشيخ نجم الدين بن الرفعة الفقيه المشهور فى سنة ثمان وثمانين وستمائة فعرف به ثم ان هذا البستان حكر بعد ذلك فعرف بحكر الخليلى وهو *(حكر قوصون) هذا الحكر مجاور لقناطر السباع كان بستانين أحدهما يعرف بالمخاريق الكبرى والآخر يعرف بالمخاريق الصغرى فأما المخاريق الكبرى فان القاضى الرئيس الاجل المختار العدل الامين زكى الدين أبا العباس أحمد بن مرتضى بن سيد الاهل بن يوسف وقف حصة من جميع البستان المذكور الكبير المعروف بالمخاريق الكبرى الذى بين القاهرة ومصر بعدوة الخليج فما بين البستانين المعروف أحدهما بالمخاريق الصغرى و يعرف قديما بالشيخ الاجل ابن أبى أسامة ثم عرف بغيره والبستان الذى يعرف بدويرة دينار يفصل بينهما الطريق بخط بستان الزهرى وبستان أبى اليمن وكنائس النصارى قبالة جماميز السعدية والسبع سقايات ولهذا البستان حدود أربعة القبلى ينتهى الى الخليج الفاصل بينه وبين المواضع المعروفة بجماميز السعدية والسبع سقايات والحد الشرقى ينتهى الى البستان المعروف بالمخاريق الصغرى المقابل للمجنونة والبحرى ينتهى الى البستان المعروف قديما بابن أبى أسامة الفاصل بينه وبين بستان أبى اليمن المجاور للزهرى والحد الغربى ينتهى الى الطريق وجعل هذا البستان على القربات بعد عمارته وشرط أن الناظر يشترى فى كل فصل من فصول الشتاء مايراه من قماش الكتان الخام أو القطن ويصنع ذلك جبابا وبغالطيق محشوة قطنا ويفرقها على الايتام الذكور والاناث الفقراء غير البالغين بالشارع الاعظم خارج باب زويلة لكل واحد جبة أو بغلطاق فان تعذر ذلك كان على الايتام المتصفين بالصفة المذكورة بالقاهرة ومصر وقرافتيهما فان تعذر ذلك كان للفقراء والمساكين اينما وجدوا وتاريخ كتاب هذا الوقف فى ذى الحجة سنة ستين وستمائة وأما المخاريق الصغرى فانه بعدوة الخليج قبالة المجنونة بالقرب من بستان أبى اليمن ثم عرف أخيرا ببستان بهادر رأس نوبة ومساحته خمسة عشر فدانا فاشتراه الامير قوصون وقلع غروسه وأذن للناس فى البناء عليه فحكروه وبنوا فيه الآدر وغيرها وعرف بحكر قوصون *(حكر الحلبى) هذا الحكر الآن يعرف بحكر بيبرس الحاجب وهو مجاور للزهرى ولبركة الشقاف من غربيها وأصله من جملة اراضى الزهرى اقتطع منه وباعه القاضى مجد الدين ابن الخشاب وكيل بيت المال لابنتى السلطان الملك الاشرف خليل بن قلاون فى سنة أربع وتسعين وستمائة وكان يعرف حين هذا البيع ببستان الجمال بن جن حلوان و بغيط الكردى وببستان الطيلسان وببستان الفرغانى وحدّ هذه القطعة القبلى الى بركة الطوابين والى الهدير الصغير والحد البحرى ينتهى الى بستان الفرغانى والى بستان البواشق والحد الشرقى الى بركة الشقاف والى الطريق الموصلة الى الهدير الصغير والحد الغربى

الى بستان الفرغانى ثم انتقل هذا البستان الى الامير ركن الدين بيبرس الحاجب فى ايام الملك الناصر محمد بن قلاون وحكره فعرف به * (حكر البواشقى) عرف بالامير أزدمر البواشقى مملوك الرشيدى الكبير أحد المماليك البحرية الصالحية وممن قام على الملك المعز أيبك عندما قتل الامير فارس الدين اقطاى فى ذى القعدة سنة احدى وخمسين وستمائة وخرج الى بلاد الروم ثم عرف الآن بحكر كرجى وهو بجوار حكر الحلبى المعروف بحكر بيبرس * (حكر أقبغا) هذا الحكر بجوار السبع سقايات بعضه بجانب الخليج الغربى وبعضه بجانب الخليج الشرقى كان بستانا يعرف قديما بجنان الحارة ويسلك اليه من خط قناطر السباع على يمنة السالك طالبا السبع سقايات بالقرب من كنيسة الحمراء وكان بعضه بستانا يعرف ببستان المحلى وهو الذى فى غربى الخليج وكان بستان جنان الحارة بجوار بركة قارون وينتهى الى حوض الدمياطى الموجود الآن على يمنة من سلك من خط السبع سقايات الى قنطرة السد فاستولى عليه الامير أقبغا عبد الواحد استادار الملك الناصر محمد بن قلاوون واذن للناس فى تحكيره فحكر وبنى فيه عدة مساكن والى يومنا هذا يجبى حكره ويصرف فى مصارف المدرسة الاقبغاوية المجاورة للجامع الازهر بالقاهرة وأول من عمر فى حكر أقبغا هذا أستادار الامير جنكل بن البابا فتبعه الناس وفى موضع هذا الحكر كانت كنيسة الحمراء التى هدمها العامة فى ايام الملك الناصر محمد بن قلاون كما ذكر عند ذكر الكنائس من هذا الكتاب وهى اليوم زاوية تعرف بزاوية الشيخ يوسف العجمى وقد ذكرت فى الزوايا أيضا وهذا الحكر لما بنى الناس فيه عرف بالآدر لكثرة من سكن فيه من التتر والوافدية من اصحاب الامير جنكل بن البابا وعمر تجاه هذا الحكر الامير جنكل حمامين هما هنالك الى اليوم وانتشأ بعمارة هذا الحكر بظاهره سوق وجامع وعمر ما على البركة أيضا واتصلت العمارة منه فى الجانبين الى مدينة مصر واتصلت به عمائر أيضا ظاهر القاهرة بعدما كان موضع هذا الحكر مخوفا يقطع فيه الزعار الطريق على المارة من القاهرة الى مصر وكان والى مصر يحتاج الى أن يركز جماعة من أعوانه بهذا المكان لحفظ من يمر من المفسدين فصار لما حكر كانه مدينة كبيرة وهو الى الآن عامر واكثر من يسكنه الامراء والاجناد وهذا الحكر كان يعرف قديما بالحمراء الدنيا وقد ذكر خبر الحمراوات الثلاث عند ذكر خطط مدينة فسطاط مصر من هذا الكتاب وفى هذا الحكر أيضا كانت قنطرة عبد العزيز بن مروان التى بناها على الخليج ليتوصل منها الى جنان الزهرى وبعض هذا الحكر مما انحسر عنه النيل وهى القطعة التى تلى قنطرة السد * (حكر الست حدق) هذا الحكر يعرف اليوم بالمريس وكان بساتين من بعضها بستان الخشاب فعرف بالست حدق من اجل أنها أنشأت هنالك جامعا كان موضعه منظرة السكرة فبنى الناس حوله واكثر من كان يسكن هنالك السودان وبه يتخذ المزر ومأوى أهل الفواحش والقاذورات وصار به عدة مساكن وسوق كبير يحتاج محتسب القاهرة أن يقيم به نائبا عنه للكشف عما يباع فيه من المعايش وقد ادركنا المريس على غاية من العمارة الا انه قد اختل منذ حدثت الحوادث من سنة ست وثمانمائة وبه الى الآن بقية من فساد كبير * (حكر الست مسكة) هذا الحكر بسويقة السباعين بقرب جوار حكر الست حدق عرف بالست مسكة لانها أنشأت به جامعا وهذا الحكر كان من جملة الزهرى ثم افرد وصار بستانا تنقل الى جماعة كثيرة فلما عمرت الست مسكة فى هذا الحكر الجامع بنى الناس حوله حتى صار متصلا بالعمارة من سائر جهاته وسكنه الامراء والاعيان وأنشأوا به الحمامات والاسواق وغير ذلك * وكانت حدق ومسكة من جوارى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون نشأتا فى داره وصارتا قهرمانتين لبيت السلطان يقتدى برأيهما فى عمل الاعراس السلطانية والمهمات الجليلة التى تعمل فى الاعياد والمواسم وترتيب شؤون الحريم السلطانى وتربية اولاد السلطان وطال عمرهما وصار لهما من الاموال الكثيرة والسعادات العظيمة ما يجل وصفه وصنعا برا ومعروفا كبيرا واشتهرا وبعد صيتهما وانتشر ذكرهما * (حكر طقزدمر) هذا الحكر كان بستانا مساحته نحو الثلاثين فدانا فاشتراه الامير طقزدمر الحموى نائب السلطنة بديار مصر ودمشق وقلع أخشابه وأذن للناس فى البناء عليه فحكروه وأنشأوا به الدور الجليلة واتصلت عمارة الناس فيه بسائر العمائر من جهاته وأنشأ الامير طقزدمر فيه أيضا على الخليج قنطرة ليمر عليها من خط المسجد المعلق الى هذا الحكر وصار هذا الحكر مسكن الامراء والاجناد وبه السوق والحمامات والمساجد وغيرها وهو مما عمر فى ايام الملك الناصر محمد بن قلاون ومات طقزدمر فى ليلة الخميس مستهل جمادى الآخرة

سنه

سنة ست وأربعين وسبعمائة * (اللوق) يقال لاق الشئ يلوقه لوقا ولوقه لينه وفى الحديث الشريف لا آكل الا ما لوق لى ولواق ارض معروفة قاله ابن سيده فكأن هذه الارض لما انحسر عنها ماء النيل كانت أرضا لينة والى الآن فى اراضى مصر ما اذا زل عنها ماء النيل لا تحتاج الى الحرث للينها بل تلاق لوقا فصواب هذا المكان أن يقال فيه أراضى اللوق بفتح اللام الا أن الناس انما عهدناهم يقولون قديما باب اللوق وأراضى باب اللوق بضم اللام ويجوز أن يكون من اللق بضم اللام وتشديد القاف قال ابن سيده واللق كل أرض ضيقة مستطيلة واللق الارض المرتفعة ومنه كتاب عبد الملك بن مروان الى الحجاج لا تدع خقا ولا لقا الا زرعته حكاه الهروى فى الغريبين انتهى والخق بضم الخاء المعجمة وتشديد القاف الغدير اذا جف وقيل الخق ما اطمأن من الارض واللق ما ارتفع منها وأراضى اللوق هذه كانت بساتين ومزدرعات ولم يكن بها فى القديم بناء البتة ثم لما انحسر الماء عن منشأة الفاضل عمر فيها كما ذكر فى موضعه من هذا الكتاب ويطلق اللوق فى زمننا على المكان الذى يعرف اليوم بباب اللوق المجاور لجامع الطباخ المطل على بركة الشقاف وما يسامته الى الخليج الذى يعرف اليوم بخليج فم الخور وينتهى اللوق من الجانب الغربى الى منشأة المهرانى ومن الجانب الشرقى الى الدكة بجوار المقس وكان القاضى الفاضل قد اشترى قطعة كبيرة من أراضى اللوق هذه من بيت المال وغيره بجملة كبيرة من المال ووقفها على العين الزرقاء بالمدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة والتسليم وعرفت هذه الارض ببستان ابن قريش وبعضها دخل فى الميدان الظاهرى وعوض عنها أراض باكثر من قيمتها وكان متحصل هذا الوقف يحمل فى كل سنة الى المدينة لتنظيف العين وتنظيف مجاريها وأما الجانب الغربى من خليج فم الخور المعروف اليوم بحكر ابن الاثير وبسويقة الموفق وموردة الملح وساحل بولاق كله فانه محدث عمر بعد سنة سبعمائة كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى قريبا فان النيل كان يمر من ساحل الحمراء بغربى الزهرى على الاراضى التى لما انحسر عنها عرفت باراضى اللوق الى أن ينتهى الى ساحل المقس وكانت طاقات المناظر التى بالدكة تشرف على النيل الاعظم ولا يحول بينها وبين رؤية بر الجيزة شئ ويمر النيل من الدكة الى المقس ويمتد الى زريبة جامع المقس الذى هو الآن على الخليج الناصرى فلما انحسر ماء النيل عن أراضى اللوق اتصلت بالمقس وصارت عدة أماكن تعرف بظاهر اللوق وهى بستان ابن ثعلب ومنشأة ابن ثعلب وباب اللوق وحكر قردميه وحكر كريم الدين ورحبة التبن وبستان السعدى وبركة قرموط وخور الصعبى وصار بين اللوق وبين منشأة المهرانى التى هى بأول بر الخليج الغربى منشأة الفاضل والمنشأة المستجدة وحكر الخليلى وحكر الساباط ويعرف بحكر بستان القاصد وحكر كريم الدين الصغير وحكر المطوع وحكر العين الزرقاء وفى غربى هذه المواضع على شاطئ النيل زريبة قوصون وموردة البلاط وموردة الجبس وخط الجامع الطيبرسى وزريبة السلطان وربع بكتمر وأول ما بنيت الدور للسكن فى اللوق أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى وذلك أنه جهز كشافه من خواصه مع الامير جمال الدين الرومى السلاح دار والامير علاء الدين أق سنقر الناصرى ليعرف أخبار هولاكو ومعهم عدة من العربان فوجدوا طائفة من التتر مستأمنين وقد عزموا على قصد السلطان بمصر وذلك أن الملك بركة خان ملك التتر كان قد بعثهم نجدة لهولاكو فلما وقع بينهما كتب اليهم بركة يأمرهم بمفارقة هولاكو والمصير اليه فان تعذر عليهم ذلك صاروا الى عسكر مصر فانه كان قد ركن الى الملك الظاهر وترددت القصاد بينهم بعد واقعة بغداد ورحيل هولاكو عن حلب فاختلف هولاكو مع ابن عمه بركة خان وتواقعا فقتل ولد هولاكو فى المصاف وانهزم عسكره وفر الى قلعة فى بحيرة أذربيجان فلما وردت الاخبار بذلك الى مصر كتب السلطان الى نواب الشام باكرامهم وتجهيز الاقامات لهم وبعث اليهم بالخلع والانعامات فوصلوا الى ظاهر القاهرة وهم ينيف على مائتى فارس بنسائهم وأولادهم فى يوم الخميس رابع عشرى ذى الحجة سنة ستين وستمائة فخرج السلطان يوم السبت سادس عشريه الى لقائهم بنفسه ومعه العساكر فلم يبق أحد حتى خرج لمشاهدتهم فاجتمع عالم عظيم تبهر رؤيتهم العقول وكان يوما مشهودا فأنزلهم السلطان فى دور كان قد أمر بعمارتها من اجلهم فى أراضى اللوق وعمل لهم دعوة عظيمة هنالك وحمل اليهم الخلع والخيول والاموال وركب السلطان الى الميدان وأركبهم معه للعب الاكرة وأعطى كبراءهم امريات فمنهم من عمله أمير مائة ومنهم دون ذلك ونزل بقيتهم من جملة البحرية وصار كل منهم من سعة الحال كالامير فى خدمته الاجناد والغلمان وافرد لهم عدة جهات برسم مرتبهم وكثرت نعمهم وتظاهروا بدين الاسلام فلما

بلغ التتار مافعله السلطان مع هولاء وفد عليه منهم جماعة بعد جماعة وهو يقابلهم بمزيد الاحسان فتكاثروا بديار مصر وتزايدت العمائر في اللوق وما حوله وصار هنالك عدة أحكار عامرة آهلة الى أن خربت شيأ بعد شئ وصارت كيمانا وفيها ماهو عامر الى يومنا هذا ولما قدمت رسل القان بركة في سنة احدى وستين وسبعمائة انزلهم السلطان الملك الظاهر باللوق وعمل لهم فيه مهما وصار يركب في كل سبت وثلاثاء للعب الاكرة باللوق في الميدان * وفي سادس ذي الحجة من سنة احدى وستين قدم من المغل والبهادرية زيادة على ألف وثلثمائة فارس فأنزلوا في مساكن عمرت لهم باللوق بأهاليهم واولادهم وفي شهر رجب سنة احدى وستين وسبعمائة قدمت رسل الملك بركة ورسل الاشكرى فعملت لهم دعوة عظيمة باللوق * فأما بستان ابن ثعلب فانه كان بستانا عظيم القدر مساحته خمسة وسبعون فدانا فيه سائر الفواكه بأسرها وجميع مايزدرع من الاشجار والنخل والكروم والنرجس والهليون والورد والنسرين والياسمين والخوخ والكمثرى والنارنج والليمون التفاحى والليمون الراكب والختن والجميز والقراصيا والرمان والزيتون والتوت الشامى والمصرى والموسين والتامر حنا والبان وغير ذلك وبه الآبار المعينة وله الهماليات وفيه منظرة عظيمة وعدة دور ومن حقوق هذا البستان الارض التى تعرف اليوم ببركة قرموط والارض التى تعرف اليوم بالخور قبالة الارض المعروفة بالبيضاء بجوار بستان السراج وبستان الزهرى وبستان البورجى فيما بين هذه البساتين وبين خليج الذكة والمقس وكان على بستان ابن ثعلب سور مبنى وله باب جليل وحده القبلى الى منشأة ابن ثعلب وحده البحرى الى الارض المجاورة للميدان السلطانى الصالحى والى أرض الجزائر وفي هذا الحد أرض الخور وهى من حقوقه وحده الشرقى الى بستان الذكة وبستان الامير قراقوش وحده الغربى الى الطريق المسلوك فيها الى موردة السقائين قبالة بستان السراج وموردة السقائين هذه موضع قنطرة الحرق الآن * وابن ثعلب هذا هو الشريف الامير الكبير فخر الدين اسماعيل بن ثعلب الجعفرى الزينبى أحد أمراء مصر في أيام الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب وغيره وصاحب المدرسة الشريفية بجوار درب كركامة على رأس حارة الجودرية من القاهرة وانتقل من بعده الى ابنه الامير حصن الدين ثعلب فاشتراه منه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بن شادى بثلاثة آلاف دينار مصرية في شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وستمائة وكان باب هذا البستان في الموضع الذى يقال له اليوم باب اللوق وكان هذا البستان ينتهى الى خليج الخور وآخره من المشرق ينتهى الى الذكة بجوار المقس ثم انقسم بعد ذلك قطعا وحكرت اكثر أرضه وبنى الناس عليها الدور وغيرها وبقيت منه الى الآن قطعة عرفت ببستان الامير أرغون النائب بديار مصر أيام الملك الناصر ثم عرف بعد ذلك ببستان ابن غراب وهو الآن على شاطئ الخليج الناصرى على يمنة من سلك من قنطرة قدادار بشاطئ الخليج من جانبه الشرقى الى بركة قرموط وبقيت من بستان ابن ثعلب قطعة تعرف ببستان بنت الامير بيبرس الى الآن وهو وقف ومن جملة بستان ابن ثعلب أيضا الموضع الذى يعرف ببركة قرموط والموضع المعروف بفم الخور * (وأما منشأة ابن ثعلب) فانها بالقرب من باب اللوق وحكرت في أيام الشريف فخر الدين بن ثعلب المذكور فعرفت به وهى تعرف اليوم بمنشأة الجوانية لان جوانية الفم كانوا يسكنون فيها فعرفت بهم وأدركتها في غاية العمارة بالناس والمساكن والحوانيت وغيرها وقد اختلت بعد سنة ست وثمانمائة واكثرها الآن زرائب للبقر * (وأما باب اللوق) فانه كان هنالك الى مابعد سنة أربعين وسبعمائة بمدة باب كبير عليه طوارق حربية مدهونة على ماكانت العادة في أبواب القاهرة وأبواب القلعة وأبواب بيوت الامراء وكان يقال له باب اللوق فلما أنشأ القاضى صلاح الدين ابن المغربى قيساريته التى بباب اللوق وجعلها لبيع غزل الكتان هدم هذا الباب وجعله في الركن من جدار القيسارية القبلى مما يلى الغربى وهذا هو باب الميدان الذى أنشأه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل لما اشترى بستان ابن ثعلب وقد ذكر خبر هذا الميدان عند ذكر الميادين من هذا الكتاب * (وأما حكر قردميه) فانه على يمنة من سلك من باب اللوق المذكور الى قنطرة قدادار وكان من جملة بستان ابن ثعلب فحكر وصار أخيرا بيد ورثة الامير قوصون وكان حكرا عامرا الى مابعد سنة تسع وأربعين وسبعمائة فخرب عند وقوع الوباء الكبير بمصر وحفرت أراضيه وأخذ طينها فصارت بركة ماء عليها كيمان خلف الدور التى على الشارع المسلوك فيه الى قنطرة قدادار * (وأما حكر كريم الدين) فانه على يسرة من سلك من باب اللوق الى رحبة التبن والى الذكة

وكان

وكان يعرف قبل كريم الدين بحكر الضهيونى وهذا الحكر الآن آئل الى الدثور * (وأما رحبة التبن) فانها فى بحرى منشأة الجوانية شارعة فى الطريق العظمى التى يسلك فيها الى قنطرة الدكة من رحبة باب اللوق عرفت بذلك لانه كانت احمال التبن تقف بها للبياع هنالك فان القاهرة كانت توقر من مرور احمال التبن والحطب ونحوهما بها ثم اختطت من جملة ما اختط فى غربى الخليج وصار بها عدة مساكن وسوق كبير وقد ادركته غاصا بالعمارة وانما اختل حال هذا الخط من سنة ست وثمانمائة * (وأما بستان السعيدى) فانه يشرف على الخليج الناصرى فى هذا الوقت وادركنا ما حوله عامرا وقد خربت الدور التى كانت هنالك من جهة الطريق الشارع من باب اللوق الى الدكة وبها بقية آئلة الى الدثور * (وأما بركة قرموط) فانها من حقوق بستان ابن ثعلب ولما حفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصرى رمى فيها ما خرج عند حفره من الطين وادركناها من اعمر بقعة فى ارض مصر وهى الآن خراب كما ذكر عند ذكر البرك من هذا الكتاب * (وأما الخور) فان الخور فى اللغة مصب الماء وهو هنا اسم للارض التى ما بين الخليج الناصرى والخليج الذى يعرف بفم الخور وجميع هذه الارض من جملة بستان ابن ثعلب وكان يعرف بالخور الصعبى لانه كانت به مناظر تعرف بمناظر الصعبى تشرف على النيل وكان على شاطئ الخليج الكبير فى هذا الجانب الغربى الذى نحن فى ذكره بجوار بستان الخشاب الذى كان يتوصل اليه من قنطرة السد وبعضه الآن الميدان السلطانى بستان يعرف بالجزيرة يعنى بستان الجزيرة المعروف بالصعبى وكان من البساتين الجليلة * (وهذا الصعبى) هو الشيخ كريم الدولة عبد الواحد بن محمد بن على الصعبى مات فى شهر رمضان سنة ثلاث وستمائة بمصر وكان له أخ يعرف بعبد العظيم بن محمد الصعبى * ولما انحسر ماء النيل عن الرملة التى قيل لها منية بولاق تجاه المقس وعمرت هنالك الدور اتصلت من قبليها بالخور وأنشئ بشاطئ النيل الذى بالخور دور تجل عن الوصف وانتظمت صفا واحدا من بولاق الى منشأة المهرانى وموردة الحلفاء ومن موردة الحلفاء على ساحل مصر الجديد الى دير الطين غربى بركة الحبش لو أحصى ما أنفق على بناء هذه الدور لقام بخراج مصر أيام كانت عامرة وقد خرب معظمها من سنة ست وثمانمائة وقد تقدم ذكر منشأة الفاضل * (وأما حكر الساباط) وحكر كريم الدين الصغير وحكر المطوع وحكر العين الزرقاء فانها بالقرب من الميدان الكبير السلطانى وقد خربت بعدما كانت عامرة بالدور والمتنزهات * (بستان العدة) هذا المكان من جملة الاحكار التى فى غربى الخليج وهو بجوار قنطرة الخرق وبجوار حكر النوبى قريب من باب اللوق تجاه الدور المطلة على الخليج من شرقيه المقابلة لباب سعادة وحارة الوزيرية كان بستانا جليلا وقفه الامير فارس المسلمين بدر بن رزيك أخو الصالح طلائع بن رزيك صاحب جامع الصالح خارج باب زويلة ثم انه خرب فحكر وبنى عليه عدة مساكن وحكره يتعاطاه ورثة فارس المسلمين * (حكر جوهر النوبى) هذا الحكر تجاه الحارة الوزيرية من بر الخليج الغربى فى شرقى بستان العدة ويسلك منه الى قنطرة أمير حسين من طريق تجاه باب جامع أمير حسين الذى تعلوه المئذنة ومازال بستانا الى نحو سنة ستين وستمائة فحكر وبنى فيه الدور فى ايام الظاهر بيبرس وعرف بجوهر النوبى أحد الامراء فى الايام الكاملية وقد تقدم بديار مصر تقدما زائدا وكان خصيا وهو ممن ثار على الملك العادل أبى بكر بن الكامل وخلعه فلما ملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل بعد أخيه العادل قبض على جوهر فى سنة ثمان وثلاثين وستمائة * (حكر خزائن السلاح) هذا الحكر كان يعرف قديما بحكر الاوسية وهو فيما بين الدكة وقنطرة الموسكى وقفه السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب على مصالح خزائن السلاح هو وعدة أماكن بمدينة مصر مع مدينة قليوب وأراضيها فى جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وستمائة وظهر كتاب الوقف المذكور من الخزائن السلطانية فى جمادى الاولى سنة خمس عشرة وسبعمائة فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاون وقد خرب اكثر هذا الحكر وصار كيمانا * (حكر تمكان) هذا الحكر بجوار سويقة العجمى الفاصلة بينه وبين حكر خزائن السلاح وكان يعرف قديما بحكر كوبج وحده القبلى ينتهى الى حكر ابن الاسد جفريل والحد البحرى ينتهى الى حكر العلائى والحد الشرقى ينتهى الى حكر البغدادية والحد الغربى ينتهى الى حكر خزائن السلاح وسويقة العجمى * وتمكان هو الامير سيف الدين تمكان ويقال تمكام بالميم عوضا عن النون وهذا الحكر استقر أخيرا فى أوقاف خوندا ردوتكين ابنة نوكيه السلاح دار زوجة الملك الاشرف خليل بن قلاون على تربتها التى أنشأتها خارج باب القرافة التى تعرف اليوم بتربة الست وقد خرب هذا الحكر وبيعت أنقاضه فى أعوام بضع

وتسعين وسبعمائة وجعل بعضه بستانا فى سنة ست وتسعين وسبعمائة * (حكر ابن الاسد جفريل) هذا الحكر فى قبلى حكر تكان كان بستانا فحكر وعرف بالامير شمس الدين موسى بن الامير أسد الدين جفريل أحد أمراء الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب بمصر * (حكر البغدادية) هذا الحكر بجوار خليج الذكر كان من اعظم البساتين فى الدولة الفاطمية فأزال الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب اشجاره ونخله وجعله ميدانا ثم حكر وصارت فيه عدة مساكن وهو الآن خراب يباب لا يأوبه الا البوم والرخم * (حكر خطلبا) هذا الحكر حده القبلى الى الخليج وحده البحرى الى الكوم الفاصل بينه وبين حكر الاوسية المعروف بالحاولى وحده الشرقى الى بستان الجليس الذى عرف بابن منقذ والحد الغربى الى زقاق هنالك وكان هذا الحكر بستانا اشتراه جمال الدين الطواشى من جمال الدين عمر بن ناصح الدين داود بن اسماعيل المكى الكاملى فى سنة ست عشرة وستمائة ثم ابتاعه منه الطواشى محيي الدين صندل الكاملى فى سنة عشرين وستمائة وباعه للامير الفارس صارم الدين خطلبا الكاملى فى سنة احدى وعشرين وستمائة فعرف به * وهو خطلبا بن موسى الامير صارم الدين الفارسى التبتى الموصلى الكاملى استقر فى ولاية القاهرة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة فى ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ثم اضيفت له ولاية الفيوم فى سنة سبع وسبعين وخمسمائة ثم صرف عنها وسار متسلما الى اليمن ليتسلمها فتسلمها فى جمادى الاولى وسار هو فى سادس شوال منها واليا على مدينة زبيد باليمن ومعه خمسمائة رجل ورفيقه الامير باخل فبلغت النفقة عليه عشرين ألف دينار وكتب للطواشية بنفقة عشرة دنانير لكل منهم على اليمن فأقام باليمن مدة ثم قدم الى القاهرة وصار من اصحاب الامير فخر الدين جهاركس وتأخر الى ايام الملك الكامل وصار من أمرائه بالقاهرة الى أن مات فى ثالث شعبان سنة خمس وثلاثين وستمائة * (حكر ابن منقذ) هذا الحكر خارج باب القنطرة بعدوة خليج الذكر وكان بستانا يعرف ببستان الشريف الجليس ويعرف أيضا بالبطائحى ثم عرف بالامير سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ نائب الملك المعز سيف الاسلام ظهير الدين طغتكين بن نجم الدين أيوب بن شادى على مملكة اليمن وانتقل بعد ابن منقذ الى الشيخ عبد المحسن بن عبد العزيز بن على المخزومى المعروف بابن الصيرفى فوقفه على جهات تؤول أخيرا الى الفقراء والمساكين المقيمين بمشهد السيدة نفيسة والفقراء والمساكين المعتقلين فى حبوس القاهرة فى سنة ثلاث وأربعين وستمائة ثم ازيلت أنشاب هذا البستان وحكرت أرضه وبنيت الدور والمساكن عليها وهو الآن خراب * (حكر فارس المسلمين بدر بن رزيك) هذا الحكر تجاه منظرة اللؤلؤة كان من جملة البركة المعروفة ببطن البقرة ثم حكر وبنى فيه واكثره الآن خراب * (حكر شمس الخواص مسرور) هذا الحكر فيما بين خليج الذكر وحكر ابن منقذ كان بستانا لشمس الخواص مسرور الطواشى أحد الخدام الصالحية مات فى نصف شوال سنة سبع وأربعين وستمائة بالقاهرة ثم حكر وبنى فيه الدور وموضعه الآن كيمان * (حكر العلائى) هذا الحكر يجاور حكر تكان من بحريه وكان بستانا جليل القدر ثم حكر وصار بعضه وقف تذكاربى خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس وقفته فى سنة أربع وثلاثين وسبعمائة على نفسها ثم من بعدها على الرباط الذى أنشأته داخل الدرب الاصفر تجاه خانقاه بيبرس وهو الرباط المعروف برواق البغدادية وعلى المسجد الذى بحكر سيف الاسلام خارج باب زويلة وعلى تربتها التى بجوار جامع ابن عبد الظاهر بالقرافة وصار بعض هذا الحكر فى وقف الامير سيف الدين بهادر العلائى متولى البهنساء وكان وقفه فى سنة احدى وأربعين وسبعمائة فعرف بالحكر العلائى المذكور وأدركت هذا الحكر وهو من أعمر الاحكار وفيه درب الامير عز الدين ايدمر الزراق أمير جاندار ووالى القاهرة وداره العظيمة ومساكنه الكثيرة فلما حدثت المحن منذ سنة ست وثمانمائة خرب هذا الحكر وأخذت أنقاضه وبقيت دار الزراق الى سنة سبع عشرة وثمانمائة فشرع فى الهدم فيها لاجل أنقاضها الجليلة * (حكر الحريرى) هذا الحكر بجوار حكر العلائى المذكور من حده البحرى وهو من جملة الارض المعروفة بالارض البيضاء وكان بستانا ثم حكر وصار فى وقف خزائن السلاح وأدركناه عامرا وفيه سوق يعرف بالسويقة البيضاء كانت بها عدة حوانيت وقد خرب هذا الحكر وهذا الحريرى هو الصاحب محيي الدين * (حكر المساح) عرف بالامير شمس الدين سنقر المساح أحد امراء الظاهر بيبرس قبض عليه فى عدة من الامراء فى ذى الحجة سنة تسع وستين وستمائة * (المكه) هذا المكان كان بستانا من اعظم بساتين القاهرة فيما بين اراضى اللوق والمقس

وبه منظرة للخلفاء الفاطميين تشرف طاقاتها على بحر النيل الاعظم ولا يحول بينها وبين بر الجيزة شئ فلما زالت الدولة الفاطمية تلاشى أمر هذا البستان وخرب فحكر موضعه وبنى الناس فيه فصار خطة كبيرة كأنه بلد جليل وصار به سوق عظيم وسكنه الكتاب وغيرهم من الناس وأدركته عامرا ثم انه خرب منذ سنة ست وثمانمائة وبه الآن بقية عما قليل تدثر كما دثر ما هنالك وصار كيمانا

(ذكر المقس وفيه الكلام على المكس وكيف كان أصله فى أول الاسلام)

اعلم أن المقس قديم وكان فى الجاهلية قرية تعرف بأم دنين وهى الآن محلة بظاهر القاهرة فى بر الخليج الغربى وكان عند وضع القاهرة هو ساحل النيل وبه أنشأ الامام المعز لدين الله أبو تميم معد الصناعة التى ذكرت عند ذكر الصناعات من هذا الكتاب وبه أيضا أنشأ الامام الحاكم بأمر الله أبو على منصور جامع المقس الذى تسميه عامة أهل مصر فى زمننا بجامع المقسى وهو الآن يطل على الخليج الناصرى قال أبو القاسم عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الحكم فى كتاب فتوح مصر وقد ذكر مسير عمرو بن العاص رضى الله عنه الى فتح مصر فتقدم عمرو بن العاص رضى الله عنه لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى أتى بلبيس فقاتلوه بها نحوا من شهر حتى فتح الله سبحانه وتعالى عليه ثم مضى لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى اتى أم دنين فقاتلوه بها قتالا شديدا وأبطأ عليه الفتح فكتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يستمده فأمده بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف فقاتلهم وذكر تمام الخبر وقال القاضى أبو عبد الله القضاعى المقس كانت ضيعة تعرف بأم دنين وانما سميت المقس لان العاشر كان يقعد بها وصاحب المكس فقيل المكس فقلب فقيل المقس قال المؤلف رحمه الله الماكس هو العشار وأصل المكس فى اللغة الجباية قال ابن سيدة فى كتاب المحكم المكس الجباية مكسه يمكسه مكسا والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع فى الاسواق فى الجاهلية ويقال للعشار صاحب مكس والمكس انتقاص الثمن فى البياعة قال الشاعر

أفى كل أسواق العراق اتاوة * وفى كل ما باع امرؤ مكس درهم
الا ينتهى عنا رجال وتتقى * محارمنا لا يدرأ الدم بالدم

الاتاوة الخراج ومكس درهم أى نقص درهم فى بيع ونحوه قال وعشر القوم يعشرهم عشرا وعشورا وعشرهم أخذ عشر أموالهم وعشر المال نفسه وعشره كذلك والعشار قابض العشر ومنه قول عيسى بن عمر ولا بن هبيرة وهو يضرب بين يديه بالسياط تالله ان كانت الا ثيابا فى اسفاط قبضها عشاروك وقال الجاحظ ترك الناس مما كان مستعملا فى الجاهلية أمورا كثيرة فمن ذلك تسميتهم للاتاوة بالخراج وتسميتهم لما يأخذه السلطان من الحلوان والمكس بالرشوة وقال الخارجى * أفى كل أسواق العراق اتاوة * البيت وكما قال العبدى فى الجارود

أكابن المعلى خلتنا أم حسبتنا * صوارى نعطى الماكسين مكوسا

الصوارى الملاحون والمكس ما يأخذه العشار انتهى ويقال ان قوم شعيب عليه السلام كانوا مكاسين لا يدعون شيأ الا مكسوه ومنه قيل للمكس البخس لقوله تعالى ولا تبخسوا الناس أشياءهم وذكر أحمد بن يحيى البلاذرى عن سفيان الثورى عن ابراهيم بن مهاجر قال سمعت زياد بن جرير يقول أنا أول من عشر فى الاسلام وعن سفيان عن عبد الله بن خالد عن عبد الرحمن بن معقل قال سألت زياد بن جرير من كنتم تعشرون فقال ما كنا نعشر مسلما ولا معاهدا بل كنا نعشر تجار أهل الحرب كما كانوا يعشروننا اذا أتيناهم وقال عبد الملك بن حبيب السلمى فى كتاب سيرة الامام العدل فى مال الله عن السائب بن يزيد انه قال كنت على سوق المدينة فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكنا نأخذ من القبط العشر وقال ابن شهاب كان ذلك يؤخذ منهم فى الجاهلية فألزمهم ذلك عمر بن الخطاب وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يأخذ بالمدينة من القبط من الحنطة والزبيب نصف العشر يريد بذلك أن يكثر الحمل الى المدينة من الحنطة والزبيب وكان يأخذ من القطنية العشر وقال مالك رحمه الله والسنة أن ما أقام الذمة فى بلادهم التى صالحوا عليها فليس عليهم فيها الا الجزية الا أن يتجروا فى بلاد المسلمين ويختلفوا فيها فيؤخذ منهم العشر فيما يديرون من التجارة وان اختلفوا فى العام الواحد مرارا الى بلاد المسلمين فعليهم كلما اختلفوا العشر واذا تجر الذمى فى بلاده من أعلاها الى أسفلها ولم يخرج منها الى غيرها فليس عليه شئ مثل أن يتجر الذمى الشامى فى جميع الشام

أو الذمى المصرى فى جميع مصر أو الذمى العراقى فى جميع العراق وليس العمل عندنا على قول عمر بن عبد العزيز لزريق بن حيان واكتب لهم بما يؤخذ منهم كتابا الى مثله من الحول ومن مر بك من أهل الذمة فخذ مما يديرون من التجارات من كل عشرين دينارا دينارا فما نقص فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير فان نقص منها ثلث دينار فدعها ولا تأخذ منها شيا والعمل على أن يؤخذ منهم العشر وان خرجوا فى السنة مرارا من كل ما اتجروا به قل أو كثر وهذا قول ربيعة وابن هرمز وقال القاضى أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم الحضرمى أحد أصحاب الامام أبى حنيفة رضى الله عنه فى كتاب الرسالة الى امير المؤمنين هارون الرشيد وهو كتاب جليل القدر حدثنا اسماعيل ابن ابراهيم بن المهاجر قال سمعت أبى يذكر قال سمعت زياد بن جرير قال أول من بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه منا على العشور أنا فأمرنى أن لا افتش أحدا وما مر على من شئ أخذت من حساب أربعين درهما درهما من المسلمين وأخذت من اهل الذمة من عشرين واحدا وممن لا ذمة له العشر وأمرنى أن اغلظ على نصارى بنى تغلب قال انهم قوم من العرب وليسوا من أهل الكتاب فلعلهم يسلمون قال وكان عمر رضى الله عنه قد اشترط على نصارى بنى تغلب أن لا ينصروا أولادهم وحدثنا أبو حنيفة عن الهيثم عن انس بن سيرين عن انس بن مالك رضى الله عنه قال بعثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه على العشور وكتب لى عهدا أن آخذ من المسلمين مما اختلفوا به لتجاراتهم ربع العشر ومن أهل الذمة نصف العشر ومن أهل الحرب العشر وحدثنا عاصم بن سليمان الاحول عن الحسن قال كتب أبو موسى الاشعرى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ان تجارا من قبلنا من المسلمين يأتون أهل الحرب فيأخذون منهم العشر فكتب اليه عمر رضى الله عنه فخذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين وخذ من أهل الذمة نصف العشر ومن المسلمين من كل أربعين درهما درهما وليس فيما دون المائتين شئ فاذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم فما زاد فبحسابه وحدثنا عبد الملك بن جريج عن عمرو بن شعيب قال ان أهل منبج قوما من أهل الشرك وراء البحر كتبوا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه دعنا ندخل أرضك تجارا وتعشرنا قال فشاور عمر رضى الله عنه اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك فأشاروا عليه به فكانوا أول من عشره من أهل الحرب وحدثنا السدى بن اسماعيل عن عامر الشعبى عن زياد بن جرير الاسدى قال ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعثه على عشور العراق والشام وأمره أن يأخذ من المسلمين ربع العشر ومن أهل الذمة نصف العشر ومن أهل الحرب العشر فمر عليه رجل من بنى تغلب من نصارى العرب ومعه فرس فقومها بعشرين ألفا فقال أمسك الفرس وأعطنى ألفا أو خذ منى تسعة عشر ألفا وأعطنى الفرس قال فأعطاه ألفا وأمسك الفرس قال ثم مر عليه راجعا فى سنته فقال أعطنى ألفا أخرى فقال له التغلبى كلما مررت بك تأخذ منى ألفا قال نعم فرجع التغلبى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فوافاه بمكة وهو فى بيت له فاستأذن عليه فقال من أنت فقال أنا رجل من نصارى العرب وقص عليه قصته فقال له عمر رضى الله عنه كفيت ولم يزده على ذلك قال فرجع الرجل الى زياد بن جرير وقد وطن نفسه على أن يعطيه ألفا فوجد كتاب عمر رضى الله عنه قد سبق اليه من مر عليك فأخذت منه صدقة فلا تأخذ منه شيأ الى مثل ذلك اليوم من قابل الا أن تجد فضلا قال فقال الرجل قد والله كانت نفسى طيبة أن اعطيك ألفا وانى أشهد الله تعالى أنى برىء من النصرانية وانى على دين الرجل الذى كتب اليك هذا الكتاب * وحدثنى يحيى بن سعيد عن زريق بن حيان وكان على مكس مصر فذكر أن عمر بن عبد العزيز كتب اليه أن انظر من مر عليك من المسلمين فخذ مما ظهر من أموالهم وما ظهر لك من التجارات من كل أربعين دينارا دينارا فما نقص فبحسابه حتى تبلغ عشرين دينارا فان نقصت فدعها ولا تأخذ منها واذا مر عليك أهل الذمة فخذ مما يديرون من تجاراتهم من كل عشرين دينارا دينارا فما نقص فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير ثم دعها لا تأخذ منها شيأ واكتب لهم كتابا بما تأخذ منهم الى مثلها من الحول * وحدثنى أبو حنيفة عن حماد عن ابراهيم انه قال اذا مر أهل الذمة بالخمر للتجارة أخذ من قيمتها نصف العشر ولا يقبل قول الذمى فى قيمتها حتى يؤتى برجلين من أهل الذمة يقومانها عليه فيؤخذ نصف العشر من الذمى * وحدثنا قيس بن الربيع عن أبى فزارة عن يزيد بن الاصم عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما انه قال ان هذه المعاصر والقناطر سحت لا يحل أخذها فبعث عمالا الى اليمن ونهاهم أن يأخذوا من عاصر وقنطرة أو طريق شيأ فقدموا فاستقل المال فقالوا نهيتنا فقال خذوا كما كنتم تأخذون * وحدثنا محمد بن عبيد الله عن انس بن سيرين قال أرادوا أن يستعملونى

على عشور الابلة فأبيت فلقينى انس بن مالك رضى الله عنه فقال ما يمنعك قلت العشور اخبث ما عمل عليه الناس قال فقال لى لم لا تفعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه صنعه فجعل على أهل الاسلام ربع العشر وعلى أهل الذمة نصف العشر وعلى أهل المنزل ممن ليس له ذمة العشر وقال ابو الحسن المسعودى ان كيقباذ أحد ملوك الفرس أول من أخذ العشر من الارض وعمر بلاد بابل ومملكة الفرس ورأيت فى التوراة التى فى يد اليهود ان أول من أخرج العشر من مواشيه وزروعه وجميع ماله خليل الله ابراهيم عليه السلام وكان يدفع ذلك الى ملك أورشليم التى هى أرض القدس واسمه ملكى صادق فلما مات الخليل ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه اقتدى به بنوه فى ذلك من بعده وصاروا يدفعون العشر من اموالهم الى أن بعث الله تعالى موسى عليه السلام فأوجب على بنى اسرائيل اخراج العشر فى كل ما ملكت أيمانهم من جميع أموالهم بأنواعها وجعل ذلك حقا لسبط لاوى الذين هم قرابة موسى عليه السلام * وقال ابن يونس فى تاريخ مصر كان ربيعة بن شرحبيل بن حسنة رضى الله عنه أحد من شهد فتح مصر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واليا لعمرو بن العاص رضى الله عنه على المكس وكان زريق بن حيان على مكس ايلة فى خلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال مؤلفه رحمه الله ومع ذلك فقد كان أهل الورع من السلف يكرهون هذا العمل روى ابن قتيبة فى كتاب الغريب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعن الله سهيلا كان عشارا باليمن فمسخه الله شهابا وروى ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن ميمون عن أبى ابراهيم المعافرى عن خالد بن ثابت أن كعبا اوصاه وتقدم اليه حين مخرجه مع عمرو بن العاص أن لا يقرب المكس فهذا اعزك الله معنى المكس عند أهل الاسلام لا ما أحدثه الظالم هبة الله بن صاعد الفائزى وزير الملك المعز ايبك التركمانى أول من اقام من ملوك الترك بقلعة الجبل من المظالم التى سماها الحقوق السلطانية والمعاملات الديوانية وتعرف اليوم بالمكوس فذلك الرجس النجس الذى هو أقبح المعاصى والذنوب الموبقات لكثرة مطالبات الناس له وظلاماتهم عنده وتكرر ذلك منه وانتهاكه للناس وأخذ أموالهم بغير حقها وصرفها فى غير وجهها وذلك الذى لا يقربه متق وعلى آخذه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين * ولنرجع الى الكلام فى المقس فنقول من الناس من يسميه المقسم بالميم بعد السين قال ابن عبد الظاهر فى كتاب خطط القاهرة وسمعت من يقول انه المقسم قيل لان قسمة الغنائم عند الفتوح كانت به ولم أره مسطورا وقال العماد محمد بن أبى الفرج محمد ابن حامد الكاتب الاصفهانى فى كتاب سنا البرق الشامى وجلس الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى البرج الذى بجوار جامع المقسم فى السابع والعشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة وهذا المقسم على شاطئ النيل يزار وهنالك مسجد يتبرك به الابرار وهو المكان الذى قسمت فيه الغنائم عند استيلاء الصحابة رضى الله عنهم على مصر فلما امر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بادارة السور على مصر والقاهرة تولى ذلك الامير بهاء الدين قراقوش وجعل نهايته التى تلى القاهرة عند المقسم وبنى فيه برجا مشرفا على النيل وبنى مسجدا جامعا واتصلت العمارة منه الى البلد وجامعه تقام فيه الجمعة والجماعات وهذا البرج عرف بقلعة قراقوش ومابرح هنالك الى أن هدمه الصاحب الوزير شمس الدين عبد الله المقسى وزير الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون فى سنة بضع وسبعين وسبعمائة عندما جدد جامع المقس الذى أنشأه الخليفة الحاكم بأمر الله فصار يعرف بجامع المقسى هذا الى اليوم ومابرح جامع المقس هذا يشرف على النيل الاعظم الى ما بعد سنة سبعمائة بعدة أعوام * قال جامع السيرة الطولونية وركب أحمد بن طولون فى غداة باردة الى المقس فأصاب بشاطئ النيل صيادا عليه خلق لا يواريه منه شئ ومعه صبى له فى مثل حاله وقد ألقى شبكته فى البحر فلما رآه رق لحاله وقال يا نسيم ادفع الى هذا عشرين دينارا فدفعها اليه ولحق ابن طولون فسار احمد بن طولون ولم يبعد ورجع فوجد الصياد ميتا والصبى يبكى ويصيح فظن ابن طولون أن بعض سودانه قتله وأخذ الدنانير منه فوقف بنفسه عليه وسأل الصبى عن أبيه فقال له هذا الغلام وأشار الى نسيم الخادم دفع الى أبى شيأ فلم يزل يقلبه حتى وقع ميتا فقال فتشه يا نسيم فنزل وفتشه فوجد الدنانير معه بحالها فحرض الصبى أن يأخذها فأبى وقال هذه قتلت أبى وان أخذتها قتلتنى فأحضر ابن طولون قاضى المقس وشيوخه وأمرهم أن يشتروا للصبى دارا بخمسمائة دينار تكون لها غلة وأن تحبس عليه وكتب اسمه فى اصحاب الجرايات وقال أنا قتلت أباه لان الغنى يحتاج الى تدريج والا قتل صاحبه هذا

٢ بنا فى مائة ابن سعيد على مكس ولى المحليز

كان يجب أن يدفع اليه دينار بعد دينار حتى تاتيه هذه الجملة على تفرقة فلا تكثر في عينه * وقال القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني رحمه الله في تعليق المتجددات لسنة سبع وسبعين وخمسمائة وفيه يعني يوم الثلاثاء لست بقين من المحرم ركب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب اعز الله نصره لمشاهدة ساحل النيل وكان قد انحسر وتشمر عن المقس وما يليه وبعد عن السور والقلعة المستجدين بالمقس وأحضر أرباب الخبرة واستشارهم فاشير عليه باقامة الجراريف لرفع الرمال التي قد عارضت جزائرها طريق الماء وسدته ووقفت فيه وكان الافضل بن امير الجيوش لما ترتب قدام دار الملك جزيرة رمل كما هي اليوم أراد أن يقرب البحر وينقل الجزيرة فأشير عليه بأن يبني مما يلي الجزيرة أنفا خارجا في البحر ليلقى التيار وينقل الرمل فعسر هذا وعظمت غرامته فاشار عليه ابن سيد بأن يأخذ قصارى فخار تثقب ويعمل تجهار وس برابخ وتلطخ بالزفت وتكب القصارى عليها وتدفن في الرمل فاذا اراد النيل وركبها نزل من خروق القصارى الى الرؤس فأدارها الماء ومنعتها القصارى أن تنحدر ودامت حركة الرمل بتحريك الماء للرؤس فانتقل الرمل وذكر أن للزفت خاصية في تحويل الرمل قال وفي هذا الوقت احترق النيل وصار البحر مخايض يقطعها الراجل وتوحل فيه المراكب وتشمر الماء عن ساحل المقس ومصر وربي جزائر رملية اشفق منها على المقياس لئلا يتقلص النيل عنه ويحتاج الى عمل غيره وخشي منها أيضا على ساحل المقس لكون بنيان السور كان اتصل بالماء وقد تباعد الآن عن السور وصار المدقوق به من بر الغرب ووقع النظر في اقامة جراريف لقطع الجزائر التي رباها البحر وعمل أنوف خارجة في بر الجيزة ليميل بها الماء الى هذا الجانب ولم يتم شئ من ذلك * وقال ابن المتوج في سنة خمسين وستمائة انتهى النيل في احتراقه الى أربعة أذرع وسبعة عشر أصبعا وانتهى في زيادته الى ثمانية عشر ذراعا وكان مثل ذلك في دولة الملك الاشرف خليل بن قلاون وكان نيلا عظيما سد فيه باب المقس يعني الباب الذي يعرف اليوم بباب البحر عند المقس وفي سنة اثنتين وستين وستمائة أحضر الى الملك الظاهر بيبرس طفل وجد ميتا بساحل المقس له رأسان وأربعة اعين وأربعة أرجل وأربعة ايد وأخبرني وكيل أبي الشيخ المعمر حسام الدين حسن بن عمر السهروردي رحمه الله ومولده سنة اثنتين وسبعمائة بالمقس انه يعرف باب البحر هذا اذا خرج منه الانسان فانه يرى بر الجيزة لا يحول بينه وبينها حائل فاذا زاد ماء النيل صار الماء عند الوكالة التي هي الآن خارج باب البحر المعروفة بوكالة الجبن واذا كان ايام احتراق النيل بقيت الرمال تجاه باب البحر وذلك قبل أن يحفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصري فلما حفر الخليج المذكور أنشأ الناس البساتين والدور كما يجيء ان شاء الله تعالى ذكره وادركنا المقس خطة في غاية العمارة بها عدة أسواق ويسكنها أمم من الاكراد والاجناد والكتاب وغيرهم وقد تلاشت من بعد سنة سبع وسبعين وسبعمائة عند حدوث الغلاء بمصر في ايام الملك الاشرف شعبان بن حسين فلما كانت المحن منذ سنة ست وثمانمائة خربت الاحكار والمقس وغيره وفيه الى الآن بقية صالحة وبه خمسة جوامع تقام بها الجمعة وعدة أسواق ومعظمه خراب

(ذكر ميدان القمح)

هذا المكان خارج باب القنطرة يتصل من شرقيه بعدوة الخليج ومن غربيه بالمقس وبعضهم يسميه ميدان الغلة وكان موضعا للغلال أيام كان المقس ساحل القاهرة وكانت صبر القمح وغيره من الغلال توضع من جانب المقس الى باب القنطرة عرضا وتقف المراكب من جامع المقس الى منية الشيرج طولا ويصير عند باب القنطرة في ايام النيل من مراكب الغلة وغيرها ما يستر الساحل كله * قال ابن عبد الظاهر المكان المعروف بميدان الغلة وما جاوره الى ماوراء الخليج لما ضعف أمر الخلافة وهجرت الرسوم القديمة من التفرج في اللؤلؤة وغيرها بنت الطائفة الفرحية الساكنون بالمقس لانهم ضاق بهم المقس قبالة اللؤلؤة حارة سميت بحارة اللصوص بسبب تعديهم فيها مع غيرهم الى أن غيروا تلك المعالم وقد كان ذلك قديما بستانا سلطانيا يسمى بالمقسي أمر الظاهر بن الحاكم بنقل أنشابه وحفره وجعله بركة قدام اللؤلؤة مختلطة بالخليج وكان للبستان المقدم ذكره ترعة من البحر يدخل منها الماء اليه وهو خليج الذكر الآن فأمر بابقائها على حالها مسلطة على البركة والخليج يستنقع الماء فيها فلما نسي ذلك على ما ذكرناه عمد المذكورون وغيرهم الى اقتطاع البركة من الخليج وجعلوا بينها وبين الخليج جسرا وصار الماء يصل اليها من الترعة دون الخليج وصارت متنزها للسودان المذكورين في ايام النيل

والربيع

والربيع ولما كانت الايام الآمرية أحب اعادة النزهة فتقدم وزيره المأمون بن البطائحي باحضار عرفاء السودان المذكورين وأنكر عليهم ذلك فاعتذروا بكثرة الرمال فأمر بنقل ذلك واعطاهم انعاما فبنوا حارة بالقرب من داركافور التي أسكنت بها الطائفة المأمونية قبالة بستان الوزير ومن المساجد الثلاثة المعلقة في شرقيها ثم أحضر الابقار من البساتين والعدد والآلات ونقض الجسر الذي بين البركة والخليج وعمق البركة الى أن صار الخليج مسلطا عليها قال مؤلفه رحمه الله تعالى هذه البركة عرفت ببطن البقرة وقد ذكر خبرها عند ذكر البرك من هذا الكتاب وقد صار هذا الميدان اليوم سوقا تباع فيه القشة من النحاس العتيق والحصر وغير ذلك وفي بعضه سوق الغزل وبه جامع يشرف على الخليج وسكن هنالك طائفة من المشارقة الحبالك وفيه سوق عامر بالمعايش

(ذكر أرض الطبالة)

هذه الارض على جانب الخليج الغربي بجوار المقس كانت من أحسن منتزهات القاهرة يمر النيل الاعظم من غربيها عندما يندفع من ساحل المقس حيث جامع المقس الآن الى أن ينتهي الى الموضع الذي يعرف بالجرف على جانب الخليج الناصري بالقرب من بركة الرطلي ويمر من الجرف الى غربي البعل فتصير أرض الطبالة نقطة وسط من غربيها النيل الاعظم ومن شرقيها الخليج ومن قبليها البركة المعروفة ببطن البقرة والبساتين التي آخرها حيث الآن باب مصر بجوار الكبارة وحيث المشهد النفيسي ومن بحريها أرض البعل ومنظرة البعل ومنظرة التاج والخمس وجوه وقبة الهواء فكانت رؤية هذه الارض شيأ عجيبا في ايام الربيع وفيها يقول سيف الدين على بن قزل المشد

الى طبالة يعزون أرضا * لها من سندس الريحان بسط
وقد كتب الشقيق بها سطورا * وأحسن شكلها للطل نقط
رياض كالعرائس حين تجلي * يزين وجوهها تاج وقرط

وانما قيل لها أرض الطبالة لان الامير أبا الحارث ارسلان البساسيري لما غاضب الخليفة القائم بأمر الله العباسي وخرج من بغداد يريد الانتماء الى الدولة الفاطمية بالقاهرة أمده الخليفة المستنصر بالله ووزيره الناصر لدين الله عبد الرحمن البازوري حتى استولى على بغداد واخذ قصر الخلافة وأزال دولة بني العباس منها وأقام الدولة الفاطمية هنالك وسير عمامة القائم وثيابه وشباكه الذي كان اذا جلس يستند اليه وغير ذلك من الاموال والتحف الى القاهرة في سنة خمسين وأربعمائة فلما وصل ذلك الى القاهرة سر الخليفة المستنصر سرورا عظيما وزينت القاهرة والقصور ومدينة مصر والجزيرة فوقفت نسب طبالة المستنصر وكانت امرأة مرجلة تقف تحت القصر في المواسم والاعياد وتسير ايام الموكب وحولها طائفتها وهي تضرب بالطبل وتنشد فانشدت وهي واقفة تحت القصر

يا بني العباس ردّوا * ملك الامر معدّ ملككم ملك معار * والعواري تستردّ

فأعجب المستنصر ذلك منها وقال لها تمني فسألت أن تقطع الارض المجاورة للمقس فأقطعها هذه الارض وقيل لها من حينئذ أرض الطبالة وانشأت هذه الطبالة تربة بالقرافة الكبرى تعرف بتربة نسب قال ابن عبد الظاهر أرض الطبالة منسوبة الى امرأة مغنية تعرف بنسب وقيل بطرب مغنية المستنصر قال فوهبها هذه الارض المعروفة بأرض الطبالة وحكرت وبنيت آدرا وبيوتا وكانت من ملح القاهرة وبهجتها انتهى ثم ان أرض الطبالة خربت في سنة ست وتسعين وستمائة عند حدوث الغلاء والوباء في سلطنة الملك العادل كتبغا حتى لم يبق فيها انسان يلوح وبقيت خرابا الى ما بعد سنة احدى عشرة وسبعمائة فشرع الناس في سكناها قليلا قليلا فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصري في سنة خمس وعشرين وسبعمائة كانت هذه الارض بيد الامير بكتمر الحاجب فما زال بالمهندسين حتى مرّوا بالخليج من عند الجرف على بركة الطوابين التي تعرف اليوم ببركة الحاجب وببركة الرطلي فمرّوا به من هنالك حتى صب في الخليج الكبير من آخر أرض الطبالة فعمر الامير بكتمر المذكور هنالك القنطرة التي تعرف بقنطرة الحاجب على الخليج الناصري وأقام جسرا من القنطرة المذكورة الى قريب من الجرف فصار هذا الجسر فاصلا بين بركة الحاجب والخليج الناصري وأذن للناس في تحكيره

فبنوا عليه وعلى البركة الدور وعمرت بسبب ذلك أرض الطبالة وصار بها عدة حارات منها حارة العرب وحارة الاكراد وحارة البزازرة وحارة العياطين وغير ذلك وبقى فيها عدة أسواق وحمام وجوامع تقام بها الجمعة وأقبل الناس على التنزه بها ايام النيل والربيع وكثرت الرغبات فيها لقربها من القاهرة ومابرحت على غاية من العمارة الى أن حدث الغلاء فى سنة سبع وسبعين وسبعمائة ايام الاشرف شعبان بن حسين فخرب كثير من حارات أرض الطبالة وبقيت منها بقية الى أن دثرت منذ سنة ست وثمانمائة وصارت كيمانا وبقى فيها من العامر الآن الاملاك المطلة على البركة التى ذكرت عند ذكر البرك من هذا الكتاب وفيها بقعة تعرف بالجنينة تصغير جنة من أخبث بقاع الارض يعمل فيها بمعاصى الله عز وجل وتعرف ببيع الحشيشة التى يبتلعها اراذل الناس وقد فشت هذه الشجرة الخبيثة فى وقتنا هذا فشوّا زائدا وولع بها أهل الخلاعة والسخف ولوعا كثيرا وتظاهروا بها من غير احتشام بعد ما ادركناها تعدّ من ارذل الخبائث وأقبح القاذورات وماشئ فى الحقيقة افسد لطباع البشر منها ولا شتهارها فى وقتنا هذا عند الخاص والعام بمصر والشام والعراق والروم تعين ذكرها والله تعالى اعلم

(ذكر حشيشة الفقراء)

قال الحسن بن محمد فى كتاب السوانح الادبية فى مدائح القنبية سألت الشيخ جعفر بن محمد الشيرازى الحيدرى بلدة تستر فى سنة ثمان وخمسين وستمائة عن السبب فى الوقوف على هذا العقار ووصوله الى الفقراء خاصة وتعدّيه الى العوام عامة فذكر لى أن شيخه شيخ الشيوخ حيدرا رحمه الله كان كثير الرياضة والمجاهدة قليل الاستعمال للغذاء قد فاق فى الزهادة وبرز فى العبادة وكان مولده بنشاور من بلاد خراسان ومقامه بجبل بين نشاور ومارماه وكان قد اتخذ بهذا الجبل زاوية وفى صحبته جماعة من الفقراء وانقطع فى موضع منها ومكث بها اكثر من عشر سنين لا يخرج منها ولا يدخل عليه أحد غيرى للقيام بخدمته قال ثم ان الشيخ طلع ذات يوم وقد اشتدّ الحرّ وقت القائلة منفردا بنفسه الى الصحراء ثم عاد وقد علا وجهه نشاط وسرور بخلاف ما كنا نعهده من حاله قبل واذن لاصحابه فى الدخول عليه وأخذ يحادثهم فلما رأينا الشيخ على هذه الحالة من المؤانسة بعد اقامته تلك المدّة الطويلة فى الخلوة والعزلة سألناه عن ذلك فقال بينما انا فى خلوتى اذ خطر ببالى الخروج الى الصحراء منفردا فخرجت فوجدت كل شئ من النبات ساكنا لا يتحرّك لعدم الريح وشدّة القيظ ومررت بنبات له ورق فرأيته فى تلك الحال يميس بلطف ويتحرّك من غير عنف كالثمل النشوان فجعلت اقطف منه اوراقا وآكلها فحدث عندى من الارتياح ماشاهدتموه وقوموا بنا حتى اوقفكم عليه لتعرفوا شكله قال فخرجنا الى الصحراء فأوقفنا على النبات فلما رأيناه قلنا هذا نبات يعرف بالقنب فأمرنا أن نأخذ من ورقه ونأكله ففعلنا ثم عدنا الى الزاوية فوجدنا فى قلوبنا من السرور والفرح ما عجزنا عن كتمانه فلما رآنا الشيخ على الحالة التى وصفنا امرنا بصيانة هذا العقار وأخذ علينا الايمان أن لا نعلم به أحدا من عوام الناس وأوصانا أن لا نخفيه عن الفقراء وقال ان الله تعالى قد خصكم بسرّ هذا الورق ليذهب بأكله همومكم الكثيفة ويجلو بفعله أفكاركم الشريفة فراقبوه فيما أودعكم وراعوه فيما استرعاكم قال الشيخ جعفر فزرعتها بزاوية الشيخ حيدر بعد أن وقفنا على هذا السرّ فى حياته وامرنا بزرعها حول ضريحه بعد وفاته وعاش الشيخ حيدر بعد ذلك عشر سنين وأنا فى خدمته لم أره يقطع أكلها فى كل يوم وكان يأمرنا بتقليل الغذاء وأكل هذه الحشيشة وتوفى الشيخ حيدر سنة ثمان عشرة بزاويته فى الجبل وعمل على ضريحه قبة عظيمة وأتته النذور الوافرة من أهل خراسان وعظموا قدره وزاروا قبره واحترموا اصحابه وكان قد أوصى اصحابه عند وفاته أن يوقفوا ظرفاء أهل خراسان وكبراءهم على هذا العقار وسرّه فاستعملوه قال ولم تزل الحشيشة شائعة ذائعة فى بلاد خراسان ومعاملات فارس ولم يكن يعرف اكلها أهل العراق حتى ورد اليها صاحب هرمز ومحمد بن محمد صاحب البحرين وهما من ملوك سيف البحر المجاور لبلاد فارس فى ايام الملك الامام المستنصر بالله وذلك فى سنة ثمان وعشرين وستمائة فحملها اصحابهما معهم وأظهروا للناس اكلها فاشتهرت بالعراق ووصل خبرها الى أهل الشام ومصر والروم فاستعملوها قال وفى هذه السنة ظهرت الدراهم ببغداد وكان الناس ينفقون القراضة وقد نسب اظهار الحشيشة الى الشيخ حيدر الاديب محمد بن علىّ بن الاعمى الدمشقى فى ابيات وهى

دع الخمر واشرب من مدامة حيدر * معنبرة خضراء مثل الزبرجد
يعاطيكها ظبي من الترك اغيد * يميس على غصن من البان املد
فتحسبها في كفه اذ يديرها * كرقم عذار فوق خد مورد
يرنحها ادنى نسيم تنسمت * فتهفو الى برد النسيم المردد
وتشدو على اغصانها الورق في الضحى * فيطرب بها سجع الحمام المغرد
وفيها معان ليس في الخمر مثلها * فلا تستمع فيها مقال مفند
هي البكر لم تنكح بماء سحابة * ولا عصرت يوما برجل ولا يد
ولا عبث القسيس يوما بكأسها * ولا قربوا من دنها كل مقعد
ولا نص في تحريمها عند مالك * ولا حد عند الشافعي وأحمد
ولا اثبت النعمان تنجيس عينها * فخذها بحد المشرفي المهند
وكف اكف الهم بالكف واسترح * ولا تطرح يوم السرور الى غد

وكذلك نسب اظهارها الى الشيخ حيدر الاديب احمد بن محمد بن الرسام الحلبي فقال

ومهفهف بادي النفار عهدته * لا ألتقيه قط غير معبس
فرأيته بعض الليالي ضاحكا * سهل العريكة ريضا في المجلس
فقضيت منه مآربي وشكرته * اذ صار من بعد التنافر مؤنسي
فأجابني لا تشكرن خلائقي * واشكر شفيعك فهو خمر المفلس
لحشيشة الافراح تشفع عندنا * للعاشقين يبسطها للانفس
واذا همت بصيد ظبي نافر * فاجهد بأن يرعى حشيش القنبس
واشكر عصابة حيدر اذ أظهروا * لذوى الخلاعة مذهب المتخمس
ودع المعطل للسرور وخلني * من حسن ظن الناس بالمتمس

وقد حدثني الشيخ محمد الشيرازي القلندري أن الشيخ حيدر الم يأكل الحشيشة في عمره البتة وانما عامة أهل خراسان نسبوها اليه لاشتهار اصحابه بها وان اظهارها كان قبل وجوده بزمان طويل وذلك انه كان بالهند شيخ يسمى بيرزطن هو اول من اظهر لاهل الهند اكلها ولم يكونوا يعرفونها قبل ذلك ثم شاع امرها في بلاد الهند حتى ذاع خبرها ببلاد اليمن ثم فشا الى أهل فارس ثم ورد خبرها الى اهل العراق والروم والشام ومصر في السنة التي قدمت ذكرها * قال وكان بيرزطن في زمن الاكاسرة وادرك الاسلام واسلم وان الناس من ذلك الوقت يستعملونها وقد نسب اظهارها الى أهل الهند علي بن مكي في ابيات أنشدنيها من لفظه وهي

الا فاكفف الاحزان عني مع الضر * بعذراء زفت في ملاحفها الخضر
تجلت لنا لما تحلت بسندس * فجلت عن التشبيه في النظم والنثر
بدت تملأ الابصار نورا بحسنها * فأخجل نور الروض والزهر بالزهر
عروس يسر النفس مكنون سرها * وتصبح في كل الحواس اذا تسري
فللذوق منها مطعم الشهد رائقا * وللشم منها فائق المسك بالنشر
وفي لونها للطرف احسن نزهة * يميل الى رؤياه من سائر الزهر
تركب من قان وابيض فانثنت * تتيه على الازهار عالية القدر
فيكسف نور الشمس حمرة لونها * وتخجل من مبيضه طلعة البدر
علت رتبة في حسنها وكأنها * زبرجد روض جاده وابل القطر
تبدت فأبدت ما أجن من الهوى * وجاءت فولت جند همي والفكر
جميلة اوصاف جليلة رتبة * تغالت فغالى في مدائحها شعري
فقم فانف جيش الهم واكفف يد العنا * بهندية امضى من البيض والسمر
بهندية في اصل اظهار اكلها * الى الناس لا هندية اللون كالسمر

تزيل لهيب الهم عنا باكلها * وتهدى لنا الافراح فى السر والجهر

قال وانا اقول انه قديم معروف منذ أوجد الله تعالى الدنيا وقد كان على عهد اليونانيين والدليل على ذلك مانقله الاطباء فى كتبهم عن بقراط وجالينوس من مزاج هذا العقار وخواصه ومنافعه ومضارّه قال ابن جزلة فى كتاب منهاج البيان القنب الذى هو ورق الشهدانج منه بستانىّ ومنه برّىّ والبستانىّ اجوده وهو حار يابس فى الدرجة الثالثة وقيل حرارته فى الدرجة الاولى ويقال انه بارد يابس فى الدرجة الاولى والبرىّ منه حار يابس فى الدرجة الرابعة قال ويسمى بالكف انشدنى تقىّ الدين الموصلى

كف كف الهموم بالكف فالكف * شفاء للعاشق المهموم
بابنة القنب الكريمة لاباب * نة كرم بعد البنت الكروم

قال والفقراء انما يقصدون استعماله مع مايجدون من اللذة تجفيفا للمنىّ وفى ابطاله قطع لشهوة الجماع كى لاتميل نفوسهم الى مايوقع فى الزنا وقال بعض الاطباء ينبغى لمن يأكل الشهدانج أو ورقه أن يأكله مع اللوز أو الفستق أو السكر أو العسل او الخشخاش ويشرب بعده السكنجبين ليدفع ضرره واذا قلى كان اقلّ لضرره ولذلك جرت العادة قبل اكله أن يقلى واذا اكل غير مقلىّ كان كثير الضرر وامزجة الناس تختلف فى اكله فمنهم من لا يقدر أن يأكله مضافا الى غيره ومنهم من يضيف اليه السكر أو العسل اوغيره من الحلاوات وقرأت فى بعض الكتب أن جالينوس قال انها تبرئ من التخمة وهى جيدة للهضم وذكر ابن جزلة فى كتاب المنهاج أن بزر شجر القنب البستانىّ هو الشهدانج وثمره يشبه حب السمنة وهو حب يعصر منه الدهن وحكى عن حنين بن اسحاق أن شجرة البرى تخرج فى القفار المنقطعة على قدر ذراع وورقه يغلب عليه البياض وقال يحيى بن ماسويه فى كتاب تدبير أبدان الاصحاء ان من غلب على بدنه البلغم ينبغى أن تكون اغذيته مسخنة مجففة كالزبيب والشهدانج وقال صاحب كتاب اصلاح الادوية ان الشهدانج يدر البول وهو عسر الانهضام ردىء الخلط للمعدة قال ولم اجد لازالة الزفر من اليد أبلغ من غسلها بالحشيشة ورأيت من خواصها أن كثيرا من ذوات السموم كالحية ونحوها اذا شمت ريحها هربت ورأيت أن الانسان اذا اكلها ووجد فعلها فى نفسه وأحبّ أن يفارقه فعلها قطر فى منخريه شيأ من الزيت واكل من اللبن الحامض ومما يكسر قوة فعلها ويضعفه السباحة فى الماء الجارى والنوم يبطله * قال مؤلفه رحمه الله تعالى دع نزاهة القوم فما بلى الناس بأفسد من هذه الشجرة لاخلاقهم ولقد حدثنى القاضى الرئيس تاج الدين اسماعيل بن عبد الوهاب بن الخطباء المخزومىّ قبل اختلاطه عن الرئيس علاء الدين بن نفيس أنه سئل عن هذه الحشيشة فقال اعتبرتها فوجدتها تورث السفالة والرذالة وكذلك جربنا فى طول عمرنا من عاناها فانه ينحط فى سائر أخلاقه الى مالا يكاد أن يبقى له من الانسانية شئ البتة وقد قال ابن البيطار فى كتاب المفردات ومن القنب نوع ثالث يقال له القنب الهندى ولم أره بغير مصر ويزرع فى البساتين ويقال له الحشيشة عندهم أيضا وهو يسكر جدّا اذا تناول منه الانسان قدر درهم أو درهمين حتى ان من اكثر منه يخرجه الى حدّ الرعونة وقد استعمله قوم فاختلت عقولهم وأدّى بهم الحال الى الجنون وربما قتلت ورأيت الفقراء يستعملونها على أنحاء شتى فمنهم من يطبخ الورق طبخا بليغا ويدعكه باليد دعكا جيدا حتى يتعجن ويعمل منه اقراصا ومنهم من يجففه قليلا ثم يحمصه ويفركه باليد ويخلط به قليل سمسم مقشور وسكر ويستفه ويطيل مضغه فانهم يطربون عليه ويفرحون كثيرا وربما اسكرهم فيخرجون به الى الجنون أو قريب منه وهذا ماشاهدته من فعلها واذا اخيف من الاكثار منه فليبادر الى القىء بسمن وماء سخن حتى تنقى منه المعدة وشراب الحماض لهم فى غاية النفع فانظر كلام العارف فيها واحذر من افساد بشريتك وتلاف أخلاقك باستعمالها ولقد عهدناها وما يرمى بتعاطيها الا أراذل الناس ومع ذلك فيأنفون من انتسابهم لها لما فيها من الشنعة وكان قد تتبع الامير سودون الشيخونىّ رحمه الله الموضع الذى يعرف بالجنينة من أرض الطبالة وباب اللوق وحكر واصل ببولاق واتلف ماهنالك من هذه الشجرة الملعونة وقبض على من كان يبتلعها من اطراف الناس ورذلائهم وعاقب على فعلها بقلع الاضراس فقلع اضراس كثير من العامة فى نحو سنة ثمانين وسبعمائة ومابرحت هذه الخبيثة تعدّ من القاذورات حتى قدم سلطان بغداد أحمد بن اويس فارا من تيمورلنك الى القاهرة فى سنة خمس وتسعين وسبعمائة فتظاهر اصحابه باكلها وشنع الناس عليهم واستقبحوا ذلك من فعلهم وعابوه عليهم فلما سافر

من القاهرة

من القاهرة الى بغداد وخرج منها ثانيا واقام بدمشق مدة تعلم أهل دمشق من أصحابه التظاهر بها * وقدم الى القاهرة شخص من ملاحدة العجم صنع الحشيشة بعسل خلط فيها عدة أجزاء مجففة كعرق اللفاح ونحوه وسماها العقدة وباعها بخفية فشاع اكلها وفشا فى كثير من الناس مدة أعوام فلما كان فى سنة خمس عشرة وثمانمائة شنع التجاهر بالشجرة الملعونة فظهر أمرها واشتهر اكلها وارتفع الاحتشام من الكلام بها حتى لقد كادت أن تكون من تحف المترفين وبهذا السبب غلبت السفالة على الاخلاق وارتفع ستر الحياء والحشمة من بين الناس وجهروا بالسوء من القول وتفاخروا بالمعايب وانحطوا عن كل شرف وفضيلة وتحلوا بكل ذميمة من الاخلاق ورذيلة فلولا الشكل لم تقض لهم بالانسانية ولولا الحس لما حكمت عليهم بالحيوانية وقد بدا المسخ فى الشمائل والاخلاق المنذر بظهوره على الصور والذوات عافانا الله تبارك وتعالى من بلائه وارض الطبالة الآن بيد ورثة الحاجب

(ذكر أرض البعل والتاج)

قال ابن سيده البعل الارض المرتفعة التى لا يصيبها المطر الامرة واحدة فى السنة وقيل البعل كل شجر أو زرع لا يسقى وقيل البعل ما سقته السماء وقد استعمل الموضع والبعل من النخل ما شرب بعروقه من غير سقى ولا ماء سماء وقيل هو ما اكتفى بماء السماء والبعل ما اعطى من الاتاوة على سقى النخل واستعمل الموضع والنخل صار بعلا وأرض البعل هذه بجانب الخليج تتصل بأرض الطبالة كانت بستانا يعرف بالبعل وفيه منظرة انشأه الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى وجعل على هذا البستان سورا والى جانب بستان البعل هذا بستان التاج وبستان الخمس وجوه وقد ذكرت مناظر هذه البساتين وما كان فيها للخلفاء الفاطميين من الرسوم عند ذكر المناظر من هذا الكتاب وأرض البعل فى هذا الوقت مزرعة تجاه قنطرة الاوز التى على الخليج يخرج الناس للتنزه هناك ايام النيل وايام الربيع وكذلك أرض التاج فانها اليوم قد زالت منها الاشجار واستقرت من اراضى المنية الخراجية وفى أيام النيل ينبت فيها نبات يعرف بالبشنين له ساق طويل وزهره شبه اللينوفر واذا اشرقت الشمس انفتح فصار منظرا انيقا واذا غربت الشمس انضم ويذكر أن من العصافير نوعا صغيرا يجلس العصفور منه فى داخل البشنينة فاذا اقبل الليل انضمت عليه وغطست فى الماء فبات فى جوفها آمنا الى أن تشرق الشمس فتصعد البشنينة وتنفتح فيطير العصفور وهو شئ ما برحنا نسمعه وهذا البشنين يصنع من زهره دهن يعالج به فى البرسام وترطيب الدماغ فينجع وأصله يعرف بالبيارون يجمعه الاعراب ويأكلونه نيأ ومطبوخا وهو يميل الى الحرارة يسيرا ويزيد فى الباه ويسخن المعدة ويقويها ويقطع الزحير ذكر ذلك ابن البيطار فى كتاب المفردات وفى ايام الربيع تزرع هذه الاراضى فتذكر بحسنها ونضارتها جنة الخلد التى وعد المتقون وأدركت بهذه الارض بقايا نخل واشجار وقد تلفت

(ذكر ضواحى القاهرة)

قال ابن سيده ضواحى كل شئ نواحيه البارزة للشمس والضواحى من النخل ما كان خارج السور على صفة عالية لانها تضحى للشمس وفى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم لاهل بدر لكم الضامنة من النخل ولنا الضاحية من البعل يعنى بالضامنة ما اطاف به سور المدينة وضواحى الروم ماظهر من بلادهم وبرز ويقال فى زماننا لما خرج عن القاهرة مما هو فى جنبتى الخليج من القرى ضواحى القاهرة وقد عرفت أصل ذلك من اللغة وتعرف البلاد التى من الضواحى فى غربى الخليج بالحبس الجيوشى وهى بهتين والاميرية والمنية وكان أيضا بناحية الجيزة من جملة الحبس الجيوشى ناحية سفط ونهيا ووسيم حبس هذه البلاد أمير الجيوش بدر الجمالى على عقبه * فلما زالت الدولة الفاطمية جعل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أمر الاسطول لاخيه الملك العادل أبى بكر بن أيوب وسلمه له فى سنة سبع وثمانين وخمسمائة وأفرد لديوان الاسطول من الابواب الديوانية الزكاة التى كانت تجبى من الناس بمصر والحبس الجيوشى بالبرين والنطرون والخراج وما معه من ثمن القرظ وساحل السنط والمراكب الديوانية واشنا وطنبدى واحمل ورثة أمير الجيوش على غير الحبس الذى لهم ثم افتى الفقهاء ببطلان الحبس وقبضت النواحى وصارت من جملة اموال الخراج فعرفت ببلاد الملك وهذه الضواحى الآن منها ماهو وقف ومنها ماهو فى الديوان السلطانى وخراجها يتميز على غيرها من النواحى ويزرع اكثرها من الكتان والمقاثى وغيرها

(ذكر منية الامراء)

٢ قال ياقوت فى كتاب المشترك المنية ثلاثة وأربعون موضعا وجميعها بمصر غير واحدة و بمصر من القرى المسماة بهذا الاسم ما يقارب المائتين قال ومنية الشيرج و يقال لها منية الامير ومنية الامراء بلدة فيها اسواق على فرسخ من القاهرة فى طريق الاسكندرية وذكر الشريف محمد بن اسعد الجوانى النسابة أن قتلى أهل الشام الذين قتلوا فى وقعة الخندق بين مروان بن الحكم وعبد الرحمن بن جحدم أمير مصر فى سنة خمس وستين من الهجرة دفنوا حيث موضع منية الشيرج هذه وكانوا نحوا من الثمانمائة * وقال ابن عبد الظاهر منية الامراء من الحبس الجيوشى الشرقى الذى كان حبسه أمير الجيوش ثم ارتجع وفى كل سنة يأكل البحر منها جانبا و يجدّد جامعها ودورها حتى صار جامعها القديم ودورها فى برّ الجيزة وغلب البحر عليها وهذه المنية من محاسن متنزهات القاهرة وكانت قد كثرت العمائر بها واتخذها الناس منزل قصف ودار لعب ولهو ومغنى صبابات و بها كان يعمل عيد الشهيد الذى تقدّم ذكره عند ذكر النيل من هذا الكتاب لقربها من ناحية شبرا و بها سوق فى كل يوم أحد يباع فيه البقر والغنم والغلال وهو من اسواق مصر المشهورة وأكثر من كان يسكن بها النصارى وكانت تعرف بعصر الخمر و بيعه حتى انه لما عظمت زيادة ماء النيل فى سنة ثمان عشرة وسبعمائة وكانت الغرقة المشهورة وغرقت شبرا والمنية تلف فيها من جرار الخمر ما ينيف على ثمانين ألف جرّة مملوءة بالخمر وباع نصرانى واحد مرّة فى يوم عيد الشهيد بها خمرا باثنى عشر ألف درهم فضة عنها يومئذ نحو الستمائة دينار وكسر منها الأمير يلبغا السالمى فى صفر سنة ثلاث وثمانمائة ما ينيف على أربعين ألف جرّة مملوءة بالخمر وما برحت تغرق فى الانيال العالية الى أن عمل الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة الجسر من بولاق الى المنية كما ذكر عند ذكر الجسور من هذا الكتاب فأمن أهلها من الغرق وادركناها عامرة بكثرة المساكن والناس والاسواق والمناظر وتقصد للنزهة بها أيام النيل والربيع لاسيما فى يومى الجمعة والاحد فانه كان للناس بها فى هذين اليومين مجتمع ينفق فيه مال كثير ثم لما حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة الحّ المناسر بالهجوم عليها فى الليل وقتلوا من أهلها عدّة فارتحل الناس منها وخلت اكثر دورها وتعطلت حتى لم يبق بها سوى طاحون واحدة لطحن القمح بعد ما كان بها ما ينيف على ثمانين طاحونة و بها الآن بقية وهى جارية فى الديوان السلطانى المعروف بالمفرد

(ذكر كوم الريش)

هذا اسم لبلد فيما بين أرض البعل ومنية الشيرج كان النيل يمرّ بغربيها بعد مروره بغربى أرض البعل وادركت آثار الجروف باقية من غربى البعل وغربى كوم الريش الى أطراف المنية حتى تغيرت الاحوال من بعد سنة ست وثمانمائة ففاض ماء النيل فى أيام الزيادة ونزل فى الدرب الذى كان يسلك فيه من أرض الطبالة الى المنية فانقطع هذا الدرب وترك الناس سلوكه وكان كوم الريش من أجل متنزهات القاهرة ورغب اعيان الناس فى سكناها للتنزه بها * وأخبرنى شيخنا قاضى القضاة مجد الدين اسماعيل بن ابراهيم الحنفى وخال أبى تاج الدين اسماعيل بن أحمد بن الخطباء انهما ادركا بكوم الريش عدّة امراء يسكنون فيها دائما وانه كان من جملة من يسكن فيها دائما نحو الثمانمائة من الجند السلطانى وانا ادركت بها سوقا عامرا بالمعايش بانواعها من المآكل لا اعرف اليوم بالقاهرة مثله فى كثرة المآكل وادركت بها حماما وجامعين تقام بهما الجمعة وموقف مكارية ومنارة لا يقدر الواصف أن يعبر عن حسنها لما اشتملت عليه من كل معنى رائق بهج ومابرحت على ذلك الى أن حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة فطرقها انواع الرزايا حتى صارت بلاقع وجهلت طرقها وتغيرت معاهدها ونزل بها من الوحشة ما ابكانى وأنشدت فى رؤيتها عند ماشاهدتها خرابا

قفرا كأنك لم تكن تلهو بها * فى نعمة وأوانس أتراب

وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه اليم شديد

(ذكر بولاق)

قد تقدّم فى غير موضع من هذا الكتاب أن ساحل النيل كان بالمقس وان الماء انحسر بعد سنة سبعين

وخمسمائة عن جزيرة عرفت بجزيرة الفيل وتقلص ماء النيل عن سور القاهرة الذى ينتهى الى المقس وصارت هنالك رمال وجزائر من سنة الا وهى تكثر حتى بقى ماء النيل لا يمر بها الا أيام الزيادة فقط وفى طول السنة ينبت هنالك البوص والحلفاء وتنزل المماليك السلطانية لرمى النشاب فى تلك التلال الرمل فلما كان سنة ثلاث عشرة وسبعمائة رغب الناس فى العمارة بديار مصر لشغف السلطان الملك الناصر بها ومواظبته عليها فكانما نودى فى القاهرة ومصر أن لا يتأخر أحد من الناس عن انشاء عمارة وجد الامراء والجند والكتاب والتجار والعامة فى البناء وصارت بولاق حينئذ تجاه بولاق التكرور يزرع فيها القصب والقلقاس على ساقية تنقل الماء من النيل حيث جامع الخطيرى الآن فعمر هنالك رجل من التجار منظرة وأحاط جدارا على قطعة ارض غرس فيها عدة اشجار وتردد اليها للنزهة فلما مات انتقلت الى ناصر الدين محمد بن الجوكندار فعمر الناس بجانبها دورا على النيل وسكنوا ورغبوا فى السكنى هنالك فامتدت المناظر على النيل من الدار المذكورة الى جزيرة الفيل وتفاخروا فى انشاء القصور العظيمة هنالك وغرسوا من ورائها البساتين العظيمة وانشأ القاضى ابن المغربى رئيس الاطباء بستانا اشتراه منه القاضى كريم الدين ناظر الخاص للامير سيف الدين طشتمر الساقى بنحو مائة ألف درهم فضة وكثر التنافس بين الناس فى هذه الناحية وعمروها حتى انتظمت العمارة فى الطول على حافة النيل من منية الشيرج الى موردة الحلفاء بجوار الجامع الجديد خارج مصر وعمر فى العرض على حافة النيل الغربية من تجاه الخندق بحرى القاهرة الى منشاة المهرانى وبقيت هذه المسافة العظيمة كلها بساتين وأحكارا عامرة بالدور والاسواق والحمامات والمساجد والجوامع وغيرها وبلغت بساتين جزيرة الفيل خاصة ما ينيف على مائة وخمسين بستانا بعد ما كانت فى سنة احدى عشرة وسبعمائة نحو العشرين بستانا وانشأ القاضى الفاضل جلال الدين القزوينى وولده عبد الله دارا عظيمة على شاطئ النيل بجزيرة الفيل عند بستان الامير ركن الدين بيبرس الحاجب وأنشأ الامير عز الدين الخطيرى جامعه ببولاق على النيل وأنشأ بجواره ربعين وانشأ القاضى شرف الدين بن زنبور بستانا وانشأ القاضى فخر الدين المعروف بالفخر ناظر الجيش بستانا وحكر الناس حول هذه البساتين وسكنوا هنالك ثم حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصرى سنة خمس وعشرين وسبعمائة فعمر الناس على جانبى هذا الخليج وكان اول من عمر بعد حفر الخليج الناصرى المهاميزى انشأ بستانا ومسجدا هما موجودان الى اليوم وتبعه الناس فى العمارة حتى لم يبق فى جميع هذه المواضع مكان بغير عمارة وبقى من يمر بها يتعجب اذ بها بالعهد من قدم بيناهى تلال رمل وحلفا اذ صارت بساتين ومناظر وقصورا ومساجد وأسواقا وحمامات وأزقة وشوارع وفى ناحية بولاق هذه كان خص الكيالة الذى يؤخذ فيه مكس الغلة الى أن ابطله الملك الناصر محمد بن قلاوون كما ذكر فى الروك الناصرى من هذا الكتاب ولما كانت سنة ست وثمانمائة انحسر ماء النيل عن ساحل بولاق ولم يزل يبعد حتى صار على ما هو عليه الآن وناحية بولاق الآن عامرة وتزايدت العمائر بها وتجدد فيها عدة جوامع وحمامات ورباع وغيرها

* (ذكر ما بين بولاق ومنشاة المهرانى) *

وكان فيما بين بولاق ومنشاة المهرانى خط فم الخور وخط حكر ابن الاثير وخط زريبة قوصون وخط الميدان السلطانى بموردة الملح وخط منشاة الكتبة * فأما فم الخور فكان فيه من المناظر الجليلة الوصف عدة تشرف على النيل ومن ورائها البساتين ويفصل بين البساتين والدور المطلة على النيل شارع مسلوك وانشئ هنالك حمام وجامع وسوق وقد تقدم ذكر الخور وأنشأ هنالك القاضى علاء الدين بن الاثير دارا على النيل وكان اذ ذاك كاتب السر وبنى الناس بجواره فعرف ذلك الخط بحكر ابن الاثير واتصلت العمارة من بولاق الى فم الخور ومن فم الخور الى حكر ابن الاثير وما برح فيه من مساكن الاكابر من الوزراء والاعيان ومن الدور العظيمة ما يتجاوز الوصف * وأما الزريبة فان الملك الناصر محمد بن قلاوون لما وهب البستان الذى كان بالميدان الظاهرى للامير قوصون انشأ قدامه على النيل زريبة ووقفها فعمر الناس هنالك حتى انتظمت العمارة من حكر ابن الاثير الى الزريبة وعمر هنالك حمام وسوق كبير وطواحين وعدة مساكن اتصلت باللوق * وأما زريبة السلطان فان الملك الناصر محمد بن قلاوون لما عمر ميدان المهارى المجاور لقناطر السباع الآن انشأ زريبة فى قبلى الجامع الطيبرسى

وحفر لاجل بناء هذه الزريبة البركة المعروفة الآن بالبركة الناصرية حتى استعمل طينها فى البناء وانشأ فوق هذه الزريبة دار وكالة وربعين عظيمين جعل أحدهما وقفا على الخانقاه التى انشأها بناحية سرياقوس وأنعم بالآخر على الامير بكتمر الساقى فانشأ الامير بكتمر بجواره حمامين احداهما برسم الرجال والاخرى برسم النساء فكثر بناء الناس فيما هنالك حتى اتصلت العمارة من بحرى الجامع الطيبرسى بزريبة قوصون وصار هنالك ازقة وشوارع ودروب ومساكن من وراء المناظر المطلة على النيل تتصل بالخليج واكثر الناس من البناء فى طريق الميدان السلطانى فصارت العمائر منتظمة من قناطر السباع الى الميدان من جهاته كلها وتنافس الناس فى تلك الاماكن وتغالوا فى اجرها وعمر المكين ابراهيم بن قزوينة ناظر الجيش فى قبلى زريبة السلطان حيث كان بستان الخشاب دارا جليلة وعمر أيضا صلاح الدين الكحال والصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام وعدة من الكتاب فقيل لهذه الخطة منشأة الكتاب وانشأ فيها الصاحب أمين الدين خانقاه بجوار داره وعمر أيضا كريم الدين الصغير حتى اتصلت العمارة بمنشأة المهرانى فصار ساحل النيل من خط دير الطين قبلى مدينة مصر الى منية الشيرج بحرى القاهرة مسافة لا تقصر عن ازيد من نصف بريد بكثير كلها منتظمة بالمناظر العظيمة والمساكن الجليلة والجوامع والمساجد والخوانك والحمامات وغيرها من البساتين لا تجد فيما بين ذلك خرابا البتة وانتظمت العمارة من وراء الدور المطلة على النيل حتى اشرفت على الخليج فبلغ هذا البر الغربى من وفور العمارة وكثرة الناس وتنافسهم فى الاقبال على اللذات وتأنقهم فى الانهماك فى المسرات ما لا يمكن وصفه ولا يتأتى شرحه حتى اذا بلغ الكتاب اجله وحدثت المحن من سنة ست وثمانمائة وتقلص ماء النيل عن البر الشرقى وكثرت حاجات الناس وضروراتهم وتساهل قضاة المسلمين فى الاستبدال فى الاوقاف وبيع نقضها اشترى شخص الربعين والحمامين ودار الوكالة التى ذكرت على زريبة السلطان بجوار الجامع الطيبرسى فى سنة سبع وثمانمائة وهدم ذلك كله وباع أنقاضه وحفر الاساسات واستخرج ما فيها من الحجر وعمله جيرا فنال من ذلك ربحا كثيرا وتتابع الهدم فى شاطئ النيل وباع الناس أنقاض الدور فرغب فى شرائها الامراء والاعيان وطلاب الفوائد من العامة حتى زال جميع ما هنالك من الدور العظيمة والمناظر الجليلة وصار الساحل من منشأة المهرانى الى قريب من بولاق كيمانا موحشة وخرائب مقفرة كأن لم تكن مغنى صبابات وموطن افراح وملعب أتراب ومرتع غزلان تفتن النساك هنالك وتعيد الحليم سفيها سنة الله فى الذين خلوا من قبل وانى اذا تذكرت ما صارت اليه انشد قول عبد الله بن المعتز

سلام على تلك المعاهد والربا * سلام وداع لا سلام قدوم

وصار بهذا العهد ما بين اول بولاق من قبليه الى أطراف جزيرة الفيل عامرا من غربيه المفضى الى النيل ومن شرقيه الذى ينتهى الى الخليج الا أن النيل قد نشأت فيه جزائر ورمال بعد بها الماء عن البر الشرقى وكثر العناء لبعده وفى كل عام تكثر الرمال و يبعد الماء عن البر ولله عاقبة الامور فهذا حال الجهة الغربية من ظواهر القاهرة فى ابتداء وضعها والى وقتنا هذا وبقى من ظواهر القاهرة الجهة القبلية والجهة البحرية وفيهما أيضا عدة أخطاط تحتاج الى شرح وتبيان والله تعالى أعلم بالصواب

* (ذكر خارج باب زويلة) *

اعلم أن خارج باب زويلة جهتان جهة تلى الخليج وجهة تلى الجبل فأما الجهة التى تلى الخليج فقد كانت عند وضع القاهرة بساتين كلها فيما بين القاهرة الى مصر وعندى فيما ظهر لى أن هذه الجهة كانت فى القديم غامرة بماء النيل وذلك انه لا خلاف بين أهل مصر قاطبة أن الاراضى التى هى من طين ابليز لا تكون الا من أرض ماء النيل فان أرض مصر تربة رملة سبخة وما فيها من الطين طرح يعلوها عند زيادة ماء النيل مما يحمله من البلاد الجنوبية من مسيل الاودية فلذلك يكون لون الماء عند الزيادة متغيرا فاذا مكث على الارض قعد ما كان فى الماء من الطين على الارض فسماه أهل مصر ابليز وعليه تزرع الغلال وغيرها وما لا يشمله ماء النيل من الارض لا يوجد فيه هذا الطين البتة وانت ان عرفت أخبار مصر بتأملك ما تضمنه هذا الكتاب ظهر لك أن موضع جامع عمرو ابن العاص رضى الله عنه كان كروما مشرفة على النيل وأن النيل انحسر بعد الفتح عما كان تجاه الحصن الذى يقال له قصر الشمع وعما هو الآن تجاه الجامع وما زال ينحسر شيأ بعد شئ حتى صار الساحل بمصر من عند سوق

المعاريج الآن الى قريب من السبع سقايات وجميع الاراضى التى فيها الآن المراغة خارج مصر الى نحو السبع سقايات ومايقابل ذلك من برّ الخليج الغربى كان غامرا بالماء كما تقدّم وكان فى الموضع الذى تجاه المشهد المعروف بزيد وتسميه العامة الآن مشهد زين العابدين بساتين شرقيها عند المشهد النفيسى وغربيها عند السبع سقايات منها بساتين عرفت بجنان بنى مسكين وعندها بنى كافور الاخشيدى داره على البركة التى تجاه الكبش وتعرف اليوم ببركة قارون ومنها بستان يعرف ببستان ابن كيسان ثم صار صاغة وهو الآن يعرف ببستان الطواشى ومنها بستان عرف آخرا بجنان الحارة وهو من حوض الدمياطى الذى بقرب قنطرة السدّ الآن الى السبع سقايات وبقرب السبع سقايات بركة الفيل ويشرف على بركة الفيل بساتين من دائرها والى وقتنا هذا عليها بستان يعرف بالحبانية وهم بطن من درما بن عمرو بن عوف بن ثعلبة بن سلامان بن بعل بن عمرو بن الغوث بن طى فدرما فخذ من طىّ والحبانيون بطن من درما وبستان الحبانية فصل الناس بينه وبين البركة بطريق تسلك فيها المارة وكان من شرقىّ بركة الفيل أيضا بساتين منها بستان سيف الاسلام فيما بين البركة والجبل الذى عليه الآن قلعة الجبل وموضعه الآن المساكن التى من جملتها درب ابن البابا الى زقاق حلب وحوض ابن هنس وعدّة بساتين أخر الى باب زويلة * وكذلك شقة القاهرة الغربية كانت أيضا بساتين فموضع حارة الوزيرية الى الكافورىّ كان ميدان الاخشيد وبجانب الميدان بستانه الذى يقال له اليوم الكافورى وماخرج عن باب الفتوح الى منية الاصبغ الذى يعرف اليوم بالخندق كان ذلك كله بساتين على حافة الخليج الشرقية وقد ذكرت هذه المواضع فى هذا الكتاب مبينة وعند التأمل يظهر أن الخليج الكبير عند ابتداء حفره كان أوّله اما عند مدينة عين شمس او من بحريها الاجل أن القطعة التى بجانب هذا الخليج من غربيه والقطعة التى هى بشرقيه فيما بين عين شمس وموردة الحلفاء خارج مدينة فسطاط مصر جميعهما طين ابليز والطين المذكور لا يكون الا من حيث يمر ماء النيل فتعين أن ماء النيل كان فى القديم على هذه الارض التى بجانبى الخليج فينتج أن أوّل الخليج كان عند آخر النيل من الجهة البحرية وينتهى الطين الى نحو مدينة عين شمس من الجانب الشرقىّ ويصير مابعد الخندق فى الجهة البحرية رملا لا طين فيه وهذا بين لمن تأمله وتدبره وفى هذه الجهة التى تلى الخليج خارج باب زويلة حارات قد ذكرت عند ذكر الحارات من هذا الكتاب وبقيت هنالك اشياء نحتاج أن نعرّف بها وهى * (حوض ابن هنس) * وهو حوض ترده الدواب وينقل اليه الماء من بئر وبه صارت تلك الخطة تعرف وهى تلى حارة حلب ويسلك اليها من جانبه وهو وقف الامير سعد الدين مسعود بن الامير بدر الدين هنس بن عبد الله أحد الحجاب الخاص فى أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب فى سلخ شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة وعمل بأعلاه مسجدا مرتفعا وساقية ماء على بئر معين ومات يوم السبت عاشر شوّال سنة سبع واربعين وستمائة ودفن بجوار الحوض وكان هذا الحوض قد تعطل فى عصرنا فجدده الامير تتر أحد الامراء الكبار فى الدولة المؤيدية فى سنة احدى وعشرين وثمانمائة ومات هنس أمير جندار السلطان الملك العزيز عثمان فى سنة احدى وتسعين وخمسمائة * (مناظر الكبش) * هذه المناظر آثارها الآن على جبل يشكر بجوار الجامع الطولونى مشرفة على البركة التى تعرف اليوم ببركة قارون عند الجسر الاعظم الفاصل بين بركة الفيل وبركة قارون انشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى اعوام بضع وأربعين وستمائة وكان حينئذ ليس على بركة الفيل بناء ولا فى المواضع التى فى برّ الخليج الغربى من قنطرة السباع الى المقس سوى البساتين وكانت الارض التى من صليبة جامع ابن طولون الى باب زويلة بساتين وكذلك الارض التى من قناطر السباع الى باب مصر بجوار الكبارة ليس فيها الا البساتين وهذه المناظر تشرف على ذلك كله من أعلى جبل يشكر وترى باب زويلة والقاهرة وترى باب مصر ومدينة مصر وترى قلعة الروضة وجزيرة الروضة وترى بحر النيل الاعظم وبرّ الجيزة فكانت من أجلّ منتزهات مصر وتأنق فى بنائها وسماها الكبش فعرفت بذلك الى اليوم ومازالت بعد الملك الصالح من المنازل الملوكية وبها نزل الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسىّ لما وصل من بغداد الى قلعة الجبل وبايعه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بالخلافة فأقام بها مدّة ثم تحوّل منها الى قلعة الجبل وسكن بمناظر الكبش أيضا الخليفة المستكفى بالله أبو الربيع سليمان فى اوّل خلافته وفيها أيضا كانت ملوك حماه من بنى أيوب تنزل عند قدومهم الى الديار المصرية وأوّل من نزل منهم فيها الملك المنصور

لما قدم على الملك الظاهر بيبرس فى المحرم سنة ثلاث وسبعين وستمائة ومعه ابنه الملك الافضل نور الدين على وابنه الملك المظفر تقى الدين محمود فعندما حل بالكبش أتاه الامير شمس الدين آق سنقر الفارقانى بالسماط فمدّه بين يديه ووقف كما يفعل بين يدى الملك الظاهر فامتنع الملك المنصور من الرضى بقيامه على السماط ومازال به حتى جلس ثم وصلت الخلع والمواهب اليه والى ولده وخواصه وفى سنة ثلاث وتسعين وستمائة انزل بهذه المناظر نحو ثلثمائة من مماليك الاشرف خليل بن قلاوون عندما قبض عليهم بعد قتل الاشرف المذكور ثم ان الملك الناصر محمد بن قلاوون هدم هذه المناظر المذكورة فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وبناها بناء آخر واجرى الماء اليها وجدّد بها عدّة مواضع وزاد فى سعتها وانشأ بها اصطبلا تربط فيه الخيول وعمل زفاف ابنته على ولد الامير أرغون نائب السلطنة بديار مصر بعد ما جهزها جهازا عظيما منه بشخاناه وداير بيت وستارات طرز ذلك بثمانين ألف مثقال ذهب مصرى سوى مافيه من الحرير وأجرة الصناع وعمل سائر الاوانى من ذهب وفضة فبلغت زنة الاوانى المذكورة ما ينيف على عشرة آلاف مثقال من الذهب وتناهى فى هذا الجهاز وبالغ فى الانفاق عليه حتى خرج عن الحد فى الكثرة فانها كانت اوّل بناته ولما انصب جهازها بالكبش نزل من قلعة الجبل وصعد الى الكبش وعاينه ورتبه بنفسه واهتم فى عمل العرس اهتماما ملوكيا وألزم الامراء بحضوره فلم يتأخر أحد منهم عن الحضور ونقط الامراء الاغانى على مراتبهم من اربعمائة دينار كل أمير الى مائتى دينار سوى الشقق الحرير واستمر الفرح ثلاثة أيام بلياليها فذكر الناس حينئذ انه لم يعمل فيما سلف عرس أعظم منه حتى حصل لكل جوقة من جوق الاغانى اللاتى كن فيه خمسمائة دينار مصرية ومائة وخمسون شقة حرير وكان عدة جوق الاغانى التى قسم عليهن ثمان جوق من اغانى القاهرة سوى جوق الاغانى السلطانية واغانى الامراء وعدتهن عشرون جوقة لم يعرف ما حصل لهذه العشرين جوقة من كثرة ما حصل ولما انقضت أيام العرس انعم السلطان لكل امرأة من نساء الامراء بتعبية قماش على مقدارها وخلع على سائر أرباب الوظائف من الامراء والكتاب وغيرهم فكان مهما عظيما تجاوز المصروف فيه حد الكثرة وسكن هذه المناظر أيضا الامير صرغتمش فى أيام السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون وعمر الباب الذى هو موجود الآن وبدنتى الحجر اللتين بجانبى باب الكبش بالحدرة ثم ان الامير يلبغا العمرى المعروف بالخاصكى سكنه الى أن قتل فى سنة ثمان وستين وسبعمائة فسكنه من بعده الامراء واستمر الى أن قبض عليه الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون وأمر بهدم الكبش فهدم واقام خرابا لاساكن فيه الى سنة خمس وسبعين وسبعمائة فحكره الناس وبنوا فيه مساكن وهو على ذلك الى اليوم * (خط درب ابن البابا) هذا الخط يتوصل اليه من تجاه المدرسة البندقدارية بجوار حمام الفارقانى ويسلك فيه الى خط واسع يشتمل على عدة مساكن جليلة ويتوصل منه الى الجامع الطولونى وقناطر السباع وغير ذلك وكان هذا الخط بستانا يعرف ببستان أبى الحسين بن مرشد الطائى ثم عرف ببستان تامش ثم عرف أخيرا ببستان سيف الاسلام طفتكين بن أيوب وكان يشرف على بركة الفيل وله دهاليز واسعة عليها جواسق تنظر الى الجهات الاربع ويقابله حيث الدرب الآن المدرسة البندقدارية ومافى صفها الى الصليبة بستان يعرف ببستان الوزير ابن المغربى وفيه حمام مليحة ويتصل ببستان ابن المغربى بستان عرف أخيرا ببستان شجر الدر وهو حيث الآن سكن الخلفاء بالقرب من المشهد النفيسى ويتصل ببستان شجر الدر بساتين الى حيث الموضع المعروف اليوم بالكبارة من مصر ثم ان بستان سيف الاسلام حكره أمير يعرف بعلم الدين الغتمى فبنى الناس فيه الدور فى الدولة التركية وصار يعرف بحكر الغتمى وهو الآن يعرف بدرب ابن البابا وهو الامير الجليل الكبير جنكلى بن محمد بن البابا بن جنكلى بن خليل بن عبد الله بدر الدين العجلى راس الميمنة وكبير الامراء الناصرية محمد بن قلاون بعد الامير جمال الدين نائب الكرك قدم الى مصر فى أوائل سنة أربع وسبعمائة بعد ما طلبه الملك الاشرف خليل بن قلاوون ورغبه فى الحضور الى الديار المصرية وكتب له منشورا باقطاع جيد وجهزه اليه فلم يتفق حضوره الا فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان مقامه بالقرب من آمد فاكرمه وعظمه واعطاه امرة ولم يزل مكرما معظما وفى آخر وقته بعد خروج الامير أرغون النائب من مصر كان السلطان يبعث اليه الذهب مع الامير بكتمر الساقى وغيره ويقول له لا تبس الارض على هذا ولا تنزله فى ديوانك وكان اوّلا يجلس رأس الميمنة ثانى نائب الكرك فلما سار نائب الكرك لنيابة طرابلس جلس الامير جنكلى رأس

الميمنه وزوج السلطان ابنه ابراهيم بن محمد بن قلاوون بابنة الامير بدر الدين ومازال معظما فى كل دولة بحيث ان الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون كتب له عنه الاتابكى الوالدى البدرى وزادت وجاهته فى أيامه الى أن مات يوم الاثنين سابع عشر ذى الحجة سنة ست وأربعين وسبعمائة وكان شكلا مليحا حليما كثير المعروف والجود عفيفا لا يستخدم مملوكا امرد البتة واقتصر من النساء على امرأته التى قدمت معه الى مصر ومنها اولاده وكان يحب العلم وأهله و يطارح بمسائل علمية و يعرف ربع العبادات و يجيده و يتكلم على الخلاف فيه ويميل الى الشيخ تقى الدين احمد بن تيمية و يعادى من يعاديه ويكرم أصحابه ويكتب كلامه مع كثرة الاحسان الى الناس بماله وجاهه وكان ينتسب الى ابراهيم بن أدهم وهو من محاسن الدولة التركية رحمه الله *(حكر الخازن) هذا المكان فيما بين بركة الفيل وخط الجامع الطولونى كان من جملة البساتين ثم صار اصطبلا للجوق الذى فيه خيول المماليك السلطانية فلما تسلطن الملك العادل كتبغا اخرج منه الخيول وعمله ميدانا يشرف على بركة الفيل فى سنة خمس وتسعين وستمائة ونزل اليه ولعب فيه بالاكرة أيام سلطنته كلها الى أن خلعه الملك المنصور لاجين وقام فى الملك من بعده فأهمل أمره وعمر فيه الامير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة بيتا فعرف من حينئذ بحكر الخازن وتبعه الناس فى البناء هنالك وأنشأوا فيه الدور الجليلة فصار من أجل الاخطاط وأعمرها واكثر من يسكن به الأمراء والمماليك *(سنجر الخازن) الامير علم الدين الاشرفى أحد مماليك الملك المنصور قلاوون وتنقل فى أيام ابنه الملك الاشرف خليل وصار أحد الخزان فعرف بالخازن ثم ولى شد الدواوين مع الصاحب أمين الدين وانتقل منها الى ولاية البهنسا ثم الى ولاية القاهرة وشد الجهات فباشر ذلك بعقل وسياسة وحسن خلق وقلة ظلم ومحبة للستر وتغافل عن مساوى الناس واقالة عثرات ذوى الهيآت مع العصبية والمعرفة وكثرة المال وسعة الحال واقتناء الاملاك الكثيرة ثم انه صرف عن ولاية القاهرة بالامير قدادار فى شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبعمائة فوجد الناس من عزله بقدادار شدة ومازال بالقاهرة الى أن مات ليلة السبت ثامن جمادى الاولى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة فوجد له أربعة عشر ألف أردب غلة عتيقة وأموال كثيرة وله من الآثار مسجد بناه فوق درب استجده بحكر الخازن وخانقاه بالقرافة دفن فيها عفا الله عنه *(ربع البزادرة) هذا الربع تحت قلعة الجبل بسوق الخيل عمر بعد سنة ثلاث عشرة وسبعمائة وكان مكانه لاعمارة فيه فبنى الاجناد بجواره عدة مساكن واستجدوا حكرين من جواره فامتدت العمائر الى تربة شجر الدر حيث كان البستان المعروف بشجر الدر وهنالك الآن سكن الخلفاء وامتدت العمائر من تربة شجر الدر الى المشهد النفيسى ومروا من تجاه المشهد بالعمائر الى أن اتصلت بعمائر مصر وباب القرافة *(خط قناطر السباع) كان هذا الخط فى اول الاسلام يعرف بالحمراء نزل فيه طائفة تعرف ببنى الازرق وبنى روبيل ثم دثرت هذه الخطة وبقيت صحراء فيها ديارات وكنائس للنصارى تعرف بكنائس الحمراء فلما زالت دولة بنى أمية ودخل أصحاب بنى العباس الى مصر فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة نزلوا فى هذه الخطة وعمروا بها فصارت تتصل بالعسكر وقد تقدم خبر العسكر فى هذا الكتاب فلما خرب العسكر وصار هذا المكان بساتين وغيرها الى أن حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون البركة الناصرية وانشأ ميدان المهارى والزريبة والربعين بجوار الجامع الطيبرسى على شاطئ النيل بنى الناس فى حكر أقبغا واتصلت العمائر من خط السبع سقايات وخط قناطر السباع حتى اتصلت بالقاهرة ومصر والقرافة وذلك كله من بعد سنة عشرين وسبعمائة *(بئر الوطاويط) هذه البئر أنشأها الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات المعروف بابن حترابه لينقل منها الماء الى السبع سقايات التى انشاها وحبسها لجميع المسلمين التى كانت بخط الحمراء وكتب عليها بسم الله الرحمن الرحيم لله الامر من قبل ومن بعد وله الشكر وله الحمد ومنه المن على عبده جعفر بن الفضل بن جعفر ابن الفرات وما وفقه له من البناء لهذه البئر وجريانها الى السبع سقايات التى أنشاها وحبسها لجميع المسلمين وحبسه وسبله وقفا مؤبدا لا يحل تغييره ولا العدول بشئ من مائه ولا ينقل ولا يبطل ولا يساق الا الى حيث مجراه الى السقايات المسبلة فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم وذلك فى سنة خمس وخمسين وثلثمائة وصلى الله على نبيه محمد وآله وسلم فلما طال الامر خربت السقايات والى اليوم يعرف موضعها بخط السبع سقايات وبنى فوق البئر المذكورة وتولد فيها كثير من الوطاويط فعرفت ببئر الوطاويط

ولما اكثر الناس من بناء الاماكن فى ايام الناصر محمد بن قلاون عمر هذا المكان وعرف الى اليوم بخط بئر الوطاويط وهو خط عامر فهذا اما فى جهة الخليج مما خرج عن باب زويلة * وأما جهة الجبل فانها كانت عند وضع القاهرة صحراء وأول من أعلم انه عمر خارج باب زويلة من هذه الجهة الصالح طلائع بن رزيك فانه انشأ الجامع الذى يقال له جامع الصالح ولم يكن بين هذا الجامع و بين هذا الشرف الذى عليه الآن قلعة الجبل بناء البتة الأن هذا الموضع الآن عمل الناس فيه مقبرة فيما بين جامع الصالح و بين هذا الشرف من حين بنيت الحارات خارج باب زويلة فلما عمرت قلعة الجبل عمر الناس بهذه الجهة شيأ بعد شئ ومابرح من بنى هنالك يجد عند الحفر رمم الاموات وقد صارت هذه الجهة فى الدولة التركية لاسيما بعد سنة ثلاث عشرة وسبعمائة من اعمر الاخطاط وانشأ فيها الامراء الجوامع والدور الملوكية وتجددت هنالك عدة اسواق وصار الشارع خارج باب زويلة يفصل بين هذه الجهة وبين الجهة التى من حد الخليج وكتاهاتين الجهتين الآن عامرة وفى جهة الجبل خط السبطيين وخط الدرب الاحمر وخط سوق الغنم وخط جامع الماردينى وخط التبانة وخط باب الوزير وخط المصنع وخط سويقة العزى وخط مدرسة الجاى وخط الرميلة وخط القيبات وخط باب القرافة

* (ذكر خارج باب الفتوح) *

اعلم أن خارج باب الفتوح الى الخندق كان كله بساتين وتمتد البساتين من الخندق بحافتى الخليج الى عين شمس فيقابل باب الفتوح من خارجه المنظرة المقدم ذكرها عند ذكر المناظر التى كانت للخلفاء من هذا الكتاب و يلى هذه المنظرة بستان كبير عرف بالبستان الجيوشى اوله من عند زقاق الكحل الى المطرية و يقابله فى بر الخليج الغربى بستان آخر يتوصل اليه من باب القنطرة و ينتهى الى الخندق وقد ذكر خبر هذين البستانين عند ذكر مناظر الخلفاء وكان بين هذين البستانين بستان الخندق وكان على حافة الخليج من شرقيه فيما بين زقاق الكحل و باب القنطرة حيث المواضع التى تعرف اليوم ببركة جناق وبالكداسين الى قريب من حارة بهاء الدين حارة تعرف بحارة البازرة اختطت فى نحو من سنة عشرين وخمسمائة وكانت مناظرها تشرف على الخليج و بجوارها بستان مختار الصقلبى وعرف بعد ذلك ببستان ابن صيرم الذى حكر و بنيت فيه المساكن الكثيرة بعد ذلك وكان أيضا خارج باب الفتوح حارة الحسينية وهم الريحانية احدى طوائف عسكر الخلفاء الفاطميين وهذه الحارة اختطت بعد الشدة العظمى التى كانت بمصر فى خلافة المستنصر فصارت على يمين من خرج من باب الفتوح الى صحراء الهليلج و يقابلها حارة أخرى تنتهى الى بركة الارمن التى عند الخندق وتعرف اليوم ببركة قراجا وقد ذكرت هذه الحارات عند ذكر حارات القاهرة وظواهرها من هذا الكتاب

* (ذكر الخندق) *

هذا الموضع قرية خارج باب الفتوح كانت تعرف اولا بمنية الاصبغ ثم لما اختط القائد جوهر القاهرة أمر المغاربة أن يحفروا خندقا من جهة الشام من الجبل الى الابليز عرضه عشرة اذرع فى عمق مثلها فبدئ به يوم السبت حادى عشرى شعبان سنة ستين وثلثمائة وفرغ فى ايام يسيرة وحفر خندقا آخر قدامه وعمقه ونصب عليه باب يدخل منه وهو الباب الذى كان على ميدان البستان الذى للاخشيد وقصد أن يقاتل القرامطة من وراء هذا الخندق فقيل له من حينئذ الخندق وخندق العبيد والحفرة ثم صار بستانا جليلا من جملة البساتين السلطانية فى أيام الخلفاء الفاطميين وأدركناها من متنزهات القاهرة البهجة الى أن خربت * قال ابن عبد الحكم وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد اقطع ابن سندر منية الاصبغ فحاز لنفسه منها ألف فدان كما حدثنا يحيى بن خالد عن الليث بن سعد رضى الله عنه ولم يبلغنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه اقطع أحدا من الناس شيأ من أرض مصر الا ابن سندر فانه اقطعه منية الاصبغ فلم تزل له حتى مات فاشتراها الاصبغ بن عبد العزيز من ورثته فليس بمصر قطيعة اقدم منها ولا افضل وكان سبب اقطاع عمر رضى الله عنه ما اقطعه من ذلك كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده انه كان لزنباع بن روح الجذامى غلام يقال له سندر فوجده يقبل جارية له فجبه وجدع انفه واذنه فاتى سندر رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى زنباع فقال لا تحملوهم من العمل ما لا يطيقون وأطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون فان رضيتم

فامسكوا

فأمسكوا وان كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله ومن مثل به أو أحرق بالنار فهو حرّ وهو مولى الله ورسوله فأعتق سندر فقال أوص بي يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصى بك كل مسلم فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى سندر أبا بكر رضى الله عنه فقال احفظ فىّ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاله أبو بكر رضى الله عنه حتى توفى ثم أتى عمر رضى الله عنه فقال احفظ فىّ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضى الله عنه نعم ان رضيت أن تقيم عندى اجريت عليك ما كان يجرى عليك أبو بكر رضى الله عنه والا فانظر أىّ موضع اكتب لك فقال سندر مصر لانها أرض ريف فكتب له الى عمرو بن العاص احفظ فيه وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم الى عمرو رضى الله عنه أقطع له ارضا واسعة ودارا فجعل سندر يعيش فيها فلما مات قبضت فى مال الله تعالى قال عمرو بن شعيب ثم اقطعها عبد العزيز بن مروان الاصبغ بعد فهى من خير أموالهم قال ويقال سندر وابن سندر وقال ابن يونس مسروح بن سندر الخصىّ مولى زنباع بن روح بن سلامة الجذامىّ يكنى أبا الاسود له صحبة قدم مصر بعد الفتح بكتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالوصاة فأقطع منية الاصبغ بن عبد العزيز روى عنه أهل مصر حديثين روى عنه مزيد بن عبد الله البزنىّ وربيعة بن لقيط التجيبىّ ويقال سندر الخصىّ وابن سندر أثبت توفى بمصر فى أيام عبد العزيز ابن مروان ويقال كان مولاه وجده يقبل جارية له فجبه وجدع انفه واذنيه فأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا ذلك اليه فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زنباع فقال لا تحملوهم يعنى العبيد ما لا يطيقون أطعموهم مما تأكلون فذكر الحديث بطوله وذكر عن عثمان بن سويد بن سندر أنه ادرك مسروح بن سندر الذى جدعه زنباع بن روح وكان جدّه لامّه فقال كان ربما تغدّى معى بموضع من قرية عثمان واسمها سمسم وكان لابن سندر الى جانبها قرية يقال لها قلون قطيعة وكان له مال كثير من رقيق وغير ذلك وكان ذا دهاء منكرا جسيما وعمر حتى ادرك زمان عبد الملك بن مروان وكان لروح بن سلامة ابى زنباع فورثه أهل التعدد بروح يوم مات وقال القضاعىّ مسروح بن سندر الخصىّ ويكنى أبا الاسود له صحبة ويقال له سندر دخل مصر بعد الفتح سنة اثنتين وعشرين وقال الكندىّ فى كتاب الموالى قال أقبل عمرو بن العاص رضى الله عنه يوما يسير وابن سندر معه فكان ابن سندر ونفر معه يسيرون بين يدى عمرو بن العاص رضى الله عنه وأثاروا الغبار فجعل عمرو عمامته على طرف انفه ثم قال اتقوا الغبار فانه اوشك شئ دخولا وأبعده خروجا واذا وقع على الرئة صار نسمة فقال بعضهم لاولئك النفر تنحوا ففعلوا الا ابن سندر فقيل له ألا تتنحى يا ابن سندر فقال عمرو دعوه فان غبار الخصى لا يضرّ فسمعها ابن سندر فغضب وقال أما والله لو كنت من المؤمنين ما آذيتنى فقال عمرو يغفر الله لك انا بحمد الله من المؤمنين فقال ابن سندر لقد علمت انى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوصى بى فقال اوصى بك كل مؤمن * وقال ابن يونس اصبغ بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم يكنى أبا ريان حكى عنه أبو حبرة عبد الله بن عباد المغافرىّ وعون بن عبد الله وغيره توفى ليلة الجمعة لاربع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست وثمانين قبل أبيه وقال أبو الفرج علىّ بن الحسين الاصبهانىّ فى كتاب الاغانى الكبير عن الرياشىّ انه قال عن سكينة بنت الحسين بن علىّ بن أبى طالب عليهم السلام ان أباها عذرتها عبد الله بن الحسن بن علىّ ثم خلفه عليها العثمانى ثم مصعب بن الزبير ثم الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان قال وكان يتولى مصر فكتبت اليه سكينة ان مصر ارض وخمة فبنى لها مدينة تسمى بمدينة الاصبغ وبلغ عبد الملك تزوّجه اياها فنفس بها عليه وكتب اليه اختر مصر او سكينة فبعث اليه بطلاقها ولم يدخل بها ومتعها بعشرين ألف دينار قلت فى هذا الخبر أوهام منها أن الاصبغ لم يل مصر وانما كان مع أبيه عبد العزيز بن مروان ومنها أن الذى بناه الاصبغ لسكينة منية الاصبغ هذه وليست مدينة ومنها أن الاصبغ لم يطلق سكينة وانما مات عنها قبل أن يدخل عليها وقال ابن زولاق فى كتاب اتمام كتاب الكندىّ فى أخبار امراء مصر وفى شوّال يعنى من سنة ستين وثلثمائة كثر الارجاف بوصول القرامطة الى الشام ورئيسهم الحسن بن محمد الاعسم وفى هذا الوقت ورد الخبر بقتل جعفر بن فلاح قتله القرامطة بدمشق ولما قتل ملكت القرامطة دمشق وصاروا الى الرملة فانحاز معاذ بن حيان الى يافا متحصنا بها وفى هذا الوقت تأهب جوهر القائد لقتال القرامطة وحفر خندقا وعمل عليه بابا ونصب عليه بابى الحديد اللذين كانا على ميدان الاخشيد وبنى القنطرة على الخليج وحفر خندق السرى بن

قوله وكان لروح الخ هكذا فى النسخ وفى بعضها اهل التعدد بالتحتية وانظر ما معنى هذه العبارة اه

الحكم وفرّق السلاح على رجال المغاربة والمصريين ووكل بأبى الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات خادما يبيت معه فى داره ويركب معه حيث كان وأنفذ الى ناحية الحجاز فتعرّف خبر القرامطة وفى ذى الحجة كبس القرامطة القلزم وأخذوا والیها ثم دخلت سنة احدى وستين وثلثمائة وفى المحرّم بلغت القرامطة عين شمس فاستعدّ جوهر للقتال لعشر بقين من صفر وغلق أبواب الطابية وضبط الداخل والخارج وأمر الناس بالخروج اليه وأن يخرج الاشراف كلهم فخرج اليه أبو جعفر مسلم وغيره بالمضارب وفى مستهلّ ربيع الاوّل التحم القتال مع القرامطة على باب القاهرة وكان يوم جمعة فقتل من الفريقين جماعة وأسر جماعة وأصبحوا يوم السبت متكافئين ثم غدوا يوم الاحد للقتال وسار الحسن الاعصم بجميع عساكره ومشى للقتال على الخندق والباب مغلق فلما زالت الشمس فتح جوهر الباب واقتتلوا قتالا شديدا وقتل خلق كثير ثم ولى الاعصم منهزما ولم يتبعه القائد جوهر ونهب سواد الاعصم بالجب ووجدت صناديقه وكتبه وانصرف فى الليل على طريق القلزم ونهب بنو عقيل وبنو طى كثيرا من سواده وهو مشغول بالقتال وكان جميع ما جرى على القرمطى بتدبير جوهر وجوائز انفذها ولو أراد أخذ الاعصم فى انهزامه لاخذه ولكن الليل حجز فكره جوهر اتباعه خوفا من الحيلة والمكيدة وحضر القتال خلق من رعية مصر وأمر جوهر بالنداء فى المدينة من جاء بالقرمطى أو برأسه فله ثلثمائة ألف درهم وخمسون خلعة وخمسون سرجا محلى على دوابها وثلاث جوائز ومدح بعضهم القائد جوهرا بأبيات منها

كان طراز النصر فوق جبينه * يلوح وارواح الورى بيمينه

ولم يتفق على القرامطة منذ ابتداء أمرهم كسرة أقبح من هذه الكسرة ومنها فارقهم من كان قد اجتمع اليهم من الكافورية والاخشيدية فقبض جوهر على نحو الالف منهم وجعلهم مقيدين وقال ابن زولاق فى كتاب سيرة الامام المعز لدين الله ومن خطه نقلت و فى هذا الشهر يعنى المحرّم سنة ثلاث وستين وثلثمائة تبسطت المغاربة فى نواحى القرافة والمغافر وما قاربها فنزلوا فى الدور وأخرجوا الناس من دورهم ونقلوا السكان وشرعوا فى السكنى فى المدينة وكان المعز قد أمرهم أن يسكنوا أطراف المدينة فخرج الناس واستغاثوا بالمعز فأمرهم أن يسكنوا نواحى عين شمس وركب المعز بنفسه حتى شاهد المواضع التى ينزلون فيها وأمر لهم بمال يبنون به وهو الموضع الذى يعرف اليوم بالخندق والحفرة وخندق العبيد وجعل لهم واليا وقاضيا ثم سكن اكثرهم بالمدينة مخالطين لاهل مصر ولم يكن القائد جوهر يبيحهم سكنى المدينة ولا المبيت بها وحظر ذلك عليهم وكان مناديه ينادى كل عشية لايبيتنّ أحد فى المدينة من المغاربة وقال ياقوت منية الاصبغ تنسب الى الاصبغ ابن عبد العزيز بن مروان ولا يعرف اليوم بمصر موضع يعرف بهذا الاسم وزعموا انها القرية المعروفة بالخندق قريبا من شرقى القاهرة وقال ابن عبد الظاهر الخندق هو منية الاصبغ وهو الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان قال مؤلفه رحمه الله وقد وهم ابن عبد الظاهر فجعل أن الخندق احتفره العزيز بالله وانما احتفره جوهر كما تقدّم وأدركت الخندق قرية لطيفة يبرز الناس من القاهرة اليها ليتنزهوا بها فى أيام النيل والربيع ويسكنها طائفة كبيرة وفيها بساتين عامرة بالنخيل الفخر والثمار وبها سوق وجامع تقام به الجمعة وعليه قطعة أرض من أرض الخندق يتولاها خطيبه فلما كانت الحوادث والمحن من سنة ست وثمانمائة خربت قرية الخندق ورحل أهلها منها ونقلت الخطبة من جامعه الى جامع بالحسينية وبقى معطلا من ذكر الله تعالى واقامة الصلاة مدّة ثم فى شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة هدمه الامير طوغان الدوادار وأخذ عمده وخشبه فلم يبق الا بقية أطلاله وكانت قرية الخندق كأنها من حسنها ضرّة لكوم الريش وكانت تجاهها من شرقيها الخرب جميعا * (صحراء الاهليلج) هذه البقعة شرقى الخندق فى الرمل واليها كانت تنتهى عمارة الحسينية من جهة باب الفتوح وكان بها شجر الاهليلج الهندى فعرفت بذلك وأظن أن هذا الاهليلج كان من جملة بستان ريدان الذى يعرف اليوم موضعه بالريدانية

(ذكر خارج باب النصر)

أما خارج القاهرة من جهة باب النصر فانه عندما وضع القائد جوهر القاهرة كان فضاء ليس فيه سوى مصلى العيد الذى بناه جوهر وهذا المصلى اليوم يصلى على من مات فيه ومابرح ما بين هذا المصلى و بستان ريدان الذى يعرف اليوم بالريدانية لاعمارة فيه الى أن مات أمير الجيوش بدر الجمالى فى سنة سبع وثمانين

واربعمائة

وار بعمائة فدفن خارج باب النصر بحرى المصلى وبنى على قبره تربة جليلة وهى باقية الى اليوم هنالك فتتابع بناء الترب من حينئذ خارج باب النصر فيما بين التربة الجيوشية والريدانية وقبر الناس موتاهم هنالك لاسيما أهل الحارات التى عرفت خارج باب الفتوح بالحسينية وهى الريدانية وحارة البزادرة وغيرها ولم تزل هذه الجهة مقبرة الى مابعد السبعمائة بعدّة فرغب الاميرسيف الدين الحاج ال ملك فى البناء هنالك وانشأ الجامع المعروف به فى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وعمر دارا وحماما فاقتدى الناس به وعمروا هنالك وكان قد بنى تجاه المصلى قبل ذلك الاميرسيف الدين كهرداس المنصورى دارا تعرف اليوم بدار الحاجب فسكن فى هذه الجهة امراء الدولة وعملوا فيما بين الريدانية والخندق مناخات الجمال وهى باقية هنالك فصارت هذه الجهة فى غاية العمارة وفيها من باب النصر الى الريدانية سبعة اسواق جليلة يشتمل كل سوق منها على عدّة حوانيت كثيرة فمنها سوق اللفت وهو تجاه باب بيت الحاجب الآن عند البئر كان فيه من جانبيه حوانيت يباع فيها اللفت ومن هذا السوق يشترى أهل القاهرة هذا الصنف والكرنب وتعرف هذه البئر الى اليوم ببئر اللفت ويليها سويقة زاوية الخدام وادركت بهذه السويقة بقية صالحة ويلى ذلك سوق جامع ال ملك وكان سوقا عامرا فيه غالب مايحتاج اليه من المآكل والادوية والفواكه والخضر وغيرها وأدركته عامرا ويليه سويقة السنابطة عرفت بقوم من أهل ناحية سنباط سكنوا بها وكانت سوقا كبيرا وأدركته عامرا ويليها سويقة أبى ظهير وادركتها عامرة ويليها سويقة العرب وكانت تتصل بالريدانية وتشتمل على حوانيت كثيرة جدا أدركتها عامرة وليس فيها اسكان وكانت كلها من لبن معقود عقودا وكان باول سويقة العرب هذه فرن ادركته عامرا آهلا بلغنى انه كان يخبز فيه أيام عمارة هذا السوق وماحوله كل يوم نحو السبعة آلاف رغيف وكان من وراء هذا السوق احواش فيها قباب معقودة من لبن ادركتها قائمة وليس فيها سكان وكان من جملة هذه الاحواش حوش فيه اربعمائة قبة يسكن فيها البزادرة والمكارية اجرة كل قبة درهمان فى كل شهر فيتحصل من هذا الحوش فى كل شهر مبلغ ثمانمائة درهم فضة وكان يعرف بحوش الاحدى فلما كان الغلاء فى زمن الملك الاشرف شعبان ابن حسين سنة سبع وسبعين وسبعمائة خرب كثير مما كان بالقرب من الريدانية واختلت احوال هذه الجهة الى أن كانت المحن من سنة ست وثمانمائة فتلاشت وهدمت دورها وبيعت أنقاضها وفيها بقية آئلة الى الدثور

(الريدانية)

كانت بستانا لريدان الصقلبى أحد خدام العزيز بالله نزار بن المعز كان يحمل المظلة على رأس الخليفة واختص بالحاكم ثم قتله فى يوم الثلاثاء لاعشر بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وريدان ان كان اسما عربيا فانه من قولهم ريح ريدة وررادة وريدانة أى لينة الهبوب وقيل ريح ريدة كثيرة الهبوب

(ذكر الخلجان التى بظاهر القاهرة)

اعلم أن الخليج جمعه خلجان وهو نهر صغير يختلج من نهر كبير او من بحر وأصل الخلج الانتزاع خلجت الشئ من الشئ اذا انتزعته وبأرض مصر عدّة خلجان منها بظاهر القاهرة خليج مصر وخليج فم الخور وخليج الذكر والخليج الناصرى وخليج قنطرة الفخر وسترى من أخبارها مافيه كفاية ان شاء الله تعالى

(ذكر خليج مصر)

هذا الخليج بظاهر مدينة فسطاط مصر ويمرّ من غربى القاهرة وهو خليج قديم احتفره بعض قدماء ملوك مصر بسبب هاجر أم اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله وسلامه عليهما حين اسكنها وابنها اسماعيل خليل الله ابراهيم عليهما الصلاة والسلام بمكة ثم تمادت الدهور والاعوام فجدّد حفره ثانيا بعض من ملك مصر من ملوك الروم بعد الاسكندر فلما جاء الله سبحانه بالاسلام وله الحمد والمنة وفتحت أرض مصر على يد عمرو ابن العاص جدّد حفره باشارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى عام الرمادة وكان يصب فى بحر القلزم فتسير فيه السفن الى البحر الملح وتمرّ فى البحر الى الحجاز واليمن والهند ولم يزل على ذلك الى أن قدم محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب بالمدينة النبوية والخليفة حينئذ بالعراق أبو جعفر عبد الله بن محمد المنصور فكتب الى عامله على مصر يأمره بطم خليج القلزم حتى لا تحمل الميرة من مصر الى المدينة فطمه وانقطع

من حينئذ اتصاله ببحر القلزم وصار على ما هو عليه الآن وكان هذا الخليج أولا يعرف بخليج مصر فلما أنشأ جوهر القائد القاهرة بجانب هذا الخليج من شرقيه صار يعرف بخليج القاهرة وكان يقال له أيضا خليج أمير المؤمنين يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه لانه الذي اشار بتجديد حفره والآن تسميه العامة بالخليج الحاكمي وتزعم أن الحاكم بأمر الله أبا علي منصورا احتفره وليس هذا بصحيح فقد كان هذا الخليج قبل الحاكم بعدد متطاولة ومن العامة من يسميه خليج اللؤلؤة أيضا * وسأقص عليك من أخبار هذا الخليج ما وقفت عليه من الانباء * قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه في أخبار طيطوس بن ماليا بن كلكن بن خربتا بن ماليق بن تدراس بن صابن مرقونس بن صابن قبطيم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح وجلس على سرير الملك بعد أبيه ماليا وكان جبارا جريئا شديد الباس مهابا فدخل عليه الاشراف وهنوه ودعوا له فأمرهم بالاقبال على مصالحهم وما يعنيهم ووعدهم بالاحسان والقبط تزعم انه أول الفراعنة بمصر وهو فرعون ابراهيم عليه السلام وان الفراعنة سبعة هو أولهم وأنه استخف بأمر الهياكل والكهنة وكان من خبر ابراهيم عليه السلام معه أن ابراهيم لما فارق قومه اشفق من المقام بالشام لئلا يتبعه قومه ويردوه الى النمرود لانه كان من أهل كوثا من سواد العراق فخرج الى مصر ومعه سارة امرأته وترك لوطا بالشام وسار الى مصر وكانت سارة احسن نساء وقتها ويقال ان يوسف عليه السلام ورث جزأ من جمالها فلما سار الى مصر رأى الحرس المقيمون على أبواب المدينة سارة فعجبوا من حسنها ورفعوا خبرها الى طيطوس الملك وقالوا دخل الى البلد رجل من أهل الشرق معه امرأة لم ير احسن منها ولا اجمل فوجه الملك الى وزيره فأحضر ابراهيم صلوات الله عليه وسأله عن بلده فأخبره وقال ما هذه المرأة منك فقال اختي فعرف الملك بذلك فقال مره أن يجيئني بالمرأة حتى أراها فعرفه ذلك فاستغص منه ولم تمكنه مخالفته وعلم أن الله تعالى لا يسوؤه في أهله فقال لسارة قومي الى الملك فانه قد طلبك مني قالت وما يصنع بي الملك وما رآني قبل قال أرجو أن يكون لخير فقامت معه حتى أتوا قصر الملك فأدخلت عليه فنظر منها منظرا راعه وفتنته فأمر باخراج ابراهيم عليه السلام فأخرج وندم على قوله انها اخته وانما أراد انها اخته في الدين ووقع في قلب ابراهيم عليه السلام ما يقع في قلب الرجل على أهله وتمنى انه لم يدخل مصر فقال اللهم لا تفضح نبيك في أهله فراودها الملك عن نفسها فامتنعت عليه فذهب ليمد يده اليها فقالت انك ان وضعت يدك علي اهلكت نفسك لان لي ربا يمنعني منك فلم يلتفت الى قولها ومد يده اليها فجفت يده وبقي حائرا فقال لها أزيلي عني ما قد أصابني فقالت على أن لا تعاود مثل ما أتيت قال نعم فدعت الله سبحانه وتعالى فزال عنه ورجعت يده الى حالها فلما وثق بالصحة راودها ومناها ووعدها بالاحسان فامتنعت وقالت قد عرفت ما جرى ثم مد يده اليها فجفت وضربت عليه اعضاؤه وعصبه فاستغاث بها وأقسم بالآلهة انها ان أزالت عنه ذلك فانه لا يعاودها فسألت الله تعالى فزال عنه ذلك ورجع الى حاله فقال ان لك لربا عظيما لا يضيعك فأعظم قدرها وسألها عن ابراهيم فقالت هو قريبي وزوجي قال فانه قد ذكر انك اخته قالت صدق انا اخته في الدين وكل من كان على ديننا فهو أخ لنا قال نعم الدين دينكم ووجه بها الى ابنته حوريا وكانت من الكمال والعقل بمكان كبير فألقى الله تعالى محبة سارة في قلبها فكانت تعظمها وأضافتها أحسن ضيافة ووهبت لها جوهرا ومالا فأتت به ابراهيم عليه السلام فقال لها رديه فلا حاجة لنا به فردته وذكرت ذلك حوريا لابيها فعجب منهما وقال هذا كريم من أهل بيت الطهارة فتحيلي في برهما بكل حيلة فوهبت لها جارية قبطية من أحسن الجواري يقال لها آجر وهي هاجر أم اسماعيل عليه السلام وجعلت لها سلالا من الجلود وجعلت فيها زادا وحلاوى وقالت يكون هذا الزاد معك وجعلت تحت الحلاوى جوهرا نفيسا وحليا مكللا فقالت سارة اشاور صاحبي فأتت ابراهيم عليه السلام واستأذنته فقال اذا كان مأكولا فخذيه فقبلته منها وخرج ابراهيم فلما مضى وأمعنوا في السير اخرجت سارة بعض تلك السلال فأصابت الجوهر والحلي فعرفت ابراهيم عليه السلام ذلك فباع بعضه وحفر من ثمنه البئر التي جعلها للسبيل وفرق بعضه في وجوه البر وكان يضيف كل من مر به وعاش طيطوس الى أن وجهت هاجر من مكة تعرفه انها بمكان جدب وتستغيثه فأمر بحفر نهر في شرقي مصر بسفح الجبل حتى ينتهي الى مرقى السفن في البحر الملح فكان يحمل اليها الحنطة واصناف الغلات فتصل الى جدة وتحمل من هناك على المطايا فأحيى بلد الحجاز مدة ويقال انما حليت الكعبة في ذلك العصر بما اهداه ملك مصر

وقيل انه لكثرة ما كان يحمله طوطيس الى الحجاز سمته العرب وجرهم الصادوق ويقال انه سأل ابراهيم عليه السلام أن يبارك له فى بلده فدعا بالبركة لمصر وعرّفه أن ولده سيملكها ويصير أمرها اليهم قرنا بعد قرن * وطوطيس اوّل فرعون كان بمصر وذلك انه اكثر من القتل حتى قتل قراباته وأهل بيته وبنى عمه وخدمه ونساءه وكثيرا من الكهنة والحكماء وكان حريصا على الولد فلم يرزق ولدا غير ابنته جوريا أو جورياق وكانت حكيمة عاقلة تأخذ على يده كثيرا وتمنعه من سفك الدماء فأبغضته ابنته وأبغضه جميع الخاصة والعامة فلما رأت أمره يزيد خافت على ذهاب ملكهم فسمته وهلك وكان ملكه سبعين سنة واختلفوا فيمن يملك بعده وأرادوا أن يقيموا احدا من ولد اتريب فقام بعض الوزراء ودعا لجورياق فتم لها الامر وملكت فهذا كان اوّل أمر هذا الخليج * ثم حفره مرّة ثانية ادريان قيصر أحد ملوك الروم ومن الناس من يسميه اندرويانوس ومنهم من يقول هوريانوس قال فى تاريخ مدينة رومة وولى الملك ادريان قيصر أحد ملوك الروم وكانت ولايته احدى وعشرين سنة وهو الذى درس اليهود مرّة ثانية اذ كانوا راموا النفاق عليه وهو الذى جدّد مدينة يروشالم يعنى مدينة القدس وأمر بتبديل اسمها وأن تسمى ايليا وقال علماء أهل الكتاب عن ادريان هذا وغزا القدس وأخربه فى الثانية من ملكه وكان ملكه فى سنة تسع وثلاثين واربعمائة من سنى الاسكندر وقتل عامة أهل القدس وبنى على باب مدينة القدس منارا وكتب عليه هذه مدينة ايليا ويسمى موضع هذا العمود الآن محراب داود ثم سار من القدس الى بابل فحارب سلكها وهزمه وعاد الى مصر فحفر خليجا من النيل الى بحر القلزم وسارت فيه السفن وبقى رسمه عند الفتح الاسلامىّ فحفره عمرو بن العاص وأصاب أهل مصر منه شدائد وألزمهم بعبادة الاصنام ثم عاد الى بلاده بممالك الروم فابتلى بمرض اعيى الاطباء فخرج يسير فى البلاد يبتغى من يداويه فمرّ على بيت المقدس وكان خرابا ليس فيه غير كنيسة للنصارى فأمر ببناء المدينة وحصنها واعاد اليها اليهود فأقاموا بها وملكوا عليهم رجلا منهم فبلغ ذلك ادريان قيصر فبعث اليهم جيشا لم يزل يحاصرهم حتى مات اكثرهم جوعا وعطشا وأخذها عنوة فقتل من اليهود مالا يحصى كثرة وأخرب المدينة حتى صارت تلالا لا عامر فيها البتة وتتبع اليهود يريد أن لا يدع منهم على وجه الارض أحدا ثم أمر طائفة من اليونانيين فتحوّلوا الى مدينة القدس وسكنوا فيها فكان بين خراب القدس الخراب الثانى على يد طيطوس وبين هذا الخراب ثلاث وخمسون سنة فعمرت القدس باليونان ولم يزل قيصر هذا ملكا حتى مات فهذا خبر حفر هذا الخليج فى المرّة الثانية فلما جاء الاسلام جدّد عمرو بن العاص حفره * قال ابن عبد الحكم ذكر حفر خليج أمير المؤمنين رضى الله عنه حدّثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد قال ان الناس بالمدينة أصابهم جهد شديد فى خلافة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سنة الرمادة فكتب رضى الله عنه الى عمرو بن العاص وهو بمصر من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى العاصى ابن العاصى سلام أما بعد فلعمرى يا عمرو ما تبالى اذا شبعت انت ومن معك أن اهلك انا ومن معى فياغوثاه ثم ياغوثاه يردّد ذلك فكتب اليه عمرو من عبد الله عمرو بن العاص الى أمير المؤمنين أما بعد فيالبيك ثم يالبيك قد بعثت اليك بعير أوّلها عندك وآخرها عندى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته فبعث اليه بعير عظيمة فكان اوّلها بالمدينة وآخرها بمصر يتبع بعضها بعضا فلما قدمت على عمر رضى الله عنه وسع بها على الناس ودفع الى أهل كل بيت بالمدينة وما حولها بعيرا بما عليه من الطعام وبعث عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوّام وسعد بن أبى وقاص يقسمونها على الناس فدفعوا الى اهل كل بيت بعيرا بما عليه من الطعام ليأكلوا الطعام ويأتدموا بلحمه ويحتذوا بجلده وينتفعوا بالوعاء الذى كان فيه الطعام فيما أرادوا من لحاف او غيره فوسع الله بذلك على الناس فلما رأى ذلك عمر رضى الله عنه حمد الله وكتب الى عمرو بن العاص أن يقدم عليه هو وجماعة من أهل مصر معه فقدموا عليه فقال عمر يا عمرو ان الله قد فتح على المسلمين مصر وهى كثيرة الخير والطعام وقد القى فى روعى لما احببت من الرفق باهل الحرمين والتوسعة عليهم حين فتح الله عليهم مصر وجعلها قوّة لهم ولجميع المسلمين أن احفر خليجا من نيلها حتى يسيل فى البحر فهو أسهل لما نريد من حمل الطعام الى المدينة ومكة فان حمله على الظهر يبعد ولا نبلغ به ما نريد فانطلق انت وأصحابك فتشاوروا فى ذلك حتى يعتدل فيه رأيكم فانطلق عمرو فأخبر من كان معه من أهل مصر فثقل ذلك عليهم وقالوا نتخوّف أن يدخل من هذا ضرر على مصر فنرى أن تعظم ذلك على أمير المؤمنين وتقول له ان هذا أمر لا يعتدل ولا يكون ولا نجد اليه سبيلا فرجع عمرو بذلك الى عمر فضحك عمر رضى الله عنه حين رآه وقال

والذى نفسى بيده لكأنى انظر اليك يا عمرو والى أصحابك حين اخبرتهم بما أمرناك به من حفر الخليج فثقل ذلك عليهم وقالوا يدخل من هذا ضرر على أهل مصر فترى أن تعظم ذلك على أمير المؤمنين وتقول له ان هذا أمر لا يعتدل ولا يكون ولا نجد اليه سبيلا فعجب عمرو من قول عمر وقال صدقت والله يا امير المؤمنين لقد كان الامر على ماذكرت فقال له عمر رضى الله عنه انطلق بعزيمة منى حتى تجد فى ذلك ولا يأتى عليك الحول حتى تفرغ منه ان شاء الله تعالى فانصرف عمرو وجمع لذلك من الفعلة ما بلغ منه ما أراد ثم احتفر الخليج فى حاشية الفسطاط الذى يقال له خليج أمير المؤمنين فساقه من النيل الى القلزم فلم يأت الحول حتى جرت فيه السفن فحمل فيه ما اراد من الطعام الى المدينة ومكة فنفع الله بذلك أهل الحرمين وسمى خليج امير المؤمنين ثم لم يزل يحمل فيه الطعام حتى حمل فيه بعد عمر بن عبد العزيز ثم ضيعه الولاة بعد ذلك فترك وغلب عليه الرمل فانقطع فصار منتهاه الى ذنب التمساح من ناحية بطحاء القلزم قال ويقال ان عمر رضى الله عنه قال لعمرو حين قدم عليه يا عمرو ان العرب قد تشاءمت بى وكادت أن تغلب على رحلى وقد عرفت الذى اصابها وليس جند من الاجناد ارجى عندى أن يغيث الله بهم أهل الحجاز من جندك فان استطعت أن تحتال لهم حيلة حتى يغيثهم الله تعالى فقال عمرو ماشئت يا أمير المؤمنين قد عرفت انه كانت تأتينا سفن فيها تجار من أهل مصر قبل الاسلام فلما فتحنا مصر انقطع ذلك الخليج واستد وتركه التجار فان شئت أن نحفره فننشئ فيه سفنا يحمل فيها الطعام الى الحجاز فعلته فقال عمر رضى الله عنه نعم فافعل فلما خرج عمرو من عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذكر ذلك لرؤساء أهل أرضه من قبط مصر فقالوا له ماذا جئت به اصلح الله الامير تريد أن تخرج طعام أرضك وخصبها الى الحجاز وتخرب هذه فان استطعت فاستقل من ذلك فلما ودع عمر رضى الله عنه قال له يا عمرو انظر الى ذلك الخليج ولا تنسين حفره فقال له يا أمير المؤمنين انه قد انسد وتدخل فيه نفقات عظيمة فقال له أما والذى نفسى بيده انى لاظنك حين خرجت من عندى حدثت بذلك أهل أرضك فعظموه عليك وكرهوا ذلك أعزم عليك الا ما حفرته وجعلت فيه سفنا فقال عمرو يا أمير المؤمنين انه متى ما يجد أهل الحجاز طعام مصر وخصبها مع صحة الحجاز لا يخفوا الى الجهاد قال فانى سأجعل من ذلك أمرا لا يحمل فى هذا البحر الا رزق أهل المدينة وأهل مكة فحفره عمرو وعالجه وجعل فيه السفن قال ويقال ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب الى عمرو بن العاص الى العاصى ابن العاصى فانك لعمرى لاتبالى اذا سمنت انت ومن معك أن اعجف انا ومن معى فياغوثاه وياغوثاه فكتب اليه عمرو أما بعد فيا لبيك ثم يا لبيك اتتك عير اولها عندك وآخرها عندى مع انى ارجو أن اجد السبيل الى أن احمل اليك فى البحر ثم ان عمرا ندم على كتابه فى الحمل الى المدينة فى البحر وقال ان امكنت عمر من هذا اخرب مصر ونقلها الى المدينة فكتب اليه انى نظرت فى أمر البحر فاذا هو عسر ولا يلتام ولا يستطاع فكتب اليه عمر رضى الله عنه الى العاصى ابن العاصى قد بلغنى كتابك تعتل فى الذى كنت كتبت اليه به من أمر البحر وايم الله لتفعلن اولا قلعن بأذنك ولا بعثن من يفعل ذلك فعرف عمرو أنه الجد من عمر رضى الله عنه ففعل فبعث اليه عمر رضى الله عنه أن لاتدع بمصر شيأ من طعامها وكسوتها وبصلها وعدسها وخلها الا بعثت الينا منه قال ويقال ان الذى دل عمرو بن العاص على الخليج رجل من القبط فقال لعمرو أرأيت ان دللتك على مكان تجرى فيه السفن حتى تنتهى الى مكة والمدينة اتضع عنى الجزية وعن أهل بيتى قال نعم فكتب بذلك الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب اليه أن افعل فلما قدمت السفن خرج عمر رضى الله عنه حاجا أو معتمرا فقال للناس سيروا بنا ننظر الى السفن التى سيرها الله تعالى الينا من أرض فرعون حتى أتتنا فأتى الجار وقال اغتسلوا من ماء البحر فانه مبارك فلما قدمت السفن الجار وفيها الطعام صك عمر رضى الله عنه للناس بذلك الطعام صكوكا فتبايع التجار الصكوك بينهم قبل أن يقبضوها فلقى عمر بن الخطاب رضى الله عنه العلاء بن الاسود رضى الله عنه فقال كم ربح حكيم بن حزام فقال ابتاع من صكوك الجار بمائة ألف درهم وربح عليها مائة ألف فلقيه عمر رضى الله عنه فقال له يا حكيم كم ربحت فأخبره بمثل خبر العلاء قال عمر رضى الله عنه فبعته قبل أن تقبضه قال نعم قال عمر رضى الله عنه فان هذا بيع لا يصلح فاردده فقال حكيم ماعلمت أن هذا بيع لا يصلح وما اقدر على رده فقال عمر رضى الله عنه لابد فقال حكيم والله ما أقدر على ذلك وقد تفرق وذهب ولكن رأس مالى وربحى صدقة * وقال القضاعى فى ذكر الخليج أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن العاص عام الرمادة بحفر الخليج الذى بحاشية الفسطاط الذى يقال له خليج أمير المؤمنين

فساقه من النيل الى القلزم فلم يأت عليه الحول حتى جرت فيه السفن وحمل فيه ما آراد من الطعام الى المدينة ومكة فنفع الله تعالى بذلك أهل الحرمين فسمى خليج امير المؤمنين * وذكر الكندى فى كتاب الجند العربى أن عمرا حفره فى سنة ثلاث وعشرين وفرغ منه فى ستة اشهر وجرت فيه السفن ووصلت الى الحجاز فى الشهر السابع ثم بنى عليه عبد العزيز بن مروان قنطرة فى ولايته على مصر قال ولم يزل يحمل فيه الطعام حتى حمل فيه عمر بن عبد العزيز ثم اضاعته الولاة بعد ذلك فترك وغلب عليه الرمل فانقطع وصار منتهاه الى ذنب التمساح من ناحية بطحاء القلزم وقال ابن قديد أمر أبو جعفر المنصور بسد الخليج حين خرج عليه محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة ليقطع عنه الطعام فسد الى الآن وذكر البلادرى أن اباجعفر المنصور لما ورد عليه قيام محمد بن عبد الله قال يكتب الساعة الى مصر أن تقطع الميرة عن أهل الحرمين فانهم فى مثل الحرجة اذا لم تأتهم الميرة من مصر * وقال ابن الطوير وقد ذكر ركوب الخليفة لفتح الخليج وهذا الخليج هو الذى حفره عمرو بن العاص لما ولى على مصر فى ايام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه من بحر فسطاط مصر الحلو وألحقه بالقلزم بشاطئ البحر الملح فكانت مسافته خمسة أيام لتقرب معونة الحجاز من ديار مصر فى أيام النيل فالمراكب النيلية تفرغ ما تحمله من ديار مصر بالقلزم فاذا افرغت حملت ما فى القلزم مما وصل من الحجاز وغيره الى مصر وكان مسلكا للتجار وغيرهم فى وقته المعلوم وكان اول هذا الخليج من مصر يشق الطريق الشارع المسلوك منه اليوم الى القاهرة حافا بالقربوص الذى على البستان المعروف بابن كيسان ماداو آثاره اليوم مادة باقية الى الحوض المعروف بسيف الدين حسين صهر ابن رزيك والبستان المعروف بالمشتهى وفيه آثار المنظرة التى كانت معدة لجلوس الخليفة لفتح الخليج من هذا الطريق ولم تكن الآدر المبنية على الخليج ولا شئ منها هنالك ومابرح هذا الخليج منتزها لاهل القاهرة يعبرون فيه بالمراكب للنزهة الى أن حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج المعروف الآن بالخليج الناصرى * قال المسبحى وفى هذا الشهر يعنى المحرم سنة احدى وأربعمائة منع الحاكم بأمر الله من الركوب فى القوارب الى القاهرة فى الخليج وشدد فى المنع وسدت أبواب القاهرة التى يتطرق منها الى الخليج وأبواب الطاقات من الدور والتى تشرف على الخليج وكذلك أبواب الدور والخوخ التى على الخليج * قال القاضى الفاضل فى متجددات حوادث سنة أربع وتسعين وخمسمائة ونهى عن ركوب المتفرجين فى المراكب فى الخليج وعن اظهار المنكر ومن ركوب النساء مع الرجال وعلق جماعة من رؤساء المراكب بأيديهم قال وفى يوم الاربعاء تاسع عشر رمضان ظهر فى هذه المدة من المنكرات مالم يعهد فى مصر فى وقت من الاوقات ومن الفواحش ماخرج من الدور الى الطرقات وجرى الماء فى الخليج بنعمة الله تعالى بعد القنوط ووقوف الزيادة فى الذراع السادس عشر فركب أهل الخلاعة وذووا البطالة فى مراكب فى نهار شهر رمضان ومعهم النساء الفواجر وبأيديهن المزاهر يضربن بها وتسمع اصواتهن ووجوههن مكشوفة وحرفاؤهن من الرجال معهن فى المراكب لا يمنعون عنهن الايدى ولا الابصار ولا يخافون من أمير ولا مأمور شيأ من اسباب الانكار وتوقع أهل المراقبة ما يتلو هذا الخطب من المعاقبة * وقال جامع سيرة الناصر محمد بن قلاوون وفى سنة ست وسبعمائة رسم الاميران بيبرس وسلار بمنع الشخاتير والمراكب من دخول الخليج الحاكمى والتفرج فيه بسبب ما يحصل من الفساد والتظاهر بالمنكرات اللاتى تجمع الخمر وآلات الملاهى والنساء المكشوفات الوجوه المتزينات بأفخر زينة من كوافى الزركش والقنابيز والحلى العظيم ويصرف على ذلك الاموال الكثيرة ويقتل فيه جماعة عديدة ورسم الاميران المذكوران لمتولى الصناعة بمصر أن يمنع المراكب من دخول الخليج المذكور الا ما كان فيه غلة أو متجر او ماناسب ذلك فكان هذا معدودا من حسناتهما ومسطورا فى صحائفهما قال مؤلفه رحمه الله تعالى اخبرنى شيخ معمر ولد بعد سنة سبعمائة يعرف بمحمد المسعودى انه ادرك هذا الخليج والمراكب تمر فيه بالناس للنزهة وانها كانت تعبر من تحت باب القنطرة غادية ورائحة والآن لا يمر بهذا الخليج من المراكب الا ما يحمل متاعا من متجر أو نحوه وصارت مراكب النزهة والتفرج انما تمر فى الخليج الناصرى فقط وعلى هذا الخليج الكبير فى زماننا هذا أربع عشرة قنطرة يأتى ذكرها ان شاء الله تعالى فى القناطر وحافتا هذا الخليج الآن معمورتان بالدور وسيأتى ان شاء الله ذكر ذلك فى مواضعه من هذا الكتاب وقال ابن سعد وفيها خليج لا يزال يضعف بين خضرتها حتى يصير كما قال الرصافى

مازالت الانحاء تأخذه * حتى غدا كذؤابة النجم

وقلت فى نور الكتان الذى على جانبى هذا الخليج

انظر الى النهر والكتان يرمقه * من جانبيه باجفان لها حدق
قدسل سيفا عليه للصبا شطب * فقابلته بأحداق بها ارق
واصبحت فى يد الارواح تنسجها * حتى غدت حلقا من فرقها حلق
فقم نزرها ووجه الارض متضح * أوعند صفرته ان كنت تغتبق

قال وقد ذكر مصر ولا ينكر فيها اظهار أوانى الخمر ولا آلات الطرب ذوات الاوتار ولا تبرج النساء العواهر ولا غير ذلك مما ينكر فى غيرها وقد دخلت فى الخليج الذى بين القاهرة ومصر ومعظم عمارته فيما يلى القاهرة فرأيت فيه من ذلك العجائب وربما وقع فيه قتل بسبب السكر فيمنع فيه الشرب وذلك فى بعض الاحيان وهو ضيق وعليه من الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم الطرب والتهكم والمجانة حتى ان المحتشمين والرؤساء لا يجيزون العبور به فى مركب وللسرج فى جانبيه بالليل منظر فتان وكثيرا ما يتفرج فيه أهل الستر وفى ذلك اقول

لاتركبن فى خليج مصر * الا اذا يسدل الظلام
فقد علمت الذى عليه * من عالم كلهم طغام
صفان للحرب قد أطلا * سلاح ما بينهم كلام
ياسيدى لاتسر اليه * الا اذا هوم النيام
والليل ستر على التصابى * عليه من فضله لثام
والسرج قد بددت عليه * منها دنانير لاترام
وهو قد امتد والمبانى * عليه فى خدمة قيام
لله كم دوحة جنينا * هناك أثمارها الاثام

وقال ابن عبد الظاهر عن مختصر تاريخ ابن المامون ان اول من رتب حفر خليج القاهرة على الناس المامون ابن البطائحى وكذلك على أصحاب البساتين فى دولة الافضل وجعل عليه واليا بمفرده ولله در الاسعد بن خطير المماتى حيث يقول

خليج كالحسام له صقال * ولكن فيه للرائى مسره
رأيت به الملاح تجيد عوما * كأنهم نجوم فى مجره

وقال بهاء الدين أبو الحسن على بن الساعاتى فى يوم كسر الخليج

ان يوم الخليج يوم من الحسن * بديع المرئى والمسموع
كم لديه من ليث غاب صؤول * ومهاة مثل الغزال المروع
وعلى السد عزة قبل أن تملكه * ذلة المحب الخضوع
كسروا جسره هناك فحاكى * كسر قلب يتلوه فيض دموع

(ذكر خليج فم الخور وخليج الذكر)

قال ابن سيده فى كتاب المحكم فى اللغة الخور مصب الماء فى البحر وقيل هو خليج من البحر والخور المطمئن من الارض وخليج فم الخور يخرج الآن من بحر النيل ويصب فى الخليج الناصرى ليقوى جرى الماء فيه ويغزره وكان قبل أن يحفر الخليج الناصرى يمد خليج الذكر وكان أصله ترعة يدخل منها ماء النيل للبستان الذى عرف بالمقسى ثم وسع قال ابن عبد الظاهر وكان يخرج من البحر للمقسى الماء فى البرابخ فوسعه الملك الكامل وهو خليج الذكر ويقال ان خليج الذكر حفره كافور الاخشيدى فلما زال البستان المقسى فى أيام الخليفة الظاهر بن الحاكم وجعله بركة قدام المنظرة المعروفة باللؤلؤة صار يدخل الماء اليها من هذا الخليج وكان يفتح هذا الخليج قبل الخليج الكبير ولم يزل حتى أمر الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة أربع وعشرين وسبعمائة بحفره فحفر واوصل بالخليج الكبير وشرع الامراء والجند فى حفره من اخريات جمادى الآخرة فلما فتح كادت القاهرة

أن تغرق فسدّت القنطرة التى عليه فهدمها الماء ومن حينئذ عزم السلطان على حفر الخليج الناصرى وانا ادركت آثاره وفيه ينبت القصب المسمى بالفارسى واخبرنى الشيخ المعمر حسام الدين حسين بن عمر الشهرزورى انه يعرف خليج الذكر هذا وفيه الماء وسبح فيه غير مرّة وأرانى آثاره وكان الماء يدخل اليه من تحت قنطرة الدكة الآتى ذكرها فى القناطر ان شاء الله تعالى وعلى خليج فم الخور الآن قنطرة وعلى خليج الذكر قنطرة يأتى ذكرهما ان شاء الله تعالى عند ذكر القناطر وانما قيل له خليج الذكر لان بعض امراء الملك الظاهر ركن الدين بيبرس كان يعرف بشمس الدين الذكر الكركى كان له فيه اثر من حفره فعرف به وكان للناس عند هذا الخليج مجتمع يكثر فيه لهوهم ولعبهم * قال المسبحى وفى يوم الثلاثاء لخمس بقين منه يعنى المحرّم سنة خمس عشرة وأربعمائة كان ثالث الفتح فاجتمع بقنطرة المقس عند كنيسة المقس من النصارى والمسلمين فى الخيام المنصوبة وغيرها خلق كثير للاكل والشرب واللهو ولم يزالوا هنالك الى أن انقضى ذلك اليوم وركب أمير المؤمنين يعنى الظاهر لاعزاز دين الله أبا الحسن على بن الحاكم بأمر الله فى مركبه الى المقس وعليه عمامة شرب مفوّطة بسواد وثوب ديبقى من شكل العمامة ودار هنالك طويلا وعاد الى قصره سالما وشوهد من سكر النساء وتهتكهن وحملهن فى قفاف الحمالين سكارى واجتماعهن مع الرجال أمر يقبح ذكره

(ذكر الخليج الناصرى)

هذا الخليج يخرج من بحر النيل ويصب فى الخليج الكبير وكان سبب حفره آن الملك الناصر محمد بن قلاون لما أنشأ القصور والخانقاه بناحية سرياقوس وجعل هنالك ميدانا يسرح اليه وابطل ميدان القبق المعروف بالميدان الاسود ظاهر باب النصر من القاهرة وترك المسطبة التى بناها بالقرب من بركة الحبش لطعم الطيور والجوارح اختار أن يحفر خليجا من بحر النيل لتمرّ فيه المراكب الى ناحية سرياقوس لحمل ما يحتاج اليه من الغلال وغيرها فتقدّم الى الامير سيف الدين ارغون نائب السلطنة بديار مصر بالكشف عن عمل ذلك فنزل من قلعة الجبل بالمهندسين وأرباب الخبرة الى شاطئ النيل وركب النيل فلم يزل القوم فى فحص وتفتيش الى أن وصلوا بالمراكب الى موردة البلاط من اراضى بستان الخشاب فوجدوا ذلك الموضع اوطأ مكان يمكن أن يحفر الا أن فيه عدّة دور فاعتبروا فم الخليج من موردة البلاط وقدّروا انه اذا حفر مرّ الماء فيه من موردة البلاط الى الميدان الظاهرى الذى أنشأه الملك الناصر بستانا ويمرّ من البستان الى بركة قرموط حتى ينتهى الى ظاهر باب البحر ويمرّ من هنالك على ارض الطبالة فيصب فى الخليج الكبير فلما تعين لهم ذلك عاد النائب الى القلعة وطالعه بما تقرّر فبرز أمره لسائر أمراء الدولة باحضار الفلاحين من البلاد الجارية فى اقطاعاتهم وكتب الى ولاة الاعمال بجمع الرجال لحفر الخليج فلم يمض سوى ايام قلائل حتى حضر الرجال من الاعمال وتقدّم الى النائب بالنزول للحفر ومعه الحجاب فنزل لعمل ذلك وقاس المهندسون طول الحفر من موردة البلاط حيث تعين فم الخليج الى أن يصب فى الخليج الكبير وألزم كل أمير من الامراء بعمل أقصاب فرضت له فلما أهل شهر جمادى الاولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وقع الشروع فى العمل فبدؤا بهدم ما كان هنالك من الاملاك التى من جهة باب اللوق الى بركة قرموط وحصل الحفر فى البستان الذى كان للنائب فأخذوا منه قطعة ورسم أن يعطى أرباب الاملاك اثمانها فمنهم من باع ملكه وأخذ ثمنه من مال السلطان ومنهم من هدم داره ونقل أنقاضها فهدمت عدّة دور ومساكن جليلة وحفر فى عدّة بساتين فانتهى العمل فى سلخ جمادى الآخرة على رأس شهرين وجرى الماء فيه عند زيادة النيل فأنشأ الناس عدّة سواق وجرت فيه السفن بالغلال وغيرها فسرّ السلطان بذلك وحصل للناس رفق وقويت رغبتهم فيه فاشتروا عدّة اراض من بيت المال غرست فيها الاشجار وصارت بساتين جليلة وأخذ الناس فى العمارة على حافتى الخليج فعمر ما بين المقس وساحل النيل ببولاق وكثرت العمائر على الخليج حتى اتصلت من أوله بموردة البلاط الى حيث يصب فى الخليج الكبير بأرض الطبالة وصارت البساتين من وراء الاملاك المطلة على الخليج وتنافس الناس فى السكنى هنالك وأنشأوا الحمامات والمساجد والاسواق وصار هذا الخليج مواطن افراح ومنازل لهو ومغنى صبابات وملعب أتراب ومحل تيه وقصف فيما يمرّ فيه من المراكب وفيما عليه من الدور ومابرحت مراكب النزهة تمرّ فيه بأنواع الناس على سبيل اللهو الى أن منعت المراكب منه بعد قتل الاشرف كما يرد عند ذكر القناطر ان شاء الله تعالى

(ذكر خليج قنطرة الفخر)

هذا الخليج يبتدئ من الموضع الذي كان ساحل النيل ببولاق وينتهي الى حيث يصب في الخليج الناصري ويصب أيضا في خليج لطيف تسقى منه عدة بساتين وكل من هذين الخليجين معمور الجانبين بالاملاك المطلة عليه والبساتين وجميع المواضع التي يمر فيها الخليج الناصري وأرض هذين الخليجين كانت غامرة بالماء ثم انحسر عنها الماء شيأ بعد شئ كما ذكر في ظواهر القاهرة وهذا الخليج حفر بعد الخليج الناصري

(ذكر القناطر)

اعلم أن قناطر الخليج الكبير عدتها الآن أربع عشرة قنطرة وعلى خليج فم الخور قنطرة واحدة وعلى خليج الذكر قنطرة واحدة وعلى الخليج الناصري خمس قناطر وعلى بحر أبي المنجا قنطرة عظيمة وبالجيزة عدة قناطر

(ذكر قناطر الخليج الكبير)

قال القضاعي القنطرتان اللتان على هذا الخليج يعني خليج مصر الكبير أما التي في طرف الفسطاط بالحمراء القصوى فان عبد العزيز بن مروان بن الحكم بناها في سنة تسع وستين وكتب عليها اسمه وابتنى قناطر غيرها وكتب على هذه القنطرة المذكورة هذه القنطرة أمر بها عبد العزيز بن مروان الامير اللهم بارك له في أمره كله وثبت سلطانه على ما ترضى وأقر عينه في نفسه وحشمه آمين وقام ببنائها سعد أبو عثمان وكتب عبد الرحمن في صفر سنة تسع وستين ثم زاد فيها تكين امير مصر في سنة ثمان عشرة وثلثمائة ورفع سمكها ثم زاد عليها الاخشيد في سنة احدى وثلاثين وثلثمائة ثم عمرت في ايام العزيز بالله وقال ابن عبد الظاهر وهذه القنطرة ليس لها أثر في هذا الزمان قلت موضعها الآن خلف خط السبع سقايات وهذه القنطرة هي التي كانت تفتح عند وفاء النيل في زمن الخلفاء فلما انحسر النيل عن ساحل مصر اليوم اهملت هذه القنطرة وعملت قنطرة السد عند فم بحر النيل فان النيل كان قد ربى الجرف حيث غيط الجرف الذي على يمنة من سلك من المراغة الى باب مصر بجوار الكبارة * (قنطرة السد) هذه القنطرة موضعها مما كان غامرا بماء النيل قديما وهي الآن يتوصل من فوقها الى منشأة المهراني وغيرها من بر الخليج الغربي وكان النيل عند انشائها يصل الى الكوم الاحمر الذي هو جانب الخليج الغربي الآن تجاه خط بين الزقاقين فان النيل كان قد ربى جرفا قدام الساحل القديم كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب فأهملت القنطرة الاولى لبعد النيل وقدمت هذه القنطرة الى حيث كان النيل ينتهي وصار يتوصل منها الى بستان الخشاب الذي موضعه اليوم يعرف بالمريس وما حوله وكان الذي أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب في أعوام بضع وأربعين وستمائة ولها قوسان وعرفت الآن بقنطرة السد من اجل أن النيل لما انحسر عن الجانب الشرقي وانكشفت الاراضي التي عليها الآن خط بين الزقاقين الى موردة الحلفاء وموضع الجامع الجديد الى دار النحاس وما وراء هذه الاماكن الى المراغة وباب مصر بجوار الكبارة وانكشف من اراضي النيل أيضا الموضع الذي يعرف اليوم بمنشأة المهراني صار ماء النيل اذا ابتدت زيادته يجعل عند هذه القنطرة سد من التراب حتى يسند الماء اليه الى أن تنتهي الزيادة الى ست عشرة ذراعا فيفتح السد حينئذ ويمر الماء في الخليج الكبير كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب والامر على هذا الى اليوم * (قناطر السباع) هذه القناطر جانبها الذي يلي خط السبع سقايات من جهة الحمراء القصوى وجانبها الآخر من جهة جنان الزهري وأول من أنشأها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري ونصب عليها سباعا من الحجارة فان رنكه كان على شكل سبع فقيل لها قناطر السباع من اجل ذلك وكانت عالية مرتفعة فلما أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون الميدان السلطاني في موضع بستان الخشاب حيث موردة البلاط وتردد اليه كثيرا صار لا يمر اليه من قلعة الجبل حتى يركب قناطر السباع فتضرر من علوها وقال للامراء ان هذه القنطرة حين اركب الى الميدان واركب عليها يتألم ظهري من علوها ويقال انه أشاع هذا والقصد انما هو كراهته لنظر أثر أحد من الملوك قبله وبغضه أن يذكر لاحد غيره شئ يعرف به وهو كلما يمر بها يرى السباع التي هي رنك الملك الظاهر فأحب أن يزيلها لتبقى القنطرة منسوبة اليه ومعروفة به كما كان يفعل دائما في محو آثار من تقدمه وتخليد ذكره ومعرفة الآثار به ونسبتها له فاستدعى الامير

علاء الدين

علاء الدين على بن حسن المروانى والى القاهرة وشاد الجهات وأمره بهدم قناطر السباع وعمارتها أوسع مما كانت بعشرة أذرع وأقصر من ارتفاعها الاول فنزل ابن المروانى وأحضر الصناع ووقف بنفسه حتى انتهت فى جمادى الاولى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة فى أحسن قالب على ماهى عليه الآن ولم يضع سباع الحجر عليها وكان الامير الطنبغا الماردينى قد مرض ونزل الى الميدان السلطانى فأقام به ونزل اليه السلطان مرارا فبلغ الماردينى ما يتحدث به العامة من أن السلطان لم يخرّب قناطر السباع الاحتى تبقى باسمه وانه رسم لابن المروانى أن يكسر سباع الحجر ويرميها فى البحر واتفق انه عوفى عقيب الفراغ من بناء القنطرة وركب الى القلعة فسرّ به السلطان وكان قد شغفه حبا فسأله عن حاله وحادثه الى أن جرى ذكر القنطرة فقال له السلطان اعجبتك عمارتها فقال والله ياخوند لم يعمل مثلها ولكن ما كملت فقال كيف قال السباع التى كانت عليها لم توضع مكانها والناس يتحدثون أن السلطان له غرض فى ازالتها لكونها رنك سلطان غيره فامتعض لذلك وامر فى الحال باحضار ابن المروانى وألزمه باعادة السباع على ما كانت عليه فبادر الى تركيبها فى أماكنها وهى باقية هنالك الى يومنا هذا الا أن الشيخ محمدا المعروف بصائم الدهر شوّه صورها كما فعل بوجه أبى الهول ظنا منه أن هذا الفعل من جملة القربات ولله در القائل

وانما غاية كل من وصل * صيد بنى الدنيا بأنواع الحيل

*(قنطرة عمر شاه) هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل منها الى برّ الخليج الغربى *(قنطرة طقزدمر) هذه القنطرة على الخليج الكبير بخط المسجد المعلق يتوصل منها الى برّ الخليج الغربى وحكر قوصون وغيره *(قنطرة اق سنقر) هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل اليها من خط قبو الكرمانى ومن حارة البديعيين التى تعرف اليوم بالحبانية ويمرّ من فوقها الى برّ الخليج الغربى وعرفت بالامير اق سنقر شاد العمائر السلطانية فى ايام الملك الناصر محمد بن قلاون عمرها لما أنشأ الجامع بالبركة الناصرية ومات بدمشق سنة أربعين وسبعمائة *(قنطرة باب الخرق) يقال للارض البعيدة التى تخرقها الريح لاستوائها الخرق وهذه القنطرة على الخليج الكبير كان موضعها ساحلا وموردة للسقائين فى ايام الخلفاء الفاطميين فلما أنشأ الملك الصالح نجم الدين أيوب الميدان السلطانى بأرض اللوق وعمر به المناظر فى سنة تسع وثلاثين وستمائة أنشأ هذه القنطرة ليمرّ عليها الى الميدان المذكور وقيل لها قنطرة باب الخرق *(قنطرة الموسكى) هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل اليها من باب الخوخة وباب القنطرة ويمرّ فوقها الى برّ الخليج الغربى أنشأها الامير عز الدين موسك قريب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وكان خيرا يحفظ القرآن الكريم ويواظب على تلاوته ويحب أهل العلم والصلاح ويؤثرهم ومات بدمشق يوم الاربعاء ثامن عشرى شعبان سنة أربع وثمانين وخمسمائة *(قنطرة الامير حسين) هذه القنطرة على الخليج الكبير ويتوصل منها الى برّ الخليج الغربى فلما أنشأ الامير سيف الدين حسين بن أبى بكر بن اسماعيل بن حيدر بك الرومى الجامع المعروف بجامع الامير حسين فى حكر جوهر النوبى أنشأ هذه القنطرة ليصل من فوقها الى الجامع المذكور وكان يتوصل اليها من باب القنطرة فثقل عليه ذلك واحتاج الى أن فتح فى السور الخوخة المعروفة بخوخة الامير حسين من الوزيرية فصارت تجاه هذه القنطرة وقد ذكر خبرها عند ذكر الخوخ من هذا الكتاب والله تعالى اعلم *(قنطرة باب القنطرة) هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل اليها من القاهرة ويمرّ فوقها الى المقس وأرض الطبالة وأوّل من بناها القائد جوهر لما نزل بمناخه وأدار السور عليه وبنى القاهرة ثم قدم عليه القرمطى فاحتاج الى الاستعداد لمحاربته فحفر الخندق وبنى هذه القنطرة على الخليج عند باب جنان أبى المسك كافور الاخشيدى الملاصق للميدان والبستان الذى للامير أبى بكر محمد الاخشيد ليتوصل من القاهرة الى المقس وذلك فى سنة ثنتين وستين وثلثمائة وبها تسمى باب القنطرة وكانت مرتفعة بحيث تمرّ المراكب من تحتها وقد صارت فى هذا الوقت قريبة من ارض الخليج لا يمكن المراكب العبور من تحتها وتسدّ بأبواب خوفا من دخول الزعار الى القاهرة *(قنطرة باب الشعرية) هذه القنطرة على الخليج الكبير يسلك اليها من باب الفتوح ويمشى من فوقها الى أرض الطبالة وتعرف اليوم بقنطرة الخرّوبى *(القنطرة الجديدة) هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل اليها من زقاق الكحل وخط جامع الظاهر ويتوصل منها الى ارض الطبالة والى منية الشيرج وغير ذلك أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة خمس وعشرين

وسبعمائة عندما انتهى حفر الخليج الناصرى وكان ما على جانبى الخليج من القنطرة الجديدة هذه الى قناطر الاوز عامرا بالاملاك ثم خربت شيأ بعد شئ من حين حدث فصل البارده بعد سنة ستين وسبعمائة وفحش الخراب هنالك منذ كانت سنة الشراقى فى زمن الملك الاشرف شعبان بن حسين فى سنة سبع وسبعين وسبعمائة فلما غرقت الحسينية بعد سنة الشراقى خربت المساكن التى كانت فى شرقى الخليج ما بين القنطرة الجديدة وقناطر الاوز وأخذت أنقاضها وصارت هذه البرك الموجودة الآن * (قناطر الاوز) هذه القناطر على الخليج الكبير يتوصل اليها من الحسينية ويسلك من فوقها الى اراضى البعل وغيرها وهى أيضا مما أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وأدركت هنالك أملاكا مطلة على الخليج بعد سنة ثمانين وسبعمائة وهذه القناطر من أحسن منتزهات أهل القاهرة أيام الخليج لما يصير فيه من الماء ولما على حافته الشرقية من البساتين الانيقة الا انها الآن قد خربت وتجاه هذه القنطرة منظرة البعل التى تقدم ذكرها عند ذكر مناظر الخلفاء وبقيت آثارها الى الآن أدركناها يعطن فيها الكتان وبها عرفت الارض التى هنالك فسميت الى الآن بأرض البعل وكان هنالك صف من شجر السنط قد امتد من تجاه قناطر الاوز الى منظرة البعل وصار فاصلا بين مزرعتين يجلس الناس تحته فى يومى الاحد والجمعة للنزهة فيكون هنالك من أصناف الناس رجالهم ونسائهم ما لا يقع عليه حصر ويباع هنالك ما كل كثيرة وكان هنالك حانوت من طين تجاه القنطرة يباع فيها السمك ادركتها وقد استؤجرت بخمسة آلاف درهم فى السنة عنها يومئذ نحو مائتين وخمسين مثقالا من الذهب على انه لا يباع فيها السمك الا نحو ثلاثة اشهر أو دون ذلك ولم يزل هذا السنط الى نحو سنة تسعين وسبعمائة فقطع والى اليوم تجتمع الناس هنالك ولكن شتان بين ما أدركنا وبين ما هو الآن وقيل لها قناطر الاوز * (قناطر بنى وائل) هذه القناطر على الخليج الكبير تجاه التاج أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وعرفت بقناطر بنى وائل من اجل انه كان بجانبها عدة منازل يسكنها عرب ضعاف بالجانب الشرقى يقال لهم بنو وائل ولم يزالوا هنالك الى نحو سنة تسعين وسبعمائة وكان بجانب هذه القناطر من الجانب الغربى مقعد أحدثه الوزير الصاحب سعد الدين نصر الله بن البقرى لاخذ المكوس واستمر مدة ثم خرب ولم ير أحسن منظرا من هذه القنطرة فى ايام النيل وزمن الربيع * (قنطرة الاميرية) هذه القنطرة هى آخر ما على الخليج الكبير من القناطر بضواحى القاهرة وهى تجاه الناحية المعروفة بالاميرية فيما بينها وبين المطرية أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وعند هذه القنطرة ينسد ماء النيل اذا فتح الخليج عند وفاء زيادة النيل ست عشرة ذراعا فلا يزال الماء عند سد الاميرية هذا الى يوم النوروز فيخرج والى القاهرة اليه ويشهد على مشايخ أهل الضواحى بتغلق أراضى نواحيهم بالرى ثم يفتح هذا السد فيمر الماء الى جسر شيبين القصر ويسد عليه حتى يروى ما على جانبى الخليج من البلاد فلا يزال الماء واقفا عند سد شيبين الى يوم عيد الصليب وهو اليوم السابع عشر من النوروز فيفتح حينئذ بعد شمول الرى جميع تلك الاراضى وليس بعد قنطرة الاميرية هذه قنطرة سوى قنطرة ناحية سرياقوس وهى أيضا انشاء الملك الناصر محمد بن قلاون وبعد قنطرة سرياقوس جسر شيبين القصر وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى عند ذكر الجسور من هذا الكتاب * (قنطرة الفخر) هذه القنطرة بجوار موردة البلاط من اراضى بستان الخشاب برأس الميدان وهى أول قنطرة عمرت على الخليج الناصرى على فم أنشأها القاضى فخر الدين محمد بن فضل الله بن خروف القبطى المعروف بالفخر ناظر الجيش فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة عند انتهاء حفر الخليج الناصرى ومات فى رجب سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وقد أناف على السبعين سنة وتمكن فى الرياسة تمكنا كبيرا * (قنطرة قدادار) هذه القنطرة على الخليج الناصرى يتوصل اليها من اللوق ويمشى فوقها الى بر الخليج الناصرى مما يلى الفيل وأول ما وضعت كانت تجاه البستان الذى كان ميدانا فى زمن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الى أن أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون الميدان الموجود الآن بموردة البلاط من جملة اراضى بستان الخشاب فغرس فى الميدان الظاهرى الاشجار وصار بستانا عظيما كما ذكر ذلك فى موضعه من هذا الكتاب وعرفت هذه القنطرة بالامير سيف الدين قدادار مملوك الامير برلغى وكان من خبره أنه تنقل فى الخدم حتى ولى الغربية من أراضى مصر فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فلقى أهل البلاد منه شرا كثيرا ثم انتقل الى ولاية البحيرة فلما كان فى سنة أربع وعشرين

كثرت الشناعة فى القاهرة بسبب الفلوس وتعنت الناس فيها وامتنعوا من أخذها حتى وقف الحال وتحسن السعر وكان حينئذ يتقلد الوزارة الامير علاء الدين مغلطاى الجمالى ويتقلد ولاية القاهرة الامير علم الدين سنجر الخازن فلما توجه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون من قلعة الجبل الى السرحة بناحية سرياقوس بلغه توقف الحال وطمع السوقة فى الناس وأن متولى القاهرة فيه لين وانه قليل الحرمة على السوقة وكان السلطان كثير النفور من العامة شديد البغض لهم ويريد كل وقت من الخازن أن يبطش بالحرافيش ويؤثر فيهم آثارا قبيحة ويشهر منهم جماعة فلم يبلغ من ذلك غرضه فكرهه واستدعى الامير ارغون نائب السلطنة وتقدم اليه بالاغلاظ فى القول على الخازن بسبب فساد حال الناس وهم ببروز امره بالقبض عليه وأخذ ماله فما زال به النائب حتى عفا عنه وقال السلطان يعزله ويولى من ينفع فى مثل هذا الامر فاختار ولاية قدادار عوضه لما يعرف من يقظته وشهامته وجراءته على سفك الدما فاستدعاه من البحيرة وولاه ولاية القاهرة فى أول شهر رمضان من السنة المذكورة فأول ما بدأ به أن احضر الخبازين والباعة وضرب كثيرا منهم بالمقارع ضربا مبرحا وسمر عدة منهم فى دراريب حوانيتهم ونادى فى البلد من رد فلسا سمر ثم عرض اهل السجن ووسط جماعة من المفسدين عند باب زويلة فهابته العامة وذعروا منه وأخذ يتتبع من عصر خمرا وأحضر عريف الحمالين وألزمه باحضار من كان يحمل العنب فلما حضروا اعتمده استملاهم اسماء من يشترى العنب ومواضع مساكنهم ثم أحضر خفراء الحارات والاخطاط ولم يزل بهم حتى دلوه على سائر من عصر الخمر فاشتهر ذلك بين الناس وخافوه فحوّل أهل حارة زويلة وأهل حارتى الروم والديلم وغير ذلك من الاماكن ما عندهم من الخمر وصبوها فى البلاليع والاقنية وألقوها فى الازقة وبذلوا المال لمن يأخذها منهم فحصل لكثير من العامة والاطراف منها شئ كثير حتى صارت تباع كل جرة خمر بدرهم ويمر الناس بأبواب الدور والازقة فترى من جرار الخمر شيأ كثيرا ولا يقدر أحد أن يتعرض لشئ منها ثم ركب وكبس خط باب اللوق وأخذ منه شيأ كثيرا من الحشيش وأحرقه عند باب زويلة واستمر الحال مدة شهر ما من يوم الا ويحرق فيه خمر عند باب زويلة ويحرق حشيش فطهر الله به البلد من ذلك جميعه وتتبع الزعار وأهل الفساد فخافوه وفروا من البلد فصار السلطان يشكره ويثنى عليه لما يبلغه من ذلك وأما العامة فانه ثقل عليها وكرهته حتى انه لما تأمّر ابن الامير بكتمر الساقى وركب الى القبة المنصورية على العادة ومعه أبوه والنائب وسائر الامراء صاحت العامة للامير بكتمر الساقى يا أمير بكتمر بحياة ولدك اعزل هذا الظالم ورد علينا والينا يعنون الخازن فلما عرّف بكتمر السلطان ذلك اعجبه وقال يا امير ماتخشى العامة والسوقة الا ظالما مثل هذا اما يخاف الله تعالى وزاد اعجاب السلطان به حتى قال له لا تشاور فى امر المفسدين فلم يغتر بذلك ورفع اليه جميع ما يتفق له وشاوره فى كل جليل وحقير وقال له ان جماعة من الكتاب والتجار قد عصروا الخمر واستاذنه فى طلبهم ومصادرتهم فتقدم له بمشاورة النائب فى ذلك واعلامه أن السلطان قد رسم بالكشف عمن عصر من الكتاب والتجار الخمر فلما صار الى النائب وعرّفه الخبر أهانه وقال ان السلطان لا يرضى بكبس بيوت الناس وهتك حرمهم وسترهم واقامة الشناعات وقام من فوره الى السلطان وعرّفه ما يكون فى فعل ذلك من الفساد الكبير ومازال به حتى صرف رأيه عما اشار به قدادار من كبس الدور وأخذ الناس فى مماقتته والاخراق به فى كل وقت فانه كان يعنى بالخازن ولم يعجبه عزله عن الولاية فكثر جور قدادار وزاد تتبعه للناس ونادى أن لا يعمل أحد حلقة فيما بين القصرين ولا يسمر هنالك وامر أن لا يخرج أحد من بيته بعد عشاء الآخرة واقام عنه نائبا من بطالى الحسينية ضمن المسطبة منه فى كل يوم بثلثمائة درهم وانحصر الناس منه وضاقوا به ذرعا لكثرة ما هتك أستارهم وخرق بكثير من المستورين وتسلطت المستصنعة وأرباب المظالم على الناس وكانوا اذا رأوا اسكران او شموا منه رائحة خمر أحضروه اليه فتوقى الناس شره وشكاه الامراء غير مرة الى السلطان فلم يلتفت لما يقال فيه والنائب مستمر على الاخراق به الى أن قبض عليه السلطان فخلا الجو لقدادار وأكثر من سفك الدماء واتلاف النفوس والتسلط على العامة لبغضهم اياه والسلطان يعجبه منه ذلك بحيث انه ابرز مرسوما لسائر عماله وولاته ان أحدا منهم لا يقتص ممن وجب عليه القصاص فى النفس او القطع الا أن يشاور فيه ويطالع بأمره ما خلا قدادار متولى القاهرة فانه لا يشاور على مفسد ولا غيره ويده مطلقة فى سائر الناس فدهى الناس منه بعظائم وشرع فى كبس بيوت السعداء ومشت جماعة من المستصنعين فى البلد

وكتبوا الاوراق ورموها فى بيوت الناس بالتهديد فكثرت اسباب الضرر وكثر بلاء الناس به وتعنت على الباعة ونادى أن لا يفتح أحد حانوته بعد عشاء الآخرة فامتنع الناس من الخروج بالليل حتى كانت المدينة فى الليل موحشة واستجدّ على كل حارة دربا وألزم الناس بعمل ذلك فجبيت بهذا السبب دراهم كثيرة وصار الخفراء فى الليل يدورون ومعهم الطبول فى كل خط فظفر بانسان قد سرق شيأ من بيت فى الليل وتزيا بزى النساء فسمره على باب زويلة ومازال على ذلك حتى كثرت الشناعة فعزله السلطان فى سنة تسع وعشرين بناصر الدين ابن المحسنى فأقام الى ايام الحج وسافر الى الحجاز ورجع وهو ضعيف فمات فى سادس عشر صفر سنة ثلاثين وسبعمائة * (قنطرة الكتبة) هذه القنطرة على الخليج الناصرى بخط بركة قرموط عرفت بذلك لكثرة من كان يسكن هناك من الكتاب أنشأها القاضى شمس الدين عبد الله بن أبى سعيد بن ابى السرور الشهير بغبريال بن سعيد ناظر الدولة وولى نظر الدواوين بدمشق فى سنة ثلاث عشرة وسبعمائة نقل اليها من نظر البيوت بديار مصر ثم استدعى من دمشق وقرر فى وظيفة ناظر النظار شريكا للقاضى شهاب الدين الاقفهسى واستقر كريم الدين الصغير مكانه ناظرا بدمشق وذلك فى شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبعمائة ثم صرف غبريال من النظر بديار مصر وسفر الى دمشق فى ثامن عشر صفر سنة ست وعشرين وطلب كريم الدين الصغير من دمشق ثم قرر فى مكان غبريال فى وظيفة النظر بديار مصر الخطير كاتب أرغون أخو الموفق واعيد غبريال الى نظر دمشق ومات بدمشق بعد ما صودر وأخذ منه نحو ألفى ألف درهم فى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وادركنا الاملاك منتظمة بجانبى هذا الخليج من أوله بموردة البلاط الى هذه القنطرة ومن هذه القنطرة الى حيث يصب فى الخليج الكبير فلما كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة شرع الناس فى هدم ما على هذا الخليج من المناظر البهجة والمساكن الجليلة وبيع أنقاضها حتى ذهب ما كان على هذا الخليج من المنازل ما بين قنطرة الفخر التى تقدّم ذكرها وآخر خط بركة قرموط واصبحت موحشة قفراء بعد ما كانت مواطن أفراح ومغنى صبابات لا يأوى بها الا الغربان والبوم سنة الله فى الذين خلوا من قبل *(قنطرة المقسى) هذه القنطرة على خليج فم الخور وهو الذى يخرج من بحر النيل ويلتقى مع الخليج الناصرى عند الدكة فيصيران خليجا واحدا يصب فى الخليج الكبير كان موضعها جسرا يستند عليه الماء اذا بدت الزيادة الى أن تكمل أربعة عشر ذراعا فيفتح ويمرّ الماء فيه الى الخليج الناصرى وبركة الرطلى ويتأخر فتح الخليج الكبير حتى يرقى الماء ستة عشر ذراعا فلما انطرد ماء النيل عن البرّ الشرقى بقى تجاه هذا الخليج فى ايام احتراق النيل رملة لا يصل اليها الماء الا عند الزيادة وصار يتأخر دخول الماء فى الخليج مدّة واذا كسر سدّ الخليج الكبير عند الوفاء مرّ الماء بهذا الخليج مرورا قليلا ومازال موضع هذه القنطرة سدّا الى أن كانت وزارة الصاحب شمس الدين أبى الفرج عبد الله المقسى فى ايام السلطان الملك الاشرف شعبان ابن حسين فأنشأ بهذا المكان القنطرة فعرفت به واتصلت العمائر أيضا بجانبى هذا الخليج من حيث يبتدئ الى أن يلتقى مع الخليج الناصرى ثم خرب اكثر ما عليه من العمائر والمساكن بعد سنة ست وثمانمائة وكان للناس بهذا الخليج مع الخليج الناصرى فى ايام النيل مرور فى المراكب للنزهة يخرجون فيه عن الحدّ بكثرة التهتك والتمتع بكل ما يلهى الى أن ولى امر الدولة بعد قتل الملك الاشرف شعبان بن حسين الاميران برقوق وبركة فقام الشيخ محمد المعروف بصائم الدهر فى منع المراكب من المرور بالمتفرجين فى الخليج واستفتى شيخ الاسلام سراج الدين عمر ابن رسلان البلقينى فكتب له بوجوب منعهم لكثرة ما ينتهك فى المراكب من الحرمات ويتجاهر به من الفواحش والمنكرات فبرز مرسوم الاميرين المذكورين بمنع المراكب من الدخول الى الخليج وركبت سلسلة على قنطرة المقسى هذه فى شهر ربيع الاول سنة احدى وثمانين وسبعمائة فامتنعت المراكب بأسرها من عبور هذا الخليج الا أن يكون فيها غلة او متاع فقلق الناس لذلك وشق عليهم * وقال الشهاب احمد بن العطار الدنيسرى فى ذلك

حديث فم الخور المسلسل ماؤه * بقنطرة المقسى قد سار فى الخلق

الا فاعجبوا من مطلق ومسلسل * يقول لقد أوقفتم الماء فى حلقى

وقال

تسلسلت قنطرة المقسى * مذ ساقد جرى والمنع اضحى شاملا

وقال

وقال أهل طينة في مجنهم * قوموا بنا نقطع السلاسلا

ولم تزل مراكب الفرجة ممتنعة من عبور الخليج الى أن زالت دولة الظاهر برقوق فى سنة احدى وتسعين وسبعمائة فأذن فى دخولها وهى مستمرة الى وقتنا هذا * (قنطرة باب البحر) هذه القنطرة على الخليج الناصرى يتوصل اليها من باب البحر ويمر الناس من فوقها الى بولاق وغيره وهى مما أنشأه الملك الناصر محمد ابن قلاون عند انتهاء حفر الخليج الناصرى فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وقد كان موضعها فى القديم غامرا بالماء عندما كان جامع المقس مطلا على النيل فلما انحسر الماء عن بر القاهرة صار ما قدام باب البحر رملة فاذا وقف الانسان عند باب البحر رأى البر الغربى لا يحول بينه وبين رؤيته بنيان ولا غيره فاذا كان أوان زيادة ماء النيل صار الماء الى باب البحر وربما جلفط فى بعض السنين خوفا من غرق المقس ثم لما طال المدى غرق خارج باب البحر بأرض باطن اللوق وغرس فيه الاشجار فصار بساتين ومزارع وبقى موضع هذه القنطرة جرفا ورمى الناس عليه التراب فصار كوما يشنق عليه أرباب الجرائم ثم نقل ما هنالك من التراب وأنشئت هذه القنطرة ونودى فى الناس بالعمارة فأول ما بنى فى غربى هذه القنطرة مسجد المهاميزى وبستانه ثم تتابع الناس فى العمارة حتى انتظم ما بين شاطئ النيل ببولاق وباب البحر عرضا وما بين منشأة المهرانى ومنية الشيرج طولا وصار ما بجانبى الخليج معمورا بالدور ومن ورائها البساتين والاسواق والحمامات والمساجد وتقسمت الطرق وتعددت الشوارع وصار خارج القاهرة من الجهة الغربية عدة مدائن * (قنطرة الحاجب) هذه القنطرة على الخليج الناصرى يتوصل اليها من أرض الطبالة ويسير الناس عليها الى منية الشيرج وغيرها أنشأها الامير سيف الدين بكتمر الحاجب فى سنة ست وعشرين وسبعمائة وذلك انه كانت أرض الطبالة بيده فلما شرع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون فى حفر الخليج الناصرى التمس بكتمر من المهندسين اذا وصلوا بالحفر الى حيث الجرف أن يمروا به على بركة الطوابين التى تعرف اليوم ببركة الرطلى وينتهوا من هناك الى الخليج الكبير ففعلوا ذلك وكان قصدهم أولا انه اذا انتهى الحفر الى الجرف مروا فيه الى الخليج الكبير من طرف البعل فلما تهيأ لبكتمر ذلك عمرت له اراضى الطبالة كما يأتى ذكرها ان شاء الله تعالى عند ذكر البرك فعمرت هذه القنطرة فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة واسند اليها جسرا عمله حاجزا بين بركة الحاجب المعروفة ببركة الرطلى وبين الخليج الناصرى وسيرد ذكره ان شاء الله تعالى عند ذكر الجسور ولما عمرت هذه القنطرة اتصلت العمائر فيما بينها وبين كوم الريش وعمر قبالتها ربع عرف بربع الزيتى وكان على ظهر القنطرة صفان من حوانيت وعليها سقيفة تقى حر الشمس وغيره فلما غرق كوم الريش فى سنة بضع وستين وسبعمائة صار هذا الكوم الذى خارج القنطرة ومن تحت هذه القنطرة يصب الخليج الناصرى فى الخليج الكبير ويمر الى حيث القنطرة الجديدة وقناطر الاوز وغيرها كما تقدم ذكره * (قنطرة الدكة) هذه القنطرة كانت تعرف بقنطرة الدكة ثم عرفت بقنطرة التركمانى من اجل أن الامير بدر الدين التركمانى عمرها وهذه القنطرة كانت على خليج الذكر وقد انطم ما تحتها وصارت معقودة على التراب لتلاف خليج الذكر ولله در ابراهيم المعمار حيث يقول

يا طالب الدكة نلت المنى * وفزت منها ببلوغ الوطر
قنطرة من فوقها دكة * من تحتها تلقى خليج الذكر

(قناطر بحر أبى المنجا) هذه القناطر من أعظم قناطر مصر وأكبرها أنشأها السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى فى سنة خمس وستين وستمائة وتولى عمارتها الامير عز الدين ايبك الافرم * (قناطر الجيزة) قال فى كتاب عجائب البنيان ان القناطر الموجودة اليوم فى الجيزة من الابنية العجيبة ومن أعمال الجبابرة وهى نيف واربعون قنطرة عمرها الامير قراقوش الاسدى وكان على العمائر فى أيام السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب بما هدمه من الاهرام التى كانت بالجيزة وأخذ حجرها فبنى منه هذه القناطر وبنى سور القاهرة ومصر وما بينهما وبنى قلعة الجبل وكان خصيا روميا سامى الهمة وهو صاحب الاحكام المشهورة والحكايات المذكورة وفيه صنف الكتاب المشهور المسمى بالفاشوش فى أحكام قراقوش وفى سنة تسع وتسعين وخمسمائة تولى امر هذه القناطر من لا بصيرة عنده فسدها رجاء أن يحبس الماء فقويت عليها جرية الماء فزلزلت منها ثلاث قناطر وانشقت ومع ذلك فاروى ما رجا أن يروى وفى سنة ثمان وسبعمائة رسم الملك المظفر بيبرس الجاشنكير برمتها فعمر

ماخرب منها واصلح ما أفسد فيها فحصل النفع بها وكان قراقوش لما أراد بناء هذه القناطر بنى رصيفا من حجارة ابتدأ به من حيز النيل بازاء مدينة مصر كأنه جبل ممتد على الارض مسيرة ستة اميال حتى يتصل بالقناطر

* (ذكر البرك) *

قال ابن سيده البركة مستنقع الماء والبركة شبه حوض يحفر في الارض انتهى وقد رأيت بخط معتبر ما مثاله وملؤا البركة ماء فنصب الباء وكسر الراء وفتح الكاف والتاء * (بركة الحبش) هذه البركة كانت تعرف ببركة المغافر وتعرف ببركة حمير وتعرف أيضا باصطبل قرة وعرفت أيضا باصطبل قامش وهي من اشهر برك مصر وهي في ظاهر مدينة الفسطاط من قبليها فيما بين الجبل والنيل وكانت من الموات فاستنبطها قرة بن شريك العبسي أمير مصر وأحياها وغرسها قصبا فعرفت باصطبل قرة وعرفت أيضا باصطبل قامش وتنقلت حتى صارت تعرف ببركة الحبش ودخلت في ملك أبي بكر المارداني فجعلها وقفا ثم أرصدت لبني حسن وبني حسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فلم تزل جارية في الاوقاف عليهم الى وقتنا هذا قال أبو بكر الكندي في كتاب الامراء وقدم قرة بن شريك من وفادته في سنة ثلاث وتسعين فاستنبط الاصطبل لنفسه من الموات وأحياه وغرسه قصبا فكان يسمى اصطبل قرة ويسمى أيضا اصطبل القامش يعنون القصب كما يقولون قامش مروان وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر وكان الاصطبل للازد فاشتراه منهم الحكم بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان ابن الحكم فبناه وكان يجري على الذي يقرأ في المصحف الذي وضعوه في المسجد الذي يقال له مصحف اسماء من كراه في كل شهر ثلاثة دنانير فلما حيزت اموالهم يعني اموال بني أمية وضمت الى مال الله حيز الاصطبل فيما حيز وكتب بأمر المصحف الى امير المؤمنين أبي العباس السفاح فكتب أن أقروا مصحفهم في مسجدهم على حاله وأجروا على الذي يقرأ فيه ثلاثة دنانير في كل شهر من مال الله تعالى وقال القضاعي بركة الحبش كانت تعرف ببركة المغافر وحمير وتعرف باصطبل قامش وكانت في ملك أبي بكر محمد بن علي المارداني بجميع ماتشتمل عليه من المزارع والجنان خلا الجنان التي في شرقيها وأظنها الجنان المنسوبة الى وهب بن صدقة وتعرف بالحبش فاني رأيت في شرط هذه البركة أن الحد الشرقي ينتهي الى الفضاء الفاصل بينها وبين الجنان المعروفة بالحبش فدل على أن الجنان خارجة عنها وذكر ابن يونس في تاريخه أن في قبلي بركة الحبش جنانا تعرف بقتادة بن قيس بن حبشي الصدفي شهد فتح مصر والجنان تعرف بالحبش وبه تعرف بركة الحبش وذكر بعد هذا الشرط أن الحد البحري ينتهي الى البئر الطولونية والى البئر المعروفة بموسى بن أبي خليد وهذه البئر هي البئر المعروفة بالنعش ورايت في كتاب شرط هذه البركة أنها محبسة على البئرين اللتين استنبطهما أبو بكر المارداني في بني وائل بحضرة الخليج والقنطرة المعروفة احداهما بالفندق والاخرى بالعتيق وعلى السرب الذي يدخل منه الماء الى البئر الجارة المعروفة بالروا التي في بني وائل ذات القناطر التي يجري فيها الماء الى المصنعة التي بحضرة العقبة التي يصار منها الى يحصب وهي المصنعة المعروفة بدليله وعلى القنوات المتصلة بها التي تصب الى المصنعة ذات العمد الرخام القائمة فيها المعروفة بسمينة وهي التي في وسط يحصب ويقال ان هناك كانت سوق ليحصب وذكر في هذا الشرط داراله في موضع السقاية المعروفة بسقاية زوف وشرط أن تنشأ هذه الدار مصنعة على مثل هذه المصنعة المقدم ذكرها المعروفة بسمينة وهي سقاية زوف اليوم وعلى القناة التي يجري فيها الماء الى مصنعة ذكر انه كان أنشأها عند البئر المعروفة اليوم ببئر القبة والحوض الذي هناك بحضرة المسجد المعروف بمسجد القبة وكانت هذه المصنعة تسمى ريا وجعل هذا الحبس ايضا على البئر التي له بالحبانية بحضرة الخندق وذكر أنها تعرف بالقبانية وان ماءها يجري الى المصنعة المقابلة للميدان من دار الامارة في طريق المصلى القديم ثم الى المصنعة التي تحت مسجده المقابل لدار عبد العزيز ثم الى المصنعة المقابلة لمسجد التربة المجاورة لمسجد الاخضر وتاريخ هذا الشرط شهر رمضان سنة سبع وثلثمائة وجعل ما يفضل عن جميع ذلك مصروفا في ابتياع بقر وكباش تذبح ويطبخ لحمها ويبتاع أيضا معها خبز ودراهم وأكسية وأعبية ويتصدق بذلك على الفقراء والمساكين بالمغافر وغيرها من القبائل بمصر وكان بناؤه السقايتين اللتين بالموقف والسقايات التي بالمغافر وبزوف وبيحصب وبني وائل وعمل المجاري في سنة أربع وقيل في سنة ثلاث وثلثمائة وقد حبس أبو بكر على الحرمين ضياعا كان ارتفاعها نحو مائة ألف دينار منها سيوط وأعمالها وغيرها انتهى * وفي تواريخ النصارى أن الامير احمد بن طولون صادر البطريق ميخائيل بطرك اليعاقبة على عشرين ألف دينار فباع

النصارى رباع الكنائس بالاسكندرية وأرض الحبش بظاهر مصر والكنيسة المجاورة للمعلقة بقصر الشمع بمصر لليهود قلت هكذا فى تواريخهم ولا اعلم كيف ملكوا أرض الحبش فلعل المارداني هو الذى اشتراها ثم وقفها * وقال ابن المتوج بركة الحبش هذه البركة مشهورة فى مكانها وقد اتصل ثبوت وقفها عند قاضى القضاة بدر الدين أبى عبد الله محمد بن سعد الله بن جماعة رحمة الله عليه على انها وقف على الاشراف الاقارب والطالبين نصفين بينهما بالسوية النصف الاول على الاقارب والنصف الآخر على الطالبين وثبت قبله عند قاضى القضاة بدر الدين أبى المحاسن يوسف بن الحسن السنجارى أن النصف منها وقف على الاشراف الاقارب بالاستفاضة بتاريخ ثالث عشر ربيع الاول سنة أربعين وستمائة وهم الاقارب الحسينيون وهو اذ ذاك قاضى القضاة بالقاهرة والوجه البحرى وما مع ذلك من البلاد الشامية المضافة الى ملك الملك الصالح نجم الدين أيوب وثبت عند قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله تعالى وكان قاضى القضاة بمصر والوجه القبلى وخطيب مصر بالاستفاضة أيضا أن البركة المذكورة وقف على الاشراف الطالبيين بتاريخ التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة وبعدهما قاضى القضاة وجيه الدين البهنسى فى ولايته ثم نفذهما بعد تنفيذ وجيه الدين المذكور فى شعبان سنة ثلاث عشرة وسبعمائة قاضى القضاة بدر الدين أبو عبد الله محمد بن جماعة وهو حاكم الديار المصرية خلا ثغر الاسكندرية ويأتى اصل خبر هذه البركة مبينا مشروحا من اصلها فى مكانه ان شاء الله تعالى * قال فمن جملة الاوقاف بركة الاشراف المشهورة ببركة الحبش وهذه البركة حدودها أربعة الحد القبلى ينتهى بعضه الى ارض العدوية يفصل بينهما جسر هناك وباقيه الى غيطان بساتين الوزير والحد البحرى ينتهى بعضه الى ابنية الآدر التى هناك المطلة عليها والى الطريق والى الجسر الفاصل بينها وبين بركة الشعيبية والحد الشرقى الى حد بساتين الوزير المذكورة والحد الغربى ينتهى بعضه الى بحر النيل والى أراضى دير الطين والى بعض حقوق جزيرة ابن الصابونى وجسر بستان المعشوق الذى هو من حقوق الجزيرة المذكورة وهذه البركة وقف الاشراف الاقارب والطالبين نصفين بينهما بالسوية والذى شاهدته من امرها أنى وقفت على اسجال قاضى القضاة بدر الدين أبى المحاسن يوسف السنجارى رحمة الله تعالى عليه تاريخه ثانى عشر ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة وهو حين ذاك حاكم القاهرة والوجه البحرى على محضر شهد فيه بالاستفاضة أن نصف هذه البركة وقف على الاشراف الاقارب الحسينيين وثبت ذلك عنده ورأيت اسجال الشيخ قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله على محضر شهد فيه بالاستفاضة وهو حين ذلك قاضى مصر والوجه القبلى وأشهد عليه أنه ثبت عنده أن البركة المذكورة جميعها وقف على الاشراف الطالبيين وتاريخ اسجاله التاسع والعشرون من شهر ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة ثم نفذهما جميعا فى تاريخ واحد قاضى القضاة وجيه الدين البهنسى وهو قاضى القضاة حين ذاك ثم نفذهما قاضى القضاة بدر الدين أبو عبد الله محمد بن جماعة وهو قاضى القضاة بالديار المصرية واستقر النصف من ريع هذه البركة على الاشراف الاقارب مع قلتهم والنصف على الاشراف الطالبيين مع كثرتهم وتنازعوا غير مرة على أن تكون بينهما الجميع بالسوية فلم يقدروا على ذلك وعقد لهم مجلس غير مرة فلم يقدروا على تغييره وأحسن ما وصفت به بركة الحبش قول عيسى بن موسى الهاشمى أمير مصر وقد خرج الى الميدان الذى بطرف المقابر فقال لمن معه أتتأملون الذى أرى قالوا وما الذى يرى الامير قال أرى ميدان رهان وجنان نخل وبستان شجر ومنازل سكنى وذروة جبل وجبانة اموات ونهرا عجاجا وأرض زرع ومراعى ماشية ومرتع خيل وساحل بحر وصائد نهر وقانص وحش وملاح سفينة وحادى ابل ومفازة رمل وسهلا وجبلا فهذه ثمانية عشر متنزها فى اقل من ميل فى ميل واين هذه الاوصاف من وصف بعضهم قصر أنس بالبصرة فى قوله

زر وادى القصر نعم القصر والوادى * لا بد من زورة من غير ميعاد
زره فليس له شئ يشاكله * من منزل حاضر ان شئت أو بادى
تلقى به السفن والاعياس حاضرة * والضب والنون والملاح والحادى

وقال

زر وادى القصر نعم القصر والوادى * وحبذا أهله من حاضر بادى
تلقى قراقرة والعيس واقفة * والضب والنون والملاح والحادى

هكذا أنشدهما أبو الفرج الاصبهانى رحمه الله تعالى فى كتاب الاغانى ونسبهما لابن عيينة بن المنهال بن محمد ابن أبى عيينة بن المهلب بن أبى صفرة شاعر من ساكنى البصرة وقيل ان اسمه عذرة وقيل اسمه أبو عيينة وكنيته أبو المنهال وكان بعد المائتين وأنشد أبو العلاء المعرّى فى رسالة الصاهل والساجح

ياصاح ألمم بأهل القصر والوادى * وحبذا أهله من حاضر بادى
ترى قراقرة والعيس واقفة * والضب والنون والملاح والحادى

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسى وفى هذا الوقت من السنة يعنى أيام النيل تكون أرض مصر أحسن شئ منظرا ولاسيما منتزهاتها المشهورة ودياراتها المطروقة كالجزيرة والجيزة وبركة الحبش وماجرى مجراها من المواضع التى يطرقها أهل الخلاعة والقصف ويتناوبها ذووا الآداب والظرف واتفق أن خرجنا فى مثل هذا الزمان الى بركة الحبش وافترشنا من زهرها أحسن بساط واستظللنا من دوحها بأوفى رواق فظللنا نتعاطى من زجاجات الاقداح شموسا فى خلع بدور وجسوم نار فى غلائل نور الى أن جرى ذهب الاصيل على لجين الماء ونشبت نار الشفق بفحمة الظلماء فقال بعضهم (وهو امية المذكور من قوله المشهور)

لله يومى ببركة الحبش * والافق بين الضياء والغبش
والنيل تحت الرياح مضطرب * كصارم فى يمين مرتعش
ونحن فى روضة مفوّفة * دبج بالنور عطفها ووشى
قد نسجتها يد الغمام لنا * فنحن من نسجها على فرش
فعاطنى الراح ان تاركها * من سورة الهمّ غير منتعش
وأثقل الناس كلهم رجل * دعاه داعى الهوى فلم يطش
فأسقنى بالكبار مترعة * فهنّ أشفى لشدّة العطش

وقال أيضا

علل فؤادك باللذات والطرب * وباكر الرّاح بالبانات والنخب
أماترى البركة الغناء لابسة * وشيا من النور حاكته يد السحب
وأصبحت من جديد الروض فى حلل * قد أبرز القطر منها كل محتجب
من سوسن شرق بالطل محجره * واقحوان شهىّ الظلم والشنب
فانظر الى الورد يحكى خدّ محتشم * ونرجس ظلّ يبدى لحظ مرتقب
والنيل من ذهب يطفو على ورق * والرّاح من ورق يطفو على ذهب
وربّ يوم نقعنا فيه غلتنا * بجاحم من فم الابريق ملتهب
شمس من الرّاح حيانا بها قمر * موف على غصن يهتز فى كثب
أرخى ذوائبه وانهز منعطفا * كصعدة الرمح فى مسودة العذب
فاطرب ودونكها فاشرب فقد بعثت * على التصابى دواعى اللهو والطرب

وقال

يانزهة الرصد المصرى قد جمعت * من كل شئ حلا فى جانب الوادى
فذا غدير وذا روض وذا جبل * والضب والنون والملاح والحادى

وقال ابراهيم بن الرقيق فى تاريخه حدثنى محمد الكهينى وكان أديبا فاضلا قد سافر ورأى بلدان المشرق قال ما رأيت قط أجل من ايام النوروز والغطاس والميلاد والمهرجان وعيد الشعانين وغير ذلك من ايام اللهو التى كانوا يسخون فيها بأموالهم رغبة فى القصف والعزف وذلك أنه لا يبقى صغير ولا كبير الا خرج الى بركة الحبش متنزها فيضربون عليها المضارب الجليلة والسرادقات والقباب والشراعات ويخرجون بالاهل والولد ومنهم من يخرج بالقينات المسمعات المماليك والمحررات فيأكلون ويشربون ويسمعون ويتفكهون وينعمون فاذا جاء الليل أمر الامير تميم بن المعز فأتى فارس من عبيده بالعسس عليهم فى كل ليلة الى أن يقضوا من اللهو والنزهة أربهم وينصرفوا فيسكرون وينامون كما ينام الانسان فى بيته ولا يضيع لاحد منهم ماقيمته حبة واحدة ويركب

الامير تميم فى عشارى ويتبعه أربعة زواريق مملوءة فاكهة وطعاما ومشروبا فان كانت الليالى مقمرة والا كان معه من الشموع ما يعيد الليل نهارا فاذا مرّ على طائفة واستحسن من غنائهم صوتا أمرهم باعادته وسألهم عما عزعليهم فيأمر لهم به ويأمر لمن يغنى لهم وينتقل منهم الى غيرهم بمثل هذا الفعل عامة ليله ثم ينصرف الى قصوره وبساتينه التى على هذه البركة فلا يزال على هذه الحال حتى تنقضى هذه الايام ويتفرق الناس وقال محمد ابن أبى بكر بن عبد القادر الرازى الحنفى وتوفى بدمشق سنة احدى وخمسين وستمائة يصف بركة الحبش فى ايام الربيع

اذا زين الحسناء قرط فهذه * يزينها من كل ناحية قرط
ترقرق فيها ادمع الطل غدوة * فقلت لآل قد تضمنها قرط

وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب وخرجت مرة حيث بركة الحبش التى يقول فيها أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسى عفا الله عنه

لله يومى ببركة الحبش * والافق بين الضياء والغبش
والنيل تحت الرياح مضطرب * كصارم فى يمين مرتعش

وعاينت من هذه البركة ايام فيض النيل عليها ابهج منظر ثم زرتها أيام غاض الماء وبقيت فيها مقطعات بين خضر من القرط والكتان تفتن الناظر وفيها اقول

يابركة الحبش التى يومى بها * طول الزمان مبارك وسعيد
حتى كأنك فى البسيطة جنة * وكأن دهرى كله بك عيد
ياحسن ما يبدو بك الكتان فى * نواره اوزره معقود
والماء منك سيوفه مسلولة * والقرط فيك رواقه ممدود
وكأن ابراجا عليك عرائس * جليت وطيرك حولها غرّيد
ياليت شعرى هل زمانك عائد * فالشوق فيه مبدئ ومعيد

وكان ماء النيل يدخل الى بركة الحبش من خليج بنى وائل وكان خليج بنى وائل مما يلى باب مصر من الجهة القبلية الذى يعرف الى يومنا هذا بباب القنطرة من اجل أن هذه القنطرة كانت هنالك * قال ابن المتوج ورأيت ماء النيل فى زمن النيل يدخل من تحته الى خليج بنى وائل * قلت وفى ايام الناصر محمد بن قلاون استولى النشو ناظر الخاص على بركة الحبش وصار يدفع الى الاشراف من بيت المال مالا فى كل سنة فلما مات الناصر وقام من بعده ابنه المنصور ابو بكر أعيدت لهم

(ذكر الماردانى)

هو أبو بكر محمد بن على بن محمد بن رستم بن احمد وقيل محمد بن على بن احمد بن عيسى بن رستم وقيل محمد بن على بن أحمد بن ابراهيم بن الحسين بن عيسى بن رستم الماردانى أحد عظماء الدنيا ولد بنصيبين لثلاث عشرة خلت من شهر ربيع الاول سنة ثمان وخمسين ومائتين وقدم الى مصر فى سنة اثنتين وسبعين ومائتين وخلف أباه على بن احمد الماردانى أيام نظره فى أمور أبى الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون وسنه يومئذ خمس عشرة سنة وكان معتدل الكتابة ضعيف الخط من النحو واللغة ومع ذلك فكان يكتب الى الخليفة فمن دونه على البديهة من غير نسخة فيخرج الكتاب سليما من الخلل ولما قتل أبوه فى سنة ثمانين ومائتين استوزره هارون بن خمارويه فدبر أمر مصر الى أن قدم محمد بن سليمان الكاتب من بغداد الى مصر وأزال دولة بنى طولون وحمل رجالهم الى العراق فكان أبو بكر ممن حمل فأقام ببغداد الى أن قدم صحبة العساكر لقتال خباسة فدبر أمر البلد وأمر ونهى وحدّث بمصر عن أحمد بن عبد الجبار العطاردى وغيره بسماعه منهم فى بغداد وكان قليل الطلب للعلم تغلب عليه محبة الملك وطلب السيادة ومع ذلك كان يلازم تلاوة القرآن الكريم ويكثر من الصلاة ويواظب على الحج وملك بمصر من الضياع الكبار مالم يملكه أحد قبله وبلغ ارتفاعه فى كل سنة أربعمائة ألف دينار سوى الخراج ووهب وأعطى وولى وصرف وأفضل ومنع ورفع ووضع وحج سبعا وعشرين حجة انفق فى كل حجة منها مائة وخمسين ألف دينار وكان تكين أمير مصر يشيعه اذا خرج للحج ويتلقاه اذا قدم وكان

يحمل الى الحجاز جميع ما يحتاج اليه ويفرق بالحرمين الذهب والفضة والثياب والحلوى والطيب والحبوب
ولا يفارق أهل الحجاز الا وقد اغناهم وقيل مرّة وهو بالمدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة والسلام ما بات فى
هذه الليلة أحد بمكة والمدينة وأعمالهما الا وهو شبعان من طعام أبى بكر المادرانىّ * ولما قدم الامير محمد بن
طغج الاخشيد الى مصر استتر منه فانه كان منعه من دخول مصر وجمع العساكر لقتاله فاجتمع له زيادة على
ثلاثين ألف مقاتل وحاربهم بعد موت تكين أمير مصر ومرّت به خطوب لكثرة فتن مصر اذ ذاك وأحرقت
دوره ودور أهله ومجاوريه وأخذت امواله واستتر فقبض على خليفته وعماله فكتب الى بغداد يسأل امارة
مصر وكتب محمد بن تكين بالقدس يسأل ذلك فعاد الجواب بامارة ابن تكين وأن يكون المادرانىّ يدبر أمر مصر
ويولى من شاء فظهر عند ذلك من الاستتار وأمر ونهى ودبر أمر البلد وصار الجيش بأسره يغدو الى بابه
فانفق فى جماعة واصطنع قوما وقتل عدّة من اصحاب ابن تكين وكان محمد بن تكين بالقدس وأمر مصر كله
للمادرانىّ بمفرده ومعه احمد بن كيغلغ وقد قدم من بغداد بولاية ابن تكين على مصر وولاية أبى بكر المادرانىّ
تدبير الامور فاستمال أبو بكر أحمد بن كيغلغ حتى صار معه على ابن تكين وحاربه وكان من أمره ما كان الى أن
قدمت عساكر الاخشيد فقام أبو بكر لمحاربتهم ومنع الاخشيد من مصر فكان الاخشيد غالباله ودخل
البلد فاستتر منه أبو بكر الى أن دل عليه فأخذه وسلمه الى الفضل بن جعفر بن الفرات فلما صار الى ابن
الفرات قال له ايش هذا الاستيحاش والتستر وانت تعلم أن الحج قد أظلّ ويحتاج لاقامة الحج فقال له أبو بكر
ان كان الىّ فخمسة عشر ألف دينار فقال ابن الفرات ايش خمسة عشر ألف دينار قال ما عندى غير هذا فقال ابن
الفرات بهذا ضربت وجه السلطان بالسيف ومنعت أمير البلد من الدخول ثم صاح ياشادن خذه اليك فأقيم
وادخل الى بيت وكان يومئذ صائما فامتنع من تناول الطعام والشراب ولزم تلاوة القرآن والصلاة طول يومه
وليلته واصبح فامتنع ابن الفرات من الاكل اجلالا له فلما كان وقت الفطر من الليلة الثانية امتنع أبو بكر من
الفطر كما امتنع فى الليلة الاولى فامتنع ابن الفرات أيضا من الاكل وقال لا آكل ابدا أو يأكل أبو بكر فلما بلغ
ذلك أبا بكر أكل فأخذ ابن الفرات فى مصادرته وقبض على ضياعه التى بالشام ومصر وتتبع اسبابه
ثم خرج به معه الى الشام وعاد به الى مصر ثم خرج به ثانيا الى الشام فمات الفضل بن الفرات بالرملة ورجع أبو بكر
الى مصر فردّ اليه الاخشيد أمور مصر كلها وخلع على ابنه وتقلد السيف ولبس المنطقة ولبس أبو بكر الدراعة
تنزها ثم تنكر عليه الاخشيد وقبضه فى سنة احدى وثلاثين وثلثمائة وجعله فى دار وأعدّ له فيها من الفرش
والآلات والاوانى والملبوس والطيب والطرائف وانواع المآكل والمشارب ما بلغ فيه الغاية وتفقدها
بنفسه وطافها كلها فقيل له عملت هذا كله لمحمد بن علىّ المادرانىّ فقال نعم هذا ملك وأردت أن لا يحتقر بشئ لنا
ولا يحتاج أن يطلب حاجة الا وجدها فانه ان فقد عندنا شيأ مما يريده استدعى به من داره فنسقط نحن من عينيه
عند ذلك فلم يزل معتقلا حتى خرج الاخشيد الى لقاء أمير المؤمنين المتقى لله فحمله معه ولما مات الاخشيد بدمشق
كان أبو بكر بمصر فقام بأمر أونوجور بن الاخشيد وقبض على محمد بن مقاتل وزير الاخشيد وأمر ونهى وصرف
الامور الى أن كانت واقعة غلبون واتصال أبى بكر به فلما عادت الاخشيدية قبض على أبى بكر ونهبت دوره
وأحرق بعضها وأخذ ابنه وقام أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات بأمر الوزارة فعندما قدم كافور
الاخشيدى من الشام بالعساكر التى كانت مع الاخشيد أطلق أبا بكر واكرمه وردّ اليه ضياعه وضياع ابنه فلما
ماتت أم ولده لحقه كافور ومعه الامير اونوجور عند المقابر وترجلا له وعزياه ثم ركبا معه حتى صليا عليها فلما مرض
مرض موته عاده كافور مرارا الى أن مات فى شهر شوال سنة خمس وأربعين وثلثمائة فدفن بداره ثم نقل الى
المقابر وكانت فضائله جمة منها أنه أقام أربعين سنة يصوم الدهر كله ويركب كل يوم الى المقابر بكرة وعشية
فيقف له الموكب حتى يمضى الى تربة اولاده وأهله فيقرأ عندهم ويدعو لهم وينصرف الى المساجد فى الصحراء
فيصلى بها والناس وقوف له الا انه كان فى غاية العجلة لا يراجع فيما يريده ولو كان ما كان ولما اراد المقتدر أن يقيم
وزيرا كتبت رقعة فيها أسماء جماعة وأنفذت الى علىّ بن عيسى ليشير بواحد منهم وكان أبو بكر ممن كتب
معهم اسمه فكتب تحت كل اسم واحد منهم ما يستحقه من الوصف وكتب تحت اسم أبى بكر محمد بن علىّ
المادرانىّ مترف عجول وبنى أبو بكر السقايات والمساجد فى المغافر وفى يحصب وبنى وائل وليس لشئ منها اليوم

اثر يعرف ومرّت له فى هذا الكتاب أخبار وقد أفرد له ابن زولاق سيرة كبيرة وهذا منها والله اعلم

(ذكر بساتين الوزير)

هذه البساتين فى الجهة القبلية من بركة الحبش وهى قرية فيها عدّة مساكن وبساتين كثيرة وبها جامع تقام فيه الجمعة وعرفت بالوزير أبى الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن محمد المغربىّ وبنو المغربىّ اصلهم من البصرة وصاروا الى بغداد وكان أبو الحسن علىّ بن محمد يخلف على ديوان المغرب ببغداد فنسب به الى المغرب وولد ابنه الحسين بن علىّ ببغداد فتقلد أعمالا كثيرة منها تدبير محمد بن ياقوت عند استيلائه على امر الدولة ببغداد وكان خال ولده علىّ وهو أبو علىّ هارون بن عبد العزيز الاوارجىّ الذى مدحه أبو الطيب المتنبى من اصحاب أبى بكر محمد بن رائق فلما لحق ابن رائق ما لحقه بالموصل صار الحسين بن علىّ بن المغربى الى الشام ولقى الاخشيد وأقام عنده وصار ابنه أبو الحسن علىّ بن الحسين ببغداد فأنفذ الاخشيد غلامه فاتك المجنون فحمله ومن يليه الى مصر ثم خرج ابن المغربىّ من مصر الى حلب ولحق به سائر أهله ونزلوا عند سيف الدولة أبى الحسن علىّ بن عبد الله بن حمدان مدّة حياته وتخصص به الحسين بن علىّ بن محمد المغربىّ ومدحه أبو نصر بن نباتة وتخصص أيضا علىّ بن الحسين بسعد الدولة بن حمدان ومدحه أبو العباس النامى ثم شجر بينه وبين ابن حمدان ففارقه وصار الى بكجور بالرقة فحسن له مكاتبة العزيز بالله نزار والتحيز اليه فلما وردت على العزيز مكاتبة بكجور قبله واستدعاه وخرج من الرقة يريد دمشق فوافاه عبد العزيز بولاية دمشق وخلفه فتسلمها وخرج لمحاربة ابن حمدان بحلب بمشورة علىّ بن المغربىّ فلم يتم له امر وتأخر عنه من كاتبه فقال لابن المغربىّ غررتنى فيما اشرت به علىّ وتنكر له ففرّ منه الى الرقة وكانت بين بكجور وبين ابن حمدان خطوب آلت الى قتل ابن بكجور ومسير ابن حمدان الى الرقة ففرّ ابن المغربىّ منها الى الكوفة وكاتب العزيز بالله يستأذنه فى القدوم فأذن له وقدم الى مصر فى جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وثلثمائة وخدم بها وتقدّم فى الخدم فحرّض العزيز على أخذ حلب فقلد بنجوتكين بلاد الشام وضم اليه أبا الحسن بن المغربىّ ليقوم بكتابته ونظر الشام وتدبير الرجال والاموال فسار الى دمشق فى سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة وخرج الى حلب وحارب أبا الفضائل بن حمدان وغلامه لؤلؤا فكاتب لؤلؤ أبا الحسن ابن المغربىّ واستماله حتى صرف بنجوتكين عن محاربة حلب وعاد الى دمشق وبلغ ذلك العزيز بالله فاشتدّ حنقه على ابن المغربىّ وصرفه بصالح بن علىّ الروذبادىّ واستقدم ابن المغربىّ الى مصر ولم يزل بها حتى مات العزيز بالله وقام من بعده ابنه الحاكم بأمر الله أبو علىّ منصور فكان هو وولده أبو القاسم حسين من جلسائه فلما شرع الحاكم بامر الله فى قتل رجال الدولة من القوّاد والكتاب والقضاة قبض على علىّ ومحمد ابنى المغربىّ وقتلهما ففرّ منه أبو القاسم حسين بن علىّ بن المغربىّ الى حسان بن مفرّج بن الجرّاح فأجاره وقلد الحاكم يارجتكين الشام فخافه ابن جرّاح لكثرة عساكره فحسن له ابن المغربىّ مهاجمته فطرق يارجتكين فى مسيره على غفلة وأسره وعاد الى الرملة فشن الغارات على رساتيقها وخرج العسكر الذى بالرملة فقاتل العرب قتالا شديدا كادت العرب أن تنهزم لولا ثبتها ابن المغربىّ واشار عليهم باشهار النداء باباحة النهب والغنيمة فثبتوا ونادوا فى الناس فاجتمع لهم خلق كثير وزحفوا الى الرملة فملكوها وبالغوا فى النهب والهتك والقتل فانزعج الحاكم لذلك انزعاجا عظيما وكتب الى مفرّج بن جرّاح يحذره سوء العاقبة ويلزمه باطلاق يارجتكين من يد حسان ابنه وارساله الى القاهرة ووعده على ذلك بخمسين ألف دينار فبادر ابن المغربىّ لما بلغه ذلك الى حسان وما زال يغريه بقتل يارجتكين حتى احضره وضرب عنقه فشق ذلك على مفرّج وعلم انه فسد ما بينهم وبين الحاكم فأخذ ابن المغربىّ يحسن لمفرّج خلع طاعة الحاكم والدعاء لغيره الى أن استجاب له فراسل أبا الفتوح الحسن بن جعفر العلوىّ امير مكة يدعوه الى الخلافة وسهل له الامر وسير اليه بابن المغربىّ يحثه على المسير وجرّأه على اخذ مال تركه بعض المياسير ونزع المحاريب الذهب والفضة المنصوبة على الكعبة وضربها دنانير ودراهم وسماها الكعبية وخرج ابن المغربىّ من مكة فدعا العرب من سليم وهلال وعوف بن عامر ثم سار به وبمن اجتمع عليه من العرب حتى نزل الرملة فتلقاه بنو الجرّاح وقبلوا له الارض وسلموا عليه بامرة المؤمنين ونادى فى الناس بالامان وصلى بالناس الجمعة فامتعض الحاكم لذلك وأخذ فى استمالة حسان ومفرّج وغيرهما وبذل لهم الاموال فتنكروا على أبى الفتوح وقلد أيضا مكة بعض بنى عمّ أبى الفتوح فضعف امره وأحس من حسان بالغدر فرجع الى مكة وكاتب الحاكم واعتذر اليه فقبل عذره

واما ابن المغربى فانه لما انحل امر أبى الفتوح ورأى ميل بنى الجراح الى الحاكم كتب اليه

وانت وحسبى انت تعلم أن لى * لسانا أمام المجد يبنى ويهدم
وليس حليما من تباس يمينه * فيرضى ولكن من تعض فيحلم

فسير اليه امانا بخطه وتوجه ابن المغربى قبل وصول امان الحاكم اليه الى بغداد وبلغ القادر بالله خبره فاتهمه بانه قدم فى فساد الدولة العباسية فخرج الى واسط واستعطف القادر فعطف عليه وعاد الى بغداد ثم مضى الى قرواش بن المقلد أمير العرب وسار معه الى الموصل فأقام بها مدة وخافه وزير قرواش فأخرجه الى ديار بكر فأقام عند اميرها نصير الدولة أبى نصر أحمد بن مروان الكردى وتصرف له وكان يلبس فى هذه المدة المرقعة والصوف فلما تصرف غير لباسه وانكشف حاله فصار كمن قيل فيه وقد ابتاع غلاما تركيا كان يهواه قبل أن يبتاعه

تبدل من مرقعة ونسك * بأنواع المسك والشفوف
وعن له غزال ليس يحوى * هواه ولا رضاه بلبس صوف
فعاد اشد ما كان انتهاكا * كذاك الدهر مختلف الصروف

واقام هنالك مدة طويلة فى أعلى حال وأجل رتبة واعظم منزلة ثم كوتب بالمسير الى الموصل ليستوزره صاحبها فسار عن ميافارقين وديار بكر الى الموصل فتقلد وزارتها وتردد الى بغداد فى الوساطة بين صاحب الموصل وبين السلطان أبى على بن سلطان الدولة أبى شجاع بن بهاء الدولة أبى نصر بن عضد الدولة أبى شجاع بن ركن الدولة أبى على بن بويه واجتمع برؤساء الديلم والاتراك وتحدث فى وزارة الحضرة حتى تقلدها بغير خلع ولا لقب ولا مفارقة الدراعة فى شهر رمضان سنة خمس عشرة وأربعمائة فأقام شهورا وأغرى رجال الدولة بعضهم ببعض وكانت أمور طويلة آلت الى خروجه من الحضرة الى قرواش فتجدد للقادر بالله فيه سوء ظن بسبب ما أثاره من الفتنة العظيمة بالكوفة حتى ذهبت فيها عدة نفوس وأموال ففر الى أبى نصر بن مروان فاكرمه وأقطعه ضياعا وأقام عنده فكوتب من بغداد بالعود اليها فبرز عن ميافارقين يريد المسير الى بغداد فسم هنالك وعاد الى المدينة فمات بها لايام خلت من شهر رمضان سنة ثمان عشرة وأربعمائة ومولده بمصر ليلة الثالث عشر من ذى الحجة سنة سبعين وثلثمائة وكان اسمر شديد السمرة بساطا عالما بليغا مترسلا متفننا فى كثير من العلوم الدينية والادبية والنحوية مشارا اليه فى قوة الذكاء والفطنة وسرعة الخاطر والبديهة عظيم القدر صاحب سياسة وتدبير وحيل كثيرة وأمور عظام دوخ الممالك وقلب الدول وسمع الحديث وروى وصنف عدة تصانيف وكان ملولا حقودا لا تلين كبده ولا تنحل عقده ولا يخفى عوده ولا ترتجى وعوده وله رأى يزين له العقوق ويبغض اليه رعاية الحقوق كأنه من كبره قد ركب الفلك واستولى على ذات الحبك وكان بمصر من بنى المغربى أبو الفرج محمد ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسين المغربى قد قتل الحاكم جده محمدا مع أبيه على بن الحسين كما تقدم فلما نشأ أبو جعفر سار الى العراق وخدم هنالك وتنقلت به الاحوال ثم عاد الى مصر واصطنعه الوزير البارزى وولاه ديوان الجيش وكانت السيدة أم المستنصر بالله تعنى به فلما مات الوزير البارزى وولى بعده الوزير أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلى قبض عليه فى جملة أصحاب البارزى واعتقله فتقررت له الوزارة وهو فى الاعتقال وخلع عليه فى الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمسين وأربعمائة ولقب بالوزير الاجل الكامل الاوحد صفى أمير المؤمنين وخالصته فما تعرض لاحد ولا فعل فى البابلى ما فعله البابلى فيه وفى أصحاب البارزى فأقام سنتين وشهورا وصرف فى تاسع شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة وكان الوزراء اذا صرفوا لم يتصرفوا فاقترح أبو الفرج بن المغربى لما صرف أن يتولى بعض الدواوين فولى ديوان الانشاء الذى يعرف اليوم بوظيفة كتابة السر وهو الذى استنبط هذه الوظيفة بديار مصر واستحدث استخدام الوزراء بعد صرفهم عن الوزارة ولم يزل نابه القدر الى أن توفى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة * (بركة الشعيبية) * هذه البركة موضعها خلف جسر الافرم فيما بينه وبين الجرف الذى يعرف اليوم بالرصد وكانت تجاور بركة الحبش من بحريها وقد انقطع عنها الماء وصارت بساتين ومزارع وغير ذلك * قال ابن المتوج بركة الشعيبية بظاهر مصر كان يدخل اليها ماء النيل وكان لها خليجان أحدهما من قبليها وهو الآن بجوار منظرة الصاحب تاج الدين بن حنا المعروفة بمنظرة المعشوق والثانى من بحريها

ويقال

ويقال له خليج بنى وائل عليه قنطرة بها عرف باب القنطرة بمصر وكان يجرى فيهما الماء من النيل اليها فكان الماء يدخل اليها فى كل سنة ويعمها ويدخل اليها الشخاتير وكان بدائرها من جانبها الشرقى ادر كثيرة وكانت نزهة المصريين فلما استأجرها الامير عز الدين أيبك الافرم من الناظر عليها من جهة الحكم العزيزى حازها بالجسور عن الماء وغرس فيها الاشجار والكروم وحفر الآبار وهذه البركة مساحتها أربعة وخمسون فدانا ولها حدود أربعة الحد القبلى ينتهى بعضه الى بعض أرض المعشوق الجارى فى وقف ابن الصابونى والى الجسر الفاصل بينها وبين بركة الحبش وفى هذا الجسر الآن قنطرة يدخل اليها الماء من خليج بركة الاشراف والحد البحرى كان ينتهى بعضه الى منظرة قاضى القضاة بدر الدين السنجارى والى جسره والحد الشرقى ينتهى الى الادر التى كانت مطلة عليها وقد خرب اكثرها وكانت مسكن اعيان المصريين من القضاة والكتاب والحد الغربى ينتهى الى بحر النيل ولما استأجرها الافرم شرط له خمسة افدنة يعمر عليها ويؤجرها لمن يعمر عليها منها فدان واحد من بحريها وفدانان من غربيها ملاصقان لجدار البساتين وفدانان بالجرف الذى من حقوقها فلما مات الافرم طمع الامير علم الدين الشجاعى فى ورثته وفى الوقف وأربابه فغصب أرض الجرف وجملتها فدانان ثم تركها فلما كان فى اثناء دولة الناصر محمد بن قلاون ووزارة الاعسر بيعت ارضها لارباب الابنية التى عليها وهذه البركة وقفها الخطير بن مماتى ودخل معهم بنو الشعيبية لاختلاط انسابهم بالتناسل وقال فى موضع آخر ومن جملة الاوقاف بركة الخطير بن مماتى المشهورة ببركة الشعيبية ومساحة ارضها اربعة وخمسون فدانا وربع ولها حدود أربعة القبلى من البركة الصغرى منها الى الجسر الفاصل بينها وبين بركة الحبش وفيه قنطرة يمر منها الماء الى هذه البركة وباقى هذا الحد الى بعض ابنية مناظر المعشوق ومن جملة حقوق هذا الوقف المجاز المستطيل المسلوك فيه الى المنظرة المذكورة ومنه دهليزها والايوان البحرى وهذا جميعه رأيته ترعة من تراع هذه البركة المذكورة يمر الماء فيها فى زمن النيل اليها وكان باقى هذه المنظرة دارا مطلة على بحر النيل من شرقيها وعلى هذه الترعة من بحريها ثم ملكها الصاحب تاج الدين بن حنا وهدمها وردم الخليج وعمر المنظرة والحمام والبيوت الموجودة الآن وباقى ذلك كله فى أرض ابن الصابونى وحد هذه البركة من الجهة البحرية الى الطريق الآن وكان فيه جسر يعرف بجسر الحيات كان يفصل بين هذه البركة وبين بركة شطا وكان فيه قنطرة يجرى الماء فيها من هذه البركة الى بركة شطا وكان فى هذا الحد ترعة أخرى يجرى الماء فيها فى زمن النيل من البحر الى هذه البركة ورأيته يجرى فيها ورأيت الشخاتير تدخل فيها الى هذه البركة وأما حدها الشرقى فانه كان الى ابنية الادر المطلة على هذه البركة وأما حدها الغربى فانه كان الى بحر النيل ولم تزل كذلك الى أن استأجرها الامير عز الدين أيبك الافرم فردم هذه الترعة وبنى حيطان هذا البستان وجسر عليه وزرع فيه الشتول والخضراوات وأقام على ذلك عدة سنين ثم استأجره اجارة ثانية واشترط البناء على ثلاثة افدنة فى جانبه الغربى وفدان فى جانبه البحرى فعمر الناس واستغنى عن الجسور ورخص على الناس حتى رغبوا فى العمارة وآجر كل مائة ذراع من ذلك بعشرة دراهم نقرة وعمر البئر المشهورة ببئر السواقى فعمرت احسن عمارة فلما توفى الافرم طمع الشجاعى فى ارباب الوقف وفى ورثته ونزع منهم الفدادين المطلة على بحر النيل وابتاع ذلك من وكيل بيت المال وأعانه عليه قوم آخرون يجتمعون عند الله تعالى

* (ذكر المعشوق) *

اعلم ان المعشوق اسم لمكان فيه اشجار بظاهر مصر من جملة خطة راشدة عرف اوّلا بجنان كهمس بن معمر ثم عرف بجنان الماردانى ثم عرف بجنان الامير تميم بن المعز لدين الله ثم جدده الافضل بن أمير الجيوش فعرف به وآخرا صار من وقف ابن الصابونى فأخذه الصاحب تاج الدين محمد بن حنا وعمر به مناظر وأوصى بعمارة رباط للآثار النبوية وأن توقف عليه فلما انشئ الرباط المذكور أرصد لمصالحه وهو الآن وقف عليه وأرض هذا البستان مما وقفه ابن الصابونى على بنيه وعلى رباطه المجاور لقبة الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه بالقرافة وبنو الصابونى يستأدون من المتحدث على رباط الآثار شيأ فى كل سنة عن حكر أرض بستان المعشوق قال القضاعى فى ذكر خطة راشدة ومنها المقبرة المعروفة بمقبرة راشدة والجنان المعروفة كانت تعرف بكهمس ابن معمر ثم عرفت بالماردانى وهو المعروف الآن بالامير تميم بن المعز * هذا وقد بنى المعتمد على الله أحمد بن المتوكل

فى الجانب الشرقى من سر من رأى قصر اسماه المعشوق وأقام به و بين بغداد وتكريت منزلة فيها آثار بناء وقصور تسمى العاشق والمعشوق وفيه انشد الشريف زهرة بن على بن زهرة بن الحسن الحسينى وقد اجتاز به يريد الحج

قد رأيت المعشوق وهو من الهجر بحال تنبو النواظر عنه
اثر الدهر فيه آثار سوء * قد ادالت يد الحوادث منه

وقال ابن يونس (كهمس) بن معمر بن محمد بن معمر بن حبيب يكنى أبا القاسم كان أبوه بصريا وولد هو بمصر وكان عاقلا وكانت القضاة تقبله حدث عن محمد بن رمح وعيسى بن حماد زغبة وسلمة بن شبيب ونحوهم توفى فى يوم الاثنين لاربع خلون من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة وثلثمائة وقال ابن خلكان (تميم) بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدى كان أبوه صاحب الديار المصرية والمغرب وهو الذى بنى القاهرة المعزية وكان تميم فاضلا شاعرا ماهر الطيفا ظريفا ولم يل المملكة لان ولاية العهد كانت لاخيه العزيز فوليها بعد أبيه واشعاره كلها حسنة وكانت وفاته فى ذى القعدة سنة أربع وسبعين وثلثمائة وقد ذكر كلا من الماردانى وابن حنا والافضل وأما ابن مماتى فانه (اسعد) بن مهذب بن زكريا بن قدامة بن مينا شرف الدين مماتى أبى المكارم بن سعيد ابن ابى المليح الكاتب المصرى أصله من نصارى سيوط من صعيد مصر واتصل جده أبو المليح بأمير الجيوش بدر الجمالى وزير مصر فى أيام الخليفة المستنصر بالله وكتب فى ديوان مصر وولى استيفاء الديوان وكان جوادا ممدوحا انقطع اليه أبو الطاهر اسماعيل بن محمد المعروف بابن مكيسة الشاعر فمن قوله فيه لما مات

طويت سماء المكرما * ت وكورت شمس المديح
وتناثرت شهب العلا * من بعد موت أبى المليح
ما كان بالنكس الدنى * من الرجال ولا الشحيح
كفر النصارى بعدما * عذروا به دون المسيح

ورثاه جماعة من الشعراء ولما مات ولى ابنه المهذب بن أبى المليح زكريا ديوان الجيش بمصر فى آخر الدولة الفاطمية فلما قدم الامير اسد الدين شيركوه وتقلد وزارة الخليفة العاضد شدد على النصارى وأمرهم بشد الزنانير على اوساطهم ومنعهم من ارخاء الذوابة التى تسمى اليوم بالعذبة فكتب لاسد الدين

يا اسد الدين ومن عدله * يحفظ فينا سنة المصطفى
كفى غيارا شد اوساطنا * فما الذى اوجب كشف القفا

فلم يسعفه بطلبته ولا مكنه من ارخاء الذوابة وعند ما ايس من ذلك اسلم فقدم على الدواوين حتى مات فخلفه ابنه أبو المكارم اسعد بن مهذب الملقب بالخطير على ديوان الجيش واستمر فى ذلك مدة ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وايام ابنه الملك العزيز عثمان وولى نظر الدواوين أيضا واختص بالقاضى الفاضل وحظى عنده وكان يسميه بلبل المجلس لما يرى من حسن خطابه وصنف عدة مصنفات منها تلقين اليقين فيه الكلام على حديث بنى الاسلام على خمس وكتاب حجة الحق على الخلق فى التحذير من سوء عاقبة الظلم وهو كبير وكان السلطان صلاح الدين يكثر النظر فيه وقال فيه القاضى الفاضل وقفت من الكتب على مالا تحصى عدته فما رأيت والله كتابا يكون قبالة باب منه وانه والله من اهم ما طالعه الملوك وكتاب قوانين الدواوين صنفه للملك العزيز فيما يتعلق بدواوين مصر ورسومها واصولها واحوالها وما يجرى فيها وهو أربعة أجزاء ضخمة والذى يقع فى ايدى الناس جزء واحد اختصره منه غير المصنف فان ابن مماتى ذكر فيه أربعة آلاف ضيعة من أعمال مصر ومساحة كل ضيعة وقانون ريها ومتحصلها من عين وغلة ونظم سيرة السلطان صلاح الدين يوسف ونظم كليله ودمنه وله ديوان شعر ولم يزل بمصر حتى ملك السلطان الملك العادل أبو بكر بن ايوب ووزر له صفى الدين على بن عبد الله بن شكر فخافه الاسعد لما كان يصدر منه فى حقه من الاهانة وشرع الوزير ابن شكر فى العمل عليه ورتب له مؤامرات ونكبه واحال عليه الاجناد ففر من القاهرة وسقط فى حلب فخدم بها حتى مات فى يوم الاحد سلخ جمادى الاولى سنة ست وستمائة عن اثنتين وستين سنة وكان سبب تلقيب أبى مليح بمماتى انه كان عنده فى غلاء مصر فى ايام المستنصر قمح كثير وكان يتصدق على صغار المسلمين وهو اذ ذاك نصرانى وكان الصغار اذا رأوه

قالوا مماتى فلقب بها ومن شعره

تعاتبني وتنهى عن امور * سبيل الناس أن ينهوك عنها
اتقدر أن تكون كمثل عيني * وحقك ما على اضرّ منها

وقال فى اترجة كانت بين يدى القاضى الفاضل وهو معنى بديع

* لله بل للحسن اترجة * تذكر الناس بأمر النعيم *
كأنها قد جمعت نفسها * من هيبة الفاضل عبد الرحيم

(بركة شطا) هذه البركة موضعها الآن كيمان على يسرة من يخرج من باب القنطرة بمدينة مصر طالبا جسر الافرم ورباط الآثار كان الماء يعبر اليها من خليج بنى وائل وموضعه على يمنة من يخرج من باب القنطرة المذكورة وكان عليه قنطرة بناها العزيز بالله بن المعز وبها سمى باب القنطرة هذا قال ابن المتوج بركة شطا بظاهر مصر على يسرة من مرّ من باب القنطرة وكان الماء يدخل اليها من خليج بنى وائل من برابخ بالسور المستجد ومن بركة الشعيبية من قنطرة فى وسط الجسر المعروف بجسر الحيات الذى كان يفصل بين البركتين المذكورتين وكان بوسطها مسجد يعرف بمسجد الجلالة بقناطر بوسطها كان يسلك عليها اليه وكان يطل على بركة شطا آدر خربت بانقطاع الماء عنها وكان الى جانبها بستان فيه منظرة ودراية وطاحون وحمام وبظاهر بابه حوض سبيل وقف ذلك المخلص الموقع وقد خرب *(بركة قارون)* هذه البركة موضعها الآن فيما بين حدرة ابن قميحة خلف جامع ابن طولون وبين الجسر الاعظم الفاصل بين هذه البركة وبركة الفيل وعليها الآن عدّة آدر وتعرف ببركة قراجا وكان عليها عدّة عمائر جليلة فى قديم الزمان عند ما عمر العسكر والقطائع فلما خرب العسكر والقطائع كما ذكر فى موضعه من هذا الكتاب خرب ما كان من الدور على هذه البركة أيضا حتى انه كان من خرج من مصلى مصر القديم وموضعه الآن الكوم الذى يطل على قبر القاضى بكار بالقرافة الكبرى يرى بركة الفيل وقارون والنيل ولم يزل ما حول هذه البركة خرابا الى أن حفر الملك الناصر محمد بن قلاون البركة الناصرية فى اراضى الزهرى وكانت واقعة الكنائس فى سنة احدى وعشرين وسبعمائة فصار جانب هذه البركة الذى يلى خط السبع سقايات مقطع طريق فيه مركز يقيم فيه من جهة متولى مصر من يحرس المارة من القاهرة الى مصر ولم يكن هنالك شئ من الدور وانما كان هنالك بستان بجوار حوض الدمياطى الموجود الآن تجاه كوم الاسارى على يمنة من خرج وسلك من السبع سقايات الى قنطرة السدّ ويشرف هذا البستان على هذه البركة فحكر اقبغا عبد الواحد مكانه وصارت فيه الدور الموجودة الآن كما ذكر عند حكر اقبغا فى ذكر الاحكار * قال القضاعى دار الفيل هى الدار التى على بركة قارون ذكر بنو مسكين انها من حبس جدّهم وكان كافور أمير مصر اشتراها وبنى فيها دارا ذكر أنه انفق عليها مائة ألف دينار ثم سكنها فى رجب سنة ست وأربعين وثلثمائة وذكر المسبحى انه انتقل اليها فى جمادى الآخرة من السنة المذكورة وانه كان ادخل فيها عدّة مساجد ومواضع اغتصبها من اربابها ولم يقم فيها غير أيام قلائل ثم ارسل الى أبى جعفر مسلم الحسينى ليلا فقال له امض بى الى دارك فمضى به فمرّ على دار فقال ان هذه فقال لغلامك نحرير التربية فدخلها وأقام فيها شهورا الى أن عمر واله دار خمارويه المعروفة بدار الحرم وسكنها وقيل ان سبب انتقاله من جنان بنى مسكين بخار البركة وقيل وباء وقع فى غلمانه وقيل ظهر له بها جان وكانت دار الفيل هذه ينظر منها جزيرة مصر التى تعرف اليوم بالروضة قال أبو عمر الكندى فى كتاب الموالى ومنهم أبو غنيم مولى مسلمة بن مخلد الانصارى كان شريفا فى الموالى وولاه عبد العزيز بن مروان الجزيرة ثم عزله عنها وكان يجلس فى داره التى يقال لها دار الفيل فينظر الى الجزيرة فيقول لاخوانه أخبرونى بأعجب شئ فى الدنيا فقالوا منارة الاسكندرية قال ما اصبتم شيأ قال فيقولون له فقناة قرطاجنة فيقول ما صنعتم شيأ قالوا فما تقول انت قال العجب انى انظر الى الجزيرة ولا اقدر ادخلها وعلى هذه البركة الآن عدّة آدر جليلة وجامع وحمام وغير ذلك والله تعالى اعلم بالصواب *(بركة الفيل)* هذه البركة فيما بين مصر والقاهرة وهى كبيرة جدا ولم يكن فى القديم عليها بنيان ولما وضع جوهر القائد مدينة القاهرة كانت تجاه القاهرة ثم حدثت حارة السودان وغيرها خارج باب زويلة وكان ما بين حارة السودان وحارة اليانسية وبين بركة الفيل فضاء ثم عمر الناس حول بركة الفيل بعد الستمائة حتى صارت مساكنها اجل مساكن مصر كلها * قال ابن سعيد وقد ذكر القاهرة وأعجبنى فى ظاهرها بركة الفيل لانها

دائرة كالبدر والمناظر فوقها كالنجوم وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل وتسرج اصحاب المناظر على قدر هممهم وقدرتهم فيكون بذلك لها منظر عجيب وفيها اقول

انظر الى بركة الفيل التى اكتنفت * بها المناظر كالاهداب للبصر
كأنما هى والابصار ترمقها * كواكب قد أداروها على القمر

ونظرت اليها وقد قابلتها الشمس بالغداة فقلت

انظر الى بركة الفيل التى نحرت * لها الغزالة نحرا من مطالعها
وخل طرفك محفوفا ببهجتها * تهيم وجدا وحبا فى بدائعها

وماء النيل يدخل الى بركة الفيل من الموضع الذى يعرف اليوم بالجسر الاعظم تجاه الكبش وبلغنى انه كان هنالك قنطرة كبيرة فهدمت وعمل مكانها هذه الجادة بل الجسر التى يمر عليها الناس ويعبر ماء النيل الى هذه البركة أيضا من الخليج الكبير من تحت قنطرة تعرف قديما وحديثا بالمجنونة وهى الآن لا تشبه القناطر وكأنها سرب يعبر منه الماء وفوقه بقية عقد من ناحية الخليج كان قد عقده الامير الطيبرس وبنى فوقه منتزها فقال فيه علم الدين بن الصاحب

ولقد عجبت من الطبرس وصحبه * وعقولهم بعقوده مفتونه
عقدوا عقودا لا تصح لانهم * عقدوا الجنون على مجنونه

وكان الطيبرس هذا يعتريه الجنون واتفق أن هذا العقد لم يصح وهدم وآثاره باقية الى اليوم *(بركة الشقاف) هذه البركة فى بر الخليج الغربى بجوار اللوق وعليها الجامع المعروف بجامع الطباخ فى خط باب اللوق وكانت هذه البركة من جملة اراضى الزهرى كما ذكر فى حكر الزهرى عند ذكر الاحكار وكان عليها فى القديم عدة مناظر منها منظرة الامير جمال الدين موسى بن يغمور وذلك ايام كانت اراضى اللوق مواضع نزهة قبل أن تحتكر وتبنى دورا وذلك بعد سنة ستمائة والله تعالى أعلم *(بركة السباعين) عرفت بذلك لانه اتخذ عليها دار للسباع وهى موجودة هنالك الى يومنا هذا وهى من جملة حكر الزهرى وعليها الآن دور ولم تحدث بها العمارة الا بعد سنة سبعمائة وانما كان جميع ذلك الخط وما حوله من منشأة المهرانى الى المقس بساتين ثم حكرت *(بركة الرطلى) هذه البركة من جملة ارض الطبالة عرفت ببركة الطوابين من اجل انه كان يعمل فيها الطوب فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصرى التمس الامير بكتمر الحاجب من المهندسين أن يجعلوا حفر الخليج على الجرف الى أن يمر بجانب بركة الطوابين هذه ويصب من بحرى ارض الطبالة فى الخليج الكبير فوافقوه على ذلك ومر الخليج من ظاهر هذه البركة كما هو اليوم فلما جرى ماء النيل فيه روى ارض البركة فعرفت ببركة الحاجب فانها كانت بيد الامير بكتمر الحاجب المذكور وكان فى شرقى هذه البركة زاوية بها نخل كثير وفيها شخص يصنع الارطال الحديد التى تزن بها الباعة فسماها الناس بركة الرطلى نسبة لصانع الارطال وبقيت نخيل الزاوية قائمة بالبركة الى ما بعد سنة تسعين وسبعمائة فلما جرى الماء فى الخليج الناصرى ودخل منه الى هذه البركة عمل الجسر بين البركة والخليج فحكره الناس وبنوا فوقه الدور ثم تتابعوا فى البناء حول البركة حتى لم يبق بدائرها خلو وصارت المراكب تعبر اليها من الخليج الناصرى فتدورها تحت البيوت وهى مشحونة بالناس فتمر هنالك للناس احوال من اللهو يقصر عنها الوصف وتظاهر الناس فى المراكب بأنواع المنكرات من شرب المسكرات وتبرج النساء الفاجرات واختلاطهن بالرجال من غير انكار فاذا نضب ماء النيل زرعت هذه البركة بالقرط وغيره فيجتمع فيها من الناس فى يومى الاحد والجمعة عالم لا يحصى لهم عدد وأدركت بهذه البركة من بعد سنة سبعين وسبعمائة الى سنة ثمانمائة اوقاتا انكفت فيها عمن كان بها ايدى الغير وقدت عن اهاليها اعين الحوادث وساعدهم الوقت اذ الناس ناس والزمان زمان ثم لما تكدر جو المسرات وتقلص ظل الرفاهة وانهلت سحائب المحن من سنة ست وثمانمائة تلاشى أمرها وفيها الى الآن بقية صبابة ومعالم انس وآثار تنبىء عن حسن عهد ولله در القائل

فى ارض طبالتنا بركة * مدهشة للعين والعقل
ترجح فى ميزان عقلى على * كل بحار الارض بالرطلى

*(بركة

*(البركة المعروفة ببطن البقرة) هذه البركة كانت فيما بين أرض الطبالة وأراضى اللوق يصل اليها ماء النيل من الخور فيعبر فى خليج الذكر اليها وكانت تجاه قصر اللؤلؤة ودار الذهب فى بر الخليج الغربى واول ما عرفت من خبر هذه البركة انها كانت بستانا كبيرا فيما بين المقس وجنان الزهرى عرف بالبستان المقسى نسبة الى المقس ويشرف على بحر النيل من غربيه وعلى الخليج الكبير من شرقيه فلما كان فى ايام الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله ابى هاشم على بن الحاكم بأمر الله امر بعد سنة عشر وأربعمائة بازالة انشاب هذا البستان وأن يعمل بركة قدام المنظرة التى تعرف باللؤلؤة فلما كانت الشدة العظمى فى زمن الخليفة المستنصر بالله هجرت البركة وبنى فى موضعها عدة اماكن عرفت بحارة اللهوص اذذاك فلما كان فى ايام الخليفة الآمر بأحكام الله ووزارة الاجل المامون محمد بن فاتك البطائحى ازيلت الابنية وعمق حفر الارض وسلط عليها ماء النيل من خليج الذكر فصارت بركة عرفت ببطن البقرة ومابرحت الى مابعد سنة سبعمائة وكان قد تلاشى أمرها منذ كانت الغلوة فى زمن الملك العادل كتبغا سنة سبع وتسعين وستمائة فكان من خرج من باب القنطرة يجد عن يمينه ارض الطبالة من جانب الخليج الغربى الى حد المقس ويجد بطن البقرة عن يساره من جانب الخليج الغربى الى حد المقس وبحر النيل الاعظم يجرى فى غربى بطن البقرة على حافة المقس الى غربى أرض الطبالة ويمر من حيث الموضع المعروف اليوم بالجرف الى غربى البعل ويجرى الى منية الشيرج فكان خارج القاهرة احسن منتزه فى مصر من الامصار وموضع بطن البقرة يعرف اليوم بكوم الجاكى المجاور لميدان القمح وما جاور تلك الكيمان والخراب الى نحو باب اللوق وحدثنى غير واحد ممن لقيت من شيوخ المقس عن مشاهدة آثار هذه البركة واخبرنى عمن شاهد فيها الماء والى زمننا هذا موضع من غربى الخليج فيما يلى ميدان القمح يعرف ببطن البقرة بقية من تلك البركة يجتمع فيه الناس للنزهة *(بركة جناق) هذه البركة خارج باب الفتوح كانت بالقرب من منظرة باب الفتوح التى تقدم ذكرها فى المناظر وكان ما حولها بساتين ولم يكن خارج باب الفتوح شئ من هذه الابنية وانما كان هناك بساتين فكانت هذه البركة فيما بين الخليج الكبير وبستان ابن صيرم فلما حكر بستان ابن صيرم وعمر فى مكانه الآدر وغيرها وعمر الناس خارج باب الفتوح عمر ما حول هذه البركة بالدور وسكنها الناس وهى الى الآن عامرة وتعرف ببركة جناق *(بركة الحجاج) هذه البركة فى الجهة البحرية من القاهرة على نحو بريد منها عرفت اولا بجب عميرة ثم قيل لها أرض الجب وعرفت الى اليوم ببركة الحجاج من أجل نزول حجاج البر بها عند مسيرهم من القاهرة وعند عودهم وبعض من لا معرفة له بأحوال أرض مصر يقول جب يوسف عليه السلام وهو خطأ لا اصل له ومابرحت هذه البركة منتزها لملوك القاهرة *قال ابن يونس عميرة ابن تميم بن جزء التجيبى من بنى القرناء صاحب الجب المعروف بجب عميرة فى الموضع الذى يبرز اليه الحاج من مصر لخروجهم الى مكة وقال أبو عمر الكندى فى كتاب الخندق ان فرسان الخندق من جب عميرة بن تميم بن جزء وصاحب جب عميرة من بنى القرناء طعن فى تلك الايام فارتث فمات بعد ذلك *وقال فى كتاب الامراء ثم ان اهل الحوف خرجوا على ليث بن الفضل أمير مصر وكان السبب فى ذلك أن ليثا بعث بمساح يمسحون عليهم اراضى زرعهم فانتقصوا من القصب اصابع فتظلم الناس الى ليث فلم يسمع منهم فعسكروا وساروا الى الفسطاط فخرج اليهم ليث فى أربعة آلاف من جند مصر ليومين بقيا من شعبان سنة ست وثمانين ومائة فالتقى مع أهل الحوف لثنتى عشرة خلت من شهر رمضان فانهزم الجيش عن ليث وبقى فى مائتين أو نحوها فحمل عليهم بمن معه فهزمهم حتى بلغ بهم غيفة وكان التقاؤهم فى أرض جب عميرة وبعث ليث الى الفسطاط بثمانين رأسا ورجع الى الفسطاط وقال المسبحى ولاثنتى عشرة خلت من ذى القعدة سنة أربع وثمانين وثلثمائة عرض أمير المؤمنين العزيز بالله عساكره بظاهر القاهرة عند سطح الجب فنصب له مضرب ديباج رومى فيه ألف ثوب مفوقة فضة ونصبت له فازة مستقلة وقبة مثقلة بالجوهر وضرب لابنه المنصور مضرب آخر وعرضت العساكر فكانت عدتها مائة عسكر وأقبلت اسارى الروم وعدتهم مائتان وخمسون فطيف بهم وكان يوما عظيما حسنا لم تزل العساكر تسير بين يديه من ضحوة النهار الى صلاة المغرب *وقال ابن ميسر كان من عادة أمير المؤمنين المستنصر بالله أن يركب فى كل سنة على النجب مع النساء والحشم الى جب عميرة وهو موضع نزهة بهيئة انه خارج للحج على سبيل الهزؤ والمجانة ومعه الخمر فى الروايا عوضا عن الماء ويسقيه الناس وقال ابو الخطاب بن دحية وخطب لبنى عبيد ببغداد أربعين جمعة وذلك

للمستنصر بل للبطال المستهتر انشده العقيلى صبيحة يوم عرفة

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء * ولا تضح ضحى الا بصهباء
وادرك حجيج الندامى قبل نفرهم * الى منى قصفهم مع كل هيفاء

ووصل الف القطع للضرورة وهو جائز فخرج فى ساعته بروايا الخمر تزجى بنغمات حداة الملاهى وتساق * حتى اناخ بعين شمس فى كبكبة من الفساق * فاقام بها سوق الفسوق على ساق * وفى ذلك العام اخذه الله وأخذ أهل مصر بالسنين * حتى بيع القرص فى ايامه بالثمن الثمين * وقال القاضى الفاضل فى حوادث المحرم سنة سبع وسبعين وخمسمائة وفيه خرج السلطان يعنى صلاح الدين يوسف بن أيوب الى بركة الجب للصيد واللعب بالاكرة وعاد الى القاهرة فى سادس يوم من خروجه وذكر من ذلك كثيرا عن السلطان صلاح الدين وابنه الملك العزيز عثمان * وقال جامع سيرة الناصر محمد بن قلاون وفى حوادث صفر سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة وفيه ركب السلطان الى بركة الحجاج للرمى على الكراكى وطلب كريم الدين ناظر الخاص ورسم أن يعمل فيها أحواشا للخيل والجمال وميدانا وللامير بكتمر الساقى مثله فأقام كريم الدين بنفسه فى هذا العمل ولم يدع أحدا من جميع الصناع المحتاج اليهم يعمل فى القاهرة عملا فكان فيها نحو الالفى رجل ومائة زوج بقر حتى تمت المواضع فى مدة قريبة وركب السلطان اليها وأمر بعمل ميدان لنتاج الخيل فعمل ومابرح الملوك يركبون الى هذه البركة لرمى الكراكى وهم على ذلك الى هذا الوقت وقد خربت المبانى التى انشأها الملك الناصر وادركنا بهذه البركة مراحا عظيما للاغنام التى يعلفها التركمانى حب القطن وغيره من العلف فتبلغ الغاية فى السمن حتى انه يدخل بها الى القاهرة محمولة على العجل لعظم جثتها وثقلها وعجزها عن المشى وكان يقال كبش بركاوى نسبة الى هذه البركة وشاهدت مرة كبشا من كباش هذه البركة وزنت شقته اليمنى فبلغت زنتها خمسة وسبعين رطلا سوى الالية وبلغنى عن كبش انه وزن مافى بطنه من الشحم خاصة فبلغ أربعين رطلا وكانت ألايا تلك الكباش تبلغ الغاية فى الكبر وقد بطل هذا من القاهرة منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة حتى لا يكاد يعرفه اليوم الاأفراد من الناس وبركة الحجاج اليوم ارباب دركها قوم من العرب يعرفون ببنى صبرة وقال الشريف محمد بن اسعد الجوانى فى كتاب الجوهر المكنون فى معرفة القبائل والبطون بنو بطيخ بطن من لخم وهم ولد بطيخ ابن مغالة بن دعجان بن عميث بن كليب بن أبى الحارث بن عمرو بن رميمة بن جدس بن اريش بن اراش بن جديلة ابن لخم ونخذها بنو صبرة بن بطيخ ولهم حارة مجاورة للخطة المعروفة اليوم بكوم دينار السايس وصبرة فى خندف وفى قيس ونزار ويمن فالتى فى خندف فى بنى جعفر الطيار بنو صبرة بن جعفر بن داود بن محمد بن جعفر بن ابراهيم ابن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب نخذ والتى فى قيس بنو صبرة بن بكر بن اشجع بن ريث بن غطفان ابن سعد بن قيس بن عيلان نخذ وأما التى فى نزار ففى شيبان بنو صبرة بن عوف بن محكم بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة ابن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن دعمى بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار نخذ واما التى فى يمن ففى لخم وجذام فأما التى فى لخم فبنو صبرة بن بطيخ بن مغالة بن دعجان بن عميث بن كليب ابن أبى الحارث بن عمرو بن رميمة بن جدس بن اريش بن اراش بن جديلة بن لخم وأما التى فى جذام فبنو صبرة بن نصيرة بن غطفان بن سعد بن اياس بن حرام بن جذام واليه يرجع الصبريون وهم بالشام والله تعالى أعلم * (بركة قرموط) هذه البركة فيما بين اللوق والمقس كانت من جملة بستان ابن ثعلب فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصرى من موردة البلاط رمى ماخرج من الطين فى هذه البركة وبنى الناس الدور على الخليج فصارت البركة من ورائها وعرفت تلك الخطة كلها ببركة قرموط وادركنا بها ديارا جليلة تناهى اربابها فى احكام بنائها وتحسين سقوفها وبالغوا فى زخرفتها بالرخام والدهان وغرسوا بها الاشجار وأجروا اليها المياه من الآبار فكانت تعد من المساكن البديعة النزهة وا كثر من كان يسكنها الكتاب مسلمهم ونصاراهم وهم فى الحقيقة المترفون أولو النعمة فكم حوت تلك الديار من حسن ومستحسن وانى لاذكرها ومامررت بها قط الاوتبين لى من كل دار هناك آثار النعم امار وائح تقالى المطابخ أوعبير بخور العود والند أونفحات الخمر أوصوت غناء اودق هاون ونحو ذلك مما يبين عن ترف سكان تلك الديار ورفاهة عيشهم وغضارة نعمهم ثم هى الآن موحشة خراب قد هدمت تلك المنازل وبيعت أنقاضها منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة

مزالت

فزالت الطرق وجهلت الازقة وانكشفت البركة وبقى حولها بساتين خراب وبلغنى أن المراكب كانت تعبر الى هذه البركة للتنزه وما احسب ذلك كان فانها كانت من جملة البستان ولم ينقل انه كان بقربها خليج سوى الخور ويبعد أن يصل اليها والله أعلم * وقرموط هذا هو أمين الدين قرموط مستوفى الخزانة السلطانية *(بركة قراجا) هذه البركة خارج الحسينية قريبا من الخندق عرفت بالامير زين الدين قراجا التركمانى أحد أمراء مصر أنعم عليه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون بالامرة فى سنة سبع عشرة وسبعمائة *(البركة الناصرية) هذه البركة من جملة جنان الزهرى فلما خربت جنان الزهرى صار موضعها كوم تراب الى أن انشأ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون ميدان المهارى فى سنة عشرين وسبعمائة وأراد بناء الزريبة بجانب الجامع الطيبرسى احتاج فى بنائها الى طين فركب وعين مكان هذه البركة وأمر الفخر ناظر الجيش فكتب اوراقا بأسماء الامراء وانتدب الامير بيبرس الحاجب فنزل بالمهندسين فقاسوا دور البركة ووزع على الامراء بالاقصاب فنزل كل أمير وضرب خيمة لعمل ما يخصه فابتدؤا العمل فى يوم الثلاثاء تاسع عشرى شهر ربيع الاول سنة احدى وعشرين وسبعمائة فتمادى الحفر الى جانب كنيسة الزهرى وكان اذ ذاك فى تلك الارض عدة كنائس ولم يكن هنالك شئ من العمائر التى هى اليوم حول البركة الناصرية ولا من العمائر التى فى خط قناطر السباع ولا فى خط السبع سقايات الى قنطرة السد وانما كانت بساتين وكنائس وديورة للنصارى فاستولى الحفر على ما حول كنيسة الزهرى وصارت فى وسط الحفر حتى تعلقت وكان القصد أن تسقط من غير تعمد هدمها فأراد الله تعالى هدمها على يد العامة كما ذكر فى خبرها عند ذكر كنائس النصارى من هذا الكتاب فلما تم حفر البركة نقل ما خرج منها من الطين الى الزريبة واجرى اليها الماء من جوار الميدان السلطانى الكائن بأراضى بستان الخشاب عند موردة البلاط فلما امتلأت بالماء صارت مساحتها سبعة افدنة فحكر الناس ما حولها وبنوا عليها الدور العظيمة وما برح خط البركة الناصرية عامرا الى أن كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة فشرع الناس فى هدم ما عليها من الدور فهدم كثير مما كان هنالك والهدم مستمر الى يومنا هذا

(ذكر الجسور)

الجسر بفتح الجيم الذى تسميه العامة جسرا عن ابن دريد وقال الخليل الجسر والجسر لغتان وهو القنطرة ونحوها مما يعبر عليه وقال ابن سيده والجسر الذى يعبر عليه والجمع القليل أجسر قال

ان فراخا كفراخ الاوكر * بأرض بغداد وراء الاجسر والكثير جسور

*(جسر الافرم) هذا الجسر بظاهر مدينة مصر فيما بين المدرسة المعزية برحبة الحناء قبلى مصر وبين رباط الآثار النبوية كان موضعه فى أول الاسلام غامرا بماء النيل ثم انحسر عنه الماء فصار فضاء الى بحرى خليج بنى وائل ثم ابتنى الناس فيه مواضع وكان هنالك الهرى قريبا من الخليج ثم صار موضع جسر الافرم هذا ترعة يدخل منها ماء النيل الى البركة الشعيبية فلما استأجر الامير عز الدين أيبك الافرم بركة الشعيبية وجعلها بستانا كما تقدم ذكره فى البرك ردم هذه الترعة وبنى حيطان البستان وجسر عليه فأقام على ذلك سنين ثم لما استأجر أرض البركة بعد ما غرسها بالاشجار اجارة ثانية اشترط البناء على ثلاثة أفدنة فى جانب البستان الغربى وفدان فى جانبه البحرى ونادى فى الناس بتحكيره وأرخص سعر الحكر وجعل حكر كل مائة ذراع عشرة دراهم فهرع الناس اليه واحتكروا منه المواضع وبنوا فيها الدور المطلة على النيل فاستغنى بالعمائر عن عمل الجسر فى كل سنة بين البحر والبستان الذى أنشأه وبقى اسم الجسر عليه الى يومنا هذا الا أن الآدر التى كانت هنالك خربت منذ انطرد النيل عن البر الغربى بعد ما بلغ ذلك الخط الغاية فى العمارة وكان سكن الوزراء والاعيان من الكتاب وغيرهم *(الجسر الاعظم) هذا الجسر فى زماننا هذا قد صار شارعا مسلوكا يمشى فيه من الكبش الى قناطر السباع وأصله جسر يفصل بين بركة قارون وبركة الفيل و بينهما سرب يدخل منه الماء وعليه أحجار يراها من يمر هنالك وبلغنى انه كان هنالك قنطرة مرتفعة فلما أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون الميدان السلطانى عند موردة البلاط أمر بهدم القنطرة فهدمت ولم يكن اذ ذاك على بركة الفيل من جهة الجسر الاعظم مبان وانما كانت ظاهرة يراها المار ثم أمر السلطان بعمل حائط قصير بطولها فأقيم الحائط وصفر بالطين الاصفر ثم حدثت الدور هنالك *(الجسر بأرض الطبالة) هذا الجسر يفصل بين بركة الرطلى وبين الخليج

الناصرى اقامه الامير الوزير سيف الدين بكتمر الحاجب فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة لما انتهى حفر الخليج الناصرى واذن للناس فى البناء عليه بحكر و بنيت فوقه الدور فصارت تشرف على بركة الرطلى وعلى الخليج وتجتمع العامة تحت مناظر الجسر وتمر بحافة الخليج للنزهة فكثر اغتباط غوغاء الناس وفساقهم بهذا الجسر الى اليوم وهو من انزه فرج القاهرة لولا ما عرف به من القاذورات الفاحشة * (الجسر من بولاق الى منية الشيرج) كان السبب فى عمل هذا الجسر أن ماء النيل قويت زيادته فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة حتى أخرق من ناحية بستان الخشاب ودخل الماء الى جهة بولاق وفاض الى باب اللوق حتى اتصل بباب البحر وبساتين الخور فهدمت عدة دور كانت مطلة على البحر وكثير من بيوت الحكورة وامتد الماء الى ناحية منية الشيرج فقام الفخر ناظر الجيش بهذا الامر وعرف السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون انه متى غفل دخل الماء الى القاهرة وغرق أهلها ومساكنها فركب السلطان الى البحر ومعه الامراء فرأى ما هاله وفكر فيما يدفع ضرر النيل عن القاهرة فاقتضى رأيه عمل جسر عند نزول الماء وانصرف فقويت الزيادة وفاض الماء على منشأة المهرانى ومنشأة الكتبة وغرق بساتين بولاق والجزيرة حتى صار ما بين ذلك ملقة واحدة وركب الناس المراكب للفرجة ومرّوا بها تحت الاشجار وصاروا يتناولون الثمار بأيديهم وهم فى المراكب فتقدم السلطان لمتولى القاهرة ومتولى مصر بيث الاعوان فى القاهرة ومصر لردّ الحمير والجمال التى تنقل التراب الى الكيمان وألزمهم بألقاء التراب بناحية بولاق ونودى فى القاهرة ومصر من كان عنده تراب فليرمه بناحية بولاق وفى الاماكن التى قد علا عليها الماء فاهتم الناس من جهة زيادة الماء اهتماما كبيرا خوفا أن يخرق الماء ويدخل الى القاهرة وألزم ارباب الاملاك التى ببولاق والخور والمناشئ أن يقف كل واحد على اصلاح مكانه ويحترس من عبور الماء على غفلة فتطلب كل أحد من الناس الفعلة من غوغاء الناس لنقل التراب حتى عدمت الحرافيش ولم تكن توجد لكثرة ما أخذهم الناس لنقل التراب ورميه وتضررت الآدر القريبة من البحر بنزها وغرقت الاقصاب والقلقاس والنيلة وسائر الدواليب التى بأعمال مصر فلما انقضت ايام الزيادة ثبت الماء ولم ينزل فى ايام نزوله ففسدت مطامير الغلات ومخازنها وشونها وتحسن سعر السكر والعسل وتأخر الزرع عن أوانه لكثرة ما مكث الماء فكتب لولاة الاعمال بكسر الترع والجسور كى ينصرف الماء عن أراضى الزرع الى البحر الملح واحتاج الناس الى وضع الخراج عن بساتين بولاق والجزيرة ومسامحتهم بنظير ما فسد من الغرق وفسدت عدة بساتين الى أن اذن الله تعالى بنزول الماء فسقط كثير من الدور وأخذ السلطان فى عمل الجسور واستدعى المهندسين وامرهم باقامة جسر يصدّ الماء عن القاهرة خشية أن يكون نيل مثل هذا وكتب باحضار خولة البلاد فلما تكاملوا امرهم فساروا الى النيل وكشفوا الساحل كله فوجدوا ناحية الجزيرة مما يلى المنية قد صارت أرضها وطيئة ومن هناك يخاف على البلد من الماء فلما عرّفوا السلطان بذلك أمر بالزام من له دار على النيل بمصر او منشأة المهرانى او منشأة الكتاب أو بولاق أن يعمر قدامها على البحر زربية وأنه لا يطلب منهم عليها حكر ونودى بذلك وكتب مرسوم بمسامحتهم من الحكر عن ذلك فشرع الناس فى عمل الزرابى وتقدم الى الامراء بطلب فلاحى بلادهم واحضارهم بالبقر والجراريف لعمل الجسر من بولاق الى منية الشيرج ونزل المهندسون فقاسوا الارض وفرضوا الكل أميرا قصابا معينة وضرب كل أمير خيمته وخرج لمباشرة ما عليه من العمل فأقاموا فى عمله عشرين يوما حتى فرغ ونصبت عندهم الاسواق فجاء ارتفاعه من الارض أربع قصبات فى عرض ثمانى قصبات فانتفع الناس به انتفاعا كبيرا وقدّر الله سبحانه وتعالى أن الزرع فى تلك السنة حسن الى الغاية وافلح فلاحا عجيبا وانحط السعر لكثرة ما زرع من الاراضى وخصب السنة وكان قد اتفق فى سنة سبع عشرة وسبعمائة غرق ظاهر القاهرة أيضا وذلك أن النيل وفى ستة عشر ذراعا فى ثالث عشر جمادى الاولى وهو التاسع والعشرون من شهر أبيب أحد شهور القبط ولم يعهد مثل ذلك فان الانيال البدرية يكون وفاؤها فى العشر الاول من مسرى فلما كسر سدّ الخليج توقفت الزيادة مدة ايام ثم زاد وتوقف الى أن دخل تاسع توت والماء على سبعة عشر ذراعا وتسعة أصابع ثم زاد فى يوم تسعة أصابع واستمرت الزيادة حتى صار على ثمانية عشر ذراعا وستة أصابع ففاض الماء وانقطع طريق الناس فيما بين القاهرة ومصر وفيما بين كوم الريش والمنية وخرج من جانب المنية وغرقها فكتب بفتح جميع الترع والجسور بسائر الوجه القبلى والبحرى وكسر بحر ابى المنجا

وفتح سد بليس وغيره قبل عيد الصليب وغرقت الاقصاب والزراعات الصيفية وعم الماء ناحية منية الشيرج وناحية شبرا فخربت الدور التي هناك وتلف للناس مال كثير من جملته زيادة على ثمانين ألف جرة خمر فارغة تكسرت في ناحية المنية وشبرا عند هجوم الماء وتلفت مطامير الغلة من الماء حتى بيع قدح القمح بفلس والفلس يومئذ جزء من ثمانية وأربعين جزأ من درهم وصار من بولاق الى شبرا بحرا واحدا تمر فيه المراكب للنزهة في بساتين الجزيرة الى شبرا وتلفت الفواكه والمشمومات وقلت الخضر التي يحتاج اليها في الطعام وغرقت منشأة المهراني وفاض الماء من عند خانقاه رسلان وأفسد بستان الخشاب واتصل الماء بالجزيرة التي تعرف بجزيرة الفيل الى شبرا وغرقت الاقصاب التي في الصعيد فان الماء اقام عليها ستة وخمسين يوما فعصرت كلها عسلا فقط وخربت سائر الجسور وعلاها الماء وتأخر هبوطه عن الوقت المعتاد فسقطت عدة دور بالقاهرة ومصر وفسدت منشأة الكتاب المجاورة لمنشأة المهراني فلذلك عمل السلطان الجسر المذكور خوفا على القاهرة من الغرق

* (الجسر بوسط النيل) وكان سبب عمل هذا الجسر أن ماء النيل قوى رميه على ناحية بولاق وهدم جامع الخطيري ثم جدد وقويت عمارته وتيار البحر لا يزداد من ناحية البر الشرقي الا قوة فأهم الملك الناصر أمره وكتب في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة بطلب المهندسين من دمشق وحلب والبلاد الفراتية وجمع المهندسين من أعمال مصر كلها قبليها وبحريها فلما تكاملوا عنده ركب بعساكره من قلعة الجبل الى شاطئ النيل ونزل في الحراقة وبين يديه الامراء وسائر ارباب الخبرة من المهندسين وخولة الجسور وكشف امر شطوط النيل فاقتضى الحال أن يعمل جسرا فيما بين بولاق وناحية انبوبه من البر الغربي ليرد قوة التيار عن البر الشرقي الى البر الغربي وعاد الى القلعة فكتبت مراسيم الى ولاة الاعمال باحضار الرجال صحبة المشدين واستدعى شاد العمائر السلطانية وأمره بطلب الحجارين وقطع الحجر من الجبل وطلب رئيس البحر وشاد الصناعة لاحضار المراكب فلم يمض سوى عشرة ايام حتى تكامل حضور الرجال مع الشادين من الاقاليم وندب السلطان لهذا العمل الامير أقبغا عبد الواحد والامير برصبغا الحاجب فبرزا لذلك وأحضروا والى القاهرة ووالى مصر وأمرا بجمع الناس وتسخير كل أحد للعمل فركبا وأخذا الحرافيش من الاماكن المعروفة بهم وقبضا على من وجد في الطرقات وفي المساجد والجوامع وتتبعاهم في الاسحار ووقع الاهتمام الكبير في العمل من يوم الاحد عاشر ذي القعدة وكانت ايام القيظ فهلك فيه عدة من الناس والامير اقبغا في الحراقة يستحث الناس على انجاز العمل والمراكب تحمل الحجر من الفص الكبير الى موضع الجسر وفي كل قليل يركب السلطان من القلعة ويقف على العمل ويهين أقبغا ويسبه ويستحثه حتى تم العمل للنصف من ذي الحجة وكانت عدة المراكب التي غرقت فيه وهي مشحونة بالحجارة اثنى عشر مركبا كل مركب منها تحمل ألف أردب غلة وعدة المراكب التي ملئت بالحجر حتى ردم وصار جسرا ثلاثة وعشرون ألف مركب سوى ما عمل فيه من آلات الخشب والسرياقات وحفر في الجزيرة خليج وطيء فلما جرى النيل في ايام الزيادة مر في ذلك الخليج ولم يتأثر الجسر من قوة التيار وصارت قوة جرى النيل من ناحية أنبوبة بالبر الغربي ومن ناحية التكروري أيضا فسر السلطان بذلك وأعجبه اعجابا كثيرا وكان هذا الجسر سبب انطراد الماء عن بر القاهرة حتى صار الى ماصار اليه الآن

* (الجسر فيما بين الجيزة والروضة) كان السبب المقتضى لعمل هذا الجسر أن الملك الناصر لما عمل الجسر فيما بين بولاق وناحية أنبوبة وناحية التكروري انطرد ماء النيل عن بر القاهرة وانكشفت أراض كثيرة وصار الماء يخاض من بر مصر الى المقياس وانكشف من قبالة منشأة المهراني الى جزيرة الفيل والى منية الشيرج وصار الناس يجدون مشقة لبعد الماء عن القاهرة وغلت روايا الماء حتى بيعت كل راوية بدرهمين بعد ما كانت بنصف وربع درهم فشكا الناس ذلك الى الامير أرغون العلائي والى السلطان الملك الكامل شعبان بن الملك الناصر محمد ابن قلاوون فطلب المهندسين ورئيس البحر وركب السلطان بأمرائه من القلعة الى شاطئ النيل فلم يتهيأ عمل لما كان من ابتداء زيادة النيل الا أن الرأى اقتضى نقل التراب والشقاف من مطابخ السكر التي كانت بمصر والقاء ذلك بالروضة لعمل الجسر فنقل شئ عظيم من التراب في المراكب الى الروضة وعمل جسر من الجيزة الى نحو المقياس في طول نحو ثلثي ما بينهما من المسافة فعاد الماء الى جهة مصر عودا يسيرا وعجزوا عن ايصال الجسر الى المقياس لقلة التراب وقويت الزيادة حتى علا الماء الجسر بأسره واتفق قتل الملك الكامل بعد

ذلك وبسلطنة أخيه الملك المظفر حاجى بن محمد بن قلاون أول جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة فلما دخلت سنة ثمان وأربعين وقف جماعة من الناس للسلطان فى أمر الجسر واستغاثوا من بعد الماء وانكشاف الاراضى من تحت البيوت وغلاء الماء فى المدينة فأمر بالكشف عن ذلك فنزل المهندسون واتفقوا على اقامة جسر ليرجع الماء عن برّ الجيزة الى برّ مصر والقاهرة وكتبوا تقدير ما يصرف فيه مائة وعشرين ألف درهم فضة فأمر بجبايتها من ارباب الاملاك التى على شط النيل وأن يتولى القاضى ضياء الدين يوسف بن أبى بكر المحتسب جبايتها واستخراجها فقيست الدور وأخذ عن كل ذراع من اراضيها خمسة عشر درهما وتولى قياسها أيضا المحتسب ووالى الصناعة فبلغ قياسها سبعة آلاف وستمائة ذراع وجبى نحو السبعين ألف درهم فاتفق عزل الضياء عن الحسبة ونظر المارستان المنصورى ونظر الجوالى وولاية ابن الاطروش مكانه ثم قتل الملك المظفر وولاية أخيه الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون سلطنة مصر بعده فى شهر رمضان منها فلما كان فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة وقع الاهتمام بعمل الجسر فنزل الامير بيبغا أروس نائب السلطنة والامير منجك الاستادار وكان قد عزل من الوزارة والامير قبلاى الحاجب وجماعة من الامراء ومعهم عدة من المهندسين الى البحر فى الحراريق والمراكب الى برّ الجيزة وقاسوا ما بين برّ الجيزة والمقياس وكتب تقدير المصروف نحو المائة والخمسين ألف درهم وألف خشبة من الخشب وخمسمائة صارو وألف حجر فى طول ذراعين وعرض ذراعين وخمسة آلاف شنفة وغير ذلك من اشياء كثيرة فركب النائب والوزير والامير شيخو والامراء الى الجيزة واعادوا النظر فى امر الجسر ومعهم ارباب الخبرة فالتزم الامير منجك بعمل الجسر وأن يتولى جباية المصروف عليه من سائر الامراء والاجناد والكتاب وأرباب الاملاك بحيث انه لا يبقى أحد حتى يؤخذ منه فرسم لكتاب الجيش بكتابة اسماء الجند وقرّر على كل مائة دينار من الاقطاعات درهم واحد وعلى كل امير من خمسة آلاف درهم الى اربعة آلاف درهم وعلى كل كاتب امير ألف مائتا درهم وكاتب امير الطبلخانات مائة درهم وعلى كل حانوت من حوانيت التجار درهم وعلى كل دار درهمان وعلى كل بستان الفدان من عشرين درهما الى عشرة دراهم وعلى كل طاحون خمسة دراهم عن الحجر وعلى كل صهريج فى تربة بالقرافة أو فى ظاهر القاهرة أو فى مدرسة من عشرة دراهم الى خمسة دراهم وعلى كل تربة من ثلاثة دراهم الى درهمين وعلى اصحاب المقاعد والمتعيشين فى الطرقات شئ وكشفت البساتين والدور التى استجدت من بولاق الى منية الشيرج والتى استجدت فى الحكورة والتى استجدت على الخليج الناصرى وعلى بركة الحاجب وفى حكر أخى صاروجا وقيست أراضيها كلها وأخذ عن كل ذراع منها خمسة عشر درهما وأخذ عن كل قمين من اقمنة الطوب شئ وعن كل فاخورة من الفواخير شئ وفرض على كل وقف بالقاهرة ومصر والقرافتين من الجوامع والمساجد والخوانك والزوايا والربط شئ وكتب الى ولاة الاعمال بالجباية من ديورة النصارى وكنائسهم من مائتى درهم الى مائة درهم وقرّر على الفنادق والخانات التى بالقاهرة ومصر شئ وقرّر على ضامنة الاغانى مبلغ خمسين ألف درهم وأقيم لكل جهة شادّ وصيرفى وكاتب وغير ذلك من المستخدمين من الاعوان فنزل من ذلك بالناس بلاء كبير وشدّة عظيمة فانه أخذ حتى من الشيخ والعجوز والارملة وجبى المال منهم بالعسف وابطل كثير منهم سببه لسعيه فى الغرامة ودهى الناس مع الغرامة بتسلط الظلمة من العرفاء والضمان والرسل فكان يغرم كل أحد للقابض والشادّ والصيرفى والشهود سوى ما قرّر عليه جملة دراهم فكثر كلام الناس فى الوزير حتى صاروا يلهجون بقولهم هذه سخطة مرصصة نزلت من السماء على أهل مصر وقاسوا شدّة أخرى فى تحصيل الاصناف التى يحتاج اليها ونزل الوزير منجك وضرب له خيمة على جانب الروضة ونادى فى الحرافيش والفعلة من اراد العمل يحضر ويأخذ أجرته درهما ونصفا وثلاثة أرغفة فاجتمع اليه عالم كثير وجعل لهم شيأ يستظلون به من حرّ الشمس وأحسن اليهم ورتب عدة مراكب لنقل الحجر وأقام عدة من الحجارين فى الجبل لقطع الحجر وجمالا وحميرا تنقلها من الجبل الى البحر ثم تحمل من البر فى المراكب الى برّ الجيزة وابتدأ بعمل الجسر من الروضة الى ساقية علم الدين بن زنبور وعارضه بجسر آخر من بستان التاج اسحاق الى ساقية ابن زنبور وأقام أخشابا من الجهتين وردم بينهما بالتراب والحجر والحلفاء ورتب الجمال السلطانية لقطع الطين من برّ الروضة وحمله الى وسط الجسر وامر أن لا يبقى بالقاهرة ومصر صانع الا حضر العمل وألزم من كان بالقرب من داره كوم تراب أن ينقله الى الجسر فغرم كل واحد من الناس فى نقل التراب من ألف

درهم الى خمسمائة درهم وكان كل ما ينقل فى المراكب من الحجر وغيره يرمى فى وسط جسر المقياس وتحمله الجمال الى الجسر ثم اقتضى الرأى حفر خليج يجرى الماء فيه عند زيادة النيل لتضعف قوّة التيار عن الجسر فاحضرت الابقار والجراريف والرجال لاجل ذلك وابتدؤا حفره من رأس موردة الحلفاء تحت الدور الى بولاق وكانت الزيادة قد قربت أوانها فما انتهى الحفر حتى زاد ماء النيل وجرى فيه فسرّ الناس به سرورا كبيرا وانتهى عمل الجسر فى أربعة اشهر الا أن الشناعة قويت على الوزير وبلغ الامراء النائب ما يقال عن منجك من كثرة جباية الاموال فحدّثه فى ذلك ومنعه فاعتذر بأنه لم يسخر أحدا ولا استعمل الناس الا بالاجرة وان فى هذا العمل للناس عدّة منافع وما على من قول اصحاب الاغراض الفاسدة ونحو ذلك وتمادى على ما هو عليه فلما جرى الماء فى الخليج الذى حفر تحت البيوت من موردة الحلفاء الى بولاق مرّت فيه المراكب بالناس للفرجة واحتاج منجك الى نقل خيمته من برّ الروضة الى برّ الجيزة وأحضر المراكب الكبار وملأها بالحجارة وغرّق منها عشرة مراكب فى البحر وردم التراب عليها الى أن كمل نحو ثلثى العمل فقويت زيادة الماء وبطل العمل فلما كثرت الزيادة جمع منجك الحرافيش والاسرى وردم على الجسر التراب وقوّاه فتحامل الماء عن البرّ الغربى الى البرّ الشرقى ومرّ من تحت الميدان السلطانى وزريبة قوصون الى بولاق فصار معظمه من هذه المواضع وحصل الغرض بكون الماء بالقرب من القاهرة وانتهى طول جسر منجك الى مائتين وتسعين قصبة فى عرض ثمان قصبات وارتفاع أربع قصبات والجسر الذى من الروضة الى المقياس طوله مائتان وثلاثون قصبة وعدّة ما رمى فى هذا العمل من المراكب المشحونة بالحجر اثنا عشر ألف مركب سوى التراب وغير ذلك وكان ابتداء العمل فى مستهل المحرّم وانتهاؤه فى سلخ ربيع الآخر ولم تحصر الاموال التى جبيت بسببه فانه لم يبق بالقاهرة ومصر دار ولا فندق ولا حمام ولا طاحون ولا وقف جامع أو مدرسة أو مسجد أو زاوية ولا رزقة ولا كنيسة الا وجبى منه فكان الرجل الواحد يغرم العشرة دراهم ومن خصه درهم ان يحتاج الى غرامة أمثالهما وأضعافهما وناهيك بمال يجبى من الديار المصرية على هذا الحكم كثرة وقد بقيت من جسر منجك هذا بقية هى معروفة اليوم فى طرف الجزيرة الوسطى * (جسر الخليلى) هذا الجسر فيما بين الروضة من طرفها البحرى وبين جزيرة اروى المعروفة بالجزيرة الوسطى تجاه الخور وكان سبب عمله أن النيل لما قوى رمى تياره على برّ القاهرة فى ايام الملك الناصر محمد بن قلاون وقام فى عمل الجسر ليصير رمى التيار من جهة البرّ الغربى كما تقدّم ذكره انطرد الماء عن برّ القاهرة وانكشف ما تحت الدور من منشأة المهرانى الى منية الشيرج وعمل منجك الجسر الذى مرّ ذكره ليعود الماء فى طول السنة الى برّ القاهرة فلم يتهيأ كما كان أوّلا وجرى فى الخليج الذى احتفره تحت الدور من موردة الحلفاء بمصر الى بولاق وصار تجاه هذا الخليج جزيرة والماء لا يزال ينطرد فى كل سنة عن برّ القاهرة الى أن استبدّ بتدبير مصر الامير الكبير برقوق فلما دخلت سنة أربع وثمانين وسبعمائة قصد الامير جهاركس الخليلى عمل جسر ليعود الماء الى برّ القاهرة ويصير فى طول السنة هنالك ويكثر النفع به فيرخص الماء المحمول فى الروايا ويقرب مرسى المراكب من البلد وغير ذلك من وجوه النفع فشرع فى العمل أوّل شهر ربيع الاوّل وأقام الخوازيق من خشب السنط طول كل خازوق منها ثمانية اذرع وجعلها صفين فى طول ثلثمائة قصبة وعرض عشر قصبات وسمر فيها افلاق النخل الممتدّة وألقى بين الخوازيق ترابا كثيرا وانتصب هنالك بنفسه ومماليكه ولم يجب من أحد مالا البتة فانتهى عمله فى اخريات شهر ربيع الآخر وحفر فى وسط البحر خليجا من الجسر الى زريبة قوصون وقال شعراء العصر فى ذلك شعرا كثيرا منهم عيسى بن حجاج

جسر الخليلى المقرّ لقد رسا * كالطود وسط النيل كيف يريد
فاذا سألتم عنه ما قلنا لكم * ذا ثابت دهرا وذاك يزيد

وقال الاديب شهاب الدين أحمد بن العطار

شكت النيل ارضه * للخليلى فاحصره
ورأى الماء خائفا * أن يطاها فجسره

وقال

راى الخليلى قلب الماء حين طغى * بنى على قلبه جسرا وحيره

رأى ترمل ارضيه ووحدتها * والنيل قد خاف بغشاها فجسره

ومع ذلك ما ازداد الماء الا انطرادا عن برّ القاهرة ومصر حتى لقد انكشف بعد عمل هذا الجسر شئ كثير من الاراضى التى كانت عامرة بماء النيل وبعد النيل عن القاهرة بعدا لم يعهد فى الاسلام مثله قط * (جسر شيبين) أنشاه الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة بسبب أن اقليم الشرقية كانت له سدود كلها موقوفة على فتح بحر أبى المنجا وفى بعض السنين تشرّق ناحية شيبين وناحية مرصفا وغير ذلك من النواحى التى اراضيها عالية فشكا الامير بشتاك من تشريق بعض بلاده التى فى تلك النواحى فركب السلطان من قلعة الجبل ومعه المهندسون وخولة البلاد وكانت له معرفة بأمور العمائر وحدس جيد ونظر سعيد ورأى مصيب فسار لكشف تلك النواحى حتى اتفق الرأى على عمل الجسر من عند شيبين القصر الى بنها العسل فوقع الشروع فى عمله وجمع له من رجال البلاد اثنى عشر ألف رجل ومائتى قطعة جرافة وأقام فيه القناطر فصار محبسا لتلك البلاد واذا فتح بحر أبى المنجا امتلأت الاملاق بالماء واسند على هذا الجسر وفى أول سنة عمل هذا الجسر أبطل فتح بحر أبى المنجا تلك السنة وفتح من جسر شيبين هذا وحصل بهذا الجسر نفع كبير لبلاد العلو واستبحر منه عدّة بلاد وطيئة والعمل على هذا الجسر الى يومنا هذا * والله اعلم

* (جسر امصر والجيزة) اعلم أن الماء فى القديم كان محيطا بجزيرة مصر التى تعرف اليوم بالروضة طول السنة وكان فيما بين ساحل مصر وبين الروضة جسر من خشب وكذلك فيما بين الروضة وبرّ الجيزة جسر من خشب يمرّ عليهما الناس والدواب من مصر الى الروضة ومن الروضة الى الجيزة وكان هذان الجسران من مراكب مصطفة بعضها بحذاء بعض وهى موثقة ومن فوق المراكب أخشاب ممتدّة فوقها تراب وكان عرض الجسر ثلاث قصبات * قال القضاعى وأما الجسر فقال بعضهم رأيت فى كتاب ذكر انه خط أبى عبد الله بن فضالة صفة الجسر وتعطيله وازالته وانه لم يزل قائما الى أن قدم المأمون مصر وكان غربيا ثم أحدث المأمون هذا الجسر الموجود اليوم الذى تمرّ عليه المارّة وترجع من الجسر القديم فبعد أن خرج المأمون عن البلد أتت ريح عاصف فقطعت الجسر الغربى فصدمت سفنه الجسر المحدث فذهبا جميعا فبطل الجسر القديم واثبت الجديد ومعالم الجسر القديم معروفة الى هذه الغاية * وقال ابن زولاق فى كتاب تمام امراء مصر ولعشر خلون من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة سارت العساكر لقتال القائد جوهر ونزلوا الجزيرة بالرجال والسلاح والعدّة وضبطوا الجسرين وذكر ما كان منهم الى أن قال فى عبور جوهر أقبلت العساكر فعبرت الجسر أفواجا افواجا وأقبل جوهر فى فرسانه الى المناخ موضع القاهرة * وقال فى كتاب سيرة المعز لدين الله وفى مستهل رجب سنة أربع وستين وثلثمائة اصلح جسر الفسطاط ومنع الناس من ركوبه وكان قد أقام سنين معطلا * وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب وذكر ابن حوقل الجسر الذى يكون ممتدا من الفسطاط الى الجزيرة وهو غير طويل ومن الجانب الآخر الى البرّ الغربى المعروف ببرّ الجيزة جسر آخر من الجزيرة اليه واكثر جواز الناس بأنفسهم ودوابهم فى المراكب لان هذين الجسرين قد احترما بحصولهما فى حيز قلعة السلطان ولا يجوز أحد على الجسر الذى بين الفسطاط والجزيرة راكبا احتراما لموضع السلطان يعنى الملك الصالح نجم الدين أيوب وكان رأس هذا الجسر الذى ذكره ابن سعيد حيث المدرسة الخروبية من انشاء البدر أحمد بن محمد الخروبى التاجر على ساحل مصر قبلى خط دار النحاس ومابرح هذا الجسر الى أن خرب للملك المعز ايبك التركمانى قلعة الروضة بعد سنة ثمان وأربعين وستمائة فأهمل ثم عمره الملك الظاهر ركن الدين بيبرس على المراكب وعمله من ساحل مصر الى الروضة ومن الروضة الى الجيزة لاجل عبور العسكر عليه لما بلغه حركة الفرنج فعمل ذلك * (الجسر من قليوب الى دمياط) هذا الجسر أنشأه السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس المنصورى المعروف بالجاشنكير فى اخريات سنة ثمان وسبعمائة وكان من خبره انه ورد القصاد بموافقة صاحب قبرس عدّة من ملوك الفرنج على غزو دمياط وانهم أخذوا ستين قطعة فاجتمع الامراء واتفقوا على انشاء جسر من القاهرة الى دمياط خوفا من حركة الفرنج فى ايام النيل فيتعذر الوصول الى دمياط وعين لعمل ذلك الامير أقوش الرومى الحسامى وكتب الامراء الى بلادهم بخروج الرجال والابقار ورسم للولاة بمساعدة اقوش وأن يخرج كل وال الى العمل برجاله وأبقارهم فما وصل اقوش الى ناحية فارسكور حتى وجد ولاة

الاعمال قد حضروا بالرجال والابقار فرتب الامور فعمل فيه ثلثمائة جرافة بستمائة رأس بقر وثلاثين ألف رجل وأقام اقوش الحرمة وكان عبوسا قليل الكلام مهابا الى الغاية فجد الناس فى العمل لكثرة من ضرب بالمقارع أو خزم انفه او قطع اذنه او اخرق به الى أن فرغ فى نحو شهر واحد فجاء من قليوب الى دمياط مسافة يومين فى عرض أربع قصبات من اعلاه وست قصبات من اسفله ومشى عليه ستة رؤس من الخيل صفا واحدا فعم النفع به وسلك عليه المسافرون بعد ما كان يتعذر السلوك ايام النيل لعموم الماء الاراضى والله تعالى اعلم

* (وقد وجد بخط المصنف رحمه الله فى اصله هنا ما صورته) *

امراء الغرب ببيروت بيت حشمة ومكارم مقامهم بجبال الغرب من بلاد بيروت ولهم خدم على الناس وتفضيل وهم ينسبون الى الحسين بن اسحاق بن محمد التنوخى الذى مدحه أبو الطيب المتنبى بقوله

شدوا بابن اسحاق الحسين فصافحت * وفاربها كيزانها والنمارق

ثم كان كرامة بن بحير بن على بن ابراهيم بن الحسين بن اسحاق بن محمد التنوخى فهاجر الى الملك العادل نور الدين الشهيد محمود بن زنكى فأقطعه الغرب وما معه بامرته فسمى امير الغرب وكان منشوره بخط العماد الاصفهانى الكاتب فتحضر الامير كرامة بعد البداوة وسكن حصن بالجمور من نواحى اقطاعه ويعلو على تل اعمال بغير بناء ثم أنشأ أولاده هناك حصنا ومازالوا به وكان كرامة ثقيلا على صاحب بيروت وذلك ايام الفرنج فاراد أخذه مرارا فلم يجد اليه سبيلا فأخذ فى الحيلة عليه وهادن اولاده وسألهم حتى نزلوا الى الساحل وألفوا الصيد بالطير وغيره فراسلهم حتى صار يصطاد معهم وأكرمهم وحباهم وكساهم ومازال يستدرجهم مرة بعد مرة ثم أخرج ابنه معه وهو شاب وقال قد عزمت على زواجه ثم دعا ملوك الساحل وأولاد كرامة الثلاثة فأتوه وتأخر أصغر أولاد كرامة مع امه بالحصن فى عدة قليلة فامتلأ الساحل بالشوانى والمدينة بالفرنج وتلقوهم بالشمع والاغانى فلما صاروا فى القلعة وجلسوا مع الملوك غدر بهم وامسكهم وأمسك غلمانهم وغرقهم وركب بجموعه ليلا الى الحصن فأجفل الفلاحون والحريم والصبيان الى الجبال والشعر والكهوف وبلغ من بالحصن أن اولاد كرامة الثلاثة قد غرقوا ففتحوه وخرجت أمهم ومعها ابنها حجى بن كرامة وعمره سبع سنين ولم يبق من بنيهم سواه فأدرك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وتوجه اليه لما فتح صيدا وبيروت وباس رجله فى ركابه فلمس بيده رأسه وقال له أخذنا نارك طب قلبك انت مكان ابيك وامر له بكتابة أملاك أبيه بستين فارسا فلما كانت ايام المنصور قلاون ذكر أولاد تغلب بن مسعر الشجاعى أن بيد الخليفة أملاكا عظيمة بغير استحقاق ومن جلتهم أمراء الغرب فحملوا الى مصر ورسم السلطان باقطاع أملاك الجبلية مع بلاد طرابلس لامرائها وجندها فأقطعت لعشرين فارسا من طرابلس فلما كانت ايام الاشرف خليل ابن قلاون قدموا مصر وسألوا أن يخدموا على أملاكهم بالعدة فرسم لهم وأن يزيدوها عشرة ارماح فلما كان الروك الناصرى ونيابة الامير تنكز بالشام وولاية علاء الدين بن سعيد كشف تلك الجهات رسم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون أن يستمر عليها بستين فارسا فاستمرت على ذلك ثم كان منهم الامير ناصر الدين الحسين ابن خضر بن محمد بن حجى بن كرامة بن بحير بن على المعروف بابن امير الغرب فكثرت مكارمه واحسانه وخدمته كل من يتوجه الى تلك الناحية وكانت اقامته بقرية أعبية بالجبل وله دار حسنة فى بيروت واتصلت خدمته الى كل غاد ورائح وباد الاكابر والاعيان مع رياسة كبيرة ومعرفة عدة صنائع يتقنها وكتابة جيدة وترسل وعدة قصائد ومولده فى محرم سنة ثمان وستين وستمائة وتوفى للنصف من شوال سنة احدى وخمسين وسبعمائة انتهى * (ووجد بخطه أيضا من أخبار اليمن ما مثاله) * كان ابتداء دولة بنى زياد أن محمد بن ابراهيم ابن عبد الله بن زياد سلمه المأمون مع عدة من بنى أمية الى الفضل بن سهل بن ذى الرياستين فورد على المأمون اختلال اليمن فأثنى الفضل على محمد هذا فبعثه المأمون أميرا على اليمن فحج ومضى الى اليمن وفتح بها من بعد محاربته العرب وملك اليمن وبنى مدينة زبيد فى سنة ثلاث ومائتين وبعث مولاه جعفرا بهدية جليلة الى المأمون فى سنة خمس وعاد اليه فى سنة ست ومعه من جهة المأمون ألفا فارس فقوى ابن زياد وملك جميع اليمن وقلد جعفرا الجبال وبنى بها مدينة الدمجرة فظهرت كفاءة جعفر لكثرة دهائه فقتله ابن زياد ثم مات محمد بن زياد فملك بعده

ابنه ابراهيم ثم ملك بعده ابنه أبو الجيش اسحاق بن ابراهيم وطالت مدته ومات سنة احدى وسبعين وثلثمائة وترك طفلا اسمه زياد فاقيم بعده وكفلته أخته هند ابنة اسحاق وولى معها رشد عبد أبى الجيش حتى مات فولى بعد رشد عبده حسين بن سلامة وكان عفيفا فوزر لهند ولاخيها حتى ماتا ثم انتقل الملك الى طفل من آل زياد وقام بأمره عمته وعبد الحسين بن سلامة اسمه مرجان وكان لمرجان عبدان قد تغلبا على امره يقال لاحدهما قيس وللآخر نجاح فتنافسا على الوزارة وكان قيس عسوفا ونجاح رفيقا وكان مرجان سيدهما يميل الى قيس وعمة الطفل تميل الى نجاح فشكا قيس ذلك الى مرجان فقبض على الملك الطفل ابراهيم وعلى عمته تملك فبنى قيس عليهما جدارا فكان ابراهيم آخر ملوك اليمن من آل زياد وكان القبض عليه وعلى عمته سنة سبع وأربعمائة فكانت مدة بنى زياد مائتى سنة وأربعا وستين سنة فعظم قتل ابراهيم وعمته تملك على نجاح وجمع الناس وحارب قيسا بزبيد حتى قتل قيس وملك نجاح المدينة فى ذى القعدة سنة اثنتى عشرة وقال لسيده مرجان ما فعلت بموالينا وموالينا فقال هم فى ذلك الجدار فأخرجهما وصلى عليهما ودفنهما وبنى عليهما مسجدا وجعل سيده مرجان موضعهما فى الجدار ووضع معه جثة قيس وبنى عليهما الجدار واستبد نجاح بمملكة اليمن وركب بالمظلة وضربت السكة باسمه ونجاح مولى مرجان ومرجان مولى حسين بن سلامة وحسين مولى رشد ورشد مولى بنى زياد ولم يزل نجاح ملكا حتى مات سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة سمته جارية أهداها اليه الصليحى وترك من الاولاد عدة فملك منهم سعيد الاحول واخوته عدة سنين حتى استولى عليهم الصليحى فهربوا الى دهلك ثم قدم منهم جياش بن نجاح الى زبيد متنكرا وأخذ منها وديعة وعاد الى دهلك فقدمها أخوه سعيد الاحول بعد ذلك واختفى بها واستدعى أخاه جياشا وسارا فى سبعين رجلا يوم التاسع من ذى القعدة سنة ثلاث وسبعين وقصدوا الصليحى وقد سار الى الحج فوافوه عند بئر أم معبد وقتلوه فى ثانى عشرى ذى القعدة المذكور وقتل معه ابنه عبد الله واحتز سعيد رأسيهما واحتاط على امرأته أسماء بنت شهاب وعاد الى زبيد ومعه أخوه جياش والرأسان بين أيديهما على هودج أسماء وملك اليمن فجمع المكرم ابن أسماء فى سنة خمس وسبعين وسار من الجبال الى زبيد وقاتل سعيدا ففر سعيد وملك المكرم واسمه أحمد وأنزل رأس الصليحى وأخيه ودفنهما وولى زبيد خاله اسعد بن شهاب وماتت اسماء امه بعد ذلك فى صنعاء سنة سبع وسبعين ثم عادا بنا نجاح الى زبيد وملكاها فى سنة تسع وسبعين ففر أسعد بن شهاب ثم غلبهما أحمد المكرم بن على الصليحى وقتل سعيد بن نجاح فى سنة احدى وثمانين وفر أخوه جياش الى الهند ثم عاد وملك زبيد فى سنة احدى وثمانين المذكورة فولدت له جاريته الهندية ابنه الفاتك بن جياش وبقى المكرم فى الجبال يغير على بلاد جياش وجياش يملك تهامة حتى مات آخر سنة ثمان وتسعين فملك بعده ابنه فاتك وخالف عليه أخوه ابراهيم ومات فاتك سنة ثلاث وخمسمائة فملك بعده ابنه منصور بن فاتك وهو صغير فثار عليه عمه ابراهيم فلم يظفر وثار بزبيد عبد الواحد بن جياش وملكها فسار اليه عبيد فاتك واستعادها ثم مات منصور وملك بعده ابنه فاتك بن منصور ثم ملك بعده ابن عمه فاتك بن محمد بن فاتك بن جياش فى سنة احدى وثلاثين وخمسمائة حتى قتل سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وهو آخر ملوك بنى نجاح فتغلب على اليمن على بن مهدى فى سنة أربع وخمسين * (وأما الصليحى) فانه على بن القاضى محمد بن على كان أبوه فى طاعته أربعون ألفا فأخذ ابنه التشيع عن عامر بن عبد الله الرواحى أحد دعاة المستضىء وصحبه حتى مات وقد أسند اليه امر الدعوة فقام بها وصار دليلا لحاج اليمن عدة سنين ثم ترك الدلالة فى سنة تسع وعشرين وأربعمائة وصعد رأس جبل مسار فى ستين رجلا وجمع حتى ملك اليمن فى سنة خمس وخمسين وأقام على زبيد أسعد بن شهاب بن على الصليحى وهو أخو زوجته وابن عمه ثم انه حج فقتله بنو نجاح فى ذى القعدة سنة ثلاث وسبعين واستقرت التهائم لبنى نجاح واستقرت صنعاء لاحمد بن على الصليحى المقتول وتلقب بالملك المكرم ثم جمع وقصد سعيد بن نجاح بزبيد وقاتله وهزمه الى دهلك وملك زبيد فى سنة خمس وسبعين فعاد سعيد وملك زبيد فى سنة تسع وسبعين فأتاه المكرم فقتله فى سنة احدى وثمانين فملك جياش أخو سعيد ومات المكرم بصنعاء سنة أربع وثمانين فملك بعده أبو حمير سبا بن احمد المظفر بن على الصليحى فى سنة أربع وثمانين حتى مات سنة خمس وتسعين وهو آخر الصليحيين فملك بعده على بن ابراهيم بن نجيب الدولة فقدم من مصر الى جبال اليمن فى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وقام بأمر الدعوة والمملكة التى كانت بيد سبا ثم قبض

عليه بامر الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمى بعد سنة عشرين وخمسمائة وانتقل الملك والدعوة الى الزريع
ابن عباس بن المكرم وآل الزريع من آل عدن وهم من حمدان ثم من جشم وبنو المكرم يعرفون بآل الذنب
وكانت عدن للزريع بن عباس وأحمد بن مسعود بن المكرم فقتلا على زبيد وولى بعدهما ولداهما أبو السعود
ابن زريع وأبو الغارات بن مسعود ثم استولى على الملك والدعوة سبأ بن أبى السعود بن زريع حتى مات سنة
ثلاث وثلاثين وخمسمائة فولى بعده ولده الاعز على بن سبا وكان مقامه بالرمادة فمات بالسل وملك أخوه المعظم
محمد فى سنة ثمان وثلاثين * وولى من الصليحيين أيضا المملكة السيدة سنة بنت أحمد بن جعفر بن موسى
الصليحى زوجة أحمد المكرم ولقبت بالحرة ومولدها سنة أربعين وأربعمائة وربتها أسماء بنت شهاب
وتزوجها الملك المكرم أحمد ابن أسماء وهو ابن على الصليحى سنة احدى وستين وولاها الامر فى حياته
فقامت بتدبير المملكة والحروب وأقبل زوجها على لذاته حتى مات وتولى ابن عمه سبأ فاستمرت فى الملك
حتى مات سبا وتولى ابن نجيب الدولة حتى ماتت سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وشاركه فى الملك المفضل
أبو البركات بن الوليد الحميرى وكان يحكم بين يدى الملكة الحرة وهى من وراء الحجاب ومات المفضل فى رمضان
سنة أربع وثلاثين وخمسمائة وملك بلاده ابنه الملك المنصور منصور بن المفضل حتى ابتاع منه محمد بن
سبأ بن أبى السعود معاقل الصليحيين وعدتها ثمانية وعشرون حصنا بمائة ألف دينار فى سنة سبع وأربعين
وخمسمائة وبقى المنصور بعد حتى مات بعد ما ملك نحو ثمانين سنة * (وأما على بن مهدى) فانه
حميرى من سواحل زبيد كان أبوه مهدى رجلا صالحا ونشأ ابنه على طريقة حسنة وحج ووعظ وكان
فصيحا حسن الصوت عالما بالتفسير وغيره يتحدث بالمغيبات فتكون كما يقول وله عدة أتباع كثيرة وجموع
عديدة ثم قصد الجبال وأقام بها الى سنة احدى وأربعين وخمسمائة ثم عاد الى أملاكه ووعظ ثم عاد الى الجبال
ودعا الى نفسه فأجابه بطن من خولان فسماهم الانصار وسمى من صعد معه من تهامة المهاجرين وولى على
خولان سبأ وعلى المهاجرين رجلا آخر وسمى كلا منهما شيخ الاسلام وجعلهما نقيبين على طائفتيهما فلا
يخاطبه أحد غيرهما وهما يوصلان كلامه الى من تحت ايديهما وأخذ يغادى الغارات ويراوحها على التهائم
حتى اجلى البوادى ثم حاصر زبيد حتى قتل فاتك بن محمد آخر ملوك بنى نجاح فحارب ابن مهدى عبد فاتك
حتى غلبهم وملك زبيد يوم الجمعة رابع عشر رجب سنة أربع وخمسين وخمسمائة فبقى على الملك شهرين وأحدا
وعشرين يوما ومات فملك بعده ابنه مهدى ثم عبد الغنى بن مهدى وخرجت المملكة عن عبد الغنى الى أخيه
عبد الله ثم عادت الى عبد الغنى واستقر حتى سار اليه توران شاه بن ايوب من مصر فى سنة تسع وستين
وخمسمائة وفتح اليمن وأسر عبد الغنى وهو آخر ملوك بنى مهدى يكفر بالمعاصى ويقتل من يخالف اعتقاده
ويستبيح وطء نسائهم واسترقاق اولادهم وكان حنفى الفروع ولاصحابه فيه غلو زائد ومن مذهبه قتل من شرب
الخمر ومن سمع الغناء ثم ملك توران شاه بن أيوب عدن من ياسر وملك بلاد اليمن كلها واستقرت فى ملك السلطان
صلاح الدين يوسف بن أيوب وعاد شمس الدولة توران شاه بن أيوب الى مصر فى شعبان سنة ست وسبعين
واستخلف على عدن عز الدين عثمان بن الزنجيلى وعلى زبيد حطان بن كامل بن منقذ الكنانى فمات شمس الدولة
بالاسكندرية فاختلف نوابه فبعث السلطان صلاح الدين يوسف جيشا فاستولى على اليمن ثم بعث فى سنة ثمان
وسبعين أخاه سيف الاسلام ظهير الدين طغتكين بن أيوب فقدم اليها وقبض على حطان بن كامل بن منقذ
وأخذ امواله وفيها سبعون غلاف زردية مملوءة ذهبا عينا وسجنه فكان آخر العهد به ونجا عثمان بن الزنجيلى
بأمواله الى الشام فظفر بها سيف الاسلام وصفت له مملكة اليمن حتى مات بها فى شوال سنة ثلاث وتسعين
فاقيم بعده ابنه الملك المعز اسماعيل بن طغتكين بن أيوب فخبط وادعى انه أموى وخطب لنفسه بالخلافة وعمل
طول كمه عشرين ذراعا فثار عليه مماليكه وقتلوه فى سنة تسع وتسعين واقاموا بعده أخاه الناصر ومات بعد
أربع سنين فقام من بعده زوج امه غازى بن جبريل أحد الامراء فقتله جماعة من العرب وبقى اليمن بغير سلطان
فتغلبت أم الناصر على زبيد فقدم سليمان بن سعد الدين شاهنشاه بن أيوب الى اليمن فعبر بمحمل ركوته على
كتفه فملكته أم الناصر البلاد وتزوجت به فاشتد ظلمه وعتوه الى أن قدم الملك المسعود اقسيس بن الملك
الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب من مصر فى سنة اثنتى عشرة وستمائة فقبض عليه وحمله الى مصر

فأجرى له الكامل ما يقوم به الى أن استشهد على المنصورة سنة سبع وأربعين وستمائة وأقام المسعود باليمن وحج وملك مكة أيضا فى شهر ربيع الاول سنة عشرين وستمائة وعاد الى اليمن ثم خرج عنها واستخلف عليها استاداره على بن رسول فمات بمكة سنة ست وعشرين فقام على بن رسول على ملك اليمن حتى مات فى سنة تسع وعشرين واستقر عوضه ابنه عمر بن على بن رسول وتلقب بالمنصور حتى قتل سنة ثمان وأربعين واستقر بعده ابنه المظفر يوسف بن عمر بن على بن رسول وصفا له اليمن وطالت ايامه انتهى ما ذكره المصنف بخطه فى تاريخه عفا الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مقره ومثواه * (ووجد بخطه أيضا ما مثاله) * السلطان محمد بن طغلق شاه وطغلق يلقب غياث الدين وهو مملوك السلطان علاء الدين محمود بن شهاب الدين مسعود ملك الهند مقر ملكه مدينة دهلى وجميع البلاد برا وبحرا بيده الا الجزائر المغلغلة فى البحر وأما الساحل فلم يبق منه قيد شبر الا وهو بيده وأول ما فتح مملكة تكنك عدة قراها مائة ألف قرية وتسعمائة قرية ثم فتح بلاد حاجنكيز وبها سبعون مدينة جليلة كلها بنادر على البحر ثم فتح بلاد لنكوتى وهى كرسى تسعة ملوك ثم فتح بلاد دواكير وبها أربع وثمانون قلعة كلها جليلات المقدار وبها ألف ألف قرية ومائتا ألف قرية ثم فتح بلاد دورسمند وكان بها ستة ملوك ثم فتح بلاد المعبر وهو اقليم جليل له سبعون مدينة بنادر على البحر وجملة ما بيده ثلاثة وعشرون اقليما وهى اقليم دهلى واقليم الدواكير واقليم الملتان واقليم كهران واقليم سامان واقليم سوستان واقليم وجا واقليم هاسى واقليم سرسنى واقليم المعبر واقليم تكنك كرات واقليم بداون واقليم عوض واقليم التيوج واقليم لنكوتى واقليم بهار واقليم كره واقليم ملاوه واقليم بهادر واقليم كلافور واقليم حاجنكيز واقليم بليخ واقليم وسمند وهذه الاقاليم تشتمل على ألف مدينة ومائتى مدينة ومدينة دهلى دور عمرانها أربعون ميلا وجملة ما يطلق عليه اسم دهلى احدى وعشرون مدينة وفى دهلى ألف مدرسة كلها للحنفية الا واحدة فانها للشافعية ونحو سبعين مارستانا وفى بلادها من الخوانك والربط نحو ألفين وبها جامع ارتفاع مئذنته ستمائة ذراع فى الهواء وللسلطان خدمة مرتين فى كل يوم بكرة وبعد العصر ورتب الامراء على هذه الانواع أعلاهم قدرا الخانات ثم الملوك ثم الامراء ثم الاسفهسلارية ثم الجند وفى خدمته ثمانون خانا وعسكره تسعمائة ألف فارس وله ثلاثة آلاف فيل تلبس فى الحروب البرك اصطونات الحديد المذهب وتلبس فى ايام السلم جلال الديباج وأنواع الحرير وتزين بالقصور والاسرة المصفحة ويشد عليها بروج الخشب يركب فيها الرجال للحرب فيكون على الفيل من عشرة رجال الى ستة وله عشرون ألف مملوك اتراك وعشرة آلاف خادم خصى وألف خازندار وألف مشبقدار ومائتا ألف عبد ركابية تلبس السلاح وتمشى بركابه وتقاتل رجالة بين يديه والاسفهسلارية لا يؤهل منهم أحد لقرب السلطان وانما يكون منهم نوع الولاة والخان يكون له عشرة آلاف فارس وللملك ألف وللامير مائة فارس وللاسفهسلار دون ذلك ولكل خان عبرة لكين كل لك مائة ألف تنكة كل تنكة ثمانية دراهم ولكل ملك من ستين ألف تنكة الى خمسين ألف تنكة ولكل امير من أربعين ألف تنكة الى ثلاثين ألف تنكة ولكل اسفهسلار من عشرين ألف تنكة الى ما حولها ولكل جندى من عشرة آلاف تنكة الى ألف تنكة ولكل مملوك من خمسة آلاف تنكة الى ألف تنكة سوى طعامهم وكساويهم وعليقهم ولكل عبد فى الشهر منان من الحنطة والارز وفى كل يوم ثلاثة استار لحم وما يحتاج اليه وفى كل شهر عشر تنكات بيضاء وفى كل سنة أربع كساو وللسلطان دار طراز فيها أربعة آلاف قزاز لعمل انواع القماش سوى ما يحمل له من الصين والعراق والاسكندرية ويفرق كل سنة مائتى ألف كسوة كاملة فى فصل الربيع مائة ألف وفى فصل الخريف مائة ألف ففى الربيع غالب الكسوة من عمل الاسكندرية وفى الخريف كلها حرير من عمل دار الطراز بدهلى وقماش الصين والعراق ويفرق على الخوانك والربط الكساوى وله أربعة آلاف زركشى تعمل الزركش ويفرق كل سنة عشرة آلاف فرس مسرجة وغير مسرجة سوى ما يعطى الاجناد من البراذين فانه بلا حساب يعطى جشارات ومع هذا فالخيل عنده غالية مطلوبة وللسلطان نائب من الخانات يسمى ابريت اقطاعه قدر اقليم بحر العراق ووزير اقطاعه كذلك وله أربعة نواب مسمى كل واحد منهم من أربعين ألف تنكة الى عشرين ألف تنكة وله أربعة ربيسان أى كتاب سر لكل واحد منهم ثلثمائة كاتب ولكل كاتب اقليم عشرة آلاف تنكة ولصدر جهان وهو قاضى القضاة قرى يتحصل منها نحو ستين ألف تنكة ولصدر الاسلام وهو أكبر نواب القاضى ولشيخ الاسلام وهو شيخ الشيوخ مثل ذلك وللمحتسب ثمانية آلاف تنكة

وله

وله ألف طبيب ومائتا طبيب وعشرة آلاف بزدار تركب الخيل وتحمل طيور الصيد وله ثلاثة آلاف سوّاق لتحصيل الصيد وخمسمائة نديم وألفان ومائتان للملاهى سوى مماليكه وهم ألف مملوك وألف شاعر باللغات العربية والفارسية والهندية يجرى عليهم ديوانه ومتى غنى أحد منهم لغيره قتله ولكل نديم قريتان او قرية ومن أربعين ألف تنكة الى ثلاثين ألف تنكة الى عشرين ألف تنكة سوى الخلع والكساوى والافتقادات ويمد فى وقت كل خدمة فى المرتين من كل يوم سماط يأكل منه عشرون ألفا مثل الخانات والملوك والامراء والاسفهسلارية واعيان الاجناد وله طعام خاص يأكل معه الفقهاء وعدتهم مائتا فقيه فى الغداء والعشاء فيأكلون ويتباحثون بين يديه ويذبح فى مطابخه كل يوم ألفان وخمسمائة رأس من البقر وألفا رأس من الغنم سوى الخيل وأنواع الطير ولا يحضر مجلسه من الجند الا الاعيان ومن دعته ضرورة الى الحضور والندماء وارباب الاغانى يحضرون بالنوبة وكذلك الريسان والاطباء ونحوهم لكل طائفة نوبة تحضر فيها للخدمة والشعراء تحضر فى العيدين والمواسم وأول شهر رمضان واذا تجدد نصر على عدو أو فتوح ونحو ذلك مما يهنى به السلطان وأمور الجند والعامة مرجعها الى ابريت وأمر القضاة كلهم مرجعه الى صدر جهان وامر الفقهاء الى شيخ الاسلام وأمر الواردين والوافدين والادباء والشعراء الى الريسان وهم كتاب السر وجهز هذا السلطان مرة أحد كتاب سره الى السلطان أبى سعيد رسولا وبعث معه ألف ألف تنكة ليتصدق بها فى مشاهد العراق وخمسمائة فرس فقدم بغداد وقد مات أبو سعيد وكان هذا السلطان ترعد الفرائص لمهابته وتزلزل الارض لموكبه يجلس بنفسه لانصاف رعيته ولقراءة القصص عليه جلوسا عاما ولا يدخل أحد عليه ومعه سلاح ولو السكين ويجلس وعنده سلاح كامل لا يفارقه أبدا واذا ركب فى الحرب فلا يمكن وصف هيبته وله أعلام سود فى أوساطها تنابين من ذهب تسير عن يمينه وأعلام حمر فيها تنابين من ذهب تسير عن يساره ومعه مائتا جمل نقارات وأربعون جملا كوسات كبارا وعشرون بوقا وعشرة صنوج ويدق له خمس نوب كل يوم واذا خرج الى الصيد كان فى جف وعدة من معه زيادة على مائة ألف فارس ومائتى فيل وأربعة قصور خشب على ثمانمائة جمل كل قصر منها على مائتى جمل كلها ملبسة حريرا مذهبا كل قصر طبقتان سوى الخيم والجركاوات واذا انتقل من مكان الى مكان للنزهة يكون معه نحو ثلاثين ألف فارس والف جنيب مسرجة ملجمة بالذهب المرصع بالجوهر والياقوت واذا خرج فى قصره من موضع الى آخر يزر راكبا وعلى رأسه الجتر والسلاح دارية وراءه بأيديهم السلاح وحوله نحو اثنا عشر ألف مملوك مشاة لا يركب منهم الا حامل الجتر والسلاح دارية والجمدارية حملة القماش واذا خرج للحرب أو سفر طويل حمل على رأسه سبع جترات منها اثنان مرصعان ليس لهما قيمة وله فخامة عظيمة وقوانين وأوضاع جليلة والخانات والملوك والامراء لا يركب أحدهم فى السفر والحضر الا بالاعلام وأكثر ما يحمل الخان سبعة أعلام وأكثر ما يحمل الامير ثلاثة وأكثر ما يجره الخان فى الحضر عشرة جنائب وأكثر ما يجر الامير فى الحضر جنيبان وأما فى السفر فحسب اختيار وكان السلطان بر واحسان وفيه تواضع ولقد مات عنده رجل فقير فشهد جنازته وحمل نعشه على عنقه وكان يحفظ القرآن العزيز العظيم والهداية فى فقه الحنفية ويجيد علم المعقول ويكتب خطا حسنا ولذته فى الرياضة وتأديب النفس ويقول الشعر ويباحث العلماء ويواخذ الشعراء ويأخذ بأطراف الكلام على كل من حضر على كثرة العلماء عنده والعلماء تحضر عنده وتفطر فى رمضان معه بتعيين صدر جهان لهم فى كل ليلة وكان لا يترخص فى محذور ولا يقر على منكر ولا يتجاسر أحد فى بلاده أن يتظاهر بمحرم وكان يشدد فى الخمر ويبالغ فى العقوبة على من يتعاطاه من المقربين منه وعاقب بعض اكابر الخانات على شرب الخمر وقبض عليه وأخذ أمواله وجملتها أربعمائة ألف ألف مثقال وسبعة وثلاثون ألف ألف مثقال ذهبا احمر منها ألف وسبعمائة قنطار بالمصرى وله وجوه بر كثيرة منها انه يتصدق فى كل يوم بلكين عنهما من نقد مصر ألف ألف وستمائة ألف درهم وربما بلغت صدقته فى يوم واحد خمسين لكا ويتصدق عند كل رؤية هلال شهر بلكين دائما وعليه راتب لاربعين ألف فقير كل واحد منهم درهم فى كل يوم وخمسة ارطال بر وأرز وقرر ألف فقيه فى مكاتب لتعليم الاطفال القرآن وأجرى عليهم الارزاق وكان لا يدع بدهلى سائلا بل يجرى على الجميع الارزاق ويبالغ فى الاحسان الى الغرباء وقدم عليه رسول من أبى سعيد مرة بالسلام والتودد فخلع عليه وأعطاه جملا من المال فلما اراد الانصراف امره أن يدخل الخزانة ويأخذ

مايختار فلم يأخذ غير مصحف فسأله عن ذلك فقال قد اغنانى السلطان بفضله ولم أجد أشرف من كتاب الله فزاد اعجابه به واعطاه مالاجملته ثمانمائة تومان والتومان عشرة آلاف دينار وكل دينار ستة دراهم تكون جملة ذلك ثمانية آلاف ألف دينار عنها ثمانية واربعون ألف ألف درهم وقصده شخص من بلاد فارس وقدم له كتبا فى الحكمة منها كتاب الشفاء لابن سينا فأعطاه جوهرا بعشرين ألف مثقال من الذهب وقصده آخر من بخارى بحملى بطيخ اصفر فتلف غالبه حتى لم يبق منه الا اثنتان وعشرون بطيخة فأعطاه ثلاثة آلاف مثقال ذهبا وكان قد التزم أن لا ينطق فى اطلاقاته بأقل من ثلاثة آلاف مثقال ذهبا وبعث ثلاث لكوك ذهبا الى بلاد ماوراء النهر ليفرق على العلماء لك وعلى الفقراء لك ويبتاع له حوائج بلك وبعث للبرهان الصباغرجى شيخ سمرقند بأربعين ألف تنكة وكان لا يفارق العلماء سفرا وحضرا ومنار الشرع فى ايامه قائم والجهاد مستمر فبلغ مبلغا عظيما فى اعلاء كلمة الايمان فنشر الاسلام فى تلك الاقطار وهدم بيوت النيران وكسر الندود والاصنام واتصل به الاسلام الى اقصى الشرق وعمر الجوامع والمساجد وأبطل التثويب فى الاذان ولم يخل له يوم من الايام من بيع آلاف من الرقيق لكثرة السبى حتى ان الجارية لا يتعدى ثمنها بمدينة دهلى ثمان تنكات والسرية خمس عشرة تنكة والعبد المراهق اربعة دراهم ومع رخص قيمة الرقيق فانه تبلغ قيمة الجارية الهندية عشرين ألف تنكة لحسنها ولطف خلقها وحفظها القرآن وكتابتها الخط وروايتها الاشعار والاخبار وجودة غنائها وضربها بالعود ولعبها بالشطرنج وهن يتفاخرن فتقول الواحدة آخذ قلب سيدى فى ثلاثة ايام فتقول الاخرى انا آخذ قلبه فى يوم فتقول الاخرى أنا آخذ قلبه فى ساعة فتقول الاخرى أنا آخذ قلبه فى طرفة عين وكان ينعم على جميع من فى خدمته من أرباب السيوف والاقلام بكل جليل من البلاد والاموال والجواهر والخيول المحلاة بالذهب وغير ذلك الا الفيلة فانه لا يشاركه فيها أحد وللثلاثة آلاف فيل راتب عظيم فأكثرها مؤنة له فى كل يوم أربعون رطلا من ارز وستون رطلا من شعير وعشرون رطلا من سمن ونصف حمل من حشيش وقيمها جليل القدر اقطاعه مثل اقليم العراق واذا وقف السلطان للحرب كان أهل العلم حوله والرماة قدامه وخلفه وأمامه الفيلة كما تقدم عليها الفيالة وقدامها العبيد المشاة والخيل فى الميمنة والميسرة فتهيأ له من النصر مالا تهيأ لاحد ممن تقدمه ففتح الممالك وهدم قواعد الكفار ومحاصو رمعابدهم وأبطل نحرهم وكان يجلس كل يوم ثلاثاء جلوسا عاما على تخت مصفح بالذهب وعلى رأسه حبر فى موكب عظيم وينادى مناديه من له شكوى فى شخص فينظر فى ظلامات الناس وكان لا يوجد بدهلى فى ايامه خمر البتة وأول من ملك مدينة دهلى قطب الدين ايبك وذلك أن شهاب الدين محمد بن سالم بن الحسين أحد الملوك الغورية فتح الهند بعد عدة حروب واقطع مملوكه ايبك هذا مدينة دهلى فبعث ايبك عسكرا عليه محمد بن بختيار فأخذ الى تخوم الصين وذلك كله فى سنة سبع وأربعين وخمسمائة ثم ولى بعده ايتمش بن ايبك أربعين سنة فقام بعده ابنه علاء الدين على بن ايتمش بن ايبك ثم أخوه معز الدين بن ايتمش ثم أخته رضية خاتون فأقامت ثلاث سنين ثم أخوها ناصر الدين بن ايتمش فأقام أربعا وعشرين سنة ثم قام بعده مملوكه غياث الدين بليان سبعا وعشرين سنة ثم بعده معز الدين نيابا خمس سنين ثم ابنه شمس الدين كيمورس سبعة اشهر ثم خرج الملك عن بيت السلطان شمس الدين ايتمش وقويت التركمان الغلجية وكانوا امراء يقال للواحد منهم خان واستبد كبيرهم جلال الدين فيروز سبع سنين ثم ابن أخيه علاء الدين محمود بن شهاب الدين مسعود اثنتين وعشرين سنة ومات سنة خمس عشرة وسبعمائة ثم ابنه شهاب الدين عمر بن محمود بن مسعود سنة واحدة ولقب غياث الدين ثم أخوه قطب الدين مبارك بن محمود أربع سنين وقتل سنة عشرين وسبعمائة ثم علاء الدين خسرو مملوك علاء الدين محمود سبعة اشهر وملك غياث الدين طغلق شاه مملوك السلطان علاء الدين محمود بن مسعود فى أول شعبان سنة عشرين وسبعمائة ثم ملك بعده ابنه محمد بن طغلق شاه صاحب الترجمة هذا آخر ما وجد بخطه رحمه الله تعالى * (ووجد بخطه أيضا رحمه الله تعالى) * ما احسن قول الاديب محمد بن حسن بن شاور النقيب

مشت ايامكم لا بل نراها * جرت جريا على غير اعتياد
وما عقدت نواصيها بخير * ولا كانت تعد من الجياد

(بذخشان) مدينة فيما وراء النهر بها معدن اللعل البدخشانى وهو المسمى بالبلخش وبها معدن اللازورد الفائق

وهما فى جبل بها يحفر عليهما فى معادنهما فيوجد اللازورد بسهولة ولا يوجد اللعل الا بتعب كبير وانفاق زائد وقد لا يوجد بعد التعب الشديد والنفقة الكثيرة ولهذا عز وجوده وغلت قيمته * وأقصر ليل بلغار بالبحرين أربع ساعات ونصف * واقصر ليل افتكون ثلاث ساعات ونصف فهو أقصر من ليل بلغار بساعة واحدة وبين بلغار وأفتكون مسافة عشرين يوما بالسير المعتاد انتهى * السلطانية من عراق العجم بناها السلطان محمد خدابنده اولكاتيو بن ارغون بن ابغا بن هولاكو وخدابنده ملك بعد أخيه محمود غازان وملك بعد خدابنده ابنه السلطان أبو سعيد بهادرخان وكان الشيخ حسن بن حسين بن اقبغا مع قائد السلطان محمد بن طشتمر بن استيمر بن عترجى ومذ مات أبو سعيد لم يجمع بعده على طاعة ملك بل تفرقوا وقام فى كل ناحية قائم انتهى (ووجد بخطه أيضا مانصه) ولله در أبى اسحاق الاديب حيث قال

اذا كنت قد أيقنت أنك هالك * فمالك مما دون ذلك تشفق
ومما يشين المرء ذا الحلم أنه * يرى الامر حتما واقعا ثم يقلق

وحيث يقول

ومن طوى الخمسين من عمره * لاقى امورا فيه مستنكره
وان تخطاها رأى بعدها * من حادثات الدهر مالم يره

انتهى ماوجد بخطه فى اصله

(ذكر الجزائر)

اعلم أن الجزائر التى هى الآن فى بحر النيل كلها حادثة فى الملة الاسلامية ماعدا الجزيرة التى تعرف اليوم بالروضة تجاه مدينة مصر فان العرب لما دخلوا مع عمرو بن العاص الى مصر وحاصروا الحصن الذى يعرف اليوم بقصر الشمع فى مصر حتى فتحه الله تعالى عنوة على المسلمين كانت هذه الجزيرة حينئذ تجاه القصر ولم يبلغنى الى الآن متى حدثت وأما غيرها من الجزائر فكلها قد تجددت بعد فتح مصر * ويقال والله اعلم ان بلهيت الذى يعرف اليوم بأبى الهول طلسم وضعه القدماء لقلب الرمل عن بر مصر الغربى الذى يعرف اليوم ببر الجيزة وانه كان فى البر الشرقى بجوار قصر الشمع صنم من حجارة على مسامتة أبى الهول بحيث لو امتد خيط من رأس أبى الهول وخرج على استواء لسقط على رأس هذا الصنم وكان مستقبل المشرق وانه وضع أيضا لقلب الرمل عن البر الشرقى فقدر الله سبحانه وتعالى أن كسر هذا الصنم على يد بعض امراء الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة احدى عشرة وسبعمائة وحفر تحته حتى بلغ الحفر الى الماء ظنا أنه يكون هنالك كنز فلم يوجد شئ وكان هذا الصنم يعرف عند أهل مصر بسرية أبى الهول فكان عقيب ذلك غلبة النيل على البر الشرقى وصارت هذه الجزائر الموجودة اليوم وكذلك قام شخص من صوفية الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء يعرف بالشيخ محمد صائم الدهر فى تغيير المنكر أعوام بضع وثمانين وسبعمائة فشوه وجوه سباع الحجر التى على قناطر السباع خارج القاهرة وشوه وجه أبى الهول فغلب الرمل على أراضى الجيزة ولا ينكر ذلك فلله فى خلقته أسرار يطلع عليها من يشاء من عباده والكل بخلقه وتقديره * وقد ذكر الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه فى كتاب أخبار مصر فى خبر الواحات الداخلة أن فى تلك الصحارى كانت اكثر مدن ملوك مصر العجيبة وكنوزهم الآن الرمال غلبت عليها قال ولم يبق بمصر ملك الا وقد عمل للرمال طلسما لدفعها ففسدت طلسماتها لقدم الزمان * وذكر ابن يونس عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال انى لاعلم السنة التى تخرجون فيها من مصر قال ابن سالم فقلت له مايخرجنا منها ياأبا محمد أعدو قال لا ولكنكم يخرجكم منها نيلكم هذا يغور فلا تبقى منه قطرة حتى تكون فيه الكثبان من الرمل وتأكل سباع الارض حيتانه * وقال الليث عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير قال ان الصحابى حدثه أنه سمع كعبا يقول ستعرك العراق عرك الاديم وتفت مصر فت البعرة قال الليث وحدثنى رجل عن وهب المعافرى انه قال وتشق الشام شق الشعرة وسأذكر من خبر هذه الجزائر المشهورة ماوصلت الى معرفته ان شاء الله تعالى

(ذكر الروضة)

اعلم أن الروضة تطلق فى زماننا هذا على الجزيرة التى بين مدينة مصر ومدينة الجيزة وعرفت فى أول الاسلام

بالجزيرة وبجزيرة مصر ثم قيل لها جزيرة الحصن وعرفت الى اليوم بالروضة والى هذه الجزيرة انتقل المقوقس لما فتح الله تعالى على المسلمين القصر وصار بها هو ومن معه من جموع الروم والقبط وبها أيضا بنى احمد بن طولون الحصن وبها كانت الصناعة يعنى صناعة السفن الحربية اى كانت بها دار الصناعة وبها كان الجنان والمختار وبها كان الهودج الذى بناه الخليفة الآمر بأحكام الله لمحبوبته البدوية وبها بنى الملك الصالح نجم الدين أيوب القلعة الصالحية وبها الى اليوم مقياس النيل وسأورد من أخبار الروضة هنا ما لا تجده مجتمعا فى غير هذا الكتاب * قال ابن عبد الحكم وقد ذكر محاصرة المسلمين للحصن فلما رأى القوم الجد من المسلمين على فتح الحصن والحرص ورأوا صبرهم على القتال ورغبتهم فيه خافوا أن يظهروا عليهم فتنحى المقوقس وجماعة من اكابر القبط وخرجوا من باب الحصن القبلى ودونهم جماعة يقاتلون العرب فلحقوا بالجزيرة موضع الصناعة اليوم وامروا بقطع الجسر وذلك فى جرى النيل وتخلف فى الحصن بعد المقوقس الاعرج فلما خاف فتح باب الحصن خرج هو وأهل القوة والشرف وكانت سفنهم ملصقة بالحصن ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة قال وكان بالجزيرة يعنى بعد فتح مصر فى ايام عبد العزيز بن مروان امير مصر خمسمائة فاعل معدة لحريق يكون فى البلد أو هدم * وقال القضاعى جزيرة فسطاط مصر قال الكندى بنيت بالجزيرة الصناعة فى سنة أربع وخمسين وحصن الجزيرة بناه احمد بن طولون فى سنة ثلاث وستين ومائتين ليحرز فيه حرمه وماله وكان سبب ذلك مسير موسى بن بغا العراقى من العراق واليا على مصر وجميع أعمال ابن طولون وذلك فى خلافة المعتمد على الله فلما بلغ احمد بن طولون مسيره استعد لحربه ومنعه من دخول أعماله فلما بلغ موسى بن بغا الى الرقة تثاقل عن المسير لعظم شأن ابن طولون وقوته ثم عرضت لموسى علة طالت به وكان بها موته وثاوره الغلمان وطلبوا منه الارزاق وكان ذلك سبب تركه المسير فلم يلبث موسى بن بغا أن مات وكفى ابن طولون أمره ولم يزل هذا الحصن على الجزيرة حتى أخذه النيل شيأ بعد شئ وقد بقيت منه بقايا منقطعة الى الآن وقد اختصر القاضى القضاعى رحمه الله فى ذكر سبب بناء ابن طولون حصن الجزيرة * وقد ذكر جامع سيرة ابن طولون أن صاحب الزنج لما قدم البصرة فى سنة أربع وخمسين ومائتين واستفحل امره انفذ اليه امير المؤمنين المعتمد على الله تعالى أبو العباس احمد بن امير المؤمنين المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بن الرشيد رسولا فى حمل أخيه الموفق بالله أبى احمد طلحة من مكة اليه وكان الخليفة المهتدى بالله محمد بن الواثق بن المعتصم نفاه اليها فلما وصل اليه جعل العهد بالخلافة من بعده لابنه المفوض وبعد المفوض تكون الخلافة للموفق طلحة وجعل غرب الممالك الاسلامية للمفوض وشرقها للموفق وكتب بينهما بذلك كتابا ارتهن فيه أيمانهما بالوفاء بما قد وقعت عليه الشروط وكان الموفق يحسد أخاه المعتمد على الخلافة ولا يراه أهلا لها فلما جعل المعتمد الخلافة من بعده لابنه ثم للموفق بعده شق ذلك عليه وزاد فى حقده وكان المعتمد متشاغلا بملاذ نفسه من الصيد واللعب والتفرد بجواريه فضاعت الامور وفسد تدبير الاحوال وفاز كل من كان متقلدا عملا بما تقلده وكان فى الشروط التى كتبها المعتمد بين المفوض والموفق انه ما حدث فى عمل كل واحد منهما من حدث كانت النفقة عليه من مال خراج قسمه واستخلف على قسم ابنه المفوض موسى بن بغا فاستكتب موسى بن بغا عبيد الله بن سليمان بن وهب وانفرد الموفق بقسمه من ممالك الشرق وتقدم الى كل منهما أن لا يتطرق فى عمل الآخر وخلد كتاب الشروط بالكعبة وأفرد الموفق لمحاربة صاحب الزنج وأخرجه اليه وضم معه الجيوش فلما كبر أمره وطالت محاربته اياه وانقطعت مواد خراج المشرق عن الموفق وتقاعد الناس عن حمل المال الذى كان يحمل فى كل عام واحتجوا بأشياء دعت الضرورة الموفق الى أن كتب الى أحمد بن طولون وهو يومئذ أمير مصر فى حمل ما يستعين به فى حروب صاحب الزنج وكانت مصر فى قسم المفوض لانها من الممالك الغربية الا أن الموفق شكا فى كتابه الى ابن طولون شدة حاجته الى المال بسبب ما هو بسبيله وأنفذ مع الكتاب تحريرا خادم المتوكل ليقبض منه المال فما هو الا أن ورد تحرير على ابن طولون بمصر واذا بكتاب المعتمد قد ورد عليه يأمره فيه بحمل المال اليه على رسمه مع ما جرى الرسم بحمله مع المال فى كل سنة من الطراز والرقيق والخيل والشمع وغير ذلك وكتب أيضا الى احمد بن طولون كتابا فى السر أن الموفق انما انفذ تحريرا اليك عينا ومستقصيا على أخبارك وانه قد كاتب بعض اصحابك فاحترس منه واحمل المال الينا وعجل انفاذه وكان تحرير لما قدم الى مصر انزله أحمد بن طولون معه فى داره بالميدان

ومنعه من الركوب ولم يمكنه من الخروج من الدار التى أنزله بها حتى سار من مصر وتلطف فى الكتب التى
اجاب بها الموفق ولم يزل بحرير حتى أخذ جميع ما كان معه من الكتب التى وردت من العراق الى مصر وبعث
معه الى الموفق ألف ألف دينار ومائتى ألف دينار وماجرى الرسم بحمله من مصر وأخرج معه العدول وسار
بنفسه صحبته حتى بلغ به العريش وأرسل الى ماخور متولى الشام فقدم عليه بالعريش وسلمه اليه هو والمال
وأشهد عليه بتسليم ذلك ورجع الى مصر ونظر فى الكتب التى أخذها من تحرير فاذا هى الى جماعة من
قواده باستمالتهم الى الموفق فقبض على اربابها وعاقبهم حتى هلكوا فى عقوبته فلما وصل جواب ابن طولون الى
الموفق ومعه المال كتب اليه كتابا ثانيا يستقل فيه المال ويقول ان الحساب يوجب أضعاف ما حملت وبسط
لسانه بالقول والتمس فيمن معه من يخرج الى مصر ويتقلدها عوضا عن ابن طولون فلم يجد أحدا عوضه لما كان
من كيس أحمد بن طولون وملاطفته وجوه الدولة فلما ورد كتاب الموفق على ابن طولون قال وأى حساب بينى
وبينه أو حال توجب مكاتبتى بهذا أو غيره وكتب اليه بعد البسملة وصل كتاب الامير ايده الله تعالى وفهمته
وكان أسعده الله حقيقا بحسن التخير لمثلى وتصييره اياى عمدته التى يعتمد عليها وسيفه الذى يصول به وسنانه
الذى يتقى الاعداء بحده لانى دائب فى ذلك وجعلته وكدى واحتملت الكلف العظام والمؤن الثقال باستجذاب
كل موصوف بشجاعة واستدعاء كل منعوت بغنى وكفاية بالتوسعة عليهم وتواصل الصلات والمعاون لهم
صيانة لهذه الدولة وذبا عنها وحسما الاطماع المتشوقين لها والمنحرفين عنها ومن كانت هذه سبيله فى الموالاة ومنهجه
فى المناصحة فهو حرى أن يعرف له حقه ويوفر من الاعظام قدره ومن كل حال جليلة حظه ومنزلته
فعوملت بضد ذلك من المطالبة بحمل ما أمر به والجفاء فى المخاطبة بغير حال توجب ذلك ثم اكاف على الطاعة
جعلا وأزم فى المناصحة ثمنا وعهدى بمن استدعى ما استدعاه الامير من طاعته أن يستدعيه بالبذل والاعطاء
والارغاب والارضاء والاكرام لا أن يكلف ويحمل من الطاعة مؤنة وثقلا وانى لا اعرف السبب الذى يوجب
الوحشة ويوقعها بينى وبين الامير ايده الله تعالى ولاثم معاملة تقتضى معاملة او تحدث منافرة لان العمل الذى
أنا بسبيله لغيره والمكاتبة فى اموره الى من سواه ولا أنا من قبله فانه والامير جعفر المفوض ايده الله تعالى قد
اقتسما الاعمال وصار لكل واحد منهما قسم قد انفرد به دون صاحبه وأخذت عليه البيعة فيه انه من نقض
عهده أو اخفر ذمته ولم يف لصاحبه بما اكد على نفسه فالامة بريئة منه ومن بيعته وفى حل وسعة من خلعه
والذى عاملنى به الامير من محاولة صرفى مرة واسقاط رسمى أخرى وما يأتيه ويسومنيه ناقض لشرطه مفسد
لعهده وقد التمس أوليائى واكثروا الطلب فى اسقاط اسمه وازالة رسمه فآثرت الابقاء وان لم يؤثره واستعملت
الاناة اذ لم تستعمل معى ورأيت الاحتمال والكظم أشبه بذوى المعرفة والفهم فصبرت نفسى على أحر من الجمر
وأمر من الصبر وعلى ما لا يتسع به الصدر والامير أيده الله تعالى اولى من أعاننى على ما أوثره من لزوم عهده
وأوخاه من تأكيد عقده بحسن العشرة والانصاف وكف الاذى والمضرة وأن لا يضطرنى الى ما يعلم الله
عز وجل كرهى له أن أجعل ما قد أعددته لحياطة الدولة من الجيوش المتكاثفة والعساكر المتضاعفة التى
قد ضرست رجالها من الحروب وجرت عليهم محن الخطوب مصروفا الى نقضها فعندنا وفى حيزنا من يرى انه أحق
بهذا الامر وأولى من الامير ولو أمنونى على انفسهم فضلا عن أن يعثروا منى على ميل أو قيام بنصرتهم
لاشتدت شوكتهم ولصعب على السلطان معاركتهم والامير يعلم أن بازائه منهم واحدا قد كبر عليه وفض كل
جيش انهضه اليه على انه لا ناصر له الا لفيف البصرة وأوباش عامتها فكيف من يجد ركنا منيعا وناصرا مطيعا
وما مثل الامير فى اصالة رأيه يصرف مائة ألف عنان عدة له فيجعلها عليه بغير ما سبب يوجب ذلك فان يكن من
الامير اعتاب أو رجوع الى ما هو اشبه به وأولى والا رجوت من الله عز وجل كفاية امره وحسم مادة شره
واجرائنا فى الحياطة على اجمل عادته عندنا والسلام * فلما وصل الكتاب الى الموفق اقلقه وبلغ منه مبلغا عظيما
وأغاظه غيظا شديدا وأحضر موسى بن بغا وكان عون الدولة وأشدها بأسا واقداما فتقدم اليه فى صرف
أحمد بن طولون عن مصر وتقليدها ماخور فامتثل ذلك وكتب الى ماخور كتاب التقليد وأنفذه اليه فلما وصل
اليه الكتاب توقف عن ارساله الى أحمد بن طولون لعجزه عن مناهضته وخرج موسى بن بغا عن الحضرة مقدرا
أنه يدور عمل المفوض ليحمل الاموال منه وكتب الى ماخور أمير الشام والى أحمد بن طولون امير مصر لما بلغه

من توقف ماخور عن مناهضته بأمرهما بحمل الاموال وعزم على قصد مصر والايقاع بابن طولون
واستخلاف ماخور عليها فسار الى الرقة وبلغ ذلك ابن طولون فأقلقه وغمه لالانه يقصر عن موسى بن بغا لكن
لتحمله هتك الدولة وأن يأتى بسبيل من قاوم السلطان وحاربه وكسر جيوشه الا انه لم يجد بدًّا من المحاربة ليدفع
عن نفسه وتأمل مدينة فسطاط مصر فوجدها لاتؤخذ الا من جهة النيل فأراد لكبرهمته وكثرة
فكره فى عواقب الامور أن يبنى حصنا على الجزيرة التى بين الفسطاط والجيزة ليكون معقلا لحرمه وذخائره
ثم يشتغل بعد ذلك بحرب من يأتى من البرّ وقد زاد فكره فيمن يقدم من النيل فأمر ببناء الحصن على الجزيرة
واتخذ مائة مركب حربية سوى ما ينضاف اليها من العلابيات والحمائم والعشاريات والسنابيك وقوارب
الخدمة وعمد الى سدّ وجه البحر الكبير وأن يمنع ما يجىء اليه من مراكب طرسوس وغيرها من البحر الملح الى
النيل بأن توقف هذه المراكب الحربية فى وجه البحر الكبير خوفا مما يجىء من مراكب طرسوس
كما فعل محمد بن سليمان من بعده بأولاده كأنه ينظر الى الغيب من ستر رقيق وجعل فيها من يذب عن هذا الجزيرة
وانفذ الى الصعيد والى اسفل الارض بمنع من يحمل الغلال الى البلاد ليمنع من يأتى من البرّ الميرة وأقام موسى
ابن بغا بالرقة عشرة اشهر وقد اضطربت عليه الاتراك وطالبوه بأرزاقهم مطالبة شديدة بحيث استتر منهم
كاتبه عبيد الله بن سليمان لتعذر المال عليه وخوفه على نفسه منهم فخاف موسى بن بغا عند ذلك ودعته
ضرورة الحال الى الرجوع فعاد الى الحضرة ولم يقم بها سوى شهرين ومات من علة فى صفر سنة أربع وستين
ومائتين هذا وأحمد بن طولون يجدّ فى بناء الحصن على الجزيرة وقد ألزم قوّاده وثقاته امر الحصن وفرّقه عليهم
قطعا قام كل واحد بما لزمه من ذلك وكدّ نفسه فيه وكان يتعاهدهم بنفسه فى كل يوم وهو فى غفلة عما صنعه
الله تعالى له من الكفاية والغنى عما يعانيه ومن كثرة ما بذل فى هذا العمل قدّر أن كل طوبة منه وقفت عليه
بدرهم صحيح ولما تواترت الاخبار بموت موسى بن بغا كف عن العمل وتصدّق بمال كثير شكرا لله تعالى على
مامنّ به عليه من صيانته عما يقبح فيه عنه الاحدوثة ومارأى الناس شيأ كان اعظم من عظيم الجدّ فى بناء
هذا الحصن ومباكرة الصناع له فى الاسحار حتى فرغوا منه فانهم كانوا يخرجون اليه من منازلهم فى كل بكرة
من تلقاء انفسهم من غير استحثاث لكثرة ما يحابه من بذل المال فلما انقطع البناء لم ير أحد من الصناع التى
كانت فيه مع كثرتها كأنما هى نار صب عليها ماء فطفئت لوقتها ووهب للصناع مالا جزيلا وترك لهم جميع ما كان
سلفا معهم وبلغ مصروف هذا الحصن ثمانين ألف دينار ذهبا وكان مما حمل احمد بن طولون على بناء الحصن
أن الموفق اراد أن يشغل قلبه فسرقت نعله من بيت حظية لا يدخله الا ثقاته وبعثها الموفق اليه فقال له الرسول
من قدر على أخذ هذه النعل من الموضع الذى تعرفه أليس هو بقادر على أخذ روحك فوالله أيها الامير لقد قام
عليه أخذ هذه النعل بخمس[illegible]نار فعند ذلك امر ببناء الحصن * وقال ابو عمر الكندى فى كتاب امراء
مصر وتقدّم أبو احمد الموفق الى موسى بن بغا فى صرف احمد بن طولون عن مصر وتقليدها ماخور التركى فكتب
موسى بن بغا بذلك الى ماخور وهو والى دمشق يومئذ فتوقف لعجزه عن مقاومة احمد بن طولون فخرج موسى
ابن بغا فنزل الرقة وبلغ ابن طولون انه سائر اليه ولم يجد بدّا من محاربته فاخذ احمد بن طولون فى الحذر منه
وابتدأ فى ابتناء الحصن الذى بالجزيرة التى بين الجسرين ورأى أن يجعله معقلا لماله وحرمه وذلك فى سنة
ثلاث وستين ومائتين واجتهد أحمد بن طولون فى بناء المراكب الحربية وأطافها بالجزيرة وأظهر الامتناع
من موسى بن بغا بكل ما قدر عليه وأقام موسى بن بغا بالرقة عشرة اشهر وأحمد بن طولون فى احكام اموره
واضطربت اصحاب موسى بن بغا عليه وضاق بهم منزلهم وطالبوا موسى بالمسير أو الرجوع الى العراق فبيناهو
كذلك توفى موسى بن بغا فى سنة أربع وستين ومائتين * وقال محمد بن داود لاحمد بن طولون وفيه تحامل

لما ثوى ابن بغا بالرقتين ملا * ساقيه زرقا الى الكعبين والعقب
بنى الجزيرة حصنا يستجن به * بالعسف والضرب والصناع فى تعب
وراقب الجيزة القصوى لخندقها * وكاد يصعق من خوف ومن رعب
له مراكب فوق النيل راكدة * فما سوى القار للنظار والخشب
ترى عليها لباس الذل مذ بنيت * بالشط ممنوعة من عزة الطلب

فبناها

فابناها لغزو الروم محتسبا * لكن بناها غداة الروع والعطب

وقال سعيد بن القاضى من ابيات

وان جئت رأس الجسر فانظر تأملا * الى الحصن اوفاعبر اليه على الجسر

ترى أثرا لم يبق من يستطيعه * من الناس فى بدو البلاد ولا حضر

مآثر لا تبلى وان باد أهلها * ومجد يؤدّى وارثيه الى الفخر

ومازال حصن الجزيرة هذا عامرا أيام بنى طولون وعملت فيه صناعة مصر التى تنشأ فيها المراكب الحربية فاستمرّ صناعة الى أن تقلد الامير محمد بن طفج الاخشيد امارة مصر من قبل أمير المؤمنين الراضى بالله وسير مراكب من الشأم عليها صاعد بن الكلكم فدخل تنيس وسارت مقدمته فى البر ودخل صاعد دمياط وسار فهزم جيش مصر الذى جهزه احمد بن كيغلغ اليه بتدبير محمد بن على المادرانى على بحيرة نوسا وأقبل فى مراكبه الى الفسطاط فكان بالجزيرة وقدم محمد بن طفج وتسلم البلد لست بقين من رمضان سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وفرّ منه جماعة الى الفيوم فخرج اليهم صاعد بن الكلكم فى مراكبه وواقعهم بالفيوم فقتل فى عدة من أصحابه وقدمت الجماعة فى مراكب ابن كلكم فأرسوا بجزيرة الصناعة وحرقوها ثم مضوا الى الاسكندرية وساروا الى برقة فقال محمد بن طفج الصناعة هنا خطأ وأمر بعمل صناعة فى برّ مصر * وحكى ابن زولاق فى سيرة محمد بن طفج انه قال اذكر أنى كنت آكل مع أبى منصور تكين امير مصر وجرى ذكر الصناعة فقال تكين صناعة يكون بيننا وبينها بحر خطأ فأشارت الجماعة بنقلها فقال الى أىّ موضع فأردت أن أشير عليه بدار خديجة بنت الفتح بن خاقان ثم سكت وقلت أدع هذا الرأى لنفسى اذا ملكت مصر فبلغت ذلك والحمد لله وحده ولما أخذ محمد بن طفج دار خديجة كان يتردّد اليها حتى عملت فلما ابتدؤا بانشاء المراكب فيها صاحت به امرأة فقال خذوها فساروا بها الى داره فأحضرها مساء واستخبرها عن أمرها فقالت ابعث معى من يحمل المال فأرسل معها جماعة الى دار خديجة هذه فدلتهم على مكان استخرجوا منه عينا وورقا وحليا وثيابا وعدة ذخائر لم ير مثلها وصاروا بها الى محمد بن طفج فطاب المرأة ليكافئها على ما كان منها فلم توجد فكان هذا اوّل مال وصل الى محمد بن طفج بمصر قال واستدعى محمد بن طفج الاخشيد صالح بن نافع وقال له كان فى نفسى اذا ملكت مصر أن أجعل صناعة العمارة فى دار ابنة الفتح وأجعل موضع الصناعة من الجزيرة بستانا أسميه المختار فاركب وخط لى بستانا ودارا وقدّر لى النفقة عليه ما فركب صالح بجماعة وخطوا بستانا فيه دار للغلمان ودار للنوبة وخزائن للكسوة وخزائن للطعام وصوّروه وأتوا به فاستحسنه وقال كم قدّرتم النفقة قالوا ثلاثين ألف دينار فاستكثرها فلم يزالوا يضعون من التقدير حتى صار خمسة آلاف دينار فأذن فى عمله ولما شرعوا فيه ألزمهم المال من عندهم فقسط على جماعة وفرغ من بنائه فاتخذه الاخشيد متنزها له وصار يفاخر به اهل العراق وكان نقل الصناعة من الجزيرة الى ساحل النيل بمصر فى شعبان سنة خمس وعشرين وثلثمائة فلم يزل البستان المختار متنزها الى أن زالت الدولة الاخشيدية والكافورية وقدمت الدولة الفاطمية من بلاد المغرب الى مصر فكان يتنزه فيه المعز لدين الله معدّ وابنه العزيز بالله نزار وصارت الجزيرة مدينة عامرة بالناس لها وال وقاض وكان يقال القاهرة ومصر والجزيرة فلما كانت أيام استيلاء الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى وحجره على الخلفاء انشأ فى بحرى الجزيرة مكانا نزها سماه الروضة وتردّد اليها تردّدا كثيرا فكان يسير فى العشاريات الموكبيات من دار الملك التى كانت سكنه بمصر الى الروضة ومن حينئذ صارت الجزيرة كلها تعرف بالروضة فلما قتل الافضل بن أمير الجيوش واستبدّ الخليفة الآمر بأحكام الله ابو علىّ منصور بن المستعلى بالله أنشأ بجوار البستان المختار من جزيرة الروضة مكانا لمحبوبته العالية البدوية سماه الهودج

* (الهودج) قال ابن سعيد فى كتاب الحلى بالاشعار عن تاريخ القرطبى قد اكثر الناس فى حديث البدوية وابن مياح من بنى عمها وما يتعلق بذلك من ذكر الخليفة الآمر بأحكام الله حتى صارت رواياتهم فى هذا الشأن كاحاديث البطال وألف ليلة وليلة وما أشبه ذلك والاختصار منه أن يقال ان الخليفة الآمر كان قد ابتلى بعشق الجوارى العربيات وصارت له عيون فى البوادى فبلغه أن بالصعيد جارية من اكمل العرب وأظرف نسائهم شاعرة جميلة فيقال انه تزيا بزىّ بداة الاعراب وصار يجول فى الاحياء الى أن انتهى الى حيها وبات هنالك

فى ضائقة وتحيل حتى عاينها فما ملك صبره ورجع الى مقر ملكه وسرير خلافته فأرسل الى اهلها يخطبها فأجابوه الى ذلك وزوجوها منه فلما صارت الى القصور صعب عليها مفارقة ما اعتادت وأحبت أن تسرح طرفها فى الفضاء ولا تقبض نفسها تحت حيطان المدينة فبنى لها البناء المشهور فى جزيرة الفسطاط المعروف بالهودج وكان على شاطئ النيل فى شكل غريب وكان بالاسكندرية القاضى مكين الدولة ابو طالب احمد بن عبد المجيد ابن احمد بن الحسن بن حديد قد استولى على امورها وصار قاضيها وناظرها ولم يبق لاحد معه فيها كلام وضمن اموالها بجملة يحملها وكان ذا مروءة عظيمة يحتذى افعال البرامكة وللشعراء فيه مدائح كثيرة وممن مدحه ظافر الحداد وأمية بن أبى الصلت وجماعة وكان الافضل بن أمير الجيوش اذا أراد الاعتناء بأحد كتب معه كتابا الى ابن حديد هذا فيغنيه بكثرة عطائه وكان له بستان يتفرج فيه به جرن كبير من رخام قطعة واحدة ينحدر فيه الماء فيبقى كالبركة من سعته وكان يجد فى نفسه برؤية هذا الجرن زيادة على اهل النعم ويباهى به اهل عصره فوشى به للبدوية محبوبة الخليفة فطلبته من الخليفة فأنفذ فى الحال باحضاره فلم يسع ابن حديد الا أن قلعه من مكانه وبعث به وفى نفسه حزازة من أخذه منه وخدم البدوية وخدم جميع من يلوذ بها حتى قالت هذا الرجل أخجلنا بكثرة هداياه وتحفه ولم يكافئنا قط أمرا نقدر عليه عند الخليفة مولانا فلما بلغه ذلك عنها قال مالى حاجة بعد الدعاء لله تعالى بحفظ مكانها وطول حياتها غير رد الجرن الذى أخذ من دارى التى بنيتها فى أيامهم من نعمهم الى مكانه فلما سمعت هذا عنه تعجبت منه وأمرت برد الجرن اليه فقيل له قد وصلت الى حد أن خيرتك البدوية فى جميع المطالب فنزلت همتك الى قطعة حجر فقال أنا أعرف بنفسى ما كان لها أمل سوى أن لا تغلب فى أخذ ذلك الجرن من مكانه وقد بلغها الله أملها وبقيت البدوية متعلقة الخاطر بابن عم لها ربيت معه يعرف بابن مياح فكتبت اليه وهى بقصر الخليفة الآمر

يا ابن مياح اليك المشتكى * مالك من بعدكم قد ملكا
كنت فى حى مرأ مطلقا * نائلا ما شئت منكم مدركا
فأنا الآن بقصر موصد * لا أرى الا حبيسا ممسكا
كم تثنينا بأغصان اللوا * حيث لا تخشى علينا دركا
وتلاعبنا برملات الحمى * حيثما شاء طليق سلكا

(فأجابها)

بنت عمى والتى غذيتها * بالهوى حتى علا واحتنكا
بحت بالشكوى وعندى ضعفها * لو غدا ينفع منها المشتكى
مالك الامر اليه يشتكى * هالك وهو الذى قد هلكا
شأن داود غدا فى عصرنا * مبديا بالتيه ما قد ملكا

فبلغت الآمر فقال لولا انه أساء الادب فى البيت الرابع لرددتها الى حيه وزوجتها به * قال القرطبى وللناس فى طلب ابن مياح واختفائه أخبار تطول وكان من عرب طيئ فى عصر الخليفة الآمر طراد بن مهلهل فلما بلغه قضية الآمر مع العالية البدوية قال

ألا ابلغوا الآمر المصطفى * مقال طراد ونعم المقال
قطعت الالف عن الفة * بها سمر الحى بين الرجال
كذا كان آباؤك الاقدمون * سألت فقل لى جواب السؤال

فلما بلغ الآمر شعره قال جواب السؤال قطع لسانه على فضوله وأمر بطلبه فى أحياء العرب ففر ولم يقدر عليه فقالت العرب ما أخسر صفقة طراد باع أبيات الحى بثلاثة أبيات ولم يزل الآمر يتردد الى الهودج بالروضة للنزهة فيه الى أن ركب من القصر بالقاهرة يريد الهودج فى يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة اربع وعشرين وخمسمائة فلما كان برأس الجسر وثب عليه قوم من النزارية قد كمنوا له فى فرن تجاه رأس الجسر بالروضة وضربوه بالسكاكين حتى أثخنوه وجرحوا جماعة من خدامه فحمل الى منظرة اللؤلؤة بشاطئ الخليج وقد مات

*(ذكر

* (ذكر قلعة الروضة) *

اعلم انه ما برحت جزيرة الروضة منتزها ملوكيا ومسكنا للناس كما تقدم ذكره الى أن ولى الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن ايوب سلطنة مصر فأنشأ القلعة بالروضة فعرفت بقلعة المقياس وبقلعة الروضة وبقلعة الجزيرة وبالقلعة الصالحية وشرع فى حفر آساسها يوم الاربعاء خامس شعبان وابتدأ بنيانها فى آخر الساعة الثالثة من يوم الجمعة سادس عشره وفى عاشر ذى القعدة وقع الهدم فى الدور والقصور والمساجد التى كانت بجزيرة الروضة وتحوّل الناس من مساكنهم التى كانوا بها وهدم كنيسة كانت لليعاقبة بجانب المقياس وأدخلها فى القلعة وأنفق فى عمارتها اموالا جمة وبنى فيها الدور والقصور وعمل لها ستين برجا وبنى بها جامعا وغرس بها جميع الاشجار ونقل اليها عمد الصوّان من البرابى وعمد الرخام وشحنها بالاسلحة وآلات الحرب وما يحتاج اليه من الغلال والازواد والاقوات خشية من محاصرة الفرنج فانهم كانوا حينئذ على عزم قصد بلاد مصر وبالغ فى اتقانها مبالغة عظيمة حتى قيل انه استقام كل حجر فيها بدينار وكل طوبة بدرهم وكان الملك الصالح يقف بنفسه ويرتب ما يعمل فصارت تدهش من كثرة زخرفتها وتحير الناظر اليها من حسن سقوفها المزينة وبديع رخامها ويقال انه قطع من الموضع الذى أنشأ فيه هذه القلعة ألف نخلة مثمرة كان رطبها يهدى الى ملوك مصر لحسن منظره وطيب طعمه وخرب الهودج والبستان المختار وهدم ثلاثة وثلاثين مسجدا عمرها خلفاء مصر وسراة المصريين لذكر الله تعالى واقامة الصلوات واتفق له فى هدم بعض هذه المساجد خبر غريب قال الحافظ جمال الدين يوسف بن احمد بن محمود بن احمد الاسدى الشهير باليغمورى سمعت الامير الكبير الجواد جمال الدين أبا الفتح موسى بن الأمير شرف الدين يغمور بن جلدك بن عبد الله قال ومن عجيب ما شاهدته من الملك الصالح أبى الفتوح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل رحمه الله تعالى انه أمرنى أن أهدم مسجدا كان فى جوار داره بجزيرة مصر فأخرت ذلك وكرهت أن يكون هدمه على يدى فأعاد الامر وأنا كاسر عنه وكانه فهم منى ذلك فاستدعى بعض خدمه من نوابى وأنا غائب وأمره أن يهدم ذلك المسجد وأن يبنى فى مكانه قاعة وقدّر له صفتها فهدم ذلك المسجد وعمر تلك القاعة مكانه وكملت وقدمت الفرنج الى الديار المصرية وخرج الملك الصالح مع عساكره اليهم ولم يدخل تلك القاعة التى بنيت فى المكان الذى كان مسجدا فتوفى السلطان فى المنصورة وجعل فى مركب وأتى به الى الجزيرة فجعل فى تلك القاعة التى بنيت مكان المسجد مدّة الى أن بنيت له التربة التى فى جنب مدارسه بالقاهرة فى جانب القصر عفا الله عنه وكان النيل عند ما عزم الملك الصالح على عمارة قلعة الروضة من الجانب الغربىّ فيما بين الروضة وبرّ الجيزة وقد انطرد عن برّ مصر ولا يحيط بالروضة الا فى ايام الزيادة فلم يزل يغرّق السفن فى البرّ الغربىّ ويحفر فيما بين الروضة ومصر ما كان هنالك من الرمال حتى عاد ماء النيل الى برّ مصر واستمرّ هنالك فأنشأ جسرا عظيما ممتدّا من برّ مصر الى الروضة وجعل عرضه ثلاث قصبات وكان الامراء اذا ركبوا من منازلهم يريدون الخدمة السلطانية بقلعة الروضة يترجلون عن خيولهم عند البرّ ويمشون فى طول هذا الجسر الى القلعة ولا يمكن أحد من العبور عليه راكبا سوى السلطان فقط ولما كملت تحوّل اليها بأهله وحرمه واتخذها دار ملك وأسكن فيها معه مماليكه البحرية وكانت عدّتهم نحو الالف مملوك * قال العلامة علىّ بن سعيد فى كتاب المغرب وقد ذكر الروضة هى أمام الفسطاط فيما بينها وبين مناظر الجيزة وبها مقياس النيل وكانت منتزها لاهل مصر فاختارها الصالح بن الكامل سرير السلطنة وبنى بها قلعة مسوّرة بسور ساطع اللون محكم البناء عالى السمك لم ترعينى أحسن منه وفى هذه الجزيرة كان الهودج الذى بناه الآمر خليفة مصر لزوجته البدوية التى هام فى حبها والمختار بستان الاخشيد وقصره وله ذكر فى شعر تميم بن المعز وغيره ولشعراء مصر فى هذه الجزيرة أشعار منها قول أبى الفتح بن قادوس الدمياطىّ

أرى سرح الجزيرة من بعيد * كاحداق تغازل فى المغازل

كان مجرّة الجوزا أحاطت * وأثبتت المنازل فى المنازل

وكنت أشق فى بعض الليالى بالفسطاط على ساحلها فيزدهينى ضحك البدر فى وجه النيل أمام سور هذه الجزيرة الدرىّ اللون ولم انفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة وفى داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت اليه

همة بانيها وهو من أعظم السلاطين همة فى البناء وأبصرت فى هذه الجزيرة ايوانا لجلوسه لم ترعيني مثاله ولا اقدر ما أنفق عليه وفيه من صفائح الذهب والرخام الابنوسى والكافورى والجزع مايذهل الافكار ويستوقف الابصار ويفضل عما أحاط به السور أرض طويلة وفى بعضها حاظر حظر به على اصناف الوحوش التى يتفرج عليها السلطان وبعدها مروج ينقطع فيها مياه النيل فينظر بها أحسن منظر وقد تفرجت كثيرا فى طرف هذه الجزيرة مما يلى برّ القاهرة فقطعت فيه عشيات مذهبات لم تزل لاحزان الغربة مذهبات واذا زاد النيل فصل ما بينها وبين الفسطاط بالكلية وفى أيام احتراق النيل يتصل برّها ببرّ الفسطاط من جهة خليج القاهرة ويبقى موضع الجسر فيه مراكب وركبت مرّة هذا النيل أيام الزيادة مع الصاحب المحسن محيي الدين بن ندا وزير الجزيرة وصعدنا الى جهة الصعيد ثم انحدرنا واستقبلنا هذه الجزيرة وأبراجها تتلالا والنيل قد انقسم عنها فقلت

تأمّل لحسن الصالحية اذبدت * وأبراجها مثل النجوم تلالا
وللقلعة الغرّاء كالبدر طالعا * تفرّج صدر الماء عنه هلالا
ووافى اليها النيل من بعد غاية * كما زار مشغوف يروم وصالا
وعانقها من فرط شوق لحسنها * فمدّ يمينا نحوها وشمالا
جرى قادما بالسعد فاختط حولها * من السعد أعلاما فزاد دلالا

ولم تزل هذه القلعة عامرة حتى زالت دولة بنى أيوب فلما ملك السلطان الملك المعز عز الدين ايبك التركمانى أوّل ملوك الترك بمصر أمر بهدمها وعمر منها مدرسته المعروفة بالمعزية فى رحبة الحناء بمدينة مصر وطمع فى القلعة من له جاه فأخذ جماعة منها عدّة سقوف وشبابيك كثيرة وغير ذلك وبيع من أخشابها ورخامها أشياء جليلة فلما صارت مملكة مصر الى السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى اهتم بعمارة قلعة الروضة ورسم للامير جمال الدين موسى بن يغمور أن يتولى اعادتها كما كانت فأصلح بعض ما تهدّم فيها ورتب فيها الجاندارية وأعادها الى ما كانت عليه من الحرمة وأمر بأبراجها ففرّقت على الامراء وأعطى برج الزاوية للامير سيف الدين قلاون الالفى والبرج الذى يليه للامير عز الدين الحلى والبرج الثالث من بروج الزاوية للامير عز الدين ارغان وأعطى برج الزاوية الغربى للامير بدر الدين الشمسى وفرّقت بقية الابراج على سائر الامراء ورسم أن تكون بيتوتات جميع الامراء واصطبلاتهم فيها وسلم المفاتيح لهم فلما تسلطن الملك المنصور قلاون الالفى وشرع فى بناء المارستان والقبة والمدرسة المنصورية نقل من قلعة الروضة هذه ما يحتاج اليه من عمد الصوّان وعمد الرخام التى كانت قبل عمارة القلعة فى البرابى وأخذ منها رخاما كثيرا وأعتابا جليلة مما كان فى البرابى وغير ذلك ثم أخذ منها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون ما احتاج اليه من عمد الصوّان فى بناء الايوان المعروف بدار العدل من قلعة الجبل والجامع الجديد الناصرى ظاهر مدينة مصر وأخذ غير ذلك حتى ذهبت كأن لم تكن وتأخر منها عقد جليل تسميه العامّة القوس كان مما يلى جانبها الغربى أدركناه باقيا الى نحو سنة عشرين وثمانمائة وبقى من أبراجها عدّة قد انقلب اكثرها وبنى الناس فوقها دورهم المطلة على النيل * قال ابن المتوّج ثم اشترى الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب جزيرة مصر المعروفة اليوم بالروضة فى شعبان سنة ست وستين وخمسمائة وانما سميت بالروضة لانه لم يكن بالديار المصرية مثلها وبحر النيل حائز لها ودائر عليها وكانت حصينة وفيها من البساتين والعمائر والثمار مالم يكن فى غيرها ولما فتح عمرو بن العاص مصر تحصن الروم بها مدّة فلما طال حصارها وهرب الروم منها خرّب عمرو بن العاص بعض أبراجها وأسوارها وكانت مستديرة عليها واستمرّت الى أن عمر حصنها احمد بن طولون فى سنة ثلاث وستين ومائتين ولم يزل هذا الحصن حتى خرّبه النيل ثم اشتراها الملك المظفر تقى الدين عمر المذكور وبقيت على ملكه الى أن سير السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولده الملك العزيز عثمان الى مصر ومعه عمه الملك العادل وكتب الى الملك المظفر بأن يسلم لهما البلاد ويقدم عليه الى الشأم فلما ورد عليه الكتاب ووصل ابن عمه الملك العزيز وعمه الملك العادل شق عليه خروجه من الديار المصرية وتحقق انه لا عود له اليها أبدا فوقف هذه المدرسة التى تعرف اليوم فى مصر بالمدرسة التقوية التى كانت تعرف بمنازل العز ووقف عليها

الجزيرة بكمالها وسافر الى عمه فملكه جماه ولم يزل الحال كذلك الى أن ولى الملك الصالح نجم الدين أيوب فاستأجر الجزيرة من القاضى فخر الدين أبى محمد عبد العزيز بن قاضى القضاة عماد الدين أبى القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد العلى بن عبد القادر السكرى مدرس المدرسة المذكورة لمدة ستين سنة فى دفعتين كل دفعة قطعة فالقطعة الاولى من جامع غبن الى المناظر طولا وعرضا من البحر الى البحر واستأجر القطعة الثانية وهى باقى ارض الجزيرة بما فيها من النخل والجميز والغروس فانه لما عمر الملك الصالح مناظر قلعة الجزيرة قطعت النخيل ودخلت فى العمائر وأما الجميز فانه كان بشاطئ بحر النيل صف جميز يزيد على أربعين شجرة وكان اهل مصر فرجهم تحتها فى زمن النيل والربيع قطعت جميعها فى الدولة الظاهرية وعمر بها شوانى عوض الشوانى التى كان قد سيرها الى جزيرة قبرس ثم سلم لمدرس التقوية القطعة المستأجرة من الجزيرة اولا فى سنة ثمان وتسعين وستمائة وبقى بيد السلطان القطعة الثانية وقد خربت قلعة الروضة ولم يبق منها سوى أبراج قد بنى الناس عليها وبقى أيضا عقد باب من جهة الغرب يقال له باب الاصطبل وعادت الروضة بعد هدم القلعة منها متنزها يشتمل على دور كثيرة وبساتين عدة وجوامع تقام بها الجماعات والاعياد ومساجد وقد خرب أكثر مساكن الروضة وبقى فيها الى اليوم بقايا * وبطرف الروضة (المقياس) الذى يقاس فيه ماء النيل اليوم ويقال له المقياس الهاشمى وهو آخر مقياس بنى بديار مصر * قال ابو عمر الكندى وورد كتاب المتوكل على الله بابتناء المقياس الهاشمى للنيل وبعزل النصارى عن قياسه فجعل يزيد بن عبد الله بن دينار أمير مصر أبا الرداد المعلم وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب الخراج فى كل شهر سبعة دنانير وذلك فى سنة سبع وأربعين ومائتين وعلامة وفاء النيل ستة عشر ذراعا أن يسبل ابو الرداد قاضى البحر الستر الاسود الخليفتى على شباك المقياس فاذا شاهد الناس هذا الستر قد أسبل تباشروا بالوفاء واجتمعوا على العادة للفرجة من كل صوب وما أحسن قول شهاب الدين بن العطار فى تهتك الناس يوم تخليق المقياس

تهتك الخلق بالتخليق قلت لهم * ما أحسن الستر قالوا العفو مأمول

ستر الاله علينا لايزال فما * أحلى تهتكنا والستر مسبول

(جزيرة الصابونى) هذه الجزيرة تجاه رباط الآثار والرباط من جملتها وقفها ابو الملوك نجم الدين أيوب بن شادى وقطعة من بركة الحبش فجعل نصف ذلك على الشيخ الصابونى وأولاده والنصف الآخر على صوفية بمكان بجوار قبة الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه يعرف اليوم بالصابونى * (جزيرة الفيل) هذه الجزيرة هى الآن بلد كبير خارج باب البحر من القاهرة وتتصل بمنية الشيرج من بحريها ويمر النيل من غربيها وبها جامع تقام به الجمعة وسوق كبير وعدة بساتين جليلة وموضعها كله مما كان غامرا بالماء فى الدولة الفاطمية فلما كان بعد ذلك انكسر مركب كبير كان يعرف بالفيل وترك فى مكانه فربا عليه الرمل وانطرد عنه الماء فصارت جزيرة فيما بين المنية وأرض الطبالة سماها الناس جزيرة الفيل وصار الماء يمر من جوانبها فغربيها تجاه بر مصر الغربى وشرقيها تجاه البعل والماء فيما بينها وبين البعل الذى هو الآن قبالة قناطر الاوز فان الماء كان يمر بالمقس من تحت زربية جامع المقس الموجود الآن على الخليج الناصرى ومن جامع المقس على ارض الطبالة الى غربى المصلى حتى ينتهى من تجاه التاج الى المنية وصارت هذه الجزيرة فى وسط النيل ومابرحت تتسع الى أن زرعت فى أيام الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فوقفها على المدرسة التى أنشأها بالقرافة بجوار قبر الشافعى رضى الله عنه وكثرت أطيانها بانحسار النيل عنها فى كل سنة فلما كان فى أيام الملك المنصور قلاون الالفى تقرب مجد الدين ابو الروح عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن بن الخشاب المتحدث فى الاحباس الى الامير علم الدين سنجر الشجاعى بأن فى أطيان هذه الجزيرة زيادة على ما وقفه السلطان صلاح الدين فأمر بقياس ما تجدد بها من الرمال وجعلها لجهة الوقف الصلاحى وأقطع الاطيان القديمة التى كانت فى الوقف وجعلها هى التى زادت فلما أمر الملك المنصور قلاون بعمل المارستان المنصورى وقف بقية الجزيرة عليه فغرس الناس بها الغروس وصارت بساتين وسكن الناس من المزارعين هناك فلما كانت أيام الملك الناصر محمد بن قلاون بعد عوده الى قلعة الجبل من الكرك وانحسر النيل عن جانب المقس الغربى

وصار ماهنالك رمالا متصلة من بحريها بجزيرة الفيل المذكورة ومن قبليها بأراضى اللوق افتتح الناس باب العمارة بالقاهرة ومصر فعمروا فى تلك الرمال المواضع التى تعرف اليوم ببولاق خارج المقس وأنشأوا بجزيرة الفيل البساتين والقصور واستجد ابن المغربى الطبيب بستانا اشتراه منه القاضى كريم الدين ناظر الخاص للامير سيف الدين طشتمر الساقى بنحو المائة ألف درهم فضة عنها زهاء خمسة آلاف مثقال ذهبا وتتابع الناس فى انشاء البساتين حتى لم يبق بها مكان بغير عمارة وحكر ما كان منها وقفا على المدرسة المجاورة للشافعى رضى الله عنه وما كان فيها من وقف المارستان وغرس ذلك كله بساتين فصارت تنيف على مائة وخمسين بستانا الى سنة وفاة الملك الناصر محمد بن قلاون ونصب فيها سوق كبير يباع فيه اكثر مايطلب من المآكل وابتنى الناس بها عدة دور وجامعا فبقيت قرية كبيرة ومازالت فى زيادة ونمو فأنشأ قاضى القضاة جلال الدين القزوينى رحمه الله الدار المجاورة لبستان الامير ركن الدين بيبرس الحاجب على النيل فجاءت فى غاية من الحسن فلما عزل عن قضاء القضاة وسار الى دمشق اشتراها الامير بشتاك بثلاثين ألف درهم وخربها وأخذ منها رخاما وشبابيك وأبوابا ثم باع باقى نقضها بمائة ألف درهم فربح الباعة فى ذلك شيأ كثيرا ونودى على زريبتها فحكرت وعمر عليها الناس عدة أملاك واتصلت العمارة بالاملاك من هذه الزريبة الى منية الشيرج ثم خربت شيأ بعد شئ وبقى ماعلى هذه الزريبة من الاملاك وهى تعرف اليوم بدار الطنبدى التاجر * وأما بساتين الجزيرة فلم تزل بها من عجائب الدنيا من حسن المنظر وكثرة المتحصل الى أن حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة فتلاشت وخرب كثير منها لغلو العلوفات من الفول والتبن وشدة ظلم الدولة وتعطل معظم سوقها وفيها الى الآن بقية صالحة * (جزيرة اروى) هذه الجزيرة تعرف بالجزيرة الوسطى لانها فيما بين الروضة وبولاق وفيما بين بر القاهرة وبر الجيزة لم ينحسر عنها الماء الا بعد سنة سبعمائة وأخبرنى القاضى الرئيس تاج الدين ابو الفداء اسماعيل بن احمد بن عبد الوهاب بن الخطباء المخزومى عن الطبيب الفاضل شمس الدين محمد بن الاكفانى انه كان يمر بهذه الجزيرة اول ما انكشفت ويقول هذه الجزيرة تصير مدينة أو قال تصير بلدة على الشك منى فاتفق ذلك وبنى الناس فيها الدور الجليلة والاسواق والجامع والطاحون والفرن وغرسوا فيها البساتين وحفروا الآبار وصارت من أحسن منتزهات مصر يحف بها الماء ثم صار ينكشف ما بينها وبين بر القاهرة فاذا كانت أيام زيادة ماء النيل أحاط الماء بها وفى بعض السنين يركبها الماء فتمر المراكب بين دورها وفى أزقتها ثم لما كثر الرمل فيما بينها وبين البر الشرقى حيث كان خط الزريبة وفم الخور قل الماء هنالك وتلاشت مساكن هذه الجزيرة منذ كانت الحوادث فى سنة ست وثمانمائة وفيها الى اليوم بقايا حسنة *(الجزيرة التى عرفت بحليمة) هذه الجزيرة خرجت فى سنة سبع وأربعين وسبعمائة مابين بولاق والجزيرة الوسطى سمتها العامة بحليمة ونصبوا فيها عدة أخصاص بلغ مصروف الخص الواحد منها ثلاثة آلاف درهم نقرة فى ثمن رخام ودهان فكان فيها من هذه الاخصاص عدة وافرة وزرع حول كل خص من المقاثى وغيرها مايستحسن وأقام اهل الخلاعة والمجون هنالك وتهتكوا بأنواع المحرمات وتردد الى هذه الجزيرة اكثر الناس حتى كادت القاهرة أن لايثبت بها احد وبلغ أجرة كل قصبة بالقياس فى هذه الجزيرة وفى الجزيرة التى عرفت بالطمية فيما بين مصر والجيزة مبلغ عشرين درهما نقرة فوقف الفدان هنالك بمبلغ ثمانية آلاف درهم نقرة ونصبت فى هذه الافدنة الاخصاص المذكورة وكان الانتفاع بها فيما ذكر نحو ستة أشهر من السنة فعلى ذلك يكون الفدان فيها بمبلغ ستة عشر ألف درهم نقرة وأتلف الناس هنالك من الاموال مايجل وصفه فلما كثر تجاهرهم بالقبيح قام الامير أرغون العلائى مع الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاون فى هدم هذه الاخصاص التى بهذه الجزيرة قياما زائدا حتى أذن له فى ذلك فأمر والى مصر والقاهرة فنزلا على حين غفلة وكبسا الناس وأراقا الخمور وحرقا الاخصاص فتلف للناس فى النهب والحريق وغير ذلك شئ كثير الى الغاية والنهاية وفى هذه الجزيرة يقول الاديب ابراهيم المعمار

جزيرة البحر جنت * بها عقول سليمة
لما حوت حسن مغنى * ببسطة مستقيمة
وكم يخوضون فيها * وكم مشوا بنميمة

ولم

ولم تزل ذا احتمال * ماتلك الاحليمة

(ذكر السجون)

قال ابن سيده السجن الحبس والسجان صاحب السجن ورجل سجين مسجون قال وحبسه يحبسه حبسا فهو محبوس وحبيس واحتبسه وحبسه أمسكه عن وجهه * وقال سيبويه حبسه ضبطه واحتبسه اتخذه حبسا والمحبس والمحبسة والمحتبس اسم الموضع وقال بعضهم المحبس يكون مصدرا كالحبس ونظيره الى الله مرجعكم اى رجوعكم ويسألونك عن المحيض اى الحيض * وروى الامام احمد وأبو داود من حديث بهز ابن حكيم عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال ان النبي صلى الله عليه وسلم حبس فى تهمة وفى جامع الخلال عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حبس فى تهمة يوما وليلة فالحبس الشرعى ليس هو السجن فى مكان ضيق وانما هو تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه سواء كان فى بيت أو مسجد أو كان يتولى نفس الخصم او وكيله عليه وملازمته له ولهذا سماه النبي صلى الله عليه وسلم أسيرا كما روى أبو داود وابن ماجه عن الهرماس بن حبيب عن أبيه رضى الله عنهما قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بغريم لى فقال لى الزمه ثم قال لى يا أخا بنى تميم ما تريد أن تفعل بأسيرك وفى رواية ابن ماجه ثم مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بى آخر النهار فقال ما فعل أسيرك يا أخا بنى تميم وهذا كان هو الحبس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر الصديق رضى الله عنه ولم يكن له محبس معد لحبس الخصوم ولكن لما انتشرت الرعية فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ابتاع من صفوان بن أمية رضى الله عنه دارا بمكة بأربعة آلاف درهم وجعلها سجنا يحبس فيها ولهذا تنازع العلماء هل يتخذ الامام حبسا على قولين فمن قال لا يتخذ حبسا احتج بأنه لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لخليفته من بعده حبس ولكن يعوقه بمكان من الامكنة أو يقيم عليه حافظا وهو الذى يسمى الترسيم أو يامر غريمه بملازمته ومن قال له أن يتخذ حبسا احتج بفعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومضت السنة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أنه لا يحبس على الديون ولكن يتلازم الخصمان وأول من حبس على الدين شريح القاضى وأما الحبس الذى هو الآن فانه لا يجوز عند أحد من المسلمين وذلك انه يجمع الجمع الكثير فى موضع يضيق عنهم غير متمكنين من الوضوء والصلاة وقد يرى بعضهم عورة بعض ويؤذيهم الحر فى الصيف والبرد فى الشتاء وربما يحبس أحدهم السنة وأكثر ولا جدة له وان أصل حبسه على ضمان وأما سجون الولاة فلا يوصف ما يحل بأهلها من البلاء واشتهر أمرهم انهم يخرجون مع الاعوان فى الحديد حتى يشحذوا وهم يصرخون فى الطرقات الجوع فما تصدق به عليهم لا ينالهم منه الا ما يدخل بطونهم وجميع ما يجتمع لهم من صدقات الناس يأخذه السجان وأعوان الوالى ومن لم يرضهم بالغوا فى عقوبته وهم مع ذلك يستعملون فى الحفر وفى العمائر ونحو ذلك من الاعمال الشاقة والاعوان تستحثهم فاذا انقضى عملهم ردوا الى السجن فى حديدهم من غير أن يطعموا شيأ الى غير ذلك مما لا يسع حكايته هنا وقد قيل ان اول من وضع السجن والحرس معاوية * وقد كان فى مدينة مصر وفى القاهرة عدة سجون وهى حبس المعونة بمصر وحبس الصيار بمصر وخزانة البنود بالقاهرة وحبس المعونة بالقاهرة وخزانة شمائل وحبس الديلم وحبس الرحبة والجب بقلعة الجبل *(حبس المعونة بمصر)* و يقال أيضا دار المعونة كانت اولا تعرف بالشرطة وكانت قبلى جامع عمرو بن العاص وأصله خطة قيس بن سعد بن عبادة الانصارى رضى الله عنهم اختطها فى اول الاسلام وقد كان موضعها فضاء وأوصى فقال ان كنت بنيت بمصر دارا واستعنت فيها بمعونة المسلمين فهى للمسلمين ينزلها ولاتهم وقيل بل كانت هى ودار الى جانبها لنافع بن عبد قيس الفهرى وأخذها منه قيس بن سعد وعوضه دارا بزقاق القناديل ثم عرفت بدار الفلفل لان أسامة بن زيد التنوخى صاحب خراج مصر ابتاع من موسى بن وردان فلفلا بعشرين ألف دينار كان كتب فيه الوليد بن عبد الملك ليهديه الى صاحب الروم فخزنه فيها فشكا ذلك الى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه حين تولى الخلافة فكتب أن تدفع اليه ثم صارت شرطة ودار الصرف فلما فرغ عيسى بن يزيد الجلودى من زيادة عبد الله بن طاهر فى الجامع بنى شرطة فى سنة ثلاث عشرة ومائتين فى خلافة المأمون ونقش فى لوح كبير نصبه على باب الجامع الذى يدخل منه الى الشرطة ما نصه بركة من الله لعبده عبد الله الامام المأمون أمير المؤمنين أمر باقامة هذه الدار الهاشمية المباركة على يد

عيسى بن يزيد الجلودى مولى أمير المؤمنين سنة ثلاث عشرة ومائتين ولم يزل هذا اللوح على باب الشرطة
الى صفر سنة احدى وثمانين وثمانمائة فقلعه يانس العزيزى وصارت حبسا يعرف بالمعونة الى أن ملك السلطان
صلاح الدين يوسف بن أيوب فجعله مدرسة وهى التى تعرف اليوم بالشريفية * (حبس الصيار) هذا الحبس
كان بمصر يحبس فيه الولاة بعدما عمل حبس المعونة مدرسة وكان بأول الزقاق الذى فيه هذا الحبس
حانوت يسكنه شخص يقال له منصور الطويل ويبيع فيه أصناف السوقة ويعرف هذا الرجل بالصيار من اجل
انه كانت له فى هذا الزقاق قاعة يخزن فيها أنواع الصير المعروف بالملوحة فقيل لهذا الحبس حبس الصيار ونشأ
لمنصور الصيار هذا ولد عرف بين الشهود بمصر بشرف الدين بن منصور الطويل فلما أحدث الوزير شرف الدين
هبة الله بن صاعد الفائزى المظالم فى سلطنة الملك المعز أيبك التركمانى خدم شرف الدين هذا على المظالم
فى جباية التسقيع والتقويم ثم خدم بعد ابطال ذلك فى مكس القصب والرمان فلما تولى قضاء القضاة تاج الدين
عبد الوهاب ابن بنت الاعز تأذى عنده بما باشره من هذه المظالم ومازال هذا الحبس موجودا الى أن خربت مصر
فى الزمان الذى ذكرناه فخرب وبقى موضعه وما حوله كيمانا * (خزانة البنود) هذه الخزانة بالقاهرة هى الآن
زقاق يعرف بخط خزانة البنود على يمنة من سلك من رحبة باب العيد يريد درب ملوخيا وغيره وكانت أولا
فى الدولة الفاطمية خزانة من جملة خزائن القصر يعمل فيها السلاح يقال ان الخليفة الظاهر بن الحاكم أمر بها
ثم انها احترقت فى سنة احدى وستين وأربعمائة فعملت بعد حريقها سجنا يسجن فيه الامراء والاعيان
الى أن انقرضت الدولة فأقرها ملوك بنى أيوب سجنا ثم عملت منزلا للامراء من الفرنج يسكنون فيها بأهاليهم
وأولادهم فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاون بعد حضوره من الكرك فلم يزالوا بها الى أن هدمها الامير
الحاج آل ملك الجوكندار نائب السلطنة بديار مصر فى سنة أربع وأربعين وسبعمائة فاختط الناس
موضعها دورا وقد ذكرت فى هذا الكتاب عند ذكر خزائن القصر (حبس المعونة من القاهرة) هذا المكان
بالقاهرة موضعه الآن قيسارية العنبر برأس الحريريين كان يسجن فيه أرباب الجرائم من السراق وقطاع
الطريق ونحوهم فى الدولة الفاطمية وكان حبسا حرجا ضيقا شنيعا يشم من قربه رائحة كريهة فلما ولى الملك
الناصر محمد بن قلاون مملكة مصر هدمه وبناه قيسارية للعنبر وقد ذكر عند ذكر الاسواق من هذا الكتاب
(خزانة شمائل) هذه الخزانة كانت بجوار باب زويلة على يسرة من دخل منه بجوار السور عرفت بالامير
علم الدين شمائل والى القاهرة فى أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب وكانت من أشنع السجون
وأقبحها منظرا يحبس فيها من وجب عليه القتل أو القطع من السراق وقطاع الطريق ومن يريد السلطان اهلاكه
من المماليك وأصحاب الجرائم العظيمة وكان السجان بها يوظف عليه والى القاهرة شيأ يحمله من المال له
فى كل يوم وبلغ ذلك فى ايام الناصر فرج مبلغا كبيرا ومازالت هذه الخزانة على ذلك الى أن هدمها الملك
المؤيد شيخ المحمودى فى يوم الاحد العاشر من شهر ربيع الاول سنة ثمان عشرة وثمانمائة وأدخلها فى جملة
ما هدمه من الدور التى عزم على عمارة أماكنها مدرسة * وشمائل هذا هو الامير علم الدين قدم الى القاهرة
وهو من فلاحى بعض قرى مدينة حماه فى أيام الملك الكامل محمد بن العادل فخدم جاندار فى الركاب السلطانى
الى أن نزل الفرنج على مدينة دمياط فى سنة خمس عشرة وستمائة وملكوا البر وحصروا أهلها وحالوا بينهم
وبين من يصل اليهم فكان شمائل هذا يخاطر بنفسه ويسبح فى الماء بين المراكب ويرد على السلطان الخبر
فتقدم عند السلطان وحظى لديه حتى أقامه امير جاندار وجعله من اكبر أمرائه ونصبه سيف نقمته وولاه
ولاية القاهرة فباشر ذلك الى أن مات السلطان وقام من بعده ابنه الملك العادل أبو بكر فلما خلع بأخيه الملك الصالح
نجم الدين أيوب نقم على شمائل * (المقشرة) هذا السجن بجوار باب الفتوح فيما بينه وبين الجامع الحاكمى
كان يقشر فيه القمح ومن جملته برج من أبراج السور على يمنة الخارج من باب الفتوح استجد بأعلاه دور
لم تزل الى أن هدمت خزانة شمائل فعين هذا البرج والمقشرة لسجن ارباب الجرائم وهدمت الدور التى كانت
هنالك فى شهر ربيع الاول سنة ثمان وعشرين وثمانمائة وعمل البرج والمقشرة سجنا ونقل اليه أرباب الجرائم وهو
من أشنع السجون وأضيقها يقاسى فيه المسجونون من الغم والكرب ما لا يوصف عافانا الله من جميع بلائه
* (الجب بقلعة الجبل) هذا الجب كان بقلعة الجبل يسجن فيه الامراء وابتدئ عمله فى سنة احدى وثمانين وستمائة

والسلطان

والسلطان حينئذ الملك المنصور قلاون ولم يزل الى أن هدمه الملك الناصر محمد بن قلاون فى يوم الاثنين سابع عشر جمادى الاولى سنة تسع وعشرين وسبعمائة وذلك أن شاد العمائر نزل اليه ليصلح عمارته فشاهد أمرا مهولا من الظلام وكثرة الوطاويط والروائح الكريهة واتفق مع ذلك أن الامير بكتمر الساقى كان عنده شخص يسخر به و يمازحه فبعث به الى الجب ودلى فيه ثم أطلعه من بعد ما بات به ليلة فلما حضر الى بكتمر أخبره بما عاينه من شناعة الجب وذكر ما فيه من القبائح المهولة وكان شاد العمائر فى المجلس فوصف ما فيه الامراء الذين بالجب من الشدائد فتحدث بكتمر مع السلطان فى ذلك فأمر باخراج الامراء منه وردم وعمر فوقه أطباق المماليك وكان الذى ردم به هذا الجب النقض الذى هدم من الايوان الكبير المجاور للخزانة الكبرى والله أعلم بالصواب

تنبيه لم يذكر المؤلف فى النشر جميع السجون التى ذكرها فى اللف بل اسقط منها اثنين وهما حبس الديلم وحبس الرحبة وذكر بدلهما اثنين وهما المقشرة والجب فليحرر اه

(ذكر المواضع المعروفة بالصناعة) *

لفظ الصناعة بكسر الصاد مأخوذ من قولك صنعه يصنعه صنعا فهو مصنوع وصنيع عمله واصطنعه اتخذه والصناعة ما يستصنع من أمر هذا أصل الكلمة من حيث اللغة وأما فى العرف فالصناعة اسم لمكان قد أعد لانشاء المراكب البحرية التى يقال لها السفن واحدتها سفينة وهى بمصر على قسمين نيلية وحربية * فالحربية هى التى تنشأ لغزو العدو وتشحن بالسلاح وآلات الحرب والمقاتلة فتمر من ثغر الاسكندرية وثغر دمياط وتنيس والفرما الى جهاد أعداء الله من الروم والفرنج وكانت هذه المراكب الحربية يقال لها الاسطول ولا أحسب هذا اللفظ عربيا * وأما المراكب النيلية فانها تنشأ لتمر فى النيل صاعدة الى أعلى الصعيد ومنحدرة الى أسفل الارض لحمل الغلال وغيرها ولما جاء الله تعالى بالاسلام لم يكن البحر يركب للغزو فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافة ابى بكر وعمر رضى الله عنهما وأول من ركب البحر فى الاسلام للغزو العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه وكان على البحرين من قبل ابى بكر وعمر رضى الله عنهما فأحب أن يؤثر فى الاعاجم أثرا يعز الله به الاسلام على يديه فندب اهل البحرين الى فارس فبادروا الى ذلك وفرقهم أجنادا على أحدها الجارود بن المعلى رضى الله عنه وعلى الثانى سوار بن همام رضى الله عنه وعلى الثالث خليد بن المنذر بن ساوى رضى الله عنه وجعل خليدا على عامة الناس فحملهم فى البحر الى فارس بغير اذن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان عمر رضى الله عنه لا يأذن لاحد فى ركوب البحر غازيا كراهة للتغرير بجنده اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته أبى بكر رضى الله عنه فعبرت تلك الجنود من البحرين الى فارس فخرجوا فى اصطخر وبازائهم اهل فارس عليهم الهربذ فحالوا بين المسلمين و بين سفنهم فقام خليد فى الناس فقال أما بعد فان الله تعالى اذا قضى أمرا جرت المقادير على مطيته وان هؤلاء القوم لم يزيدوا بما صنعوا على أن دعوكم الى حربهم وانما جئتم لمحاربتهم والسفن والارض بعد الآن لمن غلب فاستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين فأجابوه الى القتال وصلوا الظهر ثم ناهزوهم فاقتتلوا قتالا شديدا فى موضع يدعى طاوس فقتل من اهل فارس مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها قبلها وخرج المسلمون يريدون البصرة اذ غرقت سفنهم ولم يجدوا فى الرجوع الى البحر سبيلا فاذا بهم وقد أخذت عليهم الطرق فعسكروا وامتنعوا وبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاشتد غضبه على العلاء رضى الله عنه وكتب اليه بعزله وتوعده وأمره بأثقل الاشياء عليه وأبغض الوجوه اليه بتأمير سعد بن ابى وقاص عليه وقال الحق بسعد بن ابى وقاص بمن معك فخرج رضى الله عنه من البحرين بمن معه نحو سعد رضى الله عنه وهو يومئذ على الكوفة وكان بينهما تباين وتباعد وكتب عمر رضى الله عنه الى عتبة بن غزوان بأن العلاء بن الحضرمى حمل جندا من المسلمين فى البحر فأقطعهم الى فارس وعصانى وأظنه لم يرد الله عز وجل بذلك فخشيت عليهم أن لا ينصروا وأن يغلبوا فاندب لهم الناس وضمهم اليك من قبل أن يجتاحوا فندب عتبة رضى الله عنه الناس واخبرهم بكتاب عمر رضى الله عنه فانتدب عاصم بن عمرو وعرفجة بن هرثمة وحذيفة بن محصن ومجزاة بن ثور ونهار بن الحارث والترجمان بن فلان والحصين بن أبى الحر والاحنف ابن قيس وسعد بن ابى العرجاء وعبد الرحمن بن سهل وصعصعة بن معاوية رضى الله تعالى عنهم فساروا من البصرة فى اثنى عشر ألفا على البغال يجنبون الخيل وعليهم ابو سبرة بن أبى رهم رضى الله عنهم فساحل بهم حتى التقى ابو سبرة وخليد حيث أخذت عليهم الطرق وقد استصرخ اهل اصطخر أهل فارس كلهم فأتوهم من كل وجه

وكورة فالتقوا هم وأبو سبرة فاقتتلوا ففتح الله على المسلمين وقتل المشركون وعاد المسلمون بالغنائم الى البصرة ورجع اهل البحرين الى منازلهم فلما فتح الله تعالى الشأم ألح معاوية بن أبي سفيان وهو يومئذ على جند دمشق والاردن على عمر رضي الله عنه في غزو البحر وقرب الروم من حمص وقال ان قرية من قرى حمص ليسمع اهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم حتى اذا كاد ذلك يأخذ بقلب عمر رضي الله عنه اتهم معاوية لانه المشير وأحب عمر رضي الله عنه أن يردعه فكتب الى عمرو بن العاص وهو على مصر أن صف لي البحر وراكبه فان نفسي تنازعني اليه وأنا أشتهي خلافها فكتب اليه يا أمير المؤمنين اني رأيت البحر خلقا كبيرا يركبه خلق صغير ليس الا السماء والماء ان ركد حزن القلوب وان زل أزاغ العقول يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة هم فيه كدود على عود ان مال غرق وان نجا برق فلما جاءه كتاب عمرو كتب رضي الله عنه الى معاوية لا والذي بعث محمدا بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا انا قد سمعنا أن بحر الشأم يشرف على أطول شيء في الارض يستأذن الله تعالى في كل يوم وليلة أن يفيض على الارض فيغرقها فكيف أحمل الجنود في هذا البحر الكافر المستصعب وتالله لمسلم واحد أحب الي مما حوته الروم فاياك أن تعرض لي وقد تقدمت اليك وقد علمت ما لقي العلاء مني ولم أتقدم اليه في مثل ذلك وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لا يسألني الله عز وجل عن ركوب المسلمين البحر أبدا وروى عنه ابنه عبد الله رضي الله عنهما أنه قال لولا آية في كتاب الله تعالى لعلوت راكب البحر بالدرة * ثم لما كانت خلافة عثمان ابن عفان رضي الله عنه غزا المسلمون في البحر وكان اول من غزا فيه معاوية بن أبي سفيان وذلك انه لم يزل بعثمان رضي الله عنه حتى عزم على ذلك فأخره وقال لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم خيرهم فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه ففعل واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الحاسي حليف بني فزارة فغزا خمسين غزوة من بين شاتية وصائفة في البر والبحر ولم يغرق فيه أحد ولم ينكب وكان يدعو الله تعالى أن يرزقه العافية في جنده ولا يبتليه بمصاب أحد منهم حتى اذا أراد الله عز وجل أن يصيبه في جنده خرج في قارب طليعته فانتهى الى المرفأ من ارض الروم فثار به الروم وهجموا عليه فقاتلهم فأصيب وحده ثم قاتل الروم أصحابه فأصيبوا وغزا عبد الله ابن سعد بن أبي سرح في البحر لما أتاه قسطنطين بن هرقل سنة أربع وثلاثين في ألف مركب يريد الاسكندرية فسار عبد الله في مائتي مركب أو تزيد شيأ وحاربه فكانت وقعة ذات الصواري التي نصر الله تعالى فيها جنده وهزم قسطنطين وقتل جنده واغزى معاوية أيضا عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه في البحر وأمره أن يتوجه الى رودس فسار اليها ونزل الروم على البرلس في سنة ثلاث وخمسين في امارة مسلمة بن مخلد الانصاري رضي الله عنه على مصر فخرج اليهم المسلمون في البر والبحر فاستشهد وردان مولى عمرو بن العاص في جمع كثير من المسلمين وبعث عبد الملك بن مروان لما ولي الخلافة الى عامله على افريقية حسان بن النعمان يأمره باتخاذ صناعة بتونس لانشاء الآلات البحرية * ومنها كانت غزوة صقلية في أيام زيادة الله الاول بن ابراهيم بن الاغلب على شيخ الفتيا اسد بن الفرات ونزل الروم تنيس في سنة احدى ومائة في امارة بشر بن صفوان الكلبي على مصر من قبل يزيد بن عبد الملك فاستشهد جماعة من المسلمين وقد ذكر في أخبار الاسكندرية ودمياط وتنيس والفرما من هذا الكتاب جملة من نزلات الروم والفرنج عليها وما كان في زمن الانشاء فانظره تجده ان شاء الله تعالى

* وقد ذكر شيخنا العالم العلامة الاستاذ قاضي القضاة ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الاشبيلي تعليل امتناع المسلمين من ركوب البحر للغزو في اول الامر فقال والسبب في ذلك أن العرب لبداوتهم لم يكونوا اول الامر مهرة في ثقافته وركوبه والروم والفرنجة لممارستهم أحواله ومرباهم في التقلب على اعواده مرنوا عليه وأحكموا الدربة بثقافته فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وصارت أمم العجم خولا لهم وتحت أيديهم وتقرب كل ذي صنعة اليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية أمما وتكررت ممارستهم البحر وثقافته استحدثوا بصرا بها فتاقت أنفسهم الى الجهاد فيه وأنشأوا السفن والشواني وشحنوا الاساطيل بالرجال والسلاح وأمطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان أقرب الى هذا البحر وعلى ضفته مثل الشام وافريقية والمغرب والاندلس * واول ما أنشئ الاسطول بمصر في خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي الفضل جعفر ابن المعتصم عند ما نزل الروم دمياط في يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين ومائتين وأمير مصر يومئذ عنبسة بن اسحاق

فملكوها وقتلوا بها جماعة كثيرا من المسلمين وسبوا النساء والاطفال ومضوا الى تنيس فاقاموا باشتومها فوقع الاهتمام من ذلك الوقت بأمر الاسطول وصار من أهم ما يعمل بمصر وأنشئت الشوانى برسم الاسطول وجعلت الارزاق لغزاة البحر كما هى لغزاة البر وانتدب الامراء له الرماة فاجتهد الناس بمصر فى تعليم أولادهم الرماية وجميع أنواع المحاربة وانتخب له القواد العارفون بمحاربة العدو وكان لا ينزل فى رجال الاسطول غشيم ولا جاهل بأمور الحرب هذا وللناس اذ ذاك رغبة فى جهاد أعداء الله واقامة دينه لاجرم انه كان لخدام الاسطول حرمة ومكانة ولكل أحد من الناس رغبة فى أنه يعد من جملتهم فيسعى بالوسائل حتى يستقر فيه وكان من غزو الاسطول بلاد العدو ما قد شحنت به كتب التواريخ * فكانت الحرب بين المسلمين والروم سجالا ينال المسلمون من العدو وينال العدو منهم ويأسر بعضهم بعضا لكثرة هجوم أساطيل الاسلام بلاد العدو فانها كانت تسير من مصر ومن الشام ومن افريقية فلذلك احتاج خلفاء الاسلام الى الفداء وكان اول فداء وقع بمال فى الاسلام أيام بنى العباس ولم يقع فى أيام بنى أمية فداء مشهور وانما كان يفادى بالنفر بعد النفر فى سواحل الشأم ومصر والاسكندرية وبلاد ملطية وبقية الثغور الجزرية الى أن كانت خلافة أمير المؤمنين هارون الرشيد * (الفداء الاول) باللامس من سواحل البحر الرومى قريبا من طرسوس فى سنة تسع وثمانين ومائة وملك الروم يومئذ نقفور بن اشبراق وكان ذلك على يد القاسم بن الرشيد وهو معسكر بمرج دابق من بلاد قنسرين فى أعمال حلب ففودى بكل أسير كان ببلاد الروم من ذكر او أنثى وحضر هذا الفداء من اهل الثغور وغيرهم من اهل الامصار نحو من خمسمائة الف انسان بأحسن ما يكون من العدد والخيل والسلاح والقوة قد أخذوا السهل والجبل وضاق بهم الفضاء وحضرت مراكب الروم الحربية بأحسن ما يكون من الزى معهم أسارى المسلمين فكان عدة من فودى به من المسلمين فى اثنى عشر يوما ثلاثة آلاف وسبعمائة أسير وأقام ابن الرشيد باللامس أربعين يوما قبل الايام التى وقع فيها الفداء وبعدها وقال مروان بن أبى حفصة فى هذا الفداء يخاطب الرشيد من أبيات

وفكت بك الاسرى التى شيدت بها * محابس ما فيها حميم يزورها
على حين أعيى المسلمين فكاكها * وقالوا سجون المشركين قبورها

* (الفداء الثانى) كان فى خلافة الرشيد أيضا باللامس فى سنة اثنتين وتسعين ومائة وملك الروم نقفور وكان القائم به ثابت بن نصر بن مالك الخزاعى أمير الثغور الشامية حضره ألوف من الناس وكانت عدة من فودى به من المسلمين فى سبعة أيام ألفين وخمسمائة من ذكر وأنثى * (الفداء الثالث) وقع فى خلافة الواثق باللامس فى المحرم سنة احدى وثلاثين ومائتين وملك الروم ميخائيل بن توفيل وكان القائم به خاقان التركى وعدة من فودى به من المسلمين فى عشرة أيام أربعة آلاف وثلثمائة واثنان وستون من ذكر وأنثى وحضر مع خاقان أبو رملة من قبل قاضى القضاة احمد بن ابى داود يمتحن الاسرى وقت المفاداة فمن قال منهم بخلق القرآن فودى به وأحسن اليه ومن أبى ترك بأرض الروم فاختار جماعة من الاسرى الرجوع الى ارض النصرانية على القول بذلك وخرج من الاسرى مسلم بن أبى مسلم الحرمى وكان له محل فى الثغور وكتب مصنفة فى أخبار الروم وملوكهم وبلادهم فنالته محن على القول بخلق القرآن ثم تخلص * (الفداء الرابع) فى خلافة المتوكل على الله باللامس أيضا فى شوال سنة احدى وأربعين ومائتين والملك ميخائيل وكان القائم به سيف خادم المتوكل وحضر معه جعفر بن عبد الواحد الهاشمى القاضى وعلى بن يحيى الارمنى أمير الثغور الشامية وكانت عدة من فودى به من المسلمين فى سبعة أيام ألفى رجل ومائة امرأة وكان مع الروم من النصارى المأسورين من أرض الاسلام مائة رجل ونيف فعوضوا مكانهم عدة اعلاج اذ كان الفداء لا يقع على نصرانى ولا ينعقد * (الفداء الخامس) فى خلافة المتوكل وملك الروم ميخائيل أيضا باللامس مستهل صفر سنة ست وأربعين ومائتين وكان القائم به على بن يحيى الارمنى أمير الثغور ومعه نصر بن الازهر الشيعى من شيعة بنى العباس المرسل الى الملك فى أمر الفداء من قبل المتوكل وكانت عدة من فودى به من المسلمين فى سبعة أيام ألفين وثلثمائة وسبعة وستين من ذكر وأنثى * (الفداء السادس) كان فى أيام المعتز والملك على الروم بسيل على يد شفيع الخادم فى سنة ثلاث وخمسين ومائتين * (الفداء السابع) فى خلافة المعتضد باللامس فى شوال سنة ثلاث وثمانين

ومائتين وملك الروم اليون بن بسيل وكان القائم به احمد بن طغان أمير الثغور الشامية والطاكية من قبل الامير أبى الجيش خمارويه بن احمد بن طولون وكانت الهدنة لهذا الفداء وقعت فى سنة اثنتين وثمانين ومائتين فقتل أبو الجيش بدمشق فى ذى القعدة من هذه السنة وتم الفداء فى امارة ولده جيش بن خمارويه وكانت عدة من فودى به من المسلمين فى عشرة ايام ألفين وأربعمائة وخمسة وتسعين من ذكر وأنثى وقيل ثلاثة آلاف * (الفداء الثامن) فى خلافة المكتفى باللامس فى ذى القعدة سنة اثنتين وتسعين ومائتين وملك الروم اليون أيضا وكان القائم به رستم بن بزدوى أمير الثغور الشامية وكانت عدة من فودى به من المسلمين فى أربعة أيام ألفا ومائة وخمسة وخمسين من ذكر وأنثى وعرف بفداء الغدر وذلك أن الروم غدروا وانصرفوا ببقية الاسارى * (الفداء التاسع) فى خلافة المكتفى وملك الروم اليون باللامس أيضا فى شوّال سنة خمس وتسعين ومائتين والقائم به رستم وكانت عدة من فودى به من المسلمين ألفين وثمانمائة واثنين وأربعين من ذكر وأنثى * (الفداء العاشر) فى خلافة المقتدر باللامس فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وثلثمائة وملك الروم قسطنطين بن اليون بن بسيل وهو صغير فى حجر أرمانوس وكان القائم بهذا الفداء مونس الخادم وبشير الخادم الافشينى أمير الثغور الشامية وانطاكية والمتوسط له والمعاون عليه أبو عمير عدى بن احمد بن عبد الباقى التميمى الادنى من اهل ادنة وعدة من فودى به من المسلمين فى ثمانية أيام ثلاثة آلاف وثلثمائة وستة وثلاثون من ذكر وأنثى * (الفداء الحادى عشر) فى خلافة المقتدر وملك ارمانوس وقسطنطين على الروم وكان باللامس فى شهر رجب سنة ثلاث عشرة وثلثمائة والقائم به مفلح الخادم الاسود المقتدرى وبشير خليفة ثمل الخادم على الثغور الشامية وعدة من فودى به من المسلمين فى تسعة عشر يوما ثلاثة آلاف وتسعمائة وثلاثة وثلاثون من ذكر وأنثى * (الفداء الثانى عشر) فى خلافة الراضى باللامس فى سلخ ذى القعدة وأيام من ذى الحجة سنة ست وعشرين وثلثمائة والملكان على الروم قسطنطين وارمانوس والقائم به ابن ورقاء الشيبانى من قبل الوزير أبى الفتح الفضل ابن جعفر بن الفرات وبشير الثملى أمير الثغور الشامية وعدة من فودى به من المسلمين فى ستة عشر يوما ستة آلاف وثلثمائة ونيف من ذكر وأنثى وبقى فى أيدى الروم من المسلمين الاسرى ثمانمائة رجل ردّوا ففودى بهم فى عدة مرار وزيدوا فى الهدنة بعد انقضاء الفداء مدة ستة أشهر لاجل من تخلف فى أيدى الروم من المسلمين حتى جمع الاسارى منهم * (الفداء الثالث عشر) فى خلافة المطيع باللامس فى شهر ربيع الاول سنة خمس وثلاثين وثلثمائة والملك على الروم قسطنطين والقائم به نصر الثملى من قبل سيف الدولة ابى الحسن على بن حمدان صاحب جند حمص وجند قنسرين وديار بكر وديار مصر والثغور الشامية والجزرية وكانت عدة من فودى به من المسلمين ألفين وأربعمائة واثنين وثمانين من ذكر وأنثى وفضل للروم على المسلمين قرضا مائتان وثلاثون لكثرة من كان فى أيديهم فوفاهم سيف الدولة ذلك وحمله اليهم وكان الذى شرع فى هذا الفداء الامير ابو بكر محمد بن طغج الاخشيد أمير مصر والشام والثغور الشامية وكان أبو عمير عدى بن احمد بن عبد الباقى الادنى شيخ الثغور قدم اليه وهو بدمشق فى ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ومعه رسول ملك الروم فى اتمام هذا الفداء والاخشيد شديد العلة فتوفى يوم الجمعة لثمان خلون من ذى الحجة منها وسار أبو المسك كافور الاخشيدى بالجيش راجعا الى مصر وحمل معه أبا عمير ورسول ملك الروم الى فلسطين فدفع اليهما ثلاثين ألف دينار من مال الفداء فسارا الى مدينة صور وركبا البحر الى طرسوس فلما وصلا كاتب نصر الثملى أمير الثغور سيف الدولة بن حمدان ودعا له على منابر الثغور فجدّ فى اتمام هذا الفداء فنسب اليه ووقعت أفدية أخرى ليس لها شهرة * فمنها فداء فى خلافة المهدى محمد على يد النقاش الانطاكى * وفداء فى أيام الرشيد فى شوّال سنة احدى وثمانين ومائة على يد عياض بن سنان أمير الثغور الشامية * وفداء فى أيام الامين على يد ثابت بن نصر فى ذى القعدة سنة أربع وتسعين ومائة * وفداء فى أيام الامين على يد ثابت بن نصر أيضا فى ذى القعدة سنة احدى ومائتين * وفداء فى أيام المتوكل سنة سبع وأربعين ومائتين على يد محمد بن على * وفداء فى أيام المعتمد على يد شفيع فى شهر رمضان سنة ثمان وخمسين ومائتين * وفداء كان فى الاسكندرية فى شهر ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة خرج فيه ابو بكر محمد بن على المادرانى من مصر ومعه الشريف أبو القاسم الرئيس والقاضى أبو حفص عمر بن الحسين العباسى وحمزة بن محمد الكنانى فى جمع كبير وكانت عدة

من فودى به من المسلمين ستين نفسا بين ذكروانثى فلما سار الروم الى البلاد الشامية بعد سنة خمسين وثلثمائة اشتدّ أمرهم بأخذهم البلاد وقويت العناية بالاسطول فى مصر منذ قدم المعز لدين الله وأنشأ المراكب الحربية واقتدى به بنوه وكان لهم اهتمام بأمور الجهاد واعتناء بالاسطول وواصلوا انشاء المراكب بمدينة مصر واسكندرية ودمياط من الشوانى الحربية والشلنديات والمسطحات وتسيرها الى بلاد الساحل مثل صور وعكا وعسقلان وكانت جريدة قوّاد الاسطول فى آخر أمرهم تزيد على خمسة آلاف مدوّنة منهم عشرة أعيان يقال لهم القوّاد واحدهم قائد وتصل جامكية كل واحد منهم الى عشرين دينارا ثم الى خمسة عشر دينارا ثم الى عشرة دنانير ثم الى ثمانية ثم الى دينارين وهى اقلها ولهم اقطاعات تعرف بابواب الغزاة بما فيها من النطرون فيصل دينارهم بالمناسبة الى نصف دينار وكان يعين من القوّاد العشرة واحد فيصير رئيس الاسطول ويكون معه المقدم والقاوش فاذا ساروا الى الغزو كان هو الذى يقلع بهم وبه يقتدى الجميع فيرسون بارسائه ويقلعون باقلاعه ولا بدّ أن يقدم على الاسطول امير كبير من اعيان أمراء الدولة وأقواهم نفسا ويتولى النفقة فى غزاة الاسطول الخليفة بنفسه بحضور الوزير فاذا أراد النفقة فيما تعين من عدّة المراكب السائرة وكانت فى ايام المعز لدين الله تزيد على ستمائة قطعة وآخر ماصارت اليه فى آخر الدولة نحو الثمانين شونة وعشر مسطحات وعشر حمالة فما تقصر عن مائة قطعة فيتقدم الى النقباء باحضار الرجال وفيهم من كان يتعيش بمصر والقاهرة وفيهم من هو خارج عنهما فيجتمعون وكانت لهم المشاهرة والجرايات فى مدّة ايام سفرهم وهم معروفون عند عشرين عريفا يقال لهم النقباء واحدهم نقيب ولا يكره أحد على السفر فاذا اجتمعوا أعلم النقباء المقدم فأعلم بذلك الوزير فطالع الوزير الخليفة بالحال فقرر يوما للنفقة فحضر الوزير بالاستدعاء من ديوان الانشاء على العادة فيجلس الخليفة على هيئته فى مجلسه ويجلس الوزير فى مكانه ويحضر صاحبا ديوان الجيش وهما المستوفى والكاتب والمستوفى هو أميرهما فيجلس من داخل عتبة المجلس وهذه رتبة له يتميز بها ويجلس بجانبه من وراء العتبة كاتب الجيش فى قاعة الدار على حصر مفروشة وشرط هذا المستوفى أن يكون عدلا ومن أعيان الكتاب ويسمى اليوم فى زمننا ناظر الجيش وأما كاتب الجيش فانه كان فى غالب الامر يهوديا وللمجلس الذى فيه الخليفة والوزير انطاع تصب عليها الدراهم ويحضر الوزانون بيت المال لذلك فاذا تهيأ الانفاق أدخل الغزاة مائة مائة فيقفون فى اخريات من هو واقف فى الخدمة من جانب واحد نقابة نقابة وتكون أسماؤهم قد رتبت فى أوراق لاستدعائهم بين يدى الخليفة فيستدعى مستوفى الجيش من تلك الاوراق المنفق عليهم واحدا واحدا فاذا خرج اسمه عبر من الجانب الذى هو فيه الى الجانب الآخر فاذا تكملت عشرة وزن الوزانون لهم النفقة وكانت مقرّرة لكل واحد خمسة دنانير صرف ستة وثلاثين درهما بدينار فيسلمها لهم النقيب وتكتب باسمه وبيده وتمضى النفقة هكذا الى آخرها فاذا تم ذلك ركب الوزير من بين يدى الخليفة وانفض ذلك الجمع فيحمل الى الوزير من القصر مائدة يقال لها غداء الوزير وهى سبع مجنقات أوساط احداها بلحم الدجاج وفستق معمولة بصناعة محكمة والبقية شواء وهى مكمورة بالازهار فتكون النفقة على ذلك مدّة ايام متوالية مرّة ومتفرقة مرّة فاذا تكاملت النفقة وتجهزت المراكب وتهيأت للسفر ركب الخليفة والوزير الى ساحل النيل بالمقس خارج القاهرة وكان هنالك على شاطئ النيل بالجامع منظرة يجلس فيها الخليفة برسم وداع الاسطول ولقائه اذا عاد فاذا جلس للوداع جاءت القوّاد بالمراكب من مصر الى هنالك للحركات فى البحر بين يديه وهى مزينة باسلحتها ولبودها وما فيها من المنجنيقات فيرمى بها وتنحدر المراكب وتقلع وتفعل سائر ما تفعله عند لقاء العدوّ ثم يحضر المقدم والرئيس الى بين يدى الخليفة فيودّعهما ويدعو للجماعة بالنصرة والسلامة ويعطى للمقدم مائة دينار وللرئيس عشرين دينارا وينحدر الاسطول الى دمياط ومن هنالك يخرج الى بحر الملح فيكون له ببلاد العدوّ صيت عظيم ومهابة قوية والعادة أنه اذا غنم الاسطول ما عسى أن يغنم لا يتعرّض السلطان منه الى شئ البتة الا ما كان من الاسرى والسلاح فانه للسلطان وما عداهما من المال والثياب ونحوهما فانه لغزاة الاسطول لا يشاركهم فيه أحد فاذا قدم الاسطول خرج الخليفة أيضا الى منظرة المقس وجلس فيها للقائه وقدم الاسطول مرّة بألف وخمسمائة اسير وكانت العادة أن الاسرى ينزل بهم فى المناخ وتضاف الرجال الى من فيه من الاسرى ويمضى بالنساء والاطفال الى القصر بعد ما يعطى منهم الوزير طائفة ويفرق

مابقى من النساء على الجهات والاقارب فيستخدمونهنّ ويربونهنّ حتى يتقنّ الصنائع ويدفع الصغار من الاسرى الى الاستادين فيربونهم ويتعلمون الكتابة والرماية ويقال لهم الترابى وفيهم من صار أميرا من صبيان خاص الخليفة ومن الاسرى من كان يستراب به فيقتل ومن كان منهم شيخا لا ينتفع به ضربت عنقه وألقى فى بئر كانت فى خرائب مصر تعرف ببئر المنامة ولم يعرف قط عن الدولة الفاطمية أنها فادت أسيرا من الفرنج بمال ولا بأسير مثله وكان المنفق فى الاسطول كل سنة خارجا عن العدد والآلات * ولم يزل الاسطول على ذلك الى أن كانت وزارة شاور ونزل مرى ملك الفرنج على بركة الحبش فأمر شاور بتحريق مصر وتحريق مراكب الاسطول فحرقت ونهبها العبيد فيما نهبوا فلما كان زوال الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب اعتنى أيضا بأمر الاسطول وأفرد له ديوانا عرف بديوان الاسطول وعين لهذا الديوان الفيوم باعمالها والحبس الجيوشى فى البرّين الشرقىّ والغربىّ وهو من البرّ الشرقىّ بهتين والاميرية والمنية ومن البرّ الغربىّ ناحية سفط ونهيا ووسيم والبساتين خارج القاهرة وعين له أيضا الخراج وهو أشجار من سنط لا تحصى كثرة فى البهنساوية وسفط ريشين والاشمونين والاسيوطية والاخميمية والقوصية لم تزل بهذه النواحى لا يقطع منها الا ما تدعو الحاجة اليه وكان فيها ما تبلغ قيمة العود الواحد منه مائة دينار وقد ذكر خبر هذا الخراج فى ذكر أقسام مال مصر من هذا الكتاب وعين له أيضا النطرون وكان قد بلغ ضمانه ثمانية آلاف دينار ثم افرد لديوان الاسطول مع ماذكر الزكاة التى كانت تجبى بمصر وبلغت فى سنة زيادة على خمسين ألف دينار وأفرد له المراكب الديوانية وناحية اشناى وطنبدى وسلم هذا الديوان لاخيه الملك العادل أبى بكر محمد بن أيوب فأقام فى مباشرته وعمالته صفىّ الدين عبد الله بن علىّ بن شكر وتقرّر ديوان الاسطول الذى ينفق فى رجاله نصف وربع دينار بعد ما كان نصف وثمن دينار فلما مات السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب استمرّ الحال فى الاسطول قليلا ثم قلّ الاهتمام به وصار لا يفكر فى امره الا عند الحاجة اليه فاذا دعت الضرورة الى تجهيزه طلب له الرجال وقبض عليهم من الطرقات وقيدوا فى السلاسل نهارا وسجنوا فى الليل حتى لا يهربوا ولا يصرف لهم الا شئ قليل من الخبز ونحوه وربما اقاموا الايام بغير شئ كما يفعل بالاسرى من العدوّ فصارت خدمة الاسطول عارا يسب به الرجال واذا قيل لرجل فى مصر يا أسطولىّ غضب غضبا شديدا بعد ما كان خدّام الاسطول يقال لهم المجاهدون فى سبيل الله والغزاة فى أعداء الله ويتبرّك بدعائهم الناس ثم لما انقرضت دولة بنى أيوب وتملك الاتراك المماليك مصر أهملوا أمر الاسطول الى أن كانت ايام السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى فنظر فى امر الشوانى الحربية واستدعى برجال الاسطول وكان الامراء قد استعملوهم فى الحراريق وغيرها وندبهم للسفر وأمر بعدّ الشوانى وقطع الاخشاب لعمارتها واقامتها على ما كانت عليه فى ايام الملك الصالح نجم الدين أيوب واحترز على الخراج ومنع الناس من التصرّف فى اعواد العمل وتقدّم بعمارة الشوانى فى ثغرى الاسكندرية ودمياط وصار ينزل بنفسه الى الصناعة بمصر ويرتب ما يجب ترتيبه من عمل الشوانى ومصالحها واستدعى بشوانى الثغور الى مصر فبلغت زيادة على أربعين قطعة سوى الحراريق والطرائد فانها كانت عدّة كثيرة وذلك فى شوال سنة تسع وستين وستمائة ثم سارت تريد قبرس وقد عمل ابن حسون رئيس الشوانى فى أعلامها الصلبان يريد بذلك أنها تخفى اذا عبرت البحر على الفرنج حتى تطرقهم على غفلة فكره الناس منه ذلك فلما قاربت قبرس تقدّم ابن حسون فى الليل ليهجم المينا فصدم الشونة المقدّمة شعبا فانكسرت وتبعتها بقية الشوانى فتكسرت الشوانى كلها وعلم بذلك متملك قبرس فأسر كل من فيها وأحاط بما معهم وكتب الى السلطان يقرّعه ويوبخه وأن شوانيه قد تكسرت وأخذ ما فيها وعدّتها احدى عشرة شونة وأسر رجالها فحمد السلطان الله تعالى وقال الحمد لله منذ ملكنى الله تعالى ما خذل لى عسكر ولا ذلت لى راية وما زلت أخشى العين فالحمد لله تعالى بهذا ولا بغيره وأمر بانشاء عشرين شونة وأحضر خمس شوانى كانت على مدينة قوص من صعيد مصر ولازم الركوب الى صناعة العمارة بمصر كل يوم فى مدة شهر المحرّم سنة سبعين وستمائة الى أن تنجزت فلما كان فى نصف المحرّم سنة احدى وسبعين وستمائة زاد النيل حتى لعبت الشوانى بين يديه فكان يوما مشهودا وفى سنة اثنتين وتسعين وستمائة تقدّم السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل بن قلاون الى الوزير الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس بتجهيز أمر الشوانى فنزل الى الصناعة واستدعى الرئيس وهيأ جميع ما تحتاج اليه الشوانى حتى كملت عدّتها نحو ستين

شونة

شونة وشحنها بالعديد وآلات الحرب ورتب بها عدة من المماليك السلطانية وألبسهم السلاح فأقبل الناس لمشاهدتهم من كل أوب قبل ركوب السلطان بثلاثة أيام وصنعوا لهم قصورا من خشب وأخصاص القش على شاطئ النيل خارج مدينة مصر وبالروضة واكتروا الساحات التي قدام الدور والزرابي بالمائتي درهم كل زريبة فما دونها بحيث لم يبق بيت بالقاهرة ومصر الا وخرج أهله أو بعضهم لرؤية ذلك فصار جمعا عظيما وركب السلطان من قلعة الجبل بكرة والناس قد ملأوا ما بين المقياس الى بستان الخشاب الى بولاق ووقف السلطان ونائبه الامير بيدر وبقية الامراء قدام دار النحاس ومنع الحجاب من التعرض لطرد العامة فبرزت الشواني واحدة بعد واحدة وقد عمل في كل شونة برج وقلعة تحاصر والقتال عليها ملح والنفط يرمى عليها وعدة من النقابين في اعمال الحيلة في النقب وما منهم الا من اظهر في شونته عملا معجبا وصناعة غريبة يفوق بها على صاحبه وتقدم ابن موسى الراعي وهو في مركب نيلية فقرأ قوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم ثم تلاها بقراءة قوله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء الى آخر الآية هذا والشواني تتواصل بمحاربة بعضها بعضا الى أن اذن لصلاة الظهر فمضى السلطان بعسكره عائدا الى القلعة فأقام الناس بقية يومهم وتلك الليلة على ما هم عليه من اللهو في اجتماعهم وكان شيأ يجل وصفه وأنفق فيه مال لا يعد بحيث بلغت أجرة المركب في هذا اليوم ستمائة درهم فما دونها وكان الرجل الواحد يؤخذ منه أجرة ركوبه في المركب خمسة دراهم وحصل لعدة من النواتية أجرة مراكبهم عن سنة في هذا اليوم وكان الخبز يباع اثنا عشر رطلا بدرهم فلكثرة اجتماع الناس بمصر بيع سبعة ارطال بدرهم فبلغ خبر الشواني الى بلاد الفرنج فبعثوا ارسلهم بالهدايا يطلبون الصلح فلما كان المحرم سنة اثنتين وسبعمائة في سلطنة الناصر محمد بن قلاون جهزت الشواني بالعدد والسلاح والنفطية والازودة وعين لها جماعة من اجناد الحلقة وألزم كل أمير مائة بارسال رجلين من عدته وألزم أمراء الطبلخاناه والعشروات باخراج كل أمير من عدته رجلا وندب الامير سيف الدين كهرداش المنصوري الزراق الى السفر بهم ومعه جماعة من مماليك السلطان الزراقين وزينت الشواني أحسن زينة فخرج معظم الناس لرؤيتها وأقاموا يومين بلياليهما على الساحل بالبرين وكان جمعا عظيما الى الغاية وبلغت أجرة المركب الصغير مائة درهم لاجل الفرجة ثم ركب السلطان بكرة يوم السبت ثاني عشر المحرم ومعه الامير سلار النائب والامير بيبرس الجاشنكير وسائر الامراء والعسكر فوقفت المماليك على البر نحو بستان الخشاب وعدى الامراء في الحراريق الى الروضة وخرجت الشواني واحدة بعد واحدة فلعبت منها ثلاثة وخرجت الرابعة وفيها الامير أقوش القاري من مينا الصناعة حتى توسط البحر فلعب بها الريح الى أن مالت وانقلبت فصار أعلاها أسفلها فتداركها الناس ورفعوا ما قدروا عليه من العدد والسلاح وسلمت الرجال فلم يعدم منهم سوى أقوش وحده فتنكد الناس وعاد الامراء الى القلعة بالسلطان وجهز شونة عوضا عن التي غرقت وساروا الى مينا طرابلس ثم ساروا ومعهم عدة من طرابلس فأشرفوا من الغد على جزيرة أرواد من أعمال قبرس وقاتلوا أهلها وقتلوا اكثرهم وملكوها في يوم الجمعة ثامن عشري صفر واستولوا على ما فيها وهدموا أسوارها وعادوا الى طرابلس وأخرجوا من الغنائم الخمس للسلطان واقتسموا ما بقي منها وكان معهم مائتان وثمانون أسيرا فسر السلطان بذلك سرورا كثيرا

(صناعة المقس) قال ابن أبي طي في تاريخه عند ذكر وفاة المعز لدين الله انه أنشأ دار الصناعة التي بالمقس وأنشأ بها ستمائة مركب لم ير مثلها في البحر على مينا * وقال المسبحي ان العزيز بالله بن المعز هو الذي بنى دار الصناعة التي بالمقس وعمل المراكب التي لم ير مثلها فيما تقدم كبرا ووثاقة وحسنا * وقال في حوادث سنة ست وثمانين وثلثمائة ووقعت نار في الاسطول وقت صلاة الجمعة لست بقين من شهر ربيع الآخر فأحرقت خمس عشاريات وأتت على جميع ما في الاسطول من العدة والسلاح حتى لم يبق منه غير ستة مراكب فارغة لا شئ فيها فحمل البحريون السلاح واتهموا الروم النصارى وكانوا مقيمين بدار مانك بجوار الصناعة التي بالمقس وحملوا على الروم هم وجموع من العامة معهم فنهبوا أمتعة الروم وقتلوا منهم مائة رجل وسبعة رجال وطرحوا جثثهم في الطرقات وأخذ من بقي فحبس بصناعة المقس ثم حضر عيسى بن نسطورس خليفة امير المؤمنين العزيز بالله في الاموال ووجوهها بديار مصر والشام والحجاز ومعه يانس الصقلبي وهو يومئذ خليفة العزيز بالله على القاهرة عند مسيره الى الشام ومعهما مسعود الصقلبي متولي الشرطة وأحضروا الروم من الصناعة

فاعترفوا بانهم الذين أحرقوا الاسطول فكتب بذلك الى العزيز بالله وهو مبرز يريد السفر الى الشام وذكر له فى الكتاب خبر من قتل من الروم وما نهب وانه ذهب فى النهب ما يبلغ تسعين ألف دينار فطاف اصحاب الشرط فى الاسواق بسجل فيه الامر برد ما نهب من دار مانك وغيرها والتوعد لمن ظهر عنده منه شئ وحفظ أبو الحسن يانس البلد وضبط الناس وأمر عيسى بن نسطورس أن يعد للوقت عشرون مركبا وطرح الخشب وطلب الصناع وبات فى الصناعة وجد الصناع فى العمل واغلب أحداث الناس وعامتهم يلعبون برؤس القتلى ويجرون بأرجلهم فى الاسواق والشوارع ثم قرنوا بعضهم الى بعض على ساحل النيل بالمقس وأحرقوا يوم السبت وضرب بالجرس على البلد أن لا يتخلف أحد ممن نهب شيأ حتى يحضر ما نهبه ويرده ومن علم عليه بشئ أو كتم شيأ أو جحده أو أخره حلت به العقوبة الشديدة وتتبع من نهب فقبض على عدة قتل منهم عشرون رجلا ضربت أعناقهم وضرب ثلاثة وعشرون رجلا بالسياط وطيف بهم وفى عنق كل واحد رأس رجل ممن قتل من الروم وحبس عدة أناس وامر بمن ضربت اعناقهم فصلبوا عند كوم دينار وورد المصروبون الى المطبق وكان ضرب من ضرب من النهابة وقتل من قتل منهم برقاع كتبت لهم تناول كل واحد منهم رقعة فيها مكتوب اما بقتل أو ضرب فأمضى فيهم بحسب ما كان فى رقاعهم من قتل أو ضرب واشتد الطلب على النهابة فكان الناس يدل بعضهم على بعض فاذا أخذ أحد ممن اتهم بالنهب حلف بالايمان المغلظة أنه ما بقى عنده شئ وجد عيسى بن نسطورس فى عمل الاسطول وطلب الخشب فلم يدع عند أحد خشبا علم به الا أخذه منه وتزايد اخراج النهابة لما نهبوه فكانوا يطرحونه فى الازقة والشوارع خوفا من أن يعرفوا به وحبس كثير ممن أحضر شيأ أو عرف عليه من النهب فلما كان يوم الخميس ثامن جمادى الاولى ضربت أعناقهم كلهم على يد أبى أحمد جعفر صاحب يانس فانه قدم فى عسكر كثير من اليانسية حتى ضربت أعناق الجماعة واغلقت الاسواق يومئذ وطاف متولى الشرطة وبين يديه أرباب النفط بعددهم والنار مشتعلة واليانسية ركاب بالسلاح وقد ضرب جماعة وشهرهم بين يديه وهم ينادى عليهم هذا جزاء من أثار الفتن ونهب حريم امير المؤمنين فمن نظر فليعتبر فما تقال لهم عثرة ولا ترحم لهم عبرة فى كلام كثير من هذا الجنس فاشتد خوف الناس وعظم فزعهم فلما كان من الغد نودى معاشر الناس قد آمن الله من أخذ شيأ أو نهب شيأ على نفسه وماله فليرد من بقى عنده شئ من النهب وقد أجلنا كم من اليوم الى مثله وفى سابع جمادى الآخرة نزل ابن نسطورس الى الصناعة وطرح مركبين فى غاية الكبر من التى استعملها بعد حريق الاسطول وفى غرة شعبان نزل أيضا وطرح بين يديه أربعة مراكب كبارا من المنشأة بعد الحريق واتفق موت العزيز بالله وهو سائر الى الشام فى مدينة بلبيس فلما قام من بعده ابنه الحاكم بأمر الله فى الخلافة امر فى خامس شوال بحط الذين صلبهم ابن نسطورس فتسلمهم أهلهم وأعطى لاهل كل مصلوب عشرة دنانير برسم كفنه ودفنه وخلع على عيسى بن نسطورس وأقره فى ديوان الخاص ثم قبض عليه فى ليلة الاربعاء سابع المحرم سنة سبع وثمانين وثلثمائة واعتقله الى ليلة الاثنين سابع عشريه فأخرجه الاستاذ برجوان وهو يومئذ يتولى تدبير الدولة الى المقس وضرب عنقه فقال وهو ماض الى المقس كل شئ قد كنت أحسبه الا موت العزيز بالله ولكن الله لا يظلم أحدا والله انى لاذكر وقد ألقيت السهام للقوم المأخوذين فى نهب دار مانك وفى بعضها مكتوب يقتل وفى أخرى يضرب فأخذ شاب ممن قبض عليه رقعة منها فجاء فيها يقتل فأمرت به الى القتل فصاحت امه ولطمت وجهها وحلفت أنها وهو ما كانا ليلة النهب فى شئ من أعمال مصر وانما وردا مصر بعد النهب بثلاثة ايام وناشدتنى الله تعالى أن اجعله من جملة من يضرب بالسوط وأن يعفى من القتل فلم التفت اليها وأمرت بضرب عنقه فقالت أمه ان كنت لا بد قاتله فاجعله آخر من يقتل لا تمتع به ساعة فأمرت به فجعل أول من ضرب عنقه فلطخت بدمه وجهها وسبقتنى وهى منبوشة الشعر ذاهلة العقل الى القصر فلما وافيت قالت لى أقتلته كذلك يقتلك الله فأمرت بها فضربت حتى سقطت الى الارض ثم كان من الامر ما ترون مما انا صائر اليه وكان خبره عبرة لمن اعتبر وفى نصف شعبان سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ركب الحاكم بأمر الله الى صناعة المقس لتطرح المراكب بين يديه * (صناعة الجزيرة) هذه الصناعة كانت بجزيرة مصر التى تعرف اليوم بالروضة وهى أول صناعة عملت بفسطاط مصر بنيت فى سنة أربع وخمسين من الهجرة وكان قبل بنائها هنالك خمسمائة فاعل تكون مقيمة أبدا معدة لحريق يكون فى البلاد أو هدم ثم اعتنى الامير أبو العباس أحمد بن طولون بانشاء المراكب الحربية

فى هذه الصناعة وأطافها بالجزيرة ولم تزل هذه الصناعة الى ايام الملك الامير أبى بكر محمد بن طفج الاخشيد فأنشا صناعة بساحل فسطاط مصر وجعل موضع هذه الصناعة البستان المختار كما قد ذكر فى موضعه من هذا الكتاب *(صناعة مصر) هذه الصناعة كانت بساحل مصر القديم يعرف موضعها بدار خديجة بنت الفتح بن خاقان امرأة الامير أحمد بن طولون الى أن قدم الامير أبو بكر محمد بن طفج الاخشيد أميرا على مصر من قبل الخليفة الراضى عوضا عن أحمد بن كيغلغ فى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وقد كثرت الفتن فلم يدخل عيسى ابن احمد السلمى وأبو مالك كبير المغاربة فى طاعته ومضى ومعه بجكم وعلى بن بدر وتظيف النوشرى وعلى المغربى الى الفيوم فبعث اليهم الاخشيد صاعد بن الكلكم بمراكبه فقاتلوه وقتلوه وأخذوا مراكبه وركب فيها على بن بدر وبجكم وقدموا مدينة مصر أول يوم من ذى القعدة فأرسوا بجزيرة الصناعة وركب الاخشيد فى جيشه ووقف حيالهم والنيل بينهم وبينه فكره ذلك وقال صناعة يحول بينها وبين صاحبها الماء ليست بشئ فأقام بجكم وعلى بن بدر الى آخر النهار ومضوا الى جهة الاسكندرية وعاد الاخشيد الى داره فأخذ فى تحويل الصناعة من موضعها بالجزيرة الى دار خديجة بنت الفتح فى شعبان سنة خمس وعشرين وثلثمائة وكان اذ ذاك عندها سلم ينزل منه الى الماء وعندما ابتدأ فى انشاء المراكب بها صاحت به امرأة فأمر باخذها اليه فسألته أن يبعث معها من يحمل المال فسير معها طائفة فأتت بهم الى دار خديجة هذه ودلتهم على موضع منها فأخرجوا منه عينا وورقا وحليا وغيره وطلبت المرأة فلم توجد ولا عرف لها خبر وكانت مراكب الاسطول مع ذلك تنشأ فى الجزيرة وفى صناعتها الى ايام الخليفة الآمر بأحكام الله تعالى فلما ولى المأمون بن البطايحى انكر ذلك وأمر أن يكون انشاء الشوانى والمراكب النيلية الديوانية بصناعة مصر هذه وأضاف اليها دار الزبيب وأنشأ بها منظرة لجلوس الخليفة يوم تقدمة الاسطول ورميه فأقر انشاء الحربيات والشلنديات بصناعة الجزيرة وكان لهذه الصناعة دهليز ماد بمساطب مفروش بالحصر العبدانية بسطا وتأزيرا وفيها محل ديوان الجهاد وكان يعرف فى الدولة الفاطمية أن لا يدخل من باب هذه الصناعة أحد راكبا الا الخليفة والوزير اذا ركبا فى يوم فتح الخليج عند وفاء النيل فان الخليفة كان يدخل من بابها وبشقها راكبا والوزير معه حتى يركب النيل الى المقياس كما قد ذكر فى موضعه من هذا الكتاب ولم تزل هذه الصناعة عامرة الى ما قبل سنة سبعمائة ثم صارت بستانا عرف ببستان ابن كيسان ثم عرف فى زمننا ببستان الطواشى وكان فيما بين هذه الصناعة والروضة بحر ثم تربى بحرف عرف موضعه بالجرف وأنشئ هناك بستان عرف ببستان الجرف وصار فى جملة أوقاف خانقاه المواصلة وقيل لهذا الجرف بين الزقاقين وكان فيه عدة دور وحمام وطواحين وغير ذلك ثم خرب من بعد سنة ست وثمانمائة وخرب بستان الجرف أيضا والى اليوم بستان الطواشى فيه بقية وهو على يسرة من يريد مصر من طريق المراغة وبظاهره حوض ماء ترده الدواب ومن وراء البستان كيمان فيها كنيسة للنصارى قال ابن المتوج وكان مكان بستان ابن كيسان صناعة العمارة وادركت فيه بابها وبستان الجرف المقابل لبستان ابن كيسان كان مكانه بحر النيل وان الجرف تربى فيه

(ذكر الميادين)

*(ميدان ابن طولون) كان قد بناه وتأنق فيه تأنقا زائدا وعمل فيه المناخ وبركة الزئبق والقبة الذهبية وقد ذكر خبر هذا الميدان عند ذكر القطائع من هذا الكتاب *(ميدان الاخشيد) هذا الميدان أنشأه الامير أبو بكر محمد بن طفج الاخشيد امير مصر بجوار بستانه الذى يعرف اليوم فى القاهرة بالكافورى ويشبه أن يكون موضع هذا الميدان اليوم حيث المكان المعروف بالبندقانيين وحارة الوزيرية وما جاور ذلك وكان لهذا البستان بابان من حديد قلعهما القائد جوهر عندما قدم القرمطى الى مصر يريد أخذها وجعلهما على باب الخندق الذى حفره بظاهر القاهرة قريبا من مدينة عين شمس وذلك فى سنة ستين وثلثمائة وكان هذا الميدان من اعظم أماكن مصر وكانت فيه الخيول السلطانية فى الدولة الاخشيدية *(ميدان القصر) *هذا الميدان موضعه الآن فى القاهرة يعرف بالخرنشف عمل عند بناء القاهرة بجوار البستان الكافورى ولم يزل ميدانا للخلفاء الفاطميين يدخل اليه من باب التبانين الذى موضعه الآن يعرف بقبو الخرنشف فلما زالت الدولة الفاطمية تعطل وبقى الى أن بنى به الغز اصطبلات بالخرنشف ثم حكر وبنى فيه فصار من أخطاط القاهرة *(ميدان قراقوش) هذا الميدان خارج

باب الفتوح *(ميدان الملك العزيز) هذا الميدان كان بجوار خليج الذكر وكان موضعه بستانا * قال القاضى
الفاضل فى متجددات ثالث عشرى شهر رمضان سنة أربع وتسعين وخمسمائة خرج امر الملك العزيز عثمان بن
السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بقطع النخل المثمر المستغل تحت اللؤلؤة بالبستان المعروف بالبغدادية
وهذا البستان كان من بساتين القاهرة الموصوفة وكان منظره من المناظر المستحسنة وكان له مستغل وكان قد عنى
الاولون به لمجاورته اللؤلؤة واطلال جميع مناظرها عليه وجعل هذا البستان ميدانا وحرث أرضه وقطع مافيه
من الاصول انتهى ثم حكر الناس أرض هذا البستان وبنوا عليها وهو الآن داثر فيه كيمان واتربة انتهى
*(الميدان الصالحى) هذا الميدان كان بأراضى اللوق من بر الخليج الغربى وموضعه الآن من جامع الطباخ
بباب اللوق الى قنطرة قدادار التى على الخليج الناصرى ومن جملته الطريق المسلوكة الآن من باب اللوق الى
القنطرة المذكورة وكان أولا بستانا يعرف ببستان الشريف ابن ثعلب فاشتراه السلطان الملك الصالح نجم الدين
أيوب بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب بثلاثة آلاف دينار مصرية من الامير حصن الدين
ثعلب بن الامير فخر الدين اسماعيل بن ثعلب الجعفرى فى شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وستمائة وجعله ميدانا
وأنشأ فيه مناظر جليلة تشرف على النيل الاعظم وصار يركب اليه ويلعب فيه بالكرة وكان عمل هذا الميدان
سببا لبناء القنطرة التى يقال لها اليوم قنطرة الخرق على الخليج الكبير لجوازه عليها وكان قبل بنائها موضعها
موردة سقائى القاهرة ومابرح هذا الميدان تلعب فيه الملوك بالكرة من بعد الملك الصالح الى أن انحسر ماء النيل
من تجاهه وبعد عنه فأنشأ الملك الظاهر ميدانا على النيل وفى سلطنة الملك المعز عز الدين أيبك التركمانى الصالحى
النجمى قال له منجمه ان امرأة تكون سببا فى قتله فأمر أن تخرب الدور والحوانيت التى من قلعة الجبل بالتبانة
الى باب زويلة والى باب الخرق والى باب اللوق الى الميدان الصالحى وأمر أن لايترك باب مفتوح بالاماكن التى
يمر عليها يوم ركوبه الى الميدان ولا تفتح أيضا طاقة ومازال باب هذا الميدان باقيا وعليه طوارق مدهونة الى مابعد
سنة أربعين وسبعمائة فأدخله صلاح الدين بن المغربى فى قيسارية الغزل التى أنشأها هنالك ولاجل هذا
الباب قيل لذلك الخط باب اللوق ولما خرب هذا الميدان حكر وبنى موضعه ماهنالك من المساكن ومن جملته
حكر مرادى وهو على يمنة من سلك من جامع الطباخ الى قنطرة قدادار وهو فى اوقاف خانقاه قوصون وجامع
قوصون بالقرافة وهذا الحكر اليوم قد صار كيمانا بعد كثرة العمارة به *(الميدان الظاهرى) هذا الميدان
كان بطرف أراضى اللوق يشرف على النيل الاعظم وموضعه الآن تجاه قنطرة قدادار من جهة باب اللوق
أنشأه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى لما انحسر ماء النيل وبعد عن ميدان استاذه
الملك الصالح نجم الدين أيوب ومازال يلعب فيه بالكرة هو ومن بعده من ملوك مصر الى أن كانت سنة أربع عشرة
وسبعمائة فنزل السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون اليه وخرب مناظره وعمله بستانا من اجل بعد البحر عنه
وأرسل الى دمشق فحمل اليه منها سائر اصناف الشجر وأحضر معها خولة الشام والمطعمين فغرسوها فيه
وطعموها ومازال بستانا عظيما ومنه تعلم الناس بمصر تطعيم الاشجار فى بساتين جزيرة الفيل وجعل السلطان
فواكه هذا البستان مع فواكه البستان الذى أنشأه بسرياقوس تحمل بأسرها الى الشراب خاناه السلطانية
بقلعة الجبل ولا يباع منها شئ البتة وتصرف كلفهما من الاموال الديوانية فجادت فواكه هذين البستانين
وكثرت حتى حاكت بحسنها فواكه الشام لشدة العناية والخدمة بهما ثم ان السلطان لما اختص بالامير
قوصون أنعم بهذا البستان عليه فعمر تجاهه الزربية التى عرفت بزربية قوصون على النيل وبنى الناس الدور
الكثيرة هنالك سيما لما حفر الخليج الناصرى فان العمارة عظمت فيما بين هذا البستان والبحر وفيما بينه
وبين القاهرة ومصر ثم ان هذا البستان خرب لتلاشى أحواله بعد قوصون وحكرت أرضه وبنى الناس فوقها
الدور التى على يسرة من صعد القنطرة من جهة باب اللوق يريد الزربية ثم لما خرب خط الزربية خرب ماعمر
بأرض هذا البستان من الدور منذ سنة ست وثمانمائة والله تعالى اعلم *(ميدان بركة الفيل) هذا الميدان
كان مشرفا على بركة الفيل قبالة الكبش وكان أولا اصطبل الجوق برسم خيول المماليك السلطانية الى أن جلس
الامير زين الدين كتبغا على تخت الملك وتلقب بالملك العادل بعد خلعه الملك الناصر محمد بن قلاون فى المحرم
سنة أربع وتسعين وستمائة فلما دخلت سنة خمس وتسعين كان الناس فى أشد مايكون من غلاء الاسعار

وكثرة الموتان والسلطان خائف على نفسه ومتحرز من وقوع فتنة وهو مع ذلك ينزل من قلعة الجبل الى الميدان الظاهري بطرف اللوق فحسن بخاطره أن يعمل اصطبل الجوق المذكور ميدانا عوضا عن ميدان اللوق وذكر ذلك للامراء فأعجبهم ذلك فامر باخراج الخيل منه وشرع فى عمله ميدانا وبادر الناس من حينئذ الى بناء الدور بجانبه وكان أوّل من أنشأ هنالك الامير علم الدين سنجر الخازن فى الموضع الذى عرف اليوم بحكر الخازن وتلاه الناس فى العمارة والامراء وصار السلطان ينزل الى هذا الميدان من القلعة فلا يجد فى طريقه أحدا من الناس سوى اصحاب الدكاكين من الباعة لقلة الناس وشغلهم بما هم فيه من الغلاء والوباء ولقد رآه شخص من الناس وقد نزل الى الميدان والطرقات خالية فانشد ماقيل فى الطبيب ابن زهر

قل للغلا أنت وابن زهر * بلغتما الحد والنهايه
ترفقا بالورى قليلا * فى واحد منكما كفايه

ومابرح هذا الميدان باقيا الى أن عمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون قصر الامير بكتمر الساقى على بركة الفيل فادخل فيه جميع أرض هذا الميدان وجعله اصطبل قصر الامير بكتمر الساقى فى سنة سبع عشرة وسبعمائة وهو باق الى وقتنا هذا * (ميدان المهارى) هذا الميدان بالقرب من قناطر السباع فى برّ الخليج الغربى كان من جملة جنان الزهرى أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة عشرين وسبعمائة ومن وراء هذا الميدان بركة ماء كان موضعها كرم القاضى الفاضل رحمة الله عليه * قال جامع السيرة الناصرية وكان الملك الناصر محمد بن قلاون له شغف عظيم بالخيل فعمل ديوانا ينزل فيه كل فرس بشانه واسم صاحبه وتاريخ الوقت الذى حضر فيه فاذا حملت فرس من خيول السلطان اعلم به وترقب الوقت الذى تلد فيه واستكثر من الخيل حتى احتاج الى مكان برسم نتاجها فركب من قلعة الجبل فى سنة عشرين وسبعمائة وعين موضعا يعمله ميدانا برسم المهارى فوقع اختياره على أرض بالقرب من قناطر السباع ومازال واقفا بفرسه حتى حدّد الموضع وشرع فى نقل الطين البليز اليه وزرعه من النخل وغيره وركب على الآبار التى فيه السواقى فلم يمض سوى ايام حتى ركب اليه ولعب فيه بالكرة مع الخاصكية ورتب فيه عدّة بجور للنتاج وأعدلها ساوا سا وأميرا خورية وسائر ما يحتاج اليه وبنى فيه أماكن ولازم الدخول اليه فى ممره الى الميدان الذى أنشأه على النيل بموردة الملح فلما كان بعد أيام وأشهر حسن فى نفسه أن يبنى تجاه هذا الميدان على النيل الاعظم بجوار جامع الطيبرسى زريبة ويبرز بالمناظر التى ينشئها فى الميدان الى قرب البحر فنزل بنفسه وتحدث فى ذلك فكثر المهندسون المصروف فى عينه وصعبوا الامر من جهة قلة الطين هنالك وكان قد أدركه السفر للصعيد فترك ذلك ومابرحت الخيول فى هذا الميدان الى أن مات الملك الظاهر برقوق فى سنة احدى وثمانمائة واستمرّ بعده فى ايام ابنه الملك الناصر فرج الا انه تلاشى امره عما كان قبل ذلك ثم انقطعت منه الخيول وصار براحا خاليا * (ميدان سرياقوس) كان هذا الميدان شرقى ناحية سرياقوس بالقرب من الخانقاه أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون فى ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وبنى فيه قصورا جليلة وعدّة منازل للامراء وغرس فيه بستانا كبيرا نقل اليه من دمشق سائر الاشجار التى تحمل الفواكه وأحضر معها خولة بلاد الشام حتى غرسوها وطعموا الاشجار فأفلح فيه الكرم والسفرجل وسائر الفواكه فلما كمل فى سنة خمس وعشرين خرج ومعه الامراء والاعيان ونزل القصور التى هنالك ونزل الامراء والاعيان على منازلهم فى الاماكن التى بنيت لهم واستمرّ يتوجه اليه فى كل سنة ويقيم به الايام ويلعب فيه بالكرة الى أن مات فعمل ذلك أولاده الذين ملكوا من بعده فكان السلطان يخرج فى كل سنة من قلعة الجبل بعد ماتنقضى ايام الركوب الى الميدان الكبير الناصرى على النيل ومعه جميع أهل الدولة من الامراء والكتاب وقاضى العسكر وسائر أرباب الرتب ويسير الى السرحة بناحية سرياقوس وينزل بالقصور ويركب الى الميدان هنالك للعب الكرة ويخلع على الامراء وسائر أهل الدولة ويقيم فى هذه السرحة أياما فيمرّ للناس فى اقامتهم بهذه السرحة اوقات لا يمكن وصف مافيها من المسرّات ولا حصر ما ينفق فيها من المآكل والهبات من الاموال ولم يزل هذا الرسم مستمرّا الى سنة تسع وتسعين وسبعمائة وهى آخر سرحة سار اليها السلطان بسرياقوس ومن هذه السنة انقطع السلطان الملك الظاهر برقوق عن الحركة لسرياقوس فانه اشتغل فى سنة ثمانمائة بتحرك المماليك عليه من وقت قيام الامير على باى الى أن مات وقام من بعده ابنه الملك الناصر فرج فما صفا الوقت

في ايامه من كثرة الفتن وتواتر الغلوات والمحن الى أن نسى ذلك وأهمل امر الميدان والقصور وخرب وفيه الى
اليوم بقية قائمة ثم بيعت هذه القصور في صفر سنة خمس وعشرين وثمانمائة بمائة دينار لينقض خشبها وشبابيكها
وغيرها فانقضت كلها وكان من عادة السلطان اذا خرج الى الصيد لسرياقوس أو شبرا أو البحيرة أنه ينعم على أكابر
أمراء الدولة قدرا وسنا كل واحد بألف مثقال ذهبا وبرذون خاص مسرج ملجم وكنبوش مذهب وكان
من عادته اذا مر في متصيداته باقطاع امير كبير قدم له من الغنم والاوز والدجاج وقصب السكر والشعير ما تسمو
همة مثله اليه فيقبله السلطان منه وينعم عليه بخلعة كاملة وربما أمر لبعضهم بمبلغ مال وكانت عادة الامراء
أن يركب الامير منهم حيث يركب في المدينة وخلفه جنيب وأما أكابرهم فيركب بجنيبين هذا في المدينة
والحاضرة وهكذا يكون اذا خرج الى سرياقوس وغيرها من نواحي الصعيد ويكون في الخروج الى سرياقوس
وغيرها من الاسفار لكل أمير طلب يشتمل على اكثر مماليكه وقدامهم خزانة محمولة على جمل واحد يجره راكب
آخر على جمل والمال على جملين وربما زاد بعضهم على ذلك وأمام الخزانة عدة جنائب تجر على أيدي مماليك
ركاب خيل وهجن وركاب من العرب على هجن وأمامها الهجن بأكوارها مجنوبة وللطبلخانات قطار واحد وهو
أربعة ومن ركوب الهجان والمال قطاران وربما زاد بعضهم وعدد الجنائب في كثرتها وقلتها الى رأى الامير وسعة
نفسه والجنائب منها ما هو مسرج ملجم ومنها ما هو بعباءة لا غير وكان يضاهي بعضهم بعضا في الملابس الفاخرة
والسروج المحلاة والعدد المليحة وكان من رسوم السلطان في خروجه الى سرياقوس وغيرها من الاسفار أن
لا يتكلف اظهار كل شعار السلطنة بل يكون الشعار في موكبه السائر فيه جمهور مماليكه مع المقدم عليهم
واستاداره وأمامهم الخزائن والجنائب والهجن وأما هو نفسه فانه يركب ومعه عدة كبيرة من الامراء
الكبار والصغار من الغرباء والخواص وجملة من خواص مماليكه ولا يركب في السير برقبة ولا بعصائب بل يتبعه
جنائب خلفه ويقصد في الغالب تأخير النزول الى الليل فاذا جاء الليل حملت قدامه فوانيس كثيرة ومشاعل فاذا
قارب مخيمه تلقى بشموع موكبية في شمعدانات كفت وصاحت الجاويشية بين يديه ونزل الناس كافة الا حملة
السلاح فانهم وراءه والوشاقية أيضا وراءه وتمشي الطبردارية حوله حتى اذا وصل القصور بسرياقوس أو الدهليز
من المخيم نزل عن فرسه ودخل الى الشقة وهي خيمة مستديرة متسعة ثم منها الى شقة مختصرة ثم منها الى اللاجوق
وبدائر كل خيمة من جميع جوانبها من داخل سور خركاه وفي صدر اللاجوق قصر صغير من خشب برسم
المبيت فيه وينصب بازاء الشقة الحمام بقدور الرصاص والحوض على هيئة الحمام المبني في المدن الا أنه مختصر
فاذا نام السلطان طافت به المماليك دائرة بعد دائرة وطاف بالجميع الحرس وتدور الزفة حول الدهليز في كل
ليلة وتدور بسرياقوس حول القصر في كل ليلة مرتين الاولى منذ يأوى الى النوم والثانية عند قعوده من
النوم وكل زفة يدور بها أمير جاندار وهو من أكابر الامراء وحوله الفوانيس والمشاعل والطبول والبياتة وينام
على باب الدهليز النقباء وأرباب النوب من الندماء ويصحب السلطان في السفر غالب ما تدعو الحاجة اليه حتى
يكاد يكون معه مارستان لكثرة من معه من الاطباء وأرباب الكحل والجراح والاشربة والعقاقير وما يجرى
مجرى ذلك وكل من عاده طبيب ووصف له ما يناسبه يصرف له من الشراب خاناه أو الدواء خاناه المحمولين
في الصحبة والله اعلم *(الميدان الناصري) هذا الميدان من جملة أراضي بستان الخشاب فيما بين مدينة
مصر والقاهرة وكان موضعه قديما غامرا بماء النيل ثم عرف ببستان الخشاب فلما كانت سنة أربع عشرة
وسبعمائة هدم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون الميدان الظاهري وغرس فيه اشجارا كما تقدم وأنشأ
هذا الميدان من أراضي بستان الخشاب فانه كان حينئذ مطلا على النيل وتجهز في سنة ثمان عشرة وسبعمائة
للركوب اليه وفرق الخيول على جميع الامراء واستجد ركوب الاوجاقية بكوافي الزركش على صفة الطاسات
فوق رؤسهم وسماهم الجفتاوات فيركب منهم اثنان بثوبي حرير أطلس أصفر وعلى رأس كل منهما كوفية
الذهب وتحت كل واحد فرس أبيض بحلية ذهب ويسيران معا بين يدى السلطان في ركوبه من قلعة الجبل الى
الميدان وفي عودته منه الى القلعة وكان السلطان اذا ركب الى هذا الميدان للعب الاكرة يفرق حوائص ذهب
على الامراء المقدمين وركوبه الى هذا الميدان دائما يوم السبت في قوة الحر بعد وفاء النيل مدة شهرين من السنة
فيفرق في كل ميدان على اثنين بالنوبة فهم من تجيء نوبته بعد ثلاث سنين أو أربع سنين وكان من مصطلح الملوك

أن تكون تفرقة السلطان الخيول على الامراء فى وقتين أحدهما عندما يخرج الى مرابط خيله فى الربيع عند اكتمال تربيعها وفى هذا الوقت يعطى امراء المئين الخيول مسرجة ملجمة بكنابيش مذهبة ويعطى أمراء الطبلخانات خيلا عريا * والوقت الثانى يعطى الجميع خيولا مسرجة ملجمة بلا كنابيش بفضة خفيفة وليس لامراء العشروات حظ فى ذلك الا ما يتفقدهم به على سبيل الانعام وللخاصكية السلطان المقربين من أمراء المئين وأمراء الطبلخانات زيادة كثيرة من ذلك بحيث يصل الى بعضهم المائة فرس فى السنة وكان من شعار السلطان أن يركب الى الميدان وفى عنق الفرس رقبة حرير أطلس اصفر بزركش ذهب فتستر من تحت أذنى الفرس الى حيث السرج ويكون قدامه اثنان من الاوشاقية راكبين على حصانين اشهبين برقبتين نظير ما هو راكب به كأنهما معدان لان يركبهما وعلى الاوشاقيين المذكورين قباآن اصفران من حرير بطراز من زركش بالذهب وعلى رأسيهما قبعان مزركشان وغاشية السرج محمولة أمام السلطان وهى أديم مزركش مذهب يحملها بعض الركابدارية قدامه وهو ماش فى وسط الموكب ويكون قدامه فارس يشبب بشبابة لا يقصد بنغمها الاطراب بل ما يقرع بالمهابة سامعه ومن خلف السلطان الجنائب وعلى رأسه العصائب السلطانية وهى صفر مطرزة بذهب بألقابه واسمه وهذا لا يختص بالركوب الى الميدان بل يعمل هذا الشعار أيضا اذا ركب يوم العيد أو دخل الى القاهرة أو الى مدينة من مدن الشام ويزداد هذا الشعار فى يوم العيدين ودخول المدينة برفع المظلة على رأسه ويقال لها الجتر وهو أطلس اصفر مزركش من أعلاه قبة وطائر من فضة مذهبة يحملها يومئذ بعض أمراء المئين الاكابر وهو راكب فرسه الى جانب السلطان ويكون أرباب الوظائف والسلاحدارية كلهم خلف السلطان ويكون حوله وأمامه الطبردارية وهم طائفة من الاكراد ذوى الاقطاعات والامرة ويكونون مشاة وبأيديهم الاطبار المشهورة

* (ذكر قلعة الجبل) *

قال ابن سيده فى كتاب المحكم القلعة بتحريك القاف واللام والعين وفتحها الحصن الممتنع فى جبل وجمعها قلاع وقلع وأقلعوا بهذه البلاد بنوها فجعلوها كالقلعة وقيل القلعة بسكون اللام حصن مشرف وجمعه قلوع وهذه القلعة على قطعة من الجبل وهى تتصل بجبل المقطم وتشرف على القاهرة ومصر والنيل والقرافة فتصير القاهرة فى الجهة البحرية منها ومدينة مصر والقرافة الكبرى وبركة الحبش فى الجهة القبلية الغربية والنيل الاعظم فى غربيها وجبل المقطم من ورائها فى الجهة الشرقية وكان موضعها أولا يعرف بقبة الهواء ثم صار ما تحته ميدان أحمد بن طولون ثم صار موضعها مقبرة فيها عدة مساجد الى أن أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أول الملوك بديار مصر على يد الطواشى بهاء الدين قراقوش الاسدى فى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وصارت من بعده دار الملك بديار مصر الى يومنا هذا وهى ثامن موضع صار دار المملكة بديار مصر وذلك أن دار الملك كانت أولا قبل الطوفان مدينة أمسوس ثم صار تخت الملك بعد الطوفان بمدينة منف الى أن خربها بختنصر ثم لما ملك الاسكندر بن فيلبش سار الى مصر وجدد بناء الاسكندرية فصارت دار المملكة من حينئذ بعد مدينة منف الاسكندرية الى أن جاء الله تعالى بالاسلام وقدم عمرو بن العاص رضى الله عنه بجيوش المسلمين الى مصر وفتح الحصن واختط مدينة فسطاط مصر فصارت دار الامارة من حينئذ بالفسطاط الى أن زالت دولة بنى أمية وقدمت عساكر بنى العباس الى مصر وبنوا فى ظاهر الفسطاط العسكر فصار الامراء من حينئذ تارة ينزلون فى العسكر وتارة فى الفسطاط الى أن بنى أحمد بن طولون القصر والميدان وأنشأ القطائع بجانب العسكر فصارت القطائع منازل الطولونية الى أن زالت دولتهم فسكن الامراء بعد زوال دولة بنى طولون بالعسكر الى أن قدم جوهر القائد من بلاد المغرب بعساكر المعز لدين الله وبنى القاهرة المعزية فصارت القاهرة من حينئذ دار الخلافة ومقر الامامة ومنزل الملك الى أن انقضت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فلما استبد بعدهم بأمر سلطنة مصر بنى قلعة الجبل هذه ومات فسكنها من بعده الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب واقتدى به من ملك مصر من بعده من أولاده الى أن انقرضوا على يد مماليكهم البحرية وملكوا مصر من بعدهم فاستقروا بقلعة الجبل الى يومنا هذا وسأجمع ان شاء الله تعالى من أخبار قلعة الجبل هذه وذكر من ملكها ما فيه كفاية والله اعلم

(ذكر ما كان عليه موضع قلعة الجبل قبل بنائها)

اعلم أن أول ما عرف من خبر موضع قلعة الجبل انه كان فيه قبة تعرف بقبة الهواء قال أبو عمرو الكندى فى كتاب أمراء مصر وابتنى حاتم بن هرثمة القبة التى تعرف بقبة الهواء وهو أول من ابتناها وولى مصر الى أن صرف عنها فى جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين ومائة قال ثم مات عيسى بن منصور أمير مصر فى قبة الهواء بعد عزله لاحدى عشرة خلت من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ولما قدم أمير المؤمنين المأمون الى مصر فى سنة سبع عشرة ومائتين جلس بقبة الهواء هذه وكان بحضرته سعيد بن عفير فقال المأمون لعن الله فرعون حيث يقول أليس لى ملك مصر فلو رأى العراق وخصبها فقال سعيد بن عفير يا أمير المؤمنين لا تقل هذا فان الله عز وجل قال ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون فما ظنك يا أمير المؤمنين بشئ دمره الله هذا بقيته ثم قال سعيد لقد بلغنا أن أرضا لم تكن اعظم من مصر وجميع أهل الارض يحتاجون اليها وكانت الانهار بقناطر وجسور بتقدير حتى ان الماء يجرى تحت منازلهم وأفنيتهم يرسلونه متى شاؤا ويحبسونه متى شاؤا وكانت البساتين متصلة لا تنقطع ولقد كانت الامة تضع المكتل على رأسها فيمتلئ مما يسقط من الشجر وكانت المرأة تخرج حاسرة لا تحتاج الى خمار لكثرة الشجر وفى قبة الهواء حبس المأمون الحارث بن مسكين * قال الكندى فى كتاب الموالى قدم المأمون مصر وكان بها رجل يقال له الحضرمى يتظلم من ابن أسباط وابن تميم فجلس الفضل بن مروان فى المسجد الجامع وحضر مجلسه يحيى بن أكثم وابن أبى داود وحضر اسحاق بن اسماعيل بن حماد بن زيد وكان على مظالم مصر وحضر جماعة من فقهاء مصر وأصحاب الحديث وأحضر الحارث ابن مسكين ليولى قضاء مصر فدعاه الفضل بن مروان فبينا هو يكلمه اذ قال الحضرمى للفضل سل اصلحك الله الحارث عن ابن أسباط وابن تميم قال ليس لهذا أحضرناه قال اصلحك الله سله فقال الفضل للحارث ما تقول فى هذين الرجلين فقال ظالمين غاشمين قال ليس لهذا أحضرناك فاضطرب المسجد وكان الناس متوافرين فقام الفضل وصار الى المأمون بالخبر وقال خفت على نفسى من ثوران الناس مع الحارث فأرسل المأمون الى الحارث فدعاه فابتدأه بالمسألة فقال ما تقول فى هذين الرجلين فقال ظالمين غاشمين قال هل ظلماك بشئ قال لا قال فعاملتهما قال لا قال فكيف شهدت عليهما قال كما شهدت أنك امير المؤمنين ولم أرك قط الا الساعة وكما شهدت أنك غزوت ولم أحضر غزوك قال اخرج من هذه البلاد فليست لك ببلاد وبع قليلك وكثيرك فانك لا تعاينها ابدا وحبسه فى رأس الجبل فى قبة ابن هرثمة ثم انحدر المأمون الى البشرود وأحضره معه فلما فتح البشرود أحضر الحارث فلما دخل عليه سأله عن المسألة التى سأله عنها بمصر فرد عليه الجواب بعينه فقال فأى شئ تقول فى خروجنا هذا قال أخبرنى عبد الرحمن بن القاسم عن مالك أن الرشيد كتب اليه فى أهل دهلك يسأله عن قتالهم فقال ان كانوا خرجوا عن ظلم من السلطان فلا يحل قتالهم وان كانوا انما شقوا العصا فقتالهم حلال فقال المأمون انت تيس ومالك أتيس منك ارحل عن مصر قال يا أمير المؤمنين الى الثغور قال الحق بمدينة السلام فقال له أبو صالح الحرانى يا أمير المؤمنين تغفر زلته قال يا شيخ تشفعت فارتفع ولما بنى احمد بن طولون القصر والميدان تحت قبة الهواء هذه كان كثيرا ما يقيم فيها فانها كانت تشرف على قصره واعتنى بها الامير أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون وجعل لها الستور الجليلة والفرش العظيمة فى كل فصل ما يناسبه فلما زالت دولة بنى طولون وخرب القصر والميدان كانت قبة الهواء مما خرب كما تقدم ذكره عند ذكر القطائع من هذا الكتاب ثم عمل موضع قبة الهواء مقبرة وبنى فيها عدة مساجد * قال الشريف محمد بن اسعد الجوانى النسابة فى كتاب النقط فى الخطط والمساجد المبنية على الجبل المتصلة بالجاميم المطلة على القاهرة المعزية التى فيها المسجد المعروف بسعد الدولة والترب التى هناك تحتوى القلعة التى بناها السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب على الجميع وهى التى نعتها بالقاهرة وبنيت هذه القلعة فى مدة يسيرة وهذه المساجد هى مسجد سعد الدولة ومسجد معز الدولة والى مصر ومسجد مقدم بن عليان من بنى بويه الديلمى ومسجد العدة بناه أحد الاستاذين الكبار المستنصرية وهو عدة الدولة وكان بعد مسجد معز الدولة ومسجد عبد الجبار بن عبد الرحمن ابن شبل بن على رئيس الرؤساء وكافى الكفاة أبى يعقوب بن يوسف الوزير بهمدان ابن على بناه وانتقل بالارث الى ابن عمه القاضى الفقيه أبى الحجاج يوسف بن عبد الجبار بن شبل وكان من اعيان السادة ومسجد

قسطة وكان غلاما أرمنيا من غلمان المظفر بن امير الجيوش مات مسموما من اكلة هريسة * وقال الحافظ أبو الطاهر السلفى سمعت أبا منصور قسطة الارمنى والى الاسكندرية يقول كان عبد الرحمن خطيب ثغر عسقلان يخطب بظاهر البلد فى عيد من الاعياد فقيل له قد قرب منا العدو فنزل عن المنبر وقطع الخطبة فبلغه أن قوما من العسكرية عابوا عليه فعله فخطب فى الجمعة الاخرى داخل البلد فى الجامع خطبة بليغة قال فيها قد زعم قوم أن الخطيب فزع وعن المنبر نزع وليس ذلك عارا على الخطيب فانما ترسه الطيلسان وحسامه اللسان وفرسه خشب لا تجرى مع الفرسان وانما العار على من تقلد الحسام وسن السنان وركب الجياد الحسان وعند اللقاء يصيح الى عسقلان وكان قسطة هذا من عقلاء الامراء المائلين الى العدل المثابرين على مطالعة الكتب واكثر ميله الى التواريخ وسير المتقدمين وكان مسجده بعد مسجد شقيق الملك ومسجد الديلمى كان على قرنة الجبل المقابل للقلعة من شرقيها الى البحرى وقبره قدام الباب وتربة ولخشى الامير والد السلطان رضوان بن ولخشى المنعوت بالافضل كان من الاعيان الفضلاء الادباء ضرب على طريقة ابن البواب وأبى على بن مقلة وكتب عدة ختمات وكان كريما شجاعا يلقب فحل الامراء وكانت هذه التربة آخر الصف ومسجد شقيق الملك الاستاذ خسروان صاحب بيت المال أضيف الى سور القلعة البحرى الى المغرب قليلا ومسجد أمين الملك صارم الدولة مفلح صاحب المجلس الحافظى كان بعد مسجد القاضى أبى الحجاج المعروف بمسجد عبد الجبار وهو فى وسط القلعة وبعده تربة لاون أخى يانس ومسجد القاضى النبيه كان لهمام الدولة غنام ومات رسولا ببلاد الشام وشراه منه وانشأه القاضى النبيه وقبره به وكان القاضى من الاعيان * وقال ابن عبد الظاهر أخبرنى والدى قال كنا نطلع اليها يعنى الى المساجد التى كانت موضع قلعة الجبل قبل أن تسكن فى ليالى الجمع نبيت متفرجين كما نبيت فى جواسق الجبل والقرافة * قال مؤلفه رحمه الله وبالقلعة الآن مسجد الردينى وهو أبو الحسن على بن مرزوق بن عبد الله الردينى الفقيه المحدث المفسر كان معاصرا لابى عمرو عثمان بن مرزوق الحوفى وكان ينكر على اصحابه وكانت كلمته مقبولة عند الملوك وكان يأوى بمسجد سعد الدولة ثم تحول منه الى مسجد عرف بالردينى وهو الموجود الآن بداخل قلعة الجبل وعليه وقف بالاسكندرية وفى هذا المسجد قبر يزعمون أنه قبره وفى كتب المزارات بالقرافة أنه توفى ودفن بها فى سنة أربعين وخمسمائة بخط سارية شرقى تربة الكيروانى واشتهر قبره باجابة الدعاء عنده

(ذكر بناء قلعة الجبل)

وكان سبب بنائها أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لما أزال الدولة الفاطمية من مصر واستبد بالامر لم يتحول من دار الوزارة بالقاهرة ولم يزل يخاف على نفسه من شيعة الخلفاء الفاطميين بمصر ومن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى سلطان الشام رحمة الله عليه فامتنع أولا من نور الدين بأن سير أخاه الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب فى سنة تسع وستين وخمسمائة الى بلاد اليمن لتصير له مملكة تعصمه من نور الدين فاستولى شمس الدولة على ممالك اليمن وكفى الله تعالى صلاح الدين أمر نور الدين ومات فى تلك السنة فخلا له الجو وامن جانبه وأحب أن يجعل لنفسه معقلا بمصر فانه كان قد قسم القصرين بين أمرائه وأنزلهم فيهما فيقال إن السبب الذى دعاه الى اختيار مكان قلعة الجبل أنه علق اللحم بالقاهرة فتغير بعد يوم وليلة فعلق لحم حيوان آخر فى موضع القلعة فلم يتغير الا بعد يومين وليلتين فأمر حينئذ بانشاء قلعة هناك وأقام على عمارتها الامير بهاء الدين قراقوش الاسدى فشرع فى بنائها وبنى سور القاهرة الذى زاده فى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وهدم ما هنالك من المساجد وأزال القبور وهدم الاهرام الصغار التى كانت بالجيزة تجاه مصر وكانت كثيرة العدد ونقل ما وجد بها من الحجارة وبنى به السور والقلعة وقناطر الجيزة وقصد أن يجعل السور يحيط بالقاهرة والقلعة ومصر فمات السلطان قبل ان يتم الغرض من السور والقلعة فاهمل العمل الى أن كانت سلطنة الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى قلعة الجبل واستنابته فى مملكة مصر وجعله ولى عهد فأتم بناء القلعة وأنشأ بها الآدر السلطانية وذلك فى سنة أربع وستمائة ومابرح يسكنها حتى مات فاستمرت من بعده دار مملكة مصر الى يومنا هذا وقد كان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب يقيم بها اياما وسكنها الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين فى أيام أبيه مدة ثم انتقل منها الى دار الوزارة * قال ابن عبد الظاهر وسمعت حكاية تحكى

عن صلاح الدين أنه طلعها ومعه أخوه الملك العادل فلما رآها التفت الى أخيه وقال ياسيف الدين قد بنيت هذه القلعة لاولادك فقال ياخوند منّ الله عليك انت وأولادك وأولاد أولادك بالدنيا فقال مافهمت ماقلت لك أنا نجيب ما يأتى لى اولاد نجباء وانت غير نجيب فأولادك يكونون نجباء فسكت (قال مؤلفه رحمه الله) وهذا الذى ذكره صلاح الدين يوسف من انتقال الملك عنه الى أخيه وأولاد أخيه ليس هو خاصا به ولته بل اعتبر ذلك فى الدول تجد الامر ينتقل عن أولاد القائم بالدولة الى بعض اقاربه هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القائم بالملة الاسلامية ولما توفى صلى الله عليه وسلم انتقل امر القيام بالملة الاسلامية بعده الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه واسمه عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لوى فهو رضى الله عنه يجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مرة بن كعب ثم لما انتقل الامر بعد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم الى بنى أمية كان القائم بالدولة الاموية معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية فلم تفلح اولاده وصارت الخلافة الى مروان ابن الحكم بن العاص بن أمية فتوارثها بنو مروان حتى انقضت دولتهم بقيام بنى العباس رضى الله عنه فكان أوّل من قام من بنى العباس عبد الله بن محمد السفاح ولما مات انتقلت الخلافة من بعده الى أخيه أبى جعفر عبد الله بن محمد المنصور واستقرت فى بنيه الى أن انقرضت الدولة العباسية من بغداد وكذا وقع فى دول العجم أيضا فأول ملوك بنى بويه عماد الدين أبو على الحسن بن بويه والقائم من بعده فى السلطنة اخوه حسن بن بويه وأول ملوك بنى سلجوق طغريل والقائم من بعده فى السلطنة ابن أخيه البارسلان بن داود بن ميكال بن سلجوق وأوّل قائم بدولة بنى أيوب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولما مات اختلف أولاده فانتقل ملك مصر والشام وديار بكر والحجاز واليمن الى أخيه الملك العادل أبى بكر بن أيوب واستمر فيهم الى أن انقرضت الدولة الايوبية فقام بمملكة مصر المماليك الاتراك وأوّل من قام منهم بمصر الملك المعز أيبك فلما مات لم يفلح ابنه على فصارت المملكة الى قطز وأوّل من قام بالدولة الجركسية الملك الظاهر برقوق وانتقلت المملكة من بعد ابنه الملك الناصر فرج الى الملك المؤيد شيخ المحمودى الظاهرى وقد جمعت فى هذا فصلا كبيرا وقلما تجد الامر بخلاف ماقلته لك ولله عاقبة الامور * قال ابن عبد الظاهر والملك الكامل هو الذى اهتم بعمارتها وعمارة أبراجها البرج الاحمر وغيره فكملت فى سنة أربع وستمائة وتحوّل اليها من دار الوزارة ونقل اليها أولاد العاضد وأقاربه وسجنهم فى بيت فيها فلم يزالوا فيه الى أن حوّلوا منه فى سنة احدى وسبعين وستمائة * قال وفى آخر سنة اثنين وثمانين وستمائة شرع السلطان الملك المنصور قلاون فى عمارة برج عظيم على جانب باب السر الكبير وبنى علوه مشترفات وقاعات مرخمة لم ير مثلها وسكنها فى صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة ويقال ان قراقوش كان يستعمل فى بناء القلعة والسور خمسين ألف أسير * (البئر التى بالقلعة) * هذه البئر من العجائب استنبطها قراقوش قال ابن عبد الظاهر وهذه البئر من عجائب الابنية تدور البقر من أعلاها فتنقل الماء من نقالة فى وسطها وتدور أبقار فى وسطها تنقل الماء من أسفلها ولها طريق الى الماء ينزل البقر الى معينها فى مجاز وجميع ذلك حجر منحوت ليس فيه بناء وقيل ان ارضها مسامتة أرض بركة الفيل وماؤها عذب سمعت من يحكى من المشايخ أنها لما نقرت جاء ماؤها حلوا فأراد قراقوش أو نوابه الزيادة فى مائها فوسع نقر الجبل فخرجت منه عين مالحة غيرت حلاوتها وذكر القاضى ناصر الدين شافع بن على فى كتاب عجائب البنيان أنه ينزل الى هذه البئر بدرج نحو ثلثمائة درجة

* (ذكر صفة القلعة) *

وصفة قلعة الجبل أنها بناء على نشز عال يدور بها سور من حجر بأبراج وبدنات حتى تنتهى الى القصر الابلق ثم من هنالك تتصل بالدور السلطانية على غير أوضاع ابراج القلاع ويدخل الى القلعة من بابين أحدهما بابها الاعظم المواجه للقاهرة ويقال له الباب المدرج وبداخله مجلس والى القلعة ومن خارجه تدق الطبلخاناة قبل المغرب والباب الثانى باب القرافة وبين البابين ساحة فسيحة فى جانبها بيوت وبجانبها القبلى سوق للمأكل ويتوصل من هذه الساحة الى دركاه جليلة كان يجلس بها الامراء حتى يؤذن لهم بالدخول وفى وسط الدركاه باب القلعة ويدخل منه فى دهليز فسيح الى ديار وبيوت والى الجامع الذى تقام به الجمعة ويمشى من دهليز باب القلعة فى مداخل أبواب الى رحبة فسيحة فى صدرها الايوان الكبير المعد لجلوس السلطان فى يوم المواكب واقامة دار

العدل

العدل وبجانب هذه الرحبة ديار جليلة ويمر منها الى باب القصر الابلق وبين يدى باب القصر رحبة دون الاولى يجلس بها خواص الامراء قبل دخولهم الى الخدمة الدائمة بالقصر وكان بجانب هذه الرحبة محاذيا لباب القصر خزانة القصر ويدخل من باب القصر فى دهاليز فسيحة الى قصر عظيم ويتوصل منه الى الايوان الكبير بباب خاص ويدخل منه أيضا الى قصور ثلاثة ثم الى دور الحرم السلطانية والى البستان والحمام والحوش وباقى القلعة فيه دور ومساكن للمماليك السلطانية وخواص الامراء بنسائهم وأولادهم ومماليكهم ودواوينهم وطشتخاناتهم وفرشخاناتهم وشربخاناتهم ومطابخهم وسائر وظائفهم وكانت أكابر امراء الالوف وأعيان امراء الطبلخاناه والعشراوات تسكن بالقلعة الى آخر ايام الناصر محمد بن قلاون وكان بها أيضا طباق المماليك السلطانية ودار الوزارة وتعرف بقاعة الصاحب وبها قاعة الانشاء وديوان الجيش وبيت المال وخزانة الخاص وبها الدور السلطانية من الطشتخاناه والركابخاناه والحوائجخاناه والزردخاناه وكان بها الجب الشنيع لسجن الامراء وبها دار النيابة وبها عدة أبراج يحبس بها الامراء والمماليك وبها المساجد والحوانيت والاسواق وبها مساكن تعرف بخرائب التتر كانت قدر حارة خربها الملك الاشرف برسباى فى ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وثمانمائة ومن حقوق القلعة الاصطبل السلطانى وكان ينزل اليه السلطان من جانب ايوان القصر ومن حقوقها أيضا الميدان وهو فاصل بين الاصطبلات وسوق الخيل من غربيه وهو فسيح المدى وفيه يصلى السلطان صلاة العيدين وفيه يلعب بالاكرة مع خواصه وفيه تعمل المدات أوقات المهمات أحيانا ومن رأى القصور والايوان الكبير والميدان الاخضر والجامع يقرّ لملوك مصر بعلو الهمم وسعة الانفاق والكرم * (باب الدرفيل) هذا الباب بجانب خندق القلعة ويعرف أيضا بباب المدرج وكان يعرف قديما بباب سارية ويتوصل اليه من تحت دار الضيافة وينتهى منه الى القرافة وهو فيما بين سور القلعة والجبل * والدرفيل هو الامير حسام الدين لاجين الايدمرى المعروف بالدرفيل دوادار الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى مات فى سنة اثنتين وسبعين وستمائة * (دار العدل القديمة) هذه الدار موضعها الآن تحت القلعة يعرف بالطبلخاناه والذى بنى دار العدل الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى فى سنة احدى وستين وستمائة وصار يجلس بها لعرض العساكر فى كل اثنين وخميس وابتدأ بالحضور فى أول سنة اثنتين وستين وستمائة فوقف اليه ناصر الدين محمد بن أبى نصر وشكا انه أخذله بستان فى ايام المعز ايبك وهو بأيدى المقطعين وأخرج كتابا مثبتا وأخرج من ديوان الجيش مايشهد بأن البستان ليس من حقوق الديوان فأمر برده عليه فتسلمه واحضرت مرافعة فى ورقة مختومة رفعها خادم أسود فى مولاه القاضى شمس الدين شيخ الحنابلة تضمنت انه يبغض السلطان ويتمنى زوال دولته فانه لم يجعل للحنابلة مدرسا فى المدرسة التى أنشأها بخط بين القصرين ولم يول قاضيا حنبليا وذكر عنه امورا قادحة فبعث السلطان الورقة الى الشيخ فحضر اليه وحلف انه ماجرى منه شئ وأن هذا الخادم طردته فاختلق على ماقال فقبل السلطان عذره وقال ولو شتمتنى أنت فى حل وأمر بضرب الخادم مائة عصا وغلت الاسعار بمصر حتى بلغ اردب القمح نحو مائة درهم وعدم الخبز فنادى السلطان فى الفقراء أن يجتمعوا تحت القلعة ونزل فى يوم الخميس سابع ربيع الآخر منها وجلس بدار العدل هذه ونظر فى امر السعر وأبطل التسعير وكتب مرسوما الى الامراء ببيع خمسمائة اردب فى كل يوم مابين مائتين الى مادونهما حتى لايشترى الخزان شيأ وأن يكون البيع للضعفاء والارامل فقط دون من عداهم وأمر الحجاب فنزلوا تحت القلعة وكتبوا اسماء الفقراء الذين تجمعوا بالرميلة وبعث الى كل جهة من جهات القاهرة ومصر وضواحيهما حاجبا لكتابة أسماء الفقراء وقال والله لو كان عندى غلة تكفى هؤلاء لفرقتها ولما انتهى احضار الفقراء أخذ منهم لنفسه ألوفا وجعل باسم ابنه الملك السعيد ألوفا وأمر ديوان الجيش فوزع باقيهم على كل امير من الفقراء بعدة رجاله ثم فرق مابقى على الاجناد ومفاردة الحلقة والمقدمين والبحرية وجعل طائفة التركمان ناحية وطائفة الاكراد ناحية وقرر لكل واحد من الفقراء كفايته لمدة ثلاثة اشهر فلما تسلم الامراء والاجناد ماخصهم من الفقراء فرق من بقى منهم على الاكابر والتجار والشهود وعين لارباب الزوايا مائة اردب قمح فى كل يوم تخرج من الشون السلطانية الى جامع أحمد بن طولون وتفرق على من هناك ثم قال هؤلاء المساكين الذين جمعناهم اليوم ومضى النهار لابد لهم من شئ وامر ففرق فى كل منهم نصف درهم ليتقوت به فى يومه ويستمر له من الغد ماتقرر فأنفق فيهم

جملة مال وأعطى للصاحب بهاء الدين على بن محمد بن حنا طائفة كبيرة من العميان وأخذ الاتابك سيف الدين اقطاى طائفة التركمان ولم يبق أحد من الخواص والامراء الحواشى ولا من الحجاب والولاة وارباب المناصب وذوى المراتب واصحاب الاموال حتى أخذ جماعة من الفقراء على قدر حاله وقال السلطان للامير صارم الدين المسعودى والى القاهرة خذ مائة فقير وأطعمهم لله تعالى فقال نعم قد أخذتهم دائما فقال له السلطان هذا شئ فعلته ابتداء من نفسك وهذه المائة خذها لاجلى فقال للسلطان السمع والطاعة وأخذ مائة فقير زيادة على المائة التى عينت له وانقضى النهار فى هذا العمل وشرع الناس فى فتح الشون والمخازن وتفرقة الصدقات على الفقراء فنزل سعر القمح ونقص الاردب عشرين درهما وقل وجود الفقراء الى أن جاء شهر رمضان وجاء المغل الجديد فأول يوم من بيع الجديد نقص سعر اردب القمح أربعين درهما ورقا وفى اليوم الذى جلس فيه السلطان بدار العدل للنظر فى امور الاسعار قرئت عليه قصة ضمان دار الضرب وفيها انه قد توقفت الدراهم وسألوا ابطال الناصرية فان ضمانهم بمبلغ مائتى ألف وخمسين ألف درهم فوقع عليها يحط عنهم منها مبلغ خمسين ألف درهم وقال حط هذا ولا نؤذى الناس فى اموالهم * وفى مستهل شهر رجب منها جلس أيضا بدار العدل فوقف له بعض الاجناد بصغير يتيم ذكر أنه وصيه وشكا من قضيته فقال السلطان لقاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز ان الاجناد اذا مات أحدهم استولى خجداشه على موجوده فيموت الوصى ويكبر اليتيم فلا يجد له مالا وتقدم اليه أن لا يمكن وصيا من الانفراد بتركة ميت ولكن يكون نظر القاضى شاملا له وتصير اموال الايتام مضبوطة بامناء الحكم ثم انه استدعى نقباء العساكر وأمرهم بذلك فاستمر الحال فيه على ما ذكر * وفى خامس عشرى شعبان سنة ثلاث وستين وستمائة جلس بدار العدل واستدعى تاج الدين ابن القرطبى وقال له قد أضجرتنى مما تقول عندى مصالح لبيت المال فتحدث الآن بما عندك فتكلم فى حق قاضى القضاة تاج الدين وفى حق متولى جزيرة سواكن وفى حق الامراء وانهم اذا مات منهم أحد أخذ ورثته اكثر من استحقاقهم فأنكر عليه وامر بحبسه وتحدث السلطان فى امر الاجناد وانه اذا مات احدهم فى مواطن الجهاد لا يصل اليه شاهد حتى يشهد عليه بوصيته وانه يشهد بعض اصحابه فاذا حضر الى القاهرة لا تقبل شهادته وكان الجندى فى ذلك الوقت لا تقبل شهادته فرأى السلطان أن كل امير يعين من جماعته عدة ممن يعرف خيره ودينه ليسمع قولهم وألزم مقدمى الاجناد بذلك فشرع قاضى القضاة فى اختيار رجال جياد من الاجناد وعينهم لقبول شهاداتهم ففرحت العساكر بذلك وجلس أيضا فى تاسع عشريه بدار العدل فوقف له شخص وشكا أن الاملاك الديوانية لا يمكن أحد من سكانها أن ينتقل منها فأنكر السلطان ذلك وامر أن من انقضت مدة اجارته وأراد الخلو فلا يمنع من ذلك وله فى ذلك عدة أخبار كلها صالحة رحمه الله تعالى ومابرحت دار العدل هذه باقية الى أن استجد السلطان الملك المنصور قلاون الايوان فهجرت دار العدل هذه الى أن كانت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة فهدمها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون وعمل موضعها الطبلخاناه فاستمرت طبلخاناه الى يومنا الا انه كان فى ايام عمارتها انما يجلس بها دائما فى ايام الجلوس نائب دار العدل ومعه القضاة وموقع دار العدل والامراء فينظر نائب دار العدل فى امور المتظلمين وتقرأ عليه القصص وكان الامر على ذلك فى ايام الظاهر بيبرس وأيام ابنه الملك السعيد بركة ثم أيام الملك المنصور قلاون * (الايوان) المعروف بدار العدل هذا الايوان أنشأه السلطان الملك المنصور قلاون الالفى الصالحى النجمى ثم جدده ابنه السلطان الملك الاشرف خليل واستمر جلوس نائب دار العدل به فلما عمل الملك الناصر محمد بن قلاون الروك أمر بهدم هذا الايوان فهدم وأعاد بناءه على ما هو عليه الآن وزاد فيه وأنشأ به قبة جليلة وأقام به عمدا عظيمة نقلها اليه من بلاد الصعيد ورخمه ونصب فى صدره سرير الملك وعمله من العاج والابنوس ورفع سمك هذا الايوان وعمل أمامه رحبة فسيحة مستطيلة وجعل بالايوان باب سر من داخل القصر وعمل باب الايوان مسبوكا من حديد بصناعة بديعة تمنع الداخل اليه وله منه باب يغلق فاذا أراد أن يجلس فتح حتى ينظر منه ومن تخاريم الحديد بقية العسكر الواقفين بساحة الايوان وقرر للجلوس فيه بنفسه يوم الاثنين ويوم الخميس فاستمر الامر على ذلك وكان أولا دون ما هو اليوم فوسع فى قبته وزاد فى ارتفاعه وجعل قدامه دركاه كبيرة فجاء من اعظم المبانى الملوكية وأول ما جلس فيه عند انتهاء عمل الروك بعد ما رسم لنقيب الجيش ان يستدعى سائر الاجناد فلما تكامل حضورهم

جلس

جلس وعين أن يحضر فى كل يوم مقدما ألوف بمضافيهما فكان المقدم يقف بمضافيه ويستدعى بمضافيه من تقدمته على قدر منازلهم فيتقدم الجندى الى السلطان فيسأله أنت ابن من ومملوك من ثم يعطيه مثالا واستمر على ذلك من مستهل المحرم سنة خمس عشرة وسبعمائة الى مستهل صفر منها وما برح بعد ذلك يواظب على الجلوس به فى يومى الاثنين والخميس وعنده أمراء الدولة والقضاة والوزير وكاتب السر وناظر الجيش وناظر الخاص وكتاب الدست وتقف الاجناد بين يديه على قدر أقدارهم فلما مات الملك الناصر اقتدى به فى ذلك أولاده من بعده واستمروا على الجلوس بالايوان الى أن استبد بمملكة مصر الملك الظاهر برقوق فالتزم ذلك أيضا الا انه صار يجلس فيه اذا طلعت الشمس جلوسا يسيرا يقرأ عليه فيه بعض قصص لا لمعنى سوى اقامة رسوم المملكة فقط وكان من قبله من ملوك بنى قلاون انما يجلسون بالايوان سحرا على الشمع وكان موضع جلوس السلطان فى الايوان للنظر فى المظالم فأعرض الملك الظاهر عن ذلك وجعل لنفسه يومين يجلس فيهما بالاصطبل السلطانى للحكم بين الناس كما سيأتى ذكره عن قريب ان شاء الله تعالى وصار الايوان فى ايام الظاهر برقوق وأيام ابنه الملك الناصر فرج وأيام الملك المؤيد شيخ انما هو شئ من بقايا الرسوم الملوكية لا غير

(ذكر النظر فى المظالم)

اعلم أن النظر فى المظالم عبارة عن قود المتظالمين الى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة وكان من شروط الناظر فى المظالم أن يكون جليل القدر نافذ الامر عظيم الهيبة ظاهر العفة قليل الطمع كثير الورع لانه يحتاج فى نظره الى سطوة الحماة وتثبت القضاة فيحتاج الى الجمع بين صفتى الفريقين وأن يكون بجلالة القدر نافذ الامر فى الجهتين وهى خطة حدثت لفساد الناس وهى كل حكم يعجز عنه القاضى فينظر فيه من هو أقوى منه يدا وأول من نظر فى المظالم من الخلفاء امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وأول من أفرد للظلامات يوما يتصفح فيه قصص المتظلمين من غير مباشرة النظر عبد الملك بن مروان فكان اذا وقف منها على مشكل واحتاج فيها الى حكم ينفذ رده الى قاضيه ابن ادريس الازدى فينفذ فيه أحكامه وكان ابن ادريس هو المباشر وعبد الملك الآمر ثم زاد الجور فكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله أول من ندب نفسه للنظر فى المظالم فردها ثم جلس لها خلفاء بنى العباس وأول من جلس منهم المهدى محمد ثم الهادى موسى ثم الرشيد هارون ثم المأمون عبد الله وآخر من جلس منهم المهتدى بالله محمد بن الواثق وأول من أعلم أنه جلس بمصر من الامراء للنظر فى المظالم الامير أبو العباس أحمد بن طولون فكان يجلس لذلك يومين فى الاسبوع فلما مات وقام من بعده ابنه أبو الجيش خمارويه جعل على المظالم بمصر محمد بن عبيدة بن حرب فى شعبان سنة ثلاث وسبعين ومائتين ثم جلس لذلك الاستاذ أبو المسك كافور الاخشيدى وابتدأ ذلك فى سنة أربعين وثلثمائة وهو يومئذ خليفة الامير أبى القاسم أونوجور بن الاخشيد فعقد مجلسا صار يجلس فيه كل يوم سبت ويحضر عنده الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات وسائر القضاة والفقهاء والشهود ووجوه البلد وما برح على ذلك مدة أيامه بمصر الى أن مات فلم ينتظم أمر مصر بعده الى أن قدم القائد أبو الحسين جوهر بجيوش المعز لدين الله أبى تميم معد فكان يجلس للنظر فى المظالم ويوقع على رقاع المتظلمين فمن توقيعاته بخطه على قصة رفعت اليه سوء الاجترام اوقع بكم طول الانتقام وكفر الانعام اخرجكم من حفظ الذمام فالواجب فيكم ترك الايجاب واللازم لكم ملازمة الاجتناب لانكم بدأتم فأسأتم وعدتم فتعديتم فابتدأؤكم ملوم وعودكم مذموم وليس بينهما فرجة تقتضى الا الذم لكم والاعراض عنكم ليرى امير المؤمنين رأيه فيكم ولما قدم المعز لدين الله الى مصر وصارت دار خلافة استقر النظر فى المظالم مدة يضاف الى قاضى القضاة وتارة ينفرد بالنظر فيه أحد عظماء الدولة فلما ضعف جانب المستنصر بالله أبى تميم معد بن الظاهر وكانت الشدة العظمى بمصر قدم امير الجيوش بدر الجمالى الى القاهرة وولى الوزارة فصار أمر الدولة كله راجعا اليه واقتدى به من بعده من الوزراء وكان الرسم فى ذلك أن الوزير صاحب السيف يجلس للمظالم بنفسه ويجلس قبالته قاضى القضاة وبجانبه شاهدان معتبران ويجلس بجانب الوزير الموقع بالقلم الدقيق ويليه صاحب ديوان المال ويقف بين يدى الوزير صاحب الباب واسفهسلار العساكر وبين أيديهما الحجاب والنواب على طبقاتهم ويكون هذا الجلوس يومين فى الاسبوع وآخر من تقلد المظالم فى الدولة الفاطمية رزيك بن الوزير الاجل الملك

الصالح طلائع بن رزيك فى وزارة ابيه وكتب له سجل عن الخليفة منه وقد قلدك امير المؤمنين النظر فى المظالم وانصاف المظلوم من الظالم وكانت الدولة اذا خلت من وزير صاحب سيف جلس للنظر فى المظالم صاحب الباب فى باب الذهب من القصر وبين يديه الحجاب والنقباء وينادى مناد بحضرته يا أرباب الظلامات فيحضرون اليه فمن كانت ظلامته مشافهة أرسلت الى الولاة او القضاة رسالة بكشفها ومن تظلم من أهل النواحى التى خارج القاهرة ومصر فانه يحضر قصة فيها شرح ظلامته فيتسلمها الحاجب منه حتى تجتمع القصص فيدفعها الى الموقع بالقلم الدقيق فيوقع عليها ثم تحمل بعد توقيعه عليها الى الموقع بالقلم الجليل فيبسط ما أشار اليه الموقع بالقلم الدقيق ثم تحمل التواقيع فى خريطة الى ما بين يدى الخليفة فيوقع عليها ثم تخرج فى خريطتها الى الحاجب فيقف على باب القصر ويسلم كل توقيع الى صاحبه * وأول من بنى دار العدل من الملوك السلطان الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكى رحمه الله تعالى عليه بدمشق عندما بلغه تعدى ظلم نواب أسد الدين شيركوه بن شادى الى الرعية وظلمهم الناس وكثرة شكواهم الى القاضى كمال الدين الشهرزورى وعجزه عن مقاومتهم فلما بنيت دار العدل أحضر شيركوه نوابه وقال ان نور الدين ما أمر ببناء هذه الدار الا بسببى والله لئن أحضرت الى دار العدل بسبب أحد منكم لاصلبنه فامضوا الى كل من كان بينكم وبينه منازعة فى ملك أو غيره فافصلوا الحال معه وأرضوه بكل طريق أمكن ولو أتى على جميع ما بيدى فقالوا ان الناس اذا علموا بذلك اشتطوا فى الطلب فقال لخروج أملاكى عن يدى أسهل على من أن يرانى نور الدين بعين أنى ظالم أو يساوى بينى وبين أحد من العامة فى الحكومة فخرج أصحابه وعملوا ما أمرهم به من ارضاء أخصامهم وأشهدوا عليهم فلما جلس نور الدين بدار العدل فى يومين من الاسبوع وحضر عنده القاضى والفقهاء أقام مدة لم يحضر أحد يشكو شيركوه فسأل عن ذلك فعرف بما جرى منه ومن نوابه فقال الحمد لله الذى جعل اصحابنا ينصفون من أنفسهم قبل حضورهم عندنا وجلس أيضا السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فى يومى الاثنين والخميس لاظهار العدل ولما تسلطن الملك المعز أيبك التركمانى أقام الامير علاء الدين ايدكين البندقدارى فى نيابة السلطنة بديار مصر فواظب الجلوس فى المدارس الصالحية بين القصرين ومعه نواب دار العدل لترتيب الامور وينظر فى المظالم فنادى باراقة الخمور وابطال ما عليها من المقرر وكان قد كثر الارجاف بمسير الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازى بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب الشام لاخذ مصر فلما انهزم الملك الناصر واستبد الملك المعز أيبك أحدث وزيره من المكوس شيأ كثيرا ثم ان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى بنى دار العدل وجلس بها للنظر فى المظالم كما تقدم فلما بنى الايوان الملك الناصر محمد بن قلاون واظب الجلوس يوم الاثنين والخميس فيه وصار يفصل فيه الحكومات فى الاحايين اذا أعيى من دونه فصلها فلما استبد الملك الظاهر برقوق بالسلطنة عقد لنفسه مجلسا بالاصطبل السلطانى من قلعة الجبل وجلس فيه يوم الاحد ثامن عشرى شهر رمضان سنة تسع وثمانين وسبعمائة وواظب ذلك فى يومى الاحد والاربعاء ونظر فى الجليل والحقير ثم حول ذلك الى يومى الثلاثاء والسبت وأضاف اليهما يوم الجمعة بعد العصر ومازال على ذلك حتى مات فلما ولى ابنه الملك الناصر فرج بعده واستبد بأمره جلس للنظر فى المظالم بالاصطبل اقتداء بأبيه وصار كاتب السر فتح الدين فتح الله يقرأ القصص عليه كما كان يقرؤها على أبيه فانتفع اناس وتضرر آخرون بذلك وكان الضرر أضعاف النفع ثم لما استبد الملك المؤيد شيخ بالمملكة جلس أيضا للنظر فى المظالم كما جلسا والامر على ذلك مستمر الى وقتنا هذا وهو سنة تسع عشرة وثمانمائة وقد عرف النظر فى المظالم منذ عهد الدولة التركية بديار مصر والشام بحكم السياسة وهو يرجع الى نائب السلطنة وحاجب الحجاب ووالى البلد ومتولى الحرب بالاعمال وسيرد ان شاء الله تعالى الكلام فى حكم السياسة عن قريب

(ذكر خدمة الايوان المعروف بدار العدل)

كانت العادة أن السلطان يجلس بهذا الايوان بكرة الاثنين والخميس طول السنة خلا شهر رمضان فانه لا يجلس فيه هذا المجلس وجلوسه هذا انما هو للمظالم وفيه تكون الخدمة العامة واستحضار رسل الملوك غالبا فاذا جلس للمظالم كان جلوسه على كرسى اذا قعد عليه يكاد تلحق الارض رجله وهو منصوب الى جانب المنبر الذى هو تخت الملك وسرير السلطنة وكانت العادة أولا أن يجلس قضاة القضاة من المذاهب الاربعة

عن يمينه

عن يمينه واكبرهم الشافعي وهو الذي يلي السلطان ثم الى جانب الشافعي الحنفي ثم المالكي ثم الحنبلي والى جانب الحنبلي الوكيل عن بيت المال ثم الناظر في الحسبة بالقاهرة ويجلس على يسار السلطان كاتب السر وقدامه ناظر الجيش وجماعة الموقعين المعروفين بكتاب الدست وموقعي الدست تكملة حلقة دائرة فان كان الوزير من أرباب الاقلام كان بين السلطان وكاتب السر وان كان الوزير من أرباب السيوف كان واقفا على بعد مع بقية أرباب الوظائف وان كان نائب السلطنة فانه يقف مع ارباب الوظائف ويقف من وراء السلطان صفان عن يمينه ويساره من السلاحدارية والجدارية والخاصكية ويجلس على بعد بقدر خمسة عشر ذراعا عن يمنته ويسرته ذوو السن والقدر من اكابر امراء المئين ويقال لهم أمراء المشورة ويليهم من أسفل منهم اكابر الامراء وأرباب الوظائف وهم وقوف وبقية الامراء وقوف من وراء امراء المشورة ويقف خلف هذه الحلقة المحيطة بالسلطان الحجاب والدوادارية لاعطاء قصص الناس واحضار الرسل وغيرهم من الشكاة وأصحاب الحوائج والضرورات فيقرأ كاتب السر وموقعو الدست القصص على السلطان فان احتاج الى مراجعة القضاة راجعهم فيما يتعلق بالامور الشرعية والقضايا الدينية وما كان متعلقا بالعسكر فان كانت القصص في امراء الاقطاعات قرأها ناظر الجيش فان احتاج الى مراجعة في امر العسكر تحدث مع الحاجب وكاتب الجيش فيه وما عدا ذلك يأمر فيه السلطان بما يراه وكانت العادة الناصرية أن تكون الخدمة في هذا الايوان على ما تقدم ذكره في بكرة يوم الاثنين وأما بكرة يوم الخميس فان الخدمة على مثل ذلك الا انه لا يتصدى السلطان فيه لسماع القصص ولا يحضره أحد من القضاة ولا الموقعين ولا كاتب الجيش الا ان عرضت حاجة الى طلب أحد منهم وهذا القعود عادته طول السنة ما عدا رمضان وقد تغير بعد الايام الناصرية هذا الترتيب فصارت قضاة القضاة تجلس عن يمنة السلطان ويسرته فيجلس الشافعي عن يمينه ويليه المالكي ويليه قاضي العسكر ثم محتسب القاهرة ثم مفتي دار العدل الشافعي ويجلس الحنفي عن يسرة السلطان ويليه الحنبلي وصارت القصص تقرأ والقضاة وناظر الجيش يحضرون في يوم الخميس أيضا وكانت العادة أيضا انه اذا ولي أحد المملكة من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاون فانه عند ولايته يحضر الامراء الى داره بالقلعة وتفاض عليه الخلعة الخليفية السوداء ومن تحتها فرجية خضراء وعمامة سوداء مدورة ويقلد بالسيف العربي المذهب ويركب فرس النوبة ويسير والامراء بين يديه والغاشية قدامه والجاويشية تصيح والشبابة السلطانية ينفخ بها والطبردارية حواليه الى أن يعبر من باب النحاس الى درج هذا الايوان فينزل عن الفرس ويصعد الى التخت فيجلس عليه ويقبل الامراء الارض بين يديه ثم يتقدمون اليه ويقبلون يده على قدر رتبهم ثم يقدموا الحلقة فاذا فرغوا حضر القضاة والخليفة فتفاض التشاريف على الخليفة ويجلس مع السلطان على التخت ويقلد السلطان المملكة بحضور القضاة والامراء ويشهد عليه بذلك ثم ينصرف ومعه القضاة فيمد السماط للامراء فاذا انقضى أكلهم قام السلطان ودخل المقصورة وانصرف الامراء * ومما قيل في هذا الايوان لما بناه السلطان الملك الناصر

شرفت ايوانا جلست بصدره * فشرحت بالاحسان منه صدورا
قد كاد يستعلي الفراقد رفعة * اذ حاز منك الناصر المنصورا
ملك الزمان ومن رعية ملكه * من عدله لا يظلمون نقيرا
لا زال منصور اللواء مؤيدا * أبد الزمان وضده مقهورا

وقيل أيضا

يا ملكا اطلع من وجهه * ايوانه لما بدا بدرا
انسيتنا بالعدل كسرى ولن * نرضى لنا جبرا به كسرا

(القصر الابلق) هذا القصر يشرف على الاصطبل أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون في شعبان سنة ثلاث عشرة وسبعمائة وانتهت عمارته في سنة أربع عشرة وانشأ بجواره جنينة ولما كمل عمل فيه سماطا حضره الامراء وأهل الدولة ثم أفيضت عليهم الخلع وحمل الى كل أمير من أمراء المئين ومقدمي الالوف ألف دينار ولكل من مقدمي الحلقة خمسمائة درهم ولكل من أمراء الطبلخاناه عشرة آلاف درهم فضة عنها خمسمائة دينار فبلغت

النفقة على هذا المهم خمسمائة ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم وكانت العادة أن يجلس السلطان بهذا القصر كل يوم للخدمة ما عدا يومى الاثنين والخميس فانه يجلس للخدمة بدار العدل كما تقدم ذكره وكان يخرج الى هذا القصر من القصور الجوانية فيجلس تارة على تخت الملك المنصوب بصدر ايوان هذا القصر المطل على الاصطبل وتارة يقعد دونه على الارض والامراء وقوف على ما تقدم خلا أمراء المشورة والقرباء من السلطان فانه ليس لهم عادة بحضور هذا المجلس ولا يحضر هذا المجلس من الامراء الكبار الا من دعت الحاجة الى حضوره ولا يزال السلطان جالسا الى الثالثة من النهار فيقوم ويدخل الى قصوره الجوانية ثم الى دار حريمه ونسائه ثم يخرج فى اخريات النهار الى قصوره الجوانية فينظر فى مصالح ملكه ويعبر اليه الى قصوره الجوانية خاصته من أرباب الوظائف فى الاشغال المتعلقة به على ما تدعو الحاجة اليه ويقال لها خدمة القصر وهذا القصر تجاه بابه رحبة يسلك اليها من الرحبة التى تجاه الايوان فيجلس بالرحبة التى على باب القصر خواص الامراء قبل دخولهم الى خدمة القصر ويمشى من باب القصر فى دهاليز مفروشة بالرخام قد فرش فوقه انواع البسط الى قصر عظيم البناء شاهق فى الهواء بايوانين أعظمهما الشمالى يطل منه على الاصطبلات السلطانية ويمتد النظر الى سوق الخيل والقاهرة وظواهرها الى نحو النيل وما يليه من بلاد الجيزة وقراها وفى الايوان الثانى القبلى باب خاص لخروج السلطان وخواصه منه الى الايوان الكبير أيام الموكب ويدخل من هذا القصر الى ثلاثة قصور جوانية منها واحد مسامت لارض هذا القصر واثنان يصعد اليهما بدرج فى جميعها شبابيك حديد تشرف على مثل منظرة القصر الكبير وفى هذه القصور كلها مجارى الماء مرفوعا من النيل بدواليب تديرها الابقار من مقره الى موضع ثم الى آخر حتى ينتهى الماء الى القلعة ويدخل الى القصور السلطانية والى دور الامراء الخواص المجاورين للسلطان فيجرى الماء فى دورهم وتدور به حماماتهم وهو من عجائب الاعمال لرفعته من الارض الى السماء قريبا من خمسمائة ذراع من مكان الى مكان ويدخل من هذه القصور الى دور الحريم وهذه القصور جميعها من ظاهرها مبنية بالحجر الاسود والحجر الاصفر موزرة من داخلها بالرخام والفصوص المذهبة المشجرة بالصدف والمعجون وأنواع الملونات وسقوفها كلها مذهبة قد موهت باللازورد والنور يخرق فى جدرانها بطاقات من الزجاج القبرسى الملون كقطع الجوهر المؤلفة فى العقود وجميع الاراضى قد فرشت بالرخام المنقول اليها من اقطار الارض مما لا يوجد مثله وتشرف الدور السلطانية من بعضها على بساتين واشجار وساحات للحيوانات البديعة والابقار والاغنام والطيور الدواجن وسيأتى ان شاء الله تعالى ذكر هذه القصور والبساتين والاحواش مفصلا

*وكان بهذا القصر الابلق رسوم وعوايد تغير كثير منها وبطل معظمها وبقيت الى الآن بقايا من شعار المملكة ورسوم السلطنة وسأقص من أنباء ذلك ان شاء الله تعالى ما لا تراه بغير هذا الكتاب مجموعا والله يؤتى فضله من يشاء *(الاسمطة السلطانية) وكانت العادة أن يمد بالقصر فى طرفى النهار من كل يوم أسمطة جليلة لعامة الامراء خلا البرانيين وقليل ما هم فبكرة يمد سماط أوّلا لا يأكل منه السلطان ثم ثان بعده يسمى الخاص قد يأكل منه السلطان وقد لا يأكل ثم ثالث بعده ويسمى الطارى ومنه مأكول السلطان وأما فى آخر النهار فيمد سماطان الاوّل والثانى المسمى بالخاص ثم ان استدعى بطار حضر والا فلا ما عدا المشوى فانه ليس له عادة محفوظة النظام بل هو على حسب ما رسم به وفى كل هذه الاسمطة يؤكل ما عليها ويفرق نوالات ثم يسقى بعدها الاقسماء المعمولة من السكر والافاويه المطيبة بماء الورد المبردة وكانت العادة أن يبيت فى كل ليلة بالقرب من السلطان أطباق فيها أنواع من المطجنات والبوارد والقطر والقشطة والجبن المقلى والموز والسكباج وأطباق فيها من الاقسماء والماء البارد برسم أرباب النوبة فى السهر حول السلطان ليتشاغلوا بالمأكول والمشروب عن النوم ويكون الليل مقسوما بينهم بساعات الرمل فاذا انتهت نوبة نبهت التى تليها ثم ذهبت هى فنامت الى الصباح هكذا أبدا سفرا وحضرا وكانت العادة أيضا أن يبيت فى المبيت السلطانى من القصر أو المخيم ان كان فى السرحة المصاحف الكريمة لقراءة من يقرأ من أرباب النوبة ويبيت أيضا الشطرنج ليتشاغل به عن النوم

*وبلغ مصروف السماط فى كل يوم عيد الفطر من كل سنة خمسين ألف درهم عنها نحو ألفين وخمسمائة دينار تنهبه الغلمان والعامة وكان يعمل فى سماط الملك الظاهر برقوق فى كل يوم خمسة آلاف رطل من اللحم سوى الاوز والدجاج وكان راتب المؤيد شيخ فى كل يوم لسماطه ودارة ثمانمائة رطل من اللحم فلما كان فى المحرم سنة ست وعشرين

وثمانمائة سأل الملك الاشرف برسباى عن مقدار ما يطبخ له فى كل يوم بكرة وعشيا فقيل له ستمائة رطل فى الوجبتين فأمر أن يطبخ بين يديه لانه بلغه أنه يوخذ مماذ كرلشاد الشرابخاناه ونحوه مائة وعشرون رطلا فجعل راتب اللحم فى كل يوم بزيادة أيام الخدمة ونقصان أيام عدم الخدمة خمسمائة رطل وستة ارطال عن وجبتى الغداء والعشاء ومن الدجاج ستة وعشرين طائرا ولعمل المامونية رطلين ونصفا من السكر وما يعمل برسم الجدارية فانه بعسل النحل

(ذكر العلامة السلطانية)

قد جرت العادة أن السلطان يكتب خطه على كل ما يأمر به فأما مناشير الامراء والجند وكل من له اقطاع فانه يكتب عليه علامته وكتبها الملك الناصر محمد بن قلاون الله أملى وعمل ذلك الملوك بعده الى اليوم وأما تقاليد النواب وتواقيع أرباب المناصب من القضاة والوزراء والكتاب وبقية أرباب الوظائف وتواقيع أرباب الرواتب والاطلاقات فانه يكتب عليها اسمه واسم أبيه ان كان أبوه ملكا فيكتب مثلا محمد بن قلاون أو شعبان بن حسين أو فرج بن برقوق وان لم يكن أبوه ممن تسلطن كبرقوق أو شيخ فانه يكتب اسمه فقط ومثاله برقوق أو شيخ وأما كتب البريد وخلاص الحقوق والظلامات فانه يكتب أيضا عليها اسمه وربما كرم المكتوب اليه فكتب اليه أخوه فلان أو والده فلان وأخوه يكتب للاكابر من أرباب الرتب والذى يعلم عليه السلطان اما اقطاع فالرسم فيه أن يقال خرج الامر الشريف واما وظائف ورواتب واطلاقات فالرسم فى ذلك أن يقال رسم بالامر الشريف وأعلى ما يعلم عليه ما افتتح بخطبة أولها الحمد لله ثم ما افتتح بخطبة أولها أما بعد حمد الله حتى يأتى على خرج الامر فى المناشير أو رسم بالامر فى التواقيع ثم يمد هذا أنزل الرتب وهو أن يفتتح فى المناشير خرج الامر وفى التواقيع رسم بالامر وتمتاز المناشير المفتتح فيها بالحمد لله أول الخطبة أن تطغر بالسواد وتتضمن اسم السلطان وألقابه وقد بطلت الطغرا فى وقتنا هذا وكانت العادة أن يطالع نواب المملكة السلطان بما يتجدد عندهم تارة على أيدى البريدية وتارة على اجنحة الحمام فتعود اليهم الاجوبة السلطانية وعليها العلامة فاذا ورد البريدى أحضره أمير جاندار وهو من أمراء الالوف والدوادار وكاتب السر بين يدى السلطان فيقبل البريدى الارض ويأخذ الدوادار الكتاب فيمسحه بوجه البريدى ثم يناوله للسلطان فيفتحه ويجلس حينئذ كاتب السر ويقرأه على السلطان سرا فان كان أحد من الامراء حاضرا تنحى حتى يفرغ من القراءة ويأمر السلطان فيه بأمره وان كان الخبر على أجنحة الحمام فانه يكتب فى ورق صغير خفيف ويحمل على الحمام الازرق وكان لحمام الرسائل مراكز كما كان للبريد مراكز وكان بين كل مركزين من البريد أميال وفى كل مركز عدة خيول كما بيناه فى ذكر الطريق فيما بين مصر والشام وكانت مراكز الحمام كل مركز منها ثلاثة مراكز من مراكز البريد فلا يتعدى الحمام ذلك المركز وينقل عند نزوله المركز ما على جناحه الى طائر آخر حتى يسقط بقلعة الجبل فيحضره البراج ويقرأ كاتب السر البطاقة وكل هذا مما يعلم عليه بالقصر ومما كان يحضر الى القصر بالقلعة فى كل يوم ورقة الصباح يرفعها والى القاهرة ووالى مصر وتشتمل على انهاء ما تجدد فى كل يوم وليلة بحارات البلدين وأخطاطهما من حريق أو قتل قتيل أو سرقة سارق ونحو ذلك ليأمر السلطان فيه بأمره *(الاشرفية)* هذا القصر المعروف بالاشرفية أنشأه الملك الاشرف خليل بن قلاون فى سنة اثنتين وتسعين وستمائة ولما فرغ صنع به مهما عظيما لم يعمل مثله فى الدولة التركية وختن أخاه الملك الناصر محمد بن قلاون وابن أخيه الامير موسى بن الصالح على بن قلاون وجمع سائر أرباب الملاهى وجميع الامراء ووقف الخزندارية بأكياس الذهب فلما قام الامراء من الخاصكية للرقص نثر الخزندارية على كل من قام للرقص حتى فرغ الختان فانعم على كل أمير من الامراء بفرس كامل القماش وألبس خلعة عظيمة وأنعم على عدة منهم كل واحد بألف دينار وفرس وأنعم على ثلاثين من الامراء الخاصكية لكل واحد مبلغ خمسة آلاف دينار وأنعم على البليلى المغنى بألف دينار وكان الذى عمل فى هذا المهم من الغنم ثلاثة آلاف رأس ومن البقر ستمائة رأس ومن الخيل خمسمائة اكديش ومن السكر برسم المشروب ألف قنطار وثمانمائة قنطار وبرسم الحلوى مائة وستون قنطارا وبلغت النفقة على هذا المهم فى عمل السماط والمشروب والاقبية والطرز والسروج وثياب النساء مبلغ ثلثمائة ألف دينار عينا *(البيسرية)* ومن جملة دور القلعة قاعة البيسرية أنشأها السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون وكان ابتداء بنائها

فى أول يوم من شعبان سنة احدى وستين وسبعمائة ونهاية عمارتها فى ثامن عشرى ذى الحجة من السنة المذكورة فجاءت من الحسن فى غاية لم ير مثلها وعمل لهذه القاعة من الفرش والبسط مالا تدخل قيمته تحت حصر فمن ذلك تسعة وأربعون ثريا برسم وقود القناديل بجلة ما دخل فيها من الفضة البيضاء الخالصة المضروبة مائتا ألف وعشرون ألف درهم وكلها مطلية بالذهب وجاء ارتفاع بناء هذه القاعة طولا فى السماء ثمانية وثمانين ذراعا وعمل السلطان بها برجا بيت فيه من العاج والابنوس مطعم يجلس بين يديه واكناف وباب يدخل منه الى ارض كذلك وفيه مقرنص قطعة واحدة يكاد يذهل الناظر اليه بشبابيك ذهب خالص وطرازات ذهب مصوغ وشرافات ذهب مصوغ وقبة مصوغة من ذهب صرف فيه ثمانية وثلاثون ألف مثقال من الذهب وصرف فى مؤنه وأجره تتمة ألف ألف درهم فضة عنها خمسون ألف دينار ذهبا وبصدر ايوان هذه القاعة شباك حديد يقارب باب زويلة يطل على جنينة بديعة الشكل *(الدهيشة) عمرها السلطان الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاون فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة وذلك انه بلغه عن الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماه أنه عمر بحماه دهيشة لم يبن مثلها فقصد مضاهاته وبعث الامير أنجبا والمجيج المهندس لكشف دهيشة حماه وكتب لنائب حلب ونائب دمشق بحمل ألفى حجر بيض وألفى حجر حمر من حلب ودمشق وحشرت الجمال لحملها حتى وصلت الى قلعة الجبل وصرف فى حمولة كل حجر من حلب اثنا عشر درهما ومن دمشق ثمانية دراهم واستدعى الرخام من سائر الامراء وجميع الكتاب ورسم باحضار الصناع للعمل ووقع الشروع فيها حتى تمت فى شهر رمضان منها وقد بلغ مصروفها خمسمائة ألف درهم سوى ما قدم من دمشق وحلب وغيرهما وعمل لها من الفرش والبسط والآلات ما يجل وصفه وحضر بها سائر الاغانى وكان مهما عظيما *(السبع قاعات) هذه القاعات تشرف على الميدان وباب القرافة عمرها الملك الناصر محمد بن قلاون وأسكنها سراريه ومات عن ألف ومائتى وصيفة مولدة سوى من عداهن من بقية الاجناس *(الجامع بالقلعة) هذا الجامع أنشأه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة ثمان عشرة وسبعمائة وكان قبل ذلك هنالك جامع دون هذا فهدمه السلطان وهدم المطبخ والحوائجخاناه والفراشخاناه وعمله جامعا ثم أخربه فى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وبناه هذا البناء فلما تم بناؤه جلس فيه واستدعى جميع مؤذنى القاهرة ومصر وجميع القراء والخطباء وعرضوا بين يديه وسمع تأذينهم وخطابتهم وقراءتهم فاختار منهم عشرين مؤذنا رتبهم فيه وقرر فيه درس فقه وقارئا يقرأ فى المصحف وجعل عليه أوقافا تكفيه وتفيض وصار من بعده من الملوك يخرجون أيام الجمع الى هذا الجامع ويحضر خاصة الامراء معه من القصر ويجىء باقيهم من باب الجامع فيصلى السلطان عن يمين المحراب فى مقصورة خاصة به ويجلس عنده اكابر خاصته ويصلى معه الامراء خاصتهم وعامتهم خارج المقصورة عن يمنتها ويسرتها على مراتبهم فاذا انقضت الصلاة دخل الى قصوره ودور حرمه وتفرق كل أحد الى مكانه وهذا الجامع متسع الارجاء مرتفع البناء مفروش الارض بالرخام مبطن السقوف بالذهب وبصدره قبة عالية يليها مقصورة مستورة هى والرواقات بشبابيك الحديد المحكمة الصنعة ويحف صحنه رواقات من جهاته *(الدار الجديدة) هذه الدار عند باب سر القلعة المطل على سوق الخيل عمرها الملك الظاهر بيبرس البندقدارى فى سنة أربع وستين وستمائة وعمل بها فى جمادى الاولى منها دعوة للامراء عند فراغها *(خزانة الكتب) وقع بها الحريق يوم الجمعة رابع صفر سنة احدى وتسعين وستمائة فتلف بها من الكتب فى الفقه والحديث والتاريخ وعامة العلوم شئ كثير جدا كان من ذخائر الملوك فانتهبها الغلمان وبيعت أوراقا محرقة ظفر الناس منها بنفائس غريبة ما بين ملاحم وغيرها وأخذوها بأبخس الاثمان *(القاعة الصالحية) عمرها الملك الصالح نجم الدين أيوب وكانت سكن الملوك الى أن احترقت فى سادس ذى الحجة سنة أربع وثمانين وستمائة واحترق معها الخزانة السلطانية *(باب النحاس) هذا الباب من داخل الستارة وهو أجل أبواب الدور السلطانية عمره الناصر محمد بن قلاون وزاد فى سعة دهليزه *(باب القلة) عرف بذلك من أجل انه كان هنالك قلة بناها الملك الظاهر بيبرس وهدمها الملك المنصور قلاون فى يوم الاحد عاشر شهر رجب سنة خمس وثمانين وستمائة وبنى مكانها قبة فرغت عمارتها فى شوال منها ثم هدمها الملك الناصر محمد بن قلاون وجدد باب القلة على ما هو عليه الآن وعمل له بابا ثانيا *(الرفرف) عمره الملك الاشرف خليل بن قلاون

وجعله

وجعله عاليا يشرف على الجيزة كلها وبيضه وصوّر فيه أمراء الدولة وخواصها وعقد عليه قبة على عمد وزخرفها وكان مجلسا يجلس فيه السلطان واستمر جلوس الملوك به حتى هدمه الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة وعمل بجواره برجا بجوار الاصطبل نقل اليه المماليك * (الجب) كان بالقلعة جب يحبس فيه الامراء وكان مهولا مظلما كثير الوطا ويطرقه الرائحة يقاسى المسجون فيه ماهو كالموت أو أشدّ منه عمره الملك المنصور قلاون فى سنة احدى وثمانين وستمائة فلم يزل الى أن قام الامير بكتمر الساقى فى أمره مع الملك الناصر محمد بن قلاون حتى أخرج من كان فيه من المحابيس ونقلهم الى الابراج وردمه وعمر فوق الردم طباقا فى سنة تسع وعشرين وسبعمائة * (الطبلخاناه تحت القلعة) ذكر هشام بن الكلبى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما قدم الشام تلقاه المقلسون من أهل الاديان بالسيوف والريحان فكره عمر رضى الله عنه النظر اليهم وقال ردّوهم فقال له أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه انها سنة الاعاجم فان منعتهم ظنوا أنه نقض لعهدهم فقال عمر رضى الله عنه دعوهم والتقليس الضرب بالطبل أو الدف * وهذه الطبلخاناه الموجودة الآن تحت القلعة فيما بين باب السلسلة وباب المدرج كانت دار العدل القديمة التى عمرها الملك الظاهر بيبرس وتقدّم خبرها فلما كانت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة هدمها الناصر محمد بن قلاون وبنا هاهذه الطبلخاناه الموجودة الآن تحت قلعة الجبل فيما بين باب السلسلة وباب المدرج وصار ينزل الى عمارتها كل قليل وتولى شدّ العمارة بها آق سنقر شاد العمائر ووجد فى أساسها أربعة قبور كبار المقدار عليها قطع رخام منقوش عليها أسماء المقبورين وتاريخ وفاتهم فنبشوا ونقلوا قريبا من القلعة فكانوا خلقا كبيرا عظيما فى الطول والعرض على بعضهم ملاءة دبيقية ملونة ساعة مستها الايدى تمزقت وتطايرت هباء وفيهم اثنان عليهما آلة الحرب وعدّة الجهاد وبهما آثار الدماء والجراحات وفى وجه أحدهما ضربة سيف بين عينيه والجرح مسدود بقطنة فلما أمسكت القطنة ورفعت عن الجرح فوق الحاجب نبع من تحتها دم يظنّ أنه جرح طرى فكان فى ذلك موعظة وذكرى وكانت الطبلخاناه ساحة بغير سقف فلما ولى الامير سودون طاز أمير اخور وسكن الاصطبل السلطانى عمر هذه الطباق فوق الطباق وكان الغرض من عمارتها صحيحا فان المدرسة الاشرفية كانت حينئذ قائمة تجاه الطبلخاناه ولما كان زمان الفتن بين أمراء الدولة تحصن فوقها طائفة ليرموا على الاصطبل والقلعة فأراد ببناء هذه الطباق فوق الطباق أن يجعل بها رماة حتى لا يقدر أحد يقيم فوق المدرسة الاشرفية وقد بطل ذلك فان الملك الناصر فرج بن برقوق هدم المدرسة الاشرفية كما ذكر فى هذا الكتاب عند ذكر المدارس * (الطباق بساحة الايوان) عمرها الملك الناصر محمد بن قلاون وأسكنها المماليك السلطانية وعمر حارة تختص بهم وكانت الملوك تعنى بها غاية العناية حتى ان الملك المنصور قلاون كان يخرج فى غالب أوقاته الى الرحبة عند استحقاق حضور الطعام للمماليك ويأمر بعرضه عليه ويتفقد لحمهم ويختبر طعامهم فى جودته ورداءته فتى رأى فيه عيبا اشتدّ على المشرف والاستادار ونهرهما وحل بهما منه أى مكروه وكان يقول كل الملوك عملوا اشيأ يذكرون به ما بين مال وعقار وأنا عمرت أسوارا وعملت حصونا مانعة لى ولاولادى وللمسلمين وهم المماليك وكانت المماليك أبدا تقيم بهذه الطباق لا تبرح فيها فلما تسلطن الملك الاشرف خليل بن قلاون سمح للمماليك أن ينزلوا من القلعة فى النهار ولا يبيتوا الا بها فكان لا يقدر أحد منهم أن يبيت بغيرها ثم ان الملك الناصر محمد بن قلاون سمح لهم بالنزول الى الحمام يوما فى الاسبوع فكانوا ينزلون بالنوبة مع الخدّام ثم يعودون آخر نهارهم ولم يزل هذا حالهم الى أن انقرضت أيام بنى قلاون وكانت للمماليك بهذه الطباق عادات جميلة أوّلها أنه اذا قدم بالمملوك تاجره عرضه على السلطان ونزله فى طبقة جنسه وسلمه لطواشى برسم الكتابة فأوّل ما يبدأ به تعليمه ما يحتاج اليه من القرآن الكريم وكانت كل طائفة لها فقيه يحضر اليها كل يوم ويأخذ فى تعليمها كتاب الله تعالى ومعرفة الخط والتمرّن بآداب الشريعة وملازمة الصلوات والاذكار وكان الرسم اذ ذاك أن لا تجلب التجار الا المماليك الصغار فاذا شبّ الواحد من المماليك علمه الفقيه شيأ من الفقه وأقرأه فيه مقدمة فاذا صار الى سنّ البلوغ أخذ فى تعليمه أنواع الحرب من رمى السهام ولعب الرمح ونحو ذلك فيتسلم كل طائفة معلم حتى يبلغ الغاية فى معرفة ما يحتاج اليه واذا ركبوا الى لعب الرمح أو رمى النشاب لا يجسر جندى ولا أمير أن يحدثهم أو يدنو منهم فينقل اذن الى الخدمة وينتقل فى أطوارها رتبة بعد رتبة الى أن يصير من الامراء فلا يبلغ هذه الرتبة الا وقد تهذبت أخلاقه وكثرت

آدابه وامتزج تعظيم الاسلام وأهله بقلبه واشتد ساعده فى رماية النشاب وحسن لعبه بالرمح ومرن على ركوب الخيل ومنهم من يصير فى رتبة فقيه عارف أو أديب شاعر أو حاسب ماهر هذا ولهم أزمّة من الخدام وأكابر من رؤس النوب يفحصون عن حال الواحد منهم الفحص الشافى ويؤاخذونه أشد المؤاخذة ويناقشونه على حركاته وسكناته فان عثر أحد من مؤدّبيه الذى يعلمه القرآن أو الطواشى الذى هو مسلم اليه أو رأس النوبة الذى هو حاكم عليه على انه اقترف ذنبا أو أخل برسم أو ترك أدبا من آداب الدين أو الدنيا قابله على ذلك بعقوبة مؤلمة شديدة بقدر جرمه وبلغ من تأديبهم أن مقدم المماليك كان اذا أتاه بعض مقدمى الطباق فى السحر يشاور على مملوك أنه يغتسل من جنابة فيبعث من يكشف عن سبب جنابته ان كان من احتلام فينظر فى سراويله هل فيه جنابة أم لا فان لم يجد به جنابة جاءه الموت من كل مكان فلذلك كانوا ساداتٍ يدبرون الممالك وقادة يجاهدون فى سبيل الله وأهل سياسة يبالغون فى اظهار الجميل ويردعون من جار أو تعدى وكانت لهم الادرارات الكثيرة من اللحوم والاطعمة والحلاوات والفواكه والكسوات الفاخرة والمعاليم من الذهب والفضة بحيث تتسع أحوال غلمانهم ويفيض عطاؤهم على من قصدهم ثم لما كانت ايام الظاهر برقوق راعى الحال فى ذلك بعض الشئ الى أن زالت دولته فى سنة احدى وتسعين وسبعمائة فلما عاد الى المملكة رخص للمماليك فى سكنى القاهرة وفى التزوج فنزلوا من الطباق من القلعة ونكحوا نساء اهل المدينة واخلدوا الى البطالة ونسوا تلك العوايد ثم تلاشت الاحوال فى ايام الناصر فرج بن برقوق وانقطعت الرواتب من اللحوم وغيرها حتى عن مماليك الطباق مع قلة عددهم ورتب لكل واحد منهم فى اليوم مبلغ عشرة دراهم من الفلوس فصار غذاؤهم فى الغالب الفول المصلوق عجزا عن شراء اللحم وغيره هذا وبقى الجلب من المماليك انما هم الرجال الذين كانوا فى بلادهم ما بين ملاح سفينة ووقاد فى تنور خباز ومحول ماء فى غيط اشجار ونحو ذلك واستقر رأى الناصر على أن تسليم المماليك للفقيه يتلفهم بل يتركون وشؤنهم فبدلت الارض غير الارض وصارت المماليك السلطانية أرذل الناس وأدناهم وأخسهم قدرا وأشحهم نفسا وأجهلهم بأمر الدنيا واكثرهم اعراضا عن الدين ما فيهم الامن هو أزنى من قرد وألص من فأرة وأفسد من ذئب لاجرم أن خربت أرض مصر والشام من حيث يصب النيل الى مجرى الفرات بسوء ايالة الحكام وشدة عبث الولاة وسوء تصرف أولى الامر حتى انه ما من شهر الا ويظهر من الخلل العام ما لا يتدارك فرطه وبلغت عدة المماليك السلطانية فى أيام الملك المنصور قلاون ستة آلاف وسبعمائة فأراد ابنه الاشرف خليل تكميل عدتها عشرة آلاف مملوك وجعلهم طوائف فأفرد طائفتى الارمن والجركس وسماها البرجية لانه أسكنها فى أبراج بالقلعة فبلغت عدتهم ثلاثة آلاف وسبعمائة وأفرد جنس الخطا والقبجاق وأنزلهم بقاعة عرفت بالذهبية والزمرذية وجعل منهم جدارية وسقاة وسماهم خاصكية وعمل البرجية سلاحدارية وجمقدارية وجاشنكيرية وأوشاقية ثم شغف الملك الناصر محمد بن قلاون بجلب المماليك من بلاد أزبك وبلاد توريز وبلاد الروم وبغداد وبعث فى طلبهم وبذل الرغائب للتجار فى حملهم اليه ودفع فيهم الاموال العظيمة ثم أفاض على من يشتريه منهم أنواع العطاء من عامة الاصناف دفعة واحدة فى يوم واحد ولم يراع عادة ابيه ومن كان قبله من الملوك فى تنقل المماليك فى أطوار الخدم حتى يتدرب ويتمرن كما تقدم وفى تدريجه من ثلاثة دنانير فى الشهر الى عشرة دنانير ثم نقله من الجامكية الى وظيفة من وظائف الخدمة بل اقتضى رأيه أن يملأ أعينهم بالعطاء الكثير دفعة واحدة فأتاه من المماليك شئ كثير رغبة فيما لديه حتى كان الاب يبيع ابنه للتاجر الذى يجلبه الى مصر وبلغ ثمن المملوك فى ايامه الى مائة ألف درهم فما دونها وبلغت نفقات المماليك فى كل شهر الى سبعين ألف درهم ثم تزايدت حتى صارت فى سنة ثمان واربعين وسبعمائة مائتين وعشرين ألف درهم *(دار النيابة) كان بقلعة الجبل دار نيابة بناها الملك المنصور قلاون فى سنة سبع وثمانين وستمائة سكنها الامير حسام الدين طرنطاى ومن بعده من نوّاب السلطنة وكانت النوّاب تجلس بشباكها حتى هدمها الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وأبطل النيابة وأبطل الوزارة أيضا فصار موضع دار النيابة ساحة فلما مات الملك الناصر أعاد الامير قوصون دار النيابة عند استقراره فى نيابة السلطنة فلم تكمل حتى قبض عليه فولى نيابة السلطنة الامير طشتمر حمص أخضر وقبض عليه فتولى بعده نيابة السلطنة الامير شمس الدين آق سنقر فى أيام الملك الصالح اسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاون فجلس بها فى يوم السبت أوّل صفر سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة

فى شباك دار النيابة وهو أوّل من جلس بها من النوّاب بعد تجديدها وتوارثها النوّاب بعده وكانت العادة أن يركب جيوش مصر يومى الاثنين والخميس فى الموكب تحت القلعة فيسيرون هناك من رأس الصوة الى باب القرافة ثم تقف العسكر مع نائب السلطنة وينادى على الخيل بينهم وربما نودى على كثير من آلات الجند والخيم والجركاوات والاسلحة وربما نودى على كثير من العقار ثم يطلعون الى الخدمة السلطانية بالايوان بالقلعة على ماتقدّم ذكره فاذا امتثل النائب فى حضرة السلطان وقف فى ركن الايوان الى أن تنقضى الخدمة فيخرج الى دار النيابة والامراء معه ويمدّ السماط بين يديه كما يمدّ سماط السلطان ويجلس جلوسا عاما للناس ويحضره أرباب الوظائف وتقف قدّامه الحجاب وتقرأ القصص وتقدّم اليه الشكاة ويفصل امورهم فكان السلطان يكتفى بالنائب ولا يتصدّى لقراءة القصص عليه وسماع الشكوى تعويلا منه على قيام النائب بهذا الامر واذا قرئت القصص على النائب نظر فان كان مرسومه يكفى فيها أصدره عنه ومالا يكفى فيه الامر سوم السلطان أمر بكتابته عن السلطان وأصدره فيكتب ذلك وينبه فيه على انه باشارة النائب ويميز عن نوّاب السلطان بالممالك الشامية بأن يعبر عنه بكافل المملكة الشريفة الاسلامية وما كان من الامور التى لابدّ له من احاطة علم السلطان بها فانه اما أن يعلمه بذلك منه اليه وقت الاجتماع به أو يرسل الى السلطان من يعلمه به ويأخذ رأيه فيه وكان ديوان الاقطاع وهو الجيش فى زمان النيابة ليس لهم خدمة الا عند النائب ولا اجتماع الا به ولا يجتمع ناظر الجيش بالسلطان فى امر من الامور فلما أبطل الملك الناصر محمد بن قلاون النيابة صار ناظر الجيش يجتمع بالسلطان واستمرّ ذلك بعد اعادة النيابة وكان الوزير وكاتب السرّ يراجعان النائب فى بعض الامور دون بعض ثم اضمحلت نيابة السلطنة فى أيام الناصر محمد بن قلاون وتلاشت أوضاعها فلما مات أعيدت بعده ولم تزل الى اثناء ايام الظاهر برقوق وآخر من وليها على اكثرقوانينها الامير سودون الشيخى وبعده لم يل النيابة أحد فى الايام الظاهرية ثم ان الناصر فرج بن برقوق أقام الامير تمراز فى نيابة السلطنة فلم يسكن دار النيابة فى القلعة ولا خرج عما يعرفه من حال حاجب الحجاب ولم يل النيابة بعد تمراز أحد الى يومنا هذا وكانت حقيقة النائب أنه السلطان الثانى وكانت سائر نوّاب الممالك الشامية وغيرها تكاتبه فى غالب ماتكاتب فيه السلطان ويراجعونه فيه كما يراجع السلطان وكان يستخدم الجند ويخرج الاقطاعات من غير مشاورة ويعين الامرة لكن بمشاورة السلطان وكان النائب هو المتصرّف المطلق التصرّف فى كل أمر فيراجع فى الجيش والمال والخبر وهو البريد وكل ذى وظيفة لا يتصرّف الا بأمره ولا يفصل أمرا معضلا الا بمراجعته وهو الذى يستخدم الجند ويرتب فى الوظائف الا ما كان منها جليلا كالوزارة والقضاء وكتابة السرّ والجيش فانه يعرض على السلطان من يصلح وكان قل أن لا يجاب فى شئ يعينه وكان من عدا نائب السلطنة بديار مصر يليه فى رتبة النيابة وكل نوّاب الممالك تخاطب بملك الامراء الا نائب السلطنة بمصر فانه يسمى كافل الممالك تمييزا له وابانة عن عظيم محله وبالحقيقة ما كان يستحق اسم نيابة السلطنة بعد النائب بمصر سوى نائب الشام بدمشق فقط وانما كانت النيابة تطلق أيضا على اكابر نوّاب الشام وليس لاحد منهم من التصرّف ما كان لنائب دمشق الا أن نيابة السلطنة بحلب تلى رتبة نيابة السلطنة بدمشق وقد اختلت الآن الرسوم واتضعت الرتب وتلاشت الاحوال وعادت اسماء لا معنى لها وخيالات حاصلها عدم والله يفعل مايشاء

(ذكر جيوش الدولة التركية وزيها وعوايدها)

اعلم انه قد كان بقلعة الجبل مكان معدّ لديوان الجيش وأدركت منه بقية الى اثناء دولة الظاهر برقوق وكان ناظر الجيش وسائر كتاب الجيش لا يبرحون فى ايام الخدمة نهارهم مقيمين بديوان الجيش وكانت لهذا الديوان عوايد قد تغير اكثرها ونسى غالب رسومه وكانت جيوش الدولة التركية بديار مصر على قسمين منهم من هو بحضرة السلطان ومنهم من هو فى أقطار المملكة وبلادها وسكان بادية كالعرب والتركمان وجندها مختلط من أتراك وجركس وروم وأكراد وتركمان وغالبهم من المماليك المبتاعين وهم طبقات اكابرهم من له امرة مائة فارس وتقدمة ألف فارس ومن هذا القبيل تكون اكابر النوّاب وربما زاد بعضهم بالعشرة فوارس والعشرين ثم أمراء الطبلخاناه ومعظمهم من تكون له امرة أربعين فارسا وقد يوجد فيهم من له ازيد من ذلك الى السبعين ولا تكون الطبلخاناه لاقلّ من أربعين ثم أمراء العشراوات ممن تكون له امرة عشرة وربما كان فيهم من له عشرون فارسا ولا يعدّون

فى امراء العشراوات ثم جند الحلقة وهؤلاء تكون مناشيرهم من السلطان كما أن مناشير الامراء من السلطان وأما
اجناد الامراء فمناشيرهم من امرائهم وكان منشور الامير يعين فيه للامير ثلث الاقطاع ولاجناده الثلثان فلا يمكن
الامير ولا مباشروه أن يشاركوا أحدا من الاجناد فيما يخصهم الا برضاهم وكان الامير لا يخرج احدا من اجناده
حتى يتبين للنائب موجب يقتضى اخراجه فحينئذ يخرجه نائب السلطان ويقيم عند الامير عوضه وكان لكل
أربعين جنديا من جند الحلقة مقدم عليهم ليس له عليهم حكم الا اذا خرج العسكر لقتال فكانت مواقف الاربعين
مع مقدمهم وترتيبهم فى موقفهم اليه ويبلغ بمصر اقطاع بعض اكابر أمراء المئين المقدمين من السلطان مائتى
ألف دينار جيشية وربما زاد على ذلك وأما غيرهم فدون ذلك يعبر أقلها الى ثمانين ألف دينار وما حولها
وأما الطبلخاناه فمن ثلاثين ألف دينار الى ثلاثة وعشرين ألف دينار وأما العشراوات فأعلاها سبعة آلاف
دينار الى مادونها وأما اقطاعات أجناد الحلقة فأعلاها ألف وخمسمائة دينار وهذا القدر وما حوله اقطاعات
اعيان مقدمى الحلقة ثم بعد ذلك الاجناد بابات حتى يكون أدناهم مائتين وخمسين دينارا وسيرد تفصيل ذلك
ان شاء الله تعالى وأما اقطاعات جند الامراء فانها على ما يراه الامير من زيادة بينهم ونقص وأما اقطاعات
الشام فانها لا تقارب هذا بل تكون على الثلثين مما ذكرنا ما خلا نائب السلطنة بدمشق فانه يقارب اقطاعه أعلى
اقطاعات اكابر أمراء مصر المقربين وجميع جند الامراء تعرض بديوان الجيش ويثبت اسم الجندى وحليته
ولا يستبدل أميره به غيره الا بتنزيل من عوض به وعرضه وكانت للامراء على السلطان فى كل سنة ملابس
ينعم بها عليهم ولهم فى ذلك حظ وافر وينعم على امراء المئين بخيول مسرجة ملجمة ومن عداهم بخيول عرى ويميز
خاصتهم على عامتهم وكان لجميع الامراء من المئين والطبلخاناه والعشراوات على السلطان الرواتب الجارية فى
كل يوم من اللحم وتوابله كلها والخبز والشعير لعليق الخيل والزيت ولبعضهم الشمع والسكر والكسوة فى كل سنة
وكذلك لجميع مماليك السلطان وذوى الوظائف من الجند وكانت العادة اذا نشأ لاحد الامراء ولد أطلق له
دنانير ولحم وخبز وعليق حتى يتأهل للاقطاع فى جملة الحلقة ثم منهم من ينتقل الى امرة عشرة أو الى امرة طبلخاناه
بحسب الحظ واتفق للاميرين طرنطاى وكتبغا أن كلا منهما زوج ولده بابنة الآخر وعمل لذلك المهم العظيم ثم سأل
الامير طرنطاى وهو اذ ذاك نائب السلطان الامير بيلبك الايدمرى والامير طيبرس أن يسألا السلطان الملك
المنصور قلاون فى الانعام على ولده وولد الامير كتبغا باقطاعين فى الحلقة فقال لهما والله لو رأيتهما فى مصاف
القتال يضربان بالسيف أو كانا فى زحف قدامى استقبح أن أعطى لهما اخبازا فى الحلقة خشية أن يقال أعطى
الصبيان الاخباز ولم يجب سؤالهما هذا وهم من قد عرفت لكن كان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى
رحمه الله اذا مات الجندى أعطى اقطاعه لولده فان كان صغيرا رتب معه من يلى امره حتى يكبر فكان أجناده
يقولون الاقطاعات أملاكنا يرثها أولادنا الولد عن الوالد فنحن نقاتل عليها وبه اقتدى كثير من ملوك مصر فى ذلك
وللامراء المقدمين حوائص ذهب فى وقت الركوب الى الميدان ولكل أمير من الخواص على السلطان مرتب
من السكر والحلوى فى شهر رمضان ولسائرهم الاضحية فى عيد الاضحى على مقادير رتبهم ولهم البرسيم لتربيع
دوابهم ويكون فى تلك المدة بدل العليق المرتب لهم وكانت الخيول السلطانية تفرق على الامراء مرتين فى كل
سنة مرة عند ما يخرج السلطان الى مرابط خيوله فى الربيع عند اكتمال تربيعها ومرة عند لعبه بالاكرة فى الميدان
ولخاصة السلطان المقربين زيادة كثيرة من ذلك بحيث يصل الى بعضهم فى السنة مائة فرس ويفرق السلطان
أيضا الخيول على المماليك السلطانية فى اوقات أخر وربما يعطى بعض مقدمى الحلقة ومن نفق له فرس من
المماليك يحضر من لحمه والشهادة بأنه نفق فيعطى بدله ولخاصة السلطان المقربين انعام من الانعامات
كالعقارات والابنية الضخمة التى ربما انفق على بعضها زيادة على مائة ألف دينار ووقع هذا فى الايام الناصرية
مرارا كما ذكر عند ذكر الدور من هذا الكتاب ولهم أيضا كساوى القماش المنوع ولهم عند سفرهم الى الصيد
وغيره العلوفات والانزال وكانت لهم آداب لا يخلون بها منها انهم اذا دخلوا الى الخدمة بالايوان أو القصر وقف
كل أمير فى مكانه المعروف به ولا يجسر أحد منهم ولا من المماليك أن يحدث رفيقه فى الخدمة ولا بكلمة واحدة
ولا يلتفت الى نحوه أيضا ولا يجسر أحد منهم ولا من المماليك أن يجتمع بصاحبه فى نزهة ولا فى رمى النشاب
ولا غير ذلك ومن بلغ السلطان عنه انه اجتمع بآخر نفاه أو قبض عليه واختلف زى الامراء والعساكر فى الدولة

التركية وقد بينا ما كان عليه زيهم حتى غيره الملك المنصور قلاون عند ذكر سوق الشرابشيين وصار زيهم اذا دخلوا الى الخدمة بالاقبية التترية والكلاوات فوقها ثم القباء الاسلامى فوقها وعليه تشد المنطقة والسيف ويتميز الامراء والمقدمون وأعيان الجند بلبس اقبية قصيرة الاكمام فوق ذلك وتكون اكمامها اقصر من القباء التحتانى بلا تفاوت كبير فى قصر الكم والطول وعلى رؤسهم كلهم كلوتات صغار غالبها من الصوف الملطى الاحمر وتضرب ويلف فوقها عمائم صغار ثم زادوا فى قدر الكلوتات وما يلف فوقها فى ايام الامير بلبغا الخاصكى القائم بدولة الاشرف شعبان بن حسين وعرفت بالكلوتات الطرخانية وصاروا يسمون تلك الصغيرة ناصرية فلما كانت ايام الظاهر برقوق بالغوا فى كبر الكلوتات وعملوا فى شدتها عوجا وقيل لها كلوتات جركسية وهم على ذلك الى اليوم ومن زيهم لبس المهماز على الاخفاف ويعمل المنديل فى الحياصة على الصولق من الجانب الايمن ومعظم حوائص المماليك فضة وفيهم من كان يعملها من الذهب وربما عملت باليشم وكانت حوائص امراء المئين الاكابر التى تخرج اليهم مع الخلع السلطانية من خزانة الخاص يرصع ذهبها بالجواهر وكان معظم العسكر يلبس الطرز ولا يكفت مهمازه بالذهب ولا يلبس الطراز الا من له اقطاع فى الحلقة وأما من هو بالجامكية أو من اجناد الامراء فلا يكفت مهمازه بالذهب ولا يلبس طرازا وكانت العساكر من الامراء وغيرهم تلبس المنوّع من الكمخا والخطاى والكنجى والمخمل والاسكندرانى والشرب ومن النصافى والاصواف الملونة ثم بطل لبس الحرير فى ايام الظاهر برقوق واقتصروا الى اليوم على لبس الصوف الملوّن فى الشتاء ولبس النصافى المصقول فى الصيف وكانت العادة أن السلطان يتولى بنفسه استخدام الجند فاذا وقف قدامه من يطلب الاقطاع المحلول ووقع اختياره على أحد أمر ناظر الجيش بالكتابة له فيكتب ورقة مختصرة تسمى المثال مضمونها خبز فلان كذا ثم يكتب فوقه اسم المستقر له ويناولها السلطان فيكتب عليها بخطه يكتب ويعطيها الحاجب لمن رسم له فيقبل الارض ثم يعاد المثال الى ديوان الجيش فيحفظ شاهدا عندهم ثم تكتب مربعة مكملة بخطوط جميع مباشرى ديوان الاقطاع وهم كتاب ديوان الجيش فيرسمون علاماتهم عليها ثم تحمل الى ديوان الانشاء والمكاتبات فيكتب المنشور ويعلم عليه السلطان كما تقدم ذكره ثم يكمل المنشور بخطوط كتاب ديوان الجيش بعد المقابلة على حجة أصله واستجد السلطان الملك المنصور قلاون طائفة سماها البحرية وهى أن البحرية الصالحية لما تشتتوا عند قتل الفارس اقطاى فى ايام المعز أيبك بقيت أولادهم بمصر فى حالة رذيلة فعندما أفضت السلطنة الى قلاون جمعهم ورتب لهم الجوامك والعليق واللحم والكسوة ورسم أن يكونوا جالسين على باب القلعة وسماهم البحرية والى اليوم طائفة من الاجناد تعرف بالبحرية وأما البلاد الشامية فليس للنائب بالمملكة مدخل فى تأمير أمير عوض أمير مات بل اذا مات أمير سواء كان كبيرا أو صغيرا طولع السلطان بموته فأمّر عوضه اما من فى حضرته ويخرجه الى مكان الخدمة أو ممن هو فى مكان الخدمة أو ينقل من بلد آخر من يقع اختياره عليه وأما جند الحلقة فانهم اذا مات أحدهم استخدم النائب عوضه وكتب المثال على نحو من ترتيب السلطان ثم كتب المربعة وجهزها مع البريد الى حضرة السلطان فيقابل عليها فى ديوان الاقطاع ثم ان امضاها السلطان كتب عليها يكتب فتكتب المربعة من ديوان الاقطاع ثم يكتب عليها المنشور كما تقدم فى الجند الذين بالحضرة وان لم يمضها السلطان أخرج الاقطاع لمن يريد ومن مات من الامراء والجند قبل استكمال مدة الخدمة حوسب ورثته على حكم الاستحقاق ثم اما يرتجع منهم أو يطلق لهم على قدر حصول العناية بهم واقطاعات الامراء والجند منها ما هو بلاد يستغلها مقطعها كيف شاء ومنها ما هو نقد على جهات يتناولها منها ولم يزل الحال على ذلك حتى راك الملك الناصر محمد بن قلاون البلاد كما تقدم فى أول هذا الكتاب عند الكلام على الخراج ومبلغه فأبطل عدة جهات من المكوس وصارت الاقطاعات كلها بلادا والذى استقر عليه الحال فى اقطاعات الديار المصرية بما رتبه الملك الناصر محمد بن قلاون فى الروك الناصرى وهو عدة الجيوش المنصورة بالديار المصرية اربعة وعشرون ألف فارس تفصيل ذلك امراء الالوف ومماليكهم ألفان واربعمائة واربعة وعشرون فارسا تفصيل ذلك نائب ووزير وألوف خاصكية ثمانية امراء وألوف خرجية اربعة عشر أميرا ومماليكهم ألفان وأربعمائة فارس * امراء طبلخاناه ومماليكهم ثمانية آلاف ومائتا فارس تفصيل ذلك خاصكية اربعة وخمسون اميرا وخرجية مائة وستة

وأربعون أميرا ومماليكهم ثمانية آلاف فارس * كشاف وولاة بالاقاليم خمسمائة وأربعة وسبعون تفصيل ذلك ثغر الاسكندرية واحد والبحيرة واحد والغربية واحد والشرقية واحد والمنوفية واحد وقطيا واحد وكاشف الجيزة واحد والفيوم واحد والبهنسا واحد والاشمونين واحد وقوص واحد واسوان واحد وكاشف الوجه البحرى واحد وكاشف الوجه القبلي واحد ومماليكهم خمسمائة وستون * أمراء العشراوات ومماليكهم ألفان ومائتا فارس تفصيل ذلك خاصكية ثلاثون وخرجية مائة وسبعون اميرا ومماليكهم ألفان * ولاة الاقاليم سبعة وسبعون اميرا تفصيلهم اشمون الرمان واحد وقليوب واحد والجيزة واحد وتروجا واحد وحاجب الاسكندرية واحد واطفيح واحد ومنفلوط واحد ومماليكهم سبعون فارسا * مقدمو الحلقة والاجناد أحد عشر ألفا ومائة وستة وسبعون فارسا تفصيل ذلك مقدموا المماليك السلطانية أربعون مقدموا الحلقة مائة وثمانون نقباء الالوف أربعة وعشرون نقيبا مماليك السلطان وأجناد الحلقة عشرة آلاف وتسعمائة واثنان وثلاثون فارسا تفصيل ذلك مماليك السلطان ألفا مملوك أجناد الحلقة ثمانية آلاف وتسعمائة واثنان وثلاثون فارسا * عبرة ذلك الخاصكية الالوف والنائب والوزير كل منهم مائة ألف دينار وكل دينار عشرة دراهم الارتفاع ألف ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال كل اردب واحد من القمح بعشرين درهما والحبوب كل اردب منها بعشرة دراهم من ذلك الكلف مائة ألف درهم والخالص تسعمائة ألف درهم * الالوف الخرجية كل منهم خمسة وثمانون ألف دينار كل دينار عشرة دراهم الارتفاع ثمانمائة ألف وخمسون ألفا بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح فيه من ذلك الكلف سبعون ألف درهم والخالص لكل منهم سبعمائة وثمانون ألف درهم * الطبلخاناه الخاصكية كل منهم أربعون ألف دينار كل دينار عشرة دراهم الارتفاع أربعمائة ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح فيه من ذلك الكلف خمسة وثلاثون ألف درهم والخالص لكل منهم ثلثمائة وخمسة وستون ألف درهم * الطبلخاناه الخرجية ثلاثون ألف دينار كل دينار ثمانية دراهم الارتفاع مائتا ألف وأربعون ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح من ذلك الكلف أربعة وعشرون ألف درهم والخالص مائتا ألف وستة عشر ألف درهم * العشراوات الخاصكية كل منهم عشرة آلاف دينار كل دينار عشرة دراهم الارتفاع مائة ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح من ذلك الكلف سبعة آلاف درهم والخالص لكل منهم ثلاثة وتسعون ألف درهم * العشراوات الخرجية كل منهم سبعة آلاف دينار كل دينار عشرة دراهم الارتفاع سبعون ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح من ذلك الكلف خمسة آلاف درهم والخالص لكل منهم خمسة وستون ألف درهم * الكشاف لكل منهم عشرون ألف دينار كل دينار ثمانية دراهم الارتفاع مائة ألف وستون ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح من ذلك الكلفة خمسة عشر ألف درهم والخالص مائة ألف وخمسة واربعون ألف درهم * الولاة الاصطبلخاناه كل منهم خمسة عشر ألف دينار كل دينار ثمانية دراهم الارتفاع مائة وعشرون ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح من ذلك الكلف عشرة آلاف درهم والخالص لكل منهم مائة ألف وعشرة آلاف درهم * الولاة العشراوات لكل منهم خمسة آلاف دينار كل دينار سبعة دراهم الارتفاع خمسة وثلاثون ألف درهم بما فيه من ثمن المغل على ما شرح من ذلك الكلف ثلاثة آلاف درهم والخالص لكل منهم اثنان وثلاثون ألف درهم * مقدمو مماليك السلطان كل منهم ألف ومائتا دينار كل دينار عشرة دراهم الارتفاع اثنا عشر ألف درهم بما فيه من ثمن الغلال على ما شرح من ذلك الكلف ألف درهم والخالص لكل منهم أحد عشر ألف درهم * مقدمو الحلقة كل منهم ألف دينار كل دينار تسعة دراهم الارتفاع تسعة آلاف درهم بما فيه من ثمن الغلال من ذلك الكلف تسعمائة درهم والخالص لكل منهم ثمانية آلاف درهم ومائة درهم * نقباء الالوف لكل منهم اربعمائة دينار كل دينار تسعة دراهم الارتفاع ثلاثة آلاف وستمائة درهم بما فيه من ثمن الغلال من ذلك الكلف أربعمائة درهم والخالص لكل منهم ثلاثة آلاف ومائتا درهم * مماليك السلطان ألفان * بابة أربعمائة مملوك لكل منهم ألف وخمسمائة دينار كل دينار عشرة دراهم عنها خمسة عشر ألف درهم * بابة خمسمائة مملوك كل واحد ألف وثلثمائة دينار سعره عشرة دراهم عنها ثلاثة عشر ألف درهم * بابة خمسمائة مملوك لكل منهم ألف دينار ومائتا دينار عنها اثنا عشر ألف درهم * بابة ستمائة مملوك لكل واحد

ألف دينار عنها عشرة آلاف درهم * اجناد الحلقة ثمانية آلاف وتسعمائة واثنان وثلاثون فارسا * بابة ألف وخمسمائة فارس لكل منهم تسعمائة دينار بتسعة آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة وخمسين جنديا لكل منهم ثمانمائة دينار بثمانية آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة وخمسين جنديا كل منهم سبعمائة دينار عنها سبعة آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة جندي لكل منهم ستمائة دينار بستة آلاف درهم * بابة ألف وثلثمائة كل منهم بخمسمائة دينار بخمسة آلاف درهم * بابة ألف ومائة جندي لكل منهم أربعمائة دينار بأربعة آلاف درهم * بابة ألف واثنين وثلاثين جنديا لكل منهم ثلثمائة دينار بسعر عشرة دراهم عنها ثلاثة آلاف درهم * وأرباب الوظائف من الامراء بعد النيابة والوزارة أمير سلاح والدوادار والحجبة وأمير جاندار والاستادار والمهمندار ونقيب الجيوش والولاة * فلما مات الملك الناصر محمد بن قلاون حدث بين اجناد الحلقة نزول الواحد منهم عن اقطاعه لآخر بمال أو مقايضة الاقطاعات بغيرها فكثر الدخيل في الاجناد بذلك واشترت السوقة والاراذل الاقطاعات حتى صار في زمننا اجناد الحلقة اكثرهم اصحاب حرف وصناعات وخربت منهم أراضي اقطاعاتهم * وأول ما حدث ذلك أن السلطان الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاون لما تسلطن في شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة تمكن منه الامير شجاع الدين اغرلو شاد الدواوين واستجد أشياء منها المقايضة بالاقطاعات في الحلقة والنزول عنها فكان من أراد مقايضة أحد باقطاعه حمل كل منهما مالا لبيت المال يقرر عليهما ومن اختار حيزا بالحلقة يزن على قدر عبرته في السنة دنانير يحملها لبيت المال فان كانت عبرة الحيز الذي يريده خمسمائة دينار في السنة حمل خمسمائة دينار ومن أراد النزول عن اقطاعه حمل مالا لبيت المال بحسب ما يقرر عليه اغرلو وأفرد لذلك ولما يؤخذ من طالبي الوظائف والولايات ديوانا سماه ديوان البدل وكان يعين في المنشور الذي يخرج بالمقايضة المبلغ الذي يقوم به كل من الجنديين وكان ابتداء هذا في جمادى الاولى من السنة المذكورة فقام الامراء في ذلك مع السلطان حتى رسم بابطاله فلما ولي الامير منجك اليوسفي الوزارة وسيره في المال فتح في سنة تسع وأربعين باب النزول والمقايضات فكان الجندي يبيع اقطاعه لكل من بذل له فيه مالا فأخذ كثير من العامة الاقطاعات فكان يبذل في الاقطاع مبلغ عشرين ألف درهم واقل منه على قدر متحصله وللوزير رسم معلوم ثم منع من ذلك فلما كانت نيابة الامير سيف الدين قبلاي في سنة ثلاث وخمسين مشى أحوال الاجناد في المقايضات والنزولات فاشترى الاقطاعات الباعة وأصحاب الصنائع وبيعت تقادم الحلقة وانتدب لذلك جماعة عرفت بالمهيسين بلغت عدتهم نحو الثلثمائة مهيس وصاروا يطوفون على الاجناد ويرغبونهم في النزول عن اقطاعاتهم أو المقايضة بها وجعلوا لهم على كل ألف درهم مائة درهم فلما فحش الامر أبطل الامير شيخون العمري النزولات والمقايضات عندما استقر رأس نوبة واستقل بتدبير امور الدولة وتقدم لمباشري ديوان الجيش أن لا يأخذوا رسم المنشور والمحاسبة سوى ثلاثة دراهم بعد ما كانوا يأخذون عشرين درهما

(ذكر الحجبة)

وكانت رتبة الحجبة في الدولة التركية جليلة وكانت تلي رتبة نيابة السلطنة ويقال لاكبر الحجبة حاجب الحجاب وموضوع الحجبة أن متوليها ينصف من الامراء والجند تارة بنفسه وتارة بمشاورة السلطان وتارة بمشاورة النائب وكان اليه تقديم من يعرض ومن يرد وعرض الجند فان لم يكن نائب السلطنة فانه هو المشار اليه في الباب والقائم مقام النواب في كثير من الامور وكان حكم الحاجب لا يتعدى النظر في مخاصمات الاجناد واختلافهم في امور الاقطاعات ونحو ذلك ولم يكن أحد من الحجاب فيما سلف يتعرض للحكم في شيء من الامور الشرعية كتداعي الزوجين وأرباب الديون وانما يرجع ذلك الى قضاة الشرع ولقد عهدنا دائما أن الواحد من الكتاب أو الضمان ونحوهم يفر من باب الحاجب ويصير الى باب أحد القضاة ويستجير بحكم الشرع فلا يطمع أحد بعد ذلك في أخذه من باب القاضي وكان فيهم من يقيم الاشهر والاعوام في ترسيم القاضي حماية له من ايدي الحجاب ثم تغير ما هنالك وصار الحاجب اليوم اسما لعدة جماعة من الامراء ينتصبون للحكم بين الناس لا لغرض الا لتضمين أبوابهم بمال مقرر في كل يوم على رأس نوبة النقباء وفيهم غير واحد ليس لهم على الامرة اقطاع وانما يرتزقون من مظالم العباد وصار الحاجب اليوم يحكم في كل جليل وحقير من الناس سواء كان

الحكم شرعيا أو سياسيا بزعمهم وان تعرّض قاض من قضاة الشرع لاخذ غريم من باب الحاجب لم يمكن من ذلك ونقيب الحاجب اليوم مع رذالة الحاجب وسفالته وتظاهره من المنكر بما لم يكن يعهد مثله يتظاهر به اطراف السوقة فانه يأخذ الغريم من باب القاضي ويتحكم فيه من الضرب وأخذ المال بما يختار فلا ينكر ذلك أحد البتة وكانت أحكام الحجاب أوّلا يقال لها حكم السياسة وهي لفظة شيطانية لا يعرف اكثر أهل زمننا اليوم اصلها ويتساهلون في التلفظ بها ويقولون هذا الامر مما لا يمشي في الاحكام الشرعية وانما هو من حكم السياسة ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وسأبين معنى ذلك وهو فصل عزيز

(ذكر أحكام السياسة)

اعلم أن الناس في زمننا بل ومنذ عهد الدولة التركية بديار مصر والشام يرون أن الاحكام على قسمين حكم الشرع وحكم السياسة ولهذه الجملة شرح فالشريعة هي ما شرع الله تعالى من الدين وأمر به كالصلاة والصيام والحج وسائر أعمال البرّ واشتق الشرع من شاطئ البحر وذلك أن الموضع الذي على شاطئ البحر تشرع فيه الدواب وتسميه العرب الشريعة فيقولون للابل اذا وردت شريعة الماء وشربت قد شرع فلان ابله وشرّعها بتشديد الراء اذا أوردها شريعة الماء والشريعة والشراع والشرعة المواضع التي ينحدر الماء فيها ويقال شرع الدين يشرعه شرعا بمعنى سنه قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ويقال ساس الامر سياسة بمعنى قام به وهو سائس من قوم ساسة وسوس وسوّسه القوم جعلوه يسوسهم والسوس الطبع والخلق فيقال الفصاحة من سوسه والكرم من سوسه أي من طبعه فهذا اصل وضع السياسة في اللغة ثم رسمت بأنها القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح وانتظام الاحوال * والسياسة نوعان سياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر فهي من الاحكام الشرعية علمها من علمها وجهلها من جهلها وقد صنف الناس في السياسة الشرعية كتبا متعدّدة والنوع الآخر سياسة ظالمة فالشريعة تحرّمها وليس ما يقوله اهل زماننا في شيء من هذا وانما هي كلمة مغلية أصلها ياسه فحرّفها أهل مصر وزادوا بأوّلها سينا فقالوا سياسة وأدخلوا عليها الالف واللام فظنّ من لا علم عنده أنها كلمة عربية وما الامر فيها الا ما قلت لك واسمع الآن كيف نشأت هذه الكلمة حتى انتشرت بمصر والشام وذلك أن جنكزخان القائم بدولة التتر في بلاد الشرق لما غلب الملك أونك خان وصارت له دولة قرّر قواعد وعقوبات أثبتها في كتاب سماه ياسه ومن الناس من يسميه يسق والاصل في اسمه ياسه ولما تمم وضعه كتب ذلك نقشا في صفائح الفولاذ وجعله شريعة لقومه فالتزموه بعده حتى قطع الله دابرهم وكان جنكزخان لا يتدين بشيء من أديان أهل الارض كما تعرف هذا ان كنت اشرفت على أخباره فصار الياسه حكما بتا بقي في أعقابه لا يخرجون عن شيء من حكمه * واخبرني العبد الصالح الداعي الى الله تعالى أبو هاشم احمد ابن البرهان رحمه الله انه رأى نسخة من الياسه بخزانة المدرسة المستنصرية ببغداد ومن جملة ما شرعه جنكزخان في الياسه أن من زنى قتل ولم يفرق بين المحصن وغير المحصن ومن لاط قتل ومن تعمد الكذب أو سحر أو تجسس على أحد أو دخل بين اثنين وهما يتخاصمان وأعان أحدهما على الآخر قتل ومن بال في الماء أو على الرماد قتل ومن اعطي بضاعة فخسر فيها فانه يقتل بعد الثالثة ومن اطعم اسير قوم أو كساه بغير اذنهم قتل ومن وجد عبدا هاربا أو أسيرا قد هرب ولم يردّه على من كان في يده قتل وأن الحيوان تكتف قوائمه ويشق بطنه ويمرس قلبه الى أن يموت ثم يؤكل لحمه وأن من ذبح حيوانا كذبيحة المسلمين ذبح ومن وقع حمله أو قوسه أو شيء من متاعه وهو يكرّ أو يفرّ في حالة القتال وكان وراءه أحد فانه ينزل ويناول صاحبه ما سقط منه فان لم ينزل ولم يناوله قتل وشرط أن لا يكون على أحد من ولد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه مؤنة ولا كلفة وأن لا يكون على أحد من الفقراء ولا القرّاء ولا الفقهاء ولا الاطباء ولا من عداهم من أرباب العلوم واصحاب العبادة والزهد والمؤذنين ومغسلي الاموات كلفة ولا مؤنة وشرط تعظيم جميع الملل من غير تعصب لملة على أخرى وجعل ذلك كله قربة الى الله تعالى وألزم قومه أن لا يأكل أحد من يد أحد حتى يأكل المناول منه أوّلا ولو أنه أمير ومن يناوله اسير وألزمهم أن لا يتخصص أحد بأكل شيء وغيره يراه بل يشركه معه في اكله وألزمهم أن لا يتميز احد منهم بالشبع على اصحابه ولا يتخطى أحد نارا ولا مائدة ولا الطبق الذي يؤكل عليه وأن من مرّ بقوم وهم يأكلون فله أن ينزل ويأكل معهم من غير اذنهم وليس لاحد منعه وألزمهم أن لا يدخل أحد منهم يده في الماء ولكنه يتناول

الماء بشيء يغترفه به ومنعهم من غسل ثيابهم بل يلبسونها حتى تبلى ومنع أن يقال لشيء انه نجس وقال جميع الاشياء طاهرة ولم يفرق بين طاهر ونجس وألزمهم أن لا يتعصبوا لشيء من المذاهب ومنعهم من تفخيم الالفاظ ووضع الالقاب وانما يخاطب السلطان ومن دونه ويدعى باسمه فقط وألزم القائم بعده بعرض العساكر واسلحتها إذا ارادوا الخروج الى القتال وانه يعرض كل ما سافر به عسكره وينظر حتى الابرة والخيط فمن وجده قد قصر في شيء مما يحتاج اليه عند عرضه اياه عاقبه وألزم نساء العساكر بالقيام بما على الرجال من السخر والكلف في مدة غيبتهم في القتال وجعل على العساكر اذا قدمت من القتال كلفة يقومون بها للسلطان ويؤدونها اليه وألزمهم عند رأس كل سنة بعرض سائر بناتهم الابكار على السلطان ليختار منهن لنفسه وأولاده ورتب لعساكره أمراء وجعلهم أمراء ألوف وأمراء مئين وأمراء عشراوات وشرع أن اكبر الامراء اذا أذنب وبعث اليه الملك أخس من عنده حتى يعاقبه فانه يلقي نفسه الى الارض بين يدي الرسول وهو ذليل خاضع حتى يمضي فيه ما أمر به الملك من العقوبة ولو كانت بذهاب نفسه وألزمهم أن لا يتردد الامراء لغير الملك فمن تردد منهم لغير الملك قتل ومن تغير عن موضعه الذي يرسم له بغير اذن قتل وألزم السلطان باقامة البريد حتى يعرف أخبار مملكته بسرعة وجعل حكم الياسه لولده جقتاي بن جنكزخان فلما مات التزم من بعده من أولاده وأتباعهم حكم الياسه كالتزام أول المسلمين حكم القرآن وجعلوا ذلك دينا لم يعرف عن أحد منهم مخالفته بوجه فلما كثرت وقائع التتر في بلاد المشرق والشمال وبلاد القبجاق وأسروا كثيرا منهم وباعوهم تنقلوا في الاقطار واشترى الملك الصالح نجم الدين أيوب جماعة منهم سماهم البحرية ومنهم من ملك ديار مصر وأولهم المعز أيبك ثم كانت لقطز معهم الواقعة المشهورة على عين جالوت وهزم التتار وأسر منهم خلقا كثيرا صاروا بمصر والشام ثم كثرت الوافدية في ايام الملك الظاهر بيبرس وملؤا مصر والشام وخطب للملك بركة بن توشي بن جنكزخان على منابر مصر والشام والحرمين فغصت أرض مصر والشام بطوائف المغل وانتشرت عاداتهم بها وطرائقهم هذا وملوك مصر وامراؤها وعساكرها قد ملئت قلوبهم رعبا من جنكزخان وبنيه وامتزج بلحمهم ودمهم مهابتهم وتعظيمهم وكانوا انما ربوا بدار الاسلام ولقنوا القرآن وعرفوا أحكام الملة المحمدية فجمعوا بين الحق والباطل وضموا الجيد الى الرديء وفوضوا لقاضي القضاة كل ما يتعلق بالامور الدينية من الصلاة والصوم والزكاة والحج وناطوا به امر الاوقاف والايتام وجعلوا اليه النظر في الاقضية الشرعية كتداعي الزوجين وأرباب الديون ونحو ذلك واحتاجوا في ذات انفسهم الى الرجوع لعادة جنكزخان والاقتداء بحكم الياسه فلذلك نصبوا الحاجب ليقضي بينهم فيما اختلفوا فيه من عوايدهم والاخذ على يد قويهم وانصاف الضعيف منه على مقتضى ما في الياسه وجعلوا اليه مع ذلك النظر في قضايا الدواوين السلطانية عند الاختلاف في امور الاقطاعات لينفذ ما استقرت عليه أوضاع الديوان وقواعد الحساب وكانت من أجل القواعد وأفضلها حتى تحكم القبط في الاموال وخراج الاراضي فشرعوا في الديوان ما لم يأذن به الله تعالى ليصير لهم ذلك سبيلا الى اكل مال الله تعالى بغير حقه وكان مع ذلك يحتاج الحاجب الى مراجعة النائب أو السلطان في معظم الامور هذا وستر الحياء يومئذ مسدول وظل العدل صاف وجناب الشريعة محترم وناموس الحشمة مهاب فلا يكاد احد أن يزيغ عن الحق ولا يخرج عن قضية الحياء ان لم يكن له وازع من دين كان له ناه من عقل ثم تقلص ظل العدل وسفرت أوجه الفجور وكشر الجور أنيابه وقلت المبالاة وذهب الحياء والحشمة من الناس حتى فعل من شاء ما شاء وتعدت منذ عهد المحن التي كانت في سنة ست وثمانمائة الحجاب وهتكوا الحرمة وتحكموا بالجور تحكما خفي معه نور الهدى وتسلطوا على الناس مقتا من الله لاهل مصر وعقوبة لهم بما كسبت ايديهم ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون * وكان أول ما حكم الحجاب في الدولة التركية بين الناس بمصر أن السلطان الملك الكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاون استدعى الامير شمس الدين آق سنقر الناصري نائب طرابلس ليوليه نيابة السلطنة بديار مصر عوضا عن الامير سيف الدين بيغوا أميرا حاجبا كبيرا يحكم بين الناس فخلع عليه في جمادى الاولى سنة ست وأربعين وسبعمائة فحكم بين الناس كما كان نائب السلطنة يحكم وجلس بين يديه موقعان من موقعي السلطان لمكاتبة الولاة بالاعمال ونحوهم فاستمر ذلك ثم رسم في جمادى الآخرة منها أن يكون الامير رسلان بصل حاجبا مع بيغوا يحكم بالقاهرة

على عادة الحجاب فلما انقضت دولة الكامل بأخيه الملك المظفر حاجي بن محمد استقرّ الامير سيف الدين ارقطاى نائب السلطنة فعاد أمر الحجاب الى العادة القديمة الى أن كانت ولاية الامير سيف الدين جرجي الحجابة في ايام السلطان الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاون فرسم له أن يتحدّث في أرباب الديون وينفصلهم من غرمائهم بأحكام السياسة ولم تكن عادة الحجاب فيما تقدم أن يحكموا في الامور الشرعية وكان سبب ذلك وقوف تجار العجم للسلطان بدار العدل في أثناء سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وذكروا أنهم ماخرجوا من بلادهم الا لكثرة ماظلمهم التتار وجاروا عليهم وأن التجار بالقاهرة اشتروا منهم عدة بضائع وأكلوا اثمانها ثم هم يثبتون على يد القاضي الحنفيّ اعسارهم وهم في سجنه وقد افلس بعضهم فرسم للامير جرجي باخراج غرمائهم من السجن وخلاص مافي قبلهم للتجار وأنكر على قاضي القضاة جمال الدين عبد الله التركمانيّ الحنفيّ ماعمله ومنع من التحدّث في أمر التجار والمديونين فأخرج جرجي غرماء التجار من السجن وعاقبهم حتى أخذ للتجار اموالهم منهم شيأ بعد شئ وتمكن الحجاب من حينئذ من التحكم على الناس بماشاؤا * (أمير جاندار) موضوع أمير جاندار التسلم لباب السلطان ولرتبة البرددارية وطوائف الركابية والجرامانية والجندارية وهو الذي يقدم البريد اذا قدم مع الدوادار وكاتب السرّ واذا أراد السلطان تقرير أحد من الامراء على شئ اوقتله بذنب كان ذلك على يد امير جاندار وهو أيضا المتسلم للزردخاناه وكانت أرفع السجون قدرا ومن اعتقل بها لاتطول مدّته بها بل يقتل أو يخلى سبيله وهو الذي يدور بالزفة حول السلطان في سفره مساء وصباحا * (الاستادار) اليه أمر البيوت السلطانية كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان وهو الذي كان يمشي بطلب السلطان في السرحات والاسفار وله الحكم في غلمان السلطان وباب داره واليه امور الجاشنكيرية وان كان كبيرهم نظيره في الامرة من ذوي المئين وله أيضا الحديث المطلق والتصرّف التام في استدعاء مايحتاجه كل من في بيت من بيوت السلطان من النفقات والكساوي ومايجري مجرى ذلك ولم تزل رتبة الاستادار على ذلك حتى كانت ايام الظاهر برقوق فأقام الامير جمال الدين محمود بن علي بن اصفر عينه استادارا وناط به تدبير أموال المملكة فتصرّف في جميع مايرجع الى أمر الوزير وناظر الخاص وصارا يتردّدان الى بابه ويمضيان الامور برأيه فجلت من حينئذ رتبة الاستادار بحيث انه صار في معنى ما كان فيه الوزير في أيام الخلفاء سيما اذا اعتبرت حال الامير جمال الدين يوسف الاستادار في ايام الناصر فرج بن برقوق كما ذكرناه عند ذكر المدارس من هذا الكتاب فانك تجده انما كان كالوزير العظيم لعموم تصرّفه ونفوذ أمره في سائر احوال المملكة واستقرّ ذلك لمن ولي الاستادارية من بعده والامر على هذا الى اليوم * (أمير سلاح) هذا الامير هو مقدّم السلاحدارية والمتولي لحمل سلاح السلطان في المجامع الجامعة وهو المتحدّث في السلاح خاناه ومايستعمل بها ومايقدم اليها ويطلق منها وهو أبدا من أمراء المئين * (الدوادار) ومن عادة الدولة أن يكون بها من أمرائها من يقال له الدوادار وموضوعه لتبليغ الرسائل عن السلطان وابلاغ عامّة الامور وتقديم القصص الى السلطان والمشاورة على من يحضر الى الباب وتقديم البريد هو وأمير جاندار وكاتب السرّ وهو الذي يقدم الى السلطان كل ما تؤخذ عليه العلامة السلطانية من المناشير والتواقيع والكتب وكان يخرج عن السلطان بمرسوم ممايكتب فيعين رسالته في المرسوم واختلفت آراء ملوك الترك في الدوادار فتارة كان من امراء العشراوات والطبلخاناه وتارة كان من امراء الالوف فلما كانت ايام الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون ولي الامير اقتمر الحنبليّ وظيفة الدوادارية وكان عظيما في الدولة فصار يخرج المراسيم السلطانية بغير مشاورة كما يخرج نائب السلطنة ويعين في المرسوم اذ ذاك انه كتب برسالته ثم نقل الى نيابة السلطنة واقام الاشرف عوضه الامير طاش تمر الدوادار وجعله من اكابر امراء الالوف فاقتدى به الملك الظاهر برقوق وجعل الامير يونس الدوادار من اكابر امراء الالوف فعظمت منزلته وقويت مهابته ثم لما عادت الدولة الظاهرية بعد زوالها ولي الدوادارية الامير بوطا فتحكم تحكما زائدا عن المعهود في الدوادارية وتصرّف كتصرّف النواب وولي وعزل وحكم في القضايا المعضلة فصار ذلك من بعده عادة لمن ولي الدوادارية سيما لما ولي الامير يشبك والامير حكم الدوادارية في ايام الناصر فرج فانهما تحكما في جليل أمور الدولة وحقيرها من المال والبريد والاحكام والعزل والولاية ومابرح الحال على هذا في الايام الناصرية وكذلك الحال في الايام المؤيدية يقارب

ذلك * (نقابة الجيوش) هذه الرتبة كانت فى الدولة التركية من الرتب الجليلة ويكون متوليها كأحد الحجاب الصغار وله تحلية الجند فى عرضهم ومعه يمشى النقباء فاذا طلب السلطان أو النائب أو حاجب الحجاب اميرا أو جنديا كان هو المخاطب فى الارسال اليه وهو الملزوم باحضاره واذا امر أحد منهم بالترسيم على امير أو جندى كان نقيب الجيش هو الذى يرسم عليه وكان من رسمه انه هو الذى يمشى بالحراسة السلطانية فى الموكب حالة السرحة وفى مدة السفر ثم انحطت اليوم هذه الرتبة وصار نقيب الجيش عبارة عن كبير من النقباء المعدين لترويع خلق الله تعالى وأخذ أموالهم بالباطل على سبيل القهر عند طلب أحد الى باب الحاجب ويضيفون الى أكلهم أموال الناس بالباطل افتراءهم على الله تعالى بالكذب فيقولون على المال الذى يأخذونه باطلا هذا حق الطريق والويل لمن نازعهم فى ذلك وهم أحد أسباب خراب الاقليم كما بين فى موضعه من هذا الكتاب عند ذكر الاسباب التى أوجبت خراب الاقليم * (الولاية) وهى التى يسميها السلف الشرطة وبعضهم يقول صاحب العسس والعسس الطواف بالليل لتتبع أهل الريب يقال عس يعس عسا وعسسا وأول من عس بالليل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه امره ابو بكر الصديق رضى الله عنه بعس المدينة خرج ابو داود عن الاعمش عن زيد قال اتى عبد الله بن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله رضى الله عنه انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شئ نأخذ به وذكر الثعلبى عن زيد بن وهب انه قال قيل لابن مسعود رضى الله عنه هل لك فى الوليد بن عتبة تقطر لحيته خمرا فقال انا قد نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شئ نأخذ به وكان عمر رضى الله عنه يتولى فى خلافته العسس بنفسه ومعه مولاه أسلم رضى الله عنه وكان ربما استصحب معه عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه * (قاعة الصاحب) وكانت وظيفة الوزارة اجل رتب أرباب الاقلام لان متوليها ثانى السلطان اذا أنصف وعرف حقه الا أن ملوك الدولة التركية قدموا رتبة النيابة على الوزارة فتأخرت الوزارة حتى قعد بها مكانها ووليها فى الدولة التركية أناس من أرباب السيوف وأناس من أرباب الاقلام فصار الوزير اذا كان من أرباب الاقلام يطلق عليه اسم الصاحب بخلاف ما اذا كان من أرباب السيوف فانه لا يقال له الصاحب وأصل هذه الكلمة فى اطلاقها على الوزير أن الوزير اسماعيل بن عباد كان يصحب مؤيد الدولة أبا منصور بويه بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمى صاحب بلاد الرى وكان مؤيد الدولة شديد الميل اليه والمحبة له فسماه الصاحب وكان الوزير حينئذ أبو الفتح على بن العميد يعاديه لشدة تمكنه من مؤيد الدولة فتلقب الوزراء بعد ابن عباد بالصاحب ولا أعلم أحدا من وزراء خلفاء بنى العباس ولا وزراء الخلفاء الفاطميين قيل له الصاحب وقد جمعت فى وزراء الاسلام كتابا جليل القدر وأفردت وزراء مصر فى تصنيف بديع والذى أعرف أن الوزير صفى الدين عبد الله بن شكر وزير العادل والكامل من ملوك مصر من بنى أيوب كان يقال له الصاحب وكذلك من بعده من وزراء مصر الى اليوم وكان وضع الوزير أنه اقيم لنفاذ كلمة السلطان وتمام تصرفه غير أنها انحطت عن ذلك بنيابة السلطنة ثم انقسم ما كان للوزير الى ثلاثة هم الناظر فى المال وناظر الخاص وكاتب السر فانه يوقع فى دار العدل ما كان يوقع فيه الوزير بمشاورة واستقلال ثم تلاشت الوزارة فى ايام الظاهر برقوق بما أحدثه من الديوان المفرد وذلك انه لما ولى السلطنة أفرد اقطاعه لما كان أميرا قبل سلطنته وجعل له ديوانا سماه الديوان المفرد وأقام فيه ناظرا وشاهدين وكتابا وجعل مرجع هذا الديوان الى الاستادار وصرف ما يتحصل منه فى جوامك مماليك استجدها شيأ بعد شئ حتى بلغت خمسة آلاف مملوك وأضاف الى هذا الديوان كثيرا من أعمال الديار المصرية وبذلك قوى جانب الاستادار وضعفت الوزارة حتى صار الوزير قصارى نظره التحدث فى امر المكوس فيستخرجها من جهاتها ويصرفها فى ثمن اللحم وحوايج المطبخ وغير ذلك ولقد كان الوزير الصاحب سعد الدين نصر الله بن البقرى يقول الوزارة اليوم عبارة عن حوايج كاش عفش يشترى اللحم والحطب وحوايج الطعام وناظر الخاص غلام صلف يشترى الحرير والصوف ٢
والنصافى والسنجاب وأما ما كان للوزراء ونظار الخاص فى القديم فقد بطل ولقد صدق فيما قال فان الامر على هذا ومارأينا الوزارة من بعد انحطاط رتبتها ارتفع قدر متوليها الا اذا اضيفت الى الاستادارية كما وقع للامير جمال الدين يوسف الاستادار والامير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج وأما من ولى الوزارة بمفردها سيما من أرباب الاقلام فانما هو كاتب كبير يتردد ليلا ونهارا الى باب الاستادار ويتصرف بأمره ونهيه وحقيقة الوزارة اليوم

انها انقسمت بين أربعة وهم كاتب السر والاستادار وناظر الخاص والوزير فأخذ كاتب السر من الوزارة التوقيع على القصص بالولايات والعزل ونحو ذلك فى دار العدل وفى داره وأخذ الاستادار التصرف فى نواحى أرض مصر والتحدث فى الدواوين السلطانية وفى كشف الاقاليم وولاة النواحى وفى كثير من امور ارباب الوظائف وأخذ ناظر الخاص جانبا كبيرا من الاموال الديوانية السلطانية ليصرفها فى تعلقات الخزانة السلطانية وبقى للوزير شئ يسير جدا من النواحى والتحدث فى المكوس وبعض الدواوين ومصارف المطبخ السلطانى والسواقى واشياء أخر واليه مرجع ناظر الدولة وشاد الدواوين وناظر بيت المال وناظر الاهراء ومستوفى الدولة وناظر الجهات وأما ناظر البيوت وناظر الاصطبلات فان أمرهما يرجع الى غيره والله اعلم * (نظر الدولة) هذه الوظيفة يقال لمتوليها ناظر النظار ويقال له ناظر المال وهو يعرف اليوم بناظر الدولة وتلى رتبته رتبة الوزارة فاذا غاب الوزير او تعطلت الوزارة من وزير قام ناظر الدولة بتدبير الدولة وتقدم الى شاد الدواوين بتحصيل الاموال وصرفها فى النفقات والكلف واقتصر الملك الناصر محمد بن قلاون على ناظر الدولة مدة أعوام من غير تولية وزير ومشى امور الدولة على ذلك حتى مات ولا بدّ أن يكون مع ناظر الدولة مستوفون يضبطون كليات المملكة وجزئياتها ورأس المستوفين مستوفى الصحبة وهو يتحدث فى سائر المملكة مصرا وشاما ويكتب مراسيم يعلم عليها السلطان فتكون تارة بما يعمل فى البلاد وتارة بالاطلاقات وتارة باستخدام كتاب فى صغار الاعمال ومن هذا النحو وما يجرى مجراه وهى وظيفة جليلة تلى نظر الدولة وبقية المستوفين كل منهم حديثه مقيد لا يتعدى حديثه قطرا من اقطار المملكة وهذا الديوان أعنى ديوان النظر هو أرفع دواوين المال وفيه تثبت التواقيع والمراسيم السلطانية وكل ديوان من دواوين المال انما هو فرع هذا الديوان واليه يرفع حسابه وتتناهى أسبابه واليه يرجع أمر الاستيمار الذى يشتمل على أرزاق ذوى الاقلام وغيرهم مياومة ومشاهرة ومسانهة من الرواتب وكانت أرزاق ذوى الاقلام مشاهرة من مبلغ عين وغلة وكان لاعيانهم الرواتب الجارية فى اليوم من اللحم بتوابله أوغير توابله والخبز والعليق لدوابهم وكان لاكابرهم السكر والشمع والزيت والكسوة فى كل سنة والاضحية وفى شهر رمضان السكر والحلوى واكثرهم نصيبا الوزير وكان معلومه فى الشهر مائتين وخمسين دينارا جيشية مع الاصناف المذكورة والغلة وتبلغ نظير المعلوم ثم ما دون ذلك من المعلوم لمن عدا الوزير وما دون دونه وكان معلوم القضاة والعلماء اكثره خمسون دينارا فى كل شهر مضافا لما بيدهم من المدارس التى يستدرون من أوقافها وكان أيضا يصرف على سبيل الصدقات الجارية والرواتب الدارة على جهات ما بين مبلغ وغلة وخبز ولحم وزيت وكسوة وشعير هذا سوى الارض من النواحى التى يعرف المرتب عليها بالرزق الاحباسية وكانوا يتوارثون هذه المرتبات ابنا عن أب ويرثها الاخ عن أخيه وابن العم عن ابن العم بحيث ان كثيرا ممن مات وخرج ادراره من مرتبه لاجنبى لما جاء قريبه وقدم قصته يذكر فيها أولويته بما كان لقريبه أعيد اليه ذلك المرتب ممن كان خرج باسمه * (نظر البيوت) كان من الوظائف الجليلة وهى وظيفة متوليها منوط بالاستادار فكل ما يتحدث فيه أستادار السلطان فانه يشاركه فى التحدث وهذا كان أيام يكون الاستادار ونظره لا يتعدى بيوت السلطان وما تقدم ذكره فأما منذ عظم قدر الاستادار ونفذت كلمته فى جمهور أموال الدولة فان نظر البيوت اليوم شئ لا معنى له * (نظر بيت المال) كان وظيفة جليلة معتبرة وموضوع متوليها التحدث فى حمول المملكة مصرا وشاما الى بيت المال بقلعة الجبل وفى صرف ما ينصرف منه تارة بالوزن وتارة بالتسبيب بالاقلام وكان أبدا يصعد ناظر بيت المال ومعه شهود بيت المال وصيرفى بيت المال وكاتب المال الى قلعة الجبل ويجلس فى بيت المال فيكون له هنالك أمر ونهى وحال جليلة لكثرة الحمول الواردة وخروج الاموال المصروفة فى الرواتب لاهل الدولة وكانت أمرا عظيما بحيث انها بلغت فى السنة نحو أربعمائة ألف دينار وكان لا يلى نظر بيت المال الا من هو من ذوى العدالات المبرزة ثم تلاشى المال وبيت المال وذهب الاسم والمسمى ولا يعرف اليوم بيت المال من القلعة ولا يدرى ناظر بيت المال من هو * (نظر الاصطبلات) هذه الوظيفة جليلة القدر الى اليوم وموضوعها الحديث فى أموال الاصطبلات والمناخات وعلفها وأرزاق من فيها من المستخدمين وما بها من الاستعمالات والاطلاق وكل ما يبتاع لها أو يبتاع بها وأول من استجدها الملك الناصر محمد بن قلاون وهو أول من زاد فى رتبة أمير اخور واعتنى

بالاوجاقية والعرب الركابة وكان أبوه المنصور قلاون يرغب فى خيل برقة أكثر من خيل العرب ولا يعرف عنه انه اشترى فرسا بأكثر من خمسة آلاف درهم وكان يقول خيل برقة نافعة وخيل العرب زينة بخلاف الناصر محمد فانه شغف باستدعاء الخيول من عرب آل مهنا وآل فضل وغيرهم وبسببها كان يبالغ فى اكرام العرب ويرغبهم فى أثمان خيولهم حتى خرج عن الحد فى ذلك فكثرت رغبة آل مهنا وغيرهم فى طلب خيول من عند اهم من العربان وتتبعوا عتاق الخيل من مظانها وسمحوا بدفع الاثمان الزائدة على قيمتها حتى اتتهم طوائف العرب بكرائم خيولهم فتمكنت آل مهنا من السلطان وبلغوا فى أيامه الرتب العلية وكان لا يحب خيول برقة واذا أخذ منها شيأ أعده للتفرقة على الامراء البرانيين ولا يسمح بخيول آل مهنا الا لاعز الامراء وأقرب الخاصكية منه وكان جيد المعرفة بالخيل شياتها وأنسابها لا يزال يذكر أسماء من أحضرها اليه ومبلغ ثمنها فلما اشتهر عنه ذلك جلب اليه أهل البحرين والحساء والقطيف وأهل الحجاز والعراق كرائم خيولهم فدفع لهم فى الفرس من عشرة آلاف درهم الى عشرين الى ثلاثين ألف درهم عنها ألف وخمسمائة مثقال من الذهب سوى ما ينعم به على مالكه من الثياب الفاخرة له ولنسائه ومن السكر ونحوه فلم تبق طائفة من العرب حتى قادت اليه عتاق خيلها وبلغ من رغبة السلطان فيها انه صرف فى أثمانها دفعة واحدة من جهة كريم الدين ناظر الخاص ألف ألف درهم فى يوم واحد وتكرر هذا منه غير مرة وبلغ ثمن الفرس الواحد من خيول آل مهنا الستين ألف درهم والسبعين ألف درهم واشترى كثيرا من الحجور بالثمانين ألفا والتسعين ألفا واشترى بنت الكرشاء بمائة ألف درهم عنها خمسة آلاف مثقال من الذهب هذا سوى الانعامات بالضياع من بلاد الشام وكان من عنايته بالخيل لا يزال يتفقدها بنفسه فاذا أصيب منها فرس أو كبر سنه بعث به الى الجشار وتنزى الفحول المعروفة عنده على الحجور بين يديه وكتاب الاصطبل تؤرخ تاريخ نزوها واسم الحصان والحجرة فتوالدت عنده خيول كثيرة اغتنى بها عن الجلب ومع ذلك فلم تكن عنده فى منزلة ما يجلب منها وبهذا ضخمت سعادة آل مهنا وكثرت أموالهم وضياعهم فعز جانبهم وكثر عددهم وهابهم من سواهم من العرب وبلغت عدة خيول الجشارات فى أيامه نحو ثلاثة آلاف فرس وكان يعرضها فى كل سنة ويدوغ أولادها بين يديه ويسلمها للعربان الركابة وينعم على الامراء الخاصكية بأكثرها ويتبجح بها ويقول هذه فلانة بنت فلان وهذا فلان بن فلانة وعمره كذا وشراء أمه كذا وكذا وكان لا يزال يؤكد على الامراء فى تضمير الخيول ويلزم كل أمير أن يضمر أربعة أفراس ويتقدم لامير اخور أن يضمر للسلطان عدة منها ويوصيه بكتمان خبرها ثم يشيع أنها لايدغمش أمير اخور ويرسلها مع الخيل فى حلبة السباق خشية أن يسبقها فرس أحد من الامراء فلا يحتمل ذلك فانه ممن لا يطيق شيأ ينقص ملكه وكان السباق فى كل سنة بميدان القبق ينزل بنفسه وتحضر الامراء بخيولها المضمرة فيجريها وهو على فرسه حتى تنقضى نوبها وكانت عدتها مائة وخمسين فرسا فما فوقها فاتفق انه كان عند الامير قطلوبغا الفخرى حصان أدهم سبق خيل مصر كلها فى ثلاث سنين متوالية أيام السباق وبعث اليه الامير مهنا فرسا شهباء على انها ان سبقت خيل مصر فهى للسلطان وان سبقها فرس ردت اليه ولا يركبها عند السباق الا بدوى قادها فركب السلطان للسباق فى أمرائه على عادته ووقف معه سليمان وموسى ابنا مهنا وأرسلت الخيول من بركة الحاج على عادتها وفيها فرس مهنا وقد ركبها البدوى عريا بغير سرج فأقبلت سائر الخيول تتبعها حتى وصلت المدى وهى عرى بغير سرج والبدوى عليها بقميص وطاقية فلما وقفت بين يدى السلطان صاح البدوى السعادة لك اليوم يا مهنا لا شقيت فشق على السلطان أن خيله سبقت وابطل التضمير من خيله وصارت الامراء تضمر على عادتها ومات الناصر محمد عن أربعة آلاف وثمانمائة فرس وترك زيادة على خمسة آلاف من الهجن الاصائل والنوق المهريات والقرشيات سوى أتباعها وبطل بعده السباق فلما كانت ايام الظاهر برقوق عنى بالخيل ايضا ومات عن سبعة آلاف فرس وخمسة عشر ألف جمل

*(ديوان الانشاء) وكان بجوار قاعة الصاحب بقلعة الجبل ديوان الانشاء يجلس فيه كاتب السر وعنده موقعو الدرج وموقعو الدست فى أيام المواكب طول النهار ويحمل اليهم من المطبخ السلطانى المطاعم وكانت الكتب الواردة وتعليق ما يكتب من الباب السلطانى موضوعة بهذه القاعة وأنا جلست بها عند القاضى بدر الدين محمد بن فضل الله العمرى أيام مباشرتى التوقيع السلطانى الى نحو السبعين والسبعمائة فلما زالت

دولة الظاهر برقوق ثم عادت اختلت امور كثيرة منها أمر قاعة الانشاء بالقلعة وهجرت وأخذ ما كان فيها من الاوراق وبيعت بالقنطار ونسى رسمها وكتابة السر رتبة قديمة ولها أصل فى السنة فقد خرج أبو بكر عبد الله ابن أبى داود سليمان بن الاشعث السجستانى فى كتاب المصاحف من حديث الاعمش عن ثابت بن عبيد عن زيد ابن ثابت رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم انها تأتينى كتب لا أحب أن يقرأها كل أحد فهل تستطيع أن تعلم كتاب العبرانية أو قال السريانية فقلت نعم قال فتعلمتها فى سبع عشرة ليلة ولم يزل خلفاء الاسلام يختارون لكتابة سرهم الواحد بعد الواحد وكان موضوع كتابة السر فى الدولة التركية على ما استقر عليه الامر فى ايام الناصر محمد بن قلاون أن لمتوليها المسمى بكاتب السر وبصاحب ديوان الانشاء ومن الناس من يقول ناظر ديوان الانشاء قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة اجوبتها اما بخطه أو بخط كاتب الدست أو كاتب الدرج بحسب الحال وله تسفير الاجوبة بعد أخذ علامة السلطان عليها وله تصريف المراسيم ورودا وصدورا وله الجلوس بين يدى السلطان بدار العدل لقراءة القصص والتوقيع عليها بخطه فى المجلس فصار يوقع فيما كان يوقع عليه بقلم الوزارة وصار اليه التحدث فى مجلس السلطان عند عقد المشورة وعند اجتماع الحكام لفصل امر مهم وله التوسط بين الامراء والسلطان فيما يندب اليه عند الاختلاف أو التدبير واليه ترجع امور القضاة ومشايخ العلم ونحوهم فى سائر المملكة مصرا وشاما فيمضى من امورهم ما احب ويشاور السلطان فيما لا بد من مشاورته فيه وكانت العادة أن يجلس تحت الوزير فلما عظم تمكن القاضى فتح الدين فتح الله كاتب السر من الدولة جلس فوق الوزير الصاحب سعد الدين ابراهيم البشيرى فاستقر ذلك لمن بعده ورتبة كاتب السر اجل الرتب وذلك انها منتزعة من الملك فان الدولة العباسية صار خلفاؤها فى أول أمرهم منذ عهد أبى العباس السفاح الى ايام هارون الرشيد يستبدون بأمورهم فلما صارت الخلافة الى هارون ألقى مقاليد الامور الى يحيى بن جعفر البرمكى فصار يحيى يوقع على رقاع الرافعين بخطه فى الولايات وازالة الظلامات واطلاق الارزاق والعطيات فجلت لذلك رتبته وعظمت من الدولة مكانته وكان هو أول من وقع من وزراء خلفاء بنى العباس وصار من بعده من الوزراء يوقعون على القصص كما كان يوقع وربما انفرد رجل بديوان السر وديوان الترسل ثم افردت فى اخريات دولة بنى العباس واستقل بها كتاب لم يبلغوا مبلغ الوزراء وكانوا ببغداد يقال لهم كتاب الانشاء وكبيرهم يدعى رئيس ديوان الانشاء ويطلق عليه تارة صاحب ديوان الانشاء وتارة كاتب السر ومرجع هذا الديوان الى الوزير وكان يقال له الديوان العزيز وهو الذى يخاطبه الملوك فى مكاتبات الخلفاء وكان فى الدولة السلجوقية يسمى ديوان الانشاء بديوان الطغرا واليه ينسب مؤيد الدين الطغراءى والطغرا هى طرة المكتوب فيكتب اعلى من البسملة بقلم غليظ القاب الملك وكانت تقوم عندهم مقام خط السلطان بيده على المناشير والكتب ويستغنى بها عن علامة السلطان وهى لفظة فارسية وفى بلاد المغرب يقال لرئيس ديوان الانشاء صاحب القلم الاعلى وأما مصر فانه كان بها فى القديم لما كانت دار امارة ديوان البريد ويقال لمتوليه صاحب البريد واليه مرجع ما يرد من دار الخلافة على ايدى اصحاب البريد من الكتب وهو الذى يطالع بأخبار مصر وكان لامراء مصر كتاب ينشئون عنهم الكتب والرسائل الى الخليفة وغيره فلما صارت مصر دار خلافة كان القائد جوهر يوقع على قصص الرافعين الى أن قدم المعز لدين الله فوقع وجعل أمر الاموال وما يتعلق بها الى يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن فوليا أموال الدولة ثم فوض العزيز بالله أمر الوزارة ليعقوب بن كلس فاستبد بجميع أحوال المملكة وجرى مجرى يحيى بن جعفر البرمكى وكان يوقع ومع ذلك ففى امراء الدولة من يلى البريد وجرى الامر فيما بعد على أن الوزراء يوقعون وقد يوقع الخليفة بيده فلما كانت ايام المستنصر بالله ابى تميم معد بن الظاهر وصرف أبا جعفر محمد بن جعفر بن المغربى عن وزارته افرد له ديوان الانشاء فوليه مدة طويلة وادرك ايام امير الجيوش بدر الجمالى وصار يلى ديوان الانشاء بعده الاكابر الى أن انقرضت الدولة وهو بيد القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى فاقتدت بهم الدولة الايوبية ثم الدولة التركية فى ذلك وصار الامر على ما الى اليوم وصار متولى رتبة كتابة السر اعظم أهل الدولة الا انه فى الدولة التركية يكون معه من الامراء واحد يقال له الدوادار ومنزلته منزلة صاحب البريد فى الزمن الاول ومنزلة كاتب السر منزلة صاحب ديوان الانشاء الا انه يتميز بالتوقيع على القصص تارة بمراجعة السلطان وتارة بغير مراجعة فلذلك يحتاج اليه

سائر

سائر أهل الدولة من أرباب السيوف والاقلام ولا يستغنى عن حسن سفارته نائب الشام فمن دونه ولله الامر كله وأما فى الدولة الايوبية فان كتاب الدرج كانوا فى الدولة الكاملية قليلين جدا وكانوا فى غاية الصيانة والنزاهة وقلة الخلطة بالناس واتفق أن الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير كان من جملتهم فسمع الملك الصالح نجم الدين أيوب عنه انه يحضر فى السماعات فصرفه من ديوان الانشاء وقال هذا الديوان لا يحتمل مثل هذا وكانت العادة أن لا يحضر كتاب الانشاء الديوان يوم الجمعة فعرض للملك الصالح فى بعض ايام الجمع شغل مهم فطلب بعض الموقعين فلم يجد أحدا منهم فقيل له انهم لا يحضرون يوم الجمعة فقال استخدموا فى الديوان كاتبا نصرانيا يقعد يوم الجمعة لمهم يطرأ فاستخدم الامجد بن العسال كاتب الدرج لهذا المعنى *(نظر الجيش) قد تقدم انه كان يجلس بالقلعة دواوين الجيش فى ايام الموكب وتقدم فى ذكر الاقطاعات وذكر النيابة ما يدل على حال متولى نظر الجيش ولا بد مع ناظر الجيش أن يكون من المستوفين من يضبط كليات المملكة وجزئياتها فى الاقطاعات وغيرها *(نظر الخاص) هذه الوظيفة وان كان لها ذكر قديم من عهد الخلفاء الفاطميين فان متوليها لم يبلغ من جلالة القدر ما بلغ اليه فى الدولة التركية وذلك أن الملك الناصر محمد بن قلاون لما ابطل الوزارة واقام القاضى كريم الدين الكبير فى وظيفة نظر الخاص صار متحدثا فيما هو خاص بمال السلطان يتحدث فى مجموع الامر الخاص بنفسه وفى القيام بأخذ رأيه فيه فبقى تحدثه فيه وبسببه كأنه هو الوزير لقربه من السلطان وزيادة تصرفه والى ناظر الخاص التحدث فى الخزانة السلطانية وكانت بقلعة الجبل وكانت كبيرة الوضع لانها مستودع أموال المملكة وكان نظر الخزانة منصبا جليلا الى أن استحدثت وظيفة نظر الخاص فضعف أمر نظر الخزانة وأمر الخزانة أيضا وصارت تسمى الخزانة الكبرى وهو اسم اكبر من مسماه ولم يبق بها الا خلع يخلع منها أو ما يحضر اليها ويصرف أولا فأولا وصار نظر الخزانة مضافا الى ناظر الخاص وكان الرسم أن لا يلى نظر الخزانة الا القضاة او من يلحق بهم وما برحت الخزانة بقلعة الجبل حتى عملها الامير منطاش سجنا لمماليك الظاهر برقوق فى سنة تسعين وسبعمائة فتلاشت من حينئذ ونسى أمرها وصارت الخلع ونحوها عند ناظر الخاص فى داره وكانت لاهل الدولة فى الخلع عوايد وهم على ثلاثة انواع أرباب السيوف والاقلام والعلماء فأما أرباب السيوف فكانت خلع اكابر أمراء المئين الاطلس الاحمر الرومى وتحته الاطلس الاصفر الرومى وعلى الفوقانى طرز زركش ذهب وتحته سنجاب وله سجف من ظاهره مع الغشاء قندس وكلوتة زركش بذهب وكلاليب ذهب وشاش لانس رفيع موصول به فى طرفيه حرير ابيض مرقوم بألقاب السلطان مع نقوش باهرة من الحرير الملون مع منطقة ذهب ثم تختلف أحوال المنطقة بحسب مقاديرهم فأعلاها ما عمل بين عمدها بوا كر وسطى ومجنبتان بالبلخش والزمرذ واللؤلؤ ثم ما كان ببيكاريه واحدة مرصعة ثم ما كان ببيكاريه واحدة غير مرصعة وأما من تقلد ولاية كبيرة منهم فانه يزاد سيفا محلى بذهب يحضر من السلاح خاناه ويحليه ناظر الخاص ويزاد فرسا مسرجا ملجما بكنبوش ذهب والفرس من الاصطبل وقماشه من الركاب خاناه ومرجع العمل فى سروج الذهب والكنابيش الى ناظر الخاص وكان رسم صاحب حماه من اعلى هذه الخلع ويعطى بدل الشاش اللانس شاش من عمل الاسكندرية حرير شبيه بالطول وينسج بالذهب يعرف بالمثمر ويعطى فرسين أحدهما كما ذكر والآخر يكون عوض كنبوشه زنارى اطلس أحمر وكانت لنائب الشام على ما استقر فى ايام الناصر محمد بن قلاون مثل هذا او زيد لتنكز تركيبة زركش ذهب دائرة بالقباء الفوقانى ودون هذه الرتبة فى الخلع نوع يسمى طرز وحش يعمل بدار الطراز التى كانت بالاسكندرية وبمصر وبدمشق وهو مجوخ جاخات كتابة بألقاب السلطان وجاخات طرز وحش وجاخات ألوان ممتزجة بقصب مذهب يفصل بين هذه الجاخات نقوش وطرازه هذا يكون من القصب وربما كبر بعضهم فركب عليه طرازا مزركشا بالذهب وعليه فرو سنجاب وقندس كما تقدم وتحت القباء الطرز وحش قباء من المقترح الاسكندرانى الطرح وكلوتة زركش بكلاليب وشاش على ما تقدم وحياصة ذهب فتارة تكون ببيكارية وتارة لا يكون بها بيكارية وهذه لاصاغر أمراء المئين ومن يلحق بهم ودون هذه الرتبة فى الخلع كمخا عليه نقش من لون آخر غير لونه وقد يكون من نوع لونه بتفاوت بينهما وتحته سنجاب بقندس والبقية كما تقدم الا أن الحياصة والشاش لا يكونان باطراف رقم بل تكون مجوخة بأخضر واصفر مذهب والحياصة لا تكون ببيكارية ودون هذه المرتبة كمخا تكون واحدة بسنجاب مقندس والبقية على

ماذكر وتكون الكلوتة خفيفة الذهب وجانباها يكادان يكونان خاليين بالجملة ولا حياصة له ودون هذه الرتبة مجوم لون واحد والبقية على ماذكر خلا الكلوتة والكلاليب ودون هذه الرتبة مجوم مقندس وهو قباء ملون بجاخات من أحمر وأخضر وازرق وغير ذلك من الالوان بسنجاب وقندس وتحته قباء اما أزرق أو أخضر وشاش ابيض بأطراف من نسبة ماتقدم ذكره ثم دون هذا من هذا النوع وأما الوزراء والكتاب فأجل ما كانت خلعهم الكمخا الابيض المطرز برقم حرير ساذج وسنجاب مقندس وتحته كمخا أخضر وبقيار كان من عمل دمياط مرقوم وطرحه ثم دون هذه الرتبة عدم السنجاب بل يكون القندس بدائر الكمين وطول الفرج ودونها ترك الطرحة ودونها أن يكون التحتانى مجوما ودون هذا أن يكون الفوقانى من الكمخا لكنه غير ابيض ودونه أن يكون الفوقانى مجوما ابيض ودونه أن يكون تحته عنابى وأما القضاة والعلماء فان خلعهم من الصوف بغير طراز ولهم الطرحة واجلهم أن يكون ابيض وتحته أخضر ثم مادون ذلك وكانت العادة أن أهبة الخطباء وهى السواد تحمل الى الجوامع من الخزانة وهى دلق مدوّر وشاش أسود وطرحة سوداء وعلمان أسودان مكتوبان بأبيض أو بذهب وثياب المبلغ قدام الخطيب مثل ذلك خلا الطرحة وكانت العادة اذا خلقت الاهبة المذكورة اعيدت الى الخزانة وصرف عوضها وكانت للسلطان عادات بالخلع تارة فى ابتداء سلطنته وتشمل حينئذ الخلع سائر ارباب المملكة بحيث خلع فى يوم واحد عند اقامة الاشرف كجك بن الناصر محمد بن قلاون ألف ومائتا تشريف فى وقت لعبه بالكرة على اناس جرت عوايدهم بالخلع فى ذلك الوقت كالجوكندارية والولاة ومن له خدمة فى ذلك وتارة فى اوقات الصيد عندما يسرح فاذا حصل أحد شيأ مما يصيده خلع عليه واذا أحضر أحد اليه غزالا أو نعاما خلع عليه قباء مسجفا مما يناسب خلعة مثله على قدره وكذلك يخلع على البزدارية وجملة الجوارح ومن يجرى مجراهم عند كل صيد وكانت العادة أيضا أن ينعم على غلمان الطشت خاناه والشراب خاناه والفراش خاناه ومن يجرى مجراهم فى كل سنة عند اوان الصيد وكانت العادة أن من يصل الى الباب من البلاد او يرد عليه او يهاجر من مملكة أخرى اليه أن ينعم عليه مع الخلع بأنواع الادرارات والارزاق والانعامات وكذلك التجار الذين يصلون الى السلطان ويبيعون عليه لهم مع الخلع الرواتب الدائمة من الخبز واللحم والتوابل والحلوى والعليق والمسامحات بنظير كل ما يباع من الرقيق المماليك والجوارى مع ما يسامحون به أيضا من حقوق أخرى تطلق وكل واحد من التجار اذا باع على السلطان ولو رأسا واحدا من الرقيق فله خلعة مكملة بحسبه خارجا عن الثمن وعما ينعم به عليه او يسفر به من مال السبيل على سبيل القرض ليتاجر به وأما جلابة الخيل من عرب الحجاز والشام والبحرين وبرقة وبلاد المغرب فان لهم الخلع والرواتب والعلوفات والانزال ورسوم الاقامات خارجا عن مسامحات تكتب لهم بالمقررات عن تجارة يتجرون بها مما اخذوه من اثمان الخيول وكان يثمن الفرس بأزيد من قيمته حتى ربما بلغ ثمنه على السلطان الذى يأخذه بحضره نظير قيمته عليه عشر مرات غير الخلع وسائر ماذكر ولم يبق اليوم سوى ما يخلع على ارباب الدولة وقد استجد فى الايام الظاهرية وكثر فى ايام الناصر فرج نوع من الخلع يقال له الجبة يلبسه الوزير ونحوه من ارباب الرتب العلية جعلوا ذلك ترفعا عن لبس الخلعة ولم تكن الملوك تلبس من الثياب الا المتوسط وتجعل حوائصها بغير ذهب فلم تزد حياصة الناصر محمد على مائة درهم فضة ولم يزد أيضا سقط سرجه على مائة درهم فضة على عباءة صوف تدمرى أو شامى فلما كانت دولة اولاده بالغوا فى الترف وخالفوا فيه عوايد أسلافهم ثم سلك الظاهر برقوق فى ملابسه بعض ما كان عليه الملوك الاكابر لا كله وترك لبس الحرير * (الميدان بالقلعة) هذا الميدان من بقايا ميدان احمد بن طولون الذى تقدم ذكره عند ذكر القطائع من هذا الكتاب ثم بناه الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب فى سنة احدى عشرة وستمائة وعمر الى جانبه بركا ثلاثا بالسقيه وأجرى الماء اليها ثم تعطل هذا الميدان مدة فلما قام من بعده ابنه الملك العادل أبو بكر محمد بن الكامل محمد اهتم به ثم اهتم به الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل اهتماما زائدا وجدد له ساقية أخرى وأنشأ حوله الاشجار فجاء من أحسن شئ يكون الى أن مات فتلاشى امر الميدان بعده وهدمه الملك المعز ايبك سنة احدى وخمسين وستمائة وعفت اثاره فلما كانت سنة اثنتى عشرة وسبعمائة ابتدأ الملك الناصر محمد بن قلاون عمارته فاقتطع من باب الاصطبل الى قريب باب القرافة وأحضر جميع جمال الامراء فنقلت اليه الطين حتى كساه كله وزرعه وحفر به الآبار

وركب عليها السواقى وغرس فيه النخل الفاخر والاشجار المثمرة وأدار عليه هذا السور الحجر الموجود الآن وبنى حوضا للسبيل من خارجه فلما كمل ذلك نزل اليه ولعب فيه الكرة مع أمرائه وخلع عليهم واستمر يلعب فيه يومى الثلاثاء والسبت وصار القصر الابلق يشرف على هذا الميدان فجاء ميدانا فسيح المدى يسافر النظر فى ارجائه واذا ركب السلطان اليه نزل من درج تلى قصره الجوانى فينزل السلطان الى الاصطبل الخاص ثم الى هذا الميدان وهو راكب وخواص الامراء فى خدمته فيعرض الخيول فى اوقات الاطلاقات ويلعب فيه الكرة وكان فيه عدة من انواع الوحوش المستحسنة المنظر وكانت تربط به أيضا الخيول الخاصة للتفسح وفى هذا الميدان يصلى السلطان أيضا صلاة العيدين ويكون نزوله اليه فى يوم العيد وصعوده من باب خاص من دهليز القصر غير المعتاد النزول منه فاذا ركب من باب قصره ونزل الى منفذه من الاصطبل الى هذا الميدان نزل فى دهليز سلطانى قد ضرب له على أكمل ما يكون من الابهة فيصلى ويسمع الخطبة ثم يركب ويعود الى الايوان الكبير ويمد به السماط ويخلع على حامل القبة والطير وعلى حامل السلاح والاستادار والجاشنكير وكثير من أرباب الوظائف وكانت العادة أن تعد للسلطان أيضا خلعة العيد على أنه يلبسها كما كانت العادة فى ايام الخلفاء فينعم بها على بعض اكابر أمراء المئين ولم يزل الحال على هذا الى أن كانت سنة ثمانمائة فصلى الملك الظاهر برقوق صلاة عيد النحر بجامع القلعة لتخوفه بعد واقعة الامير على باى فهجر الميدان واستمرت صلاة العيد بجامع القلعة من عامئذ طول الايام الناصرية والمؤيدية * (الحوش) ابتدئ العمل فيه على ايام الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وكان قياسه اربعة فدادين وكان موضعه بركة عظيمة قد قطع مافيها من الحجر لعمارة قاعات القلعة حتى صارت غورا كبيرا ولما شرع فى العمل رتب على كل أمير من أمراء المئين مائة رجل ومائة بهيمة لنقل التراب برسم الردم وعلى كل أمير من أمراء الطبلخاناه بحسبه وندب الامير أقبغا عبد الواحد شاد العمل فحضر من عند كل من الامراء أستاداره ومعه جند ودوابه للعمل وأحضر الاسارى وسخر والى القاهرة ووالى مصر الناس وأحضرت رجال النواحى وجلس أستادار كل امير فى خيمة ووزع العمل عليهم بالاقصاب ووقف الامير أقبغا يستحث الناس فى سرعة العمل وصار الملك الناصر يحضر فى كل يوم بنفسه فنال الناس من العمل ضرر زائد وأخرق أقبغا بجماعة من اماثل الناس ومات كثير من الرجال فى العمل لشدة العسف وقوة الحر وكان الوقت صيفا فانتهى عمله فى ستة وثلاثين يوما وأحضر اليه من بلاد الصعيد ومن الوجه البحرى ألفى رأس غنم وكثيرا من الابقار البلق لتوقف فى هذا الحوش فصار مراح غنم ومربط بقر وأجرى الماء الى هذا الحوش من القلعة واقام الاغنام حوله وتتبع فى كل سنة المراحات من عيذاب وقوص الى مادونهما من البلاد حتى يؤخذ مابهما من الاغنام المختارة وجلبها من بلاد النوبة ومن اليمن فبلغت عدتها بعد موته ثلاثين ألف رأس سوى أتباعها وبلغ البقل الاخضر الذى يشترى لفراخ الاوز فى كل يوم خمسين درهما عنها زيادة على مثقالين من الذهب فلما كانت ايام الظاهر برقوق عمل المولد النبوى بهذا الحوش فى أول ليلة جمعة من شهر ربيع الاول فى كل عام فاذا كان وقت ذلك ضربت خيمة عظيمة بهذا الحوش وجلس السلطان وعن يمينه شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير البلقينى ويليه الشيخ المعتقد ابراهيم برهان الدين بن محمد بن بهادر بن احمد بن رفاعة المغربى ويليه ولد شيخ الاسلام ومن دونه وعن يسار السلطان الشيخ أبو عبد الله محمد بن سلامة التوزرى المغربى ويليه قضاة القضاة الاربعة وشيوخ العلم ويجلس الامراء على بعد من السلطان فاذا فرغ القراء من قراءة القرآن الكريم قام المنشدون واحدا بعد واحد وهم يزيدون على عشرين منشدا فيدفع لكل واحد منهم صرة فيها أربعمائة درهم فضة ومن كل أمير من أمراء الدولة شقة حرير فاذا انقضت صلاة المغرب مدت أسمطة الاطعمة الفائقة فأكلت وحمل مافيها ثم مدت أسمطة الحلوى السكرية من الجوارشات والعقائد ونحوها فتؤكل وتخطفها الفقهاء ثم يكون تكميل انشاد المنشدين ووعظهم الى نحو ثلث الليل فاذا فرغ المنشدون قام القضاة وانصرفوا وأقيم السماع بقية الليل واستمر ذلك مدة ايامه ثم ايام ابنه الملك الناصر فرج

* (ذكر المياه التى بقلعة الجبل) *

وجميع مياه القلعة من ماء النيل تنقل من موضع الى موضع حتى تمر فى جميع مايحتاج اليه بالقلعة

وقد اعتنى الملوك بعمل السواقى التى تنقل الماء من بحر النيل الى القلعة عناية عظيمة فأنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة أربع سواق على بحر النيل تنقل الماء الى السور ثم من السور الى القلعة وعمل نقالة من المصنع الذى عمله الظاهر بيبرس بجوار زاوية تقى الدين رجب التى بالرميلة تحت القلعة الى بئر الاصطبل فلما كانت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة عزم الملك الناصر على حفر خليج من ناحية حلوان الى الجبل الاحمر المطل على القاهرة ليسوق الماء الى الميدان الذى عمله بالقلعة ويكون حفر الخليج فى الجبل فنزل لكشف ذلك ومعه المهندسون فجاء قياس الخليج طولا اثنين وأربعين ألف قصبة فيمر الماء فيه من حلوان حتى يحاذى القلعة فاذا حاذاها بنى هناك خبايا تحمل الماء الى القلعة ليصير الماء بها غزيرا كثيرا دائما صيفا وشتاء لا ينقطع ولا يتكلف لحمله ونقله ثم يمر من محاذاة القلعة حتى ينتهى الى الجبل الاحمر فيصب من أعلاه الى تلك الارض حتى تزرع وعندما اراد الشروع فى ذلك طلب الامير سيف الدين قطلوبك بن قراسنقر الجاشنكير أحد أمراء الطبلخاناه بدمشق بعد ما فرغ من بناء القناة وساق العين الى القدس فحضر ومعه الصناع الذين عملوا قناة عين بيت المقدس على خيل البريد الى قلعة الجبل فأنزلوا ثم اقيمت لهم الجرايات والرواتب وتوجهوا الى حلوان ووزنوا مجرى الماء وعادوا الى السلطان وصوبوا رأيه فيما قصد والتزموا بعمله فقال كم تريدون قالوا ثمانين ألف دينار فقال ليس هذا بكثير فقال كم تكون مدة العمل فيه حتى يفرغ قالوا عشر سنين فاستكثر طول المدة ويقال ان الفخر ناظر الجيش هو الذى حسن لهم أن يقولوا هذه المدة فانه لم يكن من رأيه عمل هذا الخليج وما زال يخيل للسلطان من كثرة المصروف عليه ومن خراب القرافة ما حمله على صرف رأيه عن العمل واعاد قطلوبك والصناع الى دمشق فمات قطلوبك عقب ذلك فى سنة تسع وعشرين وسبعمائة فى ربيع الاول فلما كانت سنة احدى وأربعين وسبعمائة اهتم الملك الناصر بسوق الماء الى القلعة وتكثيره بها لاجل سقى الاشجار وملء الفساقى ولاجل مراحات الغنم والابقار فطلب المهندسين والبنائين ونزل معهم وسار فى طول القناطر التى تحمل الماء من النيل الى القلعة حتى انتهى الى الساحل فأمر بحفر بئر أخرى ليركب عليها القناطر حتى تتصل بالقناطر العتيقة فيجتمع الماء من بئرين ويصير ماء واحدا يجرى الى القلعة فيسقى الميدان وغيره فعمل ذلك ثم أحب الزيادة فى الماء أيضا فركب ومعه المهندسون الى بركة الحبش وامر بحفر خليج صغير يخرج من البحر ويمر الى حائط الرصد وينقر فى الحجر تحت الرصد عشر آبار يصب فيها الخليج المذكور ويركب على الآبار السواقى لتنقل الماء الى القناطر العتيقة التى تحمل الماء الى القلعة زيادة لمائها وكان فيما بين أول هذا المكان الذى عين لحفر الخليج وبين آخره تحت الرصد أملاك كثيرة وعدة بساتين فندب الامير أقبغا عبد الوحد لحفر هذا الخليج وشراء الاملاك من أربابها فحفر الخليج وأجراه فى وسط بستان الصاحب بهاء الدين بن حنا وقطع أنشابه وهدم الدور وجمع عامة الحجارين لقطع الحجر ونقر الآبار وصار السلطان يتعاهد النزول للعمل كل قليل فعمل عمق الخليج من فم البحر أربع قصبات وعمق كل بئر فى الحجر أربعين ذراعا فقدر الله تعالى موت الملك الناصر قبل تمام هذا العمل فبطل ذلك وانطم الخليج بعد ذلك وبقيت منه الى اليوم قطعة بجوار رباط الآثار وما زالت الحائط قائمة من حجر فى غاية الاتقان من احكام الصنعة وجودة البناء عند سطح الجرف الذى يعرف اليوم بالرصد قائما من الارض فى طول الجرف الى أعلاه حتى هدمه الامير يلبغا السالمى فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة وأخذ ما كان به من الحجر فرم به القناطر التى تحمل الى اليوم الماء حتى يصل الى القلعة وكانت تعرف بسواقى السلطان فلما هدمت جهل أكثر الناس أمرها ونسوا ذكرها * (المطبخ) كان أولا موضعه فى مكان الجامع فأدخله السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون فيما زاده فى الجامع وبنى هذا المطبخ الموجود الآن وعمل عقوده بالحجارة خوفا من الحريق وكانت أحوال المطبخ متسعة جدا سيما فى سلطنة الاشرف خليل بن قلاون فانه تبسط فى المآكل وغيرها حتى لقد ذكر جماعة من الاعيان انهم اقاموا مدة سفرهم معه يرسلون كل يوم عشرين درهما فيشترى لهم بها مما يأخذه الغلمان أربع خوافق صينى مملوءة طعاما مفتخرا بالقلوبات ونحوها فى كل خافقية ما ينيف على خمسة عشر رطل لحم أو عشرة أطيار دجاج سمان وبلغ راتب الحوايج خاناه فى ايام الملك العادل كتبغا كل يوم عشرين ألف رطل لحم وراتب البيوت والجرايات غير أرباب الرواتب فى كل يوم سبعمائة اردب قمحا واعتبر القاضى شرف الدين عبد الوهاب النشو ناظر الخاص أمر المطبخ السلطانى فى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة

فوجد

فوجد عدة الدجاج الذى يذبح فى كل يوم للسماط والخاصى التى تخص السلطان ويعثها الى الامراء سبعمائة طائر وبلغ مصروف الحوائج خاناه فى كل يوم ثلاثة عشر الف درهم فاكثر اولاد الناصر من مصروفها حتى توقفت أحوال الدولة فى ايام الصالح اسماعيل وكتبت أوراق بكلف الدولة فى سنة خمس واربعين وسبعمائة فبلغت فى السنة ثلاثين الف الف درهم منها مصروف الحوائج خاناه فى كل يوم اثنان وعشرون الف درهم وبلغ فى ايام الناصر محمد بن قلاون راتب السكر فى شهر رمضان خاصة من كل سنة الف قنطار ثم تزايد حتى بلغ فى شهر رمضان سنة خمس واربعين وسبعمائة ثلاثة آلاف قنطار عنها ستمائة ألف درهم عنها ثلاثون ألف دينار مصرية وكان راتب الدور السلطانية فى كل يوم من ايام شهر رمضان ستين قنطارا من الحلوى برسم التفرقة للدور وغيرها وكانت الدولة قد توقفت احوالها فوفر من المصروف فى كل يوم اربعة آلاف رطل لحم وستمائة كماجة سميذ وثلثمائة اردب من الشعير ومبلغ ألفى درهم فى كل شهر وأضيف الى ديوان الوزارة سوق الخيل والدواب والجمال وكانت بيد عدة اجناد عوضوا عنها اقطاعات بالنواحى واعتبر فى سنة ست واربعين وسبعمائة متحصل الحاج على الطباخ فوجد له على المعاملين فى كل يوم خمسمائة درهم ولابنه احمد فى كل يوم ثلثمائة درهم سوى الاطعمة المفتخرة وغيرها وسوى ما كان يحصل له فى عمل المهمات مع كثرتها ولقد تحصل له من ثمن الروس والاكارع وسقط الدجاج والاوز فى مهم عمله للامير بكتمر الساقى ثلاثة وعشرون ألف درهم عنها نحو ألفين ومائتى دينار فأوقعت الحوطة عليه وصودر فوجد له خمسة وعشرون دارا على البحر وفى عدة اماكن واعتبر مصروف الحوائج خاناه فى سنة ثمان واربعين وسبعمائة فكان فى كل يوم اثنين وعشرين ألف رطل من اللحم * (ابراج الحمام) كان بالقلعة ابراج برسم الحمام التى تحمل البطائق وبلغت عدتها على ماذكره ابن عبد الظاهر فى كتاب تمائم الحمائم الى آخر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وستمائة ألف طائر وتسعمائة طائر وكان بها عدة من المقدمين لكل مقدم منهم جزء معلوم وكانت الطيور المذكورة لاتبرح فى الابراج بالقلعة ماعدا طائفة منها فانها فى برج بالبرقية خارج القاهرة يعرف ببرج الفيوم رتبه الامير فخر الدين عثمان بن قزل أستادار الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب وقيل له برج الفيوم فان جميع الفيوم كانت فى اقطاع ابن قزل وكانت البطائق ترد اليه من الفيوم ويبعثها من القاهرة الى الفيوم من هذا البرج فاستمر هذا البرج يعرف بذلك وكان بكل مركز حمام فى سائر نواحى المملكة مصرا وشاما ما بين اسوان الى الفرات فلا تحصى عدة ما كان منها فى الثغور والطرقات الشامية والمصرية وجميعها تدرج وتنقل من القلعة الى سائر الجهات وكان لها بغال الحمل من الاصطبلات السلطانية وجامكيات البراجين والعلوفات تصرف من الاهراء السلطانية فتبلغ النفقة عليها من الاموال مالا يحصى كثرة وكانت ضريبة العلف لكل مائة طائر ربع ويبة فول فى كل يوم وكانت العادة أن لاتحمل البطاقة الا فى جناح الطائر لامور منها حفظ البطاقة من المطر وقوة الجناح ثم انهم عملوا البطاقة فى الذنب وكانت العادة اذا درج من قلعة الجبل الى الاسكندرية فلا يسرح الطائر الا من منية عقبة بالجيزة وهى أول المراكز واذا سرح الى الشرقية لا يطلق الا من مسجد تبر خارج القاهرة واذا سرح الى دمياط لا يسرح الا من ناحية بيسوس وكان يسير مع البراجين من يوصلهم الى هذه الاماكن من الجانداوية وكذلك كانت العادة فى كل مملكة يتوخى الابعاد فى التسريح عن مستقر الحمام والقصد بذلك انها لاترجع الى ابراجها من قريب وكان يعمل فى الطيور السلطانية علائم وهى داغات فى أرجلها أو على مناقيرها ويسميها ارباب الملعوب الاصطلاح وكان الحمام اذا سقط بالبطاقة لا يقطع البطاقة من الحمام الا السلطان بيده من غير واسطة وكانت لهم عناية شديدة بالطائر حتى ان السلطان اذا كان يأكل وسقط الطائر لا يمهل حتى يفرغ من الاكل بل يحل البطاقة ويترك الاكل وهكذا اذا كان نائما لا يمهل بل ينبه * قال ابن عبد الظاهر وهذا الذى رأينا عليه ملوكنا وكذلك فى الموكب وفى لعب الاكرة لانه بلمحة يفوت ولا يستدرك المهم العظيم اما من واصل أو هارب واما من متجدد فى الثغور قال وينبغى أن تكتب البطائق فى ورق الطير المعروف بذلك ورأيت الاوائل لا يكتبون فى أولها بسملة وتؤرخ بالساعة واليوم لا بالسنين وأنا أورخها بالسنة ولا يكثر فى نعوت المخاطب فيها ولا يذكر حشو فى الالفاظ ولا يكتب الا لب الكلام وزبدته ولا بد وأن يكتب سرح الطائر ورفيقه حتى ان تأخر الواحد ترقب حضوره أو تطلب ولا يعمل للبطائق هامش ولا تجمل ويكتب آخرها حسبلة ولا تعنون الا اذا كانت منقولة مثل

أن تسرح الى السلطان من مكان بعيد فيكتب لها عنوان لطيف حتى لا يفتحها أحد وكل وال تصل اليه يكتب في ظهرها أنها وصلت اليه ونقلها حتى تصل مختومة قال ومما شاهدته وتوليت أمره انه في شهور سنة ثمان وثمانين وسبعمائة حضر من جهة نائب الصبيبة نيف وأربعون طائرا صحبة البراجين ووصل كتابه انه درجها الى مصر فأقامت مدة لم يكن شغل تنطق فيه فقال براجوها قد أزف الوقت عليها في القرنصة وجرى الحديث مع الامير بيدار نائب السلطنة فتقرر كتب بطائق على عشرة منها بوصولها لاغير وسرحت يوم أربعاء جميعها فاتفق وقوع طائرين منها فأحضرت بطائقهما وحصل الاستهزاء بها فلما كان بعد مدة وصل كتاب السلطان أنها وصلت الى الصبيبة في ذلك اليوم بعينه وبطاق بذلك في ذلك اليوم بعينه الى دمشق ووصل الخبر الى دمشق في يوم واحد وهذا مما أنا مصرفه وحاضره والمشير به * قال مؤلفه رحمه الله قد بطل الحمام من سائر المملكة الا ما ينقل من قطيا الى بلبيس ومن بلبيس الى قلعة الجبل ولا تسل بعد ذلك عن شيء وكاني بهذا القدر وقد ذهب ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(ذكر ملوك مصر منذ بنيت قلعة الجبل)

اعلم أن الذين ولوا أرض مصر في الملة الاسلامية على ثلاثة اقسام * القسم الاول من ولي بفسطاط مصر منذ فتح الله تعالى أرض مصر على ايدي العرب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وتابعيهم فصارت دار اسلام الى أن قدم القائد أبو الحسين جوهر من بلاد افريقية بعساكر مولاه المعز لدين الله أبي تميم معد وبنى القاهرة وهولاء يقال لهم امراء مصر ومدتهم ثلثمائة وسبع وثلاثون سنة وسبعة اشهر وستة عشر يوما أولها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة وآخرها يوم الاثنين سادس عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وعدة هؤلاء الامراء مائة واثنا عشر اميرا * والقسم الثاني من ولي بالقاهرة منذ بنيت الى أن مات الامام العاضد لدين الله ابو محمد عبد الله رحمه الله وهولاء يقال لهم الخلفاء الفاطميون ومدتهم بعصر مائتا سنة وثماني سنين واربعة اشهر واثنان وعشرون يوما أولها يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وآخرها يوم الاحد عاشر المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة وعدة هؤلاء الخلفاء أحد عشر خليفة * والقسم الثالث من ملك مصر بعد موت العاضد الى وقتنا هذا الذي نحن فيه ويقال لهم الملوك والسلاطين وهم ثلاثة اقسام * القسم الاول ملوك بني أيوب وهم اكراد * والقسم الثاني البحرية وأولادهم وهم مماليك أتراك لبني أيوب * والقسم الثالث مماليك أولاد البحرية وهم جراكسة وقد تقدم في هذا الكتاب ذكر الامراء والخلفاء وستقف ان شاء الله تعالى على ذكر من ملك من الاكراد والاتراك والجراكسة وتعرف أخبارهم على ما شرطنا من الاختصار اذ قد وضعت لبسط ذلك كتابا سميته كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك وجردت تراجمهم في كتاب التاريخ الكبير المقفى فتطلبهما تجد فيهما ما لا تحتاج بعده الى سواهما في معناهما

(ذكر من ملك مصر من الاكراد)

اعلم أن الناس قد اختلفوا في الاكراد فذكر العجم أن الاكراد فضل طعم الملك بيوراسف وذلك أنه كان يأمر أن يذبح له كل يوم انسانان ويتخذ طعامه من لحومهما وكان له وزير يسمى ارمايل وكان يذبح واحدا ويستحيي واحدا ويبعث به الى جبال فارس فتوالدوا في الجبال وكثروا ومن الناس من ألحقهم باماء سليمان بن داود عليهما السلام حين سلب ملكه ووقع على نسائه المنافقات الشيطان الذي يقال له الجسد وعصم الله تعالى منه المؤمنات فعلق منه المنافقات فلما رد الله تعالى على سليمان عليه السلام ملكه ووضع هولاء الاماء الحوامل من الشيطان قال اكردوهم الى الجبال والاودية فربتهم امهاتهم وتناكحوا وتناسلوا فذلك بدء نسب الاكراد والاكراد عند الفرس من ولد كرد بن اسفندام بن منوشهر وقيل هم ينسبون الى كرد بن مرد بن عمرو ابن صعصعة بن معاوية بن بكر وقيل هم من ولد عمرو مزيقيا بن عامر ابن ماء السماء وقيل من بني حامد بن طارق من بقية أولاد حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهذه اقوال الفقهاء لهم ممن أراد الحظوة لديهم لما صار الملك اليهم وانما هم قبيل من قبائل العجم وهم قبائل عديدة كورانية بنو كوران وهذبانية وبشنوية وشاهجانية وسرنجية وبزولية ومهرانية وزردارية وكيكانية وجاك وكردونيلية ورواديه ودسنية وهكارية وحميدية وورنجية ومروانية وجلالية وسنبكية وجوني وتزعم المروانية أنها من بني

مروان بن الحكم ويزعم بعض الهكارية انهم من ولد عتبة بن أبى سفيان بن حرب * وأول من ملك مصر من الاكراد الايوبية * (السلطان الملك الناصر صلاح الدين) * أبو المظفر يوسف بن نجم الدين أبى الشكر أيوب ابن شادى بن مروان الكردى من قبيل الروادية أحد بطون الهذبانية نشأ أبوه أيوب وعمه أسد الدين شيركوه ببلد دوين من أرض اذربيجان من جهة اران وبلاد الكرج ودخلا بغداد وخدما مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد فبعث أيوب الى قلعة تكريت وأقامه بها مستحفظا لها ومعه أخوه شيركوه وهو اصغر منه سنا فخدم أيوب الشهيد زنكى لما انهزم فشكر له خدمته واتفق بعد ذلك أن شيركوه قتل رجلا بتكريت فطرد هو وأخوه أيوب من قلعتها فمضيا الى زنكى بالموصل فآواهما وأقطعهما اقطاعا عنده ثم رتب أيوب بقلعة بعلبك مستحفظا ثم انعم عليه بامرة واتصل شيركوه بنور الدين محمود بن زنكى فى ايام أبيه وخدمه فلما ملك حلب بعد أبيه كان لنجم الدين أيوب عمل كثير فى أخذ دمشق لنور الدين فتمكنا فى دولته حتى بعث شيركوه مع الوزير شاور بن مجير السعدى الى مصر فسار صلاح الدين فى خدمته من جملة اجناده وكان من أمر شيركوه ما كان حتى مات فاقيم بعده فى وزارة العاضد ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب فى يوم الثلاثاء خامس عشرى جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة ولقبه بالملك الناصر وأنزله بدار الوزارة من القاهرة فاستمال قلوب الناس واقبل على الجد وترك اللهو ونعاضد هو والقاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى رحمه الله على ازالة الدولة الفاطمية وولى صدر الدين بن درباس قضاء القضاة وعزل قضاة الشيعة وبنى بمدينة مصر مدرسة للفقهاء المالكية ومدرسة للفقهاء الشافعية وقبض على أمراء الدولة وأقام اصحابه عوضهم وأبطل المكوس بأسرها من أرض مصر ولم يزل يدأب فى ازالة الدولة حتى تم له ذلك وخطب للخليفة ببغداد المستنصر بامر الله أبى محمد الحسن العباسى وكان العاضد مريضا فتوفى بعد ذلك بثلاثة ايام واستبد صلاح الدين بالسلطنة من أول سنة سبع وستين وخمسمائة واستدعى أباه نجم الدين أيوب واخوته من بلاد الشام فقدموا عليه بأهاليهم وتأهب لغزو الفرنج وسار الى الشوبك وهى بيد الفرنج فواقعهم وعاد الى ايلة فجبى الزكوات من أهل مصر وفرقها على اصنافها ورفع الى بيت المال سهم العاملين وسهم المؤلفة وسهم المقاتلة وسهم المكاتبين وأنزل الغز بالقصر الغربى وأحاط بأموال القصر وبعث بها الى الخليفة ببغداد والى السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بالشام فأتته الخلع الخليفية فلبسها ورتب نوب الطبلخاناه فى كل يوم ثلاث مرات ثم سار الى الاسكندرية وبعث ابن أخيه تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب على عسكر الى برقة وعاد الى القاهرة ثم سار فى سنة ثمان وخمسين الى الكرك وهى بيد الفرنج فحصرها وعاد بغير طائل فبعث أخاه الملك المعظم شمس الدولة توران شاه ابن أيوب الى بلاد النوبة فأخذ قلعة ابريم وعاد بغنائم وسبى كثير ثم سار لاخذ بلاد اليمن فملك زبيد وغيرها فلما مات نور الدين محمود بن زنكى توجه السلطان صلاح الدين فى أول صفر سنة سبعين الى الشام وملك دمشق بغير مانع وأبطل ما كان يؤخذ بها من المكوس كما ابطلها من ديار مصر وأخذ حمص وحماه وحاصر حلب وبها الملك الصالح مجير الدين اسماعيل بن العادل نور الدين محمود بن زنكى فقاتله أهلها قتالا شديدا فرحل عنها الى حمص وأخذ بعلبك بغير حصار ثم عاد الى حلب فوقع الصلح على أن يكون له ما بيده من بلاد الشام مع المعرة وكفرطاب ولهم ما بأيديهم وعاد فأخذ بغراس بعد حصار وأقام بدمشق وندب قراقوش التقوى لاخذ بلاد المغرب فأخذ أبجلن وعاد الى القاهرة وكانت بين السلطان وبين الحلبيين وقعة هزمهم فيها وحصرهم بحلب اياما وأخذ بزاعة ومنبج وعزاز ثم عاد الى دمشق وقدم القاهرة فى سادس عشرى ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين بعد ما كانت لعساكره حروب كثيرة مع الفرنج فأمر ببناء سور يحيط بالقاهرة ومصر وقلعة الجبل وأقام على بنائه الامير بهاء الدين قراقوش الاسدى فشرع فى بناء قلعة الجبل وعمل السور وحفر الخندق حوله وبدأ السلطان بعمل مدرسة بجوار قبر الامام الشافعى رضى الله عنه فى القرافة وعمل مارستانا بالقاهرة وتوجه الى الاسكندرية فصام بها شهر رمضان وسمع الحديث على الحافظ أبى طاهر أحمد السلفى وعمر الاسطول وعاد الى القاهرة وأخرج قراقوش التقوى الى بلاد المغرب وأمر بقطع ما كان يؤخذ من الحجاج وعوض امير مكة عنه فى كل سنة ألفى دينار وألف اردب غلة سوى اقطاعه بصعيد مصر وباليمن ومبلغه ثمانية آلاف اردب ثم سار من القاهرة فى جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين الى عسقلان وهى بيد الفرنج وقتل وأسر وسبى وغنم ومضى يريدهم بالرملة

فقاتل البرنس ارياط متملك الكرك قتالا شديدا ثم عاد الى القاهرة ثم سار منها فى شعبان يريد الفرنج وقد نزلوا على حماه حتى قدم دمشق وقد رحلوا عنها فواصل الغارات على بلاد الفرنج وعساكره تغزو بلاد المغرب ثم فتح بيت الاحزان من عمل صفد وأخذه من الفرنج عنوة وسار فى سنة ست وسبعين لحرب فتح الدين قليج ارسلان صاحب قونيه من بلاد الروم وعاد ثم توجه الى بلاد الارمن وعاد فخرب حصن بهنسا ومضى الى القاهرة فقدمها فى ثالث عشر شعبان ثم خرج الى الاسكندرية وسمع بها موطأ الامام مالك على الفقيه أبى طاهر بن عوف وأنشأ بها مارستانا ودارا للمغاربة ومدرسة وجدد حفر الخليج ونقل فوهته ثم مضى الى دمياط وعاد الى القاهرة ثم سار فى خامس المحرم سنة ثمان وسبعين على ايلة فاغار على بلاد الفرنج ومضى الى الكرك فعاثت عساكره ببلاد طبرية وعكا وأخذ الشقيف من الفرنج ونزل السلطان بدمشق وركب الى طبرية فواقع الفرنج وعاد فتوجه الى حلب ونازلها ثم مضى الى البيرة على الفرات وعدى الى الرها فأخذها وملك حران والرقة ونصيبين وحاصر الموصل فلم ينل منها غرضا فنازل سنجار حتى أخذها ثم مضى على حران الى آمد فأخذها وسار على عين تاب الى حلب فملكها فى ثامن عشر صفر سنة تسع وسبعين وعاد الى دمشق وعبر الاردن وحرق بيسان على الفرنج وخرب لهم عدة حصون وعاد الى دمشق ثم سار الى الكرك فلم ينل منها غرضا وعاد ثم خرج فى سنة ثمانين من دمشق فنازل الكرك ثم رحل عنها الى نابلس فحرقها واكثر من الغارات حتى دخل دمشق ثم سار منها الى حماه ومضى حتى بلغ حران ونزل على الموصل وحصرها ثم سار عنها الى خلاط فلم يملكها فمضى حتى أخذ ميافارقين وعاد الى الموصل ثم رحل عنها وقد مرض الى حران فتقرر الصلح مع المواصلة على أن خطبوا له بها وبديار بكر وجميع البلاد الارتقية وضرب السكة فيها باسمه ثم سار الى دمشق فقدمها فى ثانى ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين وخرج منها فى أول سنة ثلاث وثمانين ونازل الكرك والشوبك وطبرية فملك طبرية فى ثالث عشرى ربيع الآخر من الفرنج ثم واقعهم على حطين وهم فى خمسين ألفا فهزمهم بعد وقائع عديدة وأسر منهم عدة ملوك ونازل عكا حتى تسلمها فى ثانى جمادى الاولى وأنقذ منها أربعة آلاف أسير مسلم من الاسر وأخذ مجدل يافا وعدة حصون منها الناصرية وقيسارية وحيفا وصفورية والشقيف والنولة والطور وسبسطية ونابلس وتبنين وصرخد وصيدا وبيروت وجبيل وأنقذ من هذه البلاد زيادة على عشرين ألف أسير مسلم كانوا فى أسر الفرنج وأسر من الفرنج مائة ألف انسان ثم ملك منهم الرملة وبلد الخليل عليه السلام وبيت لحم من القدس ومدينة عسقلان ومدينة غزة وبيت جبريل ثم فتح بيت المقدس فى يوم الجمعة سابع عشرى رجب وأخرج منه ستين ألفا من الفرنج بعد ما أسر ستة عشر ألفا ما بين ذكر وأنثى وقبض من مال المفاداة ثلثمائة ألف دينار مصرية وأقام الجمعة بالاقصى وبنى بالقدس مدرسة للشافعية وقرر على من يرد كنيسة قمامة من الفرنج قطيعة يؤديها ثم نازل عكا وصور ونازل فى سنة أربع وثمانين حصن كوكب وندب العساكر الى صفد والكرك والشوبك وعاد الى دمشق فدخلها سادس ربيع الاول وقد غاب عنها فى هذه الغزوة أربعة عشر شهرا وخمسة ايام ثم خرج منها بعد خمسة ايام فشن الغارات على الفرنج وأخذ منهم أنطرسوس وخرب سورها وحرقها وأخذ جبلة واللاذقية وصهيون والشغر وبكاس وبقراص ثم عاد الى دمشق آخر شعبان بعد ما دخل حلب فملكت عساكره الكرك والشوبك والسلع فى شهر رمضان وخرج بنفسه الى صفد وملكها من الفرنج فى رابع عشر شوال وملك كوكب فى نصف ذى القعدة وسار الى القدس ومضى بعد النحر الى عسقلان ونزل بعكا وعاد الى دمشق أول صفر سنة خمس وثمانين ثم سار منها فى ثالث ربيع الاول ونازل شقيف أرنون وحارب الفرنج حروبا كثيرة ومضى الى عكا وقد نزل الفرنج عليها وحصروا من بها من المسلمين فنزل بمرج عكا وقاتل الفرنج من أول شعبان حتى انقضت السنة وقد خرج الالمان من قسطنطينية فى زيادة على ألف ألف يريد بلاد الاسلام فاشتد الامر ودخلت سنة ست وثمانين والسلطان بالخروبة على حصار الفرنج والامداد تصل اليه وقدم الالمان طرسوس يريد بيت المقدس فخرب السلطان سور طبرية ويافا وارسوف وقيسارية وصيدا وجبيل وقوى الفرنج بقدوم ابن الالمان اليهم تقوية لهم وقد مات ابوه بطرسوس وملك بعده فقدر الله تعالى موته أيضا على عكا ودخلت سنة سبع وثمانين فملك الفرنج عكا فى سابع عشر جمادى الآخرة وأسروا من بها من المسلمين وحاربوا السلطان وقتلوا جميع من أسروه من المسلمين وساروا الى عسقلان فرحل السلطان فى أثرهم وواقعهم بأرسوف فانهزم

من

من معه وهو ثابت حتى عادوا اليه فقاتل الفرنج وسبقهم الى عسقلان وخربها ثم مضى الى الرملة وخرب حصنها وخرب كنيسة لد ودخل القدس فأقام بها الى عاشر رجب سنة ثمان وثمانين ثم سار الى يافا فأخذها بعد حروب وعاد الى القدس وعقد الهدنة بينه وبين الفرنج مدة ثلاث سنين وثلاثة اشهر أولها حادى عشر شعبان على أن للفرنج من يافا الى عكا الى صور وطرابلس وانطاكية ونودى بذلك فكان يوما مشهودا وعاد السلطان الى دمشق فدخلها خامس عشرى شوال وقد غاب عنها أربع سنين فمات بها فى يوم الاربعاء سابع عشرى صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة عن سبع وخمسين سنة منها مدة ملكه بعد موت العاضد اثنتان وعشرون سنة وستة عشر يوما فقام من بعده بمصر ولده * (السلطان الملك العزيز عماد الدين ابو الفتح عثمان) * وقد كان يومئذ ينوب عنه بمصر وهو مقيم بدار الوزارة من القاهرة وعنده جل عساكر أبيه من الاسدية والصلاحية والاكراد فأتاه ممن كان عند أخيه الملك الافضل على الامير فخر الدين جهاركس والامير فارس الدين ميمون القصرى والامير شمس الدين سنقر الكبير وهم عظماء الدولة فأكرمهم وقدم عليه القاضى الفاضل فبالغ فى كرامته وتنكر ما بينه وبين أخيه الافضل فسار من مصر لمحاربته وحصره بدمشق فدخل بينهما العادل أبو بكر حتى عاد العزيز الى مصر على صلح فيه دخل فلم يتم ذلك وتوحش ما بينهما وخرج العزيز ثانيا الى دمشق فدبر عليه عمه العادل حتى كاد أن يزول ملكه وعاد خائفا فسار اليه الافضل والعادل حتى نزلا بلبيس فجرت أمور آلت الى الصلح وأقام العادل مع العزيز بمصر وعاد الافضل الى مملكته بدمشق فقام العادل بتدبير امور الدولة وخرج بالعزيز لمحاربة الافضل فحصراه بدمشق حتى أخذاها منه بعد حروب وبعثاه الى صرخد وعاد العزيز الى مصر وأقام العادل بدمشق حتى مات العزيز فى ليلة العشرين من محرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة عن سبع وعشرين سنة وأشهر منها مدة سلطنته بعد أبيه ست سنين تنقص شهرا واحدا فأقيم بعده ابنه * (السلطان الملك المنصور ناصر الدين محمد) * وعمره تسع سنين وأشهر بعهد من أبيه وقام بامور الدولة بهاء الدين قراقوش الاسدى الاتابك فاختلف عليه أمراء الدولة وكاتبوا الملك الافضل على بن صلاح الدين فقدم من صرخد فى خامس ربيع الاول فاستولى على الامور ولم يبق للمنصور معه سوى الاسم ثم سار به من القاهرة فى ثالث رجب يريد أخذ دمشق من عمه العادل بعد ما قبض على عدة من الامراء وقد توجه العادل الى ماردين فحصر الافضل دمشق وقد بلغ العادل خبره فعاد وسار بريده حتى دخل دمشق فجرت حروب كثيرة آلت الى عود الافضل الى مصر بمكيدة دبرها عليه العادل وخرج العادل فى أثره وواقعه على بلبيس فكسره فى سادس ربيع الآخر سنة ست وتسعين والتجأ الى القاهرة وطلب الصلح فعوضه العادل صرخد ودخل الى القاهرة فى يوم السبت ثامن عشره وأقام بأتابكية المنصور ثم خلعه فى يوم الجمعة حادى عشر شوال وكانت سلطنته سنة وثمانية اشهر وعشرين يوما واستبد بالسلطنة بعده عم أبيه * (السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد ابن أيوب) * فخطب له بديار مصر وبلاد الشام وحران والرها وميافارقين وأخرج المنصور واخوته من القاهرة الى الرها واستناب ابنه الملك الكامل محمدا عنه وعهد اليه بعده بالسلطنة وحلف له الامراء فسكن قلعة الجبل واستمر أبوه فى دار الوزارة وفى ايامه توقفت زيادة النيل ولم يبلغ سوى ثلاثة عشر ذراعا تنقص ثلاثة أصابع وشرقت أراضى مصر الا الاقل وغلت الاسعار وتعذر وجود الاقوات حتى أكلت الجيف وحتى اكل الناس بعضهم بعضا وتبع ذلك فناء كبير وامتد ذلك ثلاث سنين فبلغت عدة من كفنه العادل وحده من الاموات فى مدة يسيرة نحو مائتى ألف وعشرين ألف انسان فكان بلاء شنيعا وعقب ذلك تحرك الفرنج على بلاد المسلمين فى سنة تسع وتسعين فكانت معهم عدة حروب على بلاد الشام آلت الى أن عقد العادل معهم الهدنة فعاودوا الحرب فى سنة ستمائة وعزموا على أخذ القدس وكثر عبثهم وفسادهم وكانت لهم وللمسلمين شؤون آلت الى نزولهم على مدينة دمياط فى رابع ربيع الاول سنة خمس عشرة وستمائة والعادل يومئذ بالشام فخرج الملك الكامل لمحاربتهم فمات العادل بمرج الصفر فى يوم الخميس سابع جمادى الآخرة منها وحمل الى دمشق فكانت مدة سلطنته بديار مصر تسع عشرة سنة وشهرا واحدا وتسعة عشر يوما * وقام من بعده ابنه (السلطان الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالى محمد) بعهد أبيه فأقام فى السلطنة عشرين سنة وخمسة وأربعين يوما ومات بدمشق يوم الاربعاء حادى عشرى رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة * واقيم بعده ابنه (السلطان

الملك العادل سيف الدين أبو بكر) فاشتغل باللهو عن التدبير وخرجت عنه حلب واستوحش منه الامراء لتقريبه الشباب وسار أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب من بلاد المشرق الى دمشق وأخذها فى أول جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وجرت له امور آخرها انه سار الى مصر فقبض الامراء على العادل وخلعوه يوم الجمعة ثامن ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة فكانت سلطنته سنتين وثلاثة اشهر وتسعة ايام * وقام بعده بالسلطنة أخوه (السلطان الملك الصالح نجم الدين أبو الفتوح أيوب) فاستولى على قلعة الجبل فى يوم الاحد رابع عشرى ذى القعدة وجلس على سرير الملك بها وكان قد خطب له قبل قدومه فضبط الامور وقام باعباء المملكة أتم قيام وجمع الاموال التى اتلفها أخوه وقبض على الامراء ونظر فى عمارة أرض مصر وحارب عربان الصعيد وقدم مماليكه وأقامهم أمراء وبنى قلعة الروضة وتحول من قلعة الجبل اليها وسكنها وملك مكة وبعث لغزو اليمن وعمر المدارس الصالحية بين القصرين من القاهرة وقرر بها دروسا أربعة للشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة وفى ايامه نزل الفرنج على دمياط فى ثالث عشرى صفر سنة سبع وأربعين وعليهم الملك روادفرنس وملكوها وكان السلطان بدمشق فقدم عندما بلغه حركة الفرنج ونزل اشموم طناح وهو مريض فمات بناحية المنصورة مقابل الفرنج فى يوم الاحد رابع عشر شعبان منها وكانت مدة سلطنته بعد أخيه تسع سنين وثمانية أشهر وعشرين يوما فقامت أم ولده خليل واسمها شجرة الدر بالامر وكتمت موته واستدعت ابنه توران شاه من حصن كيفا وسلمت اليه مقاليد الامور * فقام من بعده ابنه (السلطان الملك المعظم غياث الدين توران شاه) وقد سار من حصن كيفا فى نصف شهر رمضان فمر على دمشق وتسلطن بقلعتها فى يوم الاثنين لليلتين بقيتا منه وركب الى مصر فنزل الصالحية طرف الرمل لاربع عشرة بقيت من ذى القعدة فأعلن حينئذ بموت الصالح ولم يكن أحد قبل ذلك يتفوه بموت السلطان بل كانت الامور على حالها والخدمة تعمل بالدهليز والسماط يمد وشجرة الدر تدبر أمور الدولة وتوهم الكافة أن السلطان مريض ما لاحد عليه سبيل ولا وصول ثم سار المعظم من الصالحية الى المنصورة فقدمها يوم الخميس حادى عشريه فأساء تدبير نفسه وتهدد البحرية حتى خافوه وهم يومئذ جمرة العسكر فقتلوه بعد سبعين يوما فى يوم الاثنين تاسع عشرى المحرم سنة ثمان وأربعين وستمائة وبموته انقضت دولة بنى أيوب من ديار مصر بعدما أقامت احدى وثمانين سنة وسبعة عشر يوما وملك منهم ثمانية ملوك

* (ذكر دولة المماليك البحرية) *

وهم الملوك الاتراك وكان ابتداء أمر هذه الطائفة أن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب كان قد أقره أبوه السلطان الملك الكامل محمد ببلاد الشرق وجعل ابنه العادل أبا بكر ولى عهده فى السلطنة بمصر فلما مات قام من بعده العادل فى السلطنة وتنكر ما بينه وبين ابن عمه الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود بن العادل أبى بكر ابن أيوب وهو نائب دمشق فاستدعى الصالح نجم الدين أيوب من بلاد الشرق ورتب ابنه المعظم توران شاه على بلاد الشرق وأقره بحصن كيفا وقدم دمشق وملكها فكاتبه أمراء مصر تحثه على أخذها من أخيه العادل وخامر عليه بعضهم فسار من دمشق فى رمضان سنة ست وثلاثين فانزعج العادل انزعاجا كبيرا وكتب الى الناصر داود صاحب الكرك فسار اليه ليعاونه على أخيه الصالح فاتفق مسير الملك الصالح اسماعيل بن العادل أبى بكر بن أيوب من حماه وأخذه دمشق للملك العادل أبى بكر بن الملك الكامل محمد فى سابع عشرى صفر سنة سبع وثلاثين والملك الصالح نجم الدين أيوب يومئذ على نابلس فانحل أمره وفارقه من معه حتى لم يبق معه الا مماليكه وهم نحو الثمانين وطائفة من خواصه نحو العشرين وأما الجميع فانهم مضوا الى دمشق وكان الناصر داود قد فارق العادل وسار من القاهرة مغاضبا له الى الكرك ومضى الى الصالح نجم الدين أيوب وقبضه بنابلس فى ثانى عشر ربيع الاول منها وحبسه بالكرك فأقام مماليك الصالح بالكرك حتى خلص من سجنه فى سابع عشرى شهر رمضان منها فاجتمع عليه مماليكه وقد عظمت مكانتهم عنده وكان من أمره ما كان حتى ملك مصر فرعى لهم ثباتهم معه حين تفرق عنه الاكراد واكثر من شرائهم وجعلهم أمراء دولته وخاصته وبطانته والمحيطين بدهليزه اذا سافر وأسكنهم معه فى قلعة الروضة وسماهم البحرية وكانوا دون الالف مملوك قيل ثمانمائة وقيل سبعمائة وخمسون كلهم اتراك فلما مات الملك الصالح بالمنصورة أحس الفرنج بشىء من ذلك

فركبوا من مدينة دمياط وساروا على فارسكور وواقعوا العسكر في يوم الثلاثاء أوّل شهر رمضان سنة
سبع واربعين ونزلوا بقرية شرمساح ثم بالبرمون ونزلوا تجاه المنصورة فكانت الحروب بين الفريقين الى خامس
ذى القعدة فلم يشعر المسلمون الا والفرنج معهم في المعسكر فقتل الامير فخر الدين بن شيخ الشيوخ وانهزم
الناس ووصل روادفرنس ملك الفرنج الى باب قصر السلطان فبرزت البحرية وحملوا على الفرنج حملة
منكرة حتى ازاحوهم وولوا فأخذتهم السيوف والدبابيس وقتل من اعيانهم ألف وخمسمائة فظهرت
البحرية من يومئذ واشتهرت ثم لما قدم الملك المعظم توران شاه أخذ في تهديد شجرة الدرّ ومطالبتها بمال ابيه
فكاتبت البحرية تذكرهم بما فعلته من ضبط المملكة حتى قدم المعظم وما هي فيه من الخوف منه فشق
ذلك عليهم وكان قد وعد الفارس اقطاى المتوجه اليه من المنصورة لاستدعائه من حصن كيفا بامرة فلم يف له
فتنكر له وهو من اكابر البحرية وأعرض مع ذلك عن البحرية واطرح جانب الامراء وغيرهم حتى قتلوه * وأجمعوا
على أن يقيموا بعده في السلطنة سرّية أستاذهم * (الملكة عصمة الدين أم خليل شجرة الدر الصالحية) * فأقاموها
في السلطنة وحلفوا لها في عاشر صفر ورتبوا الامير عز الدين أيبك التركماني الصالحي أحد البحرية مقدّم
العسكر وسار عز الدين أيبك الرومي من العسكر الى قلعة الجبل وأنهى ذلك الى شجرة الدرّ فقامت بتدبير المملكة
وعلمت على التواقيع بما مثاله والدة خليل ونقش على السكة اسمها ومثاله المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين
والدة المنصور خليل خليفة أمير المؤمنين وكانت البحرية قد تسلمت مدينة دمياط من الملك روادفرنس بعد ما قرّر
على نفسه أربعمائة ألف دينار وعاد العسكر من المنصورة الى القاهرة في تاسع صفر وحلفوا لشجرة الدرّ في ثالث
عشره فخلعت عليهم وأنفقت فيهم الاموال ولم يوافق أهل الشام على سلطنتها وطلبوا الملك الناصر صلاح الدين
يوسف بن العزيز صاحب حلب فسار اليهم بدمشق وملكها فانزعج العسكر بالقاهرة وتزوّج الامير عز الدين
أيبك التركماني بالملكة شجرة الدرّ ونزلت له عن السلطنة وكانت مدتها ثمانين يوما وملك بعدها * (السلطان
الملك المعز عز الدين أيبك الجاشنكير التركماني الصالحي) * أحد المماليك الاتراك البحرية وكان قد انتقل الى الملك
الصالح من اولاد ابن التركماني فعرف بالتركماني ورقاه في خدمه حتى صار من جلة الامراء ورتبه جاشنكيره
فلما مات الصالح وقدمته البحرية عليهم في سلطنة شجرة الدرّ كتب اليهم الخليفة المستعصم من بغداد يذمهم على
اقامة امرأة ووافق مع ذلك أخذ الناصر لدمشق وحركتهم لمحاربته فوقع الاتفاق على اقامة أيبك في السلطنة
فأركبوه بشعار السلطنة في يوم السبت آخر شهر ربيع الآخر سنة ثمان واربعين وستمائة ولقبوه بالملك المعز
وجلس على تخت الملك بقلعة الجبل فورد الخبر من الغد بأخذ الملك المغيث عمر بن العادل الصغير الكرك
والشوبك وأخذ الملك السعيد قلعة الصبيبة فاجتمع رأى الامراء على اقامة الاشرف مظفر الدين موسى بن
الناصر ويقال المسعود يوسف بن الملك المسعود يوسف ويقال طسز ويقال أيضا اقسيس بن الملك الكامل محمد بن
الملك العادل أبى بكر بن أيوب شريكا للمعز في السلطنة فأقاموه معه وعمره نحو ست سنين في خامس جمادى
الاولى وصارت المراسيم تبرز عن الملكين الا أن الامر والنهى للمعز وليس للاشرف سوى مجرّد الاسم وولى
المعز الوزارة لشرف الدين أبى سعيد هبة الله بن صاعد الفائزى وهو أوّل قبطى ولى وزارة مصر وخرج المعز
بالعساكر وعربان مصر لمحاربة الناصر يوسف في ثالث ذى القعدة وخيم بمنزلة الصالحية وترك الاشرف بقلعة
الجبل واقتتل مع الناصر في عاشره فكانت النصرة له على الناصر وعاد في ثانى عشره فنزل بالناس من البحرية
بلاء لا يوصف ما بين قتل ونهب وسبى بحيث لو ملك الفرنج بلاد مصر ما زادوا في الفساد على ما فعله البحرية وكان
كبراؤهم ثلاثة الامير فارس الدين اقطاى وركن الدين بيبرس البندقدارى وبلبان الرشيدى ثم في محرّم سنة
تسع وأربعين خرج المعز بالاشرف والعساكر فنزل بالصالحية وأقام بها نحو سنتين والرسل تتردّد بينه وبين
الناصر وأحدث الوزير الاسعد هبة الله الفائزى مظالم لم تعهد بمصر قبله فورد الخبر في سنة خمسين بحركة
التتر على بغداد فقطع المعز من الخطبة اسم الاشرف وانفرد بالسلطنة وقبض على الاشرف وسجنه وكان
الاشرف موسى آخر ملوك بنى أيوب بمصر ثم ان المعز جمع الاموال فأحدث الوزير مكوسا كثيرة سماها الحقوق
السلطانية وعاد المعز الى قلعة الجبل في سنة احدى وخمسين وأوقع بعرب الصعيد وقبض على الشريف حصن
الدين ثعلب بن ثعلب وأذل سائر عرب الوجهين القبلى والبحرى وأفناهم قتلا وأسرا وسبيا وزاد في القطيعة

على من بقى منهم حتى ذلوا وقلوا ثم قتل الفارس اقطاى ففر منه معظم البحرية بيبرس وقلاون فى عدد كثير منهم الى الشام وغيرها ولم يزل الى أن قتلته شجرة الدر فى الحمام ليلة الاربعاء رابع عشرى ربيع الاول سنة خمس وخمسين وستمائة فكانت مدته سبع سنين تنقص ثلاثة وثلاثين يوما وكان ظلوما غشوما سفاكا للدماء افنى عوالم كثيرة بغير ذنب وقام من بعده ابنه *(السلطان الملك المنصور نور الدين على بن المعز أيبك)* فى يوم الخميس خامس عشرى ربيع الاول وعمره خمس عشرة سنة فدبر أمره نائب ابيه الامير سيف الدين قطز ثم خلعه فى يوم السبت رابع عشرى ذى القعدة سنة سبع وخمسين وستمائة فكانت مدته سنتين وثمانية اشهر وثلاثة ايام وقام من بعده *(السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز)* فى يوم السبت وأخرج المنصور بن المعز منفيا هو وأمه الى بلاد الاشكرى وقبض على عدة من الامراء وسار فأوقع بجمع هولاكو على عين جالوت وهزمهم فى يوم الجمعة خامس عشرى رمضان سنة ثمان وخمسين وقتل منهم وأسر كثيرا بعد ما ملكوا بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم بالله عبد الله وأزالوا دولة بنى العباس وخربوا بغداد وديار بكر وحلب ونازلوا دمشق فملكوها فكانت هذه الوقعة أول هزيمة عرفت للتتر منذ قاموا ودخل المظفر قطز الى دمشق وعاد منها يريد مصر فقتله الامير ركن الدين بيبرس البندقدارى قريبا من المنزلة الصالحية فى يوم السبت نصف ذى القعدة منها فكانت مدته سنة تنقص ثلاثة عشر يوما وقام من بعده *(السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس البندقدارى الصالحى)* التركى الجنس أحد المماليك البحرية وجلس على تخت السلطنة بقلعة الجبل فى سابع عشر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين فلم يزل حتى مات بدمشق فى يوم الخميس سابع عشرى المحرم سنة ست وسبعين وستمائة فكانت مدته سبع عشرة سنة وشهرين واثنى عشر يوما وقام من بعده ابنه *(السلطان الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالى محمد بركة قان)* وهو يومئذ بقلعة الجبل ينوب عن أبيه وقد عهد اليه بالسلطنة وزوجه بابنة الامير سيف الدين قلاون الالفى فجلس على التخت فى يوم الخميس سادس عشرى صفر سنة ست وسبعين الى أن خلعه الامراء فى سابع ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وكانت مدته سنتين وشهرين وثمانية ايام لم يحسن فيها تدبير ملكه وأوحش ما بينه وبين الامراء فأقيم بعده أخوه *(السلطان الملك العادل بدر الدين سلامش بن الظاهر بيبرس)* وعمره سبع سنين وأشهر وقام بتدبيره الامير قلاون اتابك العساكر ثم خلعه بعد مائة يوم وبعث به الى الكرك فسجن مع أخيه بركة بها وقام من بعده *(السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاون الالفى العلائى الصالحى)* أحد المماليك الاتراك البحرية كان قبجاق الجنس من قبيلة مرج اغلى فجلب صغيرا واشتراه الامير علاء الدين آق سنقر الساقى العادلى بألف دينار وصار بعد موته الى الملك الصالح نجم الدين أيوب فى سنة سبع وأربعين وستمائة فجعله من جملة البحرية فتنقلت به الاحوال حتى صار أتابك العساكر فى ايام العادل سلامش وذكر اسمه مع العادل على المنابر ثم جلس على التخت بقلعة الجبل فى يوم الاحد العشرين من شهر رجب سنة ثمان وسبعين وتلقب بالملك المنصور وأبطل عدة مكوس فثار عليه الامير شمس الدين سنقر الاشقر بدمشق وتسلطن ولقب نفسه بالملك الكامل فى يوم الجمعة رابع عشرى ذى الحجة فبعث اليه وهزمه واستعاد دمشق ثم قدمت التتر الى بلاد حلب وعاثوا بها فتوجه اليهم السلطان بعساكره وأوقع بهم على حمص فى يوم الخميس رابع عشرى رجب سنة ثمانين وستمائة وهزمهم بعد مقتلة عظيمة وعاد الى قلعة الجبل وتوجه فى سنة اربع وثمانين حتى نازل حصن المرقب ثمانية وثلاثين يوما وأخذه عنوة من الفرنج وعاد الى القلعة ثم بعث العسكر فغزا بلاد النوبة فى سنة سبع وثمانين وعاد بغنائم كثيرة ثم سار فى سنة ثمان وثمانين لغزو الفرنج بطرابلس فنازلها أربعة وثلاثين يوما حتى فتحها عنوة فى رابع ربيع الآخر وهدمها جميعها وأنشأ قريبا منها مدينة طرابلس الموجودة الآن وعاد الى قلعة الجبل وبعث لغزو النوبة ثانيا عسكرا فقتلوا وأسروا وعادوا ثم خرج لغزو الفرنج بعكا وهو مريض فمات خارج القاهرة ليلة السبت سادس ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة فكانت مدته احدى عشرة سنة وشهرين وأربعة وعشرين يوما وقام من بعده ابنه *(السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل)* فى يوم الاحد سابع ذى القعدة المذكور وسار لفتح عكا فى ثالث ربيع الاول سنة تسعين وستمائة ونصب عليها اثنين وتسعين منجنيقا وقاتل من بها من الفرنج أربعة وأربعين يوما حتى فتحها عنوة فى يوم الجمعة سابع عشر جمادى الاولى وهدمها

كلها

كلها بما فيها وحرقها وأخذ صور وحيفا وعثليت وانطرسوس وصيدا وهدمها واجلى الفرنج من الساحل فلم يبق منهم أحد ولله الحمد وتوجه الى دمشق وعاد الى مصر فدخل قلعة الجبل يوم الاثنين تاسع شعبان ثم خرج فى ثامن ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وستمائة بعدما نادى بالنفير للجهاد فدخل دمشق وعرض العساكر ومضى منها فنزل على حلب ونازل قلعة الروم ونصب عليها عشرين منجنيقا حتى فتحها بعد ثلاثة وثلاثين يوما عنوة وقتل من بها من النصارى الارمن وسبى نساءهم وأولادهم وسماها قلعة المسلمين فعرفت بذلك وعاد الى مصر فدخل قلعة الجبل فى يوم الاربعاء ثانى ذى القعدة وسار فى رابع المحرم سنة اثنتين وتسعين حتى بلغ مدينة قوص من صعيد مصر ونادى فيها بالتجهز لغزو اليمن وعاد ثم سار مخفا على الهجن فى البرية الى الكرك ومضى الى دمشق فقدمها فى تاسع جمادى الآخرة وقصد غزو بهنسا وأخذها من الارمن فقدموا اليه وسلموها من تلقاء انفسهم وسلموا أيضا مرعش وتل حمدون ومضى من دمشق فى ثانى رجب وعبر من حمص الى سلمية وهجم على الامير مهنا بن عيسى وقبضه واخوته وحملهم فى الحديد الى قلعة الجبل وعاد الى دمشق ثم رجع الى مصر فقدم قلعة الجبل فى ثامن عشرى رجب ثم توجه للصيد فبلغ الطرانة وانفرد فى نفر يسير ليصطاد فاقتحم عليه الامير بيدار فى عدة معه وقتلوه فى يوم السبت ثانى عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة فكانت مدته ثلاث سنين وشهرين وأربعة ايام ثم حمل ودفن بمدرسة الاشرفية واقيم من بعده أخوه *(السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون)* وعمره سبع سنين وقام الامير زين الدين كتبغا بتدبيره ثم خلعه بعد سنة تنقص ثلاثة أيام وقام من بعده *(السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى)* أحد مماليك الملك المنصور قلاون وجلس على التخت بقلعة الجبل فى يوم الاربعاء حادى عشر المحرم سنة اربع وتسعين وتلقب بالملك العادل فكانت ايامه شر أيام لما فيها من قصور مد النيل وغلاء الاسعار وكثرة الوباء فى الناس وقدوم الاويراتية فقام عليه نائبه الامير حسام الدين لاجين وهو عائد من دمشق بمنزلة العرجاء فى يوم الاثنين ثامن عشرى المحرم سنة ست وتسعين ففر الى دمشق واستولى لاجين على الامر فكانت مدته سنتين وسبعة عشر يوما وقدم لاجين بالعسكر الى مصر وقام فى السلطنة *(السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى)* أحد مماليك المنصور قلاون وجلس على التخت بقلعة الجبل وتلقب بالملك المنصور فى يوم الاثنين ثامن عشرى المحرم المذكور واستناب مملوكه منكوتمر فنفرت القلوب عنه حتى قتل فى ليلة الجمعة حادى عشر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وستمائة فكانت مدته سنتين وشهرين وثلاثة عشر يوما ودبر الامراء بعده أمور الدولة حتى قدم من الكرك *(السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون)* وأعيد الى السلطنة مرة ثانية فى يوم الاثنين سادس جمادى الاولى وقام بتدبير الامور الاميران سلار نائب السلطنة وبيبرس الجاشنكير أستادار حتى سار كأنه يريد الحج فمضى الى الكرك وانخلع من السلطنة فكانت مدته تسع سنين وستة اشهر وثلاثة عشر يوما فقام من بعده *(السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير)* أحد مماليك المنصور قلاون فى يوم السبت ثالث عشرى ذى الحجة سنة ثمان وسبعمائة حتى فر من قلعة الجبل فى يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان سنة تسع وسبعمائة فكانت مدته عشرة اشهر وأربعة وعشرين يوما ثم قدم من الشام فى العساكر *(السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون)* وأعيد الى السلطنة مرة ثالثة فى يوم الخميس ثانى شوال منها فاستبد بالامر حتى مات فى ليلة الخميس حادى عشرى ذى الحجة سنة احدى وأربعين وسبعمائة وكانت مدته الثالثة اثنتين وثلاثين سنة وشهرين وخمسة وعشرين يوما ودفن بالقبة المنصورية على أبيه واقيم بعده ابنه *(السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو بكر)* بعهد أبيه فى يوم الخميس حادى عشرى ذى الحجة وقام الامير قوصون بتدبير الدولة ثم خلعه بعد تسعة وخمسين يوما فى يوم الاحد لعشرين من صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة واقام بعده أخاه *(السلطان الملك الاشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد بن قلاون)* ولم يكمل له من العمر ثمان سنين فتنكرت قلوب الامراء على قوصون وحاربوه وقبضوا عليه كما ذكر فى ترجمته وخلعوا الاشرف فى يوم الخميس أوّل شعبان فكانت مدته خمسة اشهر وعشرة أيام وقام الامير أيدغمش بامر الدولة وبعث يستدعى من بلاد الكرك *(السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد بن قلاون)* وكان مقيما بقلعة الكرك من أيام أبيه فقدم على البريد فى عشرة من اهل الكرك ليلة الخميس ثامن عشرى شهر رمضان وعبر الدور من قلعة

الجبل بمن قدم معه واحتجب عن الامراء ولم يخرج لصلاة العيد ولا حضر السماط على العادة الى أن لبس شعار السلطنة وجلس على التخت في يوم الاثنين عاشر شوال وقلوب الامراء نافرة منه لاعراضه عنهم فساءت سيرته ثم خرج الى الكرك في يوم الاربعاء ثاني ذي القعدة واستخلف الامير آق سنقر السلاري نائب الغيبة فلما وصل قبة النصر نزل عن فرسه ولبس ثياب العرب ومضى مع خواصه أهل الكرك على البريد وترك الاطلاب فسارت على البر حتى وافته بالكرك فرد العسكر الى بلد الخليل وأقام بقلعة الكرك وتصرف اقبح تصرف فخلعه الامراء في يوم الاربعاء حادي عشري المحرم سنة ثلاث وأربعين فكانت مدته ثلاثة اشهر وثلاثة عشر يوما واقاموا بعده أخاه * (السلطان الملك الصالح عماد الدين اسماعيل) * في يوم الخميس ثاني عشري المحرم المذكور وقام الامير ارغون زوج أمه بتدبير المملكة مع مشاركة عدة من الامراء وسارت الامراء والعساكر لقتال الناصر أحمد في الكرك حتى أخذ وقتل فلما حضرت رأسه الى السلطان الصالح ورآها فزع ولم يزل يعتاده المرض حتى مات ليلة الخميس رابع عشر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة فكانت مدته ثلاث سنين وشهرين وأحد عشر يوما وقام بعده أخوه * (السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان) * بعهد أخيه وجلس على التخت من غد فأوحش ما بينه وبين الامراء حتى ركبوا عليه فركب لقتالهم فلم يثبت من معه وعاد الى القلعة منهزما فتبعه الامراء وخلعوه وذلك في يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة فكانت مدته سنة وثمانية وخمسين يوما فاقيم بعده أخوه * (السلطان الملك المظفر زين الدين حاجي) * من يومه فساءت سيرته وانهمك في اللعب فركب الامراء عليه فركب اليهم وحاربهم فخانه من معه وتركوه حتى أخذ وذبح في يوم الاحد ثاني عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وكانت مدته سنة وثلاثة اشهر واثني عشر يوما واقيم من بعده أخوه * (السلطان الملك الناصر بدر الدين أبو المعالي حسن بن محمد) * في يوم الثلاثاء رابع عشره وعمره احدى عشرة سنة فلم يكن له من الامر شيء والقائم بالامر الامير شيخو العمري فلما أخذ في الاستبداد بالتصرف خلع وسجن في يوم الاثنين ثامن عشري جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين فكانت مدته أربع سنين تنقص خمسة عشر يوما منها تحت الحجر ثلاث سنين ونيف ومدة استبداده نحو من تسعة اشهر واقيم من بعده أخوه * (السلطان الملك الصالح صلاح الدين صالح) * في يوم الاثنين المذكور فكثر لهوه وخرج عن الحد في التبذل واللعب فثار عليه الاميران شيخو وطاز وقبضا عليه وسجناه بالقلعة في يوم الاثنين ثاني شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة فكانت مدته ثلاث سنين وثلاثة اشهر وثلاثة ايام وأعيد * (السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون) * في يوم الاثنين المذكور فأقام حتى قام عليه مملوكه الامير يلبغا الخاصكي وقتله في ليلة الاربعاء تاسع جمادى الاولى سنة اثنتين وستين فكانت مدته هذه ست سنين وسبعة اشهر وسبعة أيام واقيم من بعده ابن أخيه * (السلطان الملك المنصور صلاح الدين محمد بن المظفر حاجي بن محمد بن قلاون) * وعمره أربع عشرة سنة في يوم الاربعاء المذكور وقام بالامر الامير يلبغا ثم خلعه وسجنه بالقلعة في يوم الاثنين رابع عشر شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة واقام بعده * (السلطان الملك الاشرف زين الدين ابا المعالي شعبان بن حسين ابن الناصر محمد بن المنصور قلاون) * وعمره عشر سنين في يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان المذكور ولم يل من بني قلاون من أبوه لم يتسلطن سواه فأقام تحت حجر يلبغا حتى قتل يلبغا في ليلة الاربعاء عاشر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وسبعمائة فأخذ يستبد بملكه حتى انفرد بتدبيره الى أن قتل في يوم الثلاثاء سادس ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعمائة بعد ما اقيم بدله ابنه في السلطنة فكانت مدته أربع عشرة سنة وشهرين وخمسة عشر يوما فقام بالامر ابنه * (السلطان الملك المنصور علاء الدين علي بن شعبان بن حسين) * وعمره سبع سنين في يوم السبت ثالث ذي القعدة المذكور وأبوه حي فلم يكن حظه من السلطنة سوى الاسم حتى مات في يوم الاحد ثالث عشري صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة فكانت مدته خمس سنين وثلاثة اشهر وعشرين يوما فأقيم بعده أخوه * (السلطان الملك الصالح زين الدين حاجي) * في يوم الاثنين رابع عشري صفر المذكور فقام بأمر الملك وتدبير الامور الامير الكبير برقوق حتى خلعه في يوم الاربعاء تاسع شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة فكانت مدته سنة وشهرين ينقصان أربعة أيام وبه انقضت دولة المماليك البحرية الاتراك وأولادهم ومدتهم مائة وست وثلاثون سنة وسبعة اشهر وتسعة أيام أولها يوم الخميس عاشر صفر سنة ثمان وأربعين وستمائة وآخرها يوم الثلاثاء

ثامن عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة وعدتهم اربعة وعشرون ذكرا ماين رجل وصبي وامرأة واحدة وأولهم امرأة وآخرهم صبي ولما اقيم الناصر حسن بعد أخيه المظفر حاجى طلب المماليك الجراكسة الذين قربهم المظفر بسفارة الامير أغرلو فانه كان يدعى انه كان جركسي الجنس وجلبهم من اماكن حتى ظهروا فى الدولة وكبرت عمائمهم وكلوتاتهم فأخرجوا منفيين أنحس خروج فقدموا على البلاد الشامية والله تعالى اعلم

(ذكر دولة المماليك الجراكسة)

وهم واللاض والروس اهل مدائن عامرة وجبال ذات اشجار ولهم اغنام وزروع وكلهم فى مملكة صاحب مدينة سراى قاعدة خوارزم وملوك هذه الطوائف الملك سراى كالرعية فان داروه وهادوه كف عنهم والاغزاهم وخصرهم وكم مرة قتلت عساكره منهم خلائق وسبت نساءهم وأولادهم وجليتهم رقيقا الى الاقطار فاكثر المنصور قلاون من شرائهم وجعلهم وطائفة اللاض جميعا فى ابراج القلعة وسماهم البرجية فبلغت عدتهم ثلاثة آلاف وسبعمائة وعمل منهم اوشاقية وجمقدارية وجاشنكيرية وسلاحدارية واولهم *(السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق بن آنص)* أخذ من بلاد الجركس وبيع ببلاد القرم فجلبه خواجا فخر الدين عثمان بن مسافر الى القاهرة فاشتراه منه الامير الكبير يلبغا الخاصكى وأعتقه وجعله من جملة مماليكه الاجلاب فعرف ببرقوق العثمانى فلما قتل يلبغا أخرج الملك الاشرف الاجلاب من مصر فسار منهم برقوق الى الكرك فأقام فى عدة منهم مسجونا بها عدة سنين ثم أفرج عنه وعمن كان معه فمضوا الى دمشق وخدموا عند الامير منجك نائب الشام حتى طلب الاشرف اليلبغاوية فقدم برقوق فى جملتهم واستقر فى خدمة ولدى السلطان علي وحاجى مع من استقر من خشداشيته فعرفوا باليلبغاوية الى أن خرج السلطان الى الحج فثاروا بعد سفره وسلطنوا ابنه عليا وحكم فى الدولة منهم الامير قرطاى الشهابى فثار عليه خشداشه أينبك البدرى فأخرجه الى الشام وقام بعده بتدبير الدولة وخرج الى الشام فثارت عليه اليلبغاوية وفيهم برقوق وقد صار من جملة الامراء فعاد قبل وصوله بلبيس ثم قبض عليه وقام بتدبير الدولة غير واحد فى أيام يسيرة فركب برقوق فى يوم الاحد ثالث عشرى ربيع الآخر سنة تسع وسبعين وسبعمائة وقت الظهيرة فى طائفة من خشداشيته وهجم على باب السلسلة وقبض على الامير يلبغا الناصرى وهو القائم بتدبير الدولة وملك الاصطبل ومازال به حتى خلع الصالح حاجى وتسلطن فى يوم الاربعاء تاسع عشر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة وقت الظهر فغير العوايد وأفنى رجال الدولة واستكثر من جلب الجراكسة الى أن ثار عليه الامير يلبغا الناصرى وهو يومئذ نائب حلب وسار اليه ففر من قلعة الجبل فى ليلة الثلاثاء خامس جمادى الاولى سنة احدى وتسعين وملك الناصرى القلعة وأعاد الصالح حاجى ولقبه بالملك المنصور وقبض على برقوق وبعثه الى الكرك فسجنه بها فثار الامير منطاش على الناصرى وقبض عليه وسجنه بالاسكندرية وخرج يريد محاربة برقوق وقد خرج من سجن الكرك وسار الى دمشق فى عسكر فحاربه برقوق على شقحب ظاهر دمشق وملك مامعه من الخزائن وأخذ الخليفة والسلطان حاجى والقضاة وسار الى مصر فقدمها يوم الثلاثاء رابع عشر صفر سنة اثنتين وتسعين واستبد بالسلطنة حتى مات ليلة الجمعة للنصف من شوال سنة احدى وثمانمائة فكانت مدته اتابكا وسلطانا احدى وعشرين سنة وعشرة اشهر وستة عشر يوما خلع فيها ثمانية اشهر وتسعة ايام وقام من بعده ابنه *(السلطان الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج)* فى يوم الجمعة المذكور وعمره نحو العشر سنين فدبر أمر الدولة الامير الكبير ايتمش ثم ثار به الامير يشبك وغيره ففر الى الشام وقتل بها ولم تزل ايام الناصر كلها كثيرة الفتن والشرور والغلاء والوباء وطرق بلاد الشام فيها الامير تيمور لنك فخربها كلها وحرقها وعمها بالقتل والنهب والاسر حتى فقد منها جميع انواع الحيوانات وتمزق أهلها فى جميع اقطار الارض ثم دهمها بعد رحيله عنها جراد لم يترك بها خضرا فاشتد بها الغلاء على من تراجع اليها من أهلها وشنع موتهم واستمرت بها مع ذلك الفتن وقصر مد النيل بمصر حتى شرقت الاراضى الا قليلا وعظم الغلاء والفناء فباع أهل الصعيد أولادهم من الجوع وصاروا أرقاء مملوكين وشمل الخراب الشنيع عامة أرض مصر وبلاد الشام من حيث يصب النيل من الجنادل الى حيث مجرى الفرات وابتلى مع ذلك بكثرة فتن الامير بن نوروز الحافظى وشيخ المحمودى وخروجهما ببلاد

الشام عن طاعته فتردد لمحاربتهم امرارا حتى هزماه ثم قتلاه بدمشق فى ليلة السبت سادس عشر صفر سنة خمس عشرة وثمانمائة فكانت مدته منذ مات أبوه الى أن فر فى يوم الاحد خامس عشرى ربيع الاول سنة ثمان وثمانمائة واختفى وأقيم بعده أخوه عبد العزيز ولقب الملك المنصور ست سنين وخمسة اشهر وأحد عشر يوما وأقام الناصر فى الاختفاء سبعين يوما ثم ظهر فى يوم السبت خامس عشر جمادى الآخرة واستولى على قلعة الجبل واستبد بملكه اقبح استبداد الى أن توجه لحرب نوروز وشيخ وقاتلهما على اللجون فى يوم الاثنين ثالث عشر المحرم سنة خمس عشرة فانهزم الى دمشق وهما فى اثره وقد صار الخليفة المستعين بالله فى قبضتهما ومعه مباشرو الدولة فنزلا على دمشق وحصراه ثم ألزما الخليفة بخلعه من السلطنة فلم يجد بدا من ذلك وخلعه فى يوم السبت خامس عشريه ونودى بذلك فى الناس فكانت مدته الثانية ست سنين وعشرة اشهر سواء وأقيم من بعده * (الخليفة المستعين بالله أمير المؤمنين أبو الفضل العباس بن محمد العباسى) * وأصل هؤلاء الخلفاء بمصر أن أمير المؤمنين المستعصم بالله عبد الله آخر خلفاء بنى العباس لما قتله هولاكو ابن تولى بن جنكزخان فى صفر سنة ست وخمسين وستمائة ببغداد وخلت الدنيا من خليفة وصار الناس بغير امام قرشى الى سنة تسع وخمسين فقدم الامير أبو القاسم احمد بن الخليفة الظاهر أبى نصر محمد بن الخليفة الناصر العباسى من بغداد الى مصر فى يوم الخميس تاسع رجب منها فركب السلطان الملك الظاهر بيبرس الى لقائه وصعد به قلعة الجبل وقام بما يجب من حقه وبايعه بالخلافة وبايعه الناس وتلقب بالمستنصر ثم توجه لقتال التتر ببغداد فقتل فى محاربتهم لايام خلت من المحرم سنة ستين وستمائة فكانت خلافته قريبا من سنة ثم قدم من بعده الامير أبو العباس احمد بن أبى على الحسن بن أبى بكر من ذرية الخليفة الراشد بالله أبى جعفر منصور بن المسترشد فى سابع عشرى ربيع الاول فأنزله السلطان فى برج بقلعة الجبل وأجرى عليه ما يحتاج اليه ثم بايعه فى يوم الخميس ثامن المحرم سنة احدى وستين بعد ما ثبت نسبه على قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز ولقبه بالحاكم بأمر الله وبايعه الناس كافة ثم خطب من الغد وصلى بالناس الجمعة فى جامع القلعة ودعى له من يومئذ على منابر أراضى مصر كلها قبل الدعاء للسلطان ثم خطب له على منابر الشام واستمر الحال على الدعاء له ولمن جاء من بعده من الخلفاء ومازال بالبرج الى أن منعه السلطان من الاجتماع بالناس فى المحرم سنة ثلاث وستين فاحتجب وصار كالمسجون زيادة على سبع وعشرين سنة بقية أيام الظاهر بيبرس وايام ولديه محمد بركة وسلامش وايام قلاون فلما صارت السلطنة الى الاشرف خليل بن قلاون أخرجه من سجنه مكرما فى يوم الجمعة العشرين من شهر رمضان سنة تسعين وستمائة وأمره فصعد منبر الجامع بالقلعة وخطب وعليه سواده وقد تقلد سيفا محلى ثم نزل فصلى بالناس صلاة الجمعة قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة وخطب أيضا خطبة ثالثة فى يوم الجمعة تاسع عشرى ربيع الاول سنة احدى وتسعين وحج سنة أربع وتسعين ثم منع من الاجتماع بالناس فامتنع حتى افرج عنه المنصور لاجين فى سنة ست وتسعين وأسكنه بمناظر الكبش وأنعم عليه بكسوة له ولعياله وأجرى عليه ما يقوم به وخطب بجامع القلعة خطبة رابعة وصلى بالناس الجمعة ثم حج سنة سبع وتسعين وتوفى ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الاولى سنة احدى وسبعمائة فكانت خلافته مدة اربعين سنة ليس له فيها أمر ولا نهى انما حظه أن يقال امير المؤمنين وكان قد عهد الى ابنه الامير أبى عبد الله محمد المستمسك ثم من بعده لاخيه أبى الربيع سليمان المستكفى فمات المستمسك فى حياته واشتد جزعه عليه فعهد لابنه ابراهيم ابن محمد المستمسك فلما مات الحاكم اقيم من بعده ابنه المستكفى بالله أبو الربيع سليمان بعهده له فشهد وقعة شقحب مع الملك الناصر محمد بن قلاون وعليه سواده وقد أرخى له عذبة طويلة وتقلد سيفا عربيا محلى ثم تنكر عليه وسجنه فى برج بالقلعة نحو خمسة اشهر وأفرج عنه وأنزله الى داره قريبا من المشهد النفيسى بتربة شجرة الدر فأقام نحو ستة اشهر وأخرجه الى قوص فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وقطع راتبه وأجرى له بقوص ما يتقوت به فمات بها فى خامس شعبان سنة أربعين وعهد الى ولده فلم يمض الملك الناصر محمد عهده وبويع ابن أخيه أبو اسحاق ابراهيم بن محمد المستمسك بن احمد الحاكم بيعة خفية لم تظهر فى يوم الاثنين خامس عشرى شعبان المذكور وأقام الخطباء اربعة اشهر لا يذكرون فى خطبهم الخليفة ثم خطب له فى يوم الجمعة سابع ذى القعدة منها ولقب بالواثق بالله فلما مات الناصر محمد وأقيم بعده ابنه المنصور أبو بكر استدعى أبو القاسم احمد بن

ابى

أبى الربيع سليمان وأقيم فى الخلافة ولقب بالحاكم بعدما كان يلقب بالمستنصر وكنى بأبى العباس فى يوم السبت سلخ ذى الحجة سنة احدى واربعين وسبعمائة فاستمر حتى مات فى يوم الجمعة رابع شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة فأقيم بعده أخوه المعتضد بالله أبو بكر وكنيته أبو الفتح بن أبى الربيع سليمان فى يوم الخميس سابع عشره واستقر مع ذلك فى نظر مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها ليستعين بما يرد الى ضريحها من نذر العامة على قيام أوده فان مرتب الخلفاء كان على مكس الصاغة وحسبه أن يقوم بما لا بد منه فى قوتهم فكانوا ابدا فى عيش غير موسع فحسنت حال المعتضد بما يبيعه من الشمع المحمول الى المشهد النفيسى ونحوه الى أن توفى يوم الثلاثاء عاشر جمادى الاولى سنة ثلاث وستين وكان يلثغ بالكاف وحج مرتين احداهما سنة أربع وخمسين والثانية سنة ستين فأقيم بعده ابنه المتوكل على الله أبو عبد الله محمد بعهده اليه فى يوم الخميس ثانى عشره وخلع عليه بين يدى السلطان الملك المنصور محمد بن الملك المظفر حاجى وفوض اليه نظر المشهد ونزل الى داره فلم يزل حتى تنكر له الامير أينبك فى أول ذى القعدة سنة ثمان وسبعين بعد قتل الملك الاشرف شعبان ابن حسين وأخرجه ليسير الى قوص وأقام عوضه فى الخلافة ابن عمه زكريا بن ابراهيم بن محمد فى ثالث عشرى صفر سنة تسع وسبعين وكان قد أمر برد المتوكل من نفيه فرد الى منزله من يومه فأقام به حتى رضى عنه اينبك وأعاده فى العشرين من ربيع الاول منها الى خلافته ثم سخط عليه الظاهر برقوق وسجنه مقيدا فى يوم الاثنين أول رجب سنة خمس وثمانين وقد وشى به انه يريد الثورة وأخذ الملك وأقيم بعده فى الخلافة الواثق بالله أبو حفص عمر بن المعتصم ابى اسحاق ابراهيم بن محمد بن الحاكم فى يوم الاثنين المذكور فمازال خليفة حتى مات يوم السبت تاسع شوال سنة ثمان وثمانين فأقام الظاهر بعده فى الخلافة أخاه زكريا بن ابراهيم فى يوم الخميس ثامن عشريه ولقب بالمستعصم وركب بالخلعة وبين يديه القضاة من القلعة الى منزله فلما اشرف الظاهر برقوق على زوال ملكه وقرب الامير يلبغا الناصرى نائب حلب بالعساكر استدعى المتوكل على الله من محبسه وأعاده الى الخلافة وخلع عليه فى يوم الاربعاء أول جمادى الاولى سنة احدى وتسعين وبالغ فى تعظيمه وأنعم عليه فلم يزل على خلافته حتى توفى ليلة الثلاثاء ثامن عشرى رجب سنة ثمان وثمانمائة وهو أول من اتسعت أحواله من الخلفاء بمصر وصار له اقطاعات ومال فأقيم فى الخلافة بعده ابنه المستعين بالله أبو الفضل العباس وخلع عليه فى يوم الاثنين رابع شعبان بالقلعة بين يدى الناصر فرج بن برقوق ونزل الى داره ثم سار مع الناصر الى الشام وحضر معه وقعة اللجون حتى انهزم فدعاه الاميران شيخ ونوروز فمضى من موقفه اليهما ومعه مباشر والدولة فأنزلاه ووكلا به وسارا به لحصار الناصر ثم ألزماه حتى خلعه من السلطنة وأقامه شيخ فى السلطنة وبايعه ومن معه فى يوم السبت خامس عشرى المحرم سنة خمس عشرة وثمانمائة وبعث الى نوروز وهو بشمالى دمشق حتى بايعه فنالوا باقامته اغراضهم من قتل الناصر وانتظام أمرهم ثم سار به شيخ الى مصر وأقام نوروز بدمشق فلما قدم به اسكنه القلعة ونزل هو بالحراقة من باب السلسلة وقام بجميع الامور وترك الخليفة فى غاية الحصر حتى استبد بالسلطنة فكانت مدة الخليفة منذ أقاموه سلطانا سبعة اشهر وخمسة أيام ونقل الخليفة الى بعض دور القلعة ووكل به من يحفظه وأهله وقام من بعده بالسلطنة *(السلطان الملك المؤيد ابو النصر شيخ المحمودى)* أحد مماليك الظاهر برقوق فى يوم الاثنين أول شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة فسجن الخليفة فى برج بالقلعة ثم حمله الى الاسكندرية فسجنه بها ولم يزل سلطانا حتى مات فى يوم الاثنين ثامن المحرم سنة أربع وعشرين فكانت مدته ثمان سنين وخمسة اشهر وستة ايام فأقيم بعده ابنه *(السلطان الملك المظفر شهاب الدين أبو السعادات احمد)* وعمره سنة واحدة ونصف فقام بأمره الامير ططر وفرق ماجمعه المؤيد من الاموال وخرج بالمظفر يريد محاربة الامراء بالشام فظفر بهم وخلع المظفر وكانت مدته ثمانية اشهر تنقص سبعة أيام وقام بعده *(السلطان الملك الظاهر أبو الفتح ططر)* أحد مماليك الظاهر برقوق وجلس على التخت بقلعة دمشق فى يوم الجمعة تاسع عشرى شعبان سنة أربع وعشرين وقدم الى قلعة الجبل وهو موعوك البدن فى يوم الخميس رابع شوال فثقل فى مرضه من يوم الاثنين ثانى عشريه حتى مات فى يوم الاحد رابع عشرى ذى الحجة فكانت مدته ثلاثة اشهر ويومين فأقيم بعده ابنه *(السلطان الملك الصالح ناصر الدين محمد)* وعمره نحو عشر سنين فقام بأمره الامير برسباى الدقماقى ثم خلعه بعد أربعة اشهر

وأربعة ايام وقام من بعده * (السلطان الملك الاشرف سيف الدين أبو النصر برسباى) * أحد مماليك الظاهر برقوق وجلس على تخت الملك في يوم الاربعاء ثامن شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة

هذا آخر الجزء الثالث من اصل مصنفه الامام المقريزي رحمه الله تعالى ورضى عنه

*(ووجد على هامش بعض النسخ ماصورته) * وتوفى الاشرف برسباى ثالث عشر ذى الحجة سنة احدى واربعين وثمانمائة فكانت مدته ست عشرة سنة وتسعة شهور ثم قام من بعده ولده * (الملك العزيز يوسف) * وسنه نحو خمس عشرة سنة ثم خلع في تاسع عشر ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة فكانت مدته نحو ثلاثة اشهر وقام من بعده * (الملك الظاهر جقمق) * في تاسع عشر ربيع المذكور وخلع نفسه من الملك في مرض موته وتولى بعده بعهده ولده * (الملك المنصور عثمان) * في حادى عشرى المحرم سنة سبع وخمسين وثمانمائة فكانت مدة الظاهر جقمق اربع عشرة سنة ونحو عشرة شهور ثم خلع ولده المنصور عثمان في سابع ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة فأقام في الملك أحدا وأربعين يوما وتولى عوضه *(الملك الاشرف اينال) * في ثامن ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وخلع نفسه في مرض موته في جمادى الاولى سنة خمس وستين وثمانمائة فكانت مدته ثمان سنين وشهرين وتولى بعده ولده *(الملك المؤيد احمد) * ثم خلع في ثامن عشر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة فكانت مدته اربعة اشهر وتولى * (الملك الظاهر خشقدم) * تاسع عشر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة ومات عاشر شهر ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين فكانت مدته نحو ست سنين ونصف ثم تولى * (الملك الظاهر بلباى) * في حادى عشر الشهر المذكور ثم خلع في سابع جمادى الاولى من السنة المذكورة فكانت مدته ستة وخمسين يوما ثم تولى * (الملك الظاهر تمربغا) * في ثامن جمادى الاولى المذكور ثم خلع في العشر الاول من شهر رجب الفرد سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وكانت مدته نحو تسعة وخمسين يوما وتولى * (الملك الاشرف قايتباى) * في ثانى عشر رجب من السنة المذكورة وتوفى في ثانى عشرى ذى القعدة سنة احدى وتسعمائة فكانت مدته تسعا وعشرين سنة وأربعة شهور وأياما وتولى بعده ولده * (الملك الناصر محمد) * في التاريخ المذكور ثم قتل بالجيزة في آخر يوم الاربعاء النصف من ربيع الاول سنة أربع وتسعمائة فكانت مدته سنتين وثلاثة اشهر وأياما ثم تولى خاله * (الملك الظاهر قانصوه الاشرفى قايتباى) * في ضحوة يوم الجمعة سابع عشر ربيع الاول المذكور ثم خلع في سابع ذى الحجة سنة خمس وتسعمائة فكانت مدته نحو عشرين شهرا وتولى عوضه * (الملك الاشرف جان بلاط الاشرفى قايتباى) * وأتاه خبره بمنزله الجديدة في العود من المدينة الشريفة في يوم الجمعة سادس عشرى ذى الحجة سنة خمس وتسعمائة فكانت مدته ستة شهور وأياما ثم خلع في يوم السبت ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ست وتسعمائة وتولى * (الملك العادل طومان باى الاشرفى قايتباى) * ثم خلع سلخ رمضان من السنة المذكورة فكانت مدته نحو مائة يوم وتولى بعده * (الملك الاشرف قانصوه الغورى الاشرفى قايتباى) * مستهل شوال من السنة المذكورة انتهى والله تعالى اعلم بالصواب

(ذكر المساجد الجامعة)

اعلم أن أرض مصر لما فتحت في سنة عشرين من الهجرة واختط الصحابة رضى الله عنهم فسطاط مصر كما تقدم لم يكن بالفسطاط غير مسجد واحد وهو الجامع الذى يقال له في مدينة مصر الجامع العتيق وجامع عمرو بن العاص ومابرح الامر على هذا الى أن قدم عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما من العراق في طلب مروان بن محمد في سنة ثلاث وثلاثين ومائة فنزل عسكره في شمالى الفسطاط وبنوا هنالك الابنية فسمى ذلك الموضع بالعسكر وأقيمت هنالك الجمعة في مسجد فصارت الجمعة تقام بمسجد عمرو بن العاص وبجامع العسكر الى أن بنى الامير احمد بن طولون جامعه على جبل يشكر في سنة تسع وخمسين ومائتين حين بنى القطائع فتلاشى من حينئذ جامع العسكر وصارت الجمعة تقام بجامع عمرو وبجامع ابن طولون الى أن قدم جوهر القائد من بلاد القيروان بالمغرب ومعه عساكر مولاه المعز لدين الله أبى تميم معد فبنى القاهرة وبنى الجامع الذى يعرف بالجامع الازهر في سنة ستين وثلثمائة فكانت الجمعة تقام في جامع عمرو وجامع ابن طولون والجامع الازهر

وجامع

وجامع القرافة الذى يعرف اليوم بجامع الاولياء ثم ان العزيز بالله أبامنصور نزار بن المعز لدين الله بنى فى ظاهر القاهرة من جهة باب الفتوح الجامع الذى يعرف اليوم بجامع الحاكم فى سنة ثمانين وثلثمائة واكمله ابنه الحاكم بأمر الله أبو على منصور وبنى جامع المقس وجامع راشدة فكانت الجمعة تقام فى هذه الجوامع كلها الى أن انقرضت دولة الخلفاء الفاطميين فى سنة سبع وستين وخمسمائة فبطلت الخطبة من الجامع الازهر واستمرت فيما عداه فلما كانت الدولة التركية حدث بالقاهرة والقرافة ومصر وما بين ذلك عدة جوامع اقيمت فيها الجمعة وما برح الامر يزداد حتى بلغ عدد المواضع التى تقام بها الجمعة فيما بين مسجد تبر خارج القاهرة من بحريها الى دير الطين قبلى مدينة مصر زيادة على مائة موضع وسيأتى من ذكر ذلك ما فيه كفاية ان شاء الله تعالى * وقد بلغت عدة المساجد التى تقام بها الجمعة مائة وثلاثين مسجدا (منها) بمدينة مصر جامع عمرو بن العاص والجامع الجديد والمدرسة المعزية وجامع ابن اللبان وجامع القراء وجامع تقى التمار وجامع راشدة وجامع الفيلة وجامع دير الطين وجامع بساتين الوزير (ومنها) بالقرافة جامع الاولياء وجامع الافرم وخانكاه بكتمر وجامع ابن عبد الظاهر وجامع الجوانى وجامع الضراب وجامع قوصون وجامع الشافعى وجامع الديلمى وجامع محمود وجامع بقرب تربة الست (ومنها) بالروضة جامع المقياس وجامع عين وجامع الرئيس وجامع الاباريقى وجامع المقسى (ومنها) بالحسينية خارج القاهرة جامع احمد الزاهد وجامع آل ملك وجامع كراى وجامع الكافورى بالقرب من السميساطية وجامع الخندق وجامع نائب الكرك وجامع سويقة الجيزة وجامع قيدار وجامع ابن شرف الدين وجامع الظاهر وجامع الحاج كمال التاجر تجدد هو وجامع سويقة الجميزة فى أيام الظاهر برقوق (ومنها) خارج القاهرة مما يلى النيل جامع كوم الريش جامع جزيرة الفيل جامع امين الدين بن تاج الدين موسى جامع الفخر على النيل جامع الاسيوطى جامع الواسطى جامع ابن بدر جامع الخطيرى جامع ابن غازى جامع المقس جامع ابن التركمانى جامع بنت التركمانى جامع الطولشى جامع باب الرخاء جامع الزاهد جامع ميدان القمح جامع صاروجا جامع ابن زيد جامع بركة الرطلى جامع الكيمختى جامع باب الشعرية جامع ابن مياله جامع ابن المغربى جامع العجمى بقنطرة الموسكى الجامع المعلق بقنطرة الموسكى أيضا جامع الحاكى بسويقة الريش جامع السروجى بسويقة الريش أيضا جامع البكجرى جامع ابن حسون بالدكة جامع ابن المغربى على الخليج جامع الطباخ بخط اللوق جامع الست نصيرة بخط باب اللوق حيث كان الكوم فحفر فاذا بقبر عرف بالست نصيرة وعمل عليه مسجد وأقيمت به الجمعة فى ايام الظاهر برقوق جامع شاكر بجوار قنطرة قدادار عمر سنة ست وعشرين وثمانمائة جامع غيط القاصد خلف قنطرة قدادار جامع الجزيرة الوسطى جامع كريم الدين بخط الزريبة جامع ابن غلامها بخط الزريبة أيضا الجامع الاخضر جامع سويقة الموفق جامع سلطان شاه بباب الخرق جامع زين الدين الخشاب خارج باب اللوق كان زاوية للفقراء فأقيمت به الجمعة بعد سنة ثمانمائة جامع منكلى بسويقة القيمرى (ومنها) فيما بين القاهرة ومصر جامع بشتاك جامع الاسماعيلى على البركة الناصرية جامع الست مسكة جامع آق سنقر بمجرى السقائين جامع الشيخ محمد بن حسن الحنفى جامع ست حدق بالمريس جامع الطيبرسى جامع الرحبة عمارة الصاحب امين الدين عبد الله بن غنام جامع منشأة المهرانى جامع يونس بالسبع سقايات على البركة جامع بركة الاستادار بحدرة ابن قميحة جامع ابن طولون جامع المشهد النفيسى جامع البقلى بالقبيبات جامع شيخو جامع قانباى برلس سويقة منعم جامع الماس جامع قوصون جامع الصالح مدرسة الناصر حسن بسوق الخيل جامع الجاى جامع الماردينى جامع اصلم (ومنها) بقلعة الجبل الجامع الناصرى جامع التوبة جامع الاصطبل الجامع المؤيدى (ومنها) خارج القاهرة بالترب وما قرب من القلعة تربة جوشن وتربة الظاهر برقوق وتربة طشتمر حمص أخضر بالصحراء جامع الخضرى جامع التوبة الجامع المؤيدى (ومنها) بالقاهرة الجامع الازهر والجامع الحاكمى والجامع الاقمر ومدرسة الظاهر برقوق والمدرسة الصالحية والحجازية والمشهد الحسينى وجامع الفاكهانى والزمامية والصاحبية والبوبكرية والجامع المؤيدى والاشرفية وجامع الدوادارى قريبا من البرقية وجامع التوبة بالبرقية مدرسة ابن البقرى والباسطية

(ذكر الجوامع)

علم انه لما اتصلت مبانى القاهرة المعزية بمبانى مدينة فسطاط مصر بحيث صارتا كأنهما مدينة واحدة واتخذ أهل القاهرة وأهل مصر القرافتين لدفن امواتهم ذكرت مافى هذه المواضع الاربعة من المساجد الجامعة واضفت اليها مافى جزيرة فسطاط مصر التى يقال لها الروضة من الجوامع أيضا فانها متنزه أهل البلدين وجمعت الى ذلك مافى ظواهر القاهرة ومصر من الجوامع مع التعريف بحال من اسسها وبالله التوفيق

(الجامع العتيق)

هذا الجامع بمدينة فسطاط مصر ويقال له تاج الجوامع وجامع عمرو بن العاص وهو أوّل مسجد أسس بديار مصر فى الملة الاسلامية بعد الفتح (خرّج) الحافظ أبو القاسم بن عساكر من حديث معاوية بن قرّة قال قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه من صلى صلاة مكتوبة فى مسجد مصر من الامصار كانت له كحجة متقبلة فان صلى تطوّعا كانت له كعمرة مبرورة وعن كعب من صلى فى مسجد مصر من الامصار صلاة فريضة عدلت حجة متقبلة ومن صلى صلاة تطوّع عدلت عمرة متقبلة فان أصيب فى وجهه ذلك حرّم لحمه ودمه على النار أن تطعمه وذنبه على من قتله* واول مسجد بنى فى الاسلام مسجد قبا ثم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم* قال هشام بن عمار حدّثنا المغيرة بن المغيرة حدّثنا يحيى بن عطاء الخراسانى عن أبيه قال لما افتتح عمر البلدان كتب الى أبى موسى وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد فاذا كان يوم الجمعة انضموا الى مسجد الجماعة وكتب الى سعد بن أبى وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك وكتب الى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك وكتب الى أمراء أجناد الشام أن لا يتبدّدوا الى القرى وأن ينزلوا المدائن وأن يتخذوا فى كل مدينة مسجدا واحدا ولا تتخذ القبائل مساجد فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده* وقال ابو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب ابن حفص الكندى فى كتاب أخبار مسجد أهل الراية الاعظم وأوّل امره وبنائه وزيادة الامراء فيه وغيرهم ومجالس الحكام والفقهاء منه وغير ذلك قال هبيرة بن ابيض عن شيخه تجيب ان قيسبة بن كلثوم التجيبى احد بنى سوم سار من الشام الى مصر مع عمرو بن العاص فدخلها فى مائة راحلة وخمسين عبدا وثلاثين فرسا فلما اجمع المسلمون وعمرو بن العاص على حصار الحصن نظر قيسبة بن كلثوم فرأى جنانا تقرب من الحصن فعرج اليها فى اهله وعبده فنزل وضرب فيها فسطاطه وأقام فيها طول حصارهم الحصن حتى فتحه الله عليهم ثم خرج قيسبة مع عمرو الى الاسكندرية وخلف اهله فيها ثم فتح الله عليهم الاسكندرية وعاد قيسبة الى منزله هذا فنزله واختط عمرو ابن العاص داره مقابل تلك الجنان التى نزلها قيسبة وتشاور المسلمون اين يكون المسجد الجامع فرأوا أن يكون منزل قيسبة فسأله عمرو فيه وقال انا اختط لك يا أبا عبد الرحمن حيث احببت فقال قيسبة لقد علمتم يا معاشر المسلمين انى حزت هذا المنزل وملكته وانى أتصدّق به على المسلمين وارتحل فنزل مع قومه بنى سوم واختط فيهم فبنى مسجدا فى سنة احدى وعشرين من الهجرة وفى ذلك يقول أبو قبان بن نعيم بن بدر التجيبى

وبابليون قد سعدنا بفتحها * وحزنا لعمر الله فيأ ومغنما
وقيسبة الخير بن كلثوم داره * اباح جاها للصلاة وسلما
فكل مصل فى فناء صلاته * تعارف اهل المصر ماقلت فاعلما

(وقال) ابو مصعب قيس بن سلمة الشاعر فى قصيدته التى امتدح فيها عبد الرحمن بن قيسبة

وأبوك سلم داره وأباحها * لجباه قوم ركع وسجود

(وقال) الليث بن سعد كان مسجدنا هذا حدائق وأعنابا* وقال الشريف محمد بن اسعد الجوانى ومن جملة مزارعها جامع مصر وقد بقى الى الآن من جملة الانشاب التى كانت فى البستان فى موضع الجامع شجرة زنزلخت وهى باقية الى الآن خلف المحراب الكبير والحائط الذى به المنبر ومن العلماء من قال ان هذه الشجرة باقية من عهد موسى عليه السلام وكان لها نظير شجرة أخرى فى الورّاقين احترقت فى حريق مصر سنة أربع وستين وخمسمائة وظهر بالجامع العتيق بئر البستان التى كانت به وهى اليوم يستقى منها الناس الماء بموضع حلقة الفقيه ابن الجيزى المالكى* قال الكندى وقال يزيد بن أبى حبيب سمعت اشياخنا ممن حضر مسجد الفتح يقولون وقف على اقامة قبلة المسجد الجامع ثمانون رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم الزبير بن

العوام

العوّام والمقداد وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وفضالة بن عبيد وعقبة بن عامر رضى الله عنهم وفى رواية أسس مسجدنا هذا اربعة من الصحابة أبو ذر وأبو بصيرة ومحمئة بن جزء الزبيدى ونبيه بن صواب * وقال عبد الله بن أبى جعفر أقام محرابنا هذا عبادة بن الصامت ورافع بن مالك وهما نقيبان وقال داود بن عقبة ان عمرو ابن العاص بعث ربيعة بن شرحبيل بن حسنة وعمرو بن علقمة القرشى ثم العدوى يقيمان القبلة وقال لهما قوما اذا زالت الشمس أو قال انتصفت الشمس فاجعلاها على حاجبيكما ففعلا * وقال الليث ان عمرو بن العاص كان يمد الحبال حتى اقيمت قبلة المسجد وقال عمرو بن العاص شرّقوا القبلة تصيبوا الحرم قال فشرّقت جدا فلما كان قرة بن شريك تيامن بها قليلا وكان عمرو بن العاص اذا صلى فى مسجد الجامع يصلى ناحية الشرق الا الشئ اليسير وقال رجل من تجيب رأيت عمرو بن العاص دخل كنيسة فصلى فيها ولم ينصرف عن قبلتهم الا قليلا وكان الليث وابن لهيعة اذا صليا تيامنا وكان عمر بن مروان عم الخلفاء اذا صلى فى المسجد الجامع تيامن وقال يزيد بن حبيب فى قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها هى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى نصبها الله عز وجل مقابل الميزاب وهى قبلة أهل مصر وأهل الغرب وكان يقرأها فلنولينك قبلة نرضاها بالنون وقال هكذا أقرأناها أبو الخير * وقال الخليل بن عبد الله الازدى حدثنى رجل من الانصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال ضع القبلة وأنت تنظر الى الكعبة ثم قال بيده فأماط كل جبل بينه وبين الكعبة فوضع المسجد وهو ينظر الى الكعبة وصارت قبلته الى الميزاب * وقال ابن لهيعة سمعت أشياخنا يقولون لم يكن لمسجد عمرو بن العاص محراب مجوّف ولا أدرى بناه مسلمة أو بناه عبد العزيز * وأوّل من جعل المحراب قرة بن شريك * وقال الواقدى حدثنا محمد بن هلال قال أوّل من أحدث المحراب المجوّف عمر بن عبد العزيز ليالى بنى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم وذكر عمر بن شيبة أن عثمان بن مظعون تفل فى القبلة فأصبح مكتئبا فقالت له امرأته مالى أراك مكتئبا قال لا شئ الا أنى تفلت فى القبلة وأنا اصلى فعمدت الى القبلة فغسلتها ثم عملت خلوقا فخلقتها فكانت أوّل من خلق القبلة * وقال أبو سعيد سلف الحيرى أدركت مسجد عمرو بن العاص طوله خمسون ذراعا فى عرض ثلاثين ذراعا وجعل الطريق يطيف به من كل جهة وجعل له بابان يقابلان دار عمرو بن العاص وجعل له بابان فى بحريه وبابان فى غربيه وكان الخارج اذا خرج من زقاق القناديل وجد ركن المسجد الشرقى محاذيا لركن دار عمرو بن العاص الغربى وذلك قبل أن أخذ من دار عمرو بن العاص ما اخذ وكان طوله من القبلة الى البحرى مثل طول دار عمرو بن العاص وكان سقفه مطاطأ جدا ولا صحن له فاذا كان الصيف جلس الناس بفنائه من كل ناحية وبينه وبين دار عمرو سبع أذرع * قلت وأوّل من جلس على منبر او سرير ذى أعواد ربيعة بن محاسن وقال القضاعى فى كتاب الخطط وكان عمرو بن العاص قد اتخذ منبرا فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعزم عليه فى كسره ويقول أما يحسبك أن تقوم قائما والمسلمون جلوس تحت عقبيك فكسره * قال مؤلفه رحمه الله وفى سنة احدى وستين ومائة أمر المهدى محمد بن أبى جعفر المنصور بتقصير المنابر وجعلها بقدر منبر النبى صلى الله عليه وسلم قال القضاعى وأوّل من صلى عليه من الموتى داخل الجامع أبو الحسين سعيد بن عثمان صاحب الشرط فى النصف من صفر وكانت وفاته فجأة فأخرج ضحوة يوم الاحد السادس عشر من صفر وصلى عليه خلف المقصورة وكبر عليه خمسا ولم يعلم أحد قبله صلى عليه فى الجامع * وذكر عمر بن شيبة فى تاريخ المدينة أن أوّل من عمل مقصورة بلبن عثمان بن عفان وكانت فيها كوى تنظر الناس منها الى الامام وأن عمر بن عبد العزيز عملها بالساج قال القضاعى ولم تكن الجمعة تقام فى زمن عمرو بن العاص بشئ من أرض مصر الا فى هذا الجامع قال أبو سعيد عبد الرحمن بن يونس جاء نفر من بحافق الى عمرو بن العاص فقالوا انا نكون فى الريف أفنجمع فى العيدين الفطر والاضحى ويؤمّنا رجل منا قال نعم قالوا فالجمعة قال لا ولا يصلى الجمعة بالناس الا من أقام الحدود وآخذ بالذنوب وأعطى الحقوق * وأوّل من زاد فى هذا الجامع مسلمة بن مخلد الانصارى سنة ثلاث وخمسين وهو يومئذ أمير مصر من قبل معاوية قال الكندى فى كتاب أخبار مسجد أهل الراية ولما ضاق المسجد بأهله شكى ذلك الى مسلمة بن مخلد وهو الامير يومئذ فكتب فيه الى معاوية بن ابى سفيان فكتب اليه يأمره بالزيادة فيه فزاد فيه من شرقيه مما يلى دار عمرو بن العاص وزاد فيه من بحريه ولم يحدث فيه حدثا من القبلى ولا من الغربى

وذلك فى سنة ثلاث وخمسين وجعل له رحبة فى البحرى منه كان الناس يصيفون فيها ولاطه بالنورة وزخرف جدرانه وسقوفه ولم يكن المسجد الذى لعمرو جعل فيه نورة ولا زخرف وامر ببناء منار المسجد الذى فى الفسطاط وأمر أن يؤذنوا فى وقت واحد وأمر مؤذنى الجامع أن يؤذنوا للفجر اذا مضى نصف الليل فاذا فرغوا من أذانهم أذن كل مؤذن فى الفسطاط فى وقت واحد قال ابن لهيعة فكان لاذانهم دوى شديد فقال عابد بن هشام الازدى ثم السلامانى لمسلمة بن مخلد

لقد مدت لمسلمة الليالى * على رغم العداة مع الامانى
وساعده الزمان بكل سعد * وبلغه البعيد من الامانى
أمسلم فارتقى لازلت تعلو * على الايام مسلم والزمان
لقد أحكمت مسجدنا فأضحى * كأحسن ما يكون من المبانى
فتاه به البلاد وساكنوها * كما تاهت بزينتها الغوانى
وكم لك من مناقب صالحات * وأجدل بالصوامع للاذان
كان تجاوب الاصوات فيها * اذا ما الليل ألقى بالجران
كصوت الرعد خالطه دوى * وأرعب كل مختطف الجنان

وقيل ان معاوية أمره ببناء الصوامع للاذان قال وجعل مسلمة للمسجد الجامع أربع صوامع فى أركانه الاربع وهو أول من جعلها فيه ولم تكن قبل ذلك قال وهو أول من جعل فيه الحصر وانما كان قبل ذلك مفروشا بالحصباء وأمر أن لا يضرب بناقوس عند الاذان يعنى الفجر وكان السلم الذى يصعد منه المؤذنون فى الطريق حتى كان خالد بن سعيد فحوله داخل المسجد * قال القاضى القضاعى ثم ان عبد العزيز بن مروان هدمه فى سنة تسع وسبعين من الهجرة وهو يومئذ أمير مصر من قبل أخيه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان وزاد فيه من ناحية الغرب وأدخل فيه الرحبة التى كانت فى بحريه ولم يجد فى شرقيه موضعا يوسعه به * وذكر أبو عمر الكندى فى كتاب الامراء أنه زاد فيه من جوانبه كلها ويقال ان عبد العزيز بن مروان لما اكمل بناء المسجد خرج من دار الذهب عند طلوع الفجر فدخل المسجد فرأى فى أهله خفة فأمر بأخذ الابواب على من فيه ثم دعاهم رجلا رجلا فيقول للرجل ألك زوجة فيقول لا فيقول زوجوه ألك خادم فيقول لا فيقول أخدموه أحججت فيقول لا فيقول أحجوه أعليك دين فيقول نعم فيقول اقضوا دينه فأقام المسجد بعد ذلك دهرا عامرا ولم يزل الى اليوم وذكر أن عبد الله بن عبد الملك بن مروان فى ولايته على مصر من قبل أخيه الوليد أمر برفع سقف المسجد الجامع وكان مطاطأ وذلك فى سنة تسع وثمانين ثم ان قرة بن شريك العبسى هدمه مستهل سنة اثنتين وتسعين بأمر الوليد ابن عبد الملك وهو يومئذ أمير مصر من قبله وابتدأ فى بنائه فى شعبان من السنة المذكورة وجعل على بنائه يحيى بن حنظلة مولى بنى عامر بن لؤى وكانوا يجمعون الجمعة فى قيسارية العسل حتى فرغ من بنائه وذلك فى شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ونصب المنبر الجديد فى سنة أربع وتسعين ونزع المنبر الذى كان فى المسجد وذكر أن عمرو بن العاص كان جعله فيه فقلعه بعد وفاة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقيل هو منبر عبد العزيز بن مروان وذكر أنه حمل اليه من بعض كنائس مصر وقيل ان زكريا بن برقنى ملك النوبة أهداه الى عبد الله بن سعد بن أبى سرح وبعث معه نجاره حتى ركبه واسم هذا النجار بقطر من أهل دندرة ولم يزل هذا المنبر فى المسجد حتى زاد قرة بن شريك فى الجامع فنصب منبرا سواه على ما تقدم شرحه ولم يكن يخطب فى القرى الاعلى العصا الى أن ولى عبد الملك بن موسى بن نصير اللخمى مصر من قبل مروان بن محمد فأمر باتخاذ المنابر فى القرى وذلك فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة وذكر أنه لا يعرف منبرا اقدم منه يعنى من منبر قرة بن شريك بعد منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل كذلك الى أن قلع وكسر فى أيام العزيز بالله بنظر الوزير يعقوب بن كلس فى يوم الخميس لعشر بقين من شهر ربيع الاول سنة تسع وسبعين وثلثمائة وجعل مكانه منبره مذهب ثم اخرج هذا المنبر الى الاسكندرية وجعل فى جامع عمرو بها وانزل الى الجامع المنبر الكبير الذى هو به الآن وذلك فى أيام الحاكم بأمر الله فى شهر ربيع الاول سنة خمس واربعمائة وصرف بنو عبد السميع عن الخطابة وجعلت خطابة الجامع العتيق لجعفر بن الحسن بن خداع الحسينى وجعل الى اخيه الخطابة بالجامع الازهر وصرف بنو عبد السميع بن عمر بن الحسين

ابن

ابن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس من جميع المنابر بعد أن أقاموا هم وسلفهم فيها ستين سنة وفي شهر ربيع الاول من هذه السنة وجد المنبر الجديد الذى نصب في الجامع قد لطخ بعذرة فوكل به من يحفظه وعمل له غشاء من أدم مذهب في شعبان من هذه السنة وخطب عليه ابن خداع وهو مغشى وزيادة قرة من القبلى والشرقى وأخذ بعض دار عمرو وابنه عبد الله بن عمرو فأدخلها في المسجد وأخذ منهما الطريق الذى بين المسجد وبينهما وعوض ولد عمرو ما هو في ايديهم اليوم من الرباع وأمر قرة بعمل المحراب المجوف على ما تقدم شرحه وهو المحراب المعروف بعمرو لانه في سمت محراب المسجد القديم الذى بناه عمرو وكانت قبلة المسجد القديم عند العمد المذهبة في صف التوابيت اليوم وهى أربعة عمد اثنان في مقابلة اثنين وكان قرة أذهب رؤسها وكانت مجالس قيس ولم يكن في المسجد عمد مذهبة غيرها وكانت قديما حلقة أهل المدينة ثم زوّق اكثر العمد وطوّق في ايام الاخشيد سنة أربع وعشرين وثلثمائة ولم يكن للجامع أيام قرة بن شريك غير هذا المحراب فأما المحراب الاوسط الموجود اليوم فعرف بمحراب عمر بن مروان عم الخلفاء وهو أخو عبد الملك وعبد العزيز ولعله أحدثه في الجدار بعد قرة وقد ذكر قوم أن قرة عمل هذين المحرابين وصار للجامع أربعة أبواب وهى الابواب الموجودة في شرقيه الآن آخرها باب اسرائيل وهو باب النحاسين وفي غربيه أربعة أبواب شارعة في زقاق كان يعرف بزقاق البلاط وفي بحريه ثلاثة أبواب وبيت المال الذى في علو الفوارة بالجامع بناه أسامة بن زيد التنوخى متولى الخراج بمصر سنة سبع وتسعين في ايام سليمان بن عبد الملك وأمير مصر يومئذ عبد الملك بن رفاعة الفهمى وكان مال المسلمين فيه وطرق المسجد في ليلة سنة خمس واربعين ومائة في ولاية يزيد بن حاتم المهلبى من قبل المنصور طرقه قوم ممن كان بايع على بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان أول علوى قدم مصر فنهبوا بيت المال ثم تضاربوا عليه بسيوفهم فلم يصل اليهم منه الا اليسير فأنفذ اليهم يزيد من قتل منهم جماعة وانهزموا وذكر أن هذا المكان تسوّر عليه لص في امارة احمد بن طولون وسرق منه بدرتى دنانير فظفر به احمد ابن طولون واصطنعه وعفا عنه * وفي سنة ثمان وسبعين وثلثمائة أمر العزيز بالله بعمل الفوارة تحت قبة بيت المال فعملت وفرغ منها في شهر رجب سنة تسع وسبعين وثلثمائة ثم زاد فيه صالح بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وهو يومئذ أمير مصر من قبل أبى العباس السفاح في مؤخره أربع أساطين وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائة وهو أوّل من ولى مصر لبنى العباس فيقال انه أدخل في الجامع دار الزبير بن العوام رضى الله عنه وكانت غربى دار النحاس وكان الزبير تخلى عنها ووهبها لمواليه لخصومة جرت بين غلمانه وغلمان عمرو بن العاص واختط الزبير فيما يلى الدار المعروفة به الآن ثم اشترى عبد العزيز بن مروان دار الزبير من مواليه فقسمها بين ابنه الاصبغ وأبى بكر فلما قدم صالح بن على أخذها عن أم عاصم بنت عاصم بن أبى بكر وعن طفل يتيم وهو حسان بن الاصبغ فادخلها في المسجد وباب الكحل من هذه الزيادة وهو الباب الخامس من أبواب الجامع الشرقية الآن وعمر صالح بن على أيضا مقدم المسجد الجامع عند الباب الاول موضع البلاطة الحمراء ثم زاد فيه موسى بن عيسى الهاشمى وهو يومئذ أمير مصر من قبل الرشيد في شعبان سنة خمس وسبعين ومائة الرحبة التى في مؤخره وهى نصف الرحبة المعروفة بأبى أيوب ولما ضاق الطريق بهذه الزيادة أخذ موسى بن عيسى دار الربيع بن سليمان الزهرى شركة بنى مسكين بغير عوض للربيع ووسع بها الطريق وعوض بنى مسكين ووصل عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب مولى خزاعة أميرا من قبل المأمون في شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة ومائتين وتوجه الى الاسكندرية مستهل صفر سنة اثنتى عشرة ومائتين ورجع الى الفسطاط في جمادى الآخرة من السنة المذكورة وأمر بالزيادة في المسجد الجامع فزيد فيه مثله من غربيه وعاد ابن طاهر الى بغداد لخمس بقين من رجب من السنة المذكورة وكانت زيادة ابن طاهر المحراب الكبير وما في غربيه الى حد زيادة الخازن فأدخل فيه الزقاق المعروف اولا بزقاق البلاط وقطعة كبيرة من دار الرمل ورحبة كانت بين يدى دار الرمل ودورا ذكرها القضاعى * وذكر بعضهم أن موضع فسطاط عمرو بن العاص حيث المحراب والمنبر قال وكان الذى تمم زيادة عبد الله بن طاهر بعد مسيره الى بغداد عيسى بن يزيد الجلودى وتكامل ذرع الجامع سوى الزيادتين مائة وتسعين ذراعا بذراع العمل طولا في مائة وخمسين ذراعا عرضا ويقال ان ذرع جامع ابن طولون مثل ذلك سوى الرواق المحيط بجوانبه الثلاثة * ونصب عبد الله بن طاهر اللوح الاخضر فلما احترق

الجامع احترق ذلك اللوح فجعل احمد بن محمد العجيفى هذا اللوح مكان ذلك وهو هذا اللوح الاخضر الباقى الى اليوم ورحبة الحارث هى الرحبة البحرية من زيادة الخازن وكانت رحبة يتبايع الناس فيها يوم الجمعة وذكر أبو عمر الكندى فى كتاب الموالى أن أبا عمرو الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف مولى محمد بن زيان بن عبد العزيز ابن مروان لما ولى القضاء من قبل المتوكل على الله فى سنة سبع وثلاثين ومائتين امر ببناء هذه الرحبة ليتسع الناس بها وحوّل سلم المؤذنين الى غربى المسجد وكان عند باب اسرائيل وبلط زيادة ابن طاهر وأصلح بنيان السقف وبنى سقاية فى الحذائين وأمر ببناء الرحبة الملاصقة لدار الضرب ليتسع الناس بها وزيادة أبى أيوب احمد بن محمد بن شجاع ابن أخت أبى الوزير أحمد بن خالد صاحب الخراج فى ايام المعتصم كان أبو أيوب هذا أحد عمال الخراج زمن احمد بن طولون وزيادته فى بقية الرحبة المعروفة برحبة أبى أيوب * والمحراب المنسوب الى أبى أيوب هو الغربى من هذه الزيادة عند شباك الحذائين وكان بناؤها فى سنة ثمان وخمسين ومائتين ويقال ان أبا أيوب مات فى سجن احمد بن طولون بعد أن نكبه واصطفى أمواله وذلك فى سنة ست وستين ومائتين وأدخل أبو أيوب فى هذه الزيادة أماكن ذكرها * قال وكان قد وقع فى مؤخر المسجد الجامع حريق فعمر وزيدت هذه الزيادة فى ايام احمد بن طولون ووقع فى الجامع فى ليلة الجمعة لتسع خلون من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين حريق اخذ من بعد ثلاث حنايا من باب اسرائيل الى رحبة الحارث بن مسكين فهلك فيه اكثر زيادة عبد الله بن طاهر والرواق الذى عليه اللوح الاخضر فأمر خمارويه بن احمد بن طولون بعمارته على يد أحمد بن محمد العجيفى فأعيد على ما كان عليه وأنفق فيه ستة آلاف وأربعمائة دينار وكتب اسم خمارويه فى دائر الرواق الذى عليه اللوح الاخضر وهى موجودة الآن وكانت عمارته فى السنة المذكورة * وامر عيسى النوشرى فى ولايته الثانية على مصر فى سنة اربع وتسعين ومائتين باغلاق المسجد الجامع فيما بين الصلوات فكان يفتح للصلاة فقط واقام على ذلك اياما فضج أهل المسجد ففتح لهم * وزاد أبو حفص العباسى فى ايام نظره فى قضاء مصر خلافة لاخيه محمد الغرفة التى يؤذن فيها المؤذنون فى السطح وكانت ولايته فى رجب من سنة ست وثلاثين وثلثمائة وكان امام مصر والحرمين واليه اقامة الحج ولم يزل قاضيا بمصر خلافة لاخيه الى أن صرف من القضاء بالخصيبى فى ذى الحجة سنة تسع وثلاثين وثلثمائة وتوفى فى سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة بعد قدومه من الحج ثم زاد فيه أبو بكر محمد بن عبد الله الخازن رواقا واحدا من دار الضرب وهو الرواق ذو المحراب والشباكين المتصل برحبة الحارث ومقداره تسع اذرع وكان ابتداء ذلك فى رجب سنة سبع وخمسين وثلثمائة ومات قبل تمام هذه الزيادة وتممها ابنه على بن محمد وفرغت فى العشر الاخر من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة * وزاد فيه الوزير أبو الفرج يعقوب ابن يوسف بن كلس بأمر العزيز بالله الفوّارة التى تحت قبة بيت المال وهو أوّل من عمل فيه فوّارة وزاد فيه أيضا مساقف الخشب المحيطة بها على يد المعروف بالمقدسى الاطروش متولى مسجد بيت المقدس وذلك فى سنة ثمان وسبعين وثلثمائة ونصب فيها حباب الرخام التى للماء * وفى سنة سبع وثمانين وثلثمائة جدّد بياض المسجد الجامع وقلع شئ كثير من الفسفساء الذى كان فى اروقته وبيض مواضعه ونقشت خمسة ألواح وذهبت ونصبت على ابوابه الخمسة الشرقية وهى التى عليها الآن وكان ذلك على يد برجوان الخادم وكان اسمه ثابتا فى الالواح فقلع بعد قتله * وقال المسبحى فى تاريخه وفى سنة ثلاث واربعمائة انزل من القصر الى الجامع العتيق بألف ومائتين وثمانية وتسعين مصحفا ما بين ختمات وربعات فيها ما هو مكتوب كله بالذهب ومكن الناس من القراءة فيها وأنزل اليه أيضا تنور من فضة عمله الحاكم بأمر الله برسم الجامع فيه مائة ألف درهم فضة فاجتمع الناس وعلق بالجامع بعد أن قلعت عتبتا الباب حتى أدخل به وكان من اجتماع الناس لذلك ما يتجاوز الوصف * قال القضاعى وأمر الحاكم بأمر الله بعمل الرواقين اللذين فى صحن المسجد الجامع وقلع عمد الخشب وجسر الخشب التى كانت هنالك وذلك فى شعبان سنة ست وأربعمائة وكانت العمد والجسر قد نصبها أبو أيوب احمد بن محمد بن شجاع فى سنة سبع وخمسين ومائتين زمن احمد بن طولون لانّ الحرّ اشتدّ على الناس فشكوا ذلك الى ابن طولون فأمر بنصب عمد الخشب وجعل عليها الستائر فى السنة المذكورة وكان الحاكم قد أمر بأن تدهن هذه العمد الخشب بدهن أحمر وأخضر فلم يثبت عليها ثم امر بقلعها وجعلها بين الرواقين * وأوّل ما عملت المقاصير فى الجوامع فى ايام معاوية بن أبى سفيان سنة أربع وأربعين ولعل قرة بن شريك لما بنى الجامع بمصر عمل المقصورة

* وفى سنة احدى وستين ومائة أمر المهدى بنزع المقاصير من مساجد الامصار وبتقصير المنابر فجعلت على مقدار منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أعيدت بعد ذلك * ولما ولى مصر موسى بن أبى العباس من أهل الشاش من قبل أبى جعفر اشناس أمر المعتصم أن يخرج المؤذنون الى خارج المقصورة وهو أول من أخرجهم وكانوا قبل ذلك يؤذنون داخلها ثم أمر الامام المستنصر بالله بن الظاهر بعمل الجدر المقابل للمحراب وبالزيادة فى المقصورة فى شرقيها وغربيها حتى اتصلت بالحذائين من جانبيها وبعمل منطقة فضة فى صدر المحراب الكبير اثبت عليها اسم أمير المؤمنين وجعل لعمودى المحراب أطواق فضة وجرى ذلك على يد عبد الله بن محمد بن عبدون فى شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة * قال مؤلفه رحمه الله ولم تزل هذه المنطقة الفضة الى أن استبد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على مملكة مصر بعد موت الخليفة العاضد لدين الله فى محرم سنة سبع وستين وخمسمائة فقلع مناطق الفضة من الجوامع بالقاهرة ومن جامع عمرو بن العاص بمصر وذلك فى حادى عشر شهر ربيع الاول من السنة المذكورة * قال القضاعى وفى شهر رمضان من سنة أربعين وأربعمائة جددت الخزانة التى فى ظهر دار الضرب فى طريق الشرطة مقابلة لظهر المحراب الكبير وفى شعبان من سنة احدى وأربعين وأربعمائة أذهب بقية الجدار القبلى حتى اتصل الاذهاب من جدار زيادة الخازن الى المنبر وجرى ذلك على يد القاضى أبى عبد الله أحمد بن محمد بن يحيى بن أبى زكريا * وفى شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة عملت لموقف الامام فى زمن الصيف مقصورة خشب ومحراب ساج منقوش بعمودى صندل وتقلع هذه المقصورة فى الشتاء اذا صلى الامام فى المقصورة الكبيرة * وفى شعبان سنة أربع وأربعين وأربعمائة زيد فى الخزانة مجلس من دار الضرب وطريق المستحم وزخرف هذا المجلس وحسن وجعل فيه محراب ورخم بالرخام الذى قلع من المحراب الكبير حين نصب عبد الله بن محمد بن عبدون منطقة الفضة فى صدر المحراب الكبير وجرت هذه الزيادة على يد القاضى أبى عبد الله احمد بن محمد بن يحيى * وفى ذى الحجة من سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة عمر القاضى أبو عبد الله احمد بن محمد بن أبى زكريا غرفة المؤذنين بالسطح وحسنها وجعل لها روشنا على صحن الجامع وجعل بعدها مرقا ينزل منه الى بيت المال وجعل للسطح مطلعا من الخزانة المستجدة فى ظهر المحراب الكبير وجعل له مطلعا آخر من الديوان الذى فى رحبة أبى أيوب * وفى شعبان من سنة خمس وأربعين وأربعمائة بنيت المئذنة التى فيما بين مئذنة عرفة والمئذنة الكبيرة على يد القاضى أبى عبد الله احمد بن أبى زكريا انتهى ماذكره القضاعى * وفى سنة أربع وستين وخمسمائة تمكن الفرنج من ديار مصر وحكموا فى القاهرة حكما جائرا وركبوا المسلمين بالاذى العظيم وتيقنوا أنه لا حامى للبلاد من اجل ضعف الدولة وانكشفت لهم عورات الناس فجمع مرى ملك الفرنج بالساحل جموعه واستجد قوما قوى بهم عساكره وسار الى القاهرة من بلبيس بعد أن اخذها وقتل كثيرا من أهلها فأمر شاور بن مجير السعدى وهو يومئذ مستول على ديار مصر وزارة للعاضد باحراق مدينة مصر فخرج اليها فى اليوم التاسع من صفر من السنة المذكورة عشرون ألف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل مضرمة بالنيران وفرقت فيها ونزل مرى بجموع الفرنج على بركة الحبش فلما رأى دخان الحريق تحول من بركة الحبش ونزل على القاهرة مما يلى باب البرقية وقاتل اهل القاهرة وقد انحشر الناس فيها واستمرت النار فى مصر أربعة وخمسين يوما والنهابة تهدم ما بها من المبانى وتحفر لاخذ الخبايا الى أن بلغ مرى قدوم اسد الدين شيركوه بعسكر من جهة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام فرحل فى سابع شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة وتراجع المصريون شيأ بعد شئ الى مصر وتشعث الجامع فلما استبد السلطان صلاح الدين بمملكة مصر بعد موت العاضد جدد الجامع العتيق بمصر فى سنة ثمان وستين وخمسمائة وأعاد صدر الجامع والمحراب الكبير ورخمه ورسم عليه اسمه وجعل فى سقاية قاعة الخطابة قصبة الى السطح يرتفق بها اهل السطح وعمر المنظرة التى تحت المئذنة الكبيرة وجعل لها سقاية وعمر فى كنف دار عمرو الصغرى البحرى مما يلى الغربى قصبة اخرى الى محاذاة السطح وجعل لها ممشاة من السطح اليها يرتفق بها اهل السطح وعمر غرفة الساعات وحررت فلم تزل مستمرة الى اثناء ايام الملك المعز عز الدين أيبك التركمانى أول من ملك من المماليك وجدد بياض الجامع وأزال شعثه وجلى عمده وأصلح رخامه حتى صار جميعه مفروشا بالرخام وليس فى سائر أرضه شئ بغير رخام حتى تحت الحصر * ولما تقلد قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن الاعز أبى القاسم خلف بن رشيد

الدين محمود بن بدر المعروف بابن بنت الاعز العلائى الشافعى قضاء القضاة بالديار المصرية ونظر الاحباس فى ولايته الثانية ايام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى كشف الجامع بنفسه فوجد مؤخره قد مال الى بحريه ووجد سوره البحرى قد مال وانقلب علوه عن سمت سفله ورأى فى سطح الجامع غرفا كثيرة محدثة وبعضها مزخرف فهدم الجميع ولم يدع بالسطح سوى غرفة المؤذنين القديمة وثلاث خزائن لرؤساء المؤذنين لاغير وجمع أرباب الخبرة فاتفق الرأى على ابطال جريان الماء الى فوّارة الفسقية وكان الماء يصل اليها من بحر النيل فامر بابطاله لما كان فيه من الضرر على جدر الجامع وعمر بغلات بالزيادة البحرية تشدّ جدار الجامع البحرى وزاد فى عمد الزيادة ماقوّى به البغلات المذكورة وسدّ شباكين كانا فى الجدار المذكور ليتقوّى بذلك وانفق المصروف على ذلك من مال الاحباس وخشى أن يتداعى الجامع كله الى السقوط فحدّث الصاحب الوزير بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا فى مفاوضة السلطان فى عمارة ذلك من بيت المال فاجتمعا بالسلطان الملك الظاهر بيبرس وسألاه فى ذلك فرسم بعمارة الجامع فهدم الجدار البحرى من مقدم الجامع وهو الجدار الذى فيه اللوح الاخضر وحط اللوح وأزيلت العمد والقواصر العشر وعمر الجدار المذكور وأعيدت العمد والقواصر كما كانت وزيد فى العمد أربعة قرن بها أربعة مما هو تحت اللوح الاخضر والصف الثانى منه وفصل اللوح الاخضر اجزاء وجدّد غيره واذهب وكتب عليه اسم السلطان الملك الظاهر وجليت العمد كلها وبيض الجامع بأسره وذلك فى شهر رجب سنة ست وستين وستمائة وصلى فيه شهر رمضان بعد فراغه ولم تتعطل الصلاة فيه لاجل العمارة * ولما كان فى شهور سنة سبع وثمانين وستمائة شكا قاضى القضاة تقى الدين ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الوهاب ابن بنت الاعز للسلطان الملك المنصور قلاون سوء حال جامع عمرو بمصر وسوء حال الجامع الازهر بالقاهرة وأن الاحباس على أسوأ الاحوال وأن مجد الدين بن الحباب أخرب هذه الجهة لما كان يحدث فيها وتقرب بجزيرة الفيل الوقف الصلاحى على مدرسة الشافعية الى الامير علم الدين الشجاعى وذكر له بأن فى اطيانها زيادة فقاسوا ماتجدّد بها من الرمال وجعلوه للوقف وأقطعوا الاطيان القديمة الجارية فى الوقف وتقرب أيضا اليه بأن فى الاحباس زيادة من جملتها بالاعمال الغربية ما مبلغه فى السنة ثلاثون ألف درهم وأن ذلك لجهة عمارة الجامعين وسأل السلطان فى اعادة ذلك وابطال ما اقطع منه فلم يجب الى ذلك وأمر الامير حسام الدين طرنطاى بعمارة الجامع الازهر والامير عز الدين الافرم بعمارة جامع عمرو فحضر الافرم الى الجامع بمصر ورسم على مباشرى الاحباس وكشف المساجد لغرض كان فى نفسه وبيض الجامع وجرّد نصف العمد التى فيه فصار العمود نصفه الاسفل أبيض وباقيه بحاله ودهن واجهة غرفة الساعات بالسيلقون وأجرى الماء من البئر التى بزقاق الاقفال الى فسقية الجامع ورمى ما كان بالزيادات من الاتربة وبطر العوام به فيما فعله بالجامع فصاروا يقولون نقل الدعياس من البحر الى الجامع لكونه دهن الغرفة بالسلقون وألبس العواميد للشيخ العريان لكونه جرّد نصفها التحتانى فصار أبيض الاسفل أسمر الاعلى كما كان الشيخ العريان فان نصفه الاسفل كان مستورا بمئزر أبيض وأعلاه عريان ولم يفعل بالجامع سوى ماذكر * ولما حدثت الزلزلة فى سنة اثنتين وسبعمائة تشعث الجامع فاتفق الاميران بيبرس الجاشنكير وهو يومئذ أستادار الملك الناصر محمد بن قلاون والامير سلار وهو نائب السلطنة واليهما تدبير الدولة على عمارة الجامعين بمصر والقاهرة فتولى الامير ركن الدين بيبرس عمارة الجامع الحاكمى بالقاهرة وتولى الامير سلار عمارة جامع عمرو بمصر فاعتمد سلار على كاتبه بدر الدين ابن خطاب فهدم الحد البحرى من سلم السطح الى باب الزيادة البحرية والشرقية وأعاده على ما كان عليه وعمل بابين جديدين للزيادة البحرية والغربية وأضاف الى كل عمود من الصف الاخير المقابل للجدار الذى هدمه عمودا آخر تقوية له وجرّد عمد الجامع كلها وبيض الجامع بأسره وزاد فى سقف الزيادة الغربية رواقين وبلط سفل ما أسقف منها وخرّب بظاهر مصر وبالقرافتين عدّة مساجد وأخذ عمدها الرخم بها صحن الجامع وقلع من رخام الجامع الذى كان تحت الحصر كثيرا من الالواح الطوال ورص الجميع عند باب الجامع المعروف بباب الشرابيين فنقل من هنالك الى حيث شاء ولم يعمل منه فى صحن الجامع شئ البتة وكان فيما نقل من الواح الرخام ما طوله أربعة أذرع فى عرض ذراع وسدس ذهب بجميع ذلك * ولما ولى علاء الدين بن مروان نيابة دار العدل قسم جامعى مصر والقاهرة فجعل جامع القاهرة مع نبيه الدين بن السعرتى وجامع عمرو مع بهاء

الدين

الدين بن السكري فسقفت الزيادة البحرية الشرقية وكانت قد جعلت حاصلا للعصر وجعل لها درابزين بين البابين يمنع الجانبين من المار من باب الجامع الى باب الزيادة المسلوك منه الى سوق الصاغة وبلط أرضها ورفع بعض رخام صحن الجامع وبلط بعض المجازات وعمل عضائد أعتاب تحوز الصحن عن مواضع الصلاة * ولما كان فى شهور سنة ست وتسعين وستمائة اشترى الصاحب تاج الدين دارا بسوق الاكفانيين وهدمها وجعل مكانها سقاية كبيرة ورفعها الى محاذاة سطح الجامع وجعل لها ممشى يتوصل اليها من سطح الجامع وعمل فى أعلاها أربعة بيوت يرتفق بهم فى الخلاء ومكانا برسم ازيار الماء العذب وهدم سقاية الغرفة التى تحت المئذنة المعروفة بالمنظرة وبناها برجا كبيرا من الارض الى العلو حيث كان أولا وجعل بأعلى هذا البرج بيتا برسم تفقه يختص بالغرفة المذكورة كما كان أولا وبيتا ثانيا من خارج الغرفة يرتفق به من هو خارج الغرفة ممن يقرب منها وعمر القاضى صدر الدين ابو عبد الله محمد بن البارنبارى سقاية فى ركن دار عمرو البحرى الغربى من داره الصغرى بعد ما كانت قد تهدمت فأعادها كأحسن ما كانت ثم ان الجامع تشعث ومالت قواصره ولم يبق الا أن يسقط واهل الدولة بعد موت الملك الظاهر برقوق فى شغل من اللهو عن عمل ذلك فانتدب الرئيس برهان الدين ابراهيم بن عمر بن على المحلى رئيس التجار بديار مصر لعمارة الجامع بنفسه وذويه وهدم صدر الجامع بأسره فيما بين المحراب الكبير الى الصحن طولا وعرضا وأزال اللوح الاخضر وأعاد البناء كما كان أولا وجدد لوحا أخضر بدل الاول ونصبه كما كان وهو الموجود الآن وجدد العمد كلها وتتبع جدر الجامع فرم شعثها كله وأصلح من رخام الصحن ما كان قد فسد ومن السقوف ما كان قد وهى وبيض الجامع كله فجاء كما كان وعاد جديدا بعد ما كاد أن يسقط لولا اقام الله عز وجل هذا الرجل مع ما عرف من شحه وكثرة ضنته بالمال حتى عمره فشكر الله سعيه وبيض محياه وكان انتهاء هذا العمل فى سنة أربع وثمانمائة ولم يتعطل منه صلاة جمعة ولا جماعة فى مدة عمارته * قال ابن المتوج ان ذرع هذا الجامع اثنان واربعون ألف ذراع بذراع البز المصرى القديم وهو ذراع الحصر المستقر الى الآن فمن ذلك مقدمه ثلاثة عشر ألف ذراع وأربعمائة وخمسة وعشرون ذراعا ومؤخره مثل ذلك وصحنه سبعة آلاف وخمسمائة ذراع وكل من جانبيه الشرقى والغربى ثلاثة آلاف وثمانمائة وخمسة وعشرون ذراعا وذرعه كله بذراع العمل ثمانية وعشرون ألف ذراع وعدد أبوابه ثلاثة عشر بابا منها فى القبلى باب الزيزلحتة الذى يدخل منه الخطيب كان به شجرة زيزلحت عظيمة قطعت فى سنة ست وستين وسبعمائة وفى البحرى ثلاثة ابواب وفى الشرقى خمسة وفى الغربى أربعة وعدد عمده ثلثمائة وثمانية وسبعون عمودا وعدد مآذنه خمس وبه ثلاث زيادات فالبحرية الشرقية كانت لجلوس قاضى القضاة بها فى كل اسبوع يومين وكان بهذا الجامع القصص * قال القضاعى روى نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال لم يقص فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبى بكر ولا عمر ولا عثمان رضى الله عنهم وانما كان القصص فى زمن معاوية رضى الله عنه * وذكر عمر بن شبة قال قيل للحسن متى أحدث القصص قال فى خلافة عثمان بن عفان قيل من أول من قص قال تميم الدارى * وذكر عن ابن شهاب قال أول من قص فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تميم الدارى استأذن عمر أن يذكر الناس فأبى عليه حتى كان آخر ولايته فاذن له أن يذكر فى يوم الجمعة قبل أن يخرج عمر فاستأذن تميم عثمان بن عفان رضى الله عنه فى ذلك فأذن له أن يذكر يومين فى الجمعة فكان تميم يفعل ذلك * وروى ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن عليا رضى الله عنه قنت فدعا على قوم من أهل حربه فبلغ ذلك معاوية فأمر رجلا يقص بعد الصبح وبعد المغرب يدعو له ولاهل الشام قال يزيد وكان ذلك أول القصص * وروى عن عبد الله بن مغفل قال أمنا على رضى الله عنه فى المغرب فلما رفع رأسه من الركعة الثالثة ذكر معاوية أولا وعمرو بن العاص ثانيا وأبا الاعور يعنى السلمى ثالثا وكان أبو موسى الرابع * وقال الليث بن سعد هما قصصان قصص العامة وقصص الخاصة فأما قصص العامة فهو الذى يجتمع اليه النفر من الناس يعظهم ويذكرهم فذلك مكروه لمن فعله ولمن استمعه وأما قصص الخاصة فهو الذى جعله معاوية ولى رجلا على القصص فاذا سلم من صلاة الصبح جلس وذكر الله عز وجل وحده ومجده وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ودعا للخليفة ولاهل ولايته ولحشمه وجنوده ودعا على أهل حربه وعلى المشركين كافة * ويقال ان أول من قص بمصر سليمان بن عتر التجيبى فى سنة ثمان وثلاثين وجمع له القضاء الى القصص ثم عزل عن القضاء وأفرد

بالقصص وكانت ولايته على القصص والقضاء سبعا وثلاثين سنة منها سنتان قبل القضاء ويقال انه كان يختم القرآن فى كل ليلة ثلاث مرات وكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ويسجد فى المفصل ويسلم تسليمة واحدة ويقرأ فى الركعة الاولى بالبقرة وفى الثانية بقل هو الله أحد ويرفع يديه فى القصص اذا دعا وكان عبد الملك بن مروان شكا الى العلماء ما انتشر عليه من أمور رعيته وتخوفه من كل وجه فأشار عليه أبو حبيب الحمصى القاضى بأن يستنصر عليهم برفع يديه الى الله تعالى فكان عبد الملك يدعو ويرفع يديه وكتب بذلك الى القصاص فكانوا يرفعون أيديهم بالغداة والعشى * وفى هذا الجامع مصحف اسماء وهو الذى تجاه المحراب الكبير * قال القضاعى كان السبب فى كتب هذا المصحف أن الحجاج بن يوسف الثقفى كتب مصاحف وبعث بها الى الامصار ووجه الى مصر بمصحف منها فغضب عبد العزيز بن مروان من ذلك وكان الوالى يومئذ من قبل أخيه عبد الملك وقال يبعث الى جند أنا فيه بمصحف فأمر فكتب له هذا المصحف الذى فى المسجد الجامع اليوم فلما فرغ منه قال من وجد فيه حرفا خطأ فله رأس أحمر وثلاثون دينارا فتداوله القراء فأتى رجل من قراء الكوفة اسمه زرعة بن سهل الثقفى فقرأه تهجيا ثم جاء الى عبد العزيز بن مروان فقال له انى قد وجدت فى المصحف حرفا خطأ فقال مصحفى قال نعم فنظر فاذا فيه ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة فاذا هى مكتوبة نجعة قد قدمت الجيم قبل العين فأمر بالمصحف فأصلح ما كان فيه وأبدلت الورقة ثم أمر له بثلاثين دينارا وبرأس أحمر ولما فرغ من هذا المصحف كان يحمل الى المسجد الجامع غداة كل جمعة من دار عبد العزيز فيقرأ فيه ثم يقص ثم يرد الى موضعه فكان أول من قرأ فيه عبد الرحمن بن حجيرة الخولانى لانه كان يتولى القصص والقضاء يومئذ وذلك فى سنة ست وسبعين ثم تولى بعده القصص أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزنى وكان قاضيا بالاسكندرية قبل ذلك ثم توفى عبد العزيز فى سنة ست وثمانين فبيع هذا المصحف فى ميراثه فاشتراه ابنه أبو بكر بألف دينار ثم توفى أبو بكر فاشترته أسماء ابنة أبى بكر بن عبد العزيز بسبعمائة دينار فأمكنت الناس منه وشهرته فنسب اليها فلما توفيت أسماء اشتراه أخوها الحكم بن عبد العزيز بن مروان من ميراثها بخمسمائة دينار فأشار عليه توبة بن نمر الحضرمى القاضى وهو متولى القصص يومئذ بالمسجد الجامع بعد عقبة بن مسلم الهمدانى واليه القضاء وذلك فى سنة ثمان عشرة ومائة فجعله فى المسجد الجامع وأجرى على الذى يقرأ فيه ثلاثة دنانير فى كل شهر من غلة الاصطبل فكان توبة أول من قرأ فيه بعد أن اقرّ فى الجامع وتولى القصص بعد توبة أبو اسماعيل خير بن نعيم الحضرمى القاضى فى سنة عشرين ومائة وجمع له القضاء والقصص فكان يقرأ فى المصحف قائما ثم يقص وهو جالس فهو أول من قرأ فى المصحف قائما ولم تزل الائمة يقرؤن فى المسجد الجامع فى هذا المصحف فى كل يوم جمعة الى أن ولى القصص أبو رجب العلاء بن عاصم الخولانى فى سنة اثنتين وثمانين ومائة فقرأ فيه يوم الاثنين وكان قد جعل المطلب الخزاعى أمير مصر من قبل المأمون رزق أبى رجب العلاء عشرة دنانير على القصص وهو أول من سلم فى الجامع تسليمتين بكتاب ورد من المأمون يأمر فيه بذلك وصلى خلفه محمد بن ادريس الشافعى حين قدم الى مصر فقال هكذا تكون الصلاة ما صليت خلف احد أتم صلاة من أبى رجب ولا أحسن * ولما ولى القصص حسن ابن الربيع بن سليمان من قبل عنبسة بن اسحاق أمير مصر من قبل المتوكل فى سنة أربعين ومائتين امر أن تترك قراءة بسم الله الرحمن الرحيم فى الصلاة فتركها الناس وأمر أن تصلى التراويح خمس تراويح وكانت تصلى قبل ذلك ست تراويح وزاد فى قراءة المصحف يوما فكان يقرأ يوم الاثنين ويوم الخميس ويوم الجمعة * ولما ولى حمزة بن أيوب ابن ابراهيم الهاشمى القصص بكتاب من المكتفى فى سنة اثنتين وتسعين ومائتين صلى فى مؤخر المسجد حين نكس وأمر أن يحمل اليه المصحف ليقرأ فيه فقيل له انه لم يحمل المصحف الى أحد قبلك فلو قمت وقرأت فيه فى مكانه فقال لا افعل ولكن ائتونى به فان القرآن علينا أنزل والينا اتى فأتى به فقرأ فيه فى المؤخر وهو أول من قرأ فى المصحف فى المؤخر ولم يقرأ فى المصحف بعد ذلك فى المؤخر الى أن تولى أبو بكر محمد بن الحسن السوسى الصلاة والقصص فى اليوم العشرين من شعبان سنة ثلاث وأربعمائة فنصب المصحف فى مؤخر الجامع حيال الفوارة وقرأ فيه أيام نكس الجامع فاستمر الامر على ذلك الى الآن * ولما تولى القصص أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلم الملطى فى سنة احدى وثمانمائة عزم على القراءة فى المصحف فى كل يوم فتكلم على بن قديد فى ذلك ومنع منه وقال أعزم على أن يخلق المصحف ويقطعه اترى عبد العزيز بن مروان حيا فيكتب له مثله فرجع الى القراءة ثلاثة

ايام

ايام * وكان قد حضر الى مصر رجل من اهل العراق وأحضر مصحفا ذكر أنه مصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه وانه الذى كان بين يديه يوم الدار وكان فيه اثر الدم وذكر أنه استخرج من خزائن المقتدر ودفع المصحف الى عبد الله بن شعيب المعروف بابن بنت وليد القاضى فأخذه ابو بكر الخازن وجعله فى الجامع وشهره وجعل عليه خشبا منقوشا وكان الامام يقرأ فيه يوما وفى مصحف أسماء يوما ولم يزل على ذلك الى أن رفع هذا المصحف واقتصر على القراءة فى مصحف أسماء وذلك فى ايام العزيز بالله لخمس خلون من المحرم سنة ثمان وسبعين وثلثمائة * وقد انكر قوم أن يكون هذا المصحف مصحف عثمان رضى الله عنه لان نقله لم يصح ولم يثبت بحكاية رجل واحد * ورايت انا هذا المصحف وعلى ظهره ما نسخته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين هذا المصحف الجامع لكتاب الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه حمله المبارك مسعود بن سعد الهيتى لجماعة المسلمين القراء للقرآن التالين له المتقربين الى الله جل ذكره بقراءته والمتعلمين له ليكون محفوظا أبدا ما بقى ورقه ولم يذهب اسمه ابتغاء ثواب الله عز وجل ورجاء غفرانه وجعله عدة ليوم فقره وفاقته وحاجته اليه أناله الله ذلك برأفته وجعل ثوابه بينه وبين جماعة من تطرقيه وقد درس ما بعد هذا الكلام من ظهر المصحف والمندرس يشبه أن يكون وتبصر فى ورقه وقصد بايداعه فسطاط مصر فى المسجد الجامع جامع المسلمين العتيق ليحفظ حفظ مثله مع سائر مصاحف المسلمين فرحم الله من حفظه ومن قرأ فيه ومن عنى به وكان ذلك فى يوم الثلاثاء مستهل ذى القعدة سنة سبع واربعين وثلثمائة وصلى الله على محمد سيد المرسلين وعلى آله وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل * قال ابن المتوج ودليل بطلان ما قاله هذا المعترض ظهور التعصب على عثمان رضى الله عنه من تجيب وخلفائهم أن الناس قد جرّبوا هذا المصحف وهو الذى على الكرسى الغربى من مصحف أسماء انه ما فتح قط الا وحدث حادث فى الوجود لتحقيق ما حدث أولا والله اعلم * (قال القضاعى ذكر المواضع المعروفة بالبركة من الجامع يستحب الصلاة والدعاء عندها) * منها البلاطة التى خلف الباب الاوّل فى مجلس ابن عبد الحكم * ومنها باب البرادع روى عن رجل من صلحاء المصريين يقال له أبو هارون الخرقى قال رأيت الله عز وجل فى منامى فقلت له يارب انت ترانى وتسمع كلامى قال نعم ثم قال اتريد أن اريك بابا من أبواب الجنة قلت نعم يارب فأشار الى باب اصحاب البرادع أو الباب الاقصى مما يلى رحبة حارث وكان أبو هارون هذا يصلى الظهر والعصر فيما بينهما * وقال ابن المتوج وعند المحراب الصغير الذى فى جدار الجامع الغربى ظاهر المقصورة فيما بين بابى الزيادة الغربية الدعاء عنده مستجاب قال ومن ذلك باب مقصورة عرفة * ومنها عند خرزة البئر التى بالجامع * ومنها قبال اللوح الاخضر * ومنها زاوية فاطمة ويقال انها فاطمة ابنة عفان لما وصى والدها أن تترك لله فى الجامع فتركت فى هذا المكان فعرف بها * ومنها سطح الجامع والطواف به سبع مرّات يبدأ بالاولى من باب الخزانة الاولى التى يستقبلها الداخل من باب السطح وهو يتلو الى أن يصل الى زاوية السطح التى عند المئذنة المعروفة بعرفة يقف عندها ثم يدعو بما أراد ثم يمرّ وهو يتلو الى أن يصل الى الركن الشرقى عند المئذنة المشهورة بالكبيرة ثم يدعو بما أراد ويمرّ الى الركن البحرى الشرقى فيقف محاذيا بالغرفة المؤذنين ويدعو ثم يمرّ وهو يتلو الى المكان الذى ابتدأ منه يفعل ذلك سبع مرّات فان حاجته تقضى * قال القضاعى ولم يكن الناس يصلون بالجامع بمصر صلاة العيد حتى كانت سنة ست ويقال سنة ثمان وثلثمائة فصلى فيه رجل يعرف بعلى بن احمد بن عبد الملك الفهمى يعرف بابن أبى شيخة صلاة الفطر ويقال انه خطب من دفتر نظرا وحفظ عنه اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مشركون فقال بعض الشعراء

وقام فى العيد لنا خاطب * فحرّض الناس على الكفر

وتوفى سنة تسع وثلثمائة * (وبالجامع زوايا يدرّس فيها الفقه) * منها زاوية الامام الشافعى رضى الله عنه يقال انه درّس بها الشافعى فعرفت به وعليها أرض بناحية سنديس وقفها السلطان الملك العزيز عثمان بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ولم يزل يتولى تدريسها أعيان الفقهاء وجلة العلماء * ومنها الزاوية المجدية بصدر الجامع فيما بين المحراب الكبير ومحراب الخمس داخل المقصورة الوسطى بجوار المحراب الكبير رتبها مجد الدين أبو الاشبال الحارث بن مهذب الدين أبى المحاسن مهلب بن حسن بن بركات بن على بن

غياث المهلبي الازدي البهنسي الشافعي وزير الملك الاشرف موسى بن العادل أبي بكر بن أيوب بحران وقرر في تدريسها قريبه قاضي القضاة وجيه الدين عبد الوهاب البهنسي وعمل على هذه الزاوية عدة أوقاف بمصر والقاهرة وبعد تدريسها من المناصب الجليلة وتوفي الجد في صفر سنة ثمان وعشرين وستمائة بدمشق عن ثلاث وستين سنة * ومنها الزاوية الصاحبية حول عرفة رتبها الصاحب تاج الدين محمد بن فخر الدين محمد بن بهاء الدين بن حنا وجعل لها مدرسين احدهما مالكي والآخر شافعي وجعل عليها وقفا بظاهر القاهرة بخط البراذعيين * ومنها الزاوية الكمالية بالمقصورة المجاورة لباب الجامع الذي يدخل اليه من سوق الغزل رتبها كمال الدين السمنودي وعليها فندق بمصر موقوف عليها * ومنها الزاوية التاجية أمام المحراب الخشب رتبها تاج الدين السطحي وجعل عليها دورا بمصر موقوفة عليها * ومنها الزاوية المعينية في الجانب الشرقي من الجامع رتبها معين الدين الدهروطي وعليها وقف بمصر * ومنها الزاوية العلائية تنسب لعلاء الدين الضرير وهي في صحن الجامع وهي لقراءة ميعاد * ومنها الزاوية الزينية رتبها الصاحب زين الدين لقراءة ميعاد أيضا ذكر ذلك ابن المتوج * واخبرني المقرى الاديب المؤرخ الضابط شهاب الدين احمد بن عبد الله بن الحسن الاوحدي رحمه الله قال أخبرني المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات قال أخبرني العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفي أنه أدرك بجامع عمرو بن العاص بمصر قبل الوباء الكائن في سنة تسع وأربعين وسبعمائة بضعا وأربعين حلقة لاقراء العلم لاتكاد تبرح منه * قال ابن المأمون حدثني القاضي المكين بن حيدرة وهو من أعيان الشهود بمصر أن من جملة الخدم التي كانت بيد والده مشارفة الجامع العتيق وان القومة بأجمعهم كانوا يجتمعون قبل ليلة الوقود عنده الى أن يعملوا ثمانية عشر ألف فتيلة وأن المطلق برسمه خاصة في كل ليلة برسم وقوده أحد عشر قنطارا ونصف زيتا طيبا

(ذكر المحاريب التي بديار مصر وسبب اختلافها وتعيين الصواب فيها وتبيين الخطأ منها)

* اعلم أن محاريب ديار مصر التي يستقبلها المسلمون في صلواتهم أربعة محاريب * أحدها محراب الصحابة رضي الله عنهم الذي أسسوه في البلاد التي استوطنوها والبلاد التي كثر ممرهم بها من اقليم مصر وهو محراب المسجد الجامع بمصر المعروف بجامع عمرو ومحراب المسجد الجامع بالجيزة وبمدينة بلبيس وبالاسكندرية وقوص واسوان وهذه المحاريب المذكورة على سمت واحد غير أن محاريب ثغر اسوان أشد تشريقا من غيرها وذلك أن اسوان مع مكة شرفها الله تعالى في الاقليم الثاني وهو الحد الغربي من مكة بغير ميل الى الشمال ومحراب بلبيس مغرب قليلا * والمحراب الثاني محراب مسجد أحمد بن طولون وهو منحرف عن سمت محراب الصحابة وقد ذكر في سبب انحرافه أقوال * منها أن أحمد بن طولون لما عزم على بناء هذا المسجد بعث الى محراب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ سمته فاذا هو مائل عن خط سمت القبلة المستخرج بالصناعة نحو العشر درج الى جهة الجنوب فوضع حينئذ محراب مسجده هذا مائلا عن خط سمت القبلة الى جهة الجنوب بنحو ذلك اقتداء منه بمحراب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقيل انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه وخط له المحراب فلما أصبح وجد النمل قد أطاف بالمكان الذي خطه له رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقيل غير ذلك وانت ان صعدت الى سطح جامع ابن طولون رأيت محرابه مائلا عن محراب جامع عمرو بن العاص الى الجنوب ورأيت محراب المدارس التي حدثت الى جانبه قد انحرفت عن محرابه الى جهة الشرق وصار محراب جامع عمرو فيما بين محراب ابن طولون والمحاريب الاخر وقد عقد مجلس بجامع ابن طولون في ولاية قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن محمد بن جماعة حضره علماء الميقات منهم الشيخ تقي الدين محمد بن محمد بن موسى الغزولي والشيخ أبو الطاهر محمد بن محمد ونظروا في محرابه فأجمعوا على انه منحرف عن خط سمت القبلة الى جهة الجنوب مغربا بقدر أربع عشرة درجة وكتب بذلك محضر وأثبت على ابن جماعة * والمحراب الثالث محراب جامع القاهرة المعروف بالجامع الازهر وما في سمته من بقية محاريب القاهرة وهي محاريب يشهد الامتحان بتقدم واضعها في معرفة استخراج القبلة فانها على خط سمت القبلة من غير ميل عنه ولا انحراف البتة * والمحراب الرابع محاريب المساجد التي في قرى بلاد الساحل فانها تخالف محاريب الصحابة الا أن محراب جامع منية غمر قريب من سمت محاريب الصحابة فان الوزير أبا

عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالمأمون البطائحى وزير الخليفة الآمر بأحكام الله أبى على منصور بن المستعلى بالله أنشأ جامعا بمنية زفتا فى سنة ست عشرة وخمسمائة فجعل محرابه على سمت المحاريب الصحيحة * وفى قرافة مصر بجوار مسجد الفتح عدة مساجد تخالف محاريب الصحابة مخالفة فاحشة وكذلك بمدينة مصر الفسطاط غير مسجد على هذا الحكم * فأما محاريب الصحابة التى بفسطاط مصر والاسكندرية فان سمتها يقابل مشرق الشتاء وهو مطالع برج العقرب مع ميل قليل الى ناحية الجنوب ومحاريب مساجد القرى وما حول مسجد الفتح بالقرافة فانها تستقبل خط نصف النهار الذى يقال له خط الزوال وتميل عنه الى جهة المغرب وهذا الاختلاف بين هذين المحرابين اختلاف فاحش يفضى الى ابطال الصلاة * وقد قال ابن عبد الحكم قبلة أهل مصر أن يكون القطب الشمالى على الكتف الايسر وهذا سمت محاريب الصحابة قال واذا طلعت منازل العقرب وتكملت صورته فمحاذاته سمت القبلة لديار مصر وبرقة وافريقية وما والاها وفى الفرقدين والقطب الشمالى كفاية للمستدلين فانهم ان كانوا مستقبلين فى مسيرهم من الجنوب جهة الشمال استقبلوا القطب والفرقدين وان كانوا سائرين الى الجنوب من الشمال استدبروها وان كانوا سائرين الى الشرق من المغرب جعلوها على الاذن اليسرى وان كانوا سائرين من الشرق الى المغرب جعلوها على الاذن اليمنى وان كان مسيرهم الى النكباء التى بين الجنوب والصبا جعلوها على الكتف الايسر وان كان مسيرهم الى النكباء التى بين الجنوب والدبور جعلوها على الكتف الايمن وان كان مسيرهم الى النكباء التى بين الشمال والدبور جعلوها على الحاجب الايمن وان كان مسيرهم الى النكباء التى بين الشمال والصبا جعلوها على الحاجب الايسر * واذا عرف ذلك فانه يستحيل تصويب محرابين مختلفين فى قطر واحد اذا زاد اختلافهما على مقدار ما يتسامح به فى التيامن والتياسر وبيان ذلك أن كل قطر من اقطار الارض كبلاد الشام وديار مصر ونحوهما من الاقطار قطعة من الارض واقعة فى مقابلة جزء من الكعبة والكعبة تكون فى جهة من جهات ذلك القطر فاذا اختلف محرابان فى قطر واحد فانا نتيقن أن أحدهما صواب والآخر خطأ الا أن يكون القطر قريبا من مكة وخطته التى هو محدود بها متسعة اتساعا كثيرا يزيد على الجزء الذى يخصه لو وزعت الكعبة اجزاء متماثلة فانه حينئذ يجوز التيامن والتياسر فى محاريبه وذلك مثل بلاد البجة فانها على الساحل الغربى من بحر القلزم ومكة واقعة فى شرقيها ليس بينهما الا مسافة البحر فقط وما بين جدة ومكة من البر وخطة بلاد البجة مع ذلك واسعة مستطيلة على الساحل أولها عيذاب وهى محاذية لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتميل عنها فى الجنوب ميلا قليلا والمدينة شامية عن مكة بنحو عشرة أيام وآخر بلاد البجة من ناحية الجنوب سواكن وهى مائلة فى ناحية الجنوب عن مكة ميلا كثيرا وهذا المقدار من طول بلاد البجة يزيد على الجزء الذى يخص هذه الخطة من الارض لو وزعت الارض أجزاء متساوية الى الكعبة فيتعين والحالة هذه التيامن أو التياسر فى طرفى هذه البلاد لطلب جهة الكعبة * وأما اذا بعد القطر عن الكعبة بعدا كثيرا فانه لا يضر اتساع خطته ولا يحتاج فيه الى تيامن ولا تياسر لاتساع الجزء الذى يخصه من الارض فان كل قطر منها له جزء يخصه من الكعبة من اجل أن الكعبة من البلاد المعمورة كالكرة من الدائرة فالاقطار كلها فى استقبال الكعبة محيطة بها كاحاطة الدائرة بمركزها وكل قطر فانه يتوجه الى الكعبة فى جزء يخصه والاجزاء المنقسمة اذا قدرت الارض كالدائرة فانها تتسع عند المحيط وتتضايق عند المركز فاذا كان القطر بعيدا عن الكعبة فانه يقع فى متسع الحد ولا يحتاج فيه الى تيامن ولا تياسر بخلاف ما اذا قرب القطر من الكعبة فانه يقع فى متضايق الجزء ويحتاج عند ذلك الى تيامن أو تياسر فان فرضنا أن الواجب اصابة عين الكعبة فى استقبال الصلاة لمن بعد عن مكة وقد علمت ما فى هذه المسألة من الاختلاف بين العلماء فانه لا يتسامح فى اختلاف المحاريب بأكثر من قدر التيامن والتياسر الذى لا يخرج عن حد الجهة فلو زاد الاختلاف حكم ببطلان أحد المحرابين ولا بد اللهم الا أن يكونا فى قطرين بعيدين بعضهما من بعض وليسا على خط واحد من مسامتة الكعبة وذلك كبلاد الشام وديار مصر فان البلاد الشامية لها جانبان وخطتها متسعة مستطيلة فى شمال مكة وتمتد اكثر من الجزء الخاص بها بالنسبة الى مقدار بعدها عن الكعبة وفى هذين القطرين يجرى ما تقدم ذكره فى أرض البجة الا أن التيامن والتياسر ظهوره فى البلاد الشامية اقل من ظهوره فى أرض البجة من أجل بعد البلاد الشامية عن الكعبة وقرب أرض البجة

وذلك أن البلاد الشامية وقعت في متسع الجزء الخاص بها فلم يظهر أثر التيامن والتياسر ظهورا كثيرا كظهوره في أرض الحجة لان البلاد الشامية لها جانب شرقي وجانب غربي ووسط فجانبها الغربي هو أرض بيت المقدس وفلسطين الى العريش أول حد مصر وهذا الجانب من البلاد الشامية يقابل الكعبة على حد مهب النكباء التي بين الجنوب والصبا وأما جانب البلاد الشامية الشرقي فانه ما كان مشرقا عن مدينة دمشق الى حلب والفرات وما يسامت ذلك من بلاد الساحل وهذه الجهة تقابل الكعبة مشرقا عن أوسط مهب الجنوب قليلا وأما أوسط بلاد الشام فانها دمشق وما قاربها وتقابل الكعبة على وسط مهب الجنوب وهذا هو سمت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ميل يسير عنه الى ناحية المشرق * وأما مصر فانها تقابل الكعبة فيما بين الصبا ومهب النكباء التي بين الصبا والجنوب ولذلك لما اختلف هذان القطران أعني مصر والشام في محاذاة الكعبة اختلفت محاريبهما وعلى ذلك وضع الصحابة رضي الله عنهم محاريب الشام ومصر على اختلاف السمتين فأما مصر بعينها وضواحيها وما هو في حدها أو على سمتها او في البلاد الشامية وما في حدها او على سمتها فانه لا يجوز فيهما تصويب محرابين مختلفين اختلافا بينا فان تباعد القطر عن القطر بمسافة قريبة أو بعيدة وكان القطران على سمت واحد في محاذاة الكعبة لم يضر حينئذ تباعدهما ولا تختلف محاريبهما بل تكون محاريب كل قطر منهما على حد واحد وسمت واحد وذلك كمصر وبرقة وافريقية وصقلية والاندلس فان هذه البلاد وان تباعد بعضها عن بعض فانها كلها تقابل الكعبة على حد واحد وسمتها جميعها سمت مصر من غير اختلاف البتة وقد تبين بما تقرر حال الاقطار المختلفة من الكعبة في وقوعها منها * وأما اختلاف محاريب مصر فان له أسبابا أحدها حمل كثير من الناس قوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه الحافظ أبو عيسى الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ما بين المشرق والمغرب قبلة على العموم وهذا الحديث قد روي موقوفا على عمر وعثمان وعلي وابن عباس ومحمد ابن الحنفية رضي الله عنهم وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا قال احمد بن حنبل هذا في كل البلدان قال هذا المشرق وهذا المغرب وما بينهما قبلة قيل له فصلاة من صلى بينهما جائزة قال نعم وينبغي أن يتحرى الوسط وقال احمد بن خالد قول عمر ما بين المشرق والمغرب قبلة قاله بالمدينة فمن كانت قبلته مثل قبلة المدينة فهو في سعة مما بين المشرق والمغرب ولسائر البلدان من السعة في القبلة مثل ذلك بين الجنوب والشمال وقال أبو عمر بن عبد البر لا خلاف بين أهل العلم فيه * قال مؤلفه رحمه الله اذا تأملت وجدت هذا الحديث يختص بأهل الشام والمدينة وما على سمت تلك البلاد شمالا وجنوبا فقط والدليل على ذلك أنه يلزم من حمله على العموم ابطال التوجه الى الكعبة في بعض الاقطار والله سبحانه قد افترض على الكافة أن يتوجهوا الى الكعبة في الصلاة حيثما كانوا بقوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وقد عرفت ان كنت تمهرت في معرفة البلدان وحدود الاقاليم أن الناس في توجههم الى الكعبة كالدائرة حول المركز فمن كان في الجهة الغربية من الكعبة فان جهة قبلة صلاته الى المشرق ومن كان في الجهة الشرقية من الكعبة فانه يستقبل في صلاته جهة المغرب ومن كان في الجهة الشمالية من الكعبة فانه يتوجه في صلاته الى جهة الجنوب ومن كان في الجهة الجنوبية من الكعبة كانت صلاته الى جهة الشمال ومن كان من الكعبة فيما بين المشرق والجنوب فان قبلته فيما بين الشمال والمغرب ومن كان من الكعبة فيما بين الجنوب والمغرب فان قبلته فيما بين الشمال والمشرق ومن كان من الكعبة فيما بين المشرق والشمال فقبلته فيما بين الجنوب والمغرب ومن كان من الكعبة فيما بين الشمال والمغرب فقبلته فيما بين الجنوب والمشرق * فقد ظهر ما يلزم من القول بعموم هذا الحديث من خروج أهل المشرق الساكنين به وأهل المغرب أيضا عن التوجه الى الكعبة في الصلاة عينا وجهة لان من كان مسكنه من البلاد ما هو في اقصى المشرق من الكعبة لو جعل المشرق عن يساره والمغرب عن يمينه لكان انما يستقبل حينئذ جنوب أرضه ولم يستقبل قط عين الكعبة ولا جهتها فوجب ولابد حمل الحديث على انه خاص بأهل المدينة والشام وما على سمت ذلك من البلاد بدليل أن المدينة النبوية واقعة بين مكة وبين أوسط الشام على خط مستقيم والجانب الغربي من بلاد الشام التي هي أرض المقدس وفلسطين يكون عن يمين من يستقبل بالمدينة الكعبة والجانب الشرقي الذي هو حمص وحلب وما والى ذلك واقع عن يسار من استقبل

الكعبة بالمدينة والمدينة واقعة فى أوسط جهة الشام على جهة مستقيمة بحيث لو خرج خط من الكعبة ومرّ على استقامة الى المدينة النبوية لنفذ منها الى أوسط جهة الشام سواء وكذلك لو خرج خط من مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجه على استقامة لوقع فيما بين الميزاب من الكعبة وبين الركن الشامى فلو فرضنا أن هذا الخط خرق الموضع الذى وقع فيه من الكعبة ومرّ لنفذ الى بيت المقدس على استواء من غير ميل ولا انحراف البتة وصار موقع هذا الخط فيما بين نكباء الشمال والدبور وبين القطب الشمالى وهو الى القطب الشمالى اقرب وأميل ومقابلته ما بين أوسط الجنوب ونكباء الصبا والجنوب وهو الى الجنوب اقرب والمدينة النبوية مشرقة عن هذا السمت ومغربة عن سمت الجانب الآخر من بلاد الشام وهو الجانب الغربى تغريبا يسيرا فمن يستقبل مكة بالمدينة يصير المشرق عن يساره والمغرب عن يمينه وما بينهما فهو قبلته وتكون حينئذ الشام بأسرها وجملة بلادها خلفه فالمدينة على هذا فى أوسط جهات البلاد الشامية ويشهد بصدق ذلك ما رويناه من طريق مسلم رحمه الله عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال رقيت على بيت أختى حفصة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا لحاجته مستقبل الشام مستدبر القبلة وله أيضا من حديث ابن عمر بينا الناس فى صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستداروا الى الكعبة فهذا اعزك الله أوضح دليل أن المدينة بين مكة والشام على حدّ واحد وأنها فى أوسط جهة بلاد الشام فمن استقبل بالمدينة الكعبة فقد استدبر الشام ومن استدبر بالمدينة الكعبة فقد استقبل الشام ويكون حينئذ الجانب الغربى من بلاد الشام وما على سمته من البلاد جهة القبلة عندهم أن يجعل الواقف مشرق الصيف عن يساره ومغرب الشتاء عن يمينه فيكون ما بين ذلك قبلته وتكون قبلة الجانب الشرقى من بلاد الشام وما على سمت ذلك من البلدان أن يجعل المصلى مغرب الصيف عن يمينه ومشرق الشتاء عن يساره وما بينهما قبلته ويكون أوسط البلاد الشامية التى هى حدّ المدينة النبوية قبلة المصلى بها أن يجعل مشرق الاعتدال عن يساره ومغرب الاعتدال عن يمينه وما بينهما قبلة له فهذا أوضح استدلال على أن الحديث خاص بأهل المدينة وما على سمتها من البلاد الشامية وما وراءها من البلدان المسامتة لها وهكذا أهل اليمن وما على سمت اليمن من البلاد فان القبلة واقعة فيما هنالك بين المشرق والمغرب لكن على عكس وقوعها فى البلاد الشامية فانه تصير مشارق الكواكب فى البلاد الشامية التى على يسار المصلى واقعة عن يمين المصلى فى بلاد اليمن وكذلك كل ما كان من المغارب عن يمين المصلى بالشام فانه ينقلب عن يسار المصلى باليمن وكل من قام ببلاد اليمن مستقبلا الكعبة فانه يتوجه الى بلاد الشام فيما بين المشرق والمغرب وهذه الاقطار سكانها هم المخاطبون بهذا الحديث وحكمه لازم لهم وهو خاص بهم دون من سواهم من أهل الاقطار الأخر ومن أجل حمل هذا الحديث على العموم كان السبب فى اختلاف محاريب مصر * (السبب الثانى) فى اختلاف محاريب مصر أن الديار المصرية لما افتتحها المسلمون كانت خاصة بالقبط والروم مشحونة بهم ونزل الصحابة رضى الله عنهم من أرض مصر فى موضع الفسطاط الذى يعرف اليوم بمدينة مصر وبالاسكندرية وتركوا سائر قرى مصر بأيدى القبط كما تقدّم فى موضعه من هذا الكتاب ولم يسكن أحد من المسلمين بالقرى وانما كانت رابطة تخرج الى الصعيد حتى اذا جاء أوان الربيع انتشر الاتباع فى القرى لرعى الدواب ومعهم طوائف من السادات ومع ذلك فكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ينهى الجند عن الزرع ويبعث الى أمراء الاجناد باعطاء الرعية أعطياتهم وأرزاق عيالهم وينهاهم عن الزرع * روى الامام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم فى كتاب فتوح مصر من طريق ابن وهب عن حيوة بن شريح عن بكر بن عمرو عن عبد الله بن هبيرة أن عمر بن الخطاب أمر بناذره أن يخرج الى امراء الاجناد يتقدمون الى الرعية أن عطاءهم قائم وأن ارزاق عيالهم سائل فلا يزرعون ولا يزارعون * قال ابن وهب واخبرنى شريك بن عبد الرحمن المرادى قال بلغنا أن شريك بن سمى الغطفانى أتى الى عمرو بن العاص فقال انكم لا تعطونا ما يحسبنا افتأذن لى بالزرع فقال له عمرو ما أقدر على ذلك فزرع شريك من غير اذن عمرو فلما بلغ ذلك عمرا كتب الى عمر بن الخطاب يخبره أن شريك بن سمى الغطفانى حرث بأرض مصر فكتب اليه عمر أن ابعث الىّ به فلما انتهى كتاب عمر الى عمرو أقرأه شريكا فقال شريك لعمرو قتلتنى يا عمرو فقال عمرو ما انا بالذى قتلتك انت صنعت هذا بنفسك فقال له اذا كان هذا من رأيك فائذن لى بالخروج من غير

كتاب ولك علىّ عهد الله أن أجعل يدى فى يده فاذن له بالخروج فلما وقف على عمر قال تؤمننى يا أمير المؤمنين قال ومن أىّ الاجناد أنت قال من جند مصر قال فلعلك شريك بن سمىّ الغطفانىّ قال نعم يا أمير المؤمنين قال لاجعلنك نكالا لمن خلفك قال أو تقبل منى ما قبل الله تعالى من العباد قال وتفعل قال نعم فكتب الى عمرو بن العاص ان شريك بن سمىّ جاءنى تائبا فقبلت منه * قال وحدثنا عبد الله بن صالح بن عبد الرحمن بن شريح عن أبى قبيل قال كان الناس يجتمعون بالفسطاط اذا قفلوا فاذا حضر مرافق الريف خطب عمرو بن العاص الناس فقال قد حضر مرافق الريف ربيعكم فانصرفوا فاذا حمض اللبن واشتد العود وكثر الذباب فحىّ على فسطاطكم ولا أعلمن ما جاء أحد قد أسمن نفسه وأهزل جواده * وقال ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب قال كان عمرو يقول للناس اذا قفلوا من غزوهم انه قد حضر الربيع فمن أحبّ منكم أن يخرج بفرسه يربعه فليفعل ولا أعلمن ما جاء أحد قد أسمن نفسه وأهزل فرسه فاذا حمض اللبن وكثر الذباب ولوى العود فارجعوا الى قيروانكم * وعن ابن لهيعة عن الاسود بن مالك الحميرىّ عن بحير بن ذاخر المعافرىّ قال رحت أنا ووالدى الى صلاة الجمعة تهجيرا وذلك بعد حميم النصارى بأيام يسيرة فأطلنا الركوع اذ أقبل رجال بأيديهم السياط يزجرون الناس فذعرت فقلت يا أبت من هؤلاء فقال يا بنىّ هؤلاء الشرط فأقام المؤذنون الصلاة فقام عمرو بن العاص على المنبر فرأيت رجلا ربعة قصير القامة وافر الهامة أدعج أبلج عليه ثياب موشاة كأن به العقبان تأتلق عليه حلة وعمامة وجبة فحمد الله وأثنى عليه حمدا موجزا وصلى على النبىّ صلى الله عليه وسلم ووعظ الناس وأمرهم ونهاهم فسمعته يحض على الزكاة وصلة الارحام ويأمر بالاقتصاد وينهى عن الفضول وكثرة العيال واخفاض الحال فى ذلك فقال يا معشر الناس اياكم وخلالا اربعا فانها تدعو الى النصب بعد الراحة والى الضيق بعد السعة والى الذلة بعد العزة اياكم وكثرة العيال واخفاض الحال وتضييع المال والقيل بعد القال فى غير درك ولا نوال ثم انه لا بد من فراغ يؤول اليه المرء فى توديع جسمه والتدبير لشانه وتخليته بين نفسه وبين شهواتها ومن صار الى ذلك فليأخذ بالقصد والنصيب الاقل ولا يضيع المرء فى فراغه نصيب العلم من نفسه فيحوز من الخير عاطلا وعن حلال الله وحرامه غافلا يا معشر الناس انه قد تدلت الجوزاء وذكت الشعرى وأقلعت السماء وارتفع الوباء وقل الندى وطاب المرعى ووضعت الحوامل ودرجت السخائل وعلى الراعى بحسن رعيته حسن النظر فحىّ لكم على بركة الله تعالى الى ريفكم فنالوا من خيره ولبنه وخرافه وصيده واربعوا خيلكم وأسمنوها وصونوها واكرموها فانها جنتكم من عدوّكم وبها مغانمكم وأنفالكم واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيرا واياكم والمومسات المعسولات فانهنّ يفسدن الدين ويقصرن الهمم حدثنى عمر أمير المؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم فيكم صهرا وذمة فكفوا ايديكم وعفوا فروجكم وغضوا أبصاركم ولا اعلمن ما اتى رجل قد اسمن جسمه وأهزل فرسه واعلموا أنى معترض الخيل كاعتراض الرجال فمن اهزل فرسه من غير علة حططته من فريضته قدر ذلك واعلموا انكم فى رباط الى يوم القيامة لكثرة الاعداء حولكم وتشوّف قلوبهم اليكم والى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية وحدثنى عمر أمير المؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الارض فقال له أبو بكر رضى الله عنه ولم يا رسول الله قال لانهم وأزواجهم فى رباط الى يوم القيامة فاحمدوا الله معشر الناس على ما أولاكم فتمتعوا فى ريفكم ما طاب لكم فاذا يبس العود وسخن الماء وكثر الذباب وحمض اللبن وصوّح البقل وانقطع الورد من الشجر فحىّ الى فسطاطكم على بركة الله ولا يقدمن أحد منكم ذو عيال الا ومعه تحفة لعياله على ما أطاق من سعته أو عسرته أقول قولى هذا واستحفظ الله عليكم قال فحفظت ذلك عنه فقال والدى بعد انصرافنا الى المنزل لما حكيت له خطبته انه يا بنىّ يحذر الناس اذا انصرفوا اليه على الرباط كما حذرهم على الريف والدعة * قال وكان اذا جاء وقت الربيع كتب لكل قوم بربيعهم ولبنهم الى حيث أحبوا وكانت القرى التى يأخذ فيها معظمهم منوف وسمنود واهناس وطحا وكان أهل الراية متفرقين فكان آل عمرو بن العاص وآل عبد الله بن سعد يأخذون فى منوف ووسيم وكانت هذيل تأخذ فى بنا وبوصير وكانت عدوان تأخذ فى بوصير وقرى علك والذى يأخذ فيه معظمهم بوصير ومنوف وسنديس واتريب وكانت بلى تأخذ فى منف وطرانية وكانت فهم تأخذ فى اتريب وعين

شمس ومنوف وكانت مهرة تأخذ فى مناونمى وبسطة ووسيم وكانت لخم تأخذ فى الفيوم وطرانية وقربيط وكانت جذام تأخذ فى قربيط وطرانية وكانت حضرموت تأخذ فى بنا وعين شمس واتريب وكانت مراد تأخذ فى منف والفيوم ومعهم عبس بن زوف وكانت حمير تأخذ فى بوصير وقرى اهناس وكانت خولان تأخذ فى قرى اهناس والقيس والبهنسا وآل وعلة يأخذون فى سفط من بوصير وآل ابرهة يأخذون فى منف وغفار وأسلم يأخذون مع وائل من جذام وسعد فى بسطة وقربيط وطرانية وآل يسار بن ضبة فى اتريب وكانت المعافر تأخذ فى اتريب وسخا ومنوف وكانت طائفة من تجيب ومراد يأخذون بالبدقون وكان بعض هذه القبائل ربما جاور بعضا فى الربيع ولا يوقف فى معرفة ذلك على أحد الا أن معظم القبائل كانوا يأخذون حيث وصفنا وكان يكتب لهم بالربيع فيربعون ما أقاموا وباللبن وكان لغفار وليث أيضا مربع باتريب قال واقامت مدلج بخربتا فاتخذوها منزلا وكان معهم نفر من حمير حالفوهم فيها فهى منازلهم ورجعت خشين وطائفة من لخم وجذام فنزلوا أكناف ضبان وابليل وطرانية ولم تكن قيس بالحوف الشرقى قديما وانما انزلهم به ابن الحبحاب وذلك انه وفد الى هشام بن عبد الملك فأمر له بفريضة خمسة آلاف رجل فجعل ابن الحبحاب الفريضة فى قيس وقدم بهم فأنزلهم الحوف الشرقى بمصر فانظر أعزك الله ما كان عليه الصحابة وتابعوهم عند فتح مصر من قلة السكنى بالريف ومع ذلك فكانت القرى كلها فى جميع الاقليم أعلاه وأسفله مملوءة بالقبط والروم ولم ينتشر الاسلام فى قرى مصر الا بعد المائة من تاريخ الهجرة عندما أنزل عبيد الله بن الحبحاب مولى سلول قيسا بالحوف الشرقى فلما كان فى المائة الثانية من سنى الهجرة كثر انتشار المسلمين بقرى مصر ونواحيها ومابرحت القبط تنقض وتحارب المسلمين الى ما بعد المائتين من سنى الهجرة * قال ابو عمرو محمد بن يوسف الكندى فى كتاب أمراء مصر وفى امرة الحر بن يوسف أمير مصر كتب عبيد الله بن الحبحاب صاحب خراج مصر الى هشام بن عبد الملك بأن أرض مصر تحتمل الزيادة فزاد على كل دينار قيراطا فنقضت كورة تنو ونمى وقربيط وطرانية وعامة الحوف الشرقى فبعث اليهم الحر بأهل الديوان فحاربوهم فقتل منهم خلق كثير وذلك اول نقض القبط بمصر وكان نقضهم فى سنة تسع ومائة ورابط الحر بن يوسف بدمياط ثلاثة اشهر ثم نقض أهل الصعيد وحارب القبط عمالهم فى سنة احدى وعشرين ومائة فبعث اليهم حنظلة بن صفوان أمير مصر أهل الديوان فقتلوا من القبط ناسا كثيرا فظفر بهم وخرج بحنس وهو رجل من القبط من سمنود فبعث اليه عبد الملك بن مروان موسى بن نصير أمير مصر فقتل بحنس فى كثير من اصحابه وذلك فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة وخالفت القبط أيضا برشيد فبعث اليهم مروان ابن محمد الحمار لما دخل مصر فارا من بنى العباس عثمان بن أبى سبعة فهزمهم وخرج القبط على يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابى صفرة أمير مصر بناحية سخا ونابذوا العمال وأخرجوهم فى سنة خمسين ومائة وصاروا الى شبرا سنباط وانضم اليهم أهل البشرود والاوسية والنجوم فاتى الخبر يزيد بن حاتم فعقد لنصر بن حبيب المهلبى على أهل الديوان ووجوه أهل مصر فخرجوا اليهم ولقيهم القبط وقتلوا من المسلمين فألقى المسلمون النار فى عسكر القبط وانصرف العسكر الى مصر منهزما * وفى ولاية موسى بن على بن رباح على مصر خرج القبط ببلهيت فى سنة ست وخمسين ومائة فخرج اليهم عسكر فهزمهم ثم نقضت القبط فى جمادى الاولى سنة ست عشرة ومائتين مع من نقض من أهل اسفل الارض من العرب وأخرجوا العمال وخلعوا الطاعة لسوء سيرة العمال فيهم فكانت بينهم وبين الجيوش حروب امتدت الى أن قدم الخليفة عبد الله امير المؤمنين المأمون الى مصر لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين فعقد على جيش بعث به الى الصعيد وارتحل هو الى سخا وأوقع الافشين بالقبط فى ناحية البشرود حتى نزلوا على حكم امير المؤمنين فحكم بقتل الرجال وبيع النساء والاطفال فبيعوا وسبى اكثرهم وتتبع كل من يومأ اليه بخلاف فقتل ناسا كثيرا ورجع الى الفسطاط فى صفر ومضى الى حلوان وعاد لثمان عشرة خلت من صفر فكان مقامه بالفسطاط وسخا وحلوان تسعة واربعين يوما * فانظر أعزك الله كيف كانت اقامة الصحابة انما هى بالفسطاط والاسكندرية وانه لم يكن لهم كثير اقامة بالقرى وأن النصارى كانوا متمكنين من القرى والمسلمون بها قليل وانهم لم ينتشروا بالنواحى الا بعد عصر الصحابة والتابعين يتبين لك انهم لم يؤسسوا فى القرى والنواحى مساجد وتفطن لشئ آخر وهو أن القبط مابرحوا كما تقدم يثبتون لمحاربة المسلمين دالة منهم بما هم عليه من القوة والكثرة فلما أوقع بهم المأمون الوقعة التى قلنا

غلب المسلمون على أماكنهم من القرى لما قاتلوا منهم وسبوا وجعلوا عدة من كنائس النصارى مساجد وكنائس النصارى مؤسسة على استقبال المشرق واستدبار المغرب زعما منهم انهم أمروا باستقبال مشرق الاعتدال وأنه الجنة لطلوع الشمس منه فجعل المسلمون أبواب الكنائس محاريب عندما غلبوا عليها وصيروها مساجد فجاءت موازية لخط نصف النهار وصارت منحرفة عن محاريب الصحابة انحرافا كثيرا يحكم بخطئها وبعدها عن الصواب كما تقدم * (السبب الثالث) تساهل كثير من الناس في معرفة أدلة القبلة حتى انك لتجد كثيرا من الفقهاء لا يعرفون منازل القمر صورة وحسابا وقد علم من له ممارسة بالرياضيات أن بمنازل القمر يعرف وقت السحر وانتقال الفجر في المنازل وناهيك بما يترتب على معرفة ذلك من أحكام الصلاة والصيام وهذه المنازل التي للقمر من بعض ما يستدل به على القبلة والطرقات وهي من مبادى العلم وقد جهلوه فمن اعوزه الادنى فحريه أن يجهل ما هو أعلى منه وأدق * (السبب الرابع) الاعتذار بنجم سهيل فان كثيرا ما يقع الاعتذار عن مخالفة محاريب المتأخرين بأنها بنيت على مقابلة سهيل ومن هنا يقع الخطأ فان هذا امر يحتاج فيه الى تحرير وهو أن دائرة سهيل مطلعها جنوب مشرق الشتاء قليلا وتوسطها في أوسط الجنوب وغروبها يميل عن اوسط الجنوب قليلا فلعل من تقدم من السلف أمر ببناء المساجد في القرى على مقابلة مطالع سهيل ومطلعه في سمت قبلة مصر تقريبا فجهل من قام بأمر البنيان فرق ما بين مطالع سهيل وتوسطه وغروبه وتساهل فوضع المحراب على مقابلة توسط سهيل وهو أوسط الجنوب فجاء المحراب حينئذ منحرفا عن السمت الصحيح انحرافا لا يسوغ التوجه اليه البتة * (السبب الخامس) أن المحاريب الفاسدة بديار مصر أكثرها في البلاد الشمالية التي تعرف بالوجه البحري والذي يظهر أن الغلط دخل على من وضعها من جهة ظنه أن هذه البلاد لها حكم بلاد الشام وذلك أن بلاد مصر التي في الساحل كثيرة الشبه ببلاد الشام في كثرة أمطارها وشدة بردها وحسن فواكهها فاستطرد الشبه حتى في المحاريب ووضعها على سمت المحاريب الشامية فجاء شيأ خطأ وبيان ذلك أن هذه البلاد ليست بشمالية عن الشام حتى يكون حكمها في استقبال الكعبة كالحكم في البلاد الشامية بل هي مغربة عن الجانب الغربي من الشام بعدة ايام وسمتاهما مختلفان في استقبال الكعبة لاختلاف القطرين فان الجانب الغربي من الشام كما تقدم يقابل ميزاب الكعبة على خط مستقيم وهو حيث مهب النكباء التي بين الشمال والدبور ووسط الشام كدمشق وما والاها شمال مكة من غير ميل وهم يستقبلون أوسط الجنوب في صلاتهم بحيث يكون القطب الشمالي المسمى بالجدى وراء ظهورهم والمدينة النبوية بين هذا الحد من الشام وبين مكة مشرقة عن هذا الحد قليلا فاذا كانت مصر مغربة عن الجانب الغربي من الشام بأيام عديدة تعين ووجب أن تكون محاريبها ولا بد مائلة الى جهة المشرق بقدر بعد مصر وتغريبها عن أوسط الشام وهذا أمر يدركه الحس ويشهد لصحته العيان وعلى ذلك اسس الصحابة رضى الله عنهم المحاريب بدمشق وبيت المقدس مستقبلة ناحية الجنوب وأسسوا المحاريب بمصر مستقبلة المشرق مع ميل يسير عنه الى ناحية الجنوب * فرض رحمك الله نفسك في التمييز وعود نظرك التأمل وأربأ بنفسك أن تقاد كما تقاد البهيمة بتقليدك من لا يؤمن عليه الخطأ فقد نهجت لك السبيل في هذه المسألة وألنت لك من القول وقربت لك حتى كأنك تعاين الاقطار وكيف موقعها من مكة

* ولي هنا مزيد بيان فيه الفرق بين اصابة العين واصابة الجهة وهو أن المكلف لو وقف وفرضنا انه خرج خط مستقيم من بين عينيه ومر حتى اتصل بجدار الكعبة من غير ميل عنها الى جهة من الجهات فانه لا بد أن ينكشف لبصره مدى عن يمينه وشماله لا ينتهي بصره الى غيره ان كان لا ينحرف عن مقابلته فلو فرضنا امتداد خطين من كلا عيني الواقف بحيث يلتقيان في باطن الرأس على زاوية مثلثة ويتصلان بما انتهى اليه البصر من كلا الجانبين لكان ذلك شكلا مثلثا بقسمة الخط الخارج من بين العينين الى الكعبة بنصفين حتى يصير ذلك الشكل بين مثلثين متساويين فالخط الخارج من بين عيني مستقبل الكعبة الذي فرق بين الزاويتين هو مقابلة العين التي اشترط الشافعي رحمه الله وجوب استقبالها من الكعبة عند الصلاة ومنتهى ما ينكشف ببصر المستقبل من الجانبين هو حد مقابلة الجهة التي قال جماعة من علماء الشريعة بصحة استقباله في الصلاة والخطان الخارجان من العينين الى طرفيه هما آخر الجهة من اليمين والشمال فمهما وقعت صلاة المستقبل على الخط الفاصل بين الزاويتين كان قد استقبل عين الكعبة ومهما وقعت صلاته منحرفة عن يمين الخط أو يساره بحيث لا يخرج

استقباله عن منتهى حدّ الزاويتين المحدودتين بما يكشف بصره من الجانبين فانه مستقبل جهة الكعبة وان خرج استقباله عن حدّ الزاويتين من أحد الجانبين فانه يخرج فى استقباله عن حدّ جهة الكعبة وهذا الحدّ فى الجهة يتسع ببعد المدى ويضيق بقربه فأقصى ما ينتهى اليه اتساعه ربع دائرة الافق وذلك أن الجهات المعتبرة فى الاستقبال اربع المشرق والمغرب والجنوب والشمال فمن استقبل جهة من هذه الجهات كان اقصى ما ينتهى اليه سعة تلك الجهة ربع دائرة الافق وان انكشف لبصره اكثر من ذلك فلا عبرة به من اجل ضرورة تساوى الجهات فانا لو فرضنا انسانا وقف فى مركز دائرة واستقبل جزأ من محيط الدائرة لكانت كل جهة من جهاته الاربع التى هى وراءه وأمامه ويمينه وشماله تقابل ربعا من ارباع الدائرة فتبين بما قلنا أن اقصى ما ينتهى اليه اتساع الجهة قدر ربع دائرة الافق فأى جزء من أجزاء دائرة الافق قصده الواقف بالاستقبال فى بلد من البلدان كانت جهة ذلك الجزء المستقبل ربع دائرة الافق وكان الخط الخارج من بين عينى الواقف الى وسط تلك الجهة هو مقابلة العين ومنتهى الربع من جانبيه يمنة ويسرة هو منتهى الجهة التى قد استقبلها فما خرج من محاريب بلد من البلدان عن حدّ جهة الكعبة لا تصح الصلاة لذلك المحراب بوجه من الوجوه وما وقع فى جهة الكعبة صحت الصلاة اليه عند من يرى أن الفرض فى استقبال الكعبة اصابة جهتها وما وقع فى مقابلة عين الكعبة فهو الاسدّ الافضل الاولى عند الجمهور * وان أنصفت علمت أنه مهما وقع الاستقبال فى مقابلة جهة الكعبة فانه يكون سديدا واقرب منه الى الصواب ما وقع قريبا من مقابلة العين يمنة أو يسرة بخلاف ما وقع بعيدا عن مقابلة العين فانه بعيد من الصواب ولعله هو الذى يجرى فيه الخلاف بين علماء الشريعة والله اعلم * وحيث تقرر الحكم الشرعى بالادلة السمعية والبراهين العقلية فى هذه المسألة فاعلم أن المحاريب المخالفة لمحاريب الصحابة التى بقرافة مصر وبالوجه البحرى من ديار مصر واقعة فى آخر جهة الكعبة من مصر وخارجة عن حدّ الجهة وهى مع ذلك فى مقابلة ما بين البجة والنوبة لا فى مقابلة الكعبة فانها منصوبة على موازاة خط نصف النهار ومحاريب الصحابة على موازاة مشرق الشتاء تجاه مطالع العقرب مع ميل يسير عنها الى ناحية الجنوب فاذا جعلنا مشرق الشتاء المذكور مقابلة عين الكعبة لاهل مصر وفرضنا جهة ذلك الجزء ربع دائرة الافق صار سمت المحاريب التى هى موازية لخط نصف النهار خارجا عن جهة الكعبة والذى يستقبلها فى الصلاة يصلى الى غير شطر المسجد الحرام وهو خطر عظيم فاحذره * واعلم أن صعيد مصر واقع فى جنوب مدينة مصر وقوص واقعة فى شرقى الصعيد وفيما بين مهب ريح الجنوب والصبا من ديار مصر فالمتوجه من مدينة قوص الى عيذاب يستقبل مشرق الشتاء سواء الى أن يصل الى عيذاب ولا يزال كذلك اذا سار من عيذاب حتى ينتهى فى البحر الى جدّة فاذا سار من جدّة فى البرّ استقبل المشرق كذلك حتى يحل بمكة فاذا عاد من مكة استقبل المغرب فاعرف من هذا أن مكة واقعة فى النصف الشرقى من الربع الجنوبى بالنسبة الى أرض مصر وهذا هو سمت محاريب الصحابة التى بديار مصر والاسكندرية وهو الذى يجب أن يكون سمت جميع محاريب اقليم مصر * (برهان آخر) وهو أن من سار من مكة يريد مصر على الجادة فانه يستقبل ما بين القطب الشمالى الذى هو الجدى وبين مغرب الصيف مدة يومين وبعض اليوم الثالث وفى هذه المدة يكون مهب النكباء التى بين الشمال والمغرب تلقاء وجهه ثم يستقبل بعد ذلك فى مدة ثلاثة أيام أوسط الشمال بحيث يبقى الجدى تلقاء وجهه الى أن يصل الى بدر فاذا سار من بدر الى المدينة النبوية صار مشرق الصيف تلقاء وجهه تارة ومشرق الاعتدال تارة الى أن ينتهى الى المدينة فاذا رجع من المدينة الى الصفراء استقبل مغرب الشتاء الى أن يعدل الى ينبع فيصير تارة يسير شمالا وتارة يسير مغربا ويكون ينبع من مكة على حدّ النكباء التى بين الشمال ومغرب الصيف فاذا سار من ينبع استقبل ما بين الجدى ومغرب الثريا وهو مغرب الصيف وهبت النكباء تلقاء وجهه الى أن يصل الى مدين فاذا سار من مدين استقبل تارة الشمال وأخرى مغرب الصيف حتى يدخل ايلة ومن ايلة لا يزال يستقبل مغرب الاعتدال تارة ويميل عنه الى جهة الجنوب مع استقبال مغرب الشتاء أخرى الى أن يصل الى القاهرة ومصر فلو فرضنا خطا خرج من محاريب مصر الصحيحة التى وضعها الصحابة ومرّ على استقامة من غير ميل ولا انحراف لاتصل بالكعبة ولصق بها * واعلم أن أهل مصر والاسكندرية وبلاد الصعيد وأسفل الارض وبرقة وافريقية وطرابلس المغرب وصقلية والاندلس وسواحل المغرب الى السوس الاقصى والبحر المحيط وما على

سمت هذه البلاد يستقبلون فى صلاتهم من الكعبة ما بين الركن الغربى الى الميزاب فمن أراد أن يستقبل الكعبة فى شئ من هذه البلاد فليجعل بنات نعش اذا غربت خلف كتفه الايسر واذا طلعت على صدغه الايسر ويكون الجدى على أذنه اليسرى ومشرق الشمس تلقاء وجهه أو ريح الشمال خلف أذنه اليسرى أو ريح الدبور خلف كتفه الايمن أو ريح الجنوب التى تهب من ناحية الصعيد على عينه اليمنى فانه حينئذ يستقبل من الكعبة سمت محاريب الصحابة الذين أمرنا الله باتباع سبيلهم ونهانا عن مخالفتهم بقوله عز وجل ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ألهمنا الله بمنه اتباع طريقهم وصيرنا بكرمه من حزبهم وفريقهم انه على كل شئ قدير

(جامع العسكر)

هذا الجامع بظاهر مصر وهو حيث الفضاء الذى هو اليوم فيما بين جامع احمد بن طولون وكوم الجارح بظاهر مدينة مصر وكان الى جانب الشرطة والدار التى يسكنها أمراء مصر ومن هذه الدار الى الجامع باب وكان يجمع فيه الجمعة وفيه منبر ومقصورة وهذا الجامع بناه الفضل بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس فى ولايته امارة مصر ملاصقا لشرطة العسكر التى كان يقال لها الشرطة العليا فى سنة تسع وستين ومائة فكانوا يجمعون فيه وكانت ولاية الفضل امارة مصر من قبل المهدى محمد بن ابى جعفر المنصور على الصلاة والخراج فدخلها سلخ المحرم سنة تسع وستين ومائة فى عسكر من الجند عظيم أتى بهم من الشام ومصر تضطرم لما كان فى الحوف وخروج دحية بن مصعب بن الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان فقام فى ذلك وجهز الجنود حتى أسر دحية وضرب عنقه فى جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكان يقول أنا أولى الناس بولاية مصر لقيامى فى أمر دحية وقد عجز عنه غيرى حتى كفيت أهل مصر أمره فعزله موسى الهادى لما استخلف بعد موت أبيه المهدى بعد ما أقره فقدم الفضل على قتل دحية وأظهر توبة وسار الى بغداد فمات عن خمسين سنة فى سنة اثنتين وسبعين ومائة ولم يزل الجامع بالعسكر الى أن ولى عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب مولى خزاعة على صلاة مصر وخراجها من قبل عبد الله أمير المؤمنين المأمون فى ربيع الاول سنة احدى عشرة ومائتين فزاد فى عمارته وكان الناس يصلون فيه الجمعة قبل بناء جامع احمد بن طولون ولم يزل هذا الجامع الى ما بعد الخمسمائة من سنى الهجرة قال ابن المأمون فى تاريخه من حوادث سنة سبع عشرة وخمسمائة وكان يطلق فى الاربع ليالى الوقود وهى مستهل رجب ونصفه ومستهل شعبان ونصفه برسم الجوامع الستة الازهر والانور والاقمر بالقاهرة والطولونى والعتيق بمصر وجامع القرافة والمشاهد التى تتضمن الاعضاء الشريفة وبعض المساجد التى يكون لاربابها وجاهة جملة كثيرة من الزيت الطيب ويختص بجامع راشدة وجامع ساحل الغلة بمصر والجامع بالمقس يسير ويعنى بجامع ساحل الغلة جامع العسكر فان العسكر حينئذ كان قد خرب وحملت أنقاضه وصار الجامع بساحل مصر وهو الساحل القديم المذكور فى موضعه من هذا الكتاب

(ذكر العسكر)

كان مكان العسكر فى صدر الاسلام يعرف بعد الفتح بالحمراء القصوى وهى كما تقدم خطة بنى الازرق وخطة بنى روبيل وخطة بنى يشكر بن جزيلة من لخم ثم دثرت هذه الحمراء وصارت صحراء فلما زالت دولة بنى أمية ودخلت المسودة الى مصر فى طلب مروان بن محمد الجعدى فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة وهى خراب فضاء يعرف بعضه بجبل يشكر نزل صالح بن على بن عبد الله بن عباس وأبو عون عبد الملك بن يزيد بعسكرهما فى هذا الفضاء وأمر عبد الملك أبو عون اصحابه بالبناء فيه فبنوا وسمى من يومئذ بالعسكر وصار أمراء مصر اذا قدموا ينزلون فيه من بعد أبى عون وقال الناس من عهده كنا بالعسكر خرجنا الى العسكر وكنت فى العسكر فصارت مدينة الفسطاط والعسكر ونزل الامراء من عهد أبى عون بالعسكر فلما ولى يزيد بن حاتم امارة مصر وقام على بن محمد بن عبد الله بن حسن وطرق المسجد كتب أبو جعفر المنصور الى يزيد بن حاتم يأمره أن يتحول من العسكر الى الفسطاط وأن يجعل الديوان فى كنائس القصر وذلك فى سنة ست وأربعين ومائة الى أن قدم الامير أبو العباس أحمد بن طولون من العراق أميرا على مصر فنزل بالعسكر بدار الامارة التى بناها صالح بن على بعد هزيمة مروان وقتله وكان لها باب الى الجامع الذى بالعسكر وكان الامراء ينزلون بهذه الدار الى أن نزلها أحمد بن طولون ثم

تحوّل منها الى القطائع وجعلها أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون عند امارته على مصر ديوانا للخراج ثم فرّقت حجرا حجرا بعد دخول محمد بن سليمان الكاتب الى مصر وزوال دولة بنى طولون وسكن محمد بن سليمان أيضا بدار فى العسكر عند المصلى القديم ونزلها الامراء من بعده الى أن ولى الاخشيد محمد بن طغج فنزل بالعسكر أيضا ولما بنى احمد بن طولون القطائع اتصلت مبانيها بالعسكر وبنى الجامع على جبل يشكر فعمر ما هنالك عمارة عظيمة بحيث كانت هنالك دار على بركة قارون أنفق عليها كافور الاخشيدى مائة ألف دينار وسكنها وكان هنالك مارستان احمد بن طولون أنفق عليه وعلى مستغله ستين ألف دينار * وقدمت عساكر المعزلدين الله مع كاتبه وغلامه جوهر القائد فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة والعسكر عامر غير أنه منذ بنى احمد بن طولون القطائع هجر اسم العسكر وصار يقال مدينة الفسطاط والقطائع فلما خرّب محمد بن سليمان الكاتب قصر ابن طولون وميدانه كما ذكر فى موضعه من هذا الكتاب صارت القطائع فيها المساكن الجليلة حيث كان العسكر وأنزل المعزلدين الله عمه أبا على فى دار الامارة فلم يزل أهلها بها الى أن خربت القطائع فى الغلاء الكائن بمصر فى خلافة المستنصر أعوام بضع وخمسين وأربعمائة فيقال انه كان هنالك ما ينيف على مائة ألف دار ولا ينكر ذلك فانظر ما بين سفح الجبل حيث القلعة الآن وبين ساحل مصر القديم الذى يعرف اليوم بالكبارة وما بين كوم الجارح من مصر وقناطر السباع فهنالك كانت القطائع والعسكر ويخص العسكر من ذلك ما بين قناطر السباع وحدرة ابن قميحة الى كوم الجارح حيث الفضاء الذى يتوسط فيما بين قنطرة السد وباب المجدم من جهة القرافة فهنالك كان العسكر ولما استولى الخراب فى المحنة زمن المستنصر أمر الوزير الناصر للدين عبد الرحمن اليازورى ببناء حائط يستر الخراب اذا توجه الخليفة الى مصر فيما بين العسكر والقطائع وبين الطريق وأمر فبنى حائط آخر عند جامع ابن طولون فلما كان فى خلافة الآمر بأحكام الله أبى على منصور بن المستعلى بالله أمر وزيره أبو عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالمأمون البطائحى فنودى مدّة ثلاثة ايام فى القاهرة ومصر بأن من كان له دار فى الخراب أو مكان يعمره ومن عجز عن عمارته يبيعه او يؤجره من غير نقل شئ من أنقاضه ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له ولا حكر يلزمه وأباح تعمير جميع ذلك بغير طلب حق فعمر الناس ما كان منه مما يلى القاهرة من حيث مشهد السيدة نفيسة الى ظاهر باب زويلة ونقلت أنقاض العسكر فصار الفضاء الذى يوصل اليه من مشهد السيدة نفيسة ومن الجامع الطولونى ومن قنطرة السد ويسلك فيه الى حيث كوم الجارح والعامر الآن من العسكر جبل يشكر الذى فيه جامع ابن طولون وما حوله الى قناطر السباع كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى

(جامع ابن طولون)

هذا الجامع موضعه يعرف بجبل يشكر قال ابن عبد الظاهر وهو مكان مشهور باجابة الدعاء وقيل ان موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات * وابتدأ فى بناء هذا الجامع الامير أبو العباس احمد بن طولون بعد بناء القطائع فى سنة ثلاث وستين ومائتين * قال جامع السيرة الطولونية كان احمد بن طولون يصلى الجمعة فى المسجد القديم الملاصق للشرطة فلما ضاق عليه بنى الجامع الجديد مما أفاء الله عليه من المال الذى وجده فوق الجبل فى الموضع المعروف بتنور فرعون ومنه بنى العين فلما أراد بناء الجامع قدّر له ثلثمائة عمود فقيل له ما تجدها أو تنفذ الى الكنائس فى الارياف والضياع الخراب فتحمل ذلك فأنكر ذلك ولم يختره وتعذب قلبه بالفكر فى أمره وبلغ النصرانى الذى تولى له بناء العين وكان قد غضب عليه وضربه ورماه فى المطبق الخبر فكتب اليه يقول أنا أبنيه لك كما تحب وتختار بلا عمد الا عمودى القبلة فأحضره وقد طال شعره حتى نزل على وجهه فقال له ويحك ما تقول فى بناء الجامع فقال أنا أصوّره للامير حتى يراه عيانا بلا عمد الا عمودى القبلة فأمر بأن تحضر له الجلود فأحضرت وصوّره له فأعجبه واستحسنه وأطلقه وخلع عليه وأطلق له للنفقة عليه مائة ألف دينار فقال له أنفق وما احتجت اليه بعد ذلك اطلقناه لك فوضع النصرانى يده فى البناء فى الموضع الذى هو فيه وهو جبل يشكر فكان ينشر منه ويعمل الجير ويبنى الى أن فرغ من جميعه وبيضه وخلّقه وعلق فيه القناديل بالسلاسل الحسان الطوال وفرش فيه الحصر وحمل اليه صناديق المصاحف ونقل اليه القرّاء والفقهاء وصلى فيه بكار بن قتيبة القاضى وعمل الربيع بن سليمان بابا فيما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة فلما كان أوّل جمعة صلاها فيه أحمد بن طولون وفرغت الصلاة

جلس محمد بن الربيع خارج المقصورة وقام المستملى وفتح باب المقصورة وجلس أحمد بن طولون ولم ينصرف والغلمان قيام وسائر الحجاب حتى فرغ المجلس فلما فرغ المجلس خرج اليه غلام بكيس فيه ألف دينار وقال يقول لك الامير نفعك الله بما علمك وهذه لابى طاهر يعنى ابنه وتصدق احمد بن طولون بصدقات عظيمة فيه وعمل طعاما عظيما للفقراء والمساكين وكان يوما عظيما حسنا * وراح أحمد بن طولون ونزل فى الدار التى عملها فيه للامارة وقد فرشت وعلقت وحملت اليها الآلات والاوانى وصناديق الاشربة وما شاكلها فنزل بها أحمد وجدد طهره وغير ثيابه وخرج من بابها الى المقصورة فركع وسجد شكرا لله تعالى على ما اعانه عليه من ذلك ويسره له فلما أراد الانصراف خرج من المقصورة حتى اشرف على الفوارة وخرج الى باب الريح فصعد النصرانى الذى بنى الجامع ووقف الى جانب المركب النحاس وصاح يا أحمد بن طولون يا امير الامان عبدك يريد الجائزة ويسأل الامان أن لا يجرى عليه مثل ما جرى فى المرة الاولى فقال له احمد بن طولون انزل فقد امنك الله ولك الجائزة فنزل وخلع عليه وأمر له بعشرة آلاف دينار وأجرى عليه الرزق الواسع الى أن مات * وراح أحمد بن طولون فى يوم الجمعة الى الجامع فلما رقى الخطيب المنبر وخطب وهو أبو يعقوب البلخى دعا للمعتمد ولولده ونسى أن يدعو لاحمد بن طولون ونزل عن المنبر فأشار أحمد الى نسيم الخادم أن اضربه خمسمائة سوط فذكر الخطيب سهوه وهو على مراقى المنبر فعاد وقال الحمد لله وصلى الله على محمد ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما اللهم وأصلح الامير أبا العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين وزاد فى الشكر والدعاء له بقدر الخطبة ثم نزل فنظر أحمد الى نسيم أن اجعلها دنانير ووقف الخطيب على ما كان منه فحمد الله تعالى على سلامته وهنأه الناس بالسلامة * ورأى أحمد بن طولون الصناع يبنون فى الجامع عند العشاء وكان فى شهر رمضان فقال متى يشترى هؤلاء الضعفاء افطار العيالهم وأولادهم اصرفوهم العصر فصارت سنة الى اليوم بمصر فلما فرغ شهر رمضان قيل له قد انقضى شهر رمضان فيعودون الى رسمهم فقال قد بلغنى دعاؤهم وقد تبركت به وليس هذا مما يوفر العمل علينا وفرغ منه فى شهر رمضان سنة خمس وستين ومائتين وتقرب الناس الى ابن طولون بالصلاة فيه وألزم أولادهم كلهم صلاة الجمعة فى فوارة الجامع ثم يخرجون بعد الصلاة الى مجلس الربيع بن سليمان ليكتبوا العلم مع كل واحد منهم وراق وعدة غلمان * وبلغت النفقة على هذا الجامع فى بنائه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار * ويقال ان احمد بن طولون رأى فى منامه كأن الله تعالى قد تجلى ووقع نوره على المدينة التى حول الجامع الا الجامع فانه لم يقع عليه من النور شئ فتألم وقال والله ما بنيته الا لله خالصا ومن المال الحلال الذى لا شبهة فيه فقال له معبر حاذق هذا الجامع يبقى ويخرب كل ما حوله لان الله تعالى قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا فكل شئ يقع عليه جلال الله عز وجل لا يثبت وقد صح تعبير هذه الرؤيا فان جميع ما حول الجامع خرب دهرا طويلا كما تقدم فى موضعه من هذا الكتاب وبقى الجامع عامرا ثم عادت العمارة لما حوله كما هى الآن * قال القضاعى رحمه الله وذكر أن السبب فى بنائه أن أهل مصر شكوا اليه ضيق الجامع يوم الجمعة من جنده وسودانه فأمر بانشاء المسجد الجامع بجبل يشكر بن جديلة من لخم فابتدأ بنيانه فى سنة ثلاث وستين ومائتين وفرغ منه سنة خمس وستين ومائتين وقيل ان احمد بن طولون قال أريد أن ابنى بناء ان احترقت مصر بقى وان غرقت بقى فقيل له يبنى بالجير والرماد والآجر الاحمر القوى النار الى السقف ولا يجعل فيه أساطين رخام فانه لا صبر لها على النار فبناه هذا البناء وعمل فى مؤخره ميضأة وخزانة شراب فيها جميع الشرابات والادوية وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة وبناه على بناء جامع سامرا وكذلك المنارة وعلق فيه سلاسل النحاس المفرغة والقناديل المحكمة وفرشه بالحصر العبدانية والسامانية * (حديث الكنز) * قال جامع السيرة لما ورد على احمد بن طولون كتاب المعتمد بما استدعاه من رد الخراج بمصر اليه وزاده المعتمد مع ما طلب الثغور الشامية رغب بنفسه عن المعادن ومرافقها فأمر بتركها وكتب باسقاطها فى سائر الاعمال ومنع المتقبلين من الفسخ على المزارعين وخطر الارتفاق على العمال وكان قبل اسقاط المرافق بمصر قد شاور عبد الله ابن دسومة فى ذلك وهو يومئذ امين على أبى أيوب متولى الخراج فقال ان أمننى الامير تكلمت بما عندى فقال له قد امنك الله عز وجل فقال أيها الامير ان الدنيا والآخرة ضرتان والحازم من لم يخلط احداهما مع الاخرى والمفرط من خلط بينهما فيتلف أعماله ويبطل سعيه وافعال الامير ايده الله الخير وتوكله توكل الزهاد وليس مثله

من

من ركب خطة لم يحكمها ولو كانثق بالنصر دائما طول العمر لما كان شيء عندنا آثر من التضييق على انفسنا في العاجل بعمارة الآجل ولكن الانسان قصير العمر كثير المصائب مدفوع الى الآفات وترك الانسان ما قد امكنه وصار في يده تضييع ولعل الذى حماه نفسه يكون سعادة لمن يأتي من بعده فيعود ذلك توسعة لغيره بما حرمه هو ويجتمع للامير أيده الله بما قد عزم على اسقاطه من المرافق في السنة بمصر دون غيرها مائة ألف دينار وان فسخ ضياع الامراء والمتقبلين في هذه السنة لانها سنة ظمأ توجب الفسخ زاد مال البلد وتوفر توفرا عظيما ينضاف الى مال المرافق فينضبط به الامير ايده الله أمر دنياه وهذه طريقة امور الدنيا وأحكام امور الرياسة والسياسة وكل ما عدل الامير ايده الله اليه من امر غير هذا فهو مفسد لدنياه وهذا رأيي والامير أيده الله على ما عساه يراه فقال له ننظر في هذا ان شاء الله وشغل قلبه كلامه فبات تلك الليلة بعد أن مضى اكثر الليل يفكر في كلام ابن دسومة فرأى في منامه رجلا من اخوانه الزهاد بطرسوس وهو يقول له ليس ما أشار به عليك من استشرته في أمر الارتفاق والفسخ برأى تحمد عاقبته فلا تقبله ومن ترك شيأ لله عز وجل عوّضه الله عنه فأمض ما كنت عزمت عليه فلما اصبح أنفذ الكتب الى سائر الاعمال بذلك وتقدّم به في سائر الدواوين بامضائه ودعا بابن دسومة فعرّفه بذلك فقال له قد اشار عليك رجلان الواحد في اليقظة والآخر ميت في النوم وانت الى الحىّ اقرب وبضمانه أوثق فقال دعنا من هذا فلست أقبل منك وركب في غد ذلك اليوم الى نحو الصعيد فلما امعن في الصحراء ساخت في الارض يد فرس بعض غلمانه وهو رمل فسقط الغلام في الرمل فاذا بفتق ففتح فأصيب فيه من المال ما كان مقداره ألف ألف دينار وهو الكنز الذى شاع خبره وكتب به الى العراق احمد بن طولون يخبر المعتمد به ويستأذنه فيما يصرفه فيه من وجوه البرّ وغيرها فبنى منه المارستان ثم اصاب بعده في الجبل مالا عظيما فبنى منه الجامع ووقف جميع ما بقى من المال في الصدقات وكانت صدقاته ومعروفه لا تحصى كثرة * ولما انصرف من الصحراء وحمل المال أحضر ابن دسومة وأراه المال وقال له بئس الصاحب والمستشار انت هذا أول بركة مشورة الميت في النوم ولولا أنى امنتك لضربت عنقك وتغير عليه وسقط محله عنده ورفع اليه بعد ذلك انه قد اجحف بالناس وألزمهم اشياء ضجوا منها فقبض عليه وأخذ ماله وحبسه فمات في حبسه وكان ابن دسومة واسع الحيلة بخيل الكف زاهدا في شكر الشاكرين لا يهش الى شيء من أعمال البرّ وكان احمد بن طولون من أهل القرآن اذا جرت منه اساءة استغفر وتضرّع * وقال ابن عبد الظاهر سمعت غير واحد يقول انه لما فرغ احمد بن طولون من بناء هذا الجامع أسرّ للناس بسماع ما يقوله الناس فيه من العيوب فقال رجل محرابه صغير وقال آخر ما فيه عمود وقال آخر ليست له ميضأة فجمع الناس وقال أما المحراب فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خطه لى فأصبحت فرأيت النمل قد أطافت بالمكان الذى خطه لى وأما العمد فاني بنيت هذا الجامع من مال حلال وهو الكنز وما كنت لاشوبه بغيره وهذه العمد امّا أن تكون من مسجد أو كنيسة فنزهته عنها وأما الميضأة فاني نظرت فوجدت ما يكون بها من النجاسات فطهرته منها وها أنا ابنيها خلفه ثم أمر ببنائها * وقيل انه لما فرغ من بنائه رأى في منامه كأن نارا نزلت من السماء فأخذت الجامع دون ما حوله فلما اصبح قص رؤياه فقيل له أبشر بقبول الجامع لانّ النار كانت في الزمان الماضي اذا قبل الله قربانا نزلت نار من السماء أخذته دليله قصة قابيل وهابيل * قال ورأيت من يقول انه عمل به منطقة دائرة بجميعه من عنبر ولم أر مصنفا ذكره لا انه مستفاض من الافواه والنقلة وسمعت من يقول انه عمر ما حوله حتى كان خلفه مسطبة ذراع في ذراع أجرتها في كل يوم اثنا عشر درهما في بكرة النهار لشخص يبيع الغزل ويشتريه والظهر لخباز والعصر لشيخ يبيع الحمص والفول * وقيل عن احمد بن طولون انه كان لا يعبث بشيء قط فاتفق انه أخذ درجا بيض بيده وأخرجه ومدّه واستيقظ لنفسه وعلم أنه قد فطن به وأخذ عليه لكونه لم تكن تلك عادته فطلب المعمار على الجامع وقال تبنى المنارة التى للتأذين هكذا فبنيت على تلك الصورة والعامّة يقولون ان العشارى الذى على المنارة المذكورة يدور مع الشمس وليس صحيحا وانما يدور مع دوران الرياح وكان الملك الكامل قد اعتنى بوقودها ليلة النصف من شعبان ثم ابطلها وقال المسبحى ان الحاكم انزل الى جامع ابن طولون ثمانمائة مصحف وأربعة عشر مصحفا * وفي سنة ست وسبعين وثلثمائة في ليلة الخميس لعشر خلون من جمادى الاولى احترقت الفوّارة التى كانت بجامع ابن طولون فلم يبق منها شيء وكانت في وسط صحنه قبة مشبكة من جميع جوانبها وهي مذهبة على عشر عمد رخام

وستة عشر عمود رخام فى جوانبها مفروشة كلها بالرخام وتحت القبة قصعة رخام فسحتها أربعة اذرع فى وسطها فوارة تفور بالماء وفى وسطها قبة مزوقة يؤذن فيها وفى أخرى على سلمها وفى السطح علامات الزوال والسطح بدرابزين ساج فاحترق جميع هذا فى ساعة واحدة * وفى المحرم سنة خمس وثمانين وثلثمائة أمر العزيز بالله ابن المعز ببناء فوارة عوضا عن التى احترقت فعمل ذلك على يد راشد الحنفى وتولى عمارتها ابن الرومية وابن البناء وماتت أم العزيز فى سلخ ذى القعدة من السنة والله اعلم *(تجديد الجامع)* وكان من خبر جامع ابن طولون أنه لما كان غلاء مصر فى زمان المستنصر وخربت القطائع والعسكر عدم الساكن هنالك وصار ما حول الجامع خرابا وتوالت الايام على ذلك وتشعث الجامع وخرب اكثره وصار أخيرا ينزل فيه المغاربة بأباعرها ومتاعها عندما تمر بمصر أيام الحج فهيأ الله جل جلاله لعمارة هذا الجامع أن كان بين الملك الاشرف خليل بن قلاون وبين الامير بيدرا امور موحشة تزايدت وتأكدت الى أن جمع بيدرا من يثق به وقتل الاشرف بناحية تروجه فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة كما سيأتى ذكره ان شاء الله تعالى عند ذكر مدرسته وكان ممن وافق الامير بيدرا على قتل الاشرف الامير حسام الدين لاجين المنصورى والامير قراسنقر فلما قتل بيدر فى محاربة مماليك الاشرف له فر لاجين وقراسنقر من المعركة فاختفى لاجين بالجامع الطولونى وقراسنقر فى داره بالقاهرة وصار لاجين يتردد بمفرده من غير أحد معه فى الجامع وهو حينئذ خراب لا ساكن فيه وأعطى الله عهدا ان سلمه الله من هذه المحنة ومكنه من الارض أن يجدد عمارة هذا الجامع ويجعل له ما يقوم به ثم انه خرج منه فى خفية الى القرافة فأقام بها مدة وراسل قراسنقر فتحيل فى لحاقه به وعملا أعمالا الى أن اجتمعا بالامير زين الدين كتبغا المنصورى وهو اذ ذاك نائب السلطنة فى ايام الملك الناصر محمد بن قلاون والقائم بأمور الدولة كلها فأحضرهما الى مجلس السلطان بقلعة الجبل بعد أن أتقن أمرهما مع الامراء ومماليك السلطان فخلع عليهما وصار كل منهما الى داره وهو آمن فلم تطل ايام الملك الناصر فى هذه الولاية حتى خلعه الامير كتبغا وجلس على تخت الملك وتلقب بالملك العادل فجعل لاجين نائب السلطنة بديار مصر وجرت أمور اقتضت قيام لاجين على كتبغا وهم بطريق الشام ففر كتبغا الى دمشق واستولى لاجين على دست المملكة وسار الى مصر وجلس على سرير الملك بقلعة الجبل وتلقب بالملك المنصور فى المحرم من سنة ست وتسعين وستمائة فأقام قراسنقر فى نيابة السلطنة بديار مصر وأخرج الناصر محمد بن قلاون من قلعة الجبل الى كرك الشوبك فجعله فى قلعتها وأعانه اهل الشام على كتبغا حتى قبض عليه وجعله نائب حماه فأقام بها مدة سنين بعد سلطنة مصر والشام وخلع على الامير علم الدين سنجر الدوادارى وأقامه فى نيابة دار العدل وجعل اليه شراء الاوقاف على الجامع الطولونى وصرف اليه كل ما يحتاج اليه فى العمارة وأكد عليه فى أن لا يسخر فيه فاعلا ولا صانعا وأن لا يقيم مستحثا للصناع ولا يشترى لعمارته شيأ مما يحتاج اليه من سائر الاصناف الا بالقيمة التامة وأن يكون ما ينفق على ذلك من ماله وأشهد عليه بوكالته فابتاع منية اندونة من أراضى الجيزة وعرفت هذه القرية باندونة كاتب بمصر كان نصرانيا فى زمن احمد بن طولون وممن نكبه وأخذ منه خمسين ألف دينار واشترى أيضا ساحة بجوار جامع أحمد بن طولون مما كان فى القديم عامرا ثم خرب وحكرها وعمر الجامع وأزال كل ما كان فيه من تخريب وبلطه وبيضه ورتب فيه دروسا لالقاء الفقه على المذاهب الاربعة التى عمل أهل مصر عليها الآن ودرسا يلقى فيه تفسير القرآن الكريم ودرسا لحديث النبى صلى الله عليه وسلم ودرسا للطب وقرر للخطيب معلوما وجعل له اماما راتبا ومؤذنين وفراشين وقومة وعمل بجواره مكتبا لاقراء ايتام المسلمين كتاب الله عز وجل وغير ذلك من انواع القربات ووجوه البر فبلغت النفقة على عمارة الجامع وثمن مستغلاته عشرين ألف دينار فلما شاء الله سبحانه أن يهلك لاجين زين له سوء عمله عزل الامير قراسنقر من نيابة السلطنة فعزله وولى مملوكه منكوتمر وكان عسوفا عجولا حادا ولاجين مع ذلك يركن اليه ويعول فى جميع اموره عليه ولا يخالف قوله ولا ينقض فعله فشرع منكوتمر فى تأخير أمراء الدولة من الصالحية والمنصورية واعجل فى اظهار التهجم لهم والاعلان بما يريده من القبض عليهم واقامة أمراء غيرهم فتوحشت القلوب منه وتمالأت على بغضه ومشى القوم بعضهم الى بعض وكاتبوا اخوانهم من أهل البلاد الشامية حتى تم لهم ما يريدون فواعد جماعة منهم اخوانهم على قتل السلطان لاجين ونائبه منكوتمر فما هو الا أن صلى السلطان العشاء الآخرة من ليلة الجمعة العاشر من شهر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين وستمائة واذا بالامير كرجى وكان ممن هو قائم

بين يديه تقدم ليصلح الشمعة فضربه بسيف قد أخفاه معه أطار به زنده وانقض عليه البقية ممن واعدوهم بالسيوف والخناجر فقطعوه قطعا وهو يقول الله الله وخرجوا من فورهم الى باب القلة من قلعة الجبل فاذا بالامير طفج قد جلس فى انتظارهم ومعه عدة من الامراء وكانوا اذ ذاك يبيتون بالقلعة دائما فأمر واباحضار منكوتمر من دار النيابة بالقلعة وقتلوه بعد مضى نصف ساعة من قتل أستاذه الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى رحمه الله فلقد كان مشكور السيرة * وفى سنة سبع وستين وسبعمائة جدد الامير يلبغا العمرى الخاصكى درسا بجامع ابن طولون فيه سبعة مدرسين للحنفية وقرر لكل فقيه من الطلبة فى الشهر أربعين درهما واردب قمح فانتقل جماعة من الشافعية الى مذهب الحنفية * وأول من ولى نظره بعد تجديده الامير علم الدين سنجر الجاولى وهو اذ ذاك دوادار السلطان الملك المنصور لاجين ثم ولى نظره قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ثم من بعده الامير مكين فى ايام الناصر محمد بن قلاون فجدد فى اوقافه طاحونا وفرنا وحوانيت فلما مات وليه قاضى القضاة عز الدين بن جماعة ثم ولاه الناصر للقاضى كريم الدين الكبير فجدد فيه مئذنتين فلما نكبه السلطان عاد نظره الى قاضى القضاة الشافعى ومابرح الى ايام الناصر حسن بن محمد بن قلاون فولاه للامير صرغتمش ونوفر فى مدة نظره من مال الوقف مائة ألف درهم فضة وقبض عليه وهى حاصلة فباشره قاضى القضاة الى ايام الاشرف شعبان بن حسين ففوض نظره الى الامير الجاى اليوسفى الى أن غرق فتحدث فيه قاضى القضاة الشافعى الى أن فوض السلطان الملك الظاهر برقوق نظره الى الامير قطلوبغا الصفوى فى العشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة وكان الامير منطاش مدة تحكمه فى الدولة فوضه الى المذكور فى اواخر شوال سنة احدى وتسعين وسبعمائة ثم عاد نظره الى القضاة بعد الصفوى وهو بايديهم الى اليوم * وفى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة جدد الرواق البحرى الملاصق للمئذنة الحاج عبيد بن محمد بن عبد الهادى الهويدى البازدار مقدم الدولة * وجدد ميضأة بجانب الميضأة القديمة وكان عبيد هذا بازدارا ثم ترقى حتى صار مقدم الدولة فى شهر ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ثم ترك زى المقدمين وتزيا بزى الامراء وحاز نعمة جليلة وسعادة طائلة حتى مات يوم السبت رابع عشر صفر سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة

* (ذكر دار الامارة) *

وكان بجوار الجامع الطولونى دار أنشأها الامير أحمد بن طولون عند ما بنى الجامع وجعلها فى الجهة القبلية ولها باب من جدار الجامع يخرج منه الى المقصورة بجوار المحراب والمنبر وجعل فى هذه الدار جميع ما يحتاج اليه من الفرش والستور والآلات فكان ينزل بها اذا راح الى صلاة الجمعة فانها كانت تجاه القصر والميدان فيجلس فيها ويجدد وضوءه ويغير ثيابه وكان يقال لها دار الامارة وموضعها الآن سوق الجامع حيث البزازين وغيرهم ولم تزل هذه الدار باقية الى أن قدم الامام المعز لدين الله أبو تميم معد من بلاد المغرب فكان يستخرج فيها أموال الخراج * قال الفقيه الحسن بن ابراهيم بن زولاق فى كتاب سيرة المعز ولست عشرة بقيت من المحرم يعنى من سنة ثلاث وستين وثلثمائة قلد المعز لدين الله الخراج وجميع وجوه الاعمال والحسبة والسواحل والاعشار والجوالى والاحباس والمواريث والشرطيين وجميع ما ينضاف الى ذلك وما يطرأ فى مصر وسائر الاعمال أبا الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس وعسلوج بن الحسن وكتب لهما سجلا بذلك قرئ يوم الجمعة على منبر جامع احمد بن طولون وجلسا غد هذا اليوم فى دار الامارة فى جامع أحمد بن طولون للنداء على الضياع وسائر وجوه الاعمال ثم خربت هذه الدار فيما خرب من القطائع والعسكر وصار موضعها ساحة الى أن حكرها الدويدارى عند تجديد عمارة الجامع كما تقدم وقد ذكر بناء القيسارية فى موضعه من هذا الكتاب عند ذكر الاسواق

* (ذكر الاذان بمصر وما كان فيه من الاختلاف) *

اعلم أن أول من أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بلال بن رباح مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنهما بالمدينة الشريفة وفى الاسفار وكان ابن أم مكتوم واسمه عمرو بن قيس بن شريح من بنى عامر بن لؤى وقيل اسمه عبد الله وأمه أم مكتوم واسمها عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة من بنى مخزوم ربما أذن بالمدينة وأذن أبو محذورة واسمه أوس وقيل سمرة بن معير بن لوذان بن ربيعة بن معير بن عريج بن سعد بن جمح وكان استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن يؤذن مع بلال فأذن له وكان يؤذن فى المسجد الحرام وأقام بمكة ومات بها ولم يأت المدينة * قال

ابن الكلبى كان أبو محذورة لا يؤذن للنبى صلى الله عليه وسلم بمكة الا فى الفجر ولم يهاجر وأقام بمكة * وقال ابن جريج علم النبى صلى الله عليه وسلم أبا محذورة الاذان بالجعرانة حين قسم غنائم حنين ثم جعله مؤذنا فى المسجد الحرام * وقال الشعبى أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بلال وأبو محذورة وابن أم مكتوم وقد جاء أن عثمان ابن عفان رضى الله عنه كان يؤذن بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المنبر وقال محمد بن سعد عن الشعبى كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة مؤذنين بلال وأبو محذورة وعمرو بن أم مكتوم فاذا غاب بلال أذن أبو محذورة واذا غاب أبو محذورة أذن ابن أم مكتوم * قلت لعل هذا كان بمكة * وذكر ابن سعد أن بلالا أذن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله عنه وأن عمر رضى الله عنه أراده أن يؤذن له فأبى عليه فقال له الى من ترى أن اجعل النداء فقال الى سعد القرظ فانه قد أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه عمر رضى الله عنه فجعل النداء اليه والى عقبه من بعده وقد ذكر أن سعد القرظ كان يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء * وذكر أبو داود فى مراسيله والدارقطنى فى سننه قال بكير بن عبد الله الاشج كانت مساجد المدينة تسعة سوى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يصلون بأذان بلال رضى الله عنه * وقد كان عند فتح مصر الاذان انما هو بالمسجد الجامع المعروف بجامع عمرو وبه صلاة الناس بأسرهم وكان من هدى الصحابة والتابعين رضى الله عنهم المحافظة على الجماعة وتشديد النكير على من تخلف عن صلاة الجماعة * قال أبو عمرو الكندى فى ذكر من عرف على المؤذنين بجامع عمرو بن العاص بفسطاط مصر وكان أول من عرف على المؤذنين أبو مسلم سالم بن عامر بن عبد المرادى وهو من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أذن لعمر بن الخطاب سار الى مصر مع عمرو بن العاص يؤذن له حتى افتتحت مصر فأقام على الاذان وضم اليه عمرو بن العاص تسعة رجال يؤذنون هو عاشرهم وكان الاذان فى ولده حتى انقرضوا * قال أبو الخير حدثنى أبو مسلم وكان مؤذنا لعمرو بن العاص أن الاذان كان أوله لا اله الا الله وآخره لا اله الا الله وكان أبو مسلم يوصى بذلك حتى مات ويقول هكذا كان الاذان * ثم عرف عليهم أخوه شرحبيل بن عامر وكانت له صحبة وفى عرافته زاد مسلمة بن مخلد فى المسجد الجامع وجعل له المنار ولم يكن قبل ذلك وكان شرحبيل أول من رقى منارة مصر للاذان وان مسلمة بن مخلد اعتكف فى منارة الجامع فسمع أصوات النواقيس عالية بالفسطاط فدعا شرحبيل بن عامر فأخبره بما ساءه من ذلك فقال شرحبيل فانى أمدد بالاذان من نصف الليل الى قرب الفجر فانههم أيها الامير أن ينقسوا اذا أذنت فنهاهم مسلمة عن ضرب النواقيس وقت الاذان ومدد شرحبيل ومطط أكثر الليل الى أن مات شرحبيل سنة خمس وستين * وذكر عن عثمان رضى الله عنه انه أول من رزق المؤذنين فلما كثرت مساجد الخطبة أمر مسلمة بن مخلد الانصارى فى امارته على مصر ببناء المنار فى جميع المساجد خلا مساجد تجيب وخولان فكانوا يؤذنون فى الجامع أولا فاذا فرغوا أذن كل مؤذن فى الفسطاط فى وقت واحد فكان لاذانهم دوى شديد * وكان الاذان أولا بمصر كأذان أهل المدينة وهو الله اكبر الله اكبر وباقيه كما هو اليوم فلم يزل الامر بمصر على ذلك فى جامع عمرو بالفسطاط وفى جامع العسكر وفى جامع أحمد بن طولون وبقية المساجد الى أن قدم القائد جوهر بجيوش المعز لدين الله وبنى القاهرة فلما كان فى يوم الجمعة الثامن من جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وثلثمائة صلى القائد جوهر الجمعة فى جامع أحمد بن طولون وخطب به عبد السميع ابن عمر العباسى بقلنسوة وسبنى وطيلسان دبسى وأذن المؤذنون حى على خير العمل وهو أول ما أذن به بمصر وصلى به عبد السميع الجمعة فقرأ سورة الجمعة واذا جاءك المنافقون وقنت فى الركعة الثانية وانحط الى السجود ونسى الركوع فصاح به على بن الوليد قاضى عسكر جوهر بطلت الصلاة أعد ظهرا أربع ركعات ثم أذن بحى على خير العمل فى سائر مساجد العسكر الى حدود مسجد عبد الله وأنكر جوهر على عبد السميع أنه لم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فى كل سورة ولا قرأها فى الخطبة فأنكره جوهر ومنعه من ذلك * ولاربع بقين من جمادى الاولى المذكور أذن فى الجامع العتيق بحى على خير العمل وجهروا فى الجامع بالبسملة فى الصلاة فلم يزل الامر على ذلك طول مدة الخلفاء الفاطميين الا أن الحاكم بأمر الله فى سنة أربعمائة أمر بجمع مؤذنى القصر وسائر الجوامع وحضر قاضى القضاة مالك بن سعيد الفارقى وقرأ أبو على العباسى سجلا فيه الامر بترك حى على خير العمل فى الاذان وأن يقال فى صلاة الصبح الصلاة خير من النوم وأن يكون ذلك من

مؤذنى

مؤذنى القصر عند قولهم السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله فامتثل ذلك ثم عاد المؤذنون الى قول حى على خير العمل فى ربيع الآخر سنة احدى وأربعمائة ومنع فى سنة خمس وأربعمائة مؤذنى جامع القاهرة ومؤذنى القصر من قولهم بعد الاذان السلام على أمير المؤمنين وأمرهم أن يقولوا بعد الاذان الصلاة رحمك الله *(ولهذا الفعل اصل)* قال الواقدى كان بلال رضى الله عنه يقف على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول السلام عليك يارسول الله وربما قال السلام عليك بأبى أنت وأمى يارسول الله حى على الصلاة حى على الصلاة السلام عليك يارسول الله * قال البلاذرى وقال غيره كان يقول السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته حى على الصلاة حى على الفلاح الصلاة يارسول الله فلما ولى أبو بكر رضى الله عنه الخلافة كان سعد القرظ يقف على بابه فيقول السلام عليك يا خليفة رسول الله ورحمة الله وبركاته حي على الصلاة حيّ على الفلاح الصلاة يا خليفة رسول الله فلما استخلف عمر رضي الله عنه كان سعد يقف على بابه فيقول السلام عليك يا خليفة خليفة رسول الله ورحمة الله حى على الصلاة حى على الفلاح الصلاة يا خليفة خليفة رسول الله فلما قال عمر رضى الله عنه للناس انتم المؤمنون وأنا اميركم فدعى أمير المؤمنين استطالة لقول القائل يا خليفة خليفة رسول الله ولمن بعده خليفة خليفة خليفة رسول الله كان المؤذن يقول السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته حى على الصلاة حى على الفلاح الصلاة يا أمير المؤمنين ثم ان عمر رضى الله عنه أمر المؤذن فزاد فيها رحمك الله ويقال ان عثمان رضى الله عنه زادها ومازال المؤذنون اذا أذنوا سلموا على الخلفاء وأمراء الاعمال ثم يقيمون الصلاة بعد السلام فيخرج الخليفة او الامير فيصلى بالناس هكذا كان العمل مدة ايام بنى أمية ثم مدة خلافة بنى العباس ايام كانت الخلفاء وأمراء الاعمال تصلى بالناس * فلما استولى العجم وترك خلفاء بنى العباس الصلاة بالناس ترك ذلك كما ترك غيره من سنن الاسلام ولم يكن أحد من الخلفاء الفاطميين يصلى بالناس الصلوات الخمس فى كل يوم فسلم المؤذنون فى ايامهم على الخليفة بعد الاذان للفجر فوق المنارات فلما انقضت ايامهم وغير السلطان صلاح الدين رسومهم لم يتجاسر المؤذنون على السلام عليه احتراما للخليفة العباسى ببغداد فجعلوا عوض السلام على الخليفة السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمر ذلك قبل الاذان للفجر فى كل ليلة بمصر والشام والحجاز وزيد فيه بأمر المحتسب صلاح الدين عبد الله البرلسى الصلاة والسلام عليك يارسول الله وكان ذلك بعد سنة ستين وسبعمائة فاستمر ذلك ولما تغلب أبو على بن كتيفات بن الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى على رتبة الوزارة فى أيام الحافظ لدين الله أبى الميمون عبد المجيد بن الامير أبى القاسم محمد بن المستنصر بالله فى سادس عشر ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة وسجن الحافظ وقيده واستولى على سائر ما فى القصر من الاموال والذخائر وحملها الى دار الوزارة وكان اماميا متشددا فى ذلك خالف ما عليه الدولة من مذهب الاسماعيلية وأظهر الدعاء للامام المنتظر وأزال من الاذان حى على خير العمل وقولهم محمد وعلى خير البشر وأسقط ذكر اسماعيل بن جعفر الذى تنتسب اليه الاسماعيلية فلما قتل فى سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة عاد الامر الى الخليفة الحافظ وأعيد الى الاذان ما كان أسقط منه * وأول من قال فى الاذان بالليل محمد وعلى خير البشر الحسين المعروف بأمير كابن شكنبه ويقال اشكنبه وهو اسم اعجمى معناه الكرش وهو على بن محمد بن على بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب وكان أول تأذينه بذلك فى أيام سيف الدولة بن حمدان بحلب فى سنة سبع وأربعين وثلثمائة قاله الشريف محمد بن اسعد الجوانى النسابة ولم يزل الاذان بحلب يزاد فيه حى على خير العمل ومحمد وعلى خير البشر الى أيام نور الدين محمود فلما فتح المدرسة الكبيرة المعروفة بالحلاوية استدعى أبا الحسن على بن الحسن بن محمد البلخى الحنفى اليها فجاء ومعه جماعة من الفقهاء وألقى بها الدروس فلما سمع الاذان أمر الفقهاء فصعدوا المنارة وقت الاذان وقال لهم مروهم يؤذنوا الاذان المشروع ومن امتنع كبوه على رأسه فصعدوا وفعلوا ما أمرهم به واستمر الامر على ذلك * وأما مصر فلم يزل الاذان بها على مذهب القوم الى أن استبد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بسلطنة ديار مصر وأزال الدولة الفاطمية فى سنة سبع وستين وخمسمائة وكان ينتحل مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه وعقيدة الشيخ أبى الحسن الاشعرى رحمه الله فأبطل من الاذان قول حى على خير العمل وصار يؤذن فى سائر اقليم مصر والشام بأذان أهل مكة وفيه تربيع التكبير وترجيع الشهادتين

فاستمر الامر على ذلك الى أن بنت الاتراك المدارس بديار مصر وانتشر مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه فى مصر
فصار يؤذن فى بعض المدارس التى للحنفية بأذان أهل الكوفة وتقام الصلاة أيضا على رأيهم وماعدا ذلك فعلى
ماقلنا الا انه فى ليلة الجمعة اذا فرغ المؤذنون من التأذين سلموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شئ أحدثه
محتسب القاهرة صلاح الدين عبد الله بن عبد الله البرلسى بعد سنة ستين وسبعمائة فاستمر الى أن كان فى شعبان
سنة احدى وتسعين وسبعمائة ومتولى الامر بديار مصر الامير منطاش القائم بدولة الملك الصالح المنصور
أمير حاج المعروف بحاجى بن شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون فسمع بعض الفقراء الخلاطين سلام المؤذنين على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة جمعة وقد استحسن ذلك طائفة من اخوانه فقال لهم أتحبون أن يكون
هذا السلام في كل أذان قالوا نعم فبات تلك الليلة وأصبح متواجدا يزعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في منامه وأنه أمره أن يذهب إلى المحتسب فيبلغه عنه أن يأمر المؤذنين بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى كل أذان فمضى الى محتسب القاهرة وهو يومئذ نجم الدين محمد الطنبدى وكان شيخا جهولا وبلهانا مهولا
سئ السيرة فى الحسبة والقضاء متهافتا على الدرهم ولو قاده الى البلاء لايحتشم من أخذ البرطيل والرشوة
ولا يراعى فى مؤمن الا ولا ذمة قد ضرى على الآثام وتجسد من أكل الحرام يرى أن العلم ارخاء العذبة ولبس
الجبة ويحسب أن رضى الله سبحانه فى ضرب العباد بالدرة وولاية الحسبة لم تحمد الناس قط أياديه ولا شكرت
أبدا مساعيه بل جهالاته شائعة وقبائح أفعاله ذائعة أشخص غير مرة الى مجلس المظالم وأوقف مع من أوقف
للمحاكمة بين يدى السلطان من اجل عيوب فوادح حقق فيها شكاته عليه القوادح ومازال فى السيرة
مذموما ومن العامة والخاصة ملوما وقال له رسول الله يأمرك أن تتقدم لسائر المؤذنين بأن يزيدوا
فى كل أذان قولهم الصلاة والسلام عليك يارسول الله كما يفعل فى ليالى الجمع فأعجب الجاهل هذا القول وجهل
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأمر بعد وفاته الا بما يوافق ماشرعه الله على لسانه فى حياته وقد نهى الله
سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز عن الزيادة فيما شرعه حيث يقول أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين
مالم يأذن به الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحدثات الامور فأمر بذلك فى شعبان من السنة
المذكورة وتمت هذه البدعة واستمرت الى يومنا هذا فى جميع ديار مصر وبلاد الشام وصارت العامة وأهل
الجهالة ترى أن ذلك من جملة الاذان الذى لا يحل تركه وأدى ذلك الى أن زاد بعض أهل الالحاد فى الاذان
ببعض القرى السلام بعد الاذان على شخص من المعتقدين الذين ماتوا فلا حول ولا قوة الا بالله وانا لله وانا اليه
راجعون * وأما التسبيح فى الليل على المآذن فانه لم يكن من فعل سلف الامة وأول ماعرف من ذلك أن موسى بن
عمران صلوات الله عليه لما كان بنى اسرائيل فى التيه بعد غرق فرعون وقومه اتخذ بوقين من فضة مع رجلين
من بنى اسرائيل ينفخان فيهما وقت الرحيل ووقت النزول وفى أيام الاعياد وعند ثلث الليل الاخير من كل ليلة
فتقوم عند ذلك طائفة من بنى لاوى سبط موسى عليه السلام ويقولون نشيدا منزلا بالوحى فيه تخويف وتحذير
وتعظيم لله تعالى وتنزيه له تعالى الى وقت طلوع الفجر واستمر الحال على هذا كل ليلة مدة حياة موسى عليه السلام
وبعده أيام يوشع بن نون ومن قام فى بنى اسرائيل من القضاة الى أن قام بأمرهم داود عليه السلام وشرع
فى عمارة بيت المقدس فرتب فى كل ليلة عدة من بنى لاوى يقومون عند ثلث الليل الآخر فمنهم من يضرب
بالآلات كالعود والسنطير والبربط والدف والمزمار ونحو ذلك ومنهم من يرفع عقيرته بالنشائد المنزلة بالوحى على
نبى الله موسى عليه السلام والنشائد المنزلة بالوحى على داود عليه السلام ويقال ان عدد بنى لاوى هذا كان
ثمانية وثلاثين ألف رجل قد ذكر تفصيلهم فى كتاب الزبور فاذا قام هؤلاء ببيت المقدس قام فى كل محلة من
محال بيت المقدس رجال يرفعون أصواتهم بذكر الله سبحانه من غير آلات فان الآلات كانت مما يختص
ببيت المقدس فقط وقد نهوا عن ضربها فى غير البيت فيتسامع من قرية بيت المقدس فيقوم فى كل قرية رجال
يرفعون أصواتهم بذكر الله تعالى حتى يعم الصوت بالذكر جميع قرى بنى اسرائيل ومدنهم ومازال الامر على ذلك
فى كل ليلة الى أن خرب بخت نصر بيت المقدس وجلا بنى اسرائيل الى بابل فبطل هذا العمل وغيره من بلاد بنى
اسرائيل مدة جلائهم فى بابل سبعين سنة فلما عاد بنو اسرائيل من بابل وعمروا البيت العمارة الثانية أقاموا
شرائعهم وعاد قيام بنى لاوى بالبيت فى الليل وقيام أهل محال القدس وأهل القرى والمدن على ما كان العمل

عليه

عليه أيام عمارة البيت الاولى واستمر ذلك الى أن خرب القدس بعد قتل نبي الله يحيى بن زكريا وقيام اليهود على روح الله ورسوله عيسى ابن مريم صلوات الله عليهم على يد طيطش فبطلت شرائع بنى اسرائيل من حينئذ وبطل هذا القيام فيما بطل من بلاد بنى اسرائيل *(وأما فى الملة الاسلامية)* فكان ابتداء هذا العمل بمصر وسببه أن مسلمة بن مخلد أمير مصر بنى منار الجامع عمرو بن العاص واعتكف فيه فسمع أصوات النواقيس عالية فشكا ذلك الى شرحبيل بن عامر عريف المؤذنين فقال انى أمدد الاذان من نصف الليل الى قرب الفجر فانههم أيها الامير أن ينقسوا اذا أذنت فنهاهم مسلمة عن ضرب النواقيس وقت الاذان ومدد شرحبيل ومطط اكثر الليل ثم ان الامير أبا العباس أحمد بن طولون كان قد جعل فى حجرة تقرب منه رجالا تعرف بالمكبرين عدتهم اثنا عشر رجلا يبيت فى هذه الحجرة كل ليلة أربعة يجعلون الليل بينهم عقبا فكانوا يكبرون ويسبحون ويحمدون الله سبحانه فى كل وقت ويقرأون القرآن بألحان ويتوسلون ويقولون قصائد زهدية ويؤذنون فى اوقات الاذان وجعل لهم أرزاقا واسعة تجرى عليهم فلما مات أحمد بن طولون وقام من بعده ابنه أبو الجيش خمارويه أقرهم بحالهم وأجراهم على رسمهم مع ابيه ومن حينئذ اتخذ الناس قيام المؤذنين فى الليل على المآذن وصار يعرف ذلك بالتسبيح فلما ولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب سلطنة مصر وولى القضاء صدر الدين عبد الملك بن درباس الهدبانى المارانى الشافعى كان من رأيه ورأى السلطان اعتقاد مذهب الشيخ أبى الحسن الاشعرى فى الاصول فحمل الناس الى اليوم على اعتقاده حتى يكفر من خالفه وتقدم الامر الى المؤذنين أن يعلنوا فى وقت التسبيح على المآذن بالليل بذكر العقيدة التى تعرف بالمرشدة فواظب المؤذنون على ذكرها فى كل ليلة بسائر جوامع مصر والقاهرة الى وقتنا هذا * ومما أحدث أيضا التذكير فى يوم الجمعة من أثناء النهار بأنواع من الذكر على المآذن ليتهيأ الناس لصلاة الجمعة وكان ذلك بعد السبعمائة من سنى الهجرة قال ابن كثير رحمه الله فى يوم الجمعة سادس ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وسبعمائة رسم بأن يذكر بالصلاة يوم الجمعة فى سائر مآذن دمشق كما يذكر فى مآذن الجامع الاموى ففعل ذلك

(الجامع الازهر)

هذا الجامع أول مسجد أسس بالقاهرة والذى أنشأه القائد جوهر الكاتب الصقلى مولى الامام أبى تميم معد الخليفة أمير المؤمنين المعز لدين الله لما اختط القاهرة وشرع فى بناء هذا الجامع فى يوم السبت لست بقين من جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وثلثمائة وكمل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان سنة احدى وستين وثلثمائة وجمع فيه وكتب بدائر القبة التى فى الرواق الاول وهى على يمنة المحراب والمنبر مانصه بعد البسملة مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وابنائه الاكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلى وذلك فى سنة ستين وثلثمائة * وأول جمعة جمعت فيه فى شهر رمضان لسبع خلون منه سنة احدى وستين وثلثمائة ثم ان العزيز بالله أبا منصور نزار بن المعز لدين الله جدد فيه أشياء وفى سنة ثمان وسبعين وثلثمائة سأل الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس الخليفة العزيز بالله فى صلة رزق جماعة من الفقهاء فأطلق لهم ما يكفى كل واحد منهم من الرزق الناض وأمر لهم بشراء دار وبنائها فبنيت بجانب الجامع الازهر فاذا كان يوم الجمعة حضروا الى الجامع وتحلقوا فيه بعد الصلاة الى أن تصلى العصر وكان لهم أيضا من مال الوزير صلة فى كل سنة وكانت عدتهم خمسة وثلاثين رجلا وخلع عليهم العزيز يوم عيد الفطر وحملهم على بغلات ويقال ان بهذا الجامع طلسما فلا يسكنه عصفور ولا يفرخ به وكذا سائر الطيور من الحمام واليمام وغيره وهو صورة ثلاثة طيور منقوشة كل صورة على رأس عمود فمنها صورتان فى مقدم الجامع بالرواق الخامس منهما صورة فى الجهة الغربية فى العمود وصورة فى أحد العمودين اللذين على يسار من استقبل سدة المؤذنين والصورة الاخرى فى الصحن فى الاعمدة القبلية مما يلى الشرقية ثم ان الحاكم بأمر الله جدده ووقف على الجامع الازهر وجامع المقس والجامع الحاكمى ودار العلم بالقاهرة رباعا بمصر وضمن ذلك كتابا نسخته * هذا كتاب أشهد قاضى القضاة مالك بن سعيد بن مالك الفارقى على جميع ما نسب اليه مما ذكر ووصف فيه من حضر من الشهود فى مجلس حكمه وقضائه بفسطاط مصر فى شهر رمضان سنة أربعمائة أشهدهم وهو يومئذ قاضى عبد الله ووليه المنصور أبى على الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين بن الامام العزيز بالله صلوات الله عليهما

على القاهرة المعزية ومصر والاسكندرية والحرمين حرسهما الله وأجناد الشام والرقة والرحبة ونواحى المغرب
وسائر أعمالهن وما فتحه الله ويفتحه لامير المؤمنين من بلاد الشرق والغرب بمحضر رجل متكلم انه صحت عنده
معرفة المواضع الكاملة والحصص الشائعة التى يذكر جميع ذلك ويحدد فى هذا الكتاب وانها كانت من أملاك
الحاكم الى أن حبسها على الجامع الازهر بالقاهرة المحروسة والجامع براشدة والجامع بالمقس اللذين أمر بانشائهما
وتأسيس بنيتهما وعلى دار الحكمة بالقاهرة المحروسة التى وقفها والكتب التى فيها قبل تاريخ هذا الكتاب منها
ما يخص الجامع الازهر والجامع براشدة ودار الحكمة بالقاهرة المحروسة مشاعا جميع ذلك غير مقسوم ومنها
ما يخص الجامع بالمقس على شرائط يجرى ذكرها فمن ذلك ما تصدق به على الجامع الازهر بالقاهرة المحروسة
والجامع براشدة ودار الحكمة بالقاهرة المحروسة جميع الدار المعروفة بدار الضرب وجميع القيسارية المعروفة
بقيسارية الصوف وجميع الدار المعروفة بدار الخرق الجديدة الذى كله بفسطاط مصر ومن ذلك ما تصدق به
على جامع المقس جميع اربعة الحوانيت والمنازل التى علوها والمخزنين الذى ذلك كله بفسطاط مصر بالراية فى جانب
الغرب من الدار المعروفة كانت بدار الخرق وهاتان الداران المعروفتان بدار الخرق فى الموضع المعروف بحمام
الفار ومن ذلك جميع الحصص الشائعة من اربعة الحوانيت المتلاصقة التى بفسطاط مصر بالراية أيضا بالموضع
المعروف بحمام الفار وتعرف هذه الحوانيت بحصص القيسى بحدود ذلك كله وأرضه وبنائه وسفله وعلوه
وغرفه ومرتفقاته وحوانيته وساحاته وطرقه وممراته ومجارى مياهه وكل حق هو له داخل فيه وخارج عنه
وجعل ذلك كله صدقة موقوفة محرمة محبسة بتة بتلة لا يجوز بيعها ولا هبتها ولا تمليكها باقية على شروطها جارية
على سبلها المعروفة فى هذا الكتاب لا يوهنها تقادم السنين ولا تغير بحدوث حدث ولا يستثنى فيها ولا يتأول
ولا يستفتى بتجدد تحبيسها مدى الاوقات وتستمر شروطها على اختلاف الحالات حتى يرث الله الارض
والسموات على أن يؤجر ذلك فى كل عصر من ينتهى اليه ولايتها ويرجع اليه أمرها بعد مراقبة الله واجتلاب
ما يوفر منفعتها من اشهارها عند ذوى الرغبة فى اجارة أمثالها فيبتدأ من ذلك بعمارة ذلك على حسب المصلحة
وبقاء العين ومرمته من غير اجحاف بما حبس ذلك عليه وما فضل كان مقسوما على ستين سهما فمن ذلك للجامع
الازهر بالقاهرة المحروسة المذكور فى هذا الاشهاد الخمس والثمن ونصف السدس ونصف التسع يصرف ذلك
فيما فيه عمارة له ومصلحة وهو من العين المعزى الوازن ألف دينار واحدة وسبعة وستون دينارا ونصف دينار
وثمن دينار من ذلك للخطيب بهذا الجامع أربعة وثمانون دينارا ومن ذلك لثمن ألف ذراع حصر عبدانية تكون
عدة له بحيث لا ينقطع من حصره عند الحاجة الى ذلك ومن ذلك لثمن ثلاثة عشر ألف ذراع حصر مظفورة لكسوة
هذا الجامع فى كل سنة عند الحاجة اليها مائة دينار واحدة وثمانية دنانير ومن ذلك لثمن ثلاثة قناطير زجاج
وفراخها اثنا عشر دينارا ونصف وربع دينار ومن ذلك لثمن عود هندى للبخور فى شهر رمضان وأيام الجمع مع ثمن
الكافور والمسك وأجرة الصانع خمسة عشر دينارا ومن ذلك لنصف قنطار شمع بالفلفلى سبعة دنانير ومن ذلك
لكنس هذا الجامع ونقل التراب وخياطة الحصر وثمن الخيط وأجرة الخياطة خمسة دنانير ومن ذلك لثمن مشاقة
لسرج القناديل عن خمسة وعشرين رطلا بالرطل الفلفلى دينار واحد ومن ذلك لثمن فحم للبخور عن قنطار
٢ واحد بالفلفلى نصف دينار ومن ذلك لثمن اردبين ملحا للقناديل ربع دينار ومن ذلك ما قدر لمؤنة النحاس
والسلاسل والتنانير والقباب التى فوق سطح الجامع أربعة وعشرون دينارا ومن ذلك لثمن سلب ليف وأربعة
أحبل وست دلاء أدم نصف دينار ومن ذلك لثمن قنطارين خرقا لمسح القناديل نصف دينار ومن ذلك لثمن عشر
قفاف للخدمة وعشرة ارطال قنب لتعليق القناديل ولثمن مائتى مكنسة لكنس هذا الجامع دينار واحد
وربع دينار ومن ذلك لثمن ازيار فخار تنصب على المصنع ويصب فيها الماء مع أجرة حملها ثلاثة دنانير ومن ذلك
لثمن زيت وقود هذا الجامع راتب السنة ألف رطل ومائتا رطل مع أجرة الحمل سبعة وثلاثون دينارا ونصف
ومن ذلك لارزاق المصلين يعنى الائمة وهم ثلاثة وأربعة قومة وخمسة عشر مؤذنا خمسمائة دينار وستة وخمسون
دينارا ونصف منها للمصلين لكل رجل منهم ديناران وثلثا دينار وثمن دينار فى كل شهر من شهور السنة
والمؤذنون والقومة لكل رجل منهم ديناران فى كل شهر ومن ذلك للمشرف على هذا الجامع فى كل سنة
أربعة وعشرون دينارا ومن ذلك لكنس المصنع بهذا الجامع ونقل ما يخرج منه من الطين والوسخ دينار واحد

ومن ذلك لمرمّة ما يحتاج اليه فى هذا الجامع فى سطحه واترابه وحياطته وغير ذلك مما قدّر لكل سنة ستون دينارا ومن ذلك لثمن مائة وثمانين حمل تبن ونصف حمل جارية لعلف رأسى بقر للمصنع الذى لهذا الجامع ثمانية دنانير ونصف وثلث دينار ومن ذلك للتبن لمخزن يوضع فيه بالقاهرة أربعة دنانير ومن ذلك لثمن فدّانين قرط لتربيع رأسى البقر المذكورين فى السنة سبعة دنانير ومن ذلك لاجرة متولى العلف وأجرة السقاء والحبال والقواديس وما يجرى مجرى ذلك خمسة عشر دينارا ونصف ومن ذلك لاجرة قيم الميضأة ان عملت بهذا الجامع اثناعشر دينارا والى هنا انقضى حديث الجامع الازهر وأخذ فى ذكر جامع راشدة وذار العلم وجامع المقس ثم ذكر أن تنانير الفضة ثلاثة تنانير وتسعة وثلاثون قنديلا فضة فللجامع الازهر تنوران وسبعة وعشرون قنديلا ومنها لجامع راشدة تنور واثناعشر قنديلا وشرط أن تعلق فى شهر رمضان وتعاد الى مكان جرت عادتها أن تحفظ به وشرط شروطا كثيرة فى الاوقاف منها انه اذا فضل شئ واجتمع يشترى به ملك فان عاز شيأ واستهدم ولم يف الريع بعمارته بيع وعمر به وأشياء كثيرة وحبس فيه أيضا عدة آدر وقياسر لا فائدة فى ذكرها فانها مما خربت بمصر * قال ابن عبد الظاهر عن هذا الكتاب ورأيت منه نسخة وانتقلت الى قاضى القضاة تقىّ الدين ابن رزين وكان بصدر هذا الجامع فى محرابه منطقة فضة كما كان فى محراب جامع عمرو بن العاص بمصر قلع ذلك صلاح الدين يوسف بن أيوب فى حادى عشر ربيع الاوّل سنة تسع وستين وخمسمائة لانه كان فيها انتهاء خلفاء الفاطميين فجاء وزنها خمسة آلاف درهم نقرة وقلع أيضا المناطق من بقية الجوامع * ثم ان المستنصر جدّد هذا الجامع أيضا وجدّده الحافظ لدين الله وأنشأ فيه مقصورة لطيفة تجاور الباب الغربىّ الذى فى مقدّم الجامع بداخل الرواقات عرفت بمقصورة فاطمة من أجل أن فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها رؤيت بها فى المنام ثم انه جدّد فى أيام الملك الظاهر بيبرس البندقدارىّ * قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى كتاب سيرة الملك الظاهر لما كان يوم الجمعة الثامن عشر من ربيع الاوّل سنة خمس وستين وستمائة اقيمت الجمعة بالجامع الازهر بالقاهرة وسبب ذلك أن الامير عز الدين ايدمر الحلىّ كان جار هذا الجامع من مدّة سنين فرعى وفقه الله حرمة الجار ورأى أن يكون كما هو جاره فى دار الدنيا انه غدا يكون ثوابه جاره فى تلك الدار ورسم بالنظر فى امره وانتزع له أشياء مغصوبة كان شئ منها فى ايدى جماعة وحاط أموره حتى جمع له شيأ صالحا وجرى الحديث فى ذلك فتبرّع الامير عز الدين له بجملة مستكثرة من المال الجزيل وأطلق له من السلطان جملة من المال وشرع فى عمارته فعمر الواهى من أركانه وجدرانه وبيضه وأصلح سقوفه وبلطه وفرشه وكساه حتى عاد حرما فى وسط المدينة واستجدّ به مقصورة حسنة واثر فيه آثارا صالحة يثيبه الله عليها وعمل الامير بيلبك الخازندار فيه مقصورة كبيرة رتب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الامام الشافعىّ رحمه الله ورتب فى هذه المقصورة محدّثا يسمع الحديث النبوىّ والرقائق ووقف على ذلك الاوقاف الدارّة ورتب به سبعة لقراءة القرآن ورتب به مدرّسا أثابه الله على ذلك ولما تكمل تجديده تحدّث فى اقامة جمعة فيه فنودى فى المدينة بذلك واستخدم له الفقيه زين الدين خطيبا واقيمت الجمعة فيه فى اليوم المذكور وحضر الاتابك فارس الدين والصاحب بهاء الدين علىّ بن حنا وولده الصاحب فخر الدين محمد وجماعة من الامراء والكبراء وأصناف العالم على اختلافهم وكان يوم جمعة مشهودا ولما فرغ من الجمعة جلس الامير عز الدين الحلىّ والاتابك والصاحب وقرئ القرآن ودعى للسلطان وقام الامير عز الدين ودخل الى داره ودخل معه الامراء فقدّم لهم كل ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وانفصلوا وكان قد جرى الحديث فى أمر جواز الجمعة فى الجامع وما ورد فيه من اقاويل العلماء وكتب فيها فتيا أخذ فيها خطوط العلماء بجواز الجمعة فى هذا الجامع واقامتها فكتب جماعة خطوطهم فيها واقيمت صلاة الجمعة به واستمرّت ووجد الناس به رفقا وراحة لقربه من الحارات البعيدة من الجامع الحاكىّ * قال وكان سقف هذا الجامع قد بنى قصيرا فزيد فيه بعد ذلك وعلى ذراعا واستمرّت الخطبة فيه حتى بنى الجامع الحاكىّ فانتقلت الخطبة اليه فان الخليفة كان يخطب فيه خطبة وفى الجامع الازهر خطبة وفى جامع ابن طولون خطبة وفى جامع مصر خطبة وانقطعت الخطبة من الجامع الازهر لما استبدّ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالسلطنة فانه قلد وظيفة القضاء لقاضى القضاة صدر الدين عبد الملك بن درباس فعمل بمقتضى مذهبه وهو امتناع اقامة الخطبتين للجمعة فى بلد واحد كما هو مذهب الامام الشافعىّ فأبطل الخطبة من الجامع الازهر وأقرّ الخطبة

بالجامع الحاكمى من اجل انه أوسع فلم يزل الجامع الازهر معطلا من اقامة الجمعة فيه مائة عام من حين استولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الى أن اعيدت الخطبة فى أيام الملك الظاهر بيبرس كما تقدم ذكره ثم لما كانت الزلزلة بديار مصر فى ذى الحجة سنة اثنتين وسبعمائة سقط الجامع الازهر والجامع الحاكمى وجامع مصر وغيره فتقاسم أمراء الدولة عمارة الجوامع فتولى الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عمارة الجامع الحاكمى وتولى الامير سلار عمارة الجامع الازهر وتولى الامير سيف الدين بكتمر الجوكندار عمارة جامع الصالح فجددوا مبانيها وأعادوا ما تهدم منها * ثم جددت عمارة الجامع الازهر على يد القاضى نجم الدين محمد بن حسين بن على الاسعردى محتسب القاهرة فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة * ثم جددت عمارته فى سنة احدى وستين وسبعمائة عندما سكن الامير الطواشى سعد الدين بشير الجامدار الناصرى فى دار الامير فخر الدين أبان الزاهدى الصالحى النجمى بخط الابارين بجوار الجامع الازهر بعدما هدمها وعمرها داره التى تعرف هنالك الى اليوم بدار بشير الجامدار فأحب لقربه من الجامع أن يؤثر فيه أثرا صالحا فاستأذن السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون فى عمارة الجامع وكان اثيرا عنده خصيصا به فأذن له فى ذلك وكان قد استجد بالجامع عدة مقاصير ووضعت فيه صناديق وخزائن حتى ضيقته فأخرج الخزائن والصناديق ونزع تلك المقاصير وتتبع جدرانه وسقوفه بالاصلاح حتى عادت كأنها جديدة وبيض الجامع كله وبلطه ومنع الناس من المرور فيه ورتب فيه مصحفا وجعل له قارئا وأنشأ على باب الجامع القبلى حانوتا لتسبيل الماء العذب فى كل يوم وعمل فوقه مكتب سبيل لاقراء أيتام المسلمين كتاب الله العزيز ورتب للفقراء المجاورين طعاما يطبخ كل يوم وانزل اليه قدورا من نحاس جعلها فيه ورتب فيه درسا للفقهاء من الحنفية يجلس مدرسهم لالقاء الفقه فى المحراب الكبير ووقف على ذلك أوقافا جليلة باقية الى يومنا هذا ومؤذنو الجامع يدعون فى كل جمعة وبعد كل صلاة للسلطان حسن الى هذا الوقت الذى نحن فيه * وفى سنة أربع وثمانين وسبعمائة ولى الامير الطواشى بهادر المقدم على المماليك السلطانية نظر الجامع الازهر فتنجز مرسوم السلطان الملك الظاهر برقوق بان من مات من مجاورى الجامع الازهر عن غير وارث شرعى وترك موجودا فانه يأخذه المجاورون بالجامع ونقش ذلك على حجر عند الباب الكبير البحرى * وفى سنة ثمانمائة هدمت منارة الجامع وكانت قصيرة وعمرت أطول منها فبلغت النفقة عليها من مال السلطان خمسة عشر ألف درهم نقرة وكملت فى ربيع الآخر من السنة المذكورة فعلقت القناديل فيها ليلة الجمعة من هذا الشهر وأوقدت حتى اشتعل الضوء من أعلاها الى أسفلها واجتمع القراء والوعاظ بالجامع وتلوا ختمة شريفة ودعوا للسلطان فلم تزل هذه المئذنة الى شوال سنة سبع عشرة وثمانمائة فهدمت لميل ظهر فيها وعمل بدلها منارة من حجر على باب الجامع البحرى بعد ما هدم الباب وأعيد بناؤه بالحجر وركبت المنارة فوق عقده وأخذ الحجر لها من مدرسة الملك الاشرف خليل التى كانت تجاه قلعة الجبل وهدمها الملك الناصر فرج بن برقوق وقام بعمارة ذلك الامير تاج الدين التاج الشوبكى والى القاهرة ومحتسبها الى أن تمت فى جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وثمانمائة فلم تقم غير قليل ومالت حتى كادت تسقط فهدمت فى صفر سنة سبع وعشرين وأعيدت وفى شوال منها ابتدئ بعمل الصهريج الذى بوسط الجامع فوجد هنالك آثار فسقية ماء ووجد أيضا رمم أموات وتم بناؤه فى ربيع الاول وعمل بأعلاه مكان مرتفع له قبة يسبل فيه الماء وغرس بصحن الجامع أربع شجرات فلم تفلح وماتت ولم يكن لهذا الجامع ميضأة عندما بنى ثم عملت ميضأته حيث المدرسة الاقبغاوية الى أن بنى الامير أقبغا عبد الواحد مدرسته المعروفة بالمدرسة الاقبغاوية هنالك وأما هذه الميضأة التى بالجامع الآن فان الامير بدر الدين جنكل بن البابا بناها ثم زيد فيها بعد سنة عشر وثمانمائة ميضأة المدرسة الاقبغاوية * وفى سنة ثمان عشرة وثمانمائة ولى نظر هذا الجامع الامير سودوب القاضى حاجب الحجاب فجرت فى أيام نظره حوادث لم يتفق مثلها وذلك أنه لم يزل فى هذا الجامع منذ بنى عدة من الفقراء يلازمون الاقامة فيه وبلغت عدتهم فى هذه الايام سبعمائة وخمسين رجلا ما بين عجم وزيالعة ومن أهل ريف مصر ومغاربة ولكل طائفة رواق يعرف بهم فلا يزال الجامع عامرا بتلاوة القرآن ودراسته وتلقينه والاشتغال بأنواع العلوم الفقه والحديث والتفسير والنحو ومجالس الوعظ وحلق الذكر فيجد الانسان اذا دخل هذا الجامع من الانس بالله والارتياح وترويح النفس ما لا يجده فى غيره وصار أرباب الاموال يقصدون

هذا الجامع بأنواع البرّ من الذهب والفضة والفلوس اعانة للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى وكل قد لى تحمل اليهم انواع الاطعمة والخبز والحلاوات لاسيما فى المواسم فأمر فى جمادى الاولى من هذه السنة باخراج المجاورين من الجامع ومنعهم من الاقامة فيه واخراج ما كان لهم فيه من صناديق وخزائن وكراسى المصاحف زعما منه أن هذا العمل مما يثاب عليه وما كان الامن اعظم الذنوب واكثرها ضررا فانه حل بالفقراء بلاء كبير من تشتت شملهم وتعذر الاماكن عليهم فساروا فى القرى وتبذلوا بعد الصيانة وفقد من الجامع اكثر ما كان فيه من تلاوة القرآن ودراسة العلم وذكر الله ثم لم يرضه ذلك حتى زاد فى التعدى وأشاع أن أناسا يبيتون بالجامع ويفعلون فيه منكرات وكانت العادة قد جرت بمبيت كثير من الناس فى الجامع ما بين تاجر وفقيه وجندى وغيرهم منهم من يقصد بمبيته البركة ومنهم من لا يجد مكانا يأويه ومنهم من يستروح بمبيته هناك خصوصا فى ليالى الصيف وليالى شهر رمضان فانه يمتلى صحنه واكثر رواقاته فلما كانت ليلة الاحد الحادى عشر من جمادى الآخرة طرق الامير سودوب الجامع بعد العشاء الآخرة والوقت صيف وقبض على جماعة وضربهم فى الجامع وكان قد جاء معه من الاعوان والغلمان وغوغاء العامة ومن يريد النهب جماعة فحل بمن كان فى الجامع انواع البلاء ووقع فيهم النهب فأخذت فرشهم وعمائمهم وفتشت أوساطهم وسلبوا ما كان مربوطا عليها من ذهب وفضة وعمل ثوبا أسود للمنبر وعلمين مزوقين بلغت النفقة على ذلك خمسة عشر ألف درهم على ما بلغنى فعاجل الله الامير سودوب وقبض عليه السلطان فى شهر رمضان وسجنه بدمشق

* (جامع الحاكم) *

هذا الجامع بنى خارج باب الفتوح أحد أبواب القاهرة وأول من أسسه أمير المؤمنين العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معدّ وخطب فيه وصلى بالناس الجمعة ثم أكمله ابنه الحاكم بامر الله فلما وسع أمير الجيوش بدر الجمالى القاهرة وجعل أبوابها حيث هى اليوم صار جامع الحاكم داخل القاهرة وكان يعرف أولا بجامع الخطبة ويعرف اليوم بجامع الحاكم ويقال له الجامع الانور * قال الامير مختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن احمد المسبحى فى تاريخ مصر وفيه يعنى شهر رمضان سنة ثمانين وثلثمائة خط أساس الجامع الجديد بالقاهرة مما يلى باب الفتوح من خارجه وبدئ بالبناء فيه وتحلق فيه الفقهاء الذين يتحلقون فى جامع القاهرة يعنى الجامع الازهر وخطب فيه العزيز بالله * وقال فى حوادث سنة احدى وثمانين وثلثمائة لاربع خلون من شهر رمضان صلى العزيز بالله فى جامعه صلاة الجمعة وخطب وكان فى مسيره بين يديه اكثر من ثلاثة آلاف وعليه طيلسان وبيده القضيب وفى رجله الحذاء وركب لصلاة الجمعة فى رمضان سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة الى جامعه ومعه ابنه منصور فجعلت المظلة على منصور وسار العزيز بغير مظلة * وقال فى حوادث سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وأمر الحاكم بأمر الله أن يتم بناء الجامع الذى كان الوزير يعقوب بن كلس بدأ فى بنائه عند باب الفتوح فقدّر للنفقة عليه أربعون ألف دينار فابتدئ فى العمل فيه وفى صفر سنة احدى وأربعمائة زيد فى منارة جامع باب الفتوح وعمل لها أركان طول كل ركن مائة ذراع وفى سنة ثلاث وأربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بعمل تقدير ما يحتاج اليه جامع باب الفتوح من الحصر والقناديل والسلاسل فكان تكسير ما ذرع للحصر ستة وثلاثين ألف ذراع فبلغت النفقة على ذلك خمسة آلاف دينار * قال وتم بناء الجامع الجديد بباب الفتوح وعلق على سائر أبوابه ستور ديبقية عملت له وعلق فيه تنانير فضة عدتها أربع وكثير من قناديل فضة وفرش جميعه بالحصر التى عملت له ونصب فيه المنبر وتكامل فرشه وتعليقه وأذن فى ليلة الجمعة سادس شهر رمضان سنة ثلاث وأربعمائة لمن بات فى الجامع الازهر أن يمضوا اليه فمضوا وصار الناس طول ليلتهم يمشون من كل واحد من الجامعين الى الآخر بغير مانع لهم ولا اعتراض من أحد من عسس القصر ولا اصحاب الطوف الى الصبح وصلى فيه الحاكم بأمر الله بالناس صلاة الجمعة وهى أول صلاة أقيمت فيه بعد فراغه * وفى ذى القعدة سنة أربع وأربعمائة حبس الحاكم عدة قياسر وأملاك على الجامع الحاكمى بباب الفتوح * قال ابن عبد الظاهر وعلى باب الجامع الحاكمى مكتوب انه أمر بعمله الحاكم أبو على المنصور فى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وعلى منبره مكتوب انه أمر بعمل هذا المنبر للجامع الحاكمى المنشأ بظاهر باب الفتوح فى سنة ثلاث وأربعمائة ورأيت فى سيرة الحاكم وفى يوم الجمعة أقيمت الجمعة فى الجامع الذى كان الوزير أنشأه بباب الفتوح * ورأيت فى سيرة الوزير المذكور وفى يوم الاحد عاشر

رمضان سنة تسع وسبعين وثلثمائة خط أساس الجامع الجديد بالقاهرة خارج الطابية مما يلى باب الفتوح قال
وكان هذا الجامع خارج القاهرة فجدد بعد ذلك باب الفتوح وعلى البدنة التى تجاور باب الفتوح وبعض البرج
مكتوب ان ذلك بنى سنة ثلاثين وأربعمائة فى زمن المستنصر بالله ووزارة أمير الجيوش فيكون بينهما سبع
وثمانون سنة قال والفسقية وسط الجامع بناها الصاحب عبد الله بن على بن شكر واجرى الماء اليها وأزالها
القاضى تاج الدين بن شكر وهو قاضى القضاة فى سنة ستين وستمائة والزيادة التى الى جانبه قيل انها بناء ولده الظاهر
على ولم يكملها وكان قد حبس فيها الفرنج فعملوا فيها كنائس هدمها الملك الناصر صلاح الدين وكان قد تغلب
عليها وبنيت اصطبلات وبلغنى أنها كانت فى الايام المتقدمة قد جعلت اهراء للغلال فلما كان فى الايام الصالحية
ووزارة معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ للملك الصالح أيوب ولد الكامل ثبت عند الحاكم أنها من الجامع وأن بها
محرابا فانتزعت وأخرج الخيل منها وبنى فيها ما هو الآن فى الايام المعزية على يد الركن الصيرفى ولم يسقف ثم جدد
هذا الجامع فى سنة ثلاث وسبعمائة وذلك انه لما كان يوم الخميس ثالث عشرى ذى الحجة سنة اثنتين
وسبعمائة تزلزلت أرض مصر والقاهرة وأعمالهما ورجف كل ما عليهما واهتز وسمع للحيطان قعقعة
وللسقوف قرقعة ومارت الارض بما عليها وخرجت عن مكانها وتخيل الناس أن السماء قد انطبقت على الارض
فهربوا من أماكنهم وخرجوا عن مساكنهم وبرزت النساء حاسرات وكثر الصراخ والعويل وانتشرت الخلائق
فلم يقدر أحد على السكون والقرار لكثرة ما سقط من الحيطان وخر من السقوف والمآذن وغير ذلك من الابنية
وفاض ماء النيل فيضا غير المعتاد وألقى ما كان عليه من المراكب التى بالساحل قدر رمية سهم وانحسر عنها
فصارت على الارض بغير ماء واجتمع العالم فى الصحراء خارج القاهرة وباتوا ظاهر باب البحر بحرمهم وأولادهم
فى الخيم وخلت المدينة وتشعثت جميع البيوت حتى لم يسلم ولا بيت من سقوط أو تسقط أو ميل وقام الناس
فى الجوامع يبتهلون ويسألون الله سبحانه طول يوم الخميس وليلة الجمعة ويوم الجمعة فكان مما تهدم فى هذه الزلزلة
الجامع الحاكى فانه سقط كثير من البدنات التى فيه وخرب أعالى المئذنتين وتشعثت سقوفه وجدرانه فانتدب
لذلك الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ونزل اليه ومعه القضاة والامراء فكشفه بنفسه وأمر بترميم
ما تهدم منه واعادة ما سقط من البدنات فاعيدت وفى كل بدنة منها طاق وأقام سقوف الجامع وبيضه حتى عاد
جديدا وجعل له عدة أوقاف بناحية الجيزة وفى الصعيد وفى الاسكندرية تغل كل سنة شيأ كثيرا ورتب
فيه دروسا أربعة لاقراء الفقه على مذاهب الائمة الاربعة ودرسا لاقراء الحديث النبوى وجعل لكل درس
مدرسا وعدة كثيرة من الطلبة فرتب فى تدريس الشافعية قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعى وفى
تدريس الحنفية قاضى القضاة شمس الدين احمد السروجى الحنفى وفى تدريس المالكية قاضى القضاة زين
الدين على بن مخلوف المالكى وفى تدريس الحنابلة قاضى القضاة شرف الدين الحرانى وفى درس الحديث
الشيخ سعد الدين مسعودا الحارثى وفى درس النحو الشيخ اثير الدين أبا حيان وفى درس القرا آت السبع الشيخ
نور الدين الشطنوفى وفى التصدير لافادة العلوم علاء الدين على بن اسماعيل القونوى وفى مشيخة الميعاد
المجد عيسى بن الخشاب وعمل فيه خزانة كتب جليلة وجعل فيه عدة متصدرين لتلقين القرآن الكريم وعدة
قراء يتناوبون قراءة القرآن ومعلما يقرئ ايتام المسلمين كتاب الله عز وجل وحفر فيه صهريجا بصحن الجامع
ليملأ فى كل سنة من ماء النيل ويسبل منه الماء فى كل يوم ويستقى منه الناس يوم الجمعة وأجرى على جميع
من قرره فيه معاليم داره وهذه الاوقاف باقية الى اليوم الا أن أحوالها اختلت كما اختل غيرها فكان ما انفق
عليه زيادة على أربعين ألف دينار * وجرى فى بنائه لهذا الجامع أمر يتعجب منه وهو ما حدثنى به شيخنا الشيخ
المعروف المسند المعمر أبو عبد الله محمد بن ضرغام بن شكر المقرى بمكة فى سنة سبع وثمانين وسبعمائة قال
اخبرنى من حضر عمارة الامير بيبرس للجامع الحاكى عند سقوطه فى سنة الزلزلة انه لما شرع البناة فى ترميم
ما وهى من المئذنة التى هى من جهة باب الفتوح ظهر لهم صندوق فى تضاعيف البنيان فاخرجه الموكل بالعمارة
وفتحه فاذا فيه قطن ملفوف على كف انسان بزنده وعليه أسطر مكتوبة لم يدر ما هى والكف طرية كأنها قريبة
عهد بالقطع ثم رأيت هذه الحكاية بخط مؤلف السيرة الناصرية موسى بن محمد بن يحيى أحد مقدمى الحلقة
ثم جدد هذا الجامع وبلط جميعه فى أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون فى ولايته الثانية على يد الشيخ

قوله فيكون بينهما الخ هكذا فى نسخ الاصل وفيه نظر اه

قطب الدين محمد الهرماس فى سنة ستين وسبعمائة ووقف قطعة أرض على الهرماس وأولاده وعلى زيادة فى معلوم الامام بالجامع وعلى ما يحتاج اليه فى زيت الوقود ومرمّة فى سقفه وجدرانه وجرى فى عمارة الجامع على يد الهرماس ما حدثنى به الشيخ المعمر شمس الدين محمد بن على امام الجامع الطيبرسى بشاطئ النيل قال أخبرنى محمد بن عمر البوصيرى قال حدثنا قطب الدين محمد الهرماس أنه رأى بالجامع الحاكمى حجرا ظهر من مكان قد سقط منقوش عليه هذه الابيات الخمسة

ان الذى أسررت مكنون اسمه * وكتمته كيما افوز بوصله
مال له جذر تساوى فى الهجا * طرفاه يضرب بعضه فى مثله
فيصير ذاك المال الا انه * فى النصف منه تصاب أحرف كله
واذا نطقت بربعه متكلما * من بعد أوله نطقت بكله
لا نقط فيه اذا تكامل عده * فيصير منقوطا بجملة شكله

قال وهذه الابيات لغز فى الحجر المكرم * وقال العلامة شمس الدين محمد بن النقاش فى كتاب العبر فى أخبار من مضى وغبر وفى هذه السنة يعنى سنة احدى وستين وسبعمائة صودر الهرماس وهدمت داره التى بناها أمام الجامع الحاكمى وضرب ونفى هو وولده فلما كان يوم الثلاثاء التاسع والعشرون من ذى القعدة استفتى السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون فى وقف حصة طندتا وهى الارض التى كان قد سأله الهرماس ان يقفها على مصالح الجامع الحاكمى فعين له خمسمائة وستين فدانا من طين طندتا وطلب الموقعين وأمرهم أن يكتبوا صورة وقفها ويحضروه ليشهدوا عليه به وكان قد تقرر من شروطه فى اوقافه ما قيل انه رواية عن أبى حنيفة رحمة الله تعالى عليه من أن للواقف أن يشترط فى وقفه التغيير والزيادة والنقص وغير ذلك فأحضر الكركى الموقع اليه الكتاب مطويا فقرأ منه طرته وخطبته وأوله ثم طواه وأعاده اليه مطويا وقال اشهدوا بما فيه دون قراءة وتأمل فشهدوا وهم بالتفصيل الذى كتبوه وقرروه مع الهرماس ولما اطلع السلطان على ذلك بعد نفى الهرماس طلب الكركى وسأله عن هذه الواقعة فأجاب بما قد ذكرنا والله اعلم بصحة ذلك غير أن المعلوم المقرر أن السلطان ما قصد الا مصالح الجامع نعم سأله ازدمر الخازندار هل وقفت حصة لطيفة على أولاد الهرماس فانه قد ذكر ذلك فقال نعم أنا وقفت عليهم جزأ يسيرا لم أعلم مقداره وأما التفصيل المذكور فى كتاب الوقف فلم أحققه ولم أطلع عليه فاستفتى المفتين فى هذه الواقعة فأما المفتون كابن عقيل وابن السبكى والبلقينى والبسطامى والهندى وابن شيخ الجبل والبغدادى ونحوهم فأجابوا ببطلان الحكم المترتب على هذه الشهادة الباطلة وبطلان التنفيذ وكان الحنفى حكم والبقية نفذوا وأما الحنفى فقال ان الوقف اذا صدر صحيحا على الاوضاع الشرعية فانه لا يبطل بما قاله الشاهد وهو جواب عن نفس الواقعة وأما الشافعى فكتب ما مضمونه ان الحنفى ان اقتضى مذهبه بطلان ما صححه أولا نفذ بطلانه وحاصل ذلك أن القضاة أجابوا بالصحة والمفتين أجابوا بالبطلان فطلب السلطان المفتين والقضاة فلم يحضر من الحكام غير نائب الشافعى وهو تاج الدين محمد بن اسحاق بن المناوى والقضاة الثلاثة الشافعى والحنفى والحنبلى وجد وامرضى لم يمكنهم الحضور الى سرياقوس فان السلطان كان قد سرح اليها على العادة فى كل سنة فجمعهم السلطان فى برج من القصر الذى بميدان سرياقوس عشاء الآخرة وذكر لهم القضية وسألهم عن حكم الله تعالى فى الواقعة فأجاب الجميع بالبطلان غير المناوى فانه قال مذهب أبى حنيفة أن الشهادة الباطلة اذا اتصل بها الحكم صح ولزم فصرخت عليه المفتون شافعيهم وحنفيهم أما شافعيهم فانه قال ليس هذا مذهبك ولا مذهب الجمهور ولا هو الراجح فى الدليل والنظر وقال له ابن عقيل هذا مما ينقض به الحكم لو حكم به حاكم وادعى قيام الاجماع على ذلك وقال له سراج الدين البلقينى ليس هذا مذهب أبى حنيفة ومذهبه فى العقود والفسوخ ما ذكرت من أن حكم الحاكم يكون هو المعتمد فى التحليل والتحريم وأما الاوقاف ونحوها فحكم الحاكم فيها لا اثر له كمذهب الشافعى وادعوا أن الاجماع قائم على ذلك وقاموا على المناوى فى ذلك قومة عظيمة فقال نحن نحكم بالظاهر فقالوا له ما لم يظهر الباطن بخلافه فقال قال النبى صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر قالوا هذا الحديث كذب على النبى صلى الله عليه وسلم وانما الحديث الصحيح حديث انما أنا بشر ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض الحديث

قال المناوى الاحكام ماهى بالفتاوى قالوا له فماذا تكون أفى الوجود حكم شرعى بغير فتوى من الله ورسوله وكان قد قال فى مجلس ابن الديهم القائم على نفيس اليهودى المدعو برأس الجالوت بين اليهود لا يلتفت لقول المفتين فقيل له فى هذا المجلس ها أنت قد قلت مرتين ان المفتين لا يعتبر قولهم وان الفتاوى لا يعتمد بها وقد أخطأت فى ذلك أشد الخطأ وأنبأت عن غاية الجهل فان منصب الفتوى أول من قام به رب العالمين اذ قال فى كتابه المبين يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة وقال يوسف عليه السلام قضى الامر الذى فيه تستفتيان وقال النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها قد أفتانى الله ربى فيما استفتيته وكل حكم جاء على سؤال سائل تكفل ببيانه قرآن او سنة فهو فتوى والقائم به مفت فكيف تقول لا يلتفت الى الفتوى أو الى المفتين فقال سراج الدين الهندى وغيره هذا كفر ومذهب أبى حنيفة أن من استخف بالفتوى أو المفتين فهو كافر فاستدرك نفسه بعد ذلك وقال لم أرد الا أن الفتوى اذا خالفت المذهب فهى باطلة قالوا له وأخطأت فى ذلك أيضا لان الفتوى قد تخالف المذهب المعين ولا تخالف الحق فى نفس الامر قال فأردت بالفتوى التى تخالف الحق قالوا فأطلقت فى موضع التقييد وذلك خطأ فقال السلطان حينئذ فاذا قدر هذا وادّعيت أن الفتوى لا اثر لها فنبطل المفتين والفتوى من الوجود فتلكأ وحار وقال كيف أعمل فى هذا فتبين لبعض الحاضرين انه استشكل المسألة ولم يتبين له وجهها فقال لا شك أن مولانا السلطان لم ينكر صدور الوقف وانما انكر المصارف وأن تكون الجهة التى عينها هى هرماس وشهوده وقضاته وللسلطان أن يحكم فيها بعلمه ويبطل ماقرّروه من عند أنفسهم قال كيف يحكم لنفسه قيل له ليس هذا حكما لنفسه لانه مقر بأصل الوقف وهو للمستحقين ليس له فيه شئ وانما يبطل وصف الوقف وهو المصرف الذى قرّر على غير جهة الوقف وله أن يوقع الشهادة على نفسه بحكم أن مصرف هذا الوقف الجهة الفلانية دون الفلانية ولم يزالوا يذكرون له اوجها تبين بطلان الوقف امّا بأصله أو بوصفه الى أن قال يبطل بوصفه دون أصله وأذعن لذلك بعد اتعاب من العلماء وازعاج شديد من السلطان فى بيان وجوه ذكروها تبين وجه الحق وانه انما وقفه على مصالح الجامع المذكور وهذا مما لا يشك فيه عاقل ولا يرتاب فالتفت بعد ذلك وقال للحاضرين كيف نعمل فى ابطاله فقالوا بما قرّرناه من اشهاد السلطان على نفسه بتفصيل صحيح وانه لم يزل كذلك منذ صدر منه الوقف الى هذا الآن وغير ذلك من الوجوه فجعل يوهم السلطان أن الشهود الذين شهدوا فى هذا الوقف متى بطل هذا الوقف ثبت عليهم التساهل وجرحوا بذلك وقدح ذلك فى عدالتهم ومتى جرحوا الآن لزم بطلان شهاداتهم فى الاوقاف المتقدمة على هذا التاريخ وخيل بذلك للسلطان حتى ذكر له اجماع المسلمين على أن جرح الشاهد لا ينعطف على ما مضى من شهاداته السالفة ولو كفر والعياذ بالله وهذا مما لا خلاف فيه ثم استقر رأيه على أن يبطله بشاهدين يشهدان أن السلطان لما صدر منه هذا الوقف كان قد اشترط لنفسه التغيير والتبديل والزيادة والنقص وقام على ذلك * قال مؤلفه رحمه الله انظر تثبت القضاة وقايس بين هذه الواقعة وما كان من تثبت القاضى تاج الدين المناوى وهو يومئذ خليفة الحكم ومصادمته الجبال وبين ما ستقف عليه من التساهل والتناقض فى خبر أوقاف مدرسة جمال الدين يوسف الاستادار وميز بعقلك فرق ما بين القضيتين وهذه الارض التى ذكرت هى الآن بيد أولاد الهرماس بحكم الكتاب الذى حاول السلطان نقضه فلم يوافق المناوى والجامع الآن متهدّم وسقوفه كلها ما من زمن الا ويسقط منها الشئ بعد الشئ فلا يعاد وكانت ميضأة هذا الجامع صغيرة بجوار ميضأته الآن فيما بينها وبين باب الجامع وموضعها الآن مخزن تعلوه طبقة عمرها شخص من الباعة يعرف بابن كرسون المراحلى وهذه الميضأة الموجودة الآن أحدث وأنشأ الفسقية التى فيها ابن كرسون فى أعوام بضع وثمانين وسبعمائة وبيض مئذنتى الجامع واستجد المئذنة التى بأعلى الباب المجاور للمنبر رجل من الباعة وكملت فى جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثمانمائة وخرق سقف الجامع حتى صار المؤذنون ينزلون من السطح الى الدكة التى يكبرون فوقها وراء الامام *(هيئة صلاة الجمعة فى أيام الخلفاء الفاطميين)* قال المسبحى وفى يوم الجمعة غرّة رمضان سنة ثمانين وثلثمائة ركب العزيز بالله الى جامع القاهرة بالمظلة المذهبة وبين يديه نحو خمسة آلاف ماش وبيده القضيب وعليه الطيلسان والسيف فخطب وصلى صلاة الجمعة وانصرف فأخذ رقاع المتظلمين بيده وقرأ منها عدة فى الطريق وكان يوما عظيما ذكرته الشعراء * قال ابن الطوير اذا انقضى ركوب أول شهر رمضان استراح

فى اول

في أول جمعة فاذا كانت الثانية ركب الخليفة الى الجامع الانور الكبير في هيئة المواسم بالمظلة وما تقدم ذكره من الآلات ولباسه فيه ثياب الحرير البيض توقيرا للصلاة من الذهب والمنديل والطيلسان المقور الشعري فيدخل من باب الخطابة والوزير معه بعد أن يتقدمه في أوائل النهار صاحب بيت المال وهو المقدم ذكره في الاستاذين وبين يديه الفرش المختصة بالخليفة اذا صار اليه في هذا اليوم وهو محمول بأيدي الفراشين المميزين وهو ملفوف في العراضي الديبقية فيفرش في المحراب ثلاث طراحات اما سامان أو ديبقي ابيض أحسن ما يكون من صنفهما كل منهما منقوش بالحمرة فتجعل الطراحات متطابقات ويعلق ستران يمنة ويسرة وفي الستر الايمن كتابة مرقومة بالحرير الاحمر واضحة منقوطة أولها البسملة والفاتحة وسورة الجمعة وفي الستر الايسر مثل ذلك وسورة اذا جاءك المنافقون قد أسبلا وفرشا في التعليق بجانبي المحراب لاصقين بجسمه ثم يصعد قاضي القضاة المنبر وفي يده مدخنة لطيفة خيزران يحضرها اليه صاحب بيت المال فيها جمرات ويجعل فيها ند مثلث لا يشم مثله الا هناك فيبخر الذروة التي عليها الغشاء كالقبة لجلوس الخليفة للخطابة ويكرر ذلك ثلاث دفعات فيأتي الخليفة في هيئة موقرة من الطبل والبوق وحوالي ركابه خارج أصحاب الركاب القراء وهم قراء الحضرة من الجانبين يطربون بالقراءة نوبة بعد نوبة يستفتحون بذلك من ركوبه من الكرسي على ما تقدم طول طريقه الى قاعة الخطابة من الجامع ثم تحفظ المقصورة من خارجها بترتيب اصحاب الباب واسفهسلار العساكر ومن داخلها الى آخرها صبيان الخاص وغيرهم ممن يجري مجراهم ومن داخلها من باب خروجه الى المنبر واحد فواحد فيجلس في القاعة وان احتاج الى تجديد وضوء فعل والوزير في مكان آخر فاذا أذن بالجمعة دخل اليه قاضي القضاة فقال له السلام على أمير المؤمنين الشريف القاضي ورحمة الله وبركاته الصلاة يرحمك الله فيخرج ماشيا وحواليه الاستاذون المحنكون والوزير وراءه ومن يليهم من الخواص و بأيديهم الاسلحة من صبيان الخاص وهم أمراء وعليهم هذا الاسم فيصعد المنبر الى أن يصل الى الذروة تحت تلك القبة المبخرة فاذا استوى جالسا والوزير على باب المنبر ووجهه اليه فيشير اليه بالصعود فيصعد الى أن يصل اليه فيقبل يديه ورجليه بحيث يراه الناس ثم يزرر عليه تلك القبة لانها كالهودج ثم ينزل مستقبلا فيقف ضابطا لباب المنبر فان لم يكن ثم وزير صاحب سيف زرر عليه قاضي القضاة كذلك ووقف صاحب الباب ضابطا للمنبر فيخطب خطبة قصيرة من مسطور يحضر اليه من ديوان الانشاء يقرأ فيها آية من القرآن الكريم ولقد سمعته مرة في خطابته بالجامع الازهر وقد قرأ في خطبته رب أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي الآية ثم يصلي على أبيه وجده يعني بهما محمدا صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ويعظ الناس وعظا بليغا قليل اللفظ وتشتمل الخطبة على ألفاظ جزلة ويذكر من سلف من آبائه حتى يصل الى نفسه فقال وأنا اسمعه اللهم وأنا عبدك وابن عبدك لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا ويتوسل بدعوات فخمة تليق بمثله ويدعو للوزير ان كان وللجيوش بالنصر والتأليف وللعساكر بالظفر وعلى الكافرين والمخالفين بالهلاك والقهر ثم يختم بقوله اذكروا الله يذكركم فيطلع اليه من زرر عليه ويفك ذلك التزرير وينزل القهقرى وسبب التزرير عليهم قراءتهم من مسطور لا كعادة الخطباء فينزل الخليفة ويصير على تلك الطراحات الثلاث في المحراب وحده اماما ويقف الوزير وقاضي القضاة صفا ومن ورائهما الاستاذون المحنكون والامراء المطوقون وأرباب الرتب من اصحاب السيوف والاقلام والمؤذنون وقوف وظهورهم الى المقصورة لحفظه فاذا سمع الوزير الخليفة أسمع القاضي فأسمع القاضي المؤذنين وأسمع المؤذنون الناس هذا والجامع مشحون بالعالم للصلاة وراءه فيقرأ ما هو مكتوب في الستر الايمن في الركعة الاولى وفي الركعة الثانية ما هو مكتوب في الستر الايسر وذلك على طريق التذكار خيفة الارتجاج فاذا فرغ خرج الناس وركبوا أولا فأولا وعاد طالبا القصر والوزير وراءه وضربت البوقات والطبول في العود فاذا اتت الجمعة الثانية ركب الى الجامع الازهر من القشاشين على المنوال الذي ذكرناه والقالب الذي وصفناه فاذا كانت الجمعة الثالثة أعلم بركوبه الى مصر للخطابة في جامعها فيزين له من باب القصر أهل القاهرة الى جامع ابن طولون ويزين له أهل مصر من جامع ابن طولون الى الجامع بمصر رتب ذلك والي مصر كل أهل معيشة في مكان فيظهر المختار من الآلات والستور المثمنات ويهتمون بذلك ثلاثة أيام بلياليهن والوالي مار وعائد بينهم وقد ندب من يحفظ الناس ومتاعهم فيركب يوم الجمعة المذكور شاقا

لذلك كله على الشارع الاعظم الى مسجد عبد الله الخراب اليوم الى دار الانماط الى الجامع بمصر فيدخل اليه من المعونة ومنها باب متصل بقاعة الخطيب بالزى الذى تقدم ذكره فى خطبة الجامعين بالقاهرة وعلى ترتيبهما فاذا اقضى الصلاة عاد الى القاهرة من طريقه بعينها شاقا بالزينة الى أن يصل الى القصر ويعطى أرباب المساجد التى يمرّ عليها كلٌّ واحد دينارا * وقال ابن المأمون ووصل من الطراز الكسوة المختصة بغرّة شهر رمضان وجمعتيه برسم الخليفة للغرّة بدلة كبيرة موكبية مكملة مذهبة وبرسم الجامع الازهر للجمعة الاولى من الشهر بدلة موكبية حرير مكملة منديلها وطيلسانها بياض وبرسم الجامع الانور للجمعة الثانية بدلة منديلها وطيلسانها شعرى وما هو برسم أخى الخليفة للغرّة خاصة بدلة مذهبة وبرسم أربع جهات للخليفة أربع حلل مذهبات وبرسم الوزير للغرّة خلعة مذهبة مكملة موكبية وبرسم الجمعتين بدلتان حريريتان ولم يكن لغير الخليفة وأخيه والوزير فى ذلك شئ فنذكره

(جامع راشدة)

هذا الجامع عرف بجامع راشدة لانه فى خطة راشدة قال القضاعى خطة راشدة بن أدوب بن جديلة من لخم هى متاخمة للخطة التى قبلها الى الدير المعروف كان بأبى تكموس ثم هدم وهو الجامع الكبير الذى براشدة وقد دثرت هذه الخطة ومنها المقبرة المعروفة بمقبرة راشدة والجنان التى كانت تعرف بكهمس بن معمر ثم عرفت بالماردانى وهى اليوم تعرف بالامير تميم * وقال المسبحى فى حوادث سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وابتدئ بناء جامع راشدة فى سابع عشر ربيع الآخر وكان مكانه كنيسة حولها مقابر لليهود والنصارى فبنى بالطوب ثم هدم وزيد فيه وبنى بالحجر وأقيمت به الجمعة وقال فى سنة خمس وتسعين وثلثمائة وفيه يعنى شهر رمضان فرش جامع راشدة وتكامل فرشه وتعليق قناديله وما يحتاج اليه وركب الحاكم بأمر الله عشية يوم الجمعة الخامس عشر منه وأشرف عليه وقال فى سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وفيه يعنى شهر رمضان صلى الحاكم بجامعه الذى أنشأه براشدة صلاة الجمعة وخطب وفى شهر رمضان سنة أربعمائة أنزل بقناديل وتنور من فضة زنتها ألوف كثيرة فعلقت بجامع راشدة وفى سنة احدى وأربعمائة هدم وابتدئ فى عمارته من صفر وفى شهر رمضان سنة ثلاث وأربعمائة صلى الحاكم فى جامع راشدة صلاة الجمعة وعليه عمامة بغير جوهر وسيف محلى بفضة بيضاء دقيقة والناس يمشون بركابه من غير أن يمنع أحد منه وكان يأخذ قصصهم ويقف وقوفا طويلا لكل منهم واتفق يوم الجمعة حادى عشر جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وأربعمائة أن خطب فيه خطبتان معا على المنبر وذلك أن أبا طالب على بن عبد السميع العباسى استقر فى خطابته باذن قاضى القضاة أبى العباس أحمد بن محمد بن العوّام بعد سفر العفيف البخارى الى الشام فتوصل ابن عصفورة الى أن خرج له أمر امير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله أبى الحسن على بن الحاكم بأمر الله أن يخطب فصعدا جميعا المنبر ووقف أحدهما دون الآخر وخطبا معا ثم بعد ذلك استقر أبو طالب خطيبا وأن يكون ابن عصفورة يخلفه وقال ابن المتوّج هذا الجامع فيما بين دير الطين والفسطاط وهو مشهور الآن بجامع راشدة وليس بصحيح وانما جامع راشدة كان جامعا قديم البناء بجوار هذا الجامع عمر فى زمن الفتح عمرته راشدة وهى قبيلة من القبائل كقبيلة تجيب ومهرة نزلت فى هذا المكان وعمروا فيه جامعا كبيرا أدركت أنا بعضه ومحرابه وكان فيه نخل كثير من نخل المقل ومن جملة ما رأيت فيه نخلة من المقل عددت لها سبعة رؤس مفرّعة منها فذاك الجامع هو المعروف بجامع راشدة وأما هذا الموجود الآن فمن عمارة الحاكم ولم يكن فى بناء الجوامع أحسن من بنائه وقيل عمرته حظية الخليفة وكان اسمها راشدة وليس بصحيح والاول هو الصحيح وفيه الآن نخل وسدر وبئر وساقية رجل وهو مكان خلوة وانقطاع ومحل عبادة وفراغ من تعلقات الدنيا * قال مؤلفه هذا وهم من ابن المتوّج فى موضعين * (أولهما) أن راشدة عمرت هذا الجامع فى زمن فتح مصر وهذا قول لم يقله أحد من مؤرخى مصر فهذا الكندى ثم القضاعى وعليهما يعوّل فى معرفة خطط مصر ومن قبلهما ابن عبد الحكم لم يقل أحد منهم ان راشدة عمرت زمن الفتح مسجدا ولا يعرف من هذا السلف رحمهم الله فى جند من أجناد الامصار التى فتحها الصحابة رضى الله عنهم انهم أقاموا خطبتين فى مسجد واحد وقد حكينا ما تقدم عن المسبحى وهو مشاهد ما نقله من بناء الجامع المذكور فى موضع الكنيسة بأمر الحاكم بأمر الله وتغييره لبنائه غير مرّة وتبعه القضاعى على ذلك وقد عدّ القضاعى والكندى فى كتابيهما

المذكور

المذكور فيهما خطط مصر مما كان بمصر من مساجد الخطبة القديمة والمحدثة وذكرا مساجد راشدة ولم يذكرا فيها جامعا اختطته راشدة وذكرا هذا الدير وعين القضاعي اسمه هدم وبني في مكانه جامع راشدة وناهيك بهما معرفة لآثار مصر وخططها * (والوهم الثاني) * الاستدلال على الوهم الاول بمشاهدة بقايا مسجد قديم ولا ادري كيف يستدل بذلك فمن أنكر أن يكون قد كان هنالك مسجد بل المدعى انه كان لراشدة مساجد لكن كونها اختطت جامعا هذا غير صحيح وقال ابن أبي طي في أخبار سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة في كتابه تاريخ حلب كانت النصارى اليعقوبية قد شرعوا في انشاء كنيسة كانت قد اندرست لهم بظاهر مصر في الموضع المعروف براشدة فثار قوم من المسلمين وهدموا ما بنى النصارى وأنهى الى الحاكم ذلك وقيل له ان النصارى ابتدأوا بناءها وقال النصارى انها كانت قبل الاسلام فأمر الحاكم الحسين بن جوهر بالنظر في حال الفريقين فمال في الحكم مع النصارى وتبين للحاكم ذلك فأمر أن تبنى تلك الكنيسة مسجدا جامعا فبنى في أسرع وقت وهو جامع راشدة وراشدة اسم للكنيسة وكان بجواره كنيستان احداهما لليعقوبية والاخرى للنسطورية فهدمتا أيضا وبنيتا مسجدين وكان في حارة الروم بالقاهرة أدر للروم وكنيستان لهم فهدمتا وجعلتا مسجدين أيضا وحول الروم الى الموضع المعروف بالحمراء وأسس الروم ثلاث كنائس عوضا عما هدم لهم وهذا أيضا مصرح بأن جامع راشدة أسسه الحاكم وفيه وهم لكونه جعل راشدة اسما للكنيسة وانما راشدة اسم لقبيلة من العرب نزلوا عند الفتح هنالك فعرفت تلك البقاع بخطة راشدة وقد جدد جامع راشدة مرارا وأدركته عامرا تقام فيه الجمعة ويمتلئ بالناس لكثرة من حوله من السكان وانما تعطل من اقامة الجمعة بعد حوادث سنة ست وثمانمائة وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة راشدة بطن من لخم وهم ولد راشدة بن الحارث بن أدّ بن جديلة من لخم ابن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد وقيل راشدة بن أدوب ويقال لراشدة خالفة ولهم خطة بمصر بالجبل المعروف بالرصد المطل على بركة الحبش وقد دثرت الخطة ولم يبق في موضعها الا الجامع الحاكمي المعروف بجامع راشدة

* (جامع المقس) *

٢ هذا الجامع أنشاه الحاكم بأمر الله على شاطئ النيل بالمقس في   لان المقس كان خطة كبيرة وهي بلد قديم من قبل الفتح كما تقدم ذكر ذلك في هذا الكتاب وقال في الكتاب الذي تضمن وقف الحاكم بأمر الله الاماكن بمصر على الجوامع كما ذكر في خبر الجامع الازهر ما نصه ويكون جميع ما بقي مما تصدق به على هذه المواضع يصرف في جميع ما يحتاج اليه في جامع المقس المذكور من عمارته ومن ثمن الحصر العبدانية والمظفورة وثمن العود للبخور وغيره على ما شرح من الوظائف في الذي تقدم وكان لهذا الجامع نخل كثير في الدولة الفاطمية ويركب الخليفة الى منظرة كانت بجانبه عند عرض الاسطول فيجلس بها لمشاهدة ذلك كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر المناظر وفي سنة سبع وثمانين وخمسمائة انشقت زريبة من هذا الجامع في شهر رمضان لكثرة زيادة ماء النيل وخيف على الجامع السقوط فأمر بعمارتها * ولما بنى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب هذا السور الذي على القاهرة وأراد أن يوصله بسور مصر من خارج باب البحر الى الكوم الاحمر حيث منشأة المهراني اليوم وكان المتولي لعمارة ذلك الامير بهاء الدين قراقوش الاسدي أنشأ بجوار جامع المقس برجا كبيرا عرف بقلعة المقس في مكان المنظرة التي كانت للخلفاء فلما كان في سنة سبعين وسبعمائة جدد بناء هذا الجامع الوزير الصاحب شمس الدين عبد الله المقسي وهدم القلعة وجعل مكانها جنينة واتهمه الناس بأنه وجد هنالك مالا كثيرا وأنه عمر منه الجامع المذكور فصار العامة اليوم يقولون جامع المقسي ويظن من لا علم عنده أن هذا الجامع من انشائه وليس كذلك بل انما جدده وبيضه وقد انحسر ماء النيل عن تجاه هذا الجامع كما ذكر في خبر بولاق والمقس وصار هذا الجامع اليوم على حافة الخليج الناصري وأدركنا ما حوله في غاية العمارة وقد تلاشت المساكن التي هنالك وبها الى اليوم بقية يسيرة ونظر هذا الجامع اليوم بيد أولاد الوزير المقسي فانه جدده وجعل عليه أوقافا لمدرس وخطيب وقومة ومؤذنين وغير ذلك وقال جامع السيرة الصلاحية وهذا المقسم على شاطئ النيل يزار وهنالك مسجد يتبرك به الابرار وهو المكان الذي قسمت فيه الغنيمة عند استيلاء الصحابة رضي الله عنهم على مصر فلما أمر السلطان صلاح الدين بادارة السور

على مصر والقاهرة تولى ذلك بهاء الدين قراقوش وجعل نهايته التى تلى القاهرة عند المقس وبنى فيه برجا يشرف على النيل وبنى مسجده جامعا واتصلت العمارة منه الى البلد وصار تقام فيه الجمع والجماعات * (العزيز بالله) * أبو النصر نزار بن المعز لدين الله أبى تميم معد ولد بالمهدية من بلاد أفريقية فى يوم الخميس الرابع عشر من المحرم سنة أربع وأربعين وثلثمائة وقدم مع أبيه الى القاهرة وولى العهد فلما مات المعز لدين الله أقيم من بعده فى الخلافة يوم الرابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة فأذعن له سائر عساكر أبيه واجتمعوا عليه وسير بذهب الى بلاد المغرب فرق فى الناس وأقر يوسف بن ملكين على ولاية أفريقية وخطب له بمكة ووافى الشام عسكر القرامطة فصاروا مع افتكين التركى وقوى بهم وساروا الى الرملة وقاتلوا عساكر العزيز بها فابعث العزيز جوهرا القائد بعساكر كثيرة وملك الرملة وحاصر دمشق مدة ثم رحل عنها بغير طائل فأدركه القرامطة وقاتلوه بالرملة وعسقلان نحو سبعة عشر شهرا ثم خاص من تحت سيوف افتكين وسار الى العزيز فوافاه وقد برز من القاهرة فسار معه ودخل العزيز الى الرملة وأسر أفتكين فى المحرم سنة ثمان وستين وثلثمائة فأحسن اليه وأكرمه اكراما زائدا فكتب اليه الشريف أبو اسماعيل ابراهيم الرئيس يقول يا مولانا لقد استحق هذا الكافر كل عذاب والعجب من الاحسان اليه فلما لقيه قال يا ابراهيم قرأت كتابك فى أمر أفتكين وأنا أخبرك اعلم أنا قد وعدناه الاحسان والولاية فلما قبل وجاء الينا نصب فازاته وخامه حذاءنا وأردنا منه الانصراف فلج وقاتل فلما ولى منهزما وسرت الى فازاته ودخلتها سجدت لله شكرا وسألته أن يفتح لى بالظفر به فجىء به بعد ساعة أسيرا أترى يليق بى غير الوفاء ولما وصل العزيز الى القاهرة اصطنع افتكين وواصله بالعطايا والخلع حتى قال لقد احتشمت من ركوبى مع الخليفة مولانا العزيز بالله ونظرى اليه بما غمرنى من فضله واحسانه فلما بلغ العزيز ذلك قال لعمه حيدرة يا عم أحب أن أرى النعم عند الناس ظاهرة وأرى عليهم الذهب والفضة والجواهر ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار وأن يكون ذلك كله من عندى ومات بمدينة بلبيس من مرض طويل بالقولنج والحصاة فى اليوم الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة فحمل الى القاهرة ودفن بتربة القصر مع آبائه وكانت مدة خلافته بعد أبيه المعز احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ونصفا ومات وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية اشهر وأربعة عشر يوما وكان نقش خاتمه بنصر العزيز الجبار ينتصر الامام نزار ولما مات وحضر الناس الى القصر لتعزية افحموا عن أن يوردوا فى ذلك المقام شيأ ومكثوا مطرقين لا ينبسون فقام صبى من أولاد الامراء الكتانيين وفتح باب التعزية وانشد

انظر الى العلياء كيف تضام * ومآتم الاحساب كيف تقام
خبرنى ركب الركاب ولم يدع * للسفر وجه ترحل فأقاموا

فاستحسن الناس اياده وكأنه طرق لهم كيف يوردون المراثى فنهض الشعراء والخطباء حينئذ وعزوا وأنشد كل واحد ما عمل فى التعزية وخلف من الاولاد ابنه المنصور وولى الخلافة من بعده وابنة تدعى سيدة الملك وكان أسمر طوالا اصهب الشعر أعين اشهل عريض المنكبين شجاعا كريما حسن العفو والقدرة لا يعرف سفك الدماء البتة مع حسن الخلق والقرب من الناس والمعرفة بالخيل وجوارح الطير وكان محبا للصيد مغرى به حريصا على صيد السباع ووزر له يعقوب بن كلس اثنتى عشرة سنة وشهرين وتسعة عشر يوما ثم من بعده على ابن عمر العداس سنة واحدة ثم أبو الفضل جعفر بن الفرات سنة ثم أبو عبد الله الحسين بن الحسن البازيار سنة وثلاثة اشهر ثم أبو محمد بن عمار شهرين ثم الفضل بن صالح الوزيرى أياما ثم عيسى بن نسطورس سنة وعشرة اشهر وكانت قضاته أبو طاهر محمد بن أحمد ثم أبو الحسن على بن النعمان ثم أبو عبد الله محمد بن النعمان وخرج الى السفر أولا فى صفر سنة سبع وستين وعاد من العباسة وخرج ثانيا وظفر بأفتكين وخرج ثالثا فى صفر سنة اثنتين وسبعين ورجع بعد شهر الى قصره بالقاهرة وخرج رابعا فى ربيع الاول سنة أربع وستين فنزل منية الاصبغ وعاد بعد ثمانية اشهر واثنى عشر يوما وخرج خامسا فى عاشر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين فأقام مبرزا أربعة عشر شهرا وعشرين يوما ومات فى هذه الخرجة ببلبيس * وهو أول من اتخذ من أهل بيته وزيرا أثبت اسمه على الطرز وقرن اسمه باسمه وأول من لبس منهم الخفين والمنطقة وأول من اتخذ منهم الاتراك

واصطنعهم

واصطنعهم وجعل منهم القواد وأول من رمى منهم بالنشاب وأول من ركب منهم بالذؤابة الطويلة والحنك وضرب بالصوالجة ولعب بالرمح وأول من عمل مائدة فى الشرطة السفلى فى شهر رمضان يفطر عليها أهل الجامع العتيق وأقام طعاما فى جامع القاهرة لمن يحضر فى رجب وشعبان ورمضان واتخذ الحمير لركوبه اياها وكانت أمه أم ولد اسمها درزارة وكان يضرب بأيامه المثل فى الحسن فانها كانت كلها أعيادا وأعراسا لكثرة كرمه ومحبته للعفو واستعماله لذلك ولا أعلم له بمصر من الآثار غير تأسيس الجامع الحاكمى وما عدا ذلك فذهب اسمه ومحى رسمه *(الحاكم بأمر الله)* أبو على منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أبى تميم معد ولد بالقصر من القاهرة المعزية ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول سنة خمس وسبعين وثلثمائة فى الساعة التاسعة والطالع من برج السرطان سبع وعشرون درجة وسلم عليه بالخلافة فى مدينة بلبيس بعد الظهر من يوم الثلاثاء عشرى شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة وسار الى القاهرة فى يوم الاربعاء بسائر أهل الدولة والعزيز فى قبة على ناقة بين يديه وعلى الحاكم دراعة مصمت وعمامة فيها الجوهر وبيده رمح وقد تقلد السيف ولم يفقد من جميع ما كان مع العساكر شئ ودخل القصر قبل صلاة المغرب وأخذ فى جهاز أبيه العزيز بالله ودفنه ثم بكر سائر أهل الدولة الى القصر يوم الخميس وقد نصب للحاكم سرير من ذهب عليه مرتبة مذهبة فى الايوان الكبير وخرج من قصره راكبا وعليه معممة الجوهر والناس وقوف فى صحن الايوان فقبلوا له الارض ومشوا بين يديه حتى جلس على السرير فوقف من رسمه الوقوف وجلس من له عادة أن يجلس وسلم الجميع عليه بالامامة واللقب الذى اختير له وهو الحاكم بأمر الله وكان سنه يومئذ احدى عشرة سنة وخمسة اشهر وستة أيام فجعل أبا محمد الحسن بن عمار الكندى واسطة ولقب بأمين الدولة وأسقط مكوسا كانت بالساحل ورد الى الحسين بن جوهر القائد البريد والانشاء فكان يخلفه ابن سورين وأقر عيسى بن نسطورس على ديوان الخاص وقلد سليمان بن جعفر بن فلاح الشام فخرج بنجوتكين من دمشق وسار منها لمدافعة سليمان بن جعفر بن فلاح فبلغ الرملة وانضم اليه ابن الجراح الطائى فى كثير من العرب وواقع ابن فلاح فانهزم وفر ثم أسر فحمل الى القاهرة وأكرم واختلف أهل الدولة على ابن عمار ووقعت حروب آلت الى صرفه عن الوساطة وله فى النظر أحد عشر شهرا غير خمسة أيام فلزم داره وأطلقت له رسوم وجرايات وأقيم الطواشى برجوان الصقلى مكانه فى الوساطة لثلاث بقين من رمضان سنة سبع وثمانين وثلثمائة فجعل كاتبه فهد بن ابراهيم يوقع عنه ولقبه بالرئيس وصرف سليمان بن فلاح عن الشام بجيش بن الصمصامة وقلد فحل بن اسماعيل الكتامى مدينة صور وقلد يانس الخادم برقة وميسور الخادم طرابلس ويمنا الخادم غزة وعسقلان فواقع جيش الروم على فامية وقتل منهم خمسة آلاف رجل وغزا الى أن دخل مرعش وقلد وظيفة قضاء القضاة أبا عبد الله الحسين ابن على بن النعمان فى صفر سنة تسع وثمانين وثلثمائة بعد موت قاضى القضاة محمد بن النعمان وقتل الاستاذ برجوان لاربع بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وثلثمائة وله فى النظر سنتان وثمانية اشهر غير يوم واحد ورد النظر فى امور الناس وتدبير المملكة والتوقيعات الى الحسين بن جوهر ولقب بقائد القواد فخلفه الرئيس بن فهد واتخذ الحاكم مجلسا فى الليل يحضر فيه عدة من أعيان الدولة ثم أبطله ومات جيش بن الصمصامة فى ربيع الآخر سنة تسعين وثلثمائة فوصل ابنه بتركته الى القاهرة ومعه درج بخط أبيه فيه وصية وثبت بما خلفه مفصلا وأن ذلك جميعه لامير المؤمنين الحاكم بأمر الله لا يستحق أحد من أولاده منه درهما وكان مبلغ ذلك نحو المائتى ألف دينار ما بين عين ومتاع ودواب قد أوقف جميع ذلك تحت القصر فأخذ الحاكم الدرج وتطره ثم أعاده الى اولاد جيش وخلع عليهم وقال لهم بحضرة وجوه الدولة قد وقفت على وصية ابيكم رحمه الله وما وصى به من عين ومتاع فخذوه هنيئا مباركا لكم فيه فانصرفوا بجميع التركة وولى دمشق فحل بن تميم ومات بعد شهور فولى على بن فلاح ورد النظر فى المظالم لعبد العزيز بن محمد بن النعمان ومنع الناس كافة من مخاطبة أحد أو مكاتبته بسيدنا ومولانا الا أمير المؤمنين وحده وابيح دم من خالف ذلك وفى شوال قتل ابن عمار * وفى سنة احدى وتسعين واصل الحاكم الركوب فى الليل كل ليلة فكان يشق الشوارع والازقة وبالغ الناس فى الوقود والزينة وأنفقوا الاموال الكثيرة فى المآكل والمشارب والغناء واللهو وكثر تفرجهم على ذلك حتى خرجوا فيه عن الحد فمنع النساء من الخروج فى الليل ثم منع الرجال من الجلوس فى الحوانيت * وفى رمضان سنة

اثنتين وتسعين قلد تموصلت بن بكار دمشق عوضا عن ابن فلاح واشتد أفى عمارة جامع راشدة فى سنة ثلاث وتسعين وقتل فهد بن ابراهيم وله منذ نظر فى الرياسة خمس سنين وتسعة اشهر واثنا عشر يوما فى ثامن جمادى الآخرة منها واقيم فى مكانه على بن عمر العداس وسار الامير ماروح لامارة طبرية ووقع الشروع فى اتمام الجامع خارج باب الفتوح وقطع الحاكم الركوب فى الليل ومات تموصلت فولى دمشق بعده مفلح اللحيانى الخادم وقتل على بن عمر العداس والاستاذ زيدان الصقلى وعدة كثيرة من الناس وقلد امارة برقة صندل الاسود فى المحرم سنة أربع وتسعين وصرف الحسين بن النعمان عن القضاء فى رمضان منها وكانت مدة نظره فى القضاء خمس سنين وستة اشهر وثلاثة وعشرين يوما واليه كانت الدعوة أيضا فيقال له قاضى القضاة وداعى الدعاة وقلد عبد العزيز بن محمد بن النعمان وظيفة القضاء والدعوة مع ما بيده من النظر فى المظالم * وفى سنة خمس وتسعين أمر النصارى واليهود بشد الزنار ولبس الغيار ومنع الناس من أكل الملوخية والجرجير والتوكلية والدلنس وذبح الابقار السليمة من العاهة الا فى أيام الاضحية ومنع من بيع الفقاع وعمله البتة وأن لا يدخل أحد الحمام الا بمئزر وأن لا تكشف امرأة وجهها فى طريق ولا خلف جنازة ولا تتبرج ولا يباع شئ من السمك بغير قشر ولا يصطاده أحد من الصيادين وتتبع الناس فى ذلك كله وشدد فيه وضرب جماعة بسبب مخالفتهم ما أمر وابه ونهوا عنه مماذكر وخرجت العساكر لقتال بنى قرة أهل البحيرة وكتب على أبواب المساجد وعلى الجوامع بمصر وعلى أبواب الحوانيت والحجر والمقابر سب السلف ولعنهم واكره الناس على نقش ذلك وكتابته بالاصباغ فى سائر المواضع وأقبل الناس من سائر النواحى فدخلوا فى الدعوة وجعل لهم يومان فى الاسبوع وكثر الازدحام ومات فيه جماعة ومنع الناس من الخروج بعد المغرب فى الطرقات وأن لا يظهر أحد بها البيع ولا شراء فخلت الطرق من المارة وكسرت أوانى الخمور وأريقت من سائر الاماكن واشتد خوف الناس بأسرهم وقويت الشناعات وزاد الاضطراب فاجتمع كثير من الكتاب وغيرهم تحت القصر وضجوا يسألون العفو فكتب عدة امانات لجميع الطوائف من أهل الدولة وغيرهم من الباعة والرعية وأمر بقتل الكلاب فقتل منها ما لا ينحصر حتى فقدت وفتحت دار الحكمة بالقاهرة وحمل اليها الكتب ودخل اليها الناس فاشتد الطلب على الركابية المستخدمين فى الركاب وقتل منهم كثير ثم عفى عنهم وكتب لهم أمان ومنع الناس كافة من الدخول من باب القاهرة ومنع الناس من المشى ملاصق القصر وقتل قاضى القضاة حسين بن النعمان وأحرق بالنار وقتل عددا كثيرا من الناس ضربت أعناقهم * وفى سنة ست وتسعين خرج أبو ركوة يدعو الى نفسه وادعى أنه من بنى أمية فقام بأمره بنو قرة لكثرة ما أوقع بهم الحاكم وبايعوه واستجاب له لواتة ومزاتة وزنادة وأخذ برقة وهزم جيوش الحاكم غير مرة وغنم ما معهم فخرج لقتاله القائد فضل بن صالح فى ربيع الاول وواقعه فانهزم منه فضل واشتد الاضطراب بمصر وتزايدت الاسعار واشتد الاستعداد لمحاربة أبى ركوة ونزلت العساكر بالجيزة وسار أبو ركوة فواقعه القائد فضل وقتل عدة ممن معه فعظم الامر واشتد الخوف وخرج الناس فباتوا بالشوارع خوفا من هجوم عساكر أبى ركوة واستمرت الحروب فانهزم أبو ركوة فى ثالث ذى الحجة الى الفيوم وتبعه القائد فضل بعد أن بعث الى القاهرة بستة آلاف رأس ومائة أسير الى أن قبض عليه ببلاد النوبة وأحضر الى القاهرة فقتل بها وخلع على القائد فضل وسيرت البشائر بقتله الى الاعمال * وفى سنة سبع وتسعين أمر بمحو سب السلف فمحى سائر ما كتب من ذلك وغلت الاسعار لنقص ماء النيل فانه بلغ ستة عشر أصبعا من سبعة عشر ذراعا ثم نقص ومات بجوتكين فى ذى الحجة واشتد الغلاء فى سنة ثمان وتسعين وولى على بن فلاح دمشق وقبض جميع ما هو محبس على الكنائس وجعل فى الديوان وأحرق عدة صلبان على باب الجامع بمصر وكتب الى سائر الاعمال بذلك * وفى سادس عشر رجب قرر مالك بن سعيد الفارقى فى وظيفة قضاء القضاة وتسلم كتب الدعوة التى تقرأ بالقصر على الاولياء وصرف عبد العزيز بن النعمان عن ذلك وصرف قائد القواد الحسين بن جوهر عما كان يليه من النظر فى سابع شعبان وقرر مكانه صالح بن على الروذبادى وقرر فى ديوان الشام مكانه أبو عبد الله الموصلى الكاتب وأمر حسين بن جوهر وعبد العزيز بلزوم دورهما ومنعا من الركوب وسائر أولادهما ثم عفا عنهما بعد أيام وأمرا بالركوب وتوقفت زيادة النيل فاستسقى الناس مرتين وأمر بابطال عدة مكوس وتعذر وجود الخبز لغلائه وقلته وفتح الخليج فى رابع توت والماء على خمسة عشر

ذراعا

ذراعا فاشتد الغلاء * وفى تاسع المحرم وهو نصف توت نقص ماء النيل ولم يوف ستة عشر ذراعا فمنع الناس من التظاهر بالغناء ومن ركوب البحر للتفرج ومنع من بيع المسكرات ومنع الناس كافة من الخروج قبل الفجر وبعد العشاء الى الطرقات واشتد الامر على الكافة لشدة ما داخلهم من الخوف مع شدة الغلاء وتزايد الامراض فى الناس والموت * فلما كان فى رجب انحلت الاسعار وقرئ سجل فيه يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون وصلاة الخمسين للذى جاءهم فيها يصلون وصلاة الضحى وصلاة التراويح لا مانع لهم منها ولاهم عنها يدفعون يخمس فى التكبير على الجنائز المخمسون ولا يمنع من التربيع عليها المربعون يؤذن بحى على خير العمل المؤذنون ولا يؤذى من بها لا يؤذنون لا يسب أحد من السلف ولا يحتسب على الواصف فيهم بما وصف والحالف منهم بما حلف لكل مسلم مجتهد فى دينه اجتهاده * ولقب صالح بن على الروذبادى بثقة ثقات السيف والقلم واعيد القاضى عبد العزيز بن النعمان الى النظر فى المظالم وتزايدت الامراض وكثر الموت وعزت الادوية وأعيدت المكوس التى رفعت وهدمت كنائس كانت بطريق المقس وهدمت كنيسة كانت بحارة الروم من القاهرة ونهب ما فيها وقتل كثير من الخدام ومن الكتاب ومن الصقالبة بعد ما قطعت أيدى بعضهم من الكتاب بالشطور على الخشبة من وسط الذراع وقتل القائد فضل بن صالح فى ذى القعدة وفى حادى عشر صفر صرف صالح بن على الروذبادى وقرر مكانه ابن عبدون النصرانى الكاتب فوقع عن الحاكم ونظر وكتب بهدم كنيسة قمامة وجدد ديوان يقال له الديوان المفرد برسم من يقبض ماله من المقتولين وغيرهم وكثرت الامراض وعزت الادوية وشهر جماعة وجد عندهم فقاع وملوخية ودلنس وضربوا وهدم دائر القصر واشتد الامر على النصارى واليهود فى الزامهم لبس الغيار وكتب ابطال أخذ الخمس والنجاوى والفطرة وفر الحسين بن جوهر وأولاده وعبد العزيز بن النعمان وفر أبو القاسم الحسين بن المغربى وكتب عدة أمانات لعدة طوائف من شدة خوفهم وقطعت قراءة مجالس الحكمة بالقصر ووقع التشديد فى المنع من المسكرات وقتل كثير من الكتاب والخدام والفراشين وقتل صالح بن على الروذبادى فى شوال * وفى رابع المحرم سنة احدى وأربعمائة صرف الكافى بن عبدون عن النظر والتوقيع وقرر بدله أحمد بن محمد القشورى الكاتب فى الوساطة والسفارة وحضر الحسين بن جوهر وعبد العزيز بن النعمان الى القاهرة فأكرما ثم صرف ابن القشورى بعد عشرة أيام من استقراره وضربت عنقه وقرر بدله زرعة بن عيسى ابن نسطورس الكاتب النصرانى ولقب بالشافى ومنع الناس من الركوب فى المراكب فى الخليج وسدت ابواب الدور التى على الخليج والطاقات المطلة عليه وأضيف الى قاضى القضاة مالك بن سعيد النظر فى المظالم وأعيدت مجالس الحكمة وأخذ مال النجوى وقتل ابن عبدون وأخذ ماله وضرب جماعة وشهروا من اجل بيعهم الملوخية والسمك الذى لا قشر له وبسبب بيع النبيذ وقتل الحسين بن جوهر وعبد العزيز بن النعمان فى ثانى عشر جمادى الآخرة سنة احدى وأربعمائة وأحيط بأموالهما وأبطلت عدة مكوس ومنع الناس من الغناء واللهو ومن بيع المغنيات ومن الاجتماع بالصحراء * وفى هذه السنة خلع حسان بن مفرج بن دغفل بن الجراح طاعة الحاكم وأقام أبا الفتوح حسين بن جعفر الحسنى أمير مكة خليفة وبايعه ودعا الناس الى طاعته ومبايعته وقاتل عساكر الحاكم * وفى سنة اثنتين وأربعمائة منع من بيع الزبيب وكوتب بالمنع من حمله وألقى فى بحر النيل منه شئ كثير وأحرق شئ كثير ومنع النساء من زيارة القبور فلم ير فى الاعياد بالمقابر امرأة واحدة ومنع من الاجتماع على شاطئ النيل للتفرج ومنع من بيع العنب الا أربعة ارطال فما دونها ومنع من عصره وطرح كثير منه وديس فى الطرقات وغرق كثير منه فى النيل ومنع من حمله وقطعت كروم الجيزة كلها وسير الى الجهات بذلك * وفى سنة ثلاث وأربعمائة نزع السعر وازدحم الناس على الخبز وفى ثانى ربيع الاول منها هلك عيسى ابن نسطورس فأمر النصارى بلبس السواد وتعليق صلبان الخشب فى أعناقهم وأن يكون الصليب ذراعا فى مثله وزنته خمسة ارطال وأن يكون مكشوفا بحيث يراه الناس ومنعوا من ركوب الخيل وأن يكون ركوبهم البغال والحمير بسروج الخشب والسيور السود بغير حلية وأن يشدوا الزنانير ولا يستخدموا مسلما ولا يشتروا عبدا ولا أمة وتتبعت آثارهم فى ذلك فأسلم منهم عدة وقرر حسين بن طاهر الوزان فى الوساطة والتوقيع عن الحاكم فى تاسع عشرى ربيع الاول منها ولقب أمين الامناء ونقش الحاكم على خاتمه بنصر الله العظيم الولى

يتنصر الامام أبو علي وضرب جماعة بسبب اللعب بالشطرنج وهدمت الكنائس وأخذ جميع ما فيها وما لها من الرباع وكتب بذلك الى الاعمال فهدمت بها وفيها لحق أبو الفتح بمكة ودعا للحاكم وضرب السكة باسمه وأمر الحاكم أن لا يقبل أحد له الارض ولا يقبل ركابه ولا يده عند السلام عليه في المواكب فان الانحناء الى الارض لمخلوق من صنيع الروم وأن لا يزاد على قولهم السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ولا يصلي أحد عليه في مكاتبة ولا مخاطبة ويقتصر في مكاتبته على سلام الله وتحياته ونوامي بركاته على أمير المؤمنين ويدعى له بما يتفق من الدعاء لا غير فلم يقل الخطباء يوم الجمعة سوى اللهم صل على محمد المصطفى وسلم على أمير المؤمنين علي المرتضى اللهم وسلم على أمراء المؤمنين آباء امير المؤمنين اللهم اجعل أفضل سلامك على عبدك وخليفتك ومنع من ضرب الطبول والابواق حول القصر فصاروا يطوفون بغير طبل ولا بوق وكثرت انعامات الحاكم فتوقف أمين الامناء حسين بن طاهر الوزان في امضائها فكتب اليه الحاكم بخطه بعد البسملة الحمد لله كما هو أهله

اصبحت لا أرجو ولا أتقي * الا الهي وله الفضل

جدي نبي وامامي أبي * وديني الاخلاص والعدل

المال مال الله عز وجل والخلق عباد الله ونحن أمناؤه في الارض أطلق أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام * وركب الحاكم يوم عيد الفطر الى المصلي بغير زينة ولا جنائب ولا أبهة سوى عشرة افراس تقاد بسروج ولجم محلاة بفضة بيضاء خفيفة وبنود ساذجة ومظلة بيضاء بغير ذهب عليه بياض بغير طرز ولا ذهب ولا جوهر في عمامته ولم يفرش المنبر ومنع الناس من سب السلف وضرب في ذلك وشهر وصلى صلاة عيد النحر كما صلى صلاة عيد الفطر من غير أبهة ونحر عنه عبد الرحيم بن الياس بن أحمد بن المهدي واكثر الحاكم من الركوب الى الصحراء بحذاء في رجله وفوطة على رأسه * وفي سنة أربع وأربعمائة ألزم اليهود أن يكون في أعناقهم جرس اذا دخلوا الحمام وأن يكون في أعناق النصارى صلبان ومنع الناس من الكلام في النجوم وأقيم المنجمون من الطرقات وطلبوا فتغيبوا ونفوا وكثرت هبات الحاكم وصدقاته وعتقه وأمر اليهود والنصارى بالخروج من مصر الى بلاد الروم وغيرها وأقيم عبد الرحيم بن الياس ولي العهد وأمر أن يقال في السلام عليه السلام على ابن عم أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين وصار يجلس بمكان في القصر وصار الحاكم يركب بدراعة صوف بيضاء ويتعمم بفوطة وفي رجله حذاء عربي بشبالين وعبد الرحيم يتولى النظر في امور الدولة كلها وأفرط الحاكم في العطاء ورد ما كان أخذ من الضياع والاملاك الى أربابها وفي ربيع الآخر أمر بقطع يدي أبي القاسم الجرجاني وكان يكتب للقائد غين ثم قطع يد غين فصار مقطوع اليدين وبعث اليه الحاكم بعد قطع يديه بالف من الذهب والثياب ثم بعد ذلك أمر بقطع لسانه فقطع وابطل عدة مكوس وقتل الكلاب كلها واكثر من الركوب في الليل ومنع النساء من المشي في الطرقات فلم تر امرأة في طريق البتة وأغلقت حماماتهن ومنع الاساكفة من عمل خفافهن وتعطلت حوانيتهم واشتدت الاشاعة بوقوع السيف في الناس فتهاربوا وغلقت الاسواق فلم يبع شيء ودعي لعبد الرحيم بن الياس على المنابر وضربت السكة باسمه بولاية العهد وفي سنة خمس وأربعمائة قتل مالك بن سعيد الفارقي في ربيع الآخر وكانت مدة نظره في قضاء القضاة ست سنين وتسعة اشهر وعشرة أيام وبلغ اقطاعه في السنة خمسة عشر ألف دينار وتزايد ركوب الحاكم حتى كان يركب في كل يوم عدة مرات واشترى الحمير وركبها بدل الخيل * وفي جمادى الآخرة منها قتل الحسين بن طاهر الوزان فكانت مدة نظره في الوساطة سنتين وشهرين وعشرين يوما فأمر أصحاب الدواوين بلزوم دواوينهم وصار الحاكم يركب حمارا بشاشية مكشوفة بغير عمامة ثم أقام عبد الرحيم بن أبي السيد الكاتب وأخاه أبا عبد الله الحسين في الوساطة والسفارة وأقر في وظيفة قضاء القضاة أحمد بن محمد بن أبي العوام وخرج الحاكم عن الحد في العطاء حتى اقطع نواتية المراكب والمشاعلية وبني قرة فما اقطع الاسكندرية والبحيرة ونواحيهما وقتل ابني ابي السيد فكانت مدة نظرهما اثنين وستين يوما وتقلد الوساطة فضل بن جعفر بن الفرات ثم قتله في اليوم الخامس من ولايته وغلب بنو قرة على الاسكندرية وأعمالها واكثر الحاكم من الركوب فركب في يوم ست مرات مرة على فرس ومرة على حمار ومرة في محفة تحمل على الاعناق ومرة في عشاري في النيل بغير عمامة واكثر من اقطاع الجند والعبيد الاقطاعات وأقام ذا الرياستين قطب الدولة أبا الحسن علي بن جعفر بن فلاح في الوساطة والسفارة وولي عبد

الرحيم بن الياس دمشق فسار اليها فى جمادى الآخرة سنة تسع وأربعمائة فأقام فيها شهرين ثم هجم عليه قوم فقتلوا جماعة ممن عنده وأخذوه فى صندوق وحملوه الى مصر ثم اعيد الى دمشق فأقام بها الى ليلة عيد الفطر وأخرج منها * فلما كان لليلتين بقيتا من شوّال سنة عشر وأربعمائة فقد الحاكم وقيل ان أخته قتلته وليس بصحيح وكان عمره ستا وثلاثين سنة وسبعة اشهر وكانت مدّة خلافته خمسا وعشرين سنة وشهرا وكان جوادا سفاكا للدماء قتل عدد الا يحصى وكانت سيرته من أعجب السير وخطب له على منابر مصر والشام وافريقية والحجاز وكان يشتغل بعلوم الاوائل وينظر فى النجوم وعمل رصدا واتخذ بيتا فى المقطم ينقطع فيه عن الناس لذلك ويقال انه كان يعتريه جفاف فى دماغه فلذلك كثر تناقضه وما أحسن ما قال فيه بعضهم كانت افعاله لا تعالل * وأحلام وساوسه لا تؤوّل وقال المسبحى وفى محرّم سنة خمس عشرة وأربعمائة قبض على رجل من بنى حسين ثار بالصعيد الاعلى فأقرّ بأنه قتل الحاكم بأمر الله فى جملة أربعة انفس تفرّقوا فى البلاد وأظهر قطعة من جلدة رأس الحاكم وقطعة من الفوطة التى كانت عليه فقيل له لم قتلته فقال غيرة لله وللاسلام فقيل له كيف قتلته فأخرج سكينا ضرب بها فؤاده فقتل نفسه وقال هكذا قتلته فقطع رأسه وأنفذ به الى الحضرة مع ما وجد معه وهذا هو الصحيح فى خبر قتل الحاكم لا ما تحكيه المشارقة فى كتبهم من أن أخته قتلته

(جامع الفيلة)

هذا الجامع بسطح الجرف المطل على بركة الحبش المعروف الآن بالرصد بناه الافضل شاهنشاه بن امير الجيوش بدر الجمالى فى شعبان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وبلغت النفقة على بنائه ستة آلاف دينار وانما قيل له جامع الفيلة لان فى قبلته تسع قباب فى أعلاه ذات قناطر اذا رآها الانسان من بعيد شبهها بمدّرعين على فيلة كالتى كانت تعمل فى المواكب أيام الاعياد وعليها السرير وفوقها المدّرعون أيام الخلفاء ولما كمل أقام فى خطابته الشريف الزكى أمين الدولة أبا جعفر محمد بن محمد بن هبة الله بن على الحسينى الافطسى النسابة الكاتب الشاعر الطرابلسى بعد صرفه من قضاء الغربية فلما رقى المنبر أوّل خطبة أقيمت فى هذا الجامع قال بسم الله الحمد لله وارتج عليه فلم يدر ما يقول وكان هناك الشيخ أبو القاسم على بن منجب بن الصيرفى الكاتب وولده مختص الدولة أبو المجد وأبو عبد الله بن بركات النحوى ووجوه الدولة فلما ضجر من حضر نزل عن المنبر وقد حم فتقدم قيم الجامع وصلى ومضى الشريف الى داره فاعتل ومات وكان قد ولى قضاء عسقلان وغيرها ثم قدم الى مصر فولى الحكم بالمحلة وولى ديوان الاحباس وكان أحد الاعيان الادباء العارفين بالنسب ومن الشعراء المجيدين والنحاة اللغويين ولد بطرابلس الشام فى سنة اثنتين وستين وأربعمائة وقدم الى القاهرة فى سنة احدى وخمسمائة ومدح الافضل ومات فى سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة وخمسمائة وقد ترشح للنقابة بمصر ولم ينلها مع تطلعه اليها وذيل كتاب أبى الغنائم الزيدى النسابة ومن شعره بديها وقد نام مع جاريته على سطوح فطلع القمر عليهما فارتاعا من كشف الجيران عليهما

ولما تلاقينا وغاب رقيبنا * ورمت التشكى فى خلوّ وفى سرّ
بدا ضوء بدر فافترقنا لضوئه * فيا من رأى بدرا ينمّ على بدر

وأهل المطالب يذكرون أن الافضل وجد بموضع الصهريج مطلبا لختم عليه أشهرا الى أن نقله وعمله صهريجا وبنى عليه هذا المسجد وهذا الشرف الذى عليه جامع الفيلة منظرة فى غاية الحسن لان فى قبليه بركة الحبش وبستان الوزير المغربى والعدوية ودير النسطورية وبئر أبى سلامة وهى بئر مدوّرة برسم الغنم وبئر النعش كان يستقى منها أصحاب الزوايا وهى بجوار عفصة الصغرى وهى بئر أبى موسى بن أبى خليد وسميت بئر النعش لانها على هيئة النعش وماؤها يهضم الطعام وهو أصح الامواه وشرقى هذا الجبل جبل المقطم والجبانة والمغافر والقرافة وآخر الاكحول وريحان ورعين والكلاع والاكسوع وغربى هذا الجبل المعشوق والنيل وبستان اليهودى الى القبلة وطموه والاهرام وراشدة وبحرى هذا الجبل بستان الامير تميم وقنطرة خليج بنى وائل ودير المعدّلين وعقبة يحصب ومحرس قسطنطين والشرف وغير ذلك وهذا الجامع لا تقام فيه اليوم جمعة ولا جماعة لخراب

ما حوله من القرافة وراشدة وينزل فيه أحيانا طائفة من العرب بأبلهم يقال لهم المسلمية وعما قليل يدثر كما دثر غيره

(جامع المقياس)

هذا الجامع بجوار مقياس النيل من جزيرة الفسطاط أنشأه

هكذا بياض بالاصل

(الجامع الاقمر)

قال ابن عبد الظاهر كان مكانه علافون والحوض مكان المنظرة فتحدث الخليفة الآمر مع الوزير المأمون بن البطايحي في انشائه جامعا فلم يترك قدام القصر دكانا وبنى تحت الجامع المذكور في أيامه دكاكين ومخازن من جهة باب الفتوح لا من صوب القصر وكمل الجامع المذكور في أيامه وذلك في سنة تسع عشرة وخمسمائة وذكر أن اسم الآمر والمأمون عليه وقال غيره واشترى له حمام شمول ودار النحاس بمصر وحبسهما على سدنته ووقود مصابيحه ومن يتولى أمره ويؤذن فيه ومازال اسم المأمون والآمر على لوح فوق المحراب وفيه تجديد الملك الظاهر بيبرس للجامع المذكور ولم تكن فيه خطبة لكنه يعرف بالجامع الاقمر فلما كان في شهر رجب سنة تسع وتسعين وسبعمائة جدده الامير الوزير المشير الاستادار يلبغا بن عبد الله السالمي أحد المماليك الظاهرية وأنشأ بظاهر بابه البحري حوانيت يعلوها طباق وجدد في صحن الجامع بركة لطيفة يصل اليها الماء من ساقية وجعلها مرتفعة ينزل منها الماء الى من يتوضأ من بزابيز نحاس ونصب فيه منبرا فكانت أول جمعة جمعت فيه رابع شهر رمضان من السنة المذكورة وخطب فيه شهاب الدين أحمد بن موسى الحلبي أحد نواب القضاة الحنفية وارتج عليه واستمر الى أن مات في سابع عشري شهر ربيع الاول سنة احدى وثمانمائة وبنى على يمنة المحراب البحري مئذنة وبيض الجامع كله ودهن صدره بلازورد وذهب فقلت له قد أعجبني ما صنعت بهذا الجامع ما خلا تجديد الخطبة فيه وعمل بركة الماء فان الخطبة غير محتاج اليها ههنا لقرب الخطب من هذا الجامع وبركة الماء تضيق الصحن وقد أنشأت ميضأة بجوار بابه الذي من جهة الركن المخلق فاحتج لعمل المنبر بأن ابن الطوير قال في كتاب نزهة المقلتين في أخبار الدولتين عند ذكر جلوس الخليفة في الموالد الستة ويقدم خطيب الجامع الازهر فيخطب كذلك ثم يحضر خطيب الجامع الاقمر فيخطب كذلك قال فهذا أمر قد كان في الدولة الفاطمية وما أنا بالذي أحدثته وأما البركة ففيها عون على الصلاة لقربها من المصلين وجعل فوق المحراب لوحا مكتوبا فيه ما كان فيه أولا وذكر فيه تجديده لهذا الجامع ورسم فيه نعوته وألقابه وجدد أيضا حوض هذا الجامع الذي تشرب منه الدواب وهو في ظهر الجامع تجاه الركن المخلق وبئر هذا الجامع قديمة قبل الملة الاسلامية كانت في دير من ديارات النصارى بهذا الموضع فلما قدم القائد جوهر بجيوش المعز لدين الله في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة أدخل هذا الدير في القصر وهو موضع الركن المخلق تجاه الحوض المذكور وجعل هذه البئر مما ينتفع به في القصر وهي تعرف ببئر العظام وذلك أن جوهرا نقل من الدير المذكور عظاما ما كانت فيه من رمم قوم يقال انهم من الحواريين فسميت بئر العظام والعامة تقول الى اليوم بئر المعظمة وهي بئر كبيرة في غاية السعة وأول ما أعرف من اضافتها الى الجامع الاقمر أن العماد الدمياطي ركب على فوهتها هذه المحال التي بها الآن وهي من جيد المحال وكان تركيبها بعد السبعمائة في أيام قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة الشافعي وبهذا الجامع درس من قديم الزمان ولم تزل مئذنته التي جددها السالمي والبركة الى سنة خمس عشرة وثمانمائة فولى نظر الجامع بعض الفقهاء فرأى هدم المئذنة من أجل ميل حدث بها فهدمها وأبطل الماء من البركة لافساد الماء بمروره جدار الجامع القبلي والخطبة قائمة به الى الآن

(الآمر بأحكام الله)

أبو علي المنصور بن المستعلي بالله أبي القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله أبي الحسن علي بن الحاكم بأمر الله أبي علي منصور ولد يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرم سنة تسعين وأربعمائة وبويع له بالخلافة يوم مات أبوه وهو طفل له من العمر خمس سنين وأشهر وأيام في يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة خمس وتسعين أحضره الافضل بن أمير الجيوش وبايع له ونصبه مكان أبيه ونعته بالآمر بأحكام الله وركب الافضل فرسا وجعل في السرج شيأ وأركبه عليه ليمو شخص الآمر وصار ظهره في حجر الافضل فلم يزل تحت حجره حتى قتل الافضل ليلة عيد الفطر سنة خمس عشرة وخمسمائة فاستوزر بعده القائد أبا عبد الله محمد

ابن

ابن فاتك البطايحي ولقبه بالمأمون فقام بأمر دولته الى أن قبض عليه في ليلة السبت رابع شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة فتفرغ الآمر لنفسه ولم يبق له ضد ولا مزاحم وبقي بغير وزير وأقام صاحبي ديوان أحدهما جعفر بن عبد المنعم والآخر سامري يقال له أبو يعقوب ابراهيم ومعهما مستوف يعرف بابن أبي نجاح كان راهبا ثم تحكم هذا الراهب في الناس وتمكن من الدواوين فابتدأ في مطالبة النصارى وحقق في جهاتهم الاموال وحملها أولا فأولا ثم أخذ في مصادرة بقية المباشرين والمعاملين والضمناء والعمال وزاد الى أن عم ضرره جميع الرؤساء والقضاة والكتاب والسوقة بحيث لم يخل أحد من ضرره فلما تفاقم أمره قبض عليه الآمر وضرب بالنعال حتى مات بالشرطة فجر الى كرسي الجسر وسمر على لوح وطرح في النيل وحذف حتى خرج الى البحر الملح فلما كان يوم الثلاثاء رابع عشر ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة وثب جماعة على الآمر وقتلوه كما ذكر عند خبر الهودج وكان كريما سمحا الى الغاية كثير النزهة محبا للمال والزينة وكانت أيامه كلها لهوا وعيشة راضية لكثرة عطائه وعطاء حواشيه بحيث لم يوجد بمصر والقاهرة اذ ذاك من يشكو زمانه البتة الى أن نكد بالراهب على الناس فقبحت سيرته وكثر ظلمه واغتصابه للاموال * وفي أيامه ملك الفرنج كثيرا من المعاقل والحصون بسواحل الشام فملكت عكا في شعبان سنة سبع وتسعين وغزة في رجب سنة اثنتين وخمسمائة وطرابلس في ذي الحجة منها وبانياس وجبيل وقلعة تبنين فيها أيضا وملكوا صور في سنة ثمان عشرة وخمسمائة وكثرت المرافعات في أيامه وأحدث رسوم لم تكن وعمر الهودج بالروضة ودكة بركة الحبش وعمر تنيس ودمياط وجدد قصر القرافة وكانت نفسه تحدثه بالسفر والغارة الى بغداد ومن شعره في ذلك

دع اللوم عني لست مني بموثق * فلا بد لي من صدمة المتحقق
وأسقي جيادي من فرات ودجلة * واجمع شمل الدين بعد التفرق

وقال

أما والذي حجت الى ركن بيته * جراثيم ركبان مقلدة شهبا
لاقتحمن الحرب حتى يقال لي * ملكت زمام الحرب فاعتزل الحربا
وينزل روح الله عيسى ابن مريم * فيرضى بنا صحبا ونرضى به صحبا

وكان أسمر شديد السمرة يحفظ القرآن ويكتب خطا ضعيفا وهو الذي جدد رسوم الدولة واعاد اليها بهجتها بعد ما كان الافضل أبطل ذلك ونقل الدواوين والاسمطة من القصر بالقاهرة الى دار الملك بمصر كما ذكرنا وقضاته ابن ذكا النابلسي ثم نعمة الله بن بشير ثم الرشيد محمد بن قاسم الصقلي ثم الجليس بن نعمة الله بن بشير النابلسي ثم صرفه ثانيا بمسلم بن الرسغي وعزله بأبي الحجاج يوسف بن أيوب المغربي ثم مات فولي محمد بن هبة الله بن ميسر وكتاب انشائه سنا الملك أبو محمد الزبيدي الحسني والشيخ أبو الحسن بن أبي أسامة وتاج الرياسة أبو القاسم ابن الصيرفي وابن أبي الدم اليهودي وكان نقش خاتمه الامام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين ووقع في آخر أيامه غلاء فقلق الناس منه وكان جريا على سفك الدماء وارتكاب المحظورات واستحسان القبائح وقتل وعمره أربع وثلاثون سنة وتسعة أشهر وعشرون يوما منها مدة خلافته تسع وعشرون سنة وثمانية أشهر ونصف ومازال محجورا عليه حتى قتل الافضل وكان يركب للنزهة دائما عندما استبد في يومي السبت والثلاثاء ويتحول في أيام النيل بحرمه الى اللؤلؤة على الخليج واختص بغلاميه برغش وهزار الملوك *(يلبغا السالمي)* أبو المعالي عبد الله الامير سيف الدين الحنفي الصوفي الظاهري كان اسمه في بلاده يوسف وهو حر الاصل وآباؤه مسلمون فلما جلب من بلاد المشرق سمي يلبغا وقيل له السالمي نسبة الى سالم تاجره الذي جلبه فترقى في خدم السلطان الملك الظاهر برقوق الى أن ولاه نظر خانقاه الصلاح سعيد السعداء في ثامن عشر جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وسبعمائة فأخرج كتاب الوقف وقصد أن يعمل بشرط الواقف وأخرج منها جماعة من بياض الناس فجرت أمور ذكرت في خبر الخانقاه * وفي سابع عشري صفر سنة ثمانمائة انعم عليه الملك الظاهر بامرة عشرة عوضا عن الامير بهادر فطيلس ثم نقله الى امرة طبلخاناه ثم جعله ناظرا على الخانقاه الشيخونية بالصليبة في تاسع شعبان سنة احدى وثمانمائة فعسف بمباشريها وأراد حملهم على مر الحق فنفرت منه القلوب

ولما مرض الظاهر جعله أحد الاوصياء على تركته فقام بتحليف المماليك السلطانية للملك الناصر فرج بن برقوق والانفاق عليهم بحضرة الناصر فأنفق عليهم كل دينار من حساب أربعة وعشرين درهما ولما انقضت النفقة نودى فى البلد أن صرف كل دينار ثلاثون درهما ومن امتنع نهب ماله وعوقب فحصل للناس من ذلك شدة وكان قد كثر القبض على الامراء بعد موت الظاهر فتحدث مع الامير الكبير ايتمش القائم بتدبير دولة الناصر فرج بعد موت أبيه فى أن يكون على كل أمير من المقدمين خمسون ألف درهم وعلى كل أمير من الطبلخاناه عشرون ألف درهم وعلى كل أمير عشرة خمسة آلاف درهم وعلى كل أمير خمسة ألفا درهم وخمسمائة درهم فرسم بذلك وعمل به مدة أيام الناصر وحصل به رفق للامراء ومباشريهم ثم خلع عليه واستقر أستادار السلطان عوضا عن الامير الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج الملكى فى يوم الاثنين ثالث عشرى ذى القعدة من السنة المذكورة فأبطل تعريف منية بنى خصيب وضمان العرصة وأخصاص الكيالين وكتب بذلك مرسوما سلطانيا و بعث به الى والى الاشمونين وأبطل وفر الشون السلطانية وما كان مقررا على البرددار وهو فى الشهر سبعة آلاف درهم وما كان مقررا على مقدم المستخرج وهو فى الشهر ثلاثة آلاف درهم وكانت سماسرة الغلال تأخذ ممن يشترى شيأ من الغلة على كل اردب درهمين سمسرة وكيالة ولواحة وأمانة فألزمهم أن لا يأخذوا عن كل اردب سوى نصف درهم وهدد على ذلك بالغرامة والعقوبة وركب فى صفر سنة ثلاث وثمانمائة الى ناحية المنية وشبرا الخيمة من الضواحى بالقاهرة وكسر منها ما ينيف على أربعين ألف جرة خمر وخرب بها كنيسة كانت للنصارى وحمل عدة جرار فكسرها تحت قلعة الجبل وعلى باب زويلة وشدد على النصارى فلم يمكنه أمراء الدولة من حملهم على الصغار والمذلة فى ملبسهم وأمر فضرب الذهب كل دينار زنته مثقال واحد وأراد بذلك ابطال ما حدث من المعاملة بالذهب الافرنجى فضرب ذلك وتعامل الناس به مدة وصار يقال دينار سالمى الى أن ضرب الناصر فرج دنانير وسماها الناصرية وصار يحكم فى الاحكام الشرعية فقلق منه أمراء الدولة وقاموا فى ذلك فمنع من الحكم الا فيما يتعلق بالديوان المفرد وغيره مما هو من لوازم الاستادار وأخذ فى مخاشنة الامراء عندما عاد الناصر فرج وقد انهزم من تيمورلنك وشرع فى اقامة شعار المملكة والنفقة على العساكر التى رجعت منهزمة فأخذ من بلاد الامراء وبلاد السلطان عن كل ألف دينار فرسا أو خمسمائة درهم ثمنها وجبى من أملاك القاهرة ومصر وظواهرهما أجرة شهر وأخذ من الرزق عن كل فدان عشرة دراهم وعن الفدان من القصب المزروع والقلقاس والنيلة نحو مائة درهم وجبى من البساتين عن كل فدان مائة درهم وقام بنفسه وكبس الحواصل ليلا ونهارا ومعه جماعة من الفقهاء وغيرهم وأخذ مما فيها من الذهب والفضة والفلوس نصف ما يجد سواء كان صاحب المال غائبا أو حاضرا فعم ذلك أموال التجار والايتام وغيرهم من سائر من وجد له مال وأخذ ما كان فى الجوامع والمدارس وغيرها من الحواصل فشمل الناس من ذلك ضرر عظيم وصار يؤخذ من كل مائة درهم ثلاثة دراهم عن أجرة صرف وستة دراهم عن أجرة الرسول وعشرة دراهم عن أجرة نقيب فنفرت منه القلوب وانطلقت الالسن بذمه والدعاء عليه وعرض مع ذلك الجند وألزم من له قدرة على السفر بالتجهز للسفر الى الشام لقتال تيمورلنك ومن وجده عاجزا عن السفر ألزمه بحمل نصف متحصل اقطاعه فقبض عليه فى يوم الاثنين رابع عشر رجب سنة ثلاث وثمانمائة وسلم للقاضى سعد الدين ابراهيم بن غراب وقرر مكانه فى الاستادارية فلم يزل الى يوم عيد الفطر من السنة المذكورة فأمر باطلاقه بعد أن حصر وأهين اهانة كبيرة ثم قبض عليه وضرب ضربا مبرحا حتى أشفى على الموت وأطلق فى نصف ذى القعدة وهو مريض فأخرج الى دمياط وأقام بها مدة ثم أحضر الى القاهرة وقلد وظيفة الوزارة فى سنة خمس وثمانمائة وجعل مشيرا فأبطل مكوس البحيرة وهو ما يؤخذ على ما يذبح من البقر والغنم واستعمل فى أموره العسف وترك مداراة الامراء واستعجل فقبض عليه وعوقب وسجن الى أن أخرج فى رمضان سنة سبع وثمانمائة وقلد وظيفة الاشارة وكانت للامير جمال الدين يوسف الاستادار فلم يترك عادته فى الاعجاب برأيه والاستبداد بالامور واستعجال الاشياء قبل أوانها فقبض عليه فى ذى الحجة منها وسلم للامير جمال الدين يوسف فعاقبه وبعث به الى الاسكندرية فسجن بها الى أن سعى جمال الدين فى قتله بمال بذله للناصر فيه حتى أذن له فى ذلك فقتل خنقا عصر يوم الجمعة وهو صائم السابع عشر من جمادى الآخرة سنة احدى عشرة وثمانمائة

رحمه الله وكان كثيرا النسك من الصلاة والصوم والصدقة لا يخل بشئ من نوافل العبادات ولا يترك قيام الليل سفرا ولا حضرا ولا يصلى قط الا بوضوء جديد وكلما أحدث توضأ واذا توضأ صلى ركعتين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويخرج فى كثرة الصدقات عن الحد ويقرأ فى كل ثلاثة أيام ختمة ولا يترك أوراده فى حال من الاحوال مع المروءة والهمة وسمع كثيرا من الحديث وقرأ بنفسه على المشايخ وكتب الخط المليح وقرأ القراآت السبع وعرف التصوف والفقه والحساب والنجوم الا انه كان متهورا فى أخذ الاموال عسوفا لجوجا مصمما لا ينقاد الى أحد ويستبد برأيه فيغلط غلطات لا تحتمل ويستخف بغيره ويعجب بنفسه ويريد أن يجعل غاية الامور بدايتها فلذلك لم يتم له أمر

(جامع الظافر)

هذا الجامع بالقاهرة فى وسط السوق الذى كان يعرف قديما بسوق السراجين ويعرف اليوم بسوق الشوايين كان يقال له الجامع الافخر ويقال له اليوم جامع الفاكهيين وهو من المساجد الفاطمية عمره الخليفة الظافر بنصر الله أبو المنصور اسماعيل بن الحافظ لدين الله أبى الميمون عبد المجيد بن الآمر بأحكام الله منصور ووقف حوانيته على سدنته ومن يقرأ فيه * قال ابن عبد الظاهر بناه الظافر وكان قبل ذلك زريبة تعرف بدار الكباش وبناه فى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وسبب بنائه أن خادما رأى من مشرف عال ذباحا وقد أخذ رأسين من الغنم فذبح أحدهما ورمى سكينته ومضى ليقضى حاجته فأتى رأس الغنم الآخر وأخذ السكين بفمه ورماها فى البالوعة فجاء الجزار يطوف على السكين فلم يجدها وأما الخادم فانه استصرخ وخلصه منه وطولع بهذه القضية أهل القصر فأمروا بعمله جامعا ويسمى الجامع الافخر وبه حلقة تدريس وفقهاء ومتصدرون للقرآن وأول ما أقيمت به الجمعة فى هكذا بياض بالاصل

(جامع الصالح)

هذا الجامع من المواضع التى عمرت فى زمن الخلفاء الفاطميين وهو خارج باب زويلة * قال ابن عبد الظاهر كان الصالح طلائع بن رزيك لما خيف على مشهد الامام الحسين رضى الله عنه اذ كان بعسقلان من هجمة الفرنج وعزم على نقله قد بنى هذا الجامع ليدفنه به فلما فرغ منه لم يمكنه الخليفة من ذلك وقال لا يكون الا داخل القصور الزاهرة وبنى المشهد الموجود الآن ودفن به وتم الجامع المذكور واستمر جلوس زين الدين الواعظ به وحضور الصالح اليه فيقال ان الصالح لما حضرته الوفاة جمع أهله وأولاده وقال لهم فى جملة وصيته ما ندمت قط فى شئ عملته الا فى ثلاثة الاول بنائى هذا الجامع على باب القاهرة فانه صار عونا لها والثانى توليتى لشاور الصعيد الاعلى والثالث خروجى الى بلبيس بالعساكر وانفاقى الاموال الجمة ولم أتم بهم الى الشام وافتح بيت المقدس وأستأصل شأفة الفرنج وكان قد أنفق فى العساكر فى تلك الدفعة مائة ألف دينار وبنى فى الجامع المذكور صهريجا عظيما وجعل ساقية على الخليج قريب باب الخرق تملأ الصهريج المذكور أيام النيل وجعل المجارى اليه وأقيمت الجمعة فيه فى الايام المعزية فى سنة بضع وخمسين وستمائة بحضور رسول بغداد الشيخ نجم الدين عبد الله البادرائى وخطب به أصيل الدين أبو بكر الاسعردى وهى الى الآن ولما حدثت الزلزلة سنة اثنتين وسبعمائة تهدم فعمر على يد الامير سيف الدين بكتمر الجوكندار *(طلائع بن رزيك)* أبو الغارات الملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين قدم فى أول امره الى زيارة مشهد الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه بأرض النجف من العراق فى جماعة من الفقراء وكان من الشيعة الامامية وامام مشهد على رضى الله عنه يومئذ السيد ابن معصوم فزار طلائع وأصحابه وباتوا هنالك فرأى ابن معصوم فى منامه على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو يقول له قد ورد عليك الليلة أربعون فقيرا من جملتهم رجل يقال له طلائع بن رزيك من اكبر محبينا قل له اذهب فقد وليناك مصر فلما أصبح أمر أن ينادى من فيكم طلائع بن رزيك فليقم الى السيد ابن معصوم فجاء طلائع وسلم عليه فقص عليه ما رأى فسار حينئذ الى مصر وترقى فى الخدم حتى ولى منية بنى خصيب فلما قتل نصر بن عباس الخليفة الظافر بعث نساء القصر الى طلائع يستغثن به فى الاخذ بثار الظافر وجعلن فى طى الكتب شعور النساء فجمع طلائع عند ما وردت عليه الكتب الناس وسار يريد القاهرة لمحاربة الوزير عباس فعندما قرب من البلد فر عباس ودخل طلائع الى القاهرة فخلع عليه خلع الوزارة ونعت بالملك الصالح فارس المسلمين نصير

الدين فباشر البلاد أحسن مباشرة واستبد بالامر لصغر سن الخليفة الفائز بنصر الله الى أن مات فأقام من بعده عبد الله بن محمد ولقبه بالعاضد لدين الله وبايع له وكان صغيرا لم يبلغ الحلم فقويت حرمة طلائع وازداد تمكنه من الدولة فثقل على أهل القصر لكثرة تضييقه عليهم واستبداده بالامر دونهم فوقف له رجال بدهاليز القصر وضربوه حتى سقط على الارض على وجهه وحمل جريحا لا يعي الى داره فمات يوم الاثنين تاسع عشر شهر رمضان سنة ست وخمسين وخمسمائة وكان شجاعا كريما جوادا فاضلا محبا لاهل الادب جيد الشعر وحل وقته فضلا وعقلا وسياسة وتدبيرا وكان مهابا في شكله عظيما في سطوته وجمع اموالا عظيمة وكان محافظا على الصلوات فرائضها ونوافلها شديد المغالاة في التشيع صنف كتابا سماه الاعتماد في الرد على أهل العناد جمع له الفقهاء وناظرهم عليه وهو يتضمن امامة على بن أبي طالب رضى الله عنه والكلام على الاحاديث الواردة في ذلك وله شعر كثير يشتمل على مجلدين في كل فن فمنه في اعتقاده

يا أمة سلكت ضلالا بينا * حتى استوى اقرارها وجحودها
ملتم الى أن المعاصى لم يكن * الا بتقدير الاله وجودها
لو صح ذا كان الاله بزعمكم * منع الشريعة أن تقام حدودها
حاشا وكلا أن يكون الهنا * ينهى عن الفحشاء ثم يريدها

وله قصيدة سماها الجوهرية في الرد على القدرية وجدد الجامع الذى بالقرافة الكبرى ووقف ناحية بلقس على أن يكون ثلثاها على الاشراف من بنى حسن وبنى حسين ابنى على بن أبي طالب رضى الله عنهم وسبع قراريط منها على أشراف المدينة النبوية وجعل فيها قيراطا على بنى معصوم امام مشهد على رضى الله عنه ولما ولى الوزارة مال على المستخدمين بالدولة وعلى الامراء واظهر مذهب الامامية وهو مخالف لمذهب القوم وباع ولايات الاعمال للامراء بأسعار مقررة وجعل مدة كل متول ستة اشهر فتضرر الناس من كثرة تردد الولاة على البلاد وتعبوا من ذلك وكان له مجلس في الليل يحضره أهل العلم ويدونون شعره ولم يترك مدة أيامه غزو الفرنج وتسيير الجيوش لقتالهم في البر والبحر وكان يخرج البعوث في كل سنة مرارا وكان يحمل في كل عام الى أهل الحرمين مكة والمدينة من الاشراف سائر ما يحتاجون اليه من الكسوة وغيرها حتى يحمل اليهم ألواح الصبيان التي يكتب فيها والاقلام والمداد وآلات النساء ويحمل كل سنة الى العلويين الذين بالمشاهد جملا كبيرة وكان أهل العلم يفدون اليه من سائر البلاد فلا يخيب أمل قاصد منهم * ولما كان في الليلة التي قتل صبيحتها قال في هذه الليلة ضرب في مثلها أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه وأمر بقربة مملوءة فاغتسل وصلى على رأى الامامية مائة وعشرين ركعة أحيى بها ليله وخرج ليركب فعثر وسقطت عمامته عن رأسه وتشوشت فقعد في دهليز دار الوزارة وأمر باحضار ابن الضيف وكان يتعمم للخلفاء والوزراء وله على ذلك الجارى الثقيل فلما أخذ في اصلاح العمامة قال رجل للصالح نعيذ بالله مولانا ويكفيه هذا الذى جرى أمرا يتطير منه فان رأى مولانا أن يؤخر الركوب فعل فقال الطيرة من الشيطان ليس الى تأخير الركوب سبيل وركب فكان من ضربه ما كان وعاد محمولا فمات منها كما تقدم

(ذكر الاحباس وما كان يعمل فيها)

اعلم أن الاحباس في القديم لم تكن تعرف الا في الرباع وما يجرى مجراها من المبانى وكلها كانت على جهات بر فأما المسجد الجامع العتيق بمصر فكان يلى امامته في الصلوات الخمس والخطابة فيه يوم الجمعة والصلاة بالناس صلاة الجمعة أمير البلد فتارة يجمع للامير بين الصلاة والخراج وتارة يفرد الخراج عن الامير فيكون الامير اليه أمر الصلاة بالناس والحرب ولآخر أمر الخراج وهو دون مرتبة أمير الصلاة والحرب وكان الامير يستخلف عنه في الصلاة صاحب الشرطة اذا شغله أمر ولم يزل الامر على ذلك الى أن ولى مصر عنبسة بن اسحاق ابن شمر من قبل المستنصر بن المتوكل على الصلاة والخراج فقدمها لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائتين وأقام الى مستهل رجب سنة اثنتين وأربعين ومائتين وصرف فكان آخر من ولى مصر من العرب وآخر أمير صلى بالناس في المسجد الجامع وصار يصلى بالناس رجل يرزق من بيت المال وكذلك المؤذنون ونحوهم وأما الاراضى فلم يكن سلف الائمة من الصحابة والتابعين يتعرضون لها وانما حدث ذلك بعد عصرهم

حتى

حتى ان أحمد بن طولون لما بنى الجامع والمارستان والسقاية وحبس على ذلك الاحباس الكثيرة لم يكن فيها سوى الرباع ونحوها بمصر ولم يتعرض الى شئ من أراضى مصر البتة وحبس أبو بكر محمد بن على المادرانى بركة الحبش وسيوط وغيرهما على الحرمين وعلى جهات برّ وحبس غيره أيضا فلما قدمت الدولة الفاطمية من الغرب الى مصر بطل تحبيس البلاد وصار قاضى القضاة يتولى أمر الاحباس من الرباع واليه أمر الجوامع والمشاهد وصار للاحباس ديوان مفرد وأول ماقدم المعز أمر فى ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وثلثمائة بحمل مال الاحباس من المودع الى بيت المال الذى لوجوه البرّ وطولب اصحاب الاحباس بالشرائط ليحملوا عليها ومايجب لهم فيها وللنصف من شعبان ضمن الاحباس محمد بن القاضى أبى الطاهر محمد بن أحمد بألف ألف وخمسمائة ألف درهم فى كل سنة يدفع الى المستحقين حقوقهم ويحمل مابقى الى بيت المال * وقال ابن الطوير الخدمة فى ديوان الاحباس وهو أوفر الدواوين مباشرة ولا يخدم فيه الا أعيان كتاب المسلمين من الشهود المعدّلين بحكم أنها معاملة دينية وفيها عدّة مدبرين ينوبون عن أرباب هذه الخدم فى ايجاب أرزاقهم من ديوان الرواتب وينجزون لهم الخروج باطلاق أرزاقهم ولا يوجب لاحد من هؤلاء خروج الابعد حضور ورقة التعريف من جهة مشارف الجوامع والمساجد باستمرار خدمته ذلك الشهر جميعه ومن تأخر تعريفه تأخر الايجاب له وان تمادى ذلك استبدل به او توفر مابا سمه لمصلحة أخرى خلا جوارى المشاهد فانها لاتوفر لكنها تنقل من مقصر الى ملازم وكان يطلق لكل مشهد خمسون درهما فى الشهر برسم الماء لزوّارها ويجرى من معاملة سواقى السبيل بالقرافة والنفقة عليها من ارتفاعه فلا تخلو المصانع ولا الاحواض من الماء أبدا ولا يعترض أحد من الانتفاع به وكان فيه كاتبان ومعينان * وقال المسبحى فى حوادث سنة ثلاث وأربعمائة وأمر الحاكم بأمر الله باثبات المساجد التى لاغلة لها ولا أحد يقوم بها وماله منها غلة لاتقوم بما يحتاج اليه فأثبت فى عمل ورفع الى الحاكم بأمر الله فكانت عدّة المساجد على الشرح المذكور ثمانمائة وثلاثين مسجدا وبلغ ماتحتاج اليه من النفقة فى كل شهر تسعة آلاف ومائتان وعشرون درهما على أن لكل مسجد فى كل شهر اثنى عشر درهما وقال فى حوادث سنة خمس وأربعمائة وقرئ يوم الجمعة ثامن عشرى صفر سجل بتحبيس عدّة ضياع وهى اطفيح وصول وطوخ وست ضياع أخر وعدّة قياسر وغيرها على القرّاء والفقهاء والمؤذنين بالجوامع وعلى المصانع والقوّام بها ونفقة المارستانات وأرزاق المستخدمين فيها وثمن الاكفان * وقال الشريف بن أسعد الجوّانى كان القضاة بمصر اذا بقى لشهر رمضان ثلاثة أيام طافوا يوما على المساجد والمشاهد بمصر والقاهرة يبدؤن بجامع المقس ثم القاهرة ثم المشاهد ثم القرافة ثم جامع مصر ثم مشهد الرأس لنظر حصر ذلك وقناديله وعمارته وماتشعث منه ومازال الامر على ذلك الى أن زالت الدولة الفاطمية فلما استقرّت دولة بنى أيوب أضيفت الاحباس أيضا الى القاضى ثم تفرقت جهات الاحباس فى الدولة التركية وصارت الى يومنا هذا ثلاث جهات * الاولى تعرف بالاحباس ويلى هذه الجهة دوادار السلطان وهو أحد الامراء ومعه ناظر الاحباس ولا يكون الا من أعيان الرؤساء وبهذه الجهة ديوان فيه عدّة كتاب ومدبر واكثر مافى ديوان الاحباس الرزق الاحباسية وهى أراض من أعمال مصر على المساجد والزوايا للقيام بمصالحها وعلى غير ذلك من جهات البرّ وبلغت الرزق الاحباسية فى سنة أربعين وسبعمائة عندما حرّرها النشو ناظر الخاص فى ايام الملك الناصر محمد بن قلاون مائة ألف وثلاثين ألف فدّان عمل النشو بها أوراقا وحدّث السلطان فى اخراجها عمن هى باسمه وقال جميع هذه الرزق أخرجها الدواوين بالبراطيل والتقرب الى الامراء والحكام واكثرها بأيدى أناس من فقهاء الارياف لايدرون الفقه يسمون أنفسهم الخطباء ولا يعرفون كيف يخطبون ولا يقرؤن القرآن وكثير منها بأسماء مساجد وزوايا معطلة وخراب وحسن له أن يقيم شادّا وديوانا يسير فى النواحى وينظر فى المساجد التى هى عامرة ويصرف لها من رزقها النصف وماعدا ذلك يجرى فى ديوان السلطان فعاجله الله وقبض عليه قبل عمل شئ من ذلك * الجهة الثانية تعرف بالاوقاف الحكمية بمصر والقاهرة ويلى هذه الجهة قاضى القضاة الشافعى وفيها ماحبس من الرباع على الحرمين وعلى الصدقات والاسرى وانواع القرب ويقال لمن يتولى هذه الجهة ناظر الاوقاف فتارة ينفرد بنظر أوقاف مصر والقاهرة رجل واحد من أعيان نوّاب القاضى وتارة ينفرد بأوقاف القاهرة ناظر من الاعيان ويلى نظر أوقاف مصر

آخر ولكل من أوقاف البلدين ديوان فيه كتاب وجباة وكانت جهة عامرة يتحصل منها أموال جمة فيصرف منها لاهل الحرمين أموال عظيمة فى كل سنة تحمل من مصر اليهم مع من يثق به قاضى القضاة وتفرق هناك صررا ويصرف منها أيضا بمصر والقاهرة لطلبة العلم ولاهل الستر وللفقراء شئ كثير الا انها اختلت وتلاشت فى زمننا هذا وعما قليل ان دام ما نحن فيه لم يبق لها أثر البتة وسبب ذلك انه ولى قضاء الحنفية كمال الدين عمر بن العديم فى أيام الملك الناصر فرج وولاية الامير جمال الدين يوسف تدبير الامور والمملكة فتظاهرا معا على اتلاف الاوقاف فكان جمال الدين اذا أراد أخذ وقف من الاوقاف أقام شاهدين يشهدان بأن هذا المكان يضر بالجار والمار وأن الحظ فيه أن يستبدل به غيره فيحكم له قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم باستبدال ذلك وشره جمال الدين فى هذا الفعل كما شره فى غيره فحكم له المذكور باستبدال القصور العامرة والدور الجليلة بهذه الطريقة والناس على دين ملكهم فصار كل من يريد بيع وقف أو شراء وقف سعى عند القاضى المذكور بجاه أو مال فيحكم له بما يريد من ذلك واستدرج غيره من القضاة الى نوع آخر وهو أن تقام شهود القيمة فيشهدون بأن هذا الوقف ضار بالجار والمار وأن الحظ والمصلحة فى بيعه أنقاضا فيحكم قاض شافعى المذهب ببيع تلك الانقاض واستمر الامر على هذا الى وقتنا هذا الذى نحن فيه ثم زاد بعض سفهاء قضاة زمننا فى المعنى وحكم ببيع المساجد الجامعة اذا خرب ما حولها وأخذ ذريته واقفها ثمن أنقاضها وحكم آخر منهم ببيع الوقف ودفع الثمن لمستحقه من غير شراء بدل فامتدت الايدى لبيع الاوقاف حتى تلف بذلك سائر ما كان فى قرافتى مصر من الترب وجميع ما كان من الدور الجليلة والمساكن الانيقة بمصر الفسطاط ومنشأة المهرانى ومنشأة الكتاب وزريبة قوصون وحكر ابن الاثير وسويقة الموفق وما كان فى المحكورة من ذلك وما كان بالجوانية والعطوفية وغيرهما من حارات القاهرة وغيرها فكان ما ذكر أحد أسباب الخراب كما هو مذكور فى موضعه من هذا الكتاب * الجهة الثالثة الاوقاف الاهلية وهى التى لها ناظر خاص اما من أولاد الواقف أو من ولاة السلطان أو القاضى وفى هذه الجهة الخوانك والمدارس والجوامع والترب وكان متحصلها قد خرج عن الحد فى الكثرة لما حدث فى الدولة التركية من بناء المدارس والجوامع والترب وغيرها وصاروا يفردون أراضى من أعمال مصر والشامات وفيها بلاد مقررة ويقيمون صورة يملكونها بها ويجعلونها وقفا على مصارف كما يريدون فلما استبد الامير برقوق بأمر بلاد مصر قبل أن يتلقب باسم السلطنة هم بارتجاع هذه البلاد وعقد مجلسا فيه شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى وقاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء وغيره فلم يتهيأ له ذلك فلما جلس على تخت الملك صار أمراؤه يستأجرون هذه النواحى من جهات الاوقاف ويؤجرونها للفلاحين بأزيد مما استأجروا فلما مات الظاهر فحش الامر فى ذلك واستولى أهل الدولة على جميع الاراضى الموقوفة بمصر والشامات وصار أجودهم من يدفع فيها لمن يستحق ريعها عشر ما يحصل له والا فكثير منهم لا يدفع شيأ البتة لاسيما ما كان من ذلك فى بلاد الشام فانه استهلك وأخذ ولذلك كان أسوأ الناس حالا فى هذه المحن التى حدثت منذ سنة ست وثمانمائة الفقهاء لخراب الموقوف عليهم وبيعه واستيلاء أهل الدولة على الاراضى

(الجامع بجوار تربة الشافعى بالقرافة)

هذا الجامع كان مسجدا صغيرا فلما كثر الناس بالقرافة الصغرى عندما عمر السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب المدرسة بجوار قبر الامام الشافعى رضى الله عنه وجعل لها مدرسا وطلبة زاد الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب فى المسجد المذكور ونصب به منبرا وخطب فيه وصليت الجمعة به فى سنة سبع وستمائة

(جامع محمود بالقرافة)

هذا المسجد قديم والخطبة فيه متجددة وينسب لمحمود بن سالم بن مالك الطويل من أجناد السرى بن الحكم أمير مصر بعد سنة مائتين من الهجرة قال القضاعى المسجد المعروف بمحمود يقال ان محمودا هذا كان رجلا جنديا من جند السرى بن الحكم أمير مصر وانه هو الذى بنى هذا المسجد وذلك أن السرى بن الحكم ركب يوما فعارضه رجل فى طريقه فكلمه ووعظه بما غاظه فالتفت عن يمينه فرأى محمودا فأمره بضرب عنق

الرجل

الرجل ففعل فلما رجع محمود الى منزله تفكر وندم وقال رجل يتكلم بموعظة بحق فيقتل بيدى وأنا طائع غير مكره على ذلك فهلا امتنعت وكثر أسفه وبكاؤه وآلى على نفسه أن يخرج من الجندية ولا يعود فيها ولم ينم ليلته من الغم والندم فلما أصبح غدا الى السرى فقال له انى لم أنم فى هذه الليلة على قتل الرجل وأنا أشهد الله عز وجل وأشهدك أنى لا أعود فى الجندية فأسقط اسمى منهم وان أردت نعمتى فهى بين يديك وخرج من بين يديه وحسنت توبته وأقبل على العبادة واتخذ المسجد المعروف بمسجد محمود وأقام فيه * وقال ابن المتوج المسجد الجامع المشهور بسفح المقطم هذا الجامع من مساجد الخطبة وهو بسفح الجبل المقطم بالقرافة الصغرى وأول من خطب فيه السيد الشريف شهاب الدين الحسين بن محمد قاضى العسكر والمدرس بالمدرسة الناصرية الصلاحية بجوار جامع عمرو وبه عرفت بالشريفية وسفر الخلافة المعظمة وتوفى فى شوال سنة خمس وخمسين وستمائة وكان أيضا نقيب الاشراف

(جامع الروضة بقلعة جزيرة الفسطاط)

قال ابن المتوج هذا الجامع عمره السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب وكان أمام بابه كنيسة تعرف بابن لقلق بترك اليعاقبة وكان بها بئر مالحة وذلك مما عد من عجائب مصر أن فى وسط النيل جزيرة بوسطها بئر مالحة وهذه البئر التى رأيتها كانت قبالة باب المسجد الجامع وانما ردمت بعد ذلك وهذا الجامع لم يزل بيد بنى الرداد ولهم نواب عنهم فيه ثم لما كانت أيام السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودى هدم هذا الجامع فى شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ووسعه بدور كانت الى جانبه وشرع فى عمارته فمات قبل الفراغ منه

(جامع غين بالروضة)

قال ابن المتوج المسجد الجامع بروضة مصر يعرف بجامع غين وهو القديم ولم تزل الخطبة قائمة فيه الى أن عمر جامع المقياس فبطلت الخطبة منه ولم تزل الخطبة بطالة منه الى الدولة الظاهرية فكثرت عمائر الناس حوله فى الروضة وقل الناس فى القلعة وصاروا يجدون مشقة فى مشيهم من أوائل الروضة وعمر الصاحب محيى الدين أحمد ولد الصاحب بهاء الدين على بن حنا داره على خوخة الفقيه نصر قبالة هذا الجامع فحسن له اقامة الجمعة فى هذا الجامع لقربه منه ومن الناس فتحدث مع والده فشاورا السلطان الملك الظاهر بيبرس فوقع منه بموقع لكثرة ركوبه بحر النيل واعتنائه بعمارة الشوانى ولعبها فى البحر ونظره الى كثرة الخلائق بالروضة ورسم باقامة الخطبة فيه مع بقاء الخطبة بجامع القلعة لقوة بنيته فى عمارتها على ما كانت عليه فأقيمت الخطبة به فى سنة ستين وستمائة وولى خطابته أقضى القضاة جمال الدين بن الغفارى وكان ينوب بالجيزة فى الحكم ثم ناب فى الحكم بمصر عن قاضى القضاة وجيه الدين البهنسى وكان امامه فى حال عطلته من الخطبة فلما أقيمت فيه الخطبة أضيفت اليه الخطابة فيه مع الامامة * غين أحد خدام الخليفة الحاكم بأمر الله خلع عليه فى تاسع ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة وقلده سيفا وأعطاه سجلا قرئ فاذا فيه انه لقب بقائد القواد وأمر أن يكتب بذلك ويكاتب به وركب وبين يديه عشرة افراس بسروجها ولجمها وفى ذى القعدة من السنة المذكورة انفذ اليه الحاكم خمسة آلاف دينار وخمسة وعشرين فرسا بسروجها ولجمها وقلده الشرطتين والحسبة بالقاهرة ومصر والجيزة والنظر فى أمور الجميع وأموالهم وأحوالهم كلها وكتب له سجلا بذلك قرئ بالجامع العتيق فنزل الى الجامع ومعه سائر العسكر والخلع عليه وحمل على فرسين وكان فى سجله مراعاة أمر النبيذ وغيره من المسكرات وتتبع ذلك والتشديد فيه وفى المنع من عمل الفقاع وبيعه ومن اكل الملوخيا والسمك الذى لا قشر له والمنع من الملاهى كلها والتقدم بمنع النساء من حضور الجنائز والمنع من بيع العسل وأن لا يتجاوز فى بيعه اكثر من ثلاثة ارطال لمن لا يسبق اليه ظنه أن يتخذ منه مسكرا فاستمر ذلك الى غرة صفر سنة أربع وأربعمائة فصرف عن الشرطتين والحسبة بمظفر الصقلى فلما كان يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الآخر منها أمر بقطع يدى كاتبه أبى القاسم على بن أحمد الجرجانى فقطعتا جميعا وذلك انه كان يكتب عند السيدة الشريفة اخت الحاكم فانتقل من خدمتها الى خدمة غين خوفا على نفسه من خدمتها فسخطت لذلك فبعث اليها يستعطفها ويذكر فى رقعته شيأ وقفت عليه فارتابت منه فظنت أن ذلك حيلة عليها وانفذت الرقعة فى طى رقعتها الى الحاكم فلما وقف عليها اشتد غضبه وأمر بقطع يديه جميعا فقطعتا وقيل بل كان غين هو الذى يوصل رقاع عقيل صاحب الخبر الى الحاكم فى كل يوم

فيأخذها من عقيل وهي مختومة بخاتمه ويدفعها لكاتبه أبي القاسم الجرجاني حتى يخاوله وجه الحاكم فيأخذها حينئذ من كاتبه ويوقفه عليها وكان الجرجاني يفك الختم ويقرأ الرقاع فلما كان في يوم من الايام فك رقعة فوجد فيها طعنا على غبن أستاذه وقد ذكر فيها بسوء فقطع ذلك الموضع واصلحه وأعاد ختم الرقعة فبلغ ذلك عقيلا صاحب الخبر فبعث الى الحاكم يستأذنه في الاجتماع به خلوة في أمر مهم فأذن له وحدثه بالخبر فأمر حينئذ بقطع يدي الجرجاني فقطعتا ثم بعد قطع يديه بخمسة عشر يوما في ثالث جمادى الاولى قطعت يد غبن الاخرى وكان قد أمر بقطع يده قبل ذلك بثلاث سنين وشهر فصار مقطوع اليدين معا ولما قطعت يده حملت في طبق الى الحاكم فبعث اليه بالاطباء ووصله بألوف من الذهب وعدة من اسفاط ثياب وعاده جميع أهل الدولة فلما كان ثالث عشره أمر بقطع لسانه فقطع وحمل الى الحاكم فسير اليه الاطباء ومات بعد ذلك

(جامع الافرم)

قال ابن المتوج هذا الجامع بسفح الرصد عمره الامير عز الدين ايبك بن عبد الله المعروف بالافرم أمير جاندار الملكي الصالحي النجمي في شهور سنة ثلاث وستين وستمائة لما عمر المنظرة هنالك وعمر بجوارها رباطا للفقراء وقرر هم عدة تنعقد بهم الجمعة وقرر اقامتهم فيه ليلا ونهارا وقرر كفايتهم واعانتهم على الاقامة وعمر لهم هذا الجامع يستغنون به عن السعي الى غيره وذكر أن الافرم أيضا عمر مسجدا بجسر الشعيبية في شعبان سنة ثلاث وتسعين وستمائة جامعا هدم فيه عدة مساجد

(الجامع بمنشأة المهراني)

قال ابن المتوج والسبب في عمارة هذا الجامع أن القاضي الفاضل كان له بستان عظيم فيما بين ميدان اللوق وبستان الخشاب الذي اكله البحر وكان يمير مصر والقاهرة من ثماره وأعنابه ولم تزل الباعة ينادون على العنب رحم الله الفاضل يا عنب الى مدة سنين عديدة بعد أن اكله البحر وكان قد عمر الى جانبه جامعا وبنى حوله فسميت بمنشأة الفاضل وكان خطيبه أخا الفقيه موفق الدين بن المهدوي الديباجي العثماني وكان قد عمر بجواره دارا وبستانا وغرس فيه أشجارا حسنة ودفع اليه فيه ألف دينار مصرية في أول الدولة الظاهرية وكان الصرف قد بلغ في ذلك الوقت كل دينار ثمانية وعشرين درهما ونصف درهم نقرة فاستولى البحر على الجامع والدار والمنشأة وقطع جميع ذلك حتى لم يبق له اثر وكان خطيبه موفق الدين يسكن بجوار الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن حنا ويتردد اليه والى والده محيي الدين فوقف وضرع اليهما وقال اكون غلام هذا الباب ويخرب جامعي فرحمه الصاحب وقال السمع والطاعة يدبر الله ثم فكر في هذه البقعة التي فيها هذا الجامع الآن وكانت تعرف بالكوم الاحمر مرصدة لعمل اقمنة الطوب الآجرية سميت بالكوم الاحمر وكان الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن حنا قد عمر منظرة قبالة هذا الكوم وهي التي صارت دار ابن صاحب الموصل وكان فخر الدين كثير الاقامة فيها مدة الايام المعزية فقلق من دخان الاقنة التي على الكوم الاحمر وكذلك لوالده ولصهره الوزير شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي فأمر بتقويمه فقوم ما بين بستان الحلي وبحر النيل وابتاعه الصاحب بهاء الدين فلما مات ولده فخر الدين وتحدث مع الملك الظاهر بيبرس في عمارة جامع هنالك ملكه هذه القطعة من الارض فعمر السلطان بها هذا الجامع ووقف عليه بقية هذه الارض المذكورة في شهر رمضان سنة احدى وسبعين وستمائة وجعل النظر فيه لاولاده وذريته ثم من بعدهم لقاضي القضاة الحنفي وأول من خطب فيه الفقيه موفق الدين محمد بن أبي بكر المهدوي العثماني الديباجي الى أن توفي يوم الاربعاء ثالث عشر شوال سنة خمس وثمانين وستمائة وقد تعطلت اقامة الجمعة من هذا الجامع لخراب ما حوله وقلة الساكنين هنالك بعد أن كانت تلك الخطة في غاية العمارة وكان صاحبنا شمس الدين محمد بن الصاحب قد عزم على نقل هذا الجامع من مكانه فاخترمته المنية قبل ذلك

(جامع دير الطين)

قال ابن المتوج هذا الجامع بدير الطين في الجانب الشرقي عمره الصاحب تاج الدين بن الصاحب فخر الدين

ولد

ولدا الصاحب بهاء الدين المشهور بابن حنا فى المحرم سنة اثنتين وسبعين وستمائة وذلك انه لما عمر بستان المعشوق ومناظره وكثرت اقامته بها وبعد عليه الجامع وكان جامع دير الطين ضيقا لا يسع الناس فعمر هذا الجامع وعمر فوقه طبقة يصلى فيها ويعتكف اذا شاء ويخلو بنفسه فيها وكان ماء النيل فى زمنه يصل الى جدار هذا الجامع وولى خطابته للفقيه جمال الدين محمد ابن الماشطة ومنعه من لبس السواد لاداء الخطبة فاستمر الى حين وفاته فى عاشر رجب سنة تسع وسبعمائة وأول خطبة أقيمت فيه يوم الجمعة سابع صفر سنة اثنتين وسبعين وستمائة وقد ذكرت ترجمة الصاحب تاج الدين عند ذكر رباط الآثار من هذا الكتاب * (محمد بن على بن محمد بن سليم ابن حنا) أبو عبد الله الوزير الصاحب فخر الدين بن الوزير الصاحب بهاء الدين ولد فى سنة اثنتين وعشرين وستمائة وتزوج بابنة الوزير الصاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزى وناب عن والده فى الوزارة وولى ديوان الاحباس ووزارة الصحبة فى ايام الظاهر بيبرس وسمع الحديث بالقاهرة ودمشق وحدث وله شعر جيد ودرس بمدرسة أبيه الصاحب بهاء الدين التى كانت فى زقاق القناديل بمصر وكان محبا لاهل الخير والصلاح مؤثرا لهم متفقدا لاحوالهم وعمر رباطا حسنا بالقرافة الكبرى رتب فيه جماعة من الفقراء ومن غريب ما يتعظ به الاريب أن الوزير الصاحب زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع بن الزبير الذى كان بنو حنا يعادونه وعنه اخذوا الوزارة مات فى ثالث عشر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وستمائة بالسجن فأخرج كما تخرج الاموات الطرحاء على الطرقات من الغرباء ولم يشيع جنازته أحد من الناس مراعاة للصاحب بن حنا وكان فخر الدين هذا يتنزه فى أيام الربيع بمنية القائد وقد نصبت له الخيام وأقيمت المطابخ وبين يديه المطربون فدخل عليه البشير بموت الوزير يعقوب بن الزبير وانه أخرج الى المقابر من غير أن يشيع جنازته أحد من الناس فسر بذلك ولم يتمالك نفسه وأمر المطربين فغنوه ثم قام على رجليه ورقص هو وسائر من حضره وأظهر من الفرح والخلاعة ما خرج به عن الحد وخلع على البشير بموت المذكور خلعا سنية فلم يمض على ذلك سوى اقل من أربعة اشهر ومات فى حادى عشرى شعبان من السنة المذكورة ففجع به أبوه وكانت له جنازة عظيمة ولما دلى فى لحده قام شرف الدين محمد بن سعيد البوصيرى صاحب البردة فى ذلك الجمع الموفور بتربة ابن حنا من القرافة وانشد

نم هنيأ محمد بن على * بجميل قدمت بين يديكا
لم تزل عوننا على الدهر حتى * غلبتنا يد المنون عليكا
انت أحسنت فى الحياة الينا * أحسن الله فى الممات اليكا

فتباكى الناس وكان لها محل كبير ممن حضر رحمة الله عليهم اجمعين * وفى هذا الجامع يقول السراج الوراق

بنيتم على تقوى من الله مسجدا * وخير مبانى العابدين المساجد
فقل فى طراز معلم فوق بركة * على حسنها الزاهى لها البحر حاسد
لها حلل حسنى ولكن طرازها * من الجامع المعمور بالله واحد
هو الجامع الاحسان والحسن الذى * أقر له زيد وعمرو وخالد
وقد صافحت شهب الدجى شرفاته * فما هى بين الشهب الا فراقد
وقد أرشد الضلال عالى مناره * فلا جائر عنه ولا عنه حائد
ونالت نواقيس الديارات وجمة * وخوف فلم يمدد الى الهون ساعد
فتبكى عليهن البطاريق فى الدجى * وهن لديهم ملقيات كواسد
بذا قضت الايام ما بين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد

* (جامع الظاهر) *

هذا الجامع خارج القاهرة وكان موضعه ميدانا فأنشأه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى جامعا * قال جامع السيرة الظاهرية وفى ربيع الآخر يعنى سنة خمس وستين وستمائة اهتم السلطان بعمارة جامع بالحسينية وسير الاتابك فارس الدين اقطاى المستعرب والصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن حنا وجماعة من المهندسين لكشف مكان يليق أن يعمل جامعا فتوجهوا لذلك واتفقوا على مناخ الجمال السلطانية فقال السلطان

لا والله لا جعلت الجامع مكان الجمال وأولى ما جعلته ميدانى الذى ألعب فيه بالكرة وهو نزهتى فلما كان يوم الخميس ثامن شهر ربيع الآخر ركب السلطان وصحبته خواصه والوزير الصاحب بهاء الدين على بن حنا والقضاة ونزل الى ميدان قراقوش وتحدث فى أمره وقاسه ورتب أموره وأمور بنائه ورسم بأن يكون بقية الميدان وقفا على الجامع يحكر ورسم بين يديه هيئة الجامع وأشار أن يكون بابه مثل باب المدرسة الظاهرية وأن يكون على محرابه قبة على قدر قبة الشافعى رحمة الله عليه وكتب فى وقته الكتب الى البلاد باحضار عمد الرخام من سائر البلاد وكتب باحضار الجمال والجواميس والابقار والدواب من سائر الولايات وكتب باحضار الآلات من الحديد والاخشاب النقية برسم الابواب والسقوف وغيرها ثم توجه لزيارة الشيخ الصالح خضر بالمكان الذى أنشأه له وصلى الظهر هناك ثم توجه الى المدرسة بالقاهرة فدخلها والفقهاء والقراء على حالهم وجلس بينهم ثم تحدث وقال هذا مكان قد جعلته لله عز وجل وخرجت عنه وقفا لله اذا مت لا تدفنونى هنا ولا تغيروا معالم هذا المكان فقد خرجت عنه لله تعالى ثم قام من ايوان الحنفية وجلس بالمحراب فى ايوان الشافعية وتحدث وسمع القرآن والدعاء ورأى جميع الاماكن ودخل الى قاعة ولده الملك السعيد المبنية قريبا منها ثم ركب الى قلعة الجبل وولى عدة مشدين على عمارة الجامع وكان الى جانب الميدان قاعة ومنظرة عظيمة بناها السلطان الملك الظاهر فلما رسم ببناء الجامع طلبها الامير سيف الدين قشتمر العجمى من السلطان فقال الارض قد خرجت عنها لهذا الجامع فاستأجرها من ديوانه والبناء والاصناف وهبتك اياها وشرع فى العمارة فى منتصف جمادى الآخرة منها وفى أول جمادى الآخرة سنة ست وستين وستمائة سار السلطان من ديار مصر يريد بلاد الشام فنزل على مدينة يافا وتسلمها من الفرنج بأمان فى يوم الاربعاء العشرين من جمادى الآخرة المذكور وسير أهلها فتفرقوا فى البلاد وشرع فى هدمها وقسم أبراجها على الامراء فابتدأ فى ذلك من ثانى عشريه وقاسوا اشدة فى هدمها لحصانتها وقوة بنائها لاسيما القلعة فانها كانت حصينة عالية الارتفاع واها أساسات الى الارض الحقيقية وباشر السلطان الهدم بنفسه وبخواصه ومماليكه حتى غلمان البيوتات التى له وكان ابتداء هدم القلعة فى سابع عشريه ونقضت من أعلاها ونظفت زلاقتها واستمر الاجناد فى ذلك ليلا ونهارا وأخذ من أخشابها جملة ومن ألواح الرخام التى وجدت فيها ووسق منها مركبا من المراكب التى وجدت فى يافا وسيرها الى القاهرة ورسم بأن يعمل من ذلك الخشب مقصورة فى الجامع الظاهرى بالميدان من الحسينية والرخام يعمل بالمحراب فاستعمل كذلك ولما عاد السلطان الى مصر فى حادى عشرى ذى الحجة منها وقد فتح فى هذه السفرة يافا وطرابلس وانطاكية وغيرها أقام الى أن أهلت سنة سبع وستين وستمائة فلما كملت عمارة الجامع فى شوال منها ركب السلطان ونزل الى الجامع وشاهده فرآه فى غاية ما يكون من الحسن وأعجبه نجازه فى أقرب وقت ومدة مع علو الهمة فخلع على مباشريه وكان الذى تولى بناءه الصاحب بهاء الدين بن حنا والامير علم الدين سنجر السرورى متولى القاهرة وزار الشيخ خضرا وعاد الى قلعته وفى شوال منها تمت عمارة الجامع الظاهرى ورتب به خطيبا حنفى المذهب ووقف عليه حكر ما بقى من أرض الميدان ونزل السلطان اليه ورتب أوقافه ونظر فى أموره * (بيبرس) الملك الظاهر ركن الدين البندقدارى أحد المماليك البحرية الذين اختص بهم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن ايوب وأسكنهم قلعة الروضة كان أولا من مماليك الامير علاء الدين ايدكين البندقدارى فلما سخط عليه الملك الصالح أخذ مماليكه ومنهم الامير بيبرس هذا وذلك فى سنة أربع وأربعين وستمائة وقدمه على طائفة من الجدارية ومازال يترقى فى الخدم الى أن قتل المعز أيبك التركمانى الفارس اقطاى الجدار فى شعبان سنة اثنتين وخمسين وستمائة وكانت البحرية قد انحازت اليه فركبوا فى نحو السبعمائة فلما ألقيت اليهم رأس اقطاى تفرقوا واتفقوا على الخروج الى الشام وكانت أعيانهم يومئذ بيبرس البندقدارى وقلاون الالفى وسنقر الاشقر وبيسرى وترامق وتنكز فساروا الى الملك الناصر صاحب الشام ولم يزل بيبرس ببلاد الشام الى أن قتل المعز أيبك وقام من بعده ابنه المنصور على وقبض عليه نائبه الامير سيف الدين قطز وجلس على تخت المملكة وتلقب بالملك المظفر فقدم عليه بيبرس فأمره المظفر قطز ولما خرج قطز الى ملاقاة التتار وكان من نصرته عليهم ما كان ورحل الى دمشق فوشى اليه بأن الامير بيبرس قد تنكر له وتغير عليه وانه عازم على القيام بالحرب فأسرع قطز بالخروج من دمشق الى جهة مصر وهو مضمر لبيبرس السوء وعلم بذلك خواصه فبلغ ذلك بيبرس

فاستوحش

فاستوحش من قطز وأخذ كل منهما يحترس من الآخر على نفسه وينتظر الفرصة فبادر بيبرس وواعد الامير سيف الدين بلبان الرشيدى والامير سيف الدين بيدغان الركنى المعروف بسم الموت والامير سيف الدين بلبان الهارونى والامير بدر الدين أنص الاصبهانى فلما قربوا فى مسيرهم من القصير بين الصالحية والسعيدية عند القرين انحرف قطز عن الدرب للصيد فلما قضى منه وطره وعاد والامير بيبرس يسايره هو وأصحابه طلب بيبرس منه امرأة من سبى التتار فأنعم عليه بها فتقدم ليقبل يده وكانت اشارة بينه وبين أصحابه فعندما رأوا بيبرس قد قبض على يد السلطان المظفر قطز بادر الامير بكتوت الجوكندار وضربه بسيف على عاتقه أبانه واختطفه الامير انص وألقاه عن فرسه الى الارض ورماه بهادر المغربى بسهم فقتله وذلك يوم السبت خامس عشر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة ومضوا الى الدهليز للمشورة فوقع الاتفاق على الامير بيبرس فتقدم اليه اقطاى المستعرب الجدار المعروف بالاتابك وبايعه وحلف له ثم بقية الامراء وتلقب بالملك الظاهر وذلك بمنزلة القصير فلما تمت البيعة وحلف الامراء كلهم قال له الامير اقطاى المستعرب ياخوند لا يتم لك أمر الا بعد دخولك الى القاهرة وطلوعك الى القلعة فركب من وقته ومعه الامير قلاون والامير بلبان الرشيدى والامير بيليك الخازندار وجماعة يريدون قلعة الجبل فلقيهم فى طريقهم الامير عز الدين أيدمر الحلبى نائب الغيبة عن المظفر قطز وقد خرج لتلقيه فاخبروه بما جرى وحلفوه فتقدمهم الى القلعة ووقف على بابها حتى وصلوا فى الليل فدخلوا اليها وكانت القاهرة قد زينت لقدوم السلطان الملك المظفر قطز وفرح الناس بكسر التتار وعود السلطان فما راعهم وقد طلع النهار الا والمشاعلى ينادى معاشر الناس ترحموا على الملك المظفر وادعوا لسلطانكم الملك الظاهر بيبرس فدخل على الناس من ذلك غم شديد ووجل عظيم خوفا من عود البحرية الى ما كانوا عليه من الجور والفساد وظلم الناس * فأول ما بدأ به الظاهر أنه أبطل ما كان قطز أحدثه من المظالم عند سفره وهو تصقيع الاملاك وتقويمها وأخذ زكاة ثمنها فى كل سنة وجباية دينار من كل انسان وأخذ ثلث التركة الاهلية فبلغ ذلك فى السنة ستمائة ألف دينار وكتب بذلك مسموحا قرئ على المنابر فى صبيحة دخوله الى القلعة وهو يوم الاحد سادس عشر ذى القعدة المذكور وجلس بالايوان وحلف العساكر واستناب الامير بدر الدين بيليك الخازندار بالديار المصرية واستقر الامير فارس الدين اقطاى المستعرب أتابكا على عادته والامير جمال الدين أقوش النجيبى أستادارا والامير عز الدين أيبك الافرم الصالحى أمير جاندار والامير لاجين الدرفيل وبلبان الرومى دوادارية والامير بهاء الدين يعقوب الشهرزورى أمير اخور على عادته وبهاء الدين على بن حنا وزيرا والامير ركن الدين التاجى الركنى والامير سيف الدين بكجرى حاجبا ورسم باحضار البحرية الذين تفرقوا فى البلاد بطالين وسير الكتب الى الاقطار بما تجدد له من النعم ودعاهم الى الطاعة فأذعنوا له وانقادوا اليه وكان الامير علم الدين سنجر الحلبى نائب دمشق لما قتل قطز جمع الناس وحلفهم وتلقب بالملك المجاهد وثار علاء الدين الملقب بالملك السعيد بن صاحب الموصل فى حلب وظلم أهلها وأخذ منهم خمسين ألف دينار فقام عليه جماعة ومقدمهم الامير حسام الدين لاجين العزيزى وقبضوا عليه فسير الظاهر الى لاجين بنيابة حلب * فلما دخلت سنة تسع وخمسين قبض الظاهر على جماعة من الامراء المعزية منهم الامير سنجر الغتمى والامير بهادر المعزى والشجاع بكتوت ووصل الى السلطان الامام أبو العباس أحمد بن الخليفة الظاهر العباسى من بغداد فى تاسع رجب فتلقاه السلطان فى عساكره وبالغ فى اكرامه وأنزله بالقلعة وحضر سائر الامراء والمقدمين والقضاة وأهل العلم والمشايخ بقاعة الاعمدة من القلعة بين يدى أبى العباس فتأدب السلطان الظاهر ولم يجلس على مرتبة ولا فوق كرسى وحضر العربان الذين قدموا من العراق وخادم من طواشية بغداد وشهدوا بأن العباس أحمد ولد الخليفة الظاهر بن الخليفة الناصر وشهد معهم بالاستفاضة الامير جمال الدين يحيى نائب الحكم بمصر وعلم الدين بن رشيق وصدر الدين موهوب الجزرى ونجيب الدين الحرانى وسديد الزمنتى نائب الحكم بالقاهرة عند قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز الشافعى وأسجل على نفسه بثبوت نسب أبى العباس أحمد وهو قائم على قدميه ولقب بالامام المستنصر بالله وبايعه الظاهر على كتاب الله وسنة نبيه والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله وأخذ أموال الله بحقها وصرفها فى مستحقها فلما تمت البيعة قلد المستنصر بالله السلطان الملك الظاهر أمر البلاد الاسلامية وما سيفتحه الله على يديه من بلاد الكفار وبايع الناس المستنصر على طبقاتهم وكتب الى الاطراف

بأخذ البيعة له واقامة الخطبة باسمه على المنابر ونقشت السكة فى ديار مصر باسمه واسم الملك الظاهر معا * فلما كان يوم الجمعة سابع عشر رجب خطب الخليفة بالناس فى جامع القلعة وركب السلطان فى يوم الاثنين رابع شعبان الى خيمة ضربت له بالبستان الكبير ظاهر القاهرة وافيضت عليه الخلع الخليفية وهى جبة سوداء وعمامة بنفسجية وطوق من ذهب وقلد بسيف عربى وجلس مجلسا عاما حضره الخليفة والوزير وسائر القضاة والامراء والشهود وصعد القاضى فخر الدين بن لقمان كاتب السر منبرا نصب له وقرأ تقليد السلطان المملكة وهو بخطه من انشائه ثم ركب السلطان بالخلعة والطوق ودخل من باب النصر وشق القاهرة وقد زينت له وحمل الصاحب بهاء الدين بن حنا التقليد على رأسه قدام السلطان والامراء مشاة بين يديه وكان يوما مشهودا وأخذ السلطان فى تجهيز الخليفة ليسير الى بغداد فرتب له الطواشى بهاء الدين صندلا الصالحى شرابيا والامير سابق الدين بوزبا الصيرفى أتابكا والامير جعفرا أستادارا والامير فتح الدين بن الشهاب أحمد أمير جاندار والامير ناصر الدين بن صيرم خازندارا والامير سيف الدين بلبان الشمسى وفارس الدين أحمد بن أزدمر اليغمورى دوادارية والقاضى كمال الدين محمد السنجارى وزيرا وشرف الدين أبا حامد كاتبا وعين له خزانة وسلاحخاناه ومماليك عدتهم نحو الاربعين منهم سلاحدارية وجمدارية وزردكاشية ورمحدارية وجعل له طشطخاناه وفراشخاناه وشرابخاناه واماما ومؤذنا وسائر أرباب الوظائف واستخدم له خمسمائة فارس وكتب لمن قدم معه من العراق باقطاعات وأذن له فى الركوب والحركة حيث اختار وحضر الملك الصالح اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وأخوه الملك المجاهد سيف الدين اسحاق صاحب الجزيرة وأخوهما المظفر فأكرمهم السلطان وأقرهم على ما بأيديهم وكتب لهم تقاليد وجهزهم فى خدمة الخليفة وسار الخليفة فى سادس شوّال والسلطان فى خدمته الى دمشق فنزل السلطان فى القلعة ونزل الخليفة فى التربة الناصرية بجبل الصالحية وبلغت نفقة السلطان على الخليفة ألف ألف وستين ألف دينار وخرج من دمشق فى ثالث عشر ذى القعدة ومعه الامير بلبان الرشيدى والامير سنقر الرومى وطائفة من العسكر وأوصاهما السلطان أن يكونا فى خدمة الخليفة حتى يصل الى الفرات فاذا عبر الفرات أقاما بمن معهما من العسكر بالبرّ الغربى من جهات حلب لانتظار ما يتجدد من أمر الخليفة بحيث ان احتاج اليهم ساروا اليه فسار الى الرحبة وتركه أولاد صاحب الموصل وانصرفوا الى بلادهم وسار الى مشهد على فوجد الامام الحاكم بأمر الله قد جمع سبعمائة فارس من التركمان وهو على عانة ففارقه التركمان وصار الحاكم الى المستنصر طائعا له فأكرمه وأنزله معه وسارا الى عانة ورحلا الى الحديثة وخرجا منها الى هيت وكانت له حروب مع التتار فى ثالث محرّم سنة ستين وستمائة قتل فيها اكثر أصحابه وفرّ الحاكم وجماعة من الاجناد وفقد المستنصر فلم يوقف له على خبر فحضر الحاكم الى قلعة الجبل وبايعه السلطان والناس واستقر بديار مصر فى مناظر الكبش وهو جدّ الخلفاء الموجودين اليوم * وفى سنة ست وستين قرّر الظاهر بديار مصر أربعة قضاة وهم شافعى ومالكى وحنفى وحنبلى فاستمرّ الامر على ذلك الى اليوم وحدث غلاء شديد بمصر وعدمت الغلة فجمع السلطان الفقراء وعدّهم وأخذ لنفسه خمسمائة فقير يمونهم ولابنه السعيد بركة خان خمسمائة فقير وللنائب بيليك الخازندار ثلثمائة فقير وفرّق الباقى على سائر الامراء ورسم لكل انسان فى اليوم برطلى خبز فلم ير بعد ذلك فى البلد أحد من الفقراء يسأل * وفى ثالث شوّال سنة اثنتين وستين أركب السلطان ابنه السعيد بركة بشعار السلطنة ومشى قدّامه وشق القاهرة والكل مشاة بين يديه من باب النصر الى قلعة الجبل وزينت البلد وفيها رتب السلطان لعب القبق بميدان العيد خارج باب النصر وختن الملك السعيد ومعه ألف وستمائة وخمسة وأربعون صبيا من أولاد الناس سوى أولاد الامراء والاجناد وأمر لكل صغير منهم بكسوة على قدره ومائة درهم ورأس من الغنم فكان مهما عظيما وأبطل ضمان المزر وجهاته وأمر بحرق النصارى فى سنة ثلاث وستين فتشفع فيهم على أن يحملوا خمسين ألف دينار فتركوا * وفى سنة أربع وستين افتتح قلعة صفد وجهز العساكر الى سيس ومقدّمهم الامير قلاون الالفى فحصر مدينة اياس وعدّة قلاع * وفى سنة خمس وستين أبطل ضمان الحشيش من ديار مصر وفتح يافا والشقيف وانطاكية * وفى سنة سبع وستين حج فسار على غزة الى الكرك ومنها الى المدينة النبوية وغسل الكعبة بماء الورد بيده ورجع الى دمشق فأراق جميع الخمور وقدم الى مصر فى سنة ثمان وستين * وفى

سنه

سنة سبعين خرج الى دمشق * وفى سنة احدى وسبعين خرج من دمشق سائقا الى مصر ومعه بيسرى واقوش الرومى وجرسك الخازندار وسنقر الالفى فوصل الى قلعة الجبل وعاد الى دمشق فكانت مدة غيبته أحد عشر يوما ولم يعلم بغيبته من فى دمشق حتى حضر ثم خرج سائقا من دمشق يريد كبس التتار نخاض الفرات وقدامه قلاون وبيسرى وأوقع بالتتار على حين غفلة وقتل منهم شيأ كثيرا وساق خلفهم بيسرى الى سروج وتسلم السلطان البيرة * ووقع بمصر فى سنة اثنتين وسبعين وباء هلك به خلق كثير * وفى سنة ثلاث وسبعين غزا السلطان سيس وافتتح قلاعا عديدة * وفى سنة أربع وسبعين تزوج السعيد بن السلطان بابنة الامير قلاون وخرج العسكر الى بلاد النوبة فواقع ملكهم وقتل منهم كثيرا وفر باقيهم * وفى سنة خمس وسبعين سار السلطان لحرب التتار فواقعهم على الابلستين وقد انضم اليهم الروم فانهزموا وقتل منهم كثير وتسلم السلطان قيسارية ونزل فيها بدار السلطان ثم خرج الى دمشق فوعك بها من اسهال وحمى مات منها يوم الخميس تاسع عشرى محرم سنة ست وسبعين وستمائة وعمره نحو من سبع وخمسين سنة ومدة ملكه سبع عشرة سنة وشهران * وكان ملكا جليلا عسوفا عجولا كثير المصادرات لرعيته ودواوينه سريع الحركة فارسا مقداما وترك من الذكور ثلاثة السعيد محمد بركة خان وملك بعده وسلامش وملك أيضا والمسعود خضر ومن البنات سبع بنات وكان طويلا مليح الشكل وفتح الله على يديه مما كان مع الفرنج قيسارية وارسوف وصفد وطبرية ويافا والشقيف وانطاكية وبقراص والقصير وحصن الاكراد والقرين وحصن عكا وصافيتا ومرقية وحلبا وناصف الفرنج على المرقب وبانياس وانطرسوس وأخذ من صاحب سيس دربساك ودركوس وتلميش وكفردين ورعبان ومرزبان وكينوك وأدنة والمصيصة وصار اليه من البلاد التى كانت مع المسلمين دمشق وبعلبك وعجلون وبصرى وصرخد والصلت وحمص وتدمر والرحبة وتل ناشر وصهيون وبلاطنس وقلعة الكهف والقدموس والعليقة والخوانى والرصافة ومصياف والقليعة والكرك والشوبك وفتح بلاد النوبة وبرقة وعمر الحرم النبوى وقبة الصخرة ببيت المقدس وزاد فى أوقاف الخليل عليه السلام وعمر قناطر شبرامنت بالجيزة وسور الاسكندرية ومنار رشيد وردم فم بحر دمياط ووعر طريقه وعمر الشوانى وعمر قلعة دمشق وقلعة الصبيبة وقلعة بعلبك وقلعة الصلت وقلعة صرخد وقلعة عجلون وقلعة بصرى وقلعة شيزر وقلعة حمص وعمر المدرسة بين القصرين بالقاهرة والجامع الكبير بالحسينية خارج القاهرة وحفر خليج الاسكندرية القديم وباشره بنفسه وعمر هناك قرية سماها الظاهرية وحفر بحر أشموم طناح على يد الامير بلبان الرشيدى وجدد الجامع الازهر بالقاهرة وأعاد اليه الخطبة وعمر بلد السعيدية من الشرقية بديار مصر وعمر القصر الابلق بدمشق وغير ذلك * ولما مات كتم موته الامير بدر الدين بيليك الخازندار عن العسكر وجعله فى تابوت وعلقه ببيت من قلعة دمشق واظهر أنه مريض ورتب الاطباء يحضرون على العادة وأخذ العساكر والخزائن ومعه محفة محمولة فى الموكب محترمة وأوهم الناس أن السلطان فيها وهو مريض فلم يجسر أحد أن يتفوه بموت السلطان وسار الى أن وصل الى قلعة الجبل بمصر وأشيع موته رحمه الله تعالى

(جامع ابن اللبان)

هذا الجامع بجسر الشعيبية المعروف بجسر الافرم عمره الامير عز الدين أيبك الافرم فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة * قال ابن المتوج وكان سبب عمارته انه لما كثرت الخلائق فى خطة هذا الجامع قصد الافرم أن يجعل خطبة فى المسجد المعروف بمسجد الجلالة الذى ببركة الشقاف ظاهر سور الفسطاط المستجد وأن يزيد فيه ويعمره كما يختار فمنعه الفقيه مؤتمن الدين الحارث بن مسكين ورده عن غرضه فحسن له الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن حنا عمارة هذا الجامع فى هذه البقعة لقربه منه فعمره فى شعبان سنة ثلاث وتسعين وستمائة لكنه هدم بسببه عدة مساجد وعرف هذا الجامع فى زمننا هذا بالشيخ محمد بن اللبان الشافعى لاقامته فيه وأدركناه عامرا وقد انقطعت منه فى هذه المحن اقامة الجمعة والجماعة لخراب ما حوله وبعد البحر عنه

*(الجامع الطيبرسى)

هذا الجامع عمره الامير علاء الدين طيبرس الخازندار نقيب الجيوش بشاطئ النيل فى أرض بستان الخشاب وعمر بجواره خانقاه فى جمادى الاولى سنة سبع وسبعمائة وكان من أحسن منتزهات مصر واعمرها وقد خرب ما حوله من الحوادث والمحن التى بعد سنة ست وثمانمائة بعدما كانت العمارة منه متصلة الى الجامع الجديد بمصر ومنه الى الجامع الخطيرى ببولاق ويركب الناس المراكب للفرجة من هذا الجامع الى الجامعين المذكورين مصعدين ومنحدرين فى النيل ويجتمع بهذا الجامع الناس للنزهة فتمر به أوقات ومسرات لا يمكن وصفها وقد خرب هذا الجامع وأقفر من المساكن وصار مخوفا بعدما كان ملهى وملعبا سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولطيبرس هذا المدرسة الطيبرسية بجوار الجامع الازهر من القاهرة

(الجامع الجديد الناصرى)

هذا الجامع بشاطئ النيل من ساحل مصر الجديد عمره القاضى فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش باسم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون وكان الشروع فيه يوم التاسع من المحرم سنة احدى عشرة وسبعمائة وانتهت عمارته فى ثامن صفر سنة اثنتى عشرة وسبعمائة وأقيم فى خطابته قاضى القضاة بدر الدين محمد بن ابراهيم بن جماعة الشافعى ورتب فى امامته الفقيه تاج الدين بن مرهف فأول ما صلى فيه صلاة الظهر من يوم الخميس ثامن صفر المذكور وأقيمت فيه الجمعة يوم الجمعة تاسع صفر وخطب عن قاضى القضاة بدر الدين ابنه جمال الدين ولهذا الجامع أربعة أبواب وفيه مائة وسبعة وثلاثون عمودا منها عشرة من صوّان فى غاية السمك والطول وجملة ذرعه أحد عشر ألف ذراع وخمسمائة ذراع بذراع العمل من ذلك طوله من قبليه الى بحريه مائة وعشرون ذراعا وعرضه من شرقيه الى غربيه مائة ذراع وفيه ستة عشر شباكا من حديد وهو يشرف من قبليه على بستان العالمة وينظر من بحريه بحر النيل وكان موضع هذا الجامع فى القديم غامرا بماء النيل ثم انحسر عنه النيل وصار رملة فى زمن الملك الصالح نجم الدين أيوب يمرغ الناس فيها دوابهم أيام احتراق النيل فلما عمر الملك الصالح قلعة الروضة وحفر البحر طرح الرمل فى هذا الموضع فشرع الناس فى العمارة على الساحل وكان موضع هذا الجامع شونة وقد ذكر خبر ذلك عند ذكر الساحل الجديد بمصر فانظره ومابرح هذا الجامع من أحسن منتزهات مصر الى أن خرب ما حوله وفيه الى الآن بقية وهو عامر *(محمد بن قلاون)* السلطان الملك الناصر أبو الفتح ناصر الدين بن الملك المنصور كان يلقب بجرفوش وأمه أشلون ابنة شنكاى ولد يوم السبت النصف من المحرم سنة أربع وثمانين وستمائة بقلعة الجبل من ديار مصر وولى الملك ثلاث مرات الاولى بعد مقتل أخيه الملك الاشرف خليل بن قلاون فى رابع عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة وعمره تسع سنين تنقص يوما واحدا فأقام فى الملك سنة الا ثلاثة أيام وخلع بمملوك أبيه كتبغا المنصورى يوم الاربعاء حادى عشر المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة وأعيد الى المملكة ثانيا بعد قتل الملك المنصور لاجين يوم الاثنين سادس جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وستمائة فأقام عشر سنين وخمسة اشهر وستة عشر يوما وعزل نفسه وسار الى الكرك فولى الملك من بعده الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وتلقب بالملك المظفر فى يوم السبت ثالث عشرى شوّال سنة ثمان وسبعمائة ثم حضر من الكرك الى الشام وجمع العساكر فخامر على بيبرس معظم جيش مصر وانحل امره فترك الملك فى يوم الثلاثاء سادس عشر شهر رمضان سنة تسع وسبعمائة وطلع الملك الناصر الى قلعة الجبل يوم عيد الفطر من السنة المذكورة واستولى على ممالك مصر والشام والحجاز فأقام فى الملك من غير منازع له فيه الى أن مات بقلعة الجبل فى ليلة الخميس الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة احدى وأربعين وسبعمائة وعمره سبع وخمسون سنة وأحد عشر شهرا وخمسة أيام وله فى ولايته الثالثة مدة اثنتين وثلاثين سنة وشهرين وعشرين يوما وجملة اقامته فى الملك عن المدد الثلاث ثلاث وأربعون سنة وثمانية اشهر وتسعة أيام ولما مات ترك ليلته ومن الغد حتى تم الامر لابنه أبى بكر المنصور فى يوم الخميس المذكور ثم أخذ فى جهازه فوضع فى محفة بعد العشاء الآخرة بساعة وحمل على بغلين وأنزل من القلعة الى الاصطبل السلطانى وسار به الامير ركن الدين بيبرس الاحمدى أمير جاندار والامير نجم الدين أيوب والى القاهرة والامير قطلوبغا الذهبى وعلم دار خوطا جار الدوادار وعبروا به الى القاهرة من باب النصر وقد غلقت الحوانيت كلها ومنع الناس من

الوقوف للنظر اليه وقدام المحفة شمعة واحدة فى يد علمدار فلما داخلوا به من باب النصر كان قدامه مسرجة
فى يد شاب وشمعة واحدة وعبروا به المدرسة المنصورية بين القصرين ليدفن عند أبيه الملك المنصور قلاون وكان
الامير علم الدين سنجر الجاولى ناظر المارستان قد جلس ومعه القضاة الاربعة وشيخ الشيوخ ركن الدين شيخ خانقاه
سرياقوس والشيخ ركن الدين عمر ابن الشيخ ابراهيم الجعبرى فحطت المحفة وأخرج منها فوضع بجانب الفسقية
التى بالقبة وأمر ابن أبى الظاهر مغسل الاموات بتغسيله فقال هذا ملك ولا أنفرد بتغسيله الا أن يقوم أحد منكم
ويجرده على الدكة فانى أخشى أن يقال كان معه فص أو خاتم أو فى عنقه خرزة فقام قطلوبغا الذهبى وعلمدار
وجرداه مع الغاسل من ثيابه فكان على رأسه قبع أبيض من قطن ثيابه وعلى بدنه بغلطاق صدر أبيض وسراويل
فنزعا وترك القميص عليه وغسل به ووجد فى رجله الموجوعة بخشان مفتوحان فغسل من فوق القميص وكفن
فى نصفية وعملت له أخرى طراحة ومخدة ووضع فى تابوت من خشب وصلى عليه قاضى القضاة عز الدين عبد
العزيز بن محمد بن جماعة الشافعى بمن حضر وأنزل الى قبر أبيه فى سحلية من خشب قد ربطت بحبل ونزل معه
الى القبر الغاسل والامير سنجر الجاولى ودفع الى الغاسل ثلثمائة درهم فباع ما نابه من الثياب بثلاثة عشر
درهما سوى القبع فانه فقد وذكر الغاسل انه كان محنكا بخرقة معقدة بثلاث عقد فسبحان من لا يحول ولا يزول
هذا ملك اعظم المعمور من الارض مات غريبا وغسل طريحا ودفن وحيدا ان فى ذلك لعبرة لاولى الالباب *
(وفى ليلة السبت) قرأ القراء عند القبر بالقبة القرآن وحضر بعض الامراء وترك من الاولاد اثنى عشر ولدا
ذكرا وهم أحمد وهو أسنهم وكان بالكرك وأبو بكر وتسلطن من بعده وشقيقه رمضان ويوسف واسماعيل
وتسلطن أيضا وشعبان وتسلطن وحسين وبكك وتسلطن وأمير حاج وحسن وبدعى قارى وتسلطن وصالح
وتسلطن ومحمد وترك من البنات ثمانيا متزوجات سوى من خلف من الصغار وخلف من الزوجات جاريته طغاى
وابنة الامير تنكز نائب الشام ومات وليس له نائب بديار مصر ولا وزير ولا حاجب متصرف سوى أن برسبغا
الحاجب تحكم فى متعلقات أمور الاقطاعات وليس معه عصا الجوبية وبدر الدين بكتاش نقيب الجيوش
وأقبغا عبد الواحد أستادار السلطان ومقدم المماليك وبيبرس الاحمدى أمير جاندار ونجم الدين أيوب والى
القاهرة وجمال الدين جمال الكفاه ناظر الجيوش والموفق ناظر الدولة وصارم الدين أزبك شاد الدواوين
وعز الدين عبد العزيز بن جماعة قاضى القضاة بديار مصر ونائب دمشق الامير ألطنبغا ونائب الامير ٢
طشتمر حمص أخضر ونائب طرابلس الحاج ارقطاى ونائب صفد الامير أصلم ونائب غزة الامير اق سنقر السلارى
وصاحب حماه الملك الافضل ناصر الدين محمد بن المؤيد اسماعيل والامراء مقدموا الالوف بديار مصر يوم
وفاته خمسة وعشرون أميرا وهم بدر الدين جنكلى بن البابا والحاج آل ملك وبيبرس الاحمدى وعلم الدين سنجر
الجاولى وسيف الدين كوكاى ونجم الدين محمود وزير بغداد هؤلاء برانية كبار والباقى مماليكه وخواصه وهم ولده
الامير أبو بكر والامير قوصون والامير بشتاك وطقزدمر وأقبغا عبد الواحد الاستادار وايدغمش أمير اخور
وقطلوبغا الفخرى ويلبغا اليحياوى وملكتمر الحجازى وألطنبغا المارداني وبهادر الناصرى واق سنقر
الناصرى وقمارى الكبير وقمارى أمير شكار وطرغاى وأرنبغا أمير جاندار وبرسبغا الحاجب وبلدغى
ابن العجوز أمير سلاح وبيغرا * وكان السلطان أبيض اللون قد وخطه الشيب وفى عينيه حول وبرجله اليمنى ريح
شوكة تنغص عليه أحيانا وتؤلمه وكان لا يكاد يمس بها الارض ولا يمشى الا متكئا على أحد أو متوكئا على شئ
ولا يصل الى الارض الا أطراف أصابعه وكان شديد البأس جيد الرأى يتولى الامور بنفسه ويجود لخواصه وكان
مهابا عند أهل مملكته بحيث ان الامراء اذا كانوا عنده بالخدمة لا يجسر أحد أن يكلم آخر كلمة واحدة ولا يلتفت
بعضهم الى بعض خوفا منه ولا يمكن واحدا منهم أن يذهب الى بيت أحد البتة لا فى وليمة ولا غيرها فان فعل
أحد منهم شيأ من ذلك قبض عليه وأخرجه من يومه منفيا وكان مسددا عارفا بأمور رعيته وأحوال مملكته
وأبطل نيابة السلطنة من ديار مصر من سنة سبع وعشرين وسبعمائة وأبطل الوزارة وصار يتحدث بنفسه
فى الجليل من الامور والحقير ويستجلب خاطر كل أحد من صغير وكبير لاسيما حواشيه فلذلك عظمت حاشية
المملكة وأتباع السلطنة وتخولوا فى النعم الجزيلة حتى الخولة والكلابزية والاسرى من الارمن والفرنج
وأعطى البازدارية الاخباز فى الحلقة فمنهم من كان اقطاعه الالف دينار فى السنة وزوج عدة منهم بجواريه وأفنى

خلقا كثيرا من الامراء بلغ عددهم نحو المائتى أمير وكان اذا كبر أحد من أمرائه قبض عليه وسلبه نعمته
وأقام بدله صغيرا من مماليكه الى أن يكبر فيمسكه ويقيم غيره ليأمن بذلك شرّهم وكان كثير التخيل حازما حتى انه
اذا تخيل من ابنه قتله وفى آخر أيامه شره فى جمع المال فصادر كثيرا من الدواوين والولاة وغيرهم ورمى البضائع
على التجار حتى خاف كل من له مال وكان مخادعا كثير الحيل لا يقف عند قول ولا يوف بعهد ولا يبرّ فى يمين
وكان محبا للعمارة عمر عدّة أماكن منها جامع قلعة الجبل وهدمه مرّتين وعمر القصر الابلق بالقلعة ومعظم
الاماكن التى بالقلعة وعمر المجرى الذى ينقل الماء عليه من بحر النيل الى القلعة على السور وعمر الميدان تحت
القلعة ومناظر الميدان على النيل وعمر قناطر السباع على الخليج ومناظر سرياقوس والخانقاه بسرياقوس وحفر
الخليج الناصرى بظاهر القاهرة وعمر الجامع الجديد على شاطئ النيل بظاهر مصر وجدّد جامع الفيلة الذى
بالرصد والمدرسة الناصرية بين القصرين من القاهرة وغير ذلك مما يرد فى موضعه من هذا الكتاب ومازال
يعمر منذ عاد الى ولاية الملك فى المرّة الثالثة الى أن مات وبلغ مصروف العمارة فى كل يوم من أيامه سبعة
آلاف درهم فضة عنها ثلثمائة وخمسون دينارا سوى من يسخره من المقيدين وغيرهم فى عمل ما يعمره وحفر عدّة
من الخلجانات والترع وأقام الجسور بالبلاد حتى انه كان ينصرف من الاخباز على ذلك ربع متحصل
الاقطاعات وحفر خليج الاسكندرية وبحر المحلة مرّتين وبحر اللبينى بالجيزة وعمل جسر شيبين وعمل جسر
احباس بالشرقية والقليوبية مدّة ثلاث سنين متوالية فلم ينجع فأنشأ بنيانا بالطوب والجير وأنفق فيه أموالا
عظيمة وراك ديار مصر وبلاد الشام وعرض الجيش بعد حضوره فى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة وقطع
ثمانمائة من الجند ثم قطع فى مرّة أخرى ثلاثة وأربعين جنديا فى سنة احدى وأربعين وسبعمائة ثم قطع
خمسة وستين أيضا فى رمضان سنة احدى وأربعين وسبعمائة قبل وفاته بشهرين وفتح من البلاد جزيرة أرواد
٢ فى سنة اثنتين وسبعمائة وفتح ملطية فى سنة خمس عشرة وسبعمائة وفتح أياس فى ربيع الاول سنة ثلاث
وعشرين وسبعمائة وخربها ثم عمرها الارمن فأرسل اليها جيشا فأخذها ومعها عدّة بلاد من بلاد الارمن
فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وأقام بها نائبا من أمراء حلب وعمر قلعة جعبر بعد أن دثرت وضربت
السكة باسمه فى شوّال سنة احدى وأربعين وسبعمائة قبل موته تولى ذلك الشيخ حسن بن حسين
٢ بحضور الامير شهاب الدين أحمد قريب السلطان وقد توجه من مصر بهذا السبب وخطب له أيضا فى أرتنا ببلاد
الروم وضربت السكة باسمه وكذلك بلاد ابن قرمان وجبال الاكراد وكثير من بلاد الشرق وكان من
الذكاء المفرط على جانب عظيم يعرف مماليك أبيه ومماليك الامراء بأسمائهم ووقائعهم وله معرفة تامّة بالخيل
وقيمها مع الحشمة والسيادة لم يعرف عنه قط انه شتم أحدا من خلق الله ولا سفه عليه ولا كلمه بكلمة سيئة وكان
يدعو الامراء أرباب الاشغال بألقابهم وكانت همته علية وسياسته جيدة وحرمته عظيمة الى الغاية
ومعرفته بمهادنة الملوك لا مرمى وراءها يبذل فى ذلك من الاموال مالا يوصف كثرة فكان كتابه ينفذ أمره فى سائر
أقطار الارض كلها وهو مع ماذكرنا مؤيد فى كل أموره مظفر فى جميع أحواله مسعود فى سائر حركاته
ما عانده أحد او أضمر له سوأ الا وندم على ذلك او هلك واشتهر فى حياته بديار مصر انه ان وقعت قطرة من دمه
على الارض لا يطلع نيل مصر مدّة سبع سنين فمتعه الله من الدنيا بالسعادة العظيمة فى المدّة الطويلة مع كثرة
الطمأنينة والامن وسعة الاموال واقتنى كل حسن ومستحسن من الخيل والغلمان والجوارى وساعده الوقت
فى كل ما يحب ويختار الى أن أتاه الموت

الجامع بالمشهد النفيسى *

قال ابن المتوج هذا الجامع أمر بانشائه الملك الناصر محمد بن قلاون فعمر فى شهور سنة أربع عشرة وسبعمائة
وولى خطابته علاء الدين محمد بن نصر الله بن الجوهرى شاهد الخزانة السلطانية وأوّل خطبته فيه يوم الجمعة
ثامن صفر من السنة المذكورة وحضر أمير المؤمنين المستكفى بالله أبو الربيع سليمان وولده وابن عمه والامير
كهرداش متولى شدّ العمائر السلطانية وعمارة هذا الجامع ورواقاته والفسقية المستجدّة وقيل ان جميع
المصروف على هذا الجامع من حاصل المشهد النفيسى ومايدخل اليه من النذور ومن الفتوح

* (جامع الامير حسين) *

هذا الجامع كان موضعه بستانا بجوار غيط العدة أنشأه الامير حسين بن أبي بكر بن اسماعيل بن حيدر بك مشرف الرومي قدم مع أبيه من بلاد الروم الى ديار مصر في سنة خمس وسبعين وستمائة وتخصص بالامير حسام الدين لاجين المنصوري قبل سلطنته فكانت له منه مكانة مكينة وصار أمير شكار وكان فيه بر وله صدقة وعنده تفقد لاصحابه وأنشأ أيضا القنطرة المعروفة بقنطرة الامير حسين على خليج القاهرة وفتح الخوخة في سور القاهرة بجوار الوزيرية وجرى عليه من أجل فتحها ما قد ذكر عند ذكرها في الخوخ من هذا الكتاب وتوفى في سابع المحرم سنة تسع وعشرين وسبعمائة ودفن بهذا الجامع

(جامع الماس)

هذا الجامع بالشارع خارج باب زويلة بناه الامير سيف الدين الماس الحاجب وكمل في سنة ثلاثين وسبعمائة وكان الماس هذا أحد مماليك السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون فرقاه الى أن صار من أكبر الامراء ولما أخرج الامير أرغون الى نيابة حلب وبقي منصب النيابة شاغرا عظمت منزلة الماس وصار في منزلة النيابة الا انه لم يسم بالنائب ويركب الامراء الاكابر والاصاغر في خدمته ويجلس في باب القلة من قلعة الجبل في منزلة النائب والحجاب وقوف بين يديه ومابرح على ذلك حتى توجه السلطان الى الحجاز في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة فتركه في القلعة هو والامير جمال الدين أقوش نائب الكرك والامير أقبغا عبد الواحد والامير طشتمر حمص اخضر هؤلاء الاربعة لاغير وبقية الامراء امامعه في الحجاز وامافي اقطاعاتهم وأمرهم أن لايدخلوا القاهرة حتى يحضر من الحجاز فلما قدم من الحجاز نقم عليه وأمسكه في صفر سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وكان لغضب السلطان عليه أسباب منها انه لما اقام في غيبة السلطان بالقلعة كان يراسل الامير جمال الدين أقوش نائب الكرك ويوادده وبدت منه في مدة الغيبة أمور فاحشة من معاشرة الشباب ومن كلام في حق السلطان فوشى به أقبغا وكان مع ذلك قد كثر ماله وزادت سعادته فهوى شابا من أبناء الحسينية يعرف بعمير وكان ينزل اليه ويجمع الاوباتية ويحضر الشباب ويشرب فحرك ذلك عليه ما كان ساكنا ويقال ان السلطان لما مات الامير بكتمر الساقي وجد في تركته جزدان فيه جواب الماس الى بكتمر الساقي انني حافظ القلعة الى أن يرد على منك ما أعتمده فلما وقف السلطان على ذلك أمر النشو بن هلال الدولة وشاهد الخزانة بايقاع الحوطة على موجوده فوجد له ستمائة ألف درهم فضة ومائة ألف درهم فلوسا وأربعة آلاف دينار ذهبا وثلاثين حياصة ذهبا كاملة بكلفتاتها وخلعها وجواهر وتحفا وأقام الماس عند أقبغا عبد الواحد ثلاثة أيام وقتل خنقا بمحبسه في الثاني عشر من صفر سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وحمل من القلعة الى جامعه فدفن به وأخذ جميع ما كان في داره من الرخام فقلع منها وكان رخاما فاخرا الى الغاية وكان اسمر طوالا اعجميا لا يفهم شيأ بالعربي ساذجا يجلس في بيته فوق لباد على ما اعتاده وبهذا الجامع رخام كثير نقله من جزائر البحر وبلاد الشام والروم

(جامع قوصون)

هذا الجامع بالشارع خارج باب زويلة ابتدأ عمارته الامير قوصون في سنة ثلاثين وسبعمائة وكان موضعه دارا بجوار حارة المصامدة من جانبها الغربي تعرف بدار أقوش نميله ثم عرفت بدار الامير جمال الدين قتال السبع الموصلي فأخذها من ولده وهدمها وتولى بناءه شاد العمائر واستعمل فيه الاسرى وكان قد حضر من بلاد توريز بناء فبنى مئذنتي هذا الجامع على مثال المئذنة التي عملها خواجا على شاه وزير السلطان أبي سعيد في جامعه بمدينة توريز وأول خطبة أقيمت فيه يوم الجمعة من شهر رمضان سنة ثلاثين وسبعمائة وخطب يومئذ قاضي القضاة جلال الدين القزويني بحضور السلطان ولما انقضت صلاة الجمعة أركبه الملك الناصر بغلة بخلعة سنية ثم منعه السلطان الملك الناصر أن يستقر في خطابته فولى فخر الدين شكر * (قوصون) الامير الكبير سيف الدين حضر من بلاد بركة الى مصر صحبة خوند ابنة ازبك امرأة الملك الناصر محمد بن قلاون في ثالث عشري ربيع الآخر سنة عشرين وسبعمائة ومعه قليل عصي وطسما ونحو ذلك مما قيمته خمسمائة درهم ليتجر فيه فطاف بذلك في أسواق القاهرة وتحت القلعة وفي داخل قلعة الجبل فاتفق في بعض الايام انه دخل الى الاصطبل السلطاني ليبيع مامعه فأحبه بعض الاوشاقية وكان صبيا جميلا طويلا له من العمر ما يقارب

الثمانى عشرة سنة فصار يتردّد الى الاوشاقى الى أن رآه السلطان فوقع منه بموقع فسأل عنه فعرّف بأنه يحضر لبيع ما معه وان بعض الاوشاقية تولع به فأمر باحضاره اليه وابتاع منه نفسه ليصير من جملة المماليك السلطانية فنزله من جملة السقاة وشغف به وأحبه حبا كثيرا فأسلمه للامير بكتمر الساقى وجعله أمير عشرة ثم أعطاه امرة طبلخاناه ثم جعله أمير مائة مقدم ألف ورقاه حتى بلغه أعلى المراتب فأرسل الى البلاد وأحضر اخوته سوسون وغيره من أقاربه وامر الجميع واختص به السلطان بحيث لم ينل أحد عنده ما ناله وزوّجه بابنته وتزوّج السلطان أخته فلما احتضر السلطان جعله وصيا على أولاده وعهد لابنه أبى بكر فأقيم فى الملك من بعده وأخذ قوصون فى أسباب السلطنة وخلع أبا بكر المنصور بعد شهرين وأخرجه الى مدينة قوص ببلاد الصعيد ثم قتله وأقام كجك ابن السلطان وله من العمر خمس سنين ولقبه بالملك الاشرف وتقلد نيابة السلطنة بديار مصر فأمّر من حاشيته وأقاربه ستين أميرا وأكثر من العطاء وبذل الاموال والانعام فصار أمر الدولة كله بيده هذا وأحمد ابن السلطان الملك الناصر مقيم بمدينة الكرك فخافه قوصون وأخذ فى التدبير عليه فلم يتم له ما أراد من ذلك وحرّك على نفسه ما كان ساكنا فطلب أحمد الملك لنفسه وكاتب الامراء والنوّاب بالمملكة الشامية والمصرية فأذعنوا اليه وكان بمصر من الامراء الامير أيدغمش والامير آل ملك وقارى والماردانى وغيرهم فتخيل قوصون منهم وأخذ فى أسباب القبض عليهم فعلموا بذلك وخافوا الفوت فركبوا لحربه وحصروه بقلعة الجبل حتى قبضوا عليه فى ليلة الاربعاء آخر شهر رجب سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ونهبت داره وسائر دور حواشيه وأسبابه وحمل الى الاسكندرية صحبة الامير قبلاى فقتل بها وكان كريما يفرّق فى كل سنة للاضحية ألف رأس غنما وثلثمائة بقرة ويفرّق ثلاثين حياصة ذهبا ويفرّق كل سنة عدّة أملاك فيها ما يبلغ ثمنه ثلاثين ألف درهم وله من الآثار بديار مصر سوى هذا الجامع الخانقاه بباب القرافة والجامع تجاهها وداره التى بالرميلة تحت القلعة تجاه باب السلسلة وحكر قوصون

(جامع الماردانى)

هذا الجامع بجوار خط التبانة خارج باب زويلة كان مكانه أولا مقابر أهل القاهرة ثم عمر أماكن فلما كان فى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة أخذت الاماكن من أربابها وتولى شراءها النشو فلم ينصف فى أثمانها وهدمت وبنى مكانها هذا الجامع فبلغ مصروفه زيادة على ثلثمائة ألف درهم عنها نحو خمسة عشر ألف دينار سوى ما حمل اليه من الاخشاب والرخام وغيره من جهة السلطنة وأخذ ما كان فى جامع راشدة من العمد فعملت فيه وجاء من أحسن الجوامع وأول خطبة أقيمت فيه يوم الجمعة رابع عشرى رمضان سنة أربعين وسبعمائة وخطب فيه الشيخ ركن الدين عمر بن ابراهيم الجعبرى ولم يتناول معلوما *(ألطنبغا الماردانى الساقى)* أمّره الملك الناصر محمد بن قلاون وقدمه وزوّجه ابنته فلما مات السلطان وتولى بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر ذكر أنه وشى بأمره الى الامير قوصون وقال قد عزم على امساكك فتخيل قوصون وخلع أبا بكر وقتله بقوص هذا مع أن ألطنبغا كان قد عظم عند المنصور اكثر مما كان عند أبيه فلما أقيم الاشرف كجك وماج الناس وحضر الامير قطلوبغا من الشام وشغب الامراء على قوصون كان ألطنبغا أصل ذلك كله ثم نزل الى الامير أيدغمش أمير اخور واتفق معه على ان يقبض على قوصون وطلع الى قوصون وشاغله وخذله عن الحركة طول الليل والامراء الكبار المشايخ عنده ومازال يساهره حتى نام وكان من قيام الامراء وركوبهم عليه ما كان الى أن أمسك وأخرج الى الاسكندرية ولما قدم ألطنبغا نائب الشام وأقام تقدّم الماردانى وقبض على سيفه ولم يجسر غيره على ذلك فقويت بهذه الحركات نفسه وصار يقف فوق التمرتاشى وهو اغاته فشق ذلك عليه وكتم فى نفسه الى أن ملك الصالح اسماعيل فتمكن حينئذ التمرتاشى وصار الامر له وعمل على الماردانى فلم يشعر بنفسه الا وقد أخرج على خمسة أرؤس من خيل البريد الى نيابة حماه فى شهر ربيع الاوّل سنة ثلاث وأربعين فسار اليها وبقى فيها نحو شهرين الى أن مات ايدغمش نائب الشام ونقل طقزدمر من نيابة حلب الى نيابة دمشق فنقل الماردانى من نيابة حماه الى نيابة حلب وسار اليها فى أوّل رجب من السنة المذكورة وجاء الامير يلبغا اليحياوى الى نيابة حماه فأقام الماردانى يسيرا فى حلب ومرض ومات مستهل صفر سنة أربع وأربعين وسبعمائة وكان شابا طويلا رقيقا حلو الصورة لطيفا معشق الخطرة كريما صائب الحدس عاقلا

(جامع أصلم)

هـذا الجامع داخل الباب المحروق أنشأه الامير بهاء الدين أصلم السلاحدار فى سنة ست وأربعين وسبعمائة *(أصلم) أحد مماليك الملك المنصور قلاون الالفى فلما فرقت المماليك السلطانية فى نيابة كتبغا بعد قتل الملك الاشرف خليل بن قلاون وسلطنة الناصر محمد بن قلاون كان أصلم من نصيب الامير سيف الدين اقوش المنصورى ثم انتقل الى الامير سلار فلما حضر الملك الناصر محمد من الكرك بعد سلطنة بيبرس الجاشنكير خرج اليه أصلم بنجا الملك وبشره بهروب بيبرس فأنعم عليه بامرة عشرة ثم تنقل الى أن صار أمير مائة مقدم ألف وخرج فى التجريدة الى اليمن فلما عاد اعتقله السلطان خمس سنين لكلام نقل عنه ثم أخرجه واعاده الى منزلته ثم جهزه لنيابة صفد ومات الناصر وأصلم بصفد فخرج الامير قوصون مع الطنبغا نائب الشام الى حلب لامساك طشتمر فسار الى قارى ثم رجع وانضم الى الفخرى وأقام عنده على خان لاجين وتوجه معه صحبة عساكر الشام الى مصر فرسم له الملك الناصر أحمد بن محمد بن قلاون بامرة مائة فى مصر على عادته وكان أحد المشايخ ويجلس رأس الحلقة ويجيد رمى النشاب مع سلامة صدر وخير الى أن مات فى يوم السبت عاشر شعبان سنة سبع وأربعين وسبعمائة وأنشأ بجوار هذا الجامع دار اسنية وحوض ماء للسبيل وبهذا الجامع درس وله اوقاف وهو من أحسن الجوامع

(جامع بشتاك)

هذا الجامع خارج القاهرة بخط قبو الكرمانى على بركة الفيل عمره الامير بشتاك فكمل فى شعبان سنة ست وثلاثين وسبعمائة وخطب فيه تاج الدين عبد الرحيم بن قاضى القضاة جلال الدين القزوينى فى يوم الجمعة سابع عشره وعمر تجاهه خانقاه على الخليج الكبير ونصب بينهما ساباطا يتوصل به من أحدهما الى الآخر وكان هذا الخط يسكنه جماعة من الفرنج والاقباط ويرتكبون من القبائح ما يليق بهم فلما عمر هـذا الجامع وأعلن فيه بالاذان واقامة الصلوات اشمأزت قلوبهم لذلك وتحولوا من هـذا الخط وهو من ابهج الجوامع وأحسنها رخاما وانزهها وادركناه اذا قويت زيادة ماء النيل فاضت بركة الفيل وغرقته فيصير لجة ماء لكن منذ انحسر ماء النيل عن البلد الى جهة الغرب بطل ذلك وله من الآثار سوى ذلك قصر بشتاك بين القصرين وقد تقدم ذكره

(جامع اق سنقر)

هـذا الجامع بسويقة السباعين على البركة الناصرية عمره الامير اق سنقر شاد العمائر السلطانية واليه تنسب قنطرة اق سنقر التى على الخليج الكبير بخط قبو الكرمانى قبالة الحبانية وأنشأ أيضا دارا جليلة وحماما بخط البركة الناصرية وكان من جملة الاوشاقية فى أول أيام الملك الناصر محمد بن قلاون ثم عمله أمير اخور ونقله منها فجعله شاد العمائر السلطانية وأقام فيها مدة فأثرى ثراء كبيرا وعمر ما ذكر وجعل على الجامع عدة أوقاف فعزل وصودر وأخرج من مصر الى حلب ثم نقل منها الى دمشق فمات بها فى سنة أربعين وسبعمائة

(جامع اق سنقر)

هذا الجامع قريب من قلعة الجبل فيما بين باب الوزير والتبانة كان موضعه فى القديم مقابر أهل القاهرة وأنشأه الامير اق سنقر الناصرى وبناه بالحجر وجعل سقوفه عقودا من حجارة ورخمه واهتم فى بنائه اهتماما زائدا حتى كان يقعد على عمارته بنفسه ويشيل التراب مع الفعلة بيده ويتأخر عن غدائه اشتغالا بذلك وأنشأ بجانبه مكتبا لاقراء ايتام المسلمين القرآن وحانوتا لسقى الناس الماء العذب ووجد عند حفر أساس هـذا الجامع كثيرا من الاموات وجعل عليه ضيعة من قرى حلب تغل فى السنة مائة وخمسين ألف درهم فضة عنها نحو سبعة آلاف دينار وقرر فيه درسا فيه عدة من الفقهاء وولى الشيخ شمس الدين محمد بن اللبان الشافعى خطابته وأقام له سائر ما يحتاج اليه من أرباب الوظائف وبنى بجواره مكانا للدفن فيه ونقل اليه ابنه فدفنه هنالك وهذا الجامع من أجل جوامع مصر الا انه لما حدثت الفتن ببلاد الشام وخرجت النواب عن طاعة سلطان مصر منذ مات الملك الظاهر برقوق امتنع حضور مغل وقف هـذا الجامع لكونه فى بلاد حلب فتعطل الجامع من أرباب وظائفه الا الاذان والصلاة واقامة الخطبة فى الجمع والاعياد ولما كانت سنة خمس عشرة وثمانمائة أنشا

فى وسطه الامير طوغان الدوادار بركة ماء وسقفها ونصب عليها عمدا من رخام لحمل السقف أخذها من جامع الخندق فهدم الجامع بالخندق من أجل ذلك وصار الماء ينقل الى هذه البركة من ساقية الجامع التى كانت للميضأة فلما قبض الملك المؤيد شيخ الظاهرى على طوغان فى يوم الخميس تاسع عشر جمادى الاولى سنة ست عشرة وثمانمائة وأخرجه الى الاسكندرية واعتقله بها أخذ شخص الثور الذى كان يدير الساقية فان طوغان كان أخذه منه بغير ثمن كما هى عادة أمرائنا فبطل الماء من البركة *(اق سنقر) السلارى* الامير شمس الدين أحد مماليك السلطان الملك المنصور قلاون ولما فرقت المماليك فى نيابة كتبغا على الامراء صار الامير اق سنقر الى الامير سلار فقيل له السلارى* لذلك ولما عاد الملك الناصر محمد بن قلاون من الكرك اختص به ورقاه فى الخدم حتى صار أحد الامراء المقدمين وزوجه بابنته وأخرجه لنيابة صفد فباشرها بعفة الى الغاية ثم نقله من نيابة صفد الى نيابة غزة فلما مات الناصر وأقيم من بعده ابنه الملك المنصور ابو بكر وخلع بالاشرف كجك وجاء الفخرى* لحصار الكرك قام اق سنقر بنصرة أحمد ابن السلطان فى الباطن وتوجه الفخرى* الى دمشق لما توجه الطنبغا الى حلب ليطرد طشتمر نائب حلب فاجتمع به وقوى عزمه وقال له توجه أنت الى دمشق واملكها وأنا أحفظ لك غزة وقام فى هذه الواقعة قياما عظيما وأمسك الدروب فلم يحضر أحد من الشام أو مصر من البريد وغيره الا وقبض عليه وحمل الى الكرك وحلف الناس للناصر أحمد وقام بأمره ظاهرا وباطنا ثم جاء الى الفخرى* وهو على خان لاجين وقوى عزمه وعضده ومازال عنده بدمشق الى أن جاء الطنبغا من حلب والتقوا وهرب الطنبغا فاتبعه اق سنقر الى غزة وأقام بها ووصلت العساكر الشامية الى مصر فلما أمسك الناصر أحمد طشتمر النائب وتوجه به الى الكرك أعطى نيابة ديار مصر لاق سنقر فباشر النيابة وأحمد فى الكرك الى أن ملك الملك الصالح اسماعيل بن محمد فأقره على النيابة وسار فيها سيرة مشكورة فكان لا يمنع أحدا شيأ طلبه كائنا من كان ولا يرد سائلا يسأل ولو كان ذلك غير ممكن فارتزق الناس فى أيامه واتسعت أحوالهم وتقدم من كان متأخرا حتى كان الناس يطلبون ما لا حاجة لهم به ثم ان الصالح أمسكه هو وبيغرا أمير جاندار وأولاجا الحاجب وقراجا الحاجب من أجل أنهم نسبوا الى الممالأة والمداجاة مع الناصر أحمد وذلك يوم الخميس رابع المحرم سنة أربع وأربعين وسبعمائة وكان ذلك آخر العهد به واستقر بعده فى النيابة الحاج آل ملك ثم أفرج عن بيغرا وأولاجا وقراجا فى شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة

(جامع آل ملك)

هذا الجامع فى الحسينية خارج باب النصر أنشأه الامير سيف الدين الحاج آل ملك وكمل واقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة تاسع جمادى الاولى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وهو من الجوامع المليحة وكانت خطته عامرة بالمساكن وقد خربت *(آل ملك) الامير سيف الدين اصله مما أخذ فى أيام الملك الظاهر من كسب الابلستين لما دخل الى بلاد الروم فى سنة ست وسبعين وستمائة وصار الى الامير سيف الدين قلاون وهو أمير قبل سلطنته فأعطاه لابنه الامير على* ومازال يترقى فى الخدم الى أن صار من كبار الامراء المشايخ رؤس المشورة فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاون وكان لما خلع الناصر وتسلطن بيبرس يتردد بينهما من مصر الى الكرك فأعجب الناصر عقله وتأنيه وسير من الكرك يقول للمظفر لا يعود يجئ الى* رسولا غير هذا فلما قدم الناصر الى مصر عظمه ولم يزل كبيرا موقرا مبجلا فلما ولى الناصر أحمد السلطنة اخرجه الى نيابة حماه فأقام بها الى أن تولى الصالح اسماعيل فأقدمه الى مصر وأقام بها على حاله الى أن أمسك الامير اق سنقر السلارى* نائب السلطنة بديار مصر فولاه النيابة مكانه فشدد فى الخمر الى الغاية وحد شاربها وهدم خزانة البنود وأراق خمورها وبنى بها مسجدا وحكرها للناس فسكنت الى اليوم كما تقدم ذكره وأمسك الزمام زمانا وكان يجلس للحكم فى الشباك بدار النيابة من قلعة الجبل طول نهاره لا يمل* ذلك ولا يسأم وتروح أرباب الوظائف ولا يبقى عنده الا النقباء البطالة وكان له فى قلوب الناس مهابة وحرمة الى أن تولى الكامل شعبان فأخرجه أول سلطنته الى دمشق نائبا بها عوضا عن الامير طقزدمر فلما كان فى أول الطريق حضر اليه من أخذه وتوجه به الى صفد نائبا بها فدخلها آخر ربيع الآخر سنة سبع وأربعين وسبعمائة ثم سأل الحضور الى مصر فرسم له بذلك فلما توجه ووصل الى غزة امسكه نائبها ووجهه الى الاسكندرية فى سنة سبع وأربعين فخنق بها وكان

خيرا فيه دين وعبادة يميل الى أهل الخير والصلاح وتعتقد بركته وخرج له أحمد بن ايبك الدمياطى مشيخة وحدث بها وقرئت عليه مرات وهو جالس فى شباك النيابة بقلعة الجبل وعمر هذا الجامع ودارا مليحة عند المشهد الحسينى من القاهرة ومدرسة بالقرب منها وكان بركة من أحسن مايكون وخيله مشهورة موصوفة وكان يقول كل أمير لا يقوم رمحه ويسكب الذهب الى أن يساوى السنان ماهو أمير رحمة الله عليه

(جامع الفخر)

فى ثلاثة مواضع فى بولاق خارج القاهرة وفى الروضة تجاه مدينة مصر وفى جزيرة الفيل على النيل مابين بولاق ومنية السيرج * أما جامع الفخر بناحية بولاق فانه موجود تقام فيه الجمعة الى اليوم وكان أولا عند ابتداء بنائه يعرف موضعه بخط خص الكيالة وهو مكان كان يؤخذ فيه مكس الغلال المبتاعة وقد ذكر ذلك عند ذكر أقسام مال مصر من هذا الكتاب * وجامع الروضة باق تقام فيه الجمعة * وأما الجامع بجزيرة الفيل فانه كان باقيا الى نحو سنة تسعين وسبعمائة وصليت فيه الجمعة غير مرة ثم خرب وموضعه باق بجوار دار تشرف على النيل تعرف بدار الامير شهاب الدين أحمد بن عمر بن قطينة قريبا من الدار الحجازية (والفخر) هذا هو محمد بن فضل الله القاضى فخر الدين ناظر الجيش المعروف بالفخر كان فى نصرانيته متألها ثم اكره على الاسلام فامتنع وهم بقتل نفسه وتغيب أياما ثم أسلم وحسن اسلامه وأبعد النصارى ولم يقرب أحدا منهم وحج غير مرة وتصدق فى آخر عمره مدة فى كل شهر بثلاثة آلاف درهم نقرة وبنى عدة مساجد بديار مصر وأنشأ عدة احواض ماء للسبيل فى الطرقات وبنى مارستانا بمدينة الرملة ومارستانا بمدينة بلبيس وفعل انواعا من الخير وكان حنفى المذهب وزار القدس عدة مرار وأحرم مرة من القدس بالحج وسار الى مكة محرما وكان اذا خدمه أحد مرة واحدة صار صاحبه طول عمره وكان كثير الاحسان لايزال فى قضاء حوائج الناس مع عصبية شديدة لاصحابه وانتفع به خلق كثير لوجاهته عند السلطان واقدامه عليه بحيث لم يكن لاحد من امراء الدولة عند الملك الناصر محمد بن قلاون ماله من الاقدام ولقد قال السلطان مرة لجندى طلب منه اقطاعا لاتطول والله لو أنك ابن قلاون ما أعطاك القاضى فخر الدين خبزا يعمل اكثر من ثلاثة آلاف درهم وقال له السلطان فى يوم من الايام وهو بدار العدل يافخر الدين تلك القضية طلعت فاشوش فقال له ماقلت لك انها عجوز نحس يريد بذلك بنت كوكاى امرأة السلطان عند ما ادعت انها حبلى وله من الاخبار كثير وكان أولا كاتب المماليك السلطانية ثم صار من كتابة المماليك الى وظيفة نظر الجيش ونال من الوجاهة مالم ينله غيره فى زمانه وكان الامير أرغون نائب السلطنة بديار مصر يكرهه واذا جلس للحكم يعرض عنه ويدير كتفه الى وجه الفخر فعمل عليه الفخر حتى سار للحج فقال للسلطان ياخوند ما يقتل الملوك الا النواب بيدرا قتل اخاك الملك الاشرف ولاجين قتل بسبب نائبه منكوتمر وخيل للسلطان الى أن أمر بسير الامير أرغون من طريق الحجاز الى نيابة حلب وحسن للسلطان أن لايستوزر أحدا بعد الامير الجمالى فلم يول أحدا بعده الوزارة وصارت المملكة كلها من احوال الجيوش وامور الاموال وغيرها متعلقة بالفخر الى أن غضب عليه السلطان ونكبه وصادره على اربعمائة ألف درهم نقرة وولى وظيفة نظر الشيخ قطب الدين موسى بن شيخ السلامية ثم رضى عن الفخر وأمر باعادة ما أخذ منه من المال اليه وهو أربعمائة ألف درهم نقرة فامتنع وقال أنا خرجت عنها للسلطان فليبن بها جامعا وبنى بها الجامع الناصرى المعروف الآن بالجامع الجديد خارج مدينة مصر بموردة الحلفاء وزار مرة القدس وعبر كنيسة قمامة فسمع وهو يقول عند ما رأى الضوء ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وباشر آخر عمره بغير معلوم وكان لايأخذ من ديوان السلطان معلوما سوى كماجة ويقول اتبرك بها ولما مات فى رابع عشر رجب سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وله من العمر ما ينيف على سبعين سنة وترك موجودا عظيما الى الغاية قال السلطان لعنه الله خمس عشرة سنة ما يدعنى أعمل ما اريد وأوصى للسلطان بمبلغ اربعمائة ألف درهم نقرة فأخذ من تركته اكثر من ألف ألف درهم نقرة ومن حين مات الفخر كثر تسلط السلطان الملك الناصر وأخذه اموال الناس والى الفخر تنسب قنطرة الفخر التى على فم الخليج الناصرى المجاور لميدان السلطان بموردة الجبس وقنطرة الفخر التى على الخليج المجاور للخليج الناصرى وأدركت ولده فقيرا يتكفف الناس بعد مال لايحد كثرة

(جامع نائب الكرك)

هذا الجامع بظاهر الحسينية مما يلي الخليج كان عامرا وعمر ما حوله عمارة كبيرة ثم خرب بخراب ما حوله من عهد الحوادث في سنة ست وثمانمائة عمره الامير جمال الدين اقوش المعروف بنائب الكرك وقد تقدم ذكره عند ذكر الدور من هذا الكتاب

(جامع الخطيري ببولاق)

هذا الجامع موضعه الآن بناحية بولاق خارج القاهرة كان موضعه قديما مغمورا بماء النيل الى نحو سنة سبعمائة فلما انحسر ماء النيل عن ساحل المقس صار ما قدام المقس رملا لا يعلوه ماء النيل الا أيام الزيادة ثم صارت بحيث لا يعلوها الماء البتة فزرع موضع هذا الجامع بعد سنة سبعمائة وصار منتزها يجتمع عنده الناس ثم بنى هناك شرف الدين بن زنبور ساقية وعمر بجوارها رجل يعرف بالحاج محمد بن عز الفراش دارا تشرف على النيل وتردد اليها فلما مات أخذها شخص يقال له تاج الدين بن الازرق ناظر الجهات وسكنها فعرفت بدار الفاسقين لكثرة ما يجري فيها من انواع المحرمات فاتفق أن النشو ناظر الخاص قبض على ابن الازرق وصادره فباع هذه الدار في جملة ما باعه من موجوده فاشتراها منه الامير عز الدين ايدمر الخطيري وهدمها وبنى مكانها هذا الجامع وسماه جامع التوبة وبالغ في عمارته وتأنق في رخامه فجاء من اجل جوامع مصر وأحسنها وعمل له منبرا من رخام في غاية الحسن وركب فيه عدة شبابيك من حديد تشرف على النيل الاعظم وجعل فيه خزانة كتب جليلة نفيسة ورتب فيه درسا للفقهاء الشافعية ووقف عليه عدة أوقاف منها داره العظيمة التي هي في الدرب الاصفر تجاه خانقاه بيبرس وكان جملة ما أنفق في هذا الجامع اربعمائة ألف درهم نقرة وكملت عمارته في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة واقيمت به الجمعة في يوم الجمعة عشري جمادى الآخرة فلما خلص ابن الازرق من المصادرة حضر الى الامير الخطيري وادعى انه باع داره وهو مكره فدفع اليه ثمنها مرة ثانية ثم ان البحر قوي على هذا الجامع وهدمه فأعاد بناءه بجملة كثيرة من المال ورمى قدام زريبته ألف مركب مملوءة بالحجارة ثم انهدم بعد موته وأعيدت زريبته * (ايدمر الخطيري) الامير عز الدين مملوك شرف الدين أوحد بن الخطيري الامير مسعود بن خطير انتقل الى الملك الناصر محمد بن قلاون فرقاه حتى صار أحد امراء الالوف بعد ما حبسه بعد مجيئه من الكرك الى مصر مدة ثم اطلقه وعظم مقداره الى أن بقي يجلس رأس الميسرة ومعه امرة مائة وعشرين فارسا وكان لا يمكنه السلطان من المبيت في داره بالقاهرة فينزل اليها بكرة ويطلع الى القلعة بعد العصر كذا أبدا فكانوا يرون ذلك تعظيما له وكان منوّر الشيبة كريما يحب التزوج الكثير والفخر بحيث انه لما زوج السلطان ابنته بالامير قوصون ضرب دينارين وزنهما أربعمائة مثقال ذهبا وعشرة آلاف درهم فضة برسم نقوط امرأته في العرس اذا طلعت الى زفاف ابنة السلطان على قوصون وقيل له مرة هذا السكر الذي يعمل في الطعام ما يضر أن يعمل غير مكرر فقال لا يعمل الا مكررا فانه يبقى في نفسي انه غير مكرر وكان لا يلبس قباء مطرزا ولا مصقولا ولا يدع أحدا عنده يلبس ذلك وكان يخرج الزكاة وانشأ بجانب هذا الجامع ربعا كبيرا تنافس الناس في سكناه ولم يزل على حاله حتى مات يوم الثلاثاء مستهل شهر رجب سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ودفن بتربته خارج باب النصر ولم يزل هذا الجامع مجمعا يقصده سائر الناس للتنزه فيه على النيل ويرغب كل أحد في السكنى بجواره وبلغت الاماكن التي بجواره من الاسواق والدور الغاية في العمارة حتى صار ذلك الخط أعمر أخطاط مصر وأحسنها فلما كانت سنة ست وثمانمائة انحسر ماء النيل عما تجاه جامع الخطيري وصار رملة لا يعلوها الماء الا في أيام الزيادة وتكاثر الرمل تحت شبابيك الجامع وقربت من الارض بعد ما كان الماء تحته لا يكاد يدرك قراره وهو الآن عامر الأ أن الاجتماعات التي كانت فيه قبل انحسار النيل عما قباله قلت واتضع حال ما يجاوره من السوق والدور ولله عاقبة الامور

(جامع قيدان)

هذا الجامع خارج القاهرة على جانب الخليج الشرقي ظاهر باب الفتوح مما يلي قناطر الاوز تجاه ارض البعل كان مسجدا قديم البناء فجدده الطواشي بهاء الدين قراقوش الاسدي في محرم سنة سبع وتسعين وخمسمائة وجدد حوض السبيل الذي فيه ثم ان الامير مظفر الدين قيدان الرومي عمل به منبرا لاقامة الخطبة يوم الجمعة وكان

عامرا بعمارة ما حوله فلما حدث الغلاء فى سنة ست وسبعين وسبعمائة أيام الملك الاشرف شعبان بن حسين خرب كثير من تلك النواحى وبيعت أنقاضها وكانت الغرقة ايضا فصار ما بين القنطرة الجديدة المجاورة لسوق جامع الظاهر وبين قناطر الاوز المقابلة لارض البعل يبابا لا عامر له ولا ساكن فيه وخرب ايضا ماوراء ذلك من شرقيه الى جامع نائب الكرك وتعطل هذا الجامع ولم يبق منه غير جدر آيلة الى العدم ثم جدده مقدم بعض المماليك السلطانية فى حدود الثلاثين والثمانمائة ثم وسع فيه الشيخ احمد بن محمد الانصارى العقاد الشهير بالازرارى ومات فى ثانى عشر ربيع الاول سنة ثلاث واربعين وثمانمائة

(جامع الست حدق)

هذا الجامع بخط المريس فى جانب الخليج الكبير مما يلى الغرب بالقرب من قنطرة السد التى خارج مدينة مصر أنشأته الست حدق دادة الملك الناصر محمد بن قلاون واقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة لعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وسبعمائة والى حدق هذه ينسب حكر الست حدق الذى ذكر عند ذكر الاحكار من هذا الكتاب

(جامع ابن غازى)

هذا الجامع خارج باب البحر من القاهرة بطريق بولاق انشأه نجم الدين بن غازى دلال المماليك واقيمت فيه الخطبة فى يوم الجمعة ثانى عشر جمادى الاولى سنة احدى وأربعين وسبعمائة والى اليوم تقام فيه الجمعة وبقية الايام لايزال مغلق الابواب لقلة السكان حوله

(جامع التركمانى)

هذا الجامع فى المقس وهو من الجوامع المليحة البناء انشأه الامير بدر الدين محمد التركمانى وكان ما حوله عامرا عمارة زائدة ثم تلاشى من الوقت الذى كان فيه الغلاء زمن الملك الاشرف شعبان بن حسين ومابرح حاله يختل الى أن كانت الحوادث والمحن من سنة ست وثمانمائة فخرب معظم ما هنالك وفيه الى اليوم بقايا عامرة لاسيما بجوار هذا الجامع *(التركمانى) محمد ويدعى بالامير بدر الدين محمد بن الامير فخر الدين عيسى التركمانى كان أولا شادا ثم ترقى فى الخدم حتى ولى الجيزة وتقدم فى الدولة الناصرية فولاه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون شاد الدواوين والدولة حينئذ ليس فيها وزير فاستقل بتدبير الدولة مدة أعوام وكان يلى نظر الدولة تلك الايام كريم الدين الصغير فغص به ومازال يدبر عليه حتى اخرجه السلطان من ديار مصر وعمله شاد الدواوين بطرابلس فأقام هنالك مدة سنتين ثم عاد الى القاهرة بشفاعة الامير تنكز نائب الشام وولى كشف الوجه البحرى مدة ثم أعطى امرة طبلخاناه وأعطى أخوه على امرة عشرة وولده ابراهيم أيضا امرة عشرة وكان مهابا صاحب حرمة باسطة وكلمة نافذة ومات عن سعادة طائلة بالمقس فى ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وهو أمير

(جامع شيخو)

هذا الجامع بسويقة منعم فيما بين الصليبة والرميلة تحت قلعة الجبل انشأه الامير الكبير سيف الدين شيخو الناصرى رأس نوبة الامراء فى سنة ست وخمسين وسبعمائة ورفق بالناس فى العمل فيه وأعطاهم اجورهم وجعل فيه خطبة وعشرين صوفيا وأقام الشيخ اكمل الدين محمد بن محمود الرومى الحنفى شيخهم ثم لما عمر الخانقاه تجاه الجامع نقل حضور الاكمل والصوفية اليها وزاد عدتهم وهذا الجامع من اجل جوامع ديار مصر *(شيخو) الامير الكبير سيف الدين أحد مماليك الناصر محمد بن قلاون حظى عند الملك المظفر حاجى بن محمد بن قلاون وزادت وجاهته حتى شفع فى الامراء وأخرجهم من سجن الاسكندرية ثم انه استقر فى أول دولة الملك الناصر حسن أحد امراء المشورة وفى آخر الامر كانت القصص تقرأ عليه بحضرة السلطان فى أيام الخدمة وصار زمام الدولة بيده فسلسها بأحسن سياسة بسكون وعدم شر وكان يمنع كل حزب من الوثوب على الآخر فعظم شأنه الى أن رسم السلطان بامساك الامير بيبغاروس نائب السلطنة بديار مصر وهو مسافر بالحجاز وكان شيخو قد خرج متصيدا الى ناحية طنان بالغربية فلما كان يوم السبت رابع عشرى شوال

سنة احدى وخمسين وسبعمائة امسك السلطان الامير منجك الوزير وحلف الامراء لنفسه وكتب تقليد شيخو بنيابة طرابلس وجهزه اليه مع الامير سيف الدين طينال الجاشنكير فسار اليه وسفره من بر افوصل الى دمشق ليلة الثلاثاء رابع ذى القعدة فظهر مرسوم السلطان باقامة شيخو فى دمشق على اقطاع الامير بيلبك السالمى وبتجهيز بيلبك الى القاهرة فخرج بيلبك من دمشق وأقام شيخو على اقطاعه بها فلما وصل بيلبك الى القاهرة الا وقد وصل الى دمشق مرسوم بامساك شيخو وتجهيزه الى السلطان وتقييد مماليكه واعتقالهم بقلعة دمشق فأمسك وجهز مقيدا فلما وصل الى قطيا توجهوا به الى الاسكندرية فلم يزل معتقلا بها الى أن خلع السلطان الملك الناصر حسن وتولى اخوه الملك الصالح صالح فأفرج عن شيخو ومنجك الوزير وعدة من الامراء فوصلوا الى القاهرة فى رابع شهر رجب سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة وانزل فى الاشرفية بقلعة الجبل واستمر على عادته وخرج مع الملك الصالح الى الشام فى واقعة بيبغاروس وتوجه الى حلب هو والامير طاز وارغون الكاملى خلف بيبغاروس وعاد مع السلطان الى القاهرة وصمم حتى امسك بيبغاروس ومن معه من الامراء بعد ماوصلوا الى بلاد الروم وحزت رؤسهم وأمسك أيضا ابن دلغار واحضر الى القاهرة ووسط وعلق على باب زويلة ثم خرج بنفسه فى طلب الاحدب الذى خرج بالصعيد وتجاوز فى سفره قوص وأمسك عدة كثيرة ووسطهم حتى سكنت الفتن بأرض مصر وذلك فى آخر سنة اربع وخمسين وأول سنة خمس وخمسين ثم خلع الملك الصالح وأقام بدله الملك الناصر حسنا فى ثانى شوال واخرج الامير طاز من مصر الى حلب نائبا بها ومعه اخوته وصارت الامور كلها راجعة اليه وزادت عظمته وكثرت أمواله واملاكه ومستأجراته حتى كاد يكاثر أمواج البحر بما ملك وقيل له قارون عصره وعزيز مصره وانشأ خلقا كثيرا فقوى بذلك حزبه وجعل فى كل مملكة من جهته عدة امراء وصارت نوابه بالشام وفى كل مدينة امراء كبار وخدموه حتى قيل كان يدخل كل يوم ديوانه من اقطاعه واملاكه ومستأجراته بالشام وديار مصر مبلغ مائتى ألف درهم نقرة واكثر وهذا شئ لم يسمع بمثله فى الدولة التركية وذلك سوى الانعامات السلطانية والتقادم التى ترد اليه من الشام ومصر وما كان يأخذ من البراطيل على ولاية الاعمال وجامعه هذا وخانقاهه التى بخط الصليبة لم يعمر مثلهما قبلهما ولا عمل فى الدولة التركية مثل أوقافهما وحسن ترتيب المعاليم بهما ولم يزل على حاله الى أن كان يوم الخميس ثامن شعبان سنة ثمان وخمسين وسبعمائة فخرج عليه شخص من المماليك السلطانية المرتجعة عن الامير منجك الوزير يقال له باى فجاء وهو جالس بدار العدل وضربه بالسيف فى وجهه وفى يده فارتجت القلعة كلها وكثر هرج الناس حتى مات من الناس جماعة من الزحمة وركب من الامراء الكبار عشرة وهم بالسلاح عليهم الى قبة النصر خارج القاهرة ثم امسك باى فجاء وقرر فلم يعترف بشئ على أحد وقال أنا قدمت اليه قصة لينقلنى من الجامكية الى الاقطاع فاقضى شغلى فأخذت فى نفسى من ذلك فسجن مدة ثم سمر وطيف به الشوارع وبقى شيخو عليلا من تلك الجراحة لم يركب الى أن مات ليلة الجمعة سادس عشرى ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ودفن بالخانقاه الشيخونية وقبره بها يقرأ عنده القرآن دائما

(جامع الجاكى)

هذا الجامع كان بدرب الجاكى عند سويقة الريش من الحكر فى بر الخليج الغربى اصله مسجد من مساجد الحكر ثم زاد فيه الامير بدر الدين محمد بن ابراهيم المهمندار وجعله جامعا وأقام فيه منبرا فى سنة ثلاث عشرة وسبعمائة فصار أهل الحكر يصلون فيه الجمعة الى أن حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة فخرب الحكر وبيعت أنقاض معظم الدور التى هنالك وتعطل هذا الجامع من ذكر الله وأقامة الصلاة لخراب ما حوله فحكم بعض قضاة الحنفية ببيع هذا الجامع فاشتراه شخص من الوعاظ يعرف بالشيخ أحمد الواعظ الزاهد صاحب جامع الزاهد بخط المقس وهدمه وأخذ أنقاضه فعملها فى جامعه الذى بالمقس فى أول سنة سبع عشرة وثمانمائة

(جامع التوبة)

هذا الجامع بجوار باب البرقية فى خط بين السورين كان موضعه مساكن أهل الفساد وأصحاب الرأى فلما انشأ الامير الوزير علاء الدين مغلطاى الجمالى خانقاهه المعروفة بالجمالية قريبا من خزانة البنود بالقاهرة

كره مجاورة هذه الاماكن لداره وخانقاهه فأخذها وهدمها وبنى هذا الجامع فى مكانها وسماه جامع التوبة فعرف بذلك الى اليوم وهو الآن تقام فيه الجمعة غير أنه لا يزال طول الايام مغلق الابواب لخلوه من ساكن وقد خرب كثير مما يجاوره وهنالك بقايا من اماكن

(جامع صاروجا)

هذا الجامع مطل على الخليج الناصرى بالقرب من بركة الحاجب التى تعرف ببركة الرطلى كان خطة تعرف بجامع العرب فأنشأها هذا الجامع ناصر الدين محمد أخو الامير صاروجا نقيب الجيش بعد سنة ثلاثين وسبعمائة وكانت تلك الخطة قد عمرت عمارة زائدة وأدركت منها بقية جيدة الى أن دثرت فصارت كيمانا وتقام الجمعة الى اليوم فى هذا الجامع أيام النيل

(جامع الطباخ)

هذا الجامع خارج القاهرة بخط باب اللوق بجوار بركة الشقاف كان موضعه وموضع بركة الشقاف من جملة الزهرى انشأه الامير جمال الدين أقوش وجدده الحاج على الطباخ فى المطبخ السلطانى أيام الملك الناصر محمد بن قلاون ولم يكن له وقف فقام بمصالحه من ماله مدة ثم انه صودر فى سنة ست واربعين وسبعمائة فتعطل مدة نزول الشدة بالطباخ ولم تقم فيه تلك المدة الصلاة * (على بن الطباخ) نشأ بمصر وخدم الملك الناصر محمد بن قلاون وهو بمدينة الكرك فلما قدم الى مصر جعله خوان سلار وسلمه المطبخ السلطانى فكثر ماله لطول مدته وكثرة تمكنه ولم يتفق لاحد من نظرائه ما اتفق له من السعادة الطائلة وذلك أن الافراح وما كان يصنع من المهمات والاعراس ونحوها مما كان يعمل فى الدور السلطانية وعند الامراء والمماليك والحواشى مع كثرة ذلك فى طول تلك الاعوام كانت كلها انما يتولى أمرها هو بمفرده فمما اتفق له فى عمل مهم ابن بكتمر الساقى على ابنة الامير تنكز نائب الشام أن السلطان الملك الناصر استدعاه آخر النهار الذى عمل فيه المهم المذكور وقال له يا حاج على اعمل لى الساعة لونا من طعام الفلاحين وهو خروف رميس يكون ملهوج فولى ووجهه معبس فصاح به السلطان ويلك مالك معبس الوجه فقال كيف ما اعبس وقد حرمتنى الساعة عشرين ألف درهم نقرة فقال كيف حرمتك قال قد تجمع عندى رؤس غنم وبقر واكارع وكروش وأعضاد وسقط دجاج وأوز وغير ذلك مما سرقته من المهم وأريد أقعد وأبيعه وقد قلت لى اطبخ وبينما افرغ من الطبيخ تلف الجميع فتبسم السلطان وقال له رح اطبخ وضمان الذى ذكرت على وأمر باحضار والى القاهرة ومصر فلما حضرا ألزمهما بطلب أرباب الزفر الى القلعة وتفرقة ما ناب الطباخ من المهم عليهم واستخراج ثمنه فللحال حضر المذكورون وبيع عليهم ذلك فبلغ ثمنه ثلاثة وعشرين ألف درهم نقرة وهذا مهم واحد من ألوف مع الذى كان له من المعاليم والجرايات ومنافع المطبخ ويقال انه كان يحصل له من المطبخ السلطانى فى كل يوم على الدوام والاستمرار مبلغ خمسمائة درهم نقرة ولولده أحمد مبلغ ثلثمائة درهم نقرة فلما تحدث النشو فى الدولة خرج عليه تخاريج وأغرى به السلطان فلم يسمع فيه كلاما ومازال على حاله الى أن مات الملك الناصر وقام من بعده أولاده الملك المنصور أبو بكر والملك الاشرف كجك والملك الناصر أحمد والملك الصالح اسماعيل والملك الكامل شعبان فصادره فى سنة ست واربعين وسبعمائة وأخذ منه مالا كثيرا ومما وجد له خمس وعشرون دارا مشرفة على النيل وغيره فتفرقت حواشى الملك الكامل املاكه فأخذت ام السلطان ملكه الذى كان على البحر وكانت دارا عظيمة جدا وأخذت انقاض داره التى بالمحمودية من القاهرة واقيم عوضه بالمطبخ السلطانى وضرب ابنه أحمد

(جامع الاسيوطى)

هذا الجامع بطرف جزيرة الفيل مما يلى ناحية بولاق كان موضعه فى القديم غامرا بماء النيل فلما انحسر عن جزيرة الفيل وعمرت ناحية بولاق انشأ هذا الجامع القاضى شمس الدين محمد بن ابراهيم بن عمر السيوطى ناظر بيت المال ومات فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ثم جدد عمارته بعدما تهدم وزاد فيه ناصر الدين محمد بن محمد بن عثمان بن محمد المعروف بابن البارزى الحموى كاتب السر وأجرى فيه الماء وأقام فيه الخطبة يوم الجمعة سادس عشرى

جماى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة فجاء فى احسن هندام وأبدع زى وصلى فيه السلطان الملك المؤيد شيخ الجمعة فى اول جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة

(جامع الملك الناصر حسن)

هذا الجامع يعرف بمدرسة السلطان حسن وهو تجاه قلعة الجبل فيما بين القلعة وبركة الفيل وكان موضعه بيت الامير يلبغا اليحياوى الذى تقدم ذكره عند ذكر الدور وابتدأ السلطان عمارته فى سنة سبع وخمسين وسبعمائة وأوسع دوره وعمله فى أكبر قالب وأحسن هندام وأضخم شكل فلا يعرف فى بلاد الاسلام معبد من معابد المسلمين يحكى هذا الجامع اقامت العمارة فيه مدة ثلاث سنين لا تبطل يوما واحدا وارصد لمصروفها فى كل يوم عشرون ألف درهم عنها نحو ألف مثقال ذهبا * ولقد اخبرنى الطواشى مقبل الشامى انه سمع السلطان حسنا يقول انصرف على القالب الذى بنى عليه عقد الايوان الكبير مائة ألف درهم نقرة وهذا القالب مما رمى على الكيمان بعد فراغ العقد المذكور قال وسمعت السلطان يقول لولا أن يقال ملك مصر عجز عن اتمام بناء بناه لتركت بناء هذا الجامع من كثرة ما صرف عليه وفى هذا الجامع عجائب من البنيان منها أن ذرع ايوانه الكبير خمسة وستون ذراعا فى مثلها ويقال انه أكبر من ايوان كسرى الذى بالمدائن من العراق بخمسة اذرع ومنها القبة العظيمة التى لم يبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها ومنها المنبر الرخام الذى لا نظير له ومنها البوابة العظيمة ومنها المدارس الاربع التى بدور قاعة الجامع الى غير ذلك وكان السلطان قد عزم على أن يبنى اربع منابر يؤذن عليها فتمت ثلاث منابر الى أن كان يوم السبت سادس شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وسبعمائة فسقطت المنارة التى على الباب فهلك تحتها نحو ثلثمائة نفس من الايتام الذين كانوا قد رتبوا بمكتب السبيل الذى هناك ومن غير الايتام وسلم من الايتام ستة اطفال فأبطل السلطان بناء هذه المنارة وبناء نظيرتها وتأخر هناك منارتان هما قائمتان الى اليوم ولما سقطت المنارة المذكورة لهجت عامة مصر والقاهرة بأن ذلك منذر بزوال الدولة فقال الشيخ بهاء الدين أبو حامد أحمد بن على بن محمد السبكى فى سقوطها

أبشر فسعدك ياسلطان مصر أتى	بشيره بمقال سار كالمثل
ان المنارة لم تسقط لمنقصة	لكن لسر خفى قد تبين لى
من تحتها قرئ القرآن فاستمعت	فالوجد فى الحال أداها الى الميل
لو أنزل الله قرآنا على جبل	تصدعت رأسه من شدة الوجل
تلك الحجارة لم تنقض بل هبطت	من خشية الله لا للضعف والخلل
وغاب سلطانها فاستوحشت ورمت	بنفسها لجوى فى القلب مشتعل
فالحمد لله حظ العين زال بما	قد كان قدره الرحمن فى الازل
لا يعترى البؤس بعد اليوم مدرسة	شيدت بنيانها بالعلم والعمل
ودمت حتى ترى الدنيا بها امتلأت	علما فليس بمصر غير مشتغل

فاتفق قتل السلطان بعد سقوط المنارة بثلاثة وثلاثين يوما ومات السلطان قبل أن يتم رخام هذا الجامع فأتمه من بعده الطواشى بشير الجدار وكان قد جعل السلطان على هذا الجامع أوقافا عظيمة جدا فلم يترك منها الا شئ يسير وأقطع اكثر البلاد التى وقفت عليه بديار مصر والشام لجماعة من الامراء وغيرهم وصار هذا الجامع ضدا لقلعة الجبل قلما تكون فتنة بين أهل الدولة الا ويصعد عدة من الامراء وغيرهم الى أعلاه ويصير الرمى منه على القلعة فلم يحتمل ذلك الملك الظاهر برقوق وأمر فهدمت الدرج التى كان يصعد منها الى المنارتين والبيوت التى كان يسكنها الفقهاء ويتوصل من هذه الدرج الى السطح الذى كان يرمى منه على القلعة وهدمت البسطة العظيمة والدرج التى كانت بجانبى هذه البسطة التى كانت قدام باب الجامع حتى لا يمكن الصعود الى الجامع وسد من وراء الباب النحاس الذى لم يعمل فيما عهد باب مثله وفتح شباك من شبابيك أحد مدارس هذا الجامع ليتوصل منه الى داخل الجامع عوضا عن الباب المسدود فصار هذا الجامع تجاه باب القلعة المعروف بباب السلسلة وامتنع صعود المؤذنين الى المنارتين وبقى الاذان على درج هذا الباب وكان ابتداء هدم ما ذكر فى يوم الاحد ثامن صفر سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ثم لما شرع السلطان الملك المؤيد شيخ فى عمارة الجامع بجوار

باب زويلة اشترى هذا الباب النحاس والتنور النحاس الذى كان معلقا هنالك بخمسمائة دينار ونقلا فى يوم الخميس سابع عشرى شوال سنة تسع عشرة وثمانمائة فركب الباب على البوابة وعلق التنور تجاه المحراب فلما كان فى يوم الخميس تاسع شهر رمضان سنة خمس وعشرين وثمانمائة أعيد الاذان فى المئذنتين كما كان واعيد بناء الدرج والبسطة وركب باب بدل الباب الذى أخذه المؤيد واستمر الامر على ذلك * (الملك الناصر أبو المعالى الحسن بن محمد بن قلاون) * جلس على تخت الملك وعمره ثلاث عشرة سنة فى يوم الثلاثاء رابع عشر شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بعد أخيه الملك المظفر حاجى وأركب من باب الستارة بقلعة الجبل وعليه شعار السلطنة وفى ركابه الامراء الى أن نزل بالايوان السلطانى ومدبرو الدولة يومئذ الامير يلبغاروس والامير ألجيبغا المظفرى والامير شيخو والامير طاز وأحمد شاد الشرابخاناه وأرغون الاسماعيلى فخلع على يلبغاروس واستقر فى نيابة السلطنة بديار مصر عوضا عن الحاج ارقطاى وقرر أرقطاى فى نيابة السلطنة بحلب وخلع على الامير سيف الدين منجك اليوسفى واستقر فى الوزارة والاستادارية وقرر الامير أرغون شاه فى نيابة السلطنة بدمشق فلما دخلت سنة تسع وأربعين كثر انكشاف الاراضى من ماء النيل بالبر الشرقى فيما يلى بولاق الى مصر فاهتم الامراء بسد البحر مما يلى الجيزة وفوض ذلك للامير منجك فجمع مالا كثيرا وأنفقه على ذلك فلم يفد فقبض على منجك فى ربيع الاول وحدث الوباء العظيم فى هذه السنة وأخرج احمد شاد الشرابخاناه لنيابة صفد وألجيبغا النيابة طرابلس فاستمر ألجيبغا بها الى شهر ربيع الاول سنة خمسين فركب الى دمشق وقتل أرغون شاه بغير مرسوم فأنكر عليه وأمسك وقتل بدمشق * وفى سنة احدى وخمسين سار من دمشق عسكر عدته أربعة آلاف فارس ومن حلب ألفا فارس الى مدينة سنجار ومعهم عدة كثيرة من التركمان فحصروها مدة حتى طلب أهلها الامان ثم عادوا وترشد السلطان واستبد بامره وقبض على منجك ويلبغاروس وقبض بمكة على الملك المجاهد صاحب اليمن وقيد وحمل الى القاهرة فأطلق ثم سجن بقلعة الكرك فلما كان يوم الاحد سابع عشر جمادى الآخرة ركب الامراء على السلطان وهم طاز واخوته ويلبغا الشمسى وبيغوا ووقفوا تحت القلعة وصعد الامير طاز وهو لابس الى القلعة فى عدة وافرة وقبض على السلطان وسجنه بالدور فكانت مدة ولايته ثلاث سنين وتسعة اشهر وأقيم بدله أخوه الملك الصالح صالح فأقام السلطان حسن مجمعا على الاشتغال بالعلم وكتب بخطه نسخة من كتاب دلائل النبوة للبيهقى الى يوم الاثنين ثانى شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة فأقامه الامير شيخو العمرى فى السلطنة وقبض على الصالح وكانت مدة سجنه ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما فرسم بامساك الامير طاز واخراجه لنيابة حلب * وفى ربيع الاول سنة سبع وخمسين هبت ريح عاصفة من ناحية الغرب من أول النهار الى آخر الليل اصفر منها الجو ثم احمر ثم اسود فتلف منها شئ كثير * وفى شعبان سنة تسع وخمسين ضرب الامير شيخو بعض المماليك بسيف فلم يزل عليلا حتى مات * وفى سنة تسع وخمسين كان ضرب الفلوس الجدد فعمل كل فلس زنة مثقال وقبض على الامير طاز نائب حلب وسجن بالاسكندرية وقرر مكانه فى نيابة حلب الامير منجك اليوسفى وأمسك الامير صرغتمش فى شهر رمضان منها وكانت حرب بين مماليكه ومماليك السلطان انتصر فيها المماليك السلطانية وقبض على عدة أمراء فأنعم السلطان على مملوكه يلبغا العمرى الخاصكى بتقدمة ألف عوضا عن تنكربغا الماردانى أمير مجلس بحكم وفاته * وفى سنة ستين فر منجك من حلب فلم يوقف له على خبر فأقر على نيابة حلب الامير بيدمر الخوارزمى وسار لغزو سيس فأخذ أدنه بأمان وأخذ طرسوس والمصيصه وعدة بلاد وأقام بها نوابا وعاد فلما كانت سنة اثنتين وستين عدى السلطان الى بر الجيزة وأقام بناحية كوم برا مدة طويلة لوباء كان بالقاهرة فتنكر الحال بينه وبين الامير يلبغا الى ليلة الاربعاء تاسع جمادى الاولى فركب السلطان فى جماعة ليكبس على الامير يلبغا وكان قد أحس بذلك وخرج عن الخيام وكمن بمكان وهو لابس فى جماعته فلم يظفر السلطان به ورجع فثار به يلبغا فانكسر بمن معه وفر يريد قلعة الجبل فتبعه يلبغا وقد انضم اليه جمع كثير ودخل السلطان الى القلعة فلم يثبت وركب معه ايدمر الدوادار ليتوجه الى بلاد الشام ونزل الى بيت الامير شرف الدين موسى بن الازكشى امير حاجب فبعث فى الحال الى الامير يلبغا يعلمه بمجىء السلطان اليه فبعث من قبضه هو والامير أيدمر ومن حينئذ لم يوقف له على خبر البتة مع كثرة فحص أتباعه

وحواشيه عن قبره وما آل اليه امره فكانت مدة ولايته هذه الثانية ست سنين وسبعة أشهر وأياما وكان ملكا حازما مهابا شجاعا صاحب حرمة وافرة وكلمة نافذة ودين متين حلف غير مرة انه مالاط ولا شرب خمرا ولا زنى الا انه كان يبخل و يعجب بالنساء ولا يكاد يصبر عنهن ويبالغ فى اعطائهن المال وعادى فى دولته اقباط مصر وقصد اجتثاث أصلهم وكره المماليك وشرع فى اقامة أولاد الناس أمراء وترك عشرة بنين وست بنات وكان اشقر أعمش وقتل وله من العمر بضع وعشرون سنة ولم يكن قبله ولا بعده فى الدولة التركية مثله

* (جامع القرافة) *

هذا الجامع يعرف الآن بجامع الاولياء وهو بالقرافة الكبرى وكان موضعه يعرف فى القديم عند فتح مصر بخطة المغافر وهو مسجد بنى عبد الله بن مانع بن مورع يعرف بمسجد القبة * قال القضاعى كان القراء يحضرون فيه ثم بنى عليه المسجد الجامع الجديد بنته السيدة المعزية فى سنة ست وستين وثلثمائة وهى أم العزيز بالله نزار ولد المعز لدين الله أم ولد من العرب يقال لها تغريد وتدعى درزان و بنته على يد الحسن بن عبد العزيز الفارسى المحتسب فى شهر رمضان من السنة المذكورة وهو على نحو بناء الجامع الازهر بالقاهرة وكان بهذا الجامع بستان لطيف فى غربيه وصهريج وبابه الذى يدخل منه ذوا المصاطب الكبير الاوسط تحت المنار العالى الذى عليه مصفح بالحديد الى حضرة المحراب والمقصورة من عدة أبواب وعدتها أربعة عشر بابا مربعة مطوبة الابواب قدام كل باب قنطرة قوس على عمودى رخام ثلاثة صفوف وهو مكندج مزوق باللازورد والزنجفر والزنجار وأنواع الاصباغ وفيه مواضع مدهونة والسقوف مزوقة ملونة كلها والحنايا والعقود التى على العمد مزوقة بأنواع الاصباغ من صنعة البصريين وبنى المعلم المزوقين شيوخ الكتامى والنازوك وكان قبالة الباب السابع من هذه الابواب قنطرة قوس مزوقة فى منحنى حافتيها شاذروان مدرج بدرج وآلات سود وبيض وحمر وخضر وزرق وصفر اذا تطلع اليها من وقف فى سهم قوسها شائلا رأسه اليها ظن أن المدرج المزوق كأنه خشب كالمقرنص واذا أتى الى أحد قطرى القوس نصف الدائرة ووقف عند أول القوس منها ورفع رأسه رأى ذلك الذى توهمه مسطحا لا نتوء فيه وهذه من الفخر الصنائع عند المزوقين وكانت هذه القنطرة من صنعة بنى المعلم وكان الصناع يأتون اليها ليعملوا مثلها فما يقدرون وقد جرى مثل ذلك للقصير وابن عزيز فى أيام البازورى سيد الوزراء الحسن بن على بن عبد الرحمن وكان كثيرا ما يحرض بينهما ويغرى بعضهما على بعض لانه كان أحب ما اليه كتاب مصور أو النظر الى صورة أو تزويق ولما استدعى ابن عزيز من العراق فأفسده وكان قد أتى به فى محاربة القصير لان القصير كان يشتط فى أجرته ويلحقه عجب فى صنعته وهو حقيق بذلك لانه فى عمل الصورة كابن مقلة فى الخط وابن عزيز كابن البواب وقد أمعن شرح ذلك فى الكتاب المؤلف فيه وهو طبقات المصورين المنعوت بضوء النبراس وأنس الجلاس فى أخبار المزوقين من الناس وكان البازورى قد أحضر بمجلسه القصير وابن عزيز فقال ابن عزيز أنا أصور صورة اذا رآها الناظر ظن أنها خارجة من الحائط فقال القصير لكن أنا أصورها فاذا نظرها الناظر ظن أنها داخلة فى الحائط فقالوا هذا أعجب فأمرهما أن يصنعا ما وعدا به فصورا صورة راقصتين فى صورة حنيتين مدهونتين متقابلتين هذه ترى كأنها داخلة فى الحائط وتلك ترى كأنها خارجة من الحائط فصور القصير راقصة بثياب بيض فى صورة حنية دهنها أسود كأنها داخلة فى صورة الحنية وصور ابن عزيز راقصة بثياب حمر فى صورة حنية صفراء كأنها بارزة من الحنية فاستحسن البازورى ذلك وخلع عليهما ووهبهما كثيرا من الذهب * وكان بدار النعمان بالقرافة من عمل الكتامى صورة يوسف عليه السلام فى الجب وهو عريان والجب كله أسود اذا نظره الانسان ظن أن جسمه باب من دهن لون الجب وكان هذا الجامع من محاسن البناء وكان بنو الجوهرى يعظون بهذا الجامع على كرسى فى الثلاثة أشهر فتمتراهم مجالس مبجلة تروق وتشوق ويقوم خادمهم زهر البان وهو شيخ كبير ومعه زنجلة اذا توسط أحدهم فى الوعظ ويقول

وتصدقى لا تأمنى أن تسألى * فاذا سألت عرفت ذل السائل

ويدور على الرجال والنساء فيلقى له فى الزنجلة ما يسره الله تعالى فاذا فرغ من التطواف وضع الزنجلة أمام الشيخ فاذا فرغ من وعظه فرق على الفقراء ما قسم لهم وأخذ الشيخ ما قسم له وهو الباقى ونزل عن الكرسى وكان

جماعة من الرؤساء يلزمون النوم بهذا الجامع ويجلسون به في ليالي الصيف للحديث في القمر في صحنه وفي الشتاء ينامون عند المنبر وكان يحصل لقيمه القاضي أبي حفص الاشربة والحلوى وغير ذلك * قال الشريف محمد بن أسعد الجوّاني النسابة حدّثني الامير أبو علي تاج الملك جوهر المعروف بالشمس الجيوشي قال اجتمعنا ليلة جمعة جماعة من الامراء بنو معز الدولة وصالح وحاتم وراجح وأولادهم وغلمانهم وجماعة ممن يلوذ بنا كابن الموفق والقاضي ابن داود وأبي المجد بن الصيرفي وأبي الفضل روزبة وأبي الحسن الرضيع فعملنا سماطا وجلسنا واستدعينا بمن في الجامع وأبي حفص فأكلنا ورفعنا الباقي الى بيت الشيخ أبي حفص قيم الجامع ثم تحدّثنا ونمنا وكانت ليلة باردة فنمنا عند المنبر واذا انسان نصف الليل ممن نام في هذا الجامع من عابري السبيل قد قام قائما وهو يلطم على رأسه ويصيح واما لاه واما لاه فقلنا له ويلك ماشانك وما الذي دهاك ومن سرقك وما سرق لك فقال ياسيدي أنا رجل من أهل طرا يقال لي أبو كريت الحاوي أمسي عليّ الليل ونمت عندكم وأكلت من خيركم وسع الله عليكم ولي جمعة أجمع في سلتي من نواحي طرا والحيّ الكبير والجبل كل غريبة من الحيات والافاعي مالم يقدر عليه قط حاو غيري وقد انفتحت الساعة السلة وخرجت الافاعي وأنا نائم لم اشعر فقلت له ايش تقول فقال اي والله بالنجدات فقلنا ياعدوّ الله أهلكتنا ومعنا صبيان واطفال ثم انا نبهنا الناس وهربنا الى المنبر وطلعنا وازدحمنا فيه ومنا من طلع على قواعد العمد فتسلق وبقي واقفا وأخذ ذلك الحاوي يحسس وفي يده كنف الحيات ويقول قبضت الرقطاء ثم يفتح السلة ويضع فيها ثم يقول قبضت أم قرنين ويفتح ويضع فيها ويقول قبضت الفلانيّ والفلانية من الثعابين والحيات وهي معه بأسماء ويقول أبو تليس وأبو زعير ونحن نقول ايه الى أن قال بس انزلوا ما بقي عليّ هم ما بقي يهمكم كبير شيء قلنا كيف قال ما بقي الا البتراء وأم رأسين انزلوا فما عليكم منهما قلنا كذا عليك لعنة الله ياعدوّ الله لانزلنا للصبح فالمغرور من تغرّه وصحنا بالقاضي أبي حفص القيم فاوقد الشمعة ولبس صباغات الخطيب خوفا على رجليه وجاء فنزلنا في الضوء وطلعنا المئذنة فنمنا الى بكرة وتفرّق شملنا بعد تلك الليلة وجمع القاضي القيم عياله ثاني يوم وأدخلوا عصيا تحت المنبر وسعفا وشالوا الحصر فلم يظهر لهم شيء وبلغ الحديث والى القرافة ابن شعلة الكتامي فأخذ الحاوي فلم يزل به حتى جمع ماقدر عليه وقال ما أخليه الا الى السلطان وكان الوزير اذ ذاك يانس الارمنيّ * وهذه القضية تشبه قضية جرت لجعفر بن الفضل بن الفرات وزير مصر المعروف بابن حزابة وذلك انه كان يهوى النظر الى الحيات والافاعي والعقارب وأم أربعة وأربعين وما يجري هذا المجرى من الحشرات وكان في داره قاعة لطيفة مرخمة فيها سلل الحيات ولها قيم فرّاش حاو من الحواة ومعه مستخدمون برسم الخدمة ونقل السلال وحطها وكان كلّ حاو في مصر وأعمالها يصيد ما يقدر عليه من الحيات ويتباهون في ذوات العجب من اجناسها وفي الكبار وفي الغريبة المنظر وكان الوزير يثيبهم على ذلك أوفى ثواب ويبذل لهم الجمل حتى يجتهدوا في تحصيلها وكان له وقت يجلس فيه على دكة مرتفعة ويدخل المستخدمون والحواة فيخرجون ما في السلل ويطرحونه على ذلك الرخام ويحرّشون بين الهوام وهو يتعجب من ذلك ويستحسنه فلما كان ذات يوم انفذ رقعة الى الشيخ الجليل ابن المدبر الكاتب وكان من أعيان كتاب أيامه ودواوينه وكان عزيزا عنده وكان يسكن الى جوار دار ابن الفرات يقول له فيها نشعر الشيخ الجليل أدام الله سلامته انه لما كان البارحة عرض علينا الحواة الحشرات الجاري بها العادات انساب الى داره منها الحية البتراء وذات القرنين والعقربان الكبير وأبو صوفة وما حصلوا لنا الا بعد عناء ومشقة وبجملة بذلناها للحواة ونحن نأمر الشيخ وفقه الله بالتقدّم الى حاشيته وصبيته بصون ما وجد منها الى أن تنفذ الحواة لاخذها وردّها الى سللها فلما وقف ابن المدبر على الرقعة قلبها وكتب في ذيلها أتاني أمر سيدنا الوزير خلد الله نعمته وحرس مدّته بما أشار اليه في أمر الحشرات والذي يعتمد عليه في ذلك أن الطلاق يلزمه ثلاثا ان بات هو وأحد من أهله في الدار والسلام * وفي سنة ست عشرة وخمسمائة أمر الوزير أبو عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالاجل المأمون البطايحيّ وكيله أبا البركات محمد بن عثمان برمّ شعث هذا الجامع وأن يعمر بجانبه طاحونا للسبيل ويبتاع لها الدواب ويتخير من الصالحين الساكنين بالقرافة من يجعله امينا عليها ويطلق له ما يكفيه مع علف الدواب وجميع المؤن ويشترط عليه أن يواسي بين الضعفاء ويحمل عنهم كلفة طحن أقواتهم ويؤدّي الامانة فيها ولم يزل هذا الجامع على عمارته الى أن احترق في السنة التي احترق فيها جامع عمرو بن العاص سنة أربع

وستين وخمسمائة عند نزول مرى ملك الفرنج على القاهرة وحصارها كما تقدّم ذكره عند ذكر خراب الفسطاط من هذا الكتاب وكان الذي تولى احراق هذا الجامع ابن سماقة باشارة الاستاذ مؤتمن الخلافة جوهر وهو الذى أمر المذكور بحريق جامع عمرو بمصر وسئل عن ذلك فقال لئلا يخطب فيه لبنى العباس ولم يبق من هذا الجامع بعد حريقه سوى المحراب الاخضر وكان مؤذن هذا الجامع فى أيام المستنصر ابن بقاء المحدّث ابن بنت عبد الغنى بن سعيد الحافظ ثم جدّدت عمارة هذا الجامع فى أيام المستنصر بعد حريقه وأدركته لما كانت القرافة الكبرى عامرة بسكنى السودان التكاررة وهو مقصود للبركة فلما كانت الحوادث والمحن فى سنة ست وثمانمائة قل الساكن بالقرافة وصار هذا الجامع طول الايام مغلوقا وربما أقيمت فيه الجمعة

(جامع الجيزة)

بناه محمد بن عبد الله الخازن فى المحرّم سنة خمسين وثلثمائة بأمر الامير على بن عبد الله بن الاخشيد فتقدّم كافور الى الخازن ببنائه فانه كان قد هدمه النيل وسقط فى سنة أربعين وثلثمائة وعمل له مستغلا وكان الناس قبل ذلك بالجيزة يصلون الجمعة فى مسجد جامع همدان وهو مسجد مزاحف بن عامر بن بكتل وقيل ان عقبة بن عامر فى امرته على مصر أمرهم أن يجمعوا فيه قال التميمى وشارف بناء جامع الجيزة مع أبى بكر الخازن أبو الحسن ابن جعفر الطحاوى واحتاجوا الى عمد للجامع فمضى الخازن فى الليل الى كنيسة بأعمال الجيزة فقلع عمدها ونصب بدلها أركانا وحمل العمد الى الجامع فترك أبو الحسن بن الطحاوى الصلاة فيه مذ ذاك تورّعا * قال التميمى وقد كان يعنى ابن الطحاوى يصلى فى جامع الفسطاط القديم وبعض عمده أو أكثرها ورخامه من كنائس الاسكندرية وأرياف مصر وبعضه بناء قرّة بن شريك عامل الوليد بن عبد الملك

(جامع منجك)

هذا الجامع يعرف موضعه بالثغرة تحت قلعة الجبل خارج باب الوزير أنشأه الامير سيف الدين منجك اليوسفى فى مدّة وزارته بديار مصر فى سنة احدى وخمسين وسبعمائة وصنع فيه صهريجا فصار يعرف الى اليوم بصهريج منجك ورتب فيه صوفية وقرّر لهم فى كل يوم طعاما ولحما وخبزا وفى كل شهر معلوما وجعل فيه منبرا ورتب فيه خطيبا يصلى بالناس فيه صلاة الجمعة وجعل على هذا الموضع عدّة أوقاف منها ناحية بلقينة بالغربية وكانت مرصدة برسم الحاشية فقوّمت بخمسة وعشرين ألف دينار فاشتراها من بيت المال وجعلها وقفا على هذا المكان * (منجك) الامير سيف الدين اليوسفى لما امتنع أحمد بن الملك الناصر محمد بن قلاون بالكرك وقام فى مملكة مصر بعده أخوه الملك الصالح عماد الدين اسماعيل وكان من محاصرته بالكرك ما كان الى أن أخذ فتوجه اليه وقطع رأسه وأحضرها الى مصر وكان حينئذ أحد السلاحدارية فأعطى امرة بديار مصر وتنقل فى الدول الى أن كانت سلطنة الملك المظفر حاجى بن الملك الناصر محمد بن قلاون فأخرجه من مصر الى دمشق وجعله حاجبا بها موضع ابن طغريل فلما قتل الملك المظفر وأقيم بعده أخوه الملك الناصر حسن اقيم الامير سيف الدين يلبغاروس فى نيابة السلطنة بديار مصر وكان أخا منجك فاستدعاه من دمشق وحضر الى القاهرة فى ثامن شوّال سنة ثمان وأربعين وسبعمائة فرسم له بامرة تقدمة ألف وخلع عليه خلع الوزارة فاستقرّ وزيرا وأستادارا وخرج فى دست الوزارة والامراء فى خدمته من القصر الى قاعة الصاحب بالقلعة فجلس بالشباك ونفذ أمور الدولة ثم اجتمع الامراء وقرأ عليهم أوراقا تتضمن ماعلى الدولة من المصروف ووفر من جامكية المماليك مبلغ ستين ألف درهم فى الشهر وقطع كثيرا من جوامك الخدم والجوارى والبيوتات السلطانية ونقص رواتب الدور من زوجات السلطان وجواريه وقطع رواتب الاغانى وعرض الاسطبل السلطانى وقطع منه عدّة أميراخورية وسراخورية وسوّاس وغلمان ووفر من راتب الشعير نحو الخمسين اردبا فى كل يوم وقطع جميع الكلابزية وكانوا خمسين جوقة وأبقى منهم جوقتين ووفر جماعة من الاسرى والعتالين والمستخدمين فى العمائر وأبطل العمارة من بيت السلطان وكانت الحوائجخاناه تحتاج فى كل يوم الى أحد وعشرين ألف درهم نقرة فاقتطع منها مبلغ ثلاثة آلاف درهم وبقى مصروفها فى اليوم ثمانية عشر ألف درهم نقرة وشرع ينكث على الدواوين ويحط على القاضى موفق الدين ناظر الدولة وعلى القاضى علم الدين بن زنبور ناظر الخواص ورسم أن لا يستقرّ فى المعاملات سوى شاهد واحد وعامل وشاد بغير معلوم وأغلظ على الكتاب والدواوين وهدّدهم وتوعدهم فخافوه واجتمع بعضهم ببعض واشتوروا

فى أمرهم واتفقوا على مال يتوزعونه بينهم على قدر حال كل منهم وحملوه الى منجك سرًا فلم يمض من استقراره فى الوزارة شهر حتى صار الكتاب وارباب الدواوين احباءه وأخلاءه وتمكنوا منه اعظم ما كانوا قبل وزارته وحسنوا له أخذ الاموال فطلب ولاة الاقاليم وقبض عـلى اقبغا والى الغربية والزمه بحمل خمسمائة ألف درهم نقرة وولى عوضه الامير استدمر القلنجى ثم صرفه وولى بدله قطليجا مملوك بكتمر واستقر باستدمر القلنجى فى ولاية القاهرة واضاف له التحدث فى الجهات وولى البحرية لرجل من جهته وولى قوص لآخر واوقع الحوطة عـلى موجود اسماعيل الواقدى متولى قوص واخذ جميع خواصه وولى طغاى كشف الوجه القبلى عوضا عن علاء الدين على بن الكورانى وولى ابن المزوق قوص وأعمالها وولى مجد الدين موسى الهدبانى الاشمونين عوضا عن ابن الازكشى وتسامعت الولاة وارباب الاعمال بأن الوزير فتح باب الاخذ عـلى الولايات فهرع الناس اليـه من جهات مصر والشام وحلب وقصدوا بابه ورتب عنـده جماعة برسم قضاء الاشغال فاتاهم اصحاب الاشغال والحوائج وكان السلطان صغيرا حظه من السلطنة أن يجلس بالايوان يومين فى الاسبوع ويجتمع أهل الحل والعقد مع سائر الامراء فيـه فاذا انقضت خدمة الايوان خرج الامير منكلبغا الفخرى والامير يبغروا والامير بلبغا تتر والجدى وارلان وغيرهم من الامراء ويدخل الى القصر الامير بلبغاروس نائب السلطنة والامير سيف الدين منجك الوزير والامير سيف الدين شيخو العمرى والامير الجيبغا المظفرى والامير طيبرق ويتفق الحال بينهم على ما يرونه هذا والوزير أخو النائب متمكن تمكنا زائدا وقدم من دمشق جماعة للسعى عند الوزير فى وظائف منهم ابن السلعوس وصلاح الدين بن المؤيد وابن الاجل وابن عبد الحق وتحدثوا مع ابن الاطروش محتسب القاهرة فى اغراضهم فسعى لهم حتى تقرروا فيما عينوا ولما دخلت سنة تسع واربعين عرف الوزير السلطان والامراء انه لما ولى الوزارة لم يجد فى الاهراء ولا فى بيت المال شيأ وسأل أن يكون هذا بحضر من الحكام فرسم للقضاة بكشف ذلك فركبوا الى الاهراء بمصر والى بيت المال بقلعة الجبل وقد حضر الدواوين وسائر المباشرين وأشهدوا عليهم أن الامير منجك لما باشر الوزارة لم يكن بالاهراء ولا بيت المال قدح غلة ولا دينار ولا درهم وقرئت المحاضر على السلطان والامراء فلما كان بعد ذلك توقف امر الدولة على الوزير فشكا الى الامراء من كثرة الرواتب فاتفق الرأى على قطع نحو ستين سواقا فقطعهم ووفر لحومهم وعليقهم وسائر ما باسمهم من الكساوى وغيرها وقطع من العرب الركابة والنجابة ومن أرباب الوظائف فى بيت السلطان ومن الكتاب والمباشرين ما جملته فى اليوم أحد عشر ألف درهم وفتح باب المقايضات باقطاعات الاجناد وباب النزول عن الاقطاعات بالمال فحصل من ذلك مالا كثيرا وحكم عـلى اخيه نائب السلطنة بسبب ذلك وصار الجندى يبيع اقطاعه لكل من أراد سواء كان المنزول له جنديا أو عاميا وبلغ ثمن الاقطاع من عشرين ألف درهم الى ما دونها وأخذ يسعى أن تضاف وظيفة نظر الخاص الى الوزارة واكثر من الحط على ناظر الخاص فاحترس ابن زنبور منه وشرع فى ابعاده مرة بعـد مرة مع الامير شيخو فمنع شيخو منجك من التحدث فى الخاص وخرج عليه فشق ذلك على منجك وافترقا عن غير رضى فتغير بلبغاروس النائب عـلى شيخو رعاية لاخيه وسأل أن يعفى من النيابة ويعفى منجك من الوزارة واستقراره فى الاستادارية والتحدث فى عمل حفر البحر وأن يستقر أستدمر العمرى المعروف برسلان بصل فى الوزارة فطلب وكان قد حضر من الكشف وألبس خلع الوزارة فى يوم الاثنين الرابع والعشرين من شهر ربيع الاول وكان منجك قد عزل من الوزارة فى ثالث ربيع الاول المذكور وتولى أمر شد البحر فجبى من الاجناد من كل مائة دينار درهما ومن التجار والمتعيشين فى مصر والقاهرة من كل واحد عشرة دراهم الى خمسة دراهم الى درهم ومن اصحاب الاملاك والدور فى مصر والقاهرة على كل قاعة ثلاثة دراهم وعلى كل طبقة درهمين وعلى كل مخزن أو اصطبل درهما وجعل المستخرج فى خان مسرور بالقاهرة والمشد على المستخرج الامير يلك فجبى مال كبير وأما استدمر فان أحوال الدولة توقفت فى ايامه فسأل فى الاعفاء فأعفى وأعيد منجك الى الوزارة بعد أربعين يوما وقد تمنع تمنعا كبيرا ولما عاد الى الوزارة فتح باب الولايات بالمال فقصده الناس وسعوا عنده فولى وعزل وأخذ فى ذلك مالا كثيرا فيقال انه أخذ من الامير مازان لما نقله من المنوفية الى الغربية ومن ابن الغسانى لما نقله من الاشمونين الى البهنساوية ومن ابن سلمان لما ولاه منوف ستة آلاف دينار ووفر اقطاع شاد الدواوين وجعله باسم المماليك السلطانية ووفر

جوامكهم ورواتبهم وشرع أوباش الناس فى السعى عنده فى الوظائف والمباشرات بمال وأتوه من البلاد فقضى اشغالهم ولم يرد أحدا طلب شيأ ووقع فى ايامه الفناء العظيم فانحلت اقطاعات كثيرة فاقتضى رأى الوزير أن يوفر الجوامك والرواتب التى للحاشية وكتب لسائر أرباب الوظائف وأصحاب الاشغال والمماليك السلطانية مثالات بقدر جوامك كل منهم وكذلك لارباب الصدقات فأخذ جماعة من الاقباط ومن الكتاب ومن الموقعين اقطاعات فى نظير جوامكهم وتوفر فى الدولة مال كبير عن الجوامك والرواتب * ولما دخلت سنة خمسين رسم الامير منجك الوزير لمتولى القاهرة بطلب اصحاب الارباع وكتابة جميع املاك الحارات والازقة وسائر أخطاط مصر والقاهرة ومعرفة اسماء سكانها والفحص عن أربابها ليعرف من توفر عنه ملك بموته فى الفناء فطلبوا الجميع وأمعنوا فى النظر فكان يوجد فى الحارة الواحدة والزقاق الواحد ما يزيد على عشرين دارا خالية لا يعرف أربابها فختموا على ما وجدوه من ذلك ومن الفنادق والخانات والمخازن حتى يحضر أربابها * وفى شعبان عزل ولاة الاعمال وأحضرهم الى القاهرة وولى غيرهم وأضاف الى كل وال كشف الجسور التى فى عمله وضمن الناس سائر جهات القاهرة ومصر بحيث انه لا يتحدث أحد معه من المقدمين والدواوين والشادين وزاد فى المعاملات ثلثمائة ألف درهم وخلع عليه ونودى له بمصر والقاهرة فاشتد ظلمه وعسفه وكثرت حوادثه * فلما كانت ليالى عيد الفطر عرف الوزير الامراء أن سماط العيد ينصرف عليه جملة ولا ينتفع به أحد فأبطله ولم يعمل تلك السنة * وفى ذى القعدة توقف حال الدولة ووقف مماليك السلطان وسائر المعاملين والحوائجكاشية وانزعج السلطان والامراء بسبب ذلك على الوزير فاحتج بكثرة الكلف وطلب الموفق ناظر الدولة فقال ان الانعامات قد كثرت والكلف تزايدت وقد كانت الحوائجخاناه فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاون فى اليوم ينصرف فيها مبلغ ثلاثة عشر ألف درهم واليوم ينصرف فيها اثنان وعشرون ألف درهم فكتبت أوراق بمتحصل الدولة ومصروفها وبمتحصل الخاص ومصروفه فجاءت أوراق الدولة ومتحصلها عشرة آلاف ألف درهم وكلفها أربعة عشر ألف ألف درهم وستمائة ألف درهم ووجد الانعام من الخاص والجيش بما خرج من البلاد زيادة على اقطاعات الامراء فكان زيادة على عشرين ألف دينار سوى جملة من الغلال وان الذى استجد على الدولة من حين وفاة الملك الناصر فى ذى الحجة سنة احدى وأربعين الى مستهل المحرم سنة خمسين وسبعمائة وكانت جملة الانعامات والاقطاعات بنواحى الصعيد والفيوم وبلاد الملك والوجه البحرى وما اعطى من الرزق للخدام والجوارى سبعمائة ألف ألف وألف ألف وستمائه ألف معينة بأسماء أربابها من امير وخادم وجارية وكانت النساء قد أسرفن فى عمل القمصان والبغالطيق حتى كان يفضل من القميص كثير على الارض وسعة الكم ثلاثة اذرع ويسمينه البهطلة وكان يغرم على القميص ألف درهم وأكثر وبلغ ازار المرأة الى ألف درهم وبلغ الخف والسرموزة الى خمسمائة درهم وما دونها الى مائة درهم فأمر الوزير منجك بقطع اكمام النساء وأخرق بهن وأمر الوالى بتتبع ذلك ونودى بمنع النساء من عمل ذلك وقبض على جماعة منهن وركب على سور القاهرة صور نساء عليهن تلك القمصان بهيئة نساء قد قتلن عقوبة على ذلك فانكففن عن لبسها ومنع الاساكفة من عمل الاخفاف المثمنة ونودى فى القياسر من باع ازار حرير ماله للسلطان فنودى على ازار ثمنه سبعمائة وعشرون درهما فبلغ ثمانين درهما ولم يجسر أحد أن يشتريه وبالغ الوزير فى الفحص عن ذلك حتى كشف دكاكين غسالى الثياب وقطع ما وجد من ذلك فامتنع النساء من لبس ما أحدثنه من تلك المنكرات ولما عظم ضرر الفار أيضا من كثرة شكاية الناس فيه فلم يسمع فيه الوزير قولا وقام فى أمره الامير مغلطاى أمير اخور فاستوحش منه الوزير واتفق انه كان قد حج محمد بن يوسف مقدم الدولة فى محمل كبير بلغ عليق جماله فى اليوم مائتى عليقة ولما قدم فى المحرم مع الحاج اهدى للنائب وللوزير وللامير طاز وللامير صرغتمش هدايا جليلة ولم يهد للامير شيخو ولا للامير مغلطاى شيأ ثم لما عاب عليه الناس ذلك اهدى بعد عدة أيام للامير شيخو هديه فردها عليه ثم انه انكر على الوزير فى مجلس السلطان ما يفعله ولاة البر وما عليه مقدم الدولة من كثرة المال واغلظ فى القول فرسم بعزل الولاة والقبض على المقدم محمد بن يوسف وابن عمه المقدم أحمد بن زيد فلم يسع الوزير غير السكوت * فلما كان فى رابع عشرى شوال سنة احدى وخمسين قبض على الوزير منجك وقيد ووقعت الحوطة على سائر حواصله فوجدت له زردخاناه حمل خمسين جملا ولم يظهر من النقد

كثير مال فأمر بعقوبته فلما خوّف اقرّ بصندوق فيه جوهر وقال سائر ما كان يحصل لى من النقد كنت اشترى به أملاكا وضياعا وأصناف المتاجر فاحيط بسائر أمواله وحمل الى الاسكندرية مقيدا واستقرّ الامير بلبان السنانى نائب البيرة أستادارا عوض منجك بعد حضوره منها واضيفت الوزارة الى القاضى علم الدين بن زنبور ناظر الخاص فلم يزل منجك مسجونا بالاسكندرية الى أن خلع الملك الناصر حسن وأقيم بدله فى المملكة أخوه الملك الصالح صالح فأمر بالافراج عن الامير شيخو والامير منجك فحضرا الى القاهرة فى رجب سنة اثنتين وخمسين ولما استقرّ الامير منجك بالقاهرة بعث اليه الامير شيخو خمس رؤس خيل وألفى دينار وبعث اليه جميع الامراء بالتقادم وأقام بطالا يجلس على حصير فوقه ثوب سرج عتيق وكلما أتاه أحد من الامراء يبكى ويتوجع ويقول أخذ جميع مالى حتى صرت على الحصير ثم كتب فتوى تتضمن أن رجلا مسجونا فى قيد هدّد بالقتل ان لم يبع أملاكه وانه خشى على نفسه القتل فوكل فى بيعها فكتب له الفقهاء لا يصح بيع المكره ودار على الامراء ومازال بهم حتى تحدّثوا له مع السلطان فى ردّ أملاكه عليه فعارضهم الامير صرغتمش ثم رضى أن يردّ عليه من أملاكه ما أنعم به السلطان على مماليكه فاستردّ عدّة أملاك وأقام الى أن قام يلبغاروس بحلب فاختفى منجك وطلب فلم يوجد وأطلق النداء عليه بالقاهرة ومصر وهدّد من أخفاه وألزم عربان العائد باقتفاء أثره فلم يوقف له على خبر وكبس عليه عدّة أماكن بالقاهرة ومصر وفتش عليه حتى فى داخل الصهريج الذى بجامعه فأعيى أمره وأدرك السلطان السفر لحرب يلبغاروس فشرع فى ذلك الى يوم الخميس رابع شعبان فخرج الامير طاز بمن معه * وفى يوم الاثنين سابعه عرض الامير شيخو والامير صرغتمش اطلابهما وقد وصل الامير طاز الى بلبيس فحضر اليه من أخبره أنه رأى بعض أصحاب منجك فسير اليه وأحضره وفتشه فوجد معه كتاب منجك الى أخيه يلبغاروس وفيه انه مختف عند الحسام الصفدى استاداره فبعث الكتاب الى الامير شيخو فوافاه والاطلاب خارجة فاستدعى بالحسام وسأله فأنكر فعاقبه الامير صرغتمش فلم يعترف فركب الى بيت الحسام بجوار الجامع الازهر وهجمه فاذا بمنجك ومعه مملوك فكتفه وسار به مشهورا بين الناس وقد هرعوا من كل مكان الى القلعة فسجن بالاسكندرية الى أن شفع فيه الامير شيخو فأفرج عنه فى ربيع الاوّل سنة خمس وخمسين ورسم أن يتوجه الى صفد بطالا فسار اليها من غير أن يعبر الى القاهرة فلما خلع الملك الصالح صالح وأعيد السلطان حسن فى شوّال منها نقل منجك من صفد وأنعم عليه بنيابة طرابلس عوضا عن ايتمش الناصرى فسار اليها وأقام بها الى أن قبض على الامير طاز نائب حلب فى سنة تسع وخمسين فولى منجك عوضا عنه ولم يزل بحلب الى أن فرّ منها فى سنة ستين فلم يعرف له خبر وعوقب بسببه خلق كثير ثم قبض عليه بدمشق فى سنة احدى وستين فحمل الى مصر وعليه بشت صوف عسلى وعلى رأسه مئزر صوف فلم يؤاخذه السلطان وأعطاه امرة طبلخاناه ببلاد الشام وجعله طرخاناه يقيم حيث شاء من البلاد الاسلامية وكتب له بذلك فلما قتل السلطان حسن وأقيم من بعده فى المملكة الملك المنصور محمد بن المظفر حاجى فى جمادى الاولى سنة اثنتين وستين خامر الامير بيدمر نائب الشام على الامير يلبغا العمرى القائم بتدبير دولة الملك المنصور ووافقه جماعة من الامراء منهم الامير منجك فخرج الامير يلبغا بالمنصور والعساكر من قلعة الجبل الى البلاد الشامية فوافى دمشق ومشى الناس بينه وبين الامير بيدمر حتى تمّ الصلح وحلف الامير يلبغا أنه لا يؤذى بيدمر ولا منجك فنزلا من قلعة دمشق وقيدهما وبعث بهما الى الاسكندرية فسجنا بها الى أن خلع الامير يلبغا المنصور وأقام بدله الملك الاشرف شعبان بن حسين وقتل الامير يلبغا فأفرج الملك الاشرف عن منجك وولاه نيابة السلطنة بدمشق عوضا عن الامير على المارداني فى جمادى الاولى سنة تسع وستين فلم يزل فى نيابة دمشق الى أن حضر الى السلطان زائرا فى سنة سبعين بتقادم كثيرة جليلة وعاد الى دمشق وأقام بها الى أن استدعاه السلطان فى سنة خمس وسبعين الى مصر وفوّض اليه نيابة السلطنة بديار مصر وعمله اتابك العساكر وجعل تدبير المملكة اليه وأن يخرج الامّهات للبلاد الشامية وأن يولى ولاة أقاليم مصر والكشاف ويخرج الاقطاعات بمصر من عبرة ستمائة دينار الى مادونها وكانت عادة النوّاب قبله أن لا يخرج من الاقطاعات الا ما عبرته أربعمائة دينار فما دونها فعمل النيابة على قالب جائر وحرمة وافرة الى أن مات حتف أنفه فى يوم الخميس التاسع والعشرين من ذى الحجة سنة ست وسبعين وسبعمائة وله من العمر نيف وستون سنة وشهد جنازته سائر الاعيان ودفن بتربته المجاورة لجامعه هذا وله سوى الجامع

المذكور من الآثار بديار مصر خان منجك فى القاهرة ودار منجك برأس سويقة العزى بالقرب من مدرسة السلطان حسن وله بالبلاد الشامية عدة آثار من خانات وغيرها رحمه الله

(الجامع الاخضر)

هذا الجامع خارج القاهرة بخط فم الخور عرف بذلك لان بابه وقبته فيهما نقوش وكتابات خضر والذى أنشأه خازندار الامير شيخو واسمه ٣

(جامع البكجرى)

هذا الجامع بحكر البكجرى قريبا من الدكة تعطلت الصلاة فيه منذ خربت تلك الجهات

(جامع السروجى)

هذا الجامع بحكر

(جامع كرجى)

هذا الجامع بحكر أقوش

(جامع الفاخرى)

هذا الجامع بسويقة الخادم الطواشى شهاب الدين فاخر المنصورى مقدم المماليك السلطانية ومات فى سابع ذى الحجة سنة سبع وثمانمائة وكان ذا مهابة وأخلاق حسنة مع سطوة شديدة ولهم بلبان الفاخرى الامير سيف الدين نقيب الجيوش مات فى سنة سبع وتسعين وستمائة وولى نقابة الجيش بعد طيبرس الوزيرى وكان جوادا عارفا بأمر الاجناد خيرا كثير الترف

(جامع ابن عبد الظاهر)

هذا الجامع بالقرافة الصغرى قبلى قبر الليث بن سعد كان موضعه يعرف بالخندق أنشأه القاضى فتح الدين محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر الجذامى السعدى الروحى من ولد روح بن زنباع الجذامى بجوار قبر أبيه وأول ما أقيمت به الخطبة فى يوم الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة وكان يوما مشهودا الكثرة من حضر من الاعيان * ولد بالقاهرة فى ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة وسمع من ابن الجميزى وغيره وحدث وكتب فى الانشاء وساد فى دولة المنصور قلاون بعقله ورأيه وهمته وتقدم على والده القاضى محيى الدين وهو ماهر فى الانشاء والكتابة بحيث كان من جملة من يصرف فهم بأمره ونهيه وكان الملك المنصور يعتمد عليه ويثق به ولما ولى القاضى فخر الدين بن لقمان الوزارة قال له الملك المنصور من يلى عوضك كتابة السر فقال القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر فولاه كتابة السر عوضا عن ابن لقمان وتمكن من السلطان وحظى عنده حتى ان الوزير فخر الدين بن لقمان ناول السلطان كتابا فأحضر ابن عبد الظاهر لقراءته على عادته فلما أخذ الكتاب من السلطان أمر الوزير أن يتأخر حتى يقرأه فتأخر الوزير ثم ان ابن لقمان صرف عن الوزارة وأعيد الى ديوان الانشاء فتأدب معه فلما ولى وزارة الملك الاشرف خليل بن قلاون شمس الدين بن السلعوس قال لفتح الدين اعرض على كل يوم ما تكتبه فقال لا سبيل لك الى ذلك ولا يطلع على أسرار السلطان إلا هو فان اخترتم والا عينوا عوضى فلما بلغ السلطان ذلك قال صدق ولم يزل على حاله الى أن مات وأبوه حى بدمشق فى النصف من شهر رمضان سنة احدى وتسعين وسبعمائة فوجد فى تركته قصيدة مرثية قد عملها فى رفيقه تاج الدين احمد بن سعيد بن محمد بن الاثير لما مرض وطال مرضه فاتفق أن عوفى ابن الاثير ولم يتأخر ابن عبد الظاهر بعد عافيته سوى ليال يسيرة ومرض ومات فرثاه ابن الاثير بعد موته وولى وظيفة كتابة السر عوضا عنه ولم يكن ابن عبد الظاهر مجيدا فى صناعة الانشاء الا انه دبر الديوان وباشره أحسن مباشرة ومن شعره

ان شئت تنظرنى وتنظر حالتى * فانظر اذا هب النسيم قبولا
فتراه مثلى رقة ولطافة * ولاجل قلبك لا اقول عليلا
فهو الرسول اليك منى ليتنى * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

ولم يزل

ولم يزل هذا الجامع عامرا الى أن حدثت المحن فى سنة ست وثمانمائة واختلت القرافة لخراب ما حوله وهو اليوم قائم على أصوله

(جامع بساتين الوزير التى على بركة الحبش) ٢

(جامع الخندق)

هذا الجامع بناحية الخندق خارج القاهرة ولم يزل عامرا بعمارة الخندق فلما خربت مساكن الخندق تلاشى أمره ونقلت منه الجمعة وبقى معطلا الى شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة فأخذ الامير طوغان الحسنى الدوادار عمده الرخام وسقوفه وترك جدرانه ومنارته وهى باقية وعما قليل تدثر كما دثر غيرها مما حولها

(جامع جزيرة الفيل)

(جامع الطواشى)

هذا الجامع خارج القاهرة فيما بين باب الشعرية وباب البحر أنشأه الطواشى جوهر السحرتى اللالا وهو من خدام الملك الناصر محمد بن قلاون ثم انه تأمر فى تاسع عشرى شهر رجب سنة خمس وأربعين وسبعمائة

(جامع كراى)

هذا الجامع بالريدانية خارج القاهرة عمره الامير سيف الدين كراى المنصورى فى سنة احدى وسبعمائة لكثرة ما كان هناك من السكان فلما خربت تلك الاماكن تعطل هذا الجامع وهو الآن قائم وجميع ما حوله داثر وعما قليل يدثر

(جامع القلعة)

هذا الجامع بقلعة الجبل أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة ثمان عشرة وسبعمائة وكان أولا مكانه جامع قديم وبجواره المطبخ السلطانى والحوائجخاناه والطشتخاناه والفراشخاناه فهدم الجميع وأدخلها فى هذا الجامع وعمره أحسن عمارة وعمل فيه من الرخام الفاخر الملون شيأ كثيرا وعمر فيه قبة جليلة وجعل عليه مقصورة من حديد بديعة الصنعة وفى صدر الجامع مقصورة من حديد أيضا برسم صلاة السلطان فلما تم بناؤه جلس فيه السلطان بنفسه واستدعى جميع المؤذنين بالقاهرة ومصر وسائر الخطباء والقراء وأمر الخطباء فخطب كل منهم بين يديه وقام المؤذنون فأذنوا وقرأ القراء فاختار الخطيب جمال الدين محمد بن محمد بن الحسن القسطلانى خطيب جامع عمرو وجعله خطيبا بهذا الجامع واختار عشرين مؤذنا رتبهم فيه وجعل به قراء ودرسا وقارئ مصحف وجعل له من الاوقاف ما يفضل عن مصارفه فجاء من أجل جوامع مصر وأعظمها وبه الى اليوم يصلى سلطان مصر صلاة الجمعة والذى يخطب فيه ويصلى بالناس الجمعة قاضى القضاة الشافعى

(جامع قوصون)

هذا الجامع داخل باب القرافة تجاه خانقاه قوصون أنشأه الامير سيف الدين قوصون وعمر بجانبه حماما فعمرت تلك الجهة من القرافة بجماعة الخانقاه والجامع وهو باق الى يومنا

(جامع كوم الريش)

هذا الجامع عمارة دولات شاه

(جامع الجزيرة الوسطى)

أنشأه الطواشى مثقال خادم تذكار ابنة الملك الظاهر بيبرس وهو عامر الى يومنا هذا

(جامع ابن صارم)

هذا الجامع بخط بولاق خارج القاهرة أنشأه محمد بن صارم شيخ بولاق فيما بين بولاق وباب البحر

(جامع الكيمختى)

هذا الجامع يعرف اليوم بجامع الجنينة وهو بجانب موضع الكيمخت على شاطئ الخليج من جملة أرض

الطبالة كان موضعه دارا اشتراها معلم الكيمخت وكان يعرف بالجوى وعملها جامعا فضمن المعلم بعده رجل يعرف بالرومى فوقف عليه مواضع وجدد له مئذنة فى جمادى الاولى سنة اثنتين وثمانمائة ووسع فى الجامع قطعة كانت منشرا وكان قبل ذلك قد جدد عمارته شخص يعرف بالفقيه زين الدين ريحان بعد سنة تسعين وسبعمائة وعمر بجانبه مساكن وهو الآن عامر بعمارة ما حوله

(جامع الست مسكة)

هذا الجامع بالقرب من قنطرة اق سنقر التى على الخليج الكبير خارج القاهرة أنشأته الست مسكة جارية الملك الناصر محمد بن قلاون وأقيمت فيه الجمعة عاشر جمادى الآخرة سنة احدى وأربعين وسبعمائة وقد ذكرت مسكة هذه عند ذكر الاحكار

(جامع ابن الفلك)

هذا الجامع بسويقة الجيزة من الحسينية خارج القاهرة أنشأه مظفر الدين بن الفلك

(جامع التكرورى)

هذا الجامع فى ناحية بولاق التكرورى وهذه الناحية من جملة قرى الجيزة كانت تعرف بمنية بولاق ثم عرفت ببولاق التكرورى فانه كان نزل بها الشيخ أبو محمد يوسف بن عبد الله التكرورى وكان يعتقد فيه الخير وجربت بركة دعائه وحكيت عنه كرامات كثيرة منها أن امرأة خرجت من مدينة مصر تريد البحر فأخذ السودان ابنها وساروا به فى مركب وفتحوا القلع فجرت السفينة وتعلقت المرأة بالشيخ تستغيث به فخرج من مكانه حتى وقف على شاطئ النيل ودعا الله سبحانه وتعالى فسكن الريح ووقفت السفينة عن السير فنادى من فى المركب يطلب منهم الصبى فدفعوه اليه وناوله لامه وكان بمصر رجل دباغ أتاه عذص فأخذه منه أصحاب السلطان فأتى الى الشيخ وشكا اليه ضرورته فدعا به فردّ الله عليه عفصه بسؤال أصحاب السلطان له فى ذلك وكان يقال له لم لا تسكن المدينة فيقول انى اشم رائحة كريهة اذا دخلتها ويقال انه كان فى خلافة العزيز بن المعز وان الشريف محمد بن اسعد الجوانى جمع له جزأ فى مناقبه ولما مات بنى عليه قبة وعمل بجانبه جامع جدده ووسعه الامير محسن الشهابى مقدم المماليك وولى تقدمة المماليك عوضا عن الطواشى عنبر السحرتى أول صفر سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ومات فى   ثم ان النيل مال على ناحية بولاق هذه فيما بعد سنة تسعين وسبعمائة وأخذ منها قطعة عظيمة كانت كلها مساكن فخاف أهل البلد أن يأخذ ضريح الشيخ والجامع لقربهما منه فنقلوا الضريح والجامع الى داخل البلد وهو باق الى يومنا هذا

(جامع البرقية)

هذا الجامع بالقرب من باب البرقية بالقاهرة عمره الامير مغلطاى الفخرى أخو الامير الماس الحاجب وكمل فى المحرم سنة ثلاثين وسبعمائة وكان ظالما عسوفا متكبرا جبارا قبض عليه مع أخيه الماس فى سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وقتل معه

(جامع الحرانى)

هذا الجامع بالقرافة الصغرى فى بحرى الشافعى عمره ناصر الدين بن الحرانى الشرابيشى فى سنة تسع وعشرين وسبعمائة

(جامع بركة)

هذا الجامع بالقرب من جامع ابن طولون يعرف خطه بحدرة ابن قميحة عمره شخص من الجند يعرف ببركة كان يباشر أستادارية الامراء ومات بعد سنة احدى وثمانمائة

(جامع بركة الرطلى)

هذا الجامع كان يعرف موضعه ببركة الفول من جملة أرض الطبالة فلما عمرت بركة الرطلى كما تقدم ذكره أنشئ هذا الجامع وكان ضيقا قصير السقف وفيه قبة تحتها قبر يزار وهو قبر الشيخ خليل بن عبد ربه خادم الشيخ عبد العال

وتوفي في المحرم سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة فلما سكن الوزير الصاحب سعد الدين ابراهيم بن بركة البشيري بجوار هذا الجامع هدمه ووسع فيه وبناه هذا البناء في سنة أربع عشرة وثمانمائة * وولد البشيري في سابع ذي القعدة سنة ست وستين وسبعمائة وتنقل في الخدم الديوانية حتى ولي نظر الدولة الى أن قتل الامير جمال الدين يوسف الاستادار فاستقر بعده في الوزارة بسفارة فتح الدين فتح الله بن كاتب السر في يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الاولى سنة اثنتي عشرة وثمانمائة فباشر الوزارة بضبط جيد لمعرفته الحساب والكتابة الا انها كانت أيام محن احتاج فيها الى وضع يده وأخذ الاموال بأنواع الظلم فلما قتل الملك الناصر فرج واستبد الملك المؤيد شيخ صرفه عن الوزارة في يوم الخميس خامس جمادى الاولى سنة ست عشرة وثمانمائة ودفن بالقرافة وهذا الجامع عامر بعمارة ما حوله

* (جامع الضوة) *

هذا الجامع فيما بين الطبلخاناه السلطانية وباب القلعة المعروف بباب المدرج على رأس الضوة أنشأه الامير الكبير شيخ المحمودي لما قدم من دمشق بعد قتل الملك الناصر فرج واقامة الخليفة أمير المؤمنين المستعين بالله العباسي ابن محمد في سنة خمس عشرة وثمانمائة وسكن بالاصطبل السلطاني فشرع في بناء دار يسكنها فلما استبد بسلطنة مصر وتلقب بالملك المؤيد استغنى عن هذه الدار وكانت لم تكمل فعملها جامعا وخانقاه وصارت الجمعة تقام به

* (جامع الحوش) *

هذا الجامع في داخل قلعة الجبل بالحوش السلطاني أنشأه السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق في سنة اثنتي عشرة وثمانمائة فصار يصلي فيه الخدام وأولاد الملوك من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاون الى أن قتل الناصر فرج

* (جامع الاصطبل) *

هذا الجامع في الاصطبل السلطاني من قلعة الجبل عمره

* (جامع ابن التركماني) *

هذا الجامع بالمقس خارج القاهرة

* (جامع) *

هذا الجامع بخط السبع سقايات فيما بين القاهرة ومصر يطل على بركة قارون أنشأه

* (جامع الباسطي) *

هذا الجامع في بولاق خارج القاهرة أدركت موضعه وهو مطل على النيل طول السنة أنشأه شخص من عرض الفقهاء يعرف   في سنة سبع عشرة وثمانمائة

* (جامع الحنفي) *

هذا الجامع خارج القاهرة أنشأه الشيخ شمس الدين محمد بن حسن بن علي الحنفي في سنة سبع عشرة وثمانمائة

* (جامع ابن الرفعة) *

هذا الجامع خارج القاهرة بحكر الزهري أنشأه الشيخ نجم الدين عبد المحسن بن الرفعة بن أبي المجد العدوي

* (جامع الاسماعيلي) *

أنشأه الامير أرغون الاسماعيلي على البركة الناصرية في شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة

* (جامع الزاهد) *

هذا الجامع بخط المقس خارج القاهرة كان موضعه كوم تراب فنقله الشيخ المعتقد أحمد بن   المعروف بالزاهد وأنشأ موضعه هذا الجامع فكمل في شهر رمضان سنة ثمان عشرة وثمانمائة وهدم بسببه عدة

مساجد قد خرب ما حولها وبنى بأنقاضها هذا الجامع وكان ساكنا مشهورا بالخير يعظ الناس بالجامع الازهر وغيره ولطائفة من الناس فيه عقيدة حسنة ولم يسمع عنه الا خير مات يوم الجمعة سابع عشر شهر ربيع الاول سنة تسع عشرة وثمانمائة أيام الطاعون ودفن بجامعه

(جامع ابن المغربى)

هذا الجامع بالقرب من بركة قرموط مطل على الخليج الناصرى أنشأه صلاح الدين يوسف بن المغربى رئيس الاطباء بديار مصر وبنى بجانبه قبة دفن فيها وعمل به درسا وقراء ومنبرا يخطب عليه فى يوم الجمعة وكان عامرا بعمارة ما حوله فلما خرب خط بركة قرموط تعطل وهو آيل الى أن ينقض ويباع كما بيعت أنقاض غيره

(جامع الفخرى)

هذا الجامع بجوار دار الذهب التى عرفت بدار بهادر الاعسر المجاورة لقبو الذهب من خط بين السورين فيما بين الخوخة وباب سعادة ويتوصل اليه أيضا من درب العداس المجاور لحارة الوزيرية أنشأه الامير فخر الدين عبد الغنى ابن الامير تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج الاستادار فى سنة احدى وعشرين وثمانمائة وخطب فيه يوم الجمعة ثامن عشرى شعبان من السنة المذكورة وعمل فيه عدة دروس وأول من خطب فيه الشيخ ناصر الدين محمد بن عبد الوهاب بن محمد البارنبارى الشافعى ثم تركه تنزها عنه وفى يوم الاحد ثامن شهر رمضان جلس فيه الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الدائم البرماوى الشافعى للتدريس وأضيف اليه مشيخة التصوف وقرر قاضى القضاة شمس الدين محمد الديرى المقدسى الحنفى فى تدريس الحنفية وفى تدريس المالكية قاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن مقداد المالكى وحضر البرماوى وظيفة التصوف بعد عصر يومه فمات الامير فخر الدين فى نصف شوال منها ولم يكمل فدفن هنالك

(الجامع المؤيدى)

هذا الجامع بجوار باب زويلة من داخله كان موضعه خزانة شمائل حيث يسجن أرباب الجرائم وقيسارية سنقر الاشقر ودرب الصفيرة وقيسارية بهاء الدين ارسلان أنشأه السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى الظاهرى فهو الجامع الجامع لمحاسن البنيان الشاهد بفخامة أركانه وضخامة بنيانه أن منشئه سيد ملوك الزمان يحتقر الناظر له عند مشاهدته عرش بلقيس وايوان كسرى أنوشروان ويستصغر من تأمل بديع اسطوانه الخورنق وقصر غمدان ويعجب من عرف أوليته من تبديل الابدال وتنقل الامور من حال الى حال بينا هو سجن تزهق فيه النفوس ويضام المجهود اذ صار مدارس آيات وموضع عبادات ومحل سجود فالله يعمره ببقاء منشيه ويعلى كلمة الايمان بدوام ملك بانيه

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
أو ما ترى الهرمين قد بقيا وكم * ملك محاه حوادث الازمان
ان البناء اذا تعاظم قدره * أضحى يدل على عظيم الشان

وأول ما ابتدئ به فى أمر هذا الجامع أن رسم فى رابع شهر ربيع الاول سنة ثمان عشرة وثمانمائة بانتقال سكان قيسارية سنقر الاشقر التى كانت تجاه قيسارية الفاضل ثم نزل جماعة من أرباب الدولة فى خامسه من قلعة الجبل وابتدئ فى الهدم فى القيسارية المذكورة وما يجاورها فهدمت الدور التى كانت هنالك فى درب الصفيرة وهدمت خزانة شمائل فوجد بها من رمم القتلى ورؤسهم شئ كثير وافرد لنقل ما خرج من التراب عدة من الجمال والحمير بلغت علائقهم فى كل يوم خمسمائة علقة * وكان السبب فى اختيار هذا المكان دون غيره أن السلطان حبس فى خزانة شمائل هذه أيام تغلب الامير منطاش وقبضه على المماليك الظاهرية فقاسى فى ليلة من البق والبراغيث شدائد فنذر لله تعالى ان تيسر له ملك مصر أن يجعل هذه البقعة مسجدا لله عز وجل ومدرسة لاهل العلم فاختار لذلك هذه البقعة وفاء لنذره * وفى رابع جمادى الآخرة كان ابتداء حفر الاساس وفى خامس صفر سنة تسع عشرة وثمانمائة وقع الشروع فى البناء واستقر فيه بضع وثلاثون بناء ومائة فاعل ووفيت لهم ولمباشريهم أجورهم من غير أن يكلف أحد فى العمل فوق طاقته ولا سخر فيه أحد بالقهر فاستمر العمل الى يوم الخميس

سابع

سابع عشر ربيع الاول فأشهد عليه السلطان انه وقف هذا مسجد الله تعالى ووقف عليه عدة مواضع بديار مصر وبلاد الشام وتردد ركوب السلطان الى هذه العمارة عدة مرار * وفى شعبان طلبت عمد الرخام وألواح الرخام لهذا الجامع فأخذت من الدور والمساجد وغيرها وفى يوم الخميس سابع عشرى شوال نقل باب مدرسة السلطان حسن بن محمد بن قلاون والتنور النحاس المكفت الى هذه العمارة وقد اشتراهما السلطان بخمسمائة دينار وهذا الباب هو الذى عمل لهذا الجامع وهذا التنور هو التنور المعلق تجاه المحراب وكان الملك الظاهر برقوق قد سد باب مدرسة السلطان حسن وقطع البسطة التى كانت قدامه كما تقدم فبقى مصراعا الباب والسد من ورائهما حتى نقلا مع التنور الذى كان معلقا هناك * وفى ثامن عشريه دفنت ابنة صغيرة للسلطان فى موضع القبة الغربية من هذا الجامع وهى ثانى ميت دفن بها وانعقدت جملة ما صرف فى هذه العمارة الى سلخ ذى الحجة سنة تسع عشرة على أربعين ألف دينار ثم نزل السلطان فى عشرى المحرم الى هذه العمارة ودخل خزانة الكتب التى عملت هناك وقد حمل اليها كتبا كثيرة فى انواع العلوم كانت بقلعة الجبل وقدم له ناصر الدين محمد البارزى كاتب السر خمسمائة مجلد قيمتها ألف دينار فأقر ذلك بالخزانة وأنعم على ابن البارزى بأن يكون خطيبا وخازن الكتب هو ومن بعده من ذريته * وفى سابع عشر شهر ربيع الآخر منها سقط عشرة من الفعلة مات منهم أربعة وحمل ستة بأسوء حال * وفى يوم الجمعة ثانى جمادى الاولى أقيمت الجمعة به ولم يكمل منه سوى الايوان القبلى وخطب وصلى بالناس عز الدين عبد السلام المقدسى أحد نواب القضاة الشافعية نيابة عن ابن البارزى كاتب السر * وفى يوم السبت خامس شهر رمضان منها ابتدئ بهدم ملك بجوار ربع الملك الظاهر بيبرس مما اشتراه الامير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج الاستادار ليعمل ميضأة واستمر العمل هناك ولازم الامير فخر الدين الاقامة بنفسه واستعمل مماليكه والزامه فيه وجد فى العمل كل يوم فكملت فى سلخه بعد خمسة وعشرين يوما ووقع الشروع فى بناء حوانيت على بابها من جهة تحت الربع ويعلوها طباق وبلغت النفقة على الجامع الى اخريات شهر رمضان هذا سوى عمارة الامير فخر الدين المذكور زيادة على سبعين ألف دينار وتردد السلطان الى النظر فى هذا الجامع غير مرة * فلما كان فى اثناء شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين ظهر بالمئذنة التى أنشئت على بدنة باب زويلة التى تلى الجامع اعوجاج الى جهة دار التفاح فكتب محضر بجماعة المهندسين أنها مستحقة الهدم وعرض على السلطان فرسم بهدمها فوقع الشروع فى الهدم يوم الثلاثاء رابع عشريه واستمر فى كل يوم فسقط يوم الخميس سادس عشريه منها حجر هدم ملكا تجاه باب زويلة هلك تحته رجل فغلق باب زويلة خوفا على المارة من يوم السبت الى آخر يوم الجمعة سادس عشرى جمادى الاولى مدة ثلاثين يوما ولم يعهد وقوع مثل هذا قط منذ بنيت القاهرة * وقال أدباء العصر فى سقوط المنارة المذكورة شعرا كثيرا منه ما قاله حافظ الوقت شهاب الدين أحمد بن على بن حجر الشافعى رحمه الله

لجامع مولانا المؤيد رونق * منارته تزهو من الحسن والزين
تقول وقد مالت عليهم تمهلوا * فليس على جسمى أضر من العين

فتحدث الناس أنه فى قوله بالعين قصد التورية تخدم فى العين التى تصيب الاشياء فتتلفها وفى الشيخ بدر الدين محمود العينتابى فانه يقال له العينى أيضا

فقال المذكور يعارضه

منارة كعروس الحسن اذ جليت * وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا أصيبت بعين قلت ذا غلط * ما أوجب الهدم الا خسة الحجر

يعرض بالشهاب ابن حجر وكل منهما لم يصب الغرض فان العينى بدر الدين محمود ناظر الاحباس والشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر كل منهما ليس له فى المئذنة تعلق حتى تخدم التورية وأبعد منهما بالتورية من قال

على البرج من بابى زويله أسست * منارة بيت الله والمعهد المنجى
فأخلى بها البرج اللعين أمالها * الا فاصرخوا يا قوم باللعن للبرج

وذلك أن الذى ولى تدبير أمر الجامع المؤيدى هذا وولى نظر عمارته بهاء الدين محمد بن البرجى فخدمت التورية فى البرجى كما ترى وتداول هذا الناس فقال آخر

عتبنا على ميل المنار زويلة * وقلنا تركت الناس بالميل فى هرج
فقال قرينى برج نحس أمالنى * فلا بارك الرحمن فى ذلك البرج

وقال الاديب شمس الدين محمد بن أحمد بن كمال الجوجرى أحد الشهود

منارة لثواب الله قد بنيت * فكيف هدت فقالوا نوضح الخبرا
اصابت العين أحجارا بها انفلقت * ونظرة العين قالوا تفلق الحجرا

وقال آخر

منارة قد هدمت بالقضا * والناس فى هرج وفى رهج
أمالها البرج فمالت به * فلعنة الله على البرج

وفى ثالث جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين استقر الشيخ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن حجر فى تدريس الشافعية والشيخ يحيى بن محمد بن أحمد العجيسى البجاءى المغربى فى تدريس المالكية وعز الدين عبد العزيز ابن على بن الفخر البغدادى فى تدريس الحنابلة وخلع عليهم بحضرة السلطان فدرس ابن حجر بالمحراب فى يوم الخميس ثالث عشره ونزل السلطان وأقبل ليحضر عنده وهو فى القاء الدرس ومنعه من القيام له فلم يقم واستمر فيما هو بصدده وجلس السلطان عنده مليا ثم درس يحيى المغربى فى يوم الخميس خامس عشره ودرس فيه أيضا الفخر البغدادى وحضر معهما قضاة القضاة والمشايخ * وفى سابع عشره استقر بدر الدين محمود بن أحمد ابن موسى بن أحمد العينتابى ناظر الاحباس فى تدريس الحديث النبوى واستقر شمس الدين محمد بن يحيى فى تدريس القرا آت السبع * وفى يوم الجمعة حادى عشرى شوّال منها نزل السلطان الى هذا الجامع وقد تقدم الى المباشرين من أمسه بتهيئة السماط العظيم للمدّ فيه والسكر الكثير لتملأ البركة التى بالصحن من السكر المذاب والحلوى الكثيرة فهيئ ذلك كله وجلس السلطان بكرة النهار بالقرب من البركة فى الصحن على تخت واستعرض الفقهاء فقرر من وقع اختياره عليه فى الدروس ومدّ السماط العظيم بأنواع المطاعم وملئت البركة بالسكر المذاب فأكل الناس ونهبوا وارتووا من السكر المذاب وحملوا منه ومن الحلوى ماقدروا عليه ثم طلب قاضى القضاة شمس الدين محمد بن سعد الديرى الحنفى وخلع عليه كاملية صوف بفرو سمور واستقر فى مشيخة التصوف وتدريس الحنفية وجلس بالمحراب والسلطان عن يمينه ويليه ابنه المقام الصارمى ابراهيم وعن يساره قضاة القضاة ومشايخ العلم وحضر أمراء الدولة ومباشروها فألقى درسا مفيدا الى أن قرب وقت الصلاة فدعا بفض المجلس ثم حضرت الصلاة فصعد ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر المنبر فخطب وصلى ثم خلع عليه واستقر خطيبا وخازن الكتب وخلع على شهاب الدين أحمد الاذرعى الامام واستقر فى امامة الخمس وركب السلطان وكان يوما مشهودا * ولما مات المقام الصارمى ابراهيم بن السلطان دفن بالقبة الشرقية ونزل السلطان حتى شهد دفنه فى يوم الجمعة ثانى عشرى جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين وأقام حتى صلى به الخطيب محمد البارزى كاتب السر صلاة الجمعة بعد ما خطب خطبة بليغة ثم عاد الى القلعة وأقام القراء على قبره يقرؤن القرآن أسبوعا والامراء وسائر أهل الدولة يترددون اليه وكانت ليالى مشهودة * وفى يوم السبت آخره استقر فى نظر الجامع المذكور الامير مقبل الدوادار وكاتب السر ابن البارزى فنزلا اليه جميعا وتفقدا أحواله ونظرا فى اموره فلما مات ابن البارزى فى ثامن شوّال منها انفرد الامير مقبل بالتحدث الى أن مات السلطان فى يوم الاثنين ثامن المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة فدفن بالقبة الشرقية ولم تكن عمرت فشرع فى عمارتها حتى كملت فى شهر ذى القعدة منها وكذلك الدرج التى يصعد منها الى باب هذا الجامع من داخل باب زويلة لم تعمل الا فى شهر رمضان منها وبقيت بقايا كثيرة من حقوق هذا الجامع لم تعمل منها القبة التى تقابل القبة المدفون تحتها السلطان والبيوت المعدة لسكن الصوفية وغير ذلك فأفرد لعمارتها نحو من عشرين ألف دينار واستقر نظر هذا الجامع بعد موت السلطان بيد كاتب السر

(الجامع الاشرفى)

هذا الجامع فيما بين المدرسة السيوفية وقيسارية العنبر كان موضعه حوانيت تعلوها رباع ومن ورائها ساحات كانت قياسر بعضها وقف على المدرسة القطبية فابتدأ الهدم فيها بعدما استبدلت بغيرها أول شهر رجب سنة

ست وعشرين وثمانمائة وبنى مكانها فلما عمر الايوان القبلى أقيمت به الجمعة فى سابع جمادى الاولى سنة سبع وعشرين وخطب به الحموى الواعظ وقد ولى الخطابة المذكورة

(الجامع الباسطى)

هذا الجامع بخط الكافورى من القاهرة كان موضعه من جملة أراضى البستان ثم صار مما اختط كما تقدم ذكره فأنشأه القاضى زين الدين عبد الباسط بن خليل بن ابراهيم الدمشقى ناظر الجيوش فى سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة ولم يسخر أحدا فى عمله بل وفى لهم أجورهم حتى كمل فى أحسن هندام وأكيس قالب وأبدع زى ترتاح النفوس لرؤيته وتبتهج عند مشاهدته فهو الجامع الزاهر والمعبد الباهى الباهر ابتدئ فيه باقامة الجمعة فى يوم الجمعة الثانى من صفر سنة ثلاث وعشرين ورتب فى خطابته فتح الدين أحمد بن محمد ابن النقاش أحد شهود الحوانيت وموقعى القضاة ثم رتب به صوفية وولى مشيخة التصوف عز الدين عبد السلام ابن داود بن عثمان المقدسى الشافعى أحد نواب الحكم فكان ابتداء حضورهم بعد عصر يوم السبت أول شهر رجب منها وأجرى للفقراء الصوفية الخبز فى كل يوم والمعلوم فى كل شهر وبنى لهم مساكن وحفر صهريجا يملأ من ماء النيل ويسبل فى كل يوم فعم نفعه وكثر خيره * ثم تجدد فى بولاق جامع ابن الجابى وجامع ابن السفيتى وتجدد فى مصر جامع الحسنات بخط دار النحاس وفى حكر الصبان الجامع المعروف بالمستجد وبجامع الفتح وفى حارة الفقراء جامع عبد اللطيف الطواشى الساقى * وتجدد فى خارج القاهرة بسويقة صفية جامع ابن درهم ونصف وفى خط معدية فريج جامع كزل بغا وفى رأس درب النيدى جامع جارس الطير وفى سويقة عصفور جامع القاضى أمين الدين بجانب زاوية الفقيه المعتقد أبى عبد الله محمد الفارقانى بنى فى سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة وبخط البراذعيين ورأس حارة الحرمين جامع الحاج محمد المعروف بالمسكين مهتار ناظر الخاص * وتجدد فى المراغة جامع الشيخ أبى بكر المعترف بناه الحاج أحمد القماح وأقيمت خطبة بخانكاه الامير جانى بك الاشرفى خارج باب زويلة وتوفى يوم الخميس سابع عشرى ربيع الاول سنة احدى وثلاثين وثمانمائة وبخط باب اللوق جامع مقدم السقائين قريبا من جامع الست نصرة وبخط تحت الربع خارج باب زويلة جامع * وتجدد بالصحراء قريبا من تربة الظاهر برقوق خطبة فى تربة السلطان الملك الاشرف برسباى الدقاقى * وتجدد فى آخر سويقة أمير الجيوش بالقاهرة جامع أنشأه الفقير المعتقد محمد الغمرى وأقيمت به الجمعة فى يوم الجمعة رابع ذى الحجة سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة قبل أن يكمل * وتجدد فى زاوية الشيخ أبى العباس البصير التى عند قنطرة الخرق خطبة * وتجدد فى حدرة الكماجيين من أراضى اللوق خطبة بزاوية مطلة على غيط العدة * وتجدد بالصحراء خطبة فى تربة الامير مشير الدولة كافور الزمام وتوفى فى خامس عشر ربيع الآخر سنة ثلاثين وثمانمائة * وتجدد بخط الكافورى خطبة أحدثها بنو وفاء فى جامع لطيف جدا * وتجدد بمدرسة ابن البقرى من القاهرة أيضا خطبة فى أيام المؤيد شيخ * وتجدد بحارة الديلم خطبة فى مدرسة أنشأها الطواشى مشير الدولة المذكور * وتجدد عند قنطرة قدادار خطبة أنشأها شاكر البناء وخطبة بالقرب منها فى جامع أنشأه الحاج ابراهيم البرددار الشهير بالحصانى أحد الفقراء الاحمدية السطوحية فى حدود الثلاثين والثمانمائة

(ذكر مذاهب أهل مصر ونحلهم منذ افتتح عمرو بن العاص رضى الله عنه أرض مصر الى أن صاروا الى اعتقاد مذاهب الائمة رحمهم الله تعالى وما كان من الاحداث فى ذلك)

اعلم أن الله عز وجل لما بعث نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا الى كافة الناس جميعا عربهم وعجمهم وهم كلهم أهل شرك وعبادة لغير الله تعالى الا بقايا من أهل الكتاب كان من أمره صلى الله عليه وسلم مع قريش ما كان حتى هاجر من مكة الى المدينة فكانت الصحابة رضوان الله عليهم حوله صلى الله عليه وسلم يجتمعون اليه فى كل وقت مع ما كانوا فيه من ضنك المعيشة وقلة القوت فمنهم من كان يحترف فى الاسواق ومنهم من كان يقوم على نخله ويحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل وقت ومنهم طائفة عند ما تجد أدنى فراغ مما هم بسبيله من طلب القوت فاذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسألة أو حكم بحكم أو أمر بشئ أو فعل شيأ وعاه من حضر عنده من الصحابة وفات من غاب عنه علم ذلك الاترى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد خفى عليه

ماعمله حمل بن مالك بن النابغة رجل من الاعراب من هذيل فى دية الجنين وخفى عليه * وكان يفتى فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم من الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت وأبو الدرداء وأبو موسى الاشعرى وسلمان الفارسى رضى الله عنهم * فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر الصديق رضى الله عنه تفرقت الصحابة رضى الله عنهم فمنهم من خرج لقتال مسيلمة واهل الردة ومنهم من خرج لقتال أهل الشام ومنهم من خرج لقتال أهل العراق وبقى من الصحابة بالمدينة مع أبى بكر رضى الله عنه عدة فكانت القضية اذا نزلت بأبى بكر رضى الله عنه قضى فيها بما عنده من العلم بكتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان لم يكن عنده فيها علم من كتاب الله ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل من بحضرته من الصحابة رضى الله عنهم عن ذلك فان وجد عندهم علما من ذلك رجع اليه والا اجتهد فى الحكم * ولما مات أبو بكر وولى أمر الامة من بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتحت الامصار وزاد تفرق الصحابة رضى الله عنهم فيما افتتحوه من الاقطار فكانت الحكومة تنزل بالمدينة أو غيرها من البلاد فان كان عند الصحابة الحاضرين لها فى ذلك أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم به والا اجتهد أمير تلك البلدة فى ذلك وقد يكون فى تلك القضية حكم عن النبى صلى الله عليه وسلم موجود عند صاحب آخر وقد حضر المدنى مالم يحضر المصرى وحضر المصرى مالم يحضر الشامى وحضر الشامى مالم يحضر البصرى وحضر البصرى مالم يحضر الكوفى وحضر الكوفى مالم يحضر المدنى كل هذا موجود فى الآثار وفيما علم من مغيب بعض الصحابة عن مجلس النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الاوقات وحضور غيره ثم مغيب الذى حضر أمس وحضور الذى غاب فيدرى كل واحد منهم ما حضر ويفوته ما غاب عنه فمضى الصحابة رضى الله عنهم على ماذكرنا ثم خلف بعدهم التابعون الآخذون عنهم وكل طبقة من التابعين فى البلاد التى تقدم ذكرها فانما تفقهوا مع من كان عندهم من الصحابة فكانوا لا يتعدون فتاويهم الا اليسير مما بلغهم عن غير من كان فى بلادهم من الصحابة رضى الله عنهم كاتباع أهل المدينة فى الاكثر فتاوى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما واتباع أهل الكوفة فى الاكثر فتاوى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه واتباع أهل مكة فى الاكثر فتاوى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما واتباع أهل مصر فى الاكثر فتاوى عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ثم اتى من بعد التابعين رضى الله عنهم فقهاء الامصار كأبى حنيفة وسفيان وابن أبى ليلى بالكوفة وابن جريج بمكة ومالك وابن الماجشون بالمدينة وعثمان البتى وسوار بالبصرة والاوزاعى بالشام والليث بن سعد بمصر فجروا على تلك الطريق من أخذ كل واحد منهم عن التابعين من أهل بلده فيما كان عندهم واجتهادهم فيما لم يجدوا عندهم وهو موجود عند غيرهم * (وأما مذاهب أهل مصر) * فقال أبو سعيد بن يونس ان عبيد بن مخمر المغافرى يكنى أبا أمية رجل من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم شهد فتح مصر روى عنه أبو قبيل يقال انه كان أول من أقرأ القرآن بمصر * وذكر أبو عمرو الكندى أن أبا ميسرة عبد الرحمن بن ميسرة مولى الملامس الحضرمى كان فقيها عفيفا شريفا ولد سنة عشر ومائة وكان أول الناس اقراء بمصر بحرف نافع قبل الحسين ومائة وتوفى سنة ثمان وثمانين ومائة وذكر عن أبى قبيل وغيره أن يزيد بن أبى حبيب أول من نشر العلم بمصر فى الحلال والحرام وفى رواية ابن يونس ومسائل الفقه وكانوا قبل ذلك انما يتحدثون فى الفتن والترغيب * وعن عون بن سليمان الحضرمى قال كان عمر بن عبد العزيز قد جعل الفتيا بمصر الى ثلاثة رجال رجلان من الموالى ورجل من العرب فأما العربى فجعفر بن ربيعة وأما الموليان فيزيد بن أبى حبيب وعبد الله بن أبى جعفر فكان العرب انكروا ذلك فقال عمر بن عبد العزيز ماذنبى ان كانت الموالى تسمو بأنفسها صعدا وانتم لا تسمون وعن ابن أبى قديد كانت البيعة اذا جاءت للخليفة أول من يبايع عبد الله بن أبى جعفر ويزيد بن أبى حبيب ثم الناس بعد * وقال أبو سعيد بن يونس فى تاريخ مصر عن حيوة بن شريح قال دخلت على حسين بن شفى بن مانع الاصبحى وهو يقول فعل الله بفلان فقلت ماله فقال عمد الى كتابين كان شفى سمعهما من عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أحدهما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كذا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا والآخر ما يكون من الاحداث الى يوم القيامة فأخذهما فرمى بهما بين الخولة والرباب قال أبو سعيد بن يونس يعنى بقوله الخولة والرباب

مركبين كبيرين من سفن الجسر كانا يكونان عند رأس الجسر مما يلي الفسطاط يجوز من تحتهما لكبرهما المراكب * وذكر أبو عمرو الكندي أن أبا سعيد عثمان بن عتيق مولى غافق أوّل من رحل من أهل مصر الى العراق في طلب الحديث توفي سنة أربع وثمانين ومائة انتهى * وكان حال أهل الاسلام من أهل مصر وغيرها من الامصار في أحكام الشريعة على ما تقدّم ذكره ثم كثر الترحل الى الآفاق وتداخل الناس والتقوا وانتدب أقوام لجمع الحديث النبوي وتقييده فكان أوّل من دوّن العلم محمد بن شهاب الزهري وكان أوّل من صنف وبوّب سعيد بن عروبة والربيع بن صبيح بالبصرة ومعمر بن راشد باليمن وابن جريج بمكة ثم سفيان الثوري بالكوفة وحماد بن سلمة بالبصرة والوليد بن مسلم بالشام وجرير بن عبد الحميد بالري وعبد الله بن المبارك بمرو وخراسان وهشيم بن بشير بواسط وتفرّد بالكوفة أبو بكر بن أبي شيبة بتكثير الابواب وجودة التصنيف وحسن التأليف فوصلت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاد البعيدة الى من لم تكن عنده وقامت الحجة على من بلغه شيء منها وجمعت الاحاديث المبينة لصحة أحد التأويلات المتأوّلة من الاحاديث وعرف الصحيح من السقيم وزيف الاجتهاد المؤدّي الى خلاف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ترك عمله وسقط العذر عن خالف ما بلغه من السنن ببلوغه اليه وقيام الحجة عليه وعلى هذا الطريق كان الصحابة رضي الله عنهم وكثير من التابعين يرحلون في طلب الحديث الواحد الايام الكثيرة يعرف ذلك من نظر في كتب الحديث وعرف سير الصحابة والتابعين * فلما قام هارون الرشيد في الخلافة وولي القضاء أبا يوسف يعقوب بن ابراهيم أحد أصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى بعد سنة سبعين ومائة فلم يقلد ببلاد العراق وخراسان والشام ومصر الا من أشار به القاضي أبو يوسف رحمه الله واعتنى به وكذلك لما قام بالاندلس الحكم المرتضى بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بعد أبيه وتلقب بالمنتصر في سنة ثمانين ومائة اختص بيحيى بن يحيى بن كثير الاندلسي وكان قد حج وسمع الموطأ من مالك الا ابوابا وحمل عن ابن وهب وعن ابن القاسم وغيره علما كثيرا وعاد الى الاندلس فنال من الرياسة والحرمة ما لم ينله غيره وعادت الفتيا اليه وانتهى السلطان والعامة الى بابه فلم يقلد في سائر أعمال الاندلس قاض الا باشارته واعتنائه فصاروا على رأي مالك بعد ما كانوا على رأي الاوزاعي وقد كان مذهب الامام مالك أدخله الى الاندلس زياد بن عبد الرحمن الذي يقال له بسطور قبل يحيى بن يحيى وهو أوّل من ادخل مذهب مالك الاندلس وكانت افريقية الغالب عليها السنن والآثار الى أن قدم عبد الله بن فروخ أبو محمد الفارسي بمذهب أبي حنيفة ثم غلب أسد بن الفرات بن سنان قاضي افريقية بمذهب أبي حنيفة ثم لما ولي سحنون بن سعيد التنوخي قضاء افريقية بعد ذلك نشر فيهم مذهب مالك وصار القضاء في أصحاب سحنون دولا يتصاولون على الدنيا تصاول الفحول على الشول الى أن تولى القضاء بها بنو هاشم وكانوا مالكية فتوارثوا القضاء كما تتوارث الضياع ثم ان المعز بن باديس حمل جميع أهل افريقية على التمسك بمذهب مالك وترك ما عداه من المذاهب فرجع أهل افريقية وأهل الاندلس كلهم الى مذهب مالك الى اليوم رغبة فيما عند السلطان وحرصا على طلب الدنيا اذ كان القضاء والافتاء في جميع تلك المدن وسائر القرى لا يكون الا لمن تسمى بالفقه على مذهب مالك فاضطرت العامة الى أحكامهم وفتاواهم ففشا هذا المذهب هنالك فشوا طبق تلك الاقطار كما فشا مذهب أبي حنيفة ببلاد المشرق حيث ان أبا حامد الاسفرايني لما تمكن من الدولة في أيام الخليفة القادر بالله أبي العباس أحمد قرر معه استخلاف أبي العباس أحمد بن محمد البارزي الشافعي عن أبي محمد بن الاكفاني الحنفي قاضي بغداد فأجيب اليه بغير رضى الاكفاني وكتب أبو حامد الى السلطان محمود بن سبكتكين وأهل خراسان أن الخليفة نقل القضاء عن الحنفية الى الشافعية فاشتهر ذلك بخراسان وصار أهل بغداد حزبين وقدم بعد ذلك أبو العلاء صاعد بن محمد قاضي نيسابور ورئيس الحنفية بخراسان فأتاه الحنفية فثارت بينهم وبين أصحاب أبي حامد فتنة ارتفع أمرها الى السلطان فجمع الخليفة القادر الاشراف والقضاة وأخرج اليهم رسالة تتضمن أن الاسفرايني أدخل على امير المؤمنين مداخل أوهمه فيها النصح والشفقة والامانة وكانت على اصول الدخل والخيانة فلما تبين له أمره ووضح عنده خبث اعتقاده فيما سأل فيه من تقليد البارزي الحكم بالحضرة من الفساد والفتنة والعدول بأمير المؤمنين عما كان عليه أسلافه من ايثار الحنفية وتقليدهم واستعمالهم صرف البارزي وأعاد الامر الى حقه وأجراه على قديم

رسمه وحمل الحنفيين على ما كانوا عليه من العناية والكرامة والحرمة والاعزاز وتقدّم اليهم بأن لا يلقوا
أبا حامد ولا يقضوا له حقا ولا يردّوا عليه سلاما وخلع على أبي محمد الاكفاني وانقطع أبو حامد عن دار الخلافة
وظهر التسخط عليه والانحراف عنه وذلك في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة واتصل ببلاد الشام ومصر * (أوّل من
قدم بعلم مالك) الى مصر عبد الرحيم بن خالد بن يزيد بن يحيى مولى جمح وكان فقيها روى عنه الليث وابن وهب
ورشيد بن سعد وتوفى بالاسكندرية سنة ثلاث وستين ومائة ثم نشره بمصر عبد الرحمن بن القاسم فاشتهر مذهب
مالك بمصر اكثر من مذهب أبي حنيفة لتوفر اصحاب مالك بمصر ولم يكن مذهب أبي حنيفة رحمه الله يعرف بمصر
* قال ابن يونس وقدم اسماعيل بن اليسع الكوفي قاضيا بعد ابن لهيعة وكان من خير قضاتنا غير أنه كان يذهب
الى قول أبي حنيفة ولم يكن أهل مصر يعرفون مذهب أبي حنيفة وكان مذهبه ابطال الاحباس فثقل امره على
اهل مصر وسئموه ولم يزل مذهب مالك مشتهرا بمصر حتى قدم الشافعي محمد بن ادريس الى مصر مع عبد الله
ابن العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس في سنة ثمان وتسعين ومائة
فصحبه من أهل مصر جماعة من اعيانها كبني عبد الحكم والربيع بن سليمان وأبي ابراهيم اسماعيل بن يحيى
المزني وأبي يعقوب يوسف بن يحيى البويطي وكتبوا عن الشافعي ما ألفه وعملوا بما ذهب اليه ولم يزل امر
مذهبه يقوى بمصر وذكره ينتشر * قال أبو عمرو الكندي في كتاب أمراء مصر ولم يزل أهل مصر على
الجهر بالبسملة في الجامع العتيق الى سنة ثلاث وخمسين ومائتين قال ومنع أرجون صاحب شرطة مزاحم بن
خاقان أمير مصر من الجهر بالبسملة في الصلوات بالمسجد الجامع وأمر الحسين بن الربيع امام المسجد الجامع
بتركها وذلك في رجب سنة ثلاث وستين ومائتين ولم يزل أهل مصر على الجهر بها في المسجد الجامع منذ
الاسلام الى أن منع منها أرجون قال وامر أن تصلى التراويح في شهر رمضان خمس تراويح ولم يزل أهل مصر
يصلون ست تراويح حتى جعلها أرجون خمسا في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين ومنع من التثويب
وأمر بالاذان يوم الجمعة في مؤخر المسجد وأمر بالتغليس بصلاة الصبح وذلك انهم أسفروا بها وما زال مذهب مالك
ومذهب الشافعي رحمهما الله تعالى يعمل بهما أهل مصر ويولى القضاء من كان يذهب اليهما أو الى مذهب
ابي حنيفة رحمه الله الى أن قدم القائد جوهر من بلاد افريقية في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة بجيوش مولاه
المعز لدين الله أبي تميم معدّ وبنى مدينة القاهرة فمن حينئذ فشا بديار مصر مذهب الشيعة وعمل به في القضاء
والفتيا وأنكر ما خالفه ولم يبق مذهب سواه وقد كان التشيع بأرض مصر معروفا قبل ذلك * قال أبو عمرو
الكندي في كتاب الموالي عن عبد الله بن لهيعة انه قال قال يزيد بن أبي حبيب نشأت بمصر وهي علوية فقلبتها
عثمانية * وكان ابتداء التشيع في الاسلام أن رجلا من اليهود في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه
أسلم فقيل له عبد الله بن سبا وعرف بابن السوداء وصار ينتقل من الحجاز الى أمصار المسلمين يريد اضلالهم فلم يطق
ذلك فرجع الى كيد الاسلام وأهله ونزل البصرة في سنة ثلاث وثلاثين فجعل يطرح على أهلها مسائل ولا يصرّح
فأقبل عليه جماعة ومالوا اليه وأعجبوا بقوله فبلغ ذلك عبد الله بن عامر وهو يومئذ على البصرة فأرسل اليه فلما
حضر عنده سأله ما أنت فقال رجل من اهل الكتاب رغبت في الاسلام وفي جوارك فقال ما شيء بلغني عنك اخرج
عني فخرج حتى نزل الكوفة فأخرج منها فسار الى مصر واستقرّ بها وقال في الناس العجب ممن يصدّق أن عيسى
يرجع ويكذب أن محمدا يرجع وتحدّث في الرجعة حتى قبلت منه فقال بعد ذلك انه كان لكل نبي وصي وعلي
ابن أبي طالب وصي محمد صلى الله عليه وسلم فمن اظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن علي بن
أبي طالب وصيه في الخلافة على أمّته واعلموا أن عثمان أخذ الخلافة بغير حق فانهضوا في هذا الامر وابدؤا
بالطعن على أمرائكم فأظهروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا به الناس وبث دعاته وكاتب من مال
اليه من أهل الامصار وكاتبوه ودعوا في السر الى ما عليه رأيهم وصاروا يكتبون الى الامصار كتبا يضعونها
في عيب ولاتهم فيكتب أهل كل مصر منهم الى اهل المصر الآخر بما يضعون حتى ملؤا بذلك الارض اذاعة وجاء
الى أهل المدينة من جميع الامصار فأتوا عثمان رضي الله عنه في سنة خمس وثلاثين وأعلموه ما أرسل به
أهل الامصار من شكوى عمالهم فبعث محمد بن مسلمة الى الكوفة وأسامة بن زيد الى البصرة وعمار بن ياسر
الى مصر وعبد الله بن عمر الى الشام لكشف سير العمال فرجعوا الى عثمان الا عمارا وقالوا ما انكرنا شيأ

وتأخر عمار فورد الخبر الى المدينة بأنه قد استماله عبد الله ابن السوداء فى جماعة فأمر عثمان عماله أن يوافوه بالموسم فقدموا عليه واستشاروه فكل اشار برأى ثم قدم المدينة بعد الموسم فكان بينه وبين على بن أبى طالب كلام فيه بعض الجفاء بسبب اعطائه أقاربه ورفعه لهم على من سواهم وكان المنحرفون عن عثمان قد تواعدوا يوما يخرجون فيه بأمصارهم اذا سار عنها الامراء فلم يتهيأ لهم الوثوب وعند مارجع الامراء من الموسم تكاتب المخالفون فى القدوم الى المدينة لينظروا فيما يريدون وكان امير مصر من قبل عثمان رضى الله عنه عبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى فلما خرج فى شهر رجب من مصر فى سنة خمس وثلاثين استخلف بعده عقبة بن عامر الجهنى فى قول الليث بن سعد وقال يزيد بن أبى حبيب بل استخلف على مصر السائب بن هشام العامرى وجعل على الخراج سليم بن عنز التجيبى فانتزى محمد بن أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف فى شوال من السنة المذكورة وأخرج عقبة بن عامر من الفسطاط ودعا الى خلع عثمان رضى الله عنه واسعر البلاد وحرض على عثمان بكل شئ يقدر عليه فكان يكتب الكتب على لسان أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأخذ الرواحل فيضمرها ويجعل رجالا على ظهور البيوت ووجوههم الى وجه الشمس لتلوح وجوههم تلويح المسافر ثم يأمرهم أن يخرجوا الى طريق المدينة بمصر ثم يرسلون رسلا يخبرون بهم الناس ليلقوهم وقد أمرهم اذا لقيهم الناس أن يقولوا ليس عندنا خبر الخبر فى الكتب فيجىء رسول اولئك الذين دس فيذكر مكانهم فيتلقاهم ابن أبى حذيفة والناس يقولون نتلقى رسل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا لقوهم قالوا لهم ما الخبر قالوا الاخبر عندنا عليكم بالمسجد ليقرأ عليكم كتاب أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فيجتمع الناس فى المسجد اجتماعا ليس فيه تقصير ثم يقوم القارئ بالكتاب فيقول انا نشكو الى الله واليكم ما عمل فى الاسلام وما صنع فى الاسلام فيقوم اولئك الشيوخ من نواحى المسجد بالبكاء فيبكون ثم ينزل عن المنبر ويتفرق الناس بما قرئ عليهم فلما رأت ذلك شيعة عثمان رضى الله عنه اعتزلوا محمد بن أبى حذيفة ونابذوه وهم معاوية بن خديج وخارجة بن حذافة وبسر بن ارطاة ومسلمة بن مخلد وعمرو بن قحزم الخولانى ومقسم بن بجرة وحمزة بن سرح بن كلال وأبو الكنود سعد بن مالك الازدى وخالد بن ثابت الفهمى فى جمع كثير وبعثوا اسلمة بن مخرمة التجيبى الى عثمان ليخبره بأمرهم وبصنيع ابن أبى حذيفة فبعث عثمان رضى الله عنه سعد بن أبى وقاص ليصلح أمرهم فبلغ ذلك ابن أبى حذيفة فخطب الناس وقال ألا ان الكذا والكذا قد بعث اليكم سعد بن مالك ليفل جماعتكم ويشتت كلمتكم ويوقع التجادل بينكم فانفروا اليه فخرج منهم مائة أو نحوها وقد ضرب فسطاطه وهو قائل فقلبوا عليه فسطاطه وشجوه وسبوه فركب راحلته وعاد راجعا من حيث جاء وقال ضربكم الله بالذل والفرقة وشتت أمركم وجعل بأسكم بينكم ولا ارضاكم بأمير ولا أرضاه عنكم * واقبل عبد الله بن سعد حتى بلغ جسر القلزم فاذا بخيل لابن أبى حذيفة فمنعوه أن يدخل فقال ويلكم دعونى أدخل على جندى فأعلمهم بما جئت به فانى قد جئتهم بخير فأبوا أن يدعوه فقال والله لوددت انى دخلت عليهم وأعلمتهم بما جئت به ثم مت فانصرف الى عسقلان وأجمع محمد بن أبى حذيفة على بعث جيش الى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال من يتشرط فى هذا البعث فكثر عليه من يتشرط فقال انما يكفينا منكم ستمائة رجل فتشرط من أهل مصر ستمائة رجل على كل مائة منهم رئيس وعلى جماعتهم عبد الرحمن ابن عديس البلوى وهم كنانة بن بشر بن سلمان التجيبى وعروة بن سليم الليثى وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعى وسودان بن ريان الاصبحى وذرع بن يشكر النافعى وسجن رجال من أهل مصر فى دورهم منهم بسر بن أرطاة ومعاوية بن خديج فبعث ابن أبى حذيفة الى معاوية بن خديج وهو أرمد ليكرهه على البيعة فلما بلغ ذلك كنانة بن بشر وكان رأس الشيعة الاولى دفع عن معاوية ما كره ثم قتل عثمان رضى الله عنه فى ذى الحجة سنة خمس وثلاثين فدخل الركب الى مصر وهم يرتجزون

خذها اليك واحذرن أبا الحسن * انا نمر الحرب امرار الرسن * بالسيف كى تخمد نيران الفتن

فلما دخلوا المسجد صاحوا انا لسنا قتلة عثمان ولكن الله قتله * فلما رأى ذلك شيعة عثمان قاموا وعقدوا لمعاوية ابن خديج عليهم وبايعوه على الطلب بدم عثمان فسار بهم معاوية الى الصعيد فبعث اليهم ابن أبى حذيفة فالتقوا بدقناس من كورة البهنسا فهزم أصحاب ابن أبى حذيفة ومضى معاوية حتى بلغ برقة ثم رجع الى

الاسكندرية فبعث ابن أبي حذيفة بجيش آخر عليهم قيس بن حرمل فاقتتلوا بخربتا أول شهر رمضان سنة ست وثلاثين فقتل قيس وسار معاوية بن أبي سفيان الى مصر فنزل سلمنت من كورة عين شمس في شوّال فخرج اليه ابن أبي حذيفة في أهل مصر فمنعوه أن يدخلها فبعث اليه معاوية انا لا نريد قتال أحد انما جئنا نسأل القود لعثمان ادفعوا الينا قاتليه عبد الرحمن بن عديس وكنانة بن بشر وهما رأس القوم فامتنع ابن أبي حذيفة وقال لو طلبت منا جديا أرطب السرة بعثمان ما دفعناه اليك فقال معاوية بن أبي سفيان لابن أبي حذيفة اجعل بيننا وبينكم رهنا فلا يكون بيننا وبينكم حرب فقال ابن أبي حذيفة فاني أرضى بذلك فاستخلف ابن أبي حذيفة على مصر الحكم بن الصلت بن مخرمة وخرج في الرهن هو وابن عيسى وكنانة بن بشر وأبو شمر بن ابرهة وغيرهم من قتلة عثمان فلما بلغوا لدّ سجنهم بها معاوية وسار الى دمشق فهربوا من السجن غير أبي شمر بن ابرهة فانه قال لا أدخله أسيرا وأخرج منه آبقا وتبعهم صاحب فلسطين فقتلهم واتبع عبد الرحمن بن عديس رجل من الفرس فقال له عبد الرحمن بن عديس اتق الله في دمي فاني بايعت النبيّ صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة فقال له الشجر في الصحراء كثير فقتله * وقال محمد بن أبي حذيفة في الليلة التي قتل في صباحها عثمان فان يكن القصاص لعثمان فسنقتل من الغد فقتل من الغد وكان قتل ابن ابي حذيفة وعبد الرحمن بن عديس وكنانة بن بشر ومن كان معهم من الرهن في ذي الحجة سنة ست وثلاثين * فلما بلغ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه مصاب ابن أبي حذيفة بعث قيس بن سعد بن عبادة الانصاريّ على مصر وجمع له الخراج والصلاة فدخلها مستهلّ شهر ربيع الاوّل سنة سبع وثلاثين واستمال الخارجية بخربتا ودفع اليهم اعطياتهم ووفد عليه وفدهم فأكرمهم وأحسن اليهم ومصر يومئذ من جيش عليّ رضي الله عنه الا أهل خربتا الخارجين بها * فلما ولى عليّ رضي الله عنه قيس بن سعد وكان من ذوي الرأي جهد معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص على أن يخرجاه من مصر ليغلبا على أمرها فامتنع عليهما بالدهاء والمكايدة فلم يقدرا على أن يلجا مصر حتى كاد معاوية قيسا من قبل عليّ رضي الله عنه فكان معاوية يحدّث رجالا من ذوي رأي قريش فيقول ما ابتدعت من مكايدة قط اعجب اليّ من مكايدة كدت بها قيس بن سعد حين امتنع مني قلت لاهل الشام لا تسبوا قيسا ولا تدعوا الى غزوه فان قيسا لنا شيعة تأتينا كتبه ونصيحته سرّا ألا ترون ماذا يفعل باخوانكم النازلين عنده بخربتا يجري عليهم أعطياتهم وأرزاقهم ويؤمّن سربهم ويحسن الى كل راكب يأتيه منهم * قال معاوية وطفقت اكتب بذلك الى شيعتي من أهل العراق فسمع بذلك جواسيس عليّ بالعراق فأنهاه اليه محمد بن أبي بكر وعبد الله بن جعفر فاتهم قيسا فكتب اليه يأمره بقتال أهل خربتا وبخربتا يومئذ عشرة آلاف فأبى قيس أن يقاتلهم وكتب الى عليّ رضي الله عنه انهم وجوه أهل مصر وأشرافهم وأهل الحفاظ منهم وقد رضوا مني بأن أؤمن سربهم واجري عليهم أعطياتهم وارزاقهم وقد علمت أن هواهم مع معاوية فلست بكائدهم بأمر أهون عليّ وعليك من الذي أفعل بهم وهم أسود العرب منهم بسر بن ارطاة ومسلمة بن مخلد ومعاوية بن خديج فأبى عليه الا قتالهم فأبى قيس أن يقاتلهم وكتب الى عليّ رضي الله عنه ان كنت تتهمني فاعزلني وابعث غيري وكتب معاوية رضي الله عنه الى بعض بني أمية بالمدينة أن جزى الله قيس بن سعد خيرا فانه قد كف عن اخواننا من أهل مصر الذين قاتلوا في دم عثمان واكتموا ذلك فاني أخاف أن يعزله عليّ ان بلغه ما بينه وبين شيعتنا حتى بلغ عليا رضي الله عنه ذلك فقال من معه من رؤساء أهل العراق وأهل المدينة بدّل قيس وتحوّل فقال عليّ ويحكم انه لم يفعل فدعوني قالوا لتعزلنه فانه قد بدّل فلم يزالوا به حتى كتب اليه اني قد احتجت الى قربك فاستخلف على عملك واقدم * فلما قرأ الكتاب قال هذا من مكر معاوية ولولا الكذب لمكرت به مكرا يدخل عليه بيته فوليها قيس بن سعد الى أن عزل عنها أربعة اشهر وخمسة أيام وصرف لخمس خلون من رجب سنة سبع وثلاثين ثم وليها الاشتر مالك بن الحارث ابن عبد يغوث النخعيّ من قبل امير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وذلك أن عبد الله بن جعفر كان اذا أراد أن لا يمنعه عليّ شيأ قال له بحق جعفر فقال له اسألك بحق جعفر الا بعثت الاشتر الى مصر فان ظهرت فهو الذي تحب والا استرحت منه ويقال كان الاشتر قد ثقل على عليّ رضي الله عنه وأبغضه وقلاه فولاه وبعثه فلما قدم قلزم مصر لقي بما يلقى العمال به هنالك فشرب شربة عسل فمات فلما أخبر عليّ بذلك قال لليدين وللفم وسمع عمرو ابن العاص بموت الاشتر فقال ان لله جنودا من عسل أو قال ان لله جنودا من العسل * ثم وليها محمد بن أبي بكر

الصدّيق من قبل علىّ رضى الله عنهم وجمع له صلاتها وخراجها فدخلها للنصف من شهر رمضان سنة سبع وثلاثين فلقيه قيس بن سعد فقال له انه لا يمنعنى نصحى لك عزله اياى ولقد عزلنى عن غير وهن ولا عجز فاحفظ ما أوصيك به يدم صلاح حالك دع معاوية بن خديج ومسلمة بن مخلد وبسر بن أرطاة ومن ضوى اليهم على ماهم عليه لا تكفهم عن رأيهم فان أتوك ولم يفعلوا فاقبلهم وان تخلفوا عنك فلا تطلبهم وانظر هذا الحىّ من مضر فانت أولى بهم منى فألن لهم جناحك وقرّب عليهم مكانك وارفع عنهم حجابك وانظر هذا الحىّ من مدلج فدعهم وما غلبوا عليه يكفوا عنك شأنهم وأنزل الناس من بعد على قدر منازلهم فان استطعت أن تعود المرضى وتشهد الجنائز فافعل فان هذا لا ينقصك ولن تفعل انك والله ما علمت لتظهر الخيلاء وتحب الرياسة وتسارع الى ما هو ساقط عنك والله موفقك فعمل محمد بخلاف ما أوصاه به قيس فبعث الى ابن خديج والخارجة معه يدعوهم الى بيعته فلم يجيبوه فبعث الى دور الخارجة فهدمها ونهب أموالهم وسجن ذراريهم فنصبوا له الحرب وهموا بالنهوض اليه فلما علم أنه لا قوة له بهم أمسك عنهم ثم صالحهم على أن يسيرهم الى معاوية وأن ينصب لهم جسر القيوس يجوزون عليه ولا يدخلون الفسطاط ففعلوا ولحقوا بمعاوية فلما أجمع علىّ رضى الله عنه ومعاوية على الحكمين اغفل علىّ أن يشترط على معاوية أن لا يقاتل أهل مصر * فلما انصرف علىّ الى العراق بعث معاوية رضى الله عنه عمرو بن العاص رضى الله عنه فى جيوش أهل الشام الى مصر فاقتتلوا قتالا شديدا انهزم فيه أهل مصر ودخل عمرو بأهل الشام الفسطاط وتغيب محمد بن أبى بكر فأقبل معاوية بن خديج فى رهط ممن يعينه على من كان يمشى فى قتل عثمان وطلب ابن أبى بكر فدلتهم عليه امرأة فقال احفظونى فى أبى بكر فقال معاوية بن خديج قتلت ثمانين رجلا من قومى فى عثمان واتركك وانت صاحبه فقتله ثم جعله فى جيفة حمار ميت فأحرقه بالنار فكانت ولاية محمد بن أبى بكر خمسة اشهر ومقتله لاربع عشرة خلت من صفر سنة ثمان وثلاثين * ثم ولى عمرو بن العاص مصر من بعده فاستقبل بولايته هذه الثانية شهر ربيع الاوّل وجعل اليه الصلاة والخراج وكانت مصر قد جعلها معاوية له طعمة بعد عطاء جندها والنفقة على مصلحتها ثم خرج الى الحكومة واستخلف على مصر ابنه عبد الله بن عمرو وقيل خارجة بن حذافة ورجع عمرو الى مصر فأقام بها وتعاقد بنو ملجم عبد الرحمن وقيس ويزيد على قتل علىّ رضى الله عنه وعمرو ومعاوية رضى الله عنهما وتواعدوا على ليلة من رمضان سنة أربعين فمضى كل منهم الى صاحبه فلما قتل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه واستقر الامر لمعاوية كانت مصر جندها وأهل شوكتها عثمانية وكثير من أهلها علوية فلما مات معاوية ومات ابنه يزيد بن معاوية كان على مصر سعيد بن يزيد الازدىّ على صلاتها فلم يزل أهل مصر على الشنان له والاعراض عنه والتكبر عليه منذ ولاه يزيد بن معاوية حتى مات يزيد فى سنة أربع وستين ودعا عبد الله بن الزبير الى نفسه فقامت الخوارج بمصر فى امره واظهروا دعوته وكانوا يحسبونه على مذهبهم وأوفدوا منهم وفدا اليه فسار منهم نحو الالفين من مصر وسألوه أن يبعث اليهم بأمير يقومون معه ويوازرونه وكان كريب بن أبرهة الصباح وغيره من أشراف مصر يقولون ماذا نرى من العجب أن هذه الطائفة المكتمة تأمر فينا وتنهى ونحن لا نستطيع أن نردّ أمرهم ولحق بابن الزبير ناس كثير من أهل مصر * وكان أوّل من قدم مصر برأى الخوارج حجر بن الحارث بن قيس المذحجىّ وقيل حجر بن عمرو ويكنى بأبى الورد وشهد مع علىّ صفين ثم صار من الخوارج وحضر مع الحرورية النهروان فخرج وصار الى مصر برأى الخوارج واقام بها حتى خرج منها الى ابن الزبير فى امارة مسلمة بن مخلد الانصارىّ على مصر * فلما مات يزيد بن معاوية وبويع ابن الزبير بعده بالخلافة بعث الى مصر بعبد الرحمن بن جحدم الفهرىّ فقدمها فى طائفة من الخوارج فوثبوا على سعيد بن يزيد فاعتزلهم واستمر ابن جحدم وكثرت الخوارج بمصر منها وممن قدم من مكة فأظهروا فى مصر التحكيم ودعوا اليه فاستعظم الجند ذلك وبايعه الناس على غلّ فى قلوب ناس من شيعة بنى أمية منهم كريب بن ابرهة ومقسم بن بجرة وزياد بن حناطة التجيبىّ وعابس بن سعيد وغيرهم فصار أهل مصر حينئذ ثلاث طوائف علوية وعثمانية وخوارج * فلما بويع مروان بن الحكم بالشام فى ذى القعدة سنة أربع وستين كانت شيعته من أهل مصر مع ابن جحدم فكاتبوه سرّا حتى أتى مصر فى أشراف كثيرة وبعث ابنه عبد العزيز بن مروان فى جيش الى ايلة ليدخل من هنالك مصر وأجمع ابن جحدم على حربه ومنعه فحفر الخندق فى شهر وهو الخندق الذى بالقرافة وبعث بمراكب فى البحر ليخالف الى عيالات أهل الشام وقطع بعثا فى البرّ وجهز جيشا آخر الى ايلة

لمنع عبد العزيز من المسير منها فغرقت المراكب ونجا بعضها وانهزمت الجيوش ونزل مروان عين شمس فخرج اليه ابن جحدم فى أهل مصر فتحاربوا واستحرّ القتل فقتل من الفريقين خلق كثير ثم ان كريب بن ابرهة وعابس بن سعيد وزياد بن حناطة وعبد الرحمن بن موهب المغافرىّ دخلوا فى الصلح بين أهل مصر وبين مروان فتمّ ودخل مروان الى الفسطاط لغرّة جمادى الاولى سنة خمس وستين فكانت ولاية ابن جحدم تسعة أشهر ووضع العطاء فبايعه الناس الا نفرا من المعافر قالوا لانخلع بيعة ابن الزبير فقتل منهم ثمانين رجلا قدّمهم رجلا رجلا فضرب أعناقهم وهم يقولون انا قد بايعنا ابن الزبير طائعين فلم نكن لننكث بيعته وضرب عنق الاكدر بن حمام بن عامر سيد لخم وشيخها وحضر هو وأبوه فتح مصر وكانا ممن ثار الى عثمان رضى الله عنه فتنادى الجند قتل الاكدر فلم يبق أحد حتى لبس سلاحه فحضر باب مروان منهم زيادة على ثلاثين ألفا وخشى مروان واغلق بابه حتى أتاه كريب بن ابرهة وألقى عليه رداءه وقال للجند انصرفوا أنا له جار فما عطف أحد منهم وانصرفوا الى منازلهم وكان للنصف من جمادى الآخرة ويومئذ مات عبد الله بن عمرو بن العاص فلم يستطع أحد أن يخرج بجنازته الى المقبرة لشغب الجند على مروان ومن حينئذ غلبت العثمانية على مصر فتظاهروا فيها بسب علىّ رضى الله عنه وانكفت السنة العلوية والخوارج * فلما كانت ولاية قرّة بن شريك العبسىّ على مصر من قبل الوليد بن عبد الملك فى سنة تسعين خرج الى الاسكندرية فى سنة احدى وتسعين فتعاقدت السراة من الخوارج بالاسكندرية على الفتك به وكانت عدّتهم نحوا من مائة فعقدوا لرئيسهم المهاجر بن أبى المثنى التجيبى أحد بنى فهم عليهم عند منارة الاسكندرية وبالقرب منهم رجل يكنى أبا سليمان فبلغ قرّة ماعزموا عليه فأتى بهم قبل أن يتفرقوا فأمر بحبسهم فى اصل منارة الاسكندرية وأحضر قرّة وجوه الجند فسألهم فأقرّوا فقتلهم ومضى رجل ممن كان يرى رأيهم الى أبى سليمان فقتله فكان يزيد بن أبى حبيب اذا اراد أن يتكلم بشئ فيه تقية من السلطان تلفت وقال احذروا أبا سليمان ثم قال الناس كلهم من ذلك اليوم أبو سليمان * فلما قام عبد الله بن يحيى الملقب بطالب الحق فى الحجاز على مروان بن محمد الجعدىّ قدم الى مصر داعيته ودعا الناس فبايع له ناس من تجيب وغيرهم فبلغ ذلك حسان بن عتاهية صاحب الشرطة فاستخرجهم فقتلهم حوثرة بن سهيل الباهلىّ أمير مصر من قبل مروان بن محمد فلما قتل مروان وانقضت أيام بنى أمية ببنى العباس فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة خمدت جمرة أصحاب المذهب المروانىّ وهم الذين كانوا يسبون علىّ بن أبى طالب ويتبرّؤن منه وصاروا منذ ظهر بنو العباس يخافون القتل ويخشون أن يطلع عليهم أحد الا طائفة كانت بناحية الواحات وغيرها فانهم أقاموا على مذهب المروانية دهرا حتى فنوا ولم يبق لهم الآن بديار مصر وجود البتة * فلما كان فى امارة حميد بن قحطبة على مصر من قبل أبى جعفر المنصور قدم الى مصر علىّ بن محمد بن عبد الله بن الحسن ابن الحسين بن علىّ بن أبى طالب داعية لابيه وعمه فذكر ذلك لحميد فقال هذا كذب ودس اليه أن تغيب ثم بعث اليه من الغد فلم يجده فكتب بذلك الى أبى جعفر المنصور فعزل حميدا وسخط عليه فى ذى القعدة سنة أربع وأربعين ومائة وولى يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة فظهرت دعوة بنى حسن بن علىّ بمصر وتكلم الناس بها وبايع كثير منهم لعلىّ بن محمد بن عبد الله وهو أوّل علوىّ قدم مصر وقام بأمر دعوته خالد بن سعيد ابن ربيعة بن حبيش الصدفىّ وكان جدّه ربيعة بن حبيش من خاصة علىّ بن أبى طالب وشيعته وحضر الدار فى قتل عثمان رضى الله عنه فاستشار خالد أصحابه الذين بايعوا له فأشار عليه بعضهم أن يبيت يزيد بن حاتم فى العسكر وكان الامراء قد صاروا منذ قدمت عساكر بنى العباس ينزلون فى العسكر الذى بنى خارج الفسطاط من شماليه كما ذكر فى موضعه من هذا الكتاب وأشار عليه آخرون أن يحوز بيت المال وأن يكون خروجهم فى الجامع فكره خالد أن يبيت يزيد بن حاتم وخشى على اليمانية وخرج منهم رجل قد شهد امرهم حتى اتى الى عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج وهو يومئذ على الفسطاط فخبره أنهم الليلة يخرجون فمضى عبد الله الى يزيد بن حاتم وهو بالعسكر فكان من أمرهم ماكان لعشر من شوّال سنة خمس وأربعين ومائة فانهزموا ثم قدمت الخطباء برأس ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين فى ذى الحجة من السنة المذكورة الى مصر ونصبوه فى المسجد الجامع وقامت الخطباء فذكروا امره وحمل علىّ بن محمد الى ابى جعفر المنصور وقيل انه

اختفى عند عسامة بن عمرو بقرية طره فرض بها ومات فقبر هنالك وحمل عسامة الى العراق فحبس الى أن رده
المهدى محمد بن أبى جعفر الى مصر ومازالت شيعة على بمصر الى أن ورد كتاب المتوكل على الله الى مصر يامر فيه
بأخراج آل أبى طالب من مصر الى العراق فأخرجهم اسحاق بن يحيى الختلى أمير مصر وفرق فيهم الاموال
ليتحملوا بها وأعطى كل رجل ثلاثين دينارا والمرأة خمسة عشر دينارا فخرجوا لعشر خلون من رجب سنة ست
وثلاثين ومائتين وقدموا العراق فاخرجوا الى المدينة فى شوّال منها واستتر من كان بمصر على رأى العلوية حتى
ان يزيد بن عبد الله أمير مصر ضرب رجلا من الجند فى شئ وجب عليه فأقسم عليه بحق الحسن والحسين الاعفا
عنه فزاده ثلاثين درة ورفع ذلك صاحب البريد الى المتوكل فورد الكتاب على يزيد بضرب ذلك الجندى مائة
سوط فضرب بها وحمل بعد ذلك الى العراق فى شوّال سنة ثلاث وأربعين ومائتين وتتبع يزيد الروافض فحملهم الى
العراق ودل فى شعبان على رجل يقال له محمد بن على بن الحسن بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب انه بويع له
فأحرق الموضع الذى كان به وأخذه فأقر على جمع من الناس بايعوه فضرب بعضهم بالسياط وأخرج العلوى
هو وجمع من آل أبى طالب الى العراق فى شهر رمضان ومات المتوكل فى شوّال فقام من بعده ابنه محمد المستنصر
فورد كتابه الى مصر بان لا يقبل علوى ضيعة ولا يركب فرسا ولا يسافر من الفسطاط الى طرف من أطرافها
وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد الا العبد الواحد ومن كان بينه وبين أحد من الطالبيين خصومة من سائر
الناس قبل قول خصمه فيه ولم يطالب ببينة وكتب الى العمال بذلك ومات المستنصر فى ربيع الآخر وقام
المستعين فأخرج يزيد ستة رجال من الطالبيين الى العراق فى رمضان سنة خمسين ومائتين ثم أخرج ثمانية
منهم فى رجب سنة احدى وخمسين وخرج جابر بن الوليد المدلجى بأرض الاسكندرية فى ربيع الآخر سنة اثنتين
وخمسين واجتمع اليه كثير من بنى مدلج فبعث اليه محمد بن عبيد الله بن يزيد بجيش من الاسكندرية فهزمهم
وظفر بما معهم وقوى امره وأتاه الناس من كل ناحية وضوى اليه كل من يومى اليه بشدة ونجدة فكان ممن
اتاه عبد الله المريسى وكان لصا خبيثا ولحق به جريج النصرانى وكان من شرار النصارى واولى بأسهم ولحق به
أبو حرملة فرج النوبى وكان فاتكا فاتكافه قدله جابر على سنهور وسخا وشرقيون وبنا فضى أبو حرملة فى جيش عظيم
فاخرج العمال وجبى الخراج ولحق به عبد الله بن احمد بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن على بن الحسين
ابن على بن أبى طالب الذى يقال له ابن الارقط فقوّده أبو حرملة وضم اليه الاعراب وولاه بنا وبوصير وسمنود
فبعث يزيد أمير مصر بجمع من الاتراك فى جمادى الآخرة فقاتلهم ابن الارقط وقتل منهم ثم تبتواله فانهزم وقتل
من اصحابه كثير وأسر منهم كثير ولحق ابن الارقط بأبى حرملة فى شرقيون فصار الى عسكر يزيد فانهزم أبو حرملة
وقدم مزاحم بن خاقان من العراق فى جيش فحارب أبا حرملة حتى أسر فى رمضان واستأمن ابن الارقط
فأخذ وأخرج الى العراق فى ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين ومائتين ففر منهم ثم ظفر به وحبس ثم حمل الى العراق
فى صفر سنة خمس وخمسين ومائتين بكتاب ورد على احمد بن طولون ومات أبو حرملة فى السجن لاربع بقين من
ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وأخذ جابر بعد حروب وحمل الى العراق فى رجب سنة أربع وخمسين وخرج فى
امرة أرجون التركى رجل من العلويين يقال له بغا الاكبر وهو أحمد بن ابراهيم بن عبد الله بن طبا طبا بن اسماعيل
ابن ابراهيم بن حسن بن حسين بن على بالصعيد فحاربه اصحاب أرجون وفر منهم فمات ثم خرج بغا الاصغر وهو احمد
ابن محمد بن عبد الله بن طبا طبا فيما بين الاسكندرية وبرقة فى جمادى الاولى سنة خمس وخمسين ومائتين والامير
يومئذ أحمد بن طولون وسار فى جمع الى الصعيد فقتل فى الحرب واتى برأسه الى الفسطاط فى شعبان وخرج ابن
الصوفى العلوى بالصعيد وهو ابراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب ودخل
اسنا فى ذى القعدة سنة خمس وخمسين ونهبها وقتل أهلها فبعث اليه ابن طولون بجيش فحاربوه فهزمهم
فى ربيع الاول سنة ست وخمسين بهو فبعث ابن طولون اليه بجيش آخر فالتقيا باخميم فى ربيع الآخر فانهزم ابن
الصوفى وترك جميع ما معه وقتلت رجالته فأقام ابن الصوفى بالواح سنتين ثم خرج الى الاشمونين فى المحرّم سنة
تسع وخمسين وسار الى اسوان لمحاربة أبى عبد الرحمن العمرى فظفر به العمرى وبجميع جيشه وقتل منهم مقتلة
عظيمة ولحق ابن الصوفى باسوان فقطع لاهلها ثلثمائة ألف نخلة فبعث اليه ابن طولون بعثا فاضطرب امره مع
اصحابه فتركهم ومضى الى عيذاب فركب البحر الى مكة فقبض عليه بها وحمل الى ابن طولون فسجنه ثم اطلقه

فصار الى المدينة ومات بها * وفى امارة هارون بن خمارويه بن احمد بن طولون انكر رجل من أهل مصر أن يكون أحد خيرا من أهل البيت فوثبت اليه العامة فضرب بالسياط يوم الجمعة فى جمادى الاولى سنة خمس وثمانين ومائتين * وفى امارة ذكا الاعور على مصر كتب على أبواب الجامع العتيق ذكر الصحابة والقرآن فرضيه جمع من الناس وكرهه آخرون فاجتمع الناس فى رمضان سنة خمس وثلثمائة الى دار ذكا يشكرونه على ما أذن لهم فيه فوثب الجند بالناس فنهب قوم وجرح آخرون ومحى ما كتب على أبواب الجامع ونهب الناس فى المسجد والاسواق وافطر الجند يومئذ وما زال امر الشيعة يقوى بمصر الى أن دخلت سنة خمسين وثلثمائة ففى يوم عاشوراء كانت منازعة بين الجند وبين جماعة من الرعية عند قبر كلثوم العلوية بسبب ذكر السلف والنوح قتل فيها جماعة من الفريقين وتعصب السودان على الرعية فكانوا اذا لقوا أحدا قالوا له من خالك فان لم يقل معاوية والابطشوا به وشلحوه ثم كثر القول معاوية خال على وكان على باب الجامع العتيق شيخان من العامة ينادبان فى كل يوم جمعة فى وجوه الناس من الخاص والعام معاوية خالى وخال المؤمنين وكاتب الوحى ورديف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا أحسن ما يقولونه والا فقد كانوا يقولون معاوية خال على من ها هنا ويشيرون الى أصل الاذن ويلقون أبا جعفر مسلما الحسينى فيقولون له ذلك فى وجهه وكان بمصر اسود يصيح دائما معاوية خال على فقتل بتنيس أيام القائد جوهر * ولما ورد الخبر بقيام بنى حسن بمكة ومحاربتهم الحاج ونهبهم خرج خلق من المصريين فى شوّال فلقوا كافور الاخشيدى بالميدان ظاهر مدينة مصر وضجوا وصاحوا معاوية خال على وسألوه أن يبعث لنصرة الحاج على الطالبيين * وفى شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة أخذ رجل يعرف بابن أبى الليث الملطى ينسب الى التشيع فضرب مائتى سوط ودرة ثم ضرب فى شوّال خمسمائة سوط ودرة وجعل فى عنقه غل وحبس وكان يتفقد فى كل يوم لئلا يخفف عنه ويبصق فى وجهه فمات فى محبسه فحمل ليلا ودفن فمضت جماعة الى قبره لينبشوه وبلغوا الى القبر فمنعهم جماعة من الاخشيدية والكافورية فأبوا وقالوا هذا قبر رافضى فثارت فتنة وضرب جماعة ونهبوا كثيرا حتى تفرق الناس * وفى سنة ست وخمسين كتب فى صفر على المساجد ذكر الصحابة والتفضيل فأمر الاستاذ كافور الاخشيدى بازالته فحدثه جماعة فى اعادة ذكر الصحابة على المساجد فقال ما أحدث فى أيامى مالم يكن وما كان فى أيام غيرى فلا أزيله وما كتب فى أيامى أزيله ثم امر من طاف وازاله من المساجد كلها * ولما دخل جوهر القائد بعساكر المعز لدين الله الى مصر وبنى القاهرة اظهر مذهب الشيعة واذن فى جميع المساجد الجامعة وغيرها حى على خير العمل وأعلن بتفضيل على بن أبى طالب على غيره وجهر بالصلاة عليه وعلى الحسن والحسين وفاطمة الزهراء رضوان الله عليهم فشكا اليه جماعة من أهل المسجد الجامع أمر عجوز عمياء تنشد فى الطريق فأمر بها فحبست فسر الرعية بذلك ونادوا بذكر الصحابة ونادوا معاوية خال على وخال المؤمنين فأرسل جوهر حين بلغه ذلك رجلا الى الجامع فنادى أيها الناس أقلوا القول ودعوا الفضول فانما حبسنا العجوز صيانة لها فلا ينطقن أحد الا حلت به العقوبة الموجعة ثم أطلق العجوز * وفى ربيع الاول سنة اثنتين وستين عزر سليمان بن عروة المحتسب جماعة من الصيارفة فشغبوا وصاحوا معاوية خال على بن أبى طالب فهم جوهر أن يحرق رحبة الصيارفة لكن خشى على الجامع وأمر الامام بجامع مصر أن يجهر بالبسملة فى الصلاة وكانوا لا يفعلون ذلك وزيد فى صلاة الجمعة القنوت فى الركعة الثانية وأمر فى المواريث بالرد على ذوى الارحام وأن لا يرث مع البنت أخ ولا أخت ولا عم ولا جد ولا ابن أخ ولا ابن عم ولا يرث مع الولد الذكر أو الانثى الا الزوج أو الزوجة والابوان والجدة ولا يرث مع الام الا من يرث مع الولد وخاطب أبو الطاهر محمد بن احمد قاضى مصر القائد جوهرا فى بنت واخ وانه كان حكم قديما للبنت بالنصف وللاخ بالباقى فقال لا افعل فلما ألح عليه قال يا قاضى هذا عداوة لفاطمة عليها السلام فأمسك أبو الطاهر ولم يراجعه بعد فى ذلك وصار صوم شهر رمضان والفطر على حساب لهم فأشار الشهود على القاضى أبى الطاهر أن لا يطلب الهلال لان الصوم والفطر على الرؤية قد زال فانقطع طلب الهلال من مصر وصام القاضى وغيره مع القائد جوهر كما يصوم وافطروا كما يفطر * ولما دخل المعز لدين الله الى مصر ونزل بقصره من القاهرة المعزية أمر فى رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة فكتب على سائر الاماكن بمدينة مصر خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

امير

أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام * وفى صفر سنة خمس وستين وثلثمائة جلس علىّ بن النعمان القاضى بجامع القاهرة المعروف بالجامع الازهر وأملى مختصر أبيه فى الفقه عن أهل البيت ويعرف هذا المختصر بالاقتصار وكان جمعا عظيما وأثبت أسماء الحاضرين * ولما تولى يعقوب بن كلس الوزارة للعزيز بالله نزار بن المعز رتب فى داره العلماء من الادباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين وأجرى لجميعهم الارزاق وألف كتابا فى الفقه ونصب له مجلسا وهو يوم الثلاثاء يجتمع فيه الفقهاء وجماعة من المتكلمين وأهل الجدل وتجرى بينهم المناظرات وكان يجلس أيضا فى يوم الجمعة فيقرأ مصنفاته على الناس بنفسه ويحضر عنده القضاة والفقهاء والقرّاء والنحاة وأصحاب الحديث ووجوه أهل العلم والشهود فاذا انقضى المجلس من القراءة قام الشعراء لانشاد مدائحهم فيه وجعل للفقهاء فى شهر رمضان الاطعمة وألف كتابا فى الفقه يتضمن ما سمعه من المعز لدين الله ومن ابنه العزيز بالله وهو مبوّب على أبواب الفقه يكون قدره مثل نصف صحيح البخارى ملكته ووقفت عليه وهو يشتمل على فقه الطائفة الاسماعيلية وكان يجلس لقراءة هذا الكتاب على الناس بنفسه وبين يديه خواص الناس وعوامّهم وسائر الفقهاء والقضاة والادباء وأفتى الناس به ودرّس وافيه بالجامع العتيق وأجرى العزيز بالله لجماعة من الفقهاء يحضرون مجلس الوزير ويلازمونه أرزاقا تكفيهم فى كل شهر وأمر لهم ببناء دار الى جانب الجامع الازهر فاذا كان يوم الجمعة تحلقوا فيه بعد الصلاة الى أن تصلى صلاة العصر وكان لهم من مال الوزير أيضا صلة فى كل سنة وعدّتهم خمسة وثلاثون رجلا وخلع عليهم العزيز بالله فى يوم عيد الفطر وحملهم على بغال * وفى سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة أمر العزيز بن المعز بقطع صلاة التراويح من جميع البلاد المصرية * وفى سنة احدى وثمانين وثلثمائة ضرب رجل بمصر وطيف به المدينة من اجل انه وجد عنده كتاب الموطأ لمالك بن أنس رحمه الله * وفى شهر ربيع الاوّل سنة خمس وثمانين وثلثمائة جلس القاضى محمد بن النعمان على كرسىّ بالقصر فى القاهرة لقراءة علوم أهل البيت على الرسم المتقدم له ولاخيه بمصر ولابيه بالمغرب فمات فى الزحمة أحد عشر رجلا * وفى جمادى الاولى سنة احدى وتسعين وثلثمائة قبض على رجل من أهل الشام سئل عن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فقال لا اعرفه فاعتقله قاضى القضاة الحسين بن النعمان قاضى أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله على القاهرة المعزية ومصر والشامات والحرمين والمغرب وبعث اليه وهو فى السجن أربعة من الشهود وسألوه فأقرّ بالنبى صلى الله عليه وسلم وانه نبىّ مرسل وسئل عن علىّ بن أبى طالب فقال لا اعرفه فأمر قائد القوّاد الحسين بن جوهر باحضاره فخلا به ورفق فى القول له فلم يرجع عن انكاره معرفة علىّ بن ابى طالب فطولع الحاكم بأمره فأمر بضرب عنقه فضرب عنقه وصلب * وفى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة قبض على ثلاثة عشر رجلا وضربوا وشهروا على الجمال وحبسوا ثلاثة أيام من اجل أنهم صلوا صلاة الضحى * وفى سنة خمس وتسعين وثلثمائة قرئ سجل فى الجوامع بمصر والقاهرة والجزيرة بأن تلبس النصارى واليهود الغيار والزنار وغيارهم السواد غيار العاصين العباسيين وأن يشدّوا الزنار وفيه وقوع وفحش فى حق أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وقرئ سجل آخر فيه منع الناس من أكل الملوخيا المحببة كانت لمعاوية بن أبى سفيان ومنعهم من اكل البقلة المسماة بالجرجير المنسوبة لعائشة رضى الله عنها ومن المتوكلية المنسوبة الى المتوكل والمنع من عجين الخبز بالرجل والمنع من اكل الدلينس ومن ذبح البقر الاذا عاهة ما عدا أيام النحر فانه يذبح فيها البقر فقط والوعيد للنخاسين متى باعوا عبدا أو أمة لذمىّ وقرئ سجل آخر بأن يؤذن لصلاة الظهر فى أول الساعة السابعة ويؤذن لصلاة العصر فى أول الساعة التاسعة وقرئ أيضا سجل بالمنع من عمل الفقاع وبيعه فى الاسواق لما يؤثر عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه من كراهية شرب الفقاع وضرب فى الطرقات والاسواق بالجرس ونودى أن لا يدخل أحد الحمام الا بمئزر ولا تكشف امرأة وجهها فى طريق ولا خلف جنازة ولا تتبرّج ولا يباع شئ من السمك بغير قشر ولا يصطاده أحد من الصيادين وقبض على جماعة وجدوا فى الحمام بغير مئزر فضربوا وشهروا * وكتب فى صفر من هذه السنة على سائر المساجد وعلى الجامع العتيق بمصر من ظاهره وباطنه من جميع جوانبه وعلى أبواب الحوانيت والحجر وعلى المقابر والصحراء سبّ السلف ولعنهم ونقش ذلك ولوّن بالاصباغ والذهب وعمل ذلك على أبواب الدور والقياسر وأكره الناس على ذلك وتسارع الناس الى الدخول فى الدعوة فجلس لهم قاضى القضاة عبد

العزيز بن محمد بن النعمان فقدموا من سائر النواحى والضياع فكان للرجال يوم الاحد وللنساء يوم الاربعاء
وللاشراف وذوى الاقدار يوم الثلاثاء وازدحم الناس على الدخول فى الدعوة فمات عدة من الرجال والنساء *
ولما وصلت قافلة الحاج مرّ بهم من سبّ العامة وبطشهم مالا يوصف فانهم ارادوا حمل الحاج على سبّ السلف
فأبوا فحلّ بهم مكروه شديد * وفى جمادى الآخرة من هذه السنة فتحت دار الحكمة بالقاهرة
وجلس فيها القرّاء وحملت الكتب اليها من خزائن القصور ودخل الناس اليها وجلس فيها القرّاء والفقهاء
والمنجمون والنحاة واصحاب اللغة والاطباء وحصل فيها من الكتب فى سائر العلوم مالم ير مثله مجتمعا وأجرى
على من فيها من الخدّام والفقهاء الارزاق السنية وجعل فيها ما يحتاج اليه من الحبر والاقلام والمحابر والورق *
وفى يوم عاشوراء من سنة ست وتسعين وثلثمائة كان من اجتماع الناس ما جرت به العادة وأعلن بسبّ
السلف فيه فقبض على رجل نودى عليه هذا جزاء من سبّ عائشة وزوجها صلى الله عليه وسلم ومعه من الرعاع
مالا يقع عليه حصر وهم يسبون السلف فلما تمّ النداء عليه ضرب عنقه واستهل شهر رجب من هذه السنة
يوم الاربعاء فخرج أمر الحاكم بأمر الله أن يؤرّخ بيوم الثلاثاء وفى سنة سبع وتسعين وثلثمائة قبض على
جماعة ممن يعمل الفقاع ومن السماكين ومن الطباخين وكبست الحمامات فأخذ عدة ممن وجد بغير مئزر
فضرب الجميع لمخالفتهم الامر وشهروا * وفى تاسع ربيع الآخر أمر الحاكم بأمر الله بمحو ما كتب
على المساجد وغيرها من سبّ السلف وطاف متولى الشرطة وألزم كل أحد بمحو ما كتب على المساجد من
ذلك ثم قرئ سجل فى ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وثلثمائة بأن لا يحمل شئ من النبيذ والمزر ولا يتظاهر به
ولا بشئ من الفقاع والدلينس والسمك الذى لا قشر له والترمس العفن وقرئ سجل فى رمضان على سائر المنابر
بأنه يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون صلاة
الخمس الدين فبما جاءهم فيها يصلون وصلاة الضحى وصلاة التراويح لا مانع لهم منها ولا هم عنها يدفعون
يخمس فى التكبير على الجنائز المخمسون ولا يمنع من التربيع عليها المربعون يؤذن بحىّ على خير العمل
المؤذنون ولا يؤذى من بها لا يؤذنون ولا يسب أحد من السلف ولا يحتسب على الواصف فيهم بما وصف
والحالف منهم بما حلف لكل مسلم مجتهد فى دينه اجتهاده والى الله ربه معاده عنده كتابه وعليه حسابه *
وفى صفر سنة أربعمائة شهر جماعة بعد ما ضربوا بسبب بيع الفقاع والملوخيا والدلينس والترمس * وفى تاسع
عشر شهر شوّال أمر الحاكم بأمر الله برفع ما كان يؤخذ من الخمس والزكاة والفطرة والنجوى وابطل قراءة
مجالس الحكمة فى القصر وأمر بردّ التثويب فى الاذان واذن للناس فى صلاة الضحى وصلاة التراويح وأمر
المؤذنين بأسرهم فى الاذان بأن لا يقولوا حىّ على خير العمل وأن يقولوا فى الاذان للفجر الصلاة خير من النوم
ثم امر فى ثانى عشرى ربيع الآخر سنة ثلاث واربعمائة باعادة قول حىّ على خير العمل فى الاذان وقطع
التثويب وترك قولهم الصلاة خير من النوم ومنع من صلاة الضحى وصلاة التراويح وفتح باب الدعوة واعيدت
قراءة المجالس بالقصر على ما كانت وكان بين المنع من ذلك والاذن فيه خمسة اشهر وضرب فى جمادى من هذه
السنة جماعة وشهروا بسبب بيع الملوخيا والسمك الذى لا قشر له وشرب المسكرات وتتبع السكارى فضيق
عليهم * وفى يوم الثلاثاء سابع عشرى شعبان سنة احدى واربعمائة وقع قاضى القضاة مالك بن سعيد
الفارقى الى سائر الشهود والامناء بخروج الامر المعظم بأن يكون الصوم يوم الجمعة والعيد يوم الاحد *
وفى شعبان سنة اثنتين وأربعمائة قرئ سجل يشدد فيه التنكير على بيع الملوخيا والفقاع والسمك الذى لا قشر له
ومنع النساء من الاجتماع فى المآتم ومن اتباع الجنائز وأحرق الحاكم بأمر الله فى هذا الشهر الزبيب الذى
وجد فى مخازن التجار وأحرق ما وجد من الشطرنج وجمع صيادى السمك وحلفهم بالايمان المؤكدة
أن لا يصطادوا سمكا بغير قشر ومن فعل ذلك ضربت عنقه وأحرق فى خمسة عشر يوما ألفين وثمانمائة وأربعين
قطعة زبيب بلغ ثمن النفقة عليها خمسمائة دينار ومنع من بيع العنب الا أربعة ارطال فما دونها ومنع من اعتصاره
وطرح عنبا كثيرا فى الطرقات وامر بدوسه فامتنع الناس من التظاهر بشئ من العنب فى الاسواق واشتدّ الامر
فيه وغرّق منه ما حمل فى النيل وأحصى ما بالجيزة من الكروم فقطف ما عليها من العنب وطرح ما جمعه من ذلك
تحت أرجل البقر لتدوسه وفعل مثل ذلك فى جهات كثيرة وختم على مخازن العسل وغرّق منه فى أربعة أيام

خمسة آلاف جرّة واحدى وخمسين جرّة فيها العسل وغرق من عسل النحل قدر احدى وخمسين زيرا *
وفي جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعمائة اشتدّ الانكار على الناس بسبب بيع الفقاع والزبيب والسمك الذى
لا قشر له وقبض على جماعة وجد عندهم زبيب فضربت أعناقهم ومحنت عدّة منهم واطلقوا * وفي شوّال اعتقل
رجل ثم شهر ونودى عليه هذا جزاء من سبّ أبابكر وعمر ويثير الفتن فاجتمع خلق كثير بباب القصر فاستغاثوا
لا طاقة لنا بمخالفة المصريين ولا بمخالفة الحشوية من العوام ولا صبر لنا على ما جرى وكتبوا قصصا فصرفوا
ووعدوا بالمجيء في غد فبات كثير منهم بباب القصر واجتمعوا من الغد فصاحوا وضجوا فخرج اليهم قائد القوّاد
غين فنهاهم وأمرهم عن امير المؤمنين الحاكم بأمر الله أن يمضوا الى معايشهم فانصرفوا الى قاضي القضاة
مالك بن سعيد الفارقيّ وشكوا اليه فتبرّم من ذلك فمضوا وفيهم من يسب السلف ويعرّض بالناس فقرئ سجل
في القصر بالترحم على السلف من الصحابة والنهى عن الخوض في ذلك وركب مرّة فرأى لوحا على قيسارية فيه سب
السلف فأنكره ومازال واقفا حتى قلع وضرب بالجرس في سائر طرقات مصر والقاهرة وقرئ سجل بتتبع الالواح
المنصوبة على سائر أبواب القياسر والحوانيت والدور والخانات والارباع المشتملة على ذكر الصحابة والسلف
الصالح رحمهم الله بالسب واللعن وقلع ذلك وكسره وتعفية اثره ومحوما على الحيطان من هذه الكتابة وازالة
جميعها من سائر الجهات حتى لا يرى لها اثر في جدار ولا نقش في لوح وحذر فيه من المخالفة وهدّد بالعقوبة
ثم انتقض ذلك كله وعاد الامر الى ما كان عليه الى أن قتل الخليفة الآمر بأحكام الله أبو عليّ منصور
ابن المستعلي بالله أبي القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبي تميم معدّ وثار أبو عليّ احمد الملقب كتيفات
ابن الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش واستولى على الوزارة في سنة أربع وعشرين وخمسمائة وسجن
الحافظ لدين الله أبا الميمون عبد المجيد بن الامير أبي القاسم محمد بن الخليفة المستنصر بالله وأعلن بمذهب
الامامية والدعوة للامام المنتظر وضرب دراهم نقشها الله الصمد الامام محمد ورتب في سنة خمس
وعشرين أربعة قضاة اثنان أحدهما اماميّ والآخر اسماعيليّ واثنان أحدهما مالكيّ والآخر
شافعيّ فحكم كل منهما بمذهبه وورث على مقتضاه وأسقط ذكر اسماعيل بن جعفر الصادق وابطل
من الاذان حيّ على خير العمل وقولهم محمد وعليّ خير البشر فلما قتل في المحرّم سنة ست وعشرين عاد الامر
الى ما كان عليه من مذهب الاسماعيلية ومابرح حتى قدمت عساكر الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي
من دمشق عليها أسد الدين شيركوه وولي وزارة مصر للخليفة العاضد لدين الله أبي محمد عبد الله بن الامير
يوسف بن الحافظ لدين الله ومات فقام في الوزارة بعده ابن أخيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن
أيوب في جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة وشرع في تغيير الدولة وازالتها وحجر على العاضد واوقع
بأمراء الدولة وعساكرها وأنشأ بمدينة مصر مدرسة للفقهاء الشافعية ومدرسة للفقهاء المالكية وصرف
قضاة مصر الشيعة كلهم وفوّض القضاء لصدر الدين عبد الملك بن درباس المارانيّ الشافعيّ فلم يستنب عنه
في اقليم مصر الا من كان شافعيّ المذهب فتظاهر الناس من حينئذ بمذهب مالك والشافعيّ واختفى
مذهب الشيعة والاسماعيلية والامامية حتى فقد من أرض مصر كلها وكذلك كان السلطان الملك العادل
نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي بن اق سنقر حنفيا فيه تعصب فنشر مذهب أبي حنيفة رحمه الله ببلاد
الشام ومنه كثرت الحنفية بمصر وقدم اليها أيضا عدّة من بلاد الشرق وبنى لهم السلطان صلاح الدين يوسف
ابن أيوب المدرسة السيوفية بالقاهرة ومازال مذهبهم ينتشر ويقوى وفقهاؤهم تكثر بمصر والشام من حينئذ
* وأما العقائد فان السلطان صلاح الدين حمل الكافة على عقيدة الشيخ أبي الحسن عليّ بن اسماعيل الاشعريّ
تلميذ أبي علي الجبائيّ وشرط ذلك في اوقافه التي بديار مصر كالمدرسة الناصرية بجوار قبر الامام الشافعيّ من
القرافة والمدرسة الناصرية التي عرفت بالشريفية بجوار جامع عمرو بن العاص بمصر والمدرسة المعروفة
بالقمحية بمصر وخانكاه سعيد السعداء بالقاهرة فاستمرّ الحال على عقيدة الاشعريّ بديار مصر وبلاد الشام
وأرض الحجاز واليمن وبلاد المغرب أيضا لادخال محمد بن تومرت رأى الاشعريّ اليها حتى انه صار هذا الاعتقاد
بسائر هذه البلاد بحيث ان من خالفه ضرب عنقه والامر على ذلك الى اليوم ولم يكن في الدولة الايوبية بمصر
كثير ذكر لمذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل ثم اشتهر مذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل في آخرها * فلما كانت

سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقداري وليَ بمصر والقاهرة أربعة قضاة وهم شافعيّ ومالكيّ وحنفيّ وحنبليّ فاستمرّ ذلك من سنة خمس وستين وستمائة حتى لم يبق في مجموع أمصار الاسلام مذهب يعرف من مذاهب أهل الاسلام سوى هذه المذاهب الاربعة وعقيدة الاشعريّ وعملت لاهلها المدارس والخوانك والزوايا والربط في سائر ممالك الاسلام وعودي من تمذهب بغيرها وانكر عليه ولم يول قاض ولا قبلت شهادة أحد ولا قدّم للخطابة والامامة والتدريس أحد مالم يكن مقلدا لاحد هذه المذاهب وافتى فقهاء هذه الامصار في طول هذه المدة بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ماعداها والعمل على هذا الى اليوم واذ قد بينا الحال في سبب اختلاف الامة منذ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن استقر العمل على مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل رحمة الله عليهم فلنذكر اختلاف عقائد أهل الاسلام منذ كان الى أن التزم الناس عقيدة الشيخ أبي الحسن الاشعريّ رحمه الله ورضي عنه

* (ذكر فرق الخليقة واختلاف عقائدها وتباينها) *

اعلم أن الذين تكلموا في أصول الديانات قسمان هما من خالف ملة الاسلام ومن اقرّ بها * فأما المخالفون لملة الاسلام فهم عشر طوائف * الاولى الدهرية * والثانية أصحاب العناصر * والثالثة الثنوية وهم المجوس ويقولون بأصلين هما النور والظلمة ويزعمون أن النور هو يزدان والظلمة هو اهرمن ويقرّون بنبوّة ابراهيم عليه السلام وهم ثمان فرق الكيومرتية اصحاب كيومرت الذي يقال انه آدم والزروانية أصحاب زروان الكبير والزرادشتية اصحاب زرادشت بن بيورشت الحكيم والثنوية أصحاب الاثنين الازليين والمانوية أصحاب ماني الحكيم والمزركية اصحاب مزرك الخارجي والبيصانية اصحاب بيصان القائل بالاصلين القديمين والفرقونية القائلون بالاصلين وان الشرّ خرج على أبيه وانه تولد من فكرة فكرها في نفسه فلما خرج على أبيه الذي هو الاله بزعمهم عجز عنه ثم وقع الصلح بينهما على يد الندمات وهم الملائكة ومنهم من يقول بالتناسخ ومنهم من ينكر الشرائع والانبياء ويحكمون العقول ويزعمون أن النفوس العلوية تفيض عليهم الفضائل * والطائفة الرابعة الطبائعيون * والطائفة الخامسة الصابئة القائلون بالهياكل والارباب السماوية والاصنام الارضية وانكار النبوّات وهم اصناف وبينهم وبين الحنفاء مناظرات وحروب مهلكة وتولدت من مذاهبهم الحكمة الملطية ومنهم اصحاب الروحانيات وهم عباد الكواكب وأصنامها التي عملت على تمثالها والحنفاء هم القائلون بأن الروحانيات منها ماوجودها بالقوّة ومنها ماوجودها بالفعل فما هو بالقوّة يحتاج الى من يوجده بالفعل ويقرّون بنبوّة ابراهيم وانه منهم وهم طوائف الكاظمة أصحاب كاظم بن تارح ومن قوله أن الحق في الجمع بين شريعة ادريس وشريعة نوح وشريعة ابراهيم عليهم السلام ومنهم البيدانية أصحاب بيدان الاصغر ومن قوله اعتقاد نبوّة من يفهم عالم الروح وأن النبوّة من أسرار الالهية ومنهم القنطارية أصحاب قنطار بن أرفخشد ويقرّ بنبوّة نوح ومن فرق الصابئة أصحاب الهياكل ويرون أن الشمس اله كل اله والحرانية ومن قولهم المعبود واحد بالذات وكثير بالاشخاص في رأي العين وهي المدبرات السبع من الكواكب والارضية الجزئية والعالمة الفاضلة * والطائفة السادسة اليهود * والسابعة النصارى * والثامنة أهل الهند القائلون بعبادة الاصنام ويزعمون أنها موضوعة قبل آدم ولهم حكم عقلية وأحكام وضعها الشلم اعظم حكامهم والهندم قبله والبراهمة قبل ذلك فالبراهمة أصحاب برهام أوّل من انكر نبوّة البشر ومنهم البردة زهاد عباد رجال الزماد الذين يهجرون اللذات الطبيعية وأصحاب الرياضة التامة وأصحاب التناسخ وهم اقسام أصحاب الروحانية والبهادرية والناسوتية والباهرية والكابلية أهل الجبل ومنهم الطبيسون أصحاب الرياضة الفاعلة حتى ان منهم من يجاهد نفسه حتى يسلطها على جسده فيصعد في الهواء على قدر قوّته وفي اليهود عباد النار وعباد الشمس والقمر والنجوم وعباد الاوثان * والطائفة التاسعة الزنادقة وهم طوائف منهم القرامطة * والعاشرة الفلاسفة أصحاب الفلسفة وكلمة فيلسوف معناها محب الحكمة فان فيلو محب وسوفا حكمة والحكمة قولية وفعلية وعلم الحكماء انحصر في أربعة انواع الطبيعيّ والمدنيّ والرياضيّ والالهيّ والمجموع ينصرف الى علم ما وعلم كيف وعلم كم فالعلم الذي يطلب فيه ماهيات الاشياء هو الالهيّ والذي يطلب فيه كيفيات الاشياء هو الطبيعيّ والذي يطلب فيه كميات الاشياء

هو الرياضي ووضع بعد ذلك أرسطو صنعة المنطق وكانت بالقوة في كلام القدماء فأظهرها ورتبها واسم الفلاسفة يطلق على جماعة من الهند وهم الطبسيون والبراهمة ولهم رياضة شديدة وينكرون النبوة أصلا ويطلق أيضا على العرب بوجه انقص وحكمتهم ترجع الى افكارهم والى ملاحظة طبيعة ويقرون بالنبوات وهم أضعف الناس في العلوم ومن الفلاسفة حكماء الروم وهم طبقات فمنهم أساطين الحكمة وهم اقدمهم ومنهم المشاؤون واصحاب الرواق وأصحاب أرسطو وفلاسفة الاسلام * فمن فلاسفة الروم الحكماء السبعة أساطين الحكمة أهل ملطية وقونية وهم ثاليس الملطي وانكساغورس وانكسمالس وابناذقليس وفيثاغورس وسقراط وافلاطون * ودون هؤلاء فلوطس وبقراط وديمقراطيس وأسعر والنساس * ومنهم حكماء الاصول من القدماء ولهم القول بالسيمياء ولهم أسرار الخواص والحيل والكيمياء والاسماء الفعالة والحروف ولهم علوم توافق علوم الهند وعلوم اليونانيين وليس من موضوع كتابنا هذا ذكر تراجمهم فلذلك تركناها

* (القسم الثاني فرق أهل الاسلام) * الذين عناهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ستفترق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة ثنتان وسبعون هالكة وواحدة ناجية وهذا الحديث أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقت اليهود على احدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على احدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة قال البيهقي حسن صحيح وأخرجه الحاكم وابن حبان في صحيحه بنحوه فأخرجه في المستدرك من طريق الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة به وقال هذا حديث كثير في الاصول وقد روى عن سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وعوف بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثله وقد احتج مسلم بمحمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة واتفقا جميعا على الاحتجاج بالفضل بن موسى وهو ثقة * واعلم أن فرق المسلمين خمسة أهل السنة والمرجئة والمعتزلة والشيعة والخوارج وقد افترقت كل فرقة منها على فرق فاكثر افتراق أهل السنة في الفتيا ونبذ يسيرة من الاعتقادات وبقية الفرق الاربع منها من يخالف أهل السنة الخلاف البعيد ومنهم من يخالفهم الخلاف القريب فأقرب فرق المرجئة من قال الايمان انما هو التصديق بالقلب واللسان معا فقط وان الاعمال انما هي فرائض الايمان وشرائعه فقط وأبعدهم أصحاب جهم بن صفوان ومحمد بن كرام وأقرب فرق المعتزلة أصحاب الحسين النجار وبشر بن غياث المريسي وابعدهم أصحاب أبي الهذيل العلاف وأقرب مذاهب الشيعة أصحاب الحسن بن صالح بن حي وابعدهم الامامية وأما الغالية فليسوا بمسلمين ولكنهم اهل ردة وشرك وأقرب فرق الخوارج أصحاب عبد الله بن يزيد الاباضي وأبعدهم الازارقة وأما البطيخية ومن جحد شيأ من القرآن أو فارق الاجماع من العجاردة وغيرهم فكفار باجماع الامة وقد انحصرت الفرق الهالكة في عشر طوائف

* (الفرقة الاولى المعتزلة) * الغلاة في نفي الصفات الالهية القائلون بالعدل والتوحيد وأن المعارف كلها عقلية حصولا ووجوبا قبل الشرع وبعده واكثرهم على أن الامامة بالاختيار وهم عشرون فرقة * احداها الواصلية * أصحاب واصل بن عطاء أبي حذيفة الغزال مولى بني ضبة وقيل مولى بني مخزوم ولد بالمدينة سنة ثمانين ونشأ بالبصرة ولقي أباهاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية ولازم مجلس الحسن بن الحسين البصري واكثر من الجلوس بسوق الغزل ليعرف النساء المتعففات فيصرف اليهن صدقته فقيل له الغزال من اجل ذلك وكان طويل العنق جدا حتى عابه عمرو بن عبيد بذلك فقال من هذه عنقه لا خير عنده فلما برع واصل قال عمرو ربما اخطأت الفراسة وكان يلثغ بالراء ومع ذلك كان فصيحا لسنا مقتدرا على الكلام قد أخذ بجوامعه فلذلك امكنه أن أسقط حرف الراء من كلامه واجتناب الحروف صعب جدا لاسيما مثل الراء لكثرة استعمالها وله رسالة طويلة لم يذكر فيها حرف الراء أحد بدائع الكلام وكان لكثرة صمته يظن به الخرس توفي سنة احدى وثلاثين ومائة وله كتاب المنزلة بين المنزلتين وكتاب الفتيا وكتاب التوحيد وعنه أخذ جماعة وأخباره كثيرة ويقال لهم أيضا الحسنية نسبة الى الحسن البصري وأخذوا اصل العلم عن أبي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية وخالفه في الامامة واعتزاله يدور على أربع قواعد هي نفي الصفات والقول بالقدر والقول بمنزلة بين المنزلتين وأوجب الخلود في النار على من ارتكب كبيرة فلما بلغ الحسن البصري عنه

هذا قال هؤلاء اعتزلوا فسموا من حينئذ المعتزلة وقيل ان تسميتهم بذلك حدثت بعد الحسن وذلك أن عمرو بن عبيد لما مات الحسن وجلس قتادة مجلسه اعتزله فى نفر معه فسماهم قتادة المعتزلة القاعدة الرابعة القول بأن احدى الطائفتين من أصحاب الجمل وصفين مخطئة لا بعينها وكان فى خلافة هشام بن عبد الملك * والثانية العمروية * اصحاب عمرو ومن قوله ترك قول على بن أبى طالب وطلحة والزبير رضى الله عنهم وقال ابن منبه اعتزل عمرو بن عبيد وأصحاب له الحسن فسموا المعتزلة * والثالثة الهذلية * اتباع أبى الهذيل محمد بن الهذيل العلاف شيخ المعتزلة أخذ عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطاء ونظر فى الفلسفة ووافقهم فى كثير وقال جميع الطاعات من الفرائض والنوافل ايمان وانفرد بعشر مسائل وهى أن علم الله وقدرته وحياته هى ذاته واثبت ارادات لا محل لها يكون البارى مريدا لها وقال بعض كلام الله لا فى محل وهو قوله كن وبعضه فى محل كالامر والنهى وقال فى امور الآخرة كمذهب الجبرية وقال تنتهى مقدورات الله حتى لا يقدر على احداث شئ ولا على افناء شئ ولا احياء شئ ولا اماتة شئ وتنقطع حركات أهل الجنة والنار ويصيرون الى سكون دائم وقال الاستطاعة عرض من الاعراض نحو السلامة والصحة وفرق بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح وقال تجب معرفة الله قبل ورود السمع وان المرء المقتول ان لم يقتل مات فى ذلك الوقت ولا يزاد العلم ولا ينقص بخلاف الرزق وقال ارادة الله عين المراد والحجة لا تقوم فيما غاب الا بخبر عشرين * والرابعة النظامية * اتباع ابراهيم ابن سيار النظام بتشديد الظاء المعجمة زعيم المعتزلة وأحد السفهاء انفرد بعدة مسائل وهى قوله ان الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصى وانها غير مقدورة لله وقال ليس لله ارادة وافعال العباد كلها حركات والنفس والروح هو الانسان والبدن انما هو آلة فقط وان كل ما جاوز القدرة من الفعل فهو من الله وهو فعله وانكر الجوهر الفرد وأحدث القول بالطفرة وقال الجوهر مؤلف من أعراض اجتمعت وزعم أن الله خلق الموجودات دفعة على ما هى عليه وأن الاعجاز فى القرآن من حيث الاخبار عن الغيب فقط وانكر أن يكون الاجماع حجة وطعن فى الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقال قبحه الله أبو هريرة أكذب الناس وزعم أنه ضرب فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنع ميراث العترة وأوجب معرفة الله بالفكر قبل ورود الشرع وحرم نكاح الموالى العربيات وقال لا تجوز صلاة التراويح ونهى عن ميقات الحج وكذب بانشقاق القمر وأحال رؤية الجن وزعم أن من سرق مائتى دينار فما دونها لم يفسق وان الطلاق بالكناية لا يقع وان كان بنية وان من نام مضطجعا لا ينتقض وضوءه ما لم يخرج منه الحدث وقال لا يلزم قضاء الصلوات اذا فاتت * والخامسة الاسوارية * اتباع أبى على عمرو بن قائد الاسوارى القائل ان الله تعالى لا يقدر أن يفعل ما علم أنه لا يفعله * والسادسة الاسكافية * اتباع أبى جعفر محمد بن عبد الله الاسكافى ومن قوله ان الله تعالى لا يقدر على ظلم العقلاء ويقدر على ظلم الاطفال والمجانين وانه لا يقال ان الله خالق المعازف والطنابير وان كان هو الذى خلق أجسامها * والسابعة الجعفرية * اتباع جعفر بن حرب بن ميسرة ومن قوله ان فى فساق هذه الامة من هو شر من اليهود والنصارى والمجوس وأسقط الحد عن شارب الخمر وزعم أن الصغائر من الذنوب توجب تخليد فاعلها فى النار وأن رجلا لو بعث رسولا الى امرأة ليخطبها فجاءته فوطئها من غير عقد لم يكن عليه حد ويكون وطؤه اياها طلاقا لها * والثامنة البشرية * اتباع بشر بن المعتمر ومن قوله الطعم واللون والرائحة والادراكات كلها من السمع يجوز أن تحصل متولدة وصرف الاستطاعة الى سلامة البنية والجوارح وقال لو عذب الله الطفل الصغير لكان ظالما وهو يقدر على ذلك وقال ارادة الله من جملة أفعاله ثم هى تنقسم الى صفة فعل وصفة ذات وقال باللطف المخزون وأن الله لم يخلقه لان ذلك يوجب عليه الثواب وان التوبة الاولى متوقفة على الثانية وانها لا تنفع الا بعدم الوقوع فى الذى وقع فيه فان وقع لم تنفعه التوبة الاولى * والتاسعة المزدارية * اتباع أبى موسى عيسى بن صبيح المعروف بالمزدار تلميذ بشر بن المعتمر وكان زاهدا وقيل له راهب المعتزلة وانفرد بمسائل منها قوله ان الله قادر على أن يظلم ويكذب ولا يطعن ذلك فى الربوبية وجوز وقوع الفعل الواحد من فاعلين على سبيل التولد وزعم أن القرآن مما يقدر عليه وأن بلاغته وفصاحته لا تعجز الناس بل يقدرون على الاتيان بمثلها وأحسن منها وهو أصل المعتزلة فى القول بخلق القرآن وقال من أجاز رؤية الله بالابصار بلا كيف فهو كافر والشاك فى كفره كافر أيضا * والعاشرة الهشامية * أتباع هشام بن عمرو الفوطى الذى يبالغ فى القدر ولا ينسب الى الله فعلا من الافعال

حتى انه انكر أن يكون الله هو الذى ألف بين قلوب المؤمنين وانه يحبب الايمان للمؤمنين وانه أضل الكافرين وعاند ما فى القرآن من ذلك وقال لا تنعقد الامامة فى زمن الفتنة واختلاف الناس وان الجنة والنار غير مخلوقتين ومنع أن يقال حسبنا الله ونعم الوكيل وقال لان الوكيل دون الموكل وقال لو أسبغ أحد الوضوء ودخل فى الصلاة بنية القربة لله تعالى والعزم على اتمامها وركع وسجد مخلصا فى ذلك كله الا أن الله علم أنه يقطعها فى آخرها فان أول صلاته معصية ومنع أن يكون البحر انفلق لموسى وأن عصاه انقلبت حية وأن عيسى أحيى الموتى باذن الله وأن القمر انشق للنبى صلى الله عليه وسلم وانكر كثيرا من الامور التى تواترت كحصر عثمان بن عفان رضى الله عنه وقتله بالغلبة وقال انما جاءته شرذمة قليلة تشكو عماله ودخلوا عليه وقتلوه فلا يدرى قاتله وقال ان طلحة والزبير وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم ما جاؤا للقتال فى حرب الجمل وانما برزوا للمشاورة وتقاتل أتباع الفريقين فى ناحية أخرى وان الامة اذا اجتمعت كلها وتركت الظلم والفساد احتاجت الى امام يسوسها فأما اذا عصت وفجرت وقتلت واليها فلا تنعقد الامامة لاحد وبنى على ذلك أن امامة على رضى الله عنه لم تنعقد لانها كانت فى حال الفتنة بعد قتل عثمان وهو أيضا مذهب الاصم وواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وأنكر افتضاض الابكار فى الجنة وأنكر أن الشيطان يدخل فى الانسان وانما يوسوس له من خارج والله يوصل وسوسته الى قلب ابن آدم وقال لا يقال خلق الله الكافر لانه اسم العبد والكفر جميعا وأنكر أن يكون فى اسماء الله الضار النافع * والحادية عشر الحائطية * اتباع أحمد بن حائط أحد أصحاب ابراهيم بن سيار النظام وله بدع شنيعة منها أن للخلق الهين أحدهما خالق وهو الاله القديم والآخر مخلوق وهو عيسى ابن مريم وزعم أن المسيح ابن الله وانه هو الذى يحاسب الخلق فى الآخرة وانه هو المعنى بقول الله تعالى فى القرآن هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام وزعم فى قول النبى صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته أن معناه خلقه اياه على صورة نفسه وان معنى قوله عليه السلام انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر انما أراد به عيسى وزعم أن فى الدواب والطيور والحشرات حتى البق والبعوض والذباب انبياء لقول الله سبحانه وان من أمة الا خلا فيها نذير وقوله تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شئ ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الكلاب أمة من الامم لامرت بقتلها وذهب مع ذلك الى القول بالتناسخ وزعم أن الله ابتدأ الخلق فى الجنة وانما خرج من خرج منها بالمعصية وطعن فى النبى صلى الله عليه وسلم من أجل تعدد نكاحه وقال ان أبا ذر الغفارى انسك وأزهد منه قبحه الله وزعم أن كل من نال خيرا فى الدنيا انما هو بعمل كان منه ومن ناله مرض او آفة فبذنب كان منه وزعم أن روح الله تناسخت فى الائمة * والثانية عشر الحمارية * أتباع قوم من معتزلة عسكر مكرم ومن مذهبهم أن الممسوخ انسان كافر معتقد الكفر وان النظر أوجب المعرفة وهو لا فاعل له وكذلك الجماع أوجب الولد فشك فى خالق الولد وان الانسان يخلق انواعا من الحيوانات بطريق التعفين وزعموا أنه يجوز أن يقدر الله العبد على خلق الحياة والقدرة * والثالثة عشر المعمرية * أتباع معمر بن عباد السلمى وهو أعظم القدرية غلوا وبالغ فى رفع الصفات والقدرة بالجملة وانفرد بمسائل منها أن الانسان يدبر الجسد وليس بحال فيه والانسان عنده ليس بطويل ولا عريض ولا ذى لون وتأليف وحركة ولا حال ولا متمكن وان الانسان شئ غير هذا الجسد وهو حى عالم قادر مختار وليس هو بمتحرك ولا ساكن ولا متلون ولا يرى ولا يلمس ولا يحل موضعا ولا يحويه مكان فوصف الانسان بوصف الإلهية عنده فان مدبر العالم موصوف عنده كذلك وزعم أن الانسان منعم فى الحياة وموزر فى النار وليس هو فى الجنة ولا فى النار حالا ولا متمكنا وقال ان الله لم يخلق غير الاجسام والاعراض تابعة لها متولدة منها وأن الاعراض لا تتناهى فى كل نوع وأن الارادة من الله للشئ غير الله وغير خلقه وان الله ليس بقديم لان ذلك اخذ من قدم يقدم فهو قديم * والرابعة عشر الثمامية * أتباع ثمامة بن أشرس النميرى وجمع بين النقائض وقال العلوم كلها ضرورية فكل من لم يضطر الى معرفة الله فليس بمأمور بها وهو كالبهائم ونحوها وزعم أن اليهود والنصارى والزنادقة يصيرون يوم القيامة ترابا كالبهائم لا ثواب لهم ولا عقاب عليهم البتة لانهم غير مأمورين اذ هم غير مضطرين الى معرفة الله تعالى وزعم أن الافعال كلها متولدة لا فاعل لها وان الاستطاعة هى السلامة وصحة الجوارح وأن العقل هو الذى يحسن ويقبح فتجب معرفة الله قبل ورود الشرع

وأن لافعل للانسان الا الارادة وماعداها فهو حدث * والخامسة عشر الجاحظية * أتباع أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وله مسائل تميز بها عن أصحابه منها أن المعارف كلها ضرورية وليس شئ من ذلك من أفعال العباد وانما هي طبيعية وليس للعباد كسب سوى الارادة وان العباد لايخلدون فى النار بل يصيرون من طبيعتها وان الله لايدخل أحدا النار وانما النار تجذب أهلها بنفسها وطبيعتها وان القرآن المنزل من قبيل الاجساد ويمكن أن يصير مرة رجلا ومرة حيوانا وان الله لايريد المعاصي وانه لايرى وان الله يريد بمعنى انه لايغلط ولايصح فى حقه السهو فقط وانه يستحيل العدم على الجواهر من الاجسام * والسادسة عشر الخياطية * أصحاب أبي الحسين بن أبي عمرو الخياط شيخ أبي القاسم الكعبي من معتزلة بغداد زعم أن المعدوم شئ وانه فى العدم جسم ان كان فى حدوثه جسما وعرض ان كان فى حدوثه عرضا * والسابعة عشر الكعبية * أتباع أبي القاسم عبدالله بن أحمد بن محمود البلخي المعروف بالكعبي من معتزلة بغداد انفرد بأشياء منها أن ارادة الله ليست صفة قائمة بذاته ولا هو مريد لذاته ولا ارادته حادثة فى محل وانما يرجع ذلك الى العلم فقط والسمع والبصر يرجع الى ذلك أيضا وأنكر الرؤية وقال اذا قلنا انه يرى المرئيات فانما ذلك يرجع الى علمه بها وتمييزها قبل أن توجد * والثامنة عشر الجبائية * أتباع أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي من معتزلة البصرة تفرد بمقالات منها أن الله تعالى يسمى مطيعا للعبد اذا فعل ما أراد العبد منه وأن الله محبل للنساء بخلق الولد فيهن وأن كلام الله عرض يوجد فى امكنة كثيرة وفى مكان بعد مكان من غير أن يعدم من مكانه الاول ثم يحدث فى الثاني وكان يقف فى فضل علي على أبي بكر وفضل أبي بكر على علي ومع ذلك يقول ان أبا بكر خير من عمر وعثمان ولا يقول ان عليا خير من عمر وعثمان * والتاسعة عشرة البهشمية * أتباع أبي هاشم عبد السلام بن أبي علي الجبائي انفرد ببدع فى مقالاته منها القول باستحقاق الذم من غير ذنب وزعم أن القادر منا يجوز أن يخلو عن الفعل والترك وأن القادر المأمور المنهي اذا لم يفعل فعلا ولا تركا يكون عاصيا مستحق العقاب والذم لا على الفعل لانه لم يفعل ما أمر به وان الله يعذب الكافرين والعصاة لا على فعل مكتسب ولا على محدث منه وقال التوبة لاتصح من قبيح مع الاصرار على قبيح آخر يعلمه أو يعتقده قبيحا وان كان حسنا وان التوبة لاتصح مع الاصرار على منع حسنة واجبة عليه وان توبة الزاني بعد ضعفه عن الجماع لاتصح وزعم أن الطهارة غير واجبة وانما أمر العبد بالصلاة فى حال كونه متطهرا وان الطهارة تجزئ بالماء المغصوب ولاتجزئ الصلاة فى الارض المغصوبة وزعم أن الزنج والترك والهنود قادرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن وقال أبو علي وابنه أبو هاشم الايمان هو الطاعات المفروضة * والفرقة العشرين من المعتزلة الشيطانية * أتباع محمد بن نعمان المعروف بشيطان الطاق وهو من الروافض شارك كلا من المعتزلة والروافض فى بدعهم وقلما يوجد معتزلي الا وهو رافضي الا القليل منهم انفرد بطامة وهي أن الله لايعلم الشئ الا ما قدره وأراده وأما قبل تقديره فيستحيل أن يعلمه ولو كان عالما بأفعال عباده لاستحال أن يمتحنهم ويختبرهم وللمعتزلة اسام منها الثنوية سموا بذلك لقولهم الخير من الله والشر من العبد ومنهم الكيسانية والناكثية والاحمدية والوهمية والبترية والواسطية والواردية سموا بذلك لقولهم لايدخل المؤمنون النار وانما يردون عليها ومن أدخل النار لايخرج منها قط ومنهم الحرقية لقولهم الكفار لاتحرق الا مرة والمفنية القائلون بفناء الجنة والنار والواقفة القائلون بالوقف فى خلق القرآن ومنهم اللفظية القائلون ألفاظ القرآن غير مخلوقة والملتزقة القائلون الله بكل مكان والقبرية القائلون بانكار عذاب القبر

*(الفرقة الثانية المشبهة) * وهم يغلون فى اثبات صفات الله تعالى ضد المعتزلة وهم سبع فرق * الهشامية * أتباع هشام بن الحكم ويقال لهم أيضا الحكمية ومن قولهم الاله تعالى كنور السبيكة الصافية يتلألأ من جوانبه ويرمون مقاتل بن سليمان بأنه قال هو لحم ودم على صورة الانسان وهو طويل عريض عميق وأن طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه وهو ذو لون وطعم ورائحة وهو سبعة أشبار بشبر نفسه ولم يصح هذا القول عن مقاتل * والجوالقية * اتباع هشام بن سالم الجواليقي وهو من الرافضة أيضا ومن شنيع قوله أن الله تعالى على صورة الانسان نصفه الاعلى مجوف ونصفه الاسفل مصمت وله شعر أسود وليس بلحم ودم بل هو نور ساطع وله خمس حواس كحواس الانسان ويد ورجل وفم وعين وأذن وشعر

آسود لا الفرج واللحية * والبيانية * أتباع بيان بن سمعان القائل هو على صورة الانسان ويهلك كله الا وجهه لظاهر الآية كل شئ هالك الا وجهه * والمغيرية أتباع مغيرة بن سعيد العجلى وهو أيضا من الروافض ومن شنائعه قوله ان أعضاء معبودهم على صورة حروف الهجاء فالالف على صورة قدميه وزعم أنه رجل من نور على رأسه تاج من نور وزعم أن الله كتب باصبعه أعمال العباد من طاعة ومعصية ونظر فيهما وغضب من معاصيهم فعرق فاجتمع من عرقه بحران عذب ومالح وزعم أنه بكل مكان لا يخلو عنه مكان * والمنهالية أصحاب منهال بن ميمون * والزرارية أتباع زرارة بن أعين * واليونسية أتباع يونس ابن عبد الرحمن القمى وكلهم من الروافض وسيأتى ذكرهم ان شاء الله تعالى ومنهم أيضا السابية والشاكية والعملية والمستثنية والبدعية والعشرية والاترية ومنهم الكرامية أتباع محمد بن كرام السجستانى وهم طوائف الهيضمية والاسحاقية والجندية وغير ذلك الا انهم يعدون فرقة واحدة لان بعضهم لا يكفر بعضا وكلهم مجسمة الا أن فيهم من قال هو قائم بنفسه ومنهم من قال هو أجزاء مؤتلفة وله جهات ونهايات ومن قول الكرامية أن الايمان هو قول مفرد وهو قول لا اله الا الله وسواء اعتقد أولا وزعموا أن الله جسم وله حد ونهاية من جهة السفل وتجوز عليه ملاقاة الاجسام التى تحته وانه على العرش والعرش مماس له وانه محل الحوادث من القول والارادة والادراكات والمرئيات والمسموعات وأن الله لو علم أحدا من عباده لا يؤمن به لكان خلقه اياهم عبثا وانه يجوز أن يعزل نبيا من الانبياء والرسل ويجوز عندهم على الانبياء كل ذنب لا يوجب حدا ولا يسقط عدالة وانه يجب على الله تعالى تواتر الرسل وانه يجوز أن يكون امامان فى وقت واحد وأن عليا ومعاوية كانا امامين فى وقت واحد الا أن عليا كان على السنة ومعاوية على خلافها وانفرد ابن كرام فى الفقه بأشياء منها أن المسافر يكفيه من صلاة الخوف تكبيرتان واجاز الصلاة فى ثوب مستغرق فى النجاسة وزعم أن الصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر العبادات تصح بغير نية وتكفى نية الاسلام وأن النية تجب فى النوافل وانه يجوز الخروج من الصلاة بالاكل والشرب والجماع عمدا ثم البناء عليها وزعم بعض الكرامية أن لله علمين أحدهما يعلم به جميع المعلومات والآخر يعلم به العلم الاول

*(الفرقة الثالثة القدرية) * الغلاة فى اثبات القدرة للعبد فى اثبات الخلق والايجاد وانه لا يحتاج فى ذلك الى معاونة من جهة الله تعالى

*(الفرقة الرابعة الجبرية) * الغلاة فى نفى استطاعة العبد قبل الفعل وبعده ومعه ونفى الاختيار له ونفى الكسب وهاتان الفرقتان متضادتان ثم افترقت الجبرية على ثلاث فرق * الجهمية أتباع جهم بن صفوان الترمذى مولى راسب وقتل فى آخر دولة بنى أمية وهو ينفى الصفات الالهية كلها ويقول لا يجوز أن يوصف البارى تعالى بصفة يوصف بها خلقه وان الانسان لا يقدر على شئ ولا يوصف بالقدرة ولا الاستطاعة وان الجنة والنار يفنيان وتنقطع حركات أهلهما وان من عرف الله ولم ينطق بالايمان لم يكفر لان العلم لا يزول بالصمت وهو مؤمن مع ذلك وقد كفره المعتزلة فى نفى الاستطاعة وكفره أهل السنة بنفى الصفات وخلق القرآن ونفى الرؤية وانفرد بجواز الخروج على السلطان الجائر وزعم أن علم الله حادث لا بصفة يوصف بها غيره * والبكرية أتباع بكر ابن أخت عبد الواحد وهو يوافق النظام فى أن الانسان هو الروح ويزعم أن البارى تعالى يرى فى القيامة فى صورة يخلقها ويكلم الناس منها وأن صاحب الكبيرة منافق فى الدرك الاسفل من النار وحاله أسوأ من حال الكافر وحرم أكل الثوم والبصل وأوجب الوضوء من قرقرة البطن * والضرارية اتباع ضرار بن عمرو وانفرد بأشياء منها أن الله تعالى يرى فى القيامة بحاسة زائدة سادسة وانكر قراءة ابن مسعود وشك فى دين عامة المسلمين وقال لعلهم كفار وزعم أن الجسم أعراض مجتمعة كما قالت النجارية ومن جملة الجبرية البطيخية اتباع اسماعيل البطيخى والصباحية أتباع أبى صباح بن معمر والفكرية والخوفية

*(الفرقة الخامسة المرجئة) * الارجاء اما مشتق من الرجاء لان المرجئة يرجون لاصحاب المعاصى الثواب من الله تعالى فيقولون لا يضر مع الايمان معصية كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة أو يكون مشتقا من الارجاء وهو التأخير لانهم أخروا حكم أصحاب الكبائر الى الآخرة وحقيقة المرجئة انهم الغلاة فى اثبات الوعد

والرجاء ونفى الوعيد والخوف عن المؤمنين وهم ثلاثة اصناف * صنف جمعوا بين الرجاء والقدر وهم غيلان وأبو شمر ومن بنى حنيفة * وصنف جمعوا بين الارجاء والجبر مثل جهم بن صفوان * وصنف قال بالارجاء المحض وهم أربع فرق * اليونسية أتباع يونس بن عمرو وهو غير يونس بن عبد الرحمن القمى الرافضى زعم أن الايمان معرفة الله والخضوع له والمحبة والاقرار بأنه واحد ليس كمثله شئ * والغسانية أتباع غسان بن أبان الكوفى المنكر نبوة عيسى عليه السلام وتلمذ لمحمد بن الحسن الشيبانى ومذهبه فى الايمان كمذهب يونس الا انه يقول كل خصلة من خصال الايمان تسمى بعض الايمان ويونس يقول كل خصلة ليست بايمان ولا بعض ايمان وزعم غسان أن الايمان لا يزيد ولا ينقص وعند أبى حنيفة رحمه الله الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان فلا يزيد ولا ينقص كقرص الشمس * والثوبانية أتباع ثوبان المرجى ثم الخارجى المعتزلى وكان يقال له جامع النقائص هاجر الخصائص ومن قوله الايمان هو المعرفة والاقرار والايمان فعل ما يجب فى العقل فعله فأوجب الايمان بالعقل قبل ورود الشرع وفارق الغسانية واليونسية فى ذلك * والتومنية أتباع أبى معاذ التومنى الفيلسوف زعم أن من ترك فريضة لا يقال له فاسق على الاطلاق ولكن ترك الفريضة فسق وزعم أن هذه الخصال التى تكون جملتها ايمانا فواحدة ليست بايمان ولا بعض ايمان وأن من قتل نبيا كفر لا لاجل القتل بل لاستخفافه به وبغضه له * ومن فرق المرجئة المريسية أتباع بشر بن غياث المريسى كان عراقى المذهب فى الفقه تلمذ للقاضى أبى يوسف يعقوب الحضرمى وقال بنفى الصفات وخلق القرآن فأكفرته الصفاتية بذلك وزعم أن افعال العباد مخلوقة لله تعالى ولا استطاعة مع الفعل فاكفرته المعتزلة بذلك وزعم أن الايمان هو التصديق بالقلب وهو مذهب ابن الروندى ولما ناظره الشافعى فى مسألة خلق القرآن ونفى الصفات قال له نصفك كافر لقولك بخلق القرآن ونفى الصفات ونصفك مؤمن لقولك بالقضاء والقدر وخلق اكتساب العباد وبشر معدود من المعتزلة لنفيه الصفات وقوله بخلق القرآن * ومن فرق المرجئة الصالحية أتباع صالح بن عمرو بن صالح والجحدرية أتباع جحدر بن محمد التميمى والزيادية أتباع محمد بن زياد الكوفى والشبيبية أتباع محمد بن شبيب والناقصية والبهشمية * ومن المرجئة جماعة من الائمة كسعيد بن جبير وطلق بن حبيب وعمرو بن مرة ومحارب بن دثار وعمرو بن ذر وحماد بن سليمان وأبى مقاتل وخالفوا القدرية والخوارج والمرجئة فى أنهم لم يكفروا بالكبائر ولا حكموا بتخليد مرتكبها فى النار ولا سبوا أحدا من الصحابة ولا وقعوا فيهم * وأول من وضع الارجاء أبو محمد الحسن بن محمد المعروف بابن الحنفية بن على بن أبى طالب وتكلم فيه وصارت المرجئة بعده أربعة انواع الاول مرجئة الخوارج الثانى مرجئة القدرية الثالث مرجئة الجبرية الرابع مرجئة الصالحية وكان الحسن بن محمد ابن الحنفية يكتب كتبه الى الامصار يدعو الى الارجاء الا انه لم يؤخر العمل عن الايمان كما قال بعضهم بل قال أداء الطاعات وترك المعاصى ليس من الايمان لا يزول بزوالها وقال ابن قتيبة أول من وضع الارجاء بالبصرة حسان بن بلال بن الحارث المزنى وذكر بعضهم أن أول من وضع الارجاء أبا سلت السمان ومات سنة اثنتين وخمسين ومائة

*(الفرقة السادسة الحرورية) * الغلاة فى اثبات الوعيد والخوف على المؤمنين والتخليد فى النار مع وجود الايمان وهم قوم من النواصب الخوارج وهم مضادون المرجئة فى النفى والاثبات والوعد والوعيد ومن مفرداتهم أن من ارتكب كبيرة فهو مشرك ومذهب عامة الخوارج انه كافر وليس بمشرك وقال بعضهم هو منافق فى الدرك الاسفل من النار فعند الحرورية أن الاسم يتغير بارتكاب الكبيرة الواحدة فلا يسمى مؤمنا بل كافرا مشركا والحكم فيه انه يخلد فى النار واتفقوا على أن الايمان هو اجتناب كل معصية وقيل لهم الحرورية لانهم خرجوا الى حروراء لقتال على بن أبى طالب رضى الله عنه وعدتهم اثنا عشر ألفا ثم سار على رضى الله عنه اليهم وناظرهم ثم قاتلهم وهم أربعة آلاف فانضم اليهم جماعة حتى بلغوا اثنى عشر ألفا

*(الفرقة السابعة النجارية) * أتباع الحسن بن محمد بن عبد الله النجار أبى عبد الله كان حائكا وقيل انه كان يعمل الموازين وانه كان من أهل قم كان من جملة المجبرة ومتكلميهم وله مع النظام عدة مناظرات منها انه ناظره مرة فلما لم يلحن بحجته رفسه النظام وقال له قم أخزى الله من ينسبك الى شئ من العلم والفهم

فانصرف

فانصرف محموما واعتل حتى مات وهم اكثر معتزلة الرى وجهاتها وهم يوافقون أهل السنة فى مسألة القضاء والقدر وا كتساب العباد وفى الوعد والوعيد وامامة أبى بكر رضى الله عنه ويوافقون المعتزلة فى نفى الصفات وخلق القرآن وفى الرؤية وهم ثلاث فرق البرغوثية والزعفرانية والمستدركة

*(الفرقة الثامنة الجهمية) * أتباع جهم بن صفوان وهم يوافقون أهل السنة فى مسألة القضاء والقدر مع ميل الى الجبر وينفون الصفات والرؤية ويقولون بخلق القرآن وهم فرقة عظيمة وعدادهم فى المعطلة المجبرة

*(الفرقة التاسعة الروافض) الغلاة فى حب على بن أبى طالب وبغض أبى بكر وعمر وعثمان وعائشة ومعاوية فى آخرين من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين وسموا رافضة لان زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم امتنع من لعن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وقال هما وزيرا جدى محمد صلى الله عليه وسلم فرفضوا رأيه ومنهم من قال لانهم رفضوا رأى الصحابة رضى الله عنهم حيث بايعوا أبا بكر وعمر رضى الله عنهما * وقد اختلف الناس فى الامام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب الجمهور الى انه أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقال العباسية والربوندية أتباع أبى هريرة الربوندى وقيل أتباع ابى العباس الربوندى هو العباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه لانه العم والوارث فهو أحق من ابن العم وقال العثمانية وبنو أمية هو عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وذهب آخرون الى غير ذلك وقال الرافضة هو على بن أبى طالب ثم اختلفوا فى الامامة اختلافا كثيرا حتى بلغت فرقهم ثلثمائة فرقة والمشهور منها عشرون فرقة * الزيدية والصباحية اقروا امامة ابى بكر رضى الله عنه ورأوا انه لا نص فى امامة على رضى الله عنه واختلفوا فى امامة عثمان رضى الله عنه فأنكرها بعضهم وأقر بعضهم أنه الامام بعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكن قالوا على أفضل من أبى بكر وامامة المفضول جائزة وقال الغلاة هو على بالنص ثم الحسن وبعده الحسين وصار بعد الحسين الامر شورى وقال بعضهم لم يرد النص الا بامامة على فقط وقال آخرون نص على على بالوصف لا بالعين والاسم وقال بعضهم قد جاء النص على امامة اثنى عشر آخرهم المهدى المنتظر وفرقهم العشرون هى * الامامية وهم مختلفون فى الامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعم اكثرهم أن الامامة فى على بن أبى طالب وأولاده بنص النبى صلى الله عليه وسلم وأن الصحابة كلهم قد ارتدوا الا عليا وابنيه الحسن والحسين وأبا ذر الغفارى وسلمان الفارسى وطائفة يسيرة * وأول من تكلم فى مذهب الامامية على بن اسماعيل بن هيثم التمار وكان من أصحاب على بن أبى طالب وذهبت القطعية منهم الى أن الامامة فى على ثم فى الحسن ثم فى الحسين ثم فى على بن الحسين ثم فى محمد بن على ثم فى جعفر بن محمد ثم فى موسى بن جعفر ثم فى على بن موسى وقطعوا الامامة عليه فسموا القطعية لذلك ولم يكتبوا امامة محمد بن موسى ولا امامة الحسين بن محمد بن على بن موسى وقالت الناووسية جعفر بن محمد لم يمت وهو حى ينتظر وقالت المباركية أتباع مبارك الامام بعد جعفر بن محمد ابنه اسماعيل بن جعفر ثم محمد بن اسماعيل وقالت الشميطية أتباع يحيى بن شميط الاحمسى كان مع المختار قائدا من قواده فانفذه أميرا على جيش البصرة يقاتل مصعب بن الزبير فقتل بالمدار الامامة بعد جعفر فى ابنه محمد وأولاده وقالت المعمرية أتباع معمر الامامة بعد جعفر فى ابنه عبد الله بن جعفر وأولاده ويقال لهم الفطحية لان عبد الله بن جعفر كان افطح الرجلين وقالت الواقفة الامام بعد جعفر ابنه موسى بن جعفر وهو حى لم يمت وهو الامام المنتظر وسموا الواقفية لوقوفهم على امامة موسى وقالت الزرارية أتباع زرارة بن أعين الامام بعد جعفر ابنه عبد الله الا انه سأله عن مسائل فلم يمكنه الجواب عنها فادعى امامة موسى بن جعفر من بعد أبيه وقالت المفضلية أتباع المفضل ابن عمر والامام بعد جعفر ابنه موسى وانه مات فانتقلت الامامة الى ابنه محمد بن موسى وقالت المفوضة من الامامية ان الله تعالى خلق محمدا صلى الله عليه وسلم وفوض اليه خلق العالم وتدبيره وقال بعضهم بل فوض ذلك الى على بن أبى طالب * والفرقة الثانية من فرق الروافض الكيسانية أتباع كيسان مولى على بن أبى طالب وأخذ عن محمد ابن الحنفية وقيل بل كيسان اسم المختار بن عبيد الثقفى الذى قام لاخذ ثار الحسين رضى الله عنه زعموا أن الامام بعد على ابنه محمد ابن الحنفية لانه أعطاه الراية يوم الجمل ولان الحسين أوصى اليه عند خروجه الى الكوفة ثم اختلفوا فى الامام بعد ابن الحنفية فقال بعضهم رجع الامر بعده الى أولاد الحسين

والحسين وقيل بل انتقل الى أبي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية وقالت الكربية أتباع أبي كرب بأن ابن الحنفية حي لم يمت وهو الامام المنتظر ومن قول الكيسانية أن البداجائز على الله وهو كفر صريح * والفرقة الثالثة الخطابية أتباع أبي الخطاب محمد بن أبي ثور وقيل محمد بن أبي زيد الاجدع ومذهبه الغلو في جعفر بن محمد الصادق وهو أيضا من المشبهة وأتباعه خمسون فرقة وكلهم متفقون على أن الائمة مثل علي وأولاده كلهم انبياء وانه لابد من رسولين لكل امة أحدهما ناطق والآخر صامت فكان محمد ناطقا وعلي صامتا وان جعفر بن محمد الصادق كان نبيا ثم انتقلت النبوة الى أبي الخطاب الاجدع وجوزوا كلهم شهادة الزور لموافقيهم وزعموا أنهم عالمون بما هو كائن الى يوم القيامة وقالت المعمرية منهم الامام بعد أبي الخطاب رجل اسمه معمر وزعموا أن الدنيا لاتفنى وان الجنة هي مايصيبه الانسان من الخير في الدنيا والنار ضد ذلك وأباحوا شرب الخمر والزنى وسائر المحرمات ودانوا بترك الصلاة وقالوا بالتناسخ وان الناس لايموتون وانما ترفع أرواحهم الى غيرهم وقالت البزيغية منهم ان جعفر بن محمد اله وليس هو الذي يراه الناس وانما تشبه على الناس وزعموا أن كل مؤمن يوحى اليه وأن منهم من هو خير من جبريل وميكائيل ومحمد صلى الله عليه وسلم وزعموا أنهم يرون أمواتهم بكرة وعشيا وقالت العميرية منهم أتباع عمير بن بيان العجلي مثل ذلك كله وخالفوهم في أن الناس لايموتون وافترقت الخطابية بعد قتل أبي الخطاب فرقا منها فرقة زعمت أن الامام بعد أبي الخطاب عمير بن بيان العجلي ومقالتهم كمقالة البزيغية الا أن هؤلاء اعترفوا بموتهم ونصبوا خيمة على كناسة الكوفة يجتمعون فيها على عبادة جعفر الصادق فبلغ ذلك يزيد بن عمير فصلب عمير بن بيان في كناسة الكوفة ومن فرقهم المفضلية أتباع مفضل الصيرفي زعم أن جعفر بن محمد اله فطرده ولعنه وزعمت الخطابية بأجمعها أن جعفر بن محمد الصادق أودعهم جلدا يقال له جفر فيه كل مايحتاجون اليه من علم الغيب وتفسير القرآن وزعموا لعنهم الله أن قوله تعالى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة معناه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأن الخمر والميسر أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأن الجبت والطاغوت معوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص رضي الله عنهما * والفرقة الرابعة الزيدية أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم القائلون بامامته وامامة من اجتمع فيه ست خصال العلم والزهد والشجاعة وأن يكون من أولاد فاطمة الزهراء رضي الله عنه حسنيا أو حسينيا ومنهم من زاد صباحة الوجه وأن لايكون فيه آفة وهم يوافقون المعتزلة في اصولهم كلها الا في مسألة الامامة وأخذ مذهب زيد بن علي عن واصل بن عطاء وكان يفضل عليا على أبي بكر وعمر مع القول بامامتهما وهم أربع فرق الجارودية أتباع أبي الجارود ويكنى أبا النجم زياد بن المنذر العبدي زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على امامة علي بالوصف لا بالتسمية وأن الناس كفروا بتركهم مبايعة علي رضي الله عنه والحسن والحسين وأولادهما والجريرية أتباع سليم بن جرير ومن قوله لم يكفر الناس بتركهم مبايعة علي بل أخطأوا بترك الافضل وهو علي وكفروا الجارودية بتكفيرهم الصحابة الا انهم كفروا عثمان بن عفان بالاحداث التي أحدثها وقالوا لم ينص علي على امامة أحد وصار الامر من بعده شورى ومنهم البترية أتباع الحسن بن صالح بن كثير الابتر وقولهم ان عليا أفضل وأولى بالامامة غير أن أبا بكر كان اماما ولم تكن امامته خطأ ولا كفرا بل ترك علي الامامة له وأما عثمان فيتوقف فيه ومنهم اليعقوبية أتباع يعقوب وهم يقولون بامامة أبي بكر وعمر ويتبرؤن ممن تبرأ منهما وينكرون رجعة الاموات الى الدنيا قبل يوم القيامة ويتبرؤن ممن دان بها الا انهم متفقون على تفضيل علي على أبي بكر وعمر من غير تفسيقهما ولا تكفيرهما ولا لعنهما ولا الطعن على أحد من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين * والفرقة الخامسة السبائية أتباع عبد الله بن سبا الذي قال شفاها لعلي بن أبي طالب أنت الاله وكان من اليهود ويقول في يوشع بن نون مثل قوله ذلك في علي وزعم أن عليا لم يقتل وانه حي لم يمت وانه في السحاب وان الرعد صوته والبرق سوطه وانه ينزل الى الارض بعد حين قبحه الله * والفرقة السادسة الكاملية أتباع ابي كامل اكفر جميع الصحابة بتركهم بيعة علي وكفر عليا بتركه قتالهم وقال بتناسخ الانوار الالهية في الائمة * (والفرقة السابعة) * البيانية أتباع بيان بن سمعان زعم أن روح الاله حل في الانبياء ثم في علي وبعده في محمد ابن الحنفية ثم في ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد ثم حل بعد أبي هاشم في بيان بن سمعان يعني نفسه

لعنه

لعنه الله * والفرقة الثامنة المغيرية أتباع مغيرة بن سعيد العجلي مولى خالد بن عبد الله طلب الامامة لنفسه بعد محمد بن عبد الله بن الحسن فخرج على خالد بن عبد الله القسري بالكوفة في عشرين رجلا فعطعطوا به فقال خالد أطعموني ماء وهو على المنبر فعير بذلك والمغيرة هذا قال بالتشبيه الفاحش وادعى النبوة وزعم أن معجزته علمه بالاسم الاعظم وانه يحيي الموتى وزعم أن الله لما أراد أن يخلق العالم كتب باصبعه أعمال عباده فغضب من معاصيهم فعرق فاجتمع من عرقه بحران أحدهما مالح والآخر عذب فخلق من البحر العذب الشيعة وخلق الكفرة من البحر الملح وزعم أن المهدي يخرج وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب * والفرقة التاسعة الهشامية وهم صنفان أحدهما أتباع هشام بن الحكم والثاني أتباع هشام الجواليقي وهما يقولان لا تجوز المعصية على الامام وتجوز على الانبياء وأن محمدا عصى ربه في أخذ الفداء من اسرى بدر كذبا لعنهما الله وهما أيضا مع ذلك من المشبهة * والفرقة العاشرة الزرارية أتباع زرارة بن أعين أحد الغلاة في الرفض ويزعم مع ذلك أن الله تعالى لم يكن في الازل عالما ولا قادرا حتى اكتسب لنفسه جميع ذلك قبحه الله * والفرقة الحادية عشر الجناحية أتباع عبد الله بن معاوية ذي الجناحين بن أبي طالب وزعم أنه اله وأن العلم ينبت في قلبه كما تنبت الكمأة وان روح الاله دارت في الانبياء كما كانت في علي وأولاده ثم صارت فيه ومذهبهم استحلال الخمر والميتة ونكاح المحارم وأنكروا القيامة وتأولوا قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات وزعموا أن كل ما في القرآن من تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير كناية عن قوم يلزم بغضهم مثل أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية وكل ما في القرآن من الفرائض التي أمر الله بها كناية عن يلزم موالاتهم مثل علي والحسن والحسين وأولادهم * والثانية عشر المنصورية أتباع أبي منصور العجلي أحد الغلاة المشبهة زعم أن الامامة انتقلت اليه بعد محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب وانه عرج به الى السماء بعد انتقال الامامة اليه وأن معبوده مسح بيده على رأسه وقال له يابني بلغ عني آية الكسف الساقط من السماء في قوله تعالى وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم الآية وزعم أن أهل الجنة قوم تجب موالاتهم مثل علي بن أبي طالب وأولاده وأن أهل النار قوم تجب معاداتهم مثل أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية رضي الله عنهم * والثالثة عشر الغرابية زعموا لعنهم الله أن جبريل أخطأ فانه أرسل الى علي بن أبي طالب فجاء الى محمد صلى الله عليه وسلم وجعلوا شعارهم اذا اجتمعوا أن يقولوا العنوا صاحب الريش يعنون جبريل عليه السلام وعليهم اللعنة * والرابعة عشر الذمية بفتح الذال المعجمة زعموا أخزاهم الله أن علي بن أبي طالب بعثه الله نبيا وانه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم ليظهر أمره فادعى النبوة لنفسه وأرضى عليا بأن زوجه ابنته ومولّه ومنهم العليانية أتباع عليان بن ذراع السدوسي وقيل الاسدي كان يفضل عليا على النبي صلى الله عليه وسلم ويزعم أن عليا بعث محمدا وكان لعنه الله يذم النبي صلى الله عليه وسلم لزعمه أن محمدا بعث ليدعو الى علي فدعا الى نفسه ومن العليانية من يقول بالهية محمد وعلي جميعا ويقدمون محمدا في الالهية ويقال لهم الميمية ومنهم من قال بالهية خمسة وهم أصحاب الكساء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وقالوا خمستهم شيء واحد والروح حالة فيهم بالسوية لا فضل لواحد منهم على الآخر وكرهوا أن يقولوا فاطمة بالهاء فقالوا فاطم قال بعضهم

توليت بعد الله في الدين خمسة * نبيا وسبطيه وشيخا وفاطما

* والخامسة عشر اليونسية أتباع يونس بن عبد الله القمي أحد الغلاة المشبهة * والسادسة عشر الرزامية أتباع رزام بن سابق زعم أن الامامة انتقلت بعد علي بن أبي طالب الى ابنه محمد ابن الحنفية ثم الى ابنه أبي هاشم ثم الى علي بن عبد الله بن عباس بالوصية ثم الى ابنه محمد بن علي فأوصى بها محمد الى أبي العباس عبد الله بن محمد السفاح الظالم المتردد في المذاهب الجاهل بحقوق أهل البيت * والسابعة عشر الشيطانية أتباع محمد بن النعمان شيطان الطاق وقد شارك المعتزلة والرافضة في جميع مذهبهم وانفرد بأعظم الكفر قاتله الله وهو أنه زعم أن الله لا يعلم الشيء حتى يقدره وقبل ذلك يستحيل علمه * والثامنة عشر السلمية وهم من الراوندية زعموا أن الامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم صارت في علي وأولاده الحسن والحسين

ومحمد ابن الحنفية ثم فى أبى هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية وانتقلت منه الى على بن عبد الله بن عباس بوصيته اليه ثم الى أبى العباس السفاح ثم الى أبى سلمة صاحب دولة بنى العباس وقام بناحية كش فيما وراء النهر رجل من أهل مرو أعور يقال له هاشم ادعى أن أبا سلمة كان الها انتقل اليه روح الله ثم انتقل اليه بعده فانتشرت دعوته هنالك واحتجب عن اصحابه واتخذ له وجها من ذهب فعرف بالمصيغ ثم ان اصحابه طلبوا رؤيته فوعدهم أن يريهم نفسه ان لم يحترقوا وعمل تجاه مرآة محرقة تعكس شعاع الشمس فلما دخلوا عليه احترق بعضهم ورجع الباقون وقد فتنوا واعتقدوا أنه اله لا تدركه الابصار ونادوا فى حروبهم بالهينه * والتاسعة عشر الجعفرية * والعشرون الصباحية وهم والزيدية أمثل الشيعة فانهم يقولون بامامة أبى بكر وانه لا نص فى امامة على مع انه عندهم أفضل وأبو بكر مفضول * ومن فرق الروافض الحلوية والشاعية والشريكية يزعمون أن عليا شريك محمد صلى الله عليه وسلم والتناسخية القائلون ان الارواح تتناسخ واللاعنة والمخطئة الذين يزعمون أن جبريل أخطأ والاسحاقية والخلفية الذين يقولون لا تجوز الصلاة خلف غير الامام والرجعية القائلون سيرجع على بن أبى طالب وينتقم من أعدائه والمتربصة الذين يتربصون خروج المهدى والامرية والجبية والجلالية والكريبية أتباع أبى كريب الضرير والحزنية أتباع عبد الله بن عمرو الحزنى

(الفرقة العاشرة الخوارج) ويقال لهم النواصب والحرورية نسبة الى حروراء موضع خرج فيه أولهم على على رضى الله عنه وهم الغلاة فى حب أبى بكر وعمر وبغض على بن أبى طالب رضوان الله عليهم أجمعين ولا أجهل منهم فانهم القاسطون المارقون خرجوا على على رضى الله عنه وانفصلوا عنه بالجملة وتبرؤا منه ومنهم من صحبه ومنهم من كان فى زمنه وهم جماعة قد دوّن الناس أخبارهم وهم عشرون فرقة * الاولى يقال لهم الحكمية لانهم خرجوا على على رضى الله عنه فى صفين وقالوا الا حكم الا لله ولا حكم للرجال وانحازوا عنه الى حروراء ثم الى النهروان وسبب ذلك أنهم حاولوه على التحاكم الى من حكم بكتاب الله فلما رضى بذلك وكانت قضية الحكمين أبى موسى الاشعرى وهو عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص غضبوا من ذلك ونابذوا عليا وقالوا فى شعارهم لا حكم الا لله ولرسوله وكان امامهم فى التحكيم عبد الله بن الكواء * والثانية الازارقة أتباع أبى راشد نافع بن الازرق بن قيس بن نهار بن انسان بن أسد بن صبرة بن ذهل بن الدول بن حنيفة الخارج بالبصرة فى أيام عبد الله بن الزبير وهم على التبرى من عثمان وعلى والطعن عليهما وأن دار مخالفيهم دار كفر وأن من أقام بدار الكفر فهو كافر وأن أطفال مخالفيهم فى النار ويحل قتلهم وأنكروا رجم الزانى وقالوا من قذف محصنة حدّ ومن قذف محصنا لا يحدّ ويقطع السارق فى القليل والكثير * والثالثة النجدات ولم يقل فيهم النجدية ليفرق بينهم وبين من انتسب الى بلاد نجد فانهم أتباع نجد بن عويمر وهو عامر الحنفى الخارج باليمامة وكان رأسا ذا مقالة مفردة وتسمى بأمير المؤمنين وبعث عطية بن الاسود الى سجستان فأظهر مذهبه بها فعرفت أتباعه بالعطوية ومذهبهم أن الدين أمران أحدهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله وتحريم دماء المسلمين وأموالهم والثانى الاقرار بما جاء من عند الله تعالى جملة وما سوى ذلك من التحريم والتحليل وسائر الشرائع فان الناس يعذرون بجهلها وانه لا يأثم المجتهد اذا أخطأ وان من خالف أن يعذب المجتهد فقد كفر واستحلوا دماء أهل الذمة فى دار التقية وقالوا من نظر نظرة محرّمة أو كذب كذبة أو أصرّ على صغيرة ولم يتب منها فهو كافر ومن زنى او سرق أو شرب خمرا من غير أن يصرّ على ذلك فهو مؤمن غير كافر * والرابعة الصفرية أتباع زياد بن الاصفر ويقال أتباع النعمان بن صفر وقيل بل نسبوا الى عبد الله بن صفار وهو أحد بنى مقاعس وهو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مضر ابن نزار وقيل عبد الله بن الصفار من بنى صويم بن مقاعس وقيل سموا بذلك لصفرة علتهم وزعم بعضهم أن الصفرية بكسر الصاد وقد وافق الصفرية الازارقة فى جميع بدعهم الا فى قتل الاطفال ويقال للصفرية أيضا الزيادية ويقال لهم أيضا النكار من اجل أنهم ينقصون نصف على وثلث عثمان وسدس عائشة رضى الله عنهم * والخامسة العجاردة أتباع عبد الكريم بن عجرد * والسادسة الميمونية أتباع ميمون بن عمران وهم طائفة من العجاردة وافقوا الازارقة الا فى شيئين أحدهما قولهم تجب البراءة من الاطفال حتى يبلغوا ويصفوا الاسلام والثانى استحلال أموال المخالفين لهم فلم تستحل الميمونية مال أحد خالفهم ما لم يقتل المالك فاذا قتل صار ماله فيأ الا انهم ٣

ازدادوا كفرا على كفرهم وأجازوا انكاح بنات البنات وبنات البنين وبنات أولاد الاخوة وبنات أولاد الاخوات فقط * والسابعة الشعيبية وهم طائفة من العجاردة وافقوا الميمونية فى جميع بدعهم الافى الاستطاعة والمشيئة فان الميمونية مالت الى القدرية * والثامنة الحمزية أتباع حمزة بن أدرك الشامى الخارج بخراسان فى خلافة هارون بن محمد الرشيد وكثر عيثه وفساده ثم فض جموع عيسى بن على عامل خراسان وقتل منهم خلقا كثيرا فانهزم منه عيسى الى كابل وآل أمر حمزة الى أن غرق فى كرمان بواد هنالك فعرفت أصحابه بالحمزية وكان يقول بالقدر فكفرته الازارقة بذلك وقال أطفال المشركين فى النار فكفرته القدرية بذلك وكان لايستحل غنائم أعدائه بل يأمر باحراق جميع مايغنمه منهم * والتاسعة الحازمية وهم فرقة من العجاردة قالوا فى القدر والمشيئة كقول أهل السنة وخالفوا الخوارج فى الولاية والعداوة فقالوا لم يزل الله تعالى محبا لاوليائه ومبغضا لاعدائه * والعاشرة المعلومية مع المجهولية تباينا فى مسألتين احداهما قالت المعلومية من لم يعرف الله تعالى بجميع أسمائه فهو كافر وقالت المجهولية لايكون كافرا والثانية وافقت المعلومية أهل السنة فى مسألة القدر والمشيئة والمجهولية وافقت القدرية فى ذلك * والحادية عشر الصلتية أتباع عثمان بن أبى الصلت وهم طائفة من العجاردة انفردوا بقولهم من أسلم توليناه لكن نتبرأ من اطفاله لانه ليس للاطفال اسلام حتى يبلغوا * والثانية عشر والثالثة عشر الاخنسية والمعبدية وهما فرقتان من الثعالبة أتباع ثعلبة بن عامر وكان ثعلبة هذا مع عبد الكريم بن عجرد ثم اختلفا فى الاطفال فقال عبد الكريم نتبرأ منهم قبل البلوغ وقال ثعلبة لانتبرأ منهم بل نقول نتولى الصغار فلم تزل الثعالبة على هذا الى أن خرج رجل عرف بالاخنس فقال نتوقف عن جميع من فى دار التقية الا من عرفنا منه ايمانا فانا نتولاه ومن عرفنا منه كفرا تبرأنا منه ولايجوز أن نبدأ أحدا بقتال فتبرأت منه الثعالبة وسموه بالاخنس لانه خنس منهم أى رجع عنهم ثم خرجت فرقة من الثعالبة قيل لها المعبدية أتباع معبد خالفت الثعالبة فى أخذ الزكاة من العبيد والبهائم وكفرت كل فرقة منهما الاخرى * والرابعة عشر الشيبانية أتباع شيبان بن سلمة الخارج فى أيام أبى مسلم الخراسانى القائم بدعوة الخلفاء العباسيين وكان معه فتبرأت منه الثعالبة لمعاونته لابى مسلم وهو أول من اظهر القول بالتشبيه تعالى الله عن ذلك * والخامسة عشر الشبيبية أتباع شبيب بن يزيد بن أبى نعيم الخارج فى خلافة عبد الملك بن مروان وصاحب الحروب العظيمة مع الحجاج بن يوسف الثقفى وهم على ماكانت عليه الحكمية الاولى الا انهم انفردوا عن الخوارج بجواز امامة المرأة وخلافتها واستخلف شبيب هذا أمه غزالة فدخلت الكوفة وقامت خطيبة وصلت الصبح بالمسجد الجامع فقرأت فى الركعة الاولى بالبقرة وفى الثانية بآل عمران وأخبار شبيب طويلة * والسادسة عشر الرشيدية أتباع رشيد ويقال لهم أيضا العشرية من أجل انهم كانوا يأخذون نصف العشر مماسقت الانهار فقال لهم زياد بن عبد الرحمن يجب فيه العشر فتبرأت كل فرقة من الاخرى وكفرتها بذلك * والسابعة عشر المكرمية * أتباع أبى المكرم ومن قوله تارك الصلاة كافر وليس كفره لترك الصلاة لكن لجهله بالله وكذا قوله فى سائر الكبائر * والثامنة عشر الحفصية أتباع حفص بن المقدام أحد اصحاب عبد الله بن أباض تفرد بقوله من عرف الله تعالى وكفر بما سواه من رسول وغيره فهو كافر وليس بمشرك فانكر ذلك الاباضية وقالوا بل هو مشرك * والتاسعة عشر الاباضية أتباع عبد الله بن أباض من بنى مقاعس واسمه الحرث بن عمرو ويقال بل ينسبون الى أباض بضم الهمزة وهى قرية بالعرض من اليمامة نزل بها نجدة بن عامر وخرج عبد الله بن اباض فى أيام مروان وكان من غلاة الحكمة * والفرقة العشرون اليزيدية أتباع يزيد بن أبى انيسة وكان اباضيا فانفرد ببدعة قبيحة وهى أن الله تعالى سيبعث رسولا من العجم وينزل عليه كتابا جملة واحدة ينسخ به شريعة محمد صلى الله عليه وسلم * ومن فرق الخوارج أيضا الحارثية والاصومية أتباع يحيى بن أصوم والبيهسية أتباع أبى البيهس الهيصم بن خالد من بنى سعد بن ضبعة كان فى زمن الحجاج وقتل بالمدينة وصلب والعقوبية أتباع يعقوب بن على الكوفى ومن فرقهم الفضلية أتباع فضل بن عبد الله والشمراخية أتباع عبد الله بن شمراخ والضحاكية أتباع الضحاك والخوارج يقال لهم الشراة واحدهم شارى مشتق من شرى الرجل اذا ألح أو معناه يستشرى

بالشر أو من قول الخوارج شرينا انفسنا الدين الله فنحن لذلك شراة وقيل انه من قولهم شاريته أى لاححته وماريته وقيل شرى الرجل غضبا اذا استطار غضبا وقيل لهم هذا لشدة غضبهم على المسلمين

* (ذكر الحال فى عقائد أهل الاسلام منذ ابتداء الملة الاسلامية الى أن انتشر مذهب الاشعرية) *

اعلم أن الله تعالى لما بعث من العرب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا الى الناس جميعا وصف لهم ربهم سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه الكريمة فى كتابه العزيز الذى نزل به على قلبه صلى الله عليه وسلم الروح الامين وبما أوحى اليه ربه تعالى فلم يسأله صلى الله عليه وسلم أحد من العرب بأسرهم قرويهم وبدويهم عن معنى شئ من ذلك كما كانوا يسألونه صلى الله عليه وسلم عن امر الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك مما لله فيه سبحانه أمر ونهى وكما سألوه صلى الله عليه وسلم عن أحوال القيامة والجنة والنار اذ لو سأله انسان منهم عن شئ من الصفات الالهية لنقل كما نقلت الاحاديث الواردة عنه صلى الله عليه وسلم فى أحكام الحلال والحرام وفى الترغيب والترهيب وأحوال القيامة والملاحم والفتن ونحو ذلك مما تضمنته كتب الحديث معاجمها ومسانيدها وجوامعها ومن امعن النظر فى دواوين الحديث النبوى ووقف على الآثار السلفية علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى شئ مما وصف الرب سبحانه به نفسه الكريمة فى القرآن الكريم وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكلام فى الصفات نعم ولا فرق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل وانما اثبتوا له تعالى صفات ازلية من العلم والقدرة والحياة والارادة والسمع والبصر والكلام والجلال والاكرام والجود والانعام والعز والعظمة وساقوا الكلام سوقا واحدا وهكذا اثبتوا رضى الله عنهم ما اطلقه الله سبحانه على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك مع نفى مماثلة المخلوقين فأثبتوا رضى الله عنهم بلا تشبيه ونزهوا من غير تعطيل ولم يتعرض مع ذلك أحد منهم الى تأويل شئ من هذا ورأوا بأجمعهم اجراء الصفات كما وردت ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى وعلى اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم سوى كتاب الله ولا عرف أحد منهم شيأ من الطرق الكلامية ولا مسائل الفلسفة فمضى عصر الصحابة رضى الله عنهم على هذا الى أن حدث فى زمنهم القول بالقدر وأن الامر أنفة أى ان الله تعالى لم يقدر على خلقه شيأ مما هم عليه * وكان أول من قال بالقدر فى الاسلام معبد بن خالد الجهنى وكان يجالس الحسن بن الحسين البصرى فتكلم فى القدر بالبصرة وسلك أهل البصرة مسلكه لما رأوا عمرو بن عبيد ينتحله وأخذ معبد هذا الرأى عن رجل من الاساورة يقال له أبو يونس سنسويه ويعرف بالاسوارى فلما عظمت الفتنة به عذبه الحجاج وصلبه بأمر عبد الملك بن مروان سنة ثمانين ولما بلغ عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما مقالة معبد فى القدر تبرأ من القدرية واقتدى بمعبد فى بدعته هذه جماعة وأخذ السلف رحمهم الله فى ذم القدرية وحذروا منهم كما هو معروف فى كتب الحديث وكان عطاء بن يسار قاضيا يرى القدر وكان يأتى هو ومعبد الجهنى الى الحسن البصرى فيقولان له ان هؤلاء يسفكون الدماء ويقولون انما تجرى أعمالنا على قدر الله فقال كذب أعداء الله فطعن عليه بهذا ومثله وحدث أيضا فى زمن الصحابة رضى الله عنهم مذهب الخوارج وصرحوا بالتكفير بالذنب والخروج على الامام وقتاله فناظرهم عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فلم يرجعوا الى الحق وقاتلهم امير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وقتل منهم جماعة كما هو معروف فى كتب الاخبار ودخل فى دعوة الخوارج خلق كثير ورمى جماعة من ائمة الاسلام بأنهم يذهبون الى مذهبهم وعد منهم غير واحد من رواة الحديث كما هو معروف عند أهله وحدث أيضا فى زمن الصحابة رضى الله عنهم مذهب التشيع لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه والغلو فيه فلما بلغه ذلك انكره وحرق بالنار جماعة ممن غلا فيه وأنشد

لما رأيت الامر أمرا منكرا * اججت نارى ودعوت قنبرا

وقام فى زمنه رضى الله عنه عبد الله بن وهب بن سبا المعروف بابن السوداء السبأى وأحدث القول بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بالامامة من بعده فهو وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته على أمته من بعده بالنص وأحدث القول برجعة على بعد موته الى الدنيا وبرجعة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ايضا

أيضا وزعم أن عليا لم يقتل وانه حي وأن فيه الجزء الالهي وانه هو الذي يجيء في السحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه وانه لابد أن ينزل الى الارض فيملأها عدلا كما ملئت جورا ومن ابن سبا هذا تشعبت أصناف الغلاة من الرافضة وصاروا يقولون بالوقف يعنون أن الامامة موقوفة على اناس معينين كقول الامامية بأنها في الائمة الاثني عشر وقول الاسماعلية بأنها في ولد اسماعيل بن جعفر الصادق وعنه أيضا أخذوا القول بغيبة الامام والقول برجعته بعد الموت الى الدنيا كما تعتقده الامامية الى اليوم في صاحب السرداب وهو القول بتناسخ الارواح وعنه أخذوا أيضا القول بأن الجزء الالهي يحل في الائمة بعد علي بن أبي طالب وانهم بذلك استحقوا الامامة بطريق الوجوب كما استحق آدم عليه السلام سجود الملائكة وعلى هذا الرأي كان اعتقاد دعاة الخلفاء الفاطميين ببلاد مصر وابن سبأ هذا هو الذي أثار فتنة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى قتل كما ذكر في ترجمة ابن سبا من كتاب التاريخ الكبير المقفى وكان له عدة أتباع في عامة الامصار وأصحاب كثيرون في معظم الاقطار فكثرت لذلك الشيعة وصاروا ضدا للخوارج ومازال امرهم يقوى وعددهم يكثر * ثم حدث بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم مذهب جهم بن صفوان ببلاد المشرق فعظمت الفتنة به فانه نفى أن يكون لله تعالى صفة وأورد على أهل الاسلام شكوكا أثرت في الملة الاسلامية آثارا قبيحة تولد عنها بلاء كبير وكان قبيل المائة من سني الهجرة فكثر اتباعه على اقواله التي تؤول الى التعطيل فأكبر أهل الاسلام بدعته وتمالؤا على انكارها وتضليل أهلها وحذروا من الجهمية وعادوهم في الله وذموا من جلس اليهم وكتبوا في الرد عليهم ماهو معروف عند أهله وفي اثناء ذلك حدث مذهب الاعتزال منذ زمن الحسن بن الحسين البصري رحمه الله بعد المائتين من سني الهجرة وصنفوا فيه مسائل في العدل والتوحيد واثبات افعال العباد وأن الله تعالى لايخلق الشر وجهروا بأن الله لايرى في الآخرة وأنكروا عذاب القبر على البدن وأعلنوا بأن القرآن مخلوق محدث الى غير ذلك من مسائلهم فتبعهم خلائق في بدعهم وأكثروا من التصنيف في نصرة مذهبهم بالطرق الجدلية فنهى ايمة الاسلام عن مذهبهم وذموا علم الكلام وهجروا من ينتحله ولم يزل أمر المعتزلة يقوى وأتباعهم تكثر ومذهبهم ينتشر في الارض * ثم حدث مذهب التجسيم المضاد لمذهب الاعتزال فظهر محمد بن كرام بن عراق بن حزابة ابو عبد الله السجستاني زعيم الطائفة الكرامية بعد المائتين من سني الهجرة وأثبت الصفات حتى انتهى فيها الى التجسيم والتشبيه وحج وقدم الشام ومات بزغرة في صفر سنة ست وخمسين ومائتين فدفن بالمقدس وكان هنالك من أصحابه زيادة على عشرين ألفا على التعبد والتقشف سوى من كان منهم ببلاد المشرق وهم لايحصون لكثرتهم وكان اماما لطائفتي الشافعية والحنفية وكانت بين الكرامية بالمشرق وبين المعتزلة مناظرات ومناكرات وفتن كثيرة متعددة أزمانها هذا وأمر الشيعة يفشو في الناس حتى حدث مذهب القرامطة المنسوبين الى حمدان الاشعث المعروف بقرمط من اجل قصر قامته وقصر رجليه وتقارب خطوه وكان ابتداء امر قرمط هذا في سنة أربع وستين ومائتين وكان ظهوره بسواد الكوفة فاشتهر مذهبه بالعراق وقام من القرامطة ببلاد الشام صاحب الخال والمدثر والمطوق وقام بالبحرين منهم أبو سعيد الجنابي من أهل جنابة وعظمت دولته ودولة بنيه من بعده حتى أوقعوا بعساكر بغداد وأخافوا خلفاء بني العباس وفرضوا الاموال التي تحمل اليهم في كل سنة على أهل بغداد وخراسان والشام ومصر واليمن وغزوا بغداد والشام ومصر والحجاز وانتشرت دعاتهم بأقطار الارض فدخل جماعات من الناس في دعوتهم ومالوا الى قولهم الذي سموه علم الباطن وهو تأويل شرائع الاسلام وصرفها عن ظواهرها الى امور زعموها من عند أنفسهم وتأويل آيات القرآن ودعواهم فيها تأويلا بعيدا انتحلوا القول به بدعا ابتدعوها بأهوائهم فضلوا وأضلوا عالما كثيرا * هذا وقد كان المأمون عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بني العباس ببغداد لما شغف بالعلوم القديمة بعث الى بلاد الروم من عرّب له كتب الفلاسفة وأتاه بها في أعوام بضع عشرة سنة ومائتين من سني الهجرة فانتشرت مذاهب الفلاسفة في الناس واشتهرت كتبهم بعامة الامصار وأقبلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها واكثروا من النظر فيها والتصفح لها فانجر على الاسلام وأهله من علوم الفلاسفة مالايوصف من البلاء والمحنة في الدين وعظم بالفلسفة ضلال أهل البدع وزادتهم كفرا الى كفرهم فلما قامت دولة بني بويه ببغداد في سنة أربع وثلاثين وثلثمائة واستمروا الى

سنة سبع وثلاثين وأربعمائة واظهروا مذهب التشيع قويت بهم الشيعه وكتبوا على أبواب المساجد في سنة احدى وخمسين وثلثمائه لعن الله معاوية بن أبي سفيان ولعن من اغضب فاطمة ومن منع الحسن أن يدفن عند جده ومن نفى أباذر الغفارى ومن أخرج العباس من الشورى فلما كان الليل حكه بعض الناس فأشار الوزير المهلبي أن يكتب باذن معز الدولة لعن الله الظالمين لاهل البيت ولا يذكر أحد في اللعن غير معاوية ففعل ذلك وكثرت ببغداد الفتن بين الشيعة والسنية وجهر الشيعة في الاذان بحى على خير العمل في الكرخ وفشا مذهب الاعتزال بالعراق وخراسان وماوراء النهر وذهب اليه جماعة من مشاهير الفقهاء وقوى مع ذلك أمر الخلفاء الفاطميين بأفريقية وبلاد المغرب وجهروا بمذهب الاسماعيلية وبثوا دعاتهم بأرض مصر فاستجاب لهم خلق كثير من أهلها ثم ملكوها سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وبعثوا بعساكرهم الى الشام فانتشرت مذاهب الرافضة في عامة بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والكوفة والبصرة وبغداد وجميع العراق وبلاد خراسان وماوراء النهر مع بلاد الحجاز واليمن والبحرين وكانت بينهم وبين أهل السنة من الفتن والحروب والمقاتل مالا يمكن حصره لكثرته واشتهرت مذاهب الفرق من القدرية والجهمية والمعتزلة والكرامية والخوارج والروافض والقرامطة والباطنية حتى ملأت الارض ومامنهم الامن نظر في الفلسفة وسلك من طرقها ماوقع عليه اختياره فلم تبق مصر من الامصار ولاقطر من الاقطار الاوفيه طوائف كثيرة ممن ذكرنا * وكان أبو الحسن علي بن اسماعيل الاشعرى قد أخذ عن أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي ولازمه عدة أعوام ثم بدا له فترك مذهب الاعتزال وسلك طريق أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن كلاب ونسج على قوانينه في الصفات والقدر وقال بالفاعل المختار وترك القول بالتحسين والتقبيح العقليين وماقيل في مسائل الصلاح والاصلح واثبت أن العقل لايوجب المعارف قبل الشرع وأن العلوم وان حصلت بالعقل فلا تجب به ولا يجب البحث عنها الا بالسمع وأن الله تعالى لايجب عليه شئ وأن النبوات من الجائزات العقلية والواجبات السمعية الى غير ذلك من مسائله التي هي موضوع أصول الدين

*(وحقيقة مذهب الاشعرى) رحمه الله أنه سلك طريقا بين النفي الذى هو مذهب الاعتزال وبين الاثبات الذى هو مذهب أهل التجسيم وناظر على قوله هذا واحتج لمذهبه فمال اليه جماعة وعولوا على رأيه منهم القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المالكي وأبو بكر محمد بن الحسن بن فورك والشيخ أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن مهران الاسفرايني والشيخ أبو اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف الشيرازى والشيخ أبو حامد محمد بن محمد بن احمد الغزالي وأبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن احمد الشهرستاني والامام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازى وغيرهم ممن يطول ذكره ونصروا مذهبه وناظروا عليه وجادلوا فيه واستدلوا له في مصنفات لاتكاد تحصر فانتشر مذهب أبي الحسن الاشعرى في العراق من نحو سنة ثمانين وثلثمائة وانتقل منه الى الشام فلما ملك السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ديار مصر كان هو وقاضيه صدر الدين عبد الملك بن عيسى بن درباس المارانى على هذا المذهب قد نشأ عليه منذ كانا في خدمة السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بدمشق وحفظ صلاح الدين في صباه عقيدة ألفها له قطب الدين أبو المعالى مسعود بن محمد بن مسعود النيسابورى وصار يحفظها صغار أولاده فلذلك عقدوا الخناصر وشدوا البنان على مذهب الاشعرى وحملوا في أيام دولتهم كافة الناس على التزامه فتمادى الحال على ذلك جميع أيام الملوك من بنى أيوب ثم في أيام مواليهم الملوك من الاتراك واتفق مع ذلك توجه أبي عبد الله محمد بن تومرت أحد رحالات المغرب الى العراق وأخذ عن أبي حامد الغزالى مذهب الاشعرى فلما عاد الى بلاد المغرب وقام في المصامدة يفقههم ويعلمهم وضع لهم عقيدة لقفها عنه عامتهم ثم مات فخلفه بعد موته عبد المؤمن بن على القيسى وتلقب بأمير المؤمنين وغلب على ممالك المغرب هو وأولاده من بعده مدة سنين وتسموا بالموحدين فلذلك صارت دولة الموحدين ببلاد المغرب تستبيح دماء من خالف عقيدة ابن تومرت اذ هو عندهم الامام المعلوم المهدى المعصوم فكم أراقوا بسبب ذلك من دماء خلائق لايحصيها الا الله خالقها سبحانه وتعالى كما هو معروف في كتب التاريخ فكان هذا هو السبب في اشتهار مذهب الاشعرى وانتشاره في امصار الاسلام بحيث نسى غيره من المذاهب وجهل حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه الا أن

يكون

يكون مذهب الحنابلة أتباع الامام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضى الله عنه فانهم كانوا على ما كان عليه السلف لايرون تأويل ماورد من الصفات الى أن كان بعد السبعمائة من سنى الهجرة اشتهر بدمشق وأعمالها تقى الدين أبو العباس احمد بن عبد الحكم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى فتصدى للانتصار لمذهب السلف وبالغ فى الرد على مذهب الاشاعرة وصدع بالنكير عليهم وعلى الرافضة وعلى الصوفية فافترق الناس فيه فريقان فريق يقتدى به ويعول على اقواله ويعمل برأيه ويرى أنه شيخ الاسلام وأجل حفاظ أهل الملة الاسلامية وفريق يبدعه ويضلله ويزرى عليه باثباته الصفات وينتقد عليه مسائل منها ماله فيه سلف ومنها مازعموا أنه خرق فيه الاجماع ولم يكن له فيه سلف وكانت له ولهم خطوب كثيرة وحسابه وحسابهم على الله الذى لايخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء وله الى وقتنا هذا عدة أتباع بالشام وقليل بمصر * هذا وبين الاشاعرة والماتريدية أتباع أبى منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدى وهم طائفة الفقهاء الحنفية مقلدو الامام أبى حنيفة النعمان بن ثابت وصاحبيه أبى يوسف يعقوب بن ابراهيم الحضرمى ومحمد بن الحسن الشيبانى رضى الله عنهم من الخلاف فى العقائد ماهو مشهور فى موضعه وهو اذا تتبع يبلغ بضع عشرة مسألة كان بسببها فى أول الامر تباين وتنافر وقدح كل منهم فى عقيدة الآخر الا أن الامر آل آخرا الى الاغضاء ولله الحمد فهذا اعزك الله بيان ماكانت عليه عقائد الامة من ابتداء الامر الى وقتنا هذا قد فصلت فيه ما اجمله أهل الاخبار وأجملت مافصلوا فدونك طالب العلم تناول ماقد بذلت فيه جهدى وأطلت بسببه سهرى وكدى فى تصفح دواوين الاسلام وكتب الاخبار فقد وصل اليك صفوا ونلته عفوا بلا تكلف مشقة ولا بذل مجهود ولكن الله يمن على من يشاء من عباده * (أبو الحسن) على بن اسماعيل بن أبى بشر اسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبى بردة عامر بن أبى موسى واسمه عبد الله بن قيس الاشعرى البصرى ولد سنة ست وستين ومائتين وقيل سنة سبعين وتوفى ببغداد سنة بضع وثلاثين وثلثمائة وقيل سنة أربع وعشرين وثلثمائة سمع زكريا الساجى وأبا خليفة الجمحى وسهل بن نوح ومحمد بن يعقوب المقرى وعبد الرحمن بن خلف الضبى المصرى وروى عنهم فى تفسيره كثيرا وتلمذ لزوج أمه أبى على محمد بن عبد الوهاب الجبائى واقتدى برأيه فى الاعتزال عدة سنين حتى صار من أئمة المعتزلة ثم رجع عن القول بخلق القرآن وغيره من آراء المعتزلة وصعد يوم الجمعة بجامع البصرة كرسيا ونادى بأعلى صوته من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن وأن الله لايرى بالابصار وأن أفعال الشر أنا أفعلها وأنا تائب مقلع معتقد الرد على المعتزلة مبين لفضائحهم ومعايبهم وأخذ من حينئذ فى الرد عليهم وسلك بعض طريق أبى محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن كلاب القطان وبنى على قواعده وصنف خمسة وخمسين تصنيفا منها كتاب اللمع وكتاب الموجز وكتاب ايضاح البرهان وكتاب التبيين على أصول الدين وكتاب الشرح والتفصيل فى الرد على أهل الافك والتضليل وكتاب الابانة وكتاب تفسير القرآن يقال انه فى سبعين مجلدا وكانت غلته من ضيعة وقفها بلال بن أبى بردة على عقبه وكانت نفقته فى السنة سبعة عشر درهما وكانت فيه دعابة ومزح كثير وقال مسعود بن شيبة فى كتاب التعليم كان حنفى المذهب معتزلى الكلام لانه كان ربيب أبى على الجبائى وهو الذى رباه وعلمه الكلام وذكر الخطيب أنه كان يجلس أيام الجمعات فى حلقة أبى اسحاق المروزى الفقيه فى جامع المنصور وعن أبى بكر بن الصيرفى كان المعتزلة قد رفعوا رؤسهم حتى أظهر الله تعالى الاشعرى فحجزهم فى أقماع السماسم * وجملة عقيدته أن الله تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حى بحياة مريد بارادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر وأن صفاته ازلية قائمة بذاته تعالى لايقال هى هو ولا هى غيره ولا لاهى هو ولا غيره وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات وقدرته واحدة تتعلق بجميع مايصح وجوده وارادته واحدة تتعلق بجميع مايقبل الاختصاص وكلامه واحد هو أمر ونهى وخبر واستخبار ووعد ووعيد وهذه الوجوه راجعة الى اعتبارات فى كلامه لا الى نفس الكلام والالفاظ المنزلة على لسان الملائكة الى الانبياء دلالات على الكلام الازلى فالمدلول وهو القرآن المقروء قديم ازلى والدلالة وهى العبارات وهى القراءة مخلوقة محدثة قال وفرق بين القراءة والمقروء والتلاوة والمتلو كما فرق بين الذكر والمذكور قال والكلام معنى قائم بالنفس والعبارة دالة على مافى النفس وانما تسمى العبارة كلاما مجازا قال وأراد الله تعالى جميع الكائنات خيرها وشرها ونفعها وضرها ومال

فى كلامه الى جواز تكليف ما لا يطاق لقوله ان الاستطاعة مع الفعل وهو مكلف بالفعل قبله وهو غير مستطيع قبله على مذهبه قال وجميع أفعال العباد مخلوقة مبدعة من الله تعالى مكتسبة للعبد والكسب عبارة عن الفعل القائم بمحل قدرة العبد قال والخالق هو الله تعالى حقيقة لا يشاركه فى الخلق غيره فأخص وصفه هو القدرة والاختراع وهذا تفسير اسمه البارئ قال وكل موجود يصح أن يرى والله تعالى موجود فيصح أن يرى وقد صح السمع بأن المؤمنين يرونه فى الدار الاخرى فى الكتاب والسنة ولا يجوز أن يرى فى مكان ولا صورة مقابلة واتصال شعاع فان ذلك كله محال وماهية الرؤية له فيها رأيان أحدهما انه علم مخصوص يتعلق بالوجود دون العدم والثانى انه ادراك وراء العلم وأثبت السمع والبصر صفتين ازليتين هما ادراكان وراء العلم واثبت اليدين والوجه صفات خبرية ورد السمع بها فيجب الاعتراف به وخالف المعتزلة فى الوعد والوعيد والسمع والعقل من كل وجه وقال الايمان هو التصديق بالقلب والقول باللسان والعمل بالاركان فروع الايمان فمن صدق بالقلب أى أقر بوحدانية الله تعالى واعترف بالرسل تصديقا لهم فيما جاؤا به فهو مؤمن وصاحب الكبيرة اذا خرج من الدنيا من غير توبة حكمه الى الله اما أن يغفر له برحمته أو يشفع له رسول الله صلى الله عليه وسلم واما أن يعذبه بعدله ثم يدخله الجنة برحمته ولا يخلد فى النار مؤمن قال ولا أقول انه يجب على الله سبحانه قبول توبته بحكم العقل لانه هو الموجب لا يجب عليه شئ أصلا بل قد ورد السمع بقبول توبة التائبين واجابة دعوة المضطرين وهو المالك لخلقه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلو أدخل الخلائق بأجمعهم النار لم يكن جورا ولو ادخلهم الجنة لم يكن حيفا ولا يتصور منه ظلم ولا ينسب اليه جور لانه المالك المطلق والواجبات كلها سمعية فلا يوجب العقل شيأ البتة ولا يقتضى تحسينا ولا تقبيحا فمعرفة الله تعالى وشكر المنعم واثابة الطائع وعقاب العاصى كل ذلك يجب بالسمع دون العقل ولا يجب على الله شئ لا صلاح ولا اصلح ولا لطف بل الثواب والصلاح واللطف والنعم كلها تفضل من الله تعالى ولا يرجع اليه تعالى نفع ولا ضر فلا ينتفع بشكر شاكر ولا يتضرر بكفر كافر بل يتعالى ويتقدس عن ذلك وبعث الرسل جائز لا واجب ولا مستحيل فاذا بعث الله تعالى الرسول وأيده بالمعجزة الخارقة للعادة وتحدى ودعا الناس وجب الاصغاء اليه والاستماع منه والامتثال لاوامره والانتهاء عن نواهيه وكرامات الاولياء حق والايمان بما جاء فى القرآن والسنة من الاخبار عن الامور الغائبة عنا مثل اللوح والقلم والعرش والكرسى والجنة والنار حق وصدق وكذلك الاخبار عن الامور التى ستقع فى الآخرة مثل سؤال القبر والثواب والعقاب فيه والحشر والمعاد والميزان والصراط وانقسام فريق فى الجنة وفريق فى السعير كل ذلك حق وصدق يجب الايمان والاعتراف به والامامة تثبت بالاتفاق والاختيار دون النص والتعيين على واحد معين والائمة مترتبون فى الفضل ترتبهم فى الامامة قال ولا أقول فى عائشة وطلحة والزبير رضى الله عنهم الا انهم رجعوا عن الخطأ وأقول ان طلحة والزبير من العشرة المبشرين بالجنة وأقول فى معاوية وعمرو بن العاص انهما بغيا على الامام الحق على بن أبى طالب رضى الله عنهم فقاتلهم مقاتلة أهل البغى وأقول ان أهل النهروان الشراة هم المارقون عن الدين وان عليا رضى الله عنه كان على الحق فى جميع أحواله والحق معه حيث دار * فهذه جملة من أصول عقيدته التى عليها الآن جماهير أهل الامصار الاسلامية والتى من جهر بخلافها أريق دمه والاشاعرة يسمون الصفاتية لاثباتهم صفات الله تعالى القديمة ثم افترقوا فى الالفاظ الواردة فى الكتاب والسنة كالاستواء والنزول والاصبع واليد والقدم والصورة والجنب والمجىء على فرقتين فرقة تؤول جميع ذلك على وجوه محتملة اللفظ وفرقة لم يتعرضوا للتأويل ولا صاروا الى التشبيه ويقال لهؤلاء الاشعرية الاثرية فصار للمسلمين فى ذلك خمسة أقوال أحدها اعتقاد ما يفهم مثله من اللغة وثانيها السكوت عنها مطلقا وثالثها السكوت عنها بعد نفى ارادة الظاهر ورابعها حملها على المجاز وخامسها حملها على الاشتراك ولكل فريق أدلة وحجاج تضمنتها كتب أصول الدين ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم والله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون

*(فصل) اعلم أن الله سبحانه طلب من الخلق معرفته بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال ابن عباس وغيره يعرفون فخلق تعالى الخلق وتعرف اليهم بالسنة الشرائع المنزلة فعرفه من عرفه سبحانه منهم على ما عرفهم فيما تعرف به اليهم وقد كان الناس قبل انزال الشرائع ببعثة الرسل عليهم السلام علمهم

بالله تعالى انما هو بطريق التنزيه له عن سمات الحدوث وعن التركيب وعن الافتقار ويصفونه سبحانه بالاقتدار المطلق وهذا التنزيه هو المشهور عقلا ولا يتعداه عقل أصلا فلما أنزل الله شريعته على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأكمل دينه كان سبيل العارف بالله أن يجمع فى معرفته بالله بين معرفتين احداهما المعرفة التى تقتضيها الادلة العقلية والاخرى المعرفة التى جاءت بها الاخبارات الالهية وأن يرد علم ذلك الى الله تعالى ويؤمن به وبكل ماجاءت به الشريعة على الوجه الذى أراده الله تعالى من غير تأويل بفكره ولا تحكم فيه برأيه وذلك أن الشرائع انما انزلها الله تعالى لعدم استقلال العقول البشرية بادراك حقائق الاشياء على ماهى عليه فى علم الله وأنى لها ذلك وقد تقيدت بما عندها من اطلاق ماهنالك فان وهبها علما بمراده من الاوضاع الشرعية ومنحها الاطلاع على حكمه فى ذلك كان من فضله تعالى فلا يضيف العارف هذه المنة الى فكره فان تنزيهه لربه تعالى بفكره يجب أن يكون مطابقا لما أنزله سبحانه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة والا فهو تعالى منزه عن تنزيه عقول البشر بأفكارها فانها مقيدة بأوطارها فتنزيهها كذلك مقيد بحسبها وبموجب أحكامها وآثارها الا اذا خلت عن الهوى فانها حينئذ يكشف الله لها الغطاء عن بصائرها ويهديها الى الحق فتنزه الله تعالى عن التنزيهات العرفية بالافكار العادية وقد أجمع المسلمون قاطبة على جواز رواية الاحاديث الواردة فى الصفات ونقلها وتبليغها من غير خلاف بينهم فى ذلك ثم اجمع أهل الحق منهم على أن هذه الاحاديث مصروفة عن احتمال مشابهة الخلق لقول الله تعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ولقول الله تعالى قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وهذه السورة يقال لها سورة الاخلاص وقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم شانها ورغب امته فى تلاوتها حتى جعلها تعدل ثلث القرآن من اجل انها شاهدة بتنزيه الله تعالى وعدم الشبه والمثل له سبحانه وسميت سورة الاخلاص لاشتمالها على اخلاص التوحيد لله عن أن يشوبه ميل الى تشبيه بالخلق وأما الكاف التى فى قوله تعالى ليس كمثله شئ فانها زائدة وقد تقرر أن الكاف والمثل فى كلام العرب اتيا للتشبيه فجمعهما الله تعالى ثم نفى بهما عنه ذلك فاذا ثبت اجماع المسلمين على جواز رواية هذه الاحاديث ونقلها مع اجماعهم على أنها مصروفة عن التشبيه لم يبق فى تعظيم الله تعالى بذكرها الانفى التعطيل لكون أعداء المرسلين سموا ربهم سبحانه اسماء نفوا فيها صفاته العلا فقال قوم من الكفار هو طبيعة وقال آخرون منهم هو علة الى غير ذلك من القادح فى اسمائه سبحانه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاحاديث المشتملة على ذكر صفات الله العلا ونقلها عنه أصحابه البررة ثم نقلها عنهم أئمة المسلمين حتى انتهت الينا وكل منهم يرويها بصفتها من غير تأويل لشئ منها مع علمنا أنهم كانوا يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ففهمنا من ذلك أن الله تعالى أراد بما نطق به رسوله صلى الله عليه وسلم من هذه الاحاديث وتناولها عنه الصحابة رضى الله عنهم وبلغوها الامته أن يغص بها فى حلوق الكافرين وأن يكون ذكرها نكافى قلب كل ضال معطل مبتدع يقفو أثر المبتدعة من أهل الطبائع وعباد العلل فلذلك وصف الله تعالى نفسه الكريمة بها فى كتابه ووصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا بما صح عنه وثبت فدل على أن المؤمن اذا اعتقد أن الله ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وانه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد كان ذكره لهذه الاحاديث تمكين الاثبات وشجا فى حلوق المعطلة وقد قال الشافعى رحمه الله الاثبات أمكن نقله الخطابى ولم يبلغنا عن أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم أنهم أولوا هذه الاحاديث والذى يمنع من تأويلها اجلال الله تعالى عن أن تضرب له الامثال وانه اذا نزل القرآن بصفة من صفات الله تعالى كقوله سبحانه يد الله فوق أيديهم فان نفس تلاوة هذا يفهم منها السامع المعنى المراد به وكذا قوله تعالى بل يداه مبسوطتان عند حكايته تعالى عن اليهود نسبتهم اياه الى البخل فقال تعالى بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء فان نفس تلاوة هذا مبينة للمعنى المقصود وايضا فان تأويل هذه الاحاديث يحتاج أن يضرب لله تعالى فيها المثل نحو قولهم فى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى الاستواء الاستيلاء كقولك استوى الامير على البلد وانشدوا قد استوى بشر على العراق فلزمهم تشبيه البارى تعالى ببشر وأهل الاثبات نزهوا اجلال الله عن أن يشبهوه بالاجسام حقيقة ولا مجازا وعلموا مع ذلك أن هذا النطق يشتمل على كلمات متداولة بين الخالق وخلقه وتحرجوا أن يقولوا مشتركة لان الله

تعالى لا شريك له ولذلك لم يتأول السلف شيأ من أحاديث الصفات مع علمنا قطعا أنها عندهم مصروفة عما يسبق اليه ظنون الجهال من مشابهتها الصفات المخلوقين وتأمل تجد الله تعالى لما ذكر المخلوقات المتولدة من الذكر والانثى في قوله سبحانه خلق لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه علم سبحانه ما يخطر بقلوب الخلق فقال عز من قائل ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * واعلم أن السبب في خروج اكثر الطوائف عن ديانة الاسلام أن الفرس كانت من سعة الملك وعلو اليد على جميع الامم وجلالة الخطر في انفسها بحيث انهم كانوا يسمون انفسهم الاحرار والاسياد وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب وكانت العرب عند الفرس اقل الامم خطرا تعاظمهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الاسلام بالمحاربة في اوقات شتى وفي كل ذلك يظهر الله تعالى الحق وكان من قائميهم سنفاد واشنيس والمقفع وبابك وغيرهم وقبل هؤلاء رام ذلك عمار الملقب خداشا وأبو مسلم السروح فرأوا أن كيده على الحيلة انجع فأظهر قوم منهم الاسلام واستمالوا أهل التشيع باظهار محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واستبشاع ظلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن طريق الهدى فقوم أدخلوهم الى القول بأن رجلا ينتظر يدعى المهدي عنده حقيقة الدين اذ لا يجوز أن يؤخذ الدين عن كفار اذ نسبوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكفر وقوم خرجوا الى القول بادعاء النبوة لقوم سموهم به وقوم سلكوا بهم الى القول بالحلول وسقوط الشرائع وآخرون تلاعبوا بهم فاوجبوا عليهم خمسين صلاة في كل يوم وليلة وآخرون قالوا بل هي سبع عشرة صلاة في كل صلاة خمس عشرة ركعة وهو قول عبد الله بن عمرو بن الحارث الكندي قبل أن يصير خارجيا صفريا وقد أظهر عبد الله بن سبأ الحميري اليهودي الاسلام ليكيد أهله فكان هو أصل اثارة الناس على عثمان بن عفان رضي الله عنه واحرق علي رضي الله عنه منهم طوائف اعلنوا بالهيته ومن هذه الاصول حدثت الاسماعيلية والقرامطة * والحق الذي لا ريب فيه أن دين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه وجوهر لا سر تحته وهو كله لازم كل احد لا مسامحة فيه ولم يكتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشريعة ولا كلمة ولا أطلع أخص الناس به من زوجة أو ولد عم على شئ من الشريعة كتمه عن الاحمر والاسود ورعاة الغنم ولا كان عنده صلى الله عليه وسلم سر ولا رمز ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم اليه ولو كتم شيأ لما بلغ كما أمر ومن قال هذا فهو كافر باجماع الامة وأصل كل بدعة في الدين البعد عن كلام السلف والانحراف عن اعتقاد الصدر الاول حتى بالغ القدري في القدر فجعل العبد خالقا لافعاله وبالغ الجبري في مقابلته فسلب عنه الفعل والاختيار وبالغ المعطل في التنزيه فسلب عن الله تعالى صفات الجلال ونعوت الكمال وبالغ المشبه في مقابلته فجعله كواحد من البشر وبالغ المرجي في سلب العقاب وبالغ المعتزلي في التخليد في العذاب وبالغ الناصبي في دفع علي رضي الله عنه عن الامامة وبالغت الغلاة حتى جعلوه الها وبالغ السني في تقديم أبي بكر رضي الله عنه وبالغ الرافضي في تأخيره حتى كفره وميدان الظن واسع وحكم الوهم غالب فتعارضت الظنون وكثرت الاوهام وبلغ كل فريق في الشر والعناد والبغي والفساد الى اقصى غاية وأبعد نهاية وتباغضوا وتلاعنوا واستحلوا الاموال واستباحوا الدماء وانتصروا بالدول واستعانوا بالملوك فلو كان أحدهم اذا بالغ في امر نازع الآخر في القرب منه فان الظن لا يبعد عن الظن كثيرا ولا ينتهي في المنازعة الى الطرف الآخر من طرفي التقابل لكنهم أبوا الا ما قدمنا ذكره من التدابر والتقاطع ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك

(ذكر المدارس)

قال ابن سيده درس الكتاب يدرسه درسا ودراسة ودارسه من ذلك كأنه عاوده حتى انقاد لحفظه وقد قرئ بهما وليقولوا درست ودارست ذاكرتهم وحكى درست أي قرئت وقرئ درست ودرست أي هذه أخبار قد عفت وامحت ودرّست أشد مبالغة والدراس المدارسة وقال ابن جني ودرسته اياه وادرسته ومن الشاذ قراءة ابن حيوة وبما كنتم تدرسون والمدرس الموضع الذي يدرس فيه وقد ذكر الواقدي أن عبد الله ابن أم مكتوم قدم مهاجرا الى المدينة مع مصعب بن عمير رضي الله عنهما وقيل قدم بعد بدر بيسير فنزل دار القراء ولما أراد الخليفة المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق بالله أبي أحمد طلحة بن المتوكل على الله جعفر بناء قصره

في الشماسية ببغداد استزاد في الذرع بعد أن فرغ من تقدير ما أراد فسئل عن ذلك فذكر أنه يريده ليبني فيه دورا ومساكن ومقاصير يرتب في كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية ويجري عليهم الارزاق السنية ليقصد كل من اختار علما أو صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه * والمدارس مما حدث في الاسلام ولم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين وانما حدث عملها بعد الاربعمائة من سني الهجرة وأول من حفظ عنه انه بنى مدرسة في الاسلام أهل نيسابور فبنيت بها المدرسة البيهقية وبنى بها أيضا الامير نصر بن سبكتكين مدرسة وبنى بها أخو السلطان محمود بن سبكتكين مدرسة وبنى بها أيضا المدرسة السعدية وبنى بها أيضا مدرسة رابعة وأشهر ما بني في القديم المدرسة النظامية ببغداد لانها أول مدرسة قرر بها للفقهاء معاليم وهي منسوبة الى الوزير نظام الملك أبي علي الحسن بن علي بن اسحاق بن العباس الطوسي وزير ملك شاه بن الب أرسلان بن داود بن ميكال بن سلجوق في مدينة بغداد وشرع في بنائها في سنة سبع وخمسين وأربعمائة وفرغت في ذي القعدة سنة تسع وخمسين وأربعمائة ودرس فيها الشيخ أبو اسحاق الشيرازي الفيروزبادي صاحب كتاب التنبيه في الفقه على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه ورحمه فاقتدى الناس به من حينئذ في بلاد العراق وخراسان وماوراء النهر وفي بلاد الجزيرة وديار بكر * وأما مصر فانها كانت حينئذ بيد الخلفاء الفاطميين ومذهبهم مخالف لهذه الطريقة وانما هم شيعة اسماعيلية كما تقدم وأول ما عرف اقامة درس من قبل السلطان بمعلوم جار لطائفة من الناس بديار مصر في خلافة العزيز بالله نزار بن المعز ووزارة يعقوب بن كلس فعمل ذلك بالجامع الازهر كما تقدم ذكره ثم عمل في دار الوزير يعقوب بن كلس مجلس يحضره الفقهاء فكان يقرأ فيه كتاب فقه على مذهبهم وعمل أيضا مجلس بجامع عمرو بن العاص من مدينة فسطاط مصر لقراءة كتاب الوزير ثم بنى الحاكم بأمر الله أبو علي منصور بن العزيز دار العلم بالقاهرة كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب فلما انقرضت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أبطل مذاهب الشيعة من ديار مصر وأقام بها مذهب الامام الشافعي ومذهب الامام مالك واقتدى بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكي فانه بنى بدمشق وحلب وأعمالهما عدة مدارس للشافعية والحنفية وبنى لكل من الطائفتين مدرسة بمدينة مصر * وأول مدرسة أحدثت بديار مصر المدرسة الناصرية بجوار الجامع العتيق بمصر ثم المدرسة القمحية المجاورة للجامع أيضا ثم المدرسة السيوفية التي بالقاهرة ثم اقتدى بالسلطان صلاح الدين في بناء المدارس بالقاهرة ومصر وغيرهما من أعمال مصر وبالبلاد الشامية والجزيرة أولاده وأمراؤه ثم حذا حذوهم من ملك مصر بعدهم من ملوك الترك وأمرائهم وأتباعهم الى يومنا هذا وسأذكر ما بديار مصر من المدارس وأعرّف بحال من بناها على ما اعتدته في هذا الكتاب من التوسط دون الاسهاب وبالله استعين

(المدرسة الناصرية)

بجوار الجامع العتيق من مدينة مصر من قبليه * هذه المدرسة عرفت أولا بالمدرسة الناصرية ثم عرفت بابن زين التجار وهو أبو العباس أحمد بن المظفر بن الحسين الدمشقي المعروف بابن زين التجار أحد أعيان الشافعية درس بهذه المدرسة مدة طويلة ومات في ذي القعدة سنة احدى وتسعين وخمسمائة ثم عرفت بالمدرسة الشريفية وهي الى الآن تعرف بذلك وكان موضعها يقال له الشرطة وذكر الكندي أنها خطة قيس ابن سعد بن عبادة الانصاري وعرفت بدار الفلفل وقال ابن عبد الحكم كانت فضاء قبل ذلك وقيل كانت هي والدار التي الى جانبها لنافع بن عبد الله بن قيس الفهري فأخذها منه قيس بن سعد وسميت دار الفلفل لان اسامة بن زيد التنوخي صاحب الخراج بمصر ابتاع من موسى بن وردان فلفلا بعشرين ألف دينار ليهديه الى صاحب الروم فخزنه فيها ولما فرغ عيسى بن يزيد الجلودي من بناء زيادة الجامع بنى هذه الدار شرطة في سنة ثلاث عشرة ومائتين ثم صارت سجنا تعرف بالمعونة فهدمها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في أول المحرم سنة ست وستين وخمسمائة وأنشأها مدرسة برسم الفقهاء الشافعية وكان حينئذ يتولى وزارة مصر للخليفة العاضد وكان هذا من اعظم ما نزل بالدولة وهي أول مدرسة عملت بديار مصر ولما كملت وقف عليها الصاغة وكانت بجوارها وقد خربت وبقي منها شيء يسير قرأت عليها اسم

الخليفة العزيز بالله ووقف عليها أيضا قرية تعرف واول من ولى التدريس بها ابن زين التجار فعرفت به ثم درس بها بعده ابن قطيطة بن الوزان ثم من بعده كمال الدين أحمد بن شيخ الشيوخ وبعده الشريف القاضى شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد الحنفى قاضى العسكر الارموى فعرفت به وقيل لها المدرسة الشريفية من عهده الى اليوم ولولا ما يتناوله الفقهاء من المعلوم بها لخربت فان الكيمان ملاصقة لها بعد ما كان حولها أعمر موضع فى الدنيا وقد ذكر حبس المعونة عند ذكر السجون من هذا الكتاب

* (المدرسة القمحية) *

هذه المدرسة بجوار الجامع العتيق بمصر كان موضعها يعرف بدار الغزل وهو قيسارية يباع فيها الغزل فهدمها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وأنشأ موضعها مدرسة للفقهاء المالكية وكان الشروع فيها للنصف من المحرم سنة ست وستين وخمسمائة ووقف عليها قيسارية الوراقين وعلوها بمصر وضيعة بالفيوم تعرف بالخنبوشية ورتب فيها أربعة من المدرسين عند كل مدرس عدة من الطلبة وهذه المدرسة أجل مدرسة للفقهاء المالكية ويتحصل لهم من ضيعتهم التى بالفيوم قمح يفرق فيهم فلذلك صارت لا تعرف الا بالمدرسة القمحية الى اليوم وقد أحاط بها الخراب ولولا ما يتحصل منها للفقهاء لدثرت * وفى شعبان سنة خمس وعشرين وثمانمائة أخرج السلطان الملك الاشرف برسباى الدقاقى ناحيتى الاعلام والخنبوشية وكانا من وقف السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب على هذه المدرسة وأنعم بهما على مملوكين من مماليكه ليكونا اقطاعا لهما

* (مدرسة بازكوج) *

هذه المدرسة بسوق الغزل فى مدينة مصر وهى مدرسة معلقة بناها

* (مدرسة ابن الارسوفى) *

هذه المدرسة كانت بالبزازين التى تجاور خط النخالين بمصر عرفت بابن الارسوفى التاجر العسقلانى وكان بناؤها فى سنة سبعين وخمسمائة وهو عفيف الدين عبد الله بن محمد الارسوفى مات بمصر فى يوم الاثنين حادى عشرى ربيع الاول سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة

* (مدرسة منازل العز) *

هذه المدرسة كانت من دور الخلفاء الفاطميين بنتها أم الخليفة العزيز بالله بن المعز وعرفت بمنازل العز وكانت تشرف على النيل وصارت معدة لنزهة الخلفاء وممن سكنها ناصر الدولة حسين بن حمدان الى أن قتل وكان بجانبها حمام يعرف بحمام الذهب من جملة حقوقها وهى باقية فلما زالت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف أنزل فى منازل العز الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فسكنها مدة ثم انه اشتراها والحمام والاصطبل المجاور لها من بيت المال فى شهر شعبان سنة ست وستين وخمسمائة وأنشأ فندقين بمصر بخط الملاحين وأنشأ ربعا بجوار أحد الفندقين واشترى جزيرة مصر التى تعرف اليوم بالروضة فلما اراد أن يخرج من مصر الى الشام وقف منازل العز على فقهاء الشافعية ووقف عليها الحمام وما حولها وعمر الاصطبل فندقا عرف بفندق النخلة ووقفه عليها ووقف عليها الروضة ودرس بها شهاب الدين الطوسى وقاضى القضاة عماد الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد العلى السكرى وعدة من الاعيان وهى الآن عامرة بعمارة ما حولها * الملك المظفر تقى الدين أبو سعيد عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن نجم الدين ايوب بن شادى بن مروان هو ابن أخى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قدم الى القاهرة فى واستنابه السلطان على دمشق فى المحرم سنة احدى وسبعين ثم نقله الى نيابة حماه وسلم اليه سنجار لما أخذها فى ثانى رمضان سنة ثمان وسبعين فأقام بها ولحق السلطان على حلب فقدم عليه فى سابع صفر سنة تسع وسبعين فأقام الى أن بعثه الى القاهرة نائبا عنه بديار مصر عوضا عن الملك العادل أبى بكر بن أيوب فقدمها فى شهر رمضان سنة تسع وسبعين وأنعم عليه بالفيوم وأعمالها مع القايات وبوش وأبقى عليه مدينة حماه ثم خرج بعساكر مصر الى السلطان وهو بدمشق فى سنة ثمانين لاجل أخذ الكرك من الفرنج فسار اليها وحصرها مدة ثم رجع مع السلطان الى دمشق وعاد الى القاهرة فى شعبان وقد أقام السلطان على مملكة مصر

ابنه الملك العزيز عثمان وجعل الملك المظفر كافلا له وقائما بتدبير دولته فلم يزل على ذلك الى جمادى الاولى سنة اثنتين وثمانين فصرف السلطان أخاه الملك العادل عن حلب وأعطاه نيابة مصر فغضب الملك المظفر وعبر بأصحابه الى الجيزة يريد المسير الى بلاد المغرب واللحاق بغلامه بهاء الدين قراقوش التقوى فبلغ السلطان ذلك فكتب اليه ولم يزل به حتى زال مابه وسار الى السلطان فقدم عليه دمشق فى ثالث عشرى شعبان فأقره على حماه والمعرة ومنبج وأضاف اليه ميافارقين فلحق به أصحابه ماخلا مملوكه زين الدين بوزبا فانه سار الى بلاد المغرب وكانت له فى أرض مصر وبلاد الشام أخبار وقصص وعرفت له مواقف عديدة فى الحرب مع الفرنج وآثار فى المصافات وله فى أبواب البر أفعال حسنة وله بمدينة الفيوم مدرستان احداهما للشافعية والاخرى للمالكية وبنى مدرسة بمدينة الرها وسمع الحديث من السلفى وابن عوف وكان عنده فضل وأدب وله شعر حسن وكان جوادا شجاعا مقداما شديد البأس عظيم الهمة كثير الاحسان ومات فى نواحى خلاط ليلة الجمعة تاسع شهر رمضان سنة سبع وثمانين وخمسمائة ونقل الى حماه فدفن بها فى تربة بناها على قبره ابنه الملك المنصور محمد

(مدرسة العادل)

هذه المدرسة بخط الساحل بجوار الربع العادلى من مدينة مصر الذى وقف على الشافعى عمرها الملك العادل أبو بكر بن أيوب اخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فدرس بها قاضى القضاة تقى الدين أبو على الحسين بن شرف الدين أبى الفضل عبد الرحيم بن الفقيه جلال الدين أبى محمد عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار بن عشائر بن عبد الله بن محمد بن شاس فعرفت به وقيل لها مدرسة ابن شاس الى اليوم وهى عامرة وعرف خطها بالقشاشين وهى للمالكية

(مدرسة ابن رشيق)

هذه المدرسة للمالكية وهى بخط حمام الريش من مدينة مصر كان الكانم من طوائف التكرور لما وصلوا الى مصر فى سنة بضع وأربعين وستمائة قاصدين الحج دفعوا للقاضى علم الدين بن رشيق مالا بناها به ودرس بها فعرفت به وصار لها فى بلاد التكرور سمعة عظيمة وكانوا يبعثون اليها فى غالب السنين المال

(المدرسة الفائزية)

هذه المدرسة فى مصر بخط   أنشأها الصاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد بن وهيب الفائزى قبل وزارته فى سنة ست وثلاثين وستمائة ودرس بها القاضى محيى الدين عبد الله بن قاضى القضاة شرف الدين محمد بن عين الدولة ثم قاضى القضاة صدر الدين موهوب الجزرى وهى للشافعية

(المدرسة القطبية)

هذه المدرسة بالقاهرة فى خط سويقة الصاحب بداخل درب الحريرى كانت هى والمدرسة السيفية من حقوق دار الديباج التى تقدم ذكرها وأنشأ هذه المدرسة الامير قطب الدين خسرو بن بلبل بن شجاع الهدبانى فى سنة سبعين وخمسمائة وجعلها وقفا على الفقهاء الشافعية وهو أحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب

(المدرسة السيوفية)

هذه المدرسة بالقاهرة وهى من جملة دار الوزير المأمون البطائحى وقفها السلطان السيد الاجل الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب على الحنفية وقرر فى تدريسها الشيخ مجد الدين محمد بن محمد الجبتى ورتب له فى كل شهر احد عشر دينارا وباقى ريع الوقف يصرفه على ما يراه لطلبة الحنفية المقررين عنده على قدر طبقاتهم وجعل النظر للجبتى ومن بعده الى من له النظر فى امور المسلمين وعرفت بالمدرسة السيوفية من أجل أن سوق السيوفيين كان حينئذ على بابها وهى الآن تجاه سوق الصنادقيين وقد وهم القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر فانه قال فى كتاب الروضة الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة مدرسة السيوفية وهى للحنفية وقفها عز الدين فرحشاه قريب صلاح الدين وما أدرى كيف وقع له هذا الوهم فان كتاب وقفها موجود قد وقفت عليه ولخصت منه ما ذكرته وفيه أن واقفها السلطان صلاح الدين

وخطه على كتاب الوقف ونصه الحمد لله وبه توفيقي وتاريخ هذا الكتاب تاسع عشري شعبان سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ووقف على مستحقيها اثنين وثلاثين حانوتا بخط سويقة أمير الجيوش وباب الفتوح وحارة برجوان وذكر في آخر كتاب وقفها أن الواقف أذن لمن حضر مجلسه من العدول في الشهادة والقضاء على لفظه بما تضمنه المسطور فشهدوا بذلك وأثبتوا اشهادتهم آخره وحكم حاكم المسلمين على صحة هذا الوقف بعد ما خاصم رجل من أهل هذا الوقف في ذلك وأمضاه لكنه لم يذكر في الكتاب اسم القاضي بثبوته بل ذكر رسم شهادة الشهود على الواقف وهم علي بن ابراهيم بن نجا بن غنائم الانصاري الدمشقي والقاسم بن يحيى بن عبد الله بن قاسم الشهرزوري وعبد الله بن عمر بن عبد الله الشافعي وعبد الرحمن بن علي بن عبد العزيز بن قريش المخزومي وموسى بن بكر بن موسك الهذباني في آخرين * وهذه المدرسة هي أول مدرسة وقفت على الحنفية بديار مصر وهي باقية بأيديهم

(المدرسة الفاضلية)

هذه المدرسة بدرب ملوخيا من القاهرة بناها القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني بجوار داره في سنة ثمانين وخمسمائة ووقفها على طائفتي الفقهاء الشافعية والمالكية وجعل فيها قاعة للاقراء أقرأ فيها الامام أبو محمد الشاطبي ناظم الشاطبية ثم تلميذه أبو عبد الله محمد بن عمر القرطبي ثم الشيخ علي بن موسى الدهان وغيرهم ورتب لتدريس فقه المذهبين الفقيه أبا القاسم عبد الرحمن بن سلامة الاسكندراني ووقف بهذه المدرسة جملة عظيمة من الكتب في سائر العلوم يقال انها كانت مائة ألف مجلد وذهبت كلها وكان أصل ذهابها أن الطلبة التي كانت بها لما وقع الغلاء بمصر في سنة أربع وتسعين وستمائة والسلطان يومئذ الملك العادل كتبغا المنصوري مسهم الضر فصاروا يبيعون كل مجلد برغيف خبز حتى ذهب معظم ما كان فيها من الكتب ثم تداولت ايدي الفقهاء عليها بالعارية فتفرقت وبها الى الآن مصحف قرآن كبير القدر جدا مكتوب بالخط الاول الذي يعرف بالكوفي تسميه الناس مصحف عثمان بن عفان ويقال ان القاضي الفاضل اشتراه بنيف وثلاثين ألف دينار على أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو في خزانة مفردة له بجانب المحراب من غربيه وعليه مهابة وجلالة والى جانب المدرسة كتاب برسم الايتام وكانت هذه المدرسة من أعظم مدارس القاهرة وأجلها وقد تلاشت لخراب ما حولها *

(عبد الرحيم) بن علي بن الحسن بن أحمد بن الفرج بن أحمد القاضي الفاضل محيي الدين أبو علي ابن القاضي الاشرف اللخمي العسقلاني البيساني المصري الشافعي كان أبوه يتقلد قضاء مدينة بيسان فلهذا نسبوا اليها وكانت ولادته بمدينة عسقلان في خامس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة ثم قدم القاهرة وخدم الموفق يوسف بن محمد بن الجلال صاحب ديوان الانشاء في أيام الحافظ لدين الله وعنه أخذ صناعة الانشاء ثم خدم بالاسكندرية مدة فلما قام بوزارة مصر العادل رزيك بن الصالح طلائع ابن رزيك خرج أمره الى والي الاسكندرية بتسييره الى الباب فلما حضر استخدمه بحضرته وبين يديه في ديوان الجيش فلما مات الموفق بن الجلال في سنة ست وستين وخمسمائة وكان القاضي الفاضل ينوب عنه في ديوان الانشاء عينه الكامل بن شاور وسعى له عند أبيه الوزير شاور بن مجير فأقره عوضا عن ابن الجلال في ديوان الانشاء فلما ملك أسد الدين شيركوه احتاج الى كاتب فأحضره وأعجبه اتقانه وسمته ونصحه فاستكتبه الى أن ملك صلاح الدين يوسف بن أيوب فاستخلصه وحسن اعتقاده فيه فاستعان به على ما أراد من ازالة الدولة الفاطمية حتى تم مراده فجعله وزيره ومشيره بحيث كان لا يصدر أمرا الا عن مشورته ولا ينفذ شيأ الا عن رأيه ولا يحكم في قضية الا بتدبيره فلما مات صلاح الدين استمر على ما كان عليه عند ولده الملك العزيز عثمان في المكانة والرفعة وتقلد الامر فلما مات العزيز وقام من بعده ابنه الملك المنصور بالملك ودبر أمره عمه الافضل كان معهما على حاله الى أن وصل الملك العادل أبو بكر بن أيوب من الشام لاخذ ديار مصر وخرج الافضل لقتاله فمات منكوبا أحوج ما كان الى الموت عند تولي الاقبال واقبال الادبار في سحر يوم الاربعاء سابع عشر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن بتربته من القرافة الصغرى * قال ابن خلكان وزر للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وتمكن منه غاية التمكن وبرز في صناعة الانشاء وفاق المتقدمين

وله فيه الغرائب مع الاكثار أخبرني أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة أمره أن مسودّات رسائله في المجلدات والتعليقات في الاوراق اذا جمعت ماتقصر عن مائة وهو مجيد في أكثرها وقال عبد اللطيف البغدادي دخلنا عليه فرأيت شيخا ضئيلا كله رأس وقلب وهو يكتب ويملي على اثنين ووجهه وشفتاه تلعب ألوان الحركات لقوة حرصه في اخراج الكلام وكانه يكتب بجملة أعضائه وكان له غرام في الكتابة وتحصيل الكتب وكان له الدين والعفاف والتقى والمواظبة على أوراد الليل والصيام وقراءة القرآن وكان قليل اللذات كثير الحسنات دائم التهجد ويشتغل بعلوم الادب وتفسير القرآن غير أنه كان خفيف البضاعة من النحو ولكن قوة الدراية توجب له قلة اللحن وكان لا يكاد يضيع من زمانه شيأ الا في طاعة وكتب في الانشاء مالم يكتبه غيره * وحكى لي ابن القطان أحد كتابه قال لما خطب صلاح الدين بمصر للامام المستضيء بأمر الله تقدّم الى القاضي الفاضل بأن يكاتب الديوان العزيز وملوك الشرق ولم يكن يعرف خطابهم واصطلاحهم فاوعز الى العماد الكاتب أن يكتب فكتب واحتفل وجاء بها مفضوضة ليقرأها الفاضل متبجحا بها فقال لا احتاج أن أقف عليها وأمر بختمها وتسليمها الى النجاب والعماد بمصر قال ثم امرني أن ألحق النجاب ببلبيس وأن أفض الكتب وأكتب صدورها ونهاياتها ففعلت ورجعت بها اليه فكتب على حذوها وعرضها على السلطان فارتضاها وامر بارسالها الى أربابها مع النجاب وكان متقللا في مطعمه ومنكحه وملبسه ولباسه البياض لا يبلغ جميع ما عليه دينارين ويركب معه غلام وركابي ولا يمكن أحدا أن يصحبه ويكثر زيارة القبور وتشييع الجنائز وعيادة المرضى وله معروف في السر والعلانية واكثر أوقاته يفطر بعد ما يتهوّر الليل وكان ضعيف البنية رقيق الصورة له حدبة يغطيها الطيلسان وكان فيه سوء خلق يكمد به في نفسه ولا يضر أحدا به ولاصحاب الادب عنده نفاق يحسن اليهم ولا يمن عليهم ويؤثر أرباب البيوت والغرباء ولم يكن له انتقام من أعدائه الا بالاحسان اليهم أو بالاعراض عنهم وكان دخله في كل سنة من اقطاع ورباع وضياع خمسين ألف دينار سوى متاجره للهند والمغرب وغيرهما وكان يقتني الكتب من كل فن ويجتلبها من كل جهة وله نساخ لا يفترون ومجلدون لا يبطلون قال لي بعض من يخدمه في الكتب ان عددها قد بلغ مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا وهذا قبل موته بعشرين سنة * وحكى لي ابن صورة الكتبي أن ابنه القاضي الاشرف التمس مني أن أطلب له نسخة الحماسة ليقرأها فأعلمت القاضي الفاضل فاستحضر من الخادم الحماسات فأحضر له خمسا وثلاثين نسخة وصار ينفض نسخة نسخة ويقول هذه بخط فلان وهذه عليها خط فلان حتى اتى على الجميع وقال ليس فيها ما يصلح للصبيان وأمرني أن أشتري له نسخة بدينار

(المدرسة الازكشية)

هذه المدرسة بالقاهرة على رأس السوق الذي كان يعرف بالخروقيين ويعرف اليوم بسويقة أمير الجيوش بناها الامير سيف الدين أياز كوج الاسدي مملوك أسد الدين شيركوه وأحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وجعلها وقفا على الفقهاء من الحنفية فقط في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وكان أياز كوج رأس الامراء الاسدية بديار مصر في أيام السلطان صلاح الدين وأيام ابنه الملك العزيز عثمان وكان الامير فخر الدين جهاركس رأس الصلاحية ولم يزل على ذلك الى أن مات في يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وخمسمائة ودفن بسفح المقطم بالقرب من رباط الامير فخر الدين بن قزل

(المدرسة الفخرية)

هذه المدرسة بالقاهرة فيما بين سويقة الصاحب ودرب العداس عمرها الامير الكبير فخر الدين أبو الفتح عثمان بن قزل البارومي أستادار الملك الكامل محمد بن العادل وكان الفراغ منها في سنة اثنتين وعشرين وستمائة وكان موضعها أخيرا يعرف بدار الامير حسام الدين ساروج بن أرتق شاد الدواوين ومولد الامير فخر الدين في سنة احدى وخمسين وخمسمائة بحلب وتنقل في الخدم حتى صار أحد الامراء بديار مصر وتقدم في أيام الملك الكامل وصار أستاداره واليه أمر المملكة وتدبيرها الى أن سافر السلطان من القاهرة يريد بلاد المشرق فمات بحران بعد مرض طويل في ثامن عشر ذي الحجة سنة تسع وعشرين وستمائة وكان خيرا كثير الصدقة يتفقد أرباب البيوت وله من الآثار سوى هذه المدرسة المسجد الذي تجاهها وله أيضا رباط بالقرافة

والى جانبه كتاب سبيل وبنى بمكة رباطا

(المدرسة السيفية)

هذه المدرسة بالقاهرة فيما بين خط البندقانيين وخط الملحيين وموضعها من جملة دار الديباج قال ابن عبد الظاهر كانت دارا وهى من المدرسة القطبية فسكنها شيخ الشيوخ يعنى صدر الدين محمد بن حمويه وبنيت فى وزارة صفى الدين عبد الله بن على بن شكر ان سيف الاسلام ووقفها وولى فيها عماد الدين ولد القاضى صدر الدين يعنى ابن درباس وسيف الاسلام هذا اسمه طغتكين بن أيوب * (طغتكين) ظهير الدين سيف الاسلام الملك المعز بن نجم الدين أيوب بن شادى بن مروان الايوبى سيره أخوه صلاح الدين يوسف بن أيوب الى بلاد اليمن فى سنة سبع وسبعين وخمسمائة فملكها واستولى على كثير من بلادها وكان شجاعا كريما مشكور السيرة حسن السياسة قصده الناس من البلاد الشاسعة يستمطرون احسانه وبره وسار اليه شرف الدين بن عنين ومدحه بعدة قصائد بديعة فأجزل صلاته وأكثر من الاحسان اليه واكتسب من جهته مالا وافرا وخرج من اليمن فلما قدم الى مصر والسلطان اذ ذاك الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين الزمه أرباب ديوان الزكاة بدفع زكاة ما معه من المتجر فعمل

ما كل من يتسمى بالعزيز لها * أهل ولا كل برق سحبه غدقه

بين العزيزين فرق فى فعالهما * هذا يعطى وهذا يأخذ الصدقه

وتوفى سيف الاسلام فى شوال سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بالمنصورة وهى مدينة باليمن اختطها رحمه الله تعالى

(المدرسة العاشورية)

هذه المدرسة بحارة زويلة من القاهرة بالقرب من المدرسة القطبية الجديدة ورحبة كوكاى قال ابن عبد الظاهر كانت دار اليهودى ابن جميع الطبيب وكان يكتب لقراقوش فاشتريت منه الست عاشوراء بنت ساروح الاسدى زوجة الامير أياز كوج الاسدى ووقفتها على الحنفية وكانت من الدور الحسنة وقد تلاشت هذه المدرسة وصارت طول الايام مغلوقة لا تفتح الا قليلا فانها فى زقاق لا يسكنه الا اليهود ومن يقرب منهم فى النسب

(المدرسة القطبية)

هذه المدرسة فى أول حارة زويلة برحبة كوكاى عرفت بالست الجليلة الكبرى عصمة الدين مؤنسة خاتون المعروفة بدار اقبال العلائى ابنة الملك العادل أبى بكر بن أيوب وشقيقة الملك الافضل قطب الدين أحمد واليه نسبت وكانت ولادتها فى سنة ثلاث وستمائة ووفاتها ليلة الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين وستمائة وكانت قد سمعت الحديث وخرج لها الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد الظاهرى أحاديث ثمانيات حدثت بها وكانت عاقلة دينة فصيحة لها أدب وصدقات كثيرة وتركت مالا جزيلا وأوصت ببناء مدرسة يجعل فيها فقهاء وقراء ويشترى لها وقف يغل فبنيت هذه المدرسة وجعل فيها درس للشافعية ودرس للحنفية وقراء وهى الى اليوم عامرة

(المدرسة الخروبية)

هذه المدرسة على شاطئ النيل من مدينة مصر أنشأها تاج الدين محمد بن صلاح الدين أحمد بن محمد بن على الخروبى لما انشأ بيتا كبيرا مقابل بيت اخيه عز الدين قبليه على شاطئ النيل وجعل فيه هذه المدرسة وهى ألطف من مدرسة أخيه وبجنبها مكتب سبيل ووقف عليها أوقافا وجعل بها مدرس حديث فقط ومات بمكة فى آخر المحرم سنة خمس وثمانين وسبعمائة

(مدرسة المحلى)

هذه المدرسة على شاطئ النيل داخل صناعة التمر ظاهر مدينة مصر أنشأها رئيس التجار برهان الدين ابراهيم ابن عمر بن على المحلى ابن بنت العلامة شمس الدين محمد بن اللبان وينتمى فى نسبه الى طلحة بن عبيد الله أحد العشرة رضى الله عنهم وجعل هذه المدرسة بجوار داره التى عمرها فى مدة سبع سنين وأنفق فى بنائها زيادة على

خمسين

خمسين ألف دينار وجعل بجوارها مكتب سبيل لكن لم يجعل بها مدرسا ولا طلبة وتوفى ثانى عشرى ربيع الاول سنة ست وثمانمائة عن مال عظيم أخذ منه السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق مائة ألف دينار وكان مولده سنة خمس وأربعين وسبعمائة ولم يكن مشكور السيرة فى الديانة وله من المآثر تجديد جامع عمرو بن العاص فانه كان قد تداعى الى السقوط فقام بعمارته حتى عاد قريبا مما كان عليه شكر الله له ذلك

(المدرسة الفارقانية)

هذه المدرسة بابها شارع فى سويقة حارة الوزيرية من القاهرة فتحت فى يوم الاثنين رابع جمادى الاولى سنة ست وسبعين وستمائة وبها درس للطائفة الشافعية ودرس للطائفة الحنفية أنشأها الامير شمس الدين آق سنقر الفارقانى السلاحدار كان مملوكا للامير نجم الدين أمير حاجب ثم انتقل الى الملك الظاهر بيبرس فترقى عنده فى الخدم حتى صار أحد الامراء الاكابر وولاه الاستادارية وناب عنه بديار مصر مدة غيبته وقدمه على العساكر غير مرة وفتح له بلاد النوبة وكان وسيما جسيما شجاعا مقداما حازما صاحب دراية بالامور وخبرة بالاحوال والتصرفات مدبر الدول كثير البر والصدقة ولما مات الملك الظاهر وقام من بعده فى ملك مصر ابنه الملك السعيد بركة قان ولاه نيابة السلطنة بديار مصر بعد موت الامير بدر الدين بيلبك الخازندار فأظهر الحزم وضم اليه طائفة منهم شمس الدين اقوش وقطليجا الرومى وسيف الدين قليج البغدادى وسيف الدين بيجو البغدادى وسيف الدين شعبان أمير شكار وبكتمر السلاحدار وكانت الخاصكية تكرهه فاتفقوا مع مماليك بيلبك الخازندار على القبض عليه وتحدثوا مع الملك السعيد فى ذلك ومازالوا به حتى قبضوا عليه بمساعدة الامير سيف الدين كوندك الساقى لهم وكان قد ربى مع السعيد فى المكتب فلم يشعر وهو قاعد بباب القلة من القلعة الا وقد سحب وضرب ونتفت لحيته وجر وقد ارتكب فى اهانته أمر شنيع الى البرج فسجن به ليالى قليلة ثم أخرج منه ميتا فى أثناء سنة ست وسبعين وستمائة وجهل قبره

(المدرسة المهذبية)

هذه المدرسة خارج باب زويلة من خط حارة حلب بجوار حمام قارى بناها الحكيم مهذب الدين أبو سعيد محمد بن علم الدين بن أبى الوحش بن أبى الخير بن أبى سليمان بن أبى حليقة رئيس الاطباء كان جده الرشيد أبو الوحش نصرانيا متقدما فى صناعة الطب فأسلم ابنه علم الدين فى حياته وكان لا يولد له ولد فيعيش فرأت أمه وهى حامل به قائلا يقول هيئوا له حلقة فضة قد تصدق بوزنها وساعة يوضع من بطن أمه تثقب اذنه وتوضع فيها الحلقة ففعلت ذلك فعاش فعاهدت أمه أباه أن لا يقلعها من اذنه فكبر وجاءته أولاد وكلهم يموت فولد له ابنه مهذب الدين أبو سعيد فعمل له حلقة فعاش وكان سبب اشتهاره بأبى حليقة أن الملك الكامل محمد بن العادل أمر بعض خدامه أن يستدعى بالرشيد الطبيب من الباب وكان جماعة من الاطباء بالباب فقال الخادم من هو منهم فقال السلطان أبو حليقه فخرج فاستدعاه بذلك فاشتهر بهذا الاسم ومات الرشيد فى سنة ست وسبعين وستمائة

(المدرسة الخروبية)

هذه المدرسة بظاهر مدينة مصر تجاه المقياس بخط كرسى الجسر أنشأها كبير الخراربة بدر الدين محمد بن محمد بن على الخروبى بفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء المهملة وضمها ثم واو ساكنة بعدها باء موحدة ثم ياء آخر الحروف التاجر فى مطابخ السكر وفى غيرها بعد سنة خمسين وسبعمائة وجعل مدرس الفقه بها الشيخ بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل والمعيد الشيخ سراج الدين عمر البلقينى ومات سنة اثنتين وستين وسبعمائة وأنشأ أيضا ربعين بخط دار النحاس من مصر على شاطئ النيل وربعين مقابل المقياس بالقرب من مدرسته ولبدر الدين هذا أخ من ابيه اسن منه يقال له صلاح الدين أحمد بن محمد بن على الخروبى عاش بعد أخيه وأنجب فى أولاده وادركت لهم أولادا نجباء وكان أولا قليل المال ثم تمول وأنشأ تربة كبيرة بالقرافة فيما بين تربة الامام الشافعى وتربة الليث ابن سعد مقابل السروتين وجددها حفيده نور الدين على بن عز الدين محمد بن صلاح الدين وأضاف اليها مطهرة حسنة ومات سنة تسع وستين وسبعمائة وشرط بدر الدين فى مدرسته أن لا يلى بها أحد من العجم وظيفة

من الوظائف فقال في كل وظيفة منها ويكون من العرب دون العجم وكانت له مكارم جهز مرة ابن عقيل الى الحج بنحو خمسمائة دينار

(المدرسة الخروبية)

هذه المدرسة بخط الشون قبلي دار النحاس من ظاهر مدينة مصر أنشأها عز الدين محمد بن صلاح الدين أحمد بن محمد بن علي الخروبي وهي اكبر من مدرسة عمه بدر الدين الا انه مات سنة ست وسبعين وسبعمائة قبل استيفاء ما أراد أن يجعل فيها فليس لها مدرس ولا طلبة ومولده سنة ست عشرة وسبعمائة ونشأ في دنيا عريضة رحمه الله تعالى

(المدرسة الصاحبية البهائية)

هذه المدرسة كانت بزقاق القناديل من مدينة مصر قرب الجامع العتيق أنشأها الوزير الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حنا في سنة أربع وخمسين وستمائة وكان اذ ذاك زقاق القناديل أعمر أخطاط مصر وانما قيل له زقاق القناديل من أجل انه كان سكن الاشراف وكانت أبواب الدور يعلق على كل باب منها قنديل * قال القضاعي ويقال انه كان به مائة قنديل توقد كل ليلة على أبواب الاكابر * وابن حنا هذا هو علي بن محمد بن سليم بفتح السين المهملة وكسر اللام ثم ياء آخر الحروف بعدها ميم ابن حنا بحاء مهملة مكسورة ثم نون مشددة مفتوحة بعدها ألف الوزير الصاحب بهاء الدين ولد بمصر في سنة ثلاث وستمائة وتنقلت به الاحوال في كتابة الدواوين الى أن ولي المناصب الجليلة واشتهرت كفايته وعرفت في الدولة نهضته ودرايته فاستوزره السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري في ثامن شهر ربيع الاول سنة تسع وخمسين وستمائة بعد القبض على الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير وفوض اليه تدبير المملكة وامور الدولة كلها فنزل من قلعة الجبل بخلع الوزارة ومعه الامير سيف الدين بلبان الرومي الدوادار وجميع الاعيان والاكابر الى داره واستبد بجميع التصرفات وأظهر عن حزم وعزم وجودة رأي وقام بأعباء الدولة من ولايات العمال وعزلهم من غير مشاورة السلطان ولا اعتراض أحد عليه فصار مرجع جميع الامور اليه ومصدرها عنه ومنشأ ولايات الخطط والاعمال من قلمه وزوالها عن أربابها لا يصدر الا من قبله ومازال على ذلك طول الايام الظاهرية فلما قام الملك السعيد بركة قان بأمر المملكة بعد موت أبيه الملك الظاهر أقره على ما كان عليه في حياة والده فدبر الامور وساس الاحوال وما تعرض له أحد بعداوة ولا سوء مع كثرة من كان يناويه من الامراء وغيرهم الا وصده الله عنه ولم يجد ما يتعلق به عليه ولا ما يبلغ به مقصوده منه وكان عطاؤه واسعا وصلاته وكلفه للامراء والاعيان ومن يلوذ به ويتعلق بخدمته تخرج عن الحد في الكثرة وتتجاوز القدر في السعة مع حسن ظن بالفقراء وصدق العقيدة في أهل الخير والصلاح والقيام بمعونتهم وتفقد أحوالهم وقضاء أشغالهم والمبادرة الى امتثال أوامرهم والعفة عن الاموال حتى انه لم يقبل من أحد في وزارته هدية الا أن تكون هدية فقير أو شيخ معتقد يتبرك بما يصل من أثره وكثرة الصدقات في السر والعلانية وكان يستعين على ما التزمه من المبرات ولزمه من الكلف بالمتاجر وقد مدحه عدة من الناس فقبل مديحهم وأجزل جوائزهم وما أحسن قول الرشيد الفارقي فيه

وقائل قال لي نبه لنا عمرا * فقلت ان عليا قد تنبه لي
مالي اذا كنت محتاجا الى عمر * من حاجة فليتم حسبي انتباه علي

وقول سعد الدين بن مروان الفارقي في كاتب الدرج المختص به أيضا

يمم عليا فهو بحر الندى * وناده في المضلع المعضل
فرفده بحر على مجدب * ووفده مفض الى مفصل
يسرع ان سيل نداه وهل * أسرع من سيل أتى من علي

الا انه أحدث في وزارته حوادث عظيمة وقاس أراضي الاملاك بمصر والقاهرة وأخذ عليها مالا وصادر أرباب الاموال وعاقبهم حتى مات كثير منهم تحت العقوبة واستخرج جوالي الذمة مضاعفة ورزئ بفقد ولديه الصاحب فخر الدين محمد والصاحب زين الدين فعوضه الله عنهما بأولادهما فمنهم الانجيب صدر

رئيس فاضل مذكور ومامات حتى صار جدّ جدّ وهو على المكانة ووافر الحرمة فى ليلة الجمعة مستهل ذى الحجة سنة سبع وسبعين وستمائة ودفن بتربته من قرافة مصر ووزر من بعده الصاحب برهان الدين الخضر بن حسن بن على السنجارى وكان بينه وبين ابن حنا عداوة ظاهرة وباطنة وحقود بارزة وكامنة فأوقع الحوطة على الصاحب تاج الدين محمد بن حنا بدمشق وكان مع الملك السعيد بها وأخذ خطه بمائة ألف دينار وجهزه على البريد الى مصر ليستخرج منه ومن أخيه زين الدين احمد وابن عمه عز الدين تكملة ثلثمائة ألف دينار واحيط بأسبابه ومن يلوذ به من اصحابه ومعارفه وغلمانه وطولبوا بالمال * وأول من درس بهذه المدرسة الصاحب فخر الدين محمد ابن بانيها الوزير الصاحب بهاء الدين الى أن مات يوم الاثنين حادى عشرى شعبان سنة ثمان وستين وستمائة فوليها من بعده ابنه محيى الدين احمد بن محمد الى أن توفى يوم الاحد ثامن شعبان سنة اثنتين وسبعين وستمائة فدرس فيها بعده الصاحب زين الدين أحمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين الى أن مات فى يوم الاربعاء سابع صفر سنة أربع وسبعمائة فدرس بها اولاد الصاحب شرف الدين وتوارثها أبناء الصاحب يلون نظرها وتدريسها الى أن كان آخرهم صاحبنا الرئيس شمس الدين محمد بن احمد بن محمد بن محمد بن احمد بن الصاحب بهاء الدين وليها بعد أبيه عز الدين ووليها عز الدين بعد بدر الدين أحمد بن محمد بن محمد بن الصاحب بهاء الدين فلما مات صاحبنا شمس الدين محمد بن الصاحب لليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وثمانمائة وضع بعض نواب القضاة يده على مابقى لها من وقف وأقامت هذه المدرسة مدة أعوام معطلة من ذكر الله واقام الصلاة لا يأويها أحد لخراب ماحولها وبها شخص يبيت بها كى لا يسرق مابها من أبواب ورخام وكان لها خزانة كتب جليلة فنقلها شمس الدين محمد بن الصاحب وصارت تحت يده الى أن مات فتفرقت فى ايدى الناس وكان قد عزم على نقلها الى شاطئ النيل بمصر فمات قبل ذلك * ولما كان فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة أخذ الملك الناصر فرج بن برقوق عمد الرخام التى كانت بهذه المدرسة وكانت كثيرة العدد جليلة القدر وعمل بدلها دعائم تحمل المسقوف الى أن كانت أيام الملك المؤيد شيخ وولى الامير تاج الدين الشوبكى الدمشقى ولاية القاهرة ومصر وحسبة البلدين وشدّ العمائر السلطانية فهدم هذه المدرسة فى أخريات سنة سبع عشرة وأوائل سنة ثمانى عشرة وثمانمائة وكانت من أجل مدارس الدنيا وأعظم مدرسة بمصر يتنافس الناس من طلبة العلم فى النزول بها ويتشاحنون فى سكنى بيوتها حتى يصير البيت الواحد من بيوتها يسكن فيه الاثنان من طلبة العلم والثلاثة ثم تلاشى أمرها حتى هدمت وسيجهل عن قريب موضعها والله عاقبة الامور

(المدرسة الصاحبية)

هذه المدرسة بالقاهرة فى سويقة الصاحب كان موضعها من جملة دار الوزير يعقوب بن كلس ومن جملة دار الديباج أنشأها الصاحب صفى الدين عبد الله بن على بن شكر وجعلها وقفا على المالكية وبها درس نحو وخزانة كتب ومازالت بيد أولاده فلما كان فى شعبان سنة ثمان وخمسين وسبعمائة جدّد عمارتها القاضى علم الدين ابراهيم بن عبد اللطيف بن ابراهيم المعروف بابن الزبير ناظر الدولة فى أيام الملك الناصر حسن ابن محمد بن قلاون واستجدّ فيها منبرا فصار يصلى بها الجمعة الى يومنا هذا ولم يكن قبل ذلك بها منبر ولا تصلى فيها الجمعة * (عبد الله بن على بن الحسين) بن عبد الخالق بن الحسين بن الحسن بن منصور بن ابراهيم بن عمار بن منصور بن على صفى الدين أبو محمد الشيبى الدميرى المالكى المعروف بابن شكر ولد بناحية دميرة احدى قرى مصر البحرية فى تاسع صفر سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ومات أبوه فتزوجت أمه بالقاضى الوزير الاعز فخر الدين مقدام ابن القاضى الاجل أبى العباس أحمد بن شكر المالكى فرباه ونوّه باسمه لانه كان ابن عمه فعرف به وقيل له ابن شكر وسمع صفى الدين من الفقيه أبى الطاهر اسماعيل بن مكى بن عوف وأبى الطيب عبد المنعم بن يحيى وغيره وحدّث بالقاهرة ودمشق وتفقه على مذهب مالك وبرع فيه وصنف كتابا فى الفقه كان كل من حفظه نال منه حظا وافرا وقصد بذلك أن يتشبه بالوزير عون الدين بن هبيرة كانت بداية أمره انه لما سلم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أمر الاسطول لاخيه الملك العادل أبى بكر بن أيوب وأفرد له من الابواب الديوانية الزكاة بمصر والجبس الجيوشى بالبرين والنطرون والخراج ومامعه من ثمن القرظ وساحل السنط والمراكب الديوانية واسنا وطنبدى استخدم العادل فى مباشرة ديوان هذه المعاملة الصفى بن شكر هذا وكان ذلك

فى سنة سبع وثمانين وخمسمائة ومن حينئذ اشتهر ذكره وتخصص بالملك العادل فلما استقل بمملكة مصر فى سنة ست وتسعين وخمسمائة عظم قدره ثم استوزره بعد الصنيعة بن النجار فحل عنده محل الوزراء الكبار والعلماء المشاورين وباشر الوزارة بسطوة وجبروت وتعاظم وصادر كتاب الدولة واستصفى اموالهم ففر منه القاضى الاشرف ابن القاضى الفاضل الى بغداد واستشفع بالخليفة الناصر وأحضر كتابه الى الملك العادل يشفع فيه وهرب منه القاضى علم الدين اسماعيل بن أبى الحجاج صاحب ديوان الجيش والقاضى الاسعد اسعد بن مماتى صاحب ديوان المال والتجآ الى الملك الظاهر بحلب فأقاما عنده حتى ماتا وصادر بنى حمدان وبنى الحباب وبنى الجليس واكابر الكتاب والسلطان لا يعارضه فى شئ ومع ذلك فكان يكثر التغضب على السلطان ويتجنى عليه وهو يحتمله الى أن غضب فى سنة سبع وستمائة وحلف أنه ما بقى يخدم فلم يحتمله وولى الوزارة عوضا عنه القاضى الاعز فخر الدين مقدام بن شكر واخرجه من مصر بجميع امواله وحرمه وغلمانه وكان نقله على ثلاثين جملا وأخذ أعداؤه فى اغراء السلطان به وحسنوا له أن يأخذ ماله فأبى عليهم ولم يأخذ منه شيأ وسار الى آمد فأقام بها عند ابن أرتق الى أن مات الملك العادل فى سنة خمس عشرة وستمائة فطلبه الملك الكامل محمد بن الملك العادل لما استبد بسلطنة ديار مصر بعد أبيه وهو فى نوبة قتال الفرنج على دمياط حين رأى أن الضرورة داعية لحضوره بعد ما كان يعاديه فقدم عليه فى ذى القعدة منها وهو بالمنزلة العادلية قريبا من دمياط فتلقاه واكرمه وحادثه فيما نزل به من موت ابيه ومحاربة الفرنج ومخالفة الامير عماد الدين أحمد بن المشطوب واضطراب أرض مصر بثورة العربان وكثرة خلافهم فشجعه وتكفل له بتحصيل المال وتدبير الامور وسار الى القاهرة فوضع يده فى مصادرات أرباب الاموال بمصر والقاهرة من الكتاب والتجار وقرر على الاملاك مالا وأحدث حوادث كثيرة وجمع مالا عظيما أمد به السلطان فكثر تمكنه منه وقويت يده وتوفرت مهابته بحيث انه لما انقضت نوبة دمياط وعاد الملك الكامل الى قلعة الجبل كان ينزل اليه ويجلس عنده بمنظرته التى كانت على الخليج ويتحدث معه فى مهمات الدولة ولم يزل على ذلك الى أن مات بالقاهرة وهو وزير فى يوم الجمعة ثامن شعبان سنة اثنتين وعشرين وستمائة وكان بعيد الغور جماعا للمال ضابطا له من الانفاق فى غير واجب قد ملأت هيبته الصدور وانقاد له على الرغم والرضى الجمهور وأخمد جمرات الرجال وأضرم رمادا لم يخطر ايقاده على بال وبلغ عند الملك الكامل بحيث انه بعث اليه بابنيه الملك الصالح نجم الدين أيوب والملك العادل أبى بكر ليزوراه فى يوم عيد فقاما على رأسه قياما وانشد زكى الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن وهيب القوصى قصيدة زاد فيها حين رأى الملكين قياما على رأسه

لو لم تقم لله حق قيامه ما كنت تقعد والملوك قيام

وقطع فى وزارته الارزاق وكانت جملتها أربعمائة ألف دينار فى السنة وتسارع أرباب الحوائج والاطماع ومن كان يخافه الى بابه وملؤا طرقاته وهو يهينهم ولا يحفل بشيخ منهم وهو عالم وأوقع بالرؤساء وأرباب البيوت حتى استأصل شأفتهم عن آخرهم وقدم الاراذل فى مناصبهم وكان جلدا قويا حل به مرة دوسطاريا قوية وأزمنت فيئس منه الاطباء وعند ما اشتد به الوجع وأشرف على الهلاك استدعى بعشرة من وجوه الكتاب كانوا فى حبسه وقال انتم فى راحة وأنا فى الالم كلا والله واستحضر المعاصير وآلات العذاب وعذبهم فصاروا يصرخون من العذاب وهو يصرخ من الالم طول الليل الى الصبح وبعد ثلاثة أيام ركب وكان يقول كثيرا لم يبق فى قلبى حسرة الا كون البيسانى لم تمرغ شيبته على عتباتى يعنى القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى فانه مات قبل وزارته وكان درى اللون تعلوه حمرة ومع ذلك فكان طلق المحيا حلو اللسان حسن الهيئة صاحب دهاء مع هوج وخبث فى طيش ورعونة مفرطة وحقد لا تخبو ناره ينتقم ويظن انه لم ينتقم فيعود وكان لا ينام عن عدوه ولا يقبل معذرة أحد ويتخذ الرؤساء كلهم أعداءه ولا يرضى لعدوه بدون الهلاك والاستئصال ولا يرحم أحدا اذا انتقم منه ولا يبالى بعاقبة وكان له ولاهله كلمة يرونها ويعملون بها كما يعمل بالاقوال الالهية وهى اذا كنت دقاقا فلا تكن وتدا وكان الواحد منهم يعيدها فى اليوم مرات ويجعلها حجة عند انتقامه وكان قد استولى على الملك العادل ظاهرا وباطنا ولا يمكن أحدا من الوصول اليه حتى الطبيب والحاجب والفراش عليهم عيون له لا يتكلم أحد منهم فضل كلمة خوفا منه وكان اكبر أغراضه ابادة أرباب

البيوت ومحو آثارهم وهدم ديارهم وتقريب الاسقاط وشرار الفقهاء وكان لا يأخذ من مال السلطان فلسا ولا ألف دينار ويظهر أمانة مفرطة فاذا لاح له مال عظيم احتجنه وبلغ اقطاعه فى السنة مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار وكان قد عمى فأخذ يظهر جلدا عظيما وعدم استكانة واذا حضر اليه الامراء والاكابر وجلسوا على خوانه يقول قدموا اللون الفلانى للامير فلان والصدر فلان والقاضى فلان وهو يبنى أموره فى معرفة مكان المشار اليه برموز ومقدمات يكابر فيها دواثر الزمان وكان يتشبه فى ترسله بالقاضى الفاضل وفى محاضراته بالوزير عون الدين بن هبيرة حتى اشتهر عنه ذلك ولم يكن فيه اهلية هذا لكنه كان من دهاة الرجال وكان اذا لحظ شخصا لا يقنع له الا بكثرة الغنى ونهاية الرفعة واذا غضب على أحد لا يقنع فى شأنه الا بمحو أثره من الوجود وكان كثيرا ما ينشد

اذا حقرت امرأ فاحذر عداوته * من يزرع الشوك لم يحصد به عنبا

وينشد كثيرا

تودّ عدوّى ثم تزعم اننى * صديقك ان الرأى عنك لعازب

وأخذه مرة مرض من حمى قوية وحدث به النافض وهو فى مجلس السلطان ينفذ الاشغال فما تأثر ولا ألقى جنبه الى الارض حتى ذهبت وهو كذلك وكان يتعزز على الملوك الجبابرة وتقف الرؤساء على بابه من نصف الليل ومعهم المشاعل والشمع وعند الصباح يركب فلا يراهم ولا يرونه لانه اما أن يرفع رأسه الى السماء تيها واما أن يعرج الى طريق غير التى هم بها واما أن يأمر الجنادرة التى فى ركابه بضرب الناس وطردهم من طريقه ويكون الرجل قد وقف على بابه طول الليل اما من أوله أو من نصفه بغلمانه ودوابه فيطرد عنه ولا يراه وكان له بوّاب يأخذ من الناس مالا كثيرا ومع ذلك يهينهم اهانة مفرطة وعليه للصاحب فى كل يوم خمسة دنانير منها دينار برسم الفقاع وثلاثة دنانير برسم الحلوى وكسوة غلمانه ونفقاته عليه أيضا ومع ذلك اقتنى عقارا وقرى ولما كان بعد موت الصاحب قدم من بغداد رسول الخليفة الظاهر وهو محيى الدين أبو المظفر ابن الجوزى ومعه خلعة الخليفة للملك الكامل وخلع لاولاده وخلعة للصاحب صفى الدين فلبسها فخر الدين سليمان كاتب الانشاء وقبض الملك الكامل على اولاده تاج الدين يوسف وعز الدين محمد وحبسهما وأوقع الحوطة على سائر موجوده رحمه الله وعفا عنه

(المدرسة الشريفية)

هذه المدرسة بدرب كركامة على رأس حارة الجودرية من القاهرة وقفها الامير الكبير الشريف فخر الدين أبو نصر اسماعيل بن حصن الدولة فخر العرب ثعلب بن يعقوب بن مسلم بن أبى جميل دحية بن جعفر بن موسى بن ابراهيم بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه الجعفرى الزينبى أمير الحاج والزائرين وأحد امراء مصر فى الدولة الايوبية وتمت فى سنة اثنتى عشرة وستمائة وهى من مدارس الفقهاء الشافعية * قال ابن عبد الظاهر وجرى له فى وقفها حكاية مع الفقيه ضياء الدين بن الورّاق وذلك أن الملك العادل سيف الدين أبا بكر يعنى ابن أيوب لما ملك مصر وكان قد دخلها على انه نائب للملك المنصور محمد ابن العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف فقوى عليه وقصد الاستبداد بالملك فأحضر الناس للحلف وكان من جملتهم الفقيه ضياء الدين بن الورّاق فلما شرع الناس فى الحلف قال الفقيه ضياء الدين ما هذا الحلف بالامس حلفتم للمنصور فان كانت تلك الايمان باطلة فهذه باطلة وان كانت تلك صحيحة فهذه باطلة فقال الصاحب صفى الدين بن شكر للعادل أفسد عليك الامور هذا الفقيه وكان الفقيه لم يحضر الى ابن شكر ولا سلم عليه فأمر العادل بالحوطة على جميع موجود الفقيه وماله وأملاكه واعتقاله بالرصد مرسما عليه فيه لانه كان مسجده فأقام مدة سنين على هذه الصورة فلما كان فى بعض الايام وجد غرة من المترسمين فحضر الى دار الوزارة بالقاهرة فبلغ العادل حضوره فخرج اليه فقال له الفقيه اعلم والله انى لا احاللك ولا ابرأتك أنت تتقدمنى الى الله فى هذه المدة وأنا بعدك اطالبك بين يدى الله تعالى وتركه وعاد الى مكانه فحضر الشريف فخر الدين بن ثعلب الى الملك العادل فوجده متألما حزينا فسأله فعرّفه فقال يا مولانا ولم تجرّد السم فى نفسك فقال خذ كل ما وقعت الحوطة عليه وكل ما استخرج من أجرة أملاكه وطيب خاطره وأما الفقيه ضياء الدين فانه أصبح وحضرت اليه جماعة من الطلبة

للقراءة عليه فقال لهم رأيت البارحة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول يكون فرجك على يد رجل من أهل بيتي صحيح النسب فبيناهم في الحديث واذا بغبرة ثارت من جهة القرافة فانكشفت عن الشريف ابن ثعلب ومعه الموجود كله فلما حضر عرّفه الجماعة المنام فقال ياسيدي اشهد على أن جميع ما أملكه وقف وصدقة شكرا لهذه الرؤيا وخرج عن كل ما يملكه وكان من جملة ذلك المدرسة الشريفية لانها كانت مسكنه ووقف عليها أملاكه وكذلك فعل في غيرها ولم يحالل الفقيه الملك العادل ومات الملك العادل بعد ذلك ومات الفقيه بعده بمدة ومات الشريف اسماعيل بن ثعلب بالقاهرة في سابع عشر رجب سنة ثلاث عشرة وستمائة

(المدرسة الصالحية)

هذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة كان موضعها من جملة القصر الكبير الشرقي فبنى فيه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب هاتين المدرستين فابتدأ بهدم موضع هذه المدارس في قطعة من القصر في ثالث عشر ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وستمائة ووضع أساس المدارس في رابع عشر ربيع الآخر سنة أربعين ورتب فيها دروسا أربعة للفقهاء المنتمين الى المذاهب الاربعة في سنة احدى وأربعين وستمائة وهو أوّل من عمل بديار مصر دروسا أربعة في مكان ودخل في هذه المدارس باب القصر المعروف بباب الزهومة وموضعه قاعة شيخ الحنابلة الآن ثم اختط ماوراء هذه المدارس في سنة بضع وخمسين وستمائة وجعل حكر ذلك للمدرسة الصالحية وأوّل من درّس بها من الحنابلة قاضي القضاة شمس الدين أبو بكر محمد بن العماد ابراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الحنبلي الصالحي وفي يوم السبت ثالث عشري شوّال سنة ثمان وأربعين وستمائة اقام الملك المعز عز الدين أيبك التركماني الامير علاء الدين ايدكين البندقداري الصالحي في نيابة السلطنة بديار مصر فواظب الجلوس بالمدارس الصالحية هذه مع نوّاب دار العدل وانتصب لكشف المظالم واستمرّ جلوسه بها مدة ثم ان الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان ابن الملك الظاهر بيبرس وقف الصاغة التي تجاهها وأماكن بالقاهرة وبمدينة المحلة الغربية وقطع أراضي جزائر بالاعمال الجيزية والاطفيحية على مدرسين أربعة عند كل مدرّس معيدان وعدّة طلبة ومايحتاج اليه من أئمة ومؤذنين وقومة وغير ذلك وثبت وقف ذلك على يد قاضي القضاة تقيّ الدين محمد بن الحسين بن رزين الشافعي ونفذه قاضي القضاة شمس الدين أبو البركات محمد بن هبة الله بن شكر المالكي وذلك في سنة سبع وسبعين وستمائة وهي جارية في وقفها الى اليوم فلما كان في يوم الجمعة حادي عشري ربيع الاوّل سنة ثلاثين وسبعمائة رتب الامير جمال الدين أقوش المعروف بنائب الكرك جمال الدين الغزاوي خطيبا بايوان الشافعية من هذه المدرسة وجعل له في كل شهر خمسين درهما ووقف عليه وعلى مؤذنين وقفا جاريا فاستمرّت الخطبة هنالك الى يومنا هذا * (قبة الصالح) هذه القبة بجوار المدرسة الصالحية كان موضعها قاعة شيخ المالكية بنتها عصمة الدين والدة خليل شجرة الدر لاجل مولاها الملك الصالح نجم الدين أيوب عندما مات وهو على مقاتلة الفرنج بناحية المنصورة في ليلة النصف من شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة فكتمت زوجته شجرة الدر موته خوفا من الفرنج ولم تعلم بذلك أحدا سوى الامير فخر الدين بن يوسف بن شيخ الشيوخ والطواشي جمال الدين محسن فقط فكتماموته عن كل أحد وبقيت امور الدولة على حالها وشجرة الدر تخرج المناشير والتواقيع والكتب وعليها علامة بخط خادم يقال له سهيل فلا يشك أحد في أنه خط السلطان وأشاعت أن السلطان مستمرّ المرض ولا يمكن الوصول اليه فلم يجسر أحد أن يتفوه بموت السلطان الى أن انفذت الى حصن كيفا وأحضرت الملك المعظم توران شاه بن الصالح وأما الملك الصالح فان شجرة الدرّ أحضرته في حراقة من المنصورة الى قلعة الروضة تجاه مدينة مصر من غير أن يشعر به أحد الامن ايتمنته على ذلك فوضع في قاعة من قاعات قلعة الروضة الى يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب سنة ثمان وأربعين وستمائة فنقل الى هذه القبة بعدما كانت شجرة الدرّ قد عمرتها على ماهي عليه وخلعت نفسها من سلطنة مصر ونزلت عنها لزوجها عز الدين أيبك قبل نقله فنقله الملك المعز ايبك ونزل ومعه الملك الاشرف موسى ابن الملك المسعود وسائر المماليك البحرية والجدارية والامراء من قلعة الجبل الى قلعة الروضة وأخرج الملك الصالح في تابوت وصلى عليه بعد صلاة الجمعة وسائر الامراء وأهل الدولة قد لبسوا البياض حزنا عليه وقطع المماليك شعور رؤسهم وساروا به الى هذه القبة فدفن ليلة السبت

فأصبح السلطانان ونزلا الى القبة وحضر القضاة وسائر المماليك وأهل الدولة وكافة الناس وغلقت الاسواق بالقاهرة ومصر وعملى عزاء الملك الصالح بين القصرين بالدفوف مدة ثلاثة أيام آخرها يوم الاثنين ووضع عند القبر سناجق السلطان وبقجته وتركاشه وقوسه ورتب عنده القراء على ما شرطت شجرة الدر في كتاب وقفها وجعلت النظر فيها للصاحب بهاء الدين على بن حنا وذريته وهي بيدهم الى اليوم وما أحسن قول الاديب جمال الدين أبي المظفر عبد الرحمن بن أبي سعيد محمد بن محمد بن عمر بن أبي القاسم بن تخمش الواسطي المعروف بابن السنيرة الشاعر لما مر هو والامير نور الدين تكريت بالقاهرة بين القصرين ونظر الى تربة الملك الصالح هذه وقد دفن بقاعة شيخ المالكية فانشد

بنيت لارباب العلوم مدارسا * لتنجو بها من هول يوم المهالك

وضاقت عليك الارض لم تلق منزلا * تحل به الا الى جنب مالك

وذلك أن هذه القبة التي فيها قبر الملك الصالح مجاورة لايوان الفقهاء المالكية المنتمين الى الامام مالك بن انس رضي الله عنه فقصد التورية بمالك الامام المشهور ومالك خازن النار اعاذنا الله منها

(المدرسة الكاملية)

هذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة وتعرف بدار الحديث الكاملية أنشأها السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي بن مروان في سنة اثنتين وعشرين وستمائة وهي ثاني دار عملت للحديث فان أول من بني دارا على وجه الارض للملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بدمشق ثم بني الكامل هذه الدار ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوي ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية ووقف عليها الربع الذي بجوارها على باب الخرنشف ويمتد الى الدرب المقابل للجامع الاقمر وهذا الربع من انشاء الملك الكامل وكان موضعه من جملة القصر الغربي ثم صار موضعا يسكنه القماحون وكان موضع المدرسة سوقا للرقيق ودارا تعرف بابن كستول * وأول من ولي تدريس الكاملية الحافظ أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي ابن دحية ثم أخوه أبو عمرو عثمان بن الحسن بن علي بن دحية ثم الحافظ عبد العظيم المنذري ثم الرشيد العطار ومابرحت بيد أعيان الفقهاء الى أن كانت الحوادث والمحن منذ سنة ست وثمانمائة فتلاشت كما تلاشى غيرها وولي تدريسها صبي لا يشارك الاناسي الا بالصورة ولا يمتاز عن البهيمة الا بالنطق واستمر فيها دهرا لا يدرس بها حتى نسيت أو كادت تنسى دروسها ولا حول ولا قوة الا بالله * (الملك الكامل) ناصر الدين أبو المعالي محمد بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان الكردي الايوبي خامس ملوك بني أيوب الاكراد بديار مصر ولد في خامس عشري ربيع الاول سنة ست وسبعين وخمسمائة وخلف أباه الملك العادل على بلاد الشرق فلما استولى على مملكة مصر قدم الملك الكامل الى القاهرة في سنة ست وتسعين وخمسمائة ونصبه أبوه نائبا عنه بديار مصر وأقطعه الشرقية وجعله ولي عهده وحلف له الامراء وأسكنه قلعة الجبل وسكن العادل في دار الوزارة بالقاهرة وصار يحكم بديار مصر مدة غيبة الملك العادل ببلاد الشام وغيرها بمفرده فلما مات الملك العادل ببلاد الشام استقل الملك الكامل بمملكة مصر في جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة وهو على محاربة الفرنج بالمنزلة العادلية قريبا من دمياط وقد ملكوا البر الغربي فثبت لقتالهم مع ما حدث من الوهن بموت السلطان وثارت العربان بنواحي أرض مصر وكثر خلافهم واشتد ضررهم وقام الامير عماد الدين أحمد ابن الامير سيف الدين أبي الحسين علي بن أحمد الهكاري المعروف بابن المشطوب وكان أجل الامراء الاكابر وله لفيف من الاكراد الهكارية يريد خلع الملك الكامل وتمليك أخيه الملك الفائز ابراهيم بن العادل ووافقه على ذلك كثير من الامراء فلم يجد الكامل بدا من الرحيل في الليل جريدة وسار من العادلية الى أشموم طناح ونزل بها وأصبح العسكر بغير سلطان فركب كل واحد هواه ولم يعرج واحد منهم على آخر وتركوا أثقالهم وسائر ما معهم فاغتنم الفرنج الفرصة وعبروا الى بر دمياط واستولوا على جميع ما تركه المسلمون وكان شيأ عظيما وهم الملك الكامل بمفارقة أرض مصر ثم ان الله تعالى ثبته وتلاحقت به العساكر وبعد يومين قدم عليه أخوه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق باشموم فاشتد عضده بأخيه وأخرج ابن المشطوب من العسكر الى الشام ثم أخرج الفائز ابراهيم الى الملوك الايوبية بالشام والشرق يستنفرهم

لجهاد الفرنج وكتب الملك الكامل الى أخيه الملك الاشرف موسى شاه يستحثه على الحضور وصدر المكاتبة بهذه الابيات

يا مسعدي ان كنت حقا مسعفي * فانهض بغير تلبث وتوقف
واحثث قلوصك مرقلا أو موجفا * بتجشم فى سيرها وتعسف
واطو المنازل ما استطعت ولا تنخ * الا على باب المليك الاشرف
واقر السلام عليه من عبد له * متوقع لقدومه متشوف
واذا وصلت الى حماه فقل له * عنى بحسن توصل وتلطف
ان تأت عبدك عن قليل تلقه * ما بين كل مهند ومثقف
أو تبط عن انجاده فلقاؤه * بك فى القيامة فى عراص الموقف

وجد الكامل فى قتال الفرنج وأمر بالنفير فى ديار مصر وأتته الملوك من الاطراف فقدر الله أخذ الفرنج لدمياط بعد ما حاصروها ستة عشر شهرا واثنين وعشرين يوما ووضعوا السيف فى أهلها فرحل الكامل من أشموم ونزل بالمنصورة وبعث يستنفر الناس وقوى الفرنج حتى بلغت عدتهم نحو المائتى ألف راجل وعشرة آلاف فارس وقدم عامة اهل أرض مصر وأتت النجدات من البلاد الشامية وغيرها فصار المسلمون فى جمع عظيم الى الغاية بلغت عدة فرسانهم خاصة نحو الاربعين ألفا وكانت بين الفريقين خطوب آلت الى وقوع الصلح وتسلم المسلمون مدينة دمياط فى تاسع عشرى رجب سنة ثمان عشرة وستمائة بعد ما أقامت بيد الفرنج سنة وأحد عشر شهرا تنقص ستة أيام وسار الفرنج الى بلادهم وعاد السلطان الى قلعة الجبل وأخرج كثيرا من الامراء الذين وافقوا ابن المشطوب من القاهرة الى الشام وفرق أخبازهم على مماليكه ثم تخوف من أمرائه فى سنة احدى وعشرين بميلهم الى أخيه الملك المعظم فقبض على جماعة منهم وكاتب اخاه الملك الاشرف فى موافقته على المعظم فقويت الوحشة بين الكامل والمعظم واشتد خوف الكامل من عسكره وهم أن يخرج من القاهرة لقتال المعظم فلم يجسر على ذلك وقدم الاشرف الى القاهرة فسر بذلك سرورا كثيرا وتحالفا على المعاضدة وسافر من القاهرة فمال مع المعظم فتحير الكامل فى أمره وبعث الى ملك الفرنج يستدعيه الى عكا ووعده بأن يمكنه من بلاد الساحل وقصد بذلك أن يشغل سر أخيه المعظم فلما بلغ ذلك المعظم خطب للسلطان جلال الدين الخوارزمى وبعث يستنجد به على الكامل وابطل الخطبة للكامل فخرج الكامل من القاهرة يريد محاربته فى رمضان سنة أربع وعشرين وسار الى العباسة ثم عاد الى قلعة الجبل وقبض على عدة من الامراء ومماليك أبيه لمكاتبتهم المعظم وأنفق فى العسكر فاتفق موت الملك المعظم فى سلخ ذى القعدة وقيام ابنه الملك الناصر داود بسلطنة دمشق وطلبه من الكامل الموادعة فبعث اليه خلعة سنية وسنجقا سلطانيا وطلب منه أن ينزل له عن قلعة الشوبك فامتنع الناصر من ذلك فوقعت المنافرة بينهما وعهد الملك الكامل الى ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب وأركبه بشعار السلطنة وأنزله بدار الوزارة وخرج من القاهرة فى العساكر يريد دمشق فأخذ نابلس والقدس فخرج الناصر داود من دمشق ومعه عمه الاشرف وسارا الى الكامل يطلبان منه الصلح فلما بلغ ذلك الكامل رحل من نابلس يريد القاهرة فقدمها الناصر والاشرف وأقام بها الناصر وسار الاشرف والمجاهد الى الكامل فأدركاه بتل العجوز فأكرمهما وقرر مع الاشرف انتزاع دمشق من الناصر وأعطاءها للاشرف على أن يكون للكامل ما بين عقبة أفيق الى القاهرة وللاشرف من دمشق الى عقبة أفيق وأن يعين بجماعة من ملوك بنى أيوب فاتفق قدوم الملك الانبرطور الى عكا باستدعاء الملك الكامل له فتحير الكامل فى امره لعجزه عن محاربته وأخذ يلاطفه وشرع الفرنج فى عمارة صيدا وكانت مناصفة بين المسلمين والفرنج وسورها خراب فلما بلغ الناصر موافقة الاشرف للكامل عاد من نابلس الى دمشق واستعد للحرب فسار اليه الاشرف من تل العجوز وحاصره بدمشق وأقام الكامل بتل العجوز وقد تورط مع الفرنج فلم يجد بدا من اعطائهم القدس على أن لا يجدد سوره وأن تبقى الصخرة والاقصى مع المسلمين ويكون حكم قرى القدس الى المسلمين وأن القرى التى فيما بين عكا ويافا وبين لد والقدس للفرنج وانعقدت الهدنة على ذلك لمدة عشر سنين وخمسة أشهر وأربعين يوما أولها ثامن ربيع الاول سنة ست وعشرين ونودى

فى القدس بخروج المسلمين منه وتسليمه الى الفرنج فكان أمر اهوَلاً من شدة البكاء والصراخ وخرجوا بأجمعهم فصاروا الى مخيم الكامل وأذنوا على بابه فى غير وقت الاذان فشق عليه ذلك وأخذ منهم الستور وقناديل الفضة والآلات وزجرهم وقيل لهم امضوا حيث شئتم فعظم على المسلمين هذا وكثر الانكار على الملك الكامل وشنعت المقالة فيه وعاد الانبرطور الى بلاده بعد ما دخل القدس وكان مسيره فى آخر جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وسير الكامل الى الآفاق بتسكين قلوب المسلمين وانزعاجهم لاخذ الفرنج القدس ورحل من تل العجوز يريد دمشق والاشرف على محاصرتها فجدّ فى القتال واشتد الامر على الناصر الى أن ترامى فى الليل على الملك الكامل فأكرمه وأعاده الى قلعة دمشق وبعث من تسلمها منه وعوّضه عن دمشق الكرك والشوبك والصلت والبلقاء والاغوار ونابلس وأعمال القدس ثم ترك الشوبك للكامل مع عدة مما ذكر وتسلم الكامل دمشق فى أول شعبان وأعطاها للاشرف وأخذ منه ما معه من بلاد الشرق وهى حران والرها وسروج وغير ذلك ثم سار الكامل فأخذ حماه وتوجه منها فقطع الفرات ثم سار الى جعبر والرقة ودخل حران والرها ورتب أمورها وأتته الرسل من ماردين وآمد والموصل وأربل وغير ذلك واقيمت له الخطبة بماردين وبعث يستدعى عساكر الشام لقتال الخوارزمى وهو بخلاط ثم رحل الكامل من حران لامور حدثت وسار الى مصر فدخلها فى شهر رجب سنة سبع وعشرين وقد تغير على ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب وخلعه من ولاية العهد وعهد الى ابنه الملك العادل أبى بكر ثم سار الى الاسكندرية فى سنة ثمان وعشرين ثم عاد الى مصر وحفر بحر النيل فيما بين المقياس وبر مصر وعمل فيه بنفسه واستعمل فيه الملوك من أهله والامراء والجند فصار الماء دائما فيما بين مصر والمقياس وانكشف البر فيما بين المقياس والجيزة فى أيام احتراق النيل وخرج من القاهرة الى بلاد الشام فى آخر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين واستخلف على ديار مصر ابنه العادل وأسكنه قلعة الجبل وأخذ الصالح معه فدخل دمشق من طريق الكرك وخرج منها لقتال التتر وجعل ابنه الصالح على مقدمته فسار الى حران فرحل التتر عن خلاط ثم رحل الى الرها وسار الى آمد ونازلها حتى أخذها وأنعم على ابنه الصالح بحصن كيفا وبعثه اليه وعاد الى مصر فى سنة ثلاثين فقبض على عدة من الامراء ثم خرج فى سنة احدى وثلاثين الى دمشق وسار منها ودخل الدربند وقد أعجبته كثرة عساكره فانه اجتمع معه ثمانية عشر طلبا لثمانية عشر ملكا وقال هذه العساكر لم تجتمع لاحد من ملوك الاسلام ونزل على النهر الازرق بأول بلد الروم وقد نزلت عساكر الروم وأخذت عليه رأس الدربند ومنعوه فتحيرلقلة الاقوات عنده ولاختلاف ملوك بنى أيوب عليه ورحل الى مصر وقد فسد ما بينه وبين الاشرف وغيره وأخذ ملك الروم الرها وحران بالسيف فتجهز الكامل وخرج بعساكره من القاهرة فى سنة ثلاث وثلاثين وسار الى الرها ونازلها حتى أخذها وهدم قلعتها وأخذ حران بعد قتال شديد وبعث بمن كان فيها من الروم الى القاهرة فى القيود وكانوا زيادة على ثلاثة آلاف نفس ثم خرج الى دنيسر وعاد الى دمشق وسار منها الى القاهرة فدخلها فى سنة أربع وثلاثين ثم خرج فى سنة خمس وثلاثين ونزل على دمشق وقد امتنعت عليه فضايقها حتى أخذها من أخيه الملك الصالح اسماعيل وعوضه عنها بعلبك و بصرى وغيرهما فى تاسع عشر جمادى الاولى ونزل بالقلعة وأخذ يتجهز لاخذ حلب وقد نزل به زكام فدخل فى ابتدائه الحمام فاندفعت المواد الى معدته فتورم وثارت فيه حمى فنهاه الاطباء عن القئ وحذروه منه فلم يصبر وتقيأ فمات لوقته فى آخر نهار الاربعاء حادى عشرى رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة عن ستين سنة منها ملكه أرض مصر نحو أربعين سنة استبد فيها بعد موت أبيه مدة عشرين سنة وخمسة وأربعين يوما وكان يحب العلم وأهله ويؤثر مجالستهم وشغف بسماع الحديث النبوى وحدث وبنى دار الحديث الكاملية بالقاهرة وكان يناظر العلماء ويمتحنهم بمسائل غريبة من فقه ونحو فمن أجاب عنها حظى عنده وكان يبيت عنده بقلعة الجبل عدة من أهل العلم على أسرة بجانب سريره ليسامروه وكان للعلم والادب عنده نفاق فقصده الناس لذلك وصار يطلق الارزاق الدارة لمن يقصده لهذا وكان مهابا حازما سديد الرأى حسن التدبير عفيفا عن الدماء وكان يباشر أمور مملكته بنفسه من غير اعتماد على وزير ولا غيره ولم يستوزر بعد الصاحب صفى الدين عبد الله بن على بن شكر أحدا وانما كان ينتدب من يختاره لتدبير الاشغال ويحضر عنده الدواوين ويحاسبهم بنفسه واذا ابتدأت زيادة النيل خرج وكشف الجسور ورتب الامراء لعملها فاذا انتهى عمل الجسور خرج ثانيا

وتفقدها بنفسه فان وقف فيها على خلل عاقب متوليها أشد العقوبة فعمرت أرض مصر فى أيامه عمارة جيدة وكان يخرج من زكوات الاموال التى تجبى من الناس سهمى الفقراء والمساكين ويعين مصرف ذلك لمستحقيه شرعا ويفرز منه معاليم الفقهاء والصلحاء وكان يجلس كل ليلة جمعة مجلسا لاهل العلم فيجتمعون عنده للمناظرة وكان كثير السياسة حسن المداراة وأقام على كل طريق خفراء لحفظ المسافرين الا انه كان مغرما بجمع المال مجتهدا فى تحصيله وأحدث فى البلاد حوادث سماها الحقوق لم تعرف قبله ومن شعره قوله رحمه الله تعالى

اذا تحققتم ما عند صاحبكم * من الغرام فذاك القدر يكفيه
انتم سكنتم فؤادى وهو منزلكم * وصاحب البيت ادرى بالذى فيه

وقال له الطبيب علم الدين أبو النصر جرجس بن أبى حليقة فى اليوم الذى مات فيه كيف نوم السلطان فى ليلته فأنشد

يا خليلىّ خبرانى بصدق * كيف طعم الكرى فانى نسيت

ودفن أولا بقلعة دمشق ثم نقل الى جوار جامع بنى أمية وقبره هناك رحمه الله تعالى

(المدرسة الصيرمية)

هذه المدرسة من داخل باب الجملون الصغير بالقرب من رأس سويقة أمير الجيوش فيما بينها وبين الجامع الحاكمىّ بجوار الزيادة بناها الامير جمال الدين شويخ بن صيرم أحد أمراء الملك الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب وتوفى فى تاسع عشر صفر سنة ست وثلاثين وستمائة

(المدرسة المسرورية)

هذه المدرسة بالقاهرة داخل درب شمس الدولة كانت دار شمس الخواص مسرور أحد خدّام القصر فجعلت مدرسة بعد وفاته بوصيته وأن يوقف الفندق الصغير عليها وكان بناؤها من ثمن ضيعة بالشام كانت بيده بيعت بعد موته وتولى ذلك القاضى كمال الدين خضر ودرّس فيها وكان مسرور ممن اختص بالسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فقدّمه على حلقته ولم يزل مقدّما الى الايام الكاملية فانقطع الى الله تعالى ولزم داره الى أن مات ودفن بالقرافة الى جانب مسجده وكان له برّ واحسان ومعروف ومن آثاره بالقاهرة فندق يعرف اليوم بخان مسرور الصفدىّ وله ربع بالشارع

(المدرسة القوصية)

هذه المدرسة بالقاهرة فى درب سيف الدولة بالقرب من درب ملوخيا أنشأها الامير الكردىّ والى قوص

(مدرسة بحارة الديلم)

بيض له فى الاصل

(المدرسة الظاهرية)

هذه المدرسة بالقاهرة من جملة خط بين القصرين كان موضعها من القصر الكبير يعرف بقاعة الخيم وقد تقدم ذكرها فى أخبار القصر ومما دخل فى هذه المدرسة باب الذهب المذكور فى أبواب القصر فلما أوقع الملك الظاهر بيبرس البندقدارىّ الحوطة على القصور والمناظر كما تقدم ذكره نزل القاضى كمال الدين طاهر ابن الفقيه نصر وكيل بيت المال وقوّم قاعة الخيم هذه وابتاعها الشيخ شمس الدين محمد بن العماد ابراهيم المقدسىّ شيخ الحنابلة ومدرّس المدرسة الصالحية النجمية ثم باعها المذكور للسلطان فأمر بهدمها وبناء موضعها مدرسة فابتدئ بعمارتها فى ثانى ربيع الآخر سنة ستين وستمائة وفرغ منها فى سنة اثنتين وستين وستمائة ولم يقع الشروع فى بنائها حتى رتب السلطان وقفها وكان بالشام فكتب بما رتبه الى الامير جمال الدين بن يغمور

وأن لا يستعمل فيها أحدا بغير أجرة ولا ينقص من أجرته شيأ فلما كان يوم الاحد خامس صفر سنة اثنتين وستين وستمائة اجتمع أهل العلم بها وقد فرغ منها وحضر القرّاء وجلس أهل الدروس كل طائفة في ايوان منها الشافعية بالايوان القبلي ومدرّسهم الشيخ تقيّ الدين محمد بن الحسن بن رزين الحموى والحنفية بالايوان البحرى ومدرّسهم الصدر مجد الدين عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين عمر بن العديم الحلبي وأهل الحديث بالايوان الشرقي ومدرّسهم الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي والقرّاء بالقرا آت السبع بالايوان الغربي وشيخهم الفقيه كمال الدين المحلي وقرّروا كلهم الدروس وتناظروا في علومهم ثم مدّت الاسمطة لهم فأكلوا وقام الاديب أبو الحسين الجزار فانشد

الا هكذا يبنى المدارس من بنى * ومن يتغالى في الثواب وفي الثنا
لقد ظهرت للظاهر الملك همة * بها اليوم في الدارين قد بلغ المنا
تجمع فيها كل حسن مفرّق * فراقت قلوبا للانام وأعينا
ومذ جاورت قبر الشهيد فنفسه النـ * ـفيسة منها في سرور وفي هنا
وماهي الا جنة الخلد أزلفت * له في غد فاختار تعجيلها هنا

وقال السراج الورّاق أيضا قصيدة منها

مليك له في العلم حبّ وأهله * فلله حبّ ليس فيه ملام
فشيدها للعلم مدرسة غدا * عراق اليها شيّق وشآم
ولا تذكرن يوما نظامية لها * فليس يضاهي ذا النظام نظام
ولا تذكرن ملكا فبيبرس مالك * وكل مليك في يديه غلام
ولما بناها زعزعت كل بيعة * متى لاح صبح فاستقرّ ظلام
وقد برزت كالروض في الحسن انبأت * بأن يديه في النوال غمام
الم تر محرابا كأن ازاهرا * تفتح عنهنّ الغداة كمام

وقال الشيخ جمال الدين يوسف بن الخشاب

قصد الملوك حماك والخلفاء * فافخر فان محلك الجوزاء
أنت الذى أمراؤه بين الورى * مثل الملوك وجنده امراء
ملك تزينت الممالك باسمه * وتجملت بمديحه الفصحاء
وترفعت لعلاه خير مدارس * حلت بها العلماء والفضلاء
يبقى كما يبقى الزمان وملكه * باق له ولحاسديه فناء
كم للفرنج وللتتار ببابه * رسل مناها العفو والاعفاء
وطريقه لبلادهم موطوءة * وطريقهم لبلاده عذراء
دامت له الدنيا ودام مخلدا * ما أقبل الاصباح والامساء

فلما فرغ هؤلاء الثلاثة من انشادهم افيضت عليهم الخلع وكان يوما مشهودا وجعل بها خزانة كتب تشتمل على امهات الكتب في سائر العلوم وبنى بجانبها مكتبا لتعليم أيتام المسلمين كتاب الله تعالى وأجرى لهم الجرايات والكسوة وأوقف عليها ربع السلطان خارج باب زويلة فيما بين باب زويلة وباب الفرج ويعرف ذلك الخط اليوم به فيقال خط تحت الربع وكان ربعا كبيرا لكنه خرب منه عدّة دور فلم تعمر وتحت هذا الربع عدّة حوانيت هى الآن من أجل الاسواق وللناس في سكناها رغبة عظيمة ويتنافسون فيها تنافسا يرتفعون فيه الى الحكام وهذه المدرسة من اجل مدارس القاهرة الا انها قد تقادم عهدها فرثت وبها الى الآن بقية صالحة ونظرها تارة يكون بيد الحنفية وأحيانا بيد الشافعية وينازع في نظرها أولاد الظاهر فيدفعون عنه ولله عاقبة الامور

(المدرسة المنصورية)

هذه المدرسة من داخل باب المارستان الكبير المنصورى بخط بين القصرين بالقاهرة أنشأها هي والقبة

التى تجاهها والمارستان الملك المنصور قلاون الالفى الصالحى على يد الامير علم الدين سنجر الشجاعى ورتب بها دروسا أربعة لطوائف الفقهاء الاربعة ودرسا للطب ورتب بالقبة درسا للحديث النبوى ودرسا لتفسير القرآن الكريم وميعادا وكانت هذه التداريس لا يليها الا أجل الفقهاء المعتبرين ثم هى اليوم كما قيل

تصدّر للتدريس كل مهوّس * بليد يسمى بالفقيه المدرّس
فحق لاهل العلم أن يتمثلوا * ببيت قديم شاع فى كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

* (القبة المنصورية) هذه القبة تجاه المدرسة المنصورية وهما جميعا من داخل باب المارستان المنصورى وهى من أعظم المبانى الملوكية وأجلها قدرا وبها قبر تضمن الملك المنصور سيف الدين قلاون وابنه الملك الناصر محمد بن قلاون والملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاون وبها قاعة جليلة فى وسطها فسقية يصل اليها الماء من فوارة بديعة الزى وسائر هذه القاعة مفروش بالرخام الملوّن وهذه القاعة معدّة لاقامة الخدام الملوكية الذين يعرفون اليوم فى الدولة التركية بالطواشية واحدهم طواشى وهذه لفظة تركية أصلها بلغتهم طابوشى فتلاعبت بها العامة وقالت طواشى وهو الخصى ولهؤلاء الخدام فى كل يوم ما يكفيهم من الخبز النقى واللحم المطبوخ وفى كل شهر من المعاليم الوافرة ما فيه غنية لهم وأدركتهم ولهم حرمة وافرة وكلمة نافذة وجانب مرعى ويعدّ شيخهم من أعيان الناس يجلس على مرتبة وبقية الخدام فى مجالسهم لا يبرحون فى عبادة وكان يستقر فى وظائف هذه الخدمة أكابر خدام السلطان ويقيمون عنهم نوابا يواظبون الاقامة بالقبة ويرون مع سعة أحوالهم وكثرة أموالهم من تمام فخرهم وكمال سيادتهم انتماءهم الى خدمة القبة المنصورية ثم تلاشى الحال بالنسبة الى ما كان والخدام بهذه القاعة الى اليوم وقصد الملوك باقامة الخدام فى هذه القاعة التى يتوصل الى القبة منها اقامة ناموس الملك بعد الموت كما كان فى مدة الحياة وهم الى اليوم لا يمكنون أحدا من الدخول الى القبة الا من كان من أهلها ولله در يحيى بن حكم البكرى الجيانى المغربى الملقب بالغزال لجماله حيث يقول

أرى أهل الثراء اذا توفوا * بنوا تلك المقابر بالصخور
أبوا الا مباهاة وتيها * على الفقراء حتى فى القبور

وفى هذه القبة دروس للفقهاء على المذاهب الاربعة وتعرف بدروس وقف الصالح وذلك ان الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاون قصد عمارة مدرسة فاخترمته المنية دون بلوغ غرضه فقام الامير أرغون العلائى زوج أمه فى وقف قرية تعرف بدهمشا الحمام من الاعمال الشرقية عن أم الملك الصالح فاثبته بطريق الوكالة عنها ورتب ما كان الملك الصالح اسماعيل قرره فى حياته لو أنشأ مدرسة وجعل ذلك الامير أرغون مرتبا لمن يقوم به فى القبة المنصورية وهو وقف جليل يتحصل منه فى كل سنة نحو الاربعة آلاف دينار ذهبا ثم لما كانت الحوادث وخربت الناحية المذكورة تلاشى امر وقف الصالح وفيه الى اليوم بقية وكان لا يلى تدريس دروسه الا قضاة القضاة فوليه الآن الصبيان ومن لا يؤهل لو كان الانصاف له * وفى هذه القبة أيضا قراء يتناوبون القراءة بالشبابيك المطلة على الشارع طول الليل والنهار وهم من جهة ثلاثة اوقاف فطائفة من جهة وقف الملك الصالح اسماعيل وطائفة من جهة الوقف السيفى وهو منسوب الى الملك المنصور سيف الدين أبى بكر ابن الملك الناصر محمد بن قلاون * وبهذه القبة امام راتب يصلى بالخدام والقراء وغيرهم الصلوات الخمس ويفتح له باب فيما بين القبة والمحراب يدخل منه من يصلى من الناس ثم يغلق بعد انقضاء الصلاة * وبهذه القبة خزانة جليلة كان فيها عدّة أحمال من الكتب فى انواع العلوم مما وقفه الملك المنصور وغيره وقد ذهب معظم هذه الكتب وتفرق فى ايدى الناس * وفى هذه القبة خزانة بها ثياب المقبورين بها ولهم فراش معلوم بمعلوم لتعهدهم ووضع ما يتحصل من مال اوقاف المارستان بهذه القبة تحت ايدى الخدام وكانت العادة انه اذا أمّر السلطان أحدا من أمراء مصر والشام فانه ينزل من قلعة الجبل وعليه التشريف والشربوش وتوقد له القاهرة فيمرّ الى المدرسة الصالحية بين القصرين وعمل ذلك من عهد سلطنة المعز ايبك ومن بعده فنقل ذلك الى القبة المنصورية وصار الامير يحلف عند القبر المذكور ويحضر تحليفه

صاحب

صاحب الحجاب وتمد أسمطة جليلة بهذه القبة ثم ينصرف الامير ويجلس له في طول شارع القاهرة الى القلعة أهل الاغاني لترفه في نزوله وصعوده وكان هذا من جملة منتزهات القاهرة وقد بطل ذلك منذ انقرضت دولة بني قلاون * ومن جملة أخبار هذه القبة انه لما كان في يوم الخميس مستهل المحرّم سنة تسعين وستمائة بعث الملك الاشرف صلاح الدين خليل بن قلاون بجملة مال تصدّق به في هذه القبة ثم امر بنقل أبيه من القلعة فخرج سائر الامراء ونائب السلطنة الامير بيدرا بدر الدين والوزير الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس التنوخي وحضروا بعد صلاة العشاء الآخرة ومشوا بأجمعهم قدّام تابوت الملك المنصور الى الجامع الازهر وحضر فيه القضاة ومشايخ الصوفية فتقدّم قاضي القضاة تقيّ الدين بن دقيق العيد وصلى على الجنازة وخرج الجميع أمامها الى القبة المنصورية حتى دفن فيها وذلك في ليلة الجمعة ثاني المحرّم وقيل عاشره ثم عاد الوزير والنائب من الدهليز خارج القاهرة الى القبة المنصورية لعمل مجتمع بسبب قراءة ختمة كريمة في ليلة الجمعة ثامن عشري صفر منها وحضر المشايخ والقرّاء والقضاة في جمع موفور وفرّق في الفقراء صدقات جزيلة ومدّت أسمطة كثيرة وتفرّقت الناس اطعمتها حتى امتلأت الايدي بها وكانت احدى الليالي الغرّ كثر الدعاء فيها للسلطان وعساكر الاسلام بالنصر على أعداء الملة وحضر الملك الاشرف بكرة يوم الجمعة الى القبة المنصورية وفرّق مالا كثيرا وكان الملك الاشرف قد برز يريد المسير لجهاد الفرنج وأخذ مدينة عكا فسار لذلك وعاد في العشرين من شعبان وقد فتح الله له مدينة عكا عنوة بالسيف وخرّب أسوارها وكان عبوره الى القاهرة من باب النصر وقد زينت القاهرة زينة عظيمة فعندما حاذى باب المارستان نزل الى القبة المنصورية وقد غصت بالقضاة والاعيان والقرّاء والمشايخ والفقهاء فتلقوه كلهم بالدعاء حتى جلس فأخذ القرّاء في القراءة وقام نجم الدين محمد بن فتح الدين محمد بن عبد الله بن مهلهل بن غياث بن نصر المعروف بابن العنبري الواعظ وصعد منبرا نصب له فجلس عليه وافتتح ينشد قصيدة تشتمل على ذكر الجهاد وما فيه من الاجر فلم يسعد فيها بحظ وذلك انه افتتحها بقوله

زروا الديك وقف على قبريهما * فكأنني بك قد نقلت اليهما

فعندما سمع الاشرف هذا البيت تطير منه ونهض قائما وهو يسب الامير بيدرا نائب السلطنة لشدّة حنقه وقال ما وجد هذا شيأ يقوله سوى هذا البيت فاخذ بيدرا في تسكين حنقه والاعتذار له عن ابن العنبري بأنه قد انفرد في هذا الوقت بحسن الوعظ ولا نظير له فيه الا انه لم يرزق سعادة في هذا الوقت فلم يصغ السلطان الى قوله وسار فانفض المجلس على غير شيء وصعد السلطان الى قلعة الجبل ثم بعد أيام سأل السلطان عن وقف المارستان وأحب أن يجدّد له وقفا من بلاد عكا التي افتتحها بسيفه فاستدعى القضاة وشاورهم فيما همّ به من ذلك فرغبوه فيه وحثوه على المبادرة اليه فعين أربع ضياع من ضياع عكا وصور ليقفها على مصالح المدرسة والقبة المنصورية بما تحتاج اليه من ثمن زيت وشمع ومصابيح وبسط وكلفة الساقية وعلى خمسين مقرئا يرتبون لقراءة القرآن الكريم بالقبة وامام راتب يصلي بالناس الصلوات الخمس في محراب القبة وستة خدّام يقيمون بالقبة وهي الكابرة وتل الشيوخ وكردانة وضواحيها من عكا ومن ساحل صور معركة وصدفين وكتب بذلك كتاب وقف وجعل النظر في ذلك لوزيره الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس فلما تمّ ذلك تقدّم بعمل مجتمع بالقبة لقراءة ختمة كريمة وذلك ليلة الاثنين رابع ذي القعدة سنة تسعين وستمائة فاجتمع القرّاء والوعاظ والمشايخ والفقراء والقضاة لذلك وخلع على عامة ارباب الوظائف والوعاظ وفرّقت في الناس صدقات جمة وعمل مهم عظيم احتفل فيه الوزير احتفالا زائدا وبات الامير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة والامير الوزير شمس الدين محمد بن السلعوس بالقبة وحضر السلطان ومعه الخليفة الحاكم بامر الله احمد وعليه سواده فخطب الخليفة خطبة بليغة حرّض فيها على أخذ العراق من التتار فلما فرغ من المهمّ افاض السلطان على الوزير تشريفا سنيا وفي يوم الخميس حادي عشر ربيع الاوّل سنة احدى وتسعين وستمائة اجتمع القرّاء والوعاظ والفقهاء والاعيان بالقبة المنصورية لقراءة ختمة شريفة ونزل السلطان الملك الاشرف وتصدّق بمال كثير وآخر من نزل الى القبة المنصورية من ملوك بني قلاون السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون في سنة احدى وستين وسبعمائة وحضر عنده بالقبة مشايخ العلم وبحثوا في العلم وزار قبر أبيه وجدّه ثم خرج فنظر في امر المرضى بالمارستان وتوجه الى قلعة الجبل

(المدرسة الناصرية)

هذه المدرسة بجوار القبة المنصورية من شرقيها كان موضعها حماما فأمر السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري بانشاء مدرسة موضعها فابتدئ في عملها ووضع أساسها وارتفع بناؤها عن الارض الى نحو الطراز المذهب الذي بظاهرها فكان من خلعه ما كان فلما عاد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون الى مملكة مصر في سنة ثمان وتسعين وستمائة أمر باتمامها فكملت في سنة ثلاث وسبعمائة وهي من أجل مباني القاهرة وبابها من أعجب ما عملته ايدي بني آدم فانه من الرخام الابيض البديع الزي الفائق الصناعة ونقل الى القاهرة من مدينة عكا وذلك أن الملك الاشرف خليل بن قلاون لما فتح عكا عنوة في سابع عشر جمادى الاولى سنة تسعين وستمائة اقام الامير علم الدين سنجر الشجاعي لهدم أسوارها وتخريب كنائسها فوجد هذه البوابة على باب كنيسة من كنائس عكا وهي من رخام قواعدها وأعضادها وعمدها كل ذلك متصل بعضه ببعض فحمل الجميع الى القاهرة وأقام عنده الى أن قتل الملك الاشرف وتمادى الحال على هذا أيام سلطنة الملك الناصر محمد الاولى فلما خلع وتملك كتبغا أخذ دار الامير سيف الدين بلبان الرشيدي ليعملها مدرسة فدل على هذه البوابة فأخذها من ورثة الامير بيدرا فانها كانت قد انتقلت اليه وعملها كتبغا على باب هذه المدرسة فلما خلع من الملك وأقيم الناصر محمد اشترى هذه المدرسة قبل اتمامها والاشهاد بوقفها وولى شراءها وصيه قاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف المالكي وأنشأ بجوارها هذه المدرسة من داخل بابها قبة جليلة لكنها دون قبة أبيه ولما كملت نقل اليها أمه بنت سكاي بن قراجين ووقف على هذه المدرسة قيسارية أمير علي بخط الشرابشيين من القاهرة والربع الذي يعلوها وكان يعرف بالدهيشة ووقف عليها أيضا حوانيت بخط باب الزهومة من القاهرة ودار الطعم خارج مدينة دمشق فلما مات ابنه انوك من الخاتون طغاي في يوم الجمعة سابع عشر ربيع الاول سنة احدى وأربعين وسبعمائة وعمره ثماني عشرة سنة دفنه بهذه القبة وعمل عليها وقفا يختص بها وهو باق الى اليوم يصرف لقراء وغير ذلك * وأول من رتب في تدريس المدرسة الناصرية من المدرسين قاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف المالكي ليدرس فقه المالكية بالايوان الكبير القبلي وقاضي القضاة شرف الدين عبد الغني الحراني ليدرس فقه الحنابلة بالايوان الغربي وقاضي القضاة أحمد بن السروجي الحنفي ليدرس فقه الحنفية بالايوان الشرقي والشيخ صدر الدين محمد بن المرحل المعروف بابن الوكيل الشافعي ليدرس فقه الشافعية بالايوان البحري وقرر عند كل مدرس منهم عدة من الطلبة وأجرى عليهم المعاليم ورتب بها اماما يؤم بالناس في الصلوات الخمس وجعل بها خزانة كتب جليلة وأدركت هذه المدرسة وهي محترمة الى الغاية يجلس بدهليزها عدة من الطواشية ولا يمكن غريب أن يصعد اليها وكان يفرق بها على الطلبة والقراء وسائر أرباب الوظائف بها السكر في كل شهر لكل أحد منهم نصيب ويفرق عليهم لحوم الاضاحي في كل سنة وقد بطل ذلك وذهب ما كان لها من الناموس وهي اليوم عامرة من أجل المدارس

(المدرسة الحجازية)

هذه المدرسة برحبة باب العيد من القاهرة بجوار قصر الحجازية كان موضعها بابا من أبواب القصر يعرف بباب الزمرذ أنشأتها الست الجليلة الكبرى خوند تتر الحجازية ابنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون زوجة الامير بكتمر الحجازي وبه عرفت وجعلت بهذه المدرسة درسا للفقهاء الشافعية قررت فيه شيخنا شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني ودرسا للفقهاء المالكية وجعلت بها منبرا يخطب عليه يوم الجمعة ورتبت لها اماما راتبا يقيم بالناس الصلوات الخمس وجعلت بها خزانة كتب وأنشأت بجوارها قبة من داخلها لتدفن تحتها ورتبت بشباك هذه القبة عدة قراء يتناوبون قراءة القرآن الكريم ليلا ونهارا وأنشأت بها منارا عاليا من حجارة ليؤذن عليه وجعلت بجوار المدرسة مكتبا للسبيل فيه عدة من ايتام المسلمين ولهم مؤدب يعلمهم القرآن الكريم ويجري عليهم في كل يوم لكل منهم من الخبز النقي خمسة أرغفة ومبلغ من الفلوس ويقام لكل منهم بكسوتي الشتاء والصيف وجعلت على هذه الجهات عدة اوقاف جليلة يصرف منها لارباب الوظائف المعاليم السنية وكان يفرق فيهم كل سنة أيام عيد الفطر الكعك والخشكنانك وفي عيد الاضحى اللحم وفي شهر رمضان يطبخ لهم الطعام وقد بطل ذلك ولم يبق غير المعلوم في كل شهر وهي من المدارس الكبيسة وعهدي بها محترمة الى الغاية

يجلس بها عدة من الطواشية ولا يمكنون أحدا من عبور القبة التي فيها قبر خوند الحجازية الا القراء فقط وقت قراءتهم خاصة * واتفق مرة أن شخصا من القراء كان في نفسه شئ من أحد رفقائه فأتى الى كبير الطواشية بهذه القبة وقال له ان فلانا دخل اليوم الى القبة وهو بغير سراويل فغضب الطواشي من هذا القول وعد ذلك ذنبا عظيما وفعلا محذورا وطلب ذلك المقرئ وأمر به فضرب بين يديه وصار يقول له تدخل على خوند بغير سراويل وهم باخراجه من وظيفة القراءة لولا ما حصل من شفاعة الناس فيه وكان لا يلي نظر هذه المدرسة الا الامراء الاكابر ثم صار يليها الخدام وغيرهم وكان انشاؤها في سنة احدى وستين وسبعمائة ولما ولي الامير جمال الدين يوسف البجاسي وظيفة أستادارية السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق وعمر بجانب هذه المدرسة داره ثم مدرسته صار يحبس في المدرسة الحجازية من يصادره أو يعاقبه حتى امتلأت بالمسجونين والاعوان المرسمين عليهم فزالت تلك الابهة وذهب ذلك الناموس واقتدى بجمال الدين من سكن بعده من الاستادارية في داره وجعلوا هذه المدرسة سجنا ومع ذلك فهي من ابهج مدارس القاهرة الى الآن

(المدرسة الطيبرسية)

هذه المدرسة بجوار الجامع الازهر من القاهرة وهي غربيه مما يلي الجهة البحرية أنشأها الامير علاء الدين طيبرس الخازنداري نقيب الجيوش وجعلها مسجدا لله تعالى زيادة في الجامع الازهر وقرر بها درسا للفقهاء الشافعية وأنشأ بجوارها ميضأة وحوض ماء سبيل ترده الدواب وتأنق في رخامها وتذهيب سقوفها حتى جاءت في ابدع زي وأحسن قالب وأبهج ترتيب لما فيها من اتقان العمل وجودة الصناعة بحيث انه لم يقدر أحد على محاكاة ما فيها من صناعة الرخام فان جميعه أشكال المحاريب وبلغت النفقة عليها جملة كثيرة وانتهت عمارتها في سنة تسع وسبعمائة ولها بسط تفرش في يوم الجمعة كلها منقوشة بأشكال المحاريب أيضا وفيها خزانة كتب ولها امام راتب *(طيبرس) بن عبد الله الوزيري كان في ملك الامير بدر الدين بيلبك مملوك الخازندار الظاهري نائب السلطنة ثم انتقل الى الامير بدر الدين بيدرا وتنقل في خدمته حتى صار نائب الصبيبة ورأى مناما للمنصور لاجين يدل على انه يصير سلطان مصر وذلك قبل أن يتقلد السلطنة وهو نائب الشام فوعده ان صارت اليه السلطنة أن يقدمه وينوه به فلما تملك لاجين استدعاه وولاه نقابة الجيش بديار مصر عوضا عن بلبان الفاخري في سنة سبع وتسعين وستمائة فباشر النقابة مباشرة مشكورة الى الغاية من اقامة الحرمة وأداء الامانة والعفة المفرطة بحيث انه ما عرف عنه أنه قبل من أحد هدية البتة مع التزام الديانة والمواظبة على فعل الخير والغنى الواسع وله من الآثار الجليلة الجامع والخانقاه بأراضي بستان الخشاب المطلة على النيل خارج القاهرة فيما بينها وبين مصر بجوار المنشأة وهو أول من عمر في أراضي بستان الخشاب وقد تقدم ذكر ذلك ومن آثاره أيضا هذه المدرسة البديعة الزي وله على كل من هذه الاماكن اوقاف جليلة ولم يزل في نقابة الجيش الى أن مات في العشرين من شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وسبعمائة ودفن في مكان بمدرسته هذه وقبره بها الى وقتنا هذا ووجد له من بعده مال كثير جدا وأوصى الى الامير علاء الدين علي الكوراني وجعل الناظر على وصيته الامير أرغون نائب السلطنة واتفق انه لما فرغ من بناء هذه المدرسة أحضر اليه مباشروه حساب مصروفها فلما قدم اليه استدعى بطشت فيه ماء وغسل اوراق الحساب بأسرها من غير أن يقف على شئ منها وقال شئ خرجنا عنه لله تعالى لا نحاسب عليه ولهذه المدرسة شبابيك في جدار الجامع تشرف عليه ويتوصل من بعضها اليه وما عمل ذلك حتى استفتى الفقهاء فيه فأفتوه بجواز فعله وقد تداولت ايدي نظار السوء على اوقاف طيبرس هذا فخرب اكثرها وخرب الجامع والخانقاه وبقيت هذه المدرسة عمرها الله بذكره

(المدرسة الاقبغاوية)

هذه المدرسة بجوار الجامع الازهر على يسرة من يدخل اليه من بابه الكبير البحري وهي تشرف بشبابيك على الجامع مركبة في جداره فصارت تجاه المدرسة الطيبرسية كان موضعها دار الامير الكبير عز الدين ايدمر الحلي نائب السلطنة في أيام الملك الظاهر بيبرس وميضأة للجامع فانشأها الامير علاء الدين اقبغا عبد الواحد

أستادار الملك الناصر محمد بن قلاون وجعل بجوارها قبة ومنارة من حجارة منحوتة وهى أوّل مئذنة عملت بديار مصر من الحجر بعد المنصورية وانما كانت قبل ذلك تبنى بالآجر بناها هى والمدرسة المعلم ابن السيوفى رئيس المهندسين فى الايام الناصرية وهو الذى تولى بناء جامع الماردينى خارج باب زويلة وبنى مئذنته أيضا وهى مدرسة مظلمة ليس عليها من بهجة المساجد ولا انس بيوت العبادات شئ البتة وذلك ان أقبغا عبد الواحد اغتصب أرض هذه المدرسة بأن أقرض ورثة ايدمر الحلى مالا وامهل حتى تصرفوا فيه ثم أعسفهم فى الطلب وألجأهم الى أن اعطوه دارهم فهدمها وبنى موضعها هذه المدرسة وأضاف الى اغتصاب البقعة أمثال ذلك من الظلم فبناها بأنواع من الغصب والعسف وأخذ قطعة من سور الجامع حتى ساوى بها المدرسة الطيبرسية وحشر لعملها الصناع من البنائين والنجارين والحجارين والمرخمين والفعلة وقرّر مع الجميع أن يعمل كل منهم فيها يوما فى كل أسبوع بغير أجرة فكان يجتمع فيها فى كل أسبوع سائر الصناع الموجودين بالقاهرة ومصر فيجدّون فى العمل نهارهم كله بغير أجرة وعليهم مملوك من مماليكه ولاه شدّ العمارة لم ير الناس أظلم منه ولا أعتى ولا أشدّ بأسا ولا اقسى قلبا ولا اكثر عنتا فلقى العمال منه مشقات لا توصف وجاء مناسبا لمولاه وحمل مع هذا الى هذه العمارة سائر ما يحتاج اليه من الامتعة وأصناف الآلات وأنواع الاحتياجات من الحجر والخشب والرخام والدهان وغيره من غير أن يدفع فى شئ منه ثمنا البتة وانما كان يأخذ ذلك اما بطريق الغصب من الناس أو على سبيل الخيانة من عمائر السلطان فانه كان من جملة ما بيده شدّ العمائر السلطانية وناسب هذه الافعال انه ما عرف عنه قط انه نزل الى هذه العمارة الا وضرب فيها من الصناع عدّة ضربا مؤلما فيصير ذلك
٢ الضرب زيادة على عمله بغير أجرة فيقال فيه كملت خصالك هذه بعمارى فلما فرغ من بنائها جمع فيها سائر الفقهاء وجميع القضاة وكان الشريف شرف الدين على بن شهاب الدين الحسين بن محمد بن الحسين نقيب الاشراف ومحتسب القاهرة حينئذ يؤمّل أن يكون مدرّسها وسعى عنده فى ذلك فعمل بسطا على قياسها بلغ ثمنها ستة آلاف درهم فضة ورشاه بها ففرشت هنالك ولما تكامل حضور الناس بالمدرسة وفى الذهن أن الشريف يلى التدريس وعرف أنه هو الذى أحضر البسط التى قد فرشت قال الامير أقبغا لمن حضر لا أولى فى هذه الايام
ض أحدا وقام فتفرّق الناس وقرّر فيها درسا للشافعية ولى تدريسه ودرسا للحنفية ولى تدريسه وجعل فيها عدّة من الصوفية ولهم شيخ وقرّر بها طائفة من القرّاء يقرؤن القرآن بشبابكها وجعل لها اماما راتبا ومؤذنا وفرّاشين وقومة ومباشرين وجعل النظر للقاضى الشافعى بديار مصر وشرط فى كتاب وقفه أن لا يلى النظر أحد من ذريته ووقف على هذه الجهات حوانيت خارج باب زويلة بخط تحت الربع وقرية بالوجه القبلى وهذه المدرسة عامرة الى يومنا هذا الا انه تعطل منها الميضأة وأضيفت الى ميضأة الجامع لتغلب بعض الامراء بمواطأة بعض النظار على بئر الساقية التى كانت برسمها * (اقبغا عبد الواحد) الامير علاء الدين أحضره الى القاهرة التاجر عبد الواحد بن بدال فاشتراه منه الملك الناصر محمد بن قلاون ولقبه باسم تاجره الذى أحضره فحظى عنده وعمله شادّ العمائر فنهض فيها نهضة أعجب منه السلطان وعظمه حتى عمله أستادار السلطان بعد الامير مغلطاى الجمالى فى المحرّم سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وولاه مقدّم المماليك فقويت حرمته وعظمت مهابته حتى صار سائر من فى بيت السلطان يخافه ويخشاه ومابرح على ذلك الى أن مات الملك الناصر وقام من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر فقبض عليه فى يوم الاثنين سلخ المحرّم سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة وأمسك أيضا ولده وأحيط بماله وسائر أملاكه ورسم عليه الامير طيبغا المجدى وبيع موجوده من الخيل والجمال والجوارى والقماش والاسلحة والاوانى فظهر له شئ عظيم الى الغاية من ذلك انه بيع بقلعة الجبل وبها كانت تعمل حلقات مبيعة سراويل امرأته بمبلغ مائتى ألف درهم فضة عنها نحو عشرة آلاف دينار ذهب وبيع له أيضا قبقاب وشرموزة وخف نساءى بمبلغ خمسة وسبعين ألف درهم فضة عنها زيادة على ثلاثة آلاف دينار وبيعت بدلة مقانع بمائة ألف درهم وكثرت المرافعات عليه من التجار وغيرهم فبعث السلطان اليه شادّ الدواوين يعرّفه انه اقسم بتربة الشهيد يعنى أباه انه متى لم يعط هؤلاء حقهم والا سمرتك على جمل وطفت بك المدينة فشرع اقبغا فى استرضائهم واعطاهم نحو المائتى ألف درهم فضة ثم نزل اليه الوزير نجم الدين محمود بن سرور المعروف بوزير بغداد ومعه الحاج ابراهيم بن صابر مقدّم الدولة لمطالبته بالمال فأخذ منه لؤلؤا وجواهر

نفيسة

نفيسة وصعدابها الى السلطان وكان سبب هذه النكبة انه كان قد تحكم فى امور الدولة السلطانية وأرباب الاشغال أعلاهم وأدناهم بما اجتمع له من الوظائف وكان عنده فراش غضب عليه وأوجعه ضربا فانصرف من عنده وخدم فى دار الامير أبى بكر ولد السلطان فبعث اقبغا يستدعى بالفراش اليه فمنعه منه أبو بكر وأرسل اليه مع أحد مماليكه يقول له انى اريد أن تهبنى هذا الغلام ولا تشوّش عليه فلما بلغه المملوك الرسالة اشتد حنقه وسبه سبا فاحشا وقال له قل لاستاذك بسير الفراش وهو جيد له وكان قبل ذلك اتفق أن الامير أبا بكر خرج من خدمة السلطان الى بيته فاذا الامير اقبغا قد بطح مملوكا وضربه فوقف أبو بكر بنفسه وسأل اقبغا فى العفو عن المملوك وشفع فيه فلم يلتفت اقبغا اليه ولا نظر الى وجهه فخجل أبو بكر من الناس لكونه وقف قائما بين يدى اقبغا وشفع عنده فلم يقم من مجلسه لوقوفه بل استمر قاعدا وأبو بكر واقف على رجليه ولا قبل مع ذلك شفاعته ومضى وفى نفسه منه حنق كبير فلما عاد اليه مملوكه وبلغه كلام اقبغا بسبب هذا الفراش أكد ذلك عنده ما كان من الاحنة وأخذ فى نفسه الى أن مات أبوه الملك الناصر وعهد اليه من بعده وكان قد التزم انه ان ملكه الله ليصادرن اقبغا وليضربنه بالمقارع وقال للفراش اقعد فى بيتى واذا حضر أحد لاخذك عرفت ما أعمل معه وأخذ أقبغا يترقب الفراش وأقام اناسا للقبض عليه فلم يتهيأ له مسكه فلما أفضى الامر الى أبى بكر استدعى الامير قوصون وكان هو القائم حينئذ بتدبير امور الدولة وعرّفه ما التزمه من القبض على اقبغا وأخذ ماله وضربه بالمقارع وذكر له ولعدّة من الامراء ما جرى له منه وكان لقوصون بأقبغا عناية فقال للسلطان السمع والطاعة يرسم السلطان بالقبض عليه ومطالبته بالمال فاذا فرغ ماله يفعل السلطان ما يختاره وأراد بذلك تطاول المدّة فى أمر اقبغا فقبض عليه ووكل به رسل ابن صابر حتى انه بات ليلة قبض عليه من غير أن يأكل شيأ وفى صبيحة تلك الليلة تحدّث الامراء مع السلطان فى نزوله الى داره محتفظا به حتى يتصرّف فى ماله ويحمله شيأ بعد شئ فنزل مع الجدى وباع ما يملكه وأورد المال فلما قبض على الحاج ابراهيم بن صابر واقيم ابن شمس موضعه أرسله السلطان الى بيت أقبغا ليعصره ويضربه بالمقارع ويعذبه فبلغ ذلك الامير قوصون فمنع منه وشنع على السلطان كونه امر بضربه بالمقارع وأمر بمراجعته فحنق من ذلك واطلق لسانه على الامير قوصون فلم يزل به من حضره من الامراء حتى سكت على مضض وكان قوصون يدبر فى انتقاض دولة أبى بكر الى أن خلعه وأقام بعده أخاه الملك الاشرف كجك بن محمد بن قلاون وعمره نحو السبع سنين وتحكم فى الدولة فأخرج أقبغا هو وولده من القاهرة وجعله من جملة أمراء الدولة بالشام فسار من القاهرة فى تاسع ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة على خبز الامير مسعود بن خطير بدمشق ومعه عياله فأقام بها الى أن كانت فتنة الملك الناصر أحمد بن محمد بن قلاون وعصيانه بالكرك على أخيه الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاون فاتهم أقبغا بانه بعث مملوكا من مماليكه الى الكرك وأن الناصر أحمد خلع عليه وضربت البشائر بقلعة الكرك وأشاع أن امراء الشام قد دخلوا فى طاعته وحلفوا له وأن أقبغا قد بعث اليه مع مملوكه يبشره بذلك فلما وصل الى الملك الصالح كتاب عساف اخى شطى بذلك وصل فى وقت وروده كتاب نائب الشام الامير طقزدمر يخبر فيه بأن جماعة من امراء الشام قد كاتبوا أحمد بالكرك وكاتبهم وقد قبض عليهم ومن جملتهم أقبغا عبد الواحد فرسم بحمله مقيدا فحمل من دمشق الى الاسكندرية وقتل بها فى آخر سنة أربع وأربعين وسبعمائة وكان من الظلم والطمع والتعاظم على جانب كبير وجمع من الاموال شيأ كثيرا وأقام جماعة من أهل الشرّ لتتبع أولاد الامراء وتعرّف أحوال من افتقر منهم أو احتاج الى شئ فلا يزالون به حتى يعطوه مالا على سبيل القرض بفائدة جزيلة الى أجل فاذا استحق المال اعسفه فى الطلب وألجأه الى بيع ماله من الاملاك وحلها ان كانت وقفا بعنايته به وعين لعمل هذه الحيل شخصا يعرف بابن القاهرى وكان اذا دخل لاحد من القضاة فى شراء ملك أو حل وقف لا يقدر على مخالفته ولا يجد بدا من موافقته * ومن غريب ما يحكى عن طمع اقبغا أن مشد الحاشية دخل عليه وفى اصبعه خاتم بفص أحمر من زجاج له بريق فقال له أقبغا ايش هو هذا الخاتم فأخذ يعظمه وذكر أنه من تركة أبيه فقال بكم حسبوه عليك فقال بأربعمائة درهم فقال أرنيه فناوله اياه فأخذه وتشاغل عنه ساعة ثم قال له والله فضيحة أن نأخذ خاتمك ولكن خذه انت وهات ثمنه ودفعه اليه وألزمه باحضار الاربعمائة درهم فما وسعه الا أن

أحضرها اليه فعاقبه الله بذهاب ماله وغيره وموته غريبا

(المدرسة الحسامية)

هذه المدرسة بخط المسطاح من القاهرة قريبا من حارة الوزيرية بناها الامير حسام الدين طرنطاى المنصورى نائب السلطنة بديار مصر الى جانب داره وجعلها برسم الفقهاء الشافعية وهى فى وقتنا هذا تجاه سوق الرقيق ويسلك منها الى درب العداس والى حارة الوزيرية والى سويقة الصاحب وباب الخوخة وغير ذلك وكان بجانبها طبقة لخياط فطلبت منه بثلاثة أمثال ثمنها فلم يبعها وقيل لطرنطاى لو طلبته لاستحى منك فلم يطلبه وتركه وطبقته وقال لا أشوش عليه * (طرنطاى) بن عبد الله الامير حسام الدين المنصورى رباه الملك المنصور قلاون صغيرا ورقاه فى خدمه الى أن تقلد سلطنة مصر فجعله نائب السلطنة بديار مصر عوضا عن الامير عز الدين ايبك الافرم الصالحى وخلع عليه فى يوم الخميس رابع عشر رمضان سنة ثمان وسبعين وستمائة فباشر ذلك مباشرة حسنة الى أن كانت سنة خمس وثمانين فخرج من القاهرة بالعساكر الى الكرك وفيها الملك المسعود نجم الدين خضر وأخوه بدر الدين سلامش ابنا الملك الظاهر بيبرس فى رابع المحرم وسار اليها فوافاه الامير بدر الدين الصوانى بعساكر دمشق فى ألفى فارس ونازلا الكرك وقطعا الميرة عنها واستفسدا رجال الكرك حتى أخذا خضرا وسلامش بالامان فى خامس صفر وتسلم الامير عز الدين ايبك الموصلى نائب الشوبك مدينة الكرك واستقر فى نيابة السلطنة بها وبعث الامير طرنطاى بالبشارة الى قلعة الجبل فوصل البريد بذلك فى ثامن صفر ثم قدم بابنى الظاهر فخرج السلطان الى لقائه فى ثانى عشر ربيع الاول وأكرم الامير طرنطاى ورفع قدره ثم بعثه الى أخذ صهيون وبها سنقر الاشقر فسار بالعساكر من القاهرة فى سنة ست وثمانين ونازلها وحصرها حتى نزل اليه سنقر بالامان وسلم اليه قلعة صهيون وسار به الى القاهرة فخرج السلطان الى لقائه وأكرمه ولم يزل على مكانته الى أن مات الملك المنصور وقام فى السلطنة بعده ابنه الاشرف صلاح الدين خليل بن قلاون فقبض عليه فى يوم السبت ثالث عشر ذى القعدة سنة تسع وثمانين وعوقب حتى مات يوم الاثنين خامس عشره بقلعة الجبل وبقى ثمانية أيام بعد قتله مطروحا بحبس القلعة ثم أخرج فى ليلة الجمعة سادس عشرى ذى القعدة وقد لف فى حصير وحمل على جنوية الى زاوية الشيخ أبى السعود بالقرافة فغسله الشيخ عمر السعودى شيخ الزاوية وكفنه من ماله ودفنه خارج الزاوية ليلا وبقى هناك الى سلطنة العادل كتبغا فأمر بنقل جثته الى تربته التى أنشأها بمدرسته هذه وكان سبب القبض عليه وقتله أن الملك الاشرف كان يكرهه كراهة شديدة فانه كان يطرح جانبه فى أيام أبيه ويغض منه ويهين نوابه ويؤذى من يخدمه لانه كان يميل الى أخيه الملك الصالح علاء الدين على بن قلاون فلما مات الصالح على وانتقلت ولاية العهد الى الاشرف خليل بن قلاون مال اليه من كان ينحرف عنه فى حياة أخيه الا طرنطاى فانه ازداد تماديا فى الاعراض عنه وجرى على عادته فى اذى من ينسب اليه وأغرى الملك المنصور بشمس الدين محمد بن السلعوس ناظر ديوان الاشرف حتى ضربه وصرفه عن مباشرة ديوانه والاشرف مع ذلك يتأكد حنقه عليه ولا يجد بدا من الصبر الى أن صار له الامر بعد أبيه ووقف الامير طرنطاى بين يديه فى نيابة السلطنة على عادته وهو منحرف عنه لما أسلفه من الاساءة عليه وأخذ الاشرف فى التدبير عليه الى أن نقل له عنه أنه يتحدث سرا فى افساد نظام المملكة واخراج الملك عنه وانه قصد أن يقتل السلطان وهو راكب فى الميدان الاسود الذى تحت قلعة الجبل عندما يقرب من باب الاصطبل فلم يحتمل ذلك وعندما سير أربعة ميادين والامير طرنطاى ومن وافقه عند باب سارية حتى انتهى الى رأس الميدان وقرب من باب الاصطبل وفى الظن أنه يعطف الى باب سارية ليكمل التسيير على العادة فعطف الى جهة القلعة وأسرع ودخل من باب الاصطبل فبادر الامير طرنطاى عندما عطف السلطان وساق فيمن معه ليدركوه ففاتهم وصار بالاصطبل فيمن خف معه من خواصه وما هو الا أن نزل الاشرف من الركوب فاستدعى بالامير طرنطاى فمنعه الامير زين الدين كتبغا المنصورى عن الدخول اليه وحذره منه وقال له والله انى أخاف عليك منه فلا تدخل عليه الا فى عصبة تعلم انهم يمنعونك منه ان وقع أمر تكرهه فلم يرجع اليه وغره أن أحدا لا يجسر عليه لمهابته فى القلوب ومكانته من الدولة وأن الاشرف لا يبادره بالقبض عليه وقال لكتبغا والله لو كنت نائما ما جسر خليل ينبهنى وقام ومشى الى السلطان ودخل ومعه كتبغا فلما وقف على عادته بادر اليه جماعة قد أعدهم السلطان

وقبضوا عليه فأخذه اللكم من كل جانب والسلطان يعدد ذنوبه ويذكر له اساءته ويسبه فقال له يا خوند هذا جميعه قد عملته معك وقدمت الموت بين يدى ولكن والله لتندمن من بعدى هذا والايدى تتناوب عليه حتى ان بعض الخاصكية قلع عينه وسحب الى السجن فخرج كتبغا وهو يقول ايش أعمل ويكررها فأدركه الطلب وقبض عليه أيضا ثم آل امر كتبغا بعد ذلك الى أن ولى سلطنة مصر وأوقع الاشرف الحوطة على اموال طرنطاى وبعث الى داره الامير علم الدين سنجر الشجاعى فوجد له من العين ستمائة ألف دينار ومن الفضة سبعة عشر ألف رطل ومائة رطل مصرى عنها زيادة على مائة وسبعين قنطارا فضة سوى الاوانى ومن العدد والاسلحة والاقمشة والآلات والخيول والمماليك ما يتعذر احصاء قيمته ومن الغلات والاملاك شئ كثير جدا ووجد له من البضائع والاموال المسفرة على اسمه والودائع والمقارضات والقنود والاعسال والابقار والاغنام والرقيق وغير ذلك شئ يجل وصفه هذا سوى ما اخفاه مباشروه بمصر والشام فلما حملت أمواله الى الاشرف جعل يقلبها ويقول

من عاش بعد عدوه * يوما فقد بلغ المنى

واتفق بعد موت طرنطاى أن ابنه سأل الدخول على السلطان الاشرف فاذن له فلما وقف بين يديه جعل المنديل على وجهه وكان اعمى ثم مد يده وبكى وقال شئ لله وذكر أن لاهله أياما ما عندهم ما يأكلونه فرق له وأفرج عن أملاك طرنطاى وقال تبلغوا بريعها فسبحان من بيده القبض والبسط

(المدرسة المنكوتمرية)

هذه المدرسة بحارة بهاء الدين من القاهرة بناها بجوار داره الامير سيف الدين منكوتمر الحسامى نائب السلطنة بديار مصر فكملت فى صفر سنة ثمان وتسعين وستمائة وعمل بها درسا للمالكية قرر فيه الشيخ شمس الدين محمد بن أبى القاسم بن عبد السلام بن جميل التونسى المالكى ودرسا للحنفية درس فيه - وجعل فيها خزانة كتب وجعل عليها وقفا ببلاد الشام وهى اليوم بيد قضاة الحنفية يتولون نظرها وامرها متلاش وهى من المدارس الحسنة * (منكوتمر) هو أحد مماليك الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى ترقى فى خدمته واختص به اختصاصا زائدا الى أن ولى مملكة مصر بعد كتبغا فى سنة ست وتسعين وستمائة فجعله أحد الامراء بديار مصر ثم خلع عليه خلع نيابة السلطنة عوضا عن الامير شمس الدين قراسنقر المنصورى يوم الاربعاء النصف من ذى القعدة فخرج سائر الامراء فى خدمته الى دار النيابة وباشر النيابة بتعاظم كثير وأعطى المنصب حقه من الحرمة الوافرة والمهابة التى تخرج عن الحد وتصرف فى سائر أمور الدولة من غير أن يعارضه السلطان فى شئ البتة وبلغت عبرة اقطاعه فى السنة زيادة على مائة ألف دينار * ولما عمل الملك المنصور الروك المعروف بالروك الحسامى فوض تفرقة منالات اقطاعات الاجناد له فجلس فى شباك دار النيابة بقلعة الجبل ووقف الحجاب بين يديه وأعطى لكل تقدمة منالات فلم يجسر أحد أن يتحدث فى زيادة ولا نقصان خوفا من سوء خلقه وشدة حمقه وبقى أياما فى تفرقة المنالات والناس على خوف شديد فان اقل الاقطاعات كان فى ايام الملك المنصور قلاون عشرة آلاف درهم فى السنة واكثره ثلاثين ألف درهم فرجع فى الروك الحسامى اكثر أقطاعات الحلقة الى مبلغ عشرين ألف درهم وما دونها فشق ذلك على الاجناد وتقدم طائفة منهم ورموا منالاتهم التى فرقت عليهم لان الواحد منهم وجد مناله بحق النصف مما كان له قبل الروك وقالوا لمنكوتمر اما أن تعطونا ما يقوم بكلفنا والا فخذوا أخبازكم ونحن نخدم الامراء او نصير بطالين فغضب منكوتمر وأخرق بهم وتقدم الى الحجاب فضربوهم وأخذوا سيوفهم وأودعوهم السجون وأخذ يخاطب الامراء بفحش ويقول ايما قواد شكا من خبزه ويقول نقول للسلطان فعلت به وفعلت ايش يقول للسلطان ان رضى يخدم والا الى لعنة الله فشق ذلك على الامراء وأسروا له الشر ثم انه لم يزل بالسلطان حتى قبض على الامير بدر الدين بيسرى وحسن له اخراج اكابر الامراء من مصر فجردهم الى سيس وأصبح وقد خلا له الجو فلم يرض بذلك حتى تحدث مع خوشداشيته بأنه لابد أن ينشئ له دولة جديدة ويخرج طغجى وكرجى من مصر ثم انه جهز حمدان ابن صلغاى الى حلب فى صورة انه يستعجل العساكر من سيس وقرر معه القبض على عدة من الامراء وأمر عدة

هكذا بيض له فى الأصل

أمراء جعلهم له عدة وذخرا وتقدم الى الصاحب فخر الدين الخليلى بأن يعمل أوراقا تتضمن أسماء أرباب الرواتب ليقطع أكثرها فلم تدخل سنة ثمان وتسعين حتى استوحشت خواطر الناس بمصر والشام من منكوتمر وزاد حتى أراد السلطان أن يبعث بالامير طغجى الى نيابة طرابلس فتنصل طغجى من ذلك فلم يعفه السلطان منه وألح منكوتمر فى اخراجه وأغلظ للامير كرجى فى القول وحط على سلار وبيبرس الجاشنكير وأنظارهم وغض منهم وكان كرجى شرس الاخلاق ضيق العطن سريع الغضب فهم غير مرة بالفتك بمنكوتمر وطغجى يسكن غضبه فبلغ السلطان فساد قلوب الامراء والعسكر فبعث قاضى القضاة حسام الدين الحسن ابن احمد بن الحسن الرومى الحنفى الى منكوتمر يحدثه فى ذلك ويرجعه عما هو فيه فلم يلتفت الى قوله وقال أنا مالى حاجة بالنيابة أريد أخرج مع الفقراء فلما بلغ السلطان عنه ذلك استدعاه وطيب خاطره ووعده بسفر طغجى بعد أيام ثم القبض على كرجى بعده فنقل هذا للامراء فتحالفوا وقتلوا السلطان كما قد ذكر فى خبره وأول من بلغه خبر مقتل السلطان الامير منكوتمر فقام الى شباك النيابة بالقلعة فرأى باب القلة وقد انفتح وخرج الامراء والشموع تقد والضجة قد ارتفعت فقال والله قد فعلوها وأمر فغلقت أبواب دار النيابة وألبس مماليكه آلة الحرب فبعث الامراء اليه بالامير الحسام أستادار فعرفه بمقتل السلطان وتلطف به حتى نزل وهو مشدود الوسط بمنديل وسار به الى باب القلة والامير طغجى قد جلس فى مرتبة النيابة فتقدم الى طغجى وقبل يده فقام اليه وأجلسه بجانبه وقام الامراء فى امر منكوتمر يشفعون فيه فأمر به الى الجب وانزلوه فيه وعندما استقر به ادليت له القفة التى نزل فيها وتصايحوا عليه بالصعود فطلع عليهم واذا كرجى قد وقف على رأس الجب فى عدة من المماليك السلطانية فأخذ يسب منكوتمر ويهينه وضربه بات ألقاه وذبحه بيده على الجب وتركه وانصرف فكان بين قتل أستاذه وقتله ساعة من الليل وذلك فى ليلة الجمعة عاشر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين

(المدرسة القراسنقرية)

هذه المدرسة تجاه خانقاه الصلاح سعيد السعداء فيما بين رحبة باب العيد وباب النصر كان موضعها وموضع الربع الذى بجانبها الغربى مع خانقاه بيبرس وما فى صفها الى حمام الاعسر وباب الجوانية كل ذلك من دار الوزارة الكبرى التى تقدم ذكرها أنشأها الامير شمس الدين قراسنقر المنصورى نائب السلطنة سنة سبعمائة وبنى بجوار بابها مسجدا معلقا ومكتبا لاقراء أيتام المسلمين كتاب الله العزيز وجعل بهذه المدرسة درسا للفقهاء ووقف على ذلك داره التى بحارة بهاء الدين وغيرها ولم يزل نظر هذه المدرسة بيد ذرية الواقف الى سنة خمس عشرة وثمانمائة ثم انقرضوا وهى من المدارس المليحة وكنا نعهد البريدية اذا قدموا من الشام وغيرها لا ينزلون الا فى هذه المدرسة حتى يتهيأ سفرهم وقد بطل ذلك من سنة تسعين وسبعمائة * (قراسنقر بن عبد الله) الامير شمس الدين الجوكندار المنصورى صار الى الملك المنصور قلاون وترقى فى خدمته الى أن ولاه نيابة السلطنة بحلب فى شعبان سنة اثنتين وثمانين وستمائة عوضا عن الامير علم الدين سنجر الباشقردى فلم يزل فيها الى أن مات الملك المنصور وقام من بعده ابنه الملك الاشرف خليل بن قلاون فلما توجه الاشرف الى فتح قلعة الروم عاد بعد فتحها الى حلب وعزل قراسنقر عن نيابتها وولى عوضه الامير سيف الدين بلبان الطباخى وذلك فى أوائل شعبان سنة احدى وتسعين وكانت ولايته على حلب تسع سنين فلما خرج السلطان من مدينة حلب خرج فى خدمته وتوجه مع الامير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة بديار مصر فى عدة من الامراء لقتال أهل جبال كسروان فلما عاد سار مع السلطان من دمشق الى القاهرة ولم يزل بها الى أن ثار الامير بيدرا على الاشرف فتوجه معه وأعان على قتله فلما قتل بيدرا فر قراسنقر ولاجين فى نصف المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة واختفيا بالقاهرة الى أن استقر الامر للملك الناصر محمد بن قلاون وقام فى نيابة السلطنة وتدبير الدولة الامير زين الدين كتبغا فظهرا فى يوم عيد الفطر وكانا عند فرارهما يوم قتل بيدرا أطاعا الامير بيحاص الزينى مملوك الامير كتبغا نائب السلطنة على حالهما فأعلم استاذه بأمرهما وتلطف به حتى تحدث فى شأنهما مع السلطان فعفا عنهما ثم تحدث مع الامير بكتاش الفخرى الى أن ضمن له التحدث مع الامراء وسعى فى الصلح بينهما

وبين الامراء والمماليك حتى زالت الوحشة وظهرا من بيت الامير كتبغا فأحضرهما بين يدى السلطان وقبلا الارض وأفيضت عليهما التشاريف وجعلهما امراء على عادتهما ونزلا الى دورهما فحمل اليهما الامراء ما جرت العادة به من التقادم فلم يزل قراسنقر على امرته الى أن خلع الملك الناصر محمد بن قلاون من السلطنة وقام من بعده الملك العادل زين الدين كتبغا فاستمر على حاله الى أن ثار الامير حسام الدين لاجين نائب السلطنة بديار مصر على الملك العادل كتبغا بمنزلة العوجاء من طريق دمشق فركب معه قراسنقر وغيره من الامراء الى أن فر كتبغا واستمر الامير حسام الدين لاجين وتلقب بالملك المنصور فلما استقر بقلعة الجبل خلع على الامير قراسنقر وجعله نائب السلطنة بديار مصر فى صفر سنة ست وتسعين وستمائة فباشر النيابة الى يوم الثلاثاء النصف من ذى القعدة فقبض عليه وأحيط بموجوده وحواصله ونوابه ودواوينه بديار مصر والشام وضيق عليه واستقر فى نيابة السلطنة بعده الامير منكوتمر وعدّ السلطان من أسباب القبض عليه اسرافه فى الطمع وكثرة الحمايات وتحصيل الاموال على سائر الوجوه مع كثرة ما وقع من شكاية الناس من مماليكه ومن كاتبه شرف الدين يعقوب فانه كان قد تحكم فى بيته تحكما زائدا وعظمت نعمته وكثرت سعادته وأسرف فى اتخاذ المماليك والخدم وانهمك فى اللعب الكثير وتعدى طوره وقراسنقر لا يسمع فيه كلاما وحدثه السلطان بسببه وأغلظ فى القول وألزمه بضربه وتأديبه أو اخراجه من عنده فلم يعبأ بذلك وما زال قراسنقر فى الاعتقال الى أن قتل الملك المنصور لاجين وأعيد الملك الناصر محمد بن قلاون الى السلطنة فأفرج عنه وعن غيره من الامراء ورسم له بنيابة أصيبة فخرج اليها ثم نقل منها الى نيابة حماه بعد موت صاحبها الملك المظفر تقى الدين محمود باشارة الامير بيبرس الجاشنكير والامير سلار ثم نقل من نيابة حماه بعد ملاقاة التتر الى نيابة حلب واستقر عوضه فى نيابة حماه الامير زين الدين كتبغا الذى تولى سلطنة مصر والشام وذلك فى سنة تسع وتسعين وستمائة وشهد وقعة شقحب مع الملك الناصر محمد بن قلاون ولم يزل على نيابة حلب الى أن خلع الملك الناصر وتسلطن الملك المظفر بيبرس الجاشنكير وصاحب الناصر فى الكرك فلما تحرك لطلب الملك واستدعى نواب الممالك أجابه قراسنقر وأعانه برأيه وتدبيره ثم حضر اليه وهو بدمشق وقدم له شيأ كثيرا وسار معه الى مصر حتى جلس على تخت ملكه بقلعة الجبل فولاه نيابة دمشق عوضا عن الامير عز الدين الافرم فى شوال سنة تسع وسبعمائة وخرج اليها فسار الى غزة فى عدة من النواب وقبضوا على المظفر بيبرس الجاشنكير وسار به هو والامير سيف الدين الحاج بهادر الى الخطارة فتلقاهم الامير استدمر كرجى فتسلم منهم بيبرس وقيده وأركبه بغلا وأمر قراسنقر والحاج بهادر بالسير الى مصر فشق على قراسنقر تقييد بيبرس وتوهم الشر من الناصر وانزعج لذلك انزعاجا كثيرا وألقى كلوتته عن رأسه الى الارض وقال لفراشه الدنيا فانية يا ليتنا متنا ولا رأينا هذا اليوم فترجل من حضر من الامراء ورفعوا كلوتته ووضعوها على رأسه ورجع من فوره ومعه الحاج بهادر الى ناحية الشام وقد ندم على تشييع المظفر بيبرس فجد فى سيره الى أن عبر دمشق وفى نفس السلطان منه كونه لم يحضر مع بيبرس وكان قد أراد القبض عليه فبعث الامير نوغاى القبجاقى أميرا بالشام ليكون له عينا على الامير قراسنقر ففطن قراسنقر لذلك وشرع نوغاى يتحدث فى حق قراسنقر بما لا يليق حتى ثقل عليه مقامه فقبض عليه بأمر السلطنة وسجن بقلعة دمشق ثم ان السلطان صرفه عن نيابة دمشق وولاه نيابة حلب بسؤاله وذلك فى المحرم سنة احدى عشرة وسبعمائة وكتب السلطان الى عدة من الامراء بالقبض عليه مع الامير أرغون الدوادار فلم يتمكن من التحدث فى ذلك لكثرة ما ضبط قراسنقر أموره ولازمه عند قدومه عليه بتقليد نيابة حلب بحيث لم يتمكن أرغون من الحركة الى مكان الا وقراسنقر معه فكثر الحديث بدمشق أن أرغون انما حضر لمسك قراسنقر حتى بلغ ذلك الامراء وسمعه قراسنقر فاستدعى بالامراء وحضر الامير أرغون فقال قراسنقر بلغنى كذا وها أنا أقول ان كان حضر معك مرسوم بالقبض على فلا حاجة الى فتنة أنا طائع السلطان وهذا سيفى خذه ومد يده وحل سيفه من وسطه فقال أرغون وقد علم أن هذا الكلام مكيدة وان قراسنقر لا يمكن من نفسه انى لم أحضر الا بتقليد الامير نيابة حلب بمرسوم السلطان وسؤال الامير وحاشا الله أن السلطان يذكر فى حق الامير شيأ من هذا فقال قراسنقر غدا نركب ونسافر وانفض المجلس فبعث الى الامراء أن لا يركب أحد منهم لوداعه ولا يخرج من بيته وفرق ما عنده من الحوائص ومن الدراهم على مماليكه ليتحملوا به على

أوساطهم وأمرهم بالاحتراس وقدم غلمانه وحواشيه في الليل وركب وقت الصباح في طلب عظيم وكانت عدة مماليكه ستمائة مملوك قد جعلهم حوله ثلاث حلقات وأركب أرغون الى جانبه وسار على غير الجادة حتى قارب حلب ثم عبرها في العشرين من المحرم وأعاد أرغون بعدما انعم عليه بألف دينار وخلعة وخيل وتحف وأقام بمدينة حلب خائفا يترقب وشرع يعمل الحيلة في الخلاص وصادق العربان واختص بالامير حسام الدين مهنا أمير العرب وبابنه موسى وأقدمه الى حلب وأوقفه على كتب السلطان اليه بالقبض عليه وانه لم يفعل ذلك ولم يزل به حتى أفسد ما بينه وبين السلطان ثم انه بعث يستأذن السلطان في الحج فأعجب السلطان ذلك وظن انه بسفره يتم له التدبير عليه لما كان فيه من الاحتراز الكبير وأذن له في السفر وبعث اليه بألفي دينار مصرية فخرج من حلب ومعه أربعمائة مملوك معدة بالفرس والجنيب والهجين وسار حتى قارب الكرك فبلغه أن السلطان كتب الى النواب وأخرج عسكرا من مصر اليه فرجع من طريق السماوة الى حلب وبها الامير سيف الدين قرطاى نائب الغيبة فمنعه من العبور الى المدينة ولم يمكن أحدا من مماليك قراسنقر أن يخرج اليه وكانت مكاتبة السلطان قد قدمت عليه بذلك فرحل حينئذ الى مهنا امير العرب واستجار به فأكرمه وبعث الى السلطان يشفع فيه فلم يجد السلطان بدا من قبول شفاعة مهنا وخير قراسنقر فيما يريد ثم أخرج عسكرا من مصر والشام لقتال مهنا وأخذ قراسنقر فبلغه ذلك فاحترس على نفسه وكتب الى السلطان يسأله في صرخد وقصد بذلك المطاولة فأجابه الى ذلك ومكنه من أخذ حواصله التي بحلب وأعطى مملوكه ألف دينار فلما قدم عليه لم يطمئن وعبر الى بلاد الشرق في سنة ثنتي عشرة وسبعمائة في عدة من الامراء يريد خربندا فلما وصل الى الرحبة بعث بابنه فرج ومعه شئ من أثقاله وخيوله وأمواله الى السلطان بمصر ليعتذر من قصده خربندا ورحل بمن معه الى ماردين فتلقاه المغل وقام له نواب خربندا بالاقامات الى أن قرب الاردو فركب خربندا اليه وتلقاه واكرمه ومن معه وأنزلهم منزلا يليق بهم وأعطى قراسنقر المراغة من عمل اذربيجان وأعطى الامير جمال الدين أقوش الافرم همدان وذلك في اوائل سنة ثنتي عشرة وسبعمائة فلم يزل هنالك الى أن مات خربندا وقام من بعده أبو سعيد بركة بن خربندا فشق ذلك على السلطان وأعمل الحيلة في قتل قراسنقر والافرم وسير اليهما الفداوية فجرت بينهم خطوب كثيرة ومات قراسنقر بالاسهال ببلد المراغة في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة يوم السبت سابع عشري شوال قبل موت السلطان بيسير فلما بلغ السلطان موته في حادي عشر ذي القعدة عند ورود الخبر اليه قال ماكنت اشتهي يموت الا من تحت سيفي وأكون قد قدرت عليه وبلغت مقصودي منه وذلك انه كان قد جهز اليه عددا كثيرا من الفداوية قتل منهم بسببه مائة وعشرون فداويا بالسيف سوى من فقد ولم يوقف له على خبر وكان قراسنقر جسيما جليلا صاحب رأى وتدبير ومعرفة وبشاشة وجه وسماحة نفس وكرم زائد بحيث لا يستكثر على أحد شيأ مع حسن الشاكلة وعظم المهابة والسعادة الطائلة وبلغت عدة مماليكه ستمائة مملوك ما منهم الامن له نعمة ظاهرة وسعادة وافرة وله من الآثار بالقاهرة هذه المدرسة ودار جليلة بحارة بهاء الدين فيها كان سكنه

(المدرسة الغزنوية)

هذه المدرسة برأس الموضع المعروف بسويقة أمير الجيوش تجاه المدرسة البازكوجية بناها الامير حسام الدين قايماز النجمي مملوك نجم الدين أيوب والد الملوك وأقام بها الشيخ شهاب الدين أبو الفضل احمد بن يوسف بن علي بن محمد الغزنوي البغدادي المقرئ الفقيه الحنفي ودرس بها فعرفت به وكان اماما في الفقه وسمع على الحافظ السلفي وغيره وقرأ بنفسه وسكن مصر آخر عمره وكان فاضلا حسن الطريقة متدينا وحدث بالقاهرة بكتاب الجامع لعبد الرزاق بن همام فرواه عنه جماعة وجمع كتابا في الشيب والعمر وقرأ عليه أبو الحسن السخاوي وأبو عمرو بن الحاجب ومولده ببغداد في ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة وتوفي بالقاهرة يوم الاثنين النصف من ربيع الاول سنة تسع وتسعين وخمسمائة وهي من مدارس الحنفية

(المدرسة البوبكرية)

هذه المدرسة بجوار درب العباسي قريبا من حارة الوزيرية بالقاهرة بناها الامير سيف الدين اسنبغا بن الامير

سيف

سيف الدين بكتمر البوبكرى الناصرى ووقفها على الفقهاء الحنفية و بنى بجانبها حوض ماء للسبيل وسقاية ومكتبا للايتام وذلك فى سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة وبنى قبالتها جامعا فمات قبل اتمامه وكان يسكن دار بدر الدين الامير طرنطاى المجاورة للمدرسة الحسامية تجاه سوق الجوارى فلذلك أنشأ هذه المدرسة بهذا المكان لقربه منه ثم لما كانت سنة خمس عشرة وثمانمائة جدد بهذه المدرسة منبرا وصار يقام بها الجمعة * (اسنبغا) بن بكتمر الامير

هكذا بياض فى الاصل

(المدرسة البقرية)

هذه المدرسة فى الزقاق الذى تجاه باب الجامع الحاكمى المجاور للمنبر ويتوصل من هذا الزقاق الى ناحية العطوف بناها الرئيس شمس الدين شاكر بن غزيل تصغير غزال المعروف بابن البقرى أحد مسالمة القبط وناظر الذخيرة فى أيام الملك الناصر الحسن بن محمد بن قلاون وهو خال الوزير الصاحب سعد الدين نصر الله ابن البقرى وأصله من قرية تعرف بدار البقرا حدى قرى الغربية نشأ على دين النصارى وعرف الحساب وباشر الخراج الى أن أقدمه الامير شرف الدين بن الازكشى استادار السلطان ومشير الدولة فى ايام الناصر حسن فاسلم على يديه وخاطبه بالقاضى شمس الدين وخلع عليه واستقر به فى نظر الذخيرة السلطانية وكان نظرها حينئذ من الرتب الجليلة وأضاف اليه نظر الاوقاف والاملاك السلطانية ورتبه مستوفيا بمدرسة الناصر حسن فشكرت طريقته وحمدت سيرته وأظهر سيادة وحشمة وقرب أهل العلم من الفقهاء وتفضل بأنواع من البر وأنشأ هذه المدرسة فى أبدع قالب وأبهج ترتيب وجعل بها درسا للفقهاء الشافعية وقرر فى تدريسها شيخنا سراج الدين عمر بن على الانصارى المعروف بابن الملقن الشافعى ورتب فيها معيدا وجعل شيخه صاحبنا الشيخ كمال الدين بن موسى الدميرى الشافعى وجعل امام الصلوات بها المقرئ الفاضل زين الدين أبا بكر بن الشهاب أحمد النحوى وكان الناس يرحلون اليه فى شهر رمضان لسماع قراءته فى صلاة التراويح لشجاصوته وطيب نغمته وحسن أدائه ومعرفته بالقراآت السبع والعشر والشواذ ولم يزل ابن البقرى على حال السيادة والكرامة الى أن مرض مرض موته فأبعد عنه من يلوذ به من النصارى وأحضر الكمال الدميرى وغيره من أهل الخير فمازالوا عنده حتى مات وهو يشهد شهادة الاسلام فى سنة ست وسبعين وسبعمائة ودفن بمدرسته هذه وقبره بها تحت قبة فى غاية الحسن وولى نظر الذخيرة بعده أبو غالب ثم استجد فى هذه المدرسة منبر وأقيمت بها الجمعة فى تاسع جمادى الاولى سنة أربع وعشرين وثمانمائة باشارة علم الدين داود الكويز كاتب السر

(المدرسة القطبية)

هذه المدرسة بأول حارة زويلة مما يلى الخرنشف فى رحبة كوكاى عرفت بالست الجليلة عصمة الدين خاتون مؤنسة القطبية المعروفة بدار اقبال العلائى ابنة السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب ابن شادى وكان وقفها فى سنة خمس وستمائة وبها درس للفقهاء الشافعية وتصدير قراآت وفقهاء يقرؤن

(مدرسة ابن المغربى)

هذه المدرسة آخر درب الصقالبة فيما بين سويقة المسعودى وحارة زويلة بناها صلاح الدين يوسف بن ابن المغربى رئيس الاطباء تجاه داره ومات قبل اكمالها فدفن بعد موته فى قبة تجاه جامعه المطل على الخليج الناصرى بقرب بركة قرموط وصارت هذه المدرسة قائمة بغير اكمال الى أن هدمها بعض ذريته فى سنة أربع عشرة وثمانمائة وباع أنقاضها فصار موضعها طاحونة

(المدرسة البيدرية)

هذه المدرسة برحبة الايدمرى بالقرب من باب قصر الشوك فيما بينه وبين المشهد الحسينى بناها الامير بيدر الايدمرى

(المدرسة البديرية)

هذه المدرسة بجوار باب سر المدرسة الصالحية النجمية كان موضعها من جملة تربة القصر التي تقدم ذكرها فنبش شخص من الناس يعرف بناصر الدين محمد بن محمد بن بدر العباسي ما هنالك من قبور الخلفاء وأنشأ هذه المدرسة في سنة ثمان وخمسين وسبعمائة وعمل فيها درس فقه للفقهاء الشافعية درس فيه شيخنا شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن نصير بن رسلان البلقيني وهي مدرسة صغيرة لا يكاد يصعد اليها أحد والعباسي هذا من قرية بطرف الرمل يقال لها العباسة وله في مدينة بلبيس مدرسة وقد تلاشت بعد ما كانت عامرة مليحة

(المدرسة الملكية)

هذه المدرسة بخط المشهد الحسيني من القاهرة بناها الامير الحاج سيف الدين آل ملك الجوكندار تجاه داره وعمل فيها درسا للفقهاء الشافعية وخزانة كتب معتبرة وجعل لها عدة أوقاف وهي الى الآن من المدارس المشهورة وموضعها من جملة رحبة قصر الشوك وقد تقدم ذكرها عند ذكر الرحاب من هذا الكتاب ثم صار موضع هذه المدرسة دارا تعرف بدار ابن كرمون صهر الملك الصالح

(المدرسة الجمالية)

هذه المدرسة بجوار درب راشد من القاهرة على باب الزقاق المعروف قديما بدرب سيف الدولة نادر بناها الامير الوزير علاء الدين مغلطاي الجمالي وجعلها مدرسة للحنفية وخانقاه للصوفية وولي تدريسها ومشيخة التصوف بها الشيخ علاء الدين علي بن عثمان التركماني الحنفي وتداولها ابنه قاضي القضاة جمال الدين عبد الله التركماني الحنفي وابنه قاضي القضاة صدر الدين محمد بن عبد الله بن علي التركماني الحنفي ثم قريبهم حميد الدين حماد وهي الآن بيد ابن حميد الدين المذكور وكان شأن هذه المدرسة كبيرا يسكنها أكابر فقهاء الحنفية وتعد من أجل مدارس القاهرة ولها عدة أوقاف بالقاهرة وظواهرها وفي البلاد الشامية وقد تلاشى أمر هذه المدرسة لسوء ولاة أمرها وتخريبهم أوقافها وتعطل منها حضور الدرس والتصوف وصارت منزلا يسكنه اخلاط ممن ينسب الى اسم الفقه وقرب الخراب منها وكان بناؤها في سنة ثلاثين وسبعمائة *(مغلطاي) ابن عبد الله الجمالي الامير علاء الدين عرف بخرز وهي بالتركية عبارة عن الديك بالعربية اشتراه الملك الناصر محمد بن قلاون ونقله وهو شاب من الجامكية الى الامرة على اقطاع الامير صارم الدين ابراهيم الابراهيمي نقيب المماليك السلطانية المعروف بزير الامرة في صفر سنة ثمان عشرة وسبعمائة وصار السلطان ينتدبه في التوجه الى المهمات الخاصة به ويطلعه على سره ثم بعثه أمير الركب الى الحجاز في هذه السنة فقبض على الشريف أسد الدين رميثة بن أبي نمي صاحب مكة وأحضره الى قلعة الجبل في ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة وسبعمائة مع الركب فأنكر عليه السلطان سرعة دخوله لما أصاب الحاج من المشقة في الاسراع بهم ثم انه جعل استادار السلطان لما قبض على القاضي كريم الدين عبد الكريم بن المعلم هبة الله ناظر الخواص عند وصوله من دمشق بعد سفره اليها لاحضار شمس الدين غبريال فيوم حضر خلع عليه وجعل استادارا عوضا عن الامير سيف الدين بكتمر العلائي وذلك في جمادى الاولى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ثم أضاف اليه الوزارة وخلع عليه في يوم الخميس ثامن رمضان سنة أربع وعشرين عوضا عن الصاحب أمين الملك عبد الله ابن الغنام بعد ما استعفى من الوزارة واعتذر بأنه رجل غتمي فلم يعفه السلطان وقال أنا اخلي من يباشر معك ويعرفك ما تعمل وطلب شمس الدين غبريال ناظر دمشق منها وجعله ناظر الدولة رفيقا للوزير الجمالي فرفعت قصة الى السلطان وهو في القصر من القلعة فيها الحط على السلطان بسبب تولية الجمالي الوزارة والماس حاجبا وانه بسبب ذلك اضاع أوضاع المملكة وأهانها وفرط في اموال المسلمين والجيش وان هذا لم يفعله أحد من الملوك فقد وليت الحجابة لمن لا يعرف يحكم ولا يتكلم بالعربي ولا يعرف الاحكام الشرعية ووليت الوزارة والاستادارية لشاب لا يعرف يكتب اسمه ولا يعرف ما يقال له ولا يتصرف في امور المملكة ولا في الاموال الديوانية الا أرباب الاقلام فانهم يأكلون المال ويحيلون على الوزير فلما وقف السلطان عليها أوقف عليها القاضي فخر الدين محمد بن فضل الله المعروف بالفخر ناظر الجيش فقال هذه ورقة الكتاب البطالين ممن انقطع

رزقه وكثر حسده وقرّر مع السلطان أن يلزم الوزير ناظر الدولة وناظر الخواص باحضار اوراق فى كل يوم تشتمل على اصل الحاصل وما حمل فى ذلك اليوم من البلاد والجهات وما صرف وأنه لا يصرف لاحد شئ البتة الا بأمر السلطان وعلمه فلما حضر الوزير الجمالى انكر عليه السلطان وقال له ان الدواوين تلعب بك وأمر فأحضر التاج اسحاق وغبريال ومجد الدين بن لعيبة وقرّر معهم أن يحضروا آخر كل يوم أوراقا بالحاصل والمصروف وقد فصلت بأسماء ما يحتاج الى صرفه والى شرائه وبيعه فصاروا يحضرون كل يوم الاوراق الى السلطان وتقرأ عليه فيصرف ما يختار ويوقف ما يريد ورسم أيضا أن مال الجيزة كله يحمل الى السلطان ولا يصرف منه شئ ثم لما كانت الفتنة بثغر الاسكندرية بين أهلها وبين الفرنج وغضب السلطان على أهل الاسكندرية بعث بالجمالى اليها فسار من القاهرة فى اثناء رجب سنة سبع وعشرين وسبعمائة ودخل اليها فجلس بالخمس واستدعى بوجوه أهل البلد وقبض على كثير من العامّة ووسط بعضهم وقطع ايدى جماعة وأرجلهم وصادر أرباب الاموال حتى لم يدع أحدا له ثروة حتى ألزمه بمال كثير فباع الناس حتى ثياب نسائهم فى هذه المصادرة وأخذ من التجار شيأ كثيرا مع ترفقه بالناس فيما يرد عليه من الكتب بسفك الدماء وأخذ الاموال ثم أحضر العدد التى كانت بالثغر مرصدة برسم الجهاد فبلغت ستة آلاف عدّة ووضعها فى حاصل وختم عليه وخرج من الاسكندرية بعد عشرين يوما وقد سفك دماء كثيرة وأخذ منها مائتى ألف دينار للسلطان وعاد الى القاهرة فلم يزل على حاله الى أن صرف عن الوزارة فى يوم الاحد ثانى شوّال سنة ثمان وعشرين ورسم أن توفر وظيفة الوزارة من ولاية وزير فلم يستقرّ أحد فى الوزارة وبقى الجمالى على وظيفة الاستادارية وكان سبب عزله عن الوزارة توقف حال الدولة وقلة الواصل اليها فعمل عليه الفخر ناظر الجيش والتاج اسحاق بسبب تقديمه لمجد بن لعيبة فانه كان قد استقرّ فى نظر الدولة والصحبة والبيوت وتحكم فى الوزير وتسلم قياده فكتبت مرافعات فى الوزير وأنه أخذ مالا كثيرا من مال الجيزة فخرج الامير أيتمش الجدى بالكشف عليه وهمّ السلطان بايقاع الحوطة به فقام فى حقه الامير بكتمر الساقى حتى عفى عنه وقبض على كثير من الدواوين ثم انه سافر الى الحجاز فلما عاد توفى بسطح عقبة ايلة فى يوم الاحد سابع عشر المحرّم سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة فصبر وحمل الى القاهرة ودفن بهذه الخانقاه فى يوم الخميس حادى عشرى المحرّم المذكور بعد ما صلى عليه بالجامع الحاكمى وولى السلطان بعده الاستادارية الامير أقبغا عبد الواحد وكان ينوب عن الجمالى فى الاستادارية الطنقش مملوك الافرم نقله اليها من ولاية الشرقية وكان الجمالى حسن الطباع يميل الى الخير مع كثرة الحشمة ومما شكر عليه فى وزارته انه لم يخل على أحد بولاية مباشرة وأنشأ ناسا كثيرا وقصد من سائر الاعمال وكان يقبل الهدايا ويحب التقادم فخلت له الدنيا وجمع منها شيأ كثيرا وكان اذا أخذ من أحد شيأ على ولاية لا يعزله حتى يعرف انه قد اكتسب قدر ما وزنه له ولو أكثر عليه فى السعى فاذا عرف انه أخذ ما غرمه عزله وولى غيره ولم يعرف عنه انه صادر أحدا ولا اختلس مالا وكانت أيامه قليلة الشر الا انه كان يعزل ويولى بالمال فتزايد الناس فى المناصب وكان له عقب بالقاهرة غير صالحين ولا مصلحين

(المدرسة الفارسية)

هذه المدرسة بخط الفهادين من أوّل العطوفية بالقاهرة كان موضعها كنيسة تعرف بكنيسة الفهادين فلما كانت واقعة النصارى فى سنة ست وخمسين وسبعمائة هدمها الامير فارس الدين البكى قريب الامير سيف الدين آل ملك الجوكندار وبنى هذه المدرسة ووقف عليها وقفا يقوم بما تحتاج اليه

(المدرسة السابقية)

هذه المدرسة داخل قصر الخلفاء الفاطميين من جملة القصر الكبير الشرقى الذى كان داخل دار الخلافة ويتوصل الى هذه المدرسة الآن من تجاه حمام البيسرى بخط بين القصرين وكان يتوصل اليها أيضا من باب القصر المعروف بباب الريح من خط الركن المخلق وموضعه الآن قيسارية الامير جمال الدين يوسف الاستادار بنى هذه المدرسة الطواشى الامير سابق الدين مثقال الانوكى مقدّم المماليك السلطانية الاشرفية وجعل بها درسا للفقهاء الشافعية قرّر فى تدريسه شيخنا شيخ الشيوخ سراج الدين عمر بن على الانصارى المعروف بابن

الملقن الشافعي وجعل فيها تصدير قرآات وخزانة كتب وكتابا يقرأ فيه ايتام المسلمين وبني بينها وبين داره التي تعرف بقصر سابق الدين حوض ماء للسبيل هدمه الامير جمال الدين يوسف الاستادار لما بني داره المجاورة لهذه المدرسة وولى سابق الدين تقدمة المماليك بعد الطواشي شرف الدين مختصر الطغتمري في صفر سنة ثلاث وستين وسبعمائة ثم تنكر عليه الامير يلبغا الخاصكي القائم بدولة الملك الاشرف شعبان بن حسين وضربه ستمائة عصا وسجنه ونفاه الى اسوان في آخر شهر ربيع الاول سنة ثمان وستين فلم يكن غير قليل حتى قتل الامير يلبغا فاستدعى الاشرف سابق الدين من قوص وصرف ظهير الدين مختار المعروف بشاذروان عن التقدمة وأعاده اليها فاستمر الى أن مات سنة ست وسبعين وسبعمائة

(المدرسة القيسرانية)

هذه المدرسة بجوار المدرسة الصاحبية بسويقة الصاحب فيما بينها وبين باب الخوخة كانت دارا يسكنها القاضي الرئيس شمس الدين محمد بن ابراهيم القيسراني أحد موقعي الدست بالقاهرة فوقفها قبل موته مدرسة وذلك في ربيع الاول سنة احدى وخمسين وسبعمائة وتوفي في سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة وكان حشما كبير الهمة سعى بالامير سيف الدين بهادر الدمرداشي في كتابة السر بالقاهرة مكان علاء الدين علي بن فضل الله العمري فلم يتم ذلك ومات الامير بهادر فانحط جانبه وكانت دنياه واسعة جدا وله عدة مماليك يتوصل بهم الى السعي في اغراضه عند أمراء الدولة وكان ينسب الى شح كبير

(المدرسة الزمامية)

هذه المدرسة بخط رأس البندقانيين من القاهرة فيما بين البندقانيين وسويقة الصاحب بناها الامير الطواشي زين الدين مقبل الرومي زمام الآدر الشريفة للسلطان الظاهر برقوق في سنة سبع وتسعين وسبعمائة وجعل بها درسا وصوفية ومنبرا يخطب عليه في كل جمعة وبينها وبين المدرسة الصاحبية دون مدى الصوت فيسمع كل من صلى بالموضعين تكبير الآخر وهذا وأنظاره بالقاهرة من شنيع ما حدث في غير موضع ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم على ازالة هذه المبتدعات

(المدرسة الصغيرة)

هذه المدرسة فيما بين البندقانيين وطواحين الملحيين ويعرف خطها ببيت محب الدين ناظر الجيوش ويعرف أيضا بخط بين العواميد بنتها الست أيدكين زوجة الامير سيف الدين بكتا الناصري في سنة احدى وخمسين وسبعمائة

(مدرسة تربة ام الصالح)

هذه المدرسة بجوار المدرسة الاشرفية بالقرب من المشهد النفيسي فيما بين القاهرة ومصر موضعها من جملة ما كان بستانا أنشأها الملك المنصور قلاون على يد الامير علم الدين سنجر الشجاعي في سنة اثنتين وثمانين وستمائة برسم أم الملك الصالح علاء الدين علي بن الملك المنصور قلاون فلما كمل بناؤها نزل اليها الملك المنصور ومعه ابنه الصالح علي وتصدق عند قبرها بمال جزيل ورتب لها وقفا حسنا على قرّاء وفقهاء وغير ذلك وكانت وفاتها في سادس عشر شوال سنة ثلاث وثمانين وستمائة

(مدرسة ابن عرّام)

هذه المدرسة بجوار جامع الامير حسين بحكر جوهر النوبي من بر الخليج الغربي خارج القاهرة أنشأها الامير صلاح الدين خليل بن عرّام وكان من فضلاء الناس تولى نيابة الاسكندرية وكتب تاريخا وشارك في علوم فلما قتل الامير بركة بسجن الاسكندرية ثارت مماليكه على الامير الكبير برقوق حنقا لقتله فانكر الامير برقوق قتله وبعث الامير يونس النوروزي دواداره لكشف ذلك فنبش عنه قبره فاذا فيه ضربات عدة احداها في رأسه فاتهم ابن عرّام بقتله من غير اذن له في ذلك فأخرج بركة من قبره وكان بثيابه من غير غسل ولا كفن وغسله وكفنه وأحضر ابن عرّام معه فسجن بخزانة شمائل داخل باب زويلة من القاهرة ثم عصر وأخرج يوم الخميس خامس عشر رجب سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة من خزانة شمائل وأمر به فسمر عريان بعد ما ضرب عند باب القلة

بالمقارع ستة وثمانين بحضرة الامير قطلودمر الخازندار والامير ماهور حاجب الحجاب فلما أنزل من القلعة وهو مسمر على الجمل أنشد

لك قلبي تحله فدمي لم تحله
لك من قلبي المكا ن فلم لا تحله
قال ان كنت مالكا فلي الامر كله

وما هو الا أن وقف بسوق الخيل تحت القلعة واذا بمماليك بركة قد أكبت عليه تضربه بسيوفها حتى تقطع قطعا وحز رأسه وعلق على باب زويلة وتلاعبت ايديهم فأخذوا احد أذنه وأخذوا احد رجله واشترى آخر قطعة من لحمه ولاكها ثم جمع ماوجد منه ودفن بمدرسته هذه فقال فى ذلك صاحبنا الاديب شهاب الدين أحمد بن العطار

بدت أجزاء عزام خليل * مقطعة من الضرب الثقيل
وأبدت أبحر الشعر المراثى * محررة بتقطيع الخليل

(المدرسة المحمودية)

هذه المدرسة بخط الموازنيين خارج باب زويلة تجاه دار القردمية يشبه أن موضعها كان فى القديم من جملة الحارة التى كانت تعرف بالمنصورية أنشأها الامير جمال الدين محمود بن على الاستادار فى سنة سبع وتسعين وسبعمائة ورتب بها درسا وعمل فيها خزانة كتب لا يعرف اليوم بديار مصر ولا الشام مثلها وهى باقية الى اليوم لا يخرج لاحد منها كتاب الا أن يكون فى المدرسة وبهذه الخزانة كتب الاسلام من كل فن وهذه المدرسة من أحسن مدارس مصر *(محمود) بن على بن اصفر عينه الامير جمال الدين الاستادار ولى شد باب رشيد بالاسكندرية مدة وكانت واقعة الفرنج بها فى سنة سبع وستين وسبعمائة وهو مشد فيقال ان ماله الذى وجد له حصله يومئذ ثم انه سار الى القاهرة فلما كانت ايام الظاهر برقوق خدم أستادارا عند الامير سودون باق ثم استقر شاد الدواوين الى أن مات الامير بهادر المنجكى أستادار السلطان فاستقر عوضا عنه فى وظيفة الاستادارية يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة سنة تسعين وسبعمائة ثم خلع عليه فى يوم الخميس خامسه واستقر مشير الدولة فصار يتحدث فى دواوين السلطنة الثلاثة وهى الديوان المفرد الذى يتحدث فيه الاستادار وديوان الوزارة ويعرف بالدولة وديوان الخاص المتعلق بنظر الخواص وعظم امره ونفذت كلمته لتصرفه فى سائر أمور المملكة فلما زالت دولة الملك الظاهر برقوق بحضور الامير يلبغا الناصرى نائب حلب فى يوم الاثنين خامس جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين وسبعمائة بعساكر الشام الى القاهرة واختفى الظاهر ثم امسكه هرب هو وولده فنهبت دوره ثم انه ظهر من الاستتار فى يوم الخميس ثامن جمادى الآخرة وقدم للامير يلبغا الناصرى مالا كثيرا فقبض عليه وقيده وسجنه بقلعة الجبل وأقيم بدله فى الاستادارية الامير علاء الدين اقبغا الجوهرى فلما زالت دولة يلبغا الناصرى بقيام الامير منطاش عليه قبض على اقبغا الجوهرى فيمن قبض عليه من الامراء وأفرج عن الامير محمود فى يوم الاثنين ثامن شهر رمضان وألبسه قباء مطرزا بذهب وأنزله الى داره ثم قبض عليه وسجن بخزانة الخاص فى يوم الاحد سادس عشر ذى الحجة فى عدة من الامراء والمماليك عند عزم منطاش على السفر لحرب برقوق عند خروجه من الكرك ومسيره الى دمشق فكانت جملة ما حمله الامير محمود من الذهب العين للامير يلبغا الناصرى وللامير منطاش ثمانية وخمسين قنطارا من الذهب المصرى منها ثمانية عشر قنطارا فى ليلة واحدة فلم يزل فى الاعتقال الى أن خرج المماليك مع الامير بوطا فى ليلة الخميس ثانى صفر سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة فخرج معهم وأقام بمنزله الى أن عاد الملك الظاهر برقوق الى المملكة فى رابع عشر صفر فخلع عليه واستقر أستادار السلطان على عادته فى يوم الاثنين تاسع عشرى جمادى الاولى من السنة المذكورة عوضا عن الامير قرقماس الطشتمرى بعد وفاته ثم خلع على ولده الامير ناصر الدين محمد بن محمود فى يوم الخميس ثانى عشرى صفر سنة أربع وتسعين وسبعمائة واستقر نائب السلطنة بثغر الاسكندرية عوضا عن الامير ألطنبغا المعلم فقويت حرمة الامير محمود ونفذت كلمته الى يوم الاثنين حادى عشر رجب من السنة المذكورة فثار عليه المماليك السلطانية بسبب تأخر كسوتهم ورموه من أعلى القلعة بالحجارة

وأحاطوا به وضربوه يريدون قتله لولا أن الله أغاثه بوصول الخبر الى الامير الكبير ايتمش وكان يسكن قريبا من القلعة فركب بنفسه وساق حتى أدركه وفرق عنه المماليك وسار به الى منزله حتى سكنت الفتنة ثم شيعه الى داره فكانت هذه الواقعة مبدأ انحلال أمره فان السلطان صرفه عن الاستادارية وولى الامير الوزير ركن الدين عمر بن قايماز فى يوم الخميس رابع عشره وخلع على الامير محمود قباء بطرز ذهب واستقر على امرته ثم صرف ابن قايماز عن الاستادارية وأعيد محمود فى يوم الاثنين خامس عشر رمضان وأنعم على ابن قايماز بامرة طبلخاناه فجدد بثغر الاسكندرية دار ضرب عمل فيها فلوس ناقصة الوزن ومن حينئذ اختل حال الفلوس بديار مصر ثم لما خرج الملك الظاهر الى البلاد الشامية فى سنة ست وتسعين سار فى ركابه ثم حضر الى القاهرة فى يوم الاربعاء سابع صفر سنة سبع وتسعين وسبعمائة قبل حضور السلطان وكان دخوله يوما مشهودا فلما عاد السلطان الى قلعة الجبل حدث منه تغير على الامير محمود فى يوم السبت ثالث عشرى ربيع الاول وهم بالايقاع به فلما صار الى داره بعث اليه الامير علاء الدين على بن الطبلاوى يطلب منه خمسمائة ألف دينار وان توقف يحيط به ويضرب بالمقارع فنزل اليه وقرر الحال على مائة وخمسين ألف دينار فطلع على العادة الى القلعة فى يوم الاثنين خامس عشريه فسبه المماليك السلطانية ورجموه ثم ان السلطان غضب عليه وضربه فى يوم الاثنين ثالث ربيع الآخر بسبب تأخر النفقة وأخذ أمره يتحلل فولى السلطان الامير صلاح الدين محمد ابن الامير ناصر الدين محمد بن الامير تنكز أستادارية الاملاك السلطانية فى يوم الاثنين خامس رجب وولى علاء الدين على بن الطبلاوى فى رمضان التحدث فى دار الضرب بالقاهرة والاسكندرية والتحدث فى المتجر السلطانى فوقع بينه وبين الامير محمود كلام كثير ورافعه ابن الطبلاوى بحضرة السلطان وخرج عليه من دار الضرب ستة آلاف درهم فضة فألزم السلطان محمودا بحمل مائة وخمسين ألف دينار فحملها وخلع عليه عند تكملة حملها فى يوم الاحد تاسع عشرى رمضان وخلع أيضا على ولده الامير ناصر الدين وعلى كاتبه سعد الدين ابراهيم بن غراب الاسكندرانى وعلى الامير علاء الدين على بن الطبلاوى ثم ان محمودا وعك بدنه فنزل اليه السلطان فى يوم الاثنين ثالث عشر ذى القعدة يعوده فقدم له عدة تقادم قبل بعضها ورد بعضها وتحدث الناس أنه استقلها فلما كان يوم السبت سادس صفر سنة ثمان وتسعين بعث السلطان الى الامير محمود الطواشى شاهين الحسنى فأخذ زوجته وكاتبه سعد الدين ابراهيم بن غراب وأخذ مالا وقماشا على حمالين وصار بهما الى القلعة هذا ومحمود مريض لازم الفراش ثم عاد من يومه وأخذ الامير ناصر الدين محمد بن محمود وحمله الى القلعة ثم نزل ابن غراب ومعه الامير الى باى الخازندار فى يوم الاحد سابعه وأخذا من ذخيرة بدار محمود خمسين ألف دينار وفى يوم الخميس حادى عشره صرف محمود عن الاستادارية واستقر عوضه الامير سيف الدين قطلوبك العلائى أستادار الامير الكبير ايتمش وقرر سعد الدين بن غراب ناظر الديوان المفرد فاجتمع مع ابن الطبلاوى على عداوة محمود والسعى فى اهلاكه وسلم ابن محمود الى ابن الطبلاوى فى تاسع عشر ربيع الاول ليستخلص منه مائة ألف دينار ونزل الطواشى صندل المنجكى والطواشى شاهين الحسنى فى ثالث عشريه ومعهما ابن الطبلاوى فأخذا من خربة خلف مدرسة محمود زيرين كبيرين وخمسة أزيار صغارا وجدفيها ألف ألف درهم فضة فحملت الى القلعة ووجد أيضا بهذه الخربة جرتان فى أحداهما ستة آلاف دينار وفى الاخرى أربعة آلاف درهم فضة وخمسمائة درهم وقبض على مباشرى محمود ومباشرى ولده وعوقب محمود ثم أوقعت الحوطة على موجود محمود فى يوم الخميس سابع جمادى الاولى ورسم عليه ابن الطبلاوى فى داره وأخذ مماليكه واتباعه ولم يدع عنده غير ثلاث مماليك صغار وظهرت أموال لمحمود شيأ بعد شئ ثم سلم الى الامير فرج شاد الدواوين فى خامس جمادى الآخرة فنقله الى داره وعاقبه وعصره فى ليلته ثم نقل فى شعبان الى دار ابن الطبلاوى فضربه وسعطه وعصره فلم يعترف بشئ وحكى عنه انه قال لو عرفت أنى أعاقب ما اعترفت بشئ من المال وظهر منه فى هذه المحنة ثبات وجلد وصبر مع قوة نفس وعدم خضوع حتى انه كان يسب ابن الطبلاوى اذا دخل اليه ولا يرفع له قدرا ثم ان السلطان استدعاه الى ما بين يديه يوم السبت أول صفر سنة تسع وتسعين وحضر سعد الدين بن غراب فشافهه بكل سوء ورافعه فى وجهه حتى استغضب السلطان على محمود وأمر بمعاقبته حتى يموت فأنزل الى بيت الامير حسام الدين حسين ابن أخت الفرس شاد الدواوين وكان أستادار محمود فلم يزل عنده فى العقوبة الى أن نقل من داره الى خزانة

شمائل

شمائل فى ليلة الجمعة ثالث جمادى الاولى وهو مريض فمات بها فى ليلة الاحد تاسع رجب سنة تسع وتسعين وسبعمائة ودفن من الغد بمدرسته وقد أناف على الستين سنة وكان كثير الصلاة والعبادة مواظبا على قيام الليل الا انه كان شحيحا مسيكا شرها فى الاموال رمى الناس منه فى رماية البضائع بدواه اذا نسبت الى ما حدث من بعده كانت عافية ونعمة وأكثر من ضرب الفلوس بديار مصر حتى فسد بكثرتها حال اقليم مصر وكان جملة ما حل من ماله بعد نكبته هذه مائة قنطار ذهبا وأربعين قنطارا عنها ألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار عينا وألف ألف درهم فضة وأخذ له من البضائع والغلال والقنود والاعسال ما قيمته ألف ألف درهم وأكثر

(المدرسة المهذبية)

هذه المدرسة بحارة حلب خارج القاهرة عند حمام قارى بناها الحكيم مهذب الدين محمد بن أبى الوحش المعروف بابن أبى حليقة تصغير حلقة رئيس الاطباء بديار مصر ولى رياسة الاطباء فى حادى عشر رمضان سنة أربع وثمانين وستمائة واستقر مدرس الطب بالمارستان المنصورى

(المدرسة السعدية)

هذه المدرسة خارج القاهرة بقرب حدرة البقر على الشارع المسلوك فيه من حوض ابن هنس الى الصليبة وهى فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل كان موضعها يعرف بخط بستان سيف الاسلام وهى الآن فى ظهر بيت قوصون المقابل لباب السلسلة من قلعة الجبل بناها الامير شمس الدين سنقر السعدى نقيب المماليك السلطانية فى سنة خمس عشرة وسبعمائة وبنى بها أيضا رباطا للنساء وكان شديد الرغبة فى العمائر محبا للزراعة كثير المال ظاهر الغنى وهو الذى عمر القرية التى تعرف اليوم بالنحريرية من أعمال الغربية وكانت اقطاعه ثم انه أخرج من مصر بسبب نزاع وقع بينه وبين الامير قوصون فى أرض أخذها منه فسار الى طرابلس وبها مات فى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة

(المدرسة الطقجية)

هذه المدرسة بخط حدرة البقر أيضا أنشأها الامير سيف الدين طقجى الاشرفى ولها وقف جيد (طقجى) الامير سيف الدين كان من جملة مماليك الملك الاشرف خليل بن قلاون ترقى فى خدمته حتى صار من جملة أمراء ديار مصر فلما قتل الملك الاشرف قام طقجى فى المماليك الاشرفية وحارب الامير بيدرا المتولى لقتل الاشرف حتى أخذه وقتله فلما أقيم الملك الناصر محمد بن قلاون فى المملكة بعد قتل بيدرا صار طقجى من أكابر الامراء واستمر على ذلك بعد خلع الملك الناصر بكتبغا مدة أيامه الى أن خلع الملك العادل كتبغا وقام فى سلطنة مصر الملك المنصور لاجين وولى مملوكه الامير سيف الدين منكوتمر نيابة السلطنة بديار مصر فأخذ يواحش امراء الدولة بسوء تصرفه واتفق أن طقجى حج فى سنة سبع وتسعين وستمائة فقرر منكوتمر مع المنصور انه اذا قدم من الحج يخرجه الى طرابلس ويقبض على أخيه الامير سيف الدين كرجى فعندما قدم طقجى من الحجاز فى صفر سنة ثمان وتسعين وستمائة رسم له بنيابة طرابلس فثقل عليه ذلك وسعى بأخوته الاشرفية حتى اعفاه السلطان من السفر فسخط منكوتمر وأبى الا سفر طقجى وبعث اليه يلزمه بالسفر وكان لاجين منقادا لمنكوتمر لا يخالفه فى شئ فتواعد طقجى وكرجى مع جماعة من المماليك وقتلوا لاجين وتولى قتله كرجى وخرج فاذا طقجى فى انتظاره على باب القلة من قلعة الجبل فسر بذلك وأمر باحضار من بالقلعة من الامراء وكانوا حينئذ يبيتون بالقلعة دائما وقتل منكوتمر فى تلك الليلة وعزم على أنه يتسلطن ويقيم كرجى فى نيابة السلطنة فخذله الامراء وكان الامير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح قد خرج فى غزاة وقرب حضوره فاستمهلوه بما يريد الى أن يحضر فأخر سلطنته وبقى الامراء فى كل يوم يحضرون معه فى باب القلة ويجلس فى مجلس النيابة والامراء عن يمينه وشماله ويمد سماط السلطان بين يديه فلما حضر أمير سلاح بمن معه من الامراء نزل طقجى والامراء الى لقائهم بعد ما امتنع امتناعا كثيرا وترك كرجى يحفظ القلعة بمن معه من المماليك الاشرفية وقد نوى طقجى الشر للامراء الذين قد خرج الى لقائهم وعرف ذلك الامراء المقيمون عنده فى القلعة فاستعدوا له وسار هو والامراء الى أن لقوا الامير بكتاش

ومعه من الاشرفية أربعمائة فارس تحفظه حتى يعود من اللقاء الى القلعة فعندما وافاه بقبة النصر وتعانقا أعلمه بقتل السلطان فشق عليه وللوقت جرّد الامراء سيوفهم وارتفعت الضجة فساق طغجي من الحلقة والامراء وراءه الى أن أدركه قراقوش الظاهري وضربه بسيف ألقاه عن فرسه الى الارض ميتا ففرّ كرجي ثم أخذ وقتل وحمل طغجي فى مزبلة من مزابل الحامات على حمار الى مدرسته هذه فدفن بها وقبره هنالك الى اليوم وكان قتله فى يوم الخميس سادس عشر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين وستمائة بعد خمسة أيام من قتل لاجين ومنكوتمر

(المدرسة الجاولية)

هذه المدرسة بجوار الكبش فيما بين القاهرة ومصر أنشأها الامير علم الدين سنجر الجاولي فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وعمل بها درسا وصوفية ولها الى هذه الايام عدة أوقاف (سنجر) بن عبد الله الامير علم الدين الجاولي كان مملوك جاولي أحد أمراء الملك الظاهر بيبرس وانتقل بعد موت الامير جاولي الى بيت قلاون وخرج فى أيام الاشرف خليل بن قلاون الى الكرك واستقر فى جملة البحرية بها الى أيام العادل كتبغا فحضر من عند نائب الكرك ومعه حوائجخاناه فرفعه كتبغا وأقامه على الحوشخاناه السلطانية وصحب الامير سلار وواخاه فتقدم فى الخدمة وبقي أستادارا صغيرا فى أيام بيبرس وسلار فصار يدخل على السلطان الملك الناصر ويخرج ويراعى مصالحه فى أمر الطعام ويتقرب اليه فلما حضر من الكرك جهزه الى غزة نائبا فى جمادى الاولى سنة احدى عشرة وسبعمائة عوضا عن الامير سيف الدين قطلو أقتمر عبد الخالق بعد امساكه وأضاف اليه مع غزة الساحل والقدس وبلد الخليل وجبل نابلس وأعطاه اقطاعا كبيرا بحيث كان للواحد من مماليكه اقطاع يعمل عشرين ألفا وخمسة وعشرين ألفا وعمل نيابة غزة على القالب الجائر الى أن وقعت بينه وبين الامير تنكز نائب الشام بسبب دار كانت له تجاه جامع تنكز خارج دمشق من شمالها أراد تنكز أن يبتاعها منه فأبى عليه فكتب فيه الى الملك الناصر محمد بن قلاون فأمسكه فى ثامن عشرى شعبان سنة عشرين وسبعمائة واعتقله نحوا من ثمان سنين ثم أفرج عنه فى سنة تسع وعشرين وأعطاه امرة أربعين ثم بعد مدة أعطاه امرة مائة وقدمه على ألف وجعله من أمراء المشورة فلم يزل على هذا الى أن مات الملك الناصر فتولى غسله ودفنه فلما ولى الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاون سلطنة مصر أخرجه الى نيابة حماه فأقام بها مدة ثلاثة أشهر ثم نقله الى نيابة غزة فحضر اليها وأقام بها نحو ثلاثة اشهر أيضا ثم أحضره الى القاهرة وقرره على ما كان عليه وولى نظر المارستان بعد نائب الكرك عندما أخرج الى نيابة طرابلس ثم توجه لحصار الناصر أحمد بن محمد بن قلاون وهو ممتنع فى الكرك فأشرف عليه فى بعض الايام الناصر أحمد من قلعة الكرك وسبه وشتمه فقال له الجاولي نعم أنا شيخ نحس ولكن الساعة ترى حالك مع الشيخ النحس ونقل المنجنيق الى مكان يعرفه ورمى به فلم يخط القلعة وهدم منها جانبا وطلع بالعسكر وأمسك أحمد وذبحه صبرا وبعث برأسه الى الصالح اسماعيل وعاد الى مصر فلم يزل على حاله الى أن مات فى منزله بالكبش يوم الخميس تاسع رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة ودفن بمدرسته وكانت جنازته حافلة الى الغاية قد سمع الحديث وروى وصنف شرحا كبيرا على مسند الشافعي رحمه الله وأفتى فى آخر عمره على مذهب الشافعي وكتب خطه على فتاوى عديدة وكان خبيرا بالامور عارفا بسياسة الملك كفوا لما وليه من النيابات وغيرها لا يزال يذكر أصحابه فى غيبتهم عنه ويكرمهم اذا حضروا عنده وانتفع به جماعة من الكتاب والعلماء والاكابر وله من الآثار الجليلة الفاضلة جامع بمدينة غزة فى غاية الحسن وله بها أيضا حمام مليح ومدرسة للفقهاء الشافعية وخان للسبيل وهو الذى مدّن غزة وبنى بها أيضا مارستانا ووقف عليه عن الملك الناصر أوقافا جليلة وجعل نظره لنوّاب غزة وعمر بها أيضا الميدان والقصر وبنى بلد الخليل عليه السلام جامعا سقفه منه حجر نقر وعمل الخان العظيم بقاقون والخان بقرية الكثيب والقناطر بغابة أرسوف وخان رسلان فى حمراء بيسان ودارا بالقرب من باب النصر داخل القاهرة ودارا بجوار مدرسته على الكبش وسائر عمائره ظريفة أنيقة محكمة متقنة مليحة وكان ينتمي الى الامير سلار ويجل ذكره

(المدرسة الفارقانية)

هذه

هذه المدرسة خارج باب زويلة من القاهرة فيما بين حدرة البقر وصليبة جامع ابن طولون وهي الآن بجوار حمام الفارقاني تجاه البندقدارية بناها والحمام المجاور لها الامير ركن الدين بيبرس الفارقاني وهو غير الفارقاني المنسوب اليه المدرسة الفارقانية بحارة الوزيرية من القاهرة

(المدرسة البشيرية)

هذه المدرسة خارج القاهرة بحكر الخازن المطل على بركة الفيل كان موضعها مسجدا يعرف بمسجد سنقر السعدي الذي بنى المدرسة السعدية فهدمه الامير الطواشي سعد الدين بشير الجدار الناصري وبنى موضعه هذه المدرسة في سنة احدى وستين وسبعمائة وجعل بها خزانة كتب وهي من المدارس اللطيفة

(المدرسة المهمندارية)

هذه المدرسة خارج باب زويلة فيما بين جامع الصالح وقلعة الجبل يعرف خطها اليوم بخط جامع المارداني خارج الدرب الاحمر وهي تجاه مصلى الاموات على يمنة من سلك من الدرب الاحمر طالبا جامع المارداني ولها باب آخر في حارة اليانسية بناها الامير شهاب الدين أحمد بن اقوش العزيزي المهمندار ونقيب الجيوش في سنة خمس وعشرين وسبعمائة وجعلها مدرسة وخانقاه وجعل طلبة درسها من الفقهاء الحنفية وبنى الى جانبها القيسارية والربع الموجودين الآن

(مدرسة الجاي)

هذه المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل كان موضعها وما حولها مقبرة ويعرف الآن خطها بخط سويقة العزى أنشأها الامير الكبير سيف الدين الجاي في سنة ثمان وستين وسبعمائة وجعل بها درسا للفقهاء الشافعية ودرسا للفقهاء الحنفية وخزانة كتب وأقام بها منبرا يخطب عليه يوم الجمعة وهي من المدارس المعتبرة الجليلة ودرس بها شيخنا جلال الدين البناني الحنفي وكانت سكنه (الجاي) بن عبد الله اليوسفي الامير سيف الدين تنقل في الخدم حتى صار من جملة الامراء بديار مصر فلما أقام الامير الاستدمر الناصري بأمر الدولة بعد قتل الامير يلبغا الخاصكي العمري في شوال سنة ثمان وستين وسبعمائة قبض على الجاي في عدة من الامراء وقيدهم وبعث بهم الى الاسكندرية فسجنوا الى عاشر صفر سنة تسع وستين فأفرج الملك الاشرف شعبان بن حسين عنه وأعطاه امرة مائة وتقدمة ألف وجعله أمير سلاح براني ثم جعله أمير سلاح اتابك العساكر وناظر المارستان المنصوري عوضا عن الامير منكلي بغا الشمسي في سنة أربع وسبعين وسبعمائة وتزوج بخوند بركة أم السلطان الملك الاشرف فعظم قدره واشتهر ذكره وتحكم في الدولة تحكما زائدا الى يوم الثلاثاء سادس المحرم سنة خمس وسبعين وسبعمائة فركب يريد محاربة السلطان بسبب طلبه ميراث أم السلطان بعد موتها فركب السلطان وأمراؤه وبات الفريقان ليلة الاربعاء على الاستعداد للقتال الى بكرة نهار الاربعاء تواقع الجاي مع أمراء السلطان احدى عشرة وقعة انكسر في آخرها الجاي وفر الى جهة بركة الحبش وصعد من الجبل من عند الجبل الاحمر الى قبة النصر ووقف هناك فاشتد على السلطان فبعث اليه خلعة بنيابة حماه فقال لا اتوجه الا ومعي مماليكي كلهم وجميع أموالي فلم يوافقه السلطان على ذلك وبات الفريقان على الحرب فانسل اكثر مماليك الجاي في الليل الى السلطان وعند ما طلع النهار يوم الخميس بعث السلطان عساكره لمحاربة الجاي بقبة النصر فلم يقاتلهم وولى منهزما والطلب وراءه الى ناحية الخرقانية بشاطئ النيل قريبا من قليوب فتحير وقد أدركه العسكر فألقى نفسه بفرسه في البحر يريد النجاة الى البر الغربي فغرق بفرسه ثم خلص الفرس وهلك الجاي فوقع النداء بالقاهرة وظواهرها على احضار مماليكه فأمسك منهم جماعة وبعث السلطان الغطاسين الى البحر تتطلبه فتتبعوه حتى أخرجوه الى البر في يوم الجمعة تاسع المحرم سنة خمس وسبعين وسبعمائة فحمل في تابوت على لباد أحمر الى مدرسته هذه وغسل وكفن ودفن بها وكان مهابا جبارا عسوفا عنيا تحدث في الاوقاف فشدد على الفقهاء وأهان جماعة منهم وكان معروفا بالاقدام والشجاعة

(مدرسة أم السلطان)

هذه المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل يعرف خطها الآن بالتبانة وموضعها كان قديما مقبرة لاهل

القاهرة أنشأتها الست الجليلة الكبرى بركة أم السلطان الملك الاشرف شعبان بن حسين فى سنة احدى وسبعين وسبعمائة وعملت بها درسا للشافعية ودرسا للحنفية وعلى بابها حوض ماء للسبيل وهى من المدارس الجليلة وفيها دفن ابنها الملك الاشرف بعد قتله *(بركة) الست الجليلة خوند أم الملك الاشرف شعبان بن حسين كانت أمة مولدة فلما أقيم ابنها فى مملكة مصر عظم شأنها وحجت فى سنة سبعين وسبعمائة بتجمل كثير وبرج زائد وعلى محفتها العصائب السلطانية والكوسات تدق معها وسار فى خدمتها من الامراء المقدمين بشتاك العمرى رأس نوبة وبهادر الجمالى ومائة مملوك من المماليك السلطانية أرباب الوظائف ومن جملة ما كان معها قطار جمال محملة محائر قد زرع فيها البقل والخضراوات الى غير ذلك مما يجل وصفه فلما عادت فى سنة احدى وسبعين وسبعمائة خرج السلطان بعساكره الى لقائها وسار الى البويب فى سادس عشر المحرم وتزوجت بالامير الكبير الجاى اليوسفى وبها طال واستطال ماتت فى ثامن عشر ذى القعدة سنة أربع وسبعين وسبعمائة وكانت خيرة عفيفة لها بر كثير ومعروف معروف تحدث الناس بحجتها عدة سنين لما كان لها من الافعال الجميلة فى تلك المشاهد الكريمة وكان لها اعتقاد فى أهل الخير ومحبة فى الصالحين وقبرها موجود بقبة هذه المدرسة وأسف السلطان على فقدها ووجد وجدا كبيرا لكثرة حبه لها واتفق أنها لما ماتت أنشد الاديب شهاب الدين أحمد بن يحيى الاعرج السعدى

فى ثامن العشرين من ذى قعدة * كانت صبيحة موت أم الاشرف
فالله يرحمها ويعظم أجره * ويكون فى عاشور موت اليوسفى

فكان كما قال وغرق الجاى اليوسفى كما تقدم ذكره فى يوم عاشوراء

(المدرسة الايتمشية)

هذه المدرسة خارج القاهرة داخل باب الوزير تحت قلعة الجبل برأس التبانة أنشأها الامير الكبير سيف الدين ايتمش البجاسى ثم الظاهرى فى سنة خمس وثمانين وسبعمائة وجعل بها درس فقه للحنفية وبنى بجانبها فندقا كبيرا يعلوه ربع ومن ورائها خارج باب الوزير حوض ماء للسبيل وربعا وهى مدرسة ظريفة *(ايتمش) ابن عبد الله الامير الكبير سيف الدين البجاسى ثم الظاهرى كان أحد المماليك اليلبغاوية

(المدرسة المجدية الخليلية)

هذه المدرسة بمصر يعرف موضعها بدرب البلاد عمرها الشيخ الامام مجد الدين أبو محمد عبد العزيز ابن الشيخ الامام أمين الدين أبى على الحسين بن الحسن بن ابراهيم الخليلى الدارى فتمت فى شهر ذى الحجة سنة ثلاث وستين وستمائة وقرر فيها مدرسا شافعيا ومعيدين وعشرين نفرا طلبة واماما راتبا ومؤذنا وقيما لكنسها وفرشها ووقود مصابيحها وادارة ساقيتها وأجرى الماء الى فسقيتها ووقف عليها غيطا بناحية بارنبار من أعمال المزاحمتين وبستانا بجملة الامير من المزاحمتين بالغربية وغيطا بناحية نطوبس وربع غيط بظاهر ثغر رشيد وبستانا ونصف بستان بناحية بلقس ورباعا بمدينة مصر *ومجد الدين هذا هو والد الصاحب الوزير فخر الدين عمر بن الخليلى ودرس بهذه المدرسة الصاحب فخر الدين الى حين وفاته وتوفى مجد الدين بدمشق فى ثالث عشر ربيع الآخر سنة ثمانين وستمائة وكان مشهورا بالصلاح

(المدرسة الناصرية بالقرافة)

هذه المدرسة بجوار قبة الامام محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه من قرافة مصر أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ورتب بها مدرسا يدرس الفقه على مذهب الشافعى وجعل له فى كل شهر من المعلوم عن التدريس أربعين دينارا معاملة صرف كل دينار ثلاثة عشر درهما وثلث درهم وعن معلوم النظر فى اوقاف المدرسة عشرة دنانير ورتب له من الخبز فى كل يوم ستين رطلا بالمصرى وراويتين من ماء النيل وجعل فيها معيدين وعدة من الطلبة ووقف عليها حماما بجوارها وفرنا تجاهها وحوانيت بظاهرها والجزيرة التى يقال لها جزيرة الفيل ببحر النيل خارج القاهرة وولى تدريسها جماعة من الاكابر الاعيان ثم خلت من مدرس ثلاثين سنة واكتفى فيها بالمعيدين وهم عشرة أنفس فلما كانت سنة ثمان وسبعين وستمائة

ولى

ولى تدريسها قاضى القضاة تقى الدين محمد بن رزين الحموى بعد عزله من وظيفة القضاء وقرر له نصف المعلوم فلما مات وليها الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد بربع المعلوم فلما ولى الصاحب برهان الدين الخضر السنجارى التدريس قرر له المعلوم الشاهد به كتاب الوقف

(المدرسة المسلمية)

هذه المدرسة بمدينة مصر فى خط السيوريين أنشأها كبير التجار ناصر الدين محمد بن مسلم بضم الميم وفتح السين المهملة وتشديد اللام البالسى الاصل ابن بنت كبير التجار شمس الدين محمد بن بسير بفتح الباء أول الحروف وكسر السين المهملة ثم ياء آخر الحروف بعد هاراء ومات فى سنة ست وسبعين وسبعمائة قبل أن تتم فوصى بتكملتها وأفرد لها مالا ووقف عليها دورا وأرضا بناحية قليوب وشرط أن يكون فيها مدرس مالكى ومدرس شافعى ومؤدب أطفال وغير ذلك فكملها مولاه ووصيه الكبير كافور الخصى الرومى بعد وفاة استاذه وهى الآن عامرة وبلغ ابن مسلم هذا من وفور المال وعظم السعادة مالم يبلغه أحد ممن أدركناه بحيث انه جاء نصيب أحد أولاده نحو مائتى ألف دينار مصرية وكان كثير الصدقات على الفقراء مقترا على نفسه الى الغاية وله أيضا مطهرة عظيمة بالقرب من جامع عمرو بن العاص ونفعها كبير وله أيضا دار جليلة على ساحل النيل بمصر وكان أبوه تاجرا سفارا بعدما كان حمالا فصاهر ابن بسير ورزق محمدا هذا من ابنته فنشأ على صيانة ورزق الحظ الوافر فى التجارة وفى العبيد فكان يبعث أحدهم بمال عظيم الى الهند ويبعث آخر بمثل ذلك الى بلاد التكرور ويبعث آخر الى بلاد الحبشة ويبعث عدة آخرين الى عدة جهات من الارض فما منهم من يعود الا وقد تضاعفت فوائد ماله أضعافا مضاعفة

(مدرسة اينال)

هذه المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من باب حارة الهلالية بخط القماحين كان موضعها فى القديم من حقوق حارة المنصورة أوصى بعمارتها الامير الكبير سيف الدين اينال اليوسفى أحد المماليك اليلبغاوية فابتدأ بعملها فى سنة أربع وتسعين وفرغت فى سنة خمس وتسعين وسبعمائة ولم يعمل فيها سوى قراء يتناوبون قراءة القرآن على قبره فانه لما مات فى يوم الاربعاء رابع عشر جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين وسبعمائة دفن خارج باب النصر حتى انتهت عمارة هذه المدرسة فنقل اليها ودفن فيها و(اينال) هذا ولى نيابة حلب وصار فى آخر عمره اتابك العساكر بديار مصر حتى مات وكانت جنازته كثيرة الجمع مشى فيها السلطان الملك الظاهر برقوق والعساكر

(مدرسة الامير جمال الدين الاستادار)

هذه المدرسة برحبة باب العيد من القاهرة كان موضعها قيسارية يعلوها طباق كلها وقف فأخذها وهدمها وابتدأ بشق الاساس فى يوم السبت خامس جمادى الاولى سنة عشر وثمانمائة وجمع لها الآلات من الاحجار والاخشاب والرخام وغير ذلك وكان بمدرسة الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون التى كانت بالصوة تجاه الطبلخاناه من قلعة الجبل بقية من داخلها فيها شبابيك من نحاس مكفت بالذهب والفضة وأبواب مصفحة بالنحاس البديع الصنعة المكفت ومن المصاحف والكتب فى الحديث والفقه وغيره من انواع العلوم جملة فاشترى ذلك من الملك الصالح المنصور حاجى بن الاشرف بمبلغ ستمائة دينار وكانت قيمتها عشرات أمثال ذلك ونقلها الى داره وكان مما فيها عشرة مصاحف طول كل مصحف منها أربعة اشبار الى خمسة فى عرض يقرب من ذلك أحدها بخط ياقوت وآخر بخط ابن البواب وباقيها بخطوط منسوبة ولها جلود فى غاية الحسن معمولة فى أكياس الحرير الاطلس ومن الكتب النفيسة عشرة أحمال جميعها مكتوب فى أوله الاشهاد على الملك الاشرف بوقف ذلك ومقره فى مدرسته فلما كان يوم الخميس ثالث شهر رجب سنة احدى عشرة وثمانمائة وقد انتهت عمارتها جمع بها الامير جمال الدين القضاة والاعيان وأجلس الشيخ همام الدين محمد بن أحمد الخوارزمى الشافعى على سجادة المشيخة وعمله شيخ التصوف ومدرس الشافعية ومد سماطا جليلا أكل عليه كل من حضر وملأ البركة التى بوسط المدرسة ماء قد أذيب فيه سكر مزج بماء الليمون وكان يوما مشهودا وقرر فى تدريس الحنفية بدر الدين

محمود بن محمد المعروف بالشيخ زاده الخرزیانی وفی تدریس المالكية شمس الدين محمد بن البساطی وفی تدريس
الحنابلة فتح الدين أبا الفتح محمد بن نجم الدين محمد بن الباهلی وفی تدریس الحديث النبوی شهاب الدين أحمد بن
علی بن حجر وفی تدريس التفسير شيخ الاسلام قاضی القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن البلقينی فكان يجلس
من ذكرنا واحدا بعد واحد فی كل يوم الى أن كان آخرهم شيخ التفسير وكان مسك الختام وما منهم الا من
يحضر معه ويلبسه ما يليق به من الملابس الفاخرة وقرر عند كل من المدرسين الستة طائفة من الطلبة وأجرى
لكل واحد ثلاثة ارطال من الخبز فی كل يوم وثلاثين درهما فلوسا فی كل شهر وجعل لكل مدرس ثلثمائة درهم
فی كل شهر ورتب بها اماما وقومة ومؤذنين وفراشين ومباشرين واكثر من وقف الدور عليها وجعل
فائض وقفها مصروفا لذريته فجاءت فی أحسن هندام وأتم قالب وأفخر زی وأبدع نظام الا انها وما فيها من
الآلات وما وقف عليها أخذ من الناس غصبا وعمل فيها الصناع بأبخس أجرة مع العسف الشديد فلما قبض
عليه السلطان وقتله فی جمادی الاولى سنة اثنتی عشرة وثمانمائة واستولى على امواله حسن جماعة للسلطان
أن يهدم هذه المدرسة ورغبوه فی رخامها فانه غاية فی الحسن وأن يسترجع أوقافها فان متحصلها كثير فمال
الى ذلك وعزم عليه فكره ذلك للسلطان الرئيس فتح الدين فتح الله كاتب السر واستشنع أن يهدم بيت بنی على
اسم الله يعلن فيه بالاذان خمس مرات فی اليوم والليلة وتقام به الصلوات الخمس فی جماعة عديدة ويحضره
فی عصر كل يوم مائة وبضعة عشر رجلا يقرؤن القرآن فی وقت التصوف ويذكرون الله ويدعونه وتتحلق به
الفقهاء لدرس تفسير القرآن الكريم وتفسير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقه الائمة الاربعة ويعلم
فيه ايتام المسلمين كتاب الله عز وجل ويجرى على هؤلاء المذكورين الارزاق فی كل يوم ومن المال فی كل
شهر ورأى أن ازالة مثل هذا وصمة فی الدين فتجرد له وما زال بالسلطان يرغبه فی ابقائها على أن يزال منها اسم
جمال الدين وتنسب اليه فانه من الفتن هدم مثلها ونحو ذلك حتى رجع الى قوله وفوض أمرها اليه فدبر ذلك
أحسن تدبير وهو أن موضع هذه المدرسة كان وقفا على بعض الترب فاستبدل به جمال الدين أرضا من جملة
أراضی الخراج بالجيزة وحكم له قاضی القضاة كمال الدين عمر بن العديم بصحة الاستبدال وهدم البناء وبنى موضعه
هذه المدرسة وتسلم متولى موضعها الارض المستبدل بها الى أن قتل جمال الدين وأحيط بأمواله فدخل فيما
أحيط به هذه الارض المستبدل بها وادعى السلطان أن جمال الدين افتات عليه فی أخذ هذه الارض وأنه لم يأذن
فی بيعها من بيت المال فأفتى حينئذ محمد شمس الدين المدنی المالكی بأن بناء هذه المدرسة الذی وقفه جمال
الدين على الارض التی لم يملكها بوجه صحيح لا يصح وانه باق على ملكه الى حين موته فندب عند ذلك شهود القيمة
الى تقويم بناء المدرسة فقوموها باثنی عشر ألف دينار ذهبا وأثبتوا محضر القيمة على بعض القضاة فحمل
المبلغ الى أولاد جمال الدين حتى تسلموه وباعوا بناء المدرسة للسلطان ثم استرد السلطان منهم المبلغ المذكور
وأشهد عليه انه وقف أرض هذه المدرسة بعد ما استبدل بها وحكم حاكم حنفی بصحة الاستبدال ثم وقف البناء
الذی اشتراه وحكم بصحته أيضا ثم استدعى بكتاب وقف جمال الدين ولخصه ثم مزقه وجدد كتاب وقف يتضمن
جميع ما قرره جمال الدين فی كتاب وقفه من أرباب الوظائف وما لهم من الخبز فی كل يوم ومن المعلوم فی كل شهر
وأبطل ما كان لاولاد جمال الدين من فائض الوقف وأفرد لهذه المدرسة مما كان جمال الدين جعله وقفا عليها
عدة مواضع تقوم بكفاية مصروفها وزاد فی أوقافها أرضا بالجيزة وجعل ما بقی من اوقاف جمال الدين على هذه
المدرسة بعضه وقفا على اولاده وبعضه وقفا على التربة التی أنشأها فی قبة أبيه الملك الظاهر برقوق خارج باب
النصر وحكم القضاة الاربعة بصحة هذا الكتاب بعد ما حكموا بصحة كتاب وقف جمال الدين ثم حكموا ببطلانه
ثم لما تم ذلك محی من هذه المدرسة اسم جمال الدين ورنكه وكتب اسم السلطان الملك الناصر فرج بدائر صحنها من
اعلاه وعلى قناديلها وبسطها وسقوفها ثم نظر السلطان فی كتبها العلمية الموقوفة بها فأقر منها جملة كتب بظاهر كل
سفر منها فصل يتضمن وقف السلطان له وحمل كثيرا من كتبها الى قلعة الجبل وصارت هذه المدرسة تعرف
بالناصرية بعد ما كان يقال لها الجمالية ولم تزل على ذلك حتى قتل الناصر وقدم الامير شيخ الى القاهرة
واستولى على امور الدولة فتوصل شمس الدين محمد أخو جمال الدين وزوج ابنته لشرف الدين أبی بكر بن العجمی
موقع الاستادار الامير شيخ حتى أحضر قضاة القضاة وحكم الصدر علی بن الادمی قاضی القضاة الحنفی برد

أوقاف جمال الدين الى ورثته من غير استيفاء الشروط فى الحكم بل تهوّر فيه وجازف ولذلك أسباب منها عناية الامير شيخ بجمال الدين الاستادار فانه لما انتقل اليه اقطاع الامير بجاس بعد موت الملك الظاهر برقوق استقرّ جمال الدين استاداره كما كان أستادار بجاس فخدمه خدمة بالغة وخرج الامير شيخ الى بلاد الشام واستقرّ فى نيابة طرابلس ثم فى نيابة الشام وخدمة جمال الدين له ولحاشيته ومن يلوذ به مستمرّة وأرسل مرّة الامير شيخ من دمشق بصدر الدين بن الادمى المذكور فى الرسالة الى الملك الناصر وجمال الدين حينئذ عزيز بمصر فانزله وأكرمه وأنعم عليه وولاه قضاء الحنفية وكتابة السرّ بدمشق وأعاده اليه ومازال معتنيا بأمور الامير شيخ حتى انه اتهم بأنه قد مالأ على السلطان فقبض عليه السلطان الملك الناصر بسبب ذلك ونكبه فلما قتل الناصر واستولى الامير شيخ على الامور بديار مصر ولى قضاء الحنفية بديار مصر لصدر الدين علىّ بن الادمى المذكور وولى أستاداره بدر الدين حسن بن محب الدين الطرابلسى أستادار السلطان فخدم شرف الدين أبو بكر بن العجمى زوج ابنة أخى جمال الدين عنده موقعا وتمكن منه فأغراه بفتح الدين فتح الله كاتب السرّ حتى أثخن جراحة عند الملك المؤيد شيخ ونكبه بعد ما تسلطن واستعان أيضا بقاضى القضاة صدر الدين بن الادمى فانه كان عشيره وصديقه من أيام جمال الدين ثم استمال ناصر الدين محمد بن البارزى موقع الامير الكبير شيخ فقام الثلاثة مع شمس الدين أخى جمال الدين حتى أعيد الى مشيخة خانكاه بيبرس وغيرها من الوظائف التى أخذت منه عند ما قبض عليه الملك الناصر وعاقبه وتحدّثوا مع الامير الكبير فى ردّ أوقاف جمال الدين الى أخيه وأولاده فان الناصر غصبها منهم وأخذ أموالهم وديارهم بظلم الى أن فقدوا القوت ونحو هذا من القول حتى حرّكوا منه حقدا كامنا على الناصر وعلموا منه عصبيته لجمال الدين هذا وغرض القوم فى الباطن تأخير فتح الدين والايقاع به فانه ثقل عليهم وجوده معهم فأمر عند ذلك الامير الكبير بعقد مجلس حضره قضاة القضاة والامراء وأهل الدولة عنده بالحراقة من باب السلسلة فى يوم السبت تاسع عشرى شهر رجب سنة خمس عشرة وتقدّم أخو جمال الدين ليدّعى على فتح الدين فتح الله كاتب السرّ وكان قد علم بذلك ووكل بدر الدين حسنا البردينى أحد نوّاب الشافعية فى سماع الدعوى وردّ الاجوبة فعند ما جلس البردينى للمحاكمة مع أخى جمال الدين نهره الامير الكبير وأقامه وأمر بأن يكون فتح الله هو الذى يدّعى عليه فلم يجد بدّا من جلوسه فما هو الا أن ادّعى عليه أخو جمال الدين بأنه وضع يده على مدرسة أخيه جمال الدين وأوقافه بغير طريق فبادر قاضى القضاة صدر الدين علىّ بن الادمى الحنفى وحكم برفع يده وعود أوقاف جمال الدين ومدرسته الى ما نص عليه جمال الدين ونفذ بقية القضاة حكمه وانفضوا على ذلك فاستولى أخو جمال الدين وصهره شرف الدين على حاصل كبير كان قد اجتمع بالمدرسة من فاضل ريعها ومن مال بعثه الملك الناصر اليها وفرّقوه حتى كتبوا كتابا اخترعوه من عند انفسهم جعلوه كتاب وقف المدرسة زادوا فيه أن جمال الدين اشترط النظر على المدرسة لاخيه شمس الدين المذكور وذريته الى غير ذلك مما لفقوه بشهادة قوم استمالوهم فمالوا ثم أثبتوا هذا الكتاب على قاضى القضاة صدر الدين بن الادمى ونفذه بقية القضاة فاستقرّ الامر على هذا البهتان المختلق والافك المفترى مدّة ثم ثار بعض صوفية هذه المدرسة وأثبت محضرا بأن النظر لكاتب السرّ فلما ثبت ذلك نزعت يد أخى جمال الدين عن التصرّف فى المدرسة وولى نظرها ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السرّ واستمرّ الامر على هذا فكانت قصة هذه المدرسة من أعجب ما سمع به فى تناقض القضاة وحكمهم بابطال ما صححوه ثم حكمهم بتصحيح ما ابطلوه كل ذلك ميلا مع الجاه وحرصا على بقاء رياستهم ستكتب شهادتهم ويسألون

＊(المدرسة الصرغتمشية)＊

هذه المدرسة خارج القاهرة بجوار جامع الامير أبى العباس أحمد بن طولون فيما بينه وبين قلعة الجبل كان موضعها قديما من جملة قطائع ابن طولون ثم صار عدّة مساكن فأخذها الامير سيف الدين صرغتمش الناصرى رأس نوبة النوب وهدمها وابتدأ فى بناء المدرسة يوم الخميس من شهر رمضان سنة ست وخمسين وسبعمائة وانتهت فى جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وقد جاءت من أبدع المبانى وأجلها وأحسنها قالبا وأبهجها منظرا فركب الامير صرغتمش فى يوم الثلاثاء تاسعه وحضر اليه الامير سيف الدين شيخو العمرى مدبر

الدولة والامير طاشتمر القاسمى حاجب الحجاب والامير توقتاى الدوادار وعامة أمراء الدولة وقضاة القضاة الاربعة ومشايخ العلم ورتب مدرس الفقه بها قوام الدين أمير كاتب بن امير عمر العميد بن العميد أمير غازى الاتقانى فالقى القوام الدرس ثم مد سماط جليل بالهمة الملوكية وملئت البركة التى بها سكرا قد أذيب بالماء فأكل الناس وشربوا وأبيح ما بقى من ذلك للعامة فانتهبوه وجعل الامير صرغتمش هذه المدرسة وقفا على الفقهاء الحنفية الآفاقية ورتب بها درسا للحديث النبوى وأجرى لهم جميعا المعاليم من وقف رتبه لهم وقال أدباء العصر فيها شعرا كثيرا فقال العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفى

ليهنك ياصرغتمش ما بنيته * لاخراك فى دنياك من حسن بنيان
به يزدهى الترخيم كالزهر بهجة * فلله من زهر ولله من بانى

وخلع فى هذا اليوم على القوام خلعة سنية وأركبه بغلة رائعة وأجازه بعشرة آلاف درهم على ابيات مدحه بها فى غاية السماجة وهى

ارأيتم من حاز الرتبا * وأتى قربا ونفى ريبا
فبدا علما وسما كرما * ونما قدما ولقد غلبا
بتقى وهدى وندا وجدا * فعدا وسدى وجبى وحبا
بدى سننا أحيى سننا * حلى زمنا عند الادبا
هذا صرغتمش قد سكبت * أيام امارته السحبا
وأزال الجدب الى خصب * والضنك الى رغد قلبا
باعانة جبار ربى * ذى العرش وقد بذل النشبا
ملك فطن ركن لسن * حسن بسن ربى الادبا
ملك الكبرا ملك الامرا * ملك العلما ملك الادبا
بحر طام غيث هام * قد رسام حامى الغربا
ببشاشته وسماحته * وحماسته جلى الكربا
وديانته وصيانته * وأمانته حاز الرتبا
ابهى أصلا اسنى نسلا * اعطى فضلا مأوى الغربا
نعم المأوى مصر لما * شملت قوما نبلا نجبا
فسما نورا وسمت نورا * وعلت دورا وأرت طربا
نسقت دررا وسقت دررا * ودعت غررا وحوت أدبا
وخطابته افتخرت وعلت * وسمت وزرت وحوت أدبا
جدد درسا ثم اجن جنى * منها ومنى نحى طلبا
من نازعنى نسبى علنا * فاراب لنا نعمت نسبا
كنون أبا الحنيفة تم قوام الدين بدا لقبا
عش فى رحب لترى عجبا * من منتجب عجب عجبا

*(صرغتمش) الناصرى الامير سيف الدين رأس نوبة جلبه الخواجا الصواف فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة فاشتراه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون بمائتى ألف درهم فضة ثمنها يومئذ نحو أربعة آلاف مثقال ذهبا وخلع على الخواجا تشريفا كاملا بحياصة ذهب وكتب له توقيعا بمسامحة مائة ألف درهم من متجره فلم يعبأ به السلطان وصار فى أيامه من جملة الجمدارية وحكى عن القاضى شرف الدين عبد الوهاب ناظر الخاص ان السلطان أنعم على صرغتمش هذا بعشر طاقات أديم طائفى فلما جاء الى النشو تردد اليه مرارا حتى دفعها اليه ولم يزل خامل الذكر الى أن كانت أيام المظفر حاجى بن محمد بن قلاون فبعثه مسفرا مع الامير فخر الدين اياز السلاح دار لما استقر فى نيابة حلب فلما عاد من حلب ترقى فى الخدمة وتمكن عند المظفر وتوجه فى خدمة الصالح بن محمد بن قلاون الى دمشق فى نوبة يلبغاروس وصار السلطان يرجع الى رأيه فلما عاد من دمشق أمسك

الوزير

الوزير علم الدين عبد الله بن زنبور بغير امر السلطان وأخذ أمواله وعارض فى أمر الامير شيخو والامير طاز ومن حينئذ عظم ولم يزل حتى خلع السلطان الملك الصالح وأعيد الناصر حسن بن محمد بن قلاون فلما أخرج الامير شيخو انفرد صرغتمش بتدبير أمور المملكة وفخم قدره ونفذت كلمته فعزل قضاة مصر والشام وغير النواب بالممالك والسلطان يحقد عليه الى أن امسكه فى العشرين من شهر رمضان سنة تسع وخمسين وقبض معه على الامير طشتمر القاسمى حاجب الحجاب والامير ملكتمر المحمدى وجماعة وحملهم الى الاسكندرية فسجنوا بها وبها مات صرغتمش بعد شهرين واثنى عشر يوما من سجنه فى ذى الحجة سنة تسع وخمسين وسبعمائة وكان مليح الصورة جميل الهيئة يقرأ القرآن الكريم ويشارك فى الفقه على مذهب الحنفية ويبالغ فى التعصب لمذهبه ويقرب العجم ويكرمهم ويجلهم اجلالا زائدا ويشد وطرفا من النحو وكانت أخلاقه شرسة ونفسه قوية فاذا بحث فى الفقه أو اللغة اشتط ولما تحدث فى الاوقاف وفى البريد خاف الناس منه فلم يكن أحد يركب خيل البريد الا بمرسومه ومنع كل من يركب البريد أن يحمل معه قماشا ودراهم على خيل البريد واشتد فى أمر الاوقاف فعمرت فى مباشرته ولما قبض عليه أخذ السلطان أمواله وكانت شيأ كثيرا يكل عنه الوصف

(ذكر المارستانات)

قال الجوهرى فى الصحاح والمارستان بيت المرضى معرب عن ابن السكيت وذكر الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه فى كتاب أخبار مصر أن الملك مناقيوش بن أشمون أحد ملوك القبط الاول بأرض مصر أول من عمل البيمارستانات لعلاج المرضى وأودعها العقاقير ورتب فيها الاطباء وأجرى عليهم ما يسعهم ومناقيوش هذا هو الذى بنى مدينة اخميم وبنى مدينة سنتريه * وقال زاهد العلماء أبو سعيد منصور بن عيسى أول من اخترع المارستان وأوجده بقراط بن ابوقليدس وذلك أنه عمل بالقرب من داره فى موضع من بستان كان له موضعا مفردا للمرضى وجعل فيه خدما يقومون بمداواتهم وسماه اصدولين أى مجمع المرضى وأول من بنى المارستان فى الاسلام ودار المرضى الوليد بن عبد الملك وهو أيضا أول من عمل دار الضيافة وذلك فى سنة ثمان وثمانين وجعل فى المارستان الاطباء وأجرى لهم الارزاق وأمر بحبس المجذمين لئلا يخرجوا وأجرى عليهم وعلى العميان الارزاق وقال جامع السيرة الطولونية وقد ذكر بناء جامع ابن طولون وعمل فى مؤخره ميضأة وخزانة شراب فيها جميع الشرابات والادوية وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة

(مارستان ابن طولون)

هذا المارستان موضعه الآن فى أرض العسكر وهى الكيمان والصحراء التى فيما بين جامع ابن طولون وكوم الجارح وفيما بين قنطرة السد التى على الخليج ظاهر مدينة مصر وبين السور الذى يفصل بين القرافة وبين مصر وقد دثر هذا المارستان فى جملة ما دثر ولم يبق له اثر * وقال أبو عمر الكندى فى كتاب الامراء وأمر أحمد بن طولون أيضا ببناء المارستان للمرضى فبنى لهم فى سنة تسع وخمسين ومائتين * وقال جامع السيرة الطولونية وفى سنة احدى وستين ومائتين بنى أحمد بن طولون المارستان ولم يكن قبل ذلك بمصر مارستان ولما فرغ منه حبس عليه دار الديوان ودوره فى الاساكفة والقيسارية وسوق الرقيق وشرط فى المارستان أن لا يعالج فيه جندى ولا مملوك وعمل حمامين للمارستان احداهما للرجال والاخرى للنساء حبسهما على المارستان وغيره وشرط أنه اذا جىء بالعليل تنزع ثيابه ونفقته وتحفظ عند أمين المارستان ثم يلبس ثيابا ويفرش له ويغدى عليه ويراح بالادوية والاغذية والاطباء حتى يبرأ فاذا أكل فروجا ورغيفا أمر بالانصراف وأعطى ماله وثيابه وفى سنة اثنتين وستين ومائتين كان ما حبسه على المارستان والعين والمسجد فى الجبل الذى يسمى بتنور فرعون وكان الذى أنفق على المارستان ومستغله ستين ألف دينار وكان يركب بنفسه فى كل يوم جمعة ويتفقد خزائن المارستان وما فيها والاطباء وينظر الى المرضى وسائر الاعلاء والمحبوسين من المجانين فدخل مرة حتى وقف بالمجانين فناداه واحد منهم مغلول أيها الامير اسمع كلامى ما أنا بمجنون وانما عملت على حيلة وفى نفسى شهوة رمانة عريشية اكبر ما يكون فأمر له بها من ساعته ففرح بها وهزها فى يده ورازها ثم غافل

أحمد بن طولون ورمى بها فى صدره فنفحت على ثيابه ولو تمكنت منه لاتت على صدره فأمرهم أن يحتفظوا به ثم لم يعاود بعد ذلك النظر فى المارستان

(مارستان كافور)

هذا المارستان بناه كافور الاخشيدى وهو قائم بتدبير دولة الامير أبى القاسم أنوجور بن محمد الاخشيد بمدينة مصر فى سنة ست وأربعين وثلثمائة

(مارستان المغافر)

هذا المارستان كان فى خطة المغافر التى موضعها ما بين العامر من مدينة مصر وبين مصلى خولان التى بالقرافة بناه الفتح بن خاقان فى أيام أمير المؤمنين المتوكل على الله وقد باد أثره

(المارستان الكبير المنصورى)

هذا المارستان بخط بين القصرين من القاهرة كان قاعة ست الملك ابنة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أبى تميم معد ثم عرف بدار الامير فخر الدين جهاركس بعد زوال الدولة الفاطمية وبدار موسك ثم عرف بالملك المفضل قطب الدين أحمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب وصار يقال لها الدار القطبية ولم تزل بيد ذريته الى أن أخذها الملك المنصور قلاون الالفى الصالحى من مؤنسة خاتون ابنة الملك العادل المعروفة بالقطبية وعوضت عن ذلك قصر الزمرذ برحبة باب العيد فى ثامن عشرى ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين وستمائة بسفارة الامير علم الدين سنجر الشجاعى مدبر الممالك ورسم بعمارتها مارستانا وقبة ومدرسة فتولى الشجاعى أمر العمارة وأظهر من الاهتمام والاحتفال ما لم يسمع بمثله حتى تم الغرض فى أسرع مدة وهى أحد عشر شهرا وأيام وكان ذرع هذه الدار عشرة آلاف وستمائة ذراع وخلفت ست الملك بها ثمانية آلاف جارية وذخائر جليلة منها قطعة ياقوت أحمر زنتها عشرة مثاقيل وكان الشروع فى بنائها مارستانا أول ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وستمائة وكان سبب بنائه أن الملك المنصور لما توجه وهو أمير الى غزاة الروم فى ايام الظاهر بيبرس سنة خمس وسبعين وستمائة أصابه بدمشق قولنج عظيم فعالجه الاطباء بأدوية أخذت له من مارستان نور الدين الشهيد فبرأ وركب حتى شاهد المارستان فأعجب به ونذر ان آتاه الله الملك أن يبنى مارستانا فلما تسلطن أخذ فى عمل ذلك فوقع الاختيار على الدار القطبية وعوض أهلها عنها قصر الزمرذ وولى الامير علم الدين سنجر الشجاعى أمر عمارته فابقى القاعة على حالها وعملها مارستانا وهى ذات اوانات أربعة بكل ايوان شاذروان وبدور قاعتها فسقية يصير اليها من الشاذروانات الماء واتفق أن بعض الفعلة كان يحفر فى أساس المدرسة المنصورية فوجد حق اشنان من نحاس ووجد رفيقه قمقما نحاسا مختوما برصاص فأحضرا ذلك الى الشجاعى فاذا فى الحق فصوص ماس وياقوت وبلخش ولؤلؤ ناصع يدهش الابصار ووجد فى القمقم ذهبا كان جملة ذلك نظير ما غرم على العمارة فحمله الى أسعد الدين كوهيا الناصرى العدل فرفعه الى السلطان ولما نجزت العمارة وقف عليها الملك المنصور من الاملاك بديار مصر وغيرها ما يقارب ألف ألف درهم فى كل سنة ورتب مصارف المارستان والقبة والمدرسة ومكتب الايتام ثم استدعى قدحا من شراب المارستان وشربه وقال قد وقفت هذا على مثلى فمن دونى وجعلته وقفا على الملك والمملوك والجندى والامير والكبير والصغير والحر والعبد الذكور والاناث ورتب فيه العقاقير والاطباء وسائر ما يحتاج اليه من به مرض من الامراض وجعل السلطان فيه فراشين من الرجال والنساء لخدمة المرضى وقرر لهم المعاليم ونصب الاسرة للمرضى وفرشها بجميع الفرش المحتاج اليها فى المرض وأفرد لكل طائفة من المرضى موضعا فجعل أواوين المارستان الاربعة للمرضى بالحميات ونحوها وأفرد قاعة للرمدى وقاعة للجرحى وقاعة لمن به اسهال وقاعة للنساء ومكانا للمبرودين ينقسم بقسمين قسم للرجال وقسم للنساء وجعل الماء يجرى فى جميع هذه الاماكن وأفرد مكانا لطبخ الطعام والادوية والاشربة ومكانا لتركيب المعاجين والاكحال والشيافات ونحوها ومواضع يخزن فيها الحواصل وجعل مكانا يفرق فيه الاشربة والادوية ومكانا يجلس فيه رئيس الاطباء لالقاء درس طب ولم يحص

عدة المرضى بل جعله سبيلا لكل من يرد عليه من غنى وفقير ولا حد مدة لاقامة المريض به بل يرتب منه لمن هو مريض بداره سائر ما يحتاج اليه ووكل الامير عز الدين ايبك الافرم الصالحى أمير جندار فى وقف ماعينه من المواضع وترتيب أرباب الوظائف وغيرهم وجعل النظر لنفسه أيام حياته ثم من بعده لاولاده ثم من بعدهم لحاكم المسلمين الشافعى فضمن وقفه كتابا تاريخه يوم الثلاثاء ثالث عشرى صفر سنة ثمانين وستمائة ولما قرئ عليه كتاب الوقف قال للشجاعى ماأريت خط الاسعد كاتبى مع خطوط القضاة أبصر ايش فيه زغل حتى ماكتب عليه فما زال يقرب لذهنه أن هذا مما لا يكتب عليه الا قضاة الاسلام حتى فهم ذلك فبلغ مصروف الشراب منه فى كل يوم خمسمائة رطل سوى السكر ورتب فيه عدة ما بين أمين ومباشر وجعل مباشرين للادارة وهم الذين يضبطون ما يشترى من الاصناف وما يحضر منها الى المارستان ومباشرين لاستخراج مال الوقف ومباشرين فى المطبخ ومباشرين فى عمارة الاوقاف التى تتعلق به وقرر فى القبة خمسين مقرئا يتناوبون قراءة القرآن ليلا ونهارا ورتب بها اماما راتبا وجعل بها رئيسا للمؤذنين عند ما يؤذنون فوق منارة ليس فى اقليم مصر اجل منها ورتب بهذه القبة درسا لتفسير القرآن فيه مدرس ومعيدان وثلاثون طالبا ودرس حديث نبوى وجعل بها خزانة كتب وستة خدام طواشية لا يزالون بها ورتب بالمدرسة اماما راتبا ومتصدرا لاقراء القرآن ودروسا أربعة للفقه على المذاهب الاربعة ورتب بمكتب السبيل معلمين يقرئان الايتام ورتب للايتام رطلين من الخبز فى كل يوم لكل يتيم مع كسوة الشتاء والصيف فلما ولى الامير جمال الدين أقوش نائب الكرك نظر المارستان أنشأ به قاعة للمرضى ونحت الحجارة المبنى بها الجدر كلها حتى صارت كأنها جديدة وجدد تذهيب الطراز بظاهر المدرسة والقبة وعمل خيمة تظل الاقفاص طولها مائة ذراع قام بذلك من ماله دون مال الوقف ونقل أيضا حوض ماء كان برسم شرب البهائم من جانب باب المارستان وابطله لتاذى الناس بنتن رائحة ما يجتمع قدامه من الاوساخ وأنشأ سبيل ماء يشرب منه الناس عوض الحوض المذكور وقد تورع طائفة من أهل الديانة عن الصلاة فى المدرسة المنصورية والقبة وعابوا المارستان لكثرة عسف الناس فى عمله وذلك انه لما وقع اختيار السلطان على عمل الدار القطبية مارستانا ندب الطواشى حسام الدين بلالا المغيثى للكلام فى شرائها فساس الامر فى ذلك حتى أنعمت مؤنسة خاتون ببيعها على أن تعوض عنها بدار تلمها وعيالها فعوضت قصر الزمرذ برحبة باب العيد مع مبلغ مال حمل اليها ووقع البيع على هذا فندب السلطان الامير سنجر الشجاعى للعمارة فأخرج النساء من القطبية من غير مهلة وأخذ ثلثمائة أسير وجمع صناع القاهرة ومصر وتقدم اليهم بأن يعملوا بأجمعهم فى الدار القطبية ومنعهم أن يعملوا لاحد فى المدينتين شغلا وشدد عليهم فى ذلك وكان مهابا فلازموا العمل عنده ونقل من قلعة الروضة ما احتاج اليه من العمد الصوان والعمد الرخام والقواعد والاعتاب والرخام البديع وغير ذلك وصار يركب اليها كل يوم وينقل الانقاض المذكورة على العجل الى المارستان ويعود الى المارستان فيقف مع الصناع على الاساقيل حتى لا يتوانوا فى عملهم وأوقف مماليكه بين القصرين فكان اذا مر أحد ولو جل ألزموه أن يرفع حجرا ويلقيه فى موضع العمارة فينزل الجندى والرئيس عن فرسه حتى يفعل ذلك فترك اكثر الناس المرور من هناك ورتبوا بعد الفراغ من العمارة وترتيب الوقف فتيا صورتها ما يقول أئمة الدين فى موضع أخرج أهله منه كرها وعمر بمستحثين يعسفون الصناع وأخرب ما عمره الغير ونقل اليه ما كان فيه فعمر به هل تجوز الصلاة فيه أم لا فكتب جماعة من الفقهاء لا تجوز فيه الصلاة فما زال الجد عيسى ابن الخشاب حتى أوقف الشجاعى على ذلك فشق عليه وجمع القضاة ومشايخ العلم بالمدرسة المنصورية وأعلمهم بالفتيا فلم يجبه أحد منهم بشئ سوى الشيخ محمد المرجانى فانه قال أنا افتيت بمنع الصلاة فيها وأقول الآن انه يكره الدخول من بابها ونهض قائما فانفض الناس واتفق أيضا أن الشجاعى مازال بالشيخ محمد المرجانى يلح فى سؤاله أن يعمل ميعاد وعظ بالمدرسة المنصورية حتى أجاب بعد تمنع شديد فحضر الشجاعى والقضاة وأخذ المرجانى فى ذكر ولاة الامور من الملوك والامراء والقضاة وذم من يأخذ الاراضى غصبا ويستحث العمال فى عمائره وينقص من أجورهم وختم بقوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا وقام فسأله الشجاعى الدعاء له فقال ياعلم الدين

قد دعا لك ودعا عليك من هو خير منى وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم اللهم من ولى من أمر أمتى شيأ فرفق بهم فارفق به ومن شق عليهم فاشقق عليه وانصرف فصار الشجاعى من ذلك فى قلق وطلب الشيخ تقى الدين محمد بن دقيق العيد وكان له فيه اعتقاد حسن وفاوضه فى حديث الناس فى منع الصلاة فى المدرسة وذكر له أن السلطان انما أراد محاكاة نور الدين الشهيد والاقتداء به لرغبته فى عمل الخير فوقع الناس فى القدح فيه ولم يقدحوا فى نور الدين فقال له ان نور الدين أسر بعض ملوك الفرنج وقصد قتله ففدى نفسه بتسليم خمسة قلاع وخمسمائة ألف دينار حتى أطلقه فمات فى طريقه قبل وصوله مملكته وعمر نور الدين بذلك المال مارستانه بدمشق من غير مستحث فمن أين يا علم الدين تجد مالا مثل هذا المال وسلطانا مثل نور الدين غير أن السلطان له نيته وأرجو له الخير بعمارة هذا الموضع وأنت ان كان وقوفك فى عمله بنية نفع الناس فلك الاجر وان كان لاجل أن يعلم أستاذك علو همتك فما حصلت على شئ فقال الشجاعى الله المطلع على النيات وقرر ابن دقيق العيد فى تدريس القبة *(قال مؤلفه) ان كان التحرج من الصلاة لاجل أخذ الدار القطبية من أهلها بغير رضاهم واخراجهم منها بعسف واستعمال أنقاض القلعة بالروضة فلعمرى ما تملك بنى أيوب الدار القطبية وبناؤهم قلعة الروضة واخراجهم أهل القصور من قصورهم التى كانت بالقاهرة واخراج سكان الروضة من مساكنهم الا كأخذ قلاون الدار المذكورة وبنائها بما هدمه من القلعة المذكورة واخراج مؤنسة وعيالها من الدار القطبية وأنت ان امعنت النظر وعرفت ماجرى تبين لك أن ما القوم الا سارق من سارق وغاصب من غاصب وان كان التحرج من الصلاة لاجل عسف العمال وتسخير الرجال فشئ آخر بالله عرفنى فانى غير عارف من منهم لم يسلك فى أعماله هذا السبيل غير أن بعضهم أظلم من بعض وقد مدح غير واحد من الشعراء هذه العمارة منهم شرف الدين البوصيرى فقال

ومدرسة وذا الخورنق انه * لديها حظير والسدير غدير
مدينة علم والمدارس حولها * قرى او نجوم بدرهن منير
تبدت فأخفى الظاهرية نورها * وليس بظهر للنجوم ظهور
بناء كأن النحل هندس شكله * ولانت له كالشمع فيه صخور
بناها سعيد فى بقاع سعيدة * بها سعدت قبل المدارس نور
ومن حيثما وجهت وجهك نحوها * تلقتك منها نضرة وسرور
اذا قام يدعو الله فيها مؤذن * فما هو الا للنجوم سمير

(المارستان المؤيدى)

هذا المارستان فوق الصوة تجاه طبلخاناه قلعة الجبل حيث كانت مدرسة الاشرف شعبان بن حسين التى هدمها الناصر فرج بن برقوق وبابه هو حيث كان باب المدرسة الا انه ضيق عما كان *أنشأه المؤيد شيخ فى مدة أولها جمادى الآخرة سنة احدى وعشرين وثمانمائة وآخرها رجب سنة ثلاث وعشرين ونزل فيه المرضى فى نصف شعبان وعملت مصارفه من جملة أوقاف الجامع المؤيدى المجاور لباب زويلة فلما مات الملك المؤيد فى ثامن المحرم سنة أربع وعشرين تعطل قليلا ثم سكنه طائفة من العجم المستجدين فى ربيع الاول منها وصار منزلا للرسل الواردين من البلاد الى السلطان ثم عمل فيه منبر ورتب له خطيب وامام ومؤذنون وبواب وقومة وأقيمت به الجمعة فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة فاستمر جامعا تصرف معاليم أرباب وظائفه المذكورين من وقف الجامع المؤيدى

(ذكر المساجد)

قال ابن سيده المسجد الموضع الذى يسجد فيه وقال الزجاج كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد ألا ترى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال جعلت لى الارض مسجدا وطهورا وقوله عز وجل ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه المعنى على هذا المذهب انه من أظلم ممن خالف قبلة الاسلام وقد كان حكمه أن لا يجىء على مفعل لان حق اسم المكان والمصدر من فعل يفعل أن يجىء على مفعل ولكنه أحد الحروف التى شذت فجاءت

على مفعل * قال سيبويه وأما المسجد فانهم جعلوه اسما للبيت ولم يأت على فعل يفعل كما قال فى المدق انه اسم للجلود يعنى انه ليس على الفعل ولو كان على الفعل لقيل مدق لانه آلة والآلات تجىء على مفعل كمخزن ومكنس ومكسح والمسجدة الخمرة المسجود عليها وقوله تعالى وان المساجد لله قيل هى مواضع السجود من الانسان الجبهة واليدان والركبتان والرجلان * وقال الشريف محمد بن اسعد الجوانى فى كتاب النقط على الخطط عن القاضى أبى عبد الله القضاعى انه كان فى مصر الفسطاط من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد * وقال المسبحى فى حوادث سنة ثلاث وأربعمائة وأحصى أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله المساجد التى لاغلة لها فكانت ثمانمائة مسجد فأطلق لها فى كل شهر من بيت المال تسعة آلاف ومائتين وعشرين درهما وفى سنة خمس وأربعمائة حبس الحاكم بأمر الله سبع ضياع منها اطفيح وطوخ على القراء والمؤذنين بالجوامع وعلى ملء المصانع والمارستان وفى ثمن الاكفان * وذكر ابن المتوج أن عدة المساجد بمصر فى زمنه أربعمائة وثمانون مسجدا ذكرها

(المسجد بجوار دير البعل)

قد تقدم فى أخبار الكنائس والديارات من هذا الكتاب خبر دير البعل وانه يعرف بدير الفطير ولما كان فى سنة خمس وسبعين وستمائة خرج جماعة من المسلمين الى دير البعل فرأوا آثار محاريب بجوار الدير فعرّفوا الصاحب بهاء الدين بن حنا ذلك فسير المهندسين لكشف ما ذكر فعادوا اليه وأخبروه انه آثار مسجد فشاوروا الملك الظاهر بيبرس وعمره مسجدا بجانب الدير وهو عامر الى الآن وبته وهو من أحسن منتزهات مصر وله وقف جيد ومرتب يقوم به نصارى الدير

قوله قد تقدم الخ فيه انه لم يتقدم ذلك وانما اخبار الكنائس والديارات سيأتى ذكرها فى آخر الكتاب اه مصححه

(مسجد ابن الجباس)

هذا المسجد خارج باب زويلة بالقرب من مصلى الاموات دون باب البانسية عرف بالشيخ أبى عبد الله محمد بن على بن أحمد بن محمد بن جوشن المعروف بابن الجباس بجيم وباء موحدة بعدها ألف وسين مهملة القرشى العقيلى الفقيه الشافعى المقرئ كان فاضلا صالحا زاهدا عابدا مقرئا كتب بخطه كثيرا وسمع الحديث النبوى ومولده يوم السبت سابع عشر ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثين وستمائة بالقاهرة ووفاته

هكذا بيض له فى الاصل

(مسجد ابن البناء)

هذا المسجد داخل باب زويلة وتسميه العوام سام بن نوح النبى عليه السلام وهو من مختلقاتهم التى لا اصل لها وانما يعرف بمسجد ابن البناء وسام بن نوح لعله لم يدخل أرض مصر البتة فان الله سبحانه وتعالى لما نجى نبيه نوحا من الطوفان خرج معه من السفينة أولاده الثلاثة وهم سام وحام ويافث ومن هذه الثلاثة ذرأ الله سائر بنى آدم كما قال تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فقسم نوح الارض بين أولاده الثلاثة * فصار لسام بن نوح العراق وفارس الى الهند ثم الى حضرموت وعمان والبحرين وعالج ويبرين والدوو وبار والدهناء وسائر أرض اليمن والحجاز ومن نسله الفرس والسريانيون والعبرانيون والعرب والنبط والعماليق * وصار لحام بن نوح الجنوب مما يلى أرض مصر مغربا الى المغرب الاقصى ومن نسله الحبشة والزنج والقبط سكان مصر وأهل النوبة والافارقة أهل افريقية وأجناس البربر * وصار ليافث بن نوح بحر الخزر مشرقا الى الصين ومن نسله الصقالبة والفرنج والروم والغوط وأهل الصين واليونانيون والترك * وقد بلغنى أن هذا المسجد كان كنيسة لليهود القرائين تعرف بسام بن نوح وأن الحاكم بأمر الله أخذ هذه الكنيسة لما هدم الكنائس وجعلها مسجدا وتزعم اليهود القراؤن الآن بمصر أن سام بن نوح مدفون هنا وهم الى الآن يحلفون من أسلم منهم بهذا المسجد أخبرنى به قاضى اليهود ابراهيم بن فرج الله بن عبد الكافى الداودى العانانى وليس هذا بأول شئ اختلقته العامة *(وابن البناء) هذا هو محمد بن عمر بن احمد بن جامع بن البناء أبو عبد الله الشافعى المقرئ سمع من القاضى مجلى وأبى عبد الله الكيزانى وغيره وحدث وأقرأ القرآن وانتفع به جماعة وهو منقطع بهذا المسجد وكان يعرف خطه بخط بين البابين ثم عرف بخط الاقفاليين ثم هو الآن يعرف بخط الضبيبين وباب

القوس * ومات ابن البناء هذا في العشر الاوسط من شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وخمسمائة واتفق لي عند هذا المسجد أمر عجيب وهو أني مررت من هناك يوما أعوام بضع وثمانين وسبعمائة والقاهرة يومئذ لا يمر الانسان بشارعها حتى يلقى عناء من شدة ازدحام الناس لكثرة مرورهم ركبانا ومشاة فعندما حاذيت أول هذا المسجد اذا برجل يمشي أمامي وهو يقول لرفيقه والله يا أخي ما مررت بهذا المكان قط الا وانقطع نعلي فوالله ما فرغ من كلامه حتى وطئ شخص من كثرة الزحام على مؤخر نعله وقد مد رجله ليخطو فانقطع تجاه باب المسجد فكان هذا من عجائب الامور وغرائب الاتفاق

(مسجد الحلبيين)

هذا المسجد فيما بين باب الزهومة ودرب شمس الدولة على يسرة من سلك من حمام خشيبة طالبا البندقانيين بني على المكان الذي قتل فيه الخليفة الظافر نصر بن عباس الوزير ودفنه تحت الارض فلما قدم طلائع بن رزيك من الاشمونين الى القاهرة باستدعاء أهل القصر له ليأخذ بثار الخليفة وغلب على الوزارة استخرج الظافر من هذا الموضع ونقله الى تربة القصر وبنى موضعه هذا المسجد وسماه المشهد وعمل له بابين أحدهما هذا الباب الموجود والباب الثاني كان يتوصل منه الى دار المأمون البطائحي التي هي اليوم مدرسة تعرف بالسيوفية وقد سد هذا الباب وما برح هذا المسجد يعرف بالمشهد الى أن انقطع فيه محمد بن أبي الفضل بن سلطان بن عمار ابن تمام أبو عبد الله الحلبي الجعبري المعروف بالخطيب وكان صالحا كثير العبادة زاهدا منقطعا عن الناس ورعا وسمع الحديث وحدث وكان مولده في شهر رجب سنة أربع وعشرين وستمائة بقلعة جعبر ووفاته بهذا المسجد وقد طالت اقامته فيه يوم الاثنين سادس عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ودفن بمقابر باب النصر رحمه الله وهذا المسجد من أحسن مساجد القاهرة وأبهجها

(مسجد الكافوري)

هذا المسجد كان في البستان الكافوري من القاهرة بناه الوزير المأمون أبو عبد الله محمد بن فاتك البطائحي في سنة ست عشرة وخمسمائة وتولى عمارته وكيله أبو البركات محمد بن عثمان وكتب اسمه عليه وهو باق الى اليوم بخط الكافوري ويعرف هناك بمسجد الخلفاء وفيه نخل وشجر وهو مرخم برخام حسن

(مسجد رشيد)

هذا المسجد خارج باب زويلة بخط تحت الربع على يسرة من سلك من دار التفاح يريد قنطرة الخرق بناه رشيد الدين البهائي

(المسجد المعروف بزرع النوى)

هذا المسجد خارج باب زويلة بخط سوق الطيور على يسرة من سلك من رأس المنجبية طالبا جامع قوصون والصليبة وتزعم العامة انه بني على قبر رجل يعرف بزرع النوى وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أيضا من افتراء العامة الكذب فان الذين افردوا أسماء الصحابة رضي الله عنهم كالامام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري في تاريخه الكبير وابن أبي خيثمة والحافظ أبي عبد الله بن منده والحافظ ابي نعيم الاصفهاني والحافظ أبي عمر بن عبد البر والفقيه الحافظ أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم لم يذكر أحد منهم صحابيا يعرف بزرع النوى وقد ذكر في أخبار القرافة من هذا الكتاب من قبر بمصر من الصحابة وذكر في أخبار مدينة فسطاط مصر أيضا من دخل مصر من الصحابة وليس هذا منهم وهذا ان كان هناك قبر فهو لامين الامناء أبي عبد الله الحسين بن طاهر الوزان وكان من أمره أن الخليفة الحاكم بأمر الله أبا علي منصور بن العزيز بالله خلع عليه للوساطة بينه وبين الناس والتوقيع عن الحضرة في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وأربعمائة وكان قبل ذلك يتولى بيت المال فاستخدم فيه أخاه أبا الفتح مسعودا وكان قد ظفر بمال يكون عشرات وصياغات وأمتعة وطرائف وفرش وغير ذلك في عدة آدر بمصر وجميعه مما خلفه قائد القواد الحسين بن جوهر القائد فباع المتاع واضاف ثمنه الى العين فحصل منه مال كثير وطالع الحاكم بأمر الله به أجمع لورد

قوله يكون عشرات هكذا في النسخ وانظر ما معناه ولعل المراد ما بين نقود وصياغات الخ كما يؤخذ مما بعد وليحرر اه مصححه

قائد القواد ولم يتعرض منه لشيء وكثرت صلات الحاكم وعطاؤه وتوقيعاته فانطلق فى ذلك فاتصل به عن أمين الامناء بعض التوقف فخرجت اليه رقعة بخطه فى الثامن والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث وأربعمائة نسختها بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله كما هو أهله

اصبحت لا أرجو ولا اتقى * الا الهى وله الفضل
جدّى نبى وامامى أبى * ودينى الاخلاص والعدل

ماعندكم ينفد وما عند الله باق المال مال الله عزوجل والخلق عيال الله ونحن أمناؤه فى الارض أطلق أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام * ولم يزل على ذلك الى أن بطل أمره فى جمادى الآخرة من سنة خمس وأربعمائة وذلك انه ركب مع الحاكم على عادته فلما حصل بحارة كتامة خارج القاهرة ضرب رقبته هناك ودفن فى هذا الموضع تخمينا واستحضر الحاكم جماعة الكتاب بعد قتله وسأل رؤساء الدواوين عما يتولاه كل واحد منهم وأمرهم بلزوم دواوينهم ووفرهم على الخدمة وكانت مدة نظر ابن الوزان فى الوساطة والتوقيع عن الحضرة وهى رتبة الوزارة سنتين وشهرين وعشرين يوما وكان توقيعه عن الحضرة الامامية الحمد لله وعليه توكلى

(مسجد الذخيرة)

هذا المسجد تحت قلعة الجبل بأول الرميلة تجاه شبابيك مدرسة السلطان حسن بن محمد بن قلاون التى تلى بابها الكبير الذى سدّه الملك الظاهر برقوق أنشأه ذخيرة الملك جعفر متولى الشرطة * قال ابن المامون فى تاريخه وفى هذه السنة يعنى سنة ست عشرة وخمسمائة استخدم ذخيرة الملك جعفر فى ولاية القاهرة والحسبة بسجل أنشأه ابن الصيرفى وجرى من عسفه وظلمه ماهو مشهور وبنى المسجد الذى ما بين الباب الجديد الى الجبل الذى هو به معروف وسمى مسجد لا بالله بحكم انه كان يقبض الناس من الطريق ويعسفهم فيحلفونه و يقولون له لا بالله فيقيدهم ويستعملهم فيه بغير أجرة ولم يعمل فيه منذ أنشأه الاصانع مكره أو فاعل مقيد وكتبت عليه هذه الابيات المشهورة

بنى مسجد الله من غير حله * وكان بحمد الله غير موفق
كمطعمة الايتام من كد فرجها * لك الويل لا تزنى ولا تتصدقى

وكان قد أبدع فى عذاب الجناة وأهل الفساد وخرج عن حكم الكتاب فابتلى بالامراض الخارجة عن المعتاد ومات بعد ما عجل الله له ما قدمه وتجنب الناس تشييعه والصلاة عليه وذكر عنه فى حالتى غسله وحلوله بقبره ما يعيذ الله كل مسلم من مثله وقال ابن عبد الظاهر مسجد الذخيرة تحت قلعة الجبل وذكر ما تقدم عن ابن المأمون

(مسجد رسلان)

هذا المسجد بحارة الباطلية عرف بالشيخ الصالح رسلان لاقامته به وقد حكيت عنه كرامات ومات به فى سنة احدى وتسعين وخمسمائة وكان يتقوت من أجرة خياطته للثياب وابنه عبد الرحمن بن محمد بن رسلان ابو القاسم كان فقيها محدّثا مقرئا مات فى سنة سبع وعشرين وستمائة

(مسجد ابن الشيخى)

هذا المسجد بخط الكافورى مما يلى باب القنطرة وجهة الخليج مجاور لدار ابن الشيخى أنشأه المهتار ناصر الدين محمد بن علاء الدين على الشيخى مهتار السلطان بالاصطبلات السلطانية وقرر فيه شيخنا تقى الدين محمد بن حاتم فكان يعمل فيه ميعادا يجتمع الناس فيه لسماع وعظه وكان ابن الشيخى هذا حشما فخورا خيرا يحب أهل العلم والصلاح ويكرمهم ولم نر بعده فى رتبته مثله ومات ليلة الثلاثاء أول يوم من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة

(مسجد يانس)

هذا المسجد كان تجاه باب سعادة خارج القاهرة * قال ابن المأمون فى تاريخه وكان الاجل المأمون يعنى الوزير

محمد بن فاتك البطائحى قد ضم اليه عدة من مماليك الافضل بن أمير الجيوش من جملتهم يانس وجعله مقدما على صبيان جلسه وسلم اليه بيت ماله وميزه فى رسومه فلما رأى المذكور فى ليلة النصف من شهر رجب يعنى سنة ست عشرة وخمسمائة ما عمل فى المسجد المستجد قبالة باب الخوخة من الهمة ووفور الصدقات وملازمة الصلوات وما حصل فيه من المثوبات كتب رقعة يسأل فيها أن يفسح له فى بناء مسجد بظاهر باب سعادة فلم يجبه المأمون الى ذلك وقال له ما ثم مانع من عمارة المساجد وأرض الله واسعة وانما هذا الساحل فيه معونة للمسلمين وموردة للسقائين وهو مرسى مراكب الغلة والمضرة فى مضايقة المسلمين فيه منه ولولم يكن المسجد المستجد قبالة باب الخوخة محرسا لما استجد حتى انا لم نخرج بساحته الاولى فان أردت أن تبنى قبلى مسجد الريفى أو على شاطئ الخليج فالطريق ثم سهلة فقبل الارض وامتثل الامر فلما قبض على المأمون وأمر الخليفة يانس المذكور ولم يزل ينقله الى أن استخدمه فى حجبة بابه سأله فى مثل ذلك فلم يجبه الى أن أخذ الوزارة فبناه فى المكان المذكور وكانت مدته يسيرة فتوفى قبل اتمامه واكماله فكمله أولاده بعد وفاته انتهى وقد تقدم خبر وزارة أبى الفتح ناظر الجيوش يانس الارمنى هذا عند ذكر الحارة اليانسية من هذا الكتاب

(مسجد باب الخوخة)

هذا المسجد تجاه باب الخوخة بجوار مدرسة أبى غالب * قال ابن المأمون فى تاريخه من حوادث سنة ست عشرة وخمسمائة ولما سكن المأمون الاجل دار الذهب وما معها يعنى فى أيام النيل للنزهة عند سكن الخليفة الآمر بأحكام الله بقصر اللؤلؤة المطل على الخليج رأى قبالة باب الخوخة محرسا فاستدعى وكيله وأمره بأن يزيل المحرس المذكور ويبنى موضعه مسجدا وكان الصناع يعملون فيه ليلا ونهارا حتى انه تفطر بعد ذلك واحتيج الى تجديده

(المسجد المعروف بمعبد موسى)

هذا المسجد بخط الركن المخلق من القاهرة تجاه باب الجامع الاقمر المجاور لحوض السبيل وعلى يمنة من سلك من بين القصرين طالبا رحبة باب العيد أول من اختطه القائد جوهر عندما وضع القاهرة قال ابن عبد الظاهر ولما بنى القائد جوهر القصر دخل فيه دير العظام وهو المكان المعروف الآن بالركن المخلق قبالة حوض الجامع الاقمر وقريب دير العظام والمصريون يقولون بئر العظمة فكره أن يكون فى القصر دير فنقل العظام التى كانت به والرمم الى دير بناه فى الخندق لانه كان يقال انها كانت عظام جماعة من الحواريين وبنى مكانها مسجدا من داخل السور يعنى سور القصر * وقال جامع سيرة الظاهر بيبرس وفى ذى الحجة سنة ستين وستمائة ظهر بالمسجد الذى بالركن المخلق من القاهرة حجر مكتوب عليه هذا معبد موسى بن عمران عليه السلام فجددت عمارته وصار يعرف بمعبد موسى من حينئذ ووقف عليه ربع بجانبه وهو باق الى وقتنا هذا

(مسجد نجم الدين)

هذا المسجد ظاهر باب النصر أنشأه الملك الافضل نجم الدين أبو سعيد أيوب بن شادى يعقوب بن مروان الكردى والد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وجعل الى جانبه حوض ماء للسبيل ترده الدواب فى سنة ست وستين وخمسمائة ونجم الدين هذا قدم هو وأخوه أسد الدين شيركوه من بلاد الاكراد الى بغداد وخدم بها وترقى فى الخدم حتى صار دزدارا بقلعة تكريت ومعه أخوه ثم انه انتقل عنها الى خدمة الملك المنصور عماد الدين اتابك زنكى بالموصل فخدمه حتى مات فتعلق بخدمة ابنه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى فرقاه وأعطاه بعلبك وحج من دمشق سنة خمس وخمسمائة فلما قدم ابنه صلاح الدين يوسف بن أيوب مع عمه أسد الدين شيركوه من عند نور الدين محمود الى القاهرة وصار الى وزارة العاضد بعد موت شيركوه قدم عليه أبوه نجم الدين فى جمادى الآخرة سنة خمس وستين وخمسمائة وخرج العاضد الى لقائه وأنزله بمناظر اللؤلؤة فلما استبد صلاح الدين بسلطنة مصر بعد موت الخليفة العاضد اقطع أباه نجم الدين الاسكندرية والبحيرة الى أن مات بالقاهرة فى يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثمان وستين وخمسمائة وقيل فى ثامن عشره من سقطة عن ظهر فرسه خارج باب النصر فحمل الى داره فمات بعد أيام وكان خيرا جوادا متدينا محبا لاهل العلم والخير

وما مات حتى رأى من أولاده عدة ملوك وصار يقال له أبو الملوك ومدحه العماد الاصبهاني بعدة قصائد ورثاه الفقيه عمارة بقصيدته التي أولها

هي الصدمة الاولى فمن بان صبره * على هول ملقاه تعاظم امره

(مسجد صواب)

هذا المسجد خارج القاهرة بخط الصليبة عرف بالطواشي شمس الدين صواب مقدم المماليك السلطانية ومات في ثامن رجب سنة اثنتين وأربعين وستمائة ودفن به وكان خيرا دينا فيه صلاح

(المسجد بجوار المشهد الحسيني)

هذا المسجد انهى في مستهل شهر رجب سنة اثنتين وستين وستمائة للملك الظاهر ركن الدين بيبرس وهو بدار العدل أن مسجدا على باب مشهد السيد الحسين عليه السلام والى جانبه مكان من حقوق القصر بيع وحمل ثمنه للديوان وهو ستة آلاف درهم فسأل السلطان عن صورة المسجد وهذا الموضع وهل كل منهما بمفرده أو عليهما حائط دائر فقيل له ان بينهما زرب قصب فأمر برد المبلغ وابقى الجميع مسجدا وأمر بعمارة ذلك مسجد الله تعالى

(مسجد الفجل)

هذا المسجد بخط بين القصرين تجاه بيت البيسري أصله من مساجد الخلفاء الفاطميين أنشأه على ما هو عليه الآن الامير بشتاك لما أخذ قصر أمير سلاح ودار أقطوان الساقي وأحد عشر مسجدا وأربعة معابد كانت من عمارة الخلفاء وأدخلها في عمارته التي تعرف اليوم بقصر بشتاك ولم يترك من المساجد والمعابد سوى هذا المسجد فقط ويجلس فيه بعض نواب القضاة المالكية للحكم بين الناس وتسميه العامة مسجد الفجل وتزعم أن النيل الاعظم كان يمر بهذا المكان وأن الفجل كان يغسل موضع هذا المسجد فعرف بذلك وهذا القول كذب لا أصل له وقد تقدم في هذا الكتاب ما كان عليه موضع القاهرة قبل بنائها وما علمت أن النيل كان يمر هنالك ابدا وبلغني انه عرف بمسجد الفجل من اجل أن الذي كان يقوم به كان يعرف بالفجل والله اعلم

(مسجد تبر)

هذا المسجد خارج القاهرة مما يلي الخندق عرف قديما بالبئر والجميزة وعرف بمسجد تبر وتسميه العامة مسجد التبن وهو خطأ وموضعه خارج القاهرة قريبا من المطرية قال القضاعي مسجد تبرني على رأس ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انفذه المنصور فسرقه أهل مصر ودفنوه هنالك وذلك في سنة خمس وأربعين ومائة ويعرف بمسجد البئر والجميزة وقال الكندي في كتاب الامراء ثم قدمت الخطباء الى مصر برأس ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب في ذي الحجة سنة خمس واربعين ومائة لينصبوه في المسجد الجامع وقامت الخطباء فذكروا امره * وتبر هذا أحد الامراء الاكابر في ايام الاستاذ كافور الاخشيدي فلما قدم جوهر القائد من المغرب بالعساكر ثار تبر الاخشيدي هذا في جماعة من الكافورية والاخشيدية وحاربه فانهزم بمن معه الى اسفل الارض فبعث جوهر يستعطفه فلم يجب واقام على الخلاف فسير اليه عسكرا حاربه بناحية صهرجت فانكسر وصار الى مدينة صور التي كانت على الساحل في البحر فقبض عليه بها وأدخل الى القاهرة على فيل فسجن الى صفر سنة ستين وثلثمائة فاشتدت المطالبة عليه وضرب بالسياط وقبضت امواله وحبس عدة من أصحابه بالمطبق في القيود الى ربيع الآخر منها فجرح نفسه واقام أياما مريضا ومات فسلخ بعد موته وصلب عند كرسي الجبل * وقال ابن عبد الظاهر انه حشي جلده تبنا وصلب فربما سمت العامة مسجده بذلك لما ذكرناه وقيل ان تبرا هذا خادم الدولة المصرية وقبره بالمسجد المذكور قال مؤلفه هذا وهم وانما هو تبر الاخشيدي

(مسجد القطبية)

هذا المسجد كان حيث المدرسة المنصورية بين القصرين والله اعلم

الخوانك جمع خانكاه وهى كلمة فارسية معناها بيت وقيل أصلها خونقاه أى الموضع الذى يأكل فيه الملك والخوانك حدثت فى الاسلام فى حدود الاربعمائة من سنى الهجرة وجعلت لتخلى الصوفية فيها لعبادة الله تعالى
* قال الاستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى رحمه الله اعلموا أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتسم أفاضلهم فى عصرهم بتسمية علم سوى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لا فضيلة فوقها فقيل لهم الصحابة ولما أدرك أهل العصر الثانى سمى من صحب الصحابة التابعين ورأوا ذلك أشرف سمة ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد ثم ظهرت البدع وحصل التداعى بين الفرق فكل فريق ادعوا أن فيهم زهادا فانفرد خواص أهل السنة المراعون انفسهم مع الله الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الاكابر قبل المائتين من الهجرة قال وهذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال رجل صوفى وللجماعة الصوفية ومن يتوصل الى ذلك يقال له متصوف وللجماعة المتصوفة وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق والاظهر فيه انه كاللقب فأما قول من قال انه من الصوف وتصوف اذا لبس الصوف كما يقال تقمص اذا لبس القميص فذلك وجه ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف ومن قال انهم ينسبون الى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنسبة الى الصفة لا تجىء على نحو الصوفى ومن قال انه من الصفاء فاشتقاق الصوفى من الصفاء بعيد فى مقتضى اللغة وقول من قال انه مشتق من الصف فكأنهم فى الصف الاول بقلوبهم من حيث المحاضرة مع الله تعالى فالمعنى صحيح لكن اللغة لا تقتضى هذه النسبة من الصف ثم ان هذه الطائفة اشهر من أن يحتاج فى تعيينهم الى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق والله اعلم *
وقال الشيخ شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد السهروردى رحمه الله والصوفى يضع الاشياء فى مواضعها ويدبر الاوقات والاحوال كلها بالعلم يقيم الخلق مقامهم ويقيم أمر الحق مقامه ويستر ما ينبغى أن يستر ويظهر ما ينبغى أن يظهر ويأتى بالامور من مواضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق واخلاص فقوم من المفتونين لبسوا ألبسة الصوفية لينسبوا اليهم وماهم منهم بشئ بل هم فى غرور وغلط يتسترون بلبسة الصوفية توقيا تارة ودعوة أخرى وينتهجون مناهج أهل الاباحة ويزعمون أن ضمائرهم خلصت الى الله تعالى وأن هذا هو الظفر بالمراد والارتسام بمراسم الشريعة رتبة العوام والقاصرين الافهام وهذا هو عين الالحاد والزندقة والابعاد ولله در القائل

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا * فيه وظنوه مشتقا من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير فتى * صافى وصوفى حتى سمى الصوفى

قال مؤلفه ذهب والله ما هنالك وصارت الصوفية كما قال الشيخ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى

ماشروط الصوفى فى عصرنا اليوم سوى ستة بغير زياده
وهى نيك العلوق والسكر والسطلة والرقص والغنا والقياده
واذا ما هذى وابدى اتحادا * وحلولا من جهله أو اعاده
واتى المنكرات عقلا وشرعا * فهو شيخ الشيوخ ذو السجاده

ثم تلاشى الآن حال الصوفية ومشايخها حتى صاروا من سقط المتاع لا ينسبون الى علم ولا ديانة والى الله المشتكى
* وأول من اتخذ بيتا للعبادة زيد بن صوحان بن صبرة وذلك انه عمد الى رجال من أهل البصرة قد تفرغوا للعبادة وليس لهم تجارات ولا غلات فبنى لهم دورا وأسكنهم فيها وجعل لهم ما يقوم بمصالحهم من مطعم ومشرب وملبس وغيره فجاء يوما ليزورهم فسأل عنهم فاذا عبد الله بن عامر عامل البصرة لامير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه قد دعاهم فأتاه فقال له يا ابن عامر ما تريد من هؤلاء القوم قال أريد أن اقربهم فيشفعوا فأشفعهم ويسألوا فأعطيهم ويشيروا على فأقبل منهم فقال لا ولا كرامة فتأتى الى قوم قد انقطعوا الى الله تعالى فتدنسهم بدنياك وتشركهم فى أمرك حتى اذا ذهبت أديانهم أعرضت عنهم فطاحوا لا الى الدنيا ولا الى الآخرة قوموا فارجعوا الى مواضعكم فقاموا فأمسك ابن عامر فما نطق بلفظة ذكره أبو نعيم

* (الخانكاه الصلاحية دار سعيد السعداء دويرة الصوفية) *

هذه الخانكاه بخط رحبة باب العيد من القاهرة كانت أولا دارا تعرف فى الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء وهو الاستاذ قنبر ويقال عنبر وذكر ابن ميسر أن اسمه بيان ولقبه سعيد السعداء أحد الاستاذين المحنكين خدام القصر عتيق الخليفة المستنصر قتل فى سابع شعبان سنة أربع وأربعين وخمسمائة ورمى برأسه من القصر ثم صلبت جثته بباب زويلة من ناحية الخرق وكانت هذه الدار مقابل دار الوزارة فلما كانت وزارة العادل رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك سكنها وفتح من دار الوزارة اليها سردابا تحت الارض ليمر فيه ثم سكنها الوزير شاور بن مجير فى أيام وزارته ثم ابنه الكامل فلما استبد الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى بملك مصر بعد موت الخليفة العاضد وغير رسوم الدولة الفاطمية ووضع من قصر الخلافة وأسكن فيه أمراء دولته الاكراد عمل هذه الدار برسم الفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة ووقفها عليهم فى سنة تسع وستين وخمسمائة وولى عليهم شيخا ووقف عليهم بستان الحبانية بجوار بركة الفيل خارج القاهرة وقيسارية الشراب بالقاهرة وناحية دهمرو من البهنساوية وشرط أن من مات من الصوفية وترك عشرين دينارا فما دونها كانت للفقراء ولا يتعرض لها الديوان السلطانى ومن أراد منهم السفر يعطى تسفيره ورتب للصوفية فى كل يوم طعاما ولحما وخبزا وبنى لهم حماما بجوارهم فكانت أول خانكاه عملت بديار مصر وعرفت بدويرة الصوفية ونعت شيخها بشيخ الشيوخ واستمر ذلك بعده الى أن كانت الحوادث والمحن منذ سنة ست وثمانمائة واتضعت الاحوال وتلاشت الرتب فلقب كل شيخ خانكاه بشيخ الشيوخ وكان سكانها من الصوفية يعرفون بالعلم والصلاح وترجى بركتهم وولى مشيختها الاكابر والاعيان كأولاد شيخ الشيوخ بن حمويه مع ما كان لهم من الوزارة والامارة وتدبير الدولة وقيادة الجيوش وتقدمة العساكر وولها ذو الرياستين الوزير الصاحب قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن بن ذى الرياستين الوزير الصاحب قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الاعز وجماعة من الاعيان ونزل بها الاكابر من الصوفية وأخبرنى الشيخ أحمد بن على القصار رحمه الله انه أدرك الناس فى يوم الجمعة يأتون من مصر الى القاهرة ليشاهدوا صوفية خانقاه سعيد السعداء عندما يتوجهون منها الى صلاة الجمعة بالجامع الحاكمى كى تحصل لهم البركة والخير بمشاهدتهم وكان لهم فى يوم الجمعة هيئة فاضلة وذلك انه يخرج شيخ الخانقاه منها وبين يديه خدام الربعة الشريفة قد حملت على رأس أكبرهم والصوفية مشاة بسكون وخفر الى باب الجامع الحاكمى الذى يلى المنبر فيدخلون الى مقصورة كانت هنالك على يسرة الداخل من الباب المذكور تعرف بمقصورة البسملة فانه بها الى اليوم بسملة قد كتبت بحروف كبار فيصلى الشيخ تحية المسجد تحت سحابة منصوبة له دائما وتصلى الجماعة ثم يجلسون وتفرق عليهم أجزاء الربعة فيقرؤن القرآن حتى يؤذن المؤذنون فتؤخذ الاجزاء منهم ويشتغلون بالتركع واستماع الخطبة وهم منصتون خاشعون فاذا قضيت الصلاة والدعاء بعدها قام قارئ من قراء الخانقاه ورفع صوته بقراءة ما تيسر من القرآن ودعا للسلطان صلاح الدين ولواقف الجامع ولسائر المسلمين فاذا فرغ قام الشيخ من مصلاه وسار من الجامع الى الخانقاه والصوفية معه كما كان توجههم الى الجامع فيكون هذا من أجمل عوايد القاهرة ومابرح الامر على ذلك الى أن ولى الامير يلبغا السالمى نظر الخانقاه المذكورة فى يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وسبعمائة فنزل اليها وأخرج كتاب الوقف وأراد العمل بما فيه من شرط الواقف فقطع من الصوفية المنزلين بها عشرات ممن له منصب ومن هو مشهور بالمال وزاد الفقراء المجردين وهم المقيمون بها فى كل يوم رغيفا من الخبز فصار لكل مجرد أربعة أرغفة بعد ما كانت ثلاثة ورتب بالخانقاه وظيفة ذكر بعد صلاة العشاء الآخرة وبعد صلاة الصبح فكثر النكير على السالمى ممن أخرجهم وزاد الاشلاء فقال بعض ادباء العصر فى ذلك

يا أهل خانقة الصلاح أراكم * ما بين شاك للزمان وشاتم
يكفيكم ما قد أكلتم باطلا * من وقفها وخرجتم بالسالم

وكان سبب ولاية السالمى نظر الخانقاه المذكورة أن العادة كانت قديما أن الشيخ هو الذى يتحدث فى نظرها فلما كانت ايام الظاهر برقوق ولى مشيختها شخص يعرف بالشيخ محمد البلالى قدم من البلاد الشامية وصار للامير سودون الشيخونى نائب السلطنة بديار مصر فيه اعتقاد فلما سعى له فى المشيخة

واستقرّ فيها بتعيينه سأله أن يتحدّث في النظر اعانة له فتحدّث وكانت عدّة الصوفية بها نحو الثلثمائة رجل لكل منهم في اليوم ثلاثة أرغفة زنتها ثلاثة ارطال خبز وقطعة لحم زنتها ثلث رطل في مرق ويعمل لهم الحلوى في كل شهر ويفرّق فيهم الصابون ويعطى كل منهم في السنة عن ثمن كسوة قدر أربعين درهما فنزل الامير سودون عند هم جماعة كثيرة بعجز ريع الوقف عن القيام لهم بجميع ما ذكر فقطعت الحلوى والصابون والكسوة ثم ان ناحية دهمرو شرقت في سنة تسع وتسعين لقصور ماء النيل فوقع العزم على غلق مطبخ الخانقاه وابطال الطعام فلم تحتمل الصوفية ذلك وتكررت شكواهم للملك الظاهر برقوق فولى الامير يلبغا السالمى النظر وأمره أن يعمل بشرط الواقف فلما نزل الى الخانقاه وتحدّث فيها اجتمع بشيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى وأوقفه على كتاب الوقف فأفتاه بالعمل بشرط الواقف وهو أن الخانقاه تكون وقفا على الطائفة الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة والقاطنين بالقاهرة ومصر فان لم يوجدوا كانت على الفقراء من الفقهاء الشافعية والمالكية الاشعرية الاعتقاد ثم انه جمع القضاة وشيخ الاسلام وسائر صوفية الخانقاه بها وقرأ عليهم كتاب الوقف وسأل القضاة عن حكم الله فيه فانتدب للكلام رجلان من الصوفية هما زين الدين أبو بكر القمنى وشهاب الدين أحمد العبادى الحنفى وارتفعت الاصوات وكثر اللغط فأشار القضاة على السالمى أن يعمل بشرط الواقف وانصرفوا فقطع منهم نحو الستين رجلا منهم المذكوران فامتعض العبادى وغضب من ذلك وشنع بأن السالمى قد كفر وبسط لسانه بالقول فيه وبدت منه سماجات فقبض عليه السالمى وهو ماش بالقاهرة فاجتمع عدّة من الاعيان وفرّقوا بينهما فبلغ ذلك السلطان فأحضر القضاة والفقهاء وطلب العبادى في يوم الخميس ثامن شهر رجب وادّعى عليه السالمى فاقتضى الحال تعزيره فعزر وكشف رأسه وأخرج من القلعة ماشيا بين يدى القضاة ووالى القاهرة الى باب زويلة فسجن بحبس الديلم ثم نقل منه الى حبس الرحبة فلما كان يوم السبت حادى عشره استدعى الى دار قاضى القضاة جمال الدين محمود القيصرى الحنفى وضرب بحضرة الامير علاء الدين على بن الطبلاوى والى القاهرة نحو الاربعين ضربة بالعصا تحت رجليه ثم أعيد الى الحبس وأفرج عنه في ثامن عشره بشفاعة شيخ الاسلام فيه ولما جدّد الامير يلبغا السالمى الجامع الاقمر وعمل له منبرا وأقيمت به الجمعة في شهر ربيع الاول سنة احدى وثمانمائة الزم الشيخ بالخانقاه والصوفية ان يصلوا الجمعة به فصاروا يصلون الجمعة فيه الى أن زالت أيام السالمى فتركوا الاجتماع بالجامع الاقمر ولم يعودوا الى ما كانوا عليه من الاجتماع بالجامع الحاكمى ونسى ذلك ولم يكن بهذه الخانقاه مئذنة والذى بنى هذه المئذنة شيخ ولى مشيختها في سنة بضع وثمانين وسبعمائة يعرف بشهاب الدين أحمد الانصارى وكان الناس يمرّون في صحن الخانقاه بنعالهم فجدّد شخص من الصوفية بها يعرف بشهاب الدين أحمد العثمانى هذا الدرابزين وغرس فيه هذه الاشجار وجعل عليها وقفا لمن يتعاهدها بالخدمة

(خانقاه ركن الدين بيبرس)

هذه الخانقاه من جملة دار الوزارة الكبرى التى تقدّم ذكرها عند ذكر القصر من هذا الكتاب وهى أجل خانقاه بالقاهرة بنيانا وأوسعها مقدارا وأتقنها صنعة بناها الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصورى قبل أن يلى السلطنة وهو أمير فبدأ في بنائها في سنة ست وسبعمائة وبنى بجانبها رباطا كبيرا يتوصل اليه من داخلها وجعل بجانب الخانقاه قبة بها قبره ولهذه القبة شبابيك تشرف على الشارع المسلوك فيه من رحبة باب العيد الى باب النصر من جملتها الشباك الكبير الذى حمله الامير أبو الحارث البساسيرى من بغداد لما غلب الخليفة القائم العباسى وأرسل بعمامته وشباكه الذى كان بدار الخلافة في بغداد وتجلس الخلفاء فيه وهو هذا الشباك كما ذكر في أخبار دار الوزارة من هذا الكتاب فلما ورد هذا الشباك من بغداد عمل بدار الوزارة واستمرّ فيها الى أن عمر الامير بيبرس الخانقاه المذكورة فجعل هذا الشباك بقبة الخانقاه وهو بها الى يومنا هذا وانه لشباك جليل القدر حشم يكاد يتبين عليه أبهة الخلافة ولما شرع في بنائها رفق بالناس ولاطفهم ولم يعسف فيها أحدا في بنائها ولا أكره صانعا ولا غصب من آلاتها شيأ وانما اشترى دار الامير عز الدين الافرم التى كانت بمدينة مصر واشترى دار الوزير هبة الله بن صاعد الفائزى وأخذ ما كان فيهما من الانقاض واشترى أيضا دار الانماط التى كانت برأس حارة الجودرية من القاهرة ونقضها وما حولها واشترى أملاكا كانت قد

بنيت

بنيت في أرض دار الوزارة من ملاكها بغير إكراه وهدمها فكان قياس أرض الخانقاه والرباط والقبة نحو
فدّانين وثلث وعند ما شرع في بنائها حضر إليه الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير بكتاش الفخري أمير سلاح وأراد
التقرّب لخاطره وعرّفه أن بالقصر الذي فيه سكن أبيه مغارة تحت الأرض كبيرة يذكر أن فيها ذخيرة من ذخائر
الخلفاء الفاطميين وأنهم لما فتحوها لم يجدوا بها سوى رخام كثير فسدّوها ولم يتعرّضوا لشيء مما فيها فسرّ بذلك
وبعث عدّة من الأمراء فتحوا المكان فإذا فيه رخام جليل القدر عظيم الهيئة فيه ما لا يوجد مثله لعظمه فنقله
من المغارة ورخّم منه الخانقاه والقبة وداره التي بالقرب من البندقانيين وحارة زويلة وفضل منه شيء كثير
عهدي انه مختزن بالخانقاه وأظنه أنه باق هنالك ولما كملت في سنة تسع وسبعمائة قرّر بالخانقاه أربعمائة
صوفيّ وبالرباط مائة من الجند وأبناء الناس الذين قعد بهم الوقت وجعل بها مطبخا يفرّق على كلّ منهم في كلّ
يوم اللحم والطعام وثلاثة أرغفة من خبز البرّ وجعل لهم الحلاوى ورتب بالقبة درسا للحديث النبوي له مدرّس
وعنده عدّة من المحدّثين ورتب القرّاء بالشباك الكبير يتناوبون القراءة فيه ليلا ونهارا ووقف عليها عدّة ضياع
بدمشق وحماه ومنية المخلص بالجيزة من أرض مصر وبالصعيد والوجه البحريّ والربع والقيسارية بالقاهرة فلما
خلع من السلطنة وقبض عليه الملك الناصر محمد بن قلاون وقتله أمر بغلقها فغلقت وأخذ سائر ما كان موقوفا
عليها ومحا اسمه من الطراز الذي بظاهرها فوق الشبابيك وأقامت نحو عشرين سنة معطلة ثم انه أمر بفتحها
في أول سنة ست وعشرين وسبعمائة ففتحت وأعاد إليها ما كان موقوفا عليها واستمرّت الى أن شرقت أراضي
مصر لقصور مدّ النيل أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين في سنة ست وسبعين وسبعمائة فبطل طعامها
وتعطل مطبخها واستمرّ الخبز ومبلغ سبعة دراهم لكلّ واحد في الشهر بدل الطعام ثم صار لكلّ واحد منهم
في الشهر عشرة دراهم فلما قصر مدّ النيل في سنة ست وتسعين وسبعمائة بطل الخبز أيضا وغلق المخبز من الخانقاه
وصار الصوفية يأخذون في كلّ شهر مبلغا من الفلوس معاملة القاهرة وهم على ذلك الى اليوم وقد أدركتها
ولا يمكن بوّابها غير أهلها من العبور إليها والصلاة فيها لما لها في النفوس من المهابة ويمنع الناس من دخولها
حتى الفقهاء والأجناد وكان لا ينزل بها أمرد وفيها جماعة من أهل العلم والخير وقد ذهب ما هنالك فنزل بها
اليوم عدّة من الصغار ومن الأساكفة وغيرهم من العامّة إلا أن أوقافها عامرة وأرزاقها دارّة بحسب
نقود مصر ومن حسن بناء هذه الخانقاه انه لم يحتج فيها الى مرمّة منذ بنيت الى وقتنا هذا وهي مبنية بالحجر
وكلها عقود محكمة بدل السقوف الخشب وقد سمعت غير واحد يقول انه لم تبن خانقاه أحسن من بنائها
* (الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري) * اشتراه الملك المنصور قلاون صغيرا ورقاه في الخدم
السلطانية الى أن جعله أحد الأمراء وأقامه جاشنكير وعرف بالشجاعة فلما مات الملك المنصور خدم ابنه
الملك الأشرف خليلا الى أن قتله الأمير بيدرا بناحية تروجة فكان أوّل من ركب على بيدرا في طلب ثار الملك
الأشرف وكان مهابا بين خشداشيته فركبوا معه وكان من نصرتهم على بيدرا وقتله ما قد ذكر في موضعه فاشتهر
ذكره وصار أستادار السلطان في أيام الملك الناصر محمد بن قلاون في سلطنته الثانية رفيقا للأمير سلار
نائب السلطنة وبه قويت الطائفة البرجية من المماليك واشتدّ بأسهم وصار الملك الناصر تحت حجر بيبرس
وسلار الى أن أنف من ذلك وسار الى الكرك فأقيم بيبرس في السلطنة يوم السبت ثالث عشري شوّال سنة
ثمان وسبعمائة فاستضعف جانبه وانحط قدره ونقصت مهابته وتغلب عليه الأمراء والمماليك واضطربت أمور
المملكة لمكان الأمير سلار وكثرة حاشيته وميل القلوب الى الملك الناصر وفي أيامه عمل الجسر من قليوب الى
مدينة دمياط وهو مسيرة يومين طولا في عرض أربع قصبات من أعلاه وست قصبات من أسفله حتى انه كان
يسير عليه ستة من الفرسان معا بحذاء بعضهم وأبطل سائر الخمارات من السواحل وغيرها من بلاد الشام
وسامح بما كان من المقرّر عليها للسلطان وعوّض الأجناد بدله وكبست أماكن الريب والفواحش بالقاهرة
ومصر وأريقت الخمور وضرب الناس كثير في ذلك بالمقارع وتتبع أماكن الفساد وبالغ في ازالته ولم يراع في ذلك
أحدا من الكتاب ولا من الأمراء فخف المنكر وخفي الفساد إلا أن الله أراد زوال دولته فسوّلت له نفسه أن
بعث الى الملك الناصر بالكرك يطلب منه ما خرج به معه من الخيل والمماليك وحمل الرسول إليه بذلك مشافهة
أغلظ عليه فيها فحنق من ذلك وكاتب نوّاب الشام وأمراء مصر في السرّ يشكو ما حلّ به وترفق بهم وتلطف بهم

فرقوا له وامتعضوا لمـا به ونزل الناصر من الكرك وبرز عنها فاضطرب الامر بمصر واختل الحال من بيبرس وأخذ العسكر يسير من مصر الى الناصر شيأ بعد شئ وسار الناصر من ظاهر الكرك يريد دمشق فى غرة شعبان سنة تسع وسبعمائة فعند ما نزل الكسوة خرج الامراء وعامة أهل دمشق الى لقائه ومعهم شعار السلطنة ودخلوا به الى المدينة وقد فرحوا به فرحا كثيرا فى ثانى عشر شعبان ونزل بالقلعة وكاتب النوّاب فقدموا عليه وصارت ممالك الشام كلها تحت طاعته يخطب له بها ويجبى اليه مالها ثم خرج من دمشق بالعساكر يريد مصر وأمر بيبرس كل يوم فى نقص الى أن كان يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان فترك بيبرس المملكة ونزل من قلعة الجبل ومعه خواصه الى جهة باب القرافة والعامة تصيح عليه وتسبه وترجمه بالحجارة عصبية للملك الناصر وحبا له حتى سار عن القرافة ودعا الحرس بالقلعة فى يوم الاربعاء للملك الناصر فكانت مدة سلطنة بيبرس عشرة اشهر وأربعة وعشرين يوما وقدم الملك الناصر الى قلعة الجبل أول يوم من شوال وجلس على تخت المملكة واستولى على السلطنة مرة ثالثة ونزل بيبرس باطفيح ثم سار منها الى اخميم فلما صار بها تفرق عنه من كان معه من الامراء والمماليك فصاروا الى الملك الناصر فتوجه فى نفر يسير على طريق السويس يريد بلاد الشام فقبض عليه شرقى غزة وحمل مقيدا الى الملك الناصر فوصل قلعة الجبل يوم الاربعاء ثالث عشر ذى القعدة واوقف بين يدى السلطان وقبل الارض فعنفه وعدد عليه ذنوبا ووبخه ثم أمر به فسجن فى موضع الى ليلة الجمعة خامس عشره وفيها الحق بربه تعالى فحمل الى القرافة ودفن فى تربة الفارس اقطاى ثم نقل منها بعد مدة الى تربته بسفح المقطم فقبر بها زمانا طويلا ثم نقل منها ثالث مرة الى خانقاهه ودفن بقبتها وقبره هناك الى يومنا هذا وأدركت بالخانقاه المذكورة شيخا من صوفيتها أخبرنى انه حضر نقله من تربته بالقرافة الى قبة الخانقاه وانه تولى وضعه فى مدفنه بنفسه وكان رحمه الله خيرا عفيفا كثير الحياء وافر الحرمة جليل القدر عظيما فى النفوس مهاب السطوة فى أيام امرته فلما تلقب بالسلطنة ووسم باسم الملك اتضع قدره واستضعف جانبه وطمع فيه وتغلب عليه الامراء والمماليك ولم تنجح مقاصده ولا سعد فى شئ من تدبيره الى أن انقضت أيامه وأناخ به حمامه رحمه الله

(الخانقاه الجمالية)

هذه الخانقاه بالقرب من درب راشد يسلك اليها من رحبة باب العيد بناها الامير الوزير مغلطاى الجمالى فى سنة ثمانين وسبعمائة وقد تقدم ذكرها عند ذكر المدارس من هذا الكتاب

(الخانقاه الظاهرية)

هذه الخانقاه بخط بين القصرين فيما بين المدرسة الناصرية ودار الحديث الكاملية أنشأها الملك الظاهر برقوق فى سنة ست وثمانين وسبعمائة وقد ذكرت عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب

(الخانقاه الشرابيشية)

هذه الخانقاه فيما بين الجامع الاقمر وحارة برجوان فى آخر المنحر الذى كان للخلفاء وهو يعرف اليوم بالدرب الاصفر ويتوصل منها الى الدرب الاصفر تجاه خانقاه بيبرس وبابها الاصلى من زقاق ضيق بوسط سوق حارة برجوان أنشأها الصدر الاجل نور الدين على بن محمد بن محاسن الشرابيشى وكان من ذوى الغنى واليسار صاحب ثراء متسع وله عدة أوقاف على جهات البر والقربات ومات فى

هكذا بياض بالاصل

(الخانقاه المهمندارية)

هذه الخانقاه خارج باب زويلة فيما بين رأس حارة اليانسية وجامع الماردينى بناها الامير شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزى المهمندار ونقيب الجيوش فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وقد ذكرت فى المدارس من هذا الكتاب

(خانقاه بشتاك)

هذه

هذه الخانقاه خارج القاهرة على جانب الخليج من البرّ الشرقى تجاه جامع بشتاك أنشأها الامير سيف الدين بشتاك الناصرى وكان فتحها أوّل يوم من ذى الحجة سنة ست وثلاثين وسبعمائة واستقرّ فى مشيختها شهاب الدين القدسى وتقرّر عنده عدّة من الصوفية وأجرى لهم الخبز والطعام فى كل يوم فاستمرّ ذلك مدّة ثم بطل وصار يصرف لاربابها عوضا عن ذلك فى كل شهر مبلغ وهى عامرة الى وقتنا هذا وقد نسب اليها جماعة منهم الشيخ الاديب البارع بدر الدين محمد بن ابراهيم المعروف بالبدر البشتكى

(خانقاه ابن غراب)

هذه الخانقاه خارج القاهرة على الخليج الكبير من برّه الشرقى بجوار جامع بشتاك من غربيه أنشأها القاضى الامير سعد الدين ابراهيم بن عبد الرزاق بن غراب الاسكندرانى ناظر الخاص وناظر الجيوش وأستادار السلطان وكاتب السر وأحد أمراء الالوف الاكابر أسلم جدّه غراب وباشر بالاسكندرية حتى ولى نظر الثغر ونشأ ابنه عبد الرزاق هنالك فولى أيضا نظر الاسكندرية وولد له ماجد وابراهيم فلما تحكم الامير جمال الدين محمود بن على فى الاموال أيام الملك الظاهر برقوق اختص بابراهيم وحمله الى القاهرة وهو صبى واعتنى به واستكتبه فى خاص أمواله حتى عرفها فتنكر محمود عليه لامر بدا منه فى ماله وهمّ به فبادر الى الامير علاء الدين على بن الطبلاوى وترامى عليه وهو يومئذ قد نافس محمودا فأوصله بالسلطان وأمكنه من سماع كلامه فملأ أذنه بذكر أموال محمود وغرصدره عليه حتى نكبه واستصفى أمواله كما ذكر فى خبره عند ذكر مدرسة محمود من هذا الكتاب وولى ابن غراب نظر الديوان المفرد فى حادى عشر صفر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وعمره عشرون سنة او نحوها وهى أوّل وظيفة وليها فاختص بابن الطبلاوى ولازمه وملأ عينه بكثرة المال فتحدث له فى وظيفة نظر الخاص عوضا عن سعد الدين أبى الفرج بن تاج الدين موسى فوليها فى تاسع عشر ذى القعدة وغص بمكان ابن الطبلاوى فعمل عليه عند السلطان حتى غيره عليه وولاه امره فقبض عليه فى داره وعلى سائر أسبابه فى شعبان فى سنة ثمانمائة ثم أضيف اليه نظر الجيوش عوضا عن شرف الدين محمد الدماميني فى تاسع ذى القعدة سنة ثمانمائة فعف عن تناول الرسوم وأظهر من الفخر والحشمة والمكارم أمرا كبيرا وقدّر الله موت السلطان فى شوّال سنة احدى وثمانمائة بعد ما جعله من جملة أوصيائه فباطن الامير يشبك الخازندار على ازالة الامير الكبير ايتمش القائم بدولة الناصر فرج بن برقوق وعمل لذلك أعمالا حتى كانت الحرب بعد موت السلطان الملك الظاهر بين الامير ايتمش وبين الامير يشبك فى ربيع الاوّل سنة اثنتين وثمانمائة التى انهزم فيها ايتمش وعدّة من الامراء الى الشام وتحكم الامير يشبك فاستدعى عند ذلك ابن غراب أخاه فخر الدين ماجدا من الاسكندرية وهو يلى نظرها الى قلعة الجبل وفوّضت اليه وزارة الملك الناصر فرج بن برقوق فقاما بسائر أمور الدولة الى أن ولى الامير يلبغا السالمى الاستادارية فسلك معه عادته من المنافسة وسعى به عند الامير يشبك حتى قبض عليه وتقلد وظيفة الاستادارية عوضا عن السالمى فى رابع عشر رجب سنة ثلاث وثمانمائة مضافا الى نظر الخاص ونظر الجيوش فلم يغير زى الكتاب وصار له ديوان كدواوين الامراء ودقت الطبول على بابه وخاطبه الناس وكاتبوه بالامير وسار فى ذلك سيرة ملوكية من كثرة العطاء وزيادة الاسمطة والاتساع فى الامور والازدياد من المماليك والخيول والاستكثار من الخول والحواشى حتى لم يكن أحد يضاهيه فى شئ من أحواله الى أن تنازع الاميران حكم وسودون طاز مع الامير يشبك فكان هو المتولى كبر تلك الحروب ثم انه خرج من القاهرة مغاضبا لامراء الدولة وصار الى ناحية تروجة يريد جمع العربان ومحاربة الدولة فلم يتم له ذلك وعاد فدخل القاهرة على حين غفلة فنزل عند جمال الدين يوسف الاستادار فقام باصلاح أمره مع الامراء حتى حصل له الغرض فظهر واستولى على ما كان عليه الى أن تنكرت رجال الدولة على الملك الناصر فرج فقام مع الامير يشبك بحرب السلطان الى أن انهزم الامير يشبك بأصحابه الى الشام فخرج معه فى سنة تسع وثمانمائة وأمدّه ومن معه بالاموال العظيمة حتى صاروا عند الامير شيخ نائب الشام واستفزا العساكر لقتال الملك الناصر وحرّضهم على المسير الى حربه وخرج من دمشق مع العساكر يريد القاهرة وكان من وقعة السعيدية ما كان على ما هو مذكور فى خبر الملك الناصر عند ذكر الخانقاه الناصرية من هذا الكتاب فاختفى الامير يشبك وطائفة من الامراء بالقاهرة ولحق ابن غراب بالامير اينال باى بن قجماس وهو يومئذ اكبر الامراء

الناصرية وملأ عينه بالمال فتوسط له مع الملك الناصر حتى أمنه وأصبح فى داره وجميع الناس على بابه ثم تقلد وظيفة نظر الجيوش واختص بالسلطان ومازال به حتى استرضاه على الامير يشبك ومن معه من الامراء وظهروا من الاستتار وصاروا بقلعة الجبل فخلع عليهم السلطان وأمّرهم وصاروا الى دورهم فثقل على ابن غراب مكان فتح الدين فتح الله كاتب السر فسعى به حتى قبض عليه وولى مكانه كتابة السر ليتمكن من أغراضه فلما استقر فى كتابة السر أخذ فى نقض دولة الناصر الى أن تم له مراده وصارت الدولة كلها على الناصر فخلا به وخيل له وحسن له الفرار فانقاد له وترامى عليه فأعد له رجلين أحدهما من مماليكه ومعهما فرسان ووقفا بهما وراء القلعة وخرج الناصر وقت القائلة ومعه مملوك من مماليكه يقال له بيغوت وركبا الفرسين وسارا الى ناحية طراثم عادا مع قاصدى ابن غراب فى مركب من المراكب النيلية ليلا الى دار ابن غراب ونزلا عنده وقد خفى ذلك على جميع أهل الدولة وقام ابن غراب بتولية عبد العزيز بن برقوق وأجلسه على تخت الملك عشاء ولقبه بالملك المنصور ودبر الدولة كما أحب مدة سبعين يوما الى أن احس من الامراء بتغير فأخرج الناصر ليلا وجمع عليه عدة من الامراء والمماليك وركب معه بلامة الحرب الى القلعة فلم يلبث أصحاب المنصور وانهزموا ودخل الناصر الى القلعة واستولى على المملكة ثانيا فألقى مقاليد الدولة الى ابن غراب وفوض اليه ماوراء سريره ونظمه فى خاصته وجعله من اكابر الامراء وناط به جميع الامور فأصبح مولى نعمة كل من السلطان والامراء يمنّ عليهم بأنه أبقى لهم مهجهم وأعاد اليهم سائر ما كانوا قد سلبوه من ملكهم وأمدهم بماله وقت حاجتهم وفاقتهم اليه ويفخر ويتكبر بأنه أقام دولة وأزال دولة ثم أزال ما أقام وأقام ما أزال من غير حاجة ولا ضرورة ألجأته الى شئ من ذلك وانه لو شاء أخذ الملك لنفسه وترك كتابة السر لغلامه وأحد كتابه فخر الدين بن المزوق ترفعا عنها واحتقارا بها ولبس هيئة الامراء وهى الكلوتة والقباء وشد السيف فى وسطه وتحول من داره التى على بركة الفيل الى دار بعض الامراء بحدرة البقر فغاضبه القضاء وكان عند الانتهاء الانحطاط ونزل به مرض الموت فنال فى مرضه من السعادة مالم يسمع بمثله لاحد من أبناء جنسه وصار الامير يشبك ومن دونه من الامراء يترددون اليه وأكثرهم اذا دخل عليه وقف قائما على قدميه حتى ينصرف الى أن مات يوم الخميس تاسع عشر شهر رمضان سنة ثمان وثمانمائة ولم يبلغ ثلاثين سنة وكانت جنازته أحد الامور العجيبة بمصر لكثرة من شهدها من الامراء والاعيان وسائر أرباب الوظائف بحيث استأجر الناس السقائف والحوانيت لمشاهدتها ونزل السلطان للصلاة عليه وصعد الى القلعة فدفن خارج باب المحروق وكان من أحسن الناس شكلا وأحلاهم منظرا وأكرمهم يدا مع تدين وتعفف عن القاذورات وبسط يد بالصدقات الا انه كان غدارا لايتوانى عن طلب عدوه ولا يرضى من نكبته بدون اتلاف النفس فكم ناطح كبشا وثل عرشا وعالج جبالا شامخة واقتلع دولا من اصولها الراسخة وهو أحد من قام بتخريب اقليم مصر فانه مازال يرفع سعر الذهب حتى بلغ كل دينار الى مائتى درهم وخمسين درهما من الفلوس بعد ما كان بنحو خمسة وعشرين درهما ففسدت بذلك معاملة الاقليم وقلت امواله وغلت أسعار المبيعات وساءت أحوال الناس الى أن زالت البهجة وانطوى بساط الرقة وكاد الاقليم يدمر كما ذكر ذلك عند ذكر الاسباب التى نشأ عنها خراب مصر من هذا الكتاب عفا الله عنه وسامحه فلقد قام بمواراة آلاف من الناس الذين هلكوا فى زمان المحنة سنة ست وسنة سبع وثمانمائة وتكفينهم فلم ينس الله له ذلك وستره كما ستر المسلمين وما كان ربك نسيا

(الخانقاه البندقدارية)

هذه الخانقاه بالقرب من الصليبة كان موضعها يعرف قديما بدويرة مسعود وهى الآن تجاه المدرسة الفارقانية وحمام الفارقانى أنشأها الامير علاء الدين ايدكين البندقدارى الصالحى النجمى وجعلها مسجدا لله تعالى وخانقاه ورتب فيها صوفية وقراء فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة وفى سنة ثمان وأربعين وستمائة استنابه الملك المعز أيبك فواظب الجلوس بالمدارس الصالحية مع نواب دار العدل والى أيدكين هذا ينسب الملك الظاهر بيبرس البندقدارى لانه كان أولا مملوكه ثم انتقل منه الى الملك الصالح نجم الدين أيوب فعرف بين المماليك البحرية ببيبرس البندقدارى وعاش ايدكين الى أن صار بيبرس سلطان مصر وولاه نيابة السلطنة بحلب فى سنة تسع وخمسين وستمائة وكان الغلاء بها شديدا فلم تطل أيامه وفارقها بدمشق بعد محاربة سنقر الاشقر

والقبض عليه فى حادى عشر صفر سنة تسع وخمسين وستمائة فاقام فى النيابة نحو شهر وصرفه الامير علاء الدين طيبرس الوزيرى فلما خرج السلطان الى الشام فى سنة احدى وستين وستمائة وأقام بالطور أعطاه امرة بمصر وطبلخاناه فى ربيع الآخر منها ومات فى ربيع الآخر سنة أربع وثمانين وستمائة ودفن بقبة هذه الخانقاه

(خانقاه شيخو)

هذه الخانقاه فى خط الصليبة خارج القاهرة تجاه جامع شيخو أنشأها الامير الكبير سيف الدين شيخو العمرى فى سنة ست وخمسين وسبعمائة كان موضعها من جملة قطائع أحمد بن طولون وآخر ما عرف من خبره انه كان مساكن للناس فاشتراها الامير شيخو من أربابها وهدمها فى المحرم من هذه السنة فكانت مساحة أرضها زيادة على فدان فاختط فيها الخانقاه وحمامين وعدة حوانيت يعلوها بيوت لسكنى العامة ورتب بها دروسا عدة منها أربعة دروس لطوائف الفقهاء الاربعة وهم الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة ودرسا للحديث النبوى ودرسا لاقراء القرآن بالروايات السبع وجعل لكل درس مدرسا وعنده جماعة من الطلبة وشرط عليهم حضور الدرس وحضور وظيفة التصوف وأقام شيخنا أكمل الدين محمد بن محمود فى مشيخة الخانقاه ومدرس الحنفية وجعل اليه النظر فى أوقاف الخانقاه وقرر فى تدريس الشافعية الشيخ بهاء الدين أحمد بن على السبكى وفى تدريس المالكية الشيخ خليلا وهو متجند الشكل وله اقطاع فى الحلقة وفى تدريس الحنابلة قاضى القضاة موفق الدين الحنبلى ورتب لكل من الطلبة فى اليوم الطعام واللحم والخبز وفى الشهر الحلوى والزيت والصابون ووقف عليها الاوقاف الجليلة فعظم قدرها واشتهر فى الاقطار ذكرها وتخرج بها كثير من أهل العلم وأربت فى العمارة على كل وقف بديار مصر الى أن مات الشيخ أكمل الدين فى شهر رمضان سنة ست وثمانين وسبعمائة فوليها من بعده جماعة ولما حدثت المحن كان بها مبلغ كبير من المال الذى فاض عن مصروفها فاخذه الملك الناصر فرج وأخذت أحوالها تتناقص حتى صار المعلوم يتأخر صرفه لارباب الوظائف بها عدة اشهر وهى الى اليوم على ذلك

(الخانقاه الجاولية)

هذه الخانقاه على جبل يشكر بجوار مناظر الكبش فيما بين القاهرة ومصر أنشاها الامير علم الدين سنجر الجاولى فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وقد تقدم ذكرها فى المدارس

(خانقاه الجيبغا المظفرى)

هذه الخانقاه خارج باب النصر فيما بين قبة النصر وتربة عثمان بن جوشن السعودى أنشاها الامير سيف الدين الجيبغا المظفرى وكان بها عدة من الفقراء يقيمون بها ولهم فيها شيخ ويحضرون فى كل يوم وظيفة التصوف ولهم الطعام والخبز وكان بجانبها حوض ماء لشرب الدواب وسقاية بها الماء العذب لشرب الناس وكتاب يقرأ فيه اطفال المسلمين الايتام كتاب الله تعالى ويتعلمون الخط ولهم فى كل يوم الخبز وغيره وما برحت على ذلك الى أن اخرج الامير برقوق أوقافها فتعطلت وأقام بها جماعة من الناس مدة ثم تلاشى أمرها وهى الآن باقية من غير أن يكون فيها سكان وقد تعطل حوضها وبطل مكتب السبيل * (الجيبغا المظفرى) الخاصكى تقدم فى أيام الملك المظفر حاجى بن الملك الناصر محمد بن قلاون تقدما كثيرا بحيث لم يشاركه أحد فى رتبته فلما قام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون فى السلطنة أقره على رتبته وصار أحد أمراء المشورة الذين يصدر عنهم الامر والنهى فلما اختلف أمراء الدولة أخرج الى دمشق فى ربيع الاول سنة تسع وأربعين وسبعمائة وأقام بدمشق الى شعبان وسار الى نيابة طرابلس عوضا عن الامير بدر الدين مسعود بن الخطيرى فلم يزل على نيابتها الى شهر ربيع الاول سنة خمسين وسبعمائة فكتب الى الامير أرغون شاه نائب دمشق يستأذنه فى التصيد الى الناعم فاذن له وسار من طرابلس وأقام على بحيرة حمص أياما يتصيد ثم ركب ليلا بمن معه وساق الى خان لاجين ظاهر دمشق فوصله أول النهار وأقام به يومه ثم ركب منه بمن معه ليلا وطرق أرغون شاه وهو بالقصر الابلق وقبض عليه وقيده فى ليلة الخميس ثالث عشرى شهر ربيع الاول وأصبح وهو

بسوق الخيل فاستدعى الامراء وأخرج لهم كتاب السلطان بامساك أرغون شاه فأذعنوا له واستولى على اموال أرغون شاه فلما كان يوم الجمعة رابع عشر به أصبح أرغون شاه مذبوحا فأشاع الجيبغا أن أرغون شاه ذبح نفسه وفى يوم الثلاثاء أنكر الامراء أمره وثاروا لحربه فركب وقاتلهم وانتصر عليهم وقتل جماعة منهم وأخذ الاموال وخرج من دمشق وسار الى طرابلس فأقام بها وورد الخبر من مصر الى دمشق بانكار كل ماوقع والاجتهاد فى مسك الجيبغا فخرجت عساكر الشام اليه ففر من طرابلس فأدركه عسكر طرابلس عند بيروت وحاربوه حتى قبضوا عليه وحمل الى عسكر دمشق فقيد وسجن بقلعة دمشق فى ليلة السبت سادس عشر ربيع الآخر هو وفخر الدين اياس ثم وسط بمرسوم السلطان تحت قلعة دمشق بحضور عساكر دمشق ووسط معه الامير فخر الدين اياس وعلقا على الخشب فى ثامن عشر ربيع الآخر سنة خمسين وسبعمائة وعمره دون العشرين سنة فما طر شاربه وكأنه البدر حسنا والغصن اعتدالا

(خانقاه سرياقوس)

هذه الخانقاه خارج القاهرة من شماليها على نحو بريد منها بأوّل تيه بنى اسرائيل بما يعرف بسرياقوس أنشأها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون وذلك انه لما بنى الميدان والاحواش فى بركة الجب كما ذكر فى موضعه من هذا الكتاب عند ذكر بركة الجب اتفق انه ركب على عادته للصيد هنالك فأخذه ألم عظيم فى جوفه كاد يأتى عليه وهو يتجلد ويكتم مابه حتى عجز فنزل عن الفرس والالم يتزايد به فنذر لله ان عافاه الله ليبنين فى هذا الموضع موضعا يعبد الله تعالى فيه فخف عنه مايجده وركب فقضى نهمته من الصيد وعاد الى قلعة الجبل فلزم الفراش مدة أيام ثم عوفى فركب بنفسه ومعه عدة من المهندسين واختط على قدر ميل من ناحية سرياقوس هذه الخانقاه وجعل فيها مائة خلوة لمائة صوفى وبنى بجانبها مسجدا تقام به الجمعة وبنى بها حماما ومطبخا وكان ذلك فى ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فلما كانت سنة خمس وعشرين وسبعمائة كمل ماأراد من بنائها وخرج اليها بنفسه ومعه الامراء والقضاة ومشايخ الخوانك ومدّت هنالك اسمطة عظيمة بداخل الخانقاه فى يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة وتصدّر قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعى لاسماع الحديث النبوى وقرأ عليه ابنه عز الدين عبد العزيز عشرين حديثا تساعيا وسمع السلطان ذلك وكان جمعا موفورا وأجاز قاضى القضاة الملك الناصر ومن حضر برواية ذلك وجميع مايجوز له روايته وعندما انقضى مجلس السماع قرّر السلطان فى مشيخة هذه الخانكاه الشيخ مجد الدين موسى بن أحمد بن محمود الاقصراى ولقبه بشيخ الشيوخ فصار يقال له ذلك ولكل من ولى بعده وكان قبل ذلك لا يلقب بشيخ الشيوخ الاشيخ خانقاه سعيد السعداء وأحضرت التشاريف السلطانية فخلع على قاضى القضاة بدر الدين وعلى ولده عز الدين وعلى قاضى القضاة المالكية وعلى الشيخ مجد الدين أبى حامد موسى بن أحمد بن محمود الاقصراى شيخ الشيوخ وعلى الشيخ علاء الدين القونوى شيخ خانقاه سعيد السعداء وعلى الشيخ قوام الدين أبى محمد عبد المجيد بن أسعد بن محمد الشيرازى شيخ الصوفية بالجامع الجديد الناصرى خارج مدينة مصر وعلى جماعة كثيرة وخلع على سائر الامراء وأرباب الوظائف وفرّق بها ستين ألف درهم فضة وعاد الى قلعة الجبل فرغب الناس فى السكنى حول هذه الخانقاه وبنوا الدور والحوانيت والخانات حتى صارت بلدة كبيرة تعرف بخانقاه سرياقوس وتزايد الناس بها حتى أنشئ فيها سوى حمام الخانقاه عدّة حمامات وهى الى اليوم بلدة عامرة ولا يؤخذ بها مكس البتة ممايباع من سائر الاصناف احتراما لمكان الخانقاه ويعمل هنالك فى يوم الجمعة سوق عظيم ترد الناس اليه من الاماكن البعيدة يباع فيه الخيل والجمال والحمير والبقر والغنم والدجاج والاوز وأصناف الغلات وأنواع الثياب وغير ذلك وكانت معاليم هذه الخانكاه من اسنى معلوم بديار مصر يصرف لكل صوفى فى اليوم من لحم الضأن السليخ رطل قد طبخ فى طعم شهى ومن الخبز النقى أربعة أرطال ويصرف له فى كل شهر مبلغ أربعين درهما فضة عنها دیناران ورطل حلوى ورطلان زيتا من زيت الزيتون ومثل ذلك من الصابون ويصرف له ثمن كسوة فى كل سنة وتوسعة فى كل شهر رمضان وفى العيدين وفى مواسم رجب وشعبان وعاشوراء وكلما قدمت فاكهة يصرف له مبلغ لشرائها وبالخانقاه خزانة بها السكر والاشربة والادوية وبها الطبائعى والجرائحى والكحال ومصلح الشعر وفى كل رمضان يفرق

على الصوفية كيزان لشرب المياه وتبيض لهم قدورهم النحاس ويعطون حتى الاشنان لغسل الايدى من وضر اللحم يصرف ذلك من الوقف لكل منهم وبالحمام الحلاق لتدليك أبدانهم وحلق رؤسهم فكان المنقطع بها لا يحتاج الى شيء غيرها ويتفرغ للعبادة ثم استجد بعد سنة تسعين وسبعمائة بها حمام أخرى برسم النساء وما برحت على ماذكرنا الى أن كانت المحن من سنة ست وثمانمائة فبطل الطعام وصار يصرف لهم في ثمنه مبلغ من نقد مصر وهى الآن على ذلك وأدركت من صوفيتها شخصا شيخا يعرف بأبي طاهر ينام أربعين يوما بلياليها لا يستيقظ فيها البتة ثم يستيقظ أربعين يوما لا ينام فى ليلها ولا نهارها أقام على ذلك عدة أعوام وخبره مشهور عند أهل الخانقاه وأخبرني انه لم يكن في النوم الا كغيره من الناس ثم كثر نومه حتى بلغ ماتقدم ذكره ومات بهذه الخانقاه فى نحو سنة ثمانمائة ومما قيل فى الخانقاه وما أنشأه السلطان بها

سرنحو سرياقوس وانزل بفنا * أرجاءها ياذا النهى والرشد

تلق محلا للسرور والهنا * فيه مقام للتقى والزهد

نسيمه يقول فى مسيره * تنهى يا عذبات الرند

وروضه الريان من خليجه * يقول دع ذكر أراضى نجد

(خانقاه ارسلان)

هذه الخانقاه فيما بين القاهرة ومصر من جملة أراضى منشأة المهرانى أنشأها الامير بهاء الدين ارسلان الدوادار *(ارسلان) الامير بهاء الدين الدوادار الناصرى كان أولا عند الامير سلار أيام نيابته مصر خصيصا به حظيا عنده فلما قدم الملك الناصر محمد بن قلاون من الكرك بعساكر الشام ونزل بالريدانية ظاهر القاهرة فى شهر رمضان سنة تسع وسبعمائة اطلع ارسلان على أن جماعة قد اتفقوا على أن يهجموا على السلطان ويفتكوا به يوم العيد أول شوال فجاء اليه وعرفه الحال وقال له اخرج الساعة واطلع القلعة واملكها فقام السلطان وفتح باب سر الدهليز وخرج من غير الباب وصعد قلعة الجبل وجلس على سرير الملك فرعى السلطان له هذه المناصحة ولما أخرج الامير عز الدين أيدمر الدوادار من وظيفته رتب ارسلان فى الدوادارية وكان يكتب خطا مليحا ودربه القاضى علاء الدين بن عبد الظاهر وخرجه وهذبه فصار يكتب بخطه الى كاتب السر عن السلطان فى المهمات بعبارة مسددة وافية بالمقصود واستولى على السلطان بحيث لم يكن لغيره فى أيامه ذكر ولم يشتهر فخر الدين وكريم الدين بعظمة الا بعده واجتهدا فى ابعاده فما قدرا على ذلك وفى أيام توليته الدوادارية السلطانية أنشأ هذه الخانكاه على شاطئ النيل وكان ينزل فى كل ليلة ثلاثاء اليها من القلعة ويبيت بها ويحتفل الناس للحضور اليها ويرسل عن السلطان الى مهنا أمير العرب ونفع الناس نفعا كبيرا وقلدهم مننا جسيمة ومات فى ثالث عشرى شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبعمائة فوجد فى تركته ألف ثوب أطلس ونفائس كثيرة وعدة تواقيع ومناشير معلمة فأنكر السلطان معرفتها ونسب اليه اختلاسها وأول من ولى مشيختها تقى الدين أبو البقاء محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الرحيم الشريف الحسينى القناىى الشافعى جد الشيخ عبد الرحيم القناىى الصالح المشهور وأبوه ضياء الدين جعفر كان فقيها شافعيا وكان أبو البقاء هذا عالما عارفا زاهدا قليل التكلف متقللا من الدنيا سمع الحديث وأسمعه وولد فى سنة خمس وأربعين وستمائة ومات ليلة الاثنين رابع عشر جمادى الاولى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ودفن بالقرافة فتداول مشيختها القضاة الاخنائية الى أن كانت آخرا بيد شيخنا قاضى القضاة صدر الدين عبد الوهاب بن أحمد الاخنائى فلما مات فى سنة تسع وثمانين وسبعمائة تلقاها عنه عز الدين بن الصاحب ثم وليها من بعده ابنه شمس الدين محمد بن الصاحب رحمه الله

(خانقاه بكتمر)

هذه الخانقاه بطرف القرافة فى سفح الجبل مما يلى بركة الحبش أنشأها الامير بكتمر الساقى وابتدأ الحضور بها فى يوم الثلاثاء ثامن شهر رجب سنة ست وعشرين وسبعمائة وأول من استقر فى مشيختها الشمسى شمس الدين الرومى ورتب له عن معلوم المشيخة فى كل شهر مائة درهم وعن معلوم الامامة مبلغ خمسين درهما ورتب معه عشرين صوفيا لكل منهم فى الشهر مبلغ ثلاثين درهما فجاءت من أجل ما بنى بمصر ورتب بها صوفية وقراء وقرر لهم الطعام والخبز فى كل يوم والدراهم والحلوى والزيت والصابون فى كل شهر وبنى بجانبها حماما وأنشأ

هنالك بستانا فعمرت تلك الخطة وصار بها سوق كبير وعدة سكان وتنافس الناس فى مشيختها الى أن كانت المحن من سنة ست وثمانمائة فبطل الطعام والخبز منها وانتقل السكان منها الى القاهرة وغيرها وخربت الحمام والبستان وصار يصرف لارباب وظائفها مبلغ من نقد مصر وأقام فيها رجل يحرسها وتمزق ما كان فيها من الفرش والآلات النحاس والكتب والربعات والقناديل النحاس المكفت والقناديل الزجاج المذهب وغير ذلك من الامتعة والنفائس الملوكية وخرب ما حولها لخلوه من السكان * (بكتمر الساقى) الامير سيف الدين كان أحد مماليك الملك المظفر بيبرس الجاشنكير فلما استقر الملك الناصر محمد بن قلاون فى المملكة بعد بيبرس أخذه فى جملة من أخذ من مماليك بيبرس ورقاه حتى صار أحد الامراء الاكابر وكتب الى الامير تنكز نائب السلطنة بدمشق بعد أن قبض على الامير سيف الدين طغاى الكبير يقول له هذا بكتمر الساقى يكون لك بدلا من طغاى اكتب اليه بما تريد من حوائجك فعظم بكتمر وعلا محله وطار ذكره وكان السلطان لا يفارقه ليلا ولا نهارا الا اذا كان فى الدور السلطانية ثم زوجه بجاريته وحظيته فولدت لبكتمر ابنه أحمد وصار السلطان لا يأكل الا فى بيت بكتمر مما تطبخه له أم أحمد فى قدر من فضة وينام عندهم ويقوم واعتقد الناس أن أحمد ولد السلطان لكثرة ما يطيل حمله وتقبيله ولما شاع ذكر بكتمر وتسامع الناس به قدموا اليه غرائب كل شئ وأهدوا اليه كل نفيس وكان السلطان اذا حمل اليه أحد من النواب تقدمة لابد أن يقدم لبكتمر مثلها أو قريبا منها والذى يصل الى السلطان يهب له غالبه فكثرت أمواله وصارت اشارته لا ترد وهو عبارة عن الدولة واذا ركب كان بين يديه ماتا عصا نقيب وعمر له السلطان القصر على بركة الفيل ولما مات بطريق الحجاز فى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة خلف من الاموال والقماش والامتعة والاصناف والزردخاناه ما يزيد على العادة والحد ويستحى العاقل من ذكره فأخذ السلطان من خيله أربعين فرسا وقال هذه لى ما وهبته اياها وبيع الباقى من الخيل على ما أخذه الخاصكية بثمن بخس بمبلغ ألف ألف درهم فضة ومائتى ألف درهم وثمانين ألف درهم فضة خارجا عما فى الحشارات وانعم السلطان بالزردخاناه والسلاحخاناه التى له على الامير قوصون بعد ما أخذ منها سرجا واحدا وسيفا القيمة عن ذلك ستمائة ألف دينار وأخذ له السلطان ثلاثة صناديق جوهرا ثمينا لا تعلم قيمة ذلك وبيع له من الصينى والكتب والختم والربعات ونسخ البخارى والدوايات الفولاذ والمطعمة والبصم بسقط الذهب وغير ذلك ومن الوبر والاطلس وانواع القماش السكندرى والبغدادى وغير ذلك شئ كثير الى الغاية المفرطة ودام البيع لذلك مدة شهور وامتنع القاضى شرف الدين النشو ناظر الخاص من حضور البيع واستعفى من ذلك فقيل له لاى شئ فعلت ذلك قال ما أقدر أصبر على غبن ذلك لان المائة درهم تباع بدرهم ولما خرج مع السلطان الى الحجاز خرج بتجمل زائد وحشمة عظيمة وهو ساقة الناس كلهم وكان ثقله وجماله نظير ما للسلطان ولكن يزيد عليه بالزركش وآلات الذهب ووجد فى خزانته بطريق الحجاز بعد موته خمسمائة تشريف منها ما هو اطلس بطرز زركش وما دون ذلك من خلع أرباب السيوف وأرباب الاقلام ووجد معه قيود وجنازير وتنكر السلطان له فى طريق الحجاز واستوحش كل منهما من صاحبه فاتفق انهم فى العود مرض ولده أحمد ومرض من بعده فمات ابنه قبله بثلاثة أيام فحمل فى تابوت مغشى بجلد جمل ولما مات بكتمر دفن مع ولده بنخل وحث السلطان فى المسير وكان لا ينام فى تلك السفرة الا فى برج خشب وبكتمر عنده وقوصون على الباب والامراء المشايخ كلهم حول البرج بسيوفهم فلما مات بكتمر ترك السلطان ذلك فعلم الناس أن احترازه كان خوفا من بكتمر ويقال ان السلطان دخل عليه وهو مريض فى درب الحجاز فقال له بينى وبينك الله فقال له كل من فعل شيأ يلتقيه ولما مات صرخت زوجته أم ابنه أحمد وبكت وأعولت الى أن سمعها الناس تتكلم بالقبيح فى حق السلطان من جملته أنت تقتل مملوكك أنا ابن ايش كان فقال لها بس تفشر بن هاتى مفاتيح صناديقه فأنا أعرف كل شئ أعطيته من الجواهر فرمت بالمفاتيح اليه فأخذها ولما وصل السلطان الى قلعة الجبل اظهر الحزن والندامة عليه وأعطى أخاه قارى امرة مائة وتقدمة ألف وكان يقول ما بقى يجيئنا مثل بكتمر وأمر فحملت جثته وجثة ابنه الى خانقاه هذه ودفنا بقبتها وبدت من السلطان امور منكرة بعد موت بكتمر فانه كان يحجر على السلطان ويمنعه من مظالم كثيرة وكان يتلطف بالناس ويقضى حوائجهم ويسوسهم احسن سياسة ولا يخالفه السلطان فى شئ ومع ذلك فلم يكن له حماية ولا رعاية ولا لغلمانه ذكر ومن المغرب يغلق

باب اصطبله وكان مماله على السلطان من المرتب فى كل يوم مخفيتان يأخذهما من بيت المال كل يوم سبعمائة درهم عن كل مخفية ثلثمائة وخمسين درهما وكان السلطان اذا أنعم على أحد بشئ أو ولاه وظيفة قال له روح الى الامير بكتمر وبوس يده وكان جيد الطباع حسن الاخلاق لين الجانب سهل الانقياد رحمه الله

(خانقاه قوصون)

هذه الخانقاه فى شمالى القرافة مما يلى قلعة الجبل تجاه جامع قوصون أنشأها الامير سيف الدين قوصون وكانت عمارتها فى سنة ست وثلاثين وسبعمائة وقرر فى مشيختها الشيخ شمس الدين أبا الثناء محمود بن أبى القاسم احمد الاصفهانى ورتب له معلوما سنيا من الدراهم والخبز واللحم والصابون والزيت وسائر ما يحتاج اليه حتى جامكية غلام بغلته واستقر ذلك فى الوقف من بعده لكل من ولى المشيخة بها وقرر بها جماعة كثيرة من الصوفية ورتب لهم الطعام واللحم والخبز فى كل يوم وفى الشهر المعلوم من الدراهم ومن الحلوى والزيت والصابون ومازالت على ذلك الى أن كانت المحن من سنة ست وثمانمائة فبطل الطعام والخبز منها وصار يصرف لمستحقيها مال من نقد مصر وتلاشى امرها من بعد ما كانت من اعظم جهات البر وأ كثرها نفعا وخيرا وقد تقدم ذكر قوصون عند ذكر جامعه من هذا الكتاب

(خانقاه طغاى النجمى)

هذه الخانقاه بالصحراء خارج باب البرقية فيما بين قلعة الجبل وقبة النصر أنشأها الامير طغاى تمر النجمى فجاءت من المبانى الجليلة ورتب بها عدة من الصوفية وجعل شيخهم الشيخ برهان الدين الرشيدى وبنى بجانبها حماما وغرس فى قبليها بستانا وعمل بجانب الحمام حوض ماء للسبيل ترده الدواب ووقف على ذلك عدة أوقاف ثم ان الحمام والحوض تعطلا مدة فلما ماتت أرزباى زوجة القاضى فتح الدين فتح الله كاتب السر فى سنة ثمان وثمانمائة دفنها خارج باب النصر وأحب أن يبنى على قبرها ويوقف عليها أوقافا ثم بدا له فنقلها الى هذه الخانقاه ودفنها بالقبة التى فيها وأدار الساقية وملأ الحوض ورتب لقراء هذه الخانقاه معلوما وعزم على تجديد ما تشعث من بنائها وادارة حمامها ثم بدا له فأنشأ بجانب هذه الخانقاه تربة ونقل زوجته مرة ثالثة اليها وجعل أملاكه وقفا على تربته *(طغاى تمر النجمى)* كان دوادار الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاون فلما مات الصالح استقر على حاله فى أيام أخويه الملك الكامل شعبان والملك المظفر حاجى وكان من أحسن الاشكال وأبدع الوجوه تقدم فى الدول وصارت له وجاهة عظيمة وخدمه الناس ولم يزل على حاله الى أن لعب به اغرلوا فيمن لعب وأخرجه الى الشام وألحقه بمن أخذه من غزة وذلك فى اوائل جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وطغاى هذا أول دوادار أخذ امرة مائة وتقدمة ألف وذلك فى أول دولة المظفر حاجى ولما كانت واقعة الامير ملكتمر الحجازى والامير آق سنقر وعدة من الامراء فى تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبعمائة رمى طغاى تمر سيفه وبقى بغير سيف بعض يوم ثم ان المظفر أعطاه سيفه واستمر فى الدوادارية نحو شهر وأخرج هو والامير نجم الدين محمود الوزير والامير سيف الدين بيدمر البدرى على الهجن الى الشام فأدركهم الامير سيف الدين منجك وقتلهم فى الطريق

(خانقاه أم انوك)

هذه الخانقاه خارج باب البرقية بالصحراء التى انشأتها الخاتون طغاى تجاه تربة الامير طاشتمر الساقى فجاءت من أجل المبانى وجعلت بها صوفية وقراء ووقفت عليها الاوقاف الكثيرة وقررت لكل جارية من جواريها مرتبا يقوم بها *(طغاى الخوندة الكبرى)* زوجة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون وأم ابنه الامير انوك كانت من جملة امائه فأعتقها وتزوجها ويقال انها أخت الامير اقبغا عبد الواحد وكانت بديعة الحسن باهرة الجمال وأتت من السعادة مالم يره غيرها من نساء الملوك الترك بمصر وتنعمت فى ملاذ ماوصل سواها لمثلها ولم يدم السلطان على محبة امرأة سواها وصارت خونده بعد ابنه توكاى وأ كبر نسائه حتى من ابنة الامير تنكز وحج بها القاضى كريم الدين الكبير واحتفل بأمرها وحمل لها البقول فى محاير طين على ظهور الجمال وأخذ لها الابقار الحلابة فسارت معها طول الطريق لاجل اللبن الطرى وعمل الجبن وكان يقلى لها الجبن فى الغداء

والعشاء وناهيك بمن وصل الى مداومة البقل والجبن فى كل يوم وهما أخس مايؤكل فما عساه يكون بعد ذلك وكان القاضى كريم الدين والامير مجلس وعدة من الامراء يترجلون عند النزول ويمشون بين يدى محفتها ويقبلون الارض لها كما يفعلون بالسلطان ثم حج بها الامير بشتاك فى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة وكان الامير تنكز اذا جهز من دمشق تقدمة الى السلطان لا بد أن يكون لخوند طغاى منها جزء وافر فلما مات السلطان الملك الناصر استمرت عظمتها من بعده الى أن ماتت فى شهر شوال سنة تسع وأربعين وسبعمائة أيام الوباء عن ألف جارية وثمانين خادما خصيا وأموال كثيرة جدا وكانت عفيفة طاهرة كثيرة الخير والصدقات والمعروف جهزت سائر جواريها وجعلت على قبرا بنها بقبة المدرسة الناصرية بين القصرين قرّاأ ووقفت على ذلك وقفا وجعلت من جملته خبزا يفرق على الفقراء ودفنت بهذه الخانقاه وهى من أعمر الاماكن الى يومنا هذا

(خانقاه يونس)

هذه الخانقاه من جملة ميدان القبق بالقرب من قبة النصر خارج باب النصر أدركت موضعها وبه عواميد تعرف بعواميد السباق وهى أوّل مكان بنى هنالك * أنشأها الامير (يونس النوروزى الدوادار) كان من مماليك الامير سيف الدين جرجى الادريسى أحد الامراء الناصرية وأحد عتقائه فترقى فى الخدم من آخر أيام الملك الناصر محمد بن قلاون الى أن صار من جملة الطائفة اليلبغاوية فلما قتل الامير يلبغا الخاصكى خدم بعده الامير استدمر الناصرى الاتابك وصار من جملة دواداريته ومازال ينتقل فى الخدم الى أن قام الامير برقوق بعد قتل الملك الاشرف شعبان فكان ممن اعانه وقاتل معه فرعى له ذلك ورقاه الى أن جعله أمير مائة مقدم ألف وجعله دواداره لما تسلطن فسلك فى رياسته طريقة جليلة ولزم حالة جميلة من كثرة الصيام والصلاة واقامة الناموس الملوكى وشدة المهابة والاعراض عن اللعب ومداومة العبوس وطول الجلوس وقوة البطش لسرعة غضبه ومحبة الفقراء وحضور السماع والشغف به واكرام الفقهاء وأهل العلم وأنشأ بالقاهرة ربعا وقيسارية بخط البندقانيين وتربة خارج باب الوزير تحت القلعة وأنشأ بظاهر دمشق مدرسة بالشرف الاعلى وأنشأ خانا عظيما خارج مدينة غزة وجعل بجانب هذه الخانقاه مكتبا يقرأ فيه ايتام المسلمين كتاب الله تعالى وبنى بها صهريجا ينقل اليه ماء النيل ومازال على وفور حرمته ونفوذ كلمته الى أن خرج الامير يلبغا الناصرى نائب حلب على الملك الظاهر برقوق فى سنة احدى وتسعين وسبعمائة وجهز السلطان الامير اتمش والامير يونس هذا والامير جهاركس الخليلى وعدة من الامراء والمماليك لقتاله فلقوه بدمشق وقاتلوه فهزمهم وقتل الخليلى وفر اتمش الى دمشق ونجا يونس بنفسه يريد مصر فأخذه الامير عنقاء بن شطى امير الامراء وقتله يوم الثلاثاء ثانى عشرى شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وسبعمائة ولم يعرف له قبر بعدما أعد لنفسه عدة مدافن فى غير ما مدينة من مصر والشام

(خانقاه طيبرس)

هذه الخانقاه من جملة أراضى بستان الخشاب فيما بين القاهرة ومصر على شاطئ النيل أنشأها الامير علاء الدين طيبرس الخازندار نقيب الجيوش فى سنة سبع وسبعمائة بجوار جامعه المقدم ذكره عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب وقررها عدة من الصوفية وجعل لهم شيخا وأجرى لهم المعاليم ولم تزل عامرة الى أن حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة فباع شخص الوكالة والربع المعروفين بربع بكتمر والحمامين ونقض ذلك فخرب الخط وصار مخوفا فلما كان فى سنة أربع عشرة وثمانمائة نقل الحضور من هذه الخانقاه الى المدرسة الطيبرسية بجوار الجامع الازهر وهى الآن بصدد أن تدثر وتعفى آثارها

(خانقاه اقبغا)

هذه الخانقاه هى موضع من المدرسة الاقبغاوية بجوار الجامع الازهر أفرده الامير اقبغا عبد الواحد وجعل فيه طائفة يحضرون وظيفة التصوف وأقام لهم شيخا وأفرد لهم وقفا يختص بهم وهى باقية الى يومنا هذا وله أيضا خانقاه بالقرافة

(الخانقاه الجروية)

هذه الخانقاه بساحل الجيزة تجاه المقياس كانت منظرة من اعظم الدور وأحسنها أنشأها زكي الدين أبو بكر ابن علي الخروبي كبير التجار ثم توارثها من بعده أولاد الخروبي التجار بمصر فلم تزل بأيديهم الى أن نزلها السلطان المؤيد شيخ في يوم الاثنين ثاني عشر شهر رجب الفرد سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة وأقام بها فاقتضى رأيه أن يجعلها خانقاه فاستدعى بابن الخروبي ليشتريها منه فتبرع بما يخصه منها وصار اليه باقيها فتقدم الى الامير سيف الدين أبي بكر بن المزوق الاستادار بعملها خانقاه وسارمنها في يوم الاربعاء سادس عشره فأخذ الامير أبو بكر في عملها حتى كملت في آخر السنة واستقر في مشيختها شمس الدين محمد بن الحق الدمشقي الحنبلي وخلع عليه يوم السبت سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ورتب له في كل يوم عشرة مؤيدية عنها مبلغ سبعين درهما فلوسا سوى الخبز والسكن وقرر عنده عشرة من الفقراء لكل منهم مع الخبز مؤيدي في كل يوم فجاءت من احسن شيء

(ذكر الربط)

الربط جمع رباط وهو دار يسكنها أهل طريق الله قال ابن سيده الرباط من الخيل الخمس فما فوقها والرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله ثم صار لزوم الثغر رباطا وربما سميت الخيل نفسها رباطا والرباط والرباط المواظبة على الامر قال الفارسي هو ثان من لزوم الثغر ولزوم الثغر ثان من رباط الخيل وقوله تعالى وصابروا ورابطوا قيل معناه جاهدوا وقيل واظبوا على مواقيت الصلاة وقال ابو حفص السهروردي في كتاب عوارف المعارف وأصل الرباط ماتربط فيه الخيول ثم قيل لكل ثغر يدفع أهله عمن وراءهم رباط فالمجاهد المرابط يدفع عمن وراءه والمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع بدعائه البلاء عن العباد والبلاد وروى داود بن صالح قال قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمن يا ابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية اصبروا وصابروا ورابطوا قلت لا قال يا ابن أخي لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو تربط فيه الخيل ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة فالرباط جهاد النفس والمقيم في الرباط مرابط مجاهد نفسه واجتماع أهل الربط اذا صح على الوجه الموضوع له الربط وتحقق أهل الربط بحسن المعاملة ورعاية الاوقات وتوقي ما يفسد الاعمال ويصح الاحوال عادت البركة على البلاد والعباد وشرائط سكان الرباط قطع المعاملة مع الخلق وفتح المعاملة مع الحق وترك الاكتساب اكتفاء بكفالة مسبب الاسباب وحبس النفس عن المخالطات واجتناب التبعات ومواصلة الليل والنهار بالعبادة متعوضا بها عن كل عادة والاشتغال بحفظ الاوقات وملازمة الاوراد وانتظار الصلوات واجتناب الغفلات ليكون بذلك مرابطا مجاهدا * والرباط هو بيت الصوفية ومنزلهم ولكل قوم دار والرباط دارهم وقد شابهوا أهل الصفة في ذلك فالقوم في الرباط مرابطون متفقون على قصد واحد وعزم واحد وأحوال متناسبة ووضع الرباط لهذا المعنى * قال مؤلفه رحمه الله ولاتخاذ الربط والزوايا أصل من السنة وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ لفقراء الصحابة الذين لا يأوون الى أهل ولا مال مكانا من مسجده كانوا يقيمون به عرفوا بأهل الصفة

(رباط الصاحب)

هذا الرباط مطل على بركة الحبش أنشأه الصاحب فخر الدين أبو عبد الله محمد بن الوزير الصاحب بهاء الدين أبي الحسن علي بن محمد بن سليم بن حنا ووقف عليه أبوه الصاحب بهاء الدين بعد موته عقارا بمدينة مصر وشرط أن يسكنه عشرة من الفقراء المجردين غير المتأهلين وذلك في ذي الحجة سنة ثمان وستين وستمائة وهو باق الى يومنا هذا وليس فيه أحد ويستأدى ريع وقفه من لا يقوم بمصالحه

(رباط الفخري)

هذا الرباط خارج باب الفتوح فيما بينه وبين باب النصر بناه الامير عز الدين ايبك الفخري أحد امراء الملك الظاهر بيبرس

(رباط البغدادية)

هذا الرباط بداخل الدرب الاصفر تجاه خانقاه بيبرس حيث كان المنحر الذي ذكر عند ذكر القصر من هذا

الكتاب ومن الناس من يقول رواق البغدادية وهذا الرباط بنته الست الجليلة تذكارباى خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس فى سنة أربع وثمانين وستمائة للشيخة الصالحة زينب ابنة أبى البركات المعروفة بينت البغدادية فأنزلتها به ومعها النساء الخيرات ومابرح الى وقتنا هذا يعرف سكانه من النساء بالخير وله دائما شيخة تعظ النساء وتذكرهن وتفقههن وآخر من أدركنا فيه الشيخة الصالحة سيدة نساء زمانها أم زينب فاطمة بنت عباس البغدادية توفيت فى ذى الحجة سنة أربع عشرة وسبعمائة وقد أنافت على الثمانين وكانت فقيهة وافرة العلم زاهدة قانعة باليسير عابدة واعظة حريصة على النفع والتذكير ذات اخلاص وخشية وأمر بالمعروف انتفع بها كثير من نساء دمشق ومصر وكان لها قبول زائد ووقع فى النفوس وصار بعدها كل من قام بمشيخة هذا الرباط من النساء يقال لها البغدادية وأدركنا الشيخة الصالحة البغدادية أقامت به عدة سنين على أحسن طريقة الى أن ماتت يوم السبت لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وسبعمائة وأدركنا هذا الرباط ويودع فيه النساء اللاتى طلقن أوهجرن حتى يتزوجن أو يرجعن الى ازواجهن صيانة لهن لما كان فيه من شدة الضبط وغاية الاحتراز والمواظبة على وظائف العبادات حتى ان خادمة الفقيرات به كانت لاتمكن أحدا من استعمال ابريق بزبوز وتؤدب من خرج عن الطريق بما تراه ثم لما فسدت الاحوال من عهد حدوث المحن بعد سنة ست وثمانمائة تلاشت أمور هذا الرباط ومنع مجاوروه من سجن النساء المعتدات به وفيه الى الآن بقايا من خير ولى النظر عليه قاضى القضاة الحنفى

(رباط الست كليلة)

هذا الرباط خارج درب بطوط من جملة حكر سنجر الحلبى ملاصق للسور الحجر بخط سوق الغنم وجامع أصلم وقفه الامير علاء الدين البرابا على الست كليلة المدعوة دولاى ابنة عبدالله التتارية زوج الامير سيف الدين البرلى السلاحدار الظاهرى وجعله مسجدا ورباطا ورتب فيه اماما ومؤذنا وذلك فى ثالث عشرى شوال سنة اربع وتسعين وستمائة

(رباط الخازن)

هذا الرباط بقرب قبة الامام الشافعى رحمة الله عليه من قرافة مصر بناه الامير علم الدين سنجر بن عبدالله الخازن والى القاهرة وفيه دفن وهذا الخازن هو الذى ينسب اليه حكر الخازن خارج القاهرة

(الرباط المعروف برواق ابن سليمان)

هذا الرواق بحارة الهلالية خارج باب زويلة عرف بأحمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن ابراهيم بن أبى المعالى ابن العباس الرحبى البطائحى الرفاعى شيخ الفقراء الاحمدية الرفاعية بديار مصر كان عبدا صالحا له قبول عظيم من أمراء الدولة وغيرهم وينتمى اليه كثير من الفقراء الاحمدية وروى الحديث عن سبط السلفى وحدث وكانت وفاته ليلة الاثنين سادس ذى الحجة سنة احدى وتسعين وستمائة بهذا الرواق

(رباط داود بن ابراهيم)

هذا الرباط بخط بركة الفيل بنى فى سنة ثلاث وستين وستمائة

(رباط ابن أبى المنصور)

هذا الرباط بقرافة مصر عرف بالشيخ صفى الدين الحسين بن على بن أبى المنصور الصوفى المالكى كان من بيت وزارة فتجرد وسلك طريق أهل الله على يد الشيخ أبى العباس أحمد بن أبى بكر الجزار التجيبى المغربى وتزوج ابنته وعرف بالبركة وحكيت عنه كرامات وصنف كتاب الرسالة ذكر فيها عدة من المشايخ وروى الحديث وحدث وشارك فى الفقه وغيره وكانت ولادته فى ذى القعدة سنة خمس وتسعين وخمسمائة ووفاته برباطه هذا يوم الجمعة ثانى عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وستمائة

(رباط المشتهى)

هكذا بياض في الاصل

هذا الرباط بروضة مصر يطل على النيل وكان به الشيخ المسلك ... ولله در شيخنا العارف الاديب
شهاب الدين أحمد بن أبي العباس الشاطر الدمنهوري حيث يقول

بروضة المقياس صوفية * هم منية الخاطر والمشتهي
لهم على البحر أياد علت * وشيخهم ذاك له المنتهى

وقال الامام العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفي

يا ليلة مرّت بنا حلوة * ان رمت تشبيها لها عبتها
لا يبلغ الواصف في وصفها * حدّا ولا يلقى له منتهى
بت مع المعشوق في روضة * ونلت من خرطومه المشتهى

(رباط الآثار)

هذا الرباط خارج مصر بالقرب من بركة الحبش مطل على النيل ومجاور للبستان المعروف بالمعشوق * قال ابن المتوج هذا الرباط عمره الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد ولد الصاحب بهاء الدين علي بن حنا بجوار بستان المعشوق ومات رحمه الله قبل تكملته ووصى أن يكمل من ريع بستان المعشوق فاذا كملت عمارته يوقف عليه ووصى الفقيه عز الدين بن مسكين فعمر فيه شيأ يسيرا وأدركه الموت الى رحمة الله تعالى وشرع الصاحب ناصر الدين محمد ولد الصاحب تاج الدين في تكملته فعمر فيه شيأ جيدا انتهى وانما قيل له رباط الآثار لان فيه قطعة خشب وحديد يقال ان ذلك من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراها الصاحب تاج الدين المذكور بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بني ابراهيم أهل ينبع وذكروا أنها لم تزل عندهم موروثة من واحد الى آخر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملها الى هذا الرباط وهي به الى اليوم يتبرك الناس بها ويعتقدون النفع بها وأدركنا لهذا الرباط بهجة وللناس فيه اجتماعات ولسكانه عدة منافع ممن يتردد اليه أيام كان ماء النيل تحته دائما فلما انحسر الماء من تجاهه وحدثت المحن من سنة ست وثمانمائة قل تردد الناس اليه وفيه الى اليوم بقية ولما كانت أيام الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون قرر فيه درسا للفقهاء الشافعية وجعل له مدرسا وعنده عدة من الطلبة ولهم جار في كل شهر من وقف وقفه عليهم وهو باق أيضا وفي أيام الملك الظاهر برقوق وقف قطعة أرض لعمل الجسر المتصل بالرباط وبهذا الرباط خزانة كتب وهو عامر بأهله * (الوزير الصاحب) تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الوزير الصاحب بهاء الدين علي بن سليم بن حنا ولد في سابع شعبان سنة أربعين وستمائة وسمع من سبط السلفي وحدث وانتهت اليه رياسة عصره وكان صاحب صيانة وسودد ومكارم وشاكلة حسنة وبزة فاخرة الى الغاية وكان يتناهى في المطاعم والملابس والمناكح والمساكن ويجود بالصدقات الكثيرة مع التواضع ومحبة الفقراء وأهل الصلاح والمبالغة في اعتقادهم ونال في الدنيا من العز والجاه مالم يره جده الصاحب الكبير بهاء الدين بحيث انه لما تقلد الوزير الصاحب فخر الدين بن الخليلي الوزارة سار من قلعة الجبل وعليه تشريف الوزارة الى بيت الصاحب تاج الدين وقبل يده وجلس بين يديه ثم انصرف الى داره ومازال على هذا القدر من وفور العز الى أن تقلد الوزارة في يوم الخميس رابع عشري صفر سنة ثلاث وتسعين وستمائة بعد قتل الوزير الامير سنجر الشجاعي فلم ينجب وتوقفت الاحوال في أيامه حتى احتاج الى احضار تقاوي النواحي المرصدة بها للتخضير واستهلكها ثم صرف في يوم الثلاثاء خامس عشري جمادى الاولى سنة أربع وتسعين وستمائة بفخر الدين عثمان ابن الخليلي وأعيد الى الوزارة مرة ثانية فلم ينجح وعزل وسلم مرة للشجاعي فجرده من ثيابه وضربه شيبا واحدا بالمقارع فوق قميصه ثم أفرج عنه على مال ومات في رابع جمادى الآخرة سنة سبع وسبعمائة ودفن في تربتهم بالقرافة وكان له شعر جيد ولله در شيخنا الاديب جلال الدين محمد بن خطيب داريا الدمشقي البيساني حيث يقول في الآثار

يا عين ان بعد الحبيب وداره * ونأت مرابعه وشط مزاره
فلقد ظفرت من الزمان بطائل * ان لم تريه فهذه آثاره

وقد سبقه لذلك الصلاح خليل بن ايبك الصفدي فقال

أكرم بآثار النبي محمد * من زاره استوفى السرور مزاره
ياعين دونك فانظرى وتمتعى * ان لم تريه فهذه آثاره

واقتدى بهما فى ذلك أبو الحزم المدنى فقال

ياعين كم ذا تسفحين مدامعا * شوقا لقرب المصطفى ودياره
ان كان صرف الدهر عاقك عنهما * فتمتعى ياعين فى آثاره

(رباط الافرم)

هذا الرباط بسفح الجرف الذى عليه الرصد وهو يشرف على بركة الحبش وكان من أحسن منتزهات أهل مصر أنشأه الامير عز الدين ايبك الافرم أمير خازندار الصالحى النجمى ورتب فيه صوفية وشيخا واماما وجعل فيه منبرا يخطب عليه للجمعة والعيدين وقرر لهم معاليم من اوقاف أرصدها لهم وذلك فى سنة ثلاث وستين وستمائة وهو باق الا انه لم يبق به ساكن لخراب ما حوله وله الى اليوم متحصل من وقفه والافرم هذا هو الذى ينسب اليه جسر الافرم خارج مصر وقد ذكر عند ذكر الجسور من هذا الكتاب

(الرباط العلاءى)

هذا الرباط خارج مصر بخط بين الزقاقين شرقى الخليج الكبير يعرف اليوم بخانقاه المواصلة وهو آيل الى الدثور لخراب ما حوله أنشأه الملك علاء الدين أبو الحسن على ابن الملك المجاهد سيف الدين اسحاق صاحب الجزيرة ابن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل بجوار داره وحمامه وطاحونه وجعل له فيه مدفنا ووقف عليه بستان الجرف وبستانا بناحية شبرا وعدة حصص من قرى فلسطين والساحل وأحكارا ودورا بجانب الرباط ومات يوم الجمعة ثامن ربيع الآخر سنة احدى وثلاثين وسبعمائة ومولده يوم الجمعة ثامن عشرى المحرّم سنة سبع وخمسين وستمائة بجزيرة ابن عمر وكان من الحلقة وسمع الحديث من النجيب الحرانى وابن عزنين وابن علاف ودفن فيه وبه الى الآن بقية ويحضره الفقهاء يوما فى الاسبوع وهم عشرة شيخهم منهم ومنهم قارئ ميعاد وقراء وكان اوّلا معمورا بسكنى أهله دائما فيه وفى هذا الوقت لا يمكن سكناه لكثرة الخوف من السرّاق

(ذكر الزوايا)

(زاوية الدمياطى).

هذه الزاوية فيما بين خط السبع سقايات وقنطرة السد خارج مصر الى جانب حوض السبيل المعدّ لشرب الدواب أنشأها الامير عز الدين ايبك الدمياطى الصالحى النجمى أحد الامراء المقدمين الاكابر فى أيام الملك الظاهر بيبرس وبها دفن لما مات بالقاهرة ليلة الاربعاء تاسع شعبان سنة ست وتسعين وستمائة والى الآن يعرف الحوض المجاور لها بحوض الدمياطى

(زاوية الشيخ خضر)

هذه الزاوية خارج باب الفتوح من القاهرة بخط زقاق الكحل تشرف على الخليج الكبير عرفت بالشيخ خضر بن أبى بكر بن موسى المهرانى العدوى شيخ السلطان الملك الظاهر بيبرس كان أوّلا قد انقطع بجبل المزة خارج دمشق فعرفه الامير سيف الدين قشتمر العجمى وتردّد اليه فقال له لا بدّ أن تتسلطن الامير بيبرس البندقدارى فأخبر بيبرس بذلك فلما صارت المملكة اليه بعد قتل الملك المظفر قطز اشتمل على اعتقاده وقرّبه وبنى له زاوية بجبل المزة وزاوية بظاهر بعلبك وزاوية بحماه وزاوية بحمص وهذه الزاوية خارج القاهرة ووقف عليها أحكارا تغل فى السنة نحو الثلاثين ألف درهم وأنزله بها وصار ينزل اليه فى الاسبوع مرّة أو مرّتين ويطلعه على غوامض أسراره ويستشيره فى اموره ولا يخرج عما يشير به ويأخذه معه فى أسفاره وأطلق يده وصرّفه فى مملكته فهدم كنيسة اليهود بدمشق وهدم كنيسة للنصارى بالقدس كانت تعرف بالمصلبة وعملها زاوية وقتل قسيسها بيده وهدم كنيسة للروم بالاسكندرية كانت من كراسى النصارى ويزعمون أن بها رأس يحيى بن زكريا وعملها مسجدا سماه الخضراء فاتقى جانبه الخاص والعام حتى الامير بدر الدين بيلبك الخازندار نائب السلطنة والصاحب بهاء الدين على بن حنا وملوك الاطراف وكان يكتب الى صاحب حماه وجميع الامراء اذا طلب حاجة ما مثاله

الشيخ

الشيخ خضر بنال الحمارة وكان ربع القامة كث اللحية يتغم عسراوى وفى لسانه عجمة مع سعة صدر وكرم شمائل وكثرة عطاء من تفرقة الذهب والفضة وعمل الاسمطة الفاخرة وكانت أحواله عجيبة لا تتكيف واقوال الناس فيه مختلفة منهم من يثبت صلاحه ويعتقده ومنهم من يرميه بالعظائم وكان يخبر السلطان بأمور تقع منها انه لما حاصر أرسوف وهى أوّل فتوحاته قال له متى نأخذ هذه المدينة فعين له يوما يأخذها فيه فأخذها فى ذلك اليوم بعينه واتفق له مثل ذلك فى فتح قيسارية فلذلك كثر اعتقاده فيه وما أحسن قول الشريف محمد بن رضوان الناسخ فى ملازمة السلطان له فى أسفاره

ما الظاهر السلطان الا مالك الـــدنيا بذاك لنا الملاحم تخبر

ولنا دليــل واضح كالشمس فى * وسط السماء لكل عين تنظر

لما رأينا الخضر يقدم جيشه * أبدا علمنا انه الاسكندر

ومابرح على رتبته الى ثامن عشر شوّال سنة احدى وسبعين وستمائة فقبض عليه واعتقل بقلعة الجبل ومنع الناس من الاجتماع به ويقال ان ذلك بسبب أن السلطان كان اعطاه تحفا قدمت من اليمن منها كرّ يمنى مليح الى الغاية فأعطاه خضر لبعض المردان فبلغ ذلك الامير بدر الدين الخازندار النائب وكان قد ثقل عليه بكثرة تسلطه حتى لقد قال له مرّة بحضرة السلطان كأنك تشفق على السلطان وعلى اولاده مثل ما فعل قطز بأولاد المعز فأسرّها فى نفسه وبلغ خبر الكرّ اليمنى الى السلطان فاستدعاه وحضر جماعة حاققوه على امور كثيرة منكرة كاللواط والزنا ونحوه فاعتقله ورتب له ما يكفيه من مأكول وفاكهة وحلوى ولما سافر السلطان الى بلاد الروم قال خضر لبعض اصحابه ان السلطان يظهر على الروم ويرجع الى دمشق فيموت بها بعد أن اموت أنا بعشرين يوما فكان كذلك ومات خضر فى محبسه بقلعة الجبل فى سادس المحرّم أو سابعه من سنة ست وسبعين وستمائة وقد أناف على الخمسين فسلم الى أهله وحملوه الى زاويته هذه ودفنوه فيها وكان السلطان قد كتب بالافراج عنه فقدم البريد بعد موته ومات السلطان بدمشق فى سابع عشرى المحرّم المذكور بعد خضر بعشرين يوما وهذه الزاوية باقية الى اليوم

(زاوية ابن منظور)

هذه الزاوية خارج القاهرة بخط الدكة بجوار المقس عرفت بالشيخ جمال الدين محمد بن احمد بن منظور بن يس ابن خليفة بن عبد الرحمن أبو عبد الله الكنانى العسقلانى الشافعى الصوفى الامام الزاهد كانت له معارف وأتباع ومريدون ومعرفة بالحديث حدث عن أبى الفتوح الجلالى وروى عنه الدمياطى والدوادارى وعدّة من الناس ونظر فى الفقه واشتهر بالفضيلة وكانت له ثروة وصدقات ومولده فى ذى القعدة سنة سبع وتسعين وخمسمائة ووفاته بزاويته فى ليلة الثانى والعشرين من شهر رجب الفرد سنة ست وتسعين وستمائة وكانت هذه الزاوية أوّلا تعرف بزاوية شمس الدين بن كرا البغدادى

(زاوية الظاهرى)

هذه الزاوية خارج باب البحر ظاهر القاهرة عند حمام طرغاى على الخليج الناصرى كانت أوّلا تشرف طاقاتها على بحر النيل الاعظم فلما انحسر الماء عن ساحل المقس وحفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصرى صارت تشرف على الخليج المذكور من برّه الشرقى واتصلت المناظر هنالك الى أن كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة فخربت حمام طرغاى وبيعت أنقاضها وأنقاض كثير مما كان هنالك من المناظر وأنشئ هنالك بستان عرف أوّلا بعبد الرحمن صيرفى الامير جمال الدين الاستادار لانه أوّلا أنشأه ثم انتقل عنه * والظاهرى هذا هو احمد بن محمد بن عبد الله أبو العباس جمال الدين الظاهرى كان أبوه محمد بن عبد الله عتيق الملك الظاهر شهاب الدين غازى وبرع حتى صار اماما حافظا وتوفى ليلة الثلاثاء لاربع بقين من ربيع الاوّل سنة ست وتسعين وستمائة بالقاهرة ودفن بتربته خارج باب النصر * وابنه عثمان بن احمد بن محمد بن عبد الله فخر الدين ابن جمال الدين الظاهرى الحلبى الامام العلامة المحدّث الصالح ولد فى سنة سبعين وستمائة وأسمعه أبوه بديار مصر والشام وكان مكثرا ومات بزاويته هذه فى سنة ثلاثين وسبعمائة

(زاوية الجميزة)

هذه الزاوية موضعها من جملة أراضى الزهرى وهى الآن خارج باب زويلة بالقرب من معدية فريج أنشأها الامير سيف الدين جيرك السلاحدار المنصورى أحد أمراء الملك المنصور قلاون فى سنة اثنتين وثمانين وستمائة وجعل فيها عدة من الفقراء الصوفية

(زاوية الحلاوى)

هذه الزاوية بخط الاباريين من القاهرة بالقرب من الجامع الازهر أنشأها الشيخ مبارك الهندى السعودى الحلاوى أحد الفقراء من أصحاب الشيخ أبى السعود بن أبى العشائر البارينى الواسطى فى سنة ثمان وثمانين وستمائة واقام بها الى أن مات ودفن فيها فقام من بعده ابنه الشيخ عمر بن على بن مبارك وكانت له سماعات ومرويات ثم قام من بعده ابنه شيخنا جمال الدين عبد الله ابن الشيخ عمر بن على بن الشيخ مبارك الهندى وحدث فسمعنا عليه بها الى أن مات فى صفر سنة ثمان وثمانمائة وبها الآن ولده وهى من الزوايا المشهورة بالقاهرة

(زاوية نصر)

هذه الزاوية خارج باب النصر من القاهرة أنشأها الشيخ نصر بن سليمان أبو الفتح المنبجى الناسك القدوة وحدث بها عن ابراهيم بن خليل وغيره وكان فقيها معتزلا عن الناس متخليا للعبادة يتردد اليه اكابر الناس وأعيان الدولة وكان للامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير فيه اعتقاد كبير فلما ولى سلطنة مصر أجل قدره واكرم محله فهرع الناس اليه وتوسلوا به فى حوائجهم وكان يتغالى فى محبة العارف محيى الدين محمد بن عربى الصوفى ولذلك كانت بينه وبين شيخ الاسلام احمد بن تيمية مناكرة كبيرة ومات رحمه الله عن بضع وثمانين سنة فى ليلة السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبعمائة ودفن بها

(زاوية الخدام)

هذه الزاوية خارج باب النصر فيما بين شقة باب الفتوح من الحسينية وبين شقة الحسينية خارج باب النصر أنشأها الطواشى بلال الفراجى وجعلها وقفا على الخدام الحبش الاجناد فى سنة سبع وأربعين وستمائة

(زاوية تقى الدين)

هذه الزاوية تحت قلعة الجبل أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاون بعد سنة عشرين وسبعمائة لسكنى الشيخ تقى الدين رجب بن أشيرك العجمى وكان وجيها محترما عند أمراء الدولة ولم يزل بها الى أن مات يوم السبت ثامن شهر رجب سنة أربع عشرة وسبعمائة ومازالت منزلا لفقراء العجم الى وقتنا هذا

(زاوية الشريف مهدى)

هذه الزاوية بجوار زاوية الشيخ تقى الدين المذكور بناها الامير صرغتمش فى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة

(زاوية الطراطرية)

هذه الزاوية بالقرب من موردة البلاط بناها الملك الناصر محمد بن قلاون بوساطة القاضى شرف الدين النشو ناظر الخاص برسم الشيخين الاخوين محمد واحمد المعروفين بالطراطرية فى سنة أربعين وسبعمائة وكانا من أهل الخير والصلاح ونزلا أولا فى مقصورة بالجامع الازهر فعرفت بهما ثم عرفت بعدهما بمقصورة الحسام الصفدى والد الامير الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام وهذه المقصورة بآخر الرواق الاول مما يلى الركن الغربى ولم تزل هذه الزاوية عامرة الى أن كانت المحن من سنة ست وثمانمائة وخرب خط زربية قوصون وما فى قبليه الى منشأة المهرانى وما فى بحريه الى قرب بولاق

(زاوية القلندرية)

القلندرية طائفة تنتمى الى الصوفية وتارة تسمى انفسها ملامتية وحقيقة القلندرية انهم قوم طرحوا التقيد بآداب المجالسات والمخاطبات وقلت أعمالهم من الصوم والصلاة الا الفرائض ولم يبالوا بتناول شئ من اللذات

المباحة واقتصروا على رعاية الرخصة ولم يطلبوا حقائق العزيمة والتزموا أن لا يدخروا شيأ وتركوا الجمع والاستكثار من الدنيا ولم يتقشفوا ولا زهدوا ولا تعبدوا وزعموا أنهم قد قنعوا بطيب قلوبهم مع الله تعالى واقتصروا على ذلك وليس عندهم تطلع الى طلب مزيد سوى ما هم عليه من طيب القلوب * والفرق بين الملامتي والقلندري أن الملامتي يعمل في كتم العبادات والقلندري يعمل في تخريب العادات والملامتي يتمسك بكل ابواب البر والخير ويرى الفضل فيه الا انه يخفي أحواله وأعماله ويوقف نفسه موقف العوام في هيئته وملبوسه تسترا للحال حتى لا يفطن له وهو مع ذلك متطلع الى المزيد من العبادات والقلندري لا يتقيد بهيئة ولا يبالي بما يعرف من حاله وما لا يعرف ولا ينعطف الا على طيب القلوب وهو رأس ماله

هذه الزاوية خارج باب النصر من القاهرة من الجهة التي فيها الترب والمقابر التي تلي المساكن أنشأها الشيخ حسن الجواليقي القلندري أحد فقراء العجم القلندرية على رأي الجوالقة ولما قدم الى ديار مصر تقدم عند أمراء الدولة التركية وأقبلوا عليه واعتقدوه فأثرى ثراء زائدا في سلطنة الملك العادل كتبغا وسافر معه من مصر الى الشام فاتفق أن السلطان اصطاد غزالا ودفعه اليه ليحمله الى صاحب حماه فلما أحضره اليه البسه تشريفا من حرير طرز وخش وكلوتة زركش فقدم بذلك على السلطان فأخذ الامراء في مداعبته وقالوا له على سبيل الانكار كيف تلبس الحرير والذهب وهما حرام على الرجال فأين التزهد وسلوك طريق الفقراء ونحو ذلك فعند ما حضر صاحب حماه الى مجلس السلطان على العادة قال له يا خوند ايش عملت معي الامراء انكروا علي والفقراء تطالبني فأنعم عليه بألف دينار لجمع الفقراء والناس وعمل وقتا عظيما بزاوية الشيخ علي الحريري خارج دمشق وكان سمح النفس جميل العشرة لطيف الروح يحلق لحيته ولا يعتم ثم انه ترك الحلق وصارت له لحية وتعمم عمامة صوفية وكانت له عصبية وفيه مروءة وعصبية ومات بدمشق في سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة وما زالت هذه الزاوية منزلا لطائفة القلندرية ولهم بها شيخ وفيها منهم عدد موفور وفي شهر ذي القعدة سنة احدى وستين وسبعمائة حضر السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون بخانقاه أبيه الملك الناصر في ناحية سرياقوس خارج القاهرة ومد له شيخ الشيوخ سماطا كان من جملة من وقف عليه بين يدي السلطان الشريف علي شيخ زاوية القلندرية هذه فاستدعاه السلطان وانكر عليه حلق لحيته واستتابه وكتب له توقيعا سلطانيا منع فيه هذه الطائفة من تحليق لحاهم وأن من تظاهر بهذه البدعة قوبل على فعله المحرم وأن يكون شيخا على طائفته كما كان ما دام وداموا متمسكين بالسنة النبوية وهذه البدعة لها منذ ظهرت ما يزيد على أربعمائة سنة وأول ما ظهرت بدمشق في سنة بضع عشرة وستمائة وكتب الى بلاد الشام بالزام القلندرية بترك زي الاعاجم والمجوس ولا يمكن أحد من الدخول الى بلاد الشام حتى يترك هذا الزي المبتدع واللباس المستبشع ومن لا يلتزم بذلك يعزر شرعا ويقلع من قراره قلعا فنودي بذلك في دمشق وأرجائها يوم الاربعاء سادس عشر ذي الحجة

(قبة النصر)

هذه القبة زاوية يسكنها فقراء العجم وهي خارج القاهرة بالصحراء تحت الجبل الاحمر بآخر ميدان القبق من بحريه جددها الملك الناصر محمد بن قلاون على يد الامير جمال الدين أقوش نائب الكرك

(زاوية الركراكي)

هذه الزاوية خارج القاهرة في أرض المقس عرفت بالشيخ المعتقد أبي عبد الله محمد الركراكي المغربي المالكي لاقامته بها وكان فقيها مالكيا متصديا لاشغال المغاربة يتبرك الناس به الى أن مات بها يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الاولى سنة أربع وتسعين وسبعمائة ودفن بها * والركراكي نسبة الى ركراكة بلدة بالمغرب هي أحد مراسي سواحل المغرب بقرب البحر المحيط تنزل فيه السفن فلا تخرج الا بالرياح العاصفة في زمن الشتاء عند تكدر الهواء

(زاوية ابراهيم الصائغ)

هذه الزاوية بوسط الجسر الاعظم تطل على بركة الفيل عمرها الامير سيف الدين طغاي بعد سنة عشرين

وسبعمائة وأنزل فيها فقيرا عجميا من فقراء الشيخ تقي الدين رجب يعرف بالشيخ عز الدين العجمي وكان يعرف صناعة الموسيقي وله نغمة لذيذة وصوت مطرب وغناء جيد فأقام بها الى أن مات في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فغلب عليها الشيخ ابراهيم الصائغ الى أن مات يوم الاثنين رابع عشر شهر رجب سنة أربع وخمسين وسبعمائة فعرفت به

* (زاوية الجعبري) *

هذه الزاوية خارج باب النصر من القاهرة تنسب الى الشيخ برهان الدين ابراهيم بن معضاد بن شداد بن ماجد الجعبري المعتقد الواعظ كان يجلس للوعظ فيجتمع اليه الناس ويذكرهم ويروى الحديث ويشارك في علم الطب وغيره من العلوم وله شعر حسن وروى عن السخاوي وحدث عن البرزالي وكان له أصحاب يبالغون في اعتقاده ويغلون في أمره وكان لا يراه أحد الا أعظم قدره وأجله وأثنى عليه وحفظت عنه كلمات طعن عليه بسببها وعمر حتى جاوز الثمانين سنة فلما مرض أمر أن يخرج به الى مكان قبره فلما وقف عليه قال قبير وحال دبير ومات بعد ذلك بيوم في يوم السبت رابع عشرى المحرم سنة سبع وثمانين وستمائة والجعابرة عدة منهم

* (زاوية أبي السعود) *

هذه الزاوية خارج باب القنطرة من القاهرة على حافة الخليج عرفت بالشيخ المبارك أيوب السعودي كان يذكر انه رأى الشيخ أبا السعود بن أبي العشائر وسلك على يديه وانقطع بهذه الزاوية وتبرك الناس به واعتقدوا اجابة دعائه وعمر وصار يحمل لعجزه عن الحركة حتى مات عن مائة سنة أول صفر سنة أربع وعشرين وسبعمائة

* (زاوية الحمصي) *

هذه الزاوية خارج القاهرة بخط حكر خزائن السلاح والاوسية على شاطئ خليج الذكر من أرض المقس بجوار الدكة أنشأها الامير ناصر الدين محمد ويدعى طيقوش ابن الامير فخر الدين الطنبغا الحمصي أحد الامراء في الايام الناصرية كان أبوه من امراء الظاهر بيبرس ورتب بهذه الزاوية عشرة من الفقراء شيخهم منهم ووقف عليها عدة أماكن في جوارها وحصة من قرية بورين من قرى ساحل الشام وغير ذلك في سنة تسع وسبعمائة فلما خرب ما حولها وارتدم خليج الذكر تعطلت وهي الآن قد عزم مستحقو ريعها على هدمها لكثرة ما أحاط بها من الخراب من سائر جهاتها وصار السلوك اليها مخوفا بعدما كانت تلك الخطة في غاية العمارة وفي جمادى سنة عشرين وسبعمائة هدمت

* (زاوية المغربل) *

هذه الزاوية خارج القاهرة بدرب الزراق من الحكر عرفت بالشيخ المعتقد علي المغربل ومات في يوم الجمعة خامس جمادى الاولى سنة اثنين وتسعين وسبعمائة ولما كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة خربت الحكورة وهدم درب الزراق وغيره

* (زاوية القصري) *

هذه الزاوية بخط المقس خارج القاهرة عرفت بالشيخ أبي عبد الله محمد بن موسى عبد الله بن حسن القصري الرجل الصالح الفقيه المالكي المغربي قدم من قصر كتامة بالمغرب الى القاهرة وانقطع بهذه الزاوية على طريقة جميلة من العبادة وطلب العلم الى أن مات بها في التاسع من شهر رجب سنة ثلاث وثلاثين وستمائة

* (زاوية الجاكي) *

هذه الزاوية في سويقة الريش من الحكورة خارج القاهرة بجانب الخليج الغربي عرفت بالشيخ المعتقد حسين بن ابراهيم بن علي الجاكي ومات بها في يوم الخميس العشرين من شوال سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ودفن خارج باب النصر وكانت جنازته عظيمة جدا وأقام الناس يتبركون بزيارة قبره الى أن كانت سنة سبع عشرة وثمانمائة فأقبل الناس الى زيارة قبره وكان لهم هناك مجتمع عظيم في كل يوم ويحملون النذور الى

قبره ويزعمون أن الدعاء عنده لا يرد فتنة أضل الشيطان بها كثيرا من الناس وهم على ذلك الى يومنا هذا

(زاوية الابناسي)

هذه الزاوية بخط المقس عرفت بالشيخ الفقيه برهان الدين ابراهيم بن حسين بن موسى بن أيوب الابناسي الشافعي قدم من الريف وبرع في الفقه واشتهر بسلامة الباطن وعرف بالخير والصلاح وكتب على الفتوى ودرس بالجامع الازهر وغيره وتصدى لاشغال الطلبة عدة سنين وولي مشيخة الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء وطلبه الامير سيف الدين برقوق وهو يومئذ أتابك العساكر حتى يقلده قضاء القضاة بديار مصر فغيب فرارا من ذلك وتنزها عنه الى أن ولي غيره وكانت ولادته قبيل سنة خمس وعشرين وسبعمائة ووفاته بمنزلة المويلح من طريق الحجاز بعد عوده من الحج في ثامن المحرم سنة اثنتين وثمانمائة ودفن بعيون القصب

(زاوية اليونسية)

هذه الزاوية خارج القاهرة بالقرب من باب اللوق تنزلها الطائفة اليونسية واحدهم يونسي بضم الياء المعجمة باثنتين من تحتها وبعد الياء واو ثم نون بعدها سين مهملة في آخرها ياء آخر الحروف نسبة الى يونس ويونس المنسوب اليه الطائفة اليونسية غير واحد فمنهم يونس بن عبد الرحمن القمي مولى آل يقطين وهو الذي يزعم أن معبوده على عرشه تحمله ملائكته وان كان هو أقوى منها كالكركي تحمله رجلاه وهو أقوى منهما وقد كفر من زعم ذلك فان الله تعالى هو الذي يحمل العرش وحملته وهذه الطائفة اليونسية من غلاة الشيعة واليونسية أيضا فرقة من المرجئة ينتمون الى يونس السموي وكان يزعم أن الايمان هو المعرفة بالله والخضوع له وهو ترك الاستكبار عليه والمحبة له فمن اجتمعت فيه هذه الخلال فهو مؤمن وزعم أن ابليس كان عارفا بالله غير أنه كفر باستكباره عليه ولهم يونس بن يونس بن مساعد الشيباني ثم المخارقي شيخ الفقراء اليونسية شيخ صالح له كرامات مشهورة ولم يكن له شيخ بل كان مجذوبا جذب الى طريق الخير توفي بأعمال دارا في سنة تسع عشرة وسبعمائة وقد ناهز تسعين سنة وقبره مشهور يزار ويتبرك به واليه تنسب هذه الطائفة اليونسية

(زاوية الخلاطي)

هذه الزاوية خارج باب النصر من القاهرة بالقرب من زاوية الشيخ نصر المنبجي عرفت وكانت لهم وجاهة منهم ناصر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن حسين الخلاطي مات في نصف جمادى الاولى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ودفن بها

(الزاوية العدوية)

هذه الزاوية بالقرافة تنسب الى الشيخ عدي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان الهكاري القرشي الاموي وكان قد صحب عدة من المشايخ كعقيل المنبجي وحماد الدباس وعبد القادر السهروردي وعبد القادر الجيلي ثم انقطع في جبل الهكارية من أعمال الموصل وبنى له زاوية فمال اليه أهل تلك النواحي كلها ميلا لم يسمع لارباب الزوايا مثله حتى مات سنة سبع وقيل سنة خمس وخمسين وخمسمائة ودفن في زاويته وقدم ابن أخيه الى هذه البلاد وهو زين الدين فأكرم وأنعم عليه بامرة ثم تركها وانقطع في قرية بالشام تعرف ببيت فار على هيئة الملوك من اقتناء الخيول المسوّمة والمماليك والجواري والملابس وعمل الاسمطة الملوكية فافتتن به بعض نساء الطائفة القيمرية وبالغت في تعظيمه وبذلت له أموالا عظيمة وحاشيتها تلومها فيه فلا تصغي الى قولهم فاحتالوا حتى أوقفوها عليه وهو عاكف على المنكرات فما زادها ذلك الا ضلالا وقالت أنتم تنكرون هذا عليه انما الشيخ يتدلل على ربه وأتاه الامير الكبير علم الدين سنجر الدوادار ومعه الشهاب محمود لتحليفه في أول دولة الاشرف خليل بن قلاون الى قريته فاذا هو كالملك في قاعته للتجمل الظاهر والحشمة الزائدة والفرش الاطلس وآنية الذهب والفضة والنضار الصيني وأشياء تفوت العد الى غير ذلك من الاشربة المختلفة الالوان والاطعمة المتنوعة فلما دخلا عليه لم يحتفل بهما وقبل الامير سنجر يده وهو جالس لم يقم وبقي قائما قدامه يحدثه وزين الدين يسأله ساعة ثم أمره أن يجلس فجلس على ركبتيه متأدبا بين يديه فلما حلفاه

أنعم عليهما بما يقارب خمسة عشر ألف درهم وتخلف من طائفته الشيخ عز الدين أميران وأنعم عليه بامرة دمشق ثم نقل الى امرة بصفد ثم أعيد الى دمشق وترك الامرة وانقطع بالمزة وتردد اليه الاكراد من كل قطر وحملوا اليه الاموال ثم انه أراد أن يخرج على السلطان بمن معه من الاكراد فى كل بلد فباعوا أموالهم واشتروا الخيل والسلاح ووعد رجاله بنيابات البلاد ونزل بأرض اللجون فبلغ ذلك السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون فكتب الى الامير تنكز نائب الشام بكشف أخبارهم وأمسك السلطان من كان بهذه الزاوية العدوية ودرك على أمير طبر واختلفت الاخبار فقيل انهم يريدون سلطنة مصر وقيل يريدون ملك اليمن فقلق السلطان لامرهم وأهمه الى أن أمسك الامير تنكز عز الدين المذكور وسجنه فى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة حتى مات وفرق الاكراد ولو لم يتدارك لاوشك أن يكون لهم نوبة

* (زاوية السدّار) *

هذه الزاوية برأس حارة الديلم بناها الفقير المعتقد على بن السدّار فى سنة سبعين وسبعمائة وتوفى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة

* (ذكر المشاهد التى يتبرك الناس بزيارتها) *

* (مشهد زين العابدين) *

هذا المشهد فيما بين الجامع الطولونى ومدينة مصر تسميه العامة مشهد زين العابدين وهو خطأ وانما هو مشهد رأس زيد بن على المعروف بزين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام ويعرف فى القديم بمسجد محرس الخصى * قال القضاعى مسجد محرس الخصى بنى على رأس زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب حين انفذه هشام بن عبد الملك الى مصر ونصب على المنبر بالجامع فسرقه أهل مصر ودفنوه فى هذا الموضع * وقال الكندى فى كتاب الامراء وقدم الى مصر فى سنة اثنتين وعشرين ومائة أبو الحكم بن أبى الابيض القيسى خطيبا برأس زيد بن على رضوان الله عليه يوم الاحد لعشر خلون من جمادى الآخرة واجتمع الناس اليه فى المسجد * وقال الشريف محمد بن أسعد الجوانى فى كتاب الجوهر المكنون فى ذكر القبائل والبطون وبنو زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام الشهيد بالكوفة ولم يبق له عليه السلام غير رأسه التى بالمشهد الذى بين الكومين بمصر بطريق جامع ابن طولون وبركة الفيل وهو من الخطط يعرف بمسجد محرس الخصى ولما صلب كشفوا عورته فنسج العنكبوت فسترها ثم انه بعد ذلك احرق وذرى فى الريح ولم يبق منه الا رأسه التى بمصر وهو مشهد صحيح لانه طيف بها بمصر ثم نصبت على المنبر بالجامع بمصر فى سنة اثنتين وعشرين ومائة فسرقت ودفنت فى هذا الموضع الى أن ظهرت وبنى عليها مشهد * وذكر ابن عبد الظاهر أن الافضل بن أمير الجيوش لما بلغته حكاية رأس زيد أمر بكشف المسجد وكان وسط الاكوام ولم يبق من معالمه الا محراب فوجد هذا العضو الشريف قال محمد بن منجب بن الصيرفى حدثنى الشريف فخر الدين أبو الفتوح ناصر الزيدى خطيب مصر وكان من جملة من حضر الكشف قال لما خرج هذا العضو رأيته وهو هامة وافرة وفى الجبهة أثر فى سعة الدرهم فضمخ وعطر وحمل الى دار حتى عمر هذا المشهد وكان وجدانه يوم الاحد تاسع عشرى ربيع الاول سنة خمس وعشرين وخمسمائة وكان الوصول به فى يوم الاحد ووجدانه فى يوم الاحد * (زيد بن على) بن الحسين بن على بن أبى طالب كنيته أبو الحسن الامام الذى تنسب اليه الزيدية احدى طوائف الشيعة سكن المدينة وروى عن أبيه على بن الحسين الملقب زين العابدين وعن أبان بن عثمان وعبيد الله بن أبى رافع وعروة بن الزبير وروى عنه محمد بن شهاب الزهرى وزكريا ابن أبى زائدة وخلق ذكره ابن حبان فى الثقات وقال رأى جماعة من الصحابة وقيل لجعفر بن محمد الصادق عن الرافضة انهم يتبرؤن من عمك زيد فقال برئ الله ممن تبرأ من عمى كان والله اقرأنا لكتاب الله وأفقهنا فى دين الله وأوصلنا للرحم والله ماترك فينا لدنيا ولا لآخرة مثله وقال أبو اسحاق السبيعى رأيت زيد بن على فلم أر فى أهله مثله ولا أعلم منه ولا أفضل وكان افصحهم لسانا وأكثرهم زهدا وبيانا وقال الشعبى والله ماولد النساء أفضل من زيد بن على ولا أفقه ولا أشجع ولا ازهد وقال أبو حنيفة شاهدت زيد بن على كما شاهدت أهله فما رأيت فى زمانه أفقه منه ولا أعلم ولا أسرع جوابا ولا ابين قولا لقد كان منقطع القرين وقال الاعمش

ما كان فى أهل زيد بن علىّ مثل زيد ولا رأيت فيهم أفضل منه ولا أفصح ولا أعلم ولا أشجع ولقد وفى له من تابعه لاقامتهم على المنهج الواضح وسئل جعفر بن محمد الصادق عن خروجه فقال خرج على ما خرج عليه آباؤه وكان يقال لزيد حليف القرآن وقال خلوت بالقرآن ثلاث عشرة سنة أقرأه وأتدبره فما وجدت فى طلب الرزق رخصة وما وجدت ابتغوا من فضل الله الا العبادة والفقه وقال عاصم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لقد أصيب عندكم رجل ما كان فى زمانكم مثله ولا أراه يكون بعده مثله زيد بن علىّ لقد رأيته وهو غلام حدث وانه ليسمع الشئ من ذكر الله فيغشى عليه حتى يقول القائل ماهو بعائد الى الدنيا وكان نقش خاتم زيد اصبر تؤجر اصدق تنج وقرأ مرّة قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم فقال ان هذا لوعيد وتهديد من الله ثم قال اللهمّ لا تجعلنا ممن تولى عنك فاستبدلت به بدلا وكان اذا كلمه انسان وخاف أن يهجم على أمر يخاف منه مأثما قال له يا عبد الله أمسك أمسك كف كف اليك اليك عليك بالنظر لنفسك ثم يكف عنه ولا يكلمه وقد اختلف فى سبب قيام زيد وطلبه الامر لنفسه فقيل ان زيد بن علىّ وداود بن علىّ بن عبد الله بن عباس ومحمد بن عمر بن علىّ بن أبى طالب قدموا على خالد بن عبد الله القسرىّ بالعراق فأجازهم ورجعوا الى المدينة فلما ولى يوسف بن عمر العراق بعد عزل خالد كتب الى هشام بن عبد الملك وذكر له ان خالدا ابتاع أرضا بالمدينة من زيد بعشرة آلاف دينار ثم ردّ الارض عليه فكتب هشام الى عامل المدينة أن يسيرهم اليه ففعل فسألهم هشام عن ذلك فأقرّوا بالجائزة وأنكروا ما سوى ذلك وحلفوا فصدّقهم وأمرهم بالمسير الى العراق ليقابلوا خالدا فساروا على كره وقابلوا خالدا فصدّقهم وعادوا نحو المدينة فلما نزلوا القادسية راسل أهل الكوفة زيدا فعاد اليهم وقيل بل ادّعى خالد القسرىّ انه أودع زيدا وداود بن علىّ ونفرا من قريش مالا فكتب يوسف بن عمر بذلك الى الخليفة هشام بن عبد الملك فأحضرهم هشام من المدينة وسيرهم الى يوسف ليجمعهم وخالدا فقدموا عليه فقال يوسف لزيد ان خالدا زعم انه أودع عندك مالا فقال زيد كيف يودعنى وهو يشتم أباءى على منبره فأرسل الى خالد فأحضره فى عباءة وقال له هذا زيد قد أنكر انك أودعته شيأ فنظر خالد اليه والى داود وقال ليوسف اتريد أن تجمع اثمك مع اثمنا فى هذا كيف أودعه وأنا أشتم آباءه وأشتمه على المنبر فقال زيد لخالد ما دعاك الى ما صنعت فقال شدّد علىّ العذاب فادّعيت ذلك وأملت أن يأتى الله بفرج قبل قدومك فرجعوا وأقام زيد وداود بالكوفة وقيل ان يزيد بن خالد القسرىّ هو الذى ادّعى أن المال وديعة عند زيد فلما أمرهم هشام بالمسير الى العراق الى يوسف استقالوه خوفا من شرّ يوسف وظلمه فقال أنا أكتب اليه بالكف عنكم وألزمهم بذلك فساروا على كره فجمع يوسف بينهم وبين يزيد فقال يزيد ليس لى عندهم قليل ولا كثير فقال له يوسف أتهزأ بأمير المؤمنين فعذبه يومئذ عذابا كاد يهلكه ثم أمر بالقرشيين فضربوا وترك زيدا ثم استحلفهم وأطلقهم فلحقوا بالمدينة وأقام زيد بالكوفة وكان زيد قال لهشام لما أمره بالمسير الى يوسف والله ما آمن ان بعثتنى اليه أن لا نجتمع أنا وأنت حيين أبدا قال لا بدّ من المسير اليه فسار اليه وقيل كان السبب فى ذلك أن زيدا كان يخاصم ابن عمه جعفر بن الحسن بن الحسين بن علىّ فى وقوف علىّ رضى الله عنه فزيد يخاصم عن بنى حسين وجعفر يخاصم عن بنى حسن فكانا يبلغان كل غاية ويقومان فلا يعيدان مما كان بينهما حرفا فلما مات جعفر نازعه عبد الله بن الحسن بن الحسن فتنازعا يوما بين يدى خالد بن عبد الملك بن الحارث بالمدينة فأغلظ عبد الله لزيد وقال يا ابن السندية فضحك زيد وقال قد كان اسماعيل عليه السلام ابن امة ومع ذلك فقد صبرت أمى بعد وفاة سيدها ولم يصبر غيرها يعنى فاطمة بنت الحسين أمّ عبد الله فانها تزوّجت بعد أبيه الحسن ابن الحسن ثم ان زيدا ندم واستحيى من فاطمة فانها عمته ولم يدخل اليها زمانا فأرسلت اليه يا ابن أخى انى لأعلم أن أمك عندك كأمّ عبد الله عنده وقالت لعبد الله بئسما قلت لأمّ زيد أما والله لنعم دخلة القوم كانت وذكر أن خالدا قال لهما اغدوا علينا غدا فلست ابن عبد الملك ان لم افصل بينكما فباتت المدينة تغلى كالمرجل يقول قائل قال زيد كذا ويقول قائل قال عبد الله كذا فلما كان من الغد جلس خالد فى المسجد واجتمع الناس فمن بين شامت ومهموم فدعا بهما خالد وهو يحبّ أن يتشاتما فذهب عبد الله يتكلم فقال زيد لا تعجل يا أبا محمد أعتق زيد كلّ ما يملك ان خاصمك الى خالد أبدا ثم أقبل الى خالد فقال له لقد جمعت ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم لامر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا عمر فقال خالد أما لهذا السفيه أحد فتكلم رجل من الانصار من آل

قوله فى وقوف على الخ هكذا فى النسخ ولعله محرّف عن رقوق جمع رق بمعنى الصحيفة لاشتمالها على حكم ونصائح مثلا وليحرّر اه مصححه

عمرو بن حزم فقال يا ابن أبي تراب وابن حسين السفيه أما ترى لوال عليك حقا ولا طاعة فقال زيد اسكت أيها القحطاني فانا لا نجيب مثلك قال ولم ترغب عني فوالله اني لخير منك وخير من أبيك وأمي خير من أمك فتضاحك زيد وقال يامعشر قريش هذا الدين قد ذهب أفتذهب الاحساب فوالله ليذهب دين القوم وما تذهب أحسابهم فقام عبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال كذبت والله أيها القحطاني فوالله لهو خير منك نفسا وأبا وأما ومحتدا وتناوله بكلام كثير وأخذ كفا من حصباء وضرب بها الارض وقال والله انه مالنا على هذا من صبر وقام ثم شخص زيد الى هشام بن عبد الملك فجعل هشام لا يأذن له وهو يرفع اليه القصص فكلما رفع قصة يكتب هشام في اسفلها ارجع الى منزلك فيقول زيد والله لا أرجع الى خالد أبدا ثم انه اذن له يوما بعد طول حبس فصعد زيد وكان بادنا فوقف في بعض الدرج وهو يقول والله لا يحب الدنيا أحد الا ذل ثم صعد وقد جمع له

٢ هشام اهل الشام فسلم ثم جلس فرمى عليه هشام طويلة فحلف لهشام على شئ فقال هشام لا أصدقك فقال يا أمير المؤمنين ان الله لم يرفع أحدا عن أن يرضى بالله ولم يضع أحدا عن أن لا يرضى بذلك منه فقال هشام أنت زيد المؤمل للخلافة وما انت والخلافة لا أم لك وأنت ابن أمة فقال زيد لا أعلم أحدا عند الله افضل من نبي بعثه ولقد بعث الله نبيا وهو ابن أمة ولو كان به تقصير عن منتهى غاية لم يبعث وهو اسماعيل بن ابراهيم والنبوة اعظم منزلة من الخلافة عند الله ثم لم يمنعه الله من أن جعله أبا للعرب وأبا لخير البشر محمد صلى الله عليه وسلم وما يقصر برجل أبوه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد أمي فاطمة لا أفخر بأم فوثب هشام من مجلسه وتفرق الشاميون عنه وقال لحاجبه لا يبيت هذا في عسكري أبدا فخرج زيد وهو يقول ما كره قوم قط حر السيوف الا ذلوا وسار الى الكوفة فقال له محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب أذكرك الله يا زيد لما لحقت بأهلك ولا تأت اهل الكوفة فانهم لا يفون لك فلم يقبل وقال خرج بنا هشام اسراء على غير ذنب من الحجاز الى الشام ثم الى الجزيرة ثم الى العراق ثم الى تيس ثقيف يلعب بنا وأنشد

بكرت تخوفني الحتوف كأنني * أصبحت عن عرض الحياة بمعزل
فأجبتها ان المنية منزل * لا بد أن أسقى بكأس المنهل
ان المنية لو تمثل مثلت * مثلي اذا نزلوا بضيق المنزل
فاقني حياءك لا أبالك واعلمي * أني امرؤ سأموت ان لم أقتل

استودعك الله واني أعطي الله عهدا ان دخلت يدي في طاعة هؤلاء ما عشت وفارقه وأقبل الى الكوفة فأقام بها مستخفيا ينتقل في المنازل فأقبلت الشيعة تختلف اليه تبايعه فبايعه جماعة من وجوه أهل الكوفة وكانت بيعته انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين واعطاء المحرومين وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء ورد المظالم وأفعال الخير ونصرة أهل البيت أتبايعون على ذلك فاذا قالوا نعم وضع يده على ايديهم ويقول عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتؤمنن ببيعتي ولتقاتلن عدوي ولتنصحن لي في السر والعلانية فاذا قال نعم مسح يده على يده ثم قال اللهم فاشهد فبايعه خمسة عشر ألفا وقيل أربعون ألفا وأمر أصحابه بالاستعداد فأقبل من يريد أن يفي ويخرج معه يستعد ويتهيأ فشاع امره في الناس هذا على قول من زعم انه اتى الكوفة من الشام واختفى بها يبايع الناس وأما على قول من زعم انه اتى الى يوسف بن عمر لمرافعة خالد بن عبد الله القسري أو ابنه يزيد بن خالد فانه قال أقام زيد بالكوفة ظاهرا ومعه داود بن علي بن عبد الله بن عباس وأقبلت الشيعة تختلف اليه وتأمره بالخروج ويقولون انا لنرجو أن تكون أنت المنصور وان هذا الزمان الذي يهلك فيه بنو أمية فأقام بالكوفة ويوسف بن عمر يسأل عنه فيقال هو ههنا ويبعث اليه ليسير فيقول نعم ويعتل بالوجع فمكث ما شاء الله ثم أرسل اليه يوسف بالمسير عن الكوفة فاحتج بأنه يحاكم آل طلحة بن عبيد الله بملك بينهما بالمدينة فأرسل اليه ليوكل وكيلا ويرحل عنها فلما رأى الجد من يوسف في أمره سار حتى اتى القادسية وقيل الثعلبية فتبعه أهل الكوفة وقالوا له نحن أربعون ألفا لم يتخلف عنك أحد نضرب عنك بأسيافنا وليس ههنا من أهل الشام الا عدة يسيرة وبعض قبائلنا يكفيهم باذن الله وحلفوا له بالايمان المغلظة فجعل يقول اني أخاف أن تخذلوني وتسلموني كفعلكم بأبي وجدي فيحلفون له فقال له داود بن علي لا يغرنك يا ابن عمي هؤلاء أليس قد خذلوا من كان أعز عليهم منك جدك علي بن أبي

طالب

طالب حتى قتل والحسن من بعده بايعوه ثم وثبوا عليه وانتزعوا رداءه وجرحوه أوليس قد أخرجوا جدك الحسين وحلفوا له ثم خذلوه وأسلموه ولم يرضوا بذلك حتى قتلوه فلا ترجع معهم فقالوا يا زيد ان هذا لا يريد أن تظهر انت ويزعم انه وأهل بيته أولى بهذا الامر منكم فقال زيد لداود ان عليا كان يقاتله معاوية بذهبه وان الحسين قاتله يزيد والامر مقبل عليهم فقال له داود انى اخاف ان رجعت معهم أن لا يكون أحد أشد عليك منهم وانت أعلم ومضى داود الى المدينة ورجع زيد الى الكوفة فأتاه سلمة بن كهيل فذكر له قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقه فأحسن ثم قال له نشدتك الله كم بايعك قال أربعون ألفا قال فكم بايع جدك قال ثمانون ألفا قال فكم حصل معه قال ثلثمائة قال نشدتك الله أنت خير أم جدك قال جدى قال فهذا القرن خير أم ذلك القرن قال ذلك القرن قال افتطمع أن يفى لك هؤلاء وقد غدر اولئك بجدك قال قد بايعونى ووجبت البيعة فى عنقى وعنقهم قال أفتأذن لى أن أخرج من هذا البلد فلا آمن أن يحدث حدث فأهلك نفسى فأذن له فخرج الى اليمامة وكتب عبد الله بن الحسن بن الحسن الى زيد أما بعد فان أهل الكوفة نفج العلانية خور للسريرة هوج فى الرداجزع فى اللقا تقدمهم ألسنتهم ولا تتابعهم قلوبهم ولقد تواترت كتبهم الى بدعوتهم فصممت عن ندائهم وألبست قلبى غشاء عن ذكرهم يأسا منهم واطراحا لهم وما لهم مثل الا ما قال على ابن أبى طالب صلوات الله عليه ان أهملتم خضتم وان خورتم خرتم وان اجتمع الناس على امام طعنتم وان اجبتم الى مشاقة نكصتم فلم يصغ زيد الى شئ من ذلك وأقام على حاله يبايع الناس ويتجهز للخروج وتزوج بالكوفة امرأتين وكان ينتقل تارة عند هذه فى بنى سلمة قومها وتارة عند هذه فى الازد قومها وتارة فى بنى عبس وتارة فى بنى تغلب وغيرهم الى أن ظهر فى سنة اثنتين وعشرين ومائة فأمر أصحابه بالاستعداد وأخذ من كان يريد الوفاء بالبيعة يتجهز فبلغ ذلك يوسف بن عمر فبعث فى طلب زيد فلم يوجد وخاف زيد أن يؤخذ فتعجل قبل الاجل الذى جعله بينه وبين أهل الكوفة وعلى الكوفة يومئذ الحكم بن الصلت فى ناس من أهل الشام ويوسف ابن عمر بالحيرة فلما علم اصحاب زيد أن يوسف بن عمر قد بلغه الخبر وأنه يبحث عن زيد اجتمع الى زيد جماعة من رؤسهم فقالوا رحمك الله ما قولك فى أبى بكر وعمر فقال زيد رحمهما الله وغفر لهما ما سمعت أحدا من أهل بيتى يقول فيهما الا خيرا وان أشد ما أقول فيما ذكرتم انا كنا أحق بسلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس اجمعين فدفعونا عنه ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرا وقد ولوا فعدلوا فى الناس وعملوا بالكتاب والسنة قالوا فلم يظلمك هؤلاء اذا كان اولئك لم يظلموا واذا كان هؤلاء لم يظلموا فلم تدعوا الى قتالهم فقال ان هؤلاء ليسوا كأولئك هؤلاء ظالمون لى ولانفسهم ولكم وانما ندعوهم الى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والى السنن أن تحيى والى البدع أن تطفأ فان أجبتمونا سعدتم وان أبيتم فلست عليكم بوكيل ففارقوه ونكثوا بيعته وقالوا قد سبق الامام يعنون محمدا الباقر وكان قد مات وقالوا جعفر ابنه امامنا اليوم بعد أبيه فسماهم زيد الرافضة وهم يزعمون أن المغيرة سماهم الرافضة حين فارقوه وكانت طائفة قد أتت جعفر بن محمد الصادق قبل قيام زيد وأخبروه ببيعته فقال بايعوه فهو والله افضلنا وسيدنا فعادوا وكتموا ذلك وكان زيد قد واعد أصحابه أول ليلة من صفر فبلغ ذلك يوسف بن عمر فبعث الى الحكم عامله على الكوفة يأمره بأن يجمع الناس بالمسجد الاعظم يحصرهم فيه فجمعهم وطلبوا زيدا فخرج ليلا من دار معاوية بن اسحاق بن زيد بن حارثة الانصارى وكان بها ورفعوا النيران ونادوا يا منصور حتى طلع الفجر فلما اصبحوا نادى اصحاب زيد بشعارهم وثاروا فأغلق الحكم دروب السوق وأبواب المسجد على الناس وبعث الى يوسف بن عمر وهو بالحيرة فأخبره الخبر فأرسل اليه خمسين فارسا ليعرفوا الخبر فساروا حتى عرفوا الخبر وعادوا اليه فسارت الحيرة بأشراف الناس وبعث ألفين من الفرسان وثلثمائة رجالة معهم النشاب وأصبح زيد فكان جميع من وافاه تلك الليلة مائتى رجل وثمانية عشر رجلا فقال سبحان الله اين الناس فقيل انهم فى المسجد الاعظم محصورون فقال والله ما هذا بعذر لمن بايعنا وأقبل فلقيه على جبانة الصايديين خمسمائة من أهل الشام فحمل عليهم فيمن معه حتى هزمهم وانتهى الى دار أنس بن عمر الازدى وكان فيمن بايعه وهو فى الدار فنودى فلم يجب فناداه زيد فلم يخرج اليه فقال زيد ما اخلفكم قد فعلتموها الله حسيبكم ثم سار ويوسف بن عمر ينظر اليه وهو فى مائتى رجل فلو قصده زيد لقتله والريان يتبع آثار زيد بالكوفة فى أهل الشام فأخذ زيد فى المسير حتى دخل الكوفة فسار بعض اصحابه الى الجبانة وواقعوا أهل

الشام فأسر أهل الشام منهم رجلا ومضوا به الى يوسف بن عمر فقتله فلما رأى زيد خذلان الناس اياه قال قد فعلوها حسبي الله وسار وهو يهزم من لقيه حتى انتهى الى باب المسجد فجعل اصحابه يدخلون رايا تهم من فوق الباب ويقولون يا اهل المسجد اخرجوا من الذل الى العز اخرجوا الى الدين والدنيا فانكم لستم فى دين ولا دنيا وزيد يقول والله ماخرجت ولا قمت مقامي هـذا حتى قرأت القرآن وأتقنت الفرائض وأحكمت السنن والآداب وعرفت التأويل كما عرفت التنزيل وفهمت الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والخاص والعام وما تحتاج اليه الامة فى دينها مما لابد لها منه ولا غنى لها عنه وانى لعلى بينة من ربى فرماهم أهل المسجد بالحجارة من فوق المسجد فانصرف زيد فيمن معه وخرج اليه ناس من أهل الكوفة فنزل دار الرزق فأتاه الريان وقاتله وخرج أهل الشام مساء يوم الاربعاء اسوأ شئ ظنا فلما كان من الغد أرسل يوسف بن عمر عدة عليهم العباس بن سعد المزنى فلقيهم زيد فاقتتلوا اقتتالا شديدا فانهزم أصحاب العباس وقتل منهم نحو من سبعين فلما كان العشى عبى يوسف بن عمر الجيوش وسرحهم فالتقاهم زيد بمن معه وحمل عليهم حتى هزمهم وهو يتبعهم فبعث يوسف طائفة من الناشبة فرموا أصحاب زيد وهو يقاتل حتى دخل الليل فرمى بسهم فى جبهته اليسرى ثبت فى دماغه فرجع اصحابه ولا يظن أهل الشام انهم رجعوا للمساء والليل فأنزلوا زيدا فى دار وأتوه بطبيب فانتزع النصل فضج زيد ومات رحمه الله لليلتين خلتا من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة وعمره اثنتان وأربعون سنة ولما مات اختلف أصحابه فى أمره فقال بعضهم نطرحه فى الماء وقال بعضهم بل نحز رأسه ونلقيه فى القتلى فقال ابنه يحيى بن زيد والله لا يأكل لحم أبى الكلاب وقال بعضهم ندفنه فى الحفرة التى يؤخذ منها الطين ونجعل عليه الماء ففعلوا ذلك واجروا عليه الماء وكان معه مولى سندى فدل عليه وقيل رآهم قصار فدل عليه وتفرق الناس من أصحاب زيد وسار ابنه يحيى نحو كربلا وتتبع يوسف بن عمر الجرحى فى الدور حتى دل على زيد فى يوم جمعة فأخرجه وقطع رأسه وبعث به الى هشام بن عبد الملك فدفع لمن وصل به عشرة آلاف درهم ونصبه على باب دمشق ثم أرسله الى المدينة وسار منها الى مصر وأما جسده فان يوسف بن عمر صلبه بالكناسة ومعه ثلاثة ممن كانوا معه وأقام الحرس عليه فمكث زيد مصلوبا اكثر من سنتين حتى مات هشام وولى الوليد من بعده وبعث الى يوسف بن عمر أن أنزل زيدا واحرقه بالنار فأنزله وأحرقه وذرى رماده فى الريح وكان زيد لما صلب وهو عريان استرخى بطنه على عورته حتى ما يرى من سوءته شئ ومر زيد مرة بمحمد ابن الحنفية فنظر اليه وقال اعيذك بالله أن تكون زيد بن على المصلوب بالعراق وقال عبد الله بن حسين بن على بن الحسين بن على سمعت أبى يقول اللهم ان هشاما رضى بصلب زيد فاسلبه ملكه وان يوسف بن عمر أحرق زيدا اللهم فسلط عليه من لا يرحمه اللهم وأحرق هشاما فى حياته ان شئت والا فأحرقه بعد موته قال فرأيت والله هشاما محرقا لما أخذ بنو العباس دمشق ورأيت يوسف بن عمر بدمشق مقطعا على كل باب من أبواب دمشق منه عضو فقلت يا أبتاه وافقت دعوتك ليلة القدر فقال لا يا بنى بل صمت ثلاثة أيام من شهر رجب وثلاثة أيام من شعبان وثلاثة أيام من شهر رمضان كنت أصوم الاربعاء والخميس والجمعة ثم أدعو الله عليهما من صلاة العصر يوم الجمعة حتى أصلى المغرب وبعد قتل زيد انتقض ملك بنى أمية وتلاشى الى أن ازالهم الله تعالى ببنى العباس * وهذا المشهد باق بين كيمان مدينة مصر يتبرك الناس بزيارته ويقصدونه لاسيما فى يوم عاشوراء والعامة تسميه زين العابدين وهو وهم وانما زين العابدين أبوه وليس قبره بمصر بل قبره بالبقيع ولما قتل الامام زيد سودت الشيعة أى لبست السواد وكان أول من سود على زيد شيخ بنى هاشم فى وقته الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ورثاه بقصيدة طويلة وشعره حجة احتج به سيبويه توفى سنة تسع وعشرين ومائة

(مشهد السيدة نفيسة)

قال الشريف النقيب النسابة شرف الدين أبو على محمد بن أسعد بن على بن معمر بن عمر الحسينى الجوانى المالكى فى كتاب الروضة الانيسة بفضل مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها * نفيسة ابنة الحسن ابن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب عليهم السلام امها ام ولد وأخوتها القاسم ومحمد وعلى وابراهيم وزيد وعبد الله ويحيى واسماعيل واسحاق وأم كلثوم أولاد الحسن بن زيد بن الحسن بن على فأمهم أم سلمة واسمها زينب ابنة الحسن بن الحسن بن على وأمها أم ولد تزوج أم كلثوم اخت نفيسة عبد الله بن على بن

عبد الله

قوله فامهم الخ هكذا فى النسخ ولا يخفى ما فى هذه العبارة من السقامة والتنافى والظاهر أن فيها سقطا والاصل فأما القاسم ومحمد ويحيى وأم كلثوم فأمهم الخ كما يدل على ذلك قوله فأمهم بالفاء وكذلك بقية العبارة حيث بين فيها أمهات ستة منهم وليحرر اهـ مصححه

عبد الله بن عباس رضي الله عنهم ثم خلف عليها الحسن بن زيد بن علي بن الحسن بن علي وأما علي وابراهيم وزيد اخوة نفيسة من أبيها فأمهم أم ولد تدعى أم عبد الحميد وأما عبد الله بن الحسن بن زيد فأمه الزائدة بنت بسطام بن عمير بن قيس الشيباني وأما اسماعيل واسحاق فهما لامي ولد وكان اسماعيل من أهل الفضل والخير صاحب صوم ونسك وكان يصوم يوما ويفطر يوما وأما يحيى بن زيد فله مشهد معروف بالمشاهد يأتي ذكره ان شاء الله تعالى وتزوج بنفيسة رضي الله عنها اسحاق بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وكان يقال له اسحاق المؤتمن وكان من أهل الصلاح والخير والفضل والدين روى عنه الحديث وكان ابن كاسب اذا حدث عنه يقول حدثني الثقة الرضي اسحاق بن جعفر وكان له عقب بمصر منهم بنو الرقي وبحلب بنو زهرة وولدت نفيسة من اسحاق ولدين هما القاسم وأم كلثوم لم يعقبا * وأما جد نفيسة وهو زيد بن الحسن بن علي فروى عن أبيه وعن جابر وابن عباس وروى عنه ابنه وكانت بينه وبين عبد الله بن محمد ابن الحنفية خصومة وفد لاجلها على الوليد بن عبد الملك وكان يأتي الجمعة من ثمانية أميال وكان اذا ركب نظر الناس اليه وعجبوا من عظم خلقه وقالوا جده رسول الله وكتب اليه الوليد بن عبد الملك يسأله أن يبايع لابنه عبد العزيز ويخلع سليمان بن عبد الملك ففرق منه وأجابه فلما استخلف سليمان وجد كتاب زيد بذلك الى الوليد فكتب الى أبي بكر بن حزم امير المدينة ادع زيد بن الحسن فأقرئه الكتاب فان عرفه فاكتب الي وان هو نكل فقدمه فأصبر يمينه عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ما كتبه ولا أمر به فخاف زيد الله واعترف فكتب بذلك أبو بكر فكتب سليمان أن يضرب به مائة سوط وأن يدرعه عباءة ويمشيه حافيا فحبس عمر بن عبد العزيز الرسول وقال حتى اكلم امير المؤمنين فيما كتب به في حق زيد فقال للرسول لا تخرج فان امير المؤمنين مريض فمات سليمان وأحرق عمر الكتاب * وأما والد نفيسة وهو الحسن بن زيد فهو الذي كان والي المدينة النبوية من قبل أبي جعفر عبد الله بن محمد المنصور وكان فاضلا أديبا عالما وأمه أم ولد توفي أبوه وهو غلام وترك عليه دينا أربعة آلاف دينار فحلف الحسن ولده أن لا يظل رأسه سقف الاسقف مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم او بيت رجل يكلمه في حاجة حتى يقضي دين أبيه فوفاه وقضاه بعد ذلك ومن كرمه انه اتى بشاب شارب متأدب وهو عامل على المدينة فقال يا ابن رسول الله لا أعود وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقيلوا ذوي الهيآت عثراتهم وأنا ابن أبي امامة بن سهل بن حنيف وقد كان أبي مع أبيك كما قد علمت قال صدقت فهل انت عائد قال لا والله فأقاله وأمر له بخمسين دينارا وقال له تزوج بها وعد الي فتاب الشاب وكان الحسن بن زيد يجري عليه النفقة * وكانت نفيسة من الصلاح والزهد على الحد الذي لا مزيد عليه فيقال انها حجت ثلاثين حجة وكانت كثيرة البكاء تديم قيام الليل وصيام النهار فقيل لها ألا ترفقين بنفسك فقالت كيف أرفق بنفسي وأمامي عقبة لا يقطعها الا الفائزون وكانت تحفظ القرآن وتفسيره وكانت لا تأكل الا في كل ثلاث ليال أكلة واحدة ولا تأكل من غير زوجها شيأ وقد ذكر أن الامام الشافعي محمد بن ادريس كان زارها وهي من وراء الحجاب وقال لها ادعي لي وكان صحبته عبد الله بن عبد الحكم وماتت رضي الله عنها بعد موت الامام الشافعي رحمة الله عليه بأربع سنين لان الشافعي توفي سلخ شهر رجب سنة أربع ومائتين وقيل انها كانت فيمن صلى على الامام الشافعي وتوفيت السيدة نفيسة في شهر رمضان سنة ثمان ومائتين ودفنت في منزلها وهو الموضع الذي به قبرها الآن ويعرف بخط درب السباع ودرب بزرب وأراد اسحاق بن الصادق وهو زوجها أن يحملها ليدفنها بالمدينة فسأله أهل مصر أن يتركها ويدفنها عندهم لاجل البركة وقبر السيدة نفيسة أحد المواضع المعروفة باجابة الدعاء بمصر وهي أربعة مواضع سجن نبي الله يوسف الصديق عليه السلام ومسجد موسى صلوات الله عليه وهو الذي بطرا ومشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها والمخدع الذي على يسار المصلي في قبلة مسجد الاقدام بالقرافة فهذه المواضع لم يزل المصريون ممن اصابته مصيبة او لحقته فاقة أو جائحة يمضون الى أحدها فيدعون الله تعالى فيستجيب لهم مجرب ذلك انتهى * ويقال انها حفرت قبرها هذا وقرأت فيه تسعين ومائة ختمة وانها لما احتضرت خرجت من الدنيا وقد انتهت في حزبها الى قوله تعالى قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ففاضت نفسها رحمها الله تعالى مع قوله الرحمة ويقال ان الحسن ابن زيد والد السيدة نفيسة كان مجاب الدعوة ممدوحا وان شخصا وشى به الى أبي جعفر المنصور وأنه يريد الخلافة

لنفسه فانه كان قد انتهت اليه رياسة بنى حسن فأحضره من المدينة وسلبه ماله ثم انه ظهر له كذب الناقل عنه فرّ عليه ورده الى المدينة مكرما فلما قدمها بعث الى الذى وشى به بهدية ولم يعتبه على ما كان منه ويقال انه كان مجاب الدعوة فمرّت به امرأة وهو فى الابطح ومعها ابن لها على يدها فاختطفه عقاب فسألت الحسن بن زيد أن يدعو الله لها برده فرفع يديه الى السماء ودعا ربه فاذا بالعقاب قد ألقى الصغير من غير أن يضره بشئ فأخذته أمه وكان يعتد بألف من الكرام ولما قدمت السيدة نفيسة الى مصر مع زوجها اسحاق بن جعفر نزلت بالمنصوصة وكان بجوارها دار فيها قوم من أهل الذمة ولهم ابنة مقعدة لم تمش قط فلما كان فى يوم من الايام ذهب أهلها فى حاجة من حوائجهم وتركوا المقعدة عند السيدة نفيسة فتوضأت وصبت من فضل وضوئها على الصبية المقعدة وسمت الله تعالى فقامت تسعى على قدميها ليس بها بأس البتة فلما قدم أهلها وعاينوها تمشى أتوا الى السيدة نفيسة وقد تيقنوا أن مشى ابنتهم كان ببركة دعائها وأسلموا بأجمعهم على يديها فاشتهر ذلك بمصر وعرف انه من بركاتها وتوقف النيل عن الزيادة فى زمنها فحضر الناس اليها وشكوا اليها ما حصل من توقف النيل فدفعت قناعها اليهم وقالت لهم ألقوه فى النيل فألقوه فيه فزاد حتى بلغ الله به المنافع وأسر ابن لامرأة ذمية فى بلاد الروم فأتت الى السيدة نفيسة وسألتها الدعاء أن يرد الله ابنها عليها فلما كان الليل لم تشعر الذمية الا بابنها وقد هجم عليها دارها فسألته عن خبره فقال يا أماه لم اشعر الا ويد قد وقعت على القيد الذى كان فى رجلى وقائل يقول أطلقوه قد شفعت فيه نفيسة بنت الحسن فوالذى يحلف به يا أماه لقد كسر قيدى وما شعرت بنفسى الا وأنا واقف بباب هذه الدار فلما أصبحت الذمية أتت الى السيدة نفيسة وقصت عليها الخبر وأسلمت هى وابنها وحسن اسلامهما * وذكر غير واحد من علماء الاخبار بمصر أن هذا قبر السيدة نفيسة بلا خلاف وقد زار قبرها من العلماء والصالحين خلق لا يحصى عددهم ويقال ان أول من بنى على قبر السيدة نفيسة عبيد الله بن السرى بن الحكم أمير مصر ومكتوب فى اللوح الرخام الذى على باب ضريحها وهو الذى كان مصفحا بالحديد بعد البسملة ما نصه نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبى تميم الامام المستنصر بالله امير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المكرمين أمر بعمارة هذا الباب السيد الاجل أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الانام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته وشد عضده بولده الاجل الافضل سيف الامام جلال الاسلام شرف الانام ناصر الدين خليل أمير المؤمنين زاد الله فى علائه وأمتع المؤمنين بطول بقائه فى شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة والقبة التى على الضريح جددها الخليفة الحافظ لدين الله فى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وأمر بعمل الرخام الذى بالمحراب

(مشهد السيدة كلثوم)

هى كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على ابن أبى طالب موضعه بمقابر قريش بمصر بجوار الخندق وهى أم جعفر بن موسى بن اسماعيل بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق كانت من الزاهدات العابدات

(سنا وثنا)

يقال انهما من اولاد جعفر بن محمد الصادق كانتا تتلوان القرآن الكريم فى كل ليلة فماتت احداهما فصارت الاخرى تتلو وتهدى ثواب قراءتها لاختها حتى ماتت

(ذكر مقابر مصر والقاهرة المشهورة)

القبر مدفن الانسان وجمعه قبور والمقبرة موضع القبر قال سيبويه المقبرة ليس على الفعل ولكنه اسم وقبره يقبره دفنه وأقبره جعل له قبرا * واعلم أن لاهل مدينة مصر ولاهل القاهرة عدة مقابر وهى القرافة فما كان منها فى سفح الجبل يقال له القرافة الصغرى وما كان منها فى شرقى مصر بجوار المساكن يقال له القرافة الكبرى وفى القرافة الكبرى كانت مدافن أموات المسلمين منذ افتتحت أرض مصر واختط العرب مدينة الفسطاط ولم يكن لهم مقبرة سواها فلما قدم القائد جوهر من قبل المعز لدين الله وبنى القاهرة وسكنها الخلفاء اتخذوا بها تربة

عرفت بتربة الزعفران قبروا فيها أمواتهم ودفن رعيتهم من مات منهم فى القرافة الى أن اختطت الحارات خارج باب زويلة فقبر سكانها موتاهم خارج باب زويلة مما يلى الجامع فيما بين جامع الصالح وقلعة الجبل وكثرت المقابر بها عند حدوث الشدة العظمى أيام الخليفة المستنصر ثم لما مات أمير الجيوش بدر الجمالى دفن خارج باب النصر فاتخذ الناس هنالك مقابر موتاهم وكثرت مقابر أهل الحسينية فى هذه الجهة ثم دفن الناس الاموات خارج القاهرة فى الموضع الذى عرف بميدان القبق فيما بين قلعة الجبل وقبة النصر وبنوا هنالك الترب الجليلة ودفن الناس أيضا خارج القاهرة فيما بين باب الفتوح والخندق ولكل مقبرة من هذه المقابر أخبار سوف أقص عليك من أنبائها ما انتهت الى معرفته قدرتى ان شاء الله تعالى ويذكر أهل العناية بالامور المتقادمة أن الناس فى الدهر الاول لم يكونوا يدفنون موتاهم الى أن كان زمن دوناى الذى يدعى سيد البشر لكثرة ما علم الناس من المنافع فشكا اليه أهل زمانه ما يتأذون به من خبث موتاهم فأمرهم أن يدفنوهم فى خوابى ويسدوا رؤسها ففعلوا ذلك فكان دوناى أول من دفن الموتى وذكر أن دوناى هذا كان قبل آدم بدهر طويل مبلغه عشرون ألف سنة وهى دعوى لا تصح وفى القرآن الكريم ما يقتضى أن قابيل ابن آدم أول من دفن الموتى والله أصدق القائلين وقد قال الشافعى رحمه الله وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجدا مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده

(ذكر القرافة)

روى الترمذى من حديث أبى طيبة عبد الله بن مسلم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رفعه من مات من أصحابى بأرض بعث قائدا ونورا لهم يوم القيامة قال وهذا حديث غريب وقد روى عن أبى طيبة عن ابن بريدة مرسلا وهذا أصح قال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم فى كتاب فتوح مصر حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث ابن سعد قال سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار فعجب عمرو من ذلك وقال أكتب فى ذلك الى أمير المؤمنين فكتب بذلك الى عمر رضى الله عنه فكتب اليه عمر سله لم أعطاك به ما أعطاك وهى لا تزدرع ولا يستنبط بها ماء ولا ينتفع بها فسأله فقال انا لنجد صفتها فى الكتب ان فيها غراس الجنة فكتب بذلك الى عمر رضى الله عنه فكتب اليه عمر انا لا نعلم غراس الجنة الا المؤمنين فاقبر فيها من مات قبلك من المسلمين ولا تبعه بشئ فكان أول من دفن فيها رجل من المغافر يقال له عامر فقيل عمرت فقال المقوقس لعمرو ما ذلك ولا على هذا عاهدتنا فقطع لهم الحد الذى بين المقبرة وبينهم * وعن ابن لهيعة أن المقوقس قال لعمرو انا لنجد فى كتابنا أن ما بين هذا الجبل وحيث نزلتم ينبت فيه شجر الجنة فكتب بقوله الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال صدق فاجعلها مقبرة للمسلمين فقبر فيها ممن عرف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة نفر عمرو بن العاص السهمى وعبد الله بن حذافة السهمى وعبد الله بن جزء الزبيدى وأبو بصيرة الغفارى وعقبة بن عامر الجهنى ويقال ومسلمة بن مخلد الانصارى انتهى ويقال ان عامرا هو الذى كان أول من دفن بالقرافة قبره الآن تحت حائط مسجد الفتح الشرقى وقالت فيه امرأة من العزب

قامت بواكيه على قبره * من لى من بعدك يا عامر
تركتنى فى الدار ذا غربة * قد ذل من ليس له ناصر

وروى أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس فى تاريخ مصر من حديث حرملة بن عمران قال حدثنى عمير بن أبى مدرك الخولانى عن سفيان بن وهب الخولانى قال بينا نحن نسير مع عمرو بن العاص فى سفح هذا الجبل ومعنا المقوقس فقال له عمرو يا مقوقس ما بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات ولا شجر على نحو بلاد الشام فقال لا أدرى ولكن الله أغنى أهله بهذا النيل عن ذلك ولكنه نجد تحته ما هو خير من ذلك قال وما هو قال ليدفنن تحته أو ليقبرن تحته قوم يبعثهم الله يوم القيامة لا حساب عليهم قال عمرو اللهم اجعلنى منهم قال حرملة بن عمران فرأيت قبر عمرو بن العاص وقبر أبى بصيرة وقبر عقبة بن عامر فيه وخرج أبو عيسى الترمذى من حديث أبى طيبة عبد الله بن مسلم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رفعه من مات من أصحابى بأرض بعث قائدا لهم ونورا يوم القيامة وقال القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى القرافة هم بنو غصن بن سيف بن وائل ابن المغافر وفى نسخة بنو غصن وقال أبو عمرو الكندى بنو حض بن سيف بن وائل بن الجيزى بن شراحيل

ابن المغافر بن يعفر وقيل ان قرافة اسم أم عزافر وبطن ابن سيف بن وائل بن الجيزى قد صحف القضاعى في قوله غصن بالغين المعجمة والاقرب ما قاله الكندى لانه اقعد بذلك وقال ياقوت والقرافة بفتح القاف وراء مخففة وألف خفيفة وفاء الاول مقبرة بمصر مشهورة مسماة بقبيلة من المغافر يقال لهم بنو قرافة الثانى القرافة محلة بالاسكندرية منسوبة الى القبيلة أيضا وقال الشريف محمد بن أسعد الجوانى فى كتاب النقط وقد ذكر جامع القرافة الذى يقال له اليوم جامع الاولياء وكان جماعة من الرؤساء يلزمون النوم بهذا الجامع ويجلسون فى ليالى الصيف يتحدثون فى القمر فى صحنه وفى الشتاء ينامون عند المنبر وكان يحصل لقيمه الاشربة والحلوى والجرايات وكان الناس يحبون هذا الموضع ويلزمونه لاجل من يحضر من الرؤساء وكانت الطفيلية يلزمون المبيت فيه ليالى الجمع وكذلك اكثر المساجد التى بالقرافة والجبل والمشاهد لاجل ما يحمل اليها ويعمل فيها من الحلاوات واللحومات والاطعمة وقال موسى بن محمد بن سعيد فى كتاب المغرب عن أخبار المغرب وبت ليالى كثيرة بقرافة الفسطاط وهى فى شرقيها بها منازل الاعيان بالفسطاط والقاهرة وقبور عليها مبان معتنى بها وفيها القبة العالية العظيمة المزخرفة التى فيها قبر الامام الشافعى رضى الله عنه وبها مسجد جامع وترب كثيرة عليها أوقاف للقراء ومدرسة كبيرة للشافعية ولا تكاد تخلو من طرب ولا سيما فى الليالى المقمرة وهى معظم مجتمعات أهل مصر وأشهر منتزهاتهم وفيها اقول

ان القرافة قد حوت ضدين من * دنيا وأخرى فهى نعم المنزل
يغشى الخليع بها السماع مواصلا * ويطوف حول قبورها المتبتل
كم ليلة بتنا بها ونديمنا * لحن يكاد يذوب منه الجندل
والبدر قد ملأ البسيطة نوره * فكأنما قد فاض منه جدول
وبدا يضاحك أوجها حاكينه * لما تكامل وجهه المتهلل

وفوق القرافة من شرقيها جبل المقطم وليس له علو ولا عليه اخضرار وانما يقصد للبركة وهو نبيه الذكر فى الكتب وفى سفحه مقابر أهل الفسطاط والقاهرة والاجماع على انه ليس فى الدنيا مقبرة اعجب منها ولا أبهى ولا اعظم ولا انظف من ابنيتها وقبابها وحجرها ولا اعجب تربة منها كأنها الكافور والزعفران مقدسة فى جميع الكتب وحين تشرف عليها تراها كأنها مدينة بيضاء والمقطم عال عليها كأنه حائط من ورائها وقال شافع بن على

تعجبت من امر القرافة اذ غدت * على وحشة الموتى لها قلبنا يصبو
فالفيتها مأوى الاحبة كلهم * ومستوطن الاحباب يصبو له القلب

وقال الاديب أبو سعيد محمد بن احمد العميدى

اذا ما ضاق صدرى لم اجد لى * مقر عبادة الا القرافه
لئن لم يرحم المولى اجتهادى * وقلة ناصرى لم ألق رافه

واعلم أن الناس فى القديم انما كانوا يقبرون موتاهم فيما بين مسجد الفتح وسفح المقطم واتخذوا الترب الجليلة أيضا فيما بين مصلى خولان وخط المغافر التى موضعها الآن كيمان تراب وتعرف الآن بالقرافة الكبرى فلما دفن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب ابنه فى سنة ثمان وستمائة بجوار قبر الامام محمد بن ادريس الشافعى وبنى القبة العظيمة على قبر الشافعى وأجرى لها الماء من بركة الحبش بقناطر متصلة منها نقل الناس الابنية من القرافة الكبرى الى ما حول الشافعى وأنشأوا هناك الترب فعرفت بالقرافة الصغرى وأخذت عمائرها فى الزيادة وتلاشى امر تلك وأما القطعة التى تلى قلعة الجبل فتجددت بعد السبعمائة من سنى الهجرة وكان ما بين قبة الامام الشافعى رحمة الله عليه وباب القرافة ميدانا واحدا تتسابق فيه الامراء والاجناد ويجتمع الناس هنالك للتفرج على السباق فتصير الامراء تسابق على حدة والاجناد تسابق فى جهة وهم منفردون عن الامراء والشرط فى السباق من تربة الامير يدرا الى باب القرافة ثم استجد أمراء دولة الناصر محمد بن قلاون فى هذه الجهة الترب فبنى الامير يلبغا التركمانى والامير طقتمر الدمشقى والامير قوصون وغيرهم من الامراء وتبعهم الجند وسائر الناس فبنوا الترب والخوانك والاسواق والطواحين والحمامات حتى صارت العمارة من بركة الحبش الى باب القرافة ومن حد مساكن مصر الى الجبل وانقسمت الطرق فى القرافة وتعددت بها

الشوارع

الشوارع ورغب كثير من الناس فى سكناها العظام القصور التى أنشئت بها وسميت بالترب ولكثرة تعاهد أصحاب الترب لها وتواتر صدقاتهم ومبراتهم لاهل القرافة وقد صنف الناس فيمن قبر بالقرافة واكثروا من التأليف فى ذلك ولست بصدد شئ مما صنفوا فى ذلك وانما غرضى أن أذكر ما تشتمل عليه القرافة * وفى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ظهر بالقرافة شئ يقال له القطربة تنزل من جبل المقطم فاختطفت جماعة من أولاد سكانها حتى رحل اكثرهم خوفا منها وكان شخص من أهل كبارة مصر يعرف بحميد الفوّال خرج من اطفيح على حماره فلما وصل الى حلوان عشاء رأى امرأة جالسة على الطريق فشكت اليه ضعفا وعجزا فحملها خلفه فلم يشعر بالحمار الا وقد سقط فنظر الى المرأة فاذا بها قد أخرجت جوف الحمار بمخاليبها ففرّ وهو يعدو الى مصر وذكر له الخبر فخرج بجماعته الى الموضع فوجد الدابة قد أكل جوفها ثم صارت بعد ذلك تنبع الموتى بالقرافة وتنبش قبورهم وتأكل أجوافهم وتتركهم مطروحين فامتنع الناس من الدفن فى القرافة زمنا حتى انقطعت تلك الصورة

* (ذكر المساجد الشهيرة بالقرافة الكبيرة) *

اعلم أن القرافة بمصر اسم لموضعين القرافة الكبيرة حيث الجامع الذى يقال له جامع الاولياء والقرافة الصغيرة وبها قبر الامام الشافعى وكانتا فى أول الامر خطتين لقبيلة من اليمن هم من المغافر بن يعفر يقال لهم بنو قرافة ثم صارت القرافة الكبيرة جبانة وهى حيث مصلى خولان والبقعة وما هو حول جامع الاولياء فانه كان يشتمل على مساجد وربط وسوق وعدة مساكن منها ما خرب ومنها ما هو باق وسترى من ذلك ما يتيسر ذكره

* (مسجد الاقدام) *

هذا المسجد بالقرافة بخط المغافر قال القضاعى ذكر الكندى أن الجند بنوه وليس من الخطط وسمى بالاقدام لان مروان بن الحكم لما دخل مصر وصالح أهلها وبايعوه امتنع من بيعته ثمانون رجلا من المغافر سوى غيرهم وقالوا لا ننكث بيعة ابن الزبير فأمر مروان بقطع أيديهم وأرجلهم وقتلهم على بئر المغافر فى هذا الموضع فسمى المسجد بهم لانه بنى على آثارهم والآثار الاقدام يقال جئت على قدم فلان أى على أثره وقيل بل أمرهم بالبراءة من على بن أبى طالب رضى الله عنه فلم يتبرؤا منه فقتلهم هنالك وقيل انما سمى مسجد الاقدام لان قبيلتين اختلفتا فيه كل تدعى انه من خطتها فقيس ما بينه وبين كل قبيلة بالاقدام وجعل لاقربهما منه والقديم من هذا المسجد هو محرابه والاروقة المحيطة به وأما خارجه فزيادة الاخشيد والزيادة الجديدة التى فى بحريه لسمعون الملقب بسهم الدولة متولى الستارة وكان من أهل السنة والخير ويقال انما سمى مسجد الاقدام لانه كان يتداوله العباد وكانت حجارته كذا نافأثر فيها موضع أقدامهم فسمى لذلك مسجد الاقدام

* (مسجد الرصد) *

هذا المسجد بناه الافضل أبو القاسم شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى بعد بنائه للجامع المعروف بجامع الفيلة لاجل رصد الكواكب بالآلة التى يقال لها ذات الحلق كما ذكر فيما تقدم

* (مسجد شقيق الملك) *

هذا المسجد بجوار مسجد الرصد بناه شقيق الملك خسروان صاحب بيت المال أحد خدام القصر فى أيام الخليفة الحافظ لدين الله فى سنة احدى وأربعين وخمسمائة وعمل فيه للحافظ ضيافة عظيمة حضر فيها بنفسه ومعه الامراء والاستاذون وكافة الرؤساء وكان فيه كرم وسموّ همة وكان لمساجد القرافة والجبل عنده روزنامج بأسماء أربابها فينفذ اليهم فى أيام العنب والتين لكل مسجد قفص رطب ويرسل فى كل ليلة من ليالى الوقود لكل مسجد خروف شواء وسطل جوذاب وجام حلوى ولاسيما اذا كان بائتا فى هذا المسجد فانه لا يأكل حتى يسير ذلك لمن اسمه عنده وكان يعمل جفان القطائف المحشوّة باللوز والسكر والكافور والمسك وفيها ما فيه بدل اللوز الفستق ويستدعى من لا يقدر على ذلك من أهل الجبل والقرافة وذوى البيوت المنقطعين ويأمر

اذا حضر وابسكب الحلو والشيرج عليه بالجرار ويأمرهم بالاكل منه والحمل معهم وكان أحبهم اليه من يأكل طعامه ويستدعى برّه وانعامه رحمه الله

(مسجد الانطاكى)

هذا المسجد كان أيضا بالرصد ومابرحت هذه المساجد الثلاثة بالرصد يسكنها الناس الى مابعد سنة ثمانين وسبعمائة ثم خربت وصار الرصد من الاماكن المخوفة بعدما أدركته متنزها للعامة

(مسجد النارنج)

هذا المسجد عامر الى يومنا هذا فيما بين الرصد والقرافة الكبرى بجانب سقاية ابن طولون المعروفة بعفصة الكبرى غربيها الى البحرى قليلا وهو المطل على بركة الحبش شرقى الكتفى وقبلى القرافة بنته الجهة الآمرية المعروفة بجهة الدار الجديدة فى سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة أخرجت له اثنى عشر ألف دينار على يد الاستاذين افتخار الدولة يمن ومعز الدولة الطويل المعروف بالوحش وتولى العمارة والانفاق عليه الشريف أبو طالب موسى بن عبد الله بن هاشم بن مشرف بن جعفر بن المسلم بن عبيد الله بن جعفر بن محمد بن ابراهيم بن محمد اليمانى بن عبيد الله بن موسى الكاظم الحسينى الموسوى المعروف بابن أخى الطيب بن أبى طالب الوراق وسمى مسجد النارنج لان نارنجه لا ينقطع أبدا

(مسجد الاندلس)

هذا المسجد فى شرقى القرافة الصغرى بجانب مسجد الفتح فى الموضع الذى يعرف عند الزوار بالبقعة وهو مصلى المغافر على الجنائز ويقال انه بنى عند فتح مصر وقيل بنى فى خلافة معاوية بن أبى سفيان ثم بنته جهة مكنون واسمها علم الآمرية أم ابنة الآمر التى يقال لها ست القصور فى سنة ست وعشرين وخمسمائة على يد المعروف بالشيخ أبى تراب *(وجهة مكنون) هذه كان الخليفة الآمر بأحكام الله كتب صداقها وجعل المقدم منه أربعة عشر ألف دينار وكان لها صدقات وبر وخير وفضل وعندها خوف من الله وكانت تبعث الى الاشراف بصلات جزيلة وترسل الى أرباب البيوت والمستورين أموالا كثيرة ولما وهب الآمر لهزار الملوك ولبرغش فى كل يوم مائتى ألف دينار عينا لكل منهما مائة ألف دينار حضر اليها عشاء على عادته فأغلقت باب مقصورتها قبل دخوله وقالت له والله ما تدخل الىّ أو تهب لى مثل ما وهبت لواحد من غلاميك فقال الساعة ثم استدعى بالفراشين فحضروا فقال هاتوا مائة ألف دينار الساعة ولم يزل واقفا الى أن حضرت عشرة كيسة فى كل كيس عشرة آلاف دينار ويحمله عشرة من الفراشين ففتحت له الباب ودخل اليها ومكنون هذا هو الاستاذ الذى كان برسم خدمتها ويقال له مكنون القاضى لسكونه وهدوءه وكان فيه خير وبر كبير وبجانب مسجد الاندلس هذا رباط من غربيه بنته جهة مكنون هذه فى سنة ست وعشرين وخمسمائة برسم العجائز الارامل فلما كان فى سنة أربع وسبعين وخمسمائة بنى الحاجب لؤلؤ العادلى برحبة الاندلس والرباط بستانا وأحواضا ومقعدا وجمع بين مصلى الاندلس وبين الرباط بحائط بينهما وعمل ذلك لحلول العفيف حاتم بن مسلم المقدسى الشافعى به ولما مات السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى بدمشق فى المحرم سنة ست وسبعين وستمائة وقام من بعده فى السلطنة ابنه الملك السعيد محمد بركة خان عمل لابيه عزاء بالاندلس هذا فاجتمع هناك القراء والفقهاء واقيمت المطابخ وهيئت المطاعم الكثيرة وفرقت على الزوايا ومدت أسمطة عظيمة بالخيام التى ضربت حول الاندلس فأكل الناس على اختلاف طبقاتهم وقرأ القراء ختمة شريفة وعد هذا الوقت من المهمات العظيمة المشهورة بديار مصر وكان ذلك فى المحرم سنة سبع وسبعين وستمائة على رأس سنة من موت الملك الظاهر فقال فى ذلك القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر

ياايها الناس اسمعوا * قولا بصدق قد كسى
ان عزا السلطان فى * غرب وشرق مانسى
أليس ذا مأتمه * يعمل فى الاندلس

ثم عمل بعد ذلك مجتمع فى المدرسة الناصرية بجوار قبة الشافعى من القرافة ومجتمع بجامع ابن طولون ومجتمع بجامع الظاهر من الحسينية خارج القاهرة ومجتمع بالمدرسة الظاهرية بين القصرين ومجتمع بالمدرسة الصالحية ومجتمع بدار الحديث الكاملية ومجتمع بالخانقاه الصلاحية لسعيد السعداء ومجتمع بالجامع الحاكمى وأقيم فى كل واحد من هذه المجتمعات الاطعمة الكثيرة وعمل للتكاررة خوان وللفقراء خوان حضره كثير من أهل الخير والصلاح فقيل فى ذلك

فشكرا لها أوقات بر تقبلت * لقد كان فيها الخير والبر أجمعا
لقد عمت النعمى بها كل موطن * سقتها الغوادى مربعا ثم مربعا
ولما مضى السلطان لم يمض جوده * وخلف فينا بره متنوعا
فتى عيش فى معروفه بعد موته * كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
فدام له منا الدعاء مكررا * مدى دهرنا والله يسمع من دعا

(مسجد البقعة)

هذا المسجد مجاور لمسجد الفتح من غربيه بناه الامير أبو منصور صافى الافضلى

(مسجد الفتح)

هذا المسجد مشهور بجوار قبر الناطق بناه شرف الاسلام سيف الامام يانس الرومى وزير مصر وسمى بالفتح لان منه كان انهزام الروم الى قصر الشمع حين قدم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود فمن سواهما مددا لعمرو بن العاص وكان الفتح ويقال ان محرابه اللطيف الذى بجانبه الشرقى قديم وان تحت حائطه الشرقى قبر عامر الذى كان أول من دفن بالقرافة ومحراب مسجد الفتح منحرف عن خط سمت القبلة الى جهة الجنوب انحرافا كثيرا كما ذكر عند ذكر محاريب مصر من هذا الكتاب واستشهد يومئذ جماعة دفنوا فى مجرى الحصا فكان يرى على قبورهم فى الليل نور

(مسجد أم عباس جهة العادل بن السلار)

هذا المسجد كان بجوار مصلى خولان بالمغافر غربى المقابر بنته بلاوة زوج العادل بن السلار سلطان مصر فى خلافة الظافر سنة سبع وأربعين وخمسمائة على يد المعروف بالشريف عز الدولة الرضوى بن القفاص وكانت بلاوة مغربية وهى أم الوزير عباس الصنهاجى البادیسى وقد دثر هذا المسجد

(مسجد الصالح)

هذا المسجد كان بخط جامع القرافة المعروف بجامع الاولياء عرف بمسجد بنى عبيد الله وبمسجد القبة وبمسجد العزاء والذى بناه الصالح طلائع بن رزيك وزير مصر وكان فى أعلاه مناظر وعمارته متقنة الزى وأدركته عامرا الى ما بعد سنة ثمانمائة

(مسجد ولى عهد امير المؤمنين)

هو الامير أبو هاشم العباس بن شعيب بن داود المهدى أحد الاقارب فى الايام الحاكمية كان الى جانب مسجد الصالح وبجانبه تربته وكان المسجد من حجر وبابه محمول على أربع حنايا وتحت الحنايا باب المسجد وفى شرقيه أيضا أربع حنايا وكانت دار أبى هاشم هذا بمصر دار الافراح ومن ولده الشريف الامير الكبير أبو الحسن على ابن الامير عباس بن شعيب بن أبى هاشم المذكور ويعرف بالشريف الطويل وبالنباش

(مسجد الرحمة)

هذا المسجد كان فى صدر القرافة الكبرى بالقرب من تربة ركن الاسلام محمود ابن أخت الملك الصالح طلائع بن رزيك قال الكندى ومنها مسجد القرافة وهم بنو محصن بن سيف بن وائل بن الجيزى قبلى القرافة على يمينك اذا أممت مسجد الاقدام مقابله فسقية صغيرة وله منارة يعرف بمسجد الرحمة وعرف هذا المسجد بأبى تراب

الصواف وكيل الجهة التى بنت مسجد الاندلس ورباطه ومسجد رقية وأبو تراب هذا تولى بناءه وكان يقوم بخدمته الشيخ نسيم وأبو تراب هو الذى أخرج اليه ولد الآمر فى قفة من خوص فيها حوائج طبيخ من كراث وبصل وجزر وهو طفل فى القماط فى أسفل القفة والحوائج فوقه ووصل به الى القرافة وأرضعته المرضعة بهذا المسجد وخفى أمره عن الحافظ حتى كبر وصار يسمى قفيفة فلما حان نفعه نم عليه أبو عبد الله الحسين بن أبى الفضل عبد الله بن الحسين الجوهرى الواعظ بعد ما مات الشيخ أبو تراب عند الحافظ فأخذ الصبى وقصده فمات وخلع على ابن الجوهرى ثم نفى الى دمياط فمات بها فى جمادى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

(مسجد مكنون)

هو بجانب مسجد الرحمة بناه الاستاذ مكنون القاضى الذى تقدم ذكره فى مسجد الاندلس

(مسجد جهة ريحان)

هذا المسجد كان فى وجه مسجد أبى تراب قبالة دار البقر من القرافة الكبرى وجدده أستاذ الجهة الحافظية واسمه ريحان فى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة

(مسجد جهة بيان)

هذا المسجد كان فى بطحاء مسجد الاقدام بجوار ترب المادرانيين بنته الجهة الحافظية المعروفة بجهة بيان الحسامى على يد أبى الفضل الصعيدى المعروف بابن الموفق وحكى الخليفة عن هذه الجهة خبرا عجيبا قال القاضى المكين أبو الطاهر اسماعيل بن سلامة قال لى أمير المؤمنين الحافظ يوما يا قاضى أبا الطاهر قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال أحدثك بحديث عجيب قلت نعم قال لما جرى من أبى على بن الافضل ما جرى بينا أنا فى الموضع الذى كنت معتقلا فيه رأيت كأنى قد جلست فى مجلس من مجالس القصر اعرفه وكان الخلافة قد أعيدت الى وكان المغنيات قد دخلن يهنيننى ويغنين بين يدى وفى جملتهن جارية معها عود يعنى هذه الجارية المذكورة فأنشأت تغنى قول أبى العتاهية

أتته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها
ولو نالها أحد غيره * لزلزلت الارض زلزالها

وكأنى قمت الى خزانة بالمجلس أخذت منها حقة فيها جوهر فلأت فمها منه ثم استيقظت فوالله يا قاضى ما كان الا يومان حتى كسر على الحبس لما قتل أبو على بن الافضل وقيل لى السلام على أمير المؤمنين فلما خرجت وأتيت أياما جلست فى ذلك المجلس الذى رأيته فى النوم ودخل الجوارى يهنيننى فغنت احداهن وهى ذات عود ذلك الصوت بعينه فقلت لها على رسلك حتى نقضى نحن أيضا من حقك ما يجب علينا وقمت الى الخزانة وأخذت الحق الذى فيه الجوهر ثم جئت اليها وقلت لها افتحى فاك ففتحته وحشوته جوهرا وقلت لها ان لك علينا فى كل سنة فى مثل هذا اليوم مثل ذلك

(مسجد توبة)

هو ابن ميسرة الكتامى مغنى المستنصر كان فى شرقى الاقهوب وقبالته تربة تنسب الى الطبالة صاحبة أرض الطبالة وكلاهما فى القرافة الكبرى

(مسجد درى)

هذا المسجد كان فى القرافة الكبرى فى رحبة الاقهوب بناه شهاب الدولة درى غلام المظفر أخى الافضل ابن أمير الجيوش فى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وكان أرمنيا فأسلم وصار من المتشددين فى مذهب الامامية وقرأ الجمل للزجاجى فى النحو واللمع لابن جنى وكانت له خرائط من القطن الابيض يلبسها فى يديه ورجليه وكان يتولى خزائن الكسوات ولا يدخل على بسط السلاطين ولا على بسط الخليفة الحافظ لدين الله ولا يدخل

بجاسه

بمجلسه الا بالخرائط فى رجليه ولا يأخذ من أحد رقعة الا وفى يده خريطة يظن أن من لمسه نجسه وسوسة منه فان اتفق أنه صافح أحدا أو امسك رقعة بيده من غير خريطة لا يمس ثوبه ولا بدنه حتى يغسلها فان مس ثوبه غسل الثوب وكان الاستاذون يعبثون به ويرمون فى بساط الخليفة الحافظ العنب فاذا مشى عليه وانفجر ووصل ماؤه الى رجليه سبهم وحرد فيضحك الخليفة ولا يؤاخذه وعمل مرّة الوزير رضوان بن ولخشى دواة حليتها ألف دينار مرصعة فدخل عليه شهاب الدولة درى الصغير هذا وقد أحضرت الدواة المذكورة فقال له يامولانا أحسن من مدادهذه الدواة ووقع على هذه فيكون ذلك زكاتها اذ الله فيه رضى ولنبيه وناوله رقعة الشريف القاضى سنا الملك أسعد الجوانى النحوى يطلب فيها راتبا لابنه الشريف أبى عبد الله محمد فى الشهر ثلاثة دنانير فوقع عليها فلما كان فى الليل رأى فى نومه أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو يقول جزاك الله خيرا على فعلك اليوم

(مسجد ست غزال)

هذا المسجد كان فى القرافة الكبرى بجوار تربة النعمان بنته ست غزال فى سنة ست وثلاثين وخمسمائة وكانت غزال هذه صاحبة دواة الخليفة لا تعرف شيأ الا أحكام الدوى والليق ومسح الاقلام والدواة وكان برسم خدمتها الاستاذ مأمون الدولة الطويل

(مسجد رياض)

هو لو قافة الحافظ لدين الله كانت تقف بين يديه بالقصر وكان بجوار المصنعة الصغرى الطولونية التى يجىء الماء اليها من عفصة الكبرى وكان فيه حوش به عدّة بيوت للنساء المنقطعات .

(مسجد عظيم الدولة)

هذا المسجد كان معلقا بخط سوق القرافة الكبرى وكان عظيم الدولة هذا صقلبيا صاحب الستر وحامل المظلة وكان بجوار هذا المسجد مسجد التمساح ومسجد السدرة ومسجد جهة مراد وكان القاضى أبو عبد الله محمد بن أبى الفرج هبة الله بن الميسر لما عمل قدامه منارة النحاس الرومية ذات السواعد واجتاز بها من تحت سدرة المسجد فى ليلة الوقود نصف شهر رجب سنة ثلاثين وخمسمائة عاقتها السدرة فأمر بقطع بعضها فقيل له لا تفعل فان قطع السدر محذور وقد روى أبو داود فى كتاب السنن له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قطع سدرة صوّب الله رأسه فى النار فقطعها على ركوب نصف شعبان فما أسنى وصرف فى المحرّم ونفى الى تنيس وقتل

(مسجد أبى صادق)

هذا المسجد كان غربى مسجد الاقدام بناه ابن سعدون ابو الحسن على بن محمد البغدادى بعد سنة عشرين وأربعمائة وجدّده أخوه أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسن بن سعدون البغدادى سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة وهو مسجد أبى صادق مرشد المدينى المالكى المحدّث وكان قارئ المصحف بالجامع ومصليا به ومصدرا فيه لاقراء السبع وكان فيه حنة على الحيوانات لاسيما على القطط والكلاب وكان مشارف الجامع وجعل عليه جاريا من الغدد كل يوم لاجل القطط وكان عند داره بزقاق الاقفال من مصر كلاب يطعمها ويسقيها وربما تبع دابته منها شئ يمشى معه فى الاسواق قال الشريف محمد بن أسعد الجوانى النسابة فى كتاب النقط على الخطط حدّثنى الشيخ منجب غلام أبى صادق قال كان لمولاى الشيخ أبى صادق كلب لا يفارقه أبدا اذا كان راكبا يمشى خلفه فاذا وقفت بغلته قام تحت يديها فاذا رآه الناس قالوا هذا أبو صادق وكلبه وحدّثنى قال ولدت كلبة فى مستوقد حمام وكان المؤذن يأتى خلف مولاى سحرا كل يوم لقراءة المصحف وكان مولاى يأخذ فى كمه كل يوم رغيفا فاذا حاذى موضع الكلبة قلع طيلسانه وقطع الخبز للكلبة ويرمى لها بنفسه الى أن تأكل ثم يستدعى الوقاد ويعطيه قيراطا ويقول له اغسل قدحها واملأه ماء حلوا و يستحلفه على ذلك

فلما كبر أولادها صار يأخذ بعد رغيفين الى أن كبروا وتفرقوا وحدثني قال كان قد جعل كراء حانوت برسم القطاط بالجامع العتيق من الاحباس وكان يؤتى بالغدد مقطعة فيجلس ويقسم عليها وان قطة كانت تحمل شيأ من ذلك وتمضى به وفعلت ذلك مرارا فقال مولاى للشيخ أبى الحسن ابن فرج امض خلف هذه القطة وانظر الى اين تؤدى ذلك فمضى ابن فرج فاذا بها تؤديه الى أولادها فعاد اليه وأخبره فكان بعد ذلك يقطع غددا صغارا على قدر مساغ القطط الصغار وغددا كبارا للكبار ويرسل بجزء الصغار اليهم الى أن كبروا

(مسجد الفراش)

هذا المسجد كان بالقرافة الكبرى بناه أحد فراش الافضل بن أمير الجيوش وبجواره مسجد بناء زيد بن حسام ومسجد الاجابة القديم وتربة العطار ودار البقر وقناطر الاطفيحى كل ذلك بالقرب من جامع القرافة

(مسجد تاج الملوك)

هذا المسجد قدام دار النعمان وتربته من القرافة الكبرى بناه تاج الملوك بدران بن أبى الهيجاء الكردى الماردانى وهو أخو سيف الدين حسين بن أبى الهيجاء صهر بنى رزيك وكان مجتمع أهل مصر عنده فى الاعياد والمواسم وليالى الوقود

(مسجد التمار)

هذا المسجد كان ملاصقا للزيادة التى فى بحرى مسجد الاقدام وفيه قبور بنى التمار

(مسجد الجر)

هذا المسجد كان بحرى مسجد عمار بن يونس مولى المغافر وشرقى قصر الزجاج من القرافة الكبرى بنته مولاة على بن يحيى بن طاهر المعروف بابن أبى الخارجى الموصلى فى ربيع الاول سنة ثلاثين وأربعمائة

(مسجد القاضى يونس)

هذا المسجد كان غربى مسجد الجر المذكور بناه الشيخ عدى الملك بن عثمان صاحب دار الضيافة ثم صار بيد قاضى القضاة بمصر الموفق كمال الدين أبى الفضائل يونس بن محمد بن الحسن المعروف بجوامرد خطيب القدس القرشى وكان من الاعيان ولم يشرب قط من ماء النيل بل من ماء الآبار ولم يأكل قط للسلطان خبزا وكان يروى الحديث عن جده

(مسجد الوزيرية)

هذا المسجد كان بالقرافة الكبرى وله منارة بجوار باب رباط الجازية وكانت الجازية واعظة زمانها وكانت من الخيرات لها القبول التام وتدعى أم الخير وكان لها من الصيت كما كان لابن الجوهرى وكانت على غاية من الكرم وحسن الاخلاق والشيم ومن مكارم أخلاقها وحسن طباعها وكياسة انطباعها ما حكاه الجوانى النسابة فى كتاب النقط على الخطط قال حدثنى الشيخ أبو الحسن بن السراج المؤذن بالجامع بمصر قال كان قدام الباب الاول من أبواب جامع مصر بياع رطب يقعد على الارض وبين يديه اقفاص رطب من أحسن الأرطاب فبينا الجازية الواعظة هذه ذات يوم قد قاربت الخروج من باب الجامع وهى فى حفدتها وجواريها واذا ذلك الرطاب ينادى على قفص رطب قدامه معاشر الناس اشتروا الطيبة الجازية على أربعة على أربعة يزيد على أربعة ارطال رطب بدرهم فلما سمعته الجازية وقفت قبل أن تخرج من باب الجامع وأنفذت اليه بعض الجوارى فصاحت به فلما أتاها قالت له يا أخى قولك الجازية على أربعة مشكل لا ترجع تنادى كذا وهذا رباعى هدية منى لك ربح هذا القفص ولا تناد كذا فأخذه وقبل يدها وقال السمع والطاعة

(مسجد ابن العكر)

هـذا المسجد غربي مسجد أبي صادق بحضرة مسجد الاقدام قبالة قصر الكتني وبحذاء مسجد النارنج بناه القاضي العادل بن العكر

(مسجد ابن كباس)

هذا المسجد كان مجاورا القناطر الاطفيحية على يسار من أم طريق الجامع بناه القاضي ابن كباس

(مسجد الشهمية)

هـذا المسجد كان شرقي مسجد الاقدام وغربي قناطر ابن طولون مجاورا لتربة القاضي ابن قابوس كان يعرف بمسجد الفقاعة من الكلاع ويعرف أيضا بمسجد شادن الفضلي غلام الوزير جعفر بن الفضل بن الفرات

(مسجد زنكادة)

هذا المسجد كان غربي مسجد عمار بن يونس بناه زنكادة المخنث بعد ما تاب في سنة خمس وثلاثين وخمسمائة

(جامع القرافة)

هذا الجامع يعرف اليوم بجامع الاولياء وهو مسجد بني عبد الله بن مانع بن مزروع ويعرف بمسجد القبة وقد ذكر عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب

(مسجد الاطفيحي)

هذا المسجد كان في البطحاء بحري مجرى جامع القبلة الى الشرق مخالطا لخطط الكلاع ورعين والاكنوع والاكحول ويقال له مسجد وحاطة بن سعد الاطفيحي من أهل اطفيح شيخ له سمت وكتب الحديث في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وماقبلها وسمع من الحبال وهو في طبقته وهو رفيق القراء وابن مشرف وابن الحطيئة وأبي صادق وسلك طريق أهل القناعة والزهد والعزلة كأبي العباس ابن الحطيئة وكان الافضل الكبير شاهنشاه صاحب مصر قد لزمه واتخذ السعي اليه مفترضا والحديث معه شهوة وغرضا لا ينقطع عنه وكان فكه الحديث قد وقف من أخبار الناس والدول على القديم والحديث وقصده الناس لاجل حلول السلطان عنده لقضاء حوائجهم فقضاها وصار مسجده موئلا للحاضر والبادي وصدى لاجابة صوت النادي وشكا الشيخ الى الافضل تعذر الماء ووصوله اليه فأمر ببناء القناطر التي كانت في عرض القرافة من المجرى الكبيرة الطولونية فبنيت الى المسجد الذي به الاطفيحي ومضى عليها من النفقة خمسة آلاف دينار وعمل الاطفيحي صهريج ماء شرقي المسجد عظيما محكم الصنعة وحماما وبستانا كان به نخلة سقطت بعد سنة خمسين وخمسمائة وعمل الافضل له مقعدا بحذاء المسجد الى الشرق علو زيادة في المسجد شرقيه وقاعة صغيرة من خمسة اذا جاء عنده جلس فيها وخلا بنفسه واجتمع معه وحادثه وكان هذا المقعد على هيئة المنظرة بغير ستائر كل من قصد الاطفيحي من الكتني يراه وكان الافضل لا يأخذه عنه القرار يخرج في أكثر الاوقات من دار الملك باكرا أو ظهرا أو عصرا بغتة فيترجل ويدق الباب وقار الشيخ كما كان الصحابة رضي الله عنهم يقرعون أبواب النبي صلى الله عليه وسلم بظفر الابهام والمسبحة كما يحصب بهما الحاصب فان كان الشيخ يصلي لا يزال واقفا حتى يخرج من الصلاة ويقول من فيقول ولدك شاهنشاه فيقول نعم ثم يفتح فيصافحه الافضل ويمر بيده التي لمس بها يد الشيخ على وجهه ويدخل فيقول الشيخ نصرك الله أيدك الله سددك الله هذه الدعوات الثلاث لا غير أبدا فيقول الافضل آمين وبنى له الافضل المصلى ذات المحاريب الثلاثة شرقي المسجد الى القبلي قليلا ويعرف بمصلى الاطفيحي كان يصلي فيه على جنائز موتى القرافة وكان سبب اختصاص الافضل بهذا الشيخ انه لما كان محاصرا نزار بن المستنصر بالاسكندرية وناصر الدولة افتكين الارمني أحد مماليك أمير الجيوش بدر وكانت أم الافضل اذ ذاك وهي عجوز لها سمت ووقار تطوف كل يوم وفي الجمعة الجوامع والمساجد والرباطات والاسواق وتستقصي الاخبار وتعلم محب ولدها الافضل من مبغضه وكان الاطفيحي قد سمع بخبرها فجاءت يوم

جمعة الى مسجده وقالت له ياسيدى ولدى فى العسكر مع الافضل الله يأخذلى الحق منه فانى خائفة على ولدى فادع الله لى أن يسلمه فقال لها الشيخ ياأمة الله أما تستحيين تدعين على سلطان الله فى أرضه المجاهد عن دينه الله تعالى ينصره ويظفره ويسلمه ويسلم ولدك ماهو ان شاء الله الامنصور ومؤيد مظفر كأنك به وقد فتح الاسكندرية وأسر أعداءه وأتى على أحسن قضية وأجمل طوية فلا تشغلى لك سرا فما يكون الاخيرا ان شاء الله تعالى ثم انها اجتازت بعد ذلك بالفار الصيرفى بالقاهرة بالسراجين وهو والد الامير عبد الكريم الآمرى صاحب السيف وكان عبد الكريم قد ولى مصر بعد ذلك فى الايام الحافظية وكان عبد الكريم هذا له فى ايام الآمر وجاهة عظيمة وصولة ثم افتقر فوقفت أم الافضل على الصيرفى تصرف دينارا وتسمع ما يقول لانه كان اسماعيليا متغاليا فقالت له ولدى مع الافضل وما أدرى ما خبره فقال لها الفار المذكور لعن الله المذكور الارمنى الكلب العبد السوء ابن العبد السوء مضى يقاتل مولاه ومولى الخلق كأنك والله ياعجوز برأسه جائزا من ههنا على رمح قدام مولاه نزار ومولاى ناصر الدولة ان شاء الله تعالى والله يلطف بولدك من قال لك تخليه يمضى مع هذا الكلب المنافق وهو لا يعرف من هى ثم وقفت على ابن بابان الحلبى وكان بزازا بسوق القاهرة فقالت له مثل ما قالت للفار الصيرفى وقال لها مثل ما قال لها فلما أخذ الافضل نزارا وناصر الدولة وفتح الاسكندرية حدثته والدته الحديث وقالت ان كان لك أب بعد أمير الجيوش فهذا الشيخ الاطفيحى فلما خلع عليه المستعلى بالقصر وعاد الى دار الملك بمصر اجتاز بالبزازين يوما فلما نظر الى ابن بابان الحلبى قال انزلوا بهذا فنزلوا به فقال رأسه فضربت عنقه تحت دكانه ثم قال لعبد على أحد مقدمى ركابه قف ههنا لا يضيع له شئ الى أن يأتى أهله فيتسلموا قماشه ثم وصل الى دكان الفار الصيرفى فقال انزلوا بهذا فنزلوا به فقال رأسه فضربت عنقه تحت دكانه وقال ليوسف الاصغر أحد مقدمى الركاب اجلس على حانوته الى أن يأتى أهله ويتسلموا موجوده واياك وماله وصندوقه وان ضاع منه درهم ضربت عنقك مكانه كان لنا خصم أخذناه وقد فعلنا به ما يردع غيره عن فعله ومالنا ماله ولا فقر أهله ثم اتى الافضل الى الشيخ أبى طاهر الاطفيحى وقربه وخصصه الى أن كان من أمره ما شرحناه

* (مسجد الزيات) *

هذا المسجد مجاور بيت الخواص غربيه ومسجد ابن أبى الرداد يعرف بمسجد الانطاكى ومسجد الفاخورى يعرف بمسجد البطحاء ومسجد ابن أبى الصغير قبلى مسجد بنى مانع وهو جامع القرافة ومسجد الشريفة بنى فى سنة احدى وخمسمائة ومسجد ابن أبى كامل الطرابلسى كان بحارة الفرن بناه الاعز بن أبى كامل والمعبد الذى كان على رأس العقبة التى يتوصل منها الى الرصد بناه أبو محمد عبد الله الطباخ ويقال انه كان بالقرافة الكبرى اثنا عشر ألف مسجد

* (القصر المعروف بباب ليون بالشرف) * هذا القصر كان على طرف الجبل بالشرف الذى يعرف اليوم
وجاء الفتح وهو مبنى بالحجارة ثم صار فى موضعه مسجد عرف بمسجد المقس والمقس ضيعة (هكذا بياض بالاصل)
كانت تعرف بأم دنين سميت المقس لان العاشر كان يقعد بها وصاحب المكس فقلب فقيل المقس وليون اسم بلد بمصر بلغة السودان والروم وقد ذكر المقس عند ذكر ظواهر القاهرة من هذا الكتاب والله تعالى اعلم

* (ذكر الجواسق التى بالقرافة) *

قال ابن سيده الجوسق الحصن وقيل هو شبيه بالحصن معرب وقال الشريف محمد بن أسعد الجوانى النسابة فى كتاب النقط على الخطط الجواسق بالقرافة والجبانة كانت تسمى القصور وكان بالقرافة قصر الكتفى وقصر بنى كعب وقصر بنى عقبة وقصر أبى قبيل وقصر العزيز وقصر البغدادى وقصر يشب وقصر ابن كرامة

* (جوسق بنى عبد الحكم) * كان جوسقا كبيرا له حوش وكان فى وسط القرافة بحضرة مسجد بنى سريع الذى يقال له الجامع العتيق وهو أحد الجواسق الثلاثة وهو جوسق عبد الله بن عبد الحكم الفقيه الامام وجدد هذا الجوسق ابن اللهيب المغربى

(جوسق بنى غالب ويعرف ببنى بابشاد) كان بالمغافر بنى فى سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة والى جانبه قبر الشيخ أبى الحسن طاهر بن بابشاد

(جوسق ابن ميسر) كان بجوار جوسق بنى غالب بناه أبو عبد الله محمد ابن القاضى أبى الفرج هبة الله وكان أبو الفرج هو الخطيب بجامع مصر ويوم الغدير وهو شافعى المذهب وهو هبة الله بن هبة الله بن الميسر وذلك فى جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وخمسمائة وأبو عبد الله هذا هو الذى كان بعد ذلك قاضى القضاة بمصر وهو الذى حبس القياسر التى كانت فى القشاشين بمصر وكان يحمل قدامه المنارة الرومية النحاس ذات السواعد التى عليها الشمع ليالى الوقودات وكان فيه كرم سمع بأن المادرانى عمل فى أيامه الكعك الصغير المحشو بالسكر المسمى افطن له فأمر هو بعمل لب الفستق الملبس بالسكر الابيض الفانيذ المطيب بالمسك وعمل منه فى أول الحال شيأ عوض لبه لب ذهب فى صحن واحد فضى فسه جملة وخطف قدامه تخاطفه الحاضرون ولم يعد لعمله بل الفستق الملبس وهو أول من أخرجه بمصر وكان قد سمع فى سيرة أبى بكر المادرانى انه عمل هذا الافطن له وجعل فى كل واحد خمسة دنانير ووقف أستاذ على السماط فقال لاحد الجلساء افطن له وكان على السماط عدة صحون من ذلك الجنس لكن ما فيها ما فيه دنانير الا صحن واحد فلما رمز الاستاذ لاحد الجلساء على سماط المادرانى بقوله افطن له وأشار الى الصحن تناول الرجل منه فأصاب ذلك فاعتمد له فحصل له جملة ورآه الناس وهو اذا أكل يخرج شيأ من فمه ويجمع بيده ويحط فى حجره فتنبهوا وتزاحموا عليه فقيل لذلك المعمول من ذلك الوقت افطن له وقتل هذا القاضى فى تنيس فى أيام بهرام الوزير النصرانى الارمنى سنة ست وعشرين وخمسمائة

(جوسق ابن مقشر) كان جوسقا طويلا ذا تربة الى جانبه

(جوسق الشيخ أبى محمد) عامل ديوان الاشراف الطالبيين وجوسق ابن عبد المحسن بخط الاكول وجوسق البغدادى الجرجراى كان قبره الى جانبه خرب فى سنة عشرين وخمسمائة وجوسق الشريف أبى اسماعيل ابراهيم بن نسيب الدولة الكلثمى الموسوى نقيب مصر

(جوسق المادرانى) هذا الجوسق لم يبق من جواسق القرافة غيره وهو جوسق كبير جدا على هيئة الكعبة بالقرب من مصلى خولان فى بحريه على جانبه الممر من مقطع الحجارة بناه أبو بكر محمد بن على المادرانى فى وسط قبورهم من الجبانة وكان الناس يجتمعون عند هذا الجوسق فى الاعياد ويوقد جميعه فى ليلة النصف من شعبان كل سنة وقودا عظيما ويتحلق القراء حوله لقراءة القرآن فيمر للناس هنالك اوقات فى تلك الليلة وفى الاعياد بديعة حسنة

(جوسق حب الورقة) كان هذا الجوسق بحضرة تربة ابن طباطبا أدركته عامرا وقد خرب فيما خربه السفهاء من ترب القرافة وجواسقها زعما منهم أن فيها خبايا وكان اكابر أمراء المغافر ومن بعدهم ومن يجرى مجراهم لكل منهم جوسق بالقرافة يتنزه فيه ويتعبد الله تعالى هنالك وكان من هذه الجواسق ما تحته حوض ماء لشرب الدواب وفسقية وبستان وكان بالقرافة عدة قصور وهى التى تسمى بالجواسق لها مناظر وبساتين الا أن الجواسق اكثرها بغير بساتين ولا بئر بل مناظر مرتفعة ويقال لها كلها قصور

(قصر القرافة) بنته السيدة تغريد أم العزيز بالله فى سنة ست وستين وثلثمائة على يد الحسن بن عبد العزيز الفارسى المحتسب هو والحمام الذى كان فى غربيه وبنت البئر والبستان المعروف بالتاج المعروف بحصن أبى المعلوم وبنت جامع القرافة ثم جدده الآمر بأحكام الله وبيضه فى سنة عشرين وخمسمائة وعمل شرقى بابه مصطبة للصوفية وكان مقدمهم الشيخ أبو اسحاق ابراهيم المعروف بالمادح وكان الآمر يجلس فى الطاق بالمنظر الذى بناه بأعلى القصر ويرقص أهل الطريقة قدامه وقد ذكر هذا القصر عند ذكر مناظر الخلفاء من هذا الكتاب ولم يزل هذا القصر الى ربيع الآخر سنة سبع وستين وخمسمائة

(ذكر الرباطات التى كانت بالقرافة)

كان بالقرافة الكبيرة عدة دور يقال للدار منها رباط على هيئة ما كانت عليه بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يكون فيها العجائز والارامل العابدات وكانت لها الجرايات والفتوحات وكان لها المقامات المشهورة من مجالس الوعظ

*(رباط بنت الخواص) * كان تجاه مسجد بيد الفقيه مجلى بن جميع بن نجا الشافعي مؤلف كتاب الذخائر وقاضي القضاة بمصر

*(رباط الاشراف) * كان برحبة جامع القرافة يعرف بالقراء وبني عبد الله وبمسجد القبة وهو شرقي بستان ابن نصر بناه أبو بكر محمد بن علي المادراني ووقفه على نساء الاشراف

*(رباط الاندلس) * بنته الجهة المعروفة بجهة مكنون الآمرية كما تقدم

*(رباط ابن العكاري) * كان بحضرة مسجد بني سريع المعروف بالجامع العتيق

*(رباط الجنازية) * بنته وحبسته على الجنازية فوز جارية علي بن أحمد الجرجرائي الوزير وهو والمسجد الذي تقدم ذكره

*(رباط رياض) * كان بجوار مسجد الحاجة رياض

(ذكر المصليات والمحاريب التي بالقرافة)

وكان في القرافة عدة مصليات وعدة محاريب

*(منها مصلى الشريفة) * كان بدرب القرافة بحدرة الجباسين وخطة الصدف بناه أبو محمد عبد الله بن الارسوفي الشامي التاجر سنة سبع وسبعين وخمسمائة

*(مصلى المغافر) * وهو الاندلس جدده ابن برك الاخشيدي ثم بنته جهة مكنون الآمرية في سنة ست وعشرين وخمسمائة

*(مصلى عقبة القرافة يعرف بمصلى الاندلسي) * كان ذا مصطبة مربعة على يسرة الطالع الى القرافة بناه يوسف بن أحمد الاندلسي الانصاري في شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة

*(مصلى القرافة) * جدده الفقيه ابن الصباغ المالكي في سنة عشرين وخمسمائة وكان بحضرة مسجد أبي تراب تجاه دار التبر

*(مصلى الفتح) * كان ملاصقا لمسجد الفتح بناه أبو محمد القلعي المغربي المنجم الحافظي

*(مصلى جهة العادل) * أبي الحسن بن السلار وزير مصر

*(مصلى الاطفيحي) * بجوار مسجد الاطفيحي الذي تقدم ذكره

*(مصلى الجرجاني) * بناه الوزير علي بن أحمد الجرجاني وكانت بالقرافة الكبرى والجبانة عدة محاريب خربت كلها

*(مصلى خولان) * هذه المصلى عرفت بطائفة من العرب الذين شهدوا فتح مصر يقال لهم خولان وهم من قبائل اليمن واسمه نكل بن عمرو بن مالك بن زيد بن عريب وفي هذه المصلى مشهد الاعياد ويؤم الناس ويخطب لهم بها في يوم العيد خطيب جامع عمرو بن العاص وليست هذه المصلى هي التي أنشأها المسلمون عند فتح أرض مصر وانما كانت مصلى العيد في أول الاسلام غير هذه قال القضاعي مصلى العيد كان مصلى عمرو ابن العاص مقابل اليحموم وهو الجبل المطل على القاهرة فلما ولي عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر أمر بتحويله فحول الى موضعه المعروف اليوم بالمصلى القديم عند درب السباع ثم زاد فيه عبد الله بن طاهر سنة عشر ومائتين ثم بناه أحمد بن طولون في سنة ست وخمسين ومائتين واسمه باق عليه الى اليوم * قال الكندي ولما قدم شبي الاصبحي الى مصر وأهل مصر قد اتخذوا مصلى بحذاء ساقية أبي عون عند العسكر قال ما لهم وضعوا مصلاهم في الجبل الملعون وتركوا الجبل المقدس يعني المقطم قال فقدموا مصلاهم الى

موضعه الذى هو به اليوم يعنى المصلى القديم المذكور وقال الكندى ثم ضاق المصلى بالناس فى امارة عنبسة ابن اسحاق الضبي على مصر فى أيام المتوكل على الله فأمر عنبسة با بتناء المصلى الجديد فابتدئ بنائه فى العشر الاخير من شهر رمضان سنة أربعين ومائتين وصلى فيه يوم النحر من هذه السنة * وعنبسة هو آخر عربى ولى مصر وآخر أمير صلى بالناس فى المسجد وهو المصلى الذى بالصحراء عند الجارودى ثم جدده الحاكم وزاد فيه وجعل له قبة وذلك فى سنة ثلاث وأربعمائة وكان أمراء مصر اذا خرجوا الى صلاة العيد بالمصلى أوقفوا جيشا فى سفح الجبل مما يلى بركة الحبش ليراعى الناس حتى ينصرفوا من الصلاة خوفا من البجة فانهم قدموا غير مرة ركابا على النجب حتى كبسوا الناس فى مصلاهم وقتلوا ونهبوا ثم رجعوا من حيث أتوا فخرج عبد الحميد ابن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب غضبا لله وللمسلمين مما أصابهم من البجة فكمن لهم بالصعيد فى طريقهم حتى أقبلوا كعادتهم فى أخذ الناس فى مصلى العيد فكبسهم وقتل الاعور رئيسهم بعد ما أقبلوا الى المصلى فى العيد فى سنة ست وخمسين ومائتين وأمير مصر أحمد بن طولون على النجب وكبسوا الناس فى مصلاهم وقتلوا ونهبوا منهم وعادوا سالمين ثم دخل العمرى الى بلاد البجة غازيا فقتل منهم مقتلة عظيمة وضايقهم فى بلادهم الى أن أعطوه الجزية ولم يكونوا أعطوا أحدا قبله الجزية وسار فى المسلمين وأهل الذمة سيرة حسنة وسالم النوبة الى أن بدأ النوبة بالغدر فى الموضع المعروف بالمريس فمال عليهم وحاربهم وخرب ديارهم وسبى منهم عالما كثيرا حتى كان الرجل من أصحابه يبتاع الحاجة من الزيات والبقال بنوبى أو نوبية لكثرتهم معهم فجاؤا الى أحمد بن طولون وشكوا اليه من العمرى فبعث اليه جيشا يحاربه فأوقع بالجيش وهزمهم وكانت لهم أنباء وقصص الى أن قتله غلامان من أصحابه وأحضرا رأسه الى أحمد بن طولون فأنكر فعلهما وضرب أعناقهما وغسل الرأس ودفنه

(ذكر المساجد والمعابد التى بالجبل والصحراء)

وكان بجبل المقطم وبالصحراء التى تعرف اليوم بالقرافة الصغرى عدة مساجد وعدة مغاير ينقطع العباد بها منها ما قد دثر ومنه شئ قد بقى أثره

(مسجد التنور) هذا المسجد فى أعلى جبل المقطم من وراء قلعة الجبل فى شرقيها أدركته عامرا وفيه من يقيم به * قال القضاعى المسجد المعروف بالتنور بالجبل هو موضع تنور فرعون كان يوقد له عليه فاذا رأوا النار علموا بركوبه فاتخذوا له ما يريد وكذلك اذا ركب منصرفا من عين شمس ثم بناه أحمد بن طولون مسجدا فى صفر سنة تسع وخمسين ومائتين ووجدت فى كتاب قديم أن يهودا بن يعقوب أخا يوسف عليه السلام لما دخل مع اخوته على يوسف وجرى من امر الصواع ما جرى تأخر عن اخوته وأقام فى ذروة الجبل المقطم فى هذا المكان وكان مقابلا لتنور فرعون الذى كان يوقد فيه النار ثم خلا ذلك الموضع الى زمن أحمد بن طولون فأخبر بفضل الموضع وبمقام يهودا فيه فابتنى فيه هذا المسجد والمنارة التى فيه وجعل فيه صهريجا فيه الماء وجعل الانفاق عليه مما وقفه على البيمارستان بمصر والعين التى بالمغافر وغير ذلك ويقال ان تنور فرعون لم يزل فى هذا الموضع بحاله الى أن خرج اليه قائد من قواد أحمد بن طولون يقال له وصيف قاطرميز فهدمه وحفر تحته وقدر أن تحته مالا فلم يجد فيه شيأ وزال رسم التنور وذهب وأنشد أبو عمرو الكندى فى كتاب امراء مصر من أبيات لسعيد القاضى

وتنور فرعون الذى فوق قلة * على جبل عال على شاهق وعر
بنى مسجدا فيه يروق بناؤه * ويهدى به فى الليل ان ضل من يسرى
تخال سنا قنديله وضياءه * سهيلا اذا ما لاح فى الليل للسفر

(القرقوبى) قال القضاعى المسجد المعروف بالقرقوبى هو على قرنة الجبل المطل على كهف السودان بناه أبو الحسن القرقوبى الشاهد وكيل التجار بمصر فى سنة خمس عشرة وأربعمائة وكان فى موضعه محراب حجارة يعرف بمحراب ابن القفاعى الرجل الصالح وهو على يسار المحراب

*(مسجد امير الامراء) * رفق المستنصر برى على قرنة الجبل البحرية المطلة على وادى مسجد موسى عليه السلام

*(كهف السودان) * مغار فى الجبل لا يعلم من أحدثه ويقال ان قوما من السودان نقروه فنسب اليهم وكان صغيرا مظلما فبناه الاحدب الاندلسى القزاز وزاد فى سفله مواضع نقرها وبنى علوه ويقال انه أنفق فيه اكثر من ألف دينار ووسع المجاز الذى يسلك منه اليه وعمل الدرج النقر التى يصعد عليها اليه وبدأ فى بنائه مستهل سنة احدى وعشرين وأربعمائة وفرغ منه فى شعبان من هذه السنة

*(العارض) * هذا المكان مغارة فى الجبل عرفت بأبى بكر محمد جد مسلم القارى لانه نقرها ثم عمرت بامر الحاكم بأمر الله وأنشئت فيها منارة هى باقية الى اليوم وتحت العارض قبر الشيخ العارف عمر بن الفارض رحمه الله ولله در القائل

جز بالقرافة تحت ذيل العارض * وقل السلام عليك يا ابن الفارض

وقد ذكر القضاعى أربع عشرة مغارة فى الجبل منها ما هو باق وليس فى ذكرها فائدة

*(اللؤلؤة) * هذا المكان مسجد فى سفح الجبل باق الى يومنا هذا كان مسجدا خرابا فبناه الحاكم بأمر الله وسماه اللؤلؤة قيل كان بناؤه فى سنة ست وأربعمائة وهو بناء حسن

*(مسجد الهرعاء) * فيما بين اللؤلؤة ومسجد محمود وهو مسجد قديم يتبرك بالصلاة فيه وقد ذكر مسجد محمود عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب لانه تقام فيه الجمعة

*(دكة القضاة) * قال القضاعى هى دكة مرتفعة عن المساجد فى الجبل كان القضاة بمصر يخرجون اليها لنظر الاهلة كل سنة ثم بنى عليها مسجد

*(مسجد فائق) * مولى خمارويه بن أحمد بن طولون كان فى سفح الجبل مما يلى طريق مسجد موسى عليه السلام

*(مسجد موسى) * بناه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات

*(مسجد زهرون بالصحراء) * هو مسجد أبى محمد الحسن بن عمر الخولانى ثم عرف بابن المبيض وكان زهرون قيمه فنسب اليه

*(مسجد القضاعى) * هو أبو الحسن على بن الحسن بن عبد الله كان أبوه فقاعيا بمصر وهو مسجد كبير بناه كافور الاخشيدى ثم جدده وزاد فيه مسعود بن محمد صاحب الوزير أبى القاسم على بن أحمد الجرجراى وكان فى وسط هذا المسجد محراب مبنى بطوب يقال انه من بناء حاطب بن ابى بلتعة رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقس ويقال انه أول محراب اختط فى مصر وكان أبو الحسن التميمى قد زاد فيه بناء قبل ذلك

*(مسجد الكنز) * هذا المسجد كان شرقى الخندق وبحرى قبر ذى النون المصرى وكان مسجدا صغيرا يعرف بالزمام ومات قبل تمامه فهدمه أبو طاهر محمد بن على القرشى القرقوبى ووسعه وبناه وحكى أنه لما هدمه رأى قائلا يقول فى المنام على أذرع من هذا المسجد كنز فاستقط وقال هذا من الشيطان فرأى هذا القائل ثلاث مرات فلما اصبح أمر بحفر الموضع فاذا فيه قبر وظهر له لوح كبير تحته ميت فى لحد كأعظم ما يكون من الناس جثة ورأسا وأكفانه طرية لم يبل منها الا ما يلى جمجمة الرأس فانه رأى شعر رأسه قد خرج من الكفن واذا له جمة فراعه ما رأى وقال هذا هو الكنز بلا شك وأمر باعادة اللوح والتراب كما كان وأخرج القبر عن سائر الحيطان وأبرزه للناس فصار مزارا ويتبرك به

*(مسجد فى غربى الخندق) * أنشأه أبو الحسن بن النجار الزيات فى سنة احدى وأربعين وأربعمائة

*(مسجد لؤلؤ الحاجب) * بالقرافة الصغرى بنى بجانبه مقبرة وحفر عندها بئرا حتى انتهى الحفار الى قرب الماء فقال الحفار انى أجد فى البئر شيأ كأنه حجر فقال له لؤلؤ تسبب فى قلعه فلما قلعه فار الماء وأخرجه واذا هو

اسطام مركب وهو الخشبة التى تبنى عليها السفينة وهذا يصدق ما قاله ارسطاطاليس فى كتاب الآثار العلوية قال ان أهل مصر يسكنون فيما انحسر عنه البحر الاحمر يعنى بحر الشام وقد ذكر خبر لؤلؤ هذا عند ذكر حمام لؤلؤ

*(مقام المؤمن) * قيل انه مؤمن آل فرعون لانه أقام فيه وهذا بعيد من الصحة

*(قناطر ابن طولون وبئره) * هذه القناطر قائمة الى اليوم من بئر أحمد بن طولون التى عند بركة الحبش وتعرف هذه البئر عندنا ببئر عفصة ولا تزال هذه القناطر الى أثناء القرافة الكبرى ومن هناك خفيت لتهدمها وهى من أعظم المبانى * قال القضاعى قناطر أحمد بن طولون وبئره بظاهر المغافر كان السبب فى بناء هذه القناطر أن أحمد ابن طولون ركب فمر بمسجد الاقدام وحده وتقدم عسكره وقد كده العطش وكان فى المسجد خياط فقال يا خياط أعندك ماء فقال نعم فأخرج له كوزا فيه ماء وقال اشرب ولا تمد يعنى لا تشرب كثيرا فتبسم أحمد بن طولون وشرب فمد فيه حتى شرب اكثره ثم ناوله اياه وقال يافتى سقيتنا وقلت لا تمد فقال نعم اعزك الله موضعنا ههنا منقطع وانما أخيط جمعتى حتى أجمع ثمن راوية فقال له والماء عندكم ههنا معوز فقال نعم فمضى أحمد بن طولون فلما حصل فى داره قال جيئونى بخياط فى مسجد الاقدام فما كان بأسرع من أن جاؤا به فلما رآه قال سر مع المهندسين حتى يخطوا عندك موضع سقاية ويجروا الماء وهذه ألف دينار خذها وابتدأ فى الانفاق وأجرى على الخياط فى كل شهر عشرة دنانير وقال له بشرنى ساعة يجرى الماء فيها فجدوا فى العمل فلما جرى الماء أتاه مبشرا فخلع عليه وحمله واشترى له دارا يسكنها وأجرى عليه الرزق السنى الدار وكان قد اشير عليه بأن يجرى الماء من عين أبى خليد المعروفة بالنعش فقال هذه العين لا تعرف أبدا الا بأبى خليد وانى أريد أن أستنبط بئرا فعدل عن العين الى الشرق فاستنبط بئره هذه وبنى عليها القناطر وأجرى الماء الى الفسقية التى بقرب درب سالم * وقال جامع السيرة الطولونية وأما رغبته فى ابواب الخير فكانت ظاهرة بينة واضحة فمن ذلك بناء الجامع والبيمارستان ثم العين التى بناها بالمغافر وبناها بنية صحيحة ورغبة قوية حتى انها ليس لها نظير ولهذا اجتهد المادرانيون وأنفقوا الاموال الخطيرة ليحكوها فأعجزهم ذلك لانها وقعت فى موضع جيرانه كلهم محتاجون اليها وهى مفتوحة طول النهار لمن كشف وجهه للاخذ منها ولمن كان له غلام أو جارية والليل للفقراء والمساكين فهى حياة ومعونة واتخذ لها مستغلا فيه فضل وكفاية لمصالحها والذى تولى لاحمد بن طولون بناء هذه العين رجل نصرانى حسن الهندسة حاذق بها وانه دخل الى أحمد بن طولون فى عشية من العشايا فقال له اذا فرغت مما تحتاج اليه فأعلمنى لتركب اليها فتراها فقال يركب الامير اليها فى غد فقد فرغت وتقدم النصرانى فرأى موضعا بها يحتاج الى قصرية جير وأربع طوبات فبادر الى عمل ذلك وأقبل أحمد بن طولون يتأمل العين فاستحسن جميع ما شاهده فيها ثم أقبل الى الموضع الذى فيه قصرية الجير فوقف بالاتفاق عليها فلرطوبة الجير غاصت يد الفرس فيه فكبا بأحمد ولسوء ظنه قدر أن ذلك لمكروه أراده به النصرانى فأمر به فشق عنه ما عليه من الثياب وضربه خمسمائة سوط وأمر به الى المطبق وكان المسكين يتوقع من الجائزة مثل ذلك دنانير فاتفق له اتفاق سوء وانصرف أحمد بن طولون وأقام النصرانى الى أن أراد أحمد بن طولون بناء الجامع فقدر له ثلثمائة عمود فقيل له ما تجدها أو تنفذ الى الكنائس فى الارياف والضياع الخراب فتحمل ذلك فأنكره ولم يختره وتعذب قلبه بالفكر فى امره وبلغ النصرانى وهو فى المطبق الخبر فكتب اليه أنا ابنيه لك كما تحب وتختار بلا عمد الا عمودى القبلة فأحضره وقد طال شعره حتى تدلى على وجهه فبناه * قال ولما بنى أحمد بن طولون هذه السقاية بلغه أن قوما لا يستحلون شرب مائها قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم الفقيه كنت ليلة فى دارى اذ طرقت بخادم من خدام أحمد بن طولون فقال لى الامير يدعوك فركبت مذعورا مرعوبا فعدل بى عن الطريق فقلت أين تذهب بى فقال الى الصحراء والامير فيها فأيقنت بالهلاك وقلت للخادم الله الله فى فانى شيخ كبير ضعيف مسن فتدرى ما يراد منى فارحمنى فقال لى احذر أن يكون لك فى السقاية قول وسرت معه واذا بالمشاعل فى الصحراء وأحمد بن طولون راكب على باب السقاية وبين يديه الشمع فنزلت وسلمت عليه فلم يرد على فقلت أيها الامير ان الرسول أعنتنى وكدنى وقد عطشت فيأذن لى الامير فى الشرب فاراد الغلمان أن يسقونى فقلت أنا آخذ لنفسى فاستقيت وهو يرانى وشربت وازددت فى الشرب حتى كدت أنشق ثم قلت أيها الامير سقاك الله من أنهار الجنة فلقد أرويت

وأغنيت ولا أدرى ما أصف أطيب الماء فى حلاوته وبرده أم صفاءه أم طيب ريح السقاية قال فنظر الى وقال أريدك لامر وليس هذا وقته فاصرفوه فصرفت فقال لى الخادم أصبت فقلت أحسن الله جزاءك فلولاك لهلكت وكان مبلغ النفقة على هذه العين فى بنائها ومستغلها أربعين ألف دينار وأنشد أبو عمرو الكندى فى كتاب الامراء لسعيد القاص أبياتا فى رثاء دولة بنى طولون منها فى العين والسقاية

وعين معين الشرب عين زكية * وعين أجاج للرواة وللطهر
كأن وفود النيل فى جنباتها * تروح وتغدو بين مد الى جزر
فأرلئها مستنبطا لمعينها * من الارض من بطن عميق الى ظهر
بناء لو ان الجن جاءت بمثله * لقيل لقد جاءت بمستفظع نكر
يمر على أرض المغافر كلها * وشعبان والاحمور والحى من بشر
قبائل لا نزء السحاب يمدها * ولا النيل يرويها ولا جدول يجرى

وقال الشريف محمد بن أسعد الجوانى النسابة فى كتاب الجوهر المكنون فى ذكر القبائل والبطون سريع فخذ من الاشعريين هم ولد سريع بن مانع من بنى الاشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا ابن يشجب بن يعرب بن قحطان وهم رهط أبى قبيل التابعى الذى خطته اليوم الكوم شرقى قناطر سقاية احمد بن طولون المعروفة بعفصة الكبيرة بالقرافة

(الخندق)* هذا الخندق كان بقرافة مصر قد دثر وعلى شفيره الغربى قبر الامام الشافعى رضى الله عنه وكان من النيل الى الجبل حفر مرتين مرة فى زمن مروان بن الحكم ومرة فى خلافة الامين محمد بن هارون الرشيد ثم حفره أيضا القائد جوهر قال القضاعى الخندق هو الخندق الذى فى شرقى الفسطاط فى المقابر كان الذى اثار حفره مسير مروان بن الحكم الى مصر وذلك فى سنة خمس وستين وعلى مصر يومئذ عبد الرحمن بن عقبة بن جحدم الفهرى من قبل عبد الله بن الزبير رضى الله عنه فلما بلغه مسير مروان الى مصر اعدوا استعدوشا ور الجند فى أمره فأشاروا عليه بحفر الخندق والذى أشار به عليه ربيعة بن حبيش الصدفى فأمر ابن جحدم باحضار المحاريث من الكور لحفر الخندق على الفسطاط فلم تبق قرية من قرى مصر الا حضر من أهلها النفر وكان ابتداء حفره غرة المحرم سنة خمس وستين فما كان شئ أسرع من فراغهم منه حفروه فى شهر واحد وكانت الحرب من ورائه يغدون اليها ويروحون فسميت تلك الايام أيام الخندق والتراويح لرواحهم الى القتال وكانت المغافر أكثر قبائل أهل مصر عددا كانوا اعشرين ألفا ونزل مروان عين شمس لعشر خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين فى اثنى عشر ألفا وقيل فى عشرين ألفا فخرج أهل مصر الى مروان فحاربوه يوما واحدا بعين شمس ثم تحاجزوا ورجع أهل مصر الى خندقهم فتحصنوا به وصحبتهم جيوش مروان على باب الخندق فاصطف أهل مصر على الخندق فكانوا يخرجون الى أصحاب مروان فيقاتلونهم نوبا نوبا وأقاموا على ذلك عشرة أيام ومروان مقيم بعين شمس وكتب مروان الى شيعته من أهل مصر كريب بن أبرهة بن الصباح الحميرى وزياد بن حناطة التجيبى وعابس بن سعيد المرادى يقول انكم ضمنتم لى ضمانا لم تقوموا به وقد طالت الايام والممانعة فقام كريب وزياد وعابس الى ابن جحدم فقالوا له أيها الامير انه لا قوام لنا بما ترى وقد رأينا أن نسعى فى الصلح بينك وبين مروان وقد مل الناس الحرب وكرهوها وقد خفنا أن يسلك الناس الى مروان فيكون محكما فيك فقال ومن لى بذلك فقال كريب أنا لك به فسعى كريب وصاحباه فى الصلح على أمان كتبه مروان لاهل مصر وغيرهم ممن شرب ماء النيل وعلى أن يسلم لابن جحدم من بيت المال عشرة آلاف دينار وثلثمائة ثوب بقطرية ومائة ريطة وعشرة أفراس وعشرين بغلا وخمسين بعيرا فتم الصلح على ذلك ودخل مروان الفسطاط مستهل جمادى الاولى سنة خمس وستين فنزل دار الفلفل ودفع الى ابن جحدم جميع ما صالحه عليه وسار ابن جحدم الى الحجاز ولم يلق كل واحد منهما الآخر وتفرق المصريون وأخذوا فى دفن قتلاهم والبكاء عليهم فسمع مروان البكاء فقال ما هذه النوادب فقيل على القتلى قال لا أسمع نائحة تنوح الا أحللت بمن هى فى داره العقوبة فسكتن عند ذلك ودفن أهل مصر قتلاهم فيما بين الخندق والمقطم وهى المقابر التى يسميها المصريون مقابر الشهداء ودفن أهل الشام قتلاهم فيما بين الخندق ومنية الاصبغ وكان قتلى أهل مصر ما بين الستمائة الى السبعمائة وقتلى أهل الشام

نحو الثلثمائة ولما برز مروان من الفسطاط سائرا الى الشام سمع وجبة النساء يندبن قتلاهنّ قال ويحهن ماهذا قالوا النساء على مقابرهنّ يندبن قتلاهنّ فعرّج عليهنّ فأمر بالانصراف قالوا كذاهنّ كلّ يوم قال فامنعوهنّ الامن سبب وخرج مروان من مصر الى الشام لهلال رجب سنة خمس وستين وكان مقامه بالفسطاط شهرين واستخلف ابنه عبد العزيز على مصر وضم اليه بشر بن مروان وكان حدثا ثم ولى عبد الملك بشرا بعد ذلك البصرة قال ثم دثر هذا الخندق الى أيام خلع الامين بمصر وبيعة المأمون وولى البلد عباد بن محمد بن حيان مولى كندة من قبل المأمون فكتب الامين بمصر الى أهل الحوفين فى القيام ببيعته وقتال عباد وأهل مصر فتجمع أهل الحوف لذلك واستعدّوا وبلغ أهل مصر فأشاروا على عباد بحفر الخندق فحفروا خندقا من النيل الى الجبل واحتفروا هذا الخندق العتيق فكان القتال عليه أياما متفرقة الى أن قتل الامين وتمت بيعة المأمون ثم لم يحفر بعد ذلك الى يومنا هذا * وذكر ابن زولاق أن القائد جوهر الما اختط القاهرة وكثر الارجاف بمسير القرامطة الى مصر حفر خندق السرىّ بن الحكم بباب مدينة مصر وعمل عليه بابا فى ذى القعدة سنة ستين وثلثمائة وحفر خندقا فى وسط مقبرة مصر وهو الخندق الذى حفره ابن جدم ابتدأ حفره من بركة الحبش حتى وصله بخندق عبد الرحمن بن جدم حتى بلغ به قبر محمد بن ادريس الشافعىّ ثم حفر من الجبل الى أن وصل لخندق ابن جدم وسط المقابر وبدأ به يوم السبت التاسع من شوّال سنة احدى وستين وثلثمائة وفرغ منه فى مدّة يسيرة

*(القباب السبع) * هذه القباب بآخر القرافة الكبرى مما يلى مدينة مصر قال ابن سعيد فى كتاب المغرب والقباب السبع المشهورة بظاهر الفسطاط هى مشاهد على سبعة من بنى المغربىّ قتلهم الخليفة الحاكم بعد فرار الوزير أبى القاسم الحسين بن علىّ بن المغربىّ الى أبى الفتوح حسن بن جعفر بمكة وفى ذلك يقول أبو القاسم بن المغربىّ

اذا شئت أن ترنو الى الطف باكيا * فدونك فانظر نحو أرض المقطم
تجد من رجال المغربىّ عصابة * مضمخة الاجسام من حالل الدم
فكم تركوا محراب آى معطل * وكم تركوا من سورة لم تختم

وقد ذكرت أخبار بنى المغربىّ عند ذكر بساتين الوزير من بركة الحبش ويتعلق بهذا الموضع من خبرهم أن أبا الحسن علىّ بن الحسين بن علىّ بن محمد بن المغربىّ لما خرج من بغداد وصار الى مصر فى أيام العزيز بالله بن المعز لدين الله فى سنة احدى وثمانين وثلثمائة رتب له فى كل سنة ستة آلاف دينار وصار من شيوخ الدولة فقال يوما لمؤدّب ولده أبى القاسم حسين وهو علىّ بن منصور بن طالب المعروف بأبى الحسن دوخلة بن القادح سرّا أنا أخاف همة ابنى أبى القاسم أن تنزو به الى أن يوردنا مورد الاصدر عنه فان كانت الانفاس مما تحفظ وتكتب فاكتبها واحفظها وطالعنى بها فقال أبو القاسم فى بعض الايام لمؤدّبه هذا الى متى نرضى بالخمول الذى نحن فيه فقال له وأىّ خمول هذا تأخذون من مولانا فى كل سنة ستة آلاف دينار وأبوكم من شيوخ الدولة فقال أريد أن تصار الى أبوابنا الكتائب والمواكب والمقانب ولا أرضى بأن يجرى علينا كالولدان والنسوان فأعاد ذلك على أبيه فقال ما أخوفنى أن يخضب أبو القاسم هذه من هذه وقبض على لحيته وهامته وعلم ذلك أبو القاسم فصارت بينه وبين مؤدّبه وحشة وكان ذلك فى خلافة الحاكم بأمر الله منصور ابن العزيز وتحدّث القائد أبى عبد الله الحسين بن جوهر وكان الحاكم قد أكثر من قتل رؤساء دولته وصار يبعث الى القائد كلما قتل رئيسا برأسه ويقول هذا عدوّى وعدوّك فقبض على أبى الحسن علىّ بن الحسين المغربىّ والد الوزير أبى القاسم الحسين وعلى أخيه أبى عبد الله محمد بن الحسين وعلى محسن ومحمد أخوى الوزير المذكور لثلاث خلون من ذى القعدة سنة أربعمائة وفرّ الوزير أبو القاسم الحسين بن المغربىّ من مصر فى ذى الحجة لليال من ذى القعدة ولحق بحسان بن الجرّاح وكان من أمره ما كان

(ذكر الاحواض والآبار التى بالقرافة)

*(حوض القرافة) * أمر ببنائه السيدة ست الملك عمة الحاكم بأمر الله ابنة المعز لدين الله فى شعبان سنة ست

وستين وثلثمائة واختل في أيام العادل أبي الحسن بن السلار وزير مصر في سنة ست وأربعين وخمسمائة فأمر بعمارته ثم انشق في سنة ثمانين وخمسمائة فجدده القاضي السعيد ثقة الثقات ذو الرياستين أبو الحسن علي بن عثمان بن يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن أحمد بن يعقوب بن مسلم بن منبه أحد بني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي صاحب النظر في ديوان مصر ومصنف كتاب المنهاج في أحكام الخراج وهو كتاب جليل الفائدة ولم تزل آثار هذا القاضي حميدة ومقاصده سديدة وعنده نخوة قرشية ومروءة وعصبية وهو وان طاب أصولا فقد زكا فروعا وان تفرقت في سواه فضائل فقد جمعها الله فيه جميعا ولم يزل مذ كان يسعى في الامانة على صراط مستقيم آخذا بقوله تعالى اخبارا عن الكريم ابن الكريم اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم

(الحوض بجوار قصر القرافة) في ظهر الحمام العزيزي بحضرة فرن القرافة أمرت بنائه أم الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله واسمها السيدة رصد على يد وكيلها الشريف المحدث أبي ابراهيم أحمد بن القاسم بن الميمون ابن حمزة الحسيني العبدلي شيخ القراء وابن الحطاب والفلكي

(حوض بحضرة الاشعوب) وهو قصر بني عقيب

(حوض في داخل قصر أبي المعلوم) مجاور للبئر الكبيرة ذات الدواليب بناه المحتسب الفارسي مع عمارة البئر والميضأة في أيام السيدة أم العزيز ويقال ان الحوض والبئر من بناء المادرائي وانما جددته عمة الحاكم

(حوض) بقصر بني كعب وبجانبه بئر أنشأه الحاجب لؤلؤ وهو من حقوق قصر بني كعب وقد خربت هذه الاحواض ودثرت

(ذكر الآبار التي ببركة الحبش والقرافة)

(بئر أبي سلامة) وتعرف ببئر الغنم وهي قبلي النوبية وموضعها أحسن موضع في البركة وهي التي عنى أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بقوله

لله يومي ببركة الحبش * والافق بين الضياء والغبش
والنيل تحت الرياح مضطرب * كصارم في يمين مرتعش
ونحن في روضة مفوّفة * دبج بالنور عطفها ووشي
قد نسجتها يد الغمام لنا * فنحن من نسجها على فرش
وأثقل الناس كلهم رجل * دعاه داعي الهوى فلم يطش
فعاطني الراح ان تاركها * من سورة الهم غير منتعش
واسقني بالكبار مترعة * فهن أشفى لشدة العطش

(بئر غربي دير مرحنا وبستان العبيدي) ودير مرحنا يعرف اليوم في زماننا بدير الطين وهو عامر بالنصارى

(بئر الدرج) شرقي بساتين الوزير لها درج ينزل به اليها عملها الحاكم بأمر الله وشرقيها قبور النصارى وبعدهم الى جهة الجبل قبور اليهود والبستان المجاور لعفصة الصغرى أول بركة الحبش على لسان الجبل الخارج الى البركة مجاورة لبئر النعش وبئر السقايين وهي المعروفة ببئر أبي موسى خليد وقد صار هذا البستان الى المهذب بن الوزير

(بئر الزقاق) شرقي بئر عفصة الصغرى والزقاق معروف اذ ذاك في الجبل وفي أوله بئر مربعة كان يسقى منها البقر والغنم

(ذكر السبعة التي تزار بالقرافة)

اعلم أن زيارة القرافة كانت أولا يوم الاربعاء ثم صارت ليلة الجمعة وأما زيارة يوم السبت فقيل انها قديمة وقيل

متأخرة

متأخرة وأول من زار يوم الاربعاء وابتدأ بالزيارة من مشهد السيدة نفيسة الشيخ الصالح أبو محمد عبد الله بن رافع بن يزحم بن رافع السارعي الشافعي المغافري الزوار المعروف بعابد ومولده سنة احدى وستين وخمسمائة ووفاته بالهلالية خارج باب زويلة في ليلة الثاني والعشرين من شعبان سنة ثمان وثلاثين وستمائة ودفن بسفح المقطم على تربة بني نهار بحرى تربة الرديني وأول من زار ليلة الجمعة الشيخ الصالح المقرى ابو الحسن علي بن أحمد بن جوشن المعروف بابن الجباس والد شرف الدين محمد بن علي بن أحمد بن الجباس فجمع الناس وزار بهم في ليلة الجمعة في كل أسبوع وزار معه في بعض الليالي السلطان الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالي محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ومشى معه أكابر العلماء وكان سبب تجرد أبي الحسن بن الجباس وانقطاعه الى الله تعالى انه دولب مطبخ سكر شركة رجل فوقف عليهما مال للديوان فسجنا بالقصر فقرأ ابن الجباس في بعض الليالي سورة الرعد فسمعه السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب فقام حتى وقف عليه وسأله عن خبره فأعلمه بأنه سجن على مبلغ كذا فأمر بالافراج عنه فأبى الا أن يفرج عن رفيقه أيضا فافرج عنهما جميعا واتفق انه مر في بعض ليالي الزيارة بزاوية الفخر الفارسي فخرج وقال له ما هذه البدعة في غد أبطلها ثم دخل الزاوية وخرج بعد ساعة وأمر برد ابن الجباس فلما جاءه قال دم على ما انت عليه فاني رأيت الساعة قوما فقالوا اهل تعطينا ما يعطينا ابن الجباس في ليالي الجمع فعلمت أن ذلك هو الدعاء والقراءة *
وأما زيارة يوم السبت فقد تقدم انه اختلف فيها وحكى الموفق بن عثمان عن القضاعي انه كان يحث على زيارة سبعة قبور وأن رجلا شكا اليه ضيق حاله والدين فقال له عليك بزيارة سبعة قبور *(أولهم)* الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن سهل بن الصائغ الدينوري وتوفي ليلة الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من شهر رجب سنة احدى وثلاثين وثلثمائة * (والثاني) * عبد الصمد بن محمد بن أحمد بن اسحاق بن ابراهيم البغدادي صاحب الخلفاء وتوفي سنة خمس وثلاثين وثلثمائة * (والثالث) * أبو ابراهيم اسماعيل ابن المزني وتوفي سنة أربع وستين ومائتين * (والرابع) * القاضي بكار بن قتيبة وتوفي سنة سبعين ومائتين * (والخامس) * القاضي المفضل بن فضالة وتوفي سنة اثنتين وخمسين ومائتين * (والسادس) * القاضي أبو بكر عبد الملك بن الحسن القمني وتوفي في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة * (والسابع) * أبو الفيض ذو النون ثوبان بن ابراهيم المصري وتوفي سنة خمس وأربعين ومائتين وكانوا أولا يزورون بعد صلاة الصبح وهم مشاة على أقدامهم الى أن كانت أيام شيخ الزوار محمد العجمي السعودي فزار راكبا في يوم السبت بعد طلوع الشمس لان رجليه كانتا معوجتين لا يستطيع المشي عليهما وذلك في اواخر سنة ثمانمائة وتوفي في عاشر شهر رمضان سنة تسع وثمانمائة فجاء بعده الزائر شمس الدين محمد بن عيسى المرجوشي السعودي ومحيي الدين عبد القادر بن علاء الدين محمد بن علم الدين بن عبد الرحمن الشهير بابن عثمان ففعلا ذلك ومات ابن عثمان في سابع شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وثمانمائة فاستمرت الزيارة على ذلك وقد حكى صاحب كتاب محاسن الابرار ومجالس الاخيار سبعة غير من ذكرنا وسماهم المحققين وهم صلة بن مؤمل وأبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن علي بن جعفر الخوارزمي وسالم العفيف وأبو الفضل بن الجوهري وأبو عبد الله محمد بن عبيد الله بن الحسين عرف بالبزار وأبو الحسن علي عرف بطير الوحش وأبو الحسن علي بن صالح الاندلسي الكحال وذكر أيضا سبعة أخرى هم عقبة بن عامر الجهني والامام أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي وأبو بكر الدقاق وأبو ابراهيم اسماعيل المزني وأبو العباس أحمد الجزار والفقيه ابن دحية والفقيه ابن فارس اللخمي وزيارتهم يوم الجمعة بعد صلاة الصبح والعمل عليها في الزيارة الآن الا انهم يجتمعون طوائف لكل طائفة شيخ ويقيمون منا وركبانا وصغارا ويخرجون في ليالي الجمع وفي كل سبت بكرة النهار وفي كل يوم أربعاء بعد الظهر وهم يذكرون الله فيزورون ويجتمع معهم من الرجال والنساء خلائق لا تحصى ومنهم من يعمل ميعاد وعظ ويقال لشيخ كل طائفة الشيخ الزائر فتتزلهم في الزيارة أمور منها ما يستحسن ومنها ما ينكر ولكل عبد ما نوى

فمن أشهر مزارات القرافة * (قبر الامام أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي) * رحمة الله ورضوانه

هكذا بياض في الاصل ورأيت في بعض الكتب المتضمنة لاسماء الرواة والفقهاء وغيرهم ما نصه (مزني) اكبر اصحابنا علما وأعلم غلمان الشافعي الذي مهد المذهب ولين كلام الشافعي اسمه اسماعيل بن يحيى ابن اسماعيل بن عمر بن اسحاق بن مسلم بن بهدلة بن عبد الله المزني من قبيلة مزينة يكنى أبا ابراهيم مات بمصر سنة أربع وستين ومائتين اه بحروفه اه مصححه

عليه وتوفى يوم الجمعة آخر يوم من شهر رجب سنة أربع ومائتين بفسطاط مصر وحمل على الاعناق حتى دفن فى مقبرة بنى زهرة أولاد عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى رضى الله عنه وعرفت أيضا بتربة أولاد ابن عبد الحكم قال القضاعى وقد جرّب الناس خير هذه التربة المباركة والقبر المبارك وينقل عن المزنى انه قال فيه

سقى الله هذا القبر من وبل مزنه * من العفو ما يغنيه عن طلل المزن
لقد كان كفؤا للعداة ومعتلا * وركنا لهذا الدين بل ايما ركن

هكذا وقفت عليه ثم رأيت بعد ذلك أن المزنى رحمه الله لما دفن مرّ رجل على قبره واذا بهاتف يقول فذكر البيتين وقال آخر

لله در الثرى كم ضم من كرم * بالشافعى حليف العلم والاثر
يا جوهر الجوهر المكنون من مضر * ومن قريش ومن ساداتها الاخر
لما توليت ولى العلم مكتئبا * وضر موتك أهل البدو والحضر

ولآخر

أكرم به رجلا ما مثله رجل * مشارك لرسول الله فى نسبه
اضحى بمصر دفينا فى مقطمها * نعم المقطم والمدفون فى تربه

ومناقب الشافعى رحمه الله كثيرة قد صنف الائمة فيها عدة مصنفات وله فى تاريخى الكبير المقفى ترجمة كبيرة ومن ابدع ما حكى من مناقبه أن الوزير نظام الملك أبا على الحسن بن على بن اسحاق لما بنى المدرسة النظامية ببغداد فى سنة أربع وسبعين وأربعمائة أحب أن ينقل الامام الشافعى من مقبرته بمصر الى مدرسته وكتب الى أمير الجيوش بدر الجمالى وزير الامام المستنصر بالله معد يسأله فى ذلك وجهز له هدية جليلة فركب أمير الجيوش فى موكبه ومعه أعيان الدولة ووجوه المصريين من العلماء وغيرهم وقد اجتمع الناس لرؤيته فلما نبش القبر شق ذلك على الناس وضجوا وكثر اللغط وارتفعت الاصوات وهموا برجم أمير الجيوش والثورة به فسكتهم وبعث يعلم الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بصورة الحال فأعاد جوابه بامضاء ما أراد نظام الملك فقرئ كتابه بذلك على الناس عند القبر وطردت العامة والغوغاء من حوله ووقع الحفر حتى انتهوا الى اللحد فعندما أرادوا اقلع ما عليه من اللبن خرج من اللحد رائحة عطرة أسكرت من حضر فوق القبر حتى وقعوا صرعى فما أفاقوا الا بعد ساعة فاستغفروا مما كان منهم وأعادوا ردم القبر كما كان وانصرفوا وكان يوما من الايام المذكورة وتزاحم الناس على قبر الشافعى يزورونه مدة أربعين يوما بلياليها حتى كان من شدة الازدحام لا يتوصل اليه الا بعناء ومشقة زائدة وكتب أمير الجيوش محضرا بما وقع وبعث به وبهدية عظيمة مع كتابه الى نظام الملك فقرئ هذا المحضر والكتاب بالنظامية ببغداد وقد اجتمع العالم على اختلاف طبقاتهم لسماع ذلك فكان يوما مشهودا ببغداد وكتب نظام الملك الى عامة بلدان المشرق من حدود الفرات الى ما وراء النهر بذلك وبعث مع كتبه بالمحضر وكتاب أمير الجيوش فقرئت فى تلك الممالك بأسرها فزاد قدر الامام الشافعى عند كافة أهل الاقطار وعامة جميع أهل الامصار بذلك وقد أوردت فى كتاب امتاع الاسماع بما للرسول من الانباء والاحوال والحفدة والمتاع صلى الله عليه وسلم نظير هذه الواقعة وقع لضريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل قبر الشافعى يزار ويتبرك به الى أن كان يوم الاحد لسبع خلت من جمادى الاولى سنة ثمان وستمائة فانتهى بناء هذه القبة التى على ضريحه وقد أنشأها الملك الكامل المظفر المنصور أبو المعالى ناصر الدين محمد ظهير أمير المؤمنين ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب وبلغت النفقة عليها خمسين ألف دينار مصرية وأخرج فى وقت بنائها بعظام كثيرة من مقابر كانت هناك ودفنت فى موضع من القرافة وبهذه القبة أيضا قبر السلطان الملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وقبر أمه شمسة وقيل فيها عدة أشعار منها قول الاديب الكاتب ضياء الدين أبى الفتح موسى بن ملهم

مررت على قبة الشافعى * فعاين طرفى عليها العشارى
فقلت لصحبى لا تعجبوا * فان المراكب فوق البحار

وقال

وقال علاء الدين أبو علي عثمان بن ابراهيم النابلسي

لقد أصبح الشافعي الاما * م فينا له مذهب مذهب
ولو لم يكن بحر علم لما * غدا وعلى قبره مركب

وقال آخر

أتيت لقبر الشافعي أزوره * تعرضنا فلك وما عنده بحر
فقلت تعالى الله تلك اشارة * تشير بأن البحر قد ضمه القبر

وقال شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد البوصيري صاحب البردة

بقبة قبر الشافعي سفينة * رست في بناء محكم فوق جلمود
ومذ غاض طوفان العلوم بقبره استوى الفلك من ذاك الضريح على الجودي

ومنها * (قبر الامام الليث بن سعد) * رحمه الله قد اشتهر قبره عند المتأخرين وأول ما عرفته من خبر هذا القبر أنه وجدت مصطبة في آخر قباب الصدف وكانت قباب الصدف أربعمائة قبة فيما يقال عليها مكتوب الامام الفقيه الزاهد العالم الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث المصري مفتي أهل مصر كذا ذكر في كتاب هادي الراغبين في زيارة قبور الصالحين لابي محمد عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الكريم بن علي بن محمد ابن علي بن طلحة وفي كتاب مرشد الزوار للموفق ابن عثمان وذكر الشيخ محمد الازهري في كتابه في الزيارة أن أول من بنى عليه وحيز كبير التجار أبو زيد المصري بعد سنة أربعين وستمائة ولم يزل البناء يتزايد الى أن جدد الحاج سيف الدين المقدم عليه قبته في ايام الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون قبيل سنة ثمانين وسبعمائة ثم جددت في أيام الناصر فرج بن الظاهر برقوق على يد الشيخ أبي الخير محمد ابن الشيخ سليمان المادح في محرم سنة احدى عشرة وثمانمائة ثم جددت في سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة على يد امرأة قدمت من دمشق في ايام المؤيد شيخ عرفت بمرحبا بنت ابراهيم بن عبد الرحمن أخت عبد الباسط وكان لها معروف وبر توفيت في تاسع عشري ذي القعدة سنة أربعين وثمانمائة ويجتمع بهذه القبة في ليلة كل سبت جماعة من القراء فيتلون القرآن الكريم تلاوة حسنة حتى يختموا ختمة كاملة عند السحر ويقصد المبيت عندهم للتبرك بقراءة القرآن عدة من الناس ثم تفاحش الجمع وأقبل النساء والاحداث والغوغاء فصار أمرا منكرا لا ينصتون لقراءة ولا يتعظون بمواعظ بل يحدث منهم على القبور ما لا يجوز ثم زادوا في التعدي حتى حفروا ما هنالك خارج القبة من القبور وبنوا مباني اتخذوها مراحيض وسقايات ماء ويزعم من لا علم عنده أن هذه القراءة في كل ليلة سبت عند قبر الليث بزعمهم قديمة من عهد الامام الشافعي وليس ذلك بصحيح وانما حدثت بعد السبعمائة من سني الهجرة بمنام ذكر بعضهم أنه رآه وكانوا اذ ذاك يجتمعون للقراءة عند قبر أبي بكر الادفوي

* (ذكر المقابر خارج باب النصر) *

اعلم أن المقابر التي هي الآن خارج باب النصر انما حدثت بعد سنة ثمانين وأربعمائة وأول تربة بنيت هنالك تربة أمير الجيوش بدر الجمالي لما مات ودفن فيها وكان خطها يعرف برأس الطابية قال الشريف أمين الدولة أبو جعفر محمد بن هبة الله العلوي الافطسي وقد مر بتربة الافضل

أجرى دما أجفانيه * جدث برأس الطابيه
صدع الزمان صفاتيه *
بال وما بليت أيا ديه على الباقيه

هكذا بياض في نسخ الاصل

وبخارج باب النصر في أوائل المقابر قبر زينب بنت أحمد بن محمد بن عبد الله بن جعفر ابن الحنفية يزار وتسميه العامة مشهد الست زينب ثم تتابع دفن الناس موتاهم في الجهة التي هي اليوم من بحري مصلى الاموات الى نحو الريدانية وكان ما في شرقي هذه المقبرة الى الجبل براحا واسعا يعرف بميدان القبق وميدان العيد والميدان الاسود وهو ما بين قلعة الجبل الى قبة النصر تحت الجبل الاحمر فلما كان بعد سنة عشرين

وسبعمائة ترك الملك الناصر محمد بن قلاون النزول الى هذا الميدان وهجره فأول من ابتدأ فيه بالعمارة الامير شمس الدين قراسنقر فاختط تربته التى تجاور اليوم تربة الصوفية وبنى حوض ماء للسبيل وجعل فوقه مسجدا وهذا الحوض بجوار باب تربة الصوفية أدركته عامرا هو وما فوقه وقد تهدم وبقيت منه بقية ثم عمر بعده نظام الدين آدم أخو الامير سيف الدين سلار تجاه تربة قراسنقر مدفنا وحوض ماء للسبيل ومسجدا معلقا وتتابع الامراء والاجناد وسكان الحسينية فى عمارة الترب هناك حتى انسدت طريق الميدان وعمروا الجوانية أيضا وأخذ صوفية الخانقاه الصلاحية لسعيد السعداء قطعة قدر فدانين وأداروا عليها سورا من حجر وجعلوها مقبرة لمن يموت منهم وهى باقية الى يومنا هذا وقد وسعوا فيها بعد سنة تسعين وسبعمائة بقطعة من تربة قراسنقر وما برح الناس يقصدون تربة الصوفية هذه لزيارة من فيها من الاموات ويرغبون فى الدفن بها الى أن تولى مشيخة الخانقاه الشيخ شمس الدين محمد البلالى فسمح لكل أحد أن يقبر ميته بها على مال يأخذه منه فقبر بها كثير من أعوان الظلمة ومن لم تشكر طريقته فصارت مجمع نسوان ومجلس لعب وعمر أيضا بجوار تربة الصوفية الامير مسعود بن خطير تربة وعمل لها منارة من حجارة لا نظير لها فى هيئتها وهى باقية وعمر أيضا مجد الدين السلامى تربة وعمر الامير سيف الدين كوكاى تربة وعمر الامير طاجاى الدوادار على رأس القبق مقابل قبة النصر تربة وعمر الامير سيف الدين طشتمر الساقى على الطريق تربة وبنى الامراء الى جانبه عدة ترب وبنى الطواشى محسن البهاء تربة عظيمة وبنت خوند طغاى تربة تجاه تربة طشتمر الساقى وجعلت لها وقفا وبنى الامير طغاى تمر النجمى الدوادار تربة وجعلها خانقاه وأنشأ بجوارها حماما وحوانيت وأسكنها للصوفية والقراء وبنى الامير منكلى بغا الفخرى تربة والامير طشتمر طلليه تربة والامير أرنان تربة وبنى كثير من الامراء وغيرهم الترب حتى اتصلت العمارة من ميدان القبق الى تربة الروضة خارج باب البرقية ومامات الملك الناصر حتى بطل من الميدان السباق بالخيل ومنعت طريقه من كثرة العمائر وأدركت بعد سنة ثمانين وسبعمائة عدة عواميد من رخام منصوبة يقال لها عواميد السباق فيما بين قبة النصر وقريب من القلعة وأول من عمر فى البراح الذى كان فيه عواميد السباق الامير يونس الدوادار فى أيام الملك الظاهر تربته الموجودة هناك ثم عمر الامير جماس ابن عم الملك الظاهر برقوق تربة بجانب تربة يونس وأحيط على قطعة كبيرة حائط وقبر فيها من مات من مماليك السلطان وقبر فيها الشيخ علاء الدين السيرامى شيخ الخانقاه الظاهرية والشيخ المعتقد طلحة والشيخ المعتقد أبو بكر البجاى فلما مرض الملك الظاهر برقوق أوصى أن يدفن تحت أرجل هؤلاء الفقراء وأن يبنى على قبره تربة فدفن حيث أوصى وأخذت قطعة مساحتها عشرة آلاف ذراع وجعلت خانقاه وجعل فيها قبة على قبر السلطان وقبور الفقراء المذكورين وتجدد من حينئذ هناك عدة ترب جليلة حتى صار الميدان شوارع وأزقة ونقل الملك الناصر فرج بن برقوق سوق الجمال وسوق الحمير من تحت القلعة الى تجاه التربة التى عمرها على قبر أبيه فاستمر ذلك أياما فى سنة أربع عشرة وثمانمائة ثم أعيدت الاسواق الى مكانها وكان قصده أن يبنى هناك خانا كبيرا ينزل فيه المسافرون ويجعل بجانبه سوقا ويبنى طاحونا وحماما وفرنا لتعمر تلك الجهة بالناس فمات قبل بناء الخان وخلت الحمام والطاحون والفرن بعد قتله

(ذكر كنائس اليهود)

قال الله عز وجل ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا قال المفسرون الصوامع للصابئين والبيع للنصارى والصلوات كنائس اليهود والمساجد للمسلمين قاله ابن قتيبة والكنيس كلمة عبرانية معناها بالعربية الموضع الذى يجتمع فيه للصلاة ولهم بديار مصر عدة كنائس منها كنيسة دموة بالجيزة وكنيسة جوجر من القرى الغربية وبمصر الفسطاط كنيسة بخط المصاصة فى درب الكرمة وكنيستان بخط قصر الشمع وبالقاهرة كنيسة بالجودرية وفى حارة زويلة خمس كنائس

(كنيسة دموه) هذه الكنيسة اعظم معبد لليهود بأرض مصر فانهم لا يختلفون فى انها الموضع الذى كان يأوى اليه موسى بن عمران صلوات الله عليه حين كان يبلغ رسالات الله عز وجل الى فرعون مدة

مقامه بمصر منذ قدم من مدين الى أن خرج بنى اسرائيل من مصر ويزعم يهود أنها بنيت هذا البناء الموجود بعد خراب بيت المقدس الخراب الثانى على يد طيطش ببضع وأربعين سنة وذلك قبل ظهور الملة الاسلامية بما ينيف على خمسمائة سنة وبهذه الكنيسة شجرة زنزلخت فى غاية الكبر لا يشكون فى أنها من زمن موسى عليه السلام ويقولون ان موسى عليه السلام غرس عصاه فى موضعها فأنبت الله هنالك هذه الشجرة وأنها لم تزل ذات أغصان نضرة وساق صاعد فى السماء مع حسن استواء ونحن فى استقامة الى أن أنشأ الملك الاشرف شعبان بن حسين مدرسته تحت القلعة فذكر له حسن هذه الشجرة فتقدم بقطعها لينتفع بها فى العمارة فمضوا الى ما أمروا به من ذلك فأصبحت وقد تكورت وتعقفت وصارت شنيعة المنظر فتركوها واستمرت كذلك مدة فاتفق أن زنى يهودى بيهودية تحتها فتهدلت أغصانها وتحات ورقها وجفت حتى لم يبق بها ورقة خضراء وهى باقية كذلك الى يومنا هذا ولهذه الكنيسة عيد يرحل اليهود بأهاليهم اليها فى عيد الخطاب وهو فى شهر سيوان ويجعلون ذلك بدل حجهم الى القدس وقد كان لموسى عليه السلام أنباء قد قصها الله تعالى فى القرآن الكريم وفى التوراة وروى أهل الكتاب وعلماء الاخبار من المسلمين كثيرا منها وسأقص عليك فى هذا الموضع منها ما فيه كفاية اذ كان ذلك من شرط هذا الكتاب

* (موسى بن عمران) * وفى التوراة عمرام بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله وسلامه عليهم أمه يوحانذ بنت لاوى فهى عمة عمران والد موسى ولد بمصر فى اليوم السابع من شهر آذار سنة ثلاثين ومائة لدخول يعقوب على يوسف عليهما السلام بمصر وكان بنو اسرائيل منذ مات لاوى بن يعقوب فى سنة أربع وتسعين لدخول يعقوب مصر فى البلاء مع القبط وذلك أن يوسف عليه السلام لما مات فى سنة ثمانين من قدوم يعقوب مصر كان الملك اذ ذاك بمصر دارم بن الريان وهو الفرعون الرابع عندهم وتسميه القبط دريموس فاستوزر بعده رجلا من الكهنة يقال له بلاطس فحمله على أذى الناس وخالف ما كان عليه يوسف وساءت سيرة الملك حتى اغتصب كل امرأة جميلة بمدينة منف وغيرها من النواحى فشق ذلك من فعله على الناس وهموا بخلعه من الملك فقام الوزير بلاطس فى الوساطة بينه وبين الناس وأسقط عنهم الخراج لثلاث سنين وفرق فيهم مالا حتى سكنوا واتفق أن رجلا من الاسرائيليين ضرب بعض سدنة الهياكل فأدماه وعاب دين الكهنة فغضب القبط وسألوا الوزير أن يخرج بنى اسرائيل من مصر فأبى وكان دارم الملك قد خرج الى الصعيد فبعث اليه يخبره بأمر الاسرائيلى وما كان من القبط فى طلبهم اخراج بنى اسرائيل من مصر فأرسل اليه أن لا يحدث فى القوم حدثا دون موافاته فشغب القبط وأجمعوا على خلع الملك واقامة غيره فسار اليهم الملك وكانت بينه وبينهم حروب قتل فيها خلق كثير ظفر فيها الملك وصلب ممن خالفه بجانبى النيل طوائف لا تحصى وعاد الى أكثر مما كان عليه من ابتزاز النساء وأخذ الاموال واستخدام الاشراف والوجوه من القبط ومن بنى اسرائيل فأجمع الكل على ذمه واتفق انه ركب فى النيل فهاجت به الريح وأغرقه الله ومن معه ولم توجد جثته الا عند شطنوف فأقام الوزير من بعده فى الملك ابنه معاديوش وكان صبيا ويسميه بعضهم معدان فاستقام الامر له ورد النساء اللاتى اغتصبهن أبوه وهو خامس الفراعنة فكثر بنو اسرائيل فى زمنه ولهجوا بثلب الاصنام وذمها وهلك بلاطس الوزير وقام من بعده فى الوزارة كاهن يقال له املاده فأمر بافراد بنى اسرائيل ناحية فى البلد بحيث لا يختلط بهم غيرهم فأقطعوا موضعا فى قبلى مدينة منف صاروا اليه وبنوا فيه معبدا كانوا يتلون به صحف ابراهيم عليه السلام فخطب رجل من القبط بعض نسائهم فأبوا أن ينكحوه وقد كان هو بها فأكبر القبط فعلهم وصاروا الى الوزير وشكوا من بنى اسرائيل وقالوا هؤلاء قوم يعيبوننا ويرغبون عن مناكحتنا ولا نحب أن يجاورونا ما لم يدينوا بديننا فقال لهم الوزير قد علمتم اكرام طوطيس الملك لجدهم ونهراوش من بعده وقد علمتم بركة يوسف حتى جعلتم قبره وسط النيل فأخصب جانبا مصر بمكانه وأمرهم بالكف عن بنى اسرائيل فأمسكوا الى أن احتجب معدان وقام من بعده فى الملك ابنه اكسامس الذى يسميه بعضهم كاسم ابن معدان بن الريان بن الوليد بن دومع العمليقى وهو السادس من فراعنة مصر وكان أولهم يقال له فرعان فصار ذلك اسما لكل من تجبر وعلا أمره وطالت أيام كاسم ومات وزير أبيه فأقام من بعده رجلا من بيت المملكة

يقال له ظلما بن قومس وكان شجاعا ساحرا كاهنا كاتبا حكيما داهيا متصرفا في كل فن وكانت نفسه تنازعه الملك ويقال انه من ولد أشمون الملك وقيل من ولد صا فأحبه الناس وعمر الخراب وبنى مدنا من الجانبين ورأى في نجومه انه سيكون حدث وشدة وشكا القبط اليه من الاسرائيليين فقال هم عبيدكم فكان القبطي اذا أراد حاجة سخر الاسرائيلي وضربه فلا يغير عليه أحد ولا ينكر عليه ذلك فان ضرب الاسرائيلي أحدا من القبط قتل البتة وكذلك كانت تفعل نساء القبط بالنساء الاسرائيليات فكانت أول شدة وذل أصاب بني اسرائيل وكثر ظلمهم وأذاهم من القبط واستبد الوزير ظلما بأمر البلد كما كان العزيز مع نهراوش وتوفي اكسامس الملك فاتهم ظلمان بأنه سمه فركب في سلاحه وأقام لاطس الملك مكان أبيه وكان ابنه جريا معجبا فصرف ظلما بن قومس عما كان عليه من خلافته واستخلف رجلا يقال له لاهوق من ولد صا وأنفذ ظلما عاملا على الصعيد وسير معه جماعة من الاسرائيليين وزاد تجبره وعتوه وأمر الناس جميعا أن يقوموا على أرجلهم في مجلسه ومد يده الى الاموال ومنع الناس من فضول ما بأيديهم وقصرهم على القوت وابتز كثيرا من النساء وفعل أكثر مما فعله ملك تقدمه واستعبد بني اسرائيل فأبغضه الخاص والعام وكان ظلما لما صرف عن الوزارة وخرج الى الصعيد أراد ازالة الملك والخروج عن طاعته فجبى المال وامتنع من حمله وأخذ المعادن لنفسه وهم أن يقيم ملكا من ولد قبطرين ويدعو الناس الى طاعته ثم انصرف عن ذلك ودعا لنفسه وكاتب الوجوه والاعيان فافترق الناس وتطاول كل واحد من أبناء الملوك الى الملك وطمع فيه ويقال ان روحانيا ظهر لظلما وقال له ان أطعتني قلدتك مصر زمانا طويلا فأجابه وقرب اليه اشياء منها غلام من بني اسرائيل فصار عونا له وبلغ الملك خبر خروج ظلما عن طاعته فوجه اليه قائدا قلده مكانه وأمره أن يقبض على ظلما ويبعث به اليه موثقا فسار اليه وخرج ظلما للقائه وحاربه فظفر به واستولى على ما معه فجهز اليه الملك قائدا آخر فهزمه وسار في اثره وقد كثف جمعه فبرز اليه الملك واحتربا فكانت لظلما على الملك فقتله واستولى على مدينة منف ونزل قصر المملكة وهذا هو فرعون موسى عليه السلام وبعضهم يسميه الوليد بن مصعب وقيل هو من العمالقة وهو سابع الفراعنة ويقال انه كان قصيرا طويل اللحية اشهل العينين صغير العين اليسرى في جبينه شامة وكان أعرج وقيل انه كان يكنى بأبي مرة وان اسمه الوليد بن مصعب وانه أول من خضب بالسواد لما شاب دله عليه ابليس وقيل انه كان من القبط وقيل انه دخل منف على أتان يحمل النطرون ليبيعه وكان الناس قد اضطربوا في تولية الملك فحكموه ورضوا بتولية من يوليه عليهم وذلك انهم خرجوا الى ظاهر مدينة منف ينتظرون أول من يظهر عليهم ليحكموه فكان هو أول من أقبل بحماره فلما حكموه ورضوا بحكمه أقام نفسه ملكا عليهم وانكر قوم هذا وقالوا كان القوم ادهى من أن يقلدوا ويملكوا من هذه سبيله فلما جلس في الملك اختلف الناس عليه فبذل لهم الاموال وقتل من خالفه بمن أطاعه حتى اعتدل أمره ورتب المراتب وشيد الاعمال وبنى المدن وخندق الخنادق وبنى بناحية العريش حصنا وكذلك على جميع حدود مصر واستخلف هامان وكان يقرب منه في نسبه وأثار الكنوز وصرفها في بناء المدائن والعمارات وحفر خليج سردوس وغيره وبلغ الخراج بمصر في زمنه سبعة وتسعين ألف ألف دينار بالدينار الفرعوني وهو ثلاثة مثاقيل * وفرعون هو أول من عرف العرفاء على الناس وكان ممن صحبه من بني اسرائيل رجل يقال له امرى وهو الذي يقال له بالعبرانية عمرام وبالعربية عمران بن قاهث بن لاوى وكان قدم مصر مع يعقوب عليه السلام فجعله حرسا لقصره يتولى حفظه وعنده مفاتيحه وأغلاقه بالليل وكان فرعون قد رأى في كهانته ونجومه انه يجري هلاكه على يد مولود من الاسرائيليين فمنعهم من المناكحة ثلاث سنين التي رأى أن ذلك المولود يولد فيها فأتت امرأة امرى اليه في بعض الليالي بشئ قد أصلحته له فواقعها فاشتملت منه على هارون وولدته لثلاث وسبعين من عمره في سنة سبع وعشرين ومائة لقدوم يعقوب الى مصر ثم أتته مرة اخرى فحملت بموسى لثمانين سنة من عمره ورأى فرعون في نجومه انه قد حمل بذلك المولود فأمر بذبح الذكران من بني اسرائيل وتقدم الى القوابل بذلك فولد موسى عليه السلام في سنة ثلاثين ومائة لقدوم يعقوب الى مصر وفي سنة اربع وعشرين وأربعمائة لولادة ابراهيم الخليل عليه السلام ولمضي ألف وخمسمائة وست سنين من الطوفان وكان من أمره ما قصه الله سبحانه من قذف أمه له في التابوت فألقاه النيل الى تحت قصر الملك وقد أرصدت أمه أخته على بعد لتنظر من يلتقطه فجاءت ابنة

فرعون الى البحر مع جواريها فرأته واستخرجته من التابوت فرحمته وقالت هذا من العبرانيين من لنا بظئر ترضعه فقالت لها أخته أنا آتيكها وجاءت بأمه فاسترضعتها له ابنة فرعون الى أن فصل فأتت به الى ابنة فرعون وسمته موسى وتبنته ونشأ عندها وقيل بل أخذته امرأة فرعون واسترضعت أمه ومنعت فرعون من قتله الى أن كبر وعظم شأنه فرد اليه فرعون كثيرا من أمره وجعله من قواده وكانت له سطوة ثم وجهه لغزو اليونانيين وقد عاثوا فى أطراف مصر فخرج فى جيش كثيف وأوقع بهم فأظفره الله وقتل منهم كثيرا وأسر كثيرا وعاد غانما فسر ذلك فرعون وأعجب به هو وامرأته واستولى موسى وهو غلام على كثير من أمر فرعون فأراد فرعون أن يستخلفه حتى قتل رجلا من أشراف القبط له قرابة من فرعون فطلبه وذلك انه خرج يوما يمشى فى الناس وله صولة بما كان له فى بيت فرعون من المربى والرضاع فرأى عبرانيا يضرب فقتل المصرى الذى ضربه ودفنه وخرج يوما آخر فاذا برجلين من بنى اسرائيل وقد سطا أحدهما على الآخر فزجره فقال له ومن جعل لك هذا أتريد أن تقتلنى كما قتلت المصرى بالامس ونما الخبر الى فرعون فطلبه وألقى الله فى نفسه الخوف لما يريد من كرامته فخرج من منف ولحق بمدين عند عقبة ايلة وبنو مدين أمة عظيمة من بنى ابراهيم عليه السلام كانوا ساكنين هنالك وكان فراره وله من العمر أربعون سنة فنزل عند يرون وهو شعيب عليه السلام من ولد مدين بن ابراهيم وكان من تزويجه ابنته ورعايته غنمه ما كان فأقام هنالك تسعا وثلاثين سنة نكح فيها صفوراء ابنة شعيب وبنوا اسرائيل مع فرعون وأهل مصر كما قال الله تعالى يسومونهم سوء العذاب ويستعبدونهم فلما مضى من سنة الثمانين لموسى شهر وأسبوع كلمه الله جل اسمه وكان ذلك فى اليوم الخامس عشر من شهر نيسان وأمره أن يذهب الى فرعون وشد عضده بأخيه هارون وأيده بآيات منها قلب العصا حية وبياض يده من غير سوء وغير ذلك من الآيات العشر التى أحلها الله بفرعون وقومه وكان مجىء الوحى من الله تعالى اليه وهو ابن ثمانين سنة ثم قدم مصر فى شهر أيار ولقى أخاه هارون فسر به وأطعمه جلبا نافيه ثريد وتنبأ هارون وهو ابن ثلاث وثمانين سنة وغدا به الى فرعون وقد أوحى اليهما أن يأتيا الى فرعون ليبعث معهما بنى اسرائيل فيستنقذانهم من هلكة القبط وجور الفراعنة ويخرجون الى الارض المقدسة التى وعدهم الله بملكها على لسان ابراهيم واسحاق ويعقوب فأبلغا ذلك بنى اسرائيل عن الله فآمنوا بموسى واتبعوه ثم حضرا الى فرعون فأقاما ببابه أياما وعلى كل منهما جبة صوف ومع موسى عصاه وهما لا يصلان الى فرعون لشدة حجابه حتى دخل عليه مضحك كان يلهو به فعرفه أن بالباب رجلين يطلبان الاذن عليك يزعمان أن الههما قد أرسلهما اليك فأمر بادخالهما فلما دخلا عليه خاطبه موسى بما قصه الله فى كتابه وأراه آية العصا وآيته فى بياض اليد فغاظ فرعون ما قاله موسى وهم بقتله فمنعه الله سبحانه بأن رأى صورة قد اقبلت ومسحت على أعينهم فعموا ثم انه لما فتح عن عينيه أمر قوما آخرين بقتل موسى فأتتهم نار أحرقتهم فازداد غيظه وقال لموسى من اين لك هذه النواميس العظام أسحرة بلدى علموك هذا أم تعلمته بعد خروجك من عندنا فقال هذا ناموس السماء وليس من نواميس الارض قال فرعون ومن صاحبه قال صاحب البنية العليا قال بل تعلمتها من بلدى وأمر بجمع السحرة والكهنة وأصحاب النواميس وقال اعرضوا على أرفع أعمالكم فانى أرى نواميس هذا الساحر رفيعة جدا فعرضوا عليه أعمالهم فسره ذلك وأحضر موسى وقال له لقد وقفت على سحرك وعندى من يفوق عليك فواعدهم يوم الزينة وكان جماعة من البلد قد اتبعوا موسى فقتلهم فرعون ثم انه جمع بين موسى وبين سحرته وكانوا مائتى ألف وأربعين ألفا يعملون من الاعمال ما يحير العقول ويأخذ القلوب من دخن ملونات ترى الوجوه مقلوبة مشوهة منها الطويل والعريض والمقلوب جبهته الى أسفل ولحيته الى فوق ومنها ماله قرون ومنها ماله خرطوم وأنياب ظاهرة كأنياب الفيلة ومنها ما هو عظيم فى قدر الترس الكبير ومنها ماله آذان عظام وشبه وجوه القرود بأجساد عظيمة تبلغ السحاب وأجنحة مركبة على حيات عظيمة تطير فى الهواء ويرجع بعضها على بعض فيبتلعه وحيات يخرج من أفواهها نار تنتشر فى الناس وحيات تطير وترجع فى الهواء وتنحدر على كل من حضر لتبتلعه فيتهارب الناس منها وعصى تحلق فى الهواء فتصير حيات برؤس وشعور وأذناب تهم بالناس أن تنهشهم ومنها ماله قوائم ومنها تماثيل مهولة وعملوا له دخنا تغشى أبصار الناس عن النظر فلا يرى بعضهم بعضا ودخنا تظهر صورا كهيئة النيران فى الجو على ذوائب يصدم بعضها بعضا ويسمع لها ضجيج وصورا خضرا على

دواب خضر وصور اسود اعلى دواب سود هائلة فلما رأى فرعون ذلك سره ما رأى هو ومن حضره واغتم موسى
ومن آمن به حتى أوحى الله اليه لا تخف انك أنت الاعلى وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا وكان للسحرة ثلاثة
رؤساء ويقال بل كانوا اسبعين رئيسا فأسر اليهم موسى قد رأيت ما صنعتم فان قهرتكم أتؤمنون بالله فقالوا
نفعل فغاظ فرعون مسارة موسى لرؤساء السحرة هذا والناس يسخرون من موسى وأخيه ويهزؤن بهما وعليهما
دراعتان من صوف وقد احتزما بليف فلوح موسى بعصاه حتى غابت عن الاعين وأقبلت فى هيئة تنين عظيم له
عينان يتوقدان والنار تخرج من فيه ومنخريه فلا يقع على أحد الا برص ووقع من ذلك على ابنة فرعون فبرصت
وصار التنين فاغرا فاه فالتقط جميع ما عملته السحرة ومائتى مركب كانت مملوءة حبالا وعصيا وسائر من فيها
من الملاحين وكانت فى النهر الذى يتصل بدار فرعون وابتلع عمدا كثيرة وحجارة قد كانت حملت الى هناك ليبنى بها
ومر التنين الى قصر فرعون ليبتلعه وكان فرعون جالسا فى قبة على جانب القصر ليشرف على عمل السحرة فوضع
نابه تحت القصر ورفع نابه الآخر الى أعلاه ولهب النار يخرج من فيه حتى أحرق مواضع من القصر فصاح
فرعون مستغيثا بموسى عليه السلام فزجر موسى التنين فانعطف ليبتلع الناس ففروا كلهم من بين يديه وانساب
يريدهم فأمسكه موسى وعاد فى يده عصا كما كان ولم ير الناس من تلك المراكب وما كان فيها من الحبال
والعصى والناس ولا من العمد والحجارة وما شربه من ماء النهر حتى بانت أرضه اثرا فعند ذلك قالت السحرة
ما هذا من عمل الآدميين وانما هو من فعل جبار قدير على الاشياء فقال لهم موسى أوفوا بعهدكم والا سلطته
عليكم يبتلعكم كما ابتلع غيركم فآمنوا بموسى وجاهروا فرعون وقالوا هذا من فعل اله السماء وليس هذا من فعل
أهل الارض فقال قد عرفت انكم قد واطأتموه على وعلى ملكى حسدا منكم لى وأمر فقطعت أيديهم وأرجلهم
من خلاف وصلبوا وجاهرته امرأته والمؤمن الذى كان يكتم ايمانه وانصرف موسى فأقام بمصر يدعو فرعون
أحد عشر شهرا من شهر ايار الى شهر نيسان المستقبل وفرعون لا يجيبه بل اشتد جوره على بنى اسرائيل
واستعبادهم واتخاذهم سخريا فى مهنة الاعمال فأصابت فرعون وقومه الجوائح العشر واحدة بعد أخرى وهو
يتثبت لهم عند وقوعها ويفزع الى موسى فى الدعاء بانجلائها ثم يلج عند انكشافها فانها كانت عذابا من الله
عز وجل عذب الله بها فرعون وقومه فمنها أن ماء مصر صار دما حتى هلك اكثر أهل مصر عطشا وكثرت عليهم
الضفادع حتى وسخت جميع مواضعهم وقذرت عليهم عيشهم وجميع مآكلهم وكثر البعوض حتى خبس الهواء
ومنع النسيم وكثر عليهم ذباب الكلاب حتى جرح أبدانهم ونغص عليهم حياتهم وماتت دوابهم وأغنامهم فجأة
وعم الناس الجرب والجدرى حتى زاد منظرهم قبحا على مناظر الجذمى ونزل من السماء برد مخلوط بصواعق
أهلك كل ما أدركه من الناس والحيوانات وذهب بجميع الثمار وكثر الجراد والجنادب التى أكلت الاشجار
واستقصت أصول النبات وأظلمت الدنيا ظلمة سوداء غليظة حتى كانت من غلظها تحس بالاجسام وبعد ذلك كله
نزل الموت فجأة على بكور أولادهم بحيث لم يبق لاحد منهم ولد بكر الا فجع به فى تلك الليلة ليكون لهم فى ذلك شغل
عن بنى اسرائيل وكانت الليلة الخامسة عشر من شهر نيسان سنة احدى وثمانين لموسى فعند ذلك سارع فرعون
الى ترك بنى اسرائيل فخرج موسى عليه السلام من ليلته هذه ومعه بنو اسرائيل من عين شمس وفى التوراة انهم
أمروا عند خروجهم أن يذبح أهل كل بيت حملا من الغنم ان كان كفايتهم أو يشتركون مع جيرانهم ان كان اكثر
وأن ينضحوا من دمه على أبوابهم ليكون علامة وأن يأكلوا شواه رأسه وأطرافه ومعاه ولا يكسروا منه عظما
ولا يدعوا منه شيأ خارج البيوت وليكن خبزهم فطيرا وذلك فى اليوم الرابع عشر من فصل الربيع وليأكلوا
بسرعة وأوساطهم مشدودة وخفافهم فى أرجلهم وعصيهم فى ايديهم ويخرجوا ليلا وما فضل من عشائهم ذلك
أحرقوه بالنار وشرع هذا عيدا لهم ولاعقابهم ويسمى هذا عيد الفصح وفيها انهم أمروا أن يستعيروا منهم
حليا كثيرا يخرجون به فاستعاروه وخرجوا فى تلك الليلة بما معهم من الدواب والانعام وأخرجوا معهم
تابوت يوسف عليه السلام استخرجه موسى من المدفن الذى كان فيه بالهام من الله تعالى وكانت عدتهم ستمائة
ألف رجل محارب سوى النساء والصبيان والغرباء وشغل القبط عنهم بالمآتم التى كانوا فيها على موتاهم
فساروا ثلاث مراحل ليلا ونهارا حتى وافوا الى فوهة الجبروت وتسمى نار موسى وهو ساحل البحر بجانب
الطور فانتهى خبرهم الى فرعون فى يومين وليلة فندم بعد خروجهم وجمع قومه وخرج فى كثرة كفالك

عن

عن مقدارها قول الله عز وجل اخبارا عن فرعون انه قال عن بنى اسرائيل وعدّتهم ما قد ذكر على ما جاء
فى التوراة ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون ولحق بهم فى اليوم الحادى والعشرين من نيسان
فأقام العسكران ليلة الواحد والعشرين على شاطئ البحر وفى صبيحة ذلك اليوم أمر موسى أن يضرب البحر
بعصاه ويقتحمه ففلق الله لبنى اسرائيل البحر اثنى عشر طريقا عبر كل سبط من طريق وصارت المياه قائمة عن
جانبهم كأمثال الجبال وصير قاع البحر طريقا مسلوكا لموسى ومن معه وتبعهم فرعون وجنوده فلما خاض
بنو اسرائيل الى عدوة الطور انطبق البحر على فرعون وقومه فأغرقهم الله جميعا ونجا موسى وقومه ونزل
بنو اسرائيل جميعا فى الطور وسبحوا مع موسى بتسبيح طويل قد ذكر فى التوراة وكانت مريم أخت موسى
وهارون تأخذ الدف بيدها ونساء بنى اسرائيل فى أثرها بالدفوف والطبول وهى ترتل التسبيح لهن ثم ساروا فى
البر ثلاثة أيام وأقفرت مصر من أهلها ومر موسى بقومه ففنى زادهم فى اليوم الخامس من ايار فضجوا الى موسى
فدعا ربه فنزل لهم المن من السماء فلما كان اليوم الثالث والعشرون من ايار عطشوا وضجوا الى موسى
فدعا ربه ففجر له عينا من الصخرة ولم يزل يسير بهم حتى وافوا طور سينين غرة الشهر الثالث لخروجهم من مصر
فأمر الله موسى بتطهير قومه واستعدادهم لسماع كلام الله سبحانه فطهرهم ثلاثة أيام فلما كان فى اليوم الثالث
وهو السادس من الشهر رفع الله الطور وأسكنه نوره وظلل حواليه بالغمام وأظهر فى الآفاق الرعود والبروق
والصواعق وأسمع القوم من كلامه عشر كلمات وهى انا الله ربكم واحد لا يكن لكم معبود من دونى لا تحلف
باسم ربك كذبا اذكر يوم السبت واحفظه برّ والديك وأكرمهما لا تقتل النفس لا تزن لا تسرق
لا تشهد بشهادة زور لا تحسد أخاك فيما رزقه فصاح القوم وارتعدوا وقالوا لموسى لا طاقة لنا باستماع
هذا الصوت العظيم كن السفير بيننا وبين ربنا وجميع ما يأمرنا به سمعنا وأطعنا فأمرهم بالانصراف وصعد موسى
الى الجبل فى اليوم الثانى عشر فأقام فيه أربعين يوما ودفع الله اليه اللوحين الجوهر المكتوب عليهما العشر
كلمات ونزل فى اليوم الثانى والعشرين من شهر تموز فرأى العجل فارتفع الكتاب وثقلا على يديه فألقاهما
وكسرهما ثم برد العجل وذراه على الماء وقتل من القوم من استحق القتل وصعد الى الجبل فى اليوم الثالث
والعشرين من تموز ليشفع فى الباقين من القوم ونزل فى اليوم الثانى من ايلول بعد الوعد من الله له بتعويضه
لوحين آخرين مكتوبا عليهما ما كان فى اللوحين الاولين فصعد الى الجبل وأقام أربعين ليلة أخرى وذلك من ثالث
ايلول الى اليوم الثانى عشر من تشرين ثم أمره الله باصلاح القبة وكان طولها ثلاثين ذراعا فى عرض عشرة
أذرع وارتفاع عشرة أذرع ولها سرادق مضروب حواليها مائة ذراع فى خمسين ذراعا وارتفاع خمسة أذرع
فأخذ القوم فى اصلاحها وما تزين به من الستور من الذهب والفضة والجواهر ستة أشهر الشتاء كله ولما فرغ منها
نصبت فى اليوم الاول من نيسان فى أول السنة الثانية ويقال ان موسى عليه السلام حارب هنالك العرب مثل
طسم وجديس والعماليق وجرهم وأهل مدين حتى أفناهم جميعا وانه وصل الى جبل فاران وهو مكة فلم ينج منهم
الا من اعتصم بملك اليمن أو انتمى الى بنى اسماعيل عليه السلام وفى ثانى الشهر الباقى من هذه السنة ظعن القوم
فى برية الطور بعد أن نزلت عليهم التوراة وجملة شرائعها ستمائة وثلاث عشرة شريعة وفى آخر الشهر الثالث
حرمت عليهم أرض الشام أن يدخلوها وحكم الله تعالى عليهم أن يتيهوا فى البرية أربعين سنة لقولهم نخاف
أهلها لانهم جبارون فأقاموا تسع عشرة سنة فى رقيم وتسع عشرة سنة فى أحد وأربعين موضعا مشروحة
فى التوراة وفى اليوم السابع من شهر ايلول من السنة الثانية خسف الله بقارون وبأوليائه بدعاء موسى عليه
السلام عليهم لما كذبوا وفى شهر نيسان من السنة الاربعين توفيت مريم ابنة عمران أخت موسى عليه السلام
ولها مائة وست وعشرون سنة * وفى شهر آب منها مات هارون عليه السلام وله مائة وثلاث وعشرون سنة ثم
كان حرب الكنعانيين وسيحون والعوج صاحب البثنية من أرض حوران فى الشهور التى بعد ذلك الى شهر
شباط فلما أهل شباط أخذ موسى فى اعادة التوراة على القوم وأمرهم بكتب نسختها وقراءتها وحفظ
ما شاهدوه من آثاره وما أخذوه عنه من الفقه وكان نهاية ذلك فى اليوم السادس من آذار وقال لهم فى اليوم
السابع منه انى فى يومى هذا استوفيت عشرين ومائة سنة وان الله قد عرّفنى انه يقبضنى فيه وقد أمرنى أن
أستخلف عليكم يوشع بن نون ومعه السبعون رجلا الذين اخترتهم قبل هذا الوقت ومعهم العازر بن هارون

أخى فاسمعوا له وأطيعوا وأنا أشهد عليكم الله الذى لا اله الا هو والارض والسموات أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ ولا تبدلوا شرائع التوراة بغيرها ثم فارقهم وصعد الجبل فقبضه الله تعالى هنالك وأخفاه ولم يعلم أحد منهم قبره ولا شاهده وكان بين وفاة موسى وبين الطوفان ألف وستمائة وست وعشرون سنة وذلك فى أيام منوجهر ملك الفرس وزعم قوم أن موسى كان ألثغ فمنهم من جعل ذلك خلقة ومنهم من زعم انه انما اعتراه حين قالت امرأة فرعون لفرعون لا تقتل طفلا لا يعرف الجمر من التمر فلما دعا له فرعون بهما جميعا تناول جمرة فأهوى بها الى فيه فاعتراه من ذلك ما اعتراه وذكر محمد بن عمر الواقدى أن لسان موسى كانت عليه شامة فيها شعرات ولا يدل القرآن على شئ من ذلك فليس فى قوله تعالى واحلل عقدة من لسانى دليل على شئ من ذلك دون شئ فأقاموا بعده ثلاثين يوما يبكون عليه الى أن أوحى الله تعالى الى يوشع بن نون بترحيلهم فقادهم وعبر بهم الاردن فى اليوم العاشر من نيسان فوافوا أريحا فكان منهم ما هو مذكور فى مواضعه فهذه جملة خبر موسى عليه السلام

(كنيسة جوبر) هذه الكنيسة من أجل كنائس اليهود ويزعمون أنها تنسب لنبى الله الياس عليه السلام وانه ولدبها وكان يتعاهدها فى طول اقامته بالارض الى أن رفعه الله اليه *(الياس)* هو فنحاس بن العازر بن هارون عليه السلام ويقال الياسين بن ياسين عيزار بن هارون ويقال هو الياهو وهى عبرانية معناها قادر أزلى وعرب فقيل الياس ويذكر أهل العلم من بنى اسرائيل انه ولد بمصر وخرج به أبوه العازر من مصر مع موسى عليه السلام وعمره نحو الثلاث سنين وأنه هو الخضر الذى وعده الله بالحياة وانه لما خرج بلعام بن باعورا ليدعو على موسى صرف الله لسانه حتى يدعو على نفسه وقومه وكان من زنا بنى اسرائيل بنساء الامورانيين وأهل مواب ما كان فغضب الله تعالى عليهم وأوقع فيهم الوباء فمات منهم أربعة وعشرون ألفا الى أن هجم فنحاس هذا على خباء فيه رجل على امرأة يزنى بها فانتظمهما جميعا برمحه وخرج وهو رافعهما وشهرهما غضبا لله فرحمهم الله سبحانه ورفع عنهم الوباء وكانت له أيضا آثار مع نبى الله يوشع بن نون ولما مات يوشع قام من بعده فنحاس هذا هو وكالاب بن يوفنا فصار فنحاس اماما وكالاب يحكم بينهم وكانت الاحداث فى بنى اسرائيل فساح الياس ولبس المسوح ولزم القفار وقد وعده الله عز وجل فى التوراة بدوام السلامة فأول ذلك بعضهم بانه لا يموت فامتد عمره الى أن ملك يهوشافاط بن أسا بن افيا بن رحبعم بن سليمان بن داود عليهما السلام على سبط يهودا فى بيت المقدس وملك أحوب بن عمرى على الاسباط من بنى اسرائيل بمدينة شمرون المعروفة اليوم بنابلس وساءت سيرة احوب حتى زادت فى القبح على جميع من مضى قبله من ملوك بنى اسرائيل وكان أشدهم كفرا وأكثرهم ركونا للمنكر بحيث اربى فى الشر على أبيه وعلى سائر من تقدمه وكانت له امرأة يقال لها سيصبال ابنة أشاعل ملك صيدا أكفر منه بالله وأشد عتوا واستكبارا فعبد اوثن بعل الذى قال الله فيه جل ذكره أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين وأقام له مذبحا بمدينة شمرون فارسل الله عز وجل الى احوب عبده الياس رسولا لينهاه عن عبادة وثن بعل ويأمره بعبادة الله تعالى وحده وذلك قول الله عز وجل من قائل وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين فكذبوه ولما أيس من ايمانهم بالله وتركهم عبادة الوثن أقسم فى مخاطبته احوب أن لا يكون مطر ولا ندا ثم تركه فأمره الله سبحانه أن يذهب ناحية الاردن فمكث هنالك مختفيا وقد منع الله قطر السماء حتى هلكت البهائم وغيرها فلم يزل الياس مقيما فى استتاره الى أن جف ما كان عنده من الماء وفى طول اقامته كان الله جل جلاله يبعث اليه بغربان تحمل له الخبز واللحم فلما جف ماؤه الذى كان يشرب منه لامتناع المطر أمره الله أن يسير الى بعض مدائن صيدا فخرج حتى وافى باب المدينة فاذا امرأة تحتطب فسألها ماء يشربه وخبزا يأكله فأقسمت له ان ما عندها الا ملء غرفة دقيق فى اناء وشئ من زيت فى جرة وأنها تجمع الحطب لتقتات منه هى وابنها فبشرها الياس عليه السلام وقال لها لا تجزعى وافعلى ما قلت لك واعملى لى خبزا قليلا قبل أن تعملى لنفسك ولولدك فان الدقيق لا يعجز من الاناء ولا الزيت من الجرة حتى ينزل المطر ففعلت ما أمرها به وأقام عندها فلم ينقص الدقيق ولا الزيت بعد ذلك الى أن مات ولدها وجزعت عليه فسأل الياس ربه تعالى فأحيى الولد وأمره الله أن يسير الى احوب ملك بنى اسرائيل لينزل المطر عند اخباره له بذلك فسار اليه وقال له اجمع بنى

اسرائيل

اسرائيل وأبناء بعال فلما اجتمعوا قال لهم الياس الى متى هذا الضلال ان كان الرب الله فاعبدوه وان كان بعال هو الله فارجعوا اليه وقال ليقرّب كل منا قربانا فأقرّب أنا لله وقرّبوا أنتم لبعال نحن تقبل منه قربانه ونزلت نار من السماء فأكلته فالهه الذى يعبد فلما رضوا بذلك أحضروا ثورين واختاروا أحدهما وذبحوه وصاروا ينادون عليه يابعال يابعال والياس يسخر بهم ويقول لو رفعتم أصواتكم قليلا فلعل الهكم نائم أو مشغول وهم يصرخون ويجرحون أيديهم بالسكاكين ودماءهم تسيل فلما أيسوا من أن تنزل النار وتأكل قربانهم دعا الياس القوم الى نفسه وأقام مذبحا وذبح ثورة وجعله على المذبح وصب الماء فوقه ثلاث مرّات وجعل حول المذبح خندقا محفورا فلم يزل يضب الماء فوق اللحم حتى امتلأ الخندق من الماء وقام يدعو الله عز اسمه وقال فى دعائه اللهم أظهر لهذه الجماعة انك الرب وانى عبدك عامل بامرك فانزل الله سبحانه نارا من السماء اكلت القربان وحجارة المذبح التى كان فوقها اللحم وجميع الماء الذى صب حوله فسجد القوم أجمعون وقالوا انشهد أن الرب الله فقال الياس خذوا أبناء بعال فأخذوا وجىء بهم فذبحهم كلهم ذبحا وقال لاحوأب انزل وكل واشرب فان المطر نازل فنزل المطر على ماقال وكان الجهد قد اشتد لانقطاع المطر مدّة ثلاث سنين وأشهر وغزر المطر حتى لم يستطع احوأب أن ينصرف لكثرته فغضبت سيصبال امرأة احوأب لقتل ابناء بعال وحلفت بآلهتها لتجعلن روح الياس عوضهم ففزع الياس وخرج الى المفاوز وقد اغتم غما شديدا فأرسل الله اليه ملكا معه خبز ولحم وماء فأكل وشرب وقوّاه الله حتى مكث بعد هذه الاكلة أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب ثم جاءه الوحى بأن يمضى الى دمشق فسار اليها وصحب اليسع بن شابات ويقال ابن حظور فصار تلميذه فخرج من أريحا ومعه اليسع حتى وقف على الاردن فنزع رداءه ولفه وضرب به ماء الاردن فافترق الماء عن جانبيه وصار طريقا فقال الياس حينئذ لليسع اسأل ماشئت قبل أن يحال بينى وبينك فقال اليسع أسأل أن يكون روحك فى مضاعفا فقال لقد سألت جسيما ولكن ان أبصرتنى اذا رفعت عنك يكون ماسألت وان لم تبصرنى لم يكن وبينما هما يتحدّثان اذ ظهر لهما كالنار فرّق بينهما ورفع الياس الى السماء واليسع ينظره فانصرف وقام فى النبوّة مقام الياس وكان رفع الياس فى زمن يهورام بن يهوشافاط وبين وفاة موسى عليه السلام وبين آخر أيام يهورام خمسمائة وسبعون سنة ومدّة نبوّة موسى عليه السلام أربعون سنة فعلى هذا يكون مدّة عمر الياس من حين ولد بمصر الى أن رفع بالاردن الى السماء ستمائة سنة وبضع سنين والذى عليه علماء أهل الكتاب وجماعة من علماء المسلمين أن الياس حىّ لم يمت الا انهم اختلفوا فيه فقال بعضهم انه هو فنحاس كما تقدم ذكره ومنع هذا جماعة وقالوا هما اثنان والله أعلم

(كنيسة المصاصة) هذه الكنيسة بحلها اليهود وهى بخط المصاصة من مدينة مصر ويزعمون أنها رممت فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وموضعها يعرف بدرب الكرمة وبنيت فى سنة خمس عشرة وثلثمائة للاسكندر وذلك قبل الملة الاسلامية بنحو ستمائة واحدى وعشرين سنة ويزعم اليهود أن هذه الكنيسة كانت مجلسا للنبى الله الياس

(كنيسة الشاميين) هذه الكنيسة بخط قصر الشمع من مدينة مصر وهى قديمة مكتوب على بابها بالخط العبرانى حفرا فى الخشب انها بنيت فى سنة ست وثلاثين وثلثمائة للاسكندر وذلك قبل خراب بيت المقدس الخراب الثانى الذى خرّبه طيطش بنحو خمس وأربعين سنة وقبل الهجرة بنحو ستمائة سنة وبهذه الكنيسة نسخة من التوراة لايختلفون فى أنها كلها بخط عزرا النبى الذى يقال له بالعربية العزير

(كنيسة العراقيين) هذه الكنيسة أيضا بخط قصر الشمع

(كنيسة بالجودرية) هذه الكنيسة بحارة الجودرية من القاهرة وهى خراب منذ أحرق الخليفة الحاكم بأمر الله حارة الجودرية على اليهود كما تقدم ذكر ذلك فى الحارات فانظره

(كنيسة القرائين) هذه الكنيسة كان يسلك اليها من تجاه باب سر المارستان المنصورى فى حدرة ينتهى اليها بحارة زويلة وقد سدّت الخوخة التى كانت هنالك فصار لايتوصل اليها الا من حارة زويلة وهى كنيسة تختص بطائفة اليهود القرائين

(كنيسة دار الحدرة) هذه الكنيسة بحارة زويلة فى درب يعرف الآن بدرب الرايض وهى من كنائس

هكذا بياض بالاصل

* (كنيسة الربانيين) * هذه الكنيسة بحارة زويلة بدرب يعرف الآن بدرب البنادين يسلك منه الى تجاه السبع قاعات والى سويقة المسعودى وغيرها وهى كنيسة تختص بالربانيين من اليهود

* (كنيسة ابن شميخ) * هذه الكنيسة بجوار المدرسة العاشورية من حارة زويلة وهى مما يختص به طائفة القرائين

* (كنيسة السمرة) * هذه الكنيسة بحارة زويلة فى خط درب ابن الكورانى تختص بالسمرة وجميع كنائس القاهرة المذكورة محدثة فى الاسلام بلا خلاف

* (ذكر تاريخ اليهود وأعيادهم) *

قد كانت اليهود أولا تؤرخ بوفاة موسى عليه السلام ثم صارت تؤرخ بتاريخ الاسكندر بن فيلبش وشهور سنتهم اثنا عشر شهرا وأيام السنة ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما * فأما الشهور فانها تشرى مرحشوان كسليو طيبث شفط آذر نيسن ايار سيوان تموز آب ايلول * وأيام سنتهم أيام سنة القمر ولو كانوا يستعملونها على حالها لكانت أيام سنتهم وعدد شهورهم شيأ واحدا ولكنه لما خرج بنو اسرائيل من مصر مع موسى عليه السلام الى التيه وتخلصوا من عذاب فرعون وما كانوا فيه من العبودية وائتمروا بما أمروا به كما وصف فى السفر الثانى من التوراة اتفق ذلك ليلة اليوم الخامس عشر من نيسن والقمر تام الضوء والزمان ربيع فأمروا بحفظ هذا اليوم كما قال فى السفر الثانى من التوراة احفظوا هذا اليوم سنة لخلوفكم الى الدهر فى أربعة عشر من الشهر الاول وليس معنى الشهر الاول هذا شهر تشرى ولكنه عنى به شهر نيسن من أجل أنهم امروا أن يكون شهر النسخ رأس شهورهم ويكون أول السنة فقال موسى عليه السلام للشعب اذكروا اليوم الذى خرجتم فيه من التعبد فلا تأكلوا خميرا فى هذا اليوم فى الشهر الذى ينضر فيه الشجر فلذلك اضطروا الى استعمال سنة الشمس ليقع اليوم الرابع عشر من شهر نيسن فى أوان الربيع حين تورق الاشجار وتزهو الثمار والى استعمال سنة القمر ليكون جرمه فيه بدرا تام الضوء فى برج الميزان وأحوجهم ذلك الى الحاق الايام التى يتقدم بها عن الوقت المطلوب بالشهور اذا استوفيت أيام شهر واحد فألحقوها بها شهرا تاما سموه آذار الاول وسموا آذار الاصل آذار الثانى لانه ردف سماله وتلاه وسموا السنة الكبيسة عبورا اشتقاقا من معبار وهى المرأة الحبلى بالعبرانية لانهم شبهوا دخول الشهر الزائد فى السنة بحمل المرأة ما ليس من جملتها ولهم فى استخراج ذلك حسابات كثيرة مذكورة فى الازياج * وهم فى عمل الاشهر مفترقون فرقتين * احداهما الربانية واستعمالهم اياها على وجه الحساب بسير الشمس والقمر الوسط سواء رؤى الهلال أو لم ير فان الشهر عندهم هو مدة مفروضة تمضى من لدن الاجتماع الكائن بين الشمس والقمر فى كل شهر وذلك انهم كانوا وقت عودهم من الجالية ببابل الى بيت المقدس ينصبون على رؤس الجبال ديادب ويقيمون رقباء للفحص عن الهلال وألزموهم بايقاد النار وتدخين دخان يكون علامة لحصول الرؤية وكانت بينهم وبين السامرة العداوة المعروفة فذهبت السامرة ورفعوا الدخان فوق الجبل قبل الرؤية بيوم ووالوا بين ذلك شهورا اتفق فى أوائلها أن السماء كانت متغيمة حتى فطن لذلك من فى بيت المقدس ورأوا الهلال غداة اليوم الرابع أو الثالث من الشهر مرتفعا عن الافق من جهة المشرق فعرفوا أن السامرة فتنتهم فالتجأوا الى أصحاب التعاليم فى ذلك الزمان ليأمنوا بما يأتونه من حسابهم مكايد الاعداء واعتلوا لجواز العمل بالحساب ونيابته عن العمل بالرؤية بعلل ذكروها فعمل أصحاب الحساب لهم الادوار وعلموهم استخراج الاجتماعات ورؤية الهلال وانكر بعض الربانية حديث الرقباء ورفعهم الدخان وزعموا أن سبب استخراج هذا الحساب هو أن علماءهم علموا أن آخر أمرهم الى الشتات فخافوا اذا تفرقوا فى الاقطار وعولوا على الرؤية أن تختلف عليهم فى البلدان المختلفة فيتشاجروا فلذلك استخرجوا هذه الحسابات واعتنى بها اليعازر بن فروح وأمرهم بالتزامها والرجوع اليها حيث كانوا * والفرقة الثانية هم الميلادية الذين يعلون مبادى الشهور من الاجتماع ويسمون القراء والاسمعية لانهم يراعون العمل بالنصوص دون الالتفات الى النظر والقياس ولم يزالوا على ذلك الى أن قدم عانان رأس الجالوت من بلاد المشرق فى نحو الاربعين ومائة من الهجرة الى دار السلام بالعراق فاستعمل الشهور برؤية الاهلة على مثل ما شرع فى الاسلام ولم يبال

أى يوم وقع من الاسبوع وترك حساب الربانيين وكبس الشهور بأن نظر كل سنة الى زرع الشعير بنواحى العراق والشام فيما بين أول شهر نيسن الى أن يمضى منه أربعة عشر يوما فان وجد باكورة تصلح للفريك والحصاد ترك السنة بسيطة وان وجدها لم تصلح لذلك كبسها حينئذ وتقدمت المعرفة بهذه الحالة ان من أخذ برأيه يخرج أسبعة تبقى من شفط فينظر بالشام والبقاع المشابهة له فى المزاج الى زرع الشعير فان وجد السفاوهو شوك السنبل قد طلع عدّ منه الى الفاسح خمسين يوما وان لم يره طالعا كبسها بشهر فبعضهم يردف الكبس بشفط فيكون فى السنة شفط وشفط مرتين وبعضهم يردفه بآذر فيكون آذر وآذر فى السنة مرتين وأكثر استعمال العنانية لشفط دون آذر كما أن الربانية تستعمل آذر دون غيره فمن يعتمد من الربانية عمل الشهور بالحساب يقول ان شهر تشرى لا يكون أوله يوم الاحد والاربعاء وعدته عندهم ثلاثون يوما أبدا وفيه عيد رأس السنة وهو عيد البشارة بعتق الارقاء وهذا العيد فى أول يوم منه ولهم أيضا فى اليوم العاشر منه صوم الكبور ومعناه الاستغفار وعند الربانيين أن هذا الصوم لا يكون أبدا يوم الاحد ولا الثلاثاء ولا الجمعة وعند من يعتمد فى الشهور الرؤية أن ابتداء هذا الصوم من غروب الشمس فى ليلة العاشر الى غروبها من ليلة الحادى عشر وذلك أربع وعشرون ساعة والربانيون يجعلون مدة الصوم خمسا وعشرين ساعة الى أن تشتبك النجوم ومن لم يصم منهم هذا الصوم قتل شرعا وهم يعتقدون أن الله يغفر لهم فيه جميع الذنوب ما خلا الزنا بالمحصنات وظلم الرجل أخاه وجحد الربوبية وفيه أيضا عيد المظلة وهو سبعة أيام يعيدون فى أولها ولا يخرجون من بيوتهم كما هو العمل يوم السبت وعدة أيام المظلة الى آخر اليوم الثانى والعشرين تمام سبعة أيام واليوم الثامن يقال له عيد الاعتكاف وهم يجلسون فى هذه الايام السبعة التى أولها خامس عشر تشرى تحت ظلال سعف النخل الاخضر وأغصان الزيتون ونحوها من الاشجار التى لا يتناثر ورقها على الارض ويرون أن ذلك تذكار منهم لاظلال الله آباءهم فى التيه بالغمام وفيه أيضا عيد القرائين خاصة صوم فى اليوم الرابع والعشرين منه يعرف بصوم كدليا وعند الربانيين يكون هذا الصوم فى ثالثه * وشهر مرحشوان ربما كان ثلاثين يوما وربما كان تسعة وعشرين يوما وليس فيه عيد * وكسليو ربما كان ثلاثين يوما وربما كان تسعة وعشرين يوما وليس فيه عيد الا أن الربانيين يسرجون على أبوابهم ليلة الخامس والعشرين منه وهو مدة أيام يسمونها الحنكة وهو أمر محدث عندهم * وذلك أن بعض الجبابرة تغلب على بيت المقدس وقتل من كان فيه من بنى اسرائيل وافتض أبكارهم فوثب عليه أولاد كاهنهم وكانوا ثمانية فقتله أصغرهم وطلب اليهود زيتا لوقود الهيكل فلم يجدوا الا يسيرا ووزعوه على عدد ما يوقدونه من السرج فى كل ليلة الى ثمان ليال فاتخذوا هذه الايام عيدا وسموها أيام الحنكة وهى كلمة مأخوذة من التنظيف لانهم نظفوا فيها الهيكل من أقذار أشياع ذلك الجبار والقراء لا يعملون ذلك لانهم لا يعولون على شئ من أمر البيت الثانى * وشهر طيبث عدد أيامه تسعة وعشرون يوما وفى عاشره صوم سببه أنه فى ذلك اليوم كان ابتداء محاصرة بخت نصر لمدينة بيت المقدس ومحاصرة طيطش لها أيضا فى الخراب الثانى * وشفط أيامه أبدا ثلاثون يوما وليس فيه عيد * وشهر آذر عند الربانيين كما تقدم يكون مرتين فى كل سنة فآذر الاول عدد أيامه ثلاثون يوما ان كانت السنة كبيسة وان كانت بسيطة فأيامه تسعة وعشرون يوما وليس فيه عيد عندهم وآذر الثانى أيامه تسعة وعشرون يوما ابدا وفيه عند الربانيين صوم الفوز فى اليوم الثالث عشر منه والفوز فى اليوم الرابع عشر واليوم الخامس عشر وأما القراؤن فليس عندهم فى السنة شهر آذر سوى مرة واحدة ويجعلون صوم الفوز فى ثالث عشره وبعده الى الخامس عشر وهذا أيضا محدث وذلك أن بخت نصر لما أجلى بنى اسرائيل من بيت المقدس وخربه ساقهم جلاية الى بلاد العراق وأسكنهم فى مدينة جى التى يقال لها أصبهان فلما ملك أزدشير بن بابك ملك الفرس وتسميه اليهود أحشوارش كان له وزير يسمى هيمون وكان لليهود حينئذ حبر يقال له مردوخاى فبلغ أزدشير أن له ابنة عم جميلة الصورة فتزوجها وحظيت عنده واستدنى مردوخاى ابن عمها وقربه فحسده الوزير هيمون وعمل على هلاكه وهلاك اليهود الذين فى مملكة أزدشير ورتب مع نواب أزدشير فى سائر أعماله أن يقتلوا كل يهودى عندهم فى يوم عينه لهم وهو الثالث عشر من آذر فبلغ ذلك مردوخاى فاعلم ابنة عمه بما دبره الوزير وحثها على اعمال الحيلة فى تخليص قومها من الهلكة فأعلمت أزدشير بحسد الوزير لمردوخاى على قربه من الملك واكرامه وما كتب به الى العمال من قتل اليهود وما زالت به تغريه على الوزير الى أن أمر بقتله وقتل اهله وكتب

لليهود أمانا فاتخذ اليهود هذا اليوم من كل سنة عيدا وصاموه شكرا لله تعالى وجعلوا من بعده يومين اتخذوهما أيام فرح وسرور ولهو ومهاداة من بعضهم لبعض وهم على ذلك الى اليوم وربما صور بعضهم في هذا اليوم صورة هيمون الوزير وهم يسمونه هامان فاذا صوروه ألقوه بعد العبث به في النار حتى يحترق * وشهر نيسن عدد أيامه ثلاثون يوما أبدا وفيه عيد الفاسح الذي يعرف اليوم عند النصارى بالفسح ويكون في الخامس عشر منه وهو سبعة أيام يأكلون فيها الفطير ويتطفون بيوتهم من أجل أن الله سبحانه خلص بني اسرائيل من أسر فرعون في هذه الايام حتى خرجوا من مصر مع نبي الله موسى بن عمران عليه السلام وتبعهم فرعون فأغرقه الله ومن معه وسار موسى ببني اسرائيل الى التيه ولما خرجوا من مصر مع موسى كانوا يأكلون اللحم والخبز والفطير وهم فرحون بخلاصهم من يد فرعون فأمروا باتخاذ الفطير أكله في هذه الايام ليذكروا به ما من الله عليهم به من انقاذهم من العبودية وفي آخر هذه الايام السبعة كان غرق فرعون وهو عندهم يوم كبير ولا يكون أول هذا الشهر عند الربانيين أبدا يوم الاثنين ولا يوم الاربعاء ولا يوم الجمعة ويكون أول الخمسينيات من نصفه * وشهر ايار عدد أيامه تسعة وعشرون يوما وفيه عيد الموقف وهو ج الاسابيع وهي الاسابيع التي فرضت على بني اسرائيل فيها الفرائض ويقال لهذا العيد في زمننا عيد العنصرة وعيد الخطاب ويكون بعد عيد الفطير وفيه خوطب بنو اسرائيل في طور سيناء ويكون هذا العيد في السادس منه وفيه أيضا يوم الخميس وهو آخر الخمسينيات ولا يكون عيد العنصرة عند الربانيين أبدا يوم الثلاثاء ولا يوم الخميس ولا يوم السبت * وشهر تموز أيامه تسعة وعشرون يوما وليس فيه عيد لكنهم يصومون في تاسعه لان فيه هدم سور بيت المقدس عند محاصرة بخت نصر له والربانيون خاصة يصومون يوم السابع عشر منه لان فيه هدم طيطش سور بيت المقدس وخرب البيت الخراب الثاني * وشهر آب ثلاثون يوما وفيه عيد القرائين صوم في اليوم السابع واليوم العاشر لان بيت المقدس خرب فيهما على يد بخت نصر وفيه أيضا كان اطلاق بخت نصر النار في مدينة القدس وفي الهيكل ويصوم الربانيون اليوم التاسع منه لان فيه خرب البيت على يد طيطش الخراب الثاني * وشهر أيلول تسعة وعشرون يوما أبدا وليس فيه عيد والله تعالى أعلم

(ذكر معنى قولهم يهودي)

اعلم أن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم صلوات الله عليهم اجمعين سماه الله اسرائيل ومعنى ذلك الذي رأسه القادر وكان له من الولد اثنا عشر ذكرا يقال لكل واحد منهم سبط ويقال لجموعهم الاسباط وهذه أسماؤهم روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا ويساخر وزبولون والستة أشقاء أمهم ليا بنت لابان بن بتويل بن ناحور أخي ابراهيم الخليل وكان واشار ودان ونفتالى ويوسف وبنيامين فلما كبر هؤلاء الاسباط الاثنا عشر قدم عليهم أبوهم يعقوب وهو اسرائيل ابنه يهوذا وجعله حاكما على اخوته الاحد عشر سبطا فاستمر رئيسا وحاكما على اخوته الى أن مات فورثت أولاد يهوذا رياسة الاسباط من بعده الى أن أرسل الله تعالى موسى ابن عمران بن قاهات بن لاوى بن يعقوب الى فرعون بعد وفاة يوسف بن يعقوب عليهما السلام بمائة وأربع وأربعين سنة وهم رؤساء الاسباط فلما نجى الله موسى وقومه بعد غرق فرعون ومن معه رتب عليه السلام بني اسرائيل الاثني عشر سبطا أربع فرق وقدم على جميعهم سبط يهوذا فلم يزل سبط يهوذا مقدما على سائر الاسباط أيام حياة موسى عليه السلام وأيام حياة يوشع بن نون فلما مات يوشع سأل بنو اسرائيل الله تعالى وابتهلوا اليه في قبة الشمشار أن يقدم عليهم واحدا منهم فجاء الوحي من الله بتقديم عثنيئال بن قناز من سبط يهوذا فتقدم على سائر الاسباط وصار بنو يهوذا مقدمين على سائر الاسباط من حينئذ الى أن ملك الله على بني اسرائيل نبيه داود وهو من سبط يهوذا فورث ملك بني اسرائيل من بعده ابنه سليمان بن داود عليهما السلام فلما مات سليمان افترق ملك بني اسرائيل من بعده وصار لمدينة شمرون التي يقال لها اليوم نابلس عشرة أسباط وبقي بمدينة القدس سبطان هما سبط يهوذا وسبط بنيامين وكان يقال لسكان شمرون بنو اسرائيل ويقال لسكان القدس بنو يهوذا الى أن انقرضت دولة بني اسرائيل من مدينة شمرون بعد مائتين واحدى وخمسين سنة فصاروا كلهم بالقدس تحت طاعة الملوك من بني يهوذا الى أن قدم بخت نصر وخرب القدس وجلا جميع بني اسرائيل الى بابل فعرفوا هنالك بين الامم ببني يهوذا واستمر هذا اسمة لهم بين الامم بعد ذلك الى أن

جاء

جاء الله بالاسلام فكان يقال للواحد منهم يهوذي بذال معجمة نسبة الى سبط يهوذا وتلاعب العرب بذلك على عادتهم فى التلاعب بالاسماء المعجمة وقالوه بدال مهملة وسموا طائفة بنى اسرائيل اليهود وبهذه اللغة نزل القرآن ويقال ان أول من سمى بنى اسرائيل اليهود بخت نصر والله يعلم وانتم لا تعلمون

* (ذكر معتقد اليهود وكيف وقع عندهم التبديل) *

اعلم أن الله سبحانه لما أنزل التوراة على نبيه موسى عليه السلام ضمنها شرائع الملة الموسوية وأمر فيها أن يكتب لكل من يلى أمر بنى اسرائيل كتاب يتضمن أحكام الشريعة لينظر فيه ويعمل به وسمى هذا الكتاب بالعبرانية مشنا ومعناه استخراج الاحكام من النص الالهى وكتب موسى عليه السلام بخط يده مشنا كانه تفسير لما فى التوراة من الكلام الالهى فلما مات موسى عليه السلام وقام من بعده بأمر بنى اسرائيل يوشع بن نون ومن بعده الى أن كانت أيام يوياقيم ملك القدس غزاهم بخت نصر الغزوة الاولى وهم يكتبون لكل من ملكهم مشنا ينقلونها من المشنا التى بخط موسى ويجعلونها باسمه فلما جلا بخت نصر يوياقيم الملك ومعه أعيان بنى اسرائيل وكبراء بيت المقدس وهم فى زيادة على عشرة آلاف نفس ساروا ومعهم نسخ المشنا التى كتبت لسائر ملوك بنى اسرائيل بأجمعها الى بلاد المشرق فلما سار بخت نصر من بابل الكرة الثانية لغزو القدس وخربه وجلا جميع من فيه وفى بلاد بنى اسرائيل من الاسباط الاثنى عشر الى بابل أقاموا بها وبقى القدس خرابا لا ساكن فيه مدة سبعين سنة ثم عادوا من بابل بعد سبعين سنة وعمروا القدس وجددوا بناء البيت ثانيا ومعهم جميع نسخ المشنا التى خرجوا بها أولا فلما مضت من عمارة البيت الثانى بعد الجلاية ثلثمائة ونيف من السنين اختلف بنو اسرائيل فى دينهم اختلافا كثيرا فخرج طائفة من آل داود عليه السلام من بيت المقدس وساروا الى الشرق كما فعل آباؤهم أولا وأخذوا معهم نسخا من المشنا التى كتبت للملوك من مشنا موسى التى بخطه وعملوا بما فيها ببلاد الشرق من حين خرجوا من القدس الى أن جاء الله بدين الاسلام وقدم عانان رأس الجالوت من المشرق الى العراق فى خلافة أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور سنة ست وثلاثين ومائة من سنى الهجرة المحمدية * وأما الذين أقاموا بالقدس من بنى اسرائيل بعد خروج من ذكرنا الى الشرق من آل داود فانهم لم يزالوا فى افتراق واختلاف فى دينهم الى أن غزاهم طيطش وخرب القدس الخراب الثانى بعد قتل يحيى بن زكريا ورفع المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام وسبى جميع من فيه وفى بلاد بنى اسرائيل بأسرهم وغيب نسخ المشنا التى كانت عندهم بحيث لم يبق معهم من كتب الشريعة سوى التوراة وكتب الانبياء وتفرق بنو اسرائيل من وقت تخريب طيطش بيت المقدس فى أقطار الارض وصاروا ذمة الى يومنا هذا ثم ان رجلين ممن تأخر الى قبيل تخريب القدس يقال لهما شماى وهلال نزلا مدينة طبرية وكتبا كتابا سماه مشنا باسم مشنا موسى عليه السلام وضمنا هذا المشنا الذى وضعاه أحكام الشريعة ووافقهما على وضع ذلك عدة من اليهود وكان شماى وهلال فى زمن واحد وكانا فى أواخر مدة تخريب البيت الثانى وكان لهلال ثمانون تلميذا أصغرهم يوحانان بن زكاى وأدرك يوحانان بن زكاى خراب البيت الثانى على يد طيطش وهلال وشماى أقوالهما مذكورة فى المشنا وهى فى ستة أسفار تشتمل على فقه التوراة وانما رتبها النوسى من ولد داود النبى بعد تخريب طيطش للقدس بمائة وخمسين سنة ومات شماى وهلال ولم يكملا المشنا فأكمله رجل منهم يعرف بيهودا من ذرية هلال وحمل اليهود على العمل بما فى هذا المشنا وحقيقته انه يتضمن كثيرا مما كان فى مشنا النبى موسى عليه السلام وكثيرا من آراء اكابرهم فلما كان بعد وضع هذا المشنا بنحو خمسين سنة قام طائفة من اليهود يقال لهم السنهدوين ومعنى ذلك الاكابر وتصرفوا فى تفسير هذا المشنا برأيهم وعملوا عليه كتابا اسمه التلمود أخفوا فيه كثيرا مما كان فى ذلك المشنا وزادوا فيه أحكاما من رأيهم وصاروا منذ وضع هذا التلمود الذى كتبوه بايديهم وضمنوه ماهو من رأيهم ينسبون مافيه الى الله تعالى ولذلك ذمهم الله فى القرآن الكريم بقوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وهذا التلمود نسختان مختلفتان فى الاحكام والعمل الى اليوم على هذا التلمود عند فرقة الربانيين بخلاف القرائين فانهم لا يعتقدون العمل بما فى هذا التلمود فلما قدم عانان رأس

الجالوت الى العراق انكر على اليهود عملهم بهذا التلمود وزعم أن الذي بيده هو الحق لانه كتب من النسخ التي كتبت من مشنا موسى عليه السلام الذي بخطه والطائفة الربانيون ومن وافقهم لا يعوّلون من التوراة التي بأيديهم الا على ما في هذا التلمود وما خالف ما في التلمود لا يعبأون به ولا يعوّلون عليه كما اخبر تعالى اذ يقول حكاية عنهم انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ومن اطلع على ما بأيديهم وما عندهم من التوراة تبين له انهم ليسوا على شئ وأنهم ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولذلك لما نبغ فيهم موسى ابن ميمون القرطبي عوّلوا على رأيه وعملوا بما في كتاب الدلالة وغيره من كتبه وهم على رأيه الى زمننا

(ذكر فرق اليهود الآن)

اعلم أن اليهود الذين قطعهم الله في الارض أمما أربع فرق كل فرقة تخطئ الطوائف الاخر وهي طائفة الربانيين وطائفة القرائين وطائفة العانانية وطائفة السمرة وهذا الاختلاف حدث لهم بعد تخريب بخت نصر بيت المقدس وعودهم من أرض بابل بعد الجلاية الى القدس وعمارة البيت ثانيا وذلك انهم في اقامتهم بالقدس أيام العمارة الثانية افترقوا في دينهم وصاروا شيعا فلما ملكهم اليونان بعد الاسكندر بن فيلبش وقام بأمرهم في القدس هورقانوس بن شمعون بن مشيشا واستقام أمره فسمي ملكا وكان قبل ذلك هو وجميع من تقدمه ممن ولي أمر اليهود في القدس بعد عودهم من الجلاية انما يقال له الكوهن الاكبر فاجتمع لهورقانوس منزلة الملك ومنزلة الكهونية واطمأنت اليهود في أيامه وامنوا سائر أعدائهم من الامم فبطروا معيشتهم واختلفوا في دينهم وتعادوا بسبب الاختلاف وكان من جملة فرقهم اذ ذاك طائفة يقال لها الفروشيم ومعناه المعتزلة ومن مذهبهم القول بما في التوراة على معنى ما فسره الحكماء من أسلافهم وطائفة يقال لهم الصدوقية نسبوا الى كبيرلهم يقال له صدوف ومذهبهم القول بنص التوراة وما دل عليه القول الالهي فيها دون ما عداه من الاقوال وطائفة يقال لهم الجسديم ومعناه الصلحاء ومذهبهم الاشتغال بالنسك وعبادة الله سبحانه والاخذ بالافضل والاسلم في الدين وكانت الصدوقية تعادي المعتزلة عداوة شديدة وكان الملك هورقانوس أولا على رأي المعتزلة وهو مذهب آبائه ثم انه رجع الى مذهب الصدوقية وباين المعتزلة وعاداهم ونادى في سائر مملكته بمنع الناس جملة من تعلم رأي المعتزلة والاخذ عن أحد منهم وتتبعهم وقتل منهم كثيرا وكانت العامة بأسرها مع المعتزلة فثارت الشرور بين اليهود واتصلت الحروب بينهم وقتل بعضهم بعضا الى أن خرب البيت على يد طيطش الخراب الثاني بعد رفع عيسى صلوات الله عليه وتفرق اليهود من حينئذ في أقطار الدنيا وصاروا أذمة والنصارى تقتلهم حيثما ظفرت بهم الى أن جاء الله بالملة الاسلامية وهم في تفرقهم ثلاث فرق الربانيون والقراء والسمرة *(فأما الربانية)* فيقال لهم بنو مشنو ومعنى مشنو الثاني وقيل لهم ذلك لانهم يعتبرون أمر البيت الذي بني ثانيا بعد عودهم من الجلاية وخربه طيطش وينزلونه في الاحترام والاكرام والتعظيم منزلة البيت الاول الذي ابتدأ عمارته داود وأتمه ابنه سليمان عليهما السلام وخربه بخت نصر فصار كأنه يقال لهم أصحاب الدعوة الثانية وهذه الفرقة هي التي كانت تعمل بما في المشنا الذي كتب بطبرية بعد تخريب طيطش القدس وتعوّل في أحكام الشريعة على ما في التلمود الى هذا الوقت الذي نحن فيه وهي بعيدة عن العمل بالنصوص الالهية متبعة لآراء من تقدمها من الاحبار ومن اطلع على حقيقة دينها تبين له أن الذي ذمهم الله به في القرآن الكريم حق لا مرية فيه وانه لا يصح لهم من اسم اليهودية الا مجرد الانتماء فقط لا انهم في الاتباع على الملة الموسوية لا سيما منذ ظهر فيهم موسى بن ميمون القرطبي بعد الخمسمائة من سني الهجرة المحمدية فانه ردهم مع ذلك معطلة فصاروا في أصول دينهم وفروعه أبعد الناس عما جاء به أنبياء الله تعالى من الشرائع الالهية *(وأما القراء)* فانهم بنو مقرا ومعنى مقرا الدعوة وهم لا يعوّلون على البيت الثاني جملة ودعوتهم انما هي لما كان عليه العمل مدة البيت الاول وكان يقال لهم أصحاب الدعوة الاولى وهم يحكمون نصوص التوراة ولا يلتفتون الى قول من خالفها ويقفون مع النص دون تقليد من سلف وهم مع الربانيين من العداوة بحيث لا يتناكحون ولا يتجاورون ولا يدخل بعضهم كنيسة بعض ويقال للقرائين أيضا ٢ المبادية لانهم كانوا يعملون مبادي الشهور من الاجتماع الكائن بين الشمس والقمر ويقال لهم أيضا

٢ قوله المبادية هكذا في بعض النسخ وهو الصواب بدليل ما بعده خلافا لما سبق في صحيفة ٤٧٢ من انه الميلادية والعذر تحريف نسخ الاصل اه مصححه

الامعية لانهم يراعون العمل بنصوص التوراة دون العمل بالقياس والتقليد * (وأما العانانية) * فانهم ينسبون الى عانان رأس الجالوت الذى قدم من المشرق فى أيام الخليفة أبى جعفر المنصور ومعه نسخ المشنا الذى كتب من الخط الذى كتب من خط النبى موسى وانه رأى ما عليه اليهود من الربانيين والقرائين يخالف مامعه فتجرّد لخلافهم وطعن عليهم فى دينهم وازدرى بهم وكان عظيما عندهم يرون انه من ولد داود عليه السلام وعلى طريق فاضلة من النسك على مقتضى ملتهم بحيث يرون انه لوظهر فى أيام عمارة البيت لكان نبيا فلم يقدروا على مناظرته لما اوتى مع ماذكرنا من تقريب الخليفة له واكرامه وكان مما خالف فيه اليهود استعمال الشهور برؤية الاهلة على مثل ما شرع فى الملة الاسلامية ولم يبال فى أى يوم وقع من الاسبوع وترك حساب الربانيين وكبس الشهور وخطأهم فى العمل بذلك واعتمد على كشف زرع الشعير وأجل القول فى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وأثبت نبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقال هو نبى أرسل الى العرب الا أن التوراة لم تنسخ والحق انه أرسل الى الناس كافة صلى الله عليه وسلم * (ذكر السمرة) * اعلم أن طائفة السمرة ليسوا من بنى اسرائيل البتة وانما هم قوم قدموا من بلاد المشرق وسكنوا بلاد الشام وتهوّدوا ويقال انهم من بنى سامرك بن كفركابن رمى وهو شعب من شعوب الفرس خرجوا الى الشام ومعهم الخيل والغنم والابل والقسى والنشاب والسيوف والمواشى ومنهم السمرة الذين تفرّقوا فى البلاد ويقال ان سليمان بن داود لما مات افترق ملك بنى اسرائيل من بعده فصار رحبعم بن سليمان على سبط يهودا بالقدس وملك يربعم بن نباط على عشرة اسباط من بنى اسرائيل وسكن خارجا عن القدس واتخذ عجلين دعا الاسباط العشرة الى عبادتهما من دون الله الى أن مات فولى ملك بنى اسرائيل من بعده عدّة ملوك على مثل طريقته فى الكفر بالله وعبادة الاوثان الى أن ملكهم عمرى بن نوذب من سبط منشا بن يوسف فاشترى مكانا من رجل اسمه شامر بقنطار فضة وبنى فيه قصرا وسماه باسم اشتقه من اسم شامر الذى اشترى منه المكان وصير حول هذا القصر مدينة وسماها مدينة شمرون وجعلها كرسى ملكه الى أن مات فاتخذها ملوك بنى اسرائيل من بعده مدينة للملك ومازالوا فيها الى أن ولى هوشاع بن ايلا وهم على الكفر بالله وعبادة وثن بعل وغيره من الاوثان مع قتل الانبياء الى أن سلط الله عليهم سنحاريب ملك الموصل فحاصرهم بمدينة شمرون ثلاث سنين وأخذ هوشاع أسيرا وجلاه ومعه جميع من فى شمرون من بنى اسرائيل وأنزلهم بهراه وبلخ ونهاوند وحلوان فانقطع من حينئذ ملك بنى اسرائيل من مدينة شمرون بعد ماملكوا من بعد سليمان عليه السلام مدّة مائتى سنة واحدى وخمسين سنة ثم ان سنحاريب ملك الموصل نقل الى شمرون كثيرا من أهل كوشا وبابل وحماه وأنزلهم فيها ليعمروها فبعثوا اليه يشكون من كثرة هجوم الوحش عليهم بشمرون فسير اليهم من علمهم التوراة فتعلموها على غير ما يجب وصاروا يقرؤنها ناقصة أربعة أحرف الالف والهاء والحاء والعين فلا ينطقون بشئ من هذه الاحرف فى قراءتهم التوراة وعرفوا بين الامم بالسامرة لسكناهم بمدينة شمرون وشمرون هذه هى مدينة نابلس وقيل لها سمرون بسين مهملة ولسكانها سامرة ويقال معنى السمرة حفظة ونواطير فلم تزل السمرة بنابلس الى أن غزا بخت نصر القدس وأجلى اليهود منه الى بابل ثم عادوا بعد سبعين سنة وعمروا البيت ثانيا الى أن قام الاسكندر من بلاد اليونان وخرج يريد غزو الفرس فمرّ على القدس وخرج منه يريد عمان فاجتاز على نابلس وخرج اليه كبير السمرة بها وهو سنبلاط السامرى فأنزله وصنع له ولقواده وعظماء أصحابه صنيعا عظيما وحمل اليه أموالا جمة وهدايا جليلة واستأذنه فى بناء هيكل لله على الجبل الذى يسمى عندهم طور بريك فأذن له وسار عنه الى محاربة دارا ملك الفرس فبنى سنبلاط هيكلا شبيها بهيكل القدس ليستميل به اليهود وموّه عليهم بأن طور بريك هو الموضع الذى اختاره الله تعالى وذكره فى التوراة بقوله فيها اجعل البركة على طور بريك وكان سنبلاط قد زوج ابنته بكاهن من كهان بيت المقدس يقال له منشا فقت اليهود منشا على ذلك وأبعدوه وحطوه عن مرتبته عقوبة له على مصاهرة سنبلاط فأقام سنبلاط منشا زوج ابنته كاهنا فى هيكل طور بريك وأتته طوائف من اليهود وضلوا به وصاروا يحجون الى هيكله فى الاعياد ويقربون قرابينهم اليه ويحملون اليه نذورهم وأعشارهم وتركوا قدس الله وعدلوا عنه فكثرت الاموال فى هذا الهيكل وصار ضد البيت المقدس

واستغنى كهنته وخدامه وعظم أمر منشا وكبرت حالته فلم تزل هذه الطائفة تحج الى طور بريك حتى كان زمن هورقانوس بن شمعون الكوهن من بنى حشمناى فى بيت المقدس فسار الى بلاد السمرة ونزل على مدينة نابلس وحصرها مدة وأخذها عنوة وخرب هيكل طور بريك الى أساسه وكانت مدة عمارته مائتى سنة وقتل من كان هنالك من الكهنة فلم تزل السمرة بعد ذلك الى يومنا هذا تستقبل فى صلاتها حيثما كانت من الارض طور بريك بجبل نابلس ولهم عبادات تخالف ما عليه اليهود ولهم كنائس فى كل بلد تخصهم والسمرة ينكرون نبوة داود ومن تلاه من الانبياء وأبوا أن يكون بعد موسى عليه السلام نبى وجعلوا رؤساءهم من ولد هارون عليه السلام واكثرهم يسكن فى مدينة نابلس وهم كثير فى مدائن الشام ويذكر أنهم الذين يقولون لامساس ويزعمون أن نابلس هى بيت المقدس وهى مدينة يعقوب عليه السلام وهنالك مراعيه * وذكر المسعودى أن السمرة صنفان متباينان أحدهما يقال له الكوشان والآخر الروشان أحد الصنفين يقول بقدم العالم والسامرة تزعم أن التوراة التى فى ايدى اليهود ليست التوراة التى أوردها موسى عليه السلام ويقولون توراة موسى حرفت وغيرت وبدلت وان التوراة هى ما بأيديهم دون غيرهم * وذكر أبو الريحان محمد بن احمد البيرونى أن السامرة تعرف بالامساسية قال وهم الابدال الذين بدلهم بخت نصر بالشام حين أسر اليهود وأجلاها وكانت السامرة أعانوه ودلوه على عورات بنى اسرائيل فلم يحربهم ولم يقتلهم ولم يسبهم وأنزلهم فلسطين من تحت يده ومذاهبهم ممتزجة من اليهودية والمجوسية وعامتهم يكونون بموضع من فلسطين يسمى نابلس وبها كنائسهم ولا يدخلون حد بيت المقدس منذ أيام داود النبى عليه السلام لانهم يدعون انه ظلم واعتدى وحول الهيكل المقدس من نابلس الى ايليا وهو بيت المقدس ولا يمسون الناس واذا مسوهم اغتسلوا ولا يقرون بنبوة من كان بعد موسى عليه السلام من انبياء بنى اسرائيل * وفى شرح الانجيل ان اليهود انقسمت بعد أيام داود الى سبع فرق *(الكتاب)* وكانوا يحافظون على العادات التى اجمع عليها المشايخ مما ليس فى التوراة *(والمعتزلة)* وهم الفريسيون وكانوا يظهرون الزهد ويصومون يومين فى الاسبوع ويخرجون العشر من أموالهم ويجعلون خيوط القرمز فى رؤس ثيابهم ويغسلون جميع أوانيهم ويبالغون فى اظهار النظافة *(والزنادقة)* وهم من جنس السامرة وهم من الصدوقية فيكفرون بالملائكة والبعث بعد الموت وبجميع الانبياء ما خلا موسى فقط فانهم يقرون بنبوته *(والمتطهرون)* وكانوا يغتسلون كل يوم ويقولون لا يستحق حياة الابد الا من يتطهر كل يوم *(والاسابيون)* ومعناه الغلاظ الطباع وكانوا يوجبون جميع الاوامر الالهية وينكرون جميع الانبياء سوى موسى عليه السلام ويتعبدون بكتب غير الانبياء *(والمتقشفون)* وكانوا يمنعون اكثر المآكل وخاصة اللحم ويمنعون من التزوج بحسب الطاقة ويقولون بأن التوراة ليست كلها لموسى ويتمسكون بصحف منسوبة الى اخنوخ وابراهيم عليه السلام وينظرون فى علم النجوم ويعملون بها *(والهيرذوسيون)* سموا انفسهم بذلك لموالاتهم هيرذوس ملكهم وكانوا يتبعون التوراة ويعملون بما فيها انتهى * وذكر يوسف بن كريون فى تاريخه أن اليهود كانوا فى زمن ملكهم هورقانوس يعنى فى زمن بناء البيت بعد عودهم من الجلاية ثلاث فرق * الفروشيم ومعناه المعتزلة ومذهبهم القول بما فى التوراة وما فسره الحكماء من سلفهم * والصدوقية أصحاب رجل من العلماء يقال له صدوف ومذهبهم القول بنص التوراة وما دلت عليه دون غيره * والجسديم ومعناه الصلحاء وهم المشتغلون بالعبادة والنسك الآخذون فى كل أمر بالافضل والاسلم فى الدين انتهى وهذه الفرقة هى أصل فرقتى الربانيين والقراء *(فصل)* زعم بعضهم أن اليهود عانانية وشمعونية نسبة الى شمعون الصديق ولى القدس عند قدوم أبى الاسكندر وجالوتية وفيومية وسامرية وعكبرية وأصبهانية وعراقية ومغاربة وشرشتانية وفلسطينية ومالكية وربانية * فالعانانية تقول بالتوحيد والعدل ونفى التشبيه * والشمعونية تشبه * وتبالغ الجالوتية فى التشبيه * وأما الفيومية فانها تنسب الى أبى سعيد الفيومى وهم يفسرون التوراة على الحروف المقطعة * والسامرية ينكرون كثيرا من شرائعهم ولا يقرون بنبوة من جاء بعد يوشع * والعكبرية أصحاب أبى موسى البغدادى العكبرى واسماعيل العكبرى يخالفون أشياء من السبت وتفسير التوراة * والاصبهانية اصحاب أبى عيسى الاصبهانى وادعى النبوة وانه عرج به الى السماء فمسح الرب على رأسه وانه رأى محمدا صلى

قوله فالعانانية الخ لم يذكر فى النسخ المغاربة كما ذكرهم فى الف وليحرر اه مصححه

الله عليه وسلم فآمن به ويزعم يهود أصبهان انه الدجال وانه يخرج من ناحيتهم * والعراقية تخالف الخراسانية في أوقات أعيادهم ومدد أيامهم * والشرشتانية أصحاب شرشتان زعم أنه ذهب من التوراة ثمانون سوقة أى آية وادّعى أن للتوراة تأويلا باطنا مخالفا للظاهر * وأما يهود فلسطين فزعموا أن العزير ابن الله تعالى وأنكر اكثر اليهود هذا القول * والمالكية تزعم أن الله تعالى لا يحيي يوم القيامة من الموتى الا من احتج عليه بالرسل والكتب ومالك هذا هو تلميذ عانان * والربانية تزعم أن الحائض اذا مست ثوبا بين ثياب وجب غسل جميعها * والعراقية تعمل رؤس الشهور بالاهلة وآخرون بالحساب يعملون والله اعلم * (فصل) وهم يوجبون الايمان بالله وحده وبموسى عليه السلام وبالتوراة ولا بد لهم من درسها وتعلمها ويغتسلون ويتوضؤن ولا يمسحون رؤسهم في وضوئهم ويبدؤن بالرجل اليسرى وفي شئ منه خلاف بينهم وعانان يرى أن الاستنجاء قبل الوضوء ويرى اشمعث أن الاستنجاء بعد الوضوء ولا يتوضؤن بما تغير لونه أو طعمه أو ريحه ولا يجيزون الطهارة من غدير مالم يكن عشرة أذرع في مثلها والنوم قاعدا لا ينقض الوضوء عندهم مالم يضع جنبه الارض الا العانانية فان مطلق النوم عندهم ينقض ومن أحدث في صلاته من قئ أو رعاف أو ريح انصرف وتوضأ وبنى على صلاته ولا تجوز صلاة الرجل في اقل من ثلاثة أثواب قميص وسراويل وملاءة يترتدى بها فان لم يجد الملاءة صلى جالسا فان لم يجد القميص والسراويل صلى بقلبه ولا تجوز صلاة المرأة في اقل من أربعة أثواب وعليهم فريضة ثلاث صلوات في اليوم والليلة عند الصبح وبعد الزوال الى غروب الشمس ووقت العتمة الى ثلث الليل ويسجدون في دبر كل صلاة سجدة طويلة وفي يوم السبت وأيام الاعياد يزيدون خمس صلوات على تلك الثلاث * ولهم خمسة أعياد *(عيد الفطير) وهو الخامس عشر من نيسن يقيمون سبعة أيام لا يأكلون سوى الفطير وهي الايام التي تخلصوا فيها من فرعون وأغرقه الله *(وعيد الاسابيع) بعد الفطير بسبعة أسابيع وهو اليوم الذى كلم الله تعالى فيه بنى اسرائيل من طورسيناء *(وعيد رأس الشهر) وهو أول تشرى وهو الذى فدى فيه اسحاق عليه السلام من الذبح ويسمونه عيد رأس هشانا أى رأس الشهر *(وعيد صوماريا) يعنى الصوم العظيم *(وعيد المظلة) يستظلون سبعة أيام بقضبان الآس والخلاف * ويجب عليهم الحج في كل سنة ثلاث مرات لما كان الهيكل عامرا * ويوجبون صوم أربعة أيام * أولها سابع عشر تموز من الغروب الى الغروب وعند العانانية هو اليوم الذى أخذ فيه بخت نصر البيت * والثانى عاشر آب * والثالث عاشر كانون الاول * والرابع ثالث عشر آذار * ويتشددون في أمر الحائض بحيث يعتزلونها وثيابها وأوانيها وما مسته من شئ فانه ينجس ويجب غسله فان مست لحم القربان أحرق بالنار ومن مسها أو شيأ من ثيابها وجب عليه الغسل وما عجنته أو خبزته أو طبخته أو غسلته فكله نجس حرام على الطاهرين حل للحيض ومن غسل ميتا نجس سبعة أيام لا يصلى فيها وهم يغسلون موتاهم ولا يصلون عليهم * ويوجبون اخراج العشر من جميع ما يملك ولا يجب حتى يبلغ وزنه أو عدده مائة ولا يخرج العشر الامرة واحدة ثم لا يعاد اخراجه * ولا يصح النكاح عندهم الا بولى وخطبة وثلاثة شهود ومهر مائتى درهم للبكر ومائة للثيب لا أقل من ذلك ويحضر عند عقد النكاح كأس خمر وباقة مرسين فيأخذ الامام الكأس ويبارك عليه ويخطب خطبة النكاح ثم يدفعه الى الختن ويقول قد تزوجت فلانة بهذه الفضة أو بهذا الذهب وهو خاتم في يده وبهذا الكأس من الخمر وبمهر كذا ويشرب جرعة من الخمر ثم ينهضون الى المرأة ويأمرونها أن تأخذ الخاتم والمرسين والكاس من يد الختن فاذا أخذت وشربت جرعة وجب عقد النكاح ويضمن أولياء المرأة البكارة فاذا زفت اليه وكل الولى من يقف بباب الخلوة وقد فرشت ثياب بيض حتى يشاهد الوكيل الدم فان لم توجد بكرا رجمت ولا يجوز عندهم نكاح الاماء حتى يعتقن ثم ينكحن والعبد يعتق بعد خدمته لسنين معلومة وهى ست سنين ومنهم من يجوز بيع صغار أولاده اذا احتاج ولا يجوزون الطلاق الا بفاحشة أو سحر اورجوع عن الدين وعلى من طلق خمسة وعشرون درهما للبكر ونصف ذلك للثيب وينزل في كتابها طلاقها بعد أن يقول الزوج أنت طالق منى مائة مرة ومختلعة منى وفي سعة أن تتزوجي من شئت ولا يقع طلاق الحامل أبدا نعم الا أن يجوزوه ويراجع الرجل امرأته مالم تتزوج فان تزوجت حرمت عليه الى الابد * والخيار بين المتبايعين مالم ينقل المبيع الى البائع * والحدود عندهم على خمسة أوجه حرق ورجم وقتل وتعزير وتغريم فالحرق على من زنى بامرأة أبيه أو بربيبته أو بامرأة أبيه

أوامرأة ابنه والقتل على من قتل والرجم على المحصن اذا زنى أولاط وعلى المرأة اذا امكنت من نفسها بهيمة والتعزير على من قذف والتغريم على من سرق ويرون أن البينة على المدعى واليمين على من انكر وعندهم أن من اتى بشئ من سبعة وثلاثين عملا فى يوم السبت أوليلته استحق القتل وهى كرب الارض وزرعها وحصاد الزرع وسياقة الماء الى الزرع وحلب اللبن وكسر الحطب واشعال النار وعجن العجين وخبزه وخياطة الثوب وغسله ونسج سلكين وكتابة حرفين أونحوهما وأخذ الصيد وذبح الحيوان والخروج من القرية والانتقال من بيت الى آخر والبيع والشراء والدق والطحن والاحتطاب وقطع الخبز ودق اللحم واصلاح النعل اذا انقطعت وخلط علف الدابة ولا يجوز للكاتب أن يخرج يوم السبت من منزله ومعه قلمه ولا الخياط ومعه ابرته وكل من عمل شيأ استحق به القتل فلم يسلم نفسه فهو ملعون

قوله سبعة وثلاثين هكذا فى النسخ ولعل صوابه سبعة وعشرين ليوافق التفصيل بعده تأمل اه مصححه

* (ذكر قبط مصرودياناتهم القديمة وكيف تنصروا ثم صاروا ذمة للمسلمين وما كان لهم فى ذلك من القصص والانباء وذكر الخبر عن كنائسهم ودياراتهم وكيف كان ابتداؤها ومصيرأمرها) *

اعلم أن جميع أهل الشرائع اتباع الانبياء عليهم السلام من المسلمين واليهود والنصارى قد أجمعوا على أن نوحا عليه السلام هو الاب الثانى للبشروأن العقب من آدم عليه السلام انحصر فيه ومنه ذرأ الله تعالى جميع أولاد آدم فليس أحد من بنى آدم الا وهو من أولاد نوح وخالفت القبط والمجوس وأهل الهند والصين ذلك فانكروا الطوفان وزعم بعضهم أن الطوفان انما حدث فى اقليم بابل وماوراءه من البلاد الغربية فقط وان اولاد كيومرت الذى هو عندهم الانسان الاوّل كانوا بالبلاد الشرقية من بابل فلم يصل الطوفان اليهم ولا الى الهند والصين والحق ماعليه أهل الشرائع وأن نوحا عليه السلام لما أنجاه الله ومن معه بالسفينة نزل بهم وهم ثمانون رجلا سوى أولاده فماتوا بعد ذلك ولم يعقبوا وصار العقب من نوح فى أولاده الثلاثة ويؤيد هذا قول الله تعالى عن نوح وجعلنا ذريته هم الباقين وكان من خبر ذلك أن أولاد نوح الثلاثة وهم سام وحام ويافث اقتسموا الارض * فصار لبنى سام بن نوح أرض العراق وفارس الى الهند ثم الى حضرموت وعمان والبحرين وعالج ويبرين ووبار والدو والدهنا وجميع أرض اليمن وأرض الحجاز * وصار لبنى حام بن نوح جنوب الارض مما يلى أرض مصر مغربا الى بلاد المغرب الاقصى * وصار لبنى يافث بن نوح بحر الخزر مشرقا الى الصين * فكان من ذرية سام بن نوح القضاعيون والفرس والسريانيون والعبرانيون والعرب المستعربة والنبط وعاد وثمود والامورانيون والعماليق وأمم الهند وأهل السند وعدّة امم قد بادت وكانت ذرية حام بن نوح من أربعة أولاده الذين هم كوش ومصرايم وقفط وكنعان فمن كوش الحبشة والزنج ومن مصرايم قبط مصر والنوبة ومن قفط الافارقة أهل افريقية ومن جاورهم الى المغرب الاقصى ومن كنعان أمم كانت بالشام حاربهم موسى بن عمران عليه السلام وقومه من بنى اسرائيل ومنهم أجناس عديدة من البربر درجوا * وكانت مساكن بنى حام من صيدا الى أرض مصر ثم الى آخر افريقية نحو البحر المحيط وانتشروا فيما بين ذلك الى الجنوب وهم ثلاثون جنسا * وكان من ذرية يافث بن نوح الصقلب والفرنجة والغالليون من قبائل الروم والغوط وأهل الصين وقوم عرفوا بالمادنيين واليونانيون والروم الفريقيون وقبائل الاتراك ويأجوج ومأجوج وأهل قبرس ورودس وعدّة بنى يافث خمسة عشر جنسا سكنوا القطر الشمالى الى البحر المحيط فضاقت بهم بلادهم ولم تسعهم لكثرتهم فخرجوا منها وتغلبوا على كثير من بلاد بنى سام بن نوح * وذكر الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب أن القبط تنسب الى قبطيم بن مصرايم بن مصر بن حام بن نوح وان قبطيم أوّل من عمل العجائب بمصر وأثار بها المعادن وشق الانهار لما ولى أرض مصر بعد أبيه مصرايم وانه لحق ببلبلة الالسن وخرج منها وهو يعرف اللغة القبطنة وأنه ملك مدّة ثمانين سنة ومات فاغتمّ لموته بنوه وأهله ودفنوه فى الجانب الشرقى من النيل بسرب تحت الجبل الكبير فقام من بعده فى ملك مصر ابنه قفطيم بن قبطيم وزعم بعض النسابة أن مصر بن حام بن نوح ويقال له مصرايم ويقال بل مصريم بن هرمس بن هردوس جدّ الاسكندر وقيل بل قفط بن حام بن نوح نكح بخت بنت يتاويل بن ترسل ابن يافث بن نوح فولدت له بوقير وقبط أبا قبط مصر قال ابن اسحاق ومن ههنا قالوا ان مصر بن حام بن نوح وانما هو مصر بن هرمس بن هردوس بن ميطون بن رومى بن ليطى بن يونان وبه سميت مصر فهى مقدونية وقيل القبط

من

من ولد قبط بن مصر بن قفط بن حام بن نوح وبمصر هذا سميت مصر

ذكر ديانة القبط قبل تنصرهم

اعلم أن قبط مصر كانوا فى غابر الدهر أهل شرك بالله يعبدون الكواكب ويقربون لها قرابينهم ويقيمون على أسمائها التماثيل كما هى أفعال الصابئة وذكر ابن وصيف شاه أن عبادة الاصنام أوّل ما عرفت بمصر أيام قفطريم بن قبطيم بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح وذلك أن ابليس أثار الاصنام التى غرّقها الطوفان وزين للقبط عبادتها وان البودشير بن قبطيم أوّل من تكهن وعمل بالسحر وان مناوش بن منقاوش أوّل من عبد البقر من أهل مصر وذكر الموفق أحمد بن أبى القاسم بن خليفة المعروف بابن أبى اصيبعة انه كان للقبط مذهب مشهور من مذاهب الصابئة ولهم هيا كل على أسماء الكواكب يحج اليها الناس من أقطار الارض وكانت الحكماء والفلاسفة ممن سواهم تتهافت عليهم وتريد التقرب اليهم لما كان عندهم من علوم السحر والطلسمات والهندسة والنجوم والطب والحساب والكيمياء ولهم فى ذلك أخبار كثيرة وكانت لهم لغة يختصون بها وكانت خطوطهم ثلاثة أصناف خط العامّة وخط الخاصة وهو خط الكهنة المختصر وخط الملوك * وقال ابن وصيف شاه كانت كهنة مصر اعظم الكهان قدرا وأجلها علما بالكهانة وكانت حكماء اليونانيين تصفهم بذلك وتشهد لهم به فيقولون اخبرنا حكماء مصر بكذا وكذا وكانوا ينحون بكهانتهم نحو الكواكب ويزعمون انها هى التى تفيض عليهم العلوم وتخبرهم بالغيوب وهى التى تعلمهم أسرار الطوالع وصفة الطلاسم وتدلهم على العلوم المكتومة والاسماء الجليلة المخزونة فعملوا الطلسمات المشهورة والنواميس الجليلة وولدوا الاشكال الناطقة وصوّروا الصور المتحركة وبنوا العالى من البنيان وزبروا علومهم فى الحجارة وعملوا من الطلسمات ما دفعوا به الاعداء عن بلادهم فحكمهم باهرة وعجائبهم ظاهرة وكانت أرض مصر خمسا وثمانين كورة منها اسفل الارض خمس وأربعون كورة ومنها بالصعيد أربعون كورة وكان فى كل كورة رئيس من الكهنة وهم السحرة وكان الذى يتعبد منهم للكواكب السبعة السيارة سبع سنين يسمونه باهر والذى يتعبد منهم لها تسعا وأربعين سنة لكل كوكب سبع سنين يسمونه قاطر وهذا يقوم له الملك اجلالا ويجلسه معه الى جانبه ولا يتصرف الا برأيه وتدخل الكهنة ومعهم أصحاب الصنائع فيقفون حذاء القاطر وكان كل كاهن منهم يتفرد بخدمة كوكب من الكواكب السبعة السيارة لا يتعدّاه الى سواه ويدعى بعبد ذلك الكوكب فيقال عبد القمر عبد عطارد عبد الزهرة عبد الشمس عبد المريخ عبد المشترى عبد زحل فاذا وقفوا جميعا قال القاطر لاحدهم أين صاحبك اليوم فيقول فى برج كذا ودرجة كذا ودقيقة كذا ثم يقول للآخر كذلك فيجيبه حتى يأتى على جميعهم ويعرف اماكن الكواكب من فلك البروج ثم يقول للملك ينبغى أن تعمل اليوم كذا أو تأكل كذا أو تجامع فى وقت كذا أو تركب وقت كذا الى آخر ما يحتاج اليه والكاتب قائم بين يديه يكتب ما يقول ثم يلتفت القاطر الى أهل الصناعات ويخرجهم الى دار الحكمة فيضعون أيديهم فى الاعمال التى يصلح عملها فى ذلك اليوم ثم يؤرخ ما جرى فى ذلك اليوم فى صحيفة وتخزن فى خزائن الملك وكان الملك اذا اهمه أمر جمع الكهان خارج مدينة منف وقد اصطف الناس لهم بشارع المدينة ثم يدخل الكهان ركبانا على قدر مراتبهم والطبل بين أيديهم وما منهم الا من أظهر أعجوبة قد عملها فمنهم من يعلو وجهه نور كهيئة نور الشمس لا يقدر أحد على النظر اليه ومنهم من على بدنه جواهر مختلفة الالوان قد نسجت على ثوب ومنهم من يتوشح بحيات عظيمة ومنهم من يعقد فوقه قبة من نور الى غير ذلك من بديع أعمالهم ويصيرون كذلك الى حضرة الملك فيخبرهم بما نزل به فيجيلون رأيهم فيه حتى يتفقوا على ما يصرفونه به وهذا أعزك الله من خبرهم لما كان الملك فيهم فلما استولت العماليق على ملك مصر وملكتها الفراعنة ثم تداولتها من بعدهم أجناس أخر تناقصت علوم القبط شيأ بعد شئ الى أن تنصروا فغادروا عوايد أهل الشرك واتبعوا ما أمروا به من دين النصرانية كما ستقف عليه تلو هذا ان شاء الله تعالى

ذكر دخول قبط مصر فى دين النصرانية

اعلم أن النصارى اتباع عيسى نبى الله ابن مريم عليه السلام سموا نصارى لانهم ينتسبون الى قرية الناصرة من

جبل الجليل بالجيم ويعرف هذا الجبل بجبل كنعان وهو الآن في زمننا من جملة معاملة صفد والاصل في تسميتهم نصارى أن عيسى ابن مريم عليه السلام لما ولدته أمه مريم ابنة عمران ببيت لحم خارج مدينة بيت المقدس ثم سارت به الى أرض مصر وسكنتها زمانا ثم عادت به الى أرض بني اسرائيل فنزلت قرية الناصرة فنشأ عيسى بها وقيل له يسوع الناصري فلما بعثه الله تعالى رسولا الى بني اسرائيل وكان من شأنه ما سترا اه الى أن رفعه الله اليه تفرق الحواريون وهم الذين آمنوا به في أقطار الارض يدعون الناس الى دينه فنسبوا الى ما نسب اليه نبيهم عيسى ابن مريم وقيل لهم الناصرية ثم تلاعب العرب بهذه الكلمة وقالوا نصارى * قال ابن سيده ونصرى وناصرة ونصورية قرية بالشام والنصارى منسوبون اليها هذا قول أهل اللغة وهو ضعيف الا أن نادر النسب يسعه وأما سيبويه فقال أما النصارى فذهب الخليل الى انه جمع نصرى ونصران كما قالوا ندمان وندامى ولكنهم حذفوا احدى الياءين كما حذفوا من أثفية وأبدلوا مكانها ألفا قال وأما الذي نوجهه نحن عليه فانه جاء على نصران لانه قد تكلم به فكأنك جمعت وقلت نصارى كما قلت ندامى فهذا أقيس والاول مذهب وانما كان أقيس لانا لم نسمعهم قالوا نصرى والتنصر الدخول في دين النصرانية ونصره جعله كذلك والانصر الاقلف وهو من ذلك لان النصارى قلف وفي شرح الانجيل أن معنى قرية ناصرة الجديدة والنصرانية التجدد والنصراني المجدد وقيل نسبوا الى نصران وهو من أبنية المبالغة ومعناه أن هذا الدين في غير عصابة صاحبه فهو دين من ينصره من أتباعه * واذا تقرر هذا فاعلم أن المسيح روح الله وكلمته ألقاها الى مريم هو (عيسى) وأصل اسمه بالعبرانية التي هي لغة امه وابائها انما هو ياشوع وسمته النصارى يسوع وسماه الله تعالى وهو أصدق القائلين عيسى ومعنى يسوع في اللغة السريانية المخلص قاله في شرح الانجيل ونعته بالمسيح وهو الصديق وقيل لانه كان لا يمسح بيده صاحب عاهة الا برأ وقيل لانه كان يمسح رؤس اليتامى وقيل لانه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن وقيل لان جبريل عليه السلام مسحه بجناحه عند ولادته صونا له من مس الشيطان وقيل المسيح اسم مشتق من المسيح أي الدهن لان روح القدس قام بجسد عيسى مقام الدهن الذي كان عند بني اسرائيل يمسح به الملك ويمسح به الكهنوت وقيل لانه مسح بالبركة وقيل لانه أمسح الرجلين ليس لرجليه أخمص وقيل لانه يمسح الارض بسياحته لا يستوطن مكانا وقيل هي كلمة عبرانية أصلها ماسيح فتلاعبت بها العرب وقالت مسيح * وكان من خبره عليه السلام أن مريم ابنة عمران بيناهي في محرابها اذ بشرها الله تعالى بعيسى فخرجت من بيت المقدس وقد اغتسلت من المحيض فتمثل لها الملك بشرا في صورة يوسف بن يعقوب النجار أحد خدام القدس فنفخ في جيبها فسرت النفخة الى جوفها فحملت بعيسى كما تحمل النساء بغير ذكر بل حلت نفخة الملك منها محل اللقاح ثم وضعت بعد تسعة أشهر وقيل بل وضعت في يوم حملها بقرية بيت لحم من عمل مدينة القدس في يوم الاربعاء خامس عشرى كانون الاول وتاسع عشرى كيهك سنة تسع عشرة وثلثمائة للاسكندر فقدمت رسل ملك فارس في طلبه ومعهم هدية لها فيها ذهب ومر ولبان فطلبه هيرودس ملك اليهود بالقدس ليقتله وقد أنذر به فسارت امه مريم به وعمره سنتان على حمار ومعها يوسف النجار حتى قدموا الى أرض مصر فسكنوها مدة أربع سنين ثم عادوا وعمر عيسى ست سنين فنزلت به مريم قرية الناصرة من جبل الجليل فاستوطنتها فنشأ بها عيسى حتى بلغ ثلاثين سنة فسار هو وابن خالته يحيى بن زكريا عليهما السلام الى نهر الاردن فاغتسل عيسى فيه فحلت عليه النبوة فمضى الى البرية وأقام بها أربعين يوما لا يتناول طعاما ولا شرابا ثم أوحى الله اليه بأن يدعو بني اسرائيل الى عبادة الله تعالى فطاف القرى ودعا الناس الى الله تعالى وأبرأ الاكمه والابرص وأحيى الموتى باذن الله وبكت اليهود وأمرهم بالزهد في الدنيا والتوبة من المعاصي فآمن به الحواريون وكانوا قوما صيادين وقيل قصارين وقيل ملاحين وعددهم اثناعشر رجلا وصدقوا بالانجيل الذي أنزله الله تعالى عليه وكذبه عامة اليهود وضللوه واتهموه بما هو بري منه فكانت له ولهم عدة مناظرات آلت بهم الى أن اتفق أحبارهم على قتله وطرقوه ليلة الجمعة فقيل انه رفع عند ذلك وقيل بل أخذوه وأتوا به الى بلاطس النبطي شحنة القدس من قبل الملك طيباريوس قيصر وراودوه على قتله وهو يدفعهم عنه حتى غلبوه على رأيه بأن دينهم اقتضى قتله فأمكنهم منه وعندما أدنوه من الخشبة ليصلبوه رفعه الله اليه وذلك في الساعة السادسة من يوم الجمعة خامس عشر شهر نيسن وتاسع عشرى شهر برمهات وخامس عشر شهر آذار وسابع عشر

شهر

شهر ذى القعدة وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة وثلاثة أشهر فصلبوا الذى شبه لهم وصلبوا معه لصين وسمروهم بمسامير الحديد واقتسم الجند ثياب المصلوب فغشيت الارض ظلمة دامت ثلاث ساعات حتى صار النهار شبه الليل ورؤيت النجوم وكان مع ذلك هزة وزلزلة ثم أنزل المصلوب عن الخشبة بكرة يوم السبت ودفن تحت صخرة فى قبر جديد ووكل بالقبر من يحرسه لئلا يأخذ المقبور أصحابه فزعم النصارى أن المقبور قام من قبره ليلة الاحد سحرا ودخل عشية ذلك اليوم على الحواريين وحادثهم ووصاهم ثم بعد الاربعين يوما من قيامه صعد الى السماء والحواريون يشاهدونه فاجتمعوا بعد رفعه بعشرة أيام فى علية صيون التى يقال لها اليوم صهيون خارج القدس وظهرت لهم خوارق فتكلموا بجميع الالسن فآمن بهم فيما يذكر زيادة على ثلاثة آلاف انسان فأخذهم اليهود وحبسوهم فظهرت كراماتهم وفتح الله لهم باب السجن ليلا فخرجوا الى الهيكل وطفقوا يدعون الناس فهمّ اليهود بقتلهم وقد آمن بهم نحو الخمسة آلاف انسان فلم يتمكنوا من قتلهم فتفرق الحواريون فى أقطار الارض يدعون الى دين المسيح فسار بطرس رأس الحواريين ومعه شمعون الصفا الى انطاكية وروميه فاستجاب لهم بشر كثير وقتل فى خامس أبيب وهو عيد القصرية وسار اندراوس أخوه الى نيقية وما حولها فآمن به كثير ومات فى برنطية فى رابع كيهك وسار يعقوب بن زبدى أخو يوحنا الانجيلى الى بلد ابديبنة فتبعه جماعة وقتل فى سابع عشر برمودة وسار يوحنا الانجيلى الى آسيا وأفسس وكتب انجيله باليونانى بعد ماكتب متى ومرقص ولوقا أناجيلهم فوجدهم قد قصروا فى أمور فتكلم عليها وكان ذلك بعد رفع المسيح بثلاثين سنة وكتب ثلاث رسائل ومات وقد أناف على مائة سنة وسار فيلبس الى قيسارية وما حولها وقتل بها فى ثامن هاتور وقد اتبعه جماعات من الناس وسار برتولماوس الى ارمينية وبلاد البربر وواحات مصر فآمن به كثير وقتل وسار توما الى الهند فقتل هنالك وسار متى العشار الى فلسطين وصور وصيدا ومدينة بصرى وكتب انجيله بالعبرانى بعد رفع المسيح بتسع سنين ونقله يوحنا الى اللغة الرومية وقتل متى بقرطاجنة فى ثامن عشر بابه بعد ما استجاب له بشر كثير وسار يعقوب بن حلفا الى بلاد الهند ورجع الى القدس وقتل فى عاشر امشير وسار يهوذا بن يعقوب من انطاكية الى الجزيرة فآمن به كثير من الناس ومات فى ثانى أبيب وسار شمعون الى سميساط وحلب ومنبج وبرنطية وقتل فى سابع أبيب وسار ميناس الى بلاد الشرق وقتل فى ثامن عشر برمهات وسار بولص الطرسوسى الى دمشق وبلاد الروم ورومية فقتل فى خامس أبيب وتفرق أيضا سبعون رسولا أخر فى البلاد فآمن بهم الخلائق ومن هؤلاء السبعين مرقص الانجيلى وكان اسمه أولا يوحنا فعرف ثلاثة ألسن الفرنجى والعبرانى واليونانى ومضى الى بطرس برومية وصحبه وكتب الانجيل عنده بالفرنجية بعد رفع المسيح باثنتى عشرة سنة ودعا الناس برومية ومصر والحبشة والنوبة وأقام حنانيا أسقفا على الاسكندرية وخرج الى برقة فكثرت النصارى فى أيامه وقتل فى ثانى عيد الفصح بالاسكندرية ومن السبعين أيضا لوقا الانجيلى الطبيب تلميذ بولص كتب الانجيل باليونانية عن بولص بالاسكندرية بعد رفع المسيح بعشرين سنة وقيل باثنتين وعشرين سنة ولما فرّ بطرس رأس الحواريين من حبس رومية ونزل بانطاكية أقام بها اريوس بطركا وانطاكية أحد الكراسى الاربعة التى للنصارى وهى رومية والاسكندرية والقدس وانطاكية فأقام داريوس بطرك انطاكية سبعا وعشرين سنة وهو أول بطاركتها وتوارث من بعده البطاركة بها البطركية واحدا بعد واحد ودعا شمعون الصفا برومية خمسا وعشرين سنة فآمنت به بطركية وسارت الى القدس وكشفت عن خشبات الصلب وسلمتها الى يعقوب بن يوسف الاسقف وبنت هنالك كنيسة وعادت الى رومية وقد اشتدت على دين النصرانية فآمن معها عدة من أهلها واجتمع الرسل بمدينة رومية ووضعوا القوانين وأرسلوها على يد قليموس تلميذ بطرس فكتبوا فيها عدد الكتب التى يجب قبولها من العتيقة والجديدة فأما العتيقة فالتوراة وكتاب يوشع بن نون وكتاب القضاة وكتاب راعون وكتاب يهوديت وسير الملوك وسفر بنيامين وكتب المقابيين وكتاب عزرة وكتاب أستير وقصة هامان وكتاب أيوب وكتاب مزامير داود وكتب سليمان بن داود وكتب الانبياء وهى ستة عشر كتابا وكتاب يوشع بن شيراخ وأما الكتب الحديثة فالاناجيل الاربعة وكتاب القليليقون وكتاب بولص وكتاب الابركسيس وهو قصص الحواريين وكتاب قليموس وفيه ما أمر به الحواريون وما نهوا عنه * ولما قتل الملك نيرون قيصر بطرس رأس

الحوار يين برومية أقيم من بعده اريوس بطرك رومية وهو أوّل بطرك صار على رومية فأقام فى البطركية اثنتى عشرة سنة وقام من بعده البطاركة بها واحدا بعد واحد الى يومنا هذا الذى نحن فيه * ولما قتل يعقوب اسقف القدس على يد اليهود هدموا بعده البيعة وأخذوا خشبة الصليب والخشبتين معها ودفنوها وألقوا على موضعها ترابا كثيرا فصار كوما عظيما حتى أخرجتها هيلانة أم قسطنطين كما ستراه قريبا ان شاء الله تعالى وأقيم بعد قتل يعقوب سمعان ابن عمه أسقف القدس فمكث اثنتين وأربعين سنة أسقفا ومات فتداول الاساقفة بعده الاسقفية بالقدس واحدا بعد آخر * ولما أقام مرقص حنانيا ويقال أنانيو بطرك الاسكندرية جعل معه اثنى عشر قسا وأمرهم اذا مات البطرك أن يجعلوا عوضه واحدا منهم ويقيموا بدل ذلك القس واحدا من النصارى حتى لا يزالوا أبدا اثنى عشر قسا فلم تزل البطاركة تعمل من القسوس الى أن اجتمع ثلثمائة وثمانية عشر كما ستراه ان شاء الله تعالى وكان بطرك الاسكندرية يقال له البابا من عهد حنانيا هذا أوّل بطاركة الاسكندرية الى أن أقيم ديمتريوس وهو الحادى عشر من بطاركة الاسكندرية ولم يكن بأرض مصر أساقفة فنصب الاساقفة بها وكثروا فغزاها فى بطركيته هرقل وصار الاساقفة يسمون البطرك الاب والقسوس وسائر النصارى يسمون الاسقف الاب ويجعلون لفظة البابا تختص ببطرك الاسكندرية ومعناها أبو الآباء ثم انتقل هذا الاسم عن كرسى الاسكندرية الى كرسى رومية من أجل انه كرسى بطرس رأس الحواريين فصار بطرك رومية يقال له البابا واستمرّ على ذلك الى زمننا الذى نحن فيه وأقام انانيو وهو حنانيا فى بطركية الاسكندرية اثنتين وعشرين سنة ومات فى عشرى هاتور سنة سبع وثمانين لظهور المسيح فأقيم بعده مينيو فأقام ثنتى عشرة سنة وتسعة اشهر ومات وفى أثناء ذلك ثار اليهود على النصارى وأخرجوهم من القدس فعبروا الاردن وسكنوا تلك الاماكن فكان بعد هذا بقليل خراب القدس وجلاية اليهود وقتلهم على يد طيطش (ويقال طيطوس) بعد رفع المسيح بنحو أربع وأربعين سنة فكثرت النصارى فى أيام بطركية مينيو وعاد كثير منهم الى مدينة القدس بعد تخريب طيطش لها وبنوا بها كنيسة وأقاموا عليها سمعان أسقفا ثم أقيم بعد مينيو فى الاسكندرية فى البطركية كرتيانو وفى أيام الملك اندريانوس قيصر أصاب النصارى منه بلاء كثير وقتل منهم جماعة كثيرة واستعبد باقيهم فنزل بهم بلاء لا يوصف فى العبودية حتى رحمهم الوزراء وأكابر الروم وشفعوا فيهم فمنّ عليهم قيصر وأعتقهم ومات كرتيانو بطرك الاسكندرية فى حادى عشر برمودة بعد ما دبر الكرسى احدى عشرة سنة وكان حميد السيرة فقدم بعده اريموفا فأقام اثنتى عشرة سنة ومات فى ثالث مسرى واشتدّ الامر على النصارى فى أيام الملك أريدويانوس وقتل منهم خلائق لا يحصى عددهم وقدم مصر فأفنى من بها من النصارى وخرّب ما بنى فى مدينة القدس من كنيسة النصارى ومنعهم من التردّد اليها وأنزل عوضهم بالقدس اليونانيين وسمى القدس ايليا فلم يتجاسر نصرانى أن يدنو من القدس وأقيم بعد موت اريمو بطرك الاسكندرية بسطس فأقام احدى عشرة سنة ومات فى ثانى عشر بؤنة فخلف بعده أرمانيون فأقام عشر سنين وأربعة أشهر ومات فى عاشر بابة فأقيم بعده موقيانو بطرك الاسكندرية تسع سنين وستة أشهر ومات فى سادس طوبه فقدم بعده على الاسكندرية كلوتيانو فأقام أربع عشرة سنة ومات فى تاسع أبيب وفى أيامه اشتدّ الملك أوليانوس قيصر على النصارى وقتل منهم خلقا كثيرا وقدّم على كرسى الاسكندرية بعد كلوتيانو غرنبو بطركا فأقام اثنتى عشرة سنة ومات فى خامس امشير وفى أيام بطركيته اتفق رأى البطاركة بجميع الامصار على حساب فصح النصارى وصومهم ورتبوا كيف يستخرج ووضعوا حساب الابقطى وبه يستخرجون معرفة وقت صومهم وفصحهم واستمرّ الامر على ما رتبوه فيما بعد وكانوا قبل ذلك يصومون بعد الغطاس أربعين يوما كما صام المسيح عليه السلام ويفطرون وفى عيد الفسح يعملون الفسح مع اليهود فنقل هؤلاء البطاركة الصوم واوصلوه بعيد الفسح لانّ عيد الفسح كانت فيه قيامة المسيح من الاموات بزعمهم وكان الحواريون قد أمروا أن لا يغير عن وقته وأن يعملوه كل سنة فى ذلك الوقت ثم أقيم بكرسى الاسكندرية بعد غرنبو فى البطركية بوليانوس فأقام عشر سنين ومات فى ثامن برمهات فاستخلف بعده ديمتريوس فأقام بعده فى البطركية ثلاثا وثلاثين سنة ومات وكان فلاحا أميا وله زوجة ذكر عنه أنه لم يجامعها قط وفى أيامه اثار الملك سوريانوس قيصر على النصارى بلاء كبيرا فى جميع مملكته

وقتل

وقتل منهم خلقا كثيرا وقدم مصر وقتل جميع من فيها من النصارى وهدم كنائسهم وبنى بالاسكندرية هيكلا لاصنامه ثم أقيم بعده فى بطركية الاسكندرية باركلا فأقام ست عشرة سنة ومات فى ثامن كيهك فلقى النصارى من الملك مكسيموس قيصر شدة عظيمة وقتل منهم خلقا كثيرا فلما ملك فيلبش قيصر اكرم النصارى وقدم على بطركية الاسكندرية ديوسيوس فأقام تسع عشرة سنة ومات فى ثالث توت وفى أيامه كان الراهب انطونيوس المصرى وهو أوّل من ابتدأ بلبس الصوف وابتدأ بعمارة الديارات فى البرارى وأنزل بها الرهبان ولقى النصارى من الملك داقيوس قيصر شدة فانه أمرهم أن يسجدوا الاصنامه فأبوا من السجود لها فقتلهم أبرح قتله وفرّ منه الفتية أصحاب الكهف من مدينة أفسس واختفوا فى مغارة فى جبل شرقى المدينة وناموا فضرب الله على آذانهم فلم يزالوا نائمين ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا فقام من بعده بالاسكندرية مكسيموس وأقام بطركا اثنى عشرة سنة ومات فى رابع عشر برموده فأقيم بعده تؤوبا بطركا مدة سبع سنين وتسعة أشهر ومات وكانت النصارى قبله تصلى بالاسكندرية خفية من الروم خوفا من القتل فلاطف تؤوبا الروم وأهدى اليهم تحفا جليلة حتى بنى كنيسة مريم بالاسكندرية فصلى بها النصارى جهرا واشتد الامر على النصارى فى أيام الملك طيباريوس قيصر وقتل منهم خلقا كثيرا فلما كانت أيام دقلطيانوس قيصر خالف عليه أهل مصر والاسكندرية فقتل منهم خلقا كثيرا وكتب بغلق كنائس النصارى وأمر بعبادة الاصنام وقتل من امتنع منها فارتدّ خلائق كثيرة جدا وأقام فى البطركية بعد تؤوبا بطرس فأقام احدى عشرة سنة وقتل فى الاسكندرية بالسيف وقتل معه امرأته وابنتاه لامتناعهم من السجود للاصنام فقام بعده تلميذه ارشلاوش فأقام ستة اشهر ومات وبدقلطيانوس هذا وقتله لنصارى مصر يؤرخ قبط مصر الى يومنا هذا كما قد ذكرناه فى تاريخ القبط عند ذكر التواريخ من هذا الكتاب فراجعه ثم قام من بعده مكسيمانوس قيصر فاشتد على النصارى وقتل منهم خلقا كثيرا حتى كانت القتلى منهم تحمل على العجل وترمى فى البحر ثم قام بعد أرشلاوش فى بطركية الاسكندرية اسكندروس تلميذ بطرس الشهيد فأقام ثلاثا وعشرين سنة ومات فى ثانى عشرى برموده وفى بطركيته كان مجمع النصارى بمدينة نيقية وفى أيامه كتب النصارى وغيرهم من أهل رومية الى قسطنطين وكان على مدينة بزنطية يحثونه على أن ينقذهم من جور مكسيمانوس وشكوا اليه عتوه فأجمع على المسير لذلك وكانت أمه هيلانى من أهل قرى مدينة الرها قد تنصرت على يد أسقف الرها وتعلمت الكتب فلما مرّ بقريتها قسطس صاحب شرطة دقلطيانوس رآها فأعجبته فتزوجها وحملها الى بزنطية مدينته فولدت له قسطنطين وكان جميلا فأنذر دقلطيانوس منجموه بأن هذا الغلام قسطنطين سيملك الروم ويبدل دينهم فأراد قتله ففرّ منه الى الرها وتعلم بها الحكمة اليونانية حتى مات دقلطيانوس فعاد الى بزنطية فسلمها له أبوه قسطس ومات فقام بأمرها بعد أبيه الى أن استدعاه أهل رومية فأخذ يدبر فى مسيره فرأى فى منامه كواكب فى السماء على هيئة الصليب وصوت من السماء يقول له احمل هذه العلامة تنتصر على عدوّك فقص رؤياه على أعوانه وعمل شكل الصليب على أعلامه وبنوده وسار لحرب مكسيمانوس برومية فبرز اليه وحاربه فانتصر قسطنطين عليه وملك رومية وتحوّل منها فجعل دار ملكه قسطنطينية فكان هذا ابتداء رفع الصليب وظهوره فى الناس فاتخذه النصارى من حينئذ وعظموه حتى عبدوه وأكرم قسطنطين النصارى ودخل فى دينهم بمدينة نيقوميديا فى السنة الثانية عشرة من ملكه على الروم وأمر ببناء الكنائس فى جميع ممالكه وكسر الاصنام وهدم بيوتها وعمل المجمع بمدينة نيقية وسببه أن الاسكندروس بطرك الاسكندرية منع اريوس من دخول الكنيسه وحرمه لمقالته ونقل عن بطرس الشهيد بطرك اسكندرية انه قال عن اريوس ان ايمانه فاسد وكتب بذلك الى جميع البطاركة فمضى اريوس الى الملك قسطنطين ومعه أسقفان فاستغاثوا به وشكوا الاسكندروس فأمر بأحضاره من الاسكندرية فحضر هو واريوس وجمع له الاعيان من النصارى ليناظروه فقال اريوس كان الاب اذ لم يكن الابن ثم أحدث الابن فصار كلمة له فهو محدث مخلوق فوض اليه الاب كل شئ فخلق الابن المسمى بالكلمة كل شئ من السموات والارض وما فيهما فكان هو الخالق بما أعطاه الاب ثم ان تلك الكلمة تجسدت من مريم وروح القدس فصار ذلك مسيحا فاذا المسيح معنيان كلمة وجسد وهما جميعا مخلوقان فقال الاسكندروس أيما أوجب عبادة من خلقنا أو عبادة من لم يخلقنا فقال اريوس بل عبادة

من خلقنا أوجب فقال الاسكندروس فان كان الابن خلقنا كما وصفت وهو مخلوق فعبادته أوجب من عبادة الاب الذي ليس بمخلوق بل تكون عبادة الخالق كفرا وعبادة المخلوق ايمانا وهذا أقبح القبيح فاستحسن الملك قسطنطين كلام اسكندروس وأمره أن يحرم اريوس فحرمه وسأل اسكندروس الملك أن يحضر الاساقفة فأمر بهم فأتوه من جميع ممالكه واجتمعوا بعد ستة أشهر بمدينة نيقية وعدتهم ألفان وثلثمائة وأربعون أسقفا مختلفون في المسيح فمنهم من يقول الابن من الاب بمنزلة شعلة نار تعلقت من شعلة أخرى فلم تنقص الاولى بانفصال الثانية عنها وهذه مقالة سبليوس الصعيدي ومن تبعه ومنهم من قال ان مريم لم تحمل بالمسيح تسعة أشهر بل مر بأحشائها كمرور الماء بالميزاب وهذا قول اليان ومن تبعه ومنهم من قال المسيح بشر مخلوق وان ابتداء الابن من مريم ثم انه اصطفى فصحبته النعمة الالهية بالمحبة والمشيئة ولذلك سمي ابن الله تعالى عن ذلك ومع ذلك فالله واحد قيوم وأنكر هؤلاء الكلمة والروح فلم يؤمنوا بهما وهذا قول بولص السميساطي بطرك انطاكية وأصحابه ومنهم من قال الآلهة ثلاثة صالح وطالح وعدل بينهما وهذا قول مرقيون وأتباعه ومنهم من قال المسيح وأمه الهان من دون الله وهذا قول المرايمة من فرق النصارى ومنهم من قال بل الله خلق الابن وهو الكلمة في الازل كما خلق الملائكة روحا طاهرة مقدسة بسيطة مجردة عن المادة ثم خلق المسيح في آخر الزمان من أحشاء مريم البتول الطاهرة فاتحد الابن المخلوق في الازل بانسان المسيح فصارا واحدا ومنهم من قال الابن مولود من الاب قبل كل الدهور غير مخلوق وهو جوهر من جوهره ونور من نوره وان الابن اتحد بالانسان المأخوذ من مريم فصارا واحدا وهو المسيح وهذا قول الثلثمائة وثمانية عشر فتحير قسطنطين في اختلافهم وكثر تعجبه من ذلك وأمر بهم فأنزلوا في أماكن وأجرى لهم الارزاق وأمرهم أن يتناظروا حتى يتبين له صوابهم من خطاهم فثبت الثلثمائة وثمانية عشر على قولهم المذكور واختلف باقيهم فمال قسطنطين الى قول الاكثر وأعرض عما سواه وأقبل على الثلثمائة وثمانية عشر وأمر لهم بكراسي وأجلسهم عليها ودفع اليهم سيفه وخاتمه وبسط ايديهم في جميع مملكته فباركوا عليه ووضعوا له كتاب قوانين الملوك وقوانين الكنيسة وفيه ما يتعلق بالمحاكمات والمعاملات والمناكحات وكتبوا بذلك الى سائر الممالك وكان رئيس هذا الجمع الاسكندروس بطرك الاسكندرية واسطاثس بطرك انطاكية ومقاريوس أسقف القدس ووجه سلطوس بطرك رومية بقسيسين اتفقا معهم على حرمان اريوس فحرموه ونفوه ووضع الثلثمائة وثمانية عشر الامانة المشهورة عندهم وأوجبوا أن يكون الصوم متصلا بعيد الفصح على مارسمه البطاركة في أيام الملك أورليانوس قيصر كما تقدم ومنعوا أن يكون للاسقف زوجة وكان الاساقفة قبل ذلك اذا كان مع أحدهم زوجة لا يمنع منها اذا عمل أسقفا بخلاف البطرك فانه لا يكون له امرأة البتة وانصرفوا من مجلس قسطنطين بكرامة جليلة والاسكندروس هذا هو الذي كسر الصنم النحاس الذي كان في هيكل زحل بالاسكندرية وكانوا يعبدونه ويعملون له عيدا في ثاني عشر هتور ويذبحون له الذبائح الكثيرة فأراد الاسكندروس كسر هذا الصنم فمنعه أهل الاسكندرية فاحتال عليهم وتلطف في حيلته الى أن قرب العيد فجمع الناس ووعظهم وقبح عندهم عبادة الصنم وحثهم على تركه وأن يعمل هذا العيد لميكائيل رئيس الملائكة الذي يشفع فيهم عند الاله فان ذلك خير من عمل العيد للصنم فلا يتغير عمل العيد الذي جرت عادة أهل البلد بعمله ولا تبطل ذبائحهم فيه فرضي الناس بهذا ووافقوه على كسر الصنم فكسره وأحرقه وعمل بيته كنيسة على اسم ميكائيل فلم تزل هذه الكنيسة بالاسكندرية الى أن حرقها جيوش الامام المعز لدين الله أبي تميم معد لما قدموا في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة واستمر عيد ميكائيل عند النصارى بديار مصر باقيا يعمل في كل سنة وفي السنة الثانية والعشرين من ملك قسطنطين سارت أمه هيلاني الى القدس وبنت به كنائس للنصارى فدلها مقاريوس الاسقف على الصليب وعرفها ما عملته اليهود فعاقبت كهنة اليهود حتى دلوها على الموضع فحفرته فاذا قبر وثلاث خشبات زعموا أنهم لم يعرفوا الصليب المطلوب من الثلاث خشبات الا بأن وضعت كل واحدة منها على ميت قد بلي فقام حيا عندما وضعت عليه خشبة منها فعملوا لذلك عيدا مدة ثلاثة أيام عرف عندهم بعيد الصليب ومن حينئذ عبد النصارى الصليب وعملت له هيلاني غلافا من ذهب وبنت كنيسة القيامة التي تعرف اليوم بكنيسة قمامة وأقامت مقاريوس الاسقف على بناء بقية الكنائس وعادت الى بلادها فكانت مدة ما بين ولادة المسيح وظهور الصليب

ثلثمائة وثمان وعشرين سنة ثم قام فى بطركية الاسكندرية بعد اسكندروس تلميذه اثناسيوس الرسولى فأقام ستا وأربعين سنة ومات بعد ما ابتلى بشدائد وغاب عن كرسيه ثلاث مرّات وفى أيامه جرت مناظرات طويلة مع أوسانيوس للاسقف آلت الى ضربه وفراره فانه تعصب لاريوس وقال انه لم يقل ان المسيح خلق الاشياء وانما قال به خلق كل شئ لانه كلمة الله التى بها خلق السموات والارض وانما خلق الله تعالى جميع الاشياء بكلمته فالاشياء به كوّنت لا انه كوّنها وانما الثلثمائة وثمانية عشر تعدّوا عليه وفى أيامه تنصر جماعة من اليهود وطعن بعضهم فى التوراة التى بأيدى اليهود وانهم نقصوا منها وان الصحيحة هى التى فسرها السبعون فأمر قسطنطين اليهود باحضارها وعاقبهم على ذلك حتى دلوه على موضعها بمصر فكتب باحضارها فحملت اليه فاذا بينها وبين توراة اليهود نقص ألف وثلثمائة وتسع وستين سنة زعموا أنهم نقصوها من مواليد من ذكر فيها لاجل المسيح وفى أيامه بعثت هيلانى بمال عظيم الى مدينة الرها فبنى به كنائسها العظيمة وأمر قسطنطين باخراج اليهود من القدس وألزمهم بالدخول فى دين النصرانية ومن امتنع منهم قتل فتنصر كثير منهم وامتنع أكثرهم فقتلوا ثم امتحن من تنصر منهم بأن جمعهم يوم الفصح فى الكنيسة وأمرهم بأكل لحم الخنزير فأبى أكثرهم أن يأكل منه فقتل منهم فى ذلك اليوم خلائق كثيرة جدّا * ولما قام قسطنطين ابن قسطنطين فى الملك بعد أبيه غلبت مقالة اريوس على القسطنطينية وانطاكية والاسكندرية وصار أكثر أهل الاسكندرية وأرض مصر اريوسيين ومنانيين واستولوا على مابها من الكنائس ومال الملك الى رأيهم وحمل الناس عليه ثم رجع عنه وزعم ابريس أسقف القدس انه ظهر من السماء على القبر الذى بكنيسة القمامة شبه صليب من نور فى يوم عيد العنصرة لعشرة أيام من شهر ايار فى الساعة الثالثة من النهار حتى غلب نوره على نور الشمس ورآه جميع أهل القدس عيانا فأقام فوق القبر عدّة ساعات والناس تشاهده فآمن يومئذ من اليهود وغيرهم عدّة آلاف كثيرة * ثم لما ملك مواهيانوس ابن عم قسطنطين اشتدّت نكايته للنصارى وقتل منهم خلقا كثيرا ومنعهم من النظر فى شئ من الكتب وأخذ أوانى الكنائس والديارات ونصب مائدة كبيرة عليها أطعمة مما ذبحه لاصنامه ونادى من أراد المال فليضع البخور على النار وليأكل من ذبائح الحنفاء ويأخذ ما يريد من المال فامتنع كثير من الروم وقالوا نحن نصارى فقتل منهم خلائق ومحا الصليب من أعلامه وبنوده وفى أيامه سكن القديس أيارنوس برّية الاردن وبنى بها الديارات وهو أوّل من سكن برّية الاردن من النصارى فلما ملك يوسيانوس على الروم وكان متنصرا عاد كل من كان فرّ من الاساقفة الى كرسيه وكتب الى أثناسيوس بطرك الاسكندرية أن يشرح له الامانة المستقيمة فجمع الاساقفة وكتبوا له أن يلزم أمانة الثلثمائة وثمانية عشر فثار أهل الاسكندرية على اثناسيوس ليقتلوه ففرّ وأقاموا بدله لوقيوس وكان اريوسيا فاجتمع مع الاساقفة بعد خمسة اشهر وحرموه ونفوه وأعادوا اثناسيوس الى كرسيه فأقام بطركا الى أن مات فخلفه بطرس ثم وثب الاريسيون عليه بعد سنتين ففرّ منهم وأعادوا لوقيوس فأقام بطركا ثلاث سنين ووثب عليه أعداؤه ففرّ منهم فردّوا بطرس فى العشرين من امشير فأقام سنة وقدم فى أيام واليس ملك الروم اريوس أسقف انطاكية الى الاسكندرية باذن الملك وأخرج منها جماعة من الروم وحبس بطرس بطركها ونصب بدله اريوس السميساطى ففرّ بطرس من الحبس الى رومية واستجار ببطركها وكان واليس اريوسيا فسار الى زيارة كنيسة مارتوما بمدينة الرها ونفى أسقفها وجماعة معه الى جزيرة رودس ونفى سائر الاساقفة لمخالفتهم لرأيه ماعدا اثنين وأقام فى بطركية الاسكندرية طيماتاوس فأقام سبع سنين ومات وفى أيامه كان المجمع الثانى من مجامع النصارى بقسطنطينية فى سنة اثنتى عشرة ومائة لدقلطيانوس فاجتمع مائة وخمسون أسقفا وحرموا مقدنيوس عدوّ روح القدس وكل من قال بقوله وسبب ذلك انه قال ان روح القدس مخلوق وحرموا معه غير واحد لعقائد شنيعة تظاهروا بها فى المسيح وزاد الاساقفة فى الامانة التى رتبها الثلثمائة وثمانية عشر ونؤمن بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الاب قات تعالى الله عما يقولون علوّا كبيرا وحرّموا أن يزاد فيها بعد ذلك شئ أو ينقص منها شئ وكان هذا المجمع بعد مجمع نيقية بثمان وخمسين سنة وفى أيامه بنيت عدّة كنائس بالاسكندرية واستتيب جماعة كثيرة من مقالة اريوس وفى أيامه أطلق للاساقفة والرهبان أكل اللحم يوم الفصح ليخالفوا الطائفة المنانية فانهم كانوا يحرّمون أكل اللحم مطلقا وردّ الملك اغراديانوس كل من نفاه واليس من الاساقفة وأمر

أن يلزم كل واحد دينه ماخلا المنانية ثم أقيم بكرسي الاسكندرية تاوفيلا فأقام سبعا وعشرين سنة ومات فى ثامن عشر بابه وفى أيامه ظهر الفتية أهل الكهف وكان تاوداسيوس اذذاك ملكا على الروم فبنى عليهم كنيسة وجعل لهم عيدا فى كل سنة واشتد الملك تاوداسيوس على الاريسيين وضيق عليهم وأمر فأخذت منهم كنائس النصارى بعد ما حكموها نحو أربعين سنة وأسقط من جيشه من كان اريوسيا وطرد من كان فى ديوانه وخدمه منهم وقتل من الحنفاء كثيرا وهدم بيوت الاصنام بكل موضع وفى أيامه بنيت كنيسة مريم بالقدس وفى أيام الملك ارغاديوس بنى دير القصر المعروف الآن بدير البغل فى جبل المقطم شرقى طرا خارج مدينة فسطاط مصر * ثم أقيم فى بطركية الاسكندرية كرلص فأقام اثنتين وثلاثين سنة ومات فى ثالث أبيب وهو أول من أقام القومة فى كنائس الاسكندرية وأرض مصر * وفى أيامه كان المجمع الثالث من مجامع النصارى بسبب نسطورس بطرك قسطنطين فانه منع أن تكون مريم أم عيسى وقال انما ولدت مريم انسانا اتحد بمشيئة الاله يعنى عيسى فصار الاتحاد بالمشيئة خاصة لا بالذات وان اطلاق الاله على عيسى ليس هو بالحقيقة بل بالموهبة والكرامة وقال ان المسيح حل فيه الابن الازلى وانى أعبده لان الاله حل فيه وانه جوهران وأقنومان ومشيئة واحدة وقال فى خطبته يوم الميلاد ان مريم ولدت انسانا وأنا لا أعتقد فى ابن شهرين وثلاثة الالهية ولا أسجد له سجودى للاله وكان هذا هو اعتقاد تادروس وديوادارس الاسقفين وكان من قولهما أن المولود من مريم هو المسيح والمولود من الاب هو الابن الازلى وانه حل فى المسيح فسمى ابن الله بالموهبة والكرامة وان الاتحاد بالمشيئة والارادة وأثبتوا لله تعالى عن قولهم ولدين أحدهما بالجوهر والآخر بالنعمة فلما بلغ كرلص بطرك الاسكندرية مقالة نسطورس كتب اليه يرجعه عنها فلم يرجع فكتب الى أكليمس بطرك رومية والى يوحنا بطرك انطاكية والى يوناليوس أسقف القدس يعرفهم بذلك فكتبوا بأجمعهم الى نسطورس ليرجع عن مقالته فلم يرجع فتواعد البطاركة على الاجتماع بمدينة أفسس فاجتمع بها مائتا أسقف ولم يحضر يوحنا بطرك انطاكية وامتنع نسطورس من المجىء اليهم بعد ما كرروا الارسال فى طلبه غير مرة فنظروا فى مقالته وحرموه ونفوه فحضر بعد ذلك يوحنا فعز عليه فصل الامر قبل قدومه وانتصر لنسطورس وقال قد حرموه بغير حق وتفرقوا من أفسس على شر ثم اصطلحوا وكتب المشرقيون صحيفة بأمانتهم وبحرمان نسطورس وبعثوا بها الى كرلص فقبلها وكتب اليهم بأن أمانته على ما كتبوا فكان بين المجمع الثانى وبين هذا المجمع خمسون وقيل خمس وخمسون سنة وأما نسطورس فانه نفى الى صعيد مصر فنزل مدينة اخميم وأقام بها سبع سنين ومات فدفن بها وظهرت مقالته فقبلها برصوما أسقف نصيبين ودان بها نصارى أرض فارس والعراق والموصل والجزيرة الى الفرات وعرفوا الى اليوم بالنسطورية ثم قدم تاوداسيوس ملك الروم فى الثانية من ملكه ديسقورس بطركا بالاسكندرية فظهر فى أيامه مذهب اوطاخى أحد القنومين بالقسطنطينية وزعم أن جسد المسيح لطيف غير مساو لاجسادنا وأن الابن لم يأخذ من مريم شيأ فاجتمع عليه مائة وثلاثون أسقفا وحرموه واجتمع بالاسكندرية كثير من اليهود فى يوم الفسح وصلبوا صنما على مثال المسيح وعبثوا به فثار بينهم وبين النصارى شر قتل فيه بين الفريقين خلق كثير فبعث اليهم ملك الروم جيشا قتل اكثر يهود الاسكندرية وكان المجمع الرابع من مجامع النصارى بمدينة خلقدونية وسببه أن ديسقورس بطرك الاسكندرية قال ان المسيح جوهر من جوهرين وقنوم من قنومين وطبيعة من طبيعتين ومشيئة من مشيئتين وكان رأى مرقيانوس ملك الروم انه جسد وأهل مملكته انه جوهران وطبيعتان ومشيئتان وقنوم واحد فلما رأى الاساقفة أن هذا رأى الملك خافوه فوافقوه على رأيه ماخلا ديسقورس وستة أساقفة فانهم لم يوافقوا الملك وكتب من عداهم من الاساقفة خطوطهم بما اتفقوا عليه فبعث ديسقورس يطلب منهم الكتاب ليكتب فيه فلما وصل اليه كتابهم كتب فيه أمانته هو وحرمهم وكل من يخرج عنها فغضب الملك مرقيانوس وهم بقتله فأشير عليه باحضاره ومناظرته فأمر به فحضر وحضر ستمائة وأربعة وثلاثون أسقفا فأشار الاساقفة والبطاركة على ديسقورس بموافقة رأى الملك واستمراره على رياسته فدعا للملك وقال ايها الملك لا يلزمه البحث فى هذه الامور الدقيقة بل ينبغى له أن يشتغل بأمور مملكته وتدبيرها ويدع الكهنة يبحثون عن الامانة المستقيمة فانهم يعرفون الكتب ولا يكون له هوى مع أحد ويتبع الحق فقالت بلخارية زوجة الملك مرقيانوس وكانت جالسة

بازائه يا ديسقورس قد كان فى زمان أمى انسان قوى الرأس مثلك وحرموه ونفوه عن كرسيه تعنى يوحنا فم الذهب بطرك قسطنطينية فقال لها قد علمت ماجرى لامّك وكيف ابتليت بالمرض الذى تعرفينه الى أن مضت الى جسد يوحنا فم الذهب واستغفرت فعوفيت فخنقت من قوله ولكمته فانقلع له ضرسان وتناولته أيدى الرجال فنتفوا اكثر لحيته وأمر الملك بحرمانه ونفيه عن كرسيه فاجتمعوا عليه وحرموه ونفوه وأقيم عوضه برطاوس ومن هذا المجمع افترق النصارى وصاروا ملكية على مذهب مرقيانوس الملك ويعقوبية على رأى ديسقورس وذلك فى سنة ثلاث وتسعين ومائة لدقلطيانوس وكتب مرقيانوس الى جميع مملكته ان كل من لا يقول بقوله يقتل فكان بين المجمع الثالث وبين هذا المجمع احدى وعشرون سنة وأما ديسقورس فانه أخذ ضرسيه وشعر لحيته وأرسلها الى الاسكندرية وقال هذه ثمرة تعبى على الامانة فتبعه أهل اسكندرية ومصر وتوجه فى نفيه فعبر على القدس وفلسطين وعرّفهم مقالته فتبعوه وقالوا بقوله وقدّم عدّة أساقفة يعقوبية ومات وهو منفى فى رابع توت فكانت مدّة بطركيته أربع عشرة سنة وبقى كرسى المملكة بغير بطرك مدّة مملكة مرقيانوس وقيل بل قدّم برطاوس وقد اختلف فى تسمية اليعقوبية بهذا فقيل ان ديسقورس كان يسمى قبل بطركيته يعقوب وانه كان يكتب وهو منفى الى أصحابه بأن يثبتوا على أمانة المسكين المنفى يعقوب وقيل بل كان له تلميذ اسمه يعقوب وكان يرسله وهو منفى الى أصحابه فنسبوا اليه وقيل بل كان يعقوب تلميذ ساويرس بطرك انطاكية وكان على رأى ديسقورس فكان ساويرس يبعث يعقوب الى النصارى و يثبتهم على أمانة ديسقورس فنسبوا اليه وقيل بل كان يعقوب كثير العبادة والزهد يلبس خرق البراذع فسمى يعقوب البراذعى من أجل ذلك وانه كان يطوف البلاد ويردّ الناس الى مقالة ديسقورس فنسب من اتبع رأيه اليه وسموا يعقوبية ويقال ليعقوب أيضا يعقوب السروجى وفى أيام مرقيانوس كان سمعان الحبيس صاحب العمود وهو أوّل راهب سكن صومعة وكان مقامه بمغارة فى جبل انطاكية ولما مات مرقيانوس وثب أهل الاسكندرية على برطاوس البطرك وقتلوه فى الكنيسة وحملوا جسده الى الملعب الذى بناه بطليموس وأحرقوه بالنار من أجل أنه ملكى الاعتقاد فكانت مدّة بطركيته ست سنين وأقاموا عوضه طيماتاوس وكان يعقوبيا فأقام ثلاث سنين وقدم قائد من قسطنطينية فنفاه وأقام عوضه ساويرس وكان ملكيا فأقام اثنتين وعشرين سنة ومات فى سابع مسرى فلما ملك زينون بن لاون الروم أكرم اليعقوبية وأعزهم لانه كان يعقوبيا وكان يحمل الى دير يوقنا كل سنة ما يحتاج اليه من القمح والزيت وهرب ساويرس من كرسى الاسكندرية الى وادى هبيب ورجع طيماتاوس من نفيه فأقام بطركا سنتين ومات فأقيم بعده بطرس فأقام ثمانى سنين وسبعة أشهر وستة أيام ومات فى رابع هتور فأقيم بعده اثناسيوس فأقام سبع سنين ومات فى العشرين من توت وفى أيامه احترق الملعب الذى بناه بطليموس وأقيم يوحنا فى بطركية الاسكندرية وكان يعقوبيا فأقام تسع سنين ومات فى رابع بشنس فخلا الكرسى بعده سنة ثم أقيم يوحنا الحبيس فأقام احدى وعشرين سنة ومات فى سابع عشرى بشنس فأقيم بعده ديسقورس الجديد فأقام سنتين وخمسة اشهر ومات فى سابع عشر بابه وكتب ايليا بطرك القدس الى نسطاس ملك الروم بأن يرجع عن مقالة اليعقوبية الى مقالة الملكية وبعث اليه جماعة من الرهبان بهدية سنية فقبل هديته وأجاز الرهبان بجوائز جليلة وجهزله مالا جزيلا لعمارة الكنائس والديارات والصدقات فتوجه ساويرس الى نسطاس وعرّفه أن الحق هو اعتقاد اليعقوبية فأمر أن يكتب الى جميع مملكته بقبول قول ديسقورس وترك المجمع الخلقدونى فبعث اليه بطرك انطاكية بأن هذا الذى فعلته غير واجب وأن المجمع الخلقدونى هو الحق فغضب الملك ونفاه وأقام بدله فأمر ايليا بطرك القدس بجمع الرهبان ورؤساء الديارات فاجتمع له منهم عشرة آلاف نفس وحرموا نسطاس الملك ومن يقول بقوله فأمر نسطاس بنفى ايليا الى مدينة ايلة فاجتمع بطاركة الملكية وأساقفتهم وحرموا الملك نسطاس ومن يقول بقوله وفى أيام نسطايوس الملك ألزم الحنفاء أهل حرّان وهم الصابئة بالتنصر فتنصر كثير منهم وقتل أكثرهم على امتناعهم من دين النصرانية وردّ جميع من نفاه نسطاس من الملكية فانه كان ملكيا وأقيم طيماتاوس فى بطركية الاسكندرية وكان يعقوبيا فأقام ثلاث سنين ونفى وأقيم بدله أبوليناريوس وكان ملكيا فجدّ فى رجوع النصارى بأجمعهم الى رأى الملكية وبذل جهده فى ذلك وألزم نصارى مصر بقبول الامانة المحدثة فوافقوه

ووافقه رهبان ديارات بومقار بوادى هبيب هذا ويعقوب البراذعى يدور فى كل موضع ويثبت أصحابه على الامانة التى زعم انها مستقيمة وأمر الملك جميع الاساقفة بعمل الميلاد فى خامس عشرى كانون الاول وبعمل الغطاس لست تخلو من كانون الثانى وكان كثير منهم يعمل الميلاد والغطاس فى يوم واحد وهو سادس كانون الثانى وعلى هذا الرأى الازمن الى يومنا هذا وفى هذه الايام ظهر يوحنا النحوى بالاسكندرية وزعم أن الاب والابن وروح القدس ثلاثة آلهة وثلاث طبائع وجوهر واحد وظهر يوليان وزعم أن جسد المسيح نزل من السماء وانه لطيف روحانى لا يقبل الآلام الا عند مقارفة الخطيئة والمسيح لم يقارف خطيئة فلذلك لم يصلب حقيقة ولم يتألم ولم يمت وانما ذلك كله خيال فأمر الملك البطرك طيماتاوس أن يرجع الى مذهب الملكية فلم يفعل فأمر بقتله ثم شفع فيه ونفى وأقيم بدله بولص وكان ملكيا فأقام سنتين فلم يرضه اليعاقبة وقيل انهم قتلوه وصيروا عوضه بطركا ديلوس وكان ملكيا فأقام خمس سنين فى شدة من التعب وأرادوا قتله فهرب وأقام فى هربه خمس سنين ومات فبلغ ملك الروم يوسطيانوس أن اليعقوبية قد غلبوا على الاسكندرية ومصر وأنهم لا يقبلون بطاركته فبعث أنوليناريوس أحد قواده وضم اليه عسكرا كبيرا الى الاسكندرية فلما قدمها ودخل الكنيسة نزع عنه ثياب الجند ولبس ثياب البطاركة وقدس فهم ذلك الجمع برجمه فانصرف وجمع عسكره وأظهر أنه قد أتاه كتاب الملك ليقرأه على الناس وضرب الجرس فى الاسكندرية يوم الاحد فاجتمع الناس الى الكنيسة حتى لم يبق أحد فطلع المنبر وقال يا أهل الاسكندرية ان تركتم مقالة اليعقوبية والا أخاف أن يرسل الملك فيقتلكم ويستبيح أموالكم وحريمكم فهموا برجمه فأشار الى الجند فوضعوا السيف فيهم فقتل من الناس ما لا يحصى عدده حتى خاض الجند فى الدماء وقيل ان الذى قتل يومئذ مائتا ألف انسان وفر منهم خلق الى الديارات بوادى هبيب وأخذ الملكية كنائس اليعاقبة ومن يومئذ صار كرسى اليعقوبية فى دير بومقار بوادى هبيب وفى أيامه ثارت السامرة على أرض فلسطين وهدموا كنائس النصارى وأحرقوا ما فيها وقتلوا جماعة من النصارى فبعث الملك جيشا فقتلوا من السامرة خلقا كثيرا ووضع من خراج فلسطين جملة وجدد بناء الكنائس وأنشأ مارستانا ببيت المقدس للمرضى ووسع فى بناء كنيسة بيت لحم وبنى ديرا بطورسيناء وعمل عليه حصنا حوله عدة قلالى ورتب فيها حرسا لحفظ الرهبان * وفى أيامه كان المجمع الخامس من مجامع النصارى وسببه أن أريجانس أسقف مدينة منبج قال بتناسخ الارواح وقال كل من أسقف أنقرة وأسقف المصيصة وأسقف الرها ان جسد المسيح خيال لا حقيقى فحملوا الى القسطنطينية وجمع بينهم وبين بطركها أوطس وناظرهم وأوقع عليهم الحرمان فأمر الملك أن يجمع لهم مجمع وأمر باحضار البطاركة والاساقفة فاجتمع مائة وأربعون أسقفا وحرموا هؤلاء الاساقفة ومن يقول بقولهم فكان بين المجمع الرابع الخلقدونى وبين هذا المجمع مائة وثلاث وستون سنة * ولما مات القائد الذى عمل بطرك الاسكندرية بعد سبع عشرة سنة أقيم بعده يوحنا وكان منانيا فأقام ثلاث سنين ومات وقدم اليعاقبة بطركا اسمه تاوداسيوس أقام مدة اثنتين وثلاثين سنة وقدم الملكية بطركا اسمه داقيوس فكتب الملك الى متولى الاسكندرية أن يعرض على بطرك اليعاقبة أمانة المجمع الخلقدونى فان لم يقبلها أخرجه فعرض عليه ذلك فلم يقبله فأخرجه وأقام بعده بولص التنيسى فلم يقبله أهل الاسكندرية ومات فغلقت كنائس القبط اليعاقبة وأصابهم من الملكية شدائد كثيرة واستجد اليعاقبة بالاسكندرية كنيستين فى سنة ثمان وأربعين ومائتين لدقلطيانوس ومات تاوداسيوس ثامن عشرى بؤنة بعد اثنتين وثلاثين سنة من بطركيته منها مدة أربع سنين مدة نفيه فى صعيد مصر وأقيم بعده بطرس وكان يعقوبيا فى خفية بدير الزجاج بالاسكندرية قدمه ثلاثة أساقفة فأقام سنتين ومات فى خامس عشرى بؤنة هذا بياض له فى الاصل

من اليعاقبة سنة واحدة * وفى سنة احدى وثمانين وثمانمائة أقيم داميانو بطركا بالاسكندرية وكان يعقوبيا فأقام ستا وثلاثين سنة ومات فى ثامن عشرى بؤنة وفى أيامه خربت الديارات وأقام الملكية لهم بالاسكندرية بطركا منانيا اسمه أتناس فأقام خمس سنين ومات فأقيم بعده يوحنا وكان منانيا ولقب القائم بالحق فأقام خمسة أشهر ومات فأقيم بعده يوحنا القائم بالامر وكان ملكيا فأقام احدى عشرة سنة ومات وفى أيام الملك طيباريوس ملك الروم بنى النصارى بالمدائن مدائن كسرى هيكلا وبنوا أيضا بمدينة واسط هيكلا آخر * وفى أيام الملك موريق قيصر زعم راهب اسمه مارون أن المسيح عليه السلام طبيعتان ومشيئة واحدة

واقنوم

واقنوم واحد فتبعه على رأيه أهل حماه وقنسرين والعواصم وجماعة من الروم ودانوا بقوله فعرفوا بين النصارى بالمارونية فلما مات مارون بنوا على اسمه دير مارون بحماه * وفى أيام فوقا ملك الروم بعث كسرى ملك فارس جيوشه الى بلاد الشام ومصر فخربوا كنائس القدس وفلسطين وعامّة بلاد الشام وقتلوا النصارى بأجمعهم وأتوا الى مصر فى طلبهم فقتلوا منهم أمّة كبيرة وسبوا منهم سبيا لا يدخل تحت حصر وساعدهم اليهود فى محاربة النصارى وتخريب كنائسهم وأقبلوا نحو الفرس من طبرية وجبل الجليل وقرية الناصرة ومدينة صور وبلاد القدس فنالوا من النصارى كلّ منال وأعظموا النكاية فيهم وخرّبوا لهم كنيستين بالقدس وحرّقوا أماكنهم وأخذوا قطعة من عود الصليب وأسروا بطرك القدس وكثيرا من أصحابه ثم مضى كسرى بنفسه من العراق لغزو قسطنطينية تخت ملك الروم فحاصرها أربع عشرة سنة وفى أيام فوقا أقيم يوحنا الرحوم بطرك الاسكندرية على الملكية فدبر أرض مصر كلها عشر سنين ومات بقبرس وهو فارّ من الفرس فخلا كرسىّ اسكندرية من البطركية سبع سنين لخلوّ أرض مصر والشام من الروم واختفى من بقى بها من النصارى خوفا من الفرس وقدّم اليعاقبة نسطاسيوس بطركا فأقام ثنتى عشرة سنة ومات فى ثانى عشرى كيهك سنة ثلاثين وثلثمائة لدقلطيانوس فاستردّ ما كانت الملكية قد استولت عليه من كنائس اليعاقبة ورمّ ما شعثه الفرس منها وكانت اقامته بمدينة الاسكندرية فأرسل اليه اثناسيوس بطرك انطاكية هدية صحبة عدّة كثيرة من الاساقفة ثم قدم عليه زائرا فتلقاه وسرّ بقدومه وصارت أرض مصر فى أيامه جميعها يعاقبة لخلوّها من الروم فثارت اليهود فى أثناء ذلك بمدينة صور وراسلوا بقيتهم فى بلادهم وتواعدوا على الايقاع بالنصارى وقتلهم فكانت بينهم حرب اجتمع فيها من اليهود نحو عشرين ألفا وهدموا كنائس النصارى خارج صور فقوى النصارى عليهم وكاثروهم فانهزم اليهود هزيمة قبيحة وقتل منهم خلق كثير وكان هرقل قد ملك الروم بقسطنطينية وغلب الفرس بحيلة دبرها على كسرى حتى رحل عنهم ثم سار من قسطنطينية ليمهد ممالك الشام ومصر ويجدّد ما خرّبه الفرس منها فخرج اليه اليهود من طبرية وغيرها وقدّموا له الهدايا الجليلة وطلبوا منه أن يؤمّنهم ويحلف لهم على ذلك فأمّنهم وحلف لهم ثم دخل القدس وقد تلقاه النصارى بالاناجيل والصلبان والبخور والشموع المشعلة فوجد المدينة وكنائسها وقمامتها خرابا فساءه ذلك وتوجع له وأعلمه النصارى بما كان من ثورة اليهود مع الفرس وايقاعهم بالنصارى وتخريبهم الكنائس وانهم كانوا أشدّ نكاية لهم من الفرس وقاموا قياما كبيرا فى قتلهم عن آخرهم وحثوا هرقل على الوقيعة بهم وحسّنوا له ذلك فاحتج عليهم بما كان من تأمينه لهم وحلفه فأفتاه رهبانهم وبطاركتهم وقسيسوهم بأنه لا حرج عليه فى قتلهم فانهم عملوا عليه حيلة حتى أمّنهم من غير أن يعلم بما كان منهم وانهم يقومون عنه بكفارة يمينه بأن يلتزموا ويلزموا النصارى بصوم جمعة فى كلّ سنة عنه على ممرّ الزمان والدهور فمال الى قولهم وأوقع باليهود وقيعة شنعاء أبادهم جميعهم فيها حتى لم يبق فى ممالك الروم بمصر والشام منهم الا من فرّ واختفى فكتب البطارقة والاساقفة الى جميع البلاد بالزام النصارى بصوم أسبوع فى السنة فالتزموا صومه الى اليوم وعرفت عندهم بجمعة هرقل وتقدّم هرقل بعمارة الكنائس والديارات وأنفق فيها مالا كبيرا * وفى أيامه أقيم اندراسلون بطرك اليعاقبة بالاسكندرية فأقام ست سنين ومات فى ثامن طوبه فخربت الديارات فى مدّة بطركيته وأقيم بعده على اليعاقبة بنيامين فعمر الدير الذى يقال له دير أبو بشاى ودير سيدة أبو بشاى وهما فى وادى هبيب فأقام تسعا وثلاثين سنة ملك الفرس منها مصر عشر سنين ثم قدم هرقل فقتل الفرس بمصر وأقام فيرش بطرك الاسكندرية وكان منانيا وطلب بنيامين ليقتله فلم يقدر عليه لفراره منه وكان هرقل مارونيا فظفر بمينا أخى بنيامين فأحرقه بالنار عداوة لليعاقبة وعاد الى القسطنطينية فأظهر الله دين الاسلام فى أيامه وخرج ملك مصر والشام من يد النصارى وصار النصارى ذمّة للمسلمين فكانت مدّة النصارى منذ رفع المسيح الى أن فتحت مصر وصار النصارى من القبط ذمّة للمسلمين منها مدّة كونهم تحت أيدى الروم يقتلونهم أبرح قتل بالصلب والتحريق بالنار والرجم بالحجارة وتقطيع الاعضاء ومنها مدّة استيلائهم بتنصر الملوك

* (ذكر دخول النصارى من قبط مصر في طاعة المسلمين وأدائهم الجزية واتخاذهم ذمة لهم وما كان في ذلك من الحوادث والأنباء) *

اعلم أن أرض مصر لما دخلها المسلمون كانت بأجمعها مشحونة بالنصارى وهم على قسمين متباينين في أجناسهم وعقائدهم أحدهما أهل الدولة وكلهم روم من جند صاحب القسطنطينية ملك الروم ورأيهم وديانتهم بأجمعهم ديانة الملكية وكانت عدتهم تزيد على ثلثمائة ألف رومي والقسم الآخر عامة أهل مصر ويقال لهم القبط وأنسابهم مختلطة لا يكاد يتميز منهم القبطي من الحبشي من النوبي من الاسرائيلي الاصل من غيره وكلهم يعاقبة فمنهم كتاب المملكة ومنهم التجار والباعة ومنهم الاساقفة والقسوس ونحوهم ومنهم أهل الفلاحة والزرع ومنهم أهل الخدمة والمهنة وبينهم وبين الملكية أهل الدولة من العداوة ما يمنع مناكحتهم ويوجب قتل بعضهم بعضا ويبلغ عددهم عشرات آلاف كثيرة جدا فانهم في الحقيقة أهل أرض مصر أعلاها وأسفلها فلما قدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين معه الى مصر قاتلهم الروم حماية لملكهم ودفعا لهم عن بلادهم فقاتلهم المسلمون وغلبوهم على الحصن كما تقدم ذكره فطلب القبط من عمرو المصالحة على الجزية فصالحهم عليها وأقرهم على ما بأيديهم من الاراضي وغيرها وصاروا معه عونا للمسلمين على الروم حتى هزمهم الله تعالى وأخرجهم من أرض مصر وكتب عمرو لبنيامين بطرك اليعاقبة أمانا في سنة عشرين من الهجرة فسره ذلك وقدم على عمرو وجلس على كرسي بطركيته بعد ما غاب عنه ثلاث عشرة سنة منها في ملك فارس لمصر عشر سنين وباقيها بعد قدوم هرقل الى مصر فغلبت اليعاقبة على كنائس مصر ودياراتها كلها وانفردوا بها دون الملكية ويذكر علماء الاخبار من النصارى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فتح مدينة القدس كتب للنصارى أمانا على أنفسهم وأولادهم ونسائهم وأموالهم وجميع كنائسهم لا تهدم ولا تسكن وانه جلس في وسط صحن كنيسة القمامة فلما حان وقت الصلاة خرج وصلى خارج الكنيسة على الدرجة التي على بابها بمفرده ثم جلس وقال للبطرك لو صليت داخل الكنيسة لأخذها المسلمون من بعدي وقالوا ههنا صلى عمر وكتب كتابا يتضمن أنه لا يصلي أحد من المسلمين على الدرجة الا واحدا واحدا ولا يجتمع المسلمون بها للصلاة فيها ولا يؤذنون عليها وانه أشار عليه البطرك باتخاذ موضع الصخرة مسجدا وكان فوقها تراب كثير فتناول عمر رضي الله عنه من التراب في ثوبه فبادر المسلمون لرفعه حتى لم يبق منه شيء وعمر المسجد الاقصى أمام الصخرة فلما كانت أيام عبد الملك بن مروان أدخل الصخرة في حرم الاقصى وذلك سنة خمس وستين من الهجرة ثم ان عمر رضي الله عنه أتى بيت لحم وصلى في كنيسته عند الخشبة التي ولد فيها المسيح وكتب سجلا بأيدي النصارى أن لا يصلي في هذا الموضع أحد من المسلمين الا رجل بعد رجل ولا يجتمعوا فيه للصلاة ولا يؤذنوا عليه ولما مات البطرك بنيامين في سنة تسع وثلاثين من الهجرة بالاسكندرية في امارة عمرو الثانية قدم اليعاقبة بعده أغاثو فأقام سبع عشرة سنة ومات سنة ست وخمسين وهو الذي بنى كنيسة مرقص بالاسكندرية فلم تزل الى أن هدمت في سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب وكان في أيامه الغلاء مدة ثلاث سنين وكان يهتم بالضعفاء فأقيم بعده ايسائو وكان يعقوبيا فأقام سنتين وأحد عشر شهرا ومات فقدم اليعاقبة بعده سيمون السرياني فأقام سبع سنين ونصفا ومات وفي أيامه قدم رسول أهل الهند في طلب أسقف يقيمه لهم فامتنع من ذلك حتى يأذن له السلطان وأقام غيره وخلا بعد موته كرسي الاسكندرية ثلاث سنين بغير بطرك ثم قدم اليعاقبة في سنة احدى وثمانين الاسكندروس فقام أربعا وعشرين سنة ونصفا وقيل خمسا وعشرين سنة ومات سنة ست ومائة ومرت به شدائد صودر فيها مرتين أخذ منه فيهما ستة آلاف دينار وفي أيامه أمر عبد العزيز بن مروان فأمر باحصاء الرهبان فأحصوا وأخذت منهم الجزية عن كل راهب دينار وهي أول جزية أخذت من الرهبان * ولما ولي مصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان اشتد على النصارى واقتدى به قرة بن شريك أيضا في ولايته على مصر وأنزل بالنصارى شدائد لم يبتلوا قبلها بمثلها وكان عبد الله بن الحبحاب متولي الخراج قد زاد على القبط قيراطا في كل دينار فانتقض عليه عامة الحوف الشرقي من القبط فحاربهم المسلمون وقتلوا منهم عدة وافرة في سنة سبع ومائة واشتد أيضا أسامة بن زيد التنوخي متولي الخراج على النصارى وأوقع بهم وأخذ أموالهم ووسم أيدي الرهبان بحلقة حديد فيها اسم الراهب واسم ديره وتاريخه فكل من وجده بغير وسم قطع يده وكتب الى الاعمال

بان من وجد من النصارى وليس معه منشور أن يؤخذ منه عشرة دنانير ثم كبس الديارات وقبض على عدّة من الرهبان بغير وسم فضرب أعناق بعضهم وضرب باقيهم حتى ماتوا تحت الضرب ثم هدمت الكنائس وكسرت الصلبان ومحيت التماثيل وكسرت الاصنام بأجمعها وكانت كثيرة فى سنة أربع ومائة والخليفة يومئذ يزيد بن عبد الملك فلما قام هشام بن عبد الملك فى الخلافة كتب الى مصر بأن يجرى النصارى على عوايدهم وما بأيديهم من العهد فقدم حنظلة بن صفوان أميرا على مصر فى ولايته الثانية فتشدّد على النصارى وزاد فى الخراج وأحصى الناس والبهائم وجعل على كل نصرانى وسما صورة أسد وتتبعهم فمن وجده بغير وسم قطع يده ثم أقام اليعاقبة بعد موت الاسكندروس بطركا اسمه قسيما فأقام خمسة عشر شهرا ومات فقدّموا بعده تادرس فى سنة تسع ومائة ومات بعد احدى عشرة سنة * وفى أيامه أحدثت كنيسة بوقنا بخط الحمراء ظاهر مدينة مصر فى سنة سبع عشرة ومائة فقام جماعة من المسلمين على الوليد بن رفاعة أمير مصر بسببها وفى سنة عشرين ومائة قدّم اليعاقبة ميخائيل بطركا فأقام ثلاثا وعشرين سنة ومات * وفى أيامه انتقض القبط بالصعيد وحاربوا العمال فى سنة احدى وعشرين فحوربوا وقتل كثير منهم ثم خرج بحنس بسمنود وحارب وقتل فى الحرب وقتل معه قبط كثير فى سنة اثنتين وثلاثين ومات ثم خالفت القبط برشيد فبعث اليهم مروان بن محمد لما قدم مصر وهزمهم وقبض عبد الملك بن موسى بن نصير أمير مصر على البطرك ميخائيل فاعتقله وألزمه بمال فسار بأساقفته فى أعمال مصر يسأل أهلها فوجدهم فى شدائد فعاد الى الفسطاط ودفع الى عبد الملك ما حصل له فأفرج عنه فنزل به بلاء كبير من مروان وبطش به وبالنصارى وأحرق مصر وغلاتها وأسر عدّة من النساء المترهبات ببعض الديارات وراود واحدة منهنّ عن نفسها فاحتالت عليه ودفعته عنها بأن رغبته فى دهن معها اذا ادّهن به الانسان لا يعمل فيه السلاح وأوثقته بأن مكنته من التجربة فى نفسها فتمت حيلتها عليه وأخرجت زيتا ادّهنت به ثم مدّت عنقها فضربها بسيفه أطار رأسها فعلم أنها اختارت الموت على الزنا وما زال البطرك والنصارى فى الحديد مع مروان الى أن قتل ببوصير فأفرج عنهم وأما الملكية فان ملك الروم لاون أقام قسيما بطرك الملكية بالاسكندرية فى سنة سبع ومائة فمضى ومعه هدية الى هشام بن عبد الملك فكتب له بردّ كنائس الملكية اليهم فأخذ من اليعاقبة كنيسة البشارة وكان الملكية أقاموا سبعا وسبعين سنة بغير بطرك فى مصر من عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى خلافة هشام بن عبد الملك فغلب اليعاقبة فى هذه المدّة على جميع كنائس مصر وأقاموا بها منهم أساقفة وبعث اليهم أهل بلاد النوبة فى طلب أساقفة فبعثوا اليهم من أساقفة اليعاقبة فصارت النوبة من ذلك العهد يعاقبة ثم لما مات ميخائيل قدّم اليعاقبة فى سنة ست وأربعين ومائة انبا مسنا فأقام سبع سنين ومات * وفى أيامه خرج القبط بناحية سخا وأخرجوا العمال فى سنة خمسين ومائة وصاروا فى جمع فبعث اليهم يزيد بن حاتم بن قبيصة أمير مصر عسكرا فأتاهم القبط ليلا وقتلوا عدّة من المسلمين وهزموا باقيهم فاشتدّ البلاء على النصارى واحتاجوا الى أكل الجيف وهدمت الكنائس المحدثة بمصر فهدمت كنيسة مريم المجاورة لابى شنودة بمصر وهدمت كنائس محارس قسطنطين فبذل النصارى لسليمان بن علىّ أمير مصر فى تركها خمسين ألف دينار فأبى فلما ولى بعده موسى بن عيسى أذن لهم فى بنائها فبنيت كلها بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة قاضى مصر واحتجا بأنّ بناءها من عمارة البلاد وبأن الكنائس التى بمصر لم تبن الا فى الاسلام فى زمن الصحابة والتابعين فلما مات انبا مسنا قدّم اليعاقبة بعده يوحنا فأقام ثلاثا وعشرين سنة ومات * وفى أيامه خرج القبط بلهيت سنة ست وخمسين فبعث اليهم موسى بن علىّ أمير مصر وهزمهم وقدّم بعده اليعاقبة مرقص الجديد فأقام عشرين سنة وسبعين يوما ومات * وفى أيامه كانت الفتنة بين الامين والمأمون فانتهبت النصارى بالاسكندرية وأحرقت لهم مواضع عديدة وأحرقت ديارات وادى هبيب ونهبت فلم يبق بها من رهبانها الا نفر قليل * وفى أيامه مضى بطرك الملكية الى بغداد وعالج بعض حظايا أهل الخليفة فانه كان حاذقا بالطب فلما عوفيت كتب له بردّ كنائس الملكية التى تغلب عليها اليعاقبة بمصر فاستردّها منهم وأقام فى بطركية الملكية أربعين سنة ومات ثم قدّم اليعاقبة بعد مرقص يعقوب فى سنة احدى عشرة ومائتين فأقام عشر سنين وثمانية اشهر ومات * وفى أيامه

عمرت الديارات وعاد الرهبان اليها وعمرت كنيسة بالقدس لمن يرد من نصارى مصر وقدم عليه ديونوسيس بطرك انطاكية فأكرمه حتى عاد الى كرسيه * وفى أيامه انتقض القبط فى سنة ست عشرة ومائتين فأوقع بهم الافشين حتى نزلوا على حكم أمير المؤمنين عبد الله المأمون فحكم فيهم بقتل الرجال وبيع النساء والذرية فبيعوا وسبى أكثرهم ومن حينئذ ذلت القبط فى جميع أرض مصر ولم يقدر أحد منهم بعد ذلك على الخروج على السلطان وغلبهم المسلمون على عامة القرى فرجعوا من المحاربة الى المكايدة واستعمال المكر والحيلة ومكايدة المسلمين وعملوا كتاب الخراج فكانت لهم وللمسلمين أخبار كثيرة يأتى ذكرها ان شاء الله تعالى ثم قدم اليعاقبة سيماون بطركا فى سنة اثنتين وعشرين ومائتين فأقام سنة ومات وقيل بل أقام سبعة اشهر وستة عشر يوما وخلا كرسى البطاركة بعده سنة وسبعة وعشرين يوما وقدم اليعاقبة يوساب فى دير بومقار بوادى هبيب فى سنة سبع وعشرين ومائتين فأقام ثمانى عشرة سنة ومات * وفى أيامه قدم مصر يعقوب مطران الحبشة وقد نفته زوجة ملكهم وأقامت عوضه أسقفا فبعث ملك الحبشة يطلب اعادته من البطرك فبعث به اليه وبعث أيضا عدة أساقفة الى افريقية * وفى أيامه مات بطرك انطاكية الوارد الى مصر فى السنة الخامسة عشرة من بطركيته * وفى أيامه أمر المتوكل على الله فى سنة خمس وثلاثين ومائتين أهل الذمة بلبس الطيالسة العسلية وشد الزنانير وركوب السروج بالركب الخشب وعمل كرتين فى مؤخر السرج وعمل رقعتين على لباس رجالهم تخالفان لون الثوب قدر كل واحدة منهما أربع أصابع ولون كل واحدة منهما غير لون الاخرى ومن خرج من نسائهم تلبس ازارا عسليا ومنعهم من لباس المناطق وأمر بهدم بيعهم المحدثة وبأخذ العشر من منازلهم وأن يجعل على أبواب دورهم صور شياطين من خشب ونهى أن يستعان بهم فى أعمال السلطان ولا يعلمهم مسلم ونهى أن يظهروا فى شعانينهم صليبا وأن لا يشعلوا فى الطريق نارا وأمر بتسوية قبورهم مع الارض وكتب بذلك الى الآفاق ثم أمر فى سنة تسع وثلاثين أهل الذمة بلبس دراعتين عسليتين على الذراريع والاقبية وبالاقتصار فى مراكبهم على ركوب البغال والحمير دون الخيل والبراذين فلما مات يوساب فى سنة اثنتين وأربعين ومائتين خلا الكرسى بعده ثلاثين يوما وقدم اليعاقبة قسيسا بدير بجنس يدعى بميكائيل فى البطركية فأقام سنة وخمسة اشهر ومات فدفن بدير بومقار وهو أول بطرك دفن فيه فخلا الكرسى بعده أحدا وثمانين يوما ثم قدم اليعاقبة فى سنة أربع وأربعين ومائتين شماسا بدير بومقار اسمه قسما فأقام فى البطركية سبع سنين وخمسة اشهر ومات فخلا الكرسى بعده أحدا وخمسين يوما * وفى أيامه أمر نوفيل بن ميخائيل ملك الروم بمحو الصور من الكنائس وأن لا تبقى صورة فى كنيسة وكان سبب ذلك أنه بلغه عن قيم كنيسة انه عمل فى صورة مريم عليها السلام شبه ثدى يخرج منه لبن ينقط فى يوم عيدها فكشف عن ذلك فاذا هو مصنوع ليأخذ به القيم المال فضرب عنقه وأبطل الصور من الكنائس فبعث اليه قسما بطرك اليعاقبة وناظره حتى سمح باعادة الصور على ما كانت عليه ثم قدم اليعاقبة سانيو بطركا فأقام تسع عشرة سنة ومات فأقيم يوسانيوس فى أول خلافة المعتز فأقام احدى عشرة سنة ومات وعمل فى بطركيته مجارى تحت الارض بالاسكندرية يجرى بها الماء من الخليج الى البيوت * وفى أيامه قدم أحمد بن طولون مصر أميرا عليها ثم قدم اليعاقبة ميخائيل فأقام خمسا وعشرين سنة ومات بعدما ألزمه أحمد بن طولون بحمل عشرين ألف دينار باع فيها رباع الكنائس الموقوفة عليها وأرض الحبش ظاهر فسطاط مصر وباع الكنيسة بجوار المعلقة من قصر الشمع لليهود وقرر الديارية على كل نصرانى قيراطا فى السنة فقام بنصف المقرر عليه * وفى أيامه قتل الامير أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون فلما مات شغر كرسى الاسكندرية بعده من البطاركة أربع عشرة سنة * وفى يوم الاثنين ثالث شوال سنة ثلثمائة أحرقت الكنيسة الكبرى المعروفة بالقيامة فى الاسكندرية وهى التى كانت هيكل زحل وكانت من بناء كلابطره * وفى سنة احدى وثلثمائة قدم اليعاقبة غبريال بطركا فأقام احدى عشرة سنة ومات وأخذت فى أيامه الديارية على الرجال والنساء وقدم بعده اليعاقبة فى سنة احدى عشرة وثلثمائة قسما فأقام ثنتى عشرة سنة ومات * وفى يوم السبت النصف من شهر رجب سنة ثنتى عشرة وثلثمائة أحرق المسلمون كنيسة مريم بدمشق ونهبوا ما فيها من الآلات والاوانى وقيمتها كثيرة جدا ونهبوا ديرا للنساء بجوارها وشعثوا كنائس النسطورية واليعقوبية * وفى سنة ثلاث عشرة وثلثمائة قدم

الوزير علي بن عيسى بن الجراح الى مصر فكشف البلد وألزم الاساقفة والرهبان وضعفاء النصارى بأداء الجزية
فأدوها ومضى طائفة منهم الى بغداد واستغاثوا بالمقتدر بالله فكتب الى مصر بأن لا يؤخذ من الاساقفة
والرهبان والضعفاء جزية وأن يجروا على العهد الذي بأيديهم * وفي سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة قدم
اليعاقبة بطركا اسمه   فأقام عشرين سنة ومات وفي أيامه ثار المسلمون بالقدس سنة خمس وعشرين هكذا بياض في الأصل
وثلثمائة وحرقوا كنيسة القيامة ونهبوها وخربوا منها ماقدروا عليه * وفي يوم الاثنين آخر شهر رجب
سنة ثمان وعشرين وثلثمائة مات سعيد بن بطريق بطرك الاسكندرية على الملكية بعدما أقام في البطركية
سبع سنين ونصفا في شرور متصلة مع طائفته فبعث الامير أبو بكر محمد بن طغج الاخشيد أبا الحسين من قواده
في طائفة من الجند الى مدينة تنيس حتى ختم على كنائس الملكية وأحضر آلاتها الى الفسطاط وكانت كثيرة جدا
فافتكها الاسقف بخمسة آلاف دينار باعوا فيها من وقف الكنائس ثم صالح طائفته وكان فاضلا وله تاريخ مفيد
وثار المسلمون أيضا بمدينة عسقلان وهدموا كنيسة مريم الخضراء ونهبوا ما فيها وأعانهم اليهود حتى أحرقوها
ففر أسقف عسقلان الى الرملة وأقام بها حتى مات وقدم اليعاقبة في سنة خمس وأربعين وثلثمائة تاوفانيوس
بطركا فأقام أربع سنين وستة اشهر ومات فأقيم بعده مينا فأقام احدى عشرة سنة ومات فخلا الكرسي بعده
سنة ثم قدم اليعاقبة افراهام بن زرعة في سنة ست وستين وثلثمائة فأقام ثلاث سنين وستة أشهر ومات مسموما
من بعض كتاب النصارى وسببه انه منعه من التسري فخلا الكرسي بعده ستة أشهر واقيم فيلاياوس في سنة تسع
وستين فأقام أربعا وعشرين سنة ومات وكان مترفا * وفي ايامه أخذت الملكية كنيسة السيدة المعروفة بكنيسة
البطرك تسلمها منهم بطرك الملكية ارسانيوس في أيام العزيز بالله نزار بن المعز وفي سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة قدم
اليعاقبة زخريس بطركا فأقام ثماني وعشرين سنة منها في البلايا مع الحاكم بأمر الله أبي علي منصور بن العزيز
بالله تسع سنين اعتقله فيها ثلاثة اشهر وأمر به فألقي للسباع هو وسوسنة النوبي فلم تضره فيما زعم النصارى ولما
مات خلا الكرسي بعده أربعة وسبعين يوما وفي بطركيته نزل بالنصارى شدائد لم يعهدوا مثلها وذلك أن كثيرا
منهم كان قد تمكن في أعمال الدولة حتى صاروا كالوزراء وتعاظموا لاتساع أحوالهم وكثرة أموالهم فاشتد
بأسهم وتزايد ضررهم ومكايدتهم للمسلمين فأغضب الحاكم بأمر الله ذلك وكان لا يملك نفسه اذا غضب فقبض على
عيسى بن نسطورس النصراني وهو اذ ذاك في رتبة تضاهي رتب الوزراء وضرب عنقه ثم قبض على فهد بن ابراهيم
النصراني كاتب الاستاذ برجوان وضرب عنقه وتشدد على النصارى وألزمهم بلبس ثياب الغيار وشد الزنار
في أوساطهم ومنعهم من عمل الشعانين وعيد الصليب والتظاهر بما كانت عادتهم فعله في أعيادهم من الاجتماع
واللهو وقبض على جميع ماهو محبس على الكنائس والديارات وأدخله في الديوان وكتب الى أعماله كلها
بذلك وأحرق عدة صلبان كثيرة ومنع النصارى من شراء العبيد والاماء وهدم الكنائس التي بخط راشدة ظاهر
مدينة مصر وأخرب كنائس المقس خارج القاهرة وأباح ما فيها للناس فانتهبوا منها ما يجل وصفه وهدم دير القصير
وانهب العامة ما فيه ومنع النصارى من عمل الغطاس على شاطئ النيل بمصر وأبطل ما كان يعمل فيه من
الاجتماع للهو وألزم رجال النصارى بتعليق الصلبان الخشب التي زنة كل صليب منها خمسة أرطال في أعناقهم
ومنعهم من ركوب الخيل وجعل لهم أن يركبوا البغال والحمير بسروج ولجم غير محلاة بالذهب والفضة
بل تكون من جلود سود وضرب بالجرس في القاهرة ومصر أن لا يركب أحد من المكارية ذميا ولا يحمل نوتي
مسلم أحدا من أهل الذمة وأن تكون ثياب النصارى وعمائمهم شديدة السواد وركب سروجهم من خشب
الجميز وأن يعلق اليهود في أعناقهم خشبا مدورا زنة الخشبة منها خمسة ارطال وهي ظاهرة فوق ثيابهم وأخذ
في هدم الكنائس كلها وأباح ما فيها وما هو محبس عليها للناس نهبا واقطاعا فهدمت بأسرها ونهب جميع أمتعتها
وأقطع أحباسها وبني في مواضعها المساجد واذن بالصلاة في كنيسة شنودة بمصر وأحيط بكنيسة المعلقة
في قصر الشمع وأكثر الناس من رفع القصص بطلب كنائس أعمال مصر ودياراتها فلم يرد قصة منها الا وقد وقع
عليها باجابة رافعها الى ماسأل فأخذوا أمتعة الكنائس والديارات وباعوا باسواق مصر ماوجدوا من أواني الذهب
والفضة وغير ذلك وتصرفوا في أحباسها ووجد بكنيسة شنودة مال جليل ووجد في المعلقة من المصاغ
وثياب الديباج أمر كثير جدا الى الغاية وكتب الى ولاة الاعمال بتمكين المسلمين من هدم الكنائس والديارات

فعم الهدم فيها من سنة ثلاث وأربعمائة حتى ذكر من يوثق به فى ذلك أن الذى هدم الى آخر سنة خمس وأربعمائة بمصر والشام وأعمالهما من الهياكل التى بناها الروم نيف وثلاثون ألف بيعة ونهب ما فيها من آلات الذهب والفضة وقبض على أوقافها وكانت أوقافا جليلة على مبان عجيبة وألزم النصارى أن تكون الصلبان فى أعناقهم اذا دخلوا الحمام وألزم اليهود أن يكون فى أعناقهم الاجراس اذا دخلوا الحمام ثم ألزم اليهود والنصارى بخروجهم كلهم من أرض مصر الى بلاد الروم فاجتمعوا بأسرهم تحت القصر من القاهرة واستغاثوا ولاذوا بعفو أمير المؤمنين حتى أعفوا من النفى وفى هذه الحوادث أسلم كثير من النصارى * وفى سنة سبع وأربعمائة وثب بعض أكابر البلغر على ملكهم قطورس فقتله وملك عوضه وكتب الى باسيل ملك قسطنطينية بطاعته فأقره ثم قتل بعد سنة فسار الملك باسيل اليهم فى شوّال سنة ثمان وأربعمائة واستولى على مملكة البلغر وأقام فى قلاعها عدّة من الروم وعاد الى قسطنطينية فاختلط الروم بالبلغر ونكحوا منهم وصاروا يدا واحدة بعد شدّة العداوة وقدّم المعاقبة عليهم سانوتين بطركا بالاسكندرية فى سنة احدى وعشرين وأربعمائة فى يوم الاحد ثالث عشرى برمهات فأقام خمس عشرة سنة ونصفا ومات فى طوبه وكان محبا للمال وأخذ الشرطونية فخلا الكرسى بعده سنة وخمسة أشهر ثم قدّم المعاقبة اخرسطوديس بطركا فى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة فأقام ثلاثين سنة ومات بالمعلقة من مصر وهو الذى جعل كنيسة بومرقوره بمصر وكنيسة السيدة بحارة الروم من القاهرة فى أيام بطركيته فلم يقم بعده بطرك اثنين وسبعين يوما ثم أقام المعاقبة كيرلص فأقام أربع عشرة سنة وثلاثة أشهر ونصفا ومات بكنيسة المختار من جزيرة مصر المعروفة بالروضة فى سلخ ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وأربعمائة وعمل بدلة للبطاركة من ديباج ازرق وبلارية ديباج أحمر بتصاوير ذهب وقطع الشرطونية فلم يول بعده بطرك مدّة مائة وأربعة وعشرين يوما ثم اقيم ميخائيل الحبيس بسنجار فى سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة فأقام تسع سنين وثمانية أشهر ومات فى المعلقة بمصر وكان المستنصر بالله لما نقص نيل مصر بعثه الى بلاد الحبشة بهدية سنية فتلقاه ملكها وسأله عن سبب قدومه فعرّفه نقص النيل وضرر أهل مصر بسبب ذلك فأمر بفتح سدّ يجرى منه الماء الى أرض مصر ففتح وزاد النيل فى ليلة واحدة ثلاثة أذرع واستمرّت الزيادة حتى رويت البلاد وزرعت ثم عاد البطرك فخلع عليه المستنصر وأحسن اليه * وفى سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة قدّم المعاقبة مقارى بطركا بدير بومقار وكمل بالاسكندرية وعاد الى مصر ثم مضى الى دير بومقار فقدّس به ثم جاء الى مصر فقدّس بالمعلقة فأقام ستا وعشرين سنة وأحدا وأربعين يوما ومات فخلت مصر من بطرك المعاقبة سنتين وشهرين وفى أيامه حدثت زلزلة عظيمة بمصر هدم فيها كنيسة المختار بالروضة واتهم الافضل بن أمير الجيوش بهدمها فانها كانت فى بستانه وفى أيامه أبطل عوايد كثيرة للنصارى فبطلت بعده ثم قدّم المعاقبة غبريال المكنى بأبى العلا صاعد بن تريك الشماس بكنيسة مرقوريوس فى سنة خمس وعشرين وخمسمائة بالمعلقة وكمل بالاسكندرية وقدّس بالاديرة بوادى هبيب وأقام أربع عشرة سنة ومات فخلا بعده كرسى المعاقبة ثلاثة أشهر ثم قدّم المعاقبة ميخائيل بن التقدوسى الراهب بقلاية دمشرى بطركا فأقام مدّة سنة وسبعين يوما ثم اقيم يونس أبو الفتح بطركا بالمعلقة وكمل بالاسكندرية فأقام تسع عشرة سنة ومات فى سابع عشرى جمادى الآخرة سنة احدى وخمسين وخمسمائة فخلا الكرسى بعده ثلاثة وأربعين يوما وقدّم مرقص بن زرعة المكنى بأبى الفرج بطرك المعاقبة بمصر وكمل بالاسكندرية فأقام اثنتين وعشرين سنة وستة أشهر وخمسة وعشرين يوما ومات وفى أيامه انتقل مرقص بن قنبر وجماعة من القنابرة الى رأى الملكية ثم عاد الى اليعقوبية فقبل ثم عاد الى الملكية ورجع فلم يقبل وكان هذا البطرك له همة ومروءة * وفى أيامه كان حريق شاور الوزير لمصر فى ثامن عشر هتور فاحترقت كنيسة بومرقورة وخلا بعده كرسى البطاركة سبعة وعشرين يوما ثم قدّم المعاقبة يونس بن أبى غالب بطركا فى يوم الاحد عاشر ذى الحجة سنة أربع وثمانين وخمسمائة وكمل بالاسكندرية فأقام ستا وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما ومات يوم الخميس رابع عشر شهر رمضان سنة ثنتى عشرة وستمائة بالمعلقة بمصر ودفن بالحبش وكان فى ابتداء أمره تاجرا يتردّد الى اليمن فى البحر حتى كثر ماله وكان معه مال لاولاد الحباب فاتفق انه غرق فى بحر الملح وذهب ماله ونجا بنفسه الى القاهرة وقد ايس أولاد الحباب من مالهم فلما لقيهم أعلمهم أن مالهم قد سلم فانه كان قد عمله فى نقائر خشب مسمرة فى المركب فصار اليهم به عناية فلما مات مرقص بن زرعة سعى يونس هذا للقس ابى ياسر

فقال

فقال له أولاد الحباب خذ أنت البطركية ونحن نزكيك فوافقهم واقيم بطركا فشق ذلك على أبي ياسر وهجره بعد صحبة طويلة وكان معه لما استقر في البطركية سبعة عشر ألف دينار مصرية انفقها على الفقراء وأبطل الديارية ومنع الشرطونية ولم يأكل لاحد من النصارى خبزا ولا قبل من أحد هدية فلما مات قام أبو الفتوح نشو الخليفة بن الميقاط كاتب الجيش مع السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب في ولاية القس داود بن يوحنا بن لقلق الفيومي فانه كان خصيصا به فأجابه وكتب توقيعه من غير أن يعلم الملك الكامل محمد ابن السلطان فشق ذلك على النصارى وقام منهم الاسعد بن صدقة كاتب دار التفاح بمصر ومعه جماعة وتوجهوا سحرا ومعهم الشموع الى تحت قلعة الجبل حيث كان سكن الملك الكامل واستغاثوا به ووقعوا في القس وقالوا الايصلح وفي شرعنا انه لا يقدم البطرك الا باتفاق الجمهور عليه فبعث الملك الكامل يطيب خواطرهم وكان القس قد ركب بكرة ومعه الاساقفة وعالم كثير من النصارى ليقدموه بالمعلقة بمصر وذلك يوم الاحد فركب الملك الكامل بشجو كبير من القلعة الى أبيه بدار الوزارة من القاهرة حيث سكنه وأوقف ولاية القس فبعث السلطان في طلب الاساقفة ليتحقق الامر منهم فوافقهم الرسل مع القس في الطريق فأخذوهم ودخل القس الى كنيسة بوجرج التي بالحمراء وبطلت بطركيته وأقامت مصر بغير بطرك تسع عشرة سنة ومائة وستين يوما ثم قدم هذا القس بطركا في يوم الاحد تاسع عشرى شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وستمائة فأقام سبع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام ومات يوم الثلاثاء سابع عشر شهر رمضان سنة أربعين وستمائة ودفن بدير الشمع بالجيزة وكان عالما بدينه محبا للرياسة وأخذ الشرطونية في بطركيته وكانت الديارات بأرض مصر قد خلت من الاساقفة فقدم جماعة اساقفة كثيرة بمال كثير أخذه منهم وقاسى شدائد ورافعه الراهب عماد المرشال ووكل عليه وعلى اقاربه وألزامه وساعده الراهب السنى بن الثعبان وأشاع مثالبه وقال لا يصح له كهونية لانه يقدم بالرشوة وأخذ الشرطونية وجمع عليه طائفة كثيرة وعقد مجلسا عند الصاحب معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب وأثبت على البطرك قوادح فقام الكتاب النصارى في أمره مع الصاحب بمال يحمله الى السلطان حتى استمر على بطركيته وخلا كرسي البطاركة بعده سبع سنين وستة أشهر وستة وعشرين يوما ثم قدم المعاقبة ابناسيوس ابن القس أبي المكارم بن كليل بالمعلقة في يوم الاحد رابع شهر رجب سنة ثمان وأربعين وستمائة وكل بالاسكندرية فأقام احدى عشرة سنة وخمسة وخمسين يوما ومات يوم الاحد ثالث المحرم سنة ستين وستمائة فخلت مصر من البطركية خمسة وثمانين يوما * وفي ايامه أخذ الوزير الاسعد شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي الجوالي من النصارى مضاعفة وفي أيامه ثارت عوام دمشق وخربت كنيسة مريم بدمشق بعد احراقها ونهب مافيها وقتل جماعة من النصارى بدمشق ونهب دورهم وخرابها في سنة ثمان وخمسين وستمائة بعد وقعة عين جالوت وهزيمة المغل فلما دخل السلطان الملك المظفر قطز الى دمشق قرر على النصارى بها مائة ألف وخمسين ألف درهم جمعوها من بينهم وحملوها اليه بسفارة الامير فارس الدين اقطاى المستعرب اتابك العسكر * وفي سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة كانت واقعة النصارى ومن خبرها أن الامير سنجر الشجاعي كانت حرمته وافرة في أيام الملك المنصور قلاون فكان النصارى يركبون الحمير بزنانير في أوساطهم ولا يجسر نصراني يحدث مسلما وهو راكب واذا مشى فبذلة ولا يقدر أحد منهم يلبس ثوبا مصقولا فلما مات الملك المنصور وتسلطن من بعده ابنه الملك الاشرف خليل خدم الكتاب النصارى عند الامراء الخاصكية وقووا نفوسهم على المسلمين وترفعوا في ملابسهم وهيآتهم وكان منهم كاتب عند خاصكي يعرف بعين الغزال فصدف يوما في طريق مصر سمسار شونة مخدومه فنزل السمسار عن دابته وقبل رجل الكاتب فأخذ يسبه ويهدده على مال قد تأخر عليه من ثمن غلة الامير وهو يترفق له ويعتذر فلا يزيده ذلك عليه الا غلظة وأمر غلامه فنزل وكتف السمسار ومضى به والناس تجتمع عليه حتى صار الى صليبة جامع أحمد بن طولون ومعه عالم كبير وما منهم الا من يسأله أن يخلي عن السمسار وهو يمتنع عليهم فتكاثروا عليه وألقوه عن حماره وأطلقوا السمسار وكان قد قرب من بيت استاذه فبعث غلامه لينجده بمن فيه فأتاه بطائفة من غلمان الامير وأجاقيته فخلصوه من الناس وشرعوا في القبض عليهم ليفتكوا بهم فصاحوا عليهم ما يحل ومروا مسرعين الى أن وقفوا تحت القلعة واستغاثوا نصر الله السلطان فأرسل يكشف الخبر فعرفوه ما كان من استطالة الكاتب النصراني على السمسار وما جرى لهم فطلب عين الغزال ورسم للعامة باحضار

النصارى اليه وطلب الامير بدر الدين بيدرا النائب والامير سنجر الشجاعى وتقدّم اليهما باحضار جميع النصارى بين يديه ليقتلهم فمازالا به حتى استقرّ الحال على أن ينادى فى القاهرة ومصر أن لا يخدم أحد من النصارى واليهود عند أمير وأمر الامراء بأجمعهم أن يعرضوا على من عندهم من الكتاب النصارى الاسلام فمن امتنع من الاسلام ضربت عنقه ومن اسلم استخدموه عندهم ورسم للنائب بعرض جميع مباشرى ديوان السلطان ويفعل فيهم ذلك فنزل الطلب لهم وقد اختفوا فصارت العامّة تسبق الى بيوتهم وتنهبها حتى عمّ النهب بيوت النصارى واليهود بأجمعهم وأخرجوا نساءهم مسبيات وقتلوا جماعة بأيديهم فقام الامير بيدرا النائب مع السلطان فى أمر العامّة وتلطف به حتى ركب والى القاهرة ونادى من نهب بيت نصرانى شنق وقبض على طائفة من العامّة وشهرهم بعدما ضربهم فانكفوا عن النهب بعد ما نهبوا كنيسة المعلقة بمصر وقتلوا منها جماعة ثم جمع النائب كثيرا من النصارى كتّاب السلطان والامراء وأوقفهم بين يدى السلطان عن بعد منه فرسم للشجاعى وأمير جاندار أن يأخذا عدّة معهما وينزلوا الى سوق الخيل تحت القلعة ويحفروا حفيرة كبيرة ويلقوا فيها الكتاب الحاضرين ويضرموا عليهم الحطب نارا فتقدّم الامير بيدرا وشفع فيهم فأبى أن يقبل شفاعته وقال ما اريد فى دولتى ديوانا نصرانيا فلم يزل به حتى سمح بأن من اسلم منهم يستقرّ فى خدمته ومن امتنع ضربت عنقه فأخرجهم الى دار النيابة وقال لهم يا جماعة ما وصلت قدرتى مع السلطان فى أمركم الا على شرط وهو أن من اختار دينه قتل ومن اختار الاسلام خلع عليه وباشر فابتدره المكين بن السقاعى أحد المستوفين وقال يا خوند وأينا قوّاد يختار القتل على هذا الدين الخراء والله دين نقتل ونموت عليه يروح لا كتب الله عليه سلامة قولوا لنا الذى تختاروه حتى نروح اليه فغلب بيدرا الضحك وقال له ويلك أنحن نختار غير دين الاسلام فقال يا خوند ما نعرف قولوا ونحن نتبعكم فأحضر العدول واستسلمهم وكتب بذلك شهادات عليهم ودخل بها على السلطان فألبسهم تشاريف وخرجوا الى مجلس الوزير الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس فبدأ بعض الحاضرين بالمكين بن السقاعى وناوله ورقة ليكتب عليها وقال يا مولانا القاضى اكتب على هذه الورقة فقال يا بنى ما كان لنا هذا القضاء فى خلد فلم يزالوا فى مجلس الوزير الى العصر فجاءهم الحاجب وأخذهم الى مجلس النائب وقد جمع به القضاة فجدّدوا اسلامهم بحضرتهم فصار الذليل منهم باظهار الاسلام عزيزا يبدى من اذلال المسلمين والتسلط عليهم بالظلم ما كان يمنعه نصرانيته من اظهاره وما هو الا كما كتب به بعضهم الى الامير بيدرا النائب

أسلم الكافرون بالسيف قهرا * واذا ما خلوا فهم مجرمونا
سلموا من رواح مال وروح * فهم سالمون لا مسلمونا

* وفى أخريات شهر رجب سنة سبعمائة قدم وزير ممالك المغرب الى القاهرة حاجا وصار يركب الى الموكب السلطانى وبيوت الامراء فبينا هو ذات يوم بسوق الخيل تحت القلعة اذا هو برجل راكب على فرس وعليه عمامة بيضاء وفرجية مصقولة وجماعة يمشون فى ركابه وهم يسألونه ويتضرّعون اليه ويقبلون رجليه وهو معرض عنهم وينهرهم ويصيح بغلمانه أن يطردوهم عنه فقال له بعضهم يا مولاى الشيخ بحياة ولدك النشو تنظر فى حالنا فلم يزده ذلك الا عتوّا وتحامقا فرق المغربى لهم وهمّ بمخاطبته فى أمرهم فقيل له وانه مع ذلك نصرانى فغضب لذلك وكاد أن يبطش به ثم كفّ عنه وطلع الى القلعة وجلس مع الامير سلار نائب السلطان والامير بيبرس الجاشنكير وأخذ يحادثهم بما رآه وهو يبكى رحمة للمسلمين بما نالهم من قسوة النصارى ثم وعظ الامراء وحذرهم نقمة الله وتسليط عدوّهم عليهم من تمكين النصارى من ركوب الخيل وتسلطهم على المسلمين واذلالهم اياهم وان الواجب الزامهم الصغار وحملهم على العهد الذى كتبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فمالوا الى قوله وطلبوا بطرك النصارى وكبراءهم وديان اليهود فجمعت نصارى كنيسة المعلقة ونصارى دير البغل ونحوهم وحضر كبراء اليهود والنصارى وقد حضر القضاة الاربعة وناظروا النصارى واليهود فأذعنوا الى التزام العهد العمرى وألزم بطرك النصارى طائفة النصارى بلبس العمائم الزرق وشدّ الزنار فى أوساطهم ومنعهم من ركوب الخيل والبغال والتزام الصغار وحرّم عليهم مخالفة ذلك او شئ منه وانه برئ من النصرانية ان خالف ثم اتبعه ديان اليهود بأن أوقع الكلمة على من خالف من اليهود ما شرط عليه من لبس العمائم الصفر والتزام

لعهد

العهد العمري وكتب بذلك عدة نسخ سيرت الى الاعمال فقام المغربي في هدم الكنائس فلم يمكنه قاضي القضاة تقي الدين محمد بن دقيق العيد من ذلك وكتب خطه بأنه لا يجوز أن يهدم من الكنائس الاما استجد بناؤه فغلقت عدة كنائس بالقاهرة ومصر مدة أيام فسعى بعض أعيان النصارى في فتح كنيسة حتى فتحها فثارت العامة ووقفوا للنائب والامراء واستغاثوا بأن النصارى قد فتحوا الكنائس بغير اذن وفيهم جماعة تكبروا عن لبس العمائم الزرق واحتمى كثير منهم بالامراء فنودي في القاهرة ومصر أن يلبس النصارى بأجمعهم العمائم الزرق ويلبس اليهود بأسرهم العمائم الصفر ومن لم يفعل ذلك نهب ماله وحل دمه ومنعوا جميعا من الخدمة في ديوان السلطان ودواوين الامراء حتى يسلموا فتسلطت الغوغاء عليهم وتتبعوهم فمن رأوه بغير الزي الذي رسم به ضربوه بالنعال وصفعوا اعنقه حتى يكاد يهلك ومن مر بهم وقد ركب ولا يثني رجله ألقوه عن دابته وأوجعوه ضربا فاختفى كثير منهم وألجأت الضرورة عدة من أعيانهم الى اظهار الاسلام أنفة من لبس الازرق وركوب الحمير وقد أكثر شعراء العصر في ذكر تغيير زي اهل الذمة فقال علاء الدين علي بن مظفر الوداعي

لقد ألزم الكفار شاشات ذلة * تزيدهم من لعنة الله تشويشا
فقلت لهم ما ألبسوكم عمائما * ولكنهم قد ألزموكم براطيشا

وقال شمس الدين الطيبي

تعجبوا للنصارى واليهود معا * والسامريين لما عمموا الخرقا
كأنما بات بالاصباغ منسهلا * نسر السماء فأضحى فوقهم زرقا

فبعث ملك برشلونة في سنة ثلاث وسبعمائة هدية جليلة زائدة عن عادته عم بها جميع أرباب الوظائف من الامراء مع ما خص به السلطان وكتب يسأل في فتح الكنائس فاتفق الرأي على فتح كنيسة حارة زويلة للمعاقبة وفتح كنيسة البندقانيين من القاهرة ثم لما كان يوم الجمعة تاسع شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين وسبعمائة هدمت كنائس أرض مصر في ساعة واحدة كما ذكر في أخبار كنيسة الزهري وفي سنة خمس وخمسين وسبعمائة رسم بتحرير ما هو موقوف على الكنائس من أراضي مصر فأناف على خمسة وعشرين ألف فدان وسبب الفحص عن ذلك كثرة تعاظم النصارى وتعديهم في الشر والاضرار بالمسلمين لتمكنهم من امراء الدولة وتفاخرهم بالملابس الجليلة والمغالاة في أثمانها والتبسط في المآكل والمشارب وخروجهم عن الحد في الجراءة والسلاطة الى أن اتفق مرور بعض كتاب النصارى على الجامع الازهر من القاهرة وهو راكب بخف ومهماز وبقباء اسكندري طرح على رأسه وقدامه طرادون يمنعون الناس من مزاحمته وخلفه عدة عبيد بثياب سرية على أكاديش فارهة فشق ذلك على جماعة من المسلمين وثاروا به وأنزلوه عن فرسه وقصدوا قتله وقد اجتمع عالم كبير ثم خلوا عنه وتحدث جماعة مع الامير طاز في أمر النصارى وما هم عليه فوعدهم بالانصاف منهم فرفعوا قصة على لسان المسلمين قرئت على السلطان الملك الصالح صالح بحضرة الامراء والقضاة وسائر أهل الدولة تتضمن الشكوى من النصارى وأن يعقد لهم مجلس ليلتزموا بما عليهم من الشروط فرسم بطلب بطرك النصارى وأعيان أهل ملتهم وبطلب رئيس اليهود وأعيانهم وحضر القضاة والامراء بين يدي السلطان وقرأ القاضي علاء الدين علي بن فضل الله كاتب السر العهد الذي كتب بين المسلمين وبين أهل الذمة وقد أحضروه معهم حتى فرغ منه فالتزم من حضر منهم بما فيه وأقروا به فعددت لهم أفعالهم التي جاهروا بها وهم عليها وانهم لا يرجعون عنها غير قليل ثم يعودون اليها كما فعلوه غير مرة فيما سلف فاستقر الحال على أن يمنعوا من المباشرة بشيء من ديوان السلطان ودواوين الامراء ولو أظهروا الاسلام وأن لا يكره أحد منهم على اظهار الاسلام ويكتب بذلك الى الاعمال فتسلطت العامة عليهم وتتبعوا آثارهم وأخذوهم في الطرقات وقطعوا ما عليهم من الثياب وأوجعوهم ضربا ولم يتركوهم حتى يسلموا وصاروا يضرمون لهم النار ليلقوهم فيها فاختفوا في بيوتهم ولم يتجاسروا على المشي بين الناس فنودي بالمنع من التعرض لاذاهم فأخذت العامة في تتبع عوراتهم وما علوه من دورهم على بناء المسلمين فهدموه واشتد الامر على النصارى باختفائهم حتى انهم فقدوا من الطرقات مدة فلم ير منهم ولا من اليهود أحد فرفع المسلمون قصة قرئت في دار العدل في يوم الاثنين رابع عشر شهر رجب تتضمن أن النصارى قد استجدوا عمارات في كنائسهم ووسعوها هذا وقد اجتمع بالقلعة عالم عظيم واستغاثوا بالسلطان

من النصارى فرسم بركوب والى القاهرة وكشفه على ذلك فلم تمهل العامّة ومرّت بسرعة فخرّبت كنيسة بجوار قناطر السباع وكنيسة بطريق مصر للاسرى وكنيسة الفهادين بالجوانية من القاهرة وديرنهيا من الجيزة وكنيسة بناحية بولاق التكرورى ونهبوا حواصل ما خرّبوه من ذلك وكانت كثيرة وأخذوا أخشابها ورخامها وهجموا كنائس مصر والقاهرة ولم يبق الا أن يخرّبوا كنيسة البندقانيين بالقاهرة فركب الوالى ومنعهم منها واشتدّت العامة وعجز الحكام عن كفهم وكان قد كتب الى جميع أعمال مصر وبلاد الشام أن لا يستخدم يهودىّ ولا نصرانىّ ولو أسلم وانه من أسلم منهم لا يمكن من العبور الى بيته ولا من معاشرة أهله الا أن يسلموا وأن يلزم من أسلم منهم بملازمة المساجد والجوامع لشهود الصلوات الخمس والجمع وأن من مات من أهل الذمة يتولى المسلمون قسمة تركته على ورثته ان كان له وارث والا فهى لبيت المال وكان يلى ذلك البطرك وكتب بذلك مرسوم قرئ على الامراء ثم نزل به الحاجب فقرأه فى يوم الجمعة سادس عشرى جمادى الآخرة بجوامع القاهرة ومصر فكان يوما مشهودا ثم أحضر فى أخريات شهر رجب من كنيسة شبرا بعد ما هدمت اصبع الشهيد الذى كان يلقى فى النيل حتى يزيد بزعمهم وهو فى صندوق فأحرق بين يدى السلطان بالميدان من قلعة الجبل وذرى رماده فى البحر خشية من أخذ النصارى له فقدمت الاخبار بكثرة دخول النصارى من أهل الصعيد والوجه البحرىّ فى الاسلام وتعلمهم القرآن وان أكثر كنائس الصعيد هدمت وبنيت مساجد وانه أسلم بمدينة قليوب فى يوم واحد أربعمائة وخمسون نصرانيا وكذلك بعامة الارياف مكرا منهم وخديعة حتى يستخدموا فى المباشرات وينكحوا المسلمات فتم لهم مرادهم واختلطت بذلك الانساب حتى صار أكثر الناس من أولادهم ولا يخفى أمرهم على من نوّر الله قلبه فانه يظهر من آثارهم القبيحة اذا تمكنوا من الاسلام وأهله ما يعرف به الفطن سوء اصلهم وقديم معاداة أسلافهم للدين وحملته

(فصل) النصارى فرق كثيرة الملكانية والنسطورية واليعقوبية والبوذعانية والمرقولية وهم الرهاويون الذين كانوا بنواحى حرّان وغير هؤلاء فنهم من مذهبه مذهب الحرّانية ومنهم من يقول بالنور والظلمة والثنوية كلهم يقرّون بنبوّة المسيح عليه السلام ومنهم من يعتقد مذهب ارسطاطاليس والملكانية واليعقوبية والنسطورية متفقون على أن معبودهم ثلاثة أقانيم وهذه الاقانيم الثلاثة شئ واحد وهو جوهر قديم ومعناه أب وابن وروح القدس اله واحد وان الابن نزل من السماء فتدرّع جسدا من مريم وظهر للناس يحيى ويبرئ وينبئ ثم قتل وصلب وخرج من القبر لثلاث فظهر لقوم من أصحابه فعرفوه حق معرفته ثم صعد الى السماء فجلس عن يمين أبيه هذا الذى يجمعهم اعتقاده ثم انهم يختلفون فى العبارة عنه فنهم من يزعم أن القديم جوهر واحد يجمعه ثلاثة أقانيم كل أقنوم منها جوهر خاص فأحد هذه الاقانيم أب واحد غير مولود والثالث روح فائضة منبثقة بين الاب والابن وأن الابن لم يزل مولودا من الاب وأن الاب لم يزل والدا للابن لا على جهة النكاح والتناسل لكن على جهة تولد ضياء الشمس من ذات الشمس وتولد حرّ النار من ذات النار ومنهم من يزعم أن معنى قولهم ان الاله ثلاثة أقانيم أنها ذات لها حياة ونطق فالحياة هى روح القدس والنطق هو العلم والحكمة والنطق هكذا بياض فى الاصل
والعلم والحكمة والكلمة عبارة عن الابن كما يقال الشمس وضياؤها والنار وحرّها فهو عبارة عن ثلاثة أشياء ترجع الى أصل واحد ومنهم من يزعم انه لا يصح له أن يثبت الاله فاعلا حكيما الا انه يثبته حيا ناطقا ومعنى الناطق عندهم العالم المميز لا الذى يخرج الصوت بالحروف المركبة ومعنى الحىّ عندهم من له حياة بها يكون حيا ومعنى العالم من له علم به يكون عالما قالوا فذاته وعلمه وحياته ثلاثة أشياء والاصل واحد فالذات هى العلة للاثنين اللذين هما العلم والحياة والاثنان هما المعلولان للعلة ومنهم من يتنزه عن لفظ العلة والمعلول فى صفة القديم ويقول أب وابن ووالد ونور وروح وحياة وعلم وحكمة ونطق قالوا والابن اتحد بانسان مخلوق فصار هو وما اتحد به مسيحا واحدا وان المسيح هو اله العباد وربهم ثم اختلفوا فى صفة الاتحاد فزعم بعضهم انه وقع بين جوهر لاهوتىّ وجوهر ناسوتىّ اتحاد فصارا مسيحا واحدا ولم يخرج الاتحاد كلّ واحد منهما عن جوهريته وعنصره وان المسيح اله معبود وأنه ابن مريم الذى حملته وولدته وانه قتل وصلب وزعم قوم أن المسيح بعد الاتحاد جوهران أحدهما لاهوتىّ والآخر ناسوتىّ وأن القتل والصلب وقعا به من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته وأن مريم حملت بالمسيح وولدته من جهة ناسوته وهذا قول النسطورية ثم يقولون ان المسيح بكماله

الهه معبود وأنه ابن الله تعالى الله عن قولهم وزعم قوم أن الاتحاد وقع بين جوهرين لاهوتى وناسوتى فالجوهر اللاهوتى بسيط غير منقسم ولا متجزئ وزعم قوم أن الاتحاد على جهة حلول الابن فى الجسد ومخالطته اياه ومنهم من زعم أن الاتحاد على جهة الظهور كظهور كتابة الخاتم والنقش اذا وقع على طين او شمع وكظهور صورة الانسان فى المرآة الى غير ذلك من الاختلاف الذى لا يوجد مثله فى غيرهم حتى لا تكاد تجد اثنين منهم على قول واحد والملكانية تنسب الى ملك الروم وهم يقولون ان الله اسم لثلاثة معان فهو واحد ثلاثة وثلاثة واحد واليعقوبية تقول انه واحد قديم وانه كان لا جسم ولا انسان ثم تجسم وتأنس والمرقولية قالوا الله واحد وعلمه غيره قديم معه والمسيح ابنه على جهة الرحمة كما يقال ابراهيم خليل الله والمرقولية تزعم أن المسيح يطوف عليهم كل يوم وليلة والبوزغانية تزعم أن المسيح هو الذى يحشر الموتى من قبورهم ويحاسبهم

* (فصل) * وعندهم لابد من تنصير أولادهم وذلك انهم يغمسون المولود فى ماء قد اغلى بالرياحين وألوان الطيب فى اجانة جديدة ويقرؤن عليه من كتابهم فيزعمون انه حينئذ ينزل عليه روح القدس و يسمون هذا الفعل المعمودية وطهارتهم انما هى غسل الوجه واليدين فقط ولا يختتن منهم الا اليعقوبية ولهم سبع صلوات يستقبلون فيها المشرق ويحجون الى بيت المقدس وزكاتهم العشر من أموالهم وصيامهم خمسون يوما فالثانى والاربعون منه عيد الشعانين وهو اليوم الذى نزل فيه المسيح من الجبل ودخل بيت المقدس وبعده بأربعة أيام عيد الفصح وهو اليوم الذى خرج فيه موسى وقومه من مصر وبعده بثلاثة أيام عيد القيامة وهو اليوم الذى خرج فيه المسيح من القبر بزعمهم وبعده بثمانية أيام عيد الجديد وهو اليوم الذى ظهر فيه المسيح لتلامذته بعد خروجه من القبر وبعده بثمانية وثلاثين يوما عيد السلاق وهو اليوم الذى صعد فيه المسيح الى السماء ولهم عيد الصليب وهو اليوم الذى وجدوا فيه خشبة الصليب وزعموا أنها وضعت على ميت فعاش ولهم أيضا عيد الميلاد وعيد الذبح ولهم قرابين وكهنة فالشماس فوقه القس وفوق القس الاسقف وفوق الاسقف المطران وفوق المطران البطريق والسكر عندهم حرام ولا يحل لهم أكل اللحم ولا الجماع فى الصوم وكل ما يباع فى السوق ولم تعفه أنفسهم يباح أكله ولا يصح النكاح الا بحضور شماس وقس وعدول ومهر ويحرمون من النساء ما يحرمه المسلمون ولا يحل الجمع بين امرأتين ولا التسرى بالاماء الا أن يعتقن ويتزوج بهن واذا خدم العبد سبع سنين عتق ولا يحل طلاق المرأة الا أن تأتى بفاحشة مبينة فتطلق ولا تحل للزوج أبدا وحد المحصن اذا زنى الرجم فان زنى غير محصن وحملت منه المرأة تزوج بها ومن قتل عمدا قتل ومن قتل خطأ يرب ولا يحل طلبه وأكثر أحكامهم من التوراة وقد لعن منهم من لاط أو شهد بالزور أو قامر أو زنى او سكر

في بعض النسخ هنا بياض نحو ورقة اھ

* (ذكر ديارات النصارى) *

قال ابن سيده الدير خان النصارى والجمع أديار وصاحبه ديار وديرانى * قلت الدير عند النصارى يختص بالنساك المقيمين به والكنيسة مجتمع عامتهم للصلاة

* (القلاية بمصر) * هذه القلاية بجانب المعلقة التى تعرف بقصر الشمع فى مدينة مصر وهى مجمع أكابر الرهبان وعلماء النصارى وحكمها عندهم حكم الاديرة

* (دير طرا) * ويعرف بدير أبى جرج وهو على شاطئ النيل * وأبو جرج هذا هو جرجس وكان ممن عذبه الملك دقلطيانوس ليرجع عن دين النصرانية ونوع له العقوبات من الضرب والتحريق بالنار فلم يرجع فضرب عنقه بالسيف فى ثالث تشرين وسابع بابه

* (دير شعران) * هذا الدير فى حدود ناحية طرا وهو مبنى بالحجر واللبن وبه نخل وبه عدة رهبان ويقال انما هو دير شهران بالهاء وان شهران كان من حكماء النصارى وقيل بل كان ملكا وكان هذا الدير يعرف قديما بمرقوريوس الذى يقال له مرقورة وأبو مرقورة ثم لما سكنه برصوما ابن التبان عرف بدير برصوما وله عيد يعمل فى الجمعة الخامسة من الصوم الكبير فيحضره البطرك وأكابر النصارى وينفقون فيه مالا كبيرا * ومرقوريوس هذا كان ممن قتله دقلطيانوس فى تاسع عشر تموز وخامس عشرى ابيب وكان جنديا

* (دير الرسل) * هذا الدير خارج ناحية الصف والودى وهو دير قديم لطيف

* (دير بطرس وبولص) * هذا الدير خارج اطفيح من قبلها وهو دير لطيف وله عيد فى خامس أبيب يعرف بعيد

القصرية * وبطرس هـذا هو أكبر الرسل الحواريين وكان دباغا وقيل صيادا قتله الملك نيرون فى تاسع عشرى حزيران وخامس أبيب * وبولص هـذا كان يهوديا فتنصر بعد رفع المسيح عليه السلام ودعا الى دينه فقتله الملك نيرون بعد قتله بطرس بسنة

*(دير الجميزة) * ويعرف بدير الجود ويسمى موضعه البحارة جزائر الدير وهو قبالة الميمون وهو عزبة لدير العزبة بنى على اسم انطونيوس ويقال انطونة وكان من أهل قمن فلما انقضت أيام الملك دقلطيانوس وفاتته الشهادة أحب أن يتعوض عنها بعبادة توصل ثوابها أو قريبا من ذلك فترهب وكان اول من أحدث الرهبانية للنصارى عوضا عن الشهادة وواصل أربعين يوما ليلا ونهارا طاويا لا يتناول طعاما ولا شرابا مع قيام الليل وكان هكذا يفعل فى الصيام الكبير كل سنة

*(دير العزبة) * هـذا الدير يسار اليه فى الجبل الشرقى ثلاثة أيام بسير الابل وبينه وبين بحر القلزم مسافة يوم كامل وفيـه غالب الفواكه مزدرعة وبه ثلاثة أعين تجرى وبناه أنطونيوس المقدم ذكره ورهبان هـذا الدير لا يزالون دهرهم صائمين لكن صومهم الى العصر فقط ثم يفطرون ما خلا الصوم الكبير والبرمولات فان صومهم فى ذلك الى طلوع النجم والبرمولات هى الصوم كذلك بلغتهم

*(دير أبابولا) * وكان يقال له اولاد بربولص ثم قيل له دير بولا ويعرف بدير النمورة أيضا وهـذا الدير فى البر الغربى من الطور على عين ماء يردها المسافرون وعندهم أن هذه العين تطهرت منها مريم اخت موسى عليهما السـلام عند نزول موسى ببنى اسرائيل فى برية القلزم * وانبابولا هذا كان من أهل الاسكندرية فلما مات أبوه ترك له ولاخيه مالا جما فخاصمه اخوه فى ذلك وخرج مغاضبا له فرأى ميتا يقبر فاعتبر به ومر عـلى وجهه سائحا حتى نزل عـلى هـذه العين فأقام هنالك والله تعالى يرزقه فتربه انطونيوس وصحبه حتى مات فبنى هـذا الدير على قبره وبين هذا الدير والبحر ثلاث ساعات وفيه بستان فيه نخل وعنب وبه عين ماء تجرى أيضا

*(دير القصير) * قال أبو الحسن على بن محمد الشابشتى فى كتاب الديارات وهـذا الدير فى أعلى الجبل على سطح فى قلته وهو دير حسن البناء محكم الصنعة نزه البقعة وفيه رهبان مقيمون به وله بئر منقورة فى الحجر يستقى له منها الماء وفى هيكله صورة مريم عليها السلام فى لوح والناس يقصدون الموضع للنظر الى هذه الصورة وفى أعلاه غرفة بناها أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون لها أربع طاقات الى أربع جهات وكان كثير الغشيان لهـذا الدير معجبا بالصورة التى فيه يستحسنها ويشرب على النظر اليها وفى الطريق الى هـذا الدير من جهة مصر صعوبة وأما من قبليه فسهل الصعود والنزول والى جانبه صومعة لا تخلو من حبيس يكون فيها وهو مطل على القرية المعروفة بشهران وعلى الصحراء والبحر وهى قرية كبيرة عامرة على شاطئ البحر ويذكرون أن موسى صلوات الله عليه ولد فيها ومنها ألقته امه الى البحر فى التابوت وبه أيضا دير يعرف بدير شهران ودير القصير هـذا احد الديارات المقصودة والمتنزهات المطروقة لحسن موضعه واشرافه على مصر وأعمالها وقد قال فيـه شعراء مصر ووصفوه فذكروا طيبه ونزهته ولابى هريرة بن أبى عاصم فيه من المنسرح

كم لى بدير القصير من قصف * مع كل ذى صبوة وذى ظرف

لهوت فيـه بشادن غنج * تقصر عنـه بدائع الوصف

وقال ابن عبد الحكم فى كتاب فتوح مصر وقد اختلف فى القصير فعن ابن لهيعة قال ليس بقصير موسى النبى صلى الله عليه وسلم ولكنه موسى الساحر وعن المفضل بن فضالة عن أبيـه قال دخلنا على كعب الاحبار فقال لنا ممن انتم قلنا فتيان من أهل مصر فقال ما تقولون فى القصير قلنا قصير موسى فقال ليس بقصير موسى ولكنه قصير عزيز مصر كان اذا جرى النيل يترفع فيـه وعـلى ذلك انه لمقدس من الجبل الى البحر قال ويقال بل كان موقدا يوقد فيه لفرعون اذا هو ركب من منف الى عين شمس وكان على المقطم موقد آخر فاذا رأوا النار علموا بركوبه فاعدوا له ما يريد وكذلك اذا ركب منصرفا من عين شمس والله أعلم وما أحسن قول كشاجم

سلام عـلى دير القصير وسفحه * بجنات حلوان الى النخلات

منازل كانت لى بهن مآرب * وكن مواخيرى ومتنزهاتى

اذا جئتها كان الجياد مراكبى * ومنصرفى فى السفن منحدرات

فاقبض بالابصار وحشى عينها * وأقتنص الانسى فى الظلمات
معى كل بسام أغر مهذب * على كل مايهوى النديم موات
ولجان مما أمسكته كلابنا * علينا ومما صيد فى الشبكات
وكأس وابريق وناى ومزهر * وساق غرير فاتر اللحظات
كأن قضيب البان عند اهتزازه * تعلم من أعطافه الحركات
هنالك تصفولى مشارب لذتى * وتصحب أيام السرور حياتى

وقال علماء الاخبار من النصارى ان أرقاديوس ملك الروم طلب ارسانيوس ليعلم ولده فظن أنه يقتله ففر الى مصر وترهب فبعث اليه أمانا وأعلمه أن الطلب من أجل تعليم ولده فاستعفى وتحول الى الجبل المقطم شرقى طرا وأقام فى مغارة ثلاث سنين ومات فبعث اليه أرقاديوس فاذا هو قد مات فأمر أن يبنى على قبره كنيسة وهو المكان المعروف بدير القصير ويعرف الآن بدير البغل من أجل انه كان به بغل يستقى عليه الماء فاذا خرج من الدير أتى الموردة وهنالك من يملأ عليه فاذا فرغ من الماء تركه فعاد الى الدير * وفى رمضان سنة أربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بهدم دير القصير فأقام الهدم والنهب فيه مدة أيام

*(دير مر حنا) * قال الشابشتى دير مر حنا على شاطئ بركة الحبش وهو قريب من النيل والى جانبه بساتين أنشأ بعضها الامير تميم بن المعز ومجلس على عمد حسن البناء مليح الصنعة مسور أنشاه الامير تميم أيضا وبقرب الدير بئر تعرف ببئر مماتى عليها جميزة كبيرة يجتمع الناس اليها ويشربون تحتها وهذا الموضع من مغانى اللعب ومواطن القصف والطرب وهو نزه فى أيام النيل وزيادة البحر وامتلاء البركة حسن المنظر فى أيام الزرع والنواوير لا يكاد حينئذ يخلو من المتنزهين والمتطربين وقد ذكرت الشعراء حسنه وطيبه وهذا الدير يعرف اليوم بدير الطين بالنون

*(دير أبى النعناع) * هذا الدير خارج انصنا وهو من جملة عماراتها القديمة وكنيسته فى قصره لا فى أرضه وهو على اسم أبى يحنس القصير وعيده فى العشرين من بابه وسيأتى ذكر أبى يحنس هذا

*(دير مغارة شقلقيل) * هو دير لطيف معلق فى الجبل وهو نقر فى الحجر على صخرة تحتها عقبة لا يتوصل اليه من أعلاه ولا من أسفله ولا سلم له وانما جعلت له نقور فى الجبل فاذا أراد أحد أن يصعد اليه ارخيت له سلبة فأمسكها بيده وجعل رجليه فى تلك النقور وصعد وبه طاحونة يديرها حمار واحد ويطل هذا الدير على النيل تجاه منفلوط وتجاه ام القصور وتجاهه جزيرة يحيط بها الماء وهى التى يقال لها شقلقيل وبها قريتان احداهما شقلقيل والاخرى بنى شقير ولهذا الدير عيد يجتمع فيه النصارى وهو على اسم يوميناوهو من الاجناد الذين عاقبهم ديقلطيانوس ليرجع عن النصرانية ويسجد للاصنام فثبت على دينه فقتله فى عاشر حزيران وسادس عشر بابه

*(دير بقطر) * بحاجر أبنوب من شرقى بنى مر تحت الجبل على مائتى قصبة منه وهو دير كبير جدا وله عيد يجتمع فيه نصارى البلاد شرقا وغربا ويحضره الاسقف * وبقطر هذا هو ابن رومانوس كان أبوه من وزراء ديقلطيانوس وكان هو جبيلا شجاعا له منزلة من الملك فلما تنصر وعده الملك ومناه ليرجع الى عبادة الاصنام فلم يفعل فقتله فى ثانى عشرى نيسان وسابع عشرى برمودة

*(دير بقطرشق) * فى بحرى أبنوب وهو دير لطيف خال وانما تأتيه النصارى مرة فى كل سنة * وبقطرشق ممن عذبه ديقلطيانوس ليرجع عن النصرانية فلم يرجع فقتله فى العشرين من هتور وكان جنديا

*(ديربوجرج) * بنى على اسم بوجرج وهو خارج المعيصرة بناحية شرقى بنى مر وتارة يخلو من الرهبان وتارة يعمر بهم وله وقت يعمل العيد فيه

*(دير حماس) * وحماس اسم بلد هو بحريها وله عيدان فى كل سنة وجموعات متعددة

*(دير الطير) هذا الدير قديم وهو مطل على النيل وله سلالم منحوتة فى الجبل وهو قبالة سملوط * وقال الشابشتى وبنواحى اخميم دير كبير عامر يقصد من كل موضع وهو بقرب الجبل المعروف بجبل الكهف وفى موضع من الجبل شق فاذا كان يوم عيد هذا الدير لم يبق فى البلد بوقير حتى يجىء الى هذا الموضع فيكون أمرا عظيما

بكثرتها واجتماعها وصياحها عند الشق ولا يزال الواحد بعد الواحد يدخل رأسه فى ذلك الشق ويصيح ويخرج ويجيء غيره الى أن يعلق رأس أحدها وينشب فى الموضع فيضطرب حتى يموت وتتفرق حينئذ الباقية فلا يبقى منها طائر * وقال القاضى أبو جعفر القضاعى ومن عجائبها يعنى مصر شعب البوقيرات بناحية اشموم من أرض الصعيد وهو شعب فى جبل فيه صدع تأتيه البوقيرات فى يوم من السنة كان معروفا فتعرض أنفسها على الصدع فكلما أدخل بوقير منها منقاره فى الصدع مضى لطيته فلا تزال تفعل ذلك حتى يلتقى الصدع على بوقير منها فيحبسه وتمضى كلها ولا يزال ذلك الذى تحبسه معلقا حتى يتساقط * قال مؤلفه رحمه الله تعالى وقد بطل هذا فى جملة ما بطل

*(دير ابى هرمينة) * بحرى فاو الخراب وبحريه بربا فاو وهى مملوءة كتبا وحكما وبين دير الطين وهذا الدير نحو يومين ونصف وأبو هرمينة هذا من قدماء الرهبان المشهورين عند النصارى

*(دير السبعة جبال باخميم) * هذا الدير داخل سبعة أودية وهو دير عال بين جبال شامخة ولا تشرق عليه الشمس الا بعد ساعتين من الشروق لعلو الجبل الذى هو فى لحفه واذا بقى للغروب نحو ساعتين خيل لمن فيه أن الشمس قد غابت واقبل الليل فيشعلون حينئذ الضوء فيه وعلى هذا الدير من خارجه عين ماء تظلها صفصافة ويعرف هذا الموضع الذى فيه دير الصفصافة بوادى الملوك لان فيه نباتا يقال له الملوكة وهو شبه الفجل وماؤه أحمر قان يدخل فى صناعة علم أهل الكيمياء ومن داخل هذا الدير (دير القرقس) وهو فى أعلى جبل قد نقر فيه ولا يعلم له طريق بل يصعد اليه فى نقور فى الجبل ولا يتوصل اليه الا كذلك وبين دير الصفصافة ودير القرقس ثلاث ساعات وتحت دير القرقس عين ماء عذب وأشجار بان

*(دير صبرة) * فى شرقى اخميم عرف بعرب يقال لهم بنى صبرة وهو على اسم ميخائيل الملك وليس به غير راهب واحد

*(دير ابى بشادة الاسقف) * قريب من ناحية انقه وهو بالحاجر وتجاهه فى الغرب منشأة اخميم وكان أبو بشادة هذا من علماء النصارى

*(دير بوهور الراهب) * ويعرف بدير سوادة وسوادة عرب تنزل هناك وهو قبالة منية بنى خصيب خربته العرب وهذه الاديرة كلها فى الشرق من النيل وجميعها لليعاقبة وليس فى الجانب الشرقى الآن سواها وأما الجانب الغربى من النيل فانه كثير الديارات لكثرة عمارته

*(دير دموة بالجيزة) * ويعرف بدموة السباع وهو على اسم قزمان ودميان وهو دير لطيف وتزعم النصارى أن بعض الحكماء كان يقال له سبع اقام بدموة وأن كنيسة دموة التى بأيدى اليهود الآن كانت ديرا من ديارات النصارى فابتاعته منهم اليهود فى ضائقة نزلت بهم وقد تقدم ذكر كنيسة دموة وقزمان ودميان من حكماء النصارى ورهبانهم العباد ولهما أخبار عندهم

*(دير نهيا) * قال الشابشتى ونهيا بالجيزة وديرها هذا من أحسن ديارات مصر وأنزهها وأطيبها موضعا وأجلها موقعا عامر برهبانه وسكانه وله فى أيام النيل منظر عجيب لان الماء يحيط به من جميع جهاته فاذا انصرف الماء وزرعت الارض اظهرت أراضيه غرائب النوار وأصناف الزهر وهو من المتنزهات الموصوفة والبقاع المستحسنة وله خليج يجتمع فيه سائر الطير فهو أيضا متصيد ممتع وقد وصفته الشعراء وذكرت حسنه وطيبه قلت وقد خرب هذا الدير

*(دير طمويه) * قال ياقوت طمويه بفتح الطاء وسكون الميم وفتح الواو وياء ساكنة قريتان بمصر احداهما فى كورة المرتاحية والاخرى بالجيزة قال الشابشتى وطمويه فى الغرب بازاء حلوان والدير راكب البحر حوله الكروم والبساتين والنخل والشجر وهو نزه عامر آهل وله فى النيل منظر حسن وحين تخضر الارض يكون فى بساطين من البحر والزرع وهو أحد متنزهات أهل مصر المذكورة ومواضع لهوها المشهورة * ولابن أبى عاصم المصرى فيه من البسيط

واشرب بطمويه من صهباء صافية * تزرى بخمر قرى هيت وعانات

على رياض

على رياض من النوّار زاهرة * تجرى الجداول فيها بين جنات
كأن نبت الشقيق العصفرى بها * كاسات خمر بدت فى اثر كاسات
كأن نرجسها من حسنه حدق * فى خفية يتناجى بالاشارات
كأنما النيل فى مرّ النسيم به * مستلئم فى دروع سابريات
منازل كنت مفتونا بها شغفا * وكنّ قدما مواخيرى وحاناتى
اذا أزال ملما بالصبوح على * ضرب النواقيس صبا بالديارات

قلت هذا الدير عند النصارى على اسم بوجرج ويجتمع فيه النصارى من النواحى
*(دير اقفاص) * وصوابها اقفهس وقد خرب
*(دير خارج ناحية منهرى) * خامل الذكر لانهم لايطعمون فيه أحدا
*(دير الخادم) * على جانب المنهى باعمال البهنسا على اسم غبريال الملك به بستان فيه نخل وزيتون
*(دير أشنين) * عرف بناحية أشنين فانه فى بحريها وهو لطيف على اسم السيدة مريم وليس به سوى راهب واحد
*(دير ايسوس) * ومعنى ايسوس يسوع ويقال له دير أرجنوس وله عيد فى خامس عشرى بشنس فاذا كان ليلة هذا اليوم سدّت بئر فيه تعرف ببئر ايسوس وقد اجتمع الناس الى الساعة السادسة من النهار ثم كشفوا الطابق عن البئر فاذا بها قد فاض ماؤها ثم ينزل فحيث وصل الماء قاسوا منه الى موضع استقرّ فيه الماء فما بلغ كانت زيادة النيل فى تلك السنة من الاذرع
*(دير سدمنت) * على جانب المنهى بالحاجر بين الفيوم والريف على اسم بوجرج وقد ضعفت أحواله عما كان عليه وقل ساكنه
*(دير النقلون) * ويقال له دير الخشبة ودير غبريال الملك وهو تحت مغارة فى الجبل الذى يقال له طارف الفيوم وهذه المغارة تعرف عندهم بمظلة يعقوب يزعمون أن يعقوب عليه السلام لما قدم مصر كان يستظل بها وهذا الجبل مطل على بلدين يقال لهما اطفيح شيلا وشلا ويملأ الماء لهذا الدير من بحر المنهى ومن تحت دير سدمنت ولهذا الدير عيد يجتمع فيه نصارى الفيوم وغيرهم وهو على السكة التى تنزل الى الفيوم ولا يسلكها الا القليل من المسافرين
*(دير القلمون) * هذا الدير فى برية تحت عقبة القلمون يتوصل المسافر منها الى الفيوم يقال لها عقبة الغريق وبنى هذا الدير على اسم صمويل الراهب وكان فى زمن الفترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم ومات فى ثامن كيهك وفى هذا الدير نخل كثير يعمل من تمره العجوة وفيه أيضا شجر اللبخ ولا يوجد الا فيه وثمره بقدر الليمون طعمه حلو فى مثل طعم الرانج ولنواه عدة منافع وقال أبو حنيفة فى كتاب النبات ولا ينبت اللبخ الا بأنصنا وهو عود تنشر منه ألواح السفن وربما أرعف ناشرها ويباع اللوح منها بخمسين دينارا ونحوها واذا اشتدّ لوح منها بلوح وطرحا فى الماء سنة التأما وصارا لوحا واحدا وفى هذا الدير قصران مبنيان بالحجارة وهما عاليان كبيران لبياضهما اشراق وفيه أيضا عين ماء تجرى وفى خارجه عين اخرى وبهذا الوادى عدة معابد قديمة وثم واد يقال له الاميلح فيه عين ماء تجرى ونخيل مثمرة تأخذ العرب ثمرها وخارج هذا الدير ملاحة يبيع رهبان الدير ملحها فيعم تلك الجهات
*(دير السيدة مريم) * خارج طنبدى ليس فيه سوى راهب واحد وهو على غير الطريق المسلوك وكان بأعمال البهنسا عدة ديارات خربت
*(دير برقانا) * بحرى بنى خالد وهو مبنى بالحجر وعمارته حسنة وهو من أعمال المنية وكان به فى القديم ألف راهب وليس به الآن سوى راهبين وهو فى الحاجر تحت الجبل
*(دير بالوجه) * على جنب المنهى وهو لاهل دلجة وهو من الاديرة الكبار وقد خرب حتى لم يبق به سوى راهب أو راهبين وهو بازاء دلجة بينه وبينها نحو ساعتين
*(دير مرقورة) * ويقال أبو مرقورة هذا الدير تحت دلجة بخارجها من شرقيها وليس به أحد

*(دير صنبو) * في خارجها من بحريها على اسم السيدة مريم وليس به أحد
*(دير تادرس) * قبلي صنبو وقد تلاشى أمره لاتضاع حال النصارى
*(دير الريمون) * في شرقي ناحية الريمون وهو شرقي ملوى وغربي أنصنا وهو على اسم الملك غبريال
*(دير المحرق) * تزعم النصارى أن المسيح عليه السلام أقام في موضعه ستة أشهر وأياما وله عيد عظيم يعرف بعيد الزيتونة وعيد العنصرة يجتمع فيه عالم كثير
*(دير بني كلب) * عرف بذلك لنزول بني كلب حوله وهو على اسم غبريال وليس فيه أحد من الرهبان وانما هو كنيسة لنصارى منفلوط وهو غربيها
*(دير الجاولية) * هذا الدير ناحية الجاولية من قبليها وهو على اسم الشهيد مرقورس الذي يقال له مرقورة وعليه رزق محبسة وتأتيه النذورات والعوايد وله عيدان في كل سنة
*(دير السبعة جبال) * هذا الدير على رأس الجبل الذي غربي سيوط على شاطئ النيل ويعرف بدير يحنس القصير وله عدة أعياد وخرب في سنة احدى وعشرين وثمانمائة من منسر طرقه ليلا * (يحنس) ويقال أبو يحنس القصير كان راهبا قصاله أخبار كثيرة منها انه غرس خشبة يابسة في الارض بأمر شيخه له وسقاها الماء مدة فصارت شجرة مثمرة تأكل منها الرهبان وسميت شجرة الطاعة ودفن في ديره
*(دير المطل) * هذا الدير على اسم السيدة مريم وهو على طرف الجبل تحت دير السبعة جبال قبالة سيوط وله عيد يحضره أهل النواحي وليس به أحد من الرهبان

*(اديرة أدرنكه) *

اعلم أن ناحية أدرنكة هي من قرى النصارى الصعايدة ونصاراها أهل علم في دينهم وتفاسيرهم في اللسان القبطي ولهم ادبرة كثيرة في خارج البلد من قبليها مع الجبل وقد خرب أكثرها وبقي منها
*(دير بوجرج) * وهو عامر البناء وليس به أحد من الرهبان ويعمل فيه عيد في أوانه
*(دير أرض الحاجر ودير ميكائيل ودير كرفونه) * على اسم السيدة مريم وكان يقال له ارافونه واغرافونا ومعناه النساخ فان نساخ علوم النصارى كانت في القديم تقيم به وهو على طرف الجبل وفيه مغاير كثيرة منها ما يسير الماشي بجنبه نحو يومين
*(دير أبي بغام) * تحت دير كرفونة بالحاجر وقد كان أبو بغام جنديا في أيام ديقلطيانوس فتنصر وعذب ليرجع عن دينه ثم قتل في ثامن عشري كانون الاول وثاني كيهك
*(دير بوساويرس *) بحاجر أدرنكة كان على اسم السيدة مريم وكان ساويرس من عظماء الرهبان فعمل بطركا وظهرت آية عند موته وذلك انه أنذرهم لما سار الى الصعيد بأنه اذا مات ينشق الجبل وتقع منه قطعة عظيمة على الكنيسة فلا تضر هافلما كان في بعض الايام سقطت قطعة عظيمة من الجبل كما قال فعلم رهبان هذا الدير بأن ساويرس قد مات فأرخوا ذلك فوجدوه وقت موته فسموا الدير حينئذ باسمه
*(دير تادرس) * تحت دير بوساويرس وتادرس اثنان كانا من أجناد ديقلطيانوس أحدهما يقال له قاتل التنين والآخر الاسفهسلار وقتلا كما قتل غيرهما
*(دير منسى آل) * ويقال منسال وبني سال وايسا آل ومعنى ذلك اسحاق وكان على اسم السيدة ماريهام يعني مارمريم ثم عرف بمنسال وكان راهبا قديما له عندهم شهرة وبهذا الدير بئر تحته في الحاجر منها شرب الرهبان فاذا زاد النيل شربوا من مائه
*(دير الرسل) * تحت دير منسال ويعرف بدير الاثل وهو لاعمال بوتيج ودير منسال لاهل ريفة هو ودير ساويرس ودير كرفونة لاهل سيوط ودير بوجرج لاهل ادرنكة ودير الاثل كان في خراب فعمر بجانبه كفر لطيف عرف بمنشأة الشيخ لان الشيخ أبا بكر الشاذلي أنشأه وأنشأ بستانا كبيرا وقد وجد موضعه بئرا كبيرة وجد بها كنزا أخبرني من شاهد من ذهبه دنانير مربعة بأحد وجهيها صليب وزنة الدينار مثقال ونصف وأديرة أدرنكة المذكورة قريب بعضها من بعض وبينها مغاير عديدة منقوش على ألواح فيها نقوشات من كتابة القدماء كما على البرابي وهي مزخرفة بعدة أصباغ ملونة تشتمل على علوم شتى ودير السبعة جبال ودير المطل

ودير النساخ خارج سيوط فى المقابر ويقال انه كان فى الحاجر بن ثلثمائة وستون ديرا وان المسافر كان لايزال من البدرشين الى أصفون فى ظل البساتين وقد خرب ذلك وباد أهله

* (دير موشه) * وموشه خارج سيوط من قبليها بنى على اسم توما الرسول الهندى وهو بين الغيطان قريب من ريفة وفى أيام النيل لا يوصل اليه الا فى مركب وله أعياد والاغلب على نصارى هذه الاديرة معرفة القبطى الصعيدى وهو أصل اللغة القبطية وبعدها اللغة القبطية البحرية ونساء نصارى الصعيد وأولادهم لا يكادون يتكلمون الا بالقبطية الصعيدية ولهم أيضا معرفة تامة باللغة الرومية

* (دير أبى مقروفة) * وأبو مقروفة اسم للبلدة التى بها هذا الدير وهو منقور فى لحف الجبل وفيه عدة مغاير وهو على اسم السيدة مريم وبمقروفة نصارى كثيرة غنامة ورعاة أكثرهم همج وفيهم قليل من يقرأ أو يكتب وهو دير معطش

* (دير بومغام) * خارج طما وأهلها نصارى وكانوا قديما أهل علم

* (دير بوشنوده) * ويعرف بالدير الابيض وهو غربى ناحية سوهاى وبناؤه بالحجر وقد خرب ولم يبق منه الا كنيسته ويقال ان مساحته أربعة فدادين ونصف وربع والباقى منه نحو فدان وهو دير قديم

* (الدير الاحمر) * ويعرف بدير أبى بشاى وهو بحرى الدير الابيض بينهما نحو ثلاث ساعات وهو دير لطيف مبنى بالطوب الاحمر وأبو بشاى هذا من الرهبان المعاصرين لشنوده وهو تلميذه وصار من تحت يده ثلاثة آلاف راهب وله دير آخر فى برية شيهات

* (دير أبى ميساس) * ويقال أبو ميسيس واسمه موسى وهذا الدير تحت البلينا وهو دير كبير * وأبو ميسيس هذا كان راهبا من أهل البلينا وله عندهم شهرة وهم ينذرونه ويزعمون فيه مزاعم ولم يبق بعد هذا الدير الاديرة بحاجر اسنا ونقادة قليلة العمارة وكان بأصفون دير كبير وكانت أصفون من أحسن بلاد مصر وأكثر نواحى الصعيد فواكه وكان رهبان ديرها معروفين بالعلم والمهارة فخربت أصفون وخرب ديرها وهذا آخر أديرة الصعيد وهى كلها متلاشية آئلة الى الدثور بعد كثرة عمارتها ووفور أعداد رهبانها وسعة أرزاقهم وكثرة ما كان يحمل اليهم * (وأما الوجه البحرى) * فكان فيه اديرة كثيرة خربت وبقى منها بقية فكان بالمقس خارج القاهرة من بحريها عدة كنائس هدمها الحاكم بأمر الله أبو على منصور فى تاسع عشر ذى الحجة سنة تسع وتسعين وثلثمائة وأباح ما كان فيها فنهب منها شئ كثير جدا بعد ما أمر فى شهر ربيع الاول منها بهدم كنائس راشدة خارج مدينة مصر من شرقيها وجعل موضعها الجامع المعروف براشدة وهدم أيضا فى سنة أربع وتسعين كنيستين هنالك وألزم النصارى بلبس السواد وشد الزنار وقبض على الاملاك التى كانت محبسة على الكنائس والاديرة وجعلها فى ديوان السلطان وأحرق عدة كثيرة من الصلبان ومنع النصارى من اظهار زينة الكنائس فى عيد الشعانين وتشدد عليهم وضرب جماعة منهم وكانت بالروضة كنيسة بجوار المقياس فهدمها السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب فى سنة ثمان وثلاثين وستمائة وكان فى ناحية أبى النمرس من الجيزة كنيسة قام فى هدمها رجل من الزيالعة لانه سمع أصوات النواقيس يجهر بها فى ليلة الجمعة بهذه الكنيسة فلم يتمكن من ذلك فى ايام الاشرف شعبان بن حسين لتمكن الاقباط فى الدولة فقام فى ذلك مع الامير الكبير برقوق وهو يومئذ القائم بتدبير الدولة حتى هدمها على يد القاضى جمال الدين محمود العجمى محتسب القاهرة فى ثامن عشر رمضان سنة ثمانين وسبعمائة وعملت مسجدا

* (دير الخندق) * ظاهر القاهرة من بحريها عمره القائد جوهر عوضا عن دير هدمه فى القاهرة كان بالقرب من الجامع الاقمر حيث البئر التى تعرف الآن ببئر العظمة وكانت اذ ذاك تعرف ببئر العظام من أجل انه نقل عظاما كانت بالدير وجعلها بدير الخندق ثم هدم دير الخندق فى رابع عشرى شوال سنة ثمان وسبعين وستمائة فى ايام المنصور قلاون ثم جدد هذا الدير الذى هنالك بعد ذلك وعمل كنيستين يأتى ذكرهما فى الكنائس

* (دير سرياقوس) * كان يعرف بأبى هور وله عيد يجتمع فيه الناس وكان فيه أعجوبة ذكرها الشابشتى وهو أن من كان به خنازير أخذه رئيس هذا الدير وأضجعه وجاء بخنزير فلحس موضع الوجع ثم أكل الخنازير

التي فيه فلا يتعدّى ذلك الى الموضع الصحيح فاذا انطف الموضع ذرّ عليه رئيس الدير من رماد خنزير فعل مثل هذا الفعل من قبل ودهنه بزيت قنديل البيعة فانه يبرأ ثم يؤخذ ذلك الخنزير الذي أكل خنازير العليل فيذبح ويحرق ويعد رماداً لمثل هذه الحالة فكان لهذا الدير دخل عظيم ممن يبرأ من هذه العلة وفيه خلق من النصارى

(دير اتريب) ويعرف بمارى مريم وعيده فى حادى عشرى بؤنه وذكر الشابشتى أن حمامة بيضاء تأتى فى ذلك العيد فتدخل المذبح لا يدرون من اين جاءت ولا يرونها الى يوم مثله * وقد تلاشى أمر هذا الدير حتى لم يبق به الا ثلاثة من الرهبان لكنهم يجتمعون فى عيده وهو على شاطئ النيل قريب من نهر العسل

(دير المغطس) عند الملاحات قريب من بحيرة البرلس وتحج اليه النصارى من قبلى أرض مصر ومن بحريها مثل حجهم الى كنيسة القمامة وذلك يوم عيده وهو فى بشنس ويسمونه عيد الظهور من أجل انهم يزعمون أن السيدة مريم تظهر لهم فيه ولهم فيه مزاعم كلها من أكاذيبهم المختلقة وليس بحذاء هذا الدير عمارة سوى منشأة صغيرة فى قبليه بشرق ويقرب به الملاحة التى يؤخذ منها الملح الرشيدى وقد هدم هذا الدير فى شهر رمضان سنة احدى وأربعين وثمانمائة بقيام بعض الفقراء المعتقدين

(دير العسكر) فى أرض السباخ على يوم من دير المغطس على اسم الرسل ويقرب به ملاحة الملح الرشيدى ولم يبق به سوى راهب واحد

(دير جميانة) على اسم بوجرج قريب من دير العسكر على ثلاث ساعات منه وعيده عقب عيد دير المغطس وليس به الآن أحد

(دير الميمنة) بالقرب من دير العسكر كانت له حالات جليلة ولم يكن فى القديم دير بالوجه البحرى أكثر رهبانا منه الا انه تلاشى أمره وخرب فنزله الحبش وعمروه وليس فى السباخ سوى هذه الاربعة الاديرة

*وأما وادى هبيب وهو وادى النطرون ويعرف ببرّية شيهات وبرّية الاسقط وميزان القلوب فانه كان بها فى القديم مائة دير ثم صارت سبعة ممتدة غربا على جانب البرّية القاطعة بين بلاد البحيرة والفيوم وهى فى رمال منقطعة وسباخ مالحة وبرار منقطعة معطشة وقفار مهلكة وشراب أهلها من حفائر وتحمل النصارى اليهم النذور والقرابين وقد تلاشت فى هذا الوقت بعدما ذكر مورخوا النصارى انه خرج الى عمرو بن العاص من هذه الاديرة سبعون ألف راهب بيد كل واحد عكاز فسلموا عليه وانه كتب لهم كتابا هو عندهم

(فمنها دير ابى مقار الكبير) وهو دير جليل عندهم وبخارجه اديرة كثيرة خربت وكان دير السالك فى القديم ولا يصح عندهم بطركية البطرك حتى يجلسوه فى هذا الدير بعد جلوسه بكرسى اسكندرية ويذكر أنه كان فيه من الرهبان ألف وخمسمائة لا تزال مقيمة به وليس به الآن الا قليل منهم والمقارات ثلاثة أكبرهم صاحب هذا الدير ثم ابو مقار الاسكندرانى ثم ابو مقار الاسقف وهؤلاء الثلاثة قد وضعت رممهم فى ثلاث انابيب من خشب وتزورها النصارى بهذا الدير وبه أيضا الكتاب الذى كتبه عمرو بن العاص لرهبان وادى هبيب بجراية نواحى الوجه البحرى على ما أخبرنى من أخبر برؤيته فيه *(أبو مقار الاكبر)* هو مقاريوس أخذ الرهبانية عن انطونيوس وهو أول من لبس عندهم القلنسوة والاسكيم وهو سير من جلد فيه صليب يتوشح به الرهبان فقط ولقى انطونيوس بالجبل الشرقى من حيث دير العزبة وأقام عنده مدة ثم ألبسه لباس الرهبانية وأمره بالمسير الى وادى النطرون ليقيم هنالك ففعل ذلك واجتمع عنده الرهبان الكثيرة العدد وله عندهم فضائل عديدة منها انه كان لا يصوم الاربعين الا طاويا فى جميعها لا يتناول غذاء ولا شرابا البتة مع قيام ليلها وكان يعمل الخوص ويتقوت منه وما أكل خبزا طريا قط بل يأخذ القراقيش فيبلها فى نقاعة الخوص ويتناول منها هو ورهبان الدير ما يمسك الرمق من غير زيادة هذا قوتهم مدة حياتهم حتى مضوا لسبيلهم * وأما ابو مقار الاسكندرانى فانه ساح من الاسكندرية الى مقاريوس المذكور وترهب على يديه ثم كان ابو مقار الثالث وصار أسقفا

(دير ابى يحنس القصير) يقال انه عمر فى أيام قسطنطين بن هيلانة ولابى يحنس هذا فضائل مذكورة وهو من أجل الرهبان وكان لهذا الدير حالات شهيرة وبه طوائف من الرهبان ولم يبق به الآن الا ثلاثة رهبان

*١ دير

(دير الياس) عليه السلام وهو دير للحبشة وقد خرب دير بحنس كما خرب دير الياس اكلت الارضة أخشابهما فسقطا وصار الحبشة الى دير سيدة بوبحنس القصير وهو دير لطيف بجوار دير بوبحنس القصير * وبالقرب من هذه الاديرة

(دير انبا نوب) وقد خرب هذا الدير أيضا (انبا نوب) هذا من أهل سمنود قتل فى الاسلام ووضع جسده فى بيت بسمنود

(دير الارمن) قريب من هذه الاديرة وقد خرب * وبجوارها أيضا

(دير بوبشاى) وهو دير عظيم عندهم من أجل أن بوبشاى هذا كان من الرهبان الذين فى طبقة مقاريوس وبحنس القصير وهو دير كبير جدا

(دير بازاء دير بوبشاى) كان بيد اليعاقبة ثم ملكته رهبان السريان من نحو ثلثمائة سنة وهو بيدهم الآن ومواضع هذه الاديرة يقال لها بركة الاديرة

(دير سيدة برموس) على اسم السيدة مريم فيه بعض رهبان * وبازائه

(دير موسى) ويقال أبو موسى الاسود ويقال برمؤس وهذا الدير لسيدة برمؤس فبرموس اسم الدير وله قصة حاصلها أن مكسيموس ودوماديوس كانا ولدى ملك الروم وكان لهما معلم يقال له ارسانيوس فسار المعلم من بلاد الروم الى أرض مصر وعبر برية شيهات هذه وترهب وأقام بها حتى مات وكان فاضلا وأتاه فى حياته ابنا الملك المذكوران وترهبا على يديه فلما ماتا بعث أبوهما فبنى على اسمهما كنيسة برموس وأبو موسى الاسود كان لصا فاتكا قتل مائة نفس ثم انه تنصر وترهب وصنف عدّة كتب وكان ممن يطوى الاربعين فى صومه وهو بربرى

(دير الزجاج) هذا الدير خارج مدينة الاسكندرية ويقال له الهايطون وهو على اسم بوجرج الكبير ومن شرط البطرك انه لا بدّ أن يتوجه من المعلقة بمصر الى دير الزجاج هذا ثم انهم فى هذا الزمان تركوا ذلك فهذه أديرة اليعاقبة

(وللنساء ديارات تختص بهنّ) فمنها (دير الراهبات) بحارة زويلة من القاهرة وهو دير عامر بالابكار المترهبات وغيرهنّ من نساء النصارى

(دير البنات) بحارة الروم بالقاهرة عامر بالنساء المترهبات

(دير المعلقة) بمدينة مصر وهو أشهر ديارات النساء عامر بهنّ

(دير بربارة) بمصر بجوار كنيسة بربارة عامر بالبنات المترهبات (بربارة) كانت قدّيسة فى زمان دقلطيانوس فعذبها بالترجع عن ديانتها وتسجد للاصنام فثبتت على دينها وصبرت على عذاب شديد وهى بكر لم يمسها رجل فلما يئس منها ضرب عنقها وعنق عدّة من النساء معها *(وللنصارى الملكية)* قلاية بطركهم بجوار كنيسة ميكائيل بالقرب من جسر الافرم خارج مصر وهى مجمع الرهبان الواردين من بلاد الروم

(دير بحنس القصير) المعروف بالقصير وصوابه عندهم دير القصير على وزن شهيد وحرف فقيل دير القصير بضم القاف وفتح الصاد وتشديد الياء فسماه المسلمون دير القصير بضم القاف وفتح الصاد واسكان الياء آخر الحروف كأنه تصغير قصير وأصله كما عرّفتك دير القصير الذى هو ضدّ الطويل وسمى أيضا دير هرقل ودير البغل وقد تقدّم ذكره وكان من اعظم ديارات النصارى وليس به الآن سوى واحد يحرسه وهو بيد الملكية

(دير الطور) قال ابن سيده الطور الجبل وقد غلب على طور سيناء جبل بالشام وهو بالسريانية طورى والنسب اليه طورى وطوارى * وقال ياقوت طور سبعة مواضع * الاول طور زيتا بلفظ الزيت من الادهان مقصور علم لجبل بقرب رأس عين * الثانى طور زيت أيضا جبل بالبيت المقدس وهو شرقى سلوان * الثالث الطور علم لجبل بعينه مطل على مدينة طبرية بالاردن * الرابع الطور علم لجبل كورة تشتمل على عدّة قرى بأرض مصر من الجهة القبلية بين مصر وجبل فاران * الخامس طور سيناء اختلفوا فيه فقيل هو جبل بقرب ايلة وقيل جبل بالشام وقيل سيناء حجارة وقيل شجرة * السادس طور عبدين

بفتح العين وسكون الباء الموحدة وكسر الدال المهملة وياء آخر الحروف ونون اسم لبلدة من نواحي نصيبين في بطن الجبل المشرف عليها المتصل بجبل جودي * السابع طور هارون أخي موسى عليهما السلام * وقال الواحدي في تفسيره وقال الكلبي وغيره والجبل في قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل اعظم جبل بمدين يقال له زبير وذكر الكلبي أن الطور سمي بطور بن اسماعيل قال السهيلي فلعله محذوف الياء ان كان صح ما قاله وقال عمر بن شبة أخبرني عبد العزيز عن أبي معشر عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة انهار في الجنة وأربعة اجبل وأربع ملاحم في الجنة فأما الانهار فسيحان وجيحان والنيل والفرات وأما الاجبل فالطور ولبنان وأحد وورقان وسكت عن الملاحم * وعن كعب الاحبار معاقل المسلمين ثلاثة فمعقلهم من الروم دمشق ومعقلهم من الدجال الاردن ومعقلهم من يأجوج ومأجوج الطور * وقال شعبة عن ارطاة بن المنذر اذا خرج يأجوج ومأجوج أوحى الله تعالى الى عيسى ابن مريم عليه السلام انى قد أخرجت خلقا من خلقي لا يطيقهم أحد غيري فتر بمن معك الى جبل الطور فيمر ومعه من الذرارى اثنا عشر ألفا وقال طلق بن حبيب عن زرعة أردت الخروج الى الطور فأتيت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقلت له فقال انما تشد الرحال الى ثلاثة مساجد الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسجد الحرام والمسجد الاقصى فدع عنك الطور فلا تأته وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي وقد ذكر كور أرض مصر ومن كور القبلة قرى الحجاز وهي كورة الطور وفاران وكورة راية والقلزم وكورة ايلة وحيزها ومدين وحيزها والعويد والحوراء وحيزهما ثم كورة بدا وشعيب * قلت لا خلاف بين علماء الاخبار من أهل الكتاب أن جبل الطور هذا هو الذي كلم الله تعالى نبيه موسى عليه السلام عليه أو عنده وبه الى الآن دير بيد الملكية وهو عامر وفيه بستان كبير به نخل وعنب وغير ذلك من الفواكه * وقال الشابشتي وطور سينا هو الجبل الذي تجلى فيه النور لموسى بن عمران عليه السلام وفيه صعق والدير في اعلى الجبل مبني بحجر أسود عرض حصنه سبع اذرع وله ثلاثة أبواب حديد وفي غربيه باب لطيف وقدامه حجر قائم اذا ارادوا رفعه رفعوه واذا قصدهم أحد أرسلوه فانطبق على الموضع فلم يعرف مكان الباب وداخل الدير عين ماء وخارجه عين أخرى وزعم النصارى أن به نارا من انواع النار التي كانت ببيت المقدس يقدون منها في كل عشية وهي بيضاء لطيفة ضعيفة الحر لا تحرق ثم تقوى اذا أوقد منها السراج وهو عامر بالرهبان والناس يقصدونه وهو من الديارات الموصوفة * قال ابن عاصم فيه

انهار الخ الحديث تبيدى لها فليراجع ه مصححه

يا راهب الدير ماذا الضوء والنور * فقد أضاء بما في ديرك الطور
هل حلت الشمس فيه دون أبرجها * أو غيب البدر فيه وهو مستور
فقال ما حله شمس ولا قمر * لكن تقرب فيه اليوم قورير

قلت ذكر مؤرخو النصارى ان هذا الدير أمر بعمارته يوسطيانوس ملك الروم بقسطنطينية فعمل عليه حصن فوقه عدة قلالي وأقيم فيه الحرس لحفظ رهبانه من قوم يقال لهم بنو صالح من العرب وفي أيام هذا الملك كان المجمع الخامس من مجامع النصارى وبينه وبين القلزم وكانت مدينة طريقان احداهما في البر والاخرى في البحر وهما جميعا يؤديان الى مدينة فاران وهي من مدائن العمالقة ثم منها الى الطور مسيرة يومين ومن مدينة مصر الى القلزم ثلاثة أيام ويصعد الى جبل الطور بستة آلاف وستمائة وست وستين مرقاة وفي نصف الجبل كنيسة لايلياء النبي وفي قلته كنيسة على اسم موسى عليه السلام بأساطين من رخام وأبواب من صفر وهو الموضع الذي كلم الله تعالى فيه موسى وقطع منه الالواح ولا يكون فيها الا راهب واحد للخدمة ويزعمون أنه لا يقدر أحد أن يبيت فيها بل يهيأ له موضع من خارج يبيت فيه ولم يبق لهاتين الكنيستين وجود

* (دير البنات بقصر الشمع بمصر) * وهو على اسم بوجرج وكان مقياس النيل قبل الاسلام وبه آثار ذلك الى اليوم فهذا ما للنصارى اليعاقبة والملكية رجالهم ونسائهم من الديارات بأرض مصر قبليها وبحريها وعدتها ستة وثمانون ديرا منها لليعاقبة   ديرا وللملكية

بياض في الاصل

* (ذكر كنائس النصارى) *

قال

قال الازهرى كنيسة اليهود جمعها كنائس وهى معربة أصلها كنشت انتهى وقد نطقت العرب بذكر الكنيسة قال العباس بن مرداس السلمى

يدورون بى فى ظل كل كنيسة * وما كان قومى يتثنون الكنائسا

وقال ابن قيس الرقيات كانها دمية مصورة * فى بيعة من كنائس الروم

*(كنيستا الخندق) *ظاهر القاهرة احداهما على اسم غبريال الملاك والاخرى على اسم مرقوريوس وعرفت برويس وكان راهبا مشهورا بعد سنة ثمانمائة وعندهاتين الكنيستين يقبرالنصارى موتاهم وتعرف بمقبرة الخندق وعمرت هاتان الكنيستان عوضا عن كنائس المقس فى الايام الاسلامية

*(كنيسة حارة زويلة بالقاهرة) * كنيسة عظيمة عند النصارى اليعاقبة وهى على اسم السيدة وزعموا انها قديمة تعرف بالحكيم زايلون وكان قبل الملة الاسلامية بنحو مائتين وسبعين سنة وانه صاحب علوم شتى وان له كنزا عظيما يتوصل اليه من بئر هنالك

*(كنيسة تعرف بالمغيثة) * بحارة الروم من القاهرة على اسم السيدة مريم وليس لليعاقبة بالقاهرة سوى هاتين الكنيستين وكان بحارة الروم أيضا كنيسة أخرى يقال لها كنيسة بربارة هدمت فى سنة ثمان عشرة وسبعمائة وسبب ذلك أن النصارى رفعوا قصة للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاون يسألون الاذن فى اعادة ماتهدّم منها فأذن لهم فى ذلك فعمروها أحسن ما كانت فغضبت طائفة من المسلمين ورفعوا قصة للسلطان بأن النصارى أحدثوا بجانب هذه الكنيسة بناء لم يكن فيها فرسم للامير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة بهدم ما جدّدوه فركب وقد اجتمع الخلائق فبادروا وهدموا الكنيسة كلها فى اسرع وقت وأقاموا فى موضعها محرابا وأذنوا وصلوا وقرؤا القرآن كل ذلك بأيديهم فلم تمكن معارضتهم خشية الفتنة فاشتدّ الامر على النصارى وشكوا أمرهم للقاضى كريم الدين ناظر الخاص فقام وقعد غضبا لدين اسلافه ومازال بالسلطان حتى رسم بهدم المحراب فهدم وصار موضعه كوم تراب ومضى الحال على ذلك

*(كنيسة بومنا) * هذه الكنيسة قريبة من السد فيما بين الكيمان بطريق مصر وهى ثلاث كنائس متجاورة احداها لليعاقبة والاخرى للسريان وأخرى للارمن ولها عيد فى كل سنة تجتمع اليه النصارى

*(كنيسة المعلقة) * بمدينة مصر فى خط قصر الشمع على اسم السيدة وهى جليلة القدر عندهم وهى غير القلاية التى تقدّم ذكرها

*(كنيسة شنوده) * بمصر نسبت لابى شنودة الراهب القديم وله أخبار منها انه كان ممن يطوى فى الاربعين اذا صام وكان تحت يده ستة آلاف راهب يتقوّت هو واياهم من عمل الخوص وله عدّة مصنفات

*(كنيسة مريم) * بجوار كنيسة شنودة هدمها على بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس أمير مصر لما ولى من قبل أمير المؤمنين الهادى موسى فى سنة تسع وستين ومائة وهدم كنائس محرس قسطنطين وبذل له النصارى فى تركها خمسين ألف دينار فامتنع فلما عزل بموسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله ابن عباس فى خلافة هارون الرشيد أذن موسى بن عيسى للنصارى فى بنيان الكنائس التى هدمها على بن سليمان فبنيت كلها بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة وقالا هو من عمارة البلاد واحتجا بأن الكنائس التى بمصر لم تبن الا فى الاسلام فى زمن الصحابة والتابعين

*(كنيسة بوجرج الثقة) *هذه الكنيسة فى درب بخط قصر الشمع بمصر يقال له درب الثقة ويجاورها كنيسة سدة بوجرج

(كنيسة بربارة) * بمصر كبيرة جليلة عندهم وهى تنسب الى القدّيسة بربارة الراهبة وكان فى زمانها راهبتان بكران وهما ايسى وتكلة ويعمل لهنّ عيد عظيم بهذه الكنيسة يحضره البطريق

*(كنيسة بوسرجه) * بالقرب من بربارة بجوار زاوية ابن النعمان فيها مغارة يقال ان المسيح وأمّه مريم عليهما السلام جلسا بها

*(كنيسة بابليون) * فى قبلى قصر الشمع بطريق جسر الافرم وهذه الكنيسة قديمة جدّا وهى لطيفة ويذكر

أن تحتها كنزا ببليون وقد خرب ما حولها

(كنيسة تاودورس الشهيد) بجوار بابليون نسبت للشهيد تاودورس الاسفهسلار

(كنيسة بومنا بجوار بابليون أيضا) وهاتان الكنيستان مغلوقتان لخراب ما حولهما

(كنيسة بومنا) بالحمراء وتعرف الحمراء اليوم بخط قناطر السباع فيما بين القاهرة ومصر وأحدثت هذه الكنيسة فى سنة سبع عشرة ومائة من سنى الهجرة باذن الوليد بن رفاعة أمير مصر فغضب وهيب اليحصبى وخرج على السلطان وجاء الى ابن رفاعة ليفتك به فأخذ وقتل وكان وهيب مدريا من اليمن قدم الى مصر فخرج القرّاء على الوليد بن رفاعة غضبا لوهيب وقاتلوه وصارت معونة امرأة وهيب تطوف ليلا على منازل القرّاء تحرّضهم على الطلب بدمه وقد حلقت رأسها وكانت امرأة جزلة فأخذ ابن رفاعة أبا عيسى مروان بن عبد الرحمن اليحصبى بالقرّاء فاعتذر وخلى ابن رفاعة عنهم فسكنت الفتنة بعد ما قتل جماعة ولم تزل هذه الكنيسة بالحمراء الى أن كانت واقعة هدم الكنائس فى ايام الناصر محمد بن قلاون على ما يأتى ذكر ذلك والخبر عن هدم جميع كنائس أرض مصر وديارات النصارى فى وقت واحد

(كنيسة الزهرى) كانت فى الموضع الذى فيه اليوم البركة الناصرية بالقرب من قناطر السباع فى برّ الخليج الغربى غربى اللوق واتفق فى أمرها عدّة حوادث وذلك أن الملك الناصر محمد بن قلاون لما أنشأ ميدان المهارى المجاور لقناطر السباع فى سنة عشرين وسبعمائة قصد بناء زريبة على النيل الاعظم بجوار الجامع الطيبرسى فأمر بنقل كوم تراب كان هناك وحفر ما تحته من الطين لاجل بناء الزريبة وأجرى الماء الى مكان الحفر فصار يعرف الى اليوم بالبركة الناصرية وكان الشروع فى حفر هذه البركة من آخر شهر ربيع الاوّل سنة احدى وعشرين وسبعمائة فلما انتهى الحفر الى جانب كنيسة الزهرى وكان بها كثير من النصارى لا يزالون فيها وبجانبها أيضا عدّة كنائس فى الموضع الذى يعرف اليوم بحكر أقبغا ما بين السبع سقايات وبين قنطرة السدّ خارج مدينة مصر أخذ الفعلة فى الحفر حول كنيسة الزهرى حتى بقيت قائمة فى وسط الموضع الذى عينه السلطان ليحفر وهو اليوم بركة الناصرية وزاد الحفر حتى تعلقت الكنيسة وكان القصد من ذلك أن تسقط من غير قصد لخرابها وصارت العامّة من غلمان الامراء العمالين فى الحفر وغيرهم فى كل وقت يصرخون على الامراء فى طلب هدمها وهم يتغافلون عنهم الى أن كان يوم الجمعة التاسع من شهر ربيع الآخر من هذه السنة وقت اشتغال الناس بصلاة الجمعة والعمل من الحفر بطال فتجمع عدّة من غوغاء العامّة بغير مرسوم السلطان وقالوا بصوت عال مرتفع الله أكبر ووضعوا أيديهم بالمساحى ونحوها فى كنيسة الزهرى وهدموها حتى بقيت كوما وقتلوا من كان فيها من النصارى وأخذوا جميع ما كان فيها وهدموا كنيسة بومنا التى كانت بالحمراء وكانت معظمة عند النصارى من قديم الزمان وبها عدّة من النصارى قد انقطعوا فيها ويحمل اليهم نصارى مصر سائر ما يحتاج اليه ويبعث اليها بالنذور الجليلة والصدقات الكثيرة فوجد فيها مال كثير ما بين نقد ومصاغ وغيره وتسلق العامّة الى أعلاها وفتحوا أبوابها وأخذوا منها مالا وقماشا وجرار خمر فكان أمرا مهولا ثم مضوا من كنيسة الحمراء بعد ما هدموها الى كنيستين بجوار السبع سقايات تعرف احداهما بكنيسة البنات كان يسكنها بنات النصارى وعدّة من الرهبان فكسروا أبواب الكنيستين وسبوا البنات وكنّ زيادة على ستين بنتا وأخذوا ما عليهنّ من الثياب ونهبوا سائر ما ظفروا به وحرّقوا وهدموا تلك الكنائس كلها هذا والناس فى صلاة الجمعة فعندما خرج الناس من الجوامع شاهدوا هولا كبيرا من كثرة الغبار ودخان الحريق ومرج الناس وشدّة حركاتهم ومعهم ما نهبوه فما شبه الناس الحال لهوله الا بيوم القيامة وانتشر الخبر وطار الى الرميلة تحت قلعة الجبل فسمع السلطان ضجة عظيمة ورجة منكرة افزعته فبعث لكشف الخبر فلما بلغه ما وقع انزعج انزعاجا عظيما وغضب من تجرّى العامّة واقدامهم على ذلك بغير أمره وأمر الامير أيدغمش اميراخور أن يركب بجماعة الاوشاقية ويتدارك هذا الخلل ويقبض على من فعله فأخذ أيدغمش يتهيأ للركوب واذا بخبر قد ورد من القاهرة ان العامّة ثارت فى القاهرة وخرّبت كنيسة بحارة الروم وكنيسة بحارة زويلة وجاء الخبر من مدينة مصر أيضا بأن العامّة قامت بمصر فى جمع كثير جدا وزحفت الى كنيسة المعلقة بقصر الشمع فاغلقها النصارى وهم محصورون بها وهى على أن تؤخذ فتزايد غضب السلطان وهمّ أن يركب بنفسه

ويبطش

ويبطش بالعامة ثم تأخر لما راجعه الامير أيدغمش ونزل من القلعة فى أربعة من الامراء الى مصر وركب الامير بيبرس الحاجب والامير الماس الحاجب الى موضع الحفر وركب الامير طينال الى القاهرة وكل منهم فى عدة وافرة وقد أمر السلطان بقتل من قدروا عليه من العامة بحيث لا يعفو عن أحد فقامت القاهرة ومصر على ساق وفرّت النهابة فلم يظفر الامراء منهم الا بمن عجز عن الحركة بما غلبه من السكر بالخمر الذى نهبه من الكنائس ولحق الامير أيدغمش بمصر وقد ركب الوالى الى المعلقة قبل وصوله ليخرج من زقاق المعلقة من حضر للنهب فأخذه الرجم حتى فرّ منهم ولم يبق الا أن يحرق باب الكنيسة فجرّد أيدغمش ومن معه السيوف يريدون القتل بالعامة فوجدوا عالما لا يقع عليه حصر وخاف سوء العاقبة فأمسك عن القتل وأمر أصحابه بارجاف العامة من غير اهراق دم ونادى مناديه من وقف حل دمه ففرّ سائر من اجتمع من العامة وتفرقوا وصار أيدغمش واقفا الى أن أذن العصر خوفا من عود العامة ثم مضى وألزم والى مصر أن يبيت بأعوانه هنالك وترك معه خمسين من الاوشاقية وأما الامير الماس فانه وصل الى كنائس الحمراء وكنائس الزهرى ليتداركها فاذا بها قد بقيت كيمانا ليس بها جدار قائم فعاد وعاد الامراء فردّوا الخبر على السلطان وهو لا يزداد الا حنقا فما زالوا به حتى سكن غضبه وكان الامر فى هدم هذه الكنائس عجبا من العجب وهو أن الناس لما كانوا فى صلاة الجمعة من هذا اليوم بجامع قلعة الجبل فعندما فرغوا من الصلاة قام رجل موله وهو يصيح من وسط الجامع اهدموا الكنيسة التى فى القلعة اهدموها وأكثر من الصياح المزعج حتى خرج عن الحدّ ثم اضطرب فتعجب السلطان والامراء من قوله ورسم لنقيب الجيوش والحاجب بالفحص عن ذلك فمضيا من الجامع الى خرائب التتر من القلعة فاذا فيها كنيسة قد بنيت فهدموها ولم يفرغوا من هدمها حتى وصل الخبر بواقعة كنائس الحمراء والقاهرة فكثر تعجب السلطان من شأن ذلك الفقير وطلب فلم يوقف له على خبر واتفق أيضا بالجامع الازهر أن الناس لما اجتمعوا فى هذا اليوم لصلاة الجمعة أخذ شخصا من الفقراء مثل الرعدة ثم قام بعدما أذن قبل أن يخرج الخطيب وقال اهدموا كنائس الطغيان والكفرة نعم الله أكبر فتح الله ونصر وصار يزعج نفسه ويصرخ من الاساس الى الاساس فحدق الناس بالنظر اليه ولم يدروا ما خبره وافترقوا فى أمره فقائل هذا مجنون وقائل هذه اشارة لشئ فلما خرج الخطيب أمسك عن الصياح وطلب بعد انقضاء الصلاة فلم يوجد وخرج الناس الى باب الجامع فرأوا النهابة ومعهم أخشاب الكنائس وثياب النصارى وغير ذلك من النهوب فسألوا عن الخبر فقيل قد نادى السلطان بخراب الكنائس فظن الناس الامر كما قيل حتى تبين بعد قليل أن هذا الامر انما كان من غير أمر السلطان وكان الذى هدم فى هذا اليوم من الكنائس بالقاهرة كنيسة بحارة الروم وكنيسة بالبندقانيين وكنيستين بحارة زويلة * وفى يوم الاحد الثالث من يوم الجمعة الكائن فيه هدم كنائس القاهرة ومصر ورد الخبر من الامير بدر الدين بيليك المحسنى والى الاسكندرية بأنه لما كان يوم الجمعة تاسع ربيع الآخر بعد صلاة الجمعة وقع فى الناس هرج وخرجوا من الجامع وقد وقع الصياح هدمت الكنائس فركب المملوك من فوره فوجد الكنائس قد صارت كوما وعدتها أربع كنائس وان بطاقة وقعت من والى البحيرة بأن كنيستين فى مدينة دمنهور هدمتا والناس فى صلاة الجمعة من هذا اليوم فكثر التعجب من ذلك الى أن ورد فى يوم الجمعة سادس عشره الخبر من مدينة قوص بأن الناس عندما فرغوا من صلاة الجمعة فى اليوم التاسع من شهر ربيع الآخر قام رجل من الفقراء وقال يا فقراء اخرجوا الى هدم الكنائس وخرج فى جمع من الناس فوجدوا الهدم قد وقع فى الكنائس فهدمت ست كنائس كانت بقوص وما حولها فى ساعة واحدة وتواتر الخبر من الوجه القبلى والوجه البحرى بكثرة ما هدم فى هذا اليوم وقت صلاة الجمعة وما بعدها من الكنائس والاديرة فى جميع اقليم مصر كله ما بين قوص والاسكندرية ودمياط فاشتد حنق السلطان على العامة خوفا من فساد الحال وأخذ الامراء فى تسكين غضبه وقالوا هذا الامر ليس من قدرة البشر فعله ولو أراد السلطان وقوع ذلك على هذه الصورة لما قدر عليه وما هذا الا بأمر الله سبحانه وبقدره لما علم من كثرة فساد النصارى وزيادة طغيانهم ليكون ما وقع نقمة وعذابا لهم هذا والعامة بالقاهرة ومصر قد اشتد خوفهم من السلطان لما كان يبلغهم عنه من التهديد لهم بالقتل ففرّ عدة من الاوباش والغوغاء وأخذ القاضى

فخر الدين ناظر الجيش فى ترجيع السلطان عن القتل بالعامة وسياسة الحال معه وأخذ كريم الدين الكبير ناظر الخاص يغريه بهم الى أن أخرجه السلطان الى الاسكندرية بسبب تحصيل المال وكشف الكنائس التى خربت بها فلم يمض سوى شهر من يوم هدم الكنائس حتى وقع الحريق بالقاهرة ومصر فى عدة مواضع وحصل فيه من الشناعة اضعاف ما كان من هدم الكنائس فوقع الحريق فى ربع بخط الشوايين من القاهرة فى يوم السبت عاشر جمادى الاولى وسرت النار الى ما حوله واستمرت الى آخر يوم الاحد فتلف فى هذا الحريق شئ كثير وعندما أطفئ وقع الحريق بحارة الديلم فى زقاق العريسة بالقرب من دور كريم الدين ناظر الخاص فى خامس عشرى جمادى الاولى وكانت ليلة شديدة الريح فسرت النار من كل ناحية حتى وصلت الى بيت كريم الدين وبلغ ذلك السلطان فانزعج انزعاجا عظيما لما كان هنالك من الحواصل السلطانية وسير طائفة من الامراء لاطفائه فجمعوا الناس لاطفائه وتكاثروا عليه وقد عظم الخطب من ليلة الاثنين الى ليلة الثلاثاء فتزايد الحال فى اشتعال النار وعجز الامراء والناس عن اطفائها لكثرة انتشارها فى الاماكن وقوة الريح التى ألقت باسقات النخل وغرقت المراكب فلم يشك الناس فى حريق القاهرة كلها وصعدوا المآذن وبرز الفقراء وأهل الخير والصلاح وضجوا بالتكبير والدعاء وجأروا وكثر صراخ الناس وبكاؤهم وصعد السلطان الى أعلى القصر فلم يتمالك الوقوف من شدة الريح واستمر الحريق والاستحثاث يرد على الامراء من السلطان فى اطفائه الى يوم الثلاثاء فنزل نائب السلطان ومعه جميع الامراء وسائر السقائين ونزل الامير بكتمر الساقى فكان يوما عظيما لم ير الناس أعظم منه ولا أشد هولا ووكل بأبواب القاهرة من يرد السقائين اذا خرجوا من القاهرة لاجل اطفاء النار فلم يبق أحد من سقائى الامراء وسقائى البلد الا وعمل وصاروا ينقلون الماء من المدارس والحمامات وأخذ جميع النجارين وسائر البنائين لهدم الدور فهدم فى هذه النوبة ما شاء الله من الدور العظيمة والرباع الكبيرة وعمل فى هذا الحريق أربعة وعشرون أميرا من الامراء المقدمين سوى من عداهم من أمراء الطبلخانات والعشراوات والمماليك وعمل الامراء بأنفسهم فيه وصار الماء من باب زويلة الى حارة الديلم فى الشارع بحرا من كثرة الرجال والجمال التى تحمل الماء ووقف الامير بكتمر الساقى والامير أرغون النائب على نقل الحواصل السلطانية من بيت كريم الدين الى بيت ولده بدرب الرصاصى وخربوا ستة عشر دارا من جوار الدار وقبالتها حتى تمكنوا من نقل الحواصل فما هو الا أن كمل اطفاء الحريق ونقل الحواصل واذا بالحريق قد وقع فى ربع الظاهر خارج باب زويلة وكان يشتمل على مائة وعشرين بيتا وتحته قيسارية تعرف بقيسارية الفقراء وهب مع الحريق ريح قوية فركب الحاجب والوالى لاطفائه وهدموا عدة دور من حوله حتى انطفأ فوقع فى ثانى يوم حريق بدار الامير سلار فى خط بين القصرين ابتدأ من الباذهنج وكان ارتفاعه عن الارض مائة ذراع بالعمل فوقع الاجتهاد فيه حتى أطفئ فأمر السلطان الامير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة والامير ركن الدين بيبرس الحاجب بالاحتراز واليقظة ونودى بأن يعمل عند كل حانوت دن فيه ماء أو زير مملوء بالماء وأن يقام مثل ذلك فى جميع الحارات والازقة والدروب فبلغ ثمن كل دن خمسة دراهم بعد درهم وثمن الزير ثمانية دراهم ووقع حريق بحارة الروم وعدة مواضع حتى انه لم يخل يوم من وقوع الحريق فى موضع فتنبه الناس لما نزل بهم وظنوا أنه من أفعال النصارى وذلك أن النار كانت ترى فى منابر الجوامع وحيطان المساجد والمدارس فاستعدوا للحريق وتتبعوا الاحوال حتى وجدوا هذا الحريق من نفط قد لف عليه خرق مبلولة بزيت وقطران

* فلما كان ليلة الجمعة النصف من جمادى قبض على راهبين عند ما خرجا من المدرسة الكهارية بعد العشاء الآخرة وقد اشتعلت النار فى المدرسة ورائحة الكبريت فى أيديهما فحملا الى الامير علم الدين الخازن والى القاهرة فأعلم السلطان بذلك فأمر بعقوبتهما فما هو الا أن نزل من القلعة واذا بالعامة قد أمسكوا نصرانيا وجد فى جامع الظاهر ومعه خرق على هيئة الكعكة فى داخلها قطران ونفط وقد ألقى منها واحدة بجانب المنبر ومازال واقفا الى أن خرج الدخان فمشى يريد الخروج من الجامع وكان قد فطن به شخص وتأمله من حيث لم يشعر به النصرانى فقبض عليه وتكاثر الناس فجروه الى بيت الوالى وهو بهيئة المسلمين فعوقب عند الامير ركن الدين بيبرس الحاجب فاعترف بأن جماعة من النصارى قد اجتمعوا على عمل نفط وتفريقه مع جماعة من أتباعهم وانه ممن أعطى ذلك وأمر بوضعه عند منبر جامع الظاهر ثم أمر بالراهبين فعوقبا فاعترفا

انهما من سكان دير البغل وأنهما هما اللذان أحرقا المواضع التى تقدم ذكرها بالقاهرة غيرة وحنقا من المسلمين لما كان من هدمهم للكنائس وان طائفة النصارى تجمعوا وأخرجوا من بينهم مالا جزيلا لعمل هذا النفط واتفق وصول كريم الدين ناظر الخاص من الاسكندرية فعرّفه السلطان ما وقع من القبض على النصارى فقال النصارى لهم بطرك يرجعون اليه ويعرف أحوالهم فرسم السلطان بطلب البطرك عند كريم الدين ليتحدث معه فى أمر الحريق وما ذكره النصارى من قيامهم فى ذلك فجاء فى حماية والى القاهرة فى الليل خوفا من العامة فلما أن دخل بيت كريم الدين بحارة الديلم وأحضر اليه الثلاثة النصارى من عند الوالى قالوا لكريم الدين بحضرة البطرك والوالى جميع ما اعترفوا به قبل ذلك فبكى البطرك عند ما سمع كلامهم وقال هؤلاء سفهاء النصارى قصدوا مقابلة سفهاء المسلمين على تخريبهم الكنائس وانصرف من عند كريم الدين مبجلا مكرما فوجد كريم الدين قد أقام له بغلة على بابه ليركبها فركبها وسار فعظم ذلك على الناس وقاموا عليه يدا واحدة فلولا أن الوالى كان يسايره والاهلك وأصبح كريم الدين يريد الركوب الى القلعة على العادة فلما خرج الى الشارع صاحت به العامة ما يحل لك يا قاضى تحامى للنصارى وقد أحرقوا بيوت المسلمين وتركبهم بعد هذا البغال فشق عليه ما سمع وعظمت نكايته واجتمع بالسلطان فأخذ يهوّن أمر النصارى الممسوكين ويذكر أنهم سفهاء وجهال فرسم السلطان للوالى بتشديد عقوبتهم فنزل وعاقبهم عقوبة مؤلمة فاعترفوا بأن أربعة عشر راهبا بدير البغل قد تحالفوا على احراق ديار المسلمين كلها وفيهم راهب يصنع النفط وانهم اقتسموا القاهرة ومصر فجعل للقاهرة ثمانية ولمصر ستة فكبس دير البغل وقبض على من فيه واحرق من جماعته أربعة بشارع صليبة جامع ابن طولون فى يوم الجمعة وقد اجتمع لمشاهدتهم عالم عظيم فضرى من حينئذ جمهور الناس على النصارى وفتكوا بهم وصاروا يسلبون ما عليهم من الثياب حتى فحش الامر وتجاوزوا فيهم المقدار فغضب السلطان من ذلك وهمّ أن يوقع بالعامة واتفق انه ركب من القلعة يريد الميدان الكبير فى يوم السبت فرأى من الناس أمما عظيمة قد ملأت الطرقات وهم يصيحون نصر الله الاسلام أنصر دين محمد بن عبد الله فحرج من ذلك وعند ما نزل الميدان أحضر اليه الخازن نصرانيين قد قبض عليهما وهما يحرقان الدور فأمر بتحريقهما فأخرجا وعمل لهما حفرة وأحرقا بمرأى من الناس وبيناهم فى احراق النصرانيين اذ بدا وان الامير بكتمر الساقى قد مرّ يريد بيت الامير بكتمر وكان نصرانيا فعند ما عاينته العامة ألقوه عن دابته الى الارض وجردوه من جميع ما عليه من الثياب وحملوه ليلقوه فى النار فصاح بالشهادتين وأظهر الاسلام فأطلق واتفق مع هذا مرور كريم الدين وقد لبس التشريف من الميدان فرجمه من هنالك رجما متتابعا وصاحوا به كم تحامى للنصارى وتشدّ معهم ولعنوه وسبوه فلم يجد بدا من العود الى السلطان وهو بالميدان وقد اشتد ضجيج العامة وصياحهم حتى سمعهم السلطان فلما دخل عليه وأعلمه الخبر امتلأ غضبا واستشار الامراء وكان بحضرته منهم الامير جمال الدين نائب الكرك والامير سيف الدين البوبكرى والخطيرى وبكتمر الحاجب فى عدة أخرى فقال الابوبكرى العامة عمى والمصلحة أن يخرج اليهم الحاجب ويسألهم عن اختيارهم حتى يعلم فكره هذا من قوله السلطان وأعرض عنه فقال نائب الكرك كل هذا من أجل الكتاب النصارى فان الناس أبغضوهم والرأى أن السلطان لا يعمل فى العامة شيأ وانما يعزل النصارى من الديوان فلم يعجبه هذا الرأى أيضا وقال للامير الماس الحاجب امض ومعك أربعة من الامراء وضع السيف فى العامة من حين تخرج من باب الميدان الى أن تصل الى باب زويلة واضرب فيهم بالسيف من باب زويلة الى باب النصر بحيث لا ترفع السيف عن أحد البتة وقال لوالى القاهرة اركب الى باب اللوق والى باب البحر ولا تدع أحدا حتى تقبض عليه وتطلع به الى القلعة ومتى لم تحضر الذين رجموا وكيلى يعنى كريم الدين والا وحياة رأسى شنقتك عوضا عنهم وعين معه عدة من المماليك السلطانية فخرج الامراء بعد ما تلكأوا فى المسير حتى اشتهر الخبر فلم يجدوا أحدا من الناس حتى ولا غلمان الامراء وحواشيهم ووقع القول بذلك فى القاهرة فغلقت الاسواق جميعها وحل بالناس أمر لم يسمع بأشد منه وسار الامراء فلم يجدوا فى طول طريقهم أحدا الى أن بلغوا باب النصر وقبض الوالى من باب اللوق وناحية بولاق وباب البحر كثيرا من الكلابزية والنواتية وأسقاط الناس فاشتد الخوف وعدّى كثير من الناس الى البر الغربى بالجيزة وخرج السلطان من الميدان فلم يجد فى طريقه الى أن صعد قلعة الجبل

أحدا من العامّة وعندما استقرّ بالقلعة سير الى الوالى يستعجل حضوره فما غربت الشمس حتى أحضر ممن أمسك من العامّة نحو مائتى رجل فعزل منهم طائفة أمر بشنقهم وجماعة رسم بتوسيطهم وجماعة رسم بقطع أيديهم فصاحوا بأجمعهم ياخوند ما يحلّ لك ما نحن الذين رجمنا فبكى الامير بكتمر الساقى ومن حضر من الامراء رحمة لهم وما زالوا بالسلطان الى أن قال للوالى اعزل منهم جماعة وانصب الخشب من باب زويلة الى تحت القلعة بسوق الخيل وعلّق هؤلاء بأيديهم فلما أصبح يوم الاحد علّق الجميع من باب زويلة الى سوق الخيل وكان فيهم من له بزّة وهيئة ومرّ الامراء بهم فتوجعوا لهم وبكوا عليهم ولم يفتح أحد من أرباب الحوانيت بالقاهرة ومصر فى هذا اليوم حانوتا وخرج كريم الدين من داره يريد القلعة على العادة فلم يستطع المرور على المصلوبين وعدل عن طريق باب زويلة وجلس السلطان فى الشباك وقد أحضر بين يديه جماعة ممن قبض عليهم الوالى فقطع أيدى وأرجل ثلاثة منهم والامراء لا يقدرون على الكلام معه فى أمرهم لشدّة حنقه فتقدّم كريم الدين وكشف رأسه وقبّل الارض وهو يسأل العفو فقبل سؤاله وأمر بهم أن يعملوا فى حفير الجيزة فأخرجوا وقد مات ممن قطع أيديهم اثنان وأنزل المعلّقون من على الخشب وعندما قام السلطان من الشباك وقع الصوت بالحريق فى جهة جامع ابن طولون وفى قلعة الجبل وفى بيت الامير ركن الدين الاحمدى بحارة بهاء الدين وبالفندق خارج باب البحر من المقس وما فوقه من الربع وفى صبيحة يوم هذا الحريق قبض على ثلاثة من النصارى وجد معهم فتائل النفط فأحضروا الى السلطان واعترفوا بأن الحريق كان منهم واستمرّ الحريق فى الاماكن الى يوم السبت فلما ركب السلطان الى الميدان على عادته وجد نحو عشرين ألف نفس من العامّة قد صبغوا خرقا بلون أزرق وعملوا فيها صلبانا بيضا وعندما رأوا السلطان صاحوا بصوت عال واحد لا دين الا دين الاسلام نصر الله دين محمد بن عبد الله يا ملك الناصر يا سلطان الاسلام انصرنا على أهل الكفر ولا تنصر النصارى فارتجت الدنيا من هول أصواتهم وأوقع الله الرعب فى قلب السلطان وقلوب الامراء وسار وهو فى فكر زائد حتى نزل بالميدان وصراخ العامة لا يبطل فرأى أن الرأى فى استعمال المداراة وأمر الحاجب أن يخرج وينادى بين يديه من وجد نصرانيا فله ماله ودمه فخرج ونادى بذلك فصاحت العامّة وصرخت نصرك الله وضجوا بالدعاء وكان النصارى يلبسون العمائم البيض فنودى فى القاهرة ومصر من وجد نصرانيا بعمامة بيضاء حلّ له دمه وماله ومن وجد نصرانيا راكبا حلّ له دمه وماله وخرج مرسوم بلبس النصارى العمامة الزرقاء وأن لا يركب أحد منهم فرسا ولا بغلا ومن ركب حمارا فليركبه مقلوبا ولا يدخل نصرانى الحمام الا وفى عنقه جرس ولا يتزيا أحد منهم بزىّ المسلمين ومنع الامراء من استخدام النصارى وأخرجوا من ديوان السلطان وكتب لسائر الاعمال بصرف جميع المباشرين من النصارى وكثر ايقاع المسلمين بالنصارى حتى تركوا السعى فى الطرقات وأسلم منهم جماعة كثيرة وكان اليهود قد سكت عنهم فى هذه المدّة فكان النصرانى اذا أراد أن يخرج من منزله يستعير عمامة صفراء من أحد من اليهود ويلبسها حتى يسلم من العامّة واتفق أن بعض دواوين النصارى كان له عند يهودى مبلغ أربعة آلاف درهم نقرة فصار الى بيت اليهودى وهو متنكر فى الليل لطالبه فأمسكه اليهودى وقال أنا بالله وبالمسلمين وصاح فاجتمع الناس لاخذ النصرانى ففرّ الى داخل بيت اليهودى واستجار بامرأته وأشهد عليه بابراء اليهودى حتى خلص منه وعثر على طائفة من النصارى بدير الخندق يعملون النفط لاحراق الاماكن فقبض عليهم وسمروا ونودى فى الناس بالامان وأنهم يتفرجون على عادتهم عند ركوب السلطان الى الميدان وذلك انهم كانوا قد تخوفوا على انفسهم لكثرة ما أوقعوا بالنصارى وزادوا فى الخروج عن الحدّ فاطمأنوا وخرجوا على العادة الى جهة الميدان ودعوا للسلطان وصاروا يقولون نصرك الله يا سلطان الارض اصطلحنا اصطلحنا وأعجب السلطان ذلك وتبسم من قولهم وفى تلك الليلة وقع حريق فى بيت الامير الماس الحاجب من القلعة وكان الريح شديدا فقويت النار وسرت الى بيت الامير ايتمش فانزعج أهل القلعة وأهل القاهرة وحسبوا أن القلعة جميعها احترقت ولم يسمع بأشنع من هذه الكائنة فانه احترق على يد النصارى بالقاهرة ربع فى سوق الشوايين وزقاق العريسة بحارة الديلم وستة عشر بيتا بجوار بيت كريم الدين وعدّة أماكن بحارة الروم ودار بهادر بجوار المشهد الحسينى وأماكن باصطبل الطارمة وبدرب العسل وقصر أمير سلاح وقصر سلار بخط بين القصرين وقصر بيسرى وخان الحجر والجملون وقيسارية الادم ودار بيبرس

بحارة

بحارة الصالحية ودار ابن المغربى بحارة زويلة وعدة أماكن بخط بئر الوطاويط وبـ... حر وفى قلعة الجبل وفى كثير من الجوامع والمساجد الى غير ذلك من الاماكن بمصر والقاهرة يطول عددها وخرب من الكنائس كنيسة بخرائب التتر من قلعة الجبل وكنيسة الزهرى فى الموضع الذى فيه الآن البركة الناصرية وكنيسة الحمراء وكنيسة بجوار السبع سقايات تعرف بكنيسة البنات وكنيسة أبى المنيا وكنيسة الفهادين بالقاهرة وكنيسة بحارة الروم وكنيسة بالبندقانيين وكنيستان بحارة زويلة وكنيسة بخزانة البنود وكنيسة بالخندق وأربع كنائس بثغر الاسكندرية وكنيستان بمدينة دمنهور الوحش وأربع كنائس بالغربية وثلاث كنائس بالشرقية وست كنائس بالبهنساوية وبسيوط ومنفلوط ومنية الخصيب ثمان كنائس وبقوص واسوان احدى عشرة كنيسة وبالاطفيحية كنيسة وبسوق وردان من مدينة مصر وبالمصاصة وقصر الشمع من مصر ثمان كنائس وخرب من الديارات شئ كثير وأقام دير البغل ودير شهران مدة ليس فيهما أحد وكانت هذه الخطوب الجليلة فى مدة يسيرة قلما يقع مثلها فى الازمان المتطاولة هلك فيها من الانفس وتلف فيها من الاموال وخرب من الاماكن ما لا يمكن وصفه لكثرته ولله عاقبة الامور

(كنيسة ميكائيل) هذه الكنيسة كانت عند خليج بنى وائل خارج مدينة مصر قبلى عقبة يحصب وهى الآن قريبة من جسر الافرم أحدثت فى الاسلام وهى مليحة البناء

(كنيسة مريم) فى بساتين الوزير قبلى بركة الحبش خالية ليس بها أحد

(كنيسة مريم) بناحية العدوية من قبليها قديمة وقد تلاشت

(كنيسة أنطونيوس) بناحية بياض قبلى اطفيح وهى محدثة * وكان بناحية شرنوب عدة كنائس خربت وبقى بناحية اهريت الجبل قبلى بياض بيومين *(كنيسة السيدة)* بناحية أشكرو على بابها برج مبنى بلبن كبار يذكر أنه موضع ولد موسى بن عمران عليه السلام

(كنيسة مريم) بناحية الخصوص وهى بيت فعملوه كنيسة لا يعبأ بها

(كنيسة مريم وكنيسة بحنس القصير وكنيسة غبريال) هذه الكنائس الثلاث بناحية أبنوب

(كنيسة أسبوطير ومعناه المخلص) هذه الكنيسة بمدينة اخميم وهى كنيسة معظمة عندهم وهى على اسم الشهداء وفيها بئر اذا جعل ماؤها فى القنديل صار أحمر قانيا كأنه الدم

(كنيسة ميكائيل) بمدينة أخميم أيضا ومن عادة النصارى بهاتين الكنيستين اذا عملوا عيد الزيتونة المعروف بعيد الشعانين أن يخرج القسوس والشمامسة بالمجامر والبخور والصلبان والاناجيل والشموع المشعلة ويقفوا على باب القاضى ثم أبواب الاعيان من المسلمين فيبخروا ويقرؤا فصلا من الانجيل ويطرحوا له طرحا يعنى يمدحونه

(كنيسة بوبخوم) بناحية اتفه وهى آخر كنائس الجانب الشرقى وبخوم ويقال بخوميوس كان راهبا فى زمن بوشنودة ويقال له أبو الشركة من أجل انه كان يربى الرهبان فيجعل لكل راهبين معلما وكان لا يمكن من دخول الخمر ولا اللحم الى ديره ويأمر بالصوم الى آخر التاسعة من النهار ويطعم رهبانه الحمص المصلوق ويقال له عندهم حمص القلة وقد خرب ديره وبقيت كنيسته هذه باتفه قبلى اخميم

(كنيسة مرقص الانجيلى) بالجيزة خربت بعد سنة ثمانمائة ثم عمرت * ومرقص هذا أحد الحواريين وهو صاحب كرسى مصر والحبشة

(كنيسة بوجرج) بناحية ابى النمرس من الجيزة هدمت فى سنة ثمانين وسبعمائة كما تقدم ذكره ثم أعيدت بعد ذلك

(كنيسة بوفار) اخر أعمال الجيزة

(كنيسة شنودة) بناحية هربشت

(كنيسة بوجرج) بناحية ببا وهى جليلة عندهم يأتونها بالنذور ويحلفون بها ويحكون لها فضائل متعددة

(كنيسة ماروطا القديس) بناحية شمسطا وهم يبالغون فى ماروطا هذا وكان من عظماء رهبانهم وجسده

فى انبوبة بدير بوبشاى من برتبة شيهات يزورونه الى اليوم
(كنيسة مريم بالبهنسا) ويقال انه كان بالبهنسا ثلثمائة وستون كنيسة خربت كلها ولم يبق بها الا هذه الكنيسة لا غير
(كنيسة صمويل) الراهب بناحية شبرى
(كنيسة مريم) بناحية طنبدى وهى قديمة
(كنيسة ميخائيل) بناحية طنبدى وهى كبيرة قديمة وكان هنالك كنائس كثيرة خربت وأكثر أهل طنبدى نصارى أصحاب صنائع
(كنيسة الايصطولى) أعنى الرسل بناحية أشنين وهى كبيرة جدا
(كنيسة مريم) بناحية اشنين أيضا وهى قديمة
(كنيسة ميخائيل وكنيسة غبريال) بناحية اشنين أيضا وكان بهذه الناحية مائة وستون كنيسة خربت كلها الا هذه الكنائس الاربع وأكثر أهل اشنين نصارى وعليهم الدرك فى الخفارة وبظاهرها آثار كنائس يعملون فيها أعيادهم منها كنيسة بوجرج وكنيسة مريم وكنيسة ماروطا وكنيسة بربارة وكنيسة كفريل وهو جبريل عليه السلام
(وفى منية ابن خصيب ست كنائس) كنيسة المعلقة وهى كنيسة السيدة وكنيسة بطرس وبولص وكنيسة ميكائيل وكنيسة بوجرج وكنيسة انبابولا الطموبهى وكنيسة الثلاث فتية وهم حنانيا وعزاريا وميصائيل وكانوا أجنادا فى أيام بخت نصر فعبدوا الله تعالى خفية فلما عثروا عليهم راودهم بخت نصر أن يرجعوا الى عبادة الاصنام فامتنعوا من ذلك فسجنهم مدة ليرجعوا فلم يرجعوا فأخرجهم وألقاهم فى النار فلم تحرقهم والنصارى تعظمهم وان كانوا قبل المسيح بدهر
(كنيسة بناحية طحا) على اسم الحواريين الذين يقال لهم عندهم الرسل
(كنيسة مريم) بناحية طحا أيضا
(كنيسة الحكيمين) بناحية منهرى لها عيد عظيم فى بشنس بحضرة الاسقف ويقام هنالك سوق كبير فى العيد وهذان الحكيمان هما قزمان ودميان الراهبان
(كنيسة السيدة) بناحية بقرقاس قديمة كبيرة
وبناحية ملوى كنيسة كنيسة الرسل وكنيستان خراب احداهما على اسم بوجرج والاخرى على اسم الملك ميخائيل وبناحية دلجة كنائس كثيرة لم يبق منها الا ثلاث كنائس كنيسة السيدة وهى كبيرة وكنيسة شنودة وكنيسة مرقورة وقد تلاشت كلها وبناحية صنبو كنيسة انبابولا وكنيسة بوجرج وصنبو كثيرة النصارى وبناحية بلاو وهى بحرى صنبو كنيسة قديمة بجانبها الغربى على اسم جرجس وبها نصارى كثيرون فلاحون وبناحية دروط كنيسة وفى خارجها شبه الدير على اسم الراهب سارا ماتون وكان فى زمان شنودة وعمل أسقفا وله أخبار كثيرة وبناحية بوقى بنى زيد كنيسة كبيرة على اسم الرسل ولها عيد وبالقوصية كنيسة مريم وكنيسة غبريال وبناحية دمشير كنيسة الشهيد مرقوريوس وهى قديمة وبها عدة نصارى وبناحية أم القصور كنيسة بويحنس القصير وهى قديمة وبناحية بلوط من ضواحى منفلوط كنيسة ميخائيل وهى صغيرة وبناحية البلاعزة من ضواحى منفلوط كنيسة صغيرة يقيم بها القسيس بأولاده وبناحية شقلقيل ثلاث كنائس كبار قديمة احداها على اسم الرسل وأخرى باسم ميخائيل وأخرى باسم بومنا وبناحية منشأة النصارى كنيسة ميخائيل وبمدينة سيوط كنيسة بوسدرة وكنيسة الرسل وبخارجها كنيسة بومينا وبناحية درنكة كنيسة قديمة جدا على اسم الثلاثة فتية حنانيا وعزاريا وميصائيل وهى مورد لفقراء النصارى ودرنكة أهلها من النصارى يعرفون اللغة القبطية فيتحدث صغيرهم وكبيرهم بها ويفسرونها بالعربية وبناحية ريفة كنيسة بوقلتة الطبيب الراهب صاحب الاحوال العجيبة فى مداواة الرمدى من الناس وله عيد يعمل بهذه الكنيسة * وبها كنيسة ميخائيل أيضا وقد أكلت الارضة جانب ريفة الغربى وبناحية موشة كنيسة مركبة على حمام على اسم الشهيد بقطر وبنيت فى أيام قسطنطين ابن هيلانة ولها رصيف عرضه عشرة أذرع ولها

ثلاث قباب ارتفاع كل منها نحو الثمانين ذراعا مبنية بالحجر الابيض كلها وقد سقط نصفها الغربي ويقال ان هذه الكنيسة على كنز تحتها ويذكر أنه كان من سيوط الى موشة هذه ممشاة تحت الارض وبناحية بقور من ضواحي بوتيج كنيسة قديمة للشهيدا كلوديس وهو يعدل عندهم مرقوريوس وجاأرجيوس وهو أبوجرج والاسفهسلارتا أدروس وميناوس وكان اكلوديوس أبوه من قواد ديقلطيانوس وعرف هو بالشجاعة فتنصر فأخذه الملك وعذبه ليرجع الى عبادة الاصنام فثبت حتى قتل وله أخبار كثيرة وبناحية القطيعة كنيسة على اسم السيدة وكان بها أسقف يقال له الدوين بينه وبينهم منافرة فدفنوه حيا وهم من شرار النصارى معروفون بالشر وكان منهم نصراني يقال له جرجس ابن الراهبة تعدى طوره فضرب رقبته الامير جمال الدين يوسف الاستادار بالقاهرة في ايام الناصر فرج بن برقوق وبناحية بوتيج كنائس كثيرة قد خربت وصار النصارى يصلون في بيت لهم سرا فاذا طلع النهار خرجوا الى آثار كنيسة وعملوا لها سياجا من جريد شبه القفص وأقاموا هنالك عباداتهم وبناحية برمقروفه كنيسة قديمة لميخائيل ولها عيد في كل سنة وأهل هذه الناحية نصارى أكثرهم رعاة غنم وهم همج رعاع وبناحية دوينة كنيسة على اسم يوحنس القصير وهي قبة عظيمة وكان بها رجل يقال له يونس عمل أسقفا واشتهر بمعرفة علوم عديدة فتعصبوا عليه حسدا منهم له على علمه ودفنوه حيا وقد نوعك جسمه وبالمراغة التي بين طهطا وطما كنيسة وبناحية قلفاو كنيسة كبيرة وتعرف نصارى هذه البلدة بمعرفة السحر ونحوه وكان بها في ايام الظاهر برقوق شماس يقال له أبصاطيس له في ذلك يد طولى ويحكى عنه مالا أحب حكايته لغرابته وبناحية فرشوط كنيسة ميخائيل وكنيسة السيدة مارت مريم وبمدينة هو كنيسة السيدة وكنيسة يومنا وبناحية بهجورة كنيسة الرسل وباسنا كنيسة مريم وكنيسة ميخائيل وكنيسة يوحنا المعمداني وهو يحيى بن زكريا عليهما السلام وبنقادة كنيسة السيدة وكنيسة يوحنا المعمداني وكنيسة غبريال وكنيسة يوحنا الرحوم وهو من أهل انطاكية ذوي الاموال فزهد وفرق ماله كله في الفقراء وساح وهو على دين النصرانية في البلاد فعمل أبواه عزاءه وظنوا أنه قد مات ثم قدم انطاكية في حالة لا يعرف فيها وأقام في كوخ على مزبلة وأقام رمقه بما يلقى على تلك المزبلة حتى مات فلما عملت جنازته كان ممن حضرها أبوه فعرف غلاف انجيله ففحص عنه حتى عرف انه ابنه فدفنه وبنى عليه كنيسة انطاكية * وبمدينة قفط كنيسة السيدة وكان بأصفون عدة كنائس خربت بخرابها وبمدينة قوص عدة أديرة وعدة كنائس خربت بخرابها وبقي بها كنيسة السيدة ولم يبق بالوجه القبلي من الكنائس سوى ما تقدم ذكرناله

(وأما الوجه البحري)

ففي منية صرد من ضواحي القاهرة كنيسة السيدة مريم وهي جليلة عندهم وبناحية سندوة كنيسة محدثة على اسم بوجرج وبمرصفا كنيسة مستجدة على اسم بوجرج أيضا وبسمنود كنيسة على اسم الرسل عملت في بيت وبسنباط كنيسة جليلة عندهم على اسم الرسل وبصندفة كنيسة معتبرة عندهم على اسم بوجرج وبالريدانية كنيسة السيدة ولها قدر جليل عندهم وفي دمياط أربع كنائس للسيدة ولميخائيل وليوحنا المعمداني ولماري جرجس ولها مجد عندهم وبناحية سبك العبيد كنيسة محدثة في بيت مخفي على اسم السيدة وبالنحراوية كنيسة محدثة في بيت مخفي وفي لقانة كنيسة يوحنس القصير وبدمنهور كنيسة محدثة في بيت مخفي على اسم ميخائيل وبالاسكندرية المعلقة على اسم السيدة وكنيسة بوجرج وكنيسة يوحنا المعمداني وكنيسة الرسل فهذه كنائس اليعاقبة بأرض مصر ولهم بغزة كنيسة مريم ولهم بالقدس القمامة وكنيسة صهيون وأما الملكية فلهم بالقاهرة كنيسة ماري نقولا بالبندقانيين وبمصر كنيسة غبريال الملاك بخط قصر الشمع وبها قلاية لبطركهم وكنيسة السيدة بقصر الشمع أيضا وكنيسة الملاك ميخائيل بجوار بربارة بمصر وكنيسة ماريوحنا بخط دير الطين والله أعلم * وهذا آخر الجزء الثاني وبتمامه تم الكتاب

والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وسلم ورضي الله عن أصحاب
رسول الله أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا عدوان
الا على الظالمين

يقول المستعين بربه القوى محمد ابن المرحوم الشيخ عبد الرحمن قطة العدوى مصحح دار الطباعة المصريه بلغه الله من الخير كل امنيه ان من جملة المحاسن الممدوحة بكل لسان وأحاسن الآثار الغنى فضلها عن البيان التى ظهرت فى أيام صاحب العز والاقبال من طبع على المرحمة والعدالة فى الاقوال والافعال واختص بحسن التبصر وسداد النظر ورعاية المصالح العامّة لاهل البدو والحضر ووهب من صفات الكمال وكمال الصفات ما تقصر دون تعداده العبارات والاشارات من هو الفرقد الثانى فى افق الصدارة العثمانى عزيز الديار المصريه ذى المناقب الفاخرة السنية حضرة أفندينا الحاج عباس باشا لا زال بصولة عدله جيش المظالم يتلاشى ولا برح قرير العين بأنجاله محفوظ الجناب نافذ القول فى حاله واستقباله ولا فتىء لواء عزه منشورا ولا انفك سعيه مشكورا طبع كتاب الخطط للعلامة المقريزى الشهير المجمع على فضله وعموم نفعه بلا نكير كيف لا وقد جمع من تخطيط الحكومة المصريه وما يتعلق بها من المواد الجغرافية والتاريخيه وذكر أصناف أهلها وولاتها وما عرض لها من تقلبات الازمان وتغيراتها وما تضمنته من الاخلاق والعوايد الصحيح منها والفاسد وما توارد عليها من الدول والحكومات واختلاف الملل والديانات وغير ذلك من الفوائد وصحيح الادلة والشواهد وعجائب الاخبار وغرائب الآثار ما يغنى الحاذق اللبيب ويكفى الماهر الاريب ويعتبر به المعتبرون ويتفكه به المتسامرون بل هو النديم الذى لا يمل والانيس الذى فى استصحابه تهون الكرائم وتبذل بيد أنه يتحفك من تاريخ مصر بأظرف تحفه ويمنحك من طريف جغرافيتها وتليدها الطف طرفه ويسكنك من قصور أنبائها اعلى غرفه وينشقك من زهر روض أخبارها شميمه وعرفه غير أنه لما كان فن التاريخ مع جليل نفعه وجزيل فائدته عند أرباب المعارف وعظيم وقعه قد رميت سوقه فى هذه الازمان بالكساد وتقاصرت عنه الهمم من كل حاضر وباد كان هذا الكتاب مما خيمت عليه عناكب النسيان وعزت نسخه فى ديارنا حتى كاد لا يعثر بها انسان فانها فى غاية القلة محصوره متروكة الاستعمال مهجوره فكانت مع قلتها عارية عن صحتها فكم فيها من تحريف فاحش وسقط متفاحش وغلط مخل وخطإ مخجل ممل يفضى بالقارئ الى الملل ويعوضه عن النشاط الكسل لكن بحمد الله وعونه وعظيم فضله ومنه وبذل المجهود فى التصحيح واستفراغ الوسع فى التحرير والتنقيح جاءت النسخة المطبوعة صحيحة حسب الامكان جديرة بأن تحل محل القبول والاستحسان فان ما كان من عباراته بالتحريف سقيما ولم يفهم معنى مستقيما أجلت فيه ذهنى مع قصوره وكلفته التسلق على قصوره فان فتح له باب الرشاد وألهم المعنى المراد حمدت ربى حيث نلت اربى وان كانت الاخرى وكبا زند الفهم وما اورى نبهت على وجه التوقف فى الحاشية بالعباره أورقمت فيها رقما هندياً ليكون الى التوقف اشاره وربما اشرت الى الصواب لكن على سبيل الرجاء لا الاستصواب وربما مر بك تعداد بعض اشياء يشم منها مخالفة العربيه وتفصيل امور تأباه بحسب الظاهر القواعد النحويه وعذرنا فى ذلك أن المؤلف نقلها كذلك عمن نقلها عن جريدة حساب وأثبتها على ما هى عليه فى تقييدات الكتاب فأبقيناها على حالها ولم ننسجها على غير منوالها حرصا على عدم التغيير فى عبارات المؤلفين حسبما نص عليه ائمة الدين لاسيما والمعنى معه ظاهر لا يخفى على السامع والناظر ثم انه لبعض الاسباب فاتنى تصحيح نحو اثنتين وعشرين ملزمة من أول الجزء الاول ومثلها من أول الثانى من هذا الكتاب لكن ان شاء الله تعالى يحصل الاطلاع عليها والنظر بعين التامل اليها فان عثرنا على ما يلزم التنبيه عليه والاشارة اليه نبهت عليه وأثبت ما يخص كل جزء بلصقه ليكون كل منهما مستوفيا حقه هذا وكأنى بمتشدق متشدق يجل ببذاءة اللسان ولا يحقق قد استولى عليه الحسد فأعمى بصيرته ورفع بالذم والتشنيع عقيرته قائلا ما لا يليق الا به مذيعا ما هو أولى به وما درى الجهول أن فن التصحيح خطر دقيق وصاحبه بضد ما يبجح به جدير حقيق ولو ذاق لعرف وبالعجز أقر واعترف وبالجملة نذمه يشهد لى بالكمال أخذا بقول من قال

واذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بأنى كامل

على أنى والله معترف بقلة البضاعه وعدم الاهلية لهذه الصناعه ولكنما هى اقامات وانما الاعمال بالنيات

واقوص

وأفوض امرى الى اللطيف الخبير فانه نعم المولى ونعم النصير وكان طبع هذا الكتاب بدار الطباعة المصريه المنشأة ببولاق القاهرة المعزيه لازالت بأنفاس الحضرة الآصفيه منبع النشر الكتب النافعة العلميه تحت ملاحظة صاحب نظارتها القائم بتدبيرها وادارتها رب القلم الذى لا يبارى والانشاء الذى لا يجارى من أحرز قصب السبق فى ميدان البراعه وانقاد له كل معنى ابى واطاعه حضرة على افندى جوده بلغه الله فى الدارين مأموله وقصده وكان طبعه على ذمة ملتزمه المتسبب بعد الطى فى نشر علمه واشتهاره فى الاقطار واستعماله عند أهل القرى والامصار الباذل فى ذلك نفائس الكرائم المستصغر فى استحصاله الصعائب والعظائم المستنصر بمولاه فى حالتى الضعف والايد الخواجه رفائيل عبيد وقد وافق تاريخ تمامه وانتهاء الطبع الى حد ختامه يوم الاثنين التاسع عشر من شهر اليمن والخير صفر الذى هو من شهور سنة ألف ومائتين وسبعين من هجرة سيد النبيين والمرسلين صلى الله وسلم عليه وعليهم اجمعين وعلى كل الصحابة والتابعين ورزقنا بجاههم الاعتصام بحبله على الدوام ومنحنا التوفيق لما يرضيه والفوز بحسن الختام امين

تم

خط

رحبة

الجاشنكير

الخانقاه

تمت فهرست الجزء الثانى من كتاب الخطط للمقريزى

بيان الخطا والصواب فى الجزء الثانى من كتاب الخطط

خطا	صواب	صحيفه	سطر
رزبك	رزبك (وهكذا كل ماأتى بعده)	٠٥	٠٣
رفع الى قفاه	رفع على قناة	١٣	٢٧
كتبغا	كتبغا (وهكذا فى كل مابعده)	٢٢	٢١
اللصوص	اللوص	٢٢	٢٧
كافة	كاظة	٢٣	١٧
ذرى	ردى	٢٦	١٦
الشرارين	الشراربين	٣١	٠١
وصاروالى القاهرة	وصاروالى القاهرة	٣٢	١٩
تنكو	تنكز (وهكذامايأتى بعد)	٣٤	٣٨
فى تأنيه	فى ما تيه	٣٥	١٨
السلاحى	السلامى	٣٦	٠٧
أبى الحسب	أبى الحسين	٣٦	١٩
حضردمنة.	حضررمية (وهكذامابعده)	٣٩	١٨
جنكرخان	جنكزخان (وهكذامابعده)	٤٠	٣٩
تبنيت	تشبيب	٤١	١٤
والمأخوذة	والباحورة	٤٣	٢٩
الناصرقلاون تغير	الناصرتغير	٤٣	٢٩
الواقدى أيام	الوافدفى أيام	٤٤	١١
مقدمى الخلفاء	مقدمى الحلقة	٤٤	١٣
أبى الرفعة	ابن الرفعة	٤٦	٠٦
وسبعمائة	وستمائة	٤٦	٢٧و٢٥
المسكين	المسلمين	٤٦	٣٣
أى ملك	ال ملك	٤٨	٠٦
وقد يقال للمبنى والبيت أخص من غير	وقد يقال للمبنى من غير	٥١	٣٤
وأبيهما	وأباهما	٥٢	٢٦
أيضامن	هى أيضامن	٥٣	١٧
حورا	جوزوا	٥٨	١٣
الاميردمرداش بارث ابنته	الاميردمرداش فلما قتل الناصر وقام من بعده الملك المؤيد شيخ وقبض على الاميردمرداش ثارت ابنة	٥٩	١٢
صرغتمش فى حل	صرغتمش حل	٥٩	٢٣
وأميرالمؤمنين	وامين الدين	٦٢	٠١
نشاورالجند	ثارالجند	٦٣	٢٥
جارله مماجناه جناب	جان له مماجناه متاب	٦٤	١٧
انشأها	انشأه	٦٨	١٠
بيبرس	بيسرى	٦٩	٠٥
فى اليوم ستين	فى اليوم مبلغ ستين	٦٩	٢٨
منكرتمر	منكوتمر (وهكذامابعد)	٧٠	٠٥

خطا	صواب	صحيفه	سطر
عناية قاضى القضاة	عناية لحكم قاضى القضاة	٧١	٠٢
فى عمل حين	فى عمله حينا	٧١	٢٨
وسار أرباب	وسائر أرباب	٧٢	٠٧
صالح بن قلاون	صالح بن محمد بن قلاون	٧٣	٢٠
اقبغا اص فى سابع	اقبغا آص فى ثامن شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين فباشر ذلك الى ان صرف بابن اقبغا آص فى سابع	٧٥	١٨
يوم حنين سره ذلك فلما	يوم حنين فلما	٧٦	١٥
من درهم صاحب حمام	من درهم يعطيه صاحب حمام	٧٩	٣٧
الى ملك القاضى السعيد	الى ملك القاضى رضى الدين عبد الناصر بن تقى الدين فعرفت به ثم صارت الى ملك القاضى السعيد	٨٣	٢٣
له اسوة فاستحسن	له اسوة براسى فاستحسن	٨٨	٠١

هذا ما وجدناه فى الملازم الاول من الجزء الثانى مما يلزم التنبيه عليه واكثره فى الغالب من تحريف النسخ التى طبع منها هذا الكتاب كما يعلم بالوقوف عليها